وفيات الأعيان وأنباء الزمان

أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان

ولادة المؤلف :: 608
وفاة المؤلف :: 681
دار النشر :: دار الثقافة
سنة النشر :: 1968
اسم المحقق :: د.إحسان عباس
جلد 1
23@ |23 | & حرف الهمزة &
24 @24@
25

إبراهيم النخعي أبو عمران وأبو عمار إبراهيم بن يزيد بن الأسود بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن سعد بن مالك بن النخع الفقية الكوفي النخعي أحد الأئمة المشاهير تابعي رأى عائشة رضي الله عنها ودخل عليها ولم يثبت له منها سماع وكان إبراهيم إذا طلبه إنسان لا يحب أن يلقاه خرجت الخادم فقالت اطلبه في المسجد وقال آخر كنا إذا خرجنا من عند إبراهيم يقول إن سئلتم عني فقولوا لا ندري أين هو فإنكم إذا خرجتم لا تدرون أين أكون توفي سنة ست وقيل خمس وتسعين للهجرة وله تسع وأربعون سنة

وقيل ثمان وخمسون سنة والأول أصح ولما حضرته الوفاة جزع جزعا شديدا فقيل له في ذلك فقال وأي خطر أعظم مما أنا فيه أنما أتوقع رسولا يأتي علي من ربي إما بالجنة وإما بالنار والله لو وددت أنها تلجج في حلقي إلى يوم القيامة وأمه مليكة بنت يزيد بن قيس النخعية أخت الأسود بن يزيد النخعي فهو خاله رضي الله عنه ونسبته إلى النخع بفتح النون والخاء المعجمة وبعدها عين مهملة وهي قبيلة كبيرة من مذحج باليمن واسم النخع جسر بن عمرو بن علة بن خالد ابن مالك بن أدد وإنما قيل له النخع لأنه انتخع من قومه أي بعد عنهم

26 وخرج منهم خلق كثير وقيل في نسبه غير هذا هذا هو الصحيح نقلته من جمهرة النسب لابن الكلبي 2 أبو ثور صاحب الشافعي أبو ثور إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي الفقيه البغدادي صاحب الإمام الشافعي رضي الله عنه وناقل الأقوال القديمة عنه وكان أحد الفقهاء الأعلام والثقات المأمونين في الدين له الكتب المصنفة في الأحكام جمع فيها بين الحديث والفقه وكان أول اشتغاله بمذهب أهل الرأي حتى قدم الشافعي العراق فاختلف إليه واتبعه ورفض مذهبه الأول ولم يزل على ذلك إلى أن توفي لثلاث بقين من صفر سنة ست وأربعين ومائتين ببغداد ودفن بمقبرة باب الكناس رحمه الله تعالى وقال أحمد بن حنبل هو عندي في مسلاخ سفيان الثوري أعرفه بالسنة منذ خمسين سنة 3 أبو اسحاق المروزي أبو

إســـحـاق إبراهيم بن أحمد بن إســـحـاق المروزي الفقيـه الشافعي إمام
27 عصـــره في الفتوى والتدريس أخذ الفقه عن أبي العباس بن ســريج وبرع فيه وانتهت إليه الرياســة بالعراق بعد ابن سريج وصنف كتبا كثيرة وشرح مختصر المزني وأقام ببغداد دهراً طويلا يدرس ويفتي وأنجب من أصحابه خلق كثير وإليه ينســـب درب المروزي ببغداد الذي في قطيعة الربيع ثم ارتحل إلى مصر في أواخر عمره فأدركه أجله بها فتوفي لتسع خلون من رجب سنة أربعين وثلثمائة ودفن بالقرب من تربة الإمام الشافعي رضي الله عنه وقيل إنه توفي بعد العتمة من ليلة السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب من الســـنة المذكورة وذكره الخطيب في تاريخه والمروزي بفتح الميم وســـكون الراء وفتح الواو وبعدها زاء معجمة نسبة إلى مرو الشـاهجان وهي إحدى كراسـي خراسان وكراسي خراسان أربع مدن هذه ونيسابور وهراة وبلخ وإنما قيل لها مرو الشـــاهجان لتتميز عن مرو الروذ والشـــاهجان لفظ عجمي تفســيره روح الملك فالشـــاة الملك والجان الروح وعادتهم أن يقدموا ذكر المضـــاف إليه على المضاف ومرو هذه بناها الإسكندر ذو القرنين وهي سرير الملك بخراســـان وزادوا في النســـبة إليها زاء كما قالوا في النسـبة إلى الري رازي وإلى إصـطخر إصـطخرزي على إحدى النســـبتين إلا أن هذه الزيادة تختص ببني آدم عند أكثر أهل العلم بالنسب وما عدا ذلك لا يزاد فيه الزاء فيقال

فلان المروزي والثوب وغيره من المتاع مروي بســـكون الراء وقيل إنه يقال في الجميع بزيادة الزاء ولا فرق بينهما وهو من باب تغيير النسب وسيأتي في ترجمة القاضي أبي حامد أحمد بن عامر المَرْوَوذِي الفقيه الشــافعي بقية الكلام على هذين البلدين إن شاء الله تعالى

28 4 الأســتاذ الإســفرايني أبو إســحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران الإسفرايني الملقب بركن الدين الفقيه الشــافعي المتكلم الأصــولي ذكره الحاكم أبو عبد الله وقال أخذ عنه الكلام والأصول عامة شيوخ نيسابور وأقر له بالعلم أهل العراق وخراسان وله التصانيف الجليلة منها كتابه الكبير الذي سماه جامع الحلى في أصول الدين والرد على الملحدين رأيته في خمســـة مجلدات وغير ذلك من المصنفات وأخذ عنه القاضــي أبو الطيب الطبري أصــول الفقه بإســفراين وبنيت له المدرســة المشــهورة بنيســابور وذكره أبو الحســن عبد الغافر الفارســي في ســياق تاريخ نيســابور فقال في حقه أحد من بلغ حد الاجتهاد من العلماء لتبحره في العلوم واستجماعه شرائط الإمامة وكان طراز ناحية الشــرق وكان يقول أشــتهي أن أموت بنيســابور حتى يصــلي علي جميع أهل نيســابور فتوفي بها يوم عاشــوراء سنة ثماني عشرة وأربعمائة ثم نقلوه إلى إسفراين ودفن في مشــهده رحمه الله تعالى واختلف إلى مجلســه أبو القاســم القشــيري وأكثر الحافظ أبو بكر البيهقي الرواية عنه في تصــانيفه وغيره من المصــنفين رحمهم الله أجمعين وســمع

بخراسان أبا بكر الإسماعيلي وبالعراق أبا محمد دعلج بن أحمد السجزي وأقرانهما وسيأتي الكلام على إسفراين في ترجمة الشيخ أبي حامد أحمد بن محمد الإسفرايني 5 أبو إسحاق الشيرازي الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي الفيروزاباذي الملقب جمال الدين سكن بغداد وتفقه على جماعة من الأعيان منهم أبو أحمد عبدالوهاب بن محمد بن أمين وأبو عبد الله محمد بن عبد الله البيضاوي وأبو القاسم منصور بن عمر الكرخى وغيرهم وصحب القاضي أبا الطيب الطبري كثيرا وانتفع به وناب عنه في مجلسه ورتبه معيدا في حلقته وصار إمام وقته ببغداد ولما بنى نظام الملك مدرسته ببغداد سأله أن يتولاها فلم يفعل فولاها لأبي نصر ابن الصباغ صاحب الشامل مدة يسيرة ثم أجاب إلى ذلك فتولاها ولم يزل بها إلى أن مات وقد بسطت القول في ذلك في ترجمة الشيخ أبي نصر عبد السيد بن الصباغ صاحب الشامل فليطلب منه وسمع الحديث من أبي بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الخوارزمي بالبرقاني الحافظ وأبي علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن شاذان البزار وأبي الفرج محمد بن عبد الله الخرجوشي الشيرازي وغيرهم وصنف التصانيف المباركة المفيدة منها المهذب في المذهب والتنبيه في الفقه واللمع وشرحها في أصول الفقه والنكت في الخلاف والتبصرة والمعونة والتلخيص في الجدل وغير ذلك وانتفع به خلق كثير وله الشعر الحسن فمنه (سألت الناس عن

خل وفي * فقالوا ما إلى هذا سبيل) (تمسك إن ظفرت بذيل حر * فإن الحر في الدنيا قليل)
29 5 أبو إسحاق الشيرازي الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي الفيروزاباذي الملقب جمال الدين سكن بغداد وتفقه على جماعة من الأعيان منهم أبو أحمد عبدالوهاب بن محمد بن أمين وأبو عبد الله محمد بن عبد الله البيضاوي وأبو القاسم منصور بن عمر الكرخى وغيرهم وصحب القاضي أبا الطيب الطبري كثيرا وانتفع به وناب عنه في مجلسه ورتبه معيدا في حلقته وصار إمام وقته ببغداد ولما بنى نظام الملك مدرسته ببغداد سأله أن يتولاها فلم يفعل فولاها لأبي نصر ابن الصباغ صاحب الشامل مدة يسيرة ثم أجاب إلى ذلك فتولاها ولم يزل بها إلى أن مات وقد بسطت القول في ذلك في ترجمة الشيخ أبي نصر عبد السيد بن الصباغ صاحب الشامل فليطلب منه وسمع الحديث من أبي بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الخوارزمي بالبرقاني الحافظ وأبي علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن شاذان البزار وأبي الفرج محمد بن عبد الله الخرجوشي الشيرازي وغيرهم وصنف التصانيف المباركة المفيدة منها المهذب في المذهب والتنبيه في الفقه واللمع وشرحها في أصول الفقه والنكت في الخلاف والتبصرة والمعونة والتلخيص في الجدل وغير ذلك وانتفع به خلق كثير وله الشعر الحسن فمنه (سألت الناس عن خل وفي * فقالوا ما إلى

هذا سبيل) (تمسك إن ظفرت بذل حر فإن الحر في الدنيا
قليل)

30 وقال الشيخ أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي
الآتي ذكره إن شـاء الله تعالى كان ببغداد شـاعر مفلق يقال
له عاصم فقال يمدح الشيخ أبا إسحاق قدس الله سره (تراه
من الذكاء نحيف جسـم * عليه من توقده دليل) (إذا كان
الفتى ضخم المعالي * فليس يضره الجسم النحيل) وكان
في غاية من الورع والتشـدد في الدين ومحاسـنه أكثر من
أن تحصر ولد في سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة بفيروزاباذ
وتوفي ليلة الأحد الحادي والعشــرين من جمادي الآخرة
قاله الســمعاني في الذيل وقيل في جمادي الأولى قاله
السمعاني أيضا سنة ست وسبعين وأربعمائة ببغداد ودفن
من الغد بباب أبرز رحمه الله ورثاه أبو القاسـم ابن ناقياء
واسـمه عبد الله وسـيأتي ذكره إن شـاء الله تعالى بقوله (
أجرى المدامع بالدم المهراق * خطب أقام قيامة الآماق)
(ما لليالي لا تؤلف شملها * بعد ابن بجدتها أبي إسحاق)
(إن قيل مات فلم يمت من ذكره * حي على مر الليالي
باقي) وذكره محب الدين بن النجار في تاريخ بغداد فقال
في حقه إمام أصحاب الشافعي ومن انتشر فضله في البلاد
وفاق أهل زمانه بالعلم والزهد وأكثر علماء الأمصـار من
تلامذته ولد بفيروزاباذ بلدة بفارس ونشأ بها ودخل شيراز
وقرأ بها الفقه على أبي عبد الله البيضاوي وعلى أبي أحمد

31 الوهاب بن رامين ثم دخل البصـــرة وقرأ على الحوزي ودخل بغداد في شـــوال ســـنة خمس عشـــرة وأربعمائة وقرأ على أبي الطيب الطبري ومولده في ســـنة ثلاث وتســـعين وثلثمائة وقال أبو عبد الله الحميدي ســـألته عن مولده فذكر دلائل دلت على ســـنة ســـت وتســـعين قال ورحلت في طلب العلم إلى شراز في سنة عشر وأربعمائة وقيل إن مولده في ســـنة خمس وتســـعين والله أعلم وجلس أصـــحابه للعزاء بالمدرســـة النظامية ولما انقضـــى العزاء رتب مؤيد الملك بن نظام الملك أبا سعد المتولي مكانه ولما بلغ الخبر نظـام الملك كتـب بـإنكـار ذلـك وقـال كـان من الواجب أن تغلق المدرسة سنة لأجله وزرى على من تولى موضـــعه وأمر أن يدرس الشـــيخ أبو نصـــر عبد الســـيد بن الصـــباغ في مكانه رحمهم الله تعالى وفيروزاباذ بكســـر الفاء وســـكون الياء المثناه من تحت وضـــم الراء المهملة وبعد الواو الســـاكنة زاء مفتوحة معجمة وبعد الألف أبا موحـدة وبعـد الألف ذال معجمـة بلـدة بفـارس ويقـال هي مدينة جور قاله الحافظ أبو ســـعد ابن الســـمعاني في كتابه الأنساب وقال غيره هي بفتح الفاء والله أعلم 6 إبراهيم بن أدهم أبو إســـحاق إبراهيم بن منصـــور بن زيد بن جابر العجلي ويقال التميمي أصله

32 من بلخ وكان من أولاد الملوك روى عن جماعة من التابعين كأبي إسحاق السبيعي وأبي حازم وقتادة ومالك بن دينار والأعمش وأبان واشـــتغل بالزهد عن الرواية

وكان يكون بالكوفة ثم بالشـــام مر به يوما بريد وهو ينظر كرما فقال ناولني من هذا العنب فقال ما أذن لي صـــاحبه فقلب السوط وجعل يقنع رأسـه فطأطأ إبراهيم رأسـه وقال اضـرب رأسـا طال ما قد عصـى الله قال فانخذل ومضـى وقال شـقيق البلخي قال لي إبراهيم أخبرني عما أنت عليه فقلت إذا رزقت أكلت وإذا منعت صـبرت قال هكذا تعمل كلاب بلخ عندنا قلت له فكيف تعمل أنت قال إذا رزقت آثرت وإذا منعت شـكرت وكان إبراهيم في البحر وهبت ريح واضـطربت السـفن وبكى الناس فقيل لبعضـهم هذا إبراهيم بن أدهم لو سألته أن يدعو الله وكان قائما في ناحية من السـفينة ملفوف رأسـه فدنا إليه وقال يا أبا إسـحاق ما ترى ما فيه الناس فرفع رأسـه وقال اللهم قد أريتنا قدرتك فأرنا رحمتك فهدأت السـفن قال رجل لبشـر بن الحارث إني أحب أن أسلك طريق إبراهيم بن أدهم قال لا تقوى قال ولم قال لأن إبراهيم بن أدهم عمل ولم يقل وأنت قلت ولم تعمل قال أبو سليمان الداراني صلى إبراهيم خمس عشرة صلاة بوضوء واحد وتوفي سنة 140 في الجزيرة وحمل إلى صـور فدفن هناك رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته إنه على ما يشاء قدير

33 7 العراقي الخطيب أبو إسـحاق إبراهيم بن منصـور بن المسـلم الفقيه الشـافعي المصـري المعروف بالعراقي الخطيب بجامع مصـر كانفقيها فاضـلا وشـرح كتاب المهذب تصنيف الشيخ أبي إسحاق الشيرازي رحمه

الله تعالى في عشرة أجزاء شرحا جيدا لوم يكن من العراق وإنما سافر إلى بغداد واشتغل بها مدة فنسب إليها لإقامته بها تلك المدة وعاد إلى مصر وتولى الخطابة بجامعها العتيق والإمامة به والتصدر ولم يزل على لخطابة والإمامة به والإفادة إلى حين وفاته ومضى على سادا وأمر جميل قرأ ببغداد الفقه على أبي بكر محمد بن الحسين الأرموي وكان من أصحاب الشيخ أبي إسحاق الشيرازي وعلى أبي الحسن محمد بن المبارك بن الخل البغدادي وتفقه ببلده على القاضي أبي المعالي مجلي بن جميع الآتي ذكره إن شاء الله تعالى وكان في بغداد يعرف بالمصري فلما رجع إلى مصر قيل له العراقي والله أعلم وقد روي عن الخطيب أبي إسحاق المذكور أنه كان يقول أنشدني شيخنا ابن الخل المذكور ببغداد ولم يسم قائلا (في زخرف القول تزيين لباطله * والحق قد يعتريه سوء تعبير) (تقول هذا مجاج النحل تمدحه * وإن ذممت تقل قيء الزنابير) (مدحا وذما وما جاوزت وصفهما * حسن البيان يري الظلماء كالنور) وكانت ولادته بمصر سنة عشر وخمسمائة وتوفي يوم الخميس الحادي والعشرين من جمادي الأولى سنة ست وتسعين وخمسمائة بمصر ودفن بسفح المقطم رحمه الله تعالى والمسلم بضم الميم وتشديد اللام وكان له ولد فاضل نبيل القدر اسمه أبو محمد عبد الحكم ولي الخطابة بجامع مصر بعد وفاة والده وكانت له خطب جيدة وشعر لطيف فمن شعره في العماد

ابن جبرئيل المعروف بابن أخي العلم وكان صاحب ديوان المال بمصر وكان قد وقع فانكسرت يده قوله (إن العماد بن جبريل أخي علم * له يد أصـــبحت مذمومة الأثر) (تأخر القطع عنها وهي سارقة * فجاءها الكسر يستقصي عن الخبر) وله غير ذلك أشـــعار نادرة ثم وجدت هذين البيتين في ديوان جعفر بن شـمس الخلافة الآتي ذكره واللّه أعلم ومن شـــعر عبد الحكم المذكور في رجل وجب عليه القتل فرماه المستوفي للقصـاص بسـهم فأصـاب كبده فقتله فقال عبد الحكم (أخرجت من كبد القوس ابنها فغدت * تئن والأم قد تحنو على الولد) (وما درت أنه لما رميت به * ما ســـار من كبد إلا إلى كبد) قلت البيت الأول من هذين البيتين مأخوذ من قول بعض المغاربة (لا غرو من جزعي لبينهم * يوم النوى وأنا أخو الهم) (فالقوس من خشـــب تئن إذا * ما كلفوها فرقة الســـهم) والبيت الثاني مأخوذ من قول الفقيه عمارة اليمني الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في قصـــيدته الميمية التي ذكرتها هناك وقد قدم من مكة شـــرفها الله تعالى إلى الديار المصـــرية وامتدح بها مليكها يومئذ وهو الفائز عيسى بن الظافر العبيدي ووزيره الصالح طلائع بن رزيك وكلاهم مذكوران في هذا التاريخ فقال من جملة القصيدة يمدح العيس التي حملته إلى مصر
34 والمسلم بضم الميم وتشديد اللام وكان له ولد فاضل نبيل القدر اسمه أبو محمد عبد الحكم ولي الخطابة بجامع مصر بعد وفاة والده وكانت له خطب جيدة وشعر

لطيف فمن شـــعره في العماد ابن جبريل المعروف بابن أخي العلم وكان صـاحب ديوان بيت المال بمصـر وكان قد وقع فانكسرت يده قوله (إن العماد بن جبريل أخي علم * له يد أصـــبحت مذمومة الأثر) (تأخر القطع عنها وهي سـارقة * فجاءها الكسـر يستقصـي عن الخبر) وله غير ذلك أشـــعار نادرة ثم وجدت هذين البيتين في ديوان جعفر بن شـــمس الخلافة الآتي ذكره واللهّ أعلم ومن شـــعر عبد الحكم المذكور في رجل وجب عليه القتل فرماه المسـتوفي للقصـــاص بســـهم فأصـــاب كبده فقتله فقال عبد الحكم (أخرجت من كبد القوس ابنها فغدت * تئن والأم قد تحنو على الولد) (وما درت أنه لما رميت به * ما ســـار من كبد إلا إلى كبد) قلت البيت الأول من هذين البيتين مأخوذ من قول بعض المغاربـة (لا غرو من جزعي لبينهم * يوم النوى وأنا أخو الهم) (فالقوس من خشـــب تئن إذا * ما كلفوها فرقة الســـهم) والبيت الثاني مأخوذ من قول الفقيـه عمـارة اليمني الآتي ذكره إن شـــاء الله تعـالى في قصـيدته الميمية التي ذكرتها هناك وقد قدم من مكة شرفها الله تعالى إلى الديار المصـــرية وامتدح بها مليكها يومئذ وهو الفائز عيســى بن الظافر العبيدي ووزيره الصـــالح طلائع بن رزيك وكلاهما مذكوران في هذا التاريخ فقال من جملة القصيدة يمدح العيس التي حملته إلى مصر

35 (ورحن من كعبة البطحاء والحرم * وفدا إلى كعبة المعروف والكرم) (فهل درى البيت أني بعد فرقته

* ما سـرت من حرم إلا إلى حرم) ومن شـعر عبد الحكم أيضا (قامت تطالبني بلؤلؤ نحرها * لما رأت عيني تجود بدرها) (وتبســـمت عجبا فقلت لصـــاحبي * هذا الذي اتهمت به في ثغرها) قلت و هذا المعنى مأخوذ من قول أبي الحسن علي بن عطية المعروف بابن الزقاق الأندلسي البلنســـي (وشـــادن طاف بالكؤوس ضـــحى * فحثها والصباح قد وضحا) (والروض يبدي لنا شقائقه * وآسه العنبري قد نفحا) (قلت وأين الأقاح قال لنا * أودعته ثغر من سقى القدحا) (فظل ساقي المدام يجحد ما * قال فلما تبسـم افتضـحا) وكان الوزير صـفي الدين أبو محمد عبد الله بن علي المعروف بابن شـــكر وزير الملك العادل بن أيوب بمصــــر قد عزل عبد الحكم المذكور عن خطابة جامع مصـــر فكتب إليه (فلأي باب غير بابك أرجع * وبأي جود غير جودك أطمع) (ســـدت علي مســـالكي ومذاهبي * إلا إليك فدلني ما أصـــنع) (فكأنما الأبواب بـابك وحده * وكـأنمـا أنت الخليقة أجمع) قلت والبيت الأخير مأخوذ من قول السـلامي الشـاعر المشـهور وهو (فبشــرت آمالي بملك هو الورى * ودار هي الدنيا ويوم هو الدهر)

36 وسيأتي ذكرها في ترجمة عضد الدولة بن بويه في حرف الفاء إن شـــاء اللّه تعالى ولعبد الحكم المذكور يستجلي زوجته (سترت وجهها بكف عليه * شبك النقش وهي تجلى عروسـا) (قلت لم يغن عنك سـترك شـيئا *

ومتى غطت الشباك الشموسا) وله أيضا (ومأدبة بتنا بها في لذاذة * يخيل لي أنا على الماء نوم) (فمن فوقنا الأفلاك والفلك تحتنا * ففي تلك أقمار وفي تيك أنجم) وله أيضا (على مهل ففي الأحوال ريث * أتخشى أن تضام وأنت ليث) (بمصر إن أقمت فأنت نيل * وإن سرت الشآم فأنت غيث) وكانت ولادته ليلة الأحد تاسع عشر جمادي الآخرة سنة ثلاث وستين وخمسمائة وتوفي سحرة الثامن والعشرين من شعبان سنة ثلاث عشرة وستمائة بمصر ودفن من الغد بسفح المقطم رحمة اللهّ تعالى عليه وأنشدني ولده شيئا كثيرا من شعره وطريقته فيه لطيفة وأما العماد المذكور فهو أبو عبد الله محمد بن أبي الأمانة جبريل بن المغيرة بن سلطان بن نعمة وكان فاضلا مشهورا بكثرة الأمانة فيما يتولاه وتقلب في الخدم الديوانية بمصر والإسكندرية وكانت ولادته سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وتوفي في خامس شعبان سنة سبع وثلاثين وستمائة بالقاهرة رحمه الله تعالى

37 8 ابن عسكر الموصلي أبو إسحاق إبراهيم بن نصر بن عسكر الملقب ظهير الدين قاضي السلامية الفقيه الشافعي الموصلي ذكره ابن الدبيثي في تاريخه فقال أبو إسحاق من أهل الموصل تفقه على القاضي أبي عبدالله الحسين بن نصر بن خميس الموصلي بالموصل وسمع منه قدم بغداد وسمع بها من جماعة وعاد إلى بلده وتولى قضاء السلامية إحدى قرى الموصل وروى بإربل عن أبي

البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري النحوي شيئا من مصنفاته سمع منه ببغداد وسمع منه جماعة من أهلها انتهى كلامه وكان فقيها فاضلا أصله من العراق من السندية تفقه بالمدرسة النظامية ببغداد وسمع الحديث ورواه وتولى القضاء بالسلامية وهي بلدة بأعمال الموصل وطالت مدته بها وغلب عليه النظم ونظمه رائق فمن شعره (لا تنسبوني يا ثقاتي إلى * غدر فليس الغدر من شيمتي) (أقسمت بالذاهب من عيشنا * وبالمسرات التي ولت) (أني على عهدكم لم أحل * وعقدة الميثاق ما حلت) ومن شعره أيضا (جود الكريم إذا ما كان عن عدة * وقد تأخر لم يسلم من الكدر) (إن الشحائب السحائب لا تجدي بوارقها * نفعا إذا هي لم تمطر على الأثر) (وما طل الوعد مذموم وإن سمحت * يداه من بعد طول المطل بالبدر)

38 (يا دوحة الجود لا عتب على رجل * يهزها وهو محتاج إلى الثمر) وكان بالبوازيج وهي بليدة بالقرب من السلامية زاوية لجماعة من الفقراء اسم شيخهم مكي فعمل فيهم (ألا قل لمكي قول النصوح * فحق النصيحة أن تستمع) (متى سمع الناس في دينهم * بأن الغنا سنة تتبع) (وأن يأكل المرء أكل البعير * ويرقص في الجمع حتى يقع) (ولو كان طاوي الحشا جائعا * لما دار من طرب واستمع) (وقالوا سكرنا بحب الإله * وما أسكر القوم إلا القصع) (كذاك الحمير إذا اخصبت *

ينقزها ريها والشبع) ذكره أبو البركات ابن المستوفى في تاريخ إربل وأثنى عليه وأورد له مقاطيع عديدة ومكاتبات جرت بينهما وذكره العماد الكاتب في الخريدة فقال شـــاب فاضل ومن شعره قوله (أقول له صلني فيصرف وجهه * كأني أدعوه لفعل محرم) (فإن كان خوف الإثم يكره وصلتي * فمن أعظم الآثام قتلة مسلم) توفي يوم الخميس ثالث شهر ربيع الآخر سنة عشر وستمائة بالسلامية رحمه الله تعالى وكان له ولد اجتمعت به في حلب وأنشـــدني من شعره وشعر أبيه كثيرا وكان شعره جيدا ويقع له المعاني الحسنة والسلامية بفتح السين المهملة وتشديد اللام وبعد الميم ياء مثناة من تحتها ثم هاء وهي بليدة على شـــط الموصل من الجانب الشرقي أسفل الموصل بينهما مسافة يوم فالموصـــل في الجانب الغربي وقد خربت الســـلامية القديمة التي كان الظهير قاضيها وأنشئت بالقرب منها بليدة أخرى وسموها السلامية أيضا

39 9 إبراهيم بن المهدي أبوإســـحاق إبراهيم بن المهدي بن المنصـــور أبي جعفر بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشـــمي أخو هارون الرشيد كانت له اليد الطولي في الغناء والضرب بالملاهي وحســـن المنادمة وكان أســـود اللون لأن أمه كانت جارية سوداء واسمها شكلة بفتح الشين المعجمة وكسرها وسكون الكاف وبعد اللام هاء وكان مع ســـواده عظيم الجثة ولهذا قيل له التنين وكان وافر الفضل غزير الأدب واسع النفس

سخي الكف ولم ير في أولاد الخلفاء قبله أفصح منه لسانا ولا أحسن منه شعرا بويع له بالخلافة ببغداد بعد المائتين والمأمون يومئذ بخراسان وقصته مشهورة وأقام خليفة بها مقدار سنتين وذكر الطبري في تاريخه أن أيام إبراهيم بن المهدي كانت سنة وأحد عشر شهرا واثني عشر يوما وكان سبب خلع المأمون وبيعة إبراهيم بن المهدي أن المأمون لما كان بخراسان جعل ولي عهده علي بن موسى الرضا الآتي ذكره في حرف العين إن شاء الله تعالى فشق ذلك على العباسيين ببغداد خوفا من انتقال الأمر عنهم إلى العلويين فبايعوا إبراهيم بن المهدي المذكور وهو عم المأمون ولقبوه المبارك وقيل سموه المرضي وكانت مبايعته يوم الثلاثاء لخمس بقين من ذي الحجة سنة إحدى ومائتين ببغداد بايعه العباسيون في الباطن ثم بايعه أهل بغداد في أول يوم من المحرم سنة اثنتين ومائتين وخلعوا المأمون فلما كان يوم الجمعة

40 خلون من المحرم أظهروا ذلك وصعد إبراهيم المنبر وكان المأمون لما بايع علي بن موسى الرضا بولاية العهد أمر الناس بترك لباس السواد الذي هو شعار بني العباس وأمرهم بلباس الخضرة فعز ذلك على بني العباس أيضا وكان من جملة الأسباب التي نقموها على المأمون ثم أعاد لبس السواد يوم الخميس لليلة بقيت من ذي القعدة سنة سبع ومائتين لسبب اقتضى ذلك ذكره الطبري في تاريخه فلما توجه المأمون من خراسان إلى بغداد خاف إبراهيم

على نفسه فاستخفى وكان استخفاؤه ليلة الأربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة سنة ثلاث ومائتين وذلك بعد أمور يطول شرحها ولا يحتمل هذا المختصر ذكرها ثم دخل المأمون بغداد يوم السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من صفر سنة أربع ومائتين ولما استخفى إبراهيم عمل فيه دعبل الخزاعي (نعر ابن شكلة بالعراق وأهله * فهفا إليه كل أطلس مائق) (إن كان إبراهيم مضطلعا بها * فلتصلحن من بعده لمخارق) (ولتصلحن من بعد ذاك لزلزل * ولتصلحن من بعده للمارق) (أني يكون وليس ذاك بكائن * يرث الخلافة فاسق عن فاسق) ومخارق بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وزلزل بضم الزاءين المعجمتين والمارق هؤلاء الثلاثة كانوا مغنين في ذلك العصر وأخبار إبراهيم طويلة شهيرة وقال إبراهيم قال لي المأمون وقد دخلت عليه بعد العفو عني أنت الخليفة الأسود فقلت يا أمير المؤمنين أنا الذي مننت عليه بالعفو وقد قال عبد بني الحسحاس (أشعاد عبد بني الحسحاس قمن له * عند الفخار مقام الأصل والورق) (إن كنت عبدا فنفسي حرة كرما * أو أسود الخلق إني أبيض الخلق
(

41 فقال لي يا عم أخرجك الهزل إلى الجد وأنشد يقول (ليس يزري السواد بالرجل الشهم * ولا بالفتى الأديب الأريب) (إن يكن للسواد فيك نصيب * فبياض الأخلاق منك نصيبي) قلت وقد نظم بعض المتأخرين

وهو الأعز أبو الفتوح نصـــر الله بن قلاقس الإســـكندري وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى في حرف النون هذا المعني وزاد فيه وأحســن كل الإحســان وهو قوله (رب ســوداء وهي بيضــاء فعل * حسد المسك عندها الكافور) (مثل حب العيون يحسبه الناس * سوادا وإنما هو نور) وجلس المعتصـــم يوما وقد تولى الخلافة بعد المأمون وعن يمينه العباس بن المأمون وعن يســاره إبراهيم بن المهدي فجعل إبراهيم يقلب خاتما في يده فقال له العباس يا عم ما هذا الخاتم فقال خاتم رهنته في أيام أبيك فما فككته إلا في أيام أمير المؤمنين فقال له العباس واللّه لئن لم تشــكر أبي على حقن دمك مع عظيم جرمك لا تشــكر أمير المؤمنين على فك خاتمك فأفحمه وهذا إبراهيم في حديثه طول كثير أورده أرباب التواريخ في كتبهم لكن اختصــرته ونبهت على المقصود منه وقد استوفى الطبري وغيره الكلام فيه ولما ظفر المأمون بإبراهيم شـــاور فيه أحمد بن أبي خالد الأحول الوزير فقال يا أمير المؤمنين إن قتلته فلك نظراء وإن عفوت عنه فما لك نظير وكانت ولادته غرة ذي القعدة ســنة اثنتين وســتين ومائة وتوفي يوم الجمعة لتسع خلون من شهر رمضان سنة أربع وعشرين ومائتين بسر من رأى وصــلى عليه بن أخيه المعتصــم رحمه الله تعالى وســر من رأى فيها ســت لغات حكاها الجوهري في كتاب الصحاح في فصل

42 رأى وهن سـر من رأى بضـم السـين المهملة وفتحها وسـر من راء بضـم السـين وفتحها وتقديم الألف على الهمزة في اللغتين وساء من رأى وسامرا واستعمله البحتري ممدودا في قوله (ونصـبته علما بسـامراء *) ولا أعلم هل هي لغة شـائعة أو اسـتعمله كذلك ضـرورة وسـر من رأى مدينة بالعراق بناها المعتصـم في سـنة عشـرين ومائتين وفيها السـرداب الذي ينتظر الإمامية خروج الإمام منه وسـيأتي ذكره في حرف الميم في المحمدين إن شـاء اللّه تعالى 10 إبراهيم النديم الموصلي أبو إسـحاق إبراهيم بن ماهان ويقال له أيضـا ميمون بن بهمن بن نسـك التميمي بالولاء الأرجاني المعروف بالنديم الموصلي ولم يكن من الموصل وإنما سافر إليها وأقام بها مدة فنسب إليها هكذا ذكره أبو الفرج الأصبهاني في كتاب الأغاني وهو من بيت كبير في العجم وانتقل والده ماهان إلى الكوفة وأقام بها وأول خليفة سـمعه المهدي بن المنصـور ولم يكن في زمانه مثله في الغناء واختراع الألحان وكان إذا غنى إبراهيم وضـرب له منصـور المعروف بزلزل اهتز لهما المجلس وكان إبراهيم زوج أخت زلزل المذكور وأخباره ومجالسه مشـهورة وحكي أن هارون الرشـيد كان يهوى جاريته ماردة هوى شـديدا فتغاضبا

43 مرة ودام بينهما الغضـب فأمر جعفر البرمكي العباس بن الأحنف أن يعمل في ذلك شـيئا فعمل (راجع

أحبتك الذين هجرتهم * إن المتيم قلما يتجنب) (إن التجنب إن تطاول منكما * دب السلوله فعز المطلب) وأمر إبراهيم الموصلي فغنى به الرشيد فلما سمعه بادر إلى ماردة فترضاها فسألت عن السبب في ذلك فقيل لها فأمرت لكل واحد من العباس وإبراهيم بعشرة آلاف درهم وسألت الرشيد أن يكافئهما فأمر لهما بأربعين ألف درهم وكان هارون قد حبس إبراهيم في المطبق فأخبر سلم الخاسر أبا العتاهية بذلك فأنشده (سلم يا سلم ليس دونك سر * حبس الموصلي فالعيش مر) (ما استطاب اللذات مذ غاب في المطبق * رأس اللذات في الناس حر) (ترك الموصلي من خلق الله * جميعا وعيشهم مقشعر) (حبس الله والسرور فما في * الأرض شيء يلهي به ويسر) ولد إبراهيم المذكور بالكوفة سنة خمس وعشرين ومائة وتوفي ببغداد سنة ثمان وثمانين ومائة بعلة القولنج وقيل سنة ثلاث عشرة ومائتين والأول أصح رحمه الله تعالى وفي ترجمة العباس بن الأحنف خبر وفاته أيضا فلينظر فيها وقيل مات إبراهيم الموصلي وأبو العتاهية الشاعر وأبو عمرو الشيباني النحوي في سنة ثلاث عشرة ومائتين في يوم واحد ببغداد وإن أباه مات وهو صغير فكفله بنو تميم وربوه ونشأ فيهم فنسب إليهم والله أعلم و سيأتي ذكر ولده إسحاق وأرجان بتشديد الراء المهملة حكاه الجوهري والحازمي وهي مذكورة في ترجمة أحمد الأرجاني

44 11 إبراهيم الصـــولي إبراهيم بن العباس بن محمد بن صـول تكين الصـولي الشـاعر المشـهور كان أحد الشـعراء المجيدين وله ديوان شـعر كله نخب وهو صـغير ومن رقيق شـــعره (4) (دنت بأناس عن تناء زيارة * وشـــط بليلى عن دنو مزارها) (وإن مقيمات بمنعرج اللوى * لأقرب من ليلى وهاتيك دارها) ولـه نثر بديع فمن ذلـك مـا كتبـه عن أمير المؤمنين إلى بعض البغـاة الخـارجين يتهددهم ويتوعـدهم وهو أمـا بعـد فـإن لأمير المؤمنين أناة فإ لم تغن عقب بعدها وعيداً فإن لم يغن أغنت عزائمه والســلام وهذا الكلام مع وجازته في غاية الإبداع فإنه ينشـــأ منه بيت شـــعر له أوله (أناة فإن لم تغن عقب بعدها * وعيدا فإن لم يغن أغنت عزائمه) وكان يقول ما اتكلت في مكاتبي قط إلا على ما يجلبه خاطري ويجيش به صــــدري إلا قولي وصـــــار ما يحرزهم يبرزهم وما كان يعقلهم يعتقلهم وقولي في رســـالة أخرى فأنزلوه من معقل إلى عقال وبدلوه آجالا من آمال فإني ألممت بقولي آجالا من آمـال بقول مســـلم بن الوليد الأنصـــاري المعروف بصريع الغواني وهو

45 (موف على مهج في يوم ذي رهج * كأنه أجل يســـعى إلى أمل) وفي المعقل والعقال بقول أبي تمام (فإن باشر الإصحار فالبيض والقنا * قراه وأحواض المنايا منـاهلة) (وإن يبن حيطانا عليه فإنما * أولئك عقالاته لا معاقله) (وإلا فأعلمه بأنك سـاخط * عليه فإن الخوف لا

شك قاتله) وهو ابن أخت العباس بن الأحنف الحنفي الشاعر المشهور ونسبته إلى جده صول المذكور وكان أحد ملوك جرجان وأسلم على يد يزيد بن المهلب بن أبي صفرة وقال الحافظ أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي في تاريخ جرجان الصولي جرجاني الأصل وصول من بعض ضياع جرجان ويقال لها جول وهو عم والد أبي بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس الصولي صاحب كتاب الوزراء وغيره من المصنفات فإنهما يجتمعان في العباس المذكور وقد ذكره أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح في كتاب الورقة فقال إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول بغدادي أصله من خراسان يكنى أبا إسحاق أشعر نظرائه الكتاب وأرقهم لسانا وأشعاره قصار ثلاثة أبيات ونحوها إلى العشرة وهو أنعت الناس للزمان وأهله غير مدافع وأصله تركي وكان صول وفيروز أخوين ملكا جرجان تركيان تمجسا وصارا أشباه الفرس فلما حضر يزيد بن المهلب بن أبي صفرة جرجان أمنهما فلم يزل

46 صول معه وأسلم على يده حتى قتل معه يوم العقر وكان أبو عمارة محمد بن صول أحد جلة الدعاة وقتله عبد الله بن علي العباسي عم السفاح والمنصور لما خلع مع مقاتل بن حكيم العكي وغيره واتصل إبراهيم وأخوه عبد الله بذي الرياستين الفضل بن سهل ثم تنقل في أعمال السلطان ودواوينه إلى أن توفي وهو يتقلد ديوان

الضـياع والنفقات بسـر من رأى للنصـف من شـعبان سـنة ثلاث وأربعين ومـائتين قـال دعبـل بن علي الخزاعي لو تكسب إبراهيم بن العباس بالشعر لتركنا في غير شيء هذا آخر مـا نقلتـه من كتـاب الورقـة وقد وقفت على ديوانـه ونقلت منه أشـــياء منها قوله و هذان البيتان يوجدان في ديوان مســلم بن الوليد الأنصـــاري والله أعلم (لا يمنعنك خفض العيش في دعة * نزوع نفس إلى أهل وأوطان) (تلقى بكل بلاد إن حللت بها * أهلا بأهل وجيرانا بجيران) وله ويقال إنه ما ردده‍ما من نزلت به نازلة إلا فرج الله تعالى عنه (ولرب نازلة يضـــيق بها الفتى * ذرعا وعند الله منها المخرج) (ضـــاقت فلما اســـتحكمت حلقاتها * فرجت وكان يظنها لا تفرج) ومن شـــعره (أولى البرية طرا أن تواسيه * عند السرور الذي واساك في الحزن) (إن الكرام إذا مـا أســـهلوا ذكروا * من كـان يـألفهم في المنزل الخشـــن) وله ويقال إنه كتبها إلى محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصـــم (وكنت أخي بإخاء الزمان * فلما نبا صـــرت حربا عوانا) (وكنت أذم إليك الزمان * فأصبحت منك أذم الزمانا)

47 (وكنت أعدك للنائبات * فها أنا أطلب منك الأمانا) وله أيضـــا (كنت الســـواد لمقلتي * فبكى عليك الناظر) (من شـــاء بعدك فليمت * فعليك كنت أحاذر) وأورد له أبو تمام الطائي في كتاب الحماســـة في باب النســـيب (ونبئت ليلى أرسـلت بشـفاعة * إلي فهلا نفس

ليلى شـفيعها) (أأكرم من ليلى علي فتبتغي * به الجاه أم
كنت امرءا لا أطيعها) وله كل مقطوع بديع والاختصـار
أولى بالمختصـر وسـيأتي ذكر ابن أخيه محمد بن يحيى
الصـولي في المحمدين إن شـاء الله تعالى توفي إبراهيم
الصـولي المذكور منتصـف شـعبان سـنة ثلاث وأربعين
ومائتين بسـر من رأى رحمه الله تعالى 12 نفطويه أبو
عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سـليمان بن المغيرة
بن حبيب بن المهلب ابن أبي صفرة الأزدي الملقب نفطويه
النحوي الواسـطي له التصـانيف الحسـان في الآداب وكان
عالما بارعا ولد سـنة أربع وأربعين ومائتين وقيل سـنة
خمسين ومائتين بواسط وسكن بغداد وتوفي في صفر سنة
ثلاث وعشرين
48 وثلثمائة يوم الأربعاء لسـت خلون منه بعد طلوع
الشـمس بسـاعة وقيل توفي سـنة إربع وعشـرين هو وابن
مجاهد المقرئ ببغداد والله أعلم ودفن ثاني يوم بباب الكوفة
رحمه الله تعالى قال ابن خالويه ليس في العلماء من اسمه
إبراهيم وكنيته أبو عبد الله سـوى نفطويه ومن شـعره ما
ذكره أبو علي القالي في كتاب الأمالي (قلبي عليك أرق
من خديكا * وقواي أوهى من قوى جفنيكا) (لم لا ترق
لمن يعذب نفسـه * ظلما ويعطفه هواه عليكا) وفيه يقول
أبو عبد الله محمد بن زيد بن علي بن الحسـين الواسـطي
المتكلم المشـهور صـاحب الإمامة وكتاب إعجاز القرآن
الكريم في نظمه وغيرهما (من سـره أن لا يرى فاسـقا *

فليجتهد أن لا يرى نفطويه) (أحرقه اللّه بنصف اسمه *
وصير الباقي صراخا عليه) وتوفي أبو عبد الله محمد
المذكور سنة سبع وقيل سنة ست وثلثمائة رحمه اللّه تعالى
حكى عبد العزيز بن الفضل قال خرج القاضي أبو العباس
أحمد بن عمر بن سريج وأبو بكر محمد بن داود الظاهري
وأبو عبد الله نفطويه إلى وليمة دعوا لها فأفضى بهم
الطريق إلى مكان ضيق فأراد كل واحد منهم صاحبه أن
يتقدم عليه فقال ابن سريج ضيق الطريق يورث سوء
الأدب وقال ابن داود لكنه يعرف مقادير الرجال فقال
نفطويه إذا استحكمت المودة بطلت التكاليف ونفطويه
بكسر النون وفتحها والكسر أفصح والفاء ساكنة قال أبو
49 منصور الثعالبي في أوائل كتاب لطائف المعارف
أنه لقب نفطويه لدمامته وأدمته تشبيها له بالنفط وهذا اللقب
على مثال سيبويه لأنه كان ينسب في النحو إليه ويجري
على طريقته ويدرس كتابه والكلام في ضبط نفطويه
ونظائره كالكلام على سيبويه وهو مذكور في ترجمته
واسمه عمرو فليكشف منه 13 أبو إسحاق الزجاج أبو
إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل الزجاج
النحوي كان من أهل العلم بالأدب والدين المتين وصنف
كتابا في معاني القرآن وله كتاب الأمالي وكتاب ما فسر
من جامع المنطق وكتاب الاشتقاق وكتاب العروض
وكتاب القوافي وكتاب الفرق وكتاب خلق الإنسان وكتاب
خلق الفرس وكتاب مختصر في النحو وكتاب فعلت

وأفعلت وكتاب ما ينصرف وما لا ينصرف وكتاب شرح أبيات سيبويه وكتاب النوادر وكتاب الأنواء وغير ذلك وأخذ الأدب عن المبرد وثعلب رحمهما الله تعالى وكان يخرط الزجاج ثم تركه واشتغل بالأدب فنسب إليه روى أبو سليمان الخطابي عن أحمد بن الحسين الفرائضي قال كان أصحاب المبرد إذا اجتمعوا واستأذنوا يخرج الآذن فيقول إن كان فيكم أبو إسحاق الزجاج وإلا انصرفوا فحضروا مرة ولم يكن الزجاج معهم فقال لهم ذلك فانصرفوا وثبت رجل منهم يقال له عثمان فقال للآذن قل لأبي العباس انصرف القوم كلهم إلا عثمان فإنه لم

50 ينصرف فعاد إليه الآذن وأخبره فقال قل له إن عثمان إذا كان نكرة انصرف ونحن لا نعرفك فانصرف راشدا واختص بصحبة الوزير عبيد الله ابن سليمان بن وهب وعلم ولده القاسم الأدب ولما استوزر القاسم بن عبيد الله أفاد بطريقه مالا جزيلا وحكى الشيخ أبو علي الفارسي النحوي قال دخلت مع شيخنا أبي إسحاق الزجاج على القاسم بن عبيد الله الوزير فورد إليه الخادم فساره بسر استبشر له ثم نهض فلم يكن بأسرع من أن عاد وفي وجهه أثر الوجوم فسأله شيخنا عن ذلك لأنس كان بينهما فقال له كانت تختلف إلينا جارية لإحدى القينات فسمتها أن تبيعني إياها فامتنعت من ذلك ثم أشار عليها أحد من ينصحها بأن تهديها إلي رجاء أن أضاعف لها ثمنها فلما جاءت أعلمني الخادم بذلك فنهضت مستبشرا لافتضاضها فوجدتها قد

حاضت فكان مني ما ترى فأخذ شيخنا الدواة من بين يديه وكتب (فارس ماض بحربته * حاذق بالطعن في الظلم) (رام أن يدمي فريسته * فاتقته من دم بدم) قلت وسيأتي في ترجمة بوران بنت الحسن بن سهل ذكر هذين البيتين على صورة أخرى فيما جرى لها مع المأمون والله أعلم بالصواب ويحتمل أن تكون قضية المأمون مع بوران هي الأصل وأن الزجاج تمثل بالبيتين لما جرى للوزير هذه القضية والله أعلم توفي يوم الجمعة تاسع عشر جمادي الآخرة سنة عشر وقيل سنة إحدى عشرة وقيل سنة ست عشرة وثلثمائة ببغداد رحمه الله تعالى وقد أناف على ثمانين سنة وإليه ينسب أبو القاسم عبد الرحمن الزجاجي صاحب كتاب الجمل في النحو لأنه كان تلميذه كما سيأتي إن شاء الله تعالى في ترجمته رحمه الله وعنه أخذ أبو علي الفارسي أيضا

51 14 الافليلي أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن زكرياء بن مفرج بن يحيى بن زياد بن عبد الله ابن خالد بن سعد بن أبي وقاص القرشي الزهري المعروف بالإفليلي من أهل قرطبة كان من أئمة النحو واللغة وله معرفة تامة بالكلام على معاني الشعر وشرح ديوان المتنبي شرحا جيدا وهو مشهور وروى عن أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي كتاب الأمالي لأبي علي القالي وكان متصدرا بالأندلس لإقراء الأدب وولي الوزارة للمكتفي بالله بالأندلس وكان حافظا للأشعار ذاكرا للأخبار وأيام

الناس وكان عنده من أشعار أهل بلاده قطعة صالحة وكان أشد الناس انتقادا للكلام صادق اللهجة حسن الغيب صافي الضـــمير عني بكتب جمة ك الغريب المصـــنف والألفاظ وغيرهما وكانت ولادته في شــوال ســنة اثنتين وخمســين وثلثمائة وتوفي في آخر الســـاعة الحادية عشــــرة من يوم السبت ثالث عشر ذي القعدة سنة إحدى وأربعين وأربعمائة ودفن يوم الأحد بعد العصــر في صــحن مسـجد خرب عند باب عامر بقرطبة رحمه الله تعالى والإفليلي بكسر الهمزة وســكون الفاء وكســر اللام وسـكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام ثانية هذه النســبة إلى الإفليل وهي قرية بالشــام كان أصله منها

52 15 الصـــابئ صـــاحب الرســائل أبو إســحاق إبراهيم بن هلال بن إبراهيم بن زهرون بن حبون الحراني الصـــابئ صـــاحب الرســائل المشــهورة والنظم البديع كان كاتب الإنشـــاء ببغداد عن الخليفة وعن عز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه الديلمي الآتي ذكره إن شـــاء الله تعالى وتقلد ديوان الرســائل ســنة تســع وأربعين وثلثمائة وكانت تصــدر عنه مكاتبات إلى عضـد الدولة بن بويه بما يؤلمه فحقد عليه فلما قتل عز الدولة وملك عضـــد الدولة بغداد اعتقله في سنة سبع وستين وثلثمائة وعزم على إلقائه تحت أيدي الفيلة فشـــفعوا فيه ثم أطلقه في ســـنة إحدى وســبعين وكان قد أمره أن يصـنع له كتابا في أخبار الدولة الديلمية فعمل الكتاب التاجي فقيل لعضـد الدولة إن صـديقا

للصـــــابئ دخل عليه فرآه في شـــغل شـــاغل من التعليق والتســـويد والتبييض فســـأله عما يعمل فقال أباطيل أنمقها وأكاذيب ألفقها فحركت ساكنه وهيجت حقده ولم يزل مبعدا في أيامه وكان متشـــددا في دينه وجهد عليه عز الدولة أن يسـلم فلم يفعل وكان يصـوم شـهر رمضـان مع المسـلمين ويحفظ القرآن الكريم أحسن حفظ وكان يستعمله في رسائله وكان له عبد أسـود اسـمه يمن وكان يهواه وله فيه المعاني البديعة فمن جملة ما ذكره له الثعالبي في كتاب الغلمان قوله (قد قال يمن وهو أسود للذي * ببياضه استعلى علو الخاتن)

53 (ما فخر وجهك بالبياض وهل ترى * أن قد أفدت به مزيد محاســـن) (ولو أن مني فيه خالا زانه * ولو آن منه في خالا شـــانني) قلت ومعنى البيت الثالث ينظر إلى قول ابن الرومي من جملـة أبيـات في جـاريتـه السوداء وهو قوله (وبعض ما فضل السواد به * والحق ذو سلم وذو نفق) (أن لا يعيب السواد حلكته * وقد يعاب البياض بالبهق) وهي أبيات مشـــهورة أحســـن فيها كل الإحسان وذكر له الثعالبي فيه أيضا (لك وجه كأن يمناي خطته * بلفظ تمله آمالي) (فيه معنى من البدور ولكن * نفضت صبغها عليه الليالي) (لم يشنك السواد بل زدت حسنا * إنما يلبس السواد الموالي) (فبما لي أفديك إن لم تكن لي * وبروحي أقديك إن كنت مالي) وله كل شـــيء حســـن من المنظوم والمنثور وتوفي يوم الاثنين وقيل يوم

الخميس لاثنتي عشـــرة ليلة خلت من شـــوال ســـنة أربع وثمانين وثلثمائة ببغداد وعمره إحدى وسبعون سنة وذكر أبو الفرج محمد بن إســـحاق الوراق المعروف بابن أبي يعقوب النديم البغدادي في كتابه الفهرســـت أن الصـــابئ المذكور ولد سـنة نيف وعشـرين وثلثمائة وتوفي قبل سـنة ثمانين وثلثمائة ودفن بالشـونيزي ورثاه الشـريف الرضـى بقصـيدته الدالية المشـهورة التي أولها (أرأيت من حملوا على الأعواد * أرأيت كيف خبا ضياء النادي)

54 وعاتبه الناس في ذلك لكونه شـريفا يرثى صـابئا فقال إنما رثيت فضـــلـه وزهرون بفتح الزاي المعجمة وسكون الهاء وضم الراء المهملة وبعد الواو نون وحبون بفتح الحاء المهملة وتشـــديد الباء الموحدة وبعد الواو نون والصـابئ بهمزة آخره وقد اختلفوا في هذه النسبة فقيل إنها إلى صـابئ بن متوشلح بن إدريس عليه السلام وكان على الحنيفية الأولى وقيل إلى صابئ بن ماري وكان في عصر الخليل عليه السلام وقيل الصابئ عند العرب من خرج عن دين قومه ولذلك كانت قريش تسـمي رســول الله صـــابئا لخروجه عن دين قومه والله أعلم 16 الحصـري صـاحب زهر الآداب أبو إســـحـاق إبراهيم بن علي بن تميم المعروف بالحصـــري القيرواني الشـــاعر المشـــهور وله ديوان شعر وكتاب زهر الآداب وثمر الألباب جمع فيه كل غريبة في ثلاثة أجزاء وكتاب المصـــون في ســـر الهوى المكنون في مجلد واحد فيه ملح وآداب ذكره ابن رشيق في

كتابه الأنموذج وحكى شــيئا من أخباره وأحواله وأنشــد جملة من أشـعاره وقال كان شـبان القيروان يجتمعون عنده ويأخذون عنه ورأس عندهم وشرف لديهم وسارت تأليفاته وانثالث عليه الصلات من الجهات وأورد من شعره (إني أحبك حبا ليس يبلغه * فهم ولا ينتهي وصفي إلى صفته) 55 (أقصى نهاية علمي فيه معرفتي * بالعجز مني عن إدراك معرفته) وأورد له أبو الحســن علي بن بســام صــاحب كتاب الذخيرة في محاســن أهل الجزيرة بيتين في ضـــمن حكاية وهما (أورد قلبي الردى * لام عذار بدا) (أســـود كالكفر في * أبيض مثل الهدى) وهو ابن خالة أبي الحســـن علي الحصـــري الشــاعر ترجمته في حرف العين توفي أبو إسحاق المذكور بالقيروان سنة ثلا عشرة وأربعمائة وقال ابن بسـام في الذخيرة بلغني أنه توفي سـنة ثلاث وخمســين وأربعمائة والأول أصــح رحمه الله تعالى وذكر القاضـــي الرشـــيد بن الزبير في كتاب الجنان في الجزء الأول في ترجمة أبي الحســـن علي بن عبد العزيز المعروف بالفكيك أن الحصـــري المذكور ألف كتاب زهر الآداب في سـنة خمسين وأروبعمائة وهذا يدل على صـحة ما قاله ابن بسام والله أعلم والحصري بضم الحاء المهملة وسـكون الصـاد المهملة وبعدها راء مهملة نسـبة إلى عمل الحصـــر أو بيعها والقيروان بفتح القاف وســـكون الياء المثناه من تحتها وفتح الراء المهملة وبعد الواو ألف ونون مدينة بإفريقية بناها عقبة بن عامر الصـــحابي رضـــي الله

عنه وإفريقية سـميت باسـم إفريقين بن قيس بن صـيفي الحميري وهو الذي افتتح إفريقية وسـميت به وقتل ملكها جرجير ويومئذ سـميت البربر قال لهم ما أكثر بربرتكم ويقال إفريقس والله أعلم والقيروان في اللغة القافلة وهو فارسـي معرب يقال إن قافلة نزلت بذلك المكان ثم بنيت المدينة في موضعها فسميت باسمها وهو اسم للجيش أيضا وقـال ابن القطـاع اللغوي القيروان بفتح الراء الجيش وبضمها القافلة نقله عن بعضهم والله أعلم

56 17 ابن خفاجة الأندلسي أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجة الأندلسي الشاعر ذكره ابن بسـام في الذخيرة وأثنى عليه وقال كان مقيما بشـرق الأندلس ولم يتعرض لاستماحة ملوك طوائفها مع تهافتهم على أهل الأدب وله ديوان شـعر أحسـن فيه كل الإحسـان ومن شـعره في عشـية أنس وقد أبدع فيه (وعشـي أنس أضـجعتني نشـوة * فيه تمهد مضـجعي وتدمث) (خلعت علي به الأراكة ظلها * والغصـن يصـغي والحمام يحدث) (والشـمس تجنح للغروب مريضـة * والرعـد يرقي والغمامة تنفث) وله أيضـا وهو معنى حسـن (ما للعذار كأن وجهك قبلة * قد خط فيه من الدجى محرابا) (وأرى الشـباب وكان ليس بخاشـع * قد خر فيه راكعا وأنابا) (ولقد علمت بكون ثغرك بارقا * أن سـوف يزجي للعذار سحابا) وله أيضـا (أقوى محل من شبابك آهل * فوقفت أندب منه رسـما عافيا) (مثل العذار هناك نؤيا داثرا *

واســـودت الخيلان فيه أثافيا) وقد أخذ بعض المتأخرين
وهو العماد أبو علي بن عبد النور اللزني نزيل
57 الموصــل وهوالمذكور في ترجمة الشــيخ كمال
الدين موســـى بن يونس هذا المعنى فقال (ومعقرب
الصـــدغين خلت عذاره * نؤيا أثافي رســـمه الخيلان) (
فوقفت أبكيه بعيني عروة * أســـفا عليه كأنه غيلان) ولد
أبو إســـحاق المذكور بجزيرة شـقر من أعمال بلنسـية من
بلاد الأندلس في سـنة خمسـين وأربعمائة وتوفي بها سـنة
ثلاث وثلاثين وخمسـمائة لأربع بقين من شـوال يوم الأحد
وشـقر بضـم الشـين المثلثة وسـكون القاف والراء المهملة
وهي بليدة بين شـــاطبة وبلنســـية وإنما قيل لها جزيرة لأن
الماء محيط بها وبلنســـية بفتح الباء الموحدة وفتح اللام
وسـكون النون وكسـر السـين المهملة وفتح الياء المثناة من
تحتها والأندلس بفتح الهمزة وســـكون النون وفتح الدال
المهملة وضـم اللام والسـين المهملة وهي جزيرة متصـلة
بالبر الطويل والبر الطويل متصـل بالقسـطنطينية العظمى
وإنما قيل للأندلس جزيرة لأن البحر محيط بها من جهاتها
إلا الجهة الشـمالية وهي مثلثة الشكل فالركن الشـرقي منها
متصـل بجبل يسلك منه إلى فرنجة ولولاه لاختلط البحران
وحكي أن أول من عمرها بعد الطوفان أندلس بن يافث بن
نوح عليه الســـلام فســـميت باســـمه 18 إبراهيم الغزي
الشـاعر أبو إسـحاق إبراهيم بن يحيى بن عثمان بن محمد

الكلبي الأشـــــهبي وقـال ابن النجـار في تـاريخ بغـداد هو إبراهيم بن عثمان بن عباس بن محمد

58 ابن عمر بن عبـد الله الأشـــــهبي الكلبي الغزي الشـاعر المشـهور شـاعر محسـن ذكره الحـافظ ابن عسـاكر في تاريخ دمشـــق فقال دخل دمشـــق وســـمع بها من الفقيه نصـر المقدسـي سـنة إحدى وثمانين وأربعمائة ورحل إلى بغداد وأقام بالمدرســـة النظامية ســـنين كثيرة ومدح ورثي غير واحد من المدرسين بها وغيرهم ثم رحل إلى خراسان وامتدح بها جماعة من رؤسائها وانتشر شعره هناك وذكر له عدة مقاطيع من الشـــعر وأثنى عليه انتهى كلام الحافظ وله ديوان شـــعر اختاره لنفســـه وذكر في خطبته أنه ألف بيت وذكره العماد الكاتب في الخريدة وأثنى عليه وقال إنه جاب البلاد وتغرب وأكثر النقل والحركات وتغلغل في أقطار خراســـان وكرمان ولقي الناس ومدح ناصـــر الدين مكرم بن العلاء وزير كرمان بقصـــيدته البائية التي يقول فيها ولقد أبدع فيه (حملنا من الأيام ما لا نطيقه * كما حمل العظم الكسير العصائبا) ومنها في قصر الليل وهو معنى لطيف (وليل رجونا أن يدب عذاره * فما اختط حتى صار بالفجر شـائبا) وهي قصيدة طويلة ومن جيد شـــعره المشـــهور (قالوا هجرت الشـــعر قلت ضـــرورة * باب الدواعي والبواعث مغلق) (خلت الديار فلا كريم يرتجى * منه النوال ولا مليح يعشـــق) (ومن االعجائب أنه لا يشتري * ويخان فيه مع الكساد ويسرق)

59 ومن شعره وفيه صناعة مليحة (وخز الأسنة والخضـــوع لناقص * أمران في ذوق النهى مران) (والرأي أن يختار فيما دونه * المران وخز أســنة المران) ومن شعره أيضا (من آلة الدست لم يعط الوزير سوى * تحريك لحيته في حال إيماء) (إن الوزير ولا أزر يشـــد به * مثل العروض له بحر لا ماء) وله أيضـــا (وجف الناس حتى لو بكينا * تعذر ما يبل به الجفون) (فما يندى لممدوح بنان * ولا يندى لمهجو جبين) وله في القصـــائد المطولات كل بديع ومن شـــعره أيضـــاً وهو مما تستملحه الأدباء وتستظرفه قوله من جملة قصيدة (إشارَةُ منك تُغْنيني وأحسـن ما * رد السـلام غداة البين بالعنم) (حتى إذا طاح عنها المرْطُ من دَهشٍ * وانحلَّ بالضَّم سلك العقد في الظُّلم) (تبسمَتْ فأضاء الليل فالتقطت * حبات منتثر في ضـــوء منتظم) والبيت الأخير منها ينظر إلى قول الشريف الرضي من جملة قصيدة (وبَاتَ بارق ذاك الثغر يوضح لي * مواقع اللثم في داج من الظلم) وقد الم به بعض البغاددة في مواليا على اصـــطلاحهم فإنهم ما يتقيدون بالإعراب فيه بل يأتون به كيفما اتفق وهو

60 (ظفرت ليله بليلى ظفرة المجنون * وقلتُ وافى لحظي طالع ميمون) (تبسمت فأضاء اللؤلؤ المكنون * صار الدُّجى كالضحى فاستيقظ الواشون) والأصل في هذا المعنى بيت أبي الطمحان القَيْني وهو قوله (أضاءتْ لهمْ أحسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

) وهذا البيت من جملة أبيات وهي (وإني من القوم الذين هم هم * إذا مات منهم سيد قام صاحبه) (نجومُ سماء كلما غابَ كوكبٌ * بدا كوكبٌ تأوي إليه كواكبُه) (أضاءتْ لهمْ أحسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه) ويقال إن هذا البيت أمدح بيت قيل في الجاهلية وقيل هو هم أكذب بيت قيل (وما زال منهم حيث كانوا مسود * تسير المنايا حيث سارت كتائبه) وهذا أبو الطمحان هو حنظلة بن الشرقي من شعراء الجاهلية ولد الغري المذكور بغزة وبها قبر هاشم جد النبي سنة إحدى وأَربعين وأربعمائة وتوفي سنة أربع وعشرين وخمسمائة ما بين مرو وبلخ من بلاد خراسان ونقل إلى بلخ ودفن بها ونقل عنه أنه كان يقول ما حضرته الوفاة أرجو أن يغفر الله لي لثلاثة أشياء كوني من بلد الإمام الشافعي وأني شيخ كبير وأني غريب رحمه الله تعالى وحقق رجاءه وغزة بفتح الغين وتشديد الزاء المعجمتين وبعدها هاء وهي البليدة المعروفة في الساحل الشامي وقد يقع هذا الكتاب في يد من يكون بعيداً عن بلادنا ولا يعرف أين تقع هذه البليدة ويتشوق إلى معرفة ذلك فأقول

61 من أعمال فلسطين على البحر الشامي بالقرب من عسقلان وهي في أوائل بلاد الشام من جهة الديار المصرية وهي إحدى الرحلتين المذكورتين في كتاب الله العزيز في قوله تعالى (^ رِحلة الشتاء والصيف) واتفق أرباب التفسير أن رحلة الصيف بلاد الشام ورحلة الشتاء

بلاد اليمن وقد كانت قريش في متاجرها تأتي إلى الشام في فصل الصيف لأجل طيبة بلادها في هذا الفصل وتأتي اليمن في فصل الشتاء لأنها بلاد حارة لا تستطيع الدخول إليها في فصل الصيف وقال أبو محمد بن عبد الملك بن هشام في أوائل سيرة رسول الله أول من سن الرحلتين لقريش رحلة الشتاء والصيف هاشمٌ جد النبي ثم ذكر بعد هذا بقليل قال ابن إسحاق ثم هلك هاشم بن عبد مناف بغزة من أرض الشام تاجراً ثم قال بعد هذا بقليل وقال مطرود بن كعب الخزاعي يبكي بني عبد مناف جميعاً وذكر القصيدة ومن جملتها (وهاشم في ضَريح وَسْطَ بلقعةٍ * تسفي الرياح عليه بين غزات) قال أهل العلم باللغة إنما قال غزات وهي غزة واحدة كأنه سمى كل ناحية منها باسم البلدة وجمعها على غزات وصارت من ذلك الوقت تعرف بغزة هاشم لأن قبره بها لكنه غير ظاهر ولا يعرف ولقد سألت عنه لما اجتزت بها فلم يكن عندهم منه علم ولما توجه أبو نواسٍ الشاعر المشهور من بغداد إلى مصر ليمدح الخصيب بن عبد الحميد صاحب ديوان الخراج بمصر ذكر المنازل التي في طريقه فقال (طوالبُ بالركبان غزة هاشم * وبالفر ما من حاجهن شعور) وفي بيت أبي نواس لفظتان تحتاجان إلى التفسير إحداهما الفزما وهي بفتح الفاء والراء المدينة العظمى التي كانت كرسي الديار المصرية في

62 زمن إبراهيم الخليل عليه الصـلاة والسـلام ومن قراها أم العرب التي منها هاجرأم إســماعيل بن الخليل عليهما السلام والفرما في أول الرمل بين السائح والقصير المنزلة المعروفة على يسـار المتوجه إلى الشـام من مصـر على ســاحل البحر رأيتها وقد خَربَتْ ولم يبق منها ســوى الآثار وموضعها تل عال ومن الاتفاق الغريب أن إسماعيل أبو العرب وأمـه من أم العرب القريـة المـذكورة واللفظ الثاني قوله في آخر البيت شُــقور بضــم الشــين المعجمة والقاف ويقال بفتح الشين أيضـاً والضـم أصـح لأن الشقور بالضـــم بمعنى الأمور اللاصـــقة بالقلب المهمة الواحد شَـــقْرٌ والله أعلم 19 ابن قرقول أبو إســـحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن باديس ابن القائد الحَمْزي المعروف بابن قرقول صـــاحب كتاب مطالع الأنوار الذي وضـعه على مثال كتاب مشـارق الأنوار للقاضــي عياض كان من الأفاضـل وصـحب جماعة من علماء الأندلس ولم أقف على شــيء من أحواله سـوى هذا القدر وكانت ولادته بالمرية من بلاد الأندلس في صـفر سـنة خمس وخمسـمائة وتوفي بمدينة فاس يوم الجمعة أول وقت العصــر ســادس شوال سنة تسع وستين وخمسمائة وكان قد صلى الجمعة في الجامع فلما

63 حضــــرته الوفاة تلا ســـورة الإخلاص وجعل يكررها بســرعة ثم تشــهد ثلاث مرات وســقط على وجهه ســاجداً فوقع ميتاً رحمه الله تعالى وقرْ قول بضــم القافين

وسكون الراء المهملة بينهما وبعد الواو لام والمرية بفتح الميم وكسر الراء المهملة وتشديد الياء المثناة من تحتها وبعدها هاء وهي مدينة كبيرة بالأندلس على شاطىء البحر من مراسي المراكب وفاس بالفاء والسين المهملة وهي مدينة عظيمة بالمغرب بالقرب من سبته ونسبته الحمزي بفتح الحاء المهملة وبعد الميم الساكنة زاء معجمة إلى حمزة آشير بمد الهمزة وكسر الشين المثلثة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء مهملة وحمزة هي بليدة بإفريقية ما بين بجايه وقلعة بني حماد كذا ذكر لي جماعة من أهل تلك البلاد وآشير مذكورة في ترجمة زيريّ بن مناد الآتي ذكره إن شاء الله تعالى 20 أحمد بن حنبل الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عَوْف بن قاسط بن مازن بن شيَبْان ابن ذُهْل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنْب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزاربن معد بن

64 عدنان الشيباني المروزي الأصل هذا هو الصحيح في نسبه وقيل إنه من بني مازن بن ذُهْل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة وهو غلط لأنه من بني شيبان بن ذهل لا من بني ذهل بن شيبان وذهل بن ثعلبة المذكور هو عم ذهل بن شيبان فليعلم ذلك والله أعلم خرجت أُمه من مرو وهي حامل به فولدته في بغداد في شهر ربيع الأول

سنة أربع وستين ومائة وقيل إنه ولد بمرو وحُمل إلى بغداد وهو رضـــيع وكان إمام المحدثين صـــنف كتابه المســـند وجمع فيه من الحديث مالم يتفق لغيره وقيل إنه كان يحفظ ألف ألف حديث وكان من أصحاب الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنهما وخَواصه ولم يزل مصاحبه إلى أن ارتحل الشـــافعي إلى مصـــر وقال في حقه خرجت من بغداد وما خلفت بها أتقى ولا أفقه من ابن حنبل ودُعي إلى القول بخلق القرآن أيام المعتصم وكان أميا لا يقرأ ولا يكتب فقال أحمد أنا رجل علمت علماً ولم أعلم فيه بهذا فأحضـــر له الفقهاء والقضـــاة فناظروه فلم يجب فضُـــرب وحُبس وهو مصـــر على الامتناع وكان ضـــربه في العشـــر الأخير من شهر رمضان سنة عشرين ومائتين وكانت مدة حبسه إلى أن خلي عنه ثمانية وعشـــرين يوماً وبقي إلى أن مات المعتصـــم فلما ولي الواثق منعه من الخروج من داره إلى أن أخرجه المتوكل وخلع عليه وأكرمه ورفع المحنة في خلق القرآن وكان حســـن الوجه ربعه يخضـــب بالحناء خضـــباً ليس بالقاني في لحيته شـــعرات ســـود أخذ عنه الحديثَ جماعةٌ من الأماثل منهم محمد بن إســـماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج النيسابوري ولم يكن في آخر عصـره مثله في العلم والورع توفي ضـحوة نهار الجمعة لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول وقيل بل لثلاث عشـره ليلة بقين من الشـهر المذكور وقيل من ربيع الآخر

سـنة إحدى وأربعين مائتين ومائتين 4 ببغداد ودفن بمقبرة باب حرب وباب

65 حرب منسوب إلى حرب بن عبد الله أحد أصحاب أبي جعفر المنصـــور وإلى حرب هذا تنسـب المحلة المعروفة بالحربية وقبر أحمد بن حنبل مشـــهور بها يزار رحمه الله تعالى وحزر مَنْ حضـر جنازته من الرجال فكانوا ثمانمائة ألف ومن النساء ستين ألفاً وقيل إنه أسلم يوم مات عشـرون ألفاً من النصـارى واليهود والمجوس وذكر أبو الفرج بن الجوزي في كتابه الذي صـنفه في أخبار بشـر بن الحارث الحافي رضـي الله عنه في الباب السادس والأربعين ما صـورته حدث إبراهيم الحربي قال رأيت بشـر بن الحارث الحافي في المنام كأنه خارج من باب مسجد الرصافة وفي كمه شيء يتحرك فقلت ما فعل الله بك فقال غفر لي وأكرمني فقلت ما هذا الذي في كمك قال قدم علينا البارحة روح أحمد بن حنبل فنثر عليه الدر والياقوت فهذا مما التقطْتُ قلت فما فعَلَ يحيى بن مَعين وأحمد بن حنبل قال تركتهما وقد زارا رب العالمين ووضـعت لهما الموائد قلت فلم تأكل معهما أنت قال قد عرف هوان الطعام علي فأباحني النظر إلى وجهه الكريم وفي أجداده حيان بفتح الحاء المهملة وتشـديد الباء المثناة من تحتها وبعد الألف نون وبقية الأجداد لا حاجة إلى ضـبط أسـمائهم لشـهرتها وكثرتها ولولا خوف الإطالة لقيدتها ورأيت في نسـبه اختلافاً وهذا أصح الطرق التي

وجدتها وكان له ولدان عالمان وهما صالح وعبد الله فأما صالح فتقدمت وفاته في شهر رمضان سنة ست وستين ومائتين وكان قاضي أصبهان فمات بها ومولده في سنة ثلاث ومائتين وأما عبد الله فإنه بقي إلى سنة تسعين ومائتين وتوفي يوم الأحد لثمان بقين من جمادي الأولى وقيل الآخرة وله سبع وسبعون سنة وكنيته أبو عبد الرحمن وبه كان يكنى الإمام أحمد رحمهم الله أجمعين

66 21 ابن سريج أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج الفقيه الشافعي قال الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في حقه في كتاب الطبقات كان من عظماء الشافعيين وأئمة المسلمين وكان يقال له الباز الأشْهَب ولي القضاء بشيراز وكان يفضل على جميع أصحاب الإمام الشافعي حتى على المزني وإن فهرست كتبه كانت تشتمل على أربعمائة مصنف وقام بنصرة مذهب الشافعي ورد على المخالفين وفرع على كتب محمد بن الحسن الحنفي وكان الشيخ أبو حامد الإسفرايني يقول نحن نجري مع أبي العباس في ظواهر الفقه دون دقائقه وأخذ الفقه عن أبي القاسم الأنماطي وعنه أخذ فقهاء الإسلام ومنه انتشر مذهب الشافعي في أكثر الآفاق وكان يناظر أبا بكر محمد بن داود الظاهري وحكي أنه قال له أبو بكر يوماً أنت تقول بالظاهر فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره فمن يعمل نصف مثقال فسكت محمد طويلاً فقال له أبو العباس لم لا تجيب فقال أبلعني ريقي فقال له

أبو العباس أبلعتك دجلة وقال له يوماً أمهلني ساعة فقال
أمهلتك من الساعة إلى أن تقوم الساعة وقال له يوماً أكلمك
من الرِّجْل فتجيبني من الرأس فقال له هكذا البقر إذا فيت
أظلافها دهنت قرونها وكان يقال له في عصره إن الله
بعث عمر بن عبد العزيز على رأس المائة
67 الهجرة أظهر كل سنة وأمات كل بدْعة ومن الله
تعالى على رأس المائتين بالإمام الشافعي حتى أظهر السنة
وأخفى البدعة ومن الله تعالى بك على رأس الثلثمائة حتى
قويت كل سنة وضعفت كل بدعة وكان له مع فضائله نظم
حسن وتوفي لخمس بقين من جمادي الأولى سنة ست
وثلثمائة وقيل يوم الاثنين الخامس والعشرين من شهر
ربيع الأول ببغداد ودفن في حجرته بسويقة غالب بالجانب
الغربي بالقرب من محلة الكرخ وعمره سبع وخمسون
سنة وستة أشهر رحمه الله تعالى وقبره ظاهر في موضعه
يزار ولم يبق عنده عمارة ولا قبر بل هو منفرد هناك
رأى أبو العباس المذكور في مرضه الذي مات فيه كان
القيامة قد قامت وإذا الجبار سبحانه يقول أين العلماء
فجاءوا فقال ماذا عملتم في ما علمتم فقالوا يا رب قصرنا
وأسأنا فأعاد السؤال كأنه لم يرض به وأراد جواباً آخر
فقلت أما أنا فليس في صحيفتي الشرك وقد وعدت أن تغفر
ما دونه فقال اذهبوا فقد غفرت لكم ومات بعد ذلك بثلاثة
أيام رحمه الله تعالى وكان جده سريج رجلاً مشهوراً
بالصلاح الوافر وهو بضم السين المهملة وفتح الراء

المهملة وســـكون الياء المثناة من تحتها والجيم ورأيت في بعض الأجزاء أنه كان أعجمياً لا يعرف بالعربية شيئاً وأنه رأى الباري ســبحانه وتعالى في النوم وحادثه وقال له في الآخر يا سريج طلب كن فقال يا خُذاَ سرْ بِبَسرْ قالها ثلاثاً وهذا لفظ عجمي معناه بالعربية يا ســريج اطلب فقال يا رب رأس برأس كما يقال رضيت أن أخلص رأساً برأس ثم وجدت في تاريخ بغداد أن صـــاحب المنام المذكور هو ســريج بن يونس بن إبراهيم بن الحارث المروزي الزاهد العابد صاحب الكرامات وكانت وفاته في شهر ربيع الأول سنة خمس وثلاثين ومائتين ببغداد رحمه الله تعالى ورأيت بالمنام جزءاً منفرداً متصل السماع بالإسناد إلى سريج المذكور والقول الأول كنت سمعته من بعض المشايخ والله أعلم

68 22 ابن القاص أبو العباس أحمد بن أبي أحمد المعروف بابن القاص الطبري الفقيه الشـــافعي كان إمام وقته في طبرستان وأخذ الفقه عن ابن سـرَيج المقدم ذكره وصـــنف كتبا كثيرة منها التلخيص وأدب القاضـــي والمواقيت والمفتاح وغير ذلك وقد شرح التلخيص أبو عبد الله الختن والشيخ أبو علي السنجي وهو كتاب صغير ذكره الإمام في النهاية في مواضـــع وكذلك الغزالي وجميع تصـــانيفه صـــغيرة الحجم كثيرة الفائدة وكان يعظ الناس فانتهى في بعض أسفاره إلى طرسوس وقيل إنه تولى بها القضـاء فعقد له مجلس وعظ وأدركته رقة وخشية وروعة

من ذكر الله تعالى فخر مغشياً عليه ومات سنة خمس وثلاثين وثلثمائة وقيل سنة ست وثلاثين رحمة الله تعالى وعرف والده بالقاص لأنه كان يقص الأخبار والآثار وطبرستان بفتح الطاء المهملة وفتح الباء الموحدة وفتح الراء المهملة وسكون السين المهملة وفتح التاء المثناة من فوقها وبعد الألف نون وهو إقليم متسع ببلاد العجم يجاور خراسان وله كرسيان سارية وآمل وهو مَنِيع بالأدوية والحصون وطرسوس بفتح الطاء والراء المهملتين وضم السين المهملة وبعد الواو سين مهملة وهي مدينة في الثغور الرومية عند المصيصة وأذنه وبها
69 قبر المأمون بن هارون الرشيد وقد جاء ذكرها في كتاب المهذب والوسيط في باب الموقف 23
المروروذي القاضي أبو حامد أحمد بن عامر بن بشر بن حامد المروَروذي الفقيه الشافعي أخذ الفقه عن أبي إسحاق المروزي وصنف الجامع في المذهب وشرح مختصر المزني وصنف في أصول الفقه وكان إماماً لا يشق غباره ونزل البصرة ودربها وعنه أخذ فقهاء البصرة وقال أبو حيان التوحيدي سمعت أبا حامد المروروذي يقول ليس ينبغي أن يحمد الإنسان على شرف الأب ولا يذم عليه كما لا يمدح الطويل على طوله ولا يذم القبيح على قبحه وتوفي سنة اثنتين وستين وثلثمائة رحمه الله تعالى ونسبته إلى مرودوذ بفتح الميم وسكون الراء المهملة وفتح الواو وتشديد الراء المهملة المضمومة وبعد الواو ذال معجمة

وهي مدينة مبنية على نهر وهي أشهر مدن خراسان بينها وبين مرو الشاهجان أربعون فرسخاً والنهر يقال له بالعجمية الروذ بضم الراء وسكون الواو وبعدها ذال معجمة وهاتان المدينتان هما المَروْان وقد جاء ذكرهما في الشعر كثيراً أضيفت إحداهما إلى الشاهجان وهي العظمى والنسبة إليها مروزي والثانية إلى النهر المذكور ليحصل الفرق بينهما والنسبة إليها مرورودي ومروزي أيضاً قاله السمعاني وهي من فتوح الأحنف بن قيس ومذكورة في ترجمته

70 وكان على مقدمة الجيش الذي كان أميره عبد الله بن عامر وهو الذي سيره إليها ومعنى الشاهجان روح الملك وإنما أطلت الكلام في هذا لئلا يقع الالتباس على أحد بين البلدين فيقع الخطأ عند ذلك 24 ابن القطان أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد المعروف بابن القَطّان البغدادي الفقيه الشافعي كان من كبار أئمة الأصحاب أخذ الفقه عن ابن سريج ثم من بعده عن أبي إسحاق المروزي ودرس ببغداد وأخذ عنه العلماء وله مصنفات كثيرة وكانت الرحلة إليه بالعراق مع أبي القاسم الداركي فلما توفي الداركي استقل بالرياسة وذكره الشيخ أبو إسحاق في الطبقات وقال مات سنة تسع وخمسين وثلثمائة رحمه الله تعالى وزاد الخطيب في جمادي الأولى وقال هو من كبراء الشافعيين وله مصنفات في أصول الفقه وفروعه وذكر بناء بغداد في شذور العقود سنة ست وأربعين ومائة

71 25 الطحاوي أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك الأزدي الطحاوي الفقيه الحنفي انتهت إليه رياسة أصحاب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه بمصر وكان شافعي المذهب يقرأ على المُزَني فقال له يوماً والله لا جاء منك شيء فغضب أبو جعفر من ذلك وانتقل إلى أبي جعفر ابن أبي عمران الحنفي واشتغل عليه فلما صنف مختصره قال رحم الله أبا إبراهيم يعني المزني لو كان حياً لكفر عن يمينه وذكر أبو يعلى الخليلي في كتاب الإرشاد في ترجمة المزني أن الطحاوي المذكور كان ابن أخت المزني وأن محمد بن أحمد الشروطي قال قلت للطحاوي لم خالفت خالك واخترت مذهب أبي حنيفة فقال لأني كنت أرى خالي يديم النظر في كتب أبي حنيفة فلذلك انتقلت إليه وصنف كتباً مفيدة منها أحكام القرآن واختلاف العلماء ومعاني الآثار والشروط وله تاريخ كبير وغير ذلك وذكره القضاعي في كتاب الخطط فقال كان قد أدرك المزني وعامة طبقته وبرع في علم الشروط وكان قد استكتبه أبو عبيد الله محمد بن

72 عبدة القاضي وكان صعلوكاً فأغناه وكان أبو عبيد الله سَمْحاً جواداً ثم عدله أبو عبيد علي بن الحسين بن حرب القاضي عقيب القضية التي جرت لمنصور الفقيه مع أبي عبيد وذلك في سنة ست وثلثمائة وكان الشهود يتعسفون عليه بالعدالة لئلا تجتمع له رياسة العلم وقبول الشهادة وكان جماعة من الشهود قد جاوروا بمكة في هذه

السنة فاغتنم أبو عبيد غيبتهم وعدل أبا جعفر المذكور بشهادة أبي القاسم المأمون وأبي بكر بن سقلاب وكانت ولادته سنة ثمان وثلاثين ومائتين وقال أبو سعد السمعاني ولد سنة تسع وعشرين ومائتين وهو الصحيح وزاد غيره فقال ليلة الأحد لعشر خلون من ربيع الأول وتوفي سنة إحدى وعشرين وثلثمائة ليلة الخميس مستهل ذي القعدة بمصر ودفن بالقرافة وقبره مشهور بها وله ذكر في ترجمة الفقيه منصور بن إسماعيل الضرير فينظر هناك وتوفي والده سنة أربع وستين ومائتين رحمه الله تعالى ونسبته إلى طحا بفتح الطاء والحاء المهملتين وبعدهما ألف وهي قرية بصعيد مصر وإلى الأزد بفتح الهمزة وسكون الزاء المعجمة وبالدال المهملة وهي قبيلة مشهورة من قبائل اليمن 26 أبو حامد الإسفرايني الشيخ أبو حامد أحمد بن أبي طاهر محمد بن أحمد الإسفرايني الفقيه الشافعي انتهت إليه رياسة الدنيا والدين ببغداد وكان يحضر مجلسه أكثر من ثلثمائة

73 فقيه وعلق على مختصر المزني تعاليق وطبق الأرض بالأصحاب وله في المذهب التعليقة الكبرى وكتاب البستان وهو صغير وذكر فيه غرائب وأخذ الفقه عن أبي الحسن بن المرزبان ثم عن أبي القاسم الداركي واتفق أهل عصره على تفضيله وتقديمه في جودة النظر وقال الخطيب في تاريخ بغداد إن أبا حامد حدث بشيء يسير عن عبد الله بن عدي وأبي بكر الإسماعيلي وإبراهيم

بن محمد بن عبدل الإســـفرايني وغيرهم وكان ثقة ورأيته غير مرة وحضرت تدريسه في مسجد عبد الله ابن المُبارَك وهو المســجد الذي في صــدر قطيعة الربيع وسـمعت مَنْ يذكر أنه كان يحضــر درســه ســبعمائة متفقه وكان الناس يقولون لو رآه الشـافعي لفرح به وحكى الشيخ أبو إسحاق في الطبقات أن أبا الحســـين القدوري الحنفي كان يعظمه ويفضـــله على كل أحد وأن الوزير أبا القاســـم علي بن الحسـين حكى له عن القدوري أنه قال أبو حامد عندي أفقه وأنظر من الشــــافعي قال الشـــيخ فقلت له هذا القول من القدوري حمله عليه اعتقاده في الشـيخ أبي حامد وتعصـبه بالحنفية على الشافعي رضـي الله عنه ولايلتفت إليه فإن أبا حامد ومن هو أعلم منه وأقدم على بعد من تلك الطبقة وما مثل الشــافعي ومثل من بعده إلا كما قال الشــاعر (نزلوا بمكة في قبائل نوفل * ونزلت بالبيداء أبعد منزل) وروي عنه أنه كان يقول ما قمت من مجلس النظر قط فندمت على معنى ينبغي أن يذكر فلم أذكره وروي أنه قابله بعض الفقهاء في مجلس المناظرة بما لا يليق ثم أتاه في الليل معتذراً إليه فأنشـــده يقول (جفاء جرى جهراً لدى الناس وانبسط * وعذر أتى سراً فأكد ما فرط)

74 (ومن ظن أن يمحو جلي جفائه * خفي اعتذار فهو في أعظم الغلط) وكانت ولادته ســـنة أربع وأربعين وثلثمائة وقدم بغداد في ســـنة ثلاث وســـتين وثلثمائة وقال الخطيب سنة أربع وستين ودرس الفقه بها من سنة سبعين

إلى أن توفي ليلة السبت لإحدى عشرة ليلة بقيت من شوال سـنة سـت وأربعمائة ببغداد ودفن من الغد في داره ثم نقل إلى باب حرب في سـنة عشـر وأربعمائة رحمه الله تعالى قال الخطيب وصـليت على جنازته في الصـحراء وراء جسر أبي الدن وكان الإمام في الصلاة عليه أبا عبد الله بن المهتدي خطيب جامع المنصور وكان يوماً مشهوداً بكثرة الناس وعظم الحزن وشـدة البكاء ونسـبته إلى إسـفراين بكسـر الهمزة وسـكون السـين المهملة وفتح الفاء والراء المهملة وكسر الياء المثناة من تحتها وبعدها نون وهي بلدة بخراسـان بنواحي نيسـابور على منتصـف الطريق إلى جرجان والبيت الذي تمثل به الشـيخ أبو إسـحاق له ثان وهو (حذراً عليها من مقالة كاشـح * ذرب اللسـان يقول ما لم أفعل) 27 أبو الحسن المحاملي أبو الحسن أحمد بن محمد بن أحمد بن القاسـم بن إسـماعيل بن محمد بن إسماعيل

75 ابن سـعيد بن أبان الضـبي المحاملي الفقيه الشافعي أخذ الفقه عن الشيخ أبي حامد الإسفرايني وله عنه تعليقه تنسـب إليه ورزق من الذكاء وحسـن الفهم ما أربى على أقرانه وبرع في الفقه ودرس في حياة شـيخه أبي حامد وبعده وسـمع الحديث من محمد بن المظفر وطبقته ورحل به أبوه إلى الكوفة وسمعه بها وصنف في المذهب المجموع وهو كتاب كبير والمقنع وهو مجلد واحد واللباب وهو صـغير والأوسـط وصـنف في الخلاف كثيراً ودرس

ببغداد ذكره الخطيب في تاريخه توفي يوم الأربعاء لتسع بقين من شهر ربيع الآخر سنة خمس عشرة وأربعمائة رحمه الله تعالى وكانت ولادته سنة ثمان وستين وثلثمائة والضبي بفتح الضاد المعجمة وتشديد الباء الموحدة نسبة إلى قبيلة كبيرة مشهورة والمحاملي بفتح الميم والحاء المهملة وكسر الميم الثانية واللام ونسبته إلى المحامل التي يحمل عليها الناس في السفر 28 أبو بكر البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي الخسرو وجردي الفقيه الشافعي الحافظ الكبير المشهور واحد زمانه وفرد أقرانه في الفنون من كبار أصحاب الحاكم أبي عبد الله ابن البيع في الحديث ثم الزائد عليه في أنواع العلوم أخذ الفقه عن أبي الفتح ناصر بن 76
محمد العمري المروزي غلب عليه الحديث واشتهر به ورحل في طلبه إلى العراق والجبال والحجاز وسمع بخراسان من علماء عصره وكذلك ببقية البلاد التي انتهى إليها وشرع في التصنيف فصنف فيه كثيراً حتى قيل تبلغ تصانيفه ألف جزء وهو أول من جمع نصوص الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه في عشر مجلدات ومن مشهور مصنفاته السنن الكبير والسنن الصغير ودلائل النبوة والسنن والآثار وشعب الايمان ومناقب الشافعي المطلبي ومناقب أحمد بن حنبل وغير ذلك وكان قانعاً من الدنيا بالقليل وقال إمام الحرمين في حقه ما من شافعي المذهب إلا وللشافعي عليه منة إلا أحمد البيهقي فإن له

على الشـــافعي منة وكان من أكثر الناس نصـــراً لمذهب الشافعي وطُلِبَ إلى نيسابور لنشر العلم فأجاب وانتقل إليها وكان على ســـيرة الســـلف وأخذ عنه الحديث جماعة من الأعيان منهم زاهر الشحامي ومحمد الفراوي وعبد المنعم القشـــيري وغيرهم وكان مولده في شـــعبان ســـنة أربع وثمانين وثلثمائة وتوفي في العاشر من جمادي الأولي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة بنيسـابور ونقل إلى بيهق رحمه الله تعالى ونســبته إلى بيهق بفتح الباء الموحدة وســكون الياء المثناة من تحتها وبعد الهاء المفتوحة قاف وهي قرى مجتمعة بنواحي نيسابور على عشرين فرسخاً منها وخسر وجرد من قراها وهي بضم الخاء المعجمة

77 29 النســائي أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر النسائي الحافظ كان إمام أهل عصـره في الحديث وله كتاب السنن وسـكن بمصـر وانتشـــرت بها تصـــانيفه وأخذ عنه الناس قال محمد بن إسحاق الأصبهاني سمعت مشايخنا بمصر يقولون إن أبا عبد الرحمن فارق مصر في آخر عمره وخرج إلى دمشق فسئل عن معاوية وما روي من فضـائله فقال أما يرضـي معاوية أن يخرج رأســاً برأس حتى يفضـــل وفي رواية أخرى ما أعرف له فضـــيلة إلا لا أشـــبع الله بطنك وكان يتشـــيع فما زالوا يدفعون في حضـــنه حتى أخرجوه من المسجد وفي رواية أخرى يدفعون في خصييه وداسوه ثم حمل إلى الرملة فمات بها وقال الحافظ أبو الحســـن

الدارقطني لما امتحن النسـائي بدمشـق قال احملوني إلى مكة فحمل إليها فتوفي بها وهو مدفون بين الصفا والمروة وكانت وفاته في شـعبان من سـنة ثلاث وثلثمائة وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني لما داسوه بدمشق مات بسبب ذلك الدوس وهو منقول قال وكان قد صـنف كتاب الخصـائص في فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأهل البيت وأكثر رواياته فيه عن أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى فقيل له ألا تصـنف كتاباً في فضـائل الصـحابة رضي

78 الله عنهم فقال دخلت دمشق والمنحرف عن علي رضـي الله عنه كثير فأردت أن يهديهم الله تعالى بهذا الكتاب وكان يصوم يوماً ويُفطِر يوماً وكان موصوفاً بكثرة الجماع قال الحافظ أبو القاسـم المعروف بابن عسـاكر الدمشـقي كان له أربع زوجات يقسـم لهن وسـراري وقال الدارقطني امْتُحن بدمشـق فأدرك الشـهادة رحمه الله تعالى وتوفي يوم الاثنين لثلاثَ عشـرة ليلة خلت من صـفر سـنة ثلاث وثلثمائة بمكة حرسـها الله تعالى وقيل بالرملة من أرض فلسـطين وقال أبو سـعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس صاحب تاريخ مصر في تاريخه إن أبا عبد الرحمن النسـائي قدم مصـر قديماً وكان إماماً في الحديث ثقة ثبتاً حافظاً وكان خروجه من مصـر في ذي القعدة سـنة اثنتين وثلثمائة ورأيت بخطي في مسـوداتي أن مولده بنسـأً في سـنة خمس عشـرة وقيل أربع عشـرة ومائتين والله تعالى

أعلم ونسبته إلى نسأ بفتح النون وفتح السين المهملة
وبعدها همزة وهي مدينة بخراسان خرج منها جماعة من
الأعيان 30 القدوري أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد
بن جعفر بن حمدان الفقيه الحنفي المعروف بالقُدُوري
انتهت إليه رياسة الحنفية بالعراق وكان حسن العبارة
79 في النظر وسمع الحديث وروى عنه أبو بكر
الخطيب صاحب التاريخ وصنف في مذهبه المختصر
المشهور وغيره وكان يناظر الشيخ أبا حامد الإسفرايني
الفقيه الشافعي وقد تقدم ذكره في ترجمة أبي حامد وما بالغ
في حقه وكانت ولادته سنة اثنتين وثلثمائة وتوفي يوم
الأحد الخامس من رجب سنة ثمان وعشرين وأربعمائة
ببغداد ودفن من يومه بداره في درب أبي خلف ثم نقل إلى
تربة في شارع المنصور ودفن هناك بجنب أبي بكر
الخوارزمي الفقيه الحنفي رحمهما الله تعالى ونسبته بضم
القاف والدال المهملة وسكون الواو وبعدها راء مهملة إلى
القدور التي هي جمع قدر ولا أعلم سبب نسبته إليها بل
هكذا ذكره السمعاني في كتاب الأنساب 31 الثعلبي أبو
إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري
المفسر المشهور كان أوحد زمانه في علم التفسير وصنف
التفسير الكبير الذي فاق غيره من التفاسير وله كتاب
العرائس في قصص الأنبياء صلوات الله وسلامه
80 عليهم وغير ذلك ذكره السمعاني وقال يقال له
الثعلبي والثعالبي وهو لقب له وليس بنسب قاله بعض

العلماء وقال أبو القاسم القشيري رأيت رب العزة عز وجل في المنام وهو يخاطبني وأخاطبه فكان في أثناء ذلك أن قال الرب تعالى اسمه أقبل الرجل الصالح فالتفت فإذا أحمد الثعالبي مُقبل وذكره عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي في كتاب سياق تاريخ نيسابور وأثنى عليه وقال هو صحيح النقل موثوق به حدث عن أبي طاهر ابن خزيمة والإمام أبي بكر ابن مهران المقرىء وكان كثير الحديث كثير الشيوخ توفي سنة سبع وعشرين وأربعمائة وقال غيره توفي في المحرم سنة سبع وعشرين وأربعمائة وقال غيره توفي يوم الأربعاء لسبع بقين من المحرم سنة سبع وثلاثين وأربعمائة رحمه الله تعالى والثعلبي بفتح الثاء المثلثة وسكون العين المهملة وبعد اللام المفتوحة باء موحدة والنيسابوري بفتح النون وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح السين المهملة وبعد الألف باء موحدة مضمومة وبعد الواو الساكنة راء هذه النسبة إلى نيسابور وهي من أحسن مدن خراسان وأعظمها وأجمعها للخيرات وإنما قيل لها نيسابور لأن سابور ذا الأكتاف أحد ملوك الفرس المتأخرة لما وصل إلى مكانها أعجبه وكان مقصبة فقال يصلح أن يكون ههنا مدينة وأمر بقطع القصَب وبنى المدينة فقيل له نيسابور والنى القصب بالعجمي هكذا قاله السمعاني في كتاب الأنساب

81 32 أبن أبي دواد أبو عبد الله أحمد بن أبي دواد فرج بن جرير بن مالك بن عبد الله بن عباد ابن سلام بن

مالك بن عبد هند بن لخم بن مالك بن قنَصَ بن منعه بن برجان ابن دَوْس بن الديل بن أميه بن حذافة بن زهر بن إياد بن نزار بن معد بن عدنان الإيادي القاضـــي كان معروفاً بالمروءة والعصــــبية وله مع المعتصــــم في ذلك أخبار مـأثورة ذكره أبو عبيد الله المرزباني في كتاب المرشــد في أخبار المتكلمين فقال قيل إن أصـلهم من قرية بقنســـرين واتجر أبوه إلى الشـــام وأخرجه معه وهو حدث فنشأ أحمد في طلب العلم وخاصة الفقه والكلام حتى بلغ ما بلغ وصـــحب هياج بن العلاء السـلمي وكان من أصـــحاب واصـل ابن عطاء فصـــار إلى الاعتزال قال أبو العيناء ما رأيت رئيســـاً قط أفصـــح ولا أنطق من ابن أبي دواد وقال إســـحاق بن إبراهيم الموصـــلي ســـمعت ابن أبي دواد في مجلس المعتصــــم وهو يقول إني لأمتنع من تكليم الخلفاء بحضـــرة محمد بن عبد الملك الزيات الوزير في حاجة كراهة أن أعلمه ذلك ومخافة أن أعلمه التأتي لها وهو أول من افتتح الكلام مع الخلفاء وكـانوا لا يبـدؤهم أحـد حتى يبدؤوه وقال أبو العَيْناء كان ابن أبي دُواد شـــاعراً مجيداً فصـــيحاً بليغاً وقال المرزباني وقد ذكره دِعْبَل بن علي الخزاعي في كتابه الذي جمع فيه أسماء الشعراء وروى له أبياتاً حســـناً وكان يقول ثلاثة ينبغي أن يبجلوا وتعرف أقدارهم العلمـاء وولاة العدل والإخوان فمن اســـتخف بالعلماء

82 أهلك دينه ومن اســتخف بالولاة أهلك دنياه ومن اسـتخف بالإخوان أهلك مروءته وقال إبراهيم بن الحسـن كنا عند المأمون فذكروا من بايع من الأنصـــار ليلة العقبة فاختلفوا في ذلك ودخل ابن أبي دواد فعدهم واحداً واحداً بأسمائهم وكناهم وأنسابهم فقال المأمون إذا استجلس الناس فاضـــلاً فمثل أحمد فقال أحمد بل إذا جالس العالم خليفة فمثل أمير المؤمنين الذي يفهم عنه ويكون أعلم بما يقوله منه ومن كلام أحمد ليس بكامل من لم يحمل وليه على منبر ولو أنه حارس وعدوه على جذع ولو أنه وزير وقال أبو العيناء كان الافشـين يحسـد أبا دلف القاسـم بن عيسـى العجلي للعربية والشـــجاعة فاحتال عليه حتى شـــهد عليه بجناية وقتل فأخذه ببعض أســـبابه فجلس له وأحضـــره وأحضر السياف ليقتله وبلغ ابن أبي دواد الخبر فركب في وقته مع من حضـــر من عُدوله فدخل على الافشـــين وقد جيء بـأبي دلف ليقتـل فوقف ثم قـال إني رســـول أمير المؤمنين إليك وقد أمرك أن لا تحدث في القاسـم بن عيسـى حدثاً حتى تُسْلِمه إلي ثم التفت إلى العدول وقال اشهدوا أني قد أديت الرسالة إليه عن أمير المؤمنين والقاسم حي معافى فقالوا قد شـهدنا وخرج فلم يقدر الافشـين عليه وصــار أبن أبي دواد إلى المعتصـــم من وقته وقال يا أمير المؤمنين قد أديت عنك رسـالة لم تقلها لي ما أعتدُّ بعمل خير خيراً منها وإني لأرجو لك الجنة بها ثم أخبره الخبر فصـــوب رأيه ووجه من أحضـر القاسـم فأطلقه ووهب له وعنف الافشين

فيما عزم عليه وكان المعتصـم قد اشـتد غيظه على محمد بن الجهم البرمكي فأمر بضــــرب عنقه فلما رأى ابن أبي دواد ذلك وأنه لا حيلة له فيه وقد شد برأسه وأقيم في النطع وهز له السيف قال ابن أبي دواد للمعتصم وكيف تأخذ ماله إذا قتلته قال ومن يحول بيني وبينه قال يأبى الله تعالى ذلك ويأباه

83 رســـوله ويأباه عدل أمير المؤمنين فإن المال للوارث إذا قتلتـه حتى تقيم البينـة على مـا فعلـه وأمره باســتخراج ما اختانه أقرب عليك وهو حي فقال احبســـوه حتى ينـاظر فتـأخر أمره على مـال حملـه وخلص محمد وحدث الجاحظ أن المعتصـــم غضـــب على رجل من أهل الجزيرة الفراتية وأحضر السيف والنطع فقال له المعتصم فعلتَ وصنعت وأمر بضرب عنقه فقال له ابن أبي دواد يا أمير المؤمنين سبق السيف العذل فتأن في أمره فإنه مظلوم قال فســكن قليلاً قال ابن أبي دواد وغمرني البول فلم أقدر على حَبســـه وعلمت أني إن قمت قتل الرجل فجعلت ثيابي تحتي وبلت فيها حتى خلصـــت الرجل قال فلما قمت نظر المعتصم إلى ثيابي رطبة فقال يا أبا عبد الله كان تحتك ماء فقلت لا يا أمير المؤمنين ولكنه كان كذا وكذا فضـــحك المعتصم ودعا لي وقال أحسنت بارك الله عليك وخلع عليه وأمر لـه بمـائـة ألف درهم وقـال أحمد بن عبـد الرحمن الكلبي ابن أبي دواد روح كلـه من قرنـه إلى قدمـه وقـال لازون بن إســـماعيل ما رأيت أحداً قط أطوع لأحد من

المعتصم لابن أبي دواد وكان يسأل الشيء اليسير فيمتنع منه ثم يدخل ابن أبي دواد فيكلمه في أهله وفي أهل الثغور وفي الحرمين وفي أقاصي أهل المشرق والمغرب فيجيبه إلى كل ما يريد ولقد كلمه يوماً في مقدار ألف ألف درهم ليحفر بها نهراً في أقاصي خراسان فقال له وما علي من هذا النهر فقال يا أمير المؤمنين إن الله تعالى يسألك عن النظر في أمر أقصى رعيتك كما يسألك عن النظر في أمر أدناها ولم يزل يرفق به حتى أطلقها وقال الحسين بن الضحاك الشاعر المشهور لبعض المتكلمين ابن أبي دواد عندنا لا يحسن اللغة وعندكم لا يحسن الكلام وعند الفقهاء لا يحسن الفقه وهو عند المعتصم يعرف هذا كله

84 وكان ابتداء اتصال ابن أبي دواد بالمأمون أنه قال كنت أحضر مجلس القاضي يحيى بن أكثم مع الفقهاء فإني عنده يوماً إذا جاءه رسول المأمون فقال له يقول لك أمير المؤمنين انتقل إلينا وجميع من معك من أصحابك فلم يحب أن أحضر معه ولم يستطع أن يؤخرني فحضرت مع القوم وتكلمنا بحضرة المأمون فأقبل المأمون ينظر إلي إذا شرعت في الكلام ويتفهم ما أقول ويستحسنه ثم قال لي مَنْ تكون فانتسبت له فقال ما أخَّرك عنا فكرهت أن أحيل على يحيى فقلت حبسة القدر وبلوغ الكتاب أجله فقال لا أعلمن ما كان لنا من مجلس إلا حضرته فقلت نعم يا أمير المؤمنين ثم اتصل الأمر وقيل قدم يحيى بن أكثم قاضياً على البصرة من خراسان من قبل المأمون في آخر سنة

اثنتين ومائتين وهو حدث سنه نيف وعشرون سنة فاستصحب جماعة من أهل العلم والمروءات منهم ابن أبي دواد فلما قدم المأمون بغداد في سنة أربع ومائتين قال ليحيى اختر لي من أصحابك جماعة يجالسونني ويكثرون الدخول إلي فاختار منهم عشرين فيهم ابن أبي دواد فكثروا على المأمون فقال اختر منهم فاختار عشرة فيهم ابن أبي دواد ثم قال اختر منهم فاختار خمسة فيهم ابن أبي دواد واتصل أمره وأسند المأمون وصيته عند الموت إلى أخيه المعتصم وقال فيها وأبو عبد الله أحمد بن أبي دواد لا يفارقك الشركة في المشورة في كل أمرك فإنه موضع ذلك ولا تتخذن بعدي وزيراً ولما ولي المعتصم الخلافة جعل ابن أبي دواد قاضي القضاة وعزل يحيى بن أكثم وخص به أحمد حتى كان لا يفعل فعلاً باطناً ولا ظاهراً إلا برأيه وامتحن ابن أبي دواد الإمام أحمد بن حنبل وألزمه بالقول بخلق القرآن الكريم وذلك في شهر رمضان سنة عشرين ومائتين ولما مات المعتصم وتولى بعده ولده الواثق بالله حسنت حال ابن أبي دواد عنده ولما مات الواثق بالله وتولى أخوه المتوكل فلج ابن أبي دواد في أول خلافته وذهب شقه الأيمن

85 المتوكل ولده محمد بن أحمد القضاء مكانه ثم عزل محمد بن أحمد عن المظالم في سنة ست وثلاثين ومائتين وقلد يحيى بن أكثم وكان الواثق قد أمر أن لا يرى أحد من الناس محمدَ بن عبد الملك الزيات الوزير إلا قام

له فكان ابن أبي دواد إذا رآه قام واستقبل القبلة يصلي فقال ابن الزيات (صلى الضحى لما استفاد عداوتي * وأراه ينسك بعدها ويصوم) (لا تعدمن عداوة مسمومة * تركتك تقعد تارة وتقوم) ومدحه جماعة من شعراء عصره قال علي الرازي رأيت أبا تمام الطائي عند ابن أبي دواد ومعه رجل ينشد عنه قصيدة منها (لقد أنست مساوىء كل دهر * محاسن احمد بن أبي دوادِ) (وما سافرت في الآفاق إلا * ومن جدواك راحلتي وزادي) فقال له ابن أبي دواد هذا المعنى تفردت به أو أخذته فقال هو لي وقد ألممت فيه بقول أبي نواس (وإن جرتِ الألفاظ منا بمدحة * لغيرك إنساناً فأنت الذي نعني) ودخل أبو تمام عليه يوماً وقد طالت أيامه في الوقوف ببابه ولا يصل إليه فعتب عليه مع بعض أصحابه فقال له ابن أبي دواد أحسبك عاتباً يا أبا تمام فقال إنما يعتب على واحدٍ وأنت الناس جميعاً فكيف يعتب عليك فقال له من أين لك هذا يا أبا تمام فقال من قول الحاذق يعني أبا نواس

86 الفضل بن الربيع (وليس لله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحدِ) ولما ولي ابن أبي دواد المظالم قال أبو تمام قصيدة يتظلم إليه من جملتها قوله (إذا أنت ضيعت القريضَ وأهله * فلا عجب إن ضيعته الأعاجم) (فقد هز عطفيه القريض ترفعا * بعدلك مذ صارت إليك المظالم) (ولولا خلال سنها الشعر ما درى * بغاة العلى من أين تؤتى المكارم) قلت ومدحه أبو تمام أيضاً

بقصـــيدته التي أوّلها (أرأَيت أي ســوالف وخدود * عنت لنا بين اللوى فزرود) و ما أَلطف قوله فيها (وإذا أراد الله نشــر فضــيلة * طويت أتاح لها لســان حسـود) (لولا اشـــتعال النار فيما جاورت * ما كان يعرف طيب عرف العود) ومدحه مروان بن أبي الجنوب بقوله (لقد حازت نزار كل مجد * ومكرمـة على رغم الأعـادي) (فقل للفاخرين على نزار * ومنهم خندف وبنو إياد) (رســول الله والخلفـاء منـا * ومنـا أحمـد بن أبي دواد) (وليس كمثلهم في غيرِ قومي * بموجودٍ إلى يوم التنادي)

87 (نبي مرسل وولاة عهد * ومهدي إلى الخيرات هادي) ولما ســـمع هذا الشــــعر أبو هفان المهزمي قال (فقل للفاخرين على نزار * وهم في الأرضِ ســـادات العباد) (رسول الله والخلفاء منا * ونبرأُ من دعي بني إياد) (وما منا إياد إن أقرت * بدعوة أحمد بن أبي دواد) فقال ابن أبي دواد مــا بلغ مني أحــد مــا بلغ مني هــذا الغلام المهزمي لولا أنـي أكره أن أُنبه عليه لعاقبته عقاباً لم يعاقب أحد بمثله جاء إلى منقبة كانت لي فنقضـــــها عروة عروة وكان ابن أبي دواد كثيراً ما ينشـــــد ولم يذكر أنهما له أو لغيره (ما أَنت بالســـبب الضـــعيف وإنما * نجح الأمور بقوة الأســـبـاب) (فـاليوم حـاجتنـا إليك وإنما * يدعى الطبيب لشــدة الأوصــاب) وذكر غير المرزباني عن أبي العيناء أن المعتصـــم غضـــب على خالد بن يزيد بن مزيد الشـــيباني قلت وســـيأتي ذكره في ترجمة أبيه إن شـــاء الله

تعالى وأشـخصـه من ولايته لعجز لحقه في مال طلب منه
وأسـباب غير ذلك فجلس المعتصـم لعقوبته وكان قد طرح
نفسـه على القاضـي أحمد فتكلم فيه فلم يجبه المعتصـم فلما
جلس لعقوبته حضر القاضي أحمد فجلس دون مجلسه فقال
له المعتصـم يا أبا عبد الله جلسـت في غير مجلسـك فقال ما
ينبغي لي أن أجلس إلا دون مجلسي هذا فقال له وكيف قال
لأن الناس يزعمون أنه ليس موضعي موضع من يشفع في
رجل فيشـفع قال فارجع إلى مجلسـك قال مشـفعا أو غير
مشفع قال بل مشفعا فارتفع إلى مجلسه ثم قال إن الناس لا
يعلمون رضـى أمير المؤمنين عنه إن لم يخلع عليه فأمر
بالخلع عليه فقال يا أمير المؤمنين قد استحق هو وأصحابه
رزق ستة أشـهر لا بد أن يقبضـوها وإن أمرت لـهم بها في
هذا الوقت قامت مقام الصلة فقال قد أمرت بها فخرج خالد
وعليه الخلع والمال بين يديه وإن الناس
88 في الطرق ينتظرون الايقاع به فصـاح به رجل
الحمد لله على خلاصـك يا سيد العرب فقال له اسكت سيد
العرب والله أحمد بن أبي دواد وكان بينه وبين الوزير ابن
الزيات منافسـات وشـحناء حتى إن شـخصـا كان يصـحب
القاضـي المذكور ويختص بقضـاء حوائجه منعه الوزير
المذكور من الترداد إليه فبلغ ذلك القاضي فجاء إلى الوزير
وقال له والله ما أجيئك متكثرا بك من قلة ولا متعززا بك
من ذلة ولكن أمير المؤمنين رتبك مرتبة أوجبت لقاءك فان
لقيناك فله وإن تأخرنا عنك فلك ثم نهض من عنده وكان

فيه من المكارم والمحامد ما يستغرق الوصف وهجا بعض الشعراء الوزير ابن الزيات بقصيدة عدد أبياتها سبعون بيتا فبلغ خبرها القاضي أحمد فقال (أحسن من سبعين بيتا هجا * جمعك معناهن في بيت) (ما أحوج الملك إلى مطرة * تغسل عنه وضر الزيت) فبلغ ابن الزيات ذلك ويقال إن بعض أجداد القاضي أحمد كان يبيع القار فقال (يا ذا الذي يطمع في هجونا * عرضت بي نفسك للموت) (الزيت لا يزري بأحسابنا * أحسابنا معروفة البيت) (قيرتم الملك فلم ننقه * حتى غسلنا القار بالزيت) وأصابه الفالج لست خلونَ من جمادي الآخرة سنة ثلاث وثلاثين ومائتين بعد موت عدوّه الوزير المذكور بمائة يوم وأيام وقيل بخمسين يوماً وقيل بسبعة وأربعين يوماً وسيأتي تاريخ وفاة الوزير في حرف الميم ولما حصل له الفالج ولي موضعه ولده أبو الوليد محمد ولم تكن طريقته

89 مرضية وكثر ذاموه وقل شاكروه حتى عمل فيه إبراهيم بن العباس الصولي المقدم ذكره قبل هذا (عفت مساو تبدت منك واضحه * على محاسن أبقاها أبوك لكا) (فقد تقدمت ابناء الكرام به * كما تقدم اباء اللئام بكا) ولعمري لقد بالغ في طرفي المدح والذم وهو معنى بديع واستمر على مظالم العسكر والقضاء إلى سنة سبع وثلاثين ومائتين فسخط المتوكل على القاضي أحمد المذكور وولده محمد وأمر بالتوكيل على ضياعه لخمس بقين من صفر

من السنة المذكورة وصرفه عن المظالم ثم صرفه عن
القضاء يوم الخميس لخمس خلون من شهر ربيع الأول من
السنة وأخذ من الولد مائة ألف وعشرين ألف دينار
وجوهراً بأربعين ألف دينار وسيره إلى بغداد من سر من
رأى وفوض القضاء إلى القاضي يحيى بن أكثم الصيفي
وسيأتي ذكره في حرف الياء إن شاء الله تعالى ولما شهد
على ابن أبي دواد حين غضب عليه الخليفة بضياعه
المأخوذة منه في الجناية حضر المجلس خلق كثير من
الشهود وغيرهم فقام رجل من الشهود وكان القاضي
منحرفاً عنه في أيامه فقال تشهدنا عليك بما في هذا الكتاب
فقال القاضي لا لا لا لست هناك وقال للباقين اشهدوا علي
فجلس الرجل بخزي وتعجب الناس من ثبوت القاضي
وقوة قلبه في تلك الحال وتوفي القاضي أحمد المذكور
بمرضه الفالج في المحرم سنة أربعين ومائتين ونقل عنه
أنه قال ولدت بالبصرة سنة ستين ومائة وقيل إنه كان أسن
من القاضي يحيى بن أكثم بنحو عشرين سنة وهو يخالف
ما ذكرته في ترجمة يحيى لكن كتبته على ما وجدته والله
أعلم بالصواب وتوفي ولده محمد قبله بعشرين يوماً في
ذي الحجة رحمهما الله تعالى وقد ذكر المرزباني في كتابه
المذكور اختلافاً كثيراً في تاريخ وفاته وموت ابنه فأحببت
ذكر جميع ما قاله قال ولى المتوكل ابنه أبا الوليد محمد
90 ابن أحمد القضاء والمظالم بالعسكر مكان أبيه ثم
عزله عنها يوم الأربعاء لعشر بقين من صفر سنة أربعين

ومائتين ووكل بضياعه وضياع أبيه ثم صولح على ألف ألف دينار ومات أبو الوليد محمد بن أحمد ببغداد في ذي القعدة سنة أربعين ومائتين ومات أبوه أحمد بعده بعشرين يوماً وذكر الصولي أن سخط المتوكل علي ابن أبي دواد كان في سنة سبع وثلاثين ثم ذكر المرزباني بعد هذا أن القاضي أحمد مات في المحرّم سنة أربعين ومات ابنه قبله بعشرين يوما وقيل مات ابنه في آخر سنة تسع وثلاثين وكان موتهما ببغداد وقيل مات ابنه في ذي الحجة سنة تسع وثلاثين ومات أبوه يوم السبت لسبع بقين من المحرم سنة أربعين وكان بين موتهما شهر أو نحوه والله أعلم بالصواب في ذلك كله وقال أبو بكر ابن دريد كان ابن أبي دواد مؤالفا لأهل الأدب من أي بلد كانوا وكان قد ضم منهم جماعة يعولهم ويمونهم فلما مات حضر ببابه جماعة منهم وقالوا يدفن من كان ساقة الكرم وتاريخ الأدب ولا يتكلم فيه إن هذا وهن وتقصير فلما طلع سريره قام إليه ثلاثة منهم فقال أحدهم (اليوم مات نظام الملك واللسن * ومات من كان يستعدي على الزمن) (وأظلمت سبل الآداب إذ حجبت * شمس المكارِم في غيم من الكفن) وتقدم الثاني فقال (ترك المنابر والسرير تواضعا * وله منابر لو يشا وسرير) (ولغيره يجبى الخراج وإنما * يجبى إليه محامد وأُجور) وتقدم الثالث فقال (وليس فتيق المسك ريح حنوطه * ولكنه ذاكَ الثناء المخلف) (وليس صرير النعش ما تسمعونه * ولكنه أصلاب قوم تقصف)

91 وقال أبو بكر الجرجاني سمعت أبا العَيناء الضرير يقول ما رأيت في الدنيا أقوم على أدب من ابن أبي دواد ما خرجت من عنده يوماً قط فقال يا غلام خذ بيده بل قال يا غلام اخرج معه فكنت أنتقد هذه الكلمة عليه فلا يخل بها ولا أسمعها من غيره وعلى الجملة فقد طالت هذه الترجمة وإنما محاسنه كانت كثيرة رحمه الله تعالى ودواد بضم الدال المهملة وفتح الواو وبعد الألف دال ثانية مهملة والإيادي بكسر الهمزة وفتح الياء المثناة من تحتها وبعد الألف دال مهملة نسبة إلى إياد بن نزار بن معد بن عدنان
33 الحافظ أبو نعيم أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني الحافظ المشهور صاحب كتاب حلية الأولياء كان من الأعلام المحدثين وأكابر الحفاظ الثقات أخذ عن الأفاضل وأخذوا عنه وانتفعوا به وكتابه الحلية من أحسن الكتب وله كتاب تاريخ أصبهان نقلبت منه في ترجمة والده عبد الله نسبته على هذه الصورة وذكر أن جده مهران أسلم إشارة إلى أنه أول من أسلم من أجداده وأنه مولى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب رضي الله عنه وسيأتي ذكرعبد الله بن معاوية إن شاء الله تعالى وذكر أن والده توفي في رجب سنة خمس وستين وثلثمائة ودفن عند جده من قبل أمه
92 ولد في رجب سنة ست وثلاثين وثلثمائة وقيل أربع وثلاثين وتوفي في صفر وقيل يوم الاثنين الحادي

والعشـــرين من المحرَّم ســـنة ثلاثين وأربعمائة بأصـــبهان
رحمه الله تعالى واصـبهان بكسـر الهمزة وفتحها وسكون
الصـاد المهملة وفتح الباء الموحدة ويقال بالفاء أيضـاً وفتح
الهاء وبعد الألف نون وهي من أشـــهر بلاد الجبال وإنما
قيل لها هذا الاســـم لأنها تســمى بالعجمية ســباهان وســبا
العســـكر وهان الجمع وكانت جموع عســـاكر الأكاســـرة
تجتمع إذا وقعت لهم واقعة في هذا الموضـــع مثل عســـكر
فارس وكرمان والأهواز وغيرها فعرّب فقيل اصــــبهان
وبناها إســـكندر ذو القرْنين هكذا ذكره الســـمعاني 34
الخطيب البغدادي الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت
بن أحمد بن مهدي بن ثابت البغدادي المعروف بالخطيب
صاحب تاريخ بغداد وغيره من المصنفات كان من الحفاظ
المتقنين والعلماء المتبحرين ولو لم يكن له ســـوى التاريخ
لكفاه فانه يدل على اطلاع عظيم وصـــنف قريباً من مائة
مصنف وفضله أشـهر من أن يوصـف وأخذ الفقه عن أبي
الحسـن المحاملي والقاضــي أبي الطيب الطبري وغيرهما
وكان فقيهاً فغلب عليه الحديث والتاريخ ولد في جمادي
الآخرة سنة اثنتين وتسعين وثلثمائة يوم الخميس لست
93 بقين من الشـــهر وتوفي يوم الاثنين ســـابع ذي
الحجة سنة ثلاث وستين وأربعمائة ببغداد رحمه الله تعالى
وقال الســـمعاني توفي في شـــوال وســـمعت أن الشـــيخ أبا
إسـحاق الشيرازي رحمه الله تعالى كان من جملة من حمل
نعشـــه لأنه انتفع به كثيراً وكان يراجعه في تصـــانيفه

والعجب أنه كان في وقته حافظ المشرق وأبو عمر يوسف بن عبد البر صاحب كتاب الاستيعاب حافظ المغرب وماتا في سنة واحدة كما سيأتي في حرف الياء إن شاء الله تعالى وذكر محب الدين بن النجار في تاريخ بغداد أن أبا البركات إسماعيل بن أبي سعد الصوفي قال إن الشيخ أبا بكر ابن زهراء الصوفي كان قد أعد لنفسه قبراً إلى جانب قبر بشر الحافي رحمه الله تعالى وكان يمضي إليه في كل أسبوع مرة وينام فيه ويقرأ فيه القرآن كله فلما مات أبو بكر الخطيب وكان قد أوصى أن يدفن إلى جانب قبر بشر جاء أصحابُ الحديث إلى أبي بكر ابن زهراء وسألوه أن يدفن الخطيب في القبر الذي كان قد أعده لنفسه وأن يؤثره به فامتنع من ذلك امتناعاً شديداً وقال موضع قد أعددته لنفسي منذ سنين يؤخذ مني فلما رأوا ذلك جاءوا إلى والدي الشيخ أبي سعد وذكروا له ذلك فأحضر الشيخ أبا بكر ابن زهراء وقال له أنا لا أقول لك أعْطِهِم القبر ولكن أقول لك لو أن بشراً الحافي في الأحياء وأنت إلى جانبه فجاء أبو بكر الخطيب يقعد دونك أكان يحسن بك أن تقعد أعلى منه قال لا بل كنت أقوم وأجلسه مكاني قال فهكذا ينبغي أن يكون الساعة قال فطاب قلب الشيخ أبي بكر وأذن لهم في دفنه فدفنوه إلى جانبه بباب حرب وكان قد تصدق بجميع ماله وهو مائتا دينار فرَّقها على أرباب الحديث والفقهاء والفقراء في وأوصى أن يتصدق عنه بجميع ما عليه من الثياب ووقف جميع كتبه على المسلمين ولم يكن له عقب

وصـــنف أكثر من ســتين كتاباً وكان الشـيخ أبو إسـحاق الشـيرازي أحد من حمل جنازته وقيل إنه وُلدَ سـنة إحدى وتسـعين وثلثمائة والله أعلم ورؤيت له منام&&0&&ات صـالحة بعد موته وكان قد انتهى إليه علم الحديث وحفظه في وقته هذا آخر ما نقلته من كتاب ابن النجار

94 35 الراوندي أبو الحسـين أحمد بن يحيى بن إسـحاق الروندي العالم المشـهور له مقالة في علم الكلام وكان من الفضلاء في عصره وله من الكتب المصنفة نحو من مائة وأربعة عشـر كتاباً منها كتاب فصـيحة المعتزلة وكتاب التاج وكتاب الزمرد وكتاب القصب وغير ذلك وله مجالس ومناظرات مع جماعة من علماء الكلام وقد انفرد بمذاهب نقلها أهل الكلام عنه في كتبهم توفي سـنة خمس وأربعين ومائتين برحبة مالك بن طوق التغلبي وقيل ببغداد وتقدير عمره أربعون سنة وذكر في البستان أنه توفي سنة خمسين والله أعلم رحمه الله تعالى ونسبته إلى راوند بفتح الراء والواو وبينهما ألف وسكون النون وبعدها دال مهملة وهي قرية من قري قاسان بنواحي أصبهان وراوند أيضاً ناحيه ظاهر نيسابور

95 وقاسان بالسين المهملة وهي غير قاشان بالشين المعجمة المجاورة لقم وهذه راوند التي ذكرها أبو تمام الطائي في كتاب الحماسـة في باب المراثي فقال ذكروا أن رجلين من بني أسد خرجا إلى أصبهان فآخيا دهقانا بها في موضـع يقال له راوند وخزاق ونادماه فمات أحدهما وغبر

الآخر والدهقان ينادمان قبره يشربان كأسين ويصبان على قبره كأســـاً ثم مات الدهقان فكان الأســـدي الغابر ينادم قبريهما ويترنم بهذا الشعر (خليلي هبا طالما قد رقدتما * أجدكما لا تقضـــيان كراكما) (أمن طول نوم لا تجيبان داعياً * كأن الذي يسقي المدام سقاكما) (أَلم تعلما ما لي براوند كلها * ولا بخزاق من صديق سواكما) (أُقيم على قبريكما لست بارحاً * طوال الليالي أو يجيب صداكما) (وأبكيكما حق الممات وما الذي * يرد على ذي لوعة إن بكاكما) (فلو جعلت نفس لنفس وقايةً * لجدت بنفسي أن تكون فداكما) (أصـــب على قبريكما من مدامة * فإلا تنالاها ترو ثراكما) وخزاق بضـم الخاء المعجمة وبعدها زاي وبعد الألف قاف قرية أخرى مجاورة لها والله أعلم بالصـــواب 36 الهروي أبو عبيد أحمد بن محمد بن محمد بن أبي عبيد العبدي المؤدب الهروي الفاشاني

96 صاحب كتاب الغريبين هذا هو المنقول في نسبه ورأيت على ظهر كتابه الغريبين أنه أحمد بن محمد بن عبد الرحمن والله أعلم كان من العلماء الأكابر وما قصــر في كتابه المذكور ولم أقف على شـــيء من أخباره لأذكره ســـوى أنه كان يصـــحب أبا منصـــور الأزهري اللغوي وســـيأتي ذكره إن شـــاء الله تعالى وعليه اشـــتغل وبه انتفع وتخرج وكتابه المذكور جمع فيه بين تفسير غريب القرآن الكريم والحديث النبوي وســـار في الآفاق وهو من الكتب النافعة وقيل إنه كان يحب البذلة ويتناول في الخلوة

ويعاشــر أهل الأدب في مجالس اللذة والطرب عفا الله عنه وعنا وأَشــار الباخرزي في ترجمة بعض أُدباء خراســان إلي شـيء من ذلك والله أعلم وكانت وفاته في رجب سـنة إحدى وأربعمائة رحمه الله تعالى والهروي بفتح الهاء والراء نســبة إلى هَراة وهي إحدى مدن خراســان الكبار فتحها الأحنف بن قيس صـــلحاً من قبل عبد الله بن عامر والفاشـاني بفتح الفاء وبعد الألف شـين معجمة وبعد الألف الثانية نون نسبة إلى فاشان وهي قرية من قري هراة ويقال لها باشان بالباء الموحدة أيضاً ذكره السمعاني وقد تقدم في الذي قبله ذكر قاسـان وقاشـان وهذه الأسـماء الأربعة يقع بينها الاشتباه وهي على هذه الصورة ولا لَبْسَ بعد هذا 37 الخوافي أبو المظفر أحمد بن محمد بن المظفر الخوافي الفقيه الشافعي كان أنظر

97 أهل زمانه تفقه على إمام الحرمين الجويني وصـار أوجه تلامذته ولي القضـاء بطوس ونواحيها وكان مشـــهوراً بين العلماء بحســن المناظرة وإفحام الخصـــوم وكان رفيق أبي حامد الغزالي في الاشتغال ورزق الغزالي السعادة في تصانيفه والخوافي السعادة في مناظراته وتوفي سنة خمسمائة بطوس رحمه الله تعالى ونسبته إلى خواف بفتح الخاء المعجمة وبعد الواو المفتوحة ألف وبعد الألف فاء وهي ناحية من نواحي نيســابور كثيرة القرى 38 أخو الغزالي أبو الفتوح أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوســي الغزالي الملقب مجد الدين أخو الإمام أبي حامد

محمد بن محمد الغزالي الفقيه الشـــافعي كان واعظاً مليح الوعظ حسن المنظر صاحب كرامات وإشارات وكان من الفقهـاء غير أنــه مــال إلي الوعظ فغلـب عليــه ودرس بالمدرســـة النظامية نيابة عن أخيه أبي حامد لما ترك التدريس زهادة فيه واختصر كتاب أخيه أبي حامد المسمى ب إحياء علوم الدين في مجلد واحد وســـماه لباب الإحياء وله تصـنيف آخر سـماه الذخيرة في علم البصـيرة وطاف البلاد وخدم الصـــوفية بنفســـه وكان مائلاً إلى الانقطاع والعزلة وذكره ابن النجار في تاريخ بغداد فقال كان قد قرأ القارىء بحضــــرته (^ يا عبادي الذين أســـرفوا على أنفسهم الآية) فقال شرفهم بياء الإضافة

98 إلى نفســه بقوله يا عبادي ثم أنشـد يقول (وهان علي اللوم في جنب حبها * وقول الأعادي إنه لخليع) (أصم إذا نوديت باسمي وإنني * إذا قيل لي يا عبدها لسميع) قلت ومثل هذا قول بعضــهم (لا تدعني إلا بيا عبدها * فإنه أشـــرف أســـمائي) وتوفي أحمد بقزوين في ســـنة عشرين وخمسمائة رحمه الله تعالى والطوسي بضم الطاء المهملة وســكون الواو وبالســين المهملة نسـبة إلى طوس وهي ناحية بخراسان تشتمل على مدينتين تسمى إحداهما طابران بفتح الطاء المهملة وبعد الألف باء موحدة ثم راء مفتوحة وبعد الألف الثانية نون والأخرى نوقان بفتح النون وســكون الواو وفتح القاف وبعد الألف نون ولهما ما يزيد على ألف قرية والغزالي بفتح الغين المعجمة وتشـــديد

الزاي المعجمة وبعد الألف لام هذه النسبة إلي الغزال على عادة أهل خوارزم وجرجان فانهم ينسبون إلى القصار القصاري وإلى العطار العطاري وقيل إن الزاي مخففة نسبة إلى غزالة وهي قرية من قرى طوس وهو خلاف المشهور ولكن هكذا قاله السمعاني في كتاب الأنساب والله أعلم وقزوين بفتح القاف وسكون الزاي المعجمة وكسر الواو وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون وهي مدينة كبيرة في عِراق العجم عند قلاع الإسماعيلية

99 39 ابن برهان أبو الفتح أحمد بن علي بن محمد الوكيل المعروف بابن برهان الفقيه الشافعي كان متبحراً في الأصول والفروع والمتفق والمختلف تفقه على أبي حامد الغزالي وأبي بكر الشاشي والكيا أبي الحسن الهراسي وصار ماهراً في فنونه وصنف كتاب الوجيز في أصول الفقه ولي التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد دون الشهر ومات سنة عشرين وخمسمائة ببغداد رحمه الله تعالى وبَرْهان بفتح الباء الموحدة وسكون الراء وبعد الهاء ألف ونون 40 النحاس النحوي أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحاس النحوي المصري كان من الفضلاء وله تصانيف مفيدة منها تفسير القرآن الكريم وكتاب إعراب القرآن وكتاب الناسخ والمنسوخ وكتاب في النحو اسمه التفاحة وكتاب في الاشتقاق وتفسير أبيات سيبويه ولم يسبق إلى مثله وكتاب أدب الكتاب وكتاب الكافي في النحو وكتاب

100 المعاني وفسـر عشـرة دواوين وأملاها وكتاب الوقف والابتداء صغرى وكبرى وكتاب في شرح المعلقات السـبع وكتاب طبقات الشـعراء وغير ذلك وروى عن أبي عبد الرحمن النسـائي وأخذ النحو عن أبي الحسـن علي بن سـليمان الأخفش النحوي وأبي إسـحاق الزجاج وابن الأنباري ونفطويه وأعيان أدباء العراق وكان قد رحل إليهم من مصر وكانت فيه خَساسة وتقتير على نفسه وإذا وهب عمامة قطعها ثلاث عمائم بخلاً وشـحا وكان يلي شـراء حوائجه بنفسه ويتحامل فيها على أهل معرفته ومع هذا فكان للناس رغبة كبيرة في الأخذ عنه فنفع وأفاد وأخذ عنه خلق كثير وتوفي بمصر يوم السبت لخمس خلون من ذي الحجة سـنة ثمان وثلاثين وثلثمائة وقيل سـنة سـبع وثلاثين رحمه الله تعالى وكان سـبب وفاته أنه جلس على درج المقياس على شـاطىء النيل وهو في أيام زيادته وهو يقطع بالعروض شـيئاً من الشـعر فقال بعض العوام هذا يسـحر النيل حتى لا يزيد فتغلو الأسـعار فدفعه برجله في النيل فلم يوقف له على خبر والنحاس بفتح النون والحاء المشددة المهملة وبعد الألف سين مهملة هذه النسبة إلى من يعمل النحاس وأهل مصـر يقولون لمن يعمل الأواني الصفرية النحاس

101 41 العبدي النحوي أبو طالب أحمد بن بكر بن بقية العبدي النحوي كان فاضـلاً ماهراً وشـرح كتاب الايضـاح في النحو لأبي علي الفارسـي وأحسـن فيه ولم

أطلع على شيء من أحواله حتى أذكره سوى أنه قرأ النحو على أبي سعيد السيرافي وأبي الحسن الرماني وأبي علي الفارسي وتوفي في سنة ست وأربعمائة في شهر رمضان لعشر بقين منه يوم الخميس رحمه الله تعالى والعَبْدي بفتح العين المهملة وسكون الباء الموحدة وبعدها دال مهملة هذه النسبة إلى عَبدِ القَيْس بن أَفْصَى بن دعمي وهي قبيلة كبيرة مشهورة 42 ابن أبي سهل أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن أبي سَهْل الكاتب صاحب كتاب الخراج توفي سنة سبعين ومائتين رحمه الله تعالى ولم أعلم من حاله شيئاً

102 حتى أذكره وكتابه مشهور وما ذكرته إلا لأجل كتابه فقد يتشوف الواقف عليه إلى معرفة زمانه 43 ثعلب النحوي أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار النحوي الشيباني بالولاء المعروف بثعلب ولاؤه لمَعْن بن زائدة الشيباني الآتي ذكره في حرف الميم إن شاء الله تعالى كان إمام الكوفيين في النحو واللغة سمع ابن الأعرابي والزبير بن بكار وروى عنه الأخفش الأصغر وأبو بكر ابن الأنباري وأبو عمر الزاهد وغيرهم وكان ثقة حجة صالحاً مشهوراً بالحفظ وصدق اللهجة والمعرفة بالعربية ورواية الشعر القديم مقدماً عند الشيوخ منذ هو حدث وكان ابن الأعرابي إذا شك في شيء قال له ما تقول يا أبا العباس في هذا ثقة بغزارة حفظه وكان يقول ابتدأت في طلب العربية واللغة في سنة ستّ عشرة ومائتين

ونظرت في حدود الفراء وسني ثماني عشرةَ سنةً وبلغت
خمساً وعشرين سنة وما بقيت علي مسألة للفراء إلا وأنا
أحفظها وقال أبو بكر ابن مجاهد المقرىء قال لي ثعلب يا
أبا بكر اشتغل أصحاب القرآن بالقرآن ففازوا واشتغل
أصحاب الحديث بالحديث ففازوا واشتغل أصحاب الفقه
بالفقه ففازوا واشتغلت أنا بزيد وعمرو فليت شعري
103 ماذا يكون حالي في الآخرة فانصرفت من عنده
فرأيت النبي تلك الليلة في المنام فقال لي أقرىء أبا العباس
عني السلام وقل له أنت صاحب العلم المستطيل قال أبو
عبد الله الروذباري العبد الصالح أراد أن الكلام به يكمل
والخطاب به يجمل وأن جميع العلوم مفتقرة إليه وقال أبو
عمر الزاهد المعروف بالمطرز كنت في مجلس أبي
العباس ثعلب فسأله سائل عن شيء فقال لا أدري فقال له
أتقول لا أدري وإليك تضرب أكباد الإبل وإليك الرحلة من
كل بلد فقال له أبو العباس لو كان لأمك بعدد ما لا أدري
بعر لاستغنت وصنف كتاب الفصيح وهو صغير الحجم
كثير الفائدة وكان له شعر وقال أبو بكر ابن القاسم
الأنباري في بعض أماليه أنشدني ثعلب ولا أدري هل هي
له أو لغيره (إذا كنت قوت النفسِ ثم هجرتها * فكم تلبث
النفس التي أنت قوتها) (ستبقى بقاء الضب في الماء أو
كما * يعيش ببيداء المهامه حوتها) قال ابن الأنباري
وزادنا أبو الحسن ابن البراء فيها (أغرك مني أن
تصبرت جاهداً * وفي النفس مني منك ما سيميتها) (فلو

كان ما بي بالصُّـــخورِ لهدها * وبالريح ما هبت وطال خفوتها) (فصـــبراً لعل الله يجمع بيننا * فأشـــكو هموماً منك فيك لقيتها) وولد في سنة مائتين لشهرين مَضيَا منها قاله ابن القراب في تاريخه وقيل ســـنة أربع ومائتين وقيل إحدى ومائتين والذي يدل على أنه ولد في ســنة مائتين أنه قال رأيت المأمون لما قدم من خراســـان في ســـنة أربع ومائتين وقد خرج من باب الحديد يريد الرصـــافه والناس صفان فحملني أبي

104 يده وقال هذا المأمون وهذه ســنة أربع فحفظت ذلك عنه إلي الســاعة وكان ســني تقديراً يومئذ أربع ســنين وتوفي يوم الســـبت لثلاث عشـــرة ليلة بقيت من جمادي الأولى وقيل لعشر خلون منها سنة إحدى وتسعين ومائتين ببغداد ودفن بمقبرة باب الشام رحمه الله تعالى وكان سبب وفاته أنه خرج من الجامع يوم الجمعة بعد العصر وكان قد لحقه صمم لا يسمع إلا بعد تعب وكان في يده كتاب ينظر فيه في الطريق فصـــدمته فرس فألقته في هوة فأخرج منها وهو كالمختلط فحمل إلى منزله على تلك الحال وهو يتأوه من رأسه فمات ثاني يوم وجده سيار بفتح السين المهملة وتشـــديد الياء المثناة من تحتها وبعد الألف راء مهملة والشيباني بفتح الشين المثلثة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الباء الموحدة وبعد الألف نون نسـبة إلى شـيبان حي من بكر بن وائل وهما شـيبانان أحدهما شـيبان بن ثعلبة بن عكابة والآخر شـيبان بن ذهل بن ثعلبة ابن عكابة وشـيبان

الأعلى عم شيبان الأسفل ومن تصانيفه كتاب المصون واختلاف النحوين ومعاني القرآن وما تلحن فيه العامه والقراءات ومعاني الشعر والتصغير وما ينصرف وما لا ينصرف وما يجرى وما لا يجرى والشواذ والأمثال والإيمان والوقف والابتداء والألفاظ والهجاء والمجالس والأوسط وإعراب القرآن والمسائل وحد النحو وغير ذلك

105 44 الحافظ السلفي الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم سلفة الأصبهاني الملقب صدر الدين أحد الحفاظ المكثرين رحَل في طلب الحديث ولقي أعيان المشايخ وكان شافعي المذهب ورد بغداد واشتغل بها على الكيا أبي الحسن علي الهراسي في الفقه وعلى الخطيب أبي زكريا يحيى بن علي التبريزي اللغوي باللغة وروى عن أبي محمد جعفر بن السراج وغيره من الأئمة الأماثل وجاب البلاد وطاف الآفاق ودخل ثغر الاسكندرية سنة إحدى عشرة وخمسمائة في ذي القعدة وكان قدومه إليه في البحر من مدينة صور وأقام به وقصده الناس من الأماكن البعيدة وسمعوا عليه وانتفعوا به ولم يكن في آخر عمره في عصره مثله وبني له العادل أبو الحسن علي بن بالسلدر وزير الظافر العبيدي صاحب مصر في سنة ست وأربعين وخمسمائة مدرسة بالثغر المذكور وفوضها إليه وهي معروفة به إلى الآن وأدركت جماعة من أصحابه بالشام والديار المصرية وسمعت عليهم وأجازوني وكان قد كتب الكثير ونقلت من خطه فوائد جمة ومن جملة ما

نقلت من خطه لأبي عبد اللهّ محمد بن عبد الجبار الأندلسي من قصـــيدة (لولا اشــتغالي بالأمير ومدحه * لأطلت في ذاك الغزال تغزلي) (لكن أوصـــاف الجلال عذبن لي * فتركت أوصاف الجمال بمعزل)

106 ونقلت من خطه أيضـــا لبثينة صـــاحبة جميل ترثيه (وإن ســـلوي عن جميل لســـاعة * من الدهر ما حانت ولا حان حينها) (سواء علينا يا جميل بن معمر * إذا مت بأسـاء الحياة ولينها) وكان كثيرا ما ينشد (قالوا نفوس الدار سكانها * وأنتم عندي نفوس النفوس) وأماليه وتعاليقه كثيرة والاختصار بالمختصر أولى وكانت ولادته ســـنة اثنتين وســـبعين وأربعمائة تقريباً بأصـــبهان وتوفي ضـــحوة نهار الجمعة وقيل ليلة الجمعة خامس شـــهر ربيع الآخر سنة ست وسبعين وخمسمائة بثغر الاسكندرية ودفن في وعلة وهي مقبرة داخل السور عند الباب الأخضر فيها جماعة من الصـــالحين كالطرطوشـــي وغيره ووعلة بفتح الواو وســـكون العين المهملة وبعدها لام ثم هاء ويقال إن هذه المقبرة منســـوبة إلى عبد الرحمن بن وعلة الســـبئي المصري صاحب ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقيل غير ذلك رحمه الله تعالى قلت وجدت العلماء المحدثين بالديار المصـــرية من جملتهم الحافظ زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري محدث مصر في زمانه يقولون في مولد الحافظ الســـلفي هذه المقالة ثم وجدت في كتاب زهر الرياض المفصـــح عن المقاصـــد والأغراض

تأليف الشـيخ جمال الدين أبي القاسـم عبدالرحمن ابن أبي الفضـل عبدالمجيد بن إسـماعيل بن حفص الصـفراوي الاسكندري أن

107 الحافظ أبا طاهر السلفي المذكور وهو شيخه كان يقول مولدي بالتخمين لا باليقين سنة ثمان وسبعين فيكون مبلغ عمره علي مقتضى ذلك ثمانيا وتسعين سنة هذا آخر كلام الصفراوي المذكور ورأيت في تاريخ الحافظ محب الدين محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادي ما يدل على صحة ما قاله الصفراوي فانه قال قال عبد الغني المقدسي سألت الحافظ السلفي عن مولده فقال أنا أذكر قتل نظام الملك في سنة خمس وثمانين وأربعمائة وكان لي من العمر حدود عشر سنين قلت ولو كان مولده علي ما يقوله أهل مصر أنه في سنة اثنتين وسبعين ما كان يقول أذكر قتل نظام الملك في سنة خمس وثمانين وأربعمائة فانه على ما يقولون قد كان عمره ثلاث عشرة سنة أو أربع عشرة سنة ولم تجر العادة أن من يكون في هذا السن يقول أنا أذكر القضية الفلانية وإنما يقول ذلك من يكون عمره تقديرا أربع سنين أو خمس سنين أو ستا فقد ظهر بهذا أن قول الصفراوي أقرب إلى الصحة وهو تلميذه وقد سمع منه أنه قال مولدي في سنة ثمان وسبعين وليس الصفراوي ممن يشك في قوله ولا يرتاب في صحته مع أننا ما علمنا أن أحدا منذ ثلثمائة سنة إلى الآن بلغ المائة فضلا عن أنه زاد عليها سوى القاضي أبي الطيب طاهر

بن عبد الله الطبري فانه عاش مائة سنة وسنتين كما سيأتي في ترجمته إن شـــاء الله تعالى ونســـبته إلى جده إبراهيم ســلفة بكســر الســين المهملة وفتح اللام والفاء وفي آخره الهاء وهو لفظ عجمي ومعناه بالعربي ثلاث شفاه لأن شفته الواحدة كانت مشـقوقة فصـارت مثل شـفتين غير الأخرى الأصلية والأصل فيه سلبة بالباء فأبدلت بالفاء

108 45 شـرف الدين ابن منعة أبو الفضـل أحمد ابن الشيخ العلامة كمال الدين أبي الفتح موسى ابن الشيخ رضي الدين أبي الفضل يونس بن محمد بن منعة بن مالك بن محمد بن سعد بن سعيد بن عاصم بن عائد بن كعب بن قيس بن إبراهيم الإربلي الأصل من بيت الرياسة والفضل والمقدمين بإربل الفقيه الشـافعي الملقب شـرف الدين كان إماما كبيرا فاضلا عاقلا حسن السمت جميل المنظر شرح كتاب التنبيه في الفقه وأجاد شـرحه واختصـر إحياء علوم الدين للإمام الغزالي مختصرين كبيرا وصغيرا وكان يلقي في جملة دروسه من كتاب الإحياء درسا حفظا وكان كثير المحفوظات غزير المادة وهو من بيت العلم وسـيأتي ذكر أبيه وعمه وجده رحمهم الله تعالى في مواضـعهم ونسـج على منوال والده في التفنن في العلوم وتخرج عليه جماعة كبيرة وتولى التدريس بمدرسـة الملك المعظم مظفر الدين بن زين الدين صـاحب إربل رحمه الله تعالى بمدينة إربل بعد والدي رحمه الله تعالى وكان وصوله إليها من الموصل في أوائل شوال سنة عشر وستمائة وكانت وفاة الوالد ليلة

الاثنين الثاني والعشـرين من شـعبان من السـنة المذكورة وكنت أحضـر دروسـه وأنا صـغير وما سـمعت أحداً يلقي الدروس مثله ولم يزل على ذلك إلى أن حج ثم عاد وأقام قليلاً ثم انتقل إلى الموصـل في سـنة سـبع عشـرة وسـتمائة وفوضـت إليه المدرسـة القاهرية وأقام بها ملازم الاشـتغال والإفـادة إلى أن توفي يوم الاثنين الرابع والعشــرين من شهر ربيع الآخر

109 سـنة اثنتين وعشـرين وسـتمائة وكانت ولادته أيضـاً بالموصـل سـنة خمس وسـبعين وخمسـمائة رحمه الله تعالى ولقد كان من محاسن الوجود وما أذكره إلا وتصـغر الدنيا في عيني ولقد أفكرت فيه مرة فقلت هذا الرجل عاش مدة خلافة الإمام الناصــر لدين الله أبي العباس أحمد فانه ولي الخلافة في سنة خمس وسبعين وخمسمائة وهي السنة التي ولد فيها شــرف الدين المذكور وماتا في سـنة واحدة وكان مبدأ شــروعه في شــرح التنبيه بإربل واسـتعار منا نســخة التنبيه عليها حواش مفيدة بخط بعض الأفاضــل ورأيتـه بعد ذلك وقد نقل الحواشــي كلها في شــرحه والفاضـل الذي كانت النسـخة والحواشـي بخطه هو الشـيخ رضــي الدين أبو داود سـليمان بن المظفر بن غانم بن عبد الكريم الجيلي الشــافعي المفتي بالمدرســة النظامية ببغداد وكان من أكابر فضــلاء عصــره وصــنف كتاباً في الفقه يدخل في خمس عشرة مجلدة وعرضت عليه المناصب فلم يفعل وكـان متدينـاً وتوفي يوم الأربعـاء لثلاث خلون من

شــهر ربيع الأول من ســنة إحدى وثلاثين وســتمائة ودفن بالشـونيزية وكان قد نيف على ستين سنة رحمه الله تعالى وكان قدومه بغداد من بلاده للاشـــتغال بعد ســـنة ثمانين وخمسـمائة رجعنا إلى الأول وكان اشـتغال شـرف الدين المذكور على أبيه بالموصــل ولم يتغرب لأجل الاشــتغال وكان الفقهاء يقولون نعجب منه كيف اشــتغل في وطنه وبين أهله وفي عزه واشــتغاله بالدنيا وخرج منه ما خرج ولو شــرعت في وصــف محاســنه لأطلت وفي هذا القدر كفاية

110 46 أبن عبد ربه أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم القرطبي مولى هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشـــام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي كـان من العلمـاء المكثرين من المحفوظات والاطلاع على أخبار الناس وصــنف كتابه العقد وهو من الكتب الممتعة حوى من كل شيء وله ديوان شــعر جيد ومن شــعره (يا ذا الذي خط العذار بوجهه * خطين هاجا لوعة وبلابلا) (ما صــح عندي أن لحظك صــارم * حتى لبســت بعارضــيك حمائلا) وله في هذا المعنى وقيل إنهما لأبي طاهر الكاتب وقيل لأبي الفضــل محمد بن عبد الواحد البغدادي (ومعذر نقش العذار بمســكه * خدا له بدم القلوب مضــرجا) (لما تيقن أن عضب جفونه * من نرجس جعل النجاد بنفسجا)

111 وأخذه البهاء أسعد السنجاري فقال من جملة قصيدة (يا سيف مقلته كملت ملاحةً * ما كنت قبل عذاره بحمائل) وله أيضاً (ودعتني بزفرة واعتناق * ثم قالت متى يكون التلاقي) (وبدت لي فأشرق الصبح منها * بين تلك الجيوب والأطواق) (يا سقيم الجفون من غير سقم * بين عينيك مصرع العشاق) (إن يوم الفراقِ أفظع يوم * ليتني مت قبل يوم الفراق) وله أيضاً (إن الغواني إن رأينك طاوياً * برد الشباب طوين عنك وصالا) (وإذا دعونك عمهن فإنه * نسب يزيدك عندهن خبالا) (وله من جملة قصيدة طويلة في المنذر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الحكمي أحد ملوك الأندلس من بني أمية (بالمنذرِ بن محمد * شرفت بلاد الأندلس) (فالطير فيها ساكن * والوحش فيها قد أنس) قال الوزير ابن المغربي في كتاب أدب الخواص وقد روي أن هذه القصيدة شقت عند انتشارها على أبي تميم مَعَد المعز لدين الله وساءه ما

112 تضمنته من الكذب والتمويه إلى أن عارضها شاعره الإيادي التونسي بقصيدته التي أولها (ربع لزينب قد درس * واعتاض من نطق خرس) وهذا الشاعر هو أبو الحسن علي بن محمد الإيادي التونسي ولابن عبد ربه (نعق الغراب فقلت أكذب طائر * إن لم يصدقه رعاء بعير) وفيه التفات إلى قول بعضهم (لهن الوجى لم كن

عوناً على النوى * ولا زال منها ظالع وحسـير) (وما الشؤم في نعق الغراب ونعبه * وما الشؤم إلا ناقة وبعير) وله غير ذلك كل معنى مليح وكانت ولادته في عاشـر رمضان سنة ست وأربعين ومائتين وتوفي يوم الأحد ثامن عشـر جمادي الأولى سـنة ثمان وعشـرين وثلثمائة ودفن يوم الاثنين في مقبرة بني العباس بقرطبة وكان قد أصـابه الفالج قبل ذلك بأعوام رحمه الله تعالى والقرطبي بضـم القاف وسـكون الراء المهملة وضـم الطاء المهملة وفي آخرها الباء الموحدة هذه النسـبة إلى قرطبة وهي مدينة كبيرة من بلاد الأندلس وهي دار مملكتها وحدير الذي هو أحد أجداده بضم الحاء المهملة وفتح الدال المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها والراء آخر الحروف

113 47 أبو العلاء المعري أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داود بن المطهر بن زياد بن ربيعة بن الحارث بن ربيعة بن أنور بن أسـحم بن أرقم بن النعمان بن عدي بن غطفان بن عمرو بن بريح بن جذيمة بن تيم الله بن أسـد بن وبرة بن تَغلب بن حلوان بن عمران بن إلحـاف بن فضـاعة التنوخي المعري اللغوي الشـاعر كان متضـلعّاً من فنون الأدب قرأ النحو واللغة على أبيه بالمعرة وعلي محمد بن عبد الله بن سـعد النحوي بحلب وله التصـانيف الكثيرة المشـهورة والرسـائل المأثورة وله من النظم لزوم ما لا يلزم وهو كبير يقع في خمسـة أجزاء أو ما يقاربها وله

سقط الزند أيضاً وشرحه بنفسه وسماه ضوء السقط وبلغني أن له كتاباً ســـماه الأيك والغصـــون وهو المعروف بن الهمزة والردف يقارب المائة جزء في الأدب أيضـاً وحكى لي من وقف على المجلد الأول بعد المائة من كتاب الهمزة والردف وقال لا أعلم ما كان يعوزه بعد هذا المجلد وكان علامة عصـــره وأخذ عنه أبو القاســـم علي بن المحســـن التوخي والخطيب أبو زكريا التبريزي وغيرهما وكانت ولادته يوم الجمعة عند مغيب الشمس لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سـنة ثلاث وسـتين وثلثمائة بالمعرة وعمي من الجدري أول سـنة سـبع وسـتين غشـى يمنى عينيه بياض وذهبت اليسرى جملة قال الحافظ السلفي أخبرني أبو محمد عبد الله بن الوليد بن غريب الإيادي أنه دخل مع عمه على أبي

114 العلاءِ يزوره فرآه قاعداً على ســـجادة لبد وهو شـيخ قال فدعا لي ومســح على رأســي وكنت صـبيا قال وكـأني أنظر إليـه الســـاعـة وإلـى عينيـه إحداهما نـادرة والأخرى غائرة جداً وهو مجدر الوجه نحيف الجسم ولما فرغ من تصـنيف كتاب اللامع العزيزي في شــرح شــعر المتنبي وقرىء عليه أخذ الجماعة في وصـــفه فقال أبو العلاء كأنما نظر المتنبي إلي بلحظ الغيب حيث يقول (أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي * وأســـمعت كلماتي من به صَمَمُ) واختصـر ديوان أبي تمام وشـرحه وسـماه ذكرى حبيب وديوان البحتري وسـماه عبث الوليد وديوان المتنبي

وسـماه معجز أحمد وتكلم على غريب أشـعارهم ومعانيها ومآخذهم من غيرهم وما أخذ عليهم وتولى الانتصـار لهم والنقد في بعض المواضـع عليهم والتوجيه في أماكن لخطئهم ودخل بغداد سـنة ثمان وتسـعين وثلثمائة ودخلها ثانية سنة تسع وتسعين وأقام بها سنة وسبعة أشهر ثم رجع إلى المعرة ولزم منزله وشـرع في التصـنيف وأخذ عنه الناس وسار إليه الطلبة من الآفاق وكاتبه العلماء والوزراء وأهل الأقدار وسمى نفسه رهين المَحْبِسَيْنِ للزومه منزله ولذهاب عينيه ومكث مدة خمس وأربعين سـنة لا يأكل اللحم تديناً لأنه كان يرى رأي الحكماء المتقدمين وهم لا يأكلونه كي لا يذبحوا الحيوان ففيه تعذيب له وهم لا يرون الإيلام في جميع الحيوانات وعمل الشـعر وهو ابن إحدى عشرة سنة ومن شعره في اللزوم قوله (لا تطلبن بآلةٍ لك رتبةً * قلم البليغ بغير جد مغزل) (سـكن السـماكانِ السـماءِ كلاهما * هذا له رمح وهذا أعزل 12 وتوفي يوم الجمعة ثالث وقيل ثاني شهر ربيع الأول وقيل ثالث عشره سـنة تسـع وأربعين وأربعمائة بالمعرة وبلغني أنه أوصى أن

115 يكتب على قبره هذا البيت (هذا جُناه أبي علي * وما جنيت على أحد) وهو أيضاً متعلق باعتقاد الحكماء فانهم يقولون إيجاد الولد وإخراجه إلى هذا العالم جناية عليه لأنه يتعرض للحوادث والآفات وكان مرضه ثلاثة أيام ومات في اليوم الرابع ولم يكن عنده غير بني عمه

فقـال لـهم في اليوم الثـالـث اكتبوا عني فتنـاولوا الـدوي والأقلام فأملى عليهم غير الصواب فقال القاضي أبو محمد عبد الله التنوخي أحســن الله عزاءكم في الشــيخ فإنه ميت فمات ثاني يوم ولما توفي رثاه تلميذه أبو الحســن علي بن همام بقوله (إن كنت لم ترق الدماء زهادة * فلقد أرقت اليوم من جفني دَما) (ســيرت ذكرك في البلاد كأنه * مسك فسامعه يضمخ أو فما) (وأرى الحجيج إذا أرادوا ليلة * ذكراك أخرج فدية من أحرما) وقد أشـار في البيت الأول إلى ما كان يعتقده ويتدين به من عدم الذبح كما تقدم ذكره وقبره في ســاحة من دور أهله وعلى الســاحة باب صــغير قديم وهو على غاية ما يكون من الإهمال وترك القيام بمصــالحه وأهله لا يحتفلون به والتَّنُّوخي بفتح التاء المثناة من فوقها وضــم النون المخففة وبعد الواو خاء معجمة وهذه النسبة إلى تَنوخ وهو اسم لعدة قبائل اجتمعوا قديماً بالبحرين وتحالفوا على التناصر وأقاموا هناك فسموا تَنوخاً والتنوخ الإقامة وهذه القبيلة إحدى القبائل الثلاث التي هي نَصــــارى العرب وهم بهراء وتنوخ وتغلـب والمعري بفتح الميم والعين المهملة وتشــديد الراء وهذه النسبة إلى

116 معرة النعمان وهي بلدة صـغيرة بالشـام بالقرب من حماة وشــيزر وهي منســوبة إلى النعمان بن بشــير الأنصــاري رضــي الله تعالى عنه فإنه تديرها فنسـبت إليه وأخذها الفرنج من المسلمين في محرم سنة اثنتين وتسعين

وأربعمائة ولم تزل بأيدي الفرنج من يومئذ إلى أن فتحها عماد الدين زَنكي بن آق سنقر الآتي ذكره إن شاء الله تعالى سنة تسع وعشرين وخمسمائة ومن علي أهلها بأملاكهم 48 ابن شهيد أبو عامر أحمد بن أبي مَرْوان عبد الملك بن مروان بن ذي الوزارتين الأعلى أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن عيسى بن شهيد الأشجعي الأندلسي القرطبي هو من ولد الوضاح بن رزاح الذي كان مع الضحاك بن قيس الفهري يوم مرج راهط ذكره ابن بسام في كتاب الذخيرة وبالغ في الثناء عليه وأورد له طرفا وافرا من الرسائل والنظم والوقائع وكان من أعلم أهل الأندلس متفننا بارعا في فنونه وبينه وبين ابن حزم الظاهري مكاتبات ومداعبات وله التصانيف الغريبة البديعة منها كتاب كشف الدك وإيضاح الشك ومنها التوابع والزوابع ومنها حانوت عطار وغير ذلك وكان فيه
117 مع هذه الفضائل كرم مفرط وله في ذلك حكايات ونوادر 13 ومن محاسن شعره من جملة قصيدة (وتدري سباع الطير أن كماته * إذا لقيت صيد الكماة سباع) (تطير جياعا فوقه وتردها * ظباه إلى الأوكار وهي شباع) وإن كان هذا معنى مطروقا وقد سبقه إليه جماعة من الشعراء في الجاهلية والإسلام لكنه أحسن في سبكه وتلطف في أخذه ومن رقيق شعره وظريفه قوله (ولما تملأ من سكره * ونام ونامت عيون العسس) (دنوت إليه على بعده * دنو رفيق دري ما التمس) (أدب

إليه دبيب الكرى * وأســمو إليه ســمو النفس) (وبت به ليلتي ناعما * إلى أن تبسم ثغر الغلس) (أقبل منه بياض الطلى * وأرشـف منه سـواد اللعس) وما ألطف قول أبي منصور علي بن الحسن المعروف بصردر في هذا المعنى وهو قوله (وحي طرقناه على غير موعد * فما إن وجدنا عند نارهم هدى) (وما غفلت أحراسهم غير أننا * سقطنا عليهم مثلما يسقط الندي) وقد استعمل هذا المعنى جماعة من الشعراء والأصل فيه قول امرئ القيس

118 (ســموت إليها بعدما نام أهلها * ســمو حباب الماء حالا على حال) ومعظم شـعره فائق وكانت ولادته ســنة اثنتين وثمانين وثلثمائة وتوفي ضـــحى نهار الجمعة سلخ جمادي الأولى سنة ست وعشرين وأربعمائة بقرطبة ودفن ثاني يوم في مقبرة أم ســـلمة رحمه الله تعالى وأبوه عبد الملك مذكور في كتاب الصـلة وشـهيد بضـم الشـين المثلثة وفتح الهاء وســـكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة والأشـجعي بفتح الهمزة وسكون الشـين المثلثة وفتح الجيم وبعدها عين مهملة هذه النســبة إلى أشـــجع بن ريـث بن غطفـان وهي قبيلـة كبيرة 49 ابن فـارس أبو الحســـين أحمد بن فارس بن زكرياء بن محمد بن حبيب الرازي اللغوي كان إماماً في علوم شتى وخصـوصـا اللغة فـإنـه أتقنهـا وألف كتـابـه المجمـل في اللغـة وهو على اختصـــاره جمع شـــيئا كثيرا وله كتاب حلية الفقهاء وله رســـائل أنيقة ومســـائل في اللغة بها الفقهاء ومنه اقتبس

الحريري صـاحب المقامات الآتي ذكره إن شـاء الله تعالى ذلك الأسلوب ووضع

119 المســائل الفقهية في المقامة الطيبية وهي مائة مســألة وكان مقيما بهمذان وعليه اشـتغل بديع الزمان الهمذاني صـاحب المقامات الآتي ذكره إن شـاء الله تعالى وله أشـعار جيدة فمنها قوله (مرت بنا هيفاء مجدولة * تركية تنمى لتركي) (ترنو بطرف فاتر فاتن * أضـعف من حجة نحوي) وله أيضا (اسمع مقالة ناصح * جمع النصـيحة والمقه) (إياك واحذر أن تبيت * من الثقات على ثقه) وله أيضا (إذا كنت في حاجة مرسلا * وأنت بها كلف مغرم) (فأرسـل حكيما ولا توصـه * وذاك الحكيم هو الدرهم) وله أيضا (سقى همذان الغيث لست بقائل * سوى ذا وفي الأحشـاء نار تضـرم) (وما لي لا أصـفي الدعاء لبلدة * أفدت بها نسـيان ما كنت أعلم) (نسـيت الذي أحسـنته غير أنني * مدين وما في جوف بيتي درهم) وله أشعار كثيرة حسنة توفي سنة تسعين وثلثمائة رحمه الله تعالى بالري ودفن مقابل مشـهد القاضـي علي بن عبد العزيز الجرجاني وقيل إنه توفي في صفر سنة خمس وسـبعين وثلثمائة بالمحمدية والأول أشـهر والرازي بفتح الراء المهملة وبعد الألف زاي هذه نسبة إلى الري

120 وهي من مشـاهير بلاد الديلم والزاي زائدة فيها كما زادوها في المروزي عند النسـبة إلى مرو الشـاهجان ومن شـعره أيضـا (وقالوا كيف حالك قلت خير * تقضـي

حاجة وتفوت حاج) (إذا ازدحمت هموم الصـــدر قلنا * عسى يوما يكون لها انفراج) (نديمي هرتي وأنيس نفسي * دفاتر لي ومعشـــوقي الســـراج) 50 أبو الطيب المتنبي أبو الطيب أحمد بن الحسـين بن الحســن بن عبد الصــمد الجعفي الكنـدي الكوفي المعروف بـالمتنبي الشـــــاعر المشهور وقيل هو أحمد بن الحسين بن مرة ابن عبد الجبار والله أعلم هو من أهل الكوفة وقدم الشـام في صـباه وجال في أقطـاره واشـــتغل بفنون الأدب ومَهَر فيها وكـان من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين على غريبها وحوشـــيها ولا يســأل عن شـــيء إلا واســتشــهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر حتى قيل إن الشيخ أبا علي الفارسـي صـاحب الإيضاح والتكملة قال له يوماً كم لنا من الجموع على وزن فعلى فقال المتنبي في الحال حجلى وظربى قال الشــيخ أبو علي فطالعت كتب اللغة ثلاث

121 ليال علي أن أجد لهذين الجمعين ثالثاً فلم أجد وحســـبك من يقول في حقه أبو علي هذه المقالة وحِجْلي جمع حجل وهو الطائر الذي يســـمى القبج والظربى جمع ظربان على مثال قطران وهي دويبة منتنة الرائحة وأما شعره فهو في النهاية ولا حاجة إلى ذكر شيء منه لشهرته لكن الشـيخ تاج الدين الكندي رحمه الله كان يروي له بيتين لا يوجدان في ديوانه وكانت روايته لهما بالإسناد الصحيح المتصل به فأحببت ذكرهما لغرابتهما وهما (أبعين مفتقر إليك نظرتني * فأهَنتني وقذفتني من حالق) (لست الملوم

أنـا الملوم لأنني * أنزلـتُ آمـالي بغيرِ الخـالقِ) 14 ولـما كان بمصر مرض وكان له صديق يغشاه في علته فلما أبل انقطع عنه فكتب إليه وصـلتني وصـلك الله معتلاً وقطعتني مبِلاً فإن رأيت أن لا تحبب العلة إلي ولا تكدر الصـــحة علي فعلت إن شـــاء الله تعالى والناس في شـــعره على طبقات فمنهم من يرجحه على أبي تمام ومن بعده ومنهم من يرجح أبا تمام عليه وقال أبو العباس أحمد بن محمد النـامي الشـــاعر الأتي ذكره عقيب هذا كان قد بقي من الشـــعر زاوية دخلها المتنبي وكنت أشـــتهي أن أكون قد ســـبقته إلى معنيين قالهما ما ســـبِق إليهما أحدهما قوله (رَماني الدهربالأرزاء حتى * فؤادي في غشـــاء من نبال) (فصـــرت إذا أصـــابتني ســـهام * تكســـرت النصـــال على النصال) والآخر قوله (في جحفل ستر العيون غياره * فكأنما يبصـرن بالآذان) واعتنى العلماء بديوانه فشـرحوه وقال لي أحد المشايخ الذين أخذت عنهم وقفتُ له على أكثر من أربعين شـرحا ما بين مطولات ومختصـرات ولم يفعل هذا بديوان غيره ولا شك أنه كان رجلاً مسعوداً ورزق في شعره السعادة التامة

122 وإنما قيل له المتنبي لأنه ادعى النبوة في بادية السـماوة وتبعه خلق كثير من بني كلب وغيرهم فخرج إليه لؤلؤ أمير حمص نائب الإخشـيدية فأسـره وتفرق أصـحابه وحبسه طويلاً ثم استتابه وأطلقه وقيل غير ذلك وهذا أصح وقيل إنه قال أنا أول من تنبأ بالشـــعر ثم التحق بالأمير

سـيف الدولة بن حَمْدان في سـنة سـبع وثلاثين وثلثمائة ثم فارقه ودخل مصــــر ســـنة ســـت وأربعين وثلثماثة ومدح كافوراً الإخشــيدي وأنوجور ابن الإخشــيد وكان يقف بين يدي كافور وفي رجليه خفان وفي وســطه ســيف ومنطقة ويركب بحاجبين من مماليكه وهما بالســـيوف والمناطق ولما لم يرضــه هجاه وفارقه ليلة عيد النحر سـنة خمسـين وثلثمائة ووجه كافور خلفه رواحل إلى جهات شـــتى فلم يلحق وكـان كـافور وعده بولايـة بعض أعمـالـه فلمـا رأى تَعالِيَهُ في شــعره وســموه بنفســه خافه وعوتب فيه فقال يا قوم من ادّعى النبوة بعد محمد أما يدعي المملكة مع كافور فحسـبكم قال أبو الفتح ابن جني النحوي كنت قرأت ديوان أبي الطيـب المتنبي عليـه فقرأت عليـه قولـه في كـافور القصيدة التي أولها (أُغالب فيك الشوقَ والشوق أغلب * وأعجَبُ من ذا الهَجْرِ والوصـــل أعجب) حتى بلغت إلى قوله (ألا ليت شعري هل أقول قصيدة * ولا أشتكي فيها ولا أتعتب) (وبي ما يذود الشـعرَ عني أَقَلُّهُ * ولكن قلبي يا ابنه القوم قلب فقلت له يعز علي كيف يكون هذا الشـعر في ممدوح غير سـيف الدولة فقال حذرناه وأنذرناه فما نفع ألســـت القائل فيه (أخا الجود أَعط الناس ما أنت مالك * ولا تعطين الناس ما أنا قائل) فهو الذي أعطاني كافورا بســـوء تدبيره وقلة تمييزه وكان لســـيف الدولة مجلس يحضره العلماء كل ليلة فيتكلمون بحضرته فوقع

123 بين المتنبي وبين ابن خالويه النحوي كلام فوثب ابن خالويه على المتنبي فضرب وجهه بمفتاح كان معه فشجه وخرج ودمه يسيل على ثيابه فغضب وخرج إلى مصر وامتدح كافورا ثم رحل عنه وقصد بلاد فارس ومدح عضد الدولة بن بويه الديلمي فأجزل جائزته ولما رجع من عنده قاصدا إلى بغداد ثم إلى الكوفة في شعبان لثمان خلون منه عرض له فاتكُ بن أبي الجهل الأسدي في عِدّة من أصحابه وكان مع المتنبي أيضاً جماعة من أصحابه فقاتلوهم فقتل المتنبي وابنه محسد وغلامه مفلح بالقرب من النعمانية في موضع يقال له الصافية وقيل حيال الصافية من الجانب الغربي من سواد بغداد عند دير العاقول بينهما مسافة ميلين وذكر ابن رشيق في كتاب العمدة في باب منافع الشعر ومضاره أن أبا الطيب لما فرحين رأى الغلبة قال له غلامه لا يتحدث الناس عنك بالفرار أبدا وأنت القائل (فالخيل والليل والبيداء تعرفني * والحرب والضرب والقرطاس والقلم) فكر راجعاً حتى قتل وكان سبب قتله هذا البيت وذلك يوم الأربعاء لست بقين وقيل لثلاث بقين وقيل لليلتين بقيتا من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلثمائة وقيل إن قتله كان يوم الاثنين لثمان بقين من شهر رمضان وقيل لخمس بقين من شهر رمضان من السنة المذكورة ومولده في سنة ثلاث وثلثمائة بالكوفة في محلة تسمى كندة فنسب إليها وليس هو من كندة التي هي قبيلة بل هو جعفي القبيلة بضم الجيم

وسـكون العين المهملة وبعدها فاء وهو جعفي بن سعد العشيرة بن مذحج واسمه مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان وإنما قيل له سعد العشيرة لأنه كان يركب فيما قيل في ثلثمائة من ولده وولد ولده فإذا قيل له من هؤلاء قال عشيرتي مخافة العين عليهم

124 ويقال إن أبا المتنبي كان سقاء بالكوفة ثم انتقل إلى الشام بولده ونشأ ولده بالشام وإلى هذا أشار بعض الشعراء في هجو المتنبي حيث قال (أي فضل لشاعر يطلب الفضل * من الناس بكرة وعشيا) (عاش حيناً يبيع في الكوفة الماء * وحيناً يبيع ماء المحيا) وسيأتي في حرف الحاء نظير هذا المعنى لابن المعذل في أبي تمام حبيب بن أوس الشاعر المشهور ولما قتل المتنبي رثاه أبو القاسم المظفر بن علي الطبسي بقوله (لا رعى الله سرب هذا الزمانِ * إذ دهانا في مثلِ ذاك اللسان) (ما رأى الناس ثاني المتنبي * أي ثان يرى لبكر الزمان) (كان من نفسه الكبيرةِ في جيش * وفي كبرياء ذي سلطان) (هو في شعره نبي ولكن * ظهرت معجزاته في المعاني) والطبسي بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة وبعدها سين مهملة هذه النسبة إلى مدينة في البرية بين نيسابور وإصبهان وكرمان يقال لها طَبَس ويحكى أن المعتمد بن عباد اللخمي صاحب قرطبة وإشبيلية أنشد يوماً في مجلسه بيتَ المتنبي وهو من جملة قصيدته المشهورة (إذا ظفرت منك العيون بنظرة * أثاب بها معيي المطي

ورازِمه) وجعل يردده استحساناً له وفي مجلسه أبو محمد عبد الجليل بن وهبون الأندلسي فأنشد ارتجالاً (لئن جاد شعر ابن الحسين فإنما * تجيد العطايا واللها تفتح اللها) (تنبأ عجبا بالقريض ولو درى * بأنك تروي شعره لتألها) وذكر الإفليلي أن المتنبي أنشد سيف الدولة بن حمدان في الميدان قصيدته التي أولها

125 (لكل امرىء من دَهْرِهِ ما تعودا * وعادات سيف الدولة الطعن في العدا) فلما عاد سيف الدولة إلى داره استعاده إياها فأنشدها قاعداً فقال بعض الحاضرين يريد أن يكيد أبا الطيب لو أنشدها قائما لأسمع فإن أكثر الناس لا يسمعون فقال أبو الطيب أما سمعت أولها (لكل امرىء من دهره ما تعودا *) وهذا من مستحسن الأجوبة وبالجملة فسمو نفسه وعلو همته وأخباره وماجرياته كثيرة والاختصار أولى واسم ولده محسد بضم الميم وفتح الحاء المهملة والسين المهملة المشددة وبعدها دال مهملة 51 النامي الشاعر أبو العباس أحمد بن محمد الدارمي المصيصي المعروف بالنامي الشاعر المشهور كان من الشعراء المفلقين ومن فحولة شعراء عصره وخواص مداح سيف الدولة بن حَمْدان وكان عنده تلو أبي الطيب المتنبي في المنزلة والرتبة وكان فاضلا أديبا بارعا عارفا باللغة والأدب وله أمال أملاها بحلب روى فيها عن أبي الحسن علي بن سليمان الأخفش وابن درستويه وأبي عبد الله الكرماني وأبي بكر الصولي وإبراهيم بن عبد الرحمن

العروضي وأبيه محمد المصيصي وروى عنه أبو القاسم الحسين بن علي بن أبي أسامة الحلبي وأخوه أبو الحسين أحمد وأبو الفرج الببغاء وأبو الخطاب ابن عون الحريري وأبو بكر الخالدي

126 أبو طاهر صالح بن جعفر الهاشمي ومن محاسن شعره قوله فيه من جملة قصيدة (أمير العلا إن العوالي كواسب * علاءك في الدنيا وفي جنة الخلد) (يمر عليك الحول سيفك في الطلى * وطرفك ما بين الشكيمة واللبد) (ويمضي عليك الدهر فعلك للعلا * وقولك للتقوى وكفك للرفد) ومن شعره أيضا (أحقا أن قاتلتي زرود * وأن عهودها تلك العهود) (وقفت وقد فقدت الصبر حتى * تبين موقفي أني الفقيد) (فشكت في عذالي فقالوا * لرسم الدار أيكما العميد) وله مع المتنبي وقائع ومعارضات في الأناشيد وحكى أبو الخطاب أبن عون الحريري النحوي الشاعر أنه دخل على أبي العباس النامي قال فوجدته جالساً ورأسه كالثغامة بياضاً وفيه شعرة واحدة سوداء فقلت له يا سيدي في رأسك شعرة سوداء فقال نعم هذه بقية شبابي وأنا أفرح بها ولي فيها شعر فقلت أنشدنيه فأنشدني (رأيت في الرأس شعرة بقيت * سوداء تهوى العيون رؤيتها) (فقلت للبيض إذ تروعها * بالله ألا رحمت غربتها) (فقل لبث السوداء في وطن * تكون فيه البيضاء ضرتها) ثم قال يا أبا الخطاب بيضاء واحدة تروع ألف سوداء فكيف حال

ســوداء بين ألف بيضــاء ومن شــعره وينســب إلى الوزير أبي محمد المهلبي وليس الأمر (كذلك أتاني في قميص اللاذ يسعى * عدولي يلقب بالحبيب)
127 (وقد عبث الشراب بمقلتيه * فصير خده كسنا اللهيب) (فقلت له بما استحسنت هذا * لقد أقبلت في زي عجيب) (أحمرة وجنتيك كستك هذا * أم أنت صبغته بدم القلوب) (فقال الراح أهدت لي قميصــا * كلون الشــمسِ في شــفق المغيب) (فثوبي والمدام ولون خدي * قريب من قريب من قريب) وتوفي سـنة تسـع وتسـعين وثلثمائة وقيل سـنة سـبعين أو إحدى وسـبعين بحلب وعمره تسـعون ســـنة رحمه الله تعالى والدارمي بفتح الدال المهملة وبعد الألف راء مكســورة ثم ميم هذه النســبة إلى دارم بن مالك بطن كبير من تميم والمصــيصــي بكســر الميم والصـــاد المهملة المشـــددة وســـكون الياء المثناة من تحتها وبعدها صــاد ثانية مهملة هذه النسـبة إلى المصـيصــة وهي مدينة على ساحل البحر الرومي تجاور طرطوس والسيس وتلك النواحي بناها صــالح ابن علي عم أبي جعفر المنصــور في ســـنة أربعين ومائة بأمر المنصـــور 52 بديع الزمان الهمذاني أبو الفضـل أحمد بن الحسـين بن يحيى بن سـعيد الهمذاني الحافظ المعروف ببديع الزمان صــاحب الرســائل الرائقة والمقامات الفائقة وعلى منواله نســـج الحريري مقاماته واحتذى حذوه واقتفى أثره واعترف في خطبته

بفضله وأنه الذي أرشده إلى سلوك ذلك المنهج وهو أحد الفضلاء
128 الفصحاء روى عن أبي الحسين أحمد بن فارس صاحب المجمل في اللغة وعن غيره وله الرسائل البديعة والنظم المليح وسكن هراة من بلاد خراسان فمن رسائله الماء إذا طال مكثه ظهر خبثه وإذا سكن متنه تحرك نتنه وكذلك الضيف يسمج لقاؤه إذا طال ثواؤه ويثقل ظله إذا انتهى محله والسلام ومن رسائله حضرته التي هي كعبة المحتاج لا كعبة الحجاج ومشعر الكرم لا مشعر الحرم ومنى الضيف لا منى الخيف وقبلة الصلات لا قبلة الصلاة وله من تعزية الموت خطب قد عظم حتى هان ومس قد خشن حتى لان والدنيا قد تنكرت حتى صار الموت أخف خطوبها وجنت حتى صار أصغر ذنوبها فلتنظر يمنة هل ترى إلا محنة ثم انظر يسرة هل ترى إلا حسرة ومن شعره من جملة قصيدة طويلة (وكاد يحكيكَ صوب الغيث منسكبا * لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا) (والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت * والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا) ومن شعره في ذم همذان ثم وجدتهما لأبي العلاء محمد بن علي بن حسول الهمذاني (همذان لي بلد أقول بفضله * لكنه من أقبح البلدان) (صبيانه في القبح مثل شيوخه * وشيوخه في العقل كالصبيان) وله كل معنى مليح حسن من نظم ونثر

129 وكانت وفاته سنة ثمان وتسعين وثلثمائة مسموما بمدينة هراة رحمه الله تعالى ثم وجدت في آخر رسائله التي جمعها الحاكم أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد بن دوست ما مثاله هذا آخر الرسائل وتوفي رحمه الله تعالى بهراة يوم الجمعة الحادي عشر من جمادي الآخرة سنة ثمان وتسعين وثلثمائة قال الحاكم المذكور وسمعت الثقات يحكون أنه مات من السكتة وعجل دفنه فأفاق في قبره وسمع صوته بالليل وأنه نبش عنه فوجدوه قد قبض على لحيته ومات من هول القبر) 53 ابن طباطبا أبو القاسم أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم ابن الحسن بن حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه الشريف الحسني الرسي المصري كان نقيب الطالبيين بمصر وكان من أكابر رؤسائها وله شعر مليح في الزهد والغزل وغير ذلك وذكره أبو منصور الثعالبي في كتاب اليتيمة وذكر له مقاطيع ومن جملة ما أورد له قوله (خليلي إني للثريا لحاسد * وإني على ريب الزمان لواجد) (أيبقى جميعاً شملها وهي ستة * وأفقد من أحببته وهو واحد) وأورد له أيضاً وذكرها في أوائل الكتاب لذي القرنين بن حمدان قوله (قالتْ لطيف خيال زارني ومضى * بالله صفهُ ولا تَنقصُ ولا تزِدِ)

130 (فقال أبصرته لو مات من ظمإ * وقلت قف عن ورود الماء لم يرد) (قالت صدقت الوفا في الحب عادته * يا برد ذاك الذي قالت على كبدي) وله غير هذا

أشياء حسنة ومن شعره المنسوب إليه في طول الليل وهو
معنى غريب (كأن نجوم الليل ســـارت نهارها * فوافت
عشـــاء وهي انضـــاء أســـفارِ) (وقد خيمت كي يســـتريح
ركابها * فلا فلك جار ولا كوكب ساري) ثم وجدت هذين
البيتين في ديوان أبي الحسـن ابن طباطبا من جملة قصـيدة
طويلة ونقلت من ديوان أبي الحســـن المذكور من جملة
أبيات (بانوا وأبقوا في حشـــاي لبينهم * وجداً إذا ظعن
الخليط أقاما) (لله أيام الســـرورِ كأنما * كانت لســـرعة
مرها أحلاما) (لو دام عيش رحمة لأخي هوى * لأقام
لي ذاك السرور وداما) (يا عيشنا المفقود خذ من عمرنا
* عاماً ورد من الصـــبا أياما) ولا أدري من هذا أبو
الحسن ولا وجه النسبة بينه وبين أبي القاسم المذكور والله
أعلم وذكره الأمير المختار المعروف بالمسبحي في تاريخ
مصـــر وقال توفي في ســـنة خمس وأربعين وثلثمائة رحمه
الله تعالى وزاد غيره ليلة الثلاثاء لخمس بقين من شـــعبان
ودفن في مقبرتهم خلف المصـــلى الجديد بمصـــر وعمره
أربع وســـتون ســـنة وطباطبا بفتح الطاءين المهملتين
والباءين الموحدتين وهو لقب جده إبراهيم وإنما قيل لـه
ذلك لأنه كان يلثغ فيجعل القاف طاء وطلب يوماً ثيابه فقال
له غلامه أجيء بدراعة فقال لا طباطبا يريد قباقبا
131 فبقي عليه لقباً واشـتهر به والرسـي بفتح الراء
والسـين المشـددة المهملة قال ابن السـمعاني هذه نسـبة إلى
بطن من بطون الســـادة العلوية 54 أبو الرقعمق أبو حامد

أحمد بن محمد الأنطاكي المنبوز بأبي الرقعمق الشاعر المشهور ذكره الثعالبي في اليتيمة فقال في حقه هو نادرة الزمان وجملة الإحسان وممن تصرف بالشعر في أنواع الجد والهزل وأحرز قصب الفضل وهو أحد المداح المجيدين والشعراء المحسنين وهو بالشام كابن حجاج بالعراق فمن غرر محاسنه قوله يمدح أبا الفرج يعقوب بن كلس وزير العزيز بن المعز العبيدي صاحب مصر وسيأتي ذكرهما إن شاء الله تعالى (قد سمعنا مقاله واعتذاره * وأقلناه ذنبه وعثاره) (والمعاني لمن عنيت ولكن * بك عرضت فاسمعي يا جاره) (من تراديه أنه أبد الد هر * تراه محللا أزراره) (عالم أنه عذاب من الله * متاح لأعين النظاره) (هتك الله ستره فلكم هتك * من ذي تسترٍ أستاره) (سحرتني ألحاظه وكذا كل * مليح ألحاظه سحاره) (ما على مؤثرِ التباعد والإعراض * لو آثر الرضى والزياره)
132 (وعلى أنني وإن كان قد عذب * بالهجرِ مؤثر إيثاره) (لم أزل لا عدمته من حبيب * أشتهي قربه وآبى نفاره) ومن مديحها (لم يدع لي العزيز في سائر الأرض * عدوا إلا وأخمد ناره) (كل يوم له على نوب الدهر * وكر الخطوب بالبذل غاره) (ذو يد شأنها الفرار من البخل * وفي حومة الندى كراره) (هي فلت عن العزيز عداه * بالعطايا وكثرت أنصاره) (هكذا كل فاضلٍ يده تمسي * وتضحي نفاعة ضراره) (فاستجره

فليس يأمن إلا * من تفيا ظلاله واســـتجاره) (وإذا ما رأيته مطرقا يعمل * فيما يريده افكاره) (لم يدع بالذكاء والذهن شـــيئا * في ضـــمير الغيوب إلا أثاره) (لا ولا موضـــعا من الأرض إلا * كان بالرأي مدركاً أقطاره) (زاده الله بســطه وكفاه * خوفه من زمانه وحذاره) وأكثر شعره جيد وهو على أسلوب شعر صريع الدلاء القصار البصـــري وأقام بمصـــر زماناً طويلا ومعظم شـــعره في ملوكها ورؤســـائها ومدح بها المعز أبا تميم معد بن المنصـــور بن القائم بن المهدي عبيد الله وولده العزيز والحاكم بن العزيز والقائد جوهراً والوزير أبا الفرج ابن كلس وغيرهم من أعيانها وكل هؤلاء الممدوحين ســـيأتي ذكرهم في تراجمهم إن شـــاء الله تعالى وذكره الأمير المختار المسبحي في تاريخ مصـــر وقال توفي سـنة تسـع وتسعين وثلثمائة وزاد غيره في يوم الجمعة لثمان بقين من شـهر رمضـان وقيل في شـهر ربيع الآخر رحمه الله تعالى وأظنه توفي بمصـر والأنطاكّي بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الطاء المهملة وبعد الألف كاف هذه النســـبة إلى أنطاكية وهي مدينة بالشـــام بالقرب من حلب والرقعمق بفتح الراء والقاف وســـكون العين المهملة وفتح الميم وبعدها قاف وهو لقب عليه

133 55 جحظة البرمكي أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موســـى بن يحيي بن خالد بن برمك المعروف بجحظه البرمكي النديم كان فاضـــلاً صـــاحب فنون وأخبار ونجوم

ونوادر ومنادمة وقد جمع أبو نصـــر ابن المرزبان أخباره وأشـعاره وكان من ظرفاء عصـره وهو من ذرية البرامكة وله الأشـعار الرائقة فمن شـعره قوله (أنا ابن أناسٍ مول الناس جودهم * فأضـــحوا حديثا للنوالِ المشـــهر) (فلم يخل من إحسـانهم لفظ مخبر * ولم يخل من تقريظهم بطن دفتر) وله أيضـاً (فقلت لها بخلت علي يقظي * فجودي في المنام لمسـتهام) (فقالت لي وصـرت تنام أيضـاً * وتطمع أن أزورك في المنام) وله أيضـاً (أصـبحت بين معاشـر هجروا الندى * وتقبلوا الأخلاق من أسـلافهم) (قوم أحاول نيلهم فكأنما * حاولت نتف الشـعر من آنافهم) (هاتِ اسـقِنيها بالكبير وغَنِّي * ذَهَبَ الذينَ يُعاشُ في أكنافهم) وله أيضاً (يا أَيها الركب الذين * فراقهم إحدى البليه)

134 (وصيكم الصب المقيم * بقلبه خير الوصيه) وله أيضـــا (وقائلة لي كيف حالك بعدنا * أفي ثوب مثر أنت أم ثوب مقترِ) (فقلت لها لا تسـأليني فإنني * أروح وأغدو في حرام مقترِ) وله ديوان شـعر أكثره وقضـاياه مشـهورة ومن أبياته السـائرة قوله (ورق الجو حتى قيل هذا * عتاب بين جحظه والزمان) ولابن الرومي فيه وكان مشوه الخلق (نبئت جحظة يستعير جحوظه * من فيلِ شطرنج ومن سرطان) (وارحمتا لمنادميه تحملوا * ألم العيون للذة الآذان) 17 وتوفي سـنة سـت وعشـرين وثلثمائة وقيل سنة أربع وعشرين بواسط وقيل حمل تابوته

من واســـط إلى بغداد رحمه الله تعالى وجحظة بفتح الجيم وســـكون الحاء المهملة وفتح الظاء المعجمة وبعدها هاء وهو لقب عليه لقبه به عبد الله بن المعتز قال الخطيب وكانت ولادته في شعبان سنة أربع وعشرين ومائتين وله ذكر في تاريخ بغداد وفي كتاب الأغاني

135 56 ابن دراج القســـطلي أبو عمر أحمد بن محمد بن العاصي بن أحمد بن سليمان بن عيسى بن درَّاج الأندلسي القَسْطَلِّي الشاعر الكاتب كان كاتب المنصور بن أبي عامر وشـــاعره وهو معدود في تاريخ الأندلس من جملة الشـــعراء المجيدين والعلماء المتقدمين ذكره أبو منصور الثعالبي في يتيمة الدهر وقال في حقه كان بصقع الأندلس كالمتنبي بصقع الشام وهو أحد الشعراء الفحول وكان يجيد ما ينظم ويقول وأورد له أشعاراً حسنة وذكره أبو الحســـن ابن بســـام في كتاب الذخيرة وســـاق طرفاً من رسائله ونظمه ونقلت من ديوانه وهو جزءان أن المنصور بن أبي عامر أمره أن يعارض قصـــيدة أبي نُواس الحكمي التي مدح بها الخصـــيب بن عبد الحميد صـــاحب الخراج بمصر التي أولها (أجاره بيتينا أبوك غيور * وميسور ما يرجى لديك عسير) فعارضـــها بقصـيدة بليغة من جملتها (ألم تعلمي أن الثواء هو التوى * وأن بيوت العـاجزين قبور) (تخوفني طول السفار وإنه * لتقبيل كف العامري سفير)

136 (دعيني أرِد ماء المفاوز آجناً * إلى حيث ماء المكرمات نمير) (فإن خطيرات المهالك ضـــمن * لراكبها أن الجَزاءَ خطير) ومنها في وصـــف وداعه لزوجته وولده الصـــغير (ولما تدانت للوداع وقد هفا * بصبري منها أنه وزفير) (تناشدني عهد المودة والهوى * وفي المهد مبغوم النداءِ صـــغير) (عيي بمرجوع الخطاب ولحظه * بموقع أهواء النفوس خبير) (تبوأ ممنوع القلوب ومهدت * لـه أذرع محفوفه ونحور) (فكل مفداة الترائب مرضِـع * وكل محياة المحاسِـن ظير) (عصيت شفيع النفس فيه وقادني * رواح لتدآب السرى وبكور) (وطار جناح البين بي وهفت بها * جوانح من ذعر الفِراق تطير) (لئن ودعت مني غيوراً فإنني * على عزمتي من شـــجوها لغيور) (ولو شـــاهدتني والهواجر تلتظي * علي ورقراق السراب يمور) (أسلط حر الهاجراتِ إذا سطا * على حر وجهي والأصيل هجير) (وأستنشق النكباء وهي لوافح * وأستوطىء الرمضاء وهي تفور) (وللموت في عين الجبان تلون * وللذعر في سمع الجريء صَفير) (لَبَانَ لها أني من البين جازع * وأني على مض الخطوب صـــبور) (أمير على غول التنائف ما لـهُ * إذا ريع إلا المشـــرفيَّ وَزير) (ولو بصرت بي والسرى جل عزمتي * وجرسي لجنان الفلاة سمير) (وأَعتسِفُ الموماة في غسق الدجى * وللأسد في غيل الغياض زئير) (وقد حومت زهر النجوم كأنها *

كواكبُ في خُضـر الحَدائق حُور) (ودارتْ نجُومُ القطْب حتى كأنها * كؤوسُ مهاً والى بهن مُدير) (وقد خَيَّلَتْ طُرْقُ المجَرَّة أنهـا * على مَفرق الليْـل البَهيم قَتير) (و ثاقبُ عَزْمي والظلامُ مُرَوِّعٌ * وقد غضَّ أجْفانَ النُّجوم فُتور)

137 (لقد أيقَنَـتْ أنّ المنى طَوْعُ همَّتي * وأني بعَطْف العامريْ جَدير) وهي طويلة وفي هذا القدر منها كفاية وإذ قد ذكرت هذه القصـيدة فينبغي أن أذكر شـيئاً من قصـيدة أبي نُوَاس التي وازنها أبو عمر وكان أبو نواس قد خرج من بغداد قاصداً مصر ليمدح أبا نصر الخصيبَ بن عبد الحميد صاحبَ ديوان الخراج بها فأنشده هذه القصيدة وذكر المنازل التي مرَّ عليها في طريقه وقد ذكرت منها بيتاً في ترجمة أبي إســحاق إبراهيم بن عثمان الغزّي ولا حاجة إلى ذكر جميعها فإنها طويلة لكن أذكر الذي أختاره منها فمن ذلك (تقولُ الَّتي مِنْ بيتها خلَّ محملي * عزيزٌ عَلَينا أن نَراك تسـير) (أما دُون مْصــرٍ للغنى مُتطلَّب * بَلى إنَّ أسْبابَ الغنى لكثير) (فقلتُ لها واسْتعْجلتْها بوادِرٌ * جَرتْ فجَري من جَرْيهن غدير) (ذريني أُكثّرْ حاسدِيك برحْلةٍ * إلى بَلدةٍ فيها الخصيبُ أمير) (إذا لمْ تزُرْ أرضَ الخصـيبِ ركابُنا * فأيَّ فتى بعْد الخصـيبِ تزور) (فما جازه جُود ولا حَلَّ دُونَه * ولكنْ يصير الجود حيث يصير) (فتى يشــتري حســن الثناء بماله * ويعلم أن الدائرات تدور) ومنها أيضــا (فمن كان أمســى جاهلا بمقالتي *

فإن أمير المؤمنين خبير) (وما زلت توليه النصـــيحة يافعا * إلى أن بدا في العارضـــين قتير) (إذا هاله أمر فإما كفيته * وإما عليه بالكفي تشـير) ثم شـرع من ههنا في ذكر المنازل ثم قال في أواخرها

138 (زها بالخصيب السيف والرمح في الوغى * وفي السلم يزهو منبر وسرير) (جواد إذا الأيدي قبضن عن الندى * ومن دون عورات النســاء غيور) (فإني جدير إن بلغتك للغنى * وأنت لما أملت منك جدير) (فإن تولني منك الجميل فأهله * وإلا فإني عاذر وشــكور) ثم مدحه بعد هذه بعدة قصائد ويقال إنه لما عاد إلى بغداد مدح الخليفة فقيل له وأي شــيء تقول فينا بعد أن قلت في بعض نوابنا (إذا لم تزر أرض الخصـــيب ركابنا *) البيتان المذكوران فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وأنشد يقول (إذا نحن أثنينا عليك بصالح * فأنت كما نثني وفوق الذي نثني) (وإن جرت الألفاظ منا بمدحة * لغيرك إنســانا فأنت الذي نعني) ومن شعر أبي عمر المذكور من جملة أبيات (إن كان واديك ممنوعا فموعدنا * وادي الكرى فلعلي فيه ألقاك) وقد ألم في هذا البيت بقول الآخر (هل سبيل إلى لقائك بالجزع * فإن الحمى كثير الوشـاة) وكانت ولادته في المحرم سـنة سـبع وأربعين وثلثمائة وتوفي ليلة الأحد لأربع عشـــرة ليلة بقيت من جمادي الآخرة ســنة إحدى وعشرين وأربعمائة رحمه الله تعالى

139 ودراج بفتح الدال المهملة وفيتح الراء المشددة وبعد الألف جيم وهو اسـم جده والقسـطلي بفتح القاف وسـكون السـين المهملة وفتح الطاء المهملة وتشـديد اللام هذه النسبة إلى قسطلة وهي مدينة بالأندلس يقال لها قسطلة دراج ولا أعلم أهي منسوبة إلى جده دراج المذكور أم إلى غيره والله سبحانه أعلم 57 ابن زيدون أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي الأندلسي القرطبي الشاعر المشهور قال ابن بسام صاحب الذخيرة في حقه كان أبو الوليد غاية منثور ومنظوم وخاتمة شعراء بني مخزوم أخذ من حر الأيام حرا وفاق الأنام طرا وصرف السلطان نفعا وضرا ووسع البيان نظما ونثرا إلى أدب ليس للبحر تدفقه ولا للبدر تألقه وشعر ليس للسحر بيانه ولا للنجوم الزُّهْرِ اقترانه وحظَ من النثر غريب المباني شعري الألفاظ والمعاني وكان من أبناء وجوه الفقهاء بقرطبة وبرع أدبه

140 وجاد شعره وعلا شأنه وانطلق لسانه ثم انتقل عن قرطبة إلى المعتضد عباد صاحب إشبيلية في سنة إحدى وأربعين وأربعمائة من خواصه يجالسه في خلواته ويركن إلى إشاراته وكان معه في صورة وزير وذكر له شيئا كثيرا من الرسائل والنظم فمن ذلك قوله (بيني وبينك ما شئت لم يضع * سر إذا ذاعت الأسرار لم يذع) (يا بائعا حظه مني ولو بذلت * لي الحياة بحظي منه لم أبع) (يكفيك أنك إن حملت قلبي ما * لا تستطيع قلوب

الناس يستطع) (ته أحتمل واستطل أصبر وعز أهن * وول أقيل وقل أسمع ومر أطع) ومن شعره أيضا (ودع الصبر محب ودعك * ذائع من سره ما استودعك) (يقرع السن على أن لم يكن * زاد في تلك الخطا إذ شيعتك) (يا أخا البدر سناء وسنا * حفظ الله زمانا أطلعك) (إن بطل بعدك ليلي فلكم * بت أشكو قصر الليل معك) وله القصائد الطنانة ولولا خوف الإطالة لذكرت بعضها (ومن بديع قلائده قصيدته النونية التي منها (نكاد حين تناجيكم ضمائرنا * يقضي علينا الأسى لولا تأسينا) (حالت لبعدكم أيامنا فغدت * سودا وكانت بكم بيضا ليالينا) (بالأمس كنا وما يخشى تفرقنا * واليوم نحن وما يرجى تلاقينا) وهي طويلة وكل أبياتها نخب والتطويل يخرج بنا عن المقصود وكان وفاته في صدر رجب سنة ثلاث وستين وأربعمائة بمدينة إشبيلية رحمه الله تعالى ودفن بها (5) وذكر ابن بشكوال في كتاب الصلة أباه وأثنى عليه وقال كان يكني أبا بكر وتوفي بالبيرة سنة خمس وأربعمائة وسيق إلى قرطبة فدفن بها يوم الاثنين لست خلون من شهر ربيع الآخر من السنة وكانت ولادته سنة أربع وخمسين وثلثمائة وكان يخضب السواد رحمه الله تعالى (5) وكان لأبي الوليد المذكور ابن يقال له أبو بكر وتولى وزارة المعتمد بن عباد وقتل يوم أخذ يوسف بن تاشفين قرطبة من ابن عباد المذكور لما استولى على مملكته كما سيشرح بعد هذا في ترجمة المعتمد وابن

تاشفين إن شاء اللهه تعالى وذلك يوم الأربعاء ثاني صفر سنة أربع وثمانين وأربعمائة وكان قتله بقرطبة وزيدون بفتح الزاي وسكون الياء المثناة من تحتها وضم الدال المهملة وبعدها واو ونون وأما القرطبي فقد تقدم الكلام في ضبطه فلا حاجة إلى إعادته وذلك في ترجمة أحمد بن عبد ربه مصنف كتاب العقد وأخذها الفرنج من المسلمين في شوال سنة ثلاث وثلاثين وستمائة 58 ابن الأبار الخولاني أبو جعفر بن محمد الخولاني الأندلسي الإشبيلي المعروف بابن الأبار الشاعر الشهور كان من شعراء المتعضد عباد بن محمد اللخمي صاحب إشبيلية المجيدين في فنونه وكان عالما فجمع وصنف وله في صناعة النظم فضل لا يرد وإحسان لا يعد فمن محاسن شعره قوله (لم تدر ما خلدت عيناك في خلدي * من الغرام ولا ما كابدت كبدي) (أفديه من زائر رام الدنو فم * يسطعه من غرق في الدمع متقد) (خاف العيون فوافاني على عجل * معطلا جيده إلا من الجيد) (عاطيته الكأس فاستحيت مدامتها * من ذلك الشنب لعسول والبرد) (حتى إذا غازلت أجفانه سنة * وصيرته يد الصهباء طوع يدي) (أردت توسيده خدي وقل له * فقال كفك عندي أفضل الوسد) (فبات في حرم لا غدر يذعره * وبت ظمآن لم أصدر ولم أرد) (بدر ألم وبدر التم ممتحق * والأفق محلولك الأرجاء من حسد) (تحير الليل منه أين مطلعه * أما درى الليل أن البدر في عضدي) وله أبيات في المجموع

الكبير في الكراســـي المنقول بالإســـكندرية وله على هذا الأسـلوب مقاطيع ملاح وله ديوان شـعر وذكره ابن بسـام في الذخيرة وتوفي ســـنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة رحمه الله تعالى والأبار بفتح الهمزة وتشـديد الباء الموحدة وبعد الألف راء والخولاني بفتح الخاء المعجمة وســكون الواو وبعد اللام ألف ونون هذه النســـبة إلى خولان بن عمرو وهي قبيلة كبيرة نزلت الشام والإشبيلي نسة رلى إشبيلية بكسـر الهمزة وسـكون الشـين المثلثة وكسـر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وكسر اللام وفتح الياء تحتها نقطتان وبعدها هاء وهي من أعظم بلاد الأندلس

141 (5) وذكر ابن بشـكوال في كتاب الصـلة أباه وأثنى عليه وقال كان يكني أبا بكر وتوفي بالبيرة ســـنة خمس وأربعمائة وســـيق إلى قرطبة فدفن بها يوم الاثنين لست خلون من شـهر ربيع الآخر من السنة وكانت ولادته سنة أربع وخمسين وثلثمائة وكان يخضـب بالسـواد رحمه الله تعالى (5) وكان لأبي الوليد المذكور ابن يقال له أبو بكر وتولى وزارة المعتمد بن عباد وقتل يوم أخذ يوســـف بن تاشـفين قرطبة من ابن عباد المذكور لما اسـتولى على مملكته كما ســيشــرح بعد هذا في ترجمة المعتمد وابن تاشـفين إن شــاء الله تعالى وذلك يوم الأربعاء ثاني صـفر ســنة أربع وثمانين وأربعمائة وكان قتله بقرطبة وزيدون بفتح الزاي وســـكون الياء المثناة من تحتها وضـــم الدال المهملة وبعدها واو ونون وأما القرطبي فقد تقدم الكلام

في ضبطه فلا حاجة إلى إعادته وذلك في ترجمة أحمد بن عبد ربه مصنف كتاب العقد وأخذها الفرنج من المسلمين في شوال سنة ثلاث وثلاثين وستمائة 58 ابن الأبار الخولاني أبو جعفر أحمد بن محمد الخولاني الأندلسي الإشبيلي المعروف بابن الأبار

142 الشاعر المشهور كان من شعراء المعتضد عباد بن محمد اللخمي صاحب إشبيلية المجيدين في فنونه وكان عالما فجمع وصنف وله في صناعة النظم فضل لا يرد وإحسان لا يعد فمن محاسن شعره قوله (لم تدر ما خلدت عيناك في خلدي * من الغرام ولا ما كابدت كبدي) (أفديه من زائر رام الدنو فلم * يسطعه من غرق في الدمع متقد) (خاف العيون فوافاني على عجل * معطلا جيده إلا من الجيد) (عاطيته الكأس فاستحيت مدامتها * من ذلك الشنب لعسول والبرد) (حتى إذا غازلت أجفانه سنة * وصيرته يد الصهباء طوع يدي) (أردت توسيده خدي وقل له * فقال كفك عندي أفضل الوسد) (فبات في حرم لا غدر يذعره * وبت ظمآن لم أصدر ولم أرد) (بدر ألم وبدر التم ممتحق * والأفق محلولك الأرجاء من حسد) (تحير الليل منه أين مطلعه * أما درى الليل أن البدر في عضدي) وله أبيات ثابتة في المجموع الكبير بخطي في الكراس المنقول بالإسكندرية وله على هذا الأسلوب مقاطيع ملاح وله ديوان شعر وذكره ابن بسام في الذخيرة وتوفي سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة رحمه الله تعالى

والأبار بفتح الهمزة وتشديد الباء الموحدة وبعد الألف راء والخولاني بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو وبعد اللام ألف ونون هذه النسبة إلى خولان بن عمرو وهي قبيلة كبيرة نزلت الشام والإشبيلي نسبة إلى إشبيلية بكسر الهمزة وسكون الشين المثلثة وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وكسر اللام وفتح الياء تحتها نقطتان وبعدها هاء وهي من أعظم بلاد الأندلس

143 59 المنازي الكاتب أبو نصر أحمد بن يوسف السليكي المنازي الكاتب كان من أعيان الفضلاء وأماثل الشعراء وزر لأبي نصر أحمد بن مروان الكردي صاحب ميافارقين وديار بكر وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى وكان فاضلا شاعرا كافيا وترسل إلى القسطنطينية مرارا وجمع كتبا كثيرة ثم وقفها على جامع ميافارقين وجامع آمد وهي إلى الآن موجودة بخزائن الجامعين ومعروفة بكتب المنازي وكان قد اجتمع بأبي العلاء المعري بمعرة النعمان فشكا أبو العلاء إليه حاله وأنه منقطع عن الناس وهم يؤذونه فقال ما لهم ولك وقد تركت لهم الدنيا والآخرة فقال أبو العلاء والآخرة أيضا وجعل يكررها ويتألم لذلك وأطرق فلم يكلمه إلى أن قام وكان قد اجتاز في بعض أسفاره بوادي بزاعا فأعجبه حسنة وما هو عليه فعمل فيه هذه الأبيات (وقانا لفحة الرمضاء واد * وقاه مضاعف النبت العميم) (نزلنا دوحه فحنا علينا * حنو المرضعات

على الفطيم) (وأرشفنا على ظمإ زلالا * ألذ من المدامة للنديم)
144 (يراعي الشمس أني قابلته * فيحجبها ويأذن للنسيم) (تروع حصاه حالية العذارى * فتلمس جانب العقد النظيم) و هذه الأبيات بديعة في بابها وذكره أبو المعالي الحظيري في كتاب زينة الدهر وأورد له شيئا من شعره فمما أورد له قوله (ولي غلام طال في دقة * كخط إقليدس لا عرض له) (وقد تناهى عقله خفة * فصار كالنقطة لا جزء له) ويوجد له بأيدي الناس مقاطيع وأما ديوانه فعزيز الوجود وبلغني أن القاضي الفاضل رحمه الله تعالى أوصى بعض الأدباء السفارة أن يحصل له ديوانه فسأل عنه في البلاد التي انتهى إليها فلم يقع له على خبر فكتب إلى القاضي الفاضل كتابا يخبره بعدم قدرته عليه وفيه أبيات من جملتها عجز بيت وهو (وأقفر من شعر المنازي المنازل *) وكانت وفاته سنة سبع وثلاثين وأربعمائة رحمه الله تعالى والمنازي بفتح الميم والنون وبعد الألف زاي هذه النسبة إلى منازجرد بزيادة جيم مكسورة وبعدها راء ساكنة ثم دال مهملة وهي مدينة عند خرت برت وهي غير منازكرد القلعة من أعمال خلاط وسيأتي ذكرها في ترجمة تقي الدين عمر صاحب حماة
145 وخرت برت هي حصن زياد المشهور وبزاعا بضم الباء الموحدة وفتح الزاي وبعد الألف عين مهملة ثم ألف وهي قرية كبيرة ما بين حلب ومنبج في نصف

الطريق 60 ابن الخياط الشــــاعر الدمشـــقي أبو عبد الله أحمد بن محمد بن علي بن يحيى بن صـــــدقة التغلبي المعروف بابن الخياط الشـــاعر الدمشــقي الكاتب كان من الشـــعراء المجيدين طاف البلاد وامتدح الناس ودخل بلاد العجم وامتدح بها ولما اجتمع بأبي الفتيان ابن حيوس الشاعر المشهور بحلب وعرض عليه شعره قال قد نعاني هذا الشاب إلى نفسي فقلما نشأ ذو صناعة ومهر فيها إلا وكان دليلا على موت الشــيخ من أبناء جنســه ودخل مرة إلى حلب وهو رقيق الحال لا يقدر على شــــيء فكتب إلى ابن حيوس المذكور يستمنعه شيئا من بره بهذين البيتين (لم يبق عندي ما يباع بحبة * وكفاك علما منظري عن مخبري) (إلا بقية ماء وجه صـــنتها * عن أن تباع وأين أين المشــــتري) فلما وقف عليهما ابن حيوس قال لو قال وأنت نعم المشتري لكان أحسن ولا حاجة إلى ذكر شــيء من شعره لشهرة ديوانه ولو لم يكن له إلا

146 قصيدته البائية التي أولها (خذا من صبا نجد أمانا لقلبه * فقد كاد رياها يطير بلبه) لكفاه وأكثر قصائده غرر وتتمة هذه القصيدة (وإياكما ذاك النسيم فإنه * متى هب كان الوجد أيســـر خطبه) (خليلي لو أحببتما لعلمتما * محل الهوى من مغرم القلب صـــبه) (تذكر والذكرى تشوق وذو الهوى * يتوق ومن يعلق به الحب يصببه) (غرام على يأس الهوى ورجائه * وشــوق على بعد المزار وقربه) (وفي الركب مطوي الضلوع على جوى * متى

يدعه داعي الغرام يلبه) (إذا خطرت من جانب الرمل نفحة * تضـمن منها داؤه دون صـحبه) (ومحتجب بين الأسنة معرض * وفي القلب من إعراضه مثل حجبه) (أغارُ إذا آنستُ في الحي أنةً * حذاراً وخوفاً أن تكون لحبِّه) وهي طويلة فنقتصـر منها على هذا القدر ومن شـعره أيضا قوله (سلوا سيف ألحاظه الممتشق * أعند القلوب دم للحدق) (أما من معين ولا عاذر * إذا عنف الشـوق يوما رفق) (تجلى لنا صارم المقلتين * مضنى الموشح والمنتطق) (من الترك ما سـهمه إذ رمي * بأفتك من طرفه إذ رمق) (وليلة وافيته زائرا * سـمير السـهاد ضجيع القلق) (دعتني المخافة من فتكه * إليه وكم مقدم من فرق) (وقد راضت الكأس أخلاقه * ووقر بالسكر منه النزق)

147 (وحق العناق فقبلته * شـهي المقبل والمعتنق) (وبت أخالج فكري به * أزور طرا أم خيال طرق) (أفكر في الهجر كيف انقضى * وأعجب للوصل كيف اتفق) (وللحب ما عز مني وهان * وللحسن ما جل منه ودق) ويعجبني من شـعره بيتان من جملة قصـيدة وهما في غاية الرقة (وبالجزع حي كلما عن ذكرهم * أمات الهوى مني فؤادا وأحياه) (تمنيتهم بالرقمتين ودارهم * بوادي الغضا يا بعد ما أتمناه) ومن شـعره أيضا يعتب على أهله وأصحابه (يا من بمجتمع الشطين إن عصفت * بكم رياحي فقد قدمت أعذاري) (لا تنكرن رحيلي عن

دياركم * ليس الكريم على ضيم بصبار) وله أيضا (
أتظنني لا أستطيع * أحيل عنك الدهر ودي) (من ظن
أن لا بد منه * فإن منه ألف بد) وكانت ولادته سنة
خمسين وأربعمائة بدمشق وتوفي بها في حادي عشر شهر
رمضان سنة سبع عشرة وخمسمائة رحمه الله تعالى وقيل
إنه مات في سابع عشر شهر رمضان والأول أصح

148 61 الميداني أبو الفضل أحمد بن محمد بن
أحمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري الأديب كان فاضلا
عارفا باللغة اختص بصحبة أبي الحسن الواحدي صاحب
التفسير ثم قرأ على غيره وأتقن فن العربية خصوصا اللغة
وأمثال العرب وله فيها التصانيف المفيدة منها كتاب
الأمثال المنسوب إليه ولم يعمل مثله في بابه وكتاب
السامي في الأسامي وهو جيد في بابه وكان قد سمع
الحديث ورواه وكان ينشد كثيرا وأظنهما له (تنفس صبح
الشيب في ليل عارضي * فقلت عساه يكتفي بعذاري) (
فلما فشا عاتبته فأجابني * أيا هل ترى صبحا بغير نهار)
وتوفي يوم الأربعاء الخامس والعشرين من شهر رمضان
سنة ثماني عشرة وخمسمائة بنيسابور ودفن على باب
ميدان زياد والميداني بفتح الميم وسكون الياء المثناة من
تحتها وفتح الدال المهملة وبعد الألف نون هذه النسبة إلى
ميدان زياد بن عبد الرحمن وهي محلة في نيسابور وابنه
أبو سعد سعيد بن أحمد كان أيضا فاضلا دينا وله كتاب

الأسماء في الأسماء وتوفي سنة تسع وثلاثين وخمسمائة رحمه الله تعالى

149 62 ابن الخازن الكاتب أبو الفضل أحمد بن محمد بن الفضل بن عبد الخالق المعروف بابن الخازن الكاتب الشاعر الدينوري الأصل البغدادي المولد والوفاة كان فاضلا نادرة في الخط أوحد وقته فيه وهو والد أبي الفتح نصر الله الكاتب المشهور كتب من المقامات نسخا كثيرة وهي موجودة بأيدي الناس واعتنى بجمع شعر والده فجمع منه ديوانا وهو شعر جيد حسن السبك جميل المقاصد فمن ذلك قوله وهو من المعاني البديعة (من يستقم يحرم مناه ومن يزغ * يختص بالإسعاف والتمكين) (انظر إلى الألف استقام ففاته * عجم وفاز به اعوجاج النون) وله أيضا (من لي بأسمر حجبوه بمثله * في لونه والقد والعسلان) (من رامه فليدرع صبرا على * طرف السنان وطرفه الوسنان) (راح الصبا تثنيه لا ريح الصبا * سكران بي من حبه سكران) (طرف كطرف جامع مرح متى * أرسلت فضل عنانه عناني) وله أيضا (أيا عالم الأسرار إنك عالم * بضعف اصطباري عن مداراة خلقه) (ففتر غرامي فيه تفتير لحظه * وأحسن عزائي فيه تحسين خلقه) (فحمل الرواسي دون ما أنا حامل * بقلبي المعنى من تكاليف عشقه)

150 وكتب إلى الحكيم أبي القاسم الأهوازي وقد فصده فآلمه (رحم الإله مجدلين سليمهم * من ساعديك

مبضع بالمبضع) (فعصائب تأتيهم بعصائب * نشرت فتطوي أذرعا في الأذرع) أفصدتهم بالله أم أقصدتهم * وخزا بأطراف الرماح الشرع) (دست المباضع أم كنانة أسهم * أم ذو الفقار مع البطين الأنزع) (غررا بنفسي إن لقيتك بعدها * يا عنتر العبسي غير مدرع) وكان الحكيم المذكور قد أضافه يوما وزاد في خدمته وكان في داره بستان وحمام فأدخله إليهما فعمل أبو الفضل المذكور (وافيت منزله فلم أر حاجبا * إلا تلقاني بسن ضاحك) (والبشر في وجه الغلام أمارة * لمقد مات حياء وجه المالك) (ودخلت جنته وزرت جحيمه * فشكرت رضوانا ورأفة مالك) ثم إني وجدت هذه الأبيات للحكيم أبي القاسم هبة الله بن الحسين بن علي الأهوازي الطبيب الأصبهاني ذكرها العماد الكاتب في الخريدة له وقال توفي سنة نيف وخمسين وخمسمائة وذكرها في ترجمة أبي الفضل ابن الخازن المذكور والله أعلم لمن هي منهما ومن شعره أيضا أعني ابن الخازن (وأهيف ينميه إلى العرب لفظه * وناظره الفتان يعزي إلى الهند) (تجرعت كأس الصبر من رقبائه * لساعة وصل منه أحلى من الشهد) (وهادنت أعماما له وخؤولة * سوى واحد منهم غيور على الخد) (كنقطة مسك أودعت جلنارة * رأيت بها غرس البنفسج في الورد) وكان أبو بكر الخوارزمي يروي لمعا من شعره كقوله في وصف العيار

151 وذكر أنه لم يســـمع في معناه أملح منه وهو (إن هذا العيار ألبس عطفي * عسـليا وديني التوحيد) وله أيضـا (وافي خيالك فاستعارت مقلتي * من أعين الرقباء غمض مروع) (ما استكملت شفتاي لثم مسلم * منه ولا كفاي ضم مودع) (وأظنهم فطنوا فكل قائل * لو لم يزره خيالها لم يهجع) (فانصـاع يسـرق نفسـه فكأنما * طلع الصباح بها وإن لم يطلع) وجل شعره مشتمل على معان حسان وكانت وفاته في صفر سنة ثماني عشرة وخمسمائة وعمره سـبع وأربعون سـنة وقال الحافظ ابن الجوزي في كتابه المنتظم توفي سنة اثنتي عشرة وخمسمائة والله أعلم رحمه الله تعالى وكان ولده أبو الفتح نصــر الله المذكور حيا في سنة خمس وسبعين وخمسمائة ولم أقف على تاريخ وفاته 63 ناصـح الدين الأرجاني أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين الإرجاني الملقب ناصح الدين كان قاضي تستر وعسكر مكرم وله شعر رائق في نهاية الحسن ذكره العماد الكاتب الأصـــبهاني في كتاب الخريدة فقال كان الأرجاني في عنفوان عمره

152 بالمدرسـة النظامية بأصـبهان وشـعره من آخر عهد نظام الملك منذ سـنة نيف وثمانين وأربعمائة إلى آخر عهده وهو ســنة أربع وأربعين وخمســمائة ولم يزل نائب القاضـــي بعســكر مكرم وهو مبجل مكرم وشــعره كثير والذي جمع منه لا يكون عشــره ولما وافيت عســكر مكرم سنة تسـع وأربعين وخمسـمائة لقيت بها ولده محمدا رئيس

الدين أعارني إضبارة كبيرة من شعر والده منبت شجرته
أرجان وموطن أسرته تستر وعسكر مكرم من خوزستان
وهو وإن كان في العجم مولده فمن العرب محتده سلفه
القديم من الأنصار لم يسمح بنظيره سالف الأعصار أوسي
الأس خزرجيه قسي النطق إياديه فارسي القلم وفارس
ميدانه وسلمان برهانه من أبناء فارس الذين نالوا العلم
المتعلق بالثريا جمع بين العذوبة والطيب في الري والريا
انتهى كلام العماد قلت ونقلت من ديوانه أنه كان ينوب في
القضاء بلباد خوزستان تارة بتستر وتارة بعسكر مكرم
مرة عن قاضيها ناصر الدين أبي محمد عبد القاهر بن
محمد ومن بعده عن عماد الدين أبي العلاء رجاء وفي ذلك
يقول (ومن النوائب أنني * في مثل هذا الشغل نائب) (
ومن العجائب أن لي * صبرا على هذي العجائب) وكان
فقيها شاعرا وفي ذلك يقول (أنا أشعر الفقهاء غير مدافع
* في العصر أو أنا أفقه الشعراء) (شعري إذا ما قلت
دونه الورى * بالطبع لا بتكلف الإلقاء) (كالصوت في
قلل الجبال إذا علا * للسمع هاج تجاوب الأصداء) ومن
شعره أيضا (شاور سواك إذا نابتك نائبة * يوما وإن
كانت من أهل المشورات) (فالعين تلقى كفاحا ما دنا
ونأى * ولا ترى نفسها إلا بمرآة) ومن شعره أيضا
153 (ما جبت آفاق البلاد مطوفا * إلا وأنتم في
الورى متطلبي) (سعيي إليكم في الحقيقة والذي *
تجدون عنكم فهو سعي الدهر بي) (أنحوكم ويرد وجهي

القهقري * عنكم فسيري مثل سير الكوكب) (فالقصد نحو المشرق الأقصى لكم * والسير رأي العين نحو المغرب) ومن شعره أيضا ما كتبه إلى بعض الرؤساء يعتب عليه لعدم سؤاله عنه وقد انقطع عنه مدة (نفسي فداؤك أيهذا الصاحب * يا من هواه علي فرض واجب) (لم طال تقصيري وما عاتبتني * فأنا الغداة مقصر ومعاتب) (ومن الدليل علي ملالك أنني * قد غبت أياما وما لي طالب) (وإذا رأيت العبد يهرب ثم لم * يطلب فمولى العبد منه هارب) وله أيضا وهو معنى غريب (رثى لي وقد ساويته في نحوله * خيالي لما لم يكن لي راحم) (فدلس بي حتى طرقت مكانه * وأوهمت إلفي أنه بي حالم) (وبتنا ولم يشعر بنا الناس ليلة * أنا ساهر في جفنه وهو نائم) وله من قصيدة وأجاد فيها (تأمل تحت ذاك الصدغ خالا * لتعلم كم خبايا في الزوايا) وله أيضا (شبت أنا والتحى حبيبي * وبان عني وبنت عنه) (وابيض ذاك السواد مني * واسود ذاك البياض منه) وله أيضا (سأل الفضا عنه وأصغى للصدى * كيما يجيب فقال مثل مقاله) (ناداه أين ترى محط رحاله * فأجاب أين ترى محط رحاله)

154 وله أيضا (لو كنت أجهل ما علمت لسرني * جهلي كما قد ساءني ما أعلم) (كالصعو يرتع في الرياض وإنما * حبس الهزار لأنه يترنم) ومثله قول بعضهم (يقصد أهل الفضل دون الورى * مصائب الدنيا

وآفاتها) (كالطير لا يحبس من بينها * إلا التي تطرب أصـواتها) وهذا ينظر إلى قول الغزي أبي إسـحاق المقدم ذكره من جملة قصــــيدة طويلة (لا غرو أن تجني علي فضـائلي * سـبب احتراق المندلي دخانه) ونقتصـر على هذه المقاطيع من شـــعره ولا حاجة إلى ذكر شـــيء من قصـــائده المطولات خوفا من الإطالة وله أيضـــا (أحب المرء ظاهره جميل * لصـــاحبه وباطنه سـليم) (مودته تدوم لكل هول * وهل كل مودته تدوم) وهذا البيت أعني الثاني منهما يقرأ معكوسا ويوجد في ديوان الغزي المذكور أيضـــا والله أعلم وله ديوان شـــعر فيه كل معنى لطيف ومولده سـنة سـتين وأربعمائة وتوفي في شـهر ربيع الأول سنة أربع وأربعين وخمسمائة بمدينة تستر رحمه الله تعالى وقيل بعسـكر مكرم والأرجاني بفتح الهمزة وتشـديد الراء المهملة وفتح الجيم وبعد الألف نون هذه النسبة إلى أرجان من كور الأهواز من بلاد خوزستان

155 الناس يقولون إنـها بالراء المخففة واســـتعملها المتنبي في شــــعره مخففة في قوله (أرجان أيتها الجياد فإنـه * عزمي الذي بدر الوشـــيج مكســـرا) وحكـاها الجوهري في الصـحاح والحازمي في كتابه الذي سـماه ما اتفق لفظه وافترق مسماه بتشديد الراء وتستر بضـم التاء المثناة من فوقها وسـكون السـين المهملة وفتح التاء الثانية وبعدها راء مدينة مشـــهورة بخوزســتان والعامة تسـميها شــتر وعســكر مكرم قد اختلفوا في مكرم فأكثر العلماء

على أنه مكرم أخو مطرف بن سيدان بن عقيلة بن ذكوان بن حيان بن الخزرق بن عيلان بن حاوة بن معن بن مالك بن أعصر بن عسد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان هكذا نسبه استخرجته على هذه الصورة من كتاب الجمهرة لابن الكلبي وليس في نسبه باهلة ومكرم المذكور يعرف بمكرم الباهلي الحاوي والله أعلم وقيل هو مكرم أحد بني جعونة العامري وقيل هو مكرم مولى الحجاج بن يوسف الثقفي نزله لمحاربة خرزاد ابن باريس فسمي بذلك وخوزستان بضم الخاء المعجمة وبعد الواو زاي ثم سين مهملة وهو إقليم متسع بين البصرة وفارس

156 ابن منير الطرابلسي أبو الحسين أحمد بن منير بن أحمد بن مفلح الطرابلسي الملقب مهذب الدين عين الزمان الشاعر المشهور له ديوان شعر وكان أبوه ينشد الأشعار ويغني في أسواق طرابلس ونشأ أبو الحسين المذكور وحفظ القرآن الكريم وتعلم اللغة والأدب وقال الشعر وقدم دمشق فسكنها وكان رافضيا كثير الهجاء خبيث اللسان ولما كثر منه ذلك سجنه بوري بن أتابك طغتكين صاحب دمشق مدة وعزم على قطع لسانه ثم شفعوا فيه فنفاه وكان بينه وبين أبي عبد الله محمد بن نصر بن صغير المعروف بابن القيسراني مكاتبات وأجوبة ومهاجاة وكانا مقيمين بحلب ومتنافسين في صناعتهما كما جرت عادة المتماثلين ومن شعره من جملة قصيدة (وإذا

الكريم رأى الخمول نزيله * في منزل فالحزم أن يترحلا) (كالبدر لما أن تضـــاءل جد في * طلب الكمال فحازه متنقلا) (سفها لحلمك أن رضيت بمشرب * رنق ورزق الله قد ملأ الملا) (ساهمت عيسك مر عيشك قاعدا * أفلا فليت بهن ناصية الفلا)
157 (فارق ترق كالسيف سل فبان في * متنيه ما أخفى القراب وأخملا) (لا تحسـبن ذهاب نفسـك ميتة * ما الموت إلا أن تعيش مذللا) (للقفر لا للفقر هبها إنما * مغناك ما أغناك أن تتوســـلا) (لا ترض من دنياك ما أدناك من * دنس وكن طيفا جلا ثم انجلى) (وصـــل الهجير بهجر قوم كلما * امطرتهم شـهدا جنوا لك حنظلا) (من غادر خبثت مغارس وده * فإذا محضـــت له الوفاء تأولا) (لله علمي بالزمان وأهله * ذنب الفضـــيلة عندهم أن تكملا) (طبعوا على لؤم الطبـاع فخيرهم * إن قلت قال وإن سكت تقولا) (أنا من إذا ما الدهر هم بخفضه * سامته همته السماك الأعزلا) (واع خطاب الخطب وهو مجمجم * راع أكل العيس من عدم الكلا) (زعم كمنبلج الصبـاح وراءه * عزم كحد السـيف صـادف مقتلا) ومن محاســن شــعره القصـيدة التي أولها (من ركب البدر في صـــدر الرديني * وموه الســحر في حد اليماني) (وأنزل النير الأعلى إلى فلك * مداره في القباء الخســـرواني) (طرف رنـا أم قراب سل صـارمه * وأغيد ماس أم أعطاف خطي) (أذلني بعد عز والهوى أبدا * يســـتعبد الليث

للظبي الكناســـي) ومنها أيضـــا (أما وذائب مســك من ذوائبه * على أعالي القضـــيب الخيزراني) (وما يجن عقيقي الشفاه من الريق * الرحيقي والثغر الجماني) (لو قيل للبدر من في الأرض تحســـده * إذا تجلى لقال ابن الفلاني) (أربى علي بشـــتى من محاســـنه * تألفت بين مسـموع ومرئي) (إباء فارس في لين الشــآم مع الظرف * العراقي والنطق الحجازي) (وما المدامة بالألباب أفتك من * فصاحة البدو في ألفاظ تركي)

158 وله أيضـا (أنكرت مقلته سفك دمي * وعلى وجنته فاعترفت) (لا تخالوا خاله في خده * قطرة من دم جفني نطفت) (ذاك من نار فؤادي جذوة * فيه ساخت وانطفت ثم طفت) وله من جملة قصيدة (لا تغالطني فما تخفى * علامات المريب) (أين ذاك البشـــر يا مولاي * من هذا القطوب) ونقلت من خط الشـــيخ الحافظ المحدث زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري المصـــري رحمه الله تعالى قال حكى لي أبو المجد قاضـــي الســويداء قال كان بالشـــام شــاعران ابن منير وابن القيســراني وكان ابن منير كثيرا ما يبكت ابن القيسراني بأنه ما صحب أحدا إلا نكب فاتفق أن أتابك عماد الدين زنكي صـــاحب الشـــام غناه مغن على قلعة جعبر وهو يحاصـرها قول الشــاعر (ويلي من المعرض الغضـــبان إذ نقل الواشـــي * إليه حديثا كله زور) (ســـلمت فازور يزوي قوس حاجبه * كأنني كأس خمر وهو مخمور) فاستحسنها زنكي وقال لمن هذه

فقيل لابن منير وهو بحلب فكتب إلى والي حلب يسيره إليه سريعا فسيره فليلة وصل ابن منير قتل أتابك زنكي قلت وسيأتي شرح الحال في ذلك على التفصيل في ترجمة زنكي إن شاء الله تعالى قال فأخذ أسد الدين شيركوه صاحب حمص نور الدين

159 محمود بن زنكي وعسكر الشام وعاد بهم إلى حلب وأخذ زين الدين علي ولد مظفر الدين صاحب إربل عساكر بلاد الشرق وعاد بهم إلى الموصل إلى سيف الدين غازي بن زنكي وملكه الموصل فلما دخل ابن منير إلى حلب صحبه العسكر قال له ابن القيسراني هذه بجميع ما كنت تبكتني به قلت ولابن القيسراني المذكور في ابن منير وكان قد هجاه (ابن منير هجوت مني * حبرا أفاد الورى صوابه) (ولم تضيق بذاك صدري * فإن لي أسوة الصحابة) وأشعاره لطيفة فائقة وكانت ولادته سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة بطرابلس وكانت وفاته في جمادي الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة بحلب ودفن في جبل جوشن بقرب المشهد الذي هناك رحمه الله تعالى وزرت قبره ورأيت عليه مكتوبا (من زار قبري فليكن موقنا * أن الذي ألقاه يلقاه) (فيرحم الله امرءا زارني * وقال لي يرحمك الله) وذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق فقال في ترجمته حدث الخطيب السديد أبو محمد عبد القاهر بن عبد العزيز خطيب حماة قال رأيت أبا الحسين ابن منير الشاعر في النوم بعد موته وأنا على قرنة بستان

مرتفعة فسألته عن حاله وقلت له اصعد إلي فقال ما أقدر من رائحتي فقلت تشرب الخمر فقال شرا من الخمر يا خطيب فقلت له ما هو فقال تدري ما جرى علي من هذه القصائد التي قلتها في مثالب الناس فقلت له ما جرى عليك منها فقال لساني قد طال وثخن حتى صار مد البصر وكلما قرأت قصيدة منها قد صارت كلابا تتعلق في لساني وأبصرته حافيا عليه ثياب رثة إلى غاية وسمعت قارئا يقرأ من فوقه (^ لهم من فوقهم ظلل
160 النار- الآية) ثم انتبهت مرعوبا قلت ثم وجدت في ديوان أبي الحكم عبيد الله الآتي ذكره أن ابن منير توفي بدمشق سنة سبع وأربعين ورثاه بأبيات تدل على أنه مات بدمشق منها وهي هزلية على عادته في ذلك (أتوا به فوق أعواد تسير به * وغسلوه بشطي نهر قلوط) (وأسخنوا الماء في قدر مرصصة * وأشعلوا تحته عيدان بلوط) وعلى هذا التقدير فيحتاج إلى الجمع بين هذين الكلامين فعساه أن يكون قد مات بدمشق ثم نقل إلى حلب فدفن بها والله أعلم ومنير بضم الميم وكسر النون وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء ومفلح بضم الميم وسكون الفاء وكسر اللام وبعدها حاء مهملة والطرابلسي بفتح الطاء المهملة والراء وبعد الألف باء موحدة مضمومة ولام مضمومة ثم سين مهملة هذه النسبة إلى طرابلس وهي مدينة بساحل الشام قريبة من بعلبك وقد تزاد الهمزة إلى أولها فيقال أطرابلس وأخذها الفرنج سنة ثلاث

وخمســـمائة وصـــاحبها يومئذ أبو علي عمار بن محمد بن عمار بعد أن حوصرت سبع سنين والشرح في ذلك يطول وجوشــن بفتح الجيم وسـكون الواو وفتح الشــين المثلثة ثم نون جبل بحلب 65 القاضــي الرشـيد ابن الزبير القاضــي الرشيد أبو الحسين أحمد ابن القاضــي الرشيد أبي الحسن علي ابن القاضي

161 الرشيد أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن الحسين بن الزبير الغساني الأسواني كان من أهل الفضل والنباهة والرياسة صنف كتاب جنان الجنان ورياض الأذهان وذكر فيه جماعة من مشـاهير الفضـلاء وله ديوان شـعر ولأخيه القاضي المهذب أبي محمد الحسن ديوان شعر أيضا وكانا مجيدين في نظمهما ونثرهما (6) ومن شــعر القاضـــي المهذب وهو معنى لطيف غريب من جملة قصيدة بديعة (وترى المجرة والنجوم كـأنما * تسـقي الرياض بجدول ملآن) (لو لم تكن نهرا لما عـامـت بهـا * أبـدا نجوم الحوت والسرطان) وله أيضـا من جملة قصـيدة (ومالي إلى ماء سوى النيل غلة * ولو أنه أستغفر الله زمزم) وله كل معنى حســن وأول شــعر قاله ســنة ســت وعشــرين وخمســـمائة وذكره العماد الكاتب في كتاب الســيل والذيل وهو أشـعر من الرشـيد والرشـيد أعلم منه في سـائر العلوم وتوفي بالقاهرة سـنة إحدى وسـتين وخمسـمائة في رجب رحمه الله تعالى وأما القاضـي الرشيد فقد ذكره الحـافظ أبو الطاهر الســلفي رحمه الله تعالى في بعض تعاليقه وقال

ولي النظر بثغر الإسكندرية في الدواوين السلطانية بغير اختياره في سنة تسع وخمسين وخمسمائة ثم قتل ظلما وعدوانا في المحرم سنة ثلاث وستين وخمسمائة رحمه الله تعالى وذكره العماد أيضا في كتاب السيل والذيل الذي ذيل به على الخريدة فقال الخضم الزاخر والبحر العباب ذكرته في الخريدة وأخاه المهذب قتله شاور ظلما لميله إلى أسد الدين شيركوه في سنة ثلاث و ستين وخمسمائة كان أسود الجلدة

162 وسيد البلدة أوحد عصره في علم الهندسة والرياضات والعلوم الشرعايت والآداب الشرعيات ومما أنشدني له الأمير عضد الدولة أبو الفوارس مرهف ابن أسامة بن منقذ وذكر أنه سمعها منه (جلت لدي الرزايا بل جلت هممي * وهل يضر جلاء الصارم الذكر) (غيري يغيره عن حسن شيمته * صرف الزمان وما يأتي من الغير) (لو كانت النار للياقوت محرقة * لكان يشتبه الياقوت بالحجر) (لا تغررن بأطماري وقيمتها * فإنما هي أصداف على درر) (ولا تظن خفاء النجم من صغر * فالذنب في ذاك محمول على البصر) قلت وهذا البيت مأخوذ من قول أبي العلاء المعري في قصيدته الطويلة المشهورة فإنه القائل فيها (والنجم تستصغر الأبصار رؤيته * والذنب للطرف لا للنجم في الصغر) وأورد له العماد الكاتب في الخريدة أيضا قوله في الكامل بن شاور (إذا ما نبت بالحر دار يودها * ولم يرتحل عنها فليس

بذي حزم) (وهبه بها صبا ألم يدر أنه * سيزعجه منها الحمام علي رغم) وقال العماد أنشدني محمد بن عيسى اليمني ببغداد سنة إحدى وخمسين قال أنشدني القاضي الرشيد باليمن لنفسه في رجل (لئن خاب ظني في رجائك بعدما * ظننت بأني قد ظفرت بمنصف) (فإنك قد قلدتني كل منة * ملكت بها شكري لدى كل موقف) (لأنك قد حذرتني كل صاحب * وأعلمتني أن ليس في الأرض من يفي) وكان الرشيد أسود اللون وفيه يقول أبو الفتح محمد بن قادوس

163 الكاتب الشاعر يهجوه (يا شبه لقمان بلا حكمة * وخاسرا في العلم لا راسخا) (سلخت أشعار الورى كلها * فصرت تدعي الأسود السالخا) وفيه أيضا كما يغلب على ظني هذا (إن قلت من نار خلقت * وفقت كل الناس فهما) (قلنا صدقت فما الذي * أضناك حتى صرت فحما) وكان الرشيد سافر إلى اليمن رسولا ومدح جماعة من ملوكها وممن مدحه منهم علي بن حاتم الهمداني قال فيه (لئن أجدبت أرض الصعيد وأقحطوا * فلست أنال القحط في أرض قحطان) (ومذ كفلت لي مأرب بمآربي * فلست على أسوان يوما بأسوان) (وإن جهلت حقي زعانف خندف * فقد عرفت فضلي غطارف همدان) فحسده الداعي في عدن علي ذلك فكتب بالأبيات إلى صاحب مصر فكانت سبب الغضب عليه فأمسكه وأنفذه إليه مقيدا مجردا وأخذ جميع موجوده فأقام باليمن

مدة ثم رجع إلي مصــر فقتله شــاور كما ذكرناه وكتب إليه الجليس بن الحباب (ثروة المكرمات بعدك فقر * ومحل العلا ببعدك قفر) (بك تجلى إذا حللت الدياجي * وتمر الأيام حيث تمر) (أذنب الدهر في مســـيرك ذنبا * ليس منه ســـوى إيابك عذر) والغســـاني بفتح الغين المعجمة والســـين المهملة وبعد الألف نون هذه النســـبة إلى غســـان وهي قبيلة كبيرة من الأزد شـــربوا من ماء غســـان وهو باليمن فسموا به والأسواني بضم الهمزة وسكون السين المهملة وفتح الواو وبعد الألف نون هذه النسبة إلى أسوان وهي بلدة بصعيد مصر قال السمعاني هي

164 بفتح الهمزة والصـــحيح الضـــم هكذا قال لي الشـــيخ الحافظ زكي الدين أبو محمد عبد العظيم المنذري حافظ مصــر نفعنا الله به آمين 66 أحمد القطرســي النفيس أبو العباس أحمد بن أبي القاسم عبد الغني بن أحمد بن عبد الرحمن بن خلف ابن مســـلم اللخمي المالكي القطرســـي المنعوت بالنفيس كان من الأدباء وله ديوان شــعر أجاد فيه ونقلت منه قصـــيدة يمدح بها الأمير شـــجاع الدين جلدك التقوي المعروف بوالي دمياط أولها (قل للحبيب أطلت صـــدك * وجعلت قتلي فيك وكدك) (إن شــئت أن أســلو فرد * علي قلبي فهو عندك) (أخلفت حتى في زيارتنا * بطيف منك وعدك) (وأنا عليك كما عهدت * وإن نقضــت علي عهدك) (أحرقت يا ثغر الحبيب * حشــاي لما ذقت بردك) (وشـــهدت أني ظالم * لما طلبت إليك

شهدك) (أتظن غصن البان يعجبني * وقد عاينت قدك)
(أم يخدع التفاح ألحاظي * وقد شاهدت خدك) (أم خلت
آس عذارك المنشـــوق * يحمي منك وردك) (لا والذي
جعل الهوى * مولاي حتى صــرت عبدك) (يا قلب من
لانت معاطفه * علينا ما أشـــدك) (أتظنني جلد الهوى *
أو أن لي عزمات جلدك)
165 وهي قصيدة جيدة ونقتصر منها على هذا القدر
خوف الإطالة وجاب النفيس المذكور البلاد ومدح الناس
واسـتجدى بشـعره وذكره العماد الكاتب في الخريدة فقال
فقيه مالكي المذهب له يد في علوم الأوائل والأدب ومن
شعره قوله (يسر بالعيد أقوام لهم سعة * من الثراء وأما
المقترون فلا) (هل ســرني وثيابي فيه قوم ســبا * أو
راقني وعلى رأســي به ابن جلا) يعني قوم سـبأ مزقناهم
كل ممزق وابن جلا ما له عمامة يشـير إلى قول الشـاعر
ســحيم بن وثيل الرياحي (أنا ابن جلا وطلاع الثنايا *
متى أضــع العمامة تعرفوني) وذكره العماد أيضــا في
كتاب السيل فقال كان من الفقهاء بمصر وقد رأيت القاضي
الفاضل يثنى عليه ووجدت له قصيدة كتبها من مصر إليه
ونقلت من ديوانه أيضا (يا راحلا وجميل الصبر يتبعه *
هل من سبيل إلى لقياك يتفق) (ما أنصفتك جفوني وهي
دامية * ولا وفى لك قلبي وهو محترق) ومن شعره أيضا
في الأمير فخر الدين إســماعيل بن ثعلب (مدحت
الجعفري فما أثابت * يداه فظن مدحي للثواب) (وما

كان احتساب الأجر فيه * على كذب المدائح في الحساب)
ومن شعره أيضا (يأبى العذار المستدير بوجهه * وكمال
بهجة حســنة المنعوت) (فكأنما هو صــولجان زمرد *
متلقف كرة من الياقوت) وله في كأس سقطت وهو معنى
بديع (ما سقطت كاسك من علة * لكن يد الفضل بتبديدها
(
166 هيهات أن تحفظها راحة * ما حفظت قط)
ســوى جودها) وله (فؤادي إليك شــديد الظما * وعيني
تشــكو لك الحاجبا) (فرتب لي الإذن ســهلا لديك * فإني
أرضــى به راتبا) وكتب إلى القاضــي الأســعد بن عثمان
يســتدعيه من جملة أبيات (صــر إلينا على البراق وإلا *
جاءك العتب بعد فوت المراد) وصار إليه وأنشده إرتجالا
(قد أجبت النداء يا داعي المجد * ولو كنت موثقا في
صفاد) (فودادي يصونني عن عتاب * وبراقي عزيمتي
في الوداد) وله في مغن اســمه حســام ونعرف بالأقرع
وهي من الشــعر المختار (وفتيان تملكت الحميا * أزمة
أمرهم ملك الأمير) (أرادوا من حســام أن يغني *
ليطربهم وذاك من الغرور) (فقلت لهم متى بالله غنى *
حسام قط في زمن السرور) ومن شعره أيضا (لا تسأل
اليوم عن حالي وعن خبري * دهت فؤادي دواهي الحسن
والقدر) (أصبحت قد ضل قلبي في هوى قمر * فاعجب
لمن ضل بين الشمس والقمر) وله أيضا وكتب بهما إلى
بعض أصدقائه يعاتبه (إن مسني من جناب كنت أعهد لي

* فيه النعيم تكاليف من الشـــظف) (فالشـــمس والبدر حسبي أسوة بهما * وربما كسفا في البيت والشرف) ومن شعره يصف دير القصير أولها (قصرنا على دير القصير ركابنا * ليالي قضاها السرور قصارا)
167 (محل يريك النيل والروض والمها * ويدني من النجم البعيد مزارا) (وتهدي إلى أبصـــارنا وقلوبنا * بغير عناء قوة وقدارا) ويقتصر من شعره على هذا القدر وكان جده يقال له قطرس وتوفي في الرابع والعشرين من شـــهر ربيع الأول ســـنة ثلاث وســـتمائة بمدينة قوص وقد ناهز سبعين سنة من عمره رحمه الله تعالى واللخمي بفتح اللام وســـكون الخاء المعجمة وبعدها ميم هذه النســـبة إلى لخم بن عدي واسمه مالك وهو أخو جذام واسم جذام عمرو بن عدي وكانا قد تشـــاجرا فلخم عمرو مالكا أي لطمه فضـرب مالك عمرا بمدية فجذم يده أي قطعها فسمي مالك لخما وســمي عمرو جذاما لهذا الســبب والقطرســي بضـم القاف وســـكون الطاء المهملة وضـــم الراء وبعدها ســـين مهملة هذه النســـبة كشـــفت عنها كثيرا ولم أقف لها على حقيقة غير أنه كان من أهل مصـــر ثم أخبرني بهاء الدين زهير بن محمد الكاتب الشـــاعر الآتي ذكره إن شـــاء الله تعالى أن هذه النسبة إلى جده قطرس وكان صاحبه وروى عنه شـيئا من شـعره (7) وجلدك أبو المظفر عتيق تقي الدين عمر صـــاحب حماة الآتي ذكره إن شـــاء الله تعالى وكان دينا فاضـلا ومات في الثامن والعشرين من شـعبان

سنة ثمان وعشرين وستمائة بالقاهرة وقد ناهز ثمانين سنة وله شعر وروى عن الحافظ السلفي وغيره ومن جملة ما روى بهاء الدين زهير من شعره في غلام يتعلم علم الهندسة والهيئة (وذي هيئة يزهو بوجه مهندس * أموت به في كل يوم وأبعث) (محيط بأشكال الملاحة وجهه * كأن به إقليدسا يتحدث) (فعارضه خط استواء وخاله * به نقطة والصدغ شكل مثلث) وتنسب هذه الأبيات إلى أبي جعفر العلوي المصري والله أعلم

168 67 ابن الرشيد أبو العباس أحمد بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور الهاشمي المعروف بالسبتي كان عبدا صالحا ترك الدنيا في حياة أبيه مع القدرة ولم يتعلق بشيء من أمورها وأبوه خليفة الدنيا وآثر الانقطاع والعزلة وإنما قيل له السبتي لأنه كان يتكسب بيده في يوم السبت شيئا ينفقه في بقية الأسبوع ويتفرغ للاشتغال بالعبادة فعرف بهذه النسبة ولم يزل على هذه الحال إلى أن توفي سنة أربع وثمانين ومائة قبل موت أبيه رحمهما الله تعالى وأخباره مشهورة فلا حاجة إلى التطويل فيها وذكره ابن الجوزي في شذور العقود وفي صفوة الصفوة وهو مذكور في كتاب التوابين وفي المنتظم أيضا

68 ابن العريف أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي الأندلسي المريي المعروف بابن العريف كان من كبار الصالحين والأولياء المتورعين وله المناقب

169 المشهورة وله كتاب المجالس وغيره من الكتب المتعلقة بطريق القوم وله نظم حسـن في طريقهم أيضـا ومن شعره (شدوا المطي وقد نالوا المنى بمنى * وكلهم بأليم الشوق قد باحا) (سارت ركائبهم تندى روائحها * طيبا بما طاب ذاك الوفد أشباحا) (نسيم قبر النبي المصطفى لهم * روح إذا شربوا من ذكره راحا) (يا واصلين إلى المختار من مضر * زرتم جسوما وزرنا نحن أرواحا) (إنا أقمنا على عذر وعن قدر * ومن أقام على عذر كمن راحا) وبينه وبين القاضي عياض بن موسى اليحصبي مكاتبات حسنة وكانت عنده مشاركة في أشياء من العلوم وعناية بالقراءات وجمع الروايات واهتمام بطرقها وحملتها وكان العباد وأهل الزهد يألفونه ويحمدون صحبته وحكى بعض المشايخ الفضلاء أنه رأى بخطه فصلا في حق أبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري الأندلسي وقال فيه كان لسان ابن حزم المذكور وسيف الحجاج بن يوسف شقيقين وإنما قال ذلك لأن ابن حزم كان كثير الوقوع في الأئمة المتقدمين والمتأخرين لم يكد يسلم منه أحد ومولده يوم الأحد بعد طلوع الفجر ثاني جمادي الأولى سنة إحدى وثمانين وأربعمائة وكانت وفاة ابن العريف المذكور سنة ست وثلاثين وخمسمائة بمراكش رحمه الله تعالى ليلة الجمعة أول الليل ودفن يوم الجمعة الثالث والعشرين من صفر وقد كان سعي به إلى صاحب مراكش فأحضره إليها فمات

واحتفل الناس بجنازته وظهرت له كرامات فندم على استدعائه وصاحب مراكش الذي استدعاه هو علي بن يوسف بن تاشفين الآتي ذكره في ترجمة أبيه يوسف إن شاء الله تعالى

170 والمريي هذه النسبة إلى المرية وهي بفتح الميم وكسر الراء وتشديد الياء المثناة من تحتها وبعدها هاء وهي مدينة عظيمة بالأندلس ابن الحطيئة اللخمي أبو العباس أحمد بن عبد الله بن أحمد بن هشام بن الحطيئة اللخمي الفاسي كان من مشاهير الصلحاء وأعيانهم وكان مع صلاحه فيه فضيلة ومعرفة بالأدب وكان رأسا في القراءات السبع ونسخ بخطه كثيرا من كتب الأدب وغيرها وكان جيد الخط حسن الضبط والكتب التي توجد بخطه مرغوب فيها للتبرك بها ولإتقانها ومولده في الساعة الثامنة من يوم الجمعة سابع عشر جمادي الآخرة سنة ثمان وسبعين وأربعمائة بمدينة فاس وانتقل إلى الديار المصرية ولأهلها فيه اعتقاد كبير لما رأوه من صلاحه وكان قد حج ودخل الشام واستوطن خارج مصر في جامع راشدة وكان لا يقبل لأحد شيئا ولا يرتزق على الإقراء واتفق بمصر مجاعة شديدة فمشى إليه أجلاء المصريين وسألوه قبول شيء فامتنع فأجمعوا رأيهم أن يخطب أحدهم البنت التي له وكان يعرف بالفضل بن يحيى الطويل وكان عدلا بزازا في القاهرة فتزوجها وسأل أن تكون أمها عندها فأذن في ذلك وكان قصدهم تخفيف العائلة عنه وبقي

منفردا ينسخ ويأكل من نسخه وكان يعرض عليه المال فلا يقبل منه شيئا قيل جاء بعض التجار بمئزر أسود صوف وحلف عليه به فقال اجعله على ذلك الوتد فأقام ثلاثين سنة موضعه لم يزل بالشرق إلى نوبة مصر المشهورة وحريقها فنزل في دويرة بها وتوفي في أواخر المحرم سنة ستين وخمسمائة بمصر ودفن في القرافة الصغرى
171 وقبره يزار بها وزرته ليلا فوجدت عنده أنسا كثيرا رحمه الله تعالى وكان يقول أدرجت سعادة الإسلام في أكفان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أشار إلى أن الإسلام لم يزل في أيامه في نمو وازدياد وشرع بعده في التضعضع والاضطراب وذكر في كتاب الدول المنقطعة في ترجمة أبي الميمون عبد المجيد صاحب مصر أن الناس أقاموا بلا قاض ثلاث أشهر في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ثم اختير في ذي القعدة أبو العباس ابن الحطيئة فاشترط أن لا يقضي بمذهب الدولة فلم يمكن من ذلك وتولى غيره والله تعالى أعلم والحطيئة بضم الحاء المهملة وفتح الطاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعد الهمزة هاء والفاسي بفتح الفاء وبعد الألف سين مهملة هذه النسبة إلى فاس وهي مدينة كبيرة بالمغرب بالقرب من سبتة خرج منها جماعة من العلماء 70 ابن الرفاعي أبو العباس أحمد بن أبي الحسن علي بن أبي العباس أحمد المعروف بابن الرفاعي كان رجلا صالحا فقيها شافعي المذهب أصله من العرب وسكن في البطائح بقرية يقال لها

أم عبيدة وانضم إليه خلق عظيم من الفقراء وأحسنوا الاعتقاد فيه وتبعوه والطائفة المعروفة بالرفاعية والبطائحية من الفقراء

172 منسوبة إليه ولأتباعه أحوال عجيبة من أكل الحيات وهي حية والنزول في التنانير وهي تتضرم بالنار فيطفئونها ويقال إنهم في بلادهم يركبون الأسود ومثل هذا وأشباهه ولهم مواسم يجتمع عندهم من الفقراء عالم لا يعد ولا يحصى ويقومون بكفاية الكل ولم يكن له عقب وإنما العقب لأخيه وأولاده يتوارثون المشيخة والولاية على تلك الناحية إلى الآن وأمورهم مشهورة مستفيضة فلا حاجة إلى الإطالة فيها وكان للشيخ أحمد مع ما كان عليه من الاشتغال بعبادته شعر فمنه علي ما قيل (إذا جن ليلي هام قلبي بذكركم * أنوح كما ناح الحمام المطوق) (وفوقي سحاب يمطر الهم والأسى * وتحتي بحار بالأسى تتدفق) (سلوا أم عمرو كيف بات أسيرها * تفك الأساري دونه وهو موثق) (فلا هو مقتول ففي القتل راحة * ولا هو ممنون عليه فيطلق) ولم يزل على تلك الحال إلى أن توفي يوم الخميس الثاني والعشرين من جمادي الأولى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة بأم عبيدة وهو في عشر السبعين رحمه الله تعالى والرفاعي بكسر الراء وفتح الفاء وبعد الألف عين مهملة هذه النسبة إلى رجل من العرب يقال له رفاعة هكذا نقلته من خط بعض أهل بيته وأم عبيدة بفتح العين المهملة وكسر الباء الموحدة وسكون الياء

المثنــاة من تحتهـا وبعـد الـدال المهملــة المفتوحــة هــاء والبطائح بفتح الباء الموحدة والطاء المهملة وبعد الألف ياء مثناة من تحتها ثم حاء مهملة وهي عدة قرى مجتمعة في وسط الماء بين واسط والبصرة ولها شهرة بالعراق

173 71 أحمد بن طولون الأمير أبو العباس أحمد بن طولون صاحب الديار المصرية والشامية والثغور كان المعتز بالله قد ولاه مصـر ثم استولى على دمشـق والشـام أجمع وأنطاكية والثغور في مدة اشــتغال الموفق أبي أحمد طلحة بن المتوكل وكان نائبا عن أخيه المعتمد على الله الخليفة هو والد المعتضد بالله بحرب صاحب الزنج وكان أحمد عادلا جوادا شـجاعا متواضـعا حسـن السـيرة صـادق الفراسـة يباشـر الأمور بنفسـه يوعمر البلاد يوتفقد أحوال رعاياه ويحب أهل العلم وكانت له مائدة يحضـرها كل يوم الخاص والعام وكان له ألف دينار في كل شــهر للصــدقة فأتاه وكيله يوما فقال إني تأتيني المرأة وعليها الإزار وفي يدها خاتم الذهب فتطلب مني أفأعطيها فقال له من مد يده إليك فأعطه وكان مع ذلك كله طائش السيف قال القضاعي يقال إنه أحصــي من قتله ابن طولون صـبرا ومن مات في حبســه فكان عددهم ثمانية عشــر ألفا وكان يحفظ القرآن الكريم ورزق حسن الصوت وكان من أدرس الناس للقرآن وبنى الجامع المنســوب إليه الذي بين القاهرة ومصــر في سـنة تسـع وخمسـين ومائتين وهذه الزيادة حكاها الفرغاني في تاريخه وذكر القضـاعي في كتاب الخطط أنه شـرع في

عمارته سنة أربع و ستين ومائتين وفرغ منه في سنة ست وســـتين و مائتين والله أعلم وأنفق على عمارته مائة ألف وعشـرين ألف دينار على ما حكاه أحمد بن يوسـف مؤلف سيرته وكان أبوه مملوكا أهداه نوح بن أسد الساماني عامل بخارى إلى المأمون في جملة رقيق حمله إليه في ســـنة مائتين ومات طولون في سنة أربعين ومائتين

174 ولادة ولده أحمد بســامرا في الثالث والعشـرين من شـهر رمضـان سـنة عشـرين ومائتين ويقال إن طولون تبناه ولم يكن ابنه ودخل مصـر لتسـع وقيل لسـبع بقين من شهر رمضان سنة أربع وخمسين ومائتين وقيل يوم الاثنين لخمس بقين منه وتوفي بها في ليلة الأحد لعشر بقين وقال الفرغاني لعشـر خلون من ذي القعدة سـنة سـبعين ومائتين بزلق الأمعاء رحمه الله تعالى وزرت قبره في تربة عتيقة بالقرب من الباب المجاور للقلعة على طريق المتوجه إلى القرافة الصـــغرى بســـفح المقطم وطولون بضـــم الطاء المهملة وسـكون الواو وضـم اللام وسـكون الواو وبعدها نون و هو اسـم تركي والسـاماني بفتح السـين المهملة وبعد الألف ميم مفتوحة وبعد الألف الثانية نون هذه النسـبة إلى سامان و هو جد الملوك السامانية بما وراء النهر وخراسان وسامرا بفتح السين المهملة وبعد الألف ميم مفتوحة ثم راء مشـددة وبعدها ألف مدينة كبيرة بناها المعتصـم في سـنة عشـرين ومائتين بالعراق فوق بغداد وحكى فيها الجوهري في كتاب الصـحاح سـت لغات في فصـل رأى و هذه اللغة

إحدى تلك الست وليس هذا موضع استقصاء الست وقد ذكرتها في ترجمة إبراهيم بن المهدي (18) 72 معز الدولة ابن بويه أبو الحسين أحمد بن أبي شجاع بويه بن فناخسرو بن تمام بن كوهي بن

175 شيرزيل الأصغر ابن شيركوه بن شيرزيل الأكبر ابن شيران شاه بن شيرفنه بن شستان شاه بن سسن فرو بن شروذيل بن سسناد بن بهرام جور الملك بن يزدجرد بن هرمز كرمانشاه بن سابور الملك بن سابور ذي الأكتاف وبقية النسب معروفة في ملوك بني ساسان فلا حاجة إلى الإطالة وأبو الحسين المذكور يلقب معز الدولة وهم ثلاثة إخوة وسيأتي ذكر الجميع وهو عم عضد الدولة وأحد ملوك الديلم وكان صاحب العراق والأهواز وكان يقال له الأقطع لأنه كان مقطوع اليد اليسرى وبعض أصابع اليمنى وسبب ذلك أنه كان في مبدأ عمره وحداثة سنه تبعا لأخيه عماد الدولة وكان قد توجه إلى كرمان بإشارة أخويه عماد الدولة وركن الدولة فلما وصلها سمع به صاحبها فتركها ورحل إلى سجستان من غير حرب فملكها معز الدولة وكان بتلك الأعمال طائفة من الأكراد قد تغلبوا عليها وكانوا يحملون لصاحب كرمان في كل سنة شيئا من المال بشرط أن لا يطأوا بساطه فلما وصل معز الدولة سير إليه رئيس القوم وأخذ عهوده ومواثيقه بإجرائهم على عادتهم ففعل ذلك ثم أشار عليه كاتبه بنقض العهد وأن يسري إليهم على غفلة ويأخذ أموالهم وذخائرهم

ففعل معز الدولة ذلك وقصدهم في الليل في طريق متوعرة فأحسوا به فقعدوا له على مضيق فلما وصل إليهم بعسكره ثاروا عليهم من جميع الجوانب فقتلوا وأسـروا ولم يفلت منهم إلا اليسير ووقع بمعز الدولة ضربات كثيرة وطاحت يده اليسرى وبعض أصابع يده اليمنى وأثخن بالضرب في رأسـه وسـائر جسـده وسـقط بين القتلى ثم سـلم بعد ذلك وشـرح ذلك يطول وكان وصـوله إلى بغداد من جهة الأهواز فدخلها متملكا يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادي الأولى سـنة أربع وثلاثين وثلثمائة في خلافة المستكفي وملكها بلا كلفة

176 وذكر أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب شـذور العقود أن معز الدولة المذكور كان في أول أمره يحمل الحطب على رأسـه ثم ملك هو وإخوته البلاد وآل أمرهم إلى ما آل (19) وكان معز الدولة أصـغر الإخوة الثلاثة وكانت مدة ملكه العراق إحدى وعشرين سنة وأحد عشر شـهرا وتوفي يوم الاثنين سـابع عشـر شـهر ربيع الآخر سـنة سـت وخمسـين وثلثمائة ببغداد ودفن في داره ثم نقل إلى مشـهد بني له في مقابر قريش ومولده في سـنة ثلاث وثلثمائة رحمه الله تعالى (20) ولما حضـره الموت أعتق مماليكه وتصـدق بأكثر ماله ورد كثيرا من المظالم قال أبو الحسـين أحمد العلوي بينا أنا في داري علي دجلة بمشـرعة القصـب في ليلة ذات غيم ورعد وبرق سـمعت صوت هاتف يقول (لما بلغت أبا الحسين * مراد نفسك

في الطلب) (وأمنت من حدث الليالي * واحتجبت عن النوب) (مدت إليك يد الردى * وأخذت من بيت الذهب) قال فإذا بمعز الدولة قد توفي في تلك الليلة ولما توفي ملك موضعه ولده عز الدولة أبو المنصور بختيار وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى وبويه بضم الباء الموحدة وفتح الواو وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها هاء ساكنة وفناخسرو بفتح الفاء وتشديد النون وبعد الألف خاء معجمة مضمومة ثم سين مهملة ساكنة ثم راء مضمومة وبعدها واو

177 وتمام بفتح التاء المثناة من فوقها وبعد ها ميم مخففة مفتوحة وبعد الألف ميم ولولا خوف التطويل لقيدت بقية الأجداد وقد ضبطته بخطي فمن نقله فلينقله على هذه الصورة فهو صحيح وسيأتي ذكر أخويه عماد الدولة علي وركن الدولة حسن 73 نصر الدولة ابن مروان الكردي أبو نصر أحمد بن مروان بن دوستك الكردي الحميدي الملقب نصر الدولة صاحب ميافارقين وديار بكر ملك البلاد بعد أن قتل أخوه أبو سعيد منصور ابن مروان في قلعة الهتاخ ليلة الخميس خامس جمادي الأولى سنة إحدى وأربعمائة وكان رجلا مسعودا عالي الهمة حسن السياسة كثير الحزم قضى من اللذات وبلغ من السعادة ما يقصر الوصف عن شرحه وحكى ابن الأزرق الفارقي في تاريخه أنه لم ينقل أن نصر الدولة المذكور صادر أحدا في أيامه سوى شخص واحد وقص قصته ولا

حاجة رلى ذكرها وأنه لم تفته صلاة الصبح عن وقتها مع انهماكه في اللذات وأنه كان له ثلثمائة وستون جارية يخلو كل ليلة من ليالي السنة بواحدة فلا تعود النوبة إليها إلا في مثل تلك الليلة من العام الثاني وأنه قسم أوقاته فمنها ما ينظر فيه في مصالح دولته ومنها ما يتوفر فيه على لذاته والاجتماع بأهله وألزامه وخلف أولادا كثيرة وقصده شعراء عصره ومدحوه وخلدوا مدائحه في دواوينهم

178 ومن جملة سعاداته أنه وزر له وزيران كانا وزيري خليفتين أحدهما أبو القاسم الحسين بن علي المعروف بابن المغربي صاحب ديوان الشعر والرسائل واالتصانيف المشهورة وكان وزير خليفة مصر وانفصل عنه وقدم على الأمير أبي نصر المذكور فوزر له مرتين والآخر فخر الدولة أبو نصر بن جهير كان وزيره ثم انتقل إلى وزارة بغداد وسيأتي ذكرهما إن شاء الله تعالى ولم يزل على سعادته وقضاء أوطاره إلى أن توفي في التاسع والعشرين من شوال سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة ودفن بجامع المحدثة وقيل في القصر بالسدلي ثم نقل إلى القبة المعروفة بهم الملاصقة لجامع المحدثة وعاش سبعا وسبعين سنة وكانت إمارته اثنتين وخمسين سنة وقيل اثنتين وأربعين سنة رحمه الله تعالى وميافارقين مشهورة فلا حاجة إلى ضبطها والمحدثة بضم الميم وسكون الحاء المهملة وفتح الدال المهملة وبعدها ثاء مثلثة رباط بظاهر ميافارقين والسدلي بكسر السين المهملة والدال المهملة

وبعدها لام مشددة مكسورة أيضا قبة في القصر مبنية على ثلاث دعائم وهو لفظ عجمي معناه ثلاث قوائم وملك بعده نظام الدين أبو القاسم نصر 74 المستعلي الفاطمي أبو القاسم أحمد المنعوت بالمستعلي ابن المستنصر بن الظاهر بن الحاكم بن العزيز

179 ابن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي عبيدالله وستأتي تتمة النسب عند ذكر المهدي في حرف العين وكيفية الاختلاف فيه إن شاء الله تعالى ولي الأمر بعد أبيه المستنصر بالديار المصرية والشامية وفي أيامه اختلت دولتهم وضعف أمرهم وانقطعت من أكثر مدن الشام دعوتهم وانقسمت البلاد الشامية بين الأتراك واالفرنج خذلهم الله تعالى فإنهم دخلوا الشام ونزلوا على أنطاكية في ذي القعدة سنة تسعين وأربعمائة ثم تسلموها في سادس عشر رجب سنة إحدى وتسعين وأخذوا معرة النعمان في سنة اثنتين وتسعين وأخذوا البيت المقدس في شعبان سنة اثنتين وتسعين أيضا وكان الفرنج قد أقاموا عليه نيفا وأربعين يوما قبل أخذه وكان أخذهم له ضحى يوم الجمعة لخمس وقتل فيه من المسلمين خلق كثير في مدة أسبوع وقتل في الأقصى ما يزيد علي سبعين ألفا وأخذوا من عند الصخرة من أواني الذهب والفضة ما لا يضبطه الوصف وانزعج المسلمون في جميع بلاد الإسلام بسبب أخذه غاية الانزعاج وسيأتي ذكر طرف من هذه الواقعة في ترجمة الأفضل ابن أمير الجيوش في حرف

الشين إن شاء الله تعالى وكان الأفضل شاهنشاه المنعوت بأمير الجيوش قد تسلمه من سكمان بن أرتق في يوم الجمعة لخميس بقين من شهر رمضان سنة إحدى وتسعين وقيل في شعبان سنة تسع وثمانين والله أعلم بالصواب وولي فيه من قبله فلم يكن لمن فيه طاقة بالفرنج فتسلموه منه ولو كان في يد الأرتقية لكان أصلح للمسلمين ثم استولى الفرنج علي كثير من بلاد الساحل في أيامه فملكوا حيفا في شوال سنة ثلاث وتسعين وقيسارية في سنة أربع وتسعين ولم يكن للمستعلي مع الأفضل حكم وفي أيامه هرب أخوه نزار إلى الإسكندرية ونزار هو الأكبر وهو جد أصحاب الدعوة بقلعة الألموت وتلك القلاع وكان من أمره ما قد شهر والشرح يطول (21)

180 وكانت ولادة المستعلي لعشر ليال بقين من المحرم سنة تسع وستين وأربعمائة بالقاهرة وبويع في يوم عيد غدير خم وهو الثامن عشر من ذي الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة وتوفي بمصر يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من صفر سنة خمس وتسعين وأربعمائة رحمه الله تعالى وله من العمر ثمان وعشرون سنة وأيام فكانت مدة ولايته سبع سنين وكسرا وتولى بعده ولده أبو علي المنصور الملقب بالآمر وله من العمر خمس سنين وشهر وأربعة أيام ولم يكن في من تسمى بالخلافة قط أصغر منه ومن المستنصر وكان المستنصر أكبر من هذا ولم يقدر يركب وحده الفرس وقام بتدبير دولته الأفضل ابن أمير

الجيوش أحسن قيام إلى أن قتل في التاريخ المذكور في
بابه في حرف الشين 75 عماد الدين ابن المشطوب أبو
العباس أحمد بن الأمير سيف الدين أبي الحسن علي بن
أحمد بن أبي الهيجاء ابن عبد الله بن أبي الخليل ابن
مرزبان الهكاري المعروف بابن المشطوب الملقب عماد
الدين والمشطوب لقب والده وإنما قيل له ذلك لشطبة كانت
بوجهه كان أميرا كبيرا وافر الحرمة عند الملوك معدودا
بينهم مثل واحد منهم وكان عالي الهمة غزير الجود واسع
الكرم شجاعا أبي النفس تهابه الملوك وله وقائع مشهورة
في الخروج عليهم ولا حاجة إلى ذكرها وكان من أمراء
الدولة الصلاحية فإن والده لما توفي وكانت نابلس إقطاعا
181 أرصد منها السلطان صلاح الدين رحمه الله
تعالى الثلث لمصالح بيت المقدس وأقطع ولده عماد الدين
المذكور باقيها وجده أبو الهيجاء كان صاحب العمادية
وعدة قلاع من بلاد الهكارية ولم يزل قائم الجاه والحرمة
إلى أن صدر منه في سنة دمياط ما قد شهر وقد شرحت
ذلك في ترجمة الملك الكامل فانفصل عن الديار المصرية
وآلت حاله إلى أن حوصر في شهر ربيع الآخر بتل يعفور
القلعة التي بين الموصل وسنجار والقصة مشهورة فراسله
الأمير بدر الدين لؤلؤ أتابك صاحب الموصل ولم يزل
يخدعه ويطمنه إلى أن أذعن للانقياد وحلف له على ذلك
فانتقل إلى الموصل وأقام بها قليلا ثم قبض عليه وذلك في
سنة سبع عشرة وستمائة 22 وأرسله إلى الملك الأشرف

مظفر الدين ابن الملك العادل وإنما قبض عليه تقربا إلى قلبه فإن خروجه في هذه الدفعة كان عليه فاعتقله الملك الأشرف في قلعة حران وضيق عليه تضييقا شديدا من الحديد الثقيل في رجليه والخشب في يديه وحصل في رأسه ولحيته وثيابه من القمل شيء كثير على ما قيل وكنت أسمع بذلك في وقته وأنا صغير وبلغني أن بعض من كان متعلقا بخدمته كتب في ذلك الوقت إلى الملك الأشرف دوبيت في معناه وهو (يا من بدوام سعده دار فلك * ما أنت من الملوك بل أنت ملك) (مملوكك ابن المشطوب في السجن هلك * أطلقه فإن الأمر لله ولك) ومكث على تلك الحال إلى أن توفي في الاعتقال في شهر ربيع الآخر سنة تسع عشرة وستمائة وبنت له ابنته قبة على باب مدينة رأس عين ونقلته من حران إليها ودفنته بها رحمه الله تعالى ورأيت قبره هناك ولما كان في السجن كتب إليه بعض الأدباء دوبيت وهو
182 (يا أحمد ما زلت عمادا للدين * يا أشجع من أمسك رمحا بيمين) (لا تأس إذ حصلت في سجنهم * ها يوسف قد أقام في السجن سنين) وهذا مأخوذ من قول البحتري من جملة أبيات (أما في رسول الله يوسف أسوه * لمثلك محبوسا على الظلم والإفك) (أقام جميل الصبر في السجن برهة * فآل به الصبر الجميل إلى الملك) وكانت ولادة الأمير عماد الدين في سنة خمس وسبعين وخمسمائة تقديرا ورأيت في بعض رسائل القاضي

الفاضل أن الأمير سيف الدين أبا الحسن علي ابن أحمد الهكاري المعروف بالمشطوب كتب إلى الملك الناصر صلاح الدين يخبره بولادة ولده عماد الدين أبي العباس أحمد وأن عنده امرأة أخرى حاملا فكتب القاضي الفاضل جوابه وصل كتاب الأمير دالا على الخبر بالولدين الحال على التوفيق والسائر كتب الله سلامته في الطريق فسررنا بالغرة الطالعة من لثامها وتوقعنا المسرة بالثمرة الباقية في أكمامها (8) وأما والده سيف الدين المشطوب فإن السلطان صلاح الدين كان قد رتبه في عكا لما خاف عليها من الفرنج هو وبهاء الدين قراقوش الآتي ذكره إن شاء الله تعالى ولم يزل بها حتى حاصرهم الفرنج بها وأخذوها ولما خلص منها وصل رلى السلطان وهو بالقدس يوم الخميس مستهل جمادي الآخرة سنة ثمان وثمانين وخمسمائة قال ابن شداد دخل على السلطان بغتة وعنده أخوه الملك العادل فنهض إليه واعتنقه وسر به سرورا عظيما وأخلى المكان وتحدث معه طويلا

183 وكانت وفاة سيف الدين يوم الخميس السادس والعشرين من شوال سنة ثمان وثمانين وخمسمائة بنابلس رحمه الله تعالى هكذا ذكره العماد الكاتب الأصبهاني في كتاب البرق الشامي وقال بهاء الدين بن شداد في كتابه سيرة صلاح الدين إنه توفي يوم الأحد الثالث والعشرين من شوال من السنة المذكورة بالقدس الشريف ودفن في داره بعد أن صلي عليه بالمسجد الأقصى ولم يكن في

أمراء الدولة الصلاحية أحد يضاهيه ولا يدانيه في المنزلة وعلو المرتبة وكانوا يسمونه الأمير الكبير وكان ذلك علما عليه عندهم لا يشاركه فيه غيره ورأيت بخط القاضي الفاضل ورد الخبر بوفاة الأمير سيف الدين المشطوب أمير الأكراد وكبيرهم وكانت وفاته يوم الأحد الثاني والعشرين من شوال من السنة المذكورة بالقدس وخبزه يوم وفاته بنابلس وغيرها ثلثمائة ألف دينار وكان بين خلاصه من أسره وحضور أجله دون مائة يوم فسبحان الحي الذي لا يموت وتهدم به بنيان قوم والدهر قاض ما عليه لوم قلت وقوله وتهدم به بنيان قوم هذا الكلام حل فيه بيت الحماسة وهو (فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما) وهذا البيت من جملة مرثية عبدة بن الطبيب التي رثى بها قيس بن عاصم التميمي الذي قدم من البادية على النبي في وفد بني تميم في سنة تسع للهجرة وأسلم وقال النبي في حقه هذا سيد أهل الوبر وكان عاقلا مشهورا بالحلم والسودد وهذا البيت لأهل العربية في إعرابه كلام ليس هذا موضع ذكره وقد ذكره أبو تمام الطائي في باب المراثي من جملة ثلاثة أبيات وهي (عليك سلام الله قيس بن عاصم * ورحمته ما شاء أن يترحما)

184 (تحية من غادرته غرض الردى * إذا زار عن شحط بلادك سلما) (فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما) وهذا قيس أول من وأد البنات في

الجاهلية للغيرة والأنفة من النكاح وتبعه الناس في ذلك إلى أن أبطله الإسلام (9) وأما الأمير بدر الدين لؤلؤ المذكور فإنه توفي يوم الجمعة ثالث شعبان سنة سبع وخمسين وستمائة بقلعة الموصل ودفن بها في مشهد هناك وعمره مقدار وثمانين سنة رحمه الله تعالى 76 صلاح الدين الإربلي أبو العباس أحمد بن عبد السيد بن شعبان بن محمد بن جابر بن قحطان الإربلي الملقب صلاح الدين وهو من بيت كبير بإربل وكان حاجبا عند الملك المعظم مظفر الدين بن زين الدين صاحب إربل فتغير عليه واعتقله مدة فلما أفرج عنه خرج منها قاصدا بلاد الشام في سنة ثلاث وستمائة صحبة الملك القاهر بهاء الدين أيوب ابن الملك العادل فاتصل بخدمة الملك المغيث ابن الملك العادل وكان قد عرفه من إربل وحسنت حاله عنده فلما توفي المغيث انتقل الصلاح إلى الديار المصرية وخدم الملك الكامل فعظمت منزلته عنده ووصل منه إلى ما لم يصل إليه غيره واختص به في خلواته وجعله أميرا وكان الصلاح ذا فضيلة تامة ومشاركات حسنة بلغني أنه كان يحفظ

185 الخلاصة في الفقه للإمام الغزالي وله نظم حسن ودوبيت رائق وبه تقدم عند الملوك ثم إن الملك الكامل تغير عليه واعتقله في المحرم سنة ثماني عشرة وستمائة وهو بالمنصورة في قبالة الفرنج وسيره إلى قلعة القاهرة ولم يزل في الاعتقال مضيقا عليه على هذه الحال

إلى شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وستمائة فعمل الصلاح دوبيت وأملاه على بعض القيان فغناه عند الملك الكامل فاستحسنه وسأله لمن هذا فقال للصلاح فأمر بالإفراج عنه والدوبيت المذكور (ما أمر تجنيك على الصب خفي * أفنيت زماني بالأسى والأسف) (ما ذا غضب بقدر ذنبي ولقد * بالغت وما أردت إلا تلفي) وقيل إن الدوبيت الذي كان سبب خلاصه قوله (اصنع ما شئت أنت المحبوب * ما لي ذنب بلى كما قتلت ذنوب) (هل تسمح بالوصال في ليلتنا * تجلو صدأ القلب وتعفو وأتوب) فلما خرج عادت مكانته عنده إلى أحسن مما كانت عليه وكان الملك الكامل قد تغير على بعض إخوته وهو الملك الفائز سابق الدين إبراهيم ابن الملك العادل فدخل على الصلاح وسأله أن يصلح أمره مع أخيه الملك الكامل فكتب الصلاح إليه (من شرط صاحب مصر أن يكون كما * قد كان يوسف في الحسنى لإخوته) (أسوا فقابلهم بالعفو وافتقروا * فبرهم وتولاهم برحمته) وعند وصول الانبرور صاحب صقلية إلى ساحل الشام في سنة ست

186 وستمائة بعث الملك الكامل الصلاح إليه رسولا فلما قرر القواعد واستحلفه كتب إلى الملك الكامل (زعم الزعيم الأنبرور بأنه * سلم يدوم لنا على أقواله) (شرب اليمين فإن تعرض ناكثا * فيأكلن لذاك لحم شماله) ومن شعره أيضا (وإذا رأيت بنيك فاعلم أنهم * قطعوا إليك

مسافة الآجال) (وصل البنون إلى محل أبيهم * وتجهز الآباء للترحال) وأنشدني بعض أصحابنا له (يوم القيامة فيه ما سمعت به * من كل هول فكن منه على حذر) (يكفيك من هوله أن لست تبلغه * إلا إذا ذقت طعم الموت في السفر) وكتب إليه شرف الدين ابن عنين الشاعر الدمشقي كتابا من دمشق إلى الديار المصرية قال لي صاحبنا عفيف الدين أبو الحسن علي بن عدلان النحوي المترجم الموصلي إن هذا الكتاب كان على يده وتضمن الوصية عليه وفي أوله (أبثك ما لقيت من الليالي * فقد قصت نوائبها جناحي) (وكيف يفيق من عنت الرزايا * مريض ما يرى وجه الصلاح) وللصلاح المذكور ديوان شعر وديوان دوبيت وما زال وافر الحرمة عالي المنزلة عنده وعند الملوك فلما قصد الملك الكامل بلاد الروم وهو في الخدمة

187 مرض في المعسكر بالقرب من السويداء فحمل إلى الرها فمات قبل دخولها في الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة إحدى وثلاثين وستمائة ودفن بظاهرها وقيل مات يوم السبت العشرين من ذي الحجة ودفن بظاهر الرها بمقبرة باب حران ثم نقله ولده من هناك إلى الديار المصرية فدفنه في تربة هناك بالقرافة الصغرى في آخر شعبان سنة سبع وثلاثين وستمائة وكنت يومئذ بالقاهرة وكان تقدير عمره يوم وفاته ستين سنة رحمه الله تعالى ثم وقفت على تاريخ مولده في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين

وسبعين وسبعين وخمسمائة بإربل والإربلي بكسر الهمزة وسكون الراء وكسر الباء الموحدة وبعدها لام هذه النسبة إلى إربل وهي مدينة كبيرة بالقرب من الموصل من جهتها الشرقية 77 ابن عبد الحميد الجرجاني أبو العباس أحمد بن أبي نصر الخصيب بن عبد الحميد بن الضحاك الجرجاني الأصل كان وزير المستنصر بالله ومن بعده المستعين بالله ونفاه المستعين إلى جزيرة أقريطش بجريرة صدرت منه سنة 48 وكان ينسب إلى الطيش والتهور وله في ذلك أخبار وكان قد ركب يوما فوقف له متظلم وشكا حاله فأخرج رجله من الركاب وزج المتكلم في فؤاده فقتله فتحدث الناس بذلك فقال بعض الشعراء في ذلك الزمان هذين البيتين (قل للخليفة يابن عم محمد * أشكل وزيرك إنه ركال) (أشكله عن ركل الرجال وإن ترد * مالا فعند وزيرك الأموال)

188 يقال ركله إذا رفسه وأبوه الخصيب ممدوح أبي نواس الحكمي كان سبب توليته أن الرشيد قرأ يوما في المصحف فانتهى إلى قوله تعالى (^ أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي الاية) فقال لعنه الله ما كان أرقعه ادعي الربوبية بملك مصر والله لأولينها أخس خدمي فولاها الخصيب وكان على وضوئه ولأبي نواس فيه قصيدتاه الرائيتان وكان قد قصده بهما إلى مصر وهو أميرها وما أحسن قوله في إحداهما (تقول التي من بيتها خف مركبي * عزيز علينا أن نراك تسير) (أما دون

مصـــر للغنى متطلب * بلى إن أســـباب الغنى لكثير) (
فقلت لها واســـتعجلتها بوادر * جرت فجرى من جريهن
عبير) (دعيني أكثر حاســـديك برحلة * إلى بلد فيه
الخصـــيب أمير) وهي طويلة وأجازه عليها جائزة ســنية
وكانت وفاة أحمد المذكور ســـنة 265 وكان نفيه إلى
أقريطش في ســـنة 248 وأقريطش جزيرة ببلاد المغرب
خرج منها جماعة من العلماء وأخذها الفرنج ســـنة 350
78 عزيز الدين المســتوفي أبو نصـــر أحمد بن حامد بن
محمد بن عبد الله بن علي بن محمود بن هبة الله بن أله
الأصبهاني الملقب عزيز الدين المستوفي عم العماد الكاتب
الأصبهاني
189 وســـيأتي ذكره إن شـــاء الله تعالى كان العزيز
المذكور رئيسا كبير القدر ولي المناصب العلية في الدولة
السلجوقية ولم يزل مقدما فيها قصده بنو الحاجات ومدحه
الشعراء وأحسن جوائزهم وفيه يقول أبو محمد الحسن بن
أحمد بن جكينا البغدادي الشاعر المشهور من جملة قصيدة
(أميلوا بنا نحو العراق ركابكم * لنكتال من مال العزيز
بصـــاعه) وللقاضـــي أبو بكر أحمد بن محمد الأرجاني
المقدم ذكره فيه مدائح والأبيات البائية المذكورة في
ترجمته هي من جملة قصيدة طويلة يمدح بها عزيز الدين
المذكور وكان ابن أخيه العماد يفتخر به كثيرا وقد ذكره
في أكثر تواليفه وكان في آخر أمره متولي الخزانة
للســلطان محمود بن محمد بن ملكشـــاه بن ألب أرســـلان

السلجوقي وكان السلطان محمود المذكور زوج بنت عمه السلطان سنجر بن ملكشاه فماتت عنده فطالبه عمه بما خرج معها في جهازها من أنواع التحف والغرائب التي لا توجد في خزائن الملوك فجحدها محمود وخاف من عزيز الدين أن يشهد بما وصل صحبتها لأنه كان مطلعا عليه من جهة الخزانة فقبض عليه وسيره إلى قلعة تكريت وكانت القلعة له إذ ذاك فحبسه بها ثم قتله بعد ذلك في أوائل سنة خمس وعشرين وخمسمائة رحمه الله تعالى وذكر ابن أخيه العماد الكاتب في كتاب الخريدة أن مولده بأصبهان سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة وقتله سنة ست وعشرين وخمسمائة بتكريت وكان قبضه ببغداد وذكر العماد الكاتب أنه لما قتل كان الأميران نجم الدين أيوب أبو السلطان صلاح الدين وأخوه أسد الدين شيركوه في القلعة المذكورة متوليي أمورها وأنهما دافعا عنه فما أجدى الدفاع

190 وأله بفتح الهمزة وضم اللام وسكون الهاء لفظة عجمية معناها بالعربية العقاب وقد تقدم الكلام في ضبط اصبهان فلا حاجة إلى الإعادة 79 أبو العباس القسطلاني الشيخ أبو العباس أحمد بن علي القسطلاني صحب الشيخ أبا عبد اللّه القرشي وانتفع به وتمت عليه بركته وروى عنه وجمع جميع كلامه وما كان يصدر عنه في مجلد كبير ووقفت عليه ونقلت منه ما مثاله قال أبو العباس أحمد بن علي القسطلاني رحمه الله في ذي الحجة سنة عشر وستمائة سمعت الشيخ زبا عبد الله القرشي يقول

كنت عند الشـيخ أبي إسـحاق إبراهيم بن طريف حاضـرا فتى إليه إنسان فسأله هل يجوز للإنسان أن يعقد على نفسه عقدا لا يحله إلا بنيل مطلوبه فقال الشـيخ نعم واسـتدل بحديث أبي لبابة الأنصـاري في قصـة بني النضـير وقوله أما أنه لو أتاني لاسـتغفرت له ولكن إذا فعل ذلك بنفسـه فدعوه حتى يحكم اللهه فيه قال فسـمعت هذه المسـألة وعقدت على نفسـي أنني لا أتناول شـيئا إلا بإظهار قدره فمكثت ثلاثة أيام وكنت إذ ذاك أعمل في الحانوت صناعتي فبينا أنا جالس على الكرسي إذ ظهر لي شخص بيده شيء في إناء فقال لي اصـبر إلى العشـاء تأكل من هذا ثم غاب عني فبينا أنا في وردي بين العشـاءين إذ انشـق الجدار وظهرت لي حوراء بيدها ذلك الإناء الذي كان بيد ذلك الشـخص فيه شـيء يشبه العسل فتقدمت إلي وألعقتني منه ثلاثا فصعقت وغشي علي ثم أفقت وقد ذهبت فلم يطب لي بعد ذلك طعام وأشـربت في قلبي تلك الصـورة فما استحسـنت بعدها شـخصا ولا كنت أتمكن من سماع كلام الخلق

191 80 أرتق أرتق بن أكسـب جد الملوك الأرتقية

هو رجل من التركمان تغلب على حلوان والجبل ثم سـار إلى الشـام مفارقا لفخر الدولة أبي نصـر محمد بن جهير خائفا من السلطان محمد بن ملكشاه وذلك في سنة ثمان أو تسـع وأربعين وأربعمائة وملك القدس من جهة تاج الدولة تتش السـلجوقي الآتي ذكره إن شـاء الله تعالى ولما توفي

أرتق في التاريخ المذكور فيه تولاه بعده ولداه سكمان وإيلغازي ابنا أرتق ولم يزالا به حتى قصدهما الأفضل شاهنشاه أمير الجيوش الآتي ذكره إن شاء الله تعالى من مصر بالعساكر وأخذه منهما في شوال سنة إحدى وتسعين وأربعمائة وتوجها إلى بلاد الجزيرة الفراتية وملكا ديار بكر وصاحب قلعة ماردين الآن من أولاده وملك ولده نجم الدين إيلغازي مدينة ماردين سنة إحدى وخمسمائة وكان ولاه السلطان محمد شحنكية بغداد وتوفي سكمان بن أرتق بعلة الخوانيق في طريق الفرات بين طرابلس والقدس سنة ثمان وتسعين وأربعمائة وكان أرتق رجلا شهما ذا عزمة وسعادة وجد واجتهاد وتوفي سنة أربع وثمانين وأربعمائة رحمه الله تعالى وهو بضم الهمزة وسكون الراء وضم التاء المثناة من فوقها وبعدها قاف وأكسب بفتح الهمزة وسكون الكاف وفتح السين المهملة وبعدها باء موحدة وقيل هو أكسك بالكاف بدل الباء والله أعلم

192 81 أرسلان البساسيري أبو الحارث أرسلان بن عبد الله البساسيري التركي مقدم الأتراك ببغداد يقال إنه كان مملوك بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه والله أعلم وهو الذي خرج على الامام القائم بأمر الله ببغداد وكان قد قدمه على جميع الأتراك وقلده الأمور بأسرها وخطب له على منابر العراق وخوزستان فعظم أمره وهابته الملوك ثم خرج على الامام القائم وأخرجه من بغداد وخطب للمستنصر العبيدي صاحب مصر فراح الإمام القائم إلى

أمير العرب محيي الدين أبي الحارث مهارش بن المجلي العقيلي صاحب الحديثة وعانة فآواه وقام بجميع ما يحتاج إليه مدة سنة كاملة حتى جاء طغرلبك السلجوقي المذكور بعد هذا وقاتل البساسيري المذكور وقتله وعاد القائم إلى بغداد وكان دخوله إليها في مثل اليوم الذي خرج منها بعد حول كامل وكان ذلك من غرائب الاتفاق وقصته مشهورة وقتله عسكر السلطان طغرلبك السلجوقي ببغداد يوم الخميس خامس عشر ذي الحجة وقال ابن العظيمي يوم الثلاثاء حادي عشر ذي الحجة سنة إحدى وخمسين وأربعمائة وطيف برأسه في بغداد وصلب قبالة باب النوبي والبساسيري بفتح الباء الموحدة والسين المهملة وبعد الألف سين مهملة مكسورة ثم ياء ساكنة مثناة من تحتها وبعدها راء هذه النسبة إلى بلدة بفارس يقال له بسا وبالعربية فسا والنسبة إليها بالعربي فسوي ومنها

193 الشيخ أبو علي الفارسي النحوي صاحب الإيضاح ويقال له فسوي أيضا وأهل فارس يقولون في النسبة إليها البساسيري وهي نسبة شاذة على خلاف الأصل وكان سيد أرسلان المذكور من بسا فنسب المملوك إليه واشتهر بالبساسيري هكذا ذكره السمعاني نقلا عن الأديب أبي العباس أحمد بن علي ابن بابه القاشي وفي هذه اللفظة زيادة ليست في الأصل ومات الأمير مهارش بن المجلي في صفر سنة تسع وتسعين وأربعمائة وقد ناهز ثمانين سنة وهو مهارش بن المجلي بن عليث بن قبان بن

شـعب بن المقلد بن جعفر بن عمرو بن المهنا وبقية نسـبه ستأتي في ترجمة المقلد بن المسيب إن شاء الله تعالى 82 الملك العادل أتابك أبو الحارث أرسلان شاه بن عز الدين مسـعود بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي بن آق سـنقر صـاحب الموصـل المعروف بأتابك الملقب الملك العادل نور الدين بوسـيأتي ذكر جماعة من أهل بيته إن شاء الله تعالى كل واحد في حرفه ملك نور الدين المذكور الموصـل بعد وفاة أبيه في التاريخ المذكور هناك وكان ملكا شـهما عارفا بالأمور وانتقل إلى مذهب الشـافعي رضي الله عنه ولم يكن في بيته شافعي سواه وبني مدرسة للشافعية بالموصل قل أن توجد مدرسة في حسنها وتوفي ليلة الأحد التاسع والعشرين من رجب سنة سبع وستمائة في شبارة

194 بالشـط ظاهر الموصـل والشـبارة عندهم هي الحراقة بمصـر وكتم موته حتى دخل به إلى دار السـلطنة بالموصـل ودفن من تربته التي بمدرسـته المذكورة رحمه الله تعالى (23) وخلف ولدين هما الملك القاهر عز الدين مسعود والملك المنصور عماد الدين زنكي وهما مذكوران في ترجمة جدهما عز الدين مسـعود بن مودود بن زنكي فليطلب منه إن شـاء الله تعالى وقام بالمملكة بعده ولده الملك القاهر كما هو مشـروح هناك وهو أسـاذ الأمير بدر الدين أبي الفضـائل لؤلؤ الذي تغلب على الموصـل وملكها في سنة ثلاثين وستمائة في أواخر شهر رمضان وكان قبل

نائبا بها ثم استقل وهو المذكور في ترجمة عماد الدين بن المشطوب 83 أزهر السمان أبو بكر أزهر بن سعد السمان الباهلي بالولاء البصري روى الحديث عن حميد الطويل وروى عنه أهل العراق كان يصحب أبا جعفر المنصور قبل أن يلي الخلافة فلما وليها جاءه أزهر مهنئا فحجبه المنصور فترصد له يوم جلوسه العام وسلم عليه فقال له المنصور ما جاء بك قال جئت مهنئا بالأمر فقال المنصور أعطوه ألف دينار وقولوا له قد قضيت وظيفة الهناء فلا تعد إلي فمضى وعاد في قابل فحجبه فدخل عليه في مثل ذلك المجلس وسلم عليه فقال له ما جاء بك فقال له سمعت أنك مرضت فجئتك عائدا فقال أعطوه ألف دينار وقولوا له قد قضيت وظيفة العيادة

195 فلا تعد إلي فإني قليل الأمراض فمضى وعاد في قابل فقال له في مثل ذلك المجلس ما جاء بك فقال سمعت منك دعاء مستجابا فجئت لأتعلمه منك فقال له يا هذا إنه غير مستجاب إني في كل سنة أدعو الله به أن لا تأتيني وأنت تأتي وله وقائع وحكايات مشهورة وكانت ولادته سنة إحدى عشرة ومائة وتوفي سنة ثلاث ومائتين وقيل سبع ومائتين رحمه الله تعالى وأزهر بفتح الهمزة وسكون الزاي وفتح الهاء وبعدها راء وهو اسم علم والسمان بفتح السين المهملة وتشديد الميم وبعد الألف نون هذه النسبة إلى بيع السمن وحمله والبصري بفتح الباء الموحدة وكسرها وسكون الصاد المهملة وبعدها راء هذه

النســبة إلى البصــرة وهي من أشــهر مدن العراق وهي إســلامية بناها عمر بن الخطاب رضــي الله عنه في ســنة أربع عشــرة للهجرة على يد عتبة ابن غزوان رضــي الله عنه قال ابن قتيبة في كتاب أدب الكاتب في باب ما تغير من أسماء البلاد البصـرة الحجارة الرخوة فإن حذفوا الهاء قالوا البصـر بكسـر الباء وإنما أجازوا في النسـب بصـري لذلك والبصر أيضا الحجارة الرخوة قاله في الصحاح 84 أســامة بن منقذ أبو المظفر أســامة بن مرشــد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني

196 الكلبي الشيزري الملقب مؤيد الدولة مجد الدين من أكـابر بني منقذ أصــحـاب قلعـة شــيزر وعلمـائهم وشــجعانهم له تصــانيف عديدة في فنون الأدب ذكره أبو البركات ابن المســتوفي في تاريخ إربل وأثنى عليه وعده في جملة من ورد عليه وأورد له مقاطيع من شعره وذكره العماد الكاتب في الخريدة وقال بعد الثناء عليه سكن دمشق ثم نبت به كما تنبو الدار بالكريم فانتقل إلى مصـر فبقي بها مؤمرا مشــارا إليه بالتعظيم إلى أيام الصــالح بن رزيك ثم عاد إلى الشــام وســكن دمشــق ثم رماه الزمان إلى حصــن كيفا فأقام به حتى ملك الســلطان صــلاح الدين رحمه الله تعالى دمشـق فاسـتدعاه وهو شـيخ قد جاوز الثمانين وقال غير العماد إن قدومه مصـر كان في أيام الظافر بن الحافظ والوزير يومئذ العادل بن الســلار فأحســن إليه وعمل عليه حتى قتل حســبما هو مشــروح في ترجمته قلت ثم وجدت

جزءا كتبه بخطه للرشيد بن الزبير حتى يلحقه بكتاب الجنان وكتب عليه أنه كتبه بمصر سنة إحدى وأربعين وخمسمائة فيكون قد دخل مصر في أيامه وأقام بها حتى قتل العادل بن السلار إذ لا خلاف أنه حضر هناك وقت قتله وله ديوان شعر في جزأين موجود في أيدي الناس ورأيته بخطه ونقلت منه قوله (لا تستعر جلدا على هجرانهم * فقواك تضعف من صدود دائم) (واعلم بأنك إن رجعت إليهم * طوعا وإلا عدت عودة راغم) ونقلت منه في ابن طليب المصري وقد احترقت داره (انظر إلى الأيام كيف تسوقنا * قسرا إلى الإقرار بالأقدار) (ما أوقد ابن طليب قط بداره * نارا وكان خرابها بالنار)

197 (10) ومما يناسب هذه الواقعة أن الوجيه ابن صورة المصري دلال الكتب كانت له بمصر دار موصوفه بالحسن فاحترقت فعمل نشء الملك أبو الحسن علي ابن مفرج المعروف بابن المنجم المعري الأصل المصري الدار والوفاة (أقول وقد عاينت دار ابن صورة * وللنار فيها مارج يتضرم) (كذا كل مال أصله من مهاوش * فعما قليل في نهابر يعدم) (وما هو إلا كافر طال عمره * فجاءته لما استبطأته جهنم) والبيت الثاني مأخوذ من قوله من أصاب مالا من مهاوش أذهبه الله في نهابر والمهاوش الحرام والنهابر المهالك والوجيه المذكور هو أبو الفتوح ناصر بن أبي الحسن علي بن خلف الأنصاري المعروف بابن صورة وكان سمسارا في الكتب

بمصر وله في ذلك حظ كبير وكان يجلس في دهليز داره
لذلك يوجتمع عنده في يومي الأحد والأربعاء أعيان
الرؤساء والفضلاء ويعرض عليهم الكتب التي تباع ولا
يزالون عنده إلى انقضاء وقت السوق فلما ماتت السلفي
سار إلى الإسكندرية لبيع كتبه ومات في السادس عشر من
شهر ربيع الآخر سنة سبع وستمائة بمصر ودفن بقرافتها
رحمه الله تعالى ولابن منقذ من قطعه يصف ضعفه (
فاعجب لضعف يدي عن حملها قلما * من بعد حطم القنا
في لبة الأسد) ونقلت من ديوانه أيضا أبياتا كتبها إلى أبيه
مرشد جوابا عن أبيات كتبها أبوه إليه وهي
198 (وما أشكو تلون أهل ودي * ولو أجدت
شكيتهم شكوت) (مللت عتابهم ويئست منهم * فما
أرجوهم فيمن رجوت) (إذا أدمت قوارصهم فؤادي *
كظمت على أذاهم وانطويت) (ورحت عليهم طلق
المحيا * كأني ما سمعت ولا رأيت) (تجنوا لي ذنوبا ما
جنتها * يداي ولا أمرت ولا نهيت) (ولا والله ما
أضمرت غدرا * كما قد أظهروه ولا نويت) (ويوم
الحشر موعدنا وتبدو * صحيفة ما جنوه وما جنيت) وله
بيتان في هذا الروي والوزن كتبهما في صدر كتاب إلى
بعض أهل بيته في غاية الرقة والحسن وهما (شكا ألم
الفراق الناس قبلي * وروع بالنوي حي وميت) (وأما
مثل ما ضمت ضلوعي * فإني ما سمعت ولا رأيت)
والشيء بالشيء يذكر أنشدني الأديب أبو الحسين يحيى بن

عبد العظيم المعروف بالجزار المصري لنفسه في بعض أدباء مصر وكان شيخا كبيرا وظهر عليه جرب فالتطخ بالكبريت قال فلما بلغني ذلك كتبت إليه (أيها السيد الأديب دعاء * من محب خال من التنكيت) (أنت شيخ وقد قربت من النار * فكيف ادهنت بالكبريت) ونقلت من خط الأمير أبي المظفر أسامة بن منقذ المذكور لنفسه وقد قلع ضرسه وقال عملتهما ونحن بظاهر خلاط وهو معنى غريب ويصلح أن يكون لغزا في الضرس (وصاحب لا أمل الدهر صحبته * يشقى لنفعي ويسعى سعي مجتهد)
199 (لم ألقه مذ تصاحبنا فحين بدا * لناظري افترقنا فرقه الأبد) قال العماد الكاتب وكنت أتمنى أبدا لقياه وأشيم على البعد حياه حتى لقيته في صفر سنة إحدى وسبعين وسألته عن مولده فقال يوم الأحد السابع والعشرين من جمادي الآخرة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة أ ه قلت بقلعة شيزر وتوفي ليلة الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر رمضان سنة أربع وثمانين وخمسمائة بدمشق رحمه الله تعالى ودفن من الغد شرقي جبل قاسيون ودخلت تربته وهي على جانب نهر يزيد الشمالي وقرأت عنده شيئا من القرآن وترحمت عليه وتوفي والده أبو أسامة مرشد سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة رحمه الله تعالى وشيزر بفتح الشين المثلثة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها زاي مفتوحة ثم راء قلعة بالقرب من حماة وهي معروفة بهم وسيأتي ذكرها في حرف العين عند ذكر جده علي بن مقلد

إن شــاء الله تعالى 85 ابن راهويه أبو يعقوب إســحاق بن أبي الحســـن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم بن عبد الله ابن مطر بن عبيد الله بن غالب بن عبد الوراث بن عبيد الله بن عطية بن مرة بن كعب بن همام بن أسـد بن مرة بن عمرو بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ابن مرة الحنظلي المروزي المعروف بابن راهويه جمع بين الحديث والفقه والورع وكان أحد أئمة الإســـلام ذكره الدارقطني فيمن روى عن الشافعي

200 الله عنه وعده البيهقي في أصـــحاب الشـــافعي وكان قد ناظر الشـافعي في مسـألة جواز بيع دور مكة وقد اســتوفى الشــيخ فخر الدين الرازي صــورة ذلك المجلس الذي جرى بينهما في كتابه الذي ســـماه مناقب الإمام الشافعي رضي الله عنه فلما عرف فضله نسخ كتبه وجمع مصنفاته بمصر قال أحمد بن حنبل رضي الله عنه إسحاق عندنا إمام من أئمة المســـلمين وما عبر الجســـر أفقه من إسحاق وقال إسحاق أحفظ سبعين ألف حديث وأذاكر بمائة ألف حديث وما سمعت شيئا قط إلا حفظته ولا حفظت شيئا قط فنسـيته وله مسـند مشـهور وكان قد رحل إلى الحجاز والعراق واليمن والشــام وســمع من ســفيان بن عيينة ومن في طبقته وســمع منه البخاري ومســلم والترمذي وكانت ولادته سنة إحدى وستين سنة ثلاث وستين وقيل سنة ست وستين ومائة وسكن في آخر عمره نيسابور وتوفي بها ليلة الخميس النصـف من شـعبان وقيل الأحد وقيل السبت سنة

ثمان وقيل سبع وثلاثين ومائتين وقيل سنة ثلاثين ومائتين رحمه الله تعالى وراهويه بفتح الراء وبعد الألف هاء ساكنة ثم واو مفتوحة وبعدها ياء مثناة من تحتها ساكنة وبعدها هاء ساكنة لقب أبيه أبي الحسن إبراهيم وإنما لقب بذلك لأنه ولد في طريق مكة والطريق بالفارسية راه وويه معناه وجد فكأنه وجد في الطريق وقيل فيه أيضا راهويه بضم الهاء و سكون الواو وفتح الياء وقال إسحاق المذكور قال لي عبد الله بن طاهر أمير خراسان لم قيل لك ابن راهويه وما معنى هذا و هل تكره أن يقال لك هذا قلت أعلم أيها الأمير أن أبي ولد في الطريق فقالت المراوزة راهويه لأنه ولد في الطريق وكان أبي يكره هذا وأما أنا فلست أكره ذلك ومخلد بفتح الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح اللام وبعدها دال مهملة والحنظلي بفتح الحاء المهملة وسكون النون وفتح الظاء المعجمة وبعدها لام هذه النسبة إلى حنظلة بن مالك ينسب إليه

201

بطن من تميم والمروزي قد تقدم القول فيه في المروروذي

86 ابن مرار الشيباني أبو عمرو إسحاق بن مرار الشيباني النحوي اللغوي هو من رمادة الكوفة ونزل إلى بغداد وهو من المولي وجاور شيبان للتأديب فيها فنسب إليها وكان من الأئمة الأعلام في فنونه وهي اللغة والشعر وكان كثير الحديث كثير السماع ثقة وهو عند الخاصة من أهل العلم والرواية مشهور معروف والذي قصر به عند العامة من أهل العلم أنه كان مشتهرا بشرب النبيذ وأخذ

عنه جماعة كبار منهم الإمام أحمد بن حنبل وأبو عبيد القاسم بن سلام ويعقوب بن السكيت صاحب إصلاح المنطق وقال في حقه عاش مائة وثماني عشرة سنة وكان يكتب بيده إلى أن مات وكان ربما استعار الكتاب مني وأنا إذ ذاك صبي أخذ عنه وأكتب من كتبه وقال ابن كامل مات إسحاق بن مرار في اليوم الذي مات فيه أبو العتاهية وإبراهيم النديم الموصلي سنة ثلاث عشرة ومائتين ببغداد وقال غيره بل توفي سنة ست ومائتين وعمره مائة وعشر سنين وهو الأصح رحمه الله تعالى وله من التصانيف كتاب الخيل وكتاب اللغات وهو المعروف بالجيم ويعرف أيضا بكتاب الحروف وكتاب النوادر الكبير ثلاث نسخ وكتاب

202 غريب الحديث وكتاب النخلة وكتاب الإبل وكتاب خلق الإنسان وكان قد قرأ دواوين الشعراء على المفضل الضبي وكان الغالب عليه النوادر وحفظ الغريب وأراجيز العرب قال ولده عمرو لما جمع أبي أشعار العرب ودونها كانت نيفا وثمانين قبيلة وكان كلما عمل منها قبيلة وأخرجها إلى الناس كتب مصحفا وجعله بمسجد الكوفة حتى كتب نيفا وثمانين مصحفا بخطه ومرار بكسر الميم وبعدها راءان بينهما ألف والشيباني قد تقدم القول فيه وقيل توفي يوم الشعانين سنة عشر والله أعلم 87 إسحاق الموصلي أبو محمد إسحاق بن إبراهيم بن ماهان بن بهمن بن نسك التميمي بالولاء الأرجاني الأصل المعروف بابن

النديم الموصلي وقد سبق ذكر أبيه والكلام في نسبته ونسبه
فأغني عن الإعادة كان من ندماء الخلفاء وله الظرف
المشهور والخلاعة والغناء اللذان تفرد بهما وكان من
العلماء باللغة والأشعار وأخبار الشعراء وأيام الناس
وروى عنه مصعب بن عبد الله الزبيري والزبير ابن بكار
وغيرهما وكان له يد طولى في الحديث والفقه وعلم الكلام
قال محمد بن عطية العطوي الشاعر كنت في مجلس
القاضي يحيى بن أكثم فوافى إسحاق بن إبراهيم الموصلي
وأخذ يناظر أهل الكلام حتى انتصف
203 منهم ثم تكلم في الفقه فأحسن وقاس واحتج
وتكلم في الشعر واللغة ففاق من حضر ثم أقبل على
القاضي يحيى فقال له أعز الله القاضي أفي شيء مما
ناظرت فيه وحكيته نقص أو مطعن قال لا قال فما بالي
أقوم بسائر هذه العلوم قيام أهلها وأنسب إلى فن واحد قد
اقتصر الناس عليه يعني الغناء قال العطوي فالتفت إلي
القاضي يحيى وقال لي الجواب في هذا عليك وكان
العطوي من أهل الجدل فقال للقاضي يحيى نعم أعز الله
القاضب الجواب علي ثم أقبل على إسحاق فقال يا أبا محمد
أنت كالفراء والأخفش في النحو فقال لا فقال فأنت في
اللغة ومعرفة الشعر كالأصمعي وأبي عبيدة قال لا قال
فأنت في علم الكلام كأبي الهذيل العلاف والنظام البلخي
قال لا قال فأنت في الفقه كالقاضي وأشار إلى القاضي
يحيى قال لا قال فأنت في قول الشعر كأبي العتاهية وأبي

نواس قال لا قال فمن ههنا نسبت إلى ما نسبت إليه لأنه لا نظير لك فيه وأنت في غيره دون رؤساء أهله فضحك وقام وانصـــرف فقال القاضـــي يحيى للعطوي لقد وفيت الحجة حقها وفيها ظلم قليل لإســـــحاق وإنه ممن يقل في الزمان نظيره وذكر صـــاحبنا عماد الدين أبو المجد إسـماعيل بن باطيش الموصـلي في كتابه الذي سماه التمييز والفصـل أن إسـحاق بن إبراهيم الموصـلي كان مليح المحاورة والنادرة ظريفا فاضـلا كتب الحديث عن سفيان بن عيينة ومالك بن أنس وهشـيم بن بشـير وأبي معاوية الضــرير وأخذ الأدب عن الأصـمعي وأبي عبيدة وبرع في علم الغناء فغلب عليه ونسب إليه وكان الخلفاء يكرمونه ويقربونه وكان المأمون يقول لولا ما ســبق لإســحاق على ألســنة الناس واشــتهر بالغناء لوليته القضاء فإنه أولى وأعف وأصدق وأكثر دينا وأمانة من هؤلاء القضـاة ولكنه اشـتهر بالغناء وغلب على جميع علومه مع أنه أصـــغرها عنده ولم يكن له فيه نظير وله نظم جيد وديوان شـعر فمن شـعره ما كتبه إلى هارون الرشـــيد (وآمره بالبخل قلت لها اقصـــري * فليس إلى ما تأمرين سبيل)

204 (أرى الناس خلان الجواد ولا أرى * بخيلا له في العالمين خليل) (وإني رأيت البخل يزري بأهله * فأكرمت نفســـي أن يقال بخيل) (ومن خير حالات الفتى لو علمته * إذا نال شــيئا أن يكون ينيل) (عطائي عطاء المكثرين تكرما * ومالي كما قد تعلمين قليل) (وكيف

أخاف الفقر أو أحرم الغنى * ورأي أمير المؤمنين جميل)
(24) وكان كثير الكتب حتى قال أبو العباس ثعلب رأيت لإسحاق الموصلي ألف جزء من لغات العرب وكلها بسماعه وما رأيت اللغة في منزل أحد قط أكثر منها في منزل إسحاق ثم منزل ابن الأعرابي ونقلت من حكاياته أنه قال كان لنا جار يعرف بأبي حفص وينبز باللوطي فمرض جار له فعاده فقال له كيف تجدك أما تعرفني فقال له المريض بصوت ضعيف بلى أنت أبو حفص اللوطي فقال له تجاوزت حد المعرفة لا رفع الله جنبك وكان المعتصم يقول ما غناني إسحاق بن إبراهيم قط إلا خيل لي أنه قد زيد في ملكي وأخباره كثيرة وكان قد عمي في أواخر عمره قبل موته بسنتين ومولده في سنة خمسين ومائة وهي السنة التي ولد فيها الإمام الشافعي رضي الله عنه كما سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى وتوفي في شهر رمضان سنة خمس وثلاثين ومائتين بعلة الذرب وقيل في شوال سنة ست وثلاثين والأول أشهر وقيل توفي يوم الخميس بعد الظهر لخمس خلون من ذي الحجة سنة ست وثلاثين رحمه الله تعالى ورثاه بعض أصحابه بقوله (
أصبح اللهو تحت عفر التراب * ثاويا في محلة الأحباب)
(إذ مضى الموصلي وانقرض الأنس * ومجت مشاهد الأطراب) (بكت الملهيات حزنا عليه * وبكاه الهوى وصفو الشراب)

205 (وبكت آلة المجالس حتى * رحم العود عبرة المضـــراب) وقيـل إن هـذه المرثيـة في أبيـه إبراهيم والصحيح الأول 88 إسحاق بن حنين أبو يعقوب إسحاق بن حنين بن إســحاق العبادي الطبيب المشــهور كان أوحد عصـــره في علم الطب و كان يلحق بأبيه في النقل وفي معرفته باللغات وفصـــاحته فيها وكان يعرب كتب الحكمة التي بلغة اليونانيين إلى اللغة العربية كما كان يفعل أبوه إلا أن الـذي يوجـد من تعريبـه في كتـب الحكمـة من كلام أرســـطاطاليس وغيره أكثر مما يوجد من تعريبه لكتب الطب وكان قد خدم من الخلفاء والرؤساء من خدمه أبوه ثم انقطع إلى القاســم بن عبيد الله وزير الإمام المعتضــد بالله واختص بـه حتى إن الوزير المـذكور كـان يطلعـه على أسراره ويفضي إليه بما يكتمه عن غيره وذكر ابن بطلان في كتاب دعوة الأطباء أن الوزير المذكور بلغه أن إسحاق المذكور اسـتعمل دواء مسـهلا فأحب مداعبته فكتب إليه (أبن لي كيف أمسيت * وما كان من الحال) (وكم سارت بك الناقة * نحو المنزل الخالي)

206 فكتب إليه جوابه (بخير بت مسرورا * رخي البال والحال) (فأما الســير والناقة * والمرتبع الخالي) (فإجلالك أنســـانيه * يا غاية آمالي) وكنت قد وقفت في كتاب الكنايات على مثل هذه القضــية فذكر أن الأول كتب البيتين الأولين وأن الثـاني كتـب الجواب (كتبـت إليـك والنعلان ما إن * أقلهما من المشــي العنيف) (فإن رمت

الجواب إلي فاكتب * على العنوان يوصـــــل في الكنيف)
وله ولأبيه المصـــنفات المفيدة في الطب وســيأتي ذكر أبيه إن شاء الله تعالى ولحقه الفالج في آخر عمره وكانت وفاته في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وقيل تسع وتسعين ومائتين والعبادي بكسر العين المهملة وفتح الباء الموحدة وبعد الألف دال مهملة هذه النســـبة إلى عباد الحيرة وهم عدة بطون من قبائل شـــتى نزلوا الحيرة وكانوا نصـــارى ينســب إليهم خلق كثير منهم عدي بن زيد العبادي الشــاعر المشهور وغيره قال الثعلبي في تفسيره في سورة المؤمنين في قوله تعالى فقالوا أنؤمن لبشـــرين مثلنا وقومهما لنا عابدون أي مطيعون متذللون والعرب تســـمي كل من دان لملك عابدا له ومن ذلك قيل لأهل الحيرة العباد لأنهم كانوا أهل طاعة لملوك العجم والحيرة بكســـر الحاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الراء وبعدها هاء وهي مدينة قديمة كانت لبني المنذر ومن تقدمهم من ملوك العرب مثل عمرو بن عدي اللخمي وهو جد بني المنذر ومن بعده من أبنائه وكانت
207 207 @ من قبل عمرو لخاله جذيمة الأبرش الأزدي صـــاحب الزباء وخربت الحيرة وبنيت الكوفة في الإســلام على ظهرها في ســـنة ســبع عشـرة للهجرة بناها عمر ابن الخطاب رضـــي الله عنه على يد ســـعد بن أبي وقاص رضي الله عنه 89 الميهني أبو الفتح أسعد بن أبي نصـر ابن أبي الفضـل الميهني الفقيه الشـافعي الملقب مجد

الدين كان إماما مبرزا في الفقه والخلاف وله فيه تعليقة مشهورة تفقه بمرو ثم رحل إلى غزنة واشتهر بتلك الديار وشاع فضله وقد مدحه الغزي المقدم ذكره ثم ورد إلى بغداد وفوض إليه تدريس المدرسة النظامية ببغداد مرتين فالأولى في سنة سبع وخمسمائة ثم عزل في ثامن عشر شعبان سنة ثلاث عشرة والمرة الثانية في سنة سبع عشرة في شعبان وخرج إلى العسكر في ذي القعدة من السنة وتولى غيره مكانه واشتغل عليه الناس وانتفعوا به وبطريقته الخلافية وذكره الحافظ أبو سعد السمعاني في الذيل وقال قدم علينا من جهة السلطان محمود السلجوقي رسولا إلى مرو ثم توجه رسولا من بغداد إلى همذان فتوفي بها سنة سبع وعشرين وخمسمائة رحمه الله تعالى قال السمعاني في الذيل سمعت أبا بكر محمد بن علي بن عمر الخطيب يقول سمعت فقيها من أهل قزوين وكان يخدم الإمام أسعد في آخر عمره بهمذان قال كنا في بيت وقت أن قرب أجله فقال لنا اخرجوا من ههنا فخرجنا فوقفت على الباب وتسمعت فسمعته يلطم وجهه ويقول يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله وجعل يبكي ويلطم وجهه ويردد هذه الكلمة إلى أن مات رحمه الله تعالى ذكر لي هذا أو معناه فإني كتبته من حفظي

208 والميهني بكسر الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الهاء والنون وهذه النسبة إلى ميهنة وهي قرية من قرى خابران وهي ناحية بين سرخس وأبيورد من إقليم

خراسان 90 منتجب الدين العجلي أبو الفتوح أسعد بن أبي الفضائل محمود بن خلف بن أحمد بن محمد العجلي الأصبهاني الملقب منتجب الدين الفقيه الشافعي الواعظ كان من الفقهاء الفضلاء الموصوفين بالعلم والزهد مشهورا بالعبادة والنسك والقناعة لا يأكل إلا من كسب يده وكان يورق ويبيع ما يتقوت به وسمع ببلده الحديث على أم إبراهيم فاطمة بنت عبد الله الجوزدانية والحافظ أبي القاسم إسماعيل بن محمد ابن الفضل وأبي الوفاء غانم بن أحمد بن الحسن الجلودي وأبي الفضل عبد الرحيم ابن أحمد بن محمد البغدادي وأبي المطهر القاسم بن الفضل بن عبد الواحد الصيدلاني وغيرهم وقدم بغداد وسمع بها من أبي الفتح محمد بن عبد الباقي بن سليمان المعروف بابن البطي في سنة سبع وخمسين وخمسمائة وغيره وله إجازة حدث بها من أبي القاسم زاهر بن طاهر الشحامي وأبي الفتح إسماعيل بن الفضل الإخشيد

209 المبارك عبد العزيز بن محمد الأزدي وغيرهم وعاد إلى بلده وتبحر ومهر واشتهر وصنف عدة تصانيف فمن ذلك شرح مشكلات الوجيز والوسيط للغزالي تكلم في المواضع المشكلة من الكتابين ونقل من الكتب المبسوطة عليهما وله كتاب تتمة التتمة لأبي سعد المتولي وعليه كان الاعتماد في الفتوى بأصبهان وكان مولده في أحد الربيعين سنة خمس أو أربع عشرة وخمسمائة بأصبهان وتوفي بها في ليلة الخميس الثاني والعشرين من صفر سنة ستمائة

رحمه الله تعالى والعجلي بكسر العين المهملة وسكون الجيم وبعدها لام هذه النسبة إلى عجل بن لجيم وهي قبيلة كبيرة مشهورة بن بني ربيعة الفرس ولجيم بضم اللام وفتح الجيم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها ميم وهو عجل ابن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل قال أبو عبيدة كان عجل بن لجيم يعد في الحمقى بين العرب وكان له فرس جواد فقيل له إن لكل فرس جواد اسما فما اسم فرسك فقال لم أسمه بعد فقيل له فسمه ففقأ إحدى عينيه وقال قد سميته الأعور وفيه قال بعض شعراء العرب (رمتني بنو عجل بداء أبيهم * وهل أحد في الناس أحمق من عجل) (أليس أبوهم عار عين جواده * فسارت به الأمثال في الناس بالجهل) يقال عار العين بالعين المهملة إذا فقأها

210 91 الأسعد ابن مماتي القاضي الأسعد أبو المكارم أسعد بن الخطير أبي سعيد مهذب بن مينا بن زكريا بن أبي قدامة ابن أبي مليح مماتي المصري الكاتب الشاعر كان ناظر الدواوين بالديار المصرية وفيه فضائل وله مصنفات عديدة ونظم سيرة السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى ونظم كتاب كليلة ودمنة وله ديوان شعر رأيته بخط ولده ونقلت منه مقاطيع فمن ذلك قوله (تعاتبني وتنهي عن أمور * سبيل الناس أن ينهوك عنها) (أتقدر أن تكون كمثل عيني * وحقك ما علي أضر منها) وله في شخص ثقيل رآه بدمشق (حكى نهرين ما في

الأرض * من يحكيهما أبدا) (حكى في خلقه ثورى *
وفي أخلاقه بردى) وقد أخذ ابن مماتي معنى بيتيه هذين
من قول بعضـــهم (ضـــاهى ابن بشـــران مدينة جلق *
فكلاهما يوم الفخار فريد) (ألفاظه بردى وصـــورة خلقه
* ثورى ونقص العقل منه يزيد) وله من جملة قصـــيدة
طويلة (لنيرانه في الليل أي تحرق * على الضـــيف إن
أبطا وأي تلهب)
211 (وما ضر من يعشو إلى ضوء ناره * إذا هو
لم ينزل بـآل المهلـب) ولـه في غلام نحوي (وأهيف
أحـدث لـي نحوه * تعجبـا يعرب عن ظرفـه) (علامـة
التأنيث في لفظه * وأحرف العلة في طرفه) ومن شـــعره
ثلاثة أبيات مذكورة في ترجمة يحيى بن نزار المنبجي في
حرف الياء وفي شـــعره أشـــياء حســـنة وذكره العماد
الأصـــبهاني في كتاب الخريدة وأورد له عدة مقاطيع ثم
أعقبه بذكر أبيه الخطير وذكر كثيرا من شـــعره فمن ذلك
قوله في كتمان الســـر وبالغ فيه (وأكتم الســـر حتى عن
إعادته * إلى المسر به من غير نسيان) (وذاك أن لساني
ليس يعلمه * سمعي بسر الذي قد كان ناجاني) وقال لقيته
بـالقـاهرة متولي ديوان جيش الملك النـاصـــر وكـان هو
وجماعته نصـــارى فأســـلموا في ابتداء الملك الصـــلاحي
وللمهذب ابن الخيمي في الأسعد ابن مماتي المذكور يهجوه
(وحديث الإسلام واهي الحديث * باسم الثغر عن ضمير
خبيث) (لو رأى بعض شعره سيبويه * زاده في علامة

التأنيث) وكان الحافظ أبو الخطاب ابن دحية المعروف بذي النسبين رحمه الله تعالى عند وصوله إلى مدينة إربل ورأى اهتمام سلطانها الملك المعظم مظفر الدين ابن زين الدين رحمه الله تعالى بعمل مولد النبي حسبما هو مشروح في حرف الكاف من هذا الكتاب عند ذكر اسمه صنف له كتابا سماه

212 التنوير في مدح السراج المنير وفي آخر الكتاب قصيدة طويلة مدح بها مظفر الدين أولها (لولا الوشاة وهم * أعداؤنا ما وهموا) وقرأ الكتاب والقصيدة عليه وسمعنا نحن الكتاب على مظفر الدين في شعبان سنة ست وعشرين وستمائة والقصيدة فيه ثم بعد ذلك رأيت هذه القصيدة بعينها في مجموعة منسوبة إلى الأسعد ابن مماتي المذكور فقلت لعل الناقل غلط ثم بعد ذلك رأيتها في ديوان الأسعد بكمالها مدح بها السلطان الملك الكامل رحمه الله تعالى فقوي الظن ثم إني رأيت أبا البركات ابن المستوفي قد ذكر هذه القصيدة في تاريخ إربل عند ذكر ابن دحية وقال سألته عن معنى قوله فيها (يفديه من عطا جمادي * كفه المحرم) فما أحار جوابا فقلت لعله مثل قول بعضهم (تسمى بأسماء الشهور فكفه * جمادي وما ضمت عليه المحرم) قال فتبسم وقال هذا أردت فلما وقفت على هذا ترجح عندي أن القصيدة للأسعد المذكور فإنها لو كانت لأبي الخطاب لما توقف في الجواب وأيضا فإن إنشاد القصيدة لصاحب إربل كان في سنة ست وستمائة والأسعد

المذكور توفي في هذه السنة كما سيأتي وهو مقيم بحلب لا تعلق له بالدولة العادلية وبالجملة فالله أعلم لمن هي منهما (26) وكان الأسـعد المذكور قد خاف على نفسه من الوزير صفي الدين بن شكر فهرب من مصر مستخفيا وقصـد مدينة حلب لائذا بجناب السلطان الملك الظاهر رحمه الله تعالى وأقام بها حتى توفي في سلخ جمادي الأولى سنة ست وستمائة يوم الأحد وعمره اثنتان وستون سنة رحمه الله تعالى ودفن في المقبرة المعروفة بالمقام على جانب الطريق بالقرب من مشهد الشيخ علي الهروي وتوفي أبوه الخطير في يوم الأربعاء سادس شهر رمضان من سنة

213 سبع وسبعين وخمسمائة ومينا بكسر الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح النون وبعدها ألف ومماتي بفتح الميمين والثانية منهما مشددة وبعد الألف تاء مثناة من فوقها وهي مكسورة وبعدها ياء مثناة من تحتها وهو لقب أبي مليح المذكور وكان نصرانيا وإنما قيل له مماتي لأنه وقع في مصر غلاء عظيم وكان كثير الصدقة والإطعام وخصوصا لصغار المسلمين فكانوا إذا رأوه ناداه كل واحد منهم مماتي فاشتهر به هكذا أخبرني الشيخ الحافظ زكي الدين أبو محمد عبد العظيم المنذري نفع الله به ثم أنشدني عقيب هذا القول مرثية فيه وقال أظن هذين البيتين لأبي طاهر ابن مكنسة المغربي وهما (طويت سماء المكرمات * وكورت شمس المديح) (من ذا أؤمل

أو أرجي * بعد موت أبي المليح) ثم كشفت عنهما فوجدتهما له وله فيه مدائح أيضا وكان أبو الطاهر ابن مكنسة خصيصا بأبي مليح مماتي جد الأسعد المذكور وكان في بستانه المعروف بظاهر مصر مجاور جامع راشدة الحاكمي منظرته المعروفة بالنزهة ولها البئر الموصوف ماؤها بشدة البرد والحلاوة في الصيف حتى إن صاحب قصر الحكمة كان ينفذ من يأخذ من مائها لشربه وفيها يقول بن مكنسة من جملة قصيدة يمدحه بها ويصف المنظرة (ومن عجائبها البئر التي انفردت * بالقر في الحر والأمواه تضطرم) (كأنما ماؤها في كل هاجرة * ريق الحبيب عقيب الهجر وهي فم)

214 92 البهاء السنجاري أبو السعادات أسعد بن يحيى بن موسى بن منصور بن عبد العزيز بن وهب ابن هبان بن سوار بن عبد الله بن رفيع بن ربيعة بن هبان السلمي السنجاري الفقيه الشافعي الشاعر المنعوت بالبهاء كان فقيها وتكلم في الخلاف إلا أنه غلب عليه الشعر وأجاد فيه واشتهر به وخدم به الملوك وأخذ جوائزهم وطاف البلاد ومدح الأكابر وشعره كثير في أيدي الناس يوجد قصائد ومقاطيع ولم أقف له على ديوان ولم أدر هل دون شعره أم لا ثم وجدت له في خزانة كتب التربة الأشرفية بدمشق ديوانا في مجلد كبير ومن شعره من جملة قصيدة مدح بها القاضي كمال الدين ابن الشهرزوري (وهواك ما خطر السلو بباله * ولأنت أعلم في الغرام بحاله)

ومتى وشى واش إليك بأنه * سال هواك فذاك من عذاله) (أو ليس للكلف المعنى شاهد * من حاله يغنيك عن تسآله) (جددت ثوب سقامه وهتكت ستر غرامه * وصرمت حبل وصاله) (أفزلة سبقت له أم خلة * مألوفة من تيهه ودلالة) (يا للعجائب من أسير دأبه * يفدي الطليق بنفسه وبماله) (بأبي وأمي نابل بلحاظه * لا تتقي بالدرع حد نباله)

215 (ريان من ماء الشبيبة والصبا * شرقت معاطفه بطيب زلاله) (تسري النواظر في مراكب حسنه * فتكاد تغرق في بحار جماله) (فكفاه عين كماله في نفسه * وكفى كمال الدين عين كماله) (كتب العذار على صحيفة خده * نونا وأعجمها بنقطة خاله) (فسواد طرته كليل صدوده * وبياض غرته كيوم وصاله) ولولا خوف الإطالة لذكرتها جميعها وهذا القدر هو المشهور له وقد أضافوا إليها بيتين ولا أتحققهما فتركتهما وله أيضا من جملة قصيدة (ومهفهف حلو الشمائل فاتر * الألحاظ فيه طاعة وعقوق) (وقف الرحيق علي مراشف ثغره * فجرى به من خده راووق) (سدت محاسنه على عشاقه * سبل السلو فما إليه طريق) وله من قصيدة أخرى (هبت نسيمات الصبا سحرة * ففاح منها العنبر الأشهب) (فقلت إذ مرت بوادي الغضا * من أين هذا النفس الطيب) (11) وكان قد جاءنا ونحن في بلادنا في سنة ثلاث وعشرين وستمائة الشيخ جمال الدين أبو المظفر

عبدالرحمن بن محمد المعروف بابن السنينيرة الواسطي
وكان من أعيان شعراء عصره ونزل عندنا بالمدرسة
المظفرية وكان قد طاف البلاد ومدح الملوك وأجازوه
الجوائز السنية وإذا قعد حضر عنده كل من له عناية
بالأدب وتجري بينهم محاضرات ومذاكرات لطيفة وكان
قد طعن في السن فقال يوما رافقني البهاء السنجاري في
بعض الأسفار من سنجار إلى رأس عين أو قال من رأس
عين إلى سنجار فنزلنا في الطريق من مكان وكان
216 له غلام اسمه إبراهيم وكان يأنس به فأبعد عنا
الغلام فقام يطلبه فناداه يا إبراهيم يا إبراهيم مرارا فلم
يسمع نداءه لبعده عنا وكان ذلك الموضع له صدى فكلما
قال يا إبراهيم أجابه الصدى يا إبراهيم فقعد ساعة ثم
انشدني (بنفسي حبيب جار وهو مجاور * بعيد عن
الأبصار وهو قريب) (يجيب صدى الوادي إذا ما دعوته
* على أنه صخر وليس يجيب) وكان للبهاء السنجاري
صاحب وبينهما مودة أكيدة واجتماع كثير ثم جرى بينهما
في بعض الأيام عتاب وانقطع ذلك الصاحب عنه فسير
إليه يعتبه لا نقطاعه فكتب إليه بيتي الحريري اللذين
ذكرهما في المقامة الخامسة عشرة وهما (لا تزر من
تحب في كل شهر * غير يوم ولا تزده عليه) (فاجتلاء
الهلال في الشهر يوم * ثم لا تنظر العيون إليه) فكتب
إليه البهاء من نظمه (إذا حققت من خل ودادا * فزره ولا
تخف منه ملالا) (وكن كالشمس تطلع كل يوم * ولاتك

في زيارته هلالا) وله وهما من شعره السائر (لله أيامي على رامة * وطيب أوقاتي على حاجر) (تكاد للسرعة في مرها * أولها يعثر بالآخر) وله من قصيدة في وصف الخمر وهو معنى مليح (كادت تطير وقد طرنا بها طربا * لولا الشباك التي صيغت من الحبب) وذكره عماد الدين الأصبهاني الكاتب في كتاب السيل والذيل وقال أنشدني لنفسه
217 (ومن العجائب أنني * في لج بحر الجود راكب) (وأموت من ظمإ ولكن * عادة البحر العجائب) وله أشياء حسنة وكانت ولادته سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة وتوفي في أوائل سنة اثنتين وعشرين وستمائة بسنجار رحمه الله تعالى 93 المزني صاحب الشافعي أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن إسحاق المزني صاحب الإمام الشافعي رضي الله عنه هو من أهل مصر وكان زاهدا عالما مجتهدا محجاجا غواصا على المعاني الدقيقة وهو إمام الشافعيين وأعرفهم بطرقه وفتاويه وما ينقله عنه صنف كتبا كثيرة في مذهب الإمام الشافعي منها الجامع الكبير والجامع الصغير ومختصر المختصر والمنثور والمسائل المعتبرة والترغيب في العلم وكتاب الوثائق وغير ذلك وقال الشافعي رضي الله عنه في حقه المزني ناصر مذهبي وكان إذا فرغ من مسألة وأودعها مختصره قام إلى المحراب وصلى ركعتين شكرا لله تعالى وقال أبو العباس أحمد بن سريج يخرج مختصر

المزني من الدنيا عذراء لم تفض وهو أصـــل الكتب المصـنفة في مذهب الشـافعي رضـــي الله عنه وعلى مثاله رتبوا ولكلامه فسروا وشرحوا ولما ولي القاضي بكار بن قتيبة الآتي ذكره إن شاء الله تعالى القضاء بمصر

218 وجاءها من بغداد وكان حنفي المذهب تتوقع الاجتماع بالمزني مدة فلم يتفق له فاجتمعا يوما في صــلاة جنازة فقال القاضـي بكار لأحد أصـحابه سل المزني شيئا حتى أسـمع كلامه فقال له ذلك الشـخص يا أبا إبراهيم قد جاء في الأحاديث تحريم النبيذ وجاء تحليله أيضا فلم قدمتم التحريم على التحليل فقال المزني لم يذهب أحد من العماء إلى أن النبيذ كان حراما في الجاهلية ثم حلل ووقع الاتفاق على أنه كان حلالا فهذا يعضـد صـحة الأحاديث بالتحريم فاستحسن ذلك منه وهذا من الأدلة القاطعة وكان في غاية الورع وبلغ من احتياطه أنه كان يشـرب في جميع فصـول السـنة من كوز نحاس فقيل له في ذلك فقال بلغني أنهم يسـتعملون السـرجين في الكيزان والنار لا تطهرها وقيل إنه كان إذا فاتته الصـلاة في جماعة صـلى منفردا خمسـا وعشرين صلاة استدراكا لفضيلة الجماعة متسندا في ذلك إلى قوله صـلاة الجماعة أفضـل من صـلاة أحدكم وحده بخمس وعشـرين درجة وكان من الزهد علي طريقة صعبة شديدة وكان مجاب الدعوة ولم يكن أحد من أصحاب الشـافعي يحدث نفسـه في شـيء من الأشـياء بالتقدم عليه وهو الذي تولى غسل الإمام الشـافعي وقيل كان معه أيضـا

حينئذ الربيع وذكره ابن يونس في تاريخه وسماه وجعل مكان اسم جده إسحاق مسلما ثم قال صاحب الشافعي وذكر وفاته كما تقدم وقال كانت له عبادة وفضل ثقة في الحديث لا يختلف فيه حاذق من أهل الفقه وكان أحد الزهاد في الدنيا وكان من خير خلق اللهه عز وجل ومناقبه كثيرة وتوفي لست بقين من شهر رمضان سنة أربع وستين ومائتين بمصر ودفن بالقرب من تربة الإمام الشافعي رضي اللهه عنه بالقرافة الصغرى بسفح المقطم رحمه الله تعالى وزرت قبره هناك وذكر ابن زولاق في تاريخه الصغير أنه عاش تسعا وثمانين سنة وصلى عليه الربيع بن سليمان المؤذن المرادي

219 والمزني بضم الميم وفتح الزاي وبعدها نون هذه النسبة إلى مزينة بنت كلب وهي قبيلة كبيرة مشهورة

94 أبو العتاهية أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان العنزي بالولاء العيني المعروف بأبي العتاهية الشاعر المشهور مولده بعين التمر وهي بليدة بالحجاز قرب المدينة وقيل إنها من أعمال سقي الفرات وقال ياقوت الحموي في كتابه المشترك إنها قرب الأنبار والله أعلم ونشأ بالكوفة وسكن بغداد وكان يبيع الجرار فقيل له الجرار واشتهر بمحبة عتبة جارية الإمام المهدي وأكثر نسيبه فيها فمن ذلك قوله (أعلمت عتبة أنني * منها على شرف مطل) (وشكوت ما ألقى إليها * والمدامع تستهل

(حتى إذا برمت بما * أشكو كما يشكو الأقل) (قالت فأي الناس يعلم * ما تقول فقلت كل)
220 وكتب مرة إلى المهدي وعرض بطلبها منه (نفسي بشيء من الدنيا معلقة * الله والقائم المهدي يكفيها) (إني لأيأس منها ثم يطمعني * فيها احتقارك للدنيا وما فيها) وقال أبو العباس المبرد في كتاب الكامل إن أبا العتاهية كان قد استأذن في أن يطلق له أن يهدي إلى أمير المؤمنين في النيروز والمهرجان فأهدى له في أحدهما برنية ضخمة فيها ثوب ناعم مطيب قد كتب على حواشيه هذين البيتين المقدم ذكرهما فهم بدفع عتبة إليه فجزعت وقالت يا أمير المؤمنين حرمتي وخدمتي أتدفعني إلى رجل قبيح المنظر بئع جرار ومتكسب بالشعر فأعفاها وقال املأوا له البرنية مالا فقال للكتاب أمر لي بدنانير وقالوا ما ندفع إليك ذاك ولكن إن شئت أعطيناك دراهم إلى أن يفصح بما أراد فاختلف في ذلك حولا فقالت عتبة لو كان عاشقا كما يزعم لم يكن يختلف منذ حول في التمييز بين الدراهم والدنانير وقد أعرض عن ذكري صفحا ومن مديحه (إني أمنت من الزمان وصرفه * لما علقت من الأمير حبالا) (لو يستطيع الناس من إجلاله * تخذوا له حر الخدود نعالا) (إن المطايا تشتكيك لأنها * قطعت إليك سباسبا ورمالا) (فإذا وردن بنا وردن خفائفا * وإذا صدرن بنا صدرن ثقالا) وهذه الأبيات قالها في عمر بن العلاء فأعطاه سبعين ألفا وخلع عليه حتى

221 يقدر أن يقوم فغار الشعراء من ذلك فجمعهم ثم قال يا معشر الشعراء عجبا لكم ما أشد حسدكم بعضكم بعضا إن أحدكم يأتينا ليمدحنا بقصيدة يشبب فيها بصديقته بخمسين بيتا فما يبلغنا حتى تذهب لذاذة مدحه ورونق شعره وقد أتانا أبو العتاهية فشبب بأبيات يسيرة ثم قال وأنشد الأبيات المذكورة فما لكم منه تغارون وكان أبو العتاهية لما مدحه بهذه الأبيات تأخر عنه بره قليلا فكتب إليه يستبطئه (أصابت علينا جودك العين يا عمر * فنحن لها نبغي التمائم والنشر) (سنرقيك بالأشعار حتى تملها * وإن لم تفق منها رقيناك بالسور) قال أشجع السلمي الشاعر المشهور أذن الخليفة المهدي للناس في الدخول عليه فدخلنا فأمرنا بالجلوس فاتفق أن جلس بجنبي بشار بن برد وسكت المهدي فسكت الناس فسمع بشار حسا فقال لي من هذا فقلت أبو العتاهية فقال أتراه ينشد في هذا المحفل فقلت أحسبه سيفعل قال فأمره المهدي أن ينشد فأنشد (ألا ما لسيدتي مالها * أدلت فأحمل إدلالها) قال فنخسني بشار بمرفقه وقال ويحك أرأيت أجسر من هذا ينشد مثل هذا الشعر في مثل هذا الموضع حتى بلغ إلى قوله (أتته الخلافة منقادة * إليه تجرر أذيالها) (فلم تك تصلح إلا له * ولم يك يصلح إلا لها) (ولو رامها أحد غيره * لزلزلت الأرض زلزالها)

222 (ولو لم تطعه بنات القلوب * لما قبل الله أعمالها) فقال لي بشار انظر ويحك يا أشجع هل طار

الخليفة عن عرشـه قال أشـجع فواللّه ما انصـرف أحد عن هـذا المجلس بجـائزة غير أبي العتـاهيـة ولـه في الزهـد أشعار كثيرة وهو من مقدمي المولدين في طبقة بشار وأبي نواس وتلك الطائفة وشـعره كثير وكانت ولادته في سـنة ثلاثين ومائة وتوفي يوم الاثنين لثمان أو ثلاث خلون من جمادي الآخرة سـنة إحدى عشـرة وقيل ثلاث عشـرة ومائتين ببغداد وقبره علي نهر عيسى قبالة قنطرة الزياتين رحمه الله تعالى ولما حضرته الوفاة قال أشتهي أن يجيء مخارق المغنى ويغني عند رأسـي والبيتان له من جملة أبيات (إذا ما انقضـت عني من الدهر مدتي * فإن عزاء الباكيات قليل) (سـيعرض عن ذكري وتنسـى مودتي * ويحدث بعدي للخليل خليل) وأوصـى أن يكتب على قبره هذا البيت (إن عيشـا يكون آخره الموت * لعيش معجل التنغيص) ويحكى أنه لقي يوما أبا نواس فقال له كم تعمل في يومك من الشـعر فقال لـه البيـت والبيتين فقـال أبو العتـاهيـة لكنني أعمل المـائة والمـائتين في اليوم فقال أبو نواس لأنك تعمل مثل قولك (يا عتب مالي ولك * يا ليتني لم أرك)

223 أردت مثل هذا الألف والألفين لقدرت عليه وأنا أعمل مثل قولي (من كف ذات حر في زي ذي ذكر * لها محبان لوطي وزناء) ولو أردت مثل هذا لأعجزك الدهر ومن لطيف شـعره قوله (ولقد صـبوت إليك حتى صـار * من فرط التصـابي) (يجد الجليس إذا دنا * ريح

التصابي في ثيابي) وحكاياته كثيرة ومن شعره في عتبة جارية المهدي (يا إخوتي إن الهوى قاتلي * فيســـروا الأكفان من عاجل) (ولا تلوموا في اتباع الهوى * فإنني في شغل شاغل) ويقول فيها (عيني على عتبة منهلة * بدمعها المنسكب السائل) (يا من رأى قبلي قتيلا بكى * من شدة الوجد على القاتل) (بسطت كفي نحوكم سائلا * ماذا تردون على الســائل) (إن لم تنيلوه فقولوا له * قولا جميلا بدل النائل) (أو كنتم العام على عسرة * منه فمنوه إلى القابل) وحكى صاعد اللغوي في كتاب الفصوص أن أبا العتاهية زار يوما بشار بن برد فقال له أبو العتاهية إني لأستحسن قولك اعتذارا من البكاء إذ تقول

224 (كم من صـــديق لي أســـا * رقه البكاء من الحياء) (وإذا تفطن لامني * فأقول ما بي من بكاء) (لكن ذهبت لأرتدي * فطرفت عيني بالرداء) فقال له أيها الشيخ ما غرفته إلا من بحرك ولا نحته إلا من قدحك وأنت الســـابق حيث تقول (وقالوا قد بكيت فقلت كلا * وهل يبكي من الجزع الجليد) (ولكن قد أصاب سواد عيني * عويد قذى له طرف حديد) (فقالوا ما لدمعهما ســـواء * أكلتا مقلتيك أصـــاب عود) قال صـــاعد وتقدمهما إلى هذا المعنى الحطيئة حيث يقول (إذا ما العين فاض الدمع منها * أقول بها قذى وهو البكاء) وكان أبو العتاهية ترك قول الشعر فحكى قال لما امتنعت من قوله أمر المهدي بحبسي في سجن الجرائم فلما دخلته دهشت ورأيت منظرا هالني

فطلبت موضعا آوي فيه فإذا أنا بكهل حسن البزة والوجه عليه سيما الخير فقصدته وجلست من غير سلام عليه لما أنا فيه من الجزع والحيرة والفكر فمكثت كذلك مليا وإذا الرجل ينشد (تعودت مس الضر حتى ألفته * وأسلمني حسن العزاء إلى الصبر) (وصيرني يأسي من الناس واثقا * بحسن صنيع الله من حيث لا أدري) قال فاستحسنت البيتين وتبركت بهما وثاب إلي عقلي فقلت له تفضل أعزك الله علي بإعادتهما فقال يا إسماعيل ويحك ما أسوأ أدبك وأقل عقلك ومروءتك دخلت فلم تسلم علي تسليم المسلم على المسلم

225 ولا سألتني مسألة الوارد على المقيم حتى سمعت مني بيتين من الشعر الذي لم يجعل الله تعالى فيك خيرا ولا أدبا ولا معاشا غيره طفقت تستنشدني مبتدئا كأن بيننا أنسا وسالف مودة توجب بسط القبض ولم تذكر ما كان منك ولا اعتذرت عما بدا من إساءة أدبك فقلت اعذرني متفضلا فدون ما أنا فيه يدهش قال وفيم أنت تركت الشعر الذي هو جاهك عندهم وسببك إليهم ولا بد أن تقوله فتطلق وأنا يدعي الساعة بي فأطلب بعيسى بن زيد ابن رسول الله فإن دللت عليه لقيت الله تعالى بدمه وكان رسول الله خصمي فيه وإلا قتلت فأنا أولى بالحيرة منك وها أنت ترى صبري واحتسابي فقلت يكفيك اللهّ عز وجل وخجلت منه فقال لا أجمع عليك التوبيخ والمنع اسمع البيتين ثم أعادهما علي مرارا حتى حفظتهما ثم دعي به

وبي فقلت له من أنت أعزك الله عز وجل قال أنا حاضـــر صـاحب عيسـى بن زيد فأدخلنا على المهدي فلما وقفنا بين يديه قال للرجل أين عيســـى بن زيد قال وما يدريني أين عيسى ابن زيد تطلبته فهرب منك في البلاد وحبستني فمن أين أقف على خبره قال لـه متى كـان متواريا وأين آخر عهدك به وعند من لقيته قال ما لقيته منذ توارى ولا عرفت له خبرا قال والله لتدلن عليه أو لأضـــربن عنقك الســـاعة فقال اصـــنع ما بدا لك فوالله ما أدلك على ابن رســـول الله وألقى الله تعالى ورســـوله عليه الســـلام بدمه ولو كان بين ثوبي وجلدي ما كشفت لك عنه قال اضـربوا عنقه فأمر به فضـــربت عنقه ثم دعا بي فقال أتقول الشـــعر أو ألحقك به قلت بل أقول قال أطلقوه فأطلقت وقد روى القاضـــي أبو علي التنوخي في البيتين المذكورين زيادة بيت ثالث وهو (إذا أنا لم أقنع من الدهر بالذي * تكرهت منه طال عتبي على الدهر)

226 وحكايات أبي العتاهية كثيرة والعنزي بفتح العين المهملة والنون وبعدها زاي هذه النســـبة إلى عنزة ابن أســـد بن ربيعة والعيني بفتح العين المهملة وســـكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون هذه النســـبة إلى عين التمر البلدة المذكورة في الأول 95 أبو علي القالي أبو علي إسـماعيل بن القاسـم بن عيذون بن هارون بن عيسـى بن محمد بن سـلمان القالي اللغوي جده سـلمان مولى عبد الملك بن مروان الأموي كان أحفظ أهل زمانه للغة والشعر

ونحو البصـريين أخذ الأدب عن أبي بكر ابن دريد الأزدي وأبي بكر ابن الأنباري ونفطويه وابن درســـتويه وغيرهم وأخذ عنه أبو بكر محمد بن الحســـن الزبيدي الأندلســـي صـــاحب مختصـــر العين وله التواليف الملاح منها كتاب الأمالي وكتاب البارع في اللغة بناه على حروف المعجم وهو يشـــتمل على خمســـة آلاف ورقة وكتاب المقصـــور والممدود وكتاب في الإبل ونتاجها وكتاب في حلي الإنسان والخيل وشـــياتها وكتـاب فعلت وأفعلت وكتـاب مقاتل الفرســان وكتاب شــرح فيه القصــائد المعلقات وغير ذلك وطاف البلاد وسافر إلى بغداد في سنة

227 ثلاث وثلثمائة وأقام بالموصـل لسـماع الحديث من أبي يعلى الموصـــلي ودخل بغداد في ســـنـة خمس وثلثمائة وأقام بها إلى سـنة ثمان وعشـرين وثلثمائة وكتب بها الحديث ثم خرج من بغداد قاصـــدا الأندلس ودخل قرطبة لثلاث بقين من شـــعبان ســـنـة ثلاثين وثلثمائة واستوطنها وأملي كتابه الأمالي بها وأكثر كتبه بها وضعها بها ولم يزل بها ومدحه يوســـف بن هارون الرمادي المذكور في حرف الياء من هذا الكتاب بقصـــيدة بديعة ذكرت بعضها هناك فليطلب منه وتوفي القالي بقرطبة في شهر ربيع الآخر وقيل جمادي الأولى سنة ست وخمسين وثلثمائة ليلة السبت لست خلون من الشهر المذكور وصلى عليه أبو عبد الله الجبيري ودفن بمقبرة متعة ظاهر قرطبة رحمه الله تعالى ومولده في ســنة ثمان وثمانين ومائتين في

جمادي الآخرة بمنازجرد من ديار بكر وقد تقدم الكلام عليها في ترجمة أحمد بن يوسف المنازي وإنما قيل له القالي لأنه سافر إلى بغداد مع أهل قالي قلا فبقي عليه الاسم عيذون بفتح العين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وضم الذال المعجمة وبعد الواو ونو والقالي نسبة إلى قالي قلا بفتح القاف وبعد الألف لام مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها ثم قاف بعدها لام ألف وهي من أعمال ديار بكر كذا قاله السمعاني ورأيت في تاريخ السلجوقية تأليف عماد الدين الكاتب الأصبهاني أن قالي قلا هي أرزن الروم والله أعلم وذكر البلاذري في كتاب البلدان وجميع فتوح الإسلام في فتوح أرمينية ما مثاله وقد كانت أمور الروم تشعبت في بعض الأزمنة فكانوا كملوك الطوائف فملك أرميناقس رجل منهم ثم مات فملكتها بعده امرأته وكانت تسمى قالي فبنت مدينة قالي قلا وسمتها قالي قاله

228 ومعنى ذلك إحسان قالي وصورت على باب من أبوابها فعربت العرب قالي قاله فقالوا قالي قلا 96 الصاحب ابن عباد الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن أبي الحسن عباد بن العباس بن عباد بن أحمد ابن إدريس الطالقاني كان نادرة الدهر وأعجوبة العصر في فضائله ومكارمه وكرمه أخذ الأدب عن أبي الحسين أحمد بن فارس اللغوي صاحب كتاب المجمل في اللغة وأخذ عن أبي الفضل ابن العميد وغيرهما وقال أبو منصور الثعالبي في كتابه اليتيمة في حقه ليست تحضرني عبارة أرضاها

للإفصاح عن علو محله في العلم والأدب وجلالة شأنه في الجود والكرم وتفرده بالغايات في المحاسن وجمعه أشتات المفاخر لأن همة قولي تنخفض عن بلوغ أدنى فضائله ومعاليه وجهد وصفي يقصر عن أيسر فواضله ومساعيه ثم شرع في شرح بعض محاسنه وطرف من أحواله وقال أبو بكر الخوارزمي في حقه الصاحب نشأ من الوزارة في حجرها ودب ودرج من وكرها ورضع أفاويق درها وورثها عن آبائه كما قال أبو سعيد الرستمي في حقه (ورث الوزارة كابرا عن كابر * موصولة الإسناد بالإسناد
(

229 (يروي عن العباس عباد وزارته * وإسماعيل عن عباد) وهو أول من لقب بالصاحب من الوزراء لأنه كان يصحب أبا الفضل ابن العميد فقيل له صاحب ابن العميد ثم أطلق عليه هذا اللقب لما تولى الوزارة وبقي علما عليه وذكر الصابئ في كتاب التاجي أنه إنما قيل له الصاحب لأنه صحب مؤيد الدولة بن بويه منذ الصبا وسماه الصاحب فاستمر عليه هذا اللقب واشتهر به ثم سمي به كل من ولي الوزارة بعده وكان أولا وزير مؤيد الدولة أبي منصور بويه بن ركن الدولة بن بويه الديلمي تولى وزارته بعد أبي الفتح علي بن أبي الفضل ابن العميد المذكور في ترجمة أبيه محمد فلما توفي مؤيد الدولة في شعبان سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة بجرجان استولى على مملكته أخوه فخر الدولة أبو الحسن علي فأقر الصاحب

على وزارته وكان مبجلا عنده ومعظما نافذ الأمر وأنشده أبو القاسم الزعفراني يوما أبياتا نونية من جملتها (أيا من عطاياه تهدي الغنى * إلى راحتي من نأى أو دنا) (كسوت المقيمين والزائرين * كسا لم نخل مثلها ممكنا) (وحاشية الدار يمشون في * صنوف من الخز إلا أنا) فقال الصاحب قرأت في أخبار معن بن زائدة الشيباني أن رجلا قال له احملني أيها الأمير فأمرله بناقة وفرس وبغل وحمار وجارية ثم قال لو علمت أن الله سبحانه وتعالى خلق مركوبا غير هذا لحملتك عليه وقد زرنا لك من الخز بجبة وقميص وعمامة ودراعة وسراويل ومنديل ومطرف ورداء وكساء وجورب وكيس ولو علمنا لباسا آخر يتخذ من الخز لأعطيناكه واجتمع عنده من الشعراء مالم يجتمع عند غيره ومدحوه بغرر المدائح (27)

230 @ 230 وكان حسن الأجوبة سريعها رفع الضرابون من دار الضرب إليه رقعة في مظلمة مترجمة بالضرابين فوقع تحتها في حديد بارد وكتب بعضهم إليه ورقة أغار فيها على رسائله وسرق جملة من ألفاظه فوقع فيها (^ هذه بضاعتنا ردت إلينا) وحبس بعض عماله في مكان ضيق بجواره ثم صعد السطح يوما فاطلع عليه فرآه فناداه المحبوس بأعلى صوته (^ فاطلع فرآه في سواء الجحيم) فقال الصاحب (^ اخسأوا فيها ولا تكلمون) ونوادره كثيرة وصنف في اللغة كتابا سماه المحيط وهو في سبع مجلدات رتبه على حروف المعجم كثر فيه الألفاظ

وقلل الشـــواهد فاشـــتمل من اللغة على جزء متوفر وكتاب الكافي في الرسائل وكتاب الأعياد وفضائل النيروز وكتاب الإمامة يذكر فيه فضائل علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه ويثبت إمامة من تقدمه وكتاب الوزراء وكتاب الكشف عن مساوئ شعر المتنبي وكتاب أسماء اللّه تعالى وصفاته وله رســـائل بديعة ونظم جيد فمنه قوله (وشـــادن جماله * تقصر عنه صفتي) (أهوى لتقبيل يدي * فقلت قبل شفتي) ولـه في رقـة الخمر (رق الزجـاج ورقـت الخمر * وتشـابها فتشـاكل الأمر) (فكأنما خمر ولا قدح * وكأنما قدح ولا خمر) وله يرثي كثير بن أحمد الوزير وكنيته أبو علي (يقولون لي أودى كثير بن أحمد * وذلك مرزوء علي جليل)
231 (فقلت دعوني والعلا نَبْكِهِ معاً * فمثل كثير في الرجال قليل) وحكى أبو الحســين محمد بن الحســين الفارسي النحوي أن نوح بن منصور أحد ملوك بني سامان كتب إليه ورقة في الســـر يســـتدعيه ليفوض إليه وزارته وتدبير أمر مملكته فكان من جملة أعذاره إليه أنه يحتاج لنقل كتبه خاصـــة إلى أربعمائة جمل فما الظن بما يليق بها من التجمل وفي هذا القدر من أخباره كفايه وكان مولده لأربع عشـرة ليلة بقيت من ذي القعدة سـنة ست وعشـرين وثلثمائة بإصـــطخر وقيل بالطالقان وتوفي ليلة الجمعة الرابع والعشـرين من صـفر سـنة خمس وثمانين وثلثمائة بالري ثم نقل إلى أصـــبهان رحمه الله تعالى ودفن في قبة

بمحلة تعرف بباب دزيه وهي عامرة إلى الآن وأولاد بنته يتعاهدونها بالتبييض قال أبو القاسم ابن أبي العلاء الشاعر الأصـــبهاني رأيت في المنـام قـائلا يقول لي لم لم ترث الصاحب مع فضلك وشعرك فقلت الجمتني كثرة محاسنه فلم أدر بم أبدأ منها وقد خفت أن أقصـــر وقد ظن بي الاستيفاء لها فقال أجزما أقوله فقلت قل فقال (ثوى الجود والكافي معا في حفيرة *) فقلت (ليأنس كل منهما بأخيه *) فقال (هما اصـــطحبا حيين ثم تعانقا *) فقلت (ضـــجيعين في لحد بباب دزيه *) فقال (إذا ارتحل الثاوون عن مستقرهم *)

232 فقلت (أقاما إلى يوم القيامة فيه *) ذكر هذا البياسـي في حماسـته ورأيت في أخباره أنه لم يسـعد أحد بعد وفاته كما كان في حياته غير الصـــاحب فإنه لما توفي أغلقت له مدينة الري واجتمع الناس على باب قصـــره ينتظرون خروج جنازته وحضـــر مخدومه فخر الدولة المذكور أولاً وســـائر القواد وقد غيروا لباســـهم فلما خرج نعشه من الباب صاح الناس بأجمعهم صيحة واحدة وقبلوا الأرض ومشـــى فخر الدولة أمام الجنازة مع الناس وقعد للعزاء أياماً ورثاه أبو ســـعيد الرســـتمي بقوله (أبعد ابن عباد يهش إلى الســـرى * أخو أمل أو يســـتماح جواد) (أبى الله إلا أن يموتا بموته * فما لهما حتى المعاد معاد) وتوفي والده أبو الحســـن عباد بن العباس في ســـنة اربع أو خمس وثلاثين وثلثمائة رحمه الله تعالى وكان وزير ركن

الدولة بن بويه وهو والد فخر الدولة المذكور ووالد عضد الدولة فناخسرو وممدوح المتنبي وتوفي فخر الدولة في شعبان سنة سبع وثمانين وثلثمائة رحمه الله تعالى ومولده في سنة إحدى وأربعين وثلثمائة والطالقاني بفتح الطاء المهملة وبعد الألف لام مفتوحة ثم قاف وبعد الألف الثانية نون هذه النسبة إلى الطالقان وهو اسم لمدينتين إحداهما
233 بخراسان والأخرى من أعمال قزوين والصاحب المذكور من طالقان قزوين لا طالقان خراسان
97 أبو الطاهر السرقسطي أبو الطاهر إسماعيل بن خلف بن سعيد بن عمران الأنصاري المقرىء النحوي الأندلسي السرقسطي كان إماماً في علوم الآداب ومتقناً لفن القراءات وصنف كتاب العنوان في القراءات وعمدة الناس في الاشتغال بهذا الشأن عليه واختصر كتاب الحجة لأبي علي الفارسي وذكره أبو القاسم ابن بشكوال في كتاب الصلة وأثنى عليه وعدد فضائله ولم يزل على اشتغاله وانتفاع الناس به إلى أن توفي يوم الأحد مستهل المحرم سنة خمس وخمسين وأربعمائة رحمه الله تعالى والسرقسطي بفتح السين المهملة والراء وضم القاف وسكون السين الثانية وبعدها طاء مهملة هذه النسبة إلى مدينة في شرق الأندلس يقال لها سرقسطه من أحسن البلاد وخرج منها جماعة من العلماء وغيرهم وأخذها الفزنج من المسلمين في سنة اثنتي عشرة وخمسمائة

234 98 المنصـــور العبيدي أبو الطاهر إسـماعيل الملقب المنصـــور بن القائم بن المهدي صـــاحب إفريقية وسـتأتي بقية نسـبة عند ذكر جده المهدي في حرف العين إن شـاء الله تعالى وقد تقدم ذكر المسـتعلي و هو من أحفاده بويع المنصـــور يوم وفاة أبيه القائم على ما سـيأتي في ترجمته في حرف الميم وكان بليغاً فصيحاً يرتجل الخطب وذكر أبو جعفر أحمد بن محمد المروروذي قال خرجت مع المنصـــور يوم هزم أبا يزيد فسـايرته وبيده رمحان فسـقط أحدهما مراراً فمسـحته وناولته إياه وتفاءلت له فأنشدته (فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عيناً بالإياب المسـافر) فقال ألا قلت ما هو خير من هذا وأصدق (^ وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون) فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون ^ فغلبوا هنالك وانقلبوا صـاغرين) فقلت يا مولانا أنت ابن رسول الله قلتَ ما عندك من العلم قلت ومن أحسن ما جاء في ذلك ما ذكره التيمي في سـيرة الحجاج بن يوسـف قال أمر عبد الملك بن مروان أن يعمل باب بيت المقدس ويكتب عليه اسمه وسأله الحجاج أن يعمل له باباً فاتفق أن صاعقة وقعت

235 فاحترق منها باب عبد الملك وبقي باب الحجاج فعظم ذلك على عبد الملك فكتب الحجاج إليه بلغني أن ناراً نزلت من السـماء فأحرقت باب أمير المؤمنين ولم تحرق باب الحجاج وما مثلنا في ذلك إلا كمثل ابني آدم إذ قربا

قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر فسـري عنه لما وقف عليه وكان أبوه قد ولاه محاربة أبي يزيد الخارج عليه وكان هذا أبو يزيد مخلد ابن كيداد رجلاً من الإباضية يُظهر التزهد وأنه إنما قام غضباً لله تعالى ولا يركب غير حمار ولا يلبس إلا الصوف وله مع القائم والد المنصور وقائع كثيرة وملك جميع مدن القيروان ولم يبق للقائم إلا المهدية فأناخ عليها أبو يزيد وحاصرها فهلك القائم في الحصار ثم تولى المنصور فاستمر على محاربته وأخفى موت أبيه وصابر الحصار حتى رجع أبو يزيد عن المهدية ونزل على سوسه وحاصرها فخرج المنصور من المهدية ولقيه على سوسة فهزمه ووالى عليه الهزائم إلى أن أسره يوم الأحد لخمس بقين من المحرم سـنة سـت وثلاثين وثلثمائة فمات بعد أسـره بأربعة أيام من جراح كانت به فأمر بسلخه وحشا جلده قطناً وصلبه وبنى مدينته في موضع الوقعة وسماها المنصورية واستوطنها وكان المنصور شجاعاً رابط الجأش بليغاً يرتجل الخطبة وخرج في شهر رمضان سنة إحدى وأربعين من المنصورية إلى مدينة جلولاء ليتنزه بها ومعه حظيته قضيب وكان مغرماً بها فأمطر الله سبحانه وتعالى عليهم برَداً كثيرا وسلط عليهم ريحا عظيمة فخرج منها إلى المنصورية فاشتد عليه البرد فأوهن جسمه ومات أكثر من معه ووصل إلى المنصورية فاعتل بها فمات يوم الجمعة آخر شوال سنة إحدى وأربعين وثلثمائة وكان سبب علته أنه

236 لما وصـــل المنصـــورية أراد أن يدخل الحمام فنهاه طبيبه إســحاق بن ســليمان الاســرائيلي فلم يقبل منه ودخل الحمام ففنيت الحرارة الغريزية منه ولازمه الســهر فأقبل إســحاق يعالجه والســهر باق على حاله فاشــتد ذلك على المنصـــور فقال لبعض الخدم أما بالقيروان طبيب يخلصـني من هذا الداء فقالوا له ههنا شـاب قد نشـأ يقال له إبراهيم فأمر بإحضاره فحضر فعرفه حاله وشكا إليه ما به فجمع له أشـــياء منومة وجعلت في قنينة على النار وكلفه شمها فلما أدمن شمها نام وخرج إبراهيم مسروراً بما فعل وجاء إسـحاق فطلب الدخول عليه فقالوا له هو نـائم فقال إن كان قد صـــنع له شـــيء ينام منه فقد مات فدخلوا عليه فوجدوه ميتاً فأرادوا قتل إبراهيم فقال إســـحاق ما له ذنب إنما داواه بما ذكره الأطباء غير أنه جهل أصـــل المرض وما عرفتموه وذلك أني كنت أعالجه وأنظر في تقوية الحرارة الغريزية وبها يكون النوم فلما عولج بما يطفئها علمت أنه قد مات ودفن بالمهدية ومولده بالقيروان في سنة اثنتين وقيل إحدى وثلثمائة وكانت مدة ملكه سبع سنين وستة أيام رحمه الله تعالى وإفريقية بكسر الهمزة وسكون الفاء وكسـر الراء وسـكون الياء المثناة من تحتها وكسـره القاف وبعدها ياء معجمة باثنتين من تحتها وهي مفتوحة وبعدها هاء إقليم عظيم من بلاد المغرب فتح في خلافة عثمان بن عفان رضـي الله عنه وكرسـي مملكته القيروان واليوم كرسيها تونس

237 99 الظافر العبيدي أبو المنصـــور إســـماعيل الملقب الظافر ابن الحافظ محمد بن المستنصر بن الظاهر بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصـــور بن القائم بن المهدي وقد تقدم ذكر جده المنصـــور قبله بويع الظافر يوم مات أبوه بوصـــية أبيه وكان أصـــغر أولاد أبيه ســناً وكان كثيرً اللهو واللعب والتفرد بالجواري واســـتماع الأغاني وكـان يـأنس إلى نصـــر بن عبـاس وكـان عبـاس وزيره وســيأتي ذكره في ترجمة العادل علي بن الســلار إن شــاء الله تعالى فاسـتدعاه إلى دار أبيه ليلاً سـراً بحيث لم يعلم به أحد وكانت تلك الدار هي المعروفة بدار يونس وهي الآن المدرســة الحنفية المعروفة بالسـيوفية فقتله بها وأخفى قتله وقضيته مشهورة وكان ذلك في منتصف المحرم سنة تسع وأربعين وخمســـمائة رحمه الله تعالى وقيل ليلة الخميس سـلخ المحرم من الســنة المذكورة (28) ومولده بالقاهرة يوم الأحد منتصف شهر ربيع الآخر وقيل الأول سنة سبع وعشـرين وخمسـمائة وكان من أحسـن الناس صـورة ولما قتله نصـــر حضـــر إلى أبيه عباس وأعلمه بذلك من ليلته وكان أبوه قد أمره بقتله لأن نصـــراً كان في غاية الجمال وكان الناس يتهمونه به فقال له أبوه إنك أتلفت عرضـــك بصـحبة الظافر وتحدث الناس في أمركما فاقتله حتى تسلم من هذه التهمة فقتله فلما كان صـــباح تلك الليلة حضـــر عباس إلى باب القصـــر وطلب الحضـــور عند الظافر في شـــغل مهم فطلبه الخدم في المواضـــع التي جرت عادته

بالمبيت فيها فلم يوجد فقيل له ما نعلم أين هو فنزل عن مركوبه ودخل القصر بمن معه ممن يثق إليهم وقال
238 للخدم أخرجوا إلي أخوي مولانا فأخرجوا له جبريل ويوسف ابني الحافظ فسألهما عنه فقالا سل ولدك عنه فإنه أعلم به منا فأمر بضرب رقابهما وقال هذان قتلاه هذه خلاصة هذه القضية وقد بسطت القول فيها في ترجمة الفائز عيسى بن الظافر المذكور والله أعلم والجامع الظافري الذي بالقاهرة داخل باب زويلة منسوب إليه وهو الذي عمره ووقف عليه شيئاً كثيراً على ما يقال 100
أشهب تلميذ مالك أبو عمرو أشهب بن عبد العزيز بن داود بن إبراهيم القيسي ثم الجعدي الفقيه المالكي المصري تفقه على الإمام مالك رضي الله عنه ثم على المدنيين والمصريين قال الإمام الشافعي رضي الله عنه ما رأيت أفقه من أشهب لولا طيش فيه وكانت المنافسة بينه وبين ابن القاسم وانتهت الرياسة إليه بمصر بعد ابن القاسم وكانت ولادته بمصر سنة خمسين ومائة وقال أبو جعفر ابن الجزار في تاريخه ولد سنة أربعين ومائة وتوفي سنة أربع ومائتين بعد الشافعي بشهر وقيل بثمانية عشر يوما وكانت وفاة الشافعي رضي الله عنه في سلخ رجب من السنة المذكورة وكانت وفاته بمصر ودفن بالقرافة الصغرى وزرت قبره وهو مجاور قبر ابن القاسم رحمه الله تعالى ويقال إن اسمه مسكين وأشهب لقب عليه والأول

أصح وكان ثقة فيما روى عن مالك رضي الله عنه وقال أبو عبد الله القضاعي

239 في كتاب خطط مصر كان لأشهب رياسة في البلد وما جزيل وكان من أنظر أصحاب مالك رضي الله عنه قال الشافعي رحمه الله تعالى ما نظرت أحدا من المصريين مثله لولا طيش فيه ولم يدرك الشافعي رحمه الله تعالى بمصر من أصحاب مالك رضي الله عنه سوى أشهب وابن عبد الحكم وقال ابن عبد الحكم سمعت أشهب يدعو على الشافعي بالموت فذكرت ذلك للشافعي فقال متمثلا (تمنى رجال أن أموت وإن أمت * فتلك سبيل لست فيها بأوحد) (فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى * تزود لأخرى غيرها فكأن قد) قال فمات الشافعي فاشترى أشهب من تركته عبدا ثم مات أشهب فاشتريت أنا ذلك العبد من تركة أشهب وذكر ابن يونس في تاريخه فقال أشهب القيسي ثم العامري من بني جعدة يكنى أبا عمرو أحد فقهاء مصر وذوي رأيها ولد سنة أربعين ومائة وتوفي يوم السبت لثمان بقين من شعبان سنة أربع ومائتين وكان يخضب عنفقته وقال محمد بن عاصم المعافري رأيت في المنام كأن قائلا يقول يا محمد فأجبته فقال (ذهب الذين يقال عند فراقهم * ليت البلاد بأهلها تتصدع) قال وكان أشهب مريضا فقلت ما أخوفني أن يموت أشهب فمات في مرضه ذلك والله أعلم

240 101 أصـــبغ المالكي أبو عبد الله أصـــبغ بن الفرج بن ســعيد بن نافع الفقيه المالكي المصــري تفقه بابن القاســم وابن وهب وأشــهب وقال عبد الملك بن الماجشـون في حقه ما أخرجت مصر مثل أصبغ قيل له ولا ابن القاسم قال ولا ابن القاسـم وكان كاتب ابن وهب وجده نافع عتيق عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي والي مصر حكى عون بن عبد الله قال قال لي أصـبغ سـمعت من أبيك كلاما نفعني الله تعـالى بـه وهو لأن يخطـئ الإمـام في العفو خير من أن يخطـئ في العقوبة وتوفي يوم الأحد لأربع بقين من شـــوال ســـنة خمس وعشـــرين ومائتين وقيل ســـنة ســـت وعشرين وقيل سنة عشرين رحمه الله تعالى وأصبغ بفتح الهمزة وسـكون الصــاد المهملة وفتح الباء الموحدة وبعدها غين معجمة

241 102 آق سنقر الحاجب أبو سعيد آق سنقر بن عبد الله الملقب قســيم الدولة المعروف بالحاجب جد البيت الأتابكي أصحاب الموصل وهو والد عماد الدين زنكي بن آق سنقر الآتي ذكره إن شاء الله تعالى كان مملوك السلطان ملكشــاه بن ألب أرســلان الســلجوقي هو وبزان صـــاحب الرها ولما ملك تاج الدولة تتش ابن ألب أرسلان السلجوقي مدينة حلب في ســنة 478 اســتناب فيها آق ســنقر المذكور واعتمد عليه لأنه مملوك أخيه فعصـــى عليه فقصـــده تاج الدولة وهو صـــاحب دمشـــق يومئذ فخرج لقتاله وجرى بينهما مصـــاف وحرب شـــديدة انجلت عن قتل آق ســـنقر

المذكور وذلك في جمادي الأولى ســـنة ســـبع وثمانين وأربعمائة ودفن بالمدرسة المعروفة بالزجاجية داخل حلب رحمه الله تعالى ورأيت عند قبره خلقا كثيرا يجتمعون كل يوم جمعة لقراءة القرآن الكريم وقالوا إن لهم على ذلك وقفا عظيما يفرق عليهم ولا أعلم من الذي وقفه ثم إني وجدت الذي وقفه ولد ولده نور الدين محمود الآتي ذكره إن شاء الله تعالى وسيأتي في ترجمة تاج الدولة تتش خبر آق ســـنقر المذكور على خلاف هذه الواقعة والله أعلم بالصـــواب والزجاجية بناها أبو الربيع ســـليمان بن عبد الجبار بن أرتق صـــاحب حلب وكان أولا مدفونا بقرنبيا فلما ملك ولده عماد الدين زنكي حلب نقله إلى المدرســـة ودلاه من سور البلد وكان قتل آق سنقر على قرية يقال لها رويان بالقرب من ســـبعين من أعمال حلب ذكره ياقوت الحموي

242 103 آق سنقر البرسقي أبو سعيد آق سنقر البرسقي الغازي الملقب قسيم الدولة سيف الدين صاحب الموصـــل والرحبة وتلك النواحي ملكها بعد أســـباســـلار مودود وكان مودود بها وببلاد الشـــام من جهة الســـلطان محمد بن الســـلجوقي الآتي ذكره إن شـــاء الله تعالى فقتل مودود بجامع دمشـــق يوم الجمعة ثاني عشـــر شـــهر ربيع الآخر سنة سبع وخمسمائة وكان قد وثب عليه جماعة من الباطنية فقتلوه وآق سنقر يومئذ شحنة بغداد كان ولاه إياها السلطان محمد المذكور في سنة ثمان وتسعين وأربعمائة

لما اســتقرت له الســلطنة بعد موت أخيه بركياروق وفي سنة تسع وتسعين وجهه السلطان محمد لمحاصرة تكريت وكان بها كيقباذ ابن هزاراســب الديلمي المنســوب إلى الباطنية فأصعد آق سنقر إليه في رجب من السنة المذكورة وحاصره إلى المحرم من سنة خمسمائة فلما كاد أن يأخذها أصــعد إليه ســيف الدولة صــدقة فتســلمها وانحدر كيقباذ صــحبته ومعه أمواله وذخائره فلما وصــل إلى الحلة مات كيقباذ فلما وصـل خبر قتل مودود تقدم السلطان محمد إلى آق ســنقر بالتجهز إلى الموصــل والاســتعداد لقتال الفرنج بالشام فوصل إلى الموصل وملكها وغزا ودفع الفرنج عن حلب وقد ضايقوها بالحصار ثم عاد إلى الموصل وأقام بها إلى أن قتل وهو من كبراء الدولة الســلجوقية وله شــهرة كبيرة بينهم قتلته الباطنية بجامع الموصــل يوم الجمعة التاسع من ذي القعدة سنة عشرين وخمسمائة (29) وذكر ابن الجوزي في تاريخه أن الباطنية قتلته في مقصــورة الجامع بالموصل سنة تسع عشرة وخمسمائة وقال العماد سنة عشرين وذكر أنهم جلسوا له في

243 الجامع بزي الصــوفية فلما انفتل من صــلاته قاموا إليه وأثخنوه جراحا في ذي القعدة وذلك لأنه كان تصدى لاستئصال شأفتهم وتتبعهم وقتل منهم عصبة كبيرة رحمه الله تعالى وتولى ولده عز الدين مسعود موضعه ثم توفي يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من جمادي الآخرة سنة إحدى وعشــرين وخمســمائة رحمه الله تعالى وملك بعده

عماد الدين زنكي بن آق سنقر المذكور قبله كما سيأتي في حرف الزاي إن شاء الله تعالى والبرسقي بضم الباء الموحدة وسكون الراء وضم السين المهملة وبعدها قاف ولا أعلم هذه النسبة إلى أي شيء هي ولم يذكرها السمعاني ثم إني وجدت نسبته بعد هذا إلى برسق وكان من مماليك السلطان طغرلبك أبي طالب محمد الآتي ذكره إن شاء الله تعالى وتقدم في الدولة السلجوقية وكان من الأمراء المشار إليهم فيها المعدودين من أعيانهم 104 أبو الصلت الأندلسي أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الأندلسي الداني كان فاضلا في علوم الآداب صنف كتابه الذي سماه الحديقة على أسلوب يتيمة الدهر للثعالبي وكان عارفا بفن الحكمة فكان يقال له الأديب الحكيم وكان ماهرا في علوم الأوائل وانتقل من الأندلس وسكن ثغر الإسكندرية وذكره العماد الكاتب في الخريدة وأثنى عليه وذكر شيئا من نظمه

244 ومن جملة ما ذكر له قوله لمن جاد عليه قبل مدحه (لا غرو أن سبقت يداك مدائحي * فتدفقت جدواك مثل إنائها) (يكسى القضيب ولم يحن إثماره * وتطوق الورقاء قبل غنائها) ولأبي جعفر الجزار البظرني في ابن عباد (وما زلت أجني منك والدهر ممحل * ولا ثمر يجني ولا زرع يحصد) (ثمار أياد دانيات قطوفها * لأغصانها ظل علي ممدد) (يرى جاريا ماء المكارم تحتها * وأطيار شكري فوقهن تغرد) ولأبي الصلت

المذكور (إذا كان أصـــلي من تراب فكلها * بلادي وكل العالمين أقاربي) (ولا بد لي أن أســـأل العيس حاجة * تشق على شم الذرى والغوارب) ولم أر هذين البيتين في ديوانه وأورد له أيضـا (وقائلة ما بال مثلك خاملا * أأنت ضــعيف الرأي أم أنت عاجز) (فقلت لها ذنبي إلى القوم أنني * لما لم يحوزوه من المجد حائز) (وما فاتني شيء سوى الحظ وحده * وأما المعالي فهي عندي غرائز) ولا وجدت هذا المقطوع أيضــا في ديوانه والله أعلم وله أيضــا (جد يقلبي وعبث * ثم مضى وما اكترث) (واحربا من شــادن * في عقد الصــبر نفث) (يقتل من شــاء بعينيه * ومن شاء بعث) (فأي ود لم يخن * وأي عهد ما نكث) 245 وله أيضـــا (دب العذار بخده ثم انثنى * عن لثم مبسمه البرود الأشنب) (لا غرو أن خشي الردى في لثمه * فالريق ســـم قاتل للعقرب) ومن شــعره أيضــا (ومهفهف شــركت محاســن وجهه * ما مجه في الكأس من إبريقه) (ففعالها من مقلتيه ولونها * من وجنتيه وطعمها من ريقه) أخذ هذا المعنى من ابن حيوس حيث يقول (ومنطق يغني بلحظ جفونـه * عن كـأســـه الملأى وعن إبريقه) (فعل المدام ولونها ومذاقها * في مقلتيه ووجنتيه وريقه) وأورد له أيضـــا في كتاب الخريدة في ترجمة الحسن بن أبي الشخباء العسقلاني (عجبت من طرفك في ضعفه * كيف يصيد البطل الأصيدا) (يفعل فينا وهو في غمده * ما يفعل الســيف إذا جردا) وشـــعره كثير وجيد

وكان قد انتقل في آخر الوقت إلى المهدية وتوفي بها يوم الاثنين مستهل سنة تسع وعشرين وخمسمائة وقيل في عاشر المحرم سنة ثمان وعشرين وقال العماد في الخريدة أعطاني القاضي الفاضل كتاب الحديقة وفي آخرها مكتوب إنه توفي يوم الاثنين ثاني عشر المحرم سنة ست وأربعين وخمسمائة رحمه الله تعالى والصحيح هو الأول فإن أكثر الناس عليه وهو الذي ذكره الرشيد بن الزبير في الجنان ومات بالمهدية ودفن بالمنستير وسيأتي ذكرها في ترجمة الشيخ هبة الله البوصيري إن

246 شاء الله تعالى ونظم أبياتا وأوصى أن تكتب على قبره وهي آخر شيء قاله وهي (سكنتك يا دار الفناء مصدقا * بأني إلى دار البقاء أصير) (وأعظم ما في الأمر أني صائر * إلى عادل في الحكم ليس يجور) (فيا ليت شعري كيف ألقاه عندها * وزادي قليل والذنوب كثير) (فإن أك مجزيا بذنبي فإنني * بشر عقاب المذنبين جدير) (وإن يك عفو منه عني ورحمة * فثم نعيم دائم وسرور) ولما اشتد مرض موته قال لولده عبد العزيز (عبد العزيز خليفتي * رب السماء عليك بعدي) (أنا قد عهدت إليك ما * تدريه فاحفظ فيه عهدي) (فلئن عملت به فإنك * لا تزال حليف رشد) (ولئن نكثت لقد ضللت * وقد نصحتك حسب جهدي) ثم وجدت في مجموع لبعض المغاربة أن أبا الصلت المذكور مولده في دانية مدينة من بلاد الأندلس في قران سنة ستين وأربعمائة وأخذ

العلم عن جماعة من أهل الأندلس كأبي الوليد الوقشـــي قاضـــي دانية وغيره وقدم الإسـكندرية مع أمه في يوم عيد الأضـحى من سـنة تسـع وثمانين وأربعمائة ونفاه الأفضـل شـاهنشـاه من مصـر في سـنة خمس وخمسـمائة وتردد بالإسـكندرية إلى أن سـافر في سـنة سـت وخمسـمائة فحل بالمهدية ونزل من صـاحبها علي بن يحيى بن تميم ابن المعز بن باديس منزلة جليلة وولد له بها ولد سـماه عبد العزيز وكان شـاعرا ماهرا له في الشـطرنج يد بيضـاء وتوفي هذا الولد ببجاية في سـنة سـت وأربعين وخمسـمائة قلـت وهو الـذي غلط فيـه العمـاد الكـاتـب فيمـا نقلـه عن القاضي الفاضل واعتقد أن أباه مات في هذا التاريخ

247 وصـنف أمية وهو في اعتقال الأفضـل بمصـر رسـالة العمل بالاصـطرلاب وكتاب الوجيز في علم الهيئة وكتاب الأدوية المفردة وكتابا في المنطق سماه تقويم الذهن وكتابا سـماه الانتصـار في الرد على علي بن رضـوان في رده على حنين بن إسـحاق في مسـائلة ولما صـنف الوجيز للأفضل عرضه على منجمه أبي عبد الله الحلبي فلما وقف عليه قال له هذا الكتاب لا ينتفع به المبتدي ويسـتغني عنه المنتهي ولـه من أبيات (كيف لا تبلى غلائله * وهو بدر وهي كتان) وإنما قال هذا لأن الكتان إذا تركوه في ضوء القمر بلي وكان مرضه الاستسقاء والله أعلم 105 القاضي اياس أبو واثلة إياس بن معاوية بن قرة بن إياس بن هلال بن رباب بن عبيد بن سوأة بن سارية بن ذبيان بن ثعلبة بن

سليم بن أوس بن مزينة المزني وهو اللسن البليغ والألمعي المصيب والمعدود مثلا في الذكاء والفطنة ورأسا لأهل الفصاحة والرجاحة كان صادق الظن لطيفا في الأمور مشهورا بفرط الذكاء وبه يضرب المثل في الذكاء وإياه عني الحريري في المقامات بقوله في المقامة السابعة فإذا ألمعيتي المعية ابن عباس وفراستي فراسة

248 إياس وكان عمر بن عبد العزيز قد ولاه قضاء البصرة وكان لإياس جد أبيه صحبة مع رسول الله وقيل لمعاوية بن قرة والد إياس كيف ابنك لك فقال نعم الابن كفاني أمر دنياي وفرغني لآخرتي وكان إياس أحد العقلاء الفضلاء الدهاة ويحكى من فطنته أنه كان في موضع فحدث فيه ما أوجب الخوف وهناك ثلاث نسوة لا يعرفهن فقال هذه ينبغي أن تكون حاملا وهذه مرضعا وهذه عذراء فكشف عن ذلك فكان كما تفرس فقيل له من أين لك هذا فقال عند الخوف لا يضع الإنسان يده إلا على أعز ماله ويخاف عليه ورأيت الحامل قد وضعت يدها على جوفها فاستدللت بذلك علي حملها ورأيت المرضع قد وضعت يدها على ثديها فعلمت أنها مرضع والعذراء وضعت يدها على فرجها فعلمت أنها بكر وسمع إياس بن معاوية يهوديا يقول ما أحمق المسلمين ويزعمون أن أهل الجنة يأكلون ولا يحدثون فقال له إياس أفكل ما تأكله تحدثه قال لا لأن الله تعالى يجعله غذاء قال فلم تنكر أن الله تعالى يجعل كل ما يأكله أهل الجنة غذاء ونظر يوما إلى آجرة

بالرحبة وهو بمدينة واســـط فقال تحت هذه الآجرة دابة فنزعوا الآجرة فإذا تحتها حية منطوية فســـألوه عن ذلك فقال إني رأيت ما بين الآجرتين نديا من بين جميع تلك الرحبة فعلمت أن تحتها شيئا يتنفس ومر يوما بمكان فقال أســـمع صـــوت كلب غريب فقيل له كيف عرفت ذلك قال بخضوع صوته وشدة نباح غيره من الكلاب فكشفوا عن ذلك فإذا كلب غريب مربوط والكلاب تنبحه ونظر يوما إلى صـــدع في الأرض فقال في هذا الصـــدع دابة فنظروا فإذا فيه دابة فسألوه عنه فقال إن الأرض لا تنصدع إلا عن دابة أو نبات

249 قال الجاحظ إذا نظر الإنسان إلى موضع منفتح في أرض مستوية فليتأمله فإن رآه يتصدع في تهيل وكان تفتحه مستويا علم أنها كمأة وإن خلط في التصدع والحركة علم أنها دابة وله في هذا الباب من الفراســة أشياء غريبة كثيرة ولولا خوف الإطالة لبســـطت القول في ذلك وبعض العلماء قد جمع جزءا كبيرا من أخباره (30) وكتب عمر بن عبد العزيز الأموي رضي الله عنه في أيام خلافته إلى نائبه بالعراق وهو عدي بن أرطاة أن اجمع بين إياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة الحرشي فول قضاء البصرة أنفذهما فجمع بينهما فقال له إياس أيها الأمير ســـل عني وعن القاســم فقيهي المصـــر الحســـن البصـــري ومحمد بن ســـيرين وكان القاســـم يأتيهما وإياس لا يأتيهما فعلم القاســـم أنه إن سألهما أشارا به فقال له لا تسأل عني ولا عنه فوالله

الذي لا إله إلا هو إن إياس بن معاوية أفقه مني وأعلم بالقضاء فإن كنت كاذبا فما يحل لك أن توليني وأنا كاذب وإن كنت صادقا فينبغي لك أن تقبل قولي فقال له إياس إنك جئت برجل أوقفته على شفير جهنم فنجى نفسه منها بيمين كاذبة يستغفر الله منها وينجو مما يخاف فقال عدي بن أرطاة أما إذ فهمتها فأنت لها واستقضاه وروي عن إياس أنه قال ما غلبني أحد قط سوى رجل واحد وذلك اني كنت في مجلس القضاء بالبصرة فدخل علي رجل شهد عندي أن البستان الفلاني وذكر حدوده هو ملك فلان فقلت له كم عدد شجره فسكت ثم قال منذ كم يحكم سيدنا القاضي في هذا المجلس فقلت منذ كذا فقال كم عدد خشب سقفه فقلت له الحق معك وأجزت شهادته وكان يوما في برية فأعووزهم الماء فسمع نباح كلب فقال هذا على رأس بئر فاستقروا النباح فوجدوه كما قال فقيل له في ذلك فقال لأني سمعت الصوت كالذي يخرج من بئر وكان له في ذلك غرائب

250 وقال أبو إسحاق ابن حفص رأى إياس في المنام أنه لا يدرك النحر فخرج إلى ضيعة له بعبدسي وعبدسي قرية من أعمال دست ميسان بين البصرة وخوزستان فتوفي بها في سنة اثنتين وعشرين ومائة وقال غيره سنة إحدى وعشرين وعمره ست وسبعون سنة وقال إياس في العام الذي توفي فيه رأيت في المنام كأني وأبي على فرسين فجريا معا فلم أسبقه ولم يسبقني وعاش أبي ستا وسبعين سنة وأنا فيها فلما كان آخر لياليه قال

أتدرون أي ليلة هذه ليلة أستكمل فيها عمر أبي ونام فأصبح ميتا وكانت وفاة أبيه معاوية في سـنة ثمانين للهجرة رحمه الله تعالى وإياس بكسـر الهمزة وقرة بضـم القاف ومزينة قد تقدم القول عليها وتراءى هلال شـهر رمضـان جماعة فيهم أنس بن مالك رضـــي الله عنه وقد قارب المائة فقال أنس قد رأيته هو ذاك وجعل يشـــير إليه فلا يرونه ونظر إياس إلى أنس وإذا شـــعرة من حاجبه قد انثنت فمســـحها إياس وســـواها بحاجبه ثم قال له يا أبا حمزة أرنا موضـــع الهلال فجعل ينظر ويقول ما أراه 106 ابن القرية أبو سـليمان أيوب بن بن زيد بن قيس بن زرارة بن سـلمة بن جشم بن مالك بن عمرو بن عامر بن زيد مناة بن عامر بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط بن هنب بن أفصـى بن دعمي بن جديلة بن أسـد بن ربيعة بن نزار بن معد

251 ابن عدنان المعروف بابن القرية الهلالي والقرية جدته واسـمها جماعة بنت جشـم بن ربيعة بن زيد مناة بن عوف بن سـعد بن الخزرج وتمام النسـب مذكور في أول الترجمة كان أعرابيا أميا وهو معدود من جملة خطباء العرب المشـــهورين بالفصـــاحة والبلاغة وكان قد أصـــابته الســـنة فقدم عين التمر وعليها عامل للحجاج بن يوســـف وكان العامل يغدي كل يوم ويعشـــي فوقف ابن القرية ببابه فرأى الناس يدخلون فقال أين يدخل هؤلاء فقالوا إلى طعام الأمير فدخل فتغدى وقال أكل يوم يصـــنع

الأمير ما أرى فقيل نعم فكان يأتي كل يوم بابه للغداء والعشـــاء إلى أن ورد كتاب من الحجاج على العامل وهو عربي غريب لا يدري ما هو فأخر لذلك طعامه فجاء ابن القرية فلم ير العامل يتغدى فقال ما بال الأمير اليوم لا يأكل ولا يطعم فقالوا اغتم لكتاب ورد عليه من الحجاج عربي غريب لا يدري ما هو قال ليقرئني الأمير الكتاب وأنا أفسره إن شاء الله تعالى وكان خطيبا لسنا بليغا فذكر ذلك للوالي فدعا به فلما قرئ عليه الكتاب عرف الكلام وفسره للوالي حتى عرفه جميع ما فيه فقال له أفتقدر علي جوابه قال لست أقرأ ولا أكتب ولكن أقعد عند كاتب يكتب ما أمليه ففعل فكتب جواب الكتاب فلما قرئ الكتاب على الحجاج رأى كلاما عربيا غريبا فعلم أنه ليس من كلام كتاب الخراج فدعا برســائل عامل عين التمر فنظر فيها فإذا هي ليست ككتاب ابن القرية فكتب الحجاج إلى العامل أما بعد فقد أتاني كتابك بعيدا من جوابك بمنطق غيرك فإذا نظرت في كتابي هذا فلا تضـعه من يدك حتى تبعث إلي بالرجل الذي صـدر لك الكتاب والسـلام قال فقرأ العامل الكتاب على ابن القرية وقال له تتوجه نحوه فقال أقلني قال لا بأس عليك وأمر له بكســوة ونفقة وحمله إلى الحجاج فلما دخل عليه قال ما اسمك قال أيوب قال اسم نبي وأظنك أميا تحاول البلاغة ولا يسـتصـعب عليك المقال وأمر له بنزل ومنزل فلم يزل يزداد به عجبا حتى أوفده على عبد الملك بن مروان فلما خلع عبد الرحمن بن محمد بن

الأشــعث بن قيس الكندي الطاعة بســجســتان وهي واقعة مشهورة بعثه
252 إليه رسولا فلما دخل عليه قال له لتقومن خطيبا ولتخلعن عبدالملك ولتسبن الحجاج أو لأضربن عنقك قال أيها الأمير إنما أنا رسـول قال هو ما أقول لك فقام وخطب وخلع عب دالملك وشتم الحجاج وأقام هنالك فلما انصرف ابن الأشـــعث مهزوما كتب الحجاج إلى عماله بالري وأصبهان وما يليهم ا يأمرهم أن لا يمر بهم أحد من قل ابن الأشعث إلا بعثوا به أسيرا إليه وأخذ ابن القرية فيمن أخذ فلما أدخل على الحجاج قال أخبرني عما أســألك عنه قال ســلني عما شـــئت قال أخبرني عن أهل العراق قال أعلم الناس بحق وباطل قال فأهل الحجاز قال أسـرع الناس إلى فتنة وأعجزهم فيها قال فأهل الشـــام قال أطوع الناس لخلفائهم قال فأهل مصـــر قال عبيد من غلب قال فأهل البحرين قال نبيط اســتعربوا قال فأهل عمان قال عرب اســتنبطوا قال فأهل الموصــل قال أشــجع فرســان وأقتل للأقران قال فأهل اليمن قال أهل ســمع وطاعة ولزوم للجماعة قال فأهل اليمامة قال أهل جفاء واختلاف أهواء وأصـــبر عند اللقاء قال فأهل فارس قال أهل بأس شـــديد وشـــر عتيد وزيف كثير وقرى يســـير قال أخبرني عن العرب قال ســلني قال قريش قال أعظمها أحلاما وأكرمها مقاما قال فبنو عامر بن صـــعصـــعة قال أطولها رماحا وأكرمها صـــباحا قال فبنو ســـليم قال أعظمها مجالس

وأكرمها محابس قال فثقيف قال أكرمها جدودا وأكثرها
وفودا قال فبنو زبيد قال ألزمها للرايات وأدركها للترات
قال فقضاعة قال أعظمها أخطارا وأكرمها نجارا وأبعدها
آثارا قال فالأنصار قال أثبتها مقاما وأحسنها إسلاما
وأكرمها أياما قال فتميم قال أظهرها جلدا وأثراها عددا
قال فبكر بن وائل قال أثبتها صفوفا وأحدها سيوفا قال فعبد
القيس قال أسبقها إلى الغايات وأصبرها تحت الرايات قال
فبنو أسد قال أهل عدد وجلد وعسر ونكد قال فلخم قال
ملوك وفيهم نوك قال فجذام قال يوقدون الحرب
253 ويسعرونها ويلقحونها ثم يمرونها قال فبنو
الحارث قال رعاة للقديم وحماة عن الحريم فعك قال ليوث
جاهدة في قلوب فاسدة قال فتغلب قال يصدقون إذا لقوا
ضربا ويسعرون للأعداء حربا قال فغسان قال أكرم
العرب أحسابا وأثبتها أنسابا قال فأي العرب في الجاهلية
كانت أمنع من أن تضام قال قريش كانوا أهل رهوة لا
يستطاع ارتقاؤها وهضبة لا يرام انتزاؤها في بلدة حمى
الله ذمارها ومنع جارها قال فأخبرني عن مآثر العرب في
الجاهلية قال كانت العرب تقول حمير أرباب الملك وكندة
لباب الملوك ومذحج أهل الطعان وهمدان أحلاس الخيل
والأزد آساد الناس قال فأخبرني عن الأرضين قال سلني
قال الهند قال بحرها در وجبلها ياقوت وشجرها عود
وورقها عطر وأهلها طغام كقطع الحمام قال فخراسان قال
ماؤها جامد وعدوها جاحد قال فعمان قال حرها شديد

وصيدها عتيد قال فالبحرين قال كناسة بين المصرين قال
فاليمن قال أصل العرب وأهل البيوتات والحسب قال فمكة
قال رجالها علماء جفاة ونساؤها كساة عراة قال فالمدينة
قال رسخ العلم فيها وظهر منها قال فالبصرة قال شتاؤها
جليد وحرها شديد وماؤها ملح وحربها صلح قال فالكوفة
قال ارتفعت عن حر البحر وسفلت عن برد الشام فطاب
ليلها وكثر خيرها قال فواسط قال جنة بين حماة وكنة قال
وما حماتها وكنتها قال البصرة والكوفة تحسدانها وما
ضرها ودجلة والزاب يتجاريان بإفاضة الخير عليها قال
فالشام قال عروس بين نسوة جلوس قال ثكلتك أمك يا ابن
القرية لولا اتباعك لأهل العراق وقد كنت أنهاك عنهم أن
تتبعهم فتأخذ من نفاقهم ثم دعا بالسيف وأومأ إلى السياف
أن أمسك فقال ابن القرية ثلاث كلمات أصلح الله الأمير
كأنهن ركب وقوف يكن مثلا بعدي قال هات قال لكل جواد
كبوة ولكل صارم نبوة ولكل حليم هفوة قال الحجاج ليس
هذا وقت المزاح يا غلام أوجب جرحه فضرب عنقه وقيل
إنه لما أراد قتله قال له العرب تزعم أن لكل شيء آفة قال
254 صدقت العرب أصلح الله الأمير قال فما آفة
الحلم قال الغضب قال فما آفة العقل قال العجب قال فما آفة
العلم قال النسيان قال فما آفة السخاء قال المن عند البلاء
قال فما آفة الكرام قال مجاورة اللئام قال فما آفة الشجاعة
قال البغي قال فما آفة العبادة قال الفترة قال فما آفة الذهن
قال حديث النفس قال فما آفة الحديث قال الكذب قال فما

آفة المال قال سـوء التدبير قال فما آفة الكامل من الرجال قال العدم قال فما آفة الحجاج بن يوسف قال أصلح الله الأمير لا آفة لمن كرم حسبه وطاب نسبه وزكا فرعه قال امتلأت شقاقا وأظهرت نفاقا اضربوا عنقه فلما رآه قتيلا ندم نقلت هذا كله من كتاب اللفيف وإنما أطلت الكلام فيه لأنه كان متصلا فما أمكن قطعه و سأله بعض العلماء عن حد الدهاء فقال هو تجرع الغصة وتوقع الفرصة ومن كلامه في صفة العي التنحنح من غير داء والتثاؤب من غير ريبة والإكباب في الأرض من غير علة وكان قتله في سنة أربع وثمانين للهجرة رحمه الله تعالى وهذا ابن القرية هو الذي تذكره النحاة في أمثالها فيقولون ابن القرية زمان الحجاج وذكر أبو الفرج الأصبهاني في كتاب الأغاني في ترجمة مجنون ليلى بعد أن استوفى أخباره فقال وقد قيل إن ثلاثة أشخاص شاعت أخبارهم واشتهرت أسماؤهم ولا حقيقة لهم ولا وجود في الدنيا وهم مجنون ليلى وابن القرية يعني هذا المذكور وابن أبي العقب الذي تنسب إليه الملاحم واسمه يحيى بن عبد الله بن أبي العقب والله أعلم والقرية بكسر القاف وتشديد الراء وتشديد الياء المثناة من تحتها وبعدها هاء وهي أم جشم بن مالك بن عمرو وكان عمرو المذكور قد تزوجها

255 فلما مات تزوجها ابنه مالك فأولدها جشم بن مالك المذكور والقرية في اللغة الحوصلة وبها سميت المرأة قال أهل العلم بالأنساب لما تزوج مالك ابن عمرو

المذكور القرية واسمها جماعة كما تقدم في أول الترجمة
أولدها جشم جد أيوب ابن القرية المذكور وكليبا وهو جد
العباس بن عبد المطلب رضي اللّه عنه عم رسول اللّه من
جهة أمه فإن أمه نتيلة بضم النون وقيل نتلة بفتحها بنت
حباب بن كليب بن مالك المذكور فالعباس رضي اللّه عنه
من أولاد القرية بهذا الاعتبار وذكر ابن قتيبة في كتاب
المعارف أن ابن القرية هلالي وأنه من بني هلال بن ربيعة
بن زيد مناة بن عامر وذكر ابن الكلبي أنه من بني مالك
بن عمرو بن زيد مناة فما يجتمع هلال ومالك إلا في زيد
مناة وليس هلال في عمود نسبه والله تعالى أعلم والهلالي
بكسر الهاء نسبة إلى هلال بن ربيعة بن زيد مناة بطن من
النمر بن قاسط وفي العرب أيضا هلال بن عامر بن
صعصعة قبيلة أخرى وقد ذكر ابن الكلبي في كتاب جمهرة
النسب هذين النسبين وصورة النكاح بينهما فيؤخذ منه

107 أيوب والد السلطان صلاح الدين أبو الشكر أيوب
بن شاذي بن مروان الملقب الملك الأفضل نجم الدين والد
السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وسيأتي في ترجمة
ولده صلاح الدين تتمة نسبه وصورة الاختلاف فيه فينظر
هناك ولا حاجة إلى الإطالة بذكره ههنا قال بعض
المؤرخين كان شاذي بن مروان من أهل دوين ومن أبناء
أعيانها

256 والمعتبرين بها وكان له صاحب يقال له جمال
الدولة المجاهد بهروز قلت وهو المذكور في ترجمة

صلاح الدين يوسف بن أيوب قال وكان من أظرف الناس وألطفهم وأخبرهم بتدبير الأمور وكان بينهما من الاتحاد كما بين الأخوين فجرت لبهروز في دوين فخرج منها حياء وحشمة وذلك أنه اتهم بزوجة بعض الأمراء بدوين فأخذه صاحبها فخصاه فلما مثل به لم يقدر على الإقامة بالبلد وقصد خدمة أحد الملوك السلجوقية وهو السلطان غياث الدين محمد بن ملكشاه الآتي ذكره إن شاء الله تعالى واتصل باللالا الذي لأولاده فوجده لطيفا كافيا في جميع الأمور فتقدم عنده وتميز وفوض أحواله إليه وجعله يركب مع أولاد السلطان مسعود إذا كان له شغل فرآه السلطان يوما مع أولاده فأنكر على اللالا فقال له إنه خادم وأثنى عليه وشكر دينه وعفافه ومعرفته ثم صار يسيره إلى السلطان في الأشغال فخف على قلبه ولعب معه بالشطرنج والنرد فحظي عنده واتفق موت اللالا فجعله السلطان مكانه وأرصده لمهامه وسلم إليه أولاده وسار ذكره في تلك النواحي فسير إلى شاذي يستدعيه من بلده ليشاهد ما صار إليه من النعمة وليقاسمه فيما خوله الله تعالى وليعلم أنه ما نسيه فلما وصل إليه بالغ في إكرامه والإنعام عليه واتفق أن السلطان رأى أن يوجه المجاهد المذكور إلى بغداد واليا عليها ونائبا عنه بها وكذا كانت عادة الملوك السلجوقية في بغداد يسيرون إليها النواب فاستصحب معه شاذي المذكور فسار هو وأولاده صحبته وأعطى السلطان لبهروز قلعة تكريت فلم يجد من يثق إليه في أمرها سوى

شـاذي المذكور فأرسـلـه إليها فمضـــى وأقام بها مدة وتوفي بها فولى مكانه ولده نجم الدين أيوب المذكور فنهض في أمرها وشكره بهروز وأحسن إليه وكان أكبر سنا من أخيه أسد الدين شيركوه الآتي ذكره إن شاء الله تعالى قلت وهذا الكلام بينه وبين الآتي ذكره في ترجمة صلاح الدين بعض الاختلاف والله أعلم بالصـــواب ولا شـــك أنه يحصـــــل المقصود من مجموع الكلامين فلينظر هناك أيضا وذكرت في تلك الترجمة أيضا سبب المعرفة بين عماد الدين

257 زنكي صـاحب الموصـل وبين نجم الدين أيوب وأســد الدين شـــيركوه فلا حاجة إلى ذكره هنا ثم اتفق أن بعض الحرم خرجت من قلعة تكريت لقضاء حاجة وعادت فعبرت على نجم الدين أيوب وأخيه أســـد الدين شـــيركوه وهي تبكي فســـألاها عن ســـبب بكائها فقالت أنا داخلة في الباب الذي للقلعة فتعرض إلي الإسـفهسـلار فقام شـيركوه وتناول الحربة التي تكون للإسـفهسـلار وضـربه بها فقتله فأمســـكه أخوه نجم الدين أيوب واعتقله وكتب إلى بهروز وعرفه صـورة الحال ليفعل فيه ما يراه فوصـل إليه جوابه لأبيكما علي حق وبيني وبينه مودة متأكدة ما يمكنني أن أكافئكما بحالة سـيئة تصـدر مني في حقكما ولكن أشـتهي منكما أن تتركا خدمتي وتخرجا من بلدي وتطلبا الرزق حيث شئتما فلما وصلهما الجواب ما أمكنهما المقام بتكريت فخرجا منها ووصـلا إلى الموصـل فأحسـن إليهما الأتابك عمـاد الـدين زنكي لمـا كـان تقـدم لهمـا عنـده وزاد في

إكرامهما والإنعام عليهما وأقطعهما إقطاعا حســـنا ثم لما
ملك الأتابك قلعة بعلبك اسـتخلف بها نجم الدين أيوب وهذا
كله مذكور في ترجمة ولده صـــلاح الدين وإن اختلفت
العبارة ورأيت في بعلبك خانقاه للصـــوفية يقال لها النجمية
وهي منســـوبة إليه عمرها في مدة إقامته بها وكان رجلا
مباركا كثير الصلاح مائلا إلى أهل الخير حسن النية جميل
الطوية وفي أوائل ترجمة صـــلاح الدين طرف من أخبار
والده نجم الدين أيوب وكيف رتبه زنكي في بعلبك وما
جرى له بعد ذلك من الانتقال إلى دمشق فأغنى عن شرحه
ههنا ولما توجه أخوه أسد الدين شيركوه إلى مصر لإنجاد
شـــاور على ماا أشـــرحه في ترجمتيهما إن شـــاء الله تعالى
كان نجم الدين أيوب مقيما بدمشـــق في خدمة نور الدين
محمود بن زنكي رحمه الله تعالى ولما تولى صـــلاح الدين
ولده وزارة الديار المصرية في أيام العاضد صاحب مصر
استدعى أباه من الشام فجهزه نور الدين وأرسله إليه ودخل
القاهرة لست بقين من رجب سنة خمس وستين وخمسمائة
وخرج العاضد للقائه إكراما لولده صلاح الدين يوسف
258 وسلك معه ولده صـلاح الدين من الأدب ما هو
اللائق بمثله وعرض عليه الأمر كله فأبى وقال يا ولدي ما
اختارك الله تعالى لهذا الأمر إلا وأنت أهل له ولا ينبغي أن
تغير موضـــع الســـعادة ولم يزل عنده حتى اســـتقل صـــلاح
الدين بمملكة البلاد كما هو مذكور في ترجمته ثم خرج
صـــلاح الدين إلى الكرك ليحاصـــرها وأبوه بالقاهرة فركب

يوما ليسـير على عادة الجند فخرج من باب النصـر أحد أبواب القاهرة فشب به فرسه فألقاه في وسط المحجة وذلك في يوم الاثنين ثامن عشر ذي الحجة من سنة ثمان وستين وخمسـمائة فحمل إلى داره وبقي متألما إلى أن توفي يوم الأربعاء السابع والعشرين من الشهر المذكور هكذا ذكره جماعة من المؤرخين منهم عماد الدين الكاتب الأصبهاني لكنه قال إن وفاته كانت يوم الثلاثاء ورأيت في تاريخ كمال الدين بن العديم فصلا نقله من تعليق العضد مرهف بن أسامة بن منقذ قال إنه توفي يوم الاثنين الثامن عشر من ذي الحجة قلت ظاهر الحال أن العضـد ما أوقعه في هذا الوهم إلا أنه اعتقد أنه توفي في اليوم الذي سـقط فيه عن فرسه فان هذا التاريخ هو تاريخ سقوطه عن الفرس لا تاريخ وفاته والله أعلم ولما مات دفن إلى جانب أخيه أسد الدين شيركوه في بيت بالدار السلطانية ثم نقلا بعد سنين إلى المدينة الشريفة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ورأيت في تاريخ القاضـي الفاضـل الذي رتبه على الأيام وهو بخطه يذكر فيه ما يتجدد في كل يوم فقال وفي يوم الخميس رابع صفر سنة ثمانين وخمسمائة وصل كتاب بدر الأسدي يعني من المدينة يخبر بوصول تابوتي الأميرين نجم الدين أيوب وأسد الدين شيركوه واستقرارهما بتربتهما مجاورين الحجرة المقدسـة النبوية نفعهما الله تعالى بمجاورتها ولما عاد صـلاح الدين من الكرك إلى

الديار المصرية بلغه الخبر في الطريق فشق عليه حيث لم يحضره وكتب إلى ابن أخيه عز الدين فروخ شاه بن
259 شاهانشاه بن أيوب صاحب بعلبك كتابا بخط القاضي الفاضل يعزيه عن جده نجم الدين أيوب المذكور ومن جملة فصوله المصاب بالمولى الدارج غفر الله ذنبه وسقى بالرحمة تربه ما عظمت به اللوعة واشتدت به الروعة وتضاعفت لغيبتنا عن مشهده الحسرة فاستنجدنا بالصبر فأبى وأنجدت العبرة فيا له فقيدا فقدنا عليه العزاء وهانت بعده الأرزاء وانتثر شمل البركة بفقده فهي بعد الاجتماع أجزاء (وتخطفته يد الردى في غيبتي * هبني حضرت فكنت ماذا أصنع) ورثاه الفقيد عمارة اليمني الآتي ذكره إن شاء الله تعالى بقصيدة طويلة أجاد في أكثرها وأولها (هي الصدمة الأولى فمن بان صبره * على هول ملقاه تضاعف أجره) وقال ابن أبي الطي الأديب الحلبي في تاريخه الكبير كان مولد نجم الدين أيوب ببلد سجستان وقيل إنه ولد بجبل جور وربي ببلد الموصل ولم يوافقه على ذلك أحد بل انفرد به وإنما نبهت عليه كيلا يقف عليه من لا يعرف هذا الفن فيظن أنه صواب وليس الأمر كذلك بل الصحيح هو الذي ذكرته أولاً وشاذي بالشين المعجمة وبعد الألف ذال معجمة مكسورة وبعدها ياء مثناة من تحتها وهذا الاسم عجمي ومعناه بالعربي فرحان ودوين بضم الدال المهملة وكسر الواو وبعدها ياء مثناة من تحتها ساكنة ثم نون وهي بلدة في أواخر إقليم

أذربيجان من جهة الشمال تجاور بلاد الكرج وينسب إليها الدويني والدوني أيضاً بفتح الواو والله أعلم قلت والمسجد والحوض اللذان بظاهر القاهرة خارج باب النصر عمارة نجم الدين أيوب أيضاً ورأيت تاريخ بناء الحوض في الحجر المركب أعلاه في سنة ست وستين وخمسمائة رحمه الله تعالى وقدس الله روحه

260 107 ب أيوب والد السلطان صلاح الدين أبو الشكر أيوب بن شاذي بن مروان الملقب الملك الأفضل نجم الدين والد السلطان صلاح الدين يوسف كان في أول أمره متسلماً قلعة تكريت هو وأخوة أسد الدين شيركوه يدبران أحوالها وينظران في أمورها وتوفي والدهما شاذي بها وهناك قبره ظاهر معروف وولد له بها السلطان صلاح الدين ومولده هو بمدينة دوين من أعمال أذربيجان ثم انتقل إلى الموصل وأقام بها مدة ثم اتصل بخدمة نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام وكان مقبلاً عليه مكرماً له ولما وزر ولده صلاح الدين للعاضد صاحب مصر وذلك في سنة أربع وستين وخمسمائة كما هو مشهور توجه إليه والده نجم الدين من الشام ودخل القاهرة لست بقين من رجب سنة خمس وستين وخمسمائة وخرج العاضد للقائه وسلك صلاح الدين معه من الأدب ما جرت به العادة وألبسه الأمر كله فأبى أن يلبسه وقال يا ولدي ما اختارك الله لهذا الأمر إلا وأنت كفؤ له ولا ينبغي أن تغير موضع السعادة فحكمه في الخزائن كلها وكان كريماً يطلق

فلا يرد ولم يزل عنده حتى استقل صلاح الدين بملك الديار المصرية في أوائل المحرم سنة سبع وستين كما سيأتي في ترجمته في حرف الياء فخرج نجم الدين يوماً من باب النصر أحد أبواب القاهرة فشب به فرسه فألقاه في وسط اللجة وذلك يوم الاثنين ثامن عشر ذي الحجة سنة 568 وحمل إلى داره وبقي متألماً إلى أن توفي يوم الأربعاء السابع والعشرين من الشهر المذكور ودفن عند قبر أخيه أسد الدين شيركوه رحمه الله تعالى ثم بعد ذلك نقلا إلى مدينة رسول الله ودفنا هناك ولما توفي كان السلطان صلاح الدين غائباً في غزوة

261 الكرك وهي أول غزواته فبلغه الخبر وهو راجع في الطريق فشق عليه حيث لم يضر وقد كان رجلاً مباركاً كثير الصلاح مائلاً إلى أهل الخير حسن النية جمل الطوية لا يتوسط إلا بالخير وظهرت تمرة بركته وحسن اعتقاده في أولاده ورأيت بمدينة بعلبك خانقاه لطيفة حسنة الوصف يقال لها النجمية وهي منسوبة إليه وسألت أهل البلد عن سبب بنائها هناك فقالوا كانت بعلبك إقطاعه يوم ذاك والمسجد والحوض اللذان بظاهر القاهرة خارج باب النصر عمارته أيضاً ورأيت تاريخ بناء الحوض في الحجر المركب أعلاه في سنة 66 ولما مات رثاه الفقيه عمارة اليمني بقصيدة طويلة أولها (هي الصدمة الأولى فمن بان صبره * على هول ملقاه تضاعف أجره) وقال ابن أبي الطي الأديب الحلبي في تاريخه الكبير مولد نجم

الدين أيوب ببلد سجستان وقيل إنه ولد بجبل جودوربي ببلد الموصـــل ولم يوافقه على ذلك أحد بل انفرد به وإنما نبهت عليه الخ

262 @262@

263 & حرف الباء &

264 @264@

265 108 باديس الصـــــنهاجي أبو مناد باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي والد المعز بن باديس الآتي ذكره إن شـــاء الله تعالى وبقية نســـبه مذكور في حرف التاء عند ذكر حفيده الأمير تميم كان باديس المذكور يتولى مملكة إفريقية نيابة عن الحاكم العبيدي المدعي الخلافة بمصر ولقبه الحاكم نصير الدولة وكانت ولايته بعد أبيه المنصـــور وتوفي أبوه يوم الخميس لثلاث خلون من شـــهر ربيع الأول ســـنة ســـت وثمانين وثلثمائة بقصـره الكبير خارج مدينة صـبرة ودفن فيه ثاني يوم وكان باديس المذكور ملكاً كبيراً حازم الرأي شـــديد البأس إذا هز رمحاً كسره ومولده ليلة الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة أربع وسبعين وثلثمائة بآشير المذكور في ترجمة إبراهيم بن قرقول ولم يزل على ولايته وأموره جارية على الســـداد ولما كان يوم الثلاثاء التاسـع والعشرون من ذي القعدة سنة ست وأربعمائة أمر جنوده بالعرض فعرضـــوا بين يديه وهو في قبة الســـلام جالس إلى وقت الظهر وسره حسن عسكره وأبهجه زيهم

وما كانوا عليه وانصرف إلى قصره ثم ركب عشية ذلك النهار في أجمل

266 ولعب الجيش بين يديه ثم رجع إلى قصره شديد السرور بما رآه من كمال حاله وقدم السماط بين يديه فأكل مع خاصته وحاضري مائدته ثم انصرفوا عنه وقد رأوا من سروره ما لم يروه منه قط فلما مضى مقدار نصف الليل من ليلة الأربعاء سلخ ذي القعدة سنة ست وأربعمائة قضى نحبه رحمه الله تعالى فأخفوا أمره ورتبوا أخاه كرامت ابن المنصور ظاهراً حتى وصلوا إلى ولده المعز فولوه وتم له الأمر وذكر في كتاب الدول المتقطعة أن سبب موته أنه قصد طرابلس ولم يزل على قرب منها عازماً على قتالها وحلف أن لا يرحل عنها حتى يعيدها فدناً للزراعة لسبب اقتضى ذلك تركت شرحه لطوله قال فاجتمع أهل البلد عند ذلك إلى المؤدب محرز وقالوا يا ولي الله قد بلغك ما قاله باديس فادع الله أن يزيل عنا بأسه فرفع يديه إلى السماء وقال يا رب باديس اكفنا باديس فهلك في ليلته بالذبحة والله أعلم والصنهاجي بضم الصاد المهملة وكسرها وسكون النون وفتح الهاء وبعد الألف جيم هذه النسبة إلى صنهاجة وهي قبيلة مشهورة من حمير وهي بالمغرب وقال ابن دريد صنهاجه بضم الصاد لا يجوز غير ذلك وأجاز غيره الكسر والله أعلم وضبط أسماء أجداده سيأتي إن شاء الله تعالى

267 (10) عز الدولة البويهي (بختيار) أبو منصـــور بختيار الملقب عز الدولة بن معز الدولة أبي الحســـين أحمد بن بويه الديلمي وقد تقدم ذكر أبيه وتتمة نسـبه فلا حاجة إلى إعادته ولي عز الدولة مملكة أبيه يوم موته في تاريخه المذكور هناك وتزوج الامام الطائع ابنته شاه زمان على صداق مبلغه مائة ألف دينار وخطب خطبة العقد القاضـــي أبو بكر ابن قريعة الآتي ذكره في حرف الميم إن شاء الله تعالى وذلك في سنة أربع وستين وثلثمائة وكان عز الدولة ملكاً سرياً شديد القوى يمسك الثور العظيم بقرنيه فيصـــرعه وكان متوســـعاً في الإخراجات والكلف والقيام بالوظائف حكى بشر الشمعي ببغداد قال سئلنا عند دخول عضـــد الدولـة بن بويـه وهو ابن عم عز الـدولـة المذكور إلى بغداد لما ملكها بعد قتله عز الدولة عن وظيفة الشـمع الموقد بين يدي عز الدولة فقلنا كانت وظيفة وزيره أبي الطاهر محمد بن بقية ألف من كل شـــهر فلم يعاودوا التقصي استكثاراً لذلك وستأتي ترجمة الوزير المذكور في حرف الميم إن شـــاء الله تعالى وكان بين عز الدولة وابن عمه عضـــد الدولة منافســـات في الممالك أدت إلى التنازع وأفضـت إلى التصـاف والمحاربة فالتقيا يوم الأربعاء ثامن عشـر شـوال سـنة سـبع وستين وثلثمائة فقتل عز الدولة في المصاف وكان عمره ستاً

268 وثلاثين سـنة وحمل رأسـه في طسـت ووضـع بين يدي عضـــد الدولة فلما رآه وضـــع منديله على عينيه

وبكى رحمهما الله تعالى وسيأتي ذكر عضد الدولة إن شاء الله تعالى 110 بركياروق السلجوقي أبو المظفر بركياروق الملقب ركن الدين ابن السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق الملقب شهاب الدولة مجد الملك أحد الملوك السلجوقية وسيأتي ذكر جماعة منهم إن شاء الله تعالى ولي المملكة بعد موت أبيه وكان أبوه قد ملك ما لم يملك غيره على ما سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى ودخل سمرقند وبخارى وغزا بلاد ما وراء النهر وكان أخوه السلطان سنجر المذكور في حرف السين إن شاء الله تعالى نائبه على خراسان وفي محاربته قتل عمه تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان كما سيأتي عند ذكره في حرف التاء إن شاء الله تعالى وكان مسعوداً عالي الهمة لم يكن فيه عيب سوى ملازمته للشراب والإدمان عليه ومولده في سنة أربع وسبعين وأربعمائة وتوفي في الثاني عشر من شهر ربيع الآخر وقيل الأول سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ببروجرد وأقام في السلطنة اثنتي عشرة سنة وأشهراً رحمه الله تعالى وبركياروق بفتح الباء الموحدة وسكون الراء والكاف وفتح الياء

269 المثناة من تحتها وبعد الألف راء مضمومة وواو ساكنة وقاف وبروجرد بضم الباء الموحدة والراء وسكون الواو وكسر الجيم وسكون الراء وبعدها دال مهملة بلدة على ثمانية عشر فرسخاً من همذان 111

بركات الخشوعي الرفاء أبو الطاهر بركات ابن الشيخ أبي إسحاق إبراهيم ابن الشيخ أبي الفضل طاهر ابن بركات بن إبراهيم بن علي بن محمد بن أحمد بن العباس بن هاشم الخشوعي الدمشقي الجيروني الفرشي الرفاء الأنماطي كان له سماعات عالية وإجازات تفرد بها وألحق الأصاغر بالأكابر فإنه انفرد في آخر عمره بالسماع والإجازة من أبي محمد هبة الله بن أحمد بن الأكفاني وانفرد بالإجازة من أبي محمد القاسم الحريري البصري صاحب المقامات أجازة في سنة اثنتي عشرة وخمسمائة من البصرة وهو من بيت الحديث حدث هو وأبوه وجده وسئل أبوه لم سموا الخشوعيين فقال كان جدنا الأعلى يؤم بالناس فتوفي في المحراب فسمي الخشوعي نسبة إلى الخشوع وكان مولد أبي الطاهر المذكور بدمشق في رجب سنة عشر وخمسمائة وتوفي ليلة السابع والعشرين من صفر سنة ثمان وتسعين وخمسمائة بدمشق ودفن من الغد بباب الفراديس على والده رحمهما الله تعالى وهو آخر من روى بالإجازة عن الحريري

270 والفرشي بضم الفاء وسكون الراء وبعدها شين مثلثة نسبة إلى بيع الفرش والأنماطي الذي يبيع الفرش أيضاً والرفاء معروف واجتمعت بجماعة من أصحاب أبي الطاهر المذكور وسمعت عليهم وأجازوني ولقيت ولده بالديار المصرية وكان يتردد إلي في كثير من الأوقات وأجازني جميع مسموعاته وإجازاته من أبيه 112 برجوان

خادم العزيز الأستاذ أبو الفتوح برجوان الذي ينسب إليه حارة برجوان بالقاهرة كان من خدام العزيز صاحب مصر ومدبري دولته وكان نافذ الأمر مطاعاً نظر في أيام الحاكم في ديار مصر والحجاز والشام والمغرب وأعمال الحضرة وذلك في سنة ثمان وثمانين وثلثمائة وسيأتي في ترجمة العزيز نزار طرف من خبره إن شاء الله تعالى وكان أسود وقتل عشية يوم الخميس السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر وقيل بل قتل يوم الخميس منتصف جمادي الأولي سنة تسعين وثلثمائة في القصر بالقاهرة بأمر الحاكم ضربه أبو الفضل ريدان الصقلبي صاحب المظلة في جوفه بسكين فمات من ذلك وذكر ابن الصيرفي الكاتب المصري في أخبار وزراء مصر أن برجوان نظر في أمور المملكة في شهر رمضان من سنة سبع وثمانين وثلثمائة ولما قتل خلف ألف سراويل دبيقي بألف تكة حرير ومن الملابس والفرش والآلات والكتب والطرائف ما لا يحصى كثرة والله أعلم

271 وريدان المذكور هو الذي تنسب إليه الريدانية خارج باب الفتوح أحد أبواب القاهرة ولما قتل برجوان رد الحاكم النظر في جميع ما كان بيده إلى قائد القواد أبي عبد الله الحسين ابن القائد جوهر وسيأتي ذكره في ترجمة أبيه إن شاء الله تعالى ثم قتل الحاكم ريدان المذكور في أوائل سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وكان المباشر لقتله مسعود الصقلبي صاحب السيف رحمهم الله تعالى

وبرجوان بفتح الباء الموحدة وسكون الراء وفتح الجيم والواو وبعد الألف نون وريدان بفتح الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الدال المهملة وبعد الألف نون هكذا وجدته مقيداً بخط بعض الفضلاء والصقلبي بفتح الصاد المهملة وسكون القاف وبعد اللام المفتوحة باء موحدة هذه النسبة إلى الصقالبة وهم جنس من الناس يجلب منهم الخدام 113 بشار بن برد أبو معاذ بشار بن برد بن يرجوخ العقيلي بالولاء الضرير الشاعر المشهور ذكر له أبو الفرج الأصبهاني في كتاب الأغاني ستة وعشرين جداً أسماؤهم أعجمية أضربت عن ذكرها لطولها واستعجامها وربما يقع فيها التصحيف والتحريف فإنه لم يضبط شيئاً منها فلا حاجة إلى الاطالة فيها

272 بلا فائدة وذكر من أحواله وأموره فصولاً كثيرة وهو بصري قدم بغداد وكان يلقب بالمرعث وأصله من طخارستان من سبي المهلب بن أبي صفرة ويقال إن بشاراً ولد على الرق أيضاً وأعتقته امرأة عقيلية فنسب إليها وكان أكمه ولد أعمى جاحظ الحدقتين قد تغشاهما لحم أحمر وكان ضخماً عظيم الخلق والوجه مجدرا طويلا وهو في أول مرتبة المحدثين من الشعراء المجيدين فيه فمن شعره في المشورة وهو من أحسن شيء قيل في ذلك (إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن * بحزم نصيح أو نصاحة حازم) (ولا تجعل الشورى عليك غضاضة * فريش الخوافي تابع للقوادم) (وما خير كف أمسك الغل أختها

* وما خير سـيف لم يؤيد بقائم) وله البيت السائر المشهور وهو (هل تعلمين وراء الحب منزلة * تدني إليك فإن الحب أقصاني) ومن شعره وهو أغزل بيت قاله المولدون (أنا والله أشتهي سحر عينيك * وأخشى مصارع العشاق) ومن شعره أيضاً (يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة * والأذن تعشق قبل العين أحيانا) (قالوا بمن لا ترى تهذي فقلت لهم * الأذن كالعين توفي القلب ما كانا) أخذ معنى البيت الأول أبو حفص عمر المعروف بابن الشحنة الموصلي من جملة قصيدة عدد أبياتها مائة وثلاثة عشر بيتاً يمدح بها السلطان صلاح الدين رحمة الله تعالى فقال (وإني امرؤ أحببتكم لمكارم * سمعت بها والأذن كالعين تعشق) (31) وشعر بشار كثير سائر فنقتصر منه على هذا القدر

273 وكان يمدح المهدي بن المنصور أمير المؤمنين ورمي عنده بالزندقة فأمر بضربه فضرب سبعين سوطاً فمات من ذلك في البطيحة بالقرب من البصرة فجاء بعض أهله فحمله إلى البصرة ودفنه بها وذلك في سنة سبع وقيل ثمان وستين ومائة وقد نيف على تسعين سنة رحمه الله تعالى ويروى عنه أنه كان يفضل النار على الأرض ويصوب رأي إبليس في امتناعه من السجود لآدم صلوات الله عليه وسلامه وينسب إليه من الشعر في تفضيل النار على الأرض قوله (الأرض مظلمة والنار مشرقة * والنار معبودة مذ كانت النار) وقد روي أنه فتشت كتبه

فلم يصـــب فيها شـــيء مما كان يرمى به وأصـــيب له كتاب فيه إني أردت هجاء آل ســـــليمان بن علي بن عبد الله بن العباس رضـــــي الله عنهم فذكرت قرابتهم من رســــول الله فأمســــكت عنهم والله أعلم بحاله وقال الطبري في تاريخه كان ســـبب قتل المهدي لبشـــار أن المهدي ولى صــــالح بن داود أخا يعقوب بن داود وزير المهدي ولاية فهجاه بشــــار بقوله ليعقوب (هم حملوا فوق المنابر صـــــالحاً * أخاك فضـــــجت من أخيك المنابر) فبلغ يعقوب هجاؤه فدخل على المهدي وقال له إن بشـــــاراً هجاك قال ويلك ماذا قال قال يعفيني أمير المؤمنين من إنشـاد ذلك فقال لا بد فأنشده (خليفة يزني بعماته * يلعب بالدبوق والصــــولجان) (أبدنا أبدلنا الله به غيره * ودس موسى في حر الخيزران)

274 فطلبه المهدي فخاف يعقوب أن يدخل عليه فيمـدحـه فيعفو عنـه فوجـه إليـه من ألقـاه في البطيحـة ويرجوخ بفتح الياء المثناة من تحتها وسـكون الراء وضـم الجيم وبعد الواو الساكنة خاء معجمة والعقيلي بضم العين المهملة وفتح القاف وسـكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام هـذه النســـبـة إلى عقيـل بن كعـب وهي قبيلـة كبيرة والمرعث بضـــم الميم وفتح الراء وتشـــديد العين المهملة المفتوحـة وبعـدهـا ثـاء مثلثـة وهو الـذي في أذنـه رعـاث والرعـاث القرطـة واحدتها رعثـة وهي القرط لقب بذلك لأنه كان مرعثاً في صـــغره ورعثات الديك المتدلي أســفل حنكه والرعث الاســترســال والتســاقط وكأن اسـم القرطة

اشـــتق منه وقيل في تلقيبه بذلك غير هذا و هذا أصـــح وطخارستان بضم الطاء المهملة وفتح الخاء المعجمة وبعد الألف راء مضمومة وبعدها سين ساكنة مهملة ثم تاء مثناة من فوقها وبعد الألف نون و هي ناحية كبيرة مشـــتملة على بلدان وراء نهر بلخ على جيحون خرج منها جماعة من العلماء 114 بشـر الحافي أبو نصـر بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله وكان اسم عبد الله بعبور وأسلم على يد علي بن أبي طالب رضي الله

275 عنه المروزي المعروف بالحافي أحد رجال الطريقة رضـي الله عنهم كان من كبار الصـالحين وأعيان الأتقياء المتورعين أصـله من مرو من قرية من قراها يقال لها مابرسام وسكن بغداد وكان من أولاد الرؤساء والكتاب وسـبب توبته أنه أصـاب في الطريق ورقة وفيها اسـم الله تعالى مكتوب وقد وطئتها الأقدام فأخذها واشـترى بدراهم كانت معه غالية فطيب بها الورقة وجعلها في شـــق حائط فرأى في النوم كأن قائلاً يقول له يا بشـــر طيب اسـمي لأطيبن اسـمك في الدنيا والآخرة فلما تنبه من نومه تاب ويحكى أنه أتى باب المعافى بن عمران فدق عليه الحلقة فقيل من قال بشـــر الحافي فقالت بنت من داخل الدار لو اشـتريت نعلاً بدانقين لذهب عنك اسـم الحافي وإنما لقب بالحافي لأنه جاء إلى إسـكاف يطلب منه شـسـعا لإحدى نعليه وكان قد انقطع فقال له الإسكاف ما أكثر كلفتكم على

الناس فألقى النعل من يده والأخرى من رجله وحلف لا يلبس نعلاً بعدها وقيل لبشر بأي شيء تأكل الخبز فقال أذكر العافية فأجعلها إداماً ومن دعائه اللهم إن كنت شهرتني في الدنيا لتفضحني في الآخرة فاسلبه عني ومن كلامه عقوبة العالم في الدنيا أن يعمى بصر قلبه وقال من طلب الدنيا فليتهيأ للذل وقال بعضهم سمعت بشراً يقول لأصحاب الحديث أدوا زكاة هذا الحديث قالوا وما زكاته قال اعملوا من كل مائتي حديث بخمسة أحاديث وروى عنه سري السقطي وجماعة من الصالحين رضي الله تعالى عنهم قال الجوهري سمعت بشر بن الحارث يقول في جنازة أخته إن العبد اذا قصر في طاعة الله سلبه الله من يؤنسه وقال بشر كنت في طلب صديق لي ثلاثين سنة فلم أظفر به فمررت في بعض الجبال بأقوام مرضى

276 وزمني وعمي وبكم فسألتهم فقالوا في هذا الكهف رجل يمسح عليهم بيديه فيبرأون بإذن الله تعالى وبركة دعائه قال فقعدت أنتظر فخرج شيخ عليه جبة صوف فلمسهم ودعا لهم فكانوا يبرأون من عللهم بمشيئة الله تعالى قال فأخذت ذيله فقال خل عني يا سري يراك تأنس بغيره فتسقط من عينه ثم تركني ومضى وكان مولده سنة خمسين ومائة وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة ست وعشرين وقيل سبع وعشرين ومائتين وقيل يوم الأربعاء عاشر المحرم وقيل في رمضان بمدينة بغداد وقيل بمرو رحمه الله تعالى وكان لبشر ثلاث اخوات وهن

مضـــغة ومخة وزبدة وكن زاهدات عابدات ورعات وأكبرهن مضـغة ماتت قبل موت أخيها بشـر فحزن عليها بشـــر حزناً شـــديداً وبكى بكاء كثيراً فقيل له في ذلك فقال قرأت في بعض الكتب أن العبد إذا قصـــر في خدمة ربه سـلبه أنيســه وهذه أختي مضـغة كانت أنيسـتي في الدنيا وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل دخلت امرأة علي أبي فقالت له يا أبا عبد الله إني امرأة أغزل في الليل على ضوء السـراج وربماء طفيء السـراج فأغزل على ضـوء القمر فهل علي أن أبين غزل السـراج من غزل القمر فقال لها أبي إن كان عندك بينهما فرق فعليك أن تبيني ذلك فقال له يا أبا عبد الله أنين المريض هل هو شـكوى فقال لها إني أرجو أن لا يكون شكوى ولكن هو اشتكاء إلى الله تعالى ثم انصـرفت قال عبد الله فقال لي أبي يا بني ما سمعت إنساناً قط يسـأل عن مثل ما سـألت هذه المرأة اتبعها قال عبد الله فتبعتها إلى أن دخلت دار بشــر الحافي فعرفت أنها أخت بشـر فأتيت أبي فقلت له إن المرأة أخت بشـر الحافي فقال أبي هذا والله هو الصـحيح محال أن تكون هذه المرأة إلا أخت بشــر الحافي وقال عبد الله أيضـاً جاءت مخة أخت بشـر الحافي إلى أبي فقالت يا أبا عبد الله رأس مالي دانقان أشـتري بهما قطناً فأغزله وأبيعه بنصـف درهم فأنفق دانقاً من الجمعة إلى الجمعة وقد مر الطائف ليلة ومعه مشـعل فاغتنمت

277 ضوء المشعل وغزلت طاقين في ضوئه فعلمت أن لله سبحانه وتعالى في مطالبة فخلصني من هذا خلصك الله تعالى فقال أبي تخرجين الدانقين ثم تبقين بلا رأس مال حتى يعوضك الله خيرا منه قال عبد الله فقلت لأبي لو قلت لها حتى تخرج رأس مالها فقال يا بني سؤالها لا يحتمل التأويل فمن هذه المرأة فقلت هي مخة أخت بشر الحافي فقال أبي من ههنا أتيت وقال بشر الحافي تعلمت الزهد من أختي فإنها كانت تجتهد أن لا تأكل ما لمخلوق فيه صنع 115 بشر المريسي أبو عبد الرحمن بشر بن غياث بن أبي كريمة المريسي الفقيه الحنفي المتكلم هو من موالي زيد بن الخطاب رضي الله عنه أخذ الفقه عن القاضي أبي يوسف الحنفي إلا أنه اشتغل بالكلام وجرد القول بخلق القرآن وحكي عنه في ذلك أقوال شنيعة وكان مرجئاً وإليه تنسب الطائفة المريسية من المرجئة وكان يقول إن السجود للشمس والقمر ليس بكفر ولكنه علامة الكفر وكان يناظر الإمام الشافعي رضي الله عنه وكان لا يعرف النحو ويلحن لحناً فاحشاً وروى الحديث عن حماد ابن سلمة وسفيان بن عيينة وأبي يوسف القاضي وغيرهم رحمهم الله تعالى ويقال إن أباه كان يهودياً صياغاً بالكوفة وذكر ابن أبي عون الكاتب في كتاب الأجوبة أن أم بشر المريسي شهدت عند بعض القضاة فجعلت تلقن

278 امرأة معها الشهادة فقال الخصم للقاضي ما تراها تلقنها قالت له يا جاهل إن الله تعالى يقول (^ أن

تضــل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى الآية) قال عمارة بن وثيمة أخبرني عبد الله بن إسـماعيل بن عياش قال كتب بشــر المريســي إلى رجل يســتقرض منه شــيئاً فكتب إليه الرجل الدخول قليل والدين ثقيل والمال مكذوب عليه فكتب إليه بشر إن كنت كاذبا فجعلك الله صادقا وإن كنت معتذراً بباطل فجعلك الله معتذراً بحق وقال القاســم بن إسـماعيل قال لي الجاحظ قال بشر المريسي وقد سئل عن رجل فقال هو على أحسـن حال واهنؤها فضـحك الناس من لحنه فقال قاســم التمار ما هذا إلا صــواباً مثل قول ابن هرمة وهو (ان سـليمى والله يكلؤها * ضـنت بشــيء ما كان يرزؤها) قال فشغل الناس عن لحن المريسي بتفسير القاسم وتوفي في ذي الحجة سنة ثماني عشرة وقيل تسع عشرة ومائتين ببغداد والمريســي بفتح الميم وكســر الراء وســكون الياء المثناة من تحتها وبعدها سين مهملة هذه النسبة إلى مريس وهي قرية بمصــر هكذا ذكره الوزير أبو ســعد في كتاب النتف والطرف وســمعت أهل مصــر يقولون إن المريس جنس من السـودان بين بلاد النوبة وأسـوان من ديار مصـر وكـأنهم جنس من النوبـة وبلادهم متـاخمـة لبلاد أســوان وتأتيهم في الشــتاء ريح باردة من ناحية الجنوب يســمونها المريســي ويزعمون أنها تأتي من تلك الجهة والله أعلم ثم إني رأيت بخط من يعتني بهذا الفن أنه كان يسكن في بغداد بدرب المريس فنســب إليه قال وهو بين نـهر الدجاج ونهر البزازين قلت والمريس في بغداد هو الخبز الرقاق يمرس

بالسمن والتمر كما يصنعه أهل مصر بالعسل بدل التمر وهو الذي يسمونه البسيسة

279 116 القاضي بكار بن قتيبة القاضي أبو بكرة بكار بن قتيبة بن أبي برذعة بن عبيد الله بن بشر بن عبيد الله ابن أبي بكرة نفيع بن الحارث بن كلدة الثقفي صاحب رسول الله كان حنفي المذهب وتولى القضاء بمصر سنة ثمان أو تسع وأربعين ومائتين وقيل قدمها متولياً قضاءها من قبل المتوكل يوم الجمعة لثمان خلون من جمادي الآخرة سنة ست وأربعين ومائتين وظهر من حسن سيرته وجميل طريقته ما هو مشهور وله مع أحمد بن طولون صاحب مصر وقائع مذكورة وكان يدفع له كل سنة ألف دينار خارجا عن المقرر له فيتركها بختمها ولا يتصرف فيها فلما دعاه إلى خلع الموفق بن المتوكل وهو والد المعتضد من ولاية العهد امتنع القاضي بكار من ذلك والقضية مشهورة فاعتقله أحمد ثم طالبه بجملة المبلغ الذي كان يأخذه كل سنة فحمله إليه بختمه وكان ثمانية عشر كيسا فاستحيا أحمد منه وكان يظن أنه أخرجها وأنه يعجز عن القيام بها فلهذا طالبه ولما اعتقله أمره أن يسلم القضاء إلى محمد بن شاذان الجوهري ففعل وجعله كالخليفة له وبقي مسجونا مدة سنين ووقفه للناس مرارا كثيرة وكان يحدث في السجن من طاق فيه لأن أصحاب الحديث شكوا إلى ابن طولون انقطاع إسماع الحديث من بكار وسألوه أن يأذن له في الحديث ففعل وكان يحدث على ما ذكرناه وكان

القاضي بكار أحد البكائين التالين لكتاب الله عز وجل وكان إذا فرغ من الحكم خلا بنفسه وعرض عليها قصص جميع من تقدم إليه وما حكم به وبكى وكان يخاطب نفسه ويقول يا بكار تقدم إليك رجلان في كذا وتقدم إليك خصمان في كذا

280 وحكمت بكذا فما يكون جوابك غدا وكان يكثر الوعظ للخصوم إذا أراد اليمين ويتلو عليهم قوله تعالى (^ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً إلى آخر الآية) وكان يحاسب أمناءه في كل وقت ويسأل عن الشهود في كل وقت وكانت ولادته بالبصرة سنة اثنتين وثمانين ومائة وتوفي وهو باق على القضاء مسجونا يوم الخميس لست خلون من ذي الحجة سنة سبعين ومائتين بمصر وبقيت مصر بعده بلا قاض ثلاث سنين وقبره بالقرب من قبر الشريف ابن طباطبا وقبره مشهور هناك عند مصلى بني مسكين على الطريق تحت الكوم بينه وبين الطريق المذكور معروف باستجابة الدعاء عنده وقيل كانت ولايته القضاء سنة ست وأربعين ومائتين وهو الأصح وقيل سنة خمس وأربعين رحمه الله تعالى 166 ب القاضي بكار بن قتيبة القاضي أبو بكر بكار بن قتيبة بن أسد بن عبد الله بن بشر بن أبي بكرة بن نفيع بن كلدة الثقفي بن الحارث مولى صاحب رسول الله حدث عن أبي داود الطيالسي وغيره وكان أحد الفقهاء على مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه أخذ الفقه عن هلال بن يحيى بالبصرة

وولي قضاء مصر أربعاً وعشرين سنة وستة أشهر وستة عشر يوما وكان من البكائين التالين لكتاب الله عز وجل وكان يكثر الوعظ للخصوم ويتلو عليهم (^ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب
281 أليم) هذا مع كل حالف فمنهم من يرجع عن اليمين وكان يحاسب أمناءه في كل شهر ويسأل عن الشهود قال أبو حاتم ابن أخي بكار قدم على عمي رجل من البصرة له علم وزهادة ونسك فأكرمه وقربه وأدناه وذكر أنه كان معه في المكتب فمضت به الأيام فجاء في شهادة ومعه شاهدان من شهود مصر فوديا عند عمي فما قبل شهادته فقلت لعمي هذا رجل زاهد وأنت تعرفه قال يا ابن أخي ما رددت شهادته إلا أنه كنا صغارا وكنا على مائدة عليها أرز وفيه حلوى فنقبت الأرز بإصبعي فقال لي (^ أخرقتها لتغرق أهلها) فقلت له أتهزأ بكتاب الله تعالى على الطعام ثم أمسكت عن كلامه مدة وما أقدر على قبوله وأنا أذكر ذلك منه ولم يزل على القضاء إلى أن جرى بينه وبين أحمد بن طولون ما جرى وذلك ان المعتمد على الله تعالى ابن جعفر المتوكل لما ولي الخلافة عقد لأخيه أبي أحمد ولقبه الموفق وأقبل المعتمد على لذاته واشتغل عن الرعية فغلب على الأمر وقام به أحسن قيام وأتمه فسار المعتمد في جمادي الآخرة سنة سبع وستين ومائتين يريد

مصر بمكاتبة جرت بينه وبين أحمد بن طولون لما كان ابن طولون بدمشق فلما بلغ الموفق ذلك وهو في قتال صاحب الزنج أنفذ عسكراً عليه إسحاق بن كنداج فرد المعتمد وسلمه إلى صاعد بن مخلد وحجر عليه فكتب ابن طولون أن الموفق نكث بيعة المعتمد وأمر بجمع القضاة والفقهاء والأشراف وسيرهم إلى دمشق فاجتمعوا بها وخلع الموفق لأن الفقهاء أفتوا بخلعه إلا بكار ابن قتيبة فقال له أنت أوردت علي كتاباً من المعتمد ان الموفق ولي عهده فأورد علي كتاباً منه بخلعه فقال هو الآن مغلوب مقهور وأنا أحبسك حتى يرد كتابه فقيده وحبسه واسترجع منه ما كان دفعه إليه من جوائزه وولى أحمد بن طولون محمد بن شاذان الجوهري ولم يزل بكار محبوساً إلى أن اعتل أحمد ابن طولون سنة سبع ومائتين ولما مات قيل لبكار انصرف إلى منزلك فقال الدار بأجرة وقد صلحت لي فأقام وجاء أصحاب الدار يطلبون أجرة ما مضى فقال بكار على مذهبي الغاصب لا أجرة عليه ولكن أدفع لكم في المستقبل

282 وليس علي فيما مضى أجرة لأني كنت مغصوباً على نفسي ومات العباس بن أحمد ابن طولون بعده باثنتي عشرة ليلة ومات بكار بعده بأربعين يوماً وسنة تسع وثمانون سنة وصلى عليه ابن أخيه محمد بن الحسين بن قتيبة وعاش بعد عمه عشر سنين ودفن بمصر عند مُصلى بني مسكين رحمه الله تعالى قريباً من قبر الشريف ابن

طباطبا وقبره مشـــهور هناك على الطريق تحت الكوم بينه وبين الطريق المذكور معروف باســـتجابة الدعاء عنده

117 أبو بكر المخزومي أبو بكر بن عبـد الرحمن بن الحـارث بن هشــــام بن المغيرة بن عبـد الله بن عمر ابن مخزوم القرشـــي المخزومي أحد الفقهاء الســـبعة بالمدينة وكنيته اسـمه وعادة المؤرخين أن يذكروا من كنيته اسـمه في الحرف الموافق لأول المضــــاف إليه والمضــــاف إليه ههنـا بكر فلهذا ذكرتـه في البـاء ومن المؤرخين من يفرد للكنى باباً وكان أبو بكر المذكور من سادات التابعين وكان يسمى راهب قريش وأبوه الحارث أخو أبي جهل بن هشام من جلة الصـحابة رضـي الله عنهم ومولده في خلافة عمر بن الخطاب رضـــي الله عنه وتوفي ســـنة أربع وتســـعين للهجرة رحمه الله تعالى وهذه الســـنة تسـمى ســـنة الفقهاء وإنما ســـميت بذلك لأنه مات فيها جماعة منهم وهؤلاء الفقهاء السبعة كانوا بالمدينة في عصر واحد وعنهم انتشر العلم والفتيا

283 في الدنيا وسـيأتي ذكر كل واحد منهم في حرفه وننبه عليه في موضعه إن شاء الله تعالى وقد جمعهم بعض العلمـاء في بيتين فقـال (ألا كل من لا يقتدي بـأئمـة * فقســـمته ضـــيزى عن الحق خارجه) (فخذهم عبيد الله عروة قاسم * سعيد سليمان أبو بكر خارجه) ولولا كثرة حـاجـة فقهـاء زمـانـنـا إلى معرفتهم لمـا ذكرتهم لأن في شــهرتهم غنية عن ذكرهم في هذا المختصــر وإنما قيل لهم

الفقهاء الســـبعة وخصـــوا بهذه التســـمية لأن الفتوى بعد الصحابة رضوان الله عليهم صارت إليهم وشهروا بها وقد كان في عصـرهم جماعة من العلماء التابعين مثل سـالم بن عبد الله بن عمر رضـــي الله عنه وأمثاله ولكن الفتوى لم تكن إلا لهؤلاء الســبعة هكذا قاله الحافظ الســلفي 118 المازني النحوي أبو عثمان بكر بن محمد بن عثمان وقيل بقية وقيل عدي بن حبيب المازني البصــري النحوي كان إمام عصـــره في النحو والأدب أخذ الأدب عن أبي عبيدة والأصـمعي وأبي زيد الأنصـاري وغيرهم وأخذ عنهم عنه أبو العباس المبرد وبه انتفع وله عنه روايات كثيرة وله من التصـــانيف كتاب ما تلحن فيه العامة وكتاب الألف واللام وكتاب التصــريف وكتاب العروض وكتاب القوافي وكتاب الديباج على خلاف كتاب أبي عبيدة قال أبو جعفر الطحاوي الحنفي المصري سمعت القاضي بكار بن قتيبة 284 قاضـــي مصــر يقول ما رأيت نحوياً قط يشــبه الفقهـاء إلا حيـان بن هرمـة والمـازني يعني أبـا عثمـان المذكور وكان في غاية الورع ومما رواه المبرد أن بعض أهل الذمة قصـــده ليقرأ عليه كتاب ســـيبوية وبذل له مائة دينار في تدريســـه إياه فامتنع أبو عثمان من ذلك قال فقلت له جعلت فداك أترد هذه المنفعة مع فاقتك وشــدة إضــاقتك فقال إن هذا الكتاب يشـــتمل على ثلثمائة وكذا وكذا آية من كتاب عز وجل ولســت أرى أن أمكن منها ذميا غيرة على كتاب الله وحمية له قال فاتفق أن غنت جارية بحضـــرة

الواثق بقول العرجي (أظلوم إن مصـــابكم رجلا * أهدى السـلام تحية ظلم) فاختلف من كان بالحضـرة في إعراب رجلا فمنهم من نصبه وجعله اسم إن ومنهم من رفعه على أنه خبرها والجارية مصـــرة على أن شـــيخها أبا عثمان المازني لقنها إياه بالنصـب فأمر الواثق بإشـخاصـه قال أبو عثمان فلما مثلت بين يديه قال ممن الرجل قلت من بني مازن قال أي الموازن أمازن تميم أم مازن قيس أم مازن ربيعـة قلـت من مـازن ربيعـة فكلمني بكلام قومي وقـال باســـمك لأنهم يقلبون الميم باء والباء ميماً قال فكرهت أن أجيبه على لغة قومي كيلا أواجهه بالمكر فقلت بكر يا أمير المؤمنين ففطن لما قصـــدته وأعجب به ثم قال ما تقول في قول الشاعر (أظلوم إن مصابكم رجلا *)

285 أترفع رجلاً أم تنصـبه فقلت بل الوجه النصـب يا أمير المؤمنين فقال ولم ذلك فقلت إن مصـــابكم مصـــدر بمعنى إصـــابتكم فأخذ اليزيدي في معارضـــتي فقلت هو بمنزلة قولك إن ضـربك زيداً ظلم فالرجل مفعول مصـابكم وهو منصـوب به والدليل عليه أن الكلام معلق إلى أن تقول ظلم فيتم فاسـتحسـنه الواثق وقال هل لك من ولد قلت نعم بنية يا أمير المؤمنين قال ما قالت لك عند مســـيرك فقلت طافت حولي وأنشدت وهي تبكي قول الأعشى (أيا ابتا لا ترم عندنا * فإنا بخير إذا لم ترم) (أرانا إذا أضـــمرتك البلاد * تجفى وتقطع منا الرحم) قال فما قلت لها قال قلت لها ما قال جرير لابنته (ثقي بالله ليس له شـــريك *

ومن عند الخليفة بالنجاح) قال على النجاح إن شـــاء الله تعالى ثم أمر لي بألف دينار وردني مكرماً قال المبرد فلما عاد إلى البصـرة قال لي كيف رأيت يا أبا العباس رددنا لله مائة فعوضنا ألفا وكان أبو عثمان مع علمه بالنحو متسعا في الرواية قال أبو القاسم الكوكني حدثني العنزي قال أنشد رجل أبا عثمان المازني شعراً له وقال كيف تراه قال أراك قد عملت عملاً بإخراج هذا من صـــدرك لأنك لو تركته لأورثك السل وروى المبرد عنه أيضاً قال قرأ علي رجل كتاب سيبويه في مدة طويلة

286 فلما بلغ آخره قال لي أما أنت فجزاك الله خيراً وأما أنا فما فهمت منه حرفاً وتوفي أبو عثمان المازني المذكور في سنة تسع وأربعين ومائتين وقيل ثمان وأربعين وقيل ست وثلاثين ومائتين بالبصرة رحمه الله تعالى 119 بلكين جد باديس أبو الفتوح بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصـنهاجي وهو جد باديس المقدم ذكره ويسمى أيضاً يوسف لكن بلكين أشهر وهو الذي استخلفه المعز بن المنصـور العبيدي على افريقية عند توجهه إلى الديار المصرية وكان استخلافه إياه يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي الحجة سنة إحدى وستين وثلثمائة وأمر الناس بالسمع والطاعة له وسلم إليه البلاد وخرجت العمال وجباة الأموال باسمه وأوصاه المعز بأمور كثيرة وأكد عليه في فعلها ثم قال إن نسيت ما أوصيتك به فلا تنس ثلاثة أشياء إياك أن ترفع الجباية عن أهل البادية والسيف عن البربر ولا تول

أحداً من إخونك وبني عمك فإنهم يرون أنهم أحق بهذا الأمر منك وافعل مع أهل الحاضرة خيراً وفارقه على ذلك وعاد من وداعه وتصـــرف في الولاية ولم يزل حســـن السـيرة تام النظر في مصـالح دولته ورعيته إلى أن توفي يوم الأحد لسـبع بقين من ذي الحجة سـنة ثلاث وسـبعين بموضـــع يقال له واركلان مجاور إفريقية وكانت علته القولنج وقيل خرجت في يده بثرة فمات منها رحمه الله تعالى

287 وكان له أربعمائة حظيه حتى قيل إن البشـائر وفدت عليه في يوم واحد بولادة سـبعة عشـر ولدا وبلكين بضم الباء الموحدة واللام وتشديد الكاف المكسورة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون وزيري بكســر الزاي وســكون الياء المثناة من تحتها وكســر الراء وبعدها ياء وبقية نسبه وضبط نسبته وألفاظه مذكور في حرف التاء عند ذكر حفيده الأمير تميم بن المعز بن باديس رحمهم الله تعالى وأما واركلان فهو بفتح الواو وبعد الألف راء مفتوحة أيضـا ثم كاف سـاكنة وبعد اللام ألف نون 120 بوران بوران بنت الحسن بن سهل وسيأتي خبر أبيها إن شاء الله تعالى ويقال إن اسمها خديجة وبوران لقب والأول أشـهر وكان المأمون قد تزوجها لمكان أبيها منه واحتفل أبو ها بأمر ها وعمل من الولائم والأفراح مالم يعهد مثله في عصر من الأعصار وكان ذلك بفم الصلح وانتهى أمره إلى أن نثر على الهاشميين والقواد والكتاب والوجوه

288 بنادق مسك فيها رقاع بأسماء ضياع وأسماء جوار وصفات دواب وغير ذلك فكانت البندقة إذا وقعت في يد الرجل فتحها فيقرأ ما في الرقعة فإذا علم ما فيها مضى إلى الوكيل المرصد لذلك فيدفعها إليه ويتسلم ما فيها سواء كان ضيعة أو ملكا آخرت أو فرسا أو جارية أو مملوكا ثم نثر بعد ذلك علي سائر الناس الدنانير والدراهم ونوافج المسك وبيض العنبر وأنفق على المأمون وقواده وجميع أصحابه وسائر من كان معه من أجناده وأتباعه وكانوا خلقا لا يحصى حتى على الجمالين والمكارية والملاحين وكل من ضمه عسكره فلم يكن في العسكر من يشتري شيئا لنفسه ولا لدوابه وذكر الطبري في تاريخه أن المأمون أقام عند الحسن تسعة عشر يوما يعد له في كل يوم ولجميع من معه ما يحتاج إليه وكان مبلغ النفقة عليهم خمسين ألف ألف درهم وأمر له المأمون عند منصرفه بعشرة الاف ألف درهم وأقطعه فم الصلح فجلس وفرق المال على قواده وأصحابه وحشمه ثم قال بعد هذا خرج المأمون نحو الحسن لثمان خلون من شهر رضمان ورحل من فم الصلح لسبع بقين من شوال سنة عشر ومائتين وهلك حميد بن عبد الحميد يوم الفطر من هذه السنة وقال غيره وفرش للمأمون حصير منسوج بالذهب فلما وقف عليه نثرت على قدميه لآلئ كثيرة فلما رأى تساقط الآلي المختلفة على الحصير المنسوج بالذهب قال قاتل الله أبا نواس كأنه شاهد هذه الحال حين قال في صفة الخمر

والحباب الذي يعلوها عند المزاج (كأن صـغرى وكبرى من فواقعها * حصـباء در على أرض من الذهب) وقد غلطوا أبا نواس في هذا البيت وليس هذا موضـع إبانة الغلط

289 وأطلق له المأمون خراج فارس وكور الأهواز مدة سـنة وقالت الشـعراء والخطباء في ذلك فأطنبوا وما يسـتظرف فيه قول محمد بن حازم الباهلي (بارك الله للحسـن * ولبوران في الختن) (يا ابن هارون قد ظفرت * ولكن ببنت من) فلما نمي هذا الشـعر إلى المأمون قال والله ما ندري خيرا أراد أم شرا وقال الطبري أيضا دخل المأمون على بوران الليلة الثالثة من وصوله إلى فم الصلح فلما جلس معها نثرت عليهما جدتها ألف درة كانت في صـينية ذهب فأمر المأمون أن تجمع وسـألها عن عدد الدر كم هو فقالت ألف حبة فوضـعها في حجرها وقال لها هذه نحلتك وسـلي حوائجك فقالت لها جدتها كلمي سـيدك فقد أمرك فسألته الرضى عن إبراهيم بن المهدي قلت وقد تقدم ذكره فقال قد فعلت وأوقدوا في تلك الليلة شـمعة عنبر وزنها أربعون منا في تور من ذهب فأنكر المأمون ذلك عليهم وقال هذا سـرف وقال غير الطبري لما طلب المأمون الدخول عليها دافعوه لعذر بها فلم يندفع فلما زفت إليه وجدها حائضـا فتركها فلما قعد للناس من الغد دخل عليه أحمد بن يوسـف الكاتب وقال يا أمير المؤمنين هنأك الله بما أخذت من الأمر باليمن والبركة وشـدة الحركة

والظفر بالمعركة فأنشـــده المأمون (فارس ماض بحربته * صـــادق بالطعن في الظلم) (رام أن يدمي فريســـته * فاتقته من دم بدم)

290 يعرض بحيضها وهو من أحسن الكنايات حكى ذلك أبو العباس الجرجاني في كتاب الكنايات وقد رويت هذه القصـــة على غير هذا الوجه والله أعلم بالصـــواب وجرى هذا كله في شهر رمضان سنة عشر ومائتين وعقد عليها في ســـنة اثنتين ومائتين وتوفي المأمون وهي في صـحبته وكانت وفاته يوم الخميس لثلاث عشـرة ليلة بقيت من رجب ســـنة ثماني عشـــرة ومائتين وبقيت بعده إلى أن توفيت يوم الثلاثاء لثلاث بقين من شـــهر ربيع الأول ســـنة إحدى وســـبعين ومائتين وعمرها ثمانون ســـنة لأن مولدها ليلة الاثنين لليلتين خلتا من صفر سنة اثنتين وتسعين ومائة وكـانـت وفـاتـهـا ببغداد ويقـال إنهـا دفـنـت في قبـة مقابـلـة مقصـــورة جامع الســـلطان وإنها باقية إلى الآن رحمها الله تعالى وفم الصـــلح بفتح الفاء وبعدها ميم وكســـر الصـــاد المهملة وبعد اللام الساكنة حاء مهملة وهي بلدة على دجلة قريبة من واسط كذا ذكره السمعاني وقال العماد الكاتب في الخريدة الصلح نهر كبير يأخذ من دجلة بأعلى واسط عليه نواح كثيرة وقد علا النهر وآل أمر تلك المواضـــع إلى الخراب قلت والعماد بذلك أخبر من الســـمعاني لأنه أقام بواســـط زمانا طويلا متولي الديوان بها 121 تاج الملوك بوري تاج الملوك أبو سـعيد بوري بن أيوب بن شـاذي بن

مروان الملقب مجد الدين قد تقدم ذكر أبيه وهو أخو السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى وكان أصغر أولاد أبيه وكانت فيه فضيلة وله ديوان شعر فيه الغث والسمين
291 لكنه بالنسبة إلى مثله جيد نقلت من ديوانه في أحد مماليكه وقد أقبل من جهة المغرب راكبا فرسا أشهب قوله (أقبل من أعشقه راكبا * من جانب الغرب على أشهب) (فقلت سبحانك يا ذا العلا * أشرقت الشمس من المغرب) وما يناسب ذلك قول ابن طلحة الصقلي (أيتها النفس إليه اذهبي * فحبه المشهور من مذهبي) (مفضي الثغر له نقطة * مسكية في خده المذهب) (أيأسني التوبة من حبه * طلوعه شمسا من المغرب) ولأحمد بن عثمان الأندلسي (لما رأيت شعاع خدك ذا * متهللا كتهلل البرق) (سبحت من عجب وقلت متى * للشمس تطلع من سوى الشرق) وأورد له العماد الكاتب في كتاب الخريدة (يا حياتي حين يرضى * ومماتي حين يسخط) (آه من ورد على خديك * بالمسك منقط) (بين أجفانك سلطان * على ضعفي مسلط) (قد تصبرت وإن برح * بي الشوق وأفرط) (فلعل الدهر يوما * بالتلاقي منك يغلط) وأورد له أيضا (أيا حامل الرمح الشبيه بقدة * ويا شاهرا سيفا حكى لحظه عضبا) (ضع الرمح واغمد ما سللت فربما * قتلت وما حاولت طعنا ولا ضربا) وذكر له غير ذلك أيضا وله أشياء حسنة

292 وكانت ولادته في ذي الحجة سنة ست وخمسين وخمسمائة وتوفي يوم الخميس الثالث والعشرين من صفر سنة تسع وسبعين وخمسمائة على مدينة حلب من جراحة أصابته عليها لما حاصرها أخوه السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى وأصابته الجراحة يوم نزولهم عليها وهو السادس عشر من المحرم من السنة المذكورة وكانت الجراحة طعنة في ركبته قال العماد الأصبهاني في البرق الشامي إن صلاح الدين كان قد أعد لعماد الدين صاحب حلب ضيافة في المخيم بعد الصلح وقبل دخوله البلد فبينما هو جالس على السماط وعماد الدين إلى جانبه ونحن في أغبط عيش وأتم سرور إذ جاء الحاجب إلى صلاح الدين وأسر إليه بموت أخيه فلم يتغير عن حالته وأمر بتجهيزه ودفنه سرا وأعطى الضيافة حقها إلى آخرها ويقال إن صلاح الدين كان يقول ما أخذنا حلب رخيصة بقتل تاج الملوك وبوري بضم الباء الموحدة وسكون الواو وكسر الراء وبعدها ياء مثناة من تحتها وهو لفظ تركي معناه بالعربية ذئب انتهى والله تعالى أعلم

293 حرف التاء

294 @294@

295 122 تتش السلجوقي تاج الدولة أبو سعيد تتش بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ابن دقاق السلجوقي كان صاحب البلاد الشرقية فلما حاصر أمير الجيوش بدر الجمالي مدينة دمشق من جهة صاحب

مصــــر وكان صـــاحب دمشـــق يومئذ أتســز بن أوق بن الخوارزمي التركي سير أتسز المذكور إلى تتش فاستنجد به فأنجده وسار إليه بنفسه فلما وصل إلى دمشق خرج إليه أتســز فقبض عليه تتش وقتله واســتولى على مملكته وذلك في سنة إحدى وسبعين وأربعمائة لإحدى عشرة ليلة خلت من شـــهر ربيع الآخر وكان قد ملك دمشـــق في ذي القعدة سنة ثمان وستين وأربعمائة ورأيت في بعض التواريخ أن ذلك كان في سنة اثنتين وسبعين والله أعلم ثم ملك حلب بعد ذلك في ســنة ثمان وســبعين وأربعمائة كما تقدم في ترجمة آق ســنقر واســتولى على البلاد الشــامية ثم جرى بينه وبين ابن أخيه بركياروق المقدم ذكره منافرات ومشاجرات أدت إلى المحاربة فتوجه إليه وتصــــافا بالقرب من مدينة الري في يوم الأحد ســــابع عشـــر صـــفر ســـنة ثمان وثمانين وأربعمائة فانكســـر تتش المذكور وقتل في المعركة ذلك النهار ومولده في شـــهر رمضـــان ســـنة ثمان وخمســـين وأربعمائة

296 وخلف ولدين أحدهما فخر الملوك رضـــوان والآخر شــمس الملوك أبو نصــر دقاق فاســتقل رضــوان بمملكة حلب ودقاق بمملكة دمشق وتوفي رضوان في سلخ جمادي الأولى سنة سبع وخمسمائة ومن نوابه أخذ الفرنج أنطاكية في سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة وتوفي دقاق في ثامن عشـر شـهر رمضـان سـنة سـبع وتسـعين وأربعمائة ودفن في مســجد بحكر الفهادين بظاهر دمشــق الذي على

نهر بردى وكان قد حصل له مرض متطاول وقيل إن أمه سمته في عنقود عنب فلما مات قام بالملك ظهير الدين أبو منصور طغتكين وكان أتابكه وتزوج أمه في حياة أبيه زوجه إياها وهو عتيق تتش رحمهم الله تعالى وأولاد الملك رضوان المقيمون بظاهر حلب هم أولاد رضوان المذكور ولم يزل ظهير الدين طغتكيم مالك دمشق إلى أن توفي يوم السبت لثمان خلون من صفر سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة وتولى الأمر بعده ولده تاج الملوك أبو سعيد بوري إلى أن توفي يوم الاثنين الحادي والعشرين من رجب سنة ست وعشرين وخمسمائة من جراحة أصابته من الباطنية وتولى بعده ولده شمس الملوك إسماعيل إلى أن قتل يوم الأربعاء رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة تسع وعشرين وخمسمائة قتلته أمه خاتون زمرد بنت جاولي وأجلست أخاه شهاب الدين زبا القاسم محمود بن بوري فتولى الأمر بعده بدمشق إلى أن قتل ليلة الجمعة الثالث والعشرين من شوال سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة قتله غلامه التغش ويوسف الخادم والفراش الخركاوي وصبيحة قتله وصل أخوه جمال الدين محمد بن بوري من بعلبك وكان صاحبها فملك دمشق وأقام بها إلى أن توفي ليلة الجمعة ثامن شعبان سنة أربع وثلاثين وخمسمائة

297 وتولى بعده مملكة دمشق ولده مجير الدين أبق بن محمد بن بوري بن طغتكين إلى أن نزل عليها نور الدين محمود بن زنكي في التاريخ الآتي ذكره في ترجمته

إن شاء الله تعالى وأخذها منه وعوضه عنها حمص فأقام بها يسيرا ثم انتقل إلى بالس التي على الفرات بأمر نور الدين وأقام بها مدة ثم توجه إلى بغداد وأقبل عليه الامام المقتفي ولا أعلم متى مات ولما كان بدمشق كان مدبر دولته معين الدين أنز بن عبد الله مملوك جده طغتكين وهو الذي ينسب إليه قصر معين الدين ببلاد الغور من أعمال دمشق وتوفي معين الدين المذكور في ليلة الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة أربع وأربعين وخمسمائة وهو الذي تزوج نور الدين محمود ابنته ثم تزوجها من بعده السلطان صلاح الدين رحمهم الله أجمعين وله بدمشق مدرسة ثم وجدت تاريخ وفاة مجير الدين أبق فذكرتها في ترجمة نور الدين محمود الآتي ذكره إن شاء الله تعالى 123 تقية الصورية أم علي تقية بنت أبي الفرج غيث بن علي بن عبد السلام بن محمد بن جعفر السلمي الأرمنازي الصوري وهي أم تاج الدين أبي الحسن علي بن فاضل بن سعد الله بن الحسن بن علي بن الحسين بن يحيى بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن محمد بن صمدون الصوري الأصل كانت فاضلة ولها شعر جيد قصائد ومقاطيع وصحبت الحافظ أبا الطاهر أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني رحمه الله تعالى زمانا بثغر
298 الإسكندرية المحروس وذكرها في بعض تعاليقه وأثنى عليها وكتب بخطه عثرت في منزل سكناي فانجرح أخمصي فشقت وليدة في الدار خرقة من خمارها

وعصبته فأنشدت تقية المذكورة في الحال لنفسها تقول (لو وجدت السبيل جدت بخدي * عوضا عن خمار تلك الوليدة) (كيف لي أن أقبل اليوم رجلا * سلكت دهرها الطريق الحميدة) نظرت في هذا المعنى إلى قول هارون بن يحيى المنجم (كيف نال العثار من لم يزل منه * مقيما في كل خطب جسيم) (أو ترقى الأذى إلى قدم لم * تخط إلا إلى مقام كريم) ولها غير ذلك أشياء حسنة وحكى لي الحافظ زكي الدين أبو محمد عبدالعظيم المنذري رحمه الله أن تقية المذكورة نظمت قصيدة تمدح بها الملك المظفر تقي الدين عمر ابن أخي السلطان صلاح الدين رحمهما الله تعالى وكانت القصيدة خمرية ووصفت الة المجلس وما يتعلق بالخمر فلما وقف عليها قال الشيخة تعرف هذه الأحوال من زمن صباها فبلغها ذلك فنظمت قصيدة أخرى جربية ووصفت الحرب وما يتعلق بها أحسن وصف ثم سيرت إليه تقول علمي بهذا كعلمي بهذا وكان قصدها براءة ساحتها مما نسبها إليه وكانت قد سألت الشيخ الامام العالم أبا الطاهر اسماعيل بن عوف الزهري عن الشعر فقال هو كلام ان تكلمت بحسن فهو لك وان تكلمت بشر فهو عليك وكانت ولادتها في صفر سنة خمس وخمسمائة بدمشق ورأيت بخط الحافظ
299 السلفي أنها ولدت في المحرم من السنة المذكورة وتوفيت في أوائل شوال سنة تسع وسبعين وخمسمائة رحمها الله تعالى وتوفي والدها أبو الفرج

المذكور في أواخر سنة تسع وخمسمائة وقيل في صفر
وكان ثقة رحمه الله تعالى وتوفي جدها علي بن عبد السلام
ضحى يوم الأحد تاسع ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين
وأربعمائة بصور وتوفي ولدها أبو الحسن علي المذكور
في الخامس عشر من صفر سنة ثلاث وستمائة بثغر
الإسكندرية عن سن عالية وهو صوري الأصل مصري
الدار وكان فاضلا في النحو والقراءات حسن الخط
والضبط لما يكتبه وكان مولد أبيه فاضل المذكور في
شوال سنة تسعين وأربعمائة بدمشق هكذاا نقلته من خط
الحافظ السلفي وتوفي في أول شهر ربيع الأول سنة ثمان
وستين وخمسمائة بالإسكندرية وكنيته أبو محمد نقلت
وفاته من خط ولده أبي الحسن علي المذكور والأرمنازي
بفتح الهمزة وسكون الراء وفتح الميم والنون وبعد الألف
زاي هذه النسبة إلى أرمناز وهي قرية من أعمال دمشق
وقيل من أعمال أنطاكية والأول أصح وذكر ابن السمعاني
أنها من أعمال حلب وقال لي من رأى أرمناز إن بينها
وبين عزاز من أعمال حلب أقل من ميل من جانبها الغربي
والصوري بضم الصاد المهملة وسكون الواو وبعدها راء
هذه النسبة إلى مدينة صور وهي من ساحل الشام وهي
الآن بيد الفرنج خذلهم
300 الله تعالى استولوا عليها في سنة ثماني عشرة
وخمسمائة يسر الله فتحها على أيدي المسلمين آمين 124
أبو غالب التياني أبو غالب تمام بن غالب بن عمر اللغوي

المعروف بالتياني من أهل قرطبة سكن مرسية كان إماما في اللغة وثقة في إيرادها مذكورا بالديانة والفقه والورع وله كتاب مشهور جمعه في اللغة لم يؤلف مثله اختصارا وإكثارا وله قصة تدل على دينه مع علمه حكى ابن الفرضي أن الأمير أبا الجيش مجاهد بن عبد الله العامري وجه إلى أبي غالب المذكور أيام غلبته على مرسية وأبو غالب ساكن بها ألف دينار على أن يزيد في ترجمة هذا الكتاب مما ألفه أبو غالب لأبي الجيش مجاهد فرد الدنانير وقال والله لو بذلت لي الدنيا على ذلك لم أفعله ولا استجزت الكذب فإني لم أؤلفه لك خاصة ولكن للناس عامة فاعجب لهمة هذا الرئيس وعلوها واعجب لنفس هذا العالم ونزاهتها وقال ابن حيان كان أبو غالب هذا مقدما في علم اللسان مسلمة له اللغة وله كتاب جامع في اللغة سماه تلقيح العين جم الإفادة وتوفي بالمرية في إحدى الجماديين سنة ست وثلاثين وأربعمائة رحمه الله

301 تعالى وأخذ اللغة عن أبيه وعن أبي بكر الزبيدي وغيرهما والتياني أظنه منسوبا إلى التين وبيعه والله أعلم 125 تميم بن المعز الفاطمي أبو علي تميم بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي كان أبوه صاحب الديار المصرية والمغرب وهو الذي بنى القاهرة المعزية وسيأتي ذكره في حرف الميم إن شاء الله تعالى وقد تقدم ذكر جماعة من أهل بيته وسيأتي ذكر الباقين إن شاء الله تعالى وكان تميم المذكور فاضلا شاعرا ماهرا لطيفا

ظريفا ولم يل المملكة لأن ولاية العهد كانت لأخيه العزيز فوليها بعد أبيه وللعزيز أيضا أشعار جيدة وقد ذكرهما أبو منصور الثعالبي في اليتيمة وأورد لهما كثيرا من المقاطيع فمن شعر تميم المذكور (ما بان عذري فيه حتى عذرا * ومشى الدجى في خده فتحيرا) (همت تقبله عقارب صدغه * فاستل ناظره عليها خنجرا) (والله لولا أن يقال تغيرا * وصبا وإن كان التصابي أجدرا) (لأعدت تفاح الخدود بنفسجا * لثما وكافور الترائب عنبرا) وله أيضا
302 (أما والذي لا يملك الأمر غيره * ومن هو بالسر المكتم أعلم) (لئن كان كتمان المصائب مؤلما * لإعلانها عندي أشد وآلم) (وبي كل ما يبكي العيون أقله * وإن كنت منه دائما أتبسم) وأورد له صاحب اليتيمة (وما أم خشف ظل يوما وليلة * ببلقعة بيداء ظمآن صاديا) (تهيم فلا تدري إلى أين تنتهي * مولهة حيرى تجوب الفيافيا) (أضر بها حر الهجير فلم تجد * لغلتها من بارد الماء شافيا) (فلما دنت من خشفها انعطفت له * فألفته ملهوف الجوانح طاويا) (بأوجع مني يوم شدت حمولهم * ونادى منادي الحي أن لا تلاقيا) وأورد له أبو الصلت أمية بن عبد العزيز في كتابه الحديقة (يوم لنا في النيل مختصر * ولكل يوم مسرة قصر) (والسفن تصعد كالخيول بنا * فيه وجيش الماء ينحدر) (فكأنما أمواجه عكن * وكأنما داراته سرر) ومن شعره أيضا رحمه الله تعالى (اشرب على غيم كصبغ الدجى * أضحك وجه

الأرض لما بكى) (وانظر لماء النيل في مدة * كأنما صندل أو مسكا) وكان قد وصل إلى عبد الله بن محمد الكاتب بيتان قيلا في وصف النيل فجمع شعراء إفريقية وأمرهم أن يقولوا في معناهما وقافيتهما فلم يأتوا بطائل وهما هذان البيتان (شربنا علي النيل لما بدا * بموج يزيد ولا ينقص) (كأن تكاثف أمواجه * معاطف جارية ترقص)

303 وأحسبهما للأمير تميم أو لبعض شعراء مصر وذلك أن تميما ركب في النيل ليلة متنزها فمر ببعض الطاقات المشرفة على النيل وجارية تغني هذا الصوت (نبهت ندماني بدجلة موهنا * والبدر في أفق السماء معلق) (والبدر يضحك وجهه في وجهها * والماء يرقص حولها ويصفق) فاستحسنه وطرب عليه وما زال يستعيدها فيه ويشرب عليه حتى انصرف وهو لا يعقل سكرا فلما أصبح عارضهما بالبيتين الأولين ومن المنسوب إليه أيضا (وكما يمل الدهر من إعطائه * فكذا ملالته من الحرمان) وأشعاره كلها حسنة وكانت وفاته في ذي القعدة سنة أربع وسبعين وثلثمائة بمصر رحمه الله تعالى هكذا قال صاحب الدول المنقطعة وزاد العتقي في تاريخه أنه توفي يوم الثلاثاء مع زوال الشمس لثلاث عشرة ليلة خلت من الشهر المذكور وأن أخاه العزيز نزار بن المعز حضر الصلاة عليه في بستانه وغسله القاضي محمد بن النعمان وكفنه في ستين ثوبا وأخرجه من البستان مع المغرب وصلى

عليه بالقرافة وحمله إلى القصـــر فدفنه بالحجرة التي فيها قبر أبيه المعز وقال محمد بن عبد الملك الهمداني في كتابه الذي سـماه المعارف المتأخرة إنه توفي سـنة خمس وسبعين والله أعلم وقال غيرهما إنه ولد سنة سبع وثلاثين وثلثمائة

304 126 تميم بن المعز الصنهاجي أبو يحيى تميم بن المعز بن باديس بن المنصـــور بن بلكين بن زيري بن مناد ابن منقوش بن زناك بن زيد الأصـغر بن واشـفال بن وزغفي بن سـري بن وتلكي ابن سـليمان بن الحارث بن عدي الأصغر وهو المثنى بن المسور بن يحصب بن مالك بن زيد بن الغوث الأصغر بن سعد وهو عبد الله بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سـدد بن زرعة وهو حمير الأصـغر بن سـبأ الأصـغر بن كعب بن زيد بن سـهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن حيدان بن قطن بن عوف بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن عمرو بن حمير وهو العرنجج بن سبأ الأكبر بن يشجب بن يعرب ابن قحطان بن عابر وهو هود عليه السـلام ابن شـالخ بن إرفخشـذ بن سـام بن نوح عليه السـلام هكذا قـالـه العماد في الخريدة الحميري الصـنهاجي ملك إفريقية وما والاها بعد أبيه المعز وكان حسـن السـيرة محمود الاثار محبا للعلماء معظما لأرباب الفضـائل حتى قصـدته الشـعراء من الآفاق على بعد الدار كابن السـراج الصـوري وأنظاره وجده المثنى بن المسـور

أول من دخل منهم إلى افريقية ولأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني فيه مدائح فمن ذلك قوله (أصح وأعلى ما سمعناه في الندى * من الخبر المأثور منذ قديم) (أحاديث ترويها السيول عن الحيا * عن البحر عن كف الأمير تميم)

305 وللأمير تميم المذكور أشعار حسنة فمن ذلك قوله (إن نظرت مقلتي لمقلتها * تعلم مما أريد نجواه) (كأنها في الفؤاد ناظرة * تكشف أسراره وفحواه) وله أيضا (سل المطر العام الذي عم أرضكم * أجاء بمقدار الذي فاض من دمعي) (إذا كنت مطبوعا على الصد والجفا * فمن أين لي صبر فأجعله طبعي) وله أيضا (وخمر قد شربت على وجوه * إذا وصفت تجل عن القياس) (خدود مثل ورد في ثغور * كدر في شعور مثل آس) وذكره العماد الكاتب في كتاب السيل وأورد له (فكرت في نار الجحيم وحرها * يا ويلتاه ولات حين مناص) (فدعوت ربي أن خير وسيلتي * يوم المعاد شهادة الإخلاص) وأشعاره وفضائله كثيرة وكان يجيز الجوائز السنية ويعطي العطاء الجزيل وفي أيام ولايته اجتاز المهدي محمد بن تومرت الآتي ذكره إن شاء الله تعالى بإفريقية عند عوده من بلاد المشرق وأظهر بها الانكار على من رآه خارجا عن سنن الشريعة ومن هناك توجه إلى مراكش وكان منه ما اشتهر وكانت ولادة الأمير تميم المذكور بالمنصورية التي تسمى صبرة من بلاد إفريقية

يوم الاثنين ثالث عشـــر رجب ســـنة اثنتين وعشـــرين وأربعمائة وفوض إليه أبوه ولاية المهدية في صـــفر ســـنة خمس وأربعين ولم يزل بها إلى أن توفي والده في رابع شـــعبان ســـنة أربع وخمســـين وأربعمائة كما ســـيأتي في ترجمته إن شـــاء الله تعالى فاســـتبد بالملك ولم يزل إلى أن توفي ليلة السـبت منتصـف رجب سـنة إحدى وخمسـمائة ودفن في قصـره ثم نقل إلى قصـر السيدة بالمنستير رحمه الله تعالى

306 وخلف من البنين أكثر من مائة ومن البنات ســـتين على ما ذكر حفيده أبو محمد عبد العزيز بن شـــداد ابن الأمير تميم المذكور في كتاب أخبار القيروان رحمه الله تعالى وقد تقدم ضـــبط بعض أجداده والباقي يطول ضـــبطه وقد قيدته بخطي فمن أراد نقله فلينقله على هذه الصـورة فإني نقلته من خط بعض الفضـلاء والصـنهاجي قد تقدم الكلام فيه والمنســـتير يأتي ذكرها في حرف الهاء إن شاء الله تعالى في ترجمة البوصيري 127 توران شاه الملك المعظم شمس الدولة توران شـاه بن أيوب بن شـاذي بن مروان الملقب فخر الدين وقد تقدم ذكر أبيه وأخيه تاج الملوك وهو أخو الســلطان صـــلاح الدين رحمه الله تعالى وكان أكبر منه وكان الســـلطان يكثر الثناء عليه ويرجحه على نفســـه وبلغه أن باليمن إنســـانا يســـمى عبد النبي بن مهدي يزعم أنه ينتشـر ملكه حتى يملك الأرض كلها وكان قد ملك كثيرا من بلادها واستولى على حصـونها وخطب

لنفسه وكان السلطان قد ثبتت قواعده وقوي عسكره فجهز أخاه شمس الدولة المذكور بجيش اختاره وتوجه إليها من الديار المصرية في أثناء رجب سنة تسع وستين وخمسمائة فمضى إليها وفتح الله على يديه وقتل الخارجي الذي كان فيها وملك معظمها وأعطى وأغنى خلقا كثيرا وكان كريما أريحيا ثم إنه عاد من اليمن والسلطان على حصار حلب فوصل إلى دمشق في ذي الحجة سنة إحدى وسبعين ولما رجع السلطان من الحصار وتوجه إلى الديار المصرية استخلفه بدمشق فأقام بها مدة ثم انتقل إلى مصر

307 وذكر ابن شداد في سيرة صلاح الدين أنه توفي يوم الخميس مستهل صفر وقال في موضع آخر من السيرة أيضا خامس صفر سنة ست وسبعين وخمسمائة بثغر الاسكندرية المحروس ونقلته أخته شقيقته ست الشام بنت أيوب إلى دمشق ودفنته في مدرستها التي أنشأتها بظاهر دمشق فهناك قبره وقبرها وقبر والدها حسام الدين عمر بن لاجين وقبر زوجها ناصر الدين أبي عبد الله محمد بن أسد الدين شيركوه صاحب حمص وكانت تزوجته بعد لاجين رحمهم الله أجمعين وكانت وفاة حسام الدين المذكور ليلة الجمعة تاسع عشر شهر رمضان سنة سبع وثمانين وخمسمائة وهذا حسام الدين المذكور هو سيد شبل الدولة كافور بن عبد الله الحسامي الخادم صاحب المدرسة والخانقاه الشبلية اللتين في ظاهر دمشق علي طريق جبل قاسيون ولهما شهرة في مكانهما وله أوقاف

كثيرة ومعروف نافع في الدنيا والآخرة وكانت وفاته في رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة ودفن في تربته المجاورة لمدرسته المذكورة وسيأتي ذكر ناصر الدين محمد بن شيركوه في ترجمة أبيه في حرف الشين إن شاء الله تعالى وتوفيت ست الشام المذكورة في سادس عشر ذي القعدة سنة ست عشرة وستمائة وبعد الفراغ من هذه الرجمة وجدت بخط بعض الفضلاء ممن له عناية بهذا الفن زيادة علي ما ذكرته ههنا فتركت ما هو مذكور في هذا المكان وأتيت بتلك الزيادة فقال لما تمهدت بلاد اليمن لشمس الدولة واستقامت له أمورها كره المقام بها لكونه تربية بلاد الشام وهي كثيرة الخير واليمن بلاد مجدبة من ذلك كله فكتب إلى أخيه صلاح الدين يستقيل منها ويسأله الإذن له في العود إلى الشام ويشكو حاله وما يقاسيه من عدم المرافق التي يحتاج إليها فأرسل إليه صلاح الدين رسولا مضمون رسالته ترغيبه في الإقامة وأنها

308 كثيرة الأموال ومملكة كبيرة فلما سمع الرسالة قال لمتولي خزانته أحضر لنا ألف دينار فأحضرها فقال لأستاذ داره والرسول حاضر عنده أرسل هذا الكيس إلى السوق يشترون لنا بما فيه قطعة ثلج فقال أستاذ الدار يا مولانا هذه بلاد اليمن من أين يكون فيها ثلج فقال دعهم يشترون بها طبق مشمش لوزي فقال من أين يوجد هذا النوع ههنا فجعل يعدد عليه جميع أنواع فواكه دمشق وأستاذ الدار يظهر التعجب من كلامه وكلما قال له عن

نوع يقول له يا مولانا من أين يوجد هذا ههنا فلما استوفى الكلام إلى آخره قال للرسول ليت شعري ماذاا أصنع بهذه الأموال إذا لم أنتفع بها في ملاذي وشهواتي فإن المال لا يؤكل بعينه بل الفائدة فيه أن يتوصل به الانسان إلى بلوغ أغراضه فعاد الرسول إلى صلاح الدين وأخبره بما جرى فأذن له في المجيء وكان القاضي الفاضل يكتب إليه الرسائل الفائقة ويودعها شرح الأشواق فمن ذلك أبيات مشهورة ذكرها في ضمن كتاب وهي (لا تضجرن مما أتيت فإنه * صدر لأسرار الصبابة ينفث) (أما فراقك واللقاء فإن ذا * منه أموت وذاك منه أبعث) (حلف الزمان على تفرق شملنا * فمتى يرق لنا الزمان ويحنث) (كم يلبث الجسم الذي ما نفسه * فيه ولا أنفاسه كم يلبث) (حول المضاجع كتبكم فكأنني * ملسوعكم وهي الرقاة النفث) ولما وصل إلى دمشق في التاريخ المقدم ذكره ناب عن أخيه صلاح الدين بها لما عاد صلاح الدين إلى الديار المصرية ثم انتقل إلى الديار المصرية في سنة أربع وسبعين وخمسمائة وكان أخوه صلاح الدين قد سيره في سنة ثمان وستين وخمسمائة إلى بلاد النوبة ليفتحها قبل سفره إلى اليمن فلما وصل إليها وجدها لا تساوي المشقة فتركها ورجع وقد غنم شيئا كثيرا من الرقيق وكانت له من
309 أخيه إقطاعات ونوابه باليمن يجبون له الأموال ومات وعليه من الديون مائتا ألف دينار فقضاها عنه صلاح الدين وحكى صاحبنا الشيخ مهذب الدين أبو طالب

محمد بن علي المعروف بابن الخيمي الحلبي نزيل مصــر الأديب الفاضــل قال رأيت في النوم شــمس الدولة توران شـاه بن أيوب وهو ميت فمدحته بأبيات وهو في القبر فلف كفنه ورماه إلي وأنشدني (لا تستقلن معروفا سمحت به * ميتا فأمسـيت منه عاريا بدني) (ولا تظنن جودي شـابه بخل * من بعد بذلي ملك الشـام واليمن) (إني خرجت من الدنيا وليس معي * من كل ما ملكت كفي سوى كفني) ولما كان في اليمن اسـتناب في زبيد سـيف الدولة أبا الميمون المبارك بن منقذ الآتي ذكره في حرف الميم إن شاء الله تعالى وتوران بضم التاء المثناة من فوقها وسكون الواو وبعدها راء ثم بعد الألف نون وهو لفظ أعجمي وشاه بالشـين المعجمة هو الملك باللغة العجمية ومعناه ملك المشرق وإنما قيل للمشرق توران لأنه بلاد الترك والعجم يسمون الترك تركان ثم حرفوه فقالوا توران والله أعلم

310 @310@

311 حرف الثاء

312 @312@

313 128 ثابت بن قرة أبو الحسن ثابت بن قرة بن هارون ويقال زهرون بن ثابت بن كرايا ابن إبراهيم بن كرايا بن مارينوس بن مالاجريوس الحاسـب الحكيم الحراني كان في مبدأ أمره صـيرفيا بحران ثم انتقل إلى بغداد واشـتغل بعلوم الأوائل فمهر فيها وبرع في الطب وكان الغالب عليه الفلسـفة وله تآليف كثيرة في فنون من

العلم مقدار عشـــرين تأليفا وأخذ كتاب إقليدس الذي عربه حنين بن إسحاق العبادي فهذبه ونقحه وأوضح منه ما كان مستعجما وكان من أعيان عصره في الفضائل وجرى بينه وبين أهل مذهبه أشـياء أنكروها عليه في المذهب فرافعوه إلى رئيســـهم فأنكر عليه مقالته ومنعه من دخول الهيكل فتاب ورجع عن ذلك ثم عاد بعد مدة إلى تلك المقالة فمنعوه من الدخول إلى المجمع فخرج من حران ونزل كفر توثا وأقام بها مدة إلى أن قدم محمد ابن موســـى من بلاد الروم راجعا إلى بغداد فاجتمع به فرآه فاضلا فصيحا فاستصحبه إلى بغداد وأنزله في داره ووصله بالخليفة فأدخله في جملة المنجمين فســـكن بغداد وأولد الأولاد وعقبه بها إلى الآن وكفر توثا بفتح الكاف وسكون الفاء وفتح الراء وضم التاء المثناة من فوقها وسكون الواو وبعدها ثاء مثلثة وهي قرية كبيرة بالجزيرة الفراتية بالقرب من دارا

314 وكانت ولادته ســنة إحدى وعشــرين ومائتين وتوفي يوم الخميس السادس والعشرين من صفر سنة ثمان وثمانين ومائتين (12) وكان صـــابئي النحلة وله ولد يســـمى إبراهيم بلغ رتبة أبيه في الفضـــل وكان من حذاق الأطباء ومقدمي أهل زمانه في صـــناعة الطب وعالج مرة الســري الرفاء الشـاعر فأصـاب العافية فعمل فيه وهو من أحسن ما قيل في طبيب (هل للعليل سوى ابن قرة شافي * بعد الإله وهل له من كافي) (أحيا لنا رســم الفلاســفة الذي * أودى وأوضـح رسـم طب عافي) (فكأنه عيســى

بن مريم ناطقا * يهب الحياة بأيسر الأوصاف) (مثلت
له قارورتي فرأى بها * ما اكتن بين جوانحي وشغافي)
(يبدو له الداء الخفي كما بدا * للعين رضراض الغدير
الصافي) وله فيه أيضا (برز إبراهيم في علمه * فراح
يدعي وارث العلم) (أوضح نهج الطب في معشر * ما
زال فيهم دارس الرسم) (كأنه من لطف أفكاره * يجول
بين الدم واللحم) (إن غضبت روح على جسمها * أصلح
بين الروح والجسم) (13) ومن حفدة ثابت المذكور أبو
الحسن ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة وكان صابئي النحلة
أيضا وكان ببغداد في أيام معز الدولة بن بويه المقدم ذكره
وكان طبيبا عالما نبيلا يقرأ عليه كتب بقراط وجالينوس
وكان فكاكا للمعاني وكان قد سلك مسلك جده ثابت في
نظره في الطب والفلسفة
315 والهندسة وجميع الصناعات الرياضية للقدماء
وله تصنيف في التاريخ أحسن فيه وقد قيل إن الأبيات
المذكورة أولا من نظم السري الرفاء إنما عملها فيه والله
أعلم والحراني نسبة إلى حران وهي مدينة مشهورة
بالجزيرة ذكر ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى في
تاريخه أن هاران عم إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام
عمرها فسميت باسمه فقيل هاران ثم إنها عربت فقيل
حران وهاران المذكور أبو سارة زوجة إبراهيم عليه
وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام وكان لإبراهيم عليه
الصلاة والسلام أخ يسمى هاران أيضا وهو أبو لوط عليه

السلام وقال الجوهري في كتاب الصحاح وجران اسم بلد والنسبة إليه حرناني على غير قياس والقياس حراني على ما عليه العامة 129 ذو النون المصري أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم وقيل الفيض بن إبراهيم المصري المعروف بذي النون الصالح المشهور أحد رجال الطريقة كان أوحد وقته علما وورعا وحالا وأدبا وهو معدود في جملة من روى الموطأ عن الامام مالك رضي الله عنه وذكر ابن يونس عنه في تاريخه أنه كان حكيما فصيحا وكان

316 أبوه نوبيا وقيل من أهل إخميم مولى لقريش وسئل عن سبب توبته فقال خرجت من مصر إلى بعض القرى فنمت في الطريق في بعض الصحارى ففتحت عيني فإذا أنا بقنبرة عمياء سقطت من وكرها على الأرض فانشقت الأرض فخرجت منها سكرجتان إحداهما ذهب والأخرى فضة وفي إحداهما سمسم وفي الأخرى ماء فجعلت تأكل من هذا وتشرب من هذا فقلت حسبي قد تبت ولزمت الباب إلى أن قبلني (32) وكان قد سعوا به إلى المتوكل فاستحضره من مصر فلما دخل عليه وعظه فبكى المتوكل ورده مكرما وكان المتوكل إذا ذكر أهل الورع بين يديه يبكي ويقول إذا ذكر أهل الورع فحي هلا بذي النون وكان رجلا نحيفا تعلوه حمرة ليس بأبيض اللحية وشيخه في الطريقة شقران العابد ومن كلامه إذا صحت المناجاة بالقلوب استراحت الجوارح وقال إسحاق بن إبراهيم السرخسي بمكة سمعت ذا النون وفي يده الغل وفي

رجليه القيد وهو يســـاق إلى المطبق والناس يبكون حوله وهو يقول هذا من مواهب الله تعالى ومن عطاياه وكل فعاله عذب حســـن طيب ثم أنشـــد (لك من قلبي المكان المصون * كل لوم علي فيك يهون) (لك عزم بأن أكون قتيلا * فيك والصبر عنك ما لا يكون) ووقفت في بعض المجاميع على شـيء من أخبار ذي النون المصـري رحمه الله تعالى فقال إن بعض الفقراء من الناس تلامذته فارقه من مصـر وقدم بغداد فحضـر بها سـماعا فلما طاب القوم وتواجدوا قام ذلك الفقير ودار واسـتمع ثم صـــرخ ووقع فحركوه فوجدوه ميتا فوصـــل خبره إلى شــيخه ذي النون فقال لأصـحابه تجهزوا حتى نمشـي إلى بغداد فلما فرغوا من أشغالهم خرجوا إليها فقدموا عليها وساعة قدومهم البلد قال الشـيخ ائتوني بذلك المغني فأحضـروه إليه فسـأله عن قضية ذلك الفقير فقص

317 قصته فقال له مبارك ثم شرع هو وجماعته في الغناء فعند ابتدائه فيه صـرخ الشيخ على ذلك المغني فوقع ميتا فقال الشــيخ قتيل بقتيل أخذنا ثأر صــاحبنا ثم أخذ في التجهيز والرجوع إلى الديار المصـرية ولم يلبث ببغداد بل عاد من فوره قلت وقد جرى في زمني شـيء من هذا يليق أن أحكيه ههنا وذاك أنه كان عندنا بمدينة إربل مغن موصـــوف بالحذق والإجادة في صـــنعة الغناء يقال له الشجاع جبريل بن الأواني فحضر سماعا قبل سنة عشرين وســتمائة فإنني أذكر الواقعة وأنا صـــغير وأهلي وغيرهم

يتحدثون بها في وقتها فغنى الشجاع المذكور القصيدة الطنانة البديعة التي لسبط ابن التعاوندي الاتي ذكره في حرف الميم في المحمدين إن شاء الله تعالى وأولها (سقاك سار من الوسمي هتان * ولا رقت للغوادي فيك أجفان) إلى أن وصل إلى قوله منها (ولي إلى البان من رمل الحمى وطر * فاليوم لا الرمل يصبيني ولا البان) (وما عسى يدرك المشتاق من وطر * إذا بكى الربع والأحباب قد بانوا) (كانوا معاني المغاني والمنازل أموات * إذا لم يكن فيهن سكان) (لله كم قمرت لبي بجوك أقمار * وكم غازلتني فيك غزلان) (وليلة بات يجلو الراح من يده * فيها أغن خفيف الروح جذلان) (خال من الهم في خلخاله حرج * فقلبه فارغ والقلب ملآن) (يذكي الجوى بارد من ثغره شبم * ويوقظ الوجد طرف منه وسنان) (إن يمس ريان من ماء الشباب فلي * قلب إلى ريقه المعسول ظمآن) (بين السيوف وعينيه مشاركة * من أجلها قيل للأغماد إجفان) فلما انتهى إلى هذا البيت قام بعض الحاضرين وقال له يا شجاع أعد ما قلته فأعاده مرتين أو ثلاثا وذلك الشيخ متواجد ثم صرخ صرخة هائلة

318 ووقع فظنوه قد أغمي عليه فافتقدوه بعد أن انقطع حسه فوجدوه قد مات فقال الشجاع هكذا جرى في سماعي مرة أخرى فإنه مات فيه شخص آخر وهذه القصيدة من غرر القصائد وهي طويلة مدح بها الامام الناصر لدين الله أبا العباس أبا أحمد بن المستضيء أمير

المؤمنين العباســـي في يوم عيد الفطر من ســـنة إحدى وثمانين وخمسـمائة والله أعلم ومحاسـن الشـيخ ذي النون كثيرة وتوفي في ذي القعدة سنة خمس وأربعين وقيل ست وأربعين وقيـل ثمـان وأربعين ومـائتين رضـــي الله عنـه بمصـر ودفن بالقرافة الصـــغرى وعلى قبره مشـــهد مبني وفي المشـهد أيضـا قبور جماعة من الصـالحين رضـي الله عنهم وزرته غير مرة وثوبان بفتح الثاء المثلثة وســـكون الواو وفتح الباء الموحدة وبعد الألف نون

319 & حرف الجيم &

320 @320@

321 130 جرير الشـــاعر أبو جزرة جرير بن عطية بن الخطفي واسـمه حذيفة والخطفي لقبه ابن بدر بن سـلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم بن مر التميمي الشـاعر المشـــهور كان من فحول شـــعراء الإســـلام وكانت بينه وبين الفرزدق مهاجاة ونقائض وهو أشـــعر من الفرزدق عند أكثر أهل العلم بهذا الشـأن وأجمعت العلماء على أنه ليس في شعراء الإسلام مثل ثلاثة جرير والفرزدق والأخطل قال محمد بن سـلام سـمعت يونس يقول ما شـهدت مشـهدا قط وذكر فيه جرير والفرزدق فاجتمع أهل المجلس علي أحدهما وقال أيضا الفرزدق أشعر خاصة وجرير أشعر عامة ويقال إن بيوت الشـــعر أربعة فخر ومديح وهجاء ونســـيب وفي الأربعة فاق جرير غيره فالفخر قوله (إذا غضـــبت عليك

بنو تميم * حسبت الناس كلهم غضابا) والمديح قوله (ألستم خير من ركب المطايا * وأندي العالمين بطون راح) والهجاء قوله (فغض الطرف إنك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا)
322 والنسيب قوله (إن العيون التي في طرفها حور * قتلننا ثم لم يحيين قتلانا) (يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به * وهن أضعف خلق الله أركانا) وحكى أبو عبيدة معمر بن المثنى الآتي ذكره إن شاء الله تعالى قال التقي جرير والفرزدق بمنى وهما حاجان فقال الفرزدق لجرير (فإنك لاق بالمشاعر من منى * فخارا فخبرني بمن أنت فاخر) فقال له جرير لبيك اللهم لبيك قال أبو عبيدة فكان أصحابنا يستحسنون هذا الجواب من جرير ويعجبون به (33) وحكى أبو عبيدة أيضا خرج جرير والفرزدق مرتدفين على ناقة إلى هشام ابن عبدالملك الأموي وهو يومئذ بالرصافة فنزل جرير لقضاء حاجته فجعلت الناقة تتلفت فضربها الفرزدق وقال (إلام تلفتين وأنت تحتي * وخير الناس كلهم أمامي) (متى تردي الرصافة تستريحي * من التهجير والدبر الدوامي) ثم قال الآن يجيئني جرير فأنشده هذين البيتين فيقول (تلفت أنها تحت ابن قين * إلى الكيرين والفاس الكهام) (متى ترد الرصافة تخز فيها * كخزيك في المواسم كل عام) قال فجاء جرير والفرزدق يضحك فقال ما يضحكك يا أبا

فراس فأنشده البيتين الأولين فأنشده جرير البيتين الآخرين فقال الفرزدق والله

323 لقد قلت هذا فقال جرير ما علمت أن شـــيطاننا واحد وذكر المبرد في الكامل أن الفرزدق أنشد قول جرير (ترى برصا بأسفل اسكتيها * كعنفقة الفرزدق حين شابا) فلما أنشد النصف الأول من البيت ضرب الفرزدق يده على عنفقته توقعا لعجز البيت وحكى أبو عبيدة قال كان جرير مع حسن تشبيبه عفيفا وكان الفرزدق فاسقا وكان يقول ما أحوجه إلى صـــلابة شـــعري وأحوجني إلى رقة شعره وحكى أبو عبيدة أيضا قال رأت أم جرير في نومها وهي حامل به كأنها ولدت حبلا من شـــعر أســـود فلما وقع منها جعل ينزو فيقع في عنق هذا فيخنقه حتى فعل ذلك برجال كثيرة فانتبهت مرعوبة فأولت الرؤيا فقيل لها تلدين غلاما شاعرا ذا شر وشدة شكيمة وبلاء على الناس فلما ولدته ســـمته جريرا باســـم الحبل الذي رأت أنه خرج منها والجرير الحبل وذكر أبو الفرج الأصـــبهاني في كتاب الأغاني في ترجمة جرير المذكور أن رجلا قال لجرير من أشـــعر الناس قال له قم حتى أعرفك الجواب فأخذ بيده وجاء به إلى أبيه عطية وقد أخذ عنزا له فاعتقلها وجعل يمص ضـرعها فصـــاح به اخرج يا أبت فخرج شـيخ دميم رث الهيئة وقد ســـال لبن العنز على لحيته فقال أترى هذا قال نعم قال أو تعرفه قال لا قال هذا أبي أفتدري لم كان يشرب من ضرع العنز قلت لا قال

324 مخافة أن يسمع صوت الحلب فيطلب منه لبن ثم قال أشعر الناس من فاخر بمثل هذا الأب ثمانين شاعرا وقارعهم به فغلبهم جميعا وحكى صاحب الجليس والأنيس في كتابه عن محمد بن حبيب عن عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير أنه قيل له ما كان أبوك صانعا حيث يقول (لو كنت أعلم أن آخر عهدهم * يوم الرحيل فعلت ما لم أفعل) فقال كان يقلع عينيه ولا يرى مظعن أحبابه وقال في الأغاني أيضا قال مسعود بن بشر لابن مناذر بمكة من أشعر الناس قال من إذا شئت لعب ومن إذا شئت جد فاذا لعب أطعمك لعبة فيه وإذا رمته بعد عليك وإذا جد فيما قصد له آيسك من نفسه قال مثل من قال مثل جرير حيث يقول رذا لعب (إن الذين غدوا بلبك غادروا * وشلا بعينك لا يزال معينا) (غيضن من عبراتهن وقلن لي * ماذا لقيت من الهوى ولقينا) ثم قال حين جد (إن الذي حرم المكارم تغلبا * جعل النوبة والخلافة فينا) (مضر أبي وأبو الملوك فهل لكم * يا خزر تغلب من أب كأبينا) (هذا ابن عمي في دمشق خليفة * لو شئت ساقكم إلي قطينا) قال فلما بلغ عبد الملك بن مروان قوله قال ما زاد ابن المراغة على أن جعلني شرطيا له أما إنه لو قال لو شاء ساقكم إلي قطينا لسقتهم إليه كما قال قلت وهذه الأبيات هجا بها جرير الأخطل التغلبي الشاعر المشهور وقوله فيها جعل النبوة والخلافة فينا إنما قال ذلك لأن جريرا تميمي

325 النسب وتميم ترجع إلى مضر بن نزار بن معد بن عدنان جد رســول الله فالنبوة والخلافة وبنو تميم يرجعون إلى مضر وقوله يا خزر تغلب خزر بضم الخاء المعجمة وسكون الزاي وبعدها راء وهو جمع أخزر مثل أحمر وحمر وأصفر وصفر وأسود وسود وكل ما كان من هذا الباب والأخزر الذي في عينيه ضـيق وصـغر وهذا وصـف العجم فكأنه نسبه إلى العجم وأخرجه عن العرب وهذا عند العرب من النقائض الشنيعة وقوله هذا ابن عمي في دمشق خليفة يريد به عبد الملك بن مروان الأموي لأنه كان في عصره والقطين بفتح القاف الخدم والأتباع وقول عبد الملك ما زاد ابن المراغة هو بفتح الميم وبعدها راء وبعد الألف غين معجمة وهاء وهذا لقب لأم جرير هجاه به لأخطل المذكور ونسبها إلى أن الرجال يتمرغون عليها ونسـتغفر الله تعالى من ذكر مثل هذا لكن شـرح الواقعة أحوج إلي ذلك ومن أخبار جرير أنه دخل على عبد الملك بن مروان فأنشده قصيدة أولها (أتصحو أم فؤادك غير صاحي * عشية هم صحبك بالرواحِ) (تقول العاذلات علاك شـيب * أهذا الشـيب يمنعني مزاحي) (تعزت أم حزرة ثم قالت * رأيت الموردين ذوي لقاح) (ثقي بالله ليس له شريك * ومن عند الخليفة بالنجاح) (سأشكر إن رددت إلى ريشـي * وأنبت القوادم في جناحي) (ألستم خير من ركب المطايا * وأندى العالمين بطون راح) قال جرير فلما انتهيت إلى هذا البيت كان عبد الملك متكئاً

فاستوى جالساً وقال من مدحنا منكم فليمدحنا بمثل هذا أو فليسكت ثم التفت
326 إلي وقال يا جرير أترى أم حزرة يرويها مائة ناقة من نعم بني كلب قلت يا أمير المؤمنين إن لم ترو ها فلا أرواها الله تعالى قال فأمر لي بها كلها سود الحدق قلت يا أمير المؤمنين نحن مشايخ وليس بأحدنا فضل عن راحلته والإبل أباق فلو أمرت لي بالرعاء فأمر لي بثمانية وكان بين يديه صحاف من الذهب وبيده قضيب فقلت يا أمير المؤمنين والمحلب وأشرت إلى إحدى الصحاف فنبذها إلي بالقضيب وقال خذها لا نفعتك وإلى هذه القضية أشار جرير بقوله (أعطوا هنيدة تحدوها ثمانية * ما في عطائهم من ولا سرف) قلت هنيدة بضم الهاء على صورة التصغير اسم علم على المائة وأكثر علماء الأدب يقولون لا يجوز إدخال الألف واللام عليها وبعضهم يجيز ذلك قال أبو الفتح بن أبي حصينة السلمي الحلبي الشاعر المشهور من جملة قصيدة (أيها القلب لم يدع لك في وصل * العذارى نصف الهنيدة عذرا) يعني خمسين سنة التي هي نصف المائة والله أعلم ولما مات الفرزدق وبلغ خبره جريراً بكى وقال أما والله إني لأعلم أني قليل البقاء بعده ولقد كان نجمنا واحداً وكل واحد منا مشغول بصاحبه وقلما مات ضد أو صديق إلا وتبعه صاحبه وكذلك كان وتوفي في سنة عشر ومائة وفيها مات الفرزدق كما سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى وقال أبو الفرج ابن الجوزي

كانت وفاة جرير في سنة إحدى عشرة ومائة وقال ابن قتيبة في كتاب المعارف إن أمة حملت به سبعة أشهر وفي
327 ترجمة الفرزدق طرف من خبر موته فلينظر هناك إن شاء الله تعالى وكانت وفاته باليمامة وعمر نيفاً وثمانين سنة وحزره بفتح الحاء المهملة وسكون الزاي وفتح الراء وبعدها هاء والخطفى بفتح الخاء المعجمة والطاء المهملة والفاء وبعدها ياء وقد تقدم الكلام في أنه لقب عليه والله أعلم 131 جعفر الصادق أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين أحد الأئمة الاثني عشر على مذهب الإمامية وكان من سادات أهل البيت ولقب بالصادق لصدقه في مقالته وفضله أشهر من أن يذكر وله كلام في صنعة الكيمياء والزجر والفأل وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيان الصوفي الطرسوسي قد ألف كتاباً يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق وهي خمسمائة رسالة وكانت ولادته سنة ثمانين للهجرة وهي سنة سيل الجحاف وقيل بل ولد يوم الثلاثاء قبل طلوع الشمس ثامن شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين وتوفي في شوال سنة ثمان وأربعين ومائة بالمدينة ودفن بالبقيع في قبر فيه أبوه محمد الباقر وجده علي زين العابدين وعم جده الحسن بن علي رضي الله عنهم أجمعين فلله دره من قبر ما أكرمه وأشرفه

328 وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصـــديق رضـــي الله عنهم أجمعين وســـيأتي ذكر الأئمة الاثني عشر رضي الله عنهم كل واحد في موضعه إن شاء الله تعالى (34) وحكى كشـــاجم في كتاب المصـــايد والمطارد أن جعفراً المذكور ســـأل أبا حنيفة رضـــي الله عنهما فقال ما تقول في محرم كســـر رباعية ظبي فقال يا ابن رســـول الله ما أعلم ما فيه فقال له أنت تتداهى ولا تعلم أن الظبي لا يكون لـه ربـاعيـة وهو ثني أبـداً 132 جعفر البرمكي أبو الفضـل جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك بن جاماس بن يشـتاسـف البرمكي وزير هارون الرشـيد كان من علو القدر ونفاذ الأمر وبعد الهمة وعظم المحل وجلالة المنزلة عند هارون الرشيد بحالة انفرد بها ولم يشارك فيها وكان ســمح الأخلاق طلق الوجه ظاهر البشــر وأما جوده وســخاؤه وبذله وعطاؤه فكان أشــهر من أن يذكر وكان من ذوي الفصـــاحة والمشـــهورين باللســن والبلاغة ويقال إنه وقع ليلة بحضرة هارون الرشيد زيادة على

329 ألف توقيع ولم يخرج في شيء منها عن موجب الفقه وكان أبوه ضمه إلى القاضي أبي يوسف الحنفي حق علمه وفقهه وذكره ابن القادســـي في كتاب أخبار الوزراء واعتذر رجل إليه فقال له جعفر قد أغناك الله بالعذر منا عن الاعتذار إلينا وأغنانا بالمودة لك عن ســـوء الظن بك ووقع إلى بعض عماله وقد شـكي منه قد كثر شـاكوك وقل شــاكروك فإما اعتدلت وإما اعتزلت ومما ينســب إليه من

الفطنة أنه بلغه أن الرشـــيد مغموم لأن منجماً يهودياً زعم أنه يموت في تلك السنة يعني الرشيد وأن اليهودي في يده فركب جعفر إلى الرشيد فرآه شديد الغم فقال لليهودي أنت تزعم أن أمير المؤمنين يموت إلى كذا وكذا يوماً قال نعم قال وأنت كم عمرك قال كذا وكذا أمداً طويلاً فقال للرشيد اقتله حتى تعلم أنه كذب في أمدك كما كذب في أمده فقتله وذهب ما كان بالرشـــيد من الغم وشـــكره على ذلك وأمر بصب اليهودي فقال أشجع السلمي في ذلك (سل الراكب الموفي على الجذع هل رأى * لراكبه نجما بدا غير أعور) (ولو كان نجم مخبرا عن منية * لأخبره عن رأســـه المتحير) (يعرفنا موت الإمام كأنه * يعرفنا أنباء كسرى وقيصر) (أتخبر عن نحس لغيرك شؤمه * ونجمك بادي الشر يا شر مخبر) ومضى دم المنجم هدراً بحمقه وكان جعفر من الكرم وســعة العطايا كما هو مشـــهور ويقال إنه لما حج اجتاز في طريقه بالعقيق وكانت ســـنة مجدبة فاعترضته امرأة من بني كلاب وأنشدته

330 (إني مررت على العقيق وأهله * يشكون من مطر الربيع نزورا) (ما ضـرهم إذ جعفر جار لهم * أن لا يكون ربيعهم ممطورا) فأجزل لها العطاء قلت والبيت الثاني مأخوذ من قول الضـــحاك بن عقيل الخفاجي من جملة أبيات (ولو جاورتنا العام ســـمراء لم نبل * على جدبنا أن لا يصـوب ربيع) لله دره فما أحلى هذه الحشـوة وهي قوله على جدبنا وأهل البيان يسمون هذا النوع حشو

اللوزينج وحكى ابن الصابىء في كتاب الأماثل والأعيان
عن إسحاق النديم الموصلي عن إبراهيم بن المهدي قال
خلا جعفر بن يحيى يوماً في داره وحضر ندماؤه وكنت
فيهم فلبس الحرير وتضمخ بالخلوق وفعل بنا مثله وأمر
بأن يحجب عنه كل أحد إلا عبد الملك بن بحران قهرمانه
فسمع الحاجب عبد الله دون ابن بحران وعرف عبد الملك
بن صالح الهاشمي مقام جعفر ابن يحيى في داره فركب
إليه فأرسل الحاجب أن قد حضر عبد الملك فقال أدخله
وعنده أنه ابن بحران فما راعنا إلا دخول عبد الملك بن
صالح في سواده ورصافيته فاربد وجه جعفر وكان ابن
صالح لا يشرب النبيذ وكان الرشيد دعاه اليه فامتنع فلما
رأى عبد الملك حالة جعفر دعا غلامه فناوله سواده
وقلنسوته ووافى باب المجلس الذي كنا فيه وسلم وقال
أشركونا في أمركم وافعلوا بنا فعلكم بأنفسكم فجاءه خادم
ألبسه فألبسه حريرة واستدعى بطعام فأكل وبنبيذ فأتي
برطل منه فشربه ثم قال لجعفر والله ما شربته قبل اليوم
فليخفف عني فأمر أن يجعل بين يديه باطية يشرب منها ما
331 يشاء وتضمخ بالخلوق ونادمنا أحسن منادمة
وكان كلما فعل شيئاً من هذا سري عن جعفر فلما أراد
الانصراف قال له جعفر اذكر حوائجك فإني ما أستطيع
مقابلة ما كان منك قال إن في قلب أمير المؤمنين موجدة
علي فتخرجها من قلبه وتعيد إلي جميل رأيه في قال قد
رضي عنك أمير المؤمنين وزال ما عنده منك فقال وعلي

أربعة آلاف ألف درهم ديناً قال تقضى عنك وإنها لحاضرة ولكن كونها من أمير المؤمنين أشرف بك وأدل على حسن ما عنده لك قال وإبراهيم ابني أحب أن أرفع قدره بصــــهر من ولد الخلافة قال قد زوجه أمير المؤمنين العالية ابنته قال وأوثر التنبيه على موضــعه برفع لواء على رأســه قال قد ولاه أمير المؤمنين مصــــر وخرج عبد الملك ونحن متعجبون من قول جعفر وإقــدامــه على مثلــه من غير استئذان فيه وركبنا من الغد إلى باب الرشـيد ودخل جعفر ووقفنا فما كان بأسـرع من أن دعي بأبي يوسـف القاضــي ومحمد بن الحسـن وإبراهيم بن عبد الملك ولم يكن بأسـرع من خروج إبراهيم والخلع عليه واللواء بين يديه وقد عقد له على العالية بنت الرشـــيد وحملت إليه ومعها المال إلى منزل عبد الملك بن صــالح وخرج جعفر فتقدم إلينا باتباعه إلى منزله وصـــرنا معه فقال أظن قلوبكم تعلقت بأول أمر عبد الملك فأحببتم علم آخره قلنا هو كذلك قال وقفت بين يدي أمير المؤمنين وعرفته ما كان من أمر عبد الملك من ابتدائه إلى انتهائه وهو يقول أحســـن أحســـن ثم قال فما صـــنعت معه فعرفته ما كان من قولي له فاســـتصـــوبه وأمضــاه وكان ما رأيتم ثم قال إبراهيم بن المهدي فوالله ما أدري أيهم أعجب فعلا عبد الملك في شــربه النبيذ ولباســه ما ليس من لبسه وكان رجلاً ذا جد وتعفف ووقار وناموس أو إقدام جعفر على الرشـيد بما أقدم أو إمضــاء الرشـيد ما

حكم به جعفر عليه وحكي أنه كان عنده أبو عبيد الثقفي فقصدته خنفساء فأمر
332 جعفر بإزالتها فقال أبو عبيد دعوها عسى يأتيني بقصدها لي خير فإنهم يزعمون ذلك فأمر له جعفر بألف دينار وقال نحقق زعمهم وأمر بتنحيتها ثم قصدته ثانياً فأمر له بألف دينار أخرى وحكى ابن القادسي في أخبار الوزراء أن جعفرا اشترى جارية بأربعين ألف دينار فقالت لبائعها اذكر ما عاهدتني عليه أنك لا تأكل لي ثمناً فبكى مولاها وقال اشهدوا أنها حرة وقد تزوجتها فوهب له جعفر المال ولم يأخذ منه شيئاً وأخبار كرمه كثيرة وكان أبلغ أهل بيته وأول من وزر من آل برمك خالد بن برمك لأبي العباس عبد الله السفاح بعد قتل أبي سلمة حفص الخلال كما سيأتي في ترجمته في حرف الحاء إن شاء الله تعالى ولم يزل خالد على وزارته حتى توفي السفاح يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة وتولى أخوه أبو جعفر عبد الله المنصور الخلافة في اليوم المذكور فأقر خالداً على وزارته فبقي سنة وشهوراً وكان أبو أيوب المورياني قد غلب على المنصور فاحتال على خالد بأن ذكر للمنصور تغلب الأكراد على فارس وأن لا يكفيه أمرها سوى خالد فندبه إليها فلما بعد خالد عن الحضرة أستبد أبو أيوب بالأمر وكانت وفاة خالد سنة ثلاث وستين ومائة ذكره ابن القادسي وقال ابن عساكر في تاريخ دمشق ولد خالد في

سنة تسعين للهجرة وتوفي سنة خمس وستين ومائة والله أعلم وكان جعفر متمكنا عند الرشـــيد غالبا على أمره واصـــلا منه وبلغ من علو المرتبة عنده ما لم يبلغه ســـواد حتى إن الرشيد اتخذ ثوبا له زيقان فكان يلبسه هو وجعفر جملة ولم يكن للرشيد صبر عنه وكان الرشيد أيضا شديد المحبة لأخته العباسـه ابنه المهدي وهي من أعز النســاء عليه ولا يقدر على مفارقتها فكان متى غاب أحد من جعفر والعباسة لا يتم له سرور فقال يا جعفر إنه لا يتم لي سرور إلا بك وبالعباسة وإني سأزوجها منك ليحل لكما أن تجتمعا ولكن إياكما أن تجتمعا وأنا دونكما فتزوجها على هذا الشـــرط ثم تغير الرشـــيد عليه وعلى البرامكة كلهم آخر الأمر ونكبهم وقتل

333 جعفرا واعتقل أخاه الفضـــل وأباه يحيى إلى أن ماتا كما سيأتي في ترجمتهما إن شاء الله تعالى وقد اختلف أهل التاريخ في ســبب تغير الرشـيد عليهم فمنهم من ذهب إلى أن الرشـــيد لما زوج أخته العباســـة من جعفر على الشـرط المذكور بقيا مدة على تلك الحالة ثم اتفق أن أحبت العباســـة جعفرا وراودته فأبى وخاف فلما أعيتها الحيلة عدلت إلى الخديعة فبعثت إلى عتابة أم جعفر أن أرســليني إلى جعفر كأني جارية من جواريك اللاتي ترســلين إليه وكانت أمه ترســـل إليه كل يوم جمعة جارية بكرا عذراء وكان لا يطأ الجارية حتى يأخذ شـيئا من النبيذ فأبت عليها أم جعفر فقالت لئن لم تفعلي لأذكرن لأختي أنك خاطبتني

بكيت وكيت ولئن اشـــتملت من ابنك على ولد ليكونن لكم الشرف وما عسى أخ يفعل لو علم أمرنا فأجابتها أم جعفر وجعلت تعد ابنها أن ستهدي إليه جارية عندها حسناء من هيتها ومن صـــفتها كيت وكيت وهو يطالبها بالعدة المرة بعد المرة فلما علمت أنه قد اشتاق إليها أرسلت إلى العباسة أن تهيئي الليلة ففعلت العباسة وأدخلت على جعفر وكان لم يتثبت صورتها لأنه لم يكن يراها إلا عند الرشيد وكان لا يرفع طرفة إليها مخافة فلما قضـــى منها وطره قالت له كيف رأيت خديعة بنات الملوك فقال وأي بنت ملك أنت فقالت أنا مولاتك العباسـة فطار السكر من رأسـه وذهب إلى أمه فقال يا أماه بعتني والله رخيصاً واشتملت العباسة منه على ولد ولما ولدته وكلت به غلاما اســـمه رياش وحاضـنة يقال لها برة ولما خافت ظهور الأمر بعثتهم إلى مكة وكان يحيى بن خالد ينظر إلى قصر الرشيد وحرمه ويغلق أبواب القصر وينصرف بالمفاتيح معه حتى ضيق على حرم الرشيد فشكته زبيدة إلى الرشيد فقال له يا أبت وكان يدعوه بذلك ما لزبيدة تشـــكوك فقال أمتهم أنا في حرمك يا أمير المؤمنين قال لا قال فلا تقبل قولها في وازداد يحيى عليها غلظة وتشديدا فقالت زبيدة للرشيد مرة أخرى في شكوى يحيى فقال الرشيد لها يحيى عندي غير متهم في حرمي فقالت فلم لم

334 ابنه مما ارتكبه قال وما هو فخبرته بخبر العباســـة قال وهل على هذا دليل قالت وأي دليل أدل من

الولد قال وأين هو قالت كان هنا فلما خافت ظهوره وجهت به إلى مكة قال وعلم بذا سواك قالت ليس بالقصر جارية إلا وعلمت به فسكت عنها وأظهر إرادة الحج فخرج له ومعه جعفر فكتبت العباسة إلى الخادم والديه بالخروج بالصبي إلى اليمن ووصل الرشيد مكة فوكل من يثق به بالبحث عن أمر الصبي حتى وجده صحيحاً فأضمر السوء للبرامكة ذكره ابن بدررون في شرح قصيدة ابن عبدون التي رثى بها بني الأفطس والتي أولها (الدهر يفجع بعد العين بالأثر * فما البكاء على الأشباح والصور) أورده عند شرحه لقول ابن عبدون من جملة هذه القصيدة (وأشرقت جعفر والفضل يرمقه * والشيخ يحيى بريق الصارم الذكر) ولأبي نواس أبيات تدل على طرف من الواقعة التي ذكر ها ابن بدرون والأبيات (ألا قل لأمين الله * وابن القادة الساسه) (إذا ما ناكث سرك * أن تفقده راسه) (فلا تقتله بالسيف * وزوجه بعباسه) وذكر غيره أن الرشيد سلم إليه أبا جعفر يحيى بن عبد الله بن الحسين الخارج عليه وحبسه عنده فدعا به يحيى إليه وقال له اتق الله يا جعفر في أمري ولا تتعرض أن يكون خصمك جدي محمد فوالله ما أحدثت حدثا فرق له جعفر وقال اذهب حيث شئت من البلاد

335 فقال إني أخاف أن أوخذ فأرد فبعث معه من أوصله إلى مأمنه وبلغ الخبر الرشيد فدعا به وطاوله الحديث وقال يا جعفر ما فعل يحيى قال بحاله قال بحياتي

فوجم وأحجم وقال لا وحياتك أطلقته حيث علمت أن لا سوء عنده فقال نعم الفعل وما عدوت ما في نفسي فلما نهض جعفر أتبعه بصره وقال قتلني الله إن لم أقتلك وقيل سئل سعيد بن سالم عن جناية البرامكة الموجبة لغضب الرشيد فقال والله ما كان منهم ما يوجب بعض عمل الرشيد بهم ولكن طالت أيامهم وكل طويل مملول والله لقد استطال الناس الذين هم خير الناس أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وما رأوا مثلها عدلا وأمنا وسعة أموال وفتوح وأيام عثمان رضي الله عنه حتى قتلوهما ورأى الرشيد مع ذلك أنس النعمة بهم وكثرة حمد الناس لهم ورميهم بآمالهم دونه والملوك تتنافس بأقل من هذا فتعنت عليهم وتجنى وطلب مساويهم ووقع منهم بعض الإدلال خاصة جعفر والفضل دون يحيى فإنه كان أحكم خبرة وأكثر ممارسة للأمور ولاذ من أعدائهم بالرشيد كالفضل بن الربيع وغيره فستروا المحاسن وأظهروا القبائح حتى كان ما كان وكان الرشيد بعد ذلك إذا ذكروا عنده بسوء أنشد يقول (أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم * من اللوم أوسدوا المكان الذي سدوا) وقيل السبب أنه رفعت إلى الرشيد قصة لم يعرف رافعها فيها (قل لأمين الله في أرضه * ومن إليه الحل والعقد) (هذا ابن يحيى قد غدا مالكا * مثلك ما بينكما حد) (أمرك مردود إلى أمره * وأمره ليس له رد) (وقد بنى الدار التي ما بنى الفرس * لها مثلا ولا الهند) (الدر والياقوت حصباؤها * وتربها العنبر والند)

336 (ونحن نخشـــى أنه وارث * ملكك إن غيبك اللحد) (ولن يباهي العبد أربابه * إلا إذا ما بطر العبد) فلما وقف الرشيد عليها أضمر له السوء وكان من الأسباب أيضا ما تعده العامة سيئا وهو أقوى الأسباب ما سمع من يحيى بن خالد وهو يقول وقد تعلق بأستار الكعبة في حجته اللهم إن ذنوبي جمة عظيمة لا يحصـــيها غيرك اللهم إن كنت تعاقبني لذلك فاجعل عقوبتي في الدنيا وإن أحاط ذلك بســمعي وبصـــري ومالي وولدي حتى تبلغ رضـــاك ولا تجعل عقوبتي في الآخرة فاستجيب له وقد رثتهم الشعراء بمرات كثيرة وذكرت أيامهم فمما اســتحســن من مراثيهم قول أشـــجع الســلمي من أبيات (كأن أيامهم من حســن بهجتها * مواســم الحج والأعياد والجمع) وحكى ابن بدرون أن علية بنت المهدي قالت للرشـــيد بعد إيقاعه بالبرامكة يا ســيدي ما رأيت لك يوم ســرور تام منذ قتلت جعفرا فلأي شـــيء قتلته فقال لها يا حياتي لو علمت أن قميصـــي يعلم الســبب في ذلك لمزقته وكان قتل الرشــيد لجعفر بموضـــع يقال له العمر من أعمال الأنبار في يوم السبت سلخ المحرم وقيل مستهل صفر سنة سبع وثمانين ومائة وذكر الطبري في تاريخه أن الرشـيد لما حج ســنة ســـت وثمانين ومائة ومعه الرامكة وقفل راجعا من مكة وافق الحيرة في المحرم ســنة سبع وثمانين ومائة فأقام في قصـــر عون العبادي أياما ثم شــخص في الســفن حتى نزل العمر الذي بناحية الأنبار فلما كان ليلة السبت سلخ المحرم

أرسل أبا هاشم مسرورا الخادم ومعه أبو عصمة حماد بن سالم في جماعة من الجند فأطافوا بجعفر ودخل عليه مسرور وعنده ابن بختيشوع الطبيب وأبو زكار المغني
337 الأعمى الكلواذاني وهو في لهوه فأخرجه إخراجا عنيفا يقوده حتى أتى به منزل الرشيد فحبسه وقيده بقيد حمار وأخبر الرشيد بمجيئه فأمر الرشيد بضرب عنقه واستوفى حديثه هناك وقال الواقدي نزل الرشيد العمر بناحية الأنبار في سنة سبع وثمانين منصرفا من مكة وغضب على البرامكة وقتل جعفرا في أول يوم من صفر وصلبه على الجسر ببغداد وجعل رأسه على الجسر وفي الجانب الآخر جسده وقال غيره صلبه على الجسر مستقبل الصراة رحمه الله تعالى وقال السندي بن شاهك كنت ليلة نائما في غرفة الشرطة بالجانب الغربي فرأيت في منامي جعفر بن يحيى واقفا بإزائي وعليه ثوب مصبوغ بالعصفر وهو ينشد (كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر) (بلى نحن كنا أهلها فأبادنا * صروف الليالي والجدود العواثر) فانتبهت فزعا وقصصتها على أحد خواصي فقال أضغاث أحلام وليس كل ما يراه الإنسان يجب أن يفسر وعاودن مضجعي فلم تنل عيني غمضا حتى سمعت صيحة الرابطة والشرط وقعقعة لجم البريد ودق باب الغرفة فأمرت بفتحها فصعد سلام الأبرش الخادم وكان الرشيد يوجهه في المهمات فانزعجت وأرعدت مفاصلي وظننت أنه أمر في بأمر

فجلس إلى جانبي وأعطاني كتابا ففضضته وإذا فيه يا سندي هذا كتابنا بخطنا مختوم بالخاتم الذي في يدنا وموصله سلام الأبرش فاذا قرأته فقبل أن تضعه من يدك فامض إلى دار يحيى بن خالد لا حاطه الله وسلام معك حتى تقبض عليه وتوقره حديدا وتحمله إلى الحبس في مدينة المنصور المعروف بحبس الزنادقة وتقدم إلى بادام بن عبد الله خليفتك بالمصير إلى الفضل ابنه مع ركوبك إلى دار يحيى وقبل انتشار الخبر وأن تفعل به مثل ما تقدم به إليك في يحيى وأن تحمله أيضا إلى حبس الزنادقة ثم بث بعد فراغك من

338 أمر هذين أصحابك في القبض على أولاد يحيى وأولاد إخوته وقراباته وسرد صورة الإيقاع بهم ابن بدرون أيضا سردا فيه فوائد زائدة على هذا المذكور فأحببت إيراده مختصرا ههنا قال عقيب كلامه المتقدم ثم دعا السندي بن شاهك فأمره بالمضي إلى بغداد والتوكل بالبرامكة وكتابهم وقراباتهم وأن يكون ذلك سرا ففعل السندي ذلك وكان الرشيد بالأنبار بموضع يقال له العمر ومعه جعفر وكان جعفر بمنزله وقد دعا أبا زكار وجواريه ونصب الستائر وأبو زكار يغنيه (ما يريد الناس منا * ما ينام الناس عنا) (إنما همهم أن * يظهروا ما قد دفنا) ودعا الرشيد ياسرا غلامه وقال قد انتخبتك لأمر لم أر له محمدا ولا عبد الله ولا القاسم فحقق ظني واحذر أن تخالف فتهلك فقال لو أمرتني بقتل نفسي لفعلت فقال اذهب إلى

جعفر بن يحيى وجئني برأسه الساعة فوجم لا يحير جوابا فقال له ما لك ويلك قال الأمر عظيم وددت أني مت قبل وقتي هذا فقال أمض لأمري فمضى حتى دخل على جعفر وأبو زكار يغنيه (فلا تبعد فكل فتى سيأتي * عليه الموت يطرق أو يغادي) (وكل ذخيرة لا بد يوما * وإن بقيت تصير إلى نفاد) (ولو فوديت من حدث الليالي * ف ديتك بالطريف وبالتلاد) فقال له يا ياسر سررتني بإقبالك وسؤتني بدخولك من غير إذن فقال الأمر أكبر من ذلك قد أمرني أمير المؤمنين بكذا وكذا فأقبل جعفر يقبل قدمي ياسر وقال دعني أدخل وأوصي قال لا سبيل إلى الدخول ولكن أوص بما شئت قال لي عليك حق ولا تقدر على مكافأتي إلا الساعة قال تجدني سريعا إلا فيما يخالف أمير المؤمنين قال فارجع وأعلمه بقتلي فإن ندم كانت حياتي على يدك وإلا أنفذت أمره في قال لا أقدر قال فأسير معك إلى مضربه وأسمع كلامه ومراجعتك فإن أصر فعلت قال

339 أما هذا فنعم وسار الى مضرب الرشيد فلما سمع حسه قال له ما وراءك فذكر له قول جعفر فقال له يا ماص هن امه والله لئن راجعتني لأقدمنك قبله فرجع فقتله وجاء برأسه فلما وضعه بين يديه اقبل عليه مليا ثم قال يا ياسر جئني بفلان وفلان فلما أتاه بهما قال لهما اضرب عنق ياسر فلا أقدر أرى قاتل جعفر انتهى كلامه في هذا الفصل وذكر في كتابه قال لما فهم جعفر من الرشيد الإعراض عند حجه معه ووصل إلى الحيرة ركب جعفر

إلى كنيســـة بها لأمر فوجد فيها حجرا عليه كتابة لاتفهم فأحضـــر تراجمة الخط وجعله فألا من الرشــيد لما يخافه ويرجوه فقرئ فإذا فيه (إن بني المنذر عام انقضـــوا * بحيث شاد البيعة الراهب) (أضحوا ولا يرجوهم راغب * يوما ولا يرهبهم راهب) (تنفح بالمســك ذفاريهم * والعنبر الورد له قاطب) (فأصـــبحوا أكلا لدود الثرى * وانقطع المطلوب والطالب) فحزن جعفر وقال ذهب والله أمرنا قال الأصـــمعي وجه إلي الرشــيد بعد قتله جعفرا فجئت فقال أبيات أردت أن تســمعها فقلت إذا شـــاء أمير المؤمنين فأنشـدني (لو أن جعفر خاف أسـباب الردى * لنجا به منها طمر ملجم) (ولكان من حذر المنية حيث لا * يرجو اللحاق به العقاب القشـعم) (لكنه لما أتاه يومه * لم يدفع الحدثان عنه منجم) فعلمت أنها له فقلت إنها أحسن أبيات في معناها فقال إلحق الآن بأهلك يا ابن قريب إن شئت وحكي أن جعفرا في آخر أيامه أراد الركوب إلى دار الرشـيد فدعا بالاصـطرلاب ليختار وقتا وهو في داره على دجلة فمر رجل في ســفينة وهو لا يراه ولا يدري ما يصنع والرجل ينشد

340 (يدبر بالنجوم وليس يدري * ورب النجم يفعل ما يريد) فضـــرب بالاصـــطرلاب الأرض وركب ويحكى أنه رؤي على باب قصر علي بن عيسى بن ماهان بخراســـان صـــبيحة الليلة التي قتل فيها جعفر كتاب بقلم جليل (إن المساكين بني برمك * صب عليهم غير الدهر

) (إن لنا في أمرهم عبرة * فليعتبر ســاكن ذا القصــر)
ولمـا بلغ ســـفيـان بن عيينـة خبر جعفر وقتلـه ومـا نزل
بـالبرامكـة حول وجهـه إلى القبلـة وقـال اللهم إنـه كـان قد
كفـاني مؤنـة الـدنيـا فـاكفـه مؤنـة الآخرة ولمـا قتـل أكثر
الشـــعراء في رثائه ورثاء آله فقال الرقاشـــي من أبيات (
هدأ الخالون من شــجوي فناموا * وعيني لا يلائمها منام)
(وما سهرت لأنـي مستهام * إذا أرق المحب المستهام) (
ولكن الحوادث أرقتني * فلي ســـهر إذا هجد النيـام) (
أصـبت بسـادة كانوا نجوما * بهم نسـقي إذا انقطع الغمام)
(على المعروف والدنيا جميعا لدولة آل برمك السـلام) (
فلم أر قبل قتلك يا ابن يحيى * حساما فله السيف الحسام)
(أما والله لولا خوف واش * وعين للخليفة لا تنـام) (
لطفنا حول جذعك واستلمنا * كما للناس بالحجر استلام)
وقال أيضا يرثيه وأخاه الفضل (إلا إن سيفا برمكيا مهندا
* أصـيب بسـيف هاشـمي مهند) (فقل للعطايا بعد فضـل
تعطلي * وقل للرزايا كل يوم تجددي) وقال دعبل بن
علي الخزاعي (ولما رأيت السيف صبح جعفرا * ونادى
مناد للخليفة في يحيى) (بكيت على الدنيا وأيقنت أنما *
قصـارى الفتى فيها مفارقة الدنيا)
341 (وما هي إلا دولة بعد دولة * تخول ذا نعمى
وتعقب ذا بلوى) (إذا نزلت هذا منازل رفعة * من الملك
حطت ذا إلى غاية سفلى) وقال صالح بن طريف فيهم (
يا بني برمك واها لكم * ولأيامكم المقتبله) (كانت الدنيا

عروســــا بكم * وهي اليوم ثكول أرملـه) ولولا خوف الإطالة لأوردت طرفا كبيرا من أقوال الشعراء فيهم مديحا ورثاء وقد طالت هذه الترجمة ولكن شـــرح الحال وتوالي الكلام أحوج إليه ومن أعجب ما يؤرخ من تقلبات الدنيا بأهلها ما حكاه محمد بن غســان بن عبد الرحمن الهاشـمي صـاحب صـلاة الكوفة قال دخلت على والدتي في يوم نحر فوجدت عندها امرأة برزة في ثياب رثة فقالت لي والدتي أتعرف هذه قلت لا قـالت هذه أم جعفر البرمكي فـأقبلت عليها بوجهي وأكرمتها وتحادثنا زمانا ثم قلت يا أمه ما أعجب ما رأيت فقالت لقد أتى علي يا بني عيد مثل هذا وعلى رأســـي أربعمائة وصـــيفة وإني لأعد ابني عاقا لي ولقد أتى علي يا بني هذا العيد وما مناي إلا جلدا شـــاتين أفترش أحدهما وألتحف الآخر قال فدفعت إليها خمســـمائة درهم فكـادت تموت فرحـا بهـا ولم تزل تختلف إلينـا حتى فرق الموت بيننا والعمر بضم العين المهملة وسكون الميم وبعدها راء هكذا وجدته مضـــبوطا في نســـخه مقروءة مضــــبوطة وقال أبو عبيد عبد بن عبد العزيز بن محمد البكري في كتاب معجم ما اســـتعجم قلاية العمر والعمر عندهم الدير والله أعلم

342 132 ب جعفر البرمكي أبو الفضـل جعفر بن يحيي بن خـالد بن برمك البرمكي وزير هارون كان من الكرم وسعة العطاء كما قد اشتهر ويقال إنه لما حج العطاء ولم يبلغ أحد من الوزراء منزلـة بلغها من الرشـــيد قال

إبراهيم قال لي جعفر بن يحيى يوما إني اســـتأذنت أمير المؤمنين في الخلوة غدا فهل أنت مســـاعدي فقلت جعلت فداك أنا أســعد بمســاعدتك وأسـر بمحادثتك قال فبكر إلي بكور الغراب قال فأتيته عند الفجر فوجدت الشـــمعة بين يديه وهو ينتظرني للميعاد فصلينا ثم أفضنا في الحديث ثم قدم إلينا الطعام فأكلنا فلما غســـلنا أيدينا جعلت علينا ثياب المنادمة وبخرنا وطيبنا ثم ضمخنا بالخلوق ومدت الستارة وظللنا بأنعم يوم مر بنا ثم إنه ذكر حاجة فدعا الحاجب وقال إذا أتى عبدالملك فأذن له يعني قهرمانا له فاتفق ان جاء عبد الملك ابن صـالح عم الرشيد وهو من جلالة القدر والإمتناع من منادمة أمير المؤمنين على أمر جليل وكان الرشــيد قد اجتهد أن يشــرب معه قدحا فلم يقدر عليه رفعا لنفسه فلما رفع الستر وطلع علينا سقط ما في ايدينا وعلمنا أن الحاجب قد غلط بينه وبين عبد الملك القهرمان فأعظم جعفر ذاك وارتاع له ثم قام إليه إجلالا فلما نظر إلينا على تلك الحال دعا غلامه فدفع إليه سـيفه وسـواده وعمامته ثم قال اصـــنعوا بنا ماصــــنعتم بأنفســـكم قال فجاء الغلمان فطرحوا عليه ثيابا وخلقوه ودعا بالطعام فطعم وشـــرب ثلاثا ثم قال لتخفف عني فإنه شيء والله ما شربته قط فتهلل وجه جعفر وفرح ثم التفت إليه فقال جعلت فداك قد تطولت وتفضـــلت وســـاعدت فهل من حاجة تبلغ إليها مقدرتي وتحيط بها نعمتي فأقضـيها مكافأة لما صـنعت قال بلى إن في قلب أمير المؤمنين علي هنة فاسـأله الرضـي عني فقال

له جعفر قد رضي أمير المؤمنين عنك ثم قال وعلي عشرة آلاف دينار فقال هي لك حاضرة من مالي ولك من
343 مال أمير المؤمنين ضعفها ثم قال وابني إبراهيم أحب أن اشــد ظهره بصـــهر من أمير المؤمنين قال وقد زوجه أمير المؤمنين ابنته العالية قال وأحب أن تخفق عليه الأولوية قال قد ولاه أمير المؤمنين مصــر فانصــرف عبد الملك ابن صــالح قال إبراهيم بن المهدي فبقيت متعجبا من إقدامه على أمير المؤمنين من غير استئذان وقلت عسى أن يجيبه فيما ســأل من الرضـــى والمال والولاية فمتى أطلق لجعفر أو لغيره تزويج بناته فلما كان من الغد بكرت إلى باب الرشـــيد لأرى ما يكون فدخل جعفر فلم يلبث أن دعا بأبي يوســف القاضـــي وإبراهيم بن عبد الملك بن صـــالح فخرج إبراهيم وقد عقد نكاحه بالعالية بنت الرشيد وعقد له على مصر والرايات بين يديه وحملت البدر إلى منزل عبد الملك بن صــالح وخرج جعفر فأشــار إلينا فلما صــرنا إلى منزلـه التفت إلينـا فقـال تعلقت قلوبكم بحديث عبد الملك فأحببتم علم آخره لما دخلت على أمير المؤمنين ومثلت بين يديه قال كيف كان يومك يا جعفر فقصـــصـــت عليه حتى بلغت إلى دخول عبد الملك بن صــالح وكان متكئا فاستوى جالســا وقال ايه لله أبوك فقلت ســألني في رضــاك يا أمير المؤمنين قال نعم فبم أجبته قلت رضـي أمير المؤمنين عنك قال قد أجزت ثم ماذا قلت وذكر أن عليه عشرة آلاف دينار قال فبم أجبته قلت وقد قضـــاها أمير المؤمنين عنك قال قد

قضـــيت ثم ماذا قال قد رغب أن يشـــد أمير المؤمنين ظهر ولده إبراهيم بصـــهر منه قال فبم أجبته قلت قد زوجه أمير المؤمنين ابنته العالية قال قد أمضـــيت ذلك ثم ماذا لله أبوك قلت واحب أن تخفق الألوية على رأســه قال فبم أجبته قلت قد ولاه أمير المؤمنين مصر قال قد وليت فأحضر إبراهيم والقضــاة والفقهاء فحضــروا وتمم له جميع ذلك من ســاعته قال إبراهيم بن المهدي فوالله ما ادري أيهم أكرم وأعجب فعلا ما ابتدأه عبد الملك من المســاعدة وشــرب الخمر ولم يكن شـــربها قط ولبســـه ما لبس من ثياب المنادمة وكان رجل جد أم إقدام جعفر على الرشـــيد بما أقدم أم إمضـــاء الرشــيد جميع ما حكم به جعفر عليه وركب يوما الرشــيد وجعفر يسايره وقد بعث علي بن عيسى بهدايا

344 خراســان بعد ولاية الفضــل فقال الرشــيد لجعفر أين كـانـت هذه أيـام أخيك قـال في منـازل أربـابهـا وبلغ الرشـــيـد أن يهوديـا ينجم بحكم في عمره ويقرب وقتـا فأحضـــره وســـأله عما قال فقال اســـتدللت من النجوم بكذا وكذا ودخل جعفر فرأى غم الرشيد فقال له أتحب أن يخرج هذا من صـــدرك قال نعم قال ســـله عن عمره فإنه بالمعرفة به أولى به من غيره قال فســـأله عن ذلك فقال هو كذا وكذا فقـال جعفر اضـــرب الآن عنقـه لتعلم خطـأه في عمرك وعمره فيحكى ان الرشـــيد تغير عليه في آخر الأمر وكان ســبب ذلك أن الرشــيد كان لا يصــبر عن جعفر وعن أخته عباسة بنت المهدي وكان يحضرهما إذا جلس للشرب فقال

لجعفر أزوجكما ليحل لك النظر إليها ولا تقربها فإني لا
أطيق الصـــبر عنكما فأجابه إلى ذلك فزوجها منه وكانا
يحضــران معه ثم يقوم عنهما وهما شــابان فجامعها جعفر
فحملت منه فولدت له غلاما فخاف الرشـــيد فسـيـر به مع
حواضـن إلى مكة واعطته الجواهر والنفقات ثم إن عباسة
وقع بينهما وبين بعض جواريها شـــر فأنهت أمر ها إلى
الرشـــيد فحج هارون ســـنة 186 وبحث عن الأمر فعلمه
وكان جعفر يصـنع للرشـيد طعاما بعسـفان إذا حج فصـنع
ذلك الطعام ودعاه فلم يحضـــر عنده وكان ذلك أول تغير
أمرهم وقيل كان ســـبب ذلك من أمره ما كان وقيل من
الأسباب أن جعفرا بنى دارا غرم عليها عشرين ألف درهم
فرفع ذلك إلى الرشـــيد وقيل هذه غرامة في دار فما ظنك
بنفقاته وصلاته وغير ذلك فاستعظمه وحكي أن جعفر بن
يحيى لما عزم على الانتقال إلى قصـره هذا جمع المنجمين
لاختيار وقت ينتقل فيه اليه فاختاروا له وقتا من الليل فلما
حضـــر الوقت خرج على حمار من الموضـــع الذي كان
منزله إلى قصـره والطرق خالية والناس هادئون فلما صار
إلى سوق يحيى رأى رجلا قائما وهو يقول (يدبر بالنجوم
وليس يدري * ورب النجم يفعل ما يريد) فاســـتوحش
ووقف ودعا بالرجل فقال له أعد علي ما قلت فأعاده فقال
345 ما أردت بهذا فقال ما أردت بـه معنى من
المعاني لكنه شـــيء عرض لي وجاء على لســـاني في هذا
الوقت فأمر له بدنانير ومضـــى لوجهه وقد تنغص عليه

سروره وكان من الأسباب أيضا فاستجيب به قال علماء السير لما انصرف الرشيد عن الحج سنة 187 وقيل 188 أرسل الرشيد مسرورا الخادم ومعه جماعة من الجند ليلا وعنده بختيشوع المتطبب وأبو زكار المغني وهو يغني (فلا تبعد *) قال مسرور فقلت له يا أبا الفضل الذي جئت له هو والله ذاك قد طرقك الأمر أجب أمير المؤمنين فوقع على رجلي يقبلها وقال حتى أدخل فأوصي فقلت فأما الدخول فلا سبيل إليه وأما الوصية فاصنع ما شئت فأوصى بما أراد وأعتق مماليكه وأتتني رسل الرشيد تستحثني فمضيت إليه وأعلمته وهو في فراشه فقال ائتني برأسه فأتيت جعفرا فأخبرته فقال الله أكبر فراجعه فعدت أراجعه فلما سمع حسي قال يا ماص بظر أمه ائتني برأسه فرجعت إليه وأخبرته فقال وأمره فرجعت فحذفني بعمود كان في يده وقال نفيت من المهدي ان لم تأتني برأسه لأقتلنك قال فخرجت فقتلته وحملت رأسه إليه وكان قتله ليلة السبت أول ليلة من صفر بالأنبار وهو ابن سبع وثلاثين سنة ثم أمر بنصب رأسه على الجسر وتقطيع يديه وصلب كل قطعة على جسر فلم يزل كذلك حتى مر عليه الرشيد حين خروجه إلى خراسان فقال ينبغي أن يحرق هنا فأحرق ووجه الرشيد من ليلته إلى الرقة في قبض أمرائهم وما كان من رقيقهم ومواليهم وحشمهم وحكي عن الأصمعي أنه قال لما قتل الرشيد جعفر بن يحيى أرسل إلي ليلا فراعني وأعجلني الرسل فزادوا في وجلي

فصرت إليه فلما مثلت بين يديه أومأ إلي بالجلوس فجلست ثم قال (لو ان جعفر الخ *)
346 ثم قال إلحق بأهلك يا ابن قريب فنهضـــت ولم أحد جوابا وفكرت فلم أعرف لما كان منه معنى إلا أنه أراد أن يسمعني شعره فأحكيه ولما نكبوا قال الرقاشي (الان استرحنا واستراحت ركابنا * وأمسك من يجدي ومن كان يجتدي) (فقل للمطايا قد أمنت من الســري * وطي الفيافي فدفدا بعد فدفد) (وقل للمنايا قد ظفرت بجعفر * ولن تظفري من بعده بمسود)
(وقل للعطايا بعد فضل تعطلي *
وقل للرزايا كل يوم تجددي)
(ودونك سيفا برمكيا مهندا *
أصيب بسيف هاشمي مهند)
وله أيضا في جعفر
(أما والله لولا خوف واش الخ *)
ووقع جعفر في قصـــة رجل شـــكا بعض عماله قد كثر شـــاكوك وقل شـــاكروك فإما عدلت وإما اعتزلت ورأى رجلا في الشـــمس فقال أفي الشـــمس قال أطلب الظل قال لأولينك ولاية يطول فيها ظلللك وفضـــائله كثيرة رحمه الله تعالى 133 جعفر بن حنزابة أبو الفضل جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد بن موســـى بن الحســـن بن الفرات المعروف بابن حنزابة كان وزير بني الإخشيد بمصر مدة إمارة كافور ثم استقل

347 كافور بملك مصر واستمر على وزارته ولما توفي كافور استقل بالوزارة وتدبير المملكة لأحمد بن علي بن الإخشيد بالديار والمصرية والشامية وقبض على جماعة من أرباب الدولة بعد موت كافور وصادرهم وقبض على يعقوب بن كلس وزير العزيز العبيدي الآتي ذكره وصادره على أربعة آلاف دينار وخمسمائة وأخذها منه ثم أخذه من يده أبو جعفر مسلم بن عبيد اللهه الشريف الحسيني واستتر عنده ثم هرب مستترا إلى بلاد المغرب ولم يقدر ابن الفرات على رضى الكافورية والإخشيدية والأتراك والعساكر ولم تحمل إليه أموال الضمانات وطلبوا منه ما لا يقدر عليه واضطرب عليه الأمر فاستتر مرتين ونهبت دوره ودور بعض أصحابه ثم قدم إلى مصر أبو محمد الحسين بن عبيد الله بن طغج صاحب الرملة فقبض على الوزير المذكور وصادره وعذبه واستوزر عوضه كاتبه الحسن بن جابر الرياحي ثم أطلق الوزير جعفر بوساطة الشريف أبي جعفر الحسيني وسلم إليه الحسين أمر مصر وسار عنها إلى الشام مستهل ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وكان عالما محبا للعلماء وحدث عن محمد بن هارون الحضرمي وطبقته من البغداديين وعن محمد بن سعيد البرجمي الحمصي ومحمد بن جعفر الخرائطي والحسن بن أحمد بن بسطام والحسن بن أحمد الداركي ومحمد بن عمارة بن حمزة الأصبهاني وكان يذكر أنه سمع من عبد الله بن محمد

البغوي مجلسا ولم يكن عنده فكان يقول من جاءني به
أغنيته وكان يملي الحديث بمصر وهو وزير وقصده
الأفاضل من البلدان الشاسعة وبسببه سار الحافظ أبو
الحسن علي المعروف بالدارقطني من العراق إلى الديار
المصرية وكان يريد أن يصنف مسندا فلم يزل الدارقطني
عنده حتى فرغ من تأليفه وله تواليف في أسماء الرجال
والأنساب وغير ذلك وذكر الخطيب أبو زكريا التبريزي
في شرحه ديوان المتنبي أن المتنبي لما قصد مصر ومدح
كافورا مدح الوزير أبا الفضل المذكور بقصيدته الرائية
التي أولها (باد هواك صبرت أو لم تصبرا *)
348 وجعلها موسومة باسمه فتكون إحدى القوافي
جعفرا وكان قد نظم قوله في هذه القصيدة (صغت السوار
لأي كف بشرت * بابن العميد وأي عبد كبرا) بشرت
بابن الفرات فلما لم يرضه صرفها عنه ولم ينشده إياها
فلما توجه إلى عضد الدولة قصد أرجان وبها أبو الفضل
ان العميد وزير ركن الدولة بن بويه والد عضد الدولة
وسيأتي ذكرهم إن شاء الله تعالى فحول القصيدة إليه
ومدحه بها وبغيرها وهي من غرر القصائد وذكر
الخطيب أيضا في الشرح أن قول المتنبي في القصيدة
المقصورة التي يذكر فيها مسيرة إلى الكوفة ويصف منزلا
منزلا ويهجو كافورا (وماذا بمصر من المضحكات *
ولكنه ضحك كالبكا) (بها نبطي من أهل السواد * يدرس
أنساب أهل الفلا) (وأسود مشفره نصفه * يقال له أنت

بدر الدجى) (وشـــعر مدحت به الكركدن * بين القريض وبين الرقى) (فما كان ذلك مدحا له * ولكنه كان هجو الورى) إن المراد بالنبطي أبو الفضـل المذكور والأسـود كافور وبالجملة فهذا القدر ما غض منه فما زالت الأشراف تـهجى وتمدح وأنشـــــد أبو إســـحاق إبراهيم بن عبد الله النجيرمي بديها في الوزير أبي الفضل المذكور وقد دعا له داع فلحن في قوله أدام الله أيامك بخفض أيامك المنصـــوبة (لا غرو أن لحن الداعي لسيدنا * وغص من دهشة بالعي والبهر) (فمثل هيبته حالت جلالتها * بين البليغ وبين النطق بالحصر) (وإن يكن خفض الأيام عن دهش * في موضـع النصـب أو من قلة البصـر) (فقد تفاءلت في هذا لسيدنا * والفأل نأثره عن سيد البشر) (بأن أيامه خفض بلا نصب * وأن دولته صفو بلا كدر)

وفيات الاعيان... ابن خالكان جلد 2
349
وذكر الوزير أبو القاسم المغربي في كتاب أدب الخواص كنت أحادث الوزير أبا الفضل جعفرا المذكور وأجاريه شعر المتنبي فيظهر من تفضيله زيادة تنبه على ما في نفسه خوفا أن يرى بصورة من ثناه الغضب الخاص عن قول الصدق في الحكم العام وذلك لأجل الهجاء الذي عرض له به المتنبي وكانت ولادته لثلاث خلون من ذي الحجة سنة ثمان وثلثمائة وتوفي يوم الأحد

ثالث عشر صفر وقيل في شهر ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وثلثمائة بمصر رحمه الله تعالى وصلى عليه القاضي حسين بن محمد بن النعمان ودفن في القرافة الصغرى وتربته بها مشهورة وحنزاية بكسر الحاء المهملة وسكون النون وفتح الزاي وبعد الألف باء موحدة مفتوحة ثم هاء وهي أم أبيه الفضل بن جعفر هكذا ذكره ثابت بن قرة في تاريخه الحنزاية في اللغة المرأة القصيرة الغليظة وذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق وأورد من شعره قوله (من أخمل النفس أحياها وروحها * ولم يبت طاويا منها على ضجر) (إن الرياح إذا اشتدت عواصفها * فليس ترمي سوى العالي من الشجر) وقال كان كثير الإحسان إلى أهل الحرمين واشترى بالمدينة دارا بالقرب من المسجد ليس بينها وبين الضريح النبوي على ساكنه أفضل الصلاة والسلام سوى جدار واحد وأوصى أن يدفن فيها وقرر مع الأشراف ذلك ولما مات حمل تابوته من مصر إلى الحرمين وخرجت الأشراف إلى لقائه وفاء بما أحسن إليهم فحجوا به وطافوا ووقفوا بعرفة ثم ردوه إلى المدينة ودفنوه بالدار المذكورة وهذا خلاف ما ذكرته أولا والله أعلم بالصواب غير أني رأيت التربة المذكورة بالقرافة وعليها مكتوب هذه
350 تربة أبي الفضل جعفر بن الفرات ثم إني رأيت بخط أبي القاسم ابن الصوفي أنه دفن في مجلس داره الكبرى ثم نقل إلى المدينة 134 على الله أبو الفضل

جعفر بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي وأمه تركية
واسمها شجاع بويع له لست بقين من ذي الحجة سنة 232
وقتل ليلة الأربعاء لثلاث خلون من شوال سنة 247 وله
إحدى وأربعون سنة ودفن في القصر الجعفري وهو قصر
ابتناه بسر من رأى وقال الدولابي في تاريخه إنه دفن هو
والفتح بن خاقان وزيره ولم يصل عليهما فكانت خلافته
أبرع عشرة سنة وتسعة أشهر وتسعة أيام وقتل المتوكل
محمد ولده المنتصر بالله بسر من رأى وهو على خلوة مع
وزيره فابتدره باغر التركي بسيف فقام وزيره الفتح بن
خاقان في وجه ووجوه القوم فاعتوره القوم بسيوفهم
فقتلوهما معا وقطعوهما حتى اختلطت لحومهما فدفنا معا
على ما قيل وكان السبب في قتله على ما حكي انه قدم
المعتز على المنتصر وامنتصر أسن منه وكان يتوعده
ويسبه ويسب أمه ويأمر الذين يحضرون مجلسه من أهل
السخف بسبه فسعى في قتله ووجد الفرصة في تلك الليلة
وكان من الاتفاق العجيب أن المتوكل كان قد أهدي له
سيف قاطع لا يكون مثله فعرض على جميع حاشيته وكل
يتمناه فقال المتوكل لا يصلح هذا السيف إلا لساعد باغر
ووهبه له دون غيره فاتفق أنه أول داخل عليه فضربه به
فقطع حبل عاتقه وكان ما ذكرنا من أمره وحكى علي بن
يحيى بن المنجم قال كنت أقرأ على المتوكل قبل قتله
351 كتب الملاحم فوقف على موضع فيه أن الخليفة
العاشر يقتل في مجلسه فتوقفت عن قراءتهفقال مالك فقلت

خير قال لا بد أن تقرأه فقرأته وحدت عن ذكر الخلفاء فقال ليت شعري من هذا الشقي المقتول وكان مربوعا أسمر خفيف شعر العارضين رفع المحنة في الدين وأخرج أحمد بن حنبل كما ذكرنا من الحبس وخلع عليه وكان بالدينور شيخ يتشيع ويميل إلى مذهب أهل الإمامة وكان له أصحاب يجتمعون إليه يوأخذون عنه ويدرسون عنده يقال له بشر الجعاب فرفع صاحب الخبر بالدينور رلى المتوكل أن بالدينور رجلا رافضيا يحضره جماعة من الرافضة ويتدارسون الرفض ويسبون الصحابة ويشتمون السلف فلما وقف المتوكل على كتابه أمر وزيره عبيد الله بن يحيى بالكتاب إلى عامله على الدينور بإشخاص بشر هذا والفرقة التي تجالسه فكتب عبيد الله بن يحيى بذلك فلما وصل إلى العامل كتابه وكان صديقا لبشر الجعاب حسن المصافاة له شديد الإشفاق عليه همة ذلك وشق عليه فاستدعى بشرا وأقرأه ما كوتب به في أمره وأمر أصحابه فقال له بشر عندي في هذا رأي إن استعملته كنت غير مستبطإ فيما أمرت به وكنت بمنجاة مما أنت خائف علي منه قال وما هو قال بالدينور شيخ خفاف اسمه بشر ومن الممكن المتيسر أن تجعل مكان الجعاب الخفاف وليس بمحفوظ عنده ما نسبت إليه من الحرفة والصناعة فسر العامل بقوله وعمد إلى العين من الجعاب فغير عينها وغير استواء خطها وانبساطه ووصل الباء بما صارت به فاء فكان أخبره عن بشر الخفاف أنه أبله في غاية البله

والغفلة وأنه هزأة عند أهل بلده وضحكه وذلك أن أهل سواد البلد يأخذون منه الخفاف التامة والمقطوعة بنسيئة ويعدونه باثمانها عند حصول الغلة فإذا حصلت وحازوا ما لهم منها ما طلوه بدينه ولووه بحقه واعتلوا بأنواع الباطل عليه فإذا انقضى وقت السادر ودنا الشتاء واحتاجوا إلى الخفاف وما جرى مجراها وافوا بشرا هذا واعتذروا إليه وخدعوه وابتدروا يعدونه الوفاء ويؤكدون مواعيدهم بالأيمان الكاذبة والمعاهدة الباطلة ويضمنون له أداء الديون الماضية والمستأنفة فيحسن ظنه بهم وسكونه ويستسلم اليهم ويستأنف

352 إعطاءهم من الخفاف وغيرها ما يري دونه فإذا حضرت الغلة أجروه على العادة وحملوه على ما تقدم من السنة ثم لا يزالون على هذه الوتيرة من أخذ سلعه في وقت حاجتهم ودفعه عن حقه في إبان غلاتهم فلا يتنبه من رقدته ولا يفيق من سكرته فأنفذ صاحب الخبر كتابه وأشار بتقدم الخفاف أمام القوم والإقبال عليه بالمخاطبة وتخصيصه بالمسألة ساكنا إلى أنه من ركاكته وفهاهته بما يضحك الحاضرين ويحسم الاشتغال بالبحث عن هذه القصة ويتخلص من هذه الثلاثة فلما ورد كتاب صاحب الخبر أعلم عبيد الله بن يحيى المتوكل به وبحضور القوم فأمر أن يجلس ويستحضرهم ويخاطبهم فيما حكي عنهم وأمر فعلق بينه وبينهم سلبية ليقف على ما يجري ويسمعه ويشاهده ففعل ذلك وجلس عبيد الله واستدعى المحضرين

فقدموا إليه يقدمهم بشر الخفاف فلما جلسوا أقبل عبيد الله على بشر فقال له أنت بشر الخفاف فقال نعم فسكنت نفوس الحاضرين معه إلى تمام هذه الحيلة وإتمام هذه المدالسة وجواز هذه المغالطة فقال له إنه رفع إلى أمير المؤمنين من أمركم شيء أنكره فأمر بالكشف عنه وسؤالكم بعد إحضاركم عن حقيقته فقال له بشر نحن حاضرون فما الذي تأمرنا به قال بلغ أمير المؤمنين أنه يجتمع اليك قوم فيخوضون معك في الترفض وشتم الصحابة فقال بشر ما أعرف من هذا شيئا قال قد أمرت بامتحانكم والفحص عن مذاهبكم فقال ما تقول في السلف فقال لعن الله السلف فقال له عبيد الله ويلك أتدري ما تقول قال نعم لعن الله السلف فخرج خادم من بين يدي المتوكل فقال لعبيد الله يقول لك أمير المؤمنين سله الثالثة فإن أقام على هذا فاضرب عنقه فقال له إني سائلك هذه المرة فإن لم تتب وترجع عما قلت أمرت بقتلك فما تقول الآن في السلف فقال لعن الله السلف قد خرب بيتي وأبطل معيشتي وأتلف مالي وأفقرني وأهلك عيالي قال وكيف قال أنا رجل أسلف الأكرة وأهل الدستان الخفاف والتمسكات على أن يوفوني الثمن مما يحصل من غلاتهم فأصير اليهم عند حصول الغلة في بيادرهم فإذا أحرزوا الغلات دفعوني عن حقي وامتنعوا من توفيتي ماالي ثم يعودون عند دخول الشتاء فيعتذرون إلي ويحلفون بالله لا يعاودون

353 مطلي وظلمي فإنهم يؤدون إلي المتقدم والمتأخر من مالي فأجيبهم إلى ما يلتمسونه وأعطيهم ما يطلبونه فإذا جاء وقت الغلة عادوا إلى مثل ما كانوا عليه من ظلمي وكسر مالي فقد اختلت حالي وافتقرت عيالي قال فسمع ضحك عال من وراء السبيبة وخرج الخادم فقال استحلل هؤلاء القوم وخل سبيلهم فقالوا يا أمير المؤمنين في حل وسعة فصرفهم فلما توسطوا صحن الدار قال بعض الحاضرين هؤلاء قوم مجان محتالون وصاحب الخبر مسقط لا يكتب إلا بما يعلمه ويثق بصحته وينبغي أن يستقصي الفحص عن هذا والنظر فيه فأمر بردهم فلما أمروا بالرجوع قال بعض الجماعة التابعة لبعض ليس هذا من ذلك الذي تقدم فينبغي أن نتولى الكلام نحن ونسلك طريق الجد والديانة فرجعوا فأمروا بالجلوس ثم أقبل عبيدالله على القوم فقال إن الذي كتب في أمركم ليس ممن تقدم على الكتب بما لا يقبله علما ويحيط به خبرا وقد أخذ أمير المؤمنين باستئناف امتحانكم وانعام التفتيش عن أمركم فقالوا افعل ما أمرت به فقال من خير الناس بعد رسول الله قلنا علي بن أبي طالب فقال الخادم بين يديه قد سمعت ما قالوا فأخبر أمير المؤمنين به فمضى ثم عاد فقال يقول لكم أمير المؤمنين هذا مذهبي فقلنا الحمد لله الذي وفق أمير المؤمنين في دينه ووفقنا لاتباعه وموافقته على مذهبه ثم قال لهم ما تقولون في أبي بكر رضي الله عنه فقالوا رحمة الله على أبي بكر نقول فيه خيرا قال فما

تقولون في عمر قلنا رحمة الله عليه ولا نحبه قال ولم قلنا
لأنه أخرج مولانا العباس من الشورى قال فسمعنا من
وراء السبيبة ضحكا أعلى من الضحك الأول ثم أتى
الخادم فقال لعبيد الله عن المتوكل أتبعهم صلة فقد لزمتهم
في طريقهم مؤونة واصرفهم فقالوا نحن في غنى وفي
المسلمين من هو أحق بهذه الصلة وإليها أحوج وانصرفوا
وذكر أبو عبد الله حمدون قال لي الحسين بن الضحاك
ضربني الرشيد في خلافته لصحبتي إ ياه ثم ضربني
الأمين لمماثلتي ابنه عبد الله ثم ضربني المأمون لميلي إلى
محمد ثم ضربني المعتصم لمودة كانت بيني وبين العباس
بن المأمون ثم ضربني الواثق لشيء بلغه من ذهابي إلى
المتوكل وكل ذلك يجري مجرى الولع
354 والتحذير لي ثم أحضرني المتوكل وأمر شفيعا
أن يولع بي فتغاضب المتوكل علي فقلت يا أمير المؤمنين
إن كنت تضربني كما ضربني آبؤك فاعلم أن آخر ضرب
ضربته كان بسببك فضحك وقال بل أصونك وأكرمك
وقال المتوكل يوما لمن حضره ما أرى أحسن من وصيف
الصغير يعني خادمه فجعل كل يصفه غير بغا الكبير فقال
يا بغا ما سكوتك اما تحب وصيفا قال لا قال ولم قال لأني
أحب من يحبك ولا أحب من يحبه ودخل أبو العيناء على
المتوكل فقال له بلغني عنك بذاء قال إن يكن البذاء صفة
المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته فقد مدح الله وذم قال (
^ نعم العبد إنه أواب) وقال عز وجل (^ هماز مشاء

بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم) فذمه حتى قذفه وأما أن أكون كالعقرب التي تلسع النبي والذمي بطبع لا يميز فقد أعاذ الله عبدك من ذلك وقد قال الشاعر (إذا أنا بالمعروف لم أثن صادقا * ولم أشتم الجبس اللئيم المذمما) (ففيم عرفت الشر والخير باسمه * وشق لي الله المسامع والفما) ولما أسلم نجاح بن سلمة إلى موسى بن عبد الملك الأصبهاني ليؤدي ما عليه من الأموال عاقبة فتلف في مطالبته فحضر يوما عند المتوكل فقال له ما عندك من خبر نجاح بن سلمة قال ما قال الله (^ فوكزه موسى فقضى عليه) فاتصل ذلك بموسى فلقي الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان فقال أيها الوزير أردت قتلي فلم تجد لذلك سبيلا إلا بإدخال أبي العيناء إلى أمير المؤمنين وعداوته لي فعاتب عبيد الله أبا العيناء في ذلك فقال والله ما استعذبت الوقيعة فيه حتى ذممت سيرته لك فأمسك عنه ثم دخل بعد ذلك أبو العيناء على المتوكل فقال كيف كنت بعدي فقال في أحوال مختلفة خيرها رؤيتك وشرها غيبتك فقال قد والله اشتقتك قال إنما يشتاق العبد لأنه يتعذر عليه لقاء مولاه وأما السيد فمتى أراد عبده دعاه فقال له المتوكل من أسخى من رأيت قال
355 ابن أبي داود قال المتوكل تأتي إلى رجل قد رفضته فتنسبه إلى السخاء قال إن الصدق يا أمير المؤمنين على موضع من المواضع أنفق منه على مجلسك وإن الناس يغلطون فيمن ينسبونه إلى الجود لأن سخاء

البرامكة منسوب إلى الرشيد وسخاء الفضل والحسن بن سهل منسوب إلى المأمون وجود ابن أبي دواد منسوب إلى المعتصم وإذا نسب الفتح وعبيد اللّه إلى السخاء فذاك سخاؤك يا أمير المؤمنين قال صدقت فمن أبخل من رأيت قال موسى بن عبد الملك قال وما رأيت من بخله قال رأيته يحرم القريب كما يحرم الغريب ويعتذر من الإحسان كما يعتذر من الإساءة فقال له قد وقعت فيه عندي وقعتين وما أحب ذلك فالقه واعتذر إليه ولا يعلم أني وجهت بك قال يا أمير المؤمنين من يسكته بحضرة ألف قال لن تخاف على الاحتراس من الخوف فسار إلى موسى واعتذر كل واحد منهما إلى صاحبه وافترقا إلى صلح فلقيه بالجعفري فقال يا أبا عبد اللّه قد اصطلحنا فما لك لا تأتينا قال (^ أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس) ما أرانا إلا كما كنا أولا وكان المتوكل قد غضب على عبادة ونفاه إلى الموصل وكان عبادة من أطيب الناس وأخفهم روحا وأحضرهم نادرة وكان أبوه من طباخي المأمون وكان معه فخرج حاذقا بالطبيخ ثم مات أبوه ونحب حكى أبو حازم الفقيه وقد جرى ذكر عبادة قال ما كان أطرفه قيل وكيف قال لما حصل بالموصل تبعه غرماؤه وطلبوه وقدموه إلى علي بن إبراهيم العمري وهو قاضي الموصل فحلف لواحد ثم لآخر ثم لآخر فقال له علي بن إبراهيم ويحك ترى هؤلاء كلهم قد اجتمعوا على ظلمك فاتق اللّه وارجع إلى نفسك فإن كانت عسرة بإزائها نظرة فقال صدقت فديتك ليس

كلهم ادعى الكذب ولا كلهم ادعى الصدق ولكني دفعت
باللهّ ما لا أطيق وقيل له وقد مات زوج أخته ما ورثت
أختك من زوجها قال أربعة أشهر وعشرا وحكى علي بن
الجهم قال لما أفضت الخلافة إلى المتوكل أهدى إليه ابن
طاهر
356 من خراسان هدية جليلة فيها جوار فيهن جارية
يقال لها محبوبة قد نشأت بالطائف وبرعت في الأدب
وأجادت قول الشعر وحذقت الغناء وقربت من قلب
المتوكل وغلبت عليه فكانت لا تفارق مجلسه فوجد عليها
مرة فهجرها أياما وبكرت عليه فقال يا علي قلت لبيك يا
أمير المؤمنين قال رأيت الليلة في منامي كأني رضيت
عن محبوبة وصالحتها وصالحتني قلت خيرا يا أمير
المؤمنين أقر الله عينك وسرك إنما هي عبدتك والرضى
والسخط بيدك فوالله أنا لفي ذلك إذ جاءت وصيفة فقالت يا
أمير المؤمنين سمعت صوت عود من حجرة محبوبة فقال
قم بنا يا علي ننظر ما تصنع فنهضنا حتى أتينا حجرتها
فإذا هي تضرب العود وتغني (أدور في القصر لا أرى
أحدا * أشكو إليه ولا يكلمني) (كأنني قد أتيت معصية
* ليس لها توبة تخلصني) (فهل شفيع لنا إلى ملك * قد
زارني في الكرى وصالحني) (حتى إذا ما الصباح لاح
لنا * عاد إلى هجره فصارمني) قال فصاح أمير
المؤمنين وصحت معه فسمعت فتلقته وأكبت على قدميه
تقبلهما فقال ما هذا قالت يا مولاي رأيت في ليلتي كأنك

رضيت عني فتعللت بما سمعت قال وأنا والله رأيت مثل ذلك فقال لي يا علي رأيت أعجب من هذا كيف اتفق ورجعنا إلى الموضع الذي كنا فيه ودعا بالجلساء والمغنين واصطبح وما زالت تغنيه الأبيات يومه ذلك قال وزادت حظوة عنده حتى كان من أمره ما كان فتفرق جواريه وصارت محبوبة إلى وصيف الكبير فما زالت حزينة باكية فدعاها يوما وأمرها أن تغني فاستعفته وجيء بعود فوضع في حجرها فغنت (أي عيش يلذ لي * لا أرى فيه جعفرا) (كل من كان في ضني * وسقام فقد برا) (غير محبوبة التي * لو ترى الموت يشتري) (لاشترته بما حوته * يداها لتقبرا) ولبست السواد والصوف وما زالت تبكيه وترثيه حتى ماتت رحمها الله تعالى

357 135 ابن السراج أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين بن أحمد بن جعفر السراج المعروف بالقاري البغدادي كان حافظ عصره وعلامة زمانه وله التصانيف العجيبة منها كتاب مصارع العشاق وغيره حدث عن أبي علي بن شاذان وأبي القاسم ابن شاهين والخلال والبرمكي والقزويني وابن غيلان وغيرهم وأخذ عنه خلق كثير وروى عنه الحافظ أبو طاهر السلفي رحمه الله تعالى وكان يفتخر بروايته مع أنه لقي أعيان ذلك الزمان وأخذ عنهم وله شعر حسن فمنه (بان الخليط فأدمعي * وجدا عليهم تستهل) (وحدابهم حادي الفراق * عن المنازل فاستقلوا) (قل للذين ترحلوا * عن ناظري والقلب حلوا

((ودمي بلا جرم أتيت * غداة بينهم استحلوا) (ما ضرهم لو أنهلوا * من ماء وصلهم وعلوا) ومن شعره أيضا رحمه الله تعالى (وعدت بأن تزوري كل شهر * فزوري قد تقضي الشهر زوري)
358 (وشقة بيننا نهر المعلى * إلى البلد المسمى شهرزور) (وأشهر هجرك المحترم حق * وكلن شهر وصلك شهر زور) وأورد له العماد الكاتب الأصبهاني في كتاب الخريدة (ومدع شرخ شباب وقد * عممه الشيب على وفرته) (يخضب بالوشمة عثنونه * يكفيه أن يكذب في لحيته) وله غير ذلك نظم جيد وكانت ولادته إما في أواخر سنة سبع عشرة وأربعمائة أو أوائل سنة ثماني عشرة وأربعمائة وذكر الشريف أبو المعمر المبارك بن أحمد بن عبد العزيز الأنصاري في كتاب وفيات الشيوخ أن مولده سنة ست عشرة ببغداد وتوفي بها ليلة الأحد الحادي والعشرين من صفر سنة خمسمائة ودفن بباب أبرز 136 أبو معشر المنجم أبو معشر جعفر بن محمد بن عمر البلخي المنجم المشهور كان إمام وقته في فنه وله التصانيف المفيدة في علم النجامة منها المدخل والزيج والألوف وغير ذلك وكانت له إصابات عجيبة رأيت في بعض المجاميع أنه كان متصلا بخدمة بعض الملوك وأن ذلك الملك طلب رجلا من أتباعه وأكابر دولته ليعاقبه بسبب جريمة صدرت منه

359 وعلم أن أبا معشر يدل عليه بالطرائق التي يستخرج بها الخبايا والأشياء الكامنة فأراد أن يعمل شيئا لا يهتدي إليه ويبعد عنه حسه فأخذ طستا وجعل فيه دما وجعل في الدم هاون ذهب وقعد على الهاون أياما وتطلب الملك ذلك الرجل وبالغ في التطلب فلما عجز عنه أحضر أبا معشر وقال له تعرفني موضعه بما جرت عادتك به فعمل المسألة التي يستخرج بها الخبايا وسكت زمانا حائرا فقال له الملك ما سبب سكوتك وحيرتك قال أرى شيئا عجيبا فقال وما هو قال أرى الرجل المطلوب على جبل من ذهب والجبل في بحر من دم ولا أعلم في العالم موضعا من البلاد علي هذه الصفة فقال له أعد نظرك وغير المسألة وجدد أخذ الطالع ففعل ثم قال ما أراه إلا كما ذكرت وهذا شيء ما وقع لي مثله فلما أيس الملك من القدرة عليه بهذا الطريق أيضا نادى في البلد بالأمان للرجل ولمن أخفاه وأظهر من ذلك ما وثق به فلما اطمأن الرجل ظهر وحضر بين يدي الملك فسأله عن الموضع الذي كان فيه فأخبره بما اعتمده فأعجبه حسن احتياله في إخفاء نفسه ولطافة أبي معشر في استخراجه ولـه غير ذلك من الإصابات وكانت وفاته في سنة اثنتين وسبعين ومائتين رحمه الله تعالى والبلخي بفتح الباء الموحدة وسكون اللام وبعدها خاء معجمة هذه النسبة إلى بلخ وهي مدينة عظيمة من بلاد خراسان فتحها الأحنف بن قيس التميمي في خلافة عثمان رضي الله عنه وهذا الأحنف هو

الذي يضرب به المثل في الحلم وسيأتي ذكره في حرف الضاد إن شاء الله تعالى

360 137 جعفر الأندلسي ممدوح ابن هانئ أبو علي جعفر بن علي بن أحمد بن حمدان الأندلسي صاحب المسيلة وأمير الزاب من أعمال إفريقية كان سمحا كثير العطاء مؤثرا لأهل العلم ولأبي القاسم محمد بن هانئ الأندلسي فيه من المدائح الفائقة ما يجاوز حسنها حد الوصف وهو القائل فيه (المدنفان من البرية كلها * جسمي وطرف بابلي أحور) (والمشرقات النيرات ثلاثة * الشمس والقمر المنير وجعفر) وأما القصائد الطوال فلا حاجة إلى ذكر شيء منها وكان أبوه علي قد بنى المسيلة وهي معروفة بهم إلى الآن وكان بينه وبين زيري بن مناد جد المعز بن باديس إحن ومشاجرات أفضت إلى القتال فتواقعا وجرت بينهما معركة عظيمة فقتل زيري فيها ثم قام ولده بلكين المقدم ذكره في حرف الباء مقام إبيه واستظهر على جعفر المذكور فعلم أنه ليس له به طاقة فترك بلاده ومملكته وهرب إلى الأندلس فقتل بها في سنة أربع وستين وثلثمائة رحمه الله تعالى وشرح حديثه يطول وهذا القدر خلاصته والمسيلة بفتح الميم وكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام مفتوحة ثم هاء ساكنة وهي مدينة من أعمال الزاب والزاب بفتح الزاي وبعد الألف باء موحدة كورة بإفريقية وقد تقدم ذكر إفريقية

361 138 ابن فلاح الكتامي أبو علي جعفر بن فلاح الكتامي كان أحد قواد المعز أبي تميم معد بن المنصور العبيدي صاحب إفريقية وجهزه مع القائد جوهر الآتي ذكره لما توجه لفتح الديار المصرية فلما أخذ مصر بعثه جوهر إلى الشام فغلب على الرملة في ذي الحجة سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ثم غلب على دمشق فملكها في المحرم سنة تسع وخمسين بعد أن قاتل أهلها ثم أقام بها إلى سنة ستين ونزل إلى الدكة فوق نهر يزيد بظاهر دمشق فقصده الحسن بن أحمد القرمطي المعروف بالأعصم فخرج إليه جعفر المذكور وهو عليل فظفر به القرمطي فقتله وقتل من أصحابه خلقا كثيرا وذلك في يوم الخميس لست خلون من ذي القعدة سنة ستين وثلثمائة رحمه الله تعالى وقال بعضهم قرأت على باب قصر القائد جعفر بن فلاح المذكور بعد قتله مكتوبا (يا منزلا عبث الزمان بأهله * فأبادهم بتفرق لا يجمع) (أين الذين عهدتهم بك مرة * كان الزمان بهم يضر وينفع) وكان جعفر المذكور رئيسا جليل القدر ممدوحا وفيه يقول أبو القاسم محمد بن هانئ الأندلسي الشاعر المشهور (كانت مساءلة الركبان تخبرني * عن جعفر بن فلاح أطيب الخبر)

362 (حتى التقينا فلا والله ما سمعت * أذني بأحسن مما قد رأى بصري) والناس يروون هذين البيتين لأبي تمام في القاضي أحمد بن أبي دواد وهو غلط

لأن البيتين ليسا لأبي تمام وهم يروونهما عن أحمد بن داود وهو ليس بابن دواد بل ابن أبي دواد ولو قال ذلك لما استقام الوزن 139 ابن شمس الخلافة أبو الفضل جعفر بن شمس الخلافة أبي عبد الله محمد بن شمس الخلافة مختار الأفضلي الملقب مجد الملك الشاعر المشهور كان فاضلا حسن الخط وكتب كثيرا وخطه مرغوب فيه لحسنه وضبطه وله تواليف جمع فيها أشياء لطيفة دلت على جودة اختياره وله ديوان شعر أجاد فيه نقلت من خطه لنفسه (هي شدة يأتي الرخاء عقيبها * وأسى يبشر بالسرور العاجل) (وإذا نظرت فإن بؤسا زائلا * للمرء خير من نعيم زائل) وله أيضا في الوزير ابن شكر وهو الصفي أبو محمد عبد الله بن علي عرف بابن شكر وزير الملك العادل وولده الملك الكامل رحمهما الله تعالى (مدحتك ألسنة الأنام مخافة * وتشاهدت لك بالثناء الأحسن) (أترى الزمان مؤخرا في مدتي * حتى أعيش إلى انطلاق الألسن) هكذا أنشدنيهما بعض الأدباء المصريين ثم وجدتهما في مجموع عتيق ولم يسم

363 وطريقته في الشعر حسنة وله أيضا (أعط وإن فاتك الثراء ودع * سبيل من ضن وهو مقتدر) (فكم غني بالناس عنه غنى * وكم فقير إليه يفتقر) وله أيضا (كفي وعرضي إذا ما * سألت عن أخباري) (هذا من الكاس كاس * وذا من العار عاري) وكانت ولادته في المحرم سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وتوفي

في الثاني عشر من المحرم سنة اثنتين وعشرين وستمائة
بالموضع المعروف بالكوم الأحمر ظاهر مصر رحمه الله
تعالى والأفضلي بفتح الهمزة وسكون الفاء وفتح الضاد
المعجمة وبعدها لام هذه النسبة إلى الأفضل أمير الجيوش
بمصر وتوفي والده في ذي الحجة سنة تسع وستين
وخمسمائة ومولده سنة عشرين وخمسمائة 140 جعبر
القشيري الأمير جعبر بن سابق القشيري الملقب سابق
الدين الذي تنسب إليه قلعة جعبر لم أقف على شيء من
أحواله سوى أنه كان قد أسن وعمي وكان له ولدان
يقطعان الطريق ويخيفان السبيل ولم يزل على ذلك والقلعة
بيده حتى
364 أخذها منه السلطان ملك شاه بن ألب أرسلان
السلجوقي الآتي ذكره ثم قتل بعد ذلك في أوائل سنة أربع
ن وستين وأربعمائة رحمه الله تعالى هكذا وجدته في
بعض التواريخ وفي نفسي منه شيء فإن السلطان ملك شاه
ما ملك إلا بعد قتل أبيه ألب أرسلان وأبوه قتل في سنة
خمس وستين وأربعمائة كما سيأتي في موضعه إن شاء
الله تعالى إلا إن كان قد تغلب على القلعة في حياة أبيه وهو
نائبه أو يكون تاريخ وفاة جعبر غلطا وقد نبهت عليه لئلا
يتوهم من يقف عليه أن الغلط كان مني أو أنه مر بي ولم
أتنبه له فاعلم ذلك ثم إني بعد هذا حققت هذا الأمر فوجدته
أن ملك شاه السلجوقي لما توجه إلى حلب ليأخذها اجتاز
بهذه القلعة وقتل جعبرا المذكور لما بلغه عنه من الفساد

وأخذ القلعة منه وسار إلى حلب وذلك في سنة تسع
وسبعين وأربعمائة ويقال لهذه القلعة الدوسرية وهي
منسوبة إلى دوسر غلام النعمان بن المنذر ملك الحيرة
وكان قد تركه على أفواه الشام فبنى هذه القلعة فنسبت إليه
والجعبر في اللغة القصير الغليظ وهو بفتح الجيم وسكون
العين المهملة وبعدها باء موحدة مفتوحة ثم راء 141
نصير الدين جقر أبو سعيد جقر بن يعقوب الهمذاني
الملقب نصير الدين كان نائب عماد الدين زنكي صاحب
الجزيرة الفراتية والموصل والشام استنابه عنه بالموصل
وكان جبارا عسوفا سفاكا للدماء مستحلا للأموال قيل إنه
لما أحكم عمارة سور الموصل أعجبه إحكامه فناداه
مجنون نداء عاقل هل تقدر أن تعمل سورا يسد طريق
365 القضاء النازل وفي ولايته قصد الإمام
المسترشد حصار الموصل فنازلها وضايقها مدة وكان
جقر المذكور قد حصنها وحفر خنادقها فقاتل الخليفة
ورجع عنها ولم ينل منها مقصوده وذلك في شهر رمضان
سنة سبع وعشرين وخمسمائة وكان بالموصل فروخ شاه
ابن السلطان محمود السلجوقي المعروف بالخفاجي وذكر
ابن الأثير في تاريخ دولة بني أتابك أن الخفاجي صاحب
هذه الواقعة هو ألب أرسلان بن محمود بن محمد لتربية
عماد الدين زنكي أتابك ولذلك سمي أتابك فإنه اللالا الذي
يربي أولاد الملوك فالأتا بالتركية هو الأب وبك هو الأمير
فأتابك مركب من هذين المعنيين وكان جقر يعارضه

ويعانده في مقاصده فلما توجه عماد الدين زنكي لمحاصرة قلعة البيرة قرر الخفاجي مع جماعة من أتباعه أن يقتلوا جقر فحضر يوما إلى باب الدار للسلام فنهضوا إليه فقتلوه وذلك في الثامن وقيل يوم الخميس التاسع من ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وولي عماد الدين زنكي موضع جقر زين الدين علي بن بكتكين والد مظفر الدين صاحب إربل فأحسن السيرة وعدل في الرعية وكان رجلا صالحا رحمه الله تعالى ولما عاد زنكي إلى الموصل استصفى أموال جقر واستخرج ذخائره وصادر أهله وأقاربه وكان جقر قد ولى بالموصل رجلا ظالما يسمى بالقزويني فسار سيرة قبيحة وكثر شكوى الناس منه فعزله وجعل مكانه عمر بن شكلة فأساء في السيرة أيضا فعمل في ذلك أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن شقاقا الموصلي المتوفي سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة (يا نصير الدين ياجقر * ألف قزويني ولا عمر)
366 (لو رماه الله في سقر * لاشتكت من ظلمه سقر) وجقر بفتح الجيم والقاف وبعدهما راء وهو اسم أعجمي وأظنه كان مموكا 142 جميل بثينة أبو عمرو جميل بن عبد الله بن معمر بن صباح بضم الصاد المهملة ابن ظبيان بن حن بضم الحاء المهملة وتشديد النون ابن ربيعة بن حرام بن ضبة ابن عبد بن كثير بن عذرة بن سعد بن هذيم بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم ابن الحاف بن قضاعة الشاعر المشهور صاحب بثينة أحد عشاق

العرب عشقها وهو غلام فلما كبر خطبها فرد عنها فقال الشعر فيها وكان يأتيها سرا ومنزلهما وادي القرى وديوان شعره مشهور فلا حاجة إلى ذكر شيء منه ذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق وقال قيل له لو قرأت القرآن كان أعود عليك من الشعر فقال هذا أنس بن مالك رضي الله عنه أخبرني أن رسول الله قال إن من الشعر لحكمة وجميل وبثينة كلاهما من بني عذرة وكانت بثينة تكنى أم عبد الملك والجمال والعشق في بني عذرة كثير قيل لأعرابي من العذريين ما بال قلوبكم كأنها قلوب طير تنماث كما ينماث الملح في الماء أما تتجلدون فقال إنا ننظر إلى محاجر أعين لا تنظرون إليها وقيل لآخر ممن أنت فقال أنا من قوم إذا أحبوا ماتوا فقالت جارية سمعته هذا عذري ورب الكعبة وذكر صاحب الأغاني أن كثير عزة كان راوية جميل وجميل كان

367 رواية هدبة بن خشرم وهدبة راوية الحطيئة والحطيئة راوية زهير بن أبي سلمى وابنه كعب بن زهير ومن شعر جميل من جملة أبيات (وخبرتماني أن تيماء منزل * لليلى إذا ما الصيف ألقى المراسيا) (فهذي شهور الصيف عنا قد انقضت * فما للنوى ترمي بليلى المراميا) ومن الناس من يدخل هذه الأبيات في قصيدة مجنون ليلى وليست له وتيماه خاصة منزل لبني عذرة وفي هذه القصيدة يقول جميل (وما زلتم يا بثن حتى لو انني * من الشوق أستبكي الحمام بكى ليا) (وما زادني

الواشون إلا صبابة * ولا كثرة الناهين إلا تماديا) (وما أحدث النأي المفرق بيننا * سلوا ولا طول الليالي تقاليا) (ألم تعلمي يا عذبة الريق أنني * أظل إذا لم ألق وجهك صاديا) (لقد خفت أن ألقى المنية بغته * وفي النفس حاجات إليك كما هيا) وكان كثير عزة يقول جميل والله أشعر العرب حيث يقول (وخبرتماني أن تيماء منزل * لليلى إذا ما الصيف ألقى المراسيا) ومن شعره (إني لأحفظ سركم ويسرني * لو تعلمين بصالح أن تذكري) (ويكون يوم لا أرى لك مرسلا * أو نلتقي فيه علي كأشهر) (يا ليتني ألقى المنية بغتة * إن كان يوم لقائكم لم يقدر) ومنها (يهواك ما عشت الفؤاد وإن أمت * يتبع صداي صداك بين الأقبر) ومنها (إني إليك بما وعدت لناظر * نظر الفقير إلى الغني المكثر)
368 (يقضي الديون وليس ينجز موعدا * هذا الغريم لنا وليس بمعسر) (ما أنت والوعد الذي تعدينني * إلا كبرق سحابة لم تمطر) ومن شعره من جملة قصيدة (إذا قلت ما بي يا بثينة قاتلي * من الوجد قالت ثابت ويزيد) (وإن قلت ردي بعض عقلي أعش به * بثينة قالت ذاك منك بعيد) ومن شعره أيضا (وإني لأرضي من بثينة بالذي * لو استيقن الواشي لقرت بلابله) (بلا وبألا أستطيع وبالمنى * وبالأمل المرجو قد خاب آمله) (وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضي * أواخره لا نلتقي وأوائله) وله أيضا (وإني لأستحيي من الناس أن

أرى * رديفا لوصل أو علي رديف) (وأشرب رنقا منك
بعد مودة * وأرضى بوصل منك وهو ضعيف) (وإني
للماء المخالط للقذى * إذا كثرت وراده لعيوف) وله من
أبيات أيضا (بعيد على من ليس يطلب حاجة * وأما على
ذي حاجة فقريب) (بثينة قالت يا جميل أربتني * فقلت
كلانا يا بثين مريب) (وأريبنا من لا يؤدي أمانة * ولا
يحفظ الأسرار حين يغيب) وقال كثير عزة لقيني مرة
جميل بثينة فقال من أين أقبلت فقلت من عند أبي الحبيبة
يعني بثينة فقال وإلى أين تمضي قلت إلى الحبيبة يعني
عزة فقال لا بد أن ترجع عودك على بدئك فتتخذ لي
موعدا من بثينة فقلت عهدي بها الساعة وأنا أستحيي أن
أرجع فقال لا بد من ذلك فقلت متى عهدك ببثينة فقال من
أول الصيف وقعت سحابة بأسفل وادي الدوم فخرجت
ومعها جارية لها تغسل ثيابا فلما أبصرتني
369 أنكرتني فضربت يدها إلى الثوب في الماء
فالتحفت به وعرفتني الجارية فأعادت الثوب إلى الماء
وتحدثنا ساعة حتى غابت الشمس فسألتها الموعد فقالت
أهلي سائرون ولا لقيتها بعد ذلك ولا وجدت أحدا آمنه
فأرسله إليها فقال له كثير فهل لك أن آتي الحي فأتعرض
بأبيات شعر أذكر فيها هذه العلامة إن لم أقدر على الخلوة
بها قال وذلك الصواب فخرج كثير حتى أناخ بهم فقال له
أبوها ما ردك يا ابن أخي قال قلت أبياتا عرضت فأحببت
أن أعرضها عليك قال هاتها فأنشدته وبثينة تسمع (فقلت

لها يا عز أرسل صاحبي * إليك رسولا والرسول موكل)
(بأن تجعلي بيني وبينك موعدا * وأن تأمريني بالذي فيه
أفعل) (وآخر عهدي منك يوم لقيتني * بأسفل وادي
الدوم والثوب يغسل) قال فضربت بثينة جانب خدرها
وقالت اخسأ اخسأ فقال لها أبوها مهيم يا بثينة فقالت كلب
يأتينا إذا نوم الناس من وراء الرابية ثم قالت للجارية ابغينا
من الدومات حطبا لنذبح لكثير شاة ونشويها له فقال كثير
أنا أعجل من ذلك وراح إلى جميل فأخبره فقال جميل
الموعد الدومات وخرجت بثينة وصواحبها إلى الدومات
وجاء جميل وكثير إليهن فما برحوا حتى برق الصبح
فكان كثير يقول ما رأيت مجلسا قط أحسن من ذلك
المجلس ولا مثل علم أحدهما بضمير الآجر ما أدري أيهما
كان أفهم (36) وقال الحافظ أبو القاسم المعروف بابن
عساكر في تاريخه الكبير قال أبو بكر محمد بن القاسم
الأنباري أنشدني أبي هذه الأبيات لجميل بن معمر قال
وتروى لغيره أيضا وهي (ما زلت أبغي الحي أتبع فلهم
* حتى دفعت إلى ربيبة هودج)
370 (فدنوت مختفيا ألم ببيتها * حتى ولجت إلى
خفي المولج) (فتناولت رأسي لتعرف مسه * بمخضب
الأطراف غير مشنج) (قالت وعيش أخي ونعمة والدي
* لأنبهن القوم إن لم تخرج) (فخرجت خيفة قولها
فتبسمت * فعلمت أن يمينها لم تلجج) (فلثمت فاها آخذا
بقرونها * شرب النزيف ببرد ماء الحشرج) قال هارون

بن عبد اللّه القاضي قدم جميل بن معمر مصر على عبد العزيز ابن مروان ممتدحا له فأذن له وسمع مدائحه وأحسن جائزته وسأله عن حبه بثينة فذكر وجدا كثيرا فوعده في أمرها وأمره بالمقام وأمر له بمنزلة وما يصلحه فما أقام إلا قليلا حتى مات هناك في سنة اثنتين وثمانين وذكر الزبير بن بكار عن عباس بن سهل الساعدي قال بينا أنا بالشام إذ لقيني رجل من أصحابي فقال هل لك في جميل فإنه يعتل نعوده فدخلنا عليه وهو يجود بنفسه فنظر إلي وقال يا ابن سهل ما تقول في رجل لم يشرب الخمر قط ولم يزن ورلم يقتل النفس ولم يسرق يشهد أن لا إله إلا الله قلت أظنه قد نجا وأرجو له الجنة فمن هذا الرجل قال أنا قلت له والله ما أحسبك سلمت وأنت تشبب منذ عشرين سنة ببثينة قال لا نالتني شفاعة محمد وإني لفي أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا إن كنت وضعت يدي عليها لريبة فما برحنا حتى مات وقال محمد بن أحمد بن جعفر الأهوازي مرض جميل بمصر مرضه الذي مات فيه رحمه الله تعالى فدخل عليه العباس بن سهل الساعدي وذكر هذه الحكاية واللّه أعلم بالصواب وذكر في الأغاني عن الأصمعي قال حدثني رجل شهد جميلا لما حضرته الوفاة بمصر أنه دعا به فقال له هل لك أن أعطيك كل ما أخلفه على أن تفعل شيئا أعهده إليك قال فقلت اللهم نعم فقال إذا أنا مت

371 فخذ حلتي هذه واعزلها جانبا وكل شيء سواها لك وارحل إلى رهط بثينة فإذا صرت إليهم فارتحل ناقتي هذه واركبها ثم البس حلتي هذه واشققها ثم اعل على شرف وصح بهذه الأبيات وخلاك ذم (صرخ النعي وما كنى بجميل * وثوى بمصر ثواء غير قفول) (ولقد أجر البرد في وادي القرى * نشوان بين مزارع ونخيل) (قومي بثينة فاندبي بعويل * وابكي خليلك دون كل خليل) قال ففعلت ما أمرني به جميل فما استتممت الأبيات حتى برزت بثينة كأنها بدر قد بدا في دجنة وهي تتثنى في مرطها حتى أتتني وقالت يا هذا والله إن كنت صادقا لقد قتلتني وإن كنت كاذبا لقد فضحتني قلت واللّه ما أنا إلا صادق وأخرجت حلته فلما رأتها صاحت بأعلى صوتها وصكت وجهها واجتمع نساء الحي يبكين معها ويندبنه حتى صعقت فمكثت مغشيا عليها ساعة ثم قامت وهي تقول (وإن سلوي عن جميل لساعة * من الدهر ما حانت ولا حان حينها) (سواء علينا يا جميل بن معمر * إذا مت بأساء الحياة ولينها) وقد تقدم ذكر هذين البيتين في ترجمة الحافظ أبي طاهر أحمد السلفي قال الرجل فما رأيت أكثر باكيا ولا باكية من يومئذ

372 143 جنادة الهروي أبو أسامة جنادة بن محمد اللغوي الأزدي الهروي كان مكثرا من حفظ اللغة ونقلها عارفا بوحشيها ومستعملها لم يكن في زمنه مثله في فنه وكان بينه وبين الحافظ عبد الغني بن سعيد المصري

وأبي الحسن علي بن سليمان المقرئ النحوي الأنطاكي مؤانسة واتحاد كثير وكانوا يجتمعون في دار العلم وتجري بينهم مذاكرات ومفاوضات في الآداب ولم يزل ذلك دأبهم حتى قتل الحاكم صاحب مصر أبا أسامة جنادة وأبا الحسن المقرئ الأنطاكي المذكورين في يوم واحد وهو في ذي القعدة سنة تسع وتسعين وثلثمائة رحمهما الله تعالى واستتر بسبب قتلهما الحافظ عبدالغني المذكور خوفا على نفسه من مثل ذلك حكى ذلك الأمير المختار المعروف بالمسبحي في تاريخه والهروي بفتح الها والراء وبعدها واو وياء هذه النسبة إلى هراة وهي من أعظم مدن خراسان وجنادة بضم الجيم وفتح النون وبعد الألف دال مهملة مفتوحة ثم هاء ساكنة

373 144 الجنيد الصوفي أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد الخزاز القواريري الزاهد المشهور أصله من نهاوند ومولده ومنشؤه العراق وكان شيخ وقته وفريد عصره وكلامه في الحقيقة مشهور مدون وتفقه على أبي ثور صاحب الإمام الشافعي رضي الله عنهما وقيل بل كان فقيها علي مذهب سفيان الثوري رضي الله عنه وصحب خاله السري السقطي والحارث المحاسبي وغيرهما من جلة المشايخ رضي الله عنهم وصحبه أبو العباس ابن سريج الفقيه الشافعي وكان إذا تكلم في الأصول والفروع بكلام أعجب الحاضرين فيقول لهم أتدرون من أين لي هذا هذا من بركة مجالستي أبا القاسم الجنيد وسئل الجنيد عن

العارف فقال من نطق عن سرك وأنت ساكت وكان يقول مذهبنا هذا مقيد بالأصول والكتاب والسنة وحضر الجنيد موضعا فيه قوم يتواجدون على سماع يسمعونه وهو مطرق فقيل له يا أبا القاسم مانراك تتحرك فقال (^ وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله) ورئي يوما وفي يده سبحة فقيل له أنت مع شرفك تأخذ في يدك سبحة فقال طريق وصلت به إلى ربي لا أفارقه وقال الجنيد قال لي خالي سري السقطي تكلم على الناس وكان في قلبي حشمة من الكلام على الناس فإني كنت أتهم نفسي في استحقاقي ذلك فرأيت ليلة في المنام رسول الله وكانت ليلة جمعة فقال لي تكلم على الناس فانتبهت وأتيت باب السري قبل أن أصبح فدققت

374 الباب فقال لي لم تصدقنا حتى قيل لك فقعدت في غد للناس بالجامع وانتشر في الناس أن الجنيد قعد يتكلم على الناس فوقف علي غلام نصراني متنكرا وقال أيها الشيخ ما معنى قول رسول الله اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله فأطرقت ثم رفعت رأسي وقلت أسلم فقد حان وقت إسلامك فأسلم الغلام وقال الشيخ الجنيد ما انتفعت بشيء انتفاعي بأبيات سمعتها قيل له وما هي قال مررت بدرب القراطيس فسمعت جارية تغني من دار فأنصت لها فسمعتها تقول (إذا قلت أهدى الهجر لي حلل البلى * تقولين لولا الهجر لم يطب الحب) (وإن قلت هذا القلب أحرقه الهوى * تقولين بنيران الهوى شرف

القلب) (وإن قلت ما أذنبت قلت مجببة * حياتك ذنب لا يقاس به ذنب) فصعقت وصحت فبينما أنا كذلك إذا بصاحب الدار قد خرج فقال ما هذا يا سيدي فقلت له مما سمعت فقال أشهدك أنها هبة مني لك فقلت قد قبلتها و هي حرة لوجه الله تعالى ثم زوجتها لبعض أصحابنا بالرباط فولدت له ولدا نبيلا ونشأ أحسن نشوء وحج على قدميه ثلاثين حجة على الوحدة وآثاره كثيرة مشهورة وتوفي يوم السبت وكان نيروز الخليفة سنة سبع وتسعين ومائتين وقيل سنة ثمان وتسعين آخر ساعة من نهار الجمعة ببغداد ودفن يوم السبت بالشونيزية عند خاله سري السقطي رضي الله عنهما وكان عند موته رحمه الله تعالى قد ختم القرآن الكريم ثم ابتدأ في البقرة فقرأ سبعين اية ثم مات قال محمد بن إبراهيم رأيت الجنيد في المنام فقلت له ما فعل الله بك قال طاحت تلك الإشارات وغابت تلك العبارات وفنيت تلك العلوم ونفدت تلك الرسوم وما نفعنا إلا ركعات كنا نركعها في الأسحار وإنما قيل له الخزاز لأنه كان يعمل الخز وإنما قيل له القواريري لأن أباه كان قواريريا

375 والخزاز بفتح الخاء المعجمة وتشديد الزاي وبعد الألف زاي ثانية والقواريري بفتح القاف والواو وبعد الألف راء مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها ساكنة وبعدها راء ثانية ونهاوند بفتح النون وقال السمعاني بضم النون وفتح الهاء وبعد الألف واو مفتوحة ثم نون ساكنة

وبعدها دال مهملة وهي مدينة من بلاد الجبل قيل إن نوحا عليه السلام بناها وكان اسمها نوح أوند ومعنى أوند بنى فعربوها فقالوا نهاوند والشوينزية بضم الشين المعجمة وسكون الواو وكسر النون وسكون الياء المثناة من تحتها وفي آخرها زاي وهي مقربة مشهورة ببغداد بها قبور جماعة من المشايخ رضي الله عنهم بالجانب الغربي 145

جوهر الصقلي القائد أبو الحسن جوهر بن عبد الله المعروف بالكاتب الرومي كان من موالي المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي صاحب إفريقية وجهزه إلى الديار المصرية ليأخذها بعد موت الأستاذ كافور الإخشيدي وسير معه العساكر وهو المقدم وكان رحيله من إفريقية يوم السبت رابع عشر شهر ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وتسلم مصر يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شعبان من السنة المذكورة وصعد المنبر خطيباً بها يوم الجمعة لعشر بقين من شعبان ودعا لمولاه المعز فأقيمت الدعوة للمعز في الجامع

376 العتيق وسار جوهر إلى جامع ابن طولون وأمر بأن يؤذن فيه بحي على خير العمل وهو أول ما أذن ثم أذن بعده بالجامع العتيق وجهر في الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم ولما استقر جوهر بمصر شرع في بناء القاهرة وسير عكسراً إلى دمشق وغزاها فملكها ووصلت البشارة إلى مولاه المعز بأخذ البلاد وهو بإفريقية في نصف شهر رمضان المعظم من السنة المذكورة ويدعوه

إلى المسير إليه ففرح فرحاً شديداً ومدحه الشعراء فمن ذلك محمد بن هانىء الأندلسي من قصيدة (يقول بنو العباس قد فتحت مصر * فقل لبني العباس قد قضي الأمر) (وقد جاوز الإسكندرية جوهر * تطالعه البشرى ويقدمه النصر) وأقام بها حتى وصل إليه مولاه المعز وهو نافذ الأمر واستمر على علو منزلته وارتفاع درجته متولياً للأمور إلى يوم الجمعة سابع عشر المحر سنة أربع وستين فعزله المعز عن دواوين مصر وجباية أموالها والنظر في أحوالها وكان محسنا إلى الناس إلى أن توفي يوم الخميس لعشر بقين من ذي القعدة سنة إحدى وثمانين وثلثمائة رحمه الله تعالى وكانت وفاته بمصر ولم يبق بها شاعر إلا رثاه وذكر مآثره وكان سبب إنفاذ مولاه المعز له إلى مصر أن كافورا الإخشيدي الخادم الآتي ذكره في حرف الكاف لما توفي استقر الرأي بين أهل الدولة أن تكون الولاية لأحمد بن علي بن الإخشيد وكان صغير السن على أن يخلفه ابن عم أبيه أبو محمد الحسين بن عبد الله بن طغج وعلى أن تدبير الرجال والجيش إلى شمول الإخشيدي وتدبير الأموال إلى أبي الفضل جعفر بن الفرات الوزير وذلك يوم الثلاثاء لعشر بقين من جمادي الأولى سنة سبع وخمسين وثلثمائة ودعي لأحمد بن علي بن الإخشيد على المنابر بمصر وأعمالها والشامات والحرمين وبعده للحسين بن عبد الله ثم إن الجند اضطربوا لقلة الأموال وعدم الإنفاق فيهم كما ذكرناه في ترجمة

جعفر بن الفرات المقدم ذكره فكتب جماعة من وجوههم إلى المعز بإفريقية يطلبون منه إنفاذ العساكر ليسلموا له مصر فأمر القائد
377 جوهراً المذكور بالتجهز إلى الديار المصرية واتفق أن جوهرا مرض مرضاً شديداً أيس منه فيه وعاده مولاه المعز فقال هذا لا يموت وستفتح مصر على يديه واتفق إبلاله من المرض وقد جهز له كل ما يحتاج إليه من المال والسلاح والرجال فبرز بالعساكر في موضع يقال له الرقادة ومعه أكثر من مائة ألف فارس ومعه أكثر من ألف ومائتي صندوق من المال وكان المعز يخرج إليه كل يوم ويخلو به ويوصيه ثم تقدم إليه بالمسير وخرج لوداعه فوقف جوهر بين يديه والمعز متكئاً على فرسه يحدثه سراً زمانا ثم قال لأولاده انزلوا لوداعه فنزلوا عن خيولهم ونزل أهل الدولة لنزولهم ثم قبل جوهر يد المعز وحافر فرسه فقال له اركب فركب وسار بالعساكر ولما رجع المعز إلى قصره أنفذ لجوهر ملبوسه وكل ما كان عليه سوى خاتمه وسراويله وكتب المعز إلى عبده أفلح صاحب برقة أن يترجل للقائد جوهر ويقبل يده عند لقائه فبذل أفلح مائة ألف دينار على أن يعفى من ذلك فلم يعف وفعل ما أمر به عند لقائه لجوهر ووصل الخبر إلى مصر بوصولهم فاضطرب أهلها واتفقوا مع الوزير جعفر بن الفرات على المراسلة في الصلح وطلب الأمان وتقرير أملاك أهل البلد عليهم وسألوا أبا جعفر مسلم بن عبد الله

الحسيني أن يكونوا سفيرهم فأجابهم وشرط أن يكون معه جماعة من أهل البلد وكتب الوزير معهم أيضاً بما يريد وتوجهوا نحو القائد جوهر يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وكان جوهر قد نزل في تزوجه وهي قرية بالقرب من الاسكندرية فوصل إليه الشريف بمن معه وأدى إليه الرسالة فأجابه إلى ما التمسوه وكتب له جوهر عهداً بما طلبوه واضطرب البلد اضطراباً شديداً وأخذت الإخشيدية والكافورية وجماعة من العسكر الأهبة للقتال وستروا ما في دورهم وأخرجوا مضاربهم ورجعوا عن الصلح وبلغ ذلك جوهرا فرحل إليهم وكان الشريف قد وصل بالعهد والأمان في سابع شعبان فركب إليه الوزير والناس واجتمع عنده الجند فقرأ عليهم العهد وأوصل إلى كل واحد جواب بما أراد من الإقطاع

378 والمال والولاية وأوصل إلى الوزير جواب كتابه وقد خوطب فيه بالوزير فجرى فصل طويل في المشاجرة والامتناع وتفرقوا عن غير رضى وقدموا عليهم نحريراً الشوبزاني وسلموا عليه بالإمارة وتهيأوا للقتال وساروا بالعساكر نحو الجيزة ونزلوا بها وحفظوا الجسور ووصل القائد جوهر إلى الجيزة وابتدىء بالقتال في الحادي عشر من شعبان وأسرت رجال وأخذت خيل ومضى جوهر إلى منية الصيادين وأخذ المخاضة بمنية شلقان واستأمن إلى جوهر جماعة من العسكر في

المراكب وجعل أهل مصر على المخاضة من يحفظها فلما رأى ذلك جوهر قال لجعفر بن فلاح لهذا اليوم أرادك المعز فعبر عريانا في سراويل وهو في مركب ومعه الرجال خوضا حتى خرجوا إليهم ووقع القتال فقتل خلق كثير من الإخشيدية وأتباعهم وانهزمت الجماعة في الليل ودخلوا مصر وأخذوا من دورهم ما قدروا عليه وانهزموا وخرج حرمهم مشاة ودخلن على الشريف أبي جعفر في مكاتبة القائد باعادة الأمان فكتب إليه يهنئه بالفتح ويسأله إعادة الأمان وجلس الناس عنده ينتظرون الجواب فعاد إليه بأمانهم وحضر رسوله ومعه بند أبيض وطاف على الناس يؤمنهم ويمنع من النهب فهدأ البلد وفتحت الأسواق وسكن الناس كأن لم تكن فتنة فلما كان آخر النهار ورد رسوله إلى أبي جعفر بأن تعمل على لقائي يوم الثلاثاء لسبع عشرة ليلة تخلو من شعبان بجماعة الأشراف والعلماء ووجوه البلد فانصرفوا متأهبين لذلك ثم خرجوا ومعهم الوزير جعفر وجماعة الأعيان إلى الجيزة والتقوا بالقائد ونادى مناد ينزل الناس كلهم إلا الشريف والوزير فنزلوا وسلموا عليه واحداً واحداً والوزير عن شماله والشريف عن يمينه ولما

379 فرغوا من السلام ابتدأوا في دخول البلد فدخلوا من زوال الشمس وعليهم السلاح والعدد ودخل جوهر بعد العصر وطبوله وبنوده بين يديه وعليه ثوب ديباج مثقل وتحته فرس أصفر وشق مصر ونزل في مناخه موضع

القاهرة اليوم واختط موضع القاهرة ولما أصبح المصريون حضروا إلى القائد للهناء فوجدوه قد حفر أساس القصر في الليل وكان فيه زورات جاءت غير معتدلة فلم تعجبه ثم قال حفرت في ساعة سعيدة فلا أغيرها وأقام عسكره يدخل إلى البلد سبعة أيام أولها الثلاثاء المذكور وبادر جوهر بالكتاب إلى مولاه المعز يبشره بالفتح وأنفذ إليه رؤوس القتلى في الوقعة وقطع خطبة بني العباس عن منابر الديار المصرية وكذلك أسمهم من على السكة وعوض عن ذلك باسم مولاه المعز وأزال الشعار الأسود وألبس الخطباء الثياب البيض وجعل يجلس بنفسه في كل يوم سبت للمظالم بحضرة الوزير والقاضي وجماعة من أكابر الفقهاء وفي يوم الجمعة الثامن من ذي القعدة أمر جوهر بالزيادة عقيب الخطبة اللهم صلى على محمد المصطفى وعلى علي المرتضى وعلى فاطمة البتول وعلى الحسن والحسين سبطي الرسول الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً اللهم صل على الأئمة الطاهرين آباء أمير المؤمنين وفي يوم الجمعة ثامن عشر ربيع الآخر سنة تسع وخمسين صلى القائد في جامع ابن طولون بعسكر كثير وخطب عبد السميع بن عمر العباسي الخطيب وذكر أهل البيت وفضائلهم رضي الله عنهم ودعا للقائد وجهر القراءة ببسم الله الرحمن الرحيم وقرأ سورة الجمعة والمنافقين في الصلاة وأذن بحي على خير العمل وهو أول من أذن به

بمصر ثم أذن به في سائر المساجد وقنت الخطيب في صلاة الجمعة وفي جمادي الأولى من السنة أذنوا في جامع مصر العتيق بحي على خير العمل

380 وسر القائد جوهر بذلك وكتب إلى المعز وبشره بذلك ولما دعا الخطيب على المنبر للقائد جوهر أنكر عليه وقال ليس هذا رسم موالينا وشرع في عمارة الجامع بالقاهرة وفرغ من بنائه في السابع من شهر رمضان سنة إحدى وستين وجمع فيه الجمعة قلت وأظن هذا الجامع هو المعروف بالأزهر بالقرب من باب البرقية بينه وبين باب النصر فإن الجامع الآخر بالقاهرة المجاور لباب النصر مشهور بالحاكم الآتي ذكره وأقام جوهر مستقلاً بتدبير مملكة مصر قبل وصول مولاه المعز إليها أربع سنين وعشرين يوماً ولما وصل المعز إلى القاهرة كما هو في ترجمته خرج جوهر من القصر إلى لقائه ولم يخرج معه شيئاً من آلته سوى ما كان عليه من الثياب ثم لم يعد إليه ونزل في داره بالقاهرة وسيأتي أيضا طرف من خبره في ترجمة مولاه المعز إن شاء الله تعالى وكان ولد ولده الحسين قائد القواد للحاكم صاحب مصر وكان قد خالف على نفسه من الحاكم فهرب هو وولده وصهره القاضي عبد العزيز بن النعمان وكان زوج أخته فأرسل الحاكم من ردهم وطيب قلوبهم وآنسهم مدة مديدة ثم حضروا إلى القصر بالقاهرة للخدمة فتقدم الحاكم إلى راشد الحقيقي وكان سيف النقمة فاستصحب عشرة من

الغلمان الأتراك وقتلوا الحسين وولده وصهره القاضي وأحضروا رأسيهما إلى بين يدي الحاكم وكان قتلهم في سنة إحدى وأربعمائة رحمهم الله تعالى وقد تقدم خبر الحسين في ترجمة برجوان

381 146 جهاركس الصلاحي أبو المنصور

جهاركس بن عبد الله الناصري الصلاحي الملقب فخر الدين كان من كبراء أمراء الدولة الصلاحية وكان كريماً نبيل القدر عالي الهمة بنى بالقاهرة القيسارية الكبرى المنسوبة إليه رأيت جماعة من التجار الذين طافوا البلاد يقولون لم نر في شيء من البلاد مثلها في حسنها وعظمها وإحكام بنائها وبنى بأعلاها مسجداً كبيراً وربعا معلقا وتوفي في بعض شهور سنة ثمان وستمائة بدمشق ودفن في جبل الصالحية وتربته مشهورة هناك رحمه الله تعالى وجهاركس بكسر الجيم وفتح الهاء وبعد الألف راء ثم كاف مفتوحة ثم سين مهملة ومعناه بالعربي أربعة أنفس وهو لفظ عجمي معربه أستار والأستار أربع أواقي وهو معروف به

*1*ج 2

11@ & حرف الحاء & 147 أبو تمام أبو تمام

حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس بن الأشج بن يحيى بن مروان بن مر بن سعد بن كاهل بن عمرو بن عدي بن عمرو بن الغوث بن طيىء واسمه جلهمة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن يشجب ابن

يعرب بن قحطان الشاعر المشهور وذكر أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي في كتاب الموازنة بين الطائيين ما صورته والذي عند أكثر الناس في نسب أبي تمام أن أباه كان نصرانيا من أهل جاسم قرية من قرى دمشق يقال له تدوس العطار فجعلوه أوساً وقد لفقت له نسبة إلى طيىء وليس فيمن ذكر فيها من الآباء من اسمه مسعود وهذا باطل ممن عمله ولو كان نسبه صحيحاً لما جاز أن يلحق طيئاً بعشرة آباء

12 قلت وذكر الآمدي هذا في قول أبي تمام إن كان مسعود سقى أطلالهم سبل الشؤون فلست من مسعود وقد سقط في النسب بين قيس ورفاقة ستة آباء وقول أبي تمام فلست من مسعود لا يدل على أن مسعودا من آبائه بل هذا كما يقال ما أنا من فلان ولا فلان مني يريدون به البعد منه والأنفة ومن هذا قول النبي ولد الزنا ليس منا وعلي مني وأنا منه وقد ساق الخطيب أبو بكر في تاريخ بغداد نسبه وفيه تغيير يسير وقال الصولي قال قوم إن أبا تمام هو حبيب بن تدوس النصراني فغير فصار أوسا . كان أوحد عصره في ديباجة لفظه ونصاعة شعره وحسن أسلوبه وله كتاب الحماسة التي دلت على غزارة فضله وإتقان معرفته بحسن اختياره وله مجموع آخر سماه فحول الشعراء جمع فيه بين طائفة كبيرة من شعراء الجاهلية والمخضرمين والإسلاميين وله كتاب الاختيارات من شعر الشعراء وكان له من المحفوظ ما لا يلحقه فيه

غيره قيل إنه كان يحفظ أربع عشرة ألف أرجوزة للعرب غير القصائد والمقاطيع ومدح الخلفاء وأخذ
13 جوائزهم وجاب البلاد وقصد البصرة بها عبد الصمد بن المعذل الشاعر فلما سمع بوصوله وكان في جماعة من غلمانه وأتباعه فخاف من قدومه أن يميل الناس إليه ويعرضوا عنه فكتب إليه قبل دخوله البلد (
أنت بين اثنتين تبرز للناس * وكلتاهما بوجه مذال) (
لست تنفك راجيا لوصال * من حبيب أو طالبا لنوال) (
أي ماء يبقى لوجهك هذا * بين ذل الهوى وذل السؤال)
فلما وقف على الأبيات أضرب عن مقصده ورجع وقال قد شغل هذا ما يليه فلا حاجة لنا فيه وقد ذكرت نظير هذه الأبيات في ترجمة المتنبي في حرف الهمزة ولما قال ابن المعذل هذه الأبيات في أبي تمام كتبها ودفعها إلى وراق كان هو وأبو تمام يجلسان إليه ولا يعرف أحدهما الآخر وأمر أن تدفع إلى أبي تمام فلما وافى أبو تمام وقرأها قلبها وكتب (أفي تنظم قول الزور والفند * وأنت أنقص من لا شيء في العدد) (أشرجت قلبك من غيظ على حنق * كأنها حركات الروح في الجسد) (أقدمت ويلك من هجوي على خطر * كالعير يقدم من خوف على الأسد)
وحضر عبد الصمد فلما قرأ البيت الأول قال ما أحسن علمه بالجدل أوجب زيادة ونقصانا على معدوم ولما نظر إلى البيت الثاني قال الإشراج

14 من عمل الفراشين ولا مدخل له ههنا فلما قرأ البيت الثالث عض على شفته وقال قتل وقال الصولي قد ذكر ذلك أبو الفتح محمود بن الحسين المعروف بكشاجم في كتاب المصايد والمطارد عند قوله فيه وأغفل الجاحظ في باب ذكر انقياد بعض المأكولات لبعض الآكلات ذكر الحمار الذي يرمي بنفسه على الأسد إذا شم ريحه ولما أنشد أبو تمام أبا دلف العجلي قصيدته البائية المشهورة التي أولها (على مثلها من أربع وملاعب * أذيلت مصونات الدموع السواكب) استحسنها وأعطاه خمسين ألف درهم وقال له والله إنها لدون شعرك ثم قال له والله ما مثل هذا القول في الحسن إلا ما رثيت به محمد بن حميد الطوسي فقال أبو تمام وأي ذلك أراد الأمير قال قصيدتك الرائية التي أولها (كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر * فليس لعين لم يفض ماؤها عذر) وددت والله أنها لك في فقال بل أفدي الأمير بنفسي وأهلي وأكون المقدم قبله فقال إنه لم يمت من رثي بهذا الشعر وقال العلماء خرج من قبيلة طيىء ثلاثة كل واحد مجيد في بابه حاتم الطائي في جوده وداود بن نصير الطائي في زهده وأبو تمام حبيب بن أوس في شعره وأخباره كثيرة ورأيت الناس مطبقين على أنه مدح الخليفة بقصيدته

15 السينية فلما انتهى فيها إلى قوله (إقدام عمرو في سماحة حاتم * في حلم أحنف في ذكاء إياس) قال له الوزير أتشبه أمير المؤمنين بأجلاف العرب فأطرق ساعة

ثم رفع رأسه وأنشد (لا تنكروا ضربي له من دونه * مثلا شرودا في الندى والباس) (فالله قد ضرب الأقل لنوره * مثلا من المشكاة والنبراس) فقال الوزير للخليفة أي شيء طلبه فأعطه فإنه لا يعيش أكثر من أربعين يوما لأنه قد ظهر في عنيه الدم من شدة الفكرة وصاحب هذا لا يعيش إلا هذا القدر فقال له الخليفة ما تشتهي قال أريد الموصل فأعطاه إياها فتوجه إليها وبقي هذه المدة ومات وهذه القصة لا صحة لها أصلا وقد ذكر أبو بكر الصولي في كتاب أخبار أبي تمام أنه لما أنشد هذه القصيدة لأحمد بن المعتصم وانتهى إلى قوله إقدام عمرو البيت المذكور قال له أبو يوسف يعقوب بن الصباح الكندي الفيلسوف وكان حاضرا الأمير فوق من وصفت فأطرق قليلا ثم زاد البيتين الآخرين ولما أخذت القصيدة من يده لم يجدوا فيها هذين البيتين فعجبوا من سرعته وفطنته ولما خرج قال أبو يوسف وكان فيلسوف العرب هذا الفتى يموت قريبا ثم قال بعد ذلك وقد روي هذا على خلاف ما ذكرته وليس بشيء والصحيح هو هذا وقد تتبعتها وحققت صورة ولايته للموصل فلم أجد سوى أن الحسن
16 ابن وهب ولاه بريد الموصل فأقام بها أقل من سنتين ثم مات بها والذي يدل على أن القضية ليست صحيحة أن هذه القصيدة ما هي في أحد من الخلفاء بل مدح بها أحمد بن المعتصم وقيل أحمد بن المأمون ولم يل واحد منهما الخلافة والحيص بيص ذكر في رقاعه السبع

اللاتي كتبها إلى الإمام المسترشد يطلب منه بايعقوبا أن
الموصل كانت إجازة لشاعر طائي فإما أنه بنى الأمر على
ما قاله الناس من غير تحقيق أو قصد أن يجعل هذا ذريعة
لحصول بايعقوبا له والله أعلم وتابعه في الغلط ابن دحية
في كتاب النبراس وذكر الصولي أن أبا تمام لما مدح
محمد بن عبد الملك الزيات الوزير بقصيدته التي منها
قوله (ديمة سمحة القياد سكوب * مستغيث بها الثرى
المكروب) (لو سعت بقعة لإعظام أخرى * لسعى
نحوها المكان الجديب) قال له ابن الزيات يا أبا تمام إنك
لتحلي شعرك من جواهر لفظك وبديع معانيك ما يزيد
حسنا على بهي الجواهر في أجياد الكواعب وما يدخر لك
شيء من جزيل المكافأة إلا ويقصر عن شعرك في
الموازاة وكان بحضرته فيلسوف فقال له إن هذا الفتى
يموت شابا فقيل له ومن أين حكمت عليه بذلك فقال رأيت
فيه من الحدة والذكاء والفطنة مع لطافة الحس وجودة
الخاطر ما علمت به أن النفس الروحانية تأكل جسمه كما
يأكل السيف المهند غمده وكذا كان لأنه مات وقد نيف
على ثلاثين سنة قلت وهذا يخالف ما سيأتي في تاريخ
مولده ووفاته بعد هذا إن شاء الله تعالى
17 ولم يزل شعره غير مرتب حتى جمعه أبو
بكر الصولي ورتبه على الحروف ثم جمعه علي بن حمزة
الأصبهاني ولم يرتبه على الحروف بل على الأنواع
وكانت ولادة أبي تمام سنة تسعين ومائة وقيل سنة ثمان

وثمانين ومائة وقيل سنة اثنتين وسبعين ومائة بجاسم وهي قرية من بلد الجيدور من أعمال دمشق بين دمشق وطبريا ونشأ بمصر وقيل إنه كان يسقي الناس ماء بالجرة في جامع مصر وقيل كان يخدم حائكا ويعمل عنده بدمشق وكان أبوه خمارا بها وكان أبو تمام أسمر طويلا فصيحا حلو الكلام فيه تمتمة يسيرة ثم اشتغل وتنقل إلى أن صار منه ما صار وتوفي بالموصل على ما تقدم في سنة إحدى وثلاثين ومائتين وقيل إنه توفي في ذي القعدة وقيل في جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين وقيل تسع وعشرين ومائتين وقيل في المحرم سنة اثنتين وثلاثين ومائتين رحمه الله تعالى قال البحتري وبنى عليه أو نهشل ابن حميد الطوسي قبة قلت ورأيت قبره بالموصل خارج باب الميدان على حافة الخندق والعامة تقول هذا قبر تمام الشاعر وحكى لي الشيخ عفيف الدين أبو الحسن علي بن عدلان الموصلي النحوي المترجم قال سألت شرف الدين أبا المحاسن محمد بن عنين الشاعر الآتي ذكره في هذا الكتاب في حرف الميم إن شاء الله تعالى عن معنى قوله (سقى الله دوح الغوطتين ولا ارتوت * من الموصل الحدباء إلا قبورها) لم حرمها وخص قبورها فقال لأجل أبي تمام

18 وهذا البيت من قصيدة لابن عنين المذكور يمدح بها السلطان الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك العادل بن أيوب وسيأتي ذكره في حرف العين إن

شاء الله تعالى أولها (أشاقك من عليا دمشق قصورها *
وولدان أرض النيربين وحورها) وهي من أحسن
قصائده ورثاه الحسن بن وهب بقوله (فجع القريض
بخاتم الشعراء * وغدير روضتها حبيب الطائي) (ماتا
معا فتجاورا في حفرة * وكذاك كانا قبل في الأحياء)
وقيل إن هذين البيتين لديك الحسن رثى بهما أبا تمام والله
أعلم ورثاه الحسن أيضاً بقوله من قصيدة (سقى
بالموصل القبر الغريبا * سحائب ينتحبن له نحيبا) (إذا
أظللنه أظللن فيه * شعيب المزن يتبعها شعيبا) (ولطمن
البروق به خدودا * وشققن الرعود به جيوبا) (فإن
تراب ذاك القبر يحوي * حبيبا كان يدعى لي حبيبا)
ورثاه محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم بقوله
وهو يومئذ وزير وقيل إنهما لأبي الزبرقان عبد الله بن
الزبرقان الكاتب مولى بني أمية (نبأ أتى من أعظم
الأنباء * لما ألم مقلقل الأحشاء) (قالوا حبيب قد ثوى
فأجبتهم * ناشدتكم لا تجعلوه الطائي)
19 ولأبي تمام المذكور (لو يعلم الركن من قد جاء
يلثمه * لظل يلثم منه موطىء القدم) وللبحتري أيضا في
هذا المعنى (ولو أن مشتاقا تكلف فوق ما * في وسعه
لسعى إليك المنبر) ولما سار المأمون إلى بلاد الشام يريد
غزو الروم مدحه أبو تمام بقصيدتين فلم يجد من يوصلهما
إليه وذلك قبل قدوم أبي تمام العراق ثم صار إلى العراق
في خلافة المعتصم فمن ذلك قوله في المأمون قصيدة قال

فيها (ثم انبرت أيام هجر أردفت * نحوي أسى فكأنها أعوام) (ثم انقضت تلك السنون وأهلها * فكأنها وكأنهم أحلام) فأخذها حتى بلغ فيها (اتضعضعت عبرات عينيك أن دعت * ورقاء حين تضعضع الإظلام) (لا تشجين لها فإن بكاءها * ضحك وإن بكاءك استغرام) (هن الحمام فإن كسرت عيافة * من حائهن فإنهن حمام) حكي عن يموت بن المزرع قال كان أحمد بن المدبر إذا مدحه شاعر ولم يرض شعره أو غلمانه أن يمضوا به إلى المسجد فلا يفارقوه أمر يصلي مائة ركعة فكان هذا دأبه قال فتحاماه الشعراء إلا الأفراد المجيدون فأتاه أبو عبد الله الحسين بن عبد السلام المصري المعروف بالجمل فاستأذنه في النشيد فقا له عرفت الشرط قال نعم فأنشده (أردنا في أبي حسن مديحا * كما بالمدح تنتجع الولاة) 20 (فقلنا أكرم الثقلين طرا * ومن كفيه دجلة والفرات) (فقالوا يقبل المدحات لكن * جوايزه عليهن الصلاة) (فقلت لهم وما يغني عيالي * صلاتي إنما الشأن الزكاة) (فيأمرني بكسر الصاد منه * فتصبح لي الصلاة هي الصلات) فضحك ابن المدبر وقال من أين أخذت هذا ومن أين وقع لك فقال أخذته من قول أبي تمام (هن الحمام فإن كسرت عيافة *) قال فأعجبه صدقه ووصله ومن قصيدته الأخرى التي مدح بها المأمون التي أولها (كشف الغطاء فأوقدي أو أخمدي *) ويقول فيها (أولي أمة أحمد ما أحمد * بمضيع ما أوليت أمة أحمد)

(أما الهدى فقد اقتدحت بزنده * للعالمين فويل من لا يهتدي) حدث الصولي عن محمد بن يحيى قال حدثني يحيى بن علي قال كان محمد ابن القاسم بن مهرويه يقدم دعبلا على أبي تمام فقلت له بأي شيء قدمته فلم يأت بمقنع فجعلت أنشده محاسنهما فإذا محاسن أبي تمام أكثر وأطرز وإذا عيوب دعبل أعظم وأفحش فأقام على رأيه وتعصبه لدعبل فقلت (يا أبا جعفر أتحكم في الشعر * وما فيك آلة الحكام) (إن نقد الدينار إلا على الصيرف * صعب فكيف نقد الكلام) (قد رأيناك ليس تفرق في الأشعار * بين الأرواح والأجسام) (إنما يعرف العتيق من المحدث * قين في وقت عرض الحسام) (لا تقس دعبلا إذن بحبيب * ليس خف البعير مثل السنام)

21 قال عبد الله بن المعتز جاءني محمد بن يزيد النحوي فجرى ذكر أبي تمام فلم يوفه حقه فقال له رجل من الكتاب كان في المجلس ما رأيت أحدا أحفظ لشعر أبي تمام منه يا أبا العباس ضع يدك على من شئت من الشعراء ثم انظر أيحسن أن يقول مثل ما قاله أبو تمام لأبي المغيث موسى بن إبراهيم الرافقي يعتذر إليه (لعمري لقد أقوت مغانيكم بعدي * ومحت كما محت وشائع من برد) (وأنجدتم من بعد إتهام داركم * فيا دمع أنجدني على ساكني نجد) ثم مر فيها حتى إلى قوله في الاعتذار (أتاني مع الركبان ظن ظننته * لففت له رأسي حياء من المجد) (كريم متى أمدحه والورى * معي

ومتى ما لمته لمته وحدي) حدث الصولي قال كان أبو تمام إذا كلمه إنسان أجابه قبل انقضاء كلامه كأنه قد علم ما يقول فأعد جوابه فقال له رجل يا أبا تمام لم لا تقول من الشعر ما يعرف فقال وأنت لم لا تعرف من الشعر ما يقال فأفحمه وكان الذي قال له هذا أبو سعيد الضرير بخراسان وكان هذا من علماء الناس وكان متصلا بالطاهرية قال علي بن محمد بن عبد الكريم لما صار إلينا أبو تمام مقدمه من مصر عمل قصيدته التي أولها (أرامة كنت مألف كل ريم *) فاتصل خبرها بعتبة بن عصيم الذي يهجوه أبو تمام وهو كلبي من قضاعة وكان أديبا شاعرا فأحب أن يسمع هذه القصيدة من أبي تمام فقال لمن حضر ايتوني به فجاءوا به فأنشده إياها فلما فرغ قال أحسنت يا غلام على صغر سنك فسكت أبو تمام وقال يا عم أنشدني من شعرك فأنشده قصيدة فلما فرغ قال يا عم ما أحسنت على كبر سنك فقال عتبة لبني عبد الكريم أخرجوا هذا من بلدنا فليس يصلح أن يقيم في بلدنا

22 قال الصولي ومن باب الجود قول أبي تمام (بيمن أبي إسحاق طالت يد الهدى * وقامت قناة الدين واشتد كاهله) (هو البحر من أي النواحي أتيته * فلجته المعروف والجود ساحله) (تعود بسط الكف حتى لو أنه * دعاها لقبض لم تجبه أنامله) وللبحتري في هذا المعنى (لا يتعب النائل المبذول همته * وكيف يتعب عين الناظر النظر) وهذان البيتان لا غاية وراءهما قال ابن أبي دواد

لأبي تمام إن لك أبياتا أنشدتها فلو قلتها زاهدا أو معتبرا أو حاثا على طاعة الله تعالى لكنت قد أحسنت وبالغت فأنشدنيها قال ما هي قال التي قافيتها فأدخلها فأنشده (ما لي أرى الحجرة الفيحاء مقفلة * عني وقد طال ما استفتحت مقفلها) (كأنها جنة الفردوس معرضة * وليس لي عمل زاك فأدخلها) حدث الصولي قال دخل أبو تمام على أحمد بن أبي داود فقال له ما أحسن هذا فمن أين أخذته قال من قول الحاذق في الفضل بن الربيع (وليس لله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد) وحدث الصولي عن الحسن بن وهب قال لما أدخل المازيار على المعتصم وكان عليه شديد الغيظ قيل له لا تعجل عليه فإن عنده أموالا جمة فأنشد بيت أبي تمام (إن الأسود أسود الغاب همتها * يوم الكريهة في المسلوب لا السلب) ثم قتله وكذلك جمال الدين بن رشيق أفتى ببيت المتنبي في النصراني الذي سب
23 رسول الله أول ما ولي الملك الصالح مصر وهو (لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى * حتى يراق على جوانبه الدم) فعمل بمقتضاه وحدث علي بن يحيى بن علي بن مهدي قال كان المنجمون حكموا لما خرج المعتصم إلى الروم بأنه لا يرجع من وجهه فلما فتح ما فتح وخرب عمورية في شهر رمضان سنة 223 وانصرف سالما قال أبو تمام (السيف أصدق أنباء من الكتب * في حده الحد بين الجد واللعب) (بيض الصفائح

لا سود الصحائف في * متونهن جلاء الشك والريب) (
والعلم في شهب الأرماح لامعة * بين الخميسين لا في
السبعة الشهب) وقيل إنه كرر إنشاد هذه القصيدة ثلاثة
أيام فقال له المعتصم لم تجلو علينا عجوزك قال حتى
أستوفي مهرها يا أمير المؤمنين فأمر له بمائة وسبعين
ألف درهم عن كل بيت منها ألف قال الحسن بن وهب
دخل أبو تمام على محمد بن عبد الملك الزيات فأنشده
قصيدته التي أولها (لهان علينا أن نقول وتفعلا *) فلما
بلغ إلي قوله (والله لا آتيك إلا فريضة * وآتي جميع
العالمين تنفلا) (وليس امرءا في الناس كنت سلاحه *
عشية يلقى الحادثات بأعزلا) فقال أما والله ما أحب
بمدحك مدح غيرك لتجويدك وإبداعك ولكن تنقص مدحك
ببذلك له لغير مستحقه فقال لسان العذر معقول وإن كان
فصيحا ومر في القصيدة فأمر له بخمسة آلاف درهم
وكتب إليه بعد ذلك (رأيتك سهل البيع سمحا وإنما *
يغالي إذا ما ظن بالشيء بايعه)
24 (فأما الذي هانت بضائع بيعه * فيوشك أن
تبقى عليه بضايعه) فأجابه أبو تمام (أبا جعفر إن كنت
أصبحت تاجرا * أساهل في بيعي له من أبايعه) (فقد
كنت قبلي شاعرا تاجرا به * تساهل من عادت عليك
منافعه) قال الصولي لما كلم خالد بن يزيد ابن أبي دواد
في أمر أبي تمام قال أبو تمام يشكره (لأشكرنك إن لم
أوت من أجلي * شكرا يوافيك عني آخر الأبد) (وإن

توردت من بحر البحور ندى * فلم أنل منه إلا غرفة بيدي
) قال محمد بن يزيد النحوي خرج أبو تمام إلى خالد بن يزيد وهو بأرمينية فامتدحه فأمر له بعشرة آلاف درهم ونفقة لسفره وأمره أن لا يقيم إن كان عازما على الخروج فودعه ومضت عليه أيام فركب يزيد ليتصيد فرآه تحت شجرة وقدامه زكرة فيها نبيذ وغلام بيده طنبور فقال حبيب قال خادمك وعبدك فقال له ما فعل المال فقال (
علمني جودك السماح فما * أبقيت شيئا لدي من صلتك)
(ما مر شهر حتى سمحت به * كأن لي قدرة كمقدرتك)
(تنفق في اليوم بالهبات وفي * الساعة ما تجتبيه في سنتك) (فلست أدري من أين تنفق لولا * أن ربي يمد في هبتك) فأمر له بعشرة آلاف درهم أخرى فأخذها وانصرف ولأبي تمام وقد اعتل الياس صاحب عبد الله بن طاهر (فإن يكن وصب قاسيت سورته * فالورد حلف لليث الغابة الأضم)
25 (إن الرياح إذا ما أعصفت قصفت * عيدان نجد ولم يعبأن بالرتم) (بنات نعش ونعش لا كسوف لها * والشمس والبدر منها الدهر في الرقم) (فليهنك الأجر والنعمى التي سبغت * حتى جلت صدا الصمصامة الخذم) (قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت * ويبتلي الله بعض القوم بالنعم) قال محمد بن هبيرة النحوي حجب أبو تمام عن إسحاق بن إبراهيم المصعبي فقال : (يا أيها الملك المرجو نائله * وجوده لمراعي جوده كثب) (ليس

الحجاب بمقص عنك آمله * إن السماء ترجى حين
تحتجب) وقيل لأبي تمام قد هجاك مخلد الموصلي فلو
هجوته قال الهجاء يرفع منه إذ ليس هو شاعرا لم يكن من
الموصل يعني ان الموصل لا يخرج منها شاعر وكان
مخلد قد هجاه بقوله (يا نبي الله في الشعر * ويا عيسى
بن مريم) (أنت من أشعر خلق الله * ما لم تتكلم) وكان
لأبي تمام حبسة إذا تكلم قرأت في كتاب المستنير أن أبا
تمام والخثعمي اجتمعا في مجلس أنس فقام أبو تمام إلى
الخلاء فقال له الخثعمي ندخلك قال نعم وأخرجك فتعجب
الحاضرون من هذا الابتداء البديع والجواب العجيب
وكان لأبي تمام صديق قليل البضاعة في الشرب يسكر
من قدحين فكتب إليه يوما يدعوه إن رأيت أن تنام عندنا
فافعل ودخل على جعفر بن سليمان يعزيه بأخيه محمد بن
سليمان وقد كان جزع عليه جزعا عظيما فقال جعفر حين
رآه إن يكن عند أحد فرج فعند حبيب
26 فلما سلم قال أيها الأمير التمس ثواب الله بحسن
الجزاء والتسليم لأمر الله واذكر مصيبتك في نفسك تنسك
مصيبتك في غيرك والسلام ومحاسن حبيب كثيرة
وجاسم بفتح الجيم وبعد الألف سين مهملة مكسورة ثم ميم
وأما النسب فهو مشهور فلا حاجة إلى ضبطه والجيدور
بفتح الجيم وسكون الياء المثناة من تحتها وضم الدال
المهملة وسكون الواو وبعدها راء وهو إقليم من عمل
دمشق يجاور الجولان والطائي منسوب إلى طيىء القبيلة

المشهورة وهذه النسبة على خلاف القياس فإن قياسها
طيئي لكن باب النسب يحتمل التغيير كما قالوا في النسبة
إلى الدهر دهري وإلى سهل سهلي بضم أولهما وكذلك
غيرهما 148 حاتم الأصم حاتم بن عنوان الأصم من
أهل بلخ كان أوحد من عرف بالزهد والتقلل واشتهر
بالورع والتقشف وله كلام يدون في الزهد والحكم واسند
الحديث عن شقيق البلخي وشداد بن حكيم البلخي أيضا
وروى عنه حمدان بن ذي النون ومحمد بن فارس
البلخيان وقدم حاتم بغداد في أيام أبي عبد الله أحمد بن
حنبل واجتمع معه قيل لما دخل حاتم بغداد في أيام أبي
عبد الله أحمد بن حنبل اجتمع إليه أهل بغداد فقالوا يا أبا
عبد الرحمن أنت رجل أعجمي
27 وليس يكلمك أحد إلا قطعته لأي معنى فقال حاتم
معي ثلاث خصال بها أظهر على خصمي قالوا أي شيء
هي قال أفرح إذا أصاب خصمي وأحزن له إذا أخطأ
وأخفض نفسي لا تتجاهل عليه فبلغ ذلك أحمد بن حنبل
فقال سبحان الله ما أعقله من رجل وقال أبو جعفر
الهروي كنت مع حاتم كرة وقد أراد الحج فلما وصل إلى
بغداد قال يا أبا جعفر أحب أن ألقى أحمد بن حنبل فسألنا
عن منزله ومضينا إليه فطرقت عليه الباب فلما خرج قلت
يا أبا عبد الله أخوك حاتم قال فسلم عليه ورحب به وقال
بعد بشاشته به أخبرني يا حاتم فيم أتخلص من الناس قال
يا أبا عبد الله في ثلاث خصال قال وما هي قال أن تعطيهم

مالك ولا تأخذ من مالهم شيئا قال وتقضي حقوقهم ولا تستقضي منهم حقا قال وتحمل مكروههم ولا تكره واحدا منهم على شيء قال فأطرق أحمد ينكت بإصبعه الأرض ثم رفع رأسه وقال يا حاتم إنها لشديدة فقال له حاتم وليتك تسلم وليتك تسلم وليتك تسلم وقال رجل لحاتم على أي شيء بنيت أمرك قال على أربع خصال على أن لا أخرج من الدنيا حتى أستكمل رزقي وعلى أن رزقي لا يأكله غيري وعلى أن أجلي لا أدري متى هو وعلى أن لا أغيب عن الله طرفة عين وقال لو أن صاحب خبر جلس إليك ليكتب كلامك لاحترزت منه وكلامك يعرض على الله فلا تحترز منه وقال رجل لحاتم الأصم بلغني أنك تجوز المفاوز من غير زاد فقال حاتم بل أجوزها بالزاد وإنما زادي فيها أربعة أشياء قال وما هي قال أرى الدنيا كلها ملكا لله وأرى الخلق كلهم عباد الله وعياله والأسباب والأرزاق بيد الله وأرى قضاء الله نافذا في كل أرض لله فقال له الرجل نعم الزاد زادك يا حاتم أنت تجوز به مغاوز الآخرة وقال حاتم جعلت على نفسي إن قدمت مكة أن أطوف حتى انقطع وأصلي حتى أنقطع وأتصدق بجميع ما معي فلما قدمت مكة صليت حتى انقطعت وطفت كذلك فقويت على هاتين الخصلتين ولم أقو على الأخرى

28 قال كنت أخرج من ها هنا ويجيء من ها هنا

وقال حاتم وقع الثلج ببلخ فمكثت في بيتي ثلاثة ومعي أصحابي فقلت يخبرني كل رجل منكم بهمته قال

فأخبروني فإذا ليس فيهم أحد لا يريد إلا أن يتوب من تلك الهمة قال فقالوا لي همتك أنت يا أبا عبد الرحمن قال قلت ما همتي إلا شفقة على إنسان يريد أن يحمل رزقي في هذا الطين قال وإذا رجل قد جاء ومعه جراب خبز وقد زلق فابتلت ثيابه بطين وقال يا أبا عبد الرحمن خذ هذا الخبز قال حاتم خرجت في سفر ومعي زاد فنفد زادي في وسط البرية فكان قلبي في السفر والحضر واحدا قيل لحاتم من أين تأكل فقال (^ ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون) وقال لي أربع نسوة وتسعة من الأولاد فما طمع الشيطان أن يوسوس إلي في شيء من أرزاقهم وقال حاتم لقينا الترك فكان بيننا جولة فرماني تركي بوهق فأقلبني عن فرسي ونزل عن دابته وقعد على صدري وأخذ بلحيتي هذه الوافرة وأخرج من خفه سكينا ليذبحني بها فوحق سيدي ما كان قلبي عنده ولا عند سكينه إنما كان قلبي عند سيدي فأنظر ماذا ينزل به القضاء فقلت يا سيدي قضيت علي أن يذبحني هذا فعلى الرأس والعين أنا لك وملكك فبينما أنا أخاطب سيدي وهو قاعد على صدري آخذ بلحيتي إذ رماه المسلمون بسهم فما أخطأ حلقه فسقط عني فقمت أنا إليه وأخذت السكين من يده وذبحته فما هو إلا أن تكون قلوبكم عند السيد حتى تروا من عجائب لطفه ما لم تروا من الاباء والأمهات وقال أبو بكر الوراق حاتم الأصم لقمان هذه الأمة قيل جاءت امرأة فسألت حاتماً عن مسألة فاتفق أن خرج منها في تلك الحالة

صوت فخجلت فقال لها حاتم ارفعي صوتك وأرى من
نفسه أنه أصم فسرت المرأة بذلك وقالت لم يسمع الصوت
فغلب عليه اسم الصمم وجاء إليه رجل فقال يا أبا عبد
الرحمن أي شيء رأس الزهد ووسط
29 الزهد وآخر الزهد فقال حاتم رأس الزهد الثقة
بالله ووسطه الصبر وآخره الخلاص رحمه الله تعالى 149
الحجاج بن يوسف أبو محمد الحجاج بن يوسف بن
الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب ابن
مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قسي وهو
ثقيف ذكره ابن الكلبي في جمهرة النسب وقال فولد منبه
بن النبيت قسيا وهو ثقيف فيما يقال والله أعلم فمن ينسب
ثقيفا إلى إياد فهذا هو نسبهم ومن نسبهم إلى قيس فيقول
قسي بن منبه بن بكر بن هوازن ويقولون كانت أم قسي
أميمة بنت سعد بن هذيل عند منبه بن النبيت فتزوجها منبه
بن بكر فجاءت بقسي معها من الإيادي والله أعلم الثقفي
عامل عبد الملك بن مروان على العراق وخراسان فلما
توفي عبد الملك وتولى الوليد أبقاه على ما بيده وقال
المسعودي في كتاب مروج الذهب إن أم الحجاج الفارعة
بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي كانت تحت الحارث
بن كلدة الثقفي الطائفي حكيم العرب فدخل عليها مرة
سحرا فوجدها تتخلل فبعث إليها بطلاقها فقالت لم بعثت
إلي بطلاقي هل لشيء رابك مني قال نعم

30 دخلت عليك في السحر وأنت تتخللين فإن كنت بادرت الغداء فأنت شرهة وإن كنت بت والطعام بين أسنانك فأنت قذرة فقالت كل ذلك لم يكن لكني تخللت من شظايا السواك فتزوجها بعده يوسف بن أبي عقيل الثقفي فولدت له الحجاج مشوها لا دبر له فنقب عن دبره وأبى أن يقبل ثدي أمه أو غيرها فأعياهم أمره فيقال إن الشيطان تصور لهم في صورة الحارث بن كلدة المقدم ذكره فقال ما خبركم قالوا بني ولد ليوسف من الفارعة وقد أبى أن يقبل ثدي أمه فقال اذبحوا جديا أسود وأولغوه دمه فإذا كان في اليوم الثاني فافعلوا به كذلك فإذا كان اليوم الثالث فاذبحوا له تيسا أسود وأولغوه دمه ثم اذبحوا له أسود سالخا فأولغوه دمه واطلوا به وجهه فإنه يقبل الثدي في اليوم الرابع قال ففعلوا به ذلك فكان لا يصبر عن سفك الدماء لما كان منه في أول أمره وكان الحجاج يخبر عن نفسه أن أكبر لذاته سفك الدماء وارتكاب أمور لا يقدم عليها غيره وذكر ابن عبد ربه في العقد أن الفارعة المذكورة كانت زوجة المغيرة ابن شعبة وأنه هو الذي طلقها لأجل الحكاية المذكورة في التخلل وذكر أيضا أن الحجاج وأباه كانا يعلمان الصبيان بالطائف ثم لحق الحجاج بروح بن زنباع الجذامي وزير عبد الملك بن مروان فكان في عديد شرطته إلى أن رأى عبد الملك انحلال عسكره وأن الناس لا يرحلون برحيله ولا ينزلون بنزوله فشكا ذلك إلى روح بن زنباع فقال له إن في

شرطتي رجلا لو قلده أمير المؤمنين أمر عسكره لأرحل الناس برحيله وأنزلهم بنزوله يقال له الحجاج ابن يوسف قال فإنا قد قلدناه ذلك فكان لا يقدر أحد أن يتخلف عن الرحيل والنزول إلا أعوان روح بن زنباع فوقف عليهم يوما وقد أرحل الناس وهم على طعام يأكلون فقال لهم ما منعكم أن ترحلوا برحيل أمير المؤمنين قالوا له انزل يا ابن اللخناء فكل معنا قال لهم هيهات

31 ذهب ما هنالك ثم أمر بهم فجلدوا بالسياط وطوفهم في العسكر وأمر بفساطيط روح فأحرقت بالنار فدخل روح على عبد الملك باكيا وقال يا أمير المؤمنين إن الحجاج الذي كان في شرطتي ضرب غلماني وأحرق فساطيطي قال علي به فلما دخل عليه قال له ما حملك على ما فعلت قال أنا ما فعلت قال ومن فعل قال أنت فعلت إنما يدي يدك وسوطي سوطك وما على أمير المومنين أن يخلف لروح عوض الفسطاط فسطاطين وعوض الغلام غلامين ولا يكسرني فيما قدمني له فأخلف لروح ما ذهب له وتقدم الحجاج في منزلته وكان ذلك أول ما عرف من كفايته وكان للحجاج في القتل وسفك الدماء والعقوبات غرائب لم يسمع بمثلها ويقال إن زياد ابن أبيه أراد أن يتشبه بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ضبط الأمور والحزم والصرامة وإقامة السياسات إلا أنه أسرف وتجاوز الحد وأراد الحجاج أن يتشبه بزياد فأهلك ودمر وخطب يوما فقال في أثناء كلامه أيها الناس إن

الصبر عن محارم الله أيسر من الصبر على عذاب الله فقام إليه رجل فقال ويحك يا حجاج ما أصفق وجهك وأقل حياءك فأمر به فحبس فلما نزل عن المنبر دعا به فقال له لقد اجترأت علي فقال له أتجترىء على الله فلا ننكره ونجترىء عليك فتنكره فخلى سبيله وذكر أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه تلقيح فهوم أهل الأثر أن الفارعة أم الحجاج هي المتمنية ولما تمنت كانت تحت المغيرة بن شعبة وقص قصتها ونذكرها مختصرة وهي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه طاف ليلة في المدينة فسمع امرأة تنشد في خدرها (هل من سبيل إلى خمر فأشربها * أم من سبيل إلي نصر بن حجاج) فقال عمر رضي الله عنه لا أرى معي في المدينة رجلا تهتف به العواتق في خدورهن علي بنصر بن حجاج فأتي به فإذا هو أحسن الناس وجها

32 وأحسنهم شعرا فقال عمر رضي الله عنه عزيمة من أمير المومنين لتأخذن من شعرك فأخذ من شعره فخرج له وجنتان كأنهما شقتا قمر فقال اعتم فاعتم ففتن الناس بعينيه فقال عمر رضي الله عنه والله لا تساكنني ببلدة أنا فيها قال يا أمير المؤمنين ما ذنبي قال هو ما أقول لك وسيره إلى البصرة هذه خلاصة القصة وبقيتها لا حاجة إلى ذكره ونصر المذكور ابن حجاج بن علاط السلمي وأبوه صحابي رضي الله عنه وقيل إن المتمنية هي جدة الحجاج أم أبيه وهي كنانية وحكى أبو أحمد

العسكري في كتاب التصحيف أن الناس غبروا يقرؤون في مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه نيفا وأربعين سنة إلى إيام عبد الملك بن مروان ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق ففزع الحجاج بن يوسف الثقفي إلى كتابه وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات فيقال إن نصر بن عاصم قام بذلك فوضع النقط أفرادا وأزواجا وخالف بين أماكنها فغبر الناس بذلك زمانا لا يكتبون إلا منقوطا فكان مع استعمال النقط أيضا يقع التصحيف فأحدثوا الإعجام فكانوا يتبعون النقط والإعجام فإذا أغفل الاستقصاء عن الكلمة فلم توف حقوقها اعترى التصحيف فالتمسوا حيلة فلم يقدروا فيها إلا على الأخذ من أفواه الرجال بالتلقين حكى القاضي أبو الفرج المعافى في كتاب الجليس والأنيس قال لما أراد الحجاج بن يوسف الخروج من البصرة إلى مكة شرفها الله تعالى خطب الناس فقال يا أهل البصرة إني أريد الخروج إلى مكة وقد استخلفت عليكم محمدا ابني وأوصيته فيكم بخلاف ما أوصى به رسول الله في الأنصار فإنه أوصى أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم ألا وإني قد أوصيته فيكم أن لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم ألا وإنكم قائلون بعدي كلمة ليس يمنعكم من إظهارها إلا الخوف لا أحسن الله له الصحابة وإني معجل لكم الجواب لا أحسن الله عليكم الخلافة

33 قال أبو العباس المبرد في إسناد ذكره آخره عبد الملك بن عمير الليثي قال بينما نحن في المسجد الجامع بالكوفة وأهل الكوفة يومئذ ذوو حال حسنة يخرج الرجل منهم في العشرة والعشرين من مواليه إذ أتانا آت فقال هذا الحجاج ابن يوسف قد قدم أميرا على العراق فإذا به قد دخل المسجد متعمما بعمامة غطى بها أكثر وجهه متقلدا سيفا متنكبا قوسا يؤم المنبر فقام الناس نحوه حتى صعد المنبر فمكث ساعة لا يتكلم فقال الناس بعضهم لبعض قبح الله بني أمية حيث تستعمل مثل هذا على العراق قال عمير بن ضابىء البرجمي ألا أحصبه لكم فقالوا أمهل حتى ننظر فلما رأى عيون الناس إليه حسر اللثام عن فيه ونهض فقال (أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفوني) ثم قال والله يا أهل الكوفة والعراق إني لأرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها وإني لصاحبها وكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى وإن أمير المؤمنين نثر كنانته فعجم عيدانها فوجدني أمرها عودا وأصلبها مكسرا فرماكم بين لأنكم طال ما أوضعتم في الفتنة واضطجعتم في مراقد الضلال والله لأحزمنكم حزم السلمة ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل فإنكم لكاهل (^ قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) والله إني ما أقول إلا وفيت ولا اهم إلا امضيت ولا أخلق إلا فريت وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم

أعطياتكم وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة وإني أقسم بالله لا أجد رجلا تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا ضربت عنقه يا غلام اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك بن مروان أمير المومنين إلى من بالكوفة من المسلمين سلام عليكم فلم يقل أحد شيئا فقال الحجاج اكفف يا غلام ثم أقبل على الناس فقال يسلم عليكم أمير المؤمنين فلم تردوا عليه شيئا هذا أدب ابن نهية أما والله لأؤدبنكم

34 غير هذا الأدب أو لتستقيمن اقرأ عليهم يا غلام كتاب أمير المؤمنين فلما بلغ إلى قوله سلام عليكم لم يبق أحد في المسجد إلا قال وعلى أمير المؤمنين السلام ثم نزل فوضع للناس أعطياتهم فجعلوا يأخذون حتى أتاه شيخ يرعش كبرا فقال أيها الأمير إني من الضعف على ما ترى ولي ابن هو أقوى على الأسفار مني أفتقبله بدلا مني فقال الحجاج نفعل أيها الشيخ فلما ولى قال له قائل اتدري من هذا أيها الأمير قال لا قال هذا عمير بن ضابىء البرجمي الذي يقول أبوه في عثمان بن عفان (هممت ولم أفعل وكدت وليتني * تركت على عثمان تبكي حلائله) ودخل هذا الشيخ على عثمان مقتولا فوطىء بطنه فكسر ضلعين من أضلاعه فقال ردوه فلما رد قال له الحجاج أيها الشيخ هلا بعثت إلى أمير المؤمنين عثمان رحمه الله تعالى بديلا يوم الدار إن في قتلك أيها الشيخ لصلاحا للمسلمين يا حرسي اضربن عنقه فجعل الرجل يضيق

عليه أمره فيرتحل ويأمر وليه أن يلحقه بزاده ففي ذلك يقول عبد الله بن الزبير الأسدي (تجهز فإما أن تزور ابن ضابىء * عميرا وإما أن تزور المهلبا) وكان من قصة عمير بن ضابىء أن أباه ضابىء بن الحارث البرجمي وجب عليه حبس عند عثمان بن عفان رضي الله عنه وأدب وذلك أنه كان استعار كلبا من قوم فأعاروه إياه ثم طلبوه منه وكان فحاشا فرمى أمهم به فقال في بعض كلامه (فأمكم لا تتركوها وكلبكم * فإن عقوق الوالدات كبير) فاضطغن على عثمان رضي الله عنه ما فعل فلما دعي ليؤدب شد سكينا في ساقه ليقتل بها عثمان رحمه الله فعثر عليه فأحسن أدبه ففي ذلك يقول هممتولم أفعل

35 ولما أسرف الحجاج في قتل أسارى دير الجماجم وإعطاء الأموال بلغ ذلك عبد الملك فكتب إليه أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين سرفك في الدماء وتبذير الأموال ولا يحتمل أمير المؤمنين هاتين لأحد من الناس وقد حكم عليك في الدماء في الخطأ بالدية وفي العمد بالقود وفي الأموال بردها إلى موضعها ثم العمل فيها برأيه وإنما أمير المؤمنين أمين الله وسيان عنده منع حق وإعطاء باطل فإن كنت أردت الناس لك فما أغناهم عنك وإن كنت أردتهم لنفسك فما أغناك عنهم وسيأتيك من أمير المؤمنين لين وشدة فلا يؤنسك إلا الطاعة ولا يوحشنك إلا المعصية وظن بأمير المؤمنين كل شيء إلا احتمالك على الخطأ وإذا أعطاك الله الظفر بقوم فلا تقتلن جانحا ولا

أسيرا وكتب في أسفل كتابه (إذا أنت لم تترك أمورا كرهتها * طلبت رضاي بالذي أنت طالبه) (وتخشى الذي يخشاه مثلك هاربا * إلي فها قد ضيع الدر حالبه) (وإن تر مني غفلة قرشية * فيا ربما قد غص بالماء شاربه) (وإن تر مني وثبة أموية * فهذا وهذا كله أنا صاحبه) (فلا تأمنني والحوادث جمة * فإنك مجزى بالذي أنت كاسبه) (ولا تعد ما يأتيك مني وإن تعد * يقوم بها يوم عليك نوادبه) (ولا ترفعن للناس حقا علمته * ولا تغضبن فاللين للناس جانبه) فأجابه الحجاج أما بعد فقد أتاني كتاب أمير المومنين يذكر فيه سرفي في الدماء وتبذيري للأموال ولعمري ما بلغت في عقوبة أهل المعصية ما هم أهله وما قضيت في أهل الطاعة ما استحقوه فإن كان قتلي اولئك العصاة سرفا وإعطائي اولئك المطيعين تبذيرا فليسوغني أمير المؤمنين ما سلف وليحد لي حدا أنتهي إليه إن شاء الله تعالى ولا قوة إلا بالله ووالله ما سلبت نعمة إلا بكفرها ولا تمت إلا بشكرها ولا أصبت القوم خطأ فأديهم ولا ظلمتهم فأقاد بهم ولا أعطيت إلا لك ولا قتلت إلا فيك وأما ما أتاني من أمريك فأبينهما عزة أعظمهما محنة

36 وقد عبأت للعزة الجلاد وللمحنة الصبر وكتب في أسفل كتابه (إذا أنا لم أبغ رضاك وأتقي * أذاك فيومي لا تزول كواكبه) (وما لامرىء بعد الخليفة جنة * تقيه من الأمر الذي هو كاسبه) (أسالم من سالمت من

ذي هوادة * ومن لم تسالمه فإني محاربه) (إذا قارف الحجاج منك خطيئة * فقامت عليه في الصباح نوادبه) (إذا أنا لم أدن الشفيق لصنعه * وأقص الذي تسري إلي عقاربه) (فقف لي على حد الرضى لا أجوزه * مدى الدهر حتى يرجع الدر حالبه) (وإلا فدعني والأمور فإنني * شفيق رقيق أهلته تجاربه) فلما قرأ عبد الملك كتابه قال خاف أبو محمد صولتي ولن أعود إلى ما يكره وذكر حماد الراوية أن الحجاج سهر ليلة بالكوفة فقال لحرسه ايتني بمحدث من المسجد فأتاه بسبرة بن الجعد فدخل وسلم بلسان ذلق وقلب شديد فقال له الحجاج ممن الرجل قال من بني شيبان قال ما اسمك قال سبرة بن الجعد قال يا سبرة قرأت القرآن قال قد جمعته في صدري فإن عملت به فقد حفظته وإن خالفته فقد ضيعته فاتخذه الحجاج سميرا فما كان يتطلب شيئا من الحديث إلا وجد عنده منه وكان يرى رأي الخوارج وكان من أصحاب قطري بن الفجاءة المزني التميمي والفجاءة أمه وكانت من بني شيبان وإنما هو رجل من تميم وكان قطري يومئذ يحارب المهلب فبلغ قطريا ما كان من سبره مع الحجاج فكتب إليه من جملة قصيدة (لشتان ما بين ابن جعد وبيننا *) فلما قرأ كتابه بكى وركب فرسه وأخذ سلاحه ولحق بقطري وطلبه الحجاج فلم يقدر عليه ولم يرع الحجاج إلا وكتاب فيه شعر قطري الذي كان كتب به

37 إليه وفي أسفل الكتاب أبيات من جملتها (فمن مبلغ الحجاج أن سميره * قلى كل دين غير دين الخوارج) فطرح الكتاب إلى عنبسة بن سعيد وقال هذا من سميري الشيباني وهو خارجي ولا نعلم به قال القاضي أبو الفرج المعافى حدث العتبي قال كانت امرأة من الخوارج يقال لها فراشة وكانت ذات نية في رأي الخوارج تجهز أصحاب البصائر ولم يظفر بها وكان الحجاج يدعو الله أن يمكنه منها أو من بعض من جهزته فراشة فمكث ما شاء الله ثم جيء برجل فقيل له هذا ممن جهزته فراشة فخر ساجدا ثم رفع رأسه فقال يا عدو الله قال أنت أولى بها يا حجاج قال أين فراشة قال مرت تطير منذ ثلاث قال أين تطير قال ما بين السماء والأرض قال أعن تلك سألتك عليك لعنة الله قال عن تلك أخبرتك عليك غضب الله قال سألتك عن المرأة التي جهزتك وأصحابك قال وما تصنع بها قال أضرب عنقها قال ويلك يا حجاج ما أجهلك أدلك وأنت عدو الله على من هو ولي الله لقد ضللت إذن وما أنا من المهتدين قال فما رأيك في أمير المؤمنين عبد الملك قال على ذلك الفاسق لعنة الله ولعنة اللاعنين قال ولم لا أم لك قال إنه أخطأ خطيئة طبقت ما بين السماء والأرض قال وما هي قال استعماله إياك على رقاب المسلمين فقال لجلسائه ما رأيكم فيه قالوا نرى أن تقتله قتلة لم يقتل مثلها أحد قال ويحك يا حجاج جلساء أخيك أحسن مجالسة من جلسائك قال وأي أخوي تريد قال فرعون حين شاور في

موسى فقالوا ارجئه وأخاه وأشار هؤلاء عليك بقتلي قال فهل جمعت القرآن قال ما كان مفرقا فأجمعه قال اقرأته ظاهرا قال معاذ الله بل قرأته وأنا أنظر إليه قال فكيف تراك تلقى الله إن قتلتك قال ألقاه بعملي وتلقاه بدمي قال إذن أعجلك إلى النار قال لو علمت أن ذلك إليك أحسنت عبادتك واتقيت عذابك ولم أبغ خلافك ومناقضتك قابل إني قاتلك قال إذن

أخاصمك لأن الحكم يومئذ إلى غيرك قال نقمعك 38
عن الكلام السيء يا حرسي اضرب عنقه وأومأ إلى السياف ألا تقتله فجعل يأتيه من بين يديه ومن خلفه ويروعه بالسيف فلما طال ذلك رشح جبينه قال جزعت من الموت يا عدو الله قال لا يا فاسق ولكن ابطأت علي بما فيه راحة قال يا حرسي أوجب جرحه فلما أحس بالسيف قال لا إله إلا الله والله لقد أتمها ورأسه في الأرض وقال القاضي لما حمل الأسرى إلى الحجاج وهو حينئذ بواسط القصب قبل أن يبني مدينة واسط قال لحاجبه قدم إلي سيدهم فيروز بن الحصين فقال له الحجاج أبا عثمان ما أخرجك مع هؤلاء قال فتنة عمت الناس فقال اكتب لي أموالك قال ثم ماذا قال اكتبها أولا قال ثم أنا آمن على دمي قال اكتبها ثم أنظر قال اكتب يا غلام ألف ألفي ألف حتى ذكر مالا كثيرا فقال الحجاج أين هي وعند من هي قال لا لا والله لا جمعت بين مالي ودمي فأمر الحجاج فعذب بأنواع العذاب وكان من جملة ما عذب به أن يشد عليه القصب

الفارسي المشقوق ثم يجر حتى يجرح جسده ثم ينضح عليه الخل والملح فلما أحس بالموت قال إن الناس لا تشكن أني قتلت ولي ودائع وأموال عند الناس لا تؤدى إليكم أبدا فأظهروني للناس ليعلموا أني حي فيؤدوا المال فأخرج فصاح في الناس من عرفني فقد عرفني أنا فيروز إن لي عند أقوام مالا فمن كان لي عنده شيء فهو له وهو منه في حل فلا يؤدين أحد منه درهما ليبلغ الشاهد الغائب فأمر به الحجاج فقتل وجلس الحجاج يوما لقتل أصحاب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس فقام رجل منهم فقال أصلح الله الأمير إن لي عليك حقا قال وما حقك قال سبك عبد الرحمن يوما فرددت عليه فقال من يعلم ذلك قال أنشد الله رجلا سمع ذلك إلا شهد به فقام رجل من الأسرى فقال قد كان ذاك أيها الأمير قال خلوا عنه ثم قال للشاهد فما منعك أن تنكر كما أنكر قال لقديم بغضني إياك قال ولنخل عنه لصدقه

39 قال أبو الحسن المدائني لما ظفر الحجاج بأصحاب ابن الأشعث جلس لضرب أعناقهم عامة النهار فأتي آخرهم برجل من بني تميم قال له والله يا حجاج لئن كنا قد أسأنا في الذنب لما أحسنت في العقوبة فقال الحجاج أف لهذه الجيف أما فيها رجل يحسن مثل هذا وعفا عنه ولما حضر الشعبي بين يدي الحجاج سلم بالإمرة ثم قال أيها الأمير إن الناس قد أمروني أن أعتذر إليك لغير ما يعلم الله أنه الحق وايم الله لا أقول في هذا المقام إلا حقا قد

والله خرجنا عليك واجتهدنا كل الجهد فما ألونا فما كنا بالفجرة الأقوياء ولا البررة الأتقياء ولقد نصرك الله علينا وظفرك بنا فإن سطوت فبذنوبنا وما جرت إلينا أيدينا وإن عفوت عنا فبحلمك وبعد الحجة لك علينا فقال له الحجاج أنت والله أحب إلي ممن يدخل علي يقطر سيفه من دمائنا ثم يقول ما فعلت وما شهدت قد أمنت عندنا يا شعبي فانصرف وقال الشعبي سمعت الحجاج تكلم بكلام ما سبقه إليه أحد يقول أما بعد فإن الله كتب على الدنيا الفناء وعلى الآخرة البقاء فلا فناء لما كتب عليه البقاء ولا بقاء لما كتب عليه الفناء فلا يغرنك شاهد الدنيا عن غائب الآخرة واقهروا طول الأمل بقصر الأجل وكان إبراهيم النخعي هاربا من الحجاج مدة أيامه ثم ظهر بعده فقيل له أين كنت قال بحيث يقول الشاعر (عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى * وصوت إنسان فكدت أطير) وذكر الحسن بن محمد بن هلال الصابىء أن الحجاج انفرد يوما عن عسكره فمر برجل يسقي ضيعة له فقال له كيف حالكم مع أميركم فقال لعنه
40 الله المبيد المبير الحقود عجل الله الانتقام منه فقال له تعرفني قال لا والله قال أنا الحجاج فرأى الرجل أن دمه قد طاح فرفع عصا كانت معه وقال أتعرفني أنا أبو ثور المجنون وهذا يوم صرعي وأزبد وأرغى وهاج وأراد أن يضرب رأسه بالعصا فضحك منه وانصرف وكان الحجاج كثيرا ما يسأل القراء فدخل عليه يوما رجل

فقال له ما قبل قوله تعالى (^ أمن هو قانت آناء الليل)
فقال (^ قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار) قال
فما سأل أحدا بعدها وخطب في يوم الجمعة فأطال
الخطبة فقام إليه رجل فقال إن الوقت لا ينتظرك والرب لا
يعذرك فأمر به إلى الحبس فأتاه آل الرجل فقالوا إنه
مجنون فقال إن أقر على نفسه بما ذكرتم خليت سبيله فقال
الرجل لا والله لا أزعم انه ابتلاني وقد عافاني ومن
هرب من الحجاج محمد بن عبد الله بن نمير الثقفي وكان
يشبب بزينب بنت يوسف أخت الحجاج وهو الذي يقول (
تضوع مسكا بطن نعمان أن مشت * به زينب في نسوة
عطرات) فلما أتي به الحجاج قال والله أيها الأمير إن قلت
إلا خيرا إنما قلت (يخضبن أطراف البنان من التقى *
ويخرجن شطر الليل معتجرات) قال فأخبرني عن قولك
(ولما رأت ركب النميري أعرضت * وكن من أن يلقينه
حذرات) ما كنتم قال كنت على حمار هزيل ومعي
صاحب على اتان مثله فعفا عنه لما قتل الحجاج عبد الله
بن الزبير ارتجت مكة بالبكاء والعويل فأمر الحجاج
بالناس فجمعوا إلى المسجد ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى
عليه ثم قال يا أهل مكة بلغني بكاؤكم واستفظاعكم قتل
عبد الله بن الزبير ألا وإن ابن الزبير كان من أحبار هذه
الأمة حتى رغب في الخلافة ونازع فيها أهلها وخلع
41 طاعة الله واستكن إلى حرم الله ولو كان شيء
مانعا للقضاء لمنعت آدم حرمة الجنة لأن الله تعالى خلقه

بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته واباحه جنته فلما كان منه ما كان أخرجه من الجنة بخطيئته وآدم أكرم على الله من ابن الزبير والجنة أعظم حرمة من الكعبة فاذكروا الله يذكركم ونزل قال مالك بن دينار ربما سمعت الحجاج يذكر ما صنع به أهل العراق وما صنع بهم فوقع في نفسي أنهم يظلمونه لبيانه وحسن تخلصه للحجج قال القاضي المعافى بن زكريا في كتاب الجليس والأنيس حدث الزبير ابن بكار عن الزهري قال لما ولي الحجاج بن يوسف الحرمين بعد قتل عبد الله ابن الزبير استحضر إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله وقربه في المنزلة فلم يزل على حاله عنده حتى خرج إلى عبد الملك زائرا له فخرج معه فعادله لا يترك في بره وإجلاله وتعظيمه شيئا فلما حضر باب عبد الملك حضر به معه فلما دخل على عبد الملك لم يبدإ بشيء بعد السلام إلا أن قال قدمت عليك يا أمير المؤمنين برجل الحجاز لم أدع له والله فيها نظيرا في كمال المروءة والأدب والرئاسة والديانة والستر وحسن المذهب والطاعة والنصيحة مع القرابة ووجوب الحق إبراهيم ابن طلحة بن عبيد الله وقد أحضرته بابك ليسهل عليه إذنك وتلقاه ببشرك وتفعل به ما يفعل بمثله ممن كانت مذاهبه مثل مذاهبه فقال عبد الملك ذكرتنا حقا واجبا ورحما قريبة يا غلام ايذن لإبراهيم بن طلحة فلما دخل قربه حتى أجلسه على فراشه ثم قال له يا ابن طلحة إن أبا محمد أذكرنا ما لم نزل نعرفك به من الفضل والأدب

وحسن المذهب مع قرابة الرحم ووجوب الحق فلا تدعن حاجة من خاص أمرك ولا عامة إلا ذكرتها قال يا أمير المؤمنين إن أولى الأمور أن تفتح بها الحوائج وترجى بها الزلف ما كان لله عز وجل رضى ولحق نبيه أداء ولك فيه ولجماعة المسلمين نصيحة وإن عندي نصيحة لا أجد بدا من ذكرها ولا يكون البوح بها إلا وأنا خال فأخلني ترد عليك نصيحتي قال دون أبي محمد قال نعم قال قم يا حجاج فلما جاوز الستر قال قل يا ابن طلحة نصيحتك قال الله يا أمير المؤمنين قال الله قال إنك عمدت إلى الحجاج مع تغطرسه وتعجرفه

42 وبعده عن الحق وركونه إلى الباطل فوليته الحرمين وفيهما من فيهما وبمها من بهما من المهاجرين والأنصار والموالي المنتسبة الأخيار أصحاب رسول الله وأبناء الصحابة يسومهم الخسف ويقودهم العسف ويحكم فيهم بغير السنة ويطؤهم بطغام من أهل الشام ورعاع لا روية لهم في إقامة حق ولا إزاحة باطل ثم ظننت أن ذلك فيما بينك وبين الله ينجيك وبين رسول الله يخلصك إذا جاثاك للخصومة في أمته أما والله لا تنجو هناك إلا بحجة تضمن لك النجاة فأبق على نفسك أو دع فقد قال رسول الله كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فاستوى عبد الملك جالسا وكان متكئا فقال كذبت لعمر الله ومنت ولؤمت فيما جئت به قد ظن بك الحجاج ما لم يجده فيك وربما ظن الخير لغير أهله قم فأنت الكاذب المائن الحاسد قال فقمت

والله ما أبصر طريقا فلما خلفت الستر لحقني لاحق من قبله فقال للحاجب احبس هذا الرجل وأدخل أبا محمد الحجاج فلبثت مليا وأنا لا أشك أنهما في أمري ثم خرج الآذن فقال قم يا ابن فادخل فلما كشف لي الستر لقيني الحجاج وأنا داخل وهو خارج فاعتنقني وقبل ما بين عيني ثم قال إذا جزى الله المتآخيين بفضل تواصلهما فجزاك الله أفضل ما جزى به أخا فوالله لئن سلمت لك لأرفعن ناظرك ولأعلين كعبك ولأتبعن الرجال غبار قدميك قال فقلت يهزأ بي فلما وصلت إلى عبد الملك أدناني حتى أجلسني في مجلسي الأول ثم قال يا ابن طلحة لعل أحدا من الناس شاركك في نصيحتك قال قلت لا والله ولا أعلم أحدا كان أظهر عندي معروفا ولا أوضح يدا من الحجاج ولو كنت محابيا أحدا بديني لكان هو ولكني آثرت الله عز وجل ورسوله والمسلمين ولو أردت الدنيا لكان لي في الحجاج أمل فقال قد علمت ذلك وقد أزلت الحجاج عن الحرمين لما كرهت من ولايته عليهما وأعلمته أنك استنزلتيني له عنهما استصغارا ووليته العراقين لما هناك من الأمور التي لا يرحفها إلا مثله وأعلمته أنك استدعيتني إلى التولية له عليهما استزادة له ليلزمه من ذمامك ما يؤدي به عني إليك أجر نصيحتك فاخرج معه فإنك غير ذام صحبته مع تقريطه إياك ويدك عنده قال

43 فخرجت على هذه الجملة وروي عن محمد بن المنتشر بن الأجدع الهمداني قال دفع إلي الحجاج ازارمرد

ابن الهربذ وأمرني أن أستخرج منه وأغلظ عليه فلما انطلقت به قال لي يا محمد إن لك شرفا ودينا وإني لا أعطي على القسر شيئا وارفق بي قال ففعلت فأدى إلي في أسبوع خمسمائة ألف قال فبلغ ذلك الحجاج فأغضبه فانتزعه من يدي ودفعه إلى رجل كان يتولى له العذاب فدق يديه ورجليه فلم يعطهم شيئا قال محمد بن المنتشر فإني لأمر يوما في السوق فإذا به معروضا على حمار مدقوق اليدين والرجلين فخفت الحجاج إن أتيته وتذممت فملت إليه فقال لي إنك وليت مني ما ولي هؤلاء فأحبست وإنهم صنعوا بي ما ترى ولم أعطهم شيئا وهاهنا خمسمائة ألف درهم عند فلان فخذها فهي لك قال فقلت ما كنت لآخذ منك على معروفي أجرا ولا لأرزأك على هذه الحال شيئا قال فأما إذا أتيت فاستمع أحدثك حدثني بعض أهل دينك عن نبيك قال إذا رضي الله عن قوم أمطرهم المطر في حينه وجعل المال عند سمحائهم واستعمل عليهم خيارهم وإذا سخط عليهم استعمل عليهم شرارهم وجعل المال عند بخلائهم وأمطرهم المطر في غير حينه قال فانصرفت فما وضعت ثوبي حتى أتاني رسول الحجاج فأمرني بالمصير إليه فألفيته جالسا على فرشه والسيف منتضى بين يديه فقال ادن فدنوت شيئا ثم قال ادن فدنوت شيئا ثم صاح الثالثة ادن لا ابا لك فقلت والله ما بي إلى الدنو من حاجة وفي يد الأمير ما أرى فأضحك الله سنه وأغمد عني سيفه فقال لي اجلس ما كان من حديث الأمس

فقلت والله أيها الأمير ما غششتك منذ استنصحتني ولا
كذبتك منذ استخبرتني ولا خنتك منذ ائتمنتني ثم حدثته
الحديث فلما صرت إلى ذكر الرجل الذي عنده المال
أعرض عني بوجهه وأومأ إلي بيده ثم قال لا تتمه ثم قال
إن للخبيث نفسا وقد سمع الأحاديث ويقال كان الحجاج إذا
استغرب ضاحكا والى بين الاستغفار وإذا صعد المنبر
تلفع بمطرفه ثم تكلم رويدا فلا يكاد يسمع ثم يتزيد في
الكلام حتى يخرج
44 يده من مطرفه ويزجر الزجرة فيفزع بها من في
أقصى المسجد وكان يطعم كل يوم على ألف مائدة على
كل مائدة ثريد وطرف من شواء وسمكة طرية ويطاف به
في محفة على تلك الموائد ليتفقد أمور الناس وعلى كل
مائدة عشرة ثم يقول يا أهل الشام اكسروا الخبز لئلا يعود
عليكم وكان له ساقيان أحدهما يسقي الماء والعسل والآخر
يسقي اللبن ولما دخل الحجاج إلى مكة اعتذر إلى أهلها
لقلة ما وصلهم به فقال قائل منهم إنا والله لا نعذرك وأنت
أمير العراقين وابن عظيم القريتين وذلك أن عروة بن
مسعود ولده من قبل أمه والقريتان مكة والطائف أمر
الحجاج ابن القرية أن يأتي هند بنت أسماء فيطلقها بكلمتين
ويمتعها بعشرة آلاف درهم فأتاها فقال لها إن الحجاج
يقول لك كنت فبنت وهذه عشرة آلاف درهم متعة لك
فقالت قل له كنا فما حمدنا وبنا فما ندمنا وهذه الدراهم
مشاركتك إياي بطلاقي ووفد الحجاج على الوليد بن عبد

الملك في خلافته فوجده في بعض نر هه فاستقبله فلما ر آه ترجل له وقبل يده وجعل يمشي وعليه درع وكنانة وقوس عربية فقال له الوليد اركب أبا محمد فقال يا أمير المؤمنين دعني أستكثر من الجهاد في خدمتك فإن ابن الزبير وابن الأشعث شغلاني عنه فعزم عليه الوليد حتى ركب ودخل الوليد داره فتغلل في غلالة ثم أذن للحجاج فدخل في حاله تلك وأطال الجلوس عنده إذ جاءت جارية فسار رته وانصرفت فقال الوليد للحجاج أتدري ما هذا أبا محمد قال لا والله قال بعثت ابنة عمي أم البنين بنت عبد العزيز تقول ما مجالستك هذا الأعرابي المستلئم في السلاح وأنت في غلالة فأرسل إليها إنه الحجاج فراعها ذلك وقالت والله ما أحب أن يخلو بك وقد قتل الخلق فقال الحجاج يا أمير المؤمنين دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول فإنما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة فلا تطلعهن على سرك ولا مكايدة عدوك ولا تطمعهن في غير أنفسهن ولا تشغلهن بأكثر من

45 زينتهن وإياك ومشاورتهن وأكثر من ذلك ثم نهض الحجاج فخرج ودخل الوليد على أم البنين فأخبزها بمقالة الحجاج فقالبت أحب ان تأمره غدا بالتسليم علي قال أفعل فلما غدا الحجاج على الوليد قال له يا أبا محمد صر الى أم البنين فسلم عليها فقال اعفني من ذلك يا أمير المؤمنين قال لا بد منه فمضى الحجاج إليها فحجبته طويلا ثم أذنت له وتركته قائما ولم تأذن له في الجلوس ثم قالت

إيه يا حجاج أنت الممتن على أمير المؤمنين بقتل ابن الزبير وابن الأشعث أما والله لولا أن الله علم أنك أهون خليقته ما ابتلاك برمي الكعبة وقتل ابن ذات النطاقين فأما ابن الأشعث فقد والله وإلى عليك الهزائم حتى لذت بأمير المؤمنين عبد الملك فأغاثك بأهل الشام وأنت في أضيق من القرن فأظلتك رماحهم ولطالما نفض نساء أمير المؤمنين المسك عن غدائرهن وبعنه في الأسواق حتى أخرج في أوزاق البعوث إليك ولولا ذلك لكنت أذل من البقة وأما ما أشرت به على أمير المؤمنين من ترك لذاته والامتناع عن بلوغ أوطاره من نسائه فإنه غير قابل منك ولا مصغ الى نصيحتك فإن كن يفرجن عن مثلك فما أولاه بالقبول منك ثم قالت لجواريها أخرجوه عني فدخل على الوليد من فوره فقال يا أبا محمد ما كنت فيه قال والله يا أمير المؤمنين ما سكتت حتى كان بطن الأرض أحب إلي من ظهرها فضحك الوليد حتى فحص برجليه ثم قال يا أبا محمد انها ابنة عبد العزيز وقيل إن أم البنين المذكورة كانت تهوى وضاح اليمن الشاعر وكان جميلا وكانت ترسل إليه فيدخل إليها ويقين عندها وإذا خافت وارته في صندوق عندها وأقفلت عليه وهو القائل (حتام نكتم حزننا حتاما * وعلام نستبقي الدموع علاما) (يا رب أمتعني بطول بقائها * واجبر بها الأرمال والأيتاما) (قد أصبحت أم البنين مريضة * تخشى وتشفق أن يكون حماما) فدخل الخادم إليها مفاجأة فرأى وضاحا عندها

فأدخلته الصندوق وأقفلت عليه فطلب منها الخادم حجرا نفيسا كان يعرفه عندها فمنعته إياه بخلا به

46 فمضى وأخبر الوليد بالحال فقالت له كذبت يا ابن الفاعلة ثم جاء الوليد إلى أم البنين فدخل وهي جالسة في ذلك البيت تمشط رأسها وكان الخادم قد وصف له الصندوق فجلس الوليد فوقه ثم قال يا أم البنين ما أحب هذا البيت إليك دون البيوت فلم اخترته قالت لأنه مجمع حوائجي كلها فأنا أتناولها منه من قريب فقال هبي لي صندوقا من هذه الصناديق فقالت كلها بحكمك يا أمير المؤمنين فقال إنما إريد واحدا منها فقالت خذ أيها شئت فقال هذا الصندوق الذي تحتي فقالت غيره أحب إليك منه فإن لي فيه أشياء أحتاج إليها فقال ما أريد سواه فقالت خذه فدعا بالخدم وأمرهم بحمله حتى انتهى إلى مجلس فوضعه فيه ثم دعا عبيدا له عجما وأمرهم بحفر بئر في المجلس فحفرت إلى الماء ثم دعا بالصندوق فوضعه على شفير البئر ودنا منه وقال يا صاحب الصندوق إنه بلغنا شيء إن كان حقا فقد دفناك ودفنا ذكرك إلى آخر الدهر وإن كان باطلا فإنما دفنا الخشب وما أهون ذلك ثم قذف به في البئر وهيل عليه التراب وسويت الأرض ورد البساط عليه فما رؤي الوضاح بعد ذلك اليوم ولا أبصرت أم البنين في وجه الوليد غضبا حتى فرق الموت بينهما وقيل حضر بساط الحجاج رجل تعين عليه القتل وحضر أهل القود بحضوره فلما فرش النطع وسل السيف اتفق أن ملأ عينه

في حاله تلك فرأى بريق السيف ولمعان برق فاستنظر ثم أنشد مرتجلا (تألق البرق من نجد فقلت له * يا أيها البرق إني عنك مشغول) (يكفيك ما قد ترى من ثائر حنق * في كفه كصبيب الماء مسلول) فلما رأى الحجاج ما كان من حضور ذهنه وجودة شعره عطف عليه إشفاقا له وعرض على طالبيه أن يؤدي عنه ديته فجعلوا يأبون وجعل يتولج في تحليل القصة ويتدرج في تنفيس الدية حتى بذل لهم دية ملك فلما أبوا وعتوا قال لحرسه فكوا قيده وخلوا سبيله فإن من لم ينس أحبته في هذا المقام لجدير أن لا يقتل

47 وقيل أخذ الحجاج أعرابيا سرق فأمر بضربه فضرب فكلما ضربه بالسوط قال اللهم شكرا فأتاه ابن عم له وقال والله ما دعا الأمير إلى التمادي في ضربك إلا لكثرة شكرك لأن الله تعالى يقول (^ ولئن شكرتم لأزيدنكم) فأمر بإطلاقه وحدث محمد بن القاسم الأنباري عن المدئني عن مولى لعنبسة بن سعيد بن العاص قال كنت أدخل مع عنبسة إذا دخل على الحجاج فدخل يوما ودخلت معه وليس عند الحجاج أحد غير عنبسة فقعدت فجيء الحجاج بطبق رطب فأخذ الخادم منه شيئا فجاءني به ثم جيء بطبق آخر فأتاني الخادم منه بشيء ثم جيء بطبق آخر حتى كثرت الأطباق وجعل لا يأتون بشيء إلا جاءني منه بشيء حتى ظننت أن ما بين يدي أكثر ما عندهم ثم جاء الحاجب فقال امرأة بالباب فقال الحجاج

أدخلها فدخلت فلما رآها الحجاج طأطأ رأسه حتى ظننت
أن ذقنه قد أصاب الأرض فجاءت حتى قعدت بين يديه
فنظرت فإذا امرأة حسنة الخلق ومعها جاريتان لها فإذا
هي ليلى الأخيلية فسألها الحجاج عن نسبها فانتسبت له
فقال لها يا ليلى ما الذي أتى بك قالت إخلاف النجوم وقلة
الغيوم وكلب البرد وشدة الجهد وكنت لنا بعد الله الرفد
فقال لها صفي لنا الفجاج فقالت الفجاج مغبرة والأرض
مقشعرة والمبرك معتل وذو العيال مختل والهالك للقل
والناس مسنتون رحمة الله يرجون قد أصابتنا سنون
مجحفة مبلطة لم تدع لنا هبعا ولا ربعا ولا عافطة ولا
نافطة أذهبت الأموال ومزقت الرجال وأهلكت العيال ثم
قالت إني قلت في الأمير قولا قال هاتي فأنشأت تقول (
أحجاج لا يفلل سلاحك إنما المنايا * بكف الله حيث يراها
) (أحجاج لا تعطي العداة مناهم * ولا الله يعطي للعداة
مناها) (إذا نزل الحجاج أرضا مريضة * تتبع أقصى
دائها فشفاها) (شفاها من الداء العضال الذي بها * غلام
إذا هز القناة سقاها)
48 (سقاها فرواها بشرب سجاله * دماء رجال
حيث مال حشاها) (إذا سمع الحجاج ذكر كتيبة * أعد
لها قبل النزول قراها) (أعد لها مسمومة فارسية *
بأيدي رجال يحلبون صراها) (فما ولد الأبكار والعون
مثله * ببحر ولا أرض يجف ثراها) قال فلما قالت هذا
البيت قال الحجاج قاتلها الله والله ما أصاب صفتي شاعر

منذ دخلت العراق غيرها ثم التفت إلى عنبسة بن سعيد فقال والله إني لأعد للأمر عسى أن لا يكون أبدا ثم التفت إليها فقال حسبك ويحك ثم قال يا فلان اذهب بها إلى فلان فقل له اقطع لسانها فأمر بإحضار حجام فقالت ثكلتك أمك أما سمعت ما قال إنما أمرك بقطع لساني بالبر والصلة فبعث إليه فاستشاط الحجاج غضبا وهم بقطع لسانه فقال ارددها فلما دخلت عليه قالت كاد والله أيها الأمير يقطع مقولي ثم أنشأت تقول (حجاج أنت الذي ما فوقه أحد * إلا الخليفة والمستغفر الصمد) (حجاج أنت شهاب الحرب إن لقحت * وأنت للناس نور في الدجى يقد) ثم أقبل الحجاج على جلسائه فقال أتدرون من هذه قالوا لا والله أيها الأمير إلا أننا لم نر امرأة قط أفصح منها لسانا ولا أحسن محاورة ولا أملح وجها ولا أرصن شعرا منها قال هذه ليلى الأخيلية التي مات توبة الخفاجي من حبها ثم التفت إليها فقال أنشدينا يا ليلى بعض ما قال فيك توبة فقالت نعم أيها الأمير هو الذي يقول (حمامة بطن الواديين ترنمي * سقاك من الغر الغوادي مطيرها) (أبيني لنا لا زال ريشك ناعما * ولا زلت في خضراء غض نضيرها) (وكنت إذا ما جئت ليلى تبرقعت * فقد رابني منها الغداة سفورها) (يقول رجال لا يضيرك نأيها * بلى كل ما شف النفوس يضيرها) (بلى قد يضير العين أن تكثر البكا * ويمنع منها نومها وسرورها)

وقد زعمت ليلى بأني فاجر * لنفسي تقاها أو عليها فجورها)

49 فقال الحجاج يا ليلى ما رابه من سفورك قالت أيها الأمير كان يلم بي كثيرا فأرسل إلي آتيك ففطن الحي به فترصدوا له فلما أتاني سفرت فعلم أن ذلك لشر فلم يزد على التسليم والرجوع فقال لله درك هل رأيت منه شيئا تكرهينه قالت لا والذي أسأله أن يصلحك غير أنه قال لي مرة قولا ظننت أنه قد خضع لبعض الأمر فأنشأت أقول (وذي حاجة قلنا له لا تبح بها * فليس إليها ما حييت سبيل (لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه * وأنت لأخرى صاحب وخليل) لا والله الذي أسأله أن يصلحك ما رأيت منه شيئا حتى فرق الموت بيننا قال ثم مه قالت ثم لم يلبث أن خرج في غزاة فأوصى ابن عمه إذا أتيت الحاضر من بني عبادة فناد بأعلى صوتك (عفا الله عنها هل أبيتن ليلة * من الدهر لا يسري إلي خيالها) فخرجت وأنا أقول (وعنه عفا ربي وأحسن حاله * فعز علينا حاجة لا ينالها) قال ثم مه قالت ثم لم يلبث ان مات فأتى ناعيه قال فأنشدينا بعض مراثيك فيه فأنشدته (لتبك العذارى من خفاجة نسوة * بماء شؤون العبرة المتحدر) قال فأنشدينا قولك فيه (كأن فتى الفتيان توبة لم ينخ * قلائص يفحصن الحصى بالكراكر) فأنشدته فلما فرغت من القصيدة قال محصن الفقعسي وكان من جلساء الحجاج من هذا الذي يقال هذا فيه فوالله إني لأظنها كاذبة فنظرت إليه ثم قالت

والله أيها الأمير إن هذا القائل لو رأى توبة لسره ألا يكون في داره عذراء إلا وهي حامل منه فقال الحجاج هذا وأبيك الجواب وقد
50 كنت عنه غنيا ثم قال لها سلي يا ليلى تعطي قال أعط فمثلك أعطى فأحسن قال لك عشرون قالت زد فمثلك زاد فأجمل قال لك أربعون قالت زد فمثلك زاد فأفضل قال لك ستون قالت زد فمثلك زاد فأكمل قال لك ثمانون قالت زد فمثلك زاد فتمم قال لك مائة واعلمي يا ليلى أنها غنم قالت معاذ الله أيها الأمير أنت أجود جودا وأمجد مجدا وأورى زندا من أن تجعلها غنما قال فما هي ويحك يا ليلى قالت مائة ناقة برعائها فأمر لها بها ثم قال ألك حاجة بعدها قالت نعم أيها الأمير تدفع إلي النابغة الجعدي في قيد قال قد فعلت وقد كان يهجوها وتهجوه فبلغ ذلك النابغة فخرج هاربا عائذا بعبد الملك بن مروان فاتبعته إلى الشام فهرب إلى قتيبة بن مسلم بخراسان فاتبعته على البريد بكتاب الحجاج إلى قتيبة فماتت بقومس وقيل بحلوان وكان الحجاج إذا سمع بنوح في دار هدمها فلما مات ابنه وأخوه حن إلى النوح وكان يعجبه أن يسمعه وكان كثيرا ما يتمثل بهذا البيت (هل ابنك إلا ابن من الناس فاصبري * فلن يرجع الموتى حنين المآتم) وكان يتمثل بهذا البيت أيضا وهو (فإن تحتسب تؤجر وإن تبكه تكن * كباكية لم يحي ميتا بكاؤها) وبالجملة فأخبار الحجاج كثيرة وشرحها يطول وهو الذي بنى مدينة واسط وكان شروعه

في بنائها في سنة أربع وثمانين للهجرة وفرغ منها في سنة ست وثمانين وإنما سماها واسط لأنها بين البصرة والكوفة فكأنها توسطت بين هذين المصرين وذكر ابن الجوزي في كتاب شذور العقود المرتب علي السنين أنه فرغ من بنائها في سنة ثمان وسبعين وكان قد ابتدأ من سنة خمس وسبعين والله أعلم ولما حضرته الوفاة أحضر منجما فقال له هل ترى في علمك ملكا يموت

51 قال نعم ولست هو فقال وكيف ذلك قال المنجم لأن الذي يموت اسمه كليب فقال الحجاج أنا هو والله بذلك كانت سمتني أمي فأوصى عتد ذلك ويشبه هذا قول الداعي علي بن محمد بن علي الصليحي وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى وهو الذي كان داعيا باليمن وملك البلاد اليمنية كلها وقهر ملوكها حتى قدر الله انقضاء مدته فخرج من صنعاء إلى مكة على عزم الحج في سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة حتى إذا كان بالمهجم ونزل بظاهرها بضيعة يقال لها أم الدهيم وبئر أم معبد أدركه فيها على حين غفلة سعيد بن نجاح الأحول الذي كان أبوه صاحب تهامة وقتله الصليحي وأخذ مملكته وهرب منه أولاده سعيد المذكور وإخوته وكان سعيد في قل ممن تابعة حتى دخل مخيم الصليحي والناس يعتقدون أنه من جملة العسكر وحواشيه فلم يشعر بأمرهم إلا عبد الله بن محمد أخو الصليحي فركب وقال لأخيه يا مولانا اركب فهو والله الأحول بن نجاح والعدد الذي جاءنا به كتاب أسعد بن

شهاب البارحة من زبيد فقال الصليحي لأخيه طب نفسا فإني لا أموت إلا بالدهيم وبئر أم معبد معتقدا أنها أم معبد الخزاعية التي نزل بها رسول الله حين هاجر ومعه أبو بكر رضي الله عنه وهي بين مكة والمدينة مما يلي مكة بالقرب من الجحفة فقال له بعض أصحابه قاتل عن نفسك فوالله هذا هو بئر الدهيم بن عيسى وهذا المسجد موضع خيمة أم معبد بن الحارث العبسي فأدركه لما سمع ذلك زمع اليأس من الحياة فلم يرم مكانه وقتل لوقته هو وأخوه وأهله وملك سعيد الأحول عسكره وملكه وهذا سعيد الأحول هو أخو الملك جياش المشهور الفاضل وأبوه نجاح

52 الملك كان عبدا لمرجان الملك وكان عبدا لحسين بن سلامة مولى الأستاذ رشد الحبشي وكان الحسين ورشد قبله كل منهما هو صاحب الأمر والملك في المعنى وفي الصورة كالوزير عن آخر ملوك بني زياد باليمن وهو طفل من أولاد أبي الجيش إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن زياد يقال له عبد الله وقيل إبراهيم وقيل زياد وهو الذي انقرضت دولتهم به على يد عبد يقال له قيس مولى مرجان المذكور وسببه أن الطفل المذكور لما مات أبوه أبو الجيش كفله مولاه مرجان المذكور وعمة للطفل وكان لمرجان عبدان أحدهما نجاح أبو سعيد والآخر قيس فغلبا على أمره وكان قيس يحكم بالحضرة ونجاح يتولى أعمال الكدراء والمهجم وأعمالا أخرى غيرها ووقع التنافس بين

قيس ونجاح على وزارة الحضرة وكان قيس غشوما ظالما ونجاح رؤوفا عادلا فاتهم قيس عمة ابن زياد بالميل عليه إلى نجاح فقبض عليها وعلى ابن أخيها مرجان مولاه لأجل شكوى قيس إليه منهما وسلمهما إلى قيس فبنى عليهما حائطين وهما قائمان بالحياة يناشدانه الله أن لا يفعل فهلكا سنة سبع وأربعمائة ونمي ذلك إلى نجاح فسار للأخذ بثأرهما وحارب قيسا وجرت بينهما أمور أسفرت عن ظفر نجاح بقبسب وملكه الحضرة وقتل قيس في بعض الوقائع على باب زبيد ولما فتح نجاح زبيد وهي حضرة الملك يومئذ في سنة اثنتي عشرة وأربعمائة قال لمرجان مولاه ما فعل مواليك وموالينا قال هم في ذلك الحائط فأخرجهما وصلى عليهما ودفنهما في مشهد بناه لهما وجعل مرجانا موضعهما وبنى عليه الحائط حتى هلك ومات نجاح المذكور بالسم بحيلة تمت عليه مع جارية أهداها له الصليحي المذكور في الكدراء سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة ولما مات نجاح كتب الصليحي في سنة ثلاث وخمسين إلى المستنصر صاحب مصر يستأمره في إظهار الدعوة لهم فأمره فخرج وكان منه ما كان والله أعلم وكان الحجاج ينشد في مرض موته هدين البيتين وهما لعبيد بن سفيان العكلي

53 (يا رب قد حلف الأعداء واجتهدوا * أيمانهم أنني من ساكني النار) (أيحلفون على عمياء ويحهم * ما ظنهم بقديم العفو غفار) وكتب إلى الوليد بن عبد

الملك كتابا يخبره فيه بمرضه وكتب في آخره (إذا ما لقيت الله عني راضيا * فإن سرور النفس فيما هنالك) (فحسبي حياة الله من كل ميت * وحسبي بقاء الله من كل هالك) (لقد ذاق هذا الموت من كان قبلنا * ونحن نذوق الموت من بعد ذلك) وكان مرضه بالأكلة وقعت في بطنه ودعا بالطبيب لنيظر إليها فأخذ لحما وعلقه في خيط وسرحه في حلقه وتركه ساعة ثم أخرجه وقد لصق به دود كثير وسلط الله تعالى عليه الزمهرير فكانت الكوانين تجعل حوله مملوءة نارا وتدنى منه حتى تحرق جلده وهو لا يحس بها وشكا ما يجده إلى الحسن البصري رضي الله عنه فقال له قد كنت نهيتك ألا تتعرض إلى الصالحين فلججت فقال له يا حسن لا أسألك أن تسأل الله أن يفرج عني ولكني أسألك أن تسأله أن يعجل قبض روحي ولا يطيل عذابي فبكى الحسن بكاء شديدا وأقام الحجاج على هذه الحالة بهذه العلة خمسة عشر يوما وتوفي في شهر رمضان وقيل في شوال سنة خمس وتسعين للهجرة وعمره ثلاث وقيل أربع وخمسون سنة وهو الأصح وقال الطبري في تاريخه الكبير توفي الحجاج يوم الجمعة لتسع بقين من شهر رمضان سنج خمس وتسعين وقال غير الطبري لما جاء موت الحجاج إلى حسن البصري سجد لله تعالى شكرا وقال اللهم إنك قد أمته فأمت عنا سنته وكانت وفاته بمدينة واسط ودفن بها وعفي قبره وأجري عليه الماء رحمه الله تعالى وسامحه وكان قد رأى في منامه أن

عينيه قلعتا وكانت تحته هند بنت المهلب بن أبي صفرة الأزدي وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى و هند بنت أسماء خارجة فطلق الهندين اعتقادا منه أن رؤياه 54 تتأول بهما فلم يلبث أن جاءه نعي أخيه محمد من اليمن في اليوم الذي مات فيه ابنه محمد فقال والله هذا تأويل رؤياي محمد ومحمد في يوم واحد إنا لله وإنا إليه راجعون ثم قال من يقول شعرا يسليني به فقال الفرزدق (إن الرزية لا رزية مثلها * فقدان مثل محمد ومحمد) (ملكان قد خلت المنابر منهما * أخذ الحمام عليهما بالمرصد) وكانت وفاة أخيه محمد لليال خلت من رجب سنة إحدى وتسعين للهجرة وهو والي اليمن فكتب الوليد بن عبد الملك إلى الحجاج يعزيه فكتب الحجاج جوابه يا أمير المؤمنين ما التقيت أنا ومحمد منذ كذا وكذا سنة إلا عاما واحدا وما غاب عني غيبة أنا لقرب اللقاء فيها أرجى من غيبته هذه في دار لا يتفرق فيها مؤمنان ومعتب بضم الميم وفتح العين المهملة وتشديد التاء المثناة من فوقها وكسرها وبعدها الباء الموحدة والثقفي بفتح الثاء المثلثة والقاف وبعدها الفاء هذه النسبة إلى ثقيف وهي قبيلة كبيرة مشهورة بالطائف 150 حجاج بن أرطاة حجاج بن أرطاة أبو أرطاة النخعي الكوفي سمع عطاء بن أبي رباح وغيره وروى عنه الثوري وشعبة وحماد بن زيد وهشيم وابن المبارك وزيد بن هارون

55 وكان من حفاظ الحديث ومن الفقهاء واستفتي وهو ابن ست عشرة سنة وولي القضاء بالبصرة إلا أنه كان مدلسا عمن لم يلقه فيرسل تارة عن مجاهد وتارة عن الزهري ولم يلقهما قال أبو العباس المبرد في الكامل وغيره وخبرت أن قاصا كان يكثر الحديث عن هرم بن حيان فاتفق هرم معه مرة في المسجد وهو يقول حدثنا هرم بن حيان فقال له يا هذا أتعرفني أنا هرم بن حيان ما حدثتك من هذا بشيء قط قال له القاص وهذا من عجائبك أيضا إنه ليصلي معنا في مسجدنا خمسة عشر رجلا اسم كل رجل منهم هرم بن حيان فكيف توهمت أنه ليس في الدنيا هرم بن حيان غيرك ويقرب من هذا أنه كان في الرقة قاص يكنى أبا عقيل يكثر من التحدث عن بني إسرائيل فنظن به الكذب فقال له يوما الحجاج بن حنتمة ما كان اسم بقرة بني إسرائيل قال حنتمة فقال له رجل من ولد أبي موسى الأشعري في أي الكتب وجدت هذا قال في كتاب عمرو بن العاص انتهى كلام المبرد وكان الحجاج بن أرطاة المذكور مع المنصور في وقت بناء مدينته وتولى خطها ونصب قبلة مسجدها وهو أول من ولي القضاء لبني العباس بالبصرة وكان فيه تيه كثير خارج عن الحد جاء يوما إلى حلقة البتي فجلس في عرض الحلقة فقيل له ارتفع إلى الصدر فقال أنا صدر حيث كنت وقال أبو يوسف كان الحجاج بن أرطاة لا يشهد جمعة ولا جماعة ويقول أكره مزاحمة الأنذال وقال عبد الملك بن

عبد الحميد حدثني أبي غير مرة قال مكث الحجاج ابن أرطاة يتعيش من غزل أمة له كذا وكذا سنة وكأنه قال ستين سنة ثم أخرجه أبو جعفر المنصور مع ابنه المهدي إلى خراسان فقدم بسبعين مملوكا وقال ربما رأيته يعني الحجاج يضع يده على رأسه ويقول قتلني حب الشرف

56 وكان حجاج بن أرطاة يقع في أبي حنيفة رضي الله عنه ويقول إن أبا حنيفة لا يعقل لله عقلة وكان في أصحاب أبي جعفر وضمه إلى المهدي فلم يزل معه جتى توفي في سنة خمسين ومائة بالري رحمه الله تعالى والمهدي بها يومئذ في خلافة أبي جعفر وكان ضعيفا في الحديث

151&&ابن مسكين أبو عمر الحارث بن مسكين المصري مولى محمد بن زياد بن عبد العزيز بن مروان رأى الليث بن سعد وسأله وسمع سفيان بن عيينة الهلالي وعبد الرحمن ابن القاسم العتقي وعبد الله بن وهب القرشي وروى عنه كافة المصريين وكان فقيها على مذهب مالك بن أنس رضي الله عنه وكان ثقة في الحديث ثبتا حمله المأمون إلى بغداد في أيام المحنة وسجنه لأنه لم يجب إلى القول بخلق القرآن فلم يزل ببغداد محبوسا إلى أن ولي جعفر المتوكل فأطلقه وأطلق جميع من كان في السجن حدث الحارث ببغداد ورجع إلى مصر وكتب إليه المتوكل بعهده على قضاء مصر فلم يزل يتولاه من سنة سبع وثلاثين ومائتين إلى أن صرف في سنة خمس وأربعين ولما خرج الحارث من بغداد إلى مصر اغتم

عليه أبو علي ابن الجروي غما شديدا فكتب إلى سعدان بن
يزيد وهو مقيم بمصر يشكو ما نزل به من غم لفقد
الحارث بن مسكين وكان كتب في أسفل كتابه (من كان
يسليه نأي عن أخي ثقة * فإنني غير سال آخر الأبد)
57 (ففرقت بيننا الأقدار واضطربت * بالوجد
والشوق نار الحزن في الكبد) فأجابه سعدان بن يزيد (
أيها الشاكي إلينا وحشة * من حبيب نأيه عنه بعد) (
حسبك الله أنيسا فبه * يأنس المرء إذا المرء سعد) (كل
أنس بسواه زائل * وأنيس الله في عز الأبد) وكانت
ولادة الحارث بن مسكين في سنة أربع وخمسين ومائة
وتوفي لثلاث بقين من ربيع الأول سنة خمسين ومائتين
وصلى عليه يزيد بن عبد الله أمير كان على مصر وكبر
عليه خمسا رحمه الله تعالى 152 المحاسبي أبو عبد الله
الحارث بن أسد المحاسبي البصري الأصل الزاهد
المشهور أحد رجال الحقيقة وهو ممن اجتمع له علم
الظاهر والباطن وله كتب في الزهد والأصول وكتاب
الرعاية له وكان قد ورث من أبيه سبعين ألف درهم فلم
يأخذ منها شيئا قيل لأن أباه كان يقول بالقدر فرأى من
الورع أن لا يأخذ ميراثه وقال صحت الرواية عن رسول
الله أنه قال لا يتوارث أهل ملتين شتى ومات وهو محتاج
إلى درهم
58 ويحكى عنه أنه كان إذا مد يده إلى طعام فيه
شبهة تحرك على إصبعه عرق فكان يمتنع منه وسئل عن

العقل ما هو فقال نور الغريزة مع التجارب يزيد ويقوى بالعلم والحلم وكان يقول فقدنا ثلاثة أشياء حسن الوجه مع الصيانة وحسن القول مع الأمانة وحسن الإخاء مع الوفاء وتوفي في سنة ثلاث وأربعين ومائتين رحمه الله تعالى والمحاسبي بضم الميم وفتح الحاء المهملة وبعد الألف سين مهملة مكسورة وبعدها باء موحدة قال السمعاني وعرف بهذه النسبة لأنه كان يحاسب نفسه وقال كان أحمد بن حنبل رضي الله عنه يكرهه لنظره في علم الكلام وتصنيفه فيه وهجره فاستخفى من العامة فلما مات لم يصل عليه إلا أربعة نفر وله مع الجنيد بن محمد حكايات مشهورة 153 أبو فراس ابن حمدان أبو فراس الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان بن حمدون الحمداني ابن عن ناصر الدولة وسيف الدولة ابني حمدان وسيأتي تتمة نسبة عند ذكرهما إن شاء الله تعالى قال الثعالبي في وصفه كان فرد دهره وشمس

59 عصره أدبا وفضلا وكرما ومجدا وبلاغة وبراعة وفروسية وشجاعة وشعره مشهور سائر بين الحسن والجودة والسهولة والجزالة والعذوبة والفخامة والحلاوة ومعه رواء الطبع وسمة الظرف وعزة الملك ولم تجتمع هذه الخلال قبله إلا في شعر عبد الله بن المعتز وأبو فراس يعد أشعر منه عند أهل الصنعة ونقدة الكلام وكان الصاحب بن عباد يقول بدىء الشعر بملك وختم بملك يعني امرأ القيس وأبا فراس وكان المتنبي يشهد له

بالتقدم والتبريز ويتحامى جانبه فلا ينبري لمباراته ولا يجترىء على مجاراته وإنما لم يمدحه ومدح من دونه من آل حمدان تهيبا له وإجلالا لا إغفالا وإخلالا وكان سيف الدولة يعجب جدا بمحاسن أبي فراس ويميزه بالإكرام على سائر قومه ويستصحبه في غزواته ويستخلفه في أعماله وكانت الروم قد أسرته في بعض وقائعها وهو جريح قد أصابه سهم بقي نصله في فخذه ونقلته إلى خرشنة ثم منها إلى قسطنطينية وذلك في سنة ثمان وأربعين وثلثمائة وفداه سيف الدولة في سنة خمس وخمسين قلت هكذا قال أبو الحسن علي بن الزراد الديلمي وقد نسبوه في ذلك إلى الغلط وقالوا أسر أبو فراس مرتين فالمرة الأولى بمغارة الكحل في سنة ثمان وأربعين وثلثمائة وما تعدوا به خرشنة وهي قلعة ببلاد الروم والفرات يجري من تحتها وفيها يقال إنه ركب فرسه وركضه برجله فأهوى به من أعلى الحصن إلى الفرات والله أعلم والمرة الثانية أسره الروم على منبج في شوال سنة إحدى وخمسين وحملوه إلى قسطنطينية وأقام في الأسر أربع سنين وله في الأسر أشعار كثيرة مثبتة في ديوانه وكانت مدينة منبج إقطاعا له ومن شعره (قد كنت عدتي التي أسطو بها * ويدي إذا اشتد الزمان وساعدني) فرميت منك بضد ما أملته * والمرء يشرق 60 بالزلال البارد) (فصبرت كالولد التقي لبره * أغضى على ألم لضرب الوالد) وله أيضا (أساء فزادته الإساءة

حظوة * حبيب على ما كان منه حبيب) (يعد علي
الواشيان ذنوبه * ومن أين للوجه الجميل ذنوب) وله
أيضا (سكرت من لحظه لا من مدامته * ومال بالنوم
عن عيني تمايله) (فما السلاف دهتني بل سوالفه * ولا
الشمول ازدهتني بل شمائله) (ألوى بعزمي أصداغ
لوين له * وغال قلبي بما تحوي غلائله) ومحاسن شعره
كثيرة وقتل في واقعة جرت بينه وبين موالي أسرته في
سنة سبع وخمسين وثلثمائة ورأيت في ديوانه أنه لما
حضرته الوفاة كان ينشد مخاطبا ابنته (أبنيتي لا تجزعي
* كل الأنام إلى ذهاب) (نوحي علي بحسرة * من خلف
سترك والحجاب) (قولي إذا كلمتني فعييت عن رد
الجواب) (زين الشاب أبو فراس * لم يمتع بالشباب)
61 وهذا يدل على أنه لم يقتل أو يكون قد جرح
وتأخر موته ثم مات من الجراحة وقيل إن هذا الشعر قاله
وهو أسير في أيدي الروم وكان قد جرح ثم أسر ثم خلص
من الأسر فداه سيف الدولة مع من فودي من أسرى
المسلمين قال ابن خالويه لما مات سيف الدولة عزم أبو
فراس على التغلب على حمص فاتصل خبره بأبي المعالي
بن سيف الدولة وغلام أبيه قرغويه فأنفذ إليه من قاتله
فأخذ وقد ضرب ضربات فمات في الطريق وقرأت في
بعض التعاليق أن أبا فراس قتل يوم الأربعاء لثمان خلون
من شهر ربيع الآخر سنة سبع وخمسين وثلثمائة في
ضيعة تعرف بصدد وذكر ثابت بن سنان الصابىء في

تاريخه قال في يوم السبت لليلتين خلتا من جمادى الأولى
من سنة سبع وخمسين وثلثمائة جرت حرب بين أبي
فراس وكان مقيما بحمص وبين أبي المعالي بن سيف
الدولة واستظهر عليه أبو المعالي وقتله في الحرب وأخذ
رأسه وبقيت جثته مطروحة في البرية إلى أن جاءه بعض
الأعراب فكفنه ودفنه قال غيره وكان أبو فراس خال أبي
المعالي وقلعت أمه سخينة عينها لما بلغها وفاته وقيل إنها
لطمت وجهها فقلعت عينها وقيل لما قتله قرغويه لم يعلم
به أبو المعالي فلما بلغه الخبر شق عليه ويقال إن مولده
كان في سنة عشرين وثلثمائة والله أعلم وقيل سنة إحدى
وعشرين وقتل أبوه سعيد في رجب سنة ثلاث وعشرين
وثلثمائة قتله ابن أخيه ناصر الدولة بالموصل عصر
مذاكيره حتى مات لقصة يطول شرحها وحاصلها أنه
شرع في ضمان الموصل وديار ربيعة من جهة الراضي
بالله ففعل ذلك سرا ومضى إليها في خمسين غلاما فقبض
ناصر الدولة عليه حين وصل
62 إليها ثم قتله فأنكر ذلك الراضي حين بلغه
رحمهم الله تعالى وحكى ابن خالويه أيضا قال كتب أبو
فراس إلى سيف الدولة وقد شخص من حضرته إلى منزله
بمنبج كتابا صدره كتابي أطال الله بقاء مولانا من المنزل
وقد وردته ورود السالم الغانم مثقل الظهر والظهر وفرا
وشكرا فاستحسن سيف الدولة بلاغته ووصف براعته
وبلغ ذلك أبا فراس فكتب إليه (هل للفصاحة والسماحة *

والعلا عني محيد) (إذ أنت سيدي الذي * ربيتني وأبي
سعيد) (في كل يوم أستفيد * من العلاء وأستزيد) (
ويزيد في إذا رأيتك * للندى خلق جديد) وكان سيف
الدولة قلما ينشط لمجلس الأنس لاشتغاله عنه بتدبير
الجيوش وملابسة الخطوب وممارسة الحروب فوافت
حضرته إحدى المحسنات من قيان بغداد فتاقت نفس أبي
فراس إلى سماعها ولم ير أن يبدأ باستدعائها قبل سيف
الدولة فكتب إليه يستحثه على استحضارها (محلك
الجوزاء أو أرفع * وصدرك الدهناء أو أوسع) (وقلبك
الرحب الذي لم يزل * للجد والهزل به موضع) (رفه
بقرع العود سيفا غدا * قرع العوالي جل ما يسمع) فبلغت
هذه الأبيات الوزير المهلبي فأمر القيان والقوالين بتحفظها
وتلحينها وصار لا يشرب إلا عليها وأهدى الناس إلى
سيف الدولة فأكثروا فكتب إليه أبو فراس (نفسي فداؤك
قد بعثت * بعهدتي بيد الرسول) (أهديت نفسي إنما
يهدى * الجليل إلى الجليل (
وجعلت ما ملكت يدي * صلة المبشر بالقبول) 63
(وعزم سيف الدولة على غزو واستخلاف أبي فراس
على الشام فكتب إليه قصيدة منها (قالوا المسير فهز
الرمح عامله * وارتاح في جفنه الصمصامة الخذم) (
حقا لقد ساءني أمر ذكرت له * لولا فراقك لم يوجد له ألم
) (لا تشغلن بأمر الشام تحرسه * إن الشآم على من حله
حرم) (وإن للثغر سورا من مهابته * صخوره من

أعادي أهله القمم) (لا يحرمني سيف الدين صحبته *
فهي الحياة التي تحيا بها النسم) (وما اعترضت عليه
في أوامره * لكن سألت ومن عاداته نعم) وكتب إليه
يعزيه (لا بد من فقد ومن فاقد * هيهات ما في الناس من
خالد) (كن المعزى لا المعزى به * إن كان لا بد من
الواحد) وله أيضا (المرء نصب مصايب ما تنقضي *
حتى يوارى جسمه في رمسه) (فمؤجل يلقى الردى في
أهله * ومعجل يلقى الردى في نفسه) وله أيضا وقد سمع
حمامة تنوح بقربه على شجرة عالية وهو في الأسر فقال
(أقول وقد ناحت بقربي حمامة * أيا جارتا هل بات حالك
حالي) (معاذ الهوى ما ذقت طارقة النوى * ولا
خطرت منك الهموم ببال) (أتحمل محزون الفؤاد قوادم
* على غصن نائي المسافة عالي) (أيا جارتا ما أنصف
الدهر بيننا * تعالي أقاسمك الهموم تعالي) (تعالي تري
روحا لدي ضعيفة * تردد في جسم يعذب بالي)
64 (أيضحك مأسور وتبكي طليقة * ويسكت
محزون ويندب سالي) (لقد كنت أولى منك بالدمع مقلة
* ولكن دمعي في الحوادث غالي) وخرشنة بفتح الخاء
المعجمة وسكون الراء وفتح الشين المثلثة والنون وهي
بلدة بالشام على الساحل وهي للروم وقسطنطينية بضم
القاف وسكون السين المهملة وفتح الطاء المهملة وسكون
النون وكسر الطاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها
وبعدها نون من أعظم مدائن الروم بناها قسطنطين وهو

أول من تنصر من ملوك الروم 154 حرملة أبو حفص
وأبو عبد الله حرملة بن يحيى بن عبد الله بن حرملة بن
عمران بن قراد مولى سلمة بن مخرمة التجيبي الزميلي
المصري صاحب الإمام الشافعي رضي الله عنه كان أكثر
أصحابه اختلافا إليه واقتباسا منه وكان حافظا للحديث
وصنف المبسوط والمختصر وروى عنه مسلم بن الحجاج
فأكثر في
65 صحيحه من ذكره روى عن محمد بن وهب
المصري وغيره ومولده في سنة ست وستين ومائة وتوفي
ليلة الخميس لتسع بقين من شوال سنة ثلاث وأربعين
ومائتين بمصر وقيل أربع وأربعين رحمه الله تعالى
والتجيبي بضم التاء المثناة من فوقها وكسر الجيم وسكون
الياء المثناة من تحتها وبعدها باء موحدة هذه النسبة إلى
تجيب وهو اسم امرأة نسب إليها أولادها وقراد بضم
القاف وفتح الراء المهملة وبعد الألف دال مهملة
والزميلي بضم الزاي وفتح الميم وسكون الياء المثناة من
تحتها وبعدها لام هذه النسبة إلى بني زميل وهو بطن من
تجيب وتوفي حرملة بن عمران جد حرملة المذكور في
صفر سنة ستين ومائة ومولده سنة ثمانين للهجرة رحمه
الله تعالى 155 الحسن بن علي بن أبي طالب أبو محمد
الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأمه فاطمة
صلوات الله عليها بنت رسول الله بويع له يوم مات أبوه
رضي الله عنه وكان أشبه الناس برسول الله وأقام بالكوفة

إلى شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين وقتل عبد
الرحمن بن ملجم يقال إنه ضربه
66 بالسيف فاتقاه بيده فندرت وقتله ثم سار إلى
معاوية فالتقيا بمسكن من أرض الكوفة فاصطلحا وسلم
إليه الأمر وبايعه لخمس بقين من شهر ربيع الأول ويقال
إنه أعطاه خمسة آلاف درهم ورجع إلى المدينة وقال قوم
انه صالحه بأذرح في جمادى الأولى وأخذ مائة ألف دينار
روى ذلك كله الدولابي وكانت خلافته ستة أشهر وخمسة
أيام روى الشعبي قال أنا شهدت خطبة الحسن يعني حين
سلم الأمر إلى معاوية قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما
بعد إن أكيس الكيس التقى وأحمق الحمق الفجور وإن هذا
الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية إنما هو حق لامرىء
كان أحق بحقه مني أو حق لي تركته لمعاوية إرادة
لصلاح الأمة وحقنا لدمائهم وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع
إلى حين روى سفينة قال سمعت رسول الله يقول الخلافة
بعدي ثلاثون عاما ثم تكون ملكا أو ملوكا وكان آخر
ولاية الحسن رضي الله عنه تمام ثلاثين سنة وثلاثة عشر
يوما من أول خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ولم
يزل الحسن بالمدينة إلى أن مات بها في شهر ربيع الأول
سنة تسع وأربعين وله سبع وأربعون سنة وقيل مات سنة
خمسين وهو أشبه بالصواب وصلى عليه سعيد بن العاص
ودفن بالبقيع ويقال إنه دفن مع أمه صلوات الله عليها
وقال القتبي يقال ان امرأته جعدة بنت الأشعث سمته

ومكث شهرين وانه ليرفع من تحته كل يوم كذا وكذا
طست من دم وكان يقول سقيت السم مرارا ما أصابني ما
أصابني في هذه المرة وخلف عليها رجل من قريش
فأولدها غلاما فكان الصبيان يقولون له يا ابن مسمة
الأزواج ولما كتب مروان إلى معاوية بشكاته كتب إليه
أن أقبل المطي إلي بخبر الحسن ولما بلغه موته سمع
تكبيرا من الحضر فكبر أهل الشام لذلك التكبير فقالت
فاختة زوجة معاوية أقر الله عينك يا أمير المؤمنين ما
الذي كبرت له قال مات الحسن قالت أعلى موت ابن
فاطمة تكبر قال والله ما كبرت شماتة بموته ولكن استراح
قلبي وكان ابن عباس بالشام فدخل عليه فقال يا ابن عباس
هل تدري ما حدث في أهل بيتك قال لا أدري ما حدث
67 إلا أني أراك مستبشرا وقد بلغني تكبيرك
وسجودك قال مات الحسن قال إنا لله يرحم الله أبا محمد
ثلاثا ثم قال والله يا معاوية لا تسد حفرته حفرتك ولا يزيد
نقص عمره في يومك وإن كنا اصبنا بالحسن لقد أصبنا
بإمام المتقين وخاتم النبيين فسكن الله تلك العبرة وجبر تلك
المصيبة وكان الله الخلف علينا من بعده وكان أوصى
لأخيه الإمام الحسين إذا أنا مت فادفني مع رسول الله إن
وجدت إلى ذلك سبيلا وإن منعوك فادفني ببقيع الغرقد
فلبس الحسين ومواليه السلاح وخرجوا ليدفنوه مع رسول
الله فخرج مروان بن الحكم في بني أمية فمنعوهم من ذلك
وقيل لما احتضر الحسن رضي الله عنه قال أخرجوني إلى

الصحراء لعلي أنظر في ملكوت السموات يعني الآيات فلما أخرج قال اللهم إني أحتسب نفسي عندك فإنها أعز الأنفس علي فكان مما صنع الله له انه احتسب نفسه ومن طريف أخباره ما ذكره أبو العباس المبرد أن مروان بن الحكم قال يوما إني مشغوف ببغلة الحسن فقال له ابن أبي عتيق إن دفعتها إليك أتقضي لي ثلاثين حاجة قال نعم قال فإذا اجتمع الناس عندك العشية فإني آخذ في مآثر قريش ثم أمسك عن الحسن فلمني على ذلك فلما أخذ القوم مجالسهم أفاض في أولية قريش قال له مروان ألا تذكر أولية أبي محمد وله في هذا ما ليس لأحد قال إنما كنا في ذكر الأشراف ولو كنا في ذكر الأنبياء لقدمنا ما لأبي محمد فلما خرج ليركب تبعه ابن أبي عتيق فقال له الحسن وتبسم ألك حاجة قال نعم البغلة فنزل عنها ودفعها إليه وذكر ابن عائشة أن رجلا من أهل الشام قال دخلت المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام فرأيت رجلا راكبا على بغلة لم أر أحسن وجها ولا سمتا ولا ثوبا ولا دابة منه فمال قلبي إليه فسألت عنه فقيل هذا الحسن بن علي ابن أبي طالب فامتلأ قلبي له بغضا وحسدت عليا أن يكون له ابن مثله

68 فصرت إليه وقلت له أأنت ابن علي بن أبي طالب قال أنا ابنه قلت فعل بك وبأبيك أسبهما فلما انقضى كلامي قال لي أحسبك غريبا قلت أجل قال مل بنا فإن احتجت إلى منزل أنزلناك أو إلى مال آسيناك أو إلى حاجة

عاوناك قال فانصرفت عنه وما على الأرض أحب إلي منه وما فكرت فيما صنع وصنعت إلا شكرته وخزيت نفسي وحكى صاحب العقد قال بينا معاوية جالس في أصحابه إذ قيل له الحسن بالباب فقال معاوية إنه إن دخل علينا أفسد ما نحن فيه فقال له مروان بن الحكم ايذن له فإني اسأله عما ليس عنده فيه جواب قال معاوية لا تفعل فإنهم قوم ألهموا الكلام وأذن له فلما دخل وجلس قال له مروان أسرع الشيب إلى شاربك يا حسن إن ذلك من الخوف قال الحسن ليس كما بلغك ولكنا معشر بني هاشم طيبة أفواهنا عذبة شفاهنا فنساؤنا يقبلن علينا بأنفاسهن وقبلهن وأنتم بني أمية فيكم بخر شديد فنساؤكم يصرفن أفواههن وأنفاسهن عنكم إلى أصداغكم فإنما يشيب منكم موضع العذار من أجل ذلك قال مروان أما إن فيكم يا بني هاشم خصلة سوء قال ما هي قال الغلمة قال أجل نزعت الغلمة من نسائنا ووضعت في رجالنا ونزعت الغلمة من رجالكم ووضعت في نسائكم فما قام لأموية إلا هاشمي فغضب معاوية وقال قد كنت أخبرتكم فأبيتم حتى سمعتم ما أظلم عليكم بيتكم وأفسد مجلسكم فخرج الحسن رضوان الله عليه وهو يقول (ومارست هذا الدهر خمسين حجة * وخمسا أرجي قابلا بعد قابل) (فما أنا في الدنيا بلغت جسيمها * ولا في الذي أهوى كدحت بطائل) (وقد أشرعت في المنايا أكفها * وأيقنت أني رهن موت معاجل

(قال الحسن رضي الله عنه لحبيب بن مسلمة الفهري رب مسير لك في غير
69 طاعة الله قال أما مسيري إلى أبيك فلا قال بلى ولكنك أطعت معاوية على دنيا قليلة فلئن كان قام بك في دنياك لقد قعد بك في آخرتك فلو كنت إذ فعلت شرا قلت خيرا كنت كما قال الله تعالى (^ خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا) ولكنك كما قال الله تعالى (^ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) وقيل دار بين الحسن والحسين كلام فتقاطعا فقيل للحسين لو أتيت أخاك فهو أكبر سنا منك فقال إن الفضل للمبتدىء وأنا أكره أن يكون لي الفضل على أخي فبلغ ذلك الحسن فأتاه وكان الحسن إذا فرغ من الوضوء تغير لونه فقيل له في ذلك فقال حق على من أراد أن يدخل على ذي العرش أن يتغير لونه
156 الحسن البصري أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري كان من سادات التابعين وكبرائهم وجمع كل فن من علم وزهد وورع عبادة وأبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي وربما غابت في حاجة فيبكي فتعطيه أم سلمة رضي الله عنها ثديها تعلله به إلى أن تجيء أمه فدر عليه ثديها فشربه فيرون أن تلك
70 الحكمة والفصاحة من بركة ذلك قال أبو عمرو بن العلاء ما رأيت أفصح من الحسن البصري ومن الحجاج ابن يوسف الثقفي فقيل له فأيهما كان أفصح قال

الحسن ونشأ الحسن بوادي القرى وكان من أجمل أهل البصرة حتى سقط عن دابته فحدث بأنفه ما حدث وحكى الأصمعي عن أبيه قال ما رأيت أعرض زندا من الحسن كان عرضه شبرا وكان الحسن يقص في الحج فمر به علي بن الحسين عليهما السلام فقال له يا شيخ أترضى نفسك للموت قال لا قال فلله في أرضه معاد غير هذا البيت قال لا قال فثم دار للعمل غير هذه الدار قال لا قال فعملك للحساب قال لا قال فلم تشغل الناس عن طواف البيت قال فما قص الحسن بعدها وقيل إن رجلا أتى الحسن فقال يا أبا سعيد إني حلفت بالطلاق ان الحجاج في النار فما تقول أقيم مع امرأتي أم أعتزلها فقال له قد كان الحجاج فاجرا فاسقا وما أدري ما أقول لك إن رحمة الله وسعت كل شيء وإن الرجل أتى محمد بن سيرين فأخبره بما حلف فرد عليه شبيها بما قاله الحسن وإنه أتى عمرو بن عبيد فقال له أقم مع زوجتك فإن الله تعالى إن غفر للحجاج لم يضرك الزنا ذكر ذلك المختار في تاريخه وكان في جنازة وفيها نوائح ومعه رجل فهم الرجل بالرجوع فقال له الحسن يا أخي إن كنت كلما رأيت قبيحا تركت له حسنا أسرع ذلك في دينك وقيل له ألا ترى كثرة الوباء فقال انفق ممسك واقلع مذنب واتعظ جاحد ونظر إلى جنازة قد ازدحم الناس عليها فقال ما لكم تزدحمون ها تلك هي ساريته في المسجد اقعدوا تحتها حتى تكونوا مثله وحدث الحسن بحديث فقال له رجل يا أبا سعيد عن من

فقال وما تصنع بعمن أما أنت فقد نالتك موعظته وقامت
عليك حجته وقال له رجل أنا أزهد منك
71 وأفصح قال أما أفصح فلا قال فخذ علي كلمة
واحدة قال هذه وقال لفرقد بن يعقوب بلغني أنك لا تأكل
الفالوذج فقال يا أبا سعيد أخاف ألا اؤدي شكره قال الحسن
يا لكع هل تقدر تؤدي شكر الماء البارد الذي تشربه وقيل
للحسن إن فلانا اغتابك فبعث إليه طبق حلوى وقال بلغني
أنك أهديتي إلي حسناتك فكافأتك وقريب من هذا قول
سفيان بن الحسين قال كنت جالسا عند إياس بن معاوية
فنلت من إنسان فقال هل غزوت العام الترك والروم ولم
يسلم منك أخوك المسلم وسمع رجلا يشكو عليه إلى آخر
فقال اما إنك تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك ومن
كلامه ما رأيت يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه إلا
الموت ولما ولي عمر بن هبيرة الفزاري العراق وأضيفت
إليه خراسان وذلك في أيام يزيد بن عبد الملك استدعى
الحسن البصري ومحمد بن سيرين والشعبي وذلك في سنة
ثلاث ومائة فقال لهم إن يزيد خليفة الله استخلفه على عباده
وأخذ عليهم الميثاق بطاعته وأخذ عهدنا بالسمع والطاعة
وقد ولاني ما ترون فيكتب إلي بالأمر من أمره فأقلده ما
تقلده من ذلك الأمر فما ترون فقال ابن سيرين والشعبي
قولا فيه تقية فقال ابن هبيرة ما تقول يا حسن فقال يا ابن
هبيرة خف الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله إن الله
يمنعك من يزيد وإن يزيد لا يمنعك من الله وأوشك أن

يبعث إليك ملكا فيزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك ثم لا ينجيك إلا عملك يا ابن هبيرة إن تعص الله فإنما جعل الله هذا السلطان ناصرا لدين الله وعباده فلا تركبن دين الله وعباده بسلطان الله فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

72 فأجازهم ابن هبيرة وأضعف جائزة الحسن فقال الشعبي لابن سيرين سفسفنا له فسفسف لنا ورأى الحسن يوما رجلا وسيما حسن الهيئة فسأل عنه فقيل إنه يسخر للملوك ويحبونه فقال لله أبوه ما رأيت أحدا طلب الدنيا بما يشبهها إلا هذا وكانت أمه تقص للنساء ودخل عليها يوما وفي يدها كراثة تأكلها فقال لها يا أماه ألقي هذه البقلة الخبيثة من يدك فقالت يا بني إنك شيخ قد كبرت وخرفت فقال يا أماه أينا أكبر وأكثر كلامه حكم وبلاغة وكان أبوه من سبي ميسان وهو صقع بالعراق ومولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالمدينة ويقال إنه ولد على الرق وتوفي بالبصرة مستهل رجب سنة عشر ومائة رضي الله عنه وكانت جنازته مشهودة قال حميد الطويل توفي الحسن عشية الخميس وأصبحنا يوم الجمعة ففرغنا من أمره وحملناه بعد صلاة الجمعة ودفناه فتبع الناس كلهم جنازته واشتغلوا به فلم تقم صلاة العصر بالجامع ولا أعلم أنها تركت منذ كان الإسلام إلا يومئذ لأنهم تبعوا كلهم الجنازة حتى لم يبق بالمسجد من يصلي العصر وأغمي على الحسن عند موته ثم أفاق فقال

لقد نبهتموني من جنات وعيون ومقام كريم وقال رجل قبل موت الحسن لابن سيرين رأيت كأن طائرا أخذ أحسن حصاة بالمسجد فقال إن صدقت رؤياك مات الحسن فلم يكن إلا قليلا حتى مات الحسن

73 ولم يشهد ابن سيرين جنازته لشيء كان بينهما ثم توفي بعده بمائة يوم كما سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى وميسان بفتح الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح السين المهملة وبعد الألف نون قال السمعاني هي بليدة بأسفل البصرة 157 الزعفراني أبو علي الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني صاحب الإمام الشافعي رضي الله عنه برع في الفقه والحديث وصنف فيهما كتبا وسار ذكره في الآفاق ولزم الشافعي حتى تبحر وكان يقول أصحاب الأحاديث كانوا رقودا حتى أيقظهم الشافعي وما حمل أحد محبرة إلا وللشافعي عليه منة وكان يتولى قراءة كتب الشافعي عليه وسمع من سفيان بن عيينة ومن في طبقته مثل وكيع ابن الجراح وعمرو بن الهيثم ويزيد بن هارون وغيرهم وهو أحد رواة الأقوال القديمة عن الشافعي رضي الله عنه ورواتها أربعة هو وأبو ثور وأحمد بن حنبل والكرابيسي ورواة الأقوال الجديدة ستة المزني والربيع بن سليمان

74 الجيزي والربيع بن سليمان المرادي والبويطي وحرملة ويونس بن عبد الأعلى وقد تقدم ذكر بعضهم والباقي سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى وروى عنه

البخاري في صحيحه وأبو داود السجستاني والترمذي وغيرهم وتوفي سلخ شعبان وقال ابن قانع في شهر رمضان سنة ستين ومائتين وذكر السمعاني في كتاب الأنساب أنه توفي في شهر ربيع الآخر سنة تسع وأربعين ومائتين رحمه الله تعالى والزعفراني بفتح الزاي وسكون العين المهملة وفتح الفاء والراء وبعد الألف نون هذه النسبة إلى الزعفرانية وهي قرية بقرب بغداد والمحلة التي ببغداد تسمى درب الزعفراني منسوبة إلى هذا الإمام لأنه أقام بها قال الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في طبقات الفقهاء وفيه مسجد الشافعي رضي الله عنه وهو المسجد الذي كنت أدرس فيه بدرب الزعفراني ولله الحمد والمنة 158

أبو سعيد الإصطخري أبو سعيد الحسن بن أحمد بن يزيد بن عيسى بن الفضل الإصطخري الفقيه الشافعي كان من نظراء أبي العباس ابن سريج وأقران أبي علي ابن أبي هريرة وله مصنفات حسنة في الفقه منها كتاب الأقضية وكان قاضي قم

75 وتولى حسبة بغداد وكان ورعا متقللا واستقضاه المقتدر على سجستان فسار إليها فنظر في مناكحاتهم فوجد معظمها على غير اعتبار الولي فأنكرها وأبطلها عن آخرها وكانت ولادته في سنة أربع وأربعين ومائتين وتوفي في جمادى الآخرة يوم الجمعة ثاني عشره وقيل رابع عشره وقيل مات في شعبان سنة ثمان وعشرين وثلثمائة رحمه الله تعالى والإصطخري بكسر الهمزة

وسكون الصاد المهملة وفتح الطاء المهملة وسكون الخاء المعجمة وبعدها راء هذه النسبة إلى إصطخر وهي من بلاد فارس خرج منها جماعة من العلماء رحمهم الله تعالى وقد قالوا في النسبة إلى إصطخر إصطخرزي أيضا بزيادة الزاي كما زادوها في النسبة إلى مرو والري فقالوا مروزي ورازي 159 أبو علي ابن أبي هريرة أبو علي الحسن بن الحسين بن أبي هريرة الفقيه الشافعي أخذ الفقه عن أبي العباس ابن سريج وأبي إسحاق المروزي وشرح مختصر المزني وعلق عنه الشرح أبو علي الطبري وله مسائل في الفروع ودرس ببغداد وتخرج عليه خلق كثير وانتهت إليه إمامة العراقيين وكان معظما عند السلاطين والرعايا إلى أن توفي في رجب سنة خمس وأربعين وثلثمائة رحمه الله تعالى

76 160 أبو علي الطبري أبو علي الحسن بن القاسم الطبري الفقيه الشافعي أخذ الفقه عن أبي علي ابن أبي هريرة المقدم ذكره وعلق عنه التعليقة المشهورة المنسوبة إليه وسكن ببغداد ودرس بها بعد أستاذه أبي علي المذكور وصنف كتاب المحرر في النظر وهو أول كتاب صنف في الخلاف المجرد وصنف أيضا كتاب الافصاح في الفقه وكتاب العدة وهو كبير يدخل في عشرة أجزاء وصنف كتابا في الجدل وكتابا في أصول الفقه وتوفي ببغداد سنة خمس وثلثمائة رحمه الله تعالى والطبري بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة وبعدها راء هذه النسبة إلى

طبرستان بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة وبعدها راء والسين المهملة الساكنة والتاء المثناة من فوقها المفتوحة وبعد الألف نون وهي ولاية كبيرة تشتمل على بلاد كثيرة أكبرها آمل خرج منها جماعة من العلماء والنسبة إلى طبرية الشام طبراني على ما سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى ورأيت في عدة كتب من طبقات الفقهاء أن اسمه الحسن كما هو هاهنا ورأيت الخطيب في تاريخ بغداد قد عده في جملة من اسمه الحسين والله أعلم بالصواب

77 &&161أبو علي الفارقي أبو علي الحسن بن إبراهيم بن علي بن برهون الفارقي الفقيه الشافعي كان مبدأ اشتغاله بميافارقين على أبي عبد الله محمد الكازروني فلما توفي انتقل إلى بغداد واشتغل على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي صاحب المهذب وعلى أبي نصر ابن الصاغ صاحب الشامل وتولى القضاء بمدينة واسط حكى الحافظ أبو طاهر السلفي رحمه الله تعالى قال سألت الحافظ أبا الكرم خميس بن علي بن أحمد الحوزي بواسط عن جماعة منهم القاضي أبو علي الفارقي المذكور فقال هو متقدم في الفقه وقضى بواسط بعد أبي تغلب فظهر من عقله وعدله وحسن سيرته ما زاد على الظن به وسمع الحديث من الخطيب أبي بكر ومن في طبقته وكان زاهدا متورعا له كتاب الفوائد على المهذب وعنه أخذ القاضي أبو سعد عبد الله بن أبي عصرون كما سيأتي في ترجمته إن شاء الله تعالى وكان يلازم ذكر الدرس من الشامل إلى

أن توفي وكانت وفاته يوم الأربعاء الثاني والعشرين من المحرم سنة ثمان وعشرين وخمسمائة بواسط ومولده سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة بميافارقين في شهر ربيع الآخر ودفن في مدرسته رحمه الله تعالى وبرهون بفتح الباء الموحدة وسكون الراء وضم الهاء وبعد الواو الساكنة نون والفارقي معروف فلا حاجة إلى ضبطه

78 162 السيرافي أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي النحوي المعروف بالقاضي سكن بغداد وتولى القضاء بها نيابة عن أبي محمد ابن معروف وكان من أعلم الناس بنحو البصريين وشرح كتاب سيبويه فأجاد فيه وله كتاب ألفات الوصل والقطع وكتاب أخبار النحويين البصريين وكتاب الوقف والابتداء وكتاب صنعة الشعر والبلاغة وشرح مقصورة ابن دريد وقرأ القرآن الكريم على أبي بكر ابن مجاهد واللغة على ابن دريد والنحو على أبي بكر ابن السراج النحوي وكان الناس يشتغلون عليه بعدة فنون القرآن الكريم والقراءات وعلوم القرآن والنحو واللغة والفقه والفرائض والحساب والكلام والشعر والعروض والقوافي وكان نزها عفيفا جميل الأمر حسن الأخلاق وكان معتزليا ولم يظهر منه شيء وكان لا يأكل إلا من كسب يده ينسخ ويأكل منه وكان أبوه مجوسيا اسمه بهزاد فأسلم فسماه ابنه أبو سعيد المذكور عبد الله وكان كثيرا ما ينشد في مجالسه) اسكن إلى سكن تسر به

* ذهب الزمان وأنت منفرد) (ترجو غدا وغد كحاملة *
في الحي لا يدرون ما تلد)
79 وكان بينه وبين الفرج الأصبهاني صاحب كتاب الأغاني ما جرت العادة بمثله بين الفضلاء من التنافس فعمل فيه أبو الفرج (لست صدرا ولا قرأت على صدر * ولا علمك البكي بشاف) (لعن الله كل نحو وشعر * وعروض يجيء من سيراف) وتوفي يوم الاثنين ثاني رجب سنة ثمان وستين وثلثمائة ببغداد وعمره أربع وثمانون سنة ودفت بمقبرة الخيزران رحمه الله تعالى وقيل انه توفي سنة أربع وستين وقيل سنة خمس وستين والصحيح هو الأول والله أعلم وقال ولده أبو محمد يوسف أصل أبي من سيراف وبها ولد وبها ابتدأ بطلب العلم وخرج منها قبل العشرين ومضى إلى عمان وتفقه بها ثم عاد إلى سيراف ومضى إلى عسكر مكرم فأقام بها عند أبي محمد ابن عمر المتكلم وكان يقدمه ويفضله على جميع أصحابه ودخل بغداد وخلف القاضي أبا محمد ابن معروف على قضاء الجانب الشرقي ثم الجانبين
والسيرافي بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الراء وبعد الألف فاء هذه النسبة إلى مدينة سيراف وهي من بلاد فارس على ساحل البحر مما يلي كرمان خرج منها جماعة من العلماء رحمهم الله تعالى وسيأتي في ترجمة ولده يوسف تتمة الكلام على سيراف إن شاء الله تعالى

80 163 أبو علي الفارسي أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفارسي النحوي ولد بمدينة فسا واشتغل ببغداد ودخل إليها سنة سبع وثلثمائة وكان إمام وقته في علم النحو ودار البلاد وأقام بحلب عند سيف الدولة بن حمدان مدة وكان قدومه عليه في سنة إحدى وأربعين وثلثمائة وجرت بينه وبين أبي الطيب المتنبي مجالس ثم انتقل إلى بلاد فارس وصحب عضد الدولة ابن بويه وتقدم عنده وعلت منزلته حتى قال عضد الدولة أنا غلام أبي علي الفسوي في النحو وصنف له كتاب الإيضاح والتكملة في النحو وقصته فيه مشهورة ويحكى أنه كان يوما في ميدان شيراز يساير عضد الدولة فقال له لم انتصب المستثنى في قولنا قام القوم إلا زيدا فقال الشيخ بفعل مقدر فقال له كيف تقديره فقال أستثني زيدا فقال له عضد الدولة هلا رفعته وقدرت الفعل امتنع زيد فانقطع الشيخ وقال له هذا الجواب ميداني ثم إنه لما رجع إلى منزله وضع في ذلك كلاما حسنا وحمله إليه فاستحسنه وذكر في كتاب الإيضاح أنه انتصب بالفعل المتقدم بتقوية إلا وحكى أبو القاسم ابن أحمد الأندلسي قال جرى ذكر الشعر بحضرة أبي علي وأنا حاضر فقال إني لأغبطكم على قول الشعر فإن خاطري لا يوافقني على قوله مع تحقيقي العلوم التي هي من مواده فقال له رجل فما قلت قط

81 شيئا منه قال ما أعلم أن لي شعرا إلا ثلاثة أبيات في الشيب وهي قولي (خضبت الشيب لما كان عيبا * وخضب الشيب أولى أن يعابا) (ولم أخضب مخافة هجر خل * ولا عيبا خشيت ولا عتابا) (ولكن المشيب بدا ذميما * فصيرت الخضاب له عقابا) ويقال إن السبب في استشهاده في باب كان من كتاب الإيضاح ببيت أبي تمام الطائي وهو قوله (من كان مرعى عزمه وهمومه * روض الأماني لم يزل مهزولا) لم يكن ذلك لأن أبا تمام ممن يستشهد بشعره لكن عضد الدولة كان يحب هذا البيت وينشده كثيرا فلهذا استشهد به في كتابه ومن تصانيفه كتاب التذكرة وهو كبير وكتاب المقصور والممدود وكتاب الحجة في القراءات وكتاب الاغفال فيما أغفله الزجاج من المعاني وكتاب العوامل المائة وكتاب المسائل الحلبيات وكتاب المسائل البغداديات وكتاب المسائل الشيرازيات وكتاب المسائل القصريات وكتاب المسائل العسكرية وكتاب المسائل البصرية وكتاب المسائل المجلسيات وغير ذلك وكنت رأيت في المنام في سنة ثمان وأربعين وستمائة وأنا يومئذ بمدينة القاهرة كأنني قد خرجت إلى قليوب ودخلت إلى مشهد بها فوجدته شعثا وهو عمارة قديمة ورأيت به ثلاثة أشخاص مقيمين مجاورين فسألتهم عن المشهد وأنا متعجب لحسن بنائه وإتقان تشييده ترى هذا عمارة من فقالوا لا نعلم ثم قال أحدهم إن الشيخ أبا علي الفارسي جاور في هذا المشهد سنين عديدة

82 وتفاوضنا في حديثه فقال وله مع فضائله شعر حسن فقلت ما وقفت له على شعر فقال أنا أنشدك من شعره ثم أنشد بصوت رقيق طيب إلى غاية ثلاثة أبيات فاستيقظت في أثر الإنشاد ولذة صوته في سمعي وعلق على خاطري منها البيت الأخير وهو (الناس في الخير لا يرضون عن أحد * فكيف ظنك سيموا الشر أو ساموا) وبالجملة فهو أشهر من أن يذكر فضله ويعدد وكان متهما بالاعتزال وكانت ولادته في سنة ثمان وثمانين ومائتين وتوفي يوم الأحد لسبع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر وقيل ربيع الأول سنة سبع وسبعين وثلثمائة رحمه الله تعالى ببغداد ودفن بالشونيزي والفارسي لا حاجة إلى ضبطه لشهرته ويقال له أيضا أبو علي الفسوي بفتح الفاء والسين المهملة وبعدها واو هذه النسبة إلى مدينة فسا من أعمال فارس وقد تقدم ذكرها في ترجمة البساسيري وقليوب بفتح القاف وسكون اللام وضم الياء المثناة من تحتها وسكون الواو وبعدها باء موحدة وهي بليدة صغيرة بينها وبين القاهرة مقدار فرسخين أو ثلاثة ذات بساتين كثيرة

83 164&&أبو أحمد العسكري أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري أحد الأئمة في الآداب والحفظ وهو صاحب أخبار ونوادر وله رواية متسعة وله التصانيف المفيدة منها كتاب التصحيف الذي جمع فيه فأوعب وغير ذلك وكان الصاحب بن عباد يود

الاجتماع به ولا يجد إليه سبيلا فقال لمخدومه مؤيد الدولة
بن بويه إن عسكر مكرم قد اختلت أحوالها وأحتاج إلى
كشفها بنفسي فأذن له في ذلك فلما أتاها توقع أن يزوره أبو
أحمد المذكور فلم يزره فكتب الصاحب إليه (ولما أبيتم
أن تزوروا وقلتم * ضعفنا فلم نقدر على الوخدان) (
أتيناكم من بعد أرض نزوركم * وكم منزل بكر لنا وعوان
) (نسائلكم هل من قرى لنزيلكم * بملء جفون لا بملء
جفان) وكتب مع هذه الأبيات شيئا من النثر فجاوبه أبو
أحمد عن النثر بنثر مثله وعن هذه الإبيات بالبيت
المشهور وهو (أهم بأمر الحزم لو أستطيعه * وقد حيل
بين العير والنزوان) فلما وقف الصاحب على الجواب
عجب من اتفاق هذا البيت له وقال والله
لو علمت أنه يقع له هذا البيت لما كتبت إليه على 84
هذا الروي وهذا البيت لصخر بن عمرو بن الشريد أخي
الخنساء وهو من جملة أبيات مشهورة وكان صخر
المذكور قد حضر محاربة بني أسد فطعنه ربيعة ابن ثور
الأسدي فأدخل بعض حلقات الدرع في جنبه وبقي مدة
حول في أشد ما يكون من المرض وأمه وزوجته سليمى
تمرضانه فضجرت زوجته منه فمرت بها امرأة فسألتها
عن حاله فقالت لا هو حي فيرجى ولا ميت فينسى فسمعها
صخر فأنشد (أرى أم صخر لا تمل عيادتي * وملت
سليمى موضعي ومكاني) (وما كنت أخشى أن أكون
جنازة * عليك ومن يغتر بالحدثان) (لعمري لقد نبهت

من كان نائما * وأسمعت من كانت له أذنان) (وأي امرىء ساوى بأم حليلة * فلا عاش إلا في شقا وهوان) (أهم بأمر الحزم لو أستطيعه * وقد حيل بين العير والنزوان) (فللموت خير من حياة كأنها * معرس يعسوب برأس سنان) وكانت ولادته يوم الخميس لست عشرة ليلة خلت من شوال سنة ثلاث وتسعين ومائتين وتوفي يوم الجمعة لسبع خلون من ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة رحمه الله تعالى وأخذ عن أبي بكر ابن دريد وله من التصانيف كتاب المختلف والمؤتلف وكتاب علم المنطق وكتاب الحكم والأمثال وكتاب الزواجر وغير ذلك والعسكري بفتح العين المهملة وسكون السين المهملة وفتح الكاف وبعدها

85 راء هذه النسبة إلى عدة مواضع فأشهرها عسكر مكرم وهي مدينة من كور الأهواز ومكرم الذي تنسب إليه مكرم الباهلي وهو أول من اختطها فنسبت إليه وأبو أحمد المذكور من هذه المدينة وسيأتي العسكري منسوبا إلى شيء آخر إن شاء الله تعالى 165 ابن رشيق القيرواني أبو علي الحسن بن رشيق المعروف بالقيرواني أحد الأفاضل البلغاء له التصانيف المليحة منها كتاب العمدة في معرفة صناعة الشعر ونقده وعيوبه وكتاب الأنموذج والرسائل الفائقة والنظم الجيد قال ابن بسام في كتاب الذخيرة بلغني أنه ولد بالمسيلة وتأدب بها قليلا ثم ارتحل إلى القيروان سنة ست وأربعمائة وقال غيره ولد بالمهدية

سنة تسعين وثلثمائة وأبوه مملوك رومي من موالي الأزد
وتوفي سنة ثلاث وستين وأربعمائة وكانت صنعة أبيه في
بلده وهي المحمدية الصياغة فعلمه أبوه صنعته وقرأ
الأدب بالمحمدية وقال الشعر وتاقت نفسه إلى التزيد منه
وملاقاة أهل الأدب فرحل إلى القيروان واشتهر بها ومدح
صاحبها واتصل بخدمته ولم يزل بها إلى أن هاجم العرب
القيروان وقتلوا أهلها وأخربوها فانتقل إلى جزيرة صقلية
وأقام بمازر إلى أن مات
86 ورأيت بخط بعض الفضلاء أنه توفي سنة ست
وخمسين وأربعمائة بمازر والأول أصح رحمه الله تعالى
وهي قرية بجزيرة صقلية وسيأتي ذكرها في ترجمة
المازري إن شاء الله تعالى وقيل إنه توفي ليلة السبت غرة
ذي القعدة سنة ست وخمسين وأربعمائة بمازر والله أعلم
وكانت بينه وبين ابن شرف القيرواني وقائع وماجريات
وهما أديبا بلاد المغرب وشاعراها وكان ابن شرف أعور
قيل مر يوما وبيده كتاب فقال له ابن رشيق ما في كتابك
قال الدريدية يعرض بقول ابن دريد فيها (والعبد لا
يردعه إلا العصا *) يشير إلى أنه مولى فقال له ابن
رشيق (أما أبي فرشيق لست أنكره * قل لي أبوك
وصوره من الخشب) ومن شعره أيضا وقد غاب المعز
بن باديس عن حضرته وكان العيد ماطرا (تجهم العيد
وانهلت بوادره * وكنت أعهد منه البشر والضحكا) (
كأنه جاء يطوي الأرض من بعد * شوقا إليك فلما لم

يجدك بكى) وقال أيضا وقد أمره المعز بوصف أترجة مصبعة كانت بين يديه بديها (أترجة سبطة الأطراف ناعمة * تلقى العيون بحسن غير منحوس) (كأنها بسطت كفا لخالقها * تدعو بطول بقاء لابن باديس) ومن شعره أيضا (لو أورقت من دم الأبطال سمر قنا * لأورقت عنده سمر القنا الذبل) (إذا توجه في أولى كتائبه * لم تفرق العين بين السهل والجبل)
87 (فالجيش ينفض حوليه أسنته * نفض العقاب جناحيها من البلل) هذا البيت من فرائده وهو ملتقط من قول أبي صخر الهذلي (وإني لتعروني لذكرك فترة * كما انتفض العصفور بلله القطر) ولابن رشيق المذكور رحمه الله تعالى (ومن حسنات الدهر عندي ليلة * من العلم لم تترك لأيامها ذنبا) (خلونا بها ننفي الكرى عن جفوننا * بلؤلؤة مملوءة ذهبا سكبا) (وملنا لتقبيل الخدود ولثمها * مميل جياع الطير تلتقط الحبا) ومن شعره أيضا (صنم من الكافور بات معانقي * في حلتين تعفف وتكرم) (فكرت ليلة وصله في صده * فجرت بقايا أدمعي كالعندم) (فطفقت أمسح ناظري في نحره * إذ شيمة الكافور إمساك الدم) ومن شعره رحمه الله (قالوا رأينا فلانا ليس يوجعه * ما يوجع الناس من هجو به قذفا) (فقلت لو أنه حي لأوجعه * لكنه مات من جهل وما عرفا) (وما هجوت فلانا غير تجربة * وذو الرماية لا يستشعر الهدفا) ومن شعره (أحب أخي وإن أعرضت

عنه * وقل على مسامعه كلامي) (ولي في وجهه
تقطيب راض * كما قطبت في وجه المدام) (ورب
تقطب من غير بغض * وبغض كامن تحت ابتسام)
88 ومن شعره (يا رب لا أقوى على دفع الأذى *
وبك استعنت على الضعيف الموذي) (ما لي بعثت إلي
ألف بعوضة * وبعثت واحدة إلى نمروذ) ومن شعره
على ما حكاه ابن بسام في الذخيرة (أسلمني حب
سليمانكم * إلى هوى أيسره القتل) (قالت لنا جند
ملاحاته * لما بدا ما قالت النمل) (قوموا ادخلوا مسكنكم
قبل أن * تحطمكم أعينه النجل) وله وقد كبر وضعف
مشيه وهو معني غريب (إذا ما خففت كعهد الصبا *
أبت ذلك الخمس والأربعونا) (وما ثقلت كبرا وطأتي *
ولكن أجر ورائي السنينا) وله أيضا (وقائلة ما إذ
الشحوب وذا الضنى * فقلت لها قول المشوق المتيم) (
هواك أتاني وهو ضيف أعزه * فأطعمته لحمي وأسقيته
دمي) ومن تصانيفه أيضا قراضة الذهب وهو لطيف
الجرم كبير الفائدة وله كتاب الشذوذ في اللغة يذكر فيه كل
كلمة جاءت شاذة في بابها وكتاب طراز الأدب وكتاب
الممادح والمذام وكتاب متفق التصحيف وكتاب تحرير
الموازنة وكتاب الاتصال وكتاب المن والفداء وكتاب
غريب الأوصاف ولطائف التشبيهات لما انفرد به
المحدثون وكتاب أرواح الكتب وكتاب شعراء الكتاب
وكتاب المعونة في

89 الرخص والضرورات وكتاب الرياحين وكتاب صدق المدائح وكتاب الأسماء المعربة وكتاب إثبات المنازعة وكتاب معالم التاريخ وكتاب التوسع في مضايق القول وكتاب الحيلة والاحتراس وكانت بينه وبين أبي عبد الله محمد بن أبي سعيد بن أحمد المعروف بابن شرف القيرواني وقائع وماجريات يطول شرحها وقصدنا الاختصار ورشيق بفتح الراء وكسر الشين المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها قاف والمسيلة قد تقدم ذكرها فلا حاجة إلى إعادته 166 ابن أبي الشخباء الشيخ المجيد أبو علي الحسن بن عبد الصمد بن أبي الشخباء العسقلاني صاحب الخطب المشهورة والرسائل المحبرة كان من فرسان النثر وله فيه اليد الطولى ويقال إن القاضي الفاضل رحمه الله تعالى كان جل اعتماده على حفظ كلامه وإنه كان يستحضر أكثره وذكره عماد الدين الأصبهاني في الخريدة فقال المجيد مجيد كنعته قادر على ابتداع الكلام ونحته له الخطب البديعة والملح الصنيعة وذكره ابن بسام في الذخيرة وسرد له جملة من الرسائل وذكر هذا المقطوع من نظمه وهو من بعض قصيد

90 (ما زال يختار الزمان ملوكه * حتى أصاب المصطفى المتخيرا) (قل للألى ساسوا الورى وتقدموا * قدما هلموا شاهدوا المتأخرا) (تجدوه أوسع في السياسة منكم * صدرا وأحمد في العواقب مصدرا) (إن كان رأي شاوروه أحنفا * أو كان بأس نازلوه عنترا) (

قد صام والحسنات ملء كتابه * وعلى مثال صيامه قد
أفطرا) (ولقد تخوفك العدو بجهده * لوكان يقدر أن يرد
مقدرا) (إن أنت لم تبعث إليه ضمرا * جردا بعثت إليه
كيدا مضمرا) (يسري وما حملت رجال أبيضا * فيه
ولا ادرعت كماة أسمرا) (خطروا إليك فخاطروا
بنفوسهم * وأمرت سيفك فيهم أن يخطرا) (عجبوا
لحلمك أن تحول سطوة * وزلال خلقك كيف عاد مكدرا)
(لا تعجبوا من رقة وقساوة * فالنار تقدح من قضيب
أخضرا) وقد اقتصرت منها على هذا القدر خوفا من
التطويل ومن المنسوب إلى ابن أبي الشخباء أيضا قوله (
يا سيف نصري والمهند يانع * وربيع أرضي والسحاب
مصاف) (أخلاقك الغر النميرة ما لها * حملت قذى
الواشين وهي سلاف) (والإفك في مرآة رأيك ما له *
يخفى وأنت الجوهر الشفاف) ورأيت في ديوانه البيتين
المشهورين (حجاب وإعجاب وفرط تصلف * ومد يد
نحو العلا بتكلف) (ولو كان هذا من وراء كفاية *
عذرنا ولكن من وراء تخلف) ومن شعره أيضا (يجود
بالماء غيث السحب منقطعا * وغيث كفك بالأموال متصل
(
91 (جارى نداك ولم يظفر ببغيته * فحمرة البرق
في حافاته خجل) ومن شعره (ومهفهف علق السقام
بطرفه * وسرى فخيم في معاقد خصره) (مزقت أثواب
الظلام بثغره * ثم انثنيت أحوكها من شعره) وذكر أنه

توفي مقتولا بخزانة البنود وهي سجن بمدينة القاهرة المعزية سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة رحمه الله تعالى والشخباء بفتح الشين المثلثة وسكون الخاء المعجمة وبعد الباء الموحدة ألف ممدودة والعسقلاني نسبة إلى مدينة عسقلان وهي مشهورة على الساحل 167 ابن زولاق أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن الحسين بن الحسن بن علي بن خالد بن راشد بن عبد الله بن سليمان بن زولاق الليثي مولاهم المصري كان فاضلا في التاريخ وله فيه مصنف جيد وله كتاب في خطط مصر استقصى فيه وكتاب أخبار قضاة مصر جعله ذيلا على كتاب أبي عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي الذي ألفه في
92 أخبار قضاة مصر وانتهى فيه إلى سنة ست وأربعين ومائتين فكمله ابن زولاق المذكور وابتدأ بذكر القاضي بكار بن قتيبة وختمه بذكر محمد بن النعمان وتكلم على أحواله إلى رجب سنة ست وثمانين وثلثمائة وكان جده الحسن بن علي من العلماء المشاهير وكانت وفاته أعني أبا محمد يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة سبع وثمانين وثلثمائة رحمه الله تعالى ورأيت في كتابه الذي صنفه في أخبار قضاة مصر في ترجمة القاضي أبي عبيد أن الفقيه منصور بن إسماعيل الضرير توفي في جمادى الأولى سنة ست وثلثمائة ثم قال قبل مولدي بثلاثة أشهر فعلى هذا التقدير تكون ولادة ابن زولاق المذكور في شعبان سنة ست وثلثمائة وروى عن

الطحاوي وزولاق بضم الزاي وسكون الواو وبعد اللام ألف قاف والليثي بفتح اللام وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها ثاء مثلثة هذه النسبة إلى ليث بن كنانة وهي قبيلة كبيرة قال ابن يونس المصري هو ليثي بالولاء 168 ملك النحاة أبو نزار الحسن بن أبي الحسن صافي بن عبد الله بن نزار بن أبي الحسن النحوي المعروف بملك النحاة ذكره العماد الكاتب في الخريدة فقال كان من الفضلاء المبرزين وحكى ما جرى بينهما من المكاتبات بدمشق وبرع في

93 النحو حتى صار أنحى أهل طبقته وكان فهما فصيحا ذكيا إلا أنه كان عنده عجب بنفسه وتيه لقب نفسه ملك النحاة وكان يسخط على من يخاطبه بغير ذلك وخرج عن بغداد بعد العشرين وخمسمائة وسكن واسط مدة وأخذ عنه جماعة من أهلها أدبا كثيرا واتفقوا على فضله ومعرفته وذكره أبو البركات ابن المستوفي في تاريخ إربل فقال ورد إربل وتوجه إلى بغداد وسمع بها الحديث وقرأ مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه وأصول الدين على أبي عبد الله القيرواني والخلاف على أسعد الميهني وأصول الفقه على أبي الفتح ابن برهان صاحب الوجيز والوسيط في أصول الفقه وقرأ النحو على الفصيحي وكان الفصيحي قد قرأ على عبد القاهر الجرجاني صاحب الجمل الصغرى ثم سافر إلى خراسان وكرمان وغزنة ثم رحل إلى الشام واستوطن دمشق

وتوفي بها يوم الثلاثاء ثامن شوال ودفن يوم الأربعاء تاسعه سنة ثمان وستين وخمسمائة وقد ناهز الثمانين ودفن بمقبرة باب الصغير رحمه الله تعالى ثم ظفرت بمولده في سنة تسع وثمانين وأربعمائة بالجانب الغربي من بغداد بشارع دار الرقيق وله مصنفات كثيرة في الفقه والأصلين والنحو وله ديوان شعر ومدح النبي بقصيدة ومن شعره (سلوت بحمد الله عنها فأصبحت * دواعي الهوى من نحوها لا أجيبها)

94 (على أنني لا شامت إن أصابها بلاء * ولا راض بواش يعيبها) وله أشياء حسنة وكان مجموع فضائل 169&&أبو محمد العسكري أبو محمد الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أحد الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الإمامية وهو والد المنتظر صاحب السرداب ويعرف بالعسكري وأبوه علي يعرف أيضا بهذه النسبة وسيأتي ذكره وذكر بقية الأئمة إن شاء الله تعالى وكانت ولادة الحسن المذكور يوم الخميس في بعض شهور سنة إحدى وثلاثين ومائتين وقيل سادس شهر ربيع الأول وقيل الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائتين وتوفي يوم الجمعة وقيل يوم الأربعاء لثماني ليال خلون من شهر ربيع الأول وقيل جمادى الأولى سنة ستين ومائتين بسر م رأى ودفن بجنب قبر أبيه رحمهما الله تعالى والعسكري

بفتح العين المهملة وسكون السين المهملة وفتح الكاف
وبعدها راء هذه النسبة إلى سر من رأى ولما بناها
المعتصم وانتقل إليها بعسكره
95 قيل لها العسكر وإنما نسب الحسن المذكور إليها
لأن المتوكل أشخص أباه عليا إليها وأقام بها عشرين سنة
وتسعة أشهر فنسب هو وولده إليها 170 أبو نواس أبو
علي الحسن بن هانىء بن عبد الأول بن الصباح
المعروف بأبي نواس الحكمي الشاعر المشهور كان جده
مولى الجراح بن عبد الله الحكمي والي خراسان ونسبته
إليه ذكر محمد بن داود بن الجراح في كتاب الورقة أن
أبا نواس ولد بالبصرة ونشأ بها ثم خرج إلى الكوفة مع
والبة بن الحباب ثم صار إلى بغداد وقال غيره إنه ولد
بالأهواز ونقل منها وعمره سنتان وأمه أهوازية اسمها
جلبان وكان أبوه من جند مروان بن محمد آخر ملوك بني
أمية وكان من أهل دمشق وانتقل إلى الأهواز للرباط
فتزوج جلبان وأولدها عدة أولاد منهم أبو نواس وأبو معاذ
فأما أبو نواس فأسلمته أمه إلى بعض العطارين فرآه أبو
أسامة والبة بن الحباب فاستحلاه فقال له إني أرى فيك
مخايل
96 أرى لك أن لا تضيعها وستقول الشعر فاصحبني
أخرجك فقال له ومن أنت فقال أنا أبو أسامة والبة بن
الحباب فقال نعم أنا والله في طلبك ولقد أردت الخروج إلى
الكوفة بسببك لآخذ عنك وأسمع منك شعرك فصار أبو

نواس معه وقدم به بغداد فكان أول ما قاله من الشعر وهو صبي (حامل الهوى تعب * يستخفه الطرب) (إن بكى يحق له * ليس ما به لعب) (تضحكين لاهية * والمحب ينتحب) (تعجبين من سقمي * صحتي هي العجب) وهي أبيات مشهورة وروي أن الخصيب صاحب ديوان الخراج بمصر سأل أبا نواس عن نسبه فقال أغناني أدبي عن نسبي فأمسك عنه وقال إسماعيل بن نوبخت ما رأيت قط أوسع علما من أبي نواس ولا أحفظ منه مع قلة كتبه ولقد فتشنا منزله بعد موته فما وجدنا له إلا قمطرا فيه جزاز مشتمل على غريب ونحو لا غير وهو في الطبقة الأولى من المولدين وشعره عشرة أنواع وهو مجيد في العشرة وقد اعتنى بجمع شعره جماعة من الفضلاء منهم أبو بكر الصولي وعلي بن حمزة وإبراهيم بن أحمد بن محمد الطبري المعروف بتوزون فلهذا يوجد ديوانه مختلفا ومع شهرة ديوانه لا حاجة إلى ذكر شيء منه وكان أبو نواس قوي البديهة والارتجال روي أن الخصيب قال له مرة
97 وهو بالمسجد الجامع أنت غير مدافع في الشعر ولكنك لا تخطب فقام من فوره فقال مرتجلا (نحلتكم يا أهل مصر نصيحتي * ألا فخذوا من ناصح بنصيب) (رماكم أمير المؤمنين بحية * أكول لحيات البلاد شروب) (فإن يك باقي إثم فرعون فيكم * فإن عصا موسى بكف خصيب) ثم التفت إليه وقال والله لا يأتي بمثلها خطيب

مصقع فكيف رأيت فاعتذر إليه وحلف ما كنت إلا مازحا
ورأيت في بعض الكتب أن المأمون كان يقول لو وصفت
الدنيا نفسها لما وصفت بمثل قول أبي نواس (ألا كل حي
هالك وابن هالك * وذو نسب في الهالكين عريق) (إذا
امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق)
والبيت الأول ينظر إلى قول امرىء القيس (فبعض اللوم
عاذلتي فإني * سيكفيني التجارب وانتسابي) (إلى عرق
الثرى وشجت عروقي * وهذا الموت يسلبني شبابي)
وقد سبق في ترجمة الحسن البصري نظير هذا المعنى
وما أحسن ظنه بربه عز وجل حيث يقول (تكثر ما
استطعت من الخطايا * إذا كان القدوم على كريم) وقال
وهي من رواية أخرى
98 (تكثر ما استطعت من الخطايا * فإنك بالغ ربا
غفورا) (ستبصر إن وردت عليه عفوا * وتلقى سيدا
ملكا كبيرا) (تعض ندامة كفيك مما * تركت مخافة
النار السرورا) وهذا من أحسن المعاني وأغربها
وأخباره كثيرة ومن شعره الفائق المشهور قصيدته
الميمية التي حسده عليها أبو تمام حبيب المقدم ذكره
ووازنها بقوله (دمن ألم بها فقال سلام * كم حل عقدة
صبره الإلمام) وأول قصيدة أبي نواس المشار إليها وهي
مما مدح به الأمين محمد بن هارون الرشيد أيام خلافته (
يا دار ما صنعت بك الأيام * لم يبق فيك بشاشة تستام)
يقول من جملتها في صفة ناقته (وتجشمت بي هول كل

تنوفة * هوجاء فيها جرأة إقدام) (تذر المطي وراءها
فكأنها * صف تقدمهن وهي إمام) (وإذا المطي بنا بلغن
محمدا * فظهورهن على الرجال حرام) وهذا البيت له
حكاية سيأتي ذكرها في ترجمة ذي الرمة غيلان الشاعر
المشهور وقد أذكرني هذا البيت واقعة جرت لي مع
صاحبنا جمال الدين محمود
99 ابن عبد الله الإربلي الأديب المجيد في صناعة
الألحان وغير ذلك فإنه جاءني إلى مجلس الحكم العزيز
بالقاهرة المحروسة في بعض شهور سنة خمس وأربعين
وستمائة وقعد عندي ساعة وكان الناس يزدحمون لكثرة
أشغالهم حينئذ ثم نهض وخرج فلم أشعر إلا وقد حضر
غلامه وعلى يده رقعة مكتوب فيها هذه الأبيات (يا أيها
المولى الذي بوجوده * أبدت محاسنها لنا الأيام) (إني
حججت إلى مقامك حجة الأشواق * لا ما يوجب الإسلام)
(وأنخت بالحرم الشريف مطيتي * فتسربت واستاقها
الأقوام) (فظللت أنشد عند نشداني لها * بيتا لمن هو في
القريض إمام) (وإذا المطي بنا بلغن محمدا *
فظهورهن على الرجال حرام) فوقفت عليها وقلت
لغلامه ما الخبر فذكر أنه لما قام من عندي وجد مداسه قد
سرق فاستحسنت منه هذا التضمين والعرب يشبهون
النعل بالراحلة وقد جاء هذا في شعر المتقدمين
والمتأخرين واستعمله المتنبي في مواضع من شعره ثم
جاءني من بعد جمال الدين المذكور وجرى ذكر هذه

الأبيات فقلت له ولكن أنا اسمي أحمد لا محمد فقال علمت ذلك ولكن أحمد ومحمد سواء وهذا التضمين حسن ولو كان الاسم أي شيء كان وكان محمد الأمين المقدم ذكره قد سخط على أبي نواس لقضية جرت له معه فتهدده بالقتل وحبسه فكتب إليه من السجن (بك أستجير من الردى * متعوذا من سطو باسك) (وحياة رأسك لا أعود * لمثلها وحياة راسك) (من ذا يكون أبا نواسك * إن قتلت أبا نواسك)

100 وله معه وقائع كثيرة حدث أحمد بن معاوية الباهلي عن عطاء الملك قال دخلنا المسجد الجامع فإذا على السارية مكتوب بخط جليل التي إليها أبو عبيدة يجلس (صلى الإله على لوط وشيعته * أبا عبيدة قل بالله آمينا) قال فقال لي أبو عبيدة امحه قلت لا أناله فركع وارتفعت على ظهره حتى محوته فقلت لم يبق إلا الطاء فقال الطامة في الطاء فمحوتها فلما جلس قال والله ما أتهم بهذا إلاالخبيث الماجن المتهتك يعني أبا نواس قال فبلغ قوله أبا نواس فحلف أنه لم يفعل ذلك فقبل يمينه وكان أبو عبيدة يحب أبا نواس ويقدمه لظرفه وأدبه وكان أبو نواس يتعلم من أبي عبيدة ويشنأ الأصمعي ويهجوه فقيل له ما تقول في الأصمعي فقال بلبل في قفص قيل فما تقول في خلف الأحمر قال جمع العلم وفهمه قيل فما تقول في أبي عبيدة قال ذاك أديم طوي على علم وكان بمصر رجل يعرف بالحسن بن عمر الأجهري يقول الشعر الضعيف وكان

ناقص العقل فقيل له إن أردت أن يعلو شأنك في الشعر
فاهج أبا نواس فأتاه وهو جالس في المجلس والناس حوله
فأنشده (ألا قل للنواسي الضعيف * الحال والقدر) (
خبرنا منك أحوالا * فلم نحمدك في الخبر) (وما روعت
بالمنظر * ولكن رعت بالكدر) قال وكان هذا الشاعر
من أوحش الناس صورة فنظر إليه أبو نواس وقال بم
أهجوك وبأي شيء أصفك وقد سبقني الله تعالى إلى
توحش منظرك وتقبيح مخبرك وهل أكون إن قلت شيئا إلا
سارقا من ربي ومتكلفا
101 على ما قد كفاني فقال له بعض من معه اهجه
على حال لا نقول إنه أفحمك فقال من وزن شعره (بما
أهجوك لا أدري * لساني فيك لا يجري) (إذا فكرت في
هجوك * أبقيت على شعري) قال فقاموا على أبي نواس
فقبلوا رأسه وصفقوا الأيدي جهرا حدث الصولي عن عبد
الله بن محمد بن حفص قال غلست يوما إلى المسجد فإذا
بأبي نواس يكلم امرأة عند باب المسجد وكنت أعرفه في
مجالس الحديث والآداب فقلت له مثلك يقف هذا الموقف
بحق أو باطل فاعتذر ثم كتب إلي ذلك اليوم هذه الأبيات (
إن التي أبصرتها * سحرا تكلمني رسول) (دست إلي
رسالة * كادت لها نفسي تزول) (من واضح الخدين
يقصر * خطوه ردف ثقيل) (متنكب قوس الصبا *
يرمي وليس له رسيل) (فلو ان أذنك عندنا * حتى تسمع
ما تقول) (لرأيت ما استقبحت من * أمري لديك هو

الجميل) وحكى الصولي عن إسماعيل بن نصر أخي
محمد بن نصر الذي يقول فيه أبو نواس من جملة قصيد (
فصلى هذه في وقت هذي * فكل صلاته أبدا قضاء) (
وذاك محمد تفديه نفسي * وحق له وقل له الفداء) قال
رأيت أبا نواس وقد صلى الظهر وقام يتطوع فقلت له ما
بدا لك في
102 هذا قال ليصعد إلى السماء اليوم خبر ظريف
حكى الصولي عن أبي العتاهية قال لقيت أبا نواس في
المسجد الجامع فعذلته وقلت له أما آن لك أن ترعوي أما
حان لك أن تزدجر فرفع رأسه إلي وقال (أتراني يا
عتاهي * تاركا تلك الملاهي) (أتراني مفسدا بالنسك *
عند القوم جاهي) قال فلما ألححت عليه بالعذل أنشأ يقول
(لن ترجع الأنفس عن غيها * ما لم يكن منها لها زاجر)
قال فوددت اني قلت هذا البيت بكل شيء قلته وقال أبو
العتاهية قد قلت عشرين ألف بيت في الزهد وددت أن لي
مكانها الأبيات الثلاثة التي قالها أبو نواس وهي (يا
نواسي توقر * وتعز وتصبر) (إن يكن ساءك دهر *
فلما سرك أكثر) (يا كبير الذنب عفو * الله عن ذنبك
أكبر) وأشيع عن أبي نواس انه رجع عما كان عليه من
البطالة وشرب الخمر وزهد في اللذات فاجتمع أصحابه
وأقبلوا عليه يهنئونه بذلك فوضع بين يديه باطية وجعل لا
يدخل عليه أحد يهنئه إلا شرب بين يديه رطلا وأنشد (
قالوا نزعت ولما يعلموا وطري * في كل أغيد ساجي

الطرف مياس) (كيف النزوع وقلبي قد تقسمه * لحظ العيون وقرع السن بالكاس) قال محمد بن نافع كان أبو نواس لي صديقا فوقع بيني وبينه هجرة في آخر عمره ثم بلغتني وفاته فتضاعف علي الحزن فبينا أنا بين النائم واليقظان إذ رأيته فقلت أبا نواس قال لات حين كنية قلت الحسن بن هانىء

103 قال نعم قلت ما فعل الله بك قال غفر لي بأبيات قلتها في علتي قبل موتي وهي تحت الوسادة فأتيت أهله فلما رأوني أجهشوا بالبكاء فقلت لهم قال أخي شعرا قبل موته قالوا لا نعلم إلا أنه دعا بدواة وقرطاس وكتب شيئا لا ندري ما هو قلت ايذنوا لي أدخل قال فدخلت إلى مرقده فإذا ثيابه لم تحرك بعد فرفعت وسادة فلم أر شيئا ثم رفعت أخرى فإذا أنا برقعة فيها مكتوب (يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة * فلقد علمت بأن عفوك أعظم) (إن كان لا يدعوك إلا محسن * فمن الذي يرجو ويدعو المجرم) (أدعوك رب كما أمرت تضرعا * فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم) (ما لي إليك وسيلة إلا الرجا * وجميل عفوك ثم أني مسلم) وقد سبق في ترجمة أبي عمر أحمد بن دراج القسطلي ذكر بعض قصيدة أبي نواس الرائية وذكره الخطيب أبو بكر في تاريخ بغداد وقال ولد في سنة خمس وأربعين وقيل سنة ست وثلاثين ومائة وتوفي في سنة خمس وقيل ست وقيل ثمان وتسعين ومائة ببغداد ودفن في مقابر الشونيزي رحمه الله تعالى وإنما قيل له أبو نواس

لذؤابتين كانتا له تنوسان على عاتقيه والحكمي بفتح الحاء المهملة والكاف وبعدها ميم هذه النسبة إلى الحكم بن سعد العشيرة قبيلة كبيرة باليمن منها الجراح بن عبد الله الحكمي وكان أمير خراسان وقد تقدم أن أبا نواس من مواليه فنسب إليه وقد تقدم الكلام على سعد العشيرة في ترجمة المتنبي في حرف الهمزة وأما الصولي فتأتي ترجمته في المحمدين وعلي بن حمزة لم أقف له على ترجمة

104 وتوزون أخذ الأدب عن أبي عمر الزاهد وبرع فيه وكان يسكن بغداد وتوفي في جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وثلثمائة رحمه الله تعالى 171 ابن وكيع التنيسي أبو محمد الحسن بن علي بن أحمد بن محمد بن خلف بن حيان بن صدقة بن زياد الضبي المعروف بابن وكيع التنيسي الشاعر المشهور أصله من بغداد ومولده بتنيس ذكره أبو منصور الثعالبي في يتيمة الدهر وقال في حقه شاعر بارع وعالم جامع قد برع على أهل زمانه فلم يتقدمه أحد في أوانه وله كل بديعة تسحر الأوهام وتستعبد الأفهام وذكر مزدوجته المربعة وهي من جيد النظم وأورد له غيرها وله ديوان شعر جيد وله كتاب بين فيه سرقات أبي الطيب المتنبي سماه المنصف وكان في لسانه عجمة ويقال له العاطس ومن شعره (سلا عن حبك القلب المشوق * فما يصبو إليك ولا يتوق) (جفاؤك كان عنك لنا عزاء * وقد يسلي عن الولد العقوق) وله أيضا

105 (كأنها في الكؤوس إذ جليت * من عسجد
رق لونه وصفا) (أغضبها الماء حين مازجها *
وأزبدت في كؤوسها أنفا) (در حباب يود مبصره * لو
كان يوما لأذنه شنفا) وله أيضا إن كان قد بعد اللقاء فودنا
* دان ونحن على النوى أحباب كم قاطع للوصل يؤمن
ومواصل بوداده يرتاب وله أيضا (لقد شمت بقلبي * لا
فرج الله عنه) (كم لمته في هواه * فقال لا بد منه)
ولقد ألم به بعضهم فقال (لا رعى الله عزمة ضمنت لي
* سلوة القلب والتصبر عنه) (ما وفت غير ساعة ثم
عادت * مثل قلبي تقول لا بد منه) ومثله قول أسامة بن
منقذ الشيزري المقدم ذكره (لا تستعر جلدا على
هجرانهم * فقواك تضعف عن صدود دائم) (واعلم بأنك
إن رجعت إليهم * طوعا وإلا عدت عودة راغم) وقال
بعض الفقهاء أنشدت الشيخ مرتضى الدين أبا الفتح نصر
بن محمد بن مقلد القضاعي الشيزرى المدرس كان بتربة
الإمام الشافعي رضي الله عنه بالقرافة لابن وكيع المذكور
(لقد قنعت همتي بالخمول * وصدت عن الرتب العاليه)
106 (وما جهلت طيب طعم العلا * ولكنها تؤثر
العافيه) فأنشدني لنفسه على البديهة (بقدر الصعود
يكون الهبوط * فإياك والرتب العاليه) (وكن في مكان
إذا ما سقطت * تقوم ورجلاك في عافيه) وله أيضا
أعني ابن وكيع (أبصره عاذلي عليه * ولم يكن قبل ذا
رآه) (فقال لي لو هويت هذا * ما لامك الناس في هواه

) (قل لي إلى من عدلت عنه * فليس أهل الهوى سواه)
(فظل من حيث ليس يدري * يأمر بالحب من نهاه)
وكنت أنشدت هذه الأبيات لصاحبنا الفقيه شهاب الدين محمد ولد الشيخ تقي الدين عبد المنعم المعروف بالخيمي فأنشدني لنفسه في المعنى (لو رأى وجه حبيبي عاذلي * لتفاصلنا على وجه جميل) وهذا البيت من جملة أبيات ولقد أجاد فيه وأحسن في التورية وله كل معنى حسن وكانت وفاة ابن وكيع المذكور يوم الثلاثاء لسبع بقين من جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة بمدينة تنيس ودفن في المقبرة الكبرى في القبة التي بنيت له بها رحمه الله تعالى ووكيع بفتح الواو وكسر الكاف وسكون الياء المثناة من تحتها

107 وبعدها عين مهملة وهو لقب جده أبي بكر محمد بن خلف وكان نائبا في الحكم بالأهواز لعبدان الجواليقي وكان فاضلا نبيلا فصيحا من أهل القرآن والفقه والنحو والسير وأيام الناس وأخبارهم وله مصنفات كثيرة فمنها كتاب الطريق وكتاب الشريف وكتاب عدد آي القرآن والاختلاف فيه وكتاب الرمي والنضال وكتاب المكاييل والموازين وغير ذلك وله شعر كشعر العلماء وتوفي يوم الأحد لست بقين من شهر ربيع الأول سنة ست وثلثمائة ببغداد وقال ابن قانع توفي عبدان الأهوازي سنة سبع وثلثمائة بعسكر مكرم رحمه الله تعالى والتنيسي بكسر التاء المثناة من فوقها وكسر النون المشددة وسكون

الياء المثناة من تحتها وبعدها سين مهملة نسبة إلى تنيس
مدينة بديار مصر بالقرب من دمياط بناها تنيس بن حام
بن نوح عليه السلام فسميت باسمه وتوفي المرتضى
الشيزري المذكور في سنة ثمان وتسعين وخمسمائة
بمصر ودفن بسفح المقطم رحمه الله تعالى 172 ابن
العلاف الشاعر أبو بكر الحسن بن علي بن أحمد بن بشار
بن زياد المعروف بابن العلاف الضرير النهرواني
الشاعر المشهور كان من الشعراء المجيدين وحدث عن
أبي عمر
108 الدوري المقرىء وحميد بن مسعدة البصري
ونصر بن علي الجهضمي ومحمد بن إسماعيل الحساني
وروى عنه عبد الله بن الحسن بن النخاس وأبو الحسن
الخراجي القاضي وأبو حفص ابن شاهين وغيرهم وكان
ينادم الإمام المعتضد بالله وقال بت ليلة في دار المعتضد
مع جماعة من ندمائه فأتانا خادم ليلا فقال أمير المؤمنين
يقول أرقت الليلة بعد انصرافكم فقلت (ولما انتبهنا
للخيال الذي سرى * إذا الدار قفر والمزار بعيد) وقد
أرتج علي تمامه فمن أجازه بما يوافق غرضي أمرت له
بجائزة قال فأرتج على الجماعة وكلهم شاعر فاضل
فابتدرت وقلت فقلت (فقلت لعيني عاودي النوم واهجعي *
لعل خيالا طارقا سيعود) فرجع الخادم إليه ثم عاد فقال
أمير المؤمنين يقول قد أحسنت وقد أمر لك بجائزة وكان
لأبي بكر المذكور هر يأنس به وكان يدخل أبراج الحمام

التي لجيرانه ويأكل فراخها وكثر ذلك منه فأمسكه أربابها
فذبحوه فرثاه بهذه القصيدة وقد قيل إنه رثى بها عبد الله بن
المعتز الآتي ذكره إن شاء الله تعالى وخشي من الإمام
المقتدر أن يتظاهر بها لأنه هو الذي قتله فنسبها إلى الهر
وعرض به في أبيات منها وكانت بينهما صحبة أكيدة
وذكر محمد بن عبد الملك الهمداني في تاريخه الصغير
الذي سماه المعارف المتأخرة في ترجمة الوزير أبي
الحسن علي بن الفرات ما مثاله قال الصاحب أبو القاسم
ابن عباد أنشدني أبو الحسن ابن أبي بكر العلاف وهو
الأكول المقدم في الأكل في مجالس الرؤساء والملوك
قصائد أبيه في الهر وقال إنما كنى بالهر عن المحسن بن
الفرات أيام محنته لأنه لم يجسر أن يذكره ويرثيه قلت أنا
وهذا المحسن ولد الوزير المذكور وسيأتي خبر ذلك في
ترجمة
109 أبيه أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات إن
شاء الله تعالى وذكر صاعد اللغوي في كتاب الفصوص
قال حدثني أبو الحسن المرزباني قال هويت جارية لعلي
بن عيسى غلاما لأبي بكر ابن العلاف الضرير ففطن بهما
فقتلا جميعا وسلخا وحشيت جلودهما تبنا فقال أبو بكر
مولاه هذه القصيدة يرثيه بها وكنى عنه بالهر والله أعلم
وهي من أحسن الشعر وأبدعه وعددها خمسة وستون بيتا
وطولها يمنع من الإتيان بجميعها فنأتي بمحاسنها وفيها
أبيات مشتملة على حكم فنأتي بها وأولها (يا هر فارقتنا

ولم تعد * وكنت عندي بمنزل الولد) (فكيف ننفك عن
هواك وقد * كنت لنا عدة من العدد) (تطرد عنا الأدى
وتحرسنا * بالغيب من حية ومن جرد) (وتخرج الفأر
من مكامنها * ما بين مفتوحها إلى السدد) (يلقاك في
البيت منهم مدد * وأنت تلقاهم بلا مدد) (لا عدد كان
منك منفلتا * منهم ولا واحد من العدد) (لا ترهب
الصيف عند هاجرة * ولا تهاب الشتاء في الجمد) (
وكان يجري ولا سداد لهم * أمرك في بيتنا على سدد) (
حتى اعتقدت الأذى لجيرتنا * ولم تكن للأذى بمعتقد) (
وحمت حول الردى بظلمهم * ومن يحم حول حوضه يرد
) (وكان قلبي عليك مرتعدا * وأنت تنساب غير مرتعد (
تدخل برج الحمام متئدا * وتبلع الفرخ غير متئد) (
وتطرح الريش في الطريق لهم * وتبلع اللحم بلع مزدرد (
) أطعمك الغي لحمها فرأى * قتلك أربابها من الرشد (
110) حتى إذا داوموك واجتهدوا * وساعد النصر
كيد مجتهد) (كادوك دهرا فما وقعت وكم * أفلت من
كيدهم ولم تكد) (فحين أخفرت وانهمكت وكاشفت *
وأسرفت غير مقتصد) (صادوك غيظا عليك وانتقموا *
منك وزادوا ومن يصد يصد) (ثم شفوا بالحديد أنفسهم
* منك لم يرعووا على أحد) ومنها (فلم تزل للحمام
مرتصدا * حتى سقيت الحمام بالرصد) (لم يرحموا
صوتك الضعيف كما * لم ترث منها لصوتها الغرد) (
أذاقك الموت ربهن كما * أذقت أفراخه يدا بيد) ومنها (

كأن حبلا حوى بجودته * جيدك للخنق كان من مسد) (
كأن عيني تراك مضطربا * فيه وفي فيك رغوة الزبد) (
وقد طلبت الخلاص منه فلم * تقدر على حيلة ولم تجد) (
فجدت بالنفس والبخيل بها * أنت ومن لم يجد بها يجد) (
فما سمعنا بمثل موتك إذ * مت ولا مثل عيشك النكد) (
عشت حريصا يقوده طمع * ومت ذا قاتل بلا قود)
ومنها (يا من لذيذ الفراخ أوقعه * ويحك هلا قنعت
بالغدد) (ألم تخف وثبة الزمان كما * وثبت في البرج
وثبة الأسد) (عاقبة الظلم لا تنام وإن * تأخرت مدة من
المدد) (أردت أن تأكل الفراخ ولا * يأكلك الدهر أكل
مضطهد) (هذا بعيد من القياس وما * أعزه في الدنو
والبعد) (لا بارك الله في الطعام إذا * كان هلاك النفوس
في المعد)
111 (كم دخلت لقمة حشا شره * فأخرجت روحه
من الجسد) (ما كان أغناك عن تسورك البرج * ولو
كان جنة الخلد) (قد كنت في نعمة وفي دعة * من
العزيز المهين الصمد) (تأكل من فأر بيتنا رغدا * وأين
بالشاكرين للرغد) (وكنت بددت شملهم زمنا *
فاجتمعوا بعد ذلك البدد) (فلم يبقوا لنا على سبد * في
جوف أبياتنا ولا لبد) (وفرغوا قعرها وما تركوا * ما
علقته يد على وتد) (وفتتوا الخبز في السلال فكم *
تفتت للعيال من كبد) (ومزقوا من ثيابنا جددا * فكلنا في
المصائب الجدد) ونقتصر من هذه القصيدة على هذا

القدر فهو زبدتها وكانت وفاته سنة ثماني عشرة وقيل تسع عشرة وثلثمائة وعمره مائة سنة رحمه الله تعالى والنهرواني بفتح النون وسكون الهاء وفتح الراء والواو وبعد الألف نون هذه النسبة إلى النهروان وهي بليدة قديمة بالقرب من بغداد وقال السمعاني هي بضم الراء وليس بصحيح 173 أبو الجوائز الواسطي أبو الجوائز الحسن بن علي بن محمد بن باري الكاتب الواسطي كان من الفضلاء سكن بغداد دهرا طويلا وذكره الخطيب في تاريخه فقال وعلقت

112 عنه أخبارا وحكايات وأناشيد وأمالي عن ابن سكرة الهاشمي وغيره ولم يكن ثقة فإنه ذكر لي أنه سمع من ابن سكرة وكان يصغر عن ذلك وكان أديبا شاعرا حسن الشعر في المديح والأوصاف وغير ذلك فمما أنشدنيه لنفسه قوله (دع الناس طرا واصرف الود عنهم * إذا كنت في أخلاقهم لا تسامح) (ولا تبغ من دهر تظاهر رنقه * صفاء بنيه فالطباع جوامح) (وشيئان معدومان في الأرض درهم * حلال وخل في الحقيقة ناصح) انتهى قول الخطيب وله تواليف حسان وخط جيد وأشعار رائقة وقفت له على مقاطيع كثيرة ولم أر له ديوانا ولا أعلم هل دون شعره أم لا ومن أشعاره السائرة قوله (براني الهوى بري المدى وأذابني * صدودك حتى صرت أمحل من أمس) (فلست أرى حتى أراك وإنما * يبين هباء الذر في ألق الشمس) ومن شعره (أقول

وجرس الحلي يمنع وصلها * وقد عاد ذاك القرب وهو
بعاد) (هبي كل ذي نطق يغار عليكم * فكيف يغار
الحلي وهو جماد) ومن شعره أيضا وفيه لزوم مالايلزم
(واحزني من قولها * خان عهودي ولها) (وحق من
صيرني * وقفا عليها ولها) (ما خطرت بخاطري * إلا
كستني ولها) وكانت وفاته سنة ستين وأربعمائة رحمه
الله تعالى وقال الخطيب
113 سمعت أبا الجوائز يقول ولدت في سنة اثنتين
وثمانين وثلثمائة وغاب عني خبره في سنة ستين
وأربعمائة انتهى كلام الخطيب قلت وقد صح أن فاته
كانت في سنة ستين كما ذكرته أولا والله أعلم وإن كان
الخطيب لم يصرح به بل اقتصر على انقطاع خبره لا
غير 174 العلم الشاتاني أبو علي االحسن بن سعيد بن
عبد الله بن بندار بن إبراهيم الشاتاني الملقب علم الدين
كان فقيها غلب عليه الشعر وأجاد فيه واشتهر به وكان قد
ترك بلده ونزل الموصل واستوطنها وكان يتردد منها إلى
بغداد وكان الوزير أبو المظفر ابن هبيرة كثير الإقبال
عليه والإكرام له وذكره العماد الكاتب في الخريدة وأثنى
عليه وأورد له أشعارا وقال مدح صلاح الدين بقصيدة
أولها (أرى النصر معقودا برايتك الصفرا * فسر وافتح
الدنيا فأنت بها أحرى)
114 (يمينك فيها اليمن واليسر في اليسرى *
فبشرى لمن يرجو الندى بهما بشرى) وكان مولده في

سنة عشر وخمسمائة وتوفي في شعبان سنة تسع وتسعين وخمسمائة بالموصل رحمه الله تعالى وذكره ابن الدبيثي في ذيله وأثنى عليه وشاتان بفتح الشين المعجمة وبعد الألف تاء مثناة من فوقها وبعد الألف الثانية نون وهي بلد بنواحي ديار بكر 175 ناصر الدولة ابن حمدان أبو محمد الحسن الملقب ناصر الدولة ابن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون ابن الحارث بن لقمان بن راشد بن المثنى بن رافع بن الحارث بن غطيف بن محربة بن حارثة بن مالك بن عبيد بن عدي بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب التغلبي كان صاحب الموصل وما والاها وتنقلت به الأحوال تارات إلى أن ملك الموصل بعد أن كان نائبا بها عن أبيه ثم لقبه الخليفة المتقي لله ناصر الدولة وذلك في مستهل شعبان سنة ثلاثين وثلثمائة ولقب أخاه سيف الدولة في ذلك اليوم أيضا وعظم شأنهما وكان الخليفة المكتفي بالله قد ولى أباهما عبد الله بن حمدان الموصل وأعمالها في سنة اثنتين وتسعين ومائتين فسار إليها ودخلها في أول سنة ثلاث وتسعين ومائتين وكان ناصر الدولة أكبر سنا من أخيه سيف الدولة وأقدم منزلة عند

115 الخلفاء وكان كثير التأدب معه وجرت بينهما يوما وحشة فكتب إليه سيف الدولة (لست أجفو وإن جفيت ولا أترك * حقا علي في كل حال) (إنما أنت والد والأب الجافي * يجازى بالصبر والإحتمال) حكى هلال

بن المحسن عن معز االدولة ابن بويه وكان منازلا لناصر الدولة أبي محمد بن حمدان فجاءه غلام فقال إن اغتلت ابن حمدان وقتلته ما يكون لي عليك قال اقتراحك ووعده وعدا ملأ به صدره فمضى واختلط بعسكر ناصر الدولة وتوصل إلى أن عرف موضع منامه ليلا من خيمته ثم جاء وقد اشتمل على دشنة فدخل الخيمة من تحت الطنب وقد تفرق الناس ونام الحراس فوجد ناصر الدولة نائما على سرير وفي جانب الخيمة شمعة وعلى بعد منه جماعة فتأمل موضع رأسه من رجليه ثم أطفأ الشمعة لئلا يصيح إذا جرحه فينذر به ويؤخذ وجاءه يريد الموضع الذي فيه رأسه فاتفق أن ناصر الدولة تقلب من جنب إلى جنب فزال عن المكان وجاء الغلام يريد موضعه فغرز الدشنة عزرا استقصى فيه وظن أنه قد بلغ المراد فأحس ناصر الدولة بعدوه فانتبه فرأى الشمعة وقد أطفئت وأطناب الخيمة مرفوعة فصاح بالغلمان فبادروا وجاءوا بضوء وشاهدوا الصورة فجزع وأمر بالزيادة في الاحتراس ولم يعلم كيف جرى الأمر وعاد الرجل فأخبر معز الدولة أنه قد قتل ناصر الدولة فلم يعطه ما وعده به لكنه أطلق له شيئا وقال لأبي جعفر الصيمري من يقدم على الملوك مثل إقدام هذا لا يجوز استبقاؤه فضلا أن يوثق بمكانه وما الذي يؤمننا أن يبذل لأعدائنا مثل ما بذل لنا فأرحني منه كيف شئت فأخذه الصيمري فغرقه وكتب إليه مرة أخرى وذكرها الثعالبي في اليتيمة

116 (رضيت لك العليا وقد كنت أهلها * وقلت لهم بيني وبين أخي فرق) (ولم يك بي عنها نكول وإنما * تجافيت عن حقي فتم لك الحق) (ولا بد لي من أن أكون مصليا * إذا كنت أرضى أن يكون لك السبق) وأورد له أيضا قوله (قد جرى في دمعه دمه * فإلى كم أنت تظلمه) (رد عنه الطرف منك فقد * خرقته منك أسهمه) (كيف يسطيع التجلد من * خطرات الوهم تؤلمه) وكان ناصر الدولة شديد المحبة لأخيه سيف الدولة فلما توفي سيف الدولة في التاريخ الآتي ذكره في ترجمته إن شاء الله تعالى تغيرت أحوال ناصر الدولة وساءت أخلاقه وضعف عقله إلى أن لم يبق له حرمة عند أولاده وجماعته فقبض عليه ولده أبو تغلب فضل الله الملقب عدة الدولة المعروف بالغضنفر بمدينة الموصل باتفاق من إخواته وسيره إلى قلعة أردمشت في حصن السلامة وذكر شيخنا ابن الأثير في تاريخه أن هذه القلعة هي التي تسمى الآن قلعة كواشي وذلك في يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من جمادي الأولى سنة ست وخمسين وثلثمائة ولم يزل محبوسا بها إلى أن توفي يوم الجمعة وقت العصر ثاني عشر شهر ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ونقل إلى الموصل ودفن بتل توبة شرقي الموصل وقيل إنه توفي سنة سبع وخمسين وقال محمد بن عبد الملك الهمذاني في كتاب عنوان السير في آخر ترجمة ناصر الدولة ما مثاله ولم يزل يعني ناصر الدولة مستوليا على

ديار الموصل وغيرها حتى قبض عليه ابنه الغضنفر في
سنة ست وخمسين وثلثمائة وكانت
117 إمارته هناك اثنتين وثلاثين سنة وتوفي يوم
الجمعة الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة سبع
وخمسين وثلثمائة رحمه الله تعالى وقتل أبوه ببغداد وهو
يدافع عن الإمام القاهر بالله وقصته مشهورة لثلاث عشرة
ليلة بقيت من المحرم سنة سبع عشرة وثلثمائة رحمه الله
تعالى وأما الغضنفر تن ناصر الدولة فإنه جرت له مع
عضد الدولة ابن بويه لما ملك بغداد بعد قتله بختيار ابن
عمه المقدم ذكره وقد كان معه في الواقعة التي قتل فيها
قضايا يطول شرحها وحاصلها أن عضد الدولة قصده
بالموصل فهرب منه إلى الشام ونزل بظاهر دمشق
والمستولي عليا قسام العيار فكتب إلى العزيز بن المعز
صاحب مصر يسأله تولية الشام فأجابه إلى ذلك ظاهرا
ومنعه باطنا فتوجه إلى الرملة في المحرم سنة سبع وستين
وبها المفرج بن الجراح البدوي الطائي فهرب منه ثم جمع
له جموعا وعاد إليه فالتقيا على بابها في يوم الاثنين لليلة
خلت من صفر من السنة فانهزم أصحابه وأسر وقتل يوم
الثلاثاء ثاني صفر المذكور ومولده يوم الثلاثاء لإحدى
عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين
وثلثمائة ونقلت نسبهم على هذه الصورة من كتاب أدب
الخواص للوزير أبي القاسم الحسين ابن المغربي وقال
محمد بن أحمد الأسدي النسابة اسم تغلب دثار وإنما سمي

تغلب لأن أباه وائلا قصدته اليمن في داره لتسبي أهله فصرخ في أهله وعشيرته فنصر على اليمن وكان تغلب طفلا فتبرك به وقال هذاا تغلب فسمي به

118 176 ركن الدولة ابن بويه أبو علي الحسن بن بويه بن فناخسرو الديلمي الملقب ركن الدولة وقد تقدمت تتمة نسبه في حرف الهمزة عند ذكر أخيه معزالدولة أحمد وكان ركن الدولة المذكور صاحب أصبهان والري وهمذان وجميع عراق العجم وهو والد عضد الدولة فناخسرو ومؤيد الدولة أبي منصور بويه وفخر الدولة أبي الحسن علي وكان ملكا جليل القدر عالي الهمة وكان أبو الفضل ابن العميد الآتي ذكره إن شاء الله تعالى وزيره ولما توفي استوزر ولده أبا الفتح عليا وكان الصاحب بن عباد وزير ولده مؤيد الدولة ولما توفي وزر لفخر الدولة وقد تقدم ذلك في حرف االهمزة في ترجمة الصاحب وكان مسعودا ورزق السعادة في أولاده الثلاثة وقسم عليهم الممالك فقاموا بها أحسن قيام وكان ركن الدولة المذكور أوسط الاخوة الثلاثة وهم عماد الدولة أبو الحسن علي وركن الدولة المذكور ومعز الدولة أبو الحسين أحمد وقد سبق ذكره وكان عماد الدولة أكبرهم ومعز الدولة أصغرهم ولما كان في سنة 339&&سار الخراسانيون منصور بن قراتكين ومن معه إلى الري وكان ركن الدولة ببلاد فارس فلما وصل جرت بينه وبينهم حروب عدة وضاقت الميرة على الطائفتين وذبحوا

دوابهم ولو أمكن ركن الدولة الانهزام لفعل فاستشار
ويزره أبا الفضل ابن العميد في بعض الليالي في الهرب
فقال لا ملجأ لك إلا إلى الله تعالى فانو للمسلمين خيرا
وصمم العزم على حسن السيرة والإحسان فإن الحيل
البشرية كلها تقطعت بنا وإن انهزمنا تبعونا وأهلكونا وهم
أكثر منا فلا يفلت منا أحد فقال له قد سبقتك إلى هذا
119 فلما كان ثلث الليل الأخير أتاهم الخبر أن
منصورا وعسكره قد عادوا إلى الري وتركوا خيامهم
وكان سبب ذلك أن الميرة والعلوفة ضاقت عليهم أيضا إلا
أن الديلم كانوا يصبرون ويقتنعون بالقليل من الطعام وكان
الخراسانية بالضد منهم وحكى أبو الفضل ابن العميد قال
استدعاني ركن الدولة تلك الليلة في الثلث الأخير وقال لي
قد رأيت الساعة في منامي كأني على دابتي فيروز وقد
انهزم عدونا وأنت تسير إلى جانبي وقد جاءنا الفرج من
حيث لا نحتسب فمددت عيني فرأيت على الأرض خاتما
فأخذته وإذا فصه من فيروزج فجعلته في إصبعي فتبركت
به وانتبهت وقد أيقنت بالظفر فإن الفيروزج معناه الظفر
وكذلك لقب الدابة فيروز قال ابن العميد فأتانا الخبر
والبشارة بأن العدو قد رحل فما صدقنا حتى تواردت
الأخبار فركبنا ولا نعرف سبب هزيمتهم وسرنا حذرين
من كمين وسرت إلى جانب ركن الدولة وهو على فرسه
فيروز فصاح ركن الدولة لغلام بين يديه ناولني ذلك
الخاتم فأخذ خاتما من الأرض فناوله إياه فإذا هو من

فيروزج فجعله في إصبعه وقال هذا تأويل رؤياي وهذا الخاتم الذي رأيت من ساعة وهذا من أحسن ما يحكى وأعجبه وكان ركن الدولة يقول مثل خراسان في صعوبة فتحها ونزارة دخلها كابن آوى يصعب صيده ولا يحصل خيره وهو معنى قول الشاعر (إن ابن آوى لشديد المقتنص * وهو إذا ما صيد ريح في قفص) وتوفي ركن الدولة ليلة السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة ست وستين وثلثمائة بالري ودفن في مشهده ومولده تقديرا في سنة أربع وثمانين ومائتين قاله أبو إسحاق الصابئ وملك أربعا وأربعين سنة وشهرا وتسعة أيام وتولى بعده ولده مؤيد الدولة رحمه الله تعالى

120 177 الحسن بن سهل أبو محمد الحسن بن سهل بن عبد الله السرخسي تولى وزارة المأمون بعد أخيه ذي الرياستين الفضل وحظي عنده وقد تقدم في حرف الباء ذكر ابنته بوران وصورة زواجها من المأمون والكلفة التي احتفل بها والدها الحسن فلا حاجة إلى إعادتها وكان المأمون قد ولاه جميع البلاد التي فتحها طاهرين الحسين وقد ذكرته في ترجمته وكان عالي الهمة كثير العطاء للشعراء وغيرهم وقصده بعض الشعراء وأنشده (تقول خليلتي لما رأتني * أنشد مطيتي من بعد حل) (أبعد الفضل ترتحل المطايا * فقلت نعم إلى الحسن بن سهل) فأجزل عطيته وخرج مع المأمون يوما يشيعه فلما عزم على مفارقته قال له المأمون يا أبا محمد ألك حاجة

قال نعم يا أمير المؤمنين تحفظ علي من قلبك مالا أستطيع حفظه إلا بك وقال بعضهم حضرت مجلس الحسن ابن سهل وقد كتب لرجل كتاب شفاعة فجعل الرجل يشكره فقال الحسن يا هذا علام تشكرنا إنا نرى الشفاعات زكاة مروءاتنا ثم أنشأ يقول (فرضت علي زكاة ما ملكت يدي * وزكاة جاهي أن أعين وأشفعا) (فإذا ملكت فجد فإن لم تستطع * فاجهد بوسعك كله أن تنفعا)

121 قال الحاكي وحضرته يوما وهو يملي كتاب شفاعة فكتب في آخره إنه بلغني أن الرجل يسأل عن فضل جاهه يوم القيامة كما يسأل عن فضل ماله وقال لبنيه يا بني تعلموا النطق فإن فضل الإنسان على سائر البهائم به وكلما كنتم بالنطق أحذق كنتم بالإنسانية أحق وكان سهل والد الحسن المذكور يتقهرم ليحيى بن خالد بن برمك وضم يحيى الحسن والفضل ابني سهل إلى ابنيه الفضل وجعفر يكونان معهما فضم جعفر بن سهل إلى المأمون وهو ولي عهد فغلب عليه ولم يزل معه إلى أن قتل بخراسان فكتب المأمون إلى الحسن بن سهل وهو ببغداد يغريه بأخيه ويعلمه أنه قد استوزره وأجراه مجراه فلم يكن أحد من بني هاشم ولا من القواد يخالف للحسن أمرا ولا يخرج له من طاعة إلى أن بايع المأمون لعلي بن موسى الرضا بالعهد فغضب بنو العباس وخلعوا المأمون وبايعوا إبراهيم بن المهدي فحاربه الحسن بن سهل فضعف عنه فانحدر الحسن إلى فم الصلح فأقام به ووجه

من فم الصلح من حارب إبراهيم فضعف أمر إبراهيم واستتر وقد تقدم ذكر ذلك ثم دخل المأمون بغداد وكتب إلى الحسن بن سهل فقدم عليه فزاد المأمون في كرامته وتشريفه عند تسليمه عليه وذلك في سنة أربع ومائتين قال ثعلب قيل للحسن وقد كثر عطاؤه على اختلال حاله ليس في السرف خير فقال بل ليس في الخير سرف فرد اللفظ واستوفى المعنى ودخل على الحسن أعرابي مدحه بشعر استحسنه فلما فرغ منه قال له الحسن اجلس واحتكم وهو يظن ان الأعرابي صغير الهمة فقال ألف ناقة فوجم الحسن ولم تكن في وسعه يومئذ وكره أن يفتضح فأطرق إطراقة ثم قال يا أعرابي ليس بلدنا بلد إبل ولكن كما قال امرؤ القيس (إذا ما لم تكن إبلا فمعزى * كأن قرون جلتها العصي) قال قد رضيت قال فالحق يحيى بن خاقان يعطك ألف شاة فصار إلى

122 يحيى فأعطاه عن كل شاة دينارا وكتب الحسن بن سهل إلى الحسن بن وهب وقد اصطبح في يوم غيم لم يمطر أما ترى تكافؤ الطمع واليأس في يومنا هذا بقرب المطر وبعده كأنه قول كثير (وإني وتهامي بعزة بعدما * تخليت مما بيننا وتخلت) (لكالمرتجي ظل الغمامة كلما * تبوأ منها للمقيل اضمحلت) وما أمنيتي إلا في لقائك ورقعتي هذه الأبيات وقد أدرت زجاجات أخذت من عقلي ولم تتحيفه وبعثت نشاطا حركني على الكتاب إليك فرأيك في إمطاري سرورا بسار خبرك إذ حرمت السرور

بالمطر في هذا اليوم موفقا إن شاء الله تعالى فأجابه الحسن بن وهب وصل كتاب الأمير أيده الله ويدي عاملة وفمي طاعم فلذلك تأخر الجواب قليلا وقد رأيت تكوفؤ إحسان هذا اليوم وإساءته وما استحق ذما لأنه إن أشمس حكى ضياءك وحسنك وإن أمطر أشبه سخاءك وجودك وإن أغام فلم يشمس ولم يمطر فقد أشبه طيب ظلك ولذة فنائك وسؤال الأمير أيده الله عني نعمته من الله أعفي بها آثارالزمان المسيء وأنا كما يحب الامير صرف الله الحوادث عنه وعن حظي منه ووقع الحسن بن سهل في رقعة قد أمرنا لك بشيء هو دون قدرك إلى استحقاق وفوق الكفاية مع الاقتصار وتعرض إليه رجل فقال له من أنت قال أنا الذي أحسنت إلي عام كذا فقال مرحبا بمن توسل إلينا بنا وافتعل رجل على الحسن كتابا إلى إبراهيم الرازي وكان أمير الأهواز فقال له والله لئن كنت صادقا فما في ملكي ما يفي بحق الوزير وإن كنت مفتعلا فما في قدرتي ما يفي بعقوبتك فحبسه وبعث يستعلم أمر الكتاب وبلغ ذلك الحسن فأمر أن يكتب إليه أما كان في صغير ما أنعمنا به عليك ما تصدق به مخيلة رجل توسل بنا إن كان مبطلا فكيف وهو محق

123 وكان الحسن بن سهل يقول عجبت لمن يرجو من فوقه كيف يحرم من دونه ونظر يوما إلى رجل في مجلسه يعبس في كأسه فقال ما أنصفتها تضحك في وجهك وتعبس في وجهها وكان يقول من أدمن شم النرجس في

الشتاء أمن البرسام في الصيف ولم يزل على وزارة المأمون إلى أن ثارت عليه المرة السوداء وكان سببها كثرة جزعه على أخيه الفضل لما قتل وسيأتي خبره في حرف الفاء إن شاء الله تعالى واستولت عليه حتى حبس في بيته ومنعته من التصرف وذكر الطبري في تاريخه أن الحسن بن سهل في سنة ثلاث ومائتين غلبت عليه السوداء وكان سببها أنه مرض مرضا شديدا فهاج به من مرضه تغير عقله حتى شد في الحديد وحبس في بيت فاستوزر المأمون أحمد بن أبي خالد وكانت وفاته سنة ست وثلاثين في مستهل ذي الحجة وقيل خمس وثلاثين ومائتين بمدينة سرخس رحمه الله تعالى ومدحه يوسف الجوهري بقوله (لو أن عين زهير عاينت حسنا * وكيف يصنع في أمواله الكرم) (إذا لقال زهير حين يبصره * هذا الجواد على العلات لا هرم) قلت وحديث زهير وهرم بن سنان مذكور في آخر هذا الكتاب في ترجمة يحيى بن عيسى المعروف بابن مطروح فليكشف منه وللحسن بن سهل في ترجمة أبي بكر محمد الخوارزمي الشاعر ذكر فلينظر هناك والسرخسي بفتح السين والراء المهملتين وسكون الخاء المعجمة وبعدها سين مهملة هذه النسبة إلى سرخس وهي من بلاد خراسان

124 178 الوزير المهلبي أبو محمد الحسن بن محمد بن هارون بن إبراهيم بن عبد الله بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي المهلبي

الوزير كان وزير معز الدولة أبي الحسين أحمد بن بوية الديلمي المقدم ذكره في حرف الهمزة تولى وزارته يوم الاثنين لثلاث بقين من جمادي الأولى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة وكان من ارتفاع القدر واتساع الصدر وعلو الهمة وفيض الكف على ما هو مشهور به وكان غاية في الأدب والمحبة لأهله وكان قبل اتصاله بمعز الدولة في شدة عظيمة من الضرورة والضائقة وكان قد سافر مرة ولقي في سفره مشقة صعبة واشتهى اللحم فلم يقدر عليه فقال ارتجالا (ألا موت يباع فأشتريه * فهذا العيش مالا خير فيه) ألا موت لذيذ الطعم يأتي * يخلصني من العيش الكريه) (إذا أبصرت قبرا من بعيد * وددت لو أنني مما يليه) (ألا رحم المهيمن نفس حر * تصدق بالوفاة على أخيه) وكان معه رفيق يقال له أبو عبد الله الصوفي وقيل أبو الحسين العسقلاني فلما سمع الأبيات اشترى له بدرهم لحما وطبخه وأطعمه وتفارقا وتنقلت بالمهلبي الأحوال وتولى الوزارة ببغداد لمعز الدولة المذكور وضاقت الحال

125 برفيقه في السفر الذي اشترى له اللحم وبلغه وزارة المهلبي فقصده وكتب إليه (ألا قل للوزير فدته نفسي * مقالة مذكر ما قد نسيه) (أتذكر إذ تقول لضنك عيش * ألا موت يباع فأشتريه) فلما وقف عليه تذكره وهزته أريحية الكرم فأمر له في الحال بسبعمائة درهم ووقع في رقعته مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله

كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة واللّه
يضاعف لمن يشاء ثم دعا به فخلع عليه وقلده عملا يرتفق
به ولما ولي المهلبي الوزارة بعد تلك الإضافة عمل (
رق الزمان لفاقتي * ورثي لطول تحرقي) (فأنالني ما
أرتجيه * وحاد عما أتقي) (فلأصفحن عما أتاه * من
الذنوب السبق) (حتى جنايته بما * صنع المشيب
بمفرقي) وله أيضا (قال لي من أحب والبين قد جد *
وفي مهجتي لهيب الحريق) (ما الذي في الطريق تصنع
بعدي * قلت أبكي عليك طول الطريق) ومن المنسوب
إليه في وقت الإضافة من الشعر ما كتبه إلى بعض
الرؤساء
126 وقيل إنهما لأبي نواس (ولو أني استزدتك
فوق ما بي * من البلوى لأعوزك المزيد) (ولو
عرضت على الموتى حياة * بعيش مثل عيشي لم يريدوا
) وقال أبو إسحاق الصابيء صاحب الرسائل كنت يوما
عند الوزير المهلبي فأخذ ورقة وكتب فقلت بديها (له يد
برعت جودا بنائلها * ومنطق دره في الطرس ينتثر) (
فحاتم كامن في بطن راحته * وفي أناملها سحبان مستتر)
وكان لمعز الدولة مملوك تركي في غاية الجمال يدعي
تكين الجامدار وكان شديد المحبة له فبعث سرية لمحاربة
بعض بني حمدان وجعل المملوك المذكور مقدم الجيش
وكان الوزير المهلبي يستحسنه ويرى أنه من أهل الهوى
لا مدد الوغى فعمل فيه (طفل يرق الماء في * وجناته

ويرف عوده) (ويكاد من شبه العذارى * فيه أن تبدو
نهوده) (ناطوا بمعقد خصره * سيفا ومنطقة تؤوده) (
جعلوه قائد عسكر * ضاع الرعيل ومن يقوده) وكذا كان
فإنه ما أنجح في تلك الحركة وكانت الكرة عليهم ومن
شعره النادر في الرقة قوله (تصارمت الأجفان لما
صرمتني * فما نلتقي إلا على عبرة تجري)
127 ومحاسن الوزير المهلبي كثيرة وكانت ولادته
ليلة الثلاثاء لإربع بقين من المحرم سنة إحدى وتسعين
ومائتين بالبصرة وتوفي يوم السبت لثلاث بقين من
شعبان سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة في طريق واسط
وحمل إلى بغداد فوصل إليها ليلة الأربعاء لخمس خلون
من شهر رمضان من السنة المذكورة ودفن في مقابر
قريش في مقبرة النوبختية رحمه الله تعالى والمهلبي بضم
الميم وفتح الهاء وتشديد اللام المفتوحة وبعدها باء موحدة
هذه النسبة إلى المهلب المذكور أولا وسيأتي ذكره إن شاء
الله تعالى ولما مات الوزير المذكور رثاه أبو عبد الله
الحسين بن الحجاج الشاعر المشهور وسيأتي ذكره بقوله
(يا معشر الشعراء دعوة موجع * لا يرتجى فرج السلو
لديه) (عزوا القوافي بالوزير فإنها * تبكي دما بعد
الدموع عليه) (مات الذي أمسى الثناء وراءه * والعفو
عفو الله بين يديه) (هدم الزمان بموته الحصن الذي *
كنا نفر من الزمان إليه) (فليعلمن بنو بويه أنه * فجعت
به أيام آل بويه)

128 179 الوزير نظام الملك أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس الملقب نظام الملك قوام الدين الطوسي ذكر السمعاني في كتاب الأنساب في ترجمة الراذ كان أنها بليدة صغيرة بنواحي طوس قيل إن نظام الملك كان من نواحيها وكان من أولاد الدهاقين واشتغل بالحديث والفقه ثم اتصل بخدمة علي بن شاذان المعتمد عليه بمدينة بلخ وكان يكتب له فكان يصادره في كل سنة فهرب منه وقصد داود بن ميكائيل بن سلجوق والد السلطان ألب أرسلان فظهر له منه النصح والمحبة فسلمه إلى ولده ألب أرسلان وقال له اتخذه والدا ولا تخالفه فيما يشير به فلما ملك ألب أرسلان كما سيأتي في موضعه من حرف الميم إن شاء الله تعالى دبر أمره فأحسن التدبير وبقي في خدمته عشر سنين فلما مات ألب أرسلان وازدحم أولاده على الملك وطد المملكة لولده ملك شاه فصار الأمر كله لنظام الملك وليس للسلطان إلا التخت والصيد وأقام على هذا عشرين سنة ودخل على الإمام المقتدي بالله فأذن له في الجلوس بين يديه وقال له يا حسن رضي الله عنك برضاء أمير المؤمنين عنك وكان مجلسه عامرا بالفقهاء واالصوفية وكان كثير الإنعام على االصوفية وسئل عن سبب ذلك فقال أتاني صوفي وأنا في خدمة بعض الأمراء فوعظني وقال اخدم من تنفعك خدمته ولا تشتغل بمن تأكله الكلاب غدا فلم أعلم

129 معنى قوله فشرب ذلك الأمير من الغد إلى الليل وكانت له كلاب كالسباع تفترس الغرباء بالليل فغلبه السكر فخرج وحده فلم تعرفه الكلاب فمزقته فعلمت أن الرجل كوشف بذلك فأنا أخدم الصوفية لعلي أظفر بمثل ذلك وكان إذا سمع الأذان أمسك عن جميع ما هو فيه وكان إذا قدم عليه إمام الحرمين أبو المعالي وأبو القاسم القشيري صاحب الرسالة بالغ في إكرامهما وأجلسهما في مسنده وبنى المدارس والربط والمساجد في البلاد وهو أول من أنشأ المدارس فاقتدى به الناس وشرع في عمارة مدرسته ببغداد سنة سبع وخمسين وأربعمائة وفي سنة تسع وخمسين جمع الناس على طبقاتهم ليدرس بها الشيخ أبو إسحاق الشيرازي رحمه الله تعالى فلم يحضر فذكر الدرس أبو نصر ابن الصباغ صاحب الشامل عشرين يوما ثم جلس الشيخ أبو إسحاق بعد ذلك وهذا الفصل قد استقصيته في ترجمة أبي نصر عبد السيد بن الصباغ صاحب الشامل فلينظر هناك وكان الشيخ أبو إسحاق إذا حضر وقت الصلاة خرج منها وصلى في بعض المساجد وكان يقول بلغني أن أكثر آلاتها غصب وسمع نظام الملك الحديث وأسمعه وكان يقول إني لأعلم أني لست أهلا لذلك ولكني أريد أربط نفسي في قطار النقلة لحديث رسول الله ويروى له من الشعر قوله (بعد الثمانين ليس قوه * قد ذهبت شرة الصبوه) (كأنني والعصا بكفي * موسى ولكن بلا نبوه) وقيل إن هذين البيتين لأبي الحسن

محمد بن أبي الصقر الواسطي وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى

130 ويروى له أيضا أعني نظام الملك (تقوس بعد طول العمر ظهري * وداستني الليالي أي دوس) (فأمشي والعصا تمشي أمامي * كأن قوامها وتر بقوس) وكانت ولادة نظام الملك يوم الجمعة الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة ثمان وأربعمائة بنوقان إحدى مدينتي طوس وتوجه صحبة ملك شاه إلى أصبهان فلما كانت ليلة السبت عاشر شهر رمضان سنة خمس وثمانين وأربعمائة أفطر وركب في محفته فلما بلغ إلى قرية قريبة من نهاوند يقال لها سحنة قال هذا الموضع قتل فيه خلق كثير من الصحابة زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنهم أجمعين فطوبى لمن كان معهم فاعترضه في تلك الليلة صبي ديلمي على هيئة الصوفية معه قصة فدعا له وسأله تناولها فمد يده ليأخذها فضربه بسكين في فؤاده فحمل إلى مضربه فمات وقتل القاتل في الحال بعد أن هرب فعثر في طنب خيمة فوقع وركب السلطان إلى معسكره فسكنهم وعزاهم وحمل إلى أصبهان ودفن بها وقيل إن السلطان دس عليه من قتله فإنه سئم طول حياته واستكثر ما بيده من الاقطاعات ولم يعش السلطان بعده سوى خمسة وثلاثين يوما فرحمه الله تعالى لقد كان من حسنات الدهر ورثاه شبل الدولة أبو الهيجاء مقاتل بن عطية بن مقاتل البكري الاتي ذكره إن شاء الله تعالى

وكان ختنه فإن نظام الملك زوجه ابنته فقال (كان الوزير نظام الملك لؤلؤة * نفيسة صاغها الرحمن من شرف) (عزت فلم تعرف الأيام قيمتها * فردها غيرة منه إلى الصدف)

131 وقد قيل إنه قتل بسبب تاج الملك أبي الغنائم المرزبان بن خسروفيروز المعروف بابن دارست فإنه كان عدو نظام الملك وكان كبير المنزلة عند مخدومه ملك شاه فلما قتل رتبه موضعه في الوزارة ثم إن غلمان نظام الملك وثبوا عليه فقتلوه وقطعوه إربا إربا في ليلة الثلاثاء ثاني عشر المحرم من سنة ست وثمانين وأربعمائة وعمره سبع وأربعون سنة وهو الذي بنى على قبر الشيخ أبي إسحاق الشيرازي رحمه الله تعالى 180 فخر الكتاب الجويني أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم الملقب فخر الكتاب الجويني الأصل البغدادي الكاتب المشهور كتب كثيرا ونسخ كتبا توجد في أيدي الناس بأوفر الأثمان لجودة خطها ورغبتهم فيه وذكره العماد الكاتب في الخريدة وبالغ في الثناء عليه وقال كان من ندماء أتابك زنكي بالشام وأقام بعده عند ولده نور الدين محمود في ظل الإكرام ثم سافر إلى مصر في أيام ابن رزيك وتوطن بها إلى هذه الايام وليس بمصر الآن من يكتب مثله وأورد له مقطوع شعر كتبه إلى القاضي الفاضل ولولا أنه طويل لذكرته وتوفي سنة أربع وثمانين وقيل ست وثمانين وخمسمائة بالقاهرة رحمه الله تعالى

132 والجويني بضم الجيم وفتح الواو وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون هذه النسبة إلى جوين وهي ناحية كبيرة من نواحي نيسابور ينسب إليها جماعة كثيرة من العلماء وكان كثيرا ما ينشد لبعض العراقيين (يندم المرء على ما فاته * من لبانات إذا لم يقضها) (وتراه فرجا مستبشرا * بالتي أمضى كأن لم يمضها) (إنها عندي وأحلام الكرى * لقريب بعضها من بعضها) 181 الكرابيسي صاحب الشافعي أبو علي الحسين بن علي بن يزيد الكرابيسي البغدادي صاحب الإمام الشافعي رضي الله عنهما وأشهرهم بانتياب مجلسه وأحفظهم لمذهبه وله تصانيف كثيرة في أصول الفقه وفروعه وكان متكلما عارفا بالحديث وصنف أيضا في الجرح والتعديل وغيره وأخذ عنه الفقه خلق كثير

133 وتوفي سنة خمس وأربعين وقيل سنة ثمان وأربعين ومائتين وهو أشبه بالصواب رحمه الله تعالى والكرابيسي بفتح الكاف والراء وبعد الألف باء موحدة مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها ساكنة وبعدها سين مهملة هذه النسبة إلى الكرابيس وهي الثياب الغليظة واحدها كرباس بكسر الكاف وهو لفظ فارسي عرب وكان أبو علي المذكور يبيعها فنسب إليها 182 ابن خيران أبو علي الحسين بن صالح بن خيران الفقيه الشافعي كان من جلة الفقهاء المتورعين وأفاضل الشيوخ وعرض عليه القضاء ببغداد في خلافة المقتدر فلم يفعل فوكل الوزير أبو

الحسن علي بن عيسى بداره مترسما فخوطب في ذلك
فقال إنما قصدت ذلك ليقال كان في زماننا من وكل بداره
ليتقلد القضاء فلم يفعل وكان يعاتب أبا العباس ابن سريج
على توليته ويقول هذا الأمر لم يكن فينا وإنما كان في
أصحاب أبي حنيفة رضي الله عنه ومثل هذا دعا عثمان
رضي الله عنه عبد الله بن عمر فقال اذهب كن قاضيا قال
أو تعفيني يا أمير المؤمنين قال لا اذهب كن قاضيا قال لا
تعجل يا أمير المؤمنين ألم تسمع رسول الله يقول من عاذ
باللهّ فقد عاذ بمعاذ قال بلى قال فإني أعوذ بالله أن أكون
قاضيا قال وما يمنعك من ذلك وأبوك كان يقضي بين
الناس قال يمنعني قول النبي
134 من كان قاضيا بين المسلمين فقضى بجهل فهو
في النار ومن كان قاضيا بحق أو بعدل سأل أن ينفلت
كفافا فما أرجو من القضاء بعد هذا وكانت وفاته يوم
الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة سنة عشرين
وثلثمائة قاله أبو العلاء ابن العسكري وقال الحافظ أبو
الحسن الدارقطني توفي في حدود سنة عشر وثلثمائة
وصوبه الحافظ أبو بكر الخطيب في ذلك وقال وهم أبو
العلاء العسكري رحمه الله تعالى وخيران بفتح الخاء
المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الراء وبعد
الألف نون 183 القاضي حسين أبو علي الحسين بن
محمد بن أحمد المروروذي الفقيه الشافعي المعروف
بالقاضي صاحب التعليقة في الفقه كان إماما كبيرا صاحب

وجوه غريبة في المذهب وكلما قال إمام الحرمين في كتاب نهاية المطلب والغزالي في الوسيط والبسيط وقال القاضي فهو المراد بالذكر لا سواه أخذ الفقه عن أبي بكر القفال المروزي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في العبادلة وصنف في الأصول والفروع والخلاف ولم يزل يحكم بين الناس ويدرس ويفتي وأخذ عنه الفقه جماعة من الأعيان منهم أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي صاحب كتاب التهذيب وكتاب شرح السنة وغيرهما

135 وتوفي في سنة اثنتين وستين وأربعمائة بمروروذ رحمه الله تعالى وقد تقدم الكلام على مروروذ في حرف الهمزة 184 أبو علي السنجي أبو علي الحسين بن شعيب بن محمد السنجي الفقيه الشافعي أحمد الأئمة المتقنين أخذ الفقه بخراسان عن أبي بكر عبد الله القفال المروزي هو والقاضي حسين الذي تقدم ذكره والشيخ أبو محمد الجويني والد إمام الحرمين وسيأتي ذكره إن شاء الله تعاى وشرح الفروع التي لأبي بكر ابن الحداد المصري شرحا لم يقاربه فيه أحد مع كثرة شروحها فإن القفال شيخه شرحها والقاضي أبو الطيب الطبري شرحها وغيرهما وشرح أيضا كتاب التلخيص لأبي العباس ابن القاص شرحا كبيرا وهو قليل الوجود وله كتاب المجموع وقد نقل منه أبو حامد الغزالي في كتاب الوسيط وهو أول من جمع بين طريقتي العراق وخراسان وكان فقيه أهل مرو في عصره وكان يقال في عصره

الأئمة بخراسان ثلاثة مكثر محقق ومقل محقق ومكثر
غير محقق فالمكثر المحقق أبو علي السنجي والمقل
المحقق أبو محمد الجويني
136 والمكثر غير المحقق ناصر المروزي وكانت
وفاته في سنة نيف وثلاثين وأربعمائة رحمه الله تعالى
والسنجي بكسر السين المهملة وسكون النون وبعدها جيم
نسبة إلى سنج وهي قرية كبيرة من قرى مرو 185
الفراء البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد
المعروف بالفراء البغوي الملقب ظهير الدين الفقيه
الشافعي المحدث المفسر كان بحرا في العلوم وأخذ الفقه
عن القاضي حسين بن محمد كما تقدم في ترجمته وصنف
في تفسير كلام الله تعالى وأوضح المشكلات من قول النبي
وروى الحديث ودرس وكان لا يلقي الدرس إلا على
الطهارة وصنف كتبا كثيرة منها كتاب التهذيب في الفقه
وكتاب شرح السنة في الحديث ومعالم التنزيل في تفسير
القرآن الكريم وكتاب المصابيح والجمع بين الصحيحين
وغير ذلك توفي في شوال سنة عشر وخمسمائة
بمروروذ ودفن عند شيخه القاضي حسين بمقبرة الطالقان
وقبره مشهور هنالك رحمه الله تعالى ورأيت في كتاب
الفوائد السفرية التي جمعها الشيخ الحافظ زكي الدين
137 عبد العظيم المنذري أنه توفي في سنة ست
عشرة وخمسمائة ومن خطه نقلت هذا والله أعلم ونقلت
عنه أيضا أنه ماتت له زوجة فلم يأخذ من ميراثها شيئا

وأنه كان يأكل الخبز البحت فعذل في ذلك فصار يأكل
الخبز مع الزبيب والفراء نسبة إلى عمل الفراء وبيعها
والبغوي بفتح الباء الموحدة والغين المعجمة وبعدها واو
هذه النسبة إلى بلدة بخراسان بين مرو وهراة يقال لها بغ
وبغشور بفتح الباء الموحدة وسكون الغين المعجمة وضم
الشين وبعدها واو ساكنة ثم راء وهذه النسبة شاذة على
خلاف الأصل هكذا قال السمعاني في كتاب الأنساب 186
الحليمي أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم
الفقيه الشافعي المعروف بالحليمي الجرجاني ولد بجرجان
سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة وحمل إلى بخارى وكتب
الحديث عن أبي بكر محمد بن أحمد بن حبيب وغيره
وتفقه على أبي بكر الأودني وأبي بكر القفال ثم صار
إماما معظما مرجوعا إليه بما وراء
138 النهر وله في المذهب وجوه حسنة وحدث
بنيسابور وروى عنه الحافظ الحاكم وغيره وتوفي في
جمادي الاولى وقيل في شهر ربيع الأول سنة ثلاث
وأربعمائة رحمه الله تعالى ونسبته إلى جده حليم المذكور
187 الوني الحاسب أبو عبد الله الحسين بن محمد الوني
الفرضي الحاسب كان إماما في الفرائض وله فيها
تصانيف كبيرة مليحة أجاد فيها وسمع الحديث من
أصحاب أبي علي الصفار وغيرهم وسمع منه أبو حكيم
عبد الله بن إبراهيم الخبري صاحب التخليص في الحساب
والخطيب التبريزي وغيرهما وهو شيخ الخبري في علم

الحساب والفرائض وانتفع به وبكتبه خلق كثير وتوفي شهيدا ببغداد في ذي الحجة سنة إحدى وخمسين وأربعمائة في فتنة البساسيري المقدم ذكره والوني بفتح الواو وتشديد النون هذه النسبة إلى ون وهي قرية من أعمال قهستان أظنه منها

139 188 ابن خميس الكعبي أبو عبد الله الحسين بن نصر بن محمد بن الحسين بن القاسم بن خميس بن عامر المعروف بابن خميس الكعبي الموصلي الجهني الملقب تاج الإسلام مجد الدين الفقيه الشافعي أخذ الفقه عن أبي حامد الغزالي ببغداد وعن غيره وولي القضاء برحبة مالك بن طوق ثم رجع إلى الموصل وسكنها وصنف كتبا كثيرة منها مناقب الأبرار على أسلوب رسالة القشيري ومنها مناسك الحج وأخبار المنامات ذكره الحافظ أبو سعد السمعاني في تاريخه وأثنى عليه وكان يروي عن أبي إسحاق إبراهيم بن عثمان الكلبي الغزي الشاعر المقدم ذكره في وزير عميد الدولة ابن جهير قوله (من آلة الدست لم يؤت الوزير سوى * . . . .
البيتين) وخميس جده الأعلى وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة رحمه الله تعالى والجهني بضم الجيم وفتح الهاء وبعدها نون هذه النسبة إلى جهينة وهي قرية قريبة من الموصل تجاور القرية التي فيها العين المعروفة بعين القيارة

140 التي ينفع الاستحمام بمائها من الفالج والرياح
الباردة وهي مشهورة وهما في بر الموصل أسفل من
الموصل وجهينة أقرب من عين القيارة وبالجهني أيضا
نسبة إلى جهينة وهي قبيلة كبيرة من قضاعة والكعبي
بفتح الكاف وسكون العين المهملة وبعدها باء موحدة هذه
النسبة إلى بني كعب وهم أربع قبائل ينسب إليها ولا أعلم
المذكور إلى أيها ينتسب والموصلي معروف 189
الحلاج أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج الزاهد
المشهور هو من أهل البيضاء وهي بلدة بفارس ونشأ
بواسط والعراق وصحب أبا القاسم الجنيد وغيره والناس
في أمره مختلفون فمنهم من يبالغ في تعظيمه ومنهم من
يكفره ورأيت في كتاب مشكاة الأنوار تأليف أبي حامد
الغزالي فصلا طويلا في حاله وقد اعتذر عن الألفاظ التي
كانت تصدر عنه مثل قوله أنا الحق وقوله ما في الجبة إلا
الله وهذه الإطلاقاتت التي ينبو السمع عنها وعن ذكرها
141 وحملها كلها على محامل حسنة وأولها وقال
هذا من فرط المحبة وشدة الوجد وجعل هذا مثل قول
القائل (أنا من أهوى ومن أهوى أنا * نحن روحان حللنا
بدنا) (فإذا أبصرتني أبصرته * وإذا أبصرته أبصرتنا)
وكان ابتداء حاله على ما ذكره عز الدين ابن الأثير في
تاريخه انه كان يظهر الزهد والتصوف والكرامات
ويخرج للناس فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف
في الشتاء ويمد يده إلى الهواء ويعيدها مملوءة دراهم

عليها مكتوب قل هو الله أحد ويسميها دراهم القدرة ويخبر الناس بما يأكلون وما يصنعون في بيوتهم ويتكلم بما في ضمائر الناس فافتتن به خلق كثير واعتقدوا فيه الحلول وبالجملة فإن الناس اختلفوا فيه اختلافهم في المسيح عليه السلام فمن قائل إنه حل فيه جزء إلهي ويدعي فيه الربوبية ومن قائل إنه ولي الله تعالى وان الذي يظهر منه من جملة كرامات الصالحين ومن قائل انه ممخرق ومستغش وشاعر كذاب ومتكهن والجن تطيعه فتأتيه بالفاكهة بغير أوانها وكان قدم من خراسان إلى العراق وسار إلى مكة فأقام بها سنة في الحجر لا يستظل تحت سقف شتاء ولا صيفا وكان يصوم الدهر فإذا جاء العشاء أحضر له لخادم كوز ماء وقرصا فيشربه ويعض من القرص ثلاث عضات من جوانيه ويترك الباقي ولا يأكل شيئا آخر إلى آخر النهار وكان شيخ الصوفية بمكة عبد الله المغربي يأخذ أصحابه إلى زيارة الحلاج فلم يجده في الحجر وقيل قد صعد إلى جبل أبي قبيس فصعد إليه فرآه على صخرة حافيا مكشوف الرأس والعرق يجري منه إلى الأرض فأخذ أصحابه وعاد ولم يكلمه وقال هذا يتصبر ويتقوى على قضاء الله وسوف يبتليه الله بما يعجز عنه صبره وقدرته وعاد الحسين إلى بغداد انتهى كلام ابن الأثير

142 وكان في سنة 299 ادعى للناس أنه إله وأنه يقول بحلول اللاهوت في الأشراف من الناس وانتشر له

في الحاشية ذكر عظيم ووقع بينه وبين الشبلي وغيره من مشايخ الصوفية فبعث به المقتدر إلى عيسى ليناظره فأحضر مجلسه وخاطبه خطابا فيه غلظة فحكي انه تقدم إليه وقال له فيما بينه وبينه قف من حيث انتهيت ولا تزد علي شيئا وإلا خسفت الأرض من تحتك وكلاما في هذا المعنى فتهيب عيسى مناظرته واستعفى منها فنقل في سنة 309 إلى حامد بن العباس الوزير فحدث غلام لحامد كان موكلا بالحلاج قال دخلت عليه يوما ومعي الطبق الذي عادتي أن أقدمه إليه كل يوم فوجدته قد ملأ البيت بنفسه وهو من سقفه إلى أرضه وجوانبه ليس فيه موضع فهالني ما رأيت منه ورميت الطبق من يدي وهربت وحم هذا الغلام من هول ما رأى وبقي مدة محموما فكذبه حامد وشتمه وقال ابعد عني وكان دخوله إلى بغداد مشهرا على جمل وحبس في دار المقتدر وأفتى العلماء بإباحة دمه وكان الحلاج قد أنفذ أحد أصحابه إلى بلد من بلدان الجبل ووافقه على حيلة يعملها فخرج الرجل فأقام عندهم سنتين يظهر النسك والعبادة وقراءة القرآن والصوم فغلب على البلد حتى إذا تمكن أظهر أنه عمي فكان يقاد إلى مسجده ويتعامى في كل أحد شهورا ثم أظهر أنه زمن فكان يحبو ويحمل إلى المسجد حتى مضت سنة وتقرر في النفوس عماه وزمانته فقال لهم بعد ذلك رأيت النبي في النوم يقول انه يطرق هذا البلد عبد صالح مجاب الدعوة تكون عافيتك على يديه ودعائه فاطلبوا لي كل من يجتاز من الفقراء أو

من الصوفية لعل الله تعالى أن يفرج عني فتعلقت النفوس لورود العبد الصالح ومضى الأجل الذي بينه وبين الحلاج فقدم البلد ولبس الثياب الصوف الرقاق وتفرد في الجامع فقال الأعمى احملوني إليه فلما حصل عنده وعلم أنه الحلاج قال له يا عبد الله رأيت في النوم كذا وكذا فادع الله تعالى لي فقال ومن أنا وما تحكي ثم دعا له ومسح يده عليه فقام مبصرا صحيحا فانقلب البلد وكثر الناس على الحلاج فتركهم وخرج من البلد وأقام المتعامي المبرأ مما فيه

143 شهورا ثم قال لهم ان من حق الله عندي ورده جوارحي علي أن أنفرد بالعبادة انفرادا أكثر من هذا وأن يكون مقامي في الغزو وقد عملت على الخروج إلى طرسوس فمن كانت له حاجة يحملها فأخرج هذا ألف درهم وقال اغز بهذه عني وأخرج هذا مائة دينار وقال اخرج بها غزاة من هناك وأعطاه كل أحد شيئا فاجتمع له ألوف دنانير ودراهم فلحق بالحلاج وقاسمه عليها وكان قد جرى منه كلام في مجلس حامد وزير المقتدر بحضرة القاضي أبي عمر وقد قرئ عليه رقعة بخطه أن الإنسان إذا أراد الحج ولم يمكنه افرد في داره شيئا لا يلحقه نجاسة ولا يدخله أحد ومنع من يطرقه فإذا حضرت أيام الحج طاف حوله طوافه بالبيت الحرام فإذا انقضى ذلك وقضى من المناسك ما يقضي بمكة مثله جمع ثلاثين يتيما وعمل لهم ما يمكنه من الطعام وأحضرهم إلى ذلك البيت وقدم

إليهم ذلك الطعام وتولى خدمتهم بنفسه فإذا أكلوا وغسلوا
أيديهم كسا كل واحد منهم قميصا ودفع إليه سبعة دراهم أو
ثلاثة فإذا فعل ذلك قام له قيام الحج فلما فرغ منها التفت
إليه أبو عمر القاضي وقال له من أين لك هذا قال من
كتاب الإخلاص للحسن البصري فقال له أبو عمر كذبت يا
حلاج اللهم قد سمعنا كتاب الإخلاص للحسن بمكة وليس
فيه شيء مما ذكرت الخ ومن الشعر المنسوب إليه على
اصطلاحهم وإشاراتهم قوله (لا كنت إن كنت أدري كيف
كنت ولا * لا كنت إن كنت أدري كيف لم أكن) وقوله
أيضا على هذا الاصطلاح (ألقاه في اليم مكتوفا وقال له
* إياك إياك أن تبتل بالماء)
144 وغير ذلك مما يجري هذا المجرى وينبني على
هذا الأسلوب وقال أبو بكر ابن ثوابة القصري سمعت
الحسين بن منصور وهو على الخشبة يقول (طلبت
المستقر بكل أرض * فلم أر لي بأرض مستقرا) (
أطعت مطامعي فاستعبدتني * ولو أني قنعت لكنت حرا)
والبيت الذي قبل قوله (لا كنت إن كنت أدري *) (
أرسلت تسأل عني كيف كنت وما * لاقيت بعدك من هم
ومن حزن) وقيل إن بعضهم كتب إلى أبي القاسم سمنون
بن حمزة الزاهد يسأله عن حاله فكتب إليه هذين البيتين
والله أعلم وبالجملة فحديثه طويل وقصته مشهورة والله
يتولى السرائر وكان جده مجوسيا وصحب هو أبا القاسم
الجنيد ومن في طبقته وأفتى أكثر علماء عصره بإباحة

دمه ويقال إن أبا العباس ابن سريج كان إذا سئل عنه يقول هذا رجل خفي عني حاله وما أقول فيه شيئا وكان قد جرى منه كلام في مجلس حامد بن العباس وزير الإمام المقتدر بحضرة القاضي أبي عمر فأفتى بحل دمه وكتب خطه بذلك وكتب معه من حضر المجلس من الفقهاء فقال لهم الحلاج ظهري حمى ودمي حرام وما يحل لكم أن تتأولوا علي بما يبيحه وأنا اعتقادي الإسلام ومذهبي السنة وتفضيل الأئمة الأربعة الخلفاء الراشيدين وبقية العشرة من

145 الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ولي كتب في السنة موجودة في الوراقين فالله في دمي ولم يزل يردد هذا القول وهم يكتبون خطوطهم إلى أن استكملوا ما احتاجوا إليه ونهضوا من المجلس وحمل الحلاج إلى السجن وكتب الوزير إلى المقتدر يخبره بما جرى في المجلس وسير الفتوى فعاد جواب المقتدر بأن القضاة إذا كانوا قد أفتوا بقتله فليسلم إلى صاحب الشرطة وليتقدم إليه بضربه ألف سوط فإن مات من الضرب وإلا ضربه ألف سوط أخرى ثم تضرب عنقه فسلمه الوزير إلى للشرطي وقال له ما رسم به المقتدر وقال إن لم يتلف بالضرب فتقطع يده ثم رجله ثم يده ثم رجله ثم تحز رقبته وتحرق جثته وإن خدعك وقال لك أنا أجري الفرات ودجلة ذهباً وفضة فلا تقبل ذلك منه ولا ترفع العقوبة عنه فتسلمه الشرطي ليلاً وأصبح يوم الثلاثاء لسبع بقين وقيل لست

بقين من ذي القعدة سنة تسع وثلثمائة فأخرجه عند باب الطاق واجتمع من العامة خلق كثير لا يحصى عددهم وضربه الجلاد ألف سوط ولم يتأوه بل قال الشرطي لما بلغ ستمائة ادع بي إليك فإن لك عندي نصيحة تعدل فتح قسطنطينية فقال له قد قيل لي عنك إنك تقول هذا وأكثر منه وليس إلى أن أرفع الضرب عنك سبيل فلما فرغ من ضربه قطع أطرافه الأربعة ثم حز رأسه وأحرق جثته ولما صارت رماداً ألقاها في دجلة ونصب الرأس ببغداد على الجسر وجعل أصحابه يعدون أنفسهم برجوعه بعد أربعين يوما واتفق ان زادت دجلة في تلك السنة زيادة وافرة فادعى أصحابه أن ذلك بسبب إلقاء رماده فيها وادعى بعض أصحابه أنه لم يقتل وإنما ألقي شبهه على عدو له وادعى بعضهم أنه رآه في ذلك اليوم بعد الذي عاينوه من الحال التي جرت عليه وهو راكب على حمار في طريق النهروان وقال لهم لعلكم مثل هؤلاء النفر الذين ظنوا أني هو المضروب والمقتول ومن شعره المنسوب إليه

146 (متى سهرت عيني لغيرك أو بكت * فلا بلغت ما أملت وتمنت) (وإن أضمرت نفسي سواك فلا رعت * بأرض المنى من وجنتيك وجنت) وشرح حاله فيه طول وفيما ذكرناه كفاية والحلاج بفتح الحاء المهملة وتشديد اللام وبعدها ألف ثم جيم وإنما لقب بذلك لأنه جلس على حانوت حلاج واستقضاه شغلا فقال الحلاج أنا

مشتغل بالحلج فقال له أمض في شغلي حتى أحلج عنك فمضى الحلاج وتركه فلما عاد رأى قطنه جميعه محلوجا وقيل إنه كان يتكلم قبل أن ينسب إليه على الأسرار ويخبر عنها فسمي بذلك حلاج الأسرار والبيضاء بفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الضاد المعجمة وبعدها همزة ممدودة قلت وبعد الفراغ من هذه الترجمة وجدت في كتاب الشامل في أصول الدين تصنيف الشيخ العلامة إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك ابن الشيخ أبي محمد الجويني رحمهما الله تعالى الآتي ذكره إن شاء الله تعالى فضلاً ينبغي ذكره ههنا والتنبيه على الوهم الذي وقع فيه فإنه قال وقد ذكر طائفة من الأثبات الثقات إن هؤلاء الثلاثة تواصوا على قلب الدولة والتعرض لإفساد المملكة واستعطاف القلوب واستمالتها وارتاد كل واحد منهم قطراً أما الجنابي فأكناف الأحساء وابن المقفع توغل في أطراف بلاد الترك وارتاد الحلاج قطر بغداد فحكم عليه صاحباه بالهلكة والقصور عن درك الأمنية لبعد أهل العراق عن الانخداع هذا آخر كلام إمام الحرمين رحمه الله قلت وهذا كلام لا يستقيم عند أرباب التواريخ لعدم اجتماع الثلاثة المذكورين في وقت واحد اما الحلاج والجنابي فيمكن اجتماعهما لأنهما كانا في عصر واحد ولكن لا أعلم هل اجتمعا أم لا والمراد بالجنابي هو أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الحسن بن بهرام القرمطي رئيس القرامطة

147 وحديثهم وحروبهم وخروجهم على الخلفاء والملوك مشهور فلا حاجة إلى الإطالة بشرحه في هذا المكان بل إن يسر الله تعالى تحرير التاريخ الكبير فسأذكر فيه حديثهم مستوفى إن شاء الله تعالى وبعد أن جرى ذكرهم فينبغي أن نذكر منه فصلاً مختصراً ههنا حتى لا يخلو هذا الكتاب من حديثهم فأقول إن شيخنا عز الدين أبا الحسن علي بن محمد المعروف بابن الأثير ذكر في تاريخه الكبير الذي سماه الكامل أول أمرهم وأطال الحديث فيه وشرح في كل سنة ما كان يجري لهم فيها فاخترت ههنا شيئاً من ذلك طلباً للإيجاز وأول ما شرع فيه في سنة ثمان وسبعين ومائتين فقال في هذه السنة تحرك قوم بسواد الكوفة يعرفون بالقرامطة ثم بسط القول في ابتداء أمرهم وحاصله أن رجلاً أظهر العبادة والزهد والتقشف وكان يسف الخوص ويأكل من كسبه وكان يدعو الناس إلى إمام من أهل البيت رضي الله عنهم وأقام على ذلك مدة فاستجاب له خلق كثير وجرت له أحوال أوجبت له حسن الاعتقاد فيه وانتشر ذكرهم بسواد الكوفة (23) ثم قال شيخنا ابن الأثير بعد هذا في سنة ست وثمانين ومائتين وفي هذه السنة ظهر رجل من القرامطة يعرف بأبي سعيد الجنابي بالبحرين واجتمع إليه جماعة من الأعراب والقرامطة وقوي أمره فقتل من حوله من أهل تلك القرى وكان أبو سعيد المذكور يبيع للناس الطعام ويحسب لهم بيعهم ثم عظم أمرهم وقربوا من نواحي

البصرة فجهز إليهم الخليفة المعتضد بالله جيشاً يقاتلهم
مقدمه العباس بن عمرو الغنوي فتواقعوا وقعة شديدة
وانهزم أصحاب العباس وأسر العباس وكان ذلك في آخر
شعبان سنة سبع وثمانين فيما بين البصرة والبحرين وقتل
أبو سعيد الأسرى وأحرقهم واستبقى
148 العباس ثم أطلقه بعد أيام وقال له امض إلى
صاحبك وعرفه ما رأيت فدخل بغداد في شهر رمضان
من السنة وحضر بين يدي المعتضد فخلع عليه ثم إن
القرامطة دخلوا بلاد الشام في سنة تسع وثمانين ومائتين
وجرت بين الطائفتين وقعات يطول شرحها ثم قتل أبو
سعيد المذكور في سنة إحدى وثلثمائة قتله خادم له في
الحمام وقام مقامه ولده أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد
ولما قتل أبو سعيد كان قد استولى على هجر والقطيف
والطائف وسائر بلاد البحرين (24) وفي سنة إحدى
عشرة وثلثمائة في شهر ربيع الآخر منها قصد أبو طاهر
وعسكره البصرة وملكوها بغير قتال بل صعدوا إليها ليلاً
بسلالم الشعر فلما حصلوا بها وأحسوا بهم ثاروا إليهم
فقتلوا متولي البلاد ووضعوا السيف في الناس فهربوا منهم
وأقام أبو طاهر سبعة عشر يوماً يحمل منها الأموال ثم
عاد إلى بلده ولم يزالوا يعيشون في البلاد ويكثرون فيها
الفساد من القتل والسبي والنهب والحريق إلى سنة سبع
عشرة وثلثمائة فحج الناس فيها وسلموا في طريقهم ثم
وافاهم أبو طاهر القرمطي بمكة يوم التروية فنهبوا أموال

الحجاج وقتلوهم حتى في المسجد الحرام وفي البيت نفسه
وقلع الحجر الأسود وأنفذه إلى هجر فخرج إليه أمير مكة
في جماعة من الأشراف فقاتلوه فقتلهم أجمعين وقلع باب
الكعبة وأصعد رجلاً ليقلع الميزاب فسقط فمات وطرح
القتلى في بئر زمزم ودفن الباقين في المسجد الحرام من
غير كفن ولا غسل ولا صلاة على أحد منهم وأخذ كسوة
البيت فقسمها بين أصحابه ونهب دور أهل مكة فلما بلغ
ذلك المهدي عبيد الله صاحب إفريقية الآتي ذكره إن شاء
الله تعالى كتب إليه ينكر عليه ذلك ويلومه ويلعنه ويقيم
عليه القيامة ويقول له حققت على شيعتنا ودعاة دولتنا
الكفر واسم الإلحاد بما قد فعلت فإن لم
149 ترد على أهل مكة وعلى الحجاج وغيرهم ما
قد أخذت منهم وترد الحجر الأسود إلى مكانه وترد كسوة
الكعبة فأنا بريء منك في الدنيا والآخرة فلما وصله هذا
الكتاب أعاد الحجر واستعاد ما أمكنه من أموال أهل مكة
فرده ثم ذكر شيخنا ابن الأثير في سنة تسع وثلاثين
وثلثمائة أن القرامطة ردوا الحجر إلى مكة وقالوا أخذناه
بأمر وأعدناه بأمر وكان بجكم التركي أمير بغداد
والعراق قد بذل لهم في رده خمسين ألف دينار فلم يردوه
وردوه الآن وقال غير شيخنا إنهم ردوه إلى مكانه من
الكعبة المعظمة لخمس خلون من ذي القعدة وقيل من ذي
الحجة من السنة في خلافة المطيع لله وإنه لما أخذوه تفسخ
تحته ثلاثة جمال قوية من ثقله وحملوه لما أعادوه على

جمل واحد ضعيف فوصل به سالماً قلت وهذا الذي ذكره شيخنا من كتاب المهدي إلى القرمطي في معنى الحجر وأنه رده لذلك لا يستقيم لأن المهدي توفي سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وكان رد الحجر في سنة تسع وثلاثين فقد ردوه بعد موته بسبع عشرة سنة والله أعلم ثم قال شيخنا عقيب هذا ولما أرادوا رده حملوه إلى الكوفة وعلقوه يجامعها حتى رآه الناس ثم حملوه إلى مكة وكان مكثه عندهم اثنتين وعشرين سنة قلت وقد ذكر غير شيخنا أن الذي رده هو ابن سنبر وكان من خواص أبي سعيد ثم ذكر شيخنا في سنة ستين وثلثمائة أن القرامطة وصلوا إلى دمشق فملكوها وقتلوا جعفر بن فلاح نائب المصريين وقد سبق في ترجمة جعفر المذكور طرف من خبر هذه القضية ثم بلغ عسكر القرامطة إلى عين شمس وهي على باب القاهرة وظهروا عليهم ثم انتصر أهل مصر عليهم فرجعوا عنهم قلت وعلى الجملة فالذي فعلوه في الإسلام لم يفعله أحد قبلهم ولا بعدهم من

150 المسلمين وقد ملكوا كثيراً من بلاد العراق والحجاز وبلاد الشرق والشام إلى باب مصر ولما أخذوا الحجر تركوه عندهم في هجر وقتل أبو طاهر المذكور في سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة والقرمطي بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم وبعدها طاء مهملة والقرمطة في اللغة تقارب الشيء بعضه من بعض يقال خط مقرمط ومشي مقرمط إذا كان كذلك وكان أبو سعيد المذكور

قصيراً مجتمع الخلق أسمر كريه المنظر فلذلك قيل له قرمطي وقد ذكر القاضي أبو بكر الباقلاني فصلاً طويلاً من أحوالهم في كتاب كشف أسرار الباطنية وأما الجنابي فإنه بفتح الجيم وتشديد النون وبعد الألف باء موحدة وهذه النسبة إلى جنابة وهي بلدة من أعمال فارس متصلة بالبحرين عند سيراف والقرامطة منها فنسبوا إليها والأحساء بفتح الهمزة وسكون الحاء المهملة وبعدها سين مهملة ثم همزة ممدودة وهي كورة في تلك الناحية فيها بلاد كثيرة منها جنابة المذكورة وهجر والقطيف وهي بفتح القاف وكسر الطاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها فاء وغير ذلك من البلاد والاحساء جمع حسي بكسر الحاء وسكون السين المهملة والحسي ماء تنشفه الأرض من الرمل فإذا صار إلى صلابة أمسكته فتحفر العرب عنه الرمل فتستخرجه ولما كانت هذه الأرض كثيرة الأحساء سميت بهذا الاسم وصار علماً عليها لا تعرف إلا به وأما البحرين فقد قال الجوهري في كتاب الصحاح البحرين بلد والنسبة إليه بحراني وقال الأزهري إنما ثنوا البحرين لأن في ناحية قراها بحيرة على باب الأحساء وقرى هجر بينها وبين البحر الأخضر الأعظم عشرة فراسخ وقدرت البحيرة ثلاثة أميال في مثلها ولا يغيض ماؤها وهو راكد زعاق وهذه النواحي كلها بلاد العرب وهي وراء البصرة تتصل بأطراف الحجاز وهي على ساحل البحر المتصل باليمن والهند

بالقرب من جزيرة قيس ابن عميرة وهي التي تسميها العامة كيش وهي في وسط البحر بين عمان وبلاد فارس وفي تلك الناحية أيضاً رامهرمز وغيرها من البلاد والله أعلم

151 (25) وأما ابن المقفع فهو عبد الله بن المقفع الكاتب المشهور بالبلاغة صاحب الرسائل البديعة وهو من أهل فارس وكان مجوسياً فأسلم على يد عيسى بن علي عم السفاح والمنصور الخليفتين الأولين من خلفاء بني العباس ثم كتب له واختص به ومن كلامه شربت من الخطب ريا ولم أضبط لها رويا فغاضت ثم فاضت فلا هي هي نظاما وليست غيرها كلاما وقال الهيثم ابن عدي جاء ابن المقفع إلى عيسى بن علي فقال له قد دخل الاسلام في قلبي وأريد أن أسلم على يدك فقال له عيسى ليكن ذلك بمحضر من القواد ووجوه الناس فإذا كان الغد فاحضر ثم حضر طعام عيسى عشية ذلك اليوم فجلس ابن المقفع يأكل ويزمزم على عادة المجوس فقال له عيسى أتزمزم وأنت على عزم الإسلام فقال أكره أن أبيت على غير دين فلم أصبح أسلم على يده وكان ابن المقفع مع فضله يتهم بالزندقة فحكى الجاحظ أن ابن المقفع ومطيع بن إياس ويحيى بن زياد كانوا يتهمون في دينهم قال بعضهم فكيف نسي الجاحظ نفسه وكان المهدي بن المنصور الخليفة يقول ما وجدت كتاب زندقة إلا وأصله ابن المقفع وقال الأصمعي صنف ابن المقفع المصنفات الحسان منها الدرة

اليتيمة التي لم يصنف في فنها مثلها وقال الأصمعي قيل لابن المقفع من أدبك فقال نفسي إذا رأيت من غيري حسنا أتيته وإن رأيت قبيحاً أبيته واجتمع ابن المقفع بالخليل بن أحمد صاحب العروض فلما افترقا قيل للخليل كيف رأيته فقال علمه أكثر من عقله وقيل لابن المقفع كيف رأيت الخلل فقال عقله أكثر من عمله ويقال إن ابن
152 المقفع هو الذي وضع كتاب كليلة ودمنة وقيل إنه لم يضعه وإنما كان باللغة الفارسية فعربه ونقله إلى العربية وإن الكلام الذي في أول هذا الكتاب من كلامه وكان ابن المقفع يعبث بسفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة أمير البصرة وينال من أمه ولا يسميه إلا بابن المغتلمة وكثر ذلك منه فقدم سليمان وعيسى ابنا علي البصرة وهما عما المنصور ليكتبا أماناً لأخيهما المنصور وطلب الخلافة لنفسه فأرسل إليه المنصور جيشاً مقدمه أبو مسلم الخراساني فانتصر أبو مسلم عليه وهرب عبد الله بن علي إلى أخويه سليمان وعيسى واستتر عندهما خوفاً على نفسه من المنصور فتوسطا له عند المنصور ليرضي عنه ولا يؤاخذه بما جرى منه فقبل شفاعتهما واتفقوا على أن يكتب له أمان من المنصور وهذه الواقعة مشهورة في كتب التواريخ وقد أتيت منها في هذا المكان بما تدعو الحاجة إليه لينبتي الكلام بعضه على بعض فلما أتيا البصرة قالا لعبد الله بن المقفع اكتبه أنت وبالغ في التأكيد كي لا يقتله المنصور

وقد ذكرت أن ابن المقفع كان كاتباً لعيسى بن علي فكتب
ابن المقفع الأمان وشدد فيه حتى قال في جملة فصوله
ومتى غدر أمير المؤمنين بعمه عبد الله بن علي فنساؤه
طوالق ودوابه حبس وعبيده أحرار والمسلمون في حل من
بيعته وكان ابن المقفع يتنوق في الشروط فلما وقف عليه
المنصور عظم ذلك عليه وقال من كتب هذا فقالوا له رجل
يقال له عبد الله بن المقفع يكتب لأعمامك فكتب إلى سفيان
متولي البصرة المقدم ذكره يأمره بقتله وكان سفيان شديد
الخنق عليه للسبب الذي تقدم ذكره فاستأذن ابن المقفع يوماً
على سفيان فأخر إذنه حتى خرج من كان عنده ثم أذن له
فدخل فعدل به إلى حجرة فقتل فيها وقال المدائني لما
دخل ابن المقفع على سفيان قال له أتذكر ما كنت تقول في
أمي فقال أنشدك الله أيها الأمير في نفسي فقال أمي مغتلمة
إن لم أقتلك قتلة لم يقتل بها أحد وأمر بتنور فسجر ثم أمر
بابن المقفع
153 فقطعت أطرافه عضواً عضواً وهو يلقيها في
التنور وهو بنظر حتى أتى على جميع جسده ثم أطبق عليه
التنور وقال ليس علي في المثلة بك حرج لأنك زنديق وقد
أفسدت الناس وسأل سليمان وعيسى عنه فقيل إنه دخل
دار سفيان سليماً ولم يخرج منها فخاصماه إلى المنصور
وأحضراه إليه مقيداً وحضر الشهود الذين شاهدوه وقد
دخل داره ولم يخرج فأقاموا الشهادة عند المنصور فقال
لهم المنصور أنا أنظر في هذا الأمر ثم قال لهم أرأيتم إن

قتلت سفيان به ثم خرج ابن المقفع من هذا البيت وأشار إلى باب خلفه وخاطبكم ما تروني صانعاً بكم أأقتلكم بسفيان فرجعوا كلهم عن الشهادة وأضرب عيسى وسليمان عن ذكره وعلموا أن قتله كان برضا المنصور ويقال إنه عاش ستاً وثلاثين سنة وذكر الهيثم بن عدي أن ابن المقفع كان يستخف بسفيان كثيرا وكان أنف سفيان كبيراً فكان إذا دخل عليه قال السلام عليكما يعني نفس وأنفه وقال له يوما ما تقول في شخص مات وخلف زوجاً وزوجة يسخر به على رؤوس الناس وقال سفيان يوماً ما ندمت على سكوت قط فقال له ابن المقفع الخرس زين لك فكيف تندم عليه وكان سفيان يقول والله لأقطعنه إرباً إرباً وعينة تنظر وعزم على أن يغتاله فجاءه كتاب المنصور بقتله فقتله وقال البلاذري لم قدم عيسى بن علي البصرة في أمر أخيه عبد الله بن علي قال لابن المقفع اذهب إلى سفيان في أمر كذا وكذا فقال ابعث إليه غيري فإني أخاف منه فقال اذهب فأنت في أماني فذهب إليه ففعل به ما ذكرناه وقيل إنه ألقاه في بئر المخرج وردم عليه الحجارة وقيل أدخله حماماً وأغلق عليه بابه فاختنق قلت ذكر صاحبنا شمس الدين أبو المظفر يوسف الواعظ سبط الشيخ جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي الواعظ المشهور في تاريخه الكبير الذي سماه مرآه الزمان أخبار ابن المقفع وما جرى له وقتله في سنة خمس وأربعين ومائة ومن عادته أن يذكر كل واقعة في السنة التي كانت

فيها فيدل على أن قتله كان في السنة المذكورة وفي كلام عمر بن شبة في كتاب أخبار البصرة ما يدل على أن ذلك كان في سنة اثنتين وأربعين ومائة أو ثلاث وأربعين ولا خلاف في أن سليمان بن علي المقدم ذكره مات في سنة اثنتين وأربعين ومائة وقد ذكرنا أنه قام مع أخيه عيسى بن علي في طلب ثأر ابن المقفع فيدل أيضاً على أنه قتل في هذه السنة والله أعلم وابن المقفع له شعر وهو مذكور في كتاب الحماسة وسيأتي في ترجمة أب عمرو ابن العلاء المقرىء له مرثية فيه وقد قيل إنها لولده محمد بن عبد الله ابن المقفع على ما ذكرته هناك من الخلاف فلينظر فيه وكيفما كان فإن تاريخ قتله لم يكن بعد سنة خمس وأربعين ومائة وإنما كان فيها أو فيما قبلها وإذا كان كذلك فكيف يتصور أن يجتمع بالحلاج والجنابي كما ذكره إمام الحرمين رحمه الله تعالى ومن ها هنا حصل الغلط وأيضاً فإن ابن المقفع لم يفارق العراق فكيف يقول إنه توغل في بلاد الترك وإنما كان مقيماً بالبصرة ويتردد في بلاد العراق ولم تكن بغداد موجودة في زمنه فإن المنصور أنشأها في مدة خلافته فاختطها في سنة أربعين ومائة واستتم بناءها ونزلها في سنة ست وأربعين وفي سنة تسع وأربعين تم جميع بنائها وهي بغداد القديمة التي كانت بالجانب الغربي على دجلة وهي بين الفرات ودجلة كما جاء في الحديث المروي عن رسول الله أنه تنشأ مدينة في هذا المكان وهذا الحديث هو الذي ذكره الخطيب أبو بكر

البغدادي في أول تاريخه الكبير وقد غاب عني الآن لفظه فلهذا لم أذكره وبغداد في هذا الزمان هي الجديدة التي في الجانب الشرقي وفيها دور الخلفاء وهي قاعدة الملك في هذا الوقت وكان السفاح وأخوه المنصور قد نزلا بالكوفة ثم بنى السفاح بليدة عند الأنبار سماها الهاشمية فانتقلا إليها ثم انتقلا إلى الأنبار وبها مات السفاح وقبره ظاهر بها وأقام المنصور على ذلك إلى أن بنى بغداد فانتقل اليها 154 السنة المذكورة وفي كلام عمر بن شبة في كتاب أخبار البصرة ما يدل على أن ذلك كان في سنة اثنتين وأربعين ومائة أو ثلاث وأربعين ولا خلاف في أن سليمان بن علي المقدم ذكره مات في سنة اثنتين وأربعين ومائة وقد ذكرنا أنه قام مع أخيه عيسى بن علي في طلب ثأر ابن المقفع فيدل أيضاً على أنه قتل في هذه السنة والله أعلم وابن المقفع له شعر وهو مذكور في كتاب الحماسة وسيأتي في ترجمة أب عمرو ابن العلاء المقرىء له مرثية فيه وقد قيل إنها لولده محمد بن عبد الله ابن المقفع على ما ذكرته هناك من الخلاف فلينظر فيه وكيفما كان فإن تاريخ قتله لم يكن بعد سنة خمس وأربعين ومائة وإنما كان فيها أو فيما قبلها وإذا كان كذلك فكيف يتصور أن يجتمع بالحلاج والجنابي كما ذكره إمام الحرمين رحمه الله تعالى ومن ها هنا حصل الغلط وأيضاً فإن ابن المقفع لم يفارق العراق فكيف يقول إنه توغل في بلاد الترك وإنما كان مقيماً بالبصرة ويتردد في بلاد العراق ولم تكن بغداد

موجودة في زمنه فإن المنصور أنشأها في مدة خلافته فاختطها في سنة أربعين ومائة واستتم بناءها ونزلها في سنة ست وأربعين وفي سنة تسع وأربعين تم جميع بنائها وهي بغداد القديمة التي كانت بالجانب الغربي على دجلة وهي بين الفرات ودجلة كما جاء في الحديث المروي عن رسول الله أنه تنشأ مدينة في هذا المكان وهذا الحديث هو الذي ذكره الخطيب أبو بكر البغدادي في أول تاريخه الكبير وقد غاب عني الآن لفظه فلهذا لم أذكره وبغداد في هذا الزمان هي الجديدة التي في الجانب الشرقي وفيها دور الخلفاء وهي قاعدة الملك في هذا الوقت وكان السفاح وأخوه المنصور قد نزلا بالكوفة ثم بنى السفاح بليدة عند الأنبار سماها الهاشمية فانتقلا إليها ثم انتقلا إلى الأنبار وبها مات السفاح وقبره ظاهر بها وأقام المنصور على ذلك إلى أن بنى بغداد فانتقل اليها

155 والمقفع بضم الميم وفتح القاف وتشديد الفاء وفتحها وبعدها عين مهملة واسمه داذويه وكان الحجاج بن يوسف الثقفي في أيام ولايته العراق وبلاد فارس قد ولاه خراج فارس فمد يده وأخذ الأموال فعذبه فتقفعت يده فقيل له المقفع وقيل بل ولاه خالد بن عبد الله القسري الآتي ذكره إن شاء الله تعالى وعذبه يوسف بن عمر الثقفي الآتي ذكره لما تولى العراق بعد خالد والله أعلم أي ذلك كان وقال ابن مكي في كتاب تثقيف اللسان ويقولون ابن المقفع والصواب ابن المقفع بكسر الفاء لأن أباه كان يعمل

القفاع ويبيعها قلت والقفاع بكسر القاف جمع قفعة بفتح القاف وهي شيء يعمل من الخوص شبيه الزبيل لكنه بغير عروة والقول الأول هو المشهور بين العلماء وهو فتح الفاء قلت ولما وقفت على كلام إمام الحرمين رحمه الله تعالى ولم يمكن أن يكون ابن المقفع أحد الثلاثة المذكورين قلت لعله أراد المقنع الخراساني الذي ادعى الربوبية وأظهر القمر كما شرحته في ترجمته بعد هذا في حرف العين فإن اسمه عطاء ويكون الناسخ قد حرف كلام إمام الحرمين فأراد أن يكتب المقنع فكتب المقفع فإنه يقرب منه في الخط فيكون الغلط والتحريف من الناسخ لا من الإمام ثم أفكرت في أنه لا يستقيم أيضاً لأن المقنع الخراساني قتل نفسه بالسم في سنة ثلاث وستين ومائة كما ذكرناه في ترجمته فما أدرك الحلاج والجنابي أيضاً (26) وإذا أردنا تصحيح هذا القول وأن ثلاثة اجتمعوا واتفقوا على الصورة التي ذكرها إمام الحرمين فما يمكن أن يكون الثالث إلا ابن الشلمغاني فإنه كان في عصر الحلاج والجنابي وأموره كلها مبنية على التمويهات وقد ذكره جماعة من أرباب التاريخ فقال شيخنا عز الدين بن الأثير في تاريخه الكبير في سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة فصلاً طويلاً اختصرته وهو وفي هذه

156 السنة قتل أبو جعفر محمد بن علي الشلمغاني المعروف بابن أبي العزاقر وسبب ذلك أنه أحدث مذهباً غالياً في التشيع والتناسخ وحلول الإلهية فيه إلى غير ذلك

مما يحكيه وأظهر ذلك من فعله أبو القاسم الحسين بن روح الذي تسميه الامامية الباب فطلب ابن الشلمغاني فاستتر وهرب إلى الموصل وأقام سنين ثم انحدر إلى بغداد وظهر عنه أنه يدعي الربوبية وقيل إنه تبعه على ذلك الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب الذي وزر للمقتدر بالله وابنا بسطام وإبراهيم بن أحمد بن أبي عون وغيرهم وطلبوا في أيام وزارة ابن مقلة للمقتدر فلم يوجدوا فلما كان في شوال سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة ظهر ابن الشلمغاني فقبض عليه ابن مقلة وحبسه وكبس داره فوجد فيها رقاعاً وكتباً ممن يدعي أنه على مذهبه يخاطبونه بما لا يخاطب به البشر بعضهم بعضاً فعرضت على ابن الشلمغاني فأقر أنها خطوطهم وأنكر مذهبه وأظهر الإسلام وتبرأ مما يقال فيه وأحضر ابن أبي عون وابن عبدوس معه عند الخليفة فأمرا بصفعه فامتنعا فلما أكرها مد ابن عبدوس يده فصفعه وأما ابن أبي عون فإنه مد يده إلى لحيته ورأسه وارتعدت يده وقبل لحية ابن الشلمغاني ورأسه وقال إلهي وسيدي ورازقي فقال له الخليفة الراضي بالله قد زعمت أنك لا تدعي الإلهية فما هذا فقال وما علي من قول ابن أبي عون والله يعلم أنني ما قلت له إنني إله قط فقال ابن عبدوس إنه لم يدع إلهية إنما ادعى أنه الباب إلى الإمام المنتظر ثم أحضروا مرات ومعهم الفقهاء والقضاة وفي آخر الأمر أفتى الفقهاء بإباحة دمه فأحرق بالنار في ذي القعدة من سنة اثنتين وعشرين

وثلثمائة (27) وذكره محب الدين بن النجار في تاريخ بغداد في ترجمة ابن أبي عون المذكور وقال إن ابن أبي عون ضربت عنقه بعد أن ضرب بالسياط ضرباً مبرحاً لمتابعته ابن الشلمغاني وصلب ثم أحرق بالنار وذلك في يوم الثلاثاء لليلة خلت من ذي القعدة من السنة المذكورة قلت وابن أبي عون هو صاحب التصانيف المليحة منها التشبيهات والأجوبة المسكتة وغير ذلك وكان من أعيان الكتاب

157 والشلمغاني بفتح الشين المعجمة وسكون اللام وبعدها ميم ثم غين معجمة وبعد الألف نون هذه النسبة إلى شلمغان وهي قرية بنواحي واسط وقد ذكره السمعاني في كتاب الأنساب أيضا والله أعلم 190 ابن سينا الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا الحكيم المشهور كان أبوه من أهل بلخ وانتقل منها إلى بخارى وكان من العمال الكفاة وتولى العمل بقرية من ضياع بخارى يقال لها خرميثنا من أمهات قراها وولد الرئيس أبو علي وكذلك أخوه بها واسم أمه ستارة وهي من قرية يقال لها أفشدنة بالقرب من خرميثنا ولما ولد أبو علي كان الطالع السرطان درجة شرف المشتري والقمر على شرف درجته والزهرة على درجة شرفها وسهم السعادة في تسع من السرطان وسهم الغيب في أول السرطان مع سهيل والشعرى اليمانية ثم انتقلوا إلى بخارى وتنقل الرئيس بعد ذلك في البلاد واشتغل بالعلوم وحصل الفنون ولما بلغ

عشر سنين من عمره كان قد أتقن علم القرآن العزيز
والأدب وحفظ أشياء من أصول الدين وحساب الهندسة
والجبر والمقابلة ثم توجه
158 نحوهم الحكيم أبو عبد الله الناتلي فأنزله أبو
الرئيس أبي علي عنده فابتدأ أبو علي يقرأ عليه كتاب
إيساغوجي وأحكم عليه علم المنطق وإقليدس والمجسطي
وفاقه أضعافاً كثيرة حتى أوضح له منها رموزاً وفهمه
إشكالات لم يكن للناتلي يد بها وكان مع ذلك يختلف في
الفقه إلى إسماعيل الزاهد يقرأ ويبحث ويناظر ولما توجه
الناتلي نحو خوارزم شاه مأمون بن محمد اشتغل أبو علي
بتحصيل العلوم كالطبيعي والإلهي وغير ذلك ونظر في
النصوص والشروح وفتح الله عليه أبواب العلوم ثم رغب
بعد ذلك في علم الطب وتأمل الكتب المصنفة فيه وعالج
تأدباً لا تكسباً وعلمه حتنفاق فيه الأوائل والأواخر في أقل
مدة وأصبح فيه عديم القرين فقيد المثل واختلف إليه
فضلاء هذا الفن وكبراؤه يقرؤون عليه أنواعه
والمعالجات المقتبسة من التجربة وسنه إذ ذاك نحو ست
عشرة سنة وفي مدة اشتغاله لم ينم ليلة واحدة بكمالها ولا
اشتغل في النهار بسوى المطالعة وكان إذا أشكلت عليه
مسألة توضأ وقصد المسجد الجامع وصلى ودعا الله عز
وجل أن يسهلها عليه ويفتح مغلقها له وذكر عند الأمير
نوح بن نصر الساماني صاحب خراسان في مرض
مرضه فأحضره وعالجه حتى بريء واتصل به قرب منه

ودخل إلى دار كتبه وكانت عديمة المثل فيها من كل فن من الكتب المشهورة بأيدي الناس وغيرها مما لا يوجد في سواها ولا سمع باسمه فضلاً عن معرفته فظفر أبو علي فيها بكتب من علم الأوائل وغيرها وحصل نخب فوائدها واطلع على أكثر علومها واتفق بعد ذلك احتراق تلك الخزانة فتفرد أبو علي بما حصله من علومها وكان يقال إن أبا علي توصل إلى إحراقها لينفرد بمعرفة ما حصله منها وينسبه إلى نفسه ولم يستكمل ثماني عشرة سنة من عمره إلا وقد فرغ من تحصيل العلوم بأسرها التي عاناها وتوفي أبوه وسن أبي علي اثنتان وعشرون سنة وكان يتصرف

159 هو ووالده في الأحوال ويتقلدان للسلطان الأعمال ولما اضطربت أمور الدولة السامانية خرج أبو علي من بخارى إلى كركانج وهي قصبة خوارزم واختلف إلى خوارزم شاه علي بن مأمون بن محمد وكان أبو علي على زي الفقهاء ويلبس الطيلسان فقرروا له في كل شهر ما يقوم به ثم انتقل إلى نسا وأبيورد وطوس وغيرها من البلاد وكان يقصد حضرة الأمير شمس المعالي قابوس بن وشمكير في أثناء هذه الحال فلم أخذ قابوس وحبس في بعض القلاع حتى مات كما سيأتي شرحه في ترجمته في حرف القاف من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ذهب أبو علي إلى دهستان ومرض بها مرضاً صعباً وعاد إلى جرجان وصنف بها الكتاب الأوسط ولهذا يقال له الأوسط

الجرجاني واتصل به الفقيه أبو عبيد الجوزجاني واسمه عبد الواحد ثم انتقل إلى الري واتصل بالدولة ثم إلي قزوين ثم إلى همذان وتولى الوزارة لشمس الدولة ثم تشوش العسكر عليه فأغاروا على داره ونهبوها وقبضوا عليه وسألوا شمس الدولة قتله فامتنع ثم أطلق فتوارى ثم مرض شمس الدولة بالقولنج فأحضره لمداواته واعتذر إليه وأعاده وزيرا ثم مات شمس الدولة وتولى تاج الدولة فلم يستوزره فتوجه إلى أصبهان وبها علاء الدولة أبو جعفر ابن كاكويه فأحسن إليه وكان أبو علي قوي المزاج وتغلب عليه قوة الجماع حتى أنهكته ملازمته وأضعفه ولم يكن يداوي مزاجه وعرض له قولنج فحقن نفسه في يوم واحد ثمان مرات فقرح بعض أمعائه وظهر له سحج واتفق سفره مع علاء الدولة فحصل له الصرع الحادث عقيب القولنج فأمر باتخاذ دانقين من كرفس في جملة ما يحقن به فجعل الطبيب الذي يعالجه فيه خمسة دراهم منه فازداد السحج به من حدة الكرفس فطرح بعض غلمانه في بعض أدويته شيئاً كثيراً من الأفيون وكان سببه أن غلمانه خانوه في شيء فخافوا عاقبة أمره عند برئه وكان مذ حصل له الألم يتحامل ويجلس مرة بعد أخرى ولا يحتمي ويجامع فكان يمرض أسبوعاً ويصلح أسبوعاً ثم قصد علاء الدولة همذان من أصبهان ومعه الرئيس أبو علي فحصل له القولنج في الطريق ووصل إلى همذان وقد

160 ضعف جداً وأشرفت قوته على السقوط فأهمل المداواة وقال المدبر الذي في بدني قد عجز عن تدبيره فلا تنفعني المعالجة ثم اغتسل وتاب وتصدق بما معه على الفقراء ورد المظالم على من عرفه وأعتق مماليكه وجعل يختم في كل ثلاثة أيام ختمة ثم مات في التاريخ الذي يأتي في آخر ترجمته إن شاء الله تعالى وكان نادرة عصره في علمه وذكائه وتصانيفه وصنف كتاب الشفاء في الحكمة والنجاة والإشارات والقانون وغير ذلك مما يقارب مائة مصنف ما بين مطول ومختصر ورسالة في فنون شتى وله رسائل بديعة منها رسالة حي بن يقظان ورسالة سلامان وابسال ورسالة الطير وغيرها وانتفع الناس بكتبه وهو أحد فلاسفة المسلمين وله شعر فمن ذلك قوله في النفس هبطت إليك من المحل الأرفع * ورقاء ذات تعزز وتمنع (محجوبة عن كل مقلة عارف * وهي التي سفرت فلم تبرق) (وصلت على كره إليك وربما * كرهت فراقك وهي ذات تفجع) (أنفت وما ألفت فلما واصلت * ألفت مجاورة الخراب البلقع) (وأظنها نسيت عهوداً بالحمى * ومنازلاً بفراقها لم تقنع) (حتى إذا اتصلت بهاء هبوطها * من ميم مركزها بذات الأجرع) (علقت بها ثاء الثقيل فأصبحت * بين المعالم والطلول الخضع) (تبكي وقد نسيت عهوداً بالحمى * بمدامع تهمي ولما تقلع) (حتى إذا قرب المسير إلى الحمى * ودنا الرحيل إلى الفضاء الأوسع) (وغدت تغرد فوق

ذروة شاهق * والعلم يرفع كل من لم يرقع) (وتعود
عالمة بكل خفية * في العالمين فخرقها لم يرفع) (
فهبوطها إذ كان ضربة لازم * لتكون سامعة لما لم تسمع
) (فلأي شيء أهبطت من شاهق * سام إلى قعر
الحضيض الأوضع)
161) إن كان أهبطها الإله لحكمة * طويت عن
الفطن اللبيب الأروع) (إذ عاقها الشرك الكثيف فصدها
* فقص عن الأوج الفسيح الأربع) (فكأنهما برق تألق
بالحمي * ثم انطوى فكأنه لم يلمع) ومن المنسوب إليه
أيضاً ولا أتحققه قوله (أجعل غذاءك كل يوم مرة *
واحذر طعاماً قبل هضم طعام) (وأحفظ منيك ما
استطعت فانه * ماء الياة يراق في الأرحام) وينسب إليه
البيتان اللذان ذكرهما الشهرستاني في أول كتاب نهاية
الأقدام وهما (لقد طفت في تلك المعاهد كلها * وسرت
طرفي بين تلك المعالم) (فلم أر إلا واضعاً كف حائر *
على ذقن أو قارعاً سن نادم) ومن شعره أيضا (هذب
النفس بالعلوم لترقى * فترى الكل فهي للكل بيت) (إنما
النفس كالزجاجة والعلم * سراج وحكمة الله زيت) (
فهي إن أشرقت فإنك حي * وهي إن أظلمت فإنك ميت)
وقصائد كثيرة ومشهورة وكانت ولادته سنة سبعين
وثلثمائة في شهر صفر وتوفي بهمذان يوم الجمعة من
شهر رمضان سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ودفن بها
وحكى شيخنا عز الدين أبو الحسن علي بن الأثير في

تاريخه الكبير أنه توفي بأصبهان والأول أشهر رحمه الله تعالى

162 وكان الشيخ كمال الدين بن يونس رحمه الله تعالى يقول إن مخدومه سخط عليه واعتقله ومات في السجن وكان ينشد (رأيت ابن سينا يعادي الرجال * وفي السجن مات أخس الممات) (فلم يشف ما نابه بالشفا * ولم ينج من موته بالنجاة) وسينا بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح النون وبعدها ألف ممدودة 191 الخليع الشاعر أبو علي الحسين بن الضحاك بن ياسر الشاعر البصري المعروف بالخليع مولى لولد سلمان بن ربيعة الباهلي الصحابي رضي الله عنه وأصله من خراسان وهو شاعر ماجن مطبوع حسن الافتنان في ضروب الشعر وأنواعه واتصل في مجالسة الخلفاء إلى ما لم يتصل إليه إلا إسحاق بن إبراهيم النديم الموصلي فإنه قاربه في ذلك أو ساواه وأول من صحب منهم الأمين محمد بن هارون الرشيد وكان اتصاله به في سنة ثمان وتسعين ومائة وهي السنة التي قتل فيها الأمين ولم يزل مع الخلفاء بعده إلى أيام المستعين ما عدا المأمون فإنه لم يدخل

163 عليه ولم يختلط به وذلك لأنه رثى الأمين فقال (هلا بقيت لسد فاقتنا * أبداً وكان لغيرك التلف) (قد كان فيك لمن مضى خلف * فاليوم أعوز بعدك الخلف) فلما ورد المأمون بغداد أمر أن يكتب من يصلح لمنادمته

من أهل الأدب فأثبت له قوم وذكر فيهم الحسين بن الضحاك فقال أليس القائل وكان لغيرك التلف والله لا أرى وجهه على الطريق فلم يحظ في أيام المأمون بشيء وقد كان وقت خدمته للمتوكل ضعف كبراً فكتب إليه يستعفيه من الخدمة بأبيات (أسلفت أسلافك من خدمتي * في مدتي إحدى وستينا) (كنت ابن عشرين وخمس وقد * وفيت بضعاً وثمانينا) (إني لمعروف بضعف القوى * وإن تجلدت أحايينا) (فإن تحملت على كبرتي * خدمة أبناء الثلاثينا) (هدت قواي ووهت أعظمي * وصرت في العلة عزونا) وعزون هذا كان نديماً للمعتصم ثم للمتوكل وهو في الطبقة الأولى من الشعراء المجيدين وبينه وبين أبي نواس ماجريات لطيفة ووقائع حلوة وسمي بالخليع لكثرة مجونه وخلاعته ذكره ابن المنجم في كتابه البارع وأبو الفرج الأصبهاني في الأغاني وكل منهما أورد طرفاً من محاسن شعره فمن ذلك قوله

164 (صل بخدي خديك تلق عجيبا * من معان يحار فيها الضمير) (فبخديك للربيع رياض * وبخدي للدموع غدير) وله أيضاً (أيا من طرفه سحر * ويا من ريقه خمر) (تجاسرت فكاشفتك * لما غلب الصبر) (وما أحسن في مثلك * أن ينهتك الستر) (فإن عنفني الناس * ففي وجهك لي عذر) وله (لا وحبيك لا أصافح * بالدمع مدمعا) (من بكى شجوه استراح * وإن كان موجعا) (كبدي في هواك أسقم * من أن تقطعا)

لم تدع صورة الضنى * في السقم موضعا) وذكر في كتاب الأغاني أن هذه الأبيات أوردها أبو العباس ثعلب النحوي المقدم ذكره للخليع المذكور وقال ما بقي من يحسن أن يقول مثل هذا وله (إذا خنتم بالغيب عهدي فمالكم * تدلون إدلال المقيم على العهد) (صلوا وافعلوا فعل المدل بوصله * وإلا فصدوا وافعلوا فعل ذي الصد) وله من قصيدة سقى الله عصراً لم أبت فيه ليلة * من الدهر إلا من حبيب على وعد) وذكر أبو عبد الله ابن حمدون عن الحسين بن الضحاك قال كان يألفني

165 فتى من أهل الشام عجيب الخلقة والشكل غليظ جلف جاف فكنت أحتمل ذلك منه وكان حظي التعجب منه وكان يأتيني بكتب عشقية له ما رأيت كتباً أحلى منها ولا أظرف ولا أشكل من معانيها ويسألني أن أجيب عنها فأجهد نفسي في الجوابات وأصرف عنايتي إليها على علمي أن الشامي بجهله لا يميز بين الخطإ والصواب ولا يفرق بين الابتداء والجواب فلما طال ذلك عليّ حسدته وتنبهت على إفساد حاله عندها فسألته عن اسمها فقال بصبص فكتبت إليها عنه في جواب كتاب منها كان جاءني به (أرقصني حبنك يا بصبص * والحب يا سيدتي يرقص) (أرمصت أجفاني لطول البكا * فما لأجفانك لا ترمص) (أوحشني وجهك ذاك الذي * كأنه من حسنه عصعص) قال فجاءني بعد ذلك يا أبا علي ما كان ذنبي إليك وما أردت بما صنعت بي فقلت له وما ذاك عافاك الله

فقال ما هو إلا أن وصل إليها ذلك الكتاب حتى بعثت إلي إني مشتاقة اليك والكتاب لا ينوب عن الرؤية فتعال إلى الروشن الذي بالقرب من بابنا فقف بحياله حتى أراك فتزينت بأحسن ما قدرت عليه وصرت إلى الموضع فبينا أن واقف أنتظر مكلماً لي أو مشيراً إلى وإذا شيء قد صب علي فملأني من فرقي إلى قدمي فأفسد ثيابي وسرجي وصيرني وجميع ما علي ودابتي في نهاية السواد والنتن والقذر وإذا هو ماء قد خلط ببول وسواد وسرجين وانصرفت بخزي وكان ما مر بي من الصبيان وسائر من مررت به من الطنز والضحك والصياح أعظم مما جرى علي ولحقني من أهلي ومن منزلي وشر من ذلك وأعظم من كل ما ذكرت أن رسلها انقطعت عني جملة قال فجعلت أعتذر إليه وأقول إن الآفة أنها لم تفهم الشعر لجودته وأنا أحمد الله على ما ناله وأسر بالشماتة به حدث محمد بن جعفر بن قدامة عن محمد بن عبد الملك قال كنا في مجلس

166 ومعنا الحسين بن الضحاك ونحن على شراب وعندنا مغنية فعبث الخليع بالمغنية وجمشها فصاحت بالحسين واستخفت به فأنشأ الخليع يقول (لها في خدها عكن * وثلثا وجهها ذقن) &&0وأسنان كريش البط بين * أصولها عفن) قال فضحكنا وبكت المغنية حتى قلنا إنها عميت وما انتفعنا بها بقية يومنا وشاع هذان البيتان فكسدت من أجلهما وكانت إذ حضرت في مجلس أنشدوا

البيتين فتجن ثم إنها هربت من سر من رأى فما عرفنا لها
بعد ذلك خبرا حدث الصولي عن أحمد بن حمدون قال
أمر المتوكل بأن ينادمه الحسين بن الضحاك ويلازمه فلم
يطق ذلك لكبر سنه فقيل له هو يطيق الذهاب إلى القرى
والمواخير فيشرب فيها ويعجز عن خدمتك فبلغه ذلك قال
ابن حمدون فدفع إلي أبياتا قالها فأوصلتها إلى المتوكل
وهي قوله (أما في ثمانين وفيتها * عذير وإن أنا لم
أعتذر) (فكيف وقد جزتها صاعدا * مع الصاعدين
بتسع أخر) (وقد رفع الله أقلامه * عن ابن ثمانين دون
البشر) (سوى من أصر على فتنة * وألحد في دينه أو
كفر) (وإني لمن أسراء الإله * في الأرض نصب
صروف القدر) (فإن يقض لي عملا صالحا * أثاب وإن
يقض سوءا غفر) (وقد بسط الله لي عذره * فمن ذا يلوم
إذا ما عذر) (وما للحسود وأشياعه * وكذب بالوحي إلا
حجر) قال ابن حمدون فلما أوصلتها شفعتها بكلام أعتذر
وأقول لو أطاق خدمة
167 أمير المؤمنين لكان أسعد بها فقال المتوكل
صدقت خذ له عشرة آلاف درهم فاحملها إليه فأخذتها
وحملتها حدث أبو العيناء قال حج الحسين بن الضحاك
فمر في منصرفه على موضع يعرف بالقريتين وإذا جارية
كأنها القمر في ليلة التم تتطلع من تحت ثيابها وتنظر إلى
حرها ثم تضربه بيدها وهي تقول ما أضيعني وأضيعك
فأنشأ الحسين يقول (مررت بالقريتين منصرفا * من

حيث يقضي ذوو الهوى النسكا) (إذا فتاة كأنها قمر *
للتم لما توسط الفلكا) (واضعة كفها على حرها * تقول
واضيعتي وضيعتكا) قال فلما سمعت قوله ضحكت
وغطت وجهها وقالت وافضيحتاه وقد سمعت ما قلت
وقال الحسين بن الضحاك كنت جالسا في داري في يوم
شات وقد أفطر المأمون وأمر الناس بالإفطار فجاءتني
رقعة الحسن بن رجاء يقول فيها (هززتك للصبوح وقد
نهاني * أمير المؤمنين عن الصيام) (وعندي من قيان
الكرخ عشر * يطيب بها مصافحة المدام) (ومن
أمثالهن إذا انتشينا * ترانا نجتني ثمر الحرام) (فكن أنت
الجواب فليس شيء * أحب إلي من حذف الكلام)
فوردت رقعته وقد أرسل إلى محمد بن الحارث غلاما له
نظيف الوجه ومعه ثلاثة غلمان حسان ومعه رقعة
منشورة قد ختم أسفلها مثل المناشير فيها (سر على اسم
الله يا أحسن من غصن لجين *)
168 (في ثلاث من بني الروم إلى دار حسين *)
(فاشخص الكهل إلى مولاك يا قرة عيني *) (أره
العنف إن استعصى وطالبه بدين *) (ودع اللفظ وكلمه
بغمز الحاجبين *) (واحذر الرجعة من وجهك في خفي
حنين *) قال فمضيت مع غلمان محمد بن الحارث
وتركت الحسن وكانت وفاته سنة خمسين ومائتين وقد
قارب مائة سنة رحمه الله تعالى وقال الخطيب في تاريخ
بغداد يقال إنه ولد في سنة اثنتين وستين ومائة 192 ابن

الحجاج الشاعر أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن الحجاج الكاتب الشاعر المشهور ذو المجون والخلاعة والسخف في شعره كان فرد زماه في فنه فإنه لم يسبق إلى تلك الطريقة مع عذوبة الألفاظ وسلامة شعره من التكلف ومدح الملوك والأمراء والوزراء والرؤساء وديوان كبير أكثر ما يوجد في عشر مجلدات والغالب عليه الهزل وله في الجد أيضاً أشياء حسنة وتولي حسبة بغداد وأقام بها مدة ويقال إنه عزل بأبي سعيد

169 الإصطخري الفقيه الشافعي وله في غزله أبيات مشهورة لا حاجة إلى إثباتها هاهنا ويقال إنه في الشعر في درجة امرىء القيس وإنه لم يكن بينهما مثلهما لأن كل واحد منهما مخترع طريقة وقد أفرد أبو الحسن الموسوي المعروف بالرضي من شعره في المديح والغزل وغيرهما ما جانب السخف وكان شعراً متخيراً حسناً جيداً ومن جيد شعره وجده هذه الأبيات (يا صاحبي استيقظا من رقدة * تزري على عقل اللبيب الأكيس) (هذي المجرة والنجوم كأنها * نهر تدفق في حديقة نرجس) 0&&وأرى الصبا قد غلست بنسيمها * فعلام شرب الراح غير مغلس) (قوما اسقياني قهوة رومية * من عهد قيصر دنها لم يمس) (صرفا تضيف إذا تسلط حكمها * موت العقول إلى حياة الأنفس) وأورد له أيضا (تمت بسري في الهوى أدمعي * ودلت الواشي على

موضعي) (يا معشر العشاق إن كنتم * مثلي وفي حالي فموتوا معي) وأورد له أيضا (يا من إليها من ظلمها الهرب * ردي فؤادي فقل مما يجب) (ردي حياتي إن كنت منصفة * ثم إليك الرضا أو الغضب) (طلبت قلبي فلم أفتك به * سبحان من لا يفوته الطلب) ومن شعره
170 (قال قوم لزمت حضرة حمد * وتجنبت سائر الرؤساء) (قلت ما قاله الذي أحرز المعنى * قديماً قبلي من الشعراء) (يسقط الطير حيث يلتقط الحب * وتغشى منازل الكرماء) وهذ البيت الثالث لبشار بن برد وقد ضمنه شعره وأورد له أيضا في الورد (جنى من البستان لي وردة * أحسن من إنجازه وعدي) (وقال والوردة في كفه * من قدح أذكى من الند) (اشرب هنيئاً لك يا عاشقي * ريقي من كفي على خدي) ودعي ابن الحجاج إلى دعوة وتأخر عنه الطعام قليلاً فقال (يا ذاهباً في داره جائيا * بغير معنى وبلا فائدة) (قد جن أضيافك من جوعهم * فاقرأ عليهم سورة المائدة) ومثل هذا ما ذكره أبو الفرج الأصبهاني في كتاب الأغاني قال دعانا أبو محمد ابن الشاب يوماً ودعا جحظة البرمكي وأطال حبس الطعام جداً وجاع جحظة فأخذ دواة وقرطاساً وكتب (ما لي وللشاب وأولاده * لا قدس الوالد والوالده) (قد حفظوا القرآن واستعملوا * ما فيه إلا سورة المائدة) ورمى بها إلي فقرأتها ودفعتها إلى ابن الشاب فقرأها ووثب مسرعاً وقدم الطعام وأكلنا وانصرفنا وقطعه

جحظة بعد ذلك فكان يجهد جهده في أن يجيبه فلا يفعل فإذا عاتبناه قال حتى يحفظ تلك السورة

171 وكانت وفاة ابن الحجاج يوم الثلاثاء السابع والعشرين من جمادي الآخرة سنة إحدى وتسعين وثلثمائة بالنيل وحمل إلى بغداد رحمه الله تعالى ودفن عند مشهد موسى بن جعفر رضي الله عنه وأوصى أن يدفن عند رجليه وأن يكتب على قبره (^ وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) وكان من كبار الشعراء الشيعة ورآه بعد موته بعض أصحابه في المنام فسأله عن حاله فأنشد (أفسد سوء مذهبي * في الشعر حسن مذهبي) (وحملي الجد على * ظهر حصان اللعب) (لم يرض مولاي علي * سبي لأصحاب النبي) (وقال لي ويحك يا * أحمق لم لم تتب) (من سب قوم من رجا * ألاءهم لم يخب) (رمت الرضى جهلاً بما * أصلاك نار اللهب) ورثاه الشريف الرضي بقصيدة من جملتها (نعوه على حسن ظني به * فلله ماذا نعى الناعيان) (رضيع ولاء له شعبة * من القلب مثل رضيع اللبان) (وما كنت أحسب أن الزمان * يفل مضارب ذاك اللسان) (بكيتك للشرد السائرات * تعنق ألفاظها بالمعاني) (ليبك الزمان طويلاً عليك * فقد كنت خفة روح الزمان) والنيل بكسر النون وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام وهي بلدة على الفرات بين بغداد والكوفة خرج منها جماعة من العلماء وغيرهم والأصل

172 فيه نهر حفره الحجاج بن يوسف في هذا المكان ومخرجه من الفرات وسماه باسم نيل مصر وعليه قرى كثيرة 193 الوزير المغربي أبو القاسم الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن محمد بن يوسف بن بحر بن بهرام ابن المرزبان بن ماهان بن باذان بن ساسان بن الحرون بن بلاش بن جاماس ابن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور المعروف بالوزير المغربي ورأيت جماعة من أهل الأدب يقولون إن أبا علي هارون بن عبد العزيز الأوارجي الذي مدحه المتنبي بقصيدته التي أولها (أمن ازديارك في الدجى الرقباء * إذ حيث كنت من الظلام ضياء) خاله ثم إني كشفت عنه فوجدت المذكور خال أبيه وأما هو فأمه بنت محمد بن إبراهيم بن جعفر النعماني ذكره في أدب الخواص وكانت وفاة الأوارجي المذكور في جمادي الأولى سنة أربع وأربعين وثلثمائة والوزير أبو القاسم المغربي المذكور هو صاحب الديوان الشعر والنثر وله مختصر إصلاح المنطق وكتاب الإيناس وهو مع صغر حجمه كثير الفائدة ويدل على كثرة اطلاعه وكتاب أدب الخواص وكتاب المأثور في ملح الخدور وغير ذلك

173 وجدت في بعض المجاميع ما صورته وجد بخط والد الوزير المعروف بالمغربي على ظهر مختصر إصلاح المنطق الذي اختصره ولده الوزير ما مثاله ولد سلمه الله تعالى وبلغه مبالغ الصالحين أول وقت طلوع

الفجر من ليلة صباحها يوم الأحد الثالث عشر من ذي الحجة سنة سبعين وثلثمائة واستظهر القرآن العزيز وعدة من الكتب المجردة في النحو واللغة ونحو خمسة عشر ألف بيت من مختار الشعر القديم ونظم الشعر وتصرف في النثر وبلغ من الخط إلى ما يقصر عنه نظراؤه ومن حساب المولد والجبر والمقابلة إلى ما يستقل بدونه الكاتب وذلك كله قبل استكماله أربع عشرة سنة واختصر هذا الكتاب فتناهى في اختصاره وأوفى على جميع فوائده حتى لم يفته شيء من ألفاظه وغير من أبوابه ما أوجب التدبير تغييره للحاجة إلى الاختصار وجمع كل نوع إلى ما يليق به ثم ذكرت له نظمه بعد اختصاره فابتدأ به وعمل منه عدة أوراق في ليلة وكان جميع ذلك قبل استكماله سبع عشرة سنة وأرغب إلى الله سبحانه في بقائه ودوام سلامته انتهى كلام والده ومن شعر الوزير المذكور (أقول لها والعيس تحدج للسرى * أعدي لفقدي ما استطعت من الصبر) (سأنفق ريعان الشبيبة آنفاً * على طلب العلياء أو طلب الأجر) (أليس من الخسران أن لياليا * تمر بلا نفع وتحسب من عمري) ومن شعره أيضاً (أرى الناس في الدنيا كراع تنكرت * مراعيه حتى ليس فيهن مرتع) (فماء بلا مرعى ومرعى بغير ما * وحيث ترى ماء ومرعى فمسبع) وله في غلام حسن الوجه حلق شعره
174 (حلقوا شعره ليكسوه قبحا * غيرة منهم عليه وشحا) (كان صبحا عليه ليل بهيم * فمحوا ليله وأبقوه

صبحا) ومن شعره أيضاً (إني أبثك عن حديثي *
والحديث له شجون) (غيرت موضع مرقدي * ليلاً
ففارقني السكون) (قل لي فأول ليلة * في القبر كيف
ترى أكون) ولما ولد للوزير المذكور ولده أبو يحيى عبد
الحميد كتب إليه أبو عبد الله محمد ابن أحمد صاحب ديوان
الجيش بمصر أبياتاً منها (قد أطلع الفأل منه معنى *
يدركه العالم الذكي) (رأيت جد الفتى علياً * فقلت جد
الفتى علي) وكان الوزير المذكور من الدهاة العارفين
وكان خبيث الباطن إذا دخل عليه الفقيه سأله عن النحو
وإذا دخل عليه النحوي سأله عن الفقه والفرائض ولما
قتل الحاكم صاحب مصر أباه وعمه وأخويه وهرب
الوزير وصل إلى الرملة واجتمع بصاحبها المتغلب عليها
حسان بن مفرج بن دغفل بن الجراح الطائي وبنيه وبني
عمه وأفسد نياتهم على الحاكم صاحب مصر المذكور
175 ثم توجه إلى الحجاز وأطمع صاحب مكة في
الحاكم ومملكة الديار المصرية وعمل في ذلك عملاً قلق
الحاكم بسببه وخاف على ملكه وقصته في ذلك طويلة إلى
أن أرضى الحاكم بني الجراح ببذل الأموال لهم واستمالهم
إليه وكان صاحب مكة وهو أبو الفتوح الحسن بن جعفر
العلوي قد استدعوه ووصل إليهم وبايعوه بالخلافة ولقبوه
بالرشيد بتدبير أبي القاسم المذكور فلم يزل الحاكم يعمل
الحيل حتى استمال بني الجراح إليه وانتقض أمر أبي
الفتوح وهرب إلى مكة وقصد أبو القاسم العراق هارباً

من الحاكم ومفارقاً لبني الجراح وقصد فخر الملك أبا غالب ابن خلف الوزير ورفع خبره إلى الإمام القادر بالله فاتهمه أنه ورد لإفساد الدولة العباسية وراسل فخر الملك في إبعاده فاعتذر عنه فخر الملك وقام في أمره واتفق انحدار فخر الملك من بغداد إلى واسط فأخذ أبا القاسم في جملته وأقام معه بواسط على جملة من الرعاية إلى أن توفي فخر الملك مقتولاً وشرع الوزير أبو القاسم في استعطاف قلب الإمام القادر بالله

176 والتنصل مما نبذ به حتى صلح له بعض الصلاح وعاد إلى بغداد وأقام قليلاً ثم أصعد إلى الموصل واتفق موت أبي الحسن ابن أبي الوزير كاتب معتمد الدولة أبي المنيع قرواش أمير بني عقيل فتقلد كتابته موضعه ثم شرع أبو القاسم يسعى في وزارة الملك مشرف الدولة البويهي ولم يزل يعمل السعي إلى أن قبض على الوزير مؤيد الملك أبي علي فكوتب الوزير أبو القاسم بالحضور من الموصل إلى الحضرة وقلد الوزارة من غير خلع ولا لقب ولا مفارقة الدراعة وأقام كذلك حتى جرى من الأحوال ما أوجب مفارقة مشرف الدولة بغداد فخرج معه منها وقصدا أبا سنان غريب بن محمد بن مقن ونزلا عليه وأقاما بأوانا وبينا هو على ذلك إذ عرض له إشفاق من مخدومه مشرف الدولة دعاه إلى مفارقته فانتقل بعد ذلك إلى أبي المنيع قرواش بالموصل وأقام عنده ثم تجدد من سواء رأي الإمام القادر فيه ما ألجأته الضرورة بسبب ما

كوتب به قرواش وغريب في معناه إلى مفارقته والإبعاد عنه وقصد أبا نصر ابن مروان بميافارقين وأقام عنده على سبيل الضيافة إلى أن توفي وقيل إنه لما توجه إلى ديار بكر وزر لسلطانها أحمد بن مروان المقدم ذكره فأقام عنده إلى أن توفي في ثالث عشر شهر رمضان سنة ثماني عشرة وأربعمائة وقيل ثمان وعشرين والأول أصح وكانت وفاته بميافارقين وحمل إلى الكوفة بوصية منه وله في ذلك حديث يطول شرحه ودفن بها في تربة مجاورة لمشهد الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأوصى أن يكتب على قبره (كنت في سفرة الغواية والجهل * مقيماً فحان مني قدوم) (تبت من كل مأثم فعسى يمحى * بهذا الحديث ذاك القديم) (بعد خمس وأربعين لقد ماطلت * إلا أن الغريم كريم)

177 وكان قتل أبيه وعمه وأخويه في الثالث من ذي القعدة سنة أربعمائة رحمهم الله تعالى ورأيت في بعض المجاميع أنه لم يكن مغربياً وإنما أحد أجداده وهو أبو الحسن علي بن محمد كانت له ولاية في الجانب الغربي ببغداد وكان يقال له المغربي فأطلق عليهم هذه النسبة ولقد رأيت خلقاً كثيراً يقولون هذه المقالة ثم بعد ذلك نظرت في كتابه الذي سماه أدب الخواص فوجدت في أوله وقد قال المتنبي وإخواننا المغاربة يسمونه المتنبه فأحسنوا (أتى الزمان بنوه في شبيبته * فسرهم وأتيناه على الهرم) فهذا يدل على أنه مغربي حقيقة لا كما قالوه والله أعلم

ثم أعاد هذا القول بعينه لما ذكر النابعة الجعدي وشعره وأنشد عنده قول المتنبي (وفي الجسم نفس لا تشيب بشيبة * ولو أن ما في الوجه منه حراب) ونقلت نسبه المذكور في الأول من خط أبي القاسم علي بن منجب بن سليمان المعروف بابن الصيرفي المصري صاحب الرسائل وذكر أنه منقول من خط الوزير المذكور والله أعلم بصحته

178 194 ابن خالويه أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه النحوي اللغوي أصله من همذان ولكنه دخل بغداد وأدرك جلة العلماء بها مثل أبي بكر ابن الأنباري وابن مجاهد المقرىء وأبي عمر الزاهد وابن دريد وقرأ على أبي سعيد السيرافي وانتقل إلى الشام واستوطن حلب وصار بها أحد أفراد الدهر في كل قسم من أقسام الأدب وكانت إليه الرحلة من الآفاق وآل حمدان يكرمونه ويدرسون عليه ويقتبسون منه وهو القائل دخلت يوماً على سيف الدولة بن حمدان فلما مثلت بين يديه قال لى اقعد ولم يقل اجلس فتبينت بذلك اعتلاقه بأهداب الأدب واطلاعه على أسرار كلام العرب وإنما قال ابن خالويه هذا لأن المختار عند أهل الأدب أن يقال للقائم اقعد وللنائم أو الساجد اجلس وعلله بعضهم بأن القعود هو الانتقال من العلو إلى السفل ولهذا قيل لمن أصيب برجله مقعد والجلوس هو الانتقال من السفل إلى العلو ولهذا قيل لنجد جلسا لارتفاعها وقيل لمن أتاها جالس وقد جلس ومنه قول

مروان بن الحكم لما كان والياً بالمدينة يخاطب الفرزدق (قل للفرزدق والسفاهة كاسمها * إن كنت تارك ما أمرتك فاجلس) أي اقصد الجلسا وهي نجد وهذا البيت من جملة أبيات ولها قصة طويلة وهذا كله وإن جاء في غير موضعه لكن الكلام شجون

179 ولابن خالويه المذكور كتاب كبير في الأدب سماه كتاب ليس وهو يدل على اطلاع عظيم فإن مبنى الكتاب من أوله إلى آخره على أنه ليس في كلام العرب كذا وليس كذا وله كتاب لطيف سماه الآل وذكر في أوله أن الآل ينقسم إلى خمسة وعشرين قسماً وما أقصر فيه وذكر فيه الأئمة الاثني عشر وتواريخ مواليدهم ووفياتهم وأمهاتهم والذي دعاه إلى ذكرهم أنه قال في جملة أقسام الآل وآل محمد بنو هاشم وله كتاب الاشتقاق وكتاب الجمل في النحو وكتاب القراءات وكتاب إعراب ثلاثين سورة من الكتاب العزيز وكتاب المقصور والممدود وكتاب المذكر والمؤنث وكتاب الألفات وكتاب شرح المقصورة لابن دريد وكتاب الأسد وغير ذلك ولابن خالويه مع أبي الطيب المتنبي مجالس ومباحث عند سيف الدولة ولولا خوف الاطالة لذكرت شيئاً منها وله شعر حسن فمنه قوله على ما نقله الثعالبي في كتاب اليتيمة (إذا لم يكن صدر المجالس سيد * فلا خير فيمن صدرته المجالس) (وكم قائل ما لي رأيتك راجلا * فقلت له من أجل أنك فارس) وخالويه بفتح الخاء الموحدة وبعد

الألف لام مفتوحة وواو مفتوحة أيضاً وبعدها ياء مثناة من تحتها ساكنة ثم هاء ساكنة وكانت وفاة ابن خالويه في سنة سبعين وثلثمائة بحلب رحمه الله تعالى

180 أبو علي الجياني أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد الغساني الجياني الأندلسي المحدث كان إماماً في الحديث والأدب وله كتاب مفيد سماه تقييد المهمل ضبط فيه كل لفظ يقع فيه اللبس من رجال الصحيحين وما أقصر فيه وهو في جزأين وكان من جهابذة المحدثين وكبار العلماء المسندين وكان حسن الخط جيد الضبط وكان له معرفة الغريب والشعر والأنساب وكان يجلس في جامع قرطبة ويسمع منه أعيانها ولم أقف على شيء من أخباره حتى أذكر طرفاً منها وكانت ولادته في المحرم سنة سبع وعشرين وأربعمائة وطلب الحديث سنة أربع وأربعين وتوفي ليلة الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ثمان وتسعين وأربعمائة رحمه الله تعالى والجياني بفتح الجيم وتشديد الياء المثناة من تحتها وبعد الألف نون هذه النسبة إلى جيان وهي مدينة كبيرة بالأندلس وبأعمال الري قرية يقال لها جيان أيضاً والغساني قد تقدم الكلام عليه

181 196 البارع الدباس أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الوهاب بن أحمد بن محمد بن الحسين بن عبيد الله بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب الوزير الحارثي من بني الحارث ابن كعب بن عمرو الدباس

البدري المنعوت بالبارع الشاعر المشهور الأديب النديم البغدادي كان نحوياً لغوياً مقرئاً حسن المعرفة بصنوف الآداب وأفاد خلقاً كثيراً خصوصاً بإقراء القرآن الكريم وهو من بيت الوزارة فإن جده القاسم كان وزير المعتضد والمكتفي بعده وهو الذي سم ابن الرومي الشاعر كما سيأتي ذكره في ترجمته إن شاء الله تعالى وعبيد الله كان وزيراً أيضاً وسليمان بن وهب الوزير تغني شهرته عن ذكره وستأتي ترجمته إن شاء الله تعالى والبارع المذكور من أرباب الفضائل وله مصنفات حسان وتواليف غريبة وديوان شعر جيد وكان بينه وبين الشريف أبي يعلى ابن الهبارية مداعبات لطيفة فإنهما كانا رفيقين ومتحدين في الصحبة فاتفق أن البارع المذكور تعلق بخدمة بعض الأمراء وحج فلما عاد حضر الشريف إليه مرارا فلم يجده فكتب إليه قصيدة طويلة دالية يعاتبه فيها ويشير إلى أنه تغير عليه بسبب الخدمة وأولها (يا ابن ودي وأين مني ابن ودي * غيرت طرفه الرياسة بعدي)
182 ولولا ما أودعها من السخف والفحش لذكرتها
فكتب إليه البارع المذكور جوابها وأطال فيها وضمنها أيضا شيئا من الفحش وأولها (وصلت رقعة الشريف أبي يعلى * فحلت محل لقياه عندي) (فتلقيتها بأهلا وسهلا * ثم ألصقتها بطرفي وخدي) (وفضضت الختام عنها فما ظنك * بالصاب إذ يشاب بشهد) (بين حلو من العتاب ومر * هو أولى به وهزل وجد) (وتجن علي

من غير جرم * بملام يكاد يحرق جلدي) (يدعي أنني
حجبت وقد زار * مرارا حاشاه من قبح رد) (ثم دع ذا
ماللرياسة والحج * أين لي من حل أنف وعقد) (فماذا
علمت بالله أني * قد تنكرت أو تغير عهدي) (من تراني
أعامل أم وزير * لأمير أم عارض للجند) (أنا إلا ذاك
الخليع الذي تعرف * أرضى ولو بجرة دردي) (وإذا
صح لي مليح فذاك اليوم * عيدي وصاحب الدست عبدي
) (أتراني لو كنت في النار مع هامان * أنساك في جنان
الخلد)
183 (أو لو أني عصبت بالتاج أسلوك * ولو كنت
عانيا في القد) (أنا أضعاف ما عهدت على العهد * وإن
كنت لا تجازي بود) ومنها (أم لأني قنعت من سائر
الناس * بفرد بين الأكارم فرد) (صان وجهي عن اللئام
وأولامي * جميلا منه إلى غير حد) (فتعففت واقتنعت
بتدفيع * زماني وقلت إني وحدي) (لا لأني أنفت مع ذا
من الكدية * أين الكرام حتى أكدي) ونقتصر من هذه
القصيدة على هذه الأبيات ففيها سخف لا يليق ذكره وغيره
مما لا حاجة إليه ومن شعره أيضا (أفنيت ماء الوجه
من طول ما * أسأل من لا ماء في وجهه) (أنهي إليه
شرح حالي الذي * ياليتني مت ولم أنهه) (فلم ينلني
كرما رفده * ولم أكد أسلم من جبهه) (والموت من دهر
نحاريره * ممتدة الأيدي إلى بلهه) وأورد له الحظيري
في كتاب زينة الدهر وذكر أنه نقلها من خطه وذكر أنه

قال هذه القصيدة بمكة في سنة 472 (ذكر الأحباب والوطنا * والهوى والإلف والسكنا) (فبكى شجوا وحق له * مدنف بالشوق حلف ضنى) (أبعدت مرمى يد رجمت * من خراسان به اليمنا) (خلست من بين أضلعه * بالنوى قلبا له ضمنا)
184 (من لمشتاق يميله * ذات سجع ميلت فننا) (كلما هاج الهديل به * طربا هاجت له شجنا) (لم تعرض بالحنين بمن * مسعد إلا وقال أنا) (لك يا ورقاء أسوة من * لم تذيقي جفنه الوسنا) (بك أنسي مثل أنسك بي * فتعالي نبد ما كمنا) (نتشاكى ما نجن إذا * نحت شجوا صحت واحزنا) (غير أني منك أعدل إن * عاد سري في الهوى علنا) (أنا لا أنت البعيد هوى أنالا أنت الغريب هنا أنا فرد يا حمام وها أنت والإلف القرين ثنا) (أنصفونا يا بني حسن * ليس هذا منكم حسنا) (كم أحلت محرماتكم * بالعيون النجل أنفسنا) (نحن وفد الله عندكم * ما لكم جيرانه ولنا) (لم يجرنا منكم حرم * من أتاه خائفا أمنا) وكانت ولادته في العاشر من صفر سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة ببغداد وتوفي يوم الثلاثاء سابع عشر جمادي الآخرة وقيل الأولى سنة أربع وعشرين وخمسمائة وكان قد عمي في آخر عمره رحمه الله تعالى والدباس بفتح الدال المهملة وتشديد الباء الموحدة وبعد الألف سين مهملة وهذا يقال لمن يعمل الدبس أو يبيعه والبدري بفتح الباء الموحدة وسكون الدال المهملة وبعدها

راء هذه النسبة إلى البدرية وهي محلة ببغداد المحروسة
وكان البارع المذكور يسكنها فنسب إليها
185 197 الطغرائي العميد فخر الكتاب أبو
إسماعيل الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد الملقب
مؤيد الدين الأصبهاني المنشئ المعروف بالطغرائي كان
غزير الفضل لطيف الطبع فاق أهل عصره بصنعة النظم
والنثر ذكره أبو سعد ابن السمعاني في نسبه المنشئ من
كتاب الأنساب وأثنى عليه وأورد قطعه من شعره في
صفة الشمعة وذكر أنه قتل في سنة خمس عشرة
وخمسمائة والطغرائي المذكور له ديوان شعر جيد ومن
محاسن شعره قصيدته المعروفة بلامية العجم وكان عملها
ببغداد في سنة خمس وخمسمائة يصف حاله ويشكو زمانه
وهي التي أولها (أصالة الرأي صانتني عن الخطل *
وحلية الفضل زانتني لدى العطل) (مجدي أخيرا
ومجدي أولا شرع * والشمس رأد الضحى كالشمس في
الطفل) (فيم الإقامة بالزوراء لا سكنى * بها ولا ناقتي
فيها ولا جملي) (ناء عن الأهل صفر الكف منفرد *
كالسيف عري متناه عن الخلل) (فلا صديق إليه مشتكى
حزني * ولا أنيس إليه منتهى جذلي)
186 (طال اغترابي حتى حن راحلتي * ورحلها
وقرى العسالة الذبل) (وضج من لغب نضوي وعج لما
* يلقى ركابي ولج الركب في عذلي) (أريد بسطة كف
أستعين بها * على قضاء حقوق للعلا قبلي) (والدهر

يعكس آمالي ويقنعني * من الغنيمة بعد الكد بالقفل) (
وذي شطاط كصدر الرمح معتقل * بمثله غير هياب ولا
وكل) (حلو الفكاهة مر الجد قد مزجت * بشدة البأس
منه رقة الغزل) (طردت سرح الكرى عن ورد مقلته *
والليل أغرى سوام النوم بالمقل) (والركب ميل على
الأكوار من طرب * صاح وآخر من خمر الهوى ثمل)
(فقلت أدعوك للجلى لتنصرني * وأنت تخذلني في
الحادث الجلل) (تنام عيني وعين النجم ساهرة *
وتستحيل وصبغ الليل لم يحل) (فهل تعين على غي
هممت به * والغي يزجر أحيانا عن الفشل) (إني أريد
طروق الحي من إضم * وقد حماه رماة من بني ثعل) (
يحمون بالبيض والسمر اللدان به * سود الغدائر حمر
الحلي والحلل) (فسر بنا في ذمام الليل معتسفا * فنفحة
الطيب تهدينا إلى الحلل) (فالحب حيث العدا والأسد
رابضة * حول الكناس لها غاب من الأسل) (نؤم
ناشئةبالجزعقد سقيت * نصالها بمياه الغنج والكحل) (
قد زاد طيب أحاديث الكرام بها * ما بالكرائم من جبن
ومن بخل) (تبيت نار الهوى منهن في كبد * حرى ونار
القرى منهم على قلل) (يقتلن أنضاء حب لا حراك بها
* وينحرون كرام الخيل والإبل) (يشفى لديغ العوالي
في بيوتهم * بنهلة من غدير الخمر والعسل) (لعل
إلمامة بالجزع ثانية * يدب منها نسيم البرء في عللي)
(لاأكره الطعنة النجلاء قد شفعت * برشقة من نبال الأعين

النجل) (ولا أهاب الصفاح البيض تسعدني * باللمح من
خلل الأستار والكلل) (ولا أخل بغزلان تغازلني * ولو
دهتني أسود الغيل بالغيل)
187 (حب السلامة يثني هم صاحبه * عن المعالي
ويغري المرء بالكسل) (فإن جنحت إليه فاتخذ نفقا * في
الأرض أو سلما في الجو واعتزل) (ودع غمار العلا
للمقدمين على * ركوبها واقتنع منهن بالبلل) (رضى
الذليل بخفض العيش مسكنه * والعز تحت رسيم الاينق
الذلل) (فادرأ بها في نحور البيد حافلة * معارضات
مثاني اللجم بالجدل) (إن العلا حدثتني وهي صادقة *
فيما تحدث أن العز في النقل) (لو أن في شرف المأوى
بلوغ منى * لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل) (أهبت
بالحظ لو ناديت مستمعا * والحظ عني بالجهال في شغل)
(لعله إن بدا فضلي ونقصهم * لعينه نام عنهم أو تنبه لي
) (أعلل النفس بالآمال أرقبها * ما أضيق العيش لولا
فسحة الأمل) (لم أرض بالعيش والأيام مقبلة * فكيف
أرضى وقد ولت على عجل) (غالى بنفسي عرفاني
بقيمتها * فصنتها عن رخيص القدر مبتذل) (وعادة
النصل أن يزهي بجوهره * وليس يعمل إلا في يدي بطل
) (ما كنت أوثر أن يمتد بي زمني * حتى أرى دولة
الأوغاد والسفل) (تقدمتني أناس كان شوطهم * وراء
خطوي إذ أمشي على مهل) (هذا جزاء امرئ أقرانه
درجوا * من قبله فتمنى فسحة الأجل) (وإن علاني من

دوني فلا عجب * لي أسوة بانحطاط الشمس عن زحل)
(فاصبر لها غير محتال ولا ضجر * في حادث الدهر ما
يغني عن الحيل) (أعدى عدوك أدنى من وثقت به *
فحاذر الناس واصحبهم على دخل) (وإنما رجل الدنيا
وواحدها * من لا يعول في الدنيا على رجل) (وحسن
ظنك بالأيام معجزة * فظن شرا وكن منها على وجل) (
غاض الوفاء وفاض الغدروانفرجت * مسافة الخلف بين
القول والعمل) (وشان صدقك عند الناس كذبهم * وهل
يطابق معوج بمعتدل) (إن كان ينجع شيء في ثباتهم *
على العهود فسبق السيف للعذل)
188 (يا واردا سؤر عيش كله كدر * أنفقت
صفوك في أيامك الأول) (فيم اقتحامك لج البحر تركبه
* وأنت يكفيك منه مصة الوشل) (ملك القناعة لا يخشى
عليه ولا * يحتاج فيه إلى الأنصار والخول) (ترجو
البقاء بدار لا ثبات لها * فهل سمعت بظل غير متنقل) (
ويا خبيرا على الأسرار مطلعا * اصمت ففي الصمت
منجاة من الزلل) (قد رشحوك لأمر لو فطنت له * فاربا
بنفسك أن ترعى مع الهمل) ومن رقيق شعره قوله (يا
قلب مالك والهوى من بعد ما * طاب السلو وأقصر
العشاق) (أوما بدا لك في الإفاقة والألى * نازعتهم
كأس الغرام أفاقوا) (مرض النسيم وصح والداء الذي *
تشكوه لا يرجى له إفراق) (وهدا خفوق البرق والقلب
الذي * تطوى عليه أضالعي خفاق) وله أيضا (أجما

البكا يا مقلتي فإننا * على موعد للبين لا شك واقع) (إذا
جمع العشاق موعدهم غدا * فواخجلتا إن لم تعني مدامعي
) ومن شعره (ولا غرو إن أهديت من فيض بره * إليه
قليلا ليس يعتده نزرا) (فإني رأيت الغيم يحمل ماءه *
من البحر غمرا ثم يهدي له قطرا) ومن شعره (لا
تحقرن الرأي وهو موافق * حكم الصواب وإن بدا من
ناقص) (فالدر وهو أجل شيء يقتني * ما حط رتبته
هوان الغائص) وله أيضا (أخاك أخاك فهو أجل ذخر *
إذا نابتك نايبة الزمان)
189 (وإن رابت إساءته فهبها * لما فيه من الشيم
الحسان) (تريد مهذبا لا غش فيه * وهل عود يفوح بلا
دخان) ومن شعره (ما فلان إلا كجيفة ميت *
والضرورات أحوجتنا إليه) (فمن اضطر غير باغ ولا
عاد * فلا إثم في الكتاب عليه) وله من أبيات (لا غرو
إن حزت المروءة والتقى * والدين والدنيا ولم تتصدع)
(إن النواظر والقلوب صغيرة * تحوي الكبير وليس
بالمستبدع) وله (جامل أخاك إذا استربت بوده *
وانظر به عقب الزمان يعاود) (فإن استمر على الفساد
فخله * فالعضو يقطع للفساد الزائد) وذكره أبو المعالي
الحظيري في كتاب زينة الدهر وذكر له مقاطيع وذكره
أبو البركات ابن المستوفي في تاريخ إربل وقال إنه ولي
الوزارة بمدينة إربل مدة وذكر العماد الكاتب في كتاب
نصرة الفترة وعصرة الفطرة وهو تاريخ الدولة السلجوقية

أن الطغرائي المذكور كان ينعت بالأستاذ وكان وزير السلطان مسعود بن محمد السلجوقي بالموصل وأنه لما جرى المصاف بينه وبين أخيه السلطان محمود بالقرب من همذان وكانت النصرة لمحمود فأول من أخذ الأستاذ أبو إسماعيل وزير مسعود فأخبر به وزير محمود وهو الكمال نظام الدين أبو طالب علي بن أحمد بن حرب السميرمي فقال الشهاب أسعد وكان طغرائيا في ذلك الوقت نيابة عن النصير الكاتب هذا الرجل ملحد يعني الأستاذ فقال وزير محمود من يكن ملحدا يقتل فقتل ظلما
190 وقد كانوا خافوا منه ولا قبل عليه لفضله فاعتدوا قتله بهذه الحجة وكانت هذه الواقعة سنة ثلاث عشرة وخمسمائة وقيل إنه قتل سنة أربع عشرة وقيل ثماني عشرة وقد جاوز ستين سنة وفي شعره ما يدل على أنه بلغ سبعا وخمسين سنة لأنه قال وقد جاءه مولود (هذا الصغير الذي وافى على كبري * أقر عيني ولكن زاد في فكري) (سبع وخمسون لو مرت على حجر * لبان تأثيرها في صفحة الحجر) والله تعالى أعلم بما عاش بعد ذلك رحمه الله تعالى وقتل الكمال السميرمي الوزير المذكور يوم الثلاثاء سلخ صفر سنة ست عشرة وخمسمائة في السوق ببغداد عند المدرسة النظامية وقيل قتله عبد أسود كان للطغرائي المذكور لأنه قتل أستاذه والطغرائي بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة وفتح الراء وبعدها ألف مقصورة هذه النسبة إلى من يكتب

الطغرى وهي الطرة التي تكتب في أعلى الكتب فوق البسملة بالقلم الغليظ ومضمونها نعوت الملك الذي صدر الكتاب عنه وهي لفظة أعجمية والسميرمي بضم السين المهملة وفتح الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء ثم ميم هذه النسبة إلى سميرم وهي بلدة بين أصبهان وشيراز وهي آخر حدود أصبهان

191 198 أبو الفوارس ابن الخازن أبو الفوارس الحسين بن علي بن الحسين المعروف بابن الخازن الكاتب كان فريد عصره في الكتابة وكتب مالم يكتبه أحد فإنه كتب فيما كتب خمسمائة نسخة من كتاب الله العزيز ما بين ربعة وجامع وله شعر حسن فمن ذلك قوله (عنت الدنيا لطالبها * واستراح الزاهد الفطن) (كل ملك نال زخرفها * حسبه مما حوى كفن) (يقتني مالا ويتركه * في كلا الحالين مفتتن) (أملي كوني على ثقة * من لقاءالله مرتهن) (أكره الدنيا وكيف بها * والذي تسخوبه وسن) (لم تدم قبلي على أحد * فلماذا الهم والحزن) قال محمد بن أبي الفضل الهمذاني المؤرخ في ذيل تجارب الأمم لمسكويه توفي ابن الخازن المذكور في ذي الحجة سنة اثنتين وخمسمائة فجأة رحمه الله تعالى وقال الشريف أبو العمر المبارك بن أحمد الأنصاري توفي ليلة الثلاثاء ودفن من الغد وهو اليوم السادس والعشرين من الشهر المذكور

192 199 أبو عبد الله الشيعي أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا المعروف بالشيعي القائم بدعوة عبيد الله المهدي جد ملوك مصر وقصته في القيام بالغرب مشهورة وله بذلك سيرة مسطورة وسيأتي في حرف العين عند ذكر المهدي عبيد الله طرف من أخباره إن شاء الله تعالى وأبو عبد الله المذكور من أهل صنعاء اليمن وكان من الرجال الدهاة الخبيرين بما يصنعون فإنه دخل أفريقية وحيدا بلا مال ولا رجال ولم يزل يسعى إلى أن ملكها وهرب ملكها أبو مضر زيادة الله آخر ملوك بني الأغلب منه إلى بلاد المشرق وهلك هناك وحديثه يطول ولما مهد القواعد للمهدي ووطد له البلاد وأقبل المهدي من المشرق وعجز عن الوصول إلى أبي عبد الله المذكور وتوجه إلى سجلماسة وأحس به صاحبها اليسع آخر ملوك بني مدرار فأمسكه واعتقله ومضى إليه أبو عبد الله وأخرجه من الاعتقال وفوض إليه أمر المملكة اجتمع به أخوه أبو العباس أحمد وكان هو الأكبر أعني أحمد وندمه على ما فعل وقال له تكون أنت صاحب البلاد والمستقل بأمورها وتسلمها إلى غيرك وتبقى من جملة الأتباع وكرر عليه القول فندم أبو عبد الله على ما صنع وأضمر الغدر واستشعر منهما المهدي فدس عليهما من قتلهما في ساعة واحدة وذلك في منتصف جمادي الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائتين بمدينة رقادة بين القصرين رحمهما الله تعالى

193 والشيعي بكسر الشين المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها عين مهملة هذه النسبة إلى من يتولى شيعة الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ورقادة بفتح الراء وتشديد القاف وبعد الألف دال مهملة وبعد الدال هاء ساكنة مدينة من أعمال القيروان من بلاد إفريقية وأما زيادة الله فقد ذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق فقال هو أبو مضر زيادة الله بن عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب ابن إبراهيم بن سالم بن عقال بن خفاجة وهو زيادة الله الأصغر آخر ملوك بني الأغلب بإفريقية التميمي وقال قدم دمشق سنة اثنتين وثلثمائة مجتازا إلى بغداد حين غلب على ملكه بإفريقية ثم قال في آخر الترجمة بلغني أن زيادة الله توفي بالمرملة في سنة أربع وثلثمائة في جمادي الأولى منها ودفن بالرملة فساخ قبره فسقف عليه وترك مكانه وهو من ولد الأغلب بن عمرو المازني البصري وكان الرشيد ولى عمرا المغرب بعد أن مات إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم فما زال بالمغرب إلى أن توفي وخلف ولده الأغلب ثم أولاده إلى أن صار الأمر إلى زيادة الله هذا انتهى ما ذكره ابن عساكر وفي ترجمة أبي القاسم علي بن القطاع اللغوي هذا النسب وبينهما اختلاف قليل لكني نقلته على ما وجدته في الموضعين وقال غير ابن عساكر توفي أبو مضر زيادة الله بن محمد بن إبراهيم بن الأغلب بالرقة وحمل

تابوته إلى القدس الشريف ودفن بها في سنة ست وتسعين
ومائتين وكانت مدة مملكته إلى أن خرج عن القيروان
خمس سنين وتسعة أشهر وخمسة عشر يوما وكان سبب
خروجه من االقيروان أن أبا عبد الله الشيعي المذكور لما
هزم إبرهيم بن الأغلب بلغ الخبر زيادة الله المذكور فشد
194 أمواله وأخذ خواص حرمه وخرج من رقادة
ليلا وبعد خروجه بويع إبراهيم بن الأغلب وكانت مملكة
بني الأغلب مائتي سنة واثنتي عشرة سنة وخمسة أشهر
وأربعة عشر يوما والشرح في ذلك يطول فاختصرته

200 حسان التنوخي أبو ليلى حسان بن سنان بن أوفى
بن عوف التنوخي وهو جد إسحاق بن البهلول سمع أنس
بن مالك رضي الله عنه روى عنه ابن ابنه إسحاق وقال
أبو حاتم محمد بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول
قال جدي إسحاق عن جدي حسان قال خرجت في وفد من
أهل الأنبار إلى الحجاج إلى واسط نتظلم إليه من عامله
علينا الرقيل فدخلنا ديوانه فرأيت شيخا والناس حوله
يكتبون عنه فسألت عنه فقيل لي أنس بن مالك فوقفت
عليه فقال لي من أين فقلت من الأنبار جئنا إلى الأمير
نتظلم إليه فقال لي بارك الله فيك فقلت حدثني بشيء
سمعته من رسول الله يا خادم رسول الله فقال سمعته يقول
مر بالمعروف وانه عن المنكر ما استطعت وأعجلني
أصحابي فلم أسمع منه غير هذا الحديث قال أبو حاتم
وكان إسحاق يقول أرجو أن أكون ممن سبقت فيه دعوة

195 رسول الله بقوله طوبى لمن رآني ولمن رأى
من رآني وكان من بركة دعاء أنس لحسان أنه عاش مائة
سنة وعشرين سنة وخرج من أولاده جماعة فقهاء وقضاة
ورؤساء وصلحاء وكتاب وزهاد ولد حسان سنة ستين من
الهجرة وتوفي سنة 180&&ه رحمه الله تعالى وكان
أحيانا يكنى أبا العلاء ولد بالأنبار على النصرانية وكانت
دينه ودين آبائه وكانت له حين أسلم ابنة بالغة فأقامت على
النصرانية فلما حضرتها الوفاة أوصت لدير تنوخ بالأنبار
وكان حسان يتكلم ويقرأ ويكتب بالفارسية والسريانية
والعربية ولحق الدولتين فلما قلد أبو العباس السفاح ربيعة
الرأي قضاء الأنبار أتي بكتب مكتوبة بالفارسية فلم يحسن
أن يقرأها فطلب رجلا ثقة دينا يحسن قرائتها فدل على
حسان بن سنان فجيء به فكان يقرأ له الكتب الفارسية فلما
اختبره رضي مذهبه واستكتبه على جميع أمره 201 أبو
سلمة الخلال أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال الهمداني
مولى السبيع وزير أبي العباس السفاح أول خلفاء بني
العباس وأبو سلمة أول من وقع عليه اسم الوزير وشهر
بالوزارة في دولة بني العباس ولم يكن من قبله يعرف بهذا
النعت لا في دولة بني أمية ولا في غيرها من الدول وكان
السفاح يأنس به لأنه كان ذا مفاكهة
196 حسنة وممتعا في حديثه أديبا عالما بالسياسة
والتدبير وكان ذا يسار ويعالج الصرف بالكوفة وأنفق
أموالا كثيرة في إقامة دولة بني العباس وصار إلى

خراسان في هذا المعنى وأبو مسلم الخراساني يومئذ تابع له في هذا الامر وكان يدعو إلى بيعة إبراهيم الإمام أخي السفاح فلما قتله مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية بحران وانقلبت الدعوة إلى السفاح توهموا من أبي سلمة المذكور أنه مال إلى العلويين فلما ولي السفاح واستوزره بقي في نفسه منه شيء فيقال إن السفاح سير إلى أبي مسلم وهو بخراسان يعرفه بفساد نية أبي سلمة ويحرضه على قتله ويقال إن أبا مسلم لما اطلع على ذلك كتب إلى السفاح وعرفه بحاله وحسن له قتله فلم يفعل وقال هذا الرجل بذل ماله في خدمتنا ونصحنا وقد صدرت منه هذه الزلة فنحن نغتفرها له فلما رأى أبو مسلم امتناعه من ذلك سير جماعة كمنوا له ليلا وكانت عادته أن يسمر عند السفاح فلما خرج من عنده وهو في مدينته بالأنبار ولم يكن معه أحد وثبوا عليه وخبطوه بأسيافهم وأصبح الناس يقولون قتلته الخوارج وكان قتله بعد خلافة السفاح بأربعة أشهر وولي السفاح الخلافة ليلة الجمعة ثالث عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة ولما سمع السفاح بقتله أنشد (إلى النار فليذهب ومن كان مثله * على أي شيء فاتنا منه نأسف) وذكر في كتاب أخبار الوزراء أن قتله كان في رجب سنة اثنتين وثلاثين ومائة وكان أبو سلمة يقال له وزير آل محمد فلما قتل عمل في ذلك سليمان ابن المهاجر البجلي (إن المساءة قد تسر وربما * كان السرور بما كرهت جديرا) (إن الوزير وزير آل محمد

* أودى فمن يشناك كان وزيرا) ولم يكن خلالا وإنما
كان منزله بالكوفة في حارة الخلالين فكان يجلس
197 عندهم لقرب داره منهم فسمي خلالا
والهمداني بفتح الهاء وسكون الميم وفتح الدال المهملة
وبعد الألف نون وهذه النسبة إلى همدان وهي قبيلة عظيمة
باليمن والسبيع يذكر في حرف العين عند ذكر أبي
إسحاق السبيعي إن شاء الله تعالى وقد اختلف أرباب اللغة
في اشتقاق الوزارة على قولين أحدهما أنها من الوزر
بكسر الواو وهو الحمل وكأن الوزير قد حمل عن السلطان
الثقل وهذا قول ابن قتيبة والثاني أنها من الوزر بفتح الواو
والزاي وهو الجبل الذي يعتصم به لينجى به من الهلاك
وكذلك الوزير معناه الذي يعتمد عليه الخليفة أو السلطان
ويلتجئ إلى رأيه وهذا قول أبي إسحاق الزجاج والله أعلم
202 حفص بن غياث القاضي أبو عمرو حفص بن
غياث بن طلق بن معاوية بن مالك بن الحارث بن ثعلبة
ابن عامر بن ربيعة بن جشم بن وهبيل بن سعد بن مالك
بن النخع بن مذحج
198 النخعي الكوفي سمع عبد الله بن عمر العمري
وهشام بن عمرو وإسماعيل بن أبي خالد وأبا إسحاق
الشيباني والأعمش وخلقا سواهم روى عنه ابنه عمر وأبو
نعيم الفضل بن دكين وعفان بن مسلمة وأحمد بن حنبل
ويحيى بن معين وعامة الكوفيين ولي القضاء ببغداد
وحدث بها ثم عزل وولي قضاء الكوفة قال حميد بن

الربيع لما جيء بعبد الله بن إدريس وحفص بن غياث ووكيع ابن الجراح إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد ليوليهم القضاء دخلوا عليه فأما ابن إدريس فقال السلام عليكم وطرح نفسه كأنه مفلوج فقال هارون خذوا بيد الشيخ لا فضل في هذا وأما وكيع فقال والله يا أمير المؤمنين ما أتصرف بها منذ سنة ووضع إصبعه على عينه وعنى إصبعه فأعفاه وأما حفص بن غياث فقال لولا غلبة الدين والعيال ما وليت وكان حفص المذكور لما قربوا من بغداد طرى خضابه فالتفت ابن إدريس إلى وكيع فقال أما هذا فقد قبل وقال حفص وهو قاض على الشرقية لرجل يسأل عن مسائل القضاء لعلك تريد أن تكون قاضيا لأن يدخل الرجل إصبعه في عينه فيقلعها فيرمي بها خير له من أن يكون قاضيا وكان حفص يقول لو رأيت أني اسر بما أنا فيه هلكت قال عمرو بن حفص بن غياث لما حضرت أبي الوفاة أغمي عليه فبكيت عند رأسه فأفاق فقال ما يبكيك قلت أبكي لفراقك ولما دخلت فيه من هذا الأمر يعني القضاء فقال لابنه يا بني ما حللت سراويلي على حرام قط ولا جلس بين يدي خصمان فباليت على من توجه الحكم بينهما وقال الخطيب كان حفص بن غياث المذكور جالسا في الشرقية للقضاء فأرسل إليه الخليفة يدعوه فقال لرسوله حتى أفرغ من أمر الخصوم إذ كنت أجيرا لهم وأصير إلى أمير المؤمنين ولم يقم حتى تفرق الخصوم وقال غنام بن حفص مرض أبي خمسة عشر

يوما فدفع إلي مائة درهم وقال امض بها إلى العامل وقل له هذه رزق خمسة عشر يوما لم أحكم فيها بين المسلمين لاحظ لي فيها

199 وقال باع رجل من أهل خراسان جمالا بثلاثين ألف درهم من مرزبان المجوسي وكيل أم جعفر فمطله ثمنها وحبسه عن سفره وطال ذلك على الرجل فأتى بعض أصحاب حفص بن غياث فشاوره فقال له اذهب إليه فقل له أعطني ألف درهم وأحيل عليك ببقية المال وأخرج إلى خراسان فإذا فعلت هذا فأخبرني حتى أشير عليك ففعل الرجل وأتى مرزبان فأعطاه ألف درهم فرجع إلى الرجل فأخبره فقال عد إليه فقل له إذا ركبت غدا فطريقك على القاضي تحضر وأوكل رجلا بالقبض على المال واخرج فإذا جلس إلى القاضي فادع عليه بما بقي لك من المال فإذا أقر حبسه القاضي وأخذت مالك فرجع إلى مرزبان فسأله فقال انتظرني بباب القاضي فلما ركب من الغد وثب إليه الرجل وقال إن رأيت أن تترك إلي القاضي حتى أوكل بقبض المال وأخرج فنزل مرزبان إلى حفص المذكور فقال الرجل أصلح الله القاضي لي على هذا الرجل تسعة وعشرون ألف درهم فقال حفص ما تقول يا مجوسي قال صدق أصلح الله القاضي فقال القاضي ما تقول يا رجل فقد أقر لك فقال يعطيني مالي فأقبل حفص على المجوسي فقال ما تقول فقال هذا المال على السيدة فقال أنت أحمق تقر ثم تقول على السيدة ما تقول يا رجل قال أصلح الله

القاضي إن أعطاني مالي وإلا حبسته قال حفص ما تقول يا مجوسي قال المال على السيدة فقال حفص خذوا بيده إلى الحبس فلما حبس بلغ الخبر أم جعفر فغضبت وبعثت إلى السندي وجه إلى المرزبان وكانت القضاة تحبس الغرماء في مجلس الشرط فأخرجه وبلغ الخبر حفصا فقال أحبس أنا ويخرج السندي لا جلست مجلسي هذا أو يرد مرزبان إلى الحبس فجاء السندي إلى أم جعفر فقال الله الله في إنه حفص ابن غياث وأخاف من أمير المؤمنين أن يقول لي بأمر من أخرجته رديه إلى الحبس وأنا أكلم حفصا في أمره فرجع مرزبان إلى الحبس فقالت أم جعفر لهارون قاضيك هذا أحمق حبس وكيلي واستخف به فمره لا ينظر في الحكم وتولي أمره أبا يوسف فأمر لها بالكتاب وبلغ حفصا الخبر فقال أحضري شهودا حتى أسجل لك على المجوسي وجلس حفص وسجل على المجوسي بالمال

200 وورد كتاب هارون مع خادم فقال هذا كتاب أمير المؤمنين فقال مكانك نحن في شيء حتى نفرغ منه فقال كتاب أمير المؤمنين فقال انظر ما يقال لك فلما فرغ حفص من السجل أخذ الكتاب من الخادم فقرأه فقال اقرأ على أمير المؤمنين السلام وقل له إن كتابه ورد وقد أنفذت الحكم فقال الخادم في عرفت ما صنعت أبيت أن تأخذ كتاب أمير المؤمنين حتى تفرغ مما تريد والله لأخبرن أمير المؤمنين بما فعلت فقال حفص قل له ما أحببت فجاء

الخادم فأخبر هارون فضحك وقال للحاجب مر لحفص بثلاثين ألف درهم فركب يحيى بن خالد فاستقبل حفصا منصرفا من مجلس القضاء فقال أيها القاضي قد سررت أمير المؤمنين وأمر لك بثلاثين ألف درهم فما السبب فقال تمم الله سرور أمير المؤمنين وأحسن حفظه وكلاءته ما زدت على ما أفعل كل يوم سجلت على مرزبان المجوسي بما وجب عليه قال يحيى بن خالد فمن هذا سر أمير المؤمنين فقال حفص الحمد لله كثيرا فقالت أم جعفر لهارون لا أنا ولا أنت إلا أن تعزل حفصا فأبى عليها ثم ألحت عليه فعزله عن الشرقية وولاه قضاء الكوفة فمكث عليها ثلاث عشرة سنة وكان أبو يوسف لما ولي حفص القضاء قال لأصحابه تعالوا نكتب نوادر حفص فلما وردت أحكامه وقضاياه على أبي يوسف قال له أصحابه أين النوادر التي زعمت بكتبها قال ويحكم إن حفصا أراد الله فوفقه وقال حفص والله ما وليت القضاء حتى حلت لي الميتة ومات رحمه الله ولم يخلف درهما وخلف عليه تسعمائة درهم دينا وكان يقال ختم القضاء بحفص بن غياث وقال الحسين بن المغيرة رأى بعض الصالحين كأن زورقا غرق بين الجسرين وفيه عشرون قاضيا فما نجا منهم إلا ثلاثة على سوءاتهم حفص بن غياث والقاسم بن معن وشريك وقال يحيى بن معين جميع ما حدث به حفص بن غياث ببغداد والكوفة إنما هو من حفظه لم

يخرج كتابا كتبوا عنه ثلاثة آلاف وأربعة آلاف حديث من حفظه
201 قال عبيد الله بن صالح العجلي حدثني أبي قال حفص بن غياث ثقة مأمون فقيه وكان على قضاء الكوفة وكان وكيع ربما يسأل عن الشيء فيقول اذهبوا إلى قاضينا فاسألوه وكان شيخا عفيفا مسلما ولد حفص بن غياث سنة سبع عشرة ومائة ومات سنة أربع وتسعين ومائة في العشر من ذي الحجة وقيل مات سنة ست وتسعين ومائة رحمه الله تعالى 203 الحكم بن عبدل الحكم بن عبدل بن جبلة بن عمرو بن ثعلبة بن عقال بن بلال بن سعد بن حبال الأسدي شاعر مجيد مقدم في طبقته هجاء خبيث اللسان من شعراء الدولة الأموية وكان أعرج أحدب ومنزله ومنشؤه الكوفة حدث العتبي قال كان الحكم بن عبدل الشاعر الأسدي أعرج لا تفارقه العصا فترك الوقوف بأبواب الملوك وكان يكتب على عصاه حاجته ويبعث بها مع رسوله فلا يحبس له رسول ولا تؤخر له حاجة فقال في ذلك يحيى بن نوفل (عصا حكم في الدار أول داخل * ونحن على الأبواب نقصى ونحجب) (وكانت عصا موسى لفرعون آية * وهذي لعمر الله أدهى وأعجب) (تطاع فلا تعصى ويحذر سخطها * ويرغب في المرضاة منها ويرهب)
202 قال فشاعت هذه الأبيات وضحك الناس منها فكان ابن عبدل بعد ذلك يقول ليحيى يا ابن الزانية ما

أردت من عصاي حتى صيرتها ضحكة واجتنب أن يكتب عليها كما كان يفعل وكاتب الناس بحوائجه في الرقاع وكان للحكم بن عبدل صديق أعمى يقال له أبو علية وكان ابن عبدل قد أقعد فخرجا ليلة من منزلهما إلى منزل بعض اخوانهما والحكم يحمل وأبو علية يقاد فلقيهما صاحب العسس بالكوفة فأخذهما فحبسهما فلما استقرا في الحبس نظر الحكم إلى عصا أبي علية موضوعة إلى جانب عصاه فضحك وأنشأ يقول (حبسي وحبس أبي علي * من أعاجيب الزمان) (أعمى يقاد ومقعد * لا الرجل منه ولا اليدان) (هذا بلا بصر هناك وبي * يخب الحاملان) (يا من رأى ضب الفلاة * قزين حوت في مكان) (طرفي وطرف أبي علي * دهرنا متوافقان) (من يقتحم بجواده * فجوادنا عكازتان) (طرفان لا علفاهما * بشرى ولا يتصاولان) (هبني وإياه الحريق * أكان يسطع بالدخان) وكان اسم أبي علية يحيى فقال الحكم فيه أيضا (أقول ليحيى ليلة السجن سادرا * ونومي به نوم الأسير المقيد) (أعني على رعي النجوم ولحظها * أعنك على تحبير شعر مقصد) (ففي حالتينا عبرة وتفكر * وأعجب منها حبس أعمى ومقعد) (كلانا إذا العكاز فارق كفه * يخر صريعا بل على الوجه يسجد) (فعكازه يهدي إلى السبل اكمها * وأخرى مقام الرجل قامت مع اليد) قال وولي الشرطة باكوفة رجل أعرج ثم ولي

الإمارة آخر أعرج وخرج ابن عبدل وكان أعرج فلقي سائلا أعرج قد تعرض للأمير يسأله فقال ابن عبدل للسائل (ألق العصا ودع التحامل والتمس * عملا 203 فهذي دولة العرجان) (لأميرنا وأمير شرطتنا معا * يا قومنا لكليهما رجلان) (فإذا يكون أميرنا ووزيره * وأنا فإن الرابع الشيطان) فبلغت أبياته ذلك الأمير فبعث له مائتي درهم وسأله أن يكف عنه وقيل قدم الحكم بن عبدل واسطا على ابن هبيرة وكان بخيلا فأقبل حتى وقف بين يديه فقال (أتيتك في أمر من أمر عشيرتي * وأعلى الأمور المفطعات جسيمها) (فإن قلت لي في حاجتي أنا فاعل * فقد ثلجت نفسي وولت همومها) قال أنا فاعل إن اقتصدت فما حاجتك قال غرم لزمنا قال كم هو قال أربعة آلاف درهم قال نحن مناصفوها قال أصلح الله الأمير أتخاف علي التخمة إن أتممتها قال أكره أن أعود الناس هذه العادة قل فأعطني جميعها سرا وامنعني جميعها ظاهرا حتى تعود الناس المنع وإلا فالضرر واقع عليك إن عودتهم نصف ما يطلبون فضحك ابن هبيرة وقال ما عندنا غير ما بذلناه لك فجثا بين يديه وقال امرأتي طالق إن أخذت أقل من أربعة آلاف درهم أو انصرفت وأنا غضبان فقال اعطوه إياها قبحه الله فإنه ما علمت حلاف مهين فأخذها وانصرف وقيل لما وقع الطاعون بالكوفة ومات منهم بنو زر بن حبيش العامري صاحب علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكانوا ظرفاء وبنو عم لهم فقال

الحكم بن عبدل الغاضري يرثيهم (أبعد بني زر وبعد ابن جندل * وعمرو أرجي لذة العيش في خفض) (مضوا وبقينا نأمل العيش بعدهم * ألا إن من يبقى على إثر من يمضي) حدث الأصمعي قال كانت امرأة موسرة بالكوفة وكانت لها على الناس
204 ديون فاستعانت بابنعبدل في دينها وقالت إني امرأة ليس لي زوج وجعلت ثعرض بأنها تزوجه نفسها فقام ابن عبدل في دينها حتى استوفته فلما طالبها بالوفاء كتبت إليه (سيخطبك الذي حاولت مني * فقطع حبل وصلك من حبالي) (كما أخطاك معروف ابنبشر * وكنت تعد ذلك رأس مال) وكان ابن عبدل أتى ابن بشر بالكوفة فسأله فقال أخمسمائة أحب إليك العام أم ألف في قابل فقال ألف في قابل فلما أتاه قال ألف أحب إليك أم ألفان في قابل قال فلم يزل ذلك دأبه حتى مات ابن بشر وما أعطاه شيئا قال ودخل ابن عبدل على عبد الملك بن ماروان بنبشر فقال ما أحدثت بعدي قال خطبت امرأة من قومي فردت علي جواب رسالتي بيتي شعر قال وما هما وأنشده البيتين المذكورين فضحك عبد الملك وقال ما أجود ما ذكرت بنفسك وأمر له بألفي درهم ومثل هذا قال عب دالملك بن مروان لرجل ما ملك قال ما أكف به وجهي وأعود منه على صديقي قال لقد لطفت في المسألة وأمر له بمال وقريب من هذا قال قيس بن سعد لعجوز كيف حالك قالت ما في بيتي جرذ فقال ما ألطف ما سألت لأملأن

بيتك جزذانا وأمر لها بمال وشخص الحكم بن عبدل مع عمر بن هبيرة إلى واسط فشكا إليه الضيقة فوهب له جارية من جواريه فواثبها ليلة صارت إليه فنكحها تسعة أو عشرة طلقا واحدا فلما أصبحت قالت له جعلت فداك من أي الناس أنت قال امرؤ من أهل الشام قالت بهذا العمل غلبتم أهل العراق في حربكم

205 204 حماد بن أبي حنيفة أبو إسماعيل حماد ابن الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت كان على مذهب أبيه رضي الله تعالى عنه وكان من الصلاح والخير على قدم عظيم ولما توفي أبوه كانت عنده ودائع كثيرة من ذهب وفضة وغير ذلك وأربابها غائبون وفيهم أيتام فحملها ابنه حماد المذكور إلى القاضي ليتسلمها منه فقال له القاضي ما نقبلها منك ولا نخرجها عن يدك فإنك أهل لها وموضعها فقال حماد للقاضي زنها واقبضها حتى تبرأ منها ذمة أبي حنيفة ثم افعل مابدا لك ففعل القاضي ذلك وبقي في وزنها أياما فلما كمل وزنها استتر حماد فلم يظهر حتى دفعها إلى غيره وكان ابنه إسماعيل قاضي البصرة وعزل عنها بالقاضي يحيى بن أكثم ورأيت في كتاب أخبار أبي حنيفة أن القاضي يحيى بن أكثم لما وصل إلى البصرة وعزم إسماعيل بن حماد على السفر شيعه القاضي يحيى بن أكثم فكان الناس يدعون لإسماعيل ويقولون له عففت عن أموالنا ودمائنا فيقول إسماعيل وعن أبنائكم وكان يعرض بما يتهم به القاضي يحيى بن

أكثم وقال إسماعيل المذكور كان لنا جار طحان رافضي وكان له بغلان سمى أحدهما أبا بكر والآخر عمر فرمحه ذات ليلة أحد البغلين فقتله فأخبر جدي أبو حنيفة به فقال انظروا فإني إخال أن البغل الذي سماه عمر هو الذي رمحه فنظروا فكان كما قال وكانت وفاة حماد المذكور في ذي القعدة سنة ست وسبعين ومائة رحمه الله تعالى وسيأتي ذكر والده إن شاء الله تعالى

206 205 حماد الراوية أبو القاسم حماد بن أبي ليلى سابور وقيل ميسرة بن المبارك بن عبيد الديلمي الكوفي مولى بني بكر بن وائل المعروف بالراوية وقال ابن قتيبة في كتاب المعارف وفي كتاب طبقات الشعراء إنه مولى مكنف بن زيد الخيل الطائي الصحابي رضي الله عنه كان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها وهو الذي جمع السبع الطوال فيما ذكره أبو جعفر النحاس وكانت ملوك بني أمية تقدمه وتؤثره وتستزيره فيفد عليهم وينال منهم ويسألونه عن أيام العرب وعلومها وقال له الوليد بن يزيد الأموي يوما وقد حضر مجلسه بم استحققت هذا الاسم فقيل لك الراوية فقال بأني أروي لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به ثم أروي لأكثر منهم ممن تعترف أنك لا تعرفه ولا سمعت به ثم لا ينشدني أحد شعرا قديما ومحدثا إلا ميزت القديم من المحدث فقال له فكم مقدار ما تحفظ من الشعر فقال كثير ولكني أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة

قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعراء الجاهلية دون شعراء الإسلام قال سامتحنك في هذا وأمره بالإنشاد فأنشد حتى ضجر الوليد ثم وكل به من استحلفه أن يصدقه عنه ويستوفي عليه فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهلية وأخبر الوليد بذلك فأمر له بمائة ألف درهم

207 قال الطرماح أنشدت حمادا الراوية قصيدة لي ستين بيتا فسكت ساعة ثم قال أهذه لك قلت نعم قال ليس الأمر كذلك ثم ردها علي كلها وزيادة عشرين بيتا زادها في وقته دخل مطيع بن إياس ويحيي بن زياد على حماد الراوية فإذا سراجه على ثلاث قصبات قد جمع أعلاهن وأسفلهن بطين فقال له يحيى يا حماد إنك لمترف متبذل بحر المتاع وقال له مطيع ألا تبيع هذه المنارة وتشتري بأقل ثمنا منها منارة تزيل بها عذرك وتنفق علينا وعلى نفسك الباقي وتتسع وقال له يحيى ما أحسن ظنك به ومن أين له هذه المنارة هذه وديعة أو عارية وقال مطيع إنه لعظيم الأمانة عند الناس قال يحيى وعلى عظم أمانته فما أجهل من يخرج هذه من داره ويأمن عليها غيره قال مطيع ما أظنها عارية ولا وديعة ولكني أظنها مرهونة عنده على مال وإلا فمن يخرج هذه من بيته فقال حماد يرهنها من يدخلكما على بيته ليلقى عليها من أنواع المداعبة وهل عند أحد من المال ما يرهن وذكر أبو محمد الحريري صاحب كتاب المقامات في كتابه درة الغواص مامثاله قال حماد الراوية كان انقطاعي إلى يزيد

بن عبد الملك بن مروان في خلافته وكان أخوه هشام
يجفوني لذلك فلما مات يزيد وتولى هشام خفته ومكثت في
بيتي سنة لا أخرج إلا إلى من أثق إليه من إخواني سرا
فلما لم أسمع أحدا ذكرني في السنة أمنت فخرجت أصلي
الجمعة وصليت في جامع الرصافة الجمعة فإذا شرطيان
قد وقفا علي وقالا يا حماد أجب الأمير يوسف بن عمر
الثقفي وكان واليا على العراق فقلت في نفسي من هذا كنت
أخاف ثم قلت لهما هل لكما أن تدعاني حتى آتي أهلي
فأودعهم وداع من لا يرجع إليهم أبدا ثم أصير معكما فقالا
208 ما إلى ذلك سبيل فاستسلمت في أيديهما ثم
صرت إلى يوسف بن عمر وهو في الإيوان الأحمر
فسلمت عليه فرد علي السلام ورمى إلي كتابا فيه بسم الله
الرحمن الرحيم من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى
يوسف بن عمر أما بعد فإذا قرأت كتابي هذا فابعث إلى
حماد الراوية من يأتيك به من غير ترويع وادفع له
خمسمائة دينار وجملا مهريا يسير عليه اثنتي عشرة ليلة
إلى دمشق فأخذت الدنانير ونظرت فإذا جمل مرحول
فركبته وسرت حتى وافيت دمشق في اثنتي عشرة ليلة
فنزلت على باب هشام واستأذنت فإذن لي فدخلت عليه في
دار قوراء مفروشة بالرخام وبين كل رخامتين قضيب
ذهب وهشام جالس على طنفسة حمراء وعليه ثياب حمر
من الخز وقد تضمخ بالمسك والعنبر فسلمت عليه فرد
علي السلام واستدناني فدنوت حتى قبلت رجله فإذا

جاريتان لم أر مثلهما قط في أذن كل جارية حلقتان فيهما لؤلؤتان تتقدان فقال كيف أنت يا حماد وكيف حالك فقلت بخير يا أمير المؤمنين فقال أتدري فيم بعثت إليك قلت لا قال بعثت بسبب بيت خطر ببالي لا أعرف قائله قلت وما هو قال (ودعوا بالصبوح يوما فجاءت * قينة في يمينها إبريق) فقلت يقوله عدي بن زيد العبادي في قصيدة قال أنشدنيها فأنشدته (بكر العاذلون في وضح الصبح * يقولون لي أما تستفيق) (ويلومون فيك يا ابنة عبد الله * والقلب عندكم موهوق) (لست أدري إذ أكثروا العذل فيها * أعدو يومني أم صديق) قال حماد فانتهيت فيها إلى قوله (ودعوا بالصبوح يوما فجاءت * قينة في يمينها إبريق)
209 (فدمته على عقار كعين الديك * صفى سلافها الراووق) (مزة قبل مزجها فإذا ما * مزجت لذ طعمها من يذوق) (وطفا فوقها فقاقيع كالياقوت * حمر يزينها التصفيق) (ثم كان المزاج ماء سحاب * لاصرى آجن ولا مطروق) قال فطرب هشام ثم قال أحسنت يا حماد وفي هذه الحكاية زيادة فانه قال اسقيه يا جارية فسقتني وهذا ليس بصحيح فإن هشاما لم يكن يشرب فلا حاجة إلى ذكر تلك الزيادة ثم قال يا حماد سل حاجتك فقلت كائنة ما كانت قال نعم قلت إحدى الجاريتين قال هما جميعا لك بما عليهما ومالهما وأنزله في داره ثم نقله من غد إلى منزل أعده له فوجد فيه الجاريتين ومالهما وكل ما

يحتاج إليه وأقام عنده مدة ووصله بمائة ألف درهم قال حماد فسرت وأنا أيسر خلق الله إلى الكوفة فقلت (أنت الذي تنزل الأيام منزلها * وتنقل الدهر من حال إلى حال) (وما مددت مدى طرف إلى أحد * إلا قضيت بأرزاق وآجال) (تروم شحا فتمسي البيض * وتستهل فتبكي المال) قلت هكذا ساق الحريري هذه الحكاية وما يمكن أن تكون هذه الواقعة مع يوسف بن عمر الثقفي لأنه لم يكن واليابالعراق في التاريخ المذكور بل كان متوليه خالد بن عبد الله القسري الآتي ذكره إن شاء الله تعالى حسبما يقتضيه تاريخ ولايته وانفصاله وولاية يوسف بن عمر في ترجمته أيضا وأخبار حماد ونوادره كثيرة وكانت وفاته سنة خمس وخمسين ومائة ومولده في سنة خمس وتسعين للهجرة وقيل إنه توفي في خلافة المهدي وتولى المهدي الخلافة يوم السبت لست خلون من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة وتوفي ليلة الخميس لسبع بقين من المحرم
210 سنة تسع وستين ومائة بقرية يقال لها الرذ من أعمال ماسبذان وفي ذلك يقول مروان بن أبي حفصة (وأكرم قبر بعد قبر محمد * نبي الهدى قبر بماسبذان) (عجبت لأيد هالت الترب فوقه * ضحى كيف لم ترجع بغير بنان) ولما مات حماد الراوية رثاه أبو يحيى محمد بن كناسة وهو لقبه واسمه عبد الأعلى بن عبد الله بن خليفة بن نضلة بن أنيف بن مازن بن ذويبة بن أسامة ابن نصر بن قعين بقوله (لو كان ينجي من الردى حذر *

نجاك مما أصابك الحذر) (يرحمك الله من أخي ثقة * لم يك في صفو وده كدر) (فهكذا يفسد الزمان ويفنى * العلم فيه ويدرس الأثر) وكان حماد المذكور قليل البضاعة من العربية قيل إنه حفظ القرآن الكريم من المصحف فصحف في نيف وثلاثين حرفا رحمه الله تعالى

206 حماد عجرد أبو عمرو وقيل أبو يحيى حماد بن عمر بن يونس بن كليب الكوفي وقيل الواسطي مولى بني سوأة بن عامر بن صعصعة المعروف بعجرد

211 الشاعر المشهور هو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ولم يشتهر إلا في العباسية ونادم الوليد بن يزيد الأموي وقدم بغداد في أيام المهدي وقال علي بن الجعد قدم علينا في أيام المهدي هؤلاء القوم حماد عجرد ومطيع بن إياس الكناني ويحيى بن زياد فنزلوا بالقرب منا فكانوا لا يطاقون خبثا ومجانة وهو من الشعراء المجيدين وبينه وبين بشار بن برد أهاج فاحشة وله في بشار كل معنى غريب ولولا فحشها لذكرت شيئا منها وكان بشار يضج منه وقال بشار في حماد (إذا جئته في الحي أغلق بابه * فلم تلقه إلا وأنت كمين) (فقل لأبي يحيى متى تبلغ العلا * وفي كل معروف عليك يمين) وفيه يقول بشار أيضا (نعم الفتى لو كان يعبد ربه * ويقيم وقت صلاته حماد) (وابيض من شرب المدامة وجهه * وبياضه يوم الحساب سواد) وكان يبري النبل وقيل إن أباه كان يبري النبل وإنه هو لم يتعاط شيئا من الصنائع

وكان ماجنا ظريفا خليعا متهما في دينه بالزندقة يحكى أنه كانت بينه وبين أحد الأئمة الكبار وما يليق التصريح بذكر اسمه مودة ثم تقاطعا فبلغه عنه أنه يتنقصه فكتب إليه (إن كان نسكك لا يتم * بغير شتمي وانتقاصي) (فاقعد وقم بي كيف شئت * مع الأداني والأقاصي) 212 (فلطالما زكيتني * وأنا المصر على المعاصي) (أيام نأخذها ونعطي * في أباريق الرصاص) ومن شعره أيضا (فأقسمت لو أصبحت في قبضة الهوى * لأقصرت عن لومي وأطنبت في عذري) (ولكن بلائي منك أنك ناصح * وأنك لا تدري بأنك لا تدري) وذكر ابن قتيبة في كتاب طبقات الشعراء قال كان في الكوفة ثلاثة يقال لهم الحمادون حماد عجرد وحماد الراوية وحماد بن الزبرقان النحوي وكانوا يتعاشرون وكانوا كلهم يرمون بالزندقة وقيل إن حماد عجرد أهدى إلى مطيع بن إياس غلاما وكتب معه قد أهديت إليك من يتعلم عليه كظم الغيظ ولما أقعد حماد عجرد لتأديب ولد الأمين قال بشار بن برد (قل للأمين جزاك الله صالحة * لا تجمع الدهر بين السخل والذيب) (فالسخل يعلم أن الذئب آكله * والذئب يعلم ما في السخل من طيب) وقال أيضا (يا أبا الفضل لا تنم * وقع الذئب في الغنم) (إن حماد عجرد * شيخ سوء قد اغتلم) (بين فخذيه حربة * في غلاف من الأدم) (إن رأى ثم

غفلة * محج الميم في القلم) فشاعت الأبيات فأمر الأمين أن يخرج حماد

213 ومن شعر حماد عجرد (إن الكريم ليخفي عنك عسرته * حتى تراه غنيا وهو مجهود) (وللبخيل على أمواله علل * زرق العيون عليها أوجه سود) (إذا تكرهت أن تعطي القليل ولم * تقدر على سعة لم يظهر الجود) (بث النوال ولا يمنعك قلته * فكل ما سد فقرا فهو محمود) وأشعاره وأخباره مشهورة وتوفي في سنة إحدى وستين ومائة رحمه الله تعالى وقيل كان من أهل واسط وقتله محمد بن سليمان بن علي عامل البصرة بظاهر الكوفة على الزندقة في سنة خمس وخمسين ومائة وقيل خرج من الأهواز يريد البصرة فمات في طريقه فدفن على تل هناك وقيل مات سنة ثمان وستين ومائة ولما قتل المهدي بشار بن برد المقدم ذكره بالبطيحة حمل ودفن على حماد عجرد فمر على قبريهما أبو هشام الباهلي فكتب عليهما (قد تبع الأعمى قفا عجرد * فأصبحا جارين في دار) (صارا جميعا في يدي مالك * في النار والكافر في النار) (قالت بقاع الأرض لا مرحبا * بقرب حماد وبشار) وعجرد بفتح العين المهملة وسكون الجيم وفتح الراء وبعدها دال مهملة وهو لقب عليه وإنما قيل له ذلك لأنه مر به أعرابي وهو غلام يلعب مع الصبيان في يوم شديد البرد وهو عريان فقال له لقد تعجردت يا غلام والمتعجرد المتعري والمخضرم بضم

الميم وفتح الخاء المعجمة وسكون الضاد المعجمة وفتح الراء وبعدها ميم أصل هذه اللفظة أن تطلق على الشاعر الذي أدرك الجاهلية
214 والإسلام مثل لبيد والنابغة الجعدي وغيرهما ثم توسع فيها حتى صارت تطلق على من أدرك دولتين وسمع في ذلك أيضاً محضرم بالحاء المهملة وسمع بكسر الراء أيضاً 207 أبو سليمان الخطابي أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطابي البستي كان فقيهاً أديبا محدثاً له التصانيف البديعة منها غريب الحديث ومعالم السنن في شرح سنن أبي داود وأعلام السنن في شرح البخاري وكتاب الشحاح وكتاب شأن الدعاء وكتاب إصلاح غلط المحدثين وغير ذلك سمع بالعراق أبا علي الصفار وأبا جعفر الرزاز وغيرهما وروى عنه الحاكم أبو عبد الله ابن البيع النيسابوري وعبد الغفار بن محمد الفارسي وأبو القاسم عبد الوهاب بن أبي سهل الخطابي وغيرهم وذكره صاحب يتيمة الدهر وأنشد له (وما غمة الإنسان في شقه النوى * ولكنها والله في عدم الشكل)
215 (وإني غريب بين بست وأهلها * وإن كان فيها أسرتي وبها أهلي) وأنشد له أيضاً (شر السباع العوادي دونه وزر * والناس شرهم ما دونه وزر) (كم معشر سلموا لم يؤذهم سبع * ومما ترى بشراً لم يؤذه بشر) وأنشد له أيضاً (فسامح ولا تستوف حقك كله * وأبق فلم يستقص قط كريم) (ولا تغل في شيء من

الأمر واقتصد * كلا طرفي قصد الأمور ذميم) وذكر له أشياء غير ذلك وكان يشبه في عصره بأبي عبيد القاسم بن سلام علماً وأدباً وزهداً وورعاً وتدريساً وتأليفا وكانت وفاته في شهر ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وثلثمائة بمدينة بست رحمه الله تعالى والخطابي بفتح الخاء المعجمة وتشديد الطاء المهملة وبعد الألف باء موحدة وهذه النسبة إلى جده الخطاب المذكور وقيل إنه من ذرية زيد بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فنسب إليه والله أعلم والبستي بضم الباء الموحدة وسكون السين المهملة وبعدها تاء مثناة من فوقها هذه النسبة إلى بست وهي مدينة من بلاد كابل بين هراة وغزنة كثيرة الأشجار والأنهار وقد سمع في اسم أبي سليمان حمد المذكور أحمد أيضاً بإثبات الهمزة والصحيح الأول قال الحاكم أبو عبد الله محمد بن البيع سألت أبا القاسم المظفر ابن طاهر بن محمد البستي الفقيه عن اسم أبي سليمان الخطابي أحمد أو حمد فإن بعض الناس يقول أحمد فقال سمعته يقول اسمي الذي سميت به حمد ولكن الناس كتبوا أحمد فتركته عليه وقال أبو القاسم المذكور أنشدنا أبو سليمان لنفسه

216 (ما دمت حياً فدار الناس كلهم * فإنما أنت في دار المداراة) (من يدر دارى ومن لم يدر سوف يرى * عما قليل نديماً للندامات) 208 حمزة الزيات أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الكوفي المعروف بالزيات مولى آل عكرمة بن ربعي التيمي كان

أحد القراء السبعة وعنه أخذ أبو الحسن الكسائي القراءة وأخذ هو عن الأعمش وإنما قيل له الزيات لأنه كان يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان ويجلب من حلوان الجبن والجوز إلى الكوفة فعرف به وتوفي سنة ست وخمسين ومائة بحلوان وله ست وسبعون سنة رحمه الله تعالى وحلوان بضم الحاء وسكون اللام وفتح الواو وبعد الألف نون وهي مدينة في أواخر سواد العراق مما يلي بلاد الجبل وربعي بكسر الواو وسكون الباء الموحدة وكسر العين المهملة وتشديد الياء

217 209 حنين إبن إسحاق أبو زيد حنين بن إسحاق العبادي الطبيب المشهور كان إمام وقته في صناعة الطب وكان يعرف لغة اليونانيين معرفة تامة وهو الذي عرب كتاب أقليدس ونقله من لغة اليونان إلى اللغة العربية وجاء ثابت بن قرة المقدم ذكره فنقحه وهذبه وكذلك كتاب المجسطي وأكثر كتب الحكماء والأطباء فإنها كانت كلها بلغة اليونان فعربت وكان حنين المذكور أشد الجماعة اعتناء بتعريبها وعرب غيره أيضاً بعض الكتب ولولا ذلك التعريب لما أنتفع أحد بتلك الكتب لعدم المعرفة بلسان اليونان لا جرم كل كتاب لم يعربوه باق على حاله ولا ينتفع به إلا من عرف تلك اللغة وكان مفرما المأمون بتعريبها وتحريرها وإصلاحها ومن قبله جعفر البرمكي وجماعة من أهل بيته أيضاً اعتنوا بها لكن عناية المأمون كانت أتم وأوفر ولحنين المذكور في الطب

مصنفات مفيدة كثيرة وقد تقدم ذكر ولده إسحاق في حرف الهمزة ورأيت في كتاب أخبار الأطباء أن حنيناً المذكور كان في كل يوم عند نزوله من الركوب يدخل الحمام فيصب عليه الماء ويخرج فيلتف في قطيفة ويشرب قدح شراب ويأكل كعكة ويتكيء حتى ينشف عرقه وربما نام ثم يقوم ويتبخر ويقدم له طعامه وهو فروج كبير مسمن قد طبخ زيرباجاً ورغيف وزنه مائتا درهم فيحسو من المرقة ويأكل الفروج والخبز وينام فإذا انتبه شرب أربعة أرطال شراباً عتيقاً فإذا اشتهى الفاكهة الرطبة أكل التفاح الشامي والسفرجل

218 وكان ذلك دأبه إلى أن مات يوم الثلاثاء لست خلون من صفر سنة ستين ومائتين وقد سبق في ترجمة ولده نسبة العبادي إلى أي شيء هي واليونانيون كانوا حكماء متقدمين على الإسلام وهم من أولاد يونان بن يافث ابن نوح عليه السلام وهم بضم الياء المثناة من تحتها وسكون الواو وبين النونين ألف 210 ابن حيان صاحب المقتبس أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان بن محمد بن حيان بن وهب بن حيان مولى الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان هو من أهل قرطبة وله كتاب المقتبس في تاريخ الأندلس في عشر مجلدات وكتاب المتين في تاريخها أيضاً في ستين مجلداً ذكره أبو علي الغساني فقال كان عالي السن قوي المعرفة متبحراً في الآداب بارعاً فيها صاحب لواء

التاريخ بالأندلس أفصح الناس فيه وأحسنهم نظماً له لزم الشيخ أبا عمرو ابن أبي الحباب النحوي صاحب أبي علي القالي وأبا العلاء صاعد بن الحسن الربعي البغدادي وأخذ عنه كتابه المسمى
219 ب الفصوص وسمع الحديث وسمعته يقول التهنئة بعد ثلاث استخفاف بالمودة والتعزية بعد ثلاث إغراء بالمصيبة وتوفي يوم الأحد لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة تسع وستين وأربعمائة ودفن من يومه بعد العصر بمقبرة الربض ومولده سنة سبع وسبعين وثلثمائة ووصفه الغساني بالصدق فيما حكاه في تاريخه وأخبر أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عون قال كان ابن حيان فصيحاً في كلامه بليغاً فيما يكتبه بيده وكان لا يتعمد كذباً فيما يحكيه في تاريخه من القصص والأخبار قال ورأيته في النوم بعد وفاته مقبلاً إلي فقمت إليه وسلم علي وتبسم في سلامه فقلت له ما فعل الله بك فقال غفر لي فقلت له فالتاريخ الذي صنفت ندمت عليه قال أما والله لقد ندمت عليه إلا أن الله عز وجل بلطفه عفا عني وغفر لي وذكره أبو عبد الله الحميدي في جذوة المقتبس وابن بشكوال في الصلة رحمهم الله تعالى أجمعين & حرف الخاء &
220 @220@
221 & حرف الحاء &
222 @222@

223 211 خارجة بن زيد أبو زيد خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري أحد الفقهاء السبعة بالمدينة وقد تقدم ذكر أبي بكر ابن عبد الرحمن في حرف الباء وذكرت في ترجمته البيتين الجامعين لأسماء الفقهاء السبعة وكان خارجة المذكور تابعياً جليل القدر أدرك زمان عثمان بن عفان رضي الله عنه وأبوه زيد بن ثابت رضي الله عنه من أكابر الصحابة وفي حقه قال رسول الله زيد توفي خارجة سنة تسع وتسعين للهجرة وقيل سنة مائة رضي الله عنه بالمدينة وذكر محمد بن سعد كاتب الواقدي في الطبقات أن خارجة قال رأيت في المنام كأني بنيت سبعين درجة فلما فرغت منها تدهورت وهذه السنة لي سبعون سنة قد أكملتها قال فمات فيها وروى عنه الزهري رحمهما الله تعالى

224 212 خالد بن يزيد بن معاوية أبو هاشم خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي كان من أعلم قريش بفنون العلم وله كلام في صناعة الكيمياء والطب وكان بصيراً بهذين العلمين متقناً لهما وله رسائل دالة على معرفته وبراعته وأخذ الصناعة عن رجل من الرهبان يقال له مريانس الراهب الرومي وله فيها ثلاث رسائل تضمنت إحداهن ما جرى له مع مريانس الراهب المذكور وصورة تعلمه منه والرموز التي أشار إليها وله فيها أشعار كثيرة مطولات ومقاطيع دالة على حسن تصرفه وسعة علمه وله شعر جيد فمنه) تجول خلاخيل

النساء ولا أرى * لرملة خلخالاً يجول ولا قلبا) (فلا تكثرو فيها الملام فإنني * تخيرتها منهم زبيرية قلبا)
225 (أحب بني العوام من أجل حبها * ومن أجلها أحببت أخوالها كلبا) وهي طويلة ولها قصة مع عبد الملك بن مروان أضربنا عن ذكرها لشهرتها وكان له أخ يسمى عبد الله فجاءه يوماً وقال إن الوليد بن عبد الملك يعبث بي ويحتقرني فدخل خالد على عبد الملك والوليد عنده فقال يا أمير المؤمنين الوليد ابن أمير المؤمنين قد احتقر ابن عمه عبد الله واستصغره وعبد الملك مطرق فرفع رأسه وقال (^ إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون) النمل 34 فقال خالد (^ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً) الاسراء 16 فقال عبد الملك أني عبد الله تكلمني والله لقد دخل علي فما أقام لسانه لحناً فقال خالد أفعلى الوليد تعول فقال عبد الملك إن كان الوليد يلحن فإن أخاه سليمان فقال خالد وإن كان عبد الله يلحن فإن أخاه خالد فقال له الوليد اسكت يا خالد فوالله ما تعد في العير ولا في النفير فقال خالد اسمع يا أمير المؤمنين ثم أقبل على الوليد فقال ويحك ومن العير والنفير غيري جدي أبو سفيان صاحب العير وجدي عتبة بن ربيعة صاحب النفير ولكن لو قلت غنيمات وحبيلات والطائف ورحم الله عثمان لقلنا صدقت وهذا الموضع يحتاج إلى تفسير فقوله العير فهي عير قريش التي أقبل

بها أبو سفيان من الشام فخرج إليها رسول الله والصحابة
ليغنموها فبلغ الخبر أهل مكة فخرجوا ليدفعوا عن العير
وكان مقدم القوم
226 عتبة بن ربيعة فلما وصلوا إلى المسلمين كانت
وقعة بدر وكل واحد من أبي سفيان وعتبة جد خالد
المذكور أما أبو سفيان فمن جهة أبيه وأما عتبة فلأن ابنته
هند أم معاوية جد خالد وقوله غنيمات وحبيلات إلى آخر
كلامه فإنه أشار إلى أن رسول الله لما نفى الحكم بن أبي
العاص وكان جد عبد الملك المذكور إلى الطائف كان
يرعى الغنم ويأوي إلى حبيلة وهي الكرمة ولم يزل كذلك
حتى ولي عثمان بن عفان رضي الله عنه الخلافة فرده
وكان الحكم عمه ويقال إن عثمان رضي الله عنه كان قد
أذن له رسول الله في رده متى أفضى الأمر إليه وأخبار
خالد كثيرة وفي هذا القدر منها كفاية وكانت وفاته سنة
خمس وثمانين للهجرة رحمه الله تعالى 213 خالد بن عبد
الله القسري أبو يزيد وأبو الهيثم خالد بن عبد الله بن يزيد
بن أسد بن كرز البجلي ثم القسري ذكره هشام بن الكلبي
في كتاب جمهرة النسب فقال هو خالد بن عبد الله بن يزيد
بن أسد بن كرز بن عامر بن عبد الله بن عبد شمس ابن
غمغمة بن جرير بن شق بن صعب بن يشكر بن رهم بن
أفرك بن أفصى بن نذير بن قسر وهو مالك بن عبقر بن
أنمار بن أراش بن عمرو بن

227 الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب ابن قحطان قال ابن ماكولا يقال القسري والخصري كان أمير العراقين من جهة هشام بن عبد الملك الأموي ولي مكة سنة تسع وثمانين للهجرة وأمه نصرانية وكان لجده يزيد صحبة مع رسول الله وكان خالد معدوداً من جملة خطباء العرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة وكان جواداً كثير العطاء دخل عليه شاعر يوم جلوسه للشعراء وقد مدحه ببيتين فلما رأى اتساع الشعراء في القول استصغر ما قال فسكت حتى انصرفوا فقال له خالد ما حاجتك فقال مدحت ببيتين فلما سمعت قول الشعراء احتقرت بيتي فقال ما هما فأنشده (تبرعت لي بالجود حتى نعشتني * وأعطيتني حتى حسبتك تلعب) (فأنت الندى وابن الندى وأبو الندى * حليف الندى ما للندى عنك مذهب) فقال ما حاجتك فقال علي دين فأمر بقضائه وأعطاه مثله وحكى عبد الملك بن قريب الأصمعي قال دخل أعرابي على خالد القسري فقال قد امتدحتك ببيتين ولست أنشدكهما إلا بعشرة آلاف درهم وخادم قال قل فأنشأ يقول (لزمت نعم حتى كأنك لم تكن * سمعت من الأشياء شيئاً سوى نعم) (وأنكرت لا حتى كأنك لم تكن * سمعت بها في سالف الدهر والأمم) فقال أعطه يا غلام عشرة آلاف درهم وخادماً فتسلمها ودخل عليه
228 أعرابي فقال قد قلت شعراً وأنشأ يقول (أخالد إني لم أزرك لحاجة * سوى أنني عاف وأنت جواد) (

أخالد إن الأجر والحمد حاجتي * فأيهما تأتي وأنت عماد)
فقال له خالد سل يا أعرابي قال وجعلت المسألة إلي أصلح الله الأمير قال نعم قال مائة ألف درهم قال أكثرت يا أعرابي قال فأحطك قال نعم قال قد حططتك تسعين ألفاً قال له خالد يا أعرابي لا أدري من أي أمريك أعجب فقال أصلح الله الأمير أنت جعلت المسألة إلي فسألتك على قدرك وما تستحقه في نفسك فلما سألتني أن أحط حططت على قدري وما استأهله في نفسي فقال له خالد والله يا أعرابي لا تغلبني يا غلام أعطه مائة ألف درهم فدفعها إليه وكتب إليه هشام بن عبد الملك بلغني أن رجلاً قام إليك فقال إن الله جواد وأنت جواد وإن الله كريم وأنت كريم حتى عد عشر خصال ووالله لئن لم تخرج من هذا لأستحلن دمك فكتب إليه خالد نعم يا أمير المؤمنين قام إلي فلان فقال الله كريم يحب الكريم فأنا أحبك لحب الله إياك ولكن أشد من هذا مقام ابن شقي البجلي إلى أمير المؤمنين فقال خليفتك أحب إليك أم رسولك فقلت بل خليفتي فقال أنت خليفة الله ومحمد رسول الله ووالله لقتل رجل من بجيلة أهون على الخاصة والعامة من كفر أمير المؤمنين هكذا ذكره الطبري في تاريخه وكان خالد يتهم في دينه وبنى لأمة كنيسة تتعبد فيها وفي ذلك يقول الفرزدق يهجوه (ألا قبح الرحمن ظهر مطية * أتتنا تهادى من دمشق بخالد)

229 (وكيف يؤم الناس من كانت أمه * تدين بأن الله ليس بواحد) (بنى بيعة فيها الصليب لأمه * ويهدم من بغض منار المساجد) ثم إن هشاماً عزل خالداً عن العراقين في جمادى الأولى سنة عشرين ومائة وذكر الطبري في تاريخه أن هشام بن عبد الملك عزل عمر بن هبيرة عن العراق وولاء خالداً في شوال سنة خمس ومائة ثم عزله وولى يوسف بن عمر الثقفي وهو ابن عم الحجاج وكان سبب عزل خالد أن امرأة أتته فقالت أصلح الله الأمير إني امرأة مسلمة وإن عاملك فلاناً المجوسي وثب علي فأكرهني على الفجور وغصبني نفسي فقال لها كيف وجدت قلفته فكتب بذلك حسان النبطي إلى هشام وعند هشام يومئذ رسول يوسف بن عمر وقد كان يوسف وجهه إليه من اليمن في بعض حاجته فاحتبسه هشام عنده يوماً حتى إذا جنه الليل دعا به فكتب معه إلى يوسف بولاية العراق ومحاسبة خالد وعماله وأمره أن يستخلف ابنه الصلت على اليمن فخرج يوسف في نفر يسير فسار من صنعاء إلى الكوفة على الرحال في سبع عشرة مرحلة حتى قدم الكوفة سحراً ثم أخذ خالداً وعماله وحبسه وحاسبه وعذبه ثم قتله في أيام الوليد بن يزيد قيل إنه وضع قدميه بين خشبتين وعصرهما حتى انقصفا ثم رفع الخشبتين إلى ساقيه وعصرهما حتى انقصفا ثم إلى وركيه ثم إلى صلبه فلما انقصف صلبه مات وهو في ذلك كله لا يتأوه ولا ينطق وكان ذلك في المحرم سنة ست وعشرين

وقيل في ذي القعدة سنة خمس وعشرين ومائة بالحيرة ودفن في ناحية منها ليلاً رحمه الله تعالى والحيرة بينها وبين الكوفة فرسخ كانت منزل آل النعمان بن المنذر ملوك العرب

230 ولما كان خالد في سجن يوسف مدحه أبو الشغب العبسي بهذه الأبيات وهي في كتاب الحماسة (ألا أن خير الناس حياً وميتاً * أسير ثقيف عندهم في السلاسل) (لعمري لئن عمرتم السجن خالداً * وأوطأتموه وطأه المتثاقل) (لقد كان نهاضاً بكل ملمة * ومعطي اللها غمراً كثير النوافل) (وقد كان يبني المكرمات لقومه * ويعطي اللها في كل حق وباطل) (فإن تسجنوا القسري لا تسجنوا اسمه * ولا تسجنوا معروفه في القبائل) وكان يوسف جعل على خالد في كل يوم حمل مال معلوم إن لم يقم به في يومه عذبه فلما مدحه أبو الشغب بهذه الأبيات وأوصلها إليه كان قد حصل في قسط يومه سبعين ألف درهم فأنفذها له وقال اعذرني فقد ترى ما أنا فيه فردها أبو الشغب وقال لم أمدحك لمال وأنت على هذه الحال ولكن لمعروفك وإفضالك فأنفذها إليه ثانياً وأقسم عليه ليأخذنها فأخذها وبلغ ذلك يوسف فدعاه وقال ما حملك على فعلك ألم تخش العذاب فقال لأن أموت عذاباً أسهل علي من كفي بذلي لا سيما على من مدحني وذكر أبو الفرج الاصبهاني أن خالداً كان من ولد شق الكاهن وهو خالد بن عبد الله بن أسد بن يزيد بن كرز وذكر أن كرزاً

كان دعياً وأنه كان من اليهود فجنى جناية فهرب إلي بجيلة فانتسب فيهم ويقال كان عبداً لعبد القيس وهو ابن عامر ذي الرقعة وسمي بذي الرقعة لأنه كان أعور يغطي عينه برقعة وذو الرقعة هو ابن عبد شمس بن جوين بن شق الكاهن بن صعب انتهى كلام أبي الفرج قلت أنا كان شق المذكور ابن خالة سطيح الكاهن الذي بشر بالنبي وقصته في تأويل الرؤيا في ذلك مشهورة وهي مستوفاة في

231 السيرة وكان شق وسطيح من أعاجيب الدنيا أما سطيح فكان جسداً ملقى لا جوارح له وكان وجهه في صدره ولم يكن له رأس ولا عنق وكان لا يقدر على الجلوس إلا أنه إذا غضب انتفخ فجلس وكان شق نصف إنسان ولذلك قيل له شق أي شق إنسان فكانت له يد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة وفتح عليهما في الكهانة ما هو مشهور عنهما وكانت ولادتهما في يوم واحد وفي ذلك اليوم توفيت طريفة ابنة الخير الحميرية الكاهنة زوجة عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء ولما ولدا دعت بكل واحد منهما وتفلت في فيه وزعمت أنه سيخلفها في علمها وكهانتها ثم ماتت من ساعتها ودفنت بالجحفة وعاش كل واحد من شق وسطيح ستمائة سنة وكرز بضم الكاف وسكون الراء وبعدها زاي والقسري بفتح القاف وسكون السين المهملة وبعدها راء هذه النسبة إلى قسر بن عبقر وهي بطن من بجيلة 214 خالد المهلبي أبو الهيثم خالد بن

خداش بن عجلان المهلبي مولى آل المهلب بن أبي صفرة من أهل البصرة سكن بغداد وحدث بها عن مالك بن أنس والمغيرة بن عبد الرحمن ومهدي بن ميمون وحماد بن زيد وغيرهم وروى عنه أحمد بن حنبل
232 وأحمد بن إبراهيم الدورقي وحاتم بن الليث الجوهري وغيرهم قال محمد بن المثنى انصرفت مع بشر بن الحارث في يوم أضحى من المصلى فلقي خالد بن خداش المحدث فسلم عليه فقصر بشر في السلام فقال خالد بيني وبينك مودة أكثر من ستين سنة فما تغيرت عليك فما هذا التغير قال بشر ما هاهنا تغيير ولا تقصير ولكن هذا يوم تستحب فيه الهدايا وما عندي من عرض الدنيا شيء أهدي لك وقد روي في الحديث أن المسلمين إذا التقيا كان أكثرهما ثواباً أبشهما بصاحبه فتركتك لتكون أفضل ثواباً مني مات خالد بن خداش في سنة ثلاث وعشرين ومائتين في جمادي الآخرة رحمه الله تعالى 215 خالد التميمي أبو الهيثم خالد بن يزيد بن الهيثم التميمي الخراساني كان أحد كتاب الجيش ببغداد وله شعر مدون وشعره كله في الغزل حكى أبو الحسن البرمكي قال كنا جلوساً على باب عبد الصمد بن المغذل بن علي ومعنا رجل ينشدنا أشعار عبد الصمد إذ أقبل خالد بن يزيد الكاتب فجلس إلينا فقال فيم كنتم فقلنا يجهلنا هذا ينشدنا شيئا من أشعار عبد الصمد فالتفت إليه خالد فقال يا فتى من ذا الذي يقول (تناسيت

ما أوعيت سمعك يا سمعي * كأنك بعد الضر خال من النفع)
233 ثم قال يا فتى هل أحسن عبد الصمد أن يجعل للسمع سمعاً فقال لا ثم أنشد (لئن كان أضحى فوق خديه روضة * فإن على خدي غديراً من الدمع) ثم نهض فقال لنا المنشد من هذا فقلنا خالد الكاتب فعدا خلفه وانقطعت نعله وانقلبت محبرته حتى كتب البيتين ومن شعر خالد المذكور (هبك الخليفة حين يركب * في مواكبه وجنده) (أو هبك كنت وزيره * أو هبك كنت ولي عهده) (هل كنت تقدر أن تزيد * المبتلى بك فوق جهده) وقال ثعلب ما أحد من الشعراء تكلم في الليل إلا قارب إلا خالد الكاتب فإنه أبدع في قوله (رقدت فلم ترث للساهر * وليل المحب بلا آخر) (ولم تدر بعد ذهاب الرقاد * ما صنع الدمع بالناظر) فإنه لم يجعل لليل آخراً وقيل لخالد من أين قلت في قصيدتك وليل المحب بلا آخر فقال وقفت على باب وعليه سائل مكفوف وهو يقول الليل والنهار علي سواء فأخذت هذا منه وذكر ميمون بن حماه قال دخلت يوماً على أبي عبد الله بن الأعرابي فقلت له أسمعت من شعر هذا الغليم شيئا قال من هو قلت خالد بن يزيد فقال لا وإني لأحب ذلك فصاح به فجاء حتى وقف عليه فقلت أشد أبا عبد الله من شعرك فقال إنما أقول في شجون نفسي ولا أمدح ولا أهجو فقلت أنشده فأنشده (أقول للسقم عد إلى بدني * شوقاً لشيء يكون من سببك)

234 فقال ابن الأعرابي حسبك يا غلام فقد خيل لي أن الرقة قد جمعت لك في هذا البيت قال جحظة حدثني خالد بن يزيد الكاتب قال لم أشعر إلا ورسول إبراهيم ابن المهدي قد وافاني فدخلت إليه فقال أنشدني شيئاً من شعرك فأنشدته (رأت منه عيني منظرين كما رأت * من البدر والشمس المضيئة بالأرض) (عشية حياني بورد كأنه * خدود أضيفت بعضهن إلى بعض) (وناولني كأساً كأن حبابها * دموعي لما صد عن مقلتي غمضي) (وراح وفعل الراح في حركاته * كفعل نسيم الريح في الغصن الغض) فزحف حتى صار في ثلثي المصلى ثم قال يا بني شبه الناس الخدود بالورد وشبهت أنت الورد بالخدود ثم قال زدني فأنشدته (عاتبت نفسي في هواك * فلم أجدها تقبل) (وأجبت داعيها إليك * ولم أطع من يعذل) (لا والذي جعل الوجوه * لحسن وجهك تمثل) (لا قلت إن الصبر * عنك من التصابي أجمل) فزحف حتى صار خارج المصلى ثم قال زدني فأنشدته (ظفر الحب بقلب دنف * بك والسقم بجسم ناحل) (وبكى العاذل من رحمته * فبكائي لبكاء العاذل) فصاح وقال يا بليق كم معك من العين قال ستمائة وخمسون ديناراً فقال اقسمها بيني وبينه واجعل الكسر للغلام كاملاً وذكر أحمد بن صدقة المغني قال اجتزت بخالد الكاتب يوماً فقلت له

235 اعمل لي أبياتاً أغني بها أمير المؤمنين يعني المأمون فقال وأي حظ لي في ذلك تأخذ الجائزة وأحصل

أنا على الإثم فحلف له أنه إن وصله بشيء قاسمه إياه فقال لي أنت أنذل من ذلك ولكن ذكره بي فلعله أن يصلني بشيء قلت أفعل فأنشدني (تقول سلا فمن المدنف * ومن عينه أبدا تذرف) (ومن قلبه قلق خائف * عليك وأحشاؤه ترجف) فحفظت الشعر وعملت فيه لحنا وحضرنا عند أمير المؤمنين من الغد وكان بينه وبين بعض حظاياه هجرة فوجهت إليه بتفاحة عليها مكتوب بالغالية يا سيدي سلوت وابتدأت أغني بشعر خالد فلما غنيته إياه انقلبت عيناه ودارتا في رأسه وظهر الغضب في وجهه وقال لكم على حرمي أصحاب أخبار فقمت إعظاما لما شهدت منه وقلت أعيذ أمير المؤمنين بالله أن يظن بعبد من عبيده هذا الظن وأنزه داره أن يكون لأحد عليها صاحب خبر قال فمن أين عرفت خبري مع جاريتي حتى غنيت في معنى ما بيننا فحدثته حديثي مع خالد فلما انتهيت إلى قوله أنت أنذل من ذلك فقال أشهد أنك كذلك وأسفر وجهه وقال ما أعجب هذا الاتفاق وأمر لي بخمسة آلاف درهم ولخالد بمثلها وقال بعض من كان يحضر مجلس أبي العباس المبرد كنا نختلف إليه فإذا كان في آخر المجلس أملى علينا من طرف الأخبار وملح الأشعار ما نرتاح إلى حفظه فأنشدنا يوما مرثية زياد الأعجم في المغيرة بن المهلب وهي (إن السماحة والمروة والندى * قبر بمرو على الطريق الواضح) (فإذا مررت بقبره فاعقر به * كوم الهجان وكل طرف سابح) (وانضح

جوانب قبره بدمائها * فلقد يكون أخا دم وذبائح) (مات
المغيرة بعد طول تعرض * للموت بين أسنة وصفائح)
قال فخرجت من عنده وأنا أدير بها لساني لأحفظها فإذا
بشيخ قد خرج
236 من خربة وفي يده حجر فهم أن يرميني به
فتترست منه بالمحبرة والدفتر فقال ماذا تقول أتشتمني
قلت اللهم لا ولكني كنت عند أستاذنا أبي العباس المبرد
فأنشدنا مرثية زياد الأعجم في المغيرة بن المهلب فقال إيه
إيه أنشدني ما أنشدكم باردكم لا مبردكم فأنشدته الأبيات
فقال والله ما جود الراثي ولا أنصف المرثي ولا أحسن
الراوي قلت فما عساه أن يقول قال كان يقول (احملاني
إن لم يكن لكما عقر * إلى جنب قبره فما بقراني) (
وانضحا من دمي عليه فقد * كان دمي من نداه لو تعلمان
) قال فقلت هل رأيت أحداً واسى أحداً بنفسه قال نعم هذا
الفتح ابن خاقان طرح نفسه على المتوكل حتى خلط لحمه
بلحمه ودمه بدمه ثم تركني وولى قال فلما عدت إلى
المبرد قصصت عليه القصة فقال أتعرفه قلت لا قال ذلك
خالد الكاتب تأخذه السوداء في أيام الباذنجان وقيل كبر
خالد الكاتب حتى دق عظمه ورق جلده فوسوس قال
بعضهم فرأيته ببغداد والصبيان يتبعونه ويصيحون به يا
بارد يا بارد فأسند ظهره إلى قصر المعتصم وقال لهم
كيف أكون بارداً وأنا الذي أقول (بكى عاذلي من رحمتي
فرحمته * وكم مثله من مسعد ومعين) (ورقت دموع

العين حيتى كأنها * دموع دموعي لا دموع جفوني)
وحكى أبو الحسن علي بن محمد بن مقلة قال حدثني أبي
عن عمه قال اجتاز بي خالد الكاتب وأنا على باب داري
بسر من رأى والصبيان حوله يولعون به فجاء إلي وسألني
صرفهم عنه ففعلت وأدخلته داري فقلت له ما تشتهي تأكل
قال هريسة فتقدمت بإصلاحها له فلما أكل قلت له أي
شيء تحب بعد هذا قال رطب فأمرت بإحضاره فأكل فلما
فرغ من أكله قلت أنشدني شيئاً من شعرك فأنشدني قوله (
تناسيت ما أوعيت سمعك يا سمعي * كأنك بعد الضر خال
من النفع)
237 (أما عند عينيك اللتين هما هما * لمكتئب
يرجوك شيئاً سوى المنع) (فإن كنت مطبوعاً على الصد
والجفا * فمن أين لي صبر فأجعله طبعي) (فإن يك
أضحى فوق خديك روضة * فإن على خدي غديراً من
الدمع) (سل المطر العام الذي عم أرضكم * أجاء
بمقدار الذي فاض من دمعي) فقلت زدني فقال لا يصيبك
بهريسة ورطب غير هذا والله أعلم 216 الشيخ الخصر بن
عقيل الإربلي أبو العباس الخصر بن نصر بن عقيل بن
نصر الإربلي الفقيه الشافعي كان فقيهاَ فاضلاً عارفاً
بالمذهب والفرائض والخلاف اشتغل ببغداد على الكيا
الهراسي وابن الشاشي ولقي عدة من مشايخها ثم رجع إلى
إربل وبنى له بها الأمير أبو منصور سرفتكين بن عبد الله
الزيني نائب صاحب إربل مدرسة القلعة وتاريخها سنة

ثلاث وثلاثين وخمسمائة ودرس فيها زماناً وهو أول من درس بإربل وله تصانيف حسان كثيرة في التفسير والفقه وغير ذلك وله كتاب ذكر فيه ستاً وعشرين خطبة للرسول مسندة واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به وكان رجلاً صالحاً زاهداً عابداً ورعاً متقللاً ونفسه مباركاً وذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق وأثنى عليه وكان قد قدم دمشق فأقام بها مدة ثم رجع إلى إربل ومن جملة من تخرج عليه الشيخ الفقيه ضياء الدين أبو عمرو عثمان بن عيسى

238 ابن درباس الهذباني الذي شرح المهذب وسيأتي ذكره في حرف العين إن شاء الله تعالى وتخرج عليه أيضاً ابن أخيه عز الدين أبو القاسم نصر بن عقيل ابن نصر وغيرهما وكانت ولادته سنة ثمان وسبعين وأربعمائة وكانت وفاته ليلة الجمعة رابع عشر جمادى الآخرة سنة سبع وستين وخمسمائة بإربل ودفن بها في مدرسته التي بالربض في قبة مفردة وقبره يزار وزرته كثيراً رحمه الله تعالى (31) ولما توفي تولى موضعه ابن أخيه المذكور في المدرستين وكان فاضلاً ومولده بإربل سنة أربع وثلاثين وخمسمائة وسخط عليه الملك المعظم مظفر الدين صاحب إربل وأخرجه منها فانتقل إلى الموصل فكتب إليه أبو الدر الرومي الآتي ذكره في حرف الياء إن شاء الله تعالى من بغداد وكان صاحبه (أيا ابن عقيل لا تخف سطوة العدا * وإن أظهرت ما أضمرت من

عنادها) (وأقصتك يوماً عن بلادك فتية * رأت فيك
فضلاً لم يكن في بلادها) (كذا عادة الغربان تكره أن
ترى * بياض البزاة الشهب بين سوادها) أشار بذلك إلى
الجماعة الذي سعوا به حتى غيروا خاطر الملك عليه
وكان ذلك في سنة اثنتين أو ثلاث وستمائة كذا أعرفه
وقال ابن باطيش في سنة ست وستمائة والله أعلم (32)
وفي تلك السنة خرجت الكرج على مدينة مرند من أعمال
أذربيجان وهي قريبة من إربل فقتلوا وسبوا وأسروا فعمل
شرف الدين محمد ولد عز الدين أبي القاسم المذكور في
إخراجهم من إربل (إن يكن أخرجوا النساء من الأوطان
* ظلما وأسرفوا في التعدي)
239 (فلنا أسوة بمن جارت الكرج * عليهم
وأخرجوا من مرند) وهذا الشرف له في عمل الدوبيت
اليد الطولى ولولا خوف التطويل لذكرت شيئاً منها
وسكن عز الدين ظاهر الموصل في رباط ابن
الشهرزوري وقرر له صاحب الموصل راتباً ولم يزل
هناك حتى توفي يوم الجمعة ثالث عشر شهر ربيع الآخر
وقيل جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وستمائة رحمه الله
تعالى ودفن بمقبرة تل نتوبة وهو ابن خالة الشيخ عماد
الدين أبي حامد محمد بن يونس وتوفي ولده الشرف
المذكور ليلة السبت الثامن والعشرين من المحرم سنة
ثلاث وثلاثين وستمائة بدمشق ودفن بمقابر الصوفية
رحمه الله تعالى ومولده في رجب سنة اثنتين وسبعين

وخمسمائة بإربل وقرأ الفقه على أبيه وعلى عماد الدين بن يونس والأدب على أبي الحرم مكي (33) وسرفتكين بفتح السين المهملة والراء وسكون الفاء وكسر التاء المثناة من فوقها والكاف وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون كان مملوك زين الدين علي صاحب إربل والد مظفر الدين وكان أرمنياً صالحاً فأعتقه وتقدم عنده واعتمد عليه واستنابه في المملكة وبنى مساجد كثيرة بإربل وقراها وبنى المدرسة المذكورة وبنى سور مدينة فيد التي في طريق مكة من جهة بغداد وأثر آثاراً صالحة كل ذلك من ماله وتوفي في شهر رمضان سنة تسع وخمسين وخمسمائة رحمه الله تعالى

240 217 ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبدالملك بن مسعود بن بشكوال بن يوسف بن داحة ابن داكة بن نصر بن عبد الكريم بن وافد الخزرجي الأنصاري القرطبي كان من علماء الأندلس وله التصانيف المفيدة منها كتاب الصلة الذي جعله ذيلاً على تاريخ علماء الأندلس تصنيف القاضي أبي الوليد عبد الله المعروف بابن الفرضي وقد جمع فيه خلقاً كثيراً وله تاريخ صغير في أحوال الأندلس وما أقتصر فيه وكتاب الغوامض والمبهمات ذكر فيه من جاء ذكره في الحديث مبهماً فعينه ونسج فيه على منوال الخطيب البغدادي في كتابه الذي وضعه على هذا الأسلوب وجزء لطيف ذكر فيه من روى الموطأ عن مالك بن أنس رضي الله عنه ورتب أسماءهم

على حروف المعجم فبلغت عدتهم ثلاثة وسبعين رجلاً
ومجلد لطيف سماه كتاب المستغيثين بالله تعالى عند
المهمات والحاجات والمتضرعين إليه سبحانه بالرغبات
والدعوات وما يسر الله الكريم لهم من الإجابات
والكرامات وله غير ذلك أيضاً من المصنفات قال أبو
الخطاب ابن دحية نقلت من خط شيخنا يعني ابن بشكوال
أنه فرغ من تأليف الصلة في جمادي الأولى سنة أربع
وثلاثين وخمسمائة وكان مولده يوم الاثنين ثالث وقيل
ثامن ذي الحجة سنة أربع وتسعين وأربعمائة وتوفي ليلة
الأربعاء لثمان خلون من شهر رمضان سنة ثمان وسبعين
وخمسمائة بقرطبة ودفن يوم الأربعاء بعد صلاة الظهر
بمقبرة ابن

241 عباس بمقربة من قبر يحيى بن يحيى رحمهما
الله تعالى وداحة بفتح الدال المهملة وبعد الألف حاء
مهملة أيضاً مفتوحة ثم هاء ساكنة وداكة مثلها إلا أن
عوض الحاء كاف وبشكوال بفتح الباء الموحدة وسكون
الشين المعجمة وضم الكاف وبعد الواو ألف ولام (34)
وتوفي والده أبو مروان عبد الملك بن مسعود صبيحة يوم
الأحد ودفن عشي يوم الاثنين لأربع بقين من جمادى
الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة وعمره نحو ثمانين
سنة رحمه الله تعالى 218 خلف بن هشام أبو محمد خلف
بن هشام بن ثعلب ويقال هشام بن طالب بن غراب البزار
المقرىء سمع مالك بن أنس وحماد بن زيد وأبا عوانة

وغيرهم روى عنه عباس الدوري ومحمد بن الجهم وأحمد
بن أبي خيثمة وغيرهم قال أبو العباس أحمد بن إبراهيم
وراق خلف سمعت خلفاً يقول قدمت الكوفة فصرت إلى
سليم بن عيسى فقال ما أقدمك قلت أقرأ القرآن على أبي
بكر ابن عياش بحرف عاصم فقال لي ألا تزيد قلت بلى
قال فدعا ابنه وكتب معه رقعة إلى ابن عياش فاستأذن لي
عليه سليم بن عيسى فدخل عليه فأعطاه
242 الرقعة وكان لخلف سبع عشرة سنة قال فلما
قرأها قال أدخل الرجل فدخلت فسلمت فصعد في النظر ثم
قال لي أنت خلف قلت نعم قال لي أنت لم تخلف ببغداد
أحداً أقرأ منك فسكت فقال لي اقعد هات اقرأ قلت عليك
قال نعم قلت لا إله إلا الله لا أقرأ على رجل يستصغر
رجلاً من حملة القرآن وتركته وخرجت فوجه إلى سليم
فسأله أن يردني إليه فلم أرجع قال فندمت واحتجت فكتبت
قراءة عاصم عن يحيى ابن آدم عن أبي بكر ابن عياش
وقال خلف أتيت سليم بن عيسى لأقرأ عليه وكان بين يديه
قوم وأظنهم سبقوني فلما جلست قال بلغني أنك تريد الترفع
في القراءة فلست آخذ عليك شيئاً قال فكنت أحضر
المجلس أسمع ولا يأخذ علي شيئاً فبكرت يوماً في الغلس
وخرج فقال من هاهنا يتقدم ويقرأ فتقدمت واستفتحت
بسورة يوسف وهي من أشد القرآن إعرابا فقال لي من
أنت فما سمعت أقرأ منك فقلت خلف فقال لي فعلتها ما
يحل لي أن أمنعك فكنت أقرأ عليه حتى بلغت يوماً حم

المؤمن فلما بلغت إلى قوله تعالى (^ ويستغفرون للذين
آمنوا) غافر 7 بكى بكاء شديداً ثم قال لي يا خلف ألا ترى
ما أعظم حق المؤمن تراه نائماً على فراشه والملائكة
يستغفرون له وروى خلف بسنده إلى أبي هريرة إلى
النبي أن الله عز وجل خلق مائة رحمة فأنزل منها رحمة
على عباده يتراحمون بها وخبأ تسعاً وتسعين عنده فإذا
كان يوم القيامة جمع تيك الرحمة إلى التسع والتسعين
وفضها على عباده فمن رحمة واحدة جعلني مسلماً
وعلمني القرآن وعرفني نبيه وفعل بي وفعل بي وأنا
أرجو من تسع وتسعين الجنة وذكر لأبي جعفر النفيلي
خلف بن هشام البزار فقال كان من أصحاب السنة لولا
بلية كانت فيه يشرب النبيذ قال عبد الكريم بن الحداد وكان
خلف يشرب من الشراب على التأويل فكان ابن أخته يوماً
يقرأ عليه سورة الأنفال حتى بلغ قوله تعالى (ليميز الله
الخبيث من الطيب) الأنفال 37 فقال يا خال إذا ميز الله
الخبيث من الطيب أين يكون الشراب قال
243 فنكس رأسه طويلاً ثم قال مع الخبيث قال
فترضى أن تكون مع أصحاب الخبيث قال يا بني امض
إلى المنزل فاصبب كل شيء فيه فتركه فأعقبه الله تعالى
الصوم فصام الدهر إلى أن مات وقيل إنه أعاد صلاة
الأربعين سنة التي كان يتناول فيها الشراب على مذهب
الكوفيين وكانت وفاته يوم السبت السابع عشر من جمادى
الآخرة سنة تسع وعشرين ومائتين رحمه الله تعالى ورثاه

بعض الشعراء بقوله (مضى شيخنا البزار بالفضل يذكر * هجان إمام في القراءة مبصر) (سقى الله قبراً حله من غمامة * بوابل غيث صفوه يتفجر) (وقد طلب الحساد في الناس كيده * فما قدروا حتى عموا وتحيروا) 219 خليفة بن خياط أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة خليفة بن خياط الشيباني المصفري البصري المعروف بشباب صاحب الطبقات كان حافظاً عارفاً بالتواريخ وأيام الناس غزير الفضل روى عنه محمد بن إسماعيل البخاري في صحيحه وتاريخه وعبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل وأبو يعلى الموصلي والحسن بن سفيان النسوي في آخرين وروى هو عن ابن عيينة ويزيد بن زريع وأبي داود الطيالسي ودرست حمزة وتلك الطبقة
244 توفي في شهر رمضان سنة ثلاثين ومائتين وقال الحافظ ابن عساكر في معجم مشايخ الأئمة الستة إنه توفي سنة أربعين وقيل ست وأربعين ومائتين رحمه الله تعالى والعصفري بضم العين وسكون الصاد المهملتين وضم الفاء وبعدها راء هذه النسبة إلى العصفر الذي تصبغ به الثياب حمراً وشباب بفتح الشين المثلثة والباء الموحدة وبعد الألف باء ثانية وقد اختلفوا في تلقيبه بذلك لأي معنى هو (35) وتوفي جده أبو هبيرة خليفة بن خياط في رجب سنة ستين ومائة وكان أبو عمرو المذكور يقول توفي جدي خليفة بن خياط وشعبة بن الحجاج في شهر واحد رحمهم الله أجمعين 220 الخليل بن أحمد أبو

عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي ويقال الفرهودي الأزدي اليحمدي كان إماماً في علم النحو وهو الذي استنبط علم العروض وأخرجه إلى الوجود وحصر أقسامه في خمس دوائر يستخرج منها خمسة عشر بحراً ثم زاد فيه الأخفش بحراً آخر وسماه الخبب وقيل إن الخليل دعا بمكة أن يرزق علماً لم يسبقه أحد إليه ولا يؤخذ إلا عنه فرجع من حجه ففتح عليه بعلم العروض وله معرفة بالإيقاع والنغم وتلك المعرفة أحدثت له علم العروض فإنهما متقاربان في المأخذ

245 وقال حمزة بن الحسن الأصبهاني في حق الخليل بن أحمد في كتابه الذي سماه التنبيه على حدوث التصحيف وبعد فإن دولة الإسلام لم تخرج أبدع للعلوم التي لم يكن لها عند علماء العرب أصول من الخليل وليس على ذلك برهان أوضح من علم العروض الذي لا عن حكيم أخذه ولا على مثال تقدمه احتذاه وإنما اخترعه من ممر له بالصفارين من وقع مطرقة على طست ليس فيهما حجة ولا بيان يؤديان إلى غير حليتهما أو يفيدان غير جوهرهما فلو كانت أيامه قديمة ورسومه بعيدة لشك فيه بعض الأمم لصنعته ما لم يصنع أحد منذ خلق الله الدنيا من اختراعه العلم الذي قدمت ذكره ومن تأسيسه بناء كتاب العين الذي يحصر لغة أمة من الأمم قاطبة ثم من إمداده سيبويه من علم النحو بما صنف منه كتابه الذي هو زينة لدولة الاسلام انتهى كلامه وكان الخليل رجلاً صالحاً

عاقلاً حليماً وقوراً ومن كلامه لا يعلم الإنسان خطأ معلمه حتى يجالس غيره وقال تلميذه النضر بن شميل أقام الخليل في خص من أخصاص البصرة لا يقدر على فلسين وأصحابه يكسبون بعلمه الأموال ولقد سمعته يوماً يقول إني لأغلق علي بابي فما يجاوزه همي وكان يقول أكمل ما يكون الإنسان عقلاً وذهناً إذا بلغ أربعين سنة وهي السن التي بعث الله تعالى فيها محمداً ثم يتغير وينقص إذا بلغ ثلاثاً وستين سنة وهي السن التي قبض فيها رسول الله وأصفى ما يكون ذهن الإنسان في وقت السحر وكان له راتب على سليمان بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي وكان والي فارس والأهواز فكتب إليه يستدعيه فكتب الخليل جوابه

246 (أبلغ سليمان أني عنه في سعة * وفي غنى غير أني لست ذا مال) (شحاً بنفسي أني لا أرى أحداً * يموت هزلاً ولا يبقى على حال) (الرزق عن قدر لا الضعف ينقصه * ولا يزيدك فيه حول محتال) (والفقر في النفس لا في المال نعرفه * ومثل ذاك النفس الغني في لا المال) فقطع عنه سليمان الراتب فقال الخليل (إن الذي شق فمي ضامن * للرزق حتى يتوفاني) (حرمتني خيراً قليلاً فما * زادك في مالك حرماني) فبلغت سليمان فأقامته وأقعدته وكتب إلى الخليل يعتذر إليه وأضعف راتبه فقال الخليل (وزلة يكثر الشيطان إن ذكرت * منها التعجب جاءت من سليمانا) (لا تعجبن لخير زل عن يده

* فالكوكب النحس يسقي الأرض أحيانا) واجتمع الخليل وعبد الله بن المقفع ليلة يتحدثنان إلى الغداة فلما تفرقا قيل للخليل كيف رأيت ابن المقفع فقال رأيت رجلاً علمه أكثر من عقله وقيل لابن المقفع كيف رأيت الخليل قال رأيت رجلاً عقله أكثر من علمه وللخليل من التصانيف كتاب العين في اللغة وهو مشهور وكتاب العروض وكتاب الشواهد وكتاب النقط والشكل وكتاب النغم وكتاب في العوامل وأكثر العلماء العارفين باللغة يقولون إن كتاب العين في اللغة المنسوب إلى الخليل بن أحمد ليس تصنيفه وإنما كان قد شرع فيه ورتب أوائله وسماه ب العين ثم مات فأكمله تلامذته النضر بن شميل ومن في طبقته وهم مؤرج

247 السدوسي ونصر بن علي الجهضمي وغيرهما فما جاء الذي عملوه مناسباً لما وضعه الخليل في الأول فأخرجوا الذي وضعه الخليل منه وعملوا أيضاً الأول فلهذا وقع فيه خلل كثير يبعد وقوع الخليل في مثله وقد صنف ابن درستويه في ذلك كتاباً استوفى الكلام فيه وهو كتاب مفيد ويقال إن الخليل كان له ولد متخلف فدخل على أبيه يوماً فوجده يقطع بيت شعر بأوزان العروض فخرج إلى الناس وقال إن أبي قد جن فدخلوا عليه وأخبروه بما قال ابنه فقال مخاطباً له (لو كنت تعلم ما أقول عذرتني * أو كنت تعلم ما تقول عذلتكا) (لكن جهلت مقالتي فعذلتني * وعلمت أنك جاهل فعذرتكا) وقد روى عنه

أنه أنشد ولم يذكر لنفسه أم لغيره (يقولون لي دار الأحبة قد دنت * وأنت كئيب إن ذا لعجيب) (فقلت وما تغني الديار وقربها * إذا لم يكن بين القلوب قريب) ويحكى عنه أنه قال كان يتردد إلى شخص يتعلم العروض وهو بعيد الفهم فأقام مدة ولم يعلق على خاطره شيء منه فقلت له يوماً قطع هذا البيت (إذا لم تستطع شيئاً فدعه * وجاوزه إلى ما تستطيع)

248 فشرع معي في تقطيعه على قدر معرفته ثم نهض ولم يعد يجيء إلي فعجبت من فطنته لما قصدته في البيت مع بعد فهمه وأخبار الخليل كثيرة وسيبويه عنه أخذ علوم الأدب وسيأتي ذكره في حرف العين المهملة إن شاء الله تعالى ويقال إن أباه أحمد أول من سمي بأحمد بعد رسول الله كذا ذكره المرزباني في كتاب المقتبس نقلاً عن أحمد بن أبي خيثمة وكانت ولادته في سنة مائة للهجرة وتوفي سنة سبعين وقيل خمس وسبعين ومائة وقيل عاش أربعاً وسبعين سنة رحمه الله تعالى وقال ابن قانع في تاريخه المرتب على السنين إنه توفي سنة ستين ومائة وقال ابن الجوزي في كتابه الذي سماه شذور العقود إنه مات سنة ثلاثين ومائة وهذا غلط قطعاً لكن نقله الواقدي ومات بالبصرة أعني الخليل وكان سبب موته أنه قال أريد أن أقرب نوعاً من الحساب تمضي به الجارية إلى البياع فلا يمكنه ظلمها ودخل المسجد وهو يعمل فكره في ذلك فصدمته سارية وهو غافل عنها بفكرة فانقلب على ظهره

فكانت سبب موته وقيل بل كان يقطع بحراً من العروض والفراهيدي بفتح الفاء والراء وبعد الألف هاء مسكورة ثم ياء ساكنة مثناة من تحتها وبعدها دال مهملة هذا النسبة إلى فراهيد وهي بطن من الأزد والفرهودي واحدها والفرهود ولد الأسد بلغة أزد شنوءة وقيل إن الفراهيد صغار الغنم واليحمدي بفتح الياء المثناة من تحتها وسكون الحاء المهملة وفتح الميم وبعدها دال مهملة نسبة إلى يحمد وهو أيضاً بطن من الأزد خرج منه خلق كثير ويحكى أن الخليل كان ينشد كثيراً هذا البيت وهو للأخطل (وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد * ذخراً يكون كصالح الأعمال)

249 221 خمارويه بن طولون أبو الجيش

خمارويه بن أحمد بن طولون وقد تقدم ذكر أبيه وجده في حرف الهمزة ولما توفي أبوه اجتمع الجند على توليته مكانه فولي وهو ابن عشرين سنة وكانت ولايته في أيام المعتمد على الله وفي سنة ست وسبعين ومائتين تحرك الافشين محمد بن أبي الساج ديوداذ بن دوست من أمينية والجبال في جيش عظيم وقصد مصر فلقيه خمارويه في بعض أعمال دمشق وانهزم الافشين واستأمن أكثر عسكره وسار خمارويه حتى بلغ الفرات ودخل أصحابه الرقة ثم عاد وقد ملك من الفرات إلى بلاد النوبة ولما مات المعتمد وتولى المعتضد الخلافة بادر إليه خمارويه بالهدايا والتحف فأقره المعتضد على عمله وسأل خمارويه أن

يزوج ابنته قطر الندى واسمها أسماء للمكتفي بالله بن المعتضد بالله وكان يوم ذاك ولي العهد فقال المعتضد بالله بل أتزوجها أنا فتزوجها في سنة إحدى وثمانين ومائتين ودخل لها في آخر هذه السنة وقيل في سنة اثنتين وثمانين والله أعلم وكان صداقها ألف ألف درهم وكانت موصوفة بفرط الجمال والعقل حكي أن المعتضد خلا بها يوما للأنس في مجلس أفزده لها ما حضره سواها فأخذت منه الكأس فنام على فخذها فلما استثقل وضعت رأسه على وسادة وخرجت وجلست في ساحة القصر فاستيقظ فلم يجدها فاستشاط غضبا ونادى بها فأجابته عن قرب فقال ألم أخلك إكراما لك ألم أدفع إليك مهجتي دون سائر حظاياي فتضعين رأسي على وسادة وتذهبين فقالت يا أمير المؤمنين ما جهلت قدر ما أنعمت به علي ولكن فيما أدبني به أبي أن قال لا تنامي مع الجلوس ولا تجلسي مع النيام ويقال إن المعتضد أراد بنكاحها افتقار الطولونية وكذا كان فإن أباها جهزها بجهاز لم يعمل مثله حتى قيل كان لها ألف هاون ذهبا وشرط عليه المعتضد أن يحمل كل سنة بعد القيام بجميع وظائف مصر وأرزاق أجنادها مائتي ألف دينار فأقام على ذلك إلى أن قتله غلمانه بدمشق على فراشه ليلة الأحد لثلاث بقين من ذي القعدة سنة اثنتين وثمانين ومائتين وعمره اثنتان وثلاثون سنة وقتل قتلته أجمعون وحمل تابوته إلى مصر ودفن عند أبيه بسفح المقطم رحمهما الله تعالى وكان خمارويه من أحسن

الناس خطا وكان وزيره أبا بكر محمد بن علي بن أحمد المعروف بالماذرائي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى ولما حملت قطر الندى ابنة خمارويه إلى المعتضد خرجت معها عمتها العباسة بنت أحمد بن طولون مشيعة لها إلى آخر عمارة الديار المصرية من جهة الشام ونزلت هناك وضربت فساطيطها وبنت هناك قرية فسميت باسمها وقيل لها العباسة وهي عامرة إلى الآن وبها جامع حسن وسوق قائم ذكر ذلك جماعة من أهل العلم وماتت قطر الندى لتسع خلون من رجب سنة سبع وثمانين ومائتين ودفنت داخل قصر الرصافة ببغداد وتوفي الافشين محمد بن أبي الساج في شهر ربيع الأول سنة ثمان وثمانين ومائتين ببرذعة وهي كرسي أعمال أذربيجان وقيل أنها من أران وتوفي أبوه أبو الساج وهو الذي تنسب إليه الأجناد الساجية

251   ببغداد في شهر ربيع الآخر سنة ست وستين ومائتين بجند يسابور من أعمال خوزستان وخمارويه بضم الخاء الموحدة وفتح الميم وبعدها ألف ثم راء مفتوحة وواو ثم ياء ساكنة مثناة من تحتها وبعدها هاء ساكنة 222 خير النساج أبو الحسن خير بن عبد الله النساج الصوفي من أهل سر من رأى نزل بغداد وكان له حلقة يتكلم فيها وكان قد صحب أبا حمزة محمد بن إبراهيم الصوفي وغيره وصحب الجنيد بن محمد وأبا العباس ابن عطاء وأبا محمد الحريري وأبا بكر الشبلي وعمر عمرا طويلا

وللصوفية عنه حكايات غريبة وإنما سمي النساج لخبر
قال جعفر الخلدي سألت خيرا النساج أكان النسج حرفتك
قال لا قلت فمن أين سميت به قال كنت عاهدت الله أن لا
آكل الرطب أبدا فغلبتني نفسي فأخذت نصف رطل فلما
أكلت واحدة إذا رجل نطر إلي وقال يا خير ياآبق هربت
مني وكان له غلام هرب منه اسمه خير فوقع علي شبهه
وصورته فاجتمع الناس وقالوا هذا والله غلامك خير فبقيت
متحيرا وعلمت بم أخذت وعرفت جنايتي فأخذني وحملني
إلى حانوته الذي كان ينسج فيه غلامه وقال لي يا عبد
السوء تهرب من مولاك ادخل فاعمل عملك الذي كنت
تعمل وأمرني بنسج
252 الكرباس فدليت رجلي على أن أعمل فأخذت
بيدي آلته وكأني كنت أعمل من سنين فبقيت معه أشهراً
أنسج له فقمت ليلة إلى صلاة الغداة فسجدت وقلت في
سجودي إلهي لا أعود إلى ما فعلت فأصبحت وإذا الشبه
ذهب عني وعدت إلى صورتي التي كنت عليها فأطلقت
وثبت علي هذا الاسم وفي بعض الروايات كان يقول يا
خير فيقول لبيك ثم قال له الرجل بعد ذلك لا أنت عبدي
ولا اسمك خير فمضى وقال لا أغيز اسماً سماني به رجل
مسلم وكان يقول لا نسب أشرف من نسب من خلقه الله
بيده فلم يعصمه ولا أعلم أرفع ممن علمه الله الأسماء كلها
فلم ينفعه في وقت جريان القضاء عليه وكان خير قد أحد
ودب وكان إذا سمع قام ظهره ورجعت قوته كالشاب

المطلق فإذا غاب عن الوجود عاد إلى حاله وكان قد عمر مائة وعشرين سنة وكان يذكر أن إبراهيم الخواص صحبه وحكى علي بن هارون الحربي عن غير واحد ممن حضر موته من أصحابه أنه غشي عليه عند صلاة المغرب ثم أفاق ونظر إلى ناحية من باب البيت وقال قف عافاك الله فإنما أنت عبد مأمور وأنا عبد مأمور ما أمرت به لا يفوتك وما أمرت به يفوتنى فدعني أمضي لما أمرت به ثم أمض أنت لما أمرت به ودعا بماء فتوضأ للصلاة وصلى وتمدد وأغمض عينيه وتشهد ثم مات رحمه الله تعالى فرآه بعض أصحابه في النوم فقال ما فعل الله بك فقال لا تسلني عن هذا ولكن استرحت من دنياكم المضرة وكانت وفاته في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة رحمه الله تعالى &
حرف الدال &
@253@ 253
@254@ 254
255 223 داود الظاهري أبو سليمان داود بن علي بن خلف الأصبهاني الإمام المشهور المعروف بالظاهري كان زاهدا متقللا كثير الورع أخذ العلم عن إسحاق بن راهويه وأبي ثور وغيرهما وكان من أكثر الناس تعصبا للإمام الشافعي رضي الله عنه وصنف في فضائله والثناء عليه كتابين وكان صاحب مذهب مستقل وتبعه جمع كثير يعرفون بالظاهرية وكان ولده أبو بكر محمد على مذهبه وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى وانتهت إليه رياسة العلم

ببغداد قال أبوعبد الله المحاملي صليت صلاة العيد يوم فطر في جامع المدينة فلما انصرفت قلت في نفسي أدخل إلى داود بن علي فأهنيه وكان ينزل قطيعة الربيع قال فجئته وإذا بين يديه طبق فيه أوراق هندبا وعصارة فيها نخالة وهو يأكل فهنأته وتعجبت من حاله ورأيت أن جميع ما نحن فيه من الدنيا ليس بشيء فخرجت من عنده ودخلت على رجل من محبي الصنيعة يقال له الجرجاني فلما علم بمجيئي خرج إلى حاسر الرأس حافي القدمين وقال لي ما عني القاضي أيده الله قلت مهم قال وما هو قلت في جوارك داود بن علي ومكانه من العلم ما تعلمه وأنت فكثير البر والرغبة في الخير تغفل عنه وحدثته بما رأيت منه فقال لي داود شرس الخلق أعلم القاضي أنني وجهت إليه البارحة ألف درهم مع غلام ليستعين بها في بعض أموره

256 فردها مع الغلام وقال للغلام قل له بأي عين رأيتني وما الذي بلغك من حاجتي وخلتي حتى وجهت إلي بهذا قال فتعجبت من ذلك وقلت له هات الدراهم فإني أحملها إليه فدفعها إلى ثم قال يا غلام الكيس الآخر فجاءه بكيس فوزن ألفا أخرى وقال تلك لنا وهذه لموضع القاضي وعنايته قال فخرجت وجئت إليه فقرعت الباب فخرج وكلمني من وراء الباب وقال ما رد القاضي قلت حاجة أكلمك فيها فدخلت وجلست ساعة ثم أخرجت الدراهم وجعلتها بين يديه فقال هذا جزاء من ائتمنك على سره أنا

بأمانة العلم أدخلتك إلى ارجع فلا حاجة لي فيما معك قال المحاملي فرجعت وقد صغرت الدنيا في عيني ودخلت على الجرجاني فأخبرته بما كان فقال أما أنا فقد أخرجت هذه الدراهم لله تعالى لا أرجع في شيء منها فليتول القاضي إخراجها في أهل الستر والعفاف على ما يراه القاضي قيل إنه كان يحضر مجلسه أربعمائة صاحب طيلسان أخضر قال داود حضر مجلسي يوما أبو يعقوب الشريطي وكان من أهل البصرة وعليه خرقتان فتصدر لنفسه من غير أن يرفعه أحد وجلس إلى جانبي وقال لي سل يا فتى عما بدا لك فكأني غضبت منه فقلت له مستهزئا أسألك عن الحجامة فبرك أبو يعقوب ثم روى طريق أفطر الحاجم والمحجوم ومن أرسله ومن أسنده ومن وقفه ومن ذهب إليه من الفقهاء وروى اختلاف طريق احتجام رسول الله وإعطاء الحجام أجرة ولو كان حراما لم يعطه ثم روى طرق أن النبي احتجم بقرن وذكر أحاديث صحيحة في الحجامة ثم ذكر الأحاديث المتوسطة مثل ما مررت بملإ من الملائكة ومثل شفاء أمتي في ثلاث وما أشبه ذلك وذكر الأحاديث الضعيفة مثل قوله لا تحتجموا يوم كذا ولا ساعة كذا ثم ذكر ما ذهب إليه أهل الطب من الحجامة في كل زمان وما ذكروه فيها

257 ثم ختم كلامه بأن قال وأول ما خرجت الحجامة من أصبهان فقلت له والله لا حقرت بعدك أحدا أبدا وكان داود من عقلاء الناس قال أبو العباس ثعلب في

حقه كان عقل داود أكثر من علمه وكان مولده بالكوفة سنة اثنتين ومائتين وقيل سنة مائتين وقيل سنة إحدى ومائتين ونشأ ببغداد وتوفي بها سنة سبعين ومائتين في ذي القعدة وقيل في شهر رمضان ودفن بالشونيزية وقيل في منزله وقال ولده أبو بكر محمد رأيت أبي داود في المنام فقلت له ما فعل الله بك فقال غفر لي وسامحني فقلت غفر لك ففيم سامحك فقال يا بني الأمر عظيم والويل كل الويل لمن لم يسامح رحمه الله تعالى وأصله من أصبهان وقد تقدم الكلام على أصبهان والشونيزية فيما مر من التراجم فلا حاجة إلى الإعادة 224 الملك الزاهر أبو سليمان داود الملقب الملك الزاهر مجير الدين ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمهم الله تعالى كان صاحب قلعة البيرة التي على شاطىء الفرات وكان يحب العلماء وأهل الأدب ويقصدونه من البلاد ولما ولد

258 بمدينة القاهرة كان السلطان صلاح الدين بالشام وكان الثاني عشر من أولاده فكتب إليه القاضي الفاضل رسالة يبشره بولادته ومن جملتها وهذا الولد المبارك هو الموفي لاثني عشر ولدا بل لاثني عشر نجما متقدا فقد زاد الله تعالى في أنجمه عن أنجم يوسف عليه السلام نجما ورآهم المولى يقظة ورأى يوسف تلك الأنجم حلما ورآهم يوسف ساجدين له ورأينا الخلق لهم سجودا وهو تعالى قادر أن يزيد جدود المولى إلى أن يراهم اباء وجدودا وقد ألم القاضي الفاضل في اخر هذا الكلام بقول

البحتري في مدح الخليفة المتوكل وقد ولد له المعتز من جملة قصيدة (وبقيت حتى تستضيء برأيه * وترى الكهول الشيب من أولاده) وحكى عنه جماعة أنه كان يقول من أراد أن يبصر صلاح الدين فليبصرني فأنا أشبه أولاده به وكانت ولادته لسبع بقين من ذي الحجة وقيل ذي القعدة سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة وهو شقيق الملك الظاهر الاتي ذكره في حرف الغين المعجمة إن شاء الله تعالى وتوفي في البيرة في ليلة التاسع من صفر سنة اثنتين وثلاثين وستمائة وكنت بحلب وقد وصل نعيه إليها فتوجه الملك العزيز ابن الملك الظاهر أخيه إلى القلعة المذكورة وملكها رحمه الله تعالى والبيرة بكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الراء وبعدها هاء ساكنة وهي قلعة بقرب سميساط من ثغور الروم على الفرات من جانب الجزيرة الفراتية وسميساط في بر الشام بين قلعة الروم وملطية والفرات يفصل بين الجهتين

259 225 داود الطائي أبو سليمان داود بن نصير الطائي الكوفي سمع عبد الملك بن عمير وحبيب بن أبي عمرة وسليمان الأعمش ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى روى عنه إسماعيل بن عيينة ومصعب بن المقدام وأبو نعيم الفضل بن دكين وغيرهم وكان داود ممن شغل نفسه بالعلم ودرس الفقه وغيره من العلوم ثم اختار بعد ذلك العزلة وآثر الانفراد والخلوة فلزم العبادة واجتهد فيها إلى آخر عمره وقدم بغداد في أيام المهدي ثم عاد إلى

الكوفة وفيها كانت وفاته قال علي بن المديني سمعت ابن عيينة يقول داود الطائي ممن علم وفقه قال وكان يختلف الى أبي حنيفة رضي الله عنه حتى تقدم في ذلك الكلام قال فأخذ يوما حصاة فحذف بها إنسانا فقال له يا أبا سليمان طال لسانك وطالت يدك قال فاختلف بعد ذلك سنة لا يسأل ولا يجيب فلما علم أنه تصبر عمد إلى كتبه فغرقها في الفرات ثم أقبل على العبادة وتخلى وقال عبيد بن جناد سمعت عطاء يقول كان لداود الطائي ثلثمائة درهم فعاش بها عشرين سنة ينفقها على نفسه قال وكنا ندخل على داود الطائي فلم يكن في بيته إلا بارية ولبنة يضع عليها رأسه واجانة فيها خبز ومطهرة يتوضأ منها ومنها يشرب وقال أبو سليمان الداراني ورث داود الطائي من أمه دارا فكان يتنقل في بيوت الدار كلما تخرب بيت من الدار انتقل منه إلى آخر ولم يعمره حتى أتى على عامة البيوت التي في الدار قال وورث من أبيه دنانير فكان يتنفق بها حتى كفن بآخرها

260 وقال اسماعيل بن حسان جئت إلى باب داود الطائي فسمعته يخاطب نفسه فظننت أن عنده أحدا فأطلت القيام على الباب ثم استأذنت فدخلت فقال ما بدا لك في الاستئذان قلت سمعتك تتكلم فظننت أن عندك أحدا قال لا ولكن كنت أخاصم نفسي اشتهت البارحة تمرا فخرجت فاشتريت لها فلما جئت اشتهت جزرا فأعطيت الله عهدا ان لا آكل تمرا ولا جزرا حتى ألقاه وقدم محمد بن قحطبة

الكوفة فقال أحتاج إلى مؤدب يؤدب أولادي حافظ لكتاب الله تعالى عالم بسنة رسول الله وبالاثار والفقه والنحو والشعر وأيام الناس فقيل له ما يجمع هذه إلا داود الطائي فسير إليه بدرة عشرة آلاف درهم وقال استعن بها على دهرك فردها فوجه إليه بدرتين مع غلامين مملوكين وقال لهما إن قبل البدرتين فأنتما حران فمضيا بهما إليه فأبى أن يقبلهما فقالا إن في قبولهما عتق رقابنا من الرق فقال لهما إني أخاف أن يكون في قبولهما وهق رقبتي في النار رداهما إليه وقولا له إن ردهما على من أخذهما منه أولى من أن يعطيني أنا وكان حائطه قد تصدع فقيل له لو أمرت به فقال كانوا يكرهون فضول النظر وقيل إنه صام أربعين سنة ما علم به أحد من أهله فكان يحمل غداءه معه ويتصدق به في الطريق ويرجع إلى أهله يفطر عشاء ولا يعلمون أنه صائم وقال له رجل ألا تسرح لحيتك قال إني عنها مشغول وقيل احتجم داود فدفع الى الحجام عشرة دراهم فقيل له هذا سرف فقال لا عبادة لمن لا مروءة عنده وقالت أخته لو تنحيت عن الشمس فقال هذه خطي لا أدري كيف تكتب قال أبو الربيع الأعرج دخلت على داود الطائي بيته بعد المغرب فقرب لي

261 كسيرات يابسة فعطشت فقمت إلى دن فيه ماء حار فقلت رحمك الله لو اتخذت دنا غير هذا يكون فيه الماء باردا فقال لي إذا كنت لا أشرب إلا باردا ولا آكل إلا طيبا ولا ألبس إلا لينا فما أبقيت لآخرتي قال قلت له أوصني

قال صم عن الدنيا واجعل إفطارك فيها الموت وفر من الناس فرارك من السبع وصاحب أهل التقوى إن صحبت فإنهم أخف مؤونة وأحسن معونة ولا تدع الجماعة حسبك هذا إن عملت به وقال داود الطائي ما حسدت أحدا على شيء إلا أن يكون رجلا يقوم الليل فإني أحب أن أرزق وقتا من الليل قال أبو خالد وبلغني أنه كان لا ينام الليل إذا غلبته عيناه احتبى قاعدا ومكث عشرين سنة لا يرفع رأسه الى السماء وقدم هارون الرشيد الكوفة فكتب قوما من القراء فأمر لكل واحد منهم بألفي درهم فكان داود الطائي ممن كتب فيهم ودعي باسمه أين داود الطائي فقالوا داود يجيبكم أرسلوا اليه قال ابن السماك وحماد بن أبي حنيفة نحن نذهب اليه قال ابن السماك لحماد في الطريق إذا نحن دخلنا عليه فانثرها بين يديه فإن للعين حظها فقال حماد رجل ليس عنده شيء يؤمر له بألفي درهم يردها فلما دخلوا عليه فنثروها بين يديه قال سوءة إنما يفعل هذا بالصبيان وأبى أن يقبلها قال حماد بن أبي حنيفة إن مولاة كانت لداود تخدمه قالت لو طبخت لك دسما تأكله فقال وددت فطبخت له دسما ثم أتته به فقال لها ما فعل أيتام بنى فلان قالت على حالهم قال اذهبي بهذا إليهم فقالت أنت لم تأكل أدما منذ كذا وكذا فقال إن هذا إذا أكلوه صار إلى العرش وإذا أكلته صار إلى الحش فقالت له يا سيدي أما تشتهي الخبز قال يا داية بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية وقال محارب بن دثار لو كان داود في

الأمم الماضية لقص الله تعالى شيئا من خبره توفي داود
سنة ستين وقيل سنة خمس وستين ومائة رحمه الله تعالى
262 ولما مات جاء ابن السماك ووقف على قبره ثم
قال أيها الناس إن أهل الزهد في الدنيا تعجلوا الراحة
على أبدانهم مع يسير الحساب غدا عليهم وإن أهل الزهد
فيها تعجلوا التعب على أبدانهم مع ثقل الحساب غدا عليهم
والزهادة راحة لصاحبها في لدنيا والاخرة والرغبة تعب
لصاحبها في الدنيا والاخرة رحمك الله أبا سليمان ما كان
أعجب شأنك ألزمت نفسك الصبر حتى قومتها أجعتها
وإنما تريد شبعها وأظمأتها وإنما تريد ريها أخشنت
المطعم وإنما تريد طيبه أخشنت الملبس وإنما تريد لينه أبا
سليمان أما كنت تشتهي من الطعام طيبه ومن الماء بارده
ومن اللباس لينه بلى ولكن أخرت ذلك لما بين يديك فما
أراك إلا قد ظفرت بما طلبت وما إليه رغبت فما أيسر ما
ضيعت وأحقر ما فعلت في جنب ما أملت فمن سعى مثلك
عزم عزمك وصبر صبرك آنس ما يكون إذا كنت بالله
خاليا وأوحش ما يكون آنس ما يكون الناس سمعت
الحديث وتركت الناس يحدثون وتفهمت في دين الله
وتركتهم يفتون لا تقبل من السلطان عطية ولا من
الإخوان هدية سجنت نفسك في بيتك فلا محدث لك ولا
ستر على بابك فلو رأيت جنازتك وكثرة تابعك علمت أنه
قد شرفك وأكرمك وألبسك رداء عملك فلو لم يرغب عبد
في الزهد في الدنيا إلا لمحبة هذا الستر الجميل والتابع

الكثير لكان حقيقا بالاجتهاد فسبحان من لا يضيع مطيعا ولا ينسى لأحد صنيعا وقيل إن ابن السماك لما قام على قبر داود قال رحمك الله يا داود كنت تسهر ليلك والناس نائمون وكنت تربح إذ الناس يخسرون فقال الناس جميعا صدقت وكنت تسلم إذ الناس يخوضون فقال الناس جميعا صدقت حتى عدد فضائله كلها ولما فرغ قام أبو بكر النهشلي فحمد الله ثم قال يا رب إن الناس قد قالوا ما عندهم مبلغ ما علموا اللهم فاغفر له برحمتك ولا تكله إلى عمله وفرغ من دفنه وقام الناس قال جعفر بن نفيل الرهبي رأيت داود الطائي بعد موته فقلت له كيف رأيت خير الآخرة قال رأيت خيرها كثيرا قلت فماذا صرت إليه قال

263 صرت إلى خير الحمد لله قال فقلت له هل لك من علم بسفيان بن سعيد فقال كان يحب الخير وأهله فرقاه الخير إلى درجة أهل الخير 226 دبيس بن صدقة أبو الأغر دبيس بن سيف الدولة أبي الحسن صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الأسدي الناشري الملقب نور الدولة ملك العرب صاحب الحلة المزيدية كان جوادا كريما عنده معرفة بالأدب والشعر وتمكن في خلافة الإمام المسترشد واستولى على كثير من بلاد العراق وهو من بيت كبير وسيأتي ذكر أبيه وأجداده في حرف الصاد إن شاء الله تعالى ودبيس المذكور هو الذي عناه ابن الحريري صاحب المقامات في المقامة التاسعة والثلاثين

بقوله أو الأسدي دبيس لأنه كان معاصره كما نذكره في حرف القاف إن شاء الله تعالى فرام التقرب إليه بذكره في مقاماته ولجلالة قدره أيضا وله نظم حسن ورأيت العماد الكاتب في الخريدة وابن المستوفي في تاريخ إربل وغيرهما قد نسبوا إليه الأبيات اللامية التي من جملتها
264 (أسلمه حب سليمانكم * إلى هوى أيسره القتل) ورأيت ابن بسام صاحب كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة قد ذكرها لابن رشيق القيروانى وقد ذكرتها في ترجمته في حرف الحاء والظاهر أنها لابن رشيق لأن ابن بسام ذكر في الذخيرة أنه ألفها في سنة اثنتين وخمسمائة وفي هذا التاريخ كان دبيس شابا ويبعد أن يصل شعره في ذلك السن إلى الأندلس وينسب إلى مثل ابن رشيق مع معرفة ابن بسام بأشعار أهل المغرب وذكر ابن المستوفي في تاريخه أن بدران أخا دبيس كتب إلى أخيه المذكور وهو نازح عنه (ألا قل لمنصور وقل لمسيب * وقل لدبيس إنني لغريب) (هنيئا لكم ماء الفرات وطيبه * إذا لم يكن لي في الفرات نصيب) فكتب إليه دبيس (ألا قل لبدران الذي حن نازعا * إلى أرضه والحر ليس يخيب) (تمتع بأيام السرور فإنما * عذار الأماني بالهموم يشيب) (ولله في تلك الحوادث حكمة * وللأرض من كأس الكرام نصيب) 39 وذكر غير ابن المستوفي أن بدران بن صدقة المذكور لقبه تاج الملوك ولما قتل أبوه تغرب عن بغداد ودخل الشام فأقام بها مدة ثم

توجه إلى مصر ومات بها في سنة ثلاثين وخمسمائة وكان
يقول الشعر وذكره العماد الكاتب الأصفهاني في كتاب
الخريدة وكان دبيس في خدمة السلطان مسعود بن محمد
بن ملكشاه السلجوقي وهم نازلون على باب المراغة من
بلاد أذربيجان ومعهم الإمام المسترشد بالله لسبب
265 سنذكره في ترجمة مسعود المذكور إن شاء الله
تعالى فيقال إن السلطان دس عليه جماعة من الباطنية
فهجموا خيمته أعني المسترشد بالله وقتلوه يوم الخميس
الثامن والعشرين وقال ابن المستوفي الرابع عشر من ذي
القعدة سنة تسع وعشرين وخمسمائة وخاف أن تنسب
القضية إليه وأراد أن تنسب إلى دبيس المذكور فتركه إلى
أن جاء إلى الخدمة وجلس على باب خيمة السلطان فسير
بعض مماليكه فجاءه من ورائه وضرب رأسه بالسيف
فأبانه وأظهر السلطان بعد ذلك أنه إنما فعل هذا انتقاما منه
بما فعل في حق الإمام وكان ذلك بعد قتل الإمام بشهر
رحمه الله تعالى وذكر المأموني في تاريخه أنه قتل في
رابع عشر ذي الحجة من السنة المذكورة على باب خوي
وكان قد أحس بتغير رأي السلطان فيه منذ قتل المسترشد
وعزم على الهرب مرارا وكانت المنية تثبطه وذكر ابن
الأزرق في تاريخه أن قتله كان على باب تبريز وأنه لما
قتل حمل إلى ماردين إلى زوجته كهارخاتون فدفن
بالمشهد عند نجم الدين إيلغازي صاحب ماردين
والدكهارخاتون المذكورة ثم تزوج السلطان المذكور ابنة

دبيس المذكور وأمها شرف خاتون ابنة عميد الدولة بن فخر الدولة محمد بن جهير وأم شرف خاتون المذكورة زبيدة بنت الوزير نظام الملك وسيأتي ذكر ذلك في ترجمة فخر الدولة بن جهير إن شاء الله تعالى والناشري بفتح النون وبعد الألف شين معجمة مكسورة وبعدها راء ثم ياء هذه النسبة إلى ناشرة بن نصر بطن من أسد بن خزيمة

266 227 دعبل أبو علي دعبل بن علي بن رزين بن سليمان الخزاعى الشاعر المشهور وذكر صاحب الأغاني أنه دعبل بن علي بن رزين بن سليمان بن تميم بن نهل وقيل بهنس بن خراش بن خالد بن دعبل بن أنس بن خزيمة بن سلامان بن أسلم ابن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر مزيقيا ويكنى أبا علي وقال الخطيب البغدادي في تاريخه هو دعبل بن علي بن رزين بن عثمان بن عبد الله ابن بديل بن ورقاء الخزاعي أصله من الكوفة ويقال من قرقيسيا وأقام ببغداد وقيل إن دعبلا لقب واسمه الحسن وقيل عبد الرحمن وقيل محمد وكنيته أبو جعفر والله أعلم] ويقال إنه كان أطروشا وفي قفاه سلعة كان شاعرا مجيدا إلا أنه كان بذي اللسان مولعا بالهجو والحط من أقدار الناس وهجا الخلفاء فمن دونهم وطال عمره فكان يقول لي خمسون سنة أحمل خشبتي على كتفي أدور على من يصلبني عليها فما أجد من يفعل ذلك ولما عمل في إبراهيم بن المهدي المقدم ذكره الأبيات التي

أثبتها في ترجمته وأولها (نعر ابن شكلة بالعراق وأهله
* فهفا إليه كل أطلس مائق)
267 دخل إبراهيم على المأمون فشكا إليه حاله وقال
يا أمير المؤمنين إن الله سبحانه وتعالى فضلك في نفسك
علي وألهمك الرأفة والعفو عني والنسب واحد وقد هجاني
دعبل فانتقم لي منه فقال المأمون ما قال لعل قوله (نعر
ابن شكلة بالعراق *) وأنشد الأبيات فقال هذا من بعض
هجائه وقد هجاني بما هو أقبح من هذا فقال المأمون لك
أسوة بي فقد هجاني واحتملته وقال في (أيسومني
المأمون خطة جاهل * أو ما رأى بالأمس رأس محمد) (
إني من القوم الذين سيوفهم * قتلت أخاك وشرفتك بمقعد)
(شادوا بذكرك بعد طول خموله * واستنقذوك من
الحضيض الأوهد) فقال إبراهيم زادك الله حلما يا أمير
المؤمنين وعلما فما ينطق أحدنا إلا عن فضل علمك ولا
يحلم إلا اتباعا لحلمك وأشار دعبل في هذه الأبيات إلى
قضية طاهر بن الحسين الخزاعي الاتي ذكره إن شاء الله
تعالى وحصاره بغداد وقتله الأمين محمد بن الرشيد وبذلك
ولي المأمون الخلافة والقصة مشهورة ودعبل خزاعي
فهو منهم وكان المأمون إذا أنشد هذه الأبيات يقول قبح الله
دعبلا فما أوقحه كيف يقول عني هذا وقد ولدت في حجر
الخلافة ورضعت ثديها وربيت في مهدها ومثل هذا الحلم
بل أعظم ما حكي عن الواثق أنه كان يحب الباذنجان
ويكثر من أكله ومعظم الرمد بالعراق من أكل الباذنجان

لحر الإقليم والسوداء المتولدة من أكله فبعث إليه أبوه
المعتصم وقال له دع أكل الباذنجان واحفظ بصرك فمتى
رأيت خليفة أعمى فقال للرسول قل لأمير المؤمنين إني
تصدقت بعيني على الباذنجان ثم رمد رمدة صعبة ما
تخلص منها إلا وعلى إحدى عينيه بياض كاد
268 يسدها وكان المسدود الشاعر قد هجا الواثق
وهو ولي عهد أبيه وسمي المسدود لجسم سد منخريه
فعمل (من المسدود في الأنف * إلى المسدود في العين)
(فيا طبلا له رأس * ويا طبلا برأسين) فلما كان يوم
تفرقة العطاء كتب المسدود مستحقه في ورقة وجعلها في
عمامته مع ورقة الهجو ثم دخل على الخليفة فناوله ورقة
الهجو فقرأها وضحك وقال خذ هذه وهات ورقة المستحق
ولا تعد في مثل هذا وقضى حاجته وكان بين دعبل
ومسلم بن الوليد الأنصاري اتحاد كثير وعليه تخرج دعبل
في الشعر فاتفق أن ولي مسلم جهة في بعض بلاد خراسان
أو فارس ثم إني ظفرت بالجهة التي تولاها مسلم وهي
جرجان من ناحية خراسان ولاه إياها الفضل بن سهل
الاتي ذكره إن شاء الله تعالى فقصده دعبل لما يعلمه من
الصحبة التي بينهما فلم يلتفت مسلم إليه ففارقه وعمل (
غششت الهوى حتى تداعت أصوله * بنا وابتذلت الوصل
حتى تقطعا) (وأنزلت من بين الجوانح والحشا * ذخيرة
ود طالما قد تمنعا) (فلا تعذلني ليس لي فيك مطمع *
تخرقت حتى لم أجد لك مرقعا) (وهبك يميني أستأكلت

فقطعتها * وصبرت قلبي بعدها فتشجعا) ومن شعره في الغزل (لا تعجبي يا سلم من رجل * ضحك المشيب برأسه فبكى) (يا ليت شعري كيف نومكما * يا صاحبي إذا دمي سفكا)
269 (لا تأخذا بظلامتي أحدا * قلبي وطرفي في دمي اشتركا) ومن شعره في مدح المطلب بن عبد الله بن مالك الخزاعي أمير مصر (زمني بمطلب سقيت زمانا * ما كنت إلا روضة وجنانا) (كل الندى إلا نداك تكلف * لم أرض غيرك كائنا من كانا) (أصلحتني بالبر بل أفسدتني * وتركتني أتسخط الإحسانا) ومن كلامه من فضل الشعر أنه لم يكذب أحد قط إلا اجتواه الناس إلا الشاعر فإنه كلما زاد كذبه زاد المدح له ثم لا يقنع له بذلك حتى يقال له أحسنت والله فلا يشهد له شهادة زور إلا ومعها يمين الله تعالى وقال دعبل كنا يوما عند سهل بن هارون الكاتب البليغ وكان شديد البخل فأطلنا الحديث واضطره الجوع إلى أن دعا بغدائه فأتي بقصعة فيها ديك عاس هرم لا تخرقه سكين ولا يؤثر فيه ضرس فأخذ كسرة خبز فخاض بها مرقته وقلب جميع ما في القصعة ففقد الرأس فبقي مطرقا ساعة ثم رفع رأسه وقال للطباخ أين الرأس فقال رميت به قال ولم قال ظننت أنك لا تأكله فقال لبئس ما ظننت ويحك والله إني لأمقت من يرمي برجليه فكيف من يرمي رأسه والرأس رئيس وفيه الحواس الأربع ومنه يصيح ولولا صوته لما فضل وفيه

فرقه الذي يتبرك به وفيه عيناه اللتان يضرب بهما المثل
فيقال شراب كعين الديك ودماغه عجب لوجع الكليتين ولم
ير عظم قط أهش من عظم رأسه أو ما علمت أنه
270 خير من طرف الجناح ومن الساق ومن العنق
فإن كان قد بلغ من نبلك أنك لا تأكله فانظر أين هو قال
والله لا أدري أين هو رميت به قال لكني أدري أبن هو
رميت به في بطنك فالله حسبك ودعبل ابن عم أبي جعفر
محمد بن عبد الله بن رزين الملقب أبا الشيص الخزاعي
الشاعر المشهور وكان أبو الشيص من مداح الرشيد ولما
مات رثاه ومدح ولده الأمين وكانت ولادة دعبل في سنة
ثمان وأربعين ومائة وتوفي سنة ست وأربعين ومائتين
بالطيب وهي بلدة بين واسط العراق وكور الأهواز رحمه
الله تعالى وجده رزين مولى عبد الله بن خلف الخزاعي
والد طلحة الطلحات وكان عبد الله المذكور كاتب عمر بن
الخطاب رضي الله عنه على ديوان الكوفة وولي طلحة
سجستان فمات بها رحمه الله تعالى ولما مات دعبل وكان
صديق البحتري وكان أبو تمام الطائي قد مات قبله كما
تقدم رثاهما البحتري بأبيات منها (قد زاد في كلفي وأوقد
لوعتي * مثوى حبيب يوم مات ودعبل) (أخوي لا تزل
السماء مخيلة * تغشاكما بسماء مزن مسبل) (جدث
على الأهواز يبعد دونه * مسرى النعي ورمة بالموصل)
ودعبل بكسر الدال وسكون العين المهملتين وكسر الباء
الموحدة وبعدها لام وهو اسم الناقة الشارف وكان يقول

مررت يوما برجل قد أصابه الصرع فدنوت منه وصحت في أذنه بأعلى صوتي دعبل فقام يمشي كأنه لم يصبه شيء

271 228 دعلج بن أحمد دعلج بن أحمد بن دعلج بن عبد الرحمن السجستاني المعدل سمع الحديث ببلاد خراسان والري وحلوان وبغداد والبصرة والكوفة ومكة وكان من ذوي اليسار وله صدقات جارية وأوقاف محبسة على أهل الحديث ببغداد ومكة وسجستان وجاور بمكة زمانا طويلا ثم سكن بغداد واستوطنها وحدث بها عن محمد بن عمر الحرسي ومحمد بن النضر الجارودي وغيرهما وروى عنه الدارقطني أبو الحسن وغيره من شيوخ الخطيب وكان ثقة وجمع له المسند وغير ذلك قال الخطيب بلغني أنه بعث بكتابه المسند إلى أبي العباس ابن عقدة لينظر فيه وجعل في الأجزاء بين كل ورقتين دينارا وكان يقول ليس في الدنيا مثل داري وذلك أنه ليس في الدنيا مثل بغداد ولا في بغداد مثل القطيعة ولا في القطيعة مثل درب أبي خلف ولا في درب أبي خلف مثل داري قال الخطيب حدثني أبو بكر محمد بن علي بن عبد الله الحداد وكان من أهل الدين والقرآن والصلاح عن شيخ سماه وذهب عني حفظ اسمه قال حضرت يوم جمعة المسجد الجامع بمدينة المنصور فرأيت رجلا بين يدي في الصف حسن الوقار ظاهر الخشوع دائم الصلاة لم يزل يتنقل مذ دخل المسجد إلى أن قرب قيام الصلاة ثم جلس

قال فغلبتني هيبته ودخل قلبي محبته ثم أقيمت الصلاة فلم يصل مع الناس الجمعة فكبر علي ذلك من أمره وتعجبت من حاله وغاظني فعله فلما قضيت الصلاة تقدمت إليه وقلت

272 أيها الرجل ما رأيت أعجب من أمرك أطلت النافلة وأحسنتها وتركت الفريضة وضيعتها فقال يا هذا إن لي عذرا وبي علة منعتني من الصلاة قلت وما هي قال أنا رجل علي دين اختفيت في منزلي مدة بسببه ثم حضرت اليوم الجامع للصلاة فقبل أن تقام التفت فرأيت صاحب الدين فمن خوفه أحدثت في ثيابي فهذا خبري فأسألك بالله إلا سترت علي وكتمت أمري فقلت ومن الذي له عليك الدين قال دعلج بن أحمد وكان إلى جانبه صاحب لدعلج قد صلى وهو لا يعرفه فسمع هذا القول ومضى في الوقت إلى دعلج فذكرله القصة فقال له دعلج امض إلى الرجل واحمله إلى الحمام واطرح عليه خلعة من ثيابي وأجلسه في منزلي حتى أنصرف من الجامع ففعل الرجل ذلك فلما انصرف دعلج إلى منزله أمر بالطعام فأحضر وأكل هو والرجل ثم أخرج حسابه فنظر فيه فإذا له عليه خمسة آلاف درهم فقال له انظر لا يكون عليك في الحساب غلط أو نسي لك نقد فقال الرجل لا فضرب دعلج على حسابه وكتب تحته علامة الوفاء ثم أحضر الميزان ووزن خمسة آلاف درهم وقال له أما الحساب الأول فقد حاللناك مما بيننا وبينك فيه وأسألك أن تقبل هذه الخمسة آلاف درهم

وتجعلنا في حل من الروعة التي دخلت قلبك برؤيتك إيانا في مسجد الجامع أو كما قال وكانت وفاة دعلج المذكور يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة إحدى وخمسين وثلثمائة وقيل لعشر بقين منها رحمه الله تعالى

273 229 أبو بكر الشبلي أبو بكر دلف بن جحدر وقيل جعفر وقيل جعفر بن يونس وهكذا هو مكتوب على قبره المعروف بالشبلي الصالح المشهور الخراساني الأصل البغدادي المولد والمنشأ كان جليل القدر مالكي المذهب وصحب الشيخ أبا القاسم الجنيد ومن في عصره من الصلحاء رضي الله عنهم وكان في مبدإ أمره واليا في دنباوند فلما تاب في مجلس خير النساج مضى إليها وقال لأهلها كنت والي بلدكم فاجعلوني في حل ومجاهداته في أول أمره فوق الحد ويقال إنه اكتحل بكذا وكذا من الملح ليعتاد السهر ولا يأخذه نوم وكان يبالغ في تعظيم الشرع المطهر وكان إذا دخل شهر رمضان المبارك جد في الطاعات ويقول هذا شهر عظمه ربى فأنا أولى بتعظيمه وكان في آخر عمره ينشد كثيرا (وكم من موضع لو مت فيه * لكنت به نكالا في العشيرة) ودخل يوما على شيخه الجنيد فوقف بين يديه وصفق بيديه وأنشد (عودوني الوصال والوصل عذب * ورموني بالصد والصد صعب) (زعموا حين ازمعوا أن ذنبي * فرط حبي لهم وما

ذاك ذنب) (لا وحق الخضوع عند التلاقى * ما جزا من
يحب إلا يحب) قال فأجابه الجنيد
274 (وتمنيت أن أراك * فلما رأيتكا) (غلبت
دهشة السرور * فلم أملك البكا) حدث أحمد بن منصور
بن نصر قال جاء الشبلي يوما إلى أبي بكر ابن مجاهد فلم
يجده في مسجده فسأل عنه فقيل هو عند علي بن المجوسي
فلما دخل وقعدنا قال له أبو بكر ابن مجاهد يا أبا بكر
أخبرت أنك تحرق الثياب والخبز والأطعمة وما ينتفع
الناس فيه أين هذا من العلم والشرع فقال له يقول الله (^
فطفق مسحا بالسوق والأعناق) (ص : 33) أين هذا من
العلم فسكت أبو بكر ابن مجاهد فقال كأني ما قرأتها قط
وقيل إنهم عابثوه في مثله فقرأ (^ إنكم وما تعبدون من
دون الله حصب جهنم) الانبياء 98 هذه الأطعمة
والشهوات حقيقة الخلق ومعبودهم أبرأ منه وأحرقه ومن
أناشيده (ودادكم هجر وحبكم قلى * ووصلكم سلم
وسلمكم حرب) وحكي عن بعض المعترفين أنه أنس إلى
طريقة التصوف واستشرف وشاور أبا بكر فرده عماأراده
وحذره التعرض له وعطفته الخواطر عليه فمال إلى قرين
من هذه الطائفة فعلق بهم واتصل بجملتهم ثم صحب
جماعة منهم متوجها إلىالحج فعجز في بعض الطريق من
مسايرتهم وقصر عن اللحاق فمضوا وتخلف عنهم فاستند
إلى بعض الرمال إرادة الاستراحة من الإعياء فمر به
الشيخ المذكور فقال مخاطبا له (إن الذين بخير كنت

أذكرهم * قضوا عليك وعنهم كنت أنهاكا) فقال له الفتى ما أصنع الان فقال له (لا تطلبن حياة غير حبهم * فليس يحييك إلا من توفاكا)

275 قال محمد بن إبراهيم حضرت وفاة الشبلي فأمسك لسانه وعرق جبينه فأشار إلى وضوء الصلاة فوضأته وبقي تخليل لحيته فقبض على يدي وأدخل إصبعي في لحيته يخللها فبكيت وقلت رجل لم يذهب عليه تخليل لحيته في الوضوء عند نزع روحه وإمساك لسانه ودخل عليه أبو الفتح ابن شفيع عائدا في مرضه فسمعه يقول (صح عند الناس أني عاشق * غير أن لم يعلموا عشقي لمن) قال أبو بكر الشبلي جئت يوما إلى باب الطاق فرأيت والدة تضرب ولدها فقلت لها لهذا حرمة فقال الصبي معارضتك بيني وبين والدتي أشد علي من ضربها أرأيت أحدا يضرب ولده إلا من محبته إياه إنما ضرب الوالدين تأديب وشفقة وفرط محبة قال الشبلي فكأني كنت المقصود بهذه المخاطبة فانصرفت عنهما وأنا أقول (لبيك تصديقا أيا سيدى * من الذي يألم من عثرتك) وحكى الخطيب في تاريخه قال أبو الحسن التميمي دخلت على أبي بكر في داره يوما وهو يهيج ويقول (على بعدك ما يصبر * من عادته القرب) (ولا يقوى على هجرك * من تيمه الحب) (فإن لم ترك العين * فقد يبصرك القلب) وذكر الخطيب أيضا في ترجمة أبي سعد

إسماعيل بن علي الواعظ ما مثاله وأنشدنا أبو سعد قال
أنشدنا طاهر الخثعمي قال أنشدني الشبلي لنفسه
276 (مضت الشبيبة والحبيبة فانبرى * دمعان في
الأجفان يزدحمان) (ما أنصفتني الحادثات رمينني *
بمودعين وليس لي قلبان) وقال الشبلي أيضا رأيت يوم
الجمعة معتوها عند جامع الرصافة قائما عريان وهو يقول
أنا مجنون الله أنا مجنون الله فقلت له لم لا تدخل الجامع
وتتوارى وتصلي فأنشد (يقولون زرنا واقض واجب
حقنا * وقد أسقطت حالي حقوقهم عني) (إذا أبصروا
حالي ولم يأنفوا لها * ولم يأنفوا منها أنفت لهم مني)
وكانت وفاته يوم الجمعة لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة
أربع وثلاثين وثلثمائة ببغداد ودفن في مقبرة الخيزران
وعمره سبع وثمانون سنة رحمه الله تعالى ويقال إنه مات
سنة خمس وثلاثين والأول أصح ويقال إن مولده بسر من
رأى والشبلي بكسر الشين وسكون الباء الموحدة وبعدها
لام وهذه النسبة إلى شبلة وهي قرية من قرى أسر وشنة
واسروشنة بضم الهمزة وسكون السين المهملة وضم الراء
وسكون الواو وفتح الشين المعجمة وفتح النون وبعدها هاء
ساكنة وهي بلدة عظيمة وراء سمرقند من بلاد ما وراء
النهر ودنبا وند بضم الدال المهملة وسكون النون وفتح
الباء الموحدة وبعد الألف واو مفتوحة ثم نون ساكنة
وبعدها دال مهملة وهي ناحية من رستاق الري في الجبال
وبعضهم يقول دماوند والأول أصح حرف الذال

@277@ 277
@278@ 278
279 230 ذو القرنين ابن حمدان أبو المطاع ذو القرنين ابن أبي المظفر حمدان بن ناصر الدولة أبي محمد الحسن ابن عبد الله بن حمدان التغلبي الملقب وجيه الدولة وقد تقدم ذكر جده ناصر الدولة في حرف الحاء ورفعت هناك في نسبه فأغنى عن إعادته كان أبو المطاع المذكور شاعرا ظريفا حسن السبك جميل المقاصد ومن شعره قوله (إني لأحسد لا في أسطر الصحف * إذا رأيت اعتناق اللام للألف) (وما أظنهما طال اعتناقهما * إلا لما لقيا من شدة الشغف) وله أيضا (أفدي الذي زرته بالسيف مشتملا * ولحظ عينيه أمضى من مضاربه) (فما خلعت نجادي في العناق له * حتى لبست نجادا من ذوائبه) (فكان أسعدنا في نيل بغيته * من كان في الحب أشقانا بصاحبه) وأورد له الثعالبي في اليتيمة الأبيات التي تقدم ذكرها في ترجمة الشريف أبي القاسم أحمد بن طباطبا العلوي التي أولها (قالت لطيف خيال زارني ومضى * بالله صفه ولا تنقص ولا تزد)
280 وذكر في ترجمة أبي المطاع أنها له وفي ترجمة الشريف أنها له والله أعلم لمن هي منهما وله أيضا (لما التقينا معا والليل يسترنا * من جنحه أظلم في طيها نعم) (بيتنا أعف مبيت باته بشر * ولا مراقب إلا الطرف والكرم) (فلا مشى من وشى عند العدو بنا *

ولاسعت بالذي يسعى بنا قدم) وله أيضا (لو كنت ساعة
بيننا ما بيننا * فشهدت حين نكرر التوديعا) (أيقنت أن
من الدموع محدثا * وعلمت أن من الحديث دموعا)
وقوله (ترى الثياب من الكتان يلمحها * نور من البدر
أحيانا فيبليها) (فكيف تنكر أن تبلى معاجرها * والبدر
في كل وقت طالع فيها) وللشريف الرضي في المعنى (
كيف لا تبلى غلالته * وهو بدر وهي كتان) ومن
المنسوب إليه (تقول لما رأتني * نضوا كمثل الخلال)
(هذا اللقاء منام * وأنت طيف خيال) (فقلت كلا ولكن
* أساء بينك حالي) (فليس تعرف مني * حقيقتي من
محالي)
281 وله أشعار كثيرة حسنة ولعبد العزيز بن نباته
الشاعر المشهور في أبيه مدائح جمة وتوفي أبو المطاع
في صفر سنة ثمان وعشرين وأربعمائة وكان قد وصل
إلى مصر في أيام الظاهر بن الحاكم العبيدي صاحبها
فقلده ولاية الاسكندرية وأعمالها في رجب سنة أربع
عشرة وأربعمائة وأقام بها مقدار سنة ثم رجع إلى دمشق
هكذا قاله المسبحي في تاريخه & حرف الراء &
@282@ 282
@283@ 283
@284@ 284
285 231 رابعة العدوية أم الخير رابعة ابنة
إسماعيل العدوية البصرية مولاة آل عتيك الصالحة

المشهورة كانت من أعيان عصرها وأخبارها في الصلاح
والعبادة مشهورة وذكر أبو القاسم القشيري في الرسالة
أنها كانت تقول في مناجاتها إلهي تحرق بالنار قلبا يحبك
فهتف بها مرة هاتف ما كنا نفعل هذا فلا تظني بنا ظن
وقال يوما عندها سفيان الثوري واحزناه فقالت لا تكذب
بل قل واقلة حزناه لو كنت محزونا لم يتهيأ لك أن تتنفس
وقال بعضهم كنت أدعو لرابعة العدوية فرأيتها في المنام
تقول هداياك تأتينا على أطباق من نور مخمرة بمناديل من
نور وكانت تقول ما ظهر من أعمالي فلا أعده شيئا ومن
وصاياها اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم وقالت
لأبيها يا أبه لست أجعلك في حل من حرام تطعمنيه فقال
لها أرأيت إن لم أجد إلا حراما قالت نصبر في الدنيا على
الجوع خير من أن نصبر في الآخرة على النار وكانت إذا
جن عليها الليل قامت إلى سطح لها ثم نادت إلهي هدأت
الأصوات وسكنت الحركات وخلا كل حبيب بحبيبه وقد
خلوت بك

286 أيها المحبوب فاجعل خلوتي منك في هذه الليلة
عتقي من النار ولقي سفيان الثوري رابعة وكانت زرية
الحال فقال لها يا أم عمرو أرى حالا رثة فلو أتيت جارك
فلانا لغير بعض ما أرى فقالت له يا سفيان وما ترى من
سوء حالي ألست على الإسلام فهو العز الذي لا ذل معه
والغنى الذي لا فقر معه والأنس الذي لا وحشة معه والله
إني لأستحيي أن أسأل الدنيا من يملكها فكيف أسألها من لا

يملكها فقام سفيان وهو يقول ما سمعت مثل هذا الكلام
وقالت رابعة لسفيان إنما أنت أيام معدودة فإذا ذهب يوم
ذهب بعضك ويوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكل
وأنت تعلم فاعمل كان أبو سليمان الهاشمي له بالبصرة
كل يوم غلة ثمانين ألف درهم فبعث إلى علماء البصرة
يستشيرهم في امرأة يتزوجها فأجمعوا على رابعة العدوية
فكتب إليها أما بعد فإن ملكي من غلة الدنيا في كل يوم
ثمانون ألف درهم وليس يمضي إلا قليل حتى أتمها مائة
ألف إن شاء الله وأنا أخطبك نفسك وقد بذلت لك من
الصداق مائة ألف وأنا مصير إليك من بعد أمثالها
فأجيبيني فكتبت إليه أما بعد فإن الزهد في الدنيا راحة
القلب والبدن والرغبة فيها تورث الهم والحزن فإذا أتاك
كتابي فهي زادك وقدم لمعادك وكن وصي نفسك ولا
تجعل وصيتك إلى غيرك وصم دهرك واجعل الموت
فطرك فما يسرني ان الله خولني أضعاف ما خولك
فيشغلني بك عنه طرفه عين والسلام وقالت امرأة لرابعة
إني أحبك في الله فقالت لها أطيعي من أحببتني له وكانت
رابعة تقول اللهم قد وهبت لك من ظلمني فاستوهبني ممن
ظلمته قال رجل لرابعة إني أحبك في الله قالت فلا تعص
الذي أحببتني له وأورد لها الشيخ شهاب الدين
السهروردي في كتاب عوارف المعارف (إني جعلتك في
الفؤاد محدثي * وأبحت جسمي من أراد جلوسي)

287 (فالجسم مني للجليس مؤانس * وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي) وكانت وفاتها في سنة خمس وثلاثين ومائة ذكره ابن الجوزي في شذور العقود وقال غيره سنة خمس وثمانين ومائة رحمها الله تعالى وقبرها يزار وهو بظاهر القدس من شرقيه على رأس جبل يسمى الطور وذكر ابن الجوزى في كتاب صفة الصفوة في ترجمة رابعة المذكورة بإسناد له متصل إلى عبدة بنت أبي شوال قال ابن الجوزي وكانت من خيار إماء الله تعالى وكانت تخدم رابعة قالت كانت رابعة تصلي الليل كله فإذا طلع الفجر هجعت في مصلاها هجعة خفيفة حتى يسفر الفجر فكنت أسمعها تقول إذا وثبت من مرقدها ذلك وهي فزعة يا نفس كم تنامين وإلى كم تقومين يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور وكان هذا دأبها دهرها حتى ماتت ولما حضرتها الوفاة دعتني وقالت يا عبدة لا تؤذني بموتي أحدا وكفنيني في جبتي هذه وهي جبة من شعر كانت تقوم فيها إذا هدأت العيون قالت فكفناها في تلك الجبة وفي خمار صوف كانت تلبسه ثم رأيتها بعد ذلك بسنة أو نحوها في منامي عليها حلة إستبرق خضراء وخمار من سندس أخضر لم أر شيئا قط أحسن منه فقلت يا رابعة ما فعلت بالجبة التي كفناك فيها والخمار الصوف قالت إنه والله نزع عني وأبدلت به ما ترينه علي فطويت أكفاني وختم عليها ورفعت في عليين ليكمل لي بها ثوابها يوم القيامة فقلت لها لهذا كنت تعملين

أيام الدنيا فقالت وما هذا عندما رأيت من كرامة الله عز وجل لأوليائه فقلت لها فما فعلت عبيدة بنت أبي كلاب فقالت هيهات هيهات سبقتنا والله إلى
288 الدرجات العلا فقلت وبم وقد كنت عند الناس أي أكبر منها قالت إنها لم تكن تبالي على أي حال أصبحت من الدنيا وأمست فقلت لها فما فعل أبو مالك أعني ضيغما قالت يزور الله عز وجل متى شاء قلت فما فعل بشر بن منصور قالت بخ بخ أعطي والله فوق ما كان يؤمل قلت فمريني بأمر أتقرب به إلى الله عز وجل قالت عليك بكثرة ذكره يوشك أن تغتبطي بذلك في قبرك رحمهما الله تعالى 232 ربيعة الرأي أبو عثمان ربيعة بن أبي عبد الرحمن فروخ مولى آل المنكدر التيميين تيم قريش المعروف بربيعة الرأي فقيه أهل المدينة أدرك جماعة من الصحابة رضي الله عنهم وعنه أخذ مالك بن أنس رضي الله عنه قال بكر بن عبد الله الصنعاني أتينا مالك بن أنس فجعل يحدثنا عن ربيعة الرأي فكنا نستزيده من حديث ربيعة فقال لنا ذات يوم ما تصنعون بربيعة وهو نائم في ذاك الطاق فأتينا ربيعة فأنبهناه وقلنا له أنت ربيعة قال نعم قلنا أنت الذي يحدث عنك مالك بن أنس قال نعم فقلنا كيف حظي بك مالك وأنت لم تحظ بنفسك قال أما علمتم أن مثقالا من دولة خير من حمل علم وكان ربيعة يكثر الكلام ويقول الساكت بين النائم والأخرس وكان

289 يوما في مجلسه وهو يتكلم فوقف عليه أعرابي دخل من البادية فأطال الوقوف والإنصات إلى كلامه فظن ربيعة أنه قد أعجبه كلامه فقال له يا أعرابي ما البلاغة عندكم فقال الإيجاز مع إصابة المعنى فقال وما العي فقال ما أنت فيه منذ اليوم فخجل ربيعة قال عبد الوهاب بن عطاء الخفاف حدثني مشايخ أهل المدينة أن فروخا أبا عبد الرحمن بن ربيعة خرج في البعوث إلى خراسان أيام بني أمية غازيا وربيعة حمل في بطن أمه وخلف عنه زوجته أم ربيعة ثلاثين ألف دينار فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة وهو راكب فرسا وفي يده رمح فنزل ودفع الباب برمحه فخرج ربيعة وقال يا عدو الله أتهجم على منزلي فقال فروخ يا عدو الله أنت دخلت على حرمي فتواثبا وتلبب كل واحد منهما بصاحبه حتى اجتمع الجيران فبلغ مالك بن أنس والمشيخة فأتوا يعينون ربيعة فجعل ربيعة يقول والله لا فارقتك إلا عند السلطان وجعل فروخ يقول والله لا فارقتك إلا بالسلطان وأنت مع امرأتي وكثر الضجيج فلما أبصروا بمالك سكتوا فقال مالك أيها الشيخ لك سبعة في غير هذه الدار فقال الشيخ هي داري وأنا فروخ فسمعت امرأته كلامه فخرجت وقالت هذا زوجي وهذا ابني الذي خلفه وأنا حامل به فاعتنقا جميعا وبكيا فدخل فروخ المنزل وقال هذا ابني فقالت نعم قال أخرجي المال الذي لي عندك وهذه معي أربعة آلاف دينار قالت قد دفنته وأنا أخرجه بعد أيام ثم خرج ربيعة إلىالمسجد وجلس

في حلقته فأتاه مالك والحسن بن زيد وابن أبي علي اللهبي
والمساحقي وأشراف أهل المدينة وأحدق الناس به فقالت
امرأته لزوجها فروخ اخرج فصل في مسجد رسول الله
فخرج فنظر إلى حلقة وافرة فأتاها فوقف عليها فأفرجوا له
قليلا فنكس ربيعة رأسه يوهمه أنه لم يره وعليه دنية
طويلة فشك أبوه فيه فقال من هذا الرجل فقالوا هذا ربيعة
بن أبي عبد الرحمن فقال فقد رفع الله ابني ورجع إلى
290 منزله وقال لوالدته لقد رأيت ولدك على حالة
ما رأيت أحدا من أهل العلم والفقه عليها فقالت أمه فأيما
أحب إليك ثلاثون ألف دينار أو هذا الذي هو فيه فقال لا
والله بل هذا فقالت فإني أنفقت المال كله عليه قال فوالله ما
ضيعته وقال معاذ بن معاذ سمعت سوار بن عبد الله يقول
ما رأيت أحدا أعلم من ربيعة الرأي قلت ولا الحسن وابن
سيرين قال ولا الحسن وابن سيرين وما كان بالمدينة رجل
أسخى بما في يديه لصديق أو غيره من ربيعة الرأي أنفق
على إخوانه أربعين ألف درهم ثم جعل يسأل إخوانه فقيل
له أذهبت مالك وأنت تخلق جاهك فقال لا يزال هذا دأبي
ما وجدت أحدا يغبطني على جاهي وكانت وفاته في سنة
ست وثلاثين وقيل سنة ثلاثين ومائة بالهاشمية وهي مدينة
بناها السفاح بأرض الأنبار وكان يسكنها ثم انتقل إلى
الأنبار رحمه الله تعالى وقال مالك بن أنس ذهبت حلاوة
الفقه منذ مات ربيعة الرأي قلت ولا يمكن الجمع بين قول
من يقول إنه توفي سنة ثلاثين ومائة وإنه دفن بالهاشمية

التي بناها السفاح لأن السفاح ولي الخلافة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة كذا نقله أرباب التواريخ واتفقوا عليه فتأمله

291 233 الربيع بن سليمان المرادي أبو محمد الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي بالولاء المؤذن المصري صاحب الإمام الشافعي وهو الذي روى أكثر كتبه وقال الشافعي في حقه الربيع راويتي وقال ما خدمني أحد ما خدمني الربيع وكان يقول له يا ربيع لو أمكنني أن أطعمك العلم لأطعمتك ويحكى عنه أنه قال دخلت على الشافعي رضي الله عنه عند وفاته وعنده البويطي والمزني وابن عبد الحكم فنظر إلينا ثم قال أما أنت يا أبا يعقوب يعني البويطي فتموت في حديدك وأما أنت يا مزني فستكون لك في مصر هنات وهنات ولتدركن زمانا تكون فيه أقيس أهل زمانك وأما أنت يا محمد يعني ابن عبد الحكم فترجع إلى مذهب مالك وأما أنت يا ربيع فأنت أنفعهم لي في نشر الكتب قم يا أبا يعقوب فتسلم الحلقة قال الربيع فلما مات الشافعي رضي الله عنه صار كل واحد منهم إلى ما قاله حتى كأنه ينظر إلى الغيب من ستر رقيق وحكى الخطيب في تاريخه في ترجمة البويطي قال الربيع بن سليمان المرادي كنا جلوسا بين يدي الشافعي رضي الله عنه أنا والبويطي والمزني فنظر إلى البويطي فقال ترون هذا إنه لن يموت إلا في حديده ثم نظر إلى المزني فقال ترون هذا اما إنه سيأتي عليه زمان

لا يفسر شيئا فيخطئه ثم نظر إلى فقال أما إنه ما في القوم
أحد أنفع لي منه ولوددت أني حشوته العلم حشوا والربيع
هذا آخر من روى عن الشافعي بمصر
292 ورأيت بخط الحافظ زكي الدين عبد العظيم
المنذري المصري شعرا للربيع المذكور (صبرا جميلا
ما أسرع الفرجا * من صدق الله في الأمور نجا) (من
خشي الله لم ينله أذى * ومن رجا الله كان حيث رجا)
وتوفي الربيع يوم الاثنين لعشر بقين من شوال سنة سبعين
ومائتين بمصر ودفن بالقرافة مما يلي الفقاعي في بحرية
في حجرة هناك وعند رأسه بلاطه رخام فيها اسمه
وتاريخ وفاته رحمه الله تعالى والمرادي بضم الميم وفتح
الراء وبعد الألف دال مهملة هذه النسبة إلى مراد وهي
قبيلة كبيرة باليمن خرج منها خلق عظيم 234 الربيع بن
سليمان الجيزي أبو محمد الربيع بن سليمان بن داود بن
الأعرج الأزدي بالولاء المصري الجيزي صاحب
الشافعي رضي الله عنه لكنه كان قليل الرواية عنه وإنما
روى عن عبد الله بن عبد الحكم كثيرا وكان ثقة وروى
عنه أبو داود والنسائي ؤ قيل إنه اجتاز يوما بمصر
فطرحت عليه إجانة رماد فنزل عن دابته وجعل ينفضه
عن ثيابه ولم يقل شيئا فقيل له ألا تزجرهم فقال من
استحق النار وصولح بالرماد فقد ربح وتوفي في ذي
الحجة سنة ست وخمسين ومائتين بالجيزة وقبره بها كذا

293 قاله القضاعي في الخطط رحمه الله تعالى
والأزدي قد تقدم الكلام فيه والجيزي بكسر الجيم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها زاي هذه النسبة إلى الجيزة وهي بليدة في قبالة مصر يفصل بينهما عرض النيل والأهرام في عملها وبالقرب منها وهي من عجائب الأبنية قال بعض الحكماء ما على وجه الأرض بنية إلا وأنا أرثي لها من الليل والنهار إلا الهرمين فأنا أرثي لليل والنهار منهما ولأبي الطيب المتنبي فيهما (أين الذي الهرمان من بنيانه * ما قومه ما يومه ما المصرع) (تتخلف الاثار عن أصحابها * حينا ويدركها الفناء فتتبع) وزعم قوم أن الأهرام قبور ملوك عظام آثروا أن يتميزوا بها على سائر الملوك بعد مماتهم كما تميزوا عليهم في حياتهم وتوخوا أن يبقى ذكرهم بسببها على تطاول الدهور وتراخي العصور ولما وصل الخليفة المأمون إلى مصر أمر بنقب الهرمين فنقب أحدهما بعد جهد شديد وعناء طويل فوجدوا داخله مراقي ومهاوي يهول أمرها ويعسر السلوك فيها ووجدوا في أعلاها بيتا مكعبا طول كل ضلع من أضلاعه نحو من ثمانية أذرع وفي وسطه حوض رخام مطبق فيه رمة بالية وقد أتت عليها العصور فكف عن نقب ما سواه وكانت النفقة على نقبه عظيمة والمؤونة شديدة ومن الناس من زعم أن هرمس الأول المدعو بالمثلث بالنبوة والملك والحكمة وهو الذي يسميه العبرانيون خنوخ وهو إدريس عليه السلام استدل من أحوال الكواكب على

الطوفان فأمر ببناء الأهرام وإيداعها ما يشفق عليه من الذهاب وقيل بانيها سورند لرؤيا رآها وهي أن آفة تنزل من السماء وهي الطوفان ويقال إنه بناها في مدة ستة أشهر وغشاها بالديباج الملون

294 وكتب عليها قد بنيناها في ستة أشهر قل لمن يأتي بعدنا يهدمها في ستمائة سنة والهدم أيسر من البنيان وكسوناها الديباج الملون فليكسها حصرا والحصر أهون من الديباج وبالجملة فالأمر فيها عجيب جدا والله أعلم

235 الربيع بن يونس أبو الفضل الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة واسمه كيسان مولى الحارث الحفار مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه كان الربيع المذكور حاجب أبي جعفر المنصور ثم وزر له بعد أبي أيوب المورياني الآتي ذكره في حرف السين إن شاء الله تعالى وكان كثير الميل إليه حسن الاعتماد عليه قال له يوما يا ربيع سل حاجتك قال حاجتي يا أمير المؤمنين أن تحب الفضل ابني فقال له ويحك إن المحبة تقع بأسباب فقال له قد أمكنك الله من إيقاع سببها قال وما ذاك قال تفضل عليه فإنك إذا فعلت ذلك أحبك وإذا أحبك أحببته قال قد والله حببته إلي قبل إيقاع السبب ولكن كيف اخترت له المحبة دون كل شيء قال لأنك إذا أحببته كبر عندك صغير إحسانه وصغر عندك كبير إساءته وكانت ذنوبه كذنوب الصبيان وحاجته إليك حاجة الشفيع العريان أشار بقوله الشفيع العريان إلى قول الفرزدق الشاعر) ليس

الشفيع الذي يأتيك متزرا * مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا
(

295 وهذا البيت من جملة أبيات في عبد الله بن الزبير بن العوام لما طلب الخلافة لنفسه واستولى على الحجاز والعراق في أيام عبد الملك بن مروان الأموي وكان قد اختصم الفرزدق وزوجته النوار فمضيا من البصرة إلى مكة ليفصل الحكم بينهما عبد الله بن الزبير فنزل الفرزدق عند حمزة بن عبد الله ونزلت النوار عند زوجة عبد الله وشفع كل واحد منهما لنزيله فقضى عبد الله للنوار وترك الفرزدق فقال الأبيات المذكورة فصار الشفيع العريان مثلا يضرب لكل من تقبل شفاعته وكان أبو جعفر إذا أراد بإنسان خيرا أمر بتسليمه إلى الربيع وإذا أراد به شرا سلمه للمسيب فكتب عامل فلسطين يذكر أن بعض أهلها وثب واستغوى جماعة وعاب في العمل فكتب إليه أبو جعفر دمك بواء بدمه إلى أن توجه به إلي فأخذه ووجه به إليه فلما دخل عليه قال أنت المتوثب على عامل أمير المؤمنين لأنثرن من لحمك أكثر ما بقي منه على عظمك فقال له بصوت ضئيل وكان شيخا كبيرا (
أتروض عرسك بعد ما هرمت * ومن العناء رياضة الهرم) فقال أبو جعفر يا ربيع ما يقول قال يقول (العبد عبدكم والمال مالكم * فهل عذابك عني اليوم مصروف) فقال قد عفوت عنه فخلى سبيله وأحسن إليه وهذا الشعر لسحيم عبد بني الحسحاس وقال له المنصور يوما ويحك

يا ربيع ما أطيب الدنيا لولا الموت فقال له ما طابت إلا بالموت قال وكيف ذاك قال لولا الموت لم تقعد هذا المقعد قال صدقت وقال له المنصور لما حضرته الوفاة يا ربيع بعنا الآخرة بنومة

296 وقال الربيع كنا يوما وقوفا على رأس المنصور وقد طرحت لولده المهدي وهو يومئذ ولي عهده وسادة إذ أقبل صالح بن المنصور وكان قد رشحه أن يوليه بعض أموره فقام بين السماطين والناس على قدر أنسابهم ومراتبهم فتكلم فأجاد فمد المنصور يده إليه وقال إلي يا بني واعتنقه ونظر إلى وجوه الناس هل فيهم من يذكر مقامه ويصف فضله فكلهم كرهوا ذلك بسبب المهدي خيفةمنه فقام شبة بن عقال التميمي فقال لله در خطيب قام عندك يا أمير المؤمنين ما أفصح لسانه وأحسن بيانه وأمضى جنانه وأبل ريقه وأسهل طريقه وكيف لا يكون كذلك وأمير المؤمنين أبوه والمهدي أخوه وهو كما قال الشاعر (هو الجواد فإن يلحق بشأوهما * على تكاليفه فمثله لحقا) (أو يسبقاه على ما كان من مهل * فمثل ما قدما من صالح سبقا) فعجب من حضر بجمعه بين المدحين وإرضائه المنصور وخلاصه من المهدي قال الربيع فقال لي المنصور لا يخرج التميمي إلا بثلاثين ألف درهم فلم يخرج إلا بها ويقال إن الربيع لم يكن له أب يعرف وإن بعض الهاشميين دخل على المنصور وجعل يحدثه ويقول كان أبي رحمه الله تعالى وكان وكان وأكثر

من الترحم عليه فقال له الربيع كم تترحم على أبيك بحضرة أمير المؤمنين فقال له الهاشمي أنت معذور يا ربيع لأنك لا تعرف مقدار الاباء فخجل منه ولما دخل أبو جعفر المنصور المدينة قال للربيع ابغني رجلا عاقلا عالما ليقفني على دورها فقد بعد عهدي بديار قومي فالتمس له الربيع فتى من أعلم الناس وأعقلهم فكان لا يبتدىء بالإخبار عن شيء حتى يسأله المنصور
فيجيبه بأحسن عبارة وأجود بيان وأوفى معنى 297
فأعجب المنصور به فأمر له بمال فتأخر عنه ودعته الضرورة إلى استنجازه فاجتاز ببيت عاتكة بنت عبد الله بن أبي سفيان الأموي فقال يا أمير المؤمنين هذا بيت عاتكة الذي يقول فيه الأحوص بن محمد الأنصارى (يا بيت عاتكة الذي أتعزل * حذر العدا وبه الفؤاد موكل) (إني لأمنحك الصدود وإنني * قسما إليك مع الصدود لأميل) ففكر المنصور في قوله وقال لم يخالف عادته بابتداء الإخبار دون الاستخبار إلا لأمر وأقبل يردد القصيدة ويتصفحها شيئا فشيئا حتى انتهى الى قوله فيها (وأراك تفعل ما تقول وبعضهم * مذق الحديث يقول مالا يفعل) فقال المنصور يا ربيع هل أوصلت إلى الرجل ما أمرنا له به قال تأخر عنه لعلة ذكرها الربيع فقال عجلة له مضاعفا وهذا ألطف تعريض من الرجل وحسن فهم من المنصور وكان يقول من كلم الملوك في الحاجات في غير أوقاتها لم يظفر ببغيته وما أشبه الحال في ذلك إلا بأوقات الصلاة

فإن الصلاة لا تقبل إلا فيها فمن أراد خطاب الملوك
فليختر لذلك الوقت المنجح الذي يصلح فيه ذكر ما أراد
ليصح النجع وإلا فلا وحكت فائقة بنت عبد الله أم عبد
الواحد بن جعفر بن سليمان قالت كنا يوما عند المهدي
أمير المؤمنين وكان قد خرج متنزها إلى الأنبار إذ
298 دخل عليه الربيع ومعه قطعة من جراب فيه
كتابة برماد وخاتم من طين قد عجن بالرماد وهو مطبوع
بخاتم الخلافة فقال يا أمير المؤمنين ما رأيت أعجب من
هذه الرقعة جائني بها رجل أعرابي وهو ينادي هذا كتاب
أمير المؤمنين دلوني على هذا الرجل الذي يسمى الربيع
فقد أمرني أن أدفعها إليه وهذه هي الرقعة فأخذها المهدي
وضحك وقال صدقت هذا خطي وهذا خاتمي أفلا أخبركم
بالقصة كيف كانت قلنا أمير المؤمنين أعلى رأيا في ذلك
فقال خرجت أمس إلى الصيد في غب سماء فلما أصبحت
هاج علينا ضباب شديد وفقدت أصحابي حتى ما رأيت
منهم أحدا وأصابني منم البرد والجوع والعطش ما الله به
أعلم وتحيرت عند ذلك فذكرت دعاء سمعته من أبي
يحكيه عن أبيه عن جده عن ابن عباس رضي الله عنهما
رفعة قال من قال إذا أصبح وإذا أمسى بسم الله وبالله ولا
حول ولا قوة إلا بالله اعتصمت بالله وتوكلت علىالله حسبي
الله لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وقي وكفي وهدي
وشفي من الحرق والغرق والهدم وميتة السوء فلما قلتها
رفع الله لي ضوء نار فقصدتها فإذا بهذا الأعرابي في

خيمة له وإذا هو يوقد نارا بين يديه فقلت له أيها الأعرابي
هل من ضيافة فقال انزل فنزلت فقال لزوجته هاتي ذلك
الشعير فأتت به فقال اطحنيه فابتدأت تطحنه فقلت له
اسقني ماء فأتى بسقاء فيه مذقة لبن أكثرها ماء فشربت
منها شربة ما شربت شيئا قط إلا وهي أطيب منه
وأعطاني حلسا له فوضعت رأسي عليه فنمت نومة ما
نمت أطيب منها وألذ ثم انتبهت فإذا هو قد وثب إلى
شويهة فذبحها وإذا امرأته تقول له ويحك قتلت نفسك
وصبيتك إنما كان معاشكم من هذه الشاة فذبحتها فبأي
شيء نعيش قال فقلت لا عليك هات الشاة فشققت جوفها
واستخرجت كبدها بسكين كانت في خفي فشرحتها ثم
طرحتها على النار وأكلتها ثم قلت له هل عندك شيء
أكتب لك فيه فجائني بهذه القطعة من جراب وأخذت عودا
من الرماد الذي بين يديه وكتبت له هذا الكتاب وختمته
بهذا الخاتم وأمرته أن يجيء ويسأل عن الربيع فيدفعها
299 إليه فإذا في الرقعة خمسمائة ألف درهم فقال
والله ما أردت إلا خمسين ألف درهم ولكن جرت
بخمسمائة ألف درهم لا أنقص والله منها درهما واحدا ولو
لم يكن في بيت المال غيرها احملوها معه فما كان إلا قليل
حتى كثرت إبله وشاؤه وصار منزلا من المنازل ينزله
الناس ممن أراد الحج وسمي منزل مضيف أمير المؤمنين
المهدي وقال أبان بن صدقة كنت أخلف الربيع على كتبه
للمنصور فدخلت يوما وعلي خز أسود جديد والمنصور

في قباء خز خلق فجعل ينظر الي فضاقت علي الدنيا
وخرج الربيع فقلت إني أخطأت خطأ عظيما وعرفته
الخبر فقال ما ذاك إلا لخير فلا يحزنك فلما كان من غد
دخلت في قباء خز خلق فقال لي المنصور أما عندك
أحسن من هذا تلبسه أمام المنصور قلت بلى ولكن رأيت
أمير المؤمنين لبس قباء خلقا وكان علي قباء جديد فضاقت
علي الأرض إذ لبست أفضل من لباسه فقال لا تفعل البس
خير ما عندك في خدمتي ليتبين الناس إحساني إليك ولا
تلبس مثل هذا فيظن بي إساءة إليك فإن الناس يعلمون أني
أقدر على أشرف اللباس وإن لم ألبس وأنت فلا يظن ذلك
بك قال فعلمت أن الربيع أعقل الناس وأعلمهم بأخبار أمير
المؤمنين وكانت وفاة الربيع في أول سنة سبعين ومائة
وقال الطبري مات الربيع في سنة تسع وستين ومائة
وقيل إن الهادي سمه وقيل مرض ثمانية أيام ومات والله
أعلم رحمه الله تعالى وإنما قيل لجده أبو فروة لأنه أدخل
المدينة وعليه فروة فاشتراه عثمان رضي الله عنه وأعتقه
وجعل يحفر القبور وكان من سبي جبل الخليل صلى الله
عليه وسلم وسيأتي ذكر ولده الفضل إن شاء الله تعالى
وقطيعة الربيع منسوبة إليه وهي محلة كبيرة مشهورة
ببغداد وإنما قيل لها قطيعة الربيع لأن المنصور أقطعه
إياها

300 236 ربعي بن حراش ربعي بن حراش بن
جحش بن عمرو بن عبد الله بن نجار بن عبد بن مالك بن

غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان العبسي الكوفي روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلي بن أبي طالب وحذيفة بن اليمان وأبي بكرة وعمران بن الحصين رضي الله عنهم حدث عنه عامر الشعبي وعبد الملك بن عمير ومنصور بن المعتمر وأبو مالك الأشجعي وغيرهم وكان ثقة وهو أخو مسعود وربيع ابني حراش ورد المدائن غير مرة في حياة حذيفة وبعده قال أبو مسلم صالح بن عبد الله العجلي حدثني أبي قال ربعي بن حراش كوفي تابعي ثقة يقال إنه لم يكذب قط وكان له ابنان عاصيان زمن الحجاج فقيل للحجاج إن أباهما لا يكذب قط ولو أرسلت إليه فسألته عنهما فأرسل إليه فقال له أين ابناك قال هما في البيت قال قد عفونا عنهما لصدقك وكان ربعي بن حراش آلى ألا تفتر أسنانه بالضحك حتى يعلم أين مصيره فما ضحك إلا بعد موته وكان أخوه ربيع بعده آلى ألا يضحك حتى يعلم أفي الجنة هو أم في النار قال الحارث الغنوي فأخبرني غاسله أنه لم يزل مبتسما على سريره ونحن نغسله حتى فرغنا منه قال سعيد بن جميل العبسي رأيت ربعي بن حراش رجلا أعور
مات سنة أربع ومائة وصلى عليه عبد الحميد 301
بن عبد الرحمن بن زيد وذلك في ولاية عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى 237 رجاء بن حيوة أبو المقدام رجاء بن حيوة بن جرول الكندي كان من العلماء وكان

يجالس عمر بن عبد العزيز ذكر أنه بات ليلة عنده فهم السراج أن يخمد فقام إليه ليصلحه فأقسم عليه عمر ليقعدن وقام هو إليه فأصلحه قال فقلت له تقوم أنت يا أمير المؤمنين فقال قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز قال وأمرني عمر بن عبد العزيز أن أشتري له ثوبا بستة دراهم فأتيته به فجسه وقال هو على ما أحب لولا أن فيه لينا قال فبكيت قال فما يبكيك قال أتيتك وأنت أمير بثوب بستمائة درهم فجسسته وقلت هو على ما أحب لولا أن فيه خشونة وأتيتك وأنت أمير المؤمنين بثوب بستة دراهم فجسسته وقلت هو على ما أحب لولا أن فيه لينا فقال يا رجاء إن لي نفسا تواقة تاقت إلى فاطمة بنت عبد الملك فتزوجتها وتاقت إلى الإمارة فوليتها وتاقت إلى الخلافة فأدركتها وقد تاقت إلي الجنة فأرجو أن أدركها إن شاء الله عز وجل

302 وقال قومت ثياب عمر بن عبد العزيز وهو يخطب باثني عشر درهما وكانت قباء وعمامة وقميصا وسراويل ورداء وخفين وقلنسوة وله معه أخبار وحكايات وكان يوما عند عبد الملك بن مروان وقد ذكر عنده شخص بسوء فقال عبد الملك والله لئن أمكنني الله منه لأفعلن به ولأصنعن فلما أمكنه الله منه هم بإيقاع الفعل به فقام إليه رجاء بن حيوة المذكور فقال يا أمير المؤمنين قد صنع الله لك ما أحببت فاصنع ما يحب الله من العفو فعفا عنه وأحسن إليه ولما حضر أيوب بن سليمان بن عبد

الملك الوفاة وكان ولي عهد أبيه دخل عليه أبوه وهو يجود بنفسه ومعه عمربن عبد العزيز وسعيد بن عقبة ورجاء بن حيوة فجعل سليمان ينظر في وجه أيوب فخنقته العبرة ثم قال إنه ما يملك العبد نفسه أن يسبق إلى قلبه الوجد عند المصيبة والناس في ذلك أصناف فمنهم المحتسب ومنهم من يغلب صبره جزعه فذلك الجلد الحازم ومنهم من يغلب جزعه صبره فذلك المغلوب الضعيف وإني أجد في قلبي لوعة إن أنا لم أبردها خفت أن تنصدع كبدي كمدا فقال له عمر يا أمير المؤمنين الصبر أولى بك فلا يحبطن أجرك وقال سعيد بن عقبة فنظر إلى وإلى رجاء بن حيوة نظر مستغيث يرجو أن نساعده على ما أدركه من البكاء فأما أنا فكرهت أن آمره أو أنهاه وأما رجاء فقال يا أمير المؤمنين إني لا أرى بذلك بأسا ما لم يأت الأمر المفرط وإني قد بلغني أن النبي لما مات ابنه إبراهيم دمعت عيناه فقال تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي الرب وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون فبكى سليمان حتى اشتد بكاؤه فظننا أن نياط قلبه قد انقطع فقال عمر بن عبد العزيز لرجاء بن حيوة بئس ماصنعت بأمير المؤمنين فقال دعه يا أبا حفص يقضي من بكائه وطرا فإنه لو لم يخرج من صدره ما ترى خفت أن يأتي عليه ثم أمسك عن البكاء ودعا بماء فغسل وجهه وقضى الفتى فأمر بجهازه وخرج يمشي أمام جنازته فلما دفن وقف ينظر

303 إلى قبره ثم قال (وقفت على قبر مقيم بقفرة *
متاع قليل من حبيب مفارق) ثم قال السلام عليك يا أيوب
وقال (كنت لنا أنسا ففارقتنا * فالعيش من بعدك مر
المذاق) ثم قال يا غلام أدن دابتي مني فركب وعطف
دابته إلى القبر وقال (فإن صبرت فلم ألفظك من شبع *
وإن جزعت فعلق منفس ذهبا) فقال عمر بل الصبر
أقرب إلى الله عز وجل قال صدقت وانصرف وكانت
وفاته سنة اثنتي عشرة ومائة وكان رأسه أحمر ولحيته
بيضاء رحمه الله تعالى وحيوة بفتح الحاء المهملة وسكون
الياء المثناة من تحتها وفتح الواو وبعدها هاء ساكنة 238
رؤبة بن العجاج أبو محمد رؤبة بن العجاج والعجاج
لقب واسمه أبو الشعثاء عبد الله ابن رؤبة البصري
التميمي السعدي وهو وأبوه راجزان مشهوران كل منهما
304 له ديوان رجز ليس فيه شعر سوى الأراجيز
وهما مجيدان في رجزهما وكان بصيرا باللغة قيما
بحوشيها وغريبها حكى يونس بن حبيب النحوي قال كنت
عند أبي عمرو ابن العلاء فجاءه شبيل بن عزرة الضبعي
فقام إليه أبو عمرو وألقى إليه لبد بغلته فجلس عليه ثم أقبل
عليه يحدثه فقال شبيل يا أبا عمرو سألت رؤبتكم عن
اشتقاق اسمه فما عرفه يعني رؤبة قال يونس فلم أملك
نفسي عند ذكره فقلت له لعلك تظن أن معد بن عدنان
أفصح منه ومن أبيه أفتعرف أنت ما الروبة والروبة
والروبة والروبة والرؤبة وأنا غلام رؤبة فلم يحر جوابا

وقام مغضبا فأقبل علي أبو عمرو وقال هذا رجل شريف
يقصد مجالستنا ويقضي حقوقنا وقد أسأت فيما فعلت مما
واجهته به فقلت لم أملك نفسي عند ذكر رؤبة فقال أبو
عمرو أو قد سلطت على تقويم الناس ثم فسر يونس ما
قاله فقال الروبة خميرة اللبن والروبة قطعة من الليل
والروبة الحاجة يقال فلان لا يقوم بروبة أهله أي بما
أسندوا إليه من حوائجهم والروبة جمام ماء الفحل والرؤبة
بالهمزة القطعة التي يشعب بها الإناء والجميع بسكون
الواو وضم الراء التي قبلها إلا رؤبة فإنها بالهمز وكان
رؤبة يأكل الفأر فعوتب في ذلك فقال هي أنظف من
دواجنكم ودجاجكم اللائي يأكلن العذرة و هل يأكل الفأر إلا
نقي البر أو لباب الطعام ولما مات قال الخليل دفنا الشعر
واللغة والفصاحة وكان رؤبة مقيما بالبصرة فلما ظهر بها
إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي
طالب كرم الله وجهه وخرج على أبي جعفر المنصور
وجرت الواقعة المشهورة خاف رؤبة على نفسه وخرج
إلى البادية ليتجنب الفتنة
305 فلما وصل إلى الناحية التي قصدها أدركه أجله
بها فتوفي هناك سنة خمس وأربعين ومائة وكان قد أسن
رحمه الله تعالى ورؤبة بضم الراء وسكون الهمزة وفتح
الباء الموحدة وبعدها هاء ساكنه وهي في الأصل اسم
لقطعة من الخشب يشعب بها الإناء وجمعها رئاب
وباسمها سمي الراجز المذكور 239 روح بن حاتم أبو

حاتم روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي وسيأتي تمام النسب عند ذكر جده المهلب في حرف الميم إن شاء الله تعالى كان روح المذكور من الكرماء الأجواد وولي لخمسة من الخلفاء أبي العباس السفاح والمنصور والمهدي والهادي والرشيد ويقال إنه لم يتفق مثل هذا إلا لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه فإنه ولي لرسول الله ولأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وكان روح واليا على السند ولاه إياها المهدي بن أبي جعفر المنصور في سنة تسع وخمسين ومائة وكان قد ولاه في أول خلافته الكوفة وقيل إنه ولي السند سنة ستين ومائة ثم عزله عن السند سنة إحدى وستين ومائة ثم ولاه البصرة

306 وكان يزيد أخو روح واليا على إفريقية فلما توفي يزيد يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة سبعين ومائة بإفريقية في مدينة القيروان ودفن بباب سلم وكان أقام واليا عليها خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر قال أهل إفريقية ما أبعد ما يكون بين قبري هذين الأخوين فإن أخاه بالسند وهذا هاهنا فاتفق أن الرشيد عزل روحا عن السند وسيره إلى موضع أخيه يزيد فدخل إلى إفريقية أول رجب سنة إحدى وسبعين ومائة ولم يزل واليا عليه إلى أن توفي بها لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة أربع وسبعين ومائة ودفن في قبر أخيه يزيد فعجب الناس من هذا الاتفاق بعد ذلك التباعد رحمهما

الله تعالى 40 ويزيد المذكور هو الذي قصده ربيعة بن ثابت الأسدي الرقي فأحسن إليه وكان ربيعة مدح يزيد بن أسيد السلمي فقصر يزيد في حقه فمدح يزيد بن حاتم وهجا يزيد السلمي بقصيدته الميمية التي يقول من جملتها (لشتان ما بين اليزيدين في الندى * يزيد سليم والأغر ابن حاتم) (فهم الفتى الأزدي إتلاف ماله * وهم الفتى القيسي جمع الدراهم) (فلا يحسب التمتام أني هجوته * ولكنني فضلت أهل المكارم) ومنها (فيا ابن أسيد لا تسام ابن حاتم * فتقرع إن ساميته سن نادم) (هو البحر إن كلفت نفسك خوضه * تهالكت في آذيه المتلاطم) (تمنيت مجدا في سليم سفاهة * أماني خال أو أماني حالم) (ألا إنما آل المهلب غرة * وفي الحرب قادات لكم بالخزائم)

307 وهي طويلة ويكفي منها هذا القدر وكان قد قصر في حقه أولا فعمل ربيعة أبياتا من جملتها (أراني ولا كفران لله راجعا * بخفي حنين من نوال ابن حاتم) فعاد فعطف عليه وبالغ في الإحسان إليه ويزيد المذكور جد الوزير أبي محمد المهلبي فينظر في ترجمته

308 @308@

309 & حرف الزاى &

310 @310@

311 240 الزبير بن بكار أبو عبد الله الزبير بن بكر بن بكار وكنيته أبو بكر بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي الزبيري كان من أعيان العلماء وتولى القضاء بمكة حرسها الله تعالى وصنف الكتب النافعة منها كتاب أنساب قريش وقد جمع فيه شيئا كثيرا وعليه اعتماد الناس في معرفة نسب القرشيين وله غيره مصنفات دلت على فضله واطلاعه روى عن ابن عيينة ومن في طبقته وروى عنه ابن ماجه القزويني وابن أبي الدنيا وغيرهما ولقي الزبير بن بكار اسحاق بن ابراهيم الموصلي فقال يا أبا عبد الله عملت كتابا سميته كتاب النسب وهو كتاب الأخبار قال وأنت يا أبا محمد أيدك الله عملت كتابا سميته كتاب الأغاني وهو كتاب المعاني قال جحظة كنت بحضرة الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر فاستأذن الزبير بن بكار حين جاء من الحجاز فدخل فأكرمه وعظمه وقال له إن باعدت بيننا الأنساب لقد قربت بيننا الآداب وإن أمير المؤمنين اختارك لتأديب ولده وأمر لك بعشرة آلاف درهم وعشرة تخوت ثياب وعشرة أبغل تحمل عليها رحلك إلى حضرة سر من رأى فشكر ذلك وقبله فلما

312 ودعه قال للشيخ أرونا حديثا نذكرك به قال أحدثك بما سمعت أو بما شاهدت قال بل بما شاهدت قال بينا أنا في مسيري هذا بين مسجدين إذ بصرت بحبالة منصوبة فيها ظبي ميت وبإزائها رجل في نعشه ميت

وامرأة حسرى تسعى وتقول (أمست فتاة بني نهد علانية
* وبعلها في أكف الموت يبتذل) (وكنت راغبة فيه
أضن به * فحال من دون ظبي الريمة الأجل) ثم خرج
فقال محمد بن عبد الله بن طاهر أي شيء أفدنا من هذا
الشيخ قلنا الأمير أعلم فقال قوله أمست فتاة بني نهد علانية
أي ظاهرة وهذا حرف لم أسمعه في كلام العرب قبل هذا
قال الزبير بن بكار قالت ابنة أختي لأهلنا خالي خير رجل
لأهله لا يتخذ ضرة ولا يشتري جارية فقالت المرأة لهذه
الكتب أشد علي من ثلاث ضرائر وأصعب وتوفي بمكة
وهو قاض عليها ليلة الأحد لسبع وقيل لتسع ليال بقين من
ذي القعدة سنة ست وخمسين ومائتين وعمره أربع
وثمانون سنة رحمه الله تعالى وتوفي والده سنة خمس
وتسعين ومائة رحمه الله تعالى
313 241 أبو عبد الله الزبيري أبو عبد الله الزبير
بن أحمد بن سليمان بن عبد الله بن عاصم بن المنذر بن
الزبير بن العوام الفقيه الشافعي المعروف بالزبيري
البصري كان إمام أهل البصرة في عصره ومدرسها
حافظا للمذهب مع حظ من الأدب وقدم بغداد وحدث بها
عنداود بن سليمان المؤدب ومحمد بن سنان القزاز
وإبراهيم بن الوليد ونحوهم وروى عنه النقاش صاحب
التفسير وعمر بن بشران السكري وعلي بن هارون
السمسار ونحوهم3&& وكان ثقة صحيح الرواية وكان
أعمى وله مصنفات كثيرة منها الكافي في الفقه وكتاب

النية وكتاب ستر العورة وكتاب الهداية وكتاب الاستشارة والاستخارة وكتاب رياضة المتعلم وكتاب الإمارة وغير ذلك وله في المذهب وجوه غريبة وتوفي قبل العشرين وثلثمائة رحمه الله تعالى

314 242 زبيدة أم الأمين أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم وهي أم الأمين محمد بن هارون الرشيد كان لها معروف كثير وفعل خير وقصتها في حجها وما اعتمدته في طريقها مشهورة فلا حاجة إلى شرحها قال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب الألقاب إنها سقت أهل مكة الماء بعد أن كانت الراوية عندهم بدينار وإنها أسالت الماء عشرة أميال بحط الجبال ونحوت الصخر حتى غلغلته من الحل إلىالحرم وعملت عقبة البستان فقال لها وكيلها يلزمك نفقة كثيرة فقالت أعملها ولو كانت ضربة فأس بدينار فبلغت النفقة عليه ألف ألف وسبعمائة ألف دينار قال اسماعيل بن جعفر بن سليمان حجت أم جعفر زبيدة فبلغت نفقتها في ستين يوما أربعة وخمسين ألف ألف ولها آثار كثيرة في طريق مكة والمدينة على ساكنها أفضل من مصانع وبرك أحدثتها وإنه كان لها مائة جارية يحفظن القرآن ولكل واحدة ورد عشر القرآن وكان يسمع في قصرها كدوي النحل من قراءة القرآن وإن اسمها أمة العزيز ولقبها جدها أبو المنصور زبيدة لبضاضتها ونضارتها قال الطبري

في تاريخه أعرس بها هارون الرشيد في ذي الحجة في سنة 165 في قصره المعروف بالخلد وحشد الناس من الآفاق وفرق فيهم الأموال ولم
315 ير في الاسلام مثله وبلغت النفقة في هذا الغرض من بيت مال الخاصة خارجة سوى ما أنفقه هارون من ماله خمسين ألف ألف درهم وليس في بني هاشم هاشمية ولدت خليفة إلا هي وحكي أنها أحضرت الأصمعي وقالت له إن أمير المؤمنين استدعاني وقال هلمي يا أم نهر فما معنى ذلك فقال لها إن جعفرا في اللغة هو النهر الصغير وأنت أم جعفر وحضر شاعر بابها وأنشد (أزبيدة ابنة جعفر طوبى لزائرك المثاب) (تعطين من رجليك ما * تعطي الأكف من الرغاب) فتبادر الخدم إليه ليوقعوا به على سوء أدبه وعبارته فقالت دعوه فإن من أراد خيرا فأخطأ خير ممن أراد شرا فأصاب سمع الناس يقولون شمالك اندى من يمين غيرك فقدر أن هذا مثل ذلك أعطوه ما أمل وعرفوه ما جهل ووقع بين الرشيد وبين زبيدة شر فتهاجرا فعمل داود بن رزين مولى عبد القيس شعرا وهو (زمن طيب ويوم مطير * هذه روضة وهذا غدير) (إنما أم جعفر جنة الخلد * رضاها والسخط منهاالسعير) (أنت عبد لها ومولى لهذا الخلق * طرا وليس في ذا نكير) (فاعتذر يا خليفة الله في الأرض * إليها وترك ذاك كبير) فصار إليها عندما وقف على الأبيات وسألت عن سبب مجيئه

فعرفت وأوصلت إلى داود مائة ألف درهم في وقتها
وأضعافها بعد ذلك ولما ولدت ابنة جعفر محمدا قال
مروان بن أبي حفصة (لله درك يا عقيلة جعفر * ماذا
ولدت من الندى والسؤدد) (إن الخلافة قد تبين نورها *
للناظرين على جبين محمد)
316 (إني لأعلم أنه لخليفة * إن بيعة عقدت وإن
لم تعقد) فأمر له هارون بثلاثة آلاف دينار وأمرت زبيدة
أن يحشى فوه جوهرا فكانت قيمته عشرة آلاف دينار
وقالت زبيدة للمأمون عند دخوله بغداد أهنيك بخلافة قد
هنأت نفسي بها عنك قبل أن أراك وان كنت قد فقدت ابنا
خليفة لقد عوضت ابنا خليفة لم ألده وما خسر من اعتاض
مثلك ولا ثكلت أم ملأت يدها منك وأنا أسأل الله أجرا على
ما أخذ وإمتاعا بما عوض وقيل إن زبيدة أرسلت إلى أبي
العتاهية أن يقول على لسانها أبياتا يستعطف بها المأمون
فأرسل هذه الأبيات (ألا إن صرف الدهر يدني ويبعد *
ويمتع بالألاف طراً ويفقد) (أصابت بريب الدهر مني
يدي * فسلمت للأقدار والله أحمد) (وقلت لريب الدهر
إن هلكت يد فقد بقيت والحمد لله لي يد) (إذا بقي
المأمون لي فالرشيد لي * ولي جعفر لم يفقدا ومحمد)
فسيرتها له فلما قرأها المأمون استحسنها وسأل عن قائلها
فقيل له أبو العتاهية فأمر له بعشرة آلاف درهم وعطف
على زبيدة وزاد في تكرمتها والبر بها اختلف الرشيد وأم
جعفر في اللوزينج والفالوذج أيهما أطيب فمالت زبيدة إلى

تفضيل الفالوذج ومال الرشيد إلى تفضيل اللوزينج وتخاطرا على مائة دينار فأحضرا أبا يوسف القاضي وقالا له يا يعقوب قد اختلفنا في كذا على كذا وكذا فاحكم فيه فقال ياأمير المؤمنين ما يحكم على غائب وهو مذهب أبي حنيفة فأحضر له جامين من المذكورين فطفق يأكل من هذا مرة ومن هذا مرة وتحقق أنه إن حكم للرشيد لم يأمن غضب زبيدة وإن حكم لها لم يأمن غضب الرشيد فلم يزل في الأكل إلى أن نصف الجامين فقال له الرشيد ايه أبا يوسف فقال يا أمير المؤمنين ما رأيت خصمين أجدل منهما كلما أردت

317 ان اسجل لأحدهما أدلى الآخر بحجته وقد حرت بينهما فضحك الرشيد وأعطاه المائة دينار وانصرف مشكورا ومن عجائب التنجيم أن زبيدة فقدت خاتما بفص له قيمة وأنها اتهمت به بعض جواريها فأحضرت رجلا من أهل الصناعة فأخذ الطالع على تلك المصانع وقال ما أخذ هذا الخاتم إلا الله تعالى وردد القول ولم يرجع عنه فبعد مدة فتحت زبيدة المصحف فوجدت الخاتم فيه وكانت قد جعلته علامة للوقف وأنسيته وكانت وفاتها في سنة ست عشرة ومائتين في جمادى الأولى ببغداد وتوفي أبوها جعفر بن المنصور في سنة ست وثمانين ومائة ورآها عبد الله بن المبارك الزمن في المنام فقال لها ما فعل الله بك قالت غفر لي الله بأول معول ضرب في طريق مكة قال قلت ما هذه الصفرة في وجهك

قالت دفن بين ظهرانينا رجل يقال له بشر المريسي
فزفرت جهنم عليه زفرة فاقشعر لها جسدي فهذه الصفرة
من تلك الزفرة رحمها الله تعالى 243 زفر بن الهذيل
الحنفي أبو الهذيل زفر بن الهذيل بن قيس بن سليم بن
قيس بن مكمل بن ذهل بن ذؤيب بن جذيمة بن عمرو بن
منجور بن جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم بن مر
318 ابن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار
بن معد بن عدنان العنبري الفقيه الحنفي كان قد جمع بين
العلم والعبادة وكان من أصحاب الحديث ثم غلب عليه
الرأي وهو قياس أصحاب أبي حنيفة رضي الله عنه وكان
أبوه الهذيل على أصبهان حكى المعافى بن زكريا في
كتاب الجليس والأنيس عن عبد الرحمن ابن مغراء قال
جاء رجل إلى أبي حنيفة فقال إني شربت البارحة نبيذا ولا
أدري أطلقت امرأتي أم لا قال المرأة امرأتك حتى تستيقن
أنك طلقتها ثم أتى سفيان الثوري فقال يا أبا عبد الله إني
شربت البارحة نبيذا ولا أدري طلقت امرأتي أم لا قال
اذهب فراجعها فإن كنت طلقتها فقد راجعتها وإن لم تكن
طلقتها فلم تضرك المراجعة شيئا ثم أتى شريك بن عبد
الله فقال يا أبا عبد الله إني شربت البارحة نبيذا ولا أدري
طلقت امرأتي أم لا قال اذهب فطلقها ثم راجعها ثم أتى
زفر بن الهذيل فقال يا أبا الهذيل إني شربت البارحة نبيذا
ولا أدري طلقت امرأتي أم لا قال هل سألت غيري قال أبا
حنيفة قال فما قال لك قال المرأة امرأتك حتى تستيقن

أنك قد طلقتها قال هو الصواب قال فهل سألت غيره قال
الثوري قال فما قال لك قال اذهب فراجعها فإن كنت
طلقتها فقد راجعتها وإن لم تكن طلقتها فلم تضرك
المراحعة شيئا قال ما أحسن ما قال لك فهل سألت غيره
قال شريك بن عبد الله قال فما قال لك قال اذهب فطلقها ثم
راجعها قال فضحك زفر وقال لأضربن لك مثلا رجل مر
بمثعب سيل فأصاب ثوبه قال لك أبو حنيفة ثوبك طاهر
وصلاتك مجزئة حتى تستيقن أمر الماء وقال لك سفيان
اغسله فإن يك نجسا فقد طهر وإن يك طاهرا زاده نظافة
وقال لك شريك اذهب فبل عليه ثم اغسله قال المعافى وقد
أحسن زفر في فصله بين هؤلاء الثلاثة فيما أفتوا به في
هذه المسألة وفيما ضربه لسائله من الأمثلة فأما قول أبي
حنيفة فهو محض النظر وأمر الحق ولا يجوز أن يحكم
على امرىء في زوجته بطلاقها بعد صحة زوجيتها بظن
عرض له وهو أبعد عند ذوي
319 الأفهام من أضغاث الأحلام وأما قول سفيان
الثوري فإنه أشار بالاستظهار والتوثقة والأخذ بالحزم
والحيطة وهذه طريقة أهل الورع وذوي الاستقصاء
والمشفقين على نفوسهم من أهل الدين وفتيا أبي حنيفة في
هذا عين الحق وجل الفقه وأي هاتين المحجتين سلك من
نزلت به هذه النازلة وعرضت له هذه الحادثة فهو مصيب
محسن على ما بينا فيهما من الفصل بين المنزلتين وأما ما
أفتى به شريك فتعجب زفر منه واقع في موضعه ولا وجه

في الصحة لما أشار به وقد أصاب زفر أيضا في الوجه الذي ضربه له وأرى شريكا توهم أن الرجعة لا تحقق إلا مع تحقق الطلاق فأمر باستئناف تطليقة لتصح الرجعة بعدها وهذا مختل فاسد ولو كان كما يرى أنه توهمه لما أثرت الرجعة إلا في التطليقة التي أوقعها وتيقنها دون التي أشفق من تقدمها وهو على غير يقين منها ولو ان رجلا وكل رجلا في طلاق زوجته ثم غاب الوكيل فأشفق من تطليقه إياها عليه فأشهد على رجعتها وهو غير عالم بوقوعها ثم تبين أنها وقعت قبل مراجعته لصحت رجعته وكذلك لو كتب إلى زوجته بطلاقها إذا وصل إليها كتابه ثم أشهد على الرجعة بعد الوصول وقبل انقضاء العدة لكانت المراجعة صحيحة لوقتها بعد الطلاق الذي لم يكن عالما به ومولده سنة عشر ومائة وتوفي في شعبان سنة ثمان وخمسين ومائة رحمه الله تعالى وزفر بضم الزاي وفتح الفاء وبعدها راء والهذيل بضم الهاء وفتح الذال المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام

320 244 أبو دلامة أبو دلامة زند بن الجون كان صاحب نوادر وحكايات وأدب ونظم وذكر الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب تنوير الغبش أنه كان أسود عبدا حبشيا مولى لبنى أسد وكان أبوه عبدا لرجل منهم يقال له قصاقص فأعتقه أدرك أبو دلامة آخر بني أمية ولم يكن له نباهة في أيامهم ونبغ في أيام بني العباس فانقطع إلى السفاح والمنصور والمهدي وكانوا يقدمونه

ويفضلونه ويستطيبون نوادره ومدح المنصور وذكر قتله
أبا مسلم من جملة قصيدة فقال فيها (أبا مسلم خوفتني
القتل فانتحى * عليك بما خوفتني الأسد الورد) (أبا
مسلم ما غير الله نعمة * على عبده حتى يغيرها العبد)
وأنشدها المنصور في ملإٍ من الناس فقال له احتكم فقال له
عشرة آلاف درهم فأمر له بها فلما خلا به قال أما والله لو
تعديتها لقتلتك وقد قيل إنه بقي إلى خلافة الرشيد ولا
يثبت وكان مطبوعا كثير النوادر وقال محمد بن زياد
سمعت ثعلبا يقول لما ماتت حمادة بنت عيسى ابنة عم أبي
جعفر فحضر جنازتها وجلس لدفنها وهو متألم لفقدها
كئيب عليها وهي زوجته فأقبل أبو دلامة وجلس قريبا منه
فقال له المنصور ويحك ما
321 أعددت لهذا المكان وأشار إلى القبر فقال ابنة
عم أمير المؤمنين فضحك المنصور حتى استلقى ثم قال له
ويحك فضحتنا بين الناس وأمر المهدي أبا دلامة
بالخروج نحو عبد الله بن علي فقال أبو دلامة أنشدك الله يا
أميرالمؤمنين أن لا تحضرني شيئا من عساكرك فإني
شهدت تسعة عساكر انهزمت كلها وأخاف أن يكون
عسكرك العاشر فضحك منه وأعفاه قال أبو العيناء بلغنا
عن أبي دلامة أنه دخل على المهدي فأنشده قصيدة فقال له
سلني حاجتك فقال يا أمير المؤمنين هب لي كلبا فغضب
المؤمنين الحاجة لي أم لك قال بل لك قال فإني أسألك أن
تهب لي كلب صيد فأمير له بكلب فقال يا أمير المؤمنين

هبني خرجت إلى الصيد أفأعدو على رجلي فأمر له بدابة فقال يا أمير المؤمنين من يقوم عليها فأمر له بغلام فقال يا أمير المؤمنين هبني صدت صيدا وأتيت به المنزل فمن يطبخه فأمر له بجارية فقال ياأمير المؤمنين قد صيرت في عنقي كفاء من عيال فمن أين لي ما يقوت هؤلاء قال قد أقطعتك ألف جريب عامرا وألف جريب غامرا قال أما العامر فقد عرفت فما الغامر قال الخراب الذي لا شيء فيه قال أنا أقطع أمير المؤمنين مائة ألف جريب بالبدو ولكني أسأل أمير المؤمنين من ألف جريب جريبا واحدا عامرا قال من أين قال من بيت المال فقال المهدي حولوا المال وأعطوه جريبا قال يا أمير المؤمنين إذا حول منه المال صار غامرا فضحك منه قال فهل بقيت لك حاجة قال نعم تأذن لي أن أقبل يدك فقال ما لك إلى ذلك سبيل قال والله ما رددتني عن حاجة أهون علي فقدا منها واتفق أن أبا دلامة تأخر عن الحضور بباب أبي جعفر أياما ثم حضر فأمر

322 بإلزامه القصر وألزمه بالصلاة في مسجده ووكل به من يلاحظه في ذلك فمر به أبو أيوب المورياني وهو إذ ذاك وزير أبي جعفر فقام إليه أبو دلامة ودفع رقعة مختومة وقال هذه ظلامة لأمير المؤمنين فأوصلها أعزك الله إليه بخاتمها فأخذها أبو أيوب فلما دخل على أبي جعفر أوصلها إليه فقرأها فإذا فيها (ألم تعلموا أن الخليفة لزني * بمسجده والقصر ما لي وللقصر) (أصلي به

الأولى مع العصر دائما * فويلي من الأولى وويلي من
العصر) (ووالله مالي نية في صلاتهم * ولا البر
والإحسان والخير من أمري) (وما ضره والله يصلح
أمره * لو أن ذنوب العالمين على ظهري) فضحك
المنصور وأمر بإحضاره فلما حضر قال هذه قصتك قال
دفعت إلى أبي أيوب رقعة مختومة أسأل فيها إعفائي من
لزوم الذي أمرني بلزومه فقال له أبو جعفر اقرأها قال ما
أحسن أن أقرأ وعلم أنه إن أقر بكتابته لها يحده بذكره
الصلاة وتعريضه بها فلما رآه يحيد من ذلك قال له يا
خبيث أما لو أقررت لضربتك الحد ثم قال لقد أعفيتك من
لزوم المسجد فقال أبو دلامة أو كنت ضاربي يا أمير
المؤمنين لو أقررت قال نعم قال مع قول الله عز وجل (^
يقولون ما لا يفعلون) (الشعراء 226) فضحك منه
وأعجب من انتزاعه ووصله وذكر ابن شبة في كتاب
أخبار البصرة أن أبا دلامة كتب إلى سعيد بن دعلج وكان
يومئذ يتولى الأحداث بالبصرة وأرسلها إليه من بغداد مع
ابن عم له (إذا جئت الأمير فقل سلام * عليك ورحمة الله
الرحيم) (وأما بعد ذاك فلي غريم * من الأعراب قبح
من غريم) (له ألف علي ونصف أخرى * ونصف
النصف في صك قديم) (دراهم ما انتفعت بها ولكن *
وصلت بها شيوخ بني تميم) فسير له ابن دعلج ما طلب
323 وكان روح بن حاتم المهلبي واليا على
البصرة فخرج إلى حرب الجيوش الخراسانية ومعه أبو

دلامة فخرج من منصف العدو مبارز فخرج إليه جماعة فقلتهم فتقدم روح إلى أبي دلامة بمبارزته فامتنع فألزمه فاستعفاه فلم يعفه فأنشد أبو دلامة (إني أعوذ بروح أن يقدمني * إلى القتال فيخزى بي بنو أسد) (إن المهلب حب الموت أورثكم * ولم أرث أنا حب الموت من أحد) (إن الدنو إلى الأعداء أعلمه * مما يفرق بين الروح والجسد) فأقسم عليه ليخرجن وقال لماذا تأخذ رزق السلطان قال لأقاتل عنه قال فمالك لا تبرز إلى عدو الله فقال أيها الأمير إن خرجت إليه لحقت بمن مضى وما الشرط أن أقتل عن السلطان بل أقاتل عنه فحلف روح لتخرجن إليه فتقتله أو تأسره أو تقتل دون ذلك فلما رأى أبو دلامة الجد منه قال أيها الأمير تعلم أن هذا أول يوم من أيام الآخرة ولا بد فيه من الزوادة فأمر له بذلك فأخذ رغيفا مطويا على دجاجة ولحم وسطيحة من شراب وشيئا من نقل وشهر سيفا وحمل وكان تحته فرس جواد فأقبل يجول ويلعب بالرمح وكان مليحا في الميدان والفارس يلاحظه ويطلب منه غرة حتى إذا وجدها حمل عليه والغبار كالليل فأغمد أبو دلامة سيفه وقال للرجل لا تعجل واسمع مني عافاك الله كلمات ألقيهن إليك فإنما أتيتك في مهم فوقف مقابله وقال ما المهم قال أتعرفني قال لا قال أنا أبو دلامة قال قد سمعت بك حياك الله فكيف برزت إلي وطمعت في بعد من قتلت من أصحابك فقال ما خرجت لأقتلك ولا لأقاتلك ولكني رأيت لباقتك وشهامتك فاشتهيت

أن تكون لي صديقا وإني لأدلك على ما هو أحسن من قتالنا قال قل على بركة الله تعالى قال أراك قد تعبت وأنت بغير شك سغبان ظمآن قال كذلك

324 هو قال فما علينا من خراسان والعراق إن معي خبزا ولحما وشرابا ونقلا كما يتمنى المتمني وهذا غدير ماء نمير بالقرب منا فهلم بنا إليه نصطبح وأترنم لك بشيء من حداء الأعراب فقال هذا غاية أملي فقال ها أنا أستطرد لك فاتبعني حتى نخرج من حلق الطعان ففعلا وروح يتطلب أبا دلامة فلا يجده والخراسانية تطلب فارسها فلا تجده فلما طابت نفس الخراساني قال له أبو دلامة إن روحا كما علمت من أبناء الكرام وحسبك بابن المهلب جوادا وإنه يبذل لك خلعة فاخرة وفرسا جوادا ومركبا مفضضا وسيفا محلى ورمحا طويلا وجارية بربرية وينزلك في أكثر العطاء وهذا خاتمه معي لك بذلك قال ويحك وما أصنع بأهلي وعيالي فقال استخر الله وسر معي ودع أهلك فالكل يخلف عليك فقال سر بنا على بركة الله فسارا حتى قدما من وراء العسكر فهجما على روح فقال يا أبا دلامة أين كنت قال في حاجتك أما قتل الرجل فما أطقته وأما سفك دمي فما طبت به نفسا وأما الرجوع خائبا فلم أقدم عليه وقد تلطفت وأتيتك به أسير كرمك وقد بذلت له عنك كيت وكيت فقال ممضى إذا وثق لي قال بماذا قال بنقل أهله قال الرجل أهلي على بعد ولا يمكنني نقلهم الآن ولكن امدد يدك أصافحك وأحلف لك متبرعا

بطلاق الزوجة أني لا أخونك فإن لم أف إذا حلفت بطلاقها
لم ينفعك نقلها قال صدقت فحلف له وعاهده ووفى له بما
ضمنه أبو دلامة وزاد عليه وانقلب معهم الخراساني يقاتل
الخراسانية وتبكي فيهم أشد نكاية وكان أكبر أسباب ظفر
روح وكان المنصور قد أمر بهدم دور كثيرة وكان من
جملتها دار أبي دلامة فكتب إلى المنصور (يابن عم
النبي دعوة شيخ * قد دنا هدم داره وبواره) (فهو مال
ماخض التي اعتادها الطلق * فقرت ومايقر قراره)
325 (لكم الأرض كلها فأعيروا * عبدكم ما
احتوى عليه جداره) فأمر له بدار عوضا عنها ولما قدم
المهدي بن المنصور من الري إلى بغداد دخل عليه أبو
دلامة للتسليم والتهنئة بقدومه فأقبل عليه المهدي وقال له
كيف أنت يا أبا دلامة فقال يا أمير المؤمنين (إني حلفت
لئن رأيتك سالما * بقرى العراق وأنت ذو وفر) (
لتصلين على النبي محمد * ولتملأن دراهما حجري)
فقال المهدي أما الأولى فنعم وأما الثانية فلا فقال جعلني
الله فداك إنهما كلمتان لا يفرق بينهما فقال يملأ حجر أبي
دلامة دراهم فقعد وبسط حجره فملىء دراهم فقال له قم
الآن يا أبا دلامة فقال ينخرق قميصي يا أمير المؤمنين
حتى أشيل الدراهم وأقوم فردها إلى الأكياس ثم قام فدعا
له وخرج بها وله أشعار كثيرة وذكره ابن المنجم في كتاب
البارع في اختيار شعر المحدثين ومن أخباره أنه مرض
ولده فاستدعى طبيبا ليداويه وشرط له جعلا معلوما فلما

برىء قال له والله ما عندنا شيء نعطيك ولكن ادع علىفلان اليهودي وكان ذا مال كثير بمقدار الجعل وأنا وولدي نشهد لك بذلك فمضى الطبيب إلى القاضي بالكوفة وكان يومئذ محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وقيل عبد الله بن شبرمة وحمل إليه اليهودي المذكور وادعى عليه بذلك المبلغ فأنكر اليهودي فقال لي بينة وخرج لإحضارها فأحضر أبا دلامة وولده فدخلا إلى المجلس وخاف أبو دلامة أن يطالبه القاضي بالتزكية فأنشد في الدهليز قبل دخوله بحيث يسمع القاضي (إن الناس غطوني تغطيت عنهم * وإن بحثوا عني ففيهم مباحث)
326 (وإن نبثوا بئري نبثت بئارهم * ليعلم قوم كيف تلك النبائث) ثم حضرا بين يدي القاضي وأديا الشهادة فقال له كلامك مسموع وشهادتك مقبولة ثم غرم المبلغ من عنده وأطلق اليهودي وما أمكنه أن يرد شهادتهما خوفا من لسانه فجمع بين المصلحتين وتحمل الغرم من ماله قال العتابي خرج المهدي وعلي بن سليمان إلىالصيد ومعهما ابو دلامة فرمى المهدي ظبيا فأصابه ورمى علي بن سليمان ظبيا فأخطأه وأصاب كلبا فضحك المهدي وقال يا أبا دلامة قل في هذا فقال (قد رمى المهدي ظبيا * شك بالسهم فؤاده) (وعلي بن سليمان * رمى كلبا فصاده) (فهنيئا لكما كل امرىء * يأكل زاده) فأمر له بثلاثين ألف درهم ودخل أبو دلامة على المهدي فقال يا أمير المؤمنين ماتت أم دلامة وبقيت

ليس أحد يعاطيني فقال إنا لله أعطوه ألف درهم يشتري بها أمة تعاطيه وكان قد دس أم دلامة على الخيزران فقالت يا سيدتي مات أبو دلامة وبقيت ضائعة فأمرت لها بألف درهم فدخل المهدي على الخيزران وهو حزين فقالت ما بال أمير المؤمنين قال ماتت أم دلامة فقالت إنما مات أبو دلامة فقال قاتل الله أبا دلامة وأم دلامة قد خدعانا والله وكان أبو عطاء السندي مولى بنى أسد قد هجاه بقوله
(ألا أبلغ هديت أبا دلامه * فليس من الكرام ولا كرامه)
(إذا لبس العمامة كان قردا * وخنزيرا إذا وضع العمامه)
فلم يتعرض له أبو دلامة ونوادره كثيرة
وكانت وفاته سنة إحدى وستين ومائة رحمه الله تعالى ويقال إنه عاش إلى أيام هارون الرشيد وكانت ولاية الرشيد في سنة سبعين ومائة ودلامة بضم الدال المهملة وزند بفتح الزاي وسكون النون وبعدها دال مهملة وقيل اسمه زبد بالباء الموحدة والأول أثبت والجون بفتح الجيم وسكون الواو وبعدها نون

327

245 عماد الدين زنكي أبو الجود عماد الدين زنكي بن آق سنقر بن عبد الله الملقب بالملك المنصور المعروف والده بالحاجب صاحب الموصل وقد تقدم ذكر أبيه في حرف الهمزة وكان من الأمراء المقدمين وفوض إليه السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي ولاية بغداد في سنة إحدى وعشرين وخمسمائة ولما قتل آق سنقر البرسقي المذكور في حرف الهمزة وتوفي أيضا ولده مسعود حسبما ذكرناه

في ترجمته ورد مرسوم السلطان محمود من خراسان
بتسليم الموصل إلى دبيس بن صدقة الأسدي صاحب الحلة
وقد تقدم ذكره أيضا فتجهز دبيس للمسير وكان بالموصل
أمير كبير المنزلة يعرف بالجاولي وهو مستحفظ قلعة
الموصل ومتولي أمورها من جهة البرسقي فطمع في
البلاد وحدثته نفسه بتملكها فأرسل إلى بغداد بهاء الدين أبا
الحسن علي بن القاسم الشهرزوري وصلاح الدين محمد
اليغيساني لتقرير قاعدته فلما وصلا إليها
328 وجدا الإمام المسترشد قد أنكر تولية دبيس
وقال لا سبيل إلى هذا وترددت الرسائل بينه وبين السلطان
محمود في ذلك وآخر ما وقع اختيار المسترشد عليه تولية
زنكي المذكور فاستدعى الرسولين الواصلين من الموصل
وقرر معهما أن يكون الحديث في البلاد لزنكي ففعلا ذلك
وضمنا للسلطان مالا وبذل له على ذلك المسترشد من ماله
مائة ألف دينار فبطل أمر دبيس وتوجه زنكي إلىالموصل
وتسلمها ودخلها في عاشر رمضان سنة إحدى وعشرين
وخمسمائة كذا قال ابن العظيمي في تاريخه وقد قيل إن
انتقاله إلى الموصل كان في سنة اثنتين وعشرين
وخمسمائة والأول أصح وسيأتي ذكر السلطان محمود في
حرف الميم إن شاء الله تعالى ولما تقلد زنكي الموصل
سلم إليه السلطان محمود ولديه ألب أرسلان وفروخ شاه
المعروف بالخفاجي ليربيهما فلهذا قيل له أتابك لأن
الأتابك هو الذي يربى أولاد الملوك وقد تقدم ذكر ذلك في

حرف الجيم عند ذكر جقر ثم استولى زنكي على ما والى الموصل من البلاد وفتح الرها يوم السبت الخامس والعشرين من جمادى الآخرة سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وكانت لجوسلين الأرمني ثم توجه إلى قلعة جعبر ومالكها يوم ذاك سيف الدولة أبو الحسن علي بن مالك فحاصرها وأشرف على أخذها فأصبح يوم الأربعاء خامس شهر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين وخمسمائة مقتولا قتله خادمه وهو راقد على فراشه ليلا ودفن بصفين رحمه الله تعالى وذكر شيخنا عز الدين بن الأثير الجزري في تاريخه الأتابكي أن زنكي المذكور لما قتل والده كان عمره تقديرا عشر سنين وقد تقدم تاريخ قتل والده في ترجمته فيكون مولده سنة سبع وسبعين وأربعمائة وعن بعض خواصه قال دخلت إليه في الحال وهو حي فحين رآني
329 ظن أني أريد قتله فأشار إلي بإصبعه السبابة يستعطفني فوقفت من هيبته وقلت له يا مولانا من فعل بك هذا فلم يقدر على الكلام وفاضت نفسه لوقته وكان شديد الهيبة على عسكره ورعيته عظيم السياسة لا يقدر القوي على ظلم الضعيف وكانت البلاد قبل ان يملكها خرابا من الظلم ومجاورة الفرنج فعمرها وامتلأت اهلا وسكانا قال عز الدين بن الأثير في تاريخه حكى لي والدي قال رأيت الموصل واكثرها خراب وكان الإنسان لا يقدر على المشي إلى الجامع العتيق إلا ومعه من يحميه لبعده عن

العمارة وهو الآن في وسط العمارة وكان شديد الغيرة لا سيما على نساء الأجناد وكان يقول لو لم تحفظ نساء الاجناد بالهيبة وإلا فسدن لكثرة غيبة ازواجهن في الأسفار وكان من أشجع خلق الله تعالى وصفين بكسر الصاد المهملة وتشديد الفاء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون وهي أرض على شاطىء الفرات بالقرب من قلعة جعبر إلا أنها في بر الشام وقلعة جعبر في بر الجزيرة الفراتية بينهما مقدار فرسخ أو أقل وفيها مشهد في موضع الوقعة المشهورة التي كانت بها بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما وبهذه الأرض قبور جماعة من الصحابة رضي الله عنهم حضروا هذه الوقعة وقتلوا بها منهم عمار بن ياسر رضي الله عنه 41 وتوفي القاضي بهاء الدين ابو الحسن علي بن القاسم الشهرزوري الرسول المذكور يوم السبت سادس عشر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة بحلب وحمل إلى صفين ودفن بها رحمة الله تعالى عليه

330 246 عماد الدين صاحب سنجار أبو الفتح

وأبو الجود عماد الدين زنكي بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي المذكور قبله المعروف بصاحب سنجار كان قد ملك حلب بعد ابن عمه الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي وكانت وفاة الصالح المذكور في سنة سبع وسبعين وخمسمائة وعمره تسعة عشرة سنة وكان لما اشتد مرضه وصف له الأطباء

شرب الخمر للتداوي فقال لا أفعل حتى أستفتي الفقهاء فأفتاه فقيه من مدرسي الحنفية بجواز ذلك فقال له أرأيت إن قدر الله تعالى بقرب الأجل أيؤخره شرب الخمر فقال الفقيه لا فقال والله لا لقيت الله عز وجل وقد استعملت ما حرمه علي فلما يئس من نفسه أحضر الأمراء وسائر الأجناد ووصاهم بتسليم البلد إلى ابن عمه عز الدين مسعود واستحلفهم على ذلك ثم مات وكان حليما كريما عفيف اليد والفرج ملازما للدين والخير لا يعرف شيئا مما يتعاطاه الملوك والشباب من شرب الخمر وغيره حسن السيرة في رعيته عادلا فيهم رحمه الله تعالى ثم إن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله سار من عينتاب إلى حلب وحاصرها في سنة ثمانين وخمسمائة فنزل في الميدان الأخضر عدة أيام ثم انتقل إلى جبل جوشن فنزل بأعلاه وأظهر أنه يريد يبني مساكن له ولعسكره والقتال بين العسكرين كل يوم وكان صاحب حلب عماد الدين زنكي المذكور ومعه العسكر النوري وهم مجدون في القتال فلما رأى تطاول القتال كره الخرج كأنه استكثره فحضر عنده يوما بعض أجناده وطلبوا منه شيئا

331 فاعتذر بقلة المال عنده فقال له بعضهم من يريد يحفظ مثل حلب يخرج المال ولو باع حلي نسائه فمال حينئذ إلى تسليم حلب لصلاح الدين ويأخذ عوضها سنجار ونصيبين والخابور والرقة وسروج وجرت اليمين

على ذلك فتسلمها صلاح الدين ثامن عشر صفر ونزل عنها عماد الدين فعجب الناس من ذلك وقبحوا على عماد الدين فعله حتى إن بعض عامة حلب أحضر إجانة وماء وناداه أنت لا يصلح لك الملك وإنما يصلح لك أن تغسل الثياب وإذا أراد الله أمرا فلا مرد له وتقرر عماد الدين أن يكون في خدمة صلاح الدين متى استدعاه ومن عجيب الاتفاقات أن محيي الدين بن الزكي قاضي دمشق مدح صلاح الدين بقصيدة منها (وفتحك القلعة الشهباء في صفر * مبشر بفتوح القدس في رجب) وكذا كان فإن القدس فتح في رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة على ما سنذكره إن شاء الله تعالى ومما كتبه القاضي الفاضل في المعنى أعطيناه عن حلب كذا وكذا وهو صرف على الحقيقة أخذنا فيه الدنانير وأعطيناه الدراهم ونزلنا عن القرى وأحرزنا العواصم وكان في جملة من قتل على حلب تاج الملوك أخو صلاح الدين الأصغر وقد تقدم ذكره وانتقل عماد الدين المذكور في السنة المذكورة إلى سنجار ولم يزل بها إلى أن توفي في المحرم سنة أربع وتسعين وخمسمائة 42 وملك ابنه قطب الدين محمد وتولى تدبير دولته مجاهد الدين يرنقش مملوك أبيه وكان دينا خيرا عادلا حسن السيرة كثير البر والإحسان للفقراء إلا أنه كان شديد التعصب على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه كثير الذم للشافعية وكان بخيلا فمن تعصبه على الشافعية أنه بنى مدرسة للحنفية بسنجار وشرط أن يكون النظر

للحنفية من أولاده دون الشافعية وأن يكون البواب والفراش على مذهب أبي حنيفة
332 247 بهاء الدين زهير أبو الفضل زهير بن محمد بن علي بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن منصور بن عاصم المهلبي العتكي الملقب بهاء الدين الكاتب من فضلاء عصره احسنهم نظما ونثرا وخطا ومن أكبرهم مروءة كان قد اتصل بخدمة السلطان الملك الصالح أبي الفتح أيوب ابن السلطان الملك الكامل بالديار المصرية وتوجه في خدمته إلى البلاد الشرقية وأقام بها إلى أن ملك الملك الصالح مدينة دمشق فانتقل إليها في خدمته وأقام كذلك إلى أن جرت الكائنة المشهورة على الملك الصالح وخرجت عنه دمشق وخانه عسكره وهو على نابلس وتفرق عنه وقبض عليه الملك الناصر صاحب الكرك واعتقله بقلعة الكرك فأقام بهاء الدين زهير المذكور بنابلس محافظة لصاحبه ولم يتصل بخدمة غيره ولم يزل على ذلك حتى خرج الملك الصالح وملك الديار المصرية وقدم إليها في خدمته وذلك في أواخر ذي القعدة سنة سبع وثلاثين وستمائة وهذا الفصل مذكور في ترجمة أبيه الملك الكامل محمد فينظر هناك وكنت يومئذ مقيما بالقاهرة وأود لو اجتمعت به لما كنت أسمعه عنه فلما وصل اجتمعت به ورأيته فوق ما سمعت عنه من مكارم الأخلاق وكثرة الرياضة ودماثة السجايا وكان متمكنا من صاحبه كبير القدر عنده لا يطلع

333 على سره الخفي غيره ومع هذا كله فإنه كان لا يتوسط عنده إلا بالخير ونفع خلقا كثيرا بحسن وساطته وجميل سفارته وأنشدني كثيرا من شعره فمن ذلك ما كتبه إلى بعض أصحابه وكان قد غرقت به سفينة فسلم بنفسه وذهب ما كان معه (لا تعتب الدهر في خطب رماك به * إن استرد فقدما طالما وهبا) (حاسب زمانك في حالي تصرفه * تجده أعطاك أضعاف الذي سلبا) (والله قد جعل الأيام دائرة * فلا ترى راحة تبقى ولا تعبا) (ورأس مالك وهي الروح قد سلمت * لا تأسفن لشيء بعدها ذهبا) (ما كنت أول مفدوح بحادثة * كذا مضى الدهر لا بدعا ولا عجبا) (ورب مال نما من بعد مرزئة * أما ترى الشمع بعد القط ملتهبا) وأنشدني المذكور وكتب بها لفخر الدين ابن قاضي داريا يشكو إليه سوء أدب غلمانه (سواك الذي ودي لديه مضيع * وغيرك من سعيي إليه محبب) (ووالله ما آتيك إلا محبة * وأني في أهل الفضيلة أرغب) (أبث لك الذكر الذي طاب نشره * وأطري بما أثني عليك وأطرب) (فما لي ألقى دون بابك جفوة * لغيرك تعزى لا إليك وتنسب) (أرد برد الباب إن جئت زائرا * فياليت شعري أين أهل ومرحب) (ولست بأوقات الزيارة جاهلا * ولا أنا ممن قربه يتجنب) (وقد جعلوا في خادم المرء أنه * بما كان من أخلاقه يتهذب)

334 (فهلا سرت منك اللطافة فيهم * وأعددتهم آدابها فتأدبوا) (ويصعب عندي حالة ما ألفتها * على أن بعدي عن جنابك أصعب) (فأمسك نفسي عن لقائك كارها * أغالب فيك الشوق والشوق أغلب) (وأغضب للفضل الذي أنت ربه * لأجلك لا أني لنفسي أغضب) (وآنف إما عزة منك نلتها * وإما لإدلال به أتعتب) (وإن كنت ما أعتد هاتيك زلة * فحسبي بها من خجلة حين أذهب) وله من قصيدة يمدح بها الملك المسعود صلاح الدين يوسف ابن الملك الكامل رحمه الله (وتهتز أعواد المنابر باسمه * فهل ذكرت أيامها وهي قضبان) (فدع كل ماء حين يذكر زمزم * ودع كل واد حين يذكر نعمان) (وما كل أرض مثل أرضي هي الحمى * وما كل بيت مثل بيتي هو البان) وله من قصيد يمدح بهالأمير علاء الدين ولد الأمير شجاع الدين جلدك التقوي بثغر دمياط سنة خمس وستمائة وهي أول شيء قاله من المدح (فيا ظبي هلا كان فيك التفاتة * ويا غصن هلا كان فيك تعطف) (ويا حرم الحسن الذي هو آمن * وألبابنا من حوله تتخطف) (عسى عطفة بالوصل يا واو صدغه * وحقك إني أعرف الواو تعطف) وله من قصيدة (وما كل مخضوب البنان بثينة * ولا كل مسلوب الفؤاد جميل) وله من قصيدة يمدح بها الأمير نصير الدين بن اللمطي ويهنيه (وهل كنت إلا السيف خالطه الصدا * فكنت له يا

ذا المواهب صيقلا) (وما لي لا أسمو إلى كل غاية * إذا كنت عوني في الزمان وكيف لا)
335 وله من أبيات كتب بها إلى القاضي فخر الدين ابن قاضي داريا يشكره لمعروف ابتدأه به (وخذها على ما خيلت بنت ساعة * أتتك على استحيائها تتعثر) ومما أنشدنيه قوله (يا روضة الحسن صلي * فما عليك ضير) (فهل رأيت روضة * ليس بها زهير) وأنشدني أيضا لنفسه (كيف خلاصي من هوى * مازج روحي واختلط) (وتائه أقبض في * حبي له وما انبسط) (يا بدر إن رمت به * تشبها رمت شطط) (ودعه ياغصن النقا * ما أنت من ذاك النمط) (قام بعذري وجهه * عند عذولي وبسط) (لله أي قلم * لواو ذاك الصدغ خط) (ويا له من عجب * في خده كيف نقط) (يمر بي ملتفتا * فهل رأيت الظبي قط) (ما فيه من عيب سوى * فتور عينيه فقط) (ياقمر السعد الذي * نجمي لديه قد هبط) (يا مانعي حلو الرضا * ومانحي مر السخط) (حاشاك أن ترضى بأن * أموت في الحب غلط)
336 وأنشدني لنفسه أيضا (أنا ذا زهبرك ليس إلا جود * كفك لي مزينة) (أهوى جميل الذكر عنك * كأنما هو لي بثينة) (فاسأل ضميرك عن ودادي * إنه فيه جهينه) وأنشدني لنفسه أيضا أبياتا لم يعلق على خاطري منها سوى بيتين من آخرها وهما (وأنت يا نرجس عينيه كم * تشرب من قلبي وما أذبلك) (ما لك

في حسنك من مشبه * ما تم في العالم ما تم لك)
وأنشدني غير ذلك شيئا كثيرا وشعره كله لطيف وهو كما يقال السهل الممتنع وأجازني رواية ديوانه وهو كثير الوجود بأيدي الناس فلا حاجة إلى الإكثار من ذكر مقاطيعه وأخبرني جمال الدين أبو الحسين يحيى بن مطروح الآتي ذكره في حرف الياء إن شاء الله تعالى قال كتبت إليه وكان خصيصا به (أقول وقد تتابع منك بر * وأهلا ما برحت لكل خير) (ألا لا تذكروا هرما بجود * فما هرم بأكرم من زهير) قال وكتب إليه مرة أخرى يطلب درج ورق ومدادا (أفلست يا سيدي من الورق * فجد بدرج كعرضك اليقق) (وآتني بالمداد مقترنا * فمرحبا بالخدودوالحدق)
337 فسير إليه زهير المذكور جوابه مع المطلوب (مولاي سيرت ما أمرت به * وهو يسير المداد والورق) (وعز عندي يسير ذاك وقد * شبهته بالخدود والحدق)
وأخبرني بهاء الدين زهير المذكور أنه توجه إلى الموصل رسولا من جهة مخدومه الملك الصالح لما كان ببلاد الشرق وأنه كان ببلاد الموصل يومئذ صاحبنا الأديب شرف الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي الوفاء بن خطاب المعروف بابن الحلاوي الموصلي الأصل الدمشقي المولد والدار فحضر إليه ومدحه بقصيدة طويلة أحسن فيها كل الإحسان وكان من جملتها قوله (تجيزها وتجيز المادحين بها * فقل لنا أزهير أنت أم هرم) وأنه

لما رجع من الموصل اجتمع بجمال الدين بن مطروح المذكور فأوقفه على القصيدة المذكورة فأعجبه منها هذا البيت المذكور فكتب إليه البيتين المذكورين قلت وبيت ابن الحلاوي المذكور ينظر إلى قول ابن القاسم في الداعي سبأ ابن أحمد الصليحي أحد ملوك اليمن وكان شاعرا جوادا من قصيدة (ولما مدحت الهبرزي ابن أحمد * أجاز وكافاني على المدح بالمدح) (فعوضني شعرا بشعر وزادني * عطاء فهذا رأس مالي وذا ربحي) وأخبرني بهاء الدين أيضا أن مولده في خامس ذي الحجة سنة إحدى وثمانين وخمسمائة بمكة حرسها الله تعالى وأخبرني مرة أخرى أنه ولد بوادي نخلة وهو بالقرب من مكة والله أعلم وهو الذي أملى علي نسبه على هذه الصورة وسطرت هذا الفصل وهو في قيد الحياة منقطعا في بيته بالقاهرة بعد موت مخدومه طيب الله قلبه وأجراه على أجمل عاداته وأخبرني أن نسبته
338 إلى المهلب بن أبي صفرة وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى ثم حصل بالقاهرة ومصر مرض عظيم لم يكد يسلم منه أحد وكان حدوثه يوم الخميس الرابع والعشرين من شوال سنة ست وخمسين وستمائة وكان بهاء الدين المذكور ممن مسه منه ألم فأقام أياما ثم توفي قبيل المغرب يوم الأحد رابع ذي القعدة من السنة المذكورة ودفن من الغد بعد صلاة الظهر بالقرافة الصغرى بتربته بالقرب من قبة الإمام الشافعي رضي الله

عنه في جهتها القبلية ولم يتفق لي الصلاة عليه لاشتغالي بالمرض رحمه الله تعالى ولما أبللت من المرض مضيت إلى تربته وزرته وقرأت عنده شيئا من القرآن وترحمت عليه لمودة كانت بيننا وأنشدني الفقيه أبو الحجاج يوسف الضرير لبهاء الدين لغزا في القفل (وأسود عار أنحل البرد جسته * وما زال من أوصافه الحرص والمنع) (وأعجب شيء كونه الدهر حارسا * وليس له عين وليس له سمع) 248 أبو محمد البكائي   أبو محمد زياد بن عبد الله بن طفيل بن عامر القيسي العامري من بني عامر بن صعصعة ثم من بني البكاء روى سيرة رسول الله عن محمد بن إسحاق ورواها عنه عبد الملك بن هشام الذي رتبها ونسبت إليه والبكائي المذكور كوفي وكان صدوقا ثقة خرج عنه البخاري في كتاب

339   الجهاد ومسلم في مواضع من كتابه وذكر البخاري في تاريخه عن وكيع قال زياد أشرف من أن يكذب في الحديث ووهم الترمذي فقال في كتابه عن البخاري قال قال وكيع زياد بن عبد الله على شرفه يكذب في الحديث وهذا وهم ولم يقل وكيع فيه إلا ما ذكره البخاري في تاريخه ولو رماه وكيع بالكذب ما خرج البخاري عنه حديثا واحدا ولا مسلم كما لم يخرجا عن الحارث الأعور لما رماه الشعبي بالكذب ولا عن أبان بن أبي عياش لما رماه شعبة بالكذب وروى عن الأعمش وروى عنه أحمد بن حنبل وغيره رضي الله عنه وكانت

وفاة أبي محمد المذكور في سنة ثلاث وثمانين ومائة
بالكوفة رحمه الله تعالى والبكائي بفتح الباء الموحدة
وتشديد الكاف وبعد الهمزة الممدودة ياء مثناة من تحتها
وهذه النسبة إلى البكاء واسمه ربيعة بن عامر بن ربيعة
بن عامر بن صعصعة وسمي البكاء لخبر يسمع ذكره
249 التاج الكندي أبو اليمن زيد بن الحسن بن زيد بن
الحسن بن سعيد الكندي الملقب تاج الدين البغدادي المولد
والمنشأ الدمشقي الدار والوفاة المقرىء النحوي الأديب
كان
340 أوحد عصره في فنون الآداب وعلو السماع
وشهرته تغني عن الاطناب في وصفه وكان قد لقي جلة
المشايخ وأخذ عنهم منهم الشريف أبو السعادات ابن
الشجري وأبو محمد ابن الخشاب وأبو منصور الجواليقي
وسافر عن بغداد في شبابه وآخر عهده بها في سنة ثلاث
وستين وخمسمائة واستوطن حلب مدة وكان يبتاع الخليع
ويسافر به إلى بلاد الروم ويعود إليها ثم انتقل إلى دمشق
وصحب الأمير عز الدين فروخ شاه بن شاهان شاه وهو
ابن أخي السلطان صلاح الدين واختص به وتقدم عنده
وسافر في صحبته إلى الديار المصرية واقتنى من كتب
خزائنها كل نفيس وعاد إلى دمشق واستوطنها وقصده
الناس وأخذوا عنه ولو كتاب مشيخة على حروف المعجم
أخبرني أحد أصحابه أنه قال كنت قاعدا على باب أبي
محمد عبد الله بن الخشاب النحوي ببغداد وقد خرج من

عنده أبو القاسم الزمخشري الإمام المشهور وهو يمشي
في جاون خشب فإن إحدى رجليه كانت قد سقطت من
الثلج قال والناس يقولون هذا الزمخشري ونقل من خطة
كان الزمخشري أعلم فضلاء العجم بالعربية في زمانه
وأكثرهم أنسا واطلاعا على كتبها وبه ختم فضلاؤهم
وكان متحققا بالاعتزال قدم علينا بغداد سنة ثلاث وثلاثين
وخمسمائة ورأيته عند شيخنا أبي منصور الجواليقي
رحمه الله تعالى مرتين قارئا عليه بعض كتب اللغة من
فواتحها ومستجيزا لها لأنه لم يكن له على ما عنده من
العلم لقاء ولا رواية عفا الله عنه وعنا وأخبرني الشيخ
مهذب الدين أبو طالب محمد المعروف بابن الخيمي
بالقاهرة المحروسة قال كتب إلى الشيخ تاج الدين الكندي
من دمشق من جملة أبيات (أيها الصاحب المحافظ قد
حملتنا * من وفاء عهدك دينا)
341 (نحن بالشام رهن شوق إليكم * هل لديكم
بمصر شوق إلينا) (قد غلبنا بما حرمنا عليكم * وغلبتم
بما رزقتم علينا) (فعجزنا عن أن ترونا لديكم *
وعجزتم عن أن نراكم لدينا) (حفظ الله عهد من حفظ
العهد * وأوفى به كما قد وفينا) قال فكتبت جوابها أبياتا
من جملتها (أيها الساكنون بالشام من كندة * إنا بعهدكم
ما وفينا) (لو قضينا حق المودة كنا * نحبنا بعد بعدكم
قد قضينا) وأنشدني له الشيخ مهذب الدين المذكور (دع
المنجم يكبو في ضلالته * إن ادعى علم ما يجري به الفلك

(تفرد الله بالعلم القديم فلا الإنسان * يشركه فيه ولا الملك) (أعد للرزق من اشراكه شركا * وبئست العدتان الشرك والشرك) وكتب إليه أبو شجاع ابن الدهان الفرضي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في حرف الميم (يازيد زادك ربي من مواهبه * نعمى يقصر عن إدراكها الأمل) (لا غير الله حالا قد حباك بها * ما دار بين النحاة الحال والبدل) (النحو أنت أحق العالمين به * أليس باسمك فيه يضرب المثل) ومن شعر الشيخ تاج الدين وقد طعن في السن (أرى المرء يهوى أن تطول حياته * وفي طولها إرهاق ذل وإزهاق) (تمنيت في عصر الشبيبة أنني * أعمر والأعمار لا شك أرزاق) * (فلما أتاني ما تمنيت ساءني * من العمر ما قد كنت أهوى وأشتاق) (يخيل لي فكري إذا كنت خاليا * ركوبي على الأعناق والسير إعناق) (ويذكرني مر النسيم وروحه * حفائر يعلوها من الترب أطباق)
342 (وها أنا في إحدى وتسعين حجة * لها في إرعاد مخوف وإبراق) (يقولون ترياق لمثلك نافع * وما لي إلا رحمة الله ترياق) وكانت ولادته بكرة يوم الأربعاء الخامس والعشرين من شعبان سنة عشرين وخمسمائة ببغداد وتوفي يوم الاثنين ضحوة سادس شوال سنة ثلاث عشرة وستمائة بدمشق ودفن من يومه بجبل قاسيون رحمه الله تعالى 43 وأما مهذب الدين المذكور فهو أبو طالب محمد بن أبي الحسن علي بن علي بن

المفضل بن التامغاز كذا أملى علي نسبه وأنشدني كثيرا من شعره وشعر غيره وكان اجتماعنا بالقاهرة المحروسة في مجالس عديدة وأخبرني أن مولده في الثامن والعشرين من شوال سنة تسع وأربعين وخمسمائة بالحلة المزيدية وتوفي يوم الأربعاء العشرين من ذي القعدة سنة اثنتين وأربعين وستمائة ودفن من الغد بالقرافة الصغرى وحضرت الصلاة عليه وكان إماما في اللغة راوية للشعر والأدب رحمه الله تعالى وقاسيون بفتح القاف وبعد الألف سين مكسورة مهملة وضم الياء المثناة من تحتها وبعد الواو الساكنة نون وهو جبل مطل على دمشق وفيه قبور أهلها وتربهم وفيه مدارس ورباطات وجامع وفيه نهران ثورا ويزيد

343 250 زيري بن مناد الصنهاجي الأمير

زيري بن مناد الحميري الصنهاجي جد المعز بن باديس الآتي ذكره إن شاء الله تعالى وقد تقدم ذكر ولده بلكين وحفيده باديس في حرف الباء وذكر حفيد حفيده الأمير تميم في حرف الثاء واستوعبت عنده الرفع في نسبه وزيري المذكور أول من ملك من بيتهم وهو الذي بنى مدينة آشير وحصنها في أيام خروج أبي يزيد مخلد الخارجي المقدم ذكره لما خرج علىالقائم بن المهدي وعلى ولده المنصور إسماعيل وملكها وملك ما حولها وأعطاه المنصور المذكور تاهرت وأعمالها وكان حسن السيرة تام السياسة شجاعا صارما وكانت بينه وبين جعفر بن علي

الأندلسي المقدم ذكره في حرف الجيم ضغائن وأحقاد
أفضت إلى الحرب فلما تصافا انجلى المصاف عن قتل
زيري المذكور وذلك في شهر رمضان سنة ستين وثلثمائة
وذكر أنه كبا به فرسه فسقط الى الأرض فقتل وكانت مدة
ملكه ستا وعشرين سنة رحمه الله تعالى وزيري بكسر
الزاي وسكون الياء المثناة من تحتها وكسر الراء وبعدها
مثناة من تحتها ومناد بفتح الميم والنون وبعد الألف دال
مهملة والصنهاجي تقدم الكلام عليه وآشير بمد الهمزة
وكسر الشين المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها
344 وبعدها راء وقد تقدم ذكرها في حرف الهمزة
في ترجمة أبي إسحاق إبراهيم ابن قرقول وتاهرت بفتح
التاء المثناة من فوقها وبعد الألف هاء مفتوحة وراء ساكنة
ثم تاء مثناة من فوقها وهي مدينة بافريقية وثم أيضا
تاهرت أخرى ويقال للواحدة القديمة وللأخرى الجديدة ولا
أعلم أي المدينتين ملكها زيري المذكور 251 زينب بنت
الشعري   أم المؤيد زينب وتدعى حرة أيضا بنت أبي
القاسم عبد الرحمن بن الحسن بن احمد بن سهل بن أحمد
بن عبدوس الجرجاني الأصل النيسابوري الدار الصوفي
المعروف بالشعري كانت عالمة وأدركت جماعة من
أعيان العلماء وأخذت عنهم رواية وإجازة سمعت من أبي
محمد إسماعيل بن أبي القاسم ابن أبي بكر النيسابوري
القارىء وأبي القاسم زاهر وأبي بكر وجيه ابني طاهر
الشحاميين وأبي المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم بن

هوازن القشيري وأبي الفتوح عبد الوهاب بن شاه الشاذياخي وغيرهم وأجاز لها الحافظ أبو الحسن عبدالغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر الفارسي والعلامة أبو القاسم محمود ابن عمر الزمخشري صاحب الكشاف وغيرهما من السادات الحفاظ ولنا منها إجازة كتبتها في بعض شهور سنة عشر وستمائة ومولدي يوم الخميس بعد صلاة العصر حادي عشر شهر ربيع الآخر سنة ثمان وستمائة بمدينة

345 إربل بمدرسة سلطانها الملك المعظم مظفر الدين بن زين الدين رحمهما الله تعالى ومولد زينب المذكورة سنة أربع وعشرين وخمسمائة بنيسابور وتوفيت سنة خمس عشرة وستمائة في جمادى الآخرة بمدينة نيسابور رحمها الله تعالى والشعري بفتح الشين المثلثة وسكون العين المهملة وفتحها وبعدها راء هذه النسبة إلى الشعر وعمله وبيعه ولا أعلم من كان في أجدادها يتعاطاه فنسبوا إليه والله أعلم & حرف السين &

@346@ 346

@347@ 347

@348@ 348

349 252 سالم بن عبد الله بن عمر أبو عمرو ويقال أبو عبد الله سالم بن عبد الله ابن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب العدوي رضي الله عنهم أجمعين أحد فقهاء المدينة من سادات التابعين وعلمائهم وثقاتهم روى عن

أبيه وغيره وروى عنه الزهري ونافع توفي في آخر ذي
الحجة سنة ست ومائة وقيل سنة ثمان ومائة وهشام بن
عبد الملك يومئذ بالمدينة وكان قد حج بالناس تلك السنة ثم
قدم المدينة فوافق موت سالم فصلى عليه بالبقيع لكثرة
الناس فلما رأى هشام كثرتهم قال لإبراهيم بن هشام
المخزومي والي المدينة اضرب على الناس بعث أربعة
آلاف فسمي عام أربعة آلاف حدث الزهري قال سمعت
سالم بن عبد الله يقول دخلت على الوليد بن عبد الملك فقال
ما أحسن جسمك فما طعامك قلت الكعك والزيت قال
وتشتهيه قلت أدعه حتى أشتهيه فإذا اشتهيته أكلته وكان
يقول إياكم ومداومة اللحم فإن له ضراوة كضراوة الشراب
وكتب عمر بن عبد العزيز إلى سالم بن عبد الله أن اكتب
لي بشيء من رسائل عمر بن الخطاب فكتب إليه يا عمر
اذكر الملوك الذين تفقأت أعينهم التي كانت لا تنقضي
لذتهم بها وتفقأت بطونهم التي كانوا لا يشبعون بها
وصاروا جيفا في الأرض تحت آكامها لو
كانت إلى جنب مساكن لنا لتأذينا بريحهم وقال محمدبن
إسحاق صاحب المغازي والسير رأيت سالم بن عبد الله بن
عمر بن الخطاب رضي الله عنهم يلبس الصوف وكان
علج الخلق يعالج بيديه ويعمل ودخل سليمان بن عبد
الملك الكعبة فرأى سالما فقال له سلني حوائجك فقال والله
لا سألت في بيت الله غير الله 253 سالم الخاسر أبو
عمر سالم الشاعر عرف بالخاسر يقال إنه مولى أبي بكر

الصديق وقيل بل مولى المهدي وهو سالم بن عمرو بن حماد بن عطاء بن ياسر هكذا نسبه أحمد ابن أبي طاهر وسمي الخاسر لكونه باع مصحفا واشترى بثمنه طنبورا قدم بغداد ومدح المهدي والهادي والبرامكة وكان على طريقة غير مرضية من المجون والتظاهر بالخلاعة والفسوق وكان سالم المذكور قد مدح المهدي بقصيدة منها (حضر الرحيل وشدت الأحداج * وحدا بهن مشمر مزعاج)

351 (شربت بمكة في ذرى بطحائها * ماء النبوة ليس فيه مزاج) وكان المهدي أعطى مروان بن أبي حفصة مائة ألف درهم بقصيدته التي أولها (طرقتك زائرة فحي خيالها *) فاراد أن ينقص سالما من هذه الجائزة فحلف سالم ان لا يأخذ إلا مائة ألف وقال تطرح القصيدتان إلى أهل العلم حتى يخبروا بتقدم قصيدتي فأنفذ له المهدي مائة ألف درهم وألف درهم وكان هذا ماله وكان ينتمي إلى ولاء تيم بن مرة من قريش فلما بلغ زمن الرشيد وكان الرشيد قد بايع لمحمد بن زبيدة يعني ولده الأمين قال قصيدته التي أولها (قل للمنازل بالكثيب الاعفر * أسقيت غادية السحاب الممطر) (قد بايع الثقلان مهدي الهدى * لمحمد بن زبيدة ابنة جعفر) فحشت زبيدة فاه درا فباعه بعشرين ألف دينار وتقدم لمروان بن أبي حفصة مع زبيدة مثل ذلك في حرف الزاي ومات سالم في أيام الرشيد وقد اجتمع عنده ستة وثلاثون

ألف دينار فاودعها أبا السمراء الغساني فبقيت عنده وإن
ابراهيم الموصلي دخل يوما على الرشيد وغناه فأطربه
فقال سل ما شئت قال نعم يا سيدي أسأل شيئا لا يرزأك
قال ما هو قال مات سالم وليس له وارث وخلف ستة
وثلاثين ألف دينار عند أبي السمراء الغساني تأمره
أنيدفعها إلي فتسلمها وكان الجماز قدم هو وأبوه يطالبان
بميراث سالم بأنهما من قرابته وذكروا انه لما قال أبو
العتاهية (تعالى الله يا سلم بن عمرو * أذل الحرص
أعناق الرجال)
352 غضب سالم وقال يزعم أني حريص وقال يرد
عليه (ما أقبح التزهيد من واعظ * يزهد الناس ولا يزهد
(لو كان في تزهيده صادقا * أضحى وأمسى بيته
المسجد) (ويرفض الدنيا ولم يقنها * ولم يكن يسعى
ويسترفد) (يخاف أن تنفد أرزاقه * والرزق عند الله لا
ينفد) (والرزق مقسوم على من ترى * يناله الأبيض
والأسود) (كل يوفى رزقه كاملا * من كف عن جهد
ومن يجهد) وكان سالم من الشعراء المجيدين من تلامذة
بشار وصار يقول أرق من شعر بشار وكان بشار قد قال
(من راقب الناس لم يظفر بحاجته * وفاز بالطيبات الفاتك
اللهج) وقال سالم (من راقب الناس مات غما * وفاز
باللذة الجسور) فغضب بشار وقال ذهب والله بيتي يأخذ
المعاني التي تعبت فيها فيكسوها ألفاظا أخف من ألفاظي
لا ارضى عنه فما زالوا يسألونه حتى رضي عنه وقال

أبو معاذ النميري رأيت بشارا لما قال هذا البيت وهو يلهج به كثيرا (من راقب الناس لم يظفر بحاجته * &&000البيت قلت يا أبا معاذ قد قال سالم الخاسر بيتا في هذا المعنى هو أخف من هذا وأنشدته (من راقب الناس مات غما *) فقال ذهب والله بيتي والله لا أكلت اليوم شيئا ولا صمت وكانت وفاة سالم المذكور سنة ست وثمانين ومائة رحمه الله تعالى

353 254 أبو بكر ابن عياش أبو بكر سالم بن عياش بن سالم الحناط الأسدي مولاهم الكوفي كان من أرباب الحديث والعلماء المشاهير وهو أحد راوي القراءات عن عاصم وهو مولى واصل بن حيان الأحدب ذكر أبو العباس المبرد في كتاب الكامل قال قال أبو بكر ابن عياش أصابتني مصيبة آلمتني فذكرت قول ذي الرمة (لعل انحدار الدمع يعقب راحة * من الوجد أو يشفي نجي البلابل) فخلوت بنفسي وبكيت فاسترحت وله أخبار وحكايات كثيرة وقيل اسمه كنيته وقيل اسمه شعبة والله أعلم وروي عنه أنه قال لما كنت شابا وأصابتني مصيبة تجلدت لها ودفعت البكاء بالصبر فكان ذلك يؤذيني ويؤلمني حتى رأيت أعرابيا بالكناسة وهو واقف على نجيب له ينشد (خليلي عوجا من صدور الرواحل * بمهجور حزوى فابكيا في المنازل) وبعده (لعل انحدار الدمع يعقب راحة * من الوجد أو يشفي نجي البلابل)

354 فسألت عنه فقيل لي ذو الرمة فأصابني بعد ذلك مصائب فكنت أبكي فأجد لذلك راحة فقلت قاتل الله الأعرابي ما كان أبصره قال أبو بكر قال لي رجل وأنا شاب خلص رقبتك ما استطعت في الدنيا من رق الآخرة فان أسير الآخرة غير مفكوك أبدا قال فأنسيتها وكانت وفاته بالكوفة في سنة ثلاث وتسعين ومائة بعد هارون الرشيد بثمانية عشر يوما وعمره ثمان وتسعون سنة وكانت وفاة الرشيد ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة من السنة المذكورة بمدينة طوس رحمهما الله تعالى وعياش بفتح العين المهملة وتشديد الياء المثناة من تحتها وبعد الألف شين معجمة والأسدي والكوفي قد تقدم الكلام عليهما وقيل هو مولى بني كاهل ابن أسد بن خزيمة

255 سابور بن أردشير أبو نصر سابور بن أردشير الملقب بهاء الدولة وزير بهاء الدولة أبي نصر ابن عضد الدولة بن بويه الديلمي كان من أكابر الوزراء وأماثل الرؤساء جمعت فيه الكفاية والدراية وكان بابه محط الشعراء ذكره أبو منصور الثعالبي في كتاب اليتيمة وعقد لمداحه بابا مستقلا لم يذكر فيه غيرهم فمن جملة من مدحه أبو الفرج الببغاء بقوله

355 (لمت الزمان على تأخير مطلبي * فقال ما وجه لومي وهو محظور) (فقلت لو شئت ما فات الغنى أملي * فقال أخطأت بل لو شاء سابور) (لذ بالوزير أبي نصر وسل شططا * أسرف فإنك في الإسراف معذور)

(وقد تقبلت هذا النصح من زمني * والنصح حتى من الأعداء مشكور) ولمحمد بن أحمد الحرون فيه قصيدة من جملتها (يا مؤنس الملك والأيام موحشة * ورابط الجأش والآجال في وجل) (ما لي وللأرض لم أوطن بها وطنا * كأنني بكر معنى سار في المثل) (لو أنصف الدهر أو لانت معاطفه * أصبحت عندك ذا خيل وذا خول) (لله لؤلؤ ألفاظ أساقطها * لو كن للغيد ما استأنسن بالعطل) (ومن عيون معان لو كحلن بها * نجل العيون لأغناها عن الكحل) وكان قد صرف عن الوزارة ثم أعيد إليها فكتب إليه أبو إسحاق الصابىء (قد كنت طلقت الوزارة بعد ما * زلت بها قدم وساء صنيعها) (فغدت بغيرك تستحل ضرورة * كيما يحل إلى ذراك رجوعها) (فا لآن عادت ثم آلت حلفة * أن لا يبيت سواك وهو ضجيعها) ولبعض الشعراء في وزير صرف ثم أعيد من يومه فقال على لسانه (عاداني الدهر نصف يوم * فانكشف الناس لي وبانوا) (يا أيها المعرضون عنا * عودوا فقد عاد لي الزمان)

356 وله ببغداد دار علم وإليها أشار أبو العلاء المعري بقوله في القصيدة المشهورة (وغنت لنا في دار سابور قينة * من الورق مطراب الأصائل ميهال) وكانت وفاة سابور المذكور في سنة ست عشرة وأربعمائة ببغداد رحمه الله تعالى ومولده بشيراز ليلة السبت خامس عشر ذي القعدة سنة ست وثلاثين وثلثمائة وتوفي

مخدومه بهاء الدولة في جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعمائة بأرجان وعمره اثنتان وأربعون سنة وتسعة أشهر وعشرون يوما رحمه الله تعالى وسابور بفتح السين المهملة وضم الباء الموحدة وبعد الواو راء والأصل فيه شاه بور فعرب لأن الشاه بالعجمي الملك وبور ابن فكأنه قال ابن الملك وعادة العجم تقديم المضاف إليه علىالمضاف وأول من سمي بهذا الاسم سابور بن أردشير بن بابك بن ساسان أحد ملوك الفرس وأردشير بفتح الهمزة وسكون الراءوفتح الدال المهملة وكسر الشين المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء قاله الدارقطني الحافظ وقال غيره معناه دقيق حليب وقيل معناه دقيق وحلو وقال بعضهم أزدشير بالهمزة والزاي وهو لفظ عجمي وأرد عندهم الدقيق وشير الحليب وشيرين الحلو والله أعلم

357 256 سري السقطي أبو الحسن سري بن المغلس السقطي أحد رجال الطريقة وأرباب الحقيقة كان أوحد زمانه في الورع وعلوم التوحيد وهوخال أبي القاسم الجنيد وأستاذه وكان تلميذ معروف الكرخي يقال إنه كان في دكانه فجاءه معروف يوما ومعه صبي يتيم فقال له اكس هذا اليتيم قال سري فكسوته ففرح به معروف وقال بغض الله إليك الدنيا وأراحك مما أنت فيه فقمت من الدكان وليس شيء أبغض إلى من الدنيا وكل ما أنا فيه من بركات معروف ويحكى أنه قال منذ ثلاثين سنة أنا في

الاستغفار من قولي مرة الحمد لله قيل له وكيف ذلك فقال
وقع ببغداد حريق فاستقبلني واحد وقال نجا حانوتك فقلت
الحمد لله فأنا نادم من ذلك الوقت على ما قلت حيث أردت
لنفسي خيرا من الناس وحكى أبو القاسم الجنيد قال دخلت
يوما على خالي سري السقطي وهو يبكي فقلت ما يبكيك
قال جائتني البارحة الصبية فقالت يا أبت هذه ليلة حارة
وهذا الكوز أعلقه هاهنا ثم إنه حملتني عيناي فنمت فرأيت
جارية من أحسن خلق الله قد نزلت من السماء فقلت لمن
أنت قالت لمن لا يشرب الماء المبرد في الكيزان وتناولت
الكوز فضربت به الأرض قال الجنيد فرأيت الخزف
المكسور لم يرفعه حتى عفى عليه التراب
358 قال عبد الله بن شاكر قال سري صليت وردي
ليلة ومددت رجلي في المحراب فنوديت يا سري هكذا
تجالس الملوك قال فضممت رجلي مثم قلت وعزتك لا
مددت رجلي أبدا قال الجنيد أتت عليه ثمان وتسعون سنة
ما رئي مضطجعا إلا في علة الموت ةيحكى عن الجنيد
أنهقال سألني السري يوما عن المحبة فقلت قال قوم هي
الموافقة وقال قوم هي الإيثار وقال قوم كذا وكذا فأخذ
السري جلدة ذراعه ومدها فلم تمتد ثم قال وعزته لو قلت
إن هذه الجلدة يبست على هذا العظم من محبته لصدقت
قال الجنيد وسمعته يقول أريد أن اكل أكلة ليس لله علي
فيها تبعة ولا لمخلوق فيها منة فلم أجد فأتاني حي
الجرجاني فدق علي باب الغرفة فخرجت إليه فقال لي يا

سري ملحك مدقوق فقلت نعم قال لا تفلح ثم قال لو لا أن الله عز وجل عقم الاذان عن فهم القران ما زرع الزارع ولا تجر التاجر ولا تلاه الناس في الطرقات ثم مضى فأتعبني وأبكاني وحكى الجنيد أيضا عن سري قال كنت في طلب صديق ثلاثين سنة فلم أظفر به فمررت في بعض الجبال بأقوام مرضى وزمنى وعمي وبكم فسألتهم عن مقامهم في ذلك الموضع فقالوا في هذا الكهف رجل سميح بيده عليهم فيبرءون بإذن الله تعالى وبركة دعائه فوقفت أنتظر معهم فخرج شيخ عليه جبة صوف فلمسهم ودعا لهم فكانوا يبرءون من عللهم بمشيئة الله عز وجل قال فأخذت بذيله فقال خل عني يا سري لا يراك تأنس بغيره فتسقط من عينه قال سري المتصوف اسم لثلاثة معان وهو الذي لا يطفىء نور معرفته نور ورعه ولا يتكلم بباطن في علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب ولا تحمله الكرامات على هتك محارم الله تعالى

359 وكانت وفاته سنة إحدى وخمسين وقيل يوم الأربعاء لست خلون من شهر رمضان بعد الفجر سنة ست وخمسين وقيل سبع وخمسين ومائتين ببغداد ودفن بالشونزية وقال الخطيب في تاريخ بغداد مقبرة الشونزي وراء المحلة المعروفة بالتوثة بالقرب من نهر عيسى بن علي الهاشمي وسمعت بعض شيوخنا يقول مقابر قريش كانت قديما تعرف بمقبرة الشونيزي الصغير والمقبرة التي وراء التوثة تعرف بمقبرة الشونيزي الكبير وكانا أخوين

يقال لكل واحد منهما الشونيزي ودفن كل واحد منهما في إحدى هاتين المقبرتين ونسبت المقبرة إليه والله أعلم وقبره ظاهر معروف وإلى جنبه قبر الجنيد رضي الله عنهما والمغلس بضم الميم وفتح الغين المعجمة وكسر اللام المشددة وبعدها سين مهملة وكان سري كثيرا ما ينشد (إذا ما شكوت الحب قالت كذبتني * فما لي أرى الأعضاء منك كواسيا) (فلا حب حتى يلصق الجلد بالحشا * وتذهل حتى لا تجيب المناديا) 257 السري الرفاء ابو الحسن السري بن أحمد بن السري الكندي الرفاء الموصلي الشاعر المشهور كان فيصباه يرفو ويطرز في دكان بالموصل وهو مع ذلك يتولع بالأدب وينظم الشعر ولم يزل حتى جاد شعره ومهر فيه وقصد سيف الدولة ابن حمدان بحلب ومدحه وأقام عنده مدة ثم انتقل بعد وفاته إلى بغداد ومدح
360 الوزير المهلبي وجماعة من رؤسائها ونفق شعره وراج وكانت بينه وبين أبي بكر محمد وأبي عثمان سعيد إبني هاشم الخالديين الموصليين الشاعرين المشهورين معاداة فادعى عليهما سرقة شعره وشعر غيره وكان السري مغرى بنسخ ديوان أبي الفتح كشاجم الشاعر المشهور وهو إذ ذاك ريحان الأدب بتلك البلاد والسري في طريقه يذهب وعلى قالبه يضرب فكان يدس فيما يكتبه من شعره أحسن شعر الخالديين ليزيد في حجم ما ينسخه وينفق سوقه ويغلي سعره ويشنع بذلك عليهما ويغض

منهما ويظهر مصداق قوله في سرقتهما فمن هذه الجهة وقعت في بعض النسخ من ديوان كشاجم زيادات ليست في الأصول المشهورة وكان شاعرا مطبوعا عذب الألفاظ مليح المأخذ كثير الافتنان في التشبيهات والأوصاف ولم يكن له رواء ولا منظر ولا يحسن من العلوم غير قول الشعر وقد عمل شعره قبل وفاته نحو ثلثمائة ورقة ثم زاد بعد ذلك وقد عمله بعض المحدثين الأدباء علىحروف المعجم ومن شعر السري أبيات يذكر فيها صناعته فمنها قوله (وكانت الإبرة فيما مضى * صائنة وجهي وأشعاري) (فأصبح الرزق بها ضيقا * كأنه من ثقبها جاري) ومن محاسن شعره في المديح من جملة قصيد (يلقى الندى برقيق وجه مسفر * فإذا التقى الجمعان عاد صفيقا) (رحب المنازل ما أقام فإن سرى * في جحفل ترك الفضاء مضيقا)

361 وذكر له الثعالبي في كتاب المنتخل (ألبستني نعما رأيت بها الدجى * صبحا وكنت أرى الصباح بهيما) (فغدوت يحسدني الصديق وقبلها * قد كان يلقاني العدو رحيما) ومن غرر شعره في النسيب قوله (بنفسي من أجود له بنفسي * ويبخل بالتحية والسلام) (وحتفي كامن في مقلتيه * كمون الموت في حد الحسام) وله من قصيدة يمدح بها سيف الدولة بن حمدان (تركتهم بين مصبوغ ترائبه * من الدماء ومخضوب ذوائبه) (فحائد وشهاب الرمح لاحقه * وهارب وذباب السيف طالبه) ( )

يهوي إليه بمثل النجم طاعنه * وينتحيه بمثل البرق غالبه
(يكسوه من دمه ثوبا ويسلبه * ثيابه فهو كاسيه وسالبه
) وله من قصيدة أخرى (وكم ليلة شمرت للراح رائحا *
وبت لغزلان الصريم مغازلا) (وحليت كأسي والسنا
بحليها * فما عطلت حتى بدا الأفق عاطلا) ومن شعره (
وفتية زهر الآداب بينهم * أبهى وأنضر من زهر
الرياحين) (راحوا إلى الراح مشي الرخ وانصرفوا *
والراح تمشي بهم مشي الفرازين)
362 ومن شعره (ماكان ذاك العيش إلا سكرة *
رحلت لذاذتها وحل خمارها) ومن شعره (انظر إلى
الليل كيف تصرعه * راية صبح مبيضة العذب) (
كراهب جن للهوى طربا * فشق جلبابه من الطرب)
وللسري المذكور ديوان شعر كله جيد وله كتاب المحب
والمحبوب والمشموم والمشروب وكتاب الديرة وكانت
وفاته في سنة نيف وستين وثلثمائة ببغداد رحمه الله تعالى
هكذا قال الخطيب البغدادي في تاريخه وقال غيره توفي
سنة اثنتين وستين وثلثمائة وقيل سنة أربع وأربعين
وثلثمائة والله أعلم وذكر شيخنا ابن الأثير في تاريخه أنه
توفي سنة ستين وثلثمائة رحمه الله تعالى 258 حيص
بيص أبو الفوارس سعد بن محمد بن سعد بن الصيفي
التميمي الملقب شهاب الدين المعروف بحيص بيص
الشاعر المشهور كان فقيها شافعي المذهب تفقه بالري

على القاضي محمد بن عبد الكريم الوزان وتكلم في مسائل الخلاف إلا أنه
363 غلب عليه الأدب ونظم الشعر وأجاد فيه مع جزالة لفظه وله رسائل فصيحة بليغة ذكره الحافظ أبو سعد ابن السمعاني في كتاب الذيل وأثنى عليه وحدث بشيء من مسموعاته وقرىء عليه ديوانه ورسائله وأخذ الناس عنه أدبا وفضلا كثيرا وكان من أخبر الناس بأشعار العرب واختلاف لغاتهم ويقال إنه كان فيه تيه وتعاظم وكان لا يخاطب أحدا إلا بالكلام العربي وكانت له حوالة بمدينة الحلة فتوجه إليها لاستخلاص مبلغها وكانت على ضامن الحلقة فسير غلامه إليه فلم يعرج عليه وشتم أستاذه فشكاه إلى والي الحلة وهو يومئذ ضياء الدين مهلهل بن أبي العسكر الجاواني فسير معه بعض غلمان الباب ليساعده فلم يقنع أبو الفوارس منه بذلك فكتب إليه يعاتبه وكانت بينهما مودة متقدمة ما كنت أظن أن صحبة السنين ومودتها يكون مقدارها في النفوس هذا المقدار بل كنت أظن أن الخميس الجحفل لو زن لي عرضا لقام بنصري من آل أبي العسكر حماة غلب الرقاب فكيف بعامل سويقة وضامن حليلة وحليقة ويكون جوابي في شكواي أن ينفذ إليه مستخدم يعاتبه ويأخذ ما قبله من الحق لا والله (إن الأسود أسود الغاب همتها * يوم الكريهة في المسلوب لا السلب) وبالله أقسم ونبيه وال بيته لئن لم تقم لي حرمة يتحدث بها نساء الحلة في أعراسهن ومناحاتهن لا أقام

وليك بحلتك هذه ولو أمسى بالجسر أو القناطر هبني
خسرت حمر النعم أفأخسر أبيتي واذلاه واذلاه والسلام
وكان يلبس زي العرب ويتقلد سيفا فعمل فيه أبو القاسم
ابن الفضل الآتي
364 ذكره في حرف الهاء إن شاء الله تعالى وذكر
العماد في الخريدة أنها للرئيس علي بن الأعرابي
الموصلي وذكر أنه توفي سنة سبع وأربعين وخمسمائة (
كم تبادى وكم تطول طرطورك * رك ما فيك شعرة من
تميم) (فكل الضب واقرط الحنظل اليابس * واشرب ما
شئت بول الظليم) (ليس ذا وجه من يضيف ولا يقري *
ولا يدفع الأذى عن حريم) فلما بلغت الأبيات أبا الفوارس
المذكور عمل (لا تضع من عظيم قدر وإن كنت *
مشارا إليه بالتعظيم) (فالشريف الكريم ينقص قدرا *
بالتعدي على الشريف الكريم) (ولع الخمر بالعقول
رمى الخمر * بتنجيسها وبالتحريم) وعمل فيه خطيب
الحويزة البحيري (لسنا وحقك حيص بيص * من
الأعارب في الصميم) (ولقد كذبت على بحير * كما
كذبت على تميم) وقال الشيخ نصر الله بن مجلي مشارف
الصناعة بالمخزن وكان من الثقات أهل السنة رأيت في
المنام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقلت له يا أمير
المؤمنين تفتحون مكة فتقولون من دخل دار أبي سفيان
فهو آمن ثم يتم على ولدك الحسين يوم الطف ما تم فقال
أما سمعت أبيات ابن الصيفي في هذا فقلت لا فقال اسمعها

منه ثم استيقظت فبادرت إلى دار حيص بيص فخرج إلي فذكرت له الرؤيا فشهق وأجهش بالبكاء وحلف بالله إن كانت خرجت من فمي أو خطي إلى أحد وإن كنت نظمتها إلا في ليلتي هذه ثم أنشدني
365 (ملكنا فكان العفو منا سجية * فلما ملكتم سال بالدم أبطح) (وحللتم قتل الأسارى وطالما * غدونا على الأسرى نعف ونصفح) (فحسبكم هذا التفاوت بيننا * وكل إناء بالذي فيه ينضح) وإنما قيل له حيص بيص لأنه رأى الناس يوما في حركة مزعجة وأمر شديد فقال ما للناس في حيص بيص فبقي عليه هذا اللقب ومعنى هاتين الكلمتين الشدة والاختلاط تقول العرب وقع الناس في حيص بيص أي في شدة واختلاط وكانت وفاته ليلة الأربعاء سادس شعبان سنة أربع وسبعين وخمسمائة ببغداد ودفن من الغد بالجانب الغربي في مقابر قريش رحمه الله تعالى وكان إذ سئل عن عمره يقول أنا أعيش في الدنيا مجازفة لأنه كان لا يحفظ مولده وكان يزعم أنه من ولد أكثم بن صيفي التميمي حكيم العرب ولم يترك أبو الفوارس عقبا وصيفي بفتح الصاد المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وكسر الفاء وبعدها ياء والحويزة بضم الحاء المهملة وفتح الواو وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها زاي ثم هاء وهي بليدة من إقليم خوزستان على اثني عشر فرسخا من الأهواز

366 259 أبو المعالي الحظيري ابو المعالي سعد
بن علي بن القاسم بن علي بن القاسم بن علي بن القاسم
الأنصاري الخزرجي الوراق الحظيري المعروف بدلال
الكتب كانت لديه معارف وله نظم جيد وألف مجاميع ما
قصر فيها منها كتاب زينة الدهر وعصرة أهل العصر
وذكر ألطاف شعراء العصر الذي ذيله على دمية القصر
لأبي الحسن الباخرزي جمع فيه جماعة كبيرة من أهل
عصره ومن تقدمهم وأورد لكل واحد طرفا من أحواله
وشيئا من شعره وقد ذكره العماد الكاتب في الخريدة وأنشد
له عدة مقاطيع وروى عنه لغيره شيئا كثيرا وكان مطلعا
على أشعار الناس وأحوالهم وله كتاب سماه لمح الملح يدل
على كثرة اطلاعه ومن شعر أبي المعالي المذكور قوله
(ومعذر في خده * ورد وفي فمه مدام) (ما لان لي
حتى تغشى * صبح سالفه ظلام) (كالمهر يجمح تحت
راكبه * ويعطفه اللجام) وهذا المعنى يقرب من قول أبي
علي الحسن بن رشيق المقدم ذكره (وأسمر اللون
عسجدي * يستمطر المقلة الجهاما) (ضاق بحمل العذار
ذرعا * كالمهر لا يعرف اللجاما)
367 (فظن أن العذار مما * يزيح عن جسمي
السقاما) (فنكس الرأس إذ رآني * كآبة منه واحتشاما)
(وما درى أنه نبات * أنبت في قلبي الغراما) (وهل
ترى عارضيه إلا * حمائلا علقت حساما) وقد سبق في
ترجمة أبي عمر أحمد بن عبد ربه صاحب كتاب العقد

معنى هذا البيت الأخير وله أيضا (أحدقت ظلمة العذار بخديه * فزادت في حبه حسراتي) (قلت ماء الحياة في فمه العذب * دعوني أخوض في الظلمات) ومن شعره الرائق (لئن قيل أبدع في شبهه * ولم يكس معناه لفظا سليما) (فمن عنب الكرم يجنى السلاف * وإن لم يكن غصنها مستقيما) وله أيضا (قل لمن عاب شامة لحبيبي * دون فيه دع الملامة فيه) (إنما الشامة التي قلت عنها * فص فيروزج بخاتم فيه) ومن شعره أيضا (لما حنى الشيب ظهري صحت واحربا دنا * أوان فراق الروح والجسد) (أما ترى القوس أحنى ظهرها فدنا * ترحل السهم عنها وهي في الكبد) وله في كتاب جمعه وسماه زينة الدهر

368 (هذا كتاب قد غدا روضة * ونزهة للقلب والعين) (جعلت من شعري له عوذة * خوفا وإشفاقا من العين) وله أيضا (مد على ماء الشباب الذي * في خده جسر من الشعر) (صار طريقا لي إلى سلوتي * وكنت فيه موثق الأسر) ومن شعره أيضا (شكوت هوى من شف قلبي بعده * توقد نار ليس يطفى سعيرها) (فقال بعادي عنك أكثر راحة * ولولا بعاد الشمس أحرق نورها) وله أيضا (ومهفهف شبهته شمس الضحى * في حسن بهجتها وبعد مكانها) (قد زاده نقش العذار محبة * نقش الفصوص يزيد في أثمانها) ومن شعره (ومستحسن أصبحت أهذي بذكره * وأمسيت في شغل من الوصل

شاغل) (وعارضني من سحر عينيه جنة * فقيدني من صدغة بسلاسل) وله كل معنى مليح مع جودة السبك وتوفي يوم الاثنين الخامس والعشرين وقيل الخامس عشر من صفر سنة ثمان وستين وخمسمائة ببغداد ودفن بمقبرة باب حرب رحمه الله تعالى والحظيري بفتح الحاء المهملة وكسر الظاء المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء هذه النسبة إلى موضع فوق بغداد يقال له الحظيرة ينسب إليه كثير من العلماء والثياب الحظيرية منسوبة إليه أيضا

369 260 سعيد الحيري أبو عثمان سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور الواعظ الحيري ولد بالري ونشأ بهاتم انتقل إلى نيسابور فسكنها إلى أن توفي بها وكان قد سمع بالري من محمد بن مقاتل وغيره وبالعراق من محمد بن إسماعيل الأحمسي وحميد بن الربيع اللخمي وغيرهما ودخل بغداد ويقال إنه كان مستجاب الدعوة وقام في مجلسه رجل فقال يا أبا عثمان متى يكون الرجل صادقا في حب مولاه قال إذا خلا من خلافه كان صادقا في حبه قال فوضع الرجل التراب على وجهه وصاح وقال كيف أدعي حبه ولم أخل طرفه عين من خلافه فبكى أبو عثمان وأهل المجلس وجعل أبو عثمان يقول صادق في حبه مقصر في حقه قال أبو عمرو وكنت أختلف إلى أبي عثمان مدة في وقت شبابي وحظيت عنده ثم اشتغلت مدة بشيء مما يشتغل به الفتيان فانقطعت عنه وكنت إذا

رأيته من بعيد أو في طريق اختفيت حتى لا يراني فخرج علي يوما من سكة في عطفة فلم أجد عنه محيصا فتقدمت إليه وأنا دهش فلما رأى ذلك قال يا أبا عمرو لا تثق بمودة من لا يحبك إلا معصوما وكان يقول طول العتاب فرقة وترك العتاب حشمة وكان يقول لا يستوي الرجل حتى يستوي في قلبه أربعة أشياء المنع والعطاء والعز والذل

370 وكان يقال ثلاثة أشياء لا رابع لها أبو عثمان بنيسابور والجنيد ببغداد وأبو عبد الله ابن الجلاء بالشام وقال أبو عثمان منذ أربعين سنة ما أقامني الله تعالى في شيء فكرهته ولا نقلني إلى حال فسخطته وقالت مريم امرأة أبي عثمان كنا نؤخر اللعب والضحك والحديث إلى أن يدخل أبو عثمان في ورده من الصلاة فإنه إذا دخل ستر الخلوة لم يحس بشيء من الحديث وغيره وقالت صادفت من أبي عثمان خلوة فاغتنمتها وقلت يا أبا عثمان أي عملك أرجى عندك فقال يا مريم لما ترعرعت وأنا بالري وكانوا يراودونني على التزوج فأمتنع جائتني امرأة فقالت يا أبا عثمان قد أحببتك حبا ذهب بنومي وقراري وأنا أسألك بمقلب القلوب أن تتزوج بي فقلت ألك والد قالت نعم فلان الخياط في موضع كذا فراسلته فأجاب فتزوجت بها فلما دخلت وجدتها عوراء عرجاء سيئة الخلق فقلت اللهم لك الحمد على ما قدرته لي وكان أهل بيتي يلومونني علىذلك فأزيدها برا وإكراما إلى أن صارت

لا تدعني أخرج من عندها فتركت حضور المجلس إيثارا لرضاها وحفظا لقلبها وبقيت معها على هذه الحالة خمس عشرة سنة وكنت معها في بعض أوقاتي كأني قابض على الجمر ولا أبدي لها شيئا من ذلك إلى أن ماتت فما شيء عندي أرجى من حفظي عليها ما كان في قلبها من جهتي ولما تغير على أبي عثمان الحال عند الموت مزق ابنه أبو بكر قميصا على نفسه ففتح أبو عثمان عينه وقال خلاف السنة يا بني في الظاهر وعلامة رياء في الباطن توفي لثلاث عشرة بقين من ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين ومائتين رحمه الله تعالى وكان كثيرا ما ينشد في حال وعظه (وغير تقي يأمر الناس بالتقى * طبيب يداوي والطبيب مريض)

371 261 سعيد بن جبير أبو عبد الله وقيل أبو محمد سعيد بن جبير بن هشام الأسدي بالولاء مولى بني والبة بن الحارث بطن من بني أسد بن خزيمة كوفي أحد أعلام التابعين وكان أسود أخذ العلم عن عبد الله بن العباس وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم قال له ابن عباس حدث فقال أحدث وأنت هاهنا فقال أليس من نعمة الله عليك أن تحدث وأنا شاهد فإن أصبت فذاك وإن أخطأت علمتك وكان لا يستطيع أن يكتب مع ابن عباس في الفتيا فلما عمي ابن عباس كتب فبلغه ذلك فغضب وعن ابن عباس رضي الله عنه أخذ القراءة أيضا عرضا وسمع منه التفسير وأكثر روايته عنه وروى عن سعيد

القراءة عرضا المنهال بن عمرو وأبو عمرو بن العلاء
قال وفاء بن إياس قال لي سعيد في رمضان أمسك علي
القرآن فما قام من مجلسه حتى ختمه قال سعيد قرأت
القران في ركعة في البيت الحرام وقال إسماعيل بن عبد
الملك كان سعيد بن جبير يؤمنا في شهر رمضان فيقرأ
ليلة بقراءة عبد الله بن مسعود وليلة بقراءة زيدبن ثابت
وليلة بقراءة غيره هكذا أبدا وسأله رجل أن يكتب له تفسير
القران فغضب وقال لأن يسقط
372 شقي أحب إلي من ذلك وقال خصيف كان من
أعلم التابعين بالطلاق سعيد بن المسيب وبالحج عطاء
وبالحلال والحرام طاوس وبالتفسير أبو الحجاج مجاهد بن
جبر وأجمعهم لذلك كله سعيد بن جبير وكان سعيد في
أول أمره كاتبا لعبد الله بن عتبة بن مسعود ثم كتب لأبي
بردة بن أبي موسى الأشعري وذكره أبو نعيم الأصبهاني
في تاريخ أصبهان فقال دخل أصبهان وأقام بها مدة ثم
ارتحل منها إلى العراق وسكن قرية سنبلان وروى محمد
بن حبيب أن سعيد بن جبير كان بأصبهان يسألونه عن
الحديث فلا يحدث فلما رجع إلى الكوفة حدث فقيل له يا أبا
محمد كنت بأصبهان لاتحدث وأنت بالكوفة تحدث فقال
انشر بزك حيث يعرف وكان مع عبد الرحمن بن محمد
بن الأشعث بن قيس لما خرج على عبد الملك بن مروان
فلما قتل عبد الرحمن وانهزم أصحابه من دير الجماجم
هرب فلحق بمكة وكان واليها يومئذ خالد بن عبد الله

القسري فأخذه وبعث به إلى الحجاج بن يوسف الثقفي مع إسماعيل بن أوسط البجلي فقال له الحجاج

373 يا شقي بن كسير أما قدمت الكوفة وليس يؤم بها إلا عربي فجعلتك إماما فقال بلى قال أما وليتك القضاء فضج أهل الكوفة وقالوا لا يصلح للقضاء إلا عربي فاستقضيت أبا بردة بن أبي موسى الأشعري وأمرته أن لا يقطع أمرا دونك قال بلى قال أما جعلتك في سماري وكلهم رؤوس العرب قال بلى قال أما أعطيتك مائة ألف درهم تفرقها على أهل الحاجة في أول ما رأيتك ثم لم أسألك عن شيء منها قال بلى قال فما أخرجك علي قال بيعة كانت في عنقي لابن الأشعث فغضب الحجاج ثم قال أفما كانت بيعة أمير المؤمنين عبد الملك في عنقك من قبل والله لأقتلنك يا حرسي اضرب عنقه فضرب عنقه وذلك في شعبان سنة خمس وتسعين وقيل سنة أربع وتسعين للهجرة بواسط ودفن في ظاهرها وقبره يزار بها رضي الله عنه وله تسع وأربعون سنة وكان يوم أخذ يقول وشى بي واش في بلد الله الحرام أكله إلى الله تعالى يعني خالد بن عبد الله القسري وقال أحمد بن حنبل قتل الحجاج سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه ثم مات الحجاج بعده في شهر رمضان من السنة وقيل بل مات بعده بستة أشهر ولم يسلطه الله تعالى بعده على قتل أحد حتى مات ولما قتله سال منه دم كثير فاستدعى الحجاج الأطباء وسألهم عنه وعمن كان قتله قبله فإنه كان

يسيل منهم دم قليل فقالوا له هذا قتلته ونفسه معه والدم تبع
للنفس ومن كنت تقتله قبله كانت نفسه تذهب من الخوف
فلذلك قل دمهم وقيل للحسن البصري إن الحجاج قد قتل
سعيد بن جبير فقال اللهم ايت على فاسق ثقيف والله لو أن
من بين المشرق والمغرب اشتركوا في قتله لكبهم الله عز
وجل في النار ويقال إن الحجاج لما حضرته الوفاة كان
يغوص ثم يفيق ويقول مالي ولسعيد بن جبير وقيل إنه في
مدة مرضه كان إذا نام رأى سعيد بن جبير آخذا بمجامع
ثوبه يقول له يا عدو الله فيم قتلتني فيستيقظ مذعورا ويقول
مالي ولسعيد بن جبير ويقال إنه رئي الحجاج في النوم بعد
موته فقيل له مافعل الله بك فقال قتلني بكل قتيل قتلته قتلة
وقتلني بسعيد ابن جبير سبعين قتلة وحكى الشيخ أبو
إسحاق الشيرازي في كتاب المهذب أن سعيد بن جبير كان
يلعب بالشطرنج استدبارا ذكره في كتاب الشهادات في
فصل اللعب بالشطرنج

374 وقال أحمد بن حنبل قتل الحجاج سعيد بن
جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه
ثم مات الحجاج بعده في شهر رمضان من السنة وقيل بل
مات بعده بستة أشهر ولم يسلطه الله تعالى بعده على قتل
أحد حتى مات ولما قتله سال منه دم كثير فاستدعى
الحجاج الأطباء وسألهم عنه وعمن كان قتله قبله فإنه كان
يسيل منهم دم قليل فقالوا له هذا قتلته ونفسه معه والدم تبع
للنفس ومن كنت تقتله قبله كانت نفسه تذهب من الخوف

فلذلك قل دمهم وقيل للحسن البصري إن الحجاج قد قتل سعيد بن جبير فقال اللهم ايت على فاسق ثقيف والله لو أن من بين المشرق والمغرب اشتركوا في قتله لكبهم الله عز وجل في النار ويقال إن الحجاج لما حضرته الوفاة كان يغوص ثم يفيق ويقول مالي ولسعيد بن جبير وقيل إنه في مدة مرضه كان إذا نام رأى سعيد بن جبير آخذا بمجامع ثوبه يقول له يا عدو الله فيم قتلتني فيستيقظ مذعورا ويقول مالي ولسعيد بن جبير ويقال إنه رئي الحجاج في النوم بعد موته فقيل له مافعل الله بك فقال قتلني بكل قتيل قتلته قتلة وقتلني بسعيد ابن جبير سبعين قتلة وحكى الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في كتاب المهذب أن سعيد بن جبير كان يلعب بالشطرنج استدبارا ذكره في كتاب الشهادات في فصل اللعب بالشطرنج

375 262 سعيد بن المسيب أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران ابن مخزوم القرشي المدني أحد الفقهاء السبعة بالمدينة وقد تقدم ذكر اثنين منهم أبو بكر في حرف الباء وخارجة في حرف الخاء كان سعيد المذكور سيد التابعين من الطراز الأول جمع بين الحديث والفقه والزهد والعبادة والورع سمع سعد بن أبي وقاص الزهري وأبا هريرة رضي الله عنهما قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لرجل سأله عن مسألة ايت ذاك فسله يعني سعيدا ثم ارجع إلى فأخبرني ففعل ذلك وأخبره فقال ألم أخبركم أنه أحد

العلماء وقال أيضا في حقه لأصحابه لو رأى هذا رسول الله لسره وكان قد لقي جماعة من الصحابة رضي الله عنهم وسمع منهم ودخل على أزواج رسول الله وأخذ عنهن وأكثر روايته المسند عن أبي هريرة رضي الله عنه وكان زوج ابنته وسئل الزهري ومكحول من أفقه من أدركتما فقالا سعيد بن المسيب وروي عنه أنه قال حججت أربعين حجة وعنه أنه قال ما فاتتني التكبيرة الأولى منذ خمسين سنة وما نظرت إلى قفا رجل في الصلاة منذ خمسين سنة لمحافظته على الصف الأول وقيل إنه صلى الصبح بوضوء العشاء خمسين سنة وكان يقول ما أعزت العباد نفسها بمثل طاعة الله ولا أهانت نفسها بمثل معصية
376 الله ودعي إلى نيف وثلاثين ألفا ليأخذها فقال لا حاجة لي فيها ولا في بني مروان حتى ألقى الله فيحكم بيني وبينهم وقال أبو وداعة كنت أجالس سعيد بن المسيب ففقدني أياما فلما جئته قال أين كنت قلت توفيت أهلي فاشتغلت بها فقال هلا أخبرتنا فشهدناها قال ثم أردت أن أقوم فقال هلا أحدثت امرأة غيرها فقلت يرحمك الله ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة فقال إن أنا فعلت تفعل قلت نعم ثم حمد الله تعالى وصلى على النبي وزوجني على درهمين أو قال على ثلاثة قال فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح فصرت إلى منزلي وجعلت أتفكر ممن آخذ وأستدين وصليت المغرب وكنت صائما فقدمت عشاي لأفطر وكان خبزا وزيتا وإذا بالباب يقرع

فقلت من هذا قال سعيد ففكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب فإنه لم ير منذ أربعين سنة إلا ما بين بيته والمسجد فقمت وخرجت وإذا بسعيد بن المسيب فظننت أنه قد بدا له فقلت يا أبا محمد هلا أرسلت إلي فآتيك قال لا أنت أحق أن تؤتى قلت فما تأمرني قال رأيتك رجلا عزبا قد تزوجت فكرهت أن تبيت الليلة وحدك وهذه امرأتك فإذا هي قائمة خلفه في طوله ثم دفعها في الباب ورد الباب فسقطت المرأة من الحياء فاستوثقت من الباب ثم صعدت إلى السطح فناديت الجيران فجاءوني وقالوا ما شأنك فقلت زوجني سعيد بن المسيب اليوم ابنته وقد جاء بها على غفلة وها هي في الدار فنزلوا إليها وبلغ أمي فجاءت وقالت وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها ثلاثة أيام فأقمت ثلاثا ثم دخلت بها فإذا هي من أجمل الناس وأحفظهم لكتاب الله تعالى وأعلمهم بسنة رسول الله وأعرفهم بحق الزوج قال فمكث شهرا لا يأتيني ولا آتيه ثم أتيته بعد شهر وهو في حلقته فسلمت عليه فرد علي ولم يكلمني حتى انفض من في المسجد فلما لم يبق غيري قال ما حال ذلك الإنسان قلت هو على ما يحب الصديق ويكره العدو قال إن رابك شيء فالعصا
فانصرفت إلى منزلي

377 وكانت بنت سعيد المذكورة خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاه العهد فأبى سعيد أن يزوجه فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه

في يوم بارد وصب عليه الماء قال يحيى بن سعيد كتب هشام بن إسماعيل والي المدينة إلى عبد الملك بن مروان إن أهل المدينة قد أطبقوا على البيعة للوليد وسليمان إلا سعيد بن المسيب فكتب أن اعرضه على السيف فإن مضى فاجلده خمسين جلدة وطف به أسواق المدينة فلما قدم الكتاب على الوالي دخل سليمان بن يسار وعروة بن الزبير وسالم بن عبد الله على سعيد بن المسيب وقالوا جئناك في أمر قد قدم كتاب عبد الملك إن لم تبايع ضربت عنقك ونحن نعرض عليك خصالا ثلاثا فأعطنا إحداهن فإن الوالي قد قبل منك أن يقرأ عليك الكتاب فلا تقل لا ولا نعم قال يقول الناس بايع سعيد بن المسيب ما أنا بفاعل وكان إذا قال لا لم يستطيعوا أن يقولوا نعم قالوا فتجلس في بيتك ولا تخرج إلى الصلاة أياما فإنه يقبل منك إذا طلبك من مجلسك فلم يجدك قال فأنا أسمع الأذان فوق أذني حي على الصلاة حي على الصلاة ما أنا بفاعل قالوا فانتقل من مجلسك إلى غيره فإنه يرسل إلى مجلسك فإن لم يجدك أمسك عنك قال أفرقا من مخلوق ما أنا بمتقدم شبرا ولا متأخر فخرجوا وخرج إلى صلاة الظهر فجلس في مجلسه الذي كان يجلس فيه فلما صلى الوالي بعث إليه فأتي به فقال إن أمير المؤمنين كتب يأمرنا إن لم تبايع ضربنا عنقك قال نهى رسول الله عن بيعتين فلما رآه لم يجب أخرج إلى السدة فمدت عنقه وسلت السيوف فلما رآه قد مضى أمر به فجرد فإذا عليه ثياب شعر فقال لو علمت

ذلك ما اشتهرت بهذا الشأن فضربه خمسين سوطا ثم
طاف به أسواق المدينة فلما ردوه والناس منصرفون من
صلاة العصر قال إن هذه لوجوه ما نظرت إليها منذ
أربعين سنة ومنعوا الناس أن يجالسوه فكان من ورعه إذا
جاء إليه أحد يقول له قم من عندي كراهية أن يضرب
بسببه قال مالك رضي الله عنه بلغني أن سعيد بن المسيب
كان يلزم مكانا من المسجد لا يصلي من المسجد في غيره
وأنه ليالي صنع به عبد الملك ما صنع
378 قيل له أن يترك الصلاة فيه فأبى إلا أن يصلي
فيه وكان يقول لا تملأوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا
بإنكار من قلوبكم لكي لا تحبط أعمالكم وقيل له وقد نزل
الماء في عينه ألا تقدح عينك قال حتى على من أفتحها
ورأى عبد الملك بن مروان في منامه كأنه قد بال في
المحراب أربع مرات فوجه إلى سعيد بن المسيب من
يسأله فقال يملك من ولده لصلبه أربعة فكان كما قال فإنه
ولي الوليد وسليمان ويزيد وهشام وهم أولاد عبد الملك
لصلبه وكانت ولادته لسنتين مضتا من خلافة عمر
رضي الله عنه وكان في خلافة عثمان رضي الله عنه
رجلا وتوفي بالمدينة سنة إحدى وقيل اثنتين وقيل ثلاث
وقيل أربع وقيل خمس وتسعين للهجرة وقيل إنه توفي سنة
خمس ومائة والله أعلم رضي الله عنه والمسيب بفتح الياء
المشددة المثناة من تحتها وروي عنه أنه كان يقول بكسر
الياء ويقول سيب الله من يسيب أبي وحزن بفتح الحاء

المهملة وسكون الزاي وبعدها نون وعائذ بذال معجمة
263 أبو زيد الأنصاري أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت بن زيد بن قيس بن زيد بن النعمان بن مالك ابن ثعلبة بن كعب بن الخزرج وقال محمد بن سعد في الطبقات هو

379 أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير بن أبي زيد ثابت بن زيد بن قيس والأول ذكره الخطيب في تاريخه والله أعلم بالصواب الأنصاري اللغوي البصري كان من أئمة الأدب وغلب عليه اللغات والنوادر والغريب وكان يرى رأي القدر وكان ثقة في روايته حدث أبو عثمان المازني قال رأيت الأصمعي وقد جاء إلى حلقه أبي زيد المذكور فقبل رأسه وجلس بين يديه وقال أنت رئيسنا وسيدنا منذ خمسين سنة وكان التوزي يقول قال لي ابن مناذر أصف لك أصحابك أما الأصمعي فأحفظ الناس وأما أبو عبيدة فأجمعهم وأما أبو زيد الأنصاري فأوثقهم وكان النضر بن شميل يقول كنا ثلاثة في كتاب واحد أنا وأبو زيد الأنصاري وأبو محمد اليزيدي وقال أبو زيد حدثني خلف الأحمر قال أتيت الكوفة لأكتب عنهم الشعر فبخلوا علي به فكنت أعطيهم المنحول وآخذ الصحيح ثم مرضت فقلت لهم ويلكم أنا تائب إلى الله تعالى هذا الشعر لي فلم يقبلوا مني فبقي منسوبا إلى العرب لهذا السبب وأبو زيد المذكور له في الآداب مصنفات مفيدة منها كتاب القوس والترس وكتاب الإبل وكتاب خلق الإنسان وكتاب المطر

وكتاب المياه وكتاب اللغات وكتاب النوادر وكتاب الجمع والتثنية وكتاب اللبن وكتاب بيوتات العرب وكتاب تخفيف الهمزة وكتاب القضيب وكتاب الوحوش وكتاب الفرق وكتاب فعلت وأفعلت وكتاب غريب الأسماء وكتاب الهمزة وكتاب المصادر وغير ذلك ولقد رأيت له في النبات كتابا حسنا جمع فيه أشياء غريبة وحكى بعضهم أنه كان في حلقة شعبة بن الحجاج فضجر من إملاء الحديث فرمى بطرفه فرأى أبا زيد الأنصاري في أخريات الناس فقال

380 يا أبا زيد (استعجمت دار مي ما تكلمنا * والدار لو كلمتنا ذات إخبار) إلي يا أبا زيد فجاءه فحملا يتحدثان ويتناشدان الأشعار فقال له بعض أصحاب الحديث يا أبا بسطام نقطع إليك ظهور الإبل لنسمع منك حديث رسول الله فتدعنا وتقبل على الأشعار قال فغضب شعبة غضبا شديدا ثم قال يا هؤلاء أنا أعلم بالأصلح لي أنا والله الذي لا إله إلا هو في هذا أسلم مني في ذاك وكانت وفاته بالبصرة في سنة خمس عشرة وقيل أربع عشرة وقيل ست عشرة ومائتين وعمر عمرا طويلا حتى قارب المائة وقيل انه عاش ثلاثا وتسعين سنة وقيل خمسا وتسعين وقيل ستا وتسعين رحمه الله تعالى 264 الأخفش الأوسط أبو الحسن سعيدبن مسعدة المجاشعي بالولاء النحوي البلخي المعروف بالأخفش الأوسط أحد نحاة البصرة والأخفش الأكبر أبو الخطاب وكان نحويا أيضا

من أهل هجر من مواليهم واسمه عبد الحميد بن عبد المجيد وقد أخذ عنه أبو عبيدة وسيبويه وغيرهما وكان الأخفش الأوسط المذكور من أئمة العربية وأخذ النحو عن سيبويه

381 وكان أكبر منه وكان يقول ما وضع سيبويه في كتابه شيئا إلا وعرضه علي وكان يرى أنه أعلم به مني وأنا اليوم أعلم به منه وحكى أبو العباس ثعلب عن آل سعيد بن سلم قالوا دخل الفراء على سعيد المذكور فقال لنا قد جاءكم سيد أهل اللغة وسيد أهل العربية فقال الفراء أما ما دام الأخفش يعيش فلا وهذا الأخفش هو الذي زاد في العروض بحر الخبب كما سبق في حرف الخاء في ترجمة الخليل وله من الكتب المصنفة كتاب الأوسط في النحو وكتاب تفسير معاني القرآن وكتاب المقاييس في النحو وكتاب الاشتقاق وكتاب العروض وكتاب القوافي وكتاب معاني الشعر وكتاب الملوك وكتاب الأصوات وكتاب المسائل الكبير وكتاب المسائل الصغير وغير ذلك وكان أجلع والأجلع الذي لا تنضم شفتاه على أسنانه والأخفش الصغير العينين مع سوء بصرهما وكانت وفاته سنة خمس عشرة ومائتين وقيل سنة إحدى وعشرين ومائتين رحمه الله تعالى وكان يقال له الأخفش الأصغر فلما ظهر على بن سليمان المعروف بالأخفش أيضا صار هذا وسطا ومسعدة بفتح الميم وسكون السين وفتح العين والدال المهملات وبعدهن هاء ساكنة والمجاشعي بضم الميم

وفتح الجيم وبعد الألف شين مثلثة مكسورة وبعدها عين مهملة هذه النسبة إلى مجاشع بن دارم بطن من تميم

382 265 ابن الدهان النحوي أبو محمد سعيد بن المبارك بن علي بن عبد الله بن سعيد بن محمد بن نصر بن عاصم بن عباد بن عصام بن الفضل بن ظفر بن غلاب بن حمد بن شاكر بن عياض ابن حصن بن رجاء بن أبي بن شبل بن أبي اليسر كعب الأنصاري رضي الله عنه المعروف بابن الدهان النحوي البغدادي سمع الحديث من أبي القاسم هبة الله بن الحصين ومن أبي غالب أحمد بن الحسن بن البناء وغيرهما وكان سيبويه عصره وله في النحو التصانيف المفيدة منها شرح كتاب الإيضاح والتكملة وهو مقدار ثلاث وأربعين مجلدة ومنها الفصول الكبرى والفصول الصغرى وشرح كتاب اللمع لابن جني شرحا كبيرا يدخل في مجلدين وسماه الغرة ولم أر مثله مع كثرة شروح هذا الكتاب ومنها كتاب العروض في مجلدة وكتاب الدروس في النحو في مجلدة وكتاب الرسالة السعيدية في المآخذ الكندية يشتمل على سرقات المتنبي في مجلدة وكتاب تذكرته سماه زهر الرياض في سبع مجلدات وكتاب الغنية في الضاد والظاء والمعقود في المقصور والممدود والراء والغنية في الأضداد وغير ذلك من المصنفات وكان في زمن أبي محمد المذكور ببغداد من النحاة ابن الجواليقي وابن الخشاب وابن الشجري وكان الناس يرجحون أبا محمد المذكور على الجماعة

المذكورين مع أن كل واحد منهم إمام ثم إن أبا محمد ترك بغداد وانتقل إلى الموصل قاصدا
جناب الوزير جمال الدين الأصبهاني   383
المعروف بالجواد الآتي ذكره في حرف الميم إن شاء الله تعالى فتلقاه بالإقبال وأحسن إليه وأقام في كنفه مدة وكانت كتبه قد تخلفت ببغداد فاستولى الغرق تلك السنة على البلد فسير من يحضرها إليه إن كانت سالمة فوجدها قد غرقت وكان خلف داره مدبغة فغرقت أيضا وفاض الماء منها إلى داره فتلفت الكتب بهذا السبب زيادة على إتلاف الغرق وكان قد أفنى في تحصيلها عمره فلما حملت إليه على تلك الصورة أشاروا عليه أن يطيبها بالبخور ويصلح منها ما أمكن فبخرها باللاذن ولازم ذلك إلى أن بخرها بأكثر من ثلاثين رطلا لاذنا فطلع ذلك إلى رأسه وعينيه فأحدث له العمى وكف بصره وانتفع عليه خلق كثير ورأيت الخلق يشتغلون في تصانيفه المذكورة بالموصل وتلك الديار اشتغالا كثيرا وكانت وفاته يوم الأحد غرة شوال سنة تسع وستين وخمسمائة وقال ابن المستوفي سنة ست وستين بالموصل رحمه الله تعالى ودفن بمقبرة المعافى بن عمران بباب الميدان ومولده عشية الخميس سادس وعشرين رجب سنة أربع وتسعين وأربعمائة ببغداد بنهر طابق وهي محلة بها وقيل يوم الجمعة وله نظم حسن فمنه قوله (لا تجعل الهزل دأبا فهو منقصة * والجد تعلو به بين الورى القيم) (ولا يغرنك من ملك تبسمه * ما تصخب

السحب إلا حين تبتسم) وله أيضا (ولا تحسبن أن
بالشعر * مثلنا ستصير) (فللدجاجة ريش لكنها لا تطير
) وله أيضا (لا غرو أن أخشى فراقكم * وتخشاني
اللّيوث)
384 (أو ما ترى الثوب الجديد * من التفرق
يستغيث) وذكره الحظيري في كتاب زينة الدهر وأورد له
(بادر إلى العيش والأيام راقدة * ولا تكن لصروف الدهر
تنتظر) (فالعمر كالكأس يبدو في أوائله * صفو وآخره
في قعره الكدر) وأورد له أيضا (قالوا اغترب عن بلاد
كنت تألفها * إن ضاق رزق تجد في الأرض منتزحا) (
قلت انظروا الريق في الأفواه مختزنا * عذبا فإن بان عنها
صار مطرحا) وأورد له أيضا (أهوى الخمول لكي أظل
مرفها * مما يعانيه بنو الأزمان) (إن الرياح إذا توالى
عصفها * تولي الأذية شامخ الأغصان) وأورد له أيضا
(يا سادتي لا عدمتم استمعوا * قول فتى عارف بمنطقه)
(كنت ببيتي كالرخ محترما * فصرت في غربتي كبيذقه
) وقد ذكره العماد الكاتب في الخريدة وأثنى عليه وذكر
طرفا من حاله وقال الحافظ أبو سعد السمعاني سمعت
الحافظ ابن عساكر الدمشقي يقول سمعت سعيد بن
المبارك بن الدهان يقول رأيت في النوم شخصا أعرفه
وهو ينشد شخصا آخر كأنه حبيب له (أيها الماطل ديني
* أملي وتماطل)

385 (علل القلب فإني * قانع منك بباطل) قال
السمعاني فرأيت ابن الدهان وعرضت عليه الحكاية فقال
ما أعرفها ولعل ابن الدهان نسي فإن ابن عساكر من أوثق
الرواة ثم استملى ابن الدهان من السمعاني هذه الحكاية
وقال أخبرني السمعاني عن ابن عساكر عني فروى عن
شخصين عن نفسه وهذا غريب في الرواية 44 وكان له
ولد وهو أبو زكريا يحيى بن سعيد وكان أديبا شاعرا
ومولده بالموصل في أوائل سنة تسع وستين وخمسمائة
تقديرا وتوفي سنة ست عشرة وستمائة بالموصل ودفن
على أبيه بمقبرة المعافى بن عمران الموصلي ومن شعره
(إن مدحت الخمول نبهت أقواما * نياما فسابقوني إليه)
(هو قد دلني على لذة العيش * فما لي أدل غيري عليه)
ومن شعره على ما قيل (وعهدي بالصبا زمنا وقدي *
حكى ألف ابن مقلة في الكتاب) (فصرت الآن منحنيا
كأني * أفتش في التراب على شبابي)
386 266 سفيان الثوري ابو عبد الله سفيان بن
سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة
بن أبي عبد الله بن منقذ بن نصر بن الحكم بن الحارث بن
ثعلبة بن ملكان ابن ثور بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن
إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان الثوري الكوفي
كان إماما في علم الحديث وغيره من العلوم وأجمع الناس
على دينه وورعه وزهده وثقته وهو أحد الأئمة المجتهدين
ويقال إن الشيخ أبا القاسم الجنيد رضي الله عنه كان على

مذهبه على الاختلاف الذي تقدم في ترجمته في حرف الجيم وقال يونس بن عبيد ما رأيت كوفيا أفضل من سفيان قالوا إنك رأيت سعيد بن جبير وفلانا وفلانا قال ما رأيت كوفيا أفضل من سفيان وقال سفيان بن عيينة ما رأى سفيان مثله أكل سفيان ليلة فشبع فقال الحمار إذا زيد في علفه زيد في عمله فقام حتى أصبح وحدث ابن عيينة قال دعانا سفيان فقدم إلينا غداء ولبنا خاثرا فلما توسطنا قال قوموا بنا نصلي ركعتين شكرا لله تعالى قال ابن وكيع وكان حاضرا لو قدم إلينا شيئا من هذا اللوزينج المحدث لقال قوموا بنا نصلي التراويح وقال بشر بن الحارث كان سفيان الثوري كأن العلم بين عينيه يأخذ منه ما يريد ويدع منه ما يريد

387 وقال الأوزاعي كنت أقول فيمن ضحك في الصلاة قولا لا أدري كيف هو فلما لقيت سفيان الثوري سألته فقال يعيد الصلاة والوضوء فأخذت به وكان عاصم بن أبي النجود يجيء إلى سفيان يستفتيه ويقول يا سفيان أتيتنا صغيرا وأتيناك كبيرا وقال عبد الرحمن بن مهدي ما رأيت رجلا أحسن عقلا من مالك بن أنس ولا رأيت رجلا أنصح لأمة محمد من عبد الله بن مبارك ولا أعلم بالحديث من سفيان ولا أقشف من شعبة وقال سفيان الثوري ما استودعت قلبي شيئا فخانني وقيل لقي سفيان الثوري شريكا بعدما ولي القضاء بالكوفة فقال يا أبا عبد الله بعد الإسلام والتفقه والخير تلي القضاء أو صرت

قاضيا فقال له شريك يا أبا عبد الله لا بد للناس من قاض
فقال سفيان يا أبا عبد الله لا بد للناس من شرطي وحدث
عبد الرحمن بن أبي عبد الرحمن بن عبد الله البصري قال
قال رجل لسفيان اوصني فقال اعمل للدنيا بقدر بقائك فيها
واعمل للآخرة بقدر دوامك فيها والسلام وجاء سفيان
الثوري إلى صيرفي بمكة يشتري منه دراهم بدينار
فأعطاه الدينار وكان معه آخر فسقط من سفيان فطلبه فإذا
إلى جانبه دينار آخر فقال له الصيرفي خذ دينارك قال ما
أعرفه قال خذ الناقص قال فلعله الزائد وتركه ومضى
وقال شعيب بن حرب سمعت سفيان الثوري يقول انظر
درهمك من أين هو وصل في الصف الآخر وقال عبد الله
بن صالح العجلي دخل سفيان على المهدي فقال سلام
عليكم كيف أنتم يا أبا عبد الله ثم جلس فقال حج عمر بن
الخطاب رضي الله عنه فأنفق في حجته ستة عشر دينارا
وأنت حججت فأنفقت في حجتك بيوت الأموال قال فأي
شيء تريد أن أكون مثلك قال فوق ما أنا فيه ودون ما
أنت فيه فقال وزيره أبو عبيد الله أبا عبد الله قد كانت
388 كتبك تأتينا فننفذها قال من هذا قال أبو عبيد الله
وزيري قال احذره فإنه كذاب إني ما كتبت إليك ثم قام
فقال له المهدي إلى أين يا ابا عبد الله قال أعود وكان قد
ترك نعله حين قام فعاد فأخذها ثم مضى فانتظره المهدي
فلم يعد فقال وعدنا أن يعود فلم يعد فعلم أنه عاد لأخذ نعله
فغضب فقال قد أمن الناس إلا سفيان الثوري وإنه لفي

المسجد الحرام فذهب فألقى نفسه بين النساء فخبأنه فقيل له لم فعلت فقال إنهن أرحم ثم خرج إلى البصرة فلم يزل بها حتى مات قال عبد الرحمن بن مهدي لما قدم سفيان البصرة والسلطان يطلبه صار في بعض البساتين وأجر نفسه على أن يحفظ ثمارها فمر به بعض العشارين فقال من أين أنت يا شيخ قال من أهل الكوفة قال أخبرني رطب البصرة أحلى أم رطب الكوفة قال أما رطب البصرة فلم أذقه ولكن رطب السابري بالكوفة حلو فقال ما أكذبك من شيخ الكلاب والبر والفاجر يأكلون الرطب الساعة وأنت تزعم أنك لم تذقه فرجع إلى العامل ليخبره بما قال لتعجبه فقال ثكلتك أمك ادركه إن كنت صادقا فإنه سفيان الثوري لتتقرب به إلى أمير المؤمنين فرجع في طلبه فما قدر عليه ودخل سفيان على المهدي فكلمه بكلام فيه غلظة فقال له عيسى بن موسى تكلم أمير المؤمنين بمثل هذا الكلام وإنما أنت رجل من ثور فقال له سفيان إن من أطاع الله من ثور خير ممن عصى الله من قومك وكان فتى يجالسه ولا يتكلم فأحب سفيان أن يعرف نطقه فقال له يا فتى إن من كان قبلنا مروا على خيل سابقة وبقينا بعدهم على حمر دبرة فقال الفتى يا أبا عبد الله إن كنا على الطريق فما أسرع لحوقنا بهم وحدث أبو بكر ابن عياش قال كنت أنا وسفيان الثوري نمشي فرأينا شيخا أبيض الرأس واللحية حسن السمت فقال له سفيان يا شيخ أعندك شيء من الحديث قال لا ولكن عندي عتيق سنين فنظرنا فإذا هو

خمار وحكى ضمرة قال سألت سفيان الثوري أصافح
اليهود والنصارى فقال برجلك نعم وقال له رجل إني أريد
الحج فقال لا تصحب من
389	يتكرم عليك فإن ساويته في النفقة أضر بك
وإن تفضل عليك استذلك وكان يقول من كان في يده
شيء من هذه الدراهم فليصلحه فإنه في زمان إن احتاج
كان أول من يبذل دينه وحكي عنه أنه قال إني لألقى
الرجل أبغضه فيقول لي كيف أصبحت فيلين له قلبي
فكيف بمن أكل ثريدهم ووطىء بساطهم وقيل إن المهدي
قال للخيزران أريد أتزوج وكانت بكتاب فقالت له لا يحل
لك أن تتزوج علي قال بلى قالت له بيني وبينك من شئت
قال أترضين سفيان الثوري قالت نعم فوجه إلى سفيان
فقال إن أم الرشيد تزعم انه لا يحل لي أتزوج عليها وقد
قال الله عز وجل (^ فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى
وثلاث ورباع) ثم سكت فقال له سفيان أتم الآية يريد قوله
تعالى (^ فإن خفتم ألا تعدلوا فواحده) (النساء : 3)
وأنت لا تعدل فأمر له بعشرة آلاف درهم فأبى أن يقبلها
ومثل هذه النادرة ما أخبرني به الفقيه أمين الدين المحلي
الذي كان في جملة المتصدرين عند الفقيه برهان الدين ابن
الفقيه نصر وهو يومئذ صاحب ديوان الأحباس وكتب
أسماءهم ينتدبهم للمضي إلى الخانقاه إلى المقام السلطاني
في مهم فاعتذر رجل منهم فخط على اسمه وكتب غيره
فقام رجل يعتذر فقال المملوك كما قال الله عز وجل (^

ان بيوتنا عورة) فقال له الفقيه أمين الدين صل يشير إلى
بقية الآية وهي قوله تعالى (^ وما هي بعورة ان يريدون
إلا فرارا) (الاحزاب : 13) فضحك البرهان
والحاضرون وقال لا أجمع عليك بين الفقه وبين تكليفك
المجيء ثم خط على اسمه وابتدأ بغيره قال سفيان بن
عيينة ما رأيت رجلا أعلم بالحلال والحرام من سفيان
الثوري وقال عبد الله بن المبارك لا نعلم على وجه
الأرض أعلم من سفيان الثوري ويقال كان عمر بن
الخطاب رضي الله عنه في زمانه رأس الناس وبعده عبد
الله بن عباس وبعده الشعبي وبعده سفيان الثوري

390 سمع سفيان الثوري الحديث من أبي إسحاق
السبيعي والأعمش ومن في طبقتهما وسمع منه الأوزاعي
وابن جريج ومحمد بن إسحاق ومالك وتلك الطبقة وذكر
المسعودي في مروج الذهب ما مثاله قال القعقاع بن حكيم
كنت عند المهدي وقد أتي بسفيان الثوري فلما دخل عليه
سلم تسليم العامة ولم يسلم بالخلافة والربيع قائم على رأسه
متكئا على سيفه يرقب أمره فأقبل عليه المهدي بوجه طلق
وقال له يا سفيان تفر منا هاهنا وهاهنا وتظن أنا لو أردناك
بسوء لم نقدر عليك فقد قدرنا عليك الآن أفما تخشى أن
نحكم فيك بهوانا قال سفيان إن تحكم في يحكم فيك ملك
قادر يفرق بين الحق والباطل فقال له الربيع يا أمير
المؤمنين ألهذا الجاهل أن يستقبلك بمثل هذا إيذن لي أن
أضرب عنقه فقال له المهدي اسكت ويلك وهل يريد هذا

وأمثاله إلا أن نقتلهم فنشقى بسعادتهم اكتبوا عهده على
قضاء الكوفة على أن لا يعترض عليه في حكم فكتب
عهده ودفع إليه فأخذه وخرج فرمى به في دجلة وهرب
فطلب في كل بلد فلم يوجد ولما امتنع من قضاء الكوفة
وتولاه شريك بن عبد الله النخعي قال الشاعر (تحرز
سفيان وفر بدينه * وأمسى شريك مرصدا للدراهم)
وحكي عن أبي صالح شعيب بن حرب المدائني وكان أحد
السادة الأئمة الأكابر في الحفظ والدين أنه قال إنني
لأحسب يجاء بسفيان الثوري يوم القيامة حجة من الله على
الخلق يقال لهم لم تدركوا نبيكم عليه أفضل فلقد رأيتم
سفيان الثوري ألا اقتديتم به ومولده في سنة خمس وقيل
ست وقيل سبع وتسعين للهجرة وتوفي
391 بالبصرة أول سنة إحدى وستين ومائة متواريا
من السلطان ودفن عشاء رحمه الله تعالى ولم يعقب
والثوري بفتح الثاء المثلثة وبعدها واو ساكنة وراء هذه
النسبة إلى ثور ابن عبد مناة وثم ثوري آخر في بني تميم
وثوري آخر في بني تميم وثوري آخر بطن من همدان
وقيل إنه توفي سنة اثنتين وستين والأول أصح 267
سفيان بن عيينة أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي
عمران ميمون الهلالي مولى امرأة من بني هلال بن عامر
رهط ميمونة زوج النبي وقيل مولى بني هاشم وقيل مولى
الضحاك بن مزاحم وقيل مولى مسعر بن كدام وأصله من
الكوفة وقيل ولد بالكوفة ونقله أبوه إلى مكة ذكره ابن سعد

في كتاب الطبقات وعده في الطبقة الخامسة من أهل مكة كان إماما عالما ثبتا حجة زاهدا ورعا مجمعا على صحة حديثه وروايته وحج سبعين حجة روى عن الزهري وأبي إسحاق السبيعي وعمرو بن دينار ومحمد بن المنكدر وأبي الزناد وعاصم بن أبي النجود المقرىء والأعمش وعبد الملك بن عمير وغير هؤلاء من أعيان العلماء وروى عنه الإمام الشافعي وشعبة بن الحجاج ومحمد ابن إسحاق وابن جريج والزبير بن بكار وعمه مصعب وعبد الرزاق بن همام الصنعاني ويحيى بن أكثم القاضي وخلق كثير رضي الله عنهم

392 ورأيت في بعض المجاميع أن سفيان خرج يوما إلى من جاءه يسمع منه وهو ضجر فقال أليس من الشقاء أن أكون جالست ضمرة بن سعيد وجالس هو أبا سعيد الخدري وجالست عمرو بن دينار وجالس هو ابن عمر رضي الله عنهما وجالست الزهري وجالس هو أنس بن مالك حتى عد جماعة ثم أنا أجالسكم فقال له حدث في المجلس أتنصف يا أبا محمد قال إن شاء الله تعالى فقال والله لشقاء أصحاب أصحاب رسول الله بك أشد من شقائك بنا فأطرق وأنشد قول أبي نواس (خل جنبيك لرام * وامض عنه بسلام) (مت بداء الصمت خير * لك من داء الكلام) (إنما السالم من ألجم * فاه بلجام) فتفرق الناس وهم يتحدثون برجاحة الحدث وكان ذلك الحدث يحيى بن أكثم التميمي فقال سفيان هذا الغلام يصلح

لصحبه هؤلاء يعني السلطان وسيأتي ذكر يحيى في حرف الياء إن شاء الله تعالى وهو القاضي المشهور وقال الشافعي ما رأيت أحدا فيه من آلة الفتيا ما في سفيان وما رأيت أكف عن الفتيا منه وكان أدرك نيفا وثمانين نفسا من التابعين قال سفيان المذكور كنت أخرج إلى المسجد فأتصفح الخلق فإذا رأيت مشيخة وكهولة جلست إليهم وأنا اليوم قد اكتنفني هؤلاء الصبيان ثم ينشد (خلت الديار فسدت غير مسود * ومن الشقاء تفردي بالسؤدد) قيل إنه في آخر سنة حج قال قد وافيت هذا الموضع سبعين مرة وأقول كل

393 مرة اللهم لا تجعله آخر العهد من هذا المكان وإني قد استحييت من الله من كثرة ما أسأله ذلك فرجع فتوفي في العام القابل وقال رجل كنت أمشي مع سفيان بن عيينة إذ أتاه سائل فلم يكن معه ما يعطيه فبكى فقلت يا أبا محمد ما الذي أبكاك قال أي مصيبة أعظم من أن يؤمل فيك رجل خيرا فلا يصيبه وكان أبو عمران جد سفيان المذكور من عمال خالد بن عبد الله القسري فلما عزل خالد عن العراق وولي يوسف بن عمر الثقفي طلب عمال خالد فهرب أبو عمران المذكور منه إلى مكة فنزلها وهو من أهل الكوفة وقال سفيان دخلت الكوفة ولم يتم لي عشرون سنة فقال أبو حنيفة لأصحابه ولأهل الكوفة جاءكم حافظ علم عمرو بن دينار قال فجاء الناس يسألونني عن عمرو بن دينار فأول من صيرني محدثا أبو حنيفة فذاكرته فقال

لي يا بني ما سمعت من عمرو إلا ثلاثة أحاديث يضطرب في حفظ تلك الأحاديث ومولد سفيان بالكوفة في منتصف شعبان سنة سبع ومائة وتوفي يوم السبت آخر يوم من جمادى الآخرة وقيل أول يوم من رجب سنة ثمان وتسعين ومائة بمكة ودفن بالحجون رحمه الله تعالى وعيينة بضم العين المهملة وفتح الياء الأولى وسكون الثانية المثناتين من تحتهما وفتح النون وبعدها هاء ساكنة والحجون بفتح الحاء المهملة وضم الجيم وبعد الواو الساكنة نون جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها وله ذكر في الأشعار

394 268 سكينة بنت الحسين السيدة سكينة ابنة الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم كانت سيدة نساء عصرها ومن أجمل النساء وأزرفهن وأحسنهن أخلاقا وتزوجها مصعب بن الزبير فهلك عنها ثم تزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم ابن حزام فولدت له قرينا ثم تزوجها الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان وفارقها قبل الدخول ثم تزوجها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله عنه فأمره سليمان بن عبد الملك بطلاقها ففعل وقيل في ترتيب أزواجها غير هذا والطرة السكينية منسوبة إليها ولها نوادر وحكايات ظريفة مع الشعراء وغيرهم من ذلك ما يروى أنها وقفت على عروة بن أذينة وكان من أعيان العلماء وكار الصالحين وله أشعار رائقة فقالت له أنت القائل) إذا وجدت أوار الحب في كبدي * أقبلت نحو سقاء الماء أبترد) (هبني بردجت

ببرد الماء ظاهره * فمن لنار على الأحشاء تتقد) فقال لها
نعم فقالت وأنت القائل (قالت وأبثثتها سري فبحت به *
قد كنت عندي تحب الستر فاستتر)
395 (ألست تبصر من حولي فقلت لها * غطى
هواك وما ألقى على بصري) فقال نعم فالتفتت إلى جوار
كن حولها وقالت هن حرائر إن كان خرج هذا من قلب
سليم قط وكان لعروة المذكور أخ اسمه بكر فمات فرثاه
عروة بقوله (سرى همي وهم المرء يسري * وغاب
النجم إلا قيد فتر) (أراقب في المجرة كل نجم * تعرض
أو على المجراة يجري) (لهم ما أزال له قرينا * كأن
القلب أبطن حر جمر) (على بكر أخي فارقت بكرا *
وأي العيش يصلح بعد بكر) فلما سمعت سكينة هذا الشعر
قالت ومن هو بكر هذا فوصف لها فقالت أهو ذلك الأسيد
الذي كان يمر بنا قالوا نعم قالت لقد طاب بعده كل شيء
حتى الخبز والزيت وأسيد تصغير أسود ويحكى أن بعض
المغنين غنى هذه الآبيات عند الوليد بن يزيد الأموي وهو
في مجلس أنسه فقال للمغني من يقول هذا الشعر فقال
عروة بن أذينة فقال الوليد وأي العيش يصلح بعد بكر هذا
العيش الذي نحن فيه والله لقد تحجر واسعا 45 وكان
عروة المذكور كثير القناعة وله في ذلك أشعار سائرة
وكان قد وفد من الحجاز على هشام بن عبد الملك بالشام
في جماعة من الشعراء فلما دخلوا عليه عرف عروة فقال
له ألست القائل

396 (لقد علمت وما الإشراف من خلقي * أن الذي هو رزقي سوف يأتيني) (أسعى له فيعنيني تطلبه * ولو قعدت أتاني لا يعنيني) وما أراك فعلت كما قلت فإنك أتيت من الحجاز إلى الشام في طلب الرزق فقال لقد وعظت يا أمير المؤمنين فبالغت في الوعظ وأذكرت ما أنسانيه الدهر وخرج من فوره إلى راحلته فركبها وتوجه راجعا إلى الحجاز فمكث هشام يومه غافلا عنه فلما كان في الليل استيقظ من منامه وذكره وقال هذا رجل من قريش قال حكمة ووفد إلى فجبهته ورددته عن حاجته وهو مع هذا شاعر لا آمن لسانه فلما أصبح سأل عنه فأخبر بانصرافه فقال لا جرم ليعلمن أن الرزق سيأتيه ثم دعا بمولى له وأعطاه ألفي دينار وقال الحق بهذه عروة بن أذينة فأعطه إياها قال فلم أدركه إلا وقد دخل بيته فقرعت عليه الباب فخرج فأعطيته المال فقال أبلغ أمير المؤمنين السلام وقل له كيف رأيت قولي سعيت فأكديت ورجعت إلى بيتي فأتاني فيه الرزق وهذه الحكاية وإن كانت دخيلة ليست مما نحن فيه لكن حديث عروة ساقها ولبعض المعاصرين وهو محمد بن إدريس المعروف بمرج كحل الأندلسي في معنى هذين البيتين وأحسن فيه (مثل الرزق الذي تطلبه * مثل الظل الذي يمشي معك) (أنت لا تدركه متبعا * فإذا وليت عنه تبعك) وكان وفاة سكينة بالمدينة يوم الخميس لخمس خلون من شهر ربيع الأول سنة

397 سبع عشرة ومائة رضي الله عنها وقيل اسمها امنة وقيل آمينة وقيل أميمة وسكينة لقب لقبتها به أمها الرباب ابنة امرىء القيس بن عدي وقال محمد بن السائب الكلبي النسابة سألني عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم عن اسم سكينة ابنة الحسين بن علي رضي الله عنهم فقلت أميمة فقال أصبت
46 وتوفي مرج كحل المذكور في سنة أربع وثلاثين وستمائة ببلده وهو جزيرة شقر بالأندلس وكانت ولادته بها سنة أربع وخمسين وخمسمائة 269 سليم الرازي أبو الفتح سليم بن أيوب بن سليم الرازي الفقيه الشافعي الأديب كان مشارا إليه في الفضل والعبادة وصنف الكتب الكثيرة منها كتاب الإشارة وكتاب غريب الحديث ومنها التقريب وليس هو التقريب الذي ينقل عنه إمام الحرمين في النهاية والغزالي في البسيط والوسيط فإن ذلك للقاسم بن القفال الشاشي وقد ذكره في الباب الثاني من كتاب الرهن في الوسيط وأخذ سليم الفقه عن الشيخ أبي حامد الإسفرايني وأخذ عنه أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي وقال سليم دخلت بغداد في حداثتي لطلب علم اللغة فكنت آتي
398 شيخا هناك وذكره فبكرت في بعض الأيام إليه فقيل لي هو في الحمام فمضيت نحوه فعبرت في طريقي على الشيخ أبي حامد الإسفرايني وهو يملي فدخلت المسجد وجلست مع الطلبة فوجدته في كتاب الصيام في

مسألة إذا أولج ثم أحس بالفجر فنزع فاستحسنت ذلك فعلقت الدرس على ظهر جزء كان معي فلما عدت إلى منزلي وجعلت أعيد الدرس حلا لي وقلت أتم هذا الكتاب يعني كتاب الصيام فعلقته ولزمت الشيخ أبا حامد حتى علقت عنه جميع التعليق وكان لا يخلو له وقت عن اشتغال حتى إنه كان إذا يرى القلم قرأ القرآن أو سبح وكذلك إذا كان مارا في الطريق وغير ذلك من الأوقات التي لا يمكن الاشتغال فيها بعلم وسكن سليم الشام بمدينة صور متصديا لنشر العلم وإفادة الناس وكان يقول وضعت منى صور ورفعت من أبي الحسن المحاملي بغداد ثم إنه غرق في بحر القلزم بعد رجوعه من الحج عند ساحل جدة في سلخ صفر سنة سبع وأربعين وأربعمائة وكان قد نيف على ثمانين سنة رحمه الله تعالى ودفن في جزيرة بقرب الجار عند المخاضة في طريق عيذاب والرازي بفتح الراء وبعد الألف زاي هذه النسبة إلى الري وهي مدينة عظيمة من بلاد الديلم بين قومس والجبال وألحقوا الزاي في النسبة إليها كما ألحقوها في المروزي عند النسب إلى مرو وقد تقدم ذكر ذلك والجار بفتح الجيم وبعد الألف راء وهي بليدة على الساحل بينها وبين مدينة الرسول يوم وليلة وإليها ينسب القمح الجاري وذكر أبو القاسم الزمخشري في كتاب الأمكنة والجبال والمياه في باب الشين أن الجار قرية على ساحل البحر بها ترسو مطايا

القلزم ومطايا عيذاب ومطايا بحر النعام وقال ابن حوقل في كتابه الجار فرضة المدينة على ثلاث مراحل منها
399 على البحر وجدة فرضة مكة 47 وتوفي ولده أبو سعيد إبراهيم بن سليم يوم الثلاثاء السادس والعشرين من ذي الحجة سنة إحدى وتسعين وأربعمائة بدمشق ذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق وقال أخذ عن جماعة من جلة المشايخ وأخذوا عنه وكان صدوقا رحمه الله تعالى 270 سليمان بن يسار أبو أيوب ويقال أبو عبد الرحمن ويقال أبو عبد الله سليمان بن يسار مولى ميمونة زوجة رسول الله أحد الفقهاء السبعة بالمدينة وقد تقدم ذكر ثلاثة منهم وكان سليمان المذكور أخا عطاء بن يسار وكان عالما عابدا ثقة ورعا حجة قال الحسن بن محمد سليمان بن يسار عندنا أفهم من سعيد بن المسيب ولم يقل أعلم ولا أفقه وروى عن ابن عباس وأبي هريرة وأم سلمة رضي الله عنهم وروى عنه الزهري وجماعة من الأكابر وكان المستفتي إذا أتى سعيد بن المسيب يقول له اذهب إلى سليمان بن يسار فإنه أعلم من بقي اليوم وقال قتادة قدمت المدينة فسألت من أعلم أهلها بالطلاق فقالوا سليمان بن يسار وتوفي سنة سبع ومائة وقيل سنة مائة وقيل سنة اربع وتسعين للهجرة والله أعلم وهو ابن ثلاث وسبعين سنة رحمه الله تعالى
400 271 الأعمش أبو محمد سليمان بن مهران مولى بني كاهل من ولد أسد المعروف بالأعمش الكوفي

الإمام المشهور كان ثقة عالما فاضلا وكان أبوه من دنباوند وقدم الكوفة وامرأته حامل بالأعمش فولدته بها قال السمعاني وهو لا يعرف بهذه النسبة بل يعرف بالكوفي وكان يقارن بالزهري في الحجاز ورأى أنس ابن مالك رضي الله عنه وكلمه ولكنه لم يرزق السماع عليه وما يرويه عن أنس فهو إرسال أخذه عن أصحاب أنس ورأى أبا بكرة الثقفي وأخذ بركابه فقال له يا بني إنما أكرمت ربك سمع داود بن سويد وأبا وائل وإبراهيم التيمي وسعيد بن جبير ومجاهدا والنخعي وروى عن عبد الله بن أبي أوفى حديثا واحدا ولقي كبار التابعين رضي الله عنهم وروى عنه سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج وحفص بن غياث وخلق كثير من جلة العلماء وكان الأعمش يقول إن كان بيننا وبين أصحاب رسول الله ستر قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى صدق هكذا كان وقد رأى أصحاب النبي وقال عيسى بن يونس لم نر نحن والقرن الذي قبلنا مثل الأعمش ما رأيت الأغنياء والسلاطين عند أحد أحقر منهم عند الأعمش مع فقره وحاجته

401 حدث محمد بن جرير قال عيسى بن موسى لابن أبي ليلى اجمع الفقهاء قال فجمعهم فجاء الأعمش في جبة وفرو وقد ربط وسطه بشريط فأبطأوا فقام الأعمش فقال إن أردتم أن تعطونا شيئا وإلا فخلوا سبيلنا فقال عيسى المذكور قلت لك تأتي بالفقهاء فتجيء بهذا فقال هذا

سيدنا هذا الأعمش حدثنا أحمد بن علي بن ثابت بإسناد له عن وكيع كان الأعمش قريبا من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى واختلفت إليه أكثر من ستين سنة فما رأيته يقضي ركعة وقال الأعمش كنت آتي مجاهدا فيقول لو كنت أطيق المشي لأتيتك وجرى بينه وبين زوجته كلام وكان يأتيه رجل يقال له أبو ليلى مكفوف فصيح يتكلم بالإعراب يتطلب الحديث منه فقال يا أبا ليلى امرأتي نشزت علي وأنا أحب أن تدخل عليها فتخبرها مكاني من الناس وموضعي عندهم فدخل عليها وكانت من أجمل أهل الكوفة فقال يا هنتاه إن الله قد أحسن قسمك هذا شيخنا وسيدنا وعنه نأخذ أصل ديننا وحلالنا وحرامنا فلا يغرنك عموشة عينيه ولا حموشة ساقية فغضب الأعمش وقال يا أعمى يا خبيث أعمى الله قلبك كما أعمى عينيك قد أخبرتها بعيوبي كلها اخرج من بيتي وأراد إبراهيم النخعي أن يماشيه فقال الأعمش إن الناس إذا رأونا معا قالوا أعور وأعمش قال النخعي وما عليك أن نؤجر ويأثموا فقال له الأعمش وما عليك أن يسلموا ونسلم وجاء رجل يطلبه في منزله ووصل وقد خرج مع امرأته إلى المسجد فجاء فوجدهما في الطريق فقال أيكما الأعمش فقال الأعمش هذه وأشار إلى المرأة ودخل الحمام يوما وجاء رجل حاسر فقال له الرجل متى ذهب بصرك فقال مذ بدت عورتك قال محمد بن حميد حدثنا جرير قال جئنا

الأعمش يوما فوجدناه قاعدا في ناحية فجلسنا في ناحية
أخرى وفي الموضع خليج من ماء المطر فجاء الأعمش
402 رجل عليه سواد فلما بصر بالأعمش وعليه
فروة حقيرة قال قم فعبرني هذا الخليج وجذب يده وأقامه
وركبه وقال (^ سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له
مقرنين) (الزخرف : 13) فمضى به الأعمش حتى
توسط به الخليج فرمى به وقال (^ رب أنزلني منزلا
مباركا وأنت خير المنزلين) (الؤمنون : 29) ثم خرج
وترك الأسود يخبط في الماء وكان الأعمش ذا رأى ثقيلا
قال كم غرضك تقيم في هذه البلدة وكان لطيف الخلق
مزاحا جاءه أصحاب الحديث يوما ليسمعوا عليه فخرج
إليهم وقال لولا أن في منزلي من هو أبغض إلي منكم ما
خرجت إليكم وقال له داود بن عمر الحائك ما تقول في
الصلاة خلف الحائك فقال لا بأس بها على غير وضوء
فقال ما تقول في شهادة الحائك فقال تقبل مع عدلين ويقال
إن الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه عاده يوما في مرضه
فطول القعود عنده فلما عزم على القيام قال له ما كأني إلا
ثقلت عليك فقال والله إنك لتثقل علي وأنت في بيتك وعاده
أيضا جماعة فأطالوا الجلوس عنده فضجر منهم فأخذ
وسادته وقام وقال شفى الله مريضكم بالعافية وقيل عنده
يوما قال من نام عن قيام الليل بال الشيطان في أذنه فقال
ما عمشت عيني إلا من بول الشيطان في أذني وكانت له
نوادر كثيرة وقال أبو معاوية الضرير بعث هشام بن عبد

الملك إلى الأعمش أن اكتب لي مناقب عثمان ومساوىء علي فأخذ الأعمش القرطاس وأدخلها في فم شاة فلاكتها وقال لرسوله قل له هذا جوابك فقال له الرسول إنه قد آلى أن يقتلني إن لم آته بجوابك وتحمل عليه بإخوانه فقالوا له يا أبا محمد

403 افتده من القتل فلما ألحلوا عليه كتب له بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد يا أمير المؤمنين فلو كانت لعثمان رضي الله عنه مناقب أهل الأرض ما نفعتك ولو كانت لعلي رضي الله عنه مساوىء أهل الارض ما ضرتك فعليك بخويصة نفسك والسلام وكتب إلى بعض إخوانه يعزيه (إنا نعزيك لا أنا على ثقة * من البقاء ولكن سنة الدين) (فلا المعزى بباق بعد ميته * ولا المعزي وإن عاشا إلى حين) ومولده سنة ستين للهجرة وقيل إنه ولد يوم مقتل الحسين رضي الله عنه وذلك يوم عاشوراء سنة إحدى وستين وكان أبوه حاضرا مقتل الحسين وعده ابن قتيبة في كتاب المعارف في جملة من حملت به أمه سبعة أشهر وتوفي في سنة ثمان وأربعين ومائة في شهر ربيع الأول وقيل سنة سبع وأربعين وقيل سنة تسع وأربعين رحمه الله تعالى وقال زائدة بن قدامة تبعت الأعمش يوما فأتى المقابر فدخل في قبر محفور فاضطجع فيه ثم خرج منه وهو ينفض التراب عن رأسه ويقول واضيق مسكناه ودنباوند بضم الدال المهملة وسكون النون وفتح الباء الموحدة وبعد الالف واو مفتوحة ثم نون ساكنة وبعدها

دال مهملة وهي ناحية من رستاق الري في الجبال وبعضهم يقول دماوند والأول أصح وقد تقدم ذكرها قبل هذا

404 272 أبو داود السجستاني أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو بن عمران الأزدي السجستاني أحد حفظ الحديث وعلمه وعلله وكان في الدرجة العالية من النسك والصلاح طوف البلاد وكتب ع العراقيين والخراسانيين والشاميين والمصريين والجزريين وجمع كتاب السنن قديما وعرضه على الإمام أحمد بن حنبل رضي اله عنه فاستجاده واستحسنه وعده الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في طبقات الفقهاء من جملة أصحاب الإمام أحمد بن حنبل وقال إبراهيم الحربي لما صنف أبو داود كاتب السنن ألين لأبي داود الحديث كما ألين لداود الحديد وكان يقول كتبت عن رسول الله خمسمائة ألف حديث انتخبت منها ما ضمنته هذا الكاتب يعني السنن جمعت فيه أربعة الاف وثمانمائة حديث ذكرت الصحيح وما يشبهه ويقاربه ويكفي الإنسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث أحدها قوله إنما الأعمال بالنيات والثاني قوله من حسن لإسلام المرء تركه مالا يعنيه والثالث قوله لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يرضى لأخيه ما يرضاه لنفسه والرابع قوله الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور مشتبهات الحديث بكماله وجاءه سهل بن عبد الله التستري فقيل له يا أبا داود هذا سهل بن عبد

الله قد جاءك زائرا قال فرحب به وأجلسه فقال يا أبا داود لي إليك

405 حاجة قال وما هي قال حتى تقول قضيتها مع الإمكان قال قد قضيتها مع الإمكان قال اخرج لي لسانك الذي حدثت به عن رسول الله حتى أقبله قال فأخرج له لسانه فقبله وكان لأبي داود كم واسع وكم ضيق فقيل له يرحمك الله ما هذا فقال الواسع للكتب والآخر لا نحتاج إليه وكان يقول الشهوة الخفية حب الرياسة وكان في أيام حداثته وطلب الحديث جلس في مجلس بعض الرواة يكتب فدنا رجل إلى محبرته وقال له أستمد من هذه المحبرة فالتفتت إليه وقال أما علمت أن من شرع في مال أخيه بالاستئذان فقد استوجب بالحشمة الحرمان فسمي ذلك اليوم حكيما وكانت ولادته في سنة اثنتين ومائتين وقدم بغداد مرارا ثم نزل إلى البصرة وسكنها وتوفي بها يوم الجمعة منتصف شوال سنة خمس وسبعين ومائتين رحمه الله تعالى 48 وكان ولده أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان من أكابر الحفاظ ببغداد عالما متفقا عليه إمام ابن إمام وله كتاب المصابيح وشارك أباه في شيوخه بمصر والشام وسمع ببغداد وخراسان وأصبهان وسجستان وشيراز وتوفي في سنة ست عشرة وثلثمائة واحتج به ممن صنف الصحيح أبو علي الحافظ النيسابوري وابن حمزة الأصبهاني والسجستاني بكسر السين المهملة والجيم وسكون السين الثانية وفتح التاء المثناة من فوقها

وبعد الألف نون هذه النسبة إلى سجستان الإقليم المشهور
وقيل بل نسبته إلى سجستان أو سجستانة قرية من قرى
البصرة والله أعلم بذلك
406 273 أبو موسى الحامض أبو موسى سليمان
بن محمد بن أحمد النحوي البغدادي المعروف بالحامض
كان أحد المذكورين من العلماء بنحو الكوفيين أخذ النحو
عن أبي العباس ثعلب وهو المقدم من أصحابه وجلس
موضعه وخلفه بعد موته وصنف كتبا حسانا في الأدب
وروى عنه أبو عمر الزاهد وأبو جعفر الأصبهاني
المعروف ببرزويه غلام نفطويه وكان دينا صالحا وكان
أوحد الناس في البيان والمعرفة بالعربية واللغة والشعر
وكان قد أخذ عن البصريين أيضا وخلط النحوين وكان
حسن الوراقة في الضبط وكان يتعصب على البصريين
فيما أخذ عنهم في عربيتهم وله عدة تصانيف فمنها كتاب
خلق الإنسان وكتاب السبق والنضال وكتاب النبات وكتاب
الوحوش وكتاب في النحو مختصر وغير ذلك وتوفي ليلة
الخميس لسبع بقين من ذي الحجة سنة خمس وثلثمائة
ببغداد ودفن بمقبرة باب التبن رحمه الله تعالى وإنما قيل
له الحامض لأنه كانت له أخلاق شرسة فلقب الحامض
لذلك ولما احتضر أوصى بكتبه لأبي فاتك المقتدري بخلا
بها أن تصير إلى أحد من أهل العلم
407 274 أبو القاسم الطبراني أبو القاسم سليمان
بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الطبراني كان حافظ

عصره رحل في طلب الحديث من الشام إلى العراق والحجاز واليمن ومصر وبلاد الجزيرة الفراتية وأقام في الرحلة ثلاثا وثلاثين سنة وسمع الكثير وعدد شيوخه ألف شيخ وله المصنفات الممتعة النافعة الغريبة منها المعاجم الثلاثة الكبير و الأوسط والصغير وهي أشهر كتبه وروى عنه الحافظ أبو نعيم والخلق الكثير ومولده سنة ستين ومائتين بطبرية الشام وسكن أصبهان إلى أن توفي بها يوم السبت لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة ستين وثلثمائة وعمره تقديرا مائة سنة رحمه الله تعالى وقيل إنه توفي في شوال والله أعلم ودفن إلى جانب حممة الدوسي صاحب رسول الله والطبراني بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة والراء وبعد الألف نون هذه النسبة إلى طبرية والطبرى نسبة إلى طبرستان وقد تقدم ذلك واللخمي بفتح اللام وسكون الخاء المعجمة وبعدها ميم هذه النسبة إلى لخم واسمه مالك بن عدي وهو أخو جذام وقد تقدم القول في تسميتهما بهذين الاسمين لم كان ومطير تصغير مطر

408 275 أبو الوليد الباجي أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي المالكي الأندلسي الباجي كان من علماء الأندلس وحفاظها سكن شرق الأندلس ورحل إلى المشرق سنة ست وعشرين وأربعمائة أو نحوها فأقام بمكة مع أبي ذر الهروي ثلاثة أعوام وحج فيها أربع حجج ثم رحل إلى بغداد فأقام بها ثلاثة أعوام يدرس الفقه ة ويقرأ الحديث ولقي بها سادة من

العلماء كأبي الطيب الطبري الفقيه الشافعي والشيخ أبي
إسحاق الشيرازي صاحب المهذب وأقام بالموصل مع أبي
جعفر السمناني عاما يدرس عليه الفقه وكان مقامه
بالمشرق نحو ثلاثة عشر عاما وروى عن الحافظ أبي بكر
الخطيب وروى الخطيب أيضا عنه قال أنشدني أبو الوليد
الباجي لنفسه يرثي ابنيه وماتا مقترنين (لئن غيبا عن
ناظري وتبوءا * فؤادي لقد زاد التباعد في القرب) (يقر
بعيني أن أزور ثراهما * وألصق مكنون الترائب بالترب
) وروى الخطيب أيضا عنه قال أنشدني أبو الوليد الباجي
لنفسه (إذا كنت أعلم علما يقينا * بأن جميع حياتي
كساعه)
409 (فلم لا أكون ضنينا بها * وأجعلها في صلاح
وطاعه) وصنف كتبا كثيرة منها كتاب المنتقى وكتاب
إحكام الفصول في أحكام الأصول وكتاب التعديل
والتجريج فيمن روى عنه البخاري في الصحيح وغير
ذلك وهو أحد أئمة المسلمين وكان يقول سمعت أبا ذر
عبد ابن أحمد الهروي يقول لو صحت الإجازة لبطلت
الرحلة وكان قد رجع إلى الأندلس وولي القضاء هناك
وقد قيل إنه ولي قضاء حلب أيضا والله أعلم ومولده يوم
الثلاثاء النصف من ذي القعدة سنة ثلاث وأربعمائة بمدينة
بطليوس وتوفي بالمرية ليلة الخميس بين العشاءين تاسعة
عشرة رجب سنة أربع وسبعين وأربعمائة ودفن يوم
الخميس بعد صلاة العصر بالرباط على ضفة البحر

وصلة عليه ابنه القاسم وأخذ عنه أبو عمر ابن عبد البر صاحب الاستيعاب وبينه وبين أبي محمد ابن حزم المعروف بالظاهري مجالس ومناظرات وفصول يطول شرحها والباجي بفتح الباء الموحدة وبعد الألف جيم هذه النسبة إلى باجة وهي مدينة بالأندلس وثم باجة أخرى وهي مدينة بإفريقية وباجة أخرى قرية من قرى أصبهان وبطليوس يأتى ذكرها إن شاء الله تعالى والمرية قد تقدم الكلام عليها

410 276 أبو أيوب المورياني أبو أيوب سليمان بن أبي سليمان مخلد وقيل داود المورياني الخوزي كان وزير أبي جعفر المنصور تولى وزارته بعد خالد بن برمك جد البرامكة وتمكن منه غاية التمكن وسبب ذلك أنه كان يكتب لسليمان بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي وكان المنصور قبل الخلافة ينوب عن سليمان المذكور في بعض كور فارس فاتهمه بأنه احتجن المال لنفسه فضربه بالسياط ضربا شديدا وأغرامه المال فلما ولي الخلافة ضرب عنقه وكان سليمان قد عزم على هتكه عقيب ضربه فخلصه منه كاتبه أبو أيوب المذكور فاعتدها المنصور له واستوزره ثم إنه فسدت نيته فيه ونسبه إلى أخذ الأموال وهم أن يوقع به فتطاول ذلك فكان كلما دخل عليه ظن أنه سيوقع به ثم يخرج سالما فقيل إنه كان معه شيء من الدهن قد عمل فيه سحر فكان يدهن به حاجبيه إذا دخل على المنصور فسار في العامة دهن أبي أيوب

ومن ملح أمثاله أن خالد بن يزيد الأرقط قال بينا أبو أيوب المذكور جالس في أمره ونهيه أتاه رسول المنصور فتغير لونه فلما رجع تعجبنا من حالته فضرب مثلا لذلك وقال زعموا أن البازي قال للديك ما في الارض حيوان أقل وفاء منك قال وكيف ذلك قال أخذك أهلك بيضة فحضنوك ثم خرجت على أيديهم وأطعموك في أكفهم ونشأت بينهم حتى إذا كبرت صرت لا يدنو منك أحد إلا طرت هاهنا وهاهنا وصوت وأخذت أنا مسنا من الجبال فعلموني وألفوا بي ثم يخلى عني فآخذ صيدا في الهواء
411 وأجيء به إلى صاحبي فقال له الديك إنك لو رأيت من البزاة في سفافيدهم المعدة للشيء مثل الذي رأيت من الديوك لكنت أنفر مني ولكنكم أنتم لو علمتم ما أعلم لم تتعجبوا من خوفي مع ما ترون من تمكن حالي ثم إنه أوقع به سنة ثلاث وخمسين ومائة وعذبه وأخذ أمواله ومات سنة أربع وخمسين ومائة رحمه الله تعالى وكان سبب ذلك ما حكاه المعافى بن زكريا في كتاب الجليس والانيس قال كان أبو جعفر المنصور في بعض أسفاره في أيام بني أمية تزوج امرأة من الأزد بالموصل عن ضر شديد أصابه حتى أكرى نفسه مع الملاحين يمد في الحبل أو فعل ذلك لأمر خافه على نفسه فتنكر وأكرى نفسه في مدادي السفن فخطب هذه المرأة ورغبها في نفسه ووعدها ومناها وأخبرنا أنه جليل القدر وأنه من أهل بيت شرف وأنها إن تزوجته سعدت ولم يزل يمنيها حتى أجابته وأقام

معها يختلف في أسبابه ويجعل طريقه عليها بما رزقه الله
تعالى ثم اشتملت على حمل فقال لها أيتها المرأة هذه رقعة
مختومة عندك لا تفتحيها حتى تضعي ما في بطنك فإن
ولدت ابنا فسميه جعفرا وكنيه أبا عبد الله وإن ولدت بنتا
فسميها فلانة وأنا عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن
عباس بن عبد المطلب فاستري أمري فإنا قوم مطلوبون
والسلطان إلينا سريع وودعها وخرج فقضي أنها ولدت
ذكرا فأخرجت الرقعة فقرأت ما فيها وسمته جعفرا
وضرب الدهر على ذلك ما تسمع له خيرا ونشأ الصبي
مع أخواله وأهل بيت أمه وكان كيسا ذهنا لقنا واستخلف
ابو العباس فقيل للمرأة إن كنت صادقة في رقعتك وكان
من كتبها صادقا فإن زوجك الخليفة أمير المؤمنين قالت ما
أدري صفوا لي صفة هذا الخليفة قالوا غلام حين بقل
وجهه قالت ليس هو هو قالوا فاستري أمرك ولم يلبث أبو
العباس أن مات واستحكم عندها اليأس وأقبل ابنها على
الأدب فتأدب وكتب ونزعت به همته إلى بغداد فدخل
ديوان أبي أيوب كاتب المنصور وانقطع إلى بعض أهله
فأتى عليه زمان يتقوت بالكسب ويزيد في أدبه وفهمه
وخطه حتى صار يكتب بين يدي أبي أيوب إلى أن تهيأ
412 أن خرج خادم يوما إلى الديوان يطلب كاتبا
يكتب بين يدي المنصور فقال أبو أيوب للغلام خذ دواتك
وقم واكتب بين يدي أمير المؤمنين فدخل الغلام فكتب
وكان يتهيأ من أبي جعفر إليه النظرة بعد النظرة يتأمله

وألقيت عليه محبته واستجاد خطه واسترشق فهمه فكتب زمانا واستراح أبو أيوب إلى مكانه ورأى أنه قد حمل عنه ثقلا وبر الغلام ووصله وكساه كسوة تصلح أن يدخل بها على أمير المؤمنين ثم إن أبا جعفر قال للغلام يوما ما اسمك قال جعفر قال ابن من فسكت متحيرا قال ابن من ويحك قال ابن عبد الله قال وأين أبوك قال لم أره ولم أعرفه ولكن أمي أخبرتني أن أبي شريف وأن عندها رقعة بخطه فيها نسبه عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب فساعة ذكر الرقعة تغير وجه المنصور فقال وأين أمك قال في موضع كذا قال أتعرف فلانا قال نعم هو إمام مسجد محلتنا قال قال أتعرف فلانا قال نعم خياط في مسجدنا قال أفتعرف فلانا قال نعم في سكتنا فلما رأى الغلام أبا جعفر ينزع بأسماء قوم يعرفهم أدركته هيبة له وجزع وتدمع فأدركت أبا جعفر الرقة عليه فلم يتمالك أن قال فلانة بنت فلانة من هي منك قال أمي قال فلانة قال خالتي قال فلان قال خالي فضمه إليه وبكى وقال يا غلام لا تعلمن أبا أيوب ولا أحدا ما دار بيني وبينك انظر انظر احذر احذر فنهض الغلام وخرج فقال له أبو أيوب لقد احتبست عند أمير المؤمنين قال كتبت كتبا كثيرة أملاها علي قال فأين هي قال جعلها نسخا يردد فيها نظره حتى يحكمها ثم خرج إلى الديوان ثم إن أبا جعفر جعل يقول في بعض الأيام لأبي أيوب هذا الغلام الذي يكتب بين يدي استوص به فاتهم أبو أيوب الغلام أنه يلقي

إلى أبي جعفر الشيء بعد الشيء من خبره ثم لم يلبث أن سأله مرة بعد مرة فقذف في قلب أبي أيوب بغض الغلام وأنه يقوم مقامه إن فقده أبو جعفر وأبو جعفر يزداد ولها إلى الغلام ويجن به جنونا وليس يمنعه من إدنائه وإظهار أمره إلا أمر يريده الله فلما رأى أبو أيوب ذلك احتبسه عنده عنادا ثم قال المنصور

413 للخادم اخرج إلى الديوان فجئني بفلان فإن بعث معك بغيره فقل أمرني أمير المؤمنين لا يدخل عليه غيره ففعل الخادم ذلك واستحكم في قلب أبي أيوب ما حذره وحدثته به نفسه فقال الغلام يا أمير المؤمنين قد تعرفت من أبي أيوب ما حذره وحدثته به نفسه فقال الغلام يا أمير المؤمنين قد تعرفت من أبي أيوب البغض وله غوائل لا يحيط بها علمي وأنا أخاف على نفسي فقال له أبو جعفر يا بني قد حاك ذلك في صدري فإذا كان الغد فتعرض لأن يغلظ لك فإذا أغلظ فقم وانصرف كأنك مغضب ولا تعد إلى الديوان واجعل وجهك إلى أمك وأوصل إليها هذا العقد وهذا الكيس وكتابي هذا واحمل أمك ومن اتبعها من قرابتك وأقبل فانزل في موضع كذا فإني منفذ إليك خادما يتفقد أمورك ويعرف خبرك فلا تطلعن أحدا من الخلق على ما معك وامض بهذا المال وهذا العقد وأحرزه أولا قبل رجوعك إلى الديوان ثم قال للخادم أخرجه من باب كذا وكذا فخرج الغلام فأحرز ما كان معه ثم رجع إلى الديوان وأبو أيوب في فكره من

احتباسه عند المنصور ورجع الغلام بوجه بهج مسرور لا
يخفى ذلك عليه وظهر الفرح في وجهه وشمائله فقال أبو
أيوب أحلف بالله لقد رجع هذا الغلام بغير الوجه الذي
مضى به ولقد دار بينه وبين أمير الؤمنين من ذكري ما
سره فاستشعر الوحشة منه وصرف أكثر عمله عنه ثم لم
ينشب أن أغلظ له فقال الغلام أنا إنسان غريب أطلب
الرزق وأنت تستخف بي فكأني قد ثقلت عليك فأتنحى
عنك قبل أن تطردني ثم قام وانصرف فافتقده أبو أيوب
أياما ورأى أن أبا جعفر لا يسأل عنه ولا يذكره ثم إن نفس
أبي أيوب نازعته إلى علم حقيقة خبره فأرسل من يسأل
عنه في الموضع الذي كان نازلا به فقيل له إنه قد تهيأ
وتجهز جهازا حسنا وشخص إلى أهله بالموصل فقال أبو
أيوب في نفسه ومن أين له ما يتجهز به وكم مبلغ ما
ارتزق معي وارتفق به لهذا الأمر وجعلت نفسه تزداد
وحشة منه ومن خبره إلى أن قيل له قد كان أبو جعفر
وصله بمال ووهب له شيئا فقال في نفسه هذا الذي ظننت
وقد نصبه مكاني ويجوز أن يكون استأذنه في أن يخرج
إلى أهله فيسلم عليهم ثم يرجع إليه فيقلده مكاني فقال
لرجل من أصحابه اخرج إلى طريق الموصل قرية قرية
برا وبحرا فإذا عرفت موضعه فاقتله وجئني
414 بما معه فشخص وإن الغلام لما خرج من
بغداد رأى أنه قد أمن في مسيره وكان يقيم في الموضع
الذي يستطيبه اليوم واليومين والأكثر والأقل فلحقه رسول

أبي أيوب وعرفه فباتا في قرية فقام الرسول إليه فخنقه
وطرحه في بئر وأخذ خرجه وخرائط كانت معه وركب
دابة له ورجع إلى أبي أيوب فسلم ذلك إليه وشرح له
الخبر ففتش أبو أيوب متاعه فإذا المال والعقد فعرفه وإذا
كتاب المنصور بخطه إلى أمه فوجم أبو أيوب وندم وعلم
أنه قد عجل وأخطأ وأن الخبر لم يكن كما ظن وعزم على
الحلف والمكابرة إن عثر على شيء من أمره وأبطأ خبر
الغلام واستبطأه في الوقت الذي ضربه له فدعا خادما من
ثقاته ورجلا من خاصته وقال لهما استقريا المنازل إلى
الموصل منزلا منزلا وقرية قرية وأعطيا صفة الغلام
حتى تدخلا ثم اقصدا موضع كذا من الموصل فاسألا عن
فلانة ووصف لهما كل ما أراد ففعلا فلما انتهيا إلى
الموضع الذي أصيب فيه الغلام أعلما خبره وذكرا الوقت
الذي أصيب فيه فإذا التاريخ بعينه ثم مضيا إلى الموصل
فسألا عن أمه فوجداها أشد الخلق ولها على ابنها وحاجتها
إلى علم خبره فأطلعاها على حاله وأمراها أن تستر نفسها
ولم ترد الدنيا بعده فكان المنصور يذكره فيكاد ذكره
يصدع قلبه وأجمع أبو جعفر على الإيقاع بأبي ايوب عند
ذلك واستصفى امواله واموال اهل بيته ثم قتلهم جميعا
واباد خضراءهم وكان إذا ذكر ابا ايوب لعنه وسبه وقال
ذاك قاتل حبيبي والمورياني بضم الميم وسكون الواو
وكسر الراء وفتح الياء المثناة من تحتها وبعد الألف نون
هذه النسبة إلى موريان وهي قرية من قرى الأهواز ذكره

ابن نقطة من أعمال خوزستان والخوزي نسبة إلى خوزستان بضم الخاء الموحدة وسكون الواو وكسر الزاي وسكون السين المهملة وفتح التاء المثناة من فوقها وبعد الألف نون وهي بلاد بين البصرة وفارس وقيل إنما قيل له الخوزي لشحه وقيل لأنه كان ينزل الخوز بمكة

415 سليمان بن وهب   أبو أيوب سليمان بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين بن قيس بن فنال وكان فنال كاتبا ليزيد بن أبي سفيان لما ولي الشام ثم لمعاوية بعده ووصله معاوية بولده يزيد وفي أيامه مات واستكتب يزيد ابنه قيسا ثم كتب قيس لمروان ابن الحكم ثم لولده عبد الملك ثم لهشام بن عبد الملك وفي أيامه مات واستكتب هشام ابنه الحصين ثم استكتبه مروان بن محمد الجعدي اخر ملوك بني أمية ثم صار إلى يزيد بن عمر بن هبيرة ولما خرج يزيد إلى أبي جعفر المنصور أخذ للحصين أمانا فخدم المنصور ثم المهدي وتوفي في أيامه في طريق الري فاستكتب المهدي ابنه عمرا ثم كتب لخالد بن برمك ثم توفي وخلف سعيدا فما زال في خدمة ال برمك وتحول ولده وهب إلى جعفر بن يحيى ثم صار بعده في جملة ذي الرياستين الفضل بن سهل وقال ذو الرياستين في حقه عجبت لمن معه وهب كيف لا تهمه نفسه ثم استكتبه أخوه الحسن بن سهل بعده وقلده كرمان وفارس فأصلح حالهما ثم وجه به إلى المأمون برسالة من فم الصلح فغرق في طريقه بين بغداد وفم الصلح وكتب سليمان المذكور

للمأمون وهو ابن أربع عشرة سنة ثم لإيتاخ ثم لأشناس ثم ولي الوزارة للمهتدي بالله ثم للمعتمد على الله وله ديوان رسائل وكان أخوه الحسن بن وهب يكتب لمحمد بن عبد الملك الزيات وولي ديوان لارسائل وكان أيضا شاعرا بليغا مترسلا فصيحا وله ديوان رسائل أيضا
416 وكان هو وأخوه الحسن من أعيان عصرهما
وقد تقدم ذكر الحسن في حرف الحاء في ترجمة أبي تمام الطائي وأنه هو الذي ولاه بريد الموصل ولما مات أبو تمام رثاه الحسن بما ذكرته ثم ولم أظفر بتاريخ وفاته حتى أفرد له ترجمة وقد تقدم في خطبة هذا الكتاب أن مبناه على الوفيات وأن الذي أذكره من بعض أحوال من أذكره لم يكن إلا للإمتاع والتفكه لا غير لا أنه مقصود في نفسه وقد مدح هذين الأخوين خلق كثير من أعيان الشعراء مثل أبي تمام الطائي والبحتري ومن في طبقتهما ومن محاسن قول أبي تمام في سليمان المذكور من جملة قصيدة (كل شعب كنتم به آل وهب * فهو شعبي وشعب كل أديب) (إن قلبي لكم لكالكبد الحرى * وقلبي لغيركم كالقلوب) وسمع هذين البيتين بعض الأفاضل فقال لو كانا في آل رسول الله كان أليق فما يستحق هذا القول الإهم رضي الله عنهم وكان يقول إني أغار على أصدقائي كما أغار على حرمي ونظر يوما في المرأة فرأى شيبا كثيرا فقال عيب لا عدمناه وكان الحسن بن وهب لا يصحو من الشراب فقال له أخوه سليمان وقد رآه لا يشرب ذات يوم أراك

عازفا قال نعم ولذلك لا أعده من عمري وأنشد بديها (إذا كان يومي غير يوم مدامة * ولا يوم قينات فما هو من عمري) (وإن كان معمورا بعود وقهوة * فذلك مسروق لعمري من الدهر) وكانت وفاة سليمان المذكور في سنة اثنتين وسبعين ومائتين يوم الأحد
417 منتصف صفر في الحبس وقيل توفي سنة
إحدى وسبعين وقال الطبري في تاريخه إنه توفي يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر في حبس الموفق طلحة والد المعتضد رحمه الله تعالى وللبحتري في سليمان بن وهب (كأن آراءه والحزم يتبعها * تريه كل خفي وهو إعلان) (ما غاب عن عينه فالقلب يكلؤه * وإن تنم عينه فالقلب يقظان) وهذا المعنى قد استعمله الشعراء كثيرا فقال أوس بن حجر التميمي أحد شعراء الجاهلية (الألمعي الذي يظن بك الظن * كأن قد رأى وقد سمعا) وقال آخر (بصير بأعقاب الأمور كأنما * تخاطبه من كل أمر عواقبه) وقال آخر (بصير بأعقاب الأمور كأنما * يرى بصواب الظن ما هو واقع) وقال آخر (عليم بأخبار الخطوب بظنه * كأن له في اليوم عينا على غد) وقال آخر (كأنك مطلع في القلوب * إذا ما تناجت بأسرارها) وهو باب متسع لا حاجة إلى الاطالة فيه
418 وتنقل سليمان في الدواوين الكبار والوزارة
ولم يزل كذلك حتى توفي مقبوضا عليه وحكي أن سليمان بلغه أن الواثق نظر إلى أحمد بن الخصيب الكاتب فأنشد

(من الناس إنسانان ديني عليهما * مليان لو شاءا لقد قضياني) (خليلي أما أم عمرو فإنها * وأما عن الأخرى فلا تسلاني) فقال إنا لله احمد بن الخصيب أم عمرو وأما الأخرى فأنا وكذلك كان فانه نكبهما بعد أيام ولما تولى سليمان بن وهب الوزارة وقيل لما تولاها ابنه عبيد الله بن سليمان كتب إليه عبيد الله بن عبد الله بن طاهر الآتي ذكره (أبى دهرنا إسعافنا في نفوسنا * فأسعفنا فيمن نحب ونعظم) (فقلت له نعماك فيهم أتمها * ودع أمرنا إن المهم المقدم) 278 سليمان بن حرب أبو أيوب سليمان بن حرب بن بجيل الأزدي الواشجي البصري سمع شعبة وجرير بن حازم والحمادين ومبارك بن فضالة وسعيد بن زيد بن درهم والبسري بن

419 يحيى ويزيد بن ابراهيم التستري وروى عنه يحيى بن سعيد القطان واحمد بن حنبل ومحمد بن سعد كاتب الواقدي وغيرهم قدم بغداد وحدث بها وولي قضاء مكة ذكره أبو حاتم الرازي فقال إمام من الأئمة كان لا يدلس وقال ظهر حديثه نحو عشرة آلاف حديث ما رأيت في يده كتابا قط ولقد حضرت مجلس سليمان بن حرب ببغداد فحزروا من حضر مجلسه أربعين ألف رجل وكان مجلسه عند قصر المأمون فبنى له شبه منبر فصعد سليمان وحضر جماعة من القواد عليهم السواد والمأمون فوق قصره وقد فتح باب القصر وقد أرسل سترا وهو خلفه يكتب ما يملي وقال يحيى بن اكثم قال لي المأمون

من تركت بالبصرة فوصفت له مشايخ منهم سليمان بن حرب وقلت هو ثقة حافظ للحديث عاقل في نهاية الستر والصيانة فأمرني بحمله إليه فكتبت إليه في ذلك فقدم فاتفق أني أدخلته إليه وفي المجلس ابن أبي داود وثمامة وأشباه لهما فكرهت أن يدخل مثله بحضرتهم فلما دخل سلم فأجابه المأمون ودعا له سليمان بالعز والتوفيق فقال ابن أبي داود يا أمير المؤمنين نسأل الشيخ عن مسألة فنظر إليه المأمون نظرة تخيير له فقال سليمان يا أمير المؤمنين حدثنا حماد ابن زيد قال قال رجل لابن شبرمة اسألك قال إن كانت مسألتك لا تضحك الجلوس ولا تزري بالمسؤول فسل وحدثنا وهيب بن خالد قال قال إياس بن معاوية من المسائل ما لا ينبغي للسائل ان يسأل عنها ولا للمجيب ان يجيب فيها فان كانت مسألة من غير هذا فليسأل وان كانت من هذا فليمسك قال فهابوه فما نظر أحد منهم إليه حتى قام وولاه قضاء مكة فخرج إليها

420 قال الخطيب وكانت ولايته مكة في سنة أربع عشرة فلم يزل على ذلك إلى ان عزل سنة تسع عشرة ومائتين وولد سنة اربعين ومائة في صفر وتوفي بالبصرة لأربع ليال بقين من شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين ومائتين رحمه الله تعالى

279 سليمان بن عبد الملك ابو أيوب سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم وأمه ولادة أم أخيه الوليد بويع له يوم السبت النصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين وتوفي بذات الجنب

بدابق لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين وله خمس
وأربعون سنة وصلى عليه عمر بن عبد العزيز وكانت
خلافته سنتين وثمانية أشهر إلا خمسة أيام وكان الناس
يتبركون به ويسمونه مفتاح الخير وذلك أنه أذهب عنهم
سنة الحجاج وأطلق الأسرى وأخلى السجون وأحسن إلى
الناس واستخلف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فكان
يقال فتح بخير وختم بخير وكان قد أغزى أخاه مسلمة
الصائفة حتى بلغ القسطنطينية فأقام بها حتى هلك سليمان
وقيل إن سليمان لما وجه أخاه لفتح القسطنطينية أمره أن
يقيم عليه عليها حتى يفتحها أو يأتيه أمره فسار إليها
مسلمة فلما دنا منها أمر كل فارس أن يحمل على عجز
فرسه مدين من الطعام حتى يأتي به قسطنطينية
421 ففعلوا ذلك وألقى ذلك الطعام مثل الجبال ثم
قال للمسلمين لا تأكلوا منه شيئا وأقام بأرضهم وشتا
وصيف وزرع والناس يأكلون ما أصابوا من الغارات ثم
أكلوا من الزرع فأقام مسلمة على قسطنطينية قاهرا لأهلها
ومعه وجوه أهل الشام ومات ملك الروم ومسلمة نازل
عليها فكتب الروم لى اليون صاحب أرمينية فسار اليون
من أرمينية ومكر في طريقه بمسلمة ووعده أن يسلم إليه
قسطنطينية وكانت الروم قد أرسلوا إلى اليون إن صرفت
عنا مسلمة ملكناك فلما أتى اليون مسلمة قال له إنك لا
تصدقهم القتال ولا تزال تطاولهم ما دام هذا الطعام عندك
وقد أحسوا بذلك منك فلو أحرقت الطعام أعطوا ما بأيديهم

فأحرقه مسلمة ووجه مع اليون مع شيعه حتى دخل
القسطنطينية فلما دخلها ملكه الروم عليهم فأرسل إلى
مسلمة يخبره بما جرى من أمره ويسأله أن يأذن له أن
يدخل من الطعام من النواحي ما يعيش به القوم حتى
يصدقوه بأن أمره وأمر مسلمة واحد وأنهم في أمان من
الشتات والخروج من بلادهم وأن يأذن لهم ليلة واحدة في
حمل الطعام وهيأ اليون السفن والرجال فأذن له مسلمة
فحمل جميع ما في تلك النواحي من الغلة في ليلة واحدة
وأفرج اليون وأصبح محاربا لمسلمة وظهرت هذه الخديعة
التي لا تتم على النساء وأقام المسلمون في قلة الميرة
وحصلت الميرة جميعها عند الروم ولقي المسلمون من
الشدة ما لم يلق أحد قط حتى إن الرجل كان يخاف أن
يخرج من العسكر وحده وأكلوا الدواب والجلود وأصول
الشجر والعروق والورق وكل شيء حتى الروث هذا
وسليمان مقيم بدابق فدهمهم الشتاء ولم يقدر أن يمدهم
حتى هلك سليمان قيل إنه خرج من الحمام يريد الصلاة
ونظر في المرآة فأعجبه جماله وكان حسن الوجه فقال أنا
الخليفة الشاب فلقيته إحدى حظاياه فقال كيف ترينني
فتمثلت (ليس فيما بدا لنا فيك عيب * عابه الناس غير
أنك فان) (أنت نعم المتاع لو كنت تبقى * غير أن لا
بقاء للإنسان) ورجع فحم فما بات تلك الليلة إلا ميتا
422   وكان عاقلا دينا متوقفا عن الدماء ويقال إنه
كان شرها نكاحا يأكل في كل يوم نحو مائة رطل وكان به

عرج وحج بالناس سنة سبع وتسعين فمر على المدينة وهو يريد مكة فقال أهاهنا أحد يذكرنا فقيل له أبو حازم فأرسل إليه فدعاه فلما دخل عليه قال له يا أبا حازم ما هذا الجفاء قال يا أمير المؤمنين أعيذك بالله أن تقول ما لم يكن ما عرفتني قبل ولا أنا رأيتك فالتفت سليمان إلى محمد ابن شهاب وقال أصاب الشيخ وأخطأت أنا فقال سليمان يا أبا حازم ما لنا نكره الموت قال لأنكم أخربتم آخرتكم وعمرتم الدنيا فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب قال صدقت فكيف القدوم على الله عز وجل غدا قال أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه فبكى سليمان وقال ليت شعري ما أنا عند الله قال يا أمير المؤمنين اعرض عملك على كتاب الله عز وجل قال وأين أجده قال (^ إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم) (الأعراف : 56) قال يا أبا حازم فأي عباد الله أفضل قال أولو المروءة والتقى قال فأي الأعمال أفضل قال أداء الفرائض مع اجتناب المحارم قال فأي الدعاء أسمع قال دعوة المحسن للمحسن قال فأي الصدقة أزكى قال صدقة السائل البائس وجهد من مقل ليس فيها من ولا أذى قال فأي القول أعدل قال قول الحق عند من يخافه أو يرجوه قال فأي الناس أحمق قال رجل انحط في هوى أخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره قال صدقت فما الذي تقول فيما نحن فيه قال يا أمير المؤمنين أو تعفيني من ذلك قال لا ولكن نصيحة تلقيها إلى قال إن

آباءك قهروا الناس بالسيف وأخذوا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضى حتى قتلوا عليه مقتلة عظيمة وارتحلوا عنها فلو سمعت ما قالوا وما قيل لهم فغشي على سليمان فقال رجل من جلسائه بئس ما قلت يا أبا حازم قال أبو حازم

423 كذبت يا عدو الله إن الله أخذ ميثاق العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه فأفاق سليمان فقال يا أبا حازم كيف لنا أن نصلح للناس قال تدع الصلف وتستمسك بالمروة وتقسم بالسوية قال سليمان كيف المأخذ به قال أن تأخذ المال من حله وتضعه في أهله قال سليمان هل لك أن تصحبنا فتصيب منا ونصيب منك قال أعوذ بالله يا أمير المؤمنين قال ولم قال أخشى أن أركن إليكم شيئا قليلا فيذيقني الله ضعف الحياة وضعف الممات قال يا أبا حازم ارفع إلى حوائجك قال تنجيني من النار وتدخلني الجنة قال ليس ذلك إلى قال فلا حاجة لي غيرها قال فادع لي الله يا أبا حازم قال اللهم إن كان سليمان وليك فيسره بخير الدنيا والآخرة وإن كان عدوك فخذ بناصيته إلى ما تحب وترضى قال سليمان زدني قال يا أمير المؤمنين قد أوجزت وأكثرت إن كنت من أهله وإن لم تكن من أهله فما ينبغي لي أن أرمي عن قوس ليس لها وتر قال أوصني يا أبا حازم قال سأوصيك وأوجز عظم ربك ونزهه أن يراك حيث نهاك أو يفقدك من حيث أمرك ثم قام فبعث إليه سليمان بمائة دينار وكتب إليه ان انفقها ولك مثلها كثير

فردها عليه وكتب إليه يا أمير المؤمنين أعوذ بالله أن
يكون سؤالك إياي هزلا وردي عليك باطلا فوالله ما
أرضاها لك فكيف أرضاها لنفسي يا أمير المؤمنين إن
كانت هذه المائة عوضا لما حدثتك فالميتة ولحم الخنزير
في حل الاضطرار أحل من هذه وإن كانت هذه حقا لي في
بيت المال فلي فيها نظر فإن سويت بيننا وإلا فلا حاجة لي
فيها قال له جلساؤه يا أمير المؤمنين أيسرك أن يكون
الناس كلهم مثله قال لا والله قال أبو حازم يا أمير المؤمنين
إن بني إسرائيل ما داموا على الهدى والرشد كان أمراؤهم
يأتون علماءهم رغبة فيما عندهم فلما رئي قوم من أراذل
الناس تعلموا العلم وأتوا به الأمراء يريدون به الدنيا
استغنت الأمراء عن العلماء فتعسوا ونكسوا وسقطوا من
عين الله عز وجل ولو ان علماءهم زهدوا فيما عند
الأمراء لرغب الأمراء في علمهم ولكنهم رغبوا فيما عند
الأمراء فزهدوا فيهم وهانوا في أعينهم فقال الزهري إياي
تعني وتعرض بي فقال أبو حازم لا والله ما تعمدتك ولكن
424 هو ما تسمع قال سليمان للزهري هل تعرفه
قال يا أمير المؤمنين إنه لجاري منذ ثلاثين سنة ما كلمته
قال أبو حازم أجل والله لو أحببت الله لعرفتني ولكن لم
تحب الله فنسيتني فقال الزهري يا أبا حازم تشتمني قال لا
ولكنك شتمت نفسك أما علمت أن للجار حقا كالقرابة جاء
سليمان يوما إلى طاوس فلم ينظر إليه فقيل له في ذلك فقال
أردت أن يعلم أن لله رجالا يزهدون فيما لديه وشاور

سليمان عمر بن عبد العزيز في أمر فقال سليمان هل علينا عين فقال عمر نعم عين بصيرة لا تحتاج إلى تحديق وسمع نافذ لا يحتاج إلى إصغاء حضر أعرابي إلى مائدة سليمان فجعل يمد يده فقال له الحاجب كل ما بين يديك فقال الأعرابي من أجدب انتجع فشق ذلك على سليمان وقال له لا تعد إلينا ودخل آخر فمد يده فقال له الحاجب كل مما يليك فقال من أخصب تخير فأعجب ذلك سليمان وقضى حوائجه وحكى عتيق بن عامر بن عبد الله بن الزبير قال كنت نديما لسليمان بن عبد الملك وإني لعنده ذات يوم إذ دخل عليه عمر بن عبد العزيز فقال يا أمير المؤمنين إن بالباب أعرابيا وله دين فلو أذنت له فسمعت كلامه قال نعم يا غلام إيذن للأعرابي فلما دخل عليه قال يا أمير المؤمنين إني مكلمك بكلام فاحتمله فإن وراءه ما يحب إن قلته فقال له يا أعرابي إنا لنجود بالاحتمال على من لا نأمن غيبه ولا نرجو نصحه وأنت المأمون غيبا والناصح جيبا فهات فقال الأعرابي أما إذ أمنت بادرة غضبك فإني مطلق لساني بما خرست به الألسن بإذنه لحق الله عز وجل وحق أمانتك يا أمير المؤمنين إنه تكنفك قوم أساءوا الاختيار لأنفسهم وابتاعوا دنياك بآخرتهم ورضاك بسخط الله خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه فانهم لم يألوا الأمانة والأمة خسفا وعسفا وأنت مسؤول عما اجترحوا وليسوا مسؤولين عما اجترحت فلا تفسد آخرتك بدنيا غيرك فإن المغبون

كل المغبون من أفسد آخرته بدنيا غيره فقال له سليمان أما
أنت فقد سللت علينا لسانك وهو أقطع من سيفك قال نعم يا
أمير المؤمنين وهو لك لا لغيرك فقيل
425 له سل أمير المؤمنين حاجة قال ما آخذ خاصا
دون عام ثم خرج ظلم عامل لسليمان رجلا فقال يا أمير
المؤمنين إني أحذرك يوم الأذان قال وما يوم الأذان قال
قوله تعالى (^ فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين
) (الاعراف : 44) قال لا جرم لا أبرح أو تصل إلى
حقك وغضب سليمان بن عبد الملك على خالد القسري
فلما أدخل عليه قال يا أمير المؤمنين إن القدرة تذهب
الحفيظة وإنك تجل عن العقوبة فإن تعف فأهل لذلك أنت
وإن تعاقب فأهل لذلك أنا فعفا عنه احتال يزيد بن راشد
في الدخول على سليمان متنكرا بعد أن ولي الخلافة فقعد
في السماط وكان سليمان قد نذر أنه إن أفضت إليه الخلافة
قطع لسانه لأنه كان ممن دعا إلى خلع سليمان والبيعة لعبد
العزيز فقال يا أمير المؤمنين كن كنبي الله أيوب عليه
السلام ابتلي فصبر وأعطي فشكر وقدر فغفر قال ومن
أنت قال يزيد بن راشد فعفا عنه كان سليمان قد طلب
يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج فلما دخل عليه مكبلا
بالحديد ازدراه وقال لعن الله رجلا رفعك ووجهك في أمره
فقال له رأيتني والأمر عني مدبر وعليك مقبل ولو رأيتني
والأمر مقبل علي لاستعظمت مني ما استصغرت
ولاستجللت مني ما استحقرت قال صدقت اجلس لا أم لك

فلما جلس قال له سليمان عزمت عليك لتخبرني عن الحجاج ما ظنك به أتراه يهوي بعد في جهنم أو قد استقر فيها فقال يا أمير المؤمنين لا تقل هذا للحجاج فإنه بذل لكم نصحه وأحقن دونكم دمه وأمن وليكم وأخاف عدوكم وإنه يأتي يوم القيامة عن يمين أبيك ويسار أخيك حيث شئت فصاح سليمان اخرج عني إلى لعنة الله بينما سليمان بن عبد الملك في مجلسه مر به رجل عليه ثياب يختال في مشيه وكان العلاء بن كدير حاضرا فقال ما ينبغي أن يكون إلا كوفيا وينبغي أن يكون من همدان ثم قال علي بالرجل فأتي به فقال ممن الرجل فقال ويلك دعني حتى ترتد إلى نفسي فتركه هنيهة ثم قال له ممن الرجل فقال من أهل العراق قال من أيهم قال من أهل الكوفة قال من أي أهل

426 الكوفة قال من همدان فازداد عجبا قال ما تقول في أبي بكر قال ما أدركت دهره ولا أدركه دهري ولقد قال الناس فيه وأحسنوا وهو إن شاء الله كذلك قال فما تقول في عمر فقال مثل ذلك فقال ما تقول في عثمان قال ما أدركت دهره ولا أدركه دهري ولقد قال فيه ناس فأحسنوا وقال فيه ناس فأساءوا وعند الله علمه قال فما تقول في علي فقال مثل ذلك قال سب عليا قال لا أسبه قال والله لتسبنه أو لأضربن عنقك فقال والله لا أسبه فأمر بضرب عنقه فقام رجل بيده سيف فهزه حتى أضاء في يده كأنه خوصة وقال لتسبنه أو لأضربن عنقك قال والله لا

أسبه ثم نادى ويلك يا سليمان أدنني منك فدعا به فقال يا سليمان أما ترضى مني بما رضي به من هو خير منك ممن هو خير مني فيمن هو شر من علي قال وما ذلك قال الله تعالى رضي من عيسى وهو خير مني إذ قال في بني إسرائيل وهم شر من علي (^ إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) (المائدة&&118) قال فنظرت إلى الغضب يتحدر من وجهه حتى صار في طرف أرنبته ثم قال خليا سبيله فعاد إلى مشيته فما رأيت رجلا قط خيرا من ألف رجل غيره وإذا هو طلحة بن مطرف قال سليمان لعدي بن الرقاع أنشدني قولك في الخمرة فأنشده (كميت إذا شجت وفي الكأس وردة * لها في عظام الشاربين دبيب) (تريك القذى من دونها وهي دونه * لوجه أخيها في الإناء قطوب) فقال سليمان شربتها ورب الكعبة فقال عدي والله يا أمير المؤمنين لئن رابك وصفي لها لقد رابني معرفتك بها فتضاحكا وأخذا في الحديث وكان سليمان هرب من الطاعون فقيل له إن الله عز وجل يقول (^ قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلا) (الأحزاب&&16) قال ذلك القليل اطلب وقع بين ابن لعمر بن عبد العزيز وبين ابن لسليمان بن عبد الملك كلام فجعل ابن عمر يذكر فضل أبيه ويصفه فقال له ابن سليمان إن شئت فأكثر أو فأقلل

427 ما كان أبوك إلا حسنة من حسنات أبي لأن سليمان هو الذي ولى عمر بن عبد العزيز 280 السلطان سنجر السلجوقي أبو الحارث سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق سلطان خراسان وغزنة وما وراء النهر وخطب له بالعراقيين وأذربيجان وأران وأرمينية والشام والموصل وديار بكر وربيعة والحرمين وضربت السكة باسمه في الخافقين وتلقب بالسلطان الأعظم معز الدين كان من أعظم الملوك همة وأكثرهم عطاء ذكر عنه أنه اصطبح خمسة أيام متوالية ذهب في الجود بها كل مذهب فبلغ ما وهبه من العين سبعمائة ألف دينار غير ما أنعم به من الخيل والخلع والأثاث وغير ذلك وقال خازنه اجتمع في خزائنه من الأموال ما لم أسمع أنه اجتمع في خزائن أحد من الملوك الأكاسرة وقلت له يوما حصل في خزائنك ألف ثوب ديباج أطلس وأحب أن تبصرها فسكت وظننت أنه رضي بذلك فأبرزت جميعها وقلت أما تنظر إلى مالك أما تحمد الله تعالى على ما اعطاك وأنعم عليك فحمد الله تعالى ثم قال يقبح بمثلي أن يقال مال إلى المال وأمر للأمراء بالإذن في الدخول فدخلوا عليه ففرق عليهم الثياب الطلس وانصرفوا واجتمع عنده من الجوهر ألف وثلاثون رطلا ولم يسمع عند أحد

428 من الملوك بمثل هذا ولا بما يقاربه ولم يزل أمره في ازدياد وسعادته في الترقي إلى أن ظهرت عليه

الأغز وهم طائفة من الترك في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة وهي واقعة مشهورة استشهد فيها الفقيه محمد بن يحيى كما سيأتي في ترجمته إن شاء الله تعالى وكسروه وانحل نظام ملكه وملكوا نيسابور وقتلوا فيها خلقا لا يحصى عدده وأسروا السلطان سنجر وأقام في أسرهم مقدار خمس سنين وتغلب خوارزم شاه على مدينة مرو وتفرقت مملكة خراسان ثم إن سنجر أفلت من الأسر وعاد إلى خراسان وجمع إليه أطرافه بمرو وكاد يعود إلى ملكه فأدركه أجله وكانت ولادته يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة بظاهر مدينة سنجار ولذلك سمي سنجر فان والده السلطان ملكشاه لما اجتاز بديار ربيعة ونزل على سنجار جاءه هذا الولد فقالوا ما نسميه فقال سموه سنجر وأخذ هذا الاسم من اسم المدينة وتولى الملكة في سنة تسعين وأربعمائة نيابة عن أخيه بر كياروق كما تقدم ذكره في حرف الباء ثم استقل بالسلطنة في سنة اثنتي عشرة وخمسمائة وتوفي يوم الاثنين رابع عشر شهر ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة بمرو ودفن بها بعد خلاصه من الأسر وانقطع بموته استبداد الملوك السلجوقية بخراسان واستولى على أكثر مملكته خوارزم شاه أتسز بن محمد بن أنوشتكين رحمه الله تعالى وهو جد السلطان محمد بن تكش خوارزم شاه فسبحان من لا يزول ملكه وذكر ابن الأزرق الفارقي في تاريخه أنه مات سنة خمس وخمسين وخمسمائة والله أعلم

بذلك وقال غيره توفي في جمادى الآخرة من السنة وقطعت الخطبة ببغداد للسلجوقية عند وصول خبر وفاته في أيام المقتفي لأمر الله وكتب إلى بلاد الجزيرة الفراتية والشام بقطع الخطبة في هذه السنة والله أعلم

429 281 أبو محمد التستري أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع التستري الصالح المشهور لم يكن له في وقته نظير في المعاملات والورع وكان صاحب كرامات ولقي الشيخ ذا النون المصري رحمه الله تعالى بمكة حرسها الله تعالى وكان له اجتهاد وافر ورياضة عظيمة وكان سبب سلوكه هذا الطريق خاله محمد بن سوار فإنه قال قال لي خالي يوما ألا تذكر الله الذي خلقك فقلت له كيف أذكره قال قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك الله معي الله ناظر إلي الله شاهدي فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته فقال قلها في كل ليلة سبع مرات فقلت ذلك ثم أعلمته فقال قلها في كل ليلة إحدى عشرة مرة فقلت ذلك فوقع في قلبي حلاوة فلما كان بعد سنة قال لي خالي احفظ ما علمتك ودم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لها حلاوة في سري ثم قال لي خالي يوما يا سهل من كان الله معه وهو ناظر إليه وشاهده يعصيه إياك والمعصية فكان ذلك أول أمره وسكن البصرة زمانا وعبادان مدة وكان قد اعتقل بطن يعقوب بن الليث في بلد فارس فجمع له الأطباء فلم

يغنوا عنه فوصف له سهل بن عبد الله فأمر بإحضاره فأحضر فلما دخل عليه قعد عند رأسه وقال اللهم أريته ذل المعصية فأره عز الطاعة ففرج الله عنه من ساعته فأخرج إليه بدرا وثيابا فردها وما قبل منها شيئا فلما رجع إلى تستر قال له بعض أصحابه لو أخذت تلك الدراهم وفرقتها على

430 الفقراء فقال انظر إلى الأرض فإذا الأرض كلها ذهب ثم قال من كان حاله مع الله سبحانه هذا لا يستكثر هذا وكانت وفاته سنة ثلاث وثمانين في المحرم وقيل سنة ثلاث وسبعين ومائتين رضي الله عنه بالبصرة وذكر شيخنا ابن الأثير في تاريخه أن مولده في سنة مائتين وقيل إحدى ومائتين بتستر والتستري بضم التاء المثناة من فوقها وسكون السين المهملة وفتح التاء الثانية وبعدها راء هذه النسبة إلى تستر وهي بلدة من كور الأهواز من خوزستان يقول لها الناس ششتر بشينين معجمتين بها قبر البراء بن مالك رضي الله عنه 282 أبو حاتم السجستاني أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد الجشمي السجستاني النحوي اللغوي المقرىء نزيل البصرة وعالمها كان إماما في علوم الآداب وعنه أخذ علماء عصره كأبي بكر محمد بن دريد والمبرد وغيرهما وقال المبرد سمعته يقول قرأت كتاب سيبويه على الأخفش مرتين وكان كثير الرواية عن أبي زيد الأنصاري وأبي

عبيدة والأصمعي عالما باللغة والشعر حسن العلم بالعروض
431 وإخراج المعمى وله شعر جيد ولم يكن حاذقا في النحو وكان إذا اجتمع بأبي عثمان المازني في دار عيسى بن جعفر الهاشمي تشاغل أو بادر بالخروج خوفا من أن يسأله عن مسألة في النحو وكان صالحا عفيفا يتصدق كل يوم بدينار ويختم القرآن في كل أسبوع وله نظم حسن وكان أبو العباس المبرد يحضر حلقته ويلازم القراءة عليه وهو غلام وسيم في نهاية الحسن فعمل فيه أبو حاتم المذكور (ماذا لقيت اليوم من * متمجن خنث الكلام) (وقف الجمال بوجهه * فسمت له حدق الأنام) (حركاته وسكونه * تجنى بها ثمر الأثام) (وإذا خلوت بمثله * وعزمت فيه على اعتزام) (لم أعد أفعال العفاف * وذاك أوكد للغرام) (نفسي فداؤك يا أبا العباس * جل بك اعتصامي) (فارحم أخاك فإنه * نزر الكرى بادي السقام) (وأنله ما دون الحرام * فليس يرغب في الحرام) ومن شعر أبي حاتم أيضا (أبرزوا وجهه الجميل * ولاموا من افتتن) (لو أرادوا عفافنا * ستروا وجهه الحسن) وله أيضا (كبد الحسود تقطعي * قد بات من أهوى معي) وله غير ذلك كثير قال محمد بن الحسن الأزدي حدثنا أبو حاتم قال وفد علينا عامل من
432 أهل الكوفة ولم أر في عمال السلطان أبرع منه فدخلت عليه مسلما فقال لي يا سجستاني من علماؤكم

بالبصرة قلت الزيادي أعلمنا بعلم الاصمعي والمازني أعلمنا بالنحو وهلال الرأي أفقهنا والشاذكوني من أعلمنا بالحديث وأنا رحمك الله أنسب الى علم القرآن وابن الكلبي من أكتبنا للشروط قال فقال لكاتبه إذا كان غدا فاجمعهم الي قال فجمعنا فقال أيكم المازني فقال أبو عثمان ها أناذا قالهل يجزي في كفارة الطهارة عتق عبد أعور قال المازني لست صاحب فقه أنا صاحب عربية قال يا زيادي كيف يكتب بين بعل وامرأة خالعها على الثلث من صداقها قال ليس هذا من علمي هذا من علم هلال الرأي قال يا هلال كم اسند ابن عون عن الحسن قال ليس هذا من علمي هذا من علم الشاذكوني قال يا شاذكوني من قرأ (^ ألا إنهم يثنون صدورهم) (هود : 5) قال ليس هذا من علمي هذا من علم أبي حاتم قال يا أبا حاتم كيف تكتب كتابا إلى أمير المؤمنين تصف خصاصة أهل البصرة وما اصابهم بي وتسأله النظر بالبصرة قلت لست صاحب براعة وكتابة انا صاحب قرآن قال ما أقبح بالرجل يتعاطى العلم خمسين سنة لا يعرف إلا فنا واحدا حتى إذا سئل عن غيره لم يحل فيه ولم يمر لكن عالمنا بالكوفة الكسائي لو سئل عن هذا كله لأجاب وقال أبو حاتم لتلميذه إذا أردت أن تضمن كتابا سرا فخذ لبنا حليبا فاكتب به في قرطاس فيذر المكتوب إليه عليه رمادا سخنا من رماد القراطيس فيظهر المكتوب وإن كتبته بماء الزاج الأبيض فإذا ذر عليه المكتوب إليه شيئا من العفص ظهر وكذا

بالعكس وله من المصنفات كتاب إعراب القرآن وكتاب ما يلحن فيه العامة وكتاب الطير وكتاب المذكر والمؤنث وكتاب النبات وكتاب المقصور والممدود وكتاب الفرق وكتاب القراءات وكتاب المقاطع والمبادي وكتاب الفصاحة وكتاب النخلة وكتاب الاضداد وكتاب القسي والنبال

433   والسهام وكتاب السيوف والرماح وكتاب الدرع والفرس وكتاب الوحوش وكتاب الحشرات وكتاب الهجاء وكتاب الزرع وكتاب خلق الانسان وكتاب الإدغام وكتاب اللبأ واللبن الحليب وكتاب الكرم وكتاب الشتاء والصيف وكتاب النحل والعسل وكتاب الإبل وكتاب العشب وكتاب الخصب والقحط وكتاب اختلاف المصاحف وغير ذلك من المصنفات وكانت وفاته في المحرم و رجب سنة ثمان وأربعين ومائتين وقيل سنة خمسين وقيل أربع وخمسين و خمس وخمسين ومائتين بالبصرة وصلى عليه سليمان بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي وكان والي البصرة يومئذ ودفن بسرة المصلى رحمه الله تعالى والجشمي بضم الجيم وفتح الشين المثلثة وبعدها ميم هذه النسبة إلى عدة قبائل يقال لكل واحدة منها جشم ولا أدري إلى أيها ينسب أبو حاتم المذكور والسجستاني قد تقدم الكلام عليه 283 أبو الفتح الأرغياني   أبو الفتح أحمد بن علي الأرغياني الفقيه الشافعي كان إماما كبير المقدار في

العلم بمرو على الشيخ أبي علي السنجي المقدم ذكره في حرف الحاء ثم قرأ على القاضي حسين بن محمد المروروذي

434 وحصل طريقته حتى قال ما علق أحد طريقتي مثله ودخل نيسابور وقرأ أصول الفقه على إمام الحرمين أبي المعالي الجويني وناظر في مجلسه وارتضى كلامه ثم عاد إلى ناحية أرغيان وتقلد قضاءها سنين مع حسن السيرة وسلوك الطرائق المرضية ثم خرج إلى الحج ولقي المشايخ بالعراق والحجاز والجبال وسمع منهم وسمعوا منه ولما رجع من مكة حرسها الله تعالى دخل على الشيخ العارف الحسن السمناني شيخ وقته زائرا فأشار عليه بترك المناظرة فتركها ولم يناظر بعد ذلك وعزل نفسه عن القضاء ولزم البيت والانزواء وبنى للصوفية دويرة من ماله وأقام بها مشغولا بالتصنيف والمواظبة على العبادة إلى أن توفي على تيقظ من حاله مستهل المحرم سنة تسع وتسعين وأربعمائة رحمه الله تعالى وهو صاحب الفتاوى المنسوبة إليه وسمع جماعة من الأئمة مثل أبي بكر البيهقي وناصر المروزي وعبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر الفارسي صاحب مجمع الغرائب وذيل تاريخ نيسابور وغيرهم رحمهم الله تعالى والأرغياني بفتح الهمزة وسكون الراء وكسر الغين المعجمة وفتح الياء المثناة من تحتها وبعد الألف نون هذه النسبة إلى أرغيان وهي اسم لناحية من نواحي نيسابور بها عدة من القرى

435 284 أبو الطيب الصعلوكي أبو الطيب سهل
بن محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان الصعلوكي
النيسابوري الفقيه الشافعي وسيأتي ذكر ابيه ورفع نسبه
في حرف الميم إن شاء الله تعالى كان أبو الطيب المذكور
مفتي نيسابور وابن مفتيها أخذ الفقه عن أبيه أبي سهل
الصعلوكي وكان في وقته يقال له الإمام وهو متفق عليه
عديم النظير في علمه وديانته وسمع أباه ومحمد بن
يعقوب الاصم وابن مطر وأقرانهم وكان فقيها أديبا
متكلما خرجت له الفوائد من سماعاته وقيل إنه وضع له
في المجلس أكثر من خمسمائة محبرة وجمع رياسة الدنيا
والآخرة وأخذ عنه فقهاء نيسابور وتوفي في المحرم سنة
سبع وثمانين وثلثمائة رحمه الله تعالى وقال أبو يعلى
الخليلي في كتاب الإرشاد إنه توفي أول سنة اثنتين
وأربعمائة والله أعلم بالصواب والصعلوكي بضم الصاد
المهملة وسكون العين المهملة وضم اللام وسكون الواو
وفي آخرها كاف هذه النسبة إلى صعلوك هكذا ذكره
السمعاني وما عليه قال عبد الواحد اللخمي أصاب سهلا
الصعلوكي رمد فكان الناس يدخلون عليه وينشدونه من
النظم ويروون له من الآثار ما جرت به العادة فدخل عليه
الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي وقال أيها الإمام لو أن
عينيك رأتا
436 وجهك ما رمدت فقال له الشيخ سهل ما سمعت
بأحسن من هذا الكلام وسر به ولما مات أبوه محمد بن

سليمان في التاريخ الآتي ذكره في ترجمته كتب أبو النضر ابن عبد الجبار إلى أبي الطيب المذكور يعزيه عن والده (من مبلغ شيخ أهل العلم قاطبة * عني رسالة محزون وأواه) (أولى البرايا بحسن الصبر ممتحنا * من كان فتياه توقيعا عن الله) & حرف الشين &
@437@ 437
@438@ 438
439 285 شاور وزير مصر أبو شجاع شاور بن مجير بن نزار بن عشائر بن شأس بن مغيث بن حبيب ابن الحارث بن ربيعة بن يخنس بن أبي دؤيب عبد الله وهو والد حليمة مرضع رسول الله قال ابن الكلبي في جمهرة النسب حليمة مرضع النبي ابنة أبي ذؤيب وهو الحارث بن عبد الله بن شجنة بن جابر ابن ناصرة أرضعته بلبن ابنتها الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى بن رفاعة ابن ملان وهو الذي حضن رسول الله لما كان عند حليمة والشيماء المذكورة كانت تحمل النبي فعضها وهي تحمله فلما وفدت عليه أرته الأثر والله أعلم ابن الحارث بن شجنة بن جابر بن رزام بن ناصرة بن قصية بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن السعدي كان الصالح بن رزيك وزير العاضد صاحب مصر قد ولاه الصعيد الأعلى من ديار مصر ثم ندم على توليته ولما جرح الصالح وأشرف على الوفاة كما سيأتي في ترجمته في حرف الطاء إن شاء الله تعالى كان يعد لنفسه ثلاث غلطات إحداها تولية شاور

وثانيتها بناء الجامع المعروف به على باب زويلة فإنه كان قد بقي عونا لمن يحاصر القاهرة وثالثتها خروجه إلى بلبيس
440 بالعساكر ورجوعه بعد أن أنفق فيهم أكثر من مائتي ألف دينار حيث لم يتم إلى بلاد الشام ويفتح بيت المقدس ويستأصل شأفة الفرنج ثم إن شاور تمكن في الصعيد وكان ذا شهامة ونجابة وفروسية وكان الصالح قد أوصى ولده العادل رزيك أن لا يتعرض لشاور بمساءة ولا يغير عليه حاله فإنه لا يأمن عصيانه والخروج عليه وكان كما أشار والشرح يطول وقدم من الصعيد على واحات واخترق تلك البراري إلى أن خرج عند تروجة بالقرب من الإسكندرية وتوجه إلى القاهرة ودخلها يوم الأحد الثاني والعشرين من المحرم سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وهرب العادل رزيك وأهله من القاهرة ليلة العشرين من المحرم المذكور وقتل العادل بن الصالح وأخذ موضعه من الوزارة واستولى ثم توجه في سنة ثمان وخمسين وخمسمائة في شهر رمضان منها إلى الشام مستنجدا بالملك العادل نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام لما خرج عليه أبو الأشبال ضرغام بن عامر بن سوار الملقب فارس المسلمين اللخمي المنذري نائب الباب بجموع كثيرة وغلبه وأخرجه من القاهرة وقتل ولده طيا وولي الوزارة مكانه كعادة المصريين فأنجده بالأمير أسد الدين شيركوه والقصة مشهورة فلا حاجة إلى

الإطالة فيها وآخر الأمر أن أسد الدين تردد إلى الديار
المصرية ثلاث دفعات كما سيأتي في ترجمته من هذا
الحرف إن شاء الله تعالى وقتل شاور يوم الأربعاء سابع
عشر وقيل ثامن عشر شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين
وخمسمائة ودفن في تربة ولده طي وتربته بالقرافة
الصغرى بالقرب من تربة القاضي الفاضل وكان المباشر
لقتله الأمير عز الدين جرديك عتيق نور الدين صاحب
الشام وقال الروحي في كتاب تحفة الخلفاء إن السلطان
صلاح الدين أوقع به وكان إذ ذاك في صحبة عمه أسد
الدين وإن قتله كان يوم السبت منتصف جمادى الأولى من
السنة المذكورة رحمه الله تعالى وذكر ابن شداد في سيرة
صلاح الدين أن شاور المذكور خرج إلى أسد
441 الدين في موكبه فلم يتجاسر أحد عليه إلا
صلاح الدين فإنه تلقاه وسار إلى جانبه وأخذ بتلابيبه وأمر
العسكر بقصد أصحابه ففروا ونهبهم العسكر وأنزل شاور
في خيمة مفردة وفي الحال جاء توقيع على يد خادم خاص
من جهة المصريين يقول لا بد من رأسه جريا على
عادتهم مع وزرائهم فحز رأسه وأنفذه إليهم وسير إلى أسد
الدين خلع الوزارة فلبسها وسار ودخل القصر وترتب
وزيرا وذلك في سابع عشر شهر ربيع الآخر من السنة
المذكورة وذكر الحافظ ابن عساكر في تاريخه أن شاور
وصل إلى نور الدين مستجيرا فأكرمه واحترمه وبعث
معه جيشا فقتلوا خصمه ولم يقع منه الوفاء بما ورد من

جهته ثم إن شاور بعث إلى ملك الفرنج واستنجده وضمن
له أموالا فرجع عسكر نور الدين إلى الشام وحدث ملك
الفرنج نفسه بملك مصر فحضر إلى بلبيس وأخذها وخيم
عليها فلما بلغ نور الدين ذلك جهز عسكرا إليها فلما سمع
العدو بتوجه الجيش رجعوا خائبين واطلع من شاور على
المخامرة وأنفذ يراسل العدو طمعا منه في المظافرة فلما
خيف من شره تمارض أسد الدين فجاءه شاور عائدا له
فوثب جرديك وبرغش موليا نور الدين فقتلا شاور وكان
ذلك برأي الملك الناصر صلاح الدين فإنه أول من تولى
عليه ومد يده بالمكروه إليه وصفا الأمر لأسد الدين
وظهرت السنة بالديار المصرية وخطب فيها بعد اليأس
للدولة العباسية وللفقيه عمارة اليمني الآتي ذكره فيه
مدائح من جملتها قوله من جملة قصيد (ضجر الحديد من
الحديد وشاور * من نصر دين محمد لم يضجر) (حلف
الزمان ليأتين بمثله * حنثت يمينك يا زمان فكفر) وحكى
الفقيه عمارة المذكور أنه لما تم الأمر لشاور وانقرضت
دولة بني
442 زيك جلس شاور وحوله جماعة من أصحاب
بني رزيك وممن لهم عليهم إحسان وإنعام فوقعوا في بني
رزيك تقربا إلى قلب شاور وكان الصالح بن رزيك وابنه
العادل قد أحسنا إلى عمارة عند دخوله إلى الديار
المصرية قال فأنشدته (صحت بدولتك الأيام من سقم *
وزال ما يشتكيه الدهر من ألم) (زالت ليالي بني رزيك

وانصرمت * والحمد والذم فيها غير منصرم) (كأن صالحهم يوما وعادلهم * في صدر ذا الدست لم يقعد ولم يقم) (هم حركوها عليهم وهي ساكنة * والسلم قد ينبت الأوراق في السلم) (كنا نظن وبعض الظن مأثمة * بأن ذلك جمع غير منهزم) (فمذ وقعت وقوع النسر خانهم * من كان مجتمعا من ذلك الرخم) (ولم يكونوا عدوا ذل جانبه * وإنما غرقوا في سيلك العرم) (وما قصدت بتعظيمي عداك سوى * تعظيم شأنك فاعذرني ولا تلم) (ولو شكرت لياليهم محافظة * لعهدها لم يكن بالعهد من قدم) (ولو فتحت فمي يوما بذمهم * لم يرض فضلك إلا أن يسد فمي) (والله يأمر بالإحسان عارفة * منه وينهى عن الفحشاء في الكلم) قال عمارة فشكرني شاور وولداه على الوفاء لبني رزيك 49 وأما الملك المنصور أبو الأشبال ضرغام بن سوار اللخمي المذكور فانه لما وصل شاور من الشام بالعساكر خرج من القاهرة وقتل يوم الجمعة الثامن والعشرين من شهر جمادى الاخرة وقيل في رجب سنة تسع وخمسين وخمسمائة وكان قتله عند مشهد السيدة نفيسة رضي الله عنها فيما بين القاهرة ومصر وحزوا رأسه وطافوا به على رمح وبقيت جثته هناك ثلاثة يام تأكل منها الكلاب ثم دفن عند بركة الفيل وعمر عليه قبة هكذا وجدته في بعض

443 التواريخ وعلى البركة قبة وغالب ظني انها هي المذكورة وواحات بفتح الواو وبعد الألف حاء مهملة

وبعد الألف الثانية تاء مثناة من فوقها وهي بلاد بنواحي الديار المصرية مستطيلة في طول صعيدها داخل البرية مما يلي أرض برقة وطريق المغرب وتروجة بفتح التاء المثناة من فوقها والراء وبعد الواو الساكنة جيم ثم هاء ساكنة وهي قرية بالقرب من الإسكندرية أكثر زراعة أهلها الكرويا ونقلت نسبه على هذه الصورة من شجرة أحضرها إلى أحد حفدته 285 ب شاور بن مجير الوزير المصري بعد النسب المتقدم في الترجمة السابقة وزير العاضد صاحب مصر ولي الوزارة له سنة ثمان وخمسين وخمسمائة في صفر منها وكان ابتداء امره أنه كان يخدم الصالح بن رزيك فأقبل عليه وولاه الصعيد وهو أكبر الأعمال بعد الوزارة وظهرت منه كفاءة عظيمة وتقدم واستمال الرعية والمقدمين من العرب وغيرهم فعسر أمره على الصالح ولم يمكنه عزله فاستدام استعماله لئلا يخرج عن طاعته ولما جرح الصالح وأشرف على الوفاة كان يعد لنفسه ثلاث غلطات إحداها تولية شاور ولما حضر الصالح الموت كان من جملة وصيته للعادل رزيك ولده انك لا تغير على شاور فإنني أنا أقوى منك وقد ندمت على استعماله ولم يمكني عزله فلا تغيروا عليه فيكون لكم ما تكرهون فلما توفي الصالح وتولى ابنه العادل الوزارة حسن له أهله عزل شاور واستعمال بعضهم مكانه وخوفوه منه ان اقره على عمله فأرسل إليه بالعزل 444
فجمع جموعا كبيرة وقدم من الصعيد على واحات

واخترق تلك البراري الى ان قدم عند تروجة من الاسكندرية وتوجه الى القاهرة فهرب منه العادل بن رزيك فأخذ وقتل وكانت مدة وزارته ووزارة ابيه تسع سنين وشهرا واحدا وأياما وصار شاور وزيرا وتلقب بأمير الجيوش وكان ذا شهامة ونجابة وفروسية ثم ان الضرغام جمع جموعا كبيرة ونازع شاور في الوزارة وفي شهر رمضان ظهر أمره وانهزم شاور منه إلى الشام وصار ضرغام وراءه فكان في هذه السنة مصير ثلاثة وزراء العادل بن رزيك وشاور وضرغام فلما تمكن ضرغام من الوزارة قتل كثيرا من الامراء المصريين لتخلو له البلاد من منازع ثم ان شاور لما نازعه ضرغام في الوزارة قصد نور الدين محمود بن زنكي ملتجئا إليه مستجيرا به فأكرم مثواه واحسن إليه وانعم عليه وطلب منه إرسال العساكر معه إلى مصر ليعود الى منصبه ويكون لنور الدين ثلث خراج مصر بعد اقطاعات العساكر ويكون شيركوه مقيما بعساكره في مصر ويتصرف بأمر نور الدين واختياره فبقي نور الدين يقدم الى هذا العرض رجلا ويؤخر أخرى فتارة تحمله رعاية قصد شاور به وطلب الزيادة في الملك والتقوي على الفرنج وتارة يمنعه خطر الطريق من أجل الفرنج وخوفا من أن شاور ان استقرت قاعدته ربما لا يفي ثم قوي عزمه على ارسال الجيوش فتقدم بتجهيزها وازاحة عللها وكان هوى أسد الدين في ذلك وعنده من الشجاعة وقوة النفس ما لا يبالي

بمخافة فتجهز وساروا جميعا وشاور صحبتهم في جمادى
الأولى سنة تسع وخمسين وتقدم نور الدين الى شيركوه أن
يعيد شاور الى منصبه وينتقم له ممن نازعه ووصل أسد
الدين والعساكر الى مدينة بلبيس فخرج إليهم ناصر الدين
أخو ضرغام بعسكر المصريين ولقيهم فانهزم وعاد الى
القاهرة مهزوما ووصل أسد الدين الى القاهرة أواخر
جمادى الاخرة فخرج الملك المنصور ابو الأشبال
ضرغام بن عامر بن سوار الملقب فارس المسلمين
اللخمي المنذري المذكور أول الترجمة من القاهرة سلخ
الشهر فقتل عند مشهد السيدة نفيسة وبقي يومين ثم حمل
ودفن بالقاهرة وقتل أخوه ناصر الدين وخلع
445 على شاور مستهل رجب واعيد الى الوزارة
وتمكن منها والقصة مشهورة وحدث ملك الفرنج نفسه
بملك مصر وأخذ بلبيس وحكم عليها وكان استقر بينهم
وبين المصريين أن يكون لهم بالقاهرة شحنة وتكون
أسوارها بيد فرسانهم ليمتنع نور الدين من ايفاد عسكر
إليهم ويكون لهم من دخل مصر كل سنة مائة ألف دينار
وهذا كله استقر مع شاور فان العاضد لم يكن له معه حكم
قد حجر عليه وحجبه عن الأمور كلها وعاد الفرنج الى
بلاد الساحل الشامي وتركوا بمصر جماعة من مشاهير
فرسانهم وكان الكامل شجاع بن شاور قد ارسل الى نور
الدين مع بعض الأمراء ينهي إليه محبته وولاءه ويسأله
الدخول في طاعته وضمن على نفسه انه يجمع الكلمة

بمصر على طاعته وبذل مالا يحمله كل سنة فأجابه الى
ذلك وحملوا إليه مالا جزيلا فبقي الأمر على ذلك الى أن
قصد الفرنج مصر سنة أربع وستين وفي ربيع الاول من
هذه السنة سار أسد الدين شيركوه الى ديار مصر ومعه
العساكر النورية وسبب ذلك ما ذكرناه من تمكن الفرنج
وانهم جعلوا لهم في القاهرة شحنة وتسلموا ابوابها وجعلوا
فيها جماعة من فرسانهم وحكموا على المسلمين حكما
جائرا فلما رأوا ذلك وان البلاد ليس فيها من يردهم
ارسلواالى ملك الفرنج بالشام وهو مري ولم يكن للفرنج
منذ ظهروا بالشام مثله شجاعة ومكرا ودهاء يستدعونه
ليملكها واعلموه خلوها من ممانع وهونوا عليه أمرها فلم
يجبهم الى ذلك فاجتمع عنده فرسان الفرنج وذوو الرأي
وأشاروا عليه بقصدها فقال لهم الرأي عندي أنا لا
نقصدها فإنها طعمة لنا وأموالها تساق إلينا نتقوى بها على
نور الدين وان نحن قصدناها لنملكها فإن صاحبها
وعساكره وعامة بلاده لا يسلمونها إلينا ويقاتلوننا دونها
ويحملهم الخوف على تسليمها الى نور الدين وان أخذها
وصار له فيها مثل أسد
446 الدين فهو هلاك الفرنج وإجلاؤهم من ارض
الشام فلم يقبلوا قوله وقالوا انها لا مانع فيها ولا حامي
والى ان يجهز نور الدين عسكرا نكون قد ملكناها وفرغنا
من أمرها وحينئذ يتمنى نور الدين منا السلامة فسار
معهم على كره وشرعوا يتجهزون ويظهرون أنهم

يقصدون مدينة حمص فلما سمع نور الدين شرع أيضا في جمع عسكره وجد الفرنج في السير الى مصر ونازلوا مدينة بلبيس وملكوها قهرا ونهبوا فيها وأسروا وسبوا وكان جماعة من أعيان المصريين قد كاتبوا الفرنج ووعدوهم النصرة عداوة منهم لشاور منهم ابن الخياط وابن مرجلة فقوي جنان الفرنج بهم وساروا من بلبيس الى مصر فنزلوا على القاهرة وحصروها فخاف الناس منهم واقبلوا على الامتناع فحفظوا البلد وقاتلوا عليه وبذلوا جهدهم في حفظه فلو أن الفرنج أحسنوا السيرة في بلبيس لملكوا مصر والقاهرة ولكن الله حسن لهم ما فعلوا ليقضي الله أمرا كان مفعولا وأمر شاور باحراق مدينة مصر وأمر أهلها بالانتقال منها إلى القاهره وأن ينهب البلد فانتقلوا وبقوا على الطرق ونهبت المدينة وافتقر أهلها وذهبت أموالهم ونعمتهم قبل نزول الفرنج عليهم بيوم أو يومين خوفا ان يملكها الفرنج وبقيت النار فيها اربعة وخمسين يوما فأرسل الخليفة العاضد الى نور الدين يستغيث به ويعرفه ضعف المسلمين عن دفع الفرنج وأرسل في الكتب شعور النساء وقال هذه شعور نسائي من قصري تستغيث بك لتنقذهم من الفرنج فشرع في تجهيز الجيوش وأما الفرنج فانهم اشتدوا في حصار القاهرة وضيقوا على أهلها وشاور هو المتولي للأمر والعساكر والقتال فضاق به الأمر وضعف عن ردهم فأخذ في إعمال الحيلة فأرسل الى ملك الفرنج يعرفه مودته له

ومحبته القديمة وأن هواه معه لخوفه من نور الدين ومن العاضد وأن المسلمين لا يوافقونه على التسليم إليه وبشر بالصلح على أن يعطيه ألف ألف دينار مصرية يعجل البعض ويؤخر الباقي فاستقرت القاعدة على ذلك ورأى الفرنج أن البلاد قد امتنعت عليهم وربما سلمت الى نور الدين فاجابوا الى ذلك فقالوا نأخذ المال ونتقوى به ونعاود البلاد بقوة لا نبالي معها بنور الدين ومكروا ومكر الله والله خير
447 الماكرين فعجل لهم شاور مائة ألف دينار وسألهم الرحيل عنهم ليجمع لهم المال فرحلوا وشرع شاور بجمع المال من أهل القاهرة ومضى فلم يتحصل له إلا قدر يسير لا يبلغ خمسة آلاف دينار وتنبه أن أهل مصر أحرقت دورهم بما فيها وما سلم نهب وهم لا يقدرون على الأقوات فضلا عن الاقساط وأما أهل القاهرة فالأغلب فيهم الجند وغلمانهم فلهذا تعذر جمع المال وهم في خلال هذا يراسلون نور الدين بما الناس فيه وبذلوا له ثلث خراج ديار مصر وأن يكون اسد الدين مقيما عندهم في عسكر يكون مقطعا في الديار المصرية خارجا عن الثلث المختص به فأسر نور الدين لأسد الدين بالتجهز الى مصر وأعطاه مائتي ألف دينار سوى الثياب والأسلحة والدواب وغير ذلك وحكمه في العسكر والخزائن فاختار من العسكر الفي فارس وأخذ المال وجمع ستة آلاف فارس وسار بهم هو وصلاح الدين ابن أخيه فلما قرب

أسد الدين من مصر رحل الفرنج عنها عائدين إلى بلادهم بخفي حنين فلما وصل أسد الدين الى القاهرة دخل الى العاضد فخلع عليه وعاد الى المخيم بالخلعة وفرح بها أهل مصر وأجريت عليه وعلى عسكره الجرايات الكثيرة والاقامات الوافرة ولم يمكن شاور المنع من ذلك لأنه رأى العساكر كثيرة مع شيركوه وهوى العاضد معهم فلم يتجاسر على إظهار ما في نفسه وشرع يماطل أسد الدين في تقدير ما كان بذل لنور الدين من المال وإقطاع الجند وهو يركب كل يوم إلى أسد الدين ويسير معه ويعده ويمنيه ثم انه عزم على أن يعمل دعوة يدعو لها أسد الدين وجماعة من الأمراء الذين معه ويقبض عليهم ويستخدم من معهم من الجند فتمنع بهم البلاد من الفرنج فنهاه ابنه الكامل وقال والله لئن عزمت على هذا لأعرفن شيركوه فقال له أبوه والله لئن لم نفعل هذا لنقتلن جميعا فقال صدقت ولكن نقتل ونحن مسلمون خير من أن نقتل وقد ملكها الفرنج فإنه ليس بينك وبين عود الفرنج الا أن يسمعوا بالقبض على شيركوه وحينئذ لو مشى العاضد الى نور الدين لم يرسل معه فارسا واحدا ويملكون البلاد فترك ما كان عزم عليه ولما رأى العسكر النوري مطل شاور خافوا شره واتفق صلاح الدين
448 ومن معه من الأمراء منهم عز الدين جرديك على قتل شاور وأعلموا أسد الدين فنهاهم عنه فسكتوا وهم على العزم فاتفق أن شاور قصد عسكر أسد الدين على

عادته في الخيام فلم يجده وكان قد مضى لزيارة قبر الإمام
الشافعي رضي الله عنه فمضى إليه ومعه صلاح الدين
وجرديك في جمع من العسكر فساروا جميعا فتناوله
صلاح الدين وجرديك وألقياه الى الأرض عن فرسه
فهرب عنه أصحابه وأخذ سيرا ولم يمكنهم قتله بغير أمر
أسد الدين فوكلوا به وسيروا أعلموا أسد الدين بالحال
فحضر ولم يمكنه إلا اتمام ما عملوه وسمع العاضد الخبر
فأرسل الى أسد الدين وطلب إيفاد رأس شاور وبايع
الرسل بذلك فقتل كما تقدم في هذه الترجمة أما الكامل بن
شاور فانه لما قتل ابوه دخل إلى القصر هو واخوته
معتصمين به فكان آخر العهد بهم فكان شيركوه يتأسف
كيف عدم لانه بلغه ما كان منه مع أبيه في منعه من قتل
شيركوه وكان يقول وددت لو بقي لأحسن إليه جزاء
الصنيعة وصفا الامر لاسد الدين وظهرت السنة بالديار
المصرية وخطب فيها بعد اليأس للدولة العباسية 286
الأفضل ابن أمير الجيوش أبو القاسم شاهنشاه الملقب
الملك الأفضل ابن أمير الجيوش بدر الجمالي 50 كان بدر
المذكور أرمني الجنس اشتراه جمال الدولة بن عمار
وتربى عنده وتقدم بسببه وكان من الرجال المعدودين في
ذوي الآراء والشهامة وقوة
449 العزم واستنابه المستنصر صاحب مصر
بمدينة صور وقيل عكا فلما ضعف حال المستنصر
واختلت دولته كما سيأتي في ترجمته في حرف الميم إن

شاء الله تعالى وصف له بدر الجمالي المذكور فاستدعاه وركب البحر في الشتاء في وقت لم تجر العادة بركوبه في مثله ووصل إلى القاهرة عشية يوم الاربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الاولى وقيل الآخرة سنة ست وستين وأربعمائة فولاه المستنصر تدبير أموره وقامت بوصوله الحرمة وأصلح الدولة وكان وزير السيف والقلم وإليه قضاء القضاة والتقدم على الدعاة وساس الامور أحسن سياسة ويقال إن وصوله كان أول سعادة المستنصر وآخر قطوعه وكان يلقب أمير الجيوش ولما دخل على المستنصر قرأ قارىء بين يدي المستنصر (^ ولقد نصركم الله ببدر) ولم يتم الآية فقال المستنصر لو أتمها ضربت عنقه وجاوز ثمانين سنة ولم يزل كذلك إلى أن توفي في ذي القعدة وقيل في ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة رحمه الله تعالى قال علقمة العليمي قصدت بدرا الجمالي بمصر فرأيت الناس وكبراءهم وشعراءهم على بابه قد طال مقامهم ولم يصلوا إليه قال فبينا أنا كذلك إذ خرج بدر يريد الصيد فخرج علقمة في إثره فلما رجع وقف على نشز من الأرض وأومأ برقعة في يده وأنشأ يقول (نحن التجار وهذه أعلاقنا * درر وجود يمينك المبتاع) (قلب وفتشها بسمعك إنما * هي جوهر تختاره الأسماع) (كسدت علينا بالشآم وكلما * قل النفاق تعطل الصناع) (فأتاك يحملها إليك تجارها * ومطيها الامال والأطماع) (فوهبت ما لم يعطه في دهره * هرم ولا

كعب ولا القعقاع) (وسبقت هذا الناس في طلب العلا *
فالناس بعدك كلهم أتباع)
450 (يا بدر أقسم لو بك اعتصم الورى * ولجوا
إليك بأسرهم ما ضاعوا) وكان على يد بدر بازي فألقاه
وانفرد عن الجيش وجعل يسترد الأبيات إلى أن استقر في
مجلسه ثم قال لجماعة غلمانه وخاصته من أحبني فليخلع
على هذا الشاعر فخرج من عنده ومعه سبعون بغلا تحمل
الخلع وأمر له بعشرة الآف درهم وخرج من عنده وفرق
كثيرا من ذلك على الشعراء وهو الذي بنى الجامع الذي
بثغر الإسكندرية المحروس الذي في سوق العطارين
وكان فراغه من عمارته في شهر ربيع الأول سنة تسع
وسبعين وأربعمائة وبنى مشهد الرأس بعسقلان ولما
مرض واشتد مرضه في شهر ربيع الأول من سنة سبع
وثمانين وزر ولده الأفضل المذكور موضعه في حياته
وقضيته مع نزار بن المستنصر وغلامه أفتكين الأفضلي
والي الإسكندرية مشهورة في أخذهما وإحضارهما إلى
القاهرة المحروسة ولم يظهر لهما خبر بعد ذلك وكان ذلك
في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وكان المستنصر قد مات
في التاريخ المذكور في ترجمته وأقام الأفضل ولده
المستعلي أحمد المقدم ذكره مقامه واستمر على وزارته
فأما أفتكين فإنه قتل ظاهرا وأما نزار فيقال إن أخاه
المستعلي أحمد المقدم ذكره بنى في وجهه حائطا فمات
والله أعلم وقد سبق طرف من خبره في ترجمة المستعلي

وأفتكين كان غلام الأفضل المذكور ونزار المذكور إليه
تنتسب ملوك الإسماعيلية أصحاب الدعوة أرباب قلعة
الالموت وما معها من القلاع في بلاد العجم وكان
الأفضل المذكور حسن التدبير فحل الرأي وهو الذي أقام
الآمر ابن المستعلي موضع أبيه في المملكة بعد وفاة أبيه
كما فعل مع أبيه ودبر دولته وحجر عليه ومنعه من
ارتكاب الشهوات فإنه كان كثير اللعب كما سيأتي في
ترجمته إن شاء الله تعالى فحمله ذلك على أن عمل على
قتله فأوثب عليه جماعة وكان يسكن بمصر في دار الملك
التي على بحر النيل وهي اليوم دار الوكالة فلما ركب من
داره المذكورة وتقدم إلى ساحل البحر وثبوا عليه
451 فقتلوه وذلك في سلخ رمضان المعظم عشية
يوم الأحد سنة خمس عشرة وخمسمائة رحمه الله تعالى
وهو والد أبي علي أحمد بن شاهنشاه الآتي ذكره في
ترجمة الحافظ أبي الميمون عبد المجيد العبيدي صاحب
مصر وما اعتده في حقه إن شاء الله تعالى وقد تقدم في
ترجمة المستعلي أحمد صاحب مصر وفي ترجمة أرتق
التركماني طرف من حديث الأفضل المذكور وما فعل في
أخذ القدس من سكمان وإيل غازي ابني أرتق التركماني
ثم رأيت بعد ذلك في كتاب الدول المنقطعة في ترجمة
المستعلي شيئا آخر فألحقته هاهنا فإنه قال إن الأفضل تسلم
القدس في يوم الجمعة لخمس بقين من شهر رمضان من
سنة إحدى وتسعين وأربعمائة وولى فيه من قبله فلم يكن

لمن فيه طاقة بالفرنج فأخذوه بالسيف في شعبان سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة ولو ترك في يد الأرتقية لكان أصلح للمسلمين فندم الأفضل حين لم ينفعه الندم وخلف الأفضل من الأموال ما لم يسمع بمثله قال صاحب الدول المنقطعة خلف ستمائة ألف ألف دينار عينا ومائتين وخمسين إردبا دراهم نقد مصر وخمسة وسبعين ألف ثوب ديباج أطلس وثلاثين راحلة أحقاق ذهب عراقي ودواة ذهب فيها جوهر قيمته اثنا عشر ألف دينار ومائة مسمار من ذهب وزن كل مسمار مائة مثقال في عشرة مجالس في كل مجلس عشرة مسامير على كل مسمار منديل مشدود مذهب بلون من الألوان أيما أحب منها لبسه وخمسمائة صندوق كسوة لخاصه من دق تنيس ودمياط وخلف من الرقيق والخيل والبغال والمراكب والطيب والتجمل والحلي ما لم يعلم قدره إلا الله سبحانه وتعالى وخلف خارجا عن ذلك من البقر والجواميس والغنم ما يستحيا من ذكر عدده وبلغ ضمان ألبانها في سنة وفاته ثلاثين ألف دينار ووجد في تركته صندوقان كبيران فيهما إبر ذهب برسم النساء والجواري

452 287 شاهنشاه بن أيوب الأمير نور الدولة

شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شاذي بن مروان أخو السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى كان أكبر الإخوة وهو والد عز الدين فروخ شاه والد الملك الأمجد صاحب بعلبك ووالد الملك المظفر تقي الدين عمر صاحب حماة

وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى وقتل شاهنشاه المذكور
في الواقعة التي اجتمع فيها الفرنج سبعمائة ألف ما بين
فارس وراجل على ما يقال وتقدموا إلى باب دمشق
وعزموا على قصد بلاد المسلمين قاطبة ونصر الله
سبحانه وتعالى عليهم وكان قتله في شهر ربيع الأول سنة
ثلاث وأربعين وخمسمائة رحمه الله تعالى 51 وفي من
خرج إلى القتال واستشهد الفقيه حجة الدين يوسف بن
درباس الفندلاوي المغربي وكان شيخا كبيرا فقيها عالما
زاهدا صالحا فلما رآه معين الدين مقدم العسكر وهو راجل
قصده وسلم عليه وقال يا شيخ أنت معذور لكبر سنك
ونحن نقوم بالذب عن المسلمين وسأله أن يعود فلم يفعل
وقال له قد بعت واشتري مني فوالله لا أقيله ولا أستقليه
يريد قوله تعالى (^ ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم
وأموالهم بأن لهم الجنة) وتقدم فقاتل الفرنج إلى أن قتل
عند النيرب ورئي الفندلاوي في النوم فقيل له ما فعل الله
بك وأين أنت فقال غفر لي وأنا في جنات عدن على سرر
متقابلين رحمه الله تعالى 52 وأما عز الدين أبو سعيد
فروخ شاه فكان ينعت بالملك المنصور وكان
453 سريا نبيلا جليلا واستخلفه السلطان صلاح
الدين بدمشق لما عاد إلى الديار المصرية من الشام فقام
بضبط أمورها وإصلاح أحوالها أحسن قيام ثم توفي في
آخر جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة بدمشق
هكذا قال العماد الأصبهاني في البرق الشامي وقال ابن

شداد في سيرة صلاح الدين إن السلطان بلغه وفاة ابن أخيه عز الدين فروخ شاه في رجب سنة سبع وسبعين والعماد أخبر بذلك والله أعلم 53 وكان لشاهنشاه المذكور بنت تسمى عذرا وهي التي بنت المدرسة العذراوية بمدينة دمشق وإليها تنسب وماتت عذرا المذكورة عاشر المحرم سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة 54 وأما الملك الأمجد مجد الدين أبو المظفر بهرام شاه بن فروخ شاه فإن صلاح الدين أبقى عليه بعلبك وكان فيه فضل وله ديوان شعر وأخذ الأشرف بن العادل منه بعلبك فانتقل إلى دمشق وقتله مملوكه في داره ليلة الأربعاء ثاني عشر شوال سنة ثمان وعشرين وستمائة

454 288 شبيب الخارجي أبو الضحاك شبيب بن يزيد بن نعيم بن قيس بن عمرو بن الصلب بن قيس بن شراحيل بن مرة بن همام بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة وبقية النسب معروف الشيباني الخارجي كان خروجه في خلافة عبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف الثقفي بالعراق يومئذ وخرج بالموصل فبعث إليه الحجاج خمسة قواد فقتلهم واحدا بعد واحد ثم خرج من الموصل يريد الكوفة وخرج الحجاج من البصرة يريد الكوفة أيضا وطمع شبيب أن يلقاه قبل أن يصل إلى الكوفة فأقحم الحجاج خيله فدخلها قبله وذلك في سنة سبع وسبعين للهجرة وتحصن الحجاج في قصر الإمارة ودخل إليها شبيب وأمه جهيزة وزوجته غزالة عند الصباح فوجد باب القصر مغلقا

والحجاج فيه فقتل الحرس ثم دنا من الباب فعالجه هو وأصحابه فأعياهم فتحه فضربه شبيب بعمود كان في يده فنقب الباب فيقال إن ذلك النقب لم يزل في الباب إلى أن خرب قصر الإمارة وفيه ضربة شبيب وقد كانت غزالة نذرت أن تدخل مسجد الكوفة فتصلي فيه ركعتين تقرأ فيهما سورة البقرة وآل عمران فأتوا الجامع في سبعين رجلا فصلت فيه الغداة وخرجت من نذرها فقيل فيها (وفت الغزالة نذرها * يا رب لا تغفر لها) وكانت غزالة من الشجاعة والفروسية بالموضع العظيم وكانت تقاتل في 455 الحروب بنفسها وقد كان الحجاج هرب في بعض الوقائع مع شبيب من غزالة فعيره ذلك بعض الناس بقوله (أسد علي وفي الحروب نعامة * فتخاء تنفر من صفير الصافر) (هلا برزت إلى غزالة في الوغى * بل كان قلبك في جناحي طائر) وكانت أمه جهيزة أيضا شجاعة تشهد الحروب وكان شبيب قد ادعى الخلافة ولما عجز الحجاج عن شبيب بعث عبد الملك إليه عساكر كثيرة من الشام عليها سفيان بن الأبرد الكلبي فوصل إلى الكوفة وخرج الحجاج أيضا وتكاثروا على شبيب فانهزم وقتلت غزالة وأمه ونجا شبيب في فوارس من أصحابه واتبعه سفيان في أهل الشام فلحقه بالأهواز فولى شبيب فلما حصل على جسر دجيل نفر به فرسه وعليه الحديد الثقيل من درع ومغفر وغيرهما فألقاه في الماء فقال له بعض أصحابه أغرقا يا أمير المؤمنين قال ذلك تقدير العزيز

العليم فألقاه دجيل ميتا في ساحله فحمل على البريد إلى الحجاج فأمر الحجاج بشق بطنه واستخراج قلبه فاستخرج فإذا هو كالحجر إذا ضرب به الأرض نبا عنها فشق فكان في داخله قلب صغير كالكرة فشق فأصيب علقة الدم في داخله وقال بعضهم رأيت شبيبا وقد دخل المسجد وعليه جبة طيالسة عليها نقط من أثر المطر وهو طويل أشمط جعد آدم فجعل المسجد يرتج له وكان مولده يوم عيد النحر سنة ست وعشرين للهجرة وغرق بدجيل كما تقدم سنة سبع وسبعين للهجرة رحمه الله تعالى

456 55 ولما غرق أحضر إلى عبد الملك رجل يرى رأي الخوارج وهو عتبان الحروري ابن أصيلة ويقال وصيلة وهي أمه وهي من بني محلم وهو من بني شيبان من شراة الجزيرة وقد عمل قصيدة وهي أبيات عديدة ذكرها المرزباني في المعجم فقال له ألست القائل يا عدو الله (فإن يك منكم كان مروان وابنه * وعمرو ومنكم هاشم وحبيب) (فمنا حصين والبطين وقعنب * ومنا أمير المؤمنين شبيب) فقال لم أقل كذا يا أمير المؤمنين وإنما قلت (ومنا أمير المؤمنين شبيب *) فاستحسن قوله وأمر بتخلية سبيله وهذا الجواب في نهاية الحسن فإنه إذا كان أمير مرفوعا كان مبتدأ فيكون شبيب أمير المؤمنين وإذا كان منصوبا فقد حذف منه حرف النداء ومعناه يا أمير المؤمنين منا شبيب فلا يكون شبيب أمير المؤمنين بل يكون منهم وذكر الحافظ أبو القاسم

المعروف بابن عساكر الدمشقي في تاريخ دمشق في أواخر كتابه المذكور في جملة تراجم أرباب الكنى ما مثاله أبو المنهال الخارجي شاعر وفد على عبد الملك بن مروان مستأمنا بعدما كان قال لعبد الملك (أبلغ أمير المؤمنين رسالة * وذو النصح لو يدعى إليه قريب) (فلا صلح ما دامت منابر أرضنا * يقوم عليها من ثقيف خطيب)

457 (وإنك إن لا ترض بكر بن وائل * يكن لك يوم بالعراق عصيب) وبعد هذه الأبيات الثلاثة البيتات المذكوران وأبو المنهال كنية عتبان بن وصيلة المذكور وقوله من ثقيف خطيب يريد به الحجاج بن يوسف الثقفي المقدم ذكره وجهيزة بفتح الجيم وكسر الهاء وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الزاي وبعدها هاء ساكنة وهي التي يضرب بها المثل في الحمق فيقال أحمق من جهيزة ذكر ذلك يعقوب بن السكيت في كتاب إصلاح المنطق في باب ما تضعه العامة في غير موضعه وقال كان أبو شبيب من مهاجرة الكوفة فغزا سلمان بن ربيعة الباهلي في سنة خمس وعشرين للهجرة فأتوا الشام فأغاروا على بلاد وأصابوا سبيا وغنموا وأبو شبيب في ذلك الجيش فاشترى جارية من السبي حمراء طويلة جميلة فقال لها أسلمي فأبت فضربها فلم تسلم فواقعها فحملت وتحرك الولد في بطنها فقالت في بطني شيء ينقز فقيل أحمق من جهيزة ثم أسلمت فولدت شبيبا سنة ست وعشرين يوم النحر فقالت

لمولاها إني رأيت قبل أن ألد كأني ولدت غلاما فخرج مني شهاب من نار فسطع بين السماء والأرض ثم سقط في ماء فخبا وقد ولدته في يوم أريق فيه الدماء وقد زجرت أن ابني يعلو أمره ويكون صاحب دماء يهريقها هذا آخر كلام ابن السكيت ودجيل بضم الدال المهملة وفتح الجيم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام وهو نهر عظيم بنواحي الأهواز وتلك البلاد عليه قرى ومدن ومخرجه من جهة أصبهان وحفره أردشير بن بابك أول ملوك بني ساسان ملوك الفرس بالمدائن وهو غير دجيل بغداد فإن ذلك مخرجه من دجلة مقابل القادسية في الجانب الغربي بين تكريت وبغداد عليه كورة عظيمة وعتبان بكسر العين المهملة وسكون التاء المثناة من فوقها وفتح الباء

458 الموحدة وبعد الألف نون والحروري بفتح الحاء المهملة وضم الراء وسكون الواو وبعدها راء هذه النسبة إلى حروراء بالمد وهي قرية بناحية الكوفة كان أول اجتماع الخوارج بها فنسبوا إليها 289 شبيب بن شيبة أبو معمر شبيب بن شيبة الخطيب المنقري البصري حدث عن الحسن ومعاوية بن قرة وعطاء بن أبي رباح وغيرهم وروى عنه عيسى بن يونس وأبو بدر شجاع بن الوليد وغيرهما وكان له لسن وفصاحة وقدم بغداد في أيام المنصور فاتصل به وبالمهدي من بعده وكان كريما عليهما أثيرا عندهما

459 قال شبيب كنت أسير في موكب أمير المؤمنين أبي جعفر فقلت يا أمير المؤمنين رويدا فإني أمير عليك فقال ويلك أمير علي قلت نعم حدثني معاوية بن قرة قال قال رسول الله أقطف القوم دابة أميرهم فقال أبو جعفر أعطوه دابة فهو أهون من أن يتأمر علينا وقال أيضا قال لي أبو جعفر وكنت في سماره يا شبيب عظني وأوجز فقلت يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل قسم الدنيا فلم يرض لك إلا بأرفعها وأشرفها فلا ترض لنفسك من الآخرة إلا مثل الذي رضي لك من الدنيا وأوصيك بتقوى الله عز وجل فإنها عليكم نزلت وعنكم أقبلت واليكم صدرت قال لقد أوجزت وقصرت قلت والله لئن قصرت فما بلغت كنه النعمة فيك وخرج شبيب من دار المهدي فقيل له كيف تركت الناس قال تركت الداخل راجيا والخارج راضيا وقال حماد بن سلمة كان شبيب بن شيبة يصلي بنا في المسجد الشارع في مربعة أبي عبيد الله فصلى يوما الصبح فقرأ بالسجدة و (^ هل أتى على الإنسان) فلما قضى الصلاة قام رجل فقال لا جزاك الله عني خيرا فإني كنت غدوت لحاجة فلما أقيمت الصلاة دخلت أصلي فأطلت حتى فاتتني حاجتي قال وما حاجتك قال قدمت من الثغر في شيء من مصلحته وكنت وعدت البكور إلى الخليفة لأتنجز ذلك قال فأنا أركب معك وركب معه ودخل على المهدي فأخبره الخبر وقص عليه القصة قال فتريد ماذا قال قضاء حاجته فقضى حاجته وأمر له

بثلاثين ألف درهم فدفعها الى الرجل ودفع له شبيب من
ماله أربعة آلاف درهم وقال له لم تضرك يا أخي
السورتان وقال الأصمعي كان شبيب بن شيبة رجلا
شريفا يفزع إليه أهل البصرة في حوائجهم وكان يغدو في
كل يوم ويركب فإذا أراد أن يغدو أكل من الطعام شيئا ثم
يركب فقيل له إنك تباكر الغداء فقال أجل أطفىء به فورة
الجوع وأقطع به خلوف فمي وأبلغ به في قضاء حاجتي
فاني وجدت خلاء الجوف وشهوة الطعام يقطعان الحكيم
عن بلوغ حاجته ويحمله ذلك على
460 التقصير فيما به الحاجة وإني رأيت النهم لا
مروءة له ورأيت الجوع داء فخذ من الطعام ما يذهب
عنك النهم وتداوي به الداء قيل إن شبيبا أتى سليمان بن
علي الأمير في حاجة فقال له سليمان قد حلقت أني لا
أقضي هذه الحاجة فقال أيها الأمير إن كنت لم تحلف
بيمين قط فحنثت فيها فما أحب أن أكون أول من أحنثك
وإن كنت ترى غيرها خيرا منها فكفر فقال أستخير الله ثم
قضاها وكان يقول من سمع كلمة يكرهها فسكت انقطع
عنه ما يكره فإن أجاب سمع أكثر مما يكره 290 القاضي
شريح أبو أمية شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم بن
معاوية بن عامر بن الرائش ابن الحارث بن معاوية بن
ثور بن مرتع بتشديد التاء المثناة من فوقها وكسرها
الكندي وثور بن مرتع هو كندة وفي نسبه اختلاف كثير
وهذه الطريق أصحها كان من كبار التابعين وأدرك

الجاهلية واستقضاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الكوفة فأقام قاضيا خمسا وسبعين سنة لم يتعطل فيها إلا ثلاث سنين امتنع فيها من القضاء في فتنة ابن الزبير واستعفى الحجاج بن يوسف من القضاء فأعفاه ولم يقض بين اثنين حتى مات

461 وكان أعلم الناس بالقضاء ذا فطنة وذكاء ومعرفة وعقل ورصانة قال ابن عبد البر وكان شاعرا محسنا وهو أحد السادات الطلس وهم أربعة عبد الله بن الزبير وقيس بن سعد بن عبادة والأحنف بن قيس الذي يضرب به المثل في الحلم والقاضي شريح المذكور والأطلس الذي لا شعر في وجهه وكان مزاحا دخل عليه عدي بن أرطاة فقال له أين أنت أصلحك الله فقال بينك وبين الحائط قال استمع مني قال قل أسمع قال إني رجل من أهل الشام قال مكان سحيق قال تزوجت عندكم قال بالرفاء والبنين قال وأردت أن أرحلها قال الرجل أحق بأهله قال وشرطت لها دارها قال الشرط أملك قال فاحكم الآن بيننا قال قد فعلت قال فعلى من حكمت قال على ابن أمك قال بشهادة من قال بشهادة ابن أخت خالتك

462 وروي أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه دخل مع خصم له ذمي إلى القاضي شريح فقام له فقال هذا أول جورك ثم أسند ظهره إلى الجدار وقال أما إن خصمي لو كان مسلما لجلست بجنبه وروي أن عليا رضي الله عنه قال اجمعوا لي القراء فاجتمعوا في رحبة المسجد

فقال إني أوشك أن أفارقكم فجعل يسائلهم ما تقولون في كذا ما تقولون في كذا وشريح ساكت ثم سأله فلما فرغ منهم قال اذهب فأنت من أفضل الناس أو من أفضل العرب وتزوج شريح امرأة من بني تميم تسمى زينب فنقم عليها شيئا فضربها ثم ندم وقال (رأيت رجالا يضربون نساءهم * فشلت يميني يوم أضرب زينبا) (أأضربها من غير ذنب أتت به * فما العدل مني ضرب من ليس مذنبا) (فزينب شمس والنساء كواكب * إذا طلعت لم تبق منهن كوكبا) هكذا ذكر هذه الحكاية صاحب العقد ويروى أن زياد بن أبيه كتب إلى معاوية يا أمير المؤمنين قد ضبطت لك العراق بشمالي وفرغت يميني لطاعتك فولني الحجاز فبلغ ذلك عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما وكان مقيما بمكة فقال اللهم اشغل عنا يمين زياد فأصابه الطاعون في يمينه فجمع الأطباء واستشارهم فأشاروا عليه بقطعها فاستدعى القاضي شريحا وعرض عليه ما أشار به الأطباء فقال له لك رزق معلوم وأجل مقسوم وإني أكره إن كانت لك مدة أن تعيش في الدنيا بلا يمين

463 وإن كان قد دنا أجلك أن تلقى ربك مقطوع اليد فإذا سألك لم قطعتها قلت بغضا في لقائك وفرارا من فضائلك فمات زياد من يومه فلام الناس شريحا على منعه من القطع لبغضهم له فقال إنه استشارني والمستشار مؤتمن ولولا الأمانة في المشورة لوددت أنه قطع يده يوما

ورجله يوما وسائر جسده يوما يوما وكتب شريح إلى أخ له هرب من الطاعون أما بعد فإنك أنت الذي بعين من لا يعجزه من طلب ولا يفوته من هرب والمكان الذي خلفته لم يعجل امرءا حمامه ولم يظلمه أيامه وانك وإياهم لعلى بساط واحد إن المنتجع من غير ذي قدرة لقريب والسلام وعن الشعبي قال شهدت شريحا وجاءته امرأة تخاصم رجلا فأرسلت عينيها فبكت فقلت أنا ما اظن هذه البائسة إلا مظلومة فقال يا شعبي ان إخوة يوسف عليه السلام جاءوا اباهم عشاء يبكون وسئل شريح عن الحجاج أكان مؤمنا قال نعم بالطاغوت كافرا بالله تعالى وكانت وفاة القاضي شريح سنة سبع وثمانين للهجرة وهو ابن مائة سنة وقيل سنة اثنتين وثمانين وقيل سنة ثمان وسبعين وقيل سنة ثمانين وقيل سنة تسع وسبعين وقيل سنة ست وسبعين وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل مائة وثماني سنين رضي الله عنه والكندي بكسر الكاف وسكون النون وبعدها دال مهلة هذه النسبة إلى كندة وهو ثور بن مرتع بن مالك بن زيد بن كهلان وقيل ثور بن عفير بن الحارث بن مرة بن أدد وسمي كندة لأنه كند أباه نعمته أي كفرها

464 291 القاضي شريك النخعي أبو عبد الله

شريك بن عبد الله بن أبي شريك وهو الحارث بن أوس بن الحارث بن الأذهل بن وهبيل بن سعد بن مالك بن النخع النخعي وبقية النسب في ترجمة إبراهيم النخعي في أول هذا الكتاب تولى القضاء بالكوفة أيام المهدي ثم عزله

موسى الهادي أدرك عمر بن عبد العزيز وسمع أبا اسحاق السبيعي ومنصور بن المعتمر وعبد الملك بن عمير وسماك بن حرب وغيرهم وروى عنه عبد الله بن المبارك وعباد بن العوام ووكيع بن الجراح وغيرهم وكان شريك ولد ببخارى من أرض خراسان وكان جده قد شهد القادسية وكان عالما فهما ذكيا فطنا حكم يوما على وكيل عبد الله بن مصعب بحكم لم يوافق هوى عبد الله فالتقى شريك بن عبد الله وعبد الله بن مصعب بحضرة المهدي فقال عبد الله بن مصعب لشريك ما حكمت على وكيلي بالحق قال ومن أنت قال من لا ينكر قال قد نكرتك أشد النكير قال أنا عبد الله بن مصعب قال لا كبير ولا طيب قال وكيف لا تقول ذلك وأنت تتنقص الشيخين قال ومن الشيخان قال أبو بكر وعمر رضي الله

465 عنهما قال والله ما أتنقض جدك وهو دونهما فكيف أتنقصهما وذكر معاوية بن أبي سفيان عنده ووصف بالحلم فقال شريك ليس بحليم من سفه الحق وقاتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وخرج شريك يوما إلى أصحاب الحديث ليسمعوا عليه فشموا منه رائحة النبيذ فقالوا له لو كانت هذه الرائحة منا لاستحيينا فقال لأنكم أهل ريبة ودخل يوما على المهدي فقال له لا بد أن تجيبني إلى خصلة من ثلاث خصال قال وما هن يا أمير المؤمنين قال إما أن تلي القضاء أو تحدث ولدي وتعلمهم أو تأكل عندي أكلة وذلك قبل أن يلي القضاء فأفكر ساعة

ثم قال الأكلة أخفها على نفسي فأجلسه وتقدم إلى الطباخ
أن يصلح له ألوانا من المخ المعقود بالسكر الطبرزذ
والعسل وغير ذلك فعمل ذلك وقدمه إليه فأكل فلما فرغ
من الأكل قال له الطباخ والله يا أمير المؤمنين ليس يفلح
الشيخ بعد هذه الأكلة أبدا قال الفضل بن الربيع فحدثهم
والله شريك بعد ذلك وعلم أولادهم وولي القضاء لهم ولقد
كتب له برزقه على الصيرفي فضايقه في النقد فقال له
الصيرفي إنك لم تبع به بزا فقال له شريك بل والله بعت
أكثر من البز بعت به ديني وقال يحيى بن اليمان لما ولي
شريك القضاء أكره على ذلك وأقعد معه جماعة من
الشرط يحفظونه ثم طاب للشيخ فقعد من نفسه فبلغ سفيان
الثوري انه قعد من نفسه فجاء فتراءى له فلما رأى
الثوري قام إليه فعظمه وأكرمه ثم قال يا أبا عبد الله هل
من حاجة قال نعم مسألة قال أو ليس عندك من العلم ما
يجزئك قال أحببت أن أذكرك بها قال قل
466 قال ما تقول في امرأة جاءت فجلست على باب
رجل فاحتملها ففجر بها لمن تحد منهما فقال الرجل دونها
لأنها مغصوبة قال فإنه لما كان من الغد جاءت فتزينت
وتبخرت وجلست على ذلك الباب ففتح الرجل فرآها
فاحتملها ففجر بها لمن تحد قال أحدهما جميعا لأنها جاءت
من نفسها وقد علمت الخبر بالأمس قال أنت كان عذرك
حين كان الشرط يحفظونك اليوم أي عذر لك قال يا أبا
عبد الله أكلمك قال ما كان الله ليراني أكلمك أو تتوب قال

ووثب فلم يكلمه حتى مات وكان إذا ذكره قال أي رجل كان لو لم يفسدوه واجتمع شريك ويحيى بن عبد الله بن الحسن البصري في دار الرشيد فقال يحيى لشريك ما تقول في النبيذ قال حلال قال شربه خير أم تركه قال بل شربه قال قليله خير أم كثيره قال بل قليلة قال يحيى ما رأيت خيرا قط إلا والازدياد منه خير إلا خيرك هذا فإن قليله خير من كثيره وروى صالح بن علي قال كنت مع المهدي فدخل عليه شريك بن عبد الله فأراد أن يبخره فقال لخادم على رأسه هات عودا للقاضي فجاء الخادم بالعود الذي يلهى به فوضعه في حجر شريك فقال شريك ما هذا يا أمير المؤمنين قال هذا أخذه صاحب العسس البارحة فأحببت أن يكون كسره على يد القاضي فقال جزاك الله يا أمير المؤمنين خيرا فكسره ثم أفاضوا في حديث حتى نسي الأمر ثم قال المهدي لشريك ما تقول في رجل أمر وكيلا له أن يأتي بشيء بعينه فأتى بغيره فتلف ذلك الشيء فقال يضمن يا أمير المؤمنين فقال للخادم اضمن ما تلف بقيمته وكان شريك يشاحن الربيع صاحب شرطة المهدي فكان يحمل المهدي عليه فدخل شريك يوما على المهدي فقال له المهدي بلغني أنك ولدت في قوصرة قال يا أمير المؤمنين ولدت بخراسان والقواصر هناك عزيزة قال إني لأراك فاطميا خبيثا قال والله إني لأحب فاطمة وأبا فاطمة قال وأنا والله أحبهما ولكني رأيتك في منامي مصروفا وجهك عني وما ذاك إلا لبغضك لنا وما أراني إلا قاتلك

لأنك زنديق قال يا أمير المؤمنين إن الدماء لا تسفك بالأحلام وليست رؤياك رؤيا يوسف عليه السلام وأما قولك إني زنديق فإن للزنادقة علامة يعرفون بها قال وما هي قال شرب الخمور والضرب بالطنبور قال صدقت أبا عبد الله وأنت خير من الذي حملني عليك قال مصعب بن عبد الله الزبيري حدثني أبي قال دخل شريك على المهدي فقال له ما ينبغي أن تقلد الحكم بين المسلمين قال ولم قال لخلافك على الجماعة وقولك بالإمامة فقال أما قولك لخلافك على الجماعة فعن الجماعة أخذت ديني فكيف أخالفهم وهم أصل ديني وأما قولك وقولك بالإمامة فما أعرف إلا كتاب الله عز وجل وسنة رسوله وأما قولك مثلك لا يقلد الحكم بين المسلمين فهذا شيء أنتم فعلتموه فإن كان خطأ فلتستغفروا الله منه وإن كان صوابا فأمسكوا عليه قال ما تقول في علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال ما قال فيه جدك العباس وعبد الله قال وما قالا فيه قال أما العباس فمات وعلي عنده أفضل الصحابة وقد كان يرى كبراء المهاجرين يسألونه عما ينزل من النوازل وما احتاج إلى أحد حتى لحق بالله وأما عبد الله فإنه كان يضرب بين يديه بسيفين وكان في حروبه رأسا متبعا وقائدا مطاعا فلو كانت إمامة علي جورا لكان أول من يقعد عنها أبوك لعلمه بدين الله وفقهه في أحكام الله فسكت المهدي وأطرق ولم يمض بعد هذا المجلس إلا قليل حتى عزل شريك وقال عبد الله العجلي قدم هارون الكوفة

فعزل شريكا عن القضاء وكان موسى بن عيسى واليا على الكوفة فقال موسى لشريك ما صنع أمير المؤمنين بأحد ما صنع بك عزلك عن القضاء قال له شريك هم أمراء المؤمنين يعزلون الولاة ويخلعون ولاة العهود فلا يعاب ذلك عليهم فقال موسى ما ظننت أنه مجنون هكذا لا يبالي ما تكلم به وكان أبوه عيسى بن
468 موسى ولي العهد بعد أبي جعفر فخلعه أبو جعفر وحكى الحريري في كتاب درة الغواص أنه كان لشريك المذكور جليس من بني أمية فذكر شريك في بعض الأيام فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال ذلك الأموي نعم الرجل علي فأغضبه ذلك وقال ألعلي يقال نعم الرجل فأمسك حتى سكن غضبه ثم قال يا أبا عبد الله ألم يقل الله تعالى في الإخبار عن نفسه (^ فقدرنا فنعم القادرون) المرسلات 23 وقال في أيوب (^ إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه اواب) ص 44 وقال في سليمان (^ ووهبنا لداود سليمان نعم العبد) ص&&30 أفلا ترضى لعلي بما رضي الله به لنفسه ولأنبيائه فتنبه شريك عند ذلك لوهمه وزادت مكانة ذلك الأموي من قلبه وكان عادلا في قضائه كثير الصواب حاضر الجواب قال له رجل يوما ما تقول فيمن أراد أن يقنت في الصبح قبل الركوع فقنت بعده فقال هذا أراد أن يخطىء فأصاب وكان مولده ببخارى سنة خمس وتسعين للهجرة وتولى القضاء بالكوفة ثم بالأهواز وتوفي يوم السبت مستهل ذي القعدة سنة سبع

وسبعين ومائة بالكوفة وقال خليفة بن خياط مات سنة سبع أو ثمان وسبعين ومائة رحمه الله تعالى وكان هارون الرشيد بالحيرة فقصده ليصلي عليه فوجدهم قد صلوا عليه فرجع والنخعي بفتح النون والخاء المعجمة وبعدها عين مهملة هذه النسبة إلى النخع وهي قبيلة كبيرة من مذحج قلت هكذا وجدت نسبه في جمهرة النسب لابن الكلبي ثم وجدت في نسخة أخرى ابن أبي شريك أوس بن الحارث بن ذهل بن وهبيل والله أعلم بالصواب

469 292 شعبة بن الحجاج أبو بسطام شعبة بن الحجاج بن الورد مولى الأشاقر واسطي الأصل بصري الدار رأى الحسن ومحمد بن سيرين وسمع قتادة ويونس بن عبيد وأيوب وخالدا الحذاء وعبد الملك بن عمير وأبا اسحاق السبيعي طلحة بن مصرف وخلقا غيرهم من طبقتهم روى عنه أيوب السختياني والأعمش ومحمد بن اسحاق وإبراهيم بن سعد وسفيان الثوري وشريك بن عبد الله وسفيان بن عيينة وغيرهم قدم شعبة بغداد مرتين وكان قدومه إحدى المرتين بسبب أخ له كان قد حبس في دين كان عليه فجاء الى المهدي في شأن أخيه فقال سفيان الثوري هوذا شعبة قد جاء إليهم فبلغ شعبة فقال هو لم يحبس أخوه وكان أخوه اشترى طعاما من طعام السلطان فخسر هو وشركاؤه فحبس بستة آلاف دينار بحصته فلما دخل شعبة على المهدي قال له يا أمير المؤمنين أنشدني قتادة لأمية بن أبي الصلت بقول لعبد الله بن جدعان (

أأذكر حاجتي أم قد كفاني * حياؤك ان شيمتك الحياء) (
كريم لا يعطله صباح * عن الخلق الكريم ولا مساء) (
فأرض أرض مكرمة بنوها * بنو تيم وأنت لهم سماء)
فقال المهدي لا يا أبا بسطام لا تذكرها قد عرفناها وقضيناها لك ادفعوا إليه أخاه ولا تلزموه شيئا ووهب له ثلاثين ألف درهم فقسمها وأقطعه ألف جريب بالبصرة فقدم فلم يجد شيئا يطيب له فتركها
470 وقال النضر بن شميل ما رأيت أرحم بمسكين من شعبة كان إذا رأى المسكين لا يزال ينظر إليه حتى يعطى وكان يقول والله لأنا في الشعر اسلم مني في الحديث ولو أردت الله لما خرجت اليكم ولو أردتم الله ما حييتموني ولكنا نحب المدح ونكره الذم ركب شعبة يوما حماره فلقيه سليمان بن المغيرة فشكا إليه الفقر والحاجة فقال والله ما أملك غير هذا الحمار ثم نزل عنه ودفعه إليه فابتيع بستة عشر درهما توفي بالبصرة سنة ستين ومائة وهو ابن خمس وسبعين سنة رحمه الله تعالى 293 شعيب بن حرب أبو صالح شعيب بن حرب المدائني وهو من أبناء خراسان سمع شعبة وسفيان الثوري وزهير بن معاوية وغيرهم روى عنه موسى بن داود الضبي ويحيى بن أيوب المقابري وأحمد بن حنبل وغيرهم وكان أحد المذكورين بالعبادة والصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال شعيب بن حرب بينا أنا في طريق مكة إذ رأيت هارون الرشيد فقلت لنفسي قد وجب عليك الأمر

والنهي فقالت لي لا تفعل فإن هذا رجل جبار ومتى أمرته ضرب عنقك فقلت لنفسي لا بد من ذلك فلما دنا مني صحت يا هارون قد أتعبت الأمة وأتعبت البهائم فقال خذوه ثم أدخلت عليه وهو على كرسي وبيده عمود يلعب به فقال ممن الرجل
471 قلت من أفناء الناس فقال ممن ثكلتك أمك قلت من الأبناء قال ما حملك على أن تدعوني باسمي قال شعيب فورد على قلبي كلمة ما خطرت لي قط على بال فقلت له أنا أدعو الله باسمه فأقول يا الله يا رحمن لا أدعوك باسمك وما ينكر من دعائي باسمك وقد رأيت الله تعالى سمى في كتابه أحب الخلق إليه محمدا وكنى أبغض الخلق إليه أبا لهب فقال (^ تبت يدا أبي لهب) المسد&&1 فقال أخرجوه فأخرجت وكان يقول من أراد الدنيا فليتهيأ للذل وأراد أن يتزوج امرأة فقال لها أنا سيء الخلق قالت أسوأ منك خلقا من أحوجك ان تكون سيء الخلق فقال لها أنت إذا امرأتي قال سري السقطي رحمه الله تعالى أربعة كانوا في الدنيا أعملوا انفسهم في طلب الحلال فلم يدخلوا اجوافهم إلا الحلال فقيل له من هم قال وهيب بن الورد وشعيب بن حرب ويوسف بن اسباط وسليمان الخواص قال شعيب رأيت النبي في النوم ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فجئت فقال أوسعوا له فإنه حافظ لكتاب الله عز وجل وقال شعيب أكلت في عشرة أيام أكلة وشربت شربة وكان ثقة مأمونا مات بمكة سنة تسع

وتسعين ومائة رحمه الله تعالى 294 أشعب الطامع
واسمه شعيب واسم أبيه جبير قال الحافظ أبو الفرج ابن
الجوزي في المنتظم ولد أشعب سنة تسع من الهجرة وكان
أشعب خال الأصمعي
472 وفي اسم أمه ثلاثة أقوال أحدها جعدة مولاة
أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما والثاني أم
حميدة بضم الحاء والثالث أم حميدة بفتح الحاء اتفقوا أنه
مولى واختلفوا في ولائه على أربعة أقوال أحدها لعثمان
رضي الله عنه والثاني عبد الله بن الزبير والثالث سعيد بن
العاص والرابع فاطمة بنت الحسين عمر دهرا طويلا
وكان قد أدرك زمن عثمان رضي الله عنه وقرأ القرآن
وتنسك روى عن عبد الله بن جعفر والقاسم بن محمد
وسالم بن عبد الله وعكرمة وله أخبار طريفة من ذلك ما
حكى العباس بن نسيم الكاتب قال قيل لأشعب طلبت العلم
وجالست الناس فلو جلست لنا لسمعنا منك فقال نعم فجلس
لهم فقالوا حدثنا فقال سمعت عكرمة يقول سمعت بن
عباس يقول سمعت رسول الله يقول خلتان لا تجتمعان في
مؤمن ثم سكت فقالوا ما الخلتان فقال نسي عكرمة واحدة
ونسيت أنا الأخرى وحدثنا الزبير بن بكار قال قال
الواقدي لقيت أشعب يوما فقال لي يا ابن واقد وجدت
دينارا فكيف اصنع به قلت تعرفه قال سبحان الله قلت فما
الرأي قال أشتري به قميصا وأعرفه قلت إذن لا يعرفه
أحد قال فذاك أريد وقال الهيثم بن عدي أسلمته فاطمة

بنت الحسين في البزازين فقيل له أين بلغت من معرفة البز فقال أحسن النشر ولا أحسن أطوي وارجو أن أتعلم الطي ومر برجل يتخذ طبقا فقال اجعله واسعا لعلهم يهدون إلينا فيه فيكون كبيرا خيرا من أن يكون صغيرا
473 وخرج سالم بن عبد الله إلى ناحية من نواحي المدينة متنزها ومعه حرم فبلغ أشعب خبره فوافى الموضع الذي هم فيه فصادف الباب مغلقا فتسور الحائط فقال له سالم ويحك بناتي وحرمي فقال (^ لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد) هود&&79 فوجه إليه بطعام أكل منه وحمل إلى منزله وقال سليمان الشاذكوني كان لي بني في المكتب فانصرف إلى يوما فقال يا أبه ألا أحدثك بطريف فقال هات فقال كنت أقرأ على المعلم أن أبي يدعوك وأشعب الطامع عنده جالس فلبس نعله وقال امش بين يدي فقلت إنما أقرأ عشري فقال عجبت أن تفلح أو يفلح أبوك وحكى الحسن بن علي الخلال عن أبي عاصم النبيل قال سمعت أشعب يقول ما زفت بالمدينة امرأة قط إلى زوجها إلا كنست بيتي ورفعت ستري طمعا في أن تهدى إلى وقيل لأشعث هل رأيت أطمع منك قال نعم شاة كانت لي على سطح فنظرت إلى قوس قزح فظنته حبل قت فأهوت إليه واثبة من السطح فاندق عنقها وقدم على يزيد بن حاتم مصر فجلس في مجلسه من الناس فدعا يزيد بعض غلمانه وأسر له بشيء فقام أشعب فقبل يده فقال له ولم فعلت هذا قال رأيتك

أسررت إلى غلامك بشيء فعلمت أنك قد أمرت لي بصلة
فضحك منه وقال ما فعلت ولكني أفعل وأمر له بصلة
وحكى المدائني قال تغدى أشعب مع زياد بن عبيد الله
الحارثي فجاءوه بمضيرة فقال أشعب للخباز ضعها بين
يدي فوضعها بين يديه فقال زياد من يصلي بأهل السجن
قالوا ليس لهم إمام فقال أدخلوا أشعب يصلي بهم قال أو
غير ذلك أصلح الله الأمير أحلف لا آكل مضيرة أبدا
وحكى المدائني قال أتي أشعب بفالوذجة عند بعض الولاة
فأكل منها فلم
474 توافقه فقيل له كيف تراها يا أشعب قال امرأته
طالق إن لم تكن عملت من قبل أن يوحي الله إلى النحل
وحكى المدائني عن جهم بن خلف قال حدثني رجل قال
قلت لأشعث لو تحدثت عندي العشية قال أكره أن يجيء
ثقيل قلت ليس غيرك وغيري قال فإذا صليت الظهر فأنا
عندك فصلى وجاء فلما وضعت الجارية الطعام إذا صديق
لي يدق الباب قال ألا ترى قد صرت إلى ما أكره قلت ان
لك عندي فيه عشر خصال قال فما هي قلت أولها أنه لا
يأكل مع ضيف قال التسع خصال لك أدخله ووجدت في
بعض الكتب عن المدائني قال توضأ أشعب فغسل رجله
اليسرى وترك اليمنى فقيل له تركت غسل اليمنى فقال لأن
النبي قال أمتي غر محجلون من آثار الوضوء وأنا أحب
أن أكون أغر محجلا من الثلاث مطلق اليمين وحكى
الهيثم بن عدي قال لقيت أشعب فقلت له كيف ترى أهل

زمانك هذا قال يسألون عن أحاديث الملوك ويعطون عطاء العبيد وحكى المدائني قال بعث الوليد بن يزيد إلى أشعب بعدما طلق امرأته سعدى فقال له يا أشعب ان لك عندي عشرة الاف درهم على أن تبلغ رسالتي سعدى فقال له أحضر المال حتى أنظر إليه فأحضر الوليد بدرة فوضعها أشعب على عنقه وقال هات رسالتك يا أمير المؤمنين قال قل لها يقول لك (أسعدى هل إليك لنا سبيل * وهل حتى القيامة من تلاق) (بلى ولعل دهرا ان يواتي * بموت من حليلك أو طلاق) (فأصبح شامتا وتقر عيني * ويجمع شملنا بعد افتراق) قال فأتى أشعب الباب فأخبرت بمكانه فأمرت ففرش لها فرش وجلست فأذنت له فدخل فأنشدها ما أمره فقالت لخدمها خذوا الفاسق فقال يا سيدتي إنها بعشرة الاف درهم قالت والله لأقتلنك أو تبلغه كما تبلغني قال هاتي رسالتك جعلت فداك قالت قل له

475 (أتبكي على لبنى وأنت تركتها * وقد ذهبت لبنى فما أنت صانع) فأقبل أشعب فدخل على الوليد فأنشده البيت فقال اوه قتلتني والله ما تراني صانعا بك يا ابن الزانية اختر إما أن أدليك في البئر منكسا أو أرمي بك من فوق القصر منكسا أو أضرب رأسك بعمودي هذا ضربة فقال ما كنت فاعلا بي شيئا من ذلك قال ولم قال لأنك لم تكن لتعذب عينين قد نظرنا إلى سعدى قال صدقت يا ابن الزانية اخرج عني قال الزبير حدثني مصعب قال

قال لي ابن كليب حدثت أشعب مرة فبكى فقلت ما يبكيك قال أنا بمنزلة شجرة الموز إذا نشأت ابنتها قطعت هي وقد نشأت أنت في موالي وأنا الآن أموت وأنا أبكي على نفسي وكان أشعب يغني وله أصوات قد حكيت عنه وكان ابنه عبيدة يغنيها فمن أصواته هذه (أروني من يقوم لكم مقامي * إذا ما الأمر جل عن الخطاب) (إلى من تفزعون إذا حثوتم * بأيديكم علي من التراب) 295

شقيق البلخي أبو علي شقيق بن إبراهيم البلخي من مشايخ خراسان له لسان في التوكل حسن الكلام فيه صاحب إبراهيم بن أدهم وأخذ عنه الطريق وهو أستاذ حاتم الأصم وكان قد خرج إلى بلاد الترك 476 للتجارة وهو حدث فدخل إلى بيت أصنامهم فقال لعالمهم إن هذا الذي أنت فيه باطل ولهذا الخلق خالق ليس كمثله شيء رازق كل شيء فقال له ليس يوافق قولك فعلك فقال له شقيق كيف قال زعمت أن لك خالقا قادرا على كل شيء وقد تعنيت إلى هاهنا لطلب الرزق قال شقيق فكان سبب زهدي كلام التركي فرجع وتصدق بجميع ما يملك وطلب العلم وكانت وفاته سنة ثلاث وخمسين ومائة رحمه الله تعالى ذكره ابن الجوزي في الشذور 296

شقيق بن سلمة ابو وائل شقيق بن سلمة الأسدي أدرك رسول الله ولم يلقه وسمع عمر بن الخطاب وعثمان وعليا وعمارا وعبد الله بن مسعود وخباب ابن الأرث وأبا موسى الأشعري وأسامة بن زيد وحذيفة بن اليمان وابن

عمر وابن عباس وجرير بن عبد الله وأبا مسعود
الأنصاري والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهم اجمعين
وروى عنه منصور بن المعتمر والحكم بن عتبة وحبيب
بن أبي ثابت وغيرهم وكان ممن سكن الكوفة وورد
المدائن مع علي رضي الله عنه حين قاتل الخوارج
بالنهروان قيل له من أدركت قال بينا أنا أرعى غنما لأهلي
إذ مر ركب أو فوارس ففرقوا غنمي فوقف رجل فقال
اجمعوا للغلام غنمه كما فرقتموها عليه فتبعت رجلا منهم
فقلت من هذا قال النبي وقال الأعمش قال لي شقيق بن
سلمة لو رأيتني ونحن هراب من خالد بن
477 الوليد يوم بزاخة فوقعت عن البعير فكادت
تندق عنقي فلو مت يومئذ كانت النار وقال كنت يومئذ ابن
إحدى عشرة سنة وكان لأبي وائل خص من قصب هو
فيه وفرسه وكان إذا غزا نقضه وإذا قدم بناه وكان يقول
للأعمش يا سليمان نعم الرب ربنا لو أطعناه ما عصيناه
وقال أيضا أسمع الناس يقولون الدانق والقيراط الدانق
اكبر أو القيراط وقال سعيد بن صالح كان أبو وائل يؤم
جنائزنا وهو ابن خمسين ومائة سنة 297 شهدة بنت
الإبري فخر النساء شهدت بنت أبي نصر أحمد بن الفرج
بن عمر الإبري الكاتبة الدينورية الأصل البغدادية المولد
والوفاة كانت من العلماء وكتبت الخط الجيد وسمع عليها
خلق كثير وكان لها السماع العالي ألحقت فيه الأصاغر
بالأكابر سمعت من أبي الخطاب نصر بن أحمد بن البطر

وأبي عبد الله الحسين ابن أحمد بن طلحة النعالي وطراد بن محمد الزينبي وغيرهم مثل أبي الحسن علي ابن الحسين بن أيوب وأبي الحسين أحمد بن عبد القادر بن يوسف وفخر الإسلام أبي بكر محمد بن أحمد الشاشي واشتهر ذكرها وبعد صيتها وكانت وفاتها يوم الأحد بعد العصر ثالث عشر المحرم سنة أربع وسبعين وخمسمائة ودفنت بباب أبرز وقد نيفت على تسعين سنة من عمرها رحمها الله تعالى والإبري بكسر الهمزة وفتح الباء الموحدة وبعد الراء ياء مثناة من تحتها

478 هذه النسبة إلى الإبر التي هي جمع إبرة يخاط بها وكان المنسوب إليها يعملها أو يبيعها والدينورية بكسر الدال المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح النون والواو وفي آخرها راء هذه النسبة إلى الدينور وهي بلدة من بلاد الجبل ينسب إليها جماعة من العلماء وقال أبو سعد ابن السمعاني إن الدال من الدينور مفتوحة والأصح الكسر كما ذكرناه 56 ومات والدها أبو نصر أحمد في يوم السبت الثالث والعشرين من جمادى الأولى سنة ست وخمسمائة رحمه الله تعالى وكانت وفاته ببغداد ودفن بباب أبرز 47 وذكر ابن النجار في تاريخ بغداد علي بن محمد بن يحيى أبا الحسن الدريني المعروف بثقة الدولة ابن الأنباري فقال كان من الأماثل والأعيان واختص بالإمام المقتفي لأمر الله وكان فيه أدب ويقول الشعر وبنى مدرسة لأصحاب الشافعي على شاطىء دجلة بباب الأزج وإلى

جانبها رباطا للصوفية ووقف عليهما وقوفا حسنة وسمع
الحديث قال السمعاني كان يخدم أبا نصر أحمد بن الفرج
الإبري وزوجه بنته شهدة الكاتبة ثم علت درجته إلى أن
صار خصيصا بالمقتفي مولده سنة خمس وسبعين
وأربعمائة وتوفي يوم الثلاثاء سادس عشر شعبان سنة
تسع وأربعين وخمسمائة ودفن في داره برحبة الجامع ثم
نقل بعد موت زوجته شهدة فدفنا بباب أبرز قريبا من
المدرسة التاجية في محرم سنة أربع وسبعين وخمسمائة
479 298 أسد الدين شيركوه ابو الحارث
شيركوه بن شاذي بن مروان الملقب الملك المنصور أسد
الدين عم السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى قد تقدم
من حديثه نبذة في أخبار شاور وكان شاور قد وصل إلى
الشام يستنجد بنور الدين في سنة تسع وخمسين وخمسمائة
وذكر بهاء الدين بن شداد أن ذلك كان في سنة ثمان
وخمسين وأنهم وصلوا إلى مصر في الثاني من جمادى
الاخرة من السنة المذكورةحكاه في سيرة صلاح الدين
رحمه الله تعالى فسير معه جماعة من عسكره وجعل
مقدمهم أسد الدين شيركوه وقدموا مصر وغدر بهم شاور
ولم يف بما وعدهم به فعادوا إلى دمشق وكان رحيلهم عن
مصر في السابع من ذي الحجة من السنة المذكورة ثم إنه
عاد إلى مصر وكان توجهه إليها في شهر ربيع الأول من
سنة اثنتين وستين لأنه طمع في ملكها في الدفعة الأولى
وسلك طريق وادي الغزلان وخرج عند إطفيح وكانت في

تلك الدفعة وقعة البابين عند الأشمونين وتوجه السلطان
صلاح الدين إلى الاسكندرية واحتمى بها وحاصره شاور
وعسكر مصر ثم رجع أسد الدين من الصعيد إلى بلبيس
وجرى الصلح بينه وبين المصريين وسيروا له صلاح
الدين وعاد إلى الشام ولما وصل الفرنج إلى بلبيس
وملكوها وقتلوا أهلها في سنة أربع وستين سيروا إلى أسد
الدين
480 وطلبوه ومنوه ودخلوا في مرضاته لأن ينجدهم
فمضى إليهم وطرد الفرنج عنهم وكان وصوله إلى مصر
في شهر ربيع الأول من السنة المذكورة وعزم شاور على
قتله وقتل الأمراء الكبار الذين معه فبادروه وقتلوه كما
تقدم في ترجمته وتولى أسد الدين الوزارة يوم الاربعاء
سابع عشر شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين وخمسمائة
وأقام بها شهرين وخمسة أيام ثم توفي فجأة يوم السبت
الثاني والعشرين وقال الروحي يوم الاحد الثالث
والعشرين من جمادى الآخرة سنة أربع وستين وخمسمائة
بالقاهرة ودفن بها ثم نقل إلى مدينة الرسول بعد مدة
بوصية منه رحمه الله تعالى وتولى مكانه صلاح الدين
وقال ابن شداد في سيرة صلاح الدين إن أسد الدين كان
كثير الاكل شديد المواظبة على تناول اللحوم الغليظة
تتواتر عليه التخم والخوانيق وينجو منها بعد مقاساة شدة
عظيمة فأخذه مرض شديد واعتراه خانوق عظيم فقتله في
التاريخ المذكور ولم يخلف ولدا سوى ناصر الدين محمد

بن شيركوه الملقب الملك القاهر 58 ولما مات أسد الدين
أخذ نور الدين حمص منهم في رجب سنة أربع وستين
وخمسمائة فلما ملك صلاح الدين الشام أعطى حمص
لناصر الدين المذكور ولم يزل ملكها حتى توفي يوم عرفة
سنة إحدى وثمانين وخمسمائة ونقلته زوجته بنت عمه
ست الشام بنت أيوب إلى تربتها بمدرستها بدمشق ظاهر
البلد ودفنته عند أخيها شمس الدولة توران شاه بن أيوب
المقدم ذكره 59 وملك حمص بعده ولده أسد الدين شيركوه
ومولده في سنة تسع وستين وخمسمائة وتوفي يوم الثلاثاء
تاسع عشر شهر رجب سنة سبع وثلاثين وستمائة بحمص
ودفن في تربته داخل البلد وكانت له أيضا الرحبة وتدمر
481 وماكسين من بلد الخابور 60 وخلف جماعة
من الاولاد فقام مقامه في الملك ولده الملك المنصور
ناصر الدين إبراهيم ولم يزل حتى توفي يوم الجمعة عاشر
صفر سنة أربع وأربعين وستمائة بالنيرب من غوطة
دمشق ونقل إلى حمص ودفن ظاهر البلد في مسجد
الخضر عليه السلام من جهتها القبلية 61 وترتب مكانه
ولده الملك الأشرف مظفر الدولة أبو الفتح موسى
وأخبرني الأشرف المذكور بدمشق في أواخر سنة إحدى
وستين وستمائة أن مولده في السنة التي كسر فيها
الخوارزمية بالروم وأن والده بشر به وهم راجعون من
هناك وكانت الوقعة في شهر رمضان سنة سبع وعشرين
وستمائة حسبما هو مشروح في ترجمة الأشرف بن العادل

وقال لي إن والده لما بشر به قال للملك الأشرف بن العادل يا خوند قد زاد في مماليكك واحد فقال سمه باسمي فسماه الأشرف مظفر الدين أبا الفتح موسى وكانت وفاة الأشرف بن المنصور المذكور بحمص يوم الجمعة عاشر صفة سنة اثنتين وستين وستمائة ودفن عند قبر أسد الدين شيركوه جده داخل حمص فيكون تقدير ولادته في شوال أو ذي القعدة سنة سبع وعشرين وشيركوه لفظ عجمي تفسيره بالعربي أسد الجبل فشير أسد وكوه جبل وحج شيركوه في سنة خمس وخمسين وخمسمائة من دمشق على طريق تيماء وخيبر وفي تلك السنة حج زين الدين علي بن بكتكين على طريق العراق واجتمع بالخليفة &
حرف الضاد &
@482@ 482
@483@ 483
@484@ 484
485 299 أبو عمر الجرمي أبو عمر صالح بن إسحاق الجرمي النحوي كان فقيها عالما بالنحو واللغة وهو من البصرة وقدم بغداد وأخذ النحو عن الأخفش وغيره ولقي يونس بن حبيب ولم يلق سيبويه وأخذ اللغة عن أبي عبيدة وأبي زيد الأنصاري والأصمعي وطبقتهم وكان دينا ورعا حسن المذهب صحيح الاعتقاد روى الحديث وله في النحو كتاب جيد يعرف ب الفرخ معناه فرخ كتاب سيبويه وناظر ببغداد الفراء وحدث أبو العباس

المبرد عنه قال لي أبو عمر قرأت ديوان الهذليين على الأصمعي وكان أحفظ له من أبي عبيدة فلما فرغت منه قال لي يا أبا عمر إذا فات الهذلي أن يكون شاعرا أو راميا أو ساعيا فلا خير فيه وكان يقول في قوله تعالى (^ ولا تقف ما ليس لك به علم) قال لا تقل سمعت ولم تسمع ولا رأيت ولم تر ولا علمت ولم تعلم (^ إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا) الاسراء 36 وقال المبرد ايضا كان الجرمي أثبت القوم في كتاب سيبويه وعليه قرأت الجماعة

486 وكان عالما باللغة حافظا لها وله كتب انفرد بها وكان جليلا في الحديث والأخبار وله كتاب في السير عجيب وكتاب الأبنية وكتاب العروض ومختصر في النحو وكتاب غريب سيبويه وذكره الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في تاريخ أصبهان وكانت وفاته سنة خمس وعشرين ومائتين رحمه الله تعالى والجرمي بفتح الجيم وسكون الراء وبعدها ميم هذه النسبة إلى عدة قبائل كل واحدة يقال لها جرم ولا أعلم إلى أيها ينسب أبو عمر المذكور ولم يكن منهم وإنما نزل فيهم فنسب إليهم ثم وجدت في كتاب الفهرست تأليف أبي الفرج محمد بن إسحاق المعروف بابن أبي يعقوب الوراق النديم البغدادي أن أبا عمر المذكور مولى حرم بن ربان وفي كتاب السمعاني أن ربان بالراء والباء الموحدة المشددة وهو ربان بن عمران بن الحاف بن قضاعة القبيلة المشهورة

وقيل إنه مولى بجيلة أيضا وفي بجيلة جرم بن علقمة بن
أنمار والله أعلم بالصواب وما أحسن قول زياد الأعجم
في هجر جرم (تكلفني سويق الكرم جرم * وما جرم وما
ذاك السويق) (وما شربته جرم وهو حل * ولا غالت به
مذ كان سوق) (فلما أنزل التحريم فيها * إذا الجرمي
منها لا يفيق) وكنى بالسويق عن الخمر وفي ذلك كلام
يطول شرحه فأضربت عنه
487 وحاصل ما قالوه أن الشاعر كنى عن الخمر
بالسويق لانسياقها في الحلق فسماها سويقا لذلك 300
صالح بن مرداس   أسد الدولة أبو علي صالح بن مرداس
بن إدريس بن نصر بن حميد بن مدرك ابن شداد بن عبد
قيس بن ربيعة بن كعب بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب
ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن
هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان
بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان الكلابي كان من
عرب البادية وقصد مدينة حلب وبها مرتضى الدولة ابن
لؤلؤ الجراحي غلام أبي الفضائل ابن سعد الدولة نصر بن
سيف الدولة بن حمدان نيابة عن الظاهر بن الحاكم
العبيدي صاحب مصر فاستولى عليها وانتزعها منه وكان
ذا بأس وعزيمة وأهل وعشيرة وشوكة وكان تملكه لها في
ثالث عشر ذي الحجة سنة سبع عشرة وأربعمائة واستقر
بها ورتب أمورها فجهز إليه الظاهر المذكور أمير
الجيوش أنوشتكين الدزبري في عسكر كثيف والدزبري

بكسر الدال المهملة والباء الموحدة وبينهما زاي وفي الآخر راء هذه النسبة إلى دذبر بن أويتم الديلمي وهو بالدال وبالتاء أيضا وكان بدمشق نائبا عن الظاهر وكان ذا شهامة وتقدمة ومعرفة بأسباب الحرب فخرج متوجها إليه فلما سمع صالح الخبر خرج إليه وتقدم حتى تلاقيا على الأقحوانة فتصافا وجرت بينهما مقتلة انجلت عن قتل أسد الدولة صالح المذكور وذلك في جمادى الأولى سنة عشرين وقيل تسع عشرة وأربعمائة رحمه الله تعالى

488 وهو أول ملوك بني مرداس المتملكين لحلب وسيأتي ذكر حفيدة نصر إن شاء الله تعالى في ترجمة ابن حيوس الشاعر ومرداس بكسر الميم وسكون الراء وفتح الدال المهملة وبعد الألف سين مهملة والأقحوانة بضم الهمزة وسكون القاف وضم الحاء المهملة وفتح الواو وبعد الالف نون مفتوحة ثم هاء ساكنة وهي بليدة بالشام من أعمال فلسطين بالقرب من طبرية وبالحجاز أيضا بليدة يقال لها الأقحوانة كان يسكنها الحارث بن خالد بن العاصي بن هشام بن المغيرة المخزومي وفيها يقول من جملة أبيات (من كان يسأل عنا أين فنزلنا * فالأقحوانة منا منزل قمن) (إذ نلبس العيش صفوا لا يكدره * طعن الوشاة ولا ينبوبنا الزمن) 301 صاعد البغدادي اللغوي أبو العلاء صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي البغدادي اللغوي صاحب كتاب الفصوص روى بالمشرق عن أبي سعيد السيرافي وأبي علي الفارسي وأبي سليمان الخطابي

ورحل إلى الأندلس في أيام هشام بن الحكم وولاية
المنصور ابن أبي عامر في حدود الثمانين والثلثمائة
وأصله من بلاد الموصل ودخل بغداد وكان عالما باللغة
والأدب والأخبار سريع الجواب حسن الشعر طيب
المعاشرة ممتعا فأكرمه المنصور وزاد في الإحسان إليه
والإفضال عليه وكان مع ذلك
489 محسنا للسؤال حاذقا في استخراج الأموال
وجمع له كتاب الفصوص نحا فيه منحى القالي في أماليه
وأثابه عليه خمسة الاف دينار وكان يتهم بالكذب في نقله
فلهذا رفض الناس كتابه ولما دخل مدينة دانية وحضر
مجلس الموفق مجاهد بن عبد الله العامري أمير البلد كان
في المجلس أديب يقال له بشار فقال للموفق مجاهد دعني
أعبث بصاعد فقال له مجاهد لا تتعرض إليه فإنه سريع
الجواب فأبى إلا مشاكلته فقال له بشار وكان أعمى يا أبا
العلاء فقال لبيك فقال ما الجرنفل في كلام العرب فعرف
أبو العلاء أنه قد وضع هذه الكلمة وليس لها أصل في
اللغة فقال له بعد أن أطرق ساعة هو الذي يفعل بنساء
العميان ولا يفعل بغيرهن ولا يكون الجرنفل جرنفلا حتى
لا يتعداهن إلى غيرهن وهو في ذلك كله يصرح ولا يكني
قال فخجل بشار وانكسر وضحك من كان حاضرا فقال له
الموفق قلت لك لا تفعل فلم تقبل وتوفي صاعد المذكور
سنة سبع عشرة وأربعمائة بصقلية رحمه الله ولما ظهر
للمنصور كذبه في النقل وعدم تثبته رمى كتاب الفصوص

في النهر لأنه قيل له جميع ما فيه لا صحة له فعمل فيه بعض شعراء عصره (قد غاص في البحر كتاب الفصوص * وهكذا كل ثقيل يغوص) فلما سمع صاعد هذا البيت أنشد (عاد إلى عنصره إنما * يخرج من قعر البحور الفصوص) وله أخبار كثيرة في الامتحان ولولا التطويل لذكرتها والجرنفل بفتح الجيم والراء وسكون النون وضم الفاء وبعدها لام

490 302 صدقة بن دبيس أبو الحسن صدقة الملقب سيف الدولة فخر الدين بن بهاء الدولة أبي كامل منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الأسدي الناشري صاحب الحلة السيفية كان يقال له ملك العرب وكان ذا بأس وسطوة وهيبة ونافر السلطان محمد ابن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي وأفضت الحال إلى الحرب فتلاقيا عند النعمانية وقتل الأمير صدقة المذكور في المعركة يوم الجمعة سلخ جمادى الآخره وقيل العشرين من رجب سنة إحدى وخمسمائة وحمل رأسه إلى بغداد رحمه الله تعالى وذكر عز الدين أبو الحسن علي بن الأثير في استدراكاته على السمعاني في كتاب الأنساب أنه توفي سنة خمسمائة والله أعلم وله نظم الشريف أبو يعلى محمد بن الهبارية كتاب الصادح والباغم وسيأتي ذكر ذلك في ترجمة ابن الهبارية إن شاء الله تعالى

491 62 وكانت وفاة والده أبي كامل منصور في أواخر شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعين وأربعمائة

رحمه الله تعالى 63 وتوفي جده دبيس المذكور ولقبه نور الدولة أبو الأغر في ليلة الأحد عاشر شوال سنة ثلاث وقيل أربع وسبعين وأربعمائة وكانت إمارته سبعا وستين سنة ولي الإمارة سنة ثمان وأربعمائة وعمره يوم ذاك أربع عشرة سنة وكان أبو الحسن علي بن أفلح الشاعر المشهور كاتبا بين يديه في شبيبته 64 وتوفي جد أبيه علي بن مزيد سنة ثمان وأربعمائة وقد تقدم ذكر ولده دبيس بن صدقة في حرف الدال ودبيس بضم الدال المهملة وفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها سين مهملة ومزيد بفتح الميم وسكون الزاي وفتح الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة والأسدي والناشري تقدم الكلام عليهما في حرف الدال في ترجمة دبيس والحلة بكسر الحاء المهملة وتشديد اللام وبعدها هاء ساكنة وهي بلدة بالعراق بين بغداد والكوفة على الفرات في بر الكوفة اختطها سيف الدولة صدقة المذكور في سنة خمس وتسعين وأربعمائة فنسبت إليه والنعمانية بضم النون بلدة بين الحلة وواسط

492 303 صالح بن عبد القدوس أبو الفضل

صالح بن عبد القدوس البصري مولى الأزد أحد الشعراء اتهمه المهدي بالزندقة فأمر بحمله فأحضر فلما خاطبه أعجب بغزارة أدبه وعلمه وبراعته وحسن بيانه وكثرة حكمته فأمر بتخلية سبيله فلما ولى رده وقال ألست القائل (والشيخ لا يترك أخلاقه * حتى يوارى في ثرى رمسه)

(إذا ارعوى عاد إلى جهله * كذي الضنى عاد إلى نكسه
) قال بلى يا أمير المؤمنين قال فأنت لا تترك أخلاقك
ونحن نحكم فيك بحكمك في نفسك ثم أمر به فقتل وصلب
على الجسر ويقال إن المهدي أبلغ عنه أبياتا عرض فيها
بذكر النبي فأحضره المهدي وقال له أنت القائل هذه
الأبيات قال لا والله يا أمير المؤمنين وما أشركت بالله
طرفه عين فاتق الله ولا تسفك دمي على الشبهة وقد قال
النبي ادرأوا الحدود بالشبهات وجعل يتلو عليه القرآن
حتى رق له وأمر بتخليته فلما ولى قال أنشدني قصيدتك
السينية فأنشده حتى بلغ إلى قوله فيها والشيخ لا يترك
أخلاقه فأمر به حينئذ فقتل ومن مستحسنات قصائد صالح
المذكور القصيدة التي أولها (المرء يجمع والزمان يفرق
* ويظل يرقع والخطوب تمزق)
493 (وزن الكلام إذا نطقت فإنما * يبدي عيوب
ذوي العقول المنطق) (ومن الرجال إذا استوت أحلامهم
* من يستشار إذا استشير فيطرق) (حتى يجيل بكل واد
قلبه * فيرى ويعرف ما يقول فينطق) (ما الناس إلا
عاملان فعامل * قد مات من عطش وآخر يغرق) (
والناس في طلب المعاش فإنما * بالجد يرزق منهم من
يرزق) (لو يرزقون الناس حسب عقولهم * ألفيت أكثر
من ترى يتصدق) (لكنه فضل المليك عليهم * هذا عليه
موسع ومضيق) (وإذا الجنازة والعروس تلاقيا *
ورأيت دمع نوائح يترقرق) (سكت الذي تبع العروس

مبهتا * ورأيت من تبع الجنازة ينطق) ومن مختار شعره
(ان الغني الذي يرضى بعيشته * لا من يظل على ما فات
مكتئبا) (لا تحقرن من الأيام محتقرا * كل امرىء
سوف يجزى بالذي اكتسبا) (قد يحفز المرء ما يهوى
فيركبه * حتى يكون إلى توريطه سببا) قال أحمد بن عبد
الرحمن المعبر رأيت صالح بن عبد القدوس في المنام
ضاحكا مستبشرا فقلت له ما فعل بك ربك وكيف نجوت
مما كنت ترمى به قال إني وردت على رب لا تخفى عليه
خافية فاستقبلني برحمته وقال لقد علمت براءتك مما كنت
تقذف به وكان قتله سنة سبع وستين ومائة

494 304 صالح المري أبو بشير صالح بن بشير
القارىء المعروف بالمري من أهل البصرة حدث عن
الحسن ومحمد بن سيرين وبكر بن عبد الله وغيرهم روى
عنه شجاع بن أبي نصر البلخي وسريج بن النعمان
الجوهري وعفان بن مسلم وغيرهم كان عبدا صالحا
وكان المهدي قد بعث إليه فأقدمه عليه قال صالح المري
دخلت على المهدي بالرصافة فلما مثلت بين يديه قلت يا
أمير المؤمنين احمل لله ما أكلمك به اليوم فإن أولى الناس
بالله أحملهم لغلظة النصيحة فيه وجدير بمن له قرابة
برسول الله أن يرث أخلاقه ويأتم بهديه وقد ورثك الله من
فهم العلم وإنارة الحجة ميراثا قطع به عذرك فمهما ادعيت
من حجة أو ركبت من شبهة لم يصح لك فيهما برهان من
الله حل بك من سخط الله بقدر ما تجاهلته من العلم أو

أقدمت عليه من شبهة الباطل واعلم أن رسول الله خصم من خالف في أمته يبتزها أحكامها ومن كان محمد خصمه كان الله خصمه فأعد لمخاصمة الله ومخاصمة رسول الله حججا تضمن لك النجاة أو استسلم للهلكة واعلم أن أبطأ الصرعى نهضة صريع هوى وأن أثبت الناس قدما يوم القيامة آخذهم بكتاب الله وسنة نبيه فمثلك لا يكابر بتجديد المعصية ولكن تمثل له الاساءة إحسانا ويشهد له

495 عليها خونة العلماء وبهذه الحبالة تصيدت الدنيا نظراؤك فأحسن الحمل فقد أحسنت إليك الأداء قال فبكى المهدي ثم أمر له بشيء فلم يقبله وحكى بعض الكتاب أنه رأى هذا الكلام مكتوبا في دواوين المهدي وقال عفان بن مسلم كنا نأتي مجلس صالح المري نحضره وهو يقص وكان إذا أخذ في قصصه كأنه رجل مذعور يفزعك أمره من حزنه وكثرة بكائه كأنه ثكلى وكان مملوكا لامرأة من بني مرة بن الحارث بن عبد القيس ومات سنة ست وسبعين ومائة رحمه اله تعالى & حرف الضاد &

@496@ 496

@497@ 497

@498@ 498

499 305 الأحنف بن قيس أبو بحر الضحاك بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة بن النزال بن مرة ابن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي المعروف بالأحنف وقيل اسمه صخر

وهو الذي يضرب به المثل في الحلم والحارث المذكور
لقبه مقاعس كان من سادات التابعين رضي الله عنهم
أدرك عهد النبي ولم يصحبه وشهد بعض الفتوحات منها
قاسان والتيمرة وذكره الحافظ أبو نعيم في تاريخ أصبهان
وقال ابن قتيبة في كتاب المعارف ما صورته ولما أتى
النبي بني تميم يدعوهم إلى الإسلام كان الأحنف فيهم ولم
يجيبوا إلى اتباعه فقال لهم الأحنف إنه ليدعوكم إلى مكارم
الأخلاق وينهاكم عن ملائمها فأسلموا وأسلم الأحنف ولم
يفد على رسول الله فلما كان زمن عمر رضي الله عنه وفد
عليه وكان من جلة التابعين وأكابرهم وكان سيد قومه
موصوفا بالعقل والدهاء والعلم والحلم روى عن عمر
وعثمان وعلي رضي الله عنهم وروى عنه الحسن
البصري وأهل البصرة وشهد مع علي رضي الله عنه
وقعة صفين ولم يشهد وقعة الجمل مع أحد الفريقين وشهد
بعض فتوحات خراسان في زمن عمر وعثمان رضي الله
عنهما
500 ولما استقر الأمر لمعاوية دخل عليه يوما فقال
له معاوية والله يا أحنف ما أذكر يوم صفين إلا كانت
حزازة في قلبي إلى يوم القيامة فقال له الأحنف والله يا
معاوية إن القلوب التي أبغضناك بها لفي صدورنا وإن
السيوف التي قاتلناك بها لفي أغمادها وإن تدن من الحرب
فترا ندن منها شبرا وإن تمش إليها نهرول إليها ثم قام
وخرج وكانت أخت معاوية من وراء حجاب تسمع كلامه

فقالت يا أمير المؤمنين من هذا الذي يتهدد ويتوعد قال هذا
الذي إذا غضب غضب لغضبه مائة ألف من بني تميم لا
يدرون فيم غضب وروي أن معاوية أيضا لما نصب ولده
يزيد لولاية العهد أقعده في قبة حمراء فجعل الناس
يسلمون على معاوية ثم يميلون إلى يزيد حتى جاء رجل
ففعل ذلك ثم رجع إلى معاوية فقال يا أمير المؤمنين اعلم
أنك لو لم تول هذا أمور المسلمين لأضعتها والأحنف بن
قيس جالس فقال له معاوية ما بالك لا تقول يا أبا بحر فقال
أخاف الله إن كذبت وأخافكم إن صدقت فقال له معاوية
جزاك الله عن الطاعة خيرا وأمر له بألوف فلما خرج لقيه
ذلك الرجل بالباب فقال له يا أبا بحر إني لأعلم أن شر من
خلق الله سبحانه وتعالى هذا وابنه ولكنهم قد استوثقوا من
هذه الأموال بالأبواب والأقفال فليس نطمع في استخراجها
إلا بما سمعت فقال له الأحنف أمسك عليك فإن ذا الوجهين
خليق أن لا يكون عند الله تعالى وجيها ومن كلام الأحنف
في ثلاث خصال ما أقولهن إلا ليعتبر معتبر ما دخلت بين
اثنين قط حتى يدخلاني بينهما ولا أتيت باب أحد من
هؤلاء ما لم
أدع إليه يعني الملوك ولا حللت حبوتي إلى ما 501
يقوم الناس إليه ومن كلامه ألا أدلكم على المحمدة بلا
مرزئة الخلق السجيح والكف عن القبيح ألا أخبركم بأدوإ
الداء الخلق الدنيء واللسان البذيء ومن كلامه ما خان
شريف ولا كذب عاقل ولا اغتاب مؤمن وقال ما ادخرت

الآباء للأبناء ولا أبقت الموتى للأحياء أفضل من اصطناع معروف عند ذوي الأحساب والآداب وقال كثرة الضحك تذهب الهيبة وكثرة المزاح تذهب المروءة ومن لزم شيئا عرف به وسمع الأحنف رجلا يقول ما أبالي أمدحت أم ممت فقال له لقد استرحت من حيث تعب الكرام ومن كلامه جنبوا مجلسنا ذكر النساء والطعام فإني أبغض الرجل يكون وصافا لفرجه وبطنه وإن من المروءة أن يترك الرجل الطعام وهو يشتهيه وقال هشام بن عقبة أخو ذي الرمة الشاعر المشهور شهدت الأحنف بن قيس وقد جاء إلى قوم يتكلمون في دم فقال احكموا فقالوا نحكم بديتين قال ذلك لكم فلما سكتوا قال أنا أعطيكم ما سألتم غير أني قائل لكم شيئا إن الله عز وجل قضى بدية واحدة وإن النبي قضى بدية واحدة وأنتم اليوم طالبون وأخشى أن تكونوا غدا مطلوبين فلا يرضى الناس منكم إلا بمثل ما سننتم لأنفسكم فقالوا فردها إلى دية واحدة فحمد الله وأثنى عليه وركب وسئل عن الحلم ما هو فقال هو الذل مع الصبر وكان يقول إذا عجب الناس من حلمه إني لأجد ما تجدون ولكني صبور وكان يقول وجدت الحلم أنصر لي من الرجال وكان يقول ما تعلمت الحلم إلا من قيس بن عاصم المنقري لأنه قتل ابن أخ له بعض بنيه فأتي بالقاتل مكتوفا يقاد إليه فقال ذعرتم الفتى ثم أقبل على الفتى فقال يا بني بئس ما صنعت نقصت

502 عددك وأوهنت عضدك وأشمت عدوك وأسأت بقومك خلوا سبيله واحملوا إلى أم المقتول ديته فإنها غريبة ثم انصرف القاتل وما حل قيس حبوته ولا تغير وجهه وكان زياد بن أبيه في مدة ولايته العراقين كثير الرعاية لحارثة بن بدر الغداني وللأحنف وكان حارثة مكبا على الشراب فوقع أهل البصرة فيه عند زياد ولاموا زيادا في تقريبه ومعاشرته فقال لهم زياد يا قوم كيف لي باطراح رجل هو يسايرني منذ دخلت العراق ولم يصكك ركابي ركاباه قط ولا تقدمني فنظرت إلى قفاه ولا تأخر عني فلويت إليه عنقي ولا أخذ علي الروح في صيف قط ولا الشمس في شتاء قط ولا سألته عن شيء من العلوم إلا وظننته لا يحسن سواه ثم وجدت هذا الكلام في كتاب ربيع الأبرار تأليف الزمخشري في باب معاشرة الناس على هذه الصورة والله أعلم وأما الأحنف فلم يكن فيه ما يقال فلما مات زياد وتولى ولده عبيد الله قال لحارثة إما أن تترك الشراب أو تبعد عني فقال له حارثة قد علمت حالي عند والدك فقال عبيد الله إن والدي كان قد برع بروعا لا يلحقه معه عيب وأنا حدث وإنما أنسب إلى من يغلب علي وأنت رجل تديم الشراب فمتى قربتك فظهرت رائحة الشراب منك لم آمن أن يظن بي فدع النبيذ وكن أول داخل علي وآخر خارج عني فقال له حارثة أنا لا أدعه لمن يملك ضري ونفعي أفأدعه للحال عندك قال فاختر من عملي ما شئت قال توليني سرق فقد وصف لي شرابها

وتضم إليها رام هرمز فولاه إياهما فلما خرج شيعه الناس فقال له أنس بن أبي أنس وقيل أبو الأسود الدؤلي (أحار بن بدر قد وليت إمارة * فكن جرذا فيها تخون وتسرق) (ولا تحتقر يا حار شيئا وجدته * فحظك من مال العراقين سرق)
503 (وباه تميما بالغنى إن للغنى * لسانا به المرء الهيوبة ينطق) (فإن جميع الناس إما مكذب * يقول بما تهوى وإما مصدق) (يقولون أقوالا ولا يعلمونها * ولو قيل هاتوا حققوا لم يحققوا) وأما الأحنف فإنه تغيرت منزلته عند عبيد الله أيضا وصار يقدم عليه من لا يساويه ولا يقاربه ثم إن عبيد الله جمع أعيان العراق وفيهم الأحنف وتوجه بهم إلى الشام للسلام على معاوية فلما وصلوا دخل عبيد الله على معاوية وأعلمه بوصول رؤساء العراق فقال أدخلهم إلي أولا فأول على قدر مراتبهم عندك فخرج إليهم وأدخلهم على الترتيب كما قال معاوية وآخر من دخل الأحنف فلما رآه معاوية وكان يعرف منزلته ويبالغ في إكرامه لتقدمه وسيادته قال له إلي يا أبا بحر فتقدم إليه فأجلسه معه على مرتبته وأقبل عليه يسأله عن حاله ويحادثه وأعرض عن بقية الجماعة ثم إن أهل العراق أخذوا في الشكر من عبيد الله والثناء عليه والأحنف ساكت فقال له معاوية لم لا تتكلم يا أبا بحر فقال إن تكلمت خالفتهم فقال له معاوية اشهدوا علي أنني قد عزلت عبيد الله عنكم قوموا انظروا في أمير أوليه عليكم

وترجعون إلي بعد ثلاثة أيام فلما خرجوا من عنده كان فيهم جماعة يطلبون الإمارة لأنفسهم وفيهم من عين غيره وسعوا في السر مع خواص معاوية أن يفعل لهم ذلك ثم اجتمعوا بعد انقضاء الثلاثة كما قال معاوية والأحنف معهم ودخلوا عليه فأجلسهم على ترتيبهم في المجلس الأول وأخذ الأحنف إليه كما فعل أولا وحادثه ساعة ثم قال ما فعلتم فيما انفصلتم عليه فجعل كل واحد يذكر شخصا وطال حديثهم في ذلك وأفضى إلى منازعة وجدال والأحنف ساكت ولم يكن في الايام الثلاثة تحدث مع أحد في شيء فقال له معاوية لم لا تتكلم يا أبا بحر فقال الاحنف إن وليت أحدا من أهل بيتك لم تجد من يعدل عبيد الله ولا يسد مسده وإن وليت من غيرهم فذلك إلى رأيك ولم يكن في

504 الحاضرين الذين بالغوا في المجلس الاول في الثناء على عبيد الله من ذكره في هذا المجلس ولا سأل عوده إليهم فلما سمع معاوية مقالة الأحنف قال للجماعة اشهدوا علي أني أعدت عبيد الله إلى ولايته فكل منهم ندم على عدم تعيينه وعلم معاوية أن شكرهم لعبيد الله لم يكن لرغبتهم فيه بل كما جرت العادة في حق المتولي فلما فصل الجماعة من مجلس معاوية خلا بعبيد الله وقال له كيف ضيعت مثل هذا الرجل يعني الأحنف فإنه عزلك وأعادك إلى الولاية وهو ساكت وهؤلاء الذين قدمتهم عليه واعتمدت عليهم لم ينفعوك ولا عرجوا عليك لما فوضت

الأمر إليهم فمثل الأحنف من يتخذه الانسان عونا وذخرا فلما عادوا إلى العراق أقبل عليه عبيد الله وجعله بطانته وصاحب سره ولما جرت لعبيد الله تلك الكائنة المشهورة لم ينفعه فيها سوى الأحنف وتخلى عنه الذين كان يعتقدهم أعوانا وبقي الأحنف إلى زمن مصعب بن الزبير فخرج معه إلى الكوفة فمات بها سنة سبع وستين للهجرة وقيل إحدى وسبعين وقيل سبع وسبعين وقيل ثمان وستين عن سبعين سنة والأول أشهر رضي الله عنه وكان قد كبر جدا ودفن بالثوية عند قبر زياد وحكى عبد الرحمن بن عمارة بن عقبة بن أبي معيط قال حضرت جنازة الأحنف بن قيس بالكوفة فكنت فيمن نزل قبره فلما سويته رأيته قد فسح له مد بصري فأخبرت بذلك أصحابي فلم يروا ما رأيت ذكر ذلك ابن يونس في تاريخ مصر المختص بالغرباء في ترجمة عبد الرحمن المذكور وهو أحد السادات الطلس كما تقدم في أخبار القاضي شريح وحدث الكندي عن أبيه قال ان معاوية بن أبي سفيان بينا هو جالس وعنده وجوه الناس فيهم الأحنف بن قيس إذ دخل رجل من أهل الشام فقام خطيبا فكان آخر كلامه أن سب عليا رضي الله عنه فأطرق الناس

505 وتكلم الأحنف فقال يا أمير المؤمنين إن هذا القائل آنفا لو يعلم أن رضاك في لعن المرسلين لفعل فاتق الله ودع عنك عليا فقد لقي ربه وأفرد في قبره وخلا بعمله وكان والله المبرز سيفه الطاهر ثوبه الميمون نقيبته العظيم

مصيبته فقال معاوية يا أحنف لقد أغضيت العين عن القذى وقلت فيما ترى وايم الله لتصعدن المنبر ولتلعننه طوعا أو كرها فقال له الأحنف يا أمير المؤمنين إن تعفني فهو خير لك وإن تجبرني فوالله لا تجري به شفتاي أبدا قال قم فاصعد قال الأحنف اما والله مع ذلك لأنصفنك في القول والفعل قال وما أنت قائل يا أحنف ان انصفتني قال أصعد المنبر فأحمد لله تعالى بما هو أهله وأصلي على نبيه ثم أقول أيها الناس ان أمير المؤمنين معاوية أمرني أن ألعن عليا ألا وإن عليا ومعاوية اقتتلا واختلفا فادعى كل منهما انه مبغي عليه وعلى فئته فإذا دعوت فأمنوا رحمكم الله ثم اقول اللهم العن أنت وملائكتك وأنبياؤك وجميع خلقك الباغي منهما على صاحبه والعن الفئة الباغية لعنا كثيرا أمنوا رحمكم الله يا معاوية لا ازيد على هذا حرفا ولا انقص منه حرفا ولو كان فيه ذهاب نفسي فقال معاوية إذن نعفيك أبا بحر ومثل هذا ما قاله معاوية أيضا لعقيل بن أبي طالب رضي الله عنه ان عليا قد قطعك ووصلتك ولا يرضيني منك إلا أن تلعنه على المنبر قال أفعل قال فاصعد المنبر فصعد ثم قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه أيها الناس أمرني أن ألعن علي بن أبي طالب أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان فالعنوه فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ثم نزل فقال له معاوية انك لم تبين قال والله لا زدت حرفا ولا نقصت آخر والكلام على نية المتكلم وكان الأحنف بن قيس يقول عجبت لمن جرى

في مجرى البول كيف يتكبر وكان يقول اكرموا سفهاءكم فإنهم يكفونكم العار والنار وقال الأحنف شكوت إلى عمي مصيبة نزلت بي فأسكتني ثلاثا ثم قال لي يا أبا بحر لا تشك الذي نزل بك إلى مخلوق فإنما هو صديق تسوءه أو عدو تسره

506 وقال رجل للأحنف أخبرني الثقة عنك بسوء قال الثقة لا ينم وولد ملتزق الأليتين حتى شق أحنف الرجل يطأ على وحشيها ولذلك قيل له الأحنف وذهبت عينه عند فتح سمرقند ويقال بل ذهبت بالجدري وكان متراكب الأسنان صغير الرأس مائل الذقن وقتل عنترة بن شداد العبسي الفارس المشهور جده معاوية بن حصين في يوم الفروق وهو أحد أيام وقائع العرب المشهورة وهاهنا ألفاظ تحتاج إلى تفسير فالأحنف المائل ووحشي الرجل ظهرها والغداني بضم الغين المعجمة وفتح الدال المهملة وبعد الالف نون هذه النسبة إلى غدانة بن يربوع بطن من تميم ورام هرمز مشهورة لا حاجة إلى ضبطها وهي من بلاد الأهواز من إقليم خوزستان الذي بين البصرة وفارس وسرق بضم السين المهملة وفتح الراء المشددة وبعدها قاف من كور الاهواز أيضا ومدينتها دورق بفتح الدال المهملة وسكون الواو وفتح الراء وبعدها قاف ويقال لها دورق الفرس والثوية بفتح الثاء المثلثة وكسر الواو وتشديد الياء المثناة من تحتها وتصغر أيضا فيقال لها الثوية اسم موضع بظاهر الكوفة فيه قبور جماعة من

الصحابة وغيرهم رضي الله عنهم وفيه ماء 65 وكان للأحنف ولد يقال له بحر وبه كني وكان مضعوفا قيل له لم لا تتأدب بأخلاق أبيك فقال الكسل ومات وانقطع عقبه &
حرف الطاء &
@507@ 507
@508@ 508
509 306 طاوس أبو عبد الرحمن طاوس بن كيسان الخولاني الهمداني اليماني من أبناء الفرس أحد الاعلام التابعين سمع ابن عباس وأبا هريرة رضي الله عنهما وروى عنه مجاهد وعمرو بن دينار وكان فقيها جليل القدر نبيه الذكر قال ابن عيينة قلت لعبيد الله بن يزيد مع من تدخل على ابن عباس قال مع عطاء وأصحابه قلت وطاوس قال أيهات كان ذلك يدخل مع الخواص وقال عمرو بن دينار ما رأيت أحدا قط مثل طاوس ولما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إليه طاوس المذكور إن أردت أن يكون عملك خيرا كله فاستعمل أهل الخير فقال عمر كفى بها موعظة وتوفي حاجا بمكة قبل يوم التروية بيوم وصلى عليه هشام بن عبد الملك وذلك في سنة ست ومائة رضي الله عنه وقيل سنة أربع ومائة والله أعلم قال بعض العلماء مات طاوس بمكة فلم يتهيأ إخراج جنازته لكثرة الناس حتى وجه إبراهيم بن هشام المخزومي أمير مكة بالحرس فلقد رأيت عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طلاب رضي الله عنهم واضع السرير على

كاهله وقد سقطت قلنسوه كانت على رأسه ومزق رداؤه من خلفه ورأيت بمدينة بعلبك داخل البلد قبرا يزار وأهل البلد يزعمون أنه طاوس المذكور وهو غلط

510 قال أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب الألقاب إن اسمه ذكوان وطاوس لقبه وإنما لقب به لأنه كان طاوس القراء والمشهور أنه اسمه وحكي أن هشام بن عبد الملك قدم حاجا إلى بيت الله الحرام فلما دخل الحرم قال إيتوني برجل من الصحابة فقيل يا أمير المؤمنين قد تفانوا قال فمن التابعين فأتي بطاوس اليماني فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم بإمرة المؤمنين ولم يكنه وجلس إلى جانبه بغير إذنه وقال كيف أنت يا هشام فغضب من ذلك غضبا شديدا حتى هم بقتله فقيل يا أمير المؤمنين أنت في حرم الله وحرم رسوله لا يمكن ذلك فقال له يا طاوس ما حملك على ما صنعت قال وما صنعت فاشتد غضبه له وغيظه وقال خلعت نعليك بحاشية بساطي ولم تسلم علي بإمرة المؤمنين ولم تكنني وجلست بإزائي بغير إذني وقلت يا هشام كيف أنت قال أما خلع نعلي بحاشية بساطك فإني أخلعهما بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات فلا يعاتبني ولا يغضب علي وأما ما قلت لم تسلم علي بإمرة المؤمنين فليس كل المؤمنين راضين بإمرتك فخفت أن أكون كاذبا وأما ما قلت لم تكنني فإن الله عز وجل سمى أنبياءه قال يا داود يا يحيى يا عيسى وكنى أعداءه فقال (^ تبت يدا أبي لهب وتب) وأما قولك

جلست بإزائي فإني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار فانظر إلى رجل جالس وحوله قوم قيام فقال له عظني قال إني سمعت أمير المؤمنين رضي الله عنه يقول إن في جهنم حيات كالقلال وعقارب كالبغال تلدغ كل أمير لا يعدل في رعيته ثم قام وخرج قالت امرأة ماجنة ما بقي أحد إلا فتنته ما خلا طاوس فإني تعرضت له فقال إذا كان وقت كذا فتعالي فجئت ذلك الوقت فذهب بي إلى المسجد الحرام فقال اضطجعي فقلت هاهنا فقال الذي يرانا هنا يرانا ثم وقال رجل لطاوس ادع لي قال ادع أنت لنفسك فإنه يجيب المضطر إذا دعاه ابن جريج قال قال لي عطاء جاءني طاوس فقال لي يا عطاء إياك أن
511 ترفع حوئجك إلى من أغلق دونك بابه وعليك بطلب حوائجك إلى من بابه مفتوح لك إلى يوم القيامة طلبك أن تدعوه ووعدك الإجابة وقال عبد الله بن طاوس قال لي أبي يا بني صاحب العقلاء تنسب إليهم وإن لم تكن منهم ولا تصاحب الجهال فتنسب إليهم وإن لم تكن منهم واعلم أن لكل شيء غاية وغاية المرء حسن عقله وروي أن أمير المؤمنين أبا جعفر المنصور استدعى عبد الله بن طاوس المذكور ومالك بن أنس رحمهما الله تعالى فلما دخلا عليه أطرق ساعة ثم التفت إلى ابن طاوس وقال له حدثني عن أبيك فقال حدثني أبي أن أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل أشركه الله تعالى في سلطانه فأدخل عليه

الجور في حكمه فأمسك أبو جعفر ساعة قال مالك فضممت ثيابي خوفا أن يصيبني دمه ثم قال له المنصور ناولني تلك الدواة ثلاث مرات فلم يفعل فقال له لم لا تناولني فقال أخاف أن تكتب بها معصية فأكون قد شاركتك فيها فلما سمع ذلك قال قوما عني قال ذلك ما كنا نبغي قال مالك فما زلت أعرف لابن طاوس فضله من ذلك اليوم والخولاني بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو وبعدها لام ألف ثم نون هذه النسبة إلى خولان واسمه أفكل بن عمرو بن مالك وهي قبيلة كبيرة نزلت بالشام والهمداني بسكون الميم وفتح الدال المهملة قد تقدم الكلام عليه ونسبته إليهم بالولاء

512 307 أبو الطيب الطبري أبو الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر الطبري القاضي الفقيه الشافعي كان ثقة صادقا دينا ورعا عارفا بأصول الفقه وفروعه محققا في علمه سليم الصدر حسن الخلق صحيح المذهب يقول الشعر على طريقة الفقهاء ومن شعره ما أورده له الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي المقدم ذكره في الجزء الذي وضعه في أخبار أبي العلاء المعري فقال مسندا عنه كتبت إلى أبي العلاء المعري الأديب حين وافى بغداد وكان قد نزل في سويقة غالب (وما ذات در لا يحل لحالب * تناوله واللحم منها محلل) (لمن شاء في الحالين حيا وميتا * ومن شاء شرب الدر فهو مضلل) (إذا طعنت في السن فاللحم طيب * وآكله عند الجميع

مغفل) (وخرفانها للأكل فيها كزازة * فما لحصيف
الرأي فيهن مأكل) (وما يجتني معناه إلا مبرز * عليم
بأسرار القلوب محصل) فأجابني وأملى على الرسول في
الحال ارتجالا (جوابان عن هذا السؤال كلاهما *
صواب وبعض القائلين مضلل) (فمن ظنه كرما فليس
بكاذب * ومن ظنه نخلا فليس يجهل) (لحومهما
الأعناب والرطب الذي * هو الحل والدر الرحيق
المسلسل) (ولكن ثمار النخل وهي غضيضة * تمر
وغض الكرم يجنى ويؤكل)
513 (يكلفني القاضي الجليل مسائلا * هي النجم
قدرا بل أعز وأطول) (ولو لم أجب عنها لكنت بجهلها
* جديرا ولكن من يودك مقبل) فأجبته عنه وقلت (أنار
ضميري من يعز نظيره * من الناس طرا سابغ الفضل
مكمل) (ومن قلبه كتب العلوم بأسرها * وخاطره في
حدة النار مشعل) (تساوى له سر المعاني وجهرها *
ومعضلها باد لديه مفصل) (ولما أنار الحب قاد منيعه *
أسيرا بأنواع البيان يكبل) (وقربه من كل فهم بكشفه *
وإيضاحه حتى رآه المغفل) (وأعجب منه نظمه الدر
مسرعا * ومرتجلا من غير ما يتمهل) (فيخرج من
بحر ويسمو مكانه * جلالا إلى حيث الكواكب تنزل) (
فهنأه الله الكريم بفضله * محاسنه والعمر فيها مطول)
فأجاب مرتجلا وأملى على الرسول (ألا أيها القاضي
الذي بدهائه * سيوف على أهل الخلاف تسلل) (فؤادك

ممهور من العلم آهل * وجدك في كل المسائل مقبل) (
فإن كنت بين الناس غير ممول * فأنت من الفهم المصون
ممول) (إذا أنت خاطبت الخصوم مجادلا * فأنت و هم
مثل الحمائم أجدل) (كأنك من في الشافعي مخاطب *
ومن قلبه تملي فما تتمهل) (وكيف يرى علم ابن إدريس
دارسا * وأنت بإيضاح الهدى متكفل) (تفضلت حتى
ضاق ذرعي بشكر ما * فعلت وكفي عن جوابك أجمل)
(لأنك في كنه الثريا فصاحة * وأعلى ومن يبغي مكانك
أسفل) (فعذرك في أني أجبتك واثقا * بفضلك فالإنسان
يسهو ويذهل) (وأخطأت في إنفاذ رقعتك التي * هي
المجد لي منها أخير وأول) (ولكن عداني أن أروم
احتفاظها * رسولك وهو الفاضل المتفضل)
514 (ومن حقها أن يصبح المسك عامرا * لها
وهي في أعلى المواضع تجعل) (فمن كان في أشعاره
متمثلا * فأنت امرؤ في العلم والشعر أمثل) (تجملت
الدنيا بأنك فوقها * ومثلك حقا من به تتجمل) وذكر
السمعاني في الذيل في ترجمة أبي الحسن علي بن أحمد
بن الحسين بن أحمد بن الحسين بن محمويه اليزدي أنه
كان له عمامة وقميص بينه وبين أخيه إذا خرج ذاك قعد
هذا في البيت وإذا خرج هذا احتاج ذاك أن يقعد قال
السمعاني وسمعته يقول يوما وقد دخلت عليه مع علي بن
الحسين الغزنوي الواعظ مسلما داره فوجدناه عريانا
متأزرا بمئزر فاعتذر من العري وقال نحن إذا غسلنا ثيابنا

نكون كما قال القاضي أبو الطيب الطبري (قوم إذا
غسلوا ثياب جمالهم * لبسوا البيوت إلى فراغ الغاسل)
عاش مائة سنة وسنتين لم يختل عقله ولا تغير فهمه يفتي
ويستدرك على الفقهاء الخطأ ويقضي ببغداد ويحضر
المواكب في دار الخلافة إلى أن مات تفقه بأمل على أبي
علي الزجاجي صاحب ابن القاص وقرأ على أبي سعد
الإسماعيلي وأبي القاسم بن كج بجرجان ثم ارتحل إلى
نيسابور وأدرك أبا الحسن الماسرجسي فصحبه أربع
سنين وتفقه عليه ثم ارتحل إلى بغداد وحضر مجلس الشيخ
أبي حامد الاسفرايني وعليه اشتغل الشيخ أبو إسحاق
الشيرازي وقال في حقه لم أر فيمن رأيت أكمل اجتهادا
وأشد تحقيقا وأجود نظرا منه وشرح مختصر المزني
وفروع أبي بكر ابن الحداد المصري وصنف في الأصول
والمذهب والخلاف والجدل كتبا كثيرة وقال الشيخ أبو
إسحاق لازمت مجلسه بضع عشرة سنة ودرست أصحابه
في مسجده سنين بإذنه ورتبني في حلقته
515 واستوطن بغداد وولي القضاء بربع الكرخ
بعد موت أبي عبد الله الصيمري ولم يزل على القضاء إلى
حين وفاته وكان مولده بآمل سنة ثمان وأربعين وثلثمائة
وتوفي في شهر ربيع الأول يوم السبت لعشر بقين منه
سنة خمسين وأربعمائة رحمه الله تعالى ببغداد ودفن من
الغد في مقبرة باب حرب وصلي عليه في جامع المنصور
والطبري قد تقدم الكلام عليه أنه منسوب إلى طبرستان

وآمل بمد الهمزة وضم الميم وبعدها لام مدنية عظيمة هي قصبة طبرستان 308 ابن بابشاذ النحوي أبو الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ النحوي يقال إن أصله من الديلم وكان هو بمصر إمام عصره في علم النحو وله المصنفات المفيدة منها المقدمة المشهورة وشرحها وشرح الجمل للزجاجي وشرح كتاب الأصول لابن السراج وجمع في حال انقطاعه شكة كبيرة في النحو يقال إنها لو بيضت قاربت خمس عشرة مجلدة وسماها النحاة بعده الذين وصلت إليهم تعليق الغرفة وانتقلت هذه التعليقة إلى تلميذه أبي عبد الله محمد بن بركات السعدي النحوي اللغوي المتصدر موضعه ثم انتقلت منه إلى صاحبه أبي محمد بن عبد الله بن بري النحوي المتصدر في مكانه ثم انتقلت بعده إلى صاحبه

516 أبي الحسين النحوي المنبوز بثلط الفيل المتصدر في موضعه وقيل إن كل واحد من هؤلاء كان يهبها لتلميذه ويعهد إليه بحفظها ولقد اجتهد جماعة من الطلبة في نسخها فلم يتمكنوا من ذلك وانتفع الناس بعلمه وتصانيفه وكانت وظيفته بمصر أن ديوان الإنشاء لا يخرج منه كتاب حتى يعرض عليه ويتأمله فإن كان فيه خطأ من جهة النحو أو اللغة أصلحه كاتبه وإلا استرضاه فسيروه إلى الجهة التي كتب إليها وكان له على هذه الوظيفة راتب من الخزانة يتناوله في كل شهر وأقام على ذلك زمانا ويحكى أنه كان يوما في سطح جامع مصر

وهو يأكل شيئا وعنده ناس فحضرهم قط فرموا له لقمة فأخذها في فيه وغاب عنهم ثم عاد إليهم فرموا له شيئا آخر ففعل كذلك وتردد مرارا كثيرة وهم يرمون له وهو يأخذه ويغيب به ثم يعود من فوره حتى عجبوا منه وعلموا أن مثل هذا الطعام لا يأكله وحده لكثرته فلما استرابوا حاله تبعوه فوجدوه يرقى إلى حائط في سطح الجامع ثم ينزل إلى موضع خال صورة بيت خراب وفيه قط اخر أعمى وكل ما يأخذه من الطعام يحمله إلى ذلك القط ويضعه بين يديه وهو يأكله فعجبوا من تلك الحال فقال ابن بابشاذ إذا كان هذا حيوانا أخرس قد سخر الله سبحانه وتعالى له هذا القط وهو يقوم بكفايته ولم يحرمه الرزق فكيف يضيع مثلي ثم قطع الشيخ علائقه واستعفى من الخدمة ونزل عن راتبه ولازم بيته واشتغاله متوكلا على الله سبحانه وتعالى وما زال محروسا محمول الكلفة إلى أن مات عشية اليوم الثالث من رجب سنة تسع وستين وأربعمائة بمصر ودفن في القرافة الكبرى رحمه الله تعالى وزرت بها قبره وقرأت تاريخ وفاته على حجر عند رأسه كما هو هاهنا وكان سبب موته أنه لما انقطع وجمع أطرافه وباع ما حوله وأبقى ما لا

517 بد له منه كان انقطاعه في غرفة بجامع عمرو بن العاص وهو الجامع العتيق بمصر فخرج ليلة من الغرفة إلى سطح الجامع فزلت رجله من بعض الطاقات المؤدية للضوء إلى الجامع فسقط وأصبح ميتا وبابشاذ

بباءين موحدتين بينهما ألف ثم شين معجمة وبعد الألف الثانية ذال معجمة وهي كلمة عجمية تتضمن الفرح والسرور 309 طاهر بن الحسين أبو الطيب طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق بن ماهان ورأيت في مكان آخر رزيق بن أسعد بن رادويه وفي مكان آخر أسعد بن زاذان والله أعلم وقيل مصعب بن طلحة بن رزيق الخزاعي بالولاء الملقب ذا اليمينين كان جده رزيق بن ماهان مولى طلحة الطلحات الخزاعي المشهور بالكرم والجود المفرط وكان طاهر من أكبر أعوان المأمون وسيره من مرو كرسي خراسان لما كان المأمون بها إلى محاربة أخيه الأمين ببغداد لما خلع المأمون بيعته والواقعة مشهورة وسير الأمين أبا يحيى علي بن عيسى بن ماهان لدفع طاهر عنه فتواقعا وقتل علي في المعركة ذكر ابن العظيمي الحلبي في تاريخه أن الأمين وجه علي بن عيسى بن

518 ماهان لملاقاة طاهر بن الحسين فلقيه بالري فقتل علي بن عيسى لسبع خلون من شعبان سنة خمس وتسعين ومائة قلت وذكر الطبري في تاريخه هذه الواقعة في سنة خمس وتسعين ولم يعين الشهر لكنه قال إنه قتل في الحرب وسير طاهر بالخبر إلى مرو وبينهما نحو مائتين وخمسين فرسخا فسار الكتاب ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الأحد ولم يذكر في أي شهر فوصلهم يوم الأحد ثم قال بعد هذا وخرج علي بن عيسى من بغداد

لسبع ليال خلون من شعبان من سنة خمس وتسعين
والظاهر أن ابن العظيمي اشتبه عليه يوم قتل علي بن
عيسى بيوم خروجه من بغداد ثم قال بعد هذا إن الخبر
وصل إلى بغداد بقتله يوم الخميس النصف من شوال من
السنة فيحتمل أنه قتل لسبع أو لتسع من شوال وتصحف
على الناسخ شوال بشعبان فيكون كما قال الطبري خرج
من بغداد في شعبان وقتل في شوال أو في رمضان والله
أعلم وتقدم طاهر إلى بغداد وأخذ ما في طريقه من البلاد
وحاصر بغداد والأمين بها وقتله يوم الأحد لست أو أربع
خلون من صفر سنة ثمان وتسعين ومائة ذكره الطبري في
تاريخه وقال غيره إن طاهرا سير إلى المأمون يستأذنه في
أمر الأمين إذا ظفر به فبعث إليه بقميص غير مقور فعلم
أنه يريد قتله فعمل على ذلك والله أعلم وحمل رأسه إلى
خراسان ووضع بين يدي المأمون وعقد للمأمون على
الخلافة فكان المأمون يرعاه لمناصحته وخدمته وقيل
لطاهر ببغداد لما بلغ ما بلغ ليهنك ما أدركته من هذه
المنزلة التي لم يدركها أحد من نظرائك بخراسان فقال
ليس يهنيني ذلك لأني لا أرى عجائز بوشنج يتطلعن إلي
من أعالي سطوحهن إذا مررت بهن وإنما قال ذلك لأنه
ولد ونشأ بها وكان جده مصعب واليا عليها وعلى هراة
519 وكان شجاعا أديبا وركب يوما ببغداد في
حراقته فاعترضه مقدس ابن صيفي الخلوقي الشاعر وقد
أدنيت من الشط ليخرج فقال أيها الأمير إن رأيت أن تسمع

مني أبياتا فقال قل فأنشأ يقول (عجبت لحراقة ابن
الحسين لا * غرقت كيف لا تغرق) (وبحران من فوقها
واحد * وآخر من تحتها مطبق) (وأعجب من ذاك
أعوادها * وقد مسها كيف لا تورق) فقال طاهر أعطوه
ثلاثة آلاف دينار وقال له زدنا حتى نزيدك فقال حسبي
ولبعض الشعراء في بعض الرؤساء وقد ركب البحر وما
أقصر فيه (ولما امتطى البحر ابتهلت تضرعا * إلى الله
يا مجري الرياح بلطفه) (جعلت الندى من كفه مثل
موجه * فسلمه واجعل موجه مثل كفه) وكان طاهر قد
احتاج إلى الأموال عند محاصرة بغداد فكتب إلى المأمون
يطلبها منه فكتب له إلى خالد بن جيلويه الكاتب ليقرضه ما
يحتاج إليه فامتنع خالد من ذلك فلما أخذ طاهر بغداد
أحضر خالدا وقال له لأقتلنك شر قتلة فبذل من المال شيئا
كثيرا فلم يقبله منه فقال خالد قد قلت شيئا فاسمعه ثم شأنك
وما أردت فقال طاهر هات وكان يعجبه الشعر فأنشده (
زعموا بأن الصقر صادف مرة * عصفور بر ساقه
المقدور) (فتكلم العصفور تحت جناحه * والصقر
منقض عليه يطير)
520 (ما كنت يا هذا لمثلك لقمة * ولئن شويت
فإنني لحقير) (فتهاون الصقر المدل بصيده * كرما
فأفلت ذلك العصفور) فقال طاهر أحسنت وعفا عنه
وكان طاهر بفرد عين وفيه يقول عمرو بن بانة الآتي
ذكره إن شاء الله تعالى (يا ذا اليمينين وعين واحده *

نقصان عين ويمين زائده) ويحكى أن إسماعيل بن جرير البجلي كان مداحا لطاهر المذكور فقيل له إنه يسرق الشعر ويمدحك به فأحب طاهر أن يمتحنه فقال له تهجوني فامتنع فألزمه بذلك فكتب إليه (رأيتك لا ترى إلا بعين * وعينك لا ترى إلا قليلا) فأما إذ أصبت بفرد عين * فخذ من عينك الأخرى كفيلا) فقد أيقنت أنك عن قريب * بظهر الكف تلتمس السبيلا) فلما وقف عليها قال له احذر أن تنشدها أحدا ومزق الورقة ولما استقل المأمون بالأمر بعد قتال أخيه الأمين كتب إلى طاهر بن الحسين المذكور وهو مقيم ببغداد والمأمون مقيم بخراسان بأن يسلم إلى الحسن بن سهل المقدم ذكره جميع ما افتتحه من البلاد وهي العراق وبلاد الجبل وفارس والأهواز والحجاز واليمن وأن يتوجه هو إلى الرقة وولاه الموصل وبلاد الجزيرة الفراتية والشام والمغرب وذلك في بقية سنة ثمان وتسعين ومائة وأخبار طاهر كثيرة وسيأتي ذكر ولده عبد الله وحفيده عبيد الله في حرف العين إن شاء الله تعالى

521 وكان مولده سنة تسع وخمسين ومائة وتوفي يوم السبت لخمس بقين من جمادى الآخرة سنة سبع ومائتين بمدينة مرو رحمه الله تعالى وكان المأمون قد ولاه خراسان فوردها في شهر ربيع الآخر سنة ست ومائتين واستخلف ابنه طلحة هكذا قال السلامي في كتاب أخبار ولاة خراسان وقال غيره إنه خلع طاعة المأمون

وجاءت كتب البريد من خراسان تتضمن ذلك فقلق المأمون لذلك قلقا شديدا ثم جاءته كتب البريد ثاني يوم أنه أصابته عقيب ما خلع حمى فوجد في فراشه ميتا وقيل إنه حدث به في جفن عينه حادث فسقط ميتا وحكى هارون بن العباس بن المأمون في تاريخه قال دخل طاهر يوما على المأمون في حاجة فقضاها وبكى حتى اغرورقت عيناه بالدموع فقال طاهر يا أمير المؤمنين لم تبكي لا أبكى الله عينك وقد دانت لك الدنيا وبلغت الأماني فقال أبكي لا عن ذل ولا عن حزن ولكن لا تخلو نفس من شجن فاغتم طاهر وقال لحسين الخادم وكان يحجب المأمون في خلواته أريد أن تسأل أمير المؤمنين عن موجب بكائه عندما رآني ثم أنفذ طاهر للخادم مائة ألف درهم فلما كان في بعض خلوات المأمون وهو طيب الخاطر قال له حسين الخادم يا أمير المؤمنين لم بكيت لما دخل عليك طاهر فقال مالك ولهذا ويلك قال غمني بكاؤك فقال هو أمر إن خرج من رأسك أخذته فقال يا سيدي ومتى أبحت لك سرا قال إني ذكرت محمدا أخي وما ناله من الذلة فخنقتني العبرة ولن يفوت طاهرا مني ما يكره فأخبر حسين طاهرا بذلك فركب طاهر إلى أحمد بن أبي خالد فقال له إن الثناء مني ليس برخيص وإن المعروف عندي ليس بضائع فغيبني عن المأمون فقال سأفعل فبكر إلى غدا وركب أحمد إلى المأمون فقال له لم أنم البارحة فقال له ولم قال لأنك وليت خراسان غسان وهو ومن معه

أكلة رأس وأخاف أن يصطلمه مصطلم فقال فمن ترى قال طاهر قال هو
522 جائع فقال أنا ضامن له فدعا به المأمون وعقد له على خراسان من ساعته وأهدى له خادما كان رباه وأمره إن رأى ما يريبه أن يسمه فلما تمكن طاهر من الولاية قطع الخطبة حكى كلثوم بن ثابت متولي بريد خراسان قال صعد طاهر المنبر يوم الجمعة وخطب فلما بلغ ذكر الخليفة أمسك فكتب بذلك إلى المأمون على خيل البريد وأصبح طاهر يوم السبت ميتا فكتب إليه أيضا بذلك فلما وصلت الخريطة الأولى إلى المأمون دعا أحمد بن أبي خالد وقال أشخص الآن فأت به كما ضمنت وأكرهه على المسير في يومه ثم بعد شدائد أذن له في المبيت ثم وافت الخريطة الثانية من يومه بموته وقيل إن الخادم سمه في كامخ 66 ثم إن المأمون استخلف ولده طلحة على خراسان وقيل إنه جعله خليفة بها لأخيه عبد الله بن طاهر الآتي ذكره وتوفي طلحة سنة ثلاث عشرة ومائتين ببلخ واختلفوا في تلقيبه بذي اليمينين لأي معنى كان فقيل لأنه ضرب شخصا في وقعته مع علي بن ماهان كما تقدم فقده نصفين وكانت الضربة بيساره فقال فيه بعض الشعراء (كلتا يديك يمين حين تضربه *) فلقبه المأمون ذا اليمينين وقيل غير ذلك 67 وكان جده مصعب بن رزيق كاتبا لسليمان بن كثير الخزاعي صاحب دعوة بني العباس وكان بليغا فمن كلامه ما أحوج الكاتب إلى نفس تسمو به

إلى أعلى المراتب وطبع يقوده إلى أكرم الأخلاق وهمة تكفه عن دنس الطمع ودناءة الطبع
523 وبوشنج بضم الباء الموحدة وسكون الواو وفتح الشين المعجمة وسكون النون وبعدها جيم وهي بلدة بخراسان على سبعة فراسخ من هراة ومقدس بضم الميم وفتح القاف وتشديد الدال المهملة المكسورة وبعدها سين مهملة وهو اسم علم على الشاعر المذكور والخلوقي بفتح الخاء المعجمة وضم اللام وسكون الواو وبعدها قاف هذه النسبة إلى خلوق أو خلوقة وهي قبيلة من العرب مشهورة
68 ومات والده الحسين بن مصعب بخراسان في سنة تسع وتسعين ومائة وحضر المأمون جنازته وبعث إلى ابنه طاهر وهو بالعراق يعزيه 310 سيف الإسلام طغتكين سيف الإسلام أبو الفوارس طغتكين بن أيوب بن شاذي من مروان المنعوت بالملك العزيز ظهير الدين صاحب اليمن كان أخوه السلطان الملك الناصر صلاح الدين رحمه الله تعالى لما ملك الديار المصرية قد سير أخاه شمس الدولة توران شاه المقدم ذكره في حرف التاء إلى بلاد اليمن فملكها واستولى على كثير من بلادها ورجع عنها حسبما هو مذكور في ترجمته ثم سير السلطان إليها بعد ذلك أخاه سيف الإسلام المذكور وذلك في سنة سبع وسبعين وخمسمائة وكان رجلا شجاعا كريما مشكور السيرة حسن السياسة مقصودا من البلاد الشاسعة لإحسانه وبره ودخل إليه شرف الدين أبو

المحاسن ابن عنين الدمشقي الآتي ذكره في حرف الميم
إن شاء الله تعالى ومدحه بغر القصائد فأحسن إليه وأجزل
صلته واكتسب من جهته مالا وافرا وخرج به من اليمن
524 فلما وصل إلى الديار المصرية وسلطانها
يومئذ الملك العزيز عماد الدين عثمان ابن السلطان صلاح
الدين رحمه الله تعالى ألزمه أرباب ديوان الزكاة بدفع
الزكاة من المتاجر التي وصلت صحبته فعمل (ما كان
من يتسمى بالعزيز لها * أهل ولا كل برق سحبه غدقه)
(بين العزيزين بون في فعالهما * هذاك يعطي وهذا يأخذ
الصدقة) وكانت وفاة سيف الإسلام في شوال تاسع عشر
سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بالمنصورة وهي مدينة
اختطها باليمن رحمه الله تعالى 69 وتولى بعده ولده الملك
المعز فتح الدين إسماعيل وللمعز المذكور صنف أبو
الغنائم مسلم بن محمود بن نعمة بن أرسلان الشيزري
كتابه الذي سماه عجائب الأسفار وغرائب الأخبار وأودع
فيه من أشعاره وأخبار الناس كثيرا وذكر العز بن عساكر
أنه مات بالحمراء من بلاد اليمن وذكر أبو الغنائم المذكور
في كتابه الذي سماه جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام أنه
مات بتعز ودفن بها بالمدرسة ثم قال وقتل ولده فتح الدين
أبو الفداء إسماعيل في رجب سنة ثمان وتسعين بمكان
يقال له عجي شامي زبيد وتولى مكانه أخوه الملك الناصر
ايوب وكان الملك المعز اسماعيل أهوج كثير التخليط

بحيث انه ادعى أنه قرشي من بني أمية وخطب لنفسه بالخلافة وتلقب بالهادي فلما سمع عمه الملك العادل
525 ذلك ساءه وأهمه وكتب إليه يلومه ويوبخه ويأمره بالعودة إلى نسبه الصحيح وبترك ما ارتكبه مما يضحك الناس منه فلم يلتفت ولم يرجع وانضاف إلى ذلك أنه أساء السيرة مع اجناده وامرائه فوثبوا عليه فقتلوه وملكوا عليهم أخاه الملك الناصر محمدا 70 وكان أبو الغنائم المذكور أديبا شاعرا وكان موجودا في سنة سبع عشرة وستمائة فقد توفي في هذه السنة أو بعدها 71
وكان أبوه أبو الثناء محمود نحويا متصدرا بجامع دمشق لإقراء النحو وذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخه الكبير وذكره العماد الكاتب في كتاب الخريدة وقال توفي بعد سنة خمس وستين وخمسمائة وقال شرف الدين ابن عنين أنشدني محمود المذكور لنفسه (يقولون كافات الشتاء كثيرة * وما هي إلا واحد غير مفترى) (إذا صح كاف الكيس فالكل حاصل * لديك وكل الصيد يوجد في الفرا)
وكان جده أرسلان مملوك ابن منقذ صاحب شيزر والله أعلم وطغتكين بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة وكسر التاء المثناة من فوقها والكاف وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون وهو اسم تركي لا أعرف معناه
526 311 الصالح بن رزيك أبو الغارات طلائع بن رزيك الملقب الملك الصالح وزير مصر كان واليا بمنية بني خصيب من أعمال صعيد مصر فلما قتل الظافر

إسماعيل صاحب مصر كما تقدم في حرف الهمزة سير
أهل القصر إلى الصالح واستنجدوا به على عباس وولده
نصر المتفقين على قتله فتوجه الصالح إلى القاهرةومعه
جمع عظيم من العربان فلما قربوا من البلد هرب عباس
وولده وأتباعهما ومعهما أسامة بن منقذ المذكور في حرف
الهمزة أيضا لأنه كان مشاركا لهما في ذلك على ما يقال
ودخل الصالح إلى القاهرة وتولى الوزارة في أيام الفائز
واستقل بالأمور وتدبير أحوال الدولة وكانت ولايته في
التاسع عشر من شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين
وخمسمائة وكان فاضلا سمحا في العطاء سهلا في اللقاء
محبا لأهل الفضائل جيد الشعر وقفت على ديوان شعره
وهو في جزأين ومن شعره قوله (كم ذا يرينا الدهر من
أحداثه * عبرا وفينا الصد والإعراض) (ننسى الممات
وليس يجري ذكره * فينا فتذكرنا به الأمراض) ومن
شعره أيضا (ومهفهف ثمل القوام سرت إلى * أعطافه
النشوات من عينيه) (ماضي اللحاظ كأنما سلت يدي *
سيفي غداة الروع من جفنيه)
527 (قد قلت إذ خط العذار بمكة * في خده ألفيه
لا لاميه) (ما الشعر دب بعارضيه وإنما * أصداغه
نفضت على خديه) (الناس طوع يدي وأمري نافذ *
فيهم وقلبي الآن طوع يديه) (فاعجب لسلطان يعم بعدله
* ويجور سلطان الغرام عليه) (والله لولا اسم الفرار
وأنه * مستقبح لفررت منه إليه) وروى عنه أبو الحسن

علي بن إبراهيم بن نجا بن غنائم الأنصاري الملقب زين الدين الحنبلي المعروف بابن نجية الواعظ المشهور الدمشقي قال أنشدني طلائع بن رزيك لنفسه بمصر (مشيبك قد نضا صبغ الشباب * وحل الباز في وكر الغراب) (تنام ومقلة الحدثان يقظى * وما ناب النوائب عنك نابي) (وكيف بقاء عمرك وهو كنز * وقد أنفقت منه بلا حساب) وكان المهذب عبد الله بن أسعد الموصلي نزيل حمص قد قصده من الموصل ومدحه بقصيدته الكافية التي أولها (أما كفاك تلافي في تلافيكا * ولست تنقم إلا فرط حبيكا) وهي من نخب القصائد ومخلصها (وفيم تغضب أن قال الوشاة سلا * وأنت تعلم أني لست أسلوكا) (لأنلت وصلك إن كان الذي زعموا * ولا شفى ظمئي جود ابن رزيكا) وهي طويلة طائلة ولولا خوف الإطالة لكتبتها

528 ولما مات الفائز وتولى العاضد مكانه استمر الصالح على وزارته وزرادت حرمته وتزوج العاضد ابنته فاغتر بطول السلامة وكان العاضد تحت قبضته وفي أسره فلما طال عليه ذلك أعمل الحيلة في قتله فاتفق مع قوم من أجناد الدولة يقال لهم أولاد الراعي وتقرر ذلك بينهم وعين لهم موضعا في القصر يجلسون فيه مستخفين فإذا مر بهم الصالح ليلا أو نهارا قتلوه فقعدوا له ليلة وخرج من القصر فقاموا ليخرجوا إليه فأراد أحدهم أن يفتح غلق الباب فأغلقه وما علم فلم يحصل مقصودهم تلك

الليلة لأمر أراده الله تعالى في تأخير الأجل ثم جلسوا له يوما آخر فدخل القصر نهارا فوثبوا عليه وجرحوه جراحات عديدة بعضها في رأسه ووقع الصوت فعاد أصحابه إليه فقتلوا الذين جرحوه وحمل إلى داره مجروحا ودمه يسيل وأقام بعض يوم ومات يوم الاثنين تاسع عشر رمضان سنة ست وخمسين وخمسمائة رحمه اله تعالى وكانت ولادته في سنة خمس وتسعين وأربعمائة وخرجت الخلع لولده العادل محيي الدين رزيك المقدم ذكره في ترجمة شاور يوم الثلاثاء ثاني يوم وفاة أبيه وكنيته أبو شجاع ولما تولى الوزارة لقبوه العادل الناصر ولما مات رثاه الفقيه عمارة اليمني بقصيدة أولها (أفي أهل ذا النادي عليم أسائله * فإني لما بي ذاهب اللب ذاهله) سمعت حديثا أحسد الصم عنده * ويذهل واعيه ويخرس قائله) (فهل من جواب يستغيث به المنى * ويعلو على حق المصيبة باطله) (وقد رابني من شاهد الحال أنني * أرى الدست منصوبا وما فيه كافله) (فهل غاب عنه واستناب سليله * أم اختار هجرا لا يرجى تواصله) (فإني أرى فوق الوجوه كآبه * تدل على أن الوجوه ثواكله) ومنها (دعوني فما هذا أوان بكائه * سيأتيكم طل البكاء ووابله)

529 (ولا تنكروا حزني عليه فإنني * تقشع عني وابل كنت آمله) (ولم لا نبكيه ونندب فقده * وأولادنا أيتامه وأرامله) (فيا ليت شعري بعد حسن فعاله * وقد

غاب عنا ما بنا الله فاعله) (أيكرم مثوى ضيفكم وغريبكم * فيمكث أم تطوى ببين مراحله) وهي طويلة وكان قد دفن بالقاهرة ثم نقله ولده العادل من دار الوزارة التي دفن بها وهي المعروفة بانشاء الأفضل شاهان شاه المقدم ذكره وكان نقله في تاسع عشر صفر سنة سبع وخمسين في تابوت وركب خلفه العاضد إلى تربته التي بالقرافة الكبرى فعمل في ذلك الفقيه عمارة أيضا قصيدة طويلة أجاد فيها ومن جملتها في صفة التابوت (وكأنه تابوت موسى أودعت * في جانبيه سكينة ووقار) وله فيه مراث كثيرة وهذا الصالح هو الذي بنى الجامع الذي على باب زويلة بظاهر القاهرة 72 وأما ولده العادل رزيك فقد ذكرت في ترجمة شاور تاريخ هربه من القاهرة وكان قد حمل معه من الذخائر ما لا يحصى ومعه أهله وحاشيته واستجار بسليمان وقيل بيعقوب بن النيص اللخمي وكان من خواص أصحابهم وحصل من جهتهم نعمة وافرة فأنزلهم عنده وهو بإطفيح وسار من ساعته إلى شاور وأعلمه بهم فندب معه جماعة ومضوا إلى العادل وأخذوه أسيرا وأحضروه إلى باب شاور فوقف زمانا طويلا ثم حبسه ثم قال شاور لابن النيص لقد خبأك الصالح ذخيرة صالحة لولده وأنا أخبؤك أيضا لولدي ثم شنقه وبقي العادل في الاعتقال مدة مديدة ثم قتله

530 واخرج رأسه لأمراء الدولة ومن العجائب أن الصالح ولي الوزارة في التاسع عشر وقتل في التاسع

عشر ونقل تابوته في التاسع عشر وزالت دولتهم في التاسع عشر ورزيك بضم الراء وتشديد الزاي المكسورة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها كاف 73 وكانت ولادة زين الدين الواعظ المذكور سنة ثمان وخمسمائة بدمشق ونشأ بها وقدم بغداد مرارا وصاهر أبا الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل بن سعد البلنسي الأنصاري الأندلسي على ابنته أم عبد الكريم فاطمة وانتقل قبل وفاته إلى مصر وحدث بها وتوفي يوم الأربعاء ثامن رمضان سنة تسع وتسعين وخمسمائة بمصر وهو المعروف بابن نجية رحمه الله تعالى

531 312 أبو يزيد البسطامي أبو يزيد طيفور بن عيسى بن آدم بن عيسى بن علي البسطامي الزاهد المشهور كان جده مجوسيا ثم أسلم وكان له أخوان زاهدان عابدان أيضا آدم وعلي وكان أبو يزيد أجلهم وسئل أبو يزيد بأي شيء وجدت هذه المعرفة فقال ببطن جائع وبدن عار وقيل لأبي يزيد ما أشد ما لقيته في سبيل الله تعالى فقال لا يمكن وصفه فقيل له ما أهون ما لقيت نفسك منك فقال أما هذا فنعم دعوتها إلى شيء من الطاعات فلم تجبني طوعا فمنعتها الماء سنة وكان يقول لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرتفع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة وله مقالات كثيرة ومجاهدات مشهورة وكرامات ظاهرة وكانت وفاته سنة

إحدى وستين وقيل أربع وستين ومائتين رحمه الله تعالى وطيفور بفتح الطاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وضم الفاء وبعد الواو الساكنة راء والبسطامي بفتح الباء الموحدة وسكون السين المهملة وفتح الطاء المهملة وبعد الألف ميم هذه النسبة إلى بسطام وهي بلدة مشهورة من أعمال قومس ويقال إنها أول بلاد خراسان من جهة العراق والله أعلم & حرف الظاء &

@532@ 532

@533@ 533

@534@ 534

535 313 أبو الأسود الدؤلي ابو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر بن حلس بن نفاثة ابن عدي بن الديل بن بكر الديلي ويقال الدؤلي وفي اسمه ونسبه ونسبته اختلاف كثير كان من سادات التابعين وأعيانهم صحب علي بن أبي طالب رضي الله عنه وشهد معه وقعة صفين وهو بصري وكان من أكمل الرجال رأيا وأسدهم عقلا وهو أول من وضع النحو قيل إن عليا رضي الله عنه وضع له الكلام كله ثلاثة أضرب اسم وفعل وحرف ثم رفعه إليه وقال له تمم على هذا وكان ينزل البصرة في بني قشير وكانوا يرجمونه بالليل لمحبته عليا كرم الله وجهه فإذا ذكر رجمهم قالوا إن الله يرجمك فيقول لهم تكذبون لو رجمني الله لأصابني ولكنكم ترجمون ولا تصيبون وهذا بالعكس مما جرى لأبي الجهم

العدوي فإنه باع داره بمائة ألف درهم ثم قال فبكم تشترون جوار سعيد بن العاص قالوا وهل يشترى جوار قط قال ردوا علي داري ثم خذوا مالكم لا أدع جوار رجل ان قعدت سأل عني وإن رآني رحب بي وإن غبت حفظني وإن شهدت قربني وإن سألته قضى حاجتي وإن لم أسأله بدأني وإن نابتني جائحة فرج عني فبلغ ذلك سعيدا فبعث إليه بمائة ألف درهم

536 وحكى أبو غفر الدؤلي وكان شاعرا قال كنت عند عبد الملك بن مروان إذ دخل عليه أبو الأسود الديلي وكان أحول دميما قبيح المنظر فقال له عبد الملك يا أبا الأسود لو علقت عليك عودة من العين فقال ان لك جوابا يا أمير المؤمنين وأنشد * (افنى الشباب الذي افنيت جدته * كر الجديدين من آت ومنطلق) (لم يتركا لي في طول اختلافهما * شيئا أخاف عليه لذعة الحدق) أما والله لئن كانت أبلتني السنون وأسرعت إلى المنون لما اثبت ذاك إلا في موضعه ولرب يوم كنت فيه إلى الآنسات البيض اشهى منك إليهن وإني اليوم لكما قال امرؤ القيس (أراهن لا يحببن من قل ماله * ولا من رأين الشيب فيه وقوسا) ولقد كنت كما قال أيضا (ورعن إلى صوتي إذا ما سمعنه * كما يرعوي عيط إلى صوت اعيسا) فقال عبد الملك قاتلك الله من شيخ ما اعظم همتك وكان لأبي الأسود من معاوية ناحية حسنة فوعده وعدا أبطأ عليه فقال (لا يكن برقك برقا خلبا * إن خير البرق ما الغيث

معه) (لا تهني بعد إذ أكرمتني * فقبيح عادة منتزعه)
وقيل إنه كان يعلم أولاد زياد بن أبيه وهو والي العراقين يومئذ فجاءه يوما وقال له أصلح الله الأمير إني أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم وتغيرت ألسنتهم أفتأذن لي أن أضع للعرب ما يعرفون أو يقيمون به كلامهم قال لا قال فجاء رجل إلى زياد وقال أصلح الله الأمير توفي أبانا وترك

537 بنون فقال زياد توفي أبانا وترك بنون ادعوا لي أبا الأسود فلما حضر قال ضع للناس الذي نهيتك أن تضع لهم وقيل إنه دخل بيته يوما فقال له بعض بناته يا أبت ما أحسن السماء فقال يا بنية نجومها فقالت له إني لم أرد أي شيء منها أحسن إنما تعجبت من حسنها فقال إذن فقولي ما أحسن السماء وحينئذ وضع النحو وحكى ولده أبو حرب قال أول باب رسم أبي باب التعجب وقيل لأبي الأسود من أين لك هذا العلم يعنون النحو فقال لقنت حدوده من علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقيل إن أبا الأسود المذكور كان لا يخرج شيئا أخذه عن علي بن أبي طالب إلى أحد حتى بعث إليه زياد المذكور أن اعمل شيئا يكون للناس إماما ويعرف به كتاب الله عز وجل فاستعفاه من ذلك حتى سمع أبو الأسود قارئا يقرأ (^ ان الله بريء من المشركين ورسوله) التوبه3&& بالكسر فقال ما ظننت أن أمر الناس آل إلى هذا فرجع إلى زياد فقال أفعل ما أمر به الأمير فليبغني كاتبا لقنا يفعل ما أقول له فأتي بكاتب

من عبد القيس فلم يرضه فأتي بآخر فقال له أبو الأسود إذا
رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه وإن
ضممت فمي فانقط بين يدي الحرف وإن كسرت فاجعل
النقطة من تحت ففعل ذلك وإنما سمي النحو نحوا لأن أبا
الأسود المذكور قال استأذنت علي بن أبي طالب رضي
الله عنه أن أضع نحو ما وضع فسمي لذلك نحوا والله أعلم
وكان لأبي الأسود بالبصرة دار وله جار يتأذى منه في
كل وقت فباع الدار فقيل له بعت دارك فقال بل بعت
جاري فأرسلها مثلا ودخل أبو الأسود يوما على عبيد الله
بن أبي بكرة نفيع بن الحارث بن كلدة الثقفي رضي الله
عنه فرأى عليه جبة رثة كان يكثر لبسها فقال يا أبا الأسود
أما تمل هذه الجبة فقال رب مملوك لا يستطاع فراقه فلما
خرج من عنده بعث إليه مائة ثوب فكان ينشد بعد ذلك
وقيل إن هذه
538   القضية جرت له مع المنذر بن الجارود (
كساني ولم أستكسه فحمدته * أخ لك يعطيك الجزيل
وناصر) (وإن أحق الناس إن كنت شاكرا * بشكرك من
أعطاك والعرض وافر) يروى مملوك بالكاف ومملول
باللام ويروى ناصر بالنون وباصر بالياء ولكل واحد
منهما معنى فمعناه بالنون ظاهر لإنه من النصرة وبالياء
من التعطف والحنو يقال فلان يأصر على فلان إذا كان
يعطف عليه ويحنو وله أشعار كثيرة فمن ذلك قوله (وما
طلب المعيشة بالتمني * ولكن ألق دلوك في الدلاء) (

تجيء بملئها طورا وطورا * تجيء بحمأة وقليل ماء)
ومن شعره أيضا وله ديوان شعر (صبغت أمية بالدماء
أكفنا * وطوت أمية دوننا دنياها) ويحكى أنه أصابه
الفالج فكان يخرج إلى السوق يجر رجله وكان موسرا ذا
عبيد وإماء فقيل له قد أغناك الله عز وجل عن السعي في
حاجاتك فلو جلست في بيتك فقال لا ولكني أخرج وأدخل
فيقول الخادم قد جاء ويقول الصبي قد جاء ولو جلست في
البيت فبالت علي الشاة ما منعها أحد عني وحكى خليفة
بن خياط أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كان عاملا
لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه على البصرة فلما
شخص إلى الحجاز استخلف أبا الأسود عليها فلم يزل
حتى قتل علي رضي الله عنه وكان أبو الأسود معروفا
بالبخل وكان يقول لو أطعنا المساكين في أموالنا
539 لكنا أسوأ حالا منهم وقال لبنيه لا تجاودوا الله
عز وجل فإنه أجود وأمجد ولو شاء أن يوسع على الناس
كلهم لفعل فلا تجهدوا أنفسكم في التوسع فتهلكوا هزالا
وسمع رجلا يقول من يعشي الجائع فقال علي به فعشاه ثم
ذهب ليخرج فقال أين تريد قال أهلي قال هيهات ما
عشيتك إلا على أن لا تؤذي المسلمين الليلة ثم وضع في
رجله القيد حتى أصبح وتوفي أبو الأسود بالبصرة سنة
تسع وستين في طاعون الجارف وعمره خمس وثمانون
سنة رضي الله عنه وقيل إنه مات قبل الطاعون بعلة الفالج
وقيل إنه توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله

عنه وتولى عمر الخلافة في صفر سنة تسع وتسعين للهجرة وتوفي في رجب سنة إحدى ومائة بدير سمعان رضي الله عنه وقيل لأبي الأسود عند الموت أبشر بالمغفرة فقال وأين الحياء مما كانت له المغفرة والديلي بكسر الدال المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام والدؤلي بضم الدال المهملة وفتح الهمزة وبعدها لام هذه النسبة إلى الدئل بكسر الهمزة وهي قبيلة من كنانة وإنما فتحت الهمزة في النسبة لئلا تتوالى الكسرات كما قالوا في النسبة إلى نمرة نمري بالفتح وهي قاعدة مطردة والدئل اسم دابة بين ابن عرس والثعلب وحلس بكسر الحاء المهملة وسكون اللام وبعدها سين مهملة هكذا ذكره الوزير أبو القاسم المغربي في كتاب الإيناس وهو مما يحرف كثيرا فقد وجدت فيه اختلافا وهذا الأصح

540 314 ظافر الحداد أبو المنصور ظافر بن القاسم بن منصور بن عبد الله بن خلف بن عبد الغني الجذامي الإسكندراني المعروف بالحداد الشاعر المشهور كان من الشعراء المجيدين وله ديوان شعر أكثره جيد ومدح جماعة من المصريين وروى عنه الحافظ أبو طاهر السلفي وغيره من الأعيان ومن مشهور شعره قوله (لو كان بالصبر الجميل ملاذه * ما سح وابل دمعه ورذاذه) (ما زال جيش الحب يغزو قلبه * حتى وهى وتقطعت أفلاذه) (لم يبق فيه مع الغرام بقية * إلا رسيس يحتويه جذاذه) (من كان يرغب في السلامة فليكن * أبدا من

الحدق المراض عياذه) (لا تخدعنك بالفتور فإنه * نظر
يضر بقلبك استلذاذه) (يا أيها الرشأ الذي من طرفه *
سهم إلى حب القلوب نفاذه) (در يلوح بفيك من نظامه *
خمر يجول عليه من نباذه) (وقناة ذاك القد كيف تقومت
* وسنان ذاك اللحظ ما فولاذه) (رفقا بجسمك لا يذوب
فإنني * أخشى بأن يجفو عليه لاذه) (هاروت يعجز عن
مواقع سحره * وهو الإمام فمن ترى أستاذه)
541 (تالله ما علقت محاسنك امرءا * إلا وعز
على الورى استنقاذه) (أغريت حبك بالقلوب فأذعنت *
طوعا وقد أودى بها استحواذه) (ما لي أتيت الحظ من
أبوابه * جهدي فدام نفوره ولواذه) (إياك من طمع
المنى فعزيزه * كذليله وغنيه شحاذه) منها (ذالية ابن
دريد استهوى بها * قوما غداة نبت به بغداذه) (دانوا
لزخرف قوله فتفرقت * طمعا بهم صرعاه أو جذاذه) (
من قدر الرزق السني لك انما * قد كان ليس يضره إنفاذه
) وهذه القصيدة من غرر القصائد والعجب أني رأيت
صاحبنا عماد الدين أبا المجد إسماعيل المعروف بابن
باطيش الموصلي قد ذكر هذه الأبيات في كتابه المغني
الذي وضعه على كتاب المهذب في الفقه وفسر فيه غريبه
وتكلم على أسماء رجاله فلما انتهى إلى ذكر أبي بكر
محمد بن الحداد المصري الفقيه الشافعي وشرح طرفا من
حاله قال بعد ذلك وكان مليح الشعر أنشدني بعض الفقهاء
أبياتا من قصيدة عزاها إليه وذكر بعض هذه الأبيات

المكتتبة هاهنا وما أوقعه في هذا إلا كون ظافر يعرف بالحداد والفقيه ابن الحداد فجمعتهما لفظة الحداد فمن هاهنا حصل الالتباس ومن شعره أيضا (رحلوا فلولا أنني * أرجو الإياب قضيت نحبي) (والله ما فارقتهم * لكنني فارقت قلبي)

542 74 وذكر العماد الكاتب في الخريدة هذين البيتين للعيني ثم قال كان العيني من الأجناد الأكياس مذكورا بالباس وتوفي سنة ست وأربعين وخمسمائة والصحيح أنهما لظافر الحداد وذكرهما في الخريدة في ترجمة ظافر الحداد أيضا وله من جملة قصيد (يذم المحبون الرقيب وليت لي * من الوصل ما يخشى عليه رقيب) وكانت وفاته بمصر في المحرم سنة تسع وعشرين وخمسمائة وقد تقدم الكلام على الجذامي وله أيضا من الشعر في كرسي النسخ (انظر بعينك في بديع صنائعي * وعجيب تركيبي وحكمة صانعي) (فكأنني كفا محب شبكت * يوم الفراق أصابعا بأصابع) وذكره علي بن ظافر بن منصور في كتاب بدائع البدائة وأثنى عليه وأورد فيه عن القاضي أبي عبد الله محمد بن الحسين الآمدي النائب كان في الحكم بثغر الاسكندرية المحروس قال دخلت على الأمير السعيد بن ظفر أيام ولايته للثغر فوجدته يقطر دهنا على خنصره فسألته عن سببه فذكر ضيق خاتمه عليه وأنه ورم بسببه فقلت له الرأي قطع حلقته قبل أن يتفاقم الأمر فيه فقال اختر من يصلح لذلك

فاستدعيت أبا المنصور ظافر بن القاسم الحداد المذكور فقطع الحلقة وأنشد بديها
543 (قصر عن أوصافك العالم * وكثر الناثر والناظم) (من يكن البحر له راحة * يضيق عن خنصره الخاتم) فاستحسنه الأمير ووهب له الحلقة وكانت من ذهب وكان بين يدي الأمير غزال مستأنس وقد ربض وجعل رأسه في حجره فقال ظافر بديها (عجبت لجرأة هذا الغزال * وأمر تخطى له واعتمد) (وأعجب به إذ بدا جائما * وكيف اطمأن وأنت الأسد) فزاد الأمير والحاضرون في الاستحسان وتأمل ظافر شيئا كان على باب المجلس يمنع الطير من دخولها فقال (رأيت ببابك هذا المنيف * شباكا فأدركني بعض شك) (وفكر فيما رأى خاطري * فقلت البحار مكان الشبك) ثم انصرف وتركنا متعجبين من حسن بديهته رحمه الله تعالى وغفر له
3 ج*1*
& حرف العين & 7@
@8@ 8
9 315 عاصم المقرىء أبو بكر عاصم بن أبي النجود بهدلة مولى بني جذيمة بن مالك بن نصر ابن قعين بن أسد كان أحد القراء السبعة والمشار إليه في القراءات أخذ القراءة عن أبي عبد الرحمن السلمي وزر بن حبيش وأخذ عنه أبو بكر ابن عياش وأبو عمر البزار واختلفوا اختلافا شديدا في حروف كثيرة وتوفي عاصم في سنة

سبع وعشرين ومائة رحمه الله تعالى بالكوفة والنجود بفتح النون وضم الجيم وسكون الواو وبعدها دال مهملة وهي الحمارة الوحشية التي لا تحمل وقيل هي المشرفة وبهدلة بفتح الباء الموحدة وسكون الهاء وفتح الدال المهملة واللام وبعدها هاء ساكنة ويقال إنه اسم أمة

10 316 أبو بردة ابن أبي موسى الأشعري أبو بردة عامر بن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري كان أبوه صاحب رسول الله قدم عليه من اليمن في الأشعريين فأسلموا وأبو بردة كان قاضيا على الكوفة وليها بعد القاضي شريح هكذا ذكره محمد ابن سعد في كتاب الطبقات وله مكارم ومآثر مشهورة وكان أبو موسى تزوج في عمله على البصرة طنية بنت دمون وكان أبوها رجلاً من أهل الطائف فولدت له أبا بردة فاسترضع له في بني فقيم في آل الغرق وسماه أبو موسى عامراً فلما شب كساه أبو شيخ ابن الغرق بردتين وغدا له به أبيه فكناه أبا بردة فذهب اسمه . 75 وكان ولده بلال قاضيا علىالبصرة وهم الذين يقال في حقهم ثلاثة قضاة في نسق فإن أبا موسى رضي الله عنه قضى لعمر رضي الله عنه بالبصرة ثم قضى بالكوفة في زمن عثمان رضي الله عنه . وبلال المذكور هو ممدوح ذي الرمة وله فيه غر المدائح وفيه يقول مخاطبا لناقته (إذا ابن أبي موسى بلال بلغته * فقام بفأس بين وصليك جازر)

11 وفيه يقول أيضا (سمعت الناس ينتجعون غيثا * فقلت لصيدح انتجعي بلالا) وصيدح اسم ناقته وهو بفتح الصاد المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الدال المهملة وبعدها حاء مهملة وكان بلال أحد نواب خالد بن عبد الله القسري المقدم ذكره في حرف الخاء فلما عزل وولي موضعه يوسف بن عمر الثقفي على العراقين حاسب خالدا ونوابه وعذبهم فمات خالد من عذابه ومات بلال من عذابه أيضا ورأيت في بعض المجاميع أن أبا بردة جلس يوما يفتخر بأبيه ويذكر فضائله وصحبته لرسول الله وكان في مجلس عام وفيه الفرزدق الشاعر فلما أطال القول في ذلك أراد الفرزدق أن يغض منه فقال لو لم تكن لأبي موسمنقبة إلا أنه حجم رسول الله لكفاه فامتعض أبو بردة من ذلك ثم قال صدقت لكنه ما حجم أحدا قبله ولا بعده فقال الفرزدق كان أبو موسى والله أفضل من أن يجرب الحجامة في رسول الله فسكت أبو بردة على غيظ وحكى غرس النعمة بن الصابىء في بعض تصانيفه أن أبا صفوان خالد ابن صفوان التميمي المشهور بالبلاغة كان يدخل على بلال بن أبي بردة المذكور فيحدثه فيلحن في كلامه فلما كثر ذلك على بلال قال له يا خالد تحدثني أحاديث الخلفاء وتلحن لحن السقاءات يعني النساء اللواتي يسقين الماء للناس فصار خالد بعد ذلك يأتي المسجد ويتعلم الإعراب وكف بصره فكان إذا مر به موكب بلال يقول من هذا فيقال الأمير

فيقول خالد سحابة صيف عن قليل تقشع فقيل ذلك لبلال
فقال لا تقشع والله حتى يصيبك منها
12 شؤبوب وأمر به فضرب مائتي سوط 76 وكان
خالد كثير الهفوات لا يتأمل ما يقول ولا يفكر فيه وهو من
ذرية عمرو بن الأهتم التميمي الصحابي رضي الله عنه
فإنه خالد بن صفوان ابن عبد الله بن عمرو بن الأهتم بن
سمي بن سنان بن خالد بن منقر التميمي المنقري واسم
الأهتم سنان وإنما قيل له الأهتم لأن قيس بن عاصم
المنقري ضربه بقوس فهتم ثناياه وقيل بل هتمت يوم
الكلاب والله أعلم وشبيب بن شيبة ابن عم خالد المذكور
وكانت وفاة أبي بردة المذكور في سنة ثلاث ومائة بالكوفة
وقيل سنة أربع وقيل سنة ست أو سبع ومائة وقال ابن
سعد مات أبو بردة والشعبي في سنة ثلاث ومائة في جمعة
واحدة رحمهما الله تعالى وسيأتي الكلام على الأشعري
في ترجمة أبي الحسن إن شاء الله تعالى 317 الشعبي أبو
عمرو عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار وذو كبار
قيل من أقيال اليمن الشعبي وهو من حمير وعداده في
همدان وهو كوفي تابعي جليل القدر وافر العلم روي أن
ابن عمر رضي الله عنه مر به يوما وهو يحدث
13 بالمغازي فقال شهدت القوم وإنه أعلم بها مني
وقال الزهري العلماء أربعة ابن المسيب بالمدينة والشعبي
بالكوفة والحسن البصري بالبصرة ومكحول بالشام ويقال
إنه أدرك خمسمائة من أصحاب رسول الله . وحكى

الشعبي قال أنفذني عبد الملك بن مروان إلى ملك الروم فلما وصلت إليه جعل لا يسألني عن شيء إلا أجبته وكانت الرسل لا تطيل الإقامة عنده فحبسني أياما كثيرة حتى استحثثت خروجي فلما أردت الانصراف قال لي من أهل بيت المملكة أنت فقلت لا ولكني رجل من العرب في الجملة فهمس بشيء فدفعت إليّ رقعة وقال لي إذا أديت الرسائل إلى صاحبك فأوصل إليه هذه الرقعة قال فأديت الرسائل عند وصولي إلى عبد الملك وأنسيت الرقعة فلما صرت في بعض الدار أريد الخروج تذكرتها فرجعت فأوصلتها إليه فلما قرأها قال لي أقال لك شيئا قبل أن يدفعها إليك قلت نعم قال لي من أهل بيت المملكة أنت قلت لا ولكني من العرب في الجملة ثم خرجت من عنده فلما بلغت الباب رددت فلما مثلت بين يديه قال لي أتدري ما في الرقعة قلت لا قال اقرأها فقرأتها فإذا فيها عجبت من قوم فيهم مثل هذا كيف ملكوا غيره فقلت له والله لو علمت ما حملتها وإنما قال هذا لأنه لم يرك قال أفتدري لم كتبها قلت لا قال حسدني عليك وأراد أن يغريني بقتلك قال فتأدى ذلك إلى ملك الروم فقال : ما أردت إلا ما قال .
ولما حمل الشعبي إلى عبد الملك ونادمه قال له يا شعبي لا تساعدني على قبح ولا ترد علي الخطأ في مجلسي ولا تكلفني جواب التشميت ولا جواب السؤال والتعزية ودع عنك كيف أصبح الأمير وكيف أمسى واجعل بدل التعريض لي صواب الاستماع مني واعلم أن صواب

الاستماع أولى من صواب القول وإذا سمعتني أتحدث فلا يفتك منه شيء وارعني فهمك وسمعك ولا تجهد نفسك في تطرية سواي ولا تستدع بذلك الزيادة من كلامي فإن
14 اسوأ الناس حالا من شكر الملوك بالباطل وأسوأ حالا منه من استخف بحقهم واعلم يا شعبي أن أقل من هذا يذهب بمالف الإحسان ويسقط حق الحرمة وان الصمت في موضعه وعند إصابته فرصة . وكان أعرابي يجالس الشعبي ويطيل الصمت فقال له الشعبي يوما ألا تتكلم فقال أسكت فأسلم وأسمع فأعلم إن حظ المرء في أذنه له وفي لسانه لغيره . وقال رجل للشعبي كلاما أقذع فيه فقال له ان كنت صادقا غفر الله لي وإن كنت كاذبا غفر الله لك . وسئل الشعبي عن الرجل يعسر عن الأضحية ولا يجد ما يشتري فقال لأن اتركها وأنا موسر أحب إلي من أن اتكلفها وأنا معسر . وقال الشعبي كانت درة عمر رضي الله عنه أهيب من سيف الحجاج وقال أيضا من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها . وأحضر الشعبي بين يدي الحجاج وكان قد خرج مع ابن الأشعث فسلم على الحجاج بالإمرة ثم قال أيها الأمير إن الناس قد أمروني أن أعتذر إليك لغير ما يعلم الله انه الحق وايم الله لا أقول في هذا المقام إلا حقا قد والله خرجنا عليك وجهدنا كل الجهد فما كنا بالفجرة الأقوياء ولا البررة الأتقياء وقد نصرك الله علينا وأظفرك بنا فإن سطوت فبذنوبنا وما جرت إلينا أيدينا وان عفوت عنا فبحلمك وبعد فالحجة لك علينا فقال

الحجاج أنت والله أحب إلي ممن يدخل علي يقطر سيفه من دمائنا ثم يقول ما فعلت وما شهدت قد أمنت عندنا يا شعبي فانصرف . وقال له الحجاج يا شعبي ما كان عبد الرحمن يزجر حين رآني نزلت دير قرة ونزل هو دير الجماجم محاربا وكان أبدا يقول هذا الكلام على سبيل الفأل والزجر .

15 وكلم الشعبي عمر بن هبيرة الفزاري أمير العراقين في قوم حبسهم ليطلقهم فأبى فقال له أيها الأمير إن حبستهم بالباطل فالحق يخرجهم وإن حبستهم بالحق فالعفو يسعهم فأطلقهم . وكان ضئيلا نحيفا فقيل له يوما ما لنا نراك ضئيلا فقال زوحمت في الرحم وكان قد ولد هو وأخ آخر في بطن وأقام في البطن سنتين ذكره في كتاب المعارف ويقال إن الحجاج بن يوسف الثقفي قال له يوما كم عطاءك في السنة فقال ألفين فقال ويحك كم عطاؤك فقال ألفان قال كيف لحنت أولا قال لحن الأمير فلحنت فلما أعرب أعربت وما أمكن أن يلحن الأمير وأعرب أنا فاستحسن ذلك منه وأجازه . وكان مزاحا يحكى أن رجلا دخل عليه ومعه امرأة في البيت فقال أيكما الشعبي فقال هذه . وكانت ولادته لست سنين خلت من خلافة عثمان رضي الله عنه وقيل سنة عشرين للهجرة وقيل إحدى وثلاثين وروي عنه أنه قال ولدت سنة جلولاء وهي سنة تسع عشرة وقال قتادة ولد الشعبي لأربع سنين بقين من خلافة عمر رضي الله عنه وقال خليفة بن خياط

ولد الشعبي والحسن البصري في سنة إحدى وعشرين وقال الأصمعي في سنة سبع عشرة بالكوفة وتوفي بالكوفة سنة أربع وقيل ثلاث وقيل ست وقيل سبع وقيل خمس ومائة وكانت وفاته فجأة وكانت أمه من سبي جلولاء رضي الله عنه . وشراحيل بفتح الشين المعجمة والراء وبعد الألف حاء مهملة مكسورة ثم ياء ساكنة مثناة من تحتها وبعدها لام . والشعبي بفتح الشين المعجمة وسكون العين المهملة وبعدها باء موحدة هذه النسبة إلى شعب وهو بطن من همدان وقال الجوهري هذه النسبة إلى جبل باليمن نزله حسان بن عمرو الحميري هو وولده ودفن به وهو ذو شعبين فمن كان بالكوفة منهم قيل لهم شعبيون ومن كان منهم بمصر

16 والمغرب قيل لهم الأشعوب ومن كان منهم بالشام قيل لهم شعبانيون ومن كان باليمن قيل لهم آل ذي شعبين . وجلولاء بفتح الجيم وضم اللام ومد آخره قرية بناحية فارس كانت بها الوقعة المشهورة زمن الصحابة رضي الله عنهم . وكان كثيرا يتمثل بقول مسكين الدارمي (ليست الأحلام في حال الرضى * إنما الأحلام في وقت الغضب) 318 أم المؤمنين عائشة أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها وعن والدها تزوجها رسول الله بمكة شرفها الله تعالى قبل الهجرة بثلاث سنين وقيل انه تزوجها قبل سودة زوجه إياها أبوها فأصدقها مثلما أصدق سودة وكان لها يوم تزوجها ست

سنين وما تزوج بكرا سواها وقبض وهي بنت ثماني عشرة سنة وماتت في خلافة معاوية سنة ثمان وخمسين ولها سبع وستون سنة ودفنت بالبقيع ولما ماتت بكى عليها ابن عمر رضي الله عنه فبلغ ذلك معاوية فقال له أتبكي على امرأة فقال إنما يبكي على أم المؤمنين بنوها وأما من ليس لها بابن فلا . وقال المبرد قالت عائشة رضي الله عنها لما أمر الله نبيه

17 أن يخيّرنساءه قال لي أتختارين الله ورسوله والدار الآخرة أو الحياة الدنيا وزينتها قلت الله ورسوله أحب إلي والدار الآخرة ثم قلت له أخبرت أحدا قبلي قال لا قلت لا تخبرهن فقال إن الله بعثني نذيرا ولم يبعثني معنتا ولا متعنتا . وبلغ عائشة رضي الله عنها أن أناسا يسبون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فقالت إن الله قطع عنهما العمل فأحب أن لا يقطع عنهما الأجر . وقيل لعائشة رضي الله عنها متى يكون الرجل مسيئا فقالت إذا ظن أنه محسن . قال مسلم بن دارة ما زلت أستجفي عائشة رضي الله عنها في قولها لرسول الله بمنة الله لا بمنتك حتى سألت أبا زرعة الرازي فقال وآت الحمد أهله . وقالت عائشة رضي الله عنها للخنساء كم تبكين على صخر وإنما هو جمرة في النار قالت ذاك أشد لجزعي عليه . وسئلت عائشة رضي الله عنها هل كان رسول الله يمزح قالت نعم كان عندي عجوز فدخل رسول الله فقالت ادع الله أن يجعلني من أهل الجنة قال إن الجنة لا يدخلها

العجائز وسمع النداء فخرج وهي تبكي فقال ما لها قالوا إنك حدثتها أن الجنة لا يدخلها العجائز قال أن الله سبحانه وتعالى يحولهن أبكارا عربا أترابا . وكان عند عائشة رضي الله عنها طبق عنب فجاء سائل فدفعت إليه واحدة منه فضحك نساء كن فقالت إن فيما ترون مثاقيل ألذ كثيرة . وقيل وقعت بين حيين من قريش منازعة فخرجت عائشة على بغلة تصلح بينهما فلقيها ابن أبي عتيق فقال إلى اين جعلت فداك فقالت أصلح بين هذين الحيين فقال والله ما غسلنا رؤوسنا من يوم الجمل بعد فكيف إذا قيل يوم البغل فضحكت وانصرفت . ومثل هذه النادرة أرسل القاضي شرف الدين بن عين الدولة الشرف ابن
18 منهال موقعه إلى الحسام بن منقذ بسبب شهادة شهدها على ابن الجمل أن يتثبت منها ويتحققها قبل أدائها ثم قال في أثناء ذلك قل له نوبة الجمل ما كانت قليل .
وكانت عائشة رضي الله عنها خرجت من المدينة حاجة وعثمان محصور ثم صدرت عن الحج فلما كانت بسرف وهو موضع قبر ميمونة زوج رسول الله لقيها الخبر بقتل عثمان وبيعة علي فانصرفت راجعة إلى مكة ولحق بها طلحة والزبير ومروان بن الحكم فلما تتامّوا بمكة تشاوروا فيما يريدون من الطلب بدم عثمان وهموا بالشام لمكان معاوية فصرفهم عبد الله ابن عامر عن ذلك إلى البصرة فتوجهوا إليها فأخذوا عثمان بن حنيف عامل علي بها فهموا بقتله فناشدهم الله وذكرهم صحبته لرسوا الله فأشير

بضربه أسواطا فضربوه ونتفوا لحيته ورأسه حتى حاجبيه وأشفار عينيه ثم حبسوه وقتلوا خمسين رجلا كانوا معه على بيت المال وغير ذلك من أعماله فلما بلغ عليا مسيرهم خرج مبادرا إليهم واستنفر أهل الكوفة ثم سار بهم إلى البصرة وهم بضعة عشر ألفا فخرج إليه طلحة والزبير وعائشة وأهل البصرة فاقتتلوا قتالا شديدا قال عبد الله بن الزبير أمسيت يوم الجمل وفي سبع وثلاثون جراحة من طعنة وضربة وما رأيت مثل يوم الجمل قط لا يهزم منا أحد ولا منهم وما أخذ خطام الجمل أحد إلا قتل فأخذت بالخطام فقالت عائشة من قلت ابن الزبير قالت واثكل أسماء ومر بي الأشتر فعرفته فعانقته وناديت اقتلوني ومالكا فجاء ناس منا ومنهم فقاتلوا حتى تحاجزنا وضاع مني الخطام فسمعت عليا ينادي اعقروا الجمل فإنه إن عقر تفرقوا فضربه رجل فسقط فما سمعت قط أشد عجيجا منه ثم أمر علي رضي الله عنه بحمل الهودج من بين القتلى وقد كان القعقاع وزفر بن الحارث انزلاه عن ظهر البعير فوضعاه إلى جنب البعير فأقبل محمد بن أبي بكر ومعه عمار حتى احتملاه وأدخل محمد بن أبي بكر يده فقال يا أخية قولي بنار الدنيا فقالت بنار الدنيا .

19 وقيل إن طلحة أصابه سهم فشك ركبته بصفحة الفرس وسال دمه فضعف فقال يا غلام ابغني مكانا فمات قبل أن يصل إلى الموضع الذي أمر أن يحمل إليه ورجع الزبير فقتل بوادي السباع قتله عمرو بن جرموز وعاد

بسيفه إلى علي فلما رآه قال إنه لسيف طالما جلا عن رسول الله الكرب سمعت رسول الله يقول بشر قاتل ابن صفية بالنار واحيط بعائشة رضي الله عنها ودخل علي البصرة بمن معه فبايعه أهلها وأطلق عثمان بن حنيف وجهز عائشة رضي الله عنها وأمر أخاها محمدا بالخروج معها وخرج في تشييعها أميالا وسرح بنيه معها يوما وقيل إن أهل المدينة علموا بيوم الجمل يوم الخميس قبل أن تغرب الشمس وفيه كان القتال وذلك أن نسرا مر بماء حول المدينة معه شيء معلق فتأمله الناس فوقع فإذا كف فيها خاتم نقشه عبد الرحمن بن عتاب ثم كان من بين مكة والمدينة ممن قرب من البصرة أو بعد قد علموا بالوقعة مما تنقل إليهم النسور من الأيدي والأقدام ويقال ان عدة المقتولين من أصحاب الجمل ثمانية آلاف وقيل سبعة عشر ألفا وذكر أنه قطع على خطام الجمل سبعون يدا كلهم من بني ضبة كلما قطعت يد رجل تقدم آخر وقتل من أصحاب علي رضي الله عنه نحو ألف .

20 319 العباس بن الأحنف أبو الفضل العباس بن الأحنف بن الأسود بن طلحة بن جرادن بن كلدة ابن خريم بن شهاب بن سالم بن حية بن كليب بن عبد الله بن عدي بن حنيفة بن لجيم الحنفي اليمامي الشاعر المشهور كان رقيق الحاشية لطيف الطباع جميع شعره في الغزل لا يوجد في ديوان مديح ومن رقيق شعره قوله من جملة قصيدة (يا أيها الرجل المعذب نفسه * أقْصِر فإن شفاءك

الإقصار) (نزف البكاء دموع عينك فاستعر * عينا
يعينك دمعها المدرار) (من ذا يعيرك عينه تبكي بها *
أرأيت عينا للبكاء تعار) ذكر أبو علي القالي في كتاب
الأمالي قال قال بشار بن برد ما زال غلام من بني حنيفة
يدخل نفسه فينا ويخرجها منا حتى قال هذه الأبيات . ومن
شعره أيضا من جملة أبيات وينسبان إلى بشار بن برد
أيضا والله أعلم (أبكي الذين أذاقوني مودتهم * حتى إذا
أيقظوني للهوى رقدوا)
21 واستنهضوني فلما قمت منتصبا * بثقل ما
حملوني منهم قعدوا) ويحكى أن الرشيد كان يهوى
جاريته ماردة هوى شديدا فتغاضبا مرة ودام بينهما
الغضب فامر جعفر البرمكي العباس بن الأحنف أن يعمل
في ذلك شيئا فعمل (راجع أحبتك الذين هجرتهم * إذ
المتيم قلما يتجنب) (إن التجانب إن تطاول منكما * دب
السلو له ففر المطلب) وأمر إبراهيم الموصلي فغنى بهما
فلما سمعه الرشيد بادر إلى ماردة فترضاها فسألت عن
السبب في ذلك فقيل لها فأمرت لكل واحد من العباس
وإبراهيم بعشرة آلاف درهم وأمرت الرشيد أن يكافئهما
فأمر لها بأربعين ألف درهم . وله أيضا (تعب يطول مع
الرجاء لذي الهوى * خير له من راحة في الياس) (لولا
محبتكم لما عاتبتكم * ولكنتم عندي كبعض الناس) وله
أيضا (وحدثتني يا سعد عنها فزدتني * جنونا فزدني من
حديثك يا سعد) (هواها هوى لم يعرف القلب غيره *

فليس له قبل وليس له بعد) وله أيضا (إذا انت لم
تعطفك إلا شفاعة * فلا خير في ود يكون بشافع) (
فأقسم ما تركي عتابك عن قلى * ولكن لعلمي أنه غير
نافع) (وإني إذا لم ألزم الصبر طائعا * فلا بد منه
مكرها غير طائع)

22 قيل انه أنشد الرشيد يوما قوله (طاف الهوى
في عباد الله كلهم * حتى إذا مر بي من بينهم وقفا) قال
له الرشيد ما الذي رأى فيك حتى وقف عليك قال سألني
عن جود أمير المؤمنين فأخبرته فاستحسن الرشيد جوابه
ووصله . قيل إن الرشيد عمل في الليل بيتا ورام أن
يشفعه بآخر فامتنع القول عليه فقال علي بالعباس فلما
طرق عليه ذعر وفزع أهله فلما وقف بين يدي الرشيد قال
له وجهت إليك بسبب بيت قلته ورمت أن أشفعه بمثله
فامتنع القول علي فقال يا أمير المؤمنين دعني حتى ترجع
إلي نفسي فإني تركت عيالي على حال من القلق عظيمة
ونالني من الخوف ما يتجاوز الحد والوصف فانتظر هنيهة
ثم أنشده (جنان قد رأيناها * ولم نر مثلها بشرا) فقال
العباس بن الأحنف (يزيدك وجهها حسنا * إذا ما زدته
نظرا) فقال زدني فقال (إذا ما الليل سال عليك *
بالإظلام واعتكرا) (ودج فلم تر قمرا * فأبرزها تر
قمرا) فقال له الرشيد قد ذعرناك وأفزعنا عيالك وأقل
الواجب أن نعطيك ديتك وأمر له بعشرة آلاف درهم . وله

أعني الرشيد (إن تشق عيني بها فقد سعدت * عينا رسولي وفزت بالخبر)
23 (وكلما جاءني الرسول لها * رددت عمدا في عينه نظري) (خذ مقلتي يا رسول عارية * فانظر بها واحتكم على بصري) وأخذ المأمون هذا المعنى بعينه فقال (بعثتك مرتادا ففزت بنظرة * وأغفلتني حتى أسأت بك الظنا) (فناجيت من أهوى وكنت مباعدا * فيا ليت شعري عن دنوك ما أغنى) (أرى أثرا منها بعينك بينا * لقد أخذت عيناك من عينها حسنا) وللعباس أيضا (أغيب عنك بود لا يغيره * نأي المحل ولا صرف من الزمن) (فإن أعش فلعل الدهر يجمعنا * وإن أمت فبطول الهم والحزن) (قد حسن الحب في عيني ما صنعت * حتى أرى حسنا ما ليس بالحسن) (تعتل بالشغل عنا لا تكلمنا * الشغل للقلب ليس الشغل للبدن) قال الزبير بن بكار لا أعلم شيئا من أمور الدنيا خيرها وشرها إلا وهو يصلح أن يتمثل فيه بنصف هذا البيت الأخير . وله أيضا (قد كنت أبكي وأنت راضية * حذار هذا الصدود والغضب) (إن تم ذا الهجر يا ظلوم ولا * تم فما لي في العيش من أرب) وله أيضا (أحرم منكم بما أقول وقد * نال به العاشقون من عشقوا) (صرت كأني ذبالة نصبت * تضيء للناس وهي تحترق)
24 قال الرياشي لو لم يقل من الشعر إلا هذين البيتين لكفياه . وقال أبو بكر الصولي كنت عند القاسم بن

إسماعيل فقال انشدني عمك إبراهيم بن العباس لخاله العباس بن الأحنف (قد سحب الناس أذيال الظنون بنا * وفرق الناس فينا قولهم فرقا) (فكاذب قد رمى بالظن غيركم * وصادق ليس يدري أنه صدقا) قال عبد الله بن المعتز لو قيل لي ما أحسن شيء تعرفه لقلت بيتا العباس بن الأحنف وأنشد هذين البيتين وله أيضا (اليوم آخر أيام السرور به * واليوم أول يوم فيه أكتئب) (ما كنت أحسب أن الحزن ينزل بي * بعد السرور فقد جاءت به العقب) وله أيضا (خيالك حين أرقد نصب عيني * إلى وقت انتباهي لا يزول) (وليس يزورني صلة ولكن * حديث النفس عنك به الوصول) وله أيضا (يا ذا الذي أنكرني طرفه * إن ذاب جسمي وعلاني الشحوب) (ما مسني ضر ولكنني * جفوت نفسي إذ جفاني الحبيب) وله يضا أرى الطريق قريبا حين أسلكه * إلى الحبيب بعيدا حين أنصرف)

25 وشعره كله جيد وهو خال إبراهيم بن العباس الصولي وقد تقدم ذكر ذلك في ترجمته في حرف الهمزة وتوفي سنة اثنتين وتسعين ومائة ببغداد وحكى عمر بن شبة قال مات إبراهيم الموصلي المعروف بالنديم سنة ثمان وثمانين ومائة ومات في ذلك اليوم الكسائي النحوي والعباس بن الأحنف وهشيمة الخمارة فرفع ذلك إلى الرشيد فأمر المأمون أن يصلي عليهم فخرج فصفوا بين يديه فقال من هذا الأول فقالوا إبراهيم الموصلي فقال

أخروه وقدموا العباس بن الأحنف فقدم فصلى عليه فلما فرغ وانصرف دنا منه هاشم بن عبد الله بن مالك الخزاعي فقال يا سيدي كيف آثرت العباس بن الأحنف بالتقدمة على من حضر فأنشد (وسعى بها ناس فقالوا إنها * لهي التي تشقى بها وتكابد) (فجحدتهم ليكون غيرك ظنهم * إني ليعجبني المحب الجاحد) ثم قال أتحفظهما فقلت نعم وأنشدته فقال لي المأمون أليس من قال هذا الشعر أولى بالتقدمة فقلت بلى والله يا سيدي قلت وهذه الحكاية تخالف ما يأتي في ترجمة الكسائي لأنه مات بالري على الخلاف في تاريخ وفاته وقيل إن العباس توفي سنة اثنتين وتسعين ومائة وقال أبو بكر الصولي حدثني عون بن محمد قال حدثني أبي قال رأيت العباس بن الأحنف ببغداد بعد موت الرشيد وكان منزله بباب الشام وكان لي صديقا ومات وسنة أقل من ستين سنة قالل الصولي وهذا يدل على أنه مات بعد سنة اثنتين وتسعين لأن الرشيد مات ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة بمدينة طوس وكانت وفاة الأحنف والد العباس المذكور سنة خمسين ومائة ودفن بالبصرة رحمه الله تعالى

26 وحكى المسعودي في كتاب مروج الذهب عن جماعة من أهل البصرة قالوا خرجنا نريد الحج فلما كنا ببعض الطريق إذا غلام واقف على المحجة وهو ينادي أيها الناس هل فيكم أحد من أهل البصرة قال فعدلنا إليه

وقلنا له ما تريد قال إن مولاي لما به يريد أن يوصيكم
فملنا معه فإذا بشخص ملقى على بعد من الطريق تحت
شجرة لا يحير جوابا فجلسنا حوله فأحس بنا فرفع طرفه
وهو لا يكاد يرفعه ضعفا وأنشأ يقول (يا غريب الدار
عن وطنه * مفردا يبكي على شجنه) (كلما جد البكاء به
* دبت الأسقام في بدنه) ثم أغمي عليه طويلا ونحن
جلوس حوله إذ أقبل طائر فوقع على أعلى الشجرة وجعل
يغرد ففتح عينيه وجعل يسمع تغريد الطائر ثم أنشأ الفتى
يقول (ولقد زاد الفؤاد شجى * طائر يبكي على فننه) (
شفه ما شفني فبكى * كلنا يبكي على سكنه) قال ثم تنفس
تنفسا فاضت نفسه منه فلم نبرح من عنده حتى غسلناه
وكفناه وتولينا الصلاة عليه فلما فرغنا من دفنه سألنا
الغلام عنه فقال هذا العباس بن الأحنف رحمه الله تعالى
والله أعلم أي ذلك كان والحنفي بفتح الحاء المهملة والنون
وبعدها فاء هذه النسبة إلى بني حنيفة ابن لجيم بن صعب
بن علي بن بكر بن وائل وهي قبيلة كبيرة مشهورة واسم
حنيفة أثال بضم الهمزة وبعدها ثاء مثلثة وبعد الألف لام
وإنما قيل له حنيفة لأنه جرى بينه وبين الأحزن بن عوف
العبدي مفاوضة في قصة يطول شرحها فضرب حنيفة
الأحزن المذكور بالسيف فجذمه فسمي جذيمة وضرب
27 الأحزن حنيفة على رجله فحنفها فسمي حنيفة
وحنيفة أخو عجل واليمامي بفتح الياء المثناة من تحتها
والميم وبعد الألف ميم ثانية هذه النسبة إلى اليمامة وهي

بلدة بالحجاز في البادية أكثر أهلها بنو حنيفة وبها تنبأ مسيلمة الكذاب وقتل وقصته مشهورة 320 الرياشي أبو الفضل العباس بن الفرج الرياشي النحوي اللغوي البصري كان عالما راوية ثقة عارفا بأيام العرب كثير الاطلاع روى عن الأصمعي وأبي عبيدة معمر بن المثنى وغيرهما وروى عنه إبراهيم الحربي وابن أبي الدنيا وغيرهما ومما رواه عن الأصمعي قال مر بنا أعرابي ينشد ابنا له فقلنا له صفه لنا فقال كأنه دنينير فقلنا له لم نره قال فلم يلبث أن جاء بصغير أسيد كأنه جعل قد حمله على عنقه فقلنا لو سألتنا عن هذا لأرشدناك فإنه ما زال اليوم بين أيدينا ثم أنشد الأصمعي (نعم ضجيع الفتى إذا برد * الليل سحيرا وقرقف الصرد) (زينها الله في الفؤاد كما * زين في عين والد ولد) قتل الرياشي المذكور بالبصرة أيام العلوي البصري صاحب الزنج في شوال سنة سبع وخمسين ومائتين رحمه الله تعالى 28 وسئل في عقب ذي الحجة سنة أربع وخمسين ومائتين كم يعد سنه فقال أظن سبعا وسبعين وذكر شيخنا ابن الأثير في تاريخه الكبير أنه قتل في سنة خمس وستين ومائتين قتله الزنج بالبصرة وهو غلط إذ لا خلاف بين أهل العلم بالتاريخ أن الزنج دخلوا البصرة وقت صلاة الجمعة لثلاث عشرة ليلة بقيت من شوال سنة سبع وخمسين فأقاموا على القتل والإحراق ليلة السبت ويوم السبت ثم عادوا إليها يوم الإثنين فدخلوها وقد تفرق الجند وهربوا

فنادوا بالأمان فلما ظهر الناس قتلوهم فلم يسلم منهم إلا النادر واحترق الجامع ومن فيه وقتل العباس المذكور في أحد هذه الأيام فإنه كان في الجامع لما قتل والرياشي بكسر الراء وفتح الياء المثناة من تحتها وبعد الألف شين معجمة هذه النسبة إلى رياش وهو اسم لجد رجل من جذام كان والد المنسوب إليه عبدا له فنسب إليه وبقي عليه 321
ابن عمر أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما القرشي العدوي أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم وهاجر مع أبيه إلى المدينة وعرض على
29 رسول الله يوم أحد فرده لصغر سنه فعرض عليه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه وكان من أهل الورع والعلم وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله شديد التحري والاحتياط والتوقي في فتواه وكل ما تأخذ به نفسه وكان لا يتخلف عن السرايا على عهد رسول الله ثم كان بعد موته مولعا بالحج قبل الفتنة وفي الفتنة إلى أن مات ويقولون إنه كان أعلم الصحابة بمناسك الحج وقال رسول الله لأم المؤمنين حفصة بنت عمر إن أخاك عبد الله رجل صالح لو كان يقوم من الليل فما ترك ابن عمر بعدها قيام الليل وقال جابر بن عبد الله ما منا أحد إلا مالت به الدنيا ومال بها ما خلا عمر وابنه عبد الله وقال ميمون بن مهران ما رأيت أورع من ابن عمر ولا أعلم من ابن عباس وقال سعيد بن المسيب لو شهدت لأحد أنه من أهل الجنة لشهدت لعبد الله بن عمر وحكى الأصمعي قال

حدثنا أبو عبد الرحمن وهو أبو الزناد عن أبيه قال اجتمع في الحجر مصعب وعروة وعبد الله بنو الزبير وعبد الله بن عمر فقالوا نتمنى فقال مصعب بن الزبير أما أنا فأتمنى إمرة العراق والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين وقال عبد الله بن عمر أما أنا فأتمنى المغفرة قال فنالوا ما تمنوا ولعل ابن عمر قد غفر له وحكى سفيان الثوري عن طارق بن عبد العزيز عن الشعبي قال لقد رأيت عجبا كنا بفناء الكعبة انا وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ومصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان فقال القوم بعدما فرغوا من صلاتهم

30 ليقم رجل رجل منكم فليأخذ الركن اليماني وليسأل الله حاجته فإنه يعطى من ساعته قم يا عبد الله بن الزبير فإنك أول مولود ولد في الهجرة فقام وأخذ بالركن اليماني ثم قال اللهم إنك عظيم ترجى لكل عظيم أسألك بحرمة عرشك وحرمة وجهك وحرمة نبيك أن لا تميتني حتى توليني الحجاز ويسلم علي بالخلافة وجاء حتى جلس فقال قم يا مصعب فقام حتى أخذ بالركن اليماني فقال اللهم إنك رب كل شي وإليك يصير كل شيء أسألك بقدرتك على كل شيء أن لا تميتني من الدنيا حتى توليني العراق وتزوجني سكينة بنت الحسين وجاء حتى جلس فقال قم يا عبد الملك فقام وأخذ بالركن اليماني وقال اللهم رب السموات السبع ورب والأرض ذات القفر أسألك بما سألك عبادك المطيعون لأمرك وأسألك بحرمة وجهك وأسألك

بحقك على جميع خلقك وبحق الطائفين حول بيتك أن لا تميتني من الدنيا حتى توليني شرق الأرض وغربها ولا ينازعني أحد إلا أتيت برأسه ثم جاء حتى جلس فقال قم يا عبد الله بن عمر فقام حتى أخذ بالركن اليماني ثم قال اللهم إنك رحمن رحيم أسألك برحمتك التي سبقت غضبك وأسألك بقدرتك على جميع خلقك أن لا تميتني من الدنيا حتى توجب لي الجنة قال الشعبي فما ذهبت عيناي من الدنيا حتى رأيت لكل رجل ما سأل وبشر عبد الله بن عمر بالجنة ورؤيت له وحكى حمزة بن عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمر قال خطرت لي هذه الآية (^ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) فذكرت ما أعطاني الله عز وجل فما وجدت شيئا أحب إلي من جاريتي رمينة فقلت هي حرة لوجه الله فلولا أني أعود في شيء جعلته لله لنكحتها فأنكحا نافعا فهي أم ولده وكان ابن عمر إذا اشتد عجبه بشيء من ماله قربه إلى ربه عز وجل قال نافع كان رقيقه قد عرفوا ذلك منه فربما شمر أحدهم فيلزم المسجد فإذا رآه ابن عمر على تلك الحالة الحسنة أعتقه فيقول له أصحابه يا أبا عبد الرحمن والله ما بهم إلا أن يخدعوك فيقول ما خدعنا أحد بالله

31 إلا انخدعنا له قال نافع ما مات ابن عمر حتى أعتق ألف إنسان أو ما زاد وكان يحيي الليل صلاة فإذا جاء السحر استغفر إلى الصباح وتوفي بمكة سنة ثلاث وسبعين وهو ابن أربع وثمانين سنة وكان قد أوصى أن

يدفن في الليل فلم يقدر على ذلك من أجل الحجاج ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين وكان الحجاج قد أمر رجلا سم زجه وزحمه في الطريق ووضع الزج على ظهر قدمه وذلك أن الحجاج خطب يوما وأخر الصلاة فقال ابن عمر إن الشمس لا تنتظرك فقال له الحجاج لقد هممت أن اضرب الذي فيه عيناك قال إن تفعل فإنك سفيه مسلط وقيل إنه أخفى قوله ذلك على الحجاج ولم يسمعه وإنما كان يتقدمه في المواقف بعرفة وغيرها إلى المواضع التي كان النبي وقف فيها وكان ذلك يعز على الحجاج فأمر الحجاج رجلا معه حربة يقال إنها كانت مسمومة فلما دفع الناس من عرفة لصق به ذلك الرجل فأمر الحربة على قدمه وهي في غرز راحلته فمرض منها أياما فدخل عليه الحجاج يعوده فقال من سمك يا أبا عبد الرحمن فقال وما تصنع به قال قتلني الله إن لم أقتله قال ما أراك فاعلا أنت أمرت من نخسني بالحربة فقال لا تفعل يا أبا عبد الرحمن وخرج عنه وروي أنه قال للحجاج إذ قال له من سمك قال أنت أمرت بإدخال السلاح في الحرم فلبث أياما ثم مات رضي الله عنه ونفع به وصلى عليه الحجاج

32 322 عبد الله بن المبارك أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي مولى بني حنظلة كان قد جمع بين العلم والزهد تفقه على سفيان الثوري ومالك بن أنس رضي الله عنهما وروى عنه الموطأ وكان كثير الانقطاع محبا للخلوة شديد التورع وكذلك كان أبوه

ويحكى عن أبيه أنه كان يعمل في بستان لمولاه وأقام فيه زمانا ثم إن مولاه جاءه يوما وقال له أريد رمانا حلوا فمضى إلى بعض الشجر وأحضر منها رمانا فكسره فوجده حامضا فحرد عليه وقال أطلب الحلو فتحضر لي الحامض هات حلوا فمضى وقطع من شجرة أخرى فلما كسره وجده أيضا حامضا فاشتد حرده عليه وفعل كذلك دفعة ثالثة فقال له بعد ذلك أنت ما تعرف الحلو من الحامض فقال لا فقال كيف ذلك فقال لأنني ما أكلت منه شيئا حتى أعرفه فقال ولم لم تاكل قال لأنك ما أذنت لي فكشف عن ذلك فوجد قوله حقا فعظم في عينه وزوجه ابنته ويقال إن عبد الله رزقه من تلك الابنة فنمت عليه بركة أبيه ورأيت في بعض التواريخ هذه القضية منسوبة إلى إبراهيم بن أدهم العبد الصالح

33 رضي الله عنه وكذا ذكرها الطرطوشي في أول سراج الملوك لابن أدهم ونقل أبو علي الغساني الجياني أن عبد الله بن المبارك المذكور سئل أيهما أفضل معاوية بن أبي سفيان أم عمر بن عبد العزيز فقال والله إن الغبار الذي دخل في أنف معاوية مع رسول الله أفضل من عمر بألف مرة صلى معاوية خلف رسول الله فقال سمع الله لمن حمده فقال معاوية ربنا ولك الحمد فما بعد هذا ووقفت في كتاب النصوص على مراتب أهل الخصوص عن أشعث بن شعبة المصيصي قال قدم هارون الرشيد الرقة فانجفل الناس خلف عبد الله بن المبارك وتقطعت النعال وارتفعت

الغبرة فأشرفت أم ولد أمير المؤمنين من برج الخشب فلما رأت الناس قالت ما هذا قالوا عالم أهل خراسان قدم الرقة يقال له عبد الله بن المبارك فقالت هذا والله الملك لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بشرط واعوان وكان لعبد الله شعر فمن ذلك قوله (قد يفتح المرء حانوتا لمتجره * وقد فتحت لك الحانوت بالدين) (بين الأساطين حانوت بلا غلق * تبتاع بالدين أموال المساكين) (صيرت دينك شاهينا تصيد به * وليس يفلح أصحاب الشواهين) وكان إذا خرج إلى مكة حرسها الله تعالى يقول (بعض الحياة وخوف الله أخرجني * وبيع نفسي لما ليست له ثمنا)
34 (اني وزنت الذي يبقى ليعدله * ما ليس يبقى فلا والله ما اتزنا) ومن كلامه تعلمنا العلم للدنيا فدلنا على ترك الدنيا وكان عبد الله قد غزا فلما انصرف من الغزو وصل إلى هيت فتوفي بها في رمضان سنة إحدى وقيل اثنتين وثمانين ومائة ومولده بمرو سنة ثماني عشرة ومائة رضي الله عنه وهيت بكسر الهاء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها تاء مثناة من فوقها مدينة على الفرات فوق الأنبار من أعمال العراق لكنها في بر الشام والأنبار في بر بغداد والفرات يفصل بينهما ودجلة تفصل بين الأنبار وبغداد وقبره ظاهر يزار بها وقد جمعت أخباره في جزأين 323 عبد الله بن عبد الحكم أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث بن رافع الفقيه المالكي المصري كان أعلم أصحاب مالك بمختلف قوله وأفضت

إليه رياسة الطائفة المالكية بعد أشهب وروى عن مالك
الموطأ سماعا وكان من ذوي الأموال والرباع له جاه
عظيم وقدر كبير وكان يزكي الشهود ويجرحهم ومع هذا
لم
يشهد ولا أحد من ولده لدعوة سبقت فيه ذكر ذلك 35
القضاعي في كتاب خطط مصر ويقال إنه دفع للإمام
الشافعي رضي الله عنه عند قدومه إلى مصر ألف دينار
من ماله وأخذ له من ابن عسامة التاجر ألف دينار ومن
رجلين آخرين ألف دينار وهو والد أبي عبد الله محمد
صاحب الإمام الشافعي وسيأتي ذكره في حرف الميم إن
شاء الله تعالى وروى بشر بن بكر قال رأيت مالك بن
أنس في النوم بعدما مات بأيام فقال إن ببلدكم رجلا يقال له
ابن عبد الحكم فخذوا عنه فإنه ثقة وكان لأبي محمد
المذكور ولد آخر يسمى عبد الرحمن من أهل الحديث
والتواريخ صنف كتاب فتوح وغيره وكانت ولادة أبي
محمد المذكور في سنة خمسين ومائة وقيل سنة خمس
وخمسين ومائة وتوفي في شهر رمضان سنة أربع عشرة
ومائتين بمصر وقبره إلى جانب قبر الإمام الشافعي رضي
الله عنهما مما يلي القبلة وهو الأوسط من القبور الثلاثة
77 وتوفي ولده عبد الرحمن المذكور في سنة سبع
وخمسين ومائتين وقبره إلى جانب قبر أبيه من جهة القبلة
وأعين بفتح الهمزة وسكون العين المهملة وفتح الياء

المثناة من تحتها وبعدها نون وعسامة بضم العين المهملة
وفتح السين المهملة وبعد الألف ميم ثم هاء
36 324 ابن وهب الفقيه المالكي أبو محمد عبد الله
بن وهب بن مسلم القرشي بالولاء الفقيه المالكي المصري
مولى ريحانة مولاة أبي عبد الرحمن يزيد بن أنيس
الفهري كان أحد أئمة عصره وصحب الإمام مالك بن أنس
رضي الله عنه عشرين سنة وصنف الموطأ الكبير
والموطأ الصغير وقال مالك في حقه عبد الله بن وهب إمام
وقال أبو جعفر ابن الجزار رحل ابن وهب إلى مالك في
سنة ثمان وأربعين ومائة ولم يزل في صحبته إلى أن
توفي مالك وسمع من مالك قبل عبد الرحمن بن القاسم
ببضع عشرة سنة وكان مالك يكتب إليه إذا كتب في
المسائل إلى عبد الله بن وهب المفتي ولم يكن يفعل هذا مع
غيره وأدرك من أصحاب ابن شهاب الزهري أكثر من
عشرين رجلا وذكر ابن وهب وابن القاسم عند مالك فقال
ابن وهب عالم وابن القاسم فقيه قال القضاعي في كتاب
خطط مصر قبر عبد الله بن وهب مختلف فيه وفي مجر
بني مسكين قبر صغير مخلق يعرف بقبر عبد الله وهو قبر
قديم يشبه أن يكون قبره وكان مولده في ذي القعدة سنة
خمس وقيل أربع وعشرين ومائة بمصر وتوفي بها يوم
الأحد لخمس بقين من شعبان سنة سبع وتسعين ومائة
رضي الله عنه

37 وله مصنفات في الفقه معروفة وكان محدثا
وقال يونس بن عبد الأعلى صاحب الإمام الشافعي رحمه الله تعالى كتب الخليفة إلى عبد الله بن وهب في قضاء مصر فجنن نفسه ولزم بيته فاطلع عليه رشدين بن سعد وهو يتوضأ في صحن داره فقال له ألا تخرج إلى الناس فتقضي بينهم بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله فرفع إليه رأسه وقال إلى هاهنا انتهى عقلك أما علمت أن العلماء يحشرون مع الأنبياء وأن القضاة يحشرون مع السلاطين وكان عالما صالحا خائفا لله تعالى وسبب موته أنه قرىء عليه كتاب الأهوال من جامعه فأخذه شيء كالغشي فحمل إلى داره فلم يزل كذلك إلى أن قضى نحبه قال ابن يونس المصري في تاريخه هو مولى يزيد بن رمانة مولى أبي عبد الرحمن يزيد بن أنيس الفهري والذي ذكرته أولا قاله ابن عبد البر والله أعلم وقال عبد الله بن وهب المصري كان حيوة بن شريح يأخذ عطاءه في كل سنة ستين دينارا قال وكان إذا أخذه لم يطلع إلى منزله حتى يتصدق به قال ثم يجيء إلى منزله فيجدها تحت فراشه قال وكان له ابن عم فلما بلغه ذلك أخذ عطاءه فتصدق به ثم جاء يطلبه تحت فراشه فلم يجد شيئا قال فشكا إلى حيوة فقال له حيوة أنا أعطيت ربي بيقين وأنت أعطيت ربك تجربة

38 325 عبد الله بن لهيعة أبو عبد الرحمن عبد الله بن لهيعة بن عقبة الحضرمي الغافقي المصري كان مكثرا من الحديث والأخبار والرواية قال محمد بن سعد في حقه

إنه كان ضعيفا ومن سمع منه في أول أمره أقرب حالا
ممن سمع منه في آخره وكان يقرأ عليه ما ليس من حديثه
فيسكت فقيل له في ذلك فقال ما ذنبي إنما يجيئونني بكتاب
يقرأونه علي ويقومون ولو سألوني لأخبرتهم أنه ليس من
حديثي . وكان أبو جعفر المنصور قد ولاه القضاء بمصر
في مستهل سنة خمس وخمسين ومائة وهو أول قاض ولي
بمصر من قبل الخليفة وصرف عن القضاء في شهر ربيع
الأول سنة أربع وستين ومائة وهو أول قاض حضر لنظر
الهلال في شهر رمضان واستمر القضاة عليه إلى الآن
ذكر ابن الفراء في تاريخه في سنة اثنتين وخمسين ومائة
فقال وفيها توفي أبو خزيمة إبراهيم بن يزيد القاضي
الحميري وولي مكانه عبد الله بن لهيعة الحضرمي وكان
سبب ولايته أن ابن حديج كان بالعراق قال فدخلت على
أبي جعفر المنصور فقال لي يا ابن حديج لقد توفي ببلدك
رجل أصيب به العامة قلت يا أمير المؤمنين ذاك إذا أبو
خزيمة قال نعم فمن ترى أن نولي القضاء بعده
39 قلت أبا معدان عامر بن مرة اليحصبي يا أمير
المؤمنين قال ذاك رجل أصم لا يصلح للقاضي أن يكون
أصم قال فقلت فابن لهيعة يا أمير المؤمنين قال فابن لهيعة
على ضعف فيه فأمر بتوليته وأجرى عليه في كل شهر
ثلاثين دينارا وهو أول قضاة مصر أجري عليه ذلك وأول
قاض بها استقضاه خليفة وإنما كان ولاة البلد هم الذين
يولون القضاة وتوفي بمصر يوم الأحد منتصف شهر

ربيع الأول سنة أربع وسبعين وقيل سنة سبعين ومائة وعمره إحدى وثمانون سنة رحمه الله تعال قال أبو موسى العنزي في تاريخه وكان الليث بن سعد اكبر من ابن لهيعة بسنة أو بسنتين وذكره ابن يونس في تاريخه فقال عبد الله بن لهيعة بن عقبة بن فرعان ابن ربيعة الحضرمي ثم الأعدولي من انفسهم قاضي مصر يكنى أبا عبد الرحمن وروى عنه عمرو بن الحارث والليث بن سعد وعثمان بن الحكم الجذامي وابن المبارك وذكر تاريخ وفاته ثم قال وكان مولده سنة سبع وتسعين ثم روى بإسناد متصل إليه أنه قال كنت إذا أتيت يزيد بن أبي حبيب يقول لي كأني بك وقد قعدت على الوسادة يعني وسادة القضاء فما مات ابن لهيعة حتى ولي القضاء ولهيعة بفتح اللام وكسر الهاء وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح العين المهملة وبعدها هاء ساكنة والحضرمي بفتح الحاء المهملة وسكون الضاد الموحدة وفتح الراء وبعدها ميم هذه النسبة إلى حضرموت وهي من بلاد اليمن في أقصاها

40 326 القعنبي أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسلمة بن قعنب الحارثي المعروف بالقعنبي كان من أهل المدينة وأخذ العلم والحديث عن الإمام مالك رضي الله عنه وهو من جلة أصحابه وفضلائهم وثقاتهم وخيارهم وهو احد رواة الموطأ عنه فإن الموطأ رواه عن مالك رضي الله عنه جماعة وبين الروايات اختلاف وأكملها رواية يحيى بن يحيى كما سيأتي في ترجمته إن شاء الله

تعالى وكان يسمى الراهب لعبادته وفضله وقال عبد الله بن أحمد بن الهيثم سمعت جدي يقول كنا إذا أتينا عبد الله بن مسلمة القعنبي خرج إلينا كأنه مشرف على جهنم ونعوذ بالله منها وكان القعنبي يسكن البصرة وهو من الثقات في روايته وتوفي يوم الجمعة لست خلون من المحرم سنة إحدى وعشرين ومائتين بالبصرة رحمه الله تعالى وذكر أبو القاسم ابن بشكوال في تسمية من روى الموطأ عن مالك أنه توفي بمكة والله أعلم والقعنبي بفتح القاف وسكون العين المهملة وفتح النون وبعدها باء موحدة هذه النسبة إلى جده المذكور أعلاه رحمه الله تعالى

41   327 ابن كثير المقرىء أبو سعيد عبد الله بن كثير أحد القراء السبعة توفي سنة عشرين ومائة بمكة رحمه الله تعالى ولم أقف على شيء من حاله لأذكره ثم وجدت صاحب كتاب الإقناع في القراءات ذكره فقال ابن كثير المكي الداري والدار بطن من لخم منهم تميم الداري رضي الله عنه وقيل إنما نسب إلى دارين لأنه كان عطارا وهو موضع الطيب وهذا هو الصحيح قالوا وهو مولى عمرو بن علقمة الكناني وهو من أبناء فارس الذين بعثهم كسرى بالسفن إلى اليمن حين طرد الحبشة عنها وكان يخضب بالحناء وكان قاضي الجماعة بمكة وهو من الطبقة الثانية من التابعين وكان شيخا كبيرا أبيض الرأس واللحية طويلا جسيما أسمر أشهل العينين يغير شيبته بالحناء أو بالصفرة وكان حسن السكينة ولد بمكة سنة

خمس وأربعين ومات بها سنة عشرين ومائة ثم قال هذا المصنف ما ذكر من وفاته هو كالإجماع بين القراء ولا يصح عندي لأن عبد الله بن إدريس الأودي قرأ عليه ومولد ابن إدريس سنة خمس عشرة ومائة فكيف تصح قراءته عليه لولا أن ابن كثير تجاوز سنة عشرين وإنما الذي مات فيها عبد الله بن كثير القرشي وهو غير القارىء وأصل الغلط في هذا من أبي بكر ابن مجاهد والله علم

42 78 وراوياه قنبل وهو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن خالد بن سعيد ابن جرجة المكي المخزومي توفي سنة إحدى وتسعين ومائتين وله ست وتسعون سنة 79 وراويه الآخر البزي وهو أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة بشار الفارسي كنيته أبو الحسن توفي سنة سبعين ومائتين وله ثمانون سنة رحمهم الله اجمعين 328 ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري وقيل المروزي النحوي اللغوي صاحب كتاب المعارف وأدب الكاتب كان فاضلا ثقة سكن بغداد وحدث بها عن إسحاق بن راهويه وأبي إسحاق إبراهيم بن سفيان بن سليمان بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن زياد بن أبييه الزيادي وأبي حاتم السجستاني وتلك الطبقة وروى عنه ابنه أحمد وابن درستويه الفارسي وتصانيفه كلها مفيدة منها ما تقدم ذكره ومنها غريب القرآن الكريم وغريب الحديث وعيون الأخبار ومشكل القرآن ومشكل

الحديث وطبقات الشعراء والأشربة وإصلاح الغلط وكتاب
التقفيه وكتاب الخيل وكتاب إعراب القراءات
43 وكتاب الأنواء وكتاب المسائل والجوابات
وكتاب الميسر والقداح وغير ذلك وأقرأ كتبه ببغداد إلى
حين وفاته وقيل إن أباه مروزي وأما هو فمولده ببغداد
وقيل بالكوفة وأقام بالدينور مدة قاضيا فنسب إليها وكانت
ولادته سنة ثلاث عشرة ومائتين وتوفي في ذي القعدة سنة
سبعين وقيل سنة إحدى وسبعين وقيل أول ليلة في رجب
وقيل منتصف رجب سنة ست وسبعين ومائتين والأخير
أصح الأقوال وكانت وفاته فجأة صاح صيحة سمعت من
بعد ثم أغمي عليه ومات وقيل أكل هريسة فأصابه حرارة
ثم صاح صيحة شديدة ثم أغمي عليه إلى وقت الظهر ثم
اضطرب ساعة ثم هدأ فما زال يتشهد إلى وقت السحر ثم
مات رحمه الله تعالى 80 وكان ولده أبو جعفر أحمد بن
عبد الله المذكور فقيها وروى عن أبيه كتبه المصنفة كلها
وتولى القضاء بمصر وقدمها في ثامن عشر جمادى
الآخرة سنة إحدى وعشرين وثلثمائة وتوفي بها في شهر
ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وهو على
القضاء ومولده ببغداد والناس يقولون إن أكثر أهل العلم
يقولون إن أدب الكاتب خطبة بلا كتاب وإصلاح المنطق
كتاب بلا خطبة وهذا فيه نوع تعصب عليه فإن أدب
الكاتب قد حوى من كل شيء وهو مفنن وما أظن حملهم
على هذا القول إلا أن الخطبة طويلة والإصلاح بغير

خطبة وقيل إنه صنف هذا الكتاب لأبي الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المعتمد على الله بن المتوكل علىالله الخليفة العباسي وقد شرح هذا الكتاب أبو محمد بن السيد البطليوسي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى شرحا مستوفى ونبه على مواضع الغلط منه وفيه دلالة على كثرة اطلاع الرجل وسماه الاقتضاب في شرح أدب الكتاب وقتيبة بضم القاف وفتح التاء المثناة من فوقها وسكون الياء المثناة من

44 تحتها وبعادها باء موحدة ثم هاء ساكنة وهي تصغير قتبة بكسر القاف وهي واحدة الأقتاب والأقتاب الأمعاء وبها سمي الرجل والنسبة إليه قتبي والدينوري بكسر الدال المهملة وقال السمعاني بفتحها وليس بصحيح وبسكون الياء المثناة من تحتها وفتح النون والواو وبعدها راء هذه النسبة إلى دينور وهي بلدة من بلاد الجبل عند قرميسين خرج منها خلق كثير . 329 ابن درستويه أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه بن المرزبان الفارسي الفسوي النحوي كان عالما فاضلا أخذ فن الادب عن ابن قتيبة المقدم ذكره وعن المبرد وغيرهما ببغداد وأخذ عنه جماعة من الأفاضل كالدارقطني وغيره وكانت ولادته في سنة ثمان وخمسين ومائتين وتوفي يوم الأُثنين لتسع بقين من صفر وقيل لست بقين منه سنة سبع وأربعين وثلثمائة ببغداد رحمه الله تعالى وكان أبوه من كبار المحدثين وأعيانهم ودرستويه بضم الدال المهملة والراء وسكون

السين المهملة وضم التاء المثناة من فوقها وسكون الواو وفتح الياء المثناة من تحتها وبعدها هاء ساكنة هكذا قاله السمعاني وقال غيره هو بفتح الدال والراء والواو وهذا القائل هو ابن ماكولا في كتاب الاكمال والفارسي والفسوي قد تقدم الكلام عليهما في ترجمة البساسيري في حرف الهمزة وتصانيفه في غاية الجودة والإتقان منها تفسير كتاب الجرمي

45 والإرشاد في النحو وكتاب الهجاء وشرح الفصيح والرد على المفضل الضبي في الرد على الخليل وكتاب الهداية وكتاب المقصور والممدود وكتاب غريب الحديث وكتاب معاني الشعر وكتاب الحي والميت وكتاب التوسط بين الأخفش وثعلب في تفسير القرآن وكتاب خبر قس بن ساعدة وكتاب الأعداد وكتاب أخبار النحويين وكتاب الرد على الفراء في المعاني وله عدة كتب شرع فيها ولم يكملها 330 الكعبي أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي البلخي العالم المشهور كان رأس طائفة من المعتزلة يقال لهم الكعبية وهو صاحب مقالات ومن مقالته أن الله سبحانه وتعالى ليست له إرادة وأن جميع أفعلاه واقعة منه بغير إرادة ولا مشيئة منه لها وكان من كبار التكلمين وله اختيارات في علم الكلام وتوفي مستهل شعبان سنة سبع عشرة وثلثمائة رحمه الله تعالى والكعبي بفتح الكاف وسكون العين المهملة وبعدها باء موحدة هذه النسبة إلى بني كعب . والبلخي بفتح الباء الموحدة

وسكون اللام وبعدها خاء معجمة هذه النسبة إلى بلخ إحدى مدن خراسان

46 331 القفال المروزي أبو بكر عبد الله بن أحمد بن عبد الله الفقيه الشافعي المعروف بالقفال المروزي كان وحيد زمانه فقها وحفظا وورعا وزهدا وله في مذهب الإمام الشافعي من الآثار ما ليس لغيره من أبناء عصره وتخاريجه كلها جيدة وإلزاماته لازمة واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به منهم الشيخ أبو علي السنجي والقاضي حسين بن محمد وقد تقدم ذكرهما والشيخ أبو محمد الجويني والد إمام الحرمين وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى وغيرهم وكل واحد من هؤلاء صار إماما يشار إليه ولهم التصانيف النافعة ونشروا علمه في البلاد وأخذه عنهم أئمة كبار أيضا وكان ابتداء اشتغاله بالعلم على كبر السن بعدما أفنى شبيبته في عمل الأقفال ولذلك قيل له القفال وكان ماهرا في عملها ويقال إنه لما شرع في التفقه كان عمره ثلاثين سنة وشرح فروع أبي بكر محمد بن الحداد المصري فأجاد في شرحها وشرحها أيضا أبو علي السنجي المذكور والقاضي ابو الطيب الطبري وهو كتاب مشكل مع صغر حجمه وفيه مسائل عويصة وغريبة والمبرز من الفقهاء الذي يقدر على حلها وفهم معانيها وسيأتي ذكر مصنفها في حرف الميم إن شاء الله تعالى وكانت وفاة القفال المذكور في بعض شهور سنة سبع

عشرة وأربعمائة وهو ابن تسعين سنة ودفن بسجستان وقبره بها معروف يزار رحمه الله تعالى

47 332 الشيخ أبو محمد الجويني أبو محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد حيويه الجويني الفقيه الشافعي والد إمام الحرمين وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى كان إماما في التفسير والفقه والأصول والعربية والأدب قرأ الأدب أولا على أبيه أبي يعقوب يوسف بجوين ثم قدم نيسابور واشتغل بالفقه على أبي الطيب سهل بن محمد الصعلوكي المقدم ذكره في حرف السين ثم انتقل إلى أبي بكر القفال المروزي المذكور قبله واشتغل عليه بمرو ولازمه واستفاد منه وانتفع به وأتقن عليه المذهب والخلاف وقرأ عليه طريقته وأحكمها فلما تخرج عليه عاد إلى نيسابور سنة سبع وأربعمائة وتصدر للتدريس والفتوى فتخرج عليه خلق كثير منهم ولده إمام الحرمين وكان مهيبا لا يجري بين يديه إلا الجد وصنف التفسير الكبير المشتمل على أنواع العلوم وصنف في الفقه التبصرة والتذكرة ومختصر المختصر والفرق والجمع والسلسلة وموقف الإمام والمأموم وغير ذلك من التعاليق وسمع الحديث الكثير وتوفي في ذي القعدة سنة ثمان وثلاثين كذا قال السمعاني في كتاب الذيل وقال في الأنساب في سنة أربع وثلاثين وأربعمائة بنيسابور والله أعلم وقال غيره وهو في سن الكهولة رحمه الله تعالى

وقال الشيخ أبو صالح المؤذن مرض الشيخ أبو محمد

الجويني سبعة عشر يوما وأوصاني أن أتولى غسله وتجهيزه فلما توفي غسلته فلما لففته في الكفن رأيت يده اليمنى إلى الأبط زهراء منيرة من غير سوء وهي تتلألأ تلألؤ القمر فتحيرت وقلت في
48 نفسي هذه بركات فتاويه وحيويه بفتح الحاء المهملة وتشديد الياء المثناة من تحتها وضمها وسكون الواو وفتح الياء الثانية وبعادها هاء والجويني بضم الجيم وفتح الواو وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون هذه النسبة إلى جوين وهي ناحية كبيرة من نواحي نيسابور تشتمل على قرى كثيرة مجتمعة 333 أبو زيد الدبوسي أبو زيد عبد الله بن عمر بن عيسى الدبوسي الفقيه الحنفي كان من كبار أصحاب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه ممن يضرب به المثل وهو أول من وضع علم الخلاف وأبرزه إلى الوجود وله كتاب الأسرار والتقويم للأدلة وغيره من التصانيف والتعاليق وروي أنه ناظر بعض الفقهاء فكان كلما ألزمه أبو زيد إلزاما تبسم أو ضحك فأنشد أبو زيد (ما لي إذا ألزمته حجة * قابلني بالضحك والقهقهه) (إن كان ضحك المرء من فقهه * فالدب في الصحراء ما أفقهه) وكانت وفاته بمدينة بخارى سنة ثلاثين وأربعمائة رحمه الله تعالى والدبوسي بفتح الدال المهملة وضم الباء الموحدة وبعدها واو ساكنة وسين مهملة هذه النسبة إلى دبوسة وهي بليدة بين بخارى وسمرقند نسب إليها جماعة من العلماء

49 334 المرتضى ابن الشهرزوري أبو محمد عبد الله بن القاسم بن المظفر بن علي بن القاسم الشهرزوري المنعوت بالمرتضى والد القاضي كمال الدين وسيأتي ذكر ولده ووالده إن شاء الله تعالى كان أبو محمد المذكور مشهورا بالفضل والدين وكان مليح الوعظ مع الرشاقة والتجنيس وأقام ببغداد مدة يشتغل بالحديث والفقه ثم رجع إلى الموصل وتولى بها القضاء وروى الحديث وله شعر رائق فمن ذلك قصيدته التي على طريقة الصوفية ولقد أحسن فيها وهي (لمعت نارهم وقد عسعس الليل * ومل الحادي وحار الدليل) (فتأملتها وفكري من البين * عليل ولحظ عيني كليل) (وفؤادي ذاك الفؤاد المعنى * وغرامي ذاك الغرام الدخيل) (ثم قابلتها وقلت لصحبي * هذه النار نار ليلى فميلوا) (فرموا نحوها لحاظا صحيحات * فعادت خواسئا وهي حول) (ثم مالوا إلى الملام وقالوا * خلب ما رأيت أم تخييل) (فتجنبتهم وملت إليها * والهوى مركبي وشوقي الزميل) (ومعي صاحب أتى يقتفي الآثار * والحب شرطه التطفيل) (وهي تعلو ونحن ندنو إلى أن * حجزت دونها طلول محول) (فدنونا من الطلول فحالت * زفرات من دونها وغليل) (قلت من بالديار قالوا جريح * وأسير مكبل وقتيل)

50 (ما الذي جئت تبتغي قلت ضيف * جاء يبغي القرى فأين النزول) (فأشارت بالرحب دونك فاعقرها *

فما عندنا لضيف رحيل) (من أتانا ألقى عصا السير عنه
* قلت من لي بها وأين السبيل) (فحططنا إلى منازل
قوم * صرعتهم قبل المذاق الشمول) (درس الوجد منهم
كل رسم * فهو رسم والقوم فيه حلول) (منهم من عفا
ولم يبق للشكوى * ولا للدموع فيه مقيل) (ليس إلاا
الأنفاس تخبر عنه * وهو عنها مبرأ معزول) (ومن
القوم من يشير إلى وجد * تبقى عليه منه القليل) (ولكل
رأيت منهم مقاما * شرحه في الكتاب مما يطول) (قلت
أهل الهوى سلام عليكم * لي فؤاد عنكم بكم مشغول) (
وجفون قد أقرحتها من الدمع * حثيثا إلى لقاكم سيول) (
لم يزل حافز من الشوق يحدوني * إليكم والحادثات تحول
) (واعتذاري ذنب فهل عند من * يعلم عذري في ترك
عذري قبول) (جئت كي أصطلي فهل لي إلى ناركم *
هذه الغداة سبيل) (فأجابت شواهد الحال عنهم * كل حد
من دونها مفلول) (لا تروقنك الرياض الأنيقات * فمن
دونها ربى ودحول) (كم أتاها قوم على غرة منها *
وراموا أمرا فعز الوصول) (وقفوا شاخصين حتى إذا
ما * لاح للوصول غرة وحجول) (وبدت راية الوفا بيد
الوجد * ونادى اهل الحقائق جولوا) (أين من كان
يدعينا فهذا اليوم * فيه صبغ الدعاوى يحول) (حملوا
حملة الفحول ولا يصرع * يوم اللقاء إلا الفحول) (بذلوا
أنفسا سخت حين شحت * بوصال واستصغر المبذول) (
ثم غابوا من بعد ما اقتحموها * بين أمواجها وجاءت

سيول) (قذفتهم إلى الرسوم فكل * دمه في طولها مطلول)
51 (نارنا هذه تضيء لمن يسري * بليل لكنها لا تنيل) (منتهى الحظ ما تزود منها اللحظ * والمدركون ذاك قليل) (جاءها من عرفت يبغي اقتباسا * وله البسط والمنى والسول) (فتعالت عن المنال وعزت * عن دنو إليه وهو رسول) (فوقفنا كما عهدت حيارى * كل عزم من دونها مخذول) (ندفع الوقت بالرجاء وناهيك * بقلب غذاؤه التعليل) (كلما ذاق كأس يأس مرير * جاء كأس من الرجا معسول) (فإذا سولت له النفس أمرا * حيد عنه وقيل صبر جميل) (هذه حالنا وما وصل العلم * إليه وكل حال تحول) وإنما أثبت هذه القصيدة بكاملها لأنها قليلة الوجود وهي مطلوبة وحكي عن بعض المشايخ أنه رأى في النوم قائلا يقول ما قيل في الطريق مثل القصيدة الموصلية يعني هذه وأنشد له مجد العرب العامري دوبيت (يا قلب إلام لا يفيد النصح * دع مزحك كم جنى عليك المزح) (ما جارحة فيك عداها جرح * ما تشعر بالخمار حتى تصحو) وأورد له العماد الكاتب في الخريدة قوله (فعاودت قلبي أسأل الصبر وقفة * عليها فلا قلبي وجدت ولا صبري) (وغابت شموس الوصل عني وأظلمت * مسالكه حتى تحيرت في أمري) (فما كان إلا الخطف حتى رأيتها * محكمة والقلب في ربقة الأسر) وله من أبيات

52 (وبانوا فكم دمع من الأسر أطلقوا * نجيعا وكم قلب أعادوا إلى الأسر) (فلا تنكروا خلعي عذاري تأسفا * عليهم فقد أوضحت عندكم عذري) ومن شعره أيضا (بقلبي منهم علق * ودمعي فيهم علق) (وعندي منهم حرق * لها الأحشاء تحترق) (ونحن ببابهم فرق * أذاب قلوبنا الفرق) (وما تركوا سوى رمق * فليتهم له رمقوا) (فلا وصل ولا هجر * ولا نوم ولا أرق) (ولا يأس ولا طمع * ولا صبر ولا قلق) (فليتهم وقد قطعوا * ولم يبقوا علي بقوا) (أأفنى في محبتهم * وطيب محبتي عبق) (كمثل الشمع يمتع من * ينادمه ويمحق) وله أيضا (يا ليل ما جئتكم زائرا * إلا وجدت الأرض تطوى لي) (ولا ثنيت العزم عن بابكم * إلا تعثرت بأذيالي) وغالب شعره على هذا الأسلوب وكانت ولادته في شعبان سنة خمس وستين وأربعمائة وتوفي في شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة وخمسمائة بالموصل ودفن في التربة المعروفة بهم رحمه الله تعالى

53 وذكر عماد الدين الكاتب الإصبهاني في كتاب الخريدة في ترجمة المرتضى المذكور قال السمعاني إنه سمع أن القاضي أبا محمد يعني المرتضى المذكور توفي بعد سنة عشرين وخمسمائة والله أعلم 335 شرف الدين ابن أبي عصرون أبو سعد عبد الله بن أبي السري محمد بن هبة الله بن مطهر بن علي بن أبي عصرون ابن أبي السري التميمي الحديثي ثم الموصلي الفقيه الشافعي

الملقب شرف الدين كان من أعيان الفقهاء وفضلاء عصره وممن سار ذكره وانتشر أمره قرأ في صباه القرآن الكريم بالعشر على أبي الغنائم السلمي السروجي والبارع أبي عبد الله ابن الدباس وأبي بكر المزرفي وغيرهم وتفقه أولا على القاضي المرتضى أبي محمد عبد الله بن القاسم الشهرزوري المذكور قبله وعلى أبي عبد الله الحسين بن خميس الموصلي ثم على أسعد الميهني ببغداد واخذ الأصول عن أبي الفتح ابن برهان الأصولي وقرأ الخلاف وتوجه إلى مدينة واسط وقرأ على قاضيها الشيخ أبي علي الفارقي المذكور في حرف الحاء واخذ عنه فوائد المهذب ودرس بالموصل في سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة وأقام بسنجار مدة ثم انتقل إلى حلب في سنة خمس وأربعين ثم قدم دمشق لما ملكها الملك العادل نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي في صفر سنة تسع وأربعين وخمسمائة ودرس بالزاوية الغربية من جامع دمشق وتولى أوقاف
54 المساجد ثم رجع إلى حلب وأقام بها وصنف كتبا كثيرة في المذهب منها صفوة المذهب من نهاية المطلب في سبع مجلدات وكتاب الانتصار في أربع مجلدات وكتاب المرشد في مجلدين وكتاب الذريعة في معرفة الشريعة وصنف التيسير في الخلاف أربعة أجزاء وكتابا سماه ما أخذ النظر ومختصرا في الفرائض وكتابا سماه الإرشاد المغرب في نصرة المذهب ولم يكمله وذهب فيما نهب له بحلب واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به وتعين

بالشام وتقدم عند نور الدين صاحب الشام وبنى له المدارس بحلب وحماة وحمص وبعلبك وغيرها وتولى القضاء بسنجار ونصيبين وحران وغيرها من ديار بكر ثم عاد إلى دمشق في سنة سبعين وخمسمائة وتولى القضاء بها في سنة ثلاث وسبعين عقيب انفصال القاضي ضياء الدين أبي الفضائل القاسم ابن تاج الدين يحيى بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري حسبما شرحته في ترجمة القاضي كمال الدين أبي الفضل محمد الشهرزوري ثم عمي في آخر عمره قبل موته بعشر سنين وابنه محيي الدين محمد ينوب عنه وهو باق على القضاء وصنف جزءا لطيفا في جواز قضاء الأعمى وهو على خلاف مذهب الشافعي . ورأيت في كتاب الزوائد تأليف أبي الحسين العمراني صاحب كتاب البيان وجها أنه يجوز وهو غريب لم أره في غير هذا الكتاب ووقع لي كتاب جميعه بخط السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى قد كتبه من دمشق إلى القاضي الفاضل وهو بمصر وفيه فصول من جملتها حديث الشيخ شرف الدين المذكور وما حصل له من العمى وأنه يقول إن قضاء الأعمى جائز وإن الفقهاء قالوا إنه غير جائز فتجتمع بالشيخ أبي الطاهر ابن عوف الإسكندراني وتسأله عما ورد من الأحاديث في قضاء الأعمى هل يجوز أم لا وبالجملة فلا شك في فضله وقد ذكره الحافظ أبو القاسم ابن عساكر في تاريخ دمشق وذكره العماد الكاتب في كتاب الخريدة وأثنى عليه

55 وقال ختمت به الفتاوى وذكر له شيئاً من الشعر وأنشدني بعض المشايخ قال سمعته كثيرا ما ينشد ولا أعلم هل هو له أم لا وذكرهما العماد الكاتب في الخريدة (أؤمل أن أحيا وفي كل ساعة * تمر بي الموتى تهز نعوشها) (وهل انا إلا مثلهم غير أن لي * بقايا ليال في الزمان أعيشها) وأورد له أيضا في الخريدة (أؤمل وصلا من حبيب وإنني * على ثقة عما قليل أفارقه) (تجارى بنا خيل الحمام كأنما * يسابقني نحو الردى وأسابقه) (فيا ليتنا متنا معا ثم لم يذق * مرارة فقدي لا ولا أنا ذائقه) وأورد له أيضا (يا سائلي كيف حالي بعد فرقته * حاشاك مما بقلبي من تنائيكا) (قد أقسم الدمع لا يجفو الجفون أسى * والنوم لا زارها حتى ألاقيكا) وأورد له أيضا (وما الدهر إلا ما مضى وهو فائت * وما سوف يأتي وهو غير محصل) (وعيشك فيما أنت فيه فإنه * زمان الفتى من مجمل ومفصل) وكانت ولادته يوم الإثنين الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة بالموصل وتوفي ليلة الثلاثاء الحادية عشرة من شهر رمضان سنة خمس وثمانين وخمسمائة بمدينة دمشق ودفن في مدرسته التي أنشأها داخل البلد وهي معروفة به وزرت قبره مرارا رحمه الله تعالى ولما توفي القاضي ورد من القاضي الفاضل تعزية فيه جوابا عن كتاب ورد عليه بذلك والتعزية وصل كتاب الذات الكريمة جمع الله شملها وسر

بها أهلها ويسر إلى الخيرات سبلها وجعل في ابتغاء رضوانه قولها وفعلها وفيه
56 زيادة هي نقص الإسلام وثلم في البرية يتجاوز رتبة الانثلام إلى الانهدام وذلك ما قضاه الله وقدره من وفاة الإمام شرف الدين بن أبي عصرون رحمه الله تعالى وما حصل بموته من نقص الأرض من أطرافها ومن مساءة أهل الملة ومسرة أهل خلافها فلقد كان علما للعلم منصوبا وبقية من بقايا السلف الصالح محسوبا والعلم بالشام زرعه وكل من انتفع فعليه كان وإليه ينسب نفعه رضي الله عنه وأرضاه ونضح بماء الرحمة مثواه وما مات من أبقى تلك التصانيف التي هي المعنى المغني بل ما مات من ولده المحيي فإنه والله لآثاره ولعلمه المحيي والحضرة تنوب عني في تعزيته والقيام بحق تسليته وقد ساءتني الغيبة عن مشهده وتغبير القدم وراء سريره والتوسل إلى الله في ساعة مقدمه ولقد علم الله اغتمامي لفقد حضرته واستيحاشي لخلو الدنيا من بركته واهتمامي بما عدمت من النصيب الموفور كان من أدعيته وما مات بحمد الله حتى أحرز غيبته بأولاد كرام بررة وأنشأ طلبة للعلم نقلة وللمدارس عمرة وحتى بنى لله المدارس والمساجد وأحيا نهاره وليله بين راكع وساجد فهو حي لمجده وإنما نحن الموتى بفقده وتعذر علي أن ينتقل بقايا الخير وأعقاب السلف وأن يفارق من ليس لنا منه لولا خلفه خلف والحديثي بفتح الحاء المهملة وكسر الدال

المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها ثاء مثلثة هذه النسبة إلى حديثة الموصل وهي بليدة على دجلة بالجانب الشرق قرب الزاب الأعلى وهي غير الحديثة التي يقال لها حديثة النورة وهي قلعة حصينة على فراسخ من الأنبار في وسط الفرات والماء

57 محيط بها وحديثة الموصل هي آخر حد أرض السواد في الطول وقول الفقهاء في كتبهم أرض السواد ما بين حديثة الموصل إلى عبادان طولا ومن القادسية إلى حلوان عرضا يريدون به هذه الحديثة لا حديثة الفرات

336 ابن أسعد الموصلي أبو الفرج عبد الله بن أسعد بن علي بن عيسى بن علي المعروف بابن الدهان الموصلي ويعرف بالحمصي أيضا الفقيه الشافعي المنعوت بالمهذب كان فقيها فاضلا أديبا شاعرا لطيف الشعر مليح السبك حسن المقاصد غلب عليه الشعر واشتهر به وله ديوان صغير وكله جيد وهو من أهل الموصل ولما ضاقت به الحال عزم على قصد الصالح بن رزيك وزير مصر المذكورفي حرف الطاء وعجزت قدرته عن استصحاب زوجته فكتب إلى الشريف ضياء الدين أبي عبد الله زيد بن محمد بن محمد بن عبيد الله الحسيني نقيب العلويين بالموصل هذه الأبيات (وذات شجو أسال البين عبرتها * باتت تؤمل بالتفنيد إمساكي) (لجت فلما رأتني لا أصيخ لها * بكت فأقرح قلبي جفنها الباكي) (قالت وقد رأت الأجمال محدجة * والبين قد جمع المشكو والشاكي) (

من لي إذا غبت في ذا المحل قلت لها * الله وابن عبيد الله مولاك) (لا تجزعي بانحباس الغيث عنك فقد * سألت نوء الثريا جود مغناك) فتكفل الشريف المذكور لزوجته بجميع ما تحتاج إليه مدة غيبته عنها ثم توجه إلى مصر ومدح الصالح بن رزيك بالقصيدة الكافية وقد ذكرت بعضها هناك ثم تقلبت به الأحوال وتولى التدريس بمدينة حمص وأقام بها فلهذا ينسب إليها قال العماد الكاتب في الخريدة ما زلت وانا العراق إلى لقائه بالأشواق فإني كنت أقف على قصائده المستحسنة ومقاصده الحسنة وقد سارت كافيته بين فضلاء الزمان كافة فشهدت بكفايته وسجلت بأن أهل العصر لم يبلغوا إلى غايته ثم قال بعد الثناء عليه فيه تمتمة تسفر عن فصاحة تامة وعقدة لسان تبين عن فقه في القول ثم قال بعد ذلك ولما وصل السلطان صلاح الدين رحمه الله إلى حمص وخيم بظاهرها خرج إلينا أبو الفرج المذكور فقدمته إلى السلطان وقلت له هذا الي يقول في قصيدته الكافية التي في ابن رزيك (أأمدح الترك أبغي الفضل عندهم * والشعر ما زال عند الترك متروكا) قال فأعطاه السلطان وقال حتى لا يقول إنه متروك ثم امتدح السلطان بقصيدته العينية التي يقول فيها (قل للبخيلة بالسلام تورعا * كيف استبحت دمي ولم تتورعي) 58 (لجت فلما رأتني لا أصيخ لها * بكت فأقرح قلبي جفنها الباكي) (قالت وقد رأت الأجمال محدجة * والبين قد جمع المشكو والشاكي) (من لي إذا غبت في

ذا المحل قلت لها * الله وابن عبيد الله مولاك) (لا تجزعي بانحباس الغيث عنك فقد * سألت نوء الثريا جود مغناك) فتكفل الشريف المذكور لزوجته بجميع ما تحتاج إليه مدة غيبته عنها ثم توجه إلى مصر ومدح الصالح بن رزيك بالقصيدة الكافية وقد ذكرت بعضها هناك ثم تقلبت به الأحوال وتولى التدريس بمدينة حمص وأقام بها فلهذا ينسب إليها قال العماد الكاتب في الخريدة ما زلت وانا بالعراق إلى لقائه بالأشواق فإني كنت أقف على قصائده المستحسنة ومقاصده الحسنة وقد سارت كافيته بين فضلاء الزمان كافة فشهدت بكفايته وسجلت بأن أهل العصر لم يبلغوا إلى غايته ثم قال بعد الثناء عليه فيه تمتمة تسفر عن فصاحة تامة وعقدة لسان تبين عن فقه في القول ثم قال بعد ذلك ولما وصل السلطان صلاح الدين رحمه الله إلى حمص وخيم بظاهرها خرج إلينا أبو الفرج المذكور فقدمته إلى السلطان وقلت له هذا الذي يقول في قصيدته الكافية التي في ابن رزيك (أأمدح الترك أبغي الفضل عندهم * والشعر ما زال عند الترك متروكا) قال فأعطاه السلطان وقال حتى لا يقول إنه متروك ثم امتدح السلطان بقصيدته العينية التي يقول فيها (قل للبخيلة بالسلام تورعا * كيف استبحت دمي ولم تتورعي)

59 (وزعمت أن تصلي بعام قابل * هيهات أن أبقى إلى أن ترجعي) (أبديعة الحسن التي في وجهها * دون الوجوه علامة للمبدع) (ما كان ضرك لو غمزت

بحاجب * يوم التفرق أو أشرت بإصبع) (وتيقني أني
بحبك مغرم * ثم اصنعي ما شئت بي أن تصنعي) وقال
العماد أيضا أنشدني هذين البيتين وزعم أنه ابتكر معناهما
ولم يسبق إليه وهما (تردي الكتائب كتبه فإذا انبرت * لم
تدر أنفذ أسطرا أم عسكرا) (لم يحسن الإتراب فوق
سطورها * إلا لأن الجيش يعقد عثيرا) وهذان البيتان
من جملة قصيدة ولقد أبدع فيهما وفي معنى تشبيه القلم
بالجيش قول بعضهم (قوم إذا أخذوا الأقلام عن غضب
* ثم استمدوا بها ماء المنيات) (نالوا بها من أعاديهم
وإن بعدوا * ما لم ينالوا بحد المشرفيات) قلت ومعنى
البيت الأول ينظر إلى قول أبي تمام الطائي في مدح محمد
بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم (هززت أمير
المؤمنين محمدا * فكان ردينيا وأبيض منصلا) (فما إن
تبالي إذ تجهز رأيه * إلى ناكث أن لا تجهز جحفلا) ثم
إني وجدت معنى البيت الثاني للأستاذ أبي إسماعيل
الحسين بن علي المنشىء الطغرائي المقدم ذكره وهو من
جملة قصيدة يمدح بها نظام الملك (إذا ما دجا ليل
العجاجة لم يزل * بأيديهم جمر إلى الهند منسوب)
60 (عليها سطور الضرب يعجمها القنا *
صحائف يغشاها من النقع تتريب) ومن شعره السائر (
يضحي يجانبني مجانبة العدا * ويبيت وهو إلى الصباح
نديم) (ويمر بي يخشى الرقيب فلفظه * شتم وغنج
لحاظه تسليم) وله في غلام لسبته نحلة في شفته (بأبي

من لسبته نحلة * آلمت أكرم شيء وأجل) (أثرت لسبتها في شفة * ما براها الله إلا للقبل) (حسبت أن بفيه بيتها * إذ رأت ريقته مثل العسل) ولولا خوف الإطالة لذكرت له أشياء بديعة وتوفي بمدينة حمص في شعبان سنة إحدى وقيل اثنتين وثمانين وخمسمائة والثاني ذكره في السيل والذيل والأول أصح رحمه الله تعالى وقد قارب ستين سنة 81 وتوفي الشريف ابن عبيد الله المذكور بالموصل سنة ثلاث وستين وخمسمائة رحمه الله تعالى وكان رئيسا بالموصل سنة ثلاث وستين وخمسمائة رحمه الله تعالى وكان رئيسا جوادا كثير الإحسان جم الإفضال وله شعر فمنه قوله (قالو سلا صدقوا عن * السلوان ليس عن الحبيب) (قالوا فلم ترك الزيارة * قلت من خوف الرقيب) (قالوا وكيف تعيش مع * هذا فقلت من العجيب)

61 وذكره عماد الدين في كتاب الخريدة وبالغ في الثناء عليه ثم قال وسمعت ببغداد أبياتا يغنى بها فنسبها بعض الشاميين إلى الشريف ضياء الدين المذكور منها (يا بانة الوادي التي سفكت دمي * بلحاظها بل يا فتاة الأجرع) (لي أن أبث إليك ما ألقاه من * ألم الهوى وعليك أن لا تسمعي) (كيف السبيل إلى تناول حاجة * قصرت يدي عنها كزند الأقطع) 337 ابن شاس أبو محمد عبد الله بن نجم بن شاس بن نزار بن عشاير بن عبد الله بن محمد بن شاس الجذامي السعدي الفقيه المالكي

المنعوت بالجلال كان فقيها فاضلا في مذهبه عارفا بقواعده رأيت بمصر جمعا كبيرا من أصحابه يذكرون فضائله وصنف في مذهب الإمام مالك رضي الله عنه كتابا نفيسا أبدع فيه وسماه الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة وضعه على ترتيب الوجيز تصنيف حجة الإسلام أبي حامد الغزالي رحمه الله تعالى وفيه دلالة على غزارة فضله والطائفة المالكية بمصر عاكفة عليه لحسنه وكثرة فوائده وكان مدرسا بمصر بالمدرسة المجاورة للجامع وتوجه إلى ثغر دمياط لما أخذه العدو المخذول بنية الجهاد فتوفي هناك في جمادى الآخرة أو في رجب سنة ست عشرة وستمائة رحمه الله تعالى

62 وشاس بالشين المعجمة والسين المهملة بينهما ألف والجذامي والسعدي قد تقدم الكلام عليهما 338 عبد الله بن العباس بن عبد المطلب أبو العباس عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عم رسول الله توفي رسول الله وله ثلاث عشرة سنة وكان دعا له فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل وحرق علي رضي الله عنه قوما من الزنادقة فأنكر عليه ابن عباس فقال ويح ابن أم الفضل إنه لغواص على الهنات وكان عطاء إذا حدث عنه قال حدثني البحر وكان ميمون بن مهران إذا ذكر عنده عبد الله بن عمر وعبد الله ابن العباس قال كان ابن عباس أفقه وأخذ الفقه عن ابن عباس جماعة منهم عطاء بن أبي رباح وطاوس ومجاهد وسعيد بن

جبير وعبيد الله بن عبد الله بن مسعود وأبو الشعثاء جابر بن زيد وابن أبي مليكة وعكرمة وميمون بن مهران وعمرو بن دينار وغيرهم ذكر أنه اجتمع من بني هاشم جماعة عند معاوية يوما فأقبل عليهم فقال يا بني هاشم والله إن خيري لممنوح وإن بابي لكم لمفتوح فلا يقطع خيري عنكم علة ولا يوصد بابي دونكم مسألة وإني نظرت في أمري وأمركم فرأيت أمرا مختلفا إنكم ترون أنكم أحق بما في يدي مني وإذا أعطيتكم عطية فيها قضاء حقوقكم

63 قلتم اعطانا دون حقنا وقصر بنا عن قدرنا فصرت كالمسلوب والمسلوب لا حمد له هذا مع إنصاف قائلكم وإسعاف سائلكم قال فأقبل ابن عباس فقال أما والله ما منحتنا شيئا حتى سألناه ولا فتحت لنا بابا حتى قرعناه ولئن قطعت عنا خيرك فالله أوسع خيرا منك ولئن أغلقت دوننا بابك لنكفن أنفسنا عنك وأما هذا المال فليس لك منه إلا ما لرجل واحد من المسلمين ولنا في كتاب الله حقان حق في الغنيمة وحق في الفيء فالغنيمة ما غلبنا عليه والفيء ما احتسبناه ولولا حقنا في هذا المال لم يأتك منا زائر يحمله خف ولا حافر كفاك أم أزيدك قال كفاني فإنك لا تهر ولا تنبح وحكى المدائني قال قام عمرو بن العاص في موسم من مواسم العرب فأطرى معاوية بن أبي سفيان وبني أمية وذكر مشاهده بصفين واجتمعت قريش فأقبل عبد الله بن عباس على عمرو فقال يا عمرو إنك بعت

دينك من معاوية واعطيته ما بيدك ومناك ما بيد غيره فكان الذي أخذ منك أكثر مما أعطاك والذي أخذت منه دون الذي أعطيته وكل راض بما أخذ وأعطي فلما صارت مصر في يدك كدرها عليك بالعزل والتنغيص حتى لو كانت نفسك بيدك ألقيتها وذكرت مشاهدك بصفين فوالله ما ثقلت علينا وطأتك ولقد كشفت فيها عورتك وإن كنت لطويل اللسان قصير السنان آخر الخيل إذا أقبلت وأولها إذا أدبرت لك يدان يد لا تبسطها إلى خير وأخرى لا تقبضها عن شر ووجهان وجه موحش ووجه مؤيس ولعمري ان من باع دينة بدنيا غيره لحري ان يطول ندمه لك لسان وفيك خطل ولك رأي وفيك نكد ولك قدر وفيك حسد فأصغر عيب فيك أكبر عيب في وقال ابن عباس رضي الله عنه ما رأيت رجلا لي عنده معروف إلا أضاء ما بيني وبينه وقال رضي الله عنه أربعة لا أقدر على مكافأتهم رجل بدأني بالسلام ورجل وسع لي في المجلس ورجل اغبرت قدماه في المشي في حاجتي فأما الرابع فما يكافئه عني إلا الله عز وجل قيل ومن هو قال رجل نزل به أمر فبات ليلته يفكر فيمن يقصده ثم رآني أهلا لحاجته فأنزلها بي

64 وقال له رجل زوجني من فلانه وكانت يتيمة في حجره فقال لا أرضاها لك لأنها تسرف فقال الرجل قد رضيت فقال ابن عباس الآن لا أرضاك لها ومات ابن عباس بالطائف في فتنة ابن الزبير وبلغ سبعين سنة قال

أبو صالح صاحب التفسير ما رأينا بني أم قط أبعد قبورا من بني العباس لأم الفضل مات الفضل بالشام ومات عبد الله بالطائف ومات عبيد الله بالمدينة ومات قثم بسمرقند وقتل معبد بإفريقية قال الواقدي مات ابن عباس سنة ثمان وسبعين بالطائف وهو ابن اثنتين وسبعين سنة وقد كف بصره فصلى عليه ابن الحنفية وكبر أربعا وضرب على قبره فسطاطا رحمه الله تعالى 339 أبو بكر الصديق أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة واسمه عثمان بن عامر من ولد تيم ابن مرة تيم قريش يلتقي هو ورسول الله عند مرة بن كعب وهما في العدد إليه سواء بين كل واحد منهما وبينه ستة آباء كان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة فسماه رسول الله عبد الله ولقبه عتيق لقب به لجمال وجهه رضي الله عنه وقيل إن رسول الله قال له أنت عتيق من النار وسمي صديقا لتصديقه خبر المسرى وأمه سلمى وتكنى أم الخير بنت صخر وهي بنت عم أبيه

65 كان طويلا آدم خفيف العارضين يخضب بالحناء والكتم بويع له يوم الإثنين الذي توفي فيه رسول الله وتوفي بالسل ليلة الثلاثاء وقيل يوم الجمعة لتسع ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وسنه ثلاث وستون سنة وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وتسعة أيام وغسلته زوجته أسماء ابنة عميس وصلى عليه عمر رضي الله عنهما وحمل على سرير رسول الله وهو سرير عائشة رضي الله عنها وكان من خشبتي ساج منسوجا

بالليف وبيع في ميراث عائشة رضي الله عنها بأربعة آلاف درهم فاشتراه مولى لمعاوية وجعله للمسلمين ويقال إنه بالمدينة ودفن في حجرة عائشة ورأسه بين كتفي رسول الله وكان يأخذ من بيت المال في كل يوم ثلاثة دراهم وكان قال لعائشة انظري يا بنية ما زاد في مال أبي بكر منذ وليت هذا الأمر فرديه على المسلمين فنظرت فإذا بكر وقطيفة لا تساوي خمسة دراهم ومجشة فلما جاء بذلك الرسول إلى عمر قال رحم الله أبا بكر لقد كلف من بعده تعبا وروي أن أبا بكر خرج بعد البيعة ومعه ميزان ورزمة ثياب تحت يده وخرج إلى السوق فقيل له ما هذا فقال أكتسب لنفسي وعيالي فأجمعوا رأيهم وفرضوا له في كل يوم درهما وثلثي درهم من بيت مال المسلمين وأبو بكر رضي الله عنه أول من طلب من النبي الدلالة على نبوته وسبب ذلك أن أبا بكر رضي الله عنه كان باليمن في تجارة ونبيء النبي وهو غائب أبو بكر رضي الله عنه في طريقه على دير فيه راهب باليمن هو ورفقته فسألهم الراهب هل فيكم خطيب قالوا نعم وأشاروا إلى أبي بكر رضي الله عنه فدعاه إليه وحده فقال له الراهب من أين أنت فقال من مكة فقال هل ظهر بها أحد يدعي النبوة فقال لا فقال الراهب عندي صورة أريكها فإن عرفت أحدا يشبهها فعرفني فعرض عليه الصورة فقال هذه صورة رجل يعرف بمحمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقال

الراهب هذا هو النبي المدعو به وهو خاتم الأنبياء يظفر بأعدائه ويعلو دينه الأديان فقال أبو بكر رضي الله عنه
66 ما عرفنا هذا منه ولا ادعاه ولا عرف بالعلم ولا يحسن الكتابة ولا خالط اليهود والنصارى فقال الراهب هذا هو النبي نفسه وقيل إن الراهب قال لأبي بكر وأنت الخليفة من بعده على أهل دينه فرجع أبو بكر من عند الراهب ولم يشعر أحدا من رفقته بما قال له الراهب فلما قدم مكة قالت له أمه سلمى أم الخير ما بلغك ما حدث من صديقك محمد زعم أنه نبي نبأه الله وأرسله إلى قومه وكافة الخلق فقال لها وأين هو قالت بجبل حراء فأسرع أبو بكر رضي الله عنه نحو الجبل فرآه في غار فسلم عليه وقال بلغني أنك ادعيت النبوة والرسالة فقال له لست بمدع وقد فعل الله ذلك بي قال له فما الدليل على صدقك قال هل خرجت علي كذبا قال لا والله غير أن هذا أمر لا يقبل بغير دليل فقال النبي دليله ما قاله لك الراهب قال أبو بكر أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله أنا أول متابع لك على هذا الأمر وهو أول من أم في محراب رسول الله في حياته وأول من دعي بخليفة وأول من رقي منبر رسول الله قال الشعبي لما ولي أبو بكر الخلافة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إني وليتكم ولست بخيركم ولكن نزل القرآن فأدبنا فتأدبنا وسن رسول الله فعلمنا فتعلمنا وان أكيس الكيس التقى وأحمق الحمق الفجور وان أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه وان

أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه الحق إنما انا متبع ولست بمبتدع فإن أحسنت فأعينوني وان زغت فسددوني أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين ولما تم الأمر لأبي بكر رضي الله عنه ارتدت العرب إلا قليلا منهم وكان قد تنبأ في حياة رسول الله ثلاثة الأسود بن كعب العنسي ومسيلمة الكذاب واسمه ثمامة بن حبيب وطليحة الأسدي فأما الأسود فإنه غلب على صنعاء ونجران إلى عمل الطائف واستطار الحريق فكتب رسول الله يأمر بقتله فقتله فيروز الديلمي في منزله وجاء
67 رسول الله الخبر بقتله من السماء فأخبر به أصحابه ثم وصل المخبر بقتله إلى المدينة بعد وفاة رسول الله وكان أول فتح على أبي بكر رضي الله عنه كذا ذكره الطبري في تاريخه وقال أبو بشر الدولابي إنه قتل في خلافة أبي بكر وأما مسيلمة وطليحة فإن أمرهما استغلظ واجتمع على طليحة عوام طيء وأسد وغطفان وارتدت قبائل العرب إلا قيسا وثقيفا ومنعوا الزكاة فأشار الناس على أبي بكر رضي الله عنه بأخذ العرب بالصلاة ومسامحتهم في الزكاة فقال والله لو منعوني عقالا أو عناقا مما كانوا يؤدون إلى رسول الله لقاتلتهم على ذلك ثم خرج إلى عبس وذبيان فقاتلهم فانهزموا وعادوا إلى المدينة ثم سير الجيوش لقتال أهل الردة وعقد أحد عشر لواء على أحد عشر جندا وسير خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى طليحة ومن تابعه من غطفان فهزمهم وانهزم طليحة حتى

لحق بالشام وقتل من أصحابه جمع كبير ثم أسلم طليحة بعد ذلك لما بلغه عن أسد وغطفان ولم يزل مقيما في كلب حتى مات أبو بكر رضي الله عنه ثم أتى عمر رضي الله عنه فبايعه ورجع إلى ديار قومه وسار خالد لقتال بني حنيفة ومسيلمة وكانت امرأة تعرف بسجاح ابنة الحارث قد تنبأت في بني تغلب وسارت إلى مسيلمة الكذاب فتزوجت به وأقامت عنده ثلاثا ثم انصرفت إلى قومها ثم هزم الله بني حنيفة وقتل مسيلمة الكذاب قتله وحشي قاتل حمزة ولما فرغ خالد رضي الله عنه من أمر اليمامة كتب إليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه يأمره بالمسير إلى العراق فسار وصالح أهل الحيرة على جزية حملها إلى المدينة وكانت أول جزية حملت إليها وقال أبو بكر رضي الله عنه لخالد حين بعثه إلى أهل الردة احرص على الموت توهب لك الحياة ففتح الأنبار وعين التمر وأنفذ السبي إلى المدينة وسار إلى دومة الجندل فقتل وسبى ثم وجه أبو بكر رضي الله عنه الجيوش إلى الشام وأمر خالدا بالمسير إليها وفتحت بصرى في خلافته وهي أول مدينة فتحت بالشام

68 وحج بالناس سنة اثنتي عشرة وهي السنة الثانية من خلافته وولي الأولى عمر رضي الله عنه ومات أبو قحافة والد أبي بكر بعد موت أبي بكر رضي الله عنه بسنة وقيل تسعة أشهر وذلك في سنة أربع عشرة وسنه سبع وتسعون سنة وكان إسلامه يوم فتح مكة وكان يوم مات

أبو بكر رضي الله عنه بمكة ولم يل الخلافة من أبوه حي غير أبي بكر رضي الله عنه وهو أول من جمع القرآن الكريم بين اللوحين وذلك ان المسلمين لما اصيبوا باليمامة خاف أبو بكر رضي الله عنه أن يفنى قراء القرآن وإنما كان في صدور الرجال فجمعه وجعله بين اللوحين وسماه مصحفا ولم يزل عنده إلى أن مات وبقي عند عمر رضي الله عنه إلى أن مات وبقي عند حفصة ابنته ولما احتضر أبو بكر رضي الله عنه استخلف على المسلمين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ووصاه فكان من وصيته ان قال هذا ما وصى به أبو بكر ابن أبي قحافة عند آخر عهده من الدنيا وأول عهده بالآخرة إني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فإن بر وعدل فذاك ظني به ورجائي فيه وان غير وبدل فلا علم لي بالغيب والخير أردت ولكل امرىء ما اكتسب (^ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) ووصل الخبر بموت أبي بكر رضي الله عنه إلى الشام وخالد بن الوليد على دمشق يحاصرها وفي اليوم الثاني من ورود الخبر فتحت دمشق وكان خالد رضي الله عنه أخفى خبر موته إلى أن فتح دمشق واختلفوا في سبب مرضه الذي مات فيه فقيل سمته يهودية وقيل اغتسل في يوم بارد فحم ومرض خمسة عشر يوما وكان عمر رضي الله عنه يصلي بالناس حين ثقل وكان رسول الله لما هاجر إلى المدينة يركب وأبو بكر رضي الله عنه رديفه وهو

أسن من رسول الله وكان أبو بكر رضي الله عنه يعرف الطريق لاختلافه إلى الشام فكان يمر
69 بالقوم فيقولون من هذا بين يديك يا أبا بكر فيقول هاد يهديني وهذا الحديث يدل على أنه أسن من رسول الله ورأى أبو بكر رضي الله عنه رجلا بيده ثوب فقال أهو للبيع قال لا أصلحك الله فقال هلا قلت لا وأصلحك الله لئلا يشتبه الدعاء لي بالدعاء علي وقال لرجل قال له لأشتمنك شتما يدخل معك قبرك قال معك يدخل والله لا معي ومدح قوم أبا بكر رضي الله عنه فقال الله أعلم بي مني بنفسي وأنا أعلم بنفسي منكم فاستغفروا الله مما لا تعلمون وأسأله أن لا يؤاخذكم بما تقولون وأن يجعلني خيرا مما تظنون وحكي أن أبا بكر رضي الله عنه أتى النبي بصدقته فأخفاها فقال يا رسول الله هذه صدقتي ولله عندي معاد وجاء عمر رضي الله عنه بصدقته فأظهرها وقال يا رسول الله هذه صدقتي ولي عند الله المعاد فقال رسول الله (يا عمر وترت قوسك بغير وتر ما بين صدقتيكما كما بين كلمتيكما) أولاده لصلبه وأعقابهم عبد الله بن أبي بكر وأسماء بنت أبي بكر وأمهما قتيلة من بني عامر بن لؤي وعبد الرحمن وعائشة وأمهما أم رومان بنت الحارث ابن الحويرث من بني فراس بن غنم بن كنانة ومحمد بن أبي بكر أمه أسماء بنت عميس وأم كلثوم أمها بنت زيد بن خارجة رجل من الأنصار 82 فأما عبد الله بن أبي بكر فإنه شهد الطائف مع النبي فجرح وبقي إلى خلافة أبيه

ومات وترك سبعة دنانير فاستكثرها أبوه رضي الله عنه
وولد عبد الله بن إسماعيل وهلك ولا عقب له 83 وأما
أسماء فهي ذات النطاقين وتزوجها الزبير بمكة فولدت له
عدة أولاد ثم طلقها فكانت مع عبد الله ابنها حتى قتل
وبقيت مائة سنة حتى عميت وماتت بمكة رضي الله عنها
وأما عائشة رضي الله عنها فتزوجها النبي وقد تقدم ذكرها
في هذا الحرف 84 واما عبد الرحمن بن أبي بكر فشهد
يوم بدر مع المشركين ثم أسلم
70 وحسن إسلامه ومات فجأة سنة ثلاث وخمسين
بجبل بقرب مكة فأدخلته عائشة الحرم ودفنته وأعتقت عنه
وكان شهد الجمل معها ويكنى أبا عبد الله 85 وأما أم كلثوم
فتزوجها طلحة بن عبيد الله فولدت له محمدا وكان عاملا
على مكة وولدت له زكريا وعائشة ثم قتل عنها فتزوجها
عبد الرحمن ابن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي الآتي
ذكره ولطلحة عقب كثير وهم ينزلون بالقرب من المدينة
وكانت بنت محمد بن طلحة عند سليمان بن علي بن عبد
الله بن العباس 86 وأما محمد بن عبد الرحمن فولد عبد الله
بن محمد وله عقب يقال لهم آل أبي عتيق من بين ولد أبي
بكر وذلك ان عدة من ولد أبي بكر تفاضلوا فقال أحدهم أنا
ابن الصديق وقال الآخر أنا ابن ثاني اثنين وقال آخر أنا
ابن صاحب الغار وقال محمد بن عبد الرحمن أنا ابن
عتيق فنسب إلى ذلك هو وولده إلى اليوم وأما محمد بن
أبي بكر فسيأتي ذكره في حرف الميم إن شاء الله تعالى

87 مواليه بلال بن أبي رباح وأمه حمامة وكان من مولدي السراة فيما بين اليمن والطائف وكان لرجل من بني جمح فاشتراه أبو بكر رضي الله عنه بخمس أواقي وأعتقه وكان من المعذبين في الله عز وجل وشهد بلال بدرا والمشاهدكلها وهو أول من أذن لرسول الله فلما قبض رسول الله جاء إلى أبي بكر رضي الله عنه فاستأذنه إلى الشام فأذن له فلم يزل مقيما بها ولم يؤذن بعد النبي لأحد منهم فلما قدم عمر رضي الله عنه إلى الشام لقيه فأمره بالأذان فأذن فبكى عمر والمسلمون معه وكان بلال يكنى أبا عبد الله وكان شديد الأدمة نحيفا طوالا خفيف العارضين به شمط كبير وكان لا يغير شيبه مات بدمشق سنة عشرين وهو ابن بضع وستين سنة رحمه الله تعالى كتابه عثمان بن عفان رضي الله عنه وزيد بن ثابت

71 قاضيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقيل انه أقام سنة لم يختصم إليه أحد حاجبه شديد مولاه وكان خاتم رسول الله في يده 340 عبد الله بن الزبير أبو خبيب عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي وأمه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهم ذات النطاقين وقد تقدم ذكرها مع أبيها وهو أول مولود ولد بالمدينة من المسلمين بعد الهجرة بويع له بمكة سنة أربع وستين بعد أن أقام الناس بغير خليفة جماديين وأياما من رجب وبايعه أهل العراق وولى أخاه مصعبا البصرة وولى عبد الله بن مطيع الكوفة فوثب المختار بن أبي عبيد

على الكوفة فأخذها ووجه شميطا إلى البصرة فقتله مصعب وسار مصعب إلى المختار فقتله في سنة سبع وستين وبنى ابن الزبير الكعبة وادخل فيها الحجر وجعل لها بابين مع الأرض يدخل من احدهما ويخرج من الآخر وخلق داخل الكعبة وخارجها فكان أول من خلقها وكساها القباطي وولى أخاه عبيدة بن الزبير المدينة وأخرج مروان بن الحكم وبنيه منها فصار إلى الشام ولم يزل يقيم للناس الحج من سنة أربع وستين إلى سنة اثنتين
72 وسبعين فلما ولي عبد الملك منع أهل الشام من الحج من أجل ابن الزبير كان يأخذ الناس بالبيعة له إذا حجوا فضج الناس لما منعوا الحج فبنى عبد الملك في بيت المقدس الصخرة فكان الناس يحضرونها يوم عرفة ويقفون عندها ويقال إن ذلك سبب التعريف من مسجد بيت المقدس ومساجد الأمصار وذكر الجاحظ في كتاب نظم القرآن أن أول من سن التعريف في مساجد الأمصار عبد الله بن عباس وذكر أبو عمر الكندي ان عبد العزيز بن مروان أول من سن التعريف بمصر في الجامع بعد العصر ثم بعد ذلك بعث عبد الملك الحجاج إلى عبد الله بن الزبير وسبب ذلك أن عبد الملك لما قتل مصعبا وابنه عيسى وأراد الرجوع إلى الشام قام إليه الحجاج فقال يا أمير المؤمنين إني رأيت في منامي أني أخذت عبد الله بن الزبير فسلخته فابعثني إليه وولني عليه فبعثه في جيش من أهل الشام كثيف فنزل الطائف وكان يبعث البعوث

فيقاتلون ابن الزبير ففي ذلك كله ترجع خيل الحجاز بالظفر ثم كتب الحجاج إلى عبد الملك يستأذنه في دخول الحرم عليه وحصاره وأخبره أن شوكته قد كلت فأذن له في ذلك فلما دخل ذو القعدة رحل الحجاج من الطائف حتى نزل بئر ميمون وحصر ابن الزبير وأمد عبد الملك الحجاج لهلال ذي الحجة ولم يطف بالبيت ولم يصل إليه وكان يلبس السلاح ولا يمس النساء ولا الطيب إلى أن قتل ابن الزبير ولم يحج ابن الزبير ولا أصحابه في هذه السنة لأنهم لم يقفوا بعرفة وحج الحجاج في هذه السنة ثم حصر ابن الزبير ثمانية أشهر فتفرق عامة من كان معه وخرجوا إلى الحجاج في الأمان حتى بلغ عدة المستأمنة عشرة آلاف وكان في جملتهم ابنا عبد الله بن الزبير أخذا امانا لنفسيهما فلما رأى عبد الله بن الزبير ما رأى من ولده وأصحابه دخل على أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما فقال يا أمه قد خذلني الناس حتى ولدي وأهلي ولم يبق إلا اليسير ممن ليس عنده من الدفع إلا صبر ساعة

73 والقوم يعطونني ما أردت من الدنيا فما رأيك فقالت والله يا بني أنت أعلم بنفسك ان كنت تعلم أنك على حق فامض له فقد قتل عليه أصحابك وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت أهلكت نفسك ومن قتل معك وان قلت إني على حق فلما وهن أصحابي ضعفت فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين فدنا ابن الزبير فقبل رأسها

وقال هذا رأيي ولكن أحببت أن أعلم رأيك فزدتني بصيرة فانظري يا أماه إني مقتول من يومي هذا فلا يشتد حزنك وسلمي لأمر الله فإن ابنك لم يتعمد إتيان منكر ولا عمل بفاحشة ولم يجر في حكم ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد اللهم إني لا أقول هذا تزكية لنفسي ولكن تعزية لأمي لتسلو عني فقالت أمه إني لأرجو أن يكون عزائي فيك حسنا اخرج حتى انظر إلى ما يصير إليه أمرك ثم قالت اللهم ارحم طول ذلك القيام في الليل الطويل وذلك التحنث والظمأ في الهواجر بالمدينة ومكة وبره بأبيه وبي اللهم قد اسلمته لأمرك فيه ورضيت بما قضيت فأثبني في عبد الله ثواب الشاكرين الصابرين ثم دنا فتناول يدها فقبلها فقالت هذا وداع فلا تبعد وكان عليه درع فلما عانقها وجدت مس الدرع فقالت ما هذا صنيع من يريد ما تريد قال ما لبستها إلا لأشد منك قالت فإنها لا تشد مني فنزعها ثم أدرج كميه وأدخل أسفل قميصه وجبة خز كانت عليه من أسفل المنطقة وخرج وقد كبر الناس فحمل عليهم فلم يبق بين يديه أحد وانهزم الناس ووقف بالأبطح لا يدنو منه أحد وكان الحجاج وطارق ابن عمرو جميعا في ناحية الأبطح إلى المروة والناس لكل طائفة منهم باب فمرة يحمل عبد الله في هذه ومرة في هذه وكأنه أسد في اجمة فلما كان يوم الثلاثاء أذن المؤذن فتقدم فصلى بالناس فلما فرغ من الصلاة أمر أهله وحضهم على القتال ثم قال لهم في جملة كلامه ألا من كان سائلا عني فإني في الرعيل الأول

احملوا على بركة الله وعونه ثم حمل حتى بلغ بهم
الحجون فرمي بآجرة فأرعش لها ودمي وجهه فلما وجد
سخونة الدم على وجهه ولحيته قال (فلسنا على الأعقاب
تدمى كلومنا * ولكن على أقدامنا تقطر الدما) وصاحت
مولاة لآل الزبير ومجنونة وا أمير المؤمنيناه وكانت رأته
حيث
74 هوى وكان قتله يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة
بقيت من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين وقيل جمادى
الآخرة وكان سنة اثنتين وسبعين سنة رضي الله عنه وجاء
الخبر إلى الحجاج فسجد وجاء هو وطارق حتى وقفا عليه
فقال طارق ما ولدت النساء اذكر من هذا فقال الحجاج
اتمدح من يخالف طاعة أمير المؤمنين قال نعم هو اعذر
لنا ولولا هذا ما كان لنا عذر بالمحاصرة وهو في غير
خندق ولا حصن ولا منعة منذ سبعة أشهر ينتصف منا بل
يفضل علينا في كل ما التقينا فبلغ كلامهما عبد الملك
فصوب رأي طارق وحكى الشعبي قال حضرت عبد الله
بن الزبير وهو يخطب بمكة فقال في آخر خطبته أما والله
لو كانت الرجال تصرف لصرفتكم تصريف الذهب
بالفضة أما والله لوددت أن لي بكل رجلين منكم رجلا من
أهل الشام بل بكل خمسة بل بكل عشرة فما بكم يدرك
الثأر ولا بكم يمنع الجار فقام إليه رجل من أهل البصرة
فقال ما نجد لنا ولك مثلا إلا قول الأعشى (علقتها
عرضا وعلقت رجلا * غيري وعلق أخرى غيرها الرجل

(علقناك وعلقت أهل الشام وعلق أهل الشام بني مروان
فما عسانا أن نصنع قال الشعبي فما سمعت بجواب أحضر
منه ولا أحسن ثم دخل الحجاج مكة فبايع من بها من
قريش وبعث برأس ابن الزبير وجماعة إلى المدينة
فنصبوا بها ثم ذهب بها إلى عبد الملك بن مروان فبعث
عبد الملك برأس ابن الزبير إلى عبد الله بن خازم الأسلمي
وهو بخراسان وال من جهة ابن الزبير وكتب إليه عبد
الملك يدعوه إلى طاعته ويقول له بايعني حتى اجعل لك
خراسان طعمة سبع سنين فقال ابن خازم لرسوله لولا أن
الرسل لا تقتل لأمرت بضرب عنقك ولكن كل كتاب
صاحبك فأكله ثم أخذ الرأس فغسله وطيبه وكفنه ودفنه
وقيل إنه بعث به إلى آل الزبير إلى المدينة فدفنوه مع جثته
ثم قال (أعيش زبيري الحياة فإن أمت * فإني موص
هامتي بالتزبر) ثم ان عبد الملك بن مروان ولى الحجاج
مكة واليمن واليمامة فنقض الحجاج
75   بنيان الكعبة الذي بناه ابن الزبير لأنه كان
تخلخل من حجارة المنجنيق فأعاده إلى بناء قريش الأول
ولما توفي بشر بن مروان كتب عبد الملك إلى الحجاج بن
يوسف وهو بالمدينة بوفاته فأقبل في اثني عشر راكبا على
النجائب حتى دخل الكوفة فجأة فبدأ بالمسجد فدخله ثم
صعد المنبر وستأتي تتمة الكلام وقيل إن عبد الله بن
الزبير قال لأمه أسماء إني لا آمن إن قتلت أن يمثل بي
وأصلب قالت يا بني إن الشاة إذا ذبحت لم تألم وماتت أمه

بعده بخمسة أيام ولها مائة سنة رضي الله عنها وكان سلطانه بالحجاز والعراق تسع سنين واثنين وعشرين يوما رضي الله عنه

76 341 عبد الله بن المعتز أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور بن محمد بن علي عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي أخذ الأدب عن أبي العباس المبرد وأبي العباس ثعلب وغيرهما كان أديبا بليغا شاعرا مطبوعا مقتدرا على الشعر قريب المأخذ سهل اللفظ جيد القريحة حسن الإبداع للمعاني مخالطا للعلماء والأدباء معدودا من جملتهم إلى أن جرت له الكائنة في خلافة المقتدر واتفق معه جماعة من رؤساء الأجناد ووجوه الكتاب فخلعوا المقتدر يوم السبت لعشر بقين وقيل لسبع بقين من شهر ربيع الأول سنة ست وتسعين ومائتين وبايعوا عبد الله المذكور ولقبوه المرتضي بالله وقيل المنصف بالله وقيل الغالب بالله وقيل الراضي بالله وأقام يوما وليلة ثم إن أصحاب المقتدر تحزبوا وتراجعوا وحاربوا أعوان ابن المعتز وشتتوهم وأعادوا المقتدرإلى دسته واستحفى ابن المعتز في دار أبي عبد الله الحسين عبد الله بن الحسين المعروف بابن الجصاص التاجر الجوهري فأخذه المقتدر وسلمه إلى مؤنس الخادم الخازن فقتله وسلمه إلى أهله ملفوفا في كسء وقيل إنه مات حتف أنفه وليس بصحيح بل خنقه مؤنس وذلك يوم الخميس

ثاني شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين ومائتين ودفن في خرابة بإزاء داره رحمه الله تعالى ومولده لسبع بقين من شعبان سنة سبع وأربعين وقال سنان بن ثابت في سنة ست وأربعين ومائتين والقضية مشهورة وفيها طول وهذا خلاصتها 88 ثم قبض المقتدر عب ابن الجصاص المذكور وأخذمنه مقدار ألفي ألف دينار وسلم له بعد ذلك مقدار سبعمائة ألف دينار وكان فيه غفلة وبله وتوفي يوم الأحد لثلاث ليلة خلت من شوار سنة خمس عشرة وثلثمائة ولابن المعتز من التصانيف كتاب الزهر والرياض وكتاب البديع وكتاب مكاتبات الإخوان بالشعر وكتاب الجوارح والصيد وكتاب السرقات وكتاب أشعار الملوك وكتاب الآداب وكتاب حلى الأخبار وكتاب طبقات الشعراء وكتاب الجامع في الغناء وكتاب فيه أرجوزة في ذم الصبوح ومن كلامه البلاغة البلوغ إلى المعنى ولم يطل سفر الكلام وكان يقول لي ما أحسن شعر تعرفه لقلت قول العباس بن الأحنف (قد سحب الناس أذيال الظنون بنا * وفرق الناس فينا قولهم فرقا) (فكاذب قد رمى بالظن غيركم * وصادق ليس يدري أنه صدق) ورثاه علي بن محمد بن بسام الشاعر الآتي ذكره بقوله (لله رك من ميت بمضيعة * ناهيك في العلم والآداب والحسب) (ما فيه لو ولا لولا فتنقصه * وإنما أدركته حرفة الأدب)
77 الله الحسين بن عبد الله بن الحسين المعروف بابن الجصاص التاجر الجوهري فأخذه المقتدر وسلمه إلى

مؤنس الخادم الخازن فقتله وسلمه إلى أهله ملفوفا في كساء وقيل إنه مات حتف أنفه وليس بصحيح بل خنقه مؤنس وذلك يوم الخميس ثاني شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين ومائتين ودفن في خرابة بإزاء داره رحمه الله تعالى ومولده لسبع بقين من شعبان سنة سبع وأربعين وقال سنان بن ثابت في سنة ست وأربعين ومائتين والقضية مشهورة وفيها طول وهذا خلاصتها 88 ثم قبض المقتدر على ابن الجصاص المذكور وأخذ منه مقدار ألفي ألف دينار وسلم له بعد ذلك مقدار سبعمائة ألف دينار وكان فيه غفلة وبله وتوفي يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة خمس عشرة وثلثمائة ولابن المعتز من التصانيف كتاب الزهر والرياض وكتاب البديع وكتاب مكاتبات الإخوان بالشعر وكتاب الجوارح والصيد وكتاب السرقات وكتاب أشعار الملوك وكتاب الآداب وكتاب حلى الأخبار وكتاب طبقات الشعراء وكتاب الجامع في الغناء وكتاب فيه أرجوزة في ذم الصبوح ومن كلامه البلاغة البلوغ إلى المعنى ولم يطل سفر الكلام وكان يقول لو قيل لي ما أحسن شعر تعرفه لقلت قول العباس بن الأحنف (قد سحب الناس أذيال الظنون بنا * وفرق الناس فينا قولهم فرقا) (فكاذب قد رمى بالظن غيركم * وصادق ليس يدري أنه صدقا) ورثاه علي بن محمد بن بسام الشاعر الآتي ذكره بقوله (لله درك من ميت بمضيعة * ناهيك

في العلم والآداب والحسب) (ما فيه لو ولا لولا فتنقصه
* وإنما أدركته حرفة الأدب)
78 ولعبد الله المذكور أشعار رائقة وتشبيهات بديعة
فمن ذلك قوله (سقى المطيرة ذات الظل والشجر * ودير
عبدون هطال من المطر) (فطالما نبهتني للصبوح بها *
في غرة الفجر والعصفور لم يطر) (أصوات رهبان
دير في صلاتهم * سود المدارع نعارين في السحر) (
مزنرين على الأوساط قد جعلوا * على الرؤوس أكاليلا
من الشعر) (كم فيهم من مليح الوجه مكتحل * بالسحر
يطبق جفنيه على حور) (لاحظته بالهوى حتى استقاد له
* طوعا وأسلفني الميعاد بالنظر) (وجاءني في قميص
الليل مستترا * يستعجل الخطو من خوف ومن حذر) (
فقمت أفرش خدي في الطريق له * ذلا وأسحب أذيالي
على الأثر) (ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا * مثل
القلامة قد قدت من الظفر) (وكان ما كان مما لست
أذكره * فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر) ومن ظريف
شعره قوله ولم أجدها في ديوانه ولكن الرواة أطبقوا على
أنها له والله أعلم (ومقرطق يسعى إلى الندماء * بعقيقة
في درة بيضاء) (والبدر في أفق السماء كدرهم * ملقى
على ياقوتة زرقاء) (كم ليلة قد سرني بمبيته * عندي
بلا خوف من الرقباء) (ومهفهف عقد الشراب لسانه *
فحديثه بالرمز والإيماء) (حركته بيدي وقلت له انتبه *
يا فرحة الخلطاء والندماء) (فأجابني والسكر يخفض

صوته * بتلجلج كتلجلج الفأفاء) (إني لأفهم ما تقول وإنما * غلبت علي سلافة الصهباء) (دعني أفيق من الخمار إلى غد * واحكم بما تختار يا مولائي)
79 وله في الخمرة المطبوخة وهو معنى بديع وفيه دلالة على أنه كان حنفي المذهب (خليلي قد طاب الشراب المورد * وقد عدت بعد النسك والعود أحمد) (فهاتا عقارا في قميص زجاجة * كياقوتة في درة تتوقد) (يصوغ عليها الماء شباك فضة * له حلق بيض تحل وتعقد) (وقتني من نار الجحيم بنفسها * وذلك من إحسانها ليس يجحد) وكان ابن المعتز شديد السمرة مسنون الوجه يخضب بالسواد ورأيت في بعض المجاميع أن عبد الله بن المعتز المذكور كان يقول أربعة من الشعراء سارت أسماؤهم بخلاف أفعالهم فأبو العتاهية سار شعره بالزهد وكان على الإلحاد وأبو نواس سار شعره باللواط وكان أزنى من قرد وأبو حكيمة الكاتب سار شعره بالعنة وكان أهب من تيس ومحمد بن حازم سار شعره بالقناعة وكان أحرص من كلب) وقد رويت لابن حازم خبرا يخالف حكاية ابن المعتز ويوافق شعره وذلك أنه كان جار سعيد بن حميد الكاتب الطوسي فهجاه لأمر كان بينهما فبلغ سعيدا هجوه فأغضى عنه مع القدرة ثم إن محمدا ساءت حاله فتحول عن جواره فبلغ ابن حميد ذلك فبعث إليه عشرة آلاف درهم وتخوت ثياب وفرسا بآلته ومملوكا وجارية وكتب إليه ذو الأدب يحمله ظرفه على نعت

الشيء بغير هيئته وتبعثه قدرته على وصفه بخلاف حليته ولم يكن ما شاع من هجائك في جاريا إلا هذا المجرى وقد بلغني من سوء حالك وشدة خلتك ما لا غضاضة به عليك مع كبر همتك وعظم نفسك ونحن شركاء فيما ملكنا ومتساوون فيما تحت أيدينا وقد بعثت إليك بما جعلته وإن قل استفتاحا لما

80 بعده وإن جل فرد ابن حازم جميعه ولم يقبل منه شيئا وكتب إليه (وفعلت بي فعل المهلب إذ * غمر الفرزدق بالندى الدثر) (فبعثت بالأموال ترغبني * كلا ورب الشفع والوتر) (لا ألبس النعماء من رجل * ألبسته عارا على الدهر) وهذا دليل على قناعته وحسن صبره واحتماله الإضاقة 89 وهذا سعيد بن حميد يكنى أبا عثمان وكان كاتبا شاعرا مترسلا عذب الألفاظ مقدما في صناعته جيد السرقة حتى قال بعض الفضلاء لو قيل لكلام سعيد وشعره ارجع إلى أهلك لما بقي معه منه شيء وكان يدعي أنه من أولاد ملوك الفرس وله من الكتب كتاب انتصاف العجم من العرب ويعرف بالتسوية وله ديوان رسائل وديوان شعر صغير والمطيرة بفتح الميم وكسر الطاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعد الراء المفتوحة هاء وهي قرية من نواحي سر من رأى وعبدون الذي يضاف الدير إليه فيقال دير عبدون هو ابن مخلد وهو أخو الوزير صاعد بن مخلد وإنما أضيف إليه لأنه كان كثير التردد إليه والمقام فيه والعناية بعمارته وهو إلى

جنب المطيرة ودير عبدون أيضا قرب جزيرة ابن عمر بينهما دجلة وقد خرب الآن وكان منزها لأهلها وقوله ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا مأخوذ من قول عمرو بن قميئة في صفة الهلال (كأن ابن مزنتها جانحا * فسيط لدى الأفق من خنصر) والفسيط قلامة الظفر

81 342 ابن طباطبا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن علي بن الحسن بن إبراهيم بن طباطبا ابن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه الحجازي الأصل المصري الدار والوفاة كان طاهرا كريما فاضلا صاحب رباع وضياع ونعمة ظاهرة وعبيد وحاشية كثير التنعم كان بدهليزه رجل يكسر اللوز كل يوم من أول النهار إلى آخره برسم الحلوى التي ينفذها لأهل مصر الأستاذ من كافور الإخشيدي إلى من دونه ويطلق للرجل المذكور دينارين في كل شهر أجرة عمله فمن الناس من كان يرسل له الحلوى كل يوم ومنهم كل جمعة ومنهم كل شهر وكان يرسل إلى كافور في كل يوم جامين حلوى ورغيفا في منديل مختوم فحسده بعض الأعيان وقال لكافور الحلوى حسن فما لهذا الرغيف فإنه لا يحسن أن يقابلك به فأرسل إليه كافور وقال يجريني الشريف في الحلوى على العادة ويعفيني من الرغيف فركب الشريف إليه وعلم أنهم قد حسدوه على ذلك وقصدوا إبطاله فلما اجتمع به قال له أيدك الله إنا ما ننفذ الرغيف تطاولا ولا تعاظما وإنما هي صبية حسنية تعجنه

بيدها وتخبزه فنرسله على سبيل التبرك فإذا كرهته قطعناه
فقال كافور لا والله لا تقطعه ولا يكون قوتي سواه فعاد
إلى ما كان عليه من إرسال الحلوى والرغيف ولما مات
كافور وملك المعز أبو تميم معد بن المنصور العبيدي
الديار المصرية على يد القائد جوهر المقدم ذكره في
حرف الجيم وجاء المعز بعد ذلك من
82 إفريقية وكان يطعن في نسبه فلما قرب من البلد
وخرج الناس للقائه اجتمع به جماعة من الأشراف فقال له
من بينهم ابن طباطبا المذكور إلى من ينتسب مولانا فقال
له المعز سنعقد مجلسا ونجمعكم ونسرد عليكم نسبنا فلما
استقر المعز بالقصر جمع الناس في مجلس عام وجلس
لهم وقال هل بقي من رؤسائكم أحد فقالوا لم يبق معتبر
فسل عند ذلك نصف سيفه وقال هذا نسبي ونثر عليهم ذهبا
كثيرا وقال هذا حسبي فقالوا جميعا سمعنا وأطعنا وكان
الشريف المذكور حسن المعاملة في معامليه حسن
الإفضال عليهم ملاطفا لهم يركب إليهم وإلى سائر
أصدقائه ويقضي حقوقهم ويطيل الجلوس عندهم وأغنى
جماعة وكان حسن المذهب وكانت ولادته سنة ست
وثمانين ومائتين وتوفي في الرابع من رجب سنة ثمان
وأربعين وثلثمائة بمصر وصلي عليه في مصلى العيد
وحضر جنازته من الخلق ما لا يحصي عددهم إلا الله
تعالى ودفن بقرافة مصر وقبره معروف ومشهور بإجابة
الدعاء روي أن رجلا حج وفاتته زيارة النبي فضاق

صدره لذلك فرآه في نومه فقال له إذا فاتتك الزيارة فزر قبر عبد الله بن أحمد بن طباطبا وكان صاحب الرؤيا من أهل مصر وحكى بعض من له عليه إحسان أنه وقف على قبره وأنشد (وخلفت الهموم على أناس * وقد كانوا بعيشك في كفاف) فرآه في نومه فقال قد سمعت ما قلت وحيل بيني وبين الجواب والمكافأة ولكن صر إلى مسجد وصل ركعتين وادع يستجب لك رحمه الله تعالى وقد تقدم في حرف الهمزة الكلام على طباطبا وهذه الحكاية التي جرت له مع المعز عند قدومه مصر ذكرها في كتاب الدول المنقطعة لكنها تناقض تاريخ الوفاة فإن المعز دخل مصر في شهر رمضان سنة اثنتين وستين وثلثمائة كما سيأتي في ترجمته إن شاء الله تعالى وابن
83 طباطبا المذكور توفي في سنة ثمان وأربعين وثلثمائة كما هو مذكور هاهنا فكيف يتصور الجمع بينهما وأفادني تاريخ وفاته شيخنا الحافظ زكي الدين أبو محمد عبد العظيم المنذري وراجعته في هذا التناقض فقال أما الوفاة في هذا التاريخ فهي محققة ولعل صاحب الواقعة مع المعز كان ولده والله أعلم أي ذلك كان ثم رأيت تاريخ وفاته كما هو هاهنا في تاريخ الأمير المختار المعروف بالمسبحي وقال وكانت علته قد طالت من توثه عرضت له في حنكه فتعالج بضروب العلاجات فلم ينجع فيها شيء وكانت علة غريبة لم يعهد مثلها ثم رأيت في تاريخ ابن زولاق أن الشريف الذي التقى بالمعز هو أبو جعفر مسلم

بن عبيد الله الحسيني والشريف أبو إسماعيل إبراهيم بن
أحمد الحسيني الرسي ولعل أحدهما صاحب هذه الواقعة
والله أعلم 343 عبد الله بن طاهر أبو العباس عبد الله بن
طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق بن ماهان
الخزاعي وقد تقدم ذكر أبيه في حرف الطاء وقد كان عبد
الله المذكور سيدا نبيلا عالي الهمة شهما وكان المأمون
كثير الاعتماد عليه حسن الالتفات إليه لذاته ورعاية لحق
والده وما أسلفه من الطاعة في خدمته وكان واليا على
الدينور فلما خرج بابك الخرمي على خراسان وأوقع
الخوارج بأهل قرية
84 الحمراء من أعمال نيسابور وأكثروا فيها الفساد
واتصل الخبر بالمأمون بعث إلى عبد الله وهو بالدينور
يأمره بالخروج إلى خراسان فخرج إليها في النصف من
شهر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة ومائتين وحارب
الخوارج وقدم نيسابور في رجب سنة خمس عشرة
ومائتين وكان المطر قد انقطع عنها تلك السنة فلما دخلها
مطرت مطرا كثيرا فقام إليه رجل بزاز من حانوته وأنشده
(قد قحط الناس في زمانهم * حتى إذا جئت جئت بالدرر)
(غيثان في ساعة لنا قدما * فمرحبا بالأمير والمطر)
هكذا قال السلامي في أخبار خراسان وذكر الطبري في
تاريخه أن طلحة ابن طاهر المذكور في ترجمة أبيه لما
مات في سنة ثلاث عشرة وعبد الله يوم ذاك بالدينور
أرسل المأمون إليه القاضي يحيى بن أكثم يعزيه عن أخيه

طلحة ويهنئه بولاية خراسان وذكر بعد هذا في ولاية طلحة شيئا آخر فقال إن المأمون لما مات طاهر وكان ولده عبد الله بالرقة على محاربة نصر بن شبث ولاه عمل أبيه كله وجمع له مع ذلك الشام فوجه عبد الله أخاه طلحة إلى خراسان والله أعلم وذكر الطبري أيضا في سنة ثلاث عشرة أن المأمون ولى أخاه المعتصم الشام ومصر وابنه العباس بن المأمون الجزيرة والثغور والعواصم وأعطى كل واحد منهما ومن عبد الله بن طاهر خمسمائة ألف دينار وقيل إنه لم يفرق في يوم من المال مثل ذلك وكان أبو تمام الطائي قد قصد عبد الله من العراق فلما انتهى إلى قومس وطالت به الشقة وعظمت عليه المشقة قال (يقول في قومس صحبي وقد أخذت * منا السرى وخطى المهرية القود) (أمطلع الشمس تنوي أن تؤم بنا * فقلت كلا ولكن مطلع الجود) قلت وقد أخذ أبو تمام هذين البيتين من أبي الوليد مسلم بن الوليد

85 الأنصاري المعروف بصريع الغواني الشاعر المشهور حيث يقول (يقول صحبي وقد جدوا على عجل * والخيل تسنن بالركبان في اللجم) (أمغرب الشمس تنوي أن تؤم بنا * فقلت كلا ولكن مطلع الكرم) فإنه أغار على اللفظ والمعنى رجعنا إلى ما كنا فيه ولما وصل أبو تمام إليه أنشده قصيدته البديعة البائية التي يقول فيها (وركب كأطراف الأسنة عرسوا * على مثلها والليل تسطو غياهبه) (لأمر عليهم أن تتم صدوره * وليس عليهم أن

تتم عواقبه) وهي من القصائد الطنانة وفيها يقول (فقد
بث عبد الله خوف انتقامه * على الليل حتى ما تدب
عقاربه) وفي هذه السفرة ألف أبو تمام كتاب الحماسة
فإنه لما وصل إلى همذان وكان في زمن الشتاء والبرد
بتلك النواحي شديد خارج عن حد الوصف قطع عليه كثرة
الثلوج طريق مقصده فأقام بهمذان ينتظر زوال الثلج وكان
نزوله عند بعض رؤسائها وفي دار ذلك الرئيس خزانة
كتب فيها دواوين العرب وغيرها فتفرغ لها أبو تمام
وطالعها واختار منها كتاب الحماسة وكان عبد الله
المذكور أديبا ظريفا جيد الغناء نسب إليه صاحب الأغاني
أصواتا كثيرة أحسن فيها ونقلها أهل الصنعة عنه وله شعر
مليح ورسائل ظريفة فمن شعره قوله وجدتها منسوبة إليه
(نحن قوم تليننا الحدق النجل * على أننا نلين الحديدا)
86 (طوع أيدي الظباء تقتادنا العين * ونقتاد
بالطعان الأسودا) (نملك الصيد ثم تملكنا البيض *
المصونات أعينا وخدودا) (تتقي سخطنا الأسود ونخشى
* سخط الخشف حين يبدي الصدودا) (فترانا يوم
الكريهة أحرارا * وفي السلم للغواني عبيدا) وقيل إنها
لأصرم بن حميد ممدوح أبي تمام والله أعلم ومن مشهور
شعر عبد الله قوله (اغتفر زلتي لتحرز فضل الشكر *
مني ولا يفوتك أجري) (لا تكلني إلى التوسل بالعذر *
لعلي أن لا أقوم بعذري) وكان عبد الله أحد الأجواد
الأسخياء حكى محمد بن داود بن الجراح عن محلم بن أبي

محلم الشيباني عن أبيه قال عادلت عبد الله بن طاهر إلى خراسان فدخلنا الري وقت السحر فإذا قمرية تغرد على فنن شجرة فقال عبد الله بن طاهر أحسن والله أبو كبير الهذلي حيث يقول (ألا يا حمام الأيك إلفك حاضر * وغصنك مياد ففيم تنوح) ثم قال ما أحسن هذا فقلت وقد عملت على البديهة في معارضتة ثم قلت (أفي كل يوم غربة ونزوح * أما للنوى من أوبة فتروح) (لقد طلح البين المشت ركائبي * فهل أرين البين وهو طليح) (وأرقني بالري نوح حمامة * فنحت وذو الشجو القديم ينوح) (على أنها ناحت فلم تذر دمعة * ونحت وأسراب الدموع سفوح) (وناحت وفرخاها بحيث تراهما * ومن دون أفراخي مهامه فيح) (عسى جود عبد الله أن يعكس النوى * فتضحي عصا الأسفار وهي طريح)

87 قال فأذن من ساعتي بالرجوع ووصلني بعشرة آلاف درهم وردني إلى منزلي ولما رجع عبد الله إلى الشام ارتفع فوق سطح قصره فنظر إلى دخان يرتفع من جواره فقال ما هذا الدخان فقيل إن الجيران يخبزون فقال إن من اللؤم أن نقيم بمكان فنكلف جيرانه بالخبز فاقصدوا الدور واكسروا التنانير واحضروا ما بها من رجل وامرأة فأجرى على كل إنسان خبزه ولحمه وما يحتاج إليه فسميت أيامه أيام الكفاية وكتب إليه وكيله أن دابة بعض الأضياف به نقب فوقع يجلب عليه وعلى مثله من بعد بلا استشارة ولا استئذان ومن كلامه سمن الكيس ونبل الذكر

لا يجتمعان في موضع واحد ورفعت إليه قص مضمونها
أن جماعة خرجوا إلى ظاهر البلد للتفرج ومعهم صبي
فكتب على رأسها ما السبيل على فتية خرجوا لمتنزههم
يقضون أوطارهم على قدر أخطارهم ولعل الغلام ابن
أحدهم أو قرابة بعضهم وكان عبد الله قد تولى الشام مدة
والديار المصرية مدة وفيه يقول بعض الشعراء وهو
بمصر (يقول أناس إن مصرا بعيدة * وما بعدت مصر
وفيها ابن طاهر) (وأبعد من مصر رجال تراهم *
بحضرتنا معروفهم غير حاضر) (عن الخير موتى ما
تبالي أزرتهم * علىطمع أم زرت أهل المقابر) وتنسب
هذه الأبيات إلى عوف بن محلم الشيباني والله أعلم وكان
دخوله إليها سنة إحدى عشرة ومائتين وخرج منها في
أواخر هذه السنة فدخل بغداد في ذي القعدة منها واستمر
نوابه بمصر وعزل عنها في سنة سن ثلاث عشرة
ومائتين ووليها أبو إسحاق ابن الرشيد وهو الملقب
بالمعتصم وذكر الفرغاني في تاريخه أن عبد الله بن طاهر
وليها بعد عبيد الله بن السري
88 ابن الحكم وخرج عبيد الله عنها في صفر سنة
إحدى عشرة ومائتين وخرج عبد الله بن طاهر عنها إلى
العراق لخمس بقين من رجب سنة اثنتي عشرة ومائتين
وقد استخلف بها إلى أن وليها المعتصم وذكر الوزير أبو
القاسم ابن المغربي في كتاب أدب الخواص أن البطيخ
العبدلاوي الموجود بالديار المصرية منسوب إلى عبد الله

المذكور وهذا النوع من البطيخ لم أره في شيء من البلاد
سوى مصر ولعله نسب إليه لأنه كان يستطيبه أو أنه أول
من زرعه هناك 90 وعبد الله وقومه خزاعيون بالولاء
فإن جدهم رزيقا كان مولى أبي محمد طلحة بن عبيد الله
بن خلف المعروف بطلحة الطلحات الخزاعي وكان طلحة
المذكور واليا على سجستان من قبل مسلم بن زياد بن أبيه
والي خراسان وكنيته أبو حرب فمات بها في فتنة عبد الله
بن الزبير رضي الله عنه وفيه يقول الشاعر وهو عبيد الله
بن قيس الرقيات (رحم الله أعظما دفنوها * بسجستان
طلحة الطلحات) وإنما قيل له طلحة الطلحات لأن أمه
طلحة بنت أبي طلحة هكذا قاله أبو الحسين علي بن أحمد
السلامي في تاريخ ولاة خراسان وقومس المذكور في
شعر أبي تمام بضم القاف وسكون الواو وفتح الميم وقيل
بكسرها وبعدها سين مهملة وهو إقليم من عراق العجم
حده من جهة خراسان بسطام ومن جهة العراق سمنان
هاتان المدينتان داخلتان في أعمال قومس وكرسي قومس
الدامغان وكانت وفاة عبد الله المذكور في شهر ربيع
الأول سنة ثمان وعشرين ومائتين بمرو وقيل سنة ثلاثين
وهو الأصح وقال الطبري مات بنيسابور يوم الإثنين
لأحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول من سنة
ثلاثين
ومائتين بعد موت أشناس التركي بسبعة أيام 89
وعاش مثل أبيه طاهر ثمانيا وأربعين سنة رحمه الله تعالى

وسيأتي ذكر ولده عبيد الله إن شاء الله تعالى 344 أبو العميثل أبو العميثل عبد الله بن خليد مولى جعفر بن سليمان

بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضـــي الله عنهم ويقال أصــــلـه من الري وكان يفخم الكلام ويغربه وكان كاتب عبد الله بن طاهر المذكور قبله وشـــاعره ومنقطعا إليه وكاتب أبيه طاهر من قبله وكان مكثرا من نقل اللغة عارفا بها شـــاعرا مجيدا فمن شــعره في عبد الله المذكور قوله (يا من يحاول أن تكون صفاته * كصفات عبد الله أنصت واسمع) (فلأنصحنك في المشورة والذي * حج الحجيج إليه فاســمع أو دع) (أصـــدق وعف وبر واصبر واحتمل * واصفح وكاف ودار واحلم واشجع) (والطف ولن وتأن وارفق واتئد * واحزم وجد وحام واحمل وادفع) (فلقد محضتك إن قبلت نصيحتي * وهديت للنهج الأسد المهيع) ولقد أحسن في هذا المقطوع كل الإحسان وله غيره أشعار حسان ويقال إنه وصل يوما إلى باب عبد الله بن طاهر فرام الدخول إليه فحجب فقال
90 (ســأترك هذا الباب ما دام إذنه * على ما أرى حتى يخف قليلا) (إذا لم أجد يوما إلى الإذن ســلما * وجدت إلى ترك اللقاء ســبيلا) فبلغ ذلك عبد الله فأنكره وأمر بدخوله وكان يقول النعمان اســم من أســماء الدم ولذلك قيل شــقائق النعمان نســبت إلى الدم لحمرتها قال

وقولهم إنها منسوبة إلى النعمان بن المنذر ليس بشيء وحدثت الأصمعي بهذا فنقله عني هذا كله كلام أبي العميثل والذي ذكره أرباب اللغة بخلافه فإن ابن قتيبة ذكر في كتاب المعارف أن النعمان بن المنذر وهو آخر ملوك الحيرة من اللخميين خرج إلىظهر الكوفة وقد اعتم نبته من بين أصفر وأحمر وأخضر وإذا فيه من هذه الشقائق شيء كثير فقال ما أحسنها احموها فحموها فسمي شقائق النعمان بذلك وقال الجوهري في الصحاح إنها منسوبة إلى النعمان المذكور وكذا غيره والله أعلم ويحكى أن أبا تمام الطائي لما أنشد عبد الله بن طاهر قصيدته البائية المذكورة في ترجمته كان أبو العميثل حاضرا فقال له يا أبا تمام لم لا تقول ما يفهم فقال يا أبا العميثل لم لا تفهم ما يقال وقبل يوما كف عبد الله بن طاهر فاستخشن مس شاربيه فقال أبو العميثل في الحال شوك القنفذ لا يؤلم كف الأسد فأعجبه كلامه وأمر له بجائزة سنية وصنف كتبا منها كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه وكتاب التشابه وكتاب الأبيات السائرة وكتاب معاني الشعر وغير ذلك وكانت وفاة أبي العميثل سنة أربعين ومائتين رحمه الله تعالى

91 والعميثل بفتح العين المهملة والميم وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الثاء المثلثة وبعدها لام وهو اسم لعدة أشياء من جملتها الأسد والظاهر أنه هو المقصود هاهنا

345 الناشي الأكبر أبو العباس عبد الله بن محمد الناشي الأنباري المعروف بابن شرشير الشاعر كان من

الشعراء المجيدين وهو في طبقة ابن الرومي والبحتري
وأنظارهما وهو الناشي الأكبر وسيأتي ذكر الناشي
الأصغر إن شاء الله تعالى وكان نحويا عروضيا متكلما
أصله من الأنبار وأقام ببغداد مدة طويلة ثم خرج إلى
مصر وأقام بها إلى آخر عمره وكان متبحرا في عدة علوم
من جملتها علم المنطق وكان بقوة علم الكلام قد نقض علل
النحاة وأدخل على قواعد العروض شبها ومثلها بغير أمثلة
الخليل وكل ذلك بحذقه وقوة فطنته وله قصيدة في فنون
من العلم على روي واحد تبلغ أربعة آلاف بيت وله عدة
تصانيف جميلة وله أشعار كثيرة في جوارح الصيد وآلاته
والصيود وما يتعلق بها كأنه كان صاحب صيد وقد
استشهد كشاجم بشعره في كتاب المصايد والمطارد في
مواضع منها قصائد ومنها طرديات على أسلوب أبي
نواس ومنها مقاطيع وقد أجاد في الكل فمن ذلك قوله
طردية في وصف باز
92 (لما تفرى الليل عن أثباجه * وارتاح ضوء
الصبح لانبلاجه) (غدوت أبغي الصيد في منهاجه *
بأقمر أبدع في نتاجه) (ألبسه الخالق من ديباجه * وشياً
يحار الطرف في اندراجه) (في نسق منه وفي انعراجه
* وزان فوديه إلى حجاجه) (بزينة كفته نظم تاجه *
منسره ينبيء عن خلاجه) (وظفره يخبر عن علاجه *
لو استضاء المرء في إدلاجه) (بعينه كفته من سراجه)
ومن شعره في جارية مغنية بديعة الجمال : (فديتك لو

أنهم أنصـــــفوك * لردوا النواظر عن ناظريك) (تردين
أعيننا عن ســـواك * و هل تنظر العين إلا إليك) (و هم
جعلوك رقيبا علينا * فمن ذا يكون رقيبا عليك) (ألم
يقرأوا ويحهم ما يرون * من وحي حســـنك في وجنتيك)
وشــــعره كثير ونقتصـــر منه على هذا القدر وكانت وفاته
بمصـــــر ســـنة ثلاث وتســـعين ومائتين رحمه الله تعالى
والناشـــي بفتح النون وبعد الألف شـــين معجمة وبعدها ياء
و هو لقب عليه وشــرشــير بكســر الشــين الأولى والثانية
المعجمتين وبينهما راء ســـــاكنـة ثم يـاء مثنـاة من تحتهـا
وبعدها راء و هو في الأصــل اســم طـائر يصــل إلى الديار
المصـــرية في البحر في زمن الشـــتاء و هو أكبر من الحمام
بقليل وأظنه من طير الماء و هو كثير الوجود بساحل دمياط
وأظنه يأتي من صـحراء الترك وباسمه سمي الرجل والله
أعلم والأنبـاري بفتح الهمزة وســــكون النون وفتح البـاء
الموحدة وبعد الألف راء هذه النسبة إلى الأنبار و هي مدينة
قديمة على الفرات في جهة بغداد يفصل
93 بينهما دجلة و هي في الجانب الغربي وبغداد في
الجانب الشــرقي وبينها وبين بغداد عشــرة فراســخ خرج
منها جماعة من العلماء و هو جمع واحده نبر بكســر النون
وســـكون الباء والأنبار أهراء الطعام وإنما قيل لهذه البليدة
الأنبار لأن الملوك الأكاســـرة كانوا يخزنون بها الطعام
فسميت بذلك 346 ابن صارة الشنتريني أبو محمد عبد الله
بن محمد بن صــارة البكري الأندلســي الشــنتريني الشــاعر

المشهور كان شاعرا ماهرا ناظما ناثرا إلا أنه كان قليل الحظ إلا من الحرمان لم يسعه مكان ولا اشتمل عليه سلطان ذكره صاحب قلائد العقيان وأثنى عليه ابن بسام في الذخيرة وقال إنه تتبع المحقرات وبعد جهد ارتقى إلى كتابة بعض الولاة فلما كان من خلع الملوك ما كان أوى إلى إشبيلية أوحش حالا من الليل وأكثر انفرادا من سهيل وتبلغ بالوراقة وله منها جانب وبها بصر ثاقب فانتحلها على كساد سوقها وخلو طريقها وفيها يقول (أما الوراقة فهي أيكة حرفة * أوراقها وثمارها الحرمان) (شبهت صاحبها بصاحب إبرة * تكسو العراة وجسمها عريان)

94 وله (ومعذر رقت حواشي حسنه * فقلوبنا وجدا عليه رقاق) (لم يكس عارضه السواد وإنما * نفضت عليه سوادها الأحداق) وله في غلام أزرق العين (ومهفهف أبصرت في أطواقه * قمرا بآفاق المحاسن يشرق) (تقضي على المهجات منه صعدة * متألق فيها سنان أزرق) وهذا كقول السلامي (أعانق من قده صعدة * ترى اللحظ منها مكان السنان) ومن هاهنا أخذ ابن النبيه المصري قوله (أسمر كالرمح له مقلة * لو لم تكن كحلاء كانت سنان) وأورد له صاحب كتاب الحديقة (أسنى ليالي الدهر عندي ليلة * لم أخل فيها الكأس من إعمال) (فرقت فيها بين جفني والكرى * وجمعت بين القرط والخلخال) وقال غيره هذان البيتان لصالح الهزيل الإشبيلي والله أعلم وله في الزهد (يا من يصيخ إلى

داعي السفاه وقد * نادى به الناعيان الشيب والكبر) (إن كنت لا تســـمع الذكرى ففيم ثوى * في رأســـك الواعيان السمع والبصر) (ليس الأصم ولا الأعمى سوى رجل * لم يهده الهاديان العين والأثر)
95 (لا الدهر يبقى ولا الدنيا ولا الفلك الأعلى * ولا النيران الشـــمس والقمر) (ليرحلن عن الدنيا وإن كرها * فراقها الثاويان البدو والحضر) وله (وصاحب لي كداء البطن صـحبته * يودني كوداد الذئب للراعي) (يثني علي جزاه الله صالحة * ثناء هند على روح بن زنباع) قوله ثناء هند على روح بن زنباع هذه هند هي بنت النعمان ابن بشير الأنصاري رضي الله عنه وكان روح بن زنباع الجذامي صـــاحب عبد الملك بن مروان قد تزوجها وكانت تكرهه وفيه تقول (وهل هند إلا مهرة عربية * ســـليلة أفراس تحللها بغل) (فإن نتجت مهرا كريما فبالحرى * وإن يك إقراف فما أنجب الفحل) ويروى فمن قبل الفحل وهو إقواء ويروى هذان البيتان لأختها حميدة بنت النعمان والإقراف أن تكون الأم عربية والأب ليس كذلك والهجنة خلاف ذلك بأن يكون الأب عربيا والأم خلاف ذلك وله ديوان شـعر أكثره جيد وكانت وفاته سـنة سبع عشـرة وخمسـمائة بمدينة المرية من جزيرة الأندلس وقد تقدم ذكرها ويقال في اسم جده صـارة وسارة بالصـاد والســين المهملتين والشـــنتريني بفتح الشـــين المعجمة وســـكون النون وفتح التاء المثناة من فوقها وكســـر الراء

وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون وهذه النسبة إلى شنترين وهي بلدة في غرب جزيرة الأندلس أيضا رحمه الله تعالى

96 347 البطليوسي أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي النحوي كان عالما بالآداب واللغات متبحرا فيهما مقدما في معرفتهما وإتقانهما سكن مدينة بلنسية وكان الناس يجتمعون إليه ويقرأون عليه ويقتبسون منه وكان حسن التعليم جيد التفهيم ثقة ضابطا ألف كتبا نافعة ممتعة منها كتاب المثلث في مجلدين أتى فيه بالعجائب ودل على اطلاع عظيم فإن مثلث قطرب في كراسة واحدة واستعمل فيها الضرورة وما لا يجوز وغلط في بعضه وله كتاب الاقتضاب في شرح أدب الكتاب وقد ذكرته في ترجمة عبد الله بن قتيبة وشرح سقط الزند لأبي العلاء المعري شرحا استوفى فيه المقاصد وهو أجود من شرح أبي العلاء صاحب الديوان الذي سماه ضوء السقط وله كتاب في الحروف الخمسة وهي السين والصاد والضاد والطاء والذال جمع فيه كل غريب وله كتاب الحلل في شرح أبيات الجمل والخلل في أغاليط الجمل أيضا وكتاب التنبيه على الأسباب الموجبة لاختلاف الأمة وكتاب شرح الموطأ وسمعت أن له شرح ديوان المتنبي ولم أقف عليه وقيل إنه لم يخرج من المغرب وبالجملة فكل شيء يتكلم فيه فهو في غاية الجودة وله نظم حسن فمن

ذلك قوله (أخو العلم حي خالد بعد موته * وأوصاله تحت التراب رميم)
97 (وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى * يظن من الأحياء وهو عديم) وله في طول الليل (ترى ليلنا شابت نواصيه كبرة * كما شبت أم في الجو روض بهار) (كأن الليالي السبع في الجو جمعت * ولا فصل فيما بينهما لنهار) وله من أول قصيد يمدح بها المستعين بن هود (هم سلبوني حسن صبري إذ بانوا * بأقمار أطواق مطالعها بان) (لئن غادروني باللوى إن مهجتي * مسايرة أظعانهم حيثما كانوا) (سقى عهدهم بالخيف عهد غمائم * ينازعها مزن من الدمع هتان) (أأحبابنا هل ذلك العهد راجع * وهل لي عنكم آخر الدهر سلوان) (ولي مقلة عبرى وبين جوانحي * فؤاد إلى لقياكم الدهر حنان) (تنكرت الدنيا لنا بعدكم * وحلت بنا من معضل الخطب ألوان) ومن مديحها (رحلنا سوام الحمد عنها لغيرها * فلا ماؤها صدا ولا النبت سعدان) (إلى ملك حاباه بالحسن يوسف * وشاد له البيت الرفيع سليمان) (من النفر الشم الذين أكفهم * غيوث ولكن الخواطر نيران)
98 وهي طويلة ونقتصر منها على هذا القدر ومولده في سنة أربع وأربعين وأربعمائة بمدينة بطليوس وتوفي في منتصف رجب سنة إحدى وعشرين وخمسمائة بمدينة بلنسية رحمه اله تعالى والسيد بكسر السين المهملة

وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة وهو من جملة أسماء الذئب سمي الرجل به والبطليوسي بفتح الباء الموحدة والطاء المهملة وسكون اللام وفتح الياء المثناة من تحتها وسكون الواو وبعدها سين مهملة وبلنسية بفتح الباء الموحدة واللام وسكون النون وكسر السين المهملة وفتح الياء المثناة من تحتها وبعدها هاء ساكنة هاتان المدينتان بجزيرة الأندلس خرج منهما جماعة من العلماء 348 ابن ناقيا أبو القاسم عبد الله وقيل عبد الباقي بن محمد بن الحسين بن داود بن ناقيا الأديب الشاعر اللغوي المترسل هو من أهل الحريم الطاهري وهي محلة ببغداد وكان فاضلا بارعا وله مصنفات حسنة مفيدة منها مجموع سماه ملح الممالحة ومنها كتاب الجمان في تشبيهات القرآن وله مقامات أدبية مشهورة واختصر الأغاني في مجلد واحد وشرح كتاب الفصيح وله ديوان
99 شعر كبير وديوان رسائل وذكره العماد الأصبهاني في كتاب الخريدة وأثنى عليه وذكر طرفا من أحواله وأورد له هذين البيتين في بعض الرؤساء وقد افتصد فكتبهما إليه (جعل الله ذو المواهب عقباك * من الفصد صحة وسلامه) (قل ليمناك كيف شئت استهلي * لا عدمت الندى فأنت غمامه) ولقد أجاد فيهما ومن شعره أيضا (أخلاي ما صاحبت في العيش لذة * ولا زال عن قلبي حنين التذكر) (ولا طاب لي طعم الرقاد ولا اجتنبت * لحاظي مذ فارقتكم حسن منظر) (ولا عبثت كفي

بكأس مدامة يطوف بها ســـاق ولا جس مزهر) وكان ينسب إلى التعطيل ومذهب الأوائل وصنف في ذلك مقالة وكان كثير المجون وحكى الذي تولى غســله بعد موته أنه وجد يده اليســرى مضـمومة فاجتهد حتى فتحها فوجد فيها كتابة بعضـــها على بعض فتمهل حتى قرأها فإذا فيها مكتوب (نزلت بجار لا يخيب ضـيفه * أرجي نجاتي من عذاب جهنم) (وإني على خوف من الله واثق * بإنعامه فالله أكرم منعم) ومولده في منتصف ذي القعدة سنة عشر وأربعمائة وتوفي ليلة الأحد رابع المحرم ســـنة خمس وثمانين وأربعمائة ودفن بباب الشام ببغداد رحمه الله تعالى وناقيا بفتح النون وبعد الألف قاف مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها مفتوحة وبعدها ألف وقد تقدمت له أبيات مرثية في ترجمة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي

100 349 الشيخ أبو البقاء أبو البقاء عبد الله بن أبي عبد الله الحسين بن أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري الأصـــل البغدادي المولد والدار الفقيه الحنبلي الحاســـب الفرضـــي النحوي الضــرير الملقب محب الدين أخذ النحو عن أبي محمد ابن الخشـــاب المذكور بعده وعن غيره من مشـايخ عصـره ببغداد وسـمع الحديث من أبي الفتح محمد بن عبـد البـاقي بن أحمد المعروف بـابن البطي ومن أبي زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدســـي وغيرهما ولم يكن في آخر عمره في عصـره مثله في فنونه وكان الغالب عليه علم النحو وصـنف فيه مصـنفات مفيدة وشـرح كتاب

الإيضـــاح لأبي علي الفارســـي وديوان المتنبي وله كتاب
إعراب القرآن الكريم في مجلدين وكتاب إعراب الحديث
لطيف وكتاب شرح اللمع لابن جني وكتاب اللباب في علل
النحو وكتاب إعراب شـعر الحماسـة وشـرح المفصـل
للزمخشـري شـرحا مسـتوفى وشـرح الخطب النباتية
والمقامات الحريرية وصنف في النحو والحساب واشتغل
عليه
101 خلق كثير وانتفعوا به واشـتهر اسـمه في البلاد
وهو حي وبعد صـيته وكانت ولادته سـنة ثمان وثلاثين
وخمسـمائة وتوفي ليلة الأحد ثامن شـهر ربيع الآخر سـنة
سـت عشـرة وسـتمائة ببغداد ودفن بباب حرب رحمه الله
تعالى والعكبري بضم العين المهملة وسكون الكاف وفتح
الباء الموحدة وبعدها راء هذه النسبة إلى عكبرا وهي بليدة
على دجلة فوق بغداد بعشرة فراسخ خرج منها جماعة من
العلماء وغيرهم وحكى الشيخ أبو البقاء المذكور في كتاب
شـرح المقامات عند ذكر العنقاء أن أهل الرس كان
بأرضـهم جبل يقال له رمخ صـاعد في السـماء قدر ميل
وكان به طيور كثيرة وكانت العنقاء طائرة عظيمة الخلق
طويلة العنق لها وجه إنسان وفيها من كل حيوان شبه من
أحسن الطير وكانت تأتي في السـنة مرة هذا الجبل فتلتقط
طيره فجاعت في بعض السنين وأعوزها الطير فانقضت
على صـبي فذهبت به فسـميت عنقاء مغربا لإبعادها بما
تذهب به ثم ذهبت بجارية أخرى فشـكا أهل الرس إلى

نبيهم حنظلة بن صفوان فدعا عليها فأصابتها صاعقة فاحترقت والله أعلم قلت هذا حنظلة بن صفوان نبي أهل الرس كان في زمن الفترة بين عيسى والنبي عليهما الصلاة والسلام ثم رأيت في تاريخ أحمد بن عبد الله بن أحمد الفرغاني نزيل مصر أن العزيز نزار بن المعز صاحب مصر اجتمع عنده من غرائب الحيوان ما لم يوجد عند غيره فمن ذلك العنقاء وهو طائر جاءه من صعيد مصر في طول البلشوم وأعظم جسما منه له غبب ولحية وعلى

102 رأسه وقاية وفيه عدة ألوان ومشابه من طيور كثيرة والله أعلم ثم وجدت في أواخر كتاب ربيع الأبرار تأليف العلامة أبي القاسم الزمخشري في باب الطير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله تعالى خلق في زمن موسى عليه السلام طائرة اسمها العنقاء لها أربعة أجنحة من كل جانب ووجهها كوجه الإنسان وأعطاها من كل شيء حسن قسطا وخلق لها ذكرا مثلها وأوحى إليه أني خلقت طائرين عجيبين وجعلت رزقهما في الوحوش التي حول بيت المقدس وآنستك بهما وجعلتهما زيادة فيما فضلت به بني إسرائيل فتناسلا وكثر نسلهما فلما توفي موسى عليه السلام انتقلت فوقعت بنجد والحجاز فلم تزل تأكل الوحش وتختطف الصبيان إلى أن نبىء خالد بن سنان العبسي بين عيسى ومحمد عليهما السلام فشكوها إليه فدعا الله فقطع نسلها وانقرضت والله أعلم 350 ابن

الخشـــــاب أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد المعروف بابن الخشاب البغدادي العالم المشهور في الأدب والنحو والتفسـير والحديث والنسـب والفرائض والحسـاب وحفظ الكتاب العزيز بالقراءات الكثيرة وكان متضـلعا من العلوم وله فيها اليد الطولى وكان خطه في نهاية الحســـن ذكره العماد الأصـــبهاني في الخريدة وعدد فضـــائله ومحاسنه ثم قال وكان قليل الشعر ومن شعره في الشمعة
103 (صــفراء من غير سـقام بها * كيف وكانت أمها الشافيه) (عارية باطنها مكتس * فاعجب بها عارية كاسـيه) وذكر له لغزا في كتاب وهو (وذي اوجهٍ لكنه غير بائح * بسـر وذو الوجهين للسـر مظهر) (تناجيك بالأسـرار أسرار وجهه * فتسمعها بالعين ما دمت تنظر) وهـذا المعنى مـأخوذ من قول المتنبي في ابن العميـد (فدعاك حسـدك الرئيس وأمسـكوا * ودعاك خالقك الرئيس الأكبرا) (خلفت صفاتك في العيون كلامه * كالخط يملأ مسـمعي من أبصـرا) وشـرح كتاب الجمل لعبد القاهر الجرجاني وسـماه المرتجل في شـرح الجمل وترك أبوابا من وسـد الكتاب ما تكلم عليها وشـرح اللمع لابن جني ولم يكملها وكـانـت فيـه بذاذة وقلـة اكتراث بـالمـأكل والملبس وذكر العماد أنه كانت بينهما صـــحبة ومكاتبات وقال لما مات كنت بالشـــام فرأيته ليلة في المنام فقلت له ما فعل الله بك قال خيرا فقلت فهل يرحم الله الأدباء فقال نعم قلت وإن كـانوا مقصـــرين فقال يجري عتـاب كثير ثم يكون النعيم

ومولده سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة قلت هكذا وجدت
تاريخ ولادته وعندي في ذلك شيء لأني وقع لي جزء فيه
تعاليق وفوائد علقها بخطه وكتب على ظهره ما صورته
مختصرا سألت أبا الفضل محمد بن ناصر عن مولد شيخنا
أبي الكرم المبارك بن فاخر المعروف بابن الدباس النحوي
فقال سنة ثلاثين وأربعمائة وأظنه خمن لأنه توفي سنة
خمس وخمسمائة وسنه فيما أرى أعلى من ذلك فسألت أبا
المحاسن ابن أبي نصر بن الدباس
104 الناسخ عن مولد عمه أبي الكرم المذكور فقال
قال لي قبل وفاته بسنة أنا في سنتي هذه بين فمي سبعين
وإنني لأخشى من ذلك يعني لي سبع وسبعون وهذا يقتضي
أن يكون مولده سنة ست وعشرين فمضمون هذه الحكاية
أن وفاة ابن الدباس محققة في سنة خمس وخمسمائة وهو
أحد مشايخ ابن الخشاب المذكور وممن أكثر الرواية عنه
ويبعد أن يكون قد حصل له هذا التحصيل واستفاد منه
وسنه حينئذ لم يبلغ الحلم فإنه على ما ذكرناه من تاريخ
وفاة المذكور ومولد ابن الخشاب المذكور يكون تقدير
عمره عند وفاة شيخه أبي الكرم ثلاث عشرة سنة وفي مثل
هذا السن يبعد اشتغاله وجمعه ولا شك أن خط ابن الخشاب
يعتمد عليه فعلى هذا التقدير يكون مولده قبل هذا التاريخ
الذي ذكرناه ويحتمل أن يكون التاريخ صحيحا وتكون
روايته عن شيخه المذكور بمجرد الرواية دون الاشتغال
والاستفادة ومثل ذلك يكون كثيرا والله أعلم وكانت وفاته

عشية الجمعة ثالث شهر رمضان سنة سبع وستين وخمسمائة ببغداد رحمه الله تعالى بباب الأزج بدار أبي القاسم ابن الفراء ودفن بمقبرة أحمد بباب حرب وصلي عليه بجامع السلطان يوم السبت

105 351 ابن الفرضي أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي الأندلسي القرطبي الحافظ المعروف بابن الفرضي كان فقيها عالما في فنون من العلم الحديث وعلم الرجال والأدب البارع وغير ذلك وله من التصانيف تاريخ علماء الأندلس وهو الذي ذيل عليه ابن بشكوال بكتابه الذي سماه الصلة وله كتاب حسن في المؤتلف والمختلف وفي مشتبه النسبة وكتاب في أخبار شعراء الأندلس وغير ذلك ورحل من الأندلس إلى المشرق في سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة فحج وأخذ عن العلماء وسمع منهم وكتب من أماليهم ومن شعره (أسير الخطايا عند بابك واقف * على وجل مما به أنت عارف) (يخاف ذنوبا لم يغب عنك غيبها * ويرجوك فيها فهو راج وخائف) (ومن ذا الذي يرجو سواك ويتقي * وما لك في فصل القضاء مخالف) (فيا سيدي لا تخزني في صحيفتي * إذا نشرت يوم الحساب الصحائف) (وكن مؤنسي في ظلمة القبر عندما * يصد ذوو القربى ويجفو المؤالف) (لئن ضاق عني عفوك الواسع الذي * أرجي لإسرافي فإني لتالف) ومن شعره أيضا

106 (إن الذي أصـــبحت طوع يمينه * إن لم يكن قمرا فليس دونه) (ذلي له في الحب من سلطانه * وسقام جسـمي من سـقام جفونه) وله شـعر كثير ومولده في ذي القعدة سـنة إحدى وخمسين وثلثمائة وتولى القضـاء بمدينة بلنسية وقتلته البربر يوم فتح قرطبة وهو يوم الإثنين لست خلون من شـــوال ســـنة ثلاث وأربعمائة رحمه الله تعالى وبقي في داره ثلاثة أيام ودفن متغيرا من غير غســـل ولا كفن ولا صـــلاة روي عنه أنه قال تعلقت بأســـتار الكعبة وســـألت الله تعالى الشـــهادة ثم انحرفت وفكرت في هول القتل فندمت وهممت أن أرجع فأســـتقيل الله ســـبحانه ذلك فاستحييت وأخبر من رآه بين القتلى ودنا منه فسمعه يقول بصـوت ضـعيف لا يكلم أحد في سـبيل الله والله أعلم بمن يكلم في سـبيله إلا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب دما اللون لون دم والريح ريح المسـك كأنه يعيد على نفسـه الحديث الوارد في ذلك قال ثم قضـــى على أثر ذلك وهذا الحديث أخرجه مسلم في حديثه 352 الرشـاطي أبو محمد عبد الله بن علي بن عبـد الله بن علي بن خلف بن أحمـد بن عمر اللخمي المعروف بالرشـــاطي الأندلســـي المريي كانت له عناية كثيرة بالحديث والرجال

107 والرواة والتواريخ وله كتاب حسن سماه كتاب اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنســـاب الصـــحابة ورواة الآثار أخذه الناس عنه وأحسن فيه وجمع وما أقصر وهو على أســلوب كتاب أبي ســعد ابن الســمعاني الحافظ

الذي سـماه بالأنساب وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى ومولد الرشاطي صبيحة يوم السبت لثمان خلون من جمادى الآخرة سنة ست وستين وأربعمائة بقرية من أعمال مرسية يقال لها أوريوالة بفتح الهمزة وسكون الواو وكسر الراء وضم الياء المثناة من تحتها وفتح الواو وبعد الألف لام مفتوحة بعدها هاء وتوفي شهيدا بالمرية عند تغلب العدو عليها صبيحة يوم الجمعة العشرين من جمادى الأولى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة رحمه الله تعالى والرشاطي بضم الراء وفتح الشين المعجمة وبعد الألف طاء مهملة مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها هذه النسبة ليست إلى قبيلة ولا إلى بلد بل ذكر في كتابه المذكور أن أحد أجداده كانت في جسمه شامة كبيرة وكانت له خادم عجمية تحضنه في صغره فإذا لاعبته قالت له رشطالله وكثر ذلك منها فقيل له الرشاطي

108 353 ابن بري أبو محمد عبد الله بن أبي الوحش بري بن عبد الجبار بن بري المقدسي الأصل المصري الإمام المشهور في علم النحو واللغة والرواية والدراية كان علامة عصره وحافظ وقته ونادرة دهره أخذ علم العربية عن أبي بكر محمد ابن عبد الملك الشنتريني النحوي وأبي طالب عبد الجبار بن محمد بن علي المعافري القرطبي وغيرهما وسمع الحديث على أبي صادق المديني وأبي عبد الله الرازي وغيرهما واطلع على أكثر كلام العرب وله على كتاب الصحاح للجوهري

حواش فائقة أتى فيها بالغرائب واستدرك عليه فيها مواضع كثيرة وهي دالة على سعة علمه وغزارة مادته وعظم اطلاعه وصحبه خلق كثير اشتغلوا عليه وانتفعوا به ومن جملة من أخذ عنه أبو موسى الجزولي صاحب المقدمة في النحو وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى وذكره في مقدمته ونقل عنه في آخرها وكان عارفا بكتاب سيبويه وعلله وكان إليه التصفح في ديوان الإنشاء لا يصدر كتاب عن الدولة إلى ملك من ملوك النواحي إلا بعد أن يتصفحه ويصلح ما لعله فيه من خلل خفي وهذه كانت وظيفة ابن بابشاذ وقد ذكرت ذلك في ترجمته في حرف الطاء

109 ولقيت بمصر جماعة من أصحابه وأخذت عنهم رواية وإجازة ويحكى أنه كانت فيه غفلة ولا يتكلف في كلامه ولا يتقيد بالإعراب بل يسترسل في حديثه كيفما اتفق حتى قال يوما لبعض تلامذته ممن يشتغل عليه بالنحو اشتر لي قليل هندبا بعروقو فقال له التلميذ هندبا بعروقه فعز عليه كلامه وقال له لا تأخذه إلى بعروقو وإن لم يكن بعروقو فما أريده وكانت له ألفاظ من هذا الجنس لا يكترث بما يقوله ولا يتوقف على إعرابها ورأيت له حواشي على درة الغواص في أوهام الخواص للحريري وله جزء لطيف في أغاليط الفقهاء وله الرد على أبي محمد ابن الخشاب المذكور في هذا الحرف في الكتاب الذي بين فيه غلط ابن الحريري في المقامات وانتصر لابن الحريري وما أقصر فيما عمله وكانت ولادته بمصر في الخامس من رجب

سـنة تسـع وتسـعين وأربعمائة وتوفي بمصـر ليلة السـبت السابعة والعشرين من شوال سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة رحمه الله تعالى وبري بفتح الباء الموحدة وتشـــديد الراء المكســورة وبعدها ياء وهو اســم علم يشــبه النســبة 354

العاضـد أبو محمد عبد الله الملقب العاضـد بن يوسـف بن الحافظ بن محمد بن المسـتنصــر ابن الظاهر بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي آخر
110 ملوك مصر من العبيديين وقد تقدم ذكر جماعة من أهل بيته وسيأتي ذكر الباقين ولي المملكة بعد وفاة ابن عمه الفائز في التاريخ المذكور في ترجمته وكان أبوه يوســـف أحد الأخوين اللذين قتلهما عباس بعد الظافر وقد ســـبق ذلك في ترجمة الظافر في حرف الهمزة واســـتقر الأمر للعاضـد المذكور اسـما وللصـالح بن رزيك المذكور في حرف الطاء جسما وكان العاضد شديد التشيع متغاليا في سب الصحابة رضوان الله عليهم وإذا رأى سنيا استحل دمه وســـار وزيره الصـــالح بن رزيك في أيامه ســـيرة مذمومة فإنه احتكر الغلات فارتفع ســـعر ها وقتل أمراء الدولة خشـية منهم وأضـعف أحوال الدولة المصـرية فقتل مقاتلتها وأفنى ذوي الآراء والحزم منها وكان كثير التطلع إلى ما في أيدي الناس من الأموال وصادر أقواما ليس بينه وبينهم تعلق وفي أيام العاضد ورد أبو عبد الله الحسين بن نزار بن المستنصر من المغرب ومعه عساكر وحشود فلما قارب بلاد مصـــر غدر به أصـــحابه وقبضـــوه وحملوه إلى

العاضد فقتله صبرا وذلك في سنة سبع وخمسين وخمسمائة في شهر رمضان وقيل إن ذلك كان في أيام الحافظ عبد المجيد هكذا قاله صاحب كتاب الدول المنقطعة والله أعلم ثم أعاد ذلك في أيام العاضد كما ذكرته أولا والله أعلم بالصواب وكان قد تلقب بالمنتصر بالله وقد تقدم في ترجمة شاور وأسد الدين شيركوه في حرف الشين ما يغني عن الإطالة في سبب انقراض دولته واستيلاء الغز عليها وسيأتي في أخبار السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى في حرف الياء طرف من ذلك أيضا وسمعت من جماعة من المصريين يقولون إن هؤلاء القوم في أوائل دولتهم قالوا لبعض العلماء تكتب لنا ورقة تذكر فيها ألقابا تصلح للخلفاء حتى إذا تولى واحد لقبوه ببعض تلك الألقاب فكتب لهم ألقابا كثيرة وآخر ما كتب في الورقة العاضد فاتفق أن آخر من ولي منهم تلقب بالعاضد وهذا
111 من عجيب الاتفاق وأيضا فإن العاضد في اللغة القاطع يقال عضدت الشيء فأنا عاضد له إذا قطعته فكأنه عاضد لدولتهم وكذا كان لأنه قطعها وأخبرني أحد علماء المصريين أيضا أن العاضد المذكور في أواخر دولته رأى في منامه وهو بمدينة مصر وقد خرجت إليه عقرب من مسجد هو معروف بها فلدغته فلما استيقظ ارتاع لذلك فطلب بعض معبري الرؤيا وقص عليه المنام فقال له ينالك مكروه من شخص هو مقيم في هذا المسجد فطلب والي مصر وقال له تكشف عمن هو مقيم في المسجد الفلاني

وكان العاضـــد يعرف ذلك المســـجد فإذا رأيت به أحدا تحضره عندي فمضـى الوالي إلى المسجد فرأى فيه رجلا صوفيا فأخذه ودخل به على العاضد فلما رآه سأله من أين هو ومتى قدم البلاد وفي أي شيء قدم وهو يجاوبه عن كل سؤال فلما ظهر له منه ضعف الحال والصدق والعجز عن إيصـــال المكروه إليه أعطاه شـيئا وقال له يا شـيخ ادع لنا وأطلق ســـبيله فنهض من عنده وعاد إلى مســـجده فلما اســـتولى الســـلطان صـــلاح الدين وعزم علىالقبض على العاضـد واسـتفتى الفقهاء في قتله أفتوه بجواز ذلك لما كان عليه العاضـد وأشـياعه من انحلال العقيدة وفسـاد الاعتقاد وكثرة الوقوع في الصحابة والاستهتار بذلك وكان أكثرهم مبالغة في الفتيا الصوفي المقيم في المسجد وهو الشيخ نجم الدين الخبوشـــاني الآتي ذكره في حرف الميم إن شـــاء الله تعالى فإنه عدد مساوىء هؤلاء القوم وسلب عنهم الإيمان وأطال الكلام في ذلك فصـحت بذلك رؤيا العاضـد وكانت ولادة العاضد يوم الثلاثاء لعشر بقين من المحرم سنة ست وأربعين وخمسـمائة وتوفي ليلة الإثنين لإحدى عشـرة ليلة خلت من المحرم سنة سبع

112 وسـتين وخمسـمائة وقيل إن العاضـد حصـل له غيظ من شـمس الدولة توران شـاه ابن أيوب أخي صـلاح الدين فسـم نفسـه فمات والله أعلم رحمه الله تعالى وقيل إنه مات يو م عاشـــوراء 355 ابن الرداد المؤذن أبو الرداد عبـد الله بن عبـد الســـلام بن عبـد الله بن الرداد المؤذن

البصري صاحب المقياس بمصر كان رجلا صالحا وتولى مقياس النيل الجديد بجزيرة مصر وجمع إليه جميع النظر في أمره وما يتعلق به في سنة ست وأربعين ومائتين واستمرت الولاية في ولده إلى الآن وتوفي في سنة تسع وسبعين ومائتين وقيل سنة ست وستين ومائتين والله أعلم والرداد بفتح الراء وبالدالين المهملتين وتشديد الأولى منهما وبينهما ألف ذكره القضاعي في خطط مصر وذكر قضية الجارية التي كانت تلقى في النيل وذلك في فصل المقياس وهذا المقياس وضعه أحمد بن محمد الحاسب القرصاني بأمر المتوكل على الله وكان أسامة بن زيد التنوخي في سنة ست وسبعين للهجرة قد أمر ببناء المقياس في الجزيرة قديما وحكي عنه انه قال لما أردت أن أكتب على

113 مواضع من المقياس ناظرت يزيد بن عبد الله وسليمان بن وهب والحسن الخادم فيما ينبغي أن يكتب عليه وأعلمتهم أن أحسن ما يكتب عليه آيات من القرآن واسم أمير المؤمنين المتوكل على الله واسم الأمير المنتصر إذ كان العمل له فاختلفوا في ذلك وبادر سليمان بن وهب فكتب من غير أن يعلم ويستطلع الرأي في ذلك فورد كتاب أمير المؤمنين أن يكتب عليه آيات من القرآن وما يشبه أمر المقياس واسم أمير المؤمنين فاستخرجت من القرآن آيات لا يمكن أن يكتب على المقياس أحسن ولا أشبه بأمر المقياس منها وجعلت جميع ما كتبت في الرخام الذي تقدم

في البناية في المواضـــع التي قدرت الكتابة فيها بخط مقوم غليظ على قدر الإصبع ثابت في بدن الرخام مصبغ الحفر باللازورد المشـــمع يقرأ من بعد فجعلت أول ما كتبت أربع آيات متســـاوية المقادير في ســـطور أربعة في تربيع بناء المقياس على وزن ســـبع عشـــرة ذراعا من العمود فكتبت في الجانب الشـــرقي وهو المقابل لمدخل المقياس (^ بســـم الله الرحمن الرحيم ونزلنا من السـماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصـــيد) وفي الجانب الشـــمالي (^ وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) وعلى الجانب الغربي (^ ألم تر أن الله أنزل من السـماء ماء فتصـبح الأرض مخضـرة إن الله لطيف خبير) وعلى الجانب الجنوبي (^ وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد) فصـارت هذه الآيات سـطورا على وجه الماء إذا بلغ سـبع عشـــرة ذراعا لأن هذا وســـط الزيادة ثم جعلت في الذراع الثامن عشـــر في جميع التربيع نطاقا مثل النطاق الذي جعلته علامة للذراع الســـادس عشـــر وكتبت بإزاء الذارع الثامن عشر سطرا واحدا يحيط بجميع التربيع (^ بسم الله الرحمن الرحيم الله الذي خلق الســـموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وســـخر لكم الأنهار وســـخر لكم الشـمس والقمر دائبين وســخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا

114 نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار)
بسم الله الرحمن الرحيم مقياس يمن وسعادة ونعمة وسلامة أمر ببنائه عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين أطال الله بقاءه وأدام عزه وتأييده على يدي أحمد بن محمد الحاسب سنة سبع وأربعين ومائتين وجعلت ما فوق ذلك من الحيطان التي بأعلى البناء منقوشا كله محفورا مصبوغا باللازورد المشمع وعمدت إلى ما جاوز من العمود تسع عشرة ذراعا والرأس المنصوب عليه والعارضة اللبخ الممسكة له فنقشت ذلك كله بالذهب واللازورد وكتبت على العارضة آية الكرسي إلى آخرها وكبت على حائط الزقاق المقابل للنيل فوق باب مدخل المقياس حيث يقرؤه السابلة سطرا إلى الرخام من أوله إلى آخره وهو بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين أمر عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين ببناء المقياس الهاشمي لتعرف به زيادة النيل ونقصانه وأطال الله بقاء أمير المؤمنين وأدام له العز والتمكين والظفر على الأعداء وتتابع الإحسان والنعماء وزاده في الخير رغبة وبالرعية رأفة وكتبه أحمد ابن محمد الحاسب في رجب سنة سبع وأربعين ومائتين وكتبت سطرين في رخام عن جنبتي الباب أحدهما بسم الله ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا والآخر بسم الله بلغ الماء في السنة التي بني فيها هذا

المقياس المتوكلي المبارك سبع عشرة ذراعا وثمانية عشر إصبعا واتخذت مثال سبع من رخام ركبته في وجه حائط فويقة القناة المطل على النيل على المقدار الذي إذا بلغ الماء ست عشرة ذراعا دخل الماء في فيه وكتبت فوق ذلك في أعلى الحائط (^ أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون) كتبه أحمد بن محمد الحاسب في جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين ومائتين وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وسلم تسليما

115 والذراع في المقياس ثمانية وعشرون إصبعا إلى أن ينتهي إلى اثنتي عشرة ذراعا وبعد ذلك يصير اعتباره أربعة وعشرين إصبعا 356 عبيد الله بن عبد الله أبو عبد الله عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود بن عاقل بن حبيب بن شمخ بن مخزوم بن صبح بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان الهذلي أحد الفقهاء السبعة بالمدينة وقد تقدم ذكر أربعة منهم وهذا عبيد الله ابن أخي عبد الله بن مسعود الصحابي رضي الله عنه وهو من أعلام التابعين لقي خلقا كثيرا من الصحابة رضوان الله عليهم وسمع من ابن عباس وأبي هريرة وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم أجمعين وروى عنه أبو الزناد والزهري وغيرهما وقال الزهري أدركت أربعة بحور فذكر فيهم عبيد الله المذكور وقال سمعت من العلم شيئا كثيرا فظننت

أني قد اكتفيت حتى لقيت عبيد الله فإذا كأني ليس في يدي شـــيء وقال عمر بن عبد العزيز لأن يكون لي مجلس من عبيد الله أحب إلي من الدنيا وقال والله إني لأشتري ليلة من ليالي عبيد الله بألف دينار من بيت المال فقالوا يا أمير المؤمنين تقول هذا مع تحريك وشـــدة تحفظك فقال أين يذهب بكم والله إني لأعود برأيه

116 وبنصـــيحته وبهدايته على بيت مال المســلمين بألوف وألوف إن في المحادثة تلقيحا للعقل وترويحا للقلب وتســريحا للهم وتنقيحا للأدب وكان عالما ناســكا وكانت وفاته سنة اثنتين ومائة وقيل سنة تسع وتسعين وقيل ثمان وتســعين للهجرة بالمدينة رضــي الله عنه وله شـــعر فمن ذلك ما أورده له في كتاب الحماســـة وهو قوله (شـــققت القلب ثم ذررت فيه * هواك فليم فالتأم الفطور) (تغلغل حب عثمة في فؤادي * فباديه مع الخافي يسير) (تغلغل حيث لم يبلغ شـــراب * ولا حزن ولم يبلغ ســـرور) ولما قال هذا الشـــعر قيل له أتقول مثل هذا فقال في اللدود راحة المفؤود وهو القائل لا بد للمصـــدور من أن ينفث والهذلي بضـم الهاء وفتح الذال المعجمة وبعدها لام هذه النسبة إلى هذيل بن مدركة كما تقدم في نسبه وهي قبيلة كبيرة وأكثر أهل وادي نخلة المجاور لمكة حرســـها الله تعالى من هذه القبيلة وتوفي والده عبد الله ســـنة ســـت وثمانين للهجرة رضي الله عنه وكانت الرياسة في الجاهلية إلى جده صبح بن كاهل

117 357 المهدي عبيد الله أبو محمد عبيد الله الملقب بالمهدي وجدت في نسبه اختلافا كثيرا قال صاحب تاريخ القيروان هو عبيد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن علي ابن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقال غيره هو عبيد لله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر المذكور وقيل هو علي بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقيل هو عبيد الله بن التقي بن الوفي بن الرضي وهؤلاء الثلاثة يقال لهم المستورون في ذات الله والرضي المذكور ابن محمد بن إسماعيل بن جعفر المذكور واسم التقي الحسين واسم الوفي أحمد واسم الرضي عبد الله وإنما استتروا خوفا على أنفسهم لأنهم كانوا مطلوبين من جهة الخلفاء من بني العباس لأنهم علموا أن فيهم من يروم الخلافة أسوة غيرهم من العلويين وقضاياهم ووقائعهم في ذلك مشهورة وإنما تسمى المهدي عبيد الله استتارا هذا عند من يصحح نسبه ففيه اختلاف كثير وأهل العلم

118 بالأنساب من المحققين ينكرون دعواه في النسب وقد تقدم في ترجمة الشريف عبد الله بن طباطبا ما جرى بينه وبين المعز عند وصوله إلى مصر وما كان من جواب المعز له وفيه أيضا دلالة على ذلك فإنه لو عرف نسبه لذكره وما احتاج إلى ذلك المجلس الذي ذكرناه هناك ويقولون أيضا إن اسمه سعيد ولقبه عبيد الله وزوج أمه

الحسين بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن ميمون القداح وسمي قداحا لأنه كان كحالا يقدح العين إذا نزل فيها الماء وقيل إن المهدي لما وصل إلى سجلماسة ونما خبره إلى اليسع مالكها وهو آخر ملوك بني مدرار وقيل له إن هذا هو الذي يدعو إلى بيعته أبو عبدالله الشيعي بإفريقية وقد تقدم الكلام على ذلك في ترجمة أبي عبد الله في حرف الحاء أخذه اليسع واعتقله فلما سمع أبو عبد الله الشيعي باعتقاله حشد جمعا كثيرا من كتامة وغيرها وقصد سجلماسة لاستنقاذه فلما بلغ اليسع خبر وصولهم قتل المهدي في السجن فلما دنت العساكر من البلد هرب اليسع فدخل أبو عبد الله إلى السجن فوجد المهدي مقتولا وعنده رجل من أصحابه كان يخدمه فخاف أبو عبد الله أن ينتقض عليه ما دبره من الأمر إن عرفت العساكر بقتل المهدي فأخرج الرجل وقال هذا هو المهدي وبالجملة فأخباره مشهورة فلا حاجة إلى الإطالة فيها وهو أول من قام بهذا الأمر من بيتهم وادعى الخلافة بالمغرب وكان داعيه أبا عبد الله الشيعي المذكور في حرف الحاء ولما استتب له الأمر قتله وقتل أخاه كما ذكرناه في ترجمته وبنى المهدية بإفريقية وفرغ من بنائها في شوال سنة ثمان وثلثمائة وكان شروعه فيها في ذي القعدة سنة ثلاث وثلثمائة وبنى سورتونس وأحكم عمارتها وجدد فيها مواضع فنسبت المهدية إليه وملك بعده ولده القائم ثم المنصور ولد القائم وقد تقدم ذكره ثم

119 المعز بن المنصـــور وهو الذي ســـير القائد جوهرا وملك الديار المصــــرية وبنى القاهرة واســـتمرت دولتهم حتى انقرضت على يد السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى وقد تقدم ذكر جماعة من حفدته وســـيأتي ذكر باقيهم إن شـــاء الله تعالى ولأجل نســـبتهم إليه يقال لهم العبيديون هكذا ينسب إلى عبيد الله وكانت ولادته في سنة تسع وخمسين وقيل سنة ستين ومائتين وقيل ست وستين ومائتين بمدينة سلمية وقيل بالكوفة ودعي له بالخلافة على منابر رقادة والقيروان يوم الجمعة لتســـع بقين من شـــهر ربيع الآخر ســـنة ســـبع وتســـعين ومائتين بعد رجوعه من ســـجلماســـة وقد جرى له بها ما جرى وكان ظهوره بسجلماسة يوم الأحد لسبع خلون من ذي الحجة سنة ست وتســـعين ومائتين وخرجت بلاد المغرب عن ولاية بني العباس وتوفي ليلة الثلاثاء منتصف شهر ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة بالمهدية رحمه الله تعالى وسلمية بفتح السين المهملة واللام وكسر الميم وتشديد الياء المثناة من تحتها وتخفيفها أيضا مع سكون الميم وهي بليدة بالشام من أعمال حمص ورقادة بفتح الراء وتشـــديد القاف وبعد الألف دال مهملة ثم هاء ســـاكنة بلدة بإفريقية وقد تقدم ذكرها في ترجمة أبي عبد الله الحســـين بن أحمد المعروف بالشـــيعي وكان قد بناها إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب جد زيادة الله بن الأغلب المذكور في ترجمة الشيعي أيضا وكان شروعه أيضا في بنائها في سنة ثلاث

وستين ومائتين وفرغ منها في سنة أربع وستين ومائتين وانتقل إليها لما فرغت والقيروان وسجلماسة قد تقدم الكلام عليهما في مواضعهما

120 358 عبيد الله بن عبدالله بن طاهر أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق ابن ماهان الخزاعي تقدم ذكر أبيه وجده وما كانا عليه من التقدم وعلو المنزلة عند المأمون وتوليتهما خراسان وغيرها وكان عبيد الله المذكور أميرا ولي الشرطة ببغداد خلافة عن أخيه محمد بن عبد الله ثم استقل بها بعد موت أخيه وكان سيدا وإليه انتهت رياسة أهله وهو آخر من مات منهم رئيسا وله من الكتب المصنفة كتاب الإشارة في أخبار الشعراء وكتاب رسالة في السياسة الملوكية وكتاب مراسلاته لعبد الله بن المعتز وكتاب البراعة والفصاحة وغير ذلك وحدث عن الزبير بن بكار وغيره وكان مترسلا شاعرا لطيفا حسن المقاصد جيد السبك رقيق الحاشية ومن شعره ثم وجدتها لأبي الطريف شاعر المعتمد الخليفة العباسي وزعم الصولي أن البحتري أنشده هذه الأبيات لنفسه والله أعلم وهي (أتهجرون فتى أغري بكم تيها * لحق دعوة صب أن تجيبوها) (أهدي إليكم على نأي تحيته * حيوا بأحسن منها أو فردوها) (زموا المطايا غداة البين واحتملوا * وخلفوني على الأطلال أبكيها) (شيعتهم فاسترابوا بي فقلت لهم * إني بعثت مع الأجمال أحدوها)

121 (قالوا فما نفس يعلو كذا صـــعدا * وما لعينك لا ترقا مآقيها) (قلت التنفس من إدمان ســـيركم * ودمع عيني جار من قذى فيها) (حتى إذا انجذبوا والليل معتكر * رفعت في جنحه صـــوتي أناديها) (يا من به أنا هيمان ومختبل * هل لي إلى الوصـــل من عقبى أرجيها) ومن شـــعره ما ذكره ابن رشـــيق في كتاب العمدة في باب الاستطراد فقال ومن الاستطراد نوع يسمى الإدماج ونحو ذلك قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر لعبيد الله بن سليمان بن وهب حين وزر للمعتضـــد (أبى دهرنا إســـعافنا في نفوسنا * وأسعفنا في من نحب ونكرم) فقلت له نعماك فينا أتمها * ودع أمرنا إن المهم المقدم) ومن شـــعره (واحربا من فراق قوم * هم المصـــابيح والحصـــون) (والأسد والمزن والرواسي * والأمن والخفض والسكون) (لم تتنكر لنا الليالي * حتى توفتهم المنون) (فكل نار لنا قلوب * وكل ماء لنا عيون) وله (إن الأمير هو الذي * يضـــحي أميرا يوم عزله) (إن زال ســـلطان الولاية * لم يزل سلطان فضله)

122 وله (اقض الحوائج ما اســـتطعت * وكن لهم أخيك فارج) (فلخير أيام الفتى * يوم قضـــى فيه الحوائج) وله ديوان شعر ونقتصر من نظمه على هذا القدر وكان عبيد الله قد مرض فعاده الوزير فلما انصـــرف عنه كتب إليه ما أعرف أحدا جزى العلة خيرا غيري فإني جزيتها الخير وشكرت نعمتها علي إذ كانت إلى رؤيتك مؤدية فأنا

كالأعرابي الذي جزى يوم البين خيرا فقال (جزىالله يوم البين خيرا فإنه * أرانا على علاته أم ثابت) (أرانا ربيبات الخدور ولم نكن * نراهن إلا بانتعات النواعت) قلت ومثل هذا ما كتبه البحتري إلى أبي غانم وقد مرض فعاده الوزير وهو قوله (يا أبا غانم غنمت ولا زالت * عهاد الوسمي تسقي بلادك) (ليت أنا مثل اعتلالك نعتل * على أن يعودنا من عادك) (أبهجت زورة الوزير أوداك * جميعا وأرغمت حسادك) وكانت ولادته سنة ثلاث وعشرين ومائتين وكانت وفاته ليلة السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من شوال سنة ثلثمائة ببغداد ودفن بمقابر قريش رحمه الله تعالى 91 وتوفي الأمير أبو القاسم عبيد الله بن سليمان سنة ثمان وثمانين ومائتين

123 وعمره اثنتان وستون سنة وكانت وزارته عشر سنين وخمسين يوما 92 ولما مات أخوه سليمان بن عبد الله بن طاهر في سنة خمس وستين ومائتين وقف أخوه عبيد الله المذكور على قبره متكئا على قوسه ونظرإلى قبور أهله وأنشد (النفس ترقى بحزن في تراقيها * ودمعة العين تجري من مآقيها) (لبقعة ما رأت عيني كقلتها * ولا ككثرة أحباب ثووا فيها) 359 أبو الحكم المغربي أبو الحكم عبيد الله بن المظفر بن عبد الله بن محمد الباهلي الحكيم الأديب المعروف بالمغربي أصله من أهل المرية بالأندلس وتقدم ذكر ها ومولده ببلاد اليمن ذكر أبو شجاع محمد بن علي بن الدهان الفرضي الآتي ذكره

إن شـــاء الله تعالى في تاريخ جمعه أن أبا الحكم المذكور قدم بغداد وأقام بها مدة يعلّم الصـــبيان وأنه كان ذا معرفة بالأدب والطب والهندســـة انتهى كلام أبي شـــجاع وذكر مولده ووفاته وقال غيره كان كامل الفضـــيلة جمع بين الأدب والحكمة وله ديوان شـــعر جيد والخلاعة والمجون غالبة عليه وذكر العماد الأصـــبهاني في الخريدة أن أبا الحكم المذكور كان طبيب

124 البيمارســـتان الذي كان يحمله أربعون جملا المستصحب في معسكر السلطان محمود السلجوقي حيث خيم وكان الســـديد أبو الوفاء يحيى بن ســـعيد بن يحيى بن المظفر المعروف بابن المرخم الذي صـار أقضـى القضـاة ببغداد في أيام الإمام المقتفي فاصـــدا وطبيبا في هذا البيمارســـتان ثم إن العماد أثنى على أبي الحكم المذكور وذكر فضـــله وما كان عليه وذكر أن له كتابا ســـماه نهج الوضـــاعة لأولي الخلاعة ثم إن أبا الحكم المذكور انتقل إلى الشام وسكن دمشق وله فيها أخبار وماجرايات ظريفة تدل على خفة روحه رأيت في ديوانه أن أبا الحسين أحمد بن منير الطرابلسي المقدم ذكره في حرف الهمزة كان عند الأمراء بني منقذ بقلعة شـــيزر وكانوا مقبلين عليه وكان بدمشق شـاعر يقال له أبو الوحش سبع بن خلف بن محمد بن هبة الله الفقعسي وكانوا يصغرون كنيته فيقولون وحيش وكانت فيه دعابة وبينه وبين أبي الحكم مودة وألفة متحدة فعزم أبو الوحش أن يتوجه إلى شـــيزر يمدح بني منقذ

ويســـترفدهم فالتمس من أبي الحكم المذكور كتابا إلى ابن منير بالوصـية عليه فكتب أبو الحكم (أبا الحسـين استمع مقال فتى * عوجل فيما يقول فارتجلا) (هذا أبو الوحش جاء ممتدح القوم * فنوه به إذا وصــــلا) (واتل عليهم بحسن شـرحك ما * أتلوه من حديثه جملا) (وخبر القوم أنه رجل * ما أبصــــر الناس مثله رجلا) (تنوب عن وصفه شمائله * لا يبتغي عاقل به بدلا)
125 (وهو على خفة بـه أبـدا * معترف أنـه من الثقلا) (يمت بالثلب والرقاعة والسخف * وأما بما سواه فلا) (إن أنت فاتحته لتخبر ما * يصــــدر عنه فتحت منه خلا) (فسمه إن حل خطة الخسف والهون * ورحب به إذا رحلا) (وســـقه الســـم إن ظفرت به * وامزج له من لسانك العسلا) وله أشياء مستملحة منها مقصورة هزلية ضــــاهى بها مقصـــورة ابن دريد من جملتها (وكل ملموم فلا بد له * من فرقة لو لزقوه بالغرا) وله مرثية في عماد الدين زنكي بن آق ســـنقر الأتابك المقدم ذكره شـــاب فيها الجد بالهزل والغالب على شـــعره الانطباع وكانت ولادته في ســـنة ســـت وثمانين وأربعمائة باليمن على ما حكاه ابن الدبيثي في ذيله وتوفي ليلة الأربعاء رابع ذي القعدة ســــنة تسع وأربعين وخمسمائة وقال ابن الدبيثي توفي لسـاعتين خلتا من ليلة الأربعاء ســــادس ذي القعدة بدمشـــق وهو الأصح ودفن بباب الفراديس رحمه الله تعالى 93 والقاضي ابن المرخم المذكور هو الذي يقول فيه أبو القاســـم هبة الله

ابن الفضل الشاعر المعروف بابن القطان الآتي ذكره إن شاء الله تعالى (يا ابن المرخم صرت فينا قاضيا * خرف الزمان تراه أم جن الفلك) (إن كنت تحكم بالنجوم فربما * أما بشرع محمد من أين لك)

126 360 عبد الرحمن بن أبي ليلى أبو عيسى عبد الرحمن بن أبي ليلى يسار وقيل داود بن بلال بن أحيحة ابن الجلاح الأنصاري وفي اسم أبيه خلاف غير هذا كان من أكابر تابعي الكوفة سمع علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وأبا أيوب الأنصاري وغيرهم رضي الله عنهم ويروى أنه سمع من عمر رضي الله عنه والحفاظ لا يثبتون سماعه من عمر وأبوه أبو ليلى له رواية عن النبي وشهد وقعة الجمل وكانت راية علي بن أبي طالب رضي الله عنه معه وسمع من عبد الرحمن الشعبي ومجاهد وعبد الملك بن عمير وخلق سواهم رضي الله عنهم ولد لست سنين بقين من خلافة عمر وقتل بدجيل وقيل غرق في نهر البصرة وقيل فقد بدير الجماجم سنة ثلاث وثمانين في وقعة ابن الأشعث وقيل سنة إحدى وقيل سنة اثنتين وثمانين للهجرة رضي الله عنه وأحيحة بضم الهمزة وفتح الحاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الحاء الثانية وبعدها هاء ساكنة والجلاح بضم الجيم وبعد اللام ألف حاء مهملة وسيأتي ذكر ولده محمد إن شاء الله تعالى

127 361 الأوزاعي أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي إمام أهل الشام لم يكن بالشام

أعلم منه قيل إنه أجاب في سبعين ألف مسألة وكان يسكن بيروت روي أن سفيان الثوري بلغه مقدم الأوزاعي فخرج حتى لقيه بذي طوى فحل ســـفيان رأس بعيره عن القطار ووضـــعه على رقبته فكان إذا مر بجماعة قال الطريق للشيخ سمع من الزهري وعطاء وروى عنه الثوري وأخذ عنه عبد الله بن المبارك وجماعة كبيرة وكانت ولادته ببعلبك سنة ثمان وثمانين للهجرة وقيل سنة ثلاث وتسعين ومنشــؤه بالبقاع ثم نقلته أمه إلى بيروت وكان فوق الربعة خفيف اللحية به سمرة وكان يخضب بالحناء وتوفي سنة سبع وخمسين ومائة يوم الأحد لليلتين بقيتا من صفر وقيل في شــهر ربيع الأول بمدينة بيروت رحمه الله تعالى ورثاه بعضهم بقوله (جاد الحيا بالشام كل عشية * قبرا تضمن لحده الأوزاعي) (قبر تضمن فيه طود شريعة * سقيا له من عالم نفاع) (عرضت له الدنيا فأعرض مقلعا * عنها بزهد أيما إقلاع) وقبره في قرية على باب بيروت يقال لها حنتوس وأهلها مسـلمون وهو مدفون في قبلة المسـجد وأهل القرية لا يعرفونه بل يقولون هاهنا رجل صـــالح ينزل عليه النور ولا يعرفه إلا الخواص من الناس

128 ذكر الحافظ ابن عســاكر في تاريخ دمشـق أن الوزاعي دخل الحمام ببيروت وكان لصاحب الحمام شغل فأغلق الحمام عليه وذهب ثم جاء ففتح الباب فوجده ميتا قد وضـــع يده اليمنى تحت خده وهو مســتقبل القبلة وقيل إن امرأته فعلت ذلك ولم تكن عامدة لذلك فأمرها سعيد بن عبد

العزيز بعتق رقبة ويحمد بضـــم الياء المثناة من تحتها وســـكون الحاء المهملة وكســـر الميم وبعدها دال مهملة والأوزاعي بفتح الهمزة وســـكون الواو وفتح الزاي وبعد الألف عين مهملة هذه النســـبة إلى الأوزاع وهي بطن من ذي الكلاع من اليمن وقيل بط ن من همدان واســـمه مرثد بن زيد وقيل الأوزاع قرية بدمشـــق على طريق باب الفراديس ولم يكن أبو عمرو منهم وإنما نزل فيهم فنســـب إليهم وهو من ســـبي اليمن وبيروت بفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وضـم الراء وسكون الواو وفي آخرها تاء مثناة وهي بليدة بساحل الشام أخذها الفرنج من المســـلمين يوم الجمعة عاشـــر ذي الحجة ســـنة ثلاث وتسعين وخمسمائة وحنتوس بفتح الحاء المهملة وسكون النون وضـم التاء المثناة من فوقها وسكون الواو ثم سين مهملة

129 362 ابن القاســـم المالكي أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاســـم بن خالد بن جنادة العتقي بالولاء الفقيه المالكي جمع بين الزهد والعلم وتفقه بالإمام مالك رضـــي الله عنه ونظرائه وصـــحب مالكا عشـــرين ســـنة وانتفع به أصـــحاب مالك بعد موت مالك وهو صـــاحب المدونة في مذهبهم وهي من أجل كتبهم وعنه اخذها ســـحنون وكانت ولادته في سنة اثنتين وقيل ثلاث وثلاثين ومائة وقيل ثمان وعشـــرين وتوفي ســـنة إحدى وتســـعين ومائة ليلة الجمعة لســـبع ليال مضـــين من صـــفر بمصـــر ودفن خارج باب

القرافة الصغرى قبالة قبر أشهب الفقيه المالكي وزرت قبريهما وهما بالقرب من السور رحمهما الله تعالى وجنادة بضم الجيم وفتح النون وبعد الألف دال مهملة مفتوحة ثم هاء ساكنة والعتقي بضم العين وفتح التاء المثناة من فوقها وبعدها قاف هذه النسبة إلى العتقاء وليسوا من قبيلة واحدة بل هم من قبائل شتى منهم من حجر حمير ومن سعد العشيرة ومن كنانة مضر وغيرهم وعامتهم بمصر وعبد الرحمن المذكور مولى زبيد بن الحارث العتقي وكان زبيد من حجر حمير وقال أبو عبد الله القضاعي وكانت القبائل التي نزلت الظاهر العتقاء

130 وهم جماع من القبائل كانوا يقطعون على من أراد النبي فبعث إليهم فأتى بهم أسرى فأعتقهم فقيل لهم العتقاء ولما فتح عمرو بن العاص مصر وكان ذلك يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين للهجرة كان العتقاء معه معدودين في أهل الراية وإنما قيل لهم أهل الراية لأن العرب كانوا يجعلون لكل بطن منهم راية يعرفون بها ولم يكن لكل بطن من بطون أهل الراية من العدد ما يجعلون لكل بطن راية فقال عمرو بن العاص أنا أجعل راية لا أنسبها إلى أحد فتكون دعوتكم عليها ففعلوا فكان هذا الاسم كالنسب الجامع وعليها كان ديوانهم ولما فتحوا الإسكندرية ورجع عمرو إلى الفسطاط اختط الناس بها خططهم ثم جاء العتقاء بعدهم فلم يجدوا موضعا يختطون فيه عند أهل الراية فشكوا ذلك إلى عمرو فقال لهم معاوية بن حديج

وكان يتولى أمر الخطط أرى لكم أن تظهروا على هذه القبائل فتتخذونه منزلا وتسمونه الظاهر ففعلوا ذلك فقيل لهم أهل الظاهر لذلك ذكر هذا كله أبو عمرو محمد بن يوسف بن يعقوب التجيبي في كتاب خطط مصر وهي فائدة غريبة يحتاج إليها فأحببت ذكرها

131 363 أبو سليمان الداراني أبو سليمان عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي الداراني الزاهد المشهور أحد رجال الطريقة كان من جلة السادات وأرباب الجد في المجاهدات ومن كلامه من أحسن في نهاره كفي في ليله ومن أحسن في ليله كفي في نهاره ومن صدق في ترك شهوة ذهب الله سبحانه وتعالى بها من قلبه والله تعالى أكرم من أن يعذب قلبا بشهوة تركت له ومن كلامه أفضل الأعمال خلاف هوى النفس وقال نمت ليلة عن وردي فإذا بحوراء تقول لي تنام وأنا أربى لك في الخدور منذ خمسمائة عام وله كل معنى مليح وكانت وفاته سنة خمس ومائتين وقيل سنة خمس عشرة ومائتين رضي الله عنه والعنسي بفتح العين المهملة وسكون النون وبعدها سين مهملة هذه النسبة إلى بني عنس بن مالك بن أدد حي من مذحج ينسب أبو سليمان المذكور إليها والداراني بفتح الدال المهملة وبعد الألف راء مفتوحة وبعد الألف الثانية نون هذه النسبة إلى داريا وهي قرية بغوطة دمشق والنسبة إليها على هذه الصورة من شواذ النسب والياء في داريا مشددة

132 364 الفوراني أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن فوران الفوراني المروزي الفقيه الشافعي كان مقدم الفقهاء الشافعية بمرو وهو أصولي فروعي أخذ الفقه عن أبي بكر القفال الشاشي وصنف في الأصول والمذهب والخلاف والجدل والملل والنحل وانتهت إليه رياسة الطائفة الشافعية وطبق الأرض بالتلامذة وله في المذهب الوجوه الجيدة وصنف في المذهب كتاب الإبانة وهو كتاب مفيد وسمعت بعض فضلاء المذهب يقول إن إمام الحرمين كان يحضر حلقته وهو شاب يومئذ وكان أبو القاسم لا ينصفه ولا يصغي إلى قوله لكونه شابا فبقي في نفسه منه شيء فمتى قال في نهاية المطلب وقال بعض المصنفين كذا وغلط في ذلك وشرع في الوقوع فيه فمراده أبو القاسم الفوراني وكانت وفاته في شهر رمضان سنة إحدى وستين وأربعمائة بمدينة مرو وهو ابن ثلاث وسبعين سنة رحمه الله تعالى وذكره الحافظ عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر الفارسي في سياق تاريخ نيسابور وأثنى عليه والفوراني بضم الفاء وسكون الواو وفتح الراء وبعد الألف نون هذه النسبة إلى جده فوران المذكور هكذا ذكره السمعاني

133 365 أبو سعد المتولي أبو سعد عبد الرحمن بن محمد واسمه مأمون بن علي وقيل إبراهيم المعروف بالمتولي الفقيه الشافعي النيسابوري كان جامعا بين العلم والدين وحسن السيرة وتحقيق المناظرة له يد قوية في

الأصول والفقه والخلاف تولى التدريس بالمدرسة النظامية
بمدينة بغداد بعد وفاة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي رحمه
الله تعالى ثم عزل عنها في بقية سنة ست وسبعين
وأربعمائة وأعيد أبو نصر ابن الصباغ صاحب الشامل ثم
عزل ابن الصباغ في سنة سبع وسبعين وأعيد أبو سعد
المذكور واستمر عليها إلى حين وفاته وذكر أبو عبد الله
محمد بن عبد الملك بن إبراهيم الهمذاني في كتابه الذي
ذيله على طبقات الشيخ أبي إسحاق الشيرازي في ذكر
الفقهاء ما مثاله حدثني أحمد بن سلامة المحتسب قال لما
جلس للتدريس أبو سعد عبد الرحمن واسمه مأمون بن
علي المتولي بعد شيخنا يعني أبا إسحاق الشيرازي أنكر
عليه الفقهاء استناده موضعه وأرادوا منه أن يستعمل
الأدب في الجلوس دونه ففطن وقال لهم اعلموا أنني لم
أفرح في عمري إلا بشيئين أحدهما أني جئت من وراء
النهر ودخلت سرخس وعلي أثواب أخلاق لا تشبه ثياب
أهل العلم فحضرت مجلس أبي الحارث ابن أبي الفضل
السرخسي وجلست في أخريات أصحابه فتكلموا في مسألة
فقلت واعترضت فلما انتهيت في نوبتي أمرني أبو الحارث
بالتقدم فتقدمت ولما عادت نوبتي استدناني وقربني حتى
جلست إلى جنبه وقام بي وألحقني بأصحابه فاستولى علي
الفرح والشيء الثاني حين
134 أهلت للاستناد في موضع شيخنا أبي إسحاق
رحمه الله تعالى فذلك أعظم النعم وأوفى القسم وتخرج

على أبي سعد جماعة من الأئمة وأخذ الفقه بمرو عن أبي القسام عبد الرحمن الفوراني المذكور قبله وبمرو الروذ عن القاضي حسين بن محمد وببخارى عن أبي سهل أحمد بن علي الأبيوردي وسمع الحديث وصنف في الفقه كتاب تتمة الإبانة تمم به الإبانة تصنيف شيخه الفوراني لكنه لم يكمله وعاجلته المنية قبل إكماله وكان قد انتهى فيه إلى كتاب الحدود وأتمه من بعده جماعة منهم أبو الفتوح أسعد العجلي المذكور في حرف الهمزة وغيره ولم يأتوا فيه بالمقصود ولا سلكوا طريقه فإنه جمع في كتابه الغرائب من المسائل والوجوه الغريبة التي لا تكاد توجد في كتاب غيره وله في الفرائض مختصر صغير وهو مفيد جدا وله في الخلاف طريقة جامعة لأنواع المآخذ وله في أصول الدين أيضا تصنيف صغير وكل تصانيفه نافعة وكانت ولادته سنة ست وعشرين وأربعمائة وقيل سنة سبع وعشرين بنيسابور وتوفي ليلة الجمعة ثامن عشر شوال سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ببغداد ودفن بمقبرة باب ابرز رحمه الله تعالى والمتولي بضم الميم وفتح التاء المثناة من فوقها والواو وتشديد اللام المكسورة ولم أعلم لأي معنى عرف بذلك ولم يذكر السمعاني هذه النسبة

135 366 فخر الدين ابن عساكر أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الدمشقي الملقب فخر الدين المعروف بابن عساكر الفقيه الشافعي كان إمام وقته في علمه ودينه تفقه على

الشيخ قطب الدين أبي المعالي مسعود النيسابوري الآتي ذكره في حرف الميم إن شاء الله تعالى وصحبه زمانا وانتفع بصحبته وتزوج ابنته ثم استقل بنفسه ودرس بالقدس زمانا وبدمشق واشتغل عليه خلق كثير وتخرجوا عليه وصاروا أئمة وفضلاء وكان مسددا في الفتاوى وهو ابن أخي الحافظ أبي القاسم علي ابن عسكر صاحب تاريخ دمشق الآتي ذكره إن شاء الله تعالى وخرج من بيتهم جماعة من العلماء والرؤساء وكانت ولادته سنة خمسين وخمسمائة ظنا وكتب بخطه أن مولده سنة خمسين وخمسمائة وتوفي في العاشر من رجب يوم الأربعاء سنة عشرين وستمائة بدمشق رحمه الله تعالى وزرت قبره مرارا بمقابر الصوفية ظاهر دمشق

136 367 أبو القاسم الزجاجي أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي النحوي البغدادي دارا ونشأة النهاوندي أصلا ومولدا كان إماما في علم النحو وصنف فيه كتاب الجمل الكبرى وهو كتاب نافع لولا طوله بكثرة الأمثلة أخذ النحو عن محمد بن العباس اليزيدي وأبي بكر ابن دريد وأبي بكر ابن الأنباري وصحب أبا إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج وقد تقدم ذكره فنسب إليه وعرف به وسكن دمشق وانتفع الناس به وتخرجوا عليه وتوفي في رجب سنة سبع وثلاثين وقيل تسع وثلاثين وثلثمائة وقيل في شهر رمضان سنة أربعين والأول أصح بدمشق وقيل بطبرية رحمه الله تعالى وكان قد خرج من

دمشــق مع ابن الحارث عامل الضــياع الإخشــيدية فمات بطبرية وكتابه الجمل من الكتب المباركة لم يشتغل به أحد إلا وانتفع به ويقال إنه صنفه بمكة حرسها الله تعالى وكان إذا فرغ من باب طاف أسـبوعا ودعا الله تعالى أن يغفر له وأن ينفع به قارئه والزجاجي بفتح الزاي وتشـــديد الجيم وبعدالألف جيم ثانية وقد تقدم القول في سبب هذه النسبة

137 368 ابن يونس صاحب تاريخ مصر أبو سعيد عبد الرحمن بن أبي الحسن أحمد بن أبي موسى يونس بن عبد الأعلى بن موســـى بن ميســـرة بن حفص بن حيان الصـــدفي المحدث المؤرخ المصـــري كان خبيرا بأحوال الناس ومطلعا على تواريخهم عارفا بما يقوله جمع لمصر تاريخين أحدهما وهو الأكبر يختص بالمصـــريين والآخر وهو صغيريشتمل على ذكر الغرباء الواردين على مصر وما أقصـــر فيهما وقد ذيلهما أبو القاســـم يحيى ن علي الحضرمي وبنى عليهما وهذا أبو سعيد المذكور هو حفيد يونس بن عبد الأعلى صـاحب الإمام الشـافعي رضـي الله عنه والناقل لأقواله الجديدة وسـيأتي ذكره في حرف الياء إن شـاء الله تعالى وقال أبو الحســن علي بن عبد الرحمن المذكور كانت ولادة أبي في ســنة إحدى وثمانين ومائتين وكانت وفاته يوم الأحد ودفن يوم الإثنين لسـت وعشـرين ليلة خلت من جمادى الآخرة سـنة سـبع وأربعين وثلثمائة رحمه الله تعالى وصـلى عليه أبو القاسـم ابن حجاج ورثاه أبو عيسى عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد الله بن سليمان

الخولاني الخشـاب المصـري النحوي العروضـي بقوله (بثثت علمك تشـــريقا وتغريبا * و عدت بعد لذيد العيش مندوبا) (أبا سعيد وما نألوك أن نشرت * عنك الدواوين تصديقا وتصويبا)

138 (ما زلت تلهج بالتاريخ تكتبه * حتى رأيناك في التـاريخ مكتوبـا) (أرخـت موتـك في ذكري وفي صـحفي * لمن يؤرخني إذ كنت محسـوبا) (نشـرت عن مصر من سكانها علما * مبجلا بجمال القوم منصوبا) (كشـفت عن فخرهم للناس ما سـجعت * ورق الحمام على الأغصان تطريبا) (أعربت عن عرب نقبت عن نجب * ســـارت مناقبهم في الناس تنقيبا) (أنشـــرت ميتهم حيا بنسبته * حتى كأن لم يمت إذ كان منسوبا) (إن المكارم للإحســـان موجبة * وفيك قد ركبت يا عبد تركيبا) (حجبت عنا وما الدنيا بمظهرة * شـخصـا وإن جل إلا عاد محجوبا) (كذلك الموت لا يبقي على أحد * مدى الليالي من الأحباب محبوبا) وسـيأتي ذكر ولده أبي الحسـن علي بن المنجم صاحب الزيج إن شاء الله تعالى والصدفي بفتح الصـــاد والدال المهملتين وبعدهما فاء هذه النســـبة إلى الصدف بن سـهل وهي قبيلة كبيرة من حمير نزلت مصـر والصـدف بكسـر الدال وإنما تفتح في النسـب كما قالوا في النسب إلى نمرة نمري وهي قاعدة مطردة وفيه لغة أخرى أنه الصدف بفتح الدال . 94 وتوفي أبو عيسى عبد الرحمن

بن إسماعيل صاحب الأبيات المذكورة في صفر سنة ست وستين وثلثمائة رحمه الله تعالى

139 369 ابن الأنباري النحوي أبو البركات عبد الرحمن بن أبي الوفاء محمد بن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله ابن أبي سعيد محمد بن الحسن بن سليمان الأنباري الملقب كمال الدين النحوي كان من الأئمة المشار إليهم في علم النحو وسكن بغداد من صباه إلى أن مات وتفقه على مذهب الشافعي رضي الله عنه بالمدرسة النظامية وتصدر لإقراء النحو بها وقرأ اللغة على أبي منصور ابن الجواليقي وصحب الشريف أبا السعادات هبة الله بن الشجري الآتي ذكره في حرف الهاء إن شاء الله تعالى وأخذ عنه وانتفع بصحبته وتبحر في علم الأدب واشتغل عليه خلق كثير وصاروا علماء ولقيت جماعة منهم وصنف في النحو كتاب أسرار العربية وهو سهل المأخذ كثير الفائدة وله كتاب الميزان في النحو أيضا وله كتاب في طبقات الأدباء جمع فيه المتقدمين والمتأخرين مع صغر حجمه وكتبه كلها نافعة وكان نفسه مباركا ما قرأ عليه أحد إلا وتميز وانقطع في آخر عمره في بيته مشتغلا بالعلم والعبادة وترك الدنيا ومجالسة أهلها ولم يزل على سيرة حميدة وكانت ولادته في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة وخمسمائة وتوفي ليلة الجمعة تاسع شعبان سنة سبع وسبعين وخمسمائة ببغداد ودفن بباب أبرز بتربة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي رحمه الله تعالى

140 والأنباري بفتح الهمزة وسكون النون وبعدها باء موحدة وبعد الألف راء هذه النسبة إلى الأنبار بلدة قديمة على الفرات بينها وبين بغداد عشرة فراسخ و سميت الأنبار لأن كسرى كان يتخذ فيها أنابير الطعام والأنابير جمع الأنبار جمع نبر بكسر النون وبعدها راء مثل نقس وأنقاس والنبر الهري الذي تجعل فيه الغلة والنقس بكسر النون وسكون القاف وبعده سين مهملة وهو المداد 370 أبو الفرج ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حمادى بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وبقية النسب معروف القرشي التيمي البكري البغدادي الفقيه الحنبلي الواعظ الملقب جمال الدين الحافظ كان علامة عصره وإمام وقته في الحديث وصناعة الوعظ صنف في فنون عديدة منها زاد المسير في علم التفسير أربعة أجزاء أتى فيه بأشياء غريبة وله في الحديث تصانيف كثيرة وله المنتظم في التاريخ وهو كبير وله الموضوعات

141 في أربعة أجزاء ذكر فيها كل حديث موضوع وله تلقيح فهوم الأثر على وضع كتاب المعارف لابن قتيبة وبالجملة فكتبه أكثر من أن تعد وكتب بخطه شيئا كثيرا والناس يغالون في ذلك حتى يقولوا إنه جمعت الكراريس

التي كتبها وحسبت مدة عمره وقسمت الكراريس على
المدة فكان ما خص كل يوم تسع كراريس وهذا شيء
عظيم لا يكاد يقبله العقل ويقال إنه جمعت براية أقلامه
التي كتب بها حديث رسول الله فحصل منها شيء كثير
وأوصى أن يسخن بها الماء الذي يغسل به بعد موته ففعل
ذلك فكفت وفضل منها وله أشعار لطيفة أنشدني له بعض
الفضلاء يخاطب أهل بغداد (عذيري من فتية بالعراق *
قلوبهم بالجفا قلب) (يرون العجيب كلام الغريب * وقول
القريب فلا يعجب) (ميازيبهم إن تندت بخير * إلى غير
جيرانهم تقلب) (وعذرهم عند توبيخهم * مغنية الحي ما
تطرب) وله أشعار كثيرة وكانت له في مجالس الوعظ
أجوبة نادرة فمن أحسن ما يحكى عنه أنه وقع النزاع
ببغداد بين أهل السنة والشيعة في المفاضلة بين أبي بكر
وعلي رضي الله عنهما فرضي الكل بما يجيب به الشيخ
أبو الفرج فأقاما شخصا سأله عن ذلك وهو على الكرسي
في مجلس وعظه فقال أفضلهما من كانت ابنته تحته ونزل
في الحال حتى لا يراجع في ذلك فقالت السنة هو أبو بكر
لأن ابنته عائشة رضي الله عنها تحت رسول الله وقالت
الشيعة هو علي لأن فاطمة ابنة رسول الله
142 تحته وهذا من لطائف الأجوبة ولو حصل بعد
الفكر التام وإمعان النظر كان في غاية الحسن فضلا عن
البديهة وله محاسن كثيرة يطول شرحها وكانت ولادته
بطريق التقريب سنة ثمان وقيل عشر وخمسمائة وتوفي

ليلة الجمعة ثاني عشر شهر رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة ببغداد ودفن بباب حرب وتوفي والده في سنة أربع عشرة وخمسمائة رحمهما الله تعالى وحمادى بضم الحاء المهملة وتشديد الميم وبعد الألف دال مهملة مفتوحة وياء مفتوحة والجوزي بفتح الجيم وسكون الواو وبعدها زاي هذه النسبة إلى فرضة الجوز وهو موضع مشهور ورأيت بخطي في مسوداتي أن جده كان من مشرعة الجوز إحدى محال بغداد بالجانب الغربي والله أعلم وقال ابن النجار في تاريخ بغداد كان أبو الفرج ابن الجوزي يقول لا أتحقق مولدي غير أن والدي مات سنة أربع عشرة وقالت الوالدة كان لك من العمر نحو ثلاث سنين وكان والده يعمل الصفر بنهر القلايين والله أعلم 95 وكان ولده محيي الدين أبو محمد يوسف بن عبد الرحمن محتسب بغداد وتولى تدريس المدرسة المستنصرية لطائفة الحنابلة وكان يتردد في الرسائل إلى الملوك وصار أستاذ دار الخلافة ومولده ليلة السبت ثالث عشر ذي القعدة سنة ثمانين وخمسمائة ببغداد وتوفي في وقعة التتر قتيلا سنة ثلاث وخمسين وستمائة 96 وكان سبطه شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزغلي الواعظ المشهور حنفي المذهب وله صيت وسمعة في مجالس وعظه وقبول عند الملوك وغيرهم وصنف تاريخا كبيرا رأيته بخطه في أربعين مجلدا سماه مرآة الزمان وتوفي ليلة الثلاثاء حادي عشرين ذي الحجة سنة أربع وخمسين وستمائة بدمشق بمنزله

بجبل قاســـيون ودفن هناك ومولده ســـنة إحدى وثمانين وخمسمائة ببغداد رحمه الله تعالى وكان هو يقول أخبرتني أمي أن مولدي سنة اثنتين وثمانين

143 371 السهيلي أبو القاسم وأبو زيد عبد الرحمن بن الخطيب أبي محمد عبد الله ابن الخطيب أبي عمر أحمد بن أبي الحسن أصبغ بن حسين بن سعدون بن رضوان بن فتوح وهو الداخل إلى الأندلس قال الحافظ أبو الخطاب ابن دحية هكذا أملى علي نســبة الخثعمي الســهيلي الإمام المشــهور صــاحب كتاب الروض الأنف في شــرح سيرة رسول الله وله كتاب التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء الأعلام وله كتاب نتائج الفكر ومسألة رؤية الله تعالى في المنام ورؤية النبي ومسألة السر في عور الدجال ومســائل كثيرة مفيدة وقال ابن دحية أنشــدني وقال إنه ما سأل الله تعالى بها حاجة إلا أعطاه إياها وكذلك من استعمل إنشادها وهي (يا من يرى ما في الضمير ويسمع * أنت المعد لكل ما يتوقع) (يا من يرجى للشدائد كلها * يا من إليه المشتكى والمفزع) (يا من خزائن رزقه في قول كن * امنن فإن الخير عندك أجمع) (ما لي سوى فقري إليك وسيلة * فبالإفتقار إليك فقري أدفع) (مالي سوى قرعي لبابك حيلة * فلئن رددت فأي باب أقرع) (ومن الذي أدعو وأهتف باسمه * إن كان فضلك عن فقيرك يمنع) (حاشا لمجدك أن يقنط عاصيا * الفضل أجزل والمواهب أوسع)

144 وأشـــعاره كثيرة وتصـــانيفه ممتعة وكان ببلده
يتســـوغ بـالعفـاف ويتبلغ بـالكفـاف حتى نمي خبره إلى
صـــاحب مراكش فطلبه إليها وأحســـن إليه وأقبل بوجه
الإقبال عليه وأقام بها نحو ثلاثة أعوام ومولده ســـنة ثمان
وخمســـمائة بمدينة مالقة وتوفي بحضـــرة مراكش يوم
الخميس ودفن وقت الظهر وهو الســـادس والعشـــرون من
شـــعبان ســـنة إحدى وثمانين وخمســـمائة رحمه الله تعالى
وكان مكفوفا والخثعمي بفتح الخاء الموحدة وسـكون الثاء
المثلثة وفتح العين المهملة وبعدها ميم هذه النسبة إلى خثعم
بن انمار وهي قبيلة كبيرة وفيه اختلاف والســـهيلي بضـم
الســـين المهملة وفتح الهاء وســـكون الياء المثناة من تحتها
وبعدها لام هذه النســـبة إلى ســـهيل وهي قرية بالقرب من
مالقة ســـميت باســـم الكوكب لأنه لا يرى في جميع بلاد
الأندلس إلا من جبل مطل عليها ومالقة بفتح الميم وبعد
الألف لام مفتوحة ثم قاف مفتوحة وبعدها هاء وهي مدينة
كبيرة بالأندلس وقال السمعاني بكسر اللام وهو غلط

145 372 أبو مســـلم الخراســـاني أبو مســـلم عبد
الرحمن بن مســـلم وقيل عثمان الخراســـاني القائم بالدعوة
العباسـية وقيل هو إبراهيم بن عثمان بن يسـار بن شـذوس
بن جودرن من ولد بزرجمهر بن البختكان الفارسي قال له
إبراهيم الإمام ابن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن
عبد المطلب غير اسمك فما يتم لنا الأمر حتى تغير اسمك
فسـمى نفسـه عبد الرحمن والله أعلم كان أبوه من رسـتاق

فريذين من قرية تسـمى سـنجرد وكانت هذه القرية له مع
عدة قرى وقيل إنه من قرية يقال لها ماخوان على ثلاث
فراسـخ من مرو وكان بعض الأحياء يجلب إلى الكوفة
مواشـي ثم إنه قاطع على رسـتاق فريذين فلحقه فيه عجز
وأنفذ عامل البلد إليه من يشخصه إلى الديوان وكان له عند
أذين بنداذ ابن وسـتجان جارية اسـمها وشـيكة جلبها من
الكوفة فأخذ الجارية معه وهي حامل وتنحى عن مؤدى
خراجه آخذا إلى أذربيجان فاجتاز على رسـتاق فاتق
بعيسـى بن معقل بن عمير أخي إدريس بن معقل جد أبي
دلف العجلي فأقام عنده أياما فرأى في منامه

146 كأنه جلس للبول فخرج من إحليله نار وارتفعت
في السماء وسدت الآفاق وأضاءت الأرض ووقعت بناحية
المشرق فقص رؤياه على عيسى ابن معقل فقال له ما أشك
أن في بطنها غلام ثم فارقه ومضـى إلى أذربيجان ومات
بها ووضـعت الجارية أبا مسـلم ونشـأ عند عيسـى فلما
ترعرع اختلف مع ولده إلى المكتب فخرج أديبا لبيبا يشـار
إليه في صـغره ثم إنه اجتمع على عيسـى بن معقل وأخيه
إدريس جد أبي دلف العجلي بقايا من الخراج تقاعدا من
أجلها عن حضـور مؤدى الخراج بأصـبهان فأنهى عامل
أصـبهان خبرهما إلى خالد بن عبد الله القسـري والي
العراقين فأنفذ خالد من الكوفة من حملهما إليه بعد قبضـه
عليهما فتركهما خالد في السـجن فصـادفا فيه عاصـم بن
يونس العجلي محبوسـا بسـبب من أسـباب الفساد وقد كان

عيسى بن معقل قبل أن يقبض عليه أنفذأبا مسلم إلى قرية من رستاق فاتق لاحتمال غلتها فلما اتصل به خبر عيسى بن معقل باع ما كان احتمله من الغلة وأخذ ما كان اجتمع عنده من ثمنها ولحق بعيسى بن معقل فأنزله عيسى بداره في بني عجل وكان يختلف إلى السجن ويتعهد عيسى وإدريس ابني معقل وكان قد قدم الكوفة جماعة من نقباء الإمام محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الآتي ذكره إن شاء الله تعالى مع عدة من الشيعة الخراسانية فدخلوا على العجليين السجن مسلمين فصادفوا أبا مسلم عندهم فأعجبهم عقله ومعرفته وكلامه وأدبه ومال هو إليهم ثم عرف أمرهم وأنهم دعاة واتفق مع ذلك هرب عيسى وإدريس من السجن فعدل أبو مسلم من دور بني عجل إلى هؤلاء النقباء ثم خرج معهم إلى مكة حرسها الله تعالى فأورد النقباء على إبراهيم بن محمد الإمام المذكور في ترجمة أبيه محمد بن علي وقد تولى الإمامة بعد وفاة أبيه عشرين ألف دينار ومائتي ألف درهم وأهدوا إليه أبا مسلم فأعجب به وبمنطقه وعقله وأدبه وقال لهم هذا عضلة من العضل وأقام أبو مسلم عند الإمام إبراهيم يخدمه حضرا وسفرا

147 ثم إن النقباء عادوا إلى إبراهيم الإمام وسألوه رجلا يقوم بأمر خراسان فقال إني قد جربت هذا الأصبهاني وعرفت ظاهره وباطنه فوجدته حجر الأرض ثم دعا أبا مسلم وقلده الأمر وأرسله إلى خراسان وكان من

أمره ما كان وكان إبراهيم الإمام قد أرسل إلى أهل خراسان سليمان بن كثير الحراني يدعوهم إلى أهل البيت فلما بعث أبا مسلم أمر من هناك بالسمع والطاعة له وأمره أن لا يخالف سليمان بن كثير فكان أبو مسلم يختلف ما بين إبراهيم وسليمان وقال المأمون وقد ذكر أبو مسلم عنده أجل ملوك الأرض ثلاثة وهم الذين قاموا بثقل الدول الاسكندر وأردشير وأبو مسلم الخراساني وكان أبو مسلم يدعو الناس إلى رجل من بني هاشم وأقام على ذلك سنين وفعل في خراسان وتلك البلاد ما هو مشهور ولا حاجة إلى الإطالة بذكره وكان مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية يحتال على الوقوف على حقيقة الأمر وأن أبا مسلم إلى من يدعو منهم فلم يزل على ذلك حتى ظهر له أن الدعاء لإبراهيم الإمام وكان مقيما عند اخوته وأهله بالحميمة الآتي ذكرها في ترجمة جده علي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنهما فأرسل إليه وقبض عليه وأحضره إلى حران فأوصى إبراهيم بالأمر من بعده لأخيه عبد الله السفاح ولما وصل إبراهيم إلى حران حبسه مروان بها ثم غمه بجراب طرح فيه نورة وجعل فيه رأسه وسد عليه إلى أن مات وذلك في صفر سنة اثنتين وثلاثين ومائة وقيل إنه قتله غير هذه القتلة لكن هذا هو الأكثر وكان عمره إحدى وخمسين سنة وكان دفنه هناك داخل حران ثم صار أبو مسلم يدعو الناس إلى أبي العباس عبد الله بن محمد الملقب السفاح وكان بنو أمية يمنعون بني هاشم من نكاح

الحارثية للخبر المروي في ذلك أن هذا الأمر يتم لابن الحارثية فلما قام عمر بن عبد العزيز بالأمر أتاه محمد بن علي

148 وقال إني أردت أن أتزوج ابنة خالي من بني الحارث بن كعب أفتأذن لي قال تزوج من شئت فتزوج ريطة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان ابن الركال بن قطن بن زياد بن الحارث بن كعب فأولدها السفاح المذكور فتولى الخلافة ووصف المدائني أبا مسلم فقال كان قصيرا أسمر جميلا حلوا نقي البشرة أحور العين عريض الجبهة حسن اللحية وافرها طويل الشعرة طويل الظهر قصير الساق والفخذ خافض الصوت فصيحا بالعربية والفارسية حلو المنطق راوية للشعر عالما بالأمور لم ير ضاحكا ولا مازحا إلا في وقته ولا يكاد يقطب في شيء من أحواله تأتيه الفتوحات العظام فلا يظهر عليه أثر السرور وتنزل به الحوادث الفادحة فلا يرى مكتئبا وإذا غضب لم يستفزه الغضب ولا يأتي النساء في السنة إلا مرة واحدة ويقول الجماع جنون ويكفي الإنسان أن يجن في السنة مرة وكان من أشد الناس غيرة لا يدخل قصره غيره وكان في القصر كوى يطرح لنسائه منها ما يحتجن إليه قالوا وليلة زفت إليه امرأته أمر بالبرذون الذي ركبته فذبح وأحرق سرجه لئلا يركبه ذكر بعدها وقال له ابن شبرمة أصلح الله الأمير من أشجع الناس قال كل قوم في إقبال دولتهم وكان أقل الناس طمعا

وأكثرهم طعاما ولما حج نادى في الناس برئت الذمة ممن أوقد نارا فكفى العسكر ومن معه أمر طعامهم وشرابهم في ذهابهم وإيابهم ومنصـــرفهم وهربت الأعراب فلم يبق في المناهل منهم أحد لما كانوا يسـمعونه من سـفكه الدماء قتل في دولته سـتمائة ألف صـبرا فقيل لعبد الله بن المبارك أبو مسـلم خير أو الحجاج قال لا أقول إن أبا مسـلم كان خيرا من أحد ولكن الحجاج كان شرا منه

149 وقيل له بم بلغت ما بلغت فقال ما أخرت أمر يومي إلى غـد قط وذكر الزمخشـــري في كتـاب ربيع الأبرار في باب الأسنان وذكر الصبا والشباب أن أبا مسلم نهض للدعوة وهو ابن ثماني عشـــرة ســـنة وقتل وهو ابن ثلاث وثلاين ســـنة وقال الزمخشـــري أيضـــا في كتابه المذكور أنه كان عظيم القدر يعني أبا مســـلم وإنه قدم مرة فتلقاه ابن أبي ليلى القاضـــي المشـهور فقبل يده فقيل له في ذلك فقال قد لقي أبو عبيدة ابن الجراح عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فقبل يده فقيل له أتشبه أبا مسلم بعمر فقال أتشبهونني بأبي عبيدة وكان له أخوة من جملتهم يسار جد علي بن حمزة بن عمارة بن حمزة بن يســـار الأصـــبهاني وكانت ولادته في ســـنة مائة للهجرة والخليفة يومئذ عمر بن عبد العزيز رضـــي الله عنه في رســتاق فاتق بقرية لها ناوانه ويدعي أهل مدينة جي الأصبهانية أن مولده بها ولما ظهر بخراســان كان أول ظهوره بمرو يوم الجمعة لتسـع بقين وقال الخطيب لخمس بقين من شـــهر رمضـــان سـنة

تسع وعشرين ومائة والوالي بخراسان يومئذ نصر بن سيار الليثي من جهة مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية فكتب نصر إلى مروان (أرى جذعا إن يثن لم يقو ريض * عليه فبادر قبل أن يثني الجذع) وكان مروان مشغولا عنه بغيره من الخوارج بالجزيرة الفراتية وغيرها منهم الضحاك بن قيس الحروري وغيره فلم يجبه عن كتابه وأبو مسلم يوم ذاك في خمسين رجلا فكتب إليه ثانية قول أبي مريم عبد الله بن إسماعيل البجلي الكوفي وهو من جملة أبيات كثيرة وكان أبو مريم منقطعا إلى نصر بن سيار وكان له مكتب بخراسان

150 (أرى خلل الرماد وميض نار * ويوشك أن يكون لها ضرام) (فإن النار بالزندين تورى * وإن الحرب أولها كلام) (لئن لم يطفها عقلاء قوم * يكون وقودها جثث وهام) (أقول من التعجب ليت شعري * أأيقاظ أمية أم نيام) (فإن كانوا لحينهم نياما * فقل قوموا فقد حان القيام) وهذا مثل ما يحكى عن بعض علوية الكوفة أنه قال لما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه على أبي جعفر المنصور وأخوه إبراهيم بن عبد الله (أرى نارا تشب على يفاع * لها فيكل ناحية شعاع) (وقد رقدت بنو العباس عنها * وباتت وهي آمنة رتاع) (كما رقدت أمية ثم هبت * تدافع حين لا يغني الدفاع) رجعنا إلى الأول فانتظر ابن سيار ما يكون من مروان فجاءه جوابه وهو

يقول إنا حين ولنياك خراســـان والشــاهد يرى ما لا يرى الغائب فاحسم الثؤلول قبلك فقال نصر حين أتاه الجواب قد أعلمكم أن لا نصـــر عنده ثم كتب ثانيا فأبطأ عنه الجواب واشتدت شوكة أبي مسلم فهرب نصر من خراسان وقصد العراق فمات في الطريق بناحية ســـاوة وقيل إنه مرض بالري وحمل إلى ســاوة وهي بالقرب من همذان فمات بها في شـــهر ربيع الأول ســـنة إحدى وثلاثين ومائة وكانت ولايته بخراسان عشر سنين وفي يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من المحرم سنة اثنتين وثلاثين ومائة وثب أبو مسلم على علي بن جديع بن علي الكرماني بنيسابور فقتله بعد أن قيده وحبسه

151 وقعد في الدســت وسـلم عليه بالإمرة وصــلى وخطب ودعا للســفاح أبي العباس عبد الله بن محمد أول خلفاء بني العباس وصـــفت له خراســـان وانقطعت عنها ولاية بني أمية ثم ســـير العســـاكر لقتال مروان بن محمد وظهر الســـفاح بالكوفة وبويع بالخلافة ليلة الجمعة لثلاث عشــرة ليلة خلت من شـــهر ربيع الآخر وقيل الأول ســـنة اثنتين وثلاثين ومـائـة وقيـل غير هـذا التـاريخ وتجهزت العساكر الخراسانية وغيرها من جهة السفاح لقصد مروان بن محمد ومقدمها عبد الله بن علي عم السفاح فتقدم مروان إلى الزاب النهر الذي بين الموصـــل وإربل وكانت الوقعة على كشـاف بضـم الكاف وهي قرية هناك وانكسر عسكر مروان وهرب إلى الشام فتبعه عبد الله بجيوشه فهرب إلى

مصر فأقام عبد الله بدمشق وأرسل جيشا وراء مروان مع الأصفر وقيل مصفر وعامر بن إسماعيل الجرجاني فلما وصل إلى بوصير القرية التي عند الفيوم قتل بها ليلة الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة رحمه الله تعالى وقيل في ذي القعدة من السنة قتله عامر المذكور واحتزوا رأسه وبعثوه إلى السفاح فبعثه السفاح إلى أبي مسلم وأمره يطيف به في بلاد خراسان وقيل لمروان ما الذي أصارك إلى هذا قال قلة مبالاتي بكتب نصر ابن سيار لما استنصرني وهو بخراسان فاستقل السفاح بالخلافة وخلا له الوقت من منازع وقال أبو عثمان التيمي قاضي مروان بن محمد رأيت في منامي كأن عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية ناشرة شعرها وهي واقفة على مرقى بين مراقي منبر رسول الله وهي تنشد بيتين من قصيدة الأحوص التي أولها (يا بيت عاتكة الذي أتعزل *)

152 (أين الشباب وعيشنا اللذ الذي * كنا به زمنا نسر ونجذل) (ذهبت بشاشته وأصبح ذكره * حزنا يعل به الفؤاد وينهل) قال أبو عثمان التيمي فلم يكن بين ذلك وبين الحادثة على بني أمية إلا أقل من شهر ووجد بخط محمد بن أسعد قال كان الخراز يقول من أعجب أحاديث مروان بن محمد ما رواه المدائني قال لما حاصر مروان تدمر فظفر بها وهدم دورها افضى إلى جرن طويل فلم يشك مروان والحاضرون أن تحته كنزا فنبشوه فإذا امرأة

مســـجاة عظيمة الخلق على قفاها فوق ســـرير من حجارة
عليها ســـبعون حلة منســـوجة بالذهب جرباناتها لها غدائر
من رأســـها إلى رجليها فذرع قدمها فكانت عظيمة الســـاق
وكان طولها ســـبعة أذرع وإذا عند رأســـها صـــفيحة من
نحاس مكتوب عليها بالحميرية فطلب من قرأه فإذا فيه أنا
تدمر بنت حســـان بن أذينة بن الســـميدع بن هرم العماليقي
من دخل علي بيتي هذا فأزعجني منه حتى يراني أدخل الله
عليه المهانة والذل والصـــغار فلما قرىء المكتوب على
مروان عظم عليه وندم على ما كان منه وتطير بذلك
وجعل يسترجع ثم أمر بطبق الجرن وأن يرد إلى موضعه
وما كان بين ذلك وبين الظفر به وزوال الملك واســـتباحة
حريمه إلا قليل وكان السفاح كثير التعظيم لأبي مسلم لما
صنعه ودبره وكان أبو مسلم عند ذلك ينشد في كل وقت (
أدركت بالحزم والكتمان ما عجزت * عنه ملوك بني
مروان إذ حشدوا) (ما زلت أسعى بجهدي في دمارهم *
والقوم في غفلة بالشام قد رقدوا) (حتى ضربتهم بالسيف
فانتهبوا * من نومة لم ينمها قبلهم أحد) (ومن رعى
غنما في أرض مسبعة * ونام عنها تولى رعيها الأسد)
153 ولما مات الســـفاح في ذي الحجة ســـنة ســـت
وثلاثين ومائة بعلة الجدري وكانت وفاته بالأنبار وتولى
الخلافة أخوه أبو جعفر المنصـــور يوم الأحد لثلاث عشرة
ليلة خلت من ذي الحجة من الســـنة وهو بمكة صـــدرت من
أبي مسلم أسباب وقضايا غيرت قلب المنصور عليه فعزم

على قتله وبقي حائرا بين الاســـتبداد برأيه وفي أمره أو الاســـتشـــارة فقال يوما لسـلم بن قتيبة بن مسـلم الباهلي ما ترى في أمر أبي مســـلم قال (^ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفســدتا) فقال حســبك يا ابن قتيبة لقد أودعتها أذنا واعية وكان أبو مســلم قد حج فلما عاد نزل الحيرة التي عند الكوفة وكان بها نصـــراني عمره مائتا ســـنة يخبر عن الكوائن فأحضـــره وســـمع كلامه وكان في جملته أنه يقتل وقال له إن صرت إلى خراسان سلمت فعزم على الرجوع إليها فلم يزل المنصور يخدعه بالرسائل حتى أحضره إليه وكان أبو مســـلم ينظر في كتب الملاحم ويجد خبره فيها وأنه مميت دولة ومحيي دولة وانه يقتل ببلاد الروم وكان المنصـــور يومئذ برومية المدائن التي بناها كســـرى ولم يخطر بقلب أبي مسـلم أنها موضـع قتله بل راح وهمه إلى بلاد الروم فلما دخل على المنصـــور رحب بـه ثم أمره بالإنصـــراف إلى مخيّمه وانتظر المنصـــور فيه الفرص والغوائل ثم إن أبا مسلم ركب إليه مرارا فأظهر له التجني ثم جاءه يوما فقيل له إنه يتوضـأ للصـلاة فقعد تحت الرواق ورتب المنصور له جماعة يقفون وراء السرير الذي خلف أبي مســلم فإذا عاتبه لا يظهرون فإذا ضـــرب يدا على يد ظهروا وضـــربوا عنقه ثم جلس المنصـــور ودخل عليه أبو مسلم فسلم فرد عليه وأذن له في الجلوس وحادثه ثم عاتبه وقال فعلت وفعلت فقال أبو مسلم ما يقال هذا لي بعد سعيي

واجتهادي وما كان مني فقال له يا ابن الخبيثة إنما فعلت ذلك بجدنا وحظنا ولو كان مكانك أمة سوداء لعملت عملك
154 ألست الكاتب إلي تبدأ بنفسك قبلي ألست الكاتب تخطب عمتي آسـية وتزعم أنك ابن سـليط بن عبد الله بن العباس لقد ارتقيت لا أم لك مرتقى صـعبا فأخذ أبو مسـلم بيده يعركها ويقبلها ويعتذر إليه فقال له المنصـور وهو آخر كلامه قتلني الله إن لم أقتلك ثم صفق بإحدى يديه على الأخرى فخرج إليه القوم وخطبوه بسـيوفهم والمنصـور يصيح اضربوا قطع الله أيديكم وكان أبو مسلم قد قال عند أول ضـربة استبقني يا أمير المؤمنين لعدوك قال لا أبقاني الله أبدا إذا وأي عدو أعدى منك وكان قتله يوم الخميس لخمس بقين من شـعبان وقيل لليلتين وقيل يوم الأربعاء لسـبع ليال خلون منه سـنة سبع وثلاثين ومائة وقيل سـنة ست وثلاثين وقيل سـنة أربعين وهذا القول ضـعيف وكان قتله برومية المدائن وهي بلدة بالقرب من بغداد على دجلة بالجانب الغربي معدودة من مدائن كسرى ولما قتله أدرجه في بساط فدخل عليه جعفر بن حنظلة فقال له المنصور ما تقول في أمر أبي مسـلم فقال يا أمير المؤمنين إن كنت أخذت من رأسه شعرة فاقتل ثم اقتل فقال المنصور وفقك الله ها هو في البسـاط فلما نظر إليه قتيلا قال يا أمير المؤمنين عد هذا اليوم أول خلافتك فأنشـد المنصـور (فألقت عصـاها واستقرت بها النوى * كما قر عينا بالإياب المسـافر) ثم أقبل المنصـور على من حضـره وأبو مسلم

طريح بين يديه وأنشـــد (زعمت أن الدين لا يقتضــــى *
فاستوف بالكيل أبا مجرم) (اشرب بكأس كنت تسقي بها
* أمر في الحلق من العلقم)
155 وكان المنصور بعد قتله أبا مسلم كثيرا ما ينشد
جلساءه قول بعضهم (طوى كشحه عن أهل كل مشورة
* وبات يناجي عزمه ثم صـــمما) (وأقدم لما لم يجد ثم
مذهبا * ومن لم يجد بدا من الأمر أقدما) قلت ومن هاهنا
أخذ البحتري قوله في قصـــيدته التي مدح بها الفتح بن
خاقان صـــاحب المتوكل على الله وقد لقي أســدا في طريقه
فلم يقدم عليه الأســـد فقتله الفتح وهي من غرر قصـــائده
والمقصــــود منها قوله (فأحجم لما لم يجد فيك مطمعا *
وأقدم لما لم يجد منك مهربا) والله أعلم وقد اختلف الناس
في نســـب أبي مســـلم فقيل إنه من العرب وقيل من العجم
وقيل من الأكراد وفي ذلك يقول أبو دلامة المقدم ذكره (
أبا مجرم ما غير الله نعمة * على عبده حتى يغيرها العبد
) (أفي دولة المنصــــور حاولت غدرة * ألا إن أهل الغدر
آباؤك الكرد) (أبا مجرم خوفتني القتل فانتحى * عليك
بما خوفتني الأســد الورد) ورومية بضــم الراء وســكون
الواو وكســـر الميم وفتح الياء المثناة من تحتها وبعدها هاء
ساكنة بناها الإسكندر ذو القرنين لما أقام بالمدائن وكان قد
طاف الأرض شرقا وغربا كما أخبر عنه الباري تعالى في
القرآن الكريم ولم يختر منها منزلا ســـوى المدائن فنزلها
وبنى رومية المذكورة إذ ذاك والله أعلم

156 373 الخطيب ابن نباتة الخطيب أبو يحيى عبد الرحيم بن محمد بن إســماعيل بن نباتة الحذاقي الفارقي صـــاحب الخطب المشـــهورة كان إماما في علوم الأدب ورزق الســـعادة في خطبه التي وقع الإجماع على أنه ما عمل مثلها وفيها دلالة على غزارة علمه وجودة قريحته وهو من أهل ميافارقين وكان خطيب حلب وبها اجتمع بأبي الطيب المتنبي في خدمة ســيف الدولة بن حمدان وقالوا إنه سمع عليه بعض ديوانه وكان سيف الدولة كثير الغزوات فلهذا أكثر الخطيب من خطب الجهاد ليحض الناس عليه ويحثهم على نصــرة ســيف الدولة وكان رجلا صالحا وذكر الشيخ تاج الدين الكندي بإسناده المتصل إلى الخطيب ابن نباتة أنه قال لما عملت خطبة المنام وخطبت بها يوم الجمعة رأيت ليلة الســـبت في منامي كأني بظاهر ميافارقين عند الجبانة فقلت ما هذا الجمع فقال لي قائل هذا النبي ومعه أصـــحابه فقصـــدت إليه لأسـلم عليه فلما دنوت منه التفت فرآني فقال مرحبا يا خطيب الخطباء كيف تقول وأومأ إلى القبور قلت لا يخبرون بما إليه آلوا ولو قدروا على المقال لقالوا قد شربوا من الموت كأسا مرة ولم يفقدوا من أعمالهم ذرة وآلى عليهم الدهر

157 ألية برة أن لا يجعل لهم إلى دار الدنيا كرة كـأنهم لم يكونوا للعيون قرة ولم يعدوا في الأحيـاء مرة أســكتهم والله الذي أنطقهم وأبادهم الذي خلقهم وســيجدهم كما أخلقهم ويجمعهم كما فرقهم يوم يعيد الله العالمين خلقا

جديدا ويجعل الظالمين لنار جهنم وقودا يوم تكونون شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وأومأت عند قولي تكونون شهداء على الناس إلى الصحابة وبقولي شهيدا إلى الرسول (^ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيد) فقال لي أحسنت ادن فدنوت منه فأخذ وجهي وقبله ثم تفل في في وقال وفقك الله قال فانتبهت من النوم وبي من السرور ما يجل عن الوصف فأخبرت أهلي بما رأيت قال الكندي بروايته وبقي الخطيب بعد هذا المنام ثلاثة أيام لا يطعم طعاما ولا يشتهيه ويوجد في فيه رائحة المسك ولم يعش إلا مدة يسيرة ولما استيقظ الخطيب من منامه كان على وجهه أثر نور وبهجة لم تكن قبل ذلك وقص رؤياه على الناس وقال سماني رسول الله خطيبا وعاش بعد ذلك ثمانية عشر يوما لا يستطعم فيها طعاما ولا شرابا من أجل تلك التفلة وبركتها وهذه الخطبة التي فيها هذه الكلمات تعرف بالمنامية لهذه الواقعة وهذا الخطيب لم أر أحدا من المؤرخين ذكر تاريخه في المولد والوفاة سوى ابن الأزرق الفارقي في تاريخه فإنه قال ولد في سنة خمس وثلاثين وثلثمائة وتوفي في سنة أربع وسبعين وثلثمائة بميافارقين ودفن بها رحمه الله تعالى ورأيت في بعض المجاميع قال الوزير أبو القاسم ابن المغربي رأيت الخطيب ابن نباتة في المنام بعد موته فقلت له ما فعل الله

بك فقال دفع لي ورقة فيها سطران بالأحمر وهما (قد كان أمن لك من قبل ذا * واليوم أضحى لك أمنان)
158 (والصفح لا يحسن عن محسن * وإنما يحسن عن جاني) قال فانتبهت من النوم وأنا أكررهما ونباتة بضم النون وفتح الباء الموحدة وبعد الألف تاء مثناة من فوقها مفتوحة ثم هاء ساكنة والحذاقي بضم الحاء المهملة وفتح الذال المعجمة وبعد الألف قاف هذه النسبة إلى حذاقة بطن من قضاعة وقال ابن قتيبة في كتاب أخبار الشعراء وحذاق قبيلة من إياد والله أعلم 374 القاضي الفاضل أبو علي عبد الرحيم ابن القاضي الأشرف بهاء الدين أبي المجد علي ابن القاضي السعيد أبي محمد الحسن بن الحسن بن أحمد بن الفرج بن أحمد اللخمي العسقلاني المولد المصري الدار المعروف بالقاضي الفاضل الملقب مجير الدين وزر للسلطان الملك الناصر صلاح الدين رحمه الله تعالى وتمكن منه غاية التمكن وبرز في صناعة الإنشاء وفاق المتقدمين وله فيه الغرائب مع الإكثار أخبرني أحد الفضلاء الثقات المطلعين على حقيقة أمره أن مسودات رسائله في المجلدات
159 والتعليقات في الأوراق إذا جمعت ما تقصر عن مائة مجلد وهو مجيد في أكثرها قال العماد الأصبهاني في كتاب الخريدة في حقه رب القلم والبيان واللسن واللسان والقريحة الوقادة والبصيرة النقادة والبديهة المعجزة والبديعة المطرزة والفضل الذي ما سمع في

الأوائل بمن لو عاش في زمانه لتعلق بغباره أو جرى في مضماره فهو كالشريعة المحمدية التي نسخت الشرائع ورسخت بها الصنائع يخترع الأفكار ويفترع الأبكار ويطلع الأنوار ويبدع الأزهار وهو ضابط الملك بآرائه رابط السلك بآلائه إن شاء أنشأ في يوم واحد بل في ساعة واحدة ما لو دون لكان لأهل الصناعة خير بضاعة أين قس عند فصاحته وابن قيس في مقام حصافته ومن حاتم وعمرو في سماحته وحماسته وأطال القول في تقريظه ونذكر له رسالة لطيفة كتبها على يد خطيب عيذاب إلى صلاح الدين يتشفع له في توليته خطابة الكرك وهي أدام الله السلطان الملك الناصر وتبته وتقبل عمله بقبول صالح وأنبته وأخذ عدوه قائلا أو بيته وأرغم أنفه بسيفه وكبته خدمة المملوك هذه واردة على يد خطيب عيذاب ولما نبا به المنزل عنها وقل عليه المرفق فيها وسمع بهذه الفتوحات التي طبق الأرض ذكرها ووجب على أهلها شكرها هاجر من هجير عيذاب وملحها ساريا في ليلة أمل كلها نهار فلا يسأل عن صبحها وقد رغب في خطابة الكرك وهو خطيب وتوسل بالمملوك في هذا الملتمس وهو قريب ونزع من مصر إلى الشام ومن عيذاب إلى الكرك وهذا عجيب والفقر سائق عنيف والمذكور عائل ضعيف ولطف الله بالخلق بوجود مولانا لطيف والسلام ولـه من جملة رسالة في صفة قلعة شاهقة ولقد أبدع فيها ويقال إنها قلعة كوكب وهذه القلعة عقاب في عقاب ونجم في سحاب

وهامة لها الغمامة عمامة وأنملة إذا خضبها الأصيل كان الهلال لها قلامة وملحه ونوادره كثيرة وقوله كان الهلال لها قلامة أخذه من قول
160 عبد الله بن المعتز من جملة أبياته المتقدم ذكرها في ترجمته وهو قوله (ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا * مثل القلامة قد قدت من الظفر) وابن المعتز أخذه من قول عمرو بن قميئةوهو (كأن ابن مزنتها جانحا * فسيط لدى الأفق من خنصر) والفسيط بفتح الفاء وكسر السين المهملة قلامة الظفر ومن كلامه في أثناء رسالة وقد كبر والمملوك قد وهت ركبتاه وضعف أطيباه وكتبت لام ألف عند قيامه رجلاه ولم يبق من نظره إلا شفافة ومن حديثه إلا خرافة وله في النظم أيضا أشياء حسنة منها ما أنشده عند وصوله إلى الفرات في خدمة السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى ويتشوق نيل مصر (بالله قل للنيل عني إنني * لم أشف من ماء الفرات غليلا) (وسل الفؤاد فإنه لي شاهد * إن كان جفني بالدموع بخيلا) (يا قلب كم خلفت ثم بثينة * وأعيذ صبرك أن يكون جميلا) ومن المنسوب إلى القاضي الفاضل قوله (عتب أقلب فيه طرف ترقبي * فعسى يكون وراءه الإعتاب) ومن شعره أيضا (بتنا على حال يسر الهوى * وربما لا يمكن الشرح) (بوابنا الليل وقلنا له * إن غبت عنا دخل الصبح)
161 ولقدنظمت هذا المعنى في دوبيت وهو (ما أطيب ليلة مضت بالسفح * والوصف لها يقصر عنه

شـــرحي) (إذ قلت لها بوابنا أنت متى * ما غبت نخاف من دخول الصبح) وكان كثيرا ما ينشد لابن مكنسة وهو أبو طـاهر إســـماعيل بن محمد بن الحســـين القرشـــي الإســـكندري (وإذا الســـعادة أحرســـتك عيونها * نم فالمخاوف كلهن أمان) (واصـــطد بها العنقاء فهي حبائل * واقتد بها الجوزاء فهي عنان) وكان الملك العزيز بن صلاح الدين يميل إلى القاضي الفاضل في حياة أبيه فاتفق أن العزيز هوي قينة شـــغلته عن مصـــالحه وبلغ ذلك والده فأمره بتركها ومنعها من صـــحبته فشـق ذلك عليه وضـاق صـــــدره ولم يجســـــر أن يجتمع بها فلما طال ذلك بينهما ســـيرت له مع بعض الخدم كرة عنبر فكســـرها فوجد في وسطها زر ذهب فأفكر فيه ولم يعرف معناه واتفق حضور القاضـــي فعرفه الصـــورة فعمل القاضـــي الفاضـل في ذلك بيتين وأرسلهما إليه وهما (أهدت لك العنبر في وسطه * زر من التبر دقيق اللحام) (فالزر في العنبر معناهما * زر هكذا مســـــتترا في الظلام) فعلم الملك العزيز أنها أرادت زيارته في الليل وشعره أيضا كثير وكانت ولادته يوم ألإثنين في خامس عشـــر جمادى الآخرة ســـنة تســـع وعشـرين وخمسـمائة بمدينة عسـقلان وتولى أبو القضـاء بمدينة بيسان فلهذا نسبوا إليها

162 وفي ترجمة الموفق يوســـف بن الخلال في حرف الياء صـــورة مبدإ أمره وقدومه الديار المصـــرية واشتغاله عليه بصناعة الإنشاء فلا حاجة إلى ذكرها هاهنا

ثم إنه تعلق بالخدم في ثغر الإســـكندرية وأقام به مدة وقال الفقيه عمارة اليمني في كتاب النكت العصـــرية في أخبار الوزراء المصـرية في ترجمة العادل ابن صـالح بن رزيك ومن محاسـن أيامه وما يؤرخ عنها بل هي الحسـنة التي لا توازى بل هي اليد البيضـــاء التي لا تجازى خروج أمره إلى والي الإسـكندرية بتسـيير القاضـي الفاضـل إلى الباب واســـتخدامه بحضـــرته وبين يديه في ديوان الجيش فإنه غرس منه للدولة بل للملة شـــجرة مباركة متزايدة النماء أصـلها ثابت وفرعها في السـماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها وقد تقدم ذكر ما آل إليه أمره من وزارة الســـلطان صـــلاح الدين وترقي منزلته عنده وبعد وفاة صـــلاح الدين استمر على ما كان عليه عند ولده الملك العزيز في المكانة والرفعة ونفاذ الأمر ولما توفي العزيز وقام ولده الملك المنصور بالملك بتدبير عمه الملك الأفضل نور الدين كان أيضـا على حاله ولم يزل كذلك إلى أن وصـل الملك العادل وأخذ الديار المصـرية وعند دخوله القاهرة توفي القاضـي الفاضل وذلك في ليلة الأربعاء سابع شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين وخمسمائة بالقاهرة فجأة ودفن في تربته من الغد بسفح المقطم في القرافة الصغرى وزرت قبره مرارا وقرأت تاريخ وفاته على الرخام المحوط حول القبركما هو هاهنا رحمه الله تعالى وكان من محاسن الدهر وهيهات أن يخلف الزمان مثله وبنى بالقاهرة مدرســـة بدرب ملوخية ورأيت بخطه أنه استفتح التدريس بها يوم السـبت مستهل

المحرم من ســـنة ثمانين وخمســـمائة وأما لقبه فإن أهله يقولون
163 إنه كان يلقب محيي الدين ورأيت مكاتبة الشيخ شـــرف الدين عبد الله بن أبي عصـــرون المقدم ذكره إليه وهو يخاطبه بمجير الدين والله أعلم بالصـــواب 97 وكان ولده القاضـــي الأشـــرف بهاء الدين أبو العباس أحمد ابن القاضـــي الفاضـــل كبير المنزلة عند الملوك وكان مثابرا على ســـماع الحديث وتحصـــيل الكتب ومولده في المحرم سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة بالقاهرة وتوفي بها في ليلة الإثنين سـابع جمادى الآخرة سـنة ثلاث وأربعين وستمائة ودفن بسـفح المقطم إلى جانب قبر أبيه وكان الملك الكامل ابن الملك العادل ابن أيوب قد سيره من مصر في رسـالة إلى بغداد فأنشـد الوزير من نظمه (يا أيها المولى الوزير ومن له * منن حللن من الزمان وثاقي) (من شاكر عني نداك فإنني * من عظم ما أوليت ضـــاق نطاقي) (منن تخف على يديك وإنما * ثقلت مؤونتها على الأعناق)
375 ابن جريج أبو خالد وأبو الوليد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج القرشـــي بالولاء المكي مولى أمية بن خالد بن أســـيد ويقال إن جريجا كان عبدا لأم حبيب بنت جبير زوجة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أســـيد بن أبي العيص بن أمية فنسب ولاؤه إليه
164 وكان عبد الملك أحد العلماء المشهورين ويقال إنه أول من صـنف الكتب في الإسـلام وكان يقول كنت مع

معن بن زائدة باليمن فحضر وقت الحج فلم تحضرني نية فخطر ببالي قول عمر بن أبي ربيعة (بالله قولي له من غير معتبة * ماذا أردت بطول المكث في اليمن) (إن كنت حاولت دنيا أو نعمت بها * فما أخذت بترك الحج من ثمن) قال فدخلت على معن فأخبرته أني قد عزمت على الحج فقال لي ما يدعوك إليه ولم تكن تذكره فقلت له ذكرت بيتين لعمر بن أبي ربيعة وأنشدته إياهما فجهزني وانطلقت وكانت ولادته سنة ثمانين للهجرة وقدم بغداد على أبي جعفر المنصور وتوفي سنة تسع وأربعين ومائة وقيل سنة خمسين وقيل إحدى وخمسين ومائة رحمه الله تعالى وجريج بضم الجيم وفتح الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها جيم ثانية 376 عبد الملك بن عمير أبو عمر ويقال أبو عمرو عبد الملك بن عمير بن سويد بن حارثة بن املاص ابن شنيف بن عبد شمس بن سعد بن الوسيع بن الحارث بن يثيع بن أزدة بن حجر بن جزيلة بن لخم اللخمي الكوفي القبطي الفرسي كان قاضيا على

165 الكوفة بعد الشعبي وهو من مشاهير التابعين وثقاتهم ومن كبار أهل الكوفة رأى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وروى عن جابر بن عبد الله ومن أخباره أنه قال كنت عند عبد الملك بن مروان بقصر الكوفة حين جيء برأس مصعب بن الزبير فوضع بين يديه فرآني قد ارتعت فقال لي ما لك فقلت أعيذك بالله يا أمير المؤمنين كنت بهذا القصر بهذا الموضع مع عبيد الله ابن زياد

فرأيت رأس الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بين يديه في هذا المكان ثم كنت فيه مع المختار بن أبي عبيد الثقفي فرأيت رأس عبيد الله بن زياد بين يديه ثم كنت فيه مع مصعب بن الزبير هذا فرأيت رأس المختار فيه بين يديه ثم هذا رأس مصعب بن الزبير بين يديك قال فقام عبد الملك من موضعه وأمر بهدم ذلك الطاق الذي كنا فيه ومرض عبد الملك بن عمير مرة فاعتذر إليه رجل من تخلفه عن عيادته فقال له ما كنت لألوم عل ترك عيادتي رجلا لو مرض لما عدته وكانت وفاته سنة ست وثلاثين ومائة في ذي الحجة وهو ابن مائة سنة وثلاث سنين والقبطي بكسر القاف وسكون الباء الموحدة وكسر الطاء المهملة هذه النسبة إلى القبطي وهو فرس سابق كان له فنسب إليه والفرسي بالفاء والراء المفتوحتين والسين المهملة نسبة إلى هذا الفرس أيضا وأكثر الناس يصحفونه بالقرشي رحمه الله تعالى

166 377 ابن الماجشون أبو مروان عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون واسمه ميمون وقيل دينار القرشي التيمي المنكدري مولاهم المدني الأعمى الفقيه المالكي تفقه على الإمام مالك رضي الله عنه وعلى والده عبد العزيز وغيرهما وقيل إنه عمي في آخر عمره وكان مولعا بسماع الغناء قال أحمد بن حنبل قدم علينا ومعه من يغنيه وحدث وكان من الفصحاء روي أنه كان إذا ذاكره الإمام الشافعي رضي الله عنه لم

يعرف الناس كثيرا مما يقولان لأن الشـــافعي تأدب بهذيل في البادية وعبد الملك تأدب في خؤولته من كلب بالبادية وقال يحيى بن أحمد بن المعذل كلما تذكرت أن التراب يأكل لسان عبد الملك صغرت الدنيا في عيني وسئل أحمد بن المعذل فقيل له أين لسانك من لسان أستاذك عبد الملك فقال كان لســـان عبد الملك إذا تعايا أحيى من لســـاني إذا تحايا ومات عبد الملك المذكور سنة ثلاث عشرة ومائتين وقال أبو عمر ابن عبد البر توفي ســنة اثنتي عشــرة وقيل ســنة أربع عشــرة ومائتين رحمه الله تعالى والماجشــون بفتح الميم وبعد الألف جيم مكســـورة ثم شـــين معجمة مضـــمومة وبعد الواو نون وهو المورد ويقال الأبيض الأحمر وهو لقب أبي

167 يوسف يعقوب بن أبي سلمة المذكور وهو عم والد عبد الملك المذكور لقبته بذلك سكينة بنت الحسين بن علي رضـــي الله عنهم وجرى هذا اللقب على أهل بيته من بنيه وبني أخيه وقيل إن أصلهم من أصبهان فكان إذا سلم بعضهم على بعض قال شوني شوني فسمي الماجشون حكاه الحافظ أبو بكر أحمد بن إبراهيم الجرجاني وقال أبو داود كان عبد الملك الماجشـــون لا يعقل الحديث قال ابن البرقي دعاني رجل أن أمضي إليه فجئناه فإذا هو لا يدري الحديث أيش هو وذكره محمد بن سعد في الطبقات الكبرى وقال كان له فقه ورواية والمنكدري منسوب إلى المنكدر بن عبد الله بن هدير القرشـــي التيمي والد محمد وأبي بكر

وعمر بني المنكدر وقد استوفى ابن قتيبة حديثهم في كتاب المعارف في ترجمة محمد بن المنكدر 378 إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك ابن الشيخ أبي محمد عبد الله بن أبي يعقوب يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيوية الجويني الفقيه الشافعي الملقب ضياء الدين المعروف بإمام الحرمين أعلم المتأخرين من أصحاب الإمام الشافعي على الإطلاق المجمع على إمامته المتفق على غزارة مادته وتفننه في العلوم من الأصول

168 والفروع والأدب وغير ذلك وقد تقدم ذكر والده في العبادلة ورزق من التوسع في العبارة ما لم يعهد من غيره وكان يذكر دروسا يقع كل واحد منها في عدة أوراق ولا يتلعثم في كلمة منها وتفقه في صباه على والده أبي محمد وكان يعجب بطبعه وتحصيله وجودة قريحته وما يظهر عليه من مخايل الإقبال فأتى على جميع مصنفات والده وتصرف فيها حتى زاد عليه في التحقيق والتدقيق ولما توفي والده قعد مكانه للتدريس وإذا فرغ منه مضى إلى الأستاذ أبي القاسم الإسكافي الإسفرايني بمدرسة البيهقي حتى حصل عليه علم الأصول ثم سافر إلى بغداد ولقي بها جماعة من العلماء ثم خرج إلى الحجاز وجاور بمكة أربع سنين وبالمدينة يدرس ويفتي ويجمع طرق المذهب فلهذا قيل له إمام الحرمين ثم عاد إلى نيسابور في أوائل ولاية السلطان ألب أرسلان السلجوقي والوزير يومئذ نظام الملك فبنى له المدرسة النظامية بمدينة نيسابور

وتولى الخطابة بها وكان يجلس للوعظ والمناظرة وظهرت تصانيفه وحضر دروسه الأكابر من الأئمة وانتهت إليه رياسة الأصحاب وفوض إليه أمور الأوقاف وبقي على ذلك قريبا من ثلاثين سنة غير مزاحم ولا مدافع مسلم له المحراب والمنبر والخطابة والتدريس ومجلس التذكير يوم الجمعة وصنف في كل فن منها كتاب نهاية المطلب في دراية المذهب الذي ما صنف في الإسلام مثله قال أبو جعفر الحافظ سمعت الشيخ أبا إسحاق الشيرازي يقول لإمام الحرمين يا مفيد أهل المشرق والمغرب أنت اليوم إمام الأئمة وسمع الحديث من جماعة كبيرة من علمائه وله إجازة من الحافظ أبي نعيم الأصبهاني صاحب حلية الأولياء ومن تصانيفه الشامل في أصول الدين والبرهان في أصول الفقه وتلخيص التقريب والإرشاد

169 والعقيدة النظامية ومدارك العقول لم يتمه وكتاب تلخيص نهاية المطلب لم يتمه وغياث الأمم في الإمامة ومغيث الخلق في اختيار الأحق وغنية المسترشدين في الخلاف وغير ذلك من الكتب وكان إذا شرع في علوم الصوفية وشرح الأحوال أبكى الحاضرين ولم يزل على طريقة حميدة مرضية من أول عمره إلى آخره أخبرني بعض المشايخ أنه وقف على جلية أمره في بعض الكتب وأن والده الشيخ أبا محمد رحمه الله تعالى كان في أمل أمره ينسخ بالأجرة فاجتمع له من كسب يده شيء اشترى به جارية موصوفة بالخير والصلاح ولم يزل يطعمها من

كسب يده أيضا إلى أن حملت بامام الحرمين و هو مستمر على تربيتها بكسب الحل فلما وضعته أوصاها أن لا تمكن أحدا من إرضاعه فاتفق أنه دخل عليها يوما وهي متألمة والصغير يبكي وقد أخذته امرأة من جيرانهم وشاغلته بثديها فرضع منه قليلا فلما رآه شق عليه وأخذه إليه ونكس رأسه ومسح على بطنه وأدخل إصبعه في فيه ولم يزل يفعل به ذلك حتى قاء جميع ما شربه وهو يقول يسهل علي أن يموت ولا يفسد طبعه بشرب لبن غير أمه ويحكى عن إمام الحرمين أنه كان تلحقه بعض الأحيان فترة في مجلس المناظرة فيقول هذا من بقايا تلك الرضعة ومولده في ثامن عشر المحرم سنة تسع عشرة وأربعمائة ولما مرض حمل إلى قرية من أعمال نيسابور يقال لها بشتنقان موصوفة باعتدال الهواء وخفة الماء فمات بها ليلة الأربعاء وقت العشاء الآخرة الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ونقل إلى نيسابور تلك الليلة ودفن من الغد في داره ثم نقل بعد سنين إلى مقبرة الحسين فدفن بجنب

170 أبيه رحمهما الله تعالى وصلى عليه ولده أبو القاسم فأغلقت الأسواق يوم موته وكسر منبره في الجامع وقعد الناس لعزائه وأكثروا فيه المراثي ومما رثي به (قلوب العالمين على المقالي * وأيام الورى شبه الليالي) (أيثمر غصن أهل العلم يوما * وقد مات الإمام أبو المعالي) وكانت تلامذته يومئذ قريبا من أربعمائة واحد فكسروا

محابرهم وأقلامهم وأقاموا على ذلك عاما كاملا 379
الأصمعي أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن
علي بن أصمع بن مظهر ابن رياح بن عمرو بن عبد
شمس بن أعيا بن سعد بن عبد بن غنم بن قتيبة بن معن
ابن مالك بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان بن مضر بن
نزار بن معد بن عدنان المعروف بالأصمعي الباهلي وإنما
قيل له الباهلي وليس في نسبه اسم باهلة لأن باهلة اسم
امرأة مالك بن أعصر وقيل إن باهلة ابن أعصر كان
الأصمعي المذكور صاحب لغة ونحو وإماما في الأخبار
والنوادر والملح والغرائب سمع شعبة بن الحجاج
والحمادين ومسعر بن كدام وغيرهم وروى عنه
عبدالرحمن ابن أخيه عبد الله وأبو عبيد القاسم بن سلام
وأبو حاتم
171 السجستاني وأبو الفضل الرياشي وغيرهم وهو
من أهل البصرة وقدم بغداد في أيام هارون الرشيد قيل
لأبي نواس قد أحضر أبو عبيدة والأصمعي إلى الرشيد
فقال أما أبو عبيدة فإنهم إن أمكنوه قرأ عليهم أخبار الأولين
والآخرين وأما الأصمعي فبلبل يطربهم بنغماته وقال
عمر بن شبة سمعت الأصمعي يقول أحفظ ستة عشرة ألف
أرجوزة وقال إسحاق الموصلي لم أر الأصمعي يدعي
شيئا من العلم فيكون أحد أعلم به منه وحكى محمد بن
هبيرة قال قال الأصمعي للكسائي وهما عند الرشيد ما
معنى قول الراعي) قتلوا ابن عفان الخليفة محرما *

ودعا فلم أر مثله مخذولا) قال الكسائي كان محرما بالحج
قال الأصمعي ما أراد عدي بن زيد بقوله (قتلوا كسرى
بليل محرما * فتولى لم يمتع بكفن) هل كان محرما بالحج
وأي إحرام لكسرى فقال الرشيد للكسائي إذا جاء الشعر
فإياك والأصمعي قال الأصمعي قوله محرما في حرمة
الإسلام ومن ثم قتل مسلما محرما أي لم يحل في نفسه
شيئا يوجب القتل وقوله محرما في كسرى يعني حرمة
العهد الذي كان في عنق أصحابه وقال

172 الربيع بن سليمان سمعت الشافعي رضي الله
عنه يقول ما عبر أحد من العرب بأحسن من عبارة
الأصمعي وقال أبو أحمد العسكري لقد حرص المأمون
على الأصمعي وهو بالبصرة أن يصير إليه فلم يفعل
واحتج بضعفه وكبره فكان المأمون يجمع المشكل في
المسائل ويسيرها إليه ليجيب عنها وقال الأصمعي
حضرت أنا وأبو عبيدة معمر بن المثنى عند الفضل بن
الربيع فقال لي كم كتابك في الخيل فقلت جلد واحد فسأل
أبا عبيدة عن كتابه فقال خمسون مجلدة فقال له قم إلى هذا
الفرس وأمسك عضوا عضوا منه وسمه فقال لست بيطارا
وإنما هذا شيء أخذته عن العرب فقال لي قم يا أصمعي
وافعل ذلك فقمت وأمسكت ناصيته وشرعت أذكر عضوا
عضوا وأضع يدي عليه وأنشد ما قالت العرب فيه إلى أن
فرغت منه فقال خذه فأخذته وكنت إذا أردت أن أغيظ أبا
عبيدة ركبته إليه وقد روي من طريق أخرى أن ذلك كان

عند هارون الرشيد وأن الأصمعي لما فرغ من كلامه في أعضاء الفرس قال الرشيد لأبي عبيدة ما تقول فيما قال قال أصاب في بعض وأخطأ في بعض فالذي أصاب فيه مني تعلمه والذي أخطأ فيه ما أدري من أين أتى به وكان شديد الاحتراز في تفسير الكتاب والسنة فإذا سئل عن شيء منهما يقول العرب تقول معنى هذا كذا ولا أعلم المراد منه في الكتاب والسنة أي شيء هو وأخباره ونوادره كثيرة حدث محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال دخلت على الرشيد هارون ومجلسه حافل فقال يا أصمعي ما أغفلك عنها وأجفاك لحضرتنا قلت والله يا أمير المؤمنين

173 ما لاقتني بلاد بعدك حتى أتيتك قال فأمرني بالجلوس فجلست وسكت عني فلما تفرق الناس إلا أقلهم نهضت للقيام فأشار إلي أن اجلس فجلست حتى خلا المجلس ولم يبق غيري ومن بين يديه من الغلمان فقال يا أبا سعيد ما معنى قولك ما لاقتني بلاد بعدك قلت ما أمسكتني يا أمير المؤمنين وأنشدت قول الشاعر (كفاك كف ما تليق درهما * جودا وأخرى تعط بالسيف دما) أي ما تمسك درهما فقال أحسنت وهكذا فكن وقرنا في الملا وعلمنا في الخلا فإنه يقبح بالسلطان أن لا يكون عالما إما أن أسكت فيعلم الناس أني لا أفهم إذ لم أجب وإما ان أجيب بغير الجواب فيعلم من حولي أني لم أفهم ما قلت قال الأصمعي فعلمني أكثر مما علمته وحكى المبرد أيضا قال

مازح الرشـــيد أم جعفر فقال لها كيف أصـــبحت يا أم نهر فاغتمت لذلك ولم تفهم معناه فأنفذت إلى الأصـمعي تسـألـه عن ذلك فقال الجعفر النهر الصـــغير وإنما ذهب إلى هذا فطابت نفســـها وقال أبو بكر النحوي لما قدم الحســـن بن ســـهل العراق قال أحب أن أجمع قوما من أهل الأدب فأحضر أبا عبيدة والأصمعي ونصر بن علي الجهضمي وحضـــرت معهم فابتدأ الحســـن فنظر في رقاع بين يديه للناس في حاجاتهم فوقع عليها فكانت خمسين رقعة ثم أمر فدفعت إلى الخازن ثم أقبل علينا فقال قد فعلنا خيرا ونظرنا في بعض ما نرجونفعه من أمور الناس والرعية فنأخذ الآن فيما نحتاج إليه فأفضـــنا في ذكر الحفاظ فذكرنا الزهري وقتادة ومررنا فالتفت أبو عبيدة فقال ما الغرض أيها الأمير في ذكر من مضى وبالحضرة هاهنا من يقول ما قرأ كتابا قط فاحتاج إلى أن يعود فيه ولا دخل قلبه شيء فخرج عنه فالتفت الأصـمعي وقال إنما يريدني بهذا القول أيها الأمير والأمر في ذلك على ما حكى وأنا أقرب

174 إليك قد نظر الأمير فيما نظر فيه من الرقاع وأنا أعيد ما فيها وما وقع به الأمير على رقعة رقعة قال فأمر وأحضـــرت الرقاع فقال الأصـمعي سـأل صـاحب الرقعة الأولى كذا واســمه كذا فوقع له بكذا والرقعة الثانية والثالثة حتى مر في نيف وأربعين رقعة فالتفت إليه نصـر بن علي فقال أيها الرجل أبق على نفســك من العين فكف الأصـــمعي وحكي عن عبـاس بن الفرج قـال ركـب

الأصــــمعي حمارا دميما فقيل له بعد براذين الخلفاء تركب هذا فقال متمثلا (ولما أبت إلا انصراما لودها * وتكديرها الشرب الذي كان صافيا) (شربنا برنق من هواها مكدر * وليس يعاف الرنق من كان صـــــاديا) هذا وأملك ديني أحب إلي من ذاك مع فقده وقال الأصـــــمعي ذكرت يوما للرشـــيد نهم ســــليمان بن عبد الملك وقلت إنه كان يجلس ويحضر بين يديه الخراف المشوية وهي كما أخرجت من تنانيرها فيريد أخذ كلاها فتمنعه الحرارة فيجعل يده على طرف جبته ويدخلها في جوف الخروف فيأخذ كلاه فقال لي قاتلك الله ما أعلمك بأخبارهم اعلم أنه عرضـــــت علي ذخائر بني أمية فنظرت إلى ثياب مذهبة ثمينة وأكمامها ودكة بالدهن فلم أدر ما ذلك حتى حدثتني بالحديث ثم قال علي بثياب ســــليمان فأتي بها فنظر إلى تلك الآثار فيها ظاهرة فكساني منها حلة وكان الأصمعي ربما خرج فيها أحيانا فيقول هذه جبة سليمان التي كسانيها الرشيد وحكي عنه قال رأيت بعض الأعراب يفلي ثيابه فيقتل البراغيث ويدع القمل فقلت يا أعرابي ولم تصـــنع هذا فقال أقتل الفرسان ثم أعطف على الرجالة وكان جده علي بن أصمع سرق بسفوان فأتوا به علي بن أبي طالب

175 رضــــي الله عنه فقال جيئوني بمن يشـــهد أنه أخرجها من الرحل قال فشـــهد عليه بذلك عنده فأمر به فقطع من أشـــاجعه فقيل له يا أمير المؤمنين ألا قطعته من زنده فقال يا سبحان الله كيف يتوكأ كيف يصلي كيف يأكل

فلما قدم الحجاج بن يوسف البصرة أتاه علي بن أصمع فقال أيها الأمير إن أبوي عقاني فسمياني عليا فسمني أنت فقال ما أحسن ما توسلت به قد وليتك سمك البارجاه وأجريت لك في كل يوم دانقين فلوسا ووالله لئن تعديتهما لأقطعن ما أبقاه علي من يدك وكانت ولادة الأصمعي سنة اثنتين وقيل ثلاث وعشرين ومائة وتوفي في صفر سنة ست عشرة وقيل أربع عشرةوقيل خمس عشرة وقيل سبع عشرة ومائتين بالبصرة وقيل بمرو رحمه الله تعالى وقال الخطيب أبو بكر بلغني أن الأصمعي عاش ثمانيا وثمانين سنة ومولد أبيه قريب سنة ثلاث وثمانين للهجرة ولم أقف على تاريخ وفاته رحمه الله تعالى وقريب بضم القاف وفتح الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها باء موحدة وهو لقب له قال المرزباني وأبو سعيد السيرافي اسمه عاصم وكنيته أبو بكر وغلب عليه لقبه والأصمعي نسبة إلى جده أصمع ومظهر بضم الميم وفتح الظاء المعجمة وتشديد الهاء وكسرها وبعدها راء وأعيا بفتح الهمزة وسكون العين المهملة وفتح الياء المثناة من تحتها وباهلة قد تقدم الكلام عليها في أول الترجمة وهي بالباء الموحدة وكسر الهاء وفتح اللام وسفوان بفتح السين المهملة والفاء والواو وبعد الألف نون وهو اسم موضع عند البصرة ومن قصد البحرين من البصرة يخرج إلى سفوان ثم إلى كاظمة ومنها يتوجه إلى هجر وهي مدينة البحرين والبارجاه موضع بالبصرة

176 قال أبو العيناء كنا في جنازة الأصمعي فجذبني أبو قلابة حبيش بن عبد الرحمن الجرمي وقيل حبيش بن منقذ قاله المرزباني في المعجم الشاعر فأنشدني لنفسه (لعن الله أعظما حملوها * نحو دار البلى على خشبات) (أعظما تبغض النبي وأهل البيت * والطيبين والطيبات) قال وجذبني أبو العالية الشامي وأنشدني واسم أبي العالية الحسن بن مالك (لا در در بنات الأرض إذ فجعت * بالأصمعي لقد أبقت لنا أسفا) (عش ما بدا لك في الدنيا فلست ترى * في الناس منه ولا من علمه خلفا) قال فعجبت من اختلافهما فيه وللأصمعي من التصانيف كتاب خلق الإنسان وكتاب الأجناس وكتاب الأنواء وكتاب الهمز وكتاب المقصور والممدود وكتاب الفرق وكتاب الصفات وكتاب الأبواب وكتاب الميسر والقداح وكتاب خلق الفرس وكتاب الخيل وكتاب الإبل وكتاب الشاء وكتاب الأخبية وكتاب الوحوش وكتاب فعل وأفعل وكتاب الأمثال وكتاب الأضداد وكتاب الألفاظ وكتاب السلاح وكتاب اللغات وكتاب مياه العرب وكتاب النوادر وكتاب أصول الكلام وكتاب القلب والإبدال وكتاب جزيرة العرب وكتاب الاشتقاق وكتاب معاني الشعر وكتاب المصادر وكتاب الأراجيز وكتاب النخلة وكتاب النبات وكتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه وكتاب غريب الحديث وكتاب نوادر الاعراب وغير ذلك

177 380 ابن هشام صاحب السيرة أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري قال أبو القاسم السهيلي عنه في كتاب الروض الأنف شرح سيرة رسول الله إنه مشهور بحمل العلم متقدم في علم النسب والنحو وهو من مصر وأصله من البصرة وله كتاب في أنساب حمير وملوكها وكتاب في شرح ماوقع في أشعار السير من الغريب فيما ذكر لي وتوفي بمصر في سنة ثلاث عشرة ومائتين رحمه الله تعالى قلت وهذا ابن هشام هو الذي جمع سيرة رسول الله من المغازي والسير لابن إسحاق وهذبها ولخصها وشرحها السهيلي المذكور وهي الموجودة بأيدي الناس المعروفة بسيرة ابن هشام وقال أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس صاحب تاريخ مصر المقدم ذكره في تاريخه الذي جعله للغرباء القادمين علىمصر إن عبد الملك المذكور توفي لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة ثماني عشرة ومائتين بمصر والله أعلم بالصواب وقال إنه ذهلي والحميري قدتقدم الكلام عليه والمعافري بفتح الميم والعين المهملة وبعد الألف فاء مكسورة ثم راء هذه النسبة إلى المعافر بن يعفر قبيل كبير ينسب إليه بشر كثير عامتهم بمصر

178 381 الثعالبي أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري قال ابن بسام صاحب الذخيرة في حقه كان في وقته راعي تلعات العلم وجامع أشتات النثر والنظم رأس المؤلفين في زمانه وإمام

المصنفين بحكم قرانه سار ذكره سير المثل وضربت إليه آباط الإبل وطلعت دواوينه في المشـارق والمغارب طلوع النجم في الغياهب وتواليفه أشـهر مواضـع وأبهر مطالع وأكثر راو لها وجامع من أن يسـتوفيها حد أو وصـف أو يوفيها حقوقها نظم أو رصـف وذكر له طرفا من النثر وأورد شـيئا من نظمه فمن ذلك ما كتبه إلى الأمير أبي الفضـل الميكالي (لك في المفاخر معجزات جمة * أبدا لغيرك في الورى لم تجمع) (بحران بحر في البلاغة شانه * شعر الوليد وحسن لفظ الأصمعي) (وترسل الصـابي يزين علوه * خط ابن مقلة ذو المحل الأرفع) (كالنور أوكالسـحر أو كالبدر أو * كالوشـي في برد عليه موشـع) (شـكرا فكم من فقرة لك كالغنى * وافى الكريم بعيد فقر مدقع) (وإذا تفتق نور شعرك ناضرا * فالحسن بين مرصع ومصرع) (أرجلت فرسان الكلام ورضت أفراس * البديع وأنت أمجد مبدع)

179 (ونقشت في فص الزمان بدائعا * تزري بآثار الربيع الممرع) ومنهـا في وصـف فرس أهداه إليـه ممدوحه (يا واهب الطرف الجواد كأنما * قد أنعلوه بالرياح الأربع) (لا شـيء أسرع منه إلا خاطري * في وصـف نائلك اللطيف الموقع) (ولو أنني انصـفت في إكرامه * لجلال مهديه الكريم الألمعي) (أقضـمته حب الفؤاد محبة * وجعلت مربطه سواد المدمع) (وخلعت ثم قطعت غير مضـيع * برد الشـباب لجله والبرقع) ومن

شـــعره (لما بعثت فلم توجب مطالعتي * وأمنعت نار شـــوقي في تلهبها) (ولم أجد حيلة تبقي على رمقي * قبلت عيني رسولي إذ رآك بها) وكتب إلى أبي نصـر بن ســهل ابن المرزبان يحاجيه (حاجيت شــمس العلم في ذا العصـر * نديم مولانا الأمير نصـر) (ما حاجة لأهل كل مصـر * في كل ما دار وكل قطر) (ليست ترى إلا بعيد العصـر *) فكتب إليه جوابه (يا بحر آداب بغير جزر * وحظـه في العلم غير نزر) (حزرت مـا قلـت وكـان حزري * أن الذي عنيت دهن البزر) (يعصــــره ذو قوة وازر *)

180 وله من التواليف يتيمة الدهر في محاسـن أهل العصـر وهو أكبر كتبه وأحسـنها وأجمعها وفيها يقول أبو الفتوح نصـر الله بن قلاقس الإسـكندري الشـاعر المشـهور وسيأتي ذكره إن شـاء الله تعالى (أبيات أشـعار اليتيمة * أبكار أفكار قديمه) (ماتوا وعاشت بعدهم * فلذاك سميت اليتيمه) وله أيضـا كتاب فقه اللغة وسـحر البلاغة وسـر البراعة ومن غاب عنه المطرب ومؤنس الوحيد وشــــيء كثير جمع فيها أشعار الناس ورسائلهم وأخبارهم وأحوالهم وفيها دلالة على كثرة اطلاعه وله أشــــعار كثيرة وكانت ولادته سـنة خمسين وثلثمائة وتوفي سـنة تسـع وعشـرين وأربعمـائة رحمـه الله تعـالى والثعـالبي بفتح الثـاء المثلثـة والعين المهملة وبعد الألف لام مكسورة وبعدها باء موحدة هذه النســـبة إلى خياطة جلود الثعالب وعملها قيل له ذلك

لأنه كان فراء 382 سحنون أبو سعيد عبد السلام بن سعيد
بن حبيب بن حسـان بن هلال بن بكار بن ربيعة التنوخي
الملقب سحنون الفقيه المالكي قرأ على ابن القاسم وابن
181 وهب وأشـهب ثم انتهت الرياسـة في العلم
بالمغرب إليه وكان يقول قبح الله الفقر أدركنا مالكا وقرأنا
على ابن القاسم كان أصله من الشام من مدينة حمص قدم
به أبوه مع جند أهل حمص وولي القضاء بالقيروان وعلى
قوله المعول بالمغرب وصـنف كتاب المدونة في مذهب
الإمام مالك رضـي الله عنه وأخذها عن ابن القاسـم وكان
أول من شـرع في تصنيف المدونة أسـد بن الفرات الفقيه
المالكي بعد رجوعه من العراق وأصلها أسئلة سأل عنها
ابن القاسم فأجابه عنها وجاء بها أسد إلى القيروان وكتبها
عنه سحنون وكانت تسمى الأسدية ثم رحل بها سحنون
إلى ابن القاسم في سنة ثمان وثمانين ومائة فعرضها عليه
وأصلح فيها مسائل ورجع بها إلى القيروان في سنة إحدى
وتسـعين ومائة وهي في التأليف على ما جمعه أسـد ابن
الفرات أولا غير مرتبة المسائل ولا مرسمة التراجم فرتب
سـحنون أكثرها وبوبه على ترتيب التصـانيف واحتج
لبعض مسـائلها بالآثار من روايته من موطا ابن وهب
وغيره وبقيت منها بقية لم يتمم فيها سـحنون هذا العمل
المذكور ذكر هذا كله القاضـي عياض وغيره وذكر لي
بعض الفقهاء المالكية أن الشـيخ جمال الدين أبا عمرو
المعروف بابن الحاجب الفقيه المالكي النحوي الآتي ذكره

بعد هذا إن شـــاء الله تعالى واســمه عثمان قال إن أســد بن الفرات الفقيه المالكي جاء من الغرب إلى مصر وقرأ على ابن القاســم وأخذ عنه المدونة وكانت مسـودة وعاد بها إلى بلاده فحضر إليه سحنون وطلبها منه لينقلها فبخل عليه بها فرحل ســــحنون إلى ابن القاســـم وأخذ عنه المدونة وقد حررها ابن القاســـم فدخل بها إلى الغرب وعلى يده كتاب ابن القاســـم إلى أســـد بن الفرات يقول فيه تقابل نســـختك بنسخة سحنون فالذي تتفق عليه النسختان يثبت والذي يقع فيه الاختلاف فالرجوع إلى نسـخة سـحنون وتمحى نسـخة ابن الفرات فهذه هي الصـحيحة فلما وقف ابن الفرات على كتاب ابن القاســـم عزم على العمل به فقال له أصـــحابه إن عملت هذا صـــار كتاب ســـحنون هو الأصـــل وبطل كتابك وتكون أنت قد أخذته عن ســـحنون فلم يعمل بكتاب ابن القاسم فلما بلغ

182 ابن القاســـم الخبر قال اللهم لا تنفع أحدا بابن الفرات ولا بكتابه فهجره النـاس لذلك وهو الآن مهجور وعلى كتاب ســـحنون يعتمد اهل القيروان وحصـــل له من الأصـحاب والتلامذة ما لم يحصـل لأحد من أصـحاب مالك مثله وعنه انتشـــر علم مالك بالمغرب وكانت ولادته أول ليلة من شـــهر رمضـــان سـنة سـتين ومائة وتوفي في يوم الثلاثاء لتسـع خلون من رجب سـنة أربعين ومائتين رحمه الله تعالى وسـحنون بفتح السـين المهملة وضـمها وسـكون الحاء المهملة وضـــم النون وبعد الواو نون ثانية وفي فتح

السين وضمها كلام من جهة العربية يطول شرحه وليس هذا موضعه وقد صنف فيه أبو محمد ابن السيد البطليوسي جزءا وقفت عليه وقد استوفى الكلام فيه كما ينبغي وهو مجيد في كل ما يصنعه وقد تقدمت ترجمته ولقب سحنون باسم طائر حديد بالمغرب يسمونه سحنونا لحدة ذهنه وذكائه ذكر ذلك أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم القيرواني في كتاب طبقات من كان بإفريقية من العلماء والله أعلم 98 وأما أسد بن الفرات فإنه أرسله زيادة الله بن الأغلب في جيش إلى جزيرة صقلية ونزلوا على مدينة سرقوسة ولم يزالوا محاصرين لها إلى أن مات ابن الفرات في رجب سنة ثلاث عشرة ومائتين ودفن بمدينة بلرم من الجزيرة أيضا والله أعلم

183 383 أبو هاشم الجبائي أبو هاشم عبد السلام بن أبي علي محمد الجبائي بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حمران بن أبان مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه المتكلم المشهور العالم ابن العالم كان هو وأبوه من كبار المعتزلة ولهما مقالات على مذهب الاعتزال وكتب الكلام مشحونة بمذاهبهما واعتقادهما وكان له ولد يسمى أبا علي وكان عاميا لا يعرف شيئا فدخل يوما على الصاحب بن عباد فظنه عالما فأكرمه ورفع مرتبته ثم سأله عن مسألة فقال لا أعرف نصف العلم فقال له الصاحب صدقت يا ولدي إلا أن أباك تقدم بالنصف الآخر وكانت ولادة أبي هاشم المذكور سنة سبع وأربعين ومائتين وتوفي

يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة إحدى وعشـــرين وثلثمائة ببغداد ودفن في مقابر البســـتان من الجانب الشـــرقي وفي ذلك اليوم توفي أبو بكر محمد ابن دريد اللغوي المشهور وسيأتي ذكر والده إن شاء الله تعالى رضـــي الله عنهم أجمعين وحمران بضـــم الحاء المهملة وســـكون الميم وفتح الراء وبعد الألف نون وأبان بفتح الهمزة والباء الموحدة وبعد الألف نون والجبائي بضـــم الجيم وتشـديد الباء الموحدة هذه النسـبة إلى قرية من قرى البصـرة خرج منها جماعة من العلماء هكذا قاله السمعاني في كتاب الأنساب

184 وقال ياقوت الحموي في كتابه المشـــترك إنها كورة وبلدة ذات قرى وعمارات من نواحي خوزستان والله أعلم 384 ديك الجن أبو محمد عبد الســـلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب بن عبد الله بن رغبان بن زيد بن تميم الكلبي الملقب ديك الجن الشـــاعر المشـــهور وذكر ابن الجراح في كتاب الورقة أنه مولى لطيء والله أعلم أصـــله من أهل سـلمية ومولده بمدينة حمص وتميم أول من أسـلم من أجداده على يد حبيب بن مســـلمة الفهري أخذ محاربا وكان يفخر على العرب ويقول ما لهم فضـل علينا أسـلمنا كما أسـلموا وهو من شـعراء الدولة العباسـية ولم يفارق الشام ولا رحل إلى العراق ولا إلى غيره منتجعا بشعر ولا متصـديا لأحد وكان يتشـيع تشـيعا حسـنا وله مراث في الحســين رضـــي الله عنه وكان ماجنا خليعا عاكفا على

القصـــف واللهو متلافا لما ورثه وشـــعره في غاية الجودة حدث عبد الله بن محمد بن عبد الملك الزبيدي قال كنت جالسا عند ديك الجن فدخل عليه حدث فأنشده شعرا عمله فأخرج ديك الجن من تحت مصـــلاه درجا كبيرا فيه كثير من شعره فسلمه إليه وقال يا فتى تكسب بهذا واستعن به على قولك فلما خرج ســـألته عنه فقال هذا فتى من أ هل جاسم

185 يذكر أنه من طيء يكنى أبا تمام واسـمه حبيب بن أوس وفيه أدب وذكاء وله قريحة وطبع قال وعمر الملقب ديك الجن إلى أن مات أبو تمام ورثاه ومولد ديك الجن سنة إحدى وستين ومائة وعاش بضعا وسبعين سنة وتوفي في أيام المتوكل سنة خمس أو ست وثلاثين ومائتين ولما اجتاز أبو نواس بحمص قاصـــدا مصـــر لامتداح الخصيب بن عبد الحميد سمع ديك الجن بوصوله فاستخفى منه خوفا أن يظهر لأبي نواس أنه قاصـــر بالنســـبة إليه فقصده أبو نواس في داره وهو بها فطرق الباب واستأذن عليه فقالت الجارية ليس هو هاهنا فعرف مقصده فقال لها قولي له اخرج فقد فتنت أ هل العراق بقولك (موردة من كف ظبي كأنما * تناولها من خده فأدارها) فلما سمع ديك الجن ذلك خرج إليه واجتمع به وأضـــافه وهذا البيت من جملة أبيات وهي (بها غير معذول فداو خمارها * وصل بحبالات الغبوق ابتكارها) (ونل من عظيم الوزر كل عظيمة * إذا ذكرت خاف الحفيظان نارها) (وقم أنت

فاحثث كأسها غير صاغر * ولا تسق إلا خمرها وعقارها) (فقام يكاد الكأس يحرق كفه * من الشـــمس أو من وجنتيه اســـتعارها) (ظللنا بأيدينا نتعتع روحها * فتأخذ من أقدامنا الراح ثارها) (موردة من كف ظبي كأنما * تناولها من خده فأدارها)

186 وذكر الجهشياري في كتاب أخبار الوزراء أن حبيب بن عبد الله بن رغبان المذكور في هذا النســـب كان كاتبا في أيام الخليفة المنصـــور وكان يتقلد الاعطاء وكان موجودا في ســـنة ثلاث وأربعين ومائة وأن ديك الجن الشـــاعر من ولده وإليه ينســـب مســـجد ابن رغبان بمدينة الســـلام وأنه مولى حبيب ابن مســـلمة الفهري 99 قلت وحبيب بن مســـلمة كان من خواص معاوية وله معه في وقعة صفين آثار شكرها له ولما استقر الأمر لمعاوية سير حبيبا في بعض مهامه فلقيه الحســـن بن علي رضـــي الله عنهما وهو خارج فقال له يا حبيب رب مسـير لك في غير طاعة الله فقال له حبيب أما إلى أبيك فلا فقال له الحســـن بلى والله ولقد طاوعت معاوية على دنياه وســـارعت في هواه فلئن قام بك في دنياك فقد قعد بك في دينك فليتك إذ أســـأت الفعل أحســـنت القول فتكون كما قال الله تعالى (^ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا) ولكنك كما قال الله تعالى (^ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكســـبون) وكنية حبيب هذا أبو عبد الرحمن ولاه معاوية أرمينية فمات بها ســـنة اثنتين وأربعين للهجرة ولم

يبلغ خمسين سنة وكانت لديك الجن جارية يهواها اسمها دنيا فاتهمها بغلامه وصـــيف فقتلها ثم ندم على ذلك فأكثر من التغزل فيها فمن ذلك قوله (يا طلعة طلع الحمام عليها * وجنى لها ثمر الردى بيديها) (رويت من دمها الثرى ولطالما * روى الهوى شفتي من شفتيها) (مكنت سيفي من مجال خناقها * ومدامعي تجري على خديها) (فوحق نعليها وما وطيء الحصـــى * شـــيء أعز علي من نعليها) (ما كان قتليها لأني لم أكن * أبكي إذا سقط الغبار عليها)
187 (لكن بخلت على ســـواي بحبها * وأنفت من نظر الغلام إليها) وله فيها (جاءت تزور فراشـــي بعدما قبرت * فظلت ألثم نحرا زانه الجيد) (وقلت قرة عيني قد بعثت لنا * فكيف ذا وطريق القبر مســـدود) (قالت هناك عظامي فيه مودعة * تعيث فيها بنات الأرض والدود) (وهذه الروح قد جاءتك زائرة * هذي زيارة من في القبر ملحود) وله فيها وقيل إن هذه الأبيات لها في ولدها منه واســـمه رغبان (بأبي نبذتك بالعراء المقفر * وسترت وجهك بالتراب الأعفر) (بأبي بذلتك بعد صون للبلى * ورجعت عنك صـــبرت أو لم أصـــبر) (لو كنت أقدر أن أرى أثر البلى * لتركت وجهك ضـــاحيا لم يقبر) ويروىأن المتهم بالجارية غلام كان يهواه فقتله أيضـــا وصنع فيه أبياتا وهي (أشفقت أن يرد الزمان بغدره * أو أبتلى بعد الوصـــال بهجره) (فقتلته وله علي كرامة * ملء الحشـــا وله الفؤاد بأسره) (قمر أنا استخرجته من

دجنه * لبليتي ورفعته من خدره) (عهدي به ميتا كأحسن نائم * والحزن ينحر مقلتي في نحره)
188 (لو كان يدري الميت ماذا بعده * بالحي منه بكى له في قبره) (غصص تكاد تفيظ منها نفسه * ويكاد يخرج قلبه من صــدره) فصــنعت أخت الغلام (يا ويح ديك الجن يا تبا له * مما تضمن صدره من غدره) (قتل الذي يهوى وعمر بعده * يا رب لا تمدد له في عمره) وقد ذكر أبو بكر الخرائطي في كتاب اعتلال القلوب حديثه وشعره وله كل معنى حسن رحمه الله تعالى ورغبان بفتح الراء وســكون الغين المعجمة وفتح الباء الموحدة وبعد الألف نون وقد تقدم الكلام على سلمية في ترجمة المهدي عبيد الله وحمص مدينة مشــهورة 385 أبو القاسـم الداركي أبو القاسـم عبد العزيز بن عبد الله بن محمد بن عبد العزيز الداركي الفقيه الشــافعي كان أبوه محدث أصـبهان في وقته وكان أبو القاسم من كبار فقهاء
189 الشــافعيين نزل نيســابور ســنة ثلاث وخمســين وثلثمائة ودرس الفقه بها ســنين ثم انتقل إلى بغداد وســكنها إلى حين وفاته وأخذ الفقه عن أبي إسحاق المروزي وعليه تفقه الشـيخ أبو حامد الإسفرايني بعد موت أبي الحسـن ابن المرزبان وأخذ عنه عامة شــيوخ بغداد وغيرهم من أهل الآفاق وكان يدرس ببغداد في مسجد دعلج بن أحمد بدرب أبي خلف من قطيعة الربيع ولـه حلقة في الجـامع للفتوى والنظر وانتهى التدريس إليـه ببغداد وانتفع بـه خلق كثير

وله في المذهب وجوه جيدة دالة على متانة علمه وكان يتهم بالاعتزال وكان الشيخ أبو حامد الإسفرايني يقول ما رأيت أحدا أفقه من الداركي وأخذ الحديث عن جده لأمه الحسن بن محمد الداركي وكان إذا جاءته مسألة تفكر طويلا ثم يفتي فيها وربما أفتى على خلاف مذهب الإمامين الشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهما فيقال له في ذلك فيقول ويحكم حدث فلان عن فلان عن رسول الله بكذا وكذا والأخذ بالحديث أولى من الأخذ بقول الإمامين وتوفي ببغداد يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة خمس وسبعين وثلثمائة عن نيف وسبعين سنة رحمه الله تعالى وقيل إنه توفي في ذي القعدة والأول أصح وكان ثقة أمينا والداركي بفتح الدال المهملة وبعد الألف راء مفتوحة وبعدها كاف قال السمعاني هذه النسبة إلى دارك وظني أنها من قرى أصبهان وقال هو عبد العزيز بن الحسن بن أحمد الداركي والله أعلم بالصواب

190 386 ابن نباتة الشاعر أبو نصر عبد العزيز بن عمر بن محمد بن أحمد بن نباتة بن حميد بن نباتة بن الحجاج ابن مطر بن خالد بن عمرو بن رزاح بن رياح بن سعد بن ثجير بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر التميمي السعدي وبقية النسب معروف كان شاعرا مجيدا جمع بين حسن السبك وجودة المعنى طاف البلاد ومدح الملوك والوزراء والرؤساء وله في سيف الدولة بن حمدان غر القصائد ونخب المدائح وكان قد

أعطاه فرســـا أدهم أغر محجلا فكتب إليه (يا أيها الملك الذي أخلاقه * من خلقه ورواؤه من رائه) (قد جاءنا الطرف الذي أهديته * هاديه يعقد أرضـــه بســـمائه) (أولاية وليتنا فبعثته * رمحا ســـبيب العرف عقد لوائه) (نحتل منه على أغر محجل * ماء الدياجي قطرة من مائه) (فكأنما لطم الصـــباح جبينه * فاقتص منه فخاض في أحشائه) (متمهلا والبرق من أسمائه * متبرقعا والحسن من أكفائه) (ما كانت النيران يكمن حرها * لو كان للنيران بعض ذكائه) (لا تعلق الألحاظ في أعطافه * إلا إذا كفكفت من غلوائه) (لا يكمل الطرف المحاســن كلها * حتى يكون الطرف من أسرائه) وهذا المعنى الذي وقع له في صـــفة الغرة والتحجيل في غاية الإبداع وما أظنه سبق إليه

191 وله في سيف الدولة أيضا قصيدة لامية طويلة ومن جملة أبياتها قوله (قد جدت لي باللها حتى ضـجرت بها * وكدت من ضــجري أثني على البخل) (إن كنت ترغب في اخذ النوال لنا * فاخلق لنا رغبة أو لا فلا تنل) (لم يبق جودك لي شيئا أؤمله * تركتني أصحب الدنيا بلا أمل) وهذا المعنى فيه إلمام بقول البحتري أعني البيت الأول (إني هجرتك إذ هجرتك وحشـــة * لا العود يذهبها ولا الإبداء) (أخجلتني بندى يديك فسودت * ما بيننا تلك اليد البيضاء) (وقطعتني بالجود حتى إنني * متخوف أن لا يكون لقاء) (صـــلة غدت في الناس وهي قطيعة *

عجب وبر راح وهو جفاء) وفي معناه أيضـــا قول دعبل بن علي الخزاعي المقدم ذكره يمدح المطلب بن عبد الله بن مالك الخزاعي أمير مصـــر (زمني بمطلب ســـقيت زمانا * ما كنت إلا روضـــة وجنانا) (كل الندى إلا نداك تكلف * لم أرض بعدك كائنا من كانا) (أصـــلحتني بالبر بل أفســـدتني * وتركتني أتســـخط الإحســـانا) وهو معنى مطروق تداولته الشـــعراء وأكثرت اســـتعماله فمنهم من يســـتوفيه ومنهم من يقصـــر فيه وكتب به علي بن جبلة المعروف بالعكوك الآتي ذكره إن شـــاء الله تعالى إلى أبي دلف العجلي في أبيات رائية ولولا خوف الإطالة لذكرتها وما ألطف قول أبي العلاء المعري فيه (لو اختصرتم من الإحسان زرتكم * والعذب يهجر للإفراط في الخصر)

192 رجعنا إلى ذكر أبي نصـــر المذكور ومعظم شعره جيد وله ديوان كبير وكان قد وصل إلى مدينة الري وامتدح أبا الفضل محمد بن العميد وجرى بينهما مفاوضة يأتي شرحها في ترجمته إن شاء الله تعالى وكانت ولادته في ســـنة ســـبع وعشـــرين وثلثمائة وتوفي يوم الأحد بعد طلوع الشـــمس ثالث شـــوال ســـنة خمس وأربعمائة ببغداد ودفن قبل الظهر في مقبرة الخيزران من الجانب الشـــرقي رحمه الله تعالى ونباتة بضـــم النون كما تقدم في جد الخطيب ابن نباتة وتجير بضـــم الثاء المثلثة وفتح الجيم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء وبقية الأسماء معروفة قال أبو غالب محمد بن أحمد بن سهل دخلت على

أبي الحسن محمد بن علي ابن نصر البغدادي صاحب الرسائل وصاحب كتاب المفاوضة قلت وهو أخو القاضي عبد الوهاب المالكي وسيأتي ذكرهما في ترجمة عبد الوهاب إن شاء الله تعالى قال وكان في مرض موته بواسط فقعدت عنده قليلا ثم قمت لأنه كان به قيام فأنشدني بيت أبي نصر عبد العزيز وهو (متع لحاظك من خل تودعه * فما إخالك بعد اليوم بالوادي) ثم قال لي أبو الحسن المذكور عدت أبا نصر ابن نباتة في اليوم الذي توفي فيه فأنشدني هذا البيت وودعته وانصرفت فأخبرت في طريقي أنه توفي قال الشيخ أبو غالب وفي تلك الليلة توفي أبو الحسن المذكور وقد ذكرت تاريخ ذلك في ترجمة عبد الوهاب المالكي

193 وقال أبو علي محمد بن وشاح بن عبد الله سمعت أبا نصر ابن نباتة يقول كنت يوما قائلا في دهليزي فدق علي الباب فقلت من فقال رجل من أهل المشرق فقلت ما حاجتك فقال أنت القائل (ومن لم يمت بالسيف مات بغيره * تنوعت الأسباب والداء واحد) فقلت نعم فقال أرويه عنك فقلت نعم فمضى فلما كان آخر النهار دق علي الباب فقلت من فقال رجل من أهل تاهرت من الغرب فقلت ما حاجتك فقال أنت القائل (ومن لم يمت بالسيف مات بغيره * تنوعت الأسباب والداء واحد) فقلت نعم فقال أرويه عنك فقلت نعم وعجبت كيف وصل إلى الشرق والغرب 387 ابن مغلس الأندلسي أبو محمد عبد العزيز

بن أحمد بن السيد بن مغلس القيسي الأندلسي كان من أهل العلم باللغة والعربية مشـــارا إليه فيهما رحل من الأندلس وســكن مصــر واســتوطنها وقرأ الأدب على أبي العلاء صــاعد بن الحسـن الربعي صـاحب كتاب الفصـوص وقد سبق ذكره في حرف الصاد وعلى أبي يعقوب

194 يوســف بن يعقوب النجيرمي بمصــر ودخل بغداد واســتفاد وأفاد وله شــعر حســن فمن ذلك قوله (مريض الجفون بلا علة * ولكن قلبي به ممرض) (أعان الســهاد على مقلتي * بفيض الدموع فما تغمض) (وما زار شــوقا ولكن أتى * يعرض لي أنه معرض) وله أشــعار كثيرة وكانت بينه وبين أبي الطاهر إســماعيل بن خلف صــاحب كتاب العنوان معارضــات في قصــائد هي موجودة في ديوانيهما ولولا خوف الإطالة لأتيت بشـــيء منها وتوفي يوم الأربعاء لســت بقين من جمادى الأولى سنة سبع وعشرين وأربعمائة بمصر وصلى عليه الشيخ أبو الحســن علي بن إبراهيم الحوفي صــاحب التفســير في مصلى الصدفي ودفن عند بني إسحاق رحمهم الله أجمعين ومغلس بضــم الميم وفتح الغين المعجمة وتشــديد اللام وكسرها وبعدها سين مهملة

195 388 عبد الصـمد بن علي الهاشـمي أبو محمد عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشــمي ذكر الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب شــذور العقود أنه كانت فيه عجائب منها أنه ولد في ســنة

أربع ومائة وولد أخوه محمد بن علي والد السفاح والمنصور في سنة ستين للهجرة فبينهما في المولد أربع وأربعون سنة وتوفي محمد في سنة ست وعشرين ومائة وتوفي عبد الصمد المذكور في سنة خمس وثمانين ومائة فكان بينهما في الوفاة تسع وخمسون سنة ومنها أنه حج يزيد بن معاوية في سنة خمسين للهجرة وحج عبد الصمد بالناس سنة خمسين ومائة وهما في النسب إلى عبد مناف سواء لأن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف فبين يزيد وعبد مناف خمسة أجداد وبين عبد الصمد وعبد مناف خمسة لأن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ومنها أنه أدرك السفاح والمنصور وهما ابنا أخيه ثم أدرك المهدي ابن المنصور وهو عم أبيه ثم أدرك الهادي وهو عم جده ثم أدرك الرشيد وفي أيامه مات وقال يوما للرشيد يا أمير المؤمنين هذا مجلس فيه أمير المؤمنين وعم أمير المؤمنين وعم عم أمير المؤمنين وعم عم عمه وذلك أن سليمان بن أبي جعفر عم الرشيد والعباس عمر سليمان وعبد الصمد عم العباس ومنها أنه مات بأسنانه التي ولد بها ولم يثغر وكانت قطعة واحدة من أسفل

196 وذكر ابن جرير الطبري في تاريخه أن عبد الصمد المذكور ولد في رجب سنة ست ومائة ومات في جمادى الآخرة سنة خمس وسبعين ومائة وقال غيره كانت وفاته ببغداد وقال غيره ولد في سنة تسع وقيل في سنة

خمس بالحميمة من أرض البلقاء والله أعلم وأمه كبيرة التي يقول فيها عبيد الله بن قيس الرقيات الشاعر المشهور قصيدته التي أولها (عاد له من كبيرة الطرب *) وعمي في آخر عمره يقال ثغر الصبي يثغر فهو مثغور إذا سقطت أسنانه وإذا نبتت قيل قد اثغر واتغر بالثاء والتاء مع التشديد فيهما وسيأتي ذكر والده وأخيه إن شاء الله تعالى 389 ابن بابك أبو القاسم عبد الصمد بن منصور بن الحسن بن بابك الشاعر المشهور أحد الشعراء المجيدين المكثرين رأيت ديوانه في ثلاث مجلدات وله أسلوب رائق في نظم الشعر وجاب البلاد ولقي الرؤساء ومدحهم وأجزلوا جائزته ولما قدم على الصاحب بن عباد قال له أنت بابك الشاعر فقال أنا ابن

197 بابك فاستحسن قوله وأجازه وأجزل صلته ومن شعره قوله (وأغيد معسول الشمائل زارني * على فرق والنجم حيران طالع) (فلما جلا صبغ الدجى قلت حاجب * من الصبح أو قرن من الشمس لامع) (إلى أن دنا والسحر رائد طرفه * كما ريع ظبي بالصريمة راتع) (فنازعته الصهباء والليل دامس * رقيق حواشي البرد والنسر واقع) (عقار عليها من دم الصب نفضة * ومن عبرات المستهام فواقع) (تدير إذا شجت عيونا كأنها * عيون العذارى شق عنها البراقع) (معودة غصب العقول كأنما * لها عند ألباب الرجال ودائع) (فبتنا وظل الوصل دان وسرنا * مصون ومكتوم الصبابة ذائع) (إلى أن

ســـلا عن ورده فارط القطا * ولاذت بأطراف الغصـــون السواجع) (فولى أسير السكر يكبو لسانه * فتنطق عنه بالوداع الأصـــابع) وله (يا صـــاحبي امزجا كأس المدام لنا * كيما يضـــيء لنا من نورها الغســـق) (خمرا إذا ما نديمي هم يشربها * أخشى عليه من اللألاء يحترق) (لو رام يحلف أن الشـــمس ما غربت * في فيه كذبه في وجهه الشـــفق) وله من قصـــيد بيت في غاية الرقة وهو (ومر بي النسيم فرق حتى * كأني قد شكوت إليه ما بي)

198 وكانت وفاته في ســـنة عشـــر وأربعمائة ببغداد رحمه الله تعالى وبابك بفتح الباءين الموحدتين بينهما ألف وفي الأخير كـــاف 390 أبو المحـــاســـن الرويـــاني أبو المحاســـن عبد الواحد بن إســـماعيل بن أحمد بن محمد الروياني الفقيه الشـــافعي من رؤوس الأفاضـــل في أيامه مذهبا وأصـــولا وخلافا ســـمع أبا الحســـين عبد الغافر ابن محمد الفارســـي بميافارقين ومن أبي عبد الله محمد بن بيان بن محمد الكازروني وتفقه عليه على مذهب الشـــافعي وروى عنه زاهر بن طاهر الشـــحامي وغيره وكان له الجاه العظيم والحرمة الوافرة في تلك الديار وكان الوزير نظام الملك كثير التعظيم له لكمال فضـــله رحل إلى بخارى وأقام بها مدة ودخل غزنة ونيســـابور ولقي الفضـــلاء وحضر مجلس ناصر المروزي وعلق عنه وسمع الحديث وبنى بآمل طبرستان مدرسة ثم انتقل إلى الري ودرس بها وقدم أصـــبهان وأملى بجامعها وصـــنف الكتب المفيدة منها

بحر المذهب وهو من أطول كتب الشافعيين وكتاب مناصيص الإمام الشافعي وكتاب الكافي وكتاب حلية المؤمن وصنف في الأصول والخلاف ونقل عنه أنه كان يقول لو احترقت كتب الشافعي لأمليتها من خاطري وذكره القاضي أبو محمد عبد الله بن يوسف الحافظ في طبقات أئمة الشافعية

199 فقال أبو المحاسن الروياني باقرة العصر إمام في الفقه وذكره الحافظ أبو زكرياء يحيى بن منده وروى الحديث عن خلق كثير في بلاد متفرقة وكانت ولادته في ذي الحجة سنة خمس عشرة وأربعمائة وقال الحافظ أبو طاهر السلفي بلغنا أن أبا المحاسن الروياني أملى بمدينة آمل وقتل بعد فراغه من الإملاء بسبب التعصب في الدين في المحرم سنة اثنتين وخمسمائة وذكر معمر بن عبد الواحد بن فاخر في الوفيات التي خرجها للحافظ أبي سعد ابن السمعاني أن أبا المحاسن المذكور قتل بآمل في جامعها يوم الجمعة الحادي عشر من المحرم من السنة المذكورة قتله الملاحدة والله أعلم رحمه الله تعالى والروياني بضم الراء وسكون الواو وفتح الياء المثناة من تحتها وبعد الألف نون هذه النسبة إلى رويان وهي مدينة بنواحي طبرستان خرج منها جماعة من العلماء وآمل مدينة هناك وقد سبق ذكرها 391 الببغاء أبو الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمد المخزومي الشاعر المعروف

بالببغاء ذكره الثعالبي في يتيمة الدهر وقال هو من أهل نصيبين وبالغ في
200 الثناء عليه وذكر جملة من رسـائله ونظمه وما دار بينه وبين أبي إسحاق الصابي وأشياء يطول شرحها واتفق أن أبا الفرج قدم مرة بغداد وأبو إسحاق معتقل مدة طويلة ولم يصبر عنه وزاره في مجلسه ثم انصرف ولم يعاوده فكتب إليه أبو إسحاق (أبا الفرج اسلم وابق وانعم ولا تزل * يزيدك صرف الدهر حظا إذا نقص) (مضى زمن تستام وصلي غاليا * فأرخصته والبيع غال ومرتخص) (وآنستني في مجلسي بزيارة * شفت كبدا من صاحب لك قد خلص) (ولكنها كانت كحسوة طائر * فواقا كما يستفرص السارق الفرص) (وأحسبك استوحشت من ضيق محبسي * وأوجست خوفا من تذكرك القفص) (كذا الكرز اللماح ينجو بنفسه * إذا عاين الأشراك تنصب للقنص) (فحوشيت يا قس الطيور بلاغة * إذا أنشد المنظوم أو درس القصص) (من المنسر الأشغى ومن حدة المدى * ومن بندق الرامي ومن قصة المقص) (فهذي دواهي الطير وقيت شرها * إذ الدهر من أحداثه جرع الغصص) فأجابه أبو الفرج في الحال مع رسوله (أيا ماجدا مذ يمم المجد ما نكص * وبدر تمام مذ تكامل ما نقص) (ستخلص من هذا السرار وأيما * هلال توارى بالسرار فما خلص) (برأفة تاج الملة الملك الذي * لسؤدده في خطة المشتري حصص)

(تقنصــت بالألطاف شــكري ولم أكن * علمت بأن الحر بالبر يقتنص) (وصادفت أدنى فرصة فانتهزتها * بلقياك إذ بــالحزم تنتهز الفرص) (أتتني القوافي الزاهرات تجمل البدائع * من مستحســن الجد والرخص) (فقابلت زهر الروض منها ولم أرد * وأحرزت در البحر منها ولم أغص)

201 (فإن كنت بالببغاء قدما ملقبا * فكم لقب بالجور لا العدل مخترص) (وبعد فما أخشــى تقنص جارح * وقلبك لي وكر ورأيك لي قفص) فانتهى الابتداء والجواب إلى عضد الدولة فأعجب بهما واستظرفهما وكان ذلك أحد أسباب إطلاق أبي إسحاق من اعتقاله ثم اتصلت بينهما المودة والكتابة وحكى القاضــي أبو علي التنوخي قال دخل أبو الفرج عبد الواحد الببغاء على الوزير أبي نصــر سابور بن أردشــير وقد نثرت عليه دنانير وجواهر فأنشــد بديها (نثروا الجواهر واللجين وليس لي * شــيء عليه سوى المدائح أنثر) (بقصائد كالدر إن هي أنشدت * وثنا إذا ما فاح فهو العنبر) ومن شعره (يا سادتي هذه روحي تودعكم * إذ كان لا الصبر يسليها ولا الجزع) (قد كنت أطمع في روح الحياة لها * فالآن إذ بنتم لم يبق لي طمع) (لا عذب الله روحي بالبقاء فما * أظنها بعدكم بالعيش تنتفع) (وله) (خيالك منك أعرف بالغرام * وأرأف بالمحب المســتهام) (ولو يســطيع حين حظرت نومي * علي لزار في غير المنام) وله أيضا (ومهفهف

لما اكتسـت وجناته * خلع الملاحة طرزت بعذاره) (لما انتصـرت على أليم جفائه * بالقلب كان القلب من أنصـاره (
202) كملت محاسـن وجهه فكأنما اقتبس * الهلال النور من أنواره) (وإذا ألح القلـب في هجرانـه * قـال الهوى لا بد منه فداره) وله في التشـــبيه وقد أبدع فيه (وكأنما نقشـت حوافر خيله * للناظرين أهلة في الجلمد) (وكأن طرف الشـمس مطروف وقد * جعل الغبار له مكان الإثمد) وله في سعيد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان (لا غيـث نعمـاه في الورى خلـب البرق * ولا ورد جوده وشـــل) (جاد إلى أن لم يبق نائله * مالا ولم يبق للورى أمل) وقد سـبق نظير هذا المعنى في شعر أبي نصـر ابن نباتـة السـعدي وأكثر شــعر أبي الفرج المـذكور جيـد ومقاصـده فيه جميلة وكان قد خدم سـيف الدولة ابن حمدان مدة وبعد وفاته تنقل في البلاد وتوفي يوم السـبت سـلخ شـعبان سـنة ثمان وتسـعين وثلثمائة وقال الخطيب في تاريخه توفي في ليلة السـبت لثلاث بقين من شـعبان سـنة ثمان وتسـعين وثلثمائة والله أعلم رحمه الله تعالى وقال الثعالبي وسـمعت الأمير أبا الفضـل الميكالي يقول عند صـدوره من الحج ودخوله بغداد في سـنة تسـعين وثلثمائة رأيت بها أبا الفرج الببغاء شيخا عالي السن متطاول الأمد قد أخذت الأيام من جسـمه وقوته ولم تأخذ من ظرفه وأدبه والببغاء بفتح الباء الأولى وتشـديد الباء الثانية وفتح الغين

المعجمة وبعدها ألف وهو لقب وإنما لقب به لحسن فصاحته وقيل للثغة كانت في لسانه ووجد بخط أبي الفتح ابن جني النحوي الففغاء بفاءين والله أعلم بالصواب

203 392 أبو منصور البغدادي الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن محمد البغدادي الفقيه الشافعي الأصولي الأديب كان ماهرا في فنون عديدة خصوصا علم الحساب فإنه كان متقنا له وله فيه تواليف نافعة منها كتاب التكملة وكان عارفا بالفرائض والنحو وله أشعار وذكره الحافظ عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي في سياق تاريخ نيسابور وقال ورد مع أبيه نيسابور وكان ذا مال وثروة وأنفقه على أهل العلم والحديث ولم يكتسب بعلمه مالا وصنف في العلوم وأربى على أقرانه في الفنون ودرس في سبعة عشر فنا وكان قد تفقه على أبي إسحاق الإسفرايني وجلس بعده للإملاء في مكانه بمسجد عقيل فأملى سنين واختلف إليه الأئمة فقرأوا عليه مثل ناصر المروزي وزين الإسلام القشيري وغيرهما وتوفي سنة تسع وعشرين وأربعمائة بمدينة إسفراين ودفن إلى جانب شيخه الأستاذ أبي إسحاق رحمهما الله تعالى

204 393 أبو النجيب السهروردي أبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عمويه واسمه عبد الله بن سعد بن الحسين بن القاسم بن علقمة بن النضر بن معاذ بن عبد الرحمن بن القاسم ابن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه الملقب ضياء الدين السهروردي وقال

محب الدين بن النجار في تاريخ بغداد نقلت نسـب الشـيخ أبي النجيب من خطه وهو عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عمويه واسمه عبد الله بن سعد بن الحسين بن القاسم بن النضـر بن سـعد بن النضـر بن عبد الرحمن بن القاسـم بن محمد بن أبي بكر الصـديق رضـي الله عنه وإذا كان بخطه هكذا فهو أصـح كان شـيخ وقته بالعراق وولد بسـهرورد سـنة تسـعين وأربعمائة تقريبا وقدم بغداد وتفقه بالمدرسـة النظامية على أسـعد الميهني المقدم ذكره وغيره ثم سـلك طريق الصـوفية وحبب إليه الانقطاع والعزلة فانقطع عن الناس مدة مديدة وأقبل على الاشـتغال بالعمل لله تعالى وبذل الجهد في ذلك ثم رجع ودعا جماعة إلى الله تعالى وكان يعظ ويذكر فرجع بسـببه خلق كثير إلى الله تعالى وبنى رباطا على الشـط من الجانب الغربي ببغداد وسـكنه جماعة من أصـحابه الصـالحين ثم ندب إلى التدريس بالمدرسـة النظامية فأجاب ودرس بها مدة وظهرت بركته على تلامذته وكانت ولايته في السـابع والعشـرين من المحرم سنة خمس وأربعين وخمسمائة وصـرف عنها في رجب سـنة سـبع وأربعين وروى عنه الحافظ أبو سـعد السـمعاني وذكره في كتابه وقدم الموصـل مجتازا إلى الشـام لزيارة البيت المقدس في سـنة سـبع وخمسـين وخمسمائة وعقد بها مجلس الوعظ بالجامع العتيق ثم توجه إلى الشام فوصل إلى

205 دمشــق ولم تتفق له الزيارة لانفســاخ الهدنة بين المسلمين والفرنج خذلهم الله تعالى فأكرم الملك العادل نور الدين محمود صاحب الشام مورده وأقام بدمشق مدة يسيرة وعقد بها مجلس الوعظ وعاد إلى بغداد وتوفي بها يوم الجمعة وقت العصر سابع عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وســتين وخمســمائة ودفن بكرة الغد في رباطه وكان مولده تقديرا ســنة تســعين وأربعمائة كذا ذكره ابن أخيه شــهاب الدين في مشــيخته وهو عم شــهاب الدين أبي حفص عمر الســهروردي وســيأتي اســمه رحمهما الله تعالى وعمويه بفتح العين المهملة وتشديد الميم المضمومة وسكون الواو وفتح الياء المثناة من تحتها وسهرورد بضم السين المهملة وسكون الهاء وفتح الراء والواو وسكون الراء الثانية وفي آخرها دال مهملة وهي بليدة عند زنجان من عراق العجم

394 أبو القاسم القشيري أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك بن طلحة بن محمد القشــيري الفقيه الشــافعي كان علامة في الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشــعر والكتابة وعلم التصــوف جمع بين الشــريعة والحقيقة أصــله من ناحية أســتوا من العرب الذين قدموا خراسان توفي أبوه وهو صغير وقرأ الأدب

206 في صباه وكانت له قرية مثقلة الخراج بنواحي أستوا فرأى من الرأي أن يحضر إلى نيسابور يتعلم طرفا من الحســاب ليتولى الاســتيفاء ويحمي قريته من الخراج فحضــر نيســابور على هذا العزم فاتفق حضــوره مجلس

الشيخ أبي علي الحسن بن علي النيسابوري المعروف بالدقاق وكان إمام وقته فلما سمع كلامه أعجبه ووقع في قلبه فرجع عن ذلك العزم وسلك طريق الإرادة فقبله الدقاق وأقبل عليه وتفرس فيه النجابة فجذبه بهمته وأشار عليه بالاشتغال بالعلم فخرج إلى درس أبي بكر محمد بن أبي بكر الطوسي وشرع في الفقه حتى فرغ من تعليقه ثم اختلف إلى الأستاذ أبي بكر ابن فورك فقرأ عليه حتى أتقن علم الأصول ثم تردد إلىالأستاذ أبي إسحاق الإسفرايني وقعد يسمع درسه أياما فقال الأستاذ هذا العلم لا يحصل بالسماع ولا بد من الضبط بالكتابة فأعاد عليه جميع ما سمعه منه تلك الأيام فعجب منه وعرف محله فأكرمه وقال له ما تحتاج إلى درس بل يكفيك أن تطالع مصنفاتي فقعد وجمع بين طريقته وطريقة ابن فورك ثم نظر في كتب القاضي أبي بكر ابن الطيب الباقلاني وهو مع ذلك يحضر مجلس أبي علي الدقاق وزوجه ابنته مع كثرة أقاربها وبعد وفاة أبي علي سلك مسلك المجاهدة والتجريد وأخذ في التصنيف فصنف التفسير الكبير قبل سنة عشر وأربعمائة وسماه التيسير في علم التفسير وهو من أجود التفاسير وصنف الرسالة في رجال الطريقة وخرج إلى الحج في رفقة فيها الشيخ أبو محمد الجويني والد إمام الحرمين وأحمد بن الحسين البيهقي وجماعة من المشاهير فسمع معهم الحديث ببغداد والحجاز وكان له في الفروسية واستعمال السلاح يد بيضاء وأما مجالس الوعظ والتذكير

فهو إمامها وعقد لنفســـه مجلس الإملاء في الحديث ســـنة سبع وثلاثين وأربعمائة وذكره أبو الحسن علي الباخرزي في كتاب دمية القصـــر وبالغ في الثناء عليه وقال في حقه لو قرع الصــخر بصــوت تحذيره لذاب ولو ربط إبليس في مجلســـه لتاب وذكره الخطيب في تاريخه وقال قدم علينا يعني إلى بغداد في سنة

207 ثمان وأربعين وأربعمائة وحدث ببغداد وكتبنا عنه وكان ثقة وكان يقص وكان حسن الوعظ مليح الإشارة وكان يعرف الأصول على مذهب الأشعري والفروع على مذهب الشـــافعي وذكره عبد الغافر الفارســـي في تاريخه وقال أبو عبد الله بن محمد بن الفضــل الفراوي أنشــدنا عبد الكريم بن هوزان القشــيري لنفســـه (ســـقى الله وقتا كنت أخلو بوجهكم * وثغر الهوى في روضــة الأنس ضــاحك) (أقمنا زمانا والعيون قريرة * وأصـــبحت يوما والجفون ســـوافك) وقال أبو الفتح محمد بن محمد بن علي الواعظ الفراوي وكان أبو القاسم القشيري كثيرا ما ينشد لبعضــهم وهو ذو القرنين ابن حمدان المقدم ذكره في حرف الذال (لو كنت ســاعة بيننا ما بيننا * وشــهدت كيف تكرر التوديعا) (أيقنت أن من الدموع محدثا * وعلمت أن من الحديث دموعا) ولد في شـــهر ربيع الأول ســـنة ســـت وســـبعين وثلثمائة وتوفي صـــبيحة يوم الأحد قبل طلوع الشـــمس ســـادس عشــر ربيع الآخر ســـنة خمس وســـتين وأربعمائة بمدينة نيســـابور ودفن بالمدرســـة تحت شـــيخه أبي علي

الدقاق رحمه الله تعالى ورأيت في كتابه المسمى ب الرسالة بيتين أعجباني فأحببت ذكرهما (ومن كان في طول الهوى ذاق سلوة * فإني من ليلى لها غير ذائق) (وأكثر شيء نلته من وصالها * أماني لم تصدق كخطفه بارق) 100 وكان ولده أبو نصر عبد الرحيم إماما كبيرا أشبه أباه في علومه

208 ومجالسه ثم واظب دروس إمام الحرمين أبي المعالي حتى حصل طريقته في المذهب والخلاف ثم خرج للحج فوصل إلى بغداد وعقد بها مجلس وعظ وحصل له قبول عظيم وحضر الشيخ أبو إسحاق الشيرازي مجلسه وأطبق علماء بغداد على أنهم لم يروا مثله وكان يعظ في المدرسة النظامية ورباط شيخ الشيوخ وجرى له مع الحنابلة خصام بسبب الاعتقاد لأنه تعصب للأشاعرة وانتهى الأمر إلى فتنة قتل فيها جماعة من الفريقين وركب أحد أولاد نظام الملك حتى سكنها وبلغ الخبر نظام الملك وهو بأصبهان فسير إليه واستدعاه فلما حضر عنده زاد في إكرامه ثم جهزه إلى نيسابور فلما وصلها لازم الدرس والوعظ إلى أن قارب انتهاء أمره فأصابه ضعف في أعضائه وأقام كذلك مقدار شهر ثم توفي ضحوة نهار الجمعة الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة أربع عشرة وخمسمائة بنيسابور ودفن بالمشهد المعروف بهم رحمه الله تعالى وكان يحفظ من الشعر والحكايات شيئا كثيرا ورأيت له في بعض المجاميع هذه الأبيات وذكرها

السمعاني في الذيل أيضا (القلب نحوك نازع * والدهر فيك منازع) (جرت القضية بالنوى * ما للقضية وازع) (الله يعلم أنني * لفراق وجهك جازع) وتوفي شيخه أبو علي الدقاق المذكور في سنة اثنتي عشرة وأربعمائة والقشيري بضم القاف وفتح الشين المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء هذه النسبة إلى قشير بن كعب وهي قبيلة كبيرة وأستوا بضم الهمزة وسكون السين المهملة وضم التاء المثناة من فوقها أو فتحها وبعدها واو ثم ألف وهي ناحية بنيسابور كثيرة القرى خرج منها جماعة من العلماء

209 395 ابن السمعاني تاج الإسلام أبو سعد عبد الكريم بن أبي بكر محمد بن أبي المظفر المنصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد بن محمد بن جعفر بن أحمد بن عبد الجبار بن الفضل ابن الربيع بن مسلم بن عبد الله بن عبد المجيب التميمي السمعاني المروزي الفقيه الشافعي الحافظ الملقب قوام الدين ذكره الشيخ عز الدين أبو الحسن علي بن الأثير الجزري في أول مختصره فقال كان أبو سعد واسطة عقد البيت السمعاني وعينهم الباصرة ويدهم الناصرة وإليه انتهت رياستهم وبه كملت سيادتهم رحل في طلب العلم والحديث إلى شرق الأرض وغربها وشمالها وجنوبها وسافر إلى ما وراء النهر وسائر بلاد خراسان عدة دفعات وإلى قومس والري وأصبهان وهمذان وبلاد الجبال والعراق والحجاز والموصل والجزيرة والشام

وغيرها من البلاد التي يطول ذكرها ويتعذر حصـــرها ولقي العلماء وأخذ عنهم وجالســـهم وروى عنهم واقتدى بأفعالهم الجميلة وآثارهم الحميدة وكان عدة شـــيوخه تزيد على أربعة آلاف شـيخ وذكر في بعض أماليه فقال ودعني عبد الله بن محمد بن غالب أبو محمد الجيلي الفقيه نزيل الأنبار وبكى وأنشدني (ولما برزنا لتوديعهم * بكوا لؤلؤا وبكينا عقيقا) (أداروا علينا كؤوس الفراق * وهيهات من سـكرها أن نفيقا) (تولوا فأتبعتهم أدمعي * فصـاحوا الغريق فصحت الحريقا)

210 ومما قيل في المعنى (تنفست الغداة غداة ولوا * وعيرهم معارضة الطريق) (فصاحوا بالحريق فظلت أبكي * فصاحوا بالحريق وبالغريق) وصنف التصانيف الحســـنة الغزيرة الفائدة فمن ذلك تذييل تاريخ بغداد الذي صـــنعه الحافظ أبو بكر الخطيب وهو نحو خمســة عشـر مجلدا ومن ذلك تاريخ مرو يزيد على عشـــرين مجلدا وكذلك الأنســاب نحو ثماني مجلدات وهو الذي اختصـــره عز الدين المذكور واســتدرك عليه وهو في ثلاث مجلدات والمختصر هو الموجود بأيدي الناس والأصل قليل الوجود ذكر أبو ســعد الســمعاني المذكور في ترجمة والده أن أباه حج سنة سبع وتسعين وأربعمائة ثم عاد إلى بغداد وسمع بها الحديث من جماعة من المشـــايخ وكان يعظ الناس في المدرسة النظامية ويقرأ عليه الحديث ويحصل الكتب وأقام كذلك مدة ثم رحل إلى أصبهان فسمع بها من جماعة كبيرة

ثم رجع إلىخراسان وأقام بمرو إلى سنة تسع وخمسمائة وخرج إلى نيسابور قال أبو سعد وحملني وأخي إليها وسمعنا الحديث من أبي بكر عبد الغفار بن محمد الشيروي وغيره من المشايخ وعاد إلى مرو وأدركته المنية وهو شاب ابن ثلاث وأربعين سنة وكانت ولادة أبي سعد المذكور بمرو يوم الإثنين الحادي والعشرين من شعبان سنة ست وخمسمائة وتوفي بمرو في ليلة غرة شهر ربيع الأول سنة اثنتين وستين وخمسمائة رحمه الله تعالى 101 وكان أبوه محمد إماما فاضلا مناظرا محدثا فقيها شافعيا حافظا وله الإملاء الذي لم يسبق إلى مثله تكلم على المتون والأسانيد وأبان

211 مشكلاتها وله عدة تصانيف وكان له شعر غسله قبل موته وكانت ولادته في جمادى الأولى سنة ست وستين وأربعمائة وتوفي وقت فراغ الناس من صلاة الجمعة ثاني صفر سنة عشر وخمسمائة ودفن يوم السبت عند والده أبي المظفر بسفحوان إحدى مقابر مرو رحمه الله تعالى 102 وكان جده المنصور إمام عصره بلا مدافعة أقر له بذلك الموافق والمخالف وكان حنفي المذهب متعينا عند أئمتهم فحج في سنة اثنتين وستين وأربعمائة وظهر له بالحجاز ما اقتضى انتقاله إلى مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه فلما عاد إلى مرو لقي بسبب انتقاله محنا وتعصبا شديدا فصبر على ذلك وصار إمام الشافعية بعد ذلك يدرس ويفتي وصنف في مذهب الشافعي رضي الله

عنه وفي غيره من العلوم تصانيف كثيرة منها منهاج أهل السنة والانتصار والرد على القدرية وغيرها وصنف في الأصول القواطع وفي الخلاف البرهان يشتمل على قريب من ألف مسألة خلافية والأوسط والاصطلام رد فيه على أبي زيد الدبوسي وأجاب عن الأسرار التي جمعها وله تفسير القرآن العزيز وهو كتاب نفيس وجمع في الحديث ألف حديث عن مائة شيخ وتكلم عليها فأحسن وله وعظ مشهور بالجودة وكانت ولادته في سنة ست وعشرين وأربعمائة في ذي الحجة وتوفي في شهر ربيع الأول سنة تسع وثمانين وأربعمائة بمرو رحمه الله تعالى وفي بيتهم جماعة كثيرة علماء رؤساء والسمعاني بفتح السين المهملة وسكون الميم وفتح العين المهملة وبعد الألف نون هذه النسبة إلى سمعان وهو بطن من تميم وسمعت بعض العلماء يقول يجوز بكسر السين أيضا

212 103 وكان لأبي سعد عبد الكريم ولد يقال له أبو المظفر عبد الرحيم بكر به والده في سماع الحديث وطاف به في بلاد خراسان وما وراء النهر وأسمعه الحديث وحصل له النسخ وجمع له معجما لمشايخه في ثمانية عشر جزءا وعوالي في مجلدين ضخمين وشغله بالفقه والأدب والحديث حتى حصل من كل واحد طرفا صالحا وحدث بالكثير ورحل إليه الطلاب وكان محترما ببلاده ومولده في ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة سبع وثلاثين وخمسمائة بنيسابور وتوفي

بمرو ما بين سـنة أربع عشـرة وسـتمائة رحمه الله تعالى
396 ابن حمديس الشـاعر الصـقلي أبو محمد عبد الجبار بن أبي بكر ابن محمد بن حمديس الأزدي الصقلي الشاعر المشـهور قال ابن بسـام في حقه هو شـاعر ماهر يقرطس أغراض المعاني البديعة ويعبر عنها بـالألفاظ النفيسـة الرفيعة ويتصـرف في التشبيه المصيب ويغوص في بحر الكلم على در المعنى الغريب فمن معانيه البديعة قوله في صفة نهر
213 (ومطرد الأجزاء تصـقل متنه * صـبا أعلنت للعين ما في ضـميره) (جريح بأطراف الحصـى كلما جرى * عليها شـكا أوجاعه بخريره) (كأن حبابا ريع تحت حبابه * فأقبل يلقي نفسـه في غديره) (كأن الدجى خط المجرة بيننا * وقد كللت حافاته ببدوره) (شـربنا على حافاته دور سـكره * وأقتل سـكرا منه عينا مديره) وله من قصيد (بت منها مستعيدا قبلا * كن لي منها على الدهر اقتراح) (وأروي غلل الشـوق بما * لم يكن في قدرة الماء القراح) قوله وأروي غلل الشـوق مأخوذ من قول البحتري (وبي ظمأ لا يملك الماء دفعه * إلى نهلة من ريقها البارد العذب) وقوله جريح بأطراف الحصـى مأخوذ من قول المتنبي (وذكي رائحة الرياض كأنها * تلقي الثنـاء على الحيا فيفوح) (جهد المقل فكيف بـابن كريمة * توليه خيرا واللسـان فصـيح) وله من قصـيدة أولها (قم هاتها من كف ذات الوشـاح * فقد نعى الليل

بشير الصباح) (باكر إلى اللذات واركب لها * سوابق اللهو ذوات المراح) (من قبل أن ترشف شمس الضحى * ريق الغوادي من ثغور الأقاح)
214 ومن معانيه النادرة قوله (زادت على كحل الجفون تكحلا * ويسم نصل السهم وهو قتول) (وله من جملة قصيد يتشوق صقلية (ذكرت صقلية والأسى * يجدد للنفس تذكارها) (فإن كنت أخرجت من جنة * فإني أحدث أخبارها) (ولولا ملوحة ماء البكاء * حسبت دموعي أنهارها) وكان قد دخل إلى الأندلس سنة إحدى وسبعين وأربعمائة ومدح المعتمد ابن عباد فأحسن إليه وأجزل عطاياه ولما قبض المعتمد وحبس بأغمات كما سيأتي في ترجمته إن شاء الله تعالى سمع ابن حمديس المذكور له أبياتا عملها المعتمد في الاعتقال فأجابه عنها بقوله (أتيأس من يوم يناقض أمسه * وشهب الدراري في البروج تدور) (ولما رحلتم بالندى في أكفكم * وقلقل رضوى منكم وثبير) (رفعت لساني بالقيامة قد دنت * فهذي الجبال الراسيات تسير) وقد ألم في البيت الأخير بقول عبد الله بن المعتز في مرثيته للوزير أبي القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب (قد استوى الناس ومات الكمال * وقال صرف الدهر أين الرجال) (هذا أبو القاسم في نعشه * قوموا انظروا كيف تزول الجبال)
215 وله ديوان شعر أكثره جيد وتوفي في شهر رمضان سنة سبع وعشرين وخمسمائة بجزيرة ميورقة

ودفن إلى جنب قبر ابن اللبانة الشـــاعر المشــور وكان قد عمي وقيل ببجاية وأبياته الميمية التي في الشـيب والعصـا تدل على أنه بلغ الثمانين رحمه الله تعالى وحمديس بفتح الحاء المهملة وسكون الميم وكسـر الدال المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها سـين مهملة والصـقلي بفتح الصـاد المهملة والقاف وبعدها لام مشـددة هذه النسـبة إلى جزيرة صـــقلية وهي في بحر المغرب بالقرب من إفريقية انتزعها الفرنج من المســـلمين في ســـنة أربع وســـتين وأربعمائة 397 أبو طالب المعافري أبو طالب عبد الجبار بن محمد بن علي بن محمد المعافري المغربي كان إماما في اللغة وفنون الأدب جاب البلاد وانتهى إلى بغداد وقرأ بها واشـــتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به ودخل الديار المصـرية في سـنة إحدى وخمسـين وخمسـمائة وقرأ عليه بها الشـــيخ العلامة أبو محمد عبد الله بن بري المقدم ذكره وكتب بخطه كثيرا وهو حســـن الخط على طريق المغاربة وأكثر ما كتب في الأدب ورأيت منه شـــيئا كثيرا وقد أتقن ضبطه غاية الإتقان ورأيت

216 بخطه على ظهر كتاب المذيل في اللغة بيتين وهما (أقســـم بالله على كل من * أبصـــر خطي حيثما أبصره) (أن يدعو الرحمن لي مخلصا * بالعفو والتوبة والمغفره) وكتاب المسلسل للشيخ أبي الطاهر محمد بن يوســـف بن عبد الله التميمي وهو يروي الكتاب عن مؤلفه وقد ذكرت ذلك في ترجمة أبي الطاهر المذكور في حرف

الميم في ترجمة المحمدين وتوفي في سنة ست وستين وخمسمائة وهو عائد إلى المغرب من الديار المصرية رحمه الله تعالى والمعافري بفتح الميم والعين المهملة وبعد الألف فاء مكسورة ثم راء هذه النسبة إلى المعافر بن يعفر وهي قبيل كبير عامتهم بمصر 398 عبد الرزاق الصنعاني أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني مولى حمير قال أبو سعد ابن السمعاني قيل ما رحل الناس إلى أحد بعد رسول الله مثل ما رحلوا إليه يروي عن معمر بن راشد الأزدي مولاهم البصري والأوزاعي وابن جريج وغيرهم وروى عنه أئمة الإسلام في ذلك العصر منهم

217 سفيان بن عيينة وهو من شيوخه وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهم وكانت ولادته في سنة ست وعشرين ومائة وتوفي في شوال سنة إحدى عشرة ومائتين باليمن رحمه الله تعالى والصنعاني بفتح الصاد المهملة وسكون النون وفتح العين المهملة وبعد الألف نون هذه النسبة إلى مدينة صنعاء وهي من أشهر مدن اليمن وزادوا النون في النسبة إليها وهي نسبة شاذة كما قالوا في بهراء بهراني وقال أبو محمد عبد الله بن الحارث الصنعاني سمعت عبد الرزاق يقول من يصحب الزمان ير الهوان قال وسمعته ينشد (فذاك زمان لعبنا به * وهذا زمان بنا يلعب) 399 ابن الصباغ صاحب الشامل أبو نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن جعفر المعروف بابن الصباغ الفقيه الشافعي كان فقيه العراقين

في وقته وكان يضاهي الشيخ أبا إسحاق الشيرازي وتقدم عليه في معرفة المذهب وكانت الرحلة إليه من البلاد وكان تقيا حجة صالحا ومن مصنفاته كتاب الشامل في الفقه وهو من أجود كتب أصحابنا وأصحها نقلا وأثبتها أدلة وله كتاب تذكرة العالم والطريق السالم والعدة في أصول الفقه وتولى التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد أول ما فتحت ثم عزل بالشيخ أبي إسحاق وكانت

218 ولايته لها عشرين يوما ولما توفي أبو إسحاق أعيد لها أبو نصر المذكور وذكر أبو الحسن محمد بن هلال بن الصابىء في تاريخه أن المدرسة النظامية بدىء بعمارتها في ذي الحجة من سنة سبع وخمسين وأربعمائة وفتحت يوم السبت عاشر ذي القعدة من سنة تسع وخمسين وكان نظام الملك أمر أن يكون المدرس بها أبا إسحاق الشيرازي وقرروا معه الحضور في هذا اليوم للتدريس فاجتمع الناس ولم يحضر وطلب فلم يوجد فنفذ إلى أبي نصر ابن الصباغ فأحضر ورتب بها مدرسا وظهر الشيخ أبو إسحاق في مسجده ولحق أصحابه من ذلك ما بان عليهم وفتروا عن حضور درسه وراسلوه إن لم يدرس بها مضوا إلى ابن الصباغ وتركوه فأجاب إلى ذلك وعزل ابن الصباغ وجلس أبو إسحاق يوم السبت مستهل ذي الحجة فكان مدة تدريس ابن الصباغ عشرين يوما وقال ابن النجار في تاريخ بغداد ولما مات أبو إسحاق تولى أبو سعد المتولي ثم صرف في سنة ست وسبعين وأعيد ابن الصباغ

ثم صرف في سنة سبع وسبعين وأعيد أبو سعد إلى أن مات وقد ذكرت ذلك في ترجمته وقد سبق في ترجمة الشيخ أبي إسحاق في حرف الهمزة طرف من هذه القضية وكانت ولادته سنة أربعمائة ببغداد وكف بصره في آخر عمره وتوفي في جمادى الأولى سنة سبع وسبعين وأربعمائة ببغداد وقيل بل توفي يوم الخميس منتصف شعبان من السنة المذكورة رحمه الله تعالى

219 400 القاضي عبد الوهاب المالكي القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر بن أحمد بن الحسين بن هارون ابن مالك بن طوق التغلبي البغدادي الفقيه المالكي وهو من ذرية مالك بن طوق التغلبي صاحب الرحبة كان فقيها أديبا شاعرا صنف في مذهبه كتاب التلقين وهو مع صغر حجمه من خيار الكتب وأكثرها فائدة وله كتاب المعونة وشرح الرسالة وغير ذلك عدة تصانيف ذكره الخطيب في تاريخ بغداد فقال سمع أبا عبد الله ابن العسكري وعمر بن محمد بن سبنك وأبا حفص ابن شاهين وحدث بشيء يسير كتبت عنه وكان ثقة ولم يلق من المالكيين أحدا أفقه منه وكان حسن النظر جيد العبارة وتولى القضاء ببادرايا وباكسايا وخرج في آخر عمره إلى مصر فمات بها وذكره ابن بسام في كتاب الذخيرة فقال كان بقية الناس ولسان أصحاب القياس وقد وجدت له شعرا معانيه أجلى من الصبح وألفاظه أحلى من الظفر بالنجح ونبت به بغداد كعادة البلاد بذوي فضلها وعلى حكم

الأيام في محســـني أهلها فخلع أهلها وودع ماء ها وظلها وحدثت أنه شـيعه يوم فصـل عنها من أبكار ها وأصـحاب محابر ها جملة موفورة وطوائف
220 كثيرة وأنه قال لهم لو وجدت بين ظهرانيكم رغيفين كل غداة وعشــية ما عدلت ببلدكم بلوغ أمنية وفي ذلك يقول (ســـلام على بغداد في كل موطن * وحق لها مني ســـلام مضـــاعف) (فوالله ما فارقتها عن قلى لها * وإني بشـــطي جانبيها لعارف) (ولكنها ضـــاقت علي بأسر ها * ولم تكن الأرزاق فيها تساعف) (وكانت كخل كنت أهوى دنوه * وأخلاقه تنأى به وتخالف) واجتاز في طريقه بمعرة النعمان وكان قاصـدا مصـر وبالمعرة يومئذ أبو العلاء المعري فأضـافه وفي ذلك يقول من جملة أبيات (والمالكي ابن نصـر زار في سـفر * بلادنا فحمدنا النأي والســفرا) (إذا تفقه أحيا مالكا جدلا * وينشـــر الملك الضليل إن شعرا) ثم توجه إلى مصر فحمل لواءها وملأ أرضـها وسـماءها واستتبع سـادتها وكبراءها وتناهت إليه الغرائب وانثالت في يديه الرغائب فمات لأول ما وصــلها من أكلة اشـتهاها فأكلها وزعموا أنه قال وهو يتقلب ونفسـه يتصـعد ويتصـوب لا إله إلا الله إذا عشـنا متنا ولـه شـعار رائقة طريفة فمن ذلك قولـه (ونـائمـة قبلتها فتنبهت * فقالت تعالوا واطلبوا اللص بالحد) (فقلت لها إني فديتك غاصـب * وما حكموا في غاصـب بسوى الرد) (خذيها وكفي عن أثيم ظلامه * وإن أنت لم ترضـي فألفا على العد

) (فقالت قصــاص يشــهد العقل أنه * على كبد الجاني ألذ من الشهد) (فباتت يميني وهي هميان خصرها * وباتت يساري وهي واسطة العقد)
221 (فقالت ألم أخبر بأنك زاهد * فقلت بلى وما زلت أزهد في الزهد) ومن شــعره أيضــا (بغداد دار لأهل المال طيبة * وللمفاليس دار الضــنك والضــيق) (ظللت حيران أمشــي في أزقتها * كأنني مصــحف في بيت زنديق) وله (أهيم بذكر الشرق والغرب دائما * وما لي لا شــرق البلاد ولا غرب) (ولكن أوطانا نأت وأحبة * فعدت متى أذكر عهودهم أصــب) (ولم أنس من ودعت بالشــط ســحرة * وقد غرد الحادون واشــتغل الركب) (أليفان هذا ســائر نحو غربة * وهذا مقيم ســار من صــدره القرب) وله أيضــا (قطعت الأرض في شــهري ربيع * إلى مصـــر وعدت إلى العراق) (فقال لي الحبيب وقد رآني * مشــوقا للمضــمرة العتاق) (ركبت على البراق فقلت كلا * ولكني ركبت على اشــتياقي) وكـان على خـاطري أبيـات لا أعرف لمن هي ثم وجـدتهـا في عـدة مواضـع للقاضـي عبد الوهاب المذكور وهي (متى يصـل العطاش إلى ارتواء * إذا اســتقت البحار من الركايا) (ومن يثني الأصــاغر عن مراد * وقد جلس الأكابر في الزوايا) (وإن ترفع الوضــعاء يوما * على الرفعاء من إحدى الرزايا) (إذا اســتوت الأســافل والأعالي * فقد طابت منادمة المنايا)

222 وذكر صاحب الذخيرة أنه ولي القضاء بمدينة اسعرد وقال غيره كان قاضيا في بادرايا وباكسايا وهما بليدتان من أعمال العراق وسئل عن مولده فقال يوم الخميس السابع من شوال سنة اثنتين وستين وثلثمائة ببغداد وتوفي ليلة الإثنين الرابعة عشرة من صفر سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة بمصر وقيل إنه توفي في شعبان من السنة المذكورة رحمه الله تعالى ودفن في القرافة الصغرى وزرت قبره فيما بين قبة الإمام الشافعي رضي الله عنه وباب القرافة بالقرب من ابن القاسم وأشهب رحمهما الله تعالى وكان أبوه من أعيان الشهود المعدلين ببغداد 104 وكان أخوه أبو الحسن محمد بن علي بن نصر أديبا فاضلا صنف كتاب المفاوضة للملك العزيز جلال الدولة أبي منصور ابن أبي طاهر بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه جمع فيه ما شاهده وهو من الكتب الممتعة في ثلاثين كراسة وله رسائل ومولده ببغداد في إحدى الجماديين سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة وتوفي يوم الأحد لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين وأربعمائة بواسط وكان قد صعد إليها من البصرة فمات بها 105 وتوفي أبوهما أبو الحسن علي يوم السبت ثاني شهر رمضان المعظم سنة إحدى وتسعين وثلثمائة رحمهم الله تعالى

223 401 الحافظ عبد الغني أبو محمد عبد الغني بن سعيد بن علي بن سعيد بن بشر بن مروان بن عبد العزيز الأزدي الحافظ المصري كان حافظ مصر في

عصـــره وله تواليف نافعة منها مشـــتبه النســـبة وكتاب المؤتلف والمختلف وغير ذلك وانتفع به خلق كثير وكانت بينه وبين أبي أســـامة جنادة اللغوي وأبي علي المقرىء الأنطاكي مودة أكيدة واجتماع في دار الكتب ومذكرات فلما قتلهما الحاكم صاحب مصر استتر بسبب ذلك الحافظ عبد الغني خوفا أن يلحق بهما لاتهامه بمعاشـــرتهما وأقام مســـتخفيا مدة حتى حصـــل له الأمن فظهر وقد تقدم في ترجمة أبي أســـامة خبر ذلك وكانت ولادة الحافظ عبد الغني لليلتين بقيتا من ذي القعدة ســـنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وتوفي ليلة الثلاثاء ودفن يوم الثلاثاء سابع صفر سنة تسع وأربعمائة بمصر ودفن بحضرة مصلى العيد رحمه الله تعالى وذكر أبو القاسم يحيى بن علي الحضرمي المعروف بابن الطحان في تاريخه الذي جعله ذيلا لتاريخ ابن يونس المصري أن عبد الغني بن سعيد المذكور مولده في سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة والله أعلم

214 106 وتوفي والده ســـعيد المذكور ســـنة ثمان وثلاثين وثلثمائة وعمره ثلاث وأربعون ســـنة رحمه الله تعالى وقال ولده الحافظ عبد الغني لم أسمع من والدي شيئا وقال أبو الحســـن علي بن بقا كاتب الحافظ عبد الغني بن ســـعيد ســـمعت الحافظ عبد الغني بن ســـعيد يقول رجلان جليلان لزمهما لقبان قبيحان معاوية ابن عبد الكريم الضال وإنما ضـــل في طريق مكة وعبد الله بن محمد الضـــعيف وإنما كان ضعيفا في جسمه لا في حديثه وقال أبو عبد الله

محمد بن علي الحافظ الصـــوري قيل للدارقطني هل رأيت في الحديث أحدا يرجى علمه فقال نعم شـــابا بمصـــر كأنه شـــعلة نار يقال له عبد الغني فلما خرج الدارقطني من مصـــر جاءه المودعون وتحزنوا على مفارقته وبكوا فقال لقد تركت عندكم خلفا يعني عبد الغني وقال أيضـــا أعني الصوري لما صنف عبد الغني المؤتلف والمختلف عرضه على الدارقطني فقال له اقرأه فقال كيف أقرأه لك ومعظمه أخذته عنك فقال نعم أخذته عني متفرقا والآن قد جمعته

225 402 الحافظ عبد الغافر الفارســي أبو الحســن عبد الغافر بن إســـماعيل بن عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر ابن أحمد بن محمد بن ســعيد الفارســي الحافظ كان إمــامــا في الـحـديـث والعربيــة وقرأ القرآن الكريم ولقن الاعتقاد بالفارســية وهو ابن خمس ســنين وتفقه على إمام الحرمين أبي المعالي الجويني صـــاحب نهاية المطلب في المذهب والخلاف ولازمه مدة أربع سنين وهو سبط الإمام أبي القاســم عبد الكريم القشــيري المقدم ذكره وســمع عليه الحديث الكثير وعلى جدته فاطمة بنت أبي علي الدقاق وخاليه أبي ســعد وأبي ســعيد ولدي أبي القاســم القشــيري ووالده أبي عبد الله إســـماعيل بن عبد الغافر ووالدته أمة الرحيم ابنة أبي القاسـم القشـيري وجماعة كبيرة سـواهم ثم خرج من نيسابور إلى خوارزم ولقي بها الأفاضل وعقد له المجلس ثم خرج إلى غزنة ومنها إلى الهند وروىالأحاديث وقرىء عليه لطائف الإشــارات بتلك النواحي ثم رجع إلى

نيســابور وولي الخطابة بها وأملى بها في مســجد عقيل أعصار يوم الإثنين سنين ثم صنف كتبا عديدة منها المفهم لشرح غريب صحيح مسلم والسياق لتاريخ نيسابور وفرغ منه في أواخر ذي القعدة ســنة ثماني عشــرة وخمســمائة وكتاب مجمع الغرائب في غريب الحديث وغير ذلك من الكتب المفيدة وكانت ولادته في شــهر ربيع الآخر ســنة إحدى وخمسين وأربعمائة وتوفي في سنة تسع وعشرين وخمسمائة بنيسابور رحمه الله تعالى

226 403 أبو الوقت أبو الوقت عبد الأول بن أبي عبد الله عيسى بن شعيب بن إبراهيم بن إسحاق السجزي كان مكثرا من الحديث عالي الاســناد طالت مدته وألحق الأصاغر بالأكابر سمعت صحيح البخاري بمدينة إربل في بعض شهور سنة إحدى وعشرين وستمائة على الشيخ الصــالح أبي جعفر محمد بن هبة الله بن المكرم بن عبد الله الصــوفي البغدادي بحق ســماعه في المدرســة النظامية ببغداد من الشيخ أبي الوقت المذكور في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة بحق سماعه من أبي الحسن عبد الرحمن بن محمد بن مظفر الداودي في ذي القعدة سنة خمس وستين وأربعمائة بحق سماعه من أبي محمد عبد الله بن أحمد بن حموية السرخسي في صفر سنة إحدى وثمانين وثلثمائة بحق ســماعه من أبي عبد الله محمد بن يوسف ابن مطر الفربري سنة ست عشرة وثلثمائة بحق ســماعه من مؤلفه الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل

البخاري مرتين إحداهما سنة ثمان وأربعين ومائتين والثانية سنة اثنتين وخمسين ومائتين رحمهم الله أجمعين وكان الشيخ أبو الوقت صالحا يغلب عليه الخير وانتقل أبوه إلى مدينة هراة وسكنها فولد له بها أبو الوقت في ذي القعدة سنة ثمان وخمسين

227 وأربعمائة وتوفي في ليلة الأحد سادس ذي القعدة سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة رحمه الله تعالى وكان قد وصل إلى بغداد يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من شوال سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة ونزل في رباط فيروز وبه مات وصلي عليه فيه ثم صلوا عليه الصلاة العامة بالجامع وكان الإمام في الصلاة الشيخ عبد القادر الجيلي وكان الجمع متوفرا ودفن بالشونيزية في الدكة المدفون بها رويم الزاهد وكان سماعه الحديث بعد الستين والأربعمائة وهو آخر من روى في الدنيا عن الداودي رحمه الله تعالى وتوفي والده سنة بضع عشرة وخمسمائة رحمه الله تعالى وقد تقدم الكلام على السجزي وهي من شواذ النسب 107 وكانت ولادة شيخنا أبي جعفر محمد بن هبة الله بن المكرم الصوفي المذكور في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة وقيل سنة ست وقيل سنة سبع وثلاثين وتوفي ليلة الخميس من المحرم سنة إحدى وعشرين وستمائة ببغداد ودفن من الغد بالشونيزيه رحمهم الله أجمعين 404 ابن كليب الحراني أبو الفرج عبد المنعم بن أبي الفتح عبد الو هاب

بن سعد بن صدقة بن الخضر ابن كليب الملقب شمس الدين الحراني الأصل البغدادي المولد والدار الحنبلي المذهب كان تاجرا وله في الحديث السماعات العالية وانتهت الرحلة إليه من أقطار الأرض وألحق الصغار بالكبار لا يشاركه في شيوخه ومسموعاته أحد

228 وكانت ولادته في صفر سنة خمس وخمسمائة وتوفي ليلة الإثنين السابع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ست وتسعين وخمسمائة ببغداد ودفن من الغد بمقبرة الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه بباب حرب عند أبيه وأهله وكان صحيح الذهن والحواس إلى أن مات وتسرى مائة وثمانيا وأربعين جارية رحمه الله تعالى 405 عبد الحميد الكاتب عبد الحميد بن يحيى بن سعد مولى بني عامر بن لؤي بن غالب الكاتب البليغ المشهور وبه يضرب المثل في البلاغة حتى قيل فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد وكان في الكتابة وفي كل فن من العلم والأدب إماما وهو من أهل الشام وكان أولا معلم صبية يتنقل في البلدان وعنه أخذ المترسلون ولطريقته لزموا ولآثاره اقتفوا وهو الذي سهل سبيل البلاغة في الترسل ومجموع رسائله مقدار ألف ورقة وهو أول من أطال الرسائل واستعمل التحميدات في فصول الكتب فاستعمل الناس ذلك بعده وكان كاتب مروان ابن محمد بن مروان بن الحكم الأموي آخر ملوك بني أمية المعروف بالجعدي فقال له يوما وقد أهدى له بعض العمال عبدا أسود فاستقله

اكتب إلى هذا العامل كتابا مختصـــرا وذمه على ما فعل فكتب إليه لو وجدت لونا شـــرا من الســـواد وعددا أقل من الواحد لأهديته والســـلام ومن كلامه أيضـــا القلم شـــجرة ثمرتها الألفاظ والفكر بحر لؤلؤه الحكمة

229 وقال إبراهيم بن العباس الصولي وقد ذكر عبد الحميد المذكور عنده كان والله الكلام معانا له ما تمنيت كلام أحد من الكتـاب قط أن يكون لي مثل كلامـه وفي رســـالة له والناس أخياف مختلفون وأطوار متباينون منهم علق مضـــنة لا يباع وغل مظنة لا يبتاع وكتب على يد شـــخص كتابا بالوصـــاة عليه إلى بعض الرؤســـاء فقال حق موصـل كتابي إليك عليك كحقه علي إذ رآك موضـعا لأمله ورآني أهلا لحاجته وقد أنجزت حاجته فصـــدق أمله ومن كلامـه خير الكلام ما كـان لفظـه فحلا ومعنـاه بكرا وكـان كثيرا ما ينشـــد (إذا جرح الكتاب كانت دويهم * قســـيا وأقلام الدوي لها نبلا) وله رســـائل بليغة وكان حاضـــرا مع مروان في جميع وقائعه عند آخر أمره وقد ســـبق في أخبار أبي مســـلم الخراســـاني طرف من ذلك ويحكى أن مروان قال له حين أيقن بزوال ملكه قد احتجت أن تصـــير مع عدوي وتظهر الغدر بي فإن إعجابهم بأدبك وحاجتهم إلى كتابتك يحوجهم إلى حســـن الظن بك فإن اســـتطعت أن تنفعني في حياتي وإلا لم تعجز عن حفظ حرمي بعد وفاتي فقال له عبد الحميد إن الذي أشـــرت به علي أنفع الأمرين لك وأقبحهما بي وما عندي إلا الصـــبر حتى يفتح الله تعالى

أو أقتل معك وأنشد (أسر وفاء ثم أظهر غدرة * فمن لي بعذر يوسع الناس ظاهر) ذكر ذلك أبو الحسن المسعودي في كتاب مروج الذهب ثم إن عبد الحميد قتل مع مروان وكان قتل مروان يوم الإثنين ثالث عشر ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة بقرية يقال لها بوصير من أعمال الفيوم بالديار المصرية رحمهما الله تعالى

230 ورأيت بخطي في مسوداتي أنه لما قتل مروان بن محمد الأموي استخفى عبد الحميد بالجزيرة فغمز عليه فأخذ ودفعه أبو العباس وأظنه السفاح إلى عبد الجبار بن عبد الرحمن صاحب شرطته فكان يحمي له طستا بالنار ويضعه على رأسه حتى مات وكان من أهل الأنبار وسكن الرقة وشيخه في الكتابة سالم مولى هشام بن عبد الملك وروى محمد بن العباس اليزيدي بإسناد ذكره قال أتي أبو جعفر المنصور أخو السفاح وهو ثاني خلفاء بني العباس بعد قتل مروان بن محمد الجعدي بعبد الحميد الكاتب والبعلبكي المؤذن وسلام الحادي فهم المنصور بقتلهم جميعا لكونهم من أصحاب مروان فقال سلام استبقني يا أمير المؤمنين فإني أحسن الناس حداء فقال وما بلغ من حدائك فقال تعمد إلى إبل فتظمئها ثلاثا ثم توردها الماء فإذا وردت رفعت صوتي بالحداء فترفع رؤوسها وتدع الشرب ثم لا تشرب حتى أسكت قال فأمر المنصور بإبل فأظمئت ثلاثة أيام ثم أوردت الماء فلما بدأت بالشرب رفع سلام صوته بالحداء فامتنعت من الشرب ثم لم تشرب حتى

سكت فاستبقى سلاما وأجازه وأجرى عليه رزقه وقال له البعلبكي المؤذن استبقني يا أمير المؤمنين قال وما عندك قال أنا مؤذن قال وما بلغ من أذانك قال تأمر جارية تقدم إليك طستا وتأخذ بيدها إبريقا وتصب عليك وأبتدىء الأذان فتدهش ويذهب عقلها إذا سمعت أذاني حتى تلقي الإبريق من يدها وهي لا تعلم فأمر جارية فأعدت إبريقا فيه ماء وقدمت إليه طستا وجعلت تصب عليه ورفع البعلبكي صوته بالأذان فبقيت الجارية شاخصة وألقت الإبريق من يدها فاستبقاه وأجازه وأجرى عليه الرزق وصير أمر الجامع إليه وقال له عبد الحميد الكاتب استبقني يا أمير المؤمنين قال وما عندك قال أنا أبلغ أهل زماني في الكتابة فقال له المنصور أنت الذي فعلت بنا الأفاعيل وعملت بنا الدواهي فأمر به فقطعت يداه ورجلاه ثم ضربت عنقه والله

231 أعلم أي ذلك كان وكان ولده إسماعيل كاتبا ماهرا نبيلا معدودا في جملة الكتاب المشاهير وكان يعقوب بن داود وزير المهدي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى كاتبا بين يدي عبد الحميد المذكور وممن تخرج عليه وتعلم منه وساير عبد الحميد يوما مروان بن محمد على دابة قد طالت مدتها في ملكه فقال له مروان قد طالت صحبة هذه الدابة لك فقال يا أمير المؤمنين إن من بركة الدابة طول صحبتها وقلة علفها فقال له فكيف سيرها فقال همها أمامها وسوطها عنانها وما ضربت قط إلا ظلما وقال أبو عبد الله

محمد بن عبدوس الجهشـــياري في كتب أخبار الوزراء وجدت بخط أبي علي أحمد بن إسماعيل حدثني العباس بن جعفر الأصـــبهاني قال طلب عبد الحميد بن يحيى الكاتب وكان صـــديقا لابن المقفع ففاجأهما الطلب وهما في بيت فقال الذين دخلوا عليهما أيكما عبد الحميد فقال كل واحد منهما أنا خوفا من أن ينال صـــاحبه مكروه وخاف عبد الحميد أن يســرعوا إلى ابن المقفع فقال ترفقوا بنا فإن كلا منا له علامات فوكلوا بنا بعضـكم ويمضــي البعض الآخر ويذكر تلك العلامات لمن وجهكم ففعلوا وأخذ عبد الحميد وبوصـير بضـم الباء الموحدة وسكون الواو وكسـر الصـاد المهملة وســكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء ويقال إن مروان لما وصـل إليها منهزما والعسـاكر في طلبه قال ما اسـم هذه القرية فقيل له بوصـير فقال إلى الله المصـير فقتل بها وهي واقعة مشـهورة وقال إبراهيم بن جبلة رآني عبد الحميد الكاتب أخط خطا رديئا فقال لي

232 أتحب أن تجود خطك فقلت نعم فقال أطل جلفة قلمك وأســمنها وحرف قطتك وأيمنها ففعلت فجاد خطي

406 عبد المحسـن الصـوري أبو محمد عبد المحسـن بن محمد بن أحمد بن غالب بن غلبون الصـــوري الشـــاعر المشـهور أحد المحسنين الفضـلاء المجيدين الأدباء شـعره بديع الألفاظ حســن المعاني رائق الكلام مليح النظام من محاسـن أهل الشـام له ديوان شـعر أحسـن فيه كل الإحسـان فمن محاسـنه قوله (أترى بثأر أم بدين * علقت محاسـنها

بعيني) (في لحظها وقوامها * ما في المهند والرديني)
(وبوجهها ماء الشـــباب * خليط نار الوجنتين) (بكرت
علي وقالت اختر * خصلة من خصلتين) (إما الصدود
أو الفراق * فليس عندي غير ذين) (فأجبتها ومدامعي *
تنهل مثل المأزمين) (لا تفعلي إن حان صــــدك * أو
فراقك حان حيني) (فكأنما قلت انهضــــي * فمضـــت
مسارعة لبيني)
233 (ثم استقلت أين حلت * عيسها رميت بأين)
(ونوائب أظهرن أيامي * إلي بصــــورتين) (ســــودنها
وأطلنها * فرأيت يوما ليلتين) ومنها (هل بعد ذلك من
يعرفني * النضــــار من اللجين) (فلقد جهلتهما لبعد *
العهد بينهما وبيني) (متكسبا بالشعر يا * بئس الصناعة
في اليدين) (كانت كذلك قبل أن * يأتي علي بن الحسين
) (فاليوم حال الشــعر ثالثة * لحال الشــعريين) (أغنى
وأعفى مدحه العافين * عن كذب ومين) وهذه القصـــيدة
عملها عبد المحســن في علي بن الحســين والد الوزير أبي
القاســم ابن المغربي وهي قصــيدة طويلة جيدة ولها حكاية
ظريفة وهي أنه كان بمدينة عســـقلان رئيس يقال له ذو
المنقبتين فجاءه بعض الشـــعراء وامتدحه بهذه القصـــيدة
وجاء في مديحها (ولك المناقب كلها * فلم اقتصرت على
اثنتين) فأصـــغى الرئيس إلىإنشـــاده واســـتحسـنها وأجزل
جائزته فلما خرج من عنده قال له بعض الحاضـــرين هذه
القصــيدة لعبد المحســن فقال أعلم هذا وأحفظ القصــيدة ثم

أنشـــدها فقال له ذلك الرجل فكيف حتى عملت معه هذا العمل من الإقبال عليه والجائزة الســـنية فقال لم أفعل ذلك إلا لأجل البيت الذي ضمنها وهو قوله (ولك المناقب كلها * فإن هذا البيت ليس لعبد المحســـن وأنا ذو المنقبتين) فأعلم قطعا أن هذا البيت ما عمل إلا في وهو في نهاية الحسن

234 ومن شعره أيضا وذكر الثعالبي في كتابه الذي جعله ذيلا على يتيمة الدهر هذه الأبيات لأبي الفرج ابن أبي حصـــين علي بن عبد الملك الرقي أصـــلا وكان أبوه قاضـــي حلب والله أعلم ولكنها في ديوان عبد المحســـن والثعالبي قد نسب أشياء إلى غير أربابها وغلط فيها ولعل هذا من جملة الغلط أيضـــا وذكر في ديوانه أنه عملها في أخيه عبد الصـــمد وهي (وأخ مســـه نزولي بقرح * مثلما مسني من الجوع قرح) (بت ضيفا له كما حكم الدهر * وفي حكمـه على الحر قبح) (فـابتـداني يقول وهو من السكرة * بالهم طافح ليس يصـحو) (لم تغربت قلت قال رسـول الله * والقول منه نصـح ونجح) (سـافروا تغنموا فقال وقد قال * تمام الحديث صـوموا تصـحوا) وذكر له صـــاحب اليتيمة هذين البيتين (عندي حدائق شـكر غرس جودكم * قد مسها عطش فليسق من غرسا) (تداركوها وفي أغصانها رمق * فلن يعود اخضرار العود إن يبسا) واجتاز يوما بقبر صـديق له فأنشـد (عجبا لي وقد مررت على قبرك * كيف اهتديت قصد الطريق) (أتراني نسيت

عهدك يوما * صـــدقوا ما لميت من صـــديق) ولما ماتت أمه ودفنها وجد عليها وجدا كثيرا فأنشـــد (رهينة أحجار ببيداء دكدك * تولت فحلت عروة المتمســك) (وقد كنت أبكي إن تشـكت وإنما * أنا اليوم أبكي أنها ليس تشـتكي) وهذا المعنى مأخوذ من قول المتنبي (وشكيتي فقد السقام لأنه * قد كان لما كان لي أعضاء) وقد استعمل أبو محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن سنان الخفاجي الحلبي
235 هذا المعنى في بيت من جملة قصــيدة طويلة فقال (بكى الناس أطلال الديار وليتني * وجدت ديارا للدموع الســواكب) ومحاســنه كثيرة والاقتصـــار أولى وتوفي يوم الأحد تاسع شوال سنة تسع عشرة وأربعمائة وعمره ثمانون سـنة أو أكثر رحمه الله تعالى وغلبون بفتح الغين المعجمة وســكون اللام وضـــم الباء الموحدة وبعد الواو نون والصوري قد تقدم الكلام عليه 407 الحافظ عبد المجيد العبيدي أبو الميمون عبد المجيد الملقب الحافظ ابن أبي القاسـم محمد بن المستنصـر بن الظاهر بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصـــور بن القائم بن المهدي عبيد الله وقد تقدم ذكر المهدي وجماعة من حفدته بويع الحافظ بالقاهرة يوم مقتل ابن عمه الآمر بولاية العهد وتدبير المملكة حتى يظهر الحمل المخلف عن الآمر حسـبما يأتي شـرحه في آخر هذه الترجمة إن شـاء الله تعالى فغلب عليه أبو علي أحمد بن الأفضـل شـاهان شـاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالي وقد تقدم ذكر أبيه في حرف الشين في صبيحة

يوم مبايعته وكان الآمر لما قتل الأفضل اعتقل جميع أولاده وفيهم أبو علي المذكور فأخرجه الجند من الاعتقال لما قتل الآمر

236 وبايعوه فسار إلى القصر وقبض على الحافظ المذكور واستقل بالأمر وقام به أحسن قيام ورد على المصادرين أموالهم وأظهر مذهب الإمامية وتمسك بالأئمة الاثني عشر ورفض الحافظ وأهل بيته ودعا على المنابر للقائم في آخر الزمان المعروف بالإمام المنتظر على زعمهم وكتب اسمه على السكة ونهى أن يؤذن حي على خير العمل وأقام كذلك إلى أن وثب عليه رجل من الخاصة بالبستان الكبير بظاهر القاهرة في النصف من المحرم سنة ست وعشرين وخمسمائة فقتله وكان ذلك بتدبير الحافظ فبادر الأجناد بإخراج الحافظ وبايعوه ولقبوه الحافظ ودعي له على المنابر وكان مولده بعسقلان في المحرم من سنة سبع وستين وأربعمائة وقيل سنة ست وستين وكان قد بويع بالعهد يوم قتل الآمر وسيأتي تاريخه في ترجمته في حرف الميم إن شاء الله تعالى ثم بويع بالاستقلال يوم قتل أحمد بن الأفضل في التاريخ المذكور وتوفي آخر ليلة الأحد لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة أربع وقيل ثلاث وأربعين وخمسمائة رحمه الله تعالى وقيل إنه ولد في الثالث عشر وقيل الخامس عشر من شهر رمضان سنة ثمان وستن وأربعمائة وكان سبب ولادته بعسقلان أن أباه خرج إليها من مصر في أيام الشدة والغلاء المفرط الذي

حصل بمصر في زمان جده المستنصر حسبما هو مشروح في ترجمته في حرف الميم فأقام بها ينتظر أيام الرخاء وزوال الشـــدة فولد له الحافظ المذكور هناك هكذا قاله شيخنا عز الدين بن الأثير في تاريخه الكبير والله أعلم ولم يتول الأمر من ليس أبوه صـــاحب الأمر من بيتهم ســـواه وســـوى العاضـــد عبد الله وقد تقدم ذكره في العبادلة وكان ســـبب توليته أن الآمر لم يخلف ولدا وخلف امرأة حاملا فماج أهل مصر وقالوا هذا البيت لا يموت إمام

237 منهم حتى يخلف ولـدا ذكرا وينص عليـه بالإمامة وكان الآمر قد نص على الحمل فوضـــعت له المرأة بنتا فكان ما شـــرحناه من حديث الحافظ المذكور وأحمد بن الأفضل أمير الجيوش ولهذا السبب بويع الحافظ بولايـة العهـد ولم يبـايع بـالإمـامـة مســـتقلا لأنهم كـانوا ينتظرون مـا يكون من الحمـل وهـذا الحـافظ كـان كثير المرض بعلة القولنج فعمل له شيرماه الديلمي وقيل موسى النصـــراني طبل القولنج الذي كان في خزائنهم لما ملك الســلطان صـــلاح الدين رحمه الله تعالى الديار المصـــرية وكسره السلطان المذكور وقصته مشهورة وأخبرني حفيد شـــيرماه المذكور أن جده ركب هذا الطبل من المعادن الســبعة والكواكب الســبعة في إشــرافها كل واحد منها في وقته وكان من خاصـته أن الإنسـان إذا ضـربه خرج الريح من مخرجه ولهذه الخاصية كان ينفع من القولنج 408 عبد المؤمن صـــاحب المغرب أبو محمد عبد المؤمن بن علي

القيسي الكومي الذي قام بأمره محمد بن تومرت المعروف
بالمهدي كان والده وسطا في قومه وكان صانعا في عمل
الطين يعمل منه الآنية فيبيعها وكان عاقلا من الرجال
وقورا ويحكى أن عبد المؤمن في صباه كان نائما تجاه أبيه
وأبوه مشتغل بعمله في الطين فسمع أبوه دويا
238 من السماء فرفع رأسه فرأى سحابة سوداء من
النحل قد هوت مطبقة على الدار فنزلت كلها مجتمعة على
عبد المؤمن وهو نائم فغطته ولم يظهر من تحتها ولا
استيقظ لها فرأته أمه على تلك الحال فصاحت خوفا على
ولدها فسكتها أبوه فقالت أخاف عليه فقال لا بأس عليه بل
إني متعجب مما يدل عليه ذلك ثم إنه غسل يديه من الطين
ولبس ثيابه ووقف ينتظر ما يكون من امر النحل فطار
عنه بأجمعه فاستيقظ الصبي وما به من ألم فتفقدت أمه
جسده فلم تر به أثرا ولم يشك إليها ألما وكان بالقرب منهم
رجل معروف بالزجر فمضى أبوه إليه فأخبره ما رآه من
النحل مع ولده فقال الزاجر يوشك أن يكون له شأن يجتمع
على طاعته أهل المغرب فكان من أمره ما اشتهر ورأيت
في بعض تواريخ المغرب أن ابن تومرت كان قد ظفر
بكتاب يقال له الجفر وفيه ما يكون على يده وقصة عبد
المؤمن وحليته واسمه وأن ابن تومرت أقام مدة يتطلبه
حتى وجده وصحبه وهو إذ ذاك غلام وكان يكرمه ويقدمه
على أصحابه وأفضى إليه بسره وانتهى به إلى مراكش
وصاحبها يومئذ أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين ملك

الملثمين وجرى له معه فصـــول يطول شــرحها وأخرجه منها فتوجه إلى الجبال وحشد واستمال المصامدة وبالجملة فإنه لم يملك شـيئا من البلاد بل عبد المؤمن ملك بعد وفاته بـالجيوش التي جهزهـا ابن تومرت والترتيب الـذي رتبـه وكان أبدا يتفرس فيه النجابة وينشـد إذا أبصـره (تكاملت فيك أوصاف خصصت بها * فكلنا بك مسرور ومغتبط) (السـن ضـاحكة والكف مانحة * والنفس واسـعة والوجه منبســـط) وهذان البيتـان وجدتهما منســـوبين إلى أبي الشيص الخزاعي الشاعر المشهور

239 وكان يقول لأصحابه صاحبكم هذا غلاب الدول ولم يصـح عنه أنه اسـتخلفه بل راعى أصـحابه في تقديمه إشـارته فتم له الأمر وكمل وأول ما أخذ من البلاد وهران ثم تلمســان ثم فاس ثم ســلا ثم ســبتة وانتقل بعد ذلك إلى مراكش وحاصـرها أحد عشـر شـهرا ثم ملكها وكان أخذه لها في أوائل سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة واستوسق له الأمر وامتـد ملكـه إلى المغرب الأقصـــى والأدنى وبلاد إفريقيـة وكثير من بلاد الأنـدلس وتســـمى أمير المؤمنين وقصـدته الشـعراء وامتدحته بأحسـن المدائح وذكر العماد الأصبهاني في كتاب الخريدة أن الفقيه أبا عبد الله محمد بن أبي العباس التيفاشي لما أنشده (ما هز عطفيه بين البيض والأسـل * مثل الخليفة عبد المؤمن بن علي) أشـار عليه بأن يقتصـــر على هذا البيت وأمر له بألف دينار ولما تمهدت لـه القواعد وانتهت أيـامـه خرج من مراكش إلى

مدينة سلا فأصابه بها مرض شديد وتوفي منه في العشر الأخير من جمادى الآخرة السابع والعشرين منه سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وقيل إنه حمل إلى تين مل المذكورة في ترجمة المهدي محمد بن تومرت ودفن هناك والله أعلم وكانت مدة ولايته ثلاثا وثلاثين سنة وأشهرا وكان عند موته شيخا نقي البياض ونقلت من تاريخ فيه سيرته وحليته فقال مؤلفه رأيته شيخا معتدل القامة عظيم الهامة أشهل العينين كث اللحية شثن الكفين طويل القعدة واضح بياض الأسنان بخده الأيمن خال رحمه الله تعالى وقيل إن ولادته كانت سنة خمسمائة وقيل سنة تسعين وأربعمائة والله أعلم وعهد إلى ولده أبي عبد الله محمد فاضطرب أمره وأجمعوا على خلعه في شعبان من سنة ولايته وبويع أخوه يوسف على ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى

240 والكومي بضم الكاف وسكون الواو وبعدها ميم هذه النسبة إلى كومية وهي قبيلة صغيرة نازلة بساحل البحر من أعمال تلمسان ومولده في قرية هناك يقال لها تاجرة وأما كتاب الجفر فقد ذكره ابن قتيبة في أوائل كتاب اختلاف الحديث فقال بعد كلام طويل وأعجب من هذا التفسير تفسير الروافض للقرآن الكريم وما يدعونه من علم باطنه بما وقع إليهم من الجفر الذي ذكره سعد بن هارون العجلي وكان رأس الزيدية فقال (ألم تر أن الرافضين تفرقوا * فكلهم في جفر قال منكرا) (فطائفة قالوا إمام ومنهم * طوائف سمته النبي المطهرا) (ومن عجب لم

أقضـــــه جلد جفرهم * برئت إلى الرحمن ممن تجفرا)
والأبيات أكثر من هذا فاقتصـــــرت منها على هذا لأنه
المقصـــود بذكر الجفر ثم قال ابن قتيبة بعد الفراغ من
الأبيات وهو جلد جفر ادعوا أنه كتب لهم فيه الإمام كل ما
يحتاجون إليه وكل ما يكون إلى يوم القيامة قلت وقولهم
الإمام يريدون به جعفرا الصـادق رضـي الله عنه وقد تقدم
ذكره وإلى هذا الجفر أشــار أبو العلاء المعري بقوله من
جملة أبيات (لقد عجبوا لأهل البيت لما * أتاهم علمهم في
مســك جفر) (ومرآة المنجم وهي صـــغرى * أرته كل
عامرة وقفر) وقوله في مســـك جفر المســـك بفتح الميم
وسكون السين المهملة الجلد والجفر بفتح الجيم وسكون
الفاء وبعدها راء من أولاد المعز ما بلغ أربعة
241 أشـــهر وجفر جنباه وفصـــل عن أمه والأنثى
جفرة وكانت عادتهم ذلك الزمان أنهم يكتبون في الجلود
والعظام والخزف وما شاكل ذلك 409 أبو القاسم الأنماطي
أبو القاسـم عثمان بن سـعيد بن بشــار الأحول الأنماطي
الفقيه الشافعي كان من كبار الفقهاء الشافعية أخذ الفقه عن
المزني والربيع بن سليمان المرادي وأخذ عنه أبو العباس
ابن سريج وغيره وكان هو السبب في نشاط الناس ببغداد
في كتب الشــافعي وتحفظها وقال عن المزني أنا أنظر في
كتاب الرسالة عن الشافعي رضي الله عنه منذ خمسين سنة
ما أعلم أني نظرت فيه مرة إلا وأنا أستفيد منه شيئا كثيرا
لم أكن عرفته وتوفي في شوال سنة ثمان وثمانين ومائتين

ببغداد رحمه الله تعالى وقال أبو حفص عمر بن علي المطوعي في كتاب المذهب في ذكر أئمة المذهب اسم أبي القاسم عبيد الله بن أحمد بن بشار الأنماطي رحمه الله تعالى والأنماطي بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الميم وبعد الألف طاء مهملة هذه النسبة إلى الأنماط وبيعها وهي البسط التي تفرش وغير ذلك من آلة الفرش من الأنطاع والوسائد وأهل مصر يسمون هذه الآلات الأنماط وبائعها الأنماطي والله أعلم

242 410 ضياء الدين شارح المهذب أبو عمرو عثمان بن عيسى بن درباس بن فير بن جهم بن عبدوس الهذباني الماراني الملقب ضياء الدين كان من أعلم الفقهاء في وقته بمذهب الإمام الشافعي وهو أخو القاضي صدر الدين أبي القاسم عبد الملك الحاكم بالديار المصرية كان وناب عنه في الحكم بالقاهرة واشتغل في صباه بإربل على الشيخ أبي العباس الخضر بن عقيل المقدم ذكره في حرف الخاء ثم انتقل إلى دمشق وقرأ على الشيخ أبي سعد عبد الله بن أبي عصرون المقدم ذكره وتمهر في المذهب وأصول الفقه وأتقنهما وشرح المهذب شرحا شافيا لم يسبق إلى مثله في قريب من عشرين مجلدا ولم يكمله بل بقي من كتاب الشهادات إلى آخره وسماه الاستقصاء لمذاهب الفقهاء وشرح اللمع في أصول الفقه للشيخ أبي إسحاق الشيرازي شرحا مستوفى في مجلدين وصنف غير ذلك وقبل أن مات القاضي صدر الدين رحمه الله تعالى وكان

موته في الليلة الخامسة من رجب ليلة الأربعاء سنة خمس وستمائة عزل ضياء الدين المذكور عن النيابة فوقف عليه الأمير جمال الدين خشترين الهكاري مدرسة أنشأها بالقصر بالقاهرة وفوض تدريسها إليه ولم يزل بها إلى أن توفي في ثاني عشر ذي القعدة سنة اثنتين وستمائة بالقاهرة ودفن بالقرافة الصغرى وقد قارب تسعين سنة رحمه الله تعالى ثم توفي صدر الدين في التاريخ المذكور ودفن في تربته بالقرافة الصغرى وكان يتردد في مولده هل هو في أواخر سنة ست عشرة أو أوائل سنة سبع عشرة وخمسمائة وفوض إليه السلطان صلاح الدين القضاء بالديار المصرية بعد

243 أن كان قاضي الغربية من أعمال الديار المصرية في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة ست وقيل سنة خمس وستين وخمسمائة رحمه الله تعالى وفير بكسر الفاء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء وجهم بفتح الجيم وسكون الهاء وبعدها ميم وعبدوس بفتح العين المهملة وسكون الباء الموحدة وضم الدال المهملة وسكون الواو وبعدها سين مهملة والماراني بفتح الميم وبعد الألف راء مفتوحة وبعد الألف الثانية نون هذه النسبة إلى بني ماران بالمروج تحت الموصل 411 تقي الدين ابن الصلاح أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى بن أبي نصر النصري الكردي الشهرزوري المعروف بابن الصلاح الشرخاني الملقب تقي الدين الفقيه

الشافعي كان أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال وما يتعلق بعلم الحديث ونقل اللغة وكانت له مشاركة في فنون عديدة وكانت فتاويه مسددة وهو أحد أشياخي الذي انتفعت بهم قرأ الفقه أولا عل والده الصلاح وكان من جلة مشايخ الأكراد المشار إليهم ثم نقله والده إلى الموصل واشتغل بها مدة وبلغني أنه كرر على جميع كتاب المهذب ولم يطر شاربه ثم إنه تولى الإعادة عند الشيخ العلامة عماد الدين أبي حامد

244 ابن يونس بالموصل أيضا وأقام قليلا ثم سافر إلى خراسان فأقام بها زمانا وحصل علم الحديث هناك ثم رجع إلى الشام وتولى التدريس بالمدرسة الناصرية بالقدس المنسوبة إلى الملك الناصر صلاح الدسن يوسف بن أيوب رحمه الله تعالى وأقام بها مدة واشتغل الناس عليه وانتفعوا به ثم انتقل إلى دمشق وتولى تدريس المردسة الرواحية التي أنشأها الزكي أبو القاسم هبة الله بن عبد الواحد ابن رواحة الحموي وهو الذي أنشأ المدرسة الرواحية بحلب أيضا ولما بنى الملك الأشرف ابن الملك العادل بن أيوب رحمه الله تعالى دار الحديث بدمشق فوض تدريسها إليه واشتغل الناس عليه بالحديث ثم تولى تدريس مدرسة ست الشام زمرد خاتون بنت أيوب وهي شقيقة شمس الدولة توران شاه بن أيوب المقدم ذكره التي هي داخل البلد قبلي البيمارستان النوري وهي التي بنت المدرسة الأخرى ظاهر دمشق وبها قبرها وقبر أخيها

المذكور وزوجها ناصـــر الدين بن أســـد الدين شــــيركوه صـــــاحب حمص فكان يقوم بوظائف الجهات الثلاث من غير إخلال بشـيء منها إلا لعذر ضـروري لا بد منه وكان من العلم والدين على قدم حســــن وقدمت عليه في أوائل شـوال سـنة اثنتين وثلاثين وسـتمائة وأقمت عنده بدمشـق ملازم الاشـتغال مدة سنة وصـنف في علوم الحديث كتابا نافعا وكذلك في مناسك الحج فيه أشياء حسن يحتاج الناس إليها وهو مبســـوط وله إشـــكالات على كتاب الوســـيط في الفقه وجمع بعض أصـــحابه فتاويه في مجلد ولم يزل أمره جاريا على ســـاداد وصـــلاح حال واجتهاد في الاشـــتغال والنفع إلى أن توفي يوم الأربعاء وقت الصبح وصلي عليه بعد الظهر وهو الخامس والعشـــرون ن شـــهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وستمائة بدمشق ودفن بمقابر الصوفية خارج باب النصـــر رحمه الله تعالى ومولده ســـنة ســـبع وسـبعين وخمسـمائة بشـرخان 108 وتوفي والده الصـلاح ليلة الخميس الســـابع والعشـــرين من ذي القعدة ســـنة ثماني عشـــرة وســـتمائة بحلب ودفن خارج باب الأربعين في الموضـــع المعروف بالجبل بتربة الشـــيخ علي بن محمد الفارســـي وكان مولده في ســـنة تســـع وثلاثين وخمســـمائة تقديرا لأنه كان لا يتحققه وتولى بحلب تدريس المدرســــة الأسدية المنسوبة إلى أسد الدين سيركوه بن شـاذي المقدم ذكره وكان قد دخل بغداد واشـتغل بها واشـتغل أيضـا على شرف الدين بن أبي عصرون المقدم ذكره والنصري بفتح

النون وسكون الصاد المهملة وبعدها راء هذه النسبة إلى جده أبي نصر المذكور وشرخان بفتح الشين المثلثة والراء والخاء المعجمة وبعد الألف نون قرية من أعمال إربل قريبة من شهرزور 109 وتوفي الزكي ابن رواحة المذكور يوم الثلاثاء سابع رجب سنة اثنتين وعشرين وستمائة بدمشق ودفن في مقابر الصوفية وذكر الشهاب عبد الرحمن المعروف بأبي شامة في تاريخه لامرتب على لاسنين أنه مات سنة ثلاث وعشرين 110 وتوفيت ست الشام بنت أيوب المذكورة في سنة ست عشرة وستمائة يوم الجمعة سادس عشر ذي القعدة رحمها الله تعالى وروي عن تقي الدين المعروف بابن الصلاح رحمه الله تعالى أنه قال أخبرني الشيخ الصالح علي بن الرواس قدس الله روحه قال ألهمت في النوم هذه الكلمات ادفع المسألة ما وجدت التجمل يمكنك فإن لكل يوم رزقا جديدا والإلحاح في الطلب يذهب البهاء وما أحسن الصنيع إلى الملهوف وربما كانت الغير نوعا من أدب الله تعالى والحظوظ مراتب فلا تعجل على ثمرة قبل ان تدرك فإنك ستنالها في أوانها ولا تعجل في جوائجك فتضيق بها ذرعا ويغشاك القنوط والله اعلم

245 وخمسمائة تقديرا لأنه كان لا يتحققه وتولى بحلب تدريس المدرسة الأسدية المنسوبة إلى أسد الدين شيركوه بن شاذي المقدم ذكره وكان قد دخل بغداد واشتغل بها واشتغل أيضا على شرف الدين بن أبي عصرون

المقدم ذكره والنصري بفتح النون وسكون الصاد المهملة وبعدها راء هذه النســبة إلى جده أبي نصـــر المذكور وشـرخان بفتح الشـين المثلثة والراء والخاء المعجمة وبعد الألف نون قرية من أعمال إربل قريبة من شهرزور 109 وتوفي الزكي ابن رواحة المذكور يوم الثلاثاء سابع رجب ســنة اثنتين وعشــرين وســتمائة بدمشــق ودفن في مقابر الصوفية وذكر الشهاب عبد الرحمن المعروف بأبي شامة في تاريخه المرتب على الســنين أنه مات ســنة ثلاث وعشرين 110 وتوفيت ست الشام بنت أيوب المذكورة في سنة ست عشـرة وسـتمائة يوم الجمعة سـادس عشـر ذي القعدة رحمها الله تعالى وروي عن تقي الدين المعروف بابن الصــلاح رحمه الله تعالى أنه قال أخبرني الشــيخ الصـــالح علي بن الرواس قدس الله روحه قال ألهمت في النوم هذه الكلمات ادفع المســألة ما وجدت التجمل يمكنك فإن لكل يوم رزقا جديدا والإلحاح في الطلب يذهب البهاء وما أحسـن الصـنيع إلى الملهوف وربما كانت الغير نوعا من أدب الله تعالى والحظوظ مراتب فلا تعجل على ثمرة قبل ان تدرك فإنك ستنالها في أوانها ولا تعجل في حوائجك فتضيق بها ذرعا ويغشاك القنوط والله اعلم

246 412 ابن جني أبو الفتح عثمـان بن جني الموصلي النحوي المشهور كان إماما في علم العربية قرأ الأدب على الشيخ أبي علي الفارسي المقدم ذكره في حرف الحاء وفارقه وقعد للإقراء بالموصل فاجتاز بها شيخه أبو

علي فرآه في حلقته والناس حوله يشـــتغلون عليه فقال له زبيت وأنت حصـرم فترك حلقته وتبعه ولازمه حتى تمهر وكان أبوه جني ملوكا روميا لسـليمان بن فهد بن أحمد الأزدي الموصـلي وإلى هذا أشـار بقوله في جملة أبيات (فإن أصـبح بلا نسـب * فعلمي في الورى نسـبي) (على أني أؤول إلى * قروم سادة نجب) (قياصرة إذا نطقوا * أرم الـدهر ذو الخطـب) (أولاك دعـا النبي لهم * كفى شـرفا دعاء نبي) أرم بمعنى سـكت وله أشـعار حسـنة ويقال إنه كان أعور وفي ذلك يقول وقيل إن هذه الأبيات لأبي منصور الديلمي (صدودك عني ولا ذنب لي * يدل على نية فاسـده) (فقد وحياتك مما بكيت * خشـيت على عيني الواحده) (ولولا مخافة أن لا أراك * لما كان في تركها فائده)

247 ورأيت له قصـيدة بائية يرثي بها المتنبي ولولا طولها لأتيت بها 111 وأما أبو منصور الديلمي فالمشهور عنه غير هذه التسـمية وأنه أبو الحسـن علي بن منصـور وكان أبوه من جند سـيف الدولة بن حمدان وكان شـاعرا مجيدا خليعا وكان بفرد عين وله في ذلك أشياء مليحة فمن ذلك قوله (يا ذا الذي ليس له شـاهد * في الحب معروف ولا شـاهده) (شـواهدي عيناي إني بها * بكيت حتى ذهبت واحده) (وأعجب الأشـياء أن التي * قد بقيت في صـحبتي زاهده) وله في غلام جميل الصـورة بفرد عين وقد أبدع فيه (له عين أصـابت كل عين * وعين قد

أصـــابتها العيون) ولابن جني من التصـــانيف المفيدة في النحو كتاب الخصـــائص وســـر الصـــناعة والمنصـــف في شـــرح تصـــريف أبي عثمان المازني والتلقين في النحو والتعـاقب والكـافي في شـــرح القوافي للأخفش والمـذكر والمؤنث والمقصـــور والممدود والتمام في شـــرح شـــعر الهذليين والمنهج في اشـــتقاق اســـماء شـــعراء الحماســـة ومختصـــر في العروض ومختصـــر في القوافي والمســـائل الخاطريات والتذكرة الأصـــبهانية ومختار تذكرة أبي علي الفارســـي وتهذيبها والمقتضـــب في المعتل العين واللمع والتنبيه والمهذب والتبصـــرة وغير ذلك ويقال إن الشـــيخ أبا إســـحاق الشـــيرازي أخذ منه أســـماء كتبه فإن له المهذب والتنبيه في الفقه واللمع والتبصـرة في أصـول الفقه وشـرح ابن جني ديوان المتنبي وسماه الفسر

248 وكان قد قرأ الديوان على صـــاحبه ورأيت في شـرحه قال سـأل شـخص أبا الطيب المتنبي عن قوله (باد هواك صبرت أم لم تصبرا *) فقال كيف أثبت الألف في تصـــبرا مع وجود لم الجازمة وكان من حقه أن يقول لم تصـــبر فقال المتنبي لو كان أبو الفتح هاهنا لأجابك يعنيني وهـذه الألف هي بـدل من نون التـأكيـد الخفيفـة كـان في الأصـل لم تصـبرن ونون التأكيد الخفيفة إذا وقف الإنسـان عليها أبدل منها ألفا قال الأعشـى (ولا تعبد الشـيطان والله فاعبدا *) وكان الأصـــل فاعبدن فلما وقف أتى بـالألف بـدلا وكـانـت ولادة ابن جني قبـل الثلاثين والثلثمـائـة

بالموصـل وتوفي يوم الجمعة لليلتين بقيتا من صـفر سـنة اثنتين وتسـعين وثلثمائة رحمه الله تعالى ببغداد وجني بكسر الجيم وتشديد النون وبعدها ياء 413 أبو عمرو ابن الحاجب أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر ابن يونس الدوني ثم المصـري الفقيه المالكي المعروف بابن الحاجب الملقب جمال الدين كان والده حاجبا للأمير عز الدين موسـك الصـلاحي وكان كرديا واشـتغل ولده أبو عمرو المذكور بالقاهرة في صـغره بالقرآن الكريم ثم بالفقه على مذهب الإمام مالك رضي الله عنه ثم

249 بالعربية والقراءات وبرع في علومه وأتقنها غاية الإتقان ثم انتقل إلى دمشق ودرس بجامعها في زاوية المالكية وأكب الخلق على الاشـتغال عليه والتزم لهم الدروس وتبحر في الفنون وكان الأغلب عليه علم العربية وصـنف مختصـرا في مذهبه ومقدمة وجيزة في النحو وأخرى مثلها في التصـريف وشـرح المقدمتين وله (أي غد مع يد دد ذي حروف * طاوعت في الروي وهي عيون) (ودواة والحوت والنون نونات * عصـتهم وأمرها مسـتبين) وهو جواب عن البيتين المشـهورين وهما (ربما عالج القوافي رجال * في القوافي فتلتوي وتلين) (طاوعتهم عين وعين وعين * وعصـتهم نون ونون ونون) فيعني بقوله عين وعين وعين نحو غد ويد ودد فإن وزن كل منها فع إذ أصـل غد غدو ويد يدي ودد ددن وبقوله نون ونون ونون الدواة والحوت والنون الذي هو

الحرف وله أيضا في أسماء قداح الميسر ثلاثة أبيات وهي
(هي فذ وتوأم ورقيب * ثم حلس ونافس ثم مسبل) (
والمعلى والوغد ثم سفيح * ومنيح وذي الثلاثة تهمل) (
ولكل مما عداها نصيب * مثله أن تعد أول أول)
250 وصنف في أصول الفقه وكل تصانيفه في نهاية الحسن والإفادة وخالف النحاة في مواضع وأورد عليهم إشكالات وإلزامات تبعد الإجابة عنها وكان من أحسن خلق الله ذهنا ثم عاد إلى القاهرة وأقام بها والناس ملازمون للاشتغال عليه وجاءني مرارا بسبب أداء شهادات وسألته عن مواضع في العربية مشكلة فأجاب أبلغ إجابة بسكون كثير وتثبت تام ومن جملة ما سألته عن مسألة اعتراض الشرط على الشرط في قولهم إن أكلت إن شربت فأنت طالق لم تعين تقديم الشرب على الأكل بسبب وقوع الطلاق حتى لو أكلت ثم شربت لا تطلق وسألته عن بيت أبي الطيب المتنبي وهو قوله (لقد تصبرت حتى لات مصطبر * فالآن أقحم حتى لات مقتحم) ما السبب الموجب لخفض مصطبر ومقتحم ولات ليست من ادوات الجر فأطال الكلام فيهما وأحسن الجواب عنهما ولولا التطويل لذكرت ما قاله ثم انتقل إلى الإسكندرية للإقامة بها فلم تطل مدته هناك وتوفي بها ضاحي نهار الخميس السادس والعشرين من شوال سنة ست وأربعين وستمائة ودفن خارج باب البحر بتربة الشيخ الصالح ابن أبي شامة وكان مولده في آخر سنة سبعين وخمسمائة بأسنا رحمه

الله تعالى وأسنا بفتح الهمزة وسكون السين المهملة وفتح النون وبعدها ألف وهي بليدة صغيرة من الأعمال القوصية بالصعيد الأعلى من مصر

251 414 الملك العزيز ابن صلاح الدين الملك العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب كان نائبا عن أبيه في الديار المصرية لما كان أبوه بالشام وتوفي أبوه بدمشق فاستقل بملكتها باتفاق من الأمراء كما هو مشهور فلا حاجة إلى شرحه وكان ملكا مباركا كثير الخير واسع الكرم محسنا إلى الناس معتقدا في أرباب الخير والصلاح وسمع بالإسكندرية الحديث من الحافظ السلفي والفقيه أبي الطاهر ابن عوف الزهري وسمع بمصر من العلامة أبي محمد ابن بري النحوي وغيرهم ويقال إن والده كان يؤثره على بقية أولاده ولما ولد له الملك المنصور ناصر الدين محمد كان والده بالشام والقاضي الفاضل بالقاهرة فكتب إليه يهنئه المملوك يقبل الأرض بين يدي مولانا الملك الناصر دام رشده وإرشاده وزاد سعده وإسعاده وكثرت أولياؤه وعبيده وأعداده واشتد بأعضاده فيهم اعتضاده وانمى الله عدده حتى يقال هذا آدم الملوك وهذه أولاده وينهى أن الله تعالى وله الحمد رزق الملك العزيز عز نصره ولدا مباركا عليا ذكرا سريا برا زكيا تقيا نقيا من ذرية كريمة بعضها من بعض وبيت شريف كادت ملوكه تكون ملائكة في السماء وممالكيه ملوكا في الأرض وكانت ولادة الملك

العزيز بالقاهرة في ثامن جمادى الأولى سنة سبع وستين وخمسمائة وكان قد توجه إلى الفيوم فطرد فرسه وراء صيد فتقطر به فأصابته الحمى من ذلك وحمل إلى القاهرة فتوفي بها في الساعة السابعة من ليلة الأربعاء الحادي والعشرين من المحرم سنة خمس وتسعين وخمسمائة رحمه الله تعالى

252 نقلت من خط القاضي الفاضل فصلا يتعلق بالملك العزيز بن صلاح الدين رحمه الله تعالى ما مثاله لما كان يوم السبت تاسع عشر المحرم سنة خمس وتسعين وخمسمائة اشتد المرض بالملك العزيز وخيف عليه وأدركه في ليلته فواق وأخذ نبضه في الضعف وأصبح الطبيب على إياس منه ثم لما كان وقت الظهر وقعت البشرى أنه أفاق وحضر ذهنه وكلم من حوله وحضر إليه الأمراء والخواص ثم قال بعد ذلك إلى أن كان وقت العتمة من ليلة الأحد فبدت قوته تخور والفواق يشتد وبغته الأمر وعظمت الحمى وصغر النبض وكثر عليه الغشي وكانت وفاته في الساعة السابعة من ليلة الأحد ولما كان في آخر الليل خرج فخر الدين جهاركس وأسد الدين سراسنقر وجماعة من المماليك واستدعوا الأمراء فأحضرت وأعلمت بوفاته وقال المذكورون إنا قد اجتمعت كلمتنا على أن يكون ولد العزيز الأكبر وتقدير عمره عشر سنين واسمه محمد ولقبه ناصر الدين المنتصب في السلطنة والقائم بالأمر وأن يكون أتابكه بهاء الدين قراقوش وقالوا

قد كان السلطان استتاب هذا الولد واستخلف على تربيته قراقوش ونريد أن يجتمع الأمراء ويخرج الخدام يبلغونهم رسالة عن السلطان وأنه حي ومعنى الرسالة أن هذا ولدي سلطانكم من بعدي فاحلفوا له واحفظوني فيه فقلت لهم فإن طالبكم الأمراء بسماع هذه المشافهة من السلطان ما الذي تقولون لهم فرجعوا إلى ان يخاطبوا الأمراء إذا حضروا بأن السلطان وصى بهذه الوصية وأنه قد قضى ويدخلون عليهم من جانب الموافاة لجد هذا الصبي وأبيه فقلت لهم لا تنتظروا اجتماع الأمراء فإنهم إن حضروا جملة فلا تأمنوا أن يمتنعوا جملة بل كل من حضر من الأمراء تقولون له قد اتفقنا فكن معنا وقد حلفنا فاحلف كما حلفنا وقدموا المصحف وأسرعوا في تلقينه فجرى الأمر على هذا فلما تكامل الحلف أو أكثره أحضروا الولد فبكى الناس لما رأوه وصاحوا وقاموا إليه ووقفوا بين يديه جميع ذلك قبل أن يسفر صباح الأحد ثم صليت فريضة الفجر وشرعوا في تجهيز الملك العزيز إلى قبره وغسل في مكان موته واجتمع الناس فيما بين الظهر والعصر للصلاة عليه وكثر الزحام وقامت الواعية فلم يخلص

253 من دفنه إلى قريب المغرب وخوطب ولده بالملك الناصر بلقب جده في هذا اليوم ولما مات كتب القاضي الفاضل إلى عمه الملك العادل رسالة يعزيه من جملتها فنقول في توديع النعمة بالملك العزيز لا حول ولا قوة إلا بالله قول الصابرين ونقول في استقبالها بالملك

العادل الحمد لله رب العالمين قول الشـــاكرين وقد كان من أمر هذه الحادثة ما قطع كل قلب وجلب كل كرب ومثل وقوع هذه الواقعة لكل أحد ولا ســـيما لأمثال المملوك ومواعظ الموت بليغة وأبلغها ما كان في شـــباب الملوك فرحم الله ذلك الوجه ونضره ثم السبيل إلى الجنة يسره (وإذا محاسن أوجه بليت * فعفا الثرى عن وجهه الحسن) والمملوك في حال تسطير هذه الخدمة جامع بين مرضـــي قلب وجســـد ووجع أطراف وغليل كبد فقد فجع المملوك بهذا المولى والعهد بوالده غير بعيد والأ ســـى في كل يوم جديد وما كان ليندمل ذلك القرح حتى أعقبه هذا الجرح فالله تعالى لا يعدم المسلمين بسلطانهم الملك العادل السلوة كما لم يعدمهم بنبيهم الأســـوة ودفن بالقرافة الصـــغرى في قبة الإمام الشافعي رضي الله عنه وقبره معروف هناك

254 415 عدي الهكاري الشيخ عدي بن مسافر بن إسـماعيل بن موســى بن مروان بن الحسـن بن مروان كذا أملى نسبه بعض ذوي قرابته الهكاري مسكنا العبد الصالح المشـــهور الذي تنســب إليه الطائفة العدوية ســار ذكره في الآفاق وتبعه خلق كثير وجاوز حســـن اعتقادهم فيه الحد حتى جعلوه قبلتهم التي يصلون إليها وذخيرتهم في الآخرة التي يعولون عليها وكان قد صـــحب جماعة كثيرة من أعيان المشـــايخ والصـــلحاء المشـــاهير مثل عقيل المنبجي وحماد الدباس وأبي النجيب عبد القاهر السـهروردي وعبد القـادر الجيلي وأبي الوفـاء الحلواني ثم انقطع إلى جبـل

الهكارية من أعمال الموصـــل وبنى له هناك زاوية ومال إليه أهل تلك النواحي كلها ميلا لم يســـمع لأرباب الزوايا مثله وكان مولده في قرية يقال لها بيت فار من أعمال بعلبك والبيت الذي ولد فيه يزار إلى الآن وتوفي الشـــيخ ســـنة ســـبع وقيل خمس وخمســـين وخمســـمائة في بلده بالهكارية ودفن بزاويته رحمه الله تعالى وقبره عندهم من المزارات المعدودة والمشاهد المقصـودة وحفدته إلى الآن بموضـعه يقيمون شـعاره ويقتفون آثاره والناس معهم على ما كـانوا عليه زمن الشـــيخ من جميل الاعتقـاد وتعظيم الحرمة وذكره أبو البركات ابن المستوفي في تاريخ إربل وعـده من جملـة الواردين على إربـل وكـان مظفر الـدين صاحب إربل رحمه الله تعالى يقول رأيت
255 الشـيخ عدي بن مسـافر وأنا صـغير بالموصـل وهو شيخ ربعة أسمر اللون وكان يحكي عنه صلاحا كثيرا وعاش الشـــيخ عدي تســـعين ســـنة رحمه الله تعالى 416
عروة بن الزبير أبو عبد الله عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ابن قصـي بن كلاب القرشـي الأســـدي وبقية النســـب معروف هو أحد الفقهاء الســـبعة بالمدينة وقد تقدم ذكر خمســـة منهم كل واحد في بابه وأبوه الزبير ابن العوام احد الصحابة العشرة المشهود لهم بالجنة وهو ابن صـفية عمة النبي وأم عروة المذكور أسـماء بنت أبي برك الصـــديق رضـــي الله عنه وهي ذات النطاقين وإحدى عجائز الجنة وعروة شقيق أخيه عبد الله ابن الزبير

بخلاف أخيهما مصـــعب فإنه لم يكن من أمهما وقد وردت عنه الرواية في حروف القرآن وســـمع خالته عائشـــة أم المؤمنين رضـــي الله عنها وروى عنه ابن شـــهاب الزهري وغيره وكان عالما صـــالحا وأصـــابته الأكلة في رجله وهو بالشـــام عند الوليد بن عبد الملك فقطعت رجله في مجلس الوليد والوليد مشغول عنه بمن يحدثه فلم يتحرك ولم يشعر الوليد انـها قطعت حتى كويت فوجد رائحة الكي هكذا قال ابن قتيبـة في كتـاب المعـارف ولم يترك ورده تلـك الليلـة ويقال إنه مات ولده محمد في تلك السفرة فلما عاد إلى

256 المدينة قال (^ لقد لقينا من سـفرنـا هذا نصـبا) وعاش بعد قطع رجله ثماني سين وذكر أبو العباس المبرد في كتاب التعازي ما مثاله وقال إســـحاق بن أيوب وعامر بن حفص وســـلمة بن محارب قدم عروة بن الزبير على الوليـد بن عبـد الملـك ومعـه ولـده محمـد بن عروة فـدخـل محمد دار الدواب فضربته دابة فخر ميتا ووقعت في رجل عروة الأكلة ولم يدع ورده تلك الليلة فقال له الوليد اقطعها فقال لا فسرت إلى ساقه فقال له الوليد اقطعها وإلا أفسدت عليك جسدك فقطعها بالمنشار وهو شيخ كبير ولم يمسكه أحد وقال (^ لقد لقينا من ســـفرنا هذا نصـــبا) وقدم تلك السنة قوم من بني عبس فيهم رجل ضرير فسأله الوليد عن عينيه فقال يا أمير المؤمنين بت ليلة في بطن واد ولا أعلم عبسيا يزيد ماله على مالي فطرقنا سيل فذهب بما كان لي من أهل وولد ومال غير بعير وصـــبي مولود وكان البعير

صـــعبا فند فوضـــعت الصـــبي واتبعت البعير فلم أجاوز إلا قليلا حتى ســمعت صــيحة ابني ورأســه في فم الذئب وهو يأكله فلحقت البعير لأحبســـــه فنفحني برجله على وجهي فحطمه وذهب بعيني فأصبحت لا مال لي ولا أهل ولا ولد ولا بصـــــر فقال الوليد انطلقوا به إلى عروة ليعلم أن في النــاس من هو أعظم منــه بلاء وكــان أحســـــن من عزاه إبراهيم بن محمد بن طلحة فقال له والله ما بك حاجة إلى المشي ولا أرب في السعي وقد تقدمك عضو من أعضائك وابن من أبنائك إلى الجنة والكل تبع للبعض إن شـــــاء الله تعالى وقد أبقى الله لنا منك ما كنا إليه فقراء وعنه غير أغنياء من علمك ورأيك نفعك الله وإيانا به والله ولي ثوابك والضمين بحسابك وحكى سعيد بن أسد قال حدثنا ضمرة عن ابن شـــوذب قـال كـان عروة بن الزبير إذا كـان أيـام الرطب ثلم حائطه فيدخل الناس فيأكلون ويحتملون وكان إذا دخله ردد هذه الآية فيه (^ ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله) حتى يخرج منه وكان يقرأ
257 ربع القرآن كل يوم نظرا في المصـــحف ويقوم به الليل فما تركه إلا ليلة قطعت رجله ثم عاد من الليلة المقبلة وقال ابن قتيبة وغيره لما دعي الجزار ليقطعها قال له نســقيك الخمر حتى لا تجد لها ألما فقال لا أســـتعين بحرام الله على ما أرجو من عافية قالوا فنسقيك المرقد قال ما أحب أن أسلب عضوا من أعضائي وأنا لا أجد ألم ذلك فأحتســـــبه قال ودخل عليه قوم أنكرهم فقال ما هؤلاء قالوا

يمسـكونك فإن الألم ربما عزب معه الصـبر قال أرجو أن أكفيكم ذلك من نفســي فقطعت كعبه بالســكين حتى إذا بلغ العظم وضع عليها المنشار فقطعت وهو يهلل ويكبر ثم إنه أغلي له الزيت في مغارف الحديد فحسـم به فغشــي عليه فأفاق وهو يمسـح العرق عن وجهه ولما رأى القدم بأيديهم دعا بها فقبلها في يده ثم قال أما والذي حملني عليك إنه ليعلم أني ما مشيت بك إلى حرام أو قال معصية ولما دخل ابنه إصــطبل الوليد بن عبد الملك وقتلته الدابة كما تقدم لم يسمع في ذلك منه شيء حتى قدم المدينة فقال اللهم إنه كان لي أطراف أربعة فأخذت واحدا وأبقيت لي ثلاثة فلك الحمد وايم الله لئن أخذت لقد أبقيت ولئن ابتليت لطالما عافيت ولما قتل أخوه عبد الله قدم عروة على عبد الملك بن مروان فقال له يوما أريد أن تعطيني ســيف أخي عبد الله فقال له هو بين السيوف ولا أميزه من بينها فقال عروة إذا حضرت السيوف ميزته أنا فأمر عبد الملك بإحضارها فلما حضرت أخذ منها ســيفا مفلل الحد فقال هذا ســيف أخي فقال عبد الملك كنت تعرفه قبل الآن فقال لا فقال كيف عرفته قال بقول النابغة الذبياني (ولا عيب فيهم غير ان ســيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب) وعروة هذا هو الذي احتفر بئر عروة التي بالمدينة وهي منســوبة إليه وليس بالمدينة بئر أعذب من مائها

258 وكانت ولادته سنة اثنتين وعشرين وقيل ست وعشرين للهجرة وتوفي في قرية له بقرب المدينة يقال لها

فرع بضم الفاء وسكون الراء وهي من ناحية الربذة بينها وبين المدينة أربع ليال وهي ذات نخيل ومياه سنة ثلاث وتسعين وقيل أربع وتسعين ودفن هناك قاله ابن سعد وهي سنة الفقهاء رضي الله عنهم وسيأتي ذكر ولده هشام إن شاء الله تعالى وذكر العتبي أن المسجد الحرام جمع بين عبد الملك بن مروان وعبد الله بن الزبير وأخويه مصعب وعروة المذكور أيام تألفهم بعهد معاوية بن أبي سفيان فقال بعضهم هلم فلنتمنه فقال عبد الله بن الزبير منيتي أن أملك الحرمين وأنال الخلافة وقال مصعب منيتي أن أملك العراقين وأجمع بين عقيلتي قريش سكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة وقال عبد الملك بن مروان منيتي أن أملك الأرض كلها وأخلف معاوية فقال عروة لست في شيء مما أنتم فيه منيتي الزهد في الدنيا والفوز بالجنة في الآخرة وأن أكون ممن يروى عنه هذا العلم قال فصرف الدهر من صرفه إلى أن بلغ كل واحد منهم إلى أمله وكان عبد الملك لذلك يقول من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى عروة بن الزبير 417 ركن الدين الطاوسي أبو الفضل العراقي بن محمد العراقي القزويني الملقب ركن الدين المعروف بالطاوسي كان إماما فاضلا مناظرا محجابا قيما بعلم الخلاف ماهرا فيه

259 اشتغل به على الشيخ رضي الدين النيسابوري الحنفي صاحب الطريقة في الخلاف وبرز فيه وصنف ثلاث تعاليق في الخلاف مختصرة وثانية وثالثة مبسوطة

واجتمع عليه الطلبة بمدينة همذان وقصـــوده من البلاد البعيدة والقريبة للاســـتفادة عليه وعلقوا تعاليقه وبنى له الحاجب جمال الدين بهمذان مدرســـة تعرف بالحاجبية وطريقته الوسطى أحسن من طريقتيه الأخريين لأن فقهها كثير وفوائدها جمة وأكثر اشـــتغال الناس في هذا الزمان بها واشـــتهر صـيته في البلاد وحملت طريقته إليها وتوفي بهمذان في رابع عشـر جمادى الآخرة سـنة ستمائة رحمه الله تعالى ولم أعلم نسبة الطاوسي إلى أي شيء ولا ذكرها الســمعاني والله أعلم وســمعت جماعة من الفقهاء من أهل بلاده يقولون إن في قزوين خلقا كثيرا ينتسبون هذه النسبة ويزعمون أنهم من نسل طاوس بن كيسان التابعي المذكور قبل هذا فلعله منهم والله أعلم 418 شـــيذلة أبو المعالي عزيزي بن عبد الملك بن منصور الجيلي المعروف بشيذلة الفقيه الشـــافعي الواعظ كان فقيها فاضـــلا واعظا ماهرا فصيح اللسان حلو العبارة

260 كثير المحفوظات صنف في الفقه وأصول الدين والوعظ وجمع كثيرا من أشـــعار العرب وتولى القضـــاء بمدينة بغداد بباب الأزج وكانت في أخلاقه حدة وســـمع الحديث الكثير من جماعة كثيرة وكان يتظاهر بمذهب الأشعري ومن كلامه إنما قيل لموسى عليه السلام (^ لن تراني) لأنه لما قيل له (^ انظر إلى الجبل) نظر إليه فقيل له يا طالب النظر إلينا لم تنظر إلى سوانا (يا مدعي بمقاله * صـــدق المحبة والإخاء) (لو كنت تصـــدق في

المقال * لما نظرت إلى سوائي) (فسلكت سبل محبتي *
واخترت غيري في الصفاء) (هيهات أن يحوي الفؤاد *
محبتين على استواء) وقال أنشدني والدي عند خروجه
من بغداد للحج (مددت إلى التوديع كفا ضعيفة * وأخرى
على الرمضاء فوق فؤادي) (فلا كان هذا العهد آخر
عهدنا * ولا كان ذا التوديع آخر زادي) وتوفي يوم
الجمعة سابع عشر صفر سنة أربع وتسعين وأربعمائة
ببغداد ودفن بباب أبرز محاذيا للشيخ أبي إسحاق
الشيرازي رحمهما الله تعالى وعزيزي بفتح العين المهملة
وزايين بينهما ياء مثناة من تحتها وهي ساكنة وبعد الزاي
الثانية ياء ثانية وشيذلة بفتح الشين المعجمة وسكون الياء
المثناة من تحتها وفتح الذال المعجمة واللام وبعدها هاء
ساكنة وهو لقب عليه ولا أعرف معناه مع كثرة كشفي عنه
261 419 عطاء بن أبي رباح أبو محمد عطاء بن
أبي رباح أسلم وقيل سالم بن صفوان مولى بني فهر أو
جمح المكي وقيل إنه مولى أبي ميسرة الفهري من مولدي
الجند كان من أجلاء الفقهاء وتابعي مكة وزهادها سمع
جابر بن عبد الله الأنصاري وعبد الله بن عباس وعبد الله
بن الزبير وخلقا كثيرا من الصحابة رضوان الله عليهم
وروى عنه عمرو بن دينار والزهري وقتادة ومالك بن
دينار والأعمش والأوزاعي وخلق كثير رحمهم الله تعالى
وإليه وإلى مجاهد انتهت فتوى مكة في زمانهما قال قتادة
أعلم الناس بالمناسك عطاء وقال إبراهيم بن عمر ابن

كيسان أذكرهم في زمان بني أمية يأمرون في الحج صائحا يصيح لا يفتي الناس إلا عطاء بن أبي رباح وإياه عنى الشاعر بقوله (سل المفتي المكي هل في تزاور * وضمة مشتاق الفؤاد جناح) (فقال معاذ الله أن يذهب التقى * تلاصق أكباد بهن جراح) فلما بلغه البيتان قال والله ما قلت شيئا من هذا وحكي عن وكيع قال قال لي أبو حنيفة النعمان بن ثابت أخطأت في خمسة أبواب من المناسك بمكة فعلمنيها حجام وذلك أني أردت أن أحلق
262 رأسي فقال لي أعربي أنت قلت نعم وكنت قد قلت له بكم تحلق رأسي فقال النسك لا يشارط فيه اجلس فجلست منحرفا عن القبلة فأومأ لي باستقبال القبلة وأردت أن أحلق رأسي من الجانب الأيسر فقال أدر شقك الأيمن من رأسك فأدرته وجعل يحلق رأسي وأنا ساكت فقال لي كبر فجعلت أكبر حتى قمت لأذهب فقال أين تريد قلت رحلي فقال صل ركعتين ثم امض فقلت ما ينبغي أن يكون هذا من مثل هذا الحجام إلا ومعه علم فقلت من أين لك ما رأيتك أمرتني به فقال رأيت عطاء بن أبي رباح يفعل هذا وحكي عن خليفة بن سلام عن يونس قال سمعت الحسن البصري ذات يوم في مجلسه يقول اعتبروا من المنافق بثلاث إن حدث كذب وإن اؤتمن خان وإن وعد أخلف فبلغ ذلك عطاء فقال قد كانت هذه الخلال الثلاث في ولد يعقوب حدثوه فكذبوه وائتمنهم فخانوه ووعدوه فأخلفوه فأعقبهم الله النبوة فبلغ الحسن فقال (^ وفوق كل ذي علم عليم) ونقل

أصـــحابنا عن مذهبه أنه كان يرى إباحة وطء الجواري بـإذن أربـابهم وحكى أبو الفتوح العجلي المقدم ذكره في حرف الهمزة في كتاب شـرح مشـكلات الوسـيط والوجيز في البـاب الثـالث من كتـاب الرهن مـا مثـالـه وحكي عن عطاء أنه كان يبعث بجواريه إلى ضـيفانه والذي أعتقد أنا أن هذا بعيد فإنه ولو رأى الحل لكن المروءة والغيرة تأبى ذلك فكيف يظن هذا بمثل ذلك السـيد الإمام ولم أذكره إلا لغرابته وكان أسـود أعور أفطس أشـل أعرج ثم عمي مفلفل الشـعر قال سـليمان ابن رفيع دخلت المسـجد الحرام والناس مجتمعون على رجل فاطلعت فإذا عطاء ابن أبي رباح جالس كأنه غراب أسـود توفي سـنة خمس عشـرة ومائة وقيل أربع عشرة ومائة وعمره ثمان وثمانون سـنة رضـي الله عنه وقال ابن أبي ليلى حج عطاء سبعين حجة وعاش مائة سنة والله أعلم ورباح بفتح الراء والباء الموحدة وأسـلم بفتح الهمزة وسـكون السـين المهملة وفتح اللام وفهر بكسر الفاء وسكون الهاء وبعدها راء وجمح بضـم الجيم وفتح الميم وبعدها حاء مهملة والباقي معلوم والجند بفتح الجيم والنون وبعدها دال مهملة وهي بلدة مشـهورة باليمن خرج منها جماعة من العلماء رحمهم الله تعـالى

263

420 المقنع الخراسـاني المقنع الخراسـاني اسـمه عطاء ولا أعرف اسـم أبيه وقيل اسـمه حكيم والأول أشـهر وكان في مبدإ أمره قصـارا من أهل مرو وكان يعرف شـيئا من السـحر والنيرجات فادعى

الربوبية من طريق المناسخة وقال لأشياعه والذين اتبعوه
إن الله سبحانه وتعالى تحول إلى صورة آدم ولذلك قال
للملائكة اسجدوا له فسجدوا إلا إبليس فاستحق بذلك السخط
ثم تحول من آدم إلى صورة نوح عليه السلام ثم إلى
صورة واحد فواحد من الأنبياء عليهم السلام والحكماء
حتى حصل في صورة أبي مسلم الخراساني المقدم
264 ذكره ثم زعم أنه انتقل إليه منه فقبل قوم دعواه
وعبدوه وقاتلوا دونه مع ما عاينوا من عظيم ادعائه وقبح
صورته لأنه كان مشوه الخلق أعور ألكن قصيرا وكان لا
يسفر عن وجهه بل اتخذ وجها من ذهب فتقنع به فلذلك قيل
له المقنع وإنما غلب على عقولهم بالتمويهات التي أظهرها
لهم بالسحر والنيرجات وكان في جملة ما أظهر لهم
صورة قمر يطلع ويراه الناس من مسافة شهرين من
موضعه ثم يغيب فعظم اعتقادهم فيه وقد ذكر أبو العلاء
المعري هذا القمر في قوله (أفق إنما البدر المقنع رأسه *
ضلال وغي مثل بدر المقنع) وهذا البيت من جملة
قصيدة طويلة وإليه أشار أبو القاسم هبة الله بن سناء الملك
الشاعر الآتي ذكره في جملة قصيدة طويلة بقوله (إليك
فما بدر المقنع طالعا * بأسحر من ألحاظ بدر المعمم)
ولما اشتهر أمر المقنع وانتشر ذكره ثار عليه الناس
وقصدوه في قلعته التي كان اعتصم بها وحصروه فلما
أيقن بالهلاك جمع نساءه وسقاهن سما فمتن منه ثم تناول
شربة من ذلك السم فمات ودخل المسلمون قلعته فقتلوا من

فيها من أشياعه وأتباعه وذلك في سنة ثلاث و ستين ومائة لعنه الله تعالى ونعوذ بالله من الخذلان قلت ولم أر أحدا ذكر هذه القلعة وأين هي حتى أذكر ها ثم رأيت في كتاب الشهاب ياقوت الحموي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى الذي وضعه في معرفة المواضع المشتركة فقال في باب سنام بفتح السين إنها أربعة مواضع والموضع الرابع منها سنام قلعة عمرها المقنع الخارجي بما وراء النهر

265 والله أعلم والظاهر أنها هذه القلعة ثم وجدت في أخبار خراسان أنها هي وأنها من رستاق كش والله أعلم

421 عكرمة أبو عبد الله عكرمة بن عبد الله مولى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أصله من البربر من أهل المغرب كان لحصين بن الحر العنبري فوهبه لابن عباس رضي الله عنهما حين ولي البصرة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه واجتهد ابن عباس في تعليمه القرآن والسنن وسماه بأسماء العرب حدث عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري والحسن بن علي وعائشة رضي الله عنهم وهو أحد فقهاء مكة وتابعيها وكان ينتقل من بلد إلى بلد روي أن ابن عباس قال له انطلق فأفت الناس وقيل لسعيد بن جبير هل تعلم أحدا أعلم منك قال عكرمة وقد تكلم الناس فيه لأنه كان يرى رأي الخوارج وروى عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم وروى عنه الزهري وعمرو ابن دينار والشعبي وأبو إسحاق السبيعي وغيرهم

ومـات مولاه ابن عبـاس وعكرمـة على الرق ولم يعتقـه فباعه ولده علي بن عبد الله بن عباس من خالد بن يزيد بن معاوية بأربعة آلاف دينار فأتى عكرمة وملاه عليا فقال له ما خير لك بعت علم أبيك بأربعة آلاف دينار فاستقاله فأقاله وأعتقه وقال عبد الله بن الحارث دخلت على علي بن عبد الله بن عباس وعكرمة موثق على باب

266 كنيف فقلت أتفعلون هذا بمولاكم فقال إن هذا يكذب على أبي وتوفي عكرمة في سـنة سـبع ومائة وقيل سـنة سـت وقيل أربع وقيل سـنة خمس وقيل سـنة خمس عشـرة والله أعلم وعمره ثمانون وقيل أربع وثمانون سـنة وروى محمد بن سـعد عن الواقدي عن خالد بن القاسـم البياضـي قال مات عكرمة وكثير عزة الشـاعر في يوم واحد سـنة خمس ومائة فرأيتهما جميعا صـلي عليهما في موضـع الجنائز بعد الظهر فقال الناس مات أفقه الناس وأشـعر الناس رحمهما الله تعالى وكان موتهما بالمدينة وقيل إن عكرمة مـات بـالقيروان والأول أصـح وكـان عكرمة كثير التطواف والجولان في البلاد دخل خراسـان وأصبهان ومصر وغيرها من البلاد وعكرمة بكسر العين المهملة وسكون الكاف وكسر الراء وفتح الميم وبعدها هاء سـاكنة وهو في الأصـل اسـم الحمامة الأنثى فسـمي به الإنسـان وعمارة بن حمزة مولى المنصـور الموصـوف بـالتيـه من أولاده وقـال الخطيـب البغـدادي هو ابن ابنـة عكرمة المذكور والله أعلم 422 زين العابدين أبو الحسـن

علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين المعروف بزين العابدين ويقال له علي الأصغر وليس للحسين رضي الله عنه
267 عقب إلا من ولد زين العابدين هذا وهو أحد الأئمة الأثني عشر ومن سادات التابعين قال الزهري ما رأيت قرشيا أفضل منه وأمه سلافة بنت يزدجرد آخر ملوك فارس وهي عمة أم يزيد بن الوليد الأموي المعروف بالناقص وكان قتيبة بن مسلم الباهلي أمير خراسان لما تتبع دولة الفرس وقتل فيروز بن يزدجرد المذكور بعث بابنتيه إلى الحجاج بن يوسف الثقفي المقدم ذكره وكان يومئذ أمير العراق وخراسان وقتيبة نائبه بخراسان فأمسك الحجاج إحدى البنتين لنفسه وأرسل الأخرى إلى الوليد بن عبد الملك فأولدها يزيد الناقص واسمها شاه فريذ وسمي بالناقص لأنه نقص أعطية الجند وكان يقال لزين العابدين ابن الخيرتين لقوله (لله تعالى من عباده خيرتان فخيرته من العرب قريش ومن العجم فارس) وذكر أبو القاسم الزمخشري في كتاب ربيع الأبرار أن الصحابة رضي الله عنهم لما أتوا المدينة بسبي فارس في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان فيهم ثلاث بنات ليزدجرد فباعوا السبايا وأمر عمر ببيع بنات يزدجرد أيضا فقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه إن بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهم من بنات السوقة فقال كيف الطريق إلى العمل معهن قال يقومن ومهما بلغ ثمنهن قام به من

يختارهن فقومن وأخذهن علي رضـــي الله عنه فدفع واحدة لعبد الله بن عمر وأخرى لولده الحسـين وأخرى لمحمد بن أبي بكر الصــــديق وكان ربيبه رضـــي الله عنهم أجمعين فأولد عبد الله أمته ولدا سـالما وأولد الحسـين زين العابدين وأولد محمد ولده القاســم فهؤلاء الثلاثة بنو خالة وأمهاتهم بنات يزدجرد وحكى المبرد في كتاب الكامل ما مثاله يروى عن رجل من قريش لم يســم لنا قال كنت أجالس سعيد بن المسيب فقال لي يوما من أخوالك

268 فقلت له أمي فتاة فكأني نقصـــت من عينه فأمهلت حتى دخل ســـالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضـــي الله عنهم فلما خرج من عنده قلت يا عم من هذا فقال سبحان الله أتجهل مثل هذا من قومك هذا سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب قلت فمن أمه قال فتاة قال ثم أتاه القاســم ابن محمد بن أبي بكر الصــديق رضـــي الله عنه فجلس عنده ثم نهض قلت يا عم من هذا فقال أتجهل من أهلك مثله ما أعجب هذا هذا القاســم ابن محمد بن أبي بكر الصديق قلت فمن أمه قال فتاة قال فأمهلت شيئا حتى جاءه علي بن الحســين بن علي بن أبي طالب رضـــي الله عنه فســلم عليه ثم نهض فقلت يا عم من هذا قال هذا الذي لا يسع مسلما أن يجهله هذا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضـــي الله عنه فقلت من أمه قال فتاة فقلت يا عم رأيتني نقصت في عينك لما علمت أن أمي فتاة أفما لي في هؤلاء أســوة قال فجللت في عينه جدا وكان أهل المدينة

يكرهون اتخاذ أمهات الأولاد حتى نشـــأ فيهم علي بن الحســن والقاســم بن محمد وســالم بن عبد الله ففاقوا أهل المدينة فقها وورعا فرغب الناس في السراري وكان زين العابدين كثير البر بأمه حتى قيل له إنك أبر الناس بأمك ولســنا نراك تأكل معها في صــحفة فقال أخاف أن تســبق يدي إلى ما ســبقت إليه عينها فأكون قدعققتها وهذا ضــد قصـــة أ بي المخش مع ابنه فإنه قال كانت لي ابنة تجلس معي علىالمائدة فتبرز كفا كأنها طلعة في ذراع كأنه جمارة فما تقع عينها على لقمة نفيســة إلا خصــتني بها فزوجتها فصــار يجلس معي على المائدة ابن لي فيبرز كفا كأنها كرنافة في ذراع كأنه كربة

269 فوالله ما تسبق عيني إلىلقمة طيبة إلا سبقت يده إليها وحكى ابن قتيبة في كتاب المعارف أن ام زين العابدين ســندية يقال لها ســلافة ويقال غزالة والله أعلم بالصــواب وأنه زوجها بعد أبيه بزبيد مولى أبيه وأعتق جارية له وتزوجها فكتب إليه عبد الملك بن مروان يعيره ذلك فكتب إليه زين العابدين لقد كان لكم في رســول الله أســوة حســنة وقد أعتق رســول الله صــفية بنت حيي بن أخطب وتزوجها وأعتق زيد بن حارثة وزوجه بنت عمته زينب بنت جحش وفضائل زين العابدين ومناقبه أكثر من أن تحصر وكانت ولادته يوم الجمعة في بعض شهور سنة ثمان وثلاثين للهجرة وتوفي سنة أربع وتسعين وقيل تسع وتســعين وقيل اثنتين وتســعين للهجرة بالمدينة ودفن في

البقيع في قبر عمه الحســن ابن علي رضـــي الله تعالى عنه في القبة التي فيها قبر العباس رضــــي الله عنه 423 علي الرضا أبو الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصـــــادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين المذكور قبله وهو أحد الأئمة الاثني عشـــر على اعتقاد الإمامية وكان المأمون قد زوجه ابنته أم حبيب في ســـنة اثنتين ومائتين وجعله ولي عهده وضــــرب اســـمه على الدينار والدرهم وكان السبب في ذلك أنه استحضـر أولاد العباس الرجال منهم والنســاء وهو بمدينة مرو من بلاد خراســان وكان عددهم ثلاثة وثلاثين ألفا ما بين الكبار والصـــغار واستدعى عليا المذكور فأنزله

270 أحســن منزلة وجمع خواص الأولياء وأخبرهم أنه نظر في أولاد العباس وأولاد علي بن أبي طالب رضي الله عنهما فلم يجد في وقته أحدا أفضل ولا أحق بالأمر من علي الرضا فبايعه وأمر بإزالة السواد من اللباس والأعلام ونمي الخبر إلى من بـالعراق من أولاد العبـاس فعلموا أن في ذلك خروج الأمر عنهم فخلعوا المأمون وبايعوا إبراهيم بن المهـدي المقـدم ذكره وهو عم المـأمون وذلـك يوم الخميس لخمس خلون من المحرم ســـنة اثنتين وقيل ســـنة ثلاث ومائتين والشــرح في ذلك يطول والقصـــة مشــهورة وقد اختصرته في ترجمة إبراهيم بن المهدي وكانت ولادة علي الرضـــا يوم الجمعة في بعض شـــهور ســـنة ثلاث وخمســين ومائة بالمدينة وقيل بل ولد ســابع شــوال وقيل

ثامنه وقيل سادسه سنة إحدى وخمسين ومائة وتوفي في آخر يوم من صفر سنة اثنتين ومائتين وقيل بل توفي خامس ذي الحجة وقيل ثالث عشر ذي القعدة سنة ثلاث ومائتين بمدينة طوس وصلى عليه المأمون ودفنه ملاصق قبر أبيه الرشيد وكان سبب موته أنه أكل عنبا فأكثر منه وقيل بل كان مسموما فاعتل منه ومات رحمه الله تعالى وفيه يقول أبو نواس (قيل لي أنت أحسن الناس طرا * في فنون من الكلام النبيه) (لك من جيد القريض مديح * يثمر الدر في يدي مجتنيه) (فعلام تركت مدح ابن موسى * والخصال التي تجمعن فيه) (قلت لا أستطيع مدح إمام * كان جبريل خادما لأبيه) وكان سبب قوله هذه الأبيات أن بعض أصحابه قال له ما رأيت أوقح منك ما تركت خمرا ولا طردا ولا معنى إلا قلت فيه شيئا وهذا علي بن موسى الرضا في عصرك لم تقل فيه شيئا فقال والله ما تركت ذلك إلا

271 إعظاما له وليس قدر مثلي أن يقول في مثله ثم أنشد بعد ساعة هذه الأبيات وفيه يقول أيضا وله ذكر في شذور العقود في سنة إحدى أو اثنتين ومائتين (مطهرون نقيات جيوبهم * تجري الصلاة عليهم أينما ذكروا) (من لم يكن علويا حين تنسبه * فما له في قديم الدهر مفتخر) (الله لما برا خلقا فأتقنه * صفاكم واصطفاكم أيها البشر) (فأنتم الملأ الأعلى وعندكم * علم الكتاب وما جاءت به السور) وقال المأمون يوما لعلي بن موسى الرضا

المذكور ما يقول بنو أبيك في جدنا العباس بن عبد المطلب فقال ما يقولون في رجل فرض الله طاعة بنيه على خلقه وفرض طاعته على بنيه فأمر له بألف ألف درهم وكان قد خرج أخوه زيد بن موسى بالبصرة على المأمون وفتك بأهلها فأرسل إليه المأمون أخاه عليا المذكور يرده عن ذلك فجاءه وقال له ويلك يا زيد فعلت بالمسلمين بالبصرة ما فعلت وتزعم أنك ابن فاطمة بنت رسول الله والله لأشد الناس عليك رسول الله يا زيد ينبغي لمن أخذ برسول الله أن يعطي به فبلغ كلامه المأمون فبكى وقال هكذا ينبغي أن يكون أهل بيت رسول الله قلت وآخر هذا الكلام مأخوذ من كلام علي زين العابدين المقدم ذكره فقد قيل إنه كان إذا سافر كتم نفسه فقيل له في ذلك فقال أنا اكره أن آخذ برسول الله ما لا أعطى به

272 424 أبو الحسن العسكري أبو الحسن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا المقدم ذكره وهو حفيد الذي قبله فلا حاجة إلى رفع نسبه ويعرف بالعسكري وهو أحد الأئمة الاثني عشر عند الإمامية كان قد سعي به إلى المتوكل وقيل إن في منزله سلاحا وكتبا وغيرها من شيعته وأوهموه أنه يطلب الأمر لنفسه فوجه إليه بعدة من الأتراك ليلا فهجموا عليه في منزله على غفلة فوجدوه وحده في بيت مغلق وعليه مدرعة من شعر وعلى رأسه ملحفة من صوف وهو مستقبل القبلة يترنم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد ليس بينه وبين الأرض بساط إلا

الرمل والحصى فأخذ على الصورة التي وجد عليها وحمل إلى المتوكل في جوف الليل فمثل بين يديه والمتوكل يستعمل الشراب وفي يده كأس فلما رآه أعظمه وأجلسه إلى جنبه ولم يكن في منزله شيء مما قيل عنه ولا حالة يتعلق عليه بها فناوله المتوكل الكأس الذي كان بيده فقال يا أمير المؤمنين ما خامر لحمي ودمي قط فأعفني منه فأعفاه وقال أنشدني شعرا أستحسنه فقال إني لقليل الرواية للشعر قال لا بد أن تنشدني فأنشده (باتوا على قلل الأجبال تحرسهم * غلب الرجال فما أغنتهم القلل) (واستنزلوا بعد عز من معاقلهم * فأودعوا حفرا يا بئس ما نزلوا) (ناداهم صارخ من بعد ما قبروا * أين الأسرة والتيجان والحلل)
273 (أين الوجوه التي كانت منعمة * من دونها تضرب الأستار والكلل) (فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم * تلك الوجوه عليها الدود يقتتل) (قد طال ما أكلوا دهرا وما شربوا * فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا) قال فأشفق من حضر على علي وظن أن بادرة تبدر إليه فبكى المتوكل بكاء كثيرا حتى بلت دموعه لحيته وبكى من حضره ثم أمر برفع الشراب ثم قال يا أبا الحسن أعليك دين قال نعم أربعة آلاف دينار فأمر بدفعها إليه ورده إلى منزله مكرما وكانت ولادته يوم الأحد ثالث عشر رجب وقيل يوم عرفة سنة أربع عشرة وقيل ثلاث عشرة ومائتين ولما كثرت السعاية في حقه عند المتوكل أحضره من

المدينة وكان مولده بها وأقره بسر من رأى وهي تدعى بالعسكر لأن المعتصم لما بناها انتقل إليها بعسكره فقيل لها العسكر ولهذا قيل لأبي الحسن المذكور العسكري لأنه منسوب إليها فأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر وتوفي بها يوم الإثنين لخمس بقين من جمادى الآخرة وقيل لأربع بقين منها وقيل في رابعها وقيل في ثالث رجب سنة أربع وخمسين ومائتين ودفن في داره رحمه الله تعالى

274 425 علي بن عبد الله بن العباس أبو محمد

علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي وهو جد السفاح والمنصور الخليفتين كا سيدا شريفا بليغا وهو أصغر ولد أبيه وكان أجمل قرشي على وجه الأرض وأوسمه وأكثره صلاة وكان يدعى السجاد لذلك وكان له خمسمائة أصل زيتون يصلي في كل يوم إلى كل أصل ركعتين وكان يدعى ذا الثفنات هكذا قاله المبرد في الكامل وقال أبو الفرج ابن الجوزي الحافظ ذو الثفنات هو علي بن الحسين يعني زين العابدين وإنما قيل له ذلك لأنه كان يصلي في كل يوم ألف ركعة فصار في ركبتيه مثل ثفن البعير ذكر ذلك في كتاب الألقاب وروي أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه افتقد عبد الله بن العباس رضي الله عنه في وقت صلاة الظهر فقال لأصحابه ما بال أبي العباس لم يحضر الظهر فقالوا ولد له مولود فلما صلى علي رضي الله عنه قال امضوا بنا إليه فأتاه فهناه فقال شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب

ما سميته فقال أو يجوز لي أن أسميه حتى تسميه فأمر به فأخرج إليه فأخذه فحنكه ودعا له ثم رده إليه وقال خذ إليك أبا الأملاك قد سميته عليا وكنيته أبا الحسن فلما قام معاوية خليفة قال لابن عباس ليس لكم اسمه وكنيته وقد كنيته أبا محمد فجرت عليه هكذا قاله المبرد في الكامل

275 وقال الحافظ أبو نعيم في كتاب حلية الأولياء إنه لما قدم على عبد الملك بن مروان قال له غير اسمك وكنيتك فلا صبر لي على اسمك وكنيتك قال أما الاسم فلا وأما الكنية فأكتني بأبي محمد فغير كنيته انتهى كلام أبي نعيم قلت أنا وإنما قال له عبد الملك هذه المقالة لبغضه في علي بن أبي طالب رضي الله عنه فكره أن يسمع اسمه وكنيته وذكر الطبري في تاريخه أنه دخل على عبد الملك بن مروان فأكرمه وأجلسه على سريره وسأله عن كنيته فأخبره فقال لا يجتمع في عسكري هذا الاسم وهذه الكنية لأحد وسأله هل له من ولد وكان قد ولد له يومئذ محمد بن علي فأخبره بذلك فكناه أبا محمد وقال الواقدي ولد أبو محمد المذكور في الليلة التي قتل فيها علي بن أبي طالب رضي الله عنه والله أعلم بالصواب وقال المبرد أيضا وضرب علي بالسياط مرتين كلتاهما ضربه الوليد بن عبد الملك إحدهما في تزوجه لبابة ابنة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وكانت عند عبد الملك فعض تفاحة ثم رمى بها إليها وكان أبخر فدعت بسكين فقال ما تصنعين بها فقالت أميط عنها الأذى فطلقها فتزوجها علي بن عبد الله المذكور

فضربه الوليد وقال إنما تتزوج بأمهات الخلفاء لتضع منهم لأن مروان بن الحكم إنما تزوج بأم خالد بن يزيد بن معاوية ليضع منه فقال علي بن عبد الله إنما أرادت الخروج من هذا البلد وانا ابن عمها فتزوجتها لأكون لها محرما

276 وأما ضربه إياه في المرة الثانية فقد حدث أبو عبد الله محمد بن شجاع في إسناد متصل يقول في آخره رأيت علي بن عبد الله يوما مضروبا بالسوط يدار به على بعير ووجهه مما يلي ذنب البعير وصائح يصيح عليه هذا علي ابن عبد الله الكذاب فأتيته وقلت ما هذا الذي نسبوك فيه إلى الكذب قال بلغهم عني أني أقول إن هذا الأمر سيكون في ولدي ووالله ليكونن فيهم حتى تملكهم عبيدهم الصغار العيون العراض الوجوه الذين كأن وجوههم المجان المطرقة قلت ذكرابن الكلبي في كتاب النسب أن الذي تولى ضرب علي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنهم هو كلثوم بن عياض بن وحوح بن قشير بن الأعور بن قشير كان والي الشرطة للوليد بن مروان ثم إنه تولى إفريقية لهشام بن عبد الملك وقتل بها وقال غير ابن الكلبي كان قتله في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ومائة وروى أن علي بن عبد الله دخل على سليمان بن عبد الملك وهو غلط بل الصحيح أنه هشام بن عبد الملك معه ابنا ابنه الخليفتان وهما السفاح والمنصور ابنا محمد بن علي المذكور فأوسع له على سريره وبره وسأله عن حاجته

فقال ثلاثون ألف درهم علي دين فأمر بقضـــائها ثم قال له وتستوصــي بابني هذين خيرا ففعل فشكره وقال وصـلتك رحم فلما ولى علي قال هشـام لأصحابه إن هذا الشـيخ قد اختل وأسـن وخلط فصـار يقول إن هذا الأمر سـينتقل إلى ولده فسـمعه علي فقال والله ليكونن ذلك وليملكن هذان وكان علي المذكور عظيم المحل عند أهل الحجاز حتى قال هشام بن سليمان

277 المخزومي إن علي بن عبد الله كان إذا قدم مكة حاجا أو معتمرا عطلت قريش مجالسها في المسجد الحرام وهجرت مواضـع حلقها ولزمت مجلسـه إعظاما وإجلالا وتبجيلا له فإن قعد قعدوا وإن نهض نهضـوا وإن مشـى مشوا جميعا حوله ولا يزالون كذلك حتى يخرج من الحرم وكان آدم جسـيما له لحية طويلة وكان عظيم القدم جدا لا يوجد له نعل ولا خف يستعمله وكان مفرطا في الطول إذا طاف كأنما الناس حوله مشـاة وهو راكب من طوله وكان مع هذا الطول يكون إلى منكب أبيه عبد الله وكان عبد الله إلى منكب أبيه العباس وكان العباس إلى منكب أبيه عبد المطلب ونظرت عجوز إلى علي وهو يطوف وقد فرع الناس فرع بالعين المهملة أي علا عليهم فقالت من هذا الذي فرع الناس فقيل علي ابن عبد الله بن العباس فقالت لا إله إلا الله إن الناس ليرذلون عهدي بالعباس يطوف بهذا البيت كأنه فسـطاط أبيض ذكر هذا كله المبرد في الكامل وذكر أيضـا أن العباس كان عظيم الصـوت وجاءتهم مرة

غارة وقت الصباح فصاح بأعلى صوته واصباحاه فلم تسمعه حامل في الحي إلا وضعت وذكر أبو بكر الحازمي في كتاب ما اتفق لفظه وافترق مسماه في أول حرف الغين في باب عانة وغابة قال كان العباس بن عبد المطلب يقف على سلع وهو جبل عند المدينة فينادي غلمانه وهم بالغابة فيسمعهم وذلك من آخر الليل وبين الغابة وسلع ثمانية أميال وكانت وفاة علي بن عبد الله سنة سبع عشرة ومائة بالشراة بالحميمة وهو ابن ثمانين سنة وقال الواقدي ولد في الليلة التي قتل فيها علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان قتل علي رضي الله عنه في ليلة الجمعة سابع عشر شهر رمضان من سنة أربعين للهجرة وقيل غير ذلك وتوفي علي بن عبد الله سنة ثماني عشرة ومائة وقال غير الواقدي إن وفاته كانت في ذي القعدة وقال خليفة
278 ابن خياط مات في سنة أربع عشرة وقال في موضع آخر سنة ثماني عشرة وقال غيره سنة تسع عشرة والله أعلم وكان يخضب بالسواد وابنه محمد والد السفاح والمنصور يخضب بالحمرة فيظن من لا يعرفهما أن محمدا علي وأن عليا محمد رضي الله عنهما والشراة بفتح الشين المعجمة والراء وبعد الألف هاء مثناة صقع بالشام في طريق المدينة من دمشق بالقرب من الشوبك وهو من إقليم البلقاء وفي بعض نواحيه القرية المعروفة بالحميمة بضم الحاء المهملة وفتح الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الميم الثانية وبعدها هاء ساكنة وهذه القرية

كانت لعلي المذكور وأولاده في أيام بني أمية وفيها ولد السفاح والمنصور وبها تربيا ومنها انتقلا إلى الكوفة وبويع السفاح بالخلافة فيها كما هو مشهور وسيأتي ذكر ولده محمد إن شاء الله تعالى وذكر الطبري في تاريخه أن الوليد بن عبد الملك بن مروان أخرج علي ابن عبد الله بن العباس من دمشق وأنزله الحميمة في سنة خمس وتسعين للهجرة ولم يزل ولده بها إلى أن زالت دولة بني أمية وولد له بها نيف وعشرون ولدا ذكرا 426 القاضي أبو الحسن الجرجاني القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني الفقيه الشافعي كان فقيها أديبا شاعرا ذكره الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في كتاب طبقات الفقهاء وقال له ديوان شعر وهو القائل (يقولون لي فيك انقباض وإنما * رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما)

279 وهي أبيات طويلة ومشهورة فلا حاجة إلى ذكرها وذكر الثعالبي في كتاب يتيمة الدهر فقال هو فرد الزمان ونادرة الفلك وإنسان حدقة العلم وقبة تاج الأدب وفارس عسكر الشعر يجمع خط ابن مقلة إلى نثر الجاحظ ونظم البحتري وقد كان في صباه خلف الخضر في قطع الأرض وتدويخ بلاد العراق والشام وغيرها واقتبس من أنواع العلوم والآداب ما صار به في العلوم علما وفي الكمال عالما وأورد له مقاطيع كثيرة من الشعر فمن ذلك قوله (قد برح الحب بمشتاقك * فأوله أحسن أخلاقك) (لا تجفه وارع له حقه * فإنه آخر عشاقك) وأنشدني

صـــاحبنا الحســـام عيســـى بن ســـنجر بن بهرام المعروف بالحاجري الآتي ذكره لنفسه دوبيت في هذا المعنى وهو (ياعارضـــــه فديت بالأحداق * لم يبق على العهود غيري باقي) (ناشـدتك إلا ما عســى ترفق بي * في الحب فإني آخرالعشـاق) وله من أبيات (وقالوا توصـل بالخضـوع إلى الغنى * وما علموا أن الخضـــوع هو الفقر) (وبيني وبين المال شيئان حرما * علي الغنى نفسي الأبية والدهر) (إذا قيل هذا اليســـر أبصـــرت دونه * مواقف خير من وقوفي بها العســـر) وله أيضـــا (وقالوا اضـــطرب في الأرض فالرزق واسع * فقلت ولكن موضع الرزق ضيق) (إذا لم يكن في الأرض حر يعينني * ولم يك لي كسـب فمن أين أرزق)

280 وله أيضـــا في الصـــاحب بن عباد (ولا ذنب للأفكار أنت تركتها * إذا احتشدت لم تنتفع باحتشادها) (ســـبقت لأفراد المعاني وألفت * خواطرك الألفاظ بعد شـرادها) (فإن نحن حاولنا اختراع بديعة * حصـلنا عل مسروقها ومعادها) وله فيه يهنيه بالعافية من جملة أبيات (أفي كل يوم للمكارم روعة * لها في قلوب المكرمات وجيب) (تقسمت العلياء جسمك كله * فمن أين للأسقام فيه نصـــيب) (إذا ألمت نفس الوزير تألمت * لها أنفس تحيا بها وقلوب) (ووالله لا لاحظت وجها أحبه * حياتي وفي وجه الوزير شحوب) (وليس شحوبا ما أراه بوجهه * ولكنه في المكرمات ندوب) (فلا تجزعن تلك السـماء

تغيمت * وعما قليل تبتدي فتصـــوب) وله (ما تطعمت لذة العيش حتى * صــرت للبيت والكتاب جليســا) (ليس شيء أعز عندي من العلم * فما أبتغي سواه أنيسا) (إنما الذل في مخالطة الناس * فدعهم وعش عزيزا رئيســـا) وله (ما لي ومالك يا فراق * أبدأ رحيل وانطلاق) (يا نفس موتي بعدهم * فكذا يكون الاشـتياق) وشــعره كثير وطريقه فيه ســـهل وله كتاب الوســـاطة بين المتنبي وخصومه

281 أبان فيه عن فضـــل غزير واطلاع كثير ومادة متوفرة وذكر الحـاكم أبو عبـد الله ابن البيع في تـاريخ النيسـابوريين أنه توفي في سلخ صـفر سـنة ست وسـتين وثلثمائة بنيسـابور وعمره سـت وسـبعون سـنة رحمه الله تعالى وقال غيره إنه كان حسن السيرة في قضائه صدوقا ورد به أخوه محمد نيسابور في سنة سبع وثلاثين وثلثمائة وهو صـــغير غير بالغ وسـمعا من سـائر الشـيوخ ومات بالري وهو قاضي القضاة في سنة اثنتين وتسعين وثلثمائة وحمل تـابوتـه إلى جرجـان ودفن بهـا ونقل الحـاكم أثبت وأصـح وجرجان بضـم الجيم وسـكون الراء وفتح الجيم الثـانية وبعد الألف نون وهي مدينـة عظيمـة من نـاحيـة خراسـان 427 ابن المرزبان أبو الحسن علي بن أحمد بن المرزبان البغدادي الفقيه الشـافعي كان فقيها ورعا من جلة العلماء أخذ الفقه عن أبي الحســين ابن القطان وعنه أخذ الشـيخ أبو حامد الإسـفرايني أول قدومه بغداد وحكي عنه

أنه قال ما أعلم أن لأحد علي مظلمة وقد كان فقيها يعلم أن الغيبة من المظالم وكان مدرسا ببغداد وله وجه في مذهب الشافعي وتوفي في رجب سنة ست وستين وثلثمائة رحمه الله تعالى والمرزبان بفتح الميم وسكون الراء وضم الزاي وفتح الباء الموحدة وبعد الألف نون وهو لفظ فارسي معناه صاحب الحد ومرز هو الحد وبان صاحب وهو في الأصل اسم لمن كان دون الملك

282 428 الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري المعروف بالماوردي الفقيه الشافعي كان من وجوه الفقهاء الشافعية ومن كبارهم أخذ الفقه عن أبي القاسم الصيمري بالبصرة ثم عن الشيخ أبي حامد الإسفرايني ببغداد وكان حافظا للمذهب وله فيه كتاب الحاوي الذي لم يطالعه أحد إلا وشهد له بالتبحر والمعرفة التامة بالمذهب وفوض إليه القضاء ببلدان كثيرة واستوطن بغداد في درب الزعفراني وروى عنه الخطيب أبو بكر صاحب تاريخ بغداد وقال كان ثقة وله من التصانيف غير الحاوي تفسير القرآن الكريم والنكت والعيون وأدب الدين والدنيا والأحكام السلطانية وقانون الوزارة وسياسة الملك والإقناع في المذهب وهو مختصر وغير ذلك وصنف في أصول الفقه والأدب وانتفع الناس به وقيل إنه لم يظهر شيئا من تصانيفه في حياته وإنما جمع كلها في موضع فلما دنت وفاته قال لشخص يثق إليه الكتب التي في المكان الفلاني كلها تصنيفي وإنما لم أظهرها لأني لم أجد نية

خالصة لله تعالى لم يشبها كدر فإن عاينت الموت ووقعت في النزع فاجعل يدك في يدي فإن قبضت عليها وعصرتها فاعلم أنه لم يقبل مني شيء منها فاعمد إلى الكتب وألقها في دجلة

283 ليلا وإن بسطت يدي ولم أقبض على يدك فاعلم أنها قبلت وأني قد ظفرت بما كنت أرجوه من النية الخالصة قال ذلك الشخص فلما قارب الموت وضعت يدي في يده فبسطها ولم يقبض على يدي فعلمت أنها علامة القبول فأظهرت كتبه بعده وذكر الخطيب في أول تاريخ بغداد عن الماوردي المذكور قال كتب أخي إلي من البصرة وأنا ببغداد (طيب الهواء ببغداد يشوقني * قدما إليها وإن عاقت مقادير) (فكيف صبري عنها الآن إذ جمعت * طيب الهواءين ممدود ومقصور) وقال أبو العز أحمد بن عبيد الله بن كادش أنشدني أبو الحسن الماوردي قال أنشدنا أبو الخير الكاتب الواسطي بالبصرة لنفسه (جرى قلم القضاء بما يكون * فسيان التحرك والسكون) (جنون منك أن تسعى لرزق * ويرزق في غشاوته الجنين) ويقال إن أبا الحسن الماوردي لما خرج من بغداد راجعا إلى البصرة كان ينشد أبيات العباس بن الأحنف المقدم ذكره وهي (أقمنا كارهين لها فلما * ألفناها خرجنا مكرهينا) (وما حب البلاد بنا ولكن * أمر العيش فرقة من هوينا) (خرجت أقر ما كانت لعيني * وخلفت الفؤاد به رهينا) وإنما قال ذلك لأنه من أهل البصرة وما كان

يؤثر مفارقتها فدخل بغداد كارها لها ثم طابت له بعد ذلك ونسي البصرة فشق عليه فراقها وقد قيل إن هذه الأبيات لأبي محمد المزني الساكن بما وراء النهر كذا قال السمعاني والله أعلم

284 وتوفي يوم الثلاثاء سلخ شهر ربيع الأول سنة خمسين وأربعمائة ودفن من الغد في مقبرة باب حرب ببغداد وعمره ست وثمانون سنة رحمه الله تعالى والماوردي نسبة إلى بيع الماورد هكذا قاله الحافظ ابن السمعاني 429 أبو الحسن الأشعري أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله ابن موسى بن بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعري صاحب رسوله الله هو صاحب الأصول والقائم بنصرة مذهب السنة وإليه تنسب الطائفة الأشعرية وشهرته تغني عن الإطالة في تعريفه والقاضي أبو بكر الباقلاني ناصر مذهبه ومؤيد اعتقاده وكان أبو الحسن يجلس أيام الجمع في حلقة أبي إسحاق المروزي الفقيه الشافعي في جامع المنصور ببغداد ومولده سنة سبعين وقيل ستين ومائتين بالبصرة وتوفي سنة نيف وثلاثين وثلثمائة وقيل سنة أربع وعشرين وثلثمائة وقيل سنة ثلاثين فجأة حكاه ابن الهمذاني في ذيل تاريخ الطبري ببغداد ودفن بين الكرخ وباب البصرة رحمه الله تعالى قال الحافظ أبو القاسم ابن عساكر في كتاب تبيين كذب المفتري فيما

285 نسب للشيخ أبي الحسن الأشعري بعد أن حكى في تاريخ وفاته أقوالا وقال بعض البصـريين مات سـنة ثلاث وثلاثين وهذا القول أراه صـحيحا والأصـح أنه مات سنة أربع وعشرين وكذلك ذكره أبو بكر ابن فورك انتهى وقـد تقـدم ذكر جـده أبي بردة في أول حرف العين والأشعري بفتح الهمزة وسكون الشين المعجمة وفتح العين المهملة وبعدها راء هذه النسـبة إلى أشـعر واسـمه نبت بن أدد بن زيد بن يشـجب وإنما قيل له أشـعر لأن أمه ولدته والشعر على بدنه هكذا قاله السعاني والله أعلم وقد صنف الحافظ أبو القاسـم ابن عسـاكر في مناقبه مجلدا وكان أبو الحسـن الأشـعري أولا معتزليا ثم تاب من القول بالعدل وخلق القرآن في المسـجد الجامع بالبصـرة يوم الجمعة ورقي كرسـيا ونادى بأعلى صـوته من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسـي أنا فلان بن فلان كنت أقول بخلق القرآن وأن الله لا تراه الأبصار وأن أفعال الشر أنا أفعلها وأنا تائب مقلع معتقد للرد على المعتزلة مخرج لفضـائحهم ومعايبهم وكان فيه دعابة ومزاح كثير وله من الكتب كتاب اللمع وكتاب الموجز وكتاب إيضـاح البرهان وكتاب التبيين عن أصـول الدين وكتاب الشـرح والتفصـيل في الرد على أهل الإفك والتضليل وهو صـاحب الكتب في الرد على الملاحـدة وغيرهم من المعتزلـة والرافضـة والجهمية والخوارج وسائر أصناف المبتدعة

286 ودفن في مشــرعة الروايا في تربة إلى جانبها مسجد وبالقرب منها حمام وهو عن يسار المار من السوق إلى دجلة وكان يأكل من غلة ضـــيعة وقفها جده بلال بن أبي بردة ابن أبي موســـى على عقبه وكانت نفقته في كل يوم ســبعة عشــر درهما هكذا قاله الخطيب وقال أبو بكر الصيرفي كانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى أظهر الله الأشعري فجحرهم في أقماع السمسم وقال أبو محمد علي ابن حزم الأندلسـي إن أبا الحسن له من التصـانيف خمسـة وخمسون تصنيفا 430 الكيا الهراسي أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري الملقب عماد الدين المعروف بالكيا الهراسي الفقيه الشافعي كان من أهل طبرستان وخرج إلى نيسابور وتفقه على إمام الحرمين أبي المعالي الجويني مدة إلى أن برع وكان حســن الوجه جهوري الصــوت فصــيح العبارة حلو الكلام ثم خرج من نيســابور إلى بيهق ودرس بها مدة ثم خرج إلى العراق وتولى تدريس المدرســة النظامية ببغداد إلى أن توفي وذكره الحافظ عبد الغافر بن إسـماعيل الفارسـي المقدم ذكره في سـياق تاريخ نيسـابور فقال كان من رؤوس معيدي إمام الحرمين في

287 الدرس وكان ثاني أبي حامد الغزالي بل آصـل وأصلح وأطيب في الصوت والنظر ثم اتصل بخدمة مجد الملك بركياروق بن ملك شاه السلجوقي المذكور في حرف الباء وحظي عنده بالمال والجاه وارتفع شــأنه وتولى القضــاء بتلك الدولة وكان محدثا يســتعمل الأحاديث في

مناظراته ومجالسه ومن كلامه إذا جالت فرسان الأحاديث في ميادين الكفاح طارت رؤوس المقاييس في مهاب الرياح وحدث الحافظ أبو طاهر السلفي قال استفتيت شيخنا أبا الحسن المعروف بالكيا الهراسي ببغداد في سنة خمس وتسعين وأربعمائة لكلام جرى بيني وبين الفقهاء بالمدرسة النظامية وصورة الاستفتاء ما يقول الإمام وفقه الله تعالى في رجل أوصى بثلث ماله للعلماء والفقهاء هل تدخل كتبة الحديث تحت هذه الوصية أم لا فكتب الشيخ تحت السؤال نعم كيف لا وقد قال النبي (من حفظ على أمتي أربعين حديثا من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة فقيها عالما) وسئل الكيا أيضا عن يزيد بن معاوية فقال إنه لم يكن من الصحابة لأنه ولد في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأما قول السلف ففيه لأحمد قولان تلويح وتصريح ولمالك قولان تلويح وتصريح ولأبي حنيفة قولان تلويح وتصريح ولنا قول واحد التصريح دون التلويح وكيف لا يكون كذلك وهو اللاعب بالنرد والمتصيد بالفهود ومدمن الخمر وشعره في الخمر معلوم ومنه قوله (أقول لصحب ضمت الكأس شملهم * وداعي صبابات الهوى يترنم) (خذوا بنصيب من نعيم ولذة * فكل وإن طال المدى يتصرم) (ولا تتركوا يوم السرور إلى غد * فرب غد يأتي بما ليس يعلم)

288 وكتب فصلا طويلا ثم قلب الورقة وكتب لو مددت ببياض لمددت العنان في مخازي هذا الرجل وكتب

فلان بن فلان وقد أفتى الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى في مثل هذه المســـألة بخلاف ذلك فإنه ســـئل عمن صرح بلعن يزيد هل يحكم بفسقه أم هل يكون ذلك مرخصا فيه وهل كان مريدا قتل الحســـين رضـــي الله عنه أم كان قصـــده الدفع وهل يســـوغ الترحم عليه ام الســـكوت عنه أفضل ينعم بإزالة الاشتباه مثابا فأجاب لا يجوز لعن المسلم أصـــلا ومن لعن مســـلما فهو الملعون وقد قال رســـول الله المسلم ليس بلعان وكيف يجوز لعن المسلم ولا يجوز لعن البهائم وقد ورد النهي عن ذلك وحرمة المســـلم أعظم من حرمة الكعبة بنص النبي ويزيد صح إسلامه وما صح قتله الحسين رضي الله عنه ولا أمره ولا رضاه بذلك ومهما لم يصـــح ذلك منه لا يجوز أن يظن ذلك به فإن إســـاءة الظن بالمســـلم أيضـــا حرام وقد قال تعالى (^ اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم) وقال النبي (إن الله حرم من المسلم دمه وماله وعرضه وأن يظن به ظن السوء) ومن زعم أن يزيد أمر بقتل الحسين رضي الله عنه أو رضي به فينبغي أن يعلم به غاية حماقة فإن من قتل من الأكابر والوزراء والسلاطين في عصره لو أراد أن يعلم حقيقة من الذي أمر بقتله ومن الذي رضـــي به ومن الذي كرهه لم يقدر على ذلك وإن كان قد قتل في جواره وزمانه وهو يشـــاهده فكيف لو كان في بلد بعيد وزمن قديم قد انقضـــى فكيف يعلم ذلك فيما انقضـــى عليه قريب من أربعمائة سنة في مكان بعيد وقد تطرق التعصـــب في الواقعة فكثرت فيها

الأحاديث من الجوانب فهذا أمر لا تعرف حقيقته أصلا
وإذا لم يعرف وجب إحسان الظن بكل مسلم يمكن إحسان
الظن به ومع هذا فلو ثبت على مسلم أنه قتل مسلما فمذهب
أهل الحق أنه ليس بكافر والقتل ليس بكفر بل هو معصية
وإذا مات القاتل فربما مات بعد التوبة والكافر
289 لو تاب من كفره لم تجز لعنته فكيف من تاب
عن قتل وبم يعرف أن قاتل الحسين رضي الله عنه مات
قبل التوبة وهو الذي يقبل التوبة عن عباده فإذن لا يجوز
لعن أحد ممن مات من المسلمين ومن لعنه كان فاسقا
عاصيا لله تعالى ولو جاز لعنه فسكت لم يكن عاصيا
بالإجماع بل لو لم يلعن إبليس طول عمره لا يقال له يوم
القيامة لم لم تلعن إبليس ويقال للاعن لم لعنت ومن أين
عرفت أنه مطرود ملعون والملعون هو المبعد من الله عز
وجل وذلك غيب لا يعرف إلا فيمن مات كافرا فإن ذلك
علم بالشرع وأما الترحم عليه فهو جائز بل هو مستحب بل
هو داخل في قولنا في كل صلاة اللهم اغفر للمؤمنين
والمؤمنات فإنه كان مؤمنا والله أعلم كتبه الغزالي وكانت
ولادة الكيا في ذي القعدة سنة خمسين وأربعمائة وتوفي
يوم الخميس وقت العصر مستهل المحرم سنة أربع
وخمسمائة ببغداد ودفن في تربة الشيخ أبي إسحاق
الشيرازي رحمه الله تعالى وحضر دفنه الشيخ أبو طالب
الزينبي وقاضي القضاة أبو الحسن ابن الدامغاني وكانا
مقدمي الطائفة الحنفية وكان بينه وبينهما في حال الحياة

منافسـة فوقف أحدهما عند رأسـه والآخر عند رجليه فقال ابن الدامغاني متمثلا (وما تغني النوادب والبواكي * وقد أصبحت مثل حديث أمس) وأنشد الزينبي متمثلا أيضا (عقم النسـاء فما يلدن شـبيهه * إن النسـاء بمثله عقم) ولم أعلم لأي معنى قيـل لـه الكيـا وفي اللغـة العجميـة الكيـا هوالكبير القدر المقدم بين الناس وهو بكسـر الكاف وفتح اليـاء المثنـاة من تحتهـا وبعدهـا ألف وكـان في خـدمتـه بالمدرسـة النظامية أبو إسـحاق إبراهيم بن عثمان الغزي الشـاعر المشـهور المقدم ذكره في حرف الهمزة فرثاه ارتجالا بهذه الأبيات على ما حكاه الحافظ ابن عسـاكر في تاريخه الكبير وهي

290 (هي الحوادث لا تبقي ولا تذر * ما للبرية من محتومها وزر) (لو كان ينجي علو من بوائقها * لم تكسـف الشـمس بل لم يخسـف القمر) (قل للجبان الذي أمسـى على حذر * من الحمام متى رد الردى الحذر) (بكى على شـمسـه الإسـلام إذ أفلت * بأدمع قل في تشـبيهها المطر) (حبر عهدناه طلق الوجه مبتسـما * والبشـر أحسـن ما يلقى بن البشـر) (لئن طوته المنايا تحت أخمصـها * فعلمه الجم في الآفاق منتشـر) (سـقى ثراك عماد الدين كل ضـحى * صـوب الغمام ملث الودق منهمر) (عند الورى من أسـى أيقنتـه خبر * فهل أتـاك من استيحاشـهم خبر) (أحيا ابن إدريس درس كنت تورده * تحار في نظمه الأذهان والفكر) (من فاز منه بتعليق فقد

علقت * يمينه بشهاب ليس ينكدر) (كأنما مشكلات الفقه يوضحها * جباه دهم لها من لفظه غرر) (ولو عرفت له مثلا دعوت له * وقلت دهري إلى شـــرواه مفتقر) 431 الحافظ المقدسي أبو الحسن علي بن الأنجب أبي المكارم المفضل بن أبي الحسن علي بن أبي الغيث مفرج بن حاتم بن الحسن بن جعفر بن إبراهيم بن الحسن اللخمي المقدسي الأصــل الاسـكندراني المولد والدار المالكي المذهب كان فقيها فاضلا في مذهب الإمام

291 مـالـك رضـــي الله عنـه ومن أكـابر الحفـاظ المشـاهير في الحديث وعلومه صـحـب الحافظ أبا الطاهر السـلفي الأصـبهاني نزيل الاسـكندرية رحمه الله تعالى وانتفع به وصـحبه شـيخنا الحافظ العلامة زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله المنذري ولازم صـحبته وبه انتفع وعليه تخرج وذكر عنه فضـلا غزيرا وصلاحا كثيرا وأنشدني له مقاطيع عديدة فمما أنشدني قال أنشـدني الحافظ أبو الحسـن المقدسـي المذكور لنفسـه (تجاوزت سـتين من مولدي * فأسـعد أيامي المشـترك) (يسـائلني زائري حالتي * وما حال من حل في المعترك) وأنشـدني أيضـا قال أنشـدني الحافظ لنفسـه (أيا نفس بالمأثور عن خير مرسل * وأصـحابه والتابعين تمسكي) (عساك إذا بالغت في نشر دينه * بما طاب من نشر له أن تمسـكي) (وخافي غدا يوم الحسـاب جهنما * إذا لفحت نيرانها أن تمسك) وأنشدني أيضـا قال أنشدني لنفسه (

ثلاث بـاءات بلينـا بهـا * البق والبرغوث والبرغش) (
ثلاثة أوحش ما في الورى * ولســـت أدري أيها أوحش)
وأنشدني أيضا قال أنشدني لنفسه (ولمياء تحيي من تحيي
بريقها * كأن مزاج الراح بالمســـك في فيها) (وما ذقت
فاها غير أني رويته * عن الثقة المســـواك وهو موافيها)
وهذا معنى مستعمل قد سار في كثير من أشعار المتقدمين
والمتأخرين فمن
292 ذلك قول بشـــار بن برد من جملة أبيات (يا
أطيـب النـاس ريقـا غير مختبر * إلا شـــهـادة أطراف
المســاويك) وقول الأبيوردي من جملة أبيات (وأخبرني
أترابهـا أن ريقهـا * علـى مـا حكى عود الأراك لـذيـذ)
ونقتصـــر على هذا القدر وكان الحافظ المذكور ينوب في
الحكم بثغر الإســـكندرية المحروس ودرس به بالمدرســـة
المعروفة به هناك ثم انتقل إلى مدينة القاهرة المحروســـة
ودرس بها بالمدرسة الصاحبية وهي مدرسة الوزير صفي
الـدين أبي محمد عبد الله بن علي المعروف بـابن شـــكر
واســـتمر بها إلى حين وفاته وكانت ولادته ليلة الســـبت
الرابع والعشـــرين من ذي القعـدة ســـنــة أربع وأربعين
وخمســـمائة بالثغر المحروس وتوفي يوم الجمعة مســـتهل
شعبان سنة إحدى عشرة وستمائة بالقاهرة رحمه الله تعالى
112 وتوفي والده القاضـــي الأنجب أبو المكارم المفضـل
في رجب ســـنة أربع وثمانين وخمســـمائة وكان مولده في
ســنة ثلاث وخمسـمائة رحمهما الله تعالى والمقدســي بفتح

الميم وسكون القاف وكسر الدال المهملة وفي آخرها سين مهملة هذه النسبة إلى بيت المقدس واللخمي تقدم الكلام عليه

293 432 السيف الآمدي أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلبي الفقيه الأصولي الملقب سيف الدين الآمدي كان في أول اشتغاله حنبلي المذهب وانحدر إلى بغداد وقرأ بها على ابن المني أبي الفتح نصر بن فتيان الحنبلي وبقي على ذلك مدة ثم انتقل إلى مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه وصحب الشيخ أبا القاسم ابن فضلان واشتغل عليه في الخلاف وتميز فيه وحفظ طريقة الشريف وزوائد طريقة أسعد الميهني المقدم ذكره ثم انتقل إلى الشام واشتغل بفنون المعقول وحفظ منه الكثير وتمهر فيه وحصل منه شيئا كثيرا ولم يكن في زمانه أحفظ منه لهذ العلوم ثم انتقل إلى الديار المصرية وتولى الإعادة بالمدرسة المجاورة لضريح الإمام الشافعي رضي الله عنه التي بالقرافة الصغرى وتصدر بالجامع الظافري بالقاهرة مدة واشتهر بها فضله واشتغل عليه الناس وانتفعوا به ثم حسده جماعة من فقهاء البلاد وتعصبوا عليه ونسبوه إلى فساد العقيدة وانحلال الطوية والتعطيل ومذهب الفلاسفة والحكماء وكتبوا محضرا يتضمن ذلك ووضعوا فيه خطوطهم بما يستباح به الدم وبلغني عن رجل منهم فيه عقل ومعرفة أنه لما رأى تحاملهم عليه وإفراط التعصب

كتب في المحضـــر وقد حمل إليه ليكتب فيه مثل ما كتبوا فكتب

294 (حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه * فالقوم أعداء له وخصـــوم) والله أعلم وكتب فلان بن فلان ولما رأى ســيف الدين تألبهم عليه وما اعتمدوه في حقه ترك البلاد وخرج منها مستخفيا وتوصل إلى الشام واستوطن مدينة حماة وصنف في أصول الفقه والدين والمنطق والحكمة والخلاف وكل تصانيفه مفيدة فمن ذلك كتاب أبكار الأفكار في علم الكلام واختصـــره في كتاب ســـماه منائح القرائح ورموز الكنوز وله دقائق الحقائق ولباب الألباب ومنتهى السول في علم الأصول وله طريقة في الخلاف ومختصر في الخلاف أيضا وشرح جدل الشريف وله مقدار عشرين تصنيفا وانتقل إلىدمشق ودرس بالمدرسة العزيزية وأقام بها زمانا ثم عزل عنها لسبب اتهم فيه وأقام بطالا في بيته وتوفي على تلك الحال في رابع صـــفر يوم الثلاثاء ســـنة إحدى وثلاثين وستمائة ودفن بسفح جبل قاسيون وكانت ولادته في سنة إحدى وخمسين وخمسمائة رحمه الله تعالى والآمدي بالهمزة الممدودة والميم المكســـورة وبعدها دال مهملة هذه النســـبة إلى آمد وهي مدينة كبيرة في ديار بكر مجاورة لبلاد الروم 113 وكان أبو الفتح نصـــر بن فتيان بن المني المذكور فقيها محدثا انتفع به جماعة كبيرة ومولده سنة إحدى وخمسمائة وتوفي خامس شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة رحمه الله تعالى

295 433 الكسائي أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي بالولاء الكوفي المعروف بالكسائي أحد القراء السبعة كان إماما في النحو واللغة والقراءات ولم تكن له في الشعر يد حتى قيل ليس في علماء العربية أجهل من الكسائي بالشعر وكان يؤدب الأمين بن هارون الرشيد ويعلمه الأدب ولم يكن له زوجة ولا جارية فكتب إلى الرشيد يشكو العزبة في هذه الأبيات (قل للخليفة ما تقول لمن * أمسى إليك بحرمة يدلي) (ما زلت مذ صار الأمين معي * عبدي يدي ومطيتي رجلي) (وعلى فراشي من ينبهني * من نومتي وقيامه قبلي) (أسعى برجل منه ثالثة * موفورة مني بلا رجل) (وإذا ركبت أكون مرتدفا * قدام سرجي راكب مثلي) (فامنن علي بما يسكنه * عني وأهد الغمد للنصل) فأمر له لارشيد بعشرة آلاف درهم وجارية حسناء بجميع آلاتها وخادم وبرذون بجميع آلته

296 واجتمع يوما بمحمد بن الحسن الفقيه الحنفي في مجلس الرشيد فقال الكسائي من تبحر في علم تهدى إلى جميع العلوم فقال له محمد ما تقول فيمن سها في سجود السهو هل يسجد مرة اخرى قال الكسائي لا قال لماذا قال لأن النحاة تقول التصغير لا يصغر هكذا وجدت هذه الحكاية في عدة مواضع وذكر الخطيب في تاريخ بغداد أن هذه القضية جرت بين محمد ابن الحسن المذكور والفراء الآتي ذكره إن شاء الله تعال وهما ابنا خالة والله

أعلم بالصـــواب رجعنا إلى بقية الحكاية فقال محمد فما تقول في تعليق الطلاق بالملك قال لا يصـح قال لم قال لأن السيل لا يسبق المطر وله مع سيبويه وأبي محمد اليزيدي مجالس ومناظرات سـيأتي ذكر بعضـها في تراجم أربابها إن شـاء الله تعالى روى الكسـائي عن أبي بكر ابن عياش وحمزة الزيـات وابن عيينـة وغيرهم وروى عنـه الفراء وأبو عبيد القاسـم بن سـلام وغيرهما وتوفي سـنة تسـع وثمانين ومائة بالري وكان قد خرج إليها صـحبة هارون الرشيد قال السمعاني وفي ذلك اليوم توفي محمد بن الحسن المذكور بالري أيضـا كما سـيأتي في ترجمته إن شـاء الله تعـالى وكـذا قـال ابن الجوزي في شـذور العقود توفي برنبويه قرية من قرى الري ورنبويه مذكورة في ترجمة محمد بن الحسـن وقال السـمعاني أيضـا وقيل إن الكسـائي مات بطوس سـنة اثنتين أو ثلاث وثمانين ومائة والله أعلم ويقال إن الرشـيد كان يقول دفنت الفقه والعربية بالري والكسـائي بكسـر الكاف وفتح السـين المهملة وبعدها ألف ممدودة وإنما قيل له الكسـائي لأنه دخل الكوفة وجاء إلى حمزة بن حبيب الزيات وهو ملتف

297 بكسـاء فقال حمزة من يقرأ فقيل له صـاحب الكسـاء فبقي عليه وقيل بل أحرم في كسـاء فنسـب إليه رحمه الله تعالى 434 الدارقطني أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي الدارقطني الحافظ المشـهور كان عالما حافظا فقيها على مذهب الإمام الشـافعي رضـي

الله عنه أخذ الفقه عن أبي سعيد الإصطخري الفقيه الشافعي وقيل بل أخذه عن صاحب لأبي سعيد وأخذ القراءة عرضا وسماعا عن محمد بن الحسن النقاش وعلي بن سعيد القزاز ومحمد بن الحصين الطبري ومن في طبقتهم وسمع من أبي بكر ابن مجاهد وهو صغير وانفرد بالإمامة في علم الحديث في دهره ولم ينازعه في ذلك أحد من نظرائه وتصدر في آخر أيامه للإقراء ببغداد وكان عارفا باختلاف الفقهاء ويحفظ كثيرا من دواوين العرب منها ديوان السيد الحميري فنسب إلى التشيع لذلك وروى عنه الحافظ أبو نعيم الأصبهاني صاحب حلية الأولياء وجماعة كثيرة وقبل القاضي ابن معروف شهادته في سنة ست وسبعين وثلثمائة فندم على ذلك وقال كان يقبل قولي على رسول الله بانفرادي فصار لا يقبل قولي على نقلي إلا مع آخر وصنف كتاب السنن والمختلف والمؤتلف وغيرهما وخرج من بغداد

298 إلى مصر قاصدا أبا الفضل جعفر بن الفضل المعروف بابن حنزابة وزير كافور الإخشيدي المذكور في حرف الجيم فإنه بلغه أن أبا الفضل عازم على تأليف مسند فمضى إليه ليساعده عليه وأقام عنده مدة وبالغ أبو الفضل في إكرامه وأنفق عليه نفقة واسعة وأعطاه شيئا كثيرا وحصل له بسببه مال جزيل ولم يزل عنده حتى فرغ المسند وكان يجتمع هو والحافظ عبد الغني ابن سعيد المقدم ذكره على تخريج المسند وكتابته إلى أن نجز وقال

الحافظ عبد الغني المذكور أحسن الناس كلاما على حديث رسول الله ثلاثة علي بن المديني في وقته وموسى بن هارون في وقته والدارقطني في وقته وسأل الدارقطني يوما أحد أصحابه هل رأى الشيخ مثل نفسه فامتنع من جوابه وقال قال الله تعالى (^ فلا تزكوا أنفسكم) فألح عليه فقال إن كان في فن واحد فقد رأيت من هو أفضل مني وإن كان من اجتمع فيه ما اجتمع في فلا وكان مفننا في علوم كثيرة وإماما في علوم القرآن وكانت ولادة الحافظ المذكور في ذي القعدة سنة ست وثلثمائة وتوفي يوم الأربعاء لثمان خلون من ذي القعدة وقيل ذي الحجة سنة خمس وثمانين وثلثمائة ببغداد وصلى عليه الشيخ أبو حامد الإسفرايني الفقيه المشهور المقدم ذكره ودفن قريبا من معروف الكرخي في مقبرة باب الدير رحمه الله تعالى والدارقطني بفتح الدال المهملة وبعد الألف راء مفتوحة ثم قاف مضمومة

299 وبعدها طاء مهملة ساكنة ثم نون هذه النسبة إلى دار القطن وكانت محلة كبيرة ببغداد 435 الرماني أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرماني النحوي المتكلم أحد الأئمة المشاهير جمع بين علم الكلام والعربية وله تفسير القرآن الكريم أخذ الأدب عن أبي بكر ابن دريد وأبي بكر ابن السراج وروى عنه أبو القاسم التنوخي وأبو محمد الجوهري وغيرهما وكانت ولادته ببغداد سنة ست وتسعين ومائتين وتوفي ليلة الأحد حادي

عشـــر جمادى الأولى ســـنة أربع وثمانين وقيل اثنتين وثمانين وثلثمائة رحمه الله تعالى وأصله من سر من رأى والرماني بضـــم الراء وتشـــديد الميم وبعد الألف نون هذه النســـبة يجوز أن تكون إلى الرمان وبيعه ويمكن أن تكون إلى قصر الرمان وهو قصر بواسط معروف وقد نسب إلى هذا و هذا خلق كثير ولم يذكر الســـمعاني أن نســـبة أبي الحسن المذكور إلى أيهما والله أعلم

300 436 الحوفي صاحب التفسير أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سعيد بن يوسف الحوفي النحوي كان عالما بالعربية وتفســـير القرآن الكريم وله تفســـير جيد واشـــتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به ورأيت خطه على كثير من كتب الأدب قد قرئت عليه وكتب لأربابها بالقراءة كما جرت عادة المشـــايخ وتوفي بكرة يوم الســـبت مســـتهل ذي الحجة ســـنة ثلاثين وأربعمائة رحمه الله تعالى والحوفي بفتح الحاء المهملة وســـكون الواو وفي آخرها فاء هذه النسبة إلى حوف قال السمعاني ظني أنها قرية بمصر حتى قرأت في تاريخ البخاري أنها من عمان منها أبو الحســـن المذكور ثم قال وكان عنده من تصانيف النحاس أبي جعفر المصـــري قطعة كثيرة قلت قوله قرية بمصـــر ليس كذلك بل الناحية المعروفة بالشـــرقية التي قصـــبتها مدينة بلبيس جميع ريفها يســـمونه الحوف ولا أعلم ثم قرية يقال لها حوف والله أعلم وأبو الحســـن من حوف مصـــر وبعد أن فرغت من ترجمة أبي الحســـن الحوفي على هذه الصـــورة

ظفرت بترجمته مفصــلة وذلك أنه من قرية يقال لها شــبرا اللنجة من أعمال الشرقية
301 المذكورة وأنه دخل مصـــر وقرأ على أبي بكر الأدفوي ولقي جمـاعـة من علمـاء المغرب وأخـذ عنهم وتصـــدر لإفادة العربية وصـــنف في النحو مصـــنفا كبيرا وصـــنف في إعراب القرآن كتابا في عشـــر مجلدات وله تصـانيف كثيرة يشـتغل بها الناس 437 الأخفش الأصـغر أبو الحسن علي بن سليمان بن الفضل المعروف بالأخفش الأصـــغر النحوي كـان عـالمـا روى عن المبرد وثعلـب وغيرهمـا وروى عنـه المرزبـاني وأبو الفرج المعـافى الجريري وغيرهمـا وكـان ثقـة وهو غير الأخفش الأكبر والأخفش الأوســـط 114 فـإن الأخفش الأكبر هو أبو الخطـاب عبـد الحميـد بن عبـد المجيـد من أهـل هجر من مواليهم وكان نحويا لغويا وله ألفاظ لغوية انفرد بنقلها عن العرب وأخذ عنه ســيبويه وأبو عبيدة ومن في طبقتهما ولم أظفر له بوفاة حتى أفرد له ترجمة والأخفش الأوســـط أبو الحســن ســعيد بن مســعدة وقد تقدم ذكره في حرف الســين وهو صاحب سيبويه وكان بين الأخفش المذكور وبين ابن الرومي الشــاعر منافســة فكان الأخفش يباكر داره ويقول عند بابه كلاما يتطير به وكان ابن الرومي كثير التطير
302 فإذ ســـمع كلامه لم يخرج ذلك اليوم من بيته فكثر ذلك منه فهجاه ابن الرومي بأهاج كثيرة وهي مثبتة في ديوانـه وكـان الأخفش يحفظهـا ويوردهـا في جملـة مـا

يوردها استحسانا لها وافتخارا بأنه نوه بذكره إذ هجاه فلما علم ابن الرومي بذلك أقصـر عنه وقال المرزباني لم يكن الأخفش بالمتسـع في الرواية للأشـعار والعلم بالنحو وما علمته صنف شيئا البتة ولا قال شعرا وكان إذا سئل عن مسألة في النحو ضجر وانتهر من يسأله وكانت وفاة أبي الحسـن المذكور في ذي القعدة وقيل شـعبان سـنة خمس عشرة وقيل ست عشرة وثلثمائة فجأة ببغداد ودفن بمقبرة قنطرة بردان ودخل مصـر سـنة سـبع وثمانين ومائتين وخرج منها إلى حلب سـنة سـت وثلثمائة رحمه الله تعالى والأخفش بفتح الهمزة وسـكون الخاء المعجمة وفتح الفاء وبعدها شين معجمة وهو الصغير العين من سوء بصرها وبردان بفتح الباء الموحدة والراء والدال المهملة وبعد الألف نون وهي قرية من قرى بغداد خرج منها جماعة من العلماء وغيرهم وقال أبو الحسـن ثابت بن سنان كان الأخفش المذكور يواصـل المقام عند أبي علي ابن مقلة وأبو علي يراعيه ويبره فشـكا إليه في بعض الأيام ما هو فيه من شدة الفاقة وزيادة الإضافة وسأله أن يكلم الوزير أبا الحسن علي بن عيسى في أمره ويسأله إقرار رزق له في جملة من يرتزق من أمثاله فخاطبه أبو علي في ذلك وعرفه اختلال حاله وتعذر القوت عليه في أكثر أيامه وسـأله أن يجري عليه رزقا أسـوة بأمثاله فانتهره الوزير انتهارا شـديدا وكان ذلك في مجلس حافل فشـق ذلك على

أبي علي وقام من مجلسه وصار إلى منزله لائما نفسه على سؤاله ووقف الأخفش على الصورة فاغتم لها وانتهت
303 به الحال إلى أكل السلجم النيء فقيل إنه قبض على فؤاده فمات فجأة في التاريخ المذكور وكان أبو الحسن الأخفش كثيرا ما ينشد وعلي على الناس وكأنه كان يعرض بأبي علي ابن مقلة الوزير (هون عليك فإني غير جائيكا * وإنني غير ماض في نواحيكا) (والله لو كانت الدنيا بزينتها * واد بكفك لم احلل بواديكا) (ولو ملكت رقاب الناس كلهم * شرقا وغربا لما جئنا نهنيكا) 438
الواحدي أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متويه الواحدي المتوي صاحب التفاسير المشهورة كان أستاذ عصره في النحو والتفسير ورزق السعادة في تصانيفه وأجمع الناس على حسنها وذكرها المدرسون في دروسهم منها البسيط في تفسير القرآن الكريم وكذلك الوسيط وكذلك الوجيز ومنه أخذ أبو حامد الغزالي أسماء كتبه الثلاثة وله كتاب أسباب النزول والتحبير في شرح أسماء الله تعالى الحسنى وشرح ديوان أبي الطيب المتنبي شرحا مستوفى وليس في شروحه مع كثرتها مثله وذكر فيه أشياء غريبة منها أنه في شرح هذا البيت وهو
304 (وإذا المكارم والصوارم والقنا * وبنات أعوج كل شيء يجمع) تكلم على البيت ثم قال في أعوج إنه فحل كريم كان لبني هلال بن عامر وإنه قيل لصاحبه ما رأيت من شدة عدوه فقال ضللت في بادية وانا راكبه

فرأيت سرب قطا يقصد الماء فتبعته وانا أغض من لجامه حتى توافينا الماء دفعة واحدة وهذا أغرب شيء يكون فإن القطا شديد الطيران وإذا قصد الماء اشتد طيرانه أكثر من غير قصد الماء ثم ما كفى حتى قال كنت أغض من لجامه ولولا ذلك لكان يسبق القطا وهذه مبالغة عظيمة وإنما قيل له أعوج لأنه كان صغيرا وقد جاءتهم غارة فهربوا منها وطرحوه في خرج وحملوه لعدم قدرته على متابعتهم لصغره فاعوج ظهره من ذلك فقيل له أعوج وهذا البيت من جملة القصيدة التي رثى بها فاتكا المجنون وكان الواحدي المذكور تلميذ الثعلبي صاحب التفسير المقدم ذكره في حرف الهمزة وعنه أخذ علم التفسير وأربى عليه وتوفي عن مرض طويل في جمادى الآخرة سنة ثمان وستين وأربعمائة بمدينة نيسابور رحمه الله تعالى ومتويه بفتح الميم وتشديد التاء المثناة من فوقها وضمها وسكون الواو وبعدها ياء مفتوحة مثناة من تحتها ثم هاء ساكنة ونسبة المتوي إلى هذا الجد والواحدي بفتح الواو وبعد الألف حاء مهملة مكسورة وبعدها دال مهملة لم أعرف هذه النسبة إلى أي شيء هي ولا ذكرها السمعاني ثم وجدت هذه النسبة إلى الواحد بن الدين بن مهرة ذكره أبو أحمد العسكري

305 439 ابن ماكولا الأمير سعد الملك أبو نصر علي بن هبة الله بن علي بن جعفر بن علكان بن محمد ابن دلف بن أبي دلف القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل بن

عمير العجلي المعروف بابن ماكولا وبقية نسبه مستوفاة في ترجمة جده أبي دلف القاسم بن عيسى في حرف القاف وأصله من جرباذقان من نواحي أصبهان ووزر أبوه أبو القاسم هبة الله للإمام القائم بأمر الله وتولى عمه أبو عبد الله الحسين ابن علي قضاء بغداد سمع الحديث الكثير وصنف المصنفات النافعة وأخذ عن مشايخ العراق وخراسان والشام وغير ذلك وكان أحد الفضلاء المشهورين تتبع الألفاظ المشتبهة في الأسماء الأعلام وجمع منها شيئا كثيرا وكان الخطيب أبو بكر صاحب تاريخ بغداد قد أخذ كتاب الحافظ أبي الحسن الدارقطني المسمى المختلف والمؤتلف وكتاب الحافظ عبد الغني بن سعيد الذي سماه مشتبه النسبة وجمع بينهما وزاد عليهما وجعله كتابا مستقلا سماه المؤتنف تكملة المختلف وجاء الأمير أبو نصر المذكور وزاد على هذا المؤتنف وضم إليه الأسماء التي وقعت له وجعله أيضا كتابا مستقلا سماه الإكمال وهو في غاية الإفادة في رفع الالتباس والضبط والتقييد وعليه اعتماد المحدثين وأرباب هذا الشأن فإنه لم يوضع مثله ولقد أحسن فيه غاية الإحسان ثم جاء ابن نقطة الآتي ذكره إن شاء الله تعالى وذيله وما أقصر فيه أيضا وما يحتاج الأمير

306 المذكور مع هذا الكتاب إلى فضيلة أخرى وفيه دلالة على كثرة اطلاعه وضبطه وإتقانه ومن الشعر المنسوب إليه) قوض خيامك عن أرض تهان بها *

وجـانـب الـذل إن الـذل يجتنـب) (وارحـل إذا كـان في الأوطان منقصـــــة * فالمندل الرطب في أوطانه حطب)
وكانت ولادته في عكبرا في خامس شــعبان ســنة إحدى وعشــرين وأربعمائة وقتله غلمانه بجرجان في ســنة نيف وسـبعين وأربعمائة وذكر أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب المنتظم أنه قتل في سنة خمس وسبعين وأربعمائة وقيل في ســنة ســبع وثمانين وقال غيره في ســنة تســع وســبعين بخوزســـتـان وقيـل بـالأهواز وقـال الحميـدي خرج إلى خراســـان ومعه غلمان له أتراك فقتلوه بجرجان وأخذوا ماله وهربوا وطاح دمه هدرا رحمه الله تعالى ومدحه الشــاعر المعروف بصــردر الآتي ذكره إن شــاء الله تعالى ومدحه في ديوانه موجود وماكولا بفتح الميم وبعد الألف كاف مضــمومة وبعدها واو ســاكنة ثم لام ألف ولا أعرف معناه ولا أدري سبب تسميته بالأمير هل كان أميرا بنفسه أم لأنه من أولاد أبي دلف العجلي وســيأتي ذكره إن شــاء الله تعالى وعكبرا قد تقدم القول عليها في ترجمة الشـــيخ أبي البقاء

307   440 أبو الفرج الأصـبهاني أبو الفرج علي بن الحســـين بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان ابن عبـد الله بن مروان بن محمـد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شـمس بن عبد مناف القرشي الأموي الكاتب الأصـبهاني صاحب كتاب الأغاني وجده مروان بن محمد المذكور آخر خلفاء بنـي أمية وهو

أصـــبهاني الأصـــل بغدادي المنشـــأ كان من أعيان أدبائها
وأفراد مصـــنفيها وروى عن عالم كثير من العلماء يطول
تعدادهم وكان عالما بأيام الناس والأنســـاب والســـير قال
التنوخي ومن المتشـــيعين الذين شـــاهدناهم أبو الفرج
الأصـــبهاني كان يحفظ من الشـــعر والأغاني والأخبار
والآثار والأحاديث المسندة والنسب ما لم أر قط من يحفظه
مثله ويحفظ دون ذلك من علوم أخر منها اللغة والنحو
والخرافات والسير والمغازي ومن آلة المنادمة شيئا كثيرا
مثل علم الجوارح والبيطرة ونتف من الطب والنجوم
والأشربة وغير ذلك وله شعر يجمع إتقان العلماء وإحسان
الظرفاء الشـــعراء وله المصـــنفات المســـتملحة منها كتاب
الأغاني الذي وقع الاتفاق على أنه لم يعمل في بابه مثله
يقال إنه جمعه في خمسين سنة وحمله إلى سيف الدولة ابن
حمدان فأعطاه ألف دينار واعتذر إليه وحكي عن الصاحب
بن عباد أنه كان في أســـفاره وتنقلاته يســـتصـــحب حمل
ثلاثين جملا من كتب الأدب ليطالعها فلما وصل إليه كتاب
الأغاني لم يكن بعد ذلك يستصحب سواه استغناء
308 به عنها ومنها كتاب القيان وكتاب الإماء
الشـــواعر وكتاب الديارات وكتاب دعوة التجار وكتاب
مجرد الأغاني وكتاب أخبار جحظة البرمكي ومقاتل
الطالبيين وكتاب الحانات وآداب الغرباء وحصل له ببلاد
الأندلس كتب صـــنفها لبني أمية ملاوك الأندلس يوم ذاك
وسيرها إليهم سرا وجاءه الإنعام منهم سرا فمن ذلك كتاب

نسب بني عبد شمس وكتاب أيام العرب ألف وسبعمائة يوم وكتاب التعديل والانتصـــــاف في مـآثر العرب ومثالبهـا وكتاب جمهرة النسب وكتاب نسب بني شيبان وكتاب نسب المهالبة وكتاب نســب بني تغلب ونســب بني كلاب وكتاب الغلمان المغنين ذلك وكان منقطعا إلى الوزير المهلبي وله فيه مدائح فمن ذلك قوله فيه (ولما انتجعنا لائذين بظله * أعـان ومـا عنى ومن ومـا منـا) (وردنـا عليـه مقترين فراشـــنا * وردنا نداه مجدبين فأخصـــبنا) وله فيه من قصيدة تهنئة بمولود جاءه من سرية رومية (اسعد بمولود أتاك مباركا * كالبدر أشرق جنح ليل مقمر) (سعد لوقت سعادة جاءت به * أم حصان من بنات الأصفر) (متبجح في ذروتي شرف الورى * بين المهلب منتماه وقيصر) (شـمس الضـحى قرنت إلى بدر الدجى * حتى إذا اجتمعنا أتت بالمشتري) وكتب إلى بعض الرؤساء وكان مريضا (أبا محمد المحمود يا حســن الإحســان * والجود يا بحر الندى الطامي) (حاشـــاك من عود عواد إاليك ومن * دواء داء ومن إلمام آلام) وشـعره كثير ومحاسنه شـهيرة وكانت ولادته سنة أربع وثمانين ومائتين

309 وفي هذه الســنة مات البحتري الشــاعر وتوفي يوم الأربعاء رابع عشــر ذي الحجة ســنة ســت وخمســين وثلثمائة ببغداد وقيل ســنة ســبع وخمســين والأول أصــح وكان قد خلط قبل أن يموت رحمه الله تعالى و هذه ســـنة ست وخمسين مات فيها عالمان كبيران وثلاثة ملوك كبار

فالعالمان أبو الفرج المذكور وأبو علي القالي وقد ذكرناه في حرف الهمزة والملوك الثلاثة سـيف الدولة بن حمدان ومعز الدولة بن بويه وكافور الإخشـيدي وهو مذكور في ترجمة كل واحد 441 الحافظ ابن عسـاكر الحافظ أبو القاسم علي بن أبي محمد الحسن بن هبة الله أبي الحسن بن عبد الله بن الحسين المعروف بابن عساكر الدمشقي الملقب ثقة الدين كان محدث الشـام في وقته ومن أعيان الفقهاء الشافعية غلب عليه الحديث فاشتهر به وبالغ في طلبه إلى أن جمع منه ما لم يتفق لغيره ورحل وطوف وجاب البلاد ولقي المشايخ وكان رفيق الحافظ أبي سعد عبد الكريم بن السمعاني في الرحلة وكان حافظا دينا جمع بين معرفة المتون والأسانيد سمع ببغداد في سنة عشرين وخمسمائة من أصحاب البرمكي والتنوخي والجوهري ثم رجع إلى دمشق ثم رحل إلى خراسان ودخل نيسابور وهراة وأصبهان والجبال وصنف التصانيف المفيدة وخرج التخاريج وكان حسن

310 الكلام على الأحاديث محظوظا في الجمع والتأليف صنف التاريخ الكبير لدمشق في ثمانين مجلدة أتى فيه بالعجائب وهو على نسق تاريخ بغداد قال لي شيخنا الحافظ العلامة زكي الدين أبو محمد عبد العظيم المنذري حافظ مصر أدام الله به النفع وقد جرى ذكر هذا التاريخ وأخرج لي منه مجلدا وطال الحديث في أمره واستعظامه ما أظن هذا الرجل إلا عزم على وضع هذا

التاريخ من يوم عقل على نفسه وشرع في الجمع من ذلك الوقت وإلا فالعمر يقصر عن أن يجمع فيه الإنسان مثل هذا الكتاب بعد الاشتغال والتنبه ولقد قال الحق ومن وقف عليه عرف حقيقة هذا القول ومتى يتسع للإنسان الوقت حتى يضع مثله وهذا الذي ظهر هو الذي اختاره وما صح له هذا إلا بعد مسودات ما يكاد ينضبط حصرها وله غيره تواليف حسنة وأجزاء ممتعة وله شعر لا بأس به فمن ذلك قوله على ما قيل (ألا إن الحديث أجل علم * وأشرفه الأحاديث العوالي) (وأنفع كل نوع منه عندي * وأحسنه الفرائد في الأمالي) (وإنك لن ترى للعلم شيئا * يحققه كأفواه الرجال) (فكن يا صاح ذا حرص عليه * وخذه عن الرجال بلا ملال) (ولا تأخذه من صحف فترمى * من التصحيف بالداء العضال) ومن المنسوب إليه أيضا (أيا نفس ويحك جاء المشيب * فماذا التصابي وماذا الغزل) (تولى شبابي كأن لم يكن * وجاء مشيبي كأن لم يزل) (كأني بنفسي على غرة * وخطب المنون بها قد نزل) (فيا ليت شعري ممن أكون * وما قدر الله لي بالأزل)

311 وقد التزم فيها ما لا يلزم وهو الزاي قبل اللام والبيت الثاني هو بيت علي بن جبلة المعروف بالعكوك وهو قوله (شباب كأن لم يكن * وشيب كأن لم يزل) وليس بينهما إلا تغيير يسير كما تراه وهذا البيت من جملة أبيات وسيأتي ذكر قائله بعد هذا إن شاء الله تعالى وكانت

ولادة الحافظ المذكور في أول المحرم سنة تسع وتسعين وأربعمائة وتوفي ليلة الإثنين الحادي عشر من رجب سنة إحدى وسبعين وخمسمائة بدمشق ودفن عند والده وأهله بمقابر باب الصغير رحمهم الله تعالى وصلى عليه الشيخ قطب الدين النيسابوري الآتي ذكره إن شاء الله تعالى وحضر الصلاة عليه السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى 115 وتوفي ولده أبو محمد القاسم الملقب بهاء الدين ابن الحافظ في التاسع من صفر سنة ستمائة بدمشق ودفن من يومه خارج باب النصر ومولده بها ليلة النصف من جمادى الأولى سنة سبع وعشرين وخمسمائة رحمه الله تعالى وكان أيضا حافظا 116 وتوفي أخوه الفقيه المحدث الفاضل صائن الدين هبة الدين بن الحسن بن هبة الله يوم الأحد الثالث والعشرين من شعبان سنة ثلاث وستين وخمسمائة بدمشق ودفن من الغد بمقبرة باب الصغير ومولده على ما ذكر أخوه الحافظ المذكور في العشر الأول من رجب سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وقدم بغداد في سنة عشرين وخمسمائة وقرأ على أسعد الميهني المقدم ذكره وابن برهان وعاد إلى دمشق ودرس بالمقصورة الغربية في جامع دمشق وأفتى وحدث رحمه الله تعالى

312 442 السمسماني أبو الحسن علي بن عبيد الله بن عبد الغفار السمسماني اللغوي كان قيما بعلم اللغة مشهورا وكتب الأدب التي عليها خطه مرغوب فيها ولا أعرف شيئا من أحواله سوى أنه سمع أبا بكر ابن شاذان

وأبا الفضـــل ابن المأمون وذكره الخطيب في تاريخه وقال كتبت عنه وكان صـــدوقا وكتب الكثير وخطه في غاية الإتقان والصـــحة وتصـــدر ببغداد للرواية وإقراء الأدب وأكثر كتبه بخطه وحصـلت بعده عند ابن دينار الواسـطي الأديب وأدركها الغرق ففســـد أكثرها وتوفي يوم الأربعاء رابع المحرم سنة خمس عشرة وأربعمائة رحمه الله تعالى ولا أعرف نســـبته إلى ماذا هي وهي بكســـر الســـينين المهملتين وســـكون الميم الأولى وفتح الثـانيـة وبـالنون ثم وجـدت في درة الغواص للحريري مـا مثـالـه ويقولون في النســـبة إلى الفاكهة والباقلاء والســـمســـم فاكهاني وباقلاني و سمسماني فيخطئون فيه وبين وجه الخطأ ثم قال بعد ذلك ووجه الكلام أن يقال في المنسـوب إلى السـمسـم سـمسـمي وتمم الكلام إلى آخره فلما وقفت على هذا علمت أن نســـبة أبي الحســـن المذكور إلى الســـمســـم وأنه اســـتعمل على اصطلاح الناس والله أعلم

313 443 الشـريف المرتضـى الشـريف المرتضـى

أبو القاســـم علي بن الطاهر ذي المناقب أبي أحمد الحســـين بن موســـى بن محمد بن موســـى بن إبراهيم بن موســـى الكاظم بن جعفر الصـــادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسـين بن علي بن أبي طالب رضـي الله عنه كـان نقيـب الطـالبيين وكـان إمـامـا في علم الكلام والأدب والشعر وهو أخو الشريف الرضي وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى وله تصـــانيف على مذهب الشـــيعة ومقالة في

أصـــول الدين وله ديوان شـــعر كبير وإذا وصـــف الطيف أجاد فيه وقد اســـتعمله في كثير من المواضـــع وقد اختلف الناس في كتاب نهج البلاغة المجموع من كلام الإمام علي بن أبي طالب رضــــي الله عنه هل هو جمعه أم جمع أخيه الرضــــي وقد قيل إنه ليس من كلام علي وإنما الذي جمعه ونســـبه إليه هو الذي وضـــعه والله أعلم وله الكتاب الذي سماه الغرر والدرر وهي مجالس أملاها تشتمل على فنون من معاني الأدب تكلم فيها على النحو واللغة وغير ذلك وهو كتاب ممتع يدل على فضل كثير وتوسع في الاطلاع على العلوم وذكره ابن بســـام الأندلســـي في أواخر كتاب الذخيرة فقال كان هذا الشـــريف إمام أئمة العراق بين الاختلاف والاتفاق إليه فزع علماؤها وعنه

314 أخذ عظماؤها صاحب مدارسها وجماع شاردها وآنسها ممن سارت أخباره وعرفت له أشعاره وحمدت في ذات الله مآثره وآثاره إلى تواليفه في الدين وتصـــانيفه في أحكام المسلمين مما يشهد أنه فرع تلك الأصول ومن أهل ذلك البيت الجليل وأورد له عدة مقاطيع فمن ذلك قوله (ضن عني بالنزر إذ أنا يقظان * وأعطى كثيره في المنام) (والتقينا كما اشتهينا ولا عيب * سوى أن ذاك في الأحلام) (وإذا كانت الملاقاة ليلا * فالليالي خير من الأيام) قلت وهذا من قول أبي تمام الطائي (استزارته فكرتي في المنام * فأتاني في خفية واكتتام) (يا لها زورة تلذذت الأرواح * فيها سرا من الأجسام) (مجلس لم يكن لنا فيه

عيب * غير أنا في دعوة الأحلام) ومن شعره أيضا (يا خليلي من ذؤابة قيس * في التصابي رياضة الأخلاق) (عللاني بذكرهم تطرباني * واسقياني دمعي بكأس دهاق) (وخذا النوم من جفوني فإني * قد خلعت الكرى على العشاق) فلما وصلت هذه الأبيات إلى البصروي الشاعر قال المرتضى قد خلع ما لا يملك على من لا يقبل ومن شعره أيضا (ولما تفرقنا كما شاءت النوى * تبين ود خالص وتودد)

315 (كأني وقد سار الخليط عشية * أخو جنة مما أقوم وأقعد) ومعنى البيت الأول مأخوذ من قول المتنبي في مديح عضد الدولة بن بويه من جملة قصيدته الكافية التي ودعه بها لما عاد من خدمته من شيراز إلى العراق وقتل في الطريق كما هو مشروح في ترجمة المتنبي وهو (وفي الأحباب مختص بوجد * وآخر يدعي معه اشتراكا) (إذا اشتبهت دموع في خدود * تبين من بكى ممن تباكى) ونقلت من كتاب جنان الجنان ورياض الأذهان الذي صنفه القاضي الرشيد أبو الحسين أحمد المعروف بابن الزبير الغساني المقدم ذكره ما نسبه إلى الشريف المرتضى المذكور وهو (بيني وبين عواذلي * في الحب أطراف الرماح) (أنا خارجي في الهوى * لا حكم إلا للملاح) ونسب إليه أيضا (مولاي يا بدر كل داجية * خذ بيدي قد وقعت في اللجج) (حسنك ما تنقضي عجائبه * كالبحر حدث عنه بلا حرج) (بحق من خط عارضيك

ومن * سلط سلطانها على المهج) (مد يديك الكريمتين معي * ثم ادع لي من هواك بالفرج) وذكر له أيضا (قل لمن خده من اللحظ دام * رق لي من جوانح فيك تدمي)
316 (يا سقيم الجفون من غير سقم * لا تلمني إن مت منهن سقما) (أنا خاطرت في هواك بقلب * ركب البحر فيك إما وإما) وحكى الخطيب أبو زكرياء يحيى بن علي التبريزي اللغوي أن أبا الحسن علي ابن أحمد بن علي بن سلك الفالي الأديب كانت نسخة بكتاب الجمهرة لابن دريد في غاية الجودة فدعته الحاجة إلى بيعها فباعها واشتراها الشريف المرتضى أبو القاسم المذكور بستين دينارا وتصفحها فوجد بها أبياتا بخط بائعها أبي الحسن الفالي وهي (أنست بها عشرين حولا وبعتها * لقد طال وجدي بعدها وحنيني) (وما كان ظني أنني سأبيعها * ولو خلدتني في السجون ديوني) (ولكن لضعف وافتقار وصبية * صغار عليهم تستهل شؤوني) (فقلت ولم أملك سوابق عبرة * مقالة مكوي الفؤاد حزين) (وقد تخرج الحاجات يا أم مالك * كرائم من رب بهن ضنين) وهذا الفالي منسوب إلى فالة بالفاء وهي بلدة بخوزستان قريبة من إيذج أقام بالبصرة مدة طويلة وسمع بها من أبي عمرو ابن عبد الواحد الهاشمي وأبي الحسن ابن النجاد وشيوخ ذلك الوقت وقدم بغداد واستوطنها وحدث بها وأما جده سلك فهو بفتح السين المهملة وتشديد اللام وفتحها وبعدها كاف هكذا وجدته مقيدا ورأيت في موضع آخر بكسر

السين وسكون اللام والله أعلم بالصواب وملح الشريف المرتضى وفضائله كثيرة وكانت ولادته في سنة خمس وخمسين وثلثمائة وتوفي يوم الأحد الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثين وأربعمائة ببغداد ودفن في داره عشية ذلك النهار رحمه الله تعالى 117 وكانت وفاة أبي الحسن الفالي المذكور في ذي القعدة سنة ثمان وأربعين

317 وأربعمائة ليلة الجمعة ثامن الشهر المذكور ودفن في مقبرة جامع المنصور وكان أديبا شاعرا روى عنه الخطيب أبو بكر صاحب تاريخ بغداد وأبو الحسين ابن الطيوري وغيرهما رحمهم الله أجمعين 444 الخلعي أبو الحسين علي بن الحسن بن الحسين بن محمد القاضي المعروف بالخلعي الموصلي الأصل المصري الشافعي صاحب الخلعيات المنسوبة إليه سمع أبا الحسن الحوفي وأبا محمد ابن النحاس وأبا الفتح العداس وأبا سعد الماليني وأبا القاسم الأهوازي وغيرهم قال القاضي عياض اليحصبي سألت أبا علي الصدفي عنه وكان قد لقيه لما رحل إلى البلاد الشرقية فقال فقيه له تواليف ولي القضاء وقضى يوما واحدا واستعفى وانزوى بالقرافة الصغرى وكان مسند مصر بعد الحبال وذكره القاضي أبو بكر ابن العربي فقال شيخ معتزل في القرافة له علو في الرواية وعنده فوائد وقد حدث عنه الحميدي وكنى عنه بالقرافي وقال غيره ولي الخلعي قضاء فامية وخرج له أبو نصر

أحمد بن الحسـن الشـيرازي أجزاء من مسـوعاته آخر من رواها عنه أبو رفاعة ونقلت منها عن
318 الأصـــمعي قال كان نقش خاتم أبي عمرو ابن العلاء (وإن أمرءا دنياه أكبر همه * لمستمسك منها بحبل غرور) فسـألته عن ذلك فقال كنت في ضـيعتي نصـف النهار أدور فيها فسمعت قائلا يقول هذا البيت ونظرت فلم أر أحدا فكتبته على خاتمي قال أبو العباس ثعلب هذا البيت لهانىء بن توبة بن سـحيم بن مرة المعروف بالشـويعر الحنفي وقال الحافظ أبو طاهر السلفي كان أبو الحسـن الخلعي إذا سـمع عليه الحديث يختم مجالسـه بهذا الدعاء اللهم ما مننت به فتممه وما أنعمت به فلا تسلبه وما سـترته فلا تهتكه وما علمته فاغفره وكانت ولادة الخلعي في المحرم سـنة خمس وأربعمائة بمصـر وتوفي بها في ثامن عشـر ذي الحجة يوم السـبت سـنة اثنتين وتسـعين وأربعمائة وقيل في السادس والعشرين من الشهر المذكور وتوفي أبوه في شـوال سـنة ثمان وأربعين وأربعمائة رحمهما الله تعالى والخلعي بكسـر الخاء المعجمة وفتح اللام وبعدها عين مهملة هذه النسبة إلى الخلع ونسب إليها أبو الحسـن المذكور لأنه كان يبيع بمصـر الخلع لأملاك مصـر فاشـتهر بذلك وعرف به واما القرافة بفتح القاف والراء المخففة وبعد الألف فاء فهما قرافتان الكبرى منهما ظاهر مصـر والصـغرى ظاهر القاهرة وبها قبر الإمام الشـافعي رضـي الله عنه وبنو قرافة فخذ من المعافر بن

يعفر نزلوا هذين المكانين فنســـبا إليهم وفامية بالفاء وبعد الألف ميم مكســـورة وبعدها ياء مثناة من تحتها ثم هاء وقد يزاد فيها الألف فيقال أفامية وهي قلعة ورستاق من أعمال حلب الآن

319 445 الشـــابشـــتي أبو الحســـين علي بن محمد الشـابشـتي الكاتب كان أديبا فاضـلا تعلق بخدمة العزيز بن المعز العبيدي صـــاحب مصـــر فولاه أمر خزانة كتبه وجعهله دفترخوان يقرأ له الكتب ويجالســـه وينادمه وكان حلو المحاورة لطيف المعاشـرة وله مصـنفات حسـنة منها كتاب الديارات ذكر فيه كل دير بالعراق والموصل والشام والجزيرة والديار المصرية وجميع الأشعار المقولة في كل دير وما جرى فيه وهو على أســـلوب الديارات للخالديين وأبي الفرج الأصـــبهاني مع أن هذه الديارات قد جمع فيها تواليف كثيرة وله كتاب اليســـر بعد العســـر وكتاب مراتب الفقهاء وكتاب التوقيف والتخويف وله مكاتبات ومراسلات مضـمنة شـعرا وحكما وغير ذلك من المصـنفات في الأدب وغيره وتوفي ســـنة تســـعين وثلثمائة وقال الأمير المختار المعروف بالمســـبحي توفي ســـنة ثمان وثمانين وثلثمائة وزاد غيره فقال ليلة الثلاثاء منتصـــف صـــفر رحمه الله تعالى وكانت وفاته بمصر والشابشتي بفتح الشين المعجمة وبعد الألف باء موحدة مضـمومة ثم شـين معجمة سـاكنة وبعدها تاء مثناة من فوقها كشفت عن هذه النسبة كثيرا فلم أعرفها ثم بعد هذا بســـنين كثيرة وجدت في كتاب التاجي

تصنيف أبي إسحاق الصابي أن الشابشتي حاجب وشمكير بن زيار الديلمي قتل في سنة
320 ست وعشرين وثلثمائة بالقرب من أصبهان قلت وهذا اسم ديلمي يشبه النسبة وليس بنسبة ويحتمل أن يكون صاحب هذه الترجمة منسوبا إليه بأن يكون أحد أجداده من أصحابه فنسب إليه وبقي النسب على أولاده كذلك وهذا وشمكير هو والد الأمير قابوس الآتي ذكره إن شاء الله تعالى 446 القابسي أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القروي المعروف بابن القابسي كان إماما في علم الحديث ومتونه وأسانيده وجميع ما يتعلق به وكان للناس فيه اعتقاد كثير وصنف في الحديث كتاب الملخص جمع فيه ما اتصل إسناده من حديث مالك بن أنس رضي الله عنه في كتاب الموطإ رواية أبي عبد الله عبد الرحمن بن القاسم المصري وهو على صغر حجمه جيد في بابه وكانت ولادة أبي الحسن المذكور في يوم الإثنين لست مضين من رجب سنة أربع وعشرين وثلثمائة ورحل إلى الشرق يوم السبت لعشر مضين من شهر رمضان سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة وحج سنة ثلاث وخمسين وسمع كتاب البخاري بمكة من أبي زيد ورجع إلى القيروان فوصلها غداة الأربعاء أول شعبان أو ثانيه سنة سبع وخمسين كذا قاله أبو عبد الله مالك بن وهيب وذكر الحافظ السلفي في معجم السفر أن شخصا قال في مجلس القابسي وهو

321 بالقيروان ما قصـــر المتنبي في معنى قوله (يراد من القلب نسيانكم * وتأبى الطباع على الناقل) فقال له يا مسكين أين أنت عن قوله تعالى (^ لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) وتوفي ليلة الأربعاء ثالث شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعمائة ودفن يوم الأربعاء وقت العصـــر بالقيروان وبات عند قبره من الناس خلق عظيم وضـــربت الأخبية وأقبل الشـــعراء بالمراثي رحمه الله تعالى ولما طعن في السن كان كثيرا ما ينشـد قول زهير بن أبي سـلمى المزني (سـئمت تكاليف الحياة ومن يعش * ثمانين حولا لا أبا لك يسأم) وقال أبو بكر الصقلي قال لي أبو الحسن القابسي كذب علي وعليك وسموني بالقابسي وما أنا بالقابسي وإنما السبب في ذلك أن عمي كان يشـد عمامته شـدة قابسـية فقيل لعمي قابسـي واشـتهرنا بذلك وإلا فأنا قروي وأنت فلما دخل أبوك مسـافرا إلى صـقلية نسـب إليها فقيل الصـقلي ومما سـمع القاضي يقول أول جلوسه للمناظرة بأثر صوت أبي محمد (لعمر أبيك ما نسب المعلى * إلى كرم وفي الدنيا كريم) (ولكن البلاد إذا اقشعرت * وصوح نبتها رعي الهشيم) ثم بكى حتى أبكى القوم وقال أنا الهشيم أنا الهشيم والله لو ان في الأرض خضـــراء ما رعيت أنا وأبو محمد هذا هو أبو محمد عبد الله بن أبي هاشم التجيبي شيخه الذي روى عنه وهو قروي وقال أبو عمرو الداني كان شـيخنا أبو الحسـن يعني القابسي يقرأ الملخص بكسر الخاء يجعله فاعلا يريد

322 أنه يلخص المتصــل من حديث مالك رحمه الله تعالى وتقدير الترجمة ما اتصــــل من حديث مالك للمستحفظين والقابسي بفتح القاف وبعد الألف باء موحدة مكسورة ثم سين مهملة هذه النسبة إلى قابس وهي مدينة بإفريقية بالقرب من المهدية ولما فتحها الأمير تميم بن المعز بن باديس المقدم ذكره قال ابن محمد خطيب سوسة قصيدة طائلة أولها (ضحك الزمان وكان يدعى عابسا * لما فتحت بحد عزمك قابسا) (أنكحتها عذراء ما أصدقتها * إلا قنا وبواترا وفوارسا) (الله يعلم ما جنيت ثمارها * إلا وكان أبوك قبلك غارسا) (من كان بالسمر العوالي خاطبا * أضحت له بيض الحصون عرائسا) 447 ابن القطاع أبو القاسم علي بن جعفر بن علي بن محمد بن عبد الله بن الحسين بن أحمد بن محمد ابن زيادة الله بن محمد بن الأغلب السعدي بن إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال ابن خفاجة بن عبد الله بن عباد بن محرث بن سعد بن حرام بن سعد بن مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان المعروف بابن القطاع السعدي الصقلي المولد
323 المصري الدار والوفاة اللغوي هكذا وجدت هذا النسب بخطي في مسوداتي وما أعلم من أين نقلته والمنقول من خطه أنه علي بن جعفر بن علي بن محمد ابن عبد الله بن الحسين الشنتريني السعدي أحد بني سعد بن زيد مناة ابن تميم والله أعلم كان أحد أئمة الأدب خصوصا اللغة

وله تصـــانيف نافعة منها كتاب الأفعال أحســـن فيه كل الإحسان وهو أجود من الأفعال لابن القوطية وإن كان ذلك قد سبقه إليه وله كتاب أبنية الأسماء جمع فيه فأوعب وفيه دلالة سـعلى كثرة اطلاعه وله عروض حسـن جيد وكتاب الدرة الخطيرة في المختار من شعراء الجزيرة وكتاب لمح الملح جمع فيه خلقا من شعراء الأندلس وكانت ولادته في العاشـر من صـفر سـنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة بصـقلية وقرأ الأدب على فضـلائها كابن البر اللغوي وأمثاله وأجاد في النحو غاية الإجادة ورحل عن صـقلية لما أشـرف على تملكها الفرنج ووصـل إلى مصـر في حدود سنة خمسمائة وبالغ أهل مصـر في إكرامه وكان ينسـب إلى التسـاهل في الرواية ونظم الشعر في سنة ست وأربعين ومن شعره في ألثغ (وشـــادن في لســـانه عقد * حلت عقودي وأوهنت جلدي) (عابوه جهلا بها فقلت لهم * أما ســـمعتم بالنفث بالعقد) وله من جملة قصـيدة (فلا تنفدن العمر في طلب الصبا * ولا تشقين يوما بسعدى ولا نعم)

324 (ولا تندبن أطلال مية باللوى * ولا تســـفحن ماء الشـــؤون على رســـم) (فإن قصـــارى المرء إدراك حاجة * وتبقى مذمات الأحاديث والإثم) ومن شـــعره في غلام اســـمه حمزة (يا من رمى النار في فؤادي * وأنبط العين بالبكاء) (اسمك تصـحيفه بقلبي * وفي ثناياك برء دائي) (اردد ســـلامي فإن نفســـي * لم يبق منها ســـوى الذمـاء) (وارفق بصـــب أتى ذليلا * قد مزج اليأس

بالرجاء) (أنهكه في الهوى التجني * فصـــار في رقة الهواء) وله شـــعر كثير وكانت ولادته في ســـنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة هكذا ذكره في كتابه الدرة الخطيرة في شعراء الجزيرة عند ذكر ترجمة نفسه رحمه الله تعالى في أواخر الكتاب المذكور ورأيته بخطه وتوفي بمصـــر في صفر سنة خمس عشرة وخمسمائة رحمه الله تعالى وقد تقدم الكلام على السعدي والصقلي

325 448 ابن حزم الظاهري أبو محمد علي بن أحمد بن ســعيد بن حزم بن غالب بن صـــالح بن خلف بن معدان ابن سفيان بن يزيد مولى يزيد بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شـــمس الأموي وجده يزيد أول من أسلم من أجداده وأصله من فارس وجده خلف أول من دخل الأندلس من آبائه ومولده بقرطبة من بلاد الأندلس يوم الأربعاء قبل طلوع الشمس سلخ شهر رمضان سنة أربع وثمانين وثلثمائة في الجانب الشـــرقي منها وكان حافظا عالما بعلوم الحديث وفقهه مســـتنبطا للأحكام من الكتاب والســـنة بعد أن كان شـــافعي المذهب فانتقل إلى مذهب أهل الظاهر وكان متفننا في علوم جمة عاملا بعلمه زاهدا في الدنيا بعد الرياســـة التي كانت له ولأبيه من قبله في الوزارة وتدبير الممالك متواضـــعا ذا فضـــائل جمة وتواليف كثيرة وجمع من الكتـــب في علوم الحـديـث والمصـنفات والمسـندات شـيئا كثيرا وسـمع سـماعا جما وألف في فقه الحديث كتابا ســماه الإيصـــال إلى فهم كتاب

الخصـــــال الجامعة لحمل شـــرائع الإســـلام في الواجب والحلال والحرام والســـنـــة والإجمــاع أورد فيــه أقوال الصــحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين رضــي الله عنهم أجمعين في مسـائل الفقه والحجة لكل طائفة عليها وهو كتاب كبير وله كتاب الإحكام لأصـــول الأحكام في غاية التقصي وإيراد

326 الحجج وكتاب الفصــــل في الملل في الأهواء والنحل وكتاب في الإجماع ومســـائله على أبواب الفقه وكتـاب في مراتب العلوم وكيفية طلبها وتعلق بعضـــها ببعض وكتـاب إظهـار تبديل اليهود والنصــــارى للتوراة والإنجيل وبيان تناقض ما بأيديهم من ذلك مما لا يحتمل التـأويل وهذا معنى لم يســبق إليه وكتـاب التقريب بحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية فإنه سـلك في بيانه وإزالة سـوء الظن عنه وتكذيب الممخرقين به طريقة لم يسلكها أحد قبله وكان شيخه في المنطق محمد بن الحسن المذحجي القرطبي المعروف بابن الكتاني وكان أديبا شـــاعرا طبيبا له في الطب رســائل وكتب في الأدب ومـات بعـد الأربعمـائـة ذكر ذلـك ابن مـاكولا في كتـاب الإكمال في باب الكتامي والكتاني نقلا عن الحافظ أبي عبد الله الحميدي وله كتاب صـغير سماه نقط العروس جمع كل غريبة نادرة وهو مفيد جدا وقال ابن بشكوال في حقه كان أبو محمد أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسـان ووفور حظه من البلاغة

والشـــعر والمعرفة بالســـير والأخبار أخبر ولده أبو رافع الفضـــل أنه اجتمع عنده بخط أبيه من تأليفه نحو أربعمائة مجلد تشـــتمل على قريـب من ثمـانين ألف ورقـة وقـال الحافظ أبو عبد الله محمد بن فتوح الحميدي ما رأينا مثله فيمـا اجتمع لـه من الـذكـاء وســـرعـة الحفظ وكرم النفس والتدين وما رأيت من يقول الشـعر على البديهة أسرع منه ثم قال أنشـدني لنفسـه (لئن أصـبحت مرتحلا بجسـمي * فروحي عندكم أبدا مقيم) (ولكن للعيان لطيف معنى * له سأل المعاينة الكليم) وله في المعنى

327 (يقول أخي شجاك رحيل جسم * وروحك ما لـه عنـا رحيل) (فقلـت لـه المعـاين مطمئن * لذا طلب المعاينة الخليل) وروى له الحافظ الحميدي أيضـا (أقمنا ســاعة ثم ارتحلنا * وما يغني المشــوق وقوف ســاعه) (كأن الشمل لم يك ذا اجتماع * إذا ما شتت البين اجتماعه) وقال الحميدي أيضـــا أنشـــدني أبو محمد علي بن أحمد بن حزم يعني المـذكور لعبـد الملـك بن جهور (إن كـانـت الأبـدان بـائنـة * فنفوس أهـل الظرف تـأتلف) (يـا رب مفترقين قد جمعت * قلبيهما الأقلام والصـــحـــف) ومن شـــعره أيضـــا (وذي عذل فيمن ســـباني حســـنه * يطيل ملامي في الهوى ويقول) (أفي حســـن وجه لاح لم تر غيره * ولم تدر كيف الجسم أنت قتيل) (فقلت له أسرفت في اللوم ظالما * وعندي رد لو أردت طويل) (ألم تر أني ظاهري وأنني * على ما بدا حتى يقوم دليل) وكانت

بينه وبين أبي الوليد ســـليمان الباجي المذكور في حرف الســين مناظرات وماجرايات يطول شـــرحها وكان كثير الوقوع في العلماء المتقدمين لا يكاد يســلم أحد من لســانه فنفرت عنه القلوب واســتهدف لفقهاء وقته فتمالأوا على بغضــه وردوا قوله وأجمعوا على تضــليله وشــنعوا عليه وحذروا سلاطينهم من

328 فتنته ونهوا عوامهم عن الدنو إليه والأخذ عنه فأقصـــته الملوك وشــردته عن بلاده حتى انتهى إلى بادية لبلة فتوفي بها آخر نهار الأحد لليلتين بقيتا من شعبان سنة ســت وخمســين وأربعمائة وقيل إنه توفي في منت ليشــم وهي قرية ابن حزم المذكور رحمه الله تعالى وفيه قال أبو العباس ابن العريف المقدم ذكره كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج بن يوسف شقيقين وإنما قال ذلك لكثرة وقوعه في الأئمة (118&&وكانت وفاة والده أبي عمر أحمد في ذي القعدة ســـنة اثنتين وأربعمائة وكان وزير الدولة العامرية وهو من أهل العلم والأدب والخير والبلاغة وقال ولده أبو محمد المذكور أنشـــدني والدي الوزير في بعض وصـــاياه لي رحمه الله تعالى (إذا شـــئت أن تحيا غنيا فلا تكن * على حالة إلا رضـيت بدونها) وذكر الحميدي في كتاب جذوة المقتبس أن الوزير المذكور كان جالســـا بين يدي مخدومه المنصــور أبي عامر محمد بن أبي عامر في بعض مجالســـه العامة فرفعت إليه رقعة اســـتعطاف لأم رجل مســـجون كان المنصـــور اعتقله حنقا عليه لجرم

استعظمه منه فلما قرأها اشتد غضبه وقال ذكرتني والله به وأخذ القلم وأراد أن يكتب يصـــلب فكتب يطلق ورمى الورقـة إلى وزيره المـذكور وأخـذ الوزير القلم وتنـاول الورقة وجعل يكتب بمقتضى التوقيع إلى صاحب الشرطة فقال له المنصـــور ما هذا الذي تكتب قال بإطلاق فلان فحرد وقال من أمر بهذا فناوله التوقيع فلما رآه قال وهمت والله ليصـــلبن ثم خط على التوقيع وأراد أن يكتب يصـــلب فكتب يطلق فأخذ الوزير الورقة وأراد أن يكتب إلى الوالي بالإطلاق فنظر إليه المنصور وغضب

329 أشـد من الأول وقال من أمر بهذا فناوله التوقيع فرأى خطه فخط عليه وأراد أن يكتب يصــلب فكتب يطلق وأخذ الوزير التوقيع وشـــرع في الكتابة إلى الوالي فرآه المنصــــور فـأنكر أكثر من المرتين الأوليين فـأراه خطـه بـالإطلاق فلمـا رآه عجـب من ذلـك وقـال نعم يطلق على رغمي فمن أراد الله ســـبحانه إطلاقه لا أقدر أناعلى منعه

119 وكان لأبي محمد المذكور ولد نبيه سري فاضل يقال له أبو رافع الفضـــل ابن أبي محمد علي وكان في خدمة المعتمد بن عباد صـاحب إشبيلية وغيرها من بلاد الأندلس وكان المعتمد قد غضـــب على عمه أبي طالب عبد الجبار بن محمد بن إســـماعيل بن عباد وهم بقتله لأمر رابه منه فاستحضر وزراءه وقال لهم من يعرف منكم في الخلفاء أو ملوك الطوائف من قتل عمه عندما هم بالقيام عليه فتقدم أبو رافع المذكور وقال ما نعرف أيدك الله إلا من عفا عن

عمه بعد قيامه عليه وهو إبراهيم بن المهدي عم المأمون من بني العباس فقبله المعتمد بين عينيه وشكره ثم أحضر عمه وبسطه وأحسن إليه وقتل أبو رافع المذكور في وقعة الزلاقة مع مخدومه المعتمد في يوم الجمعة منتصف رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة وقد استوفيت خبر هذه الواقعة في ترجمة يوسف تاشفين فلينظر هناك وقد سبق ذكر إبراهيم بن المهدي في هذا الكتاب والله أعلم ولبلة بفتح اللامين وبينهما باء موحدة ساكنة وفي الأخير هاء ساكنة بلدة بالأندلس ومنت ليشم بفتح الميم وسكون النون وفتح التاء المثناة من فوقها وكسر

330 اللام وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الشين المعجمة وفي آخرها ميم وهي قرية من أعمال لبلة كانت ملك ابن حزم المذكور وكان يتردد إليها 449 ابن سيده الحافظ أبو الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده المرسي كان إماما في اللغة والعربية حافظا لهما وقد جمع في ذلك جموعا من ذلك كتاب المحكم في اللغة وهو كتاب كبير جامع مشتمل على أنواع اللغة وله كتاب المخصص في اللغة أيضا وهو كبير وكتاب الأنيق في شرح الحماسة في ست مجلدات وغير ذلك من المصنفات النافعة وكان ضريرا وأبوه ضريرا وكان أبوه أيضا قيما بعلم اللغة وعليه اشتغل ولده في أول أمره ثم على أبي العلاء صاعد البغدادي المقدم ذكره وقرأ أيضا على أبي عمر الطلمنكي قال الطلمنكي دخلت مرسية فتشبث بي أهلها يسمعون علي

غريب المصنف فقلت لهم انظروا لي من يقرأ لكم وأمسك
أنا كتابي فأتوني برجل أعمى يعرف بابن سيده فقرأه علي
من أوله إلى آخره فتعجبت من حفظه وكان له في الشعر
حظ وتصرف وتوفي بحضرة دانية عشية يوم الأحد
لأربع بقين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين
وأربعمائة وعمره ستون سنة أونحوها رأيت على ظهر
مجلد من المحكم بخط بعض فضلاء الأندلس أن ابن سيده
المذكور كان يوم الجمعة قبل يوم الأحد المذكور صحيحا
سويا إلى وقت صلاة المغرب فدخل المتوضأ فأخرج منه
وقد سقط لسانه وانقطع كلامه فبقي على تلك الحال إلى
العصر من
331 يوم الأحد ثم توفي رحمه الله تعالى وقيل سنة
ثمان وأربعين وأربعمائة والأول أصح وأشهر وسيده
بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح
الدال المهملة وبعدها هاء ساكنة والمرسي بضم الميم
وسكون الراء وبعدها سين مهملة هذه النسبة إلى مرسية
وهي مدينة في شرق الأندلس والطلمنكي بفتح الطاء
المهملة واللام والميم وسكون النون وبعدها كاف هذه
النسبة إلى طلمنكة وهي مدينة في غرب الأندلس ودانية
بفتح الدال المهملة وبعد الألف نون مكسورة ثم ياء مثناة
من تحتها مفتوحة وبعدها هاء ساكنة وهي مدينة في شرق
الأندلس أيضا 450 أبو الحسن الحصري أبو الحسن علي
بن عبد الغني الفهري المقرىء الضرير الحصري

القيرواني الشاعر المشهور قال ابن بسام صاحب الذخيرة في حقه كان بحر براعة ورأس صـــناعة وزعيم جماعة طرأ على جزيرة الأندلس منتصـــف المائة الخامســـة من الهجرة بعد خراب وطنه من القيروان والأدب يومئذ بأفقنا نافق السوق

332 معمور الطريق فتهادته ملوك طوائفها تهادي الرياض بالنسيم وتنافسوا فيه تنافس الديار في الأنس المقيم على أنه كان فيما بلغني ضيق العطن مشهور اللسن يتلفت إلى الهجاء تلفت الظمآن إلى الماء ولكنه طوي على غره واحتمل بين زمانته وبعد قطره ولما خلع ملوك الطوائف بأفقنا اشـتملت عليه مدينة طنجة وقد ضــاق ذرعه وتراجه طبعه قلت وهذا أبو الحسن ابن خالة أبي إسحاق الحصري صـاحب زهر الآداب وذكره ابن بشكوال في كتاب الصلة والحميدي أيضـــا وقال كان عالما بالقراءات وطرقها وأقرأ الناس القرآن الكريم بسـبتة وغيرها وله قصـيدة نظمها في قراءة نافع عدد أبياتها مائتين وتسـعة وله ديوان شـعر فمن قصــائده الســائرة القصـيدة التي أولها (يا ليل الصـب متى غده * أقيام الساعة موعده) (رقد السمار فأرقه * أسف للبين يردده) وهي مشـــــهورة فلا حاجة إلى إيرادها وقد وازنها صاحبنا الفقيه نجم الدين موسى بن محمد بن موسى بن أحمد بن عيســـى الكنـاني أبو الفضــــائل المعروف بالقمراوي رحمه الله تعالى والقمرواي بفتح القاف وسكون الميم وبعد الراء ألف ثم واو هذه النســـبة إلى قمراء وهي

ضـــيعة بالشـــام من أعمال صـــرخد والأبيات (قد مل مريضك عوده * ورثى لأسيرك حسده)
333 (لم يبق جفاك ســوى نفس * زفرات الشــوق تصعده) (هاروت يعنعن فن السحر * إلى عينيك ويسنده) (وإذا أغمدت اللحظ فتكت * فكيف وأنت تجرده) ومنها (كم سهل خدك وجه رضا * والحاجب منك يعقده) (ما أشرك فيك القلب فلم * في نار الهجر تخلده) ومن شعر الحصري أيضا (أقول له وقد حيا بكاس * لها من مســك ريقته ختام) (أمن خديك تعصــر قال كلا * متى عصـــرت من الورد المدام) ولما كان مقيما بمدينة طنجة أرسل غلامه إلى المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية واسمها في بلادهم حمص فأبطأ عنه وبلغه أن المعتمد ما احتفل به فعمل (نبه الركب الهجوعا * ولم الدهر الفجوعا) (حمص الجنة قالت * لغلامي لا رجوعا) (رحم الله غلامي * مات في الجنة جوعا) وقد التزم في هذه الأبيات لزوم ما لا يلزم وحكى تاج العلا أبو زيد المعروف بالنسابة قال حدثني أبو أصبغ نباتة ابن الأصبغ بن زيد بن محمد الحارثي الأندلســـي عن جده زيد بن محمد قال بعث المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية إلى أبي العرب الزبيري خمســـمائة دينار وأمره أن يتجهز بها ويتوجه إليه وكان بجزيرة صقلية وهو من أهلها وهو أبو العرب مصعب بن محمد بن أبي الفرات القرشـــي الزبيري الصـــقلي الشـــاعر وبعث مثلها إلى أبي الحســـن الحصـــري وهو بالقيروان

فكتب إليه أبو العرب (لا تعجبن لرأسي كيف شاب أسى * واعجب لأسود عيني كيف لم يشب) (البحر للروم لا تجري السفين به * إلا على غرر والبر للعرب)
334 وكتب إليه الحصري (أمرتني بركوب البحر أقطعه * غيري لك الخير فاخصصه بذا الراء) (ما أنت نوح فتنجيني سفينته * ولا المسيح أنا أمشي على الماء) ثم دخل الأندلس بعد ذلك وامتدح المعتمد وغيره وتوفي سنة ثمان وثمانين وأربعمائة بطنجة رحمه الله تعالى 120 ومولد القمراوي سنة إحدى وتسعين وخمسمائة تقديرا وتوفي راجعا من اليمن في أواخر صفر سنة إحدى وخمسين وستمائة على ساحل بحر عيذاب بموضع يقال له رأس دواير بين عيذاب وسواكن ودفن في بر عيذاب قبالة موضع موته والحصري قد تقدم الكلام عليه في حرف الهمزة وطنجة بفتح الطاء وسكون النون وفتح الجيم وهي بلدة بالمغرب بينها وبين سبتة مرحلتان من تلك الناحية
121 وأما أبو العرب الزبيري فإنه ولد بصقلية سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة وخرج منها لما تغلب الروم عليها سنة أربع وستين وأربعمائة قاصدا للمعتمد بن عباد قال ابن الصيرفي وبلغني أنه في سنة سبع وخمسمائة حي بالأندلس
335 451 ابن خروف أبو الحسن علي بن محمد بن علي الحضرمي المعروف بابن خروف النحوي الأندلسي الإشبيلي كان فاضلا في علم العربية وله فيها مصنفات شهدت بفضله وسعة علمه شرح كتاب سيبويه شرحا جيدا

وشرح أيضا كتاب الجمل لأبي القاسم الزجاجي وما أقصر فيه وكان قد تخرج على ابن طاهر النحوي الأندلسي المعروف بالخدب وتوفي سنة عشر وستمائة وقيل إنه توفي سنة تسع وستمائة بإشبيلية رحمه الله تعالى وخروف بفتح الخاء المعجمة وهو غير ابن خروف الشاعر وسيأتي ذكر ذلك أيضا إن شاء الله تعالى في رسالته التي كتبها إلى بهاء الدين بن شداد رحمه الله تعالى والحضرمي بفتح الحاء المهملة وسكون الضاد المعجمة وفتح الراء وبعدها ميم هذه النسبة إلى حضرموت وقد تقدم الكلام عليها

336 452 الربعي النحوي أبو الحسن علي بن عيسى بن الفرج بن صالح الربعي النحوي البغدادي المنزل الشيرازي الأصل كان إماما في النحو متقنا له شرح كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي فأجاد فيه اشتغل ببغداد على السيرافي ثم خرج إلى شيراز فقرأ على أبي علي الفارسي عشرين سنة ثم رجع إلى بغداد وقال أبو علي قولوا لعلي البغدادي لو سرت من الشرق إلى الغرب لم تجد أنحى منك وقال أبو علي أيضا لما انفصل عنه ما بقي له شيء يحتاج يسأل عنه وله عدة تواليف في النحو منها شرح مختصر الجرمي وانتفع بالاشتغال عليه خلق كثير وذكره ابن الأنباري في كتاب طبقات الأدباء وكانت ولادته سنة ثمان وعشرين وثلثمائة وتوفي ليلة السبت لعشر بقين من المحرم سنة عشرين وأربعمائة ببغداد رحمه الله تعالى والربعي بفتح الراء والباء الموحدة

وبعدها عين مهملة هذه النســـبة إلى ربيعة ولا أعلم أهو ربيعة بن نزار أم غيره فقد جاءت هذه النســـبة إلى جماعة اسم كل واحد مهم ربيعة والله أعلم

337 453 الفصـيحي أبو الحسـن علي بن أبي زيد محمد بن علي النحوي المعروف بالفصـيحي الإسـترابادي أخذ النحو عن عبد القاهر الجرجاني صـــاحب الجمل الصغرى وتبحر فيه حتى صار أعرف أهل زمانه به وقدم بغداد واســتوطنها ودرس النحو بالمدرســة النظامية مدة وكان يكتب خطا في غاية الصـــحة وكتب كثيرا من كتب الأدب وانتفع به خلق كثير ومن جملة من أخذ عنه ملك النحاة الحسن بن صافي وقد تقدم ذكره وروى عنه الحافظ أبو الطاهر السلفي الأصبهاني وقال جالسته ببغداد وسألته عن أحرف من العربية وقال أنشدني لبعض النحاة (النحو شـــؤم كله فاعلموا * يذهب بالخبز من البيت) (خير من النحو وأصـــحابه * ثريدة تعمل بالزيت) وتوفي يوم الأربعاء ثالث عشر ذي الحجة سنة ست عشرة وخمسمائة ببغداد رحمه الله تعالى ولم أعرف نسـبته بالفصـيحي إلى كتاب الفصـــيح لثعلب أم إلى شـــيء آخر والإســترابادي بكسر الهمزة وسكون السين المهملة وكسر التاء المثناة من فوقها وفتح الراء وبعد الألف باء موحدة مفتوحة وبعد الألف الثانية ذال معجمة هذه النسبة إلى إستراباذ وهي بلدة من أعمال مازندران بين سارية وجرجان

338 454 ابن العصـــــار أبو الحســـن علي بن أبي الحســـين عبد الرحيم بن الحســـن بن عبد الملك بن إبراهيم السلمي الرقي الأصل البغدادي المولد والدار الملقب مهذب الدين المعروف بـابن العصـــــار اللغوي كـان من الأدبـاء المشــاهير وحصــل له منه أشــياء غريبة وقرأ الأدب على الشــريف أبي الســعادات ابن الشــجري وأبي منصــور ابن الجواليقي وبرع في فنـه وأقرأ النـاس زمـانـا ورحـل إلى مصـــر واجتمع بأبي محمد ابن بري والموفق بن الخلال كاتب الإنشــاء وكان عارفا بديوان أبي الطيب المتنبي علما ورواية وقرأه عليه جمع كثير في العراق والشــام ومصــر وكتب بخطه الكثير من كتب الأدب وشعر العرب ويقع في خطه الغلط مع كثرة ضـــبطه واحترازه وقيل إنه لم يكن ذكيا ولم يكن في النحو كما هو في اللغة وكانت طريقته في الخط حســنة والناس يتنافســون في خطه ويغالون به وكان حريصـــا على الفوائد وطلبها وســـطرها على كتبه ورأيت جماعة ممن لقيه وأخذ عنه وكانت ولادته في ســـنة ثمان وخمســـمائة وتوفي يوم الســـبت بعد صـــلاة الظهر ثالث المحرم سـنة ست وسـبعين وخمسـمائة ببغداد ودفن بمقبرة الشونيزي ببغداد رحمه الله تعالى بجنب قبر أبيه يوم الأحد

339 455 شـميم الحلي أبو الحسـن علي بن الحسـن بن عنتر بن ثابت الملقب مهذب الدين المعروف بشـــميم الحلي كان أديبا فاضلا خبيرا بالنحو واللغة وأشعار العرب حســـن الشـــعر وكان اشـــتغاله ببغداد على أبي محمد ابن

الخشـاب ومن في طبقته من أدباء ذلك الوقت ثم سـافر إلى ديار بكر والشـام ومدح الأكابر وأخذ جوائزهم واسـتوطن الموصـل وله عدة تصـانيف وجمع من نظمه كتابا سـماه الحماسـة رتبه على عشـرة أبواب وضـاهى به كتاب الحماسـة لأبي تمام الطائي وكان جم الفضـيله إلا أنه كان بذيء اللسـان كثير الوقوع في الناس مسـلطا على ثلب أعراضهم لا يثبت لأحد في الفضل شيئا ذكره أبو البركات ابن المستوفي في تاريخ إربل وقبح ذكره بأشياء نسبها إليه من قلة الدين وتركه للصلوات المكتوبة ومعارضته للقرآن الكريم واسـتهزائه بالناس وذكر مقاطيع من شـعره وفي شعره تعسف وقال سئل لم سمي شميما فقال أقمت مدة آكل كل يوم شيئا من الطين فإذا وضعته

340 عند قضـاء الحاجة شـممته فلا أجد له رائحة فسميت لذلك شميما وتوفي ليلة الأربعاء الثامن والعشرين من شـهر ربيع الآخر سنة إحدى وستمائة بالموصل ودفن بمقبرة المعافى بن عمران رحمه الله تعالى وشـميم بضـم الشـين المعجمة وفتح الميم وسـكون الياء المثناة من تحتها وبعدها ميم وهو من الشم 456 العلم السخاوي أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد بن عبد الأحد بن عبد الغالب الهمداني المصري السخاوي المقرىء النحوي الملقب علم الدين كان قد اشتغل بالقاهرة على الشيخ أبي محمد القاسم الشـاطبي المقرىء المذكور في حرف القاف وأتقن عليه علم القراءات والنحو واللغة وعلى أبي الجود غيـاث بن

فارس بن مكي المقرىء وسـمع بالإسـكندرية من السـلفي
وابن عوف وبمصـر من البوصـيري وابن ياسين ثم انتقل
إلى مدينة دمشق وتقدم بها على علماء فنونه واشتهر وكان
للناس فيه اعتقاد عظيم وشـرح المفصـل للزمخشـري في
أربع مجلدات وشرح القصيدة الشاطبية في القراءات وكان
قد قرأها على ناظمها وله خطب وأشـعار وكان متعينا في
وقته ورأيته بدمشـق والناس يزدحمون عليه في الجامع
لأجل القراءة ولا تصح
341 لواحد منهم نوبة إلا بعد زمان ورأيته مرارا
يركب بهيمة وهو يصعد إلى جبل الصالحيين وحوله اثنان
وثلاثة وكل واحد يقرأ ميعاده في موضع غير الآخر والكل
في دفعة واحدة وهو يرد على الجميع ولم يزل مواظبا على
وظيفته إلى أن توفي بدمشق ليلة الأحد ثاني عشـر جمادى
الآخرة سنة ثلاث وأربعين وستمائة وقد نيف على تسعين
سـنة رحمه الله تعالى ولما حضـرته الوفاة أنشد لنفسه (
قالوا غدا نأتي ديار الحمى * وينزل الركب بمغناهم) (
وكل من كان مطيعا لهم * أصبح مسرورا بلقياهم) (قلت
فلي ذنب فما حيلتي * بأي وجه أتلقاهم) (قالوا أليس
العفو من شـأنهم * لا سـيما عمن ترجاهم) ثم ظفرت
بتاريخ مولده في سنة ثمان وخمسين وخمسمائة بسخا والله
أعلم والسـخاوي بفتح السـين المهملة والخاء المعجمة
وبعدها ألف هذه النسـبة إلى سـخا وهي بليدة بالغربية من

أعمال مصر وقياسه سخوي لكن الناس أطبقوا على النسبة الأولى
342 457 ابن البواب الكاتب أبو الحســـن علي بن هلال المعروف بابن البواب الكاتب المشـــهور لم يوجد في المتقدمين ولا المتأخرين من كتب مثله ولا قاربه وإن كان أبو علي ابن مقلـة أول من نقـل هـذه الطريقـة من خط الكوفيين وأبرزها في هذه الصورة وله بذلك فضيلة السبق وخطه أيضا في نهاية الحسن لكن ابن البواب هذب طريقته ونقحها وكســـاها طلاوة وبهجة وقيل إن صـــاحب الخط المنســـوب المشـــهور ليس أبا على المذكور وإنما هو أخوه أبو عبد الله الحســـن وهو مذكور في ترجمة أخيه أبي علي المذكور في المحمدين فلينظر هناك ولما شـــاهد أبو عبيد البكري الأندلسـي صـاحب التصـانيف خط ابن مقلة أنشـد : (خط ابن مقلـة من أرعـاه مقلتـه * ودت جوارحـه لو أصـــبحت مقلا) والكل معترفون لأبي الحســـن بالتفرد وعلى منواله ينســـجون وليس فيهم من يلحق شـــأوه ولا يدعي ذلك مع أن في الخلق من يدعي ما ليس فيه ومع هذا فما رأينا ولا سمعنا أن أحداً ادعى ذلك بل الجميع أقروا له بالسـابقة وعدم المشـاركة ويقال له ابن السـتري أيضـا لأن أباه كان بوابا والبواب ملازم ســـتر الباب فلهذا نســـب إليه 122 وكان شيخه في الكتابة ابن أسد الكاتب المشهور وهو أبو عبد الله محمد بن أسد بن علي بن سعيد القارىء الكاتب البزاز البغدادسمع أبا بكر أحمد بن

343 سليمان النجاد وعلي بن محمد بن الزبير الكوفي وجعفر الخلدي وعبد الملك بن الحسن السقطي وجماعة من هذه الطبقة وكان صدوقا مات محمد بن أسد في يوم الأحد لليلتين خلتا من المحرم سنة عشر وأربعمائة ودفن بالشونيزي وتوفي ابن البواب يوم الخميس ثاني جمادى الأولى سنة ثلاث وعشرين وقيل ثلاث عشرة وأربعمائة ببغداد ودفن جوار الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وأنشدني بعض العلماء بيتين ذكر أنه رثي بهما ابن البواب وهما (استشعر الكتاب فقدك سالفا * وقضت بصحة ذلك الأيام) (فلذاك سودت الدوي كآبة * أسفا عليك وشقت الأقلام) وهذا معنى حسن جدا وسألني بعض الفقهاء بمدينة حلب عن قول بعض المتأخرين من جملة أبيات في صفة كتاب (كتاب كوشي الروض خطت سطوره * يد ابن هلال عن فم ابن هلال) فقلت له هذا يقول إن خطه في الحسن مثل خط ابن البواب وفي بلاغة ألفاظه مثل رسائل الصابيء لأنه ابن هلال أيضا كما تقدم في ترجمته ثم سألت الفقيه المذكور عن بقية الأبيات التي منها هذا البيت فأنشدنيها وهي (ولما أتى منك الكتاب الذي حوى * قلائد سخر للبيان حلال) (وقفت على ربع من الفضل آهل * وقوفي بربع للأحبة خال) (أرقرق من دمعي وأدمن لثمه * وأسأل أطلالا تجيب سؤالي) (وهمت به حتى توهمت لفظه * نجوم ليال أم سموط لآلي)

344) كتاب كوشـــي الروض خطت سـطوره * يد ابن هلال عن فم ابن هلال) ومما يتعلق بالكتابة أن أول من خط بالعربي إسماعيل عليه السلام والصحيح عند أهل العلم أنه مرامر بن مروة من أهل الأنبار وقيل إنه من بني مرة ومن الأنبار انتشـرت الكتابة في الناس قال الأصـمعي ذكروا أن قريشا سئلوا من أين لكم الكتابة فقالوا من الحيرة وقيـل لأهل الحيرة من أين لكم الكتـابـة فقـالوا من الأنبـار وروى ابن الكلبي والهيثم بن عدي أن النـاقل لـهذه الكتابة من الحيرة إلى الحجاز هو حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشـــي الأموي وكان قدم الحيرة فعاد إلى مكة بهذه الكتابة وقالا قيل لأبي سفيان ابن حرب ممن أخذ أبوك هذه الكتابة فقال من أسلم بن سدرة وقال سـألت أسلم ممن أخذت هذه الكتابة فقال من واضعها مرامر بن مرة فحدوث هذه الكتابة قبل الإســـلام بقليل وكان لحمير كتابة تســـمى المســـند وحروفها منفصـــلة غير متصـــلة وكانوا يمنعون العامة من تعلمها فلا يتعاطاها أحد إلا بإذنهم فجاءت ملة الإسلام وليس بجميع اليمن من يقرأ ويكتب وجميع كتابات الأمم من ســكان الشــرق والغرب اثنتا عشــرة كتابة وهي العربية والحميرية واليونانية والفارســـية والســـريانية والعبرانيــة والروميــة والقبطيــة والبربريــة والأنــدلســـيــة والهندية والصينية فخمس منها اضمحلت وبطل استعمالها وذهــب من يعرفهـا وهي الحميريـة واليونـانيـة والقبطيـة والبربرية والأندلسـية وثلاث قد بقي اسـتعمالها في بلادها

وعدم من يعرفها في بلاد الإســلام وهي الرومية والهندية والصينية وحصلت أربع هي مستعملات في بلاد الإسلام وهي العربية والفارسية والسريانية والعبرانية

345 458 شيخ الإسلام أبو الحسن علي بن أحمد بن يوسف بن جعفر بن عرفة الهكاري الملقب شيخ الإسلام هو من ولد عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية وكان كثير الخير والعبادة وطاف البلاد واجتمع بالعلماء والمشايخ وأخذ عنهم الحديث ورجع إلى وطنه وانقطع به وأقبل الناس عليه وكان لهم فيه اعتقاد حسن ولقي الشيخ أبا العلاء المعري وسمع منه فلما انفصل عنه سأله بعض أصحابه عما رآه منه وعن عقيدته فقال هو رجل من المسلمين وسمعت أن بعض الأكابر قال له أنت شيخ الإسلام فقال بل أنا شيخ في الإسلام وخرج من أولاده وحفدته جماعة تقدموا عند الملوك وعلت مراتبهم منهم فقهاء ومنهم أمراء وكانت ولادته سنة تسع وأربعمائة وتوفي في أول المحرم سنة ست وثمانين وأربعمائة رحمه الله تعالى والهكاري بفتح الهاء وتشديد الكاف وبعد الألف راء هذه النسبة إلى قبيلة من الأكراد لهم معاقل وحصون وقرى من بلاد الموصل من جهتها الشرقية

346 459 الشيخ علي الهروي السائح أبو الحسن علي بن أبي بكر بن علي الهروي الأصل الموصلي المولد السائح المشهور نزيل حلب طاف البلاد وأكثر من الزيارات وكاد يطبق الأرض بالدوران فإنه لم يترك برا

ولا بحرا ولا سهلا ولا جبلا من الأماكن التي يمكن قصدها ورؤيتها إلا رآه ولم يصـــل إلى موضـــع إلا كتب خطه في حائطه ولقد شـــاهدت ذلك في البلاد التي رأيتها مع كثرتها ولما ســـار ذكره بذلك واشـــتهر به ضـــرب به المثل فيه ورأيت لبعض المعاصـــرين وهو ابن شـمس الخلافة جعفر المقدم ذكره بيتين في شـــخص يســـتجدي من الناس بأوراقه وقد ذكر فيهما هذه الحالة وهما (أوراق كديته في بيت كل فتى * على اتفاق معان واختلاف روي)

347 (قد طبق الأرض من ســـهل إلى جبل * كأنه خط ذاك الســـائح الهروي) وإنما ذكرت البيتين استشـــهادا بهما على ما ذكرته من كثرة زياراته وكتب خطه وكان مع هذا فيه فضيلة وله معرفة بعلم السيمياء وبه تقدم عند الملك الظاهر ابن السلطان صلاح الدين صاحب حلب وأقام عنده وكان كثير الرعاية له وبنى له مدرســـة بظاهر حلب وفي ناحية منها قبة هو مدفون بها وبتلك المدرســـة بيوت كتب على باب كل بيت ما يليق به ورأيته كتب على باب الميضأة بيت المال في بيت الماء ورأيت في قبته معلقا عند رأسه غصنا وهو حلقة خلقية ليس فيه صنعة وهو أعجوبة وقيل إنه رآه في بعض سـياحاته فاسـتصـحبه وأوصـى أن يكون عند رأســه ليعجب منه من يراه وله مصـــنفات منها كتاب الإشـــارات في معرفة الزيارات وكتاب الخطب الهروية وغير ذلك ورأيت في حائط الموضـــع الذي تلقى فيه الدروس من المدرســـة المذكورة بيتين مكتوبين بخط

حسن وكأنهما كتابة رجل فاضل نزل هناك قاصدا الديار المصرية فأحببت ذكرهما لحسنهما وهما (رحم الله من دعا لأناس * نزلوا هاهنا يريدون مصرا) (نزلوا والخدود بيض فلما * أزف البين عدن بالدمع حمرا) وتوفي في شهر رمضان في العشر الوسط سنة إحدى عشرة وستمائة في مدرسته المذكورة ودفن في القبة رحمه الله تعالى والهروي بفتح الهاء والراء وبعدها واو هذه النسبة إلى مدينة هراة وهي أحد كراسي مملكة خراسان فإنها مملكة عظيمة وكراسيها أربعة

348 نيسابور ومرو وبلخ وهراة والباقي مدن كبار لكنها ما تنتهي إلى هذه الأربعة وهراة بناها الإسكندر ذو القرنين عند مسيره إلى المشرق 460 عز الدين ابن الأثير الجزري أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري الملقب عز الدين ولد بالجزيرة ونشأ بها ثم سار إلى الموصل مع والده وأخويه الآتي ذكرهما إن شاء الله تعالى وسكن الموصل وسمع بها من أبي الفضل عبد الله بن أحمد الخطيب الطوسي ومن في طبقته وقدم بغداد مرارا حاجا ورسولا من صاحب الموصل وسمع بها من الشيخين أبي القاسم يعيش بن صدقة الفقيه الشافعي وأبي أحمد عبد الوهاب بن علي الصوفي وغيرهما ثم رحل إلى لاشام والقدس وسمع هناك من جماعة ثم عاد إلى الموصل ولزم بيته منقطعا إلى التوفر على النظر في العلم

والتصنيف وكان بيته مجمع الفضل لأهل الموصل والواردين عليها وكان إماما في حفظ الحديث ومعرفته وما يتعلق به وحافظا للتواريخ المتقدمة والمتأخرة وخبيرا بأنساب العرب وأخبارهم وأيامهم ووقائعهم صنف في التاريخ كتابا كبيرا سماه الكامل ابتدأ فيه من أول الزمان إلى آخر سنة ثمان وعشرين وستمائة وهو من خيار التواريخ واختصر كتاب الأنساب لأبي سعد عبد الكريم بن السمعاني واستدرك عليه فيه مواضع ونبه على أغلاط

349 وزاد أشياء أهملها وهو كتاب مفيد جدا وأكثر ما يوجد اليوم بأيدي الناس هذا المختصر وهو في ثلاث مجلدات والأصل في ثمان وهو عزيز الوجود ولم أره سوى مرة واحدة بمدينة حلب ولم يصل إلى الديار المصرية سوى المختصر المذكور وله كتاب أخبار الصحابة رضوان الله عليهم في ست مجلدات ولما وصلت إلبحلب في أواخر سنة ست وعشرين وستمائة كان عز الدين المذكور مقيما بها في صورة الضيف عند الطواشي شهاب الدين طغريل الخادم أتابك الملك العزيز ابن الملك الظاهر صاحب حلب وكان الطواشي كثير الإقبال عليه حسن الاعتقاد فيه مكرما له فاجتمعت به فوجدته رجلا مكملا في الفضائل وكرم الأخلاق وكثرة التواضع فلازمت الترداد إليه وكان بينه وبين الوالد رحمه الله تعالى مؤانسة أكيدة فكان بسببها يبالغ في الرعاية والإكرام ثم إنه سافر إلىدمشق في أثناء سنة سبع وعشرين ثم عاد إلىحلب في

أثناء سـنة ثمان وعشـرين فجريت معه على عادة الترداد والملازمة وأقام قليللا ثم توجه إلى الموصـل وكانت ولادته في رابع جمادى الأولى سـنة خمس وخمسـين وخمسـمائة بجزيرة ابني عمر وهم من أهلها وتوفي في شـعبان سـنة ثلاثين وسـتمائة رحمه الله تعالى بالموصـل وسـيأتي ذكر أخويه مجد الدين أبي السـعادات المبارك وضـياء الدين أبي الفتح نصـر الله إن شـاء الله تعالى والجزيرة المذكورة أكثر الناس يقولون إنها جزيرة ابن عمر ولا أدري من ابن عمر وقيل إنها منسوبة إلى يوسف بن عمر الثقفي أمير العراقين ثم إني ظفرت بالصواب في ذلك وهو أن رجلا من أهل برقعيد من أعمال الموصـل بناها وهو عبد العزيز بن عمر فأضـيفت إليه ورأيت في بعض التواريخ أنها جزيرة ابني عمر أوس وكامل ولا أدري أيضا من هما ثم رأيت في

350 تاريخ ابن المستوفي في ترجمة أبي السـعادات المبارك بن محمد أخي أبي الحسن المذكور أنه من جزيرة أوس وكامل ابني عمر بن أوس التغلبي 461 العكوك أبو الحسـن علي بن جبلة بن مسـلم بن عبد الرحمن المعروف بالعكوك الشـاعر المشـهور أحد فحول الشـعراء المبرزين قال الجاحظ في حقه كان أحسـن خلق الله إنشـادا ما رأيت مثله بدويا ولا حضريا وكان من الموالي وولد أعمى وكان أسـود أبرص ومن مشـهور شـعره قوله (بأبي من زارني مكتتما * خائفا من كل شـيء جزعا) (زائر نم عليه

حسنه * كيف يخفي الليل بدرا طلعا) (رصد الغفلة حتى أمكنت * ورعى السامر حتى هجعا) (ركب الأهوال في زورته * ثم ما سلم حتى ودعا) ومن قوله في الحسن بن ســـهل (أعطيتني يا ولي الحق مبتدئا * عطية كافأت شعري ولم ترني) (ما شمت برقك إلا نلت ريقه * كأنما كنت بالجدوى تبادرني)

351 وله في أبي دلف العجلي وأبي غانم حميد بن عبد الحميد الطوســـي غر المدائح فمن قصـــائده الفائقة في أبي دلف القصيدة التي أولها (ذاد ورد الغي عن صدره * فارعوى واللهو من وطره) يقول في مدحها (إنما الدنيا أبو دلف * بين مغزاه ومختضره) (فإذا ولى أبو دلف * ولت الدنيا على أثره) ومنها (كل من في الأرض من عرب * بين باديه إلى حضره) (مستعير منك مكرمة * يكتســـيها يوم مفتخره) وهي طويلة عددها ثمانية وخمســـمون بيتا ولولا خوف الإطالة لأثبتها كلها لأجل حسنها ولقد سئل شرف الدين بن عنين الآتي ذكره إن شاء الله تعالى وكان من أخبر الناس بنقد الشـــعر عن هذه القصيدة وقصيدة أبي نواس الموازنة لها التي أولها (أيها المنتاب من عفره * لست من ليلي ولا سمره) وهي من نوادر الشعر أيضا فلم يفضل إحداهما على الأخرى وقال ما يصلح أن يفاضل بين هاتين إلا شخص يكون في درجة هذين الشـــاعرين ورأيت لأبي العباس المبرد كلاما في وصـــف قصـــيدة أبي نواس المذكورة فإنه قال بعد ذكر

القصـــيدة ما أحســب شــاعرا جاهليا ولا إســلاميا يبلغ هذا المبلغ فضـــلا أن يزيد عليه جزالة وفخامة وقال محمد بن خلف بن محمد الطائي قلت لعلي بن جبلة عارضـــت أبا نواس

352 بقصـــيدتك هذه ذاد ورد الغي عن صـــدره في قصـــيدته ويحكى أن العكوك مدح حميد بن عبد الحميد الطوســي بعد مدحه لأبي دلف بهذه القصـيدة فقال له حميد ما عســى أن تقول فينا وما أبقيت لنا بعد قولك في أبي دلف إنما الدنيا أبو دلف . . . وأنشد البيتين فقال أصلح الله الأمير قد قلت فيك ما هو أحسن من هذا قال وما هو فأنشد (إنما الدنيا حميد * وأياديه الجســـام) (فإذا ولى حميد * فعلى الدنيا السلام) قال فتبسم ولم يحر جوابا فأجمع من حضر المجلس من أهل المعرفة والعلم بالشـعر أن هذا أحسـن مما قاله في أبي دلف فأعطاه وأحســن جائزته وحكي انه مدح المأمون بقصـــيدة أجاد فيها وتوســـل بحميد الطوســـي في إيصـــالها إليه فقال له المأمون خيره بين أن نجمع بين قوله هذا وبين قوله فيك وفي أبي دلف فإن وجدنا قوله فينا خيرا منه أجزناه عشــرة آلاف وإلا ضــربناه مائة ســوط فخيره حميد فاختار الإعفاء وقال ابن المعتز في طبقات الشـعراء ولما بلغ المأمون خبر هذه القصـيدة غضــب غضـبا شـديدا وقال اطلبوه حيثما كان وائتوني به فطلبوه فلم يقدروا عليه لأنه كان مقيما بالجبل فلما اتصـــل به الخبر هرب إلى الجزيرة الفراتية وقد كانوا كتبوا إلى الآفاق أن يؤخذ حيث

كان فهرب من الجزيرة حتى توسط الشامات فظفروا به فأخذوه وحملوه مقيدا إلىالمأمون فلما صار بين يديه قال له يا ابن اللخناء أنت القائل في قصيدتك للقاسم بن عيسى وهو أبو دلف (كل من في الأرض من عرب *) وأنشد البيتين جعلتنا ممن يستعير المكارم منه والافتخار به قال يا أمير

353 المؤمنين أنتم أهل بيت لا يقاس بكم لأن الله اختصكم لنفسه عن عباده وآتاكم الكتاب والحكم وآتاكم ملكا عظيما وإنما ذهبت في قولي إلى أقران وأشكال القاسم بن عيس من هذا الناس فقال والله ما أبقيت أحدا ولقد أدخلتنا في الكل وما أستحل دمك بكلمتك هذه ولكني أستحله بكفرك في شعرك حيث قلت في عبد ذليل مهين فأشركت بالله العظيم وجعلت معه مالكا قادرا وهو (أنت الذي تنزل الأيام منزلها * وتنقل الدهر من حال إلى حال) (وما مددت مدى طرف إلى أحد * إلا قضيت بأرزاق وآجال) ذاك الله عز وجل يفعله أخرجوا لسانه من قفاه فأخرجوا لسانه من قفاه فمات وكان ذلك في سنة ثلاث عشرة ومائتين ببغداد ومولده سنة ستين ومائة وقيل إنه أصابه الجدري وهو ابن سبع سنين فذهب بصره منه وهذا خلاف ما قيل في الأول قلت هكذا ذكر ابن المعتز هذه القصة وكذلك قال أيضا أبو الفرج الأصبهاني في كتاب الأغاني ورأيت في كتاب البارع في أخبار الشعراء المولدين تأليف أبي عبد الله ابن المنجم هذين البيتين مع

بيت ثالث وهو (تزور سـخطا فتمسـي البيض راضـية * وتسـتهل فتبكي أعين المال) لخلف بن مرزوق مولى علي بن ريطة والله أعلم بالصــواب ومن مديحه حميدا قوله (تكفل سـاكني الدنيا حميد * فقد أضـحوا لها فيها عيالا) (كأن أباه آدم كان أوصـــى * إليه أن يعولهم فعالا) وقوله أيضا فيه

354 (دجلة تسقي وأبو غانم * يطعم من تسقي من الناس) (فالناس جســم وإمام الهدى * رأس وأنت العين في الراس) ولما مات حميد في يوم عيد الفطر سنة عشر ومائتين رثاه بقصـــيدة من جملتها (فأدبنا ما أدب الناس قبلنا * ولكنه لم يبق للصـبر موضـع) ورثاه أبو العتاهية بقولـه (أبـا غـانم أمـا ذراك فواســع * وقبرك معمور الجوانـب محكم) (ومـا ينفع المقبور عمران قبره * إذا كان فيه جســمه يتهدم) وأخبار العكوك كثيرة ونقتصــر منها على هذا القدر والعكوك بفتح العين المهلمة والكاف وتشـديد الواو وبعدها كاف ثانية وهو السـمين القصـير مع صــلابة رحمه الله تعالى وجبلة بفتح الجيم والباء الموحدة واللام وبعدها هاء ساكنة وأما حميد الطوسي فإن الطبري ذكر في تاريخه تاريخ وفاته كما ذكرته هاهنا وغالب ظني أنه توفي بفم الصـــلح لأنه كان مع المأمون لما توجه إليها للدخول على بوران حسـبما شـرحته في ترجمتها في هذا التاريخ

355 462 علي بن الجهم أبو الحسن علي بن الجهم بن بدر بن الجهم بن مسعود بن أسيد بن أذينة بن كرار بن كعب بن جابر بن مالك بن عتبة بن جابر بن الحارث بن قطن بن مدلج بن قطن بن أحزم بن ذهل بن عمرو بن مالك بن عبيدة بن الحارث بن سامة ابن لؤي بن غالب القرشي السامي الشاعر المشهور أحد الشعراء المجيدين هكذا ساق الخطيب في تاريخ بغداد نسبه في ترجمة والده الجهم وذكره أيضا في ترجمة مفردة فقال له ديوان شعر مشهور وكان جيد الشعر عالما بفنونه وله اختصاص بجعفر المتوكل وكان متدينا فاضلا انتهى كلامه وكان مع انحرافه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وإظهاره التسنن مطبوعا مقتدرا على الشعر عذب الألفاظ وكان من ناقلة خراسان إلى العراق ثم نفاه المتوكل إلى خراسان في سنة اثنتين وثلاثين وقيل تسع وثلاثين ومائتين لأنه هجا المتوكل وكتب إلى طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين أنه إذا ورد عليه صلبه يوما فوصل إلى شاذياخ نيسابور فحبسه طاهر ثم أخرجه فصلبه مجردا نهارا كاملا فقال في ذلك (لم ينصبوا بالشاذياخ صبيحة الإثنين * مسبوقا ولا مجهولا)
356 (نصبوا بحمد الله ملء قلوبهم * شرفا وملء صدورهم تبجيلا) وهي أبيات كثيرة مشهورة ثم رجع إلى العراق ثم خرج إلى الشام وبعد ذلك ورد على المستعين كتاب من صاحب البريد بحلب أن علي بن الجهم

خرج من حلب متوجها إلى العراق فخرجت عليه وعلى
جماعة معه خيل من بني كلب فقاتلهم قتالا شـــديدا ولحقه
النـاس وهو جريح بـآخر رمق فكـان ممـا قـال (أزيد في
الليل ليل * أم سـال بالصبح سيل) (ذكرت أهل دجيل *
وأين مني دجيل) وكان منزله ببغداد في شــارع الدجيل
وكان ورود الكتاب في شعبان سنة تسع وأربعين ومائتين
وتوفي في وقته ولما نزعت ثيابه بعد موته وجدت فيها
رقعة وقد كتب فيها (يا رحمتا للغريب في البلد النازح *
ماذا بنفســه صــنعا) (فارق أحبابه فما انتفعوا * بالعيش
من بعده ولا انتفعا) وكانت بينه وبين أبي تمام مودة أكيدة
وإليه كتب أبو تمام الأبيات التي يودعه فيها التي أولها (
هي فرقة من صـاحب لك ماجد * فغدا إراقة كل دمع جامد
) وديوان شعره صغير فمنه قوله وهو معنى مليح
357 (بلاء ليس يعدله بلاء * عداوة غير ذي حسب
ودين) (يبيحك منه عرضـــا لم يصــنه * ويرتع منك في
عرض مصـون) وهذان البيتان قالهما في مروان بن أبي
حفصـة لما عمل فيه (لعمرك ما الجهم بن بدر بشـاعر *
وهذا علي بعده يدعي الشـــعرا) (ولكن أبي قد كان جارا
لأمه * فلما ادعى الأشـــعار أوهمني أمرا) وهذا المعنى
مأخوذ من قول كثير عزة وقد أنشـــد الفرزدق شـــعرا له
فاستحسنه فقال له يا أبا صخر هل كانت أمك ترد البصرة
فقال لا ولكن كان أبي كثيرا ما يردها وله وقد حبس أبياته
المشـهورة التي أولها (قالت حبسـت فقلت ليس بضـائري

* حبســـــي وأي مهند لا يغمد) وهي أبيات جيدة في هذا المعنى لم يعمل مثلها ولولا طولها لذكرتها وله أيضا (يا ذا الذي بعذابي ظل مفتخرا * هل أنت إلا مليك جار إذ قدرا) (لولا الهوى لتجارينا على قدر * فإن أفق منه يوما ما فسوف ترى) وله أشياء حسنة والسامي بفتح السين المهملة وبعد الألف ميم هذه النسبة إلى سامة بن لؤي المذكور في نسبه ويتصحف على كثير من الناس بالشامي بالشين المعجمة وهو غلط ودجيل بضم الدال المهملة وفتح الجيم وسكون الياء المثناة من تحتها

358 وبعدها لام تصغير دجلة تصغير ترخيم وهو نهر بأعلى بغداد فخرجه من دجلة مقابل القادسية في الجانب الغربي بين تكريت وبغداد عليه مدن وقرى وهو غير دجيل الأهواز وهو أيضا نهر عليه قرى ومدن ومخرجه من جهة أصبهان حفره أردشير بن بابك بن ساسان أول ملوك الفرس 463 ابن الرومي أبو الحسن علي بن العباس بن جريج وقيل جورجيس المعروف بابن الرومي مولى عبيد الله بن عيسى بن جعفر بن المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه الشاعر المشهور صاحب النظم العجيب والتوليد الغريب يغوص على المعاني النادرة فيستخرجها من مكامنها ويبرزها في أحسن صورة ولا يترك المعنى حتى يستوفيه إلى آخره ولا يبقي فيه بقية وكان شعره غير مرتب ورواه عنه المسيبي ثم عمله أبو بكر الصولي ورتبه

على الحروف وجمعه أبو الطيب وراق ابن عبدوس من جميع النســخ فزاد على كل نســخة مما هو على الحروف وغيرها نحو ألف بيت وله

359 القصـــائد المطولة والمقاطيع البديعة وله في الهجاء كل شـــيء ظريف وكذلك في المديح فمن ذلك قوله (المنعمون وما منوا على أحد * يوم العطاء ولو منوا لما مانوا) (كم ضـــن بالمال أقوام وعندهم * وفر وأعطى العطايا وهو يدان) وله أيضـــا وقال ما ســـبقني إلى هذا المعنى أحد (آراؤكم ووجوهكم وسـيوفكم * في الحادثات إذا دجون نجوم) (منها معالم للهدى ومصـــابح * تجلو الدجى والأخريات رجوم) ومن معانيه البديعة قوله (وإذا امرؤ مدح امرءا لنواله * وأطال فيه فقد أراد هجاءه) (لو لم يقدر فيه بعد المســتقى * عند الورود لما أطال رشــاءه) وكذلك قوله في ذم الخضـــاب قال أبو الحســين جعفر بن علي الحمداني ما سبقه أحد إلى هذا المعنى (إذا دام للمرء السواد وأخلقت * شبيبته ظن السواد خضابا) (فكيف يظن الشيخ أن خضابه * يظن سوادا أو يخال شبابا) وقوله (كم يعد القرن باللقاء وكم * يكذب في وعده ويخلفه) (لا يعرف القرن وجهه ويرى * قفاه من فرسخٍ فيعرفه) أخذ هذا المعنى الأخير من قول الخارجي وقد قال المنصور أي أصحابنا أشد

360 إقداما في مبارزتكم فقال ما أعرف وجوههم ولكن أعرف أقفاءهم فقل لهم يقبلوا فأعرفهم وقال رجل

لابن الرومي وهو يمازحه ما أنت والشـــعر وقد نلت منه حظا جســـيما وأنت من العجم أراك عربيا أو مدعيا في الشـعر قال بل أنت دعي إذ كنت تنسـب عربيا ولا تحسـن من ذلك شـيئا وانشـده (إياك يا ابن بويب * أن يسـتشـار بويب) (قد تحسـن الروم شـعرا * ما أحسـنته العريب) وكان كثير الطيرة وربما أقام المدة الطويلة لا يتصـــرف تطيرا لسـوء ما يراه أو يسـمعه حتى إن بعض إخوانه من الأمراء افتقده وعرف بحاله في الطيرة فبعث إليه خادما اسـمه إقبال ليتفاءل به فلما أخذ أهبة ركوبه قال للخادم انصـرف إلى مولاك وله في بعض الرؤسـاء وقد سـأله حاجة فقضاها له وكان لا يتوقع منه خيرا (سألتك في أمر فجدت ببذله * على أنني ما خلت أنك تفعل) وألزمتني بالبذل شكرا وإنه * علي من الحرمان أدهى وأعضل) (وما خلت أن الدهر يثني بصـرفه * إلى أن أرى في الناس مثلك يسـأل) (لئن سرني ما نلت منك فإنه * لقد ساءني إذ أنت ممن يؤمل) وهذه الأبيات تنسـب إلى ابن وكيع التنيسـي أيضـا وقد سـبق ذكره واسـمه الحسـن والله أعلم وبالجملة فإن محاسـنه كثيرة فلا حاجة إلى الإطالة وكانت ولادته يوم الأربعاء بعد طلوع الفجر لليلتين خلتا من رجب سنة إحدى وعشرين ومائتين ببغداد

361 في الموضـع المعروف بالعقيقية ودرب الختلية في دار بإزاء قصـر عيسـى بن جعفر ابن المنصـور وفي بغداد يقول وقد غاب عنها في بعض أسفاره (بلد صحبت

به الشـبيبة والصـبا * ولبسـت ثوب العيش وهو جديد) (
فإذا تمثل في الضمير رأيته * وعليه أغصان الشباب تميد
) وتوفي يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سـنة
ثلاث وثمانين وقيل أربع وثمانين وقيل سـت وسـبعين
ومائتين ببغداد ودفن في مقبرة باب البسـتان وكان سـبب
موته رحمه الله تعالى أن الوزير أبا الحسين القاسم بن عبيد
الله بن سليمان بن وهب وزير الإمام المعتضد كان يخاف
من هجوه وفلتات لسـانه بالفحش فدس عليه ابن فراس
فأطعمه خشـكنانجة مسـمومة وهو في مجلسـه فلما أكلها
أحس بالسـم فقام فقال له الوزير إلى أين تذهب فقال إلى
الموضع الذي بعثتني إليه فقال له سلم على والدي فقال ما
طريقي على النار وخرج من مجلسـه وأتى منزله وأقام
أياما ومات وكان الطبيب يتردد إليه ويعالجه بالأدوية
النافعة للسـم فزعم أنه غلط في بعض العقاقير قال إبراهيم
بن محمد بن عرفة الأزدي المعروف بنفطويه رأيت ابن
الرومي يجود بنفسـه فقلت ما حالك فأنشد (غلط الطبيب
علي غلطة مورد * عجزت موارده عن الإصـدار) (
والناس يلحون الطبيب وإنما * غلط الطبيب إصابة المقدار
) وقال أبو عثمان الناجم الشـاعر دخلت على ابن الرومي
أعوده فوجدته يجود بنفسه فلما قمت من عنده قال لي (أبا
عثمان أنت حميد قومك * وجودك للعشيرة دون لومك) (
تزود من أخيك فما أراه * يراك ولا تراه بعد يومك) 123

وكان الوزير المذكور عظيم الهيبة شـــديد الإقدام ســـفاكا للدماء وكان
362 الكبير والصـــغير منه على وجل لا يعرف أحد من أرباب الأموال معه نعمة وتوفي الوزير المذكور عشية الأربعاء لعشـــر خلون من شـــهر ربيع الآخر ســـنة إحدى وتســـعين ومائتين في خلافة المكتفي وعمره نيف وثلاثون سـنة وفي ذلك يقول عبد الله بن الحسـن بن سـعد (شـربنا عشـية مات الوزير * ســرورا ونشــرب في ثالثه) (فلا رحم الله تلك العظام * ولا بارك الله في وارثه) وكان لهذا الوزير أخ يقال له أبو محمد الحســـن فمات في حياة أبيه والوزير فعمل أبو الحارث النوفلي وقيل البســـامي وهو الأصـح وسـيأتي ذكره بعد هذا إن شـاء الله تعالى ثم رأيت في الذيل للسمعاني في ترجمة علي ابن مقلد بن عبد الله بن كرامـة البواب أن أبـا الحـارث النوفلي قـال كنـت أبغض القاسم بن عبيد الله لمكروه نالني منه فلما مات أخوه الحسن قلت على لسان ابن بسام وأنشد هذه الأبيات وقال السمعاني قبل هذا الكلام قال أبو بكر الصـــولي النديم وقد رأيت أبا الحارث هذا وكان رجلا صـــدوقا وهي هذه (قل لأبي القاســـم المرزا * قابلك الدهر بالعجائب) (مات لك ابن وكان زينا * وعاش ذو الشـــين والمعايب) (حياة هذا كموت هذا * فلسـت تخلو من المصـايب) وعمل آخر في المعنى أيضـا ولا أعرفه ثم وجدت هذه الأبيات له أيضـا (قل لأبي القاســـم المرزا * وناد يا ذا المصـــيبتين) (مات

لك ابن وكان زينا * وعاش شين وأي شين) (حياة هذا كموت هذا * فالطم على الرأس باليدين)
363 464 البسامي الشاعر أبو الحسن علي بن محمد بن منصور بن نصر بن بسام الشاعر المعروف بالبسامي الشاعر المشهور كانت أمه أمامة ابنة حمدون النديم وروى عنه أبو بكر الصولي وأبو سهل بن زياد وغيرهما وكان من أعيان الشعراء ومحاسن الظرفاء لسنا مطبوعا في الهجاء لم يسلم منه أمير ولا وزير ولا صغير ولا كبير وهجا أباه وإخوته وسائر أهل بيته فمن قوله في أبيه (هبك عمرت عمر عشرين نسرا * أترى أنني أموت وتبقى) (فلئن عشت بعد موتك يوما * لأشقن جيب مالك شقا) وله (أقصرت عن طلب البطالة والصبا * لما علاني للمشيب قناع) (لله أيام الشباب ولهوه * لو أنّ أيام الشباب تباع) (فدع الصبا يا قلب واسل عن الهوى * ما فيك بعد مشيبك استمتاع) (وانظر إلى الدنيا بعين مودع * فلقد دنا سفر وحان وداع) (والحادثات موكلات بالفتى * والناس بعد الحادثات سماع)
364 وله في الوزير ابن المرزبان وكان قد سأله برذونا فمنعه إياه (بخلت عني بمقرف عطب * فلن تراني ما عشت أطلبه) (وإن تقل صنته فما خلق * الله مصونا وأنت تركبه) وله في أسد بن جهور الكاتب (تعس الزمان لقد أتى بعجاب * ومحا رسوم الظرف والآداب) (وأتى بكتاب لو انبسطت يدي * فيهم رددتهم

إلى الكتاب) (أو ما ترى أسد بن جهور قد غدا * متشبها بأجلة الكتاب) وله أيضـــا (وكانت بالصــراة لنا ليال * ســـرقناهن من ريب الزمان) (جعلناهن تاريخ الليالي * وعنوان المســـرة والأماني) وكان أبوه محمد بن نصـــر رجلا مترفا في نهاية الســرو وحســن الزي ظاهر المروءة متخصصا في هيئته ومطعمه وملبسه وتجمل داره ويحكى أن الوزير القاســـم بن عبيد الله المذكور قبله دخل على المعتضـد يوما وهو يلعب بالشـطرنج وينشـد قول ابن بسـام هذا (حياة هذا كموت هذا * فلسـت تخلو من المصـائب) وقد تقدم ذكر الأبيات الثلاثة ثم رفع المعتضـد رأسـه فنظر إلى الوزير فاســتحيا منه فقال له يا قاســم اقطع لســان ابن بســام عنك فخرج مبادرا لقطع لســانه فبلغ ذلك المعتضــد فاســـتدعاه وقال له لا تعرض إليه بســـوء بل اقطعه بالبر والشغل فولاه البريد والجسر بجند قنسرين والعواصم من أرض الشام

365 وتوفي ابن بسـام المذكور في صـفر سـنة اثنتين وقيل ثلاث وثلثمائة رحمه الله تعالى عن نيف وسبعين سنة وجده نصر بن منصور ممدوح أبي تمام والعواصم كورة متسـعة بالشــام قصـبتها أنطاكية وذكرها المعري بقوله (متى ســـألت بغداد عني وأهلها * فإني عن أهل العوصــــم ســـآل) وإنما قال هذا لأن بلاده معرة النعمان من جملة العواصــــم وذكر الطبري في تاريخه أن هارون الرشـــيد عزل الثغور كلها عن بلاد الجزيرة وقنسرين وجعلها حيزا

واحدا وسميت العواصم وذلك في سنة سبعين ومائة ولما هدم المتوكل على الله قبر الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما في سنة ست وثلاثين ومائتين عمل البسامي (تالله إن كانت أمية قد أتت * قتل ابن بنت نبيها مظلوما) (فلقد أتاه بنو أبيه بمثله * هذا لعمرك قبره مهدوما) (أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا * في قتله فتتبعوه رميما) وكان المتوكل كثير التحامل على علي وولديه الحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين فهدم هذا المكان بأصوله ودوره وجميع ما يتعلق به وأمر أن يبذر ويسقى موضع قبره ومنع الناس من إتيانه هكذا قال أرباب التواريخ والله أعلم ولابن بسام المذكور من التصانيف أخبار عمر بن أبي ربيعة ولم يستقص
366 أحد في بابه أبلغ منه وكتاب أخبار الأحوص وكتاب مناقضات الشعراء وكتاب ديوان رسائله وغير ذلك
465 القاضي التنوخي أبو القاسم علي بن محمد بن أبي الفهم داود بن إبراهيم بن تميم بن جابر بن هانىء ابن زيد بن عبيد بن مالك بن مريط بن سرح بن نزار بن عمرو بن الحارث بن صبح ابن عمرو بن الحارث وهو احد ملوك تنوخ الأقدمين ابن فهم بن تيم الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن إلحاف بن قضاعة التنوخي الأنطاكي كان عالما بأصول المعتزلة والنجوم قال الثعالبي في حقه هو من أعيان أهل العلم والأدب وأفراد الكرم وحسن الشيم وكان كما قرأته في فصل للصاحب بن عباد

إن أردت فإني سبحة ناسك وإن أحببت فإني تفاحة فاتك أو
اقترحت فإني مدرعة راهب أو آثرت فإني تحية شـــارب
وكان تقلد قضـــاء البصـــرة والأهواز بضـــع ســـنين وحين
صـــرف عنه ورد حضـــرة ســـيف الدولة بن حمدان زائرا
و مادحا فأكرم مثواه وأحســـن قراه وكتب في معناه إلى
الحضرة ببغداد حتى أعيد إلى عمله وزيد في رزقه ورتبته
وكان الوزير المهلبي وغيره من رؤســـاء العراق يميلون
إليه ويتعصبون له ويعدونه ريحانة الندماء وتاريخ الظرفاء
وكان في جملة الفقهاء والقضـــاة الذين ينادمون الوزير
المهلبي ويجتمعون عنده في الأســـبوع ليلتين على اطراح
الحشمة والتبسط في
367 القصـــف والخلاعة وهم القاضـــي أبو بكر ابن
قريعة وابن معروف والتنوخي المذكور وغيرهم وما منهم
إلا أبيض اللحية طويلها وكذلك كان المهلبي فإذا تكامل
الأنس وطاب المجلس ولذ الســـماع وأخذ الطرب منهم
مأخذه وهبوا ثوب الوقار للعقار وتقلبوا في أعطاف العيش
بين الخفة والطيش ووضـــع في يد كل واحد منهم طاس
ذهب فيه ألف مثقال مملوء شـــرابا قطربليا أو عكبريا
فيغمس لحيته فيه بل ينقعها حتى تتشـــرب أكثره ويرش بها
بعضـــهم بعضـــا ويرقصـــون بأجمعهم وعليهم المصـــبغات
ومخانق المنثور والبرم فإذا أصـــبحوا عادوا كعادعتهم في
التوقر والتحفظ بأبهة القضـــاء وحشـــمة المشـــايخ الكبراء
وأورد من شعره قوله (وراح من الشمس مخلوقة * بدت

لك في قدح من نهار) (هواء ولكنه جامد * وماء ولكنه غير جار) (كأن المدير لها باليمين * إذا مال للسقي أو باليسار) (تدرع ثوبا من الياسمين * له فرد كم من الجلنار) وأورد له أيضا (بأبي حسنك لو أشبهه * منك صنيع) (أنت بدر ما له في * فلك الوصل طلوع) وأورد له (رضاك شباب لا يليه مشيب * وسخطك داء ليس منه طبيب) (كأنك من كل النفوس مركب * فأنت إلى كل النفوس حبيب) وذكر له شيئا كثيرا غير هذا

368 وقال المسعودي في كتاب مروج الذهب وقد عارض أبو القاسم التنوخي المذكور أبا بكر ابن دريد في مقصورته وذكر منها أبياتا ومدح فيها تنوخ وقومه من قضاعة وقال غيره حكى أبو محمد الحسن بن عسكر الصوفي الواسطي قال كنت ببغداد في سنة إحدى وعشرين وخمسمائة جالسا على دكة بباب أبرز للفرجة إذ جاء ثلاث نسوة فجلسن إلى جانبي فأنشدت متمثلا (هواء ولكنه جامد * وماء ولكنه غير جار) وسكت فقالت إحداهن هل تحفظ لهذا البيت تماما فقلت ما أحفظ سواه فقالت إن أنشدك أحد تمامه وما قبله ماذا تعطيه فقلت ليس لي شيء أعطيه ولكني أقبل فاه فأنشدتني الأبيات المذكورة وزادت بعد البيت الأول (إذا ما تأملتها وهي فيه * تأملت نورا محيطا بنار) (فهذا النهاية في الابيضاض * وهذا النهاية في الاحمرار) فحفظت الأبيات منها فقالت لي أين الوعد تعني التقبيل أرادت مداعبتي بذلك وقال الخطيب إنه ولد

بأنطاكية يوم الأحد لأربع بقين من ذي الحجة سـنة ثمان
وسـبعين ومائتين وقدم بغداد وتفقه بها على مذهب الإمام
أبي حنيفة رضـي الله عنه وسـمع الحديث وكان معتزليا
وتوفي بالبصـرة يوم الثلاثاء لسـبع خلون من شـهر ربيع
الأول سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة رحمه الله
369 تعالى ودفن من الغد في تربة اشـتريت لـه
بشـارع المربد وسيأتي ذكر ولده المحسن في حرف الميم
إن شـاء الله تعالى وكل واحد منهما له ديوان شـعر 466
الناشـيء الأصغر أبو الحسن علي بن عبد الله بن وصيف
المعروف بالناشـيء الأصغر الحلاء الشاعر المشهور هو
من الشـعراء المحسـنين وله في أهل البيت قصـائد كثيرة
وكان متكلما بارعا أخذ علم الكلام عن أبي سـهل إسماعيل
بن علي بن نوبخت المتكلم وكان من كبار الشـيعة وله
تصـانيف كثيرة وكان جده وصـيف مملوكا وأبوه عبد الله
عطارا والحلاء بفتح الحاء المهملة وتشديد اللام ألف وإنما
قيل له ذلك لأنه كان يعمل حلية من النحاس قال أبو بكر
الخوارزمي أنشدني أبو الحسن الناشـيء بحلب لنفسه وهو
مليح جدا (إذا أنا عاتبت الملوك فإنما * أخط بأقلامي
على الماء أحرفا) (وهبه ارعوى بعد العتاب ألم تكن *
مودته طبعا فصـارت تكلفا) ومضـى إلى الكوفة في سـنة
خمس وعشـرين وثلثمائة وأملى شـعره بجامعها وكان
المتنبي وهو صـبي يحضـر مجلسـه بها وكتب من إملائه

لنفسه من قصيدة (كأن سنان ذابله ضمير * فليس عن القلوب له ذهاب)
370 وصارمه كبيعته بخم * مقاصدها من الخلق الرقاب) فنظم المتنبي هذا وقال (كأن الهام في الهيجا عيون * وقد طبعت سيوفك من رقاد) (وقد صغت الأسنة من هموم * فما يخطرن إلا في فؤاد) وكان قد قصد حضرة سيف الدولة بن حمدان بحلب ولما عزم على مفارقته وقد غمره بإحسانه كتب إليه يودعه (أودع لا أني أودع طائعا * وأعطي بكرهي الدهر ما كنت مانعا) (وأرجع لا ألفي سوى الوجد صاحبا * لنفسي إن ألفيت بالنفس راجعا) (تحملت عنا بالصنائع والعلا * فنستودع الله العلا والصنائعا) (رعاك الذي يرعى بسيفك دينه * ولقاك روض العيش أخضر يانعا) ومن شعره أيضا عزاها إليه الثعالبي ثم عزاها إلى أبي محمد ابن المنجم (إذا لم تنل همم الأكرمين * وسعيهم وادعا فاغترب) (فكم دعة أتعبت أهلها * وكم راحة نتجت من تعب) وله أيضا (إني ليهجرني الصديق تجنيا * فأريه أن لهجره أسبابا) (وأخاف إن عاتبته أغريته * فأرى له ترك العتاب عتابا) (وإذا بليت بجاهل متغافل * يدعو المحال من الأمور صوابا) (أوليته مني السكوت وربما * كان السكوت عن الجواب جوابا)
371 وفي أشعاره مقاصد جميلة وتوفي سنة ست وستين وثلثمائة رحمه الله تعالى وقيل إنه توفي يوم الإثنين

لخمس خلون من صـــفر من ســـنة خمس وســـتين ببغداد ومولده في ســـنة إحدى وســـبعين ومائتين . 467 الزاهي الشـــاعر أبو القاســـم علي بن إســـحاق بن خلف البغدادي المعروف بالزاهي الشـاعر المشـهور كان وصـافا محسنا كثير الملح ذكره الخطيب في تاريخ بغداد فقال إنه حســـن الشعر في التشبيهات وغيرها وأحسب شعره قليلا وأشار إلى أنه كان قطانا وكانت دكانه في قطيعة الربيع وذكره عميد الدولة أبو سـعد ابن عبد الرحيم في طبقات الشـعراء فقال ولد يوم الإثنين لعشـر ليال بقين من صـفر سـنة ثماني عشرة وثلثمائة وتوفي يوم الأربعاء لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة ببغداد ودفن في مقابر قريش وشعره في أربعة أجزاء وأكثر شعره في أهل البيت ومدح سيف الدولة والوزير المهلبي وغيرهما من رؤسـاء وقته وقال في جميع الفنون وذكر له (صدودك في الهوى هتك استتاري * وعاونه البكاء على اشتهاري)

372 (ولم أخلع عذاري فيك إلا * لما عاينت من حســن العذار) (وكم أبصــرت من حســن ولكن * عليك لشـــقوتي وقع اختياري) وللزاهي المذكور في تشـــبيه البنفســج (ولازوردية أوفت بزرقتها * بين الرياض على زرق اليواقيت) (كأنها فوق قامات ضـــعفن بها * أوائل النار في أطراف كبريت) وله (ومدامة لضـــيائها في كأسـها * نور على فلك الأنامل بازغ) (رقت وغاب عن الزجـاجـة لطفهـا * فكـأنمـا الإبريق منهـا فـارغ) ومن

محاســـن شـــعره قوله (وبيض بألحاظ العيون كأنما * هززن سيوفا واستلل خناجرا) (تصدين لي يوما بمنعرج اللوى * فغادرن قلبي بالتصـــبر غادرا) (ســـفرن بدورا انتقبن أهله * ومســـن غصـــونا والتفتن جآذرا) (وأطلعن في الأجياد بالدر انجما * جعلن لحبات القلوب ضـــرائرا) وهذا تقسيم عجيب وقد استعمله جماعة من الشعراء لكنهم ما أتوا به على هذه الصـــورة فإنه أبدع فيه وهو مثل قول المتنبي (بدت قمرا ومالت خوط بان * وفاحت عنبرا ورنت غزالا) وذكر الثعالبي لبعض شعراء عصره على هذا الأسـلوب في وصـف مغن (فديتك يا أتم الناس ظرفا * وأصلحهم لمتخذ حبيبا)

373 (فوجهك نزهةالأبصار حسنا * وصوتك متعة الأسماع طيبا) (وسائلة تسائل عنك قلنا * لها في وصفك العجب العجيبا) (رنا ظبيا وغنى عندليبا * ولاح شـقائقا ومشـــى قضـــيبا) ولولا خوف التطويل لذكرت له نظائر وللزاهي أيضـــا (من عذيري من عذاري قمر * عرض القلب لأســـباب التلف) (علم الشـــعر الذي عاجله * أنه جار عليه فوقف) والزاهي بفتح الزاي وكســـر الهاء بعد الألف قال السمعاني هذه النسبة إلى قرية من قرى نيسابور ونسب إليها جماعة ثم قال وأما أبو الحسن علي ابن إسحاق بن خلف الشـــاعر البغدادي المعروف بالزاهي فلا أدري نســـب إلى هذه القرية أم لا غير أنه بغدادي وكان حســـن الشـــعر 468 علي بن المنجم أبواحســـن علي بن يحيى بن

أبي منصــــور المنجم كـان نـديم المتوكـل على الله ومن خواصه وجلسائه المتقدمين عنده ثم انتقل إلى من بعده من الخلفاء ولم
374 يزل مكينا عندهم حظيا لديهم يجلس بين يدي أسـرتهم ويفضـون إليه بأسـرارهم ويأمنونه على أخبارهم ولم يزل عـندهم في المنزلـة العليـة وكـان قبـل اتصــــالـه بالخلفاء يلوذ بمحمد بن إســحاق بن إبراهيم المصــعبي ثم اتصل بالفتح بن خاقان وعمل له خزانة كتب أكثرها حكمة واســتكتب له شــيئا عظيما يزيد على ما كان في خزانته أضـعافا مضـاعفة مما لم تشـتمل عليه خزانته وكان راوية للأشـعار والأخبار حاذقا في صـنعة الغناء أخذ عن إسـحاق بن إبراهيم الموصلي وشاهده وصنف عدة كتب منها كتاب الشــعراء القدماء والإســلاميين وكتاب أخبار إســحاق بن إبراهيم الموصـــلي وكتـاب في الطبيخ وغير ذلك وكـان شاعرا محسنا فمن شعره قوله في الطيف (بأبي والله من طرقا * كابتسـام البرق إذ خفقا) (زادني شـوقا برؤيته * وحشا قلبي به حرقا) (من لقلب هائم كلف * كلما سكنته خفقا) (زراني طيف الحبيب فما * زاد أن أغرى بي الأرقا) وله أشــعار حســان وعاش إلى أن خدم المعتمد على الله وتوفي في أواخر أيـامه وذلك في ســنة خمس وســبعين ومائتين بســر من رأى رحمه الله تعالى وخلف جماعة من الأولاد وكلهم نجباء علماء ندماء وسـيأتي ذكر بعضهم في مواضعهم من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى

375 469 علي بن هارون المنجم أبو الحسـن علي بن أبي عبد الله هارون بن علي بن يحيى بن أبي منصـور المنجم الشاعر المشهور ذو نسب عريق في ظرفاء الأدباء وندماء الخلفاء والوزراء وله مع الصــاحب ابن عباد مجالس وفي تشـريفه يقول الصاحب (لبني المنجم فطنة لهديه * ومحاسـن عجمية عربيه) (ما زلت أمدحهم وأنشـر فضـلهم * حتى عرفت بشـدة العصـبيه) ولأبي الحسن المذكور أشعار نادرة ومما يتغنى به من شعره قوله (بيني وبينك في الهوى أسـباب * وإلى المحبة ترجع الأنساب) (بيني وبين الدهر فيك عتاب * سيطول إن لم يمحه الإعتاب) (يا غائبا بوصـاله وكتابه * هل يرتجى من غيبتيك إياب) (لولا التعلل بالرجا لتقطعت * نفس عليك شعارها الأوصاب) (لا يأس من روح الإله فربما * يصـل القطوع وتحضـر الغياب) وكتب إلى ابن الخوارزمي وقد وثئت رجله من عثرة لحقته (كيف نال العثار من لم يزل منه * مقيلا في كل خطب جسيم)

376 (أو ترقى الردى إلى قدم لم * تخط إلا إلى مقام كريم) وأشـعاره ونوادره كثيرة وله من التصـانيف كتاب شـهر رمضان عمله للإمام الراضـي وكتاب النيروز والمهرجان وكتاب الرد على الخليل في العروض وكتاب ابتدأ فيه بنسـب أهله عمله للوزير المهلبي ولم يتمه وكتاب رسـالته في الفرق بين إبراهيم بن المهدي وإسـحاق الموصـلي في الغناء وكتاب اللفظ المحيط بنقض ما لفظ به

اللقيط وهو يعارض كتاب أبي الفرج الأصـــبهاني الذي سـمـاه الفرق والعيـار بين الأوغـاد والأحرار وهو ولـد صــاحب كتاب البارع في اختيار شـعر المحدثين وسـيأتي ذكره في حرف الهاء إن شـاء الله تعالى وحفيد أبي الحسـن المذكور قبله) وكانت ولاته لتسـع خلون من صـفر سـنة ست وقيل سنة سبع وسبعين ومائتين وتوفي يوم الأربعاء لثلاث عشــرة بقيت ليلة من جمادى الآخرة سـنة اثنتين وخمسـين وثلثمائة رحمه الله تعالى وكان يخضـب إلى أن توفي 470 أبو الفتح البسـتي أبو الفتح علي بن محمـد الكاتب البسـتي الشـاعر المشـهور صـاحب الطريقة الأنيقة في التجنيس الأنيس البديع التأسـيس فمن ألفاظه البديعة قوله من أصلح فاسده أرغم حاسده من أطاع غضبه أضاع أدبه عادات السادات

377 سـادات العادات من سـعادة جدك وقوفك عند حدك الرشوة رشاء الحاجات أجهل الناس من كان للإخوان مذلا وعلى السـلطان مدلا الفهم شـعاع العقل المنية تضـحك من الأمنية حد العفاف الرضـا بالكفاف ما لخرق الرقيع ترقيع ومن نادر شـعره قوله (إن هز أقلامه يوما ليعملها * أنسـاك كل كمي هز عامله) (وإن أقر على رق أنامله * أقر بالرق كتاب الأنام له) (وله) (وقد يلبس المرء حر الثياب * ومن دونها حالة مضـنيه) (كمن يكتسـي خده حمرة * وعلتها ورم في الريه) وله (إذا تحدثت في قوم لتؤنسـهم * بما تحدث من ماض ومن آت) (فلا تعد

لحديث إن طبعهم * موكل بمعاداة المعادات) (وله (
تحمل أخاك على ما به * فما في استقامته مطمع) (وأنى
له خلق واحد * وفيه طبائعه الأربع) وللبستي حين تغير
عليه السلطان وهو معنى بديع (قل للأمير أدام ربي عزه
* وأناله من فضله مكنونه)
378 (إني جنيت ولم يزل أهل النهى * يهبون
للخدام ما يجنونه) (ولقد جمعت من العيون فنونها *
فاجمع من العفو الكريم فنونه) (من كان يرجو عفو من
هو فوقه * عن ذنبه فليعف عمن دونه) (وله أيضا (إذا
أحسست في لفظي فتورا * وحفظي والبلاغة والبيان) (
فلا ترتب بفهمي إن رقصي * على مقدار إيقاع الزمان)
هكذا قاله في زهر الآداب والله أعلم وشعره كثير في
التجنيس وغيره وتوفي سنة أربعمائة وقيل سنة إحدى
وأربعمائة ببخارى والله أعلم رحمه الله تعالى وقد تقدم
الكلام على البستي في ترجمة الخطابي ورأيت في أول
ديوانه أنه أبو الفتح علي بن محمد بن الحسن بن محمد بن
عبد العزيز الكاتب الشاعر والله أعلم 471 التهامي الشاعر
أبو الحسن علي بن محمد التهامي الشاعر المشهور قال
ابن بسام الأندلسي في كتاب الذخيرة في حقه كان مشتهر
الإحسان ذرب اللسان مخلى بينه
379 وبين ضروب البيان يدل شعره على فوز القدح
دلالة برد النسيم على الصبح ويعرب عن مكانه من العلوم
إعراب الدمع عن سر الهوى المكتوم قلت وله ديوان شعر

صغير أكثره نخب ومن لطيف نظمه قوله من جملة قصيدة طويلة مدح بها الوزير أبا القاسـم ابن المغربي المقدم ذكره في حرف الحاء (قلت لخلي وثغور الربا * مبتســمات وثغور الملاح) (أيهما أحلى ترى منظرا * فقال لا أعلم كل أقاح) ومثل هذا ما ينسـب إلى ابن سـناء الملك الآتي ذكره وهو (فتحيرت أحســب الثغر عقدا * لسـليمي وأحسب العقد ثغرا) (فلثمت الجميع قطعا لشكي * وكذا فعل كل من يتحرى) ولـه في المديح وقد بـالغ فيـه (أعطى وأكثر فاســتقل هباته * فاســتحيت الأنواء وهي هوامل) (فاسـم السـحاب لديه وهو كنهور * آل وأسـماء البحور جداول) وله مرثية في ولده وكان قد ما صـــغيرا وهي في غاية الحســن ولم يمنعني من الإتيان بـها إلا أن الناس يقولون إنـها محدودة فتركتها لكن من جملتها بيتان في الحساد ومعناهما غريب فأثبتهما (إني لأرحم حاسدي لحر ما * ضمت صدورهم من الأوغار) (نظروا صنيع الله بي فعيونهم * في جنة وقلوبهم في نار)

380 ومنها في ذم الدنيا (طبعت على كدر وأنت تريدها * صـــفوا من الأقذاء والأكدار) (ومكلف الأيام ضـــد طباعها * متطلب فيل الماء جذوة نار) (وإذا رجوت المســتحيل فإنما * تبني الرجاء على شــفير هار) ومنها (جاورت أعدائي وجاور ربه * شــتان بين جواره وجواري) (وتلهب الأحشاء شيب مفرقي * هذا الشعاع شـــواظ تلك النار) ومعنى البيت الأخير مأخوذ من قول

أبي نصـر سـعيد بن الشـاه وهو (قالت اسـود عارضـاك بشـــعر * وبه تقبح الوجوه الحسـان) (قلت أشـعلت في فؤادي نـارا * فعلى وجنتي منـه دخان) ولـه من جملـة قصـــيدة طويلة (كم قلت إياك الحجاز فإنه * ضـــريت جآذره بصـــيد أسـوده) (وأردت صـــيد مها الحجاز فلم يساعدك * القضـاء فصـرت بعض صيوده) ومن شعره المشـهور قوله (بين كريمين مجلس واسـع * والود حال يقرب الشـاسـع) (والبيت إن ضـاق عن ثمانية * متسـع بالوداد للتاسـع) وله بيت بديع من جملة قصـيدة وهو (وإذا جفـاك الدهر وهو أبو الورى * طرا فلا تعتب على أولاده)

381 وكان التهامي المذكور قد وصـــل إلى الديار المصـرية مستخفيا ومعه كتب كثيرة من حسـان بن مفرج بن دغفل البدوي وهو متوجه إلى بني قرة فظفروا به فقال أنا من بني تميم فلما انكشـــفت حاله عرف أنه التهامي الشـــاعر فاعتقل في خزانة البنود وهو ســـجن بالقاهرة المحروســة وذلك لأربع بقين من شـهر ربيع الآخر ســنة سـت عشـرة وأربعمائة ثم قتل سـرا في سـجنه في تاسـع جمادى الأولى من الســنة المذكورة رحمه الله تعالى وكان أصـفر اللون هكذا نقلته من بعض تواريخ المصـريين وهو مرتب على الأيام قد كتب مؤلفه كل يوم وما جرى فيه من الحوادث رأيت منه مجلدا واحدا ولا أعلم كم عدد مجلداته وبعد موته رآه بعض أصـحابه في النوم فقال له ما فعل الله

بك فقال غفر لي فقال بأي الأعمال فقال بقولي في مرثية ولدي الصغير (جاورت أعدائي وجاور ربه * شتان بين جواره وجواري) والتهامي بكســر التاء المثناة من فوقها وفتح الهاء وبعد الألف ميم هذه النســـبة إلى تهامة وهي تنطلق على مكة حرســها الله تعالى ولذلك قيل للنبي تهامي لأنه منها وتنطلق أيضـــا على جبال تهامة وبلادها وهي خطة متسعة بين الحجاز وأطراف اليمن ولا أعلم هل نسبة هذا الشاعر إلى مكة أم إليها والله أعلم

382 472 ابن نوبخت أبو الحسن علي بن أحمد بن نوبخت الشــاعر كان شــاعرا مجيدا إلا أنه كان قليل الحظ من الدنيا لم يزل رقيق الحال ضـــعيف المقدرة وتوفي بمصــر في شــعبان سنة ست عشرة وأربعمائة وهو على حاله من الضرورة وشدة الفاقة رحمه الله تعالى وكفنه ولي الدولة أبو محمد أحمد بن علي المعروف بابن خيران الكاتب الشـــاعر 124 وهذا ابن خيران كان متولي كتب السجلات عن الظاهربن الحاكم صاحب مصر وله ديوان شعر أيضا صغير الحجم ومن شعره البيتان المشهوران وهما (سعى إليك بي الواشي فلم ترني * أهلا لتكذيب ما ألقى من الخبر) (ولو ســـعى بك عندي في ألذ كرى * طيف الخيال لبعت النوم بالســـهر) قلت ويقرب من هذا المعنى قول أبي عبد الله الحســـين بن القم اليمني الشـــاعر المشهور صاحب الرسالة المشهورة من جملة أبيات وهو قوله (أنبئت أنك قد أتتك قوارض * عنى ثنتك على

الضـــمير الواجد) (عملت رقى الواشـــين فيك وإنها *
عندي لتضـرب في حديد بارد) والأصل في هذا كله قول
عبد الله بن الدمينة الخثعمي الشاعر المشهور
383 المعروف بنائحة العرب من جملة قصـــيدته
البائية المشـــهورة وهو قوله (وكوني على الواشـــين لداء
شغبة * كما أنا للواشي ألد شغوب) ونوبخت بضم النون
وسـكون الواو وفتح الباء الموحدة وسـكون الخاء المعجمة
وبعد ها تاء مثناة من فوقها وإنما ذكرت ابن خيران في
هذه الترجمة ولم أفرده بترجمة لأني لم أقف على تاريخ
وفاته وقد التزمت في هذا الكتاب ذكر أرباب الوفيات ثم
إني وجدت في كتاب طبقات الشـــعراء تأليف الوزير أبي
سـعد محمد بن الحسين بن عبد الرحيم الملقب عميد الدولة
ترجمة ولي الدولة ابن خيران المذكور وذكر له شـــعرا
وقال كان شـــابا حســـن الوجه ورد الخبر بوفاته في شـــهر
رمضـــان من ســـنة إحدى وثلاثين وأربعمائة وكان وقوفي
على هذا الفصـل في أواخر سـنة خمس وسـبعين وستمائة
بالقاهرة والله أعلم 473 صريع الدلاء أبو الحسن علي بن
عبد الواحد الفقيه البغدادي المعروف بصـــريع الدلاء قتيل
الغواشي ذي الرقاعتين الشاعر المشهور ذكره الرشيد أبو
الحســـين أحمد بن الزبير المذكور في حرف الهمزة في
كتاب الجنان فقال كان يسلك في
384 شـــعره مســـلك أبي الرقعمق وله قصـــيدة في
المجون ختمها ببيت لو لم يكن له في الجد ســـواه لبلغ به

درجة الفضل وأحرز معه قصب السبق وهو قوله (من فاته العلم وأخطاه الغنى * فذاك والكلب على حال سوا) وقدم مصر سنة اثنتي عشر وأربعمائة ومدح الظاهر لإعزاز دين الله انتهى كلام ابن الزبير ورأيت في نسخة من ديوان شعره أنه أبو الحسن محمد بن عبد الواحد القصار البصري والله أعلم بالصواب وكانت وفاته في سابع رجب سنة اثنتي عشرة وأربعمائة فجأة من شرقة لحقته عند الشريف البطحائي وغالب ظني أنه توفي بمصر رحمه الله تعالى لأني نقلت تاريخ وفاته من التاريخ الذي ذكرته في ترجمة التهامي ومبناه على الحوادث الكائنة بمصر يوما فيوما ويؤيد ذلك أن ابن الزبير قد ذكر أنه قدم مصر في سنة اثنتي عشرة وهي السنة التي توفي فيها والله أعلم وفيه قال أبو العلاء المعري (دعيت بصارع فتداركته * مبالغة فرد إلى فعيل) كان طلب منه شرابا وما يليق به فسير له قليل نفقة واعتذر بهذه الأبيات

385 474 صردر الشاعر الرئيس أبو منصور علي بن الحسن بن علي بن الفضل الكاتب المعروف بصردر الشاعر المشهور أحد نجباء شعراء عصره جمع بين جودة السبك وحسن المعنى وعلى شعره طلاوة رائقة وبهجة فائقة وله ديوان شعر وهو صغير وما ألطف قوله من جملة قصيدة (نسائل عن ثمامات بحزوى * وبان الرمل يعلم ما عنينا) (فقد كشف الغطاء فما نبالي * أصرحنا بذكرك أم كنينا) (ولو أني أنادي يا سليمى * لقالوا ما أردت

سوى لبينى) (ألا لله طيف منك يسقي * بكاسات الكرى زورا وميتا) (مطيته طوال الليل جفني * فكيف شــكا إليك وجى وأينا) (فأمســينا كأنا ما افترقنا * وأصــبحنا كأنا ما التقينا) وقوله في الشيب (لم أبك أن رحل الشباب وإنما * أبكي لأن يتقارب الميعاد)
386 (شــعر الفتى أوراقه فإذا ذوى * جفت على آثاره الأعواد) وله في جارية سوداء وهو معنى حسن (علقتها ســواء مصــقولة * ســواد قلبي صــفة فيها) (ما انكســف البدر على تمه * ونوره إلا ليحكيها) (لأجلها الأزمان أوقاتها * مؤرخات بلياليها) وإنما قيل له صردر لأن أباه كان يلقب صــربعر لشــحه فلما نبغ ولده المذكور وأجاد في الشــعر قيل له صــردر وقد هجاه بعض شــعراء وقته وهو الشريف أبو جعفر مسعود المعروف بالبياضــي الشاعر وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى (لئن لقب الناس قدما أباك * وسموه من شحه صر بعرا) (فإنك تنثر ما صره * عقوقا له وتسميه شعرا) ولعمري ما أنصفه هذا الهاجي فإن شــعره نادر وإنما العدو لا يبالي بما يقوله وكانت وفاة صردر في سنة خمس وستين وأربعمائة وكان ســبب موته أنه تردى في حفرة حفرت للأســد في قرية بطريق خراســان وكانت ولادته قبل الأربعمائة وســيأتي ذكره في ترجمة الوزير فخر الدولة بن جهير واسمه محمد وله هناك شعر بديع

387   475 الباخرزي أبو الحسن علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي الشـاعر المشـهوركان أوحد عصـره في فضـلـه وذهنه والسـابق إلى حيازة القصـب في نظمه ونثره كان في شبابه مشتغلا بالفقه على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه واختص بملازمة درس الشيخ أبي محمد الجويني والد إمام الحرمين ثم شــــرع في فن الكتابة واختلف إلى ديوان الرســـــائـل وارتفعـت بـه الأحوال وانخفضت ورأى من الدهر العجائب سفرا وحضرا وغلب أدبه على فقهه فاشتهر بالأدب وعمل الشعر وسمع الحديث وصنف كتاب دمية القصر وعصرة أهل العصر وهو ذيل يتيمة الدهر التي للثعالبي وجمع فيها خلقا كثيرا 125 وقد وضــــع على هذا الكتاب أبو الحســـن علي بن زيد البيهقي كتابا ســـماه وشـــاح الدمية وهو كالذيل له هكذا ســـماه الســـمعاني في المذيل وقال العماد في الخريدة هو شـــرف الدين أبو الحســـن علي بن الحسـن البيهقي والله أعلم وذكر أشـياء من شـعره فمن ذلك (يا خالق الخلق حملت الورى * لما طغى الماء على جاريه) (وعبدك الآن طغى ماؤه * في الصلب فحمله على جاريه)

388   رجعنا إلى الباخرزي وديوان شـــعره مجلد كبير والغـالـب عليـه الجودة فمن معـانيـه الغريبـة قولـه (وإني لأشـكو لسـع اصـداغك التي * عقاربها في وجنتيك تحوم) (وأبكي لـدر الثغر منـك ولـي أب * فكيف يـديم الضـحك وهو يتيم) ومن قوله في شـدة البرد (كم مؤمن

قرصــته أظفار الشــتا * فغدا لســكان الجحيم حســودا) (
وترى طيور الماء في وكناتها * تختار حر النار والسـفودا
) وإذا رميت بفضــل كأســك في الهوى * عادت عليك من
العقيق عقودا) (يا صـــاحب العودين لا تهملهما * حرق
لنا عودا وحرك عودا) وقوله من جملة أبيات (يا فالق
الصبح من لألاء غرته * وجاعل الليل من أصداغه سكنا
) (بصـورة الوثن استبعدتني وبها * فتنتني وقديما هجت
لي شجنا) (لا غرو أن أحرقت نار الهوى كبدي * فالنار
حق على من يعبد الوثنا) ومن المنسوب إليه والله أعلم (
وإذا بكيت دما تقول شمت بي * يوم النوى فصبغت دمعك
أحمرا) (من شـــاء أمنحه الغرام فدونه * هذي خلائقها
بتحيير الشـرى) هكذا أنشـدنيهما بعض المتأدبين والعهدة
عليه في ذلك وقتل الباخرزي في مجلس الأنس بباخرز
في ذي القعدة سنة سبع وستين
389 وأربعمائة وذهب دمه هدرا رحمه الله تعالى
وباخرز بفتح الباء الموحدة وبعد الألف خاء موحدة مفتوحة
ثم راء ساكنة وبعدها زاي وهي ناحية من نواحي نيسابور
تشتمل على قرى ومزارع خرج منها جماعة من الفضلاء
وغيرهم 476 ابن أفلح الشـــاعر جمال الملك أبو القاســـم
علي بن أفلح العبسي الشاعر المشهور شاعر ظريف حسن
المديح كثير الهجاء مدح الخلفاء فمن دونهم من أرباب
المراتب وجاب البلاد ولقي رؤســـاء ها وأكابر ها رأيت
ديوانه في مجلد وســط وقد جمعه بنفســه وعمل له خطبة

وقفاه وذكر عدد ما في كل قافية من بيت واعتنى بأمره و هذبه نقلت منه قوله يخاطب محبوبه (يا جاهلا قدر المحبة ســـاءني * ما ضـــاع من كلفي ومن تبريحي) (ســيان عندك مغرم بك هائم * وخلي قلب فيك غير قريح) (لو كنت أعلم أن طبعك هكذا * لم أعص يوم نصحت فيك نصـــيحي) (ما كان في عزمي الســـلو وإنما * ألزمتنيه بكثرة التقبيح) وله في غلام ناقص الجمال (وما عشـقي له وحشا لأني * كرهت الحسن واخترت القبيحا) (ولكن غرت أن أهوى مليحا * وكل الناس يهوون المليحا)

390 ولابن المعتز في هذا المعنى أيضـــا أي في ناقص الجمال (قلبي ميال إلى ذا وذا * ليس يرى شـــيئا فيأباه) (يهيم بالحســن كما ينبغي * ويرحم القبح فيهواه) ومن أبياته الســائرة المشـهورة من جملة أبيات قوله (بيننا يوم أثيلات منى * كـان عن غير تراض بيننـا) ولبعض المتأخرين في المعنى الأول (أنا لا أعشـق من يعشـقه * كل الأنام) (وأعاف المنهل العذب * لبغضـي في الزحام) وله في غلام أعرج أي لابن أفلح المذكور (بأبي من رأيته يتثنى * فهو من لينه يحل ويعقد) (حســـدوه على الجمـال فقالوا * أعرج والمليح مـا زال يحســـد) (هو غصـن والحسـن في الغصـن الناعم * ما كان مائلا يتأود) وله في بعض الرؤســـاء وقد وصــل إلى بابه فمنعه البواب من الدخول إليه (حمدت بوابك إذ ردني * وذمه غيري على رده) (لأنه قلدني نعمة * تســـتوجب الإغراق في

حمده) (أراحني من قبح ملقاك لي * وكبرك الزائد في حده) وأورد له الحظيري في زينة الدهر
391 (لا غرو من جزعي لبينهم * يوم النوى وانا أخو الفهم) (فالقوس من خشب تئن إذا * ما كلفوها فرقة السـهم) وقال وقد وعده رجل بدرياق وتأخر عنه (لا غرو أن أخلف ميعاده * من لم يجد قط ولم يكرم) (وإنما الأعجب منه أنا * أن أطلب الدرياق من أرقم) وله نوادر كثيرة وتوفي يوم الخميس ثاني شعبان سنة خمس وقيل ست وقيل سبع وثلاثين وخمسمائة وعمره أربع وستون سنة وثلاثة أشهر وأربعة عشر يوما وكانت وفاته ببغداد ودفن بالجانب الغربي بمقابر قريش رحمه الله تعالى وأفلح بفتح الهمزة وسكون الفاء وفتح اللام وبعدها حاء مهملة والعبسي بفتح العين المهملة وسكون الباء الموحدة وبعدها سين مهملة هذه النسبة إلى عبس وهو اسم لعدة قبائل ولا أعلم إلى أيها ينسب المذكور وهو يتصحف بالعنسي مثل الأول لكن بدل الباء نون وهي قبيلة أيضا 477 ابن مسهر الموصلي أبو الحسن علي بن أبي الوفاء سعد بن أبي الحسن علي بن عبد الواحد بن عبد القاهر بن أحمد بن مسهر الموصلي الملقب مهذب الدين كان شاعرا بارعا رئيسا مقدما تنقل في أكثر ولايات الموصل ومدح الخلفاء والأمراء رأيت
392 ديوان شعره في مجلدين وذكر في ديوانه أنه ولد بمدينة آمد ومن محاسن شعره قوله في صفة فهد (

وكل أهرت بادي السخط مطرح الحياء * جهم المحيا سيء الخلق) (والشمس مذ لقبوها بالغزالة أعطته * الرشا حسدا من لونها اليقق) (ونقطته حباء كي يسالمها * على المنايا نعاج الرمل بالحدق) (هذا ولم يبرزا مع سلم جانبه * يوما لناظره إلا على فرق) ومن هذه القصيدة في صفة الخيل (سود حوافرها بيض جحافلها * صبغ تولد بين الصبح والغسق) (من طول ما وطئت ظهر الدجا خببا * وطول ما كرعت من منهل الفلق) وهي قصيدة بديعة وأولها (هي الموارد بين السحر والحدق * فرد دنان المنايا مورد الأنق) (وأطيب العيش ما تجنيه من تعب * وأعذب الشرب ما يصفو من الرنق) (يا دار درك إخلاف الغمام على * مر النسيم بجاري الغيث منبثق) (وإن عدتك عوادي المزن فانتجعي * بأروض الأرض من أجفان ذي حرق) وهذه الأبيات مع أنها جيدة مأخوذة من أبيات الأمير أبي عبد الله محمد بن أحمد السراج الصوري وكان معاصره وهي من جملة قصيدة

393 (شئن البراثن في فيه وفي يده * ما في الصوارم والعسالة الذبل) (تنافس الليل والنهار معا * فقمصاه بجلباب من المقل) (والشمس منذ دعوها بالغزالة لم * تبرز لناظره إلا على وجل) ومن شعر ابن مسهر أيضا بيتان كتبهما إلى بعض الرؤساء (ولما اشتكيت اشتكى كل ما * على الأرض واعتل شرق وغرب

) (لأنك قلب لجسم الزمان * وما صح جسم إذا اعتل قلب
) وذكره العماد الكاتب في الخريدة وبالغ في الثناء عليه ثم
قال أنشدني العلم الشاتاني له هذه القصيدة (حسرت عن
يومنا النوب * واكتسى نواره العشب) (واستقامت في
مجرتها * بالأماني السبعة الشهب) (يا خليلي أين
مصطبح * فيه للذات مصطحب) (وثغور الزهر
ضاحكة * ودموع القطر تنسكب) (ولنا في كل جارحة
* من غنا أطياره طرب) (اسقنيها بنت دسكرة * وهي
أم حين تنتسب) (خندريس دون مدتها * جاءت الأزمان
والحقب) (طاف يجلوها لنا رشأ * قصرت عن لحظه
القضب) (أوقدتها نار وجنته * فهي في كفيه تلتهب) (
ولها من ذاتها طرب * فلهذا يرقص الحبب) ثم قال بعد
ذلك وكان قد حكى لي كمال الدين بن السهروردي قال كان
ابن مسهر إذا أعجبه معنى لشاعر أو بيت عمل عليه
قصيدة وادعاه لنفسه واجتمع هو والأبيوردي مرة وهو لا
يعرف ابن مسهر فجرى حديث ابن
394 مسهر وأنه سرق بيت الأبيوردي فقال ابن
مسهر بل الأبيوردي سرق شعري وقال في الخريدة أيضا
في حقه في أول ترجمته عاش إلى زماننا هذا ورأيته شيخا
أناف على التسعين لما كنت بالموصل سن اثنتين وأربعين
وخمسمائة ثم وصفه على جاري عادته ثم قال وابن مسهر
مسهر المعاصرين حسدا ومميت القاصرين عن شأوه كمدا
ثم قال في أثناء الترجمة ومن غريب الاتفاق ما حكاه

السـمعاني عن أبي الفتح عبد الرحمن بن أبي الغنائم محمد بن أحمد ابن علي بن عبد الغفار المعروف بابن الأخوة البيع الأديب الكاتب أنه رأى في منامه منشدا ينشد (وأعجب من صبري القلوص التي سرت * بهودجك المزموم أنى استقلت) (أعاتب فيك اليعملات على النوى * وأسأل عنك الريح من حيث هبت) (وأطبق أحناء الضلوع على جوى * جميع وصبر مستحيل مشتت) قال أبو الفتح المذكور فلما انتبهت جعلت دأبي السؤال عن قائل هذين البيتين مدة فلم أجد مخبرا عنهما ومضى على ذلك عدة سنين ثم اتفق نزول أبي الحسن علي بن مسهر المذكور في ضيافتي فتجاذبنا في بعض الليالي ذكر المنامات فذكرت له حال المنام الذي رأيته وأنشدته البيتين المذكورين فقال أقسم بالله أنهما من شعري من جملة قصيدة وأنشدني منها (إذا ما لسان الدمع نم على الهوى * فليس بسر ما الضلوع أجنت) (فوالله ما أدري عشية ودعت * أناحت حمامات اللوى أم تغنت) (وأعجب من صبري القلوص التي سرت * بهودجك المزموم أنى استقلت) (أعاتب فيك اليعملات على النوى * وأسأل عنك الريح من حيث هبت) (وأطبق أحناء الضلوع على جوى * جميع وصبر مستحيل مشتت) قال فعجبنا من هذا الاتفاق ثم تذاكرنا بقية ليلتنا بأنواع الأدب

395 ومن شعره أيضا وهو ما أورده له في الخريدة من قصيدة (الوجد ما قد هيج الطللان * مني وأذكرني

حمام البان) (أنا والحمائم حيث تندب شـــجوها * فوق الأراكة سحرة سيان) (فأنا المعنى بالقدود أمالها * شرخ الشباب وهن بالأغصان) ومنها (فافخر فإنك من سلالة معشـــر * عقدوا عمائمهم على التيجان) (كل الأنام بنو أب لكنما * بالفضـــل تعرف قيمة الإنســـان) وتوفي في أواخر صـــفر ســـنة ثلاث وأربعين وخمســـمائة رحمه الله تعالى وقال العماد الكاتب في الخريدة ســـنة ســـت وأربعين ومســـهر بضـــم الميم وســـكون الســـين المهملة وكســـر الهاء وبعدها راء وهو اسم علم 478 ابن الساعاتي أبو الحسن علي بن رستم بن هردوز المعروف بابن الساعاتي الملقب بهاء الدين الشـــاعر المشـــهور شـــاعر مبرز في حلبة المتأخرين له ديوان شعر يدخل

396 في مجلدين أجاد فيه كل الإجادة وديوان آخر لطيف ســـماه مقطعات النيل نقلت منه قوله (لله يوم في ســـيوط وليلة * صـــرف الزمان بأختها لا يغلط) (بتنا وعمر الليل في غلوائه * وله بنور البدر فرع أشـــمط) (والطل في سلك الغصـون كلؤلؤ * رطب يصـافحه النسـيم فيسـقط) (والطير يقرأ والغدير صـحيفة * والريح تكتب والغمامة تنقط) وهذا تقسيم بديع ونقلت منه أيضا (ولقد نزلت بروضـــة حزنية * رتعت نواظرنا بها والأنفس) (فظللت أعجب حيث يحلف صاحبي * والمسك من نفحاتها يتنفس) (ما الجو إلا عنبر والدوح إلا * جوهر والروض إلا سندس) (سفرت شقائقها فهم الأقحوان * بلثمها فرنا

إليه النرجس) (فكأن ذا خد وذا ثغر يحاوله * وله وذا أبدا عيون تحرس) وله كل معنى مليح أخبرني ولده بالقاهرة المحروسة أن أباه توفي يوم الخميس الثالث والعشرين من شهر رمضان سنة أربع وستمائة بالقاهرة ودفن بسفح المقطم وعمره إحدى وخمسون سنة وستة أشهر واثنا عشر يوما ورأيت بخط بعض المشايخ وقد وافق في تاريخ الوفاة لكنه قال عاش ثمانيا وأربعين سنة وسبعة أشهر واثني عشر يوما وأنه ولد بدمشق رحمه الله تعالى والله أعلم بالصواب . ورستم بضم الراء وسكون السين المهملة وضم التاء المثناة من فوقها وهردوز بفتح الهاء وسكون الراء وضم الدال وسكون الواو وبعدها زاي وسيوط بضم السين المهملة والياء المثناة من تحتها وسكون الواو وبعدها طاء مهملة وهي بلدة بصعيد مصر ومنهم من يقول أسيوط بزيادة همزة مضمومة وسكون السين

397

479 ابن الآمدي قاضي واسط أبو الفضائل علي بن أبي المظفر يوسف بن أحمد بن محمد بن عبيد الله بن الحسين ابن احمد بن جعفر الآمدي الأصل الواسطي المولد والدار هو من بيت معروف بواسط بالصلاح والرواية والعدالة قدم بغداد وأقام بها مدة متفقها على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه على الشيخ أبي طالب المبارك بن المبارك صاحب ابن الخل ثم من بعده على أبي القاسم يعيش بن صدقة الفراتي وأعاد له درسه بالمدرسة الثقتية بباب الأزج وكان حسن الكلام في

المناظرة وســـمع الحديث من جماعة كبيرة ببلده وببغداد وتولى القضاء بواسط في أواخر صفر سنة أربع وستمائة وصـــار إليها في شـــهر ربيع الأول من الســـنة المذكورة وأضيف إليه أيضا الاشراف بالأعمال الواسطية وكان له معرفة بالحساب وله أشعار رائقة فمن ذلك الأبيات السائرة وهي (واها له ذكر الحمى فتأوها * ودعا به داعي الصبا فتولها) (هاجت بلابله البلابل فانثنت * أشجانه تثني عن الحلم النهى) (فشـــكا جوى وبكى أســـى وتنبه الوجد * القديم ولم يزل متنبها)

398 (قالوا وهى جلدا ولو علق الهوى * بيلملم يوما تأوه أو وهى) (لا تكرهوه على الســـلو فطائعا * حمل الغرام فكيف يسلو مكرما) (يا عتب لا عتب عليك فسامحي * وصلي فقد بلغ السقام المنتهى) (علمت بان الجزع ميل غصونه * لما خطرت عليه في حلل البها) (ومنحت غنج اللحظ غزلان النقا * فلذاك أحســـن ما يرى عين المها) (لولا دلالك لم أبت متقســـم العزمات * مسلوب الرقاد متيها) (لي أربع شهداء في صدق الولا * دمع وحزن مفرط وتدلها) (وبلابل تعتادني لو أنها * في يذبل يوما لأصـــبح كالسها) (لام العواذل في هواك وما ارعوى * ونهاه عنك اللائمون وما انتهى) (قالوا اشتهاك وقد رآك مليحة * عجبا وأي مليحة لا تشتهى) (أنا أعشق العشاق فيك ولا أرى * مثلي ولا لك في الملاحة مشـــبها) وله غيرها أشـــعار رقيقة 126 قلت هكذا وجدت

هذه الأبيات منسوبة إليه ولا أتحقق صحتها والله أعلم ثم وجدت بخطي في مسوداتي أن توفي ابن الآمدي الشاعر سنة إحدى وخمسين وخمسمائة وكان في طبقة الغزي والأرجاني ولم أقف على اسمه ونسبه حتى أعلم من هو لكنه قال وكان من أهل النيل يعني البليدة التي في العراق وكان قد زاد على تسعين سنة فيحتمل أن تكون له هذه الأبيات المذكورة في هذه الترجمة ويحتمل ان تكون لهذا الثاني المجهول الاسم والنسب والله أعلم لكن يترجح الأول لأنه كان قاضي واسط فهو الفقيه وهذا الشاعر وكانت ولادته بواسط في الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة تسع وخمسين

399 وخمسمائة وتوفي ليلة الإثنين ثالث شهر ربيع الأول سنة ثمان وستمائة بواسط وصلي عليه يوم الإثنين ودفن عند أبيه وأهله بظاهر البلد رحمه الله تعالى وقد تقدم الكلام على الآمدي وأن نسبته إلى آمد 480 عماد الدولة ابن بويه عماد الدولة أبو الحسن علي بن بويه بن فناخسرو الديلمي صاحب بلاد فارس وقد تقدم تمام نسبه في ترجمة أخيه معز الدولة أحمد بن بويه في حرف الهمزة فأغنى عن الإعادة وعماد الدولة المذكور أول من ملك من بني بويه وكان أبوه صيادا وليست له معيشة إلا من صيد السمك وكانوا ثلاثة إخوة عماد الدولة أكبرهم ثم ركن الدولة الحسن وهو والد عضد الدولة وقد تقدم ذكره في حرف الحاء ثم معز الدولة والجميع ملكوا وكان عماد

الدولة سبب سعادتهم وانتشار صيتهم واستولوا على البلاد وملكوا العراقين والأهواز وفارس وساسوا أمور الرعية أحسن سياسة ثم لما ملك عضد الدولة بن ركن الدولة اتسعت مملكته وزادت على ما كان لأسلافه ولولا خوف الإطالة لذكرت طرفا من سبب تملك الدولة المذكور وكيفية أمره من أول الحال وذكر أبو محمد هارون بن العباس المأموني في تاريخه أن عماد الدولة المذكور اتفقت له أسباب عجيبة كانت سببا لثبات ملكه منها أنه لما ملك شيراز في

400 أول ملكه اجتمع أصحابه وطالبوه بالأموال ولم يكن معه ما يرضيهم به وأشرف أمره على الانحلال فاغتم لذلك فبينما هو مفكر قد استلقى على ظهره في مجلس قد خلا فيه للفكرة والتدبير إذ رأى حية قد خرجت من موضع من سقف ذلك المجلس ودخلت موضعا آخر منه فخاف أن تسقط عليه فدعا الفراشين وأمرهم بإحضار سلم وأن تخرج الحية فلما صعدوا وبحثوا عن الحية وجدوا ذلك السقف يفضي إلى غرفة بين سقفين فعرفوه ذلك فأمرهم بفتحها ففتحت فوجد فيها عدة صناديق من المال والمصاغات قدر خمسمائة ألف دينار فحمل المال إلى بين يديه فسر به وأنفقه في رجاله وثبت أمره بعد أن كان قد أشفى على الانخرام ثم إنه قطع ثيابا وسأل عن خياط حاذق فوصف له خياط كان لصاحب البلد قبله فأمر بإحضاره وكان أطروشا فوقع له أنه قد سعي به إليه في وديعة كانت

عنده لصــاحبه وأنه طلبه لهذا الســبب فلما خاطبه حلف أنه ليس عنده إلا اثنا عشــر صـــندوقا لا يدري ما فيها فعجب عماد الدولة من جوابه ووجه معه من حملها فوجد فيها أموالا وثيابا بجملة عظيمة فكانت هذه الأســـباب من أقوى دلائل ســعادته ثم تمكنت حاله واســتقرت قواعده . وكانت وفاته يوم الأحد لأربع عشــرة ليلة بقيت من جمادى الأولى ســـنة ثمان وثلاثين وقيل تســـع وثلاثين وثلثمائة بشــيراز ودفن في دار المملكة وأقام في المملكة ســت عشــرة ســنة وعاش ســـبعا وخمســـين ســـنة ولم يعقب رحمه الله تعالى وأتاه في مرضــــه أخوه ركن الدولة واتفقا على تســـليم بلاد فارس إلى عضد الدولة بن ركن الدولة فتسلمها

401 481 سيف الدولة بن حمدان سيف الدولة أبو الحســن علي بن عبد الله بن حمدان وقد تقدم تتمة نسبه في ترجمة أخيه ناصــــر الدولة الحســـن في حرف الحاء فلا حاجة إلى إعادته قال أبو منصــور الثعالبي في كتاب يتيمة الدهر كان بنو حمدان ملوكا أوجههم للصـــباحة وألســـنتهم للفصاحة وأيديهم للسماحة وعقولهم للرجاحة وسيف الدولة مشهور بسيادتهم وواسطة قلادتهم وحضرته مقصد الوفود ومطلع الجود وقبلة الآمال ومحط الرحال وموســـم الأدباء وحلبة الشـــعراء ويقال إنه لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من شيوخ الشــعر ونجوم الدهر وإنما الســلطان ســوق يجلب إليها ما ينفق لديها وكان أديبا شــاعرا محبا لجيد الشــعر شــديد الاهتزاز له وكان كل من

أبي محمد عبد الله بن محمد الفياض الكاتب وأبي الحسن علي بن محمد الشمشاطي قد اختار من مدائح الشعراء لسيف الدولة عشر آلاف بيت ومن محاسن شعر سيف الدولة في وصف قوس قزح وقد أبدع فيه كل
402 الإبداع وقيل إن هذه الأبيات لأبي الصقر القبيصي والأول ذكره الثعالبي في كتاب اليتيمة (وساق صبيح للصبوح دعوته * فقام وفي أجفانه سنة الغمض) (يطوف بكاسات العقار كأنجم * فمن بين منقض علينا ومنفض) (وقد نشرت أيدي الجنوب مطارفا * على الجو دكنا والحواشي على الأرض) (يطرزها قوس السحاب بأصفر * على احمر في أخضر تحت مبيض) (كأذيال خود أقبلت في غلائل * مصبغة والبعض أقصر من بعض) و هذا من التشبيهات الملوكية التي لا يكاد يحضر مثلها للسوقة والبيت الأخير أخذ معناه أبو علي الفرج بن محمد بن الأخوة المؤدب البغدادي فقال في فرس أدهم محجل) (لبس الصبح والدجنة بردين * فأرخى بردا وقلص بردا) وقيل إنها لعبد الصمد بن المعذل وكانت له جارية من بنات ملوك الروم في غاية الجمال فحسدها بقية الحظايا لقربها منه ومحلها من قلبه وعزمن على إيقاع مكروه بها من سم أو غيره فبلغه الخبر وخاف عليها فنقلها إلى بعض الحصون احتياطا وقال (راقبتني العيون فيك فأشفقت * ولم أخل قط من إشفاق) (ورأيت العدو يحسدني فيك * مجدا يا أنفس الأعلاق) (فتمنيت

أن تكوني بعيدا * والذي بيننا من الود باق) (رب هجر يكون من خوف هجر * وفراق يكون خوف فراق)
403 ورأيت هذه الأبيات بعينها في ديوان عبد المحسن الصوري والله أعلم لمن هي منهما ومن شعره أيضا (أقبله على جزع * كشرب الطائر الفزع) (رأى ماء فأطعمه * وخاف عواقب الطمع) (وصادف خلسة فدنا * ولم يتلذ بالجرع) ويحكى أن ابن عمه أبا فراس المقدم ذكره في حرف الحاء كان يوما بين يديه في نفر من ندمائه فقال لهم سيف الدولة أيكم يجيز قولي وليس له إلا سيدي يعني أبا فراس (لك جسمي تعله * فدمي لم تحله) فارتجل أبو فراس وقال (قال إن كنت مالكا * فلي الأمر كله) فاستحسنه وأعطاه ضيعة بأعمال منبج المدينة المعروف تغل ألفي دينار في كل سنة ومن شعر سيف الدولة أيضا قوله (تجنى علي الذنب والذنب ذنبه * وعاتبني ظلما وفي شقه العتب) (إذا كرم المولى بخدمة عبده * تجنى له ذنبا وإن لم يكن ذنب) (وأعرض لما صار قلبي بكفه * فهلا جفاني حين كان لي القلب) وأنشدني الفقير أيدمر الصوفي المسمى إبراهيم لنفسه دوبيت في معنى البيت الثالث
404 (قوم نقضوا عهودنا بالشعب * من غير جناية ولا من ذنب) صدوا وتعتبوا وقد همت بهم * هلا هجروا وكان قلبي قلبي) ويحكى أن سيف الدولة كان يوما بمجلسه والشعراء ينشدونه فتقدم أعرابي رث الهيئة وأنشد

وهو بمدينة حلب (أنت علي و هذه حلب * قد نفد الزاد وانتهى الطلب) (بهذه تفخر البلاد وبالأمير * تزهى على الورى العرب) وعبدك الدهر قد أضر بنا * إليك من جور عبدك الهرب) فقال سيف الدولة أحسنت والله وأمر له بمائتي دينار وقال أبو القاسم عثمان بن محمد العراقي قاضي عين زربة حضرت مجلس الأميرسيف الدولة بحلب وقد وافاه القاضي أبو نصر محمد بن محمد النيسابوري فطرح من كمه كيسا فارغا ودرجا فيه شعر استأذن في إنشاده فأذن له فأنشد قصيدة أولها (حباؤك معتاد وأمرك نافذ * وعبدك محتاج إلى ألف درهم) فلما فرغ من إنشاده ضحك سيف الدولة ضحكا شديدا أمر له بألف درهم فجعلت في الكيس الفارغ الذي كان معه وكان أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد ابنا هاشم المعروفان بالخالديين الشاعرين المشهورين وأبو بكر أكبرهما قد وصلا إلى حضرة سيف الدولة ومدحاه فأنزلهما وقام بواجب حقهما وبعث لهما مرة وصيفا ووصيفة ومع كل واحد منهما

405 بدرة وتخت ثياب من عمل مصر فقال أحدهما من قصيدة طويلة (لم يغد شكرك في الخلائق مطلقا * إلا ومالك في النوال حبيس) (خولتنا شمسا وبدرا أشرقت * بهما لدينا الظلمة الحنديس) (رشأ أتانا وهو حسنا يوسف * وغزالة هي بهجة بلقيس) (هذا ولم تقنع بذاك وهذه * حتى بعثت المال وهو نفيس) (أتت الوصيفة وهي تحمل

بدرة * وأتى على ظهر الوصيف الكيس) (وحبوتنا مما أجادت حوكه * مصر وزادت حسنه تنيس) (فغدا لنا من جودك المأكول والمشروب * والمنكوح والملبوس) فقال له سيف الدولة أحسنت إلا في لفظة المنكوح فليست مما يخاطب الملوك بها وأخبار سيف الدولة كثيرة مع الشعراء خصوصا مع المتنبي والسري الرفاء والنامي والببغاء والوأواء وتلك الطبقة وفي تعدادهم طول وكانت ولادته يوم الأحد سابع عشر ذي الحجة سنة ثلاث وثلثمائة وقيل سنة إحدى وثلثمائة وتوفي يوم الجمعة ثالث ساعة وقيل رابع ساعة لخمس بقين من صفر سنة ست وخمسين وثلثمائة بحلب ونقل إلى ميافارقين ودفن في تربة أمه وهي داخل البلد وكان مرضه عسر البول وكان قد جمع من نفض الغبار الذي يجتمع عليه في غزواته شيئا وعمله لبنة بقدر الكف وأوصى أن يوضع خده عليها في لحده فنفذت وصيته في ذلك وملك حلب في سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة انتزعها من يد أحمد بن سعيد الكلابي صاحب الإخشيد

127 ورأيت في تاريخ حلب أن أول من ولي حلب من بني حمدان الحسين بن سعيد وهو أخو أبي فراس ابن حمدان وأنه تسلمها في رجب سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وكان شجاعا موصوفا وفيه يقول ابن المنجم

406 (وإذا رأوه مقبلا قالوا ألا * إن المنايا تحت راية ذاكا) وتوفي يوم الإثنين لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة بالموصل ودفن

بالمســـجد الذي بناه في الدير الأعلى وكنت أظن أن دير سـعيد الذي بظاهر الموصـل منسـوب إلى أبيه حتى رأيته في كتاب الديرة منسوبا إلى سعيد بن عبد الملك بن مروان الأموي وكان ســيف الدولة قبل ذلك مالك واســط وتلك النواحي وتقلبت به الأحوال وانتقل إلى الشـام وملك دمشق أيضــا وكثيرا من بلاد الشــام وبلاد الجزيرة وغزواته مع الروم مشـهورة وللمتنبي في أكثر الوقائع قصـائد رحمه الله تعالى 128 وملك بعده ولده سعد الدولة أبو المعالي شريف بن سـيف الدولة وطالت مدته أيضـا في المملكة ثم عرض لـه قولنج وأشــفى منـه على التلف وفي اليوم الثـالث من عافيته واقع جاريته فلما فرغ منها سقط عنها وقد جف شقه الأيمن فدخل عيه طبيبه فأمر أن يســجر عنده الند والعنبر فأفاق قليلا فقال له الطبيب أرني مجسك فناوله يده اليسرى فقال أريد اليمين فقال ما تركت لي اليمين يمينا وكان قد حلف وغـدر وتوفي ليلـة الأحـد لخمس بقين من شـــهر رمضـان من سـنة إحدى وثمانين وثلثمائة وعمره أربعون سـنة وسـتة أشـهر وعشـرة أيام 129 وتولى بعده ولده أبو الفضـائل سـعد ولم أقف على تاريخ وفاته وبموته انقرض ملك بني ســيف الدولة 130 وتوفي أبو علي ابن الأخوة المذكور يوم الجمعة رابع عشـر جمادى الآخرة سـنة ست وأربعين وخمسمائة وكان شاعرا مجيدا

407 482 الظاهر العبيدي أبو هاشــم علي الملقب لإعزاز دين الله ابن الحـاكم بن العزيز بن المعز ابن

المنصور بن القائم بن المهدي عبيد الله صاحب مصر وقد تقدم ذكر جماعة من أهل بيته كانت ولايته بعد فقد أبيه بمدة لأن أباه فقد في السابع والعشرين من شوال سنة إحدى عشرة وأربعمائة كما سيأتي في ترجمته إن شاء الله تعالى وكان الناس يرجون ظهوره ويتتبعون آثاره إلى أن تحققوا عدمه فأقاموا ولده المذكور في يوم النحر من السنة المذكورة وكانت مملكته الديار المصرية وإفريقية وبلاد الشام فقصد صالح بن مرداس الكلابي المذكور في حرف الصاد مدينة حلب وحاصرها وفيها مرتضى الدولة بن لؤلؤ الجراحي غلام أبي الفضائل ابن شريف بن سيف الدولة الحمداني نيابة عن الظاهر المذكور فانتزعها منه واستولى على ما يليها وتغلب حسان بن مفرج بن دغفل البدوي صاحب الرملة على أكثر بلاد الشام وتضعضعت دولة الظاهر وجرت امور وأسباب يطول شرحها واستوزر نجيب الدولة أبا القاسم علي بن أحمد الجرجرائي وكان أقطع اليدين من المرفقين قطعهما الحاكم والد الظاهر في شهر ربيع الآخر سنة أربع وأربعمائة على باب القصر البحري بالقاهرة المحروسة وحمل إلى داره وكان يتولى بعض الدواوين فظهرت عليه خيانة قطع بسببها ثم بعد ذلك ولي ديوان
408 النفقات سنة تسع وأربعمائة ثم وزر للظاهر سنة ثماني عشرة وأربعمائة وهذا كله بعد أن تنقل في الخدم بالأرياف والصعيد ولما استوزر كان يكتب عنه

العلامة القاضـــي أبو عبد الله القضــاعي صــاحب كتاب الشــهاب وســيأتي ذكره إن شــاء الله تعالى وكانت علامته الحمد لله شــكرا لنعمته واســتعمل العفاف والأمانة الزائدة والاحتراز والتحفظ وفي ذلك يقول جاســوس الفلك (يا أحمقا اســمع وقل * ودع الرقاعة والتحامق) (أأقمت نفسك في الثقات * وهبك فيما قلت صادق) (فمن الأمانة والتقى * قطعت يداك من المرافق) وهو منســوب إلى جرجرايا بفتح الجيمين بينهما راء ســاكنة ثم راء مفتوحة وبين الألفين يـاء مثنـاة من تحتهـا وهي قريـة من أرض العراق) وكـانـت ولادة الظـاهر يوم الأربعـاء عـاشــر رمضان سنة خمس وتسعين وثلثمائة بالقاهرة وتوفي آخر ليلة الأحد منتصف شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة رحمه الله وســمعت أنه توفي ببســتان الدكة وكان بالمقس في الموضــع المعروف بـالـدكـة والله أعلم 131 وتوفي وزيره الجرجرائي سنة ست وثلاثين وأربعمائة رحمه الله تعالى في سـابع شـهر رمضـان وكانت مدة وزارته للظاهر ولولده المستنصـر سبع عشـرة سنة وثمانية أشـهر وثمانية عشر يوما

409 483 علي بن منقذ أبو الحسن علي بن مقلد بن نصــر بن منقذ الكناني الملقب ســديد الملك صــاحب قلعة شــيزر كان شــجاعا مقدما قوي النفس كريما وهو أول من ملك قلعة شــيزر من بني منقذ لأنه كان نازلا مجاور القلعة بقرب الجسر المعروف اليوم بجسر بني منقذ وكانت القلعة

بيد الروم فحدثته نفسه بأخذها فنازلها وتسلمها بالأمان في رجب سنة أربع وسبعين وأربعمائة ولم تزل في يده ويد أولاده إلى أن جاءت الزلزلة في سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة فهدمتها وقتلت كل من فيها من بني منقذ وغيرهم تحت الهدم وشغرت فجاءها نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام في بقية السنة وأخذها وذكر بهاء الدين بن شداد في كتاب سيرة صلاح الدين أنه جاءت زلزلة بحلب وأخربت كثيرا من البلاد وذلك في ثاني عشر شوال سنة خمس وستين وخمسمائة وهذه غير تلك فلا يظن الواقف عليه أن هذا غلط بل هما زلزلتان والأول ذكره ابن الجوزي في شذور العقود وغيره أيضا وكان سديد الملك المذكور مقصودا وخرج من بيته جماعة نجباء أمراء فضلاء كرماء ومدحه جماعة من الشعراء كابن الخياط والخفاجي وغيرهما وكان له شعر جيد أيضا فمنه قوله وقد غضب على مملوك له وضربه (أسطو عليه وقلبي لو تمكن من * كفي غلهما غيظا إلى عنقي)
410 (وأستعير إذا عاقبته حنقا * وأين ذل الهوى من عزة الحنق) وكان موصوفا بقوة الفطنة وتنقل عنه حكاية عجيبة وهي أنه كان يتردد إلى حلب قبل تملكه شيزر وصاحب حلب يومئذ تاج الملوك محمود بن صالح بن مرداس فجرى أمر خاف سديد الملك المذكور على نفسه منه فخرج من حلب إلى طرابلس الشام وصاحبها يومئذ جلال الملك بن عمار فأقام عنده فتقدم محمود بن

صــالح إلى كاتبه أبي نصــر محمد بن الحســين بن علي بن النحاس الحلبي أن يكتب إلى ســـديد الملك كتابا يتشـــوقه ويســتعطفه ويســتدعيه إليه ففهم الكاتب أنه يقصــد له شــرا وكان صديقا لسديد الملك فكتب الكتاب كما أمر إلى أن بلغ إلى إن شـــاء الله تعالى فشـــدد النون وفتحها فلما وصـــل الكتاب إلى ســديد الملك عرضــه على ابن عمار صــاحب طرابلس ومن بمجلســه من خواصــه فاســتحســنوا عبارة الكتاب واســـتعظموا ما فيه من رغبة محمود فيه وإيثاره لقربه فقال ســديد الملك إني أرى في الكتاب ما لا ترون ثم أجابه عن الكتاب بما اقتضـاه الحال وكتب في جملة الكتاب أنا الخادم المقر بالانعام وكســر الهمزة من أنا وشــدد النون فلما وصـل الكتاب إلى محمود ووقف عليه الكاتب سـر بما فيه وقال لأصـــدقائه قد علمت أن الذي كتبته لا يخفى على ســـديد الملك وقد أجاب بما طيب نفســـي وكان الكاتب قد قصـــد قول الله تعالى (^ إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك) فأجاب ســـديد الملك بقوله تعالى (^ إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها) فكانت هذه معدودة من تيقظه وفهمه هكذا ساق هذه الحكاية أسـامة في مجموعه إلى الرشـيد بن الزبير في ترجمة ابن النحاس) وكانت وفاته في سنة خمس وسبعين وأربعمائة رحمه الله تعالى وقد تقدم ذكر حفيده أســـامة بن مرشـــد بن علي المذكور في حرف الهمزة وســـيأتي ذكر والده في حرف الميم إن شـــاء الله تعالى وذكرهم العماد الأصبهاني في الخريدة وبالغ في الثناء عليهم وذكر أيضا

411 في كتاب السيل والذيل أنه توفي تحت الهدم لما هدمت الزلزلة حصن شيزر يوم الإثنين ثالث رجب سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة والله أعلم 484 الصليحي أبو الحسن علي بن محمد بن علي الصليحي القائم باليمن كان أبوه محمد قاضيا باليمن سني المذهب وكان أهله وجماعته يطيعونه وكان الداعي عامر بن عبد الله الزواحي يلاطفه ويركب إليه لرياسته وسؤدده وصلاحه وعلمه فلم يزل عامر المذكور حتى استمال قلب ولده علي المذكور وهو يومئذ دون البلوغ ولاحت له فيه مخايل النجابة وقيل كانت عنده حلية علي الصليحي في كتاب الصور وهو من الذخائر القديمة فأوقفه منه على تنقل حاله وشرف مآله وأطلعه على ذلك سرا من أبيه وأهله ثم مات عامر عن قرب وأوصى له بكتبه وعلومه ورسخ في ذهن علي من كلامه ما رسخ فعكف على الدرس وكان ذكيا فلم يبلغ الحلم حتى تضلع من معارفه التي بلغ بها وبالجد السعيد غاية الأمل البعيد فكان فقيها في مذهب الدولة الإمامية مستبصرا في علم التأويل ثم إنه صار يحج بالناس دليلا على طريق السراة والطائف خمس عشرة سنة وكان الناس يقولون له بلغنا أنك ستملك اليمن بأسره ويكون لك شأن فيكره ذلك وينكره على قائله مع كونه أمرا قد شاع وكثر في أفواه الناس الخاصة والعامة ولما كان في سنة

412 تسع وعشرين وأربعمائة ثار في رأس مسار وهو أعلى ذروة في جبال اليمن وكان معه ستون رجلا قد

حالفهم بمكة في موسم سنة ثمان وعشرين وأربعمائة على الموت والقيام بالدعوة وما منهم إلا من هو من قومه وعشائره في منعة وعدد كثير ولم يكن برأس الجبل المذكور بناء بل كان قلة منيعة عالية فلما ملكها لم ينتصف نهار ذلك اليوم الذي ملكها في ليلته إلا وقد أحاط به عشرون ألف ضارب سيف وحصروه وشتموه وسفهوا رأيه وقالوا له إن نزلت وإلا قتلناك أنت ومن معك بالجوع فقال لهم لم أفعل هذا إلا خوفا علينا وعليكم أن يملكه غيرنا فإن تركتموني أحرسه وإلا نزلت إليكم فانصرفوا عنه ولم تمض عليه أشهر حتى بناه وحصنه وأتقنه واستفحل أمر الصليحي شيئا فشيئا وكان يدعو للمستنصر صاحب مصر في الخفية ويخاف من نجاح صاحب تهامة ويلاطفه ويستكين لأمره وفي الباطن يعمل الحيلة في قتله ولم يزل حتى قتله بالسم مع جارية جميلة أهداها إليه وذلك في سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة بالكدراء وفي سنة ثلاث وخمسين كتب الصليحي إلى المستنصر يستأذنه في إظهار الدعوة فأذن له فطوى البلاد طيا وفتح الحصون والتهائم ولم تخرج سنة خمس وخمسين إلا وقد ملك اليمن كله سهله ووعره وبره وبحره وهذا أمر لم يعهد مثله في جاهلية ولا إسلام حتى قال يوما وهو يخطب الناس في جامع الجند وفي مثل هذا اليوم نخطب على منبر عدن ولم يكن ملكها بعد فقال بعض من حضر مستهزئا سبوح قدوس فأمر بالحوطة عليه وخطب الصليحي في مثل ذلك

اليوم على منبر عدن فقام ذلك الإنســـان وتغالى في القول وأخذ البيعة ودخل في المذهب ومن سـنـة خمس وخمســين اســتقر حاله في صـنــعاء وأخذ معه ملوك اليمن الذين أزال ملكهم وأســكنهم معه وولى في الحصــــون غيرهم واختط بمدينة صنعاء

413 عدة قصـــور وحلف أن لا يولي تهامة إلا لمن وزن مائة ألف دينار فوزنت له زوجته أســماء عن أخيها أسعد بن شهاب فولاه وقال لها يا مولاتنا أنى لك هذا فقالت (^ هو من عند الله إن الله يرزق من يشـاء بغير حسـاب) فتبسم وعلم أنه من خزانته فقبضـه وقال (^ هذه بضـاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا) ولما كان في ســـنة ثلاث وسـبعين وأربعمائة عزم الصـليحي على الحج فأخذ معـه الملوك الـذين كـان يخـاف منهم أن يثوروا عليـه واسـتصـحب زوجته أسـماء ابنة شـهاب واسـتخلف مكانه ولده الملك المكرم أحمد وهو ولدها أيضـــا وتوجه في ألفي فارس فيهم من آل الصليحي مائة وستون شخصا حتى إذا كان بالمهجم ونزل في ظاهرها بضـــيعة يقال لها أم الدهيم وبئر أم معبد وخيمت عساكره والملوك التي معه من حوله لم يشــعر الناس حتى قيل قد قتل الصـــليحي فانذعر الناس وكشـفوا عن الخبر فكان سـعيد الأحول ابن نجاح المذكور الذي قتلته الجارية بالســـم قد اســـتتر في زبيد وكان أخوه جياش في دهلك فسير إليه وأعلمه أن الصليحي متوجه إلى مكة فتحضر حتى نقطع عليه الطريق ونقتله فحضر جياش

إلى زبيد وخرج هو وأخوه سعيد ومعهما سبعون رجلا بلا مركوب ولا سـلاح بل مع كل واحد جريدة في رأسـها مسمار حديد وتركوا جادة الطريق و سلكوا طريق الساحل وكان بينهم وبين المهجم مسـيرة ثلاثة أيام للمجد وكان الصليحيي قد سمع بخروجهم فسير خمسة آلاف حربة من الحبشة الذين في ركابه لقتالهم فاختلفوا في الطريق فوصل سـعيد ومن معه إلى طرف المخيم وقد أخذ منهم التعب والحفاء وقلة المادة فظن الناس أنهم من جملة عبيد العسكر ولم يشعر بهم إلا عبد الله أخو علي الصليحي فقال لأخيه يا مولانا

414 اركب فهذا والله الأحول سعيد بن نجاح وركب عبد الله فقال الصليحي لأخيه إني لا أموت إلا بالدهيم وبئر أم معبد معتقدا أنها أم معبد التي نزل بها رسـول الله لما هاجر إلى المدينة فقال له رجل من أصحابه قاتل عن نفسك فهذه والله الدهيم وهذه بئر أم معبد فلما سمع الصليحي ذلك لحقه زمع اليأس من الحياة وبال ولم يبرح من مكانه حتى قطع رأسه بسيفه وقتل أخوه معه وسائر الصليحيين وذلك في الثاني عشـر من ذي القعدة سـنة ثلاث وسـبعين وأربعمائة ثم إن سـعيدا أرسـل إلى خمسـة الآلاف التي أرسلها الصليحي لقتالهم وقال لهم إن الصليحي قد قتل وأنا رجل منكم وقد أخذت ثأر أبي فقدموا عليه وأطاعوه واستعان بهم على قتال عسكر الصليحي فاستظهر عليهم قتلا وأسرا ونهبا ثم رفع رأس الصليحي على عود المظلة

وقرأ القارىء (^ قل اللهم مالك الملك) ورجع إلى زبيد وقد حاز الغنائم ملكا عقيما ودخلها في السادس عشر من ذي القعدة من السنة وملكها وملك بلاد تهامة ولم يزل على ذلك حتى قتل في سنة إحدى وثمانين وأربعمائة بتدبير الحرة وهي امرأة من الصليحيين وخبر ذلك يطول ولما قتل الصليحي ورفع رأسه على عود المظلة كما تقدم ذكره عمل في ذلك القاضي العثماني (بكرت مظلته عليه فلم ترح * إلا على الملك الأجل سعيدها) (ما كان أقبح وجهه في ظلها * ما كان أحسن رأسه في عودها) (سود الأراقم قابلت أسد الشرى * وارحمتا لأسودها من سودها)

415 ولعلي الصليحي شعر جيد فمن ذلك قوله (أنكحت بيض الهند سمر رماحهم * فرؤوسهم عوض النثار نثار) (وكذا العلا لا يستباح نكاحها * إلا بحيث تطلق الأعمار) وذكره العماد في الخريدة فقال ومن شعره وقيل لغيره على لسانه (وألذ من قرع المثاني عنده * في الحرب ألجم يا غلام وأسرج) (خيل بأقصى حضرموت أشدها * وصهيلها بين العراق ومنبج) والصليحي بضم الصاد المهملة وفتح اللام وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها حاء مهملة لا أعرف هذه النسبة إلى أي شيء هي والظاهر أنها إلى رجل فقد جاء في الأسماء الأعلام صليح ونسبوا إليه أيضا وأما الأماكن المذكورة فكلها من بلاد اليمن ولم أتحقق ضبطها فكتبتها

على الصورة التي وجدتها وأكثر هذه الترجمة نقلته من أخبار اليمن للفقيه عمارة اليمني الشاعر وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى

416 485 العادل ابن السلار أبو الحسن علي بن السلار المنعوت بالملك العادل سيف الدين ورأيت في مكان آخر أنه أبو منصور علي بن إسحاق عرف بابن السلار وزير الظافر العبيدي صاحب مصر رأيت في بعض تواريخ المصريين أنه كان كرديا زرزاريا وكان تربية القصر بالقاهرة وتقلبت به الأحوال في الولايات وبالصعيد وغيره إلى أن تولى الوزارة للظافر المذكور في رجب سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ثم وجدت في مكان آخر أن الظافر المذكور استوزر نجم الدين أبا الفتح سليم بن محمد بن مصال في أول ولايته وكان ابن مصال من أكابر أمراء الدولة ثم تغلب عليه العادل بن السلار وعدى ابن مصال إلى الجيزة ليلة الثلاثاء رابع عشر شعبان سنة أربع وأربعين وخمسمائة عندما سمع بوصول ابن السلار من ولاية الإسكندرية طالبا للوزارة ودخل ابن السلار القاهرة في الخامس عشر من الشهر المذكور وتولى تدبير الأمور ونعت بالعادل أمير الجيوش وحشد ابن مصال جماعة من المغاربة وغيرهم وجرد العادل العساكر للقائه فكسره بدلاص من الوجه القبلي وأخذ رأسه ودخل به إلى القاهرة على رمح يوم الخميس الثالث والعشرين من ذي القعدة من السنة المذكورة واستمر العادل إلى أن قتل وهذا

القول أصح من الأول والله أعلم 132 وكان ابن مصال من أهل لك بضم اللام وتشديد الكاف وهي
417 بليدة عند برقة من أعمالها وكان هو وأبوه يتعاطيان البيزرة والبيطرة وبذلك تقدما وكانت وزراة ابن مصال نحوا من خمسين يوما وكان ابن السلار شهما مقداما مائلا إلى أرباب الفضل والصلاح عمر بالقاهرة مساجد ورأيت بظاهر مدينة بلبيس مسجدا منسوبا إليه وكان ظاهر التسنن شافعي المذهب ولما وصل الحافظ أبو طاهر السلفي رحمه الله تعالى إلى ثغر الإسكندرية المحروس وأقام به كما ذكرته في ترجمته ثم صار العادل المذكور واليا به احتفل به وزاد في إكرامه وعمر له هناك مدرسة فوض تدريسها إليه وهي معروفة به إلى الآن ولم أر بالإسكندرية مدرسة للشافعية سواها وكان مع هذه الأوصاف ذا سيرة جائرة وسطوة قاطعة يؤاخذ الناس بالصغائر والمحقرات ومما يحكى عنه أنه قبل وزارته بزمان وهو يومئذ من آحاد الأجناد دخل يوما على الموفق أبي الكرم ابن معصوم التنيسي وكان يتولى الديوان فشكا إليه حاله من غرامة لزمته بسبب تفريطه في شيء من لوازم الولاية بالغربية فلما أطال عليه الكلام قال له أبو الكرم والله إن كلامك ما يدخل في أذني فحقد عليه ذلك فلما ترقى إلى درجة الوزارة طلبه فخاف منه واستتر مدة فنادى عليه في البلد وأهدر دم من يخفيه فأخرجه الذي خبأه عنده فخرج في زي امرأة بإزار وخف فعرف فأخذ وحمل

إلى العادل فأمر بإحضار لوح خشب ومسمار طويل وأمر به فألقي على جنبه وطرح اللوح تحت أذنه ثم ضـــرب المســمار في الأذن الأخرى وصــار كلما صــرخ يقول له دخل كلامي في أذنك بعد أم لا ولم يزل كذلك حتى نفذ المسمار من الأذن التي على اللوح ثم عطف المسمار على اللوح ويقال إنه شنقه بعد ذلك وكان قد وصل من إفريقية إلى الديار المصـرية أبو الفضـل عباس بن أبي الفتوح ابن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصـنهاجي وهو صـبي ومعه أمه واسـمها بلارة فتزوجها العادل المذكور وأقامت عنده زمانا ورزق عباس ولدا سماه نصرا

418 فكان عند جدته في دار العادل والعادل يحنو عليه ويعزه ثم إن العادل جهز عباسا إلى جهة الشام بسبب الجهاد وكان معه أسامة بن منقذ المذكور في حرف الهمزة فلما وصـــل إلى بلبيس وهو مقدم الجيش الذي ســـار في صـــحبته تذاكرا طيب الديار المصـــرية وحســـنها وما هي عليه وكونه يفارقها ويتوجه للقاء العدو ويقاســـي البيكار فأشــار عليه أســامة على ما قيل بقتل العادل ويســتقل هو بالوزارة ويستريح من البيكار وتقرر بينهما أن ولده نصرا يباشر ذلك إذا رقد العادل فإنه معه في الدار ولا ينكر عليه ذلك وحاصل الأمر أن نصرا قتله على فراشه يوم الخميس سادس المحرم سنة ثمان وأربعين وخمسمائة بدار الوزارة بالقاهرة المحروســـة رحمه الله تعالى وتفصـــيل الواقعة يطول وقيل إنه قتل يوم الســـبت حادي عشـــر المحرم من

السـنة المذكورة وكان والده في صـحبة سـقمان بن أرتق صـاحب القدس فلما أخذ الأفضـل أمير الجيوش القدس من سقمان كما هو مذكور في ترجمة أبيه أرتق وجد فيه طائفة من عسكر سقمان فضمهم الأفضـل إليه وكان في جملتهم السلار والد العادل المذكور فأخذه الأفضل إليه وتقدم عنده وسـماه ضـيف الدولة وأكرم ولده هذا وجعل في صـبيان الحجر ومعنى صـبيان الحجر عندهم أن يكون لكل واحد منهم فرس وعدة فإذا قيل له عن شـغل ما يحتاج أن يتوقف فيه وذلك على مثال الداوية والاسـبتار فإذا تميز صـبي من هؤلاء بعقل وشـجاعة قدم للإمرة فترجح العـادل بهذ الصفات وزاد عليها بالحزم والهيبة وترك المخالطة فأمره الحافظ وولاه الإسكندرية وكان

419 يعرف برأس البغل ثم تقدم و هذا نصـر بن عباس هو الذي قتل الظافر إسـماعيل بن الحافظ صـاحب مصـر وقد ذكرته في ترجمته في أوائل هذا الكتاب 486 الملك الأفضـل ابن صـلاح الدين أبو الحسـن علي الملقب الملك الأفضل نور الدين ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب سمع بالإسكندريةمن الإمام أبي الطاهر إسماعيل بن مكي بن عوف الزهري وبمصـر من العلامة أبي محمد عبد الله بن بري النحوي وأجاز له ابو الحسـين أحمد بن حمزة بن علي السـلمي وأبو عبد الله محمد بن علي بن صدقة الحراني وغيرهما من الشاميين وأجاز له أبو القاسم هبة الله بن علي بن مسعود وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن

حامد وغيرهما من المصـــــريين وكان يكتب خطا حســـنا واجتمعت فيه فضـــائل وكان أكبر أولاد أبيه وإليه كانت ولاية عهده فلما توفي بدمشـق رحمه الله تعالى كما سـيأتي في ترجمته وكان الملك الأفضل في صحبته استقل بمملكة دمشـــق واســـتقل أخوه الملك العزيز عماد الدين عثمان بالديار المصرية كما سبق في ترجمته وبقي الملك الظاهر اخوهما بحلب ثم إن الملك الأفضل جرت له مع أخيه وقائع في أســباب يطول شــرحها وآخر الأمر أن العزيز والملك العادل عمه

420 حاصـرا دمشـق وأخذاها من الأفضـل وأعطياه صــرخد فمضــى إليها وأقام بها قليلا فمات العزيز بمصـر وتولى ولده الملك المنصـــور محمد وكان صـــغيرا فطلب الملك الأفضـــل من صـــرخد ليكون أتابكه وكان طلبه ليلة الأربعاء التاسع والعشرين من صفر سنة خمس وتسعين وخمســـمائة عقيب موت أخيه العزيز عثمان ومشـــى في ركاب المنصـــور محمد ابن العزيز ثم إن الملك العادل قصـــد الديار المصــرية وأخذها ودفع للأفضـــل عدة بلاد بالشرق فمضى إليها فلم يحصل له سوى سميساط فأقام بها ولم يزل بها إلى أن مات وما أحسن كلام القاضي الفاضل من جملة كتاب كتبه في أثناء هذه الوقائع أما هذا البيت فإن الآباء منه اتفقوا فملكوا والأبناء اختلفوا فهلكوا وإذا غرب نجم فما في الحيلة تشــريقه وإذا بدا خرق ثوب فما يليه إلا تمزيقه وهيهات أن يســد على قدر طريقه وقد قدر طروقه

وإذا كان الله مع خصـــم على خصـــم فمن كان الله معه فمن يطيقه وكان الأفضــــل فيه فضـــيلة ومعرفة وكتابة ونباهة وكان يحب العلماء ويعظم حرمتهم وله شعر فمن المنسوب إليه أنه كتبه إلى الإمام الناصـــــر يشـــكو من عمه العادل وأخيه العزيز لما أخذا منه دمشـــق (مولاي إن أبا بكر وصـــاحبه * عثمان قد غصـبا بالسـيف حق علي) (وهو الذي كان قد ولاه والده * عليهما فاستقام الأمر حين ولي) (فخالفاه وحلا عقد بيعته * والأمر بينهما والنص فيه جلي) (فانظر إلى حظ هذا الاسـم كيف لقي * من الأواخر ما لاقى من الأول) فجاءه جواب الإمام الناصر وفي أوله

421 (وافى كتابك يا ابن يوسف معلنا * بالود يخبر أن أصـــلك طاهر) (غصـــبوا عليا حقه إذ لم يكن * بعد النبي له بيثرب ناصر) (فابشر فإن غدا عليه حسابهم * واصبر فناصرك الإمام الناصر) وكانت ولادته يوم عيد الفطر وقت العصـــــر ســـنة ســـت وقيل خمس وســـتين وخمسـمائة بالقاهرة ووالده يومئذ وزير المصـريين وتوفي في صـفر سـنة اثنتين وعشـرين وسـتمائة فجأة بسـميسـاط رحمـه الله تعـالى ونقل إلى حلـب ودفن في تربتـه بظـاهر حلب بالقرب من مشـهد الهروي وسـميسـاط بضـم السـين المهملة وفتح الميم وســـكون الياء المثناة من تحتها وفتح الســـين الثانية وبعد الألف طاء مهملة وهي قلعة في بر الشـــام على الفرات في ناحية بلاد الروم بين قلعة الروم وملطية 487 ابن الفرات أبو الحســـن علي بن محمد بن

موسى بن الحسن بن الفرات وزير المقتدر بالله بن المعتضد بالله وزر له ثلاث دفعات فالأولى منهن لثمان خلون من شهر ربيع الأول وقيل لسبع بقين منه سنة ست وتسعين ومائتين ولم يزل وزيره إلى أن قبض عليه لأربع خلون من ذي الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين ونكبه وهب داره وأمواله واستغل من أملاكه إلى أن عاد إلى الوزارة في المرة الثانية سبعة آلاف ألف دينار وذكروا عنه أنه كتب إلى الأعراب ان يكبسوا بغداد

422 والله أعلم ثم عاد إلى الوزارة يوم الإثنين لثمان خلون من ذي الحجة سنة أربع وثلثمائة وخلع عليه سبع خلع وحمل إليه ثلثمائة ألف درهم لغلمانه وخمسون بغلا لثقله وعشرون خادما وغير ذلك من العدد والآلات وزاد في ذلك اليوم في ثمن الشمع في كل من قيراط ذهب لكثرة استعماله إياه وكان ذلك النهار شديد الحر فسقي في ذلك النهار وتلك الليلة في داره أربعون ألف رطل ثلج ولم يزل على وزارته إلى أن قبض عليه يوم الخميس لثلاث بقين من جمادى الأولى سنة ست وثلاثمائة ثم عاد إلى الوزارة يوم الخميس لسبع ليال بقين من ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وثلثمائة وكان يوم خرج من الحبس مغتاظا فصادر الناس وأطلق يد ولده المحسن فقتل حامد بن العباس الوزير الذي كان قبل أبيه وسفك الدماء ولم يزل وزيرا إلى أن قبض عليه لتسع ليال خلون من ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وثلثمائة وقيل قبض عليه يوم الثلاثاء لتسع خلون

من شـــهر ربيع الأول وكان يملك أموالا كثيرة تزيد على عشـرة آلاف ألف دينار وكان يسـتغل من ضـياعه في كل سـنة ألفي ألف دينار ينفقها قال أبو بكر محمد بن يحيى الصولي مدحته بقصيدة فحصل لي في ذلك اليوم ستمائة دينار وكان كاتبا كافيا خبيرا قال الإمام المعتضـــد بالله لعبيد الله بن سـليمان قد دفعت إلى ملك مختل وبلاد خراب ومال قليل وأريد أعرف ارتفاع الدنيا لتجري النفقات عليه فطلب عبيد الله ذلك من جماعة من الكتاب فاستمهلوه شهرا وكان أبو الحسـن ابن الفرات وأخوه أبو العباس محبوسـين منكوبين فأعلما بذلك فعملاه في يومين وأنفذاه فعلم عبيد الله أن ذلك لا يخفى علىالمعتضـــد فكلمه فيهما ووصـــفهما فاصطنعهما وكانت في دار أبي الحسن ابن الفرات حجرة شـــراب يوجه الناس على اختلاف طبقاتهم إليها غلمانها يأخذون منها الأشربة والفقاع والجلاب إلى دورهم

423 وكان يجري الرزق على خمسة آلاف من أهل العلم والـدين والبيوت والفقراء أكثرهم مـائـة درهم في الشهر وأقلهم خمسة دراهم وما بين ذلك قال الصولي ومن فضائله التي لم يسبق إليها أنه كان إذا رفعت إليه قصة فيها سـعـايـة خرج من عنده غلام فنـادى أين فلان بن فلان السـاعي فلما عرف النـاس ذلك من عادتـه امتنعوا من السـعاية بأحد واغتباظ يوما من رجل فقال اضـــربوه مائة سوط ثم أرسل رسولا فقال اضربوه خمسين ثم أرسل آخر وقال لا تضـــربوه وأعطوه عشـــرين دينارا فكفاه ما مر به

المسكين من الخوف قال الصولي قام من مرضه وقد اجتمعت الكتب والرقاع عنده فنظر في ألف كتاب ووقع في ألف رقعة فقلنا له بالله لا يسمع بهذا أحد خوفا من العين عليه قال الصولي ورأيت من أدبه أنه دعا خاتم الخلافة ليختم به كتابا فلما رآه قام على رجليه تعظيما للخلافة قال ورأيته جالسا للمظالم فتقدم إليه خصمان في دكاكين في الكرخ فقال لأحدهما رفعت إلي قصة في سنة اثنتين وثمانين ومائتين في هذه الدكاكين ثم قال سنك يقصر عن هذا فقال له ذاك كان أبي قال نعم وقعت له على قصة رفعها وكان إذا مشى الناس بين يديه غضب وقال أنا لا أكلف هذا غلماني فكيف أكلف أحرارا لا إحسان لي عليهم وقتل نازوك صاحب الشرطة أبا الحسن ابن الفرات المذكور وابنه المحسن يوم الإثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وثلثمائة وقال بعض المؤرخين كان مولده لتسع خلون من ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين ومائتين وكان عمر ابنه المحسن يوم قتل ثلاثا وثلاثين سنة قال الصاحب أبو القاسم ابن عباد المقدم ذكره أنشدني أبو الحسن ابن أبي بكر العلاف وهو المشهور بكثرة الأكل قصيدة أبيه أبي بكر في الهر وقال

424 إنا كنى بالهر عن المحسن بن أبي الحسن ابن الفرات أيام محنتهم لأنه لم يجسر أن يذكره ويرثيه قلت وقد سبق ذكر المرثية في ترجمة أبي بكر العلاف ومن غرائب الأخبار أن زوجة المحسن ابن الفرات أرادت أن

تختن ابنها بعد قتل أبيه فرأت المحسن في منامها فذكرت له تعذر النفقة فقال لها إن لي عند فلان عشرة آلاف دينار أودعته إياها فانتبهت وأخبرت أهلها فسألوا الرجل فاعترف وحمل المال عن آخره 133 وكان أبو العباس أحمد بن محمد بن الفرات أخو أبي الحسن المذكور أكتب أهل زمانه وأضبطهم للعلوم والآداب وللبحتري فيه القصيدة التي أولها (بت أبدي وجدا وأكتم وجدا * لخيال قد بات لي منك يهدي) وتوفي أبو العباس المذكور يوم الثلاثاء منتصف شهر رمضان سنة إحدى وتسعين ومائتين وأما أخوه أبو الخطاب جعفر بن محمد بن الفرات فإنه عرضت عليه الوزارة فأباها 134 وتولاها ابنه أبو الفتح الفضل بن جعفر وكان كاتبا مجودا وهو المعروف بابن حنزابة وهي أمه وكانت جارية رومية قلده المقتدر الوزارة يوم الإثنين لليلتين بقيتا من ربيع الآخر سنة عشرين وثلثمائة وقيل خلع عليه في أول شهر ربيع الآخر سنة عشرين وثلثمائة والله أعلم ولم يزل وزيره إلى أن قتل المقتدر لأربع بقين من شوال سنة عشرين وثلثمائة وتولى الخلافة أخوه القاهر بالله فاستتر أبو الفتح ابن حنزابة فولى القاهر أبا علي محمد بن علي بن مقلة الكاتب الآتي ذكره إن شاء الله تعالى الوزارة ثم تولى أبو الفتح الدواوين في أيام القاهر أيضا وخلع القاهر وسملت عيناه في يوم الأربعاء لست خلون من جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة

425 وولي الخلافة الراضـــي بالله ابن المقتدر بالله المقدم ذكره فقلد أبا الفتح ابن حنزابة الشـــام فتوجه إليها ثم إن الراضـي بالله ولاه الوزارة وهو يومئذ مقيم بحلب وعقد له الأمر فيها يوم الأحد لثلاث عشـرة ليلة خلت من شـعبان سنة خمس وعشرين وثلثمائة وكوتب بالمسيرإلى الحضرة فوصـل إلى بغداد يوم الخميس لسـت خلون من شـوال من السنة فأقام ببغداد قليلا فرأى الأمور مضطربة وقد استولى الأمير أبو بكر محمد بن رائق على الحضـــرة فتحدث أبو الفتح مع ابن رائق في أنه يعود إلى الشام وأطمعه في حمل الأموال إليه من مصــر والشـام فعاد إليها في الثالث عشـر من شهر ربيع الأول سنة ست وعشرين فأدركه أجله بغزة وقيل بالرملة وجاءت الكتب إلى الحضـــرة بموته في يوم الأحد لثمان خلون من جمادى الأولى سـنة سـبع وعشـرين وقيل سـت وعشـرين والأول أصـح ودفن في داره بالرملة وكان مولده في ليلة السبت لسبع ليال بقين من شعبان سنة تسع وسبعين ومائتين وكانت الكتب تصدر باسمه في الشام وأما ابنه أبو الفضـل جعفر بن الفضـل فقد سـبق ذكره في حرف الجيم من هذا الكتاب وتاريخ وفاته ومولده رحمهم الله تعالى أجمعين وهذا الذي ذكرته في هذه الترجمة نقلته من عدة مواضع منها كتاب أخبار الوزراء تأليف الصاحب ابن عباد وكتاب عيون الســـير تأليف محمد بن عبد الملك الهمداني وكتاب الوزراء تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد الفارســـي وما منهم أحد تعرض إلى قضـــية عبد الله بن

المعتز وترجمة ابن الفرات المذكور تترتب على قضـــية ابن المعتز فلا بـد من ذكر شـــيء من أحوالها وأصـــح التواريخ نقلا تـاريخ أبي جعفر محمـد بن جرير الطبري فنذكر ما قاله في حوادث سـنة سـت وتسـعين ومائتين إن القواد والكتاب اجتمعوا على خلع الخليفة المقتدر وتناظروا فيمن يجعلونه موضـــعه فأجمعوه رأيهم على عبد الله بن المعتز وناظروه في ذلك فأجابهم إليه على أنه لا يكون

426 في ذلك سـفك دم ولا حرب فأخبروه أن الأمر يسـلم إليه عفوا وأن جميع من وراءهم من الجند والقواد والكتاب قد رضـوا فبايعهم على ذلك وكان الرأس في ذلك محمـد بن داود بن الجراح وأبـا المثنى أحمـد بن يعقوب القاضي وواطأ محمد بن داود جماعة من القواد على الفتك بالمقتدر والعباس بن الحسـن قلت وكان وزير المقتدر يومئذ قال الطبري وكان العباس بن الحسـن على ذلك قد واطأ جماعة من القواد على خلع المقتدر والبيعة لعبد الله بن المعتز فلما رأى أمره مسـتوسـقا له مع المقتدر على ما يحب بدا له فيما كان قد عزم عليه من ذاك فحينئذ وثب به الآخرون فقتلوه يعني الوزير المذكور وقال الطبري وكان الـذي تولى قتلـه بـدر الأعجمي والحسـين بن حمـدان ووصـيف بن صـوارتكين وذلك يوم السبت لإحدى عشـرة ليلة بقيت من شـهر ربيع الأول ولما كان من غد هذا اليوم وهو يوم الأحد خلع المقتدر الكتاب والقواد وقضـاة بغداد وبايعوا عبد الله بن المعتز ولقبوه الراضـي بالله وكان الذي

يـأخـذ البيعـة لـه على القواد ويلي اســـتحلافهم والـدعـاء بأســـمائهم محمد بن ســـعيد الأزرق كاتب الجيش وفي هذا اليوم كانت بين الحسين بن حمدان وبين غلمان الدار حرب شديدة من غدوة إلى انتصاف النهار وفي هذا اليوم انفضت الجموع التي كـان ابن داود جمعها لبيعـة ابن المعتز عنـه وذلك أن الخادم الذي يدعى مؤنســا حمل غلمانا من غلمان الدار في الشـذوات قلت وهي عندهم المراكب قال فصـاعد بها وهم فيها وهي في دجلة فلما جاوزوا الدار التي فيها ابن المعتز ومحمد بن داود صاحوا بهم ورشقوهم بالنشاب فتفرقوا وهرب من كان في الدار من الجند والقواد والكتاب وهرب ابن المعتز ولحق بعض الـذين بـايعوا ابن المعتز بـالمقتدر فـاعتذروا إليـه بـأنهم منعوا من المصـــير إليـه واســـتخفى بعضـــهم فطلبوا وأخذوا وقتلوا وانتهبت العامة دور ابن داود وأخـذ ابن المعتز فيمن أخـذ انتهى كلام الطبري في ذلك

427 135 فنذكر ما قال غيره جمعته من مواضــــع متفرقة حـاصلـه أن عبد الله بن المعتز رتـب للوزارة في ذلك اليوم محمد بن داود المذكور وللقضـــاء أبا المثنى المذكور فلما انتقض أمره وأخذ ابن المعتز اســـتتر ابن داود وكان من فضـــلاء أهل عصـــره وله عدة تصـــانيف منها كتاب الورقة في أخبار الشـــعراء وكتاب الوزراء وغير ذلك ثم ظهر المؤنس الخادم المذكور وخافه أبو الحســـن علي ابن الفرات المذكور فـأشـــار على مؤنس بقتلـه فقتل وأخرج

وطرح في سقاية عند المأمونية فحمل إلى منزله وكان قتله في شـــهر ربيع الآخر من الســـنة ومولده في ســـنة ثلاث وأربعين ومـائتين في الليلـة التي توفي فيهـا إبراهيم بن العباس الصـولي المقدم ذكره ولما عاد أمر المقتدر إلى ما كان عليه وقد قتل وزيره العباس بن الحســـن في التاريخ الذي ذكره الطبري اســـتوزر أبا الحســـن علي بن الفرات المذكور فأول ما ظهر من محاســـنه أنه حمل إليه من دار ابن المعتز صـــندوقان عظيمان فقال أعلمتم ما فيهما قيل نعم جرائد بأســـماء من بايعه فقال لا تفتحوهما ودعا بنار فطرح الصـندوقين فيها فلما احترقا قال لو فتحتهما وقرأت ما فيهما فسدت نيات الناسب أجمعهم علينا واستشعروا منا ومع ما فعلناه قد هدأت القلوب وســـكنت النفوس ومما يتعلق بهذه الترجمة أن القاهر بالله لما خلع وســـملت عيناه كما ذكرناه آل به الأمر إلى أن خرج إلى جامع المنصـــور ببغداد فعرف الناس بنفسـه وسـألهم التصـدق عليه فقام إليه ابن أبي موسى الهاشمي فأعطاه ألف درهم وفي ذلك عبرة لأولي الألبـاب وقـد ســـبق ذكر عبـد الله بن المعتز في ترجمته لكن هذه الحاجة دعت إلى إعادتها هاهنا ونقلت من كتاب الأعيان والأماثل تأليف الرئيس أبي الحسن هلال بن المحسن بن أبي إسحاق إبراهيم الصابي وحدث القاضي أبو الحسين عبيد الله بن

428 عباس أن رجلا اتصلت عطلته وانقطعت مادته فزور كتـابـا من أبي الحســـن ابن الفرات إلى أبي زنبور

المادرائي عامل مصـــر في معناه يتضـــمن الوصـــاة به والتأكيد في الإقبال عليه والإحسـان إليه وخرج إلى مصـر فلقيه به فارتاب أبو زنبور في أمره لتغير الخطاب على ما جرت به العادة وكون الدعاء ألين مما يقتضيه محله فراعاه مراعاة قريبة ووصله بصلة قليلة واحتبسه عنده على وعد وعده به وكتب إلى أبي الحســـن ابن الفرات يذكر الكتاب الوارد عليـه وأنفذه بعينـه إليـه واســـتثبتـه فيـه فوقف ابن الفرات على الكتاب المزور فوجد فيه ذكر الرجل وأنه من ذوي الحرمـات والحقوق الواجبـة عليـه ومـا يقـال في ذلك مما قد اسـتوفى الخطاب فيه وعرضــه على كتابه وعرفهم الصورة فيه وعجب إليهم منها ومما أقدم عليه الرجل وقال لهم ما الرأي في أمر هذا الرجل عندكم فقال بعضهم تأديبه أو حبســـه وقال آخر قطع إبهامه لئلا يعاود مثل هذا أو يقتدي به غيره فيما هو أكثر من هذا وقال أجملهم محضـرا يكشـف لأبي زنبور قصـته ويرسـم له طرده وحرمانه فقال ابن الفرات ما أبعدكم عن الخيرية والحرية وأنفر طباعكم منها رجل توسـل بنا وتحمل المشـقة إلى مصـر في تأميل الصـــلاح بجاهنا واسـتمداد صـنع الله عز وجل بالانتسـاب إلينا يكون أحسن أحواله عند أحسنكم محضرا تكذيب ظنه وتخييب ســـعيه والله لا كان هذا أبدا ثم إنه أخذ القلم من دواته وكتب على الكتاب المزور هذا كتابي ولسـت أعلم لم أنكرت أمره واعترضـــتك شـــبهة فيه وليس كل من خدمنا وأوجب حقا علينا تعرفه وهذا رجل خدمني في أيام نكبتي

وما أعتقده في قضـــاء حقه أكثر مما كلفتك في أمره من القيام به فأحســن تفقده ووفر رفده وصــرفه فيما يعود عليه نفعه ويصـــل إلينا فيما يحقق ظنه ويبين موقعه ورده إلى أبي زنبور من يومه فلما مضـت على ذلك مدة طويلة دخل على أبي الحسن ابن الفرات رجل ذو هيئة مقبولة وبزة

429 جميلة وأقبل يدعو له ويثني عليه ويبكي يده ويقبل الأرض فقال له ابن الفرات من انت بارك الله فيك وكانت هذه كلمته فقال صـــاحب الكتاب المزور إلى أبي زنبور الذي صـــححه كرم الوزير وتفضـــله فعل الله به وصــنع فضــحك ابن الفرات وقال كم وصــل إليك منه قال وصــل إلي من ماله وتقســط قســطه على عماله ومعامليه وعمل صــرفني فيه عشــرون ألف دينار فقال ابن الفرات الحمد لله الزمنا فإنا نعرضــك إلى عمل يزداد به صـــلاح حالك ثم أختبره فوجده كاتبا سديدا فاستخدمه وأكسبه مالا جزيلا رحمه الله تعالى ورضــي عنه والفرات بضــم الفاء وبعد الراء ألف وبعدها تاء مثناة من فوقها وناروك بالنون وبعد الألف زاء مضمومة وبعد الواو كاف 488 ابن يونس المنجم صــاحب الزيج الحاكمي أبو الحســن علي بن أبي ســعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصدفي المنجم المصري المشهور صاحب الزيج الحاكمي المعروف بزيج ابن يونس وهو زيج كبير رأيته في أربع مجلدات بسط القول والعمل فيه وما أقصر في تحريره ولم أر في الأزياج على كثرتها أطول منه وذكر أن الذي أمره

بعمله وابتدأه له العزيز أبو الحاكم صاحب مصر وسيأتي ذكره في حرف النون إن شاء الله تعالى

430 كان مختصا بعلم النجوم متصرفا في سائر العلوم بارعا في الشعر وعلى إصلاحه لزيج يحيى بن منصور تعويل أهل مصر في تقويم الكواكب وعدله القاضي أبو عبد الله محمد بن النعمان في جمادى الأولى سنة ثمانين وثلثمائة وخلف ولدا متخلفا باع كتبه وجميع تصنيفاته بالأرطال في الصابونيين وكان قد أفنى عمره في الرصد والتسيير للمواليد وعمل فيها ما لا نظير له وكان يقف للكواكب قال الأمير المختار المعروف بالمسبحي أخبرني أبو الحسن المنجم الطبراني أنه طلع معه إلى جبل المقطم وقد وقف للزهرة فنزع ثوبه وعمامته ولبس ثوبا نساويا أحمر ومقنعة حمراء تقنع بها وأخرج عودا فضرب به والبخور بين يديه فكان عجيبا من العجب قال الأمير المختار في تايخ مصر كان ابن يونس المذكور أبله مغفلا يعتم على طرطور طويل ويجعل رداءه فوق العمامة وكان طويلا وإذا ركب ضحك منه الناس لشهرته وسوء حاله ورثاثة لباسه وكان له مع هذه الهيئة إصابة بديعة غريبة في النجامة لا يشاركه فيها غيره وكان أحد الشهود وكان متفننا في علوم كثيرة وكان يضرب بالعود على جهة التأدب وله شعر حسن فمنه قوله9&& (أحمل نشر الريح عند هبوبه * رسالة مشتاق لوجه حبيبه) (بنفسي من تحيا النفوس بقربه * ومن طابت الدنيا به وبطيبه) (

لعمري لقد عطلت كأسي بعده * وغيبتها عني لطول مغيبه
) وجدد وجدي طائف منه في الكرى * سرى موهنا في خفية من رقيبه) وله شـــعر كثير وقد تقدم ذكر والده في حرف العين وهو صاحب التاريخ وسيأتي ذكر
431 جده في حرف الياء إن شـــاء الله تعالى ويحكى أن الحاكم العبيدي صاحب مصر قال وقد جرى في مجلسه ذكر ابن يونس وتغفله دخل إلى عندي يوما ومداسـه بيده فقبل الأرض وجلس وترك المداس إلى جانبه وأنا أراه وأراها وهو بالقرب مني فلما أراد أن ينصـــرف قبل الأرض وقدم المداس ولبسه وانصرف وإنما ذكر هذا في معرض غفلته وقلة اكتراثه وقال المســـبحي كانت وفاته بكرة يوم الإثنين لثلاث خلون من شوال سنة تسع وتسعين وثلثمائة فجأة رحمه الله تعالى وصـــلى عليه في الجامع بمصـــر القاضـــي مالك بن ســـعيد بن أحمد بن محمد بن ســـليمان بن ثواب ودفن بداره بالفرائين 489 الفقيه عمارة اليمني الفقيه أبو محمد عمارة بن أبي الحســـن علي بن ريدان بن أحمد الحكمي اليمني
432 الملقب نجم الدين الشـــاعر المشـــهور نقلت من بعض تواليفه أنه من قحطان ثم الحكم بن ســـعد العشـــيرة المذحجي وأن وطنه من تهامة باليمن مدينة يقال لها مرطان من وادي وساع وبعدها من مكة في مهب الجنوب أحد عشر يوما وبها مولده ومرباه وأنه بلغ الحلم سنة تسع وعشرين وخمسمائة ورحل إلى زبيد سنة إحدى وثلاثين

وخمسمائة فأقام بها يشتغل بالفقه في بعض مدارسها مدة أربع سنين وأنه حج سنة تسع وأربعين وخمسمائة وسيره قاسم بن هاشم ابن فليتة صاحب مكة شرفها الله تعالى رسولا إلى الديار المصرية فدخلها في شهر ربيع الأول سنة خمسين وخسمائة وصاحبها يومئذ الفاز بن الظافر والوزير الصالح ابن رزيك المذكور في حرف الطاء وأنشدهما في تلك الدفعة قصيدته الميمية وهي (الحمد للعيس بعد العزم والهمم * حمدا يقوم بما أولت من النعم) (لا أجحد الحق عندي للركاب يد * تمنت اللجم فيها رتبة الخطم) (قربن بعد مزار العز من نظري * حتى رأيت إمام العصر من أمم) (ورحن من كعبة البطحاء والحرم * وفدا إلى كعبة المعروف والكرم) (فهل درى البيت أني بعد فرقته * ما سرت من حرم إلا إلى حرم) (حيث الخلافة مضروب سرادقها * بين النقيضين من عفو ومن نقم) (وللإمامة انوار مقدسة * تجلو البغيضين من ظلم ومن ظلم) (وللنبوة آيات تنص لنا * على الخفيين من حكم ومن حكم)

433 (وللمكارم أعلاه تعلمنا * مدح الجزيلين من بأس ومن كرم) (وللعلا ألسن تثني محامدها * على الحميدين من فعل ومن شيم) (وراية الشرف البذاخ ترفعها * يد الرفيعين من مجد ومن همم) (أقسمت بالفائز المعصوم معتقدا * فوز النجاة وأجر البر في القسم) (لقد حمى الدين والدنيا وأهلهما * وزيره الصالح

الفراج للغمم) (اللابس الفخر لم تنســـج غلائله * إلا يد الصنعين السيف والقلم) (وجوده أوجد الأيام ما اقترحت * وجوده أعدم الشـــاكين للعدم) (قد ملكته العوالي رق مملكة * تعير أنف الثريا عزة الشمم) (أرى مقاما عظيم الشـــأن أوهمني * في يقظتي أنها من جملة الحلم) (يوم من العمر لم يخطر على أملي * ولا ترقت إليه رغبة الهمم) (ليت الكواكب تدنو لي فأنظمها * عقود مدح فما أرضـــى لكم كلمي) (ترى الوزارة فيه وهي باذلة * عند الخلافة نصـحا غير متهم) (عواطف علمتنا أن بينهما * قرابة من جميل الرأي لا الرحم) (خليفة ووزير مد عدلهما * ظلا على مفرق الإســـلام والأمم) (زيادة النيل نقص عند قبضـــهما * فما عســـى نتعاطى منة الديم) فاستحسنا قصيدته وأجزلا صلته وأقام إلى شوال من سنة خمسين في أرغد عيش وأعز جانب ثم فارق مصر في هذا التاريخ وتوجه إلى مكة ومنها إلى زبيد في صـــفر ســـنة إحدى وخمسين ثم حج من عامه فأعاده قاسم صاحب مكة المذكور في رســـالة إلى مصـــر مرة ثانية فاســـتوطنها ولم يفارقها بعد ذلك ورأيت في كتابه الذي جعله تاريخ اليمن أنه فارق بلاده في شعبان سنة اثنتين وخمسين وكان فقيها شـافعي المذهب شـديد التعصـب للسـنة أديبا ماهرا شـاعرا مجيدا محادثا ممتعا فأحســـن الصـــالح وبنوه وأهله إليه كل الإحسـان وصـحبوه مع اختلاف العقيدة لحسن صـحبته وله في الصالح وولده مدائح كثيرة

434 وقد تقدم طرف من خبره في ترجمة شـــاور السـعدي والصـالح ومارثاه به وكانت بينه وبين الكامل بن شـاور صـحبة متأكدة قبل وزارة أبيه فلما وزر اسـتحال عليه فكتب إليه (إذا لم يسـالمك الزمان فحارب * وباعد إذا لم تنتفع بالأقارب) (ولا تحتقر كيدا ضـعيفا فربما * تموت الأفاعي من سـمام العقارب) (فقد هد قدما عرش بلقيس هدهد * وخرب فأر قبل ذا سـد مارب) (إذ كان رأس المال عمرك فاحترز * عليه من الإنفاق في غير واجب) (فبين اختلاف الليل والصبح معرك * يكر علينا جيشـه بالعجائب) (وما راعني غدر الشـباب لأنني * أنسـت بهذا الخلق من كل صـاحب) (وغدر الفتى في عهده ووفائه * وغدر المواضـي في نبو المضـارب) ومنها (إذا كان هذا الدر معدنه فمي * فصونوه عن تقبيل راحة واهب) (رأيت رجالا أصـبحت في مآدب * لديكم وحالي وحدها في نوادب) (تأخرت لما قدمتهم علاكم * علي وتأبى الأسـد سـبق الثعالب) (ترى أين كانوا في مواطني التي * غدوت لكم فيهن أكرم نائب) (ليالي أتلو ذكركم في مجالس * حديث الورى فيها بغمز الحواجب) وزالت دولة المصريين وهو في البلاد ولما ملك السلطان صـلاح الدين رحمه الله تعالى مدحه ومدح جماعة من أهل بيته يتضـمن ديوانه جميع ذلك وكتب إلى صـلاح الدين قصـيدة متضـمنة شـرح حاله وضـرورته وسـماها شـكاية المتظلم ونكاية المتألم وهي بديعة ورثى

435 أصحاب القصر عند زوال ملكهم بقصيدة لامية طويلة أجاد فيها وغالب شعره جيد ثم إنه شرع في أمور وأسباب من الاتفاق مع جماعة من رؤساء البلد على التعصب للمصريين وإعادة دولتهم فأحس بهم السلطان صلاح الدين وكانوا ثمانية من الأعيان ومن جملتهم الفقيه عمارة المذكور وشنقهم في يوم السبت ثاني شهر رمضان سنة تسع وستين وخمسمائة بالقاهرة رحمهم الله تعالى وكان قبضهم يوم الأحد السادس والعشرين من شعبان من السنة وله تواليف منها كتاب أخبار اليمن وفيه فوائد ومنها النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية وغير ذلك وقال العماد الأصبهاني في كتاب الخريدة إنه صلب في جملة الجماعة الذين نسب إليهم التدبير عليه يعني السلطان صلاح الدين ومكاتبة الفرنج واستدعاؤهم إليه حتى يجلسوا ولدا للعاضد وكانوا أدخوا معهم رجلا من الأجناد ليس من أهل مصر فحضر عند صلاح الدين وأخبره بما جرى فأحضرهم فلم ينكروا الأمر ولم يروه منكرا فقطع الطريق على عمر عمارة وأعيض بخرابه عن العمارة ووقعت اتفاقات عجيبة فمن جملتها أنه نسب إليه بيت من قصيدة ذكروا أنه يقول فيها (قد كان أول هذا الدين من رجل * سعى إلى أن دعوه سيد الأمم) ويجوز أن يكون البيت معمولا عليه فأفتى فقهاء مصر بقتله وحرضوا السلطان على المثلة بمثله ومنها أنه كان في النوبة التي لا تقال عثرتها ولا يحترم الأديب فيها ولو أنه في سماء النظم

والنثر نثرتها ومنها أنه كان قد هجا أميرا فعد ذلك من كبائره وجرى عليه الردى في جرائره ثم قال في آخر ترجمته والعجب من عمارة أنه تأبى في ذلك المقام عن الأنتماء إلى القوم وترك وغطى القدر على بصره حتى أراد أن يتعصب لهم ويعيد دولتهم

436 فهلك وإنما قال العماد هذا لأجل الأبيات التي كتبها الصالح بن رزيك يرغبه في التشيع وهي في الورقة التي هي قربها والمذحجي بفتح الميم وسكون الذال المعجمة وكسر الحاء المهملة وبعدها جيم هذه النسبة إلى مذحج واسمه مالك بن أدد بن زيد بن يشجب وإنما قيل له مذحج لأنه ولد على أكمة حمراء باليمن يقال لها مذحج فسمي بها وقيل غير ذلك والله أعلم 490 عمر بن أبي ربيعة المخزومي أبو الخطاب عمربن عبد الله بن أبي ربيعة ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة القرشي المخزومي الشاعر المشهور لم يكن في قريش أشعر منه وهو كثير الغزل والنوادر والوقائع والمجون والخلاعة وله في ذلك حكايات مشهورة وكان يتغزل في شعره بالثريا ابنة علي بن عبد الله بن الحارث ابن أمية الأصغر بن عبد شمس بن عبد مناف الأموية وقال السهيلي في الروض الأنف هي الثريا ابنة عبد الله ولم يذكر عليا ثم قال وقتيلة ابنة

437 النضر جدتها لأنها كانت تحت الحارث بن أمية وعبد الله ولدها وهو والد الثريا وهذه قتيلة هي التي أنشدت

رســـول الله عقيب وقعة بدر الأبيات القافية وكان قد قتل أباها النضـــر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصـــي القرشـــي العبدري وقيل كان أخاها ومن جملة الأبيات (أمحمد ولأنت ضـــنء نجيبة من قومها والفحل فحل معرق) (ما كان ضـــرك لو مننت وربما * من الفتى وهو المغيظ المحنق) (فالنضـر أقرب من تركت وســـيلة * وأحقهم إن كان عتق يعتق) فقال لو سـمعت شـعرها قبل أن أقتله لما قتلته وكان شـديد العداوة لرســـول الله فأســـره في يوم بدر فلما رجع إلى المدينة أمر علي بن أبي طالب وقيل المقداد بن الأســـود بقتله فقتله صـــبرا بين يديه بالصـــفراء وهي مكان بين المدينة وبدر وهذه الأبيات من جملة أبيات مذكورة في كتاب الحماســـة في باب المراثي وكانت الثريا موصوفة بالجمال فتزوجها ســـهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري رضـــي الله عنه ونقلها إلى مصـــر فقال عمر المذكور في زواجها يضـــرب المثل في الثريا وســـهيل النجمين المعروفين (أيها المنكح الثريا ســـهيلا * عمرك الله كيف يلتقيان) (هي شـــامية إذا ما استقلت * وسهيل إذا استقل يماني) وهذه الثريا وأختها عائشة أعتقتا الغريض المغني المشهور صاحب معبد

438 واســـمه عبد الملك وكنيته أبو زيد وســـمي الغريض باسم الطلع ويقال فيه الغريض والاغريض وإنما سـمي به لنقاء لونه وقيل إنه ســـمي به لطراوته يروى أن يزيد بن معاوية لما أراد توجيه مســـلم بن عقبة إلى المدينة

اعترض الناس فمر به رجل من أهل الشـــام بترس قبيح فقال له يا أخا الشـام مجن ابن أبي ربيعة أحسـن من مجنك يريد قول ابن أبي ربيعة (وكان مجني دون من كنت أتقي * ثلاث شخوص كاعبان ومعصر) و هذا البيت من جملة قصـــيدة و هي من ظريف شـــعره فمن جملتها (فحيت إذ فاجأتها فتلهفت * وكادت بمكتوم التحية تجهر) (وقالت وعضـــت بالبنان فضـــحتني * وأنت امرؤ ميســـور أمرك أعســـر) (أريتك إن هنا عليك ولم تخف * رقيبا وحولي من عدوك حضـــر) (فوالله ما أدري أتعجيل حاجة * ســـرت بك أم قد نام من كنت تحذر) (فقلت لها بل قادني الشـــوق والهوى * إليك وما عين من الناس تنظر) (فلما تقضـــى الليل إلى قليله * وكادت توالي نجمه تتغور) (أشـــارت بأن الحي قد حان منهم * هبوب ولكن موعد لك عزور) (فما راعني إلا مناد برحلة * وقد لاح مفتر من الصـبح أشـقر) (فلما رأت من قد تنور منهم * وأيقاظهم قالت أشـــر كيف تأمر) (فقلت أباديهم فإما أفوتهم * وإما أسل السيف ثأرا فيثأر) (فقالت أتحقيقا لما قال كاشح * علينا وتصـــديقا لما كان يؤثر) (وإن كان ما لا بد منه فغيره * من الأمر أدنى للخفاء وأســـتر) (أقص على أختي بدء حديثنا * وما لي من أن يعلما متأخر) (لعلهما ان يبغيا لك مخرجا * وأن يرحبا سـربا بما كنت أحصـر) (فقالت لأختيها أعينا على فتى * أتى زائرا والأمر للأمر

يقدر) (فأقبلتا فارتاعتا ثم قالتا * اقلي عليك اللوم فالخطب أيسر)
439 (يقوم فيمشي بيننا متنكرا * فلا سرنا يفشو ولا هو يظهر) (وكان مجني دون من كنت أتقي * ثلاث شخوص كاعبان ومعصر) ومن شعر عمر المذكور أيضا (حي طيفا من الأحبة زارا * بعدما صرع الكرى السمارا) (طارقا في المنام تحت دجى الليل * ضنينا بأن يزور نهارا) (قلت ما بالنا جفينا وكنا * قبل ذاك الأسماع والأبصارا) (قال إنا كما عهدت ولكن * شغل الحلي أهله أن يعارا) وكانت ولادته في الليلة التي قتل فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهي ليلة الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين للهجرة وغزا في البحر فأحرقوا السفينة فاحترق في حدود سنة ثلاث وتسعين للهجرة وعمره مقدار سبعين سنة رحمه الله تعالى وقال الهيثم بن عدي مات سنة ثلاث وتسعين للهجرة وعمره ثمانون سنة والله أعلم وقتل والده عبد الله في سنة ثمان وسبعين للهجرة بسجستان وكان الحسن البصري رضي الله عنه إذا جرى ذكر ولادة عمر بن أبي ربيعة في الليلة التي قتل فيها عمر رضي الله عنه يقول أي حق رفع وأي باطل وضع وكان جده أبو ربيعة يلقب ذا الرمحين واسمه عمرو وقيل حذيفة وقيل اسمه كنيته (وكان أبو عبد الله أخا أبي جهل ابن هشام المخزومي لأمه وأمهما أسماء بنت مخربة من بني مخزوم وقيل من بني نهشل

وهما ابنا عم يجمعهما المغيرة بن عبد الله ويقظة بفتح الياء المثناة من تحتها والقاف والظاء المعجمة

440 491 عمر بن شبة أبو زيد عمر بن شبة واسمه زيد وشبة لقب ابن عبيدة بن زيد ويقال ابن رايطة النميري البصري كان صاحب أخبار ونوادر ورواية واطلاع كثير وصنف تاريخ البصرة روى القراءة عن جبلة بن مالك عن المفضل عن عاصم بن أبي النجود وسمع الحروف من محبوب بن الحسن وروى عن عبد الوهاب الثقفي وعمرو بن علي وروى القراءة عنه عبد الله بن سليمان وعبد الله بن عمرو الوراق وأحمد بن فرج وسمع منه أبو محمد ابن الجارود وسئل عنه أبو حاتم الرازي فقال صدوق وروى عنه الحافظ محمد بن ماجه صاحب السنن وغيره وقد تقدم ذكره في ترجمة العباس بن الأحنف وكانت ولادته يوم الأحد مستهل رجب سنة ثلاث وسبعين ومائة وتوفي يوم الإثنين لست بقين وقيل يوم الخميس لأربع بقين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وقيل ثلاث وستين ومائتين بسر من رأى رحمه الله تعالى وشبة بفتح الشين وتشديد الباء الموحدة والنميري بضم النون وفتح الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء هذه النسبة إلى نمير بن عامر بن صعصعة وهي قبيلة كبيرة ينسب إليها جماعة من العلماء وغيرهم

441 492 الخرقي أبو القاسم عمر بن أبي علي الحسين بن عبد الله بن أحمد الخرقي الفقيه الحنبلي كان من

أعيان الفقهاء الحنابلة وصـــنف في مذهبهم كتبا كثيرة من جملتها المختصـــر الذي يشـتغل به أكثر المبتدئين من أصــحابهم وكان قد أودعها في بغداد لما عزم على السـفر إلى دمشـــق لما ظهر بها أعني بغداد من سـب السـلف فاحترقت في غيبته وتوفي بدمشــق وقيل ببغداد في سـنة أربع وثلاثين وثلثمائة رحمه الله تعالى وكان والده أيضـا من الأعيان روى عن جماعة وروت عنه جماعة رحمهم الله أجمعين والخرقي بكســر الخاء المعجمة وفتح الراء وبعدها قاف هذه النسبة إلى بيع الخرق والثياب

442 493 عمر بن ذر أبو ذر عمر بن ذر بن عبد الله بن زرارة بن معاوية بن منبه بن غالب بن وقش بن قسيم بن موهبة بن دعام بن مالك بن معاوية بن صعب بن دومان ابن بكيل بن جشم بن مالك وهو الخارق بن عبد الله بن كبير بن مالك ابن جشم بن حاشد بن جشم بن خيوان بن نوف بن همدان هكذا ساق نسبه هشام بن الكلبي في كتاب جمهرة النسـب الهمداني الكوفي الفقيه القاص كان صـالحا عابدا كبير القدر روى عن عطاء ومجاهد وروى عنه وكيع وأهل العراق وكان ولده ذر كثير البر له شديد التوفر على طاعته ولما حضـــرته الوفاة دخل عليه أبوه عمر المذكور وهو يجود بنفســه فقال له يا بني إنه ما علينا من موتك غضـاضـة ولا بنا إلى أحد سـوى الله من حاجة فلما قضـى صـلى عليه ودفنه ووقف على قبره وقال أما والله يا ذر لقد شـــغلنا البكاء لك عن البكاء عليك لأنا ما ندري ما

قلت ولا ما قيل لك اللهم إني قد وهبت له ما قصــر فيه مما افترضـــــت عليه من حقي فهب لي ما قصـــر فيه مما افترضــت عليه من حقك واجعل ثوابي عليه له وزدني من فضـــلك إني إليك من الراغبين وقيل له كيف كان بر ابنك بك فقال ما مشيت قط بنهار وهو

443 معي إلا مشــى خلفي ولا بليل إلا مشــى أمامي ولا رقي سطحا وأنا تحته ويحكى عنه في ذلك أشياء كثيرة وكان عمر المذكور يعد من المرجئة وتوفي سنة ست وقيل خمس وخمســين ومائة رحمه الله تعالى وذر بفتح الذال المعجمة وتشديد الراء والهمداني بفتح الهاء وسكون الميم وفتح الدال المهملة وقد تقدم الكلام عليها وإنما قيدتها كيلا تتصــحف بالهمذاني وزرارة بضــم الزاي وفتح الراءين بينهما ألف وكان أبوه ذر فقيها أيضـــا 494 الثمانيني أبو القاســم عمر بن ثابت الثمانيني الضــرير النحوي كان قيما بعلم النحو عارفا بقوانينه شـــرح كتاب اللمع لابن جني شرحا تاما حسنا أجاد فيه وانتفع بالاشتغال عليه جمع كبير وكان نحويا فاضلا أخذ النحو عن أبي الفتح ابن جني وأخذ عنه الشريف أبو المعمر يحيى بن محمد بن طباطبا العلوي الحسيني وشرح كتاب اللمع في التصريف لابن جني أيضا وكان هو وأبو القاسم ابن برهان متعارضين يقرئان الناس بالكرخ ببغداد فكان

444 خواص الناس يقرأون على ابن برهان والعوام يقرأون على الثمانيني وتوفي في ذي القعدة ســـنة اثنتين

وأربعين وأربعمائة رحمه الله تعالى والثمانيني بفتح الثاء المثلثة والميم وبعد الألف نون مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها ثم نون أخرى هذه النسبة إلى ثمانين وهي قرية من نواحي جزيرة ابني عمر عند الجبل الجودي وهي أول قرية بنيت بعد الطوفان وسميت بعدد الجماعة الذين خرجوا من السفينة مع نوح عليه السلام فإنهم كانوا ثمانين وبنى كل واحد منهم بيتا فسميت القرية ثمانين وقد خرج من هذه القرية جماعة وتوفي الشريف ابن طباطبا المذكور في شهر رمضان سنة ثمان وسبعين وأربعمائة رحمه الله تعالى 495 ابن البزري أبو القاسم عمر بن محمد بن أحمد بن عكرمة المعروف بابن البزري الجزري الفقيه الشافعي إمام جزيرة ابني عمر وفقيهها ومفتيها تفقه أولا بالجزيرة على الشيخ أبي الغنائم محمد بن الفرج بن منصور بن إبراهيم بن الحسن السلمي الفارقي نزيل جزيرة ابني عمر ثم رحل إلى بغداد واشتغل على الكيا الهراسي وحجة الإسلام أبي حامد الغزالي وسمع عليه وعلى أخيه أحمد وصحب الشاشي صاحب كتاب المستظهري وأدرك جماعة من العلماء واستفاد منهم ورجع

445 إلى الجزيرة ودرس بها وقصد من البلاد للاشتغال عليه وبطريقته وصنف كتابا شرح فيه إشكالات كتاب المهذب للشيخ أبي إسحاق الشيرازي وغريب ألفاظه وأسماء رجاله سماه الأسامي والعلل من كتاب المهذب

وهو مختصــر وكان من العلم والدين في محل رفيع وكان أحفظ من بقي في الدنيا على ما يقال لمذهب الإمام الشافعي رضـــي الله عنه وكان الغالب عليه المذهب وانتفع به خلق كثير وكان ينعت زين الدين جمال الإسلام ومولده في سنة إحدى وسبعين وأربعمائة وتوفي في ثاني شهر ربيع الأول وقيل الآخر ســنة ســتين وخمســمائة بالجزيرة رحمه الله تعالى وما خلف مثله وله تلاميذ كثيرون 136 وتوفي شـــيخه أبو الغنائم الفارقي المذكور ســـنة ثلاث وثمانين وأربعمائة رحمه الله تعالى وعليه اشـتغل الفقيه عيســى بن محمد الهكاري الآتي ذكره إن شـــاء الله تعالى بالجزيرة والبزري بفتح الباء الموحدة وســكون الزاي وبعدها راء هذه النســـبة إلى عمل البزر أو بيعه والبزر في تلك البلاد اسم للدهن المستخرج من حب الكتان وبه يستصبحون

446 496 شـــهاب الدين الســـهروردي أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمويه واسـمه عبد الله البكري الملقب شهاب الدين السهروردي وقد تقدم تتمة نسبه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه في ترجمة عمه الشـيخ أبي النجيب عبد القاهر فأغنى عن إعادته كان فقيها شـــافعي المذهب شـــيخا صـــالحا ورعا كثير الاجتهاد في العبادة والرياضة وتخرج عليه خلق كثير من الصوفية في المجاهدة والخلوة ولم يكن في آخر عمره في عصــره مثله وصـــحب عمه أبا النجيب وعنه أخذ التصـــوف والوعظ والشيخ أبا محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلي وغيرهما

وانحدر إلى البصــرة إلى الشــيخ أبي محمد ابن عبد ورأى غيرهم من الشـــيوخ وحصـــل طرفا صـــالحا من الفقه والخلاف وقرأ الأدب وعقد مجلس الوعظ سنين وكان شيخ الشـــيوخ ببغداد وكان له مجلس وعظ وعلى وعظه قبول كثير وله نفس مبارك حكى لي من حضر مجلسه أنه أنشد يوما على الكرســي (لا تسقني وحدي فما عودتني * أني أشــح بها على جلاســي) (أنت الكريم ولا يليق تكرما * أن يعبر الندماء دور الكاس) فتواجد الناس لذلك وقطعت شـــعور كثيرة وتاب جمع كبير وله تواليف حســـنة منها كتاب عوارف المعارف وهو أشهرها وله شعر فمنه

447 (تصـــرمت وحشـــة الليالي * وأقبلت دولة الوصــال) (وصــار بالوصــل لي حســودا * من كان في هجركم رثى لي) (وحقكم بعد إن حصـلتم * بكل ما فات لا أبالي) (أحييتموني وكنت ميتا * وبعتموني بغير غالي) (تقاصرت عنكم قلوب * فيا له موردا حلا لي) (علي ما للورى حرام * وحبكم في الحشــا حلا لي) (تشــربت أعظمي هواكم * فما لغير الهوى ومـا لي) (فمـا على عادم أجاجا * وعنده أعين الزلال) ورأيت جماعة ممن حضــروا مجلســه وقعدوا في خلوته وتسليكه كجاري عادة الصـــوفية فكانوا يحكون غرائب مما يطرأ عليهم فيها وما يجدونه من الأحوال الخارقة وكان قد وصـــل رســـولا إلى إربل من جهة الديوان العزيز وعقد بها مجلس وعظ ولم تتفق لي رؤيته لصغر السن وكان كثير الحج وربما جاور

في بعض حججه وكان أرباب الطريق من مشايخ عصره يكتبون إليه من البلاد صورة فتاوى يسألونه عن شيء من أحوالهم سمعت أن بعضهم كتب إليه يا سيدي إن تركت العمل أخلدت إلى البطالة وإن عملت داخلني العجب فأيهما أولى فكتب جوابه اعمل واستغفر الله تعالى من العجب وله من هذا شيء كثير وذكر في كتابه عوارف المعارف أبياتا لطيفة منها (أشم منك نسيما لست أعرفه * أظن لمياء جرت فيك أذيالا وذكر فيه أيضا (إن تأملتكم فكلي عيون * أو تذكرتكم فكلي قلوب)

448 وذكر أشياء غير هذا لا حاجة إلى التطويل بذكرها وكان قد صحب عمه الشيخ أبا النجيب المذكور زمانا وعليه تخرج ومولده بسهرورد في أواخر رجب أو أوائل شعبان والشك منه في سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وتوفي في مستهل المحرم سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ببغداد رحمه الله تعالى ودفن من الغد بالوردية 497 الحافظ ابن دحية أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن محمد الجميل بن فرح بن خلف بن قومس بن مزلال بن ملال بن بدر بن أحمد بن دحية بن خليفة بن فروة الكلبي المعروف بذي النسبين الأندلسي البلنسي الحافظ نقلت نسبه على هذه الصورة من خطه وكان قد قيده وضبطه كما هو هاهنا الجميل بضم الجيم وفتح الميم وتشديد الياء المثناة من تحتها وبعدها لام وهو تصغير جميل وفرح بفتح الفاء وسكون الراء وبعدها حاء مهملة وقومس بضم القاف

وفتحها وسـكون الواو وكسـر الميم وبعدها سـين مهملة ومزلال بفتح الميم وسـكون الزاي وبعـد اللام ألف لام وملال بفتح الميم وتشديد اللام ألف وبعدها لام
449 ودحية بكسـر الدال المهملة وفتحها وسـكون الحاء المهملة وبعدها ياء مثناة من تحتها وهو دحية الكلبي صاحب رسول الله والباقي معروف لا حاجة إلى ضبطه كان يذكر أنه أمه أمة الرحمن بنت أبي عبد الله ابن أبي البسام موسى بن عبد الله بن الحسين بن جعفر بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه فلهذا كان يكتب بخطه ذو النسبين دحية والحسين رضي الله عنهما وكان يكتب أيضا سبط أبي البسام إشارة إلى ذلك كان أبو الخطاب المذكور من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء متقنا لعلم الحديث النبوي وما يتعلق به عارفا بالنحو واللغة وأيام العرب وأشعارها واشتغل بطلب الحديث في أكثر بلاد الأندلس الإسلامية ولقي بها علماءها ومشايخها ثم رحل منها إلى بر العدوة ودخل مراكش واجتمع بفضلائها ثم ارتحل إلى إفريقية ومنها إلى الديار المصرية ثم إلى الشام والشرق والعراق وسمع ببغداد من بعض أصحاب ابن الحصين وسمع بواسط من أبي الفتح محمد ابن أحمد بن الميداني ودخل إلى عراق العجم وخراسان وما والاها ومازندران كل ذلك في طلب الحديث والاجتماع بأئمته والأخذ عنهم وهو في تلك الحال يؤخذ عنه ويستفاد منه

وسمع بأصبهان من أبي جعفر الصيدلاني وبنيسابور من منصور بن عبد المنعم الفراوي وقدم مدينة إربل في سنة أربع وستمائة وهو متوجه إلى خراسان فرأى صاحبها الملك المعظم مظفر الدين بن زين الدين رحمه الله تعالى مولعا بعمل مولد النبي عظيم الاحتفال به كما هو مذكور في ترجمته في حرف الكاف من هذا الكتاب فعمل له كتابا سماه كتاب التنوير في مولد السراج المنير وقرأه عليه بنفسه وسمعناه على الملك المعظم في ست مجالس في جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين

450 وستمائة وكان الحافظ أبو الخطاب المذكور قد ختم هذا الكتاب بقصيدة طويلة أولها (لولا الوشاة وهم * أعداؤنا ما وهموا) وقد ذكرت فيما تقدم في ترجمة الأسعد بن مماتي في حرف الهمزة حديث هذه القصيدة فليتأمل هناك ولما عمل هذا الكتاب دفع له الملك المعظم المذكور ألف دينار وله عدة تصانيف وكانت ولادته في مستهل ذي القعدة سنة أربع وأربعين وخمسمائة وتوفي في يوم الثلاثاء الرابع عشر من ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وستمائة بالقاهرة ودفن بسفح المقطم رحمه الله تعالى أخبرني بذلك ولده وأخبرني بعض أصحابنا الموثوق بقولهم أنه سأل ولده المذكور عن مولد أبيه فقال في ذي القعدة من سنة ثمان وأربعين وأخبرني ابن أخيه قال سمعت عمي أبا الخطاب غير مرة يقول ولدت في مستهل ذي القعدة سنة ست وأربعين وخمسمائة والله أعلم

والبلنسـي بفتح الباء الموحدة واللام وسـكون النون وبعدها سـين مهملة هذه النسـبة إلى بلنسـية وهي مدينة في شـرق الأندلس 137 وكان أخوه أبو عمرو عثمان بن الحسن أسن من أخيه أبي الخطاب وكان حافظا للغة العرب قيما بها وعزل الملك الكامل أبا الخطاب المذكور عن دار الحديث التي كان أنشـأها بالقاهرة ورتب مكانه أخاه أبا عمرو المذكور ولم يزل بها إلى أن توفي يوم الثلاثاء ثالث عشـر جمادى الأولى سـنة أربع وثلاثين وسـتمائة بالقاهرة ودفن بسفح المقطم وله رسائل استعمل فيها حوشي اللغة

451 498 أبو علي الشـلوبيني أبو علي عمر بن محمد بن عمر بن عبد الله الأزدي المعروف بالشـلوبيني الأندلسـي الإشـبيلي النحوي تلميذ أبي بكر محمد بن خلف بن محمد بن عبد الله ابن صافي اللخمي الإشبيلي ومن قوله (قالوا حبيبك معلول فقلت لهم * نفسـي الفداء له من كل محذور) (يا ليت علته بي غير أن له * أجر العليل واني غير مأجور) كان إماما في علم النحو مستحضرا له غاية الاستحضار ولقد رأيت جماعة من أصحابه وكلهم فضلاء وكل منهم يقول ما يتقاصر الشـيخ أبو علي الشـلوبيني عن الشـيخ أبي علي الفارسـي ويغالون فيه مغالاة زائدة وقالوا فيه مع هذه الفضيلة غفلة وصورة بله في الصورة الظاهرة حتى قالوا إنه كان يوما على جانب نهر وبيده كراريس فوقع منه كراسـة في الماء وبعدت عنه فلم تصـل يده إليها

ليأخذها فأخذ كراســـة أخرى وجذبها بها فتلفت الأخرى بالماء وكان
452 له مثل هذه الأســباب الدالة على البله وشــرح المقدمة الجزولية شــرحين كبيرا وصــغيرا وله كتاب في النحو ســـماه التوطئة وكانت إقامته بإشـــبيلية وأخباره متواصـــلة إلينا وتلامذته واردة في كل وقت وبالجملة فإنه على ما يقال كان خاتمة أئمة النحو وكانت ولادته بإشبيلية في سنة اثنتين وستين وخمسمائة وتوفي في أحد الربيعين وقيل في صــفر ســنة خمس وأربعين وســتمائة بإشــبيلية رحمه الله تعالى والشــلوبيني بفتح الشـــين المثلثة واللام وسكون الواو وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون هذه النســبة إلى الشــلوبين وهو بلغة الأندلس الأبيض الأشــقر هكذا ذكروا والله أعلم 499 ابن طبرزذ أبو حفص عمر بن أبي بكر محمد بن معمر بن أحمد بن يحيى بن حســان المؤدب المعروف بابن طبرزذ المحدث المشــهور البغدادي الملقب موفق الدين من أهل الجانب الغربي ببغداد من ســاكني محلة دار القز ولهذا عرف بالدارقزي كان أخوه الأكبر أبو البقاء محمد قد أسمعه الكثير من الحديث ثم استقل بإفادة نفسه وعمر حتى حدث سنين وحفظ الأصول إلى وقت الحاجة إليها وكانت بخط أخيه أبي البقاء المذكور إلا القليل وكان ســماعه من أبي القاسم

453 هبة الله بن عبد الواحد بن الحصين وأبي المواهب أحمد بن محمد بن ملوك الوراق وأبي الحسن ابن الزاغوني وأبي غالب ابن البناء وأبي القاسم هبة الله بن عبد الشروطي وأبى القاسم هبة الله بن أحمد الحريري والقاضي أبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري وأبي منصور ابن زريق وإسماعيل بن أحمد السمرقندي وعبد الوهاب الأنماطي وخلق كثير يطول ذكرهم وكان سماعه صحيحا على تخليط فيه وسافر في آخرعمره إلى الشام وحدث في طريقه بإربل والموصل وحران وحلب ودمشق وغيرها وعادإلى بغداد وحدث بها وتفرد بالرواية عن جماعة منهم الفقيه أبو الحسن علي بن عبد الله بن الزاغوني وابن ملوك المذكور وأبو القاسم الشروطي المذكور وأبو غالب محمد بن أحمد بن قريش وأبو البركات ابن كامل بن حبيش وأبو غالب أحمد بن الحسن بن البناء وأبو القاسم هبة الله ابن الحصين وغيرهم وجمع له ابن المديني مشيخة في جزأين وبعض ثالث فيها ثلاثة وثمانون شيخا وكان عالي الإسناد في سماع الحديث طاف البلاد وأفاد أهلها وألحق الأصاغر بالأكابر وطبق الأرض بالسماعات والإجازات وامتدت له الحياة فخلا له العصر وكان فيه صلاح وخير ومولده في ذي الحجة سنة ست عشرة وخمسمائة وتوفي في عصر يوم الثلاثاء تاسع رجب سنة سبع وستمائة ببغداد ودفن من الغد بباب حرب رحمه الله تعالى وطبرزذ بفتح الطاء المهملة والباء

الموحدة وسكون الراء وفتح الزاي وبعدها ذال معجمة وهو اسم لنوع من السكر
454 500 الشرف ابن الفارض أبو حفص وأبو القاسم عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد بن علي الحموي الأصل المصري المولد والدار والوفاة المعروف بابن الفارض المنعوت بالشرف له ديوان شعر لطيف وأسلوبه فيه رائق ظريف ينحو منحى طريقة الفقراء وله قصيدة مقدار ستمائة بيت على اصطلاحهم ومنهجم وما ألطف قوله في جملة قصيدة طويلة (أهلا بما لم أكن أهلا لموقعه * قول المبشر بعد اليأس بالفرج) (لك البشارة فاخلع ما عليك فقد * ذكرت ثم على ما فيك من عوج) وقوله من قصيدة أخرى (لم أخل من حسد عليك فلا تضع * سهري بتشنيع الخيال المرجف) (واسأل نجوم الليل هل زار الكرى * جفني وكيف يزور من لم يعرف) ومنها (وعلى تفنن واصفيه بحسنه * يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف)
455 وله دوبيت ومواليا وألغاز وسمعت أنه كان رجلا صالحا كثير الخير على قدم التجرد جاور بمكة زادها الله تعالى شرفا زمانا وكان حسن الصحبة محمود العشرة أخبرني عنه بعض أصحابه أنه ترنم يوما وهو في خلوة ببيت الحريري صاحب المقامات وهو (من ذا الذي ما ساء قط * ومن له الحسنى فقط) قال فسمع قائلا ولم ير شخصه وقد أنشد (محمد الهادي الذي * عليه جبريل

هبط) وأنشـــدني له جماعة من أصـــحابه مواليا في غلام صنعته الجزارة وهو كيس ولم أره في ديوانه (قلتو لجزر عشـقتو كم تشـرخني * قتلتني قال ذا شـغلي توبخني) (ومـل إلي وبس رجلي يربخني * يريـد ذبحي فينفخني ليسلخني) وقدكتبته على اصطلاحهم فإنهم لا يراعون فيه الإعراب والضبط بل يجوزون فيه اللحن بل غالبه ملحون فلا يؤاخذ من يقف عليه وكان يقول عملت في النوم بيتين وهما (وحياة أشواقي إليك * وحرمة الصبر الجميل) (لا أبصرت عيني سواك * ولا صبوت إلى خليل) وكانت ولادته في الرابع من ذي القعدة سنة ست وسبعين وخمسائة بالقاهرة وتوفي بها يوم الثلاثاء الثاني من جمادى الأولى سـنة اثنتين وثلاثين وسـتمائة ودفن من الغد بسـفح المقطم رحمه الله تعالى

456 والفارض بفتح الفاء وبعد الألف راء مفتوحة وبعدها ضاد معجمة وهو الذي يكتب الفروض للنساء على الرجال 501 تقي الدين صـــاحب حماة الملك المظفر تقي الدين أبو سـعيد عمر بن نور الدولة شـاهنشـاه بن أيوب صـاحب حماة وهو ابن أخي السلطان صـلاح الدين رحمه الله تعالى وقد تقدم ذكر أبيه في حرف الشـين كان شـجاعا مقداما منصـــورا في الحروب مؤيدا في الوقائع ومواقفه مشـــهورة مع الفرنج وكانت له آثار في المصـــافات دلت عليها التواريخ وله في أبواب البر كل حسـنة منها مدرسـة منازل العز التي بمصـر يقال إنها كانت دار سـكنه فوقف

عليها وقفا كثيرا وجعلها مدرســـة وكانت الفيوم وبلادها
إقطاعه وله بها مدرســتان شــافعية ومالكية وعليهما وقف
جيد أيضا وبنى مدينة الرها مدرسة لما كان صاحب البلاد
الشـرقية وكان كثير الإحسـان إلى العلماء والفقراء وأرباب
الخير وناب عن عمه صــلاح الدين بالديار المصــرية في
بعض غيباته عنها فإن الملك العادل كان نائبا عن أخيه
السلطان صلاح الدين بالديار المصرية فلما حاصر الكرك
في سنة تسع وسبعين وخمسمائة في رجب طلب أخاه من
مصـر بالعسـاكر وسير إليها تقي الدين في العشـر الوسط
من شعبان من السنة نائبا عنه ثم استدعاه
457 إليه بالشـام ورتب بالديار المصـرية ولده الملك
العزيز عثمان المقدم ذكره ومعه الملك العادل فشـــق ذلك
على تقي الـدين وعزم على دخولـه بلاد المغرب ليفتحهـا
فقبح أصـــحـابه عليه ذلك فامتثل قول عمه صـــلاح الدين
وحضــر إلى خدمته وخرج السـلطان التقاه بمرج الصــفر
واجتمعا هناك في الثالث والعشـرين من شـعبان سـنة اثنتين
وثمانين وخمســـمائة وفرح به وأعطاه حماة فتوجه إليها
وتوجـه إلى قلعـة منـازكرد من نواحي خلاط ليـأخـذهـا
فحاصـرها مدة وتوفي عليها يوم الجمعة تاسـع عشـر شـهر
رمضــان ســنة ســبع وثمانين وخمســمائة وقيل بل توفي ما
بين خلاط وميـافـارقين ونقـل إلى حمـاة ودفن بهـا 138
وترتب مكانه ولده الملك المنصور ناصر الدين أبو المعالي
محمد بن عمر ومات يوم الإثنين الثاني والعشـرين من ذي

القعدة سنة سبع عشرة وستمائة بحماة رحمهما الله تعالى ورأيت بخطي في مسوداتي أن تقي الدين مولده سنة أربع وثلاثين وخمسمائة قال ابن شداد في السيرة لما كان يوم الجمعة حادي عشر شوال سنة سبع وثمانين وخمسمائة ركب السلطان إلى جهة العدو وأشرف عليهم ثم عاد وأمرني بالإشارة إلى الملك العادل بأن يحضر معه علم الدين سليمان بن جندر وسابق الدين بن الداية وعز الدين بن المقدم فلما مثلت بين يديه الجماعة بخدمته أمر بإخلاء المكان من غير المذكورين وإبعاد الناس عن الخيمة وكنت من جملة الحاضرين فأخرج كتابا من قبائه وفضه ووقف عليه ففاضت دموعه وغلبه النحيب والبكاء حتى وافقناه من غير أن نعلم السبب في ذلك ثم ذكر انه يتضمن وفاة الملك المظفر تقي الدين رحمه الله تعالى فاستأنف الحاضرون البكاء عليه والأسف ثم ذكرته الله تعالى وعرفته ما يجب من الانقياد لقضائه وقدره فقال أستغفر الله إنا لله وإنا إليه راجعون ثم قال من المصلحة كتمان ذلك وإخفاؤه لئلا يتصل بالعدو ونحن منازلوه ثم أمر بإحضار الطعام وأطعم

458 الجماعة وانفصلوا من بين يديه وكانت وفاته في طريق خلاط عائدا إلى ميافارقين فحمل ميتا إلى ميافارقين وعملت له تربة ومدرسة مشهورة بأرض حماة وحمل إليها ودفن بها وزرته بها وكانت وفاته يوم الجمعة تاسع شهر رمضان سنة سبع وثمانين وخمسمائة وذكر

قبل هذا لما كان يوم الأحد الحادي والعشـــرين من شـــهر رمضــان يعني من السـنة وصـل كتاب من الديوان العزيز ينكر قصــــد الملك المظفر تقي الدين إلى جهة خلاط وفيه معاتبة نائبه بسبب بكتمر ويشفع فيه وفي حسن بن قفجاق وأن يتقدم بإطلاقه وكان مظفر الدين قد قبض عليه بإربل وأن يسـير القاضــي الفاضـل إلى الديوان لبت حال فسـير الكتاب إلى القاضــي الفاضـل ليقف عليه ويكتب إلى الملك المظفر بما رســـم فيه ثم عاد ابن شـــداد إلى هذا الكلام في كتـاب آخر بعد هذا التـاريخ وقـال كـان الجواب عن تقي الدين إنا لم نأمره إلى التعريض ببكتمر صـــاحب اخلاط وإنما عبر ليجمع العســـاكر للجهاد ويعود فاتفقت أســـباب اقتضــت ذلك وقد أمرنا بالعود عنه وعن ابن قفجاق بأن قد عرفتم حال ابن قفجاق وما يتصـــدى له من الفســـاد في الأرض وانه قد تقدم إلى مظفر الدين بإحضـــاره معه إلى الشـــام ليقطعه فيه ويكون ملازما للجهاد وعن الثالث بالاعتذار عن القاضـــي الفاضــل بأن قوته تضــعف عن الحركة إلى العراق هذا حاصل الجواب

459 502 أبو إسـحاق السـبيعي أبو إسـحاق عمرو بن عبد الله بن علي بن أحمد بن ذي يحمد بن الســـبيع الســـبيعي الهمداني الكوفي من أعيان التابعين رأى عليا وابن عباس وابن عمر وغيرهم من الصـــحابة رضـــي الله عنهم أجمعين وروى عنــه الأعمش وشـــعبــة والثوري وغيرهم رضـــي الله عنهم وكان كثير الرواية ولد لثلاث

سـنين بقين من خلافة عثمان رضـي الله عنه وتوفي سـنة تسـع وعشـرين وقيل سـبع وعشـرين وقيل ثمان وعشـرين ومائة وقال يحيى بن معين والمدائني مات سـنة اثنتين وثلاين ومائة والله أعلم رضـي الله عنه والسـبيعي بفتح السين المهملة وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها عين مهملة هذه النسـبة إلى سـبيع وهو بطن من همدان وتقدم الكلام على همدان وكان أبو إسـحاق المذكور يقول رفعني أبي حتى رأيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يخطب وهو أبيض الرأس واللحية

460 503 عمرو بن عبيد أبو عثمان عمرو بن عبيد بن باب المتكلم الزاهد المشـهور مولى بني عقيل ثم آل عرادة بن يربوع بن مالك كان جده باب من سـبي كابل من جبال السـند وكان أبوه يخلف أصـحاب الشـرط بالبصـرة فكان الناس إذا رأوا عمرا مع أبيه قالوا هذا خير الناس ابن شـر الناس فيقول أبوه صـدقتم هذا إبراهيم وأنا آزر وقيل لأبيه عبيد إن ابنك يختلف إلى الحسـن البصـري ولعله أن يكون فقال وأي خير يكون من ابني وقد أصـبت أمه من غلول وأنا أبوه وكان عمرو شيخ المعتزلة في وقته وسيأتي في ترجمة واصـل بن عطاء سـبب اعتزاله ولم سـموا المعتزلة إن شاء الله تعالى وكان آدم مربوعا بين عينيه أثر السجود وسئل الحسن البصري عنه فقال للسائل لقد سألت عن رجل كأن الملائكة أدبته وكأن الأنبياء ربته إن قام بأمر قعد به وإن قعد بأمر قام به وإن أمر بشـيء كان ألزم

الناس له وإن نهي عن شـــيء كان أترك الناس له ما رأيت ظاهرا أشـبه بباطن ولا باطنا أشـبه بظاهر منه ولما كان عبد الله
جلد 5
بن عمر بن عبد العزيز أميرا على العراق أرســـل إلى عامله على البصرة وهو شبيب بن شيبة أن يوفد إليه وفدا فأرســل إلى جماعة يأمرهم بذلك وأرســل إلى عمرو بن عبيد فامتنع فأعاد ســؤاله فقال إن أول ما يســألني عنه سيرتك فما تراني قائلا قال فكف عنه
461 قلت هذا عبد الله بن عمر هو الذي حفر نهر البصرة المعروف بنهر ابن عمر المشهور في مكانه وهو عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن مروان الأموي الحكمي حبســه مروان بن محمد المنبوز بالحمار آخر ملوك بني أمية مع إبراهيم ابن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس المعروف بالإمام بحران وقتلهما في ســنة نيف وثلاثين ومائة ودخل عمرو يوما على أبي جعفر المنصـــور في خلافته وكان صاحبه وصديقه قبل الخلافة وله معه مجالس وأخبار فقربه وأجلســه ثم قال له عظني فوعظه بمواعظ منها إن هذا الأمر الذي أصبح في يدك لو بقي في يد غيرك ممن كان قبلك لم يصــل إليك فأحذرك ليلة تمخض بيوم لا ليلة بعده فلما أراد النهوض قال قد أمرنا لك بعشــرة آلاف درهم قال لا حاجة لي فيها قال والله تأخذها قال والله لا آخذها وكان المهدي ولد المنصـــور حاضــرا فقال يحلف

أمير المؤمنين وتحلف أنت فالتفت عمرو إلى المنصــــور
وقال من هذا الفتى قال هذا المهدي ولدي وولي عهدي
فقال أما لقد ألبسته لباسا ما هو من لباس الأبرار وسميته
باسم ما استحقه ومهدت له أمرا أمتع ما يكون به أشغل ما
يكون عنه ثم التفت عمرو إلى المهدي وقال نعم يا ابن
أخي إذا حلف أبوك أحنثه عمك لأن أباك أقوى على
الكفارات من عمك فقال له المنصـــور هل من حاجة قال لا
تبعث إلي حتى اتيك قال إذا لا تلقني قال هي حاجتي
ومضى فأتبعه المنصور طرفه وقال (كلكم يمشي رويد
* كلكم يطلب صــــيد) (غير عمرو بن عبيد *) ولما
خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن
أبي طالب رضي الله تعالى عنهم على أبي جعفر المنصور
وقدم البصرة ثم خرج منها وبلغ
462 المنصـــور خبره أقبل مســرعا في سـنة اثنتين
وأربعين ومائة وبها عمرو بن عبيد فقال له أصحابه نخرج
للقائه فأبى فعاودوه وغلبوه على رأيه حتى خرج إليه فقال
له يا أبا عثمان هل بالبصــــرة أحد نخافه على أمرنا قال لا
قال أفأقتصر على قولك وأنصرف قال نعم فانصرف ولم
يدخلها ولعمرو المذكور رسـائل وخطب وكتاب التفســير
عن الحسن البصري وكتاب الرد على القدرية وكلام كثير
في العدل والتوحيد وغير ذلك ولما حضــــرته الوفاة قال
لصاحبه نزل بي الموت ولم أتأهب له ثم قال اللهم إنك تعلم
أنه لم يســنح لي أمران في أحدهما رضـــى لك وفي الآخر

هوى لي إلا اخترت رضـاك على هواي فاغفر لي وكانت ولادته في سـنة ثمانين للهجرة وتوفي سـنة أربع وأربعين ومائة وقيل اثنتين وقيل ثلاث وقيل ثمان وهو راجع من مكة بموضع يقال له مران ورثاه المنصور بقوله (صلى الإله عليك من متوسـد * قبرا مررت به على مران) (قبرا تضـمن مؤمنا متحنفا * صـدق الإله ودان بالعرفان) (لو أن هذا الدهر أبقى صـالحا * أبقى لنا عمرا أبا عثمان) ولم يسـمع بخليفة رثى من دونه سـواه رضـي الله عنه ومران بفتح الميم وتشـديد الراء وبعد الألف نون موضـع بين مكة والبصـرة على ليلتين من مكة وبه دفن أيضـا تميم بن مر الذي تنسـب إليه بنو تميم القبيلة الكبيرة المشـهورة واسم جده باب بباءين موحدتين بينهما ألف وإنما قيدته لأنه يتصحف بناب

463 504 سـيبويه أبو بشـر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب سـيبويه مولى بني الحارث بن كعب وقيل آل الربيع بن زياد الحارثي كان أعلم المتقدمين والمتأخرين بالنحو ولم يوضـع فيه مثل كتابه وذكره الجاحظ يوما فقال لم يكتب الناس في النحو كتابا مثله وجميع كتب الناس عليه عيال وقال الجاحظ أردت الخروج إلى محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصـم ففكرت في شـيء أهديه له فلم أجد شيئا أشرف من كتاب سيبويه فلما وصلت إليه قلت له لم أجد شيئا أهديه لك مثل هذا الكتاب وقد اشتريته من ميراث الفراء فقال والله ما أهديت لي شـيئا أحب إلي منه ورأيت

في بعض التواريخ أن الجاحظ لما وصـــل إلى ابن الزيات بكتاب سـيبويه أعلمه به قبل إحضـاره فقال له ابن الزيات أو ظننت أن خزانتنا خالية من هذا الكتاب فقال الجاحظ ما ظننت ذلك ولكنها بخط الفراء ومقابلة الكسـائي وتهذيب عمرو بن بحر الجاحظ يعني نفسـه فقال ابن الزيات هذه أجل نسخة توجد وأعزها فأحضرها إليه فسر بها ووقعت منه أجمل موقع وأخذ سـيبويه النحو عن الخليل بن أحمد المقدم ذكره وعن عيسـى ابن عمر ويونس بن حبيب وغيرهم وأخذ اللغة عن أبي الخطاب المعروف بالأخفش الأكبر وغيره وقال ابن النطاح كنت عند الخليل بن أحمد فأقبل سيبويه فقال الخليل

464 مرحبا بزائر لا يمل قال أبو عمر المخزومي وكان كثير المجالسة للخليل ما سمعت الخليل يقولها لأحد إلا لسيبويه وكان قد ورد إلى بغداد من البصرة والكسائي يومئذ يعلم الأمين بن هارون الرشيد فجمع بينهما وتناظرا وجرى مجلس يطول شـرحه وزعم الكسـائي أن العرب تقول كنا أظن ان الزنبور أشد لسها من النحلة فإذا هو إياها فقال سيبويه ليس المثل كذا بل فإذا هو هي وتشاجرا طويلا واتفقا على مراجعة عربي خالص لا يشـوب كلامه شـيء من كلام أهل الحضـر وكان الأمين شـديد العناية بالكسـائي لكونه معلمه فاستدعى عربيا وسـأله فقال كما قال سـيبويه فقال له نريد أن تقول كما قال الكسـائي فقال إن لسـاني لا يطاوعني على ذلك فإنه ما يسبق إلا إلى الصواب فقرروا

معه أن شخصا يقول قال سيبويه كذا وقال الكسائي كذا فالصواب مع من منهما فيقول العربي مع الكسائي فقال هذا يمكن ثم عقد لهما المجلس واجتمع أئمة هذا الشأن وحضر العربي وقيل له ذلك فقال الصواب مع الكسائي وهو كلام العرب فعلم سيبويه أنهم تحاملوا عليه وتعصبوا للكسائي فخرج من بغداد وقد حمل في نفسه لما جرى عليه وقصد بلاد فارس فتوفي بقرية من قرى شيراز يقال لها البيضاء في سنة ثمانين ومائة وقيل سنة سبع وسبعين وعمره نيف وأربعون سنة وقال ابن قانع بل توفي بالبصرة في سنة إحدى وستين ومائة وقيل سنة ثمان وثمانين وقال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي توفي سنة أربع وتسعين ومائة وعمره اثنتان وثلاثون سنة وإنه توفي بمدينة ساوة وذكر الخطيب في تاريخ بغداد عن ابن دريد أنه قال مات سيبويه بشيراز وقبره بها والله أعلم وقيل إن ولادته كانت بالبيضاء المذكورة لا وفاته قال أبو سعيد الطوال رأيت على قبر سيبويه هذه الأبيات مكتوبة وهي لسليمان بن يزيد العدوي (ذهب الأحبة بعد طول تزاور * ونأى المزار فأسلموك وأقشعوا)
(تركوك أوحش ما تكون بقفرة * لم يؤنسوك 465
وكربة لم يدفعوا) (قضى القضاء وصرت صاحب حفرة * عنك الأحبة أعرضوا وتصدعوا) وقال معاوية بن بكر العليمي وقد ذكر عنده سيبويه رأيته وكان حديث السن وكنت أسمع في ذلك العصر أنه أثبت من حمل عن الخليل

بن أحمد وقد سـمعته يتكلم ويناظر في النحو وكانت في لسانه حبسة ونظرت في كتابه فقلمه أبلغ من لسانه وقال أبو زيد الأنصاري كان سيبويه غلاما يأتي مجلسي وله ذؤابتان فإذا سمعته يقول حدثني من أثق بعربيته فإنما يعنيني وكان سيبويه كثيرا ما ينشد (إذا بل من داء به ظن أنه * نجا وبه الداء الذي هو قاتله) وسيبويه بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الباء الموحدة والواو وسكون الياء الثانية وبعدها هاء ساكنة ولا يقال بالتاء البتة وهو لقب فارسي معناه بالعربية رائحة التفاح هكذا يضبط أهل العربية هذا الاسم ونظائره مثل نفطويه وعمرويه وغيرهما والعجم يقولون سيبويه بضم الباء الموحدة وسكون الواو وفتح الياء المثناة بعدها لأنهم يكرهون أن يقع في آخر الكلمة ويه لأنها للندبة وقال إبراهيم الحربي سمي سيبويه لأن وجنتيه كانتا كأنهما تفاحتان وكان في غاية الجمال رحمه الله تعالى

466 505 أبو عمرو بن العلاء أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحصين التميمي المازني البصري ورأيت بخطي في مسوداتي هو أبو عمرو بن العلاء بن عمار ابن عبد الله بن الحصين بن الحارث بن جلهم بن خزاعي بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ويقال جلهم بن حجر بن خزاعي واسمه العريان أحد القراء السبعة كان أعلم الناس بالقرآن الكريم والعربية والشعر وهو في النحو في الطبقة الرابعة من علي بن أبي

طالب رضـــي الله عنه قال الأصـــمعي قال أبو عمرو بن العلاء لقد علمت من النحو ما لم يعلمه الأعمش وما لو كتب لما استطاع أن يحمله وقال أيضا سألت أبا عمرو عن ألف مسألة فأجابني فيها بألف حجة وكان أبو عمرو رأسا في حياة الحسن البصري مقدما في عصره وقال أبو عبيدة كان أبو عمرو أعلم الناس بالأدب والعربية والقرآن والشـعر وكانت كتبه التي كتب عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتا له إلى قريب من السقف ثم إنه تقرأ أي تنسك فأخرجها كلها فلما رجع إلى علمه الأول لم يكن عنده إلا ما حفظه بقلبه وكانت عامة أخباره عن أعراب قد أدركوا الجاهلية قال الأصمعي جلست إلى أبي عمرو بن العلاء عشر حجج فلم أسمعه يحتج ببيت إسلامي قال وفي أبي عمرو بن العلاء يقول الفرزدق

467 (ما زلت أغلق أبوابا وأفتحها * حتى أتيت أبا عمرو بن عمار) والصحيح أن كنيته اسمه وقيل اسمه زبان وقيل غير ذلك وليس بصحيح وهو من خزاعي بن مازن وحكي في نسبه في بعض الروايات انه أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن عبد الله بن الحصين بن الحارث بن جلهم بن خزاعي بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ويقال جلهم بن حجر بن خزاعي والله أعلم وحكى أبو عمرو قال طلب الحجاج بن يوسف الثقفي أبي فخرج منه هاربا إلى اليمن فإنا لنسير بصحراء باليمن إذ لحقنا لاحق ينشد (ربما تكره النفوس من الأمر * له فرجة كحل

العقال) قال فقال أبي ما الخبر قال مات الحجاج قال أبو عمرو فأنا بقوله له فرجة أشد سرورا مني بموت الحجاج قال فقال أبي اصرف ركابنا إلى البصرة قال أبو عبيدة قلت لأبي عمرو كم سنك يومئذ قال كنت قد خنقت بضعا وعشرين سنة يقال فرجة بالفتح بين الأمرين وبالضم بين الجبلين وذكر في كتاب طبقات النحاة قال حدث الأصمعي عن أبي عمرو ابن العلاء في قول رسول الله في الجنين غرة عبد أو أمة لولا أن رسول الله أراد بالغرة معنى لقال في الجنين عبد أو أمة ولكنه عنى البياض ولا يقبل في الدية إلا غلام أبيض أو جارية بيضاء لا يقبل فيها أسود ولا سوداء وهذا غريب ولا أعلم هل يوافق مذهب أحد من الأئمة المجتهدين أم لا ولغرابته نقلته وذكر في هذا الكتاب أيضا قال الأصمعي سألت أبا عمرو بن العلاء عن قولهم أرهبته

468 ورهبته فقال ليستا بسواء فقلت رهبته فرقته وأرهبته أدخلت الفرق في قلبه قال أبو عمرو ذهب من يعرف هذا منذ ثلاثين سنة وقال ابن مناذر سألت أبا عمرو بن العلاء حتى متى يحسن بالمرء أن يتعلم قال ما دامت الحياة تحسن به وقال أبو عمرو حدثنا قتادة السدوسي قال لما كتب المصحف عرض على عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال إن فيه لحنا ولتقيمنه العرب بألسنتها وكان أبو عمرو إذا دخل شهر رمضان لم ينشد بيت شعر حتى ينقضي وكان له في كل يوم فلسان يشتري بأحدهما

كوزا جديدا يشـــرب فيه يومه ثم يتركه لأهله ويشـــتري بالآخر ريحانا فيشـمه يومه فإذا أمســى قال لجاريته جففيه ودقيه في الأشـــنان وروى يونس بن حبيب النحوي قال سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول ما زدت في شعر العرب قط إلا بيتا واحدا وهو (وأنكرتني وما كان الذي نكرت * من الحوادث إلا الشـيب والصـلعا) وهذا البيت يوجد في جملة أبيات للأعشــى وهي أبيات مشـهورة وقال أبو عبيدة دخل أبو عمرو بن العلاء على ســليمان بن علي وهو عم السفاح فسأله عن شيء فصدقه فلم يعجبه ما قاله فوجد أبو عمرو في نفســـه وخرج وهو يقول (أنفت من الذل عند الملوك * وإن أكرموني وإن قربوا) (إذا ما صـــدقتهم خفتهم * ويرضــــون مني بأن يكذبوا) وحكى علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال سمعت أبي يقول لأبي عمرو ابن العلاء خبرني عما وضــعت مما ســميته عربية يدخل فيه كلام العرب كله فقال لا فقلت فكيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهو حجة قال

469 أعمل على الأكثر وأســمي ما خالفني لغات

وأخبار أبي عمرو كثيرة وكانت ولادته سنة سبعين وقيل ثمان وستين وقيل خمس وستين للهجرة بمكة وتوفي سنة أربع وخمسين وقيل تسع وخمسين وقيل ست وخمسين ومائة بالكوفة وكان قد خرج إلى الشام يجتدي عبد الوهاب ابن إبراهيم الإمام والي دمشـــق فلما عاد إلى الكوفة توفي بها وقال ابن قتيبة مات في طريق الشــام ونسـبوه في ذلك

إلى الغلط فقد ذكر بعض الرواة أنه رأى قبر أبي عمرو بالكوفة مكتوبا عليه هذا قبر أبي عمرو بن العلاء ولما حضرته الوفاة كان يغشى عليه ويفيق فأفاق من غشية له فإذا ابنه بشر يبكي فقال ما يبكيك و قد أتت علي أربع وثمانون سنة رحمه الله تعالى ورثاه عبد الله بن المقفع بقوله (رزئنا أبا عمرو ولا حي مثله * فلله ريب الحادثات بمن فجع) (فإن تك قد فارقتنا وتركتنا * ذوي خلة ما في انسداد لها طمع) (فقد جرنفعا فقدنا لك أننا * أمنا على كل الرزايا من الجزع) وقد قيل إنما رثي بها يحيى بن زياد بن عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي الكوفي الشاعر المشهور و هو ابن خال السفاح أول خلفاء بني العباس رضي الله عنه وقيل بل رثي بها عبد الكريم بن أبي العوجاء والأول أشهر والله أعلم وقيل إن هذه الأبيات لمحمد بن عبد الله بن المقفع والله أعلم وأقول إن هذه المرثية إن كانت في أبي عمرو المذكور فما يمكن أن تكون لعبد الله لأنه مات قبل موت أبي عمرو وإن كانت لمحمد فيمكن ذلك ولكنها مشهورة في أبي عمرو المذكور وإنما أتيت بأبي عمرو في هذا الحرف وهذه كنيته لا اسم للعذر الذي تقدم في حرف الباء في ترجمة أبي بكر بن عبد الرحمن فلينظر هناك 139 وأما عبد الوهاب المذكور فهو ابن إبراهيم المعروف بالإمام المذكور

470 في ترجمة أبيه محمد بن علي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنه وكان عبد الوهاب يتولى الشام من جهة عمه المنصور وكان المنصور يخافه فلما حضرت المنصور الوفاة وهو بباب مكة عند بئر ميمون كما هو مشهور قال لحاجبه الربيع ابن يونس المقدم ذكره ما أخاف إلا صاحب الشام عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام ثم رفع يديه إلى السماء وقال اللهم اكفني عبد الوهاب قال الربيع فلما مات المنصور ودليته في القبر وعرضت عليه الحجارة سمعت هاتفا يهتف من القبر مات عبد الوهاب وأجيبت الدعوة قال الربيع فهالني ذلك الصوت وجيء بالخبر من بعد سادسة أو سابعة بوفاة عبد الوهاب هكذا ذكره ابن بدرون في شرح قصيدة ابن عبدون التي أولها (الدهر يفجع بعد العين بالأثر *) بعد قوله فيها (وروعت كل مأمون ومؤتمن * وأسلمت كل منصور ومنتصر) والله أعلم 506 الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي المعروف بالجاحظ

471 البصري العالم المشهور صاحب التصانيف في كل فن له مقالة في أصول الدين وإليه تنتسب الفرقة المعروفة بالجاحظية من المعتزلة وكان تلميذ أبي إسحاق إبراهيم بن سيار البلخي المعروف بالنظام المتكلم المشهور وهو خال يموت بن المزرع الآتي ذكره في حرف الياء إن شاء الله تعالى ومن أحسن تصانيفه وأمتعها كتاب الحيوان فلقد جمع كل غريبة وكذلك كتاب البيان والتبين وهي

كثيرة جدا وكان مع فضـــائله مشـــوه الخلق وإنما قيل له الجاحظ لأن عينيه كانتا جاحظتين والجحوظ النتو وكان يقال له أيضـــا الحدقي لذلك ومن جملة أخباره أنه قال ذكرت للمتوكل لتأديب بعض ولده فلما رآني اســـتبشـــع منظري فأمر لي بعشـــرة آلاف درهم وصـــرفني فخرجت من عنده فلقيت محمد بن إبراهيم وهو يرد الانصـراف إلى مدينة الســـلام فعرض علي الخروج معه والانحدار في حراقته وكنا بســـر من رأى فركبنا في الحراقة فلما انتهينا إلى فم نهر القاطول نصـــب ســـتارة وأمر بالغناء فاندفعت عوادة فغنت (كل يوم قطيعة وعتاب * ينقضـــي دهرا ونحن غضـاب) (ليت شعري أنا خصصت بهذا * دون ذا الخلق أم كذا الأحباب) وســكتت فأمر الطنبورية فغنت (وارحمتا للعاشـــقينا * ما إن أرى لهم معينا) (كم يهجرون ويصرمون * ويقطعون فيصبرونا)

472 قال فقالت لها العوادة فيضعون ماذا قالت هكذا يصـــنعون وضـــربت بيدها إلى الســـتارة فهتكتها وبرزت كأنها فلقة قمر فألقت نفســـها في الماء وعلى رأس محمد غلام يضـاهيها في الجمال وبيده مذبة فأتى الموضع ونظر إليها وهي تمر بين الماء وأنشد (أنت التي غرقتني * بعد القضـــا لو تعلمينا) وألقى نفســـه في أثرها فأدار الملاح الحراقة فإذا بهما معتنقان ثم غاصا فلم يريا فاستعظم محمد ذلك وهاله أمره ثم قال يا عمرو لتحدثني حديثا يسليني عن فعل هذين وإلا الحقتك بهما قال فحضـــرني حديث يزيدبن

عبد الملك وقد قعد للمظالم يوما وعرضـت عليه القصـص فمرت به قصـــة فيها إن رأى أمير المؤمنين أن يخرج إلي جاريته فلانة حتى تغنيني ثلاثة أصــوات فعل فاغتاظ يزيد من ذلك وأمر من يخرج إليه ويأتيه برأسه ثم أتبع الرسول برســول آخر يأمره أن يدخل إليه الرجل فأدخله فلما وقف بين يديه قال له ما الذي حملك على ما صــنعت قال الثقة بحلمك والاتكال على عفوك فأمره بالجلوس حتى لم يبق أحد من بني أمية إلا خرج ثم أمر فأخرجت الجارية ومعها عودها فقال لها الفتى غني (أفاطم مهلا بعض هذا التدلل * وإن كنت قد أزمعت صــرمي فأجملي) فغنته فقال له يزيد قل فقال غني (تألق البرق نجديا فقلت له * يا أيـها البرق إني عنك مشـغول) فغنته فقال له يزيد قل قال تأمر لي برطل شراب فأمر له فما استتم شربه حتى وثب وصعد على أعلى قبة ليزيد فرمى نفســه على دماغه فمات فقال يزيد إنا لله وإنا إليه راجعون أتراه الأحمق الجاهل ظن أني أخرج إليه جاريتي وأردها إلى ملكي يا غلمان خذوا بيدها واحملوها إلى أهله إن كان له أهل وإلا فبيعوها وتصــدقوا بثمنها عنه فانطلقوا بها إلى أهله فلما توسطت الدار نظرت إلى حفيرة في وسط دار يزيد قد أعدت للمطر

473 فجذبت نفســها من أيديهم وأنشــدت (من مات عشـقا فليمت هكذا * لا خير في عشـق بلا موت) وألقت نفســها في الحفيرة على دماغها فماتت فســري عن محمد وأجزل صلتي وقال أبو القاسم السيرافي حضرنا مجلس

الأستاذ أبي الفضل ابن العميد الوزير الآتي ذكره إن شاء الله تعالى فجرى ذكر الجاحظ فغض منه بعض الحاضرين وأزرى به وسكت الوزير عنه فلما خرج الرجل قلت له سكت أيها الأستاذ عن هذا الرجل في قوله مع عادتك في الرد على أمثاله فقال لم أجد في مقابلته أبلغ من تركه على جهله ولو وافقته وبينت له لنظر في كتبه وصار بذلك إنسانا يا أبا القاسم فكتب الجاحظ تعلم العقل أولا والأدب ثانيا ولم أستصلحه لذلك وكان الجاحظ في أواخر عمره قد أصابه الفالج فكان يطلي نصفه الأيمن بالصندل والكافور لشدة حرارته والنصف الأيسر لو قرض بالمقاريض لما أحس به من خدره وشدة برده وكان يقول في مرضه اصطلحت على جسدي الأضداد إن أكلت باردا أخذ برجلي وإن أكلت حارا أخذ برأسي وكان يقول أنا من جانبي الأيسر مفلوج فلو قرض بالمقاريض ما علمت به ومن جانبي الأيمن منقرس فلو مر به الذباب لألمت وبي حصاة لا ينسرح لي البول معها وأشد ما علي ست وتسعون سنة وكان ينشد (أترجو أن تكون وانت شيخ * كما قد كنت أيام الشباب) (لقد كذبتك نفسك ليس ثوب * دريس كالجديد من الثياب) وحكى بعض البرامكة قال كنت تقلدت السند فأقمت بها ما شاء الله ثم اتصل بي أني صرفت عنها وكنت كسبت بها ثلاثين ألف دينار فخشيت أن يفجأني الصارف فيسمع بمكان المال فيطمع فيه فصغته

عشرة آلاف إهليلجة في كل إهليلجة ثلاثة مثاقيل ولم يمكث
الصارف أن أتى فركبت
474 البحر وانحدرت إلى البصرة فخبرت أن
الجاحظ بها وأنه عليل الفالج فأحببت أن أراه قبل وفاته
فسرت إليه فأفضيت إلى باب دار لطيف فقرعته فخرجت
إلي خادم صفراء فقالت من أنت قلت رجل غريب وأحب
أن أسر بالنظر إلى الشيخ فبلغته الخادم ما قلته فسمعته
يقول قولي له وما تصنع بشق مائل ولعاب سائل ولون
حائل فقلت للجارية لا بد من الوصول إليه فلما بلغته قال
هذا رجل قد اجتاز بالبصرة وسمع بعلتي فقال أراه قبل
موته لأقول قد رأيت الجاحظ ثم أذن لي فدخلت فسلمت
عليه ورد ردا جميلا وقال من تكون أعزك الله فانتسبت له
فقال رحم الله أسلافك وآبائك السمحاء الأجواد فلقد كانت
أيامهم رياض الأزمنة ولقد انجبر بهم خلق كثير فسقيا لهم
ورعيا فدعوت له وقلت أنا أسألك أن تنشدني شيئا من
الشعر فأنشدني (لئن قدمت قبلي رجال فطالما * مشيت
على رسلي فكنت المقدما) (ولكن هذا الدهر تأتى
صروفه * فتبرم منقوضا وتنقض مبرما) ثم نهضت فلما
قاربت الدهليز قال يا فتى أرأيت مفلوجا ينفعه الإهليلج
قلت لا قال فإن الإهليلج الذي معك ينفعني فابعث لي منه
فقلت نعم وخرجت متعجبا من وقوعه على خبري مع
كتماني له وبعثت له مائة إهليلجة وقال أبو الحسن
البرمكي أنشدني الجاحظ (وكان لنا أصدقاء مضوا *

تفانوا جميعا فما خلدوا) (تساقوا جميعا كؤوس المنون *
فمات الصـــديق ومات العدو) وكانت وفاة الجاحظ في
المحرم ســنة خمس وخمســين ومائتين بالبصــرة وقد نيف
على تسعين سنة رحمه الله تعالى وبحر بفتح الباء الموحدة
وسكون الحاء المهملة وبعدها راء

475 ومحبوب بفتح الميم وســكون الحاء المهملة
وضــم الباء الموحدة وســكون الواو وبعدها باء موحدة
والجاحظ بفتح الجيم وبعد الألف حاء مهملة مكســورة
وبعدها ظاء معجمة والكناني بكســر الكاف وفتح النون
وبعد الألف نون ثانية والليثي بفتح اللام وســكون الياء
المثناة من تحتها وبعدها ثاء مثلثة هذه النســبة إلى ليث بن
بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة 507 عمرو بن
مسعدة عمرو بن مسعدة بن سعيد بن صول الكاتب وكنيته
أبو الفضــل أحد وزراء المأمون ذكر الخطيب في تاريخ
بغداد أنه ابن عم إبراهيم بن العباس الصولي الشاعر وقد
تقدم ذكره وكان كاتبا بليغا جزل العبارة وجيزها ســديد
المقاصد والمعاني ولما كان الفضل بن سهل أخو الحسن
بن ســهل وزير المأمون لم يكن لأحد معه كلام لاســتيلائه
على المأمون فلما قتل ســلم عليه الوزراء بعد ذلك وهم
أحمد بن أبي خالد الأحول وعمرو بن مسعدة المذكور وأبو
عباد وكان المأمون قد أمره أن يكتب لشــخص كتابا إلى
بعض العمال بالوصــية عليه والاعتناء بأمره فكتب له

كتابي إليك كتاب واثق بمن كتبت إليه معني بمن كتبت له
ولن يضيع بين الثقة والعناية موصله والسلام
476 وقيل إن هذا من كلام الحسن بن وهب والأول
أصح وأشهر وقال عمرو بن مسعدة المذكور كنت أوقع
بين يدي جعفربن يحيى البرمكي فرفع إليه غلمانه ورقة
يستزيدونه في رواتبهم فرمى بها إلي وقال أجب عنها
فكتبت قليل دائم خير من كثير منقطع فضرب بيده على
ظهري وقال أي وزير في جلدك وله كل معنى بديع
وتوفي في سنة سبع عشرة ومائتين بموضع يقال له أذنة
وذكر الجهشياري في كتاب الوزراء أنه توفي في شهر
ربيع الآخر سنة خمس عشرة ومائتين والله أعلم ولما مات
رفعت إلى المأمون رقعة أنه خلف ثمانين ألف ألف درهم
فوقع في ظهرها هذا قليل لمن اتصل بنا وطالت خدمته لنا
فبارك الله لولده فيما خلف وأحسن لهم النظر فيما ترك
وذكر المسعودي في كتاب مروج الذهب أنه لما مات
عرض لماله ولم يعرض لمال وزير غيره رحمه الله تعالى
ومسعدة بفتح الميم وسكون السين المهملة وفتح العين
والدال المهملتين وأذنة بفتح الهمزة والذال المعجمة والنون
وهي بليدة بساحل الشام عند طرسوس بني حصنها سنة
أربع وأربعين ومائة وبعد انتهائي إلى هذا الموضع
ظفرت له برسالة بديعة كتبها إلى بعض الرؤساء وقد
تزوجت أمه فساءه ذلك فلما قرأها ذلك الرئيس تسلى بها
وذهب عنه ما كان يجده فآثرت الإتيان بها لحسنها وهي

الحمد لله الذي كشف عنا ستر الحيرة وهدانا لستر العورة وجدع بما شرع من الحلال أنف الغيرة ومنع من عضل الأمهات كما منع من وأد البنات استنزالا للنفوس الأبية عن الحمية حمية الجاهلية ثم عرض لجزيل الأجر من استسلم لواقع قضائه وعوض جليل الذخر من صبر على نازل بلائه وهناك الذي شرح للتقوى صدرك ووسع في البلوى صبرك وألهمك من التسليم لمشيئته والرضا بقضيته ما وفقك له من قضاء الواجب في أحد أبويك ومن عظم حقه عليك وجعل تعالى جده ما تجرعته من أنف وكظمته من أسف معدودا فيما يعظم به أجرك

477 ويجزل عليه ذخرك وقرن بالحاضر من امتعاضك بفعلها المنتظر من ارتماضك بدفنها فتستوفى بها المصيبة وتستكمل عنها المثوبة فوصل الله لسيدي ما استشعره من الصبر على عرسها ما يستكسبه من الصبر على نفسها وعوضه من أسرة فرشها أعواد نعشها وجعل تعالى جده ما ينعم به عليه بعدها من نعمة معرى من نقمة وما يوليه بعد قبضها من منحة مبرأ من محنة فأحكام الله تعالى جده وتقدست أسماؤه جارية على غير مراد المخلوقين لكنه تعالى يختار لعباده المؤمنين ما هو خير لهم في العاجلة وأبقى لهم في الآجلة اختار الله لك في قبضها إليه وقدومها عليه ما هو أنفع لها وأولى بها وجعل القبر كفؤا لها والسلام وقيل إن هذه الرسالة لأبي الفضل ابن العميد الآتي ذكره إن شاء الله تعالى ولقد أذكرتني هذه

الرسالة بيتين للصاحب بن عباد في شخص زوج أمه وهما (عذلت لتزويجه أمه * فقال فعلت حلالا يجوز) (فقلت صدقت حلالا فعلت * ولكن سمحت بصدع العجوز) وكتب عمرو إلى بعض أصحابه في حق شخص يعز عليه أما بعد فموصل كتابي إليك سالم والسلام أراد قول الشاعر (يديرونني عن سالم وأديرهم * وجلدة بين العين والأنف سالم) أي يحل مني هذا المحل وأنشد محمد بن داود بن الجراح لمحمد البيدق النصيبي في عمرو بن مسعدة وقد اشتكى (قالوا أبو الفضل معتل فقلت لهم * نفسي الفداء له من كل محذور) (يا ليت علته بي ثم ان له * أجر العليل وأني غير مأجور) وكان بين عمرو المذكور وبين إبراهيم بن العباس الصولي المقدم

478 ذكره مودة فحصل لإبراهيم ضائقة بسبب البطالة في بعض الأوقات فبعث له عمرو مالا فكتب إليه إبراهيم (سأشكر عمرا ما تراخت منيتي * أيادي لم تمنن وإن هي جلت) (فتى غير محجوب الغنى عن صديقه * ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت) (رأى خلتي من حيث يخفى مكانها * فكانت قذى عينيه حتى تجلت) وقال أحمد بن يوسف الكاتب المقدم ذكره دخلت على المأمون وهو يمسك كتابا بيده وقد أطال النظر فيه زمانا وأنا ملتفت إليه فقال يا أحمد أراك مفكرا فيما تراه مني قلت نعم وقى الله أمير المؤمنين من المكاره وأعاذه من المخاوف قال فإنه لا مكروه فيه ولكنني قرأت كلاما وجدته نظير ما سمعته من

الرشـــيد يقوله في البلاغة كان يقول البلاغة التباعد عن الإطالة والتقرب من معنى البغية والدلالة بالقليل من اللفظ على المعنى وما كنت أتوهم أن أحدا يقدرعلى المبالغة في هذا المعنى حتى قرأت هذا الكتاب ورمى به إلي وقال هذا كتاب من عمرو بن مســـعدة إليه قال فقرأته فإذا فيه كتابي إلى أمير المؤمنين ومن قبلي من قواده وســـائر أجناده في الانقياد والطاعة على أحســـن ما تكون عليه طاعة جند تـأخرت أرزاقهم وانقيـاد كفـاة تراخـت أعطيـاتهم واختلـت لـذلـك أحوالهم والتـاثـت معـه أمورهم فلمـا قرأتـه قـال إن اســـتحســـاني إياه بعثني على أن أمرت للجند قبله بعطائهم لسـبعة أشـهر وانا على مجازاة الكاتب بما يسـتحقه من حل محله في صناعته

479 508 ابن بانة عمرو بن محمد بن ســليمان بن راشد المعروف بابن بانة مولى يوسف بن عمر الثقفي أحد المغنين المشـــهورين المجيدين في طبقة المتقدمين منهم ذكره أبو الفرج الأصـــبهاني في كتاب الأغاني وقال كان أبوه صـــاحب ديوان ووجها من وجوه الكتاب وكان مغنيا مجيدا وشـاعرا صـالح الشـعر وله كتاب في الأغاني وكان تياها معجبا بنفســـه وهو معدود في ندماء الخلفاء ومغنيهم على ما كان به من الوضـــح وتوفي ســـنة ثمان وســـبعين ومائتين بســـر من رأى رحمه الله تعالى وكان خصـــيصـــا بالمتوكل على الله آنســـا به أخذ الغناء عن إســـحاق بن إبراهيم الموصـــلي وغيره وله صـــنعة في الغناء تدل على

حذقه وكان منزله بغداد ويتردد إلى سر من رأى في الأحيان وبانة بفتح الباء الموحدة وبعد الألف نون مفتوحة ثم هاء ساكنة وهو اسم أمه وهي بانة ابنة روح كاتب سلمة الوصيف وكان ينسب إليها وقد تقدم في ترجمة طاهر بن الحسين ذكر بيتين من شعره يهجوه بهما

480 509 ابن الموصلايا أبو سعد العلاء بن الحسن بن وهب بن الموصلايا الكاتب البغدادي منشىء دار الخلافة الملقب أمين الدولة كان نصرانيا وأسلم على يد الإمام المقتدي بالله وحسن إسلامه وله الرسائل الرائقة والأشعار الجيدة وكل منهما مدون وكان كثير الفضل وخدم بديوان الإنشاء للإمام القائم في سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة وتوفي بعد أن كف بصره في تاسع عشر جمادى الأولى سنة سبع وتسعين وأربعمائة رحمه الله تعالى 140 وتوفي ابن أخته تاج الرؤساء أبو نصر هبة الله بن صاحب الخير الحسن ابن علي الكاتب وكان فاضلا له معرفة بالأدب والبلاغة والخط الحسن وكان ذا رسائل جيدة وهي مدونة أيضا ومشهورة في عشية الإثنين حادي عشر جمادى الأولى سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ببغداد ودفن بباب أبرز وكان مرضه خمسة أيام وعمره سبعون سنة رحمه الله تعالى وكان قد أسلم مع خاله المذكور وكان إسلامهما في سنة أربع وثمانين وأربعمائة والموصلايا بضم الميم وسكون الواو وفتح الصاد المهملة وبعد اللام

ألف يـاء مثنـاة من تحتهـا وبعـدهـا ألف وهو من أســـمـاء النصارى
481 510 ابن الســـوادي أبو الفرج العلاء بن علي بن محمد بن علي بن أحمد بن عبيد الله الواسطي المعروف بابن السوادي الواسطي الكاتب الشاعر كان شاعرا فاضلا ظريفا خليعا مطبوعا من بيت كبير في بلده مشهور بالكتابة والنباهة والتميز وله شـعر حسـن فمنه قوله (أشـكو إليك ومن صـدودك أشـتكي * وأظن من شـغفي بأنك منصـفي) (وأصـد عنك مخافة من إن يرى * منك الصـدود فيشـتفي من يشــتفي) وهو مأخوذ من قول بعضــهم (أخفي هواه عن العذول تجلدا * كي لا يرى جزعي عليه فيشـــتفي) وكنت قد وقفت على هذا البيت قبل وقوفي على بيتي ابن الســـوادي فأعجبني المعنى فنظمته في دوبيت وهو (يا غصن نقا قوامه مياد * أيام رضـاك كلها أعياد) (ما أكتم حزني عندما تهجرني * إلا حذرا أن تشـــمت الحســـاد) وقال عماد الدين الكاتب في كتاب الخريدة أنشدني لنفسه (يمينا بما ضـم المصـلى وما حوت * رحـاب منى إنـي إليك مشـوق) وهي ثلاثة أبيات اقتصــرت منها على هذا لأنه أحسنها وكان أبو القاسم هبة الله بن الفضل المعروف بابن القطان الآتي ذكره في
482 حرف الهاء إن شـاء الله تعالى قد هجا قاضـي القضـــاة الزينبي بقصـــيدته الكافية التي أولها (يا أخي الشرط أملك * لست للثلب أترك) وهي طويلة عدد أبياتها

مائة وثمانية عشـر بيتا وتناقلتها الرواة وسـارت عنه فبلغ ذلك الزينبي المذكور فأحضر ابن الفضل وصفعه وحبسه مدة ثم أفرج عنه فاتفق أن حضـر ابن السـوادي المذكور إلى بغداد من واسـط عقيب هذه الواقعة ومدح الزينبي المذكور بقصيدة فتأخرت عنه الجائزة وتردد إلى مجلسه كثيرا فما أجدى عليه فاجتمع بابن الفضل المذكور وشرح له حاله وقال أنا على عزم الانحدار إلى واسط فإذا وصلت إلى بلدي هجوت الزينبي وكان للزينبي صـاحب يقال له أبو الفتح فكتب إليه ابن الفضـل أبياتا من جملتها (يا أبا الفتح الهجاء إذا * جاش صـدر فهو متسـع) (وقوافي الشـعر واثبة * ولها الشـيطان متبع) (فاحذروا كافات منحدر * ما لكم في صـفعه طمع) فاتصـلت الأبيات بالزينبي فأرسـل لابن السـوادي جائزة وطيب قلبه وكانت ولادة ابن السـوادي بواسـط سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة منتصف شـهر ربيع الآخر ليلة الأربعاء وتوفي سنة ست وخمسين وخمسمائة بواسط والسوادي بفتح السين المهملة والواو وبعد الألف دال مهملة هذه النسبة إلى سواد العراق وإنما قيل له السواد لأن العرب لما رأت خضرة الأشجار قالت ما هذا السواد فبقي الاسم عليه

483 511 القاضـي عياض القاضـي أبو الفضـل عياض بن موسـى بن عياض بن عمرو بن موسـى بن عياض ابن محمد بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي كان إمام وقته في الحديث وعلومه والنحو واللغة وكلام

العرب وأيامهم وأنسابهم وصنف التصانيف المفيدة منها الإكمال في شرح كتاب مسلم كمل به المعلم في شرح مسلم للمازري ومنها مشارق الأنوار وهو كتاب مفيد جدا في تفسير غريب الحديث المختص بالصحاح الثلاثة وهي الموطأ والبخاري ومسلم وشرح حديث أم زرع شرحا مستوفى وله كتاب سماه التنبيهات جمع فيه غرائب وفوائد وبالجملة فكل تواليفه بديعة ذكره أبو القاسم بن بشكوال في كتاب الصلة فقال دخل الأندلس طالبا للعلم فأخذ بقرطبة عن جماعة وجمع من الحديث كثيرا وكان له عناية كبيرة به والاهتمام بجمعه وتقييده وهو من أهل التفنن في العلم والذكاء واليقظة

484 والفهم واستقضى ببلده يعني مدينة سبتة مدة طويلة حمدت سيرته فيها ثم نقل عنها إلى قضاء غرناطة فلم يطل أمده فيها انتهى كلامه وللقاضي عياض شعر حسن فمنه ما رواه عنه ولده أبو عبد الله محمد قاضي دانية قال أنشدني أبي لنفسه في خامات زرع بينها شقائق النعمان هبت عليه ريح (انظر إلى الزرع وخاماته * تحكي وقد ماست أمام الرياح) (كتيبة حمراء مهزومة * شقائق النعمان فيها جراح) الخامة القصبة الرطبة من الزرع وأنشد أيضا لأبيه (الله يعلم أني منذ لم أركم * كطائر خانه ريش الجناحين) (فلو قدرت ركبت البحر نحوكم * لأن بعدكم عني جنى حيني) ورأيت لابن العريف رسالة كتبها إليه فأحببت ذكرها ثم أضربت عنها

لطولها وذكره العماد في الخريدة فقال كبير الشـــان غزير البيان وذكر له البيتين في الزرع الذي بينه شـقائق النعمان ثم قال بعد ذلك وله في لزوم ما لا يلزم (إذا ما نشـــرت بسـاط انبسـاط * فعنه فديتك فاطو المزاحا) (فإن المزاح على ما حكاه * أولو العلم قبلي عن العلم زاحا) ومدحه أبو الحســـن ابن هارون المالقي الفقيه المشـــاور بقوله (ظلموا عياضـــا وهو يحلم عنهم * والظلم بين العالمين قديم) (جعلوا مكان الراء عينا في اســـمه * كي يكتموه فإنه معلوم)

485 (لولا ما ناحت أباطح سبتة * والروض حول فنائها معدوم) وذكره ابن الأبار في تسـمية أصـحاب أبي علي الغساني فقال من أهل سبتة وأصله من بسطة يكنى أبا الفضل أحد الأئمة الحفاظ الفقهاء المحدثين الأدباء وتواليفه وأشـــعاره شـــاهدة بذلك كتب إليه أبو علي في جماعة جلة ولقي أيضـــا آخرين مثلهم وشـــيوخه يقاربون المائة وكان مولد القاضـي عياض بمدينة سبتة في النصـف من شعبان سـنة ست وسـبعين وأربعمائة وتوفي بمراكش يوم الجمعة سـابع جمادى الآخرة وقيل في شـــهر رمضـــان ســنة أربع وأربعين وخمســـمائة رحمه الله تعالى ودفن بباب إيلان داخل المدينة وتولى القضـــاء بغرناطة ســنة اثنتين وثلاثين وخمســـمائة وتوفي ولده المذكور ســـنة خمس وســـبعين وخمسـمائة رحمه الله تعالى وعياض بكسـر العين المهملة وفتح اليـاء المثنـاةمن تحتهـا وبعد الألف ضـــاد معجمـة

واليحصــــبي بفتح الياء المثناة من تحتها وســــكون الحاء المهملة وضـم الصـاد المهملة وفتحها وكسـرها وبعدها باء موحدة هذه النســبة إلى يحصـــب بن مالك قبيلة من حمير وسبتة مدينة مشهورة بالمغرب وكذلك غرناطة بفتح الغين المعجمة وسكون الراء وفتح النون وبعد الألف طاء مهملة ثم هاء وهي بالأندلس

486 512 عيسى بن عمر الثقفي أبو عمرو عيسى بن عمر الثقفي النحوي البصــري قيل كان مولى خالد بن الوليد رضـــي الله عنه ونزل في ثقيف فنســـب إليهم كان صـــاحب تقعير في كلامه واســـتعمال للغريب فيه وفي قراءاته وكانت بينه وبين أبي عمرو بن العلاء صـــحبة ولهما مسائل ومجالس وأخذ القراءة عرضا عن عبد الله بن أبي إســحاق وروى الحروف عن عبد الله بن كثير وابن محيصـن وسـمع الحسـن البصـري وله اختيار في القراءة على قياس العربية وروى القراءات عنه أحمد بن موســـى اللؤلؤي وهارون بن موســى النحوي والأصـمعي والخليل بن أحمد وســهل بن يوســف وعبيد بن عقيل وأخذ ســيبويه عنه النحو وله الكتاب الذي ســماه الجامع في النحو ويقال إن ســيبويه أخذ هذا الكتاب وبسـطه وحشــى عليه من كلام الخليل وغيره ولما كمل بالبحث والتحشـية نسـب إليه وهو كتاب ســيبويه المشــهور والذي يدل على صـحة هذا القول أن سيبويه لما فارق عيسى بن عمر المذكور ولازم الخليل بن أحمد سأله الخليل عن مصنفات عيسـى فقال له سيبويه

صـــنف نيفا وســـبعين مصـــنفا في النحو وإن بعض أهل اليســـار جمعها وأتت عنده عليها آفة فذهبت ولم يبق منها في الوجود سوى كتابين أحدهما اسمه الإكمال وهو بأرض فارس عند فلان والآخر الجامع وهو هذا الكتاب الذي أشتغل فيه وأسألك عن غوامضه فأطرق الخليل ساعة ثم رفع رأســـه وقال رحم الله عيســـى وأنشـــد (ذهب النحو جميعا كله * غير ما أحدث عيسى بن عمر)

487 (ذاك إكمال وهذا جامع * وهما للناس شمس وقمر) فأشار بالإكمال إلى الغائب وبالجامع إلى الحاضر وكان الخليل قد أخذ عنه أيضا ويقال إن أبا الأسود الدؤلي لم يضع في النحو إلا باب الفاعل والمفعول فقط وإن عيسى بن عمر وضـــع كتابا على الأكثر وبوبه وهذبه وســـمى ما شـــذ عن الأكثر لغات وكان يطعن على العرب ويخطىء المشاهير منهم مثل النابغة في بعض أشعاره وغيره وروى الأصـــمعي قال قال عيســـى بن عمر لأبي عمرو ابن العلاء أنا أفصـــح من معد بن عدنان فقال له أبو عمرو لقد تعديت فكيف تنشـــد هذا البيت (قد كن يخبأن الوجوه تســـترا * فاليوم حين بدأن للنظار) أو بدين للنظار فقال عيسى بدأن فقال له أبو عمرو أخطأت يقال بدا يبدو إذا ظهر وبدأ يبدأ إذا شـــرع في الشـــيء والصـــواب حين بدون للنظار وإنما قصـــد أبو عمرو تغليطه لأنه لا يقال في هذا الموضع بدأن ولا بدين بل بدون ومن جملة تقعيره في الكلام ما حكاه الجوهري في كتاب الصحاح قال سقط عيسى بن عمر عن

حمار له فاجتمع عليه الناس فقال ما لكم تكأكأتم علي تكأكؤكم على ذي جنة افرنقعوا عني معناه ما لكم تجمعتم علي تجمعكم على مجنون انكشفوا عني ورأيت في بعض المجاميع أنه كان به ضيق النفس فأدركه يوما وهو في السوق فوقع ودار الناس حوله يقولون مصروع مصروع فبين قارىء ومعوذ من الجان فلما أفاق من غشيته نظر إلى ازدحامهم فقال هذه المقالة فقال بعض الحاضرين إن جنيه يتكلم بالهندية

488 ويروى أن عمر بن هبيرة الفزاري أمير العراقين كان قد ضربه بالسياط وهو يقول والله إن كانت إلا أثيابا في أسيفاط قبضها عشاروك وله من هذا النوع شيء كثير وتوفي سنة تسع وأربعين ومائة رحمه الله تعالى وقيل إن الذي ضربه كان يوسف بن عمر أمير العراقين وسيأتي ذكره في حرف الياء إن شاء الله تعالى وكان سبب ضربه إياه أنه لما تولى العراقين بعد خالد بن عبد الله القسري تتبع أصحابه وكان بعض جلسائه قد أودع عند عيسى بن عمر المذكور وديعة فنمي الخبر إلى يوسف فكتب إلى نائبه بالبصرة يأمره أن يحمل إليه عيسى بن عمر مقيدا فدعا به ودعا حدادا وأمره بتقييده فلما قيده قال له الوالي لا بأس عليك إنما أرادك الأمير لتأديب ولده قال فما بال القيد إذا فبقيت هذه الكلمة مثلا بالبصرة فلما وصل إلى يوسف سأله عن الوديعة فأنكر فأمر بضربه فلما أخذه السوط جزع فقال هذه المقالة المقدم ذكرها 513 الجزولي

أبو موسى عيسى بن عبد العزيز بن يللبخت بن عيسى بن يوماريلي الجزولي اليزدكتني كان إماما في علم النحو كثير الاطلاع على دقائقه وغريبه وشاذه وصنف فيه المقدمة التي سماها القانون ولقد أتى فيها بالعجائب وهي في غاية
489 الإيجاز مع الاشتمال على شيء كثير من النحو ولم يسبق إلى مثلها واعتنى بها جماعة من الفضلاء فشرحوها ومنهم من وضع لها أمثلة ومع هذا كله فلا تفهم حقيقتها وأكثر النحاة ممن لم يكن قد أخذوها عن موقف يعترفون بقصور أفهامهم عن إدراك مراده منها فإنها كلها رموز وإشارات ولقد سمعت من بعض أئمة العربية المشار إليه في وقته وهو يقول أنا ما أعرف هذه المقدمة وما يلزم من كوني ما أعرفها أن لا أعرف النحو وبالجملة فإنه أبدع فيها وسمعت أن له أمالي في النحو ولكنها لم تشتهر ورأيت له مختصر الفسر لابن جني في شرح ديوان المتنبي ويقال إنه كان يدري شيئا من المنطق ودخل إلى الديار المصرية وقرأ على الشيخ أبي محمد بن بري المقدم ذكره وقد نقل عنه شيئا في المقدمة المذكورة وذكر بعض المتأخرين في تصنيفه أنه كان قد قرأ الجمل على ابن بري وسأله عن مسائل على أبواب الكتاب فأجابه ابن بري عنها وجرى فيها بحث بين الطلبة حصلت منه فوائد علقها الجزولي مفردة فجاءت كالمقدمة فيها كلام غامض وعقود لطيفة وإشارات إلى أصول صناعة النحو غريبة فنقلها

الناس عنه واستفادوها منه ثم قال هذا المصنف وبلغني أنه كان إذا سئل عنها هل هي من تصنيفك قال لا لأنه كان متورعا ولما كانت من نتائج خواطر الجماعة عند البحث ومن كلام شيخه ابن بري لم يسعه أن يقول هي من تصنيفي وإن كانت منسوبة إليه لأنه هو الذي انفرد بترتيبها ثم رجع الجزولي إلى بلاد المغرب بعد أن حج وأقام بمدينة بجاية مدة والناس يشتغلون عليه وانتفع به خلق كثير ورأيت جماعة من أصحابه وتوفي سنة عشر وستمائة بمدينة مراكش رحمه الله تعالى هكذا سمعت

490 جماعة يذكرون تاريخ وفاته ثم وقفت على ترجمته وقد رتبها أبو عبد الله ابن الأبار القضاعي فقال في سنة ست أو سبع وستمائة مات الجزولي ويللبخت بفتح الياء المثناة من تحتها واللام وسكون اللام الثانية وفتح الباء الموحدة وسكون الخاء المعجمة وبعدها تاء مثناة من فوقها وهو اسم بربري ويوماريلي بضم الياء المثناة من تحتها وسكون الواو وفتح الميم وبعد الألف راء مكسورة ثم ياء ساكنة مثناة من تحتها وبعدها لام ثم ياء وهو اسم بربري لأيضا والجزولي بضم الجيم والزاي وسكون الواو وبعدها لام هذه النسبة إلى جزولة ويقال لها أيضا كزولة بالكاف وهي بطن من البربر واليزدكتني بفتح الياء المثناة من تحتها وسكون الزاي وفتح الدال المهملة وسكون الكاف وفتح التاء المثناة من فوقها وبعدها نون هذه النسبة إلى فخذ من جزولة ورأيت بخطي في مسوداتي أنه تولى

الخطابة بجامع مراكش وأن قبيلته كزولة من الرحالة يكونون بصحراء بلاد السوس في المغرب الأقصى وكان إماما في القراءات والنحو واللغة وكان يتصدر في الجامع للاقراء وأنه شرح مقدمته في مجلد كبير أتى فيه بغرائب وفوائد وذكر بعض أصحابه أنه حضر عنده ليقرأ عليه قراءة أبي عمرو فقال بعض الحاضرين أتريد أن تقرأ على الشيخ النحو قال فقلت لا قال فسألني آخر كذلك فقلت لا فأنشد الشيخ وقال قل لهم (لست للنحو جئتكم * لا ولا فيه أرغب) (خل زيدا لشأنه * أينما شاء يذهب)
(أنا ما لي ولامرىء * أبد الدهر يضرب)

491 وكانت وفاته بهسكورة من أعمال مراكش والله أعلم 514

الفائز العبيدي أبو القاسم عيسى الملقب الفائز بن الظافر بن الحافظ بن محمد بن المستنصر بن الظاهر بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي عبيد الله وقد تقدم ذكر والده وجماعة من أهل بيته وكيف قتل نصر بن عباس أباه حسبما شرح هناك وهذا نصر بن عباس هو الذي قتل العادل بن السلار وقد رفعت هناك في نسبه فمن أراد معرفته فلينظره هناك ولما كان صبيحة ليلة قتل فيها الظافر حضر عباس إلى القصر على جاري عادته في الخدمة وأظهر عدم الاطلاع على قضيته وطلب الاجتماع به ولم يكن أهل القصر قد علموا بقتله بعد فإنه خرج من عندهم في خفية كما ذكر ثم وما علم أحد بخروجه فدخل الخدم إلى موضعه ليستأذنوا لعباس فلم

يجدوه فدخلوا إلى قاعة الحرم فقيل إنه لم يبت هاهنا
وحاصل الأمر أنهم تطلبوه في جميع مظانه في القصر فلم
يقفوا له على خبر فتحققوا عدمه فأخرج عباس المذكور
أخوي الظافر وهما جبريل ويوسف وهو أبو العاضد
المقدم ذكره في جملة من اسمه عبد الله وقال لهما أنتما
قتلتما إمامنا وما نعرف
492 حاله إلا منكما فأصرا على الإنكار وكانا
صادقين في ذلك فقتلهما في الوقت لينفي عن نفسه وابنه
التهمة ثم استدعى ولده الفائز المذكور وتقدير عمره خمس
سنين وقيل سنتان فحمله على كتفه ووقف في صحن الدار
وأمر أن يدخل الأمراء فدخلوا فقال لهم هذا ولد مولاكم
وقد قتل عماه أباه وقد قتلتهما كما ترون والواجب إخلاص
الطاعة لهذا الطفل فقالوا بأجمعهم سمعنا وأطعنا وصاحوا
صيحة واحدة اضطرب منها الطفل وبال على كتف عباس
وسموه الفائز وسيروه إلى أمه واختل من تلك الصيحة
فصار يصرع في كل وقت ويختلج وخرج عباس إلى الدار
ودبر الأمور وانفرد بالتصرف ولم يبق على يده يد وأما
أهل القصر فإنهم اطلعوا على باطن الأمر وأخذوا في
إعمال الحيلة في قتل عباس وابنه نصر وكاتبوا الصالح بن
رزيك الأرمني المذكور في حرف الطاء وكان إذ ذاك
والي منية بني خصيب بالصعيد وسألوه الانتصار لهم
ولمولاه والخروج على عباس وقطعوا شعورهم وسيروها
طي الكتاب وسودوا الكتاب فلما وقف الصالح عليه أطلع

من حوله الأجناد عليه وتحدث معهم في المعنى فأجابوا إلى الخروج معه واستمال جمعا من العرب وساروا قاصدين القاهرة وقد لبسوا السواد فلما قاربوها خرج إليهم جميع من بها من الأمراء والأجناد والسودان وتركوا عباسا وحده فخرج عباس في ساعته من القاهرة هاربا ومعه شيء من ماله وخرج معه ولده نصر قاتل الظافر وأسامة بن منقذ المذكور في حرف الهمزة فقد قيل إنه الذي أشار عليهما بقتل الظافر وشرح ذلك يطول وقد تقدم في ترجمة العادل بن السلار ذكره أيضا وأنه الذي أشار بقتله والله العالم بالخفيات وكان معهم جماعة يسيرة من أتباعهم وقصدوا طريق الشام على أيلة وذلك في رابع عشر شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين وخمسمائة

493 وأما الصالح بن رزيك فإنه دخل القاهرة بغير قتال وما قدم شيئا على النزول بدار عباس المعروفة بدار المأمون ابن البطحائحي وهي اليوم مدرسة للطائفة الحنفية وتعرف بالسيوفية واستحضر الخادم الصغير الذي كان مع الظافر ساعة قتله وسأله عن الموضع الذي دفن فيه فعرفه به وقلع البلاطة التي كانت عليه وأخرج الظافر ومن معه من المقتولين وحملوا وقطعت لهم الشعور وانتشر البكاء والنياح في البلد ومشى الصالح والخلق قدام الجنازة إلى موضع الدفن وهو في تربة آبائه وهي معروفة في قصرهم وتكفل الصالح بالصغير ودبر أحواله واما عباس ومن معه فإن أخت الظافر كاتبت فرنج عسقلان بسببه وشرطت

لهم مالا جزيلا بسببه إذا أمسكوه فخرجوا عليه وصادفوه
فتواقعوا وقتلوا عباسا وأخذو ماله وولده وانهزم بعض
أصحابه إلى الشام وفيهم ابن منقذ فسلموا وسيرت الفرنج
نصر بن عباس إلى القاهرة تحت الحوطة في قفص حديد
فلما وصل تسلم رسولهم ما شرطوا لهم من المال فأخذوا
نصرا المذكور وضربوه بالسياط ومثلوا به وصلبوه بعد
ذلك على باب زويلة ثم أنزلوه يوم عاشوراء من سنة
إحدى وخمسين وخمسمائة ثم أحرقوه هذه خلاصة الواقعة
وإن كان فيها طول وكان دخول نصر بن عباس إلى
القصر بالقاهرة في السابع والعشرين من شهر ربيع الأول
من سنة خمسين وخمسمائة وأخرج من القصر يوم الإثنين
سادس عشر شهر ربيع الآخر من السنة وكان قد قطعت
يده اليمنى وقرض جسمه بالمقاريض والله أعلم وقيل كان
ذلك يوم الجمعة ثامن الشهر المذكور ولم تطل مدة الفائز
في ولايته وكانت ولادته يوم الجمعة لتسع بقين من المحرم
سنة أربع وأربعين وخمسمائة وتولى في تاريخ وفاة والده
وهو مذكور في
494 ترجمته في حرف الهمزة واسمه إسماعيل
وتوفي ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة
خمس وخمسين وخمسمائة رحمه الله تعالى وتولى بعده
العاضد وقد سبق ذكره وهو آخرهم 515 الملك المعظم
ابن العادل الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك
العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب صاحب دمشق كان

عالي الهمة حازما شجاعا مهيبا فاضلا جامعا شمل أرباب
الفضائل محبا لهم وكان حنفي المذهب متعصبا لمذهبه وله
فيه مشـــاركة حســـنة ولم يكن في بني أيوب حنفي ســـواه
وتبعه أولاده وكان قد حج إلى بيت الله الحرام في ســـنة
إحدى عشـــرة وســـتمائة ســـار من الكرك على الهجن في
حادي عشـــر ذي القعدة في جماعة من خواصـــه وســـلك
طريق العلا وتبوك وفي هذه السنة أخذ المعظم صرخد من
ابن قراجا وأعطاها مملوكه عز الدين أيبك المعروف
بصـــاحب صـــرخد ولم يزل بها إلى أن أخذها منه الملك
الصـــالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل في ســـنة أربع
وأربعين وســـتمائة وحمله إلى القاهرة واعتقله بدار
الطواشي صواب وكان المعظم يحب الأدب كثيرا ومدحه
جماعة من الشعراء المجيدين فأحسنوا في مدحه وكانت له
رغبة في فن الأدب وسمعت أشعارا منسوبة إليه ولم
495 أســتثبتها فلم أثبت شــيئا منها وقيل إنه كان قد
شرط لكل من يحفظ المفصل للزمخشري مائة دينار وخلعة
فحفظه لهذا السبب جماعة ورأيت بعضهم بدمشق والناس
يقولون إن سبب حفظهم له كان هذا وقيل إنه لما توفي كان
قد انتهى بعضهم إلى أواخره وبعضهم في أثنائه وهم على
قدر أوقات شروعهم فيه ولم أسمع بمثل هذه المنقبة لغيره
وكانت مملكته متســـعة من حدود بلد حمص إلى العريش
يدخل في ذلك بلاد الســـاحل الإســـلامية منها وبلاد الغور
وفلسطين والقدس والكرك والشوبك وصرخد وغير ذلك

وكانت ولادته في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة وذكر أبو المظفر يوسف سبط ابن الجوزي في تاريخه مرآة الزمان أن المعظم ولد في سنة ست وسبعين وخمسمائة بالقاهرة وولد أخوه الأشرف موسى قبله بليلة واحدة وتوفي المعظم يوم الجمعة مستهل ذي الحجة سنة أربع وعشرين وستمائة والله أعلم بالصواب وقال غيره بل توفي يوم الجمعة ثامن ساعة من نهار سلخ ذي القعدة سنة أربع وعشرين وستمائة بدمشق ودفن بقلعتها ثم نقل إلى جبل الصالحية ودفن في مدرسة هناك بها قبور جماعة من إخوته وأهل بيته تعرف بالمعظمية وكان نقله ليلة الثلاثاء مستهل المحرم سنة سبع وعشرين وكان كثيرا ما ينشد (ومورد الوجنات أغيد خاله * بالحسن من فرط الملاحة عمه) (كحل الجفون وكان في ألحاظه * كحل فقلت سقى الحسام وسمه) وهذا ينظر إلى قول عبد الجبار بن حمديس الصقلي المقدم ذكره (زادت على كحل الجفون تكحلا * ويسم نصل السيف وهو قتول) رحمه الله تعالى فلقد كان من النجباء الأذكياء أخبرني جماعة عن شرف
496 الدين بن عنين بأمور كانت تجري بينهما تدل على حسن الإدراك وإصابة المقصد منها أنه كان ابن عنين قد مرض فكتب إليه (انظر إلي بعين مولى لم يزل * يولي الندى وتلاف قبل تلافي) (أنا كالذي أحتاج ما تحتاجه * فاغنم ثوابي والثناء الوافي) فجاء بنفسه إليه يعوده ومعه صرة فيها ثلثمائة دينار فقال هذه الصلة وأنا

العائد وهذه لو وقعت لأكابر النحاة ومن هو في ممارسته طول عمره لاستعظم منه لا سيما مثل هذا الملك وأشياء كثيرة غير هذه يطول شرحها وكان المقصود ذكر أنموذج منها ليستدل بها على الباقي 141 وتولى موضعه ولده الملك الناصر صلاح الدين داود وتوفي في السابع والعشرين من جمادى الأولى سنة ست وخمسين وستمائة في قرية يقال لها البويضاء على باب دمشق ودفن عند والده وكانت ولادته يوم السبت سابع عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وستمائة بدمشق 142 وتوفي عز الدين أيبك صاحب صرخد المذكور في أوائل جمادى الأولى من سنة ست وأربعين وستمائة في موضع اعتقاله بالقاهرة ودفن خارج باب النصر في تربة شمس الدولة وحضرت الصلاة عليه ودفنه ثم نقل إلى تربته في مدرسته التي أنشأها ظاهر دمشق على الشرف الأعلى مطلة على الميدان الأخضر الكبير

497 516 الفقيه عيسى الهكاري الفقيه أبو محمد عيسى بن محمد بن عيسى بن محمد بن أحمد بن يوسف بن القاسم ابن عيسى بن محمد بن القاسم بن محمد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه هكذا أملى علي نسبه ولد ولد أخيه ويقال له الهكاري الملقب ضياء الدين كان أحد الأمراء بالدولة الصلاحية كبير القدر وافر الحرمة معولا عليه في الآراء والمشورات وكان في مبدأ أمره يشتغل في الفقه بالمدرسة الزجاجية

بمدينة حلب فاتصل بالأمير أسد الدين شيركوه عم السلطان صلاح الدين المقدم ذكره وصار إمامه يصلي به الفرائض الخمس ولما توجه أسـد الدين إلى الديار المصـرية وتولى الوزارة كما سبق شرحه كان في صحبته ولما توفي أسد الدين اتفق الفقيه عيسـى المذكور والطواشـي بهاء الدين قراقوش الآتي ذكره إن شاء الله تعالى على ترتيب السلطان صـلاح الدين موضـعه في الوزارة ودققا الحيلة في ذلك حتى بلغا المقصـود وشـرح ذلك يطول فلما تولى صـلاح الدين رأى له ذلك واعتمد عليه ولم يكن يخرج عن رأيه وكان كثير الإدلال عليه يخاطبه بما لا يقدر عليه غيره من الكلام وكان واسـطة خير للناس نفع بجاهه خلقا كثيرا ولم يزل على مكـانتـه وتوفر حرمتـه إلى أن توفي في يوم الثلاثاء عند طلوع الشمس التاسع من ذي القعدة سنة خمس وثمانين وخمسـائة بالمخيم بمنزلة الخروبة ثم نقل إلى القدس ودفن بظاهرها رحمه الله تعالى

498 وكان يلبس زي الأجناد ويعتم بعمائم الفقهاء فيجمع بين اللباسـين ورأيت أخاه الأمير مجد الدين أبا حفص عمر أيضـا على هذه الصـفة والخروبة بفتح الخاء المعجمة وتشـديد الراء وضـمها وسـكون الواو وفتح الباء الموحدة وبعدها هاء سـاكنة موضـع بالقرب من عكا 143 وكانت ولادة أخيه مجد الدين عمر في رجب سـنة سـتين وخمسـائة وتوفي في الثالث والعشـرين من ذي الحجة سنة سـت وثلاثين وسـتمائة بالقاهرة ودفن بسـفح المقطم

وحضـــرت الصـــلاة عليه عليه رحمة الله 517 فخرالدين صــاحب تكريت أبو المنصـور عيســى بن مودود بن علي بن عبد الملك بن شعيب الملقب فخر الدين صاحب تكريت هو من أتراك الشــام وكانت فيه فضــائل وله ديوان شــعر حسـن ورسـائل مطبوعة ودوبيت رقيق فمن شـعره قوله (وما ذات طوق في فروع أراكـة * لها رنـة تحت الدجى وصـــدوح) (ترامت بها أيدي النوى وتمكنت * بها فرقة من أهلها ونزوح) (فحلت بزوراء العراق وزغبها * بعسـفان ثاو منهم وطليح) (تحن إليهم كلما ذر شـارق * وتســـجع في جنح الدجى وتنوح) (إذا ذكرتهم هيجت ذا بلابل * وكادت بمكتوم الغرام تبوح) (بأبرح من وجدي لذكراكم متى * تألق برق أو تنســـم ريح) ومن رســـائله على هذا الأسلوب قوله ما شوارد أنعام بسباسب فلوات

499 لم يســمها أخمص دارج ولم يلج فيها جان من مــارج منحتهـا أنفــاس الهجير لوافح زفرات الســـعير فارجحنت من الأين وراهقت مداناة الحين فأتت العمق بعد ثلاث تستبق وقد أدنفها اللغوب وكادت أن تعلق بها شعوب فألفت الماء أزرق سلسـالا يعثر بصـفحاته النسـيم وتعطفه ذوائب التسنيم غير أن لا سبيل لها إلى مقراته ولا وصول إلى موارده ونهلاتـه (ترنو إليـه خوازرا بعيونهـا * إذ حاولت مضـــض الجواد عظيما) (بأشـــد من ظمئي إلى لقياكم * من حيث آنس قلبي التسـليما) فالرغبة والابتهال إلى فــارض الفرض ورب الســـكون والنبض أن يحقق

الأماني ويبدل النائي بالداني إنه سميع الدعاء ومن دوبيتياته (القبض لديك في الهوى والبسط * يا من أملي عذاره المختط) (قالوا رشأ فقلت مه لا تخطوا * من أين لساكن الفيافي قرط) وله في النظم والنثر شيء كثير ولطيف ومولده بمدينة حماة وقتله إخوته سنة أربع وثمانين وخمسمائة بقلعة تكريت رحمه الله تعالى وكان له أخ اسمه الياس وهو الذي سلم تكريت إلى الإمام الناصر في شوال سنة خمس وثمانين وخمسمائة وسيأتي في ترجمة مظفر الدين كوكبوري صاحب إربل أن تكريت كانت لأبيه زين الدين وكان له غلام من أهل حمص اسمه تبر ويقال طبر أيضا بالتاء والطاء فولاه قلعة العمادية وكانت أيضا له ثم نقله إلى قلعة تكريت فلما كبر زين الدين وعزم على الانتقال إلى إربل كما شرحته في ترجمة ولده مظفر الدين سلم البلاد التي كانت له إلى قطب الدين فعصى تبر في تكريت وسير إلى قطب الدين مودود صاحب الموصل يقول له أنت ما تقيم بتكريت ولا بد لك فيها من

500 نائب وأنا ذلك النائب فلم يقدر على مشاقته خوفا أن يسلمها إلى الخليفة فسكت عنه وأقره على حاله ولما امتنع تبر من التسليم كان زين الدين يقول سود الله وجهك يا تبر كما سودت وجهي مع قطب الدين ولم يزل تبر بها إلى أن مات ولم يكن له ولد سوى بنت فتزوجها ابن أخيه وهو عيسى بن مودود صاحب هذه الترجمة

وملك تكريت ثم إنه أحب مطربة فتزوجها وأولدها ولدين شمس الدين وفخر الدين وتوصلت المطربة وزوجت ابنها الشمس بابنة حسن بن قفجاق أمير التركمان وطلبت منه خمسين فارسا تكون عندهم في تكريت لتحفظها فلما علم إخوته بذلك وكانوا اثني عشر رجلا وثبوا على أخيهم عيسى المذكور فقتلوه خنقا وملكوا تكريت ثم وقع بينهم الاختلاف فباعها المقدم منهم للإمام الناصر لدين الله والله أعلم وتكريت بكسر التاء المثناة من فوقها وسكون الكاف وكسر الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وهي بلدة كبيرة لها قلعة حصينة على دجلة فوق بغداد بنحو ثلاثين فرسخا وهي في بر الموصل وسميت تكريت بتكريت بنت وائل أخت بكر بن وائل وبنى قلعتها سابور بن أردشير بن بابك وهو ثاني ملوك الفرس

501   518 الحاجري الإربلي أبو يحيى وأبو الفضل عيسى بن سنجر بن بهرام بن جبريل بن خمارتكين بن طاشتكين الإربلي المعروف بالحاجري الملقب حسام الدين هو جندي ومن اولاد الأجناد وله ديوان شعر تغلب عليه الرقة وفيه معان جيدة وهو مشتمل على الشعر والدوبيت والمواليا وقد أحسن في الكل مع انه قل من يجيد في مجموع هذه الثلاثة بل من غلب عليه واحد منها قصر في الباقي وله أيضا كان وكان واتفقت له فيها مقاصد حسان وكان صاحبي وأنشدني كثيرا من شعره فمن ذلك قوله وهو معنى جيد (ما زال يحلف لي بكل ألية * ألا يزال

مدى الزمان مصـــــاحبي) (لما جفا نزل العذار بخده * فتعجبوا لسواد وجه الكاذب) وأنشدني لنفسه أيضا (لك خال من فوق عرش * شقيق قد استوى) (بعث الصدغ مرسلا * يأمر الناس بالهوى)

502 وأنشدني لنفسه أيضا أبياتا منها في صفة الخال (لم يحو ذاك الخد خالا أسودا * إلا لنبت شقائق النعمان) وله في الخال أيضـــا وهو معنى لطيف (ومهفهف من شـــعره وجبينه * أمســـى الورى في ظلمة وضـــياء) (لا تنكروا الخال الذي في خده * كل الشـقيق بنقطة ســـوداء) ومثل هذا قول ابن وكيع التنيســـي المقدم ذكره واســـمه الحسن (إن الشقيق رأى محاسن وجهه * فأراد أن يحكيه في أحواله) (فأفاد حمرة لونه من خده * وأفاد لون سواده من خاله) وله أيضـا (يقولون لما خط لام عذاره * سلا كل قلب كان منه ســـليما) (لقد كنت أهوى ورد خديه زائرا * فكيف إذا ما الآس جاء مقيما) وأنشـــدني أيضــــا أكثر دوبيتياتـه فمن ذلك قولـه وقـال لي مـا يعجبني فيمـا عملته مثل هذا الدوبيت وهو آخر شـــيء عملته إلى الآن وهو (حيا وسقى الحمى سحاب هامي * ما كان ألذ عامه من عام) (يا علوة ما ذكرت أيامكم * إلا وتظلمت على الأيام) وكان لي أخ يسمى ضـياء الدين عيسـى بينه وبين الحاجري المذكور مودة أكيدة فكتب إليه من الموصـــل في صـدر كتاب وكان الأخ بإربل وذلك في سـنة تسـع عشـرة

وســتمائة (الله يعلم ما أبقى ســوى رمق * مني فراقك يا من قربه الأمل)
503 (فابعث كتابك واســتودعه تعزية * فربما مت شــوقا قبل ما يصــل) ومع شــهرة ديوانه وكثرة وجوده بأيدي الناس لا حاجة إلى الإطالة في إيراد أكثر من هذا وكنت خرجت من إربل في أواخر شهر رمضان سنة ست وعشـرين وستمائة وهو معتقل بقلعتها لأمر يطول شـرحه بعد أن كان قد حبس في قلعة خفتيد كان ثم نقل منها وله في ذلك أشــعار فمن ذلك قوله أبيات أولها (قيد أكابده وسـجن ضـيق * يا رب شـاب من الهموم المفرق) ومنها (يا برق إن جئت الديار بإربل * وعلا عليك من التداني رونق) (بلغ تحية نازح حســراته * أبدا بأذيال الصــبا تتعلق) (قل يا جعلت لك الفداء أسيركم * من كل مشتاق إليكم أشـوق) (والله ما سـرت الصـبا نجدية * إلا وكدت بدمع عيني أشــرق) (كيف الســبيل إلى اللقاء ودونه * شـماء شـاهقة وباب مغلق) وله وهو في السـجن أيضـا (أحبابنا أي داع بالبعاد دعا * وأي خطب دهانا منه تفريق) (لا كان دهر رمانا بالفراق فقد * أضحى له في صميم القلب تمزيق) (كانت تضــيق بي الدنيا بغيبتكم * فكيف ســجن ومن عاداته الضــيق) ثم بلغني بعد ذلك انه خرج من الاعتقال واتصــل بخدمة الملك المعظم مظفر الدين صــاحب إربل رحمه الله تعالى وتقدم عنده وغير لباســه وتزيا بزي الصــوفية فلما توفي مظفر الدين في التاريخ

الآتي ذكره في ترجمته إن شــاء الله تعالى ســافر عن إربل
ثم عاد إليها وقد صارت في مملكة أمير المؤمنين
504 المستنصــر بالله ونائبه بها الأمير شـمس الدين
أبو الفضـــائل باتكين فأقام مديدة وكان وراءه من يقصـــده
فاتفق أن خرج يوما من بيته قبل الظهر فوثب عليه شخص
وضــربه بسـكين فأخرج حشــوته فكتب في تلك الحال إلى
بـاتكين المذكور وهو يكـابد الموت (أشـــكوك يـا ملك
البســيطة حالة * لم تبق رعبا في عضـــوا ســـاكنا) (إن
تستبح إبلي لقيطة معشر * ممن أومل غير جأشك مازنا)
(ومن العجائب كيف يمســـي خائفا * من بات في حرم
الخلافة آمنا) ثم توفي بعد ذلك من يومه في يوم الخميس
ثاني شـــوال اثنتين وثلاثين وســـتمائة ودفن بمقبرة باب
الميدان رحمه الله تعالى وتقدير عمره خمسـون سـنة 144
وباتكين المذكور كان أرمني الجنس وهو مملوك أم الخليفة
الإمام الناصـــر لدين الله ولما أخذ التتر إربل في الدفعة
الأولى في أواخر ســـنة أربع وثلاثين وســـتمائة رجع إلى
بغداد ومات بها يوم الأربعاء الثالث والعشـرين من شـوال
سـنة أربعين وسـتمائة ودفن بالشـونيزيه والحاجري بفتح
الحاء المهملة وبعد الألف جيم مكســـورة وبعدها راء هذه
النســبة إلى حاجر وكانت بليدة بالحجاز ولم يبق اليوم منها
سوى الآثار ولم يكن الحاجري منها بل لكونه استعملها في
شعره كثيرا نسب إليها وهو إربلي الأصل والمولد والمنشأ
ولما غلبت عليه هذه النســبة وعرف بها واشـتهرت بحيث

صـــارت كالعلم عليه عمل في ذلك دوبيت وهو (لو كنت كفيت من هواك البينا * ما بات يحاكي دمع عيني عينا)
505 (لولاك لما ذكرت نجدا بفمي * من أين أنا وحاجر من أينا) وذكر ذلك أيضـــا في أبيات لطيفة أولها (أي طرف أحيور * للغزال الأســـيمر) وآخرها (أيهذا الأريبلي * هام فيك الحويجري) وفي مدينة إربل محلة يقال لها قرية جبريل بالتصـــغير ذكر أبو البركات ابن المســـتوفي في تاريخ إربل أنها منســـوبة إلى جده جبريل المذكور وخمارتكين بضـــم الخاء المعجمة وطاشـــتكين بفتح الطاء المهملة وسكون الشين المثلثة والباقي معروف وخفتيدكان بضم الخاء المعجمة وسكون الفاء وكسر التاء المثناة من فوقها وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة وكاف وبعد الألف نون وهي قلعة حصينة مشهورة في بلد إربل ويقال لها خفتيدكان صـــارم الدين وهي غير خفتيدكان أبي علي
506 519 طويس المغني قال أبو الفرج الأصبهاني في كتاب الأغاني اسـمه عيسـى بن عبد الله وكنيته أبو عبد المنعم وغيرها المخنثون فقالوا عبد النعيم وهو مولى بني مخزوم وطويس لقب عليه وقال ابن قتيبة في كتاب المعارف في فصـل عامربن عبد الله الصـحابي رضـي الله عنه ومن موالي آل كريز طويس مولى أروى بنت كريز وهي أم عثمان بن عفان رضـي الله عنه واسـمه عبد الملك ويكنى أبا عبد النعيم وقال الجوهري في كتاب الصـــحاح

اسـمه طاوس فلما تخنث جعله طويسـا ويسـمى بعبد النعيم وقد وقع هذا الاختلاف في اسمه كما تراه وقيل إن الأصح أنه عيســى لتطابق جماعة من العلماء عليه وكان طويس المـذكور من المبرزين في الغنـاء المجيـدين فيـه وممن تضـرب به الأمثال وإياه عنى الشـاعر بقوله في مدح معبد المغني (تغنى طويس والســريجي بعده * وما قصـــبات الســـبق إلا لمعبد) وقد ذكر في كتاب الأغاني ترجمته وأطال الحديث في أمره وهو الذي يضـــرب به المثل في الشؤم فيقال أشأم من طويس وإنما قيل له ذلك

507 لأنه ولد في اليوم الذي قبض فيه رســـول الله وفطم في اليوم الذي مات فيه أبو بكر الصـديق رضـــي الله عنه وختن في اليوم الذي قتل فيه عمر بن الخطاب رضـــي الله عنه وقيل بلغ الحلم في ذلك اليوم وتزوج في اليوم الذي قتل فيه عثمان بن عفان رضـــي الله عنه وولد له مولود في اليوم الذي قتل فيه علي بن أبي طالب رضـــي الله عنه وقيل بل في يوم مات الحســـن بن علي رضـــي الله عنهما فلذلك تشـــاءموا به وهذا من عجائب الاتفاقات وكان مفرطا في طوله مضـطربا في خلقه أحول العين وكان يسـكن المدينة ثم انتقل عنها إلى السويداء وهي على مرحلتين من المدينة في طريق الشام فلم يزل بها حتى توفي سنة اثنتين وتسعين للهجرة رحمه الله تعالى وســـامحه وهو ابن اثنيتن وثمانين ســـنة وقيل إنـه مـات بـالمدينـة والله أعلم وذكر يـاقوت الحموي في كتابه المشـــترك أن قبر طويس المخنث في

سقيا الجزل وما ذكر أين هي وطويس بضم الطاء المهملة وفتح الواو وســـــكون الياء المثناة من تحتها وبعدها ســــين مهملة وهي تصـــغير طاوس بعد حذف الزيادات هكذا قاله الجوهري في الصـــــحاح وله ذكر في كتاب الأوائل تأليف أبي هلال العسكري
*1*ج 4
@3	520 غازي بن زنكي ســــيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر صـاحب الموصـل وقد تقدم ذكر والده في حرف الزاي وأنه قتل على حصـــــار قلعة جعبر فلما قتل وكان معه ألب أرسلان بن السلطان محمود المعروف بالخفاجي الســـلجوقي المذكور في ترجمة عماد الدين زنكي اجتمع أكابر الدولة وفيهم الوزير جمال الدين محمد الأصـبهاني المعروف بالجواد والقاضـي كمال الدين أبو الفضل محمد بن الشهرزوري وسيأتي ذكرهما إن شاء الله تعالى وقصـــدوا خيمة الب أرســـلان المذكور وقالوا له كان عماد الدين زنكي غلامك ونحن غلمانك والبلاد لك وطمنوا الناس بهذا الكلام ثم أن العســـكر افترق فرقتين فطائفة منهم توجهت صــــحبة نور الدين محمود ابن عماد الدين زنكي الآتي ذكره إن شــــاء الله تعالى إلى الشــــام والطائفة الثانية سارت مع ألب أرسلان وعساكر الموصل وديار ربيعة إلى الموصل فلما انتهوا إلى سنجار تخيل ألب أرسلان منهم الغدر فتركهم وهرب فلحقه بعض

4 العسكر وردوه فلما وصلوا إلى الموصل وصلهم
سيف الدين غازي المذكور وكان مقيما بشهرزور لأنها
كانت إقطاعه من جهة السلطان مسعود السلجوقي الآتي
ذكره إن شاء الله تعالى فلما استقر بالموصل قبض على
ألب أرسلان المذكور وسيره إلى بعض القلاع وملك
الموصل وما كان لأبيه من ديار ربيعة وترتبت أحواله
وأخذ أخوه نور الدين محمود وسيأتي ذكره إن شاء الله
تعالى حلب وما والاها من بلاد الشام ولم تكن دمشق يومئذ
لهم وكان غازي المذكور منطويا على خير وصلاح يحب
العلم وأهله وبنى بالموصل المدرسة المعروفة بالعتيقة ولم
تطل مدته في المملكة حتى توفي في أواخر جمادى الآخرة
سنة أربع وأربعين وخمسمائة وقد قارب في العمر أربعين
سنة ودفن في مدرسته المذكورة رحمه الله تعالى وتولى
بعده أخوه قطب الدين مودود وسيأتي ذكره في حرف الميم
إن شاء الله تعالى 521 الغازي ابن مودود سيف الدين
غازي بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي بن آق
سنقر صاحب الموصل وهو ابن أخي المذكور قبله تقلد
المملكة بعد وفاة أبيه مودود وهو والد سنجر شاه صاحب
جزيرة ابني عمر ولما توفي والده في التاريخ الآتي ذكره
في ترجمته بلغ الخبر نور الدين وهو بتل باشر فسار من
5 ليلته طالبا بلاد الموصل فوصل إلى الرقة في
المحرم سنة ست وستين وخمسمائة وملكها وسار منها إلى
نصيبين فملكها في بقية الشهر وأخذ سنجار في شهر ربيع

الآخر منها ثم قصـــد الموصـــل وقصـــد أن لا يقاتلها فعبر بعسكره من مخاضة بلد وهي بليدة بقرب الموصل وسار حتى خيم قبالة الموصـــل وراســـل ابن أخيه ســـيف الدين المذكور وعرفه صحة قصده فصالحه ودخل الموصل في ثالث عشر جمادى الأولى وأقر صاحبها فيها وزوجه ابنته وأعطى أخاه عماد الدين زنكي المذكور في ترجمة جده عماد الدين زنكي ســنجار وخرج من الموصـــل وعاد إلى الشام ودخل حلب في شعبان من السنة المذكورة فلما مات نور الدين وملك صـــلاح الدين دمشـــق ونزل على حلب يحاصرها سير سيف الدين المذكور جيشا مقدمه أخوه عز الدين مســـعود الآتي ذكره إن شـــاء الله تعالى والتقوا عند قرون حماة وســـيأتي تفصـــيل ذلك هناك فلما انكســـر عز الدين مســـعود تجهز ســـيف الدين بنفســـه وخرج إلى لقائه وتصافا على تل السلطان وهي قرية بين حلب وحماة وذلك في بكرة الخميس عاشـــر شـــوال ســـنة إحدى وســـبعين وخمسمائة قال العماد الأصبهاني في البرق الشامي وابن شداد في سيرة صلاح الدين إنه انكسرت ميسرة صلاح الدين بمظفر الدين ابن زين الدين فإنه كان في ميمنة سيف الدين ثم حمل صلاح الدين بنفسه فانهزم جيش سيف الدين وعاد إلى حلب ثم رحل إلى الموصـــل ومظفر الدين المذكور هو صاحب إربل وترجمته في حرف الكاف وأقام غازي في المملكة عشر سنين وشهورا وأصابه مرض مزمن وتوفي يوم الأحد ثالث صفر سنة ست وسبعين

وخمســـمائة رحمه الله تعالى وتولى بعده أخوه عز الدين مسعود وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى وكان مرضه السل وطال به وعاش مقدار ثلاثين سنة
6 522 الملك الظاهر صـــاحب حلب ابو الفتح وأبو منصور غازي ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الملقب الملك الظاهر غياث الدين صـــاحب حلب كان ملكا مهيبا حازما متيقظا كثير الاطلاع على أحوال رعيته وأخبار الملوك عالي الهمة حسن التدبير والسياسة باسط العدل محبا للعلماء مجيزا للشــعراء أعطاه والده مملكة حلب في سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة بعد أن كانت لعمه الملك العادل فنزل عنها وتعوض غير ها كما قد شـــهر ويحكى عن سرعة إدراكه أشياء حسنة منها أنه جلس يوما لعرض العسكر وديوان الجيش بين يديه فكان كلما حضر واحد من الأجناد ســـأله الديوان عن اســـمه لينزلوه حتى حضر واحد فسألوه فقبل الأرض فلم يفطن أحد من أرباب الديوان لما أراد فعاودوا ســـؤاله فقال الملك الظاهر اســـمه غازي وكان كذلك وتأدب الجندي أن يذكر اســـمه لما كان موافقا لاســـم السـلطان وعرف هو مقصـــوده وله من هذا الجنس شيء كثير لا حاجة إلى التطويل فيه وكانت ولادته بالقاهرة في منتصف رمضان سنة ثمان وستين وخمسمائة وهي السنة الثانية من استقلال أبيه بمملكة الديار المصرية وتوفي بقلعة حلب ليلة

7 العشـــرين من جمادى الآخرة ســـنة ثلاث عشـــرة وســـــتمائة ودفن بالقلعة ثم بنى الطواشــــي شــــهاب الدين طغريل الخادم أتابك ولده الملك العزيز مدرسة تحت القلعة وعمر فيها تربة ونقله إليها رحمه الله تعالى والعجب أنه دخل حلب مالكا لها في الشـهر بعينه واليوم من سنة اثنتين وثمانين وخمســـمائة ورثاه شـــاعره الشـــرف راجح بن إسـماعيل بن أبي القاسـم الأسـدي الحلي وكنيته أبو الوفاء بهذه القصـــيدة ومدح ولديه السـلطان الملك العزيز محمدا وأخاه الملك الصـــالح صـــاحب عين تاب وما أقصـــر فيها وهي (ســـل الخطب إن أصـــغى إلى من يخاطبه * بمن علقت أنيابه ومخالبه) (نشـدتك عاتبه على نائباته * وإن كان نائي الســمع عمن يعاتبه) (لي الله كم أرمي بطرفي ضـلالة * إلى أفق مجد قد تهاوت كواكبه) (فما لي أرى الشـهباء قد حال صـبحها * علي دجى لا تستنير غياهبه) (أحقا حمى الغازي الغياث بن يوســـف * أبيح و عادت خائبات مواكبه) (نعم كورت شـمس المدائح وانطوت * ســماء العلا والنجح ضــاقت مذاهبه) (فمن مخبري عن ذلك الطود هل وهت * قواعده أم لان للخطب جانبه) (أجل ضـــعضـــعت بعد الثبات وزعزعت * بريح المنايا العاصفات مناكبه) (وغيض ذاك البحر من بعد ما طمت * وطمت لغيبان البلاد غواربه) (فشـــلت يمين الخطب أي مهند * برغم العلا سلت وفلت مضاربه) (لئن حبس الغيث الغياثي قطرة * فقد سحبت في كل قطر سحائبه))

فأنى يلذ العيش بعد ابن يوســـف * أخو أمل أكدت عليه مطالبه) (فلا أدركت نيل المنى طالباته * ولا بركت في أرض يمن ركائبه)
8 (ولا أنتجعت إلا معبس حقبة * من الجدب لا تثني عليه حقائبه) (مضـــى من أقام الناس في ظل عدله * وآمن من خطب تدب عقاربه) (فكم من حمى صـــعب أباحت ســـيوفه * ومن مســـتباح قد حمته كتائبه) (أرى اليوم دســـت الملك أصـــبح خاليا * أما فيكم من مخبر أين صـــاحبه) (فمن ســـائلي عن ســـائل الدمع لم جرى * لعل فؤادي بـالوجيب يجـاوبـه) (فكم من نـدوب في قلوب نضـيجة * بنار كروب أججتها نوادبه) (أيســلم لم تحطم صـدور رماحه * بذب ولم تثلم بضـرب قواضـبه) (ولا اصـــطـدمت عند الحتوف كمـاتـه * ولا ازدحمـت بين الصفوف جنائبه) (ولا سيم أخذ الثار يوم كريهة * تشق مثار النقع فيها ســـلاهبه) (فيا ملبســـي ثوبا من الحزن مسبلا * أيحسـن بي أن التسلي سالبه) (خدمتك روض المجد تضفو ضلاله * علي وحوض الجود تصفو مشاربه) (وقد كنت تدنيني وترفع مجلســـي * لمفروض مدح ما تعداك واجبه) (فما بال إذني قد تمادى ولم يكن * إذا جئت يثنيني عن الباب حاجبه) (أرى الشـمس أخفت يوم فقدك نورها * فلا كان يوم كاسف الوجه شاحبه) (فكيف نبا ســـيف اعتزامك أو كبا * جواد من الحزم الذي أنت راكبه) (فمن لليتامى يا غياث يغيثهم * إذا الغيث لم ينقع

صـــدى العام ســـاكبه) (ومن لملوك كنت ظلا عليهم * ظليلا إذا ما الدهر نابت نوائبه) (أيا تاركي ألقى العدو مسالما * متى ساءني بالجد قمت ألاعبه) (سقت قبرك الغر الغوادي وجاده * من الغيث ساريه الملث وساربه)
9 (فإن يك نور من شـهابك قد خبا * فيا طالما جلى دجى الليل ثاقبه) (فقد لاح بالملك العزيز محمد * صباح هدى كنا زمانا نراقبه) (فتى لم يفته من أبيه وجده * إباء وجده غالبا من يغالبه) (ومن كان في المسعى أبوه دليله * تدانى له الشـأو الذي هو طالبه) (وبالصـالح استعلى صـلاح رعية * لها منه رعي ليس يقلع راتبه) (فحسب الورى من أحمد ومحمد * مليكان من عاداهما ذل جانبه) (هما أحرزا علياء غازي بن يوسـف * وما ضـيعا المجد الذي هو كاســـبه) (فأفق الورى لولاهما كان أظلمت * مشـارقه من بعده ومغاربه) (سـيحمي على رغم الليالي حماها * عواي قنا تردي الأســـود ثعالبه) (فكم من ملم جل موقع خطبه * فساءت مباديه وسرت عواقبه) (فيا قمري ســـعد أطلا على الدجى * فولى وما ألوى على الأرض هاربه) (أيمكث في الشـــهباء عبد أبيكما * ومادحه أم تستقل نجائبه) (فإن شئتما بعد الغياث أغثتما * مصـــاب ســـهام فوقتها مصـــائبه) (كأن لم أقف أجلو التهاني أمامه * وتضـــحك في وجه الأماني مواهبه) (فهنيتما ما نلتما وبقيتما * لإعلاء ملك ســـاميات مراتبه)
وهذه القصـيدة مع جودتها فيها مواضـع مأخوذة من مرثية

الفقيه عمارة اليمني للصالح بن رزيك وبعضها مذكور في ترجمة الصـــالح وكأنه قد نســـج على منوالها فإنها على وزنها وإن كان حرف الروي مختلفا فقد اســـتعمل هاء الوصــــل كما اســـتعمله عمارة والظاهر أنه كان قد وقف عليها فقصد مضاهاتها 145 وقام بالأمر ومملكة حلب من بعده ولده الملك العزيز غياث الدين أبو المظفر محمد ابن الملك الظاهر ومولده يوم الخميس خامس ذي الحجة

10 عشــر وســتمائة بقلعة حلب وتوفي يوم الأربعاء رابع شــهر ربيع الأول سـنة أربع وثلاثين وسـتمائة وكنت بحلب في ذلك الوقت ودفن بالقلعة 146 وترتب مكانه ولده الملك الناصــر صــلاح الدين أبو المظفر يوسـف ابن الملك العزيز واتســـعت مملكته فإنه ملك عدة بلاد من الجزيرة الفراتية لما كســـر الخوارزمية وكان مقدم جيشـــه الملك المنصـــور صـــاحب حمص وذلك في أواخر ســـنة إحدى وأربعين أو أوائل ســـنة اثنتين وأربعين ثم ملك دمشـــق والبلاد الشامية يوم الأحد سابع عشر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وســـتمائة ومولده بقلعة حلب في تاســـع عشـــر رمضان سنة سبع وعشرين وستمائة وقصده التتر وملكوا الشام فخرج من دمشق في صفر سنة ثمان وخمسين وقتل في الثالث والعشرين من شوال سنة ثمان وخمسين بالقرب من المراغة من أعمال أذربيجان على ما نقل الناقل والله أعلم وقصـــته مشـــهورة 147 وتوفي عمه الملك الصـــالح صلاح الدين أحمد ابن الملك الظاهر صاحب عين تاب في

شعبان سنة إحدى وخمسين وستمائة وكانت ولادته في صفر سنة ستمائة بحلب ومات بعين تاب رحمهم الله تعالى أجمعين وإنما قدموا العزيز وهو الأصغر على أخيه الصالح لأن أمه صفية خات ونبنت الملك العادل بن أيوب فقدموه في الملك لأجل جده وأخواله أولاد العادل وأما الصالح فإن أمه جارية 148 وتوفي الشرف الحلي المذكور في ليلة السابع والعشرين من شعبان سنة سبع وعشرين وستمائة بدمشق رحمه الله تعالى ودفن بظاهرها في جوار مسجد النارنج شرقي مصلى العيد ومولده في منتصف شهر ربيع الآخر سنة سبعين وخمسمائة بالحلة وهو من مشاهير شعراء عصره

11 523 ذوالرمة أبو الحارث غيلان بن عقبة بن بهيش بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن ساعدة بن كعب بن عوف بن ربيعة بن ملكان بن عدي بن عبد مناة ابن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان الشاعر المشهور المعروف بذي الرمة أحد فحولة الشعراء ويقال إنه كان ينشد شعره في سوق الإبل فجاء الفرزدق فوقف عليه فقال له ذو الرمة كيف ترى ما تسمع يا أبا فراس فقال ما أحسن ما تقول قال فما لي لا أذكر مع الفحول قال قصر بك عن غايتهم بكاؤك في الدمن وصفتك للأبعار والعطن وهو أحد عشاق العرب المشهورين بذلك وصاحبته مية ابنة مقاتل بن طلبة بن قيس بن عاصم المنقري وقيس بن عاصم هو الذي قدم

على رسول الله في وفد بني تميم فأكرمه وقال له أنت سيد أهل الوبر وقال أبو عبيد البكري هي مية بنت عاصـــم بن طلبة بن قيس بن عاصـــم والله أعلم بالصـــواب وكان ذو الرمة كثير التشـــبيب بها في شـــعره وإياهما عني أبو تمام الطائي بقوله في قصـــيدته البائية : (ما ربع مية معمورا يطيف به * غيلان أبهى ربا من ربعها الخرب)

12 وقال ابن قتيبة في كتاب طبقات الشعراء قال أبو ضـــرار الغنوي رأيت مية وإذا معها بنون لها فقلت صـــفها لي قال مسنونة الوجه طويلة الخد شماء الأنف عليها وسم جمال قلت أكانت تنشـــدك شـــيئا مما قال فيها ذو الرمة قال نعم ومكثت مية زمانا تســـمع شـــعرذ ي الرمة ولا تراه فجعلت لله تعالى أن تنحر بدنة يوم تراه فلما رأته رأت رجلا دميما أســـود وكانت من أهل الجمال فقالت واســـوأتاه وابؤســـاه فقال ذو الرمة (على وجه مي مسحة من ملاحة * وتحت الثياب العار لو كان باديا) (ألم تر أن الماء يخبث طعمه * وإن كان لون الماء أبيض صـــافيا) (فواضيعة الشعر الذي لج فانقضى * بمي ولم أملك ضلال فؤاديا) ويروى أن ذا الرمة لم ير مية قط إلا في برقع فأحب أن ينظر إلى وجهها فقال : (جزى الله البراقع من ثياب * عن الفتيان شـــرا ما بقينا) (يوارين الملاح فلا نراها * ويخفين القباح فيزدهينا) فنزعت البرقع عن وجهها وكانت باهرة الحسن فلما رآها مسفرة قال : (على وجه مي مسحة من ملاحة *) البيت المقدم فنزعت ثيابها

وقامت عريانة فقال : (ألم تر أن الماء يخبث طعمه *) البيت المذكور فقالت له أتحب أن تذوق طعمه قال : إي والله فقالت

13 له تذوق الموت قبل أن تذوقه والله أعلم ومن شعره السائر فيها (إذا هبت الأرواح من نحو جانب * به أهل مي هاج قلبي هبوبها) (هوى تذرف العينان منه وإنما * هوى كل نفس حيث كان حبيبها) وكان ذو الرمة يشـــبب بخرقاء أيضـــا وهي من بني البكاء بن عامر بن صعصعة وسبب تشبيبه بها أنه مر في سفر ببعض البوادي فإذا خرقاء خارجة من خباء فنظر إليها فوقعت في قلبه فخرق إدواته ودنا منها يســـتطعم كلامها فقال إني رجل على ظهر ســـفر وقد تخرقت إدواتي فأصـــلحيها لي فقالت والله ما أحســـن العمل وإني لخرقاء والخرقاء التي لا تعمل شـــغلا لكرامتها على أهلها فشـــبب بها ذو الرمة وســـماها خرقاء وإياها عنى بقوله وهو في غاية المبالغة : (وما شنتا خرقاء واهيتا الكلى * سقى بهما ساق ولم يتبللا) (بأضـــيع من عينيك للدمع كلما * تذكرت ربعا أو توهمت منزلا) وقال المفضـــل الضـــبي كنت أنزل على بعض الأعراب إذا حججت فقال لي يوما هل لك أن أريك خرقاء صـــاحبة ذي الرمة فقلت له إن فعلت فقد بررتني فتوجهنا جميعا نريدها فعدل بي عن الطريق بقدر ميل ثم أتينا

14 أبيات شـــعر فاســـتفتح بيتا ففتح له وخرجت علينا إمرأة طويلة حســـانة بها قوة والحســـانة أشـــد حســـنا من

الحسناء فسلمت وجلست وتحدثنا ساعة ثم قالت لي هل حججت قط قلت غير مرة قالت فما منعك من زيارتي أما علمت أني منسك من مناسك الحج قلت وكيف ذلك قالت أما سمعت قول عمك ذي الرمة (تمام الحج ان تقف المطايا * على خرقاء واضعة اللثام) وكان ذو الرمة كثير المديح لبلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وفيه يقول مخاطبا ناقته صيدح و هذا الإسم علم عليها (إذا ابن أبي موسى بلالا بلغته * فقام بفأس بين و صليك جازر) وقد أخذ هذا المعنى من قول الشماخ في عرابة الأوسي رضي الله عنه و هو أيضا يخاطب ناقته من جملة أبيات (إذا بلغتني وحملت رحلي * عرابة فاشرقي بدم الوتين) وجاء بعدهما أبو نواس فكشف عن هذا المعنى وأوضحه بقوله في الأمين محمد بن هارون الرشيد : (وإذا المطي بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الرجال حرام) حتى قال بعض العلماء ولا أستحضر الآن من هو القائل لما وقف على بيت أبي نواس هذا المعنى والله الذي كانت العرب تحوم حوله فتخطئه ولا تصيبه فقال الشماخ كذا وقال ذو الرمة كذا وأنشد بيتيهما المذكورين وما أبانه إلا أبو نواس بهذا البيت وهو في نهاية الحسن والأصل في هذا المعنى

15 قول الأنصارية المأسورة بمكة وكانت قد نجت على ناقة لرسول الله فلما وصلت إليه قالت يارسول الله إني نذرت إن نجوت عليها أن أنحر ها فقال رسول الله

لبئس ما جزَيْتها وتفسـير هذا المعنى إني لسـت أحتاج أن أرحل إلى غيرك فقد كفيتني وأغنيتني إلا أن الشـماخ وعد ناقته بالذبح وذا الرمة دعا عليها أيضـا بالذبح وأبو نواس حرم الركوب على ظهرها وأراحها من الكد في الأسـفار فهو أتم في المقصـود لكونه أحسـن إليها في قبالة إحسـانها إليه حيث أوصـلته إلى الممدوح وكان لذي الرمة إخوة هشـام وأوفى ومسـعود فمات أوفى ثم مات ذو الرمة بعده فقال مسـعود يرثيهما هكذا قال ابن قتيبة وقال في الحماسـة في المراثي خلاف هذا والله أعلم بالصـواب والأبيات التي قالها مسـعود : (تعزيت عن أوفى بغيلان بعده * عزاء وجفن العين ملآن مترع) (ولم ينسـني أوفى المصـيبات بعده * ولكن نكء القرح بالقرح أوجع) وهي من جملة أبيات وهذا مسـعود هو الذي أشـار إليه أبو تمام بقوله : (إن كان مسـعود سقى أطلالهم * سبل الشـؤون فلسـت من مسـعود) قال أبو القاسـم الآمدي صـاحب كتاب الموازنة بين الطائيين في الكلام على هذا البيت هذا مسعود أخو ذي الرمة وكان يلوم أخاه ذا الرمة على بكائه الطلول حتى قال فيه ذو الرمة (عشـية مسـعود يقول وقد جرى * على لحيتي من واكف الدمع قاطر) (أفي الدار تبكي إذ بكيت صبابة * وأنت امرؤ قد حلمتك العشائر)

16 فكأن أبا تمام يقول إن كان مسـعود قد رجع عن ذلك المذهب وصـار يبكي على الطلول فلسـت منه وهذا أبلغ فى التبري منه مما إذا كان هذا شـأنه فصـار كقول

القائل إن كان حاتم قد بخل أو السـموأل قد غدر فلسـت منهما و هذا حاصـل ما قاله الآمدي وإن كان بغير هذه العبارة وأخبار ذي الرمة كثيرة والأختصار أولى وكانت وفاته سنة سبع عشرة ومائة رحمه الله تعالى ولما حضرته الوفاة قال أنا ابن نصف الهرم أنا ابن أربعين سنة وأنشد : (يا قابض الروح عن نفسي إذا احتضرت * وغافر الذنب زحزحني عن النار) وإنما قيل له ذو الرمة بقوله في الوتد : (أشعث باقي رمة التقليد *) والرمة بضم الراء الحبل البالي وبكسـرها العظم البالي وقال أبو عمرو بن العلاء ختم الشـعر بذي الرمة والرجز برؤبة بن العجاج فقيل له إن رؤبة حي فقال نعم ولكن ذهب شعره كما ذهب مطعمه وملبسـه ومنكحه فقيل له فهؤلاء الآخرون فقال مرقعون مهدمون إنما هم كل على غيرهم

17 وقال أبو عمرو قال جرير لو خرس ذو الرمة بعد قوله قصـيدته التي أولها (ما بال عينك منها الماء ينسكب *) كان أشعر الناس وقال أبو عمرو سمعت ذا الرمة يقول إذا نزل بنا نازل قلنا له الحليب أحب إليك أم المخيض فإن قال المخيض قلنا عبد من أنت وإن قال الحليب قلنا ابن من أنت وقال أبو عمرو شـعر ذي الرمة نقط عروس يضمحل عن قليل وأبعار ظباء لها شم في أول رائحة ثم يعود إلى البعر وبالجملة فقد كان من مشـاهير الشعراء في عصره وذوي التقدم في النظم في دهره رحمه الله تعالى وذكر محمد بن جعفر بن سـهل الخرائطي في

كتاب إعتلال القلوب عن محمد ابن ســـلمة الضـــبي قال حججت فلما صــــدرت من الحج تيممت منهلا من المناهل وإذا بيت بناحية من الطريق فأنخت بفنائه فقلت أنزل فقالت ربة البيت نعم فقلت وأدخل قالت أجل فدخلت فإذا جارية أحسن من الشمس فجلست أحدثها وكأن الدر ينثر من فيها فبينا أنا كذلك إذ خرجت عجوز مؤتزرة بعباءة مشـــتملة بأخرى فقالت يا عبد الله ما جلوســـك هاهنا عند هذا الغزال النجدي الذي لا تـأمن حبالـه ولا ترجو نوالـه فقالـت لها الجارية أي جدة دعيه يتعلل كما قال ذو الرمة : (فإن لايكن إلاتعلل ســـاعة * قليلا فإني نافع لي قليلها) قال فأقمت يومي وانصرفت وفي قلبي كجمر الغضا من حبها

18 @18@

19 حرف الفاء

20 @20@

21 "524 فاتك المجنون أبو شـــجاع فاتك الكبير المعروف بالمجنون كان روميا أخذ صـــغيرا هو وأخ له وأخت لهما من بلد الروم من موضـــع قرب حصـن يعرف بذي الكلاع فتعلم الخط بفلسـطين وهو ممن أخذه الإخشـيد من سيده بالرملة كرها بلا ثمن فأعتقه صـاحبه وكان معهم حرا في عدة المماليك وكان كريم النفس بعيد الهمة شـجاعا كثير الإقدام ولـذلـك قيـل لـه """المجنون"" وكـان رفيق الأســـتاذ كافور في خدمة الإخشـــيد فلما مات مخدومهما وتقرر كافور في تربية ابن الإخشيد كما سيأتي في ترجمة

كافور إن شاء الله تعالى أنف فاتك من الإقامة بمصر كيلا يكون كافور أعلى رتبة منه ويحتاج أن يركب في خدمته وكانت الفيوم وأعمالها إقطاعا له فأنتقل إليها واتخذها سكنا له وهي بلاد وبيئة كثيرة الوخم فلم يصح له بها جسم وكان كافور يخافه ويكرمه فزعا منه وفي نفسه منه ما فيها فاستحكمت العلة في جسم فاتك وأحوجته إلى دخول مصر للمعالجة فدخلها وبها أبو الطيب المتنبي ضيفا للأستاذ كافور وكان يسمع بكرم فاتك وكثرة سخائه غير أنه لايقدر على قصد خدمته خوفا من كافور وفاتك يسأل عنه ويراسله بالسلام ثم التقيا في الصحراء مصادفة من غير ميعاد وجرى بينهما مفاوضات فلما رجع فاتك إلى داره حمل لأبي الطيب في ساعته هدية قيمتها ألف دينار ثم اتبعها بهدايا بعدها فاستأذن المتنبي الأستاذ كافورا في مدحه فأذن له فمدحه في التاسع من جمادى الآخرة سنة"

22 وأربعين وثلثمائة بقصيدتة المشهورة التي أولها وهي من غر القصائد : (لاخيل عندك تهديها ولا مال * فليسعد النطق إن لم يسعد الحال) وما أحسن قوله فيها : (كفاتك ودخول الكاف منقصة * كالشمس قلت وما للشمس أمثال) ثم توفي فاتك المذكور ليلة الأحد عشاء لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال سنة خمسين وثلثمائة بمصر فرثاه المتنبي وكان قد خرج من مصر بقصيدته التي أولها : (الحزن يقلق والتجمل يردع * والدمع بينهما عصي طيع) وما أرق قوله فيها : (إني لأجبن من فراق

أحبتي * وتحس نفســـي بالحمام فأشــجع) (ويزيدني غضـب الأعادي قسوة * ويلم بي عتب الصـديق فأجزع) (تصــفو الحياة لجاهل أو غافل * عما مضـــى منها وما يتوقع) (ولمن يغالط في الحقائق نفسـه * ويسومها طلب المحال فتطمع) (أين الذي الهرمان من بنيانه * ما قومه ما يومه ما المصـــرع) (تتخلف الآثار عن أصــحابها * حينا فيدركها الفناء فتتبع) وهي من المراثي الفائقة ثم عمل بعد خروجه من بغداد يذكر مسيره من مصر ويرثي فاتكا المذكور وأنشأها يوم الثلاثاء لتسع خلون من شعبان سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة وأولها : (حتام نحن نساري النجم في الظلم * وما سراه على خف ولا قدم)
23 ومنها في ذكر فاتك : (لافاتك آخر في مصــر نقصــده * ولا له خلف في الناس كلهم) (من لا تشــابهه الأحياء في شـيم * أمســى تشــابهه الأموات في الرمم) (عدمته وكأني سرت أطلبه * فما تزيدني الدنيا على العدم) وله فيه شـــيء آخر رحمه الله تعالى . 525 صــاحب قلائد العقيان أبو نصـر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان بن عبد الله القيســي الإشــبيلي صــاحب كتاب قلائد العقيان له عدة تصــــانيف منها الكتاب المذكور وقد جمع فيه من شــعراء المغرب طائفة كثيرة وتكلم على ترجمة كل واحد منهم بأحسـن عبارة وألطف إشــارة وله أيضـا كتاب مطمح الأنفس ومســـرح التأنس في ملح أهل الأندلس وهو ثلاث نسخ كبرى وصغرى ووسطى وهو كتاب كثير الفائدة لكنه

قليل الوجود في هذه البلاد وكلامه في هذه الكتب يدل على فضله وغزارة مادته وكان كثير الأسفار سريع التنقلات وتوفي قتيلا سنة خمس وثلاثين وخمسمائة بمدينة مراكش في الفندق

24 وقال الحافظ أبو الخطاب ابن دحية في كتابه الذي سماه المطرب من أشعار أهل المغرب إني لقيت جماعة من أصحابه وحدثوني عنه بتصانيفه وعجائبه وكان مخلوع العذار في دنيا لكن كلامه في تواليفه كالسحر الحلال والماء الزلال قتل ذبحا في مسكنه بفندق من حضرة مراكش صدر سنة تسع وعشرين وخمسمائة رحمه الله تعالى وإن الذي أشار بقتله أمير المسلمين أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين هذا كله لفظه والله أعلم بالصواب وأمير المسلمين المذكور هو اخو أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين الذي ألف له أبو نصر المذكور قلائد العقيان وقد ذكره في خطبة الكتاب . 526 الشهاب فتيان الشاغوري الشهاب فتيان بن علي بن فتيان بن ثمال الأسدي الحريمي المعروف بالشاغوري المعلم كان فاضلاوشاعرا ماهرا خدم الملوك ومدحهم وعلم أولادهم وله ديوان شعر فيه مقاطيع حسان وأقام مدة بالزبداني وله فيها أشعار لطيفة فمن ذلك قوله في جنة الزبداني وهي أرض فيحاء جميلة المنظر تتراكم عليها الثلوج في زمن الشتاء وتنبت أنواع الأزهار في زمن الربيع ولقد

25 أحسن فيها كل الإحسان وهي (قد أجمد الخمر كانون بكل قدح * وأخمد الجمر في الكانون حين قدح) (ياجنة الزبداني أنت مسفرة * بحسن وجه إذا وجه الزمان كلح) (فالثلج قطن عليك السحب تندفه * والجو يحلجه والقوس قوس قزح) وله قد دخل إلى حمام ماؤها شديد الحرارة وكان قد شاخ وكبر (أرى ماء حمامكم كالحميم * نكابد منه عناء وبوسا) (وعهدي بكم تسمطون الجداء * فما بالكم تسمطون التيوسا) ثم وجدت في كتاب الخريدة في ترجمة سعد بن إبراهيم الشيباني الاسعردي الملقب بالمجد الكاتب خمسة أبيات قال العماد الأصبهاني صاحب الخريدة أنشدنيها سعد المذكور في ذم حمام ولم يقل إنها لهوالبيت الخامس منها (وقد كان في العرف سمط الجداء * فلم صرتم تسمطون التيوسا) وقال العماد وهو إلى سادس شهر ربيع الآخر سنة سبع وثمانين وخمسمائة مقيم بالعسكر المنصور على عكا قلت فقد استعمله فتيان الشاعر تضمينا فنبهت عليه كيلا يظن أنه لفتيان وكان قد تعلق بخدمة الأمير بدر الدين مودود بن المبارك شحنة دمشق وهو أخو عز الدين فروخ شاه ابن أخي السلطان صلاح الدين لأمه وكان يعلم أولاده الخط فكتب إليه شرف الدين بن عنين (يامن تلقب ظلما بالشهاب وإن * نافى بظلمته في أفقها الشهبا) (لايغررنك من مودود دولته * وإن تمسكت من أسبابها سببا)

26) فلســت تنبح فيها غير واحدة * حتى تلف على خيوشــمك الذنبا) وهذا البيت الأخير من أبيات الحماســة وقد اســـتعمله تضـــمينا وكانت بينهما مكاتبات ومداعبات يطول شرحها ومولده بعد سنة ثلاثين وخمسمائة ببانياس ومن شـــعره (علام تحركي والحظ ســـاكن * وما نـهنهت في طلب ولكن) (أرى نذلا تقدمه المســـاوي * على حر تؤخره المحاســـن) وله ديوان آخر صـــغير جميع ما فيه دوبيت رأيته بدمشـــق ونقلت منه (الورد بوجنتيك زاه زاهر * والســـحر بمقلتيك واف وافر) (والعاشـــق في هواك ســـاه ســـاهر * يرجو ويخاف فهو شـــاك شـــاكر) وتوفي فتيان المذكور ســحر الثاني والعشــرين من المحرم ســـنة خمس عشــرة وســـتمائة ودفن بمقابر باب الصـــغير رحمه الله تعالى والشـــاغوري بفتح الشـــين المعجمة وبعد الألف غين معجمة مضـمومة ثم واو ساكنة بعدها راء هذه النسـبة إلى الشـاغور وهي عمارة بظاهر دمشـق من جملة ضـــواحيها والزبداني بفتح الزاي الباء الموحدة والدال المهملة وبعد الألف نون مكســـورة ثم ياء مثناة من تحتها وهي قرية بين دمشق وبعلبك كثيرة الأشجار والمياه رأيتها مرارا و فهي في غاية الحسن والطيبة

27 527 الفضـــل بن يحيى البرمكي أبو العباس الفضـــل بن يحيى بن خـالد بن برمك البرمكي كـان من أكثرهم كرما مع كرم البرامكة وســـعة جودهم وكان أكرم من أخيه جعفر المقدم ذكره وكان جعفر أبلغ في الرســـائل

والكتابة منه وكان هارون الرشـــيد قد ولاه الوزارة قبل جعفر وأراد أن ينقلها إلى جعفر فقال لأبيهما يحيى يا أبت وكان يدعوه يا أبت إني أريد أن أجعل الخاتم الذي لأخي الفضـل لجعفر وكان يدعو الفضـل يا أخي فإنهما متقاربان في المولد كانت أم الفضـل قد أرضـعت الرشـيد واسـمها زبيدة من مولدات المدينة والخيزران أم الرشـيد أرضـعت الفضـل فكانا أخوين من الرضـاع وفي ذلك قال مروان بن أبي حفصة يمدح الفضل (كفى لك فضلا أن أفضل حرة * غذتك بثدي والخليفة بواحد) (لقد زنت يحيى في المشـــاهد كلها * كما زان يحيى خالدا في المشـــاهد) قال الرشيد ليحيى وقد احتشمت من الكتاب إليه في ذلك فاكفنيه فكتب والده إليه قد أمر أمير المؤمنين بتحويل الخاتم من يمينك إلى شـمالك فكتب إليه الفضـل قد سـمعت مقالة أمير المؤمنين في أخي وأطعت وما

28 انتقلت عني نعمة صـــارت إليه ولا غربت عني رتبة طلعت عليه فقال عفر لله أخي ما أنفس نفســـه وأبين دلائل الفضل عليه وأقوى منة العقل فيه وأوسع في البلاغة ذرعه وكان الرشـيد قد جعل ولده محمدا في حجر الفضـل بن يحيى والمـأمون في حجر جعفر فـاختص كـل واحـد منهما بمن في حجره ثم إن الرشـــيد قلد الفضــــل بعمل خراسـان فتوجه إليها وأقام بها مدة فوصـل كتاب صـاحب البريد بخراســان إلى الرشـــيد ويحيى جالس بين يديه ومضـمون الكتاب أ الفضـل بن يحيى متشـاغل بالصـيد

وإدمان اللذات عن النظر في أمور الرعية فلما قرأه الرشيد رمى به إلى يحيى وقال له يا أبت اقرأ هذا الكتاب واكتب إليه بما يردعه عن هذا فكتب يحيى على ظهر كتاب صاحب البريد حفظك الله يا بني وأمتع بك قد أنتهى إلى أمير المؤمنين مما أنت عليه من التشاغل بالصيد ومداومة اللذات عن النظر في أمور الرعية ما أنكره فعاود ما هو أزين بك فإنه من عاد إلى ما يزينه أو يشينه لم يعرفه أهل دهره إلا به والسلام وكتب في أسفله هذه الأبيات (انصب نهارا في طلاب العلا * واصبر على ما فقد لقاء الحبيب) (حتى إذ الليل أتى مقبلا * واستترت فيه وجوه العيوب) (فكابد الليل بما تشتهي * فإنما الليل نهار الأريب) (كم من فتى تحسبه ناسكا * يستقبل الليل بأمر عجيب) (غطى عليه الليل أستاره * فبات في لهو وعيش خصيب) (ولذة الأحمق مكشوفة * يسعى بها كل عدو رقيب) والرشيد ينظر إلى ما يكتب فلما فرغ قال أبلغت يا أبت فلما ورد

29 الكتاب على الفضل لم يفارق المسجد نهارا إلى أن انصرف من عمله ومن مناقبه أنه لما تولى خراسان دخل إلى بلخ وهو وطنهم وبها النوبهار وهو بيت النار التي كانت المجوس تعبدها وكان جدهم برمك خادم ذلك البيت حسبما هو مشروح في ترجمة جعفر فأراد الفضل هدم ذلك البيت فلم يقدر عليه لإحكام بنائه فهدم منه ناحية وبنى فيها مسجدا وذكر الجهشياري في أخبار الوزراء أن

الرشـــيد ولى جعفر بن يحيى الغرب كله من الأنبار إلى أفريقيه في سـنة سـت وسـبعين ومائة وقلد الفضـل الشـرق كله من شـروان إلى أقصـى بلاد الترك فأقام جعفر بمصـر واسـتخلف على عمله وشـخص الفضـل إلى عمله في سـنة ثمان وسـبعين فلما وصـل إلى خراسـان أزال سـيرة الجور وبنى المساجد والحياض والربط وأحرق دفاتر البقايا وزاد الجند ووصل الزوار والقواد والكتاب في سنة تسع بعشرة آلاف درهم واســتخلف على عمله وشــخص في آخر هذه الســنة إلى العراق فتلقاه الرشــيد وجمع له الناس وأكرمه غاية الإكرام وأمر الشـعراء بمدحه والخطباء بذكر فضـله فكثر المادحون له ومدحه إســحاق بن إبراهيم الموصــلي بأبيات منها : (لوكان بيني وبين الفضـل معرفة * فضـل بن يحيى لأعـداني على الزمن) (هو الفتى المـاجـد الميمون طائره * والمشـــتري الحمد بالغالي من الثمن) وكان أبو الهول الحميري قد هجا الفضـل ثم أتاه راغبا إليه فقال له

30 ويلك بأي وجه تلقاني فقال بالوجه الذي القى به الله عز وجل وذنوبي إليه أكثر من ذنوبي إليك فضـــحك ووصـله ومن كلامه ما سـرور الموعود بالفائدة كسـروري بالإنجاز وقيل له ما أحســن كرمك لولا تيه فيك فقال تعلمت الكرم والتيه من عمارة بن حمزة فقيل له وكيف ذلـك فقـال كـان أبي عـاملا على بعض كور بلاد فـارس فانكســرت عليه جملة مســتكثرة فحمل إلى بغداد وطولب

بالمال فدفع جميع ما يملكه وبقيت عليه ثلاثة آلاف ألف درهم لا يعرف لها وجها والطلب عليه حثيث فبقي حائرا في أمره كانت بينه وبين عمارة بن حمزة منافرة ومواحشة لكنه علم أنه ما يقدر على مساعدته إلا هو فقال لي يوما وأنا صبي امض إلى عمارة وسلم عليه عني وعرفه الضرورة التي قد صرنا إليها واطلب منه هذا المبلغ على سبيل القرض إلى أن يسهل الله تعالى باليسرة فقلت له أنت تعلم ما بينكما وكيف امضي إلى عدوك بهذه الرسالة وأنا اعلم أنه لو قدر على إتلافك لأتلفك فقال لا بد أن تمضي إليه لعل الله يسخره ويوقع في قلبه الرحمة قال الفضل فلم يمكني معاودته وخرجت وأنا أقدم رجلا وأوخر أخرى حتى أتيت داره واستأذنت في الدخول عليه فإذن لي فلما دخلت وجدته في صدر إيوانه متكئا على مفارش وثيرة وقد غلف شعر رأسه ولحيته بالمسك ووجهه إلى الحائط وكان من شدة تيهه لا يقعد إلا كذلك قال الفضل فوقفت أسفل الإيوان وسلمت عليه فلم يرد السلام فسلمت عليه عن أبي وقصصت عليه

31 القصة فسكت ساعة ثم قال حتى ننظر فخرجت من عنده نادما على نقل خطاي إليه موقنا بالحرمان عاتبا على أبي كونه كلفني إذلال نفسي بما لا فائدة فيه وعزمت على أن لا أعود إليه غيظا منه فغبت عنه ساعة ثم جئته وقد سكن ما عندي فلما وصلت إلى الباب وجدت أبغالا محملة فقلت ما هذه فقيل إن عمارة قد سير المال فدخلت

على أبي ولم أخبره بشــــيء مما جرى لي معه كي لا أكدر عليه إحسانه فمكثنا قليلا وعاد أبي إلى الولاية وحصلت له أموال كثيرة فدفع إلي ذلك المبلغ وقال تحمله إليه فجئت به ودخلت عليه فوجدته على الهيئة الأولى فسـلمت عليه فلم يرد فسـلمت عليه عن أبي وشـكرت إحسانه وعرفته بوصـول المال فقال لي بحرد ويحك أقسـطارا كنت لأبيك اخرج عني لا بارك الله فيك وهولك فخرجت ورددت المال إلى أبي وعجبنا من حاله فقال لي يا بني والله ما تسـمح نفسي لك بذلك ولكن خذ ألف ألف درهم واترك لأبيك الفي ألف درهم فتعلمت منه الكرم والتيه وحكى الجهشـياري في أخبار الوزراء هذه الحكاية لكن بين الحكايتين اختلاف قليل وذكر أن جملة المال ألف ألف درهم وكان ذلك في أيام المهدي وكان يحيى قد ضمن فارس فانكسر عليه المال وقال المهدي لمن يطالبه بالمال إن أدى لك المال قبل المغرب من يومنا هذا وإلا فأتني برأسـه وكان المهدي مغضبا عليه والقسطار الصيرفي وعمارة المذكور من أولاد عكرمة مولى ابن عباس وقد تقدم ذكره وكان

32 كاتب أبي جعفر المنصـور ومولاه وكان تائها معجبا كريما بليغا فصـيحا أعور وكان المنصـور وولده المهدي يقدمانه ويحتملان أخلاقه لفضله وبلاغته ووجوب حقه وولي لهما الأعمال الكبار وله رسـائل مجموعة من جملتها رسـالة الخميس التي تقرأ لبني العباس ويحكى أن الفضل دخل عليه حاجبه يوما فقال له إن بالباب رجلا زعم

أن له سـببا يمت به إليك فقال أدخله فأدخله فإذا هو شـاب حسـن الوجه رث الهيئة فسـلم فأومأ إليه بالجلوس فجلس فقال له بعد ساعة ما حاجتك قال أعلمتك بها رثاثة ملبسي قال نعم فما الذي تمت به إلي قال ولادة تقرب من ولادتك وجوار يدنو من جوارك واسم مشتق من اسمك قال الفضل أما الجوار فيمكن وقد يوافق الاسم الاسم ولكن من أعلمك بالولادة قال أخبرتني أمي أنها لما ولدتني قيل لها قد ولد هذه الليلة ليحيى بن خالد غلام وسمي الفضل فسمتني أمي فضيلا إكبارا لاسمك أن تلحقني به وصغرته لقصور قدري عن قدرك فتبسم الفضل وقال له كم أتى عليك من السنين قال خمس وثلاثون سنة قال صدقت هذا المقدار الذي أعد قال فما فعلت أمك قال ماتت قال فما منعك من اللحاق بنا متقدما قال لم أرض نفسي للقائك لأنها كانت في عامية معها حداثة تقعدني عن لقاء الملوك وعلق هذا بقلبي منذ أعوام فشغلت نفسي بما يصلح للقائك حتى رضيت نفسي قال فما تصلح له قال الكبير من الأمر والصغير قال يا غلام أعطه لكل عام مضى من سنه ألف درهم وأعطه

33 عشرة آلاف درهم يجمل بها نفسه إلى وقت إستعماله وأعطاه مركوبا سريا ثم إن الرشيد لما قتل جعفرا على ما تقدم في ترجمته قبض على أبيه يحيى وأخيه الفضل المذكور وكان عنده ثم توجه الرشيد إلى الرقة وهما معه وجميع البرامكة في التوكيل غير يحيى فلما وصلوا إليها وجه الرشيد إلى يحيى أن أقم بالرقة أو

حيث شـــئت فوجه إليه إني أحب أن أكون مع ولدي فوجه إليه أترضـــى بالحبس فذكر أنه يرصـــى به فحبس معهم ووسع عليهم ثم كانوا حينا يوسع عليهم وحينا يضيق عليهم حسبما ينقل إليه عنهم واستصفى أموال البرامكة ويقال إن الرشـــيد ســـير مســـرورا الخادم إلى الســـجن فجاءه فقال للمتوكل بهما أخرج إلي الفضـــل فأخرجه فقال له إن أمير المؤمنين يقول لك إني قد أمرتك أن تصـــدقني عن أموالكم فزعمت أنك قد فعلت وقد صـــح عندي أنك بقيت لك أموالا كثيرة وقد أمرني إن لم تطلعني على المال أن أضـــربك مائتي ســـوط وأرى لك أن لا تؤثر مالك على نفســـك فرفع الفضـــل رأســـه وقال والله ما كذبت فيما أخبرت به ولو خيرت بين الخروج من ملك الدنيا وأن أضـــرب ســـوطا واحدا لاخترت الخروج وأمير المؤمنين يعلم ذلك وأنت تعلم أنا كنا نصون أعراضنا بأموالنا فكيف صرنا نصون أموالنا بأنفسنا فإن كنت قد أمرت بشـــيء فامض له فاخرج مسرور أسواطا كانت معه في منديل وضربه مائتي سوط وتولى ضربه الخدم

34 فضربوه أشد الضرب وهم لا يحسنون الضرب فكادوا أن يتلفوه وتركوه وكان هناك رجل بصـير بالعلاج فطلبوه لمعالجته فلما رآه قال يكون قد ضـــربوه خمســـين ســـوطا فقيل بل مائتي ســـوط فقال ما هذا إلا أثر خمســـين ســـوطا لا غير ولكن يحتاج أن ينام على ظهره على بارية وأدوس صـــدره فجزع الفضـــل من ذلك ثم أجاب إليه فألقاه

على ظهره وداسه ثم أخذ بيده وجذبه عن البارية فتعلق بها من لحم ظهره شيء كثير ثم أقبل يعالجه إلى أن نظر يوما إلى ظهره فخر المعالج ساجدا لله تعالى فقيل له ما بالك فقال قد برىء وقد نبت في ظهره لحم حي ثم قال ألست قلت هذا ضرب خمسين سوطا أما والله لو ضرب ألف سوط ما كان أثرها بأشد من هذا الأثر وإنما قلت ذلك حتى تقوى نفسه فيعينني على علاجه ثم إن الفضل اقترض من بعض أصحابه عشرة آلاف درهم وسيرها له فردها عليه فاعتقد أنه قد أسقلها فاقترض عليها عشرة الآف أخرى وسيرها فأبى أن يقبلها وقال ما كنت لآخذ على معالجة فتى من الكرام كراء والله لو كانت عشرين ألف دينار ما قبلتها فلما بلغ ذلك الفضل قال والله إن الذي فعله هذا أبلغ من الذي فعلناه في جميع أيامنا من المكارم وكان قد بلغه أن ذلك المعالج كان في شدة وضائقة وكان الفضل ينشد وهو في السجن هذه الأبيات وأظنها لأبي العتاهية ثم وجدتها لصالح بن عبد القدوس من جملة أبيات قالها وهو محبوس وقيل إنها لعلي بن الخليل وكان هو وصالح المذكور يتهمان بالزندقة فحبسهما الخليفة المهدي بن المنصور فقال هذه الأبيات :

35 (إلى الله فيما نالنا نرفع الشكوى * ففي يده كشف المضرة والبلوى) (خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها * فلا نحن في الأموات فيها ولا الأحيا) (إذا جاءنا السجان يوما لحاجة * عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا)

وقد مدح البرامكة جميع شــعراء عصـــرهم فمن ذلك قول مروان بن أبي حفصــة وقيل إنها لأبي الحجناء في الفضـل المذكور (عند الملوك منافع ومضـــرة * وأرى البرامك لاتضــر وتنفع) (إن كان شــر كان غيرهم له * والخير منســوب إليهم أجمع) (وإذا جهلت من امرىء أعراقه * وقديمه فانظر إلى ما يصنع) (إن العروق إذا إستسر بها الندى * أشب النبات بها وطاب المزرع) وغضب الرشيد على العتابي الشـاعر فشفع له الفضـل فرضـي عنه فقال (ما زلت في غمرات الموت مطرحا * يضـيق عني وسـيع الرأى والحيل) (فلم تزل دائما تسـعى بلطفك لـي * حتى إختلست حياتي من يدي أجلي) ومدحه أبو نواس بقصائد قال في بعضـها : (سـأشكو إلى الفضـل بن يحيى بن خالد * هواك لعل الفضـل يجمع بيننا) فقيل له قد أسأت المقال في المخاطبة بهذا القول فقال أردت جمع تفضـــل لا جمع توصـل وتبعه المتنبي بقوله (عل الأمير يرى ذلي فيشـفع لي * إلى التي صــــيرتني في الهوى مثلا) وعمـل فيـه بعض الشــعراء بيتا واحدا وهو (ما لقينا من جود فضــل بن يحيى * ترك الناس كلهم شعراء)
36 فاســتحســنوا منه ذلك وعابوا عليه كونه مفردا فقال أبو العذافر ورد ابن ســعد العمى (علم المفحمين أن ينظموا الأشعار * منا والباخلين السخاء) فاستحسنوا منه ذلك وكان الفضـــل كثير البر بأبيه وكان أبوه يتأذى من إستعمال الماء البارد في زمن الشتاء فيحكى أنهما لما كانا

في السجن لم يقدرا على تسخين الماء فكان الفضل يأخذ الإبريق النحاس وفيه الماء فيلصقه إلى بطنه زمانا عساه تنكسر برودته بحرارة بطنه حتى يستعمله أبوه بعد ذلك وأخباره كثيرة وكانت ولادته لسبع بقين من ذي الحجة سنة سبع وأربعين ومائة وذكر الطبري في تاريخه في أول خلافة هارون الرشيد أن مولد الفضل بن يحيى سنة ثمان وأربعين والله أعلم وتوفي بالسجن سنة ثلاث وتسعين ومائة في المحرم غداة جمعة بالرقة وقيل إنه توفي في شهر رمضان سنة اثنتين وتسعين ومائة رحمه الله تعالى ولما بلغ الرشيد موته قال أمري قريب من أمره وكذا كان فإنه توفي بطوس سنة ثلاث وتسعين ومائة ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة وقيل النصف منه وقيل ليلة الخميس النصف من جمادى الأولى وقال ابن اللبان الفرضي في شهر ربيع الآخر مع إتفاقهم على السنة وقد تقدم أنه كان قرينه في الولادة أيضا وترتب في الخلافة ولده الأمين محمد والمأمون صاحب خراسان

37 528 الفضل بن الربيع أبو العباس الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة واسمه كيسان مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه وقد تقدم ذكر أبيه في حرف الراء وشيء من أخباره مع المنصور أبي جعفر فلما آل الأمر إلى الرشيد واستوزر البرامكة كان الفضل بن الربيع يروم التشبه بهم ومعارضتهم ولم يكن له من القدرة ما يدرك به اللحاق بهم فكان في نفسه منهم إحن

وِشــــحناء قال عبيد الله بن ســـــليمان بن وهب إذا أراد الله تعالى هلاك قوم وزوال نعمتهم جعل لذلك أســــبابا فمن أسـباب زوال أمر البرامكة تقصـيرهم بالفضـل بن الربيع وسعي الفضل بهم وتمكنه من المجالسة مع الرشيد فأوغر قلبه عليهم ومالأه على ذلك كاتبهم إســـماعيل بن صـــــبيح حتى كان ما كان ويحكى أن الفضـــــل المذكور دخل يوما على يحيى بن خالد البرمكي وقد جلس لقضــــاء حوائج الناس وبين يديه ولده جعفر يوقع في القصـــــص فعرض الفضـل عليه عشــر رقاع للناس فتعلل يحيى في كل رقعة بعلة ولم يوقع في شيء منها

38 ألبته فجمع الفضـــل الرقاع وقال ارجعن خائبات خاسئات ثم خرج وهو يقول (عسى وعسى يثني الزمان عنانه * بتصريف حال والزمان عثور) (فتقضى لبانات وتشفى حسائف * وتحدث من بعد الأمور أمور) فسمعه يحيى وهو ينشد ذلك فقال له عزمت عليك يا أبا العباس إلا رجعت فرجع فوقع له في جميع الرقاع ثم ما كان إلا القليل حتى نكبوا على يده وتولى بعدهم وزارة الرشـــيد وفي ذلك يقول أبو نواس وقيل أبو حزرة (ما رعى الدهر آل برمك لما * أن رمى ملكهم بأمر فظيع) (إن دهرا لم عهدا ليحيى * غير راع ذمام آل الربيع) وتنازع يوما جعفر بن يحيى والفضـل بن الربيع بحضـرة الرشـيد فقال جعفر للفضـل يا لقيط إشـارة إلى ما كان يقال عن أبيه الربيع إنه لا يعرف نســـبه وأبوه حســـبما ذكرناه في ترجمته فقال

الفضل اشهد يا أمير المؤمنين فقال جعفر للرشيد تراه عند من يقيمك هذا الجاهل شاهدا يا أمير المؤمنين وأنت حاكم الحكام ومات الرشيد والفضل مستمر على وزارته وكان في صحبة الرشيد فقرر الأمور للأمين محمد بن الرشيد ولم يعرج على المأمون وهو بخراسان ولا التفت إليه فعزم المأمون على إرسال طائفة من عسكره لأن يعترضوه في طريقه لما أنفصل عن موضع وفاة الرشيد وهو طوس حسبما ذكرته في ترجمة الفضل ابن يحيى البرمكي فأشار عليه وزيره الفضل بن سهل أن لايتعرض له وخاف عاقبته

39 ثم إن الفضل بن الربيع خاف من المأمون إن انتهت الخلافة إليه فزين للأمين أن يخلع المأمون من ولاية العهد ويجعل ولي عهده موسى بن الأمين وحصلت الوحشة بين الأخوين إلى أن سير المأمون جيشا من خراسان مقدمه طاهر بن الحسين المقدم ذكره بإشارة وزيره الفضل بن سهل وأخرج الأمين من بغداد جيشا بإشار وزيره الفضل بن الربيع المذكور مقدمه علي بن عيسى ابن ماهان فالتقيا وقتل علي بن عيسى وذلك في سنة أربع وتسعين ومائة ثم اضطربت أحوال الأمين وقويت شوكة المأمون فلما رأى الفضل ابن الربيع الأمور مختلة استتر في رجب سنة ست وتسعين ومائة ثم ظهر لما إدعى إبراهيم بن المهدي الخلافة ببغداد كما ذكرته في ترجمته واتصل به ابن الربيع فلما إختل حال إبراهيم

استتر ابن الربيع ثانيا وشرح ذلك يطول وخلاصته أن طاهر بن الحسين سأل المأمون الرضا عنه فأدخله عليه وقيل غير ذلك إلا أنه لم يزل بطالا إلى أن مات ولم يكن له في دولة المأمون حظ والله أعلم وكتب إليه أبو نواس يعزيه في الرشيد ويهنئه بولاية ولده الأمين : (تعز أبا العباس عن خير هالك * بأكرم حي كان أو هو كائن) (حوادث أيام تدور صروفها * لهن مساو مرة ومحاسن) (وفى الحي بالميت الذي غيب الثرى * فلا أنت مغبون ولا الموت غابن) وفيه أيضا قال أبو نواس من جملة أبيات : (وليس لله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد)

40 قال أبو بكر الصولي ولقد أخذ أحمد بن يوسف الكاتب هذا المعنى وزاد عليه وكتبه إلى بعض إخوانه وقد ماتت له ببغاء وله أخ كثير التخلف يسمى عبد الحميد (أنت تبقى ونحن طرا فداكا * أحسن الله ذو الجلال عزاكا) (فلقد جل خطب دهر أتاكا * بمقادير أتلفت ببغاكا) (عجبا للمنون كيف أتتها * وتخطت عبد الحميد أخاكا) (كان عبد الحميد أصلح للموت * من الببغا وأولى بذاكا) (شملتنا المصيبتان جميعا * فقدنا هذه ورؤية ذاكا) وقد تقدم في ترجمة ابن الرومي ذكر المقطوعين المقولين في الوزير أبي القاسم عبيد الله وولديه الحي والميت وذلك المعنى مأخوذ من هذه الأبيات وأبو نواس هو الذي فتح لهم الباب ومنه أخذ الباقون وإن كان بينهم مغايرة ما لكن

المادة واحدة وكانت وفاة الفضل بن الربيع في ذي القعدة سنة ثمان ومائتين وسنه ثمان وستون سنة وقيل في شهر ربيع الآخر رحمه الله تعالى وفيه يقول أبو نواس أبياته الدالية التي فيها والخير عاده

41 529 الفضل بن سهل أبو العباس الفضل بن سهل السرخسي أخو الحسن بن سهل وقد تقدم ذكره في حرف الحاء أسلم على يد المأمون في سنة تسعين ومائة وقيل إن أباه سهلا أسلم على يد المهدي والله أعلم فوزر للمأمون واستولى عليه عليه حتى ضايقه في جارية أراد شراءها ولما عزم جعفر البرمكي على إستخدام الفضل للمأمون وصفه يحيى بحضرة الرشيد فقال له الرشيد أوصله إلي فلما وصل إليه أدركته حيرة فسكت فنظر الرشيد إلى يحيى نظر منكر لإختياره فقال ابن سهل ياأمير المؤمنين إن من أعدل الشواهد على فراهة المملوك أن يملك قلبه هيبة سيده فقال الرشيد لئن كنت سكت لتصوغ هذا الكلام فقد أحسنت وإن كان بديهة إنه لأحسن وأحسن ثم لم يسأله بعد ذلك عن شيء إلا أجابه بما يصدق وصف يحيى له وكانت فيه فضائل وكان يلقب بذي الرياستين لأنه تقلد الوزارة والسيف وكان يتشيع وكان من أخبر الناس بعلم النجامة وأكثرهم إصابة في أحكامه حكى أبو الحسين علي بن أحمد السلامي في تاريخ ولاة خراسان أن طاهر بن الحسين المقدم ذكره لما عزم المأمون على إرساله إلى محاربة أخيه محمد الأمين نظر الفضل بن

سـهل في مسـألته فوجد الدليل في وسـط السـماء وكان ذا يمينين فأخبر المأمون بأن طاهرا يظفر بالأمين ويلقب بذي اليمينين

42 "فتعجب المأمون من إصابة الفضل ولقب طاهرا بذلك وولع بالنظر في علم النجوم وقال السـلامي أيضـا ومما أصـاب الفضـل بن سـهل فيه من أحكام النجوم أنه اختار لطاهر بن الحسـين حين سـمي للخروج إلى الأمين وقتا فعقد فيه لواءه وسلمه إليه ثم قال له قد عقدت لك لواء لا يحل خمسـا وسـتين سـنة فكان بين خروج طاهر بن الحسـين إلى وجه علي بن عيسـى بن ماهان مقدم جيش الأمين وقبض يعقوب بن الليث الصـفار على محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر ابن الحسـين بنيسـابور خمس وسـتون سـنة وكان قبض يعقوب بن الليث على محمد المذكور يوم الأحد لليلتين خلتا من شـوال سـنة تسـع وخمسـين ومائتين ومن إصـاباته أيضـا ما حكم به على نفسـه وذلك ان المأمون طالب والدة الفضـل بما خلفه فحملت إليه سـلة مختومة مقفلة ففتح قفلها فإذا صـندوق صـغير مختوم وإذا فيه درج وفي الدرج رقعة من حرير مكتوب فيها بخطه ""بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما قضى الفضل بن سهل على نفسه قضى أنه يعيش ثمانيا وأربعين سنة ثم يقتل ما بين ماء ونار فعاش هذه المدة ثم قتله غالب خال المأمون في حمام بسـرخس كما سـيأتي إن شـاء الله تعالى وله غير ذلك إصـابات كثيرة ويحكى أنه قال يوما

لثمامة بن الأشرس ماأدري ما أصنع بطلاب الحاجات فقد كثروا علي وأضجروني فقال له زل عن موضعك وعلي أن لا يلقاك أحد منهم فقال صدقت وأنتصب لقضاء أشغالهم وكان قد مرض بخراسان وأشفى على التلف فلما أصاب العافية جلس للناس فدخلوا عليه وهنوه بالسلامة وتصرفوا في الكلام فلما فرغوا من كلامهم أقبل على الناس وقال إن في العلل لنعما لا ينبغي للعقلاء أن"

43 يجهلوها تمحيض الذنوب والتعرض لثواب الصبر والإيقاظ من الغفلة والإذكار بالنعمة في حال الصحة واستدعاء التوبة والحض على الصدقة وقد مدحه جماعة من أعيان الشعراء وفيه يقول إبراهيم بن العباس الصولي قد سبق ذكره (لفضل بن سهل يد * تقاصر عنها المثل) (فنائلها للغنى * وسطوتها للأجل) (وباطنها للندى * وظاهر ها للقبل) ومن هاهنا أخذ ابن الرومي قوله في الوزير القاسم بن عبيد الله في جملة أبيات (أصبحت بين خصاصة وتجمل * والحر بينهما يموت هزيلا) (فامدد إلي يدا تعود بطنها * بذل النوال وظهر ها التقبيلا) وفيه يقول أبو محمد عبد الله بن محمد وقيل ابن أيوب التميمي (لعمرك ما الأشراف في كل بلدة * وإن عظموا للفضل إلا صنائع) (ترى عظماء الناس للفضل خشعا * وإذا ما بدا والفضل لله خاشع) (تواضع لما زاده الله رفعة * وكل جليل عنده متواضع) وقال فيه مسلم بن الوليد الأنصاري المعروف بصريع الغواني من جملة

قصـيدة (أقمت خلافة وأزلت أخرى * جليل ما أقمت وما أزلتا) وحكى الجهشياري أن الفضل بن سهل أصيب بابن له يقال له العباس فجزع
44 عليه جزعا شديدا فدخل عليه إبراهيم بن موسى بن جعفر العلوي وأنشده (خير من العباس أجرك بعده * والله خير منك للعباس) فقال صدقت ووصله وتعزى له ولما ثقل أمره على المأمون دس عليه خاله غالبا المسعودي الأسود فدخل عليه الحمام بسرخس ومعه جماعة وقتلوه مغافصة وذلك يوم الخميس ثاني شعبان سنة إثنان ومئتين وقيل ثلاث ومائتين وعمره ثمان وأربعون سنة وقيل إحدى وأربعون سنة وخمسة أشهر والله أعلم وذكر الطبري في تاريخه أنه كان عمره ستين سنة وقيل سنة إثنتين ومائتين يوم الجمعة لليلتين خلتا من شعبان قلت وهو الصحيح ورثاه مسلم بن الوليد ودعبل وإبراهيم بن العباس رحمه الله تعالى ومات والده سهل في سنة إثنتين أيضا بعد قتل ابنه بقليل وعاشت أمه وأم أخيه الحسن حتى أدركت عرس بوران على المأمون ولمل قتل مضى المأمون إلى والدته ليعزيها فقال لها لا تأسي عليه ولا تحزني لفقده فإن الله قد أخلف عليك مني ولدا ويقوم مقامه فمهما كنت تنبسطي إليه فيه فلا تنقبضي عني منه فبكت ثم قالت يا أمير المؤمنين وكيف لاأحزن على ولد أكسبني ولدا مثلك والسرخسي بفتح السين المهملة والراء

وسكون الخاء المعجمة وبعدها سين مهملة هذه النسبة إلى سرخس وهي مدينة بخراسان

45 530 الفضل بن مروان أبو العباس الفضل بن مروان بن ماسرخس وزير المعتصم وهو الذي أخذ له البيعة ببغداد وكان المعتصم يومئذ ببلاد الروم فإنه توجه إليها صحبة أخيه المأمون فاتفق موت المأمون هناك وتولى المعتصم بعده واعتد له المعتصم بها يدا عنده] وفوض إليه الوزارة يوم دخوله بغداد وهو يوم السبت مستهل شهر رمضان سنة ثمان عشرة ومائتين وخلع عليه ورد أموره كلها إليه فغلب عليه بطول خدمته وتربيته إياه واستقل بالأمور وكذلك كان في أواخر ولاية المأمون فإنه غلب عليه كثيرا وكان نصراني الأصل قليل المعرفة بالعلم حسن المعرفة بخدمة الخلفاء وله ديوان رسائل وكتاب المشاهدات والأخبار التي شاهدها ومن كلامه مثل الكاتب كالدولاب إذا تعطل انكسر وكان قد جلس يوما لقضاء أشغال الناس ورفعت إليه قصص العامة فرأى في جملتها رقعة مكتوبا فيها (تفرعنت يا فضل بن مروان فاعتبر * فقبلك كان الفضل والفضل والفضل) (ثلاثة أملاك مضوا لسبيلهم * أبادتهم الأقياد والحبس والقتل) (وإنك قد أصبحت في الناس ظالما * ستودي كما أودى الثلاثة من قبل) أراد الفضول الثلاثة الذين تقدم ذكرهم وهم الفضل بن يحيى البرمكي

46 والفضل بن الربيع والفضل بن سهل وذكر المرزباني في معجم الشعراء هذه الأبيات للهيثم بن فراس السامي من بني سامة بن لؤي وكذا ذكرها الزمخشري في كتاب ربيع الأبرار ومثل هذه القضية ما جرى لأسد بن زريق الكاتب فإنه جاء إلى باب أبي عبد الله الكوفي لما قلد مكان أبي جعفر بن شيرزاد وأنتقل إلى داره وجلس في دسته فمنعه البواب من الدخول إليه فرجع إلى داره وكتب إليه (إنا رأينا حجابا منك قد عرضا * فلا يكن ذلنا فيه لك الغرضا) (اسمع مقالي ولا تغضب علي فما * أبغي بذلك لا مالا ولا عرضا) (الشكر يبقى ويفنى ما سواه وكم * سواك قد نال ملكا فانقضى ومضى) (في هذه الدار في هذا الرواق على * هذا السرير رأيت العز وانقرضا) فلما وقف أبو عبد الله على هذه الأبيات إستدعاه واعتذر إليه وقضى حاجته وقد سبق نظير هذا في ترجمة عبد الملك بن عمير وما جرى له مع عبد الملك ابن مروان الأموي لما حضر بين يديه رأس مصعب بن الزبير فلينظر هناك ثم إن المعتصم تغير على الفضل بن مروان وقبض عليه في رجب سنة إحدى وعشرين ومائتين ولما قبض عليه قال عصى الله في طاعتي فسلطني عليه ثم خدم بعد ذلك جماعة من الخلفاء ثم توفي في شهر ربيع الآخر سنة خمسين ومائتين وعمره ثمانون سنة رحمه الله تعالى وقال في كتاب الفهرست عاش ثلاثا

وتســعين ســنة والله أعلم بالصــواب وقال الطبري كانت نكبته في صفر من السنة المذكورة وقال الصولي
47 أخذ المعتصــم من داره لما نكبه ألف ألف دينار وأخذ أثاثا وآنية بألف ألف دينار وحبسـه خمسـة أشــهر ثم أطلقه وألزمه بيته واستوزر أحمد بن عمار ومن كلامه لا تتعرض لعـدوك وهو مقبـل فـإن إقبـالـه يعينـه عليـك ولاتتعرض لـه وهو مدبر فـإن إدبـاره يكفيـك أمره 531 الفضيل بن عياض أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي الطالقاني الأصل الفنديني الزاهد المشهور أحد رجال الطريقة كان في أول أمره شاطرا يقطع الطريق بين أبيورد وسـرخس وكان سـبب توبته أنه عشـق جارية غبينا هو يرتقي الجدران إليها ســمع تاليا يتلو (^ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشـع قلوبهم لذكر الله) (الحديد&&16) فقال يارب قد آن فرجع وآواه الليل إلى خربة فإذا فيها رفقة فقال بعضهم نرتحل وقال بعضهم حتى نصبح فإن فضيلا على الطريق يقطع علينا فتاب الفضــيل وآمنهم وكان من كبار الســادات حدث ســفيان بن عيينة قال دعانا هارون الرشــيد فدخلنا عليه ودخل الفضــيل آخرنا مقنعا رأســه بردائه فقال لي
48 ســفيان وأيهم أمير المؤمنين فقلت هذا وأومأت إلى الرشيد فقال له يا حسن الوجه أنت الذي أمر هذه الأمة في يدك وعنقك لقد تقلدت أمرا عظيما فبكى الرشـيد ثم أتي كل رجل منا ببدرة فكل قبلها إلا الفضـيل فقال الشـيد يا أبا

علي إن لم تستحل أخذها فأعطها ذا دين أو أشبع بها جائعا أو اكس بها عاريا فاستعفاه منها فلما خرجنا قلت يا أبا علي أخطأت ألا أخذتها وصرفتها في أبواب البر فأخذ بلحيتي ثم قال يا أبا محمد أنت فقيه البلد والمنظور إليه وتغلط مثل هذا الغلط لو طابت لأولئك لطابت لي ويحكى أن الرشيد قال له يوما ما أزهدك فقال الفضيل أنت أزهد مني قال وكيف ذلك قال لأني أزهد في الدنيا وأنت تزهد في الآخرة والدنيا فانية والآخرة باقية وذكر الزمخشري في كتاب ربيع الأبرار في آخر باب الطعام أن الفضيل قال يوما لأصحابه ما تقولون في رجل في كمه ثمر ثم يقعد على رأس الكنيف فيطرحه فيه ثمرة ثمرة قالوا هو مجنون قال فالذي يطرحه في بطنه حتى يحشوه فهو أجن منه فإن هذا الكنيف يملأ من هذا الكنيف ومن كلام الفضيل إذا أحب الله عبدا أكثر غمه وإذا أبغض عبدا وسع عليه دنياه وقال لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت علي على أن لأحاسب عليها لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة إذا مر بها أن تصيب ثوبه وقال ترك العمل لأجل الناس هو الرياء والعمل لأجل الناس هو الشرك وقال إني لأعصى الله تعالى فأعرف ذلك في خلق حماري وخادمي وقال لو كانت لي دعوة مستجابة لم أجعلها إلا في إمام لأنه إذا صلح الإمام أمن البلاد والعباد وقال لأن يلاطف الرجل أهل مجلسه ويحسن خلقه معهم خير له من قيام ليله

49 وقال أبو علي الرازي صحبت الفضيل ثلاثين سنة ما رأيته ضاحكا ولا متبسما إلا يوم مات ابنه علي فقلت له في ذلك فقال إن الله أحب أمرا فأحببت ذلك الأمر وكان ولده المذكور شابا سريا من كبار الصالحين وهو معدود في جملة من قتلهم محبة الباري سبحانه وتعالى وهم مذكورون في جزء سمعناه قديما ولاأذكر الآن من مؤلفه وكان عبد الله بن المبارك رضي الله عنه يقول إذا مات الفضيل ارتفع الحزن من الدنيا ومناقب الفضيل كثيرة ومولده بأبيورد وقيل بسمرقند ونشأ بأبيورد وقدم الكوفة وسمع الحديث بها ثم أنتقل إلى مكة شرفها الله تعالى وجاور بها إلى مات في المحرم سنة سبع وثمانين ومائة رضي الله عنه والطالقاني نسبه إلى طالقان خراسان وقد تقدم الكلام عليها في ترجمة الصاحب بن عباد في حرف الهمزة والفنديني بضم الفاء وسكون النون وكسر الدال المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفي آخر ها نون هذه النسبة إلى فندين وهي من قرى مرو وأبيورد بفتح الهمزة وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الواو وسكون الراء وبعدها دال مهملة بليدة بخراسان وسمرقند بفتح السين المهملة والميم وسكون الراء وفتح القاف وسكون النون وبعدها دال مهملة أعظم مدينة بما وراء النهر قال ابن قتيبة في كتاب المعارف في ترجمة شمر بن أفريقش أحد ملوك اليمن أنه خرج في جيش عظيم ودخل أرض العراق ثم توجه يريد الصين فأخذ على فارس

وسجستان وخراسان وافتتح المدائن والقلاع وقتل وسبى ودخل مدينة الصغد فهدمها

50 فسميت شمركند أي شمر أخربها لأن كند بالعجمي معناه بالعربي أخرب ثم عربها الناس فقالوا سمرقند ثم أعيدت عمارتها فبقي عليها ذلك الاسم 532 عضد الدولة أبو شجاع فنا خسرو الملقب عضد الدولة بن ركن الدولة أبي علي الحسن ابن بويه الديلمي وقد تقدم تمام نسبه في ترجمة عمه معز الدولة أحمد في حرف الهمزة فليطلب هناك ولما مرض عمه عماد الدولة بفارس أتاه أخوه ركن الدولة واتفقا على تسليم فارس إلى أبي شجاع فناخسرو بن ركن الدولة ولم يكن قبل ذلك يلقب بعضد الدولة فتسلمها بعد عمه ثم تلقب بذلك

51 وقد تقدم أيضا ذكر والده وعمه الأكبر عماد الدولة أبي الحسن علي وابن عمه عز الدولة بختيار بن معز الدولة وهؤلاء كلهم مع عظم شأنهم وجلالة أقدارهم لم يبلغ أحد منهم ما بلغه عضد الدولة من سعة المملكة والإستيلاء على الملوك وممالكهم فإنه جمع بين مملكة المذكورين كلهم وقد ذكرت في ترجمة كل واحد منهم ما كان له من الممالك وضم إلى ذلك الموصل وبلاد الجزيرة وغير ذلك ودانت له البلاد والعباد ودخل في طاعته كل صعب القياد وهو أول من خوطب بالملك في الإسلام وأول من خطب له على المنابر ببغداد بعد الخليفة وكان من جملة ألقابه تاج الملة ولما صنف له أبو إسحاق الصابي

كتاب التاجي في أخبار بني بويه أضافه إلى هذا اللقب وقد
تقدم خبر هذا الكتاب في ترجمته وكان فاضلا محبا
للفضلاء مشاركا في عدة فنون و صنف له الشيخ أبو علي
الفارسي كتاب الأيضاح والتكملة في النحو وقد سبق ذكره
في ترجمته وقصده فحول الشعراء في عصره ومدحوه
بأحسن المدائح فمنهم أبو الطيب المتنبي ورد عليه وهو
بشيراز في جمادى الأولى سنة أربع وخمسين وثلثمائة
وفيه يقول من جملة قصيدته المشهورة الهائية (وقد رأيت
الملوك قاطبة * وسرت حتى رأيت مولاها) (ومن
مناياهم براحته * يأمرها فيهم وينهاها) (أبا شجاع
بفارس عضد الدولة * فناخسرو شهنشاها) (أساميا لم
تزده معرفة * وإنما لذة ذكرناها) وهذه القصيدة أول
شيء أنشده ثم أنشده في هذا الشهر قصيدته النونية التي
ذكر فيها شعب بوان ومنها قوله (يقول بشعب بوان
حصاني * أعن هذا يسار إلى الطعان)
52 (أبوكم آدم سن المعاصي * وعلمكم مفارقة
الجنان) (فقلت إذا رأيت أبا شجاع * سلوت عن العباد
وذا المكان) (فإن الناس والدنيا طريق * إلى من ماله في
الناس ثاني) ومدحه بعد ذلك بعدة قصائد ثم أنشده قصيدته
الكافية يودعه فيها ويعده بالعود إلى حضرته وذلك صدر
شعبان من السنة المذكورة وهي آخر شعر المتنبي فإنه قتل
في عوده من عنده كما سبق في ترجمته ومن جملة هذه
القصيدة (أروح وقد ختمت على فؤادي * بحبك أن يحل

به سواكا) (وقد حملتني شكرا طويلا * ثقيلا لاأطيق به حراكا) (أحاذر أن يشق على المطايا * فلا تمشي بنا إلا ســـواكا) (لعل الله يجعله رحيلا * يعين على الإقامة في ذراكا) (فلو أني استطعت حفضت طرفي * فلم أبصر به حتى أراكا) (وكيف الصـــبر عنك وقد كفاني * نداك المســـتفيض وما كفاكا) وما أحســـن قوله فيها (ومن أعتاض عنك إذا إفترقنا * وكل الناس زور ما خلاكا) (وما أنا غير ســـهم في هواء * يعود ولم يجد فيه إمتســـاكا) وقصده أيضا أبو الحسن محمد بن عبد الله السلامي الآتي ذكره إن شـاء الله تعالى وكان عين شـعراء العراق وأنشده قصـــيدته البديعة التي منها (إليك طوى عرض البســـيطة جاعل * قصـــارى المطايا أن يلوح لها القصـــر) (فكنت وعزمي في الظلام وصـــارمي * ثلاثة أشـــباه كما اجتمع النسر)

53 (وبشـــرت آمالي بملك هو الورى * ودار هي الدنيا ويوم هو الدهر) وعلى الحقيقة هذا الشـــعر هو الســـحر الحلال كما يقال وقد أخذ هذا المعنى القاضـــي أبو بكر أحمد الأرجاني المقدم ذكره وعمل (يا ســـائلي عنه لما جئت أمدحه * هذا هو الرجل العاري من العار) (كم من شنوف لطاف من محاسنه * علقن منه على آذان سمار) (لقيته فرأيت الناس في رجل * والدهر في ســـاعة والأرض في دار) ولكن أين الثريـــا من الثرى وهـذا المعنى موجود في الشـــطر الأخير من بيت المتنبي وهو (

هي الغرض الأقصى ورؤيتك المنى * ومنزلك الدنيا وأنت الخلائق) ولكنه ما أستوفاه فإنه ما تعرض إلى ذكر اليوم الذي جعله السلامي هو الدهر فليس له طلاوة بيت السلامي رجعنا إلى ذكر عضد الدولة كتب إليه أبو منصور أفتكين التركي متولي دمشق كتابا مضمونه أن الشام قد صفا وصار في يدي وزال عنه حكم صاحب مصر وإن قويتني بالأموال والعدد حاربت القوم في مستقرهم فكتب عضد الدولة جوابه هذه الكلمات وهي متشابهة في الخط لا تقرأ إلا بعد الشكل والنقط والضبط وهي غرك عزك فصار قصار ذلك ذلك فاخش فاحش فعلك فعلك بهذا تهدا

54 أبدع فيها كل الإبداع 149 وكان أفتكين المذكور مولى معز الدولة بن بويه فتغلب على دمشق وخرج على العزيز العبيدي صاحب مصر وقصده بنفسه والتقى جيشاهما وجرت مقتلة عظيمة بينهما وانكسر أفتكين وهرب وقطع عليه الطريق دغفل بن الجراح البدوي وحمله إلى العزيز وفي عنقه حبل فأطلقه وأحسن إليه وأقام يسيرا ومات سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة رحمه الله تعالى يوم الثلاثاء لسبع خلون من رجب وكانت لعضد الدولة أشعار فمن ذلك ما أورده له أبو منصور الثعالبي في كتاب يتيمة الدهر وقال اخترت من قصيدته التي فيها البيت الذي لم يفلح بعده أبياتا وهي : (ليس شرب الراح إلا في المطر * وغناء من جوار في السحر) (غانيات سالبات للنهى

* ناعمات في تضـــاعيف الوتر) (مبرزات الكأس من مطلعها * سـاقيات الراح من فاق البشـر) (عضـد الدولة وابن ركنـها * ملك الأملاك غلاب القدر) فيحكى عنه لما أحتضـــر لم يكن لســانه ينطق إلا بتلاوة (^ ما أغنى عني ماليه هلك عني ســلطانيه) (الحاقة&&28-29) ويقال إنه ما عاش بعد هذه الأبيات إلا قليلا وتوفي بعلة الصـــرع في يوم الإثنين ثامن شـوال ســنة إثنتين وســبعين وثلثمائة ببغداد ودفن بدار الملك بها ثم نقل إلى الكوفة ودفن بمشـهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضـــي الله عنه وعمره سبع وأربعون سنة وأحد عشر شهرا وثلاثة أيام رحمه الله تعالى والبيمارستان العضدي ببغداد منسوب إليه وهو في الجانب الغربي وغرم عليه مالا عظيما وليس في الدنيا مثل ترتيبه وفرغ من بنائه سنة ثمان وستين
55 وثلثمائة وأعد له من الآلات ما يقصر الشرح عن وصفه وهو الذي أظهر قبر علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالكوفة وبنى عليه المشهد الذي هناك وغرم عليه شيئا كثيرا وأوصى بدفنه فيه وللناس في هذا القبر اختلاف كثير حتى قيل أنه قبر المغيرة بن شـعبة الثقفي فإن عليا رضـي الله عنه لا يعرف قبره وأصح ما قيل فيه إنه مدفون بقصر الإمارة بالكوفة والله أعلم وفنا خســرو بفتح الفاء وتشـديد النون وبعد الألف خاء معجمة وســين ســاكنة وبعدها راء مضـمومة ثم واو وشـعب بوان بكســر الشـين المعجمة وســكون العين المهملة وبعد ها باء موحدة ثم باء ثانية

مفتوحة بعدها واو مشـــددة وبعد الألف نون وهو موضـــع عند شيراز كثير الأشجار والمياه وهومنسوب إلى بوان بن إيران بن الأسود ابن سام بن نوح عليه السلام قال أبو بكر الخوارزمي مستنزهات الدنيا أربعة مواضع غوطة دمشق ونهر الابلة وشعب بوان وصغد سمرقند وأحسنها غوطة دمشق والله أعلم حرف القاف

56 @56@

57 @57@

58 @58@

59 533 القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق أبو محمد القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ونســـبه معروف فلا حاجة إلى رفعه كان من ســـادات التابعين وأحد الفقهاء الســبعة بالمدينة وقد تقدم ذكر ســتة منهم وكان من أفضـــل أهل زمانه روى عن جماعة من الصـــحابة رضـــي الله عنهم وروى عنه جماعة من كبار التابعين قال يحيى بن ســعيد ما أدركنا أحدا نفضـلـه على القاسم بن محمد وقال مالك كان القاسم من فقهاء هذه الأمة وقال محمد بن إسحاق جاء رجل إلى القاسم بن محمد فقال أنت أعلم أم ســالم فقال ذاك مبارك ســالم قال ابن إسـحاق كره أن يقول هو أعلم مني فيكذب أو يقول أنا أعلم منه فيزكي نفسه وكان القاسم أعلمهما وكان القاسم بن محمد يقول في سجوده اللهم إغفر لأبي ذنبه في عثمان وقد تقدم في ترجمة زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما

أنهما كانا إبني خالة وأن القاسم بن محمد والدته ابنة يزدجرد آخر ملوك الفرس وكذلك زين العابدين وسالم بن عبد الله بن عمر والقصة مستوفاة هناك وتوفي سنة إحدى أو اثنتين ومائة وقيل سنة ثمان وقيل اثنتي عشرة ومائة بقديد فقال كفنوني في ثيابي التي كنت أصلي فيها قميصي وإزاري

60 وردائي فقال ابنه يا أبت ألا نزيد ثوبين فقال هكذا كفن أبو بكر في ثلاثة أثواب والحي أحوج إلى الجديد من الميت وكان عمره سبعين سنة أو إثنتين وسبعين سنة رضي الله عنه وقديد بضم القاف وفتح الدال المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعد ها دال مهملة وهو منزل بين مكة والمدينة 534 أبو عبيد القاسم بن سلام أبو عبيد القاسم بن سلام بتشديد اللام كان أبوه عبدا روميا لرجل من أهل هراة واشتغل أبو عبيد بالحديث والأدب والفقه وكان ذا دين وسيرة جميلة ومذهب حسن وفضل بادع وقال القاضي أحمد بن كامل كان أبو عبيد فاضلا في دينه وعلمه ربانيا متفننا في أصناف علوم الإسلام من القراءات والفقه والعربية والأخبار حسن الرواية صحيح النقل ولا أعلم أحدا من الناس طعن عليه في شيء من أمر دينه

61 قال إبراهيم الحربي كان أبو عبيد كأنه جبل نفخ فيه الروح يحسن كل شيء وولي القضاء بمدينة طرسوس ثمان عشرة سنة وروى عن أبي زيد الأنصاري

والأصـمعي وأبي عبيدة وابن الأعرابي والكسـائي والفراء وجماعة كثيرة غيرهم وروى الناس من كتبه المصـــنفة بضـعة وعشـرين كتابا في القرآن الكريم والحديث وغريبه والفقه وله الغريب المصنف والأمثال ومعاني الشعر وغير ذلك من الكتب النافعة ويقال إنه أول من صنف في غريب الحديث وانقطع إلى عبد الله بن طاهر مدة ولما وضـــع كتاب الغريب عرضه على عبد الله بن طاهر فاستحسنه وقال إن عقلا بعث صاحبه على عمل هذا الكتاب حقيق ألا يحوج إلى طلب المعاش وأجرى عليه عشـــرة آلاف درهم في كل شـــهر وقال محمد بن وهب المسـعري سـمعت أبا عبيد يقول كنت في تصنيف هذا الكتاب أربعين سنة وربما كنت أستفيد الفائدة من أفواه الرجال فأضعها في موضعها من الكتاب فأبيت ســـاهراً فرحا مني بتلك الفائدة وأحدكم يجئيئني فيقيم أربعة خمســـة أشـــهر فيقول قد أقمت كثيرا وقال الهلال بن العلاء الرقي من الله تعالى على هذه الأمة بأربعة في زمانهم بالشـــافعي تفقه في حديث رســـول الله وبـأحمد بن حنبل ثبت في المحنـة ولولا ذاك لكفر النـاس وبيحي بن معين نفى الكذب عن حديث رســـول الله وبأبي عبيد القاسم بن سلام فسر غريب الحديث ولولا ذاك لاقتحم النـاس الخطـأ وقـال أبو بكر ابن الأنبـاري كـان أبو عبيـد يقسـم الليل أثلاثا فيصـلـي ثلثه وينام ثلثه ويضـع الكتب ثلثه وقال إسحاق بن رهواية أبو عبيد أوسعنا علما وأكثرنا أدبا وأجمعنا جمعا إنا نحتاج إلى أبي عبيد وأبو عبيد لا يحتاج

إلينا وقال ثعلب لو كان أبو عبيد في بني إســرائيل لكان عجبا وكان يخضب بالحناء أحمر الرأس واللحية وكان له وقار وهيبة وقدم بغداد فســمع الناس منه كتبه ثم حج وتوفي بمكة وقيل بالمدينة بعد الفراغ
62 من الحج سنة اثنتين أو ثلاث وعشرين ومائتين وقال البخاري سنة أربع وعشرين وزاد غيره في المحرم وقال الخطيب في تاريخ بغداد بلغني أنه عاش سبعا وستين سنة وذكر الحافظ ابن الجوزي أن مولده سنة خمسين ومائة وقال أبو بكر الزبيدي في كتاب التقريظ أن مولده سنة أربع وخمسين ومائة وذكر أن أبا عبيد لما قضى حجه وعزم على الأنصراف واكترى إلى العراق رأى في الليلة التي عزم على الخروج في صبيحتها النبي في منامه وهو جالس وعلى رأسه قوم يحجبونه وناس يدخلون فيسلمون عليه ويصافحونه قال فكلما دنوت لأدخل منعت فقلت لهم لم لا تخلون بيني وبين رسول الله قالوا لا والله لا تدخل إليه ولا تسلم عليه وأنت خارج غدا إلى العراق فقلت لهم إني لا أخرج إذا فأخذوا عهدي ثم خلوا بيني وبين رســول الله فدخلت وسلمت عليه وصافحني فأصبحت ففسخت الكراء وسكنت بمكة ولم يزل بها إلى الوفاة ودفن في دور جعفر وقيل أنه رأى المنام بالمدينة ومات بها بعد رحيل الناس عنها بثلاثة أيام رحمه الله تعالى ومولده بهراة وطرسوس بفتح الطاء المهملة والراء وضم السين المهملة وسكون الواو وبعدها سين ثانية وهي مدينة بساحل الشام عند

السيس والمصيصة بناها المهدي ابن المنصور أبي جعفر في سـنة ثمان وسـتين ومائة على ما حكاه ابن الجزار في تاريخه ومن تصانيفه أيضا المقصور والممدود والقراءات والمذكر

63 وكتاب النسـب وكتاب الأحداث وأدب القاضـي وعـدد آي القرآن والإيمـان والنـذور والحيض وكتـاب الأموال وغير ذلـك رحمـه الله تعـالى 535 الحريري صـاحب المقامات أبو محمد القاسـم بن علي بن بن محمد عثمان الحريري البصري الحرامي صاحب المقامات كان أحد أئمة عصـره ورزق الحظوة التامة في عمل المقامات واشـتملت على شـيء كثير من كلام العرب من لغاتها وأمثالها ورموز أسـرار كلامها ومن عرفها حق معرفتا اسـتدل بها على فضـل هذا الرجل وكثرة اطلاعه وغزارة مادته وكان سـبب وضـعه لها ما حكاه ولده أبو القاسـم عبد الله قال كان أبي جالسـا في مسـجده ببني حرام فدخل شـيخ ذو طمرين عليه أهبة السفر رث الحال فصيح الكلام حسن العبارة فسـألته الجماعة من أين الشـيخ فقال من سـروج فاسـتخبروه عن كنيته فقال أبو زيد فعمل أبي المقامة المعروفة بالحرامية وهي الثامنة والأربعون وعزاها إلى أبي زيد المذكور واشتهرت فبلغخبرها الوزير شرف الدين أبا نصـر أنو شـروان ابن خالد بن محمد القاشـاني وزير الإمام المسترشد بالله فلما وقف غليها أعجبته وأشار على والدي أن يضـم إليها غيرها فأتمها خمسـين مقامة وإلى

الوزير المذكور أشـــار الحريري في خطبة المقامات بقوله فأشـــار من إشـــارته حكم وطاعته غنم إلى إلى أن أنشـــيء مقامات لأتلو فيها تلو البديع وإن لم يدرك الظالع شـــأو الضــــليع هكذا وجدته في عدة تواريخ ثم رأيت في بعض شـهور سـنة سـت وخمسـين وسـتمائة بالقاهرة المحروسـة نسـخة مقامات وجميعها بخط مصـنفها الحريري وقد كتب بخطه أيضـــا على ظهرها إنه صــــنفها للوزير جلال الدين عميد الدولة أبي علي الحسـن بن أبي العز علي بن صـدقة وزير المسـترشـد أيضـا ولا شـك أن هذا أصـح من الرواية الأولى لكونه بخط المصـــــنف وتوفي الوزير المذكور في رجب سـنة إثنتين وعشـرين وخمسـمائة غهذا كان مسـتندة في نسـبتها إلى أبي زيد السـروجي وذكر القاضــي الأكرم جمال الدين أبو الحسـن علي بن يوسـف الشـيباني القفطي وزير حلب الذي ســـماه إنباه الرواة على أنباه الرواة على أنباه النحاة أن أبا زيد المذكور إســـمه المطهر بن ســـلار وكان بصــــريا نحويا لغويا صــــحب الحريري المذكور واشتغل عليه بالبصرة وتخرج به وروى عنه القاضـي أبو الفتح محمد بن أحمد بن المندائي الواسـطي ملحة الأعراب للحريري وذكر أنه ســـمعها منه عن الحريري وقال قدم علينا واسط في سنة ثمان

64 واشـــتهرت فبلغ خبرها الوزير شـــرف الدين أبا نصر أنو شروان ابن خالد بن محمد القاشاني وزير الإمام المسترشد بالله فلما وقف عليها أعجبته وأشار على والدي

أن يضــــم إليها غيرها فأتمها خمســــين مقامة وإلى الوزير المذكور أشـــار الحريري في خطبة المقامات بقوله فأشـــار من إشـــارته حكم وطاعته غنم إلى أن أنشـــيء مقامات أتلو فيها تلو البديع وإن لم يدرك الظالع شـــأو الضـــليع هكذا وجدته في عدة تواريخ ثم رأيت في بعض شهور سنة ست وخمســين وســتمائة بالقاهرة المحروســة نسـخة مقامات وجميعها بخط مصــــنفها الحريري وقد كتب بخطه أيضـــا على ظهرها إنه صـــنفها للوزير جلال الدين عميد الدولة أبي علي الحســـن بن أبي العز علي بن صـــــدقة وزير المسترشد أيضا ولا شك أن هذا أصح من الرواية الأولى لكونه بخط المصـــنف وتوفي الوزير المذكور في رجب سنة إثنتين وعشرين وخمسمائة فهذا كان مستنده في نسبتها إلى أبي زيد السروجي وذكر القاضـي الأكرم جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف الشيباني القفطي وزير حلب في كتابه الذي ســـماه إنباه الرواة على أنباه الرواة على أنباه النحاة أن أبا زيد المذكور إســـمه المطهر بن ســـلار وكان بصـــريا نحويا لغويا صـــحب الحريري المذكور واشـــتغل عليه بالبصـــرة وتخرج به وروى عنه القاضـــي أبو الفتح محمد بن أحمد بن المندائي الواســـطي ملحة الأعراب للحريري وذكر أنه ســـمعها منه عن الحريري وقال قدم علينا واسط في سنة ثمان
65 وثلاثين وخمســـمائة فســـمعتها منه وتوجه منها مصعدا إلى بغداد فوصلها وأقام بها مدة يسيرة وتوفي بها

رحمه الله تعالى وكذا ذكره السـمعاني في اليل الذيل والعماد في الخريدة وقال لقبه فخر الدين وتولى صـدرية المشـان ومات بها بعد سنة أربعين وخمسـائة وأما تسمية الراوي لها بالحارث بن همام فإنما عنى به نفسـه هكذا وقفت عليه في بعض شـروح المقامات وهو مأخوذ من قوله كلكم حارث وكلكم همام فالحارث الكاسـب والهمام الكثير الاهتمام وما من شـخص إلا وهو حارث وهمام لأن كل واحد كاسـب ومهتم بأموره وقد اعتنى بشـرحها خلق كثير فمنهم من طول ومنهم من اختصر ورأيت في بعض المجاميع أن الحريري لما عمل المقامات كان قد عملها أربعين مقامة وحملها مكن البصـرة إلى بغداد وادعاها فلم يصـدقه في ذلك جماعة من أدباء بغداد وقالوا إنها ليسـت من تصـنيفه بل هي لرجل مغربي من أهل البلاغة مات بالبصرة ووقعت أوراقه إليه فادعاها فاستدعاه الوزير إلى الديوان وسـأله عن صـناعته فقال أنا رجل منشـىء فاقترح عليه إنشـاء رسـالة في واقعة عينها فانفرد في ناحية من الديوان وأخذ الدواة والورقة ومكث زمانا كثيرا فلم يفتح الله سبحانه عليه بشـيء من ذلك فقام وهوخجلان وكان في جملة من أنكر دعواه في عملها أبو القاسـم علي بن أفلح الشـاعر المقدم ذكره فلما لم يعمل الحريري الرسـالة التي اقترحها الوزير أنشـد ابن أفلح وقيل إن هذين البيتين لأبي محمد ابن أحمد المعروف بابن جكينا الحريمي البغدادي الشـاعر المشـهور (شـيخ لنا من ربيعة الفرس * ينتف

عثنونه من الهوس) (أنطقه الله بالمشـــان كما * رماه وسط الديوان بالخرس)
66 وكـان الحريري يزعم أنـه من ربيعـة الفرس وكان مولعا بنتف لحيته عند الفكرة وكان يسكن في مشـان البصـــرة فلما رجع إلى بلده عمل عشـــر مقامات أخر وســـيرهن واعتذر من عيه وحصـــره في الديوان بما لحقه من المهابة وللحريري تواليف حســـان منها درة الغواص في أوهـام الخواص ومنهـا ملحـة الأعراب المنظومـة في النحو وله أيضا شرحها وله ديوان رسائل وشعر كثير غير شـعره الذي في المقامات فمن ذلك قوله وهو معنى حسن : (قال العواذل ما هذا الغرام به * أما ترى الشـعر في خديه قد نبتا) (فقلت والله لو أن المفند لي * تأمل الرشـــد في عينيه ما ثبتا) (ومن أقام بأرض وهي مجدبة * فكيف يرحل عنـه ا والربيع أتى) وذكر لـه العمـاد الكـاتـب في الخريدة (كم ظباء بحاجر * فتنت بالمحاجر) (ونفوس نفائس * خدرت بالمخادر) (وتثن لخاطر * هاج وجدا لخـاطري) (وعذار لأجلـه * عـاذلـي عـاد عـاذري) (وشـجون تضـافرت * عند كشـف الضـفائر) ولـه قصـائد اســـتعمل فيها التجنيس كثيرا ويحكى أنه كان دميما قبيح المنظر فجاءه شـخص غريب يزوره ويأخذ عنه شـيئا فلما رآه إستزرى شكله ففهم الحريري ذلك منه فلما التمس منه أن يملي عليه قال له اكتب (ما أنت أول سـار غره قمر * ورائد أعجبته خضرة الدمن)

67 (لنفســـك غيري إنني رجل * مثل المعيدي
فاســـمع بي ولا ترني) فخجل الرجل منه وانصـــرف
وكانت ولادة الحريري في ســنة ســت وأربعين وأربعمائة
وتوفي ســنة ســت عشــرة وقيل خمس عشــرة وخمســمائة
بـالبصـــــرة في ســـكة بني حرام وخلف ولدين وقال أبو
منصـــور الجواليقي أجازني المقامات نجم الدين عبد الله
وقاضـي قضـاة البصـرة ضـياء الإسـلام عبيد الله عن أبيهما
منشـئها ونسـبته بالحرامي إلى هذه السـكة رحمه اللّه تعالى
وهي بفتح الحاء المهملة والراء وبعدها ألف بعده ميم وبنو
حرام قبيلة من العرب سـكنوا في هذه السـكة فنسـبت إليهم
والحريري نسبة إلى الحرير وعمله أو بيعه والمشان بفتح
الميم والشـين المعجمة وبعد الألف نون بليدة فوق البصـرة
كثيرة النخل موصـوفة بشـدة الوخم وكان أصـل الحريري
منها ويقال إنه كان له بها ثمانية عشــر ألف نخلة وإنه كان
من ذوي اليســـار 150 والوزير أنو شــروان المذكور كان
نبيلا فاضلا جليل القدر له تاريخ لطيف سماه صدور زمان
الفتور وفتور زمان الصــدور ونقل منه العماد الأصـبهاني
في كتاب نصـــرة الفترة وعصـــرة الفطرة الذي ذكر فيه
أخبار الدولة السـلجوقية نقلا كثيرا وتوفي الوزير المذكور
سـنة اثنتين وثلاثين وخمسـمائة رحمه الله تعالى 151 وأما
ابن المندائي المذكور فهو أبو الفتح محمد بن أبي العباس
أحمـد بن بختيـار بن علي بن محمـد بن إبراهم بن جعفر

الواسطي المعروف بابن المندائي وقد أخذ عنه جماعة من الأعيان كالحافظ أبي بكر الحازمي وغيره وكانت
68 ولادته في شهر ربيع الآخر سنة سبع عشرة وخمسمائة بواسط وتوفي بها في الثامن من شعبان سنة خمس وستمائة رحمه الله تعالى والمندائي بفتح الميم وسكون النون وفتح الدال المهملة ومد الهمزة والمعيدي بضم الميم وفتح العين المهلة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال المهملة مكسورة وياء مشددة وقد جاء في المثل تسمع بالمعيدي لا أن تراه وجاء أيضا تسمع بالمعيدي خير من أن تراه وقال المفضل الضبي أول من تكلم به المنذر بن ماء السماء قاله لشقة بن ضمرة التميمي الدارمي وكان قد سمع بذكره فلما رآه اقتحمته عينه فقال له هذا المثل وسار عنه فقال له شقة أبيت اللعن إن الرجال ليسوا بجزر يراد منها الأجسام إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه فأعجب المنذر ما رأى من عقله وبيانه وهذا المثل يضرب لمن له صيت وذكر ولا منظر له والمعيدي منسوب إلى معد ابن عدنان وقد نسبوه بعد أن صغروه وخففوا منه الدال 536 القاسم بن الشهرزوري أبو أحمد القاسم بن المظفر بن علي بن القاسم الشهرزوري والد قاضي الخافقين أبي بكر محمد والمرتضى أبي محمد عبد الله وأبي منصور المظفر وهو جد بيت الشهرزوري قضاة الشام والموصل والجزيرة وكلهم إليه ينتسبون كان حاكما بمدينة إربل مدة ومدينة سنجار مدة وكان من أولاده

وحفدته علماء نجباء كرماء نالوا المراتب العلية وتقدموا عند الملوك وتحكموا وقضـوا ونفقت أسـواقهم خصـوصـا حفيده القاضــــي كمال الدين محمد ومحيي الدين بن كمال الدين وسيأتي
69 إن شاء الله تعالى وإلى الآن من نسله جماعة من الأعيان والقضــاة بالموصــل وقدم بغداد غير مرة وذكره الحافظ أبو ســـعد الســـمعاني في كتاب الذيل ثم ذكره في كتاب الأنساب في موضعين أحدهما في نسبة الإربلي وقال كان منها يعني إربل جماعة من العلماء منهم أبو أحمد القاســـم المذكور وقال إنه شـــيباني والثاني في نســـبة الشـــهرزوري ذكره وذكر ولده قاضـــي الخافقين المذكور وأثنى عليه وذكره أبو البركات ابن المســـتوفي في تاريخ إربل واورد له شـعرا فمن ذلك قوله (همتي دونها السـها والزباني * قد علت جهدها فما تتدانى) (فأنا متعب معنى إلى أن * تتفانى الأيام أو نتفانى) ورأيت في كتاب الذيل للسـمعاني هذين البيتين منسـوبين إلى ولده أبي بكر محمد المعروف بقـاضــــي الخـافقين والله أعلم لمن همـا منهمـا وتوفي القاســـم المذكور ســـنة تســـع وثمانين وأربعمائة بالموصــــل ودفن في التربة المعروفة به الآن المجاورة لمســجد جده أبي الحســـن بن فرغان رحمه الله تعالى وأما ولده المرتضــى عبد الله فهو والد القاضــي كمال الدين وقد تقدم ذكره في العبادلة وأوردت قصــيدته اللامية المعروفة بالموصــلية 152 وأما قاضــي الخافقين فقد قال الســمعاني

إنه اشتغل بالعلم على أبي إسحاق الشيرازي وولي القضاء بعدة بلاد ورحل إلى العراق وخراســـان والجبال وســـمع الحديث الكثير وسـمع منه السـمعاني وكانت ولادة قاضـــي الخافقين بإربل ســـنة ثلاث أو أربع وخمســـين وأربعمائة وتوفي في جمادى
70 الآخرة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ببغداد ودفن في باب أبرز رحمه الله تعالى وإنما قيل له قاضي الخافقين لكثرة البلاد التي ولي فيها 153 وأما المظفر فإن السمعاني ذكره أيضا في الذيل فقال ولد بإربل ونشأ بالموصل وورد بغداد وتفقه بها على الشـيخ أبي أسـحاق الشـيرازي ورجع إلى الموصل ثم ولي قضاء سنجار على كبر سنه وسكنها وكان قد أضـــر ثم قال ســـألته عن مولده فقال ولدت في جمادى الآخرة أو رجب ســـنة ســـبع وخمســـين وأربعمائة بإربل ولم يذكر وفاته والشـهرزوري بفتح الشين المعجمة وسـكون الهاء وضــم الراء والزاي وسـكون الواو وبعدها راء هذه النسـبة إلى شـهرزور وهي بلدة كبيرة معدودة من أعمال إربل بناها زور بن الضـــحاك وهي لفظة عجمية معناها بالعربي بلدة زور ومات بها الإســـكندر ذو القرنين عند عوده من بلاد المشـــرق وحكى لي بعض أهلها وقد ســـألته عن قبره فقال هناك قبر يعرف بقبر إســـكندر ولا يعرف أهلها من هو وهي مدينة قديمة وحكى الخطيب في تاريخ بغداد أن الإســـكندر جعل المدائن دار إقامته أعني مدائن كسرى ولم يزل بها إلى أن توفي هناك وحمل تابوته

إلى الإسكندرية لأن أمه كانت مقيمة هناك ودفن عندها والله أعلم
71 537 الشيخ الشاطبي أبو محمد القاسم بن فيره بن أبي القاسم خلف بن أحمد الرعيني الشاطبي الضرير المقرىء صاحب القصيدة التي سماها حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات وعدتها ألف ومائة وثلاثة وسبعون بيتا ولقد أبدع فيها كل الإبداع وهي عمدة قراء هذا الزمان في نقلهم فقل من يشتغل بالقراءات إلا ويقدم حفظها ومعرفتها وهي مشتملة على رموز عجيبة وإشارات خفية لطيفة وما أظنه سبق إلى أسلوبها وقد روي عنه أنه كان يقول لايقرأ أحد قصيدتي هذه إلا وينفعه الله عز وجل بها لأني نظمتها لله تعالى مخلصا في ذلك ونظم قصيدة دالية في خمسمائة بيت من حفظها أحاط علما بكتاب التمهيد لابن عبد البر وكان عالما بكتاب الله تعالى قراءة وتفسيرا وبحديث رسول الله مبرزا فيه وكان إذا قريء عليه صحيح البخاري ومسلم والموطأ تصحح النسخ من حفظه ويملي النكت على المواضع المحتاج إليها وكان أوحدا في علم النحو واللغة عارفا بعلم الرؤيا حسن المقاصد مخلصا فيما يقول ويفعل وقرأ القرآن الكريم بالروايات على أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد بن أبي العاص النفزي المقري وأبي الحسن علي بن محمد بن هذيل الأندلسي وسمع الحديث من أبي عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة وأبي

عبد الله محمد بن عبد الرحيم الخزرجي وأبي الحسن ابن هذيل والحافظ أبي الحسن ابن النعمة وغيرهم وأنتفع
72 به خلق كثير وأدركت من أصحابه جمعا كثيرا بالديار المصرية وكان يجتنب فضول الكلام ولاينطق في سائر أوقاته إلا بما تدعو إليه ضرورة ولا يجلس للإقراء إلا على طهارة في هيئة حسنة وتخشع واستكانه وكان يعتل العلة الشديدة فلا يشتكي ولا يتأوه وإذا سئل عن حاله قال العافية لا يزيد على ذلك أنشدني بعض أصحابه قال كان الشيخ كثيرا ما ينشد هذا اللغز وهو في نعش الموتى فقلت له فهل هو له فقال لا أعلم ثم إني وجدته بعد ذلك في ديوان الخطيب أبي زكريا يحيى بن سلامة الحصكفي وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى وهو (أتعرف شيئا في السماء يطير * إذا سار صاح الناس حيث يسير) (فتلقاه مركوبا وتلقاه راكبا * وكل أمير يعتليه أسير) (يحض على التقوى ويكره قربه * وتنفر منه النفس وهو نذير) (ولم يستزر عن رغبة في زيارة * ولكن على رغم المزور يزور) وكانت ولادته في آخر سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة وخطب ببلده على فتاء سنه ودخل مصر سنة إثنتين وسبعين وخمسمائة وكان يقول عند دخوله إليها إنه يحفظ وقر بعير من العلوم بحيث لو نزل عليه ورقة أخرى لما إحتملها وكان نزيل القاضي الفاضل ورتبه بمدرسته بالقاهرة متصدرا لإقراء القرآن الكريم وقراءاته والنحو واللغة وتوفي يوم الأحد بعد صلاة العصر الثامن

والعشرين من جمادى الآخرة سنة تسعين وخمسمائة ودفن يوم الإثنين في تربة القاضـــي الفاضـــل بالقرافة الصـــغرى وزرت قبره مرارا رحمه الله تعالى وصـــلى عليه الخطيب أبو إســـحاق العراقي المقدم ذكره خطيب جامع مصـــر وفيره بكســـر الفاء وســـكون الياء المثناة من تحتها وتشـــديد الراء وضمها وهو بلغة اللطيني من أعاجم الأندلس ومعناه بالعربي الحديد والرعيني بضـــم الراء وفتح العين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون هذه النسبة إلى ذي رعين وهو أحد أقيال اليمن نسب إليه خلق كثير

73 والشاطبي بفتح الشين المعجمة وبعد الألف طاء مكسورة مهملة وبعدها باء موحدة هذه النسبة إلى شاطبة وهي مدينة كبيرة ذات قلعة حصينة بشرق الأندلس خرج منها جماعة من العلماء اســـتولى عليها الفرنج في العشـــر الأخير من شـــهر رمضـــان ســـنة خمس وأربعين وســـتمائة وقيل إن إسم الشيخ المذكور أبو القاسم وكنيته إسمه لكن وجدت في إجازات أشياخه له أبو محمد القاسم كما ذكرته هاهنا 538 أبو العجلي أبو دلف القاســـم بن عيســـى بن إدريس بن معقل بن عمير بن شيخ بن معاوية ابن خزاعي بن عبد العزى بن دلف بن جشم بن قيس بن سعد بن عجل بن لجيم ابن صـــعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصـــى بن دعمي بن جديلة بن أســـد بن ربيعة بن نزار بن معـــد بن عـــدنـــان العجلي أحـــد قواد المـــأمون ثم المعتصـــم من بعده وقد تقدم ذكره في ترجمة علي بن جبلة

العكوك وبعض مديح العكوك فيه وتقدم أيضـــا في ترجمة أبي مســـلم الخراســـاني أنه كان تربية جده المذكور وتقدم ذكر حفيده الأمير أبي نصر علي بن ماكولا صاحب كتاب الإكمال

74 وكان أبو دلف المذكور كريما ســـريا جوادا ممدحا شجاعا مقدما ذا وقائع مشهورة وصنائع مأثورة أخذ عنه الأدباء والفضـلاء وله صنعة في الغناء وله من الكتب كتاب البزاة والصـــيد وكتاب الســـلاح وكتاب النزه وكتاب ســـياســـة الملوك وغير ذلك ولقد مدحه أبو تمام الطائي بأحسن المدائح وكذلك بكر بن النطاح وفيه يقول (يا طالبا للكيمياء وعلمه * مدح ابن عيســى الكيمياء الأعظم) (لو لم يكن في الأرض إلا درهم * ومدحته لأتاك ذاك الدرهم) ويحكى أنه أعطاه على هذين البيتين عشــرة آلاف درهم فأغفله قليلا ثم دخل عليه وقد اشـــترى بتلك الدراهم قرية في نهر الأبلة فأنشـــده (بك ابتعت في نهر الأبلة قرية * عليها قصـــير بالرخام مشـــيد) (إلى جنبها أخت لها يعرضـــونها * وعندك مال للهبات عتيد) فقال له كم ثمن هذه الأخت فقال عشرة آلاف درهم فدفعها له ثم قال له تعلم أن نهر الأبلة عظيم وفيه قرى كثيرة وكل أخت إلى جانبها أخرى وإن فتحت هذا الباب اتســـع علي الخرق فاقنع بهذه ونصـــطلح عليها فدعا له وانصـــرف وقد ألم أبو بكر محمد بن هاشم أحد الخالديين بمعنى قول بكر بن النطاح المذكور في البيتين الأولين فقال (وتيقن الشـــعراء أن رجاءهم *

في مأمن بك من وقوع الياس) (ما صـــح علم الكيمياء
لغيرهم * فيمن عرفنا في جميع الناس)
75 (تعطيهم الأموال في بدر إذا * حملوا الكلام
إليك في قرطاس) وكان أبو دلف قد لحق أكرادا قطعوا
الطريق في عمله فطعن فارســـا فنفذت الطعنة إلى أن
وصـــلت إلى فارس آخر وراءه رديفه فنفذ فيه الســـنان
فقتلهما وفي ذلك يقول بكر بن النطاح المذكور (قالوا
وينظم فارســـين بطعنة * يوم الهياج ولاتراه كليلا) (
لاتعجبوا فلو أن طول قناته * ميل إذا نظم الفوارس ميلا)
وكان عبد الله أحمد بن أبي فنن صـــالح بني هاشـــم أســـود
مشـــوه الخلق وكان فقيرا فقالت له إمرأته ياهذا إن الأدب
أراه قد سقط نجمه وطاش سهمه فاعمد إلى سيفك ورمحك
وقوسك وادخل مع الناس في غزواتهم عسـى الله أن ينفلك
من الغنيمة شيئا فأنشد (مالي وما لك قد كلفني شططا *
حمل الســلاح وقول الدارعين قف) (أمن رجال المنايا
خلتني رجلا * أمسي وأصبح مشتاقا إلى التلف) (تمشي
المنايا إلى غيري فأكرهها * فكيف امشـي إليها بارز الكتف
) (ظننت أن نزال القرن من خلقي * أو أن قلبي في جنبي
أبي دلف) فبلغ خبره أبا دلف فوجه إليه ألف دينار وكان
أبو دلف لكثرة عطائه قد ركبته الديون واشـــتهر ذلك عنه
فدخل عليه بعضـــهم وأنشـده (أيا رب المنائح والعطايا *
ويا طلق المحيا واليدين) (لقد خبرت أن عليك دينا *
فزد في رقم دينك واقض ديني)

76 فوصله وقضى دينه ودخل عليه بعض الشعراء فأنشده (الله أجرى من الأرزاق أكثرها * على يديك تعلم يا أبا دلف) (ما خط لا كاتباه في صحيفته * كما تخطط لا في سائر الصحف) (بارى الرياح فأعطى وهي جارية * حتى إذا وقفت أعطى ولم يقف) ومدائحه كثيرة وله أيضا أشعار حسنة ولولا خوف التطويل لذكرت بعضها وكان أبوه قد شرع في عمارة مدينة الكرج وأتمها هو وكان بها أهله وعشيرته وأولاده وكان قد مدحه وهو بها بعض الشعراء فلم يحصل له منه ما في نفسه فانفصل عنه وهو يقول وهذا الشاعر هو منصور بن باذان وقيل هو بكر بن النطاح والله أعلم (دعيني أجوب الأرض في فلواتها * فما الكرج الدنيا ولا الناس قاسم) وهذا مثل قول بعضهم ولاأدري أيهما أخذ من الآخر (فإن رجعتم إلى الإحسان فهو لكم * عبد كما كان مطواع ومذعان) (وإن أبيتم فأرض الله واسعة * لا الناس أنتم ولا الدنيا خراسان) ثم وجدت هذين البيتين قد ذكرهما السمعاني في كتاب الذيل في ترجمة أبي الحسن علي بن محمد بن علي البلخي فقال أنشدني القاضي علي بن محمد البلخي بدورق متمثلا للأمير أبي الحسن علي بن المنتخب ولعله سمع منه وأنشد البيتين وروي أن الأمير علي بن عيسى بن ماهان صنع مأدبة لما قدم أبو دلف من

77 الكرج ودعاه إليها وكان قد إحتفل بها غاية الاحتفال فجاء بعض الشعراء ليدخل دار علي بن عيسى

فمنعه البواب فتعرض الشاعر لأبي دلف وقد قصد دار علي بن عيسى وبيده جزازة فناوله إياها فإذا فيها مكتوب (قل له إن لقيته * متأن بلا وهج) (جئت في ألف فارس * لغداء من الكرج) (ما على الناس بعدها * في الدنيات من حرج) فرجع أبو دلف وحلف أنه لا يدخل الدار ولا يأكل شيئا من الطعام ورأيت في بعض المجاميع أن هذا الشاعر هو عباد بن الحريش وكانت المأدبة ببغداد ورأيت في بعض المجاميع أيضا أن أبا دلف لما مرض مرض موته حجب الناس عن الدخول عليه لثقل مرضه فاتفق أنه أفاق في بعض الأيام فقال لحاجبه من بالباب من المحاويج فقال عشرة من الأشراف وقد وصلوا من خراسان ولهم بالباب عدة أيام لم يجدوا طريقا فقعد على فراشه واستدعاهم فلما دخلوا رحب بهم وسألهم عن بلادهم وأحوالهم وسبب قدومهم فقالوا ضاقت بنا الأحوال وسمعنا بكرمك فقصدناك فأمر خازنه بإحضار بعض الصناديق وأخرج منه عشرين كيسا في كل كيس ألف دينار ودفع لكل واحد منهم كيسين ثم أعطى لكل واحد مؤونة طريقه وقال لهم لا تمسوا الأكياس حتى تصلوا بها سالمة إلى أهلكم واصرفوا هذا في مصالح الطريق ثم قال ليكتب لي كل واحد منكم خطه أنه فلان بن فلان حتى ينتهي إلى علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ويذكر جدته فاطمة بنت رسول الله ثم ليكتب يا رسول الله إني وجدت إضاقة وسوء حال في بلدي وقصدت أبا دلف العجلي فأعطاني ألفي

دينار كرامة لك وطلبا لمرضـــاتك ورجاء لشـفاعتك فكتب
كل واحد منهم ذلك وتسلم الأوراق وأوصى من
78 يتولى تجهيزه إذا مات أن يضـع تلك الأوراق في
كفنه حتى يلقى بها رسول الله ويعرضها عليه ومع هذا فقد
حكي أنه قال يوما من لم يكن مغاليا في التشيع فهو ولد زنا
فقال له ولده إني فلست على مذهبك فقال له أبوه لما وطئت
أمك وعلقت بك ما كنت بعد قد إستبرأتها فهذا من ذاك والله
أعلم ومع هذا فقد حكى جماعـة من أربـاب التواريخ ان
دلف بن أبي دلف قال رأيت في المنام آتيا أتاني فقال لي
أجب الأمير فقمت معه فأدخلني دارا وحشـة وعرة سـوداء
الحيطان مقلعة السـقوف والأبواب واصـعدني على درج
منها ثم أدخلني غرفة في حيطانها أثر النيران وفي أرضها
أثر الرماد وإذا بأبي وهو عريان واضـع رأسه بين ركبتيه
فقال لي كالمستفهم دلف قلت دلف فأنشأ يقول (أبلغن أهلنا
ولاتخف عنهم * ما لقينا في البرزخ الخناق) (قد سـئلنا
عن كل ما قد فعلنا * فارحموا وحشـتي وما قد ألاقي) ثم
قال فهمت قلت نعم ثم أنشد (فلو كنا إذا متنا تركنا * لكان
الموت راحة كل حي) (ولكنا إذا متنا بعثنا * ونسأل بعده
عن كل شـيء) ثم قال أفهمت قلت نعم وأنتبهت وكانت
وفاته سـنة سـت وعشـرين وقيل خمس وعشـرين ومائتين
ببغداد رحمه الله تعالى ودلف بضـم الدال المهملة وفتح
اللام وبعدها فاء وهو إسم علم لا ينصرف لاجتماع العلمية
والعدل فإنه معدول عن دالف

79 والعجلي قد تقدم الكلام عليه والأبلة بضم الهمزة والباء الموحدة واللام المشددة المفتوحة وبعدها هاء ساكنة وهي بلدة قديمة على أربعة فراسخ من البصرة وهي اليوم من البصرة وهي من جنان الدنيا وإحدى المستنزهات الأربع وقد سبق ذكرها في ترجمة عضد الدولة بن بويه مع شعب بوان وغيره والكرج بفتح الكاف والراء وبعدها جيم وهي مدينة بالجبل بين أصبهان وهمذان والجبل إقليم كبير بين بلاد العراق وخراسان والعامة تسمية عراق العجم وفيه مدن كبار منها همذان وأصبهان والري وزنجان وغير ذلك 539 شمس المعالي قابوس الأمير شمس المعالي أبو الحسن قابوس بن أبي طاهر وشمكير بن زيار بن وردانشاه الجيلي أمير جرجان وبلاد الجيل وطبرستان قال الثعالبي في اليتيمة أنا أختم هذا الجزء بذكر خاتم الملوك وغرة الزمان وينبوع العدل والإحسان ومن جمع الله سبحانه له إلى عزة العلم بسطة القلم وإلى فصل الحكمة فصل الحكم ثم قال ومن مشهور ما ينسب إليه من الشعر قوله

80 (قل للذي بصروف الدهر عيرنا * هل حارب الدهر إلا من له خطر) (أما ترى البحر تعلو فوقه جيف * وتستقر بأقصى قعره الدرر) (فإن تكن عبثت أيدي الزمان بنا * ومسنا من تمادي بؤسه ضرر) (ففي السماء نجوم ما لها عدد * وليس يكسف إلا الشمس والقمر) وينسب إليه أيضا (خطرات ذكرك تستثير مودتي *

فأحس منها في الفؤاد دبيبا) (لا عضو لي إلا وفيه صبابة * فكأن أعضـــائي خلقن قلوبا) وذكر له جملة من النثر أيضـــا وكان خطه في نهاية الحســن وكان الصـــاحب من عباد إذا رأى خطه قال هذا خط قابوس أم جناح طاووس وينشـد قول المتنبي (في خطه من كل قلب شـهوة * حتى كأن مداده الأهواء) (ولكل عين قرة في قربـه * حتى كأن مغيبه الأقذاء) وكان الأمير المذكور صاحب جرجان وتلك البلاد وكـانت من قبلـه لأبيـه وكـانـت وفـاة أبيـه في المحرم ســـنة ســـبع وثلاثين وثلثمائة بجرجان ثم أنتقلت مملكة جرحان عنهم إلى غيرهم وشرح ذلك يطول وملكها قابوس المذكور في شـــعبان ســـنة ثمان وثمانين وثلثمائة كـانت المملكة قد أنتقلت إلى أبيـه من أخيـه مرداويج بن زيار بن وردانشاه الجيلي وكان ملكا جليل القدر بعيد الهمة وكان عماد الدولة أبو الحسن علي بن بويه المقدم ذكره من أحد أتباعه ومقدمي أمرائه وبســـببه ترقى إلى درجة الملك وشـــرح حديثه يطول وهو أول من ملك من بني بويه وهو أكبر الإخوة وقد ســـبق ذكر ذلك كله وكان قابوس من محاسن الدنيا وبهجتها غير أنه كان على ما خص به من
81 والرأي البصـير بالعواقب مر السـياسـة لا يسـاغ كأسه ولا يؤمن بحال سطوته وبأسه يقابل زلة القدم بإراقة الدم لا يذكر العفو عند الغضـــب فما زال على هذا الخلق حتى إســتوحشــت النفوس منه وانقلبت القلوب عنه فأجمع أعيان عســكره على خلعه ونزع الأيدي عن طاعته فوافق

هذا التدبير منهم غيبته عن جرجان إلى المعســـكر ببعض القلاع فلم يشـــعر بهذا التدبير لذلك ولم يحس بهم إلا وقد قصدوه وأرادوا قبضه ونهبوا أمواله وخيله فحامى عنه من كان في صحبته من خواصه فرجعوا إلى جرجان وملكوها وبعثوا إلى ولده أبي منصـــور منوجهر وهو بطبرســـتان يستحثونه على الوصـول إليهم لعقد البيعة له فأسـرع في الحضور فلما وصل إليهم أجمعوا على طاعته إن خلع أباه فلم يســـعه في تلك الحال إلا المداراه والإجابة خوفا على خروج الملك عن بيتهم ولما رأى الأمير قابوس صـــورة الحال توجه إلى ناحية بســـطام بمن معه من الخواص لينتظر ما يســـتقر عليه الأمر فلما ســـمع الخارجون عليه انحيازه إلى تلك الجهة حملوا ولده منوجهر على قصـــده وإزعاجه من مكانه فسار معهم مضطرا فلما وصل إلى أبيه اجتمع به وتباكيا وتشاكيا وعرض الولد نفسه أن يكون حجابا بينه وبين أعاديه ولو ذهبت نفســـه فيه وراى الوالد أن ذلك لا يجدي وأنه احق بالملك من بعده وســـلم خاتم المملكة إليه واســتوصـــاه خيرا بنفســـه مادام في قيد الحياة واتفقا على ان يكون في بعض القلاع إلى أن يأتيه أجله فانتقل إلى تلك القلعة وشرع الولد في الإحسان إلى الجيش وهم لا يطمئنون خشـــية قيام الوالد ولم يزالوا حتى قتل وذلك في سنة ثلاث واربعمائة ودفن بظاهر جرجان رحمه الله تعالى وقيل أنه لما حبس في القلعة منع من الغطاء والدثار وكان البرد شـــديدا فمات من ذلك والجيلي بكســر

الجيم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام هذه النسبة إلى جيل وهو اســـم رجل كان اخا ديلم وقد نســـب إلى كل واحد منهما وهذه النسبة غير نسبة الجيلي إلى الإقليم الذي وراء طبرستان فليعلم ذلك فقد يقع

82 الالتباس فلهذا نبهت عليه وقد تقدم الكلام على جرجان فلا حاجة إلى إعادته 540 مجاهد الدين قايماز الزيني أبو منصـــور قايماز بن عبد الله الزيني الملقب مجاهد الدين الخادم كان عتيق زين الدين أبي ســـعيد علي بن بكتكين والد الملك المعظم مظفر الدين صـــاحب إربل وهو من أهل سجستان أخذ منها صغيرا وكان أبيض اللون وكانت مخايل النجابة لائحة عليه فقدمه معتقه وجعله اتابك أولاده وفوض إليه أمور إربل في خامس شـــهر رمضـــان سنة تسع وخمسين وخمسمائة فأحسن السيرة وعدل في الرعية وكان كثير الخير والصـــلاح بنى بإربل مدرســـة وخانقاه وأكثر وقفهما ثم أنتقل إلى الموصل في سنة إحدى وســـبعين وخمســـمائة وســـكن قلعتها وتولى امور تدبيرها وراســـل الملوك وراســـلوه وكان يبلغ منهم بكتبه ما لا يبلغ ســـواه وفوض إليه الأتابك ســـيف الدين غازي بن مودود المقدم ذكره صاحب الموصل الحكم في سائر بلاده لما رآه من حســـن مقاصـــده واعتمد عليه في جميع أحواله وكان نائبه وهو السلطان في الحقيقة وكان يحمل إليه أكثر أموال إربل وأثر بالموصـــل آثارا جميلة منها أنه بنى بظاهرها

جامعا كبيرا ومدرســــة وخانقاه والجميع متجاورة ووقف أملاكا كثيرة على خبز
83 الصـدقات وأنشـأ مكتبا للأيتام وأجرى لهم جميع ما يحتاجون إليه ومد على شط الموصل جسرا غير الجسر الأصـلي ووجد الناس به رفقا كثيرا لعدم كفايتهم بالجسـر الأصـلي وله شـيء كثير من وجوه البر ومدحه جماعة من الشـعراء منهم حيص بيص وسـبط ابن التعاويذي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى بقصيدتة التي أولها (عليل الشوق فيك متى يصـح * وسـكران بحبك كيف يصـحو) (وبين القلب والسـلوان حرب * وبين الجفن والعبرات صـلح) وهي من قصـائده المختارة وسـيرها إليه من بغداد فأجازه جائزة سـنية وسـير له معها بغلة فوصـلت إليه وقد هزلت من تعب الطريق فكتب إليه (مجاهد الدين دمت ذخرا * لكل ذي فاقة وكنزا) (بعثت لي بغلة ولكن * قد مسـخت في الطريق عنزا) ومدحه بهاء الدين أبو المعالي أسـعد بن يحيى السـنجاري المقدم ذكره بقصـيدته المشـهورة التي يتغنى بها ومن جملتها (يا قلب تبا لك من صـاحب * كان البلا منك ومن ناظري) (لله أيامي على رامة * وطيب أوقاتي على حاجر) (تكاد بالسـرعة في مرها * أولها يعثر بالآخر) وعمل له أبو المعالي أسـعد بن على الحظيري المقدم ذكره كتاب الإعجاز في حل الأحاجي والألغاز برسـم الأمير مجاهد الدين قايماز وحمله إليه لما كان بإربل واقام عنده مدة فاشتاق إلى أهله بالحظيرة فقال

84 (ألا من لصـــب قليل العزاء * غريب يحن إلى المنزل) (ينادي بإربل أحبابه * وأنى الحظيرة من إربل) وكان يحب الأدب والشعر أنشدني بعض اصحابنا قال كثيرا ما كان ينشد أبياتا من جملتها (إذا أدمت قوارصكم فؤادي * صـــبرت على أذاكم وانطويت) (وجئت إليكم طلق المحيا * كأني ما سمعت وما رأيت) وهذان البيتان من جملة أبيات لأســـامة بن منقذ المقدم ذكره وقد تقدم في ترجمة العلم أبي علي الحسن بن سعيد الشاتاني ذكر بيتين عملهما فيه لما قبض عليه وبالجملة فآثاره مشهورة وكان مجد الدين أبو الســـعادات المبارك بن الأثير الجزري صـــاحب جامع الأصـــول كاتبا بين يديه ومنشـــئا عنه إلى الملوك وكان قد مات الأتابك سـيف الدين وتولى أخوه عز الدين مسـعود فسـعى أهل الفسـاد إليه في حقه وكثر ذلك منهم غقبض عليه في سنة تسع وثمانين وجمسمائة ثم ظهر له فســـاد رأيه في ذلك فأطلقه واعاده إلى ما كان عليه واســتمر على ذلك إلى أن توفي في منتصــف شــهر ربيع الأول وقيل في سادسه وقال ابن المستوفي في تاريخ إربل في صفر سنة خمس وتسعين وخمسمائة بقلعة الموصل وكان شروعه في عمارة جامعة بالموصل في سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة رحمه الله تعالى

85 541 قتاده الســـدوســـي أبو الخطاب قتاده بن دعامه بن عزيز بن عمرو بن ربيعة بن عمرو بن ربيعة بن عمرو بن الحارث ابن ســدوس الســدوســي البصــري

الأكمه كان تابعيا و عالما كبيرا قال أبو عبيدة ما كنا نفقد غي كل يوم راكبا من ناحية بني أمية ينيخ على باب قتاده فيسأله عن خبر أو نسب أو شعر وكان قتادهة أجمع الناس وقال معمر سـألت أبا عمرو بن العلاء عن قوله تعالى (^ وماكنا له مقرنين) (الإسـراء : 17) فلم يجبني فقلت إني سـمعت قتاده يقول مطيقين فسـكت فقلت له ما تقول ياأبا عمروفقال حسبك قتاده فلولا كلامه في القدر وقد قال صلى الله عليه وسـلم إذا ذكر القدر فأمسـكوا لما عدلت به أحدا منأهل دهره وقال أبو عمرو كان قتاده من أنسـب الناس كان قد أدرك دغفلا وكان يدور البصـرة أعلاها وأسـفلها بغير قائد فدخل مسـجد البصـرة فإذا بعمرو بن عبيد ونفر معه قد اعتزلوا من حلقة الحسن البصري وحلقوا وارتفعت أصواتهم فأمهم وهو يظن أنها حلقة الحسن فلما صار معهم عرف أنها ليست هي فقال إنما هؤلاء المعتزلة ثم قام عنهم فمذ يومئذ سموا المعتزلة كانت ولادته سنة ستين للهجرة وتوفي سنة سبع عشرة ومائة بواسط

86 ثماني عشـرة رضـي الله عنه والسـدوسـي بفتح السـين المهملة وضـم الدال المهملة وسـكون الواو وبعدها سـين ثانيه هذه النسـبة إلى سـدوس بن سـيبان وهي قبيلة كبيرة كثيرة العلماء وغيرهم (154) ودغفل بفتح الدال المهملة وسـكون الغين المعجمة وفتح الفاء ثم لام هو ابن حنظلة السـدوسـي النسـابة أدرك النبي ولم يسمع منه شيئا وقدم على معاوية وكان أنسـب العرب وقتله الزارقة وقيل

إنه غرق بدجيل في وقعة دولاب وهو الأصـــح 542 قتيبة بن مسـلم أبو حفص قتيبة بن أبي صـــالح مسـلم بن عمرو بن الحصين بن ربيعة بن خالد بن أسيد الخير بن قضـاعي بن هلال بن سـلامة بن ثعلبة بن وائل بن معن بن مالك بن اعصر بن سعد بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان الباهلي أمير خراسان زمن عبد الملك بن مروان من جهة الحجاج بن يوسـف الثقفي لأنه كان أمير العراقين وكل من كان يليهما كانت خراســان مضـــافة إليه وأقام بها ثلاث عشرة سنة وكان من قبلها على الري وتولى خراسان بعد يزيد

87 المهلب بن أبي صـــفرة وفي ترجمة يزيد شـــرح ذلك وهو الذي افتتح خوارزم وسـمرقند وبخارى وقد كانوا كفروا وكان شهما مقداما نجيبا وكان أبوه مسلم كبير القدر عند يزيد بن معاوية وهوصـــاحب الحرون وكان الحروف من الفحول المشـــاهير يضـــرب به المثل ثم فتح بلغ قتيبة فرغانة في ســـنة خمس وتســـعين في أواخر أيام الوليد بن عبد الملك وقال أهل التاريخ بلغ قتيبة بن مســـلم في غزو الترك والتوغـل في البلاد مـا وراء النهر وافتتـاح القلاع واســـتبـاحـة البلاد وأخذ الأموال وقتـل الفتـاك مـالم يبلغـه المهلب بن أبي صفرة ولا غيره حتى أنه فتح بلاد خوارزم وسـمرقند في عام واحد ولما فتح هاتين المدينتين الجليلتين عادت الســـغد وحملت الاتاوة ودعا قتيبة لما تمت له هذه الأحوال نهار بن توســـعة شـــاعر المهلب بن أبي صـــفرة

وبنيه و قال له أين قولك في المهلب لما مات (ألا ذهب الغزو المقرب للغنى * ومات الندى والجود بعد المهلب) أفغمزو هذا يا نهار قال لابل هذا حشــــر ثم قال نهار وأنا القائل (ولا كان مذ كنا ولا كان قبلنا * ولا هو فيما بعدنا كابن مســلم) (أعم لأهل الترك قتلا بسـيفه * وأكثر فينا مقسـما بعد مقسـم) ثم إنه لما بلغ الحجاج ما فعل قتيبة من الفتوحات والقتل والســـبي قال بعثت قتيبة فتى غزاء فما زدته باعا إلا زادني ذراعا فلما مات الوليد في ســـنة ســـت وتســـعين وتولى الأمر أخوه ســـليمان بن عبد الملك وكان يكره قتيبة لأمر يطول شــــرحه فخاف منه قتيبة وخلع بيعة ســــليمان وخرج عليه وأظهر الخلاف فلم يوافقه على ذلك أكثر الناس وكان قتيبة قد عزل وكيع بن حسان بن قيس بن يوسف بن كلب بن عوف بن مالك بن

88 واســـم غدانة أشــرس وكنيته وكيع أبو المطرف الغداني عن رياســـة بني تميم فحقد وكيع عليه وســـعى في تأليب الجند سـرا وتقاعد عن قتيبة متمارضـا ثم خرج عليه وهو بفرغانة فقتله مع أحد عشـــر من أهله وذلك في ذي الحجة سنة ست وتسـعين للهجرة وقيل سنة سبع وتسعين ومولده ســـنة تســـع وأربعين وتولى خراســـان تســـع ســـنين وســـبعة أشـــهر هكذا قال الســـلامي في تاريخ ولاة خراســـان وهوخلاف ما قيل أولا وقال الطبري تولى خراســـان ســـنة ست وثمانين وفي قتله يقول جرير (ندمتم على قتل الأغر ابن مسـلم * وأنتم إذا لاقيتم الله أندم) (لقد كنتم من غزوه

في غنيمـة * وأنتم لمن لاقيتم اليوم مغنم) (على أنـه أفضى إلى حور جنة * وتطبق بالبلوى عليكم جهنم) وقتل أبوه مسلم بن عمرو مع مصعب بن الزبير في سنة اثنتين وسـبعين للهجرة 155 وقتيبة المذكور جد أبي عمروسـعيد بن سلم بن قتيبة بن مسلم وكان سـعيد المذكور سيدا كبيرا ممدحا وفيه يقول عبد الصـــمد بن المعذل يرثيه (كم يتيم نعشـــته بعد يتم * وفقير أغنيته بعد عدم) (كلما عضـــت النوائب نادى * رضـــي الله عن سـعيد بن سـلم) وتولى سـعيد أرمينية والموصـل والسـند وطبرسـتان وسـجسـتان والجزيرة وتوفي سنة سبع عشرة ومائتين ومن أخباره أنه قال لما كنت واليا بأرمينية

89 أتاني أبو دهمان الغلابي فقعد على بابي أياما فلما وصـــل إلي جلس قدامي بين السـماطين وقال والله إني لأعرف أقواما لو علموا أن سف التراب يقيم أود أصلابهم لجعلوه مسـكـة لأرمـاقهم إيثـارا للتنزه عن عيش رقيق الحواشـــي أما والله إني لبعيد الوثبة بطيء العطفة إنه والله ما يثنيني عليك إلا مثل ما يصــرفك عني ولأن أكون مقلا مقربا أحب إلي من أن اكون مكثرا مبعدا والله ما نســأل عملا لا نضـبطه ولا مالا إلا ونحن أكثر منه إن هذا الأمر الذي صار في يديك قد كان في يد غيرك فأمسوا والله حديثا إن خيرا فخير وإن شـرا فشـر فتحبب إلى عباد الله بحسـن البشـر ولين الحجاب فإن حب عباد الله موصـول بحب الله وهم شـــهداء الله على خلقه ورقباؤه على من أعوج عن

سبيله والسلام ولما مات ولده عمرو بن سعيد المذكور رثاه أبو عمرو أشجع بن عمرو السلمي الرقي نزيل البصرة الشاعر المشهور بقوله (مضى ابن سعيد حين لم يبق مشرق * ولا مغرب إلا له فيه مادح) (وما كنت أدري ما فواضل كفه * على الناس حتى غيبته الصفائح) (واصبح في لحد من الأرض ضيق * وكانت به حيا تضيق الصحاصح) (سأبكيك ما فاضت دموعي فإن تغض * فحسبك مني ما تجن الجوانح) (فما انا من رزء وإن جل جازع * ولا بسرور بعد موتك فارح) (كأن لم يمت حي سواك ولم يقم * على أحد إلا عليك النوائح) (لئن حسنت فيك المراثي وذكرها * لقد حسنت من قبل فيك المدائح) وهذه المرثية من محاسن المراثي وهي في كتاب الحماسة والبيت الأخير

90 منها مثل قول مطيع بن إياس في يحيى بن زياد من جملة أبيات (يا خير من يحسن البكاء له اليوم * ومن كان أمس للمدح) وهذه الأبيات في الحماسة في باب المراثي وأخباره كثيرة وقد تقدم الكلام على الباهلي في ترجمة الأصمعي وأن هذه النسبة إلى أي شيء هي وكانت العرب تستنكف من الأنتساب إلى هذه القبيلة حتى قال الشاعر (وما ينفع الأصل من هاشم * إذا كانت النفس من باهله) وقال الآخر (ولو قيل للكلب يا باهلي * عوى الكلب من لؤم هذا النسب) وقيل لأبي عبيدة يقال إن الأصمعي دعي في نسبه إلى باهلة فقال هذا ما يمكن فقيل

ولم فقال لأن الناس إذا كانوا من باهلة تبرأوا منها فكيف يجيء من ليس منها وينتسب إليها ورأيت في بعض المجاميع أن الأشعث بن قيس الكندي قال لرسول الله أتتكافأ دماؤنا فقال نعم ولو قتلت رجلا من باهلة لقتلتك به وقال قتيبة بن مسلم المذكور لهبيرة بن مسروح أي رجل أنت لو كان أخوالك من غير سلول فلو بادلت بهم فقال أصلح الله الأمير بادل بهم من شئت من العرب وجنبني باهلة ويحكى ان أعرابيا لقي شخصا في الطريق فسأله ممن أنت فقال من باهلة فرثى له الأعرابي فقال ذلك الشخص وأزيدك أني لست من صميمهم ولكن من مواليهم فأقبل الأعرابي عليه يقبل يديه ورجليه فقال له ولم ذاك فقال لأن الله تبارك وتعالى ما أبتلاك بهذه الرزية في الدنيا إلا ويعوضك الجنة في الآخرة وقيل لبعضهم أيسرك أن تدخل الجنة وأنت

91 باهلي فقال نعم بشرط ألا يعلم أهل الجنة أني باهلي والأخبار في ذلك كثيرة رحمهم الله أجمعين وسئل حسين بن بكر الكلابي النسابة عن السبب في اتضاع باهلة وغني عند العرب فقال لقد كان بينهما غناء وشرف ولم يضعهما إلا إشراف أخويهما فزارة وذبيان عليهما بالمآثر فدنوا بالإضافة إليهما ذكر ذلك الوزير أبو القاسم المغربي في كتاب أدب الخواص وقد تقدم الكلام إلى قتيبة في ترجمة عبد الله بن مسلم بن قتيبة 543 بهاء الدين قراقوش أبو سعيد قراقوش بن عبد الله الأسدي الملقب بهاء الدين

كان خادم صــلاح الدين وقيل خادم أسـد الدين شـيركوه عم السـلطان صـــلاح الدين فأعتقه وقد تقدم ذكره في ترجمة الفقيه عيســى الهكاري ولما أسـتقل صــلاح الدين بالديار المصــرية جعله زمام القصـــر ثم ناب عنه مدة بالديار المصــرية وفوض أمورها إليه واعتمد في تدبير أحوالها عليه وكان رجلا مسـعودا وصـاحب همة عالية وهو الذي بنى السـور المحيط بالقاهرة ومصـر وما بينهما وبنى قلعة الجبل وبنى القناطر التي بالجيزة على طريق الأهرام وهي آثار دالة على علو الهمة وعمر بالمقس رباطا وعلى باب الفتوح بظاهر القاهرة خان سبيل

92 وله وقف كثير لا يعرف مصــرفه وكان حسـن المقاصد جميل النية ولما أخذ صـلاح الدين مدينة عكا من الفرنج سـلمها إليه ثم لما عادوا واسـتولوا عليها حصــل أسـيرا في أيديهم ويقال إنه افتك نفسـه بعشـرة آلاف دينار وذكر شيخنا القاضي بهاء الدين بن شداد في سيرة صلاح الدين إنه انفك من الأسر في يوم الثلاثاء حادي عشر شوال سـنة ثمان وثمانين وخمسـمائة ومثل في الخدمة الشـريفة السلطانية ففرح به فرحا شـديدا وكان له حقوق كثيرة على السلطان وعلى الإسلام والمسلمين واستأذن في المسير إلى دمشق ليحصل مال القطيعة فأذن له في ذلك وكان على ما ذكر ثلاثين ألفا والناس ينســبون إليه أحكاما عجيبة في ولايته حتى إن الأســعد بن مماتي المقدم ذكره له جزء لطيف سـماه الفاشـوش في أحكام قراقوش وفيه أشـياء يبعد

وقوع مثلها منه والظاهر أنها موضوعة فإن صلاح الدين كان معتمدا في أحوال المملكة عليه ولولا وثوقه بمعرفته وكفايته ما فوضها إليه و كانت وفاته في مستهل رجب سنة سبع وتسعين وخمسمائة بالقاهرة ودفن في تربته المعروفة به بسفح المقطم بقرب البئر والحوض اللذين أنشأهما على شفير الخندق رحمه الله تعالى وقراقوش بفتح القاف والراء وبعد الألف قاف ثانية ثم واو وبعدها شين معجمة وهو لفظ تركي تفسيره بالعربي العقاب الطائر المعروف وبه سمي الإنسان والله أعلم

93 544 قطري بن الفجاءة أبو نعامة قطري بن الفجاءة واسمه جعونة بن مازن بن يزيد بن زياد ابن خنثر بن كابيه بن حرقوص بن مازن بن ماللك بن عمرو بن تميم بن مر المازني الخارجي خرج زمن مصعب بن الزبير لما ولي العراق نيابة عن أخيه عبد الله بن الزبير وكانت ولاية مصعب في سنة ست وستين للهجرة فبقي قطري عشرين سنة يقاتل ويسلم عليه بالخلافة وكان الحجاج بن يوسف الثقفي يسير إليه جيشا بعد جيش وهو يستظهر عليهم وحكي عنه أنه خرج في بعض حروبه وهو على فرس أعجف وبيده عمود خشب فدعا إلى المبارزة فبرز إليه رجل فحسر له قطري عن وجهه فلما رآه الرجل ولى عنه فقال له قطري إلى أين فقال لا يستحيي الإنسان أن يفر منك وقد ذكر أبو العباس المبرد في كتاب الكامل من أخبارهم ومحارباتهم قطعة كبيرة ولم يزل الحال بينهم

كذلك حتى توجه إليه ســـفيان بن الأبرد الكلبي فظهر عليه وقتله في ســنة ثمان وســبعين للهجرة وكان المباشــر لقتله سودة بن أبجر
94 الدارمي وقيل إن قتله كان بطبرســتان في ســنة تسع وسبعين وقيل عثر به فرسه فاندقت فخذه فمات فأخذ رأســـه فجيء به إلى الحجاج قلت هكذا قال أهل التاريخ والله أعلم أنه أقام عشرين سنة يقاتل ويسلم عليه بالخلافة وتاريخ خروجه وقتله بخلاف ذلك فتأمله ولا عقب لقطري وإنما قيل لأبيه الفجاءة لأنه كان باليمن فقدم على أهله فجاءة فســمي به وبقي عليه وقطري هو الذي عناه الحريري في المقامة الســادســة بقوله فقلدوه في هذا الأمر الزعامة تقليد الخوارج أبا نعامة وكان رجلا شجاعا مقداما كثير الحروب والوقائع قوي النفس لا يهاب الموت وفي ذلك يقول مخاطبا لنفسه (أقول لها وقد طارت شعاعا * من الأبطال ويحك لا تراعي) (فإنك لو ســألت بقاء يوم * على الأجل الذي لك لم تطاعي) (فصــبرا في مجال الموت صــبرا * فما نيل الخلود بمســتطاع) (ولا ثوب الحياة بثوب عز * فيطوى عن أخي الخنع اليراع) (سبيل الموت غاية كل حي * وداعيه لأهل الأرض داعي) (ومن لا يعتبط يسأم ويهرم * وتسلمه المنون إلى انقطاع) (وما للمرء خير في حياة * إذا ما عد من سقط المتاع) وهذه الأبيات مذكورة في الحماســة في الباب الأول وهي تشــجع أجبن خلق الله وما أعرف في هذا الباب مثلها وما

صـدرت إلا عن نفس أبية وشـهامة عربية وهو معدود في جملة خطباء العرب المشهورين بالبلاغة والفصاحة
95 روي أن الحجاج قال لأخيه لأقتلنك فقال لم ذلك قال لخروج أخيك قال فإن معي كتاب أمير المؤمنين أن لا تأخذني بذنب أخي قال هاته قال فمعي ما هو أوكد منه قال ما هو قال كتاب الله عز وجل حيث يقول (^ ولا تزر وازرة وزر أخرى) (الأنعام 164 والإسراء 15&&وفاطر 18&&والزمر&&7) فعجب منه وخلى سبيله وفي قطري قال حصين بن حفصة السعدي من أبيات : (وأنت الذي لانستطيع فراقه * حياتك لانفع وموتك ضائر) وقد ضبطت أسماء أجداده ضبطا يغني عن التقييد ففيه تطويل فمن كتبه فليعتمد على هذا الضبط ففيه كفاية وكذلك الألفاظ التي في الأبيات مضبوطة وقد قيل إن قولهم قطري ليس باسم له ولكنه نسبة إلى موضع بين البحرين وعمان وهو إسم بلد كان منه أبو نعامة المذكور فنسب إليه وقيل إنه هو قصبة عمان والقصبة هي كرسي الكورة & حرف الكاف &
96 @96@
97 @97@
98 @98@
99 545 كافورالإخشيدي أبو المسك كافور بن عبد الله الإخشيدي وقد سبق شيء من خبره في ترجمة فاتك وكان كافور عبدا لبعض أهل مصر ثم إشتراه أبو بكر

محمد ابن طغج الإخشيد الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في سنة إثنتي عشرة وثلثمائة بمصر بن محمود بن وهب بن عباس وترقى عنده إلى أن جعله أتابك ولديه وقال محمد وكيل الأستاذ كافور خدمت الأستاذ والجراية التي يطلقها ثلاث عشرة جراية في كل يوم ومات وقد بلغت على يدي ثلاثة عشر ألفا في كل يوم ولما توفي الإخشيد في التاريخ المذكور في ترجمته تولى مملكة مصر والشام ولده الأكبر وهو أبو القاسم أنوجور ومعناه بالعربي محمود بعقد الراضي له وقام كافور بتدبير دولته أحسن قيام إلى أن توفي أنوجور يوم السبت لثمان وقيل لسبع خلون من ذي القعدة سنة تسع وأربعين وثلثمائة وحمل إلى القدس ودفن عند أبيه وكانت ولادته بدمشق يوم الخميس لتسع خلون من ذي الحجة سنة تسع عشرة وثلثمائة رحمه الله تعالى وتولى بعده أخوه أبو الحسن علي وملك الروم في أيامه حلب والمصيصة وطرسوس وذلك الصقع أجمع فاستمر كافور على نيابته وحسن إيالته إلى أن توفي علي المذكور في سنة خمسن وخمسين وثلثمائة وقيل بل توفي لإحدى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة أربع وخمسين

100 وكانت ولادته يوم الثلاثاء لأربع بقين من صفر سنة ست وعشرين وثلثمائة بمصر رحمه الله تعالى ثم إستقل كافور بالمملكة من هذا التاريخ وأشير عليه بإقامة الدعوة لولد أبي الحسن علي بن الإخشيد فاحتج بصغر سنه وركب بالمطارد وأظهر خلعا جاءته من

العراق وكتابا بتكنيته وركب بالخلع يوم الثلاثاء لعشر خلون من صفر سنة خمس وخمسين وثلثمائة وكان وزيره أبا الفضل جعفر بن الفرات المقدم ذكره وكان كافور يرغب في أهل الخير ويعظمهم وكان أسود اللون شديد السواد بصاصا واشتراه الإخشيد بثمانية عشر دينارا على ما نقل وقد سبق في ترجمة الشريف ابن طباطبا شيء من خبره معه وكان أبو الطيب المتنبي قد فارق سيف الدولة بن حمدان المقدم ذكره مغاضبا له وقصد مصر وامتدح كافورا بأحسن المدائح فمن ذلك قوله في أول قصيدة أنشأها له في جمادى الآخرة سنة ست وأربعين وثلثمائة وقد وصف فيها الخيل ثم قال (قواصد كافور توارك غيره * ومن قصد البحر استقل السواقيا) (فجاءت بنا إنسان عين زمانه * وخلت بياضا خلفها ومآقيا) ولقد أحسن في هذا غاية الإحسان وأنشده أيضا في شوال سنة سبع وأربعين قصيدته البائية التي يقول فيها (وأخلاق كافور إذا شئت مدحه * وإن لم أشأ تملي علي فأكتب) (إذا ترك الإنسان أهلا وراءه * ويمم كافورا فما يتغرب) ومن جملتها (يضاحك في ذا العيد كل حبيبه * حذائي وأبكي من أحب وأندب)

101 (أحن إلى أهلي وأهوى لقاءهم * وأين من المشتاق عنقاء مغرب) (فإن لم يكن إلا أبو المسك أو هم * فإنك أحلى في فؤادي وأعذب) (وكل امرىء يولي الجميل محبب * وكل مكان ينبت العز طيب) وحكي عن

المتنبي أنه قال كنت إذا دخلت على كافور أنشده يضحك
إلي ويبش في وجهي إلى أن أنشدته (ولما صار ود الناس
خبا * جزيت على إبتسام بإبتسام) (وصرت أشك فيمن
أصطفيه * لعلمي أنه بعض الأنام) قال فما ضحك بعدها
في وجهي إلى أن تفرقنا فعجبت من فطنته وذكائه وآخر
شيء أنشده في شوال سنة تسع وأربعين ولم يلقه بعدها
قصيدته البائية وشابها بطرف من العتب ومنها (أرى لي
بقربي منك عينا قريرة * وإن كان قربا بالبعاد يشاب) (
وهل نافعي أن ترفع الحجب بيننا * ودون الذي أملت منك
حجاب) (أقل سلامي حب ما خف عنكم * وأسكت كيما
لايكون جواب) (وفي النفس حاجات وفيك فطانة *
سكوتي بيان عندها وخطاب) (وما أنا بالباغي على
الحب رشوة * ضعيف هوى يبغى عليه ثواب) (وما
شئت إلا ان أدل عواذلي * على أن رأيي في هواك صواب
) (وأعلم قوما خالفوني فشرقوا * وغربت أنى قد ظفرت
وخابوا) (جرى الخلف إلا فيك أنك واحد * وأنك ليث
والملوك ذئاب) (وأنك إن قويست صحف قارىء * ذئابا
ولم يخطىء فقال ذباب) (وإن مديح الناس حق وباطل *
ومدحك حق ليس فيه كذاب) (إذا نلت منك الود فالمال
هين * وكل الذي فوق التراب تراب)
102 (وماكنت لولا أنت إلا مهاجرا * له كل يوم
بلدة وصحاب) (ولكنك الدنيا إلي حبيبة * فما عنك لي
إلا إليك ذهاب) وأقام المتنبي بعد إنشاده هذه القصيدة

بمصـــر ســـنة لا يلقى كافورا غضـــبا عليه لكنه يركب في خدمته خوفا منه ولا يجتمع به واســـتعد للرحيل في الباطن وجهز جميع ما يحتاج إليه وقال في يوم عرفة سنة خمسين وثلثمائة قبل مفارقته مصر بيوم واحد قصيدته الدالية التي هجا كافورا فيها وفي آخر هذه القصـيدة (من علم الأسـود المخصـــي مكرمة * أقومه البيض أم آباؤه الصـــيد) (أم أذنه في يد النخاس دامية * أم قدره وهو بالفلسين مردود) (وذاك أن الفحول البيض عـاجزة * عن الجميـل فكيف الخصـيـة السـود) وله فيه أهاج كثيرة تضـمنها ديوانه ثم فارقه بعد ذلك ورحل إلى عضـــد الدولة بن بويه بشـــيراز حســـبما تضـــمنه ترجمته ورأيت في بعض المجاميع قال بعضـــهم حضـــرت مجلس كافور الإخشـــيدي فدخل رجل ودعا له وقال في دعائه أدام الله أيام مولانا بكسـر الميم من أيام فتحدث جماعة من الحاضـــرين في ذلك وعابوه عليه فقام رجل من أوساط الناس وأنشد مرتجلا وهو أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن حشـيش النجيرمي اللغوي الاخباري كاتب كافور والذي دعا لكافور ولحن هو أبو الفضـل ابن عياش (لا غرو أن لحن الداعي لسـيدنا * أو غص من دهش بـالريق أو بهر) (فتلـك هيبتـه حـالـت جلالتها * بين الأديب وبين القول بالحصر)
103 (فإن يكن خفض الأيام من غلط * في موضع النصـب لا عن قلة النظر) (فقد تفاءلت في هذا لسـيدنا * والفأل مأثورة عن ســـيد البشـــر) (بأن أيامه خفض بلا

نصــب * وأن أوقاته صـفو بلا كدر) وأخبار كافور كثيرة ولما كثرت الزلازل بمصـر في أيام كافور أنشده محمد بن عاصم قصيدة يقول فيها (ما زلزلت مصر من سوء يراد بها * لكنها رقصــــت من عدله فرحا) فأمر له بألف دينار وقيل إن عطاءه ذلك حث المتنبي على المسـير إلى مصــر ودخل على كافور غلام فقال ما اسمك قال كافور فقال نعم ما كل من اسمه محمد نبي وله مع الشيخ عبد الله بن جابار الصـوفي الزاهد شيخ البقاعي رحمهما الله تعالى وكان من كبار المشـــايخ قصــــة عجيبة هي من غرر مناقبه ذكر المســـبحي في تاريخه قال حدثني أبو الدابة كاتب أبي بكر القمي عن أبي الحسـن البغدادي قال وردت إلى مصــر مع والدي وأنا صـبي دون البلوغ في أيام كافور وكان أبو بكر المحلي يتولى نفقات مصـــالحه وخواص خدمه وقد نتجت بينه وبين أبي مودة وكان يزوره ويصـــله قال فجاءه ذات يوم فتـذاكرا أخبــار كــافور وطريقتــه ومــا هو عليــه من الخشوع فقال أبو بكر لأبي وأنا أسمع هذا الأستاذ كافور له في كل عيد أضــحى عادة وهي أن يســلم إلي بغلا محملا ذهبا وورقا وجريدة تتضمن أسماء قوم من حد القرافة إلى المنامة وما بينهما ويمضـي معي صـاحب الشـرطة ونقيب يعرف المنازل وأطوف من بعد العشــاء الآخرة إلى آخر الليل حتى أسـلم ذلك إلى من جعل له وتتضــمن اســمه الجريدة وأطوف منزل كل إنســان ما بين رجل وامرأة وأقول الأســتاذ أبو المســك كافور يهنيك بعيدك ويقول لك

اصـــرف هذا في منفعتك فادفع إليه ما جعل له فلما كان في هذا العيد جريت على العـادة ورأيتـه زادني في الجريدة الشـــيخ أبو عبد الله ابن جابار مائة دينار فأنفقت المال في أربابه ولم يبق إلا الصرة فجعلتها في كمي

104 مع النقيب حتى أتينا منزله بظاهر القرافة فطرقت الباب فنزل إلينا شيخ عليه أثر السهر فسلمت عليه فلم يرد علي وقال ما حاجتك قلت الأستاذ أبو المسك كافور يخص الشـــيخ بالســـلام فقال والي بلدنا قلت نعم قال حفظه الله يعلم انني أدعو له في الخلوات وأدبار الصـــلوات وللمســـلمين بما الله ســـامعه ومجيبه قلت وقد أنفذ معي هذه الصـــرة وهو يســـألك قبولها لتصـــرفها في مؤونة هذا العيد المبارك فقال نحن رعيته ونحن نحبه في الله تعالى وما نفســـد هذا بعلة فراجعته القول فتبين لي الضـــجر في وجهه والقلق والتلهف واستحييت من الله تعالى ان أقطعه عما هو عليه فتركته وانصـــرفت قال فجئت فوجدت الأمير قد تهيأ للركوب وهو ينتظرني فلما رآني قال هيه يا أبا بكر فقلت له أرجو أن يســـتجيب الله تعالى فيك كل دعوة صـــالحة دعيت لك في هذه الليلة وفي هذا اليوم الشـريف فقال الحمد لله الذي جعلني ســـببا لإيصـــال الراحة إلى عياله ثم أخبرته بامتناع ابن جابار فقال نعم هو بذلك جدير لم يجر بيننا وبينه معاملة قبل هذا اليوم ثم قال لي عد إليه واركب دابة من دواب النوبة فلســـت أشـك فيما لقيت دابتك في هذه الليلة من التعب ثم امض إليه واطرق بابه فإذا نزل إليك فإنه

سيقول ألم تكن عندنا فلا ترد عليه جوابا ثم إستفتح واقرأ (
^ بسم الله الرحمن الرحيم طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى
إلا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات
العلى الرحمن على العرش إستوى له ما في السموات وما
في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى) (طه&&1-6)
يا ابن جابار يقول لك كافور ومن كافور الأسود العبد
السود ومن مولاه ومن الخلق أبقي لأحد مع الله تعالى ملكة
أو شركة تلاشى الناس كلهم هاهنا تدري من معطيك وعلى
من رددت أنت ما سألت هو أرسل إليك يا ابن جابارما
تفرق بين السبب والمسبب قال فركبت وسرت فطرقت
منزله فنزل إلي وقال لي مثل لفظ كافور فأضربت عن
الجواب وقرأت طه ثم قلت له ما قال كافور فبكى ابن
جابار وقال أين ما حملت فأخرجت له الصرة فأخذها وقال
علمنا الأستاذ كيف التصوف قل له أحسن الله جزاءك قال
فعدت إليه فأخبرته فسر بذلك ثم سجد لله تعالى شكرا وقال
105 الحمد لله الذي جعلني سببا لإيصال الراحة إلى
عباده ثم ركب حينئذ ولم يزل مستقلا بالأمر بعد أمور
يطول شرحها إلى توفي يوم الثلاثاء لعشر بقين من جمادى
الأولى سنة ست وخمسين وثلثمائة وقيل إنه توفي يوم
الأربعاء وقيل توفي سنة خمس وخمسين وثلثمائة وقيل
سنة سبع وخمسين وهو قول القضاعي في كتاب الخطط
والله أعلم وكذا قال الفرغاني في تاريخه أيضا حمه الله
تعالى والأول أصح ودفن بالقرافة الصغرى وقبته مشهورة

هناك ولم تطل مدته في الاستقلال على ما ظهر من تاريخ موت علي بن الإخشيد إلى هذا التاريخ . وكانت بلاد الشام في مملكته أيضا مع مصر وكان يدعى له على المنابر بمكة والحجاز جميعه والديار المصرية وبلاد الشام من دمشق وحلب وأنطاكية وطرسوس والمصيصة وغير ذلك وكان تقدير عمره خمسا وستين سنة على ما حكاه الفرغاني في تاريخه والله اعلم وكانت أيامه سديدة جميلة ووقع الخلف فيمن ينصب للأمر بعده إلى أن تقرر الأمر وتراضت الجماعة بولد أبي الحسن علي بن الإخشيد كانت ولاية كافور سنتين وثلاثة أشهر إلا سبعة أيام وخطب لأبي الفوارس أحمد بن علي بن الإخشيد يوم الجمعة لسبع بقين من جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وبقية خبرهم مذكورة في ترجمة جده محمد الإخشيد

106 546 كثير عزة أبو صخر كثير بن عبد الرحمن بن أبي جمعة الأسود بن عامر بن عويمر الخزاعي أحد عشاق العرب المشهورين به وقال ابن الكلبي في جمهرة النسب هو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عويمر بن مخلد بن سعيد بن سبيع بن خثعمة بن سعد بن مليح بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد وبقية

107 النسب معروفة وربيعة بن حارثة هو لحي وابنه عمرو بن لحي هو الذي رآه النبي يجر قصبه في

النار وهو أول من سيب السوائب وبحر البحيرة وغير دين إبراهيم عليه السلام ودعا العرب إلى عبادة الأصنام وهذا لحي وأخوه أفصـــى ابنا حارثة هما خزاعة ومنهما تفرقت وإنما قيل لهم خزاعة لأنهم انقطعوا عن الأزد لما تفرقت الأزد من اليمن أيام ســيل العرم وأقاموا بمكة وســـار الآخرون إلى المدينة والشام وعمان وقال ابن الكلبي أيضا قبل هذا بقليل والأشـيم وهو أبو جمعة بن خالد بن عبيد بن مبشر بن رباح وهو جد كثير بن عبد الرحمن صاحب عزة أبو أمه إليه ينسب وهو صاحب عزة بنت جميل بن حفص بن إياس بن عبد العزى بن حاجب بن غفار بن مليل بن ضـمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إليـاس بن مضـــر بن نزار بن معد بن عدنـان وقـال الســـمعاني جميل بن وقاص بن حفص بن إياس والله اعلم وله معها حكايات ونوادر وأمور مشـــهورة وأكثر شـــعره فيها وكان يدخل على عبد الملك بن مروان وينشـده وكان رافضـيا شـديد التعصـب لآل أبي طالب حكى ابن قتيبة في طبقات الشـــعراء أن كثيرا دخل يوما على عبد الملك فقال لـه عبد الملك بحق علي بن أبي طـالب هل رأيت أحدا أعشق منك قال يا أمير المؤمنين لو نشدتني بحقك أخبرتك قال نشـدتك بحقي إلا ما أخبرتني قال نعم بينا أنا أسـير في بعض الفلوات إذا أنا برجل قد نصـــب حبالة فقلت له ما أجلســك هاهنا قال أهلكني وأهلي الجوع فنصـــبت حبالتي هذه لأصيد لهم شيئا ولنفسي ما يكفينا ويعصمنا يومنا هذا

108 قلت أرأيت إن أقمت معك فأصبت صيدا تجعل لي منه جزءا قال نعم فبينا نحن كذلك إذ وقعت ظبية في الحبالة فخرجنا نبتدر فبدرني إليها فحلها واطلقها فقلت له ما حملك على هذا قال دخلتني لها رقة لشبهها بليلى وأنشأ يقول (أيا شـــبـه ليلى لا تراعي فإنني * لك اليوم من وحشـية لصـديق) أقول وقد أطلقتها من وثاقها * فأنت لليلى ما حييت طليق) ولما عزم عبد الملك على الخروج إلى محاربة مصعب بن الزبير ناشدته زوجته عاتكة بنت يزيد بن معاوية أن لا يخرج بنفسه وأن يستنيب غيره في حربه ولم تزل تلح عليه في المسألة وهو يمتنع من الإجابة فلما يئســت أخذت في البكاء حتى بكى من كان حولها من جواريها وحشـــمها فقال عبد الملك قاتل الله ابن أبي جمعة يعني كثيرا كأنه رأى موقفنا هذا حين قال (إذا ما أراد الغزو لم يثن عزمه * حصـــان عليها نظم در يزينها) (نهته فلما لم تر النهي عاقه * بكت فبكى مما شجاها قطينها) ثم عزم عليها أن تقصر فأقصرت وخرج لقصده ويقال إن عزة دخلت على أم البنين ابنة عبد العزيز وهي أخت عمر ابن عبد العزيز وزوجة الوليد بن عبد الملك فقالت لها أرأيت قول كثير (قضـــى كل ذي دين فوفى غريمه * وعزة ممطول معنى غريمها) ما كان ذلك الدين قالت وعدته قبلة فحرجت منها فقالت أم البنين أنجزيها وعلي إثمها ثم ندمت أم البنين فاستغفرت الله تعالى وأعتقت عن هذه الكلمة أربعين رقبة

109 وكان لكثير غلام عطار بالمدينة وربما باع نساء العرب بالنسيئة فأعطى عزة وهو لا يعرفها شيئا من العطر فمطلته أياما وحضرت إلى حانوته في نسوة فطالبها فقالت له حبا وكرامة ما أقرب الوفاء وأسرعه فأنشد متمثلا (قضـــى كل ذي دين فوفى غريمه * وعزة ممطول معنى غريمها) فقالت النســـوة أتدري من غريمتك فقال لا والله فقلن هي والله عزة فقال أشـــهدكن الله أنها في حل مما لي قبلها ثم مضـى إلى سيده فأخبره بذلك فقال كثير وأنا أشـهد الله أنك حر لوجهه ووهبه جميع ما في حانوت العطر فكان ذلك من عجائب الاتفاق ولكثير في مطالها بالوعد شـــعر كثير فمن ذلك قوله (أقول لها عزيز مطلت ديني * وشـر الغانيات ذوو المطال) فقالت ويح غيرك كيف أقضي * غريما ما ذهبت له بمال) وله (وقد زعمت أني تغيرت بعدها * ومن ذا الذي يا عز لا يتغير) (تغير جســـمي والخليقة كالذي * عهدت ولم يخبر بســـرك مخبر) ولما قتل يزيد بن المهلب بن أبي صـــفرة وجماعة من أهل بيته بعقر بابل وسـيأتي خبر ذلك في ترجمته إن شـاء الله تعالى وكانوا يكثرون الإحســـان إلى كثير فلما بلغه ذلك قال ما أجل الخطب ضـحى بنو حرب بالدين يوم الطف وضـحى بنو مروان بالكرم يوم العقر وأسبلت عيناه بالدموع

110 وحدث أبو الفرج الأصـــبهاني صـــاحب كتاب الأغـاني أن كثيرا خرج من عنـد عبـد الملـك بن مروان وعليه مطرف فاعترضته عجوز في الطريق اقتبست نارا

في روثة فتأفف كثير في وجهها فقالت من أنت قال كثير عزة فقالت ألست القائل (فما روضة زهراء طيبة الثرى * يمج الندى جثجاثها وعرارها) (بأطيب من أردان عزة موهنا * إذا أوقدت بالمندل الرطب نارها) فقال لها كثير نعم فقالت لو وضع المندل الرطب على هذه الروثة لطيب رائحتها هلا قلت كما قال امرؤ القيس (ألم ترياني كلما جئت طارقا * وجدت بها طيبا وإن لم تطيب) فناولها المطرف وقال استري علي هذا وسمعت بعض مشايخ الأدب في زمن اشتغالي بالأدب يقول إن النصف الثاني من البيت الثاني من تتمة أوصاف الروضة أيضا فكأنه قال إن هذه الروضة الطيبة الثرى التي يمج الندى جثجاثها وعرارها إذا أوقدت بالمندل الرطب نارها ما هي بأطيب من أردان عزة وعلى هذا لا يبقى عليه اعتراض لكنه يبعد أن يكون هذا مقصوده وكان كثير ينسب إلى الحمق ويروى أنه دخل يوما على يزيد بن عبد الملك فقال يا أمير المؤمنين ما يعني الشماخ بقوله (إذا الأرطى توسد أبرديه * خدود جوازىء بالرمل عين)

111 فقال يزيد وما يضرني أن لا أعرف ما عنى هذا الأعرابي الجلف واستحمقه وأمر بإخراجه ودخل كثير على عبد العزيز بن مروان والد عمر يعوده في مرضه وأهله يتمنون أن يضحك وكان يومئذ أمير مصر فلما وقف عليه قال لولا أن سرورك لا يتم بأن تسلم وأسقم لدعوت الله ربي أن يصرف ما بك إلي ولكني أسأل الله

تعالى لك العافية ولي في كنفك النعمة فضحك عبد العزيز وأنشد كثير (ونعود سيدنا وسيد غيرنا * ليت التشكي كان بالعواد) (لو كان يقبل فدية لفديته * بالمصطفى من طارفي وتلادي) ومما يستجاد من شعر كثير قصيدته التائية التي يقول من جملتها (وإني وتهيامي بعزة بعد ما * تسليت من وجد بها وتسلت) (لكالمرتجي ظل الغمامة كلما * تبوأ منها للمقيل اضمحلت) وقال أبو علي القالي أنشدنا أبو عبد الله إبراهيم بن عرفة المعروف بنفطويه لكثير (ألا تلك عزة قد أقبلت * تقلب للهجر طرفا غضيضا) (تقول مرضت فما عدتني * وكيف يعود مريض مريضا) ومن شعره أيضا

112 (رهبان مدين والذين عهدتهم * يبكون من حذر العذاب قعودا) (لو يسمعون كما سمعت كلامها * خروا لعزة ركعا وسجودا) وبلغ كثيرا أن عزة مريضة وأنها تشتاقه فخرج يريدها فلما صار ببعض الطريق لقيه أعرابي من نهد فقال يا أبا صخر أين تريد قال أريد عزة قال فهل رأيت في وجهك شيئا قال لا إلا أني رأيت غرابا ساقطا فوق بانة ينتف ريشه قال توافي مصر وقد ماتت عزة فانتهزه كثير ثم مضى وعاد كثير إلى مصر فوافاها والناس منصرفون من جنازة عزة فقال (رأيت غرابا ساقطا فوق بانة * ينتف أعلى ريشه ويطايره) (فقلت ولو أني أشاء زجرته * بنفسي للنهدي هل أنت زاجره) (فقال غراب لاغتراب وفرقة * وبان فبين من حبيب

تعاشره) (فما أعيف النهدي لا در دره * وازجره للطير لا عز ناصره) وكان كثير بمصر وعزة بالمدينة فاشتاق إليها فسافر نحوها فلقيها في الطريق وهي متوجهة إلى مصر وجرى بينهما كلام يطول شرحه ثم إنها انفصلت عنه وقدمت إلى مصر وعاد كثير إلى مصر فوافاها والناس ينصرفون من جنازتها فأتى قبرها وأناخ راحلته عنده ومكث ساعة ثم رحل وهو ينشد أبياتا منها (أقول ونضوي واقف عند قبرها * عليك سلام الله والعين تسفح) (وقد كنت أبكي من فراقك حية * فأنت لعمري اليوم أنأى وأنزح)

113 وأخبارهما كثيرة وتوفي كثير عزة في سنة خمس ومائة رحمه الله تعالى وروى محمد بن سعد عن الواقدي عن خالد بن القاسم البياضي قال مات عكرمة مولى ابن عباس وكثير عزة في يوم واحد في سنة خمس ومائة فرأيتهما جميعا صلي عليهما في موضع واحد بعد الظهر فقال الناس مات أفقه الناس وأشعر الناس وكان موتهما بالمدينة وقد تقدم ذكر عكرمة والخلاف في تاريخ موته فلينظر هناك في ترجمته وقد تقدم الكلام على الخزاعي وكثير تصغير كثير وإنما صغر لأنه كان حقيرا شديد القصر وكان إذا دخل على عبد العزيز بن مروان يقول طأطىء رأسك لئلا يؤذيك السقف يمازحه بذلك وكان يلقب زب الذباب لقصره وقال بعضهم رأيت كثيرا يطوف بالبيت فمن أخبرني أن طوله كان أكثر من ثلاثة أشبار فقد

كذب 547 مظفر الدين صاحب إربل أبو سعيد كوكبوري بن أبي الحســـن علي بن بكتكين بن محمد الملقب الملك المعظم مظفر الدين صاحب إربل
114 156 كان والده زين الدين علي المعروف بكجك صـــاحب إربل ورزق أولادا كثيرة وكان قصـــيرا ولهذا قيل له كجك وهو لفظ أعجمي معناه بالعربي صـغير أي صــغير القدر وأصــله من التركمان وملك إربل وبلادا كثيرة في تلك النواحي وفرقها على أولاد أتابك قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل ولم يبق له سوى إربل والشـــرح يطول وعمر طويلا يقال إنه جاوز مائة ســـنة وعمي في آخر عمره وانقطع بإربل إلى أن توفي بها ليلة الأحد حادي عشر ذي القعدة سنة ثلاث وستين وخمسمائة وقال ابن شداد في سيرة صلاح الدين مات في ذي الحجة من الســـنة ودفن في تربته المعروفة به المجاورة للجامع العتيق داخل البلد رحمه الله تعالى وكان موصـــوفا بالقوة المفرطة والشــهامة وله بالموصــل أوقاف كثيرة مشــهورة من مدارس وغيرها قال شـــيخنا الحافظ عز الدين أبو الحســـن علي المعروف بابن الأثير الجزري في تاريخه الصـــغير الذي عمله لبني أتابك ملوك الموصـــل إن زين الدين المذكور ســـار عن الموصـــل إلى إربل ســـنة ثلاث وســـتين وخمســـمائة وســـلم جميع ما كان بيده من البلاد والقلاع إلى أتابك قطب الدين فمن ذلك ســـنجار وحران وقلعة عقر الحميدية وقلاع الهكارية جميعها وتكريت

وشهرزور وغير ذلك وما ترك لنفسه سوى إربل وكان قد
حج هو وأسد الدين شيركوه بن شاذي في سنة خمس
وخمسين وخمسمائة ولما توفي ولي موضعه ولده مظفر
الدين المذكور وعمره أربع عشرة سنة وكان اتابكه مجاهد
الدين قايماز المذكور في حرف القاف فأقام مدة ثم تعصب
مجاهد الدين عليه وكتب محضرا أنه ليس أهلا لذلك
وشاور الديوان العزيز في أمره واعتقله وأقام أخاه زين
الدين أبا المظفر يوسف مكانه وكان أصغر منه ثم أخرج
مظفر الدين من البلاد فتوجه إلى بغداد فلم يحصل له بها
115 مقصود فانتقل إلى الموصل ومالكها يومئذ
سيف الدين غازي بن مودود المقدم ذكره في حرف الغين
تصل بخدمته وأقطعه مدينة حران فانتقل إليها وأقام بها
مدة ثم اتصل بخدمة السلطان صلاح الدين وحظي عنده
وتمكن منه وزاده في الإقطاع الرها في سنة ثمان وسبعين
وخمسمائة وأخذ صلاح الدين الرها من ابن الزعفراني
وأعطاها مظفر الدين مع حران وأخذ الرقة من ابن حسان
واعطاها ابن الزعفراني والشرح في ذلك يطول ثم أعطاه
سميساط وزوجه أخته الست ربيعة خاتون بنت أيوب
وكانت قبله زوجة سعد الدين مسعود بن معين الدين
صاحب قصر معين الدين الذي بالغور وتوفي سعد الدين
المذكور سنة إحدى وثمانين وخمسمائة وشهد مظفر الدين
مع صلاح الدين مواقف كثيرة وأبان فيها عن نجدة وقوة
نفس وعزمة وثبت في مواضع لم يثبت فيها غيره على ما

تضمنته تواريخ العماد الأصبهاني وبهاء الدين بن شداد وغيرهما وشهرة ذلك تغني عن الإطالة فيه ولو لم يكن له إلا وقعة حطين لكفته فإنه وقف هو وتقي الدين صاحب حماة المقدم ذكره وانكسر العسكر بأسره ثم لما سمعوا بوقوفهما تراجعوا حتى كانت النصرة للمسلمين وفتح الله سبحانه عليهم ثم لما كان السلطان صلاح الدين منازلا عكا بعد استيلاء الفرنج عليها وردت عليه ملوك الشرق تنجده وتخدمه وكان في جملتهم زين الدين يوسف أخو مظفر الدين وهو يومئذ صاحب إربل فأقام قليلا ثم مرض وتوفي في الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ست وثمانين وخمسمائة بالناصرة وهي قرية بالقرب من عكا يقال إن المسيح عليه الصلاة والسلام ولد بها على الاختلاف الذي في ذلك فلما توفي التمس مظفر الدين من السلطان أن ينزل عن حران والرها وسميساط ويعوضه إربل فأجابه إلى ذلك وضم إليه شهرزور فتوجه إليها ودخل إربل في ذي الحجة سنة ست وثمانين وخمسمائة هذه خلاصة أمره

116 وأما سيرته فلقد كان له في فعل الخيرات غرائب لم يسمع أن أحدا فعل في ذلك ما فعله لم يكن في الدنيا شيء أحب إليه من الصدقة كان له كل يوم قناطير مقنطرة من الخبز يفرقها على المحاويج في عدة مواضع من البلد يجتمع في كل موضع خلق كثير يفرق عليهم في أول النهار وكان إذا نزل من الركوب يكون قد اجتمع عند الدار خلق كثير فيدخلهم إليه ويدفع لكل واحد كسوة على

قدر الفصل من الشتاء والصيف أو غير ذلك ومع الكسوة شـــيء من الذهب من الدينار والاثنين والثلاثة وأقل وأكثر وكان قد بنى أربع خانقاهات للزمنى والعميان وملأها من هذين الصـــنفين وقرر لهم ما يحتاجون إليه كل يوم وكان يأتيهم بنفسـه في كل عصـرية اثنين وخميس ويدخل عليهم ويدخل إلى كل واحد في بيته ويســـأله عن حاله ويتفقده بشـــيء من النفقة وينتقل إلى الآخر وهكذا حتى يدور على جميعهم وهو يباســـطهم ويمزح معهم ويجبر قلوبهم وبنى دارا للنسـاء الأرامل ودارا للصـغار الأيتام ودارا للملاقيط رتب بهم جماعة من المراضـــع وكل مولود يلتقط يحمل إليهن فيرضعنه وأجرى على أهل كل دار ما يحتاجون إليه في كل يوم وكان يدخل إليها في كل وقت ويتفقد أحوالهم ويعطيهم النفقات زيادة على المقرر لهم وكان يدخل إلى البيمارستان ويقف على مريض مريض ويسـأله عن مبيته وكيفية حاله وما يشـتهيه وكان له دار مضـيف يدخل إليها كل قادم على البلد من فقيه أو فقير أو غيرهما وعلى الجملة فما كان يمنع منها كل من قصـــد الدخول إليها ولهم الراتب الدار في الغداء والعشـــاء وإذا عزم الإنســـان على السـفر أعطوه نفقة على ما يليق بمثله وبنى مدرســـة رتب فيها فقهاء الفريقين من الشـــافعية والحنفية وكان كل وقت يأتيها بنفسـه ويعمل السـماط بها ويبيت بها ويعمل السـماع فإذا طاب وخلع شيئا من ثيابه سير للجماعة بكرة شيئا من الأنعام ولم يكن له

117 لذة ســوى الســماع فإنه كان لا يتعاطى المنكر ولا يمكن من إدخاله إلى البلد وبنى للصـــوفية خانقاهين فيهمـا خلق كثير من المقيمين والواردين ويجتمع في أيـام المواســـم فيهما من الخلق ما يعجب الإنســـان من كثرتهم ولهما أوقاف كثيرة تقوم بجميع ما يحتاج إليه ذلك الخلق ولا بد عند سفر كل واحد من نفقة يأخذها وكان ينزل بنفسه إليهم ويعمل عندهم الســماعات في كثير من الأوقات وكان يســـير في كل ســـنة دفعتين جماعة من أمنائه إلى بلاد الســاحل ومعهم جملة مسـتكثرة من الناس يفتك بها أســرى المسلمين من أيدي الكفار فإذا وصلوا إليه أعطى كل واحد شيئا وإن لم يصـلوا فالأمناء يعطونهم بوصـية منه في ذلك وكان يقيم في كل ســنة ســبيلا للحاج ويســير معه ما تدعوا حاجة المســافر إليه في الطريق ويســير صــحبته أمينا معه خمســة أو ســتة آلاف دينار ينفقها بالحرمين على المحاويج وأرباب الرواتب وله بمكة حرســـها الله تعالى آثار جميلة وبعضـــها باق إلى الآن وهو أول من أجرى الماء إلى جبل عرفات ليلة الوقوف وغرم عليه جملة كثيرة وعمر بالجبل مصــانع للماء فإن الحجاج كانوا يتضــررون من عدم الماء وبنى له تربة أيضـــا هناك واما إحتفاله بمولد النبي فإن الوصــف يقصــر عن الإحاطة به لكن نذكر طرفا منه وهو أن أهل البلاد كانوا قد ســمعوا بحســن اعتقاده فيه فكان في كل ســـنة يصـــل إليه من البلاد القريبة من إربل مثل بغداد والموصل والجزيرة وسنجار ونصيبين وبلاد العجم وتلك

النواحي خلق كثير من الفقهاء والصوفية والوعاظ والقراء والشـــعراء ولا يزالون يتواصـــلون من المحرم إلى أوائل شـــهر ربيع الأول ويتقدم مظفر الدين بنصـــب قباب من الخشـــب كل قبة أربع أو خمس طبقات ويعمل مقدار عشـــرين قبة وأكثر منها قبة له والباقي للأمراء واعيان دولته لكل واحد قبة فإذا كان أول صـــفر زينوا تلك القباب بأنواع الزينة الفاخرة المستجملة وقعد في كل قبة جوق من المغاني وجوق

118 من أرباب الخيال ومن اصـــحاب الملاهي ولم يتركوا طبقة من تلك الطبات في كل قبة حتى رتبوا فيها جوقا وتبطل معايش الناس في تلك المدة وما يبقى لهم شغل إلا التفرج والدوران عليهم وكانت القباب منصوبة من باب القلعة إلى باب الخانقاه المجاورة للميدان فكان مظفر الدين ينزل كل يوم بعد صـــلاة العصـــر ويقف على قبة قبة إلى آخرها ويســـمع غناءهم ويتفرج على خيالاتهم وما يفعلونه في القباب ويبيت في الخانقاه ويعمل السماع ويركب عقيب صـلاة الصـبح يتصـيد ثم يرجع إلى القلعة قبل الظهر هكذا يعمل كل يوم إلى ليلة المولد وكان يعمله ســـنة في ثامن الشهر وسنة في الثاني عشر لأجل الاختلاف الذي فيه فإذا كان قبل المولد بيومين أخرج من الإبل والبقر والغنم شـيئا كثيرا زائدا عن الوصـف وزفها بجميع ما عنده من الطبول والمغاني والملاهي حتى يأتي بها إلى الميدان ثم يشـرعون في نحرها وينصـــبون القدور ويطبخون الألوان المختلفة

فإذا كانت ليلة المولد عمل السماعات بعد ان يصلي المغرب في لقلعة ثم ينزل وبين يديه من الشموع المشتعلة شيء كثير وفي جملتها شمعتان أو أربع أشك في ذلك من الشموع الموكبية التي تحمل كل واحدة منها على بغل ومن ورائها رجل يسندها وهي مربوطة على ظهر البغل حتى ينتهي إلى الخانقاه فإذا كان صبيحة يوم المولد أنزل الخلع من القلعة إلى الخانقاه على ايدي الصوفية على يد كل شخص منهم بقجة وهم متتابعون كل واحد وراء الآخر فينزل من ذلك شيء كثير لا أتحقق عدده ثم ينزل إلى الخانقاه وتجتمع الأعيان والرؤساء وطائفة كبيرة من بياض الناس وينصب كرسي للوعاظ وقد نصب لمظفر الدين برج خشب له شبابيك إلى الموضع الذي فيه الناس والكرسي وشبابيك كرسي وشبأبيك أخر للبرج أيضا إلى الميدان وهو ميدان كبير في غاية الإتساع ويجتمع فيه الجند ويعرضهم ذلك النهار وهو تارة ينظر

119 عرض الجند وتارة إلى الناس والوعاظ ولايزال كذلك حتى يفرغ الجند من عرضهم فعند ذلك يقدم السماط في الميدان للصعاليك ويكون سماطا عاما فيه من الطعام والخبز شيء كثير لا يحد ولا يوصف ويمد سماطا ثانيا في الخانقاه للناس المجتمعين عند الكرسي وفي مدة العرض ووعظ الوعاظ يطلب واحدا واحدا من الأعيان والرؤساء والوافدين لأجل هذا الموسم من قدمنا ذكره من الفقهاء والوعاظ والقراء والشعراء ويخلع على كل واحد

ثم يعود إلى مكانه فإذا تكامل ذلك كله حضـــروا الســـماط وحملوا منــه لمن يقع التعيين على الحمـل إلى داره ولا يزالون على ذلك إلى العصـــر أو بعدها ثم يبيت تلك الليلة هناك ويعمل الســماعات إلى بكرة هكذا يعمل في كل ســنة وقد لخصت صورة الحال فإن لاستقصاء يطول فإذا فرغوا من هذا الموســم تجهز كل إنســان للعود إلى بلده فيدفع لكل شــخص شــيئا من النفقة وقد ذكرت في ترجمة الحافظ أبي الخطـاب ابن دحيـة في حرف العين وصـــولـه إلى إربـل وعمله إلى كتاب التنوير في مولد الســـراج المنير لما رأى إهتمام مظفر الدين به وأنه اعطاه ألف دينار غير ما غرم عليه مدة إقامته من الإقامات الوافرة وكان رحمه الله متى أكل شــيئا إســتطابه لايختص به بل إذا اكل من زبدية لقمة طيبة قال لبعض الجنادرة احمل هذا إلى الشـــيخ فلان أو فلانة ممن هم عنده مشـــهورين بالصـــلاح وكذلك يعمل في الفـاكهـة والحلوى وغير ذلـك من المطـاعم وكـان كريم الأخلاق كثير التواضـــع حســن العقيدة ســالم البطانة شــديد الميل إلى أهل الســـنة والجماعة لاينفق عنده من أرباب العلوم سوى الفقهاء والمحدثين ومن عداهما لايعطيه شــيئا إلا تكلفا وكذلك الشـــعراء لايقول بهم ولا يعطيهم إلا إذا قصــدوه فما كان يضــيع قصــدهم ولا يخيب أمل من يطلب بره وكان

120 يميل إلى علم التاريخ وعلى خاطره منه شـــيء يـذاكر بــه ولم يزل رحمــه الله تعــالى مؤيـدا في مواقفــه

ومصاف مع كثرتها لم ينقل أنه انكسر في مصافه قط ولو استقصيت في تعداد محاسنه لطال الكتاب وفي شهرة معروفه غنية عن الإطالة وليعذر الواقف على هذه الترجمة ففيها تطويل ولم يكن سببه إلا ما له علينا من الحقوق التي لا نقدر على القيام بشكر بعضها ولو عملناه مهما عملنا وشكر المنعم واجب فجزاه الله عنا أحسن الجزاء فكم له علينا من الأيادي ولأسلافه على أسلافنا من الأنعام والإنسان صنيعة الإحسان ومع الأعتراف بجميله فلم أذكر عنه شيئا على سبيل المبالغة بل كل ما ذكرته عن مشاهدة وعيان وربما حذفت بعضه طلبا للإيجاز وكانت ولادته بقلعة الموصل ليلة الثلاثاء السابعة والعشرين من المحرم سنة تسع وأربعين وخمسمائة وتوفي وقت الظهر ليلة الجمعة رابع عشر شهر رمضان سنة ثلاثين وستمائة بداره في البلد التي كانت لمملوكه شهاب الدين قراطايا فلما قبض عليه فيه سنة أربع عشرة وستمائة أخذها وصار يسكنها بعض الأوقات فمات بها ثم نقل إلى قلعة إربل ودفن بها ثم حمل بوصية منه إلى مكة شرفها الله تعالى وكان قد أعد له بها قبة تحت الجبل في ذيله يدفن فيها وقد سبق ذكرها فلما توجه الركب إلى الحجاز سنة إحدى وثلاثين سيروه في الصحبة فاتفق أن رجع الحاج تلك السنة من لينة ولم يصلوا إلى مكة فردوه ودفنوه بالكوفة بالقرب من المشهد رحمه الله تعالى وعوضه خيرا وتقبل مباره وأحسن منقلبه 157 وأما زوجته ربيعة خاتون بنت

أيوب فإنها توفيت في شعبان سنة ثلاث وأربعين وستمائة وغالب ظني أنها جاوزت ثمانين سنة ودفنت في
121 مدرستها الموقوفة على الحنابلة بسفح قاسيون وكانت وفاتها بدمشق وأدركت من محارمها من الملوك من إخوتها وأولادهم أكثرمن خمسين رجلا غير محارمها من غير الملوك ولولا خوف الإطالة لذكرتهم مفصلا فإن إربل كانت لزوجها المذكور والموصل لأولاد بنتها وخلاط وتلك الناحية لابن أخيها الملك الأوحد نجم الدين ايوب ابن الملك العادل وبلاد الجزيرة الفراتية للأشرف ابن اخيها وبلاد الشام لأولاد أخوتها والديار المصرية والحجازية واليمن لإخوتها وأولادهم ومن تأمل ذلك عرف الجميع وكوكبوري بضم الكافين بينهما واو ساكنة ثم باء موحدة مضمومة ثم واو ساكنة وبعدها راء وهو اسم تركي معناه بالعربي ذئب أزرق وبكتكين بضم الباء الموحدة وسكون الكاف وكسر التاء المثناة من فوقها والكاف وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون وهو اسم تركي أيضا ولينة بكسر اللام وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح النون وبعد ها هاء ساكنة منزلة في طريق الحجاز من جهة العراق وكان الركب في تلك السنة قد رجع منها لعدم الماء وقاسوا مشقة عظيمة
122 548 العتابي كلثوم بن عمرو العتابي الشاعر المشهور كان شاعرا خطيبا بليغا مجيدا وهو من أهل قنسرين وقدم بغداد ومدح هارون الرشيد وغيره من

الخلفاء وله رسائل مستحسنة وكان يتجنب غشيان السلطان قناعة وصيانة وتنزها وتعززا وكان يلبس الصوف ويظهر الزهد مترسل بليغ مطبوع متصرف في فنون من الشعر مقدم في الخطابة والرواية حسن العارضة والبديهة من شعراء الدولة العباسية وكان يقول بالاعتزال فاتصل بالرشيد وكثر عليه من أمره فأمر فيه بأمر غليظ فهرب إلى اليمن وكان مقيما بها فاحتال يحيى بن خالد إلى ان حمل للرشيد من خطبه ورسائله فاستحسن الرشيد ذلك وسأل عن الكلام لمن هو فقال يحيى هو للعتابي ولو حضر حتى يسمع منه الأمين والمأمون هذا الكلام ويصنع لهم خطبا لكان في ذلك صلاح فأمر بإحضاره فأخذ له يحيى الأمان واتصل الخبر بالعتابي فقال (مازلت في غمرات الموت منطرحا * قد غاب عني وجوه الأمر من حيلي)
123 (فلم تزل دائبا تسعى لتنقذني * حتى استللت حياتي من يدي أجلي) وكان العتابي منقطعا إلى البرامكة ومنصور النمري راويته وتلميذه قال أبو دعامة الشاعر كتب طوق بن مالك إلى العتابي يستزيره ويدعوه إلى ان يصل القرابة بينه وبينه فرد عليه إن قريبك من قرب منك خيره وابن عمك من عمك نفعه وإن عشرتك من أحسن وإن أحب الناس إليك اجراهم بالمنفعة عليك ولذلك أقول (ولقد بلوت الناس ثم سبرتهم * وخبرت ما وصلوا من الأسباب) (فإذا القرابة لا تقرب قاطعا * وإذا المودة أكبر الأنساب) قيل للعتابي انك تلقى العامة ببشر وتقريب

فقال رفع ضـــغينة بأيســـر مؤنة واكتســـاب إخوان بأهون
مبذول ولما قدم العتابي مدينة السلام على المأمون أذن له
فدخل وعنده إســحاق الموصــلي وكان العتابي شــيخا جليلا
نبيلا فســلم فرد عليه وأدناه وقربه حتى قرب منه فقبل يده
ثم امره بالجلوس فجلس ثم أقبل عليه يســأله عن حاله وهو
يجيبه بلســان طلق فاســتطرف المأمون ذلك منه فأقبل عليه
بالمداعبة بالمزح فظن الشــيخ أنه اســتخف به فقال يا أمير
المؤمنين الإيناس قبل الإبســـام فاشــتبه على المأمون قوله
فنظر إلى إســـحاق مبتســـما فأومأ إليه بعينه وغمزه على
معنـاه حتى فهمـه ثم قـال يـا غلام ألف دينـار فـأتى بـذلـك
فوضـــعه بين يدي العتـابي وأخذوا في الحديث ثم غمز
المأمون اســحاق بن إبراهيم عليه فجعل العتابي لا يأخذ في
شـــيء إلا عارضـــه فيه إســـحاق بن إبراهيم فبقي العتابي
متعجبا ثم قال يا أمير المؤمنين أتأذن لي في مســـألة هذا
الشيخ عن اسمه قال نعم سله فقال إسحاق ياشيخ من أنت
وما إســـمك قال أنا من الناس واســـمي كل بصـــل فتبســـم
العتابي ثم قال أما النسـب فمعروف وأما الإسـم فمنكر فقال
له اسـحاق ما أقل أنصـافك أتنكر أن يكون اسـمي كل بصـل
واســـمك كل ثوم وما كلثوم من الأســـماء أو ليس البصـــل
أطيب من الثوم فقال له العتابي لله درك ما أحجك أتأذن لي
يا أمير المؤمنين أن
124 أصـله بما وصـلتني به فقال له المأمون بل ذلك
موفر عليك ونأمر له بمثله فقال له إســـحاق أما إذ أقررت

بهذه فتوهمني تجدني فقال له ما أظنك إلا إسحاق الموصلي الذي تناهى إلينا خبره فقال أنا حيث ظننت فأقبل عليه بالتحية والسلام فقال المامون وقد طال الحديث بينهما أما إذا إتفقتما إلى المودة فانصرفا فانصرف العتابي إلى منزل إسحاق فأقام عنده كتب المأمون في إشخاص العتابي فلما دخل عليه قال له كاثوم بلغتني وفاتك فساءتني ثم بلغني وفادتك فسرتني فقال له العتابي يا أمير المؤمنين لو قسمت هاتان الكلمتان على أهل الأرض لو سعتهم فضلا وإنعاما وقد خصصتني منهما بما لا يتسع له أمنية ولا ينبسط لسواه أمل لأنه لا دين إلا بك ولا دنيا إلا معك قال سلني قال يدك بالعطاء أطلق من لساني بالمسألة فوصله صلة سنية وبلغ به من التقديم والإكرام أعلى محل قال الأصمعي كتب كلثوم بن عمرو العتابي إلى رجل (ان الكريم ليخفي عنك عسرته * حتى تراه غنيا وهو مجهود) (وللبخيل على امواله علل * زرق العيون عليها أوجه سود) (بث النوال ولا يمنعك قلته * فكل ما سد فقرا فهو محمود) قال فشاطره ماله حتى بعث إليه بنصف خاتمه وفرد نعله قال ما لك بن طوق للعتابي يا أبا عمرو رأيتك كلمت فلانا فأقللت كلامك قال نعم كانت معي حيرة الداخل وفكرة صاحب الحاجة وذل المسألة وخوف الرد مع شدة الطمع وقيل للعتابي قد فلح ابن مسلم الخلق قال لعله أكل من شعره ومثل ذلك إجتمع قوم من الشعراء على فالوذجة حارة فقال أحدهم يخاطب شخصا منهم كأنها مكانك من

النار قال له أصلحها ببيت من شعرك قيل كان مروان بن السمط يرمى في شعره بالبرد وكانت له بلغة بالبصرة لا يفارق ركوبها فقال الجماز يهجوه & حرف اللام &

125 @125@

126 @126@

127 549 الليث بن سعد أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن إمام أهل مصـــر في الفقه والحديث كان مولى قيس بن رفاعة وهو مولى عبد الرحمن بن خالد بن مسافر الفهمي وأصله من أصبهان وكان ثقة سريا سخيا قال الليث كتبت من علم محمد ابن شـــهاب الزهري علما كثيرا وطلبت ركوب البريد إليه إلى الرصـافة فخفت أن لا يكون ذلك لله تعالى فتركته وقال الشـافعي رضـي الله عنه الليث بن ســعد أفقه من مالك إلا أن أصــحابه لم يقوموا به وكان ابن وهب تقرأ عليه مســائل الليث فمرت به مســألة فقال رجل من الغرباء أحســن والله الليث كأنه كان يســمع مالكا يجيب فيجيب هو فقال ابن وهب للرجل بل كان مالك يســمع الليث يجيب فيجيب هو والله الذي لاإله إلا هو ما رأينا احد قط أفقه من الليث وكان من الكرماء الأجواد ويقال إن دخله كان في كل ســنة خمســة آلاف دينار وكان يفرقها في الصـلات وغيرها وقال منصـور بن عمار أتيت الليث فأعطاني ألف دينار وقال صـــن بهذه الحكمة التي آتاك الله تعالى ورأيت في بعض المجاميع أن الليث كان حنفي المذهب وأنه ولي القضـــاء بمصـــر وان الإمام مالكا

أهدى إليه صينية فيها تمر فأعادها مملوءة ذهبا وكان يتخذ لأصحابه الفالوذج ويعمل فيه الدنانير ليحصل لكل من أكل كثيرا أكثر من صاحبه

128 وكان قد حج سنة ثلاث عشرة ومائة وهو ابن عشرين سنة وسمع من نافع مولى ابن عمر رضي الله عنهما وكان الليث يقول قال لي بعض أهلي ولدت سنة اثنتين وتسعين للهجرة والذي أوقن سنة أربع وتسعين في شعبان وتوفي يوم الخميس وقيل الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وسبعين ومائة ودفن يوم الجمعة بمصر في القرافة الصغرى وقبره احد المزارات رضي الله عنه وقال السمعاني ولد في شعبان سنة أربع وعشرين ومائة والأول أصح وقال غيره ولد سنة ثلاث وتسعين والله أعلم بالصواب وقال بعض أصحابه لما دفنا الليث بن سعد سمعنا صوتا وهو يقول (ذهب الليث فلاليث لكم * ومضى العلم قريبا وقبر) قال فالتفتنا فلم نر أحدا ويقال إنه من أهل قلقشندة وهي بفتح القاف وسكون اللام وفتح القاف الثانية والشين المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة وبعدها هاء ساكنة وهي قرية من الوجه البحري من القاهرة بينها وبين القاهرة مقدار ثلاثة فراسخ والفهمي بفتح وسكون الهاء وبعدها ميم هذه النسبة إلى فهم وهو بطن من قيس عيلان خرج منها جماعة كثيرة

129 549 ب الليث بن سعد أبو الحارث الليث سريا سخيا ولد بقلقشندة سنة أربع وتسعين وسمع علماء

المصـــريين والحجازيين وروى عن عطاء بن أبي رباح وابن أبي مليكة وابن شهاب الزهري ونافع مولى ابن عمر وغيرهم وحدث عنه هشـيم بن بشـير وعبد الله بن المبارك وعبد الوهاب بن وهب وعبدالله بن عبد الحكم ويحيى بن بكير وغيرهم وقدم بغداد وحدث بها قال الليث كتبت من علم ابن شــهاب الزهري علما كثيرا وطلبت ركوب البريد إليه إلى الرصـــافة فخفت أن لا يكون ذلك لله تعالى فتركته قال الخطيب صـــاحب تاريخ بغداد خرج الليث إلى العراق سنة إحدى وستين ومائة وخرج في شوال وشهد الأضحى ببغداد وقال الشافعي أفقه من الليث قال أبو الحسن الخادم كنت غلاما لزبيدة وأتي يوما بالليث بن ســـعد فكنت واقفا على رأس زبيدة خلف الستارة فسـألـه هارون الرشـيد فقال حلفت ان لي جنتين فاســـتحلفه الليث ثلاثا أنك تخاف الله فحلف له فقال له الليث قال الله تعالى (^ ولمن خاف مقام ربـه جنتـان) (الرحمن 46) قـال فـأقطعـه قطـائع كثيرة بمصر قال الليث بن سعد قال لي أبو جعفر تلي لي مصر قلت لا يا أمير المؤمنين أضـــعف عن ذلك إني رجل من الموالي فقال ما بك ضعف

130 معي ولكن ضـعفت نيتك في العمل عن ذلك لي وحج الليث سنة ثلاث عشرة فسمع من ابن شـهاب وغيره بمكة في هذه السـنة وقال الليث حججت سـنة ثلاث عشـرة وأنا ابن عشــرين ســنة وقال يحيى بن بكير ما رأيت أحدا أكمل من الليث بن ســـعد كان فقيه البدن عربي اللســـان

يحســـن القرآن والنحو ويحفظ الشـــعر والحديث حســـن المذاكرة وما زال يذكر خصـالا جميلة ويعقد بيده حتى عقد عشـــرة لم أر مثله قال ســـعيد بن أبي أيوب لو أن مالكا والليث إجتمعا لكان مالك عند الليث أبكم ولباع الليث مالكا في من يزيد وقال ابن وهب كل ما كان في كتب مالك وأخبرني من أثق به من أهل العلم فهو الليث بن سعد وقال ابن وهب لولا مالك والليث بن ســـعد لضـــل الناس وقال عثمان بن صـــالح كان أهل مصـــر ينتقصـــون عثمان حتى نشـأ فيهم الليث ابن سـعد فحدثهم بفضـائل عثمان فكفوا عن ذلك وكان أهل حمص ينتقصـــــون عليا حتى نشـــأفيهم إسـماعيل بن عياش فحدثهم بفضـائله فكفوا عن ذلك وقال ابن وهب كان الليث بن ســـعد يصـــل مالك بن أنس بمائة دينار في كل ســـنة فكتب إليه مالك إن علي دينا فبعث إليه بخمســـمائة دينار وكتب إليه مالك إني أريد أن أدخل ابنتي على زوجها فأحب أن تبعث إلي شـــيئا من عصـــفر فبعث إليه ثلاثين حملا من عصـــفر فصـــبغ لابنته وباع منه بخمسائة دينار وبقي عنده فضلة وقال قتيبة بن سعيد كان الليث يســتغل عشــرين ألف دينار في كل ســنة وقال ما وجبت علي زكاة قط وقال محمد بن رمح كان دخل الليث بن سعد في كل سنة ثمانين ألف دينار وما أوجب الله عليه زكاة درهم قط قال منصور بن عمار أتيت الليث بن سعد فأعطاني ألف دينار وجارية

131 ثلاثمائة دينار وقال صن بهذه الحكمة وجاءت امرأة إلى الليث فقالت يا أبا الحارث إن ابنا لي عليل واشتهى عسلا فقال يا غلام اعطها مرطا من عسل والمرط عشرون ومائة رطل وقال غيره سألت المرأة منا من عسل فأمر لها بزق فقال له كاتبه إنما سألت منا فقال إنها سألتني على قدرها فأعطيناها على قدر السعة وقال الحارث بن مسكين اشترى قوم من الليث بن سعد ثمرة فاستغلوها فاستقالوه فأقالهم ثم دعا بخريطة فيها أكياس فأمر لهم له بخمسمائة دينار فقال له الحارث ابنه في ذلك فقال اللهم غفرا إنهم كانوا أملوا فيه أملا فأحببت أن أعوضهم من أملهم بهذا وقال شعيب بن الليث خرجت مع أبي حاجا فقدم المدينة فبعث إليه مالك بن أنس بطبق رطب فجعل على الطبق ألف دينار ورده إليه قال أشهب بن عبد العزيز كان لليث بن سعد كل يوم أربعة مجالس يجلس فيها أما اولها فيجلس ليأتيه السلطان في نوائبه وحوائجه وكان الليث يغشاه السلطان فإن انكر من القاضي أمرا أو من السلطان كتب إلى أمير المؤمنين فيأتيه العزل ويجلس لأصحاب الحديث وكان يقول نجحوا أصحاب الحوانيت فإن قلوبهم معلقة بأسواقهم ويجلس للمسائل يغشاه الناس فيسألونه ويجلس لحوائج الناس لا يسأله أحد من الناس فيرده كبرت حاجته او صغرت قال وكان يطعم الناس في الشتاء الهرائس بعسل النحل وسمن البقر وفي الصيف سويق اللوز بالسكر قال أبو رجاء قتيبة فقلنا مع الليث بن

سـعد من الإسـكندرية وكان معه ثلاث سـفائن سـفينة فيها مطبخه وسـفينة فيها عياله وسـفينة فيها أضـيافه وقال ابن بكير سـمعت الليث بن سـعد كثيرا ما يقول أنا أكبر من ابن لهيعة والحمد لله الذي متعنا بعقلنا وكان الليث أكبر من ابن لهيعة ولكن إذا نظرت إليهما تقول ذا ابن وذا أب يعني ابن لهيعة الأب

132 وقيل لليث بن سـعد ما صـلاح بلدك يا أبا الحارث قال جري نيلها وعدل واليها ومن رأس العين يأتي الكدر وقال أبو محمد ابن أبي القاسـم قلت لليث أمتع الله بك يا أبا الحارث إنا نسـمع منك الحديث ليس في كتبك قال أوكل ما في صـدري في كتبي لو كتبت ما في صـدري ما وسـعه هذا المركب ورأيت في بعض المجاميع وقبره أحد المزارات رضـي الله عنه قال محمد بن عبد الرحمن كنت جالسـت الليث بن سـعد وشـهدت جنازته وانا مع أبي فما رأيت جنازة أعظم منها ولا أكثر من أهلها ورأيت كلهم عليهم الحزن والناس يعزي بعضـهم بعضـا ويبكون فقلت لأبي يا أبت كل واحد من الناس صاحب الجنازة فقال لي يا بني كان عالما سـعيدا كريما حسـن الفعل كثير الأفضـال يا بني لا ترى مثله أبدا ويقال إنه من أهل قلقشـندة جماعة كثيرة & حرف الميم &

133 @133@

133 @133@

134 @134@

135 550 الإمام مالك الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس بن مـالـك بن أبي عـامر بن عمرو بن الحـارث بن غيمان بغين معجمة وياء تحتها نقطتان ويقال عثمان بعين مهملة وثاء مثلثة ابن جثيل بجيم وثاء مثلثة وياء ســاكنة تحتها نقطتان وقال ابن ســعد هو خثيل بخاء معجمة ابن عمرو ذي أصـبح الأصـبحي المدني إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأعلام أخذ القراءة عرضـــا عن نافع بن أبي نعيم وســمع الزهري ونافعا مولى ابن عمر رضــي الله عنهما وروى عنه الأوزاعي ويحيى بن ســعيد وأخذ العلم عن ربيعة الرأي وقد تقدم ذكره ثم أفتى معه عند السلطان وقال مالك قل رجل كنت أتعلم منه ومات حتى يجيئني ويستفتيني وقال ابن وهب ســمعت مناديا ينادي بالمدينة ألا لا يفتي الناس إلا مالك بن أنس وابن أبي ذئب وكان مالك إذا أراد أن يحدث توضـأ وجلس على صـدر فراشـه وسـرح لحيته وتمكن في جلوســه بوقار وهيبة ثم حدث فقيل له في ذلك فقال أحب أن

136 أعظم حديث رسول الله ولا احدث به إلا متمكنا على طهارة وكان يكره أن يحدث على الطريق أو قائما أو مستعجلا ويقول أحب أن أتفهم ما أحدث به عن رسول الله وكان لا يركب في المدينة مع ضـعفه وكبر سـنه ويقول لا أركب في مدينة فيها جثة رسول الله مدفونة وقال الشافعي قال لي محمد بن الحســن أيهما أعلم صــاحبنا أم صــاحبكم يعني أبا حنيفة ومالكا رضــي الله عنهما قال قلت على

الإنصـــاف قال نعم قال قلت ناشـــدتك الله من اعلم بالقرآن صاحبنا ام صاحبكم قال اللهم صاحبكم قال قلت ناشدتك الله من أعلم بالسنة صاحبنا أم صاحبكم قال اللهم صاحبكم قال قلت ناشـــدتك الله من اعلم بأقاويل أصـــحاب رســـول الله المتقدمين صـــاحبنا أم صـــاحبكم قال اللهم صـــاحبكم قال الشـــافعي لم يبق إلا القياس والقياس لا يكون إلا على هذه الأشياء فعلى أي شيء يقيس وقال الواقدي كان مالك يأتي المســـجد ويشـــهد الصـــلوات والجمعة والجنائز ويعود المرضى ويقضي الحقوق ويجلس في المسجد ويجتمع إليه أصـــحابه ثم ترك الجلوس في المســـجد فكان يصـــلي وينصـــرف إلى مجلســـه وترك حضـــور الجنائز فكان يأتي أصحابها فيعزيهم ثم ترك ذلك كله فلم يكن يشهد الصلوات في المسجد ولا الجمعة ولا يأتي احدا يعزيه ولا يقضـي له حقا واحتمل الناس له ذلك حتى مات عليه وكان ربما قيل له في ذلك فيقول ليس كل الناس يقدر أن يتكلم بعذره

137 وســـعي به إلى جعفر بن ســـليمان بن علي بن عبد الله بن العباس رضـــي الله عنهما وهو ابن عم جعفر المنصـــور وقالوا له إنه لايرى أيمان بيعتكم هذه بشـــيء فغضب جعفر ودعا به وجرده وضربه بالسياط ومدت يده حتى إنخلعت كتفه وارتكب منه أمرا عظيما فلم يزل بعد ذلك الضرب في علو ورفعة وكأنما كانت تلك السياط حليا حلي به وذكر ابن الجوزي في شذور العقود في سنة سبع واربعين ومائة وفيها ضـرب مالك بن أنس سـبعين سـوطا

لأجل فتوى لم توافق غرض السلطان والله أعلم وكانت ولادته في سنة خمس وتسعين للهجرة وحمل به ثلاث سنين وتوفي في شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة رضي الله عنه فعاش أربعا وثمانين سنة وقال الواقدي مات وله تسعون سنة والله أعلم بالصواب وقال ابن الفرات في تاريخه المرتب على السنين توفي مالك بن أنس الأصبحي لعشر مضين من شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة وقيل إنه توفي سنة ثمان وسبعين ومائة وقيل إن مولده سنة تسعين للهجرة وقال السمعاني في كتاب الأنساب في ترجمة الأصبحي إنه ولد في سنة ثلاث أو أربع وتسعين والله أعلم بالصواب وحكى الحافظ أبو عبد الله الحميدي في كتاب جذوة المقتبس قال حدث القعنبي قال دخلت على مالك بن أنس في مرضه الذي مات فيه فسلمت عليه ثم جلست فرأيته يبكي فقلت يا أبا عبد الله ما الذي يبكيك قال فقال لي يا ابن قعنب وما لس لا أبكي ومن أحق بالبكاء مني والله لوددت أني ضربت لكل مسألة أفتيت فيها برأيي بسوط سوط وقد كانت لي

138 السعة فيما قد سبقت إليه وليتني لم أفت بالرأي أو كما قال وكانت وفاته بالمدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ودفن بالبقيع جوار إبراهيم ولد النبي وكان شديد البياض إلى الشقرة طويلا عظيم الهامة أصلع يلبس الثياب العدنية الجياد ويكره حلق الشارب ويعيبه ويراه من المثلة ولا يغير شيبه ورثاه أبو محمد جعفر بن أحمد بن

الحسين السراج وقد سبق ذكره بقوله (سقى جدثا ضم البقيع لمالك * من المزن مرعاد السحائب مبراق) (إمام موطاه الذي طبقت به * أقاليم في الدنيا فساح وآفاق) (أقام به شرع النبي محمد * له حذر من أن يضام وإشفاق) (له سند عال صحيح وهيبة * فللكل منه حين يرويه إطراق) (وأصحاب صدق كلهم علم فسل * بهم أن إنهم أنت ساءلت حذاق) (ولو لم يكن إلا إبن إدريس وحده * كفاه ألا إن السعادة أرزاق) والأصبحي بفتح الهمزة وسكون الصاد المهملة وفتح الباء الموحدة وبعدها حاء مهملة هذه النسبة إلى ذي أصبح واسمه الحارث بن عوف بن مالك بن زيد بن شداد بن زرعة وهومن يعرب بن قحطان وهي قبيلة كبيرة باليمن وإليها تنسب السياط الأصبحية وقال هشام بن الكلبي في جمهرة النسب ذو أصبح هو الحارث بن مالك بن زيد بن غوث بن سعد بن عوف بن عدي ابن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن هميسع بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان واسمه يقطن بن عابر بن شالخ

139 ابن إرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام والذي ذكرناه أولا ذكره الحازمي في كتاب العجالة والله أعلم بالصواب 551 مالك بن دينار أبو يحيى مالك بن دينار البصري وهو من موالي بني سامة بن لؤي القرشي كان

عالما زاهدا كثير الورع قنوعا لا يأكل إلا من كسبه وكان
يكتب المصاحف بالأجرة وروي عنه أنه قال قرأت في
التوراة أن الذي يعمل بيده طوبى لمحياه ومماته وكان
يوما في مجلس وقد قص فيه قاص فبكى القوم ثم ما كان
بأوشك من ان اتوا برؤوس فجعلوا يأكلون منها فقيل لمالك
كل فقال إنما يأكل الرؤوس من بكى وانا لم أبك فلم يأكل
وله مناقب عديدة وآثار شهيرة فمن ذلك ما حكاه أبو القاسم
خلف بن بشكوال الأندلسي المقدم ذكره في كتابه الذي
سماه كتاب المستغيثين بالله تعالى فإنه قال بينما مالك بن
دينار يوما جالس إذ جاءه رجل فقال يا ابا يحيى ادع الله
لامرأة حبلى منذ أربع سنين وقد أصبحت في كرب شديد
فغضب مالك وأطبق المصحف ثم قال مايرى هؤلاء القوم
إلا أننا أنبياء ثم قرأ ثم دعا فقال اللهم هذه المرأة إن كان
في بطنها جارية فأبدلها به غلاما فإنك تمحو ما تشاء
وتثبت وعندك أم الكتاب ثم رفع مالك يده ورفع الناس
أيديهم وجاء رسول إلى عند الرجل وقال ادرك امرأتك
فذهب الرجل
140 فما حط مالك يده حتى طلع الرجل من باب
المسجد على رقبته غلام جعد قطط ابن أربع سنين قد
استوت أسنانه ما قطعت سراره وكان من كبار السادات
وتوفي سنة إحدى وثلاثين ومائة بالبصرة قبل الطاعون
بيسير رحمه الله تعالى وقد أذكرني مالك بن دينار أبياتا
أنشدنيها لنفسه صاحبنا جمال الدين محمود ابن عبد عملها

في بعض الملوك وقد حارب ملكا آخر فانتصر الملك الذي عمل فيه الأبيات على عدوه وغنم أمواله وخزائنه وأسر رجاله وابطاله فلما صار الجميع في قبضته فرق الأموال على الناس واعتقل الأجناد فمدحه ابن عبد المذكور بقصيدة أجاد فيها كل الإجادة ووصف هذه الواقعة واستعمل لفظة مالك بن دينار وحصل له فيها التورية العجيبة والموضع المقصود منها قوله (أعتقت من أموالهم ما أستعبدوا * وملكت رقهم وهم أحرار) (حتى غدا من كان منهم مالكا * متمنيا لو انه دينار) وهذا في نهاية الحسن فلهذا ذكرتهما

141 552 مجد الدين ابن الأثير الجزري أبو السعادات المبارك بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري الملقب مجد الدين قال أبو البركات ابن المستوفي في تاريخ إربل في حقه أشهر العلماء ذكرا وأكبر النبلاء قدرا وأحد الأفاضل المشار إليهم وفرد الأماثل المعتمد في الأمور عليهم أخذ النحو عن شيخه أبي محمد سعيد بن المبارك الدهان وقد سبق ذكره وسمع الحديث متأخرا ولم تتقدم روايته وله المصنفات البديعة والرسائل الوسيعة منها جامع الأصول في أحاديث الرسول جمع فيه بين الصحاح الستة وهو على وضع كتاب رزين إلا أن فيه زيادات كثيرة عليه ومنها كتاب النهاية في غريب الحديث في خمس مجلدات وكتاب الإنصاف في الجمع بين الكشف

والكشـاف في تفسير القرآن الكريم أخذه من تفسير الثعلبي والزمخشــري وله كتاب المصــطفى والمختار في الأدعية والأذكار وله كتاب لطيف في صــنعة الكتابة وكتاب البديع في شرح الفصول في النحو لإبن الدهان وله ديوان رسائل وكتاب الشـافي في شـرح مسند الإمام الشـافعي وغير ذلك من التصــــانيف وكانت ولادته بجزيرة ابني عمر في احد الربيعين سـنة أربع وأربعين وخمسـمائة ونشـأ بها ثم أنتقل إلى الموصل في سنة خمس وستين وخمسمائة ثم عاد إلى الجزيرة ثم عـاد إلى الموصــــل وتنقل في الولايـات بهـا واتصل بخدمة الأمير مجاهد

142 قايماز بن عبد الله الخادم الزيني المقدم ذكره في حرف القاف وكان نائب المملكة فكتب بين يديه منشــئا إلى أن قبض عليه كما سبق ذكره فاتصل بخدمة عز الدين مسعود بن مودود صـاحب الموصـل وتولى ديوان رسـائله وكتب له إلى ان توفي ثم إتصــل بولده نور الدين أرســلان شـــاه وقد ســـبق ذكره فحظي عنده وتوفرت حرمته لديه وكتب له مدة ثم عرض له مرض كف يديه ورجليه فمنعه من الكتابة مطلقا وأقام في داره يغشــــاه الأكابر والعلماء وانشـأ رباطا بقرية من قرى الموصـل تسمى قصـر حرب ووقف املاكه عليه وعلى داره التي كان يسكنها بالموصل وبلغني انه صنف هذه الكتب كلها في مدة العطلة فإنه تفرغ لها وكان عنده جماعة يعينونه عليها في الإختيار والكتابة وله شعر يسير من ذلك ما انشده للاتابك صاحب الموصل

وقد زلت به بغلته (إن زلت البغلة من تحته * فإن في زلتها عذرا) (حملها من علمه شاهقا * ومن ندى راحته بحرا) وهذا معنى مطروق وقد جاء في الشعر كثيرا وحكى أخوه عز الدين أبو الحسن علي أنه لما أقعد جاءهم رجل مغربي والتزم أنه يداويه ويبرئه مما هو فيه وانه لا يأخذ اجرا إلا بعد برئه فملنا إلى قوله واخذ في معالجته بدهن صنعه فظهرت ثمرة صنعته ولانت رجلاه وصار يتمكن من مدهما وأشرف على كمال البرء فقال لي أعط هذا المغربي شيئا يرضيه واصرفه فقلت له لماذا وقد ظهر نجح معاناته فقال الأمر

143 كما تقول ولكني في راحة مما كنت فيه من صحبة هؤلاء القوم والإلتزام بأخطارهم وقد سكنت روحي إلى الإنقطاع والدعة وقد كنت بالأمس وانا معافى أذل نفسي بالسعي إليهم وها أنا اليوم قاعد في منزلي فإذا طرأت لهم أمور ضرورية جاءوني بأنفسهم لأخذ رايي وبين هذا وذاك كثير ولم يكن سبب هذا إلا هذا المرض فما أرى زواله ولا معالجته ولم يبق من العمر إلا القليل فدعني أعيش باقيه حرا سليما من الذل وقد اخذت منه بأوفر حظ قال عز الدين فقبلت قوله وصرفت الرجل بإحسان وكانت وفاة مجد الدين المذكور بالموصل يوم الخميس سلخ ذي الحجة سنة ست وستمائة ودفن برباطه بدرب دراج داخل البلد رحمه الله تعالى وقد سبق ذكر اخيه عز الدين علي وسيأتي ذكر أخيه ضياء الدين نصر الله إن شاء الله تعالى

وجزيرة ابني عمر مدينة فوق الموصل على دجلتها سميت جزيرة لأن دجلة محيطة بها قال الواقدي بناها رجل من أهل برقعيد يقال له عبد العزيز بن عمر

144 553 المبارك بن منقذ أبو الميمون المبارك بن كامل بن علي بن مقلد بن نصـــر بن منقذ الكناني الملقب سـيف الدولة مجد الدين كان من امراء الدولة الصـلاحية وشـاد الديوان بالديار المصـرية وهو من بيت كبير وقد سبق ذكر جده سديد الدولة علي وابن عمه أسامة بن مرشد ولما سير السلطان صلاح الدين اخاه شمس الدولة توران شـاه المقدم ذكره إلى بلاد اليمن وتملكها رتب ابن منقذ المذكور نائبا عنه في زبيد ولما رجع شـمس الدولة إلى الشـام فارق ابن منقذ اليمن واسـتناب أخاه حطان باذن شمس الدولة ووصل إلى دمشق ثم رجع شمس الدولة إلى مصـر وابن منقذ معه وقيل لصـلاح الدين عنه إنه قتل جماعة من أهل اليمن واخذ اموالهم فلما مات شمس الدولة حبسه صلاح الدين واخذ منه ثمانين الف دينار وعروضا بعشرين الف دينار وذلك في سنة سبع وسبعين وخمسمائة ثم توجه سـيف الإسـلام طغتكين المقدم ذكره إلى اليمن فتحصـن حطان في بعض القلاع فاسـتنزله بالمهادنة والخداع وقبض عليه واستصفى امواله وسجنه في بعض القلاع وكان آخر العهد به ويقال إنه قتله وقيل إنه أخذ منه سـبعين غلاف زردية مملوءة ذهبا والله اعلم ولم يزل سـيف الدولة المذكور مقدما في الدولة كبير القدر نبيه

الذكر رئيســـا عالي الهمة وكانت فيه فضـــيلة وكان يحب أربابها ومدحه جماعة من مشاهير
145 الشـــعراء ومن جملة مداحه القاضـــي الوجيه رضـــي الدين أبو الحســـن علي بن أبي الحســـن يحيى بن الحســـن بن أحمد المعروف بابن الذروي مدحه بقصـــيدته الذالية التي ســـارت مســـير المثل واولها (لك الخير عرج بي على ربعهم فذي * ربوع يفوح المســـك من عرفها الشـــذي) (وذا يا كليم الشـــوق واد مقدس * لدى الحب فاخلع ليس يمشيه محتذي) ومن جملتها (وبي ظبي إنس كمل الله حســـنه * وقال لأفواه الخلائق عوذي) (جلا تحت ياقوت اللمى ثغر جوهر * رطيب وأبدى شـــاربا من زمرذ) (ولي عذل أيدي التشـــاغل عنهم * إذا اخذوا في عذلهم كل مأخذ) (يقولون من هذا الذي مت في الهوى * به كمداً يا رب لا عرفوا الذي) (ورب اديب لم يجد في إرتحاله * إذا ما جوادا قال هات يقل خذ) (أقول له إذ قام يرحل مصـــعبا * يكلفه طول الســـفار وقد حذي) (مبارك وفد العيس باب مبارك * وهل منقذ القصـــاد إلا ابن منقذ) ومن مديحها وفيه صناعة بديعة (وألين عند السلم من بطن حية * واخشـــن يوم الروع من ظهر قنفذ) وهي قصـــيدة نفيســـة اقتصـــرت منها على هذه الأبيات حذرا من التطويل ولأبي الميمون المذكور شـــعر فمن ذلك قوله في البراغيث

146 (ومعشـر يسـتحل الناس قتلهم * كما إسـتحلوا دم الحجاج في الحرم) (إذا سفكت دما منها فما سفكت * يداي من دمها المسفوك غير دمي) (اصـطاد هذا فيبقى ذا فيلسـعني * فينقضـي الليل في صـيدي ولسـعهم) 158 هكذا رواها عنه عز الدين أبو القاسـم عبد الله بن أبي علي الحسـين ابن أبي محمد عبد الله بن الحسـين بن رواحة بن إبراهيم بن عبد الله بن رواحة بن عبيد بن محمد بن عبد الله بن رواحة الأنصـاري الحموي ومولد ابن رواحة بسـاحل صـقلية سـنة سـتين وخمسـمائة ومات سـنة سـت وأربعين وسـتمائة في جباب التركمان المنزلة التي بين حلب وحماة وهو راكب على الجمل فكانت ولادته في مركب ومات على جمل وكانت ولادة سيف الدولة المذكور بقلعة شيزر سنة ست وعشرين وخمسمائة وتوفي بالقاهرة ثامن شهر رمضـان يوم الثلاثاء سـنة تسـع وثمانين وخمسـمائة رحمه الله تعالى والذروي بفتح الذال المعجمة والراء وبعدها واو هذه النسبة إلى ذروى وهي قرية بصعيد مصر

147 554 شـرف الدين ابن المسـتوفي أبو البركات المبـارك بن أبي الفتح أخمـد بن المبـارك بن موهوب بن غنيمة بن غالب اللخمي الملقب شرف الدين المعروف بابن المسـتوفي الإربلي كان رئيسـا جليل القدر كثير التواضـع واسـع الكرم لم يصـل إلى إربل أحد من الفضـلاء إلا وبادر إلى زيارته وحمل إليه ما يليق بحاله ويقرب إلى قلبه بكل طريق وخصـوصـا أرباب الأدب فقد كانت سوقهم لديه نافقة

وكان جم الفضـــائل عارفا بعدة فنون منها الحديث وعلومه وأســـماء رجاله وجميع ما يتعلق به كان إماما فيه وكان مـاهرا في فنون الأدب من النحو واللغــة والعروض والقوافي وعلم البيان واشـــعار العرب واخبارها وايامها ووقائعها وامثالها وكان بارعا في علم الديوان وحســـابه وضـــبط قوانينه على الأوضـــاع المعتبرة عندهم وجمع لإربل تاريخا في أربع مجلدات وقد احلت عليه في هذا الكتاب في مواضع عديدة وله كتاب النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمام في عشر مجلدات وكتاب إثبات المحصل في نسـبة أبيات المفصـل في مجلدين تكلم فيه على الأبيات التي استشـهد بها الزمخشـري في المفصـل وله كتاب سر الصـــنعة وله كتاب ســـماه ابا قماش جمع فيه أدبا كثيرا ونوادر وغيرها وسمعت منه كثيرا وسمعت بقراءته على المشـــايخ الواردين على إربل شـــيئا كثيرا فإنه كان يعتمد القراءة بنفســه وله ديوان شــعر أجاد فيه فمن شــعره بيتان فضل فيهما البياض على السمرة وهما (لا تخدعنك سمرة غرارة * ما الحسن إلا للبياض وجنسه)

148 (فالرمح يقتل بعضه من غيره * والسيف يقتل كله من نفســـه) وقد اخذ هذا المعنى من قول أبي الندى حسان بن نمير الكلبي المعروف بالعرقلة الدمشقي الشاعر المشـــهور وهو (إن كنت بالأســمر الزيتي مفتتنا * فسـل عن الأبيض الفضـــي بلبالي) (إن كان في الرمح شـــبر قاتل أبدا * ففي المهند شـــبر غير قتال) ولما نظم شــرف

الدين بيتيه هذين قال بعض الأدباء لو قال إن بعض الرمح الذي يقتل به هو من جنس السيف كان أتم في المعنى فعمل بعض المتأدبين ولا اعلم هل هو شرف الدين نفسه ام غيره بيتين نبه فيهما على هذه الزيادة وهما (البيض أقتل مضربا * وبمهجتي منها الحسان) (والسمر إن قتلت فمن * بيض يصاغ لها السنان) ومن أشعاره التي يتغنى بها قوله (يا ليلة حتى الصباح سهرتها * قابلت فيها بدرها بأخيه) (سمح الزمان بها فكانت ليلة * عذب العتاب بها لمجتذبيه) (أحييتها وامتها عن حاسد * ما همه إلا الحديث يشيه) (ومعانقي حلو الشمائل أهيف * جمعت ملاحة كل شيء فيه) (يختال معتدلا فإن عبث الصبا * بقوامه متعرضا يثنيه) (نشوان تهجم بي عليه صبابتي * ويردني ورعي فأستحييه)
149 (علقت يدي بعذاره وبخده * هذا أقبله وذا أجنيه) (لولم تخالط زفرتي انفاسه * كانت تنم بنا إلى واشيه) (حسد الصباح الليل لما ضمنا * غيظا ففرق بيننا داعيه) وله (رعى الله ليلات تقضت بقربكم * قصارا وحياها الحيا وسقاها) (فما قلت إيه بعدها لمسامر * من الناس إلا قال قلبي آها) وهذان البيتان يوجدان في أثناء قصيدة لصاحبنا الحسام الحاجري المقدم ذكره في حرف العين لكن رأيت أكثر اصحابنا يقولون إنهما لشرف الدين المذكور والله أعلم وكان قد خرج من مسجد بجواره ليلا ليجيء إلى داره فوثب عليه شخص وضربه بسكين

قاصـــدا فؤاده فالتقى الضـــربة بعضـــده فجرحته جراحة متسعة فأحضر في الحال المزين وخاطها ومرخها وقمطها باللفائف فكتب إلى الملك المعظم مظفر الدين صاحب إربل يطالعه بما تم عليه في هذه الأبيات و غالب ظني أن ذلك كان في سـنة ثماني عشـرة وسـتمائة واذكر القضـية وانا يومئذ صغير والأبيات (يا أيها الملك الذي سطواته * من فعلها يتعجب المريخ) (آيات جودك محكم تنزيلها * لا ناسـخ فيها ولا منسـوخ) (أشـكو إليك وما بليت بمثلها * شنعاء ذكر حديثها تاريخ) (هي ليلة فيها ولدت وشاهدي * فيما إدعيت القمط والتمريخ) وهذا معنى بديع جدا وكان يقول عملت في نومي بيتين وهما (وبتنا جميعا وبات الغيور * يعض يديه علينا حنق)

150 (نود غراما لو انا نباع * سـواد الدجى بسواد الحدق) وكان قد وصـــل إلى إربل بعض الشـــعراء وهو الشرف عبد الرحمن بن أبي الحسن بن عيسى بن علي بن يعرب البوازيجي الشاعر في سنة ثمان وعشرين وستمائة وشرف الدين يومئذ وزير فسير له مثلوما على يد شخص كان في خدمته يقال له الكمال بن الشعار الموصلي صاحب التاريخ والمثلوم عبارة عن دينار تقطع منه قطع صـــغيرة وقد جرت عادتهم في العراق وتلك البلاد ان يفعلوا مثل هذا لأنهم يتعاملون بالقطع الصـــغار ويسـمونها القراضـــة ويتعاملون أيضـــا بالمثلوم وهو كثير الوجود بأيديهم في معاملاتهم فجاء الكمال إلى ذالك الشاعر وقال له الصاحب

يقول لك أنفق الساعة هذا حتى يجهز لك شيئا يصلح لك فتوهم ذلك الشاعر أن يكون الكمال قد قرض القطعة من الدينار وان شرف الدين ما سيره إلا كاملا وقصد إستعلام الحال من جهة شرف الدين فكتب إليه (يا أيها المولى الوزير ومن به * في الجود حقا تضرب الأمثال) (أرسلت بدر التم عند كماله * حسنا فوافى العبد وهو هلال) (ما غاله النقصان إلا أنه * بلغ الكمال كذلك الآجال) فأعجب شرف الدين بهذا المعنى وحسن الإتفاق واجاز الشاعر وأحسن إليه وكنت خرجت من إربل في سنة ست وعشرين وستمائة وشرف الدين مستوفى الديوان والاستيفاء في تلك البلاد منزلة عليه وهو تلو الوزارة ثم بعد ذلك تولى الوزارة في سنة تسع وعشرين وستمائة وشكرت سيرته فيها ولم

151 يزل عليها إلى أن مات مظفر الدين في التاريخ المذكور في ترجمته في حرف الكاف رحمه الله تعالى واخذ الإمام المستنصر إربل في منتصف شوال من السنة المذكورة فبطل شرف الدين وقعد في بيته والناس يلازمون خدمته على ما بلغني ومكث كذلك إلى أن اخذ التتر مدينة إربل في سابع وعشرين شوال سنة أربع وثلاثين وستمائة وجرى عليها وعلى أهلها ما قد اشتهر فكان شرف الدين في جملة من اعتصم بالقلعة وسلم منهم ولما أنتزح التتر عن القلعة أنتقل إلى الموصل واقام بها في حرمة وافرة وله راتب يصل إليه وكان عنده من الكتب النفيسة شيء

كثير ولم يزل على ذلك حتى توفي بالموصـــل يوم الأحد لخمس خلون من المحرم سنة سبع وثلاثين وستمائة ودفن بالمقبرة السابلة خارج باب الجصاصة ومولده في النصف من شـوال سـنة أربع وسـتين وخمسـمائة بقلعة إربل وهو من بيت كبير كان فيه جماعة من الرؤسـاء الأدباء وتولى الاسـتيفاء بإربل والده وعمه صـفي الدين أبو الحسـن علي بن المبارك 159 وكان عمه المذكور فاضـلا وهو الذي نقل نصـيحة الملوك تصـنيف حجة الإسـلام أبي حامد الغزالي من اللغة الفارسـية إلى العربية فإن الغزالي لم يضعها إلا بالفارسية وقد ذكر ذلك شرف الدين في تاريخه وكنت اسـمع ذلك أيضـا عنه أيام كنت في تلك البلاد وكان ذلك مشـهورا بين الناس 160 ولما مات شـرف الدين رثاه صـاحبنا الشـمس أبو العز يوسـف بن النفيس الإربلي المعروف بشـيطان الشـام ومولد شـيطان الشـام سـنة ست وثمانين وخمسـمائة بإربل وتوفي بالموصـل سـادس عشـر شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وستمائة ودفن بمقبرة باب الجصـاصـة وفيه يقول (أبا البركات لو درت المنايا * بأنك فرد عصرك لم تصبكا)

152 (كفى الإسـلام رزا فقد شـخص * عليه بأعين الثقلين يبكى) ولولا خوف الإطـالـة لـذكرت كثيرا من وقائعه وأخباره وما جراياته وتفاصـيل أحواله وما مدح به ولقد كان رحمه الله من محاسـن وقته ولم يكن في آخر الوقت في ذلك البلد مثله في فضـائله ورياسـته وقد سـبق

الكلام على اللخمي فلا حاجة إلى إعادته 555 الوجيه ابن الدهان أبو بكر المبارك بن أبي طالب المبارك بن أبي الأزهر سعيد الملقب الوجيه المعروف بابن الدهان النحوي الضرير الواسطي ولد ببلده ونشأ به وحفظ القرآن هناك وقرأ القراءات واشتغل بالعلم وسمع بها من أبي سعيد نصر بن محمد بن سالم الأديب وأبي الفرج العلاء بن علي المعروف بابن السوادي الشاعر وقد تقدم ذكره وغيرهما ثم قدم بغداد واستوطنها وكان يسكن بالظفرية وجالس أبا محمد ابن الخشاب النحوي وصحب أبا البركات ابن الأنباري المقدم ذكرهما ولازم أبا البركات وجل ما أخذ عنه وسمع الحديث من أبي زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي وتفقه على مذهب أبي حنيفة بعد ان كان حنبليا ثم شغر منصب تدريس النحو بالمدرسة النظامية وشرط

153 ان لا يفوض إلا إلى شافعي المذهب فانتقل الوجيه المذكور إلى مذهب الشافعي وتولاه وفي ذلك يقول المؤيد أبو البركات بن زيد التكريتي (ومن مبلغ عني الوجيه رسالة * وإن كان لا تجدي إليه الرسائل) (تمذهبت للنعمان بعد ابن حنبل * وذلك لما أعوزتك المآكل) (وما إخترت قول الشافعي تدينا * ولكنما تهوى الذي منه حاصل) (وعما قليل أنت لاشك صائر * إلى مالك فافطن لما انا قائل) وللوجبه المذكور تصنيف في النحو واقرأ القرآن الكريم كثيرا وكان كثير الهذر وفيه شره نفس

وتوســـع في القول وكان كثير الدعاوى وله شـــعر فمنه (لست أستقبح اقتضاءك بالوعد * وإن كنت سيد الكرماء) (فإله السماء قد ضمن الرزق * عليه ويقتضـي بالدعاء) وكانت ولادته ســـنة اثنتين وثلاثين وخمســـمائة بواســـط وتوفي ليلة الأحد السادس والعشرين من شعبان سنة اثنتي عشــرة وســتمائة ببغداد ودفن من الغد بالوردية رحمه الله تعالى

154 556 القاضـــي مجلي صـــاحب الذخائر أبو المعــالي مجلي بن جميع بن نجــا القرشـــي المخزومي الأرسـوفي الأصـل المصـري الدار والوفاة الفقيه الشـافعي كان من اعيان الفقهاء المشـــار إليهم في وقته وصـــنف في الفقه كتاب الذخائر وهو كتاب مبســـوط جمع من المذهب شيئا كثيرا وفيه نقل غريب ربما لايوجد في غيره وهو من الكتب المعتبرة المرغوب فيها وتولى أبو المعالي المذكور القضاء بمصر في سنة سبع وأربعين وخمسمائة بتفويض من العادل أبي الحســـن علي بن الســـلار المقدم ذكره في حرف العين فإنه كان صـــاحب المر في ذلك الزمان ثم صرف عن القضاء في أوائل سنة تسع واربعين وخمسمائة قيل في العشر الأخير من شعبان من السنة وتوفي في ذي القعدة ســنة خمســين وخمســمائة ودفن بالقرافة الصــغرى رحمه الله تعالى والأرسـوفي بضـم الهمزة وسـكون الراء وضـم السين المهملة وسكون الواو وبعدها فاء هذه النسبة إلى أرسـوف وهي بليدة بالشـام على سـاحل البحر كان بها

جماعة من العلماء والمرابطين وهي اليوم بيد الفرنج خذلهم الله تعالى
155 161 قلت ثم أنتزعها السلطان الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس الصالحي النجمي من أيديهم في ثاني عشرين رجب من شهور سنة ثلاث وستين وستمائة بعد ان ملك قيسارية وخربها وعفى آثارها مع كثير من البلاد الساحلية التي تجاورها مثل يافا وغيرها فامتلكها وبقي بها بعد ذلك والملك الظاهر المذكور هو أحد مماليك الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل ابن الملك العادل ابن أيوب وسيأتي ذكر والده في محله وتولى المملكة بعد قتل الملك المظفر سيف الدين قطز بن عبد الله المعزي في سنة ثمان وخمسين وستمائة وكان قتل المظفر وهو عائد من كسرة التتر المخذولين وهي الكسرة المشهورة على عين جالوت بالقرب من بيسان وقتل بمنزله القصير من الرمل وتولى الظاهر بعده باتفاق الأمراء عليه وتوجه لليلته ووصل القلعة في اليوم الثاني لمسيره ودخلها وكنت يومئذ بالقاهرة وكان ملكا عالي الهمة شديد البأس لم نر في مثل هذا الزمان ملكا مثله في عزمه وهمته وسعادته وفتح من حصون الفرنج والإسماعيلية ما أعيا ما تقدمه من ملوك الإسلام وذلك في مدة مملكته وكسر التتر دفعات آخرها في أواخر سنة خمس وسبعين وستمائة بحدود بلاد الروم ودخل الروم ووصل إلى قيسارية

156 وجلس على سرير الملك بها ثم عاد إلى دمشق واقام بها إلى أوائل سنة ست وسبعين وستمائة فتوفي بها في يوم الخميس السابع والعشرين من المحرم من سنة ست المذكورة بقصر الميدان ونقل ليومه إلى القلعة وكتم موته وقام مملوكه وعتيقه الأمير بدر الدين بيلبك المعروف بالخازندار بتدبير الأمور والعساكر وتوجه بهم إلى مصر ودخلها في شهر صفر من السنة ووطد قواعد السلطنة لولده السعيد ناصر الدين محمد بركة قان واستمرت المملكة ثم توفي بدر الدين الخازندار في شهر ربيع الأول من السنة المذكورة وفي أثناء هذه السنة أظهر موت الملك الظاهر ودفن بالتربة المجاورة للمدرسة التي أنشأها ولده الملك السعيد المذكور بدمشق المحروسة شمالي الجامع قبالة المدرسة العادلية الكبيرة 162 واقام ولده الملك السعيد في المملكة إلى سنة ثمان وسبعين وستمائة وفي هذه السنة وصل إلى دمشق وزار قبر والده المذكور واقام بدمشق مدة يسيرة وجرت أسباب أوجبت تغير قلوب الأمراء وانفصل أكثر العساكر عنه وفارقوه وتوجهوا طالبين الديار المصرية وتبعهم هو فيمن بقي من عسكره وفيمن عنده من مماليك أبيه وعسكر الشام ومعه من المراء الكبار شمس الدين سنقور الأشقر العلائي والأمير علم الدين سنجر الحلبي الكبير وغيرهما ثم جرت امور يطول شرحها خلاصتها انه شق جموعهم بنفسه ودخل قلعة مصر في العشر الأواخر من ربيع الأول من السنة ثم

حاصروه بها وانزلوه منها واعطوه قلعة الكرك وهي قلعة حصينة بين الشام ومصر على فم البرية الحجازية فأقام بها إلى ان توفي في يوم الجمعة حادي عشر ذي القعدة سنة ثمان وسبعين وستمائة ودفن بالكرك مدة ثم نقل إلى دمشق المحروسة في شهر جمادى من سنة ثمانين وستمائة ودفن على والده في التربة المجاورة للمدرسة المذكورة التي انشأها وهذه المدرسة على الفريقين أصحاب الإمام الشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهما وافتتح بذكر الدرس فيها يوم الأربعاء سابع عشر صفر سنة سبع
157 وسبعين وستمائة وكنت حاضره يومئذ وحضر نائب المملكة بدمشق يومذاك وهو الامير عز الدين أيدمر بن عبد اله الظاهري وهي من مشاهير المدارس
158 وكبارها يومئذ بدمشق المحروسة حماها الله تعالى وسائر بلاد المسلمين 163 ولما نزل الملك السعيد من قلعة الجبل أنتهى رأي أكابر الأمراء على ان يقيموا اخاه سيف الدين سلامش وكان صغيرا تقدير عمره دون عشر سنين وان يلقبوه بالملك العادل فوضعوه مكانه في السلطنة وان يكون أتابك العساكر ومتولي التدبير الأمير سيف الدين قلاون الصالحي المعروف بالألفي الكبير فجرى الأمر على ذلك واستمر هذا الحال كذلك إلى أواخر شهر رجب من السنة فاستقل الأمير سيف الدين قلاون المذكور بالسلطنة وركب بأبهتها في حادي عشرين رجب المذكور ولقب بالملك المنصور وخلفه الأمراء والناس

ودخل أهل جميع الممالك في طاعته ولم يبق إلا الملك السعيد بالكرك ثم إن الأمراء أرسلوا إلى الملك السعيد بالكرك أخوة سلامش المذكور وعامة أهل بيت الملك الظاهر فانقطعت مملكتهم من الديار المصرية وغيرها ولم يبق لهم إلا قلعة الكرك وما هو مضاف إليها والله متولي الأمور وبمشيئته يجري كل مقدور وكان سبب وفاة الملك السعيد أنه خرج إلى الصيد فتقنطر به الفرس فحمل إلى قلعة الكرك فبقي يويمات قلائل مريضا ثم توفي في التاريخ المذكور

159 557 أبو علي التنوخي القاضي أبو علي المحسن بن أبي القاسم علي بن محمد بن أبي الفهم داود بن إبراهيم ابن تميم التنوخي وقد سبق ذكر أبيه في حرف العين وإيراد شيء من أخباره وشعره وذكرهما الثعالبي في باب واحد وقدم ذكر الأب ثم قال في حق أبي علي المذكور هلال ذلك القمر وغصن هاتيك الشجر والشاهد العدل بمجد أبيه وفضله والفرع المسند لأصله والنائب عنه في حياته والقائم مقامه بعد وفاته وفيه يقول أبو عبد الله بن الحجاج الشاعر (إذا ذكر القضاة وهم شيوخ * تخيرت الشباب على الشيوخ) (ومن لم يرض لم أصفعه إلا * بحضرة سيدي القاضي التنوخي) وله كتاب الفرج بعد الشدة وذكر في أوائل هذا الكتاب أنه كان على العيار في دار الضرب بسوق الأهواز في سنة ست وأربعين وثلثمائة وذكر بعد ذلك بقليل أنه كان على القضاء بجزيرة ابني

عمر وله ديوان شعر أكبر من ديوان أبيه وكتاب نشوار المحاضرة وله كتاب المستجاد من فعلات الأجواد وسمع بالبصرة من أبي العباس الأثرم وأبي بكر الصولي والحسين بن محمد بن

160 يحيى بن عثمان النسوي وطبقتهم ونزل ببغداد وأقام بها وحدث إلى حين وفاته وكان سماعه صحيحا وكان اديبا شاعرا أخباريا وكان أول الحديث في سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة وأول ما تقلد القضاء من قبل أبي السائب عتبة بن عبيد الله بالقصر وبابل وما والاهما في سنة تسع وأربعين ثم ولاه الإمام المطيع لله القضاء بعسكر مكرم وإيدج ورامهرمز وتقلد بعد ذلك أعمالا كثيرة في نواح مختلفة ومن شعره في بعض المشايخ وقد خرج يستسقي وكان في السماء سحاب فلما دعا أصحت السماء فقال أبو علي التنوخي (خرجنا لنستسقي بيمن دعائه * وقد كاد هدب الغيم أن يلحف الأرضا) (فلما ابتدا يدعو تكشفت السما * فما تم إلا والغمام قد انفضا) ولبعضهم في المعنى وهو أبو الحسين سليمان بن محمد بن الطراوة النحوي الأندلسي المالقي في هذا المعنى (خرجوا ليستسقوا وقد نجمت * غريبة قمن بها السح) (حتى إذا اصطفوا لدعوتهم * وبدا لأعينهم بها رشح) (كشف السحاب إجابة لهم * فكأنهم خرجوا ليستصحوا) ومن المنسوب إليه أعني القاضي التنوخي (قل للمليحة في الخمار المذهب * أفسدت نسك أخي التقي المترهب) (

نور الخمار ونور خدك تحته * عجبا لوجهك كيف لم يتلهب)
161 (وجمعت بين المذهبين فلم يكن * للحسن عن ذهبيهما من مذهب) (وإذا أتت عين لتسرق نظرة * قال الشعاع لها اذهبي لا تذهبي) وما ألطف قوله اذهبي ولا تذهبي وقد أذكرتني هذه الأبيات في الخمار المذهب حكاية وقفت عليها منذ زمان بالموصل وهي أن بعض التجار قدم مدينة رسول الله ومعه حمل من الخمر السود فلم يجد لها طالبا فكسدت عليه وضاق صدره فقيل له ما ينفقها لك إلا مسكين الدارمي وهو من مجيدي الشعراء الموصوفين بالظرف والخلاعة فقصده فوجده قد تزهد وانقطع في المسجد فأتاه وقص عليه القصة فقال وكيف أعمل وأنا قد تركت الشعر وعكفت على هذه الحال فقال له التاجر أنا رجل غريب وليس لي بضاعة سوى هذا الحمل وتضرع إليه فخرج من المسجد وأعاد لباسه الأول وعمل هذين البيتين وشهرهما وهما (قل للمليحة في الخمار الأسود * ماذا أردت بناسك متعبد) (قد كان شمر للصلاة ثيابه * حتى قعدت له بباب المسجد) فشاع بين الناس أن مسكينا الدارمي قد رجع إلى ما كان عليه وأحب واحدة ذات خمار أسود فلم يبق بالمدينة ظريفة إلا وطلبت خمارا أسود فباع التاجر الحمل الذي كان معه بأضعاف ثمنه لكثرة رغباتهم فيه فلما فرغ منه عاد مسكين إلى تعبده وانقطاعه وكتب القاضي أبو علي التنوخي المذكور إلى بعض الرؤساء في

شــهر رمضــان (نلت في ذا الصــيام ما تشـتهيه * وكفاك الإله ما تتقيه) (أنت في الناس مثل شهرك في الأشهر * بل مثل ليلة القدر فيه)

162 وله أشـــياء فائقة وكانت ولادته ليلة الأحد لأربع بقين من شـــهر ربيع الأول ســـنة ســـبع وعشـــرين وثلثمائة بالبصـــرة كانت وفاته ليلة الإثنين لخمس بقين من المحرم ســنة أربع وثمانين وثلثمائة ببغداد رحمه الله تعالى

164 وأما ولده أبو القاســـم علي بن المحســـن بن علي التنوخي فكان أديبا فاضـلا له شـعر لم أقف منه على شـيء وكان يصـــحب أبا العلاء المعري وأخذ عنه كثيرا وكان يروي الشـــعر الكثير وهم أهل بيت كلهم فضـــلاء أدباء ظرفاء وكانت ولادة الولد المذكور في منتصـــف شـــعبان سنة خمس وستين وثلثمائة بالبصـرة وتوفي في يوم الأحد مســتهل المحرم ســنة ســبع وأربعين وأربعمائة رحمه الله تعالى وكـانـت بينـه وبين الخطيـب أبي زكريـاء التبريزي مؤانسـة واتحاد بطريق أبي العلاء المعري وذكره الخطيب في تاريخ بغداد وعدد شـــيوخه الذين روى عنهم ثم قال وكتبت عنه وذكر مولده ووفاته كما هو هاهنا لكنه قال إن وفاته كانت ليلة الإثنين ثاني المحرم ودفن يوم الإثنين في داره بدرب التل وإنه صـلى على جنازته وإن أول سـماعه كان في شـعبان سـنة سـبعين وكان قد قبلت شـهادته عند الحكام في حداثته ولم يزل على ذلك مقبولا إلى آخر عمره وكان متحفظا في الشهادة محتاطا صدوقا في الحديث وتقلد

قضـــاء نواح عدة منها المدائن وأعمالها ودورنجان والبردان وقرميسـين وغير ذلك وقد سـبق الكلام على التنوخي والمحسن بضم الميم وفتح الحاء المهملة وكسر السين المهملة المشددة وبعدها نون وإليه كتب أبو العلاء المعري قصـيدته التي أولها (هات الحديث عن الزوراء أو هيتا)

163 558 الإمام الشافعي الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب ابن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف القرشي المطلبي الشافعي يجتمع مع رسول الله في عبد مناف المذكور وباقي النسب إلى عدنان معروف لقي جده شافع رسول الله وهو مترعرع وكان أبوه السائب صاحب راية بني هاشم يوم بدر فأسر وفدى نفسه ثم أسلم فقيل له لم لم تسلم قبل أن تفدي نفسك فقال ما كنت أحرم المؤمنين مطمعا لهم في وكان الشافعي كثير المناقب جم المفاخر منقطع القرين اجتمعت فيه من العلوم بكتاب الله وسنة الرسول وكلام الصحابة رضي الله عنهم وآثارهم واختلاف أقاويل العلماء وغير ذلك من معرفة كلام العرب واللغة والعربية والشعر حتى إن الأصمعي مع جلالة قدره في هذا الشأن قرأ عليه أشعار الهذليين ما لم يجتمع في غيره حتى قال أحمد بن حنبل رضي الله عنه ما عرفت ناسخ الحديث ومنسوخه حتى جالست الشافعي وقال أبو عبيد

القاسم بن سلام ما رأيت رجلا قط أكمل من الشافعي وقال عبد الله بن أحمد
164 ابن حنبل قلت لأبي أي رجل كان الشافعي فإني سمعتك تكثر من الدعاء له فقال يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للبدن هل لهذين من خلف او عنهما من عوض وقال أحمد ما بت منذ ثلاثين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي وأستغفر له وقال يحيى بن معين كان أحمد بن حنبل ينهانا عن الشافعي ثم استقبلته يوما والشافعي راكب بغلة وهو يمشي خلفه فقلت يا أبا عبد الله تنهانا عنه وتمشي خلفه فقال اسكت لو لزمت البغلة أنتفعت وحكى الخطيب في تاريخ بغداد عن ابن عبد الحكم قال لما حملت أم الشافعي به رأت كأن المشتري خرج من فرجها حتى انقض بمصر ثم وقع في كل بلد منه شظية فتأول أصحاب الرؤيا أنه يخرج منها عالم يخص علمه أهل مصر ثم يتفرق في سائر البلدان وقال الشافعي قدمت على مالك بن أنس وقد حفظت الموطأ فقال لي أحضر من يقرأ لك فقلت أنا قارئ فقرأت عليه الموطأ حفظا فقال إن يك أحد يفلح فهذا الغلام وكان سفيان بن عيينة إذا جاءه شيء من التفسير أو الفتيا التفت إلى الشافعي فقال سلوا هذا الغلام وقال الحميدي سمعت زنجي بن خالد يعني مسلما يقول للشافعي أفت يا أبا عبد الله فقد والله آن لك أن تفتي وهو ابن خمس عشرة سنة وقال محفوظ بن أبي توبة البغدادي رأيت أحمد بن حنبل عند الشافعي في المسجد الحرام فقلت

يا أبا عبد الله هذا سفيان بن عيينة في ناحية المسجد يحدث فقال إن هذا يفوت وذاك لا يفوت وقال أبو حسـان الزيادي ما رأيت محمد بن الحسن يعظم أحدا من أهل العلم تعظيمه للشافعي ولقد جاءه يوما فلقيه وقد ركب
165 محمد بن الحسـن فرجع محمد إلى منزله وخلا به يومه إلى الليل ولم يأذن لأحد عليه والشـافعي أول من تكلم في أصـول الفقه وهو الذي استنبطه وقال أبو ثور من زعم أنه رأى مثل محمد بن إدريس في علمه وفصـاحته ومعرفته وثباته وتمكنه فقد كذب كان منقطع القرين في حياته فلما مضى لسبيله لم يعتض منه وقال أحمد بن حنبل ما أحد ممن بيده محبرة أو ورق إلا وللشـافعي في رقبته منة وكان الزعفراني يقول كان أصـحاب الحديث رقودا حتى جاء الشـافعي فأيقظهم فتيقظوا ومن دعائه اللهم يا لطيف أسـألك اللطف فيما جرت به المقادير وهو مشـهور بين العلماء بالإجابة وأنه مجرب وفضـائله أكثر من أن تعدد ومولده سـنة خمسين ومائة وقد قيل إنه ولد في اليوم الذي توفي فيه الإمام أبو حنيفة وكانت ولادته بمدينة غزة وقيل بعسـقلان وقيل باليمن والأول أصـح وحمل من غزة إلى مكة وهو ابن سـنتين فنشـأ بها وقرأ القرآن الكريم وحديث رحلته إلى مالك بن أنس مشـهور فلا حاجة إلى التطويل فيه وقدم بغداد سنة خمس وتسعين ومائة فأقام بها سـنتين ثم خرج إلى مكة ثم عاد إلى بغداد سـنة ثمان وتسـعين ومائة فأقام بها شـهرا ثم خرج إلى مصـر وكان

وصوله إليها في سنة تسع وتسعين ومائة وقيل سنة إحدى ومائتين ولم يزل بها إلى أن توفي يوم الجمعة آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين ودفن بعد العصر من يومه بالقرافة الصغرى وقبره يزار بها بالقرب من المقطم رضي الله عنه قال الربيع بن سليمان المرادي رأيت هلال شعبان وأنا راجع من جنازته وقال رأيته في المنام بعد وفاته فقلت يا أبا عبد الله ما صنع الله بك فقال أجلسني على كرسي من ذهب ونثر علي اللؤلؤ الرطب وذكر الشيخ
166 أبو إسحاق الشيرازي في كتاب طبقات الفقهاء ما مثاله وحكى الزعفراني عن أبي عثمان ابن الشافعي قال مات أبي وهو ابن ثمان وخمسين سنة وقد اتفق العلماء قاطبة من أهل الحديث والفقه والأصول واللغة والنحو وغير ذلك على ثقته وأمانته وعدالته وزهده وورعه ونزاهة عرضه وعفة نفسه وحسن سيرته وعلو قدره وسخائه وللإمام الشافعي أشعار كثيرة فمن ذلك ما نقلته من خط الحافظ أبي طاهر السلفي رحمه الله تعالى (إن الذي رزق اليسار ولم يصب * حمدا ولا أجرا لغير موفق) (الجد يدني كل أمر شاسع * والجد يفتح كل باب مغلق) (وإذا سمعت بأن مجدودا حوى * عودا فأثمر في يديه فصدق) (وإذا سمعت بأن محروما أتى * ماء ليشربه فغاض فحقق) (لو كان بالحيل الغنى لوجدتني * بنجوم أقطار السماء تعلقي) (لكن من رزق الحجا حرم الغنى * ضدان مفترقان أي تفرق) (ومن الدليل على

القضاء وكونه * بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق) ومن المنسوب إليه أيضا (ماذا يخبر ضيف بيتك أهله * إن سيل كيف معاده ومعاجه)
167 (أيقول جاوزت الفرات ولم أنل * ريا لديه وقد طغت أمواجه) (ورقيت في درج العلا فتضايقت * عما أريد شعابه وفجاجه) (ولتخبرن خصاصتي بتملقي * والماء يخبر عن قذاه زجاجه) (عندي يواقيت القريض ودره * وعلي إكليل الكلام وتاجه) (تربي على روض الربا أزهاره * ويرف في نادي الندى ديباجه) (والشاعر المنطيق أسود سالخ * والشعر منه لعابه ومجاجه) (وعداوة الشعراء داء معضل * ولقد يهون على الكريم علاجه) ومن المنسوب إليه أيضا (رام نفعا فضر من غير قصد * ومن البر ما يكون عقوقا) ومن المنسوب إلى الشافعي (كلما أدبني الدهر * أراني نقص عقلي) (وإذا ما ازددت علما * زادني علما بجهلي) وهو القائل (ولولا الشعر بالعلماء يزري * لكنت اليوم أشعر من لبيد) وقال الشافعي رضي الله عنه تزوجت امرأة من قريش بمكة وكنت أمازحها فأقول (ومن البلية أن تحب * فلا يحبك من تحبه) فتقول هي (ويصد عنك بوجهه * وتلج أنت فلا تغبه) وأخبرني أحد المشايخ الأفاضل أنه عمل في مناقب الشافعي ثلاثة عشر تصنيفا
168 ولما مات رثاه خلق كثير وهذه المرثية منسوبة إلى أبي بكر محمد بن دريد صاحب المقصورة وقد ذكرها

الخطيب في تاريخ بغداد وأولها (بملتفتيه للمشـيب طوالع * زواجر عن ورد التصـــابي روادع) (تصـــرفه طوع العنان وربما * دعاه الصـبا فاقتاده وهو طائع) (ومن لم يزعه لبه وحياؤه * فليس له من شيب فوديه وازع) (هل النافر المدعو للحظ راجع * أم النصـــح مقبول أم الوعظ نافع) (أم الهمك المغموم بالجمع عالم * بأن الذي يوعي من المال ضائع) (وأن قصاراه على فرط ضنه * فراق الذي أضـــحى له وهو جامع) (ويخمل ذكر المرء ذي المال بعده * ولكن جمع العلم للمرء رافع) (ألم تر آثار ابن إدريس بعده * دلائلها في المشـكلات لوامع) (معالم يفنى الدهر وهي خوالد * وتنخفض الأعلام وهي فوارع) (مناهج فيها للهدى متصرف * موارد فيها للرشاد شرائع) (ظواهرها حكم ومســـتبطناتها * لما حكم التفريق فيه جوامع) (لرأي ابن إدريس ابن عم محمد * ضياء إذا ما أظلم الخطب ساطع) (إذا المفظعات المشكلات تشابهت * ســـما منه نور في دجاهن لامع) (أبى الله إلا رفعه وعلوه * وليس لما يعليه ذو العرش واضـــع) (توخى الهدى واســـتنقذته يد التقى * من الزيغ إن الزيغ للمرء صـارع) (ولاذ بآثار الرسول فحكمه * لحكم رسول الله في الناس تابع) (وعول في أحكامه وقضـــائه * على ما قضـــى في الوحي والحق ناصـــع) (بطيء عن الرأي المخوف التباسه * إليه إذا لم يخش لبسا مسارع) (وأنشا له منشيه من خير معدن * خلائق هن الباهرات البوارع)

169 (تسربل بالتقوى وليدا وناشئا * وخص بلب الكهل مذ هو يافع) (وهذب حتى لم تشر بفضيلة * إذا التمست إلا إليه الأصابع) (فمن يك علم الشافعي إمامه * فمرتعه في ساحة العلم واسع) (سلام على قبر تضمن جسمه * وجادت عليه المدجنات الهوامع) (لقد غيبت أثراؤه جسم ماجد * جليل إذا التفت عليه المجامع) (لئن فجعتنا الحادثات بشخصه * لهن لما حكمن فيه فواجع) (فأحكامه فينا بدور زواهر * وآثاره فينا نجوم طوالع) وقد يقول القائل إن ابن دريد لم يدرك الشافعي فكيف رثاه لكنه يجوز أن يكون رثاه بعد ذلك فما فيه بعد فقد رأينا مثل هذا في حق غيره مثل الحسين رضي الله تعالى عنه وغيره

559 محمد بن الحنفية أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه المعروف بابن الحنفية امه الحنفية خولة بنت جعفر بن قيس بن سلمة بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة ابن الدول بن حنيفة بن لجيم ويقال بل كانت من سبي اليمامة وصارت إلى علي رضي الله عنه وقيل بل كانت سندية سوداء وكانت أمه لبني حنيفة ولم تكن منهم وإنما صالحهم خالد بن الوليد على الرقيق ولم يصالحهم على أنفسهم وذكر البغوي في كتاب شرح السنة في باب قتال ما نعي الزكاة أن طائفة

170 ارتدوا عن الدين وانكروا الشرائع وعادوا إلى ما كانوا عليه من الجاهلية واتفقت الصحابة على قتالهم وقتلهم ورأى أبو بكر رضي الله عنه سبي ذراريهم

ونسائهم وساعده على ذلك أكثر الصحابة واستولد علي رضي الله عنه جارية من سبي بني حنيفة فولدت له محمد بن علي الذي يدعى محمد بن الحنفية ثم لم ينقرض عصر الصحابة حتى اجمعوا على أن المرتد لايسبى وأما كنيته بأبي القاسم فيقال إنها رخصة من رسول الله وإنه قال لعلي رضي الله عنه سيولد لك بعدي غلام وقد نحلته اسمي وكنيتي ولا تحل لأحد من امتي من بعده وممن يسمى محمدا ويكنى أبا القاسم محمد بن أبي بكر الصديق ومحمد بن طلحة بن عبيد الله ومحمد بن سعد بن أبي وقاص ومحمد بن عبد الرحمن بن عوف ومحمد بن جعفر بن أبي طالب ومحمد بن حاطب بن أبي بلتعة ومحمد بن الأشعث بن قيس وكان محمد المذكور كثير العلم والورع وقد ذكره الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في طبقات الفقهاء وكان شديد القوة وله في ذلك اخبار عجيبة منها ما حكاه المبرد في كتاب الكامل إن اباه عليا رضي الله عنه استطال درعا كانت له فقال لينقص منها كذا وكذا حلقة فقبض محمد إحدى يديه على ذيلها والأخرى على فضلها ثم جذبها فقطع من الموضع الذي حده أبوه وكان عبد الله بن الزبير إذا حدث بهذا الحديث غضب واعتراه افكل وهو الرعدة لأنه كان يحسده على قوته وكان ابن الزبير أيضا شديد القوى ومن قوته أيضا ما حكاه المبرد في كتابه أن ملك الروم في أيام معاوية وجه إليه إن الملوك قبلك كانت تراسل الملوك منا ويجهد بعضهم أن

171 يغرب على بعض أفتأذن في ذلك فأذن له فوجه إليه برجلين أحدهما طويل جسـيم والآخر أيد فقال معاوية لعمرو بن العاص أما الطويل فقد أصبنا كفؤه وهو قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنه وأما الآخر الأيد فقد احتجنا إلى رأيك فيه فقال عمرو ها هنا رجلان كلاهما إليك بغيض محمد بن الحنيفة وعبد الله بن الزبير فقال معاوية من هو أقرب إلينا على كل حال فلما دخل الرجلان وجه إلى قيس بن سعد بن عبادة يعلمه فدخل قيس فلما مثل بين يدي معاوية نزع سراويله فرمى بها إلى العلج فلبسها فبلغت ثندوته فأطرق مغلوبا فقيل إن قيسا لاموه في ذلك وقيل له لم تبذلت هذا التبذل بحضرة معاوية هلا وجهت إليه غيرها فقال (أردت لكيما يعلم الناس أنها * سراويل قيس والوفود شهود) (وان لا يقولوا غاب قيس وهذه * سراويل عادي نمته ثمود) (وإني من القوم اليمانين سيد * وما الناس إلا سيد ومسود) (وبذ جميع الخلق أصلي ومنصبي * وجسم به أعلو الرجال مديد) ثم وجه معاوية إلى محمد بن الحنفية فحضر فخبر بما دعي له فقال قولوا له إن شاء فليجلس وليعطني يده حتى أقيمه أو يقعدني وإن شاء فليكن القائم وأنا القاعد فاختار الرومي الجلوس فأقامه محمد وعجز الرومي عن إقعاده ثم إختار أن يكون محمد هو القاعد فجذبه محمد فأقعده وعجز الرومي عن إقامته فانصرفا مغلوبين وكانت راية أبيه يوم صفين بيده ويحكى انه توقف أول يوم في حملها لكونه قتال المسلمين ولم يكن

قبل ذلك شـهد مثاله فقال له علي رضـــي الله عنه هل عندك شك في جيش مقدمه أبوك فحملها وقيل لمحمد كيف كان 172 أبوك يقحمك المهالك ويولجك المضـــــايق دون أخويك الحسن والحسين فقال لأنـهما كانا عينيه وكنت يديه فكان يقي عينيه بيديه ومن كلامه ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشـــرته بدا حتى يجعل الله له فرجا ولما دعا ابن الزبير إلى نفســـه وبايعه أهل الحجاز بالخلافة دعا عبد الله بن العباس ومحمد بن الحنفية رضـــي الله عنهما إلى البيعة فأبيا ذلك وقالا لا نبايعك حتى تجتمع لك البلاد ويتفق الناس فأســاء جوارهم وحصـــرهم وآذاهم وقال لهم لئن لم تبايعا أحرقتكما بالنار والشــــرح في ذلك يطول وكانت ولادته لســـنتين بقيتا من خلافة عمر وتوفي رحمه الله في أول المحرم سنة إحدى وثمانين للهجرة وقيل ســـنة ثلاث وثمانين وقيل ســـنة اثنتين أو ثلاث وســـبعين بالمدينة وصـــلى عليه أبان بن عثمان بن عفان وكان والي المدينـة يومئذ ودفن بـالبقيع وقيـل إنـه خرج إلى الطـائف هاربا من ابن الزبير فمات هناك وقيل إنه مات ببلاد أيلة والفرقة الكيســـانية تعتقد إمامته وانه مقيم بجبل رضـــوى وإلى هذا أشـــار كثير عزة بقوله من جملة أبيات وكان كيســـاني الإعتقاد (وســـبط لا يذوق الموت حتى * يقود الخيـل يقـدمهـا اللواء) (تغيـب لا يرى فيهم زمـانـا * برضـــوى عنده عســـل وماء) وكان المختار بن أبي عبيد

الثقفي يدعو الناس إلى إمامة محمد بن الحنفية ويزعم أنه المهدي وقال الجوهري في كتاب الصحاح كيسان لقب المختار المذكور وقال غيره كيسان مولى علي
173 رضي الله عنه والكيسانية يزعمون أنه مقيم برضوى في شعب منه ولم يمت دخل إليه يمتخل لإليه ومعه أربعون من أصحابه ولم يوقف لهم على خبر وهم احياء يرزقون ويقولون إنه مقيم في هذا الجبل بين اسد ونمر وعنده عينان نضاختان تجريان عسلا وماء وإنه يرجع إلى الدنيا فيملؤها عدلا وكان محمد يخضب بالحناء والكتم وكان يتختم في اليسار وله أخبارا مشهورة رضي الله عنه وانتقلت إمامته إلى ولده أبي هاشم عبد الله ومنه إلى محمد بن علي والد السفاح والمنصور كما سيأتي في ترجمته إن شاء الله تعالى ورضوى بفتح الراء وبعدها ضاد معجمة وبعد الواو ألف قال ابن جرير الطبري في تاريخه الكبير في سنة أربع وأربعين ومائة رضوى جبل جهينة وهو في عمل ينبع وقال غيره بينهما مسيرة يوم واحد وهو من المدينة على سبع مراحل ميامنة طريق المدينة ومياسرة طريق البر لمن كان مصعدا إلى مكة وهو على ليلتين من البحر والله اعلم ومن رضوى تحمل حجارة المسن إلى سائر الأمصار قاله ابن حوقل في كتابه المسالك والممالك وذكر أبو اليقظان في كتاب النسب أن ابن الحنفية له ابن اسمه الهيثم وكان مؤخذا عن مسجد رسول الله لا يقدر أن يدخله

والأخذة في اللغة الأسير والأخذه بضم الهمزة رقية كالسحر فكانه كان مسحورا
174 560 محمد الباقر أبو جعفر محمد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين الملقب الباقر أحد الأئمة الاثني عشر في اعتقاد الإمامية وهو والد جعفر الصادق وقد تقدم ذكره كان الباقر عالما سيدا كبيرا وإنما قيل له الباقر لأنه تبقر في العلم أي توسع والتبقر التوسع وفيه يقول الشاعر (يا باقر العلم لأهل التقى * وخير من لبى على الأجبل) ومولده يوم الثلاثاء ثالث صفر سنة سبع وخمسين للهجرة وكان عمره يوم قتل جده الحسين رضي الله عنه ثلاث سنين وامه أم عبد الله بنت الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة ومائة وقيل في الثالث والعشرين من صفر سنة أربع عشرة وقيل سبع عشرة وقيل ثمان عشرة بالحميمة ونقل إلى المدينة ودفن بالبقيع في القبر الذي فيه أبوه وعم أبيه الحسن بن علي رضي الله عنهم في القبة التي فيها قبر العباس رضي الله عنه وقد تقدم الكلام على الحميمة في ترجمة علي بن عبد الله بن العباس
175 561 محمد الجواد أبو جعفر محمد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر المذكور قبله المعروف بالجواد أحد الأئمة الاثني عشر أيضا قدم إلى بغداد وافدا على المعتصم ومعه امرأته أم

الفضـــل ابنة المأمون فتوفي بها وحملت إمرأته إلى قصـــر عمها المعتصـــم فجعلت مع الحرم وكان يروي مسـندا عن عن آبائه إلى علي بن أبي طالب رضــــي الله عنه أنه قال بعثني رســـول الله إلى اليمن فقال لي وهو يوصـــيني ياعلي ما خاب من اســـتخار ولا ندم من اســـتشـــار يا علي عليك بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار يا علي اغد باســـم الله فإن الله بارك لأمتي في بكورها وكان يقول من استفاد أخا في الله فقد استفاد بيتا في الجنة وقال جعفر بن محمد بن مزيد كنت ببغداد فقال لي محمد بن منده بن مهريزد هل لك أن ادخلك على محمد بن علي الرضـا فقلت نعم قال فأدخلني عليه فسلمنا وجلسنا فقال له حديث رســـول الله أن فاطمة رضــــي الله عنها أحصـــنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار قال ذلك خاص بالحسـن والحســـين رضـــي الله عنهما وله حكايات وأخبار كثيرة وكانت ولادته يوم الثلاثاء خامس شـــهر رمضــــان وقيل منتصـــفه ســـنة خمس وتســـعين ومائة وتوفي يوم الثلاثاء لخمس خلون من ذي الحجة ســـنة عشـــرين ومائتين وقيل تسع عشرة ومائتين ببغداد ودفن عند جده موسى بن جعفر رضــــي الله عنهم أجمعين في مقابر قريش وصـــلى عليه الواثق بن المعتصم

176 562 أبو القاســم المنتظر أبو القاسـم محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد المذكور قبله ثاني عشـــر الأئمة الاثني عشـــر على اعتقاد الامامية

المعروف بالحجة وهو الذي تزعم الشـــيعة أنه المنتظر والقائم والمهدي وهو صـــاحب الســـرداب عندهم وأقاويلهم فيـــه كثيرة وهم ينتظرون ظهوره في آخر الزمـــان من السرداب بسر من رأى كانت ولادته يوم الجمعة منتصف شـــعبان ســـنة خمس وخمســـين ومائتين ولما توفي أبوه وقد ســـبق ذكره كان عمره خمس ســـنين واســـم امه خمط وقيل نرجس والشـــيعة يقولون إنه دخل الســـرداب في دار أبيه وامه تنظر إليه فلم يعد يخرج إليها وذلك في ســـنة خمس وســـتين ومائتين وعمره يومئذ تســـع ســـنين وذكر ابن الأزرق في تاريخ ميافارقين أن الحجة المذكور ولد تاســـع شـــهر ربيع الأول ســـنة ثمان وخمســـين ومائتين وقيل في ثامن شعبان سنة ست وخمسين وهو الأصح وانه لما دخل السرداب كان عمره أربع سنين وقيل خمس سنين وقيل إنه دخل الســـرداب ســـنة خمس وســـبعين ومائتين وعمره ســـبع عشرة سنة والله اعلم أي ذلك كان رحمه الله تعالى

177 563 الزهري أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شـــهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة الزهري أحد الفقهاء والمحدثين والأعلام التابعين بالمدينة رأى عشـــرة من الصـــحابة رضـــوان الله عليهم وروى عنه جماعة من الأئمة منهم مالك بن أنس وســـفيان بن عيينة وســـفيان الثوري وروي عن عمرو بن دينار انه قال أي شـــيء عند الزهري أنا لقيت ابن عمر ولم يلقه وانا لقيت ابن عباس ولم يلقه فقدم الزهري مكة فقال عمرو احملوني

إليه وكان قد اقعد فحمل إليه فلم يات إلى أصـــحابه إلا بعد ليل فقالوا له كيف رأيت فقال والله ما رأيت مثل هذا الفتى القرشـــي قط وقيل لمكحول من أعلم من رأيت قال ابن شـــهاب قيل له ثم من قال ابن شـــهاب قيل له ثم من قال ابن شـــهاب وكان قد حفظ علم الفقهاء الســـبعة وكتب عمر بن عبد العزيز رض ي الله عنه إلى الآفاق عليكم بابن شـــهاب فإنكم لا تجدون أحدا أعلم بالســـنة الماضـــية منه وحضـــر الزهري يوما مجلس هشـــام بن عبد الملك وعنده أبو الزناد عبد الله بن ذكوان فقال له هشـــــام أي شـــــهر كان يخرج العطاء فيه لأهل المدينة فقال الزهري لا ادري فســـأل ابا الزناد عنه فقال في المحرم فقال هشـــام للزهري يا أبا بكر هذا علم اســـتفدته اليوم فقال مجلس أمير المؤمنين أهل ان يستفاد منه العلم وكان إذا جلس في بيته وضع كتبه حوله فيشتغل بها عن

178 كل شـــيء من امور الدنيا فقالت له امرأته يوما والله لهذه الكتب اشد علي من ثلاث ضرائر وكان أبو جده عبد الله بن شهاب شهد مع المشركين بدرا وكان احد النفر الذين تعاقدوا يوم احد لئن رأوا رســـول الله ليقتلنه او ليقتلن دونه وروي انه قيل للزهري هل شـــهد جدك بدرا فقال نعم ولكن من ذلك الجانب يعني انه كان في صـــف المشـــركين وكان أبوه مسـلم مع مصـعب بن الزبير ولم يزل الزهري مع عبد الملك ثم مع هشام بن عبد الملك وكان يزيد بن عبد الملك قد اســـتقضـــاه وتوفي ليلة الثلاثاء لســـبع عشـــرة ليلة

خلت من شهر رمضان سنة أربع وعشرين ومائة وقيل ثلاث وعشرين وقيل خمس وعشرين ومائة وهو ابن اثنتين وقيل ثلاث وسبعين سنة وقيل مولده سنة احدى وخمسين للهجرة والله اعلم ودفن في ضيعته ادامي بفتح الهمزة والدال المهملة وبعد الألف ميم مفتوحة وياء مفتوحة أيضا وقيل ادمي مثل الأول لكنها بغير ألف وهي خلف شغب وبدا وهما واديان وقيل قريتان بين الحجاز والشام في موضع هو آخر عمل الحجاز واول عمل فلسطين وذكر في كتاب التمهيد انه مات في بيته بنعف وهي قرية عند القرى المذكورة وماتت بها أيضا أم حزرة زوجة جرير فقال من أبيات (نعم القرين وكنت علق مضنه * وارى بنعف بلية الأحجار) وقبره على الطريق ليدعو له كل من يمر عليه رضي الله عنه والزهري بضم الزاي وسكون الهاء وبعدها راء هذه النسبة إلى زهرة ابن كلاب بن مرة وهي قبيلة كبيرة من قريش ومنها آمنة أم رسول الله وخلق كثير من الصحابة وغيرهم رضي الله عنهم وشغب بفتح الشين المعجمة وسكون الغين المعجمة وبعدها ياء موحدة

179 وبدا بفتح الباء الموحدة والدال المهملة وبعدها الف وفيهما يقول كثير عزة (وأنت التي حببت شغبا إلى بدا * إلي وأوطاني بلاد سواهما) (إذا ذرفت عيناي أعتل بالقذى * وعزة لو يدري الطبيب قذاهما) (وحلت بهذا حلة ثم أصبحت * بهذا فطاب الواديان كلاهما) وهذا

الشـــعر يدل على أنهما واديان لا قريتان والله اعلم 564
محمد بن أبي ليلى محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى يسار ويقال داود بن بلال بن احيحة ابن الجلاح الانصاري الكوفي وقد ســـبق ذكر أبيه في حرف العين كان محمد المذكور من أصـحاب الرأي وتولى القضـاء بالكوفة وأقام حاكما ثلاثا وثلاثين ســـنة ولي لبني أمية ثم لبني العباس وكان فقيها مفننا وقال لا أعقل من شـأن أبي شـيئا غير أني اعرف أنه كانت له امراتان وكان له حبان اخضـران فينبذ عند هذه يوما وعند هذه يوما وتفقه محمد بالشـــعبي وأخذ عنه سفيان الثوري وقال الثوري فقهاؤنا ابن أبي ليلى وابن شبرمة وقال محمد المذكور

180 دخلت على عطاء فجعل يســـألني فانكر بعض من عنده وكلمه في ذلك فقال هو أعلم مني مني وكانت بينه وبين أبي حنيفة رضـــي الله عنه وحشـة يسـيرة وكان يجلس للحكم في مســـجد الكوفة فيحكى انه انصـــرف يوما من مجلســـه فســمع إمراة تقول لرجل يا ابن الزانيين فأمر بها فأخذت ورجع إلى مجلســـه وامر بها فضـــربت حدين وهي وقائمة فبلغ ذلك أبا حنيفة فقال أخطأ القاضـي في هذه الواقعة في سـتة أشـياء في رجوعه إلى مجلسـه بعد قيامه منه ولا ينبغي له ان يرجع بعد ان قام منه وفي ضربه الحد في المسجد وقد نهى رسـول الله إقامة الحدود في المساجد وفي ضـــربه المرأة قائمة وإنما تضـــرب النســـاء قاعدات كاسـيات وفي ضــربه إياها حدين وإنما يجب على القاذف

إذا قذف جماعة بكلمة واحدة حد واحد ولو وجب أيضـــا حدان لا يوالي بينهما بل يضرب اولا ثم يترك حتى يبرأمن ألم الأول وفي إقامة الحد عليها بغير طالب فبلغ ذلك محمد بن أبي ليلى فسير إلى والي الكوفة وقال ها هنا شـاب يقال له أبو حنيفة يعارضـــني في أحكامي ويفتي بخلاف حكمي ويشـــنع علي بالخطأ فأريد ان تزجره عن ذلك فبعث إليه الوالي ومنعه من الفتيا فيقال إنه كان يوما في بيته وعنده زوجته وابنه حماد وابنته فقالت له ابنته إني صـــائمة وقد خرج من بين أسناني دم وبصقته حتى عاد الريق أبيض لا يظهر عليه اثر الدم فهل افطر إذا بلعت الان الريق فقال لها ســلي اخاك حمادا فإن الأمير منعني من الفتيا وهذه الحكاية معدودة في مناقب أبي حنيفة وحسن تمسكه بامتثال إشــارة رب الأمر فإن إجابته طاعة حتى أنه اطاعه في الســر ولم يرد على ابنته جوابا وهذا غاية ما يكون من امتثال الأمر

181 وكانت ولادة محمد المذكور سنة أربع وسبعين للهجرة وتوفي ســنة ثمان وأربعين ومائة بالكوفة وهو باق على القضــاء فجعل أبو جعفر المنصـــور ابن اخيه مكانه رضــي الله عنه 565 محمد بن ســيرين أبو بكر محمد بن سيرين البصـري كان أبوه عبدا لأنس بن مالك رضــي الله عنه كاتبه على أربعين ألف درهم وقيل عشــرين الفا وأدى المكاتبة وكان من سبي ميسـان ويقال من سبي عين التمر وكان أبوه ســيرين من أهل جرجرايا وكنيتـه أبو عمرة

وكان يعمل قدور النحاس فجاء إلى عين التمر يعمل بها فسـباه خالد بن الوليد رضـي الله عنه في أربعين غلاما مختتنين فأنكرهم فقالوا إنا كنا أهل مملكة ففرقهم في الناس وكانت أمه صفية مولاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه طيبها ثلاث من ازواج رسـول الله ودعون لها وحضـر إملاكها ثمانية عشـر بدريا فيهم أبي ابن كعب يدعو وهم يؤمنون وروى محمد المذكور عن أبي هريرة وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعمران بن حصـين وانس بن مالك رضـي الله عنهم وروى عنه قتادة بن دعامة وخالد الحذاء وأيوب السختياني وغيرهم من الأئمة

182 وهو احد الفقهاء من أهل البصـرة والمذكور بالورع في وقته وقدم المدائن على عبيدة السـلماني وقال صليت معه فلما قضى صلاته دعا بغداء فأتي بخبز ولبن وسمن فأكل وأكلنا معه ثم جلسنا حتى حضرت العصر ثم قام عبيدة فاذن وأقام ثم صلى بنا العصر ولم يتوضأ لا هو ولا أحد ممن أكل معنا فيما بين الصـلاتين وكان محمد المذكور صاحب الحسن البصري ثم تهاجرا في آخر الامر فلما مات الحسن لم يشهد ابن سيرين جنازته وكان الشعبي يقول عليكم بذلك الرجل الأصم يعني ابن سيرين لأنه كان في أذنه صـمم كانت له اليد الطولى في تعبير الرؤيا كانت ولادته لسـنتين بقيتا من خلافة عثمان وتوفي تاسـع شـوال يوم الجمعة سنة عشر ومائة بالبصرة بعد الحسن البصري بمائة يوم رضـي الله عنهما وكان بزازا وحبس بدين كان

عليه وولد له ثلاثون ولدا من امراة واحدة عربية ولم يبق منهم غير عبد الله ولما مات كان عليه ثلاثون ألف درهم دينا فقضـــاها ولده عبد الله فما مات عبد الله حتى قوم ماله بثلثمائة الف درهم وكان محمد المذكور كاتب أنس بن مالك بفارس وكان الأصمعي يقول الحسن البصري سيد سمح إذا حدث الأصم بشيء يعني ابن سيرين فاشدد يديك وقتادة حاطب ليل قال ابن عوف لما مات أنس بن مالك اوصى ان يصلي عليه ابن سيرين ويغسله قال وكان ابن سيرين محبوسا فأتوا الأمير وهو رجل من بني أسد فأذن له فخرج فغسله وكفنه وصلى عليه في قصر أنس بالطف ثم رجع فدخل كما هو إلى السجن ولم يذهب إلى أهله قلت وذكر عمر بن شبة في كتاب أخبار البصرة أن الذي غسل أنس بن مالك هو قطن بن مدرك الكلابي والي البصـــرة وكذلك قال أبو اليقظان

183 وميســـان بفتح الميم وســـكون الياء المثناة من تحتها وفتح الســـين المهملة وبعد الألف نون وهي بليدة بأسـفل أرض البصـرة وعين التمر قد سـبق الكلام عليها

566 ابن أبي ذئب أبو الحارث محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب واسمه هشام بن شعبة بن عبد الله بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل ابن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان القرشـــي العامري المدني أحد الأئمة

المشاهير وهو صاحب الإمام مالك رضي الله عنه وكانت بينهما ألفة أكيدة ومودة صحيحة ولما قدم مالك على أبي جعفر المنصور سأله من بقي بالمدينة من المشيخة فقال يا أمير المؤمنين ابن أبي ذئب وابن أبي سلمة وابن أبي سبرة وكان أبوه قد اتى قيصر فسعي به فحبسه حتى مات في حبسه وتوفي أبو الحارث المذكور في سنة تسع وخمسين وقيل ثمان وخمسين ومائة بالكوفة رضي الله عنه ومولده في المحرم سنة إحدى وثمانين للهجرة وقيل سنة ثمانين وهي سنة سيل الجحاف والحسل ولد الضب وجمعه حسول ولؤي من همزه قال هو تصغير لأى وهو الثور ومن لم يهمزه قال هو تصغير لوى الرمل والفهر الحجر والله اعلم

184 567 محمد بن الحسن الحنفي أبو عبد الله

محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني بالولاء الفقيه الحنفي أصله من قرية على باب دمشق في وسط الغوطة اسمها حرستا وقدم أبوه من الشام إلى العراق وأقام بواسط فولد له بها محمد المذكور ونشأ بالكوفة وطلب الحديث ولقي جماعة من اعلام الأئمة وحضر مجلس أبي حنيفة سنتين ثم تفقه على أبي يوسف صاحب أبي حنيفة وصنف الكتب الكثيرة النادرة منها الجامع الكبير والجامع الصغير وغيرهما وله في مصنفاته المسائل المشكلة خصوصا المتعلقة بالعربية ونشر علم أبي حنيفة وكان من أفصح الناس وكان إذا تكلم خيل لسامعه ان القرآن نزل بلغته ولما

دخل الإمام الشافعي رضي الله عنه بغداد كان بها وجرى بينهما مجالس ومسائل بحضرة هارون الرشيد وقال الشافعي ما رأيت احدا يسأل عن مسألة فيها نظر إلا تبينت الكراهة في وجهه إلا محمد بن الحسن وقال أيضا حملت من علم محمد بن الحسن وقر بعير وقال الربيع بن سليمان المرادي كتب الشافعي إلى محمد بن الحسن وقد طلب منه كتبا له لينسخها فتأخرت عنه (قل لمن لم ترعين * من رآه مثله) (ومن كأن من رآه * قد رأى من قبله) (العلم ينهى أهله * أن يمنعوه أهله) (لعله يبذله * لأهله لعله)
185 فأنفذ إليه الكتب من وقته ورأيت هذه الأبيات في ديوان منصور بن إسماعيل الفقيه المصري الآتي ذكره إن شاء الله تعالى وقد كتبها إلى أبي بكر بن قاسم والذي ذكرناه أولا حكاه الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في طبقات الفقهاء وروي عن الشافعي انه قال ما رأيت سمينا ذكيا إلا محمد ابن الحسن وكان الرشيد قد ولاه قضاء الرقة ثم عزله عنها وقدم بغداد وحكى محمد بن الحسن قال أتوا ابا حنيفة في امرأة ماتت وفي جوفها ولد يتحرك فأمرهم فشقوا جوفها واستخرجوا الولد وكان غلاما فعاش حتى طلب العلم وكان يتردد إلى مجلس محمد بن الحسن وسمي ابن أبي حنيفة ولم يزل محمد بن الحسن ملازما للرشيد حتى خرج إلى الري خرجته الأولى فخرج معه ومات برنبويه قرية من قرى الري في سنة تسع وثمانين ومائة ومولده سنة خمس وثلاثين وقيل إحدى وثلاثين وقيل اثنتين

وثلاثين ومائة وقال السـمعاني مات محمد بن الحسن والكسـائي في يوم واحد بالري رحمهما الله تعالى وقيل الرشـيد كان يقول دفنت الفقه والعربية بالري ومحمد بن الحسن المذكور ابن خالة الفراء صاحب النحو واللغة وقد تقدم الكلام على الشـيباني وحرسـتا بفتح الحاء المهملة والراء وسكون السين المهملة وفتح التاء المثناة من فوقها وبعدها ألف مقصورة ورنبويه بفتح الراء وسكون النون وفتح الباء الموحدة والواو وبعدها ياء مثناة من تحتها ساكنة وبعدها هاء ساكنة

186 568 محمد بن علي العباسي أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشـمي وهو والد السفاح والمنصور الخليفتين وقد تقدم ذكر والده في حرف العين قال ابن قتيبة كان محمد المذكور من اجمل الناس واعظمهم قدرا وكان بينه وبين أبيه في العمر أربع عشرة سنة وكان علي يخضب بالسواد ومحمد يخضب بالحمرة فيظن من لا يعرفهما ان محمدا هو علي قال يزيد بن أبي مسـلم كاتب الحجاج بن يوسـف الثقفي سـمعت الحجاج يقول بينا نحن عند عبد الملك بن مروان بدومة الجندل في منتزه له ومعه قائف يحادثه ويسـائله إذ أقبل علي بن عبد الله بن العباس ومحمد ابنه فلما رآه عبد الملك مقبلا حرك شـفتيه وهمس بهما وأنتقع لونه وقطع حديثه قال الحجاج فوثبت نحو علي لأرده فأشـار إلي عبد الملك أن كف عنه وجاء علي فسلم فأقعده إلى جانبه وجعل يمس

ثوبه وأشـــار إلى محمد ان أُقعد وكلمه وسـاءله وكان علي حلو المحادثة وحضر الطعام فأتي بالطست فغسل يده وقال أدن الطســت من أبي محمد فقال أنا صـــائم ثم وثب فأتبعه عبد الملك بصــــره حتى كاد يخفى عن عينيه ثم التفت إلى القـائف فقـال أتعرف هـذا فقال لا ولكن أعرف من امره واحدة قال وما هي قال إن كان الفتى الذي معه ابنه فإنه يخرج من عقبه فراعنة يملكون الأرض ولا يناويهم مناو إلا قتلوه قال فاربد لون عبد الملك ثم قال زعم راهب

187 إيليا ورآه عندي انه يخرج من صــلبه ثلاثة عشر ملكا وصفهم بصفاتهم وكان سبب أنتقال الأمر إليه ان محمد بن الحنفية وقد ســبق ذكره كانت الشـــيعة تعتقد إمامته بعد اخيه الحسين رضي الله عنه فلما توفي محمد بن الحنفية أنتقل الأمر إلى ولده أبي هاشـــم وقد ســـبق ذكره أيضـــا في ترجمة أبيه وكان عظيم القدر وكانت الشـــيعة تتوالاه فحضـــرته الوفاة بالشـــام في ســـنة ثمان وتســعين للهجرة ولا عقب له فأوصـــى إلى محمد بن علي المذكور وقاله له أنت صـــاحب هذا الأمر وهو في ولدك ودفع إليه كتبه وصرف الشيعة نحوه ولما حضرت محمدا المذكور الوفاة بالشـــام أوصـــى إلى ولده إبراهيم المعروف بالإمام فلما ظهر أبو مسلم الخراسـاني بخراسـان دعا الناس إلى مبايعة إبراهيم بن محمد المذكور فلذلك قيل له الإمام وكان نصر بن سيار نائب مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية يومئذ بخراسـان فكتب إلى مروان يعلمه بظهور أبي مسلم

يدعو لبني العباس فكتب مروان إلى نائبه بدمشـــق بأن يحضـــر إبراهيم من الحميمة موثقا فأحضـــره وحمله إليه وحبسه مروان بن محمد آخر ملوك بني امية بمدينة حران فتحقق ان مروان يقتله فأوصـى إلى اخيه السفاح وهو اول من ولي الخلافة من اولاد العباس هذه خلاصـــة الأمر والشرح فيه تطويل وبقي إبراهيم في الحبس شهرين ومات وقيل قتل وكانت ولادة محمد المذكور سنة ستين للهجرة هكذا وجدته منقولا وهو يخالف ما تقدم من ان بينه وبين أبيه في العمر أربع عشرة سنة فقد تقدم في تاريخ أبيه انه ولد في حياة علي بن أبي طالب رضـــي الله عنه أو في ليلة قتل علي على الأختلاف فيه وكان قتل علي في رمضــــان سنة أربعين فكيف يمكن ان يكون بينهما أربع عشرة سنة بل أقل ما يمكن أن يكون بينهما عشـــرون ســـنة وذكر ابن حمدون في كتاب التذكرة ان محمدا المذكور مولده في سنة اثنتين وستين للهجرة وتوفي محمد المذكور في سنة ست وعشرين

188 وقيل اثنتين وعشـــرين ومائة وفيها ولد المهدي بن أبي جعفر المنصور وهو والد هارون الرشيد وقيل سنة خمس وعشـــرين ومائة بالشـــراة وقال الطبري في تاريخه توفي محمد بن علي مستهل ذي القعده سنة ست وعشرين ومائة وهو ابن ثلاث وستين سنة رحمه الله تعالى وقد تقدم الكلام على الشـــراة في ترجمة أبيه علي بن عبد الله وقال الطبري في تاريخه في سنة ثمان وتسعين للهجرة قدم ابو

هاشـــم عبد الله ابن محمد بن الحنيفة على ســليمان بن عبد الملك بن مروان فاكرمه وســار أبو هاشــم يريد فلســطين فأنفذ سليمان من قعد له على الطريق بلبن مسموم فشرب منه أبو هاشـــم فأحس بالموت فعدل إلى الحميمة واجتمع بمحمد بن علي بن عبد الله بن العباس واعلمه ان الخلافة في ولده عبد الله بن الحارثية قلت وهو الســفاح وسـلم إليه كتب الدعاة واوقفه على ما يعمل بالحميمة هكذا قال الطبري ولم يذكر إبراهيم الإمام وجميع المؤرخين اتفقوا على إبراهيم إلا انه ما تم له الأمر والله اعلم 569 البخاري أبو عبد الله محمد بن أبي الحسـن إسـماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن الأحنف يزذبه وقال ابن ماكولا هو يزدزبه الجعفي بالولاء البخاري الحافظ

189 الإمام في علم الحديث صاحب الجامع الصحيح والتاريخ رحل في طلب الحديث إلى اكثر محدثي الأمصار وكتب بخراســان والجبال ومدن العراق والحجاز والشــام ومصـــر وقدم بغداد واجتمع إليه أهلها واعترفوا بفضـــله وشــهدوا بتفرده في علم الرواية والدراية وحكى أبو عبدالله الحميدي في كتاب جذوة المقتبس والخطيب في تاريخ بغداد أن البخاري لما قدم بغداد ســمع به أصــحاب الحديث فاجتمعوا وعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأســانيدها وجعلوا متن هذا الإســناد لإســناد آخر ودفعوا إلى عشــرة أنفس إلى كل رجل عشــرة أحاديث وامروهم إذا حضــروا المجلس يلقون ذلك على البخاري وأخذوا الموعد للمجلس

فحضر المجلس جماعة من أصحاب الحديث من الغرباء من أهل خراسان وغيرها ومن البغداديين فلما أطمأن المجلس بأهله انتدب إليه واحد من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث فقال البخاري لا أعرفه فسأله عن آخر فقال لا أعرفه فما زال يلقي عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته والبخاري يقول لا أعرفه فكان الفقهاء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون الرجل فهم ومن كان منهم ضد ذلك يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهم ثم أنتدب رجل آخر من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة فقال البخاري لا أعرفه فسأله عن آخر فقال لا أعرفه فلم يزل يلقي عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته والبخاري يقول لا أعرفه ثم أنتدب الثالث والرابع إلى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة والبخاري لا يزيدهم على قوله لا أعرفه فلما علم البخاري أنهم فرغوا التفت إلى الأول منهم أما حديثك الأول فهو كذا وحديثك الثاني فهو كذا الثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة فرد كل متن إلى إسناده وكل إسناد إلى متنه وفعل بالآخرين كذلك ورد متون الأحاديث كلها إلى أسانيدها وأسانيدها إلى متونها فأقر له الناس بالحفظ وأذعنوا له بالفضل

190 وكان ابن صاعد إذا ذكره يقول الكبش النطاح ونقل عنه محمد بن يوسف الفربري أنه قال ما وضعت في

كتابي الصـــحيح حديثا إلا اغتســـلت قبل ذلك وصـــليت ركعتين وعنه أنه قال صنفت كتابي الصحيح لست عشرة سنة خرجته من ستمائة ألف حديث وجعلته حجة فيما بيني وبين الله عز وجل وقال الفربري ســمع صــحيح البخاري تســـعون الف رجل فما بقي أحد يروي عنه غيري وروى عنه أبو عيســـى الترمذي وكانت ولادته يوم الجمعة بعد الصـــلاة لثلاث عشــرة وقيل لاثنتي عشــرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة وقال أبو يعلى الخليلي في كتاب الإرشاد إن ولادته كانت لاثنتي عشرة ليلة خلت من الشـــهر المذكور وتوفي ليلة الســبت بعد صــلاة العشــاء وكانت ليلة عيد الفطر ودفن يوم الفطر بعد صـــلاة الظهر سنة ست وخمسين ومائتين بخرتنك رحمه الله تعالى وذكر ابن يونس في تاريخ الغرباء أنه قدم مصر وتوفي بها وهو غلط والصـــواب ما ذكرناه ها هنا رحمه الله تعالى وكان خالد بن أحمد بن خالد الذهلي أمير خراسان قد اخرجه من بخارى إلى خرتنك ثم حج خالد المذكور فوصـل إلى بغداد فحبســـه الموفق بن المتوكل أخو المعتمد الخليفة فمات في حبسه وكان شيخا نحيف الجسم لا بالطويل ولا بالقصير وقد اختلف في اســـم جده فقيل إنه يزذبه بفتح الياء المثناة من تحتها وسكون الزاي وكسر الذال المعجمة وبعدها باء موحدة ثم هاء ســاكنة وقال أبو نصــر بن ماكولا في كتاب الإكمال هو يزدزبه بدال وزاي وباء معجمة بواحدة والله أعلم وقال غيره كان هذا الجد مجوســـيا مات على دينه

وأول من أســـلم منهم المغيرة ووجدته في موضـــع آخر عوض يزذبه الأحنف ولعل يزذبه كان أحنف الرجل والله أعلم

191 والبخاري بضـــم الباء الموحدة وفتح الخاء المعجمة وبعد الألف راء هذه النســـبة إلى بخارا وهي من أعظم مدن ما وراء النهر بينها وبين سمرقند مسافة ثمانية أيام وخرتنك بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وفتح التاء المثناة من فوقها وسكون النون وبعدها كاف وهي قرية من قرى سمرقند وقد سبق الكلام على الجعفي ونسبة البخاري إلى سـعيد بن جعفر الجعفي والي خراسـان وكان له عليهم الولاء فنســـبوا إليـه 570 ابن جرير الطبري أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري وقيل يزيد بن كثير ابن غالب صـاحب التفسـير الكبير والتاريخ الشـهير كان إماما في فنون كثيرة منها التفســـير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك وله مصـــنفات مليحة في فنون عديدة تدل على ســـعة علمه وغزارة فضـــله وكان من الأئمة المجتهدين لم يقلد احدا وكان أبو الفرج المعافى بن زكرياء النهراوني المعروف بابن طرارا على مذهبه وسيأتي ذكره إن شـــاء الله تعالى وكان ثقة في نقله وتاريخه أصـــح التواريخ وأثبتها وذكره الشـيخ أبو إسـحاق الشـيرازي في طبقات الفقهاء في جملة المجتهدين ورأيت في بعض

192 هذه الأبيات منسوبة إليه وهي (إذا اعسرت لم يعلم شقيقي * واستغني فيستغني صديقي) (حيائي حافظ

لي ماء وجهي * ورفقي في مطالبتي رفيقي) (ولو أني سـمحت ببذل وجهي * لكنت إلى الغنى سـهل الطريق)
وكانت ولادته سنة أربع وعشرين ومائتين بآمل طبرستان وتوفي يوم السبت آخر النهار ودفن يوم الأحد في داره في السادس والعشرين من شوال سنة عشر وثلثمائة ببغداد رحمه الله تعالى ورأيت بمصر في القرافة الصغرى عند سفح المقطم قبرا يزار وعند رأسه حجر عليه مكتوب هذا قبر ابن جرير الطبري والناس يقولون هذا صاحب التاريخ وليس بصحيح بل الصحيح انه ببغداد وكذلك قال ابن يونس في تاريخ مصر المختص بالغرباء إنه توفي ببغداد وأبو بكر الخوارزمي الشاعر المشهور ابن اخته وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى وقد سبق الكلام على الطبري

193 571 محمد بن عبد الحكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين ابن ليث بن رافع المصري الفقيه الشافعي سمع من ابن وهب وأشهب من أصحاب الإمام مالك فلما قدم الإمام الشافعي رضي الله عنه مصر صحبه وتفقه به وحمل في المحنة إلى بغداد إلى القاضي أحمد بن أبي دواد الإيادي المقدم ذكره فلم يجب إلى ما طلب منه فرد إلى مصر وأنتهت إليه الرياسة بمصر وكانت ولادته سنة اثنتين وثمانين ومائة وتوفي يوم الأربعاء لليلة خلت من ذي القعدة وقيل منتصفه سنة ثمان وستين ومائتين وقبره فيما يذكر مع قبر أبيه واخيه عبد الرحمن وقد سبق ذكر ذلك وهما إلى جانب الإمام

الشـــافعي وقال ابن قانع توفي وســتين بمصـــر رحمه الله تعالى روى عنه أبو عبد الرحمن النسـائي في سـننه وقال المزني كنا نأتي الشـافعي نسمع منه فنجلس على باب داره ويأتي محمد بن عبد الله بن عبد الحكم فيصـــعد إليه ويطيل المكث وربما تغدى معه ثم نزل فيقرأ علينا الشـــافعي فإذا فرغ من قراءتـه قرب إلى محمـد دابتـه فركبها وأتبعـه الشافعي

194 بصـره فإذا غاب شـخصـه قال وددت لو ان لي ولدا مثله وعلي ألف دينار لا اجد لها قضــــاء وحكي عن محمد المذكور انه قال كنت أتردد إلى الشافعي فاجتمع قوم من أصـــــحابنا إلى أبي وكان على مذهب الإمام مالك وقد ســبق ذكره في العبادلة فقالوا يا أبا محمد إن محمداً ينقطع إلى هذا الرجل ويتردد إليه فيرى الناس أن هذا رغبة عن مذهب أصحابه فجعل أبي يلاطفهم ويقول هو حدث ويحب النظر في اختلاف أقاويل الناس ومعرفة ذلك ويقول لي في الســـر يا بني الزم هذا الرجل فإنك لو جاوزت هذا البلد فتكلمت في مسألة فقلت فيها قال أشهب لقيل لك من أشهب قال فلزمت الشــــافعي وما زال كلام والدي في قلبي حتى خرجت إلى العراق فكلمني القاضــي بحضـرة جلسـائه في مســألة فقلت فيها قال أشــهب عن مالك فقال ومن أشـــهب وأقبل على جلسائه فقال لبعضهم كالمنكر ما أعرف أشهب ولا أبلق وأخباره كثيرة وذكره القضــاعي في كتاب خطط مصــر قال ومحمد هذا هو الذي أحضــره أحمد بن طولون

في الليل إلى حيث ســـقايته بالمعافر لما توقف الناس عن شرب مائها والوضوء به فشرب منه وتوضأ فاعجب ذلك ابن طولون وصرفه لوقته ووجه إليه بصلة والناس يقولون إنه المزني وليس بصحيح والله اعلم

195 572 الترمذي أبو جعفر محمد بن أحمد بن نصـر الترمذي الفقيه الشـافعي لم يكن للفقهاء الشـافعية في وقته أرأس منه ولا أروع ولا أكثر تقللا وكان يسكن بغداد وحدث بها عن يحيى بن بكير المصـري ويوسف بن عدي وكثير بن يحيى وغيرهم وروى عنـه أحمـد بن كـامـل القاضـــي وعبد الباقي بن قانع وغيرهما وكان ثقة من أهل العلم والفضــــل والزهد في الدنيا قال أبو الطيب أحمد بن عثمان السمسار والد أبي حفص عمر بن شاهين حضرت عند أبي جعفر الترمذي فسـأله سـائل عن حديث رسول الله إن الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا فالنزول كيف يبقى فوقه علو فقـال أبو جعفر النزول معقول والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وكان من التقلل في المطعم على حالة عظيمة فقرا وورعا وصــبرا على الفقر أخبر محمد بن موســـى بن حماد أنه أخبره انه تقوت في سبعة عشـر يوما خمس حبات أو قال ثلاث حبات قال قلت كيف عملت فقال لم يكن عندي غيرها فاشــترتيت بها لفتا فكنت آكل كل يوم واحدة وذكر أبو إسحاق الزجاج النحوي انه كان يجري عليه في كل شـــهر أربعة دراهم وكان لا يسـأل احدا شـيئا وكان يقول تفقهت على مذهب أبي حنيفة

فرأيت النبي في مسجد المدينة عام حججت فقلت يا رسول الله قد تفقهت بقول أبي حنيفة أفآخذ به قال لا فقلت آخذ بقول مالك بن أنس فقال
196 منه ما وافق سنتي قلت فآخذ بقول الشافعي فقال ما هو بقوله إلا أنه اخذ بسنتي ورد على من خالفها قال فخرجت في أثر هذه الرؤيا إلى مصر وكتبت كتب الشافعي وقال الدارقطني هو ثقة مأمون ناسك وكان يقول كتبت الحديث تسعا وعشرين سنة وكانت ولادته في ذي الحجة سنة مائتين وقيل سنة عشر ومائتين وتوفي لإحدى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة خمس وتسعين ومائتين ولم يغير شيبه وكان قد اختلط في آخر عمره اختلاطا عظيما رحمه الله تعالى وقال السمعاني في نسبة الترمذي هذه النسبة إلى مدينة قديمة على طرف نهر بلخ الذي يقال له جيحون والناس مختلفون في كيفية هذه النسبة بعضهم يقول بفتح التاء ثالث الحروف وبعضهم يقول بضمها وبعضهم يقول بكسرها والمتداول على لسان أهل تلك المدينة بفتح التاء وكسر الميم والذي كنا نعرفه قديما كسر التاء والميم جميعا والذي يقوله المتنوقون وأهل المعرفة بضم التاء والميم وكل واحد يقول معنى لما يدعيه هذا كله كلام السمعاني والله اعلم بالصواب وسألت من رآها هل هي في ناحية خوارزم أم في ناحية ما وراء النهر فقال بل هي في حساب ما وراء النهر في ذلك الجانب

197 573 ابن الحداد المصـــري أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر الكناني المعروف بابن الحداد الفقيه الشافعي المصري صاحب كتاب الفروع في المذهب وهو كتاب صغير الحجم كثير الفائدة دقق في مسائله غاية التدقيق واعتنى بشــرحه جماعة من الأئمة الكبار شــرحه القفال المروزي شــرحا متوســطا ليس بالكبير وشــرحه القاضي أبو الطيب الطبري في مجلد كبير وشرحه الشيخ أبو علي السنجي شرحا تاما مستوفى أطال فيه وهو احسن الشــروح وكان ابن الحداد المذكور قد اخذ الفقه عن أبي إسحاق المروزي وقال صاحبنا عماد الدين بن ناطيش في كتابه الذي وضعه على المهذب وفي طبقات الفقهاء أنه من أعيان أصحاب إبراهيم المزني وقد وهم فيه فإن ابن الحداد ولد في السـنة التي توفي فيها المزني وقال القضاعي في كتاب خطط مصــر إنه ولد في اليوم الذي مات فيه المزني رحمه الله تعالى فكيف يمكن ان يكون من أصــحابه وإنما نبهت على ذلك لئلا يظن ظان أن هذا غلط وذلك الصواب ونســب إليه أيضــا الأبيات الذالية التي ذكرتها في ترجمة ظافر الحداد الإسكندري وقد سبق الكلام عليها في ترجمة ظافر وكان ابن الحداد فقيها محققا غواصــا على المعاني تولى القضــاء بمصــر والتدريس وكانت الملوك والرعايا تكرمه وتعظمه وتقصده في الفتاوى والحوادث وكان

198 يقال في زمنه عجائب الدنيا ثلاث غضــب الجلاد ونظافة السماد والرد على ابن الحداد وكانت ولادته

لسـت بقين من شـهر رمضـان سـنة أربع وسـتين ومائتين وتوفي سـنة خمس وأربعين وثلثمائة وقال السـمعاني سـنة أربع وأربعين والله اعلم بالصـــواب وحدث عن أبي عبد الرحمن النســـائي وغيره رحمهم الله اجمعين وذكر القضـــاعي في كتاب خطط مصـــر ان ابن الحداد المذكور توفي عند منصـرفه من الحج سـنة أربع وأربعين وثلثمائة بمنية حرب على باب مدينة مصر وقيل في موضع القاهرة وكـان متصـــرفـا في علوم كثيرة من علوم القرآن الكريم والفقه والحديث والشـعر وايام العرب والنحو واللغة وغير ذلك ولم يكن في زمانه مثله وكان محببا إلى الخاص والعام وحضـــر جنازته الأمير أبو القاسـم أنوجور ابن الإخشـيد وكافور وجماعة من أهل البلد وله تسـع وسـبعون سـنة وأربعة أشـهر ويومان رحمه الله تعالى والحداد بفتح الحاء المهملة وتشـــديد الدال ثم دال بعد الف وكان احد اجداده يعمل الحديد ويبيعه فنسب إليه

199 574 أبو بكر الصيرفي أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بالصـيرفي الفقيه الشـافعي البغدادي كان من جملة الفقهاء أخذ الفقه عن أبي العباس بن سـريج واشـتهر بالحذق في النظر والقياس وعلوم الأصـول وله في أصـول الفقه كتاب لم يسبق إلى مثله حكى أبو بكر القفال في كتابه الذي صـنفه في الأصـول ان أبا بكر الصـيرفي كان اعلم الناس بالأصــول بعد الشــافعي وهو اول من أنتدب من اصحابنا للشروع في علم الشروط وصنف فيه كتابا أحسن

فيه كل الإحسان وتوفي يوم الخميس لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنة ثلاثين وثلثمائة رحمه الله تعالى والصيرفي بفتح الصاد المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الراء وبعدها فاء هذه النسبة مشهورة لمن يصرف الدنانير والدراهم وإنما قصدت بذكرها ضبطها وتقييدها فقد رأيت كثيرا من الناس ينطقون بكسر الصاد والراء

200 575 القفال الشاشي أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل القفال الشاشي الفقيه الشافعي إمام عصره بلا مدافعة كان فقيها محدثا أصوليا لغويا شاعرا لم يكن بما وراء النهر للشافعيين مثله في وقته رحل إلى خراسان والعراق والحجاز والشام والثغور وسار ذكره في البلاد وأخذ الفقه عن ابن سريج وله مصنفات كثيرة وهو اول من صنف الجدل الحسن من الفقهاء وله كتاب في أصول الفقه وله شرح الرسالة وعنه أنتشر مذهب الشافعي في بلاده وروى عن محمد بن جرير الطبري وأقرانه وروى عنه الحاكم أبو عبد الله وأبو عبدالله ابن منده وأبو عبد الرحمن السلمي وجماعة كثيرة وهو والد القاسم صاحب كتاب التقريب الذي ينقل عنه في النهاية والوسيط والبسيط وقد ذكره الغزالي في الباب الثاني من كتاب الرهن لكنه قال أبو القاسم وهو غلط وصوابه القاسم وقال العجلي في شرح مشكلات الوجيز والوسيط في الباب الثالث من كتاب التيمم إن صاحب التقريب هو أبو بكر القفال وقيل إنه ابنه

القاسم ثم قال فلهذا يقال صاحب التقريب على الإبهام قلت ورأيت في شوال سنة خمس وستين وستمائة في خزانة الكتب بالمدرسة العادلية بدمشق المحروسة كتاب التقريب في ست مجلدات وهي من حساب عشر مجلدات وكتب عليه بأنه تصنيف أبي الحسن القاسم ابن أبي بكر القفال الشاشي وقد كانت النسخة المذكورة للشيخ قطب الدين مسعود

201 النيسابوري الآتي ذكره إن شاء الله تعالى وعليها خطه بأنه وقفها وهذا التقريب غير التقريب الذي لسليم الرازي فإني رأيت خلقا كثيرا من الفقهاء يعتقدونه هو فلهذا نبهت عليه والتقريب الذي لابن القفال قليل الوجود والذي لسليم موجود بأيدي الناس وهذا التقريب هو الذي تخرج به فقهاء خراسان وقد وقع الاختلاف في وفاة القفال المذكور فقال الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في طبقات الفقهاء توفي في سنة ست وثلاثين وثلثمائة وقال الحاكم أبو عبد الله المعروف بابن البيع النيسابوري إنه توفي بالشاش في ذي الحجة سنة خمس وستين وثلثمائة وقال كتبت عنه وكتب عني ووافقه على هذا ابن السمعاني في كتاب الأنساب وزاد فقال وكانت ولادته في سنة إحدى وتسعين ومائتين وقال اعني ابن السمعاني في كتاب الذيل إنه توفي سنة ست وستين وثلثمائة رحمه الله تعالى وكذا قاله في كتاب الأنساب أيضا في ترجمة الشاشي والقول الأول قاله في ترجمة القفال والله اعلم بالصواب والشاشي

نسبة إلى الشاش بشينين معجمتين بينهما الف وهي مدينة وراء نهر سيحون خرج منها جماعة من العلماء و هذا القفال غير القفال المروزي وقد سبق ذكر ذلك في العبادلة وهو متأخر عن هذا

202 576 أبو الحسن الماسرجسي أبو الحسن محمد بن علي بن سهل بن مصلح الماسرجسي الفقيه الشافعي أحد أئمة الشافعيين بخراسان وأعرفهم بالمذهب وترتيبه وفروع المسائل تفقه بخراسان والعراق والحجاز وصحب أبا إسحاق المروزي وتفقه عليه وخرج معه إلى مصر ولزمه إلى ان مات ثم رجع إلى بغداد وكان يخلف علي بن أبي هريرة في مجالسه بعد قيامه عنها ثم انصرف إلى خراسان سنة أربع وأربعين وثلثمائة ودرس بنيسابور وعنه أخذ فقهاؤها وعليه تفقه القاضي أبو الطيب الطبري وسمع من خاله المؤمل بن الحسن بن عيسى الماسرجسي وسمع بمصر من اصحاب المزني ويونس بن عبد الأعلى الصدفي وقال الحاكم أبو عبد الله ابن البيع عقدت له مجلس الإملاء في دار السنة في رجب سنة إحدى وثمانين وثلثمائة وتوفي عشية الأربعاء ودفن في عشية الخميس سادس جمادى الآخرة سنة أربع وثمانين وثلثمائة وعمره ست وسبعون سنة وقال الشيخ أبو اسحاق في الطبقات سنة ثلاث وثمانين رحمه الله تعالى والماسرجسي بفتح الميم وبعد الألف سين مفتوحة مهملة وراء ساكنة ثم جيم مكسورة بعدها سين ثانية هذه النسبة إلى ماسرجس وهو

اسم لجد أبي علي الحسن بن عيسى بن ماسرجس النيسابوري كان نصرانيا فأسلم على يد عبد الله بن المبارك وأبو الحسن الفقيه المذكور ابن بنت أبي علي المذكور فنسب إليه ونسبة الكل إلى ماسرجس المذكور

203 577 أبو عبد الله الختن أبو عبد الله محمد بن الحسن بن إبراهيم الأستراباذي وقيل الجرجاني المعروف بالختن الفقيه الشافعي كان فقيها فاضلا ورعا مشهورا في عصره وله وجوه حسنة في المذهب وكان مقدما في الأدب ومعاني القرآن والقراءآت ومن العلماء المبرزين في النظر والجدل سمع أبا نعيم عبد الملك بن محمد بن عدي وأقرانه ببلده وورد نيسابور سنة سبع وثلاثين وثلثمائة فأقام بها إلى آخر سنة تسع ثم دخل أصبهان فسمع مسند أبي داود من عبد الله بن جعفر ودخل العراق وكتب بعد الأربعين وأكثر وكان كثير السماع والرحلة وشرح كتاب التلخيص لأبي العباس ابن القاص وتوفي بجرجان يوم عيد الأضحى سنة ست وثمانين وثلثمائة وهو ابن خمس وسبعين سنة رحمه الله تعالى وقد تقدم الكلام على الأستراباذي والجرجاني والختن بفتح الخاء المعجمة والتاء المثناة من فوقها وبعدها نون وإنما قيل له ذلك لأنه كان ختن الفقيه أبي بكر الإسماعيلي

204 578 أبو سهل الصعلوكي أبو سهل محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان بن هارون بن موسى بن عيسى بن إبراهيم بن بشر الحنفي العجلي المعروف

بالصعلوكي الأصبهاني أصلا ومولدا النيسابوري دارا الفقيه الشافعي المفسر المتكلم الأديب النحوي الشاعر العروضي الكاتب ذكره الحاكم أبو عبد الله في تاريخه فقال حبر زمانه وفقيه أصحابه وأقرانه صحب أبا إسحاق المروزي وتفقه عليه وتبحر في العلوم ثم خرج إلى العراق ودخل البصرة ودرس بها سنين إلى أن استدعي إلى أصبهان فاقام بها سنين فلما نعي إليه عمه أبو الطيب خرج مستخفيا فورد نيسابور سنة سبع وثلاثين وثلثمائة وجلس لمأتم عمه ثلاثة ايام وكان الشيخ أبو بكر ابن اسحاق يحضر كل يوم فيقعد معه وكذلك كل رئيس وقاض ومفت من الفريقين فلما فرغ من العزاء عقدوا له مجلس النظر ولم يبق موافق ولا مخالف إلا أقر بفضله وتقدمه وحضره المشايخ مرة بعد أخرى يسألونه أن ينقل من خلفهم وراءه بأصبهان فأجاب إلى ذلك ودرس وافتى وعنه اخذ فقهاء نيسابور وكان الصاحب ابن عباد يقول أبو سهل الصعلوكي لا نرى مثله ولا يرى مثل نفسه وسئل أبو الوليد عن أبي بكر القفال والصعلوكي فقال ومن يقدر يكون مثل الصعلوكي وكانت ولادته سنة ست وتسعين ومائتين وسمع الحديث سنة خمس وثلثمائة وحضر مجلس أبي علي الثقفي للتفقه سنة ثلاث عشرة وتوفي في آخر سنة تسع وستين وثلثمائة بنيسابور وحملت جنازته إلى ميدان الحسين فقدم السلطان

205 ولده أبا الطيب للصلاة عليه فصلى ودفن في المسجد الذي كان يدرس فيه رحمه الله تعالى وقد تقدم ذكر ابنه في حرف السين والكلام على الصعلوكي 579 أبو الطيب ابن سلمة أبو الطيب محمد بن المفضل بن سلمة بن عاصم الضبي البغدادي الفقيه الشافعي كان من كبار الفقهاء ومتقدميهم أخذ الفقه عن أبي العباس ابن سريج وكان موصوفا بفرط الذكاء ولهذا كان أبو العباس يقبل عليه كل الإقبال ويميل إلى تعليمه غاية الميل وصنف كتبا عديدة وتوفي في المحرم سنة ثمان وثلثمائة وهو غض الشباب رحمه الله تعالى وله في المذهب وجوه حسنة وسلمة بفتح السين المهملة واللام والميم 165 وأبوه أبو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم الضبي اللغوي صاحب التصانيف المشهورة في فنون الأدب ومعاني القرآن وكان كوفي المذهب مليح الخط لقي ابن الأعرابي وغيره من العلماء واستدرك على الخليل في كتاب العين وخطأه وعمل في ذلك كتابا وله من التصانيف كتاب البارع في علم اللغة وكتاب الفاخر وكتاب العود والملاهي وكتاب جلاء الشبه وكتاب الطيف وكتاب ضياء القلوب في معاني القرآن نيف

206 وعشرون جزءا وكتاب الإشتقاق وكتاب الزرع والنبات وكتاب خلق الإنسان وكتاب مايحتاج إليه الكاتب وكتاب المقصور والممدود وكتاب المدخل إلى علم النحو وروى عنه أبو بكر الصولي وزعم أنه سمع عنه في سنة

تسعين ومائتين 166 وجده سلمة بن عاصم صاحب الفراء وراويته وهم أهل بيت كلهم علماء نبلاء مشاهير رحمهم الله تعالى وكان المفضل المذكور متصلا بالوزير إسماعيل بن بلبل فقيل له إن ابن الرومي الشاعر المقدم ذكره قد هجاه فشق ذلك على الوزير وحرم ابن الرومي عطاياه فعمل ابن الرومى في المفضل أبياتا وهي (لو تلففت في كساء الكسائي * وتفريت فروة الفراء) (وتخللت بالخليل وأضحى * سيبويه لديك رهن سباء) (وتكونت من سواد أبي الأسود * شخصا يكنى أبا السوداء) (لأبى الله أن يعدك أهل العلم * إلا من جملة الأغبياء)

207 580 أبو بكر النيسابوري أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري كان فقيها عالما مطلعا ذكره الشيخ أبو إسحاق في طبقات الفقهاء وقال صنف في اختلاف العلماء كتبا لم يصنف احد مثلها واحتاج إلى كتبه الموافق والمخالف ولا أعلم عمن أخذ الفقه وتوفي بمكة سنة تسع او عشر وثلثمائة رحمه الله تعالى ومن كتبه المشهورة في اختلاف العلماء كتاب الأشراف وهو كتاب كبير يدل على كثرة وقوفه على مذاهب الأئمة وهو من أحسن الكتب وأنفعها وأمتعها وله كتاب المبسوط أكبر من الأشراف وهو في اختلاف العلماء ونقل مذاهبهم أيضا وله كتاب الإجماع وهو صغير

208 581 أبو زيد المروزي أبو زيد محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد المروزي الفاشاني الفقيه الشافعي كان

من الأئمة الأجلاء حســـن النظر مشـــهورا بالزهد حافظا للمذهب وله فيه وجوه غريبة أخذ الفقه عن أبي إســـحاق المروزي وأخذ عنه أبو بكر القفال المروزي ودخل بغداد وحدث بها وسمع منه الحافظ أبو الحسن الدارقطني ومحمد بن أحمد بن القاســـم المحاملي ثم خرج إلى مكة فجاور بها سـبع سـنين وحدث هناك بصـحيح البخاري عن محمد بن يوسـف الفربري قال الخطيب وأبو زيد أجل من روى هذا الكتـاب وقـال أبو بكر البزار عـادلـت الفقيـه أبـا زيـد من نيســـابور إلى مكة فما أعلم أن الملائكة كتبت عليه يعني خطيئة وقال أحمد بن محمد الحاتمي الفقيه ســمعت أبا زيد المروزي يقول رأيت رسول الله فيى المنام وانا بمكة وكأنه يقول لجبريل عليه الســلام يا روح الله اصـــحبه إلى وطنه وكان في أول امره فقيرا لا يقدر على شــــيء فكان يعبر الشـتاء بلا جبة مع شـدة البرد في تلك البلاد فإذا قيل له في ذلك يقول بي علة تمنعني من لبس المحشـــو يعني به الفقر وكان لا يشـــتهي ان يطلع احدا على باطن حاله ثم أقبلت عليه الدنيا في آخر عمره وقد أسـن وتسـاقطت أسنانه فكان لا يتمكن

209 من المضـــغ وبطلت منه حاســـة الجماع فكان يقول مـخاطبا للنعمة لا بارك الله فيك أقبلت حين لا نـاب ولا نصـاب وقد اذكرتني هذه الحكاية أبياتا لبعض الفضلاء وقد أثرى وصـــارت له نعمة وهو في عشـــر الثمانين وهي (مـاكنـت أرجوه إذ كنـت ابن عشـــرينا * ملكتـه بعد ان

جاوزت ســـبعينا) (تطيف بي من بني الأتراك أغزله *
مثل الغصون على كثبان يبرينا) (وخرد من بنات الروم
رائعة * يحكين بالحســـن حور الجنة العينا) (يغمزنني
بأســـاريع منعمة * تكاد تنقض من أطرافها لينا) (يردن
إحياء ميت لا حراك به * فكيف يحيين ميتا صار مدفونا)
(قالوا أنينك طول الليل يقلقنا * فما الذي تشـــتكي قلت
الثمانينا) وتوفي يوم الخميس ثالث عشـــر رجب ســـنة
إحدى وســـبعين وثلثمائة بمرو رحمه الله تعالى وقد تقدم
الكلام على نسبة المروزي والفاشاني فلا حاجة إلى الإعادة
582 أبو بكر الأودني أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد
بن نصــر بن ورقاء الأودني الفقيه الشــافعي إمام أصحاب
الشـــافعي في عصـــره ذكره الحاكم أبو عبد الله بن البيع
النيسابوري في تاريخ نيسابور وقال حج ثم انصرف وأقام
بنيسابور عندنا مدة وكان
210 من أزهد الفقهاء وأبكاهم على تقصيره وتوفي
في شـــهر ربيع الأول ســـنة خمس وثمانين وثلثمائة ببخارا
ودفن بكلاباذ رحمه الله تعالى والأودني بضـــم الهمزة
وســـكون الواو وفتح الدال المهملة وبعدها نون هذه النســـبة
إلى أودنة وهي قرية من قرى بخارا هكذا قاله الســـمعاني
والفقهاء يحرفونه فيقولون الأودي وسمعت بعض مشايخنا
في زمن الإشـــتغال بالعلم يقول هو الأودني بفتح الهمزة
والله اعلم ثم وجدت في كتاب أبي بكر الحازمي الذي سماه
ما اتفق لفظه وافترق مســـماه ما يدل على أنه بفتح الهمزة

فإنه جعله مع أردن ونظائره مما أوله بفتح الهمزة ثم قال وأما اودن بعد الهمزة واو ساكنة ثم دال مهملة وآخره نون فقرية من قرى بخارا وعادته في هذا الكتاب انه إذا ذكر مكانا على مثل هذه الصـــورة ثم ذكر بعده مثله تركه على حاله وإن اختلف في الحركة ذكر وجه المخالفة ولم يذكر هاهنا ضمة الهمزة فدل على أنه مثل الأول وله وجوه في المذهب وذكره صاحب الوسيط في مواضع عديدة وكلاباذ بفتح الكاف وبعد اللام ألف باء موحدة مفتوحة وبعد الألف ذال معجمة وهي محلة ببخارا 167 وإليها ينســـب الحافظ المتقن أبو نصر أحمد بن محمد بن الحسن بن الحسين ابن علي بن رستم الكلاباذي أحد أئمة الحديث وكان ثقة وتوفي لسبع بقين من جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وثلثمائة ومولده ســـنة ســـتين واربعمائة رحمه الله تعالى قلت هكذا ذكره الحافظ أبو ســـعد ابن الســـمعاني في تاريخ وفاة الكلاباذي ومولده وهو غلط فإنه أخر تاريخ المولد عن تاريخ الوفاة وكشفته

211 من جهات عديدة فلم أجد من ذكره فتركته على حاله والظاهر أن الأمر بالعكس والله اعلم 583 أبو بكر الفارســـي أبو بكر محمد بن أحمد بن علي بن شـــاهويه الفارسي الفقيه الشافعي ذكره الحاكم أبو عبد الله في تاريخ نيســـابور وقال أقام بنيســـابور زمانا ثم خرج إلى بخارا ثم انصرف إلى نيسابور ورجع إلى بلاد فارس فولي القضاء بها ثم رجع إلى نيسابور وحدث بها وتوفي في سنة اثنتين

وستين وثلثمائة بنيسابور رحمه الله تعالى وله في المذهب وجوه بعيدة تفرد بها ولم نرها منقولة عن غيره ولم أعلم عمن أخذ الفقه وشاهويه بالشين المعجمة وبعد الألف هاء مفتوحة ثم واو مفتوحة ثم ياء مثناة من تحتها ساكنة وهو اسم عجمي مركب فالشاه الملك وأماويه فقد كان الجوهري في كتاب الصحاح سيبويه ونحوه من الأسماء اسم بني مع صوت فجعلا اسما واحدا وأما فارس فإنها كورة عظيمة قصبتها شيراز وشهرتها تغني عن ضبطها

212 584 القضاعي أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون بن إبراهيم بن محمد بن مسلم القضاعي الفقيه الشافعي صاحب كتاب الشهاب ذكره الحافظ ابن عساكر في ناريخ دمشق وقال روى عنه أبو عبد الله الحميدي وتولى القضاء بمصر نيابة من جهة المصريين وتوجه منهم رسولا إلى جهة الروم وله عدة تصانيف منها كتاب الشهاب وكتاب مناقب الإمام الشافعي رضي الله عنه وأخباره وكتاب الإنباء عن الأنبياء وتواريخ الخلفاء وله كتاب خطط مصر وذكره الأمير أبو نصر ابن ماكولا في كتاب الإكمال وقال كان مفننا في عدة علوم وتوفي بمصر ليلة الخميس السادس عشر من ذي القعدة سنة أربع وخمسين وأربعمائة وصلي عليه يوم الجمعة بعد العصر في مصلى النجار وقد تقدم ذكره في ترجمة الظاهر بن الحاكم العبيدي صاحب مصر وانه كان يعلم عن وزيره الأقطع الجرجرائي وذكر السمعاني في كتاب

الذيل في ترجمة الخطيب أبي بكر أحمد بن علي ابن ثابت الحافظ صـــاحب تاريخ بغداد أنه حج ســنة خمس وأربعين وأربعمائة

213 وحج تلك السنة أبو عبد الله القضـاعي المذكور وســمع الخطيب منه رحمه الله تعالى والقضــاعي بضـم القاف وفتح الضـــاد المعجمة وبعد الألف عين مهملة هذه النسبة إلى قضـاعة ويقال هو ابن معد بن عدنان ويقال هو من حمير وهو الأكثر والأصـــح واســمه عمرو بن مالك وينســب إليه قبائل كثيرة منها كلب وبلي وجهينة وعذرة وغيرهم 168 والنجار صـــاحب المصـــلى هو عمران بن موسى النجار مولى غافق وقيل إن النجار المذكور هو أبو الطيب محمد بن جعفر البغدادي النجار ويعرف بغندر وتوفي سنة ثمان وخمسين وثلثمائة قبل دخول القائد جوهر مصـر رحمه الله تعالى 585 المسعودي الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مســعود بن أحمد المســعودي الفقيه الشــافعي إمام فاضــل مبرز ورع من أهل مرو تفقه على أبي بكر القفال المروزي وشـرح مختصـر المزني وأحسـن فيه وروى قليلا من الحديث عن إســتاذه القفال وحكى عنه الغزالي في كتاب الوسيط في الإيمان في الباب الثالث فيما يقع به الحنث مسألة لطيفة فقال فرع لو حلف لا يأكل بيضا ثم أنتهى إلى رجل فقال والله لآكلن ما في كمك فإذا هو بيض فقد سئل القفال عن

214 هذه المسألة وهو على الكرسي فلم يحضره الجواب فقال المسعودي تلميذه يتخذ منه الناطف ويأكله فيكون قد أكل ما في كمه ولم يأكل البيض فاستحسن ذلك منه وهذه الحيلة من لطائف الحيل وتوفي المسعودي المذكور سنة نيف وعشرين وأربعمائة بمرو رحمه الله تعالى ونسبته إلى جده مسعود 586 أبو عاصم العبادي القاضي أبو عاصم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عباد العبادي الهروي الفقيه الشافعي تفقه بهراة على القاضي أبي منصور الأزدي بنيسابور على القاضي أبو عمر البسطامي وسار إماما متقنا دقيق النظر تنقل في البلاد ولقي خلقا كثيرا من المشايخ وأخذ عنهم وصنف كتبا نافعة منها أدب القضاء والمبسوط والهادي إلى مذهب العلماء وكتاب الرد على السمعاني وله كتاب لطيف في طبقات الفقهاء وعنه أخذ أبو سعد الهروي صاحب كتاب الأشراف في أدب القضاء وغوامض الحكومات وسمع الحديث ورواه وتوفي في شوال سنة ثمان وخمسين وأربعمائة وكانت ولادته في سنة خمس وسبعين وثلثمائة رحمه الله تعالى والعبادي بفتح العين المهملة وتشديد الباء الموحدة وبعد الألف دال مهملة هذه النسبة إلى جده عباد المذكور وقد تقدم الكلام على الهروي

215 587 الخضري أبو عبد الله محمد بن أحمد الخضري المروزي الفقيه الشافعي إمام مرو ومقدم الفقهاء الشافعية صحب أبا بكر الفارسي وكان من أعيان تلامذه

أبي بكر القفال الشـــاشـــي واقام بمرو ناشـــرا فقه الشـــافعي وكان يضـرب به المثل في قوة الحفظ وقلة النسيان وله في المذهب وجوه غريبة نقلها الخراســـانيون عنه وروي عن الشافعي رضي الله عنه أنه صحح دلالة الصبي على القبلة قال الخضـــري معناه أن يدل على قبلة تشـــاهد في الجامع فأما في موضع الاجتهاد فلا يقبل وذكر أبو الفتوح العجلي في أول كتاب النكاح من كتاب شـــرح مشـــكلات الوجيز والوسـيط ان الشـيخ أبا عبد الله الخضـري سـئل عن قلامة ظفر المرأة هل يجوز للرجل الأجنبي النظر إليها فأطرق الشـيخ طويلا سـاكتا وكانت ابنة الشـيخ أبي علي الشـبوي تحته فقالت له لم تتفكر وقد ســـمعت أبي يقول في جواب هذه المســـألة إن كانت من قلامة أظفار اليدين جاز النظر إليها وإن كأنت من اظفار الرجلين لم يجز وإنما كان ذلك لأن يدها ليسـت بعورة بخلاف ظهر القدم ففرح الخضـري وقال لو لم أسـتفد من اتصـــالي بأهل العلم إلا هذه المســألة لكانت كافية أنتهى كلام العجلي قلت انا هذا التفصـــيل بين اليدين والرجلين فيه نظر فإن اصـــحابنا قالوا اليدان ليســتا بعورة في الصـلاة اما بالنسـبة إلى نظر الأجنبي فما نعرف بينهما فرقا فلينظر

216 وكانت له معرفة بالحديث أيضـــا وكان ثقة وتوفي في عشـــر الثمـانين والثلثمـائـة رحمـه الله تعـالى والخضـري بكسـر الخاء المعجمة وسكون الضـاد المعجمة وبعدها راء هذه النسـبة إلى بعض أجداده واسـمه الخضـر

هذا عند من يكسر الخاء ويسكن الضاد من الخضر وهي إحدى اللغتين فأما من يقول الخضر بفتح الخاء وكسر الضاد فقياسه أن يقال الخضري بفتح الضاد كما قالوا في النسبة إلى نمرة نمري وهو باب مطرد لا يخرج عنه شيء والشبوي بفتح الشين المعجمة وتشديد الباء الموحدة وضمها وسكون الواو هذه النسبة إلى شبويه وهو اسم بعض أجداد الشيخ أبي علي المذكور وكان فقيها فاضلا من أهل مرو رحمه الله تعالى 588 الغزالي أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الملقب حجة الإسلام زين الدين الطوسي الفقيه الشافعي لم يكن للطائفة الشافعية في آخر عصره مثله

217 اشتغل في مبدأ أمره بطوس على أحمد الراذكاني ثم قدم نيسابور واختلف إلى دروس إمام الحرمين أبي المعالي الجويني وجد في الإشتغال حتى تخرج في مدة قريبة وصار من الأعيان المشار إليهم في زمن أستاذه وصنف في ذلك الوقت وكان أستاذه يتبجح به ولم يزل ملازما له إلى ان توفي في التاريخ المذكور في ترجمته فخرج من نيسابور الى العسكر ولقي الوزير نظام الملك فأكرمه وعظمه وبالغ في الإقبال عليه وكان بحضرة الوزير جماعة من الأفاضل فجرى بينهم الجدال والمناظرة في عدة مجالس فظهر عليهم واشتهر اسمه وسارت بذكره الركبان ثم فوض إليه الوزير تدريس مدرسته النظامية بمدينة بغداد فجاءها وباشر إلقاء الدروس بها وذلك في

جمادى الأولى ســـنة أربع وثمانين وأربعمائة وأعجب به أهل العراق وارتفعت عندهم منزلته ثم ترك جميع ما كان عليه في ذي القعدة ســـنة ثمان وثمانين وأربعمائة وســـلك طريق الزهد والانقطاع وقصد الحج وناب عنه أخوه أحمد في التدريس فلما رجع توجه الى الشـام فأقام بمدينة دمشـق مدة يذكر الدروس في زاوية الجامع في الجانب الغربي منـه وأنتقل منهـا إلى البيـت المقدس واجتهـد في العبـادة وزيارة المشـاهد والمواضـع المعظمة ثم قصـد مصـر وأقام بالإســكندرية مدة ويقال إنه قصـــد منها الركوب في البحر إلى بلاد المغرب على عزم الإجتماع بالأمير يوســـف بن تاشـفين صـاحب مراكش وسـيأتي ذكره إن شـاء الله تعالى فبينا هو كذلك بلغه نعي يوســـف بن تاشـــفين المذكور فصـــرف عزمه عن تلك الناحية ثم عاد إلى وطنه بطوس واشتغل بنفسه وصنف الكتب المفيدة في عدة فنون منها ما هو أشهرها كتاب الوسيط والبسيط والوجيز والخلاصة في الفقه ومنها إحياء علوم الدين وهو من أنفس الكتب وأجملها وله في أصـــول الفقه المســتصــفى فرغ من تصـنيفه في سادس المحرم

218 ســنة ثلاث وخمســمائة وله المنحول والمنتحل في علم الجدل وله تهافت الفلاســـفة ومحك النظر ومعيار العلم والمقاصــد والمضــنون به على غير أهله والمقصــد الأقصـــى في شـــرح أسـماء الله الحسـنى ومشـكاة الأنوار والمنقذ من الضـــلال وحقيقة القولين وكتبه كثيرة وكلها

نافعة ثم الزم بالعود إلى نيسابور والتدريس بها بالمدرسة النظامية فأجاب إلى ذلك بعد تكرار المعاودات ثم ترك ذلك وعاد إلى بيته في وطنه واتخذ خانقاه للصوفية ومدرسة للمشتغلين بالعلم في جواره ووزع أوقاته على وظائف الخير من ختم القرآن ومجالسة أهل القلوب والقعود للتدريس إلى ان أنتقل إلى ربه ويروى له شعر فمن ذلك ما نسبه إليه الحافظ أبو سعد السمعاني في الذيل وهو قوله (حلت عقارب صدغة في خده * قمرا فجل بها عن التشبيه) (ولقد عهدناه يحل ببرجها * فمن العجائب كيف حلت فيه) ورأيت هذين البيتين في موضع آخر لغيره والله اعلم ونسب إليه العماد الأصبهاني في الخريدة هذين البيتين وهما (هبني صبوت كما ترون بزعمكم * وحظيت منه بلثم خد أزهر) (إني إعتزلت فلا تلوموا إنه * أضحى يقابلني بوجه أشعري) ونسب إليه البيتين اللذين قبلهما وكانت ولادته سنة خمسين وأربعمائة وقيل سنة إحدى وخمسين بالطابران وتوفي يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة بالطابران

219 ورثاه الأديب أبو المظفر محمد الأبيوردي الشاعر المشهور وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى بأبيات فائية من جملتها (مضى واعظم مفقود فجعت به * من لا نظير له في الناس يخلفه) وتمثل الإمام إسماعيلي الحاكمي بعد وفاته بقول أبي تمام من جملة قصيدة مشهورة (عجبت لصبري بعده وهو ميت * وكنت امرءا أبكي دما

وهو غائب) (على انها الأيام قد صـــرن كلها * عجائب حتى ليس فيها عجائب) ودفن بظاهر الطابران وهي قصـــبة طوس رحمه الله تعالى وقد تقدم الكلام على الطوســـي والغزالي في ترجمة اخيه أحمد الزاهد الواعظ المذكور في حرف الهمزة والطابران بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة وراء مهملة وبعد الألف الثانية نون وهي إحدى بلدتي طوس كما تقدم في ترجمة أحمد أيضـــا 589 المستظهري أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشاشـــي الأصـل الفارقي المولد المعروف بالمستظهري الملقب فخر الإسلام الفقيه الشافعي كان فقيه وقته تفقه أولا بميافارقين على أبي عبد الله محمد بن بيان الكازوني وعلى القاضي

220 أبي منصـــور الطوســـي صـــاحب أبي محمد الجويني إلى ان عزل عن قضـــاء ميافارقين ثم رحل أبو بكر إلى بغداد ولازم الشيخ أبا إسحاق الشيرازي رحمه الله تعالى وقرأ عليه واعاد عنده وقرأ كتاب الشـــامل في الفقه على مصنفه أبي نصر ابن الصباغ رحمه الله تعالى ودخل نيسابور صحبة الشيخ أبي إسحاق وتكلم في مسألة بين يدي إمام الحرمين فأحســـن فيها و عاد إلى بغداد وذكره الحافظ عبد الغافر الفارسي في سياق تاريخ نيسابور وتعين في الفقه بالعراق بعد أستاذه أبي إسحاق وأنتهت إليه رياسة الطائفة الشافعية وصنف تصانيف حسنة من ذلك كتاب حلية العلماء في المذهب ذكر فيه مذهب الشـافعي ثم ضـم

إلى كل مســـألة اختلاف الأئمة فيها وجمع من ذلك شـــيئا كثيرا وسماه المستظهري لأنه صنفه للإمام المستظهر بالله وصـــنف أيضـــا في الخلاف وتولى التدريس بالمدرســـة النظامية بمدينة بغداد سنة أربع وخمسمائة إلى حين وفاته وكان قد وليها قبله الشيخ أبو إسحاق الشيرازي وأبو نصر ابن الصباغ صاحب الشامل وأبو سعد المتولي صاحب تتمة الإبانة وأبو حامد الغزالي وقد ســـبق ذكر ذلك في ترجمة كل واحد منهم فلما انقرضـــوا تولاها هو وحكى لي بعض المشـــايخ من علماء المذهب انه يوم ذكر الدرس وضـــع منديله على عينيه وبكى كثيرا وهو جالس على الســـدة التي جرت عادة المدرســـين بالجلوس عليها وكان ينشد (خلت الديار فسدت غير مسود * ومن العناء تفردي بالسؤدد) وجعل يردد هذا البيت ويبكي وهذا إنصاف منه واعتراف لمن تقدمه بالفضـــل والرجحان عليه وهذا البيت من جملة أبيات في الحماسة

221 ومـدحـه تلميـذه أبو المجـد حمـدان بن كثير البالســـي بقصـــيدة يقول فيها (يا كعبة الفضـــل أفتنا لم لم يجب * شـــرعا على قصـــادك الإحرام) (ولما تضـــمخ زائريك بطيب ما * تلقيه وهو على الحجيج حرام) وقد سبق في مرثية أبي العلاء المعري مثل هذا المعنى وكانت ولادته في المحرم ســـنة تســـع وعشـــرين وأربعمائة بميافارقين وتوفي في يوم السبت خامس عشري شوال سنة سبع وخمسمائة ببغداد ودفن في مقبرة باب أبرز مع شيخه

أبي إســحاق في قبر واحد وقيل دفن إلى جانبه رحمهما الله تعالى 590 أبو نصــر الأرغياني أبو نصــر محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله الأرغياني الفقيه الشافعي قدم من بلده إلى نيســابور واشــتغل على إمام الحرمين أبي المعالي الجويني وبرع في الفقه وكان إماما مفذنا ورعا كثير العبادة وسمع الحديث من أبي الحسن علي ابن أحمد الواحدي صــاحب التفاســير وروى عنه في تفســير قوله تعالى (^ إني لأجد ريح يوسف ^) يوسف : 94 أن ريح الصبا إستأذنت ربها عز وجل أن تأتي بريح يوسف على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام قبل ان يأتيه البشير

222 بالقميص فأذن لها فأتته بذلك فلذلك يســـتروح كل محزون بريح الصبا وهي من ناحية المشرق إذا هبت على الأبدان نعمتها ولينتها وهيجت الأشــواق إلى الأوطان والأحباب وأنشد (أيا جبلي نعمان بالله خليا * نسيم الصبا يخلص إلي نسيمها) (فإن الصبا ريح إذا ما تنسمت * على نفس مهموم تجلت همومها) وكانت ولادته في ســنة أربع وخمسين وأربعمائة وتوفي ليلة الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وخمسمائة بنيسابور ودفن بظاهرها بموضـــع يقال له الحيرة على الطريق رحمه الله تعالى والفتاوى المســـتخرجة من كتاب نهاية المطلب المنسوبة إلى الأرغياني أشك فيها هل هي له أم لأبي الفتح ســـهل بن علي الأرغياني المقدم ذكره فإني بعيد العهد بالوقوف عليها وذكرت في ترجمة أبي الفتح أنها له ثم

حصـــل لي الشــك والله أعلم وقد تقدم الكلام على نســبة الأرغياني في ترجمة أبي الفتح المذكور ثم إني ظفرت بالفتاوى المذكورة فوجدتها لأبي نصـــر المذكور لا لأبي الفتح

223 591 محمد بن يحيى أبو سـعد محمد بن يحيى بن أبي منصـــور النيســـابوري الملقب محيي الدين الفقيه الشـافعي أسـتاذ المتأخرين وأوحدهم علما وزهدا تفقه على حجة الإســـلام أبي حامد الغزالي وأبي المظفر أحمد بن محمد الخوافي المقدم ذكره وبرع في الفقه وصــــنف فيه وفي الخلاف وأنتهت إليه رياســة الفقهاء بنيسـابور ورحل إليه الناس من البلاد واسـتفاد منه خلق كثير صــار أكثرهم سـادة وأصـحاب طرق في الخلاف وصـنف كتاب المحيط في شـرح الوسـيط والأنتصـاف في مسـائل الخلاف وغير ذلك من الكتب ذكره الحافظ عبد الغافر الفارسي في سياق تاريخ نيســـابور وأثنى عليه وقال كان له حظ في التذكير واستمداد من سائر العلوم وكان يدرس بنظامية نيسابور ثم درس بمدينـة هراة في المدرســـة النظـامية ومن جملـة مسموعاته ما سمعه من الشيخ أبي حامد أحمد بن علي بن محمد بن عبدوس بقراءة الإمام أبي نصـــر عبد الرحيم بن أبي القاسـم عبد الكريم القشـيري في سـنة سـت وتسـعين وأربعمائة وحضـر بعض فضـلاء عصـره درسـه وسـمع فوائده وحسن إلقائه فأنشده (رفات الدين والإسلام يحيا * بمحيي الـدين مولانـا ابن يحيى) (كـأن الله رب العرش

يلقي * عليه حين يلقي الدرس وحيا) ورأيت في بعض المجاميع بيتين منسوبين إليه ثم وجدت في ترجمة الشيخ شهاب الدين أبي الفتح محمد بن محمود بن محمد الطوسي الفقيه الشافعي نزيل مصر

224 قال وأنشدني الإمام أبو سعد محمد بن يحيى النيسابوري لنفسه وهما (وقالوا يصير الشعر في الماء حية * إذا الشمس لاقته فما خلته صدقا) (فلما ثوى صدغاه في ماء وجهه * وقد لسعا قلبي تيقنته حقا) وكانت ولادته سنة ست وسبعين وأربعمائة بطريثيث وتوفي شهيدا في شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وخمسمائة قتلته الغز لما استولوا على نيسابور في وقعتهم مع السلطان سنجر السلجوقي كما تقدم ذكره في ترجمته أخذته ودست في فيه التراب حتى مات وحكى ابن الأزرق الفارقي في تاريخه أن ذلك كان في سنة ثلاث وخمسين والأول أصح ولما مات رثاه جماعة من العلماء من جملتهم أبو الحسن علي بن أبي القاسم البيهقي قال فيه (يا سافكا دم عالم متبحر * قد طار في أقصى الممالك صيته) (تالله قل لي يا ظلوم ولا تخف * من كان محيي الدين كيف تميته) رحمه الله تعالى 169 وتوفي شهاب الدين الطوسي المذكور في العشرين من ذي القعدة سنة ست وتسعين وخمسمائة بمصر ودفن بالقرافة ومولده سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة وكان مدرسا بمدرسة منازل العز بمصر وقدم إلى مصر من مكة سنة تسع وسبعين

وخمسمائة ونزل خانقاه سعيد السعداء بالقاهرة وطريثيث بضم الطاء المهملة وفتح الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وكسر الثاء المثلثة وسكون الياء المثناة الثانية وبعدها ثاء مثلثة وهي ناحية كبيرة من نواحي نيسابور خرج منها جماعة من العلماء وغيرهم

225 592 البروي أبو منصور محمد بن محمد بن محمد بن سعد بن عبد الله البروي الفقيه الشافعي أحد الأئمة المشار إليهم بالتقدم في الفقه والنظر وعلم الكلام والوعظ وكان حلو العبارة ذا فصاحة وبراعة تفقه على الفقيه محمد بن يحيى المذكور قبله وكان من أكبر أصحابه وصنف في الخلاف تعليقة جيدة وهي مشهورة وله جدل مليح مشهور سماه المقترح في المصطلح وأكثر اشتغال الفقهاء به وقد شرحه الفقيه تقي الدين أبو الفتح مظفر بن عبد الله المصري المعروف بالمقترح شرحا مستوفى وعرف به واشتهر باسمه لكونه كان يحفظه فلا يقال له إلا التقي المقترح ودخل البروي بغداد سنة سبع وستين وخمسمائة فصادف قبولا وافرا من العام والخاص وتولى المدرسة البهائية قريبا من النظامية وكان يذكر بها كل يوم عدة دروس ويحضر عنده الخلق الكثير وله حلقة المناظرة بجامع القصر ويحضر عنده المدرسون والأعيان وكان يجلس للوعظ بالمدرسة النظامية ومدرسها يومئذ أبو نصر أحمد بن عبد الله للشاشي وكان يظهر عليه من الحركات ما يدل على رغبته في تدريس النظامية وكان ينشد في

أثناء مجلســه مشــيرا إلى موضــع التدريس أبيات المتنبي وهي أوائل قصيد
226 (بكيت يا ربع حتى كدت أبكيكا * وجدت بي وبدمعي في مغانيكا) (فعم صباحا لقد هيجت لي شجنا * واردد تحيتنا إنا محيوكا) (بأي حكم زمان صرت متخذا * ريم الفلا بدلا من ريم أهليكا) فكان الناس يفهمون منه ذلك وكان أهلا له ووعد به فأدركته والمنية كانت ولادته يوم الثلاثاء خامس عشــر ذي القعدة ســنة ســبع عشــرة وخمســمائة بطوس وتوفي يوم الخميس بين الصــلاتين سادس عشر رمضان سنة سبع وستين وخمسمائة بغداد وصلي عليه يوم الجمعة بجامع القصر الخليفة المستضيء بأمر الله ودفن في ذلك النهار في تربة الشــيخ أبي إســحاق الشيرازي بباب أبرز رحمهما الله تعالى وذكر الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق أن أبا منصور البروي المذكور قدم دمشــق في ســنة خمســة وســتين وخمســمائة ونزل في رباط الســمياطي وقريء عليه شــيء من أماليه والبروي بفتح الباء الموحدة والراء وبعدها واو لا أعلم هذه النســبة إلى أي شــيء هي ولا ذكرها الســمعاني وغالب ظني أنها من نواحي طوس والله أعلم
227 593 ابن الخل أبو الحســن محمد بن المبارك وكنيته أبو البقاء ابن محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بابن الخل الفقيه الشافعي البغدادي تفقه على أبي بكر محمد بن أحمد الشــاشــي المعروف بالمســتظهري المقدم ذكره

وبرع في العلم وكان يجلس في مســـجده الذي بـالرحبـة شــــرقي بغداد لا يخرج عنه إلا بقدر الحاجة يفتي ويدرس وكان قد تفرد بالفتوى بالمســألة الســريجية ببغداد وصــنف كتابا سماه توجيه التنبيه على صورة الشرح لكنه مختصر وهو أول من شرح التنبيه لكن ليس فيه طائل وله كتاب في أصول الفقه وسمع الحديث من أبي عبد الله الحسين بن أبي طلحة النعالي وأبي عبد الله الحســـين البســـري وغيرهما وروى عنه الحافظ أبو ســـعد الســـمعاني وغيره وســـمعت بعض الفقهاء ينقل عنه أنه كان يكتب خطا جيدا منســـوبا وأن الناس كانوا يحتالون على أخذ خطه في الفتاوى من غير حــاجـة إليهـا بـل لأجـل الخط لا غير فكثرت عليـه الفتاوى وضـيقت عليه أوقاته ففهم ذلك منهم فصـار يكسـر القلم ويكتـب جواب الفتوى بـه فـأقصـــروا عنـه وقيـل إن صاحب الخط المليح هو أخوه والله أعلم وتوفي سنة اثنتين وخمســـين وخمســـمائة ببغداد ونقل إلى الكوفة ودفن بها رحمه الله تعالى 170 وكان أخوه أبو الحســـين أحمد بن المبارك فقيها فاضلا وشاعرا ماهرا

228 ذكره العماد الأصـــبهاني في كتاب الخريدة وأثنى عليه وأورد له مقاطيع شعر ودوبيت فمن ذلك أبيات في بعض الوعاظ وهي (ومن الشـــقاوة أنهم ركنوا إلى * نزغات ذاك الأحمق التمتام) (شـيخ يبهرج دينه بنفاقه * ونفاقه منهم على أقوام) (وإذا رأى الكرســـي تاه بأنفه * أي أن هذا موضـــعي ومقامي) (ويدق صــدرا ما انطوى

إلا على * غل يواريه بكف عظام) (ويقول أيش أقول من حصــر به * لا لازدحام عبارة وكلام) وله دوبيت (هذا ولهي وكم كتمت الولها * صونا لوداد من هوى النفس لها) (يا آخر محنتي ويا أولها * آيات غرامي فيك من أولها) وله أيضا (ساروا وأقام في فؤادي الكمد * لم يلق كما لقيت منهم أحد) (شوق وجوى ونار وجد تقد * مالي جلد ضعفت ما لي جلد) وله أيضا (ما ضر حداة عيسهم لو رفقوا * لم يبق غداة بينهم لي رمق) (قلب قلق وأدمع تســـتبق * أوهى جلدي من الفراق الفرق) وكانت ولادته سـنة اثنتين وثمانين وأربعمائة وتوفي سـنة اثنتين أو ثلاث وخمسين وخمسمائة رحمه الله تعالى

229 594 محيي الدين بن زكي الدين أبو المعالي محمد بن أبي الحسن علي بن محمد أبي المعالي مجد الدين بن يحيى أبي الفضـــل زكي الدين بن علي بن عبد العزيز بن علي بن الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن القاسم بن الوليد بن القاسم بن عبد الرحمن بن أبان بن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضــــي الله عنه القرشـــي الملقب محيي الدين المعروف بابن زكي الدين الدمشـقي الفقيه الشــافعي كان ذا فضـائل عديدة من الفقه والأدب وغيرهما وله النظم المليح والخطب والرسائل وتولى القضاء بدمشق في شهر ربيع الأول ســنة ثمان وثمانين وخمســمائة يوم الأربعاء العشــرين من الشــهر المذكور هكذا وجدته بخط القاضــي الفاضــل وكذلك أبوه زكي الدين وجده مجد الدين وجد أبيه

زكي الدين أيضـــا و هو أول من ولـي من بيتهم وولداه زكي الدين أبو العباس الطـاهر ومحيي الـدين كـانوا قضـــاتها وكـانت لـه عند الســـلطان صـــلاح الدين رحمه الله تعالى المنزلة العالية والمكانة المكينة ولما فتح السلطان المذكور مدينة حلب يوم السـبت ثامن عشـر من صـفر سـنة تسـع وسـبعين وخمسـمائة أنشـده القاضـي محيي الدين المذكور قصـــيدة بائية أجاد فيها كل الإجادة وكان من جملتها بيت هو متداول بين الناس وهو (وفتحك القلعة الشــهباء في صفر * مبشر بفتوح القدس في رجب)

230 فكان كما قال فإن القدس فتحت لثلاث بقين من رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وقيل لمحيي الدين من أين لك هذا فقال أخذته من تفســير ابن برجان في قوله تعالى (^ ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم ســيغلبون في بضـــع ســنين) (الروم 1-3) ولما وقفت أنـا على هذا البيت وهذه الحكـايـة لم أزل أتطلب تفسـيسـير ابن برجان حتى وجدته على هذه الصـورة لكن كان هذا الفصل مكتوبا في الحاشية بخط غير الأصل ولا أدري هل كان من أصـــل الكتاب أم هو ملحق به وذكر له حســابا طويلا وطريقا في اســتخراج ذلك حتى حرره من قوله (^ بضع سنين ^) ولما ملك السلطان صلاح الدين حلب فوض الحكم والقضاء بها في ثالث عشر ربيع الآخر من الســنة إلى القاضـــي محيي الدين المذكور فاســتناب بها زين الدين بنا أبا الفضـل بن البانياســي ولما فتح السـلطان

القدس الشريف تطاول إلى الخطابة يوم الجمعة كل واحد من العلماء الذين كانوا في خدمته حاضرين وجهز كل واحد منهم خطبة بليغة طمعا في أن يكون هو الذي يعين لذلك فخرج المرسوم إلى القاضي محيي الدين أن يخطب هو وحضر السلطان وأعيان دولته وذلك في أول جمعة صليت بالقدس بعد الفتح فلما رقي المنبر استفتح بسورة الفاتحة وقرأها إلى آخرها ثم قال (^ فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) (الأنعام 45) ثم قرأ أول سورة الأنعام (^ الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ^) (الأنعام&&1) ثم قرأ من سورة سبحان (^ وقل الحمد لله

231 الذي لم يتخذ ولدا) الآية (الاسراء 111) ثم قرأ أول الكهف (^ الحمد لله رب الذي أنزل على عبده الكتاب) (الكهف&&1) الآيات الثلاث ثم قرأ من النمل (^ وقل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ^) (النمل 59) الآية ثم قرأ من سورة سبأ (^ الحمد لله الذي له ما في السموات ^) (سبأ 1) الآية ثم قرأ من سورة فاطر (^ الحمد لله فاطر السموات والأرض) (فاطر 1) الآيات وكان قصده أن يذكر جميع تحميدات القرآن الكريم ثم شرع في الخطبة فقال الحمد لله معز الإسلام بنصره ومذل الشرك بقهره ومصرف الأمور بأمره ومديم النعم بشكره ومستدرج الكفار بمكره الذي قدر الأيام دولا بعدله وجعل العاقبة للمتقين بفضله وأفاء على عباده من ظله

وأظهر دينه على الدين كله القاهر فوق عباده فلا يمانع والظاهر على خليقته فلا ينازع والامر بما يشاء فلا يراجع والحاكم بما يريد فلا يدافع أحمده على إظفاره وإظهاره وإعزازه لأوليائه ونصره لأنصاره وتطهير بيته المقدس من أدناس الشرك وأوضاره حمد من استشعر الحمد باطن سره وظاهر جهاره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد شهادة من طهر بالتوحيد قلبه وأرضى به ربه وأشهد أن محمدا عبده ورسوله رافع الشك وداحض الشرك وراحض الإفك الذي أسرى به من المسجد الحرام إلى هذا المسجد الأقصى وعرج به منه إلى السماوات العلا إلى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى ما زاغ البصر وما طغى صلى الله عليه وعلى خليفته أبي بكر الصديق السابق إلى الإيمان وعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أول من رفع عن هذا البيت شعار الصلبان وعلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ذي النورين جامع القرآن وعلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مزلزل الشرك ومكسر الأوثان وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان

232 أيها الناس أبشروا برضوان الله الذي هو الغاية القصوى والدرجة العليا لما يسره الله على أيديكم من استرداد هذه الضالة من الأمة الضالة وردها إلى مقرها من الإسلام بعد ابتذالها في أيدي المشركين قريبا من مائة عام وتطهير هذا البيت الذي أذن الله أن يرفع ويذكر فيها

اسـمه وإماطة الشـرك عن طرقه بعد أن امتد عليها رواقه واسـتقر فيها رسـمه ورفع قواعده بالتوحيد فإنه بني عليه وشيد بنيانه بالتمجيد فإنه أسس على التقوى من خلفه ومن بين يديه فهو موطن أبيكم إبراهيم ومعراج نبيكم محمد وقبلتكم التي كنتم تصلون إليها في إبتداء الإسلام وهو مقر الأنبياء ومقصـد الأولياء ومدفن الرسـل ومهبط الوحي ومنزل بـه ينزل الأمر والنهي وهو في أرض المحشـر وصعيد المنشـر وهو في الأرض المقدسـة التي ذكرها الله في كتابه المبين وهو المسـجد الأقصـى الذي صـلى فيه رسـول الله بالملائكة المقربين وهو البلد الذي بعث الله إليه عبده ورسـوله وكلمته التي ألقاها إلى مريم وروحه عيسى الذي كرمه برسـالته وشـرفه بنبوته ولم يزحزحه عن رتبة عبوديته فقال تعالى (^ لن يستنكف المسيح أن يكون عبد لله ولا الملائكة المقربون) (النسـاء 172) كذب العادلون بالله وضـلوا ضـلالا بعيدا (^ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضـهم على بعض سبحان الله عما يصفون) (المؤمنون 91) (^ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم) (المائدة 17) إلى آخر الآيات من المـائدة وهو أول القبلتين وثـاني المسـجدين وثالث الحرمين لا تشـد الرحال بعد المسـجدين إلا إليه ولا تعقد الخناصر بعد الموطنين إلا عليه فلولا أنكم ممن أختاره الله من عباده واصـطفاه من سـكان بلاده لما

خصــــكم بهذه الفضـــيلة التي لا يجاريكم فيها مجار ولا يباريكم في شرفها مبار فطوبى لكم من
233 جيش ظهرت على أيديكم المعجزات النبوية والواقعات البدرية والعزمات الصديقية والفتوحات العمرية والجيوش العثمانية والفتكات العلوية جددتم للإســـلام أيام القـادســـيـة والملاحم اليرموكيـة والمنـازلات الخيبريـة والهجمات الخالدية فجزاكم الله عن نبيه محمد أفضـــل الجزاء وشـــكر لكم ما بذلتموه من مهجكم في مقارعة الأعداء وتقبل منكم ما تقربتم به إليه من مهراق الدماء وأثابكم الجنة فهي دار الســـعداء فاقدروا رحمكم الله هذه النعمة حق قدر ها وقوموا لله تعالى بواجب شـــكر ها فله تعالى المنة عليكم بتخصيصكم بهذه النعمة وترشيحكم لهذه الخدمة فهذا هو الفتح الذي فتحت له أبواب السماء وتبلجت بأنواره وجوه الظلماء وابتهج به الملائكة المقربون وقر به عينا الأنبياء والمرسلون فماذا عليكم من النعمة بأن جعلكم الجيش الذي يفتح على يديه البيت المقدس في آخر الزمان والجند الذي تقوم بسـيوفهم بعد فترة من النبوة أعلام الإيمان فيوشـــك أن يفتح الله على أيديكم أمثاله وأن تكون التهاني لأ هل الخضــــراء أكثر من التهاني لأ هل الغبراء أليس هو البيت الذي ذكره الله في كتابه ونص عليه في محكم خطابه فقال تعالى (^ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) (الإسراء&&1 (أليس هو البيت الذي عظمته الملل وأثنت عليه الرســـل

وتليت فيه الكتب الأربعة المنزلة من الله عز وجل أليس هو البيت الذي أمسك الله تعالى لأجله الشمس على يوشع أن تغرب وباعد بين خطواتها ليتيسـر فتحه ويقرب أليس هو البيت الذي أمر الله عز وجل موسى أن يأمر قومه باستنقاذه فلم يجبه إلا رجلان وغضب الله عليهم لأجله فألقاهم في التيه عقوبة للعصيان فاحمدوا لله الذي أمضى عزائمكم لما نكلت عنه بنو إسرائيل وقد فضلت على العالمين ووفقكم لما خذل فيه أمم كانت قبلكم من الأمم الماضين وجمع لأجله كلمتكم

234 وكانت شتى وأغناكم بما أمضته كان وقد عن سوف وحتى فليهنكم أن الله قد ذكركم به فيمن عنده وجعلكم بعد أن كنتم جنوداً لأهويتكم جنده وشكر لكم الملائكة المنزلون على ما اهديتم لهذا البيت من طيب التوحيد ونشر التقديس والتمجيد وما امطتم عن طرقهم فيه من أذى الشرك والتثليث والاعتقاد الفاجر الخبيث فالآن تستغفر لكم أملاك السموات وتصلي عليكم الصلوات المباركات فاحفظوا رحمكم الله هذه الموهبة فيكم واحرسوا هذه النعمة عندكم بتقوى الله التي من تمسك بها سلم ومن اعتصم بعروتها نجا وعصم واحذروا من اتباع الهوى ومواقعة الردى ورجوع القهقري والنكول عن العدا وخذوا في أنتهاز الفرصة وإزالة ما بقي من الغصة وجاهدوا في الله حق جهاده وبيعوا عباد الله أنفسكم في رضاه إذ جعلكم من خير عباده وإياكم وان يستزلكم الشيطان وان يتداخلكم

الطغيان فيخيل لكم ان هذا النصر بسيوفكم الحداد وخيولكم الجياد وبجلادكم في موطن الجلاد لا والله ما النصـــر من عند الله ان الله عزيز حكيم فاحذروا عباد الله بعد ان شرفكم بهذا الفتح الجليل والمنح الجزيل وخصـكم بنصـره المبين واعلق ايـديكم بحبلـه المتين ان تقترفوا كبيراً من مناهيـه وان تأتوا عظيما من معاصيه فتكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا وكالذي آتيناه آياتنا فانســلخ منها فاتبعه الشـيطان فكان من الغاوين والجهاد الجهاد فهو من افضـل عباداتكم واشرف عاداتكم انصروا الله ينصركم احفظوا الله يحفظكم اذكروا الله يذكركم اشـكروا الله يزدكم ويشـكركم جدوا في حســم الداء وقلع شـــأفة الأعداء وطهروا بقية الأرض من هذه الأنجاس التي اغضـــبت الله ورســوله واقطعوا فروع الكفر واجتثوا أصـــولـه فقد نـادت الأيـام يـاللثـارات الإســلامية والملة المحمدية الله أكبر فتح الله ونصـر غلب الله وقهر أذل الله من كفر واعلموا رحمكم الله أن هذه فرصـــة فانتهزوها وفريســـة فناجزوها وغنيمة فحوزوها ومهمة فأخرجوا لها هممكم وأبرزوها وســيروا إليها

235 ســرايا عزماتكم وجهزوها فالأمور بأواخرها والمكاســب بذخائرها فقد اظرفكم الله بهذا العدو المخذول وهم مثلكم او يزيدون فكيف وقد اضـحى قبالة الواحد منهم منكم عشرون وقد قال الله تعالى (^ إن يكن منكم عشرون صـــابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من

الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون) (الأنفال : 65) أعاننا الله وإياكم على اتباع اوامره والازدجار بزواجره وايدنا معاشر المسلمين بنصر من عنده (^ إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده) (آل عمران : 160) إن أشرف مقال يقال في مقام وأنفذ سهام تمرق عن قسي الكلام وامضى قول تحل به الأفهام كلام الواحد الفرد العزيز العلام قال الله تعالى (^ وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم) (الأعراف : 294) وقرأ أول الحشر ثم قال آمركم وإياي بما امر الله به من حسن الطاعة فأطيعوه وانهاكم وإياي عما نهاكم عنه من قبح المعصية فلا تعصوه واستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين فاستغفروه ثم خطب الخطبة الثانية على عادة الخطباء مختصرة ثم دعا للإمام الناصر خليفة العصر ثم قال اللهم وادم سلطان عبدك الخاضع لهيبتك الشاكر لنعمتك المعترف بموهبتك سيفك القاطع وشهابك اللامع والمحامي عن دينك المدافع والذاب عن حرمك الممانع السيد الأجل الملك الناصر جامع كلمة الإيمان وقامع عبد الصلبان صلاح الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين مطهر البيت المقدس أبي المظفر يوسف بن أيوب محيي دولة أمير المؤمنين اللهم عم بدولته البسيطة واجعل ملائكتك براياته محيطة واحسن عن الدين الحنيفي جزاءه واشكر عن الملة المحمدية عزمه ومضاءه

اللهم إبق للإسـلام مهجته ووق للإيمان حوزته وانشـر في المشارق والمغارب دعوته اللهم كما فتحت على يديه البيت المقدس بعد ان ظنت الظنون وابتلي المؤمنون فافتح على يديه داني الأرض وقاصـيها وملكه صـياصـي الكفر ونواصـيها فلا تلقاه منهم كتيبة إلا مزقها ولا جماعة إلا فرقها ولا طائفة بعد طائفة إلا ألحقها

236 بمن سبقها اللهم اشكر عن محمد سعيه وانفذ في المشارق والمغارب امره ونهيه اللهم وأصلح به أوساط البلاد وأطرافها وأرجاء الممالك وأكنافها اللهم ذلل به معاطس الكفار وأرغم به أنوف الفجار وانشر ذوائب ملكه على الأمصار وابثث سرايا جنوده في سبل الأقطار اللهم ثبت الملك فيه وفي عقبه إلى يوم الدين واحفظه في بنيه وبني أبيه الملوك الميامين واشدد عضده ببقائهم واقض بإعزاز اوليائه واوليائهم اللهم كما اجريت على يده في الإسلام هذه الحسنة التي تبقى على الأيام وتتخلد على مر الشهور والأعوام فارزقه الملك الأبدي الذي لاينفذ في دار اليقين وأجب دعاءه في قوله (^ رب أوزعني أن اشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين) (الأحقاف : 15) ثم دعا بما جرت به العادة وكانت ولادته سنة خمسين وخمسمائة بدمشق وتوفي في سابع شعبان سنة ثمان وتسعين وخمسمائة بدمشق ودفن من يومه بسفح جبل قاسيون رحمه الله تعالى 171 وكان والده أبو الحسن

علي الملقب زكي الدين على القضـــاء بدمشـــق وكان كثير الخير والدين فاستعفى عن القضـاء فاعفي فخرج إلى مكة حاجا وعاد إلى بغداد في صـــفر ســـنة ثلاث وســـتين وخمسمائة فأقام بها وكان عالي الطبقة في سماع الحديث سمع خلقا كثيرا وحدث ببغداد مدة إقامته وسمع عليه الناس ولم يزل بها إلى ان توفي يوم الخميس الثامن والعشـــرين من شوال سنة أربع وستين وخمسمائة وصلي عليه بجامع القصـر ودفن بمقبرة الإمام أحمد بن حنبل رضـي الله عنهم اجمعين 172 واما ابن برجان المذكور فهو أبو الحكم عبد السـلام بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن اللخمي كان عبداً صالحا وله تفسير القرآن

237 العظيم واكثر كلامه فيه على طريق ارباب الأحوال والمقامات وتوفي سـنة سـت وثلاثين وخمسـمائة بمدينـة مراكش رحمه الله تعالى وبرجان بفتح الباء الموحدة وتشـديد الراء وبعدها جيم وبعد الألف نون 595 السـديد السلماسـي السـديد محمد بن هبة الله بن عبد الله السـلماسـي الفقيه الشـافعي كان إماما في عصـره تولى الإعادة بالمدرسـة النظامية ببغداد واتقن عدة فنون وهو الذي شـهر طريقة الشـريف بالعراق قيل إنه كان يذكر طريقة الشـريف والوسيط للغزالي والمستصـفى من غير مراجعة كتاب قصـده الناس من البلاد واشـتغلوا عليه وأنتفعوا به وخرجوا علماء مدرسين مصنفين ومن جملتهم الشـيخان الإمامان عماد الدين محمد وكمال الدين موسـى

ولدا يونس وسيأتي ذكرهما إن شاء الله تعالى والشيخ شرف الدين أبو المظفر محمد بن علوان بن مهاجر وغيرهم من الأفاضل وكان مسددا في الفتيا وتوفي ببغداد في شعبان سنة أربع وسبعين وخمسمائة رحمه الله تعالى والسلماسي بفتح السين المهملة واللام والميم وبعد الألف سين ثانية هذه النسبة إلى سلماس وهي مدينة من بلاد اذربيجان خرج منها جماعة مشاهير

238 596 حفدة أبو منصور محمد بن اسعد بن محمد بن الحسين بن القاسم العطاري الطوسي الأصل المعروف بحفدة الملقب عمدة الدين الفقيه الشافعي النيسابوري كان فقيها فاضلا واعظا فصيحا أصوليا تفقه بمرو على أبي بكر محمد بن منصور السمعاني والد الحافظ المشهور ثم أنتقل إلى مرو الروذ واشتغل على القاضي حسين بن مسعود الفراء المعروف بالبغوي صاحب شرح السنة والتهذيب وقد سبق ذكره ثم أنتقل إلى بخارا واشتغل بها على البرهان عبد العزيز ابن عمر بن مارة الحنفي ثم عاد إلى مرو وعقد له بها مسجد التذكير واقام بها مدة ثم في فتنة الغز وكانت فتنة الغز سنة ثمان وأربعين وخمسمائة كما ذكرته في ترجمة الفقيه محمد بن يحيى خرج إلى العراق ومنها إلى اذربيجان والجزيرة ومنها إلى الموصل واجتمع الناس عليه بسبب االوعظ وسمعوا منه الحديث ومن اماليه (مثل الشافعي في العلماء * مثل الشمس في نجوم السماء) (قل لمن قاسه

بغير نظير * أيقاس الضـياء بالظلماء) وانشـد يوما على الكرسي من جملة أبيات
239 (تحية صـوب المزن يقرؤها الرعد * على منزل كانت تحل به هند) (نأت فأعرناها القلوب صـبابة * وعارية العشـاق ليس لها رد) وكانت مجالسـه في الوعظ من احسـن المجالس وتوفي في شـهر ربيع الآخر سنة إحدى وسبعين وخمسمائة بمدينة تبريز وقيل إنه توفي برجب سـنة ثلاث وسـبعين رحمه الله تعالى والله اعلم بالصـواب وحفدة بفتح الحاء المهملة والفاء والدال المهملة ولا اعلم لما سمي بهذا الإسم مع كثرة كشفي عنه وتبريز بكسـر التاء المثناة من فوقها وسـكون الباء الموحدة وكسـر الراء وسـكون الياء المثناة من تحتها وبعدها زاي وهي من اكبر مـدن اذربيجـان 597 نجم الـدين الخبوشـاني أبو البركات محمد بن الموفق بن سـعيد بن علي بن الحسـن بن عبد الله الخبوشـاني الملقب نجم الدين الفقيه الشـافعي كان فقيها فاضـلا كثير الورع تفقه على محمد بن يحيى المقدم ذكره وكان يستحضر كتابه المحيط في شرح الوسيط على ما قيل حتى نقل عنه انه عدم الكتاب فاملاه من خاطره وله كتاب تحقيق المحيط وهو كبير رأيته في سـتة عشـر مجلدا وقد تقدم ذكره في في ترجمة العاضـد عبد الله العبيدي صاحب مصر وما جرى له معه ولما استقل
240 السـلطان صـلاح الدين رحمه الله تعالى بملك الديار المصـرية قربه واكرمه وكان يعتقد في علمه ودينه

ويقال إنه أشار عليه بعمارة المدرسة المجاورة لضريح الإمام الشافعي رضي الله عنه فلما عمرها فوض تدريسها إليه وعمرها في سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وفي هذه السنة بنى البيمارستان في القصر بالقاهرة ورأيت جماعة من اصحابه وكانوا يصفون فضله ودينه وأنه كان سليم الباطن قليل المعرفة باحوال الدنيا وكانت ولادته في الثالث عشر من رجب سنة عشر وخمسمائة باستوى خبوشان وتوفي يوم الأربعاء ثاني عشر ذي القعدة سنة سبع وثمانين وخمسمائة بالمدرسة المذكورة ودفن في قبة تحت رجلي الإمام الشافعي وبينهما شباك رحمهما الله تعالى والخبوشاني بضم الخاء المعجمة والباء الموحدة وفتح الشين المعجمة وبعد الألف نون هذه النسبة إلى خبوشان وهي بليدة بناحية نيسابور واستوى بضم الهمزة وسكون السين المهملة وفتح التاء المثناة من فوقها أو ضمها ناحية كثيرة القرى من أعمال نيسابور

241 598 القاضي كمال الدين الشهرزوري أبو الفضل محمد بن أبي محمد عبد الله بن أبي أحمد القاسم الشهرزوري الملقب كمال الدين الفقيه الشافعي وقد سبق ذكر أبيه وجده في موضعهما تفقه كمال الدين ببغداد على اسعد الميهني وقد سبق ذكره وسمع الحديث من أبي البركات محمد بن محمد بن خميس الموصلي وتولى القضاء بالموصل وبنى بها مدرسة للشافعية ورباطا بمدينة الرسول وكان يتردد في الرسائل منها إلى بغداد عن عماد

الدين زنكي الأتابك المقدم ذكره ولما قتل عماد الدين على قلعة جعبر كما ذكرناه في ترجمته كان كمال الدين المذكور حاضـرا في العسـكر هو واخوه تاج الدين أبو طاهر يحيى والد القاضـي ضـياء الدين فلما رجع العسكر إلى الموصـل كانا في صـــحبته ولما تولى ســيف لادين غازي ولد عماد الدين وقد تقدم ذكلره أيضا فوض الأمور كلها إلى القاضي كمال الدين واخيه بالموصـــل وجميع مملكته ثم إنه قبض عليهما في ســنة اثنتين واربعين واعتقلهما بقلعة الموصــل واحضـــر نجم الدين أبا علي الحســـن بن بهاء الدين أبي الحسن علي وهو ابن عم كمال الدين وكان قاضي

242 الرحبة وولاه القضــاء بالموصــل وديار ربيعة عوضـا عن كمال الدين ثم إن الخليفة المقتفي سير رسولا وشفع في كمال الدين واخيه فاخرجا من الإعتقال وقعدا في بيوتهما وعليهما الترســـيم وحبس بالقلعة جلال الدين أبو أحمد ولد كمال الدين وضـياء الدين أبو الفضـائل القاسم بن تـاج الـدين ولـمـا مـات ســـيـف الـدين غـازي في الـتـاريـخ المذكور في ترجمته رفع الترســـيم عنهما وحضـــرا إلى قطب الدين مودود بن زنكي وقد تولى الســـلطنة بعد أخيه ســيف الدين وكان راكبا في ميدان الموصــل فلما قربا منه ترجلا وعليهما ثياب العزاء بغير طرحات فلما وصـلا إليه ترجل لهما أيضـا وعزياه عن اخيه وهنآه بالولاية ثم ركبوا ووقف كل واحد منهما على جانبه ثم عادا إلى بيوتهما بغير ترسيم وصـارا يركبان في الخدمة ثم أنتقل كمال الدين إلى

خدمة نور الدين محمود صـاحب الشـام في سـنة خمسـين وخمسمائة وأقام بدمشق مدة ثم عزل زكي الدين عن الحكم وتولاه كمال الدين في شـهر صـفر سـنة خمس وخمسـين وخمسـمائة واسـتناب ولده واولاد أخيه ببلاد الشـام وترقى إلى درجة الوزارة وحكم في بلاد الشـام الإسـلامية في ذلك الوقت واستناب ولده القاضي محيي الدين في الحكم بمدينة حلب ولم يكن شـيء من امور الدولة يخرج عنه حتى الولاية وشـد الديوان وغير ذلك وذلك في ايام نور الدين محمود بن زنكي صـاحب الشـام وتوجه من جهته رسـولا إلى الـديوان في أيـام المقتفى وسـيره المقتفي رسـولا للإصلاح بين نور الدين المذكور وقلج أرسلان بن مسعود بن صاحب الروم ولما مات نور الدين وملك صلاح الدين دمشق أقره على ما كان عليه وكان فقيها اديبا شاعرا كاتبا ظريفا فكه المجالسـة يتكلم في الخلاف والأصـولين كلاما حسـنا وكان شـهما جسورا كثير الصدقة والمعروف وقف اوقافا كثيرة بالموصـل ونصـيبين ودمشـق وكان عظيم الرياسة خبيرا بتدبير الملك

243 لم يكن في بيته مثله ولا نال أحد منهم ما ناله من المناصـب مع كثرة رؤسـاء بيته وذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق وله نظم جيد فمن ذلك ما أنشدني له بعض أهل بيته وهو (ولقد اتيتك والنجوم رواصـد * والفجر وهم في ضمير المشرق) (وركبت م الأهوال كل عظيمه * شـوقا إليك لعلنا ان نلتقي) وقال عماد الدين

الكاتب الأصــبهاني في الخريدة في ترجمة القاضــي كمال الدين المذكور أنشـدني لنفسـه هذين البيتين في ثالث شـهر ربيع الأول سنة إحدى وسبعين وقد تذكرت قول أبي يعلى ابن الهبارية الشـريف في معنى الصـبح وإبطائه (كم ليلة بت مطويا على حرق * أشكو إلى النجم حتى كاد يشكوني) (والصـبح قد مطل الشـرق العيون به * كأنه حاجة في كف مسكين) ثم قال لو قال تقضـى لمسكين لكان احسن فإنها تمطل بقضائها ثم قال وكلاهما احسن واجاد وقيل إنه كتب إلى ولده محيي الدين وهو بحلب وذكر في الخريدة انهما له (عندي كتائب اشـــواق اجهزها * إلى جنابك إلا أنها كتبت) (ولي أحاديث من نفســـي أســـر بها * إذا ذكرتك إلا أنها كذب) وقيل إنه لما ضـــعف وكبر وقلت حركته كان ينشد في كل وقت (يا رب لا تحيني إلى زمن * أكون فيه كلا على احد)

244 (خذ بيدي قبل ان اقول لمن * ألقاه عند القيام خذ بيدي) ولا أعلم هذان البيتان له ام لا ثم وجدت هذين البيتين من جملة أبيات لأبي الحســن محمد بن علي بن الحســن بن أبي الصــقر الواســطي وســيأتي ذكره وذكر البيتين إن شـــاء الله تعالى وكانت ولادته ســـنة اثنتين وتسـعين وأربعمائة بالموصـل وتوفي يوم الخميس سـادس المحرم سـنة اثنتين وسـبعين وخمسـمائة بدمشـق ودفن من الغد بجبل قاسـيون رحمه الله تعالى وكان عمره حين توفي ثمانين سنة وأشـهرا ورثاه ولده محيي الدين محمد واوصى

بولاية ابن اخيه أبي الفضــائل القاســم بن يحيى بن عبد الله الملقب ضياء الدين فأنفذ السلطان وصيته وفوض القضاء بدمشـق إلى ضـياء الدين المذكور فأقام به مدة ثم عرف ان ميل السـلطان إلى الشـيخ شـرف الدين ابن أبي عصـرون المقدم ذكره فسـأله الإقالة فأقيل وتولى شـرف الدين 173 وكان القاضي ضياء الدين أبو الفضائل القاسم بن القاضي تاج الدين أبي طاهر يحيى بن عبد الله المذكور قد سـمع الحديث بالإسكندرية من الحافظ أبي طاهر السلفي وروى عن عمارة اليمني الفقيه شـيئا من شـعره وتولى القضـاء بدمشق بعد عمه كمال الدين ولما انفصل عن القضاء صار يتردد في الرسـائل إلى بغداد ولما مات السـلطان صـلاح الدين سـيره ولده الملك الأفضـل نور الدين علي صـاحب دمشـق رسـولا إلى بغداد بهدايا وتحف وصـار له هناك منزلة ومكانة جيدة ثم عاد إلى دمشق وتولى نظر الأوقاف بها ثم فارق دمشق وقدم الموصل وتولى القضاء بعد الشيخ عماد الدين أبي حامد محمد بن يونس الآتي ذكره إن شـاء الله تعالى وكانت ولاية ضـياء الدين في صـفر سـنة ثلاث وتسـعين وخمسـمائة ثم فارق بغداد باختياره على القضـاء يحكم ويتصـرف كما كان في شـهر ذي الحجة سـنة سـبع وتسـعين ولم يجر هذا لأحد غيره وعبر على الموصـل ولم يدخلها وأنتهى إلى مدينة حماة فولاه الملك المنصور ناصر الدين محمد بن تقي

245 الدين عمر ملكها يومئذ القضاء بها فأقام إلى ان مات ضياء الدين بها في نصف رجب سنة تسع وتسعين وخمسمائة ونقل إلى دمشق ودفن بها ومولده سنة أربع وخمسين وخمسمائة بالموصل وقيل إن مولده في جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين والله اعلم وله شعر فمن ذلك (فارقتكم ووصلت مصر فلم يقم * أنس اللقاء بوحشة التوديع) (وسررت عند قدومها لولا الذي * لكم من الأشواق بين ضلوعي) 174 واما والده تاج الدين أبو طاهر يحيى فقد ذكر القاضي عماد الدين الكاتب الأصبهاني في كتاب الخريدة فقال هو أخو كمال الدين وذكر بعد الثناء عليه أنه توفي بالموصل في سنة ست وخمسين وخمسمائة قال وانشدني ولده ضياء الدين أبياتا له على وزن بيت مهيار وهو (وعطل كؤوسك إلا الكبار * تجد للصغار أناسا صغارا) فقال (وسق الندامى عقيقة * تضيء فتحسب في الليل نار) (تدور المسرة مع كاسها * وتتبعه حيثما الكاس سارا) (ولا عيب فيها سوى أنها * متى عرست بحمى الغم سارا) (ستلقى ليالي الهموم الطوال * فبادر ليالي السرور القصارا) قلت وقد سبق في ترجمة عماد الدين زنكي ذكر عمهما القاضي بهاء الدين أبي الحسن علي بن القاسم والد نجم الدين الحسين قاضي الرحبة المذكور وتاريخ وفاته والله اعلم

246 599 القاضـــي محيي الدين ابن الشـــهرزوري
أبو حامد محمد بن القاضـــي كمال الدين بن الشـــهرزوري المذكور قبله الملقب محيي الدين وقد تقدم من ذكر رياســـة أبيه وما كان عليه من علو المرتبة ما لا حاجة إلى إعادته وكان القاضـــي محي الدين قد دخل بغداد للإشـــتغال فتفقه على الشـيخ أبي منصــور بن الرزاز وتميز ثم اصــعد إلى الشام وولي قضاء دمشق نيابة عن والده ثم أنتقل إلى حلب وحكم بها نيابة عن أبيه أيضا في شهر رمضان سنة خمس وخمســين وخمســمائة وبه عزل بن أبي جرادة المعروف بابن العديم وقيل كان ذلك في شـعبان سـنة سـت وخمسـين والله اعلم وبعد وفاة والده تمكن عند الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين صـاحب حلب غاية التمكن وفوض إليه تدبير مملكة حلب في شـعبان سـنة ثلاث وسـبعين واسـتمر على ذلك ثم وشى به اعداؤه وحساده إلى الصالح وجرت اسباب إقتضـــت أنه لزم بيته وراى مصـــلحة في مفارقة حلب والرجوع إلى بلد الموصـــل فانتقل إليها وتولى قضـــاءها ودرس بمدرســـة والده وبالمدرســـة النظامية بالموصـــل وتمكن عند صــاحب الموصـل عز الدين مسـعود بن قطب الـدين مودود بن زنكي الآتي ذكره إن شـــاء الله تعـالى واسـتولى على جميع الأمور وتوجه من جهته رسـولا إلى بغداد مرارا وذكر بهاء الدين يوسـف المعروف بابن شـداد قاضي حلب في كتاب ملجأ

247 عند التباس الأحكام أنه كان في خدمة القاضي محيي الدين عند توجهه إلى بغداد في إحدى الرسائل وناهيك بمن يكون في خدمته مثل هذا الرجل وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى وكان محيي الدين المذكور جوادا سريا قيل إنه انعم في بعض رسائله إلى بغداد بعشرة آلاف دينار أميرية على الفقهاء والأدباء والشعراء والمحاويج ويقال إنه في مدة حكمه بالموصل لم يعتقل غريما على دينارين فما دونهما بل كان يوفيهما عنه ويخلي سبيله ويحكى عنه مكارم كثيرة ورياسة ضخمة وكان من النجباء عريقا في النجابة تام الرياسة كريم الأخلاق رقيق الحاشية له في الأدب مشاركة حسنة وله اشعار جيدة فمن ذلك ما انشدني له بعض الأصحاب في وصف جرادة وهو تشبيه غريب (لها فخذا بكر وساقا نعامة * وقادمتا نسر وجؤجؤ ضيغم) (حبتها افاعي الرمل بطنا وانعمت * عليها جياد الخيل بالراس والفم) ورأيت له في بعض المجاميع هذين البيتين وهما في وصف نزول الثلج من الغيم (ولما شاب رأس الدهر غيظا * لما قاساه من فقد الكرام) (أقام يميط هذا الشيب عنه * وينثر ما اماط على الأنام) وكانت ولادته سنة عشر وخمسمائة تقريبا وقال العماد الكاتب في الخريدة مولده سنة تسع عشرة والله اعلم وزاد في كتاب السيل في شعبان وتوفي سحرة يوم الاربعاء رابع عشر جمادى الأولى سنة ست وثمانين

248 وخمسمائة وقيل ثالث عشريه هكذا ذكره العماد في السيل والأول ذكره ابن الدبيثي وذلك بالموصل ودفن بداره بمحلة القلعة ثم نقل إلى مدينة الرسول رحمه الله تعالى هكذا رأيته في بعض التواريخ وذكر ابن الدبيثي في تاريخه انه نقل إلى تربة عملت له ظاهر البلد والله اعلم ثم حققت ذلك فوجدته كما قال ابن الدبيثي وتربته خارج باب الميدان بالقرب من تربة قضيب البان صاحب الكرامات رحمه الله تعالى 175 وكان لكمال الدين ابن آخر يقال له عماد الدين أحمد توجه رسولا إلى إلى بغداد عن نور الدين في سنة تسع وستين وخمسمائة ومدحه ابن التعاويذي بقصيدة يقول من جملتها (وقالوا رسول أعجزتنا صفاته * فقلت صدقتم هذه صفة الرسل) 600 فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري

249 الطبرستاني الأصل الرازي المولد الملقب فخر الدين المعروف بابن الخطيب الفقيه الشافعي فريد عصره ونسيج وحده فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات وعلم الأوائل له التصانيف المفيدة في فنون عديدة منها تفسير القرآن الكريم جمع فيه كل غريب وغريبة وهو كبير جدا لكنه لم يكمله وشرح سورة الفاتحة في مجلد ومنها في علم الكلام المطالب العالية ونهاية العقول وكتاب الأربعين والمحصل وكتاب البيان والبرهان في الرد على أهل الزيغ والطغيان وكتاب المباحث العمادية

في المطالب المعادية وكتاب تهذيب الدلائل وعيون المسائل وكتاب إرشاد النظار إلى لطائف الأسرار وكتاب أجوبة المسائل التجارية وكتاب تحصيل الحق وكتاب الزبدة والمعالم وغير ذلك وفي أصول الفقه المحصول والمعالم وفي الحكمة الملخص وشرح الإشارات لابن سينا وشرح عيون الحكمة وغير ذلك وفي الطلسمات السر المكتوم وشرح أسماء الله الحسنى ويقال إن له شرح المفصل في النحو للزمخشري وشرح الوجيز في الفقه للغزالي وشرح سقط الزند للمعري وله مختصر في الإعجاز ومؤاخذات جيدة على النحاة وله طريقة في الخلاف وله في الطب وشرح الكليات للقانون وصنف في علم الفراسة وله مصنف في مناقب الشافعي وكل كتبه ممتعة وأنتشرت تصانيفه في البلاد ورزق فيها سعادة عظيمة فإن الناس اشتغلوا بها ورفضوا كتب المتقدمين وهو اول من اخترع هذا الترتيب في كتبه وأتى فيها بما لم يسبق إليه وكان له في الوعظ اليد البيضاء ويعظ باللسانين العربي والعجمي وكان يلحقه الوجد في حال الوعظ ويكثر البكاء وكان يحضر مجلسه بمدينة هراة ارباب المذاهب والمقالات ويسألونه وهو يجيب كل سائل بأحسن إجابة ورجع

250 بسببه خلق كثير من الطائفة الكرامية وغيرهم إلى مذهب أهل السنة وكان يلقب بهراة شيخ الإسلام وكان مبدأ اشتغاله على والده إلى ان مات ثم قصد الكمال

السمناني واشتغل عليه مدة ثم عاد إلى الري واشتغل على المجد الجيلي وهو احد اصحاب محمد ابن يحيى ولما طلب المجد الجيلي إلى مراغة ليدرس بها صحبه فخر الدين المذكور إليها وقرأ عليه مدة طويلة علم الكلام والحكمة ويقال انه كان يحفظ الشامل لإمام الحرمين في علم الكلام ثم قصد خوارزم وقد تمهر في العلوم فجرى بينه وبين أهلها كلام فيما يرجع إلى المذهب والاعتقاد فأخرج من البلد فقصد ما وراء النهر فجرى له أيضا هناك ما جرى له في خوارزم فعاد إلى الري وكان بها طبيب حاذق له ثروة ونعمة وكان للطبيب ابنتان ولفخر الدين ابنان فمرض الطبيب وايقن بالموت فزوج ابنتيه لولدي فخر الدين ومات الطبيب فاستولى فخر الدين على جميع امواله فمن ثمة كأنت له النعمة ولازم السفار وعامل شهاب الدين الغوري صاحب غزنة في جملة منالمال ثم مضى إليه افستيفاء حقه منه فبالغ في اكرامه والإنعام عليه وحصل له من جهته مال طائل وعاد الى خراسان واتصل بالسلطان محمد بن تكش المعروف بخوارزم شاه وحظي عنده ونال اسنى المراتب ولم يبلغ احد منزلته عنده ومناقبه اكثر من ان تعد وفضائله لا تحصى ولا تحد وكان له مع هذه العلوم شيء من النظم فمن ذلك قوله (نهاية إقدام العقول عقال * واكثر سعي العالمين ضلال) (وارواحنا في وحشة من جسومنا * وحاصل دنيانا أذى ووبال) (ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا * سوى ان جمعنا فيه قيل وقالوا) (

وكم قد رأينا من رجال ودولة * فبادوا جميعا مســـرعين وزالوا) (وكم من جبال قد علت شرفاتها * رجال فزالوا والجبال جبال)

251 وكان العلماء يقصـــدونه من البلاد وتشـــد إليه الرحال من الأقطار وحكى شـــرف الدين بن عنين الأتي ذكره إن شـــاء الله تعالى أنه حضـــر درســـه يوما وهو يلقي الدروس في مدرســـته بخوارزم ودرســـه حافل بالأفاضـــل واليوم شات وقد سقط ثلج كثير وخوارزم بردها شديد إلى غاية ما يكون فســـقطت بالقرب منه حمامة وقد طردها بعض الجوارح فلما وقعت رجع عنها الجارح خوفا من الناس الحاضـــرين فلم تقدر الحمامة على الطيران من خوفها وشـــدة البرد فلما قام فخر الدين من الدرس وقف عليها ورق لها وأخذها بيده فأنشـــد بن عنين في الحال (يا ابن الكرام المطعمين إذا شـــتوا * في كل مســـغبة وثلج خاشف) (العاصمين إذا النفوس تطايرت * بين الصوارم والوشـــيج الراعف) (من نبأ الورقاء أن محلكم * حرم وأنك ملجأ للخائف) (وفدت عليك وقد تدانى حتفها * فحبوتها ببقائها المســـتأنف) (ولو أنها تحبى بمال لانثنت * من راحتيك بنائل متضـــاعف) (جائت سليمان الزمان بشـــكوها * والموت يلمع من جناحي خاطف) (قرم لواه القوت حتى ظله * بإزائه يجري بقلب واجف) ولابن عنين المذكور فيه قصـــيدة من جملتها (ماتت به بدع تمادى عمرها * دهرا وكاد ظلامها لا ينجلي) (فعلا به

الإسلام أرفع هضبة * ورسا سواه في الحضيض الأسفل) (غلط امرؤ بأبي علي قاسه * هيهات قصر عن مداه أبو علي) (لو أن رسطاليس يسمع لفظة * من لفظه لعرته هزت أفكل) (ولحار بطليموس لو لقاه من * برهانه في كل شكل مشكل) (ولو أنهم جمعوا لديه تيقنوا * أن الفضيلة لم تكن للأول)

252 وقال أبو عبد الله الحسين الواسطي سمعت فخر الدين بهراة ينشد على المنبر عقيب كلام عاتب فيه أهل البلد (المرء ما دام حيا يستهان به * ويعظم الرزء فيه حين يفتقد) وذكر فخر الدين في كتابه الذي سماه تحصيل الحق أنه اشتغل في علم الأصول على والده ضياء الدين عمر ووالده على أبي القاسم سليمان بن ناصر الأنصاري وهو على إمام الحرمين أبي المعالي وهو على الأستاذ أبي إسحاق الإسفرايني وهو على الشيخ أبي الحسين الباهلي وهو على شيخ السنة أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري وهو على أبي علي الجبائي أولا ثم رجع عن مذهبه ونصر مذهب أهل السنة والجماعة وأما اشتغاله في المذهب فإنه اشتغل على والده ووالده على أبي محمد الحسين ابن مسعود الفراء البغوي وهو على القاضي حسين المروزي وهو على القفال المروزي وهو على أبي زيد المروزي وهو على أبي اسحاق المروزي وهو على أبي العباس بن سريج وهو على أبي القاسم الأنماطي وهو على أبي إبراهيم المزني وهو على الإمام الشافعي رضي

الله عنه وكانت ولادة فخر الدين في الخامس والعشـــرين من شهر رمضان سنة أربع وأربعين وقيل ثلاث وأربعين وخمسمائة بالري وتوفي يوم الاثنين وكان عيد الفطر سنة ســـت وســـتمائة بمدينة هراة ودفن آخر النهار في الجبل المصـــاقب لقرية مزداخان رحمه الله تعالى ورأيت له وصـــية أملاها في مرض موته على أحد تلامذته تدل على حسن العقيدة ومزداخان بضم الميم وسكون الزاي وفتح الدال المهمله وبعد الألف خاء معجمة مفتوحة وبعد الألف الثانية نون وهي قرية بالقرب من هرات وقد تقدم الكلام على هراة

253 601 الشـــيخ عماد الدين بن يونس أبو حامد محمد بن يونس بن محمد بن منعة بن مالك بن محمد الملقب عماد الدين الفقيه الشـــافعي كان إمام وقته في المذهب والأصـــول والخلاف وكان له صـــيت عظيم في زمانه وقصده الفقهاء من البلاد الشاسعة للاشتغال وتخرج عليه خلق كثير صـــاروا كلهم أئمة مدرســين يشـــار إليهم وكان مبدأ اشـــتغاله على أبيه وســـيأتي ذكره إن شـــاء الله تعالى وذلك بالموصـل ثم توجه الى بغداد وتفقه بالمدرسـة النظامية على السديد محمد السلماسي وقد تقدم ذكره وكان معيدا بها والمدرس يومئذ الشـــرف يوســـف بن بندار الدمشقي وسمع بها الحديث من أبي عبد الرحمن محمد بن محمد الكشـــميهني لما قدمها ومن أبي حامد محمد بن أبي الربيع الغرناطي وعاد الى الموصـــل ودرس بها في عدة

مدارس وصـــنف كتبا في المذهب منها كتاب المحيط في الجمع بين المهذب والوســـيط وشـــرح الوجيز للغزالي وصـــنف جدلا وعقيدة وتعليقه في الخلاف لكنه لم يتمها وكانت إليه الخطابة في الجامع المجاهدي مع التدريس في المدرسة النورية والعزية والزينية والبقشية والعلانية وتقدم في دولة نور الدين أرسلان شاه
254 صـــاحب الموصـــل تقدما كثيرا وتوجه عنه رســـولا إلى بغداد غير مرة وإلى الملك العادل وناظر في ديوان الخلافة واستدل في مسألة شراء الكافر للعبد المسلم وذلك في ســنة ســت وتســعين وخمســمائة وتولى القضــاء بالموصــل يوم الخميس رابع شــهر رمضــان ســنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ثم انفصل عنه بأبي الفضائل القاسم بن يحيى بن عبد الله بن القاسـم الشــهرزوري الملقب ضــياء الدين المذكور في ترجمة عمه كمال الدين في صــفر ســنة ثلاث وتســعين وولي ضـــياء الدين المذكور يوم الأربعاء ســابع عشــر صــفر المذكور وانتهت إليه رياســة أصــحاب الشــافعي بالموصــل وكان شــديد الورع والتقشــف لا يلبس الثوب الجديد حتى يغسله ولا يمس القلم للكتابة إلا ويغسل يده وكان دمث الأخلق ولطيف الخلوة ملاطفا بحكايات اشــعار وكان كثير المباطنة لنور الدين صــاحب الموصــل يرجع إليه في الفتاوى ويشـــاوره في الأمور وله صـــنف العقيدة المذكورة ولم يزل معه حتى أنتقل عن مذهب أبي حنيفة إلى مذهب الشـــافعي ولم يوجد في بيت أتابك مع

كثرتهم شافعي سواه ولما توفي نور الدين في سنة سبع
وستمائة كما تقدم توجه إلى بغداد في الرسالة بسبب تقرير
ولده الملك القاهر مسعود وسيأتي ذكره في ترجمة جده
مسعود إن شاء الله تعالى فعاد وقد قضى الشغل ومعه
الخلعة والتقليد وتوفرت حرمته عند القاهر أكثر مما كانت
عند أبيه وكان مكمل الأدوات غير انه لم يرزق سعادة في
تصانيفه فإنها ليست على قدر فضائله وكانت ولادته بقلعة
إربل سنة خمس وثلاثين وخمسمائة في بيت صغير منها
ولما وصل إلى إربل في بعض رسائله دخل ذلك البيت
وتمثل بالبيت المشهور وهو (بلاد بها نيطت علي تمائمي
* وأول ارض مس جلدي ترابها)
255 وتوفي يوم الخميس تاسع عشر جمادى الآخرة
سنة ثمان وستمائة بالموصل رحمه الله تعالى وكان الملك
المعظم مظفر الدين صاحب إربل رحمه الله تعالى يقول
رأيت الشيخ عماد الدين في المنام بعد موته فقلت له أما
مت فقال بلى ولكني محترم وقد ذكره ابن الدبيثي في
كتاب الذيل وذكره أبو البركات ابن المستوفي في تاريخ
إربل وسيأتي ذكر اخيه الشيخ كمال الدين موسى إن شاء
الله تعالى وهم أهل بيت خرج منهم جماعة من الأفاضل
176 وحفيده تاج الدين أبو القاسم عبد الرحيم ابن الشيخ
رضي الدين محمد ابن الشيخ عماد الدين أبي حامد
المذكور اختصر كتاب الوجيز للغزالي اختصارا حسنا
سماه التعجيز في إختصار الوجيز واختصر كتاب

المحصـــول في اصــول الفقه واختصــر طريقة ركن الدين الطاوســـي في الخلاف ومولده بالموصـــل في ســـنة ثمان وتسعين وخمسمائة ولما استولى التتر على الموصل كان بها ثم أنتقل إلى بغداد فدخلها في شهر رمضان سنة سبعين وستمائة وتوفي بها في سنة احدى وسبعين وستمائة وكانت وفاته في جمادى الأولى تقديرا في الســـنة المذكورة رحمه الله تعالى

256 602 المعين الجاجرمي أبو حامد محمد بن إبراهيم بن أبي الفضـل السـهلي الجاجرمي الفقيه الشـافعي الملقب معين الدين كان إماما فاضـــلا متفننا مبرزا ســـكن نيسابور ودرس بها وصنف في الفقه كتاب الكفاية وهو في غاية الإيجاز مع اشـــتماله على أكثر المســـائل التي تقع في الفتاوى وهو في مجلد واحد وله كتاب أيضـــاح الوجيز أحســـن فيه وهو في مجلدين وله طريقة مشـــهورة في الخلاف والقواعد المشـــهورة منســـوبة إليه واشـــتغل عليه الناس وانتفعوا به وبكتبه من بعده خصـــوصـــا القواعد فإن الناس أكبوا على الاشـــتغال بها وتوفي بكرة نهار الجمعة حادي عشـر رجب سـنة ثلاث عشـرة وسـتمائة بنيسـابور رحمـه الله تعـالى والجـاجرمي بفتح الجيمين بينهمـا ألف وسكون الراء وبعدها ميم هذه النسبة الى جاجرم وهي بلدة بين نيســـابور وجرجـان خرج منهـا جمـاعـة من العلمـاء ورأيت بمدينة دمشق خطه على كتاب شـرح فيه الأحاديث المســطورة في المهذب والألفاظ المشــكلة وقد ســمعه عليه

جماعة من الفقهاء بنيسابور في الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة اثنتي عشرة وستمائة
257 603 العميدي أبو حامد محمد بن محمد بن محمد وقيل أحمد العميدي الفقيه الحنفي المذهب السمرقندي الملقب ركن الدين كان إماما في فن الخلاف خصوصا الجست وهو أول من أفرده بالتصنيف ومن تقدمه كان يمزجه بخلاف المتقدمين وكان اشتغاله فيه على الشيخ رضي الدين النيسابوري وهو أحد الأركان الأربعة فإنه كان من جملة المشتغلين على رضي الدين أربعة أشخاص تميزوا وتبحروا في هذا الفن وكل واحد منهم ينعت بالركن وهم ركن الدين الطاوسي وقد سبق ذكره والعميدي المذكور وركن الدين إمام زاداً وقد شذ عني من هو الرابع وصنف العميدي في هذا الفن طريقة وهي مشهورة بأيدي الفقهاء وصنف الإرشاد واعتنى بشرحها جماعة من أرباب هذا الشأن منهم القاضي شمس الدين أبو العباس أحمد بن الخليل بن سعادة ابن جعفر بن عيسى الفقيه الشافعي الخويي قاضي دمشق كان رحمه الله تعالى والقاضي أوحد الدين الدوني قاضي منبج ونجم الدين المرندي وبدر الدين المراغي المعروف بالطويل وغيرهم وصنف كتاب النفائس أيضا
258 واختصره شمس الدين الخويي المذكور وسماه عرائس النفائس وصنف أشياء مستملحة على هذا الأسلوب واشتغل عليه خلق كثير وأنتفعوا به من جملتهم نظام الدين

أحمد ابن الشـيخ جمال الدين أبي المجاهد محمود بن أحمد بن عبد السـيد ابن عثمان بن نصـر بن عبد الملك البخاري التاجري الحنفي المعروف بالحصـيري صـاحب الطريقة المشـهورة وغيره وكـان العميدي كريم الأخلاق كثير التواضـع طيب المعاشـرة وتوفي ليلة الأربعاء تاسـع جمادى الآخرة سـنة خمس عشـرة وسـتمائة ببخارا رحمه الله تعالى 177 وتوفي شـمس الدين الخويي المذكور يوم السـبت سـابع شـعبان سـنة سـبع وثلاثين وسـتمائة بمدينة دمشـق ودفن بسـفح جبل قاسـيون ومولده في شـوال سـنة ثلاث وثمانين وخمسـمائة رحمه الله تعالى 178 وتوفي أوحد الدين بحلب عقيب أخذ التتر لقلعة حلب وكان أخذ القلعة بعد أخذ البلد بتسـعة وعشـرين يوما وأخذ البلد فب عشر صفر سنة ثمان وخمسين وستمائة ومولد أوحد الدين سنة ست وثمانين وخمسمائة رحمهم الله تعالى والعميدي بفتح العين المهملة وكسـر الميم وسـكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة ولا أعرف هذه النسـبة إلى ماذا ولا ذكرها السـمعاني 179 ونظام الدين الحصـيري قتلته التتر بمدينة نيسابور عند أول خروجهم

259 إلى البلاد وذلك في سـنة ست عشـرة وسـتمائة رحمـه الله تعـالى 180 وكـان ولـده من أعيـان العلمـاء اجتمعت به عدة دفوع بدمشـق وكان يدرس بالمدرسـة النورية ولم يكن في عصـره من يقاربه في مذهب الإمام أبي حنيفة وبلغني أنـه كـان ينكر على والـده نظـام الـدين

المذكور تضـــييع فكره وذهنه وكان من أشـــد الناس ذهنا وادراكا وهو عند ذلك شاب وكان ابنه يقول عنه لاقتصاره على المذهب فقط أبي شيخ كودن ومولد الحصيري ببخارا سنة ست وأربعين وخمسمائة في رجب وتوفي ليلة الأحد الثامن من صفر سنة ست وثلاثين وستمائة بدمشق ودفن من الغد بمقبرة الصـــوفية خارج باب النصـــر وكان يقول كان أبي يعرف بالتاجري وإنما ببخارا محلة يعمل فيها الحصـــر وكنا نحن بها 604 محمد بن داود الظاهري أبو بكر محمد بن داود بن علي بن خلف الأصبهاني المعروف بالظاهري كان فقيها أديبا شـــاعرا ظريفا وكان يناظر أبا العباس ابن ســـريج وقد ســـبق خبره معه في ترجمته ولما توفي أبوه في التاريخ المذكور في ترجمته جلس ولده أبو بكر المذكور في حلقته وكان على مذهب والده فاستصغروه فدسوا إليه رجلا وقالوا له سله عن حد السكر فأتاه الرجل فسأله عن السكر ما هو ومتى يكون الانسان سكران فقال

إذا عزبت عنه الهموم وباح

260 بسره المكتوم فاستحسن ذلك منه وعلم موضعه من العلم وصـــنف في عنفوان شـــبابه كتابه الذي ســـماه الزهرة وهو مجموع أدب أتى فيه بكل غريبة ونادرة وشعر رائق واجتمع يوما هو وأبو العباس ابن سريج في مجلس الوزير ابن الجراح فتناظرا في الإيلاء فقال ابن سريج أنت بقولك من كثرت لحظاته دامت حسراته أبصر منك بالكلام في الإيلاء فقال له أبو بكر لئن قلت ذلك فإني

أقول (أنزه في روض المحاسن مقلتي * وأمنع نفسـي أن تنال محرما) (وأحمل من ثقل الهوى ما لو أنه * يصـب على الصـخر الأصـم تهدما) (وينطق طرفي عن مترجم خاطري * فلولا اختلاســـي رده لتكلما) (رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم * فما إن أرى حبا صحيحا مسلما) فقال له ابن ســـريج وبم تفتخر علي ولو شـــئت أنا لقلت (ومساهر بالغنج من لحظاته * قد بت أمنعه لذيذ سناته) (ضنا بحسن حديثه وعتابه * وأكرر اللحظات في وجناته) (حتى إذا ما الصـــبح لاح عموده * ولى بخاتم ربه وبراته) فقال أبو بكر يحفظ الوزير عليه ذلك حتى يقيم شـــاهدي عدل أنه ولى بخاتم ربه فقال أبو العباس ابن سريج يلزمني في ذلك ما يلزمك في قولك (أنزه في روض المحاســـن مقلتي * وأمنع نفســـي أن تنال محرما) فضـــحك الوزير وقال لقد جمعتما ظرفا ولطفا وفهما وعلما ورأيت في بعض المجاميع هذه الأبيات منســـوبة منســـوبا إليه (لكل إمرىء ضـيف يسـر بقربه * ومالي سـوى الأحزان والهم من ضـــيف) (له مقلة ترمي القلوب بأســـهم * أشـــد من الضرب المدارك بالسيف)

261 يقول خليلي كيف صـــبرك بعدنا فقلت و هل صـــبر فاســـأل عن كيف وحكى أبو بكر عبد الله بن أبي الدنيا أنه حضـــر مجلس محمد المذكور قال فجاءه رجل فوقف عليه ورفع له رقعة فأخذها وتأملها طويلا وظن تلامذته أنها مســـألة ثم قلبها وكتب على ظهرها وردها إلى

صاحبها فنظرنا فإذا الرجل علي بن العباس المعروف بابن الرومي الشاعر المشهور وإذا في الرقعة (يا ابن داود يا فقيه العراق * أفتنا في قواتل الأحداق) (هل عليهن في الجروح قصاص * أم مباح لها دم العشاق) وإذا الجواب (كيف يفتيكم قتيل صريع * بسهام الفراق والإشتياق) (وقتيل التلاق أحسن حالا * عند داوود من قتيل الفراق) وكان عالما في الفقه وله تصانيف عديدة منها كتاب الوصول إلى معرفة الأصول وكتاب الإنذار وكتاب الإعذار وكتاب الإنتصار على محمد بن جرير وعبد الله بن شرشير وعيسى ابن إبراهيم الضرير وغير ذلك وتوفي يوم الاثنين تاسع شهر رمضان سنة سبع وتسعين ومائتين وعمره اثنتان واربعون سنة وقيل كانت وفاته سنة ست وتسعين والأول أصح وفي يوم وفاته توفي يوسف بن يعقوب القاضي رحمهما الله تعالى ويحكى انه لما بلغت وفاته ابن سريج كان يكتب شيئا فألقى الكراسة من يده وقال مات من كنت احث نفسي وأجهدها على الإشتغال لمناظرته ومقاومته

262 605 الطرطوشي أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب القرشي الفهري الأندلسي الطرطوشي الفقيه المالكي الزاهد المعروف بابن أبي رندقة صحب أبا الوليد الباجي المقدم ذكره بمدينة سرقسطة واخذ عنه مسائل الخلاف وسمع منه واجاز له وقرأ الفرائض والحساب بوطنه وقرأ الأدب على أبي

محمد ابن حزم المقدم ذكره بمدينة اشـــبيلية ورحل إلى المشـرق سـنة سـت وسـبعين واربعمائة وحج ودخل بغداد والبصـــرة وتفقه على أبي بكر محمد ابن أحمد الشـــاشـــي المعروف بالمســـتظهري الفقيه الشـــافعي وقد تقدم ذكره وعلى أبي أحمد الجرجاني وســـكن الشـــام مدة ودرس بها وكان إماما عالما عاملا زاهدا ورعا دينا متواضعا متقشفا متقللا من الدنيا راضـــيا منها باليســـير وكان يقول وإذا عرض لك أمران أمر دنيا وامر اخرى فبادر بامر الأخرى يحصـل لك أمر الدنيا والأخرى وكان كثيرا ما ينشد (إن لله عبادا فطنا * طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا) (فكروا فيها فلما علموا * أنها ليســـت لحي وطنا) (جعلوها لجة واتخذوا * صالح الأعمال فيها سفنا)

263 ولما دخل على الأفضـل شـاهنشـاه ابن أمير الجيوش المقدم ذكره في حرف الشين بسط مئزرا كان معه وجلس عليه وكان إلى جانب الأفضـــل رجل نصـــراني فوعظ الفضل حتى بكى وانشد (يا ذا الذي طاعته قربة * وحقه مفترض واجب) (إن الذي شـــرفت من اجله * يزعم هذا انه كاذب) واشار إلى النصراني فأقام الأفضل من موضعه وكان الفضل قد أنزل الشيخ في مسجد شقيق الملك بالقرب من الرصـــد وكان يكرهه فلما طال مقامه به ضجر وقال لخادمه إلى متى نصبر اجمع لي المباح فجمع له فأكله ثلاثة ايام فلما كان عند صلاة المغرب قال لخادمه رميته الساعة فلما كان من الغد ركب الأفضـل فقتل وولي

بعده المأمون بن البطائحي فأكرم الشـيخ إكراما كثيرا وصنف له كتاب سراج الهدى وهو حسن في بابه ولـه من التصانيف سراج الملوك وكتاب بر الوالدين وكتاب الفتن وغير ذلك وله طريقة في الخلاف ورأيت أشعارا منسوبة إليه فمن ذلك وقد ذكرها الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري في الترجمة التي جمعها للطرطوشـي المذكور وهي (إذا كنت في حاجة مرسلا * وأنت بإنجازها مغرم) (فأرسل بأكمه خلابة * به صمم أغطش أبكم) (ودع عنك كل رسول سوى * رسول يقال له الدرهم) وقد سبق في ترجمة أبي الحسـين أحمد بن فارس اللغوي بيتان يشتملان على أكثر ألفاظ هذه الأبيات وهما

264 (إذا كنت في حاجة مرسلا * وأنت بها كلف مغرم) (فأرسل حكيما ولا توصه * وذاك الحكيم هو الدرهم) وقال الطرشوشـي المذكور كنت ليلة نائما في بيت المقدس فبينا انا في جنح الليل إذا سمعت صوتا حزينا ينشد (اخوف ونوم إن ذا لعجيب * ثكلتك من قلب فأنت كذوب) (اما وجلال الله لو كنت صادقا * لما كان للأغماض منك نصيب) قال فأيقظ النوام وابكى العيون وكانت ولادة الطرطوشـي المذكور سنة إحدى وخمسين واربعمائة تقريبا وتوفي ثلث الليل الأخير من ليلة السبت لاربع بقين من جمادى الاولى سنة عشرين وخمسمائة بثغر الإسكندرية وصلى عليه ولده محمد ودفن في مقبرة وعلة قريبا من البرج الجديد قبلي الباب الأخضر رحمه

الله تعالى وذكر ابن بشكوال في كتاب الصلة انه توفي في شعبان من السنة المذكورة قلت هكذا وجدت تاريخ وفاة هذا الشيخ في مواضع كثيرة ثم ظفرت بدمشق في اوائل سنة ثمانين و ستمائة بمشيخة جمعت لشيخنا القاضي بهاء الدين يوسف المعروف بابن شداد المذكور في حرف الياء ذكر فيها شيوخه الذين سمع عليهم ثم ذكر بعدهم الشيوخ الذين أجازوه فذكر في جملتهم الشيخ أبا بكر الطرطوشي المذكور ولاخلاف ان ابن شداد مولده في سنة تسع وثلاثين وخمسمائة فكيف يجيزه الطرطوشي ووفاته في سنة عشرين وخمسمائة فقد توفي قبل مولد ابن شداد بتسع عشرة سنة وكان يمكن ان يقال ربما وقع الغلط من الذي جمع المشيخة لكن هذه النسخة التي رأيتها قرئت عليه وكتب خطه عليها بالسماع فما بقي الغلط منسوبا إلى جامع المشيخة بل يحتاج هذا إلى التحقيق من جهة اخرى وقد نبهت عليه ليكشف عن ذلك من يقف عليه ولا ينسبني إلى الغلط في ذلك والله اعلم بالصواب

265 والطرطوشي بضم الطاءين المهملتين بينهما راء ساكنة وبعدهما واو ساكنة ثم شين معجمة هذه النسبة إلى طرطوشة وهي مدينة في آخر بلاد المسلمين بالأندلس على ساحل البحر وهي في شرق الأندلس ورندقة بفتح الراء وسكون النون وفتح الدال المهملة والقاف وهي لفظة الفرنج سألت بعض فرنجية عنها فقال معناها رد تعال وقد تقدم الكلام على وعلة في ترجمة الحافظ أبي طاهر أحمد

بن محمد السلفي رحمه الله تعالى 606 أبو الهذيل العلاف
أبو الهذيل محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي المعروف بالعلاف المتكلم كان شيخ البصريين في الإعتزال ومن اكبر علمائهم وهو صاحب مقالات في مذهبهم ومجالس ومناظرات وهو مولى عبد القيس وكان حسن الجدال قوي الحجة كثير الإستعمال للأدلة والإلزامات حكي انه لقي صالح بن عبد القدوس وقد مات له ولد وهو شديد الجزع عليه فقال له أبو الهذيل لا اعرف لجزعك عليه وجها إذ كان الإنسان عندك
266 كالزرع قال صالح يا أبا الهذيل إنما اجزع عليه لأنه لم يقرا كتاب الشكوك فقال له كتاب الشكوك ما هو يا صالح قال هو كتاب قد وضعته من قرأه يشك فيما كان حتى يتوهم أنه لم يكن ويشك فيما لم يكن حتى يتوهم انه قد كان فقال له أبو الهذيل فشك أنت في موت ابنك واعمل على إنه لم يمت وان كان قد مات وشك أيضا في قراءته كتاب الشكوك وإن كان لم يقرأه ولأبي الهذيل كتاب يعرف بميلاس وكان ميلاس رجلا مجوسيا فأسلم وكان سبب إسلامه انه جمع بين أبي الهذيل المذكور وجماعة من الثنوية فقطعهم أبو الهذيل فأسلم ميلاس عند ذلك وكان قد اجتمع عند يحيى بن خالد البرمكي جماعة من ارباب الكلام فسالهم عن حقيقة العشق فتكلم كل واحد بشيء وكان أبو الهذيل المذكور في جملتهم فقال أيها الوزير العشق يختم على النواظر ويطبع على الأفئدة مرتعه في الأجسام

ومشــرعه في الأكباد وصــاحبه متصــرف الظنون متفنن الأوهام لايصـفو له مرجو ولا يسـلم له موعود تسـرع إليه النوائـب وهو جرعـة من نقيع الموت ونقعـة من حيـاض الثكل غير انـه من أريحيـة تكون في الطبع وطلاوة توجد في الشمـائل وصـاحبه جواد لا يصـغي إلى داعية المنع ولا يصـيخ لنازع العذل وكان المتكلمون ثلاثة عشـر شـخصـا وأبو الهـذيـل ثـالـث من تكلم منهم ولولا خوف الإطـالـة لـذكرت كلام الجميع   ورأيـت في بعض المجـاميع ان اعرابية وصفت العشق فقالت في صفته خفي عن ان يرى وجل عن ان يخفى فهو كامن ككمون النـار في الحجر إن قدحتـه أورى وإن تركتـه تواري وإن لم يكن شـــعبـة من الجنون فهو عصـارة السحر وكانت ولادة أبي الهـذيل سنة إحدى وقيل أربع وقيل خمس وثلاثين

267 ومائة وتوفي سنة خمس وثلاثين ومائتين بسر من رأى وقال الخطيب البغدادي توفي سنة ست وعشرين وقال المسعودي في كتاب مروج الذهب إنـه توفي سنة سبع وعشـــرين ومائتين رحمه الله تعالى وكان قد كف بصـــره وخرف في آخر عمره إلا انه كان لا يذهب عليه شــيء من الأصـــول لكنه ضـــعف عن مناهضـــة المناظرين وحجاج المخالفين وضـعف خاطره 607 أبو علي الجبائي أبوعلي محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حمران بن ابان مولى عثمان ابن عفان رضـــي الله عنه المعروف بالجبائي أحد الإئمـة المعتزلـة كـان إمـامـا في علم الكلام واخذ هذا

العلم عن أبي يوسف يعقوب بن عبد الله الشحام البصري رئيس المعتزلة بالبصرة في عصره وله في مذهب الإعتزال مقالات مشهورة وعنه اخذ الشيخ أبو الحسن الأشعري شيخ السنة علم الكلام وله معه مناظرة روتها العلماء فيقال إن ابا الحسن المذكور سأل استاذه ابا علي الجبائي عن ثلاثة إخوة احدهم كان مؤمنا برا تقيا والثاني كان كافرا فاسقا شقيا والثالث كان صغيرا فماتوا فكيف حالهم فقال الجبائي اما الزاهد ففي الدرجات واما الكافر ففي الدركات واما الصغير فمن أهل السلامة فقال الأشعري

268 إن اراد الصغير ان يذهب إلى درجات الزاهد هل يؤذن له فقال الجبائي لا لأنه يقال له إن اخاك إنما وصل إلى هذه الدرجات بسبب طاعاته الكثيرة وليس لك تلك الطاعات فقال الاشعري فإن قال ذلك الصغير التقصير ليس مني فإنك ما ابقيتني ولا أقدرتني على الطاعة فقال يقول الباري جل وعلا كنت اعلم انك لو بقيت لعصيت وصرت مستحقا للعذاب الأليم فراعيت مصلحتك فقال الأشعري فلو قال الأخ الكافر يا إله العالمين كما علمت حاله فقد علمت حالي فلم راعيت مصلحته دوني فقال الجبائي للأشعري إنك مجنون فقال لا بل وقف حمار الشيخ في العقبة فانقطع الجبائي وهذه المناظرة دالة على أن الله تعالى خص من شاء برحمته وخص آخر بعذابه وان افعاله غير معللة بشيء من الأغراض ثم وجدت في

تفسير القرآن العظيم تصنيف الشيخ فخر الدين الرازي في سورة الأنعام ان الأشعري لما فارق مجلس الأستاذ الجبائي وترك مذهبه وكثر اعتراضه على اقاويله عظمت الوحشة بينهما فاتفق يوما ان الجبائي عقد مجلس التذكير وحضر عنده عالم من الناس فذهب الأشعري إلى ذلك المجلس وجلس في بعض النواحي مختفيا عن الجبائي وقال لبعض من حضره من النساء أنا اعلمك مسألة فاذكريها لهذا الشيخ ثم علمها سؤالا بعد سؤال فلما انقطع الجبائي في الأخير رأى الأشعري فعلم أن المسالة منه لا من العجوز ورأيت في كتاب المسالك والممالك لابن حوقل في فصل خوزستان ان جبى مدينة ورستاق عريض مشتبك العمائر بالنخل وقصب السكر وغيرهما قال ومنها أبو علي الجبائي الشيخ الجليل إمام المعتزلة ورئيس المتكلمين في عصره

269 وكانت ولادة الجبائي في سنة خمس وثلاثين ومائتين وتوفي في شعبان سنة ثلاث وثلثمائة رحمه الله تعالى وقد سبق ذكر ولده أبي هاشم عبد السلام والكلام على الجبائي في ترجمته في حرف العين 608 أبو بكر الباقلاني القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم المعروف بالباقلاني البصري المتكلم المشهور كان على مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري ومؤيدا اعتقاده وناصرا طريقته وسكن بغداد وصنف التصانيف الكثيرة المشهورة في علم الكلام وغيره وكان

في علمه اوحد زمانه وأنتهت إليه الرياسة في مذهبه وكان موصوفا بجودة الاستنباط وسرعة الجواب وسمع الحديث وكان كثير التطويل في المناظرة مشهورا بذلك عند الجماعة وجرى يوما بينه وبين أبي سعيد الهاروني مناظرة فأكثر القاضي أبو بكر المذكور فيها الكلام ووسع العبارة وزاد في الإسهاب ثم التفت إلى الحاضرين وقال اشهدوا علي انه إن أعاد ما قلت لا غير لم اطالبه بالجواب فقال الهاروني اشهدوا علي انه إن أعاد كلام نفسه سلمت له ما قال وتوفي القاضي أبو بكر المذكور آخر يوم السبت ودفن يوم الأحد لسبع

270 بقين من ذي القعدة سنة ثلاث وأربعمائة ببغداد رحمه الله تعالى وصلى عليه ابنه الحسن ودفنه في داره بدرب المجوس ثم نقل بعد ذلك فدفن في مقبرة باب حرب ورثاه بعض شعراء عصره بقوله (انظر إلى جبل تمشي الرجال به * وانظر إلى القبر ما يحوي من الصلف) (وانظر إلى سالم الإسلام مغتمدا * وانظر إلى درة الإسلام في الصدف) والباقلاني بفتح الباء الموحدة وبعد الألف قاف مكسورة ثم لام الف وبعدها نون هذه النسبة إلى الباقلى وبيعه وفيه لغتان من شدد اللام قصر الألف ومن خففها مد الألف فقال باقلاء وهذه النسبة شاذة لأجل زيادة النون فيها وهو نظير قولهم في النسبة إلى صنعاء صنعاني وإلى بهراء بهراني وقد انكر الحريري في كتاب دذرة الغواص هذه النسبة وقال من قصر الباقلى قال في النسبة

إليه باقلي ومن مد قال في النســـب إليه باقلاوي وباقلائي ولا يقاس على صــنعاء وبهراء لأن ذلك شــاذ لا يعاج إليه والسمعاني ما انكر النسبة الأولى والله اعلم بالصواب

271 609 أبو الحسين البصـري أبو الحسين محمد بن علي بن الطيب البصـــري المتكلم على مذهب المعتزلة وهو احد ائمتهم الاعلام المشــار إليه في هذا الفن كان جيد الكلام مليح العبارة غزير المادة إمام وقته وله التصـــانيف الفائقة في اصــول الفقه منها المعتمد وهو كتاب كبير ومنه اخذ فخر الدين الرازي كتاب المحصـول وله تصفح الادلة في مجلدين وغرر الادلة في مجلد كبير وشــرح الأصــول الخمســة وكتاب في الإمامة وغير ذلك في اصــول الدين وأنتفع الناس يكتبه وســكن بغداد وتوفي بها يوم الثلاثاء خامس شــهر ربيع الآخر ســنة ســت وثلاثين واربعمائة رحمه الله تعالى ودفن في مقبرة الشــونيزي وصــلى عليه القاضــي أبو عبد الله الصـيمري ولفظه المتكلم تطلق على من يعرف علم الكلام وهو اصــول الدين وإنما قيل له علم الكلام لأن اول خلاف وقع في الدين كان في كلام الله عز وجل أمخلوق هو ام غير مخلوق فتكلم الناس فيه فســمي هذا النوع من العلم كلاما اختص بـه وإن كـانـت العلوم جميعها تنشر بالكلام هكذا قاله السمعاني

272 610 أبو بكر ابن فورك الأستاذ أبو بكر محمد بن الحســن بن فورك المتكلم الأصـــولي الأديب النحوي الواعظ الأصــبهاني اقام بالعراق مدة يدرس العلم ثم توجه

إلى الري فسعت به المبتدعة فراسله أهل نيسأبور والتمسوا منه التوجه إليهم ففعل وورد نيسابور فبنى له بها مدرسة ودارا واحيا الله تعالى به انواعا من العلوم ولما استوطنها وظهرت بركاته على جماعة المتفقهة وبلغت مصنفاته فى اصول الفقه والدين ومعاني القرآن قريبا من مائة مصنف دعي إلى مدينة غزنة وجرت له بها مناظرات كثيرة ومن كلامه شغل العيال نتيجته متابعة الشهوة بالحلال فما ظنك بقضية شهوة الحرام وكان شديد الرد على أصحاب أبي عبد الله بن كرام ثم عاد إلى نيسابور فسم في الطريق فمات هناك ونقل إلى نيسابور ودفن بالحيرة ومشهده بها ظاهر يزار ويستسقى به وتجاب الدعوة عنده وكانت وفاته سنة ست واربعمائة رحمه الله تعالى وقال أبو القاسم القشيري في الرسالة سمعت ابا علي الدقاق يقول دخلت على أبي بكر ابن فورك عائدا فلما رآني دمعت عيناه فقلت له إن الله سبحانه يعافيك ويشفيك فقال لي تراني أخاف من الموت إنما اخاف مما وراء الموت

273 وفورك بضم الفاء وسكون الواو وفتح الراء وبعدها كاف وهواسم علم والحيرة بكسر الحاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الراء وبعد ها هاء ساكنة وهي المحلة كبيرة بنيسأبور ينسب إليعا جماعة من أهل العلم وهي تلتبس بالحيرة التي بظاهر الكوفة وغزنة بفتح الغين المعجمة وسكون الزاي وفتح النون وبعدها هاء ساكنة وهي مدينة عظيمة في أوائل الهند

من جهة خراسان 611 الشهرستاني أبو الفتح محمد بن أبي القاسم عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني المتكلم على مذهب الأشعري كان إماما مبرزا فقيها متكلما تفقه على أحمد الخوافي المقدم ذكره وعلى أبي نصر القشيري وغيرهما وبرع في الفقه وقرأ الكلام على أبي القاسم الأنصاري وتفرد فيه وصنف كتبا منها كتاب نهاية الإقدام على علم الكلام وكتاب الملل والنحل والمناهج والبينات وكتاب المضارعة وتلخيص الأقسام لمذاهب الأنام وكان كثير المحفوظ حسن المحاورة يعظ الناس ودخل بغداد سنة عشر وخمسمائة واقام بها ثلاث سنين وظهر له قبول كثير عند العوام وسمع الحديث من علي بن أحمد المديني بنيسابور ومن غيره وكتب عنه الحافظ أبو سعد عبد الكريم السمعاني وذكره في كتاب الذيل

274 وكانت ولادته سنة سبع وستين واربعمائة بشهرستان هكذا وجدته بخطي في مسوداتي وما ادري من اين نقلته وقال ابن السمعاني في كتاب الذيل سألته عن مولده فقال في سنة تسع وسبعين وأربعمائة وتوفي بها أيضا في أواخر شعبان سنة ثمان واربعين وخمسمائة وقيل سنة تسع واربعين والأول اصح رحمه الله تعالى وذكر في اول كتاب نهاية الإقدام المذكور بيتين وهما (لقد طفت في تلك المعاهد كلها * وسيرت طرفي بين تلك المعالم) (فلم أر إلا واضعا كف حائر * على ذقن أو قارعا سن نادم) ولم يذكر لمن هذان البيتان وقال غيره هما لأبي

بكر محمد بن باجة المعروف بابن الصائغ الأندلسي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى وشهرستان بفتح الشين المعجمة وسكون الهاء وفتح الراء وسكون السين المهملة وفتح التاء المثناة من فوقها وبعد الألف نون وهو اسم لثلاث مدن الأولى شهرستان خراسان بين نيسابور وخوارزم في آخر حدود خراسان واول الرمل المتصل بناحية خوارزم وهي المشهورة ومنها أبو الفتح محمد المذكور واخرجت خلقا كثيرا من العلماء وبناها عبد الله بن طاهر امير خراسان المقدم ذكره في خلافة المأمون الثانية شهرستان قصبة ناحية سابور من ارض فارس كما ذكره ابن البناء البشاري الثالثة مدينة جي باصبهان يقال لها شهرستان بينها وبين اليهودية مدينة اصبهان اليوم نحو ميل بها اسواق وهي على نهر زرندورد وبها قبر الإمام الراشد بن المسترشد

275 وشهرستان لفظة عجيمة وهي مركبة فمعنى شهر مدينة ومعنى الأستان الناحية فكأنه قال مدينة الناحية ذكر ذلك كله أبو عبد الله ياقوت الحموي في كتابه الذي سماه المشترك وضعا المختلف صقعا وفي بعضه زيادة على ما ذكره ياقوت وكان الشهرستاني المذكور يروي بالإسناد المتصل إلى النظام البلخي العالم المشهور واسمه ابراهيم بن سيار انه كان يقول لو كان للفراق صورة لارتاع لها القلوب ولهد الجبال ولجمر الغضى اقل توهجا من حمله ولو عذب الله أهل النار بالفراق لاستراحوا إلى ما قبله من العذاب وكان يروى للدريدي أيضا باتصال

الإسناد إليه قوله (ودعته حين لا تودعه * روحي ولكنها تسير معه) (ثم افترقنا وفي القلوب لنا * ضيق مكان وفي الدموع سعه) وكان يروي للدريدي أيضا مسندا إليه (يا راحلين بمهجة * في الحب متلفة شقيه) (الحب فيه بلية * وبليتي فوق البليه) كل ذلك رواه الحافظ أبو سعد ابن السمعاني في كتاب الذيل ثم قال في آخر الترجمة وصل إلي نعيه وانا ببخارا رحمه الله تعالى

276 612 محمد بن إسحاق أبو بكر وقيل أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار وقيل يسار بن كوتان المطلبي بالولاء المديني صاحب المغازي والسير كان جده يسار مولى قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف القرشي سباه خالد بن الوليد من عين التمر وكان محمد المذكور ثبتا في الحديث عند اكثر العلماء واما في المغازي والسير فلا تجهل إمامته فيها قال ابن شهاب الزهري من اراد المغازي فعليه بابن إسحاق وذكره البخاري في تاريخه وروي عن الشافعي رضي الله عنه انه قال من اراد ان يتبحر في المغازي فهو عيال على ابن إسحاق وقال سفيان بن عيينة ما ادركت احدا يتهم ابن إسحاق في حديثه وقال شعبة بن الحجاج محمد بن اسحاق أمير المؤمنين يعنى في الحديث ويحكى عن الزهري انه خرج إلى قرية له فاتبعه طلاب الحديث فقال لهم أين أنتم من الغلام الأحول او قد خلفت فيكم الغلام الأحول يعني ابن اسحاق وذكر الساجي ان اصحاب الزهري كانوا

يلجؤون إلى محمد بن إسـحاق فيما شـكوا فيه من حديث الزهري ثقة منهم بحفظه وحكي عن يحيى بن معين و أحمد بن
277 حنبل ويحيى بن سعيد القطان انهم وثقوا محمد بن إسـحاق واحتجوا بحديثه وإنما لم يخرج البخاري عنه وقد وثقه وكذلك مسلم بن الحجاج لم يخرج عنه إلا حديثا واحدا في الرجم من اجل طعن مالك بن أنس فيه وإنما طعن مالك فيه لأنه بلغه عنه انه قال هاتوا حديث مالك فانا طبيب بعلله فقال مالك وما ابن اسـحاق إنما هو دجال من الدجاجلة نحن أخرجناه من المدينة يشير والله اعلم إلى أن الدجال لا يدخل المدينة وكان محمد بن إسـحاق قد أتى أبا جعفر المنصور وهو بالحيرة فكتب له المغازي فسمع منه أهل الكوفة بذلك السـبب وكان يروي عن فاطمة بنت المنذر بن الزبير وهي إمراة هشـام بن عروة بن الزبير فبلغ ذلك هشـاما فأنكره وقال اهو كان يدخل على امرأتي وحكى الخطيب أبو بكر أحمد ابن علي بن ثابت في تاريخ بغداد ان محمد بن إسـحاق رأى أنس بن مالك رضـي الله عنه وعليه عمامة سوداء والصبيان خلفه يشتدون ويقولون هذا رجل من اصـحاب رسـول الله لا يموت حتى يلقى الدجال وتوفي محمد بن إسحاق ببغداد سنة إحدى وخمسين ومائة وقيل سنة خمسين وقيل سنة اثنتين وخمسين وقال خليفة بن خياط سـنة ثلاث وخمسـين وقيل اربع واربعين والله اعلم والأول اصـح رحمه الله تعالى ودفن في مقبرة

الخيزران بالجباب الشرقي وهي منسوبة إلى الخيزران أم هارون الرشـــيد واخيه الهادي وإنما نســـبت إليها لأنها مدفونة بها وهذه المقبرة أقدم المقابر التي بالجانب الشرقي ومن كتبه أخذ عبد الملك بن هشـــام ســـيرة رســـول الله وقد تقدم ذكره وكذلك كل من تكلم في هذا الباب فعليه إعتماده وإليه إســـناده والمطلبي نســـبة إلى المطلب بن عبد مناف المذكور اولا وقد تقدم الكلام على عين التمر في ترجمة أبي العتاهية

278 613 الترمذي أبو عيســى محمد بن ســورة بن عيســى بن موســى بن الضــحاك السلمي الضــرير البوغي الترمذي الحافظ المشـــهور احد الئمة الذين يقتدى بهم في علم الحديث صـــنف كتاب الجامع والعلل تصـــنيف رجل متقن وبه كان يضـــرب المثل وهو تلميذ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري وشاركه في بعض شيوخه مثل قتيبة بن سعيد وعلي بن حجر وابن بشار وغيرهم وتوفي لثلاث عشـرة ليلة خلت من رجب ليلة الاثنين سـنة تسـع وسـبعين ومائتين بترمذ وقال الســمعاني توفي بقرية بوغ في ســـنة خمس وسبعين ومائتين وذكره في كتاب الأنساب في نسبة البوغي رحمه الله تعالى وبوغ بضم الباء الموحدة وسكون الواو وبعدها غين معجمة وهي قرية من قرى ترمذ على ستة فراسخ منها وقد تقدم الكلام على الترمذي والاختلاف في كسر التاء وضمها وفتحها في ترجمة أبي جعفر محمد بن أحمد الفقيه الشافعي

279 614 ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه الربعي بالولاء القزويني الحافظ المشهور مصنف كتاب السنن في الحديث كان إماما في الحديث عارفا بعلومه وجميع ما يتعلق به ارتحل إلى العراق والبصرة والكوفة وبغداد ومكة والشام ومصر والري لكتب الحديث وله تفسير القرآن الكريم وتاريخ مليح وكتابه في الحديث احد الصحاح الستة وكانت ولادته سنة تسع ومائتين وتوفي يوم الإثنين ودفن يوم الثلاثاء لثمان بقين من شهر رمضان سنة ثلاث وسبعين ومائتين رحمه الله تعالى وصلى عليه اخوه أبو بكر وتولى دفنه أخواه أبو بكر وعبد الله وابنه عبد الله وماجة بفتح الميم والجيم وبينهما ألف وفي الاخر هاء ساكنة والربعي بفتح الراء والباء الموحدة وبعدها عين مهملة هذه النسبة إلى ربيعة وهي اسم لعدة قبائل لا ادري إلى أيها ينسب المذكور والقزويني بفتح القاف وسكون الزاي وكسر الواو وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون هذه النسبة إلى قزوين وهي من اشهر مدن عراق العجم خرج منها جماعة من العلماء المعتبرين

280 615 الحاكم بين البيع النيسابوري أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني المعروف بالحاكم النيسابوري الحافظ المعروف بابن البيع إمام أهل الحديث في عصره والمؤلف فيه الكتب التي لم يسبق إلى مثلها كان عالما عارفا واسع العلم تفقه على أبي سهل محمد بن سليمان الصعلوكي

الفقيه الشـــافعي وقد تقدم ذكره ثم أنتقل إلى العراق وقرأ على أبي علي ابن أبي هريرة الفقيه وقد تقدم ذكره أيضا ثم طلب الحديث وغلب عليه فاشتهر به وسمعه من جماعة لا يحصون كثرة فإن معجم شيوخه يقرب من ألفي رجل حتى روى عمن عاش بعده لسعة روايته وكثرة شيوخه وصنف في علومه ما يبلغ الفا وخمســمائة جزء منها الصــحيحان والعلل والأمالي وفوائد الشـيوخ وامالي العشـيات وتراجم الشـــيوخ واما ما تفرد بإخراجه فمعرفة علوم الحديث وتاريخ علماء نيســـابور والمدخل إلى علم الصـــحيح والمستدرك على الصحيحين وما تفرد به كل من الإمامين وفضائل الإمام الشافعي رضي الله عنه

281 وله إلى الحجاز والعراق رحلتان وكانت الرحلة الثانية ســـنة ســـتين وثلثمائة وناظر الحفاظ وذاكر الشيوخ وكتب عنهم أيضا وباحث الدارقطني فرضيه وتقلد القضاء بنيسابور في سنة تسع وخمسين وثلثمائة في ايام الدولة السامانية ووزارة أبي النصـر محمد بن عبد الجبار العتبي وقلد بعد ذلك قضـــاء جرجان فامتنع وكانوا ينفذونه في الرســائل إلى ملوك بني بويه وكانت ولادته في شــهر ربيع الأول سنة إحدى وعشرين وثلثمائة بنيسابور وتوفي بها يوم الثلاثاء ثالث صـــفر ســـنة خمس وأربعمائة وقال الخليلي في كتاب الإرشـــاد توفي ســـنة ثلاث واربعمائة وسمع الحديث في سنة ثلاثين واملى بما وراء النهر سنة خمس وخمســين وبالعراق ســـنة ســـبع وســـتين ولازمه

الدارقطني وسمع منه أبو بكر القفال الشاشي وانظارهما وحمدويه بفتح الحاء المهملة وسكون الميم وضم الدال المهملة وسكون الواو وفتح الياء المثناة من تحتها وبعدها هاء ساكنة والبيع بفتح الباء الموحدة وكسر الياء المثناة من تحتها وتشديدها وبعدها عين مهملة وإنما عرف بالحاكم لتقلده القضاء رحمه الله تعالى

282 616 الحميدي أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن حميد بن يصل الأزدي الحميدي الأندلسي الميورقي الحافظ المشهور أصله من قرطبة من ربض الرصافة وهو من أهل جزيرة ميورقة روى عن أبي محمد علي بن حزم الظاهري المقدم ذكره وأختص به وأكثر بالخذ عنه وشهر بصحبته وعن أبي عمر يوسف بن عبد البر صاحب كتاب الإستيعاب وسياتي ذكره إن شاء الله تعالى وعن غيرهما من الأئمة ورحل إلى المشرق سنة ثمان واربعين واربعمائة فحج وسمع بمكة حرسها الله تعالى وبإفريقية وبالأندلس ومصر والشام والعراق واستوطن بغداد وكان موصوفا بالنباهة والمعرفة والإتقان والدين والورع كانت له نغمة حسنة في قراءة الحديث وذكره الأمير أبو نصر علي بن ماكولا صاحب كتاب الإكمال المقدم ذكره فقال أخبرنا صديقنا أبو عبد الله الحميدي وهو من أهل العلم والفضل والتيقظ وقال لم أر مثله في عفته ونزاهته وورعه وتشاغله بالعلم ولأبي عبد الله المذكور كتاب الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم

وهو مشهور وأخذه الناس عنه وله أيضا تاريخ علماء الأندلس سماه جذوة المقتبس في مجلد واحد وذكر في خطبته أنه كتبه من حفظه وقد طلب

283 ذلك منه ببغداد وكان يقول ثلاثة أشياء من علوم الحديث يجب تقديم التهمم بها كتاب العلل وأحسن كتاب وضع فيه كتاب الدارقطني وكتاب المؤتلف والمختلف وأحسن كتاب وضع فيه كتاب الأمير أبي نصر ابن ماكولا وكتاب وفيات الشيوخ وليس فيه كتاب وقد كنت أردت أن أجمع في ذلك كتابا فقال لي الأمير رتبه على حروف المعجم بعد أن رتبته على السنين قال أبو بكر بن طرخان فشغله عنه الصحيحان إلى أن مات وقال ابن طرخان المذكور أنشدنا أبو عبد الله الحميدي المذكور لنفسه (لقاء الناس ليس يفيد شيئا * سوى الهذيان من قيل وقال) (فأقلل من لقاء الناس إلا * لأخذ العلم أو إصلاح حال) وكان قد ادرك بدمشق الخطيب أبا بكر الحافظ وروى عنه وعن غيره وروى الخطيب أيضا عنه وكانت ولادته قبل العشرين وأربعمائة وتوفي ليلة الثلاثاء سابع عشر ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ببغداد وقال السمعاني في كتاب الأنساب في ترجمة الميورقي إنه توفي في صفر سنة إحدى وتسعين وأربعمائة رحمه الله تعالى هكذا وجدته في المختصر الذي اختصره أبو الحسن علي بن الأثير الجزري المقدم ذكره وكشفت عنه عدة نسخ فوجدته على هذه الصورة لأني توهمت الغلط في نسختي

ولم أقدر على مراجعة الأصــل الذي لابن الســمعاني الذي هذا المختصـــــر منه لأنه لا يوجد في هذه البلاد وبقي في نفســـي شــــيء من التفاوت بين التاريخين فإنه كبير ثم إني كشـــفت كتاب الذيل للســــمعاني فوجدت فيه ان الحميدي المذكور توفي ليلة الثلاثاء السابع عشر من ذي الحجة سنة ثمان وثمانين واربعمائة ودفن من الغد في مقبرة باب ابرز بالقرب من قبر الشيخ أبي إسحاق الشيرازي و صلى عليه أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين الشاشي الفقيه في جامع القصر ثم نقل بعد ذلك

284 في صــفر ســنة إحدى وتســعين واربعمائة إلى مقبرة باب حرب ودفن عند قبر بشر بن الحارث المعروف بالحافي رحمه الله تعالى فلما وقفت في الذيل على هذه الصورة علمت ان الغلط وقع من ابن الأثير في المختصر إما لن النسخة التي اختصرها كانت غلطا من الناسخ فتبع ابن الأثير ذلك الغلط ولم يكشــفه من موضـــع آخر او لأنه عبر من سطر إلى سطر كما جرت عادة النساخ في بعض الأوقات والله اعلم أي ذلك كان والحميدي بضـــم الحاء المهملة وفتح الميم وســـكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة هذه النســـبة إلى جده حميد المذكور واخبرني بعض أرباب التاريخ انه راى في بعض التواريخ ان نسبته إلى حميد بن عبد الرحمن بن عوف رضـــي الله عنه وهو ليس بصـــحيح لأن أبا عبد الله المذكور ازدي النســب وعبد الرحمن قرشـــي زهري فكيف يجتمعان ويصــل بفتح الياء

المثناة من تحتها وكسر الصاد المهملة وبعدها لام وقد تقدم الكلام على الأزدي وكذلك على ميورقة في ترجمة أبي محمد عبد الجبار بن حمديس الصقلي الشاعر وهي بفتح الميم وضم الياء المثناة من تحتها وسكون الواو وفتح الراء والقاف وبعدها هاء ساكنة وهي جزيرة في البحر الغربي قريبة من بر الأندلس

285 617 المازري أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي المازري الفقيه المالكي المحدث أحد الأعلام المشار إليهم في حفظ الحديث والكلام عليه وشرح صحيح مسلم شرحا جيدا سماه كتاب المعلم بفوائد كتاب مسلم وعليه بنى القاضي عياض كتاب الإكمال وقد تقدم ذكره وهو تكملة لهذا الكتاب وله كتاب أيضاح المحصول في برهان الأصول وله في الأدب كتب متعددة وكان فاضلا متقنا وتوفي في الثامن عشر من شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثين وخمسمائة وقيل توفي يوم الاثنين ثاني الشهر المذكور بالمهدية وعمره ثلاث وثمانون سنة ودفن بالمنستير رحمه الله تعالى والمازري بفتح الميم وبعدها الف ثم زاي مفتوحة وقد تكسر أيضا ثم راء هذه النسبة إلى مازر وهي بليدة بجزيرة صقلية

286 618 الحافظ أبو موسى الأصبهاني أبو موسى محمد بن أبي بكر عمر بن أبي عيسى أحمد بن عمر بن محمد ابن أبي عيسى الأصبهاني المديني الحافظ المشهور كان إمام عصره في الحفظ والمعرفة وله في الحديث

وعلومه وتواليف مفيدة وصـــــنف كتاب المغيث في مجلد كمل به كتاب الغريبين للهروي واسـتدرك عليه وهو كتاب نـافع ولـه كتـاب الزيـادات في جزء لطيف جعلـه ذيلا على كتاب شـيخه أبي الفضـل محمد بن طاهر المقدسـي الذي سماه كتاب الأنساب وذكر من اهمله وما اقصر فيه ورحل عن اصـــبهان في طلب الحديث ثم رجع إليها واقام بها وكانت ولادته في ذي القعدة سنة إحدى وخمسمائة وتوفي ليلة الأربعاء تاسـع جمادى الأولى سـنة إحدى وثمانين وخمسـمائة كانت وفاته ومولده باصـبهان رحمه الله تعالى والمديني بفتح الميم وكسـر الدال المهملة وسـكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون هذه النسبة إلى مدينة أصبهان وقد ذكر الحافظ أبو سعد السمعاني في كتاب الأنساب هذه النسبة إلى عدة مدن أولاهن مدينة رسول الله والثانية مرو والثالثة نيسـابور والرابعة أصـبهان والخامسـة مدينة المبارك في بقزوين والسادسة في بخارا والسابعة سمرقند والثامنة نسف وذكر أن النسبة إلى هذه المدن كلها المديني وقال أكثر ما ينسب إلى مدينة الرسول المدني

287 619 محمد بن طاهر المقدسـي أبو الفضـل

محمد بن طـاهر بن علي بن أحمد المقدسـي الحـافظ المعروف بـابن القيسـراني كـان احد الرحـالين في طلب الحديث سـمع بالحجاز والشـام ومصـر والثغور والجزيرة والعراق والجبال وفارس وخوزستان وخراسان واستوطن همذان وكـان من المشـهورين بـالحفظ والمعرفة بعلوم

الحديث وله في ذلك مصـــنفات ومجموعات تدل على
غزارة علمه وجودة معرفته وصنف تصانيف كثيرة منها
اطراف الكتب الستة وهي صحيح البخاري ومسلم وأبي
داود والترمذي والنسـائي وابن ماجه وأطراف الغرائب
تصنيف الدارقطني وكتاب الأنساب في جزء لطيف وهو
الذي ذيله الحافظ بن موسى الأصبهاني المذكور قبله وغير
ذلك من الكتب وكانت له معرفة بعلم التصـوف وانواعه
متفننا فيه وله فيه تصنيف أيضا وله شعر حسن وكتب عنه
غير واحد من الحفاظ منهم أبو موسـى المذكور وكانت
ولادته في السادس من شوال سنة ثمان واربعين وأربعمائة
ببيت المقدس واول سماعه سنة ستين وأربعمائة ودخل
بغداد سنة سبع وستين وأربعمائة ثم رجع إلى بيت المقدس
فأحرم من ثم إلى مكة وتوفي عند قدومه من الحج آخر
حجاته يوم الجمعة لليلتين بقيتا من شهر ربيع الأول سنة
سبع وخمسمائة ببغداد ودفن في المقبرة العتيقة بالجانب
الغربي وقيل توفي يوم الخميس العشرين من الشهر
المذكور رحمه الله تعالى

288 181 وكان ولده أبو زرعة طاهر بن محمد بن
طاهر من المشهورين بعلو الإسناد وكثرة السماع ولم يكن
له معرفة بالعلم لكن كان والده قد أسمعه في صباه من
جماعة منهم أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد الدوني بالري
وأبو الفتح عبدوس بن عبد الله بهمذان وأبو عبد الله محمد
بن عثمان الكامخي وأبو الحسن مكي ابن منصور السلار

وقدم به بغداد فســمع بها من أبي القاســم علي بن أحمد بن ريان وغيره وســكن بعد وفاة أبيه بهمذان وكان يقدم بغداد للحج فحدث بها بأكثر ســماعاته وســمع منه الوزير أبو المظفر يحيى بن هبيرة وغيره وكان مولده بالري في سنة إحدى وثمانين واربعمائة وتوفي يوم الأربعاء شــهر ربيع الآخر سنة ست وستين وخمسمائة بهمذان رحمه الله تعالى والقيسراني بفتح القاف والسين المهملة بينهما ياء مثناة من تحتها ثم راء مفتوحة وبعد الألف نون هذه النســبة إلى قيسرية وهي بليدة بالشام على ساحل البحر وهي الان بيد الفرنج خذلهم الله تعالى قلت ثم اســتنقذها من أيديهم الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي في شهور سنة ثلاث وستين وستمائة وخربها وهي الآن خراب

289 620 ابن منده أبو عبد الله محمد بن يحيى بن منده العبدي الحافظ المشهور صاحب كتاب تاريخ اصبهان كان احد الحفاظ الثقات وهم أهل بيت كبير خرج منه جماعة من العلماء ولم يكونوا عبديين وإنما ام الحافظ أبي عبد الله المذكور واسمها برة بنت محمد كانت من بني عبد ياليل فنســب إلى اخواله ذكر ذلك الحافظ أبو موســى الأصــبهاني في كتاب زيادات الأنســاب وقد تقدم ذكره واســتوفى رفع نســبها هناك فأضــربت عن ذكره لطوله وكذلك ذكره الحازمي في كتاب العجالة لكنه لم يرفع في نسبها وتوفي الحافظ أبو عبد الله المذكور في سنة إحدى وثلثمائة رحمه الله تعالى ومنده بفتح الميم والدال المهملة

بينهما نون ساكنة وفي الآخر هاء ساكنة أيضا وسياتي ذكر حفيده يحيى بن عبد الوهاب إن شاء الله تعالى

290 621 أبو عبد الله الفربري أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر الفربري راوية صحيح البخاري عنه رحل إليه الناس وسمعوا منه هذا الكتاب وكانت ولادته في سنة إحدى وثلاثين ومائتين وتوفي في ثالث شوال سنة عشرين وثلثمائة رحمه الله تعالى ونسبته إلى فربر بفتح الفاء والراء وسكون الباء الموحدة وفي آخرها راء ثانية وهي بلدة على طرف جيحون مما يلي بخارا وهو آخر من روى الجامع الصحيح عن البخاري 622 أبو عبد الله الفراوي أبو عبد الله محمد بن الفضل بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي العباس الصاعدي الفراوي النيسابوري الملقب كمال الدين الفقيه المحدث كان يختلف إلى مجلس إمام الحرمين أبي المعالي الجويني الفقيه الشافعي صاحب نهاية المطلب وعلق عنه الأصول ونشأ بين الصوفية وكان فقيها محدثا مفننا مناظرا واعظا وكان

291 يحمل الطعام إلى المسافرين الواردين عليه ويخدمهم بنفسه مع كبر سنه وخرج حاجا إلى مكة وعقد له مجلس الوعظ ببغداد وسائر البلاد التي توجه إليها وأظهر العلم بالحرمين وعاد إلى نيسابور وقعد للتدريس بالمدرسة الناصحية وقام بإمامة مسجد المطرز وسمع صحيح مسلم من عبد الغافر الفارسي المقدم ذكره وصحيح البخاري من

سعيد بن أبي سعيد وسمع من الشيخ أبي إسحاق الشيرازي والحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي وأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشـــيري وإمام الحرمين وتفرد برواية عدة كتب للحافظ البيهقي مثل دلائل النبوة والأســماء والصفات والبعث والنشور والدعوات الكبيرة والصغيرة وكان يقال في حقه الفراوي ألف راوي وكانت ولادته سنة إحدى وقيل اثنتين واربعين واربعمائة بنيســابور وســمع الحديث سنه سبع واربعين وتوفي ضحوة يوم الخميس الحادي وقيل الثاني والعشــرين من شــوال ســنة ثلاثين وخمســمائة رحمه الله تعالى والفراوي بضــم الفاء وفتح الراء وبعدها الف ثم واو هذه النســبة إلى فراوة وهي بليدة مما يلي خوارزم يقال لها رباط فراوة بناها عبد الله بن طاهر في خلافة المأمون وهو يومئذ أمير خراســان وقد نقدم ذكره

292 623 أبو بكر الآجري أبو بكر محمد بن الحســين بن عبد الله الآجري الفقيه الشــافعي المحدث صــاحب كتاب الأربعين حديثا وهي مشــهورة به وكان صــالحا عابدا وروى عن أبي مسـلم الكجي وأبي شـعيب الحراني وأحمد بن يحيى الحلواني والمفضــل بن محمد الجندي وخلق كثير من أقرانهم ذكره محمد بن إســحاق النديم في كتابه الذي ســماه الفهرســت وصــنف في الفقه والحديث كثيرا وذكره الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي في تاريخه وقال كان ثقة صـدوقا دينا وله تصـانيف كثيرة

حدث ببغداد قبل ســـنة ثلاثين وثلثمائة ثم أنتقل إلى مكة فسكنها حتى توفي بها وروى عنه جماعة من الحافظ منهم أبو نعيم الأصـــبهاني صــاحب كتاب حلية الأولياء وغيره واخبرني بعض العلماء انه لما دخل إلى مكة حرســـها الله تعالى أعجبته فقال اللهم إرزقني الإقامة بها ســـنة فســـمع هاتفا يقول له بل ثلاثين سنة فعاش بعد ذلك ثلاثين سنة ثم مات بها في المحرم سنة ستين وثلثمائة قال الخطيب قرات ذلك على بلاطة قبره بمكة

293 والآجري بفتح الهمزة الممدودة وضـــم الجيم وتشـــديد الراء هذه النســـبة إلى الآجر ولا أعلم لأي معنى نسب إليه ورأيت حاشية على كتاب الصلة صورتها الإمام أبو بكر الآجري نســـب إلى قرية من قرى بغداد يقال لها آجر واستوطن مكة حرسـها الله تعالى وتوفي بها أول يوم من المحرم ســـنة ســـتين وثلثمائة رحمه الله تعالى 624 الحافظ محمد بن ناصـــر السـلامي أبو الفضـــل محمد بن ناصـــر بن محمد بن علي بن عمر البغدادي الحافظ الأديب المعروف بالســـلامي كان حافظ بغداد في زمانه وكان له حظ وافر من الأدب وأخذ الأدب عن الخطيب أبي زكرياء التبريزي وخطه في غاية الصـــحة والإتقان وكان كثير البحث عن الفوائد وإثباتها روى عن الأئمة فأكثروا واخذ عنه علماء عصـــره منهم الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي وأكثر روايته عنه وذكره الحافظ أبو ســعد ابن الســمعاني

في كتبه وكانت ولادته ليلة السبت خامس عشر شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة
294 وتوفي ليلة الثلاثاء ثامن عشر شعبان سنة خمسين وخمسمائة ببغداد وأخرج من الغد وصلي عليه بالقرب من جامع السلطان ثلاث مرات وعبر به إلى جامع المنصور فصلي عليه ثم حمل إلى الحربية وصلي عليه ودفن بباب حرب تحت السدرة بجنب أبي منصور ابن الأنباري الواعظ رحمه الله تعالى والسلامي بفتح السين المهملة واللام ألف المخففة وبعدها ميم هذه النسبة إلى مدينة السلام بغداد قال ابن السمعاني كذا كان يكتب لنفسه السلامي يعني الحافظ المذكور 625 الحازمي أبو بكر محمد بن أبي عثمان موسى بن عثمان بن موسى بن عثمان بن حازم الحازمي الهمذاني الملقب زين الدين احد الحفاظ المتقنين وعباد الله الصالحين حفظ القرآن الكريم وحضر بهمذان أبا الوقت عبد الأول بن عيسى السجزي وسمع بها من أبي منصور شهردار بن شيرويه الديلمي وأبي زرعة طاهر بن محمد المقدسي وأبي العلاء الحسن بن أحمد الحافظ وجماعة كثيرة وتفقه ببغداد على الشيخ جمال الدين واثق بن فضلان وغيره وسمع الحديث ببغداد من أبي الحسين عبد الحق وأبي نصر عبد الرحيم ابني عبد الخالق بن أحمد بن يوسف وأبي الفتح
295 عبيد الله بن عبد الله بن شاتيل وغيرهم ثم عني بنفسه فارتحل في طلبه إلى عدة بلاد من العراق إلى الشام

والموصل وبلاد فارس واصبهان وهمذان وكثير من بلاد أذربيجان وكتب عن اكثر شيوخ هذه البلاد وغلب عليه الحديث وبرع فيه واشتهر به وصنف فيه وفي غيره كتبا مفيدة منها الناسخ والمنسوخ في الحديث وكتاب الفيصل في مشتبه النسبة وكتاب العجالة في النسب وكتاب ما اتفق لفظه وافترق مسماه في الأمالكن والبلدان المشتبهة في الخط وكتاب سلسلة الذهب فيما روى الإمام أحمد بن حنبل عن الإمام الشافعي رضي الله عنهما وشروط الأئمة وغير ذلك من الكتب النافعة واستوطن بغداد وسكن بالجانب الشرقي ولم يزل مواظب الاشتغال ملازم الخير إلى أن اخترمته المنية وغصن شبابه نضير وذلك في ليلة الاثنين الثامن والعشرين من جمادى الأولى سنة اربع وثمانين وخمسمائة بمدينة بغداد ودفن في المقبرة الشونيزية إلى جانب سمنون بن حمزة مقابل قبر الجنيد رضي الله عنه بعد ان صلى عليه خلق كثير برحبة جامع القصر وحمل إلى الجانب الغربي فصلي عليه مرة اخرى وفرق كتبه على اصحاب الحديث وكانت ولادته في سنة ثمان او تسع وأربعين وخمسمائة بطريق همذان وحمل إليها ونشأ بها رحمه الله تعالى والحازمي بفتح الحاء المهملة وبعد الألف زاي مكسورة وبعدها ميم هذه النسبة إلى جده حازم المذكور

296 626 الحافظ أبو بكر ابن العربي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف

بابن العربي المعافري الأندلسي الإشبيلي الحافظ المشهور ذكره ابن بشـــكوال في كتـاب الصـــلـة فقال هو الحـافظ المسـتبحر ختام علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها لقيته بمدينة إشـبيلية ضـحوة يوم الإثنين لليلتين خلتا من جمادى الآخرة سنة ست عشرة وخمسمائة فأخبرني أنه رحل إلى المشـرق مع أبيه يوم الأحد مستهل شـهر ربيع الأول سـنة خمس وثمانين وأربعمائة وانه دخل الشـام ولقي بها أبا بكر محمد بن الوليد الطرطوشي وتفقه عنده ودخل بغداد وسمع بها من جماعة من اعيان مشـــايخها ثم دخل الحجاز فحج في موسم سنة تسع وثمانين ثم عاد إلى بغداد وصحب بها أبا بكر الشـــاشـــي وابا حامد الغزالي وغيرهما من العلماء والأدباء ثم صدر عنهم ولقي بمصـر والإسـكندرية جماعة من المحدثين فكتب عنهم واسـتفاد منهم وافادهم ثم عاد إلى الأندلس سـنة ثلاث وتسـعين وقدم إلى إشـبيلية بعلم كثير لم يدخله احد قبله ممن كانت له رحلة إلى المشـرق وكان من أهل التفنن في العلوم والاســـتبحار فيها والجمع لها مقدما في المعـارف كلهـا متكلمـا في أنواعهـا نـافذا في جميعهـا حريصا على أدائها ونشرها

297 ثاقب الذهن في تمييز الصواب منها ويجمع إلى ذلك كله آداب الأخلاقق مع حســن المعاشـرة ولين الكنف وكثرة الاحتمال وكرم النفس وحســن العهد وثبات الود واسـتقضـي ببلده فنفع الله به أهلها لصـرامته وشـدته ونفوذ احكامه وكانت له في الظالمين سـورة مرهوبة ثم صـرف

عن القضاء وأقبل على نشر العلم وبثه وسألته عن مولده فقال ولدت ليلة الخميس لثمان بقين من شعبان سنة ثمان وستين وأربعمائة وتوفي بالعدوة ودفن بمدينة فاي في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة رحمه الله تعالى أنتهى كلام ابن بشكوال قلت أنا و هذا الحافظ له مصنفات منها كتاب عارضة الأحوذي في شرح الترمذي وغيره من الكتب وكانت ولادته بإشبيلية وقيل إن ولادته كانت سنة تسع وستين وقيل إن وفاته كانت في جمادى الأولى على مرحلة من فاس عند رجوعه من مراكش ونقل إلى فاس ودفن بمقبرة الجياني 182 وتوفي والده بمصر منصرفا عن المشرق في السفرة التي كان ولده المذكور في صحبته وذلك في المحرم سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة ومولده سنة خمس وثلاثين وكان من أهل الآداب الواسعة والبراعة والكتابة رحمه الله تعالى وقد تقدم الكلام على المعافري والإشبيلي ومعنى عارضة الاحوذي فالعارضة القدرة على الكلام يقال فلان شديد العارضة إذا كان ذا قدرة على الكلام والأحوذي الخفيف في الشيء لحذقه وقال الأصمعي الأحوذي المشمر في الأمور القاهر لها الذي لا يشذ عليه منها شيء وهو بفتح الهمزة وسكون الحاء المهملة وفتح الواو وكسر الذال المعجمة وفي آخره ياء مشددة

298 627 النقاش المفسر أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون بن جعفر بن سند المقريء

المعروف بالنقاش الموصلي الأصل البغدادي المولد والمنشأ وكان عالما بالقرآن والتفسير وصنف في التفسير كتابا سماه شفاء الصدور وصنف غيره فمن ذلك الإشارة في غريب القرآن والموضح- في القرآن ومعانيه وصد العقل والمناسك وفهم المناسك وأخبار القصاص وذم الحسد ودلائل النبوة والأبواب في القرآن وإرم ذات العماد والمعجم الأوسط والمعجم الأصغر والمعجم الكبير في إسماء القرآن وقراءاتهم وكتاب السبعة بعللها الكبير وكتاب السبعة الوسط وكتاب السبعة الأصغر وسافر الكثير شرقا وغربا وسمع بالكوفة والبصرة ومكة ومصر والشام والجزيرة والموصل والجبال وخراسان وما وراء النهر وفي حديثه مناكير بأسانيد مشهورة وذكر النقاش عند طلحة بن محمد بن جعفر فقال كان يكذب في الحديث والغالب عليه القصص وروى عن جماعة من العلماء ورووا عنه وقال البرقاني كل حديث النقاش مناكير وليس في تفسيره حديث صحيح وكانت ولادته سنة ست وقيل خمس وستين ومائتين وتوفي يوم الثلاثاء ودفن يوم الأربغاء لثلاث خلون من شوال سنة إحدى وخمسين وثلثمائة رحمه

299 الله تعالى ويقال توفي سنة خمسين وقيل اثنتين وخمسين وثلثمائة والله اعلم والنقاش بفتح النون والقاف المشددة وبعد الألف شين معجمة هذه النسبة إلى من ينقش السقوف والحيطان وغيرهما وكان أبو بكر المذكور في

مبدأ أمره يتعاطى هذه الصنعة فعرف بها 628 ابن شنبوذ
المقرئ أبو الحسن محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت بن
شنبوذ المقرئ البغدادي كان من مشاهير القراء واعيانهم
وكان ذينا وفيه سلامة صدر وفيه حمق وقيل إنه كان كثير
اللحن قليل العلم وتفرد بقراءات من الشواذ كان يقرأ بها
في المحراب فأنكرت عليه وبلغ ذلك الوزير أبا علي محمد
بن مقلة الكاتب المشهور وقيل له إنه يغير حروفا من
القرآن ويقرأ بخلاف ما أنزل فاستحضره في أول شهر
ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة وأعتقله في داره
أياما فلما كان يوم الأحد لسبع خلون من الشهر المذكور
استحضر الوزير المذكور القاضي أبا الحسين عمر بن
محمد وأبا بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد
المقرئ وجماعة من أهل القرآن واحضر ابن شنبوذ
المذكور ونوظر بحضرة الوزير فأغلظ في الخطاب
للوزير والقاضي وأبي بكر ابن مجاهد ونسبهم إلى قلة
المعرفة وعيرهم بأنهم ما سافروا في طلب العلم كما سافر
واستصبى القاضي أبا الحسين المذكور فأمر الوزير أبو
علي بضربه فأقيم وضرب سبع درر فدعا وهو يضرب
على الوزير ابن مقلة بأن يقطع الله يده ويشتت شمله فكان
300 الأمر كذلك كما سيأتي في خبر ابن مقلة إن
شاء الله تعالى ثم أوقفوه على الحروف التي قيل إنه يقرأ
بها فأنكر ما كان شنيعا وقال فيما سواه إنه قرأ به قوم
فاستتابوه فتاب وقال إنه قد رجع عما كان يقرؤه وإنه لا

يقرأ إلا بمصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه بالقراءة المتعارفة التي يقرأ بها تالناس فكتب عليه الوزير محضرا بما قاله وأمره أن يكتب خطه في آخره فكتب ما يدل على توبته ونسخة المحضر سئل محمد بن أحمد المعروف بابن شنبوذ عما حكي عنه أنه يقرؤه وهو (^ إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فامضوا إلى ذكر الله) فاعترف به وعن (^ وتجعلون شكركم أنكم تكذبون) فاعترف به وعن (^ تبت يدا أبي لهب وقد تب) فاعترف به وعن (^ كالصوف المنفوش) فاعترف به وعن (^ فاليوم ننجيك ببدنك) فاعترف به وعن (^ وكان إمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً فاعترف به وعن (^ فلما خر تبينت الإنس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولا في العذاب المهين) فاعترف به وعن (^ والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى) فاعترف به وعن (^ فقد كذب الكافرون فسوف يكون لزاما) فاعترف به وعن (^ ولتكن منكم فئة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون الله على ما أصابهم أولئك هم المفلحون) فاعترف به وعن (^ إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض) فاعترف به وكتب الشهود الحاضرون شهاداتهم في المحضر حسبما سمعوه من لفظه وكتب ابن شنبوذ بخطه ما صورته يقول محمد بن أحمد بن ايوب المعروف بابن شنبوذ ما في هذه الرقعة صحيح وهو قولي واعتقادي وأشهد الله عز وجل وسائر من حضر

على نفسي بذلك وكتب بخطه فمتى خالفت ذلك أو بان مني غيره فأمير المؤمنين في حل من دمي وســـعة وذلك يوم الأحد
301 لســبع خلون من شــهر ربيع الآخر ســنة ثلاث وعشـــرين وثلثمائة في مجلس الوزير أبي علي محمد بن علي بن مقلة أدام الله توفيقه وكلم أبو أيوب الســمســـار الوزير أبا علي في أمره وســـأله في إطلاقه وعرفه أنه إن صار إلى منزله قتلته العامة وسأله أن ينفذه في الليل سرا إلى المدائن ليقيم بها اياما ثم يدخل إلى منزله ببغداد مستخفيا ولا يظهر بها أياما فأجابه الوزير إلى ذلك وأنفذه إلى المدائن وتوفي يوم الاثنين لثلاث خلون من صفر سنة ثمان وعشرين وثلثمائة ببغداد وقيل غنه توفي في محبسه بدار الســـلطان رحمه الله تعالى 183 وتوفي أبو بكر ابن مجاهد المذكور يوم الأربعاء لإحدى عشــرة ليلة بقيت من شـــعبان ســـنة أربع وعشـــرين وثلثمائة ودفن في تربة له بســوق العطش وكان مولده ســـنة خمس وأربعين ومائتين رحمه الله تعالى وشنبوذ بفتح الشين المعجمة والنون وضم الباء الموحدة وســكون الواو وبعدها ذال معجمة 629 ابن الســـماك أبو العباس محمد بن صـــبيح المذكر مولى بني عجل المعروف بابن الســمــاك القاص الكوفي الزاهد المشــهور كان زاهدا عابدا حســن الكلام صــاحب مواعظ جمع كلامه وحفظ ولقي جماعة من الصـــدر الأول واخذ عنهم مثل هشام بن

302 عروة والأعمش وغيرهما وروى عن أحمد بن حنبل وأنظاره وهو كوفي قدم بغداد زمن هارون الرشيد فمكث بها مدة ثم رجع إلى الكوفة فمات بها ومن كلامه خف الله كأنك لم تطعه وارج الله كأنك لم تعصه وكان هارون الرشيد قد حلف أنه من أهل الجنة فاستفتى العلماء فلم يفته أحد بأنه من أهلها فقيل له عن ابن السماك المذكور فاستحضره وسأله فقال له هل قدر أمير المؤمنين على معصية فتركها خوفا من الله تعالى فقال نعم كان لبعض الزامي جارية فهويتها وانا إذ ذاك شاب ثم إني ظفرت بها مرة وعزمت على إرتكاب الفاحشة معها ثم إني فكرت في النار وهولها وأن الزنا من الكبائر فأشفقت من ذلك وكففت عن الجارية مخافة من الله تعالى فقال له ابن السماك أبشر يا أمير المؤمنين فإنك من أهل الجنة فقال هارون ومن أين لك هذا فقال من قوله تعالى (^ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى) (النازعات : 40) فسر هارون بذلك ودخل على بعض الرؤساء يشفع إليه في رجل فقال له إني أتيتك في حاجة وإن الطالب والمطلوب منه عزيزان إن قضيت الحاجة ذليلان إن لم تقضها فاختر لنفسك عز البذل على ذل المنع واختر لي عز النجح على ذل الرد فقضى حاجته ومن كلامه من جرعته الدنيا حلاوتها بميله إليها جرعته الاخرة مرارتها بتجافيها عنه وتكلم يوما وجاريته تسمع كلامه فقال لها كيف سمعت كلامي فقالت هو حسن لولا

انك تردده فقال أردده كي يفهمه من لم يفهمه فقالت إلى أن يفهمه من لم يفهمه يمله من فهمه واخباره ومواعظه كثيرة وتوفي ســـنة ثلاث وثمانين ومائة بالكوفة رحمه الله تعالى والسـماك بفتح السـين المهملة والميم المشـددة وبعد الألف كاف هذه النسبة إلى بيع السمك وصيده

303 630 أبو طالب المكي أبو طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي الواعظ المكي صاحب كتاب قوت القلوب كان رجلا صـــالحا مجتهدا في العبادة ويتكلم في الجامع وله مصـــنفات في التوحيد ولم يكن من أهل مكة وإنما كان من أهل اللجبل وســكن مكة فنســب إليها وكان يســتعمل الرياضــة كثيرا حتى قيل إنه هجر الطعام زمانا واقتصـــر على أكل الحشـــائش المباحة فاخضـر جلده من كثرة تناولها ولقي جماعة من المشـــايخ في الحديث وعلم الطريقة واخذ عنهم ودخل البصـــرة بعد وفاة أبي الحســـن ابن ســـالم فانتمى إلى مقالته وقدم بغداد فوعظ الناس فخلط في كلامه فتركوه وهجروه وقال محمد بن طاهر المقدسـي في كتاب الأنســـاب إن أبا طالب المكي المذكور لما دخل بغداد واجتمع الناس عليه في مجلس الوعظ خلط في كلامه وحفظ عنه انه قال ليس على المخلوقين أضـــر من الخالق فبدعه الناس وهجروه وامتنع من الكلام بعد ذلك وله كتب في التوحيد وتوفي لســـت خلون من جمادى الآخرة ســـنة ســـت وثمانين وثلثمائة ببغداد ودفن بمقبرة المالكية وقبره بالجانب الشرقي وهنو مشهور هناك يزار رحمه الله تعالى

والحارثي بفتح الحاء المهملة وبعد الألف راء مكسورة ثم ثاء مثلثة هذه النسبة إلى عدة قبائل منها الحارث ومنها الحارثة ولا أدري إلى أيها ينسب

304 أبو طالب المذكور من هذه القبائل والمكي نسبة إلى مكة حرسها الله تعالى 631 ابن سمعون الواعظ أبو الحسين محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عنبس بن إسماعيل الواعظ البغدادي المعروف بابن سمعون كان وحيد دهره في الكلام على الخواطر وحسن الوعظ وحلاوة الإشارة ولطف العبارة أدرك جماعة من جلة المشايخ وروى عنهم منهم الشيخ أبو بكر الشبلي رحمه الله تعالى وأنظاره ومن كلامه ما رواه الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن عباد المقدم ذكره قال سمعت ابن سمعون يوما وهو على الكرسي في مجلس وعظه يقول سبحان من انطق باللحم وبصر بالشحم وأسمع بالعظم إشارة إلى اللسان والعين والأذن و هذه من لطائف الإشارات ومن كلامه أيضا رأيت المعاصي نذالة فتركتها مروءة فاستحالت ديانة وله كل معنى لطيف وكان لأهل العراق فيه إعتقاد كثير ولهم به غرام شديد وإياه عنى الحريري صاحب المقامات في المقامة الحادية والعشرين وهي الرازية بقوله في اوائلها رأيت بها ذات بكرة زمرة أثر زمرة وهم منتشرون أنتشار الجراد ومستنون استنان الجياد ومتواصفون واعظا يقصدونه ويحلون ابن سمعون دونه ولم يأت بعده في الوعاظ مثله

305 وتوفي في ذي الحجة ســـنة ســـبع وثمانين وثلثمائة وقيل بل توفي يوم الجمعة منتصف ذي القعدة من السنة المذكورة ببغداد ودفن في داره بدرب العتابين لم نقل يوم الخميس حادي عشـــر رجب ســـنة ســـت وعشـــرين وأربعمائة ودفن بباب حرب وقيل إن أكفانه لم تكن بليت بعد رحمه الله تعالى وسمعون

جلد 6

بفتح السين المهملة وسكون الميم وضم العين المهملة وسكون الواو وبعدها نون قيل إن جده إسماعيل غير اسمه فقيل سمعون وعنبس بفتح العين المهملة وسكون النون وفتح الباء الموحدة وبعدها سين مهملة وهو في الأصل اسم الأسد وبه سمي الرجل وهو فنعل من العبوس والنون زائدة 632 الشيخ أبو عبد الله القرشي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم القرشي الهاشمي العبد الزاهد الصالح من أهل الجزيرة الخضراء كانت له كرامات ظاهرة ورأيت أهل مصر يحكون عنه أشياء خارقة ورأيت جماعة ممن صحبه وكل منهم قد نما عليه من بركته وذكروا عنه انه وعد جماعته الذين صحبوه مواعيد من الولايات والمناصب العلية وأنها صحت كلها وكان من السادات الأكابر والطراز الأول وهو مغربي وصحب بالمغرب أعلام الزهاد وانتفع بهم فلما وصل إلى مصر أنتفع به من صحبه او شاهده ثم سافر إلى الشام قاصدا

زيارة البيت المقدس فأقام به إلى أن مات في السادس من ذي الحجة سنة تسع وتسعين وخمسمائة
306 وصلي عليه بالمسجد الأقصى وهو ابن خمس وخمسين رحمه الله تعالى وقبره ظاهر يقصد للزيارة والتبرك به والجزيرة الخضراء في بر الأندلس مدينة قبالة سبتة من بر العدوة ومن جملة وصاياه لأصحابه سيروا إلى الله تعالى عرجا ومكاسير فإن أنتظار الصحة بطالة 633 ابن الأعرابي أبو عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي الكوفي صاحب اللغة وهو من موالي بني هاشم فإنه مولى العباس بن محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه وكان أبوه زيادا عبدا سنديا وقيل إنه من موالي بني شيبان وقيل غير ذلك والأول أصح وكان أحول راوية لأشعار القبائل ناسبا وكان احد العالمين باللغة المشهورين بمعرفتها يقال لم يكن في الكوفيين أشبه برواية البصريين منه وهو ربيب المفضل بن محمد الضبي صاحب المفضليات كانت أمه تحته واخذ الأدب عن أبي معاوية الضرير والمفضل الضبي والقاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود الذي ولاه المهدي القضاء والكسائي وأخذ عنه إبراهيم الحربي وأبو العباس
307 ثعلب وابن السكيت وغيرهم وناقش العلماء واستدرك عليهم وخطأ كثيرا من نقلة اللغة وكان رأسا في كلام العرب وكان يزعم أن أبا عبيدة والأصمعي لا

يحسنان شيئا وكان يقول جائز في كلام العرب أن يعاقبوا بين الضاد والظاء فلا يخطئ من يجعل هذه في موضع هذه وينشد (إلى الله أشكو من خليل أوده * ثلاث خلال كلها لي غائض) بالضاد ويقول هكذا سمعته من فصحاء العرب وكان يحضر مجلسه خلق كثير من المستفيدين ويملي عليهم قال أبو العباس ثعلب شاهدت مجلس ابن الأعرابي وكان يحضره زهاء مائة إنسان وكان يسأل ويقرأ عليه فيجيب من غير كتاب ولزمته بضع عشرة سنة مارأيت بيده كتابا قط ولقد املى على الناس مايحمل على أجمال ولم ير أحد في علم الشعر أغزر منه وراى في مجلسه يوما رجلين يتحادثان فقال لأحدهما من أين أنت فقال من إسبيجات وقال للآخر من أين أنت فقال من الأندلس فعجب من ذلك وأنشد (رفيقان شتى الف الدهر بيننا * وقد يلتقي الشتى فيأتلفان) ثم أملى على من حضر مجلسه بقية الأبيات وهي (نزلنا على قيسية يمنية * لها نسب في الصالحين هجان) (فقالت وأرخت جانب الستر بيننا * لأية أرض أم من الرجلان) (فقلت لها أما رفيقي فقومه * تميم واما أسرتي فيماني) (رفيقان شتى ألف الدهر بيننا * وقد يلتقي الشتى فيأتلفان) ومن أماليه ما رواه أبو العباس ثعلب قال أنشدنا ابن الأعرابي محمد بن زياد المذكور
308 (سقى الله حيا دون بطنان دارهم * وبورك في مرد هناك وشيب) (وإني وإياهم على بعد دارهم *

كخمر بماء في الزجاج مشوب) ومن تصانيفه كتاب النوادر وهو كبير وكتاب الأنواء وكتاب صفة النخل وكتاب صفة الزرع وكتاب النبات وكتاب الخيل وكتاب تاريخ القبائل وكتاب معاني الشعر وكتاب تفسيرالأمثال وكتاب الألفاظ وكتاب نسب الخيل وكتاب نوادر الزبيريين وكتاب نوادر بني فقعس وكتاب الذباب وغيرذلك وأخباره ونوادره وأماليه كثيرة وقال ثعلب سمعت ابن الأعرابي يقول ولدت في الليلة التي مات فيها الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه وذلك في رجب سنة خمسين ومائة على الصحيح وتوفي لأربع عشرة ليلة خلت من شعبان وقال الطبري في تاريخه توفي يوم الأربعاء ثالث عشر الشهر المذكور سنة إحدى وثلاثين ومائتين بسر من رأى وقيل سنة ثلاثين ومائتين والأول أصح وصلى عليه القاضي أحمد بن أبي دواد الإيادي المقدم ذكره والأعرابي بفتح الهمزة وسكون العين المهملة وفتح الراء وبعد الألف باء موحدة هذه النسبة إلى الأعراب قال أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني المعروف بالعزيزي في كتابه الذي فسر فيه غريب القرآن الكريم يقال رجل أعجم وأعجمي أيضا إذا كان في لسانه عجمة وإن كان من العرب ورجل عجمي منسوب إلى العجم إن كان فصيحا ورجل أعرابي إذا كان بدويا وإن لم يكن من العرب ورجل عربي منسوب إلى العرب وإن لم يكن بدويا وإسبيجاب بكسر الهمزة وسكون السين المهملة وكسر الباء الموحدة وسكون

الياء المثناة من تحتها وفتح الجيم وبعد الألف باء موحدة
وهي مدينة من اقصى بلاد الشرق وأظنها من إقليم الصين
أو قريبة منه
309 وبطنان بضم الباء الموحدة وسكون الطاء
المهملة وبين النونين الف وهو جمع بطن وهو الغامض
من الأرض 634 الكلبي أبو النضر محمد بن السائب بن
بشر وقيل مبشر بن عمرو الكلبي وقال محمد بن سعد هو
محمد بن السائب الكلبي بن بشر بن عمرو بن الحارث بن
عبد الحارث بن عبد العزى بن امرئ القيس بن عامر بن
النعمان بن عامر بن عبدون ابن كنانة بن عوف بن عذرة
بن زيد بن عبد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب ثم كشف
كتاب النسب لهشام بن الكلبي فساق نسبهم على هذه
الصورة إلا أنه أسقط منه عبد الحارث فقط والباقي
صحيح الكوفي صاحب التفسير وعلم النسب كان إماما في
هذين العلمين حكى ولده هشام عنه قال دخلت على
ضرار بن عطارد بن حاجب بن زرارة التميمي بالكوفة
وإذا عنده رجل كأنه جرذ يتمرغ في الحر وهو الفرزدق
الشاعر فغمزني ضرار وقال سله ممن أنت فسأليه فقال إن
كنت نسابا فانسبني فإني من بني تميم فابتدأت أنسب تميما
حتى بلغت إلى غالب وهو والد الفرزدق فقلت وولد غالب
310 هماما وهو اسم الفرزدق كما سيأتي في
ترجمته في حرف الهاء إن شاء الله تعالى فاستوى
الفرزدق جالسا وقال والله ما سماني به أبواي ولا ساعة

من النهار فقلت والله إني لأعرف اليوم الذي سماك فيه أبوك الفرزدق فقال وأي يوم فقلت بعثك في حاجة فخرجت تمشي وعليك مستقة فقال والله لكأنك فرزدق دهقان قرية قد سماها بالجبل فقال صدقت والله ثم قال أتروي شيئا من شعري فقلت لا ولكن أروي لجرير مائة قصيدة فقال تروي لابن المراغة ولا تروي لي والله لأهجون كلبا سنة أو تروي لي كما رويت لجرير فجعلت اختلف إليه اقرأ عليه النقائض خوفا منه وما لي في شيء منها حاجة قلت المستقة بضم الميم وسكون السين المهملة وضم التاء المثناة من فوقها وهي الفروة طويلة الكم والجمع مساتق وفيها لغة أخرى بفتح التاء وروي عن عمر رضي الله عنه أنه كان يصلي وعليه مستقة من سندس وروي عن أنس بن مالك ان ملك الروم أهدى إلى رسول الله مستقة من سندس فلبسها فكأني أنظر إلى يديه قد بدتا ثم بعث بها إلى جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فقال ابعث بها إلى أخيك النجاشي وقال النضر بن شميل المستقة الجبة الوسعة وكان الكلبي المذكور من أصحاب عبد الله بن سبأ الذي يقول إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يمت وإنه راجع إلى الدنيا وروى عن سفيان الثوري ومحمد بن إسحاق وكانا يقولان حدثنا أبو النضر حتى لايعرف وشهد الكلبي المذكور دير الجماجم مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي

311 وشهد جده بشر وبنوه السائب وعبيد وعبد الرحمن وقعة الجمل وصفين مع علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وقتل السائب مع مصعب بن الزبير وفيه يقول ابن ورقاء النخعي (فمن مبلغ عني عبيدا بأنني * علوت اخاه بالحسام المهند) (فإن كنت تبغي العلم عنه فإنه * مقيم لدى الديرين غير موسد) (وعمدا علوت الرأس منه بصارم * فأثكلته سفيان بعد محمد) سفيان ومحمد ابنا السائب وذكر هشام بن الكلبي المذكور في كتاب جمهرة النسب أن جدهم عبد العزى كان جميلا شريفا وقد وفد على بعض بني جفنة بأفراس فقبلها واعجبه حديثه وكان يسامره فقتلت بنو كنانة ابنا له فقال لعبد العزى ائتني بهم فقال إنهم قوم احرار ليس لي عليهم فضل وكتب إلى قومه ينذرهم فقال في شعر له طويل (جزاني جزاه الله شر جزائه * جزاء سنمار وما كان ذا ذنب) وسنمار هو الذي بنى الخورنق على باب الحيرة للنعمان الأكبر ابن امريء القيس ملك الحيرة فألقاه من أعلاه فقتله وقصته طويلة مشهورة فلا حاجة إلى ذكرها وتوفي محمد الكلبي المذكور سنة ست وأربعين ومائة بالكوفة رحمه الله تعالى وسيأتي ذكر ولده أبي المنذر هشام النسابة في حرف الهاء إن شاء الله تعالى والكلبي بفتح الكاف وسكون اللام وبعدها باء موحدة هذه النسبة إلى كلب بن وبرة وهي قبيلة كبيرة من قضاعة ينسب إليها خلق كثير والمستقة لفظة فارسية معربة

312 635 قطرب أبو علي محمد بن المستنير بن أحمد النحوي اللغوي البصري مولى سالم بن زياد المعروف بقطرب أخذ الأدب عن سيبويه وعن جماعة من العلماء البصريين وكان حريصا على الإشتغال والتعلم وكان يبكر إلى سيبويه قبل حضور أحد من التلامذة فقال له يوما ما أنت إلا قطرب ليل فبقي عليه هذا اللقب وقطرب اسم دويبة لا تزال تدب ولا تفتر وهو بضم القاف وسكون الطاء المهملة وضم الراء وبعدها باء موحدة وكان من أئمة عصره وله من التصانف كتاب معاني القرآن وكتاب الإشتقاق وكتاب القوافي وكتاب النوادر وكتاب الأزمنة وكتاب الفرق وكتاب الأصوات وكتاب الصفات وكتاب العلل في النحو وكتاب الأضداد وكتاب خلق الفرس وكتاب خلق الإنسان وكتاب غريب الحديث وكتاب الهمز وفعل وأفعل والرد على الملحدين في تشابه القرآن وغير ذلك وهو أول من وضع المثلث في اللغة وكتابه وإن كان صغيرا لكن له فضيلة السبق وبه إقتدى أبو محمد عبد الله بن السيد البطليوسي المقدم ذكره وكتابه كبير ورأيت مثلثا آخر لشخص آخر تبريزي وليس هو الخطيب أبو زكريا التبريزي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى بل غيره ولا أستحضر
313 الآن اسمه وهو كبير أيضا وما اقصر فيه وما نهج لهم الطريق إلا قطرب المذكور وكان قطرب معلم أولاد أبي دلف العجلي المقدم ذكره وروى له ابن المنجم

في كتاب البارع بيتين وهما (إن كنت لست معي فالذكر منك معي * يراك قلبي وإن غيبت عن بصري) (والعين تبصر من تهوى وتفقده * وباطن القلب لا يخلو من النظر) هذان البيتان مشهوران ولا أعلم أنهما له إلا من هذا الكتاب وتوفي سنة ست ومائتين رحمه الله تعالى ويقال إن اسمه محمد وقيل الحسن بن محمد والأول أصح والله اعلم بالصواب والمستنير بضم الميم وسكون السين المهملة وفتح التاء المثناة من فوقها وكسر النون وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء 636 المبرد أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن حسان بن سليمان بن سعد ابن عبد الله بن زيد بن مالك بن الحارث بن عامر بن عبد الله بن بلال بن

314 عوف بن أسلم وهو ثمالة بن أحجن بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن النضر بن الأسد بن الغوث وقال ابن الكلبي عوف بن أسلم هو ثمالة والأسد هو الأزد الثمالي الأزدي البصري المعروف بالمبرد النحوي نزل بغداد وكان إماما في النحو واللغة وله التواليف النافعة في الأدب منها كتاب الكامل وكتاب الروضة والمقتضب وغير ذلك أخذ الأدب عن أبي عثمان المازني وأبي حاتم السجستاني وقد تقدم ذكرهما وأخذ عنه نفطويه وقد تقدم ذكره وغيره من الأئمة وكان المبرد المذكور وأبو العباس أحمد بن يحيى الملقب بثعلب صاحب كتاب الفصيح عالمين متعاصرين قد ختم بهما

تاريخ الأدباء وفيهما يقول بعض أهل عصرهما من جملة أبيات وهو أبو بكر بن أبي الأزهر (أيا طالب العلم لاتجهلن * وعذ بالمبرد أو ثعلب) (تجد عند هذين علم الورى * فلا تك كالجمل الأجرب) (علوم الخلائق مقرونة * بهذين في الشرق والمغرب) وكان المبرد يحب الإجتماع في المناظرة بثعلب والإستكثار منه وكان ثعلب يكره ذلك ويمتنع منه وحكى أبو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الفقيه الموصلي وكان صديقهما قال قلت لأبي عبد الله الدينوري ختن ثعلب لم يأبى ثعلب الإجتماع بالمبرد فقال لأن المبرد حسن العبارة حلو الإشارة فصيح اللسان ظاهر البيان وثعلب مذهبه مذهب المعلمين فإذا إجتمعا في محفل حكم للمبرد على الظاهر إلى أن يعرف الباطن وكان المبرد كثير الأمالي حسن النوادر فما أملاه أن المنصور أبا جعفر

315 ولى رجلاً على الإجراء على العميان والأيتام والقواعد من النساء اللواتي أزوج لهن فدخل على هذا المتولي بعض المتخلفين ومعه ولده فقال له إن رأيت أصلحك الله أن تثبت إسمي مع القواعد فقال له المتولي القواعد نساء فكيف أثبتك فيهن فقال ففي العميان فقال اما هذا فنعم فإن الله تعالى يقول (^ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) (الحج : 46) فقال وثبت ولدي في الأيتام فقال وهذا افعله أيضا فإنه من تكن أنت أباه فهو يتيم فانصرف عنه وقد أثبته في العميان

وولده في الأيتام وطلب بعض الأكابر من المبرد معلما لولده فبعث شخصا وكتب معه قد بعثت به وأنا أتمثل فيه
(إذا زرت الملوك فإن حسبي * شفيعا عندهم أن يخبروني) ومعنى هذا البيت مأخوذ من كلام أحمد بن يوسف كاتب المأمون وقد أهدى إليه ثوب وشي في يوم نيروز وقد أهديت إلى أمير المؤمنين ثوب وشي يصف نفسه والسلام وحكى عنه أبو بكر ابن أبي الأزهر بشيء طريف في هذا قال حدثني محمد بن يزيد قال قال لي المازني يا أبا العباس بلغني انك تنصرف من مجلسنا فتصير إلى مواضع المجانين والمعالجين فما معناك في ذاك قال فقلت له ان لهم اعزك الله طرائف الكلام وعجائب من الأقسام فقال حدثني بأعجب ما رأيته منهم فقلت دخلت يوما إلى مستقرهم مع ابن أبي خميصة وكان المتقلد عليهم النفقة والمتقلد أحوالهم فرأيت مراتبهم على مقدار بليتهم فمررت على شيخ منهم تلوح صلعته وتبرق بالدهن جبهته وهو جالس على حصير نظيف ووجهه إلى القبلة كأنه يريد الصلاة فجاوزته إلى غيره فناداني سبحان الله أين السلام من أولى به انا أو أنت فاستحسنت منه وقلت السلام عليكم فقال لو كنت ابتدأت لأوجبت علينا حسن الرد عليك على أننا نصرف سوء
316 أدبك لأحسن جهاته من العذر لأنه كان يقال إن للقادم دهشة اجلس أعزك الله عندنا وأومأ إلى موضع من حصيره ينفضه كأنه يوسعه لي فعزمت على الدنو فناداني

ابن أبي خميصة إياك إياك فاحجمت عن ذلك ووقفت ناحية أستجلب مخاطبته وارصد الفائدة منه ثم قال لي وقد رأى معي محبرة يا هذا ارى معك آلة رجلين أرجو ألا تكون احدهما أتجالس أصحاب الحديث الأغثاث ام الأدباء من اصحاب النحو والشعر قلت الأدباء قال أتعرف ابا عثمان المازني قلت نعم اعرفه معرفة تامة قال أفتعرف الذي يقول فيه (وفتى من مازن * ساد أهل البصره) (أمه معروفة * وأبوه نكره) قلت لا أعرفه قال أفتعرف غلاما له قد نبغ في هذا العصر معه ذهن وله حفظ وقد برز في النحو وجلس مجلس صاحبه وشاركه فيه يعرف بالمبرد فقلت أنا والله عين الخبير به قال فهل أنشدك شيئا من غثيثات أشعاره قلت لا أحسبه يحسن قول الشعرقال يا سبحان الله أليس الذي يقول (حبذا ماء العناقيد * بريق الغانيات) (بهما ينبت لحمي * ودمي أي نبات) (أيها الطالب أشهى * من لذيذ الشهوات) (كل بماء المزن تفاح * خدود الناعمات) قلت قد سمعته ينشدها في مجلس الأنس قال يا سبحان الله أو يستحب ان ينشد مثل هذا حول الكعبة ما تسمع الناس يقولون في نسبه قلت يقولون إنه من الأزد أزد شنوءة ثم من ثمالة قال قاتله الله ما أبعد غوره أتعرف قوله (سألنا عن ثمالة كل حي * فقال القائلون ومن ثماله) فقلت محمد بن يزيد منهم * فقالوا زدتنا بهم جهاله)

317) فقال لي المبرد خل قومي * فقومي معشر فيهم نذاله) فقلت أعرف هذه الأبيات لعبد الصمد بن المعذل يقولها فيه قال كذب من أدعاها غيره هذا كلام رجل لا نسب له يريد ان يثبت بهذا الشعر نسبا له قلت أنت اعلم قال يا هذا قد غلبت بخفة روحك على قلبي وتمكنت من إنصاتك من استحساني وقد اخرت ماكان يجب ان اقدمه الكنية أصلحك الله قلت أبو العباس قال فالاسم قلت محمد قال فالأب قلت يزيد قال قبحك الله أحوجتني إلى الاعتذار إليك مما قدمت ذكره ثم وثب باسطا كفه لمصافحتي فرأيت القيد في رجله قد شد إلى خشبة في الأرض فأمنت عند ذلك غائلته فقال لي يا أبا العباس صن نفسك عن الدخول إلى هذه المواضع فليس يتهيأ لك في كل وقت أن تصادف مثلي على مثل هذه الحال الجميلة أنت المبرد أنت المبرد أنت الملبرد وجعل يصفق وقد أنقلبت عينه وتغيرت حليته فبادرت مسرعا خوفا من أن يبدر لي منه شيء أو و بادرة وقبلت والله قوله فلم أعاود الدخول إلى محبس ولا غيره وقال أبو العباس المبرد ما تنادر احد علي ما تنادر به سذاب الوراق فإنني إجتزت يوما به وهو قاعد بباب داره فقال لي إلى اين ولاطفني وعرض علي القرى فقلت له ما عندك فقال عندي أنت وعليه انا يشير إلى اللحم المبرد بالسذاب وذكر ان رجلا عاد المبرد بالبصرة مع جماعة فغنت جارية من وراء ستارة) وقالوا لها هذا حبيبك معرض * فقالت ألا

إعراضه أيسر الخطب) (فما هي إلا نظرة بتبسم *
فتصطك رجلاه ويسقط للجنب) فطرب كل من حضر إلا
المبرد فقال له صاحب المجلس كنت احق بالطرب فقالت
الجارية دعه يا مولاي فإنه سمعني أقول هذا حبيبك
معرض فظنني لحنت ولم يعلم ان ابن مسعود قرأ (^
وهذا بعلي شيخ) (هود : 72) قال فطرب المبرد من
قولها إلى أن شق ثوبه

318 وكنت رأيت المبرد المذكور في المنام وجرى
لي معه قصة عجيبة فأحببت ذكرها وذلك أني كنت
بالإسكندرية في بعض شهور سنة ست وثلاثين وستمائة
وأقمت بها خمسة اشهر وكان عندي كتاب الكامل للمبرد
وكتاب العقد لابن عبد ربه وانا أطالع فيهما فرأيت في
العقد في فصل ترجمه بقوله ما غلط فيه على الشعراء
وذكر أبياتا نسبوا اصحابها فيها إلى الغلط وهي صحيحة
وغنما وقع الغلط ممن استدرك عليهم لعدم إطلاعهم على
حقيقة الأمر فيها ومن جملة من ذكر المبرد فقال ومثله
قول محمد بن يزيد النحوي في كتاب الروضة ورد على
الحسن بن هانئ يعني أبا نواس في قوله (وما لبكر بن
وائل عصم * إلا بحمقائها وكاذبها) فزعم أنه أراد
بحمقائها هبنقة القيسي ولا يقال في الرجل حمقاء وإنما
اراد دغة العجلية وعجل في بكر وبها يضرب المثل في
الحمق هذا كله كلام صاحب العقد وغرضه أن المبرد
نسب أبا نواس إلى الغلط بكونه قال بحمقائها واعتقد أنه

أراد هبنقة وهنبقة رجل والرجل لايقال له حمقاء بل يقال
له أحمق وأبو نواس إنما أراد دغه وهي إمرأة فالغلط
حينئذ من المبرد لا من أبي نواس فلما كان بعد ليال قلائل
من وقوفي على هذه الفائدة رأيت في المنام كأني بمدينة
حلب في مدرسة القاضي بهاء الدين المعروف بابن شداد
وفيها كان اشتغالي بالعلم وكأننا قد صلينا الظهر في
الموضع الذي جرت العادة بالصلاة فيه جماعة فلما فرغنا
من الصلاة قمت لأخرج فرأيت في آخريات الموضع
شخصا واقفا يصلي فقال لي بعض الحاضرين هذا أبو
العباس المبرد فجئت إليه وقعدت إلى جانبه أنتظر فراغه
فلما فرغ سلمت عليه وقلت له أنا في هذا الزمان أطالع في
كتابك الكامل فقال لي رأيت كتابي الروضة فقلت لا وما
كنت رأيته قبل ذلك فقال قم حتى أريك إياه فقمت معه
وصعد بي إلى بيته فدخلنا فيه ورأيت فيه كتبا
كثيرة فقعد قدامها يفتش عليه وقعدت أنا ناحية 319
عنه فأخرج منه مجلدا ودفعه إلي ففتحته وتركته في
حجري ثم قلت له قد أخذا عليك فيه فقال أي شيء أخذوا
فقلت أنك نسبت أبا نواس إلى الغلط في البيت الفلاني
وأنشدته إياه فقال نعم غلط في هذا فقلت له أنه لم يغلط بل
هو على الصواب ونسبوك أنت إلى الغلط في تغليطه فقال
وكيف هذا فعرفته ما قال صاحب العقد فعض على رأس
سبابته وبقي ساهيا ينظر إلي وهو في صورة خجلان ولم
ينطق ثم اتيقظت من منامي وهو على تلك الحال ولم اذكر

هذا المنام إلا لغرابته وكانت ولادة المبرد يوم الاثنين عيد الضحى سنة عشر ومائتين وقيل سنة سبع ومائتين وتوفي يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ذي الحجة وقيل ذي القعدة سنة ست وثمانين وقيل خمس وثمانين ومائتين ببغداد ودفن في مقابر باب الكوفة في دار اشتريت له وصلى عليه أبو محمد يوسف بن يعقوب القاضي رحمه الله تعالى ولما مات نظم فيه وفي ثعلب أبو بكر الحسن بن علي المعروف بابن العلاف المقدم ذكره أبياتا سائرة وكان ابن الجواليقي كثيرا ما ينشدها وهي (ذهب المبرد وانقضت ايامه * وليذهبن إثر المبرد ثعلب) (بيت من الآداب اصبح نصفه * خربا وباقي بيتها فسيخرب) . (فابكوا لما سلب الزمان ووطنوا * للدهر أنفسكم على ما يسلب) (وتزودوا من ثعلب فبكأس ما * شرب المبرد عن قريب يشرب) (وأرى لكم أن تكتبوا انفاسه * إن كانت الأنفاس مما يكتب) وقريب من هذه الأبيات ما انشده أبو عبد الله الحسين بن علي اللغوي البصري

320 النمري لما مات أبو عبد الله محمد بن المعلى الأزدي وكان بينهما تنافس وهي (مضى الأزدي والنمري يمضي * وبعض الكل مقرون ببعض) (أخي والمجتني ثمرات ودي * وإن لم يجزني قرضي وفرضي) (وكانت بيننا أبدا هنات * توفر عرضه منها وعرضي) (وما هانت رجال الأزد عندي * وإن لم تدن أرضهم بأرضي) والثمالي بضم الثاء المثلثة وفتح الميم وبعد

اللف لام هذه النسبة إلى ثمالة واسمه عوف بن أسلم وهو بطن من الأزد قال المبرد في كتاب الاشتقاق إنما سميت ثمالة لأنهم شهدوا حربا فني فيها أكثرهم فقال الناس ما بقي منهم إلا ثمالة والثمالة البقية اليسيرة وفي المبرد يقول بعض شعراء عصره وهجا قبيلته بسببه وذكر أبو علي القالي في كتاب الأمالي إنها لعبد الصمد ابن المعذل (سألنا عن ثمالة كل حي * فقال القائلون ومن ثماله) (فقلت محمد بن يزيد منهم * فقالوا زدتنا لهم جهاله) (فقال لي المبرد خل عني * فقومي معشر فيهم نذاله) ويقال إن هذه الأبيات للمبرد وكان يشتهي أن يشتهر بهذه القبيلة فصنع هذه الأبيات فشاعت وحصل له مقصوده من الاشتهار وكان كثيرا ما ينشد في مجالسه (يا من تلبس أثوابا يتيه بها * تيه الملوك على بعض المساكين) 321 (ما غير الجل اخلاق الحمير ولا * نقش البراذع أخلاق البراذين) والمبرد بضم الميم وفتح الباء الموحدة والراء المشددة وبعدها دال مهملة وهو لقب عرف به وأختلف العلماء في سبب تلقيبه بذلك فالذي ذكره الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب الألقاب أنه قال سئل المبرد لم لقبت بهذا اللقب فقال كان سبب ذلك ان صاحب الشرطة طلبني للمنادمة والمذاكرة فكرهت الذهاب إليه فدخلت إلى أبي حاتم السجستاني فجاء رسول الوالي يطلبني فقال لي أبو حاتم ادخل في هذا يعني غلاف مزملة فارغا فدخلت فيه وغطى رأسه ثم خرج إلى

الرسول وقال ليس هو عندي فقال أخبرت أنه دخل إليك فقال أدخل الدار وفتشها فدخل فطاف كل موضع في الدار ولم يفطن لغلاف المزملة ثم خرج فجعل أبو حاتم يصفق وينادي على المزملة المبرد المبرد وتسامع الناس بذلك فلهجوا به وقيل إن الذي لقبه بهذا اللقب شيخه أبو عثمان المازني وقيل غير ذلك وهبنقة بفتح الهاء والباء الموحدة والنون المشددة والقاف بعدها هاء ساكنة وهو لقب أبي الودعات يزيد بن ثروان القيسي وقيل كنيته أبو نافع وبه يضرب المثل في الحمق فيقال احمق من هبنقة القيسي لأنه كان قد شرد له بعير فقال من جاء به فله بعيران فقيل له أتجعل في بعير بعيرين فقال إنكم لا تعرفون حلاوة الوجدان فنسب إلى الحمق لهذا السبب وسارت به الأشعار فمن ذلك قول أبي محمد بن المبارك اليزيدي وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى في شيبة بن الوليد العبسي عم دقاقة من جملة أبيات

322 (عش بجد ولا يضرك نوك * إنما عيش من ترى بالجدود) (رب ذي إربة من المال * وذي عنجهية مجدود) (عش بجد وكن هبنقة القيسي * أو مثل شيبة بن الوليد) وسبب نظم اليزيدي في هذه الأبيات انه تناظر هو والكسائي في مجلس المهدي وكان شيبة بن الوليد حاضرا فتعصب للكسائي وتحامل على اليزيدي فهجاه في عدة مقاطيع هذا المقطوع من جملتها ودغة بضم الدال المهملة وفتح الغين المعجمة وبعدها هاء ساكنة واسمها

مارية بنت مغنج بفتح الميم وسكون الغين المعجمة وفتح النون وبعدها جيم وقيل معنج بكسر الميم وسكون العين المهملة وباقيه مثل الأول وهو لقب واسمه ربيعة بن سعد بن عجل بن لجيم وهي التي يضرب بها المثل في الحمق فيقال أحمق من دغة وذكر ابن الكلبي في كتاب جمهرة النسب غير هذا فقال في نسب بني العنبر فولد جندب بن العنبر عديا وكعبا وعويجا أمهم مارية بنت ربيعة بن سعد بن عجل ويقال بل هي دغة بنت مغنج بن إياد فجعل مارية غير دغة والله أعلم وإنما نسب إلى الحمق لأنها ولدت فصاح المولود فقالت لإمراة أيفتح الجعر فاه فقالت المرأة نعم ويسب أباه فسارت مثلا والأصل في الجعر انه روث كل ذي مخلب من السباع وقد يستعمل في غيرها بطريق التجوز ودغة لجهلها لما ولدت ظنت انه قد خرج من المعتاد فلما استهل المولود عجبت من ذلك وسألت عنه فهذا كان سبب نسبتها إلى الحمق وكانت متزوجة في بني العنبر بن عمرو بن تميم فبنو العنبر يدعون لذلك بني الجعراء وهذا كله وإن كان خارجا عن المقصود لكنها فوائد غريبة فأحببت ذكرها

323 637 ابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية بن حنتم بن حسن بن حمامي بن جرو بن واسع بن وهب بن سلمة بن حاضر بن اسد بن عدي بن عمرو بن مالك بن فهم بن غانم بن دوس بن عدثان بنعبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث ابن كعب بن عبد الله

بن مالك بن نصر بت الأزد بن الغوث بن نت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان الأزدي اللغوي البصري إمام عصره في اللغة والآداب والشعر الفائق قال المسعودي في كتاب مروج الذهب في حقه وكان ابن دريد ببغداد ممن برع في زماننا هذا في الشعر وأنتهى في اللغة وقام مقام الخليل بن أحمد فيها واورد اشياء في اللغة لم توجد في كتب المتقدمين وكان يذهب بالشعر كل مذهب فطورا يجزل وطورا يرق وشعره أكثر من أن نحصيه أو نأتي على أكثره أو يأتي عليه كتابنا هذا فمن جيد شعره قصيدته المشهورة بالمقصورة التي يمدح بها الشاه ابن ميكال وولده وهما عبد الله بن محمد بن ميكال وولده العباس إسماعيل بن عبد الله ويقال إنه أحاط فيها بأكثر المقصور واولها

324 (إما تري رأسي حاكى لونه * طرة صبح تحت اذيال الدجى) (واشتعل المبيض في مسوده * مثل اشتعال النار في جزل الغضى) ثم قال المسعودي وقد عارضه في هذه القصيدة المعروفة جماعة من الشعراء منهم أبو القاسم علي بن محمد بن أبي الفهم الأنطاكي التنوخي وعدد جمعا ممن عارضها قلت أنا وقد اعتنى بهذه المقصورة خلق من المتقدمين والمتأخرين وشرحوها وتكلموا على ألفاظها ومن أجود شروحها وأبسطها شرح الفقيه أبي عبد الله محمد بن أحمد بن هشام بن إبراهيم اللخمي السبتي وكان متاخرا توفي في حدود سنة سبعين

وخمسمائة وشرحها الإمام أبو عبد الله محمد بن جعفر المعروف بالقزاز صاحب كتاب الجامع في اللغة وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى وشرحها غيرهما أيضا ولابن دريد من التصانيف المشهورة كتاب الجمهرة وهو من الكتب المعتبرة في اللغة وله كتاب الاشتقاق وكتاب السرج واللجام وكتاب الخيل الكبير وكتاب الخيل الصغير وكتاب الأنواء وكتاب المقتبس وكتاب الملاحن وكتاب زواد العرب وكتاب اللغات وكتاب السلاح وكتاب غريب القرآن لم يكمله وكتاب المجتبى وهو مع صغر حجمه كثير الفائدة وكذلك الوشاح صغير مفيد وله نظم رائق جدا وكان من تقدم من العلماء يقول ابن دريد اعلم الشعراء واشعر العلماء فمن أول شعر قاله قوله

325 (ثوب الشباب علي اليوم بهجته * وسوف تنزعه عني يد الكبر) (انا ابن عشرين ما زادت ولا نقصت * إن ابن عشرين من شيب على خطر) ومن مليح شعره قوله (غراء لو جلت الخدود شعاعها * للشمس عند طلوعها لم تشرق) (غصن على دعص تأود فوقه * قمر تألق تحت ليل مطبق) (لو قيل للحسن احتكم لم يعدها * أو قيل خاطب غيرها لم ينطق) (وكأننا في فرعها في مغرب * وكأننا من وجهها في مشرق) (تبدو فيهتف للعيون ضياؤها * الويل حل بمقلة لم تطبق) ولولا خوف الإطالة لذكرت كثيرا من شعره وكانت ولادته بالبصرة في سكة صالح سنة ثلاث وعشرين

ومائتين ونشأ بها وتعلم فيها وأخذ عن أبي حاتم السجستاني والرياشي وعبد الرحمن بن عبد الله المعروف بابن أخي الأصمعي وأبي عثمان سعيد بن هارون الأشنانداني صاحب كتاب المعاني وغيرهم ثم أنتقل عن البصرة مع عمه الحسين عند ظهور الزنج وقتلهم الرياشي كما سبق في ترجمته وسكن عمان وأقام بها اثنتي عشرة سنة ثم عاد إلى البصرة وسكنها زمانا ثم خرج إلى نواحي فارس وصحب ابني ميكال وكانا يومئذ على عمالة فارس وعمل لهما كتاب الجمهرة وقلداه ديوان فارس وكانت تصدر كتب فارس عن رأيه ولا ينفذ امر إلا بعد توقيعه فأفاد معهما أموالا عظيمة وكان مفيدا مبيدا لايمسك درهما سخاء وكرما ومدحهما بقصيدته المقصورة فوصلاه بعشرة ألاف درهم ثم أنتقل من فارس إلى بغداد ودخلها سنة ثمان وثلثمائة بعد عزل ابني ميكال وأنتقالهما إلى
326 خراسان ولما وصل إلى بغداد أنزله علي بن محمد بن الحوارى في جواره وأفضل عليه وعرف الإمام المقتدر خبره ومكانه من العلم فأمر أن يجرى عليه خمسون ديناراً في كل شهر ولم تزل جارية عليه إلى حين وفاته وكان واسع الرواية لم ير أحفظ منه وكان يقرأ عليه دواوين العرب فيسابق إلى إتمامها من حفظه وسئل عنه الدارقطني أثقة هو أم لا فقال تكلموا فيه وقيل إنه كان يتسامح في الرواية فيسند إلى كل واحد ما يخطر له وقال أبو منصور الأزهري اللغوي دخلت عليه فرأيته سكران

فلم أعد إليه وقال ابن شاهين كنا ندخل عليه ونستحيي مما
نرى من العيدان المعلقة والشراب المصفى وذكر أن سائلا
سأله شيئا فلم يكن عنده غير دن من نبيذ فوهبه له فأنكر
عليه احد غلمانه وقال تتصدق بالنبيذ فقال لم يكن عندي
شيء سواه ثم اهدي له بعد ذلك عشرة دنان من النبيذ فقال
أخرجنا دنا فجاءنا عشرة وينسب إليبه من هذه الأمور
شيء كثير وعرض له في رأس التسعين من عمره فالج
سقي له الترياق فبرئ منه وصح ورجع إلى افضل احواله
ولم ينكر من نفسه شيئا ورجع إلى إسماع تلامذته وإملائه
عليهم ثم عاوده الفالج بعد حول لغذاء ضار تناوله فكان
يحرك يديه حركة ضعيفة وبطل من محزمه إلى قدميه
فكان إذا دخل عليه الداخل ضج وتألم لدخوله وإن لم يصل
إليه قال تلميذه أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي
المعروف بالبغدادي المقدم ذكره فكنت أقول في نفسي إن
الله عز وجل عاقبه بقوله في قصيدته المقصورة المقدم
ذكرها حين ذكر الدهر (مارست من لوهوت الأفلاك من
* جوانب الجو عليه ما شكا) وكان يصيح لذلك صياح
من يمشي عليه أو يسل بالمسال والداخل بعيد منه وكان
مع هذه الحال ثابت الذهن كامل العقل يرد فيما يسأل عنه
ردا
327 صحيحا قال أبو علي وعاش بعد ذلك عامين
وكنت أسأله عن شكوكي في اللغة وهو بهذه الحال فيرد
بأسرع من النفس بالصواب وقال لي مرة وقد سألته عن

بيت شعر لئن طفئت شحمتا عيني لم تجد من يشفيك من العلم قال أبو علي ثم قال لي يا بني وكذلك قال لي أبو حاتم وقد سألته عن شيء ثم قال لي أبو حاتم وكذلك قال لي الأصمعي وقد سألته وقال أبو علي وآخر شيء سألته عنه جاوبني أن قال لي يابني حال الجريض دون القريض فكان هذا الكلام آخر ما سمعته منه وكان قبل ذلك كثيرا مايتمثل (فواحزني أن لاحياة لذيذة * ولا عمل يرضى به الله صالح) وقال المرزباني قال لي ابن دريد سقطت من منزلي بفارس فانكسرت ترقوتي فسهرت ليلتي فلما كان آخر الليل غمضت عيني فرأيت رجلا طويلا أصفر الوجه كوسجا دخل علي وأخذ بعضادتي الباب وقال أنشدني أحسن ما قلت في الخمر فقلت ما ترك أبو نواس لأحد شيئا فقال أنا أشعر منه فقلت ومن أنت فقال أنا أبو ناجية من أهل الشام وأنشدني (وحمراء قبل المزج صفراء بعده * أتت بين ثوبي نرجس وشقائق) (حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا * عليها مزاجا فاكتست لون عاشق) فقلت له أسأت فقال ولم قلت لأنك قلت وحمراء فقدمت الحمرة ثم قلت بين ثوبي نرجس وشقائق فقدمت الصفرة فهلا قدمتها على الأخرى فقال ما هذا الاستقصاء في هذا الوقت يابغيض وجاء في رواية أخرى أن الشيخ أبا علي الفارسي النحوي قال أنشدني ابن دريد هذين البيتين لنفسه وقال جاءني إبليس في المنام وقال أغرت على أبي

328 نواس فقلت نعم فقال أجدت إلا أنك اسأت في شيء ثم ذكر بقية الكلام إلى آخره والله اعلم وتوفي يوم الأربعاء لاثنتين عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة إحدى وعشرين وثلثمائة ببغداد رحمه الله تعالى ودفن بالمقبرة المعروفة بالعباسية من الجانب الشرقي في ظهر سوق السلاح بالقرب من الشارع الأعظم وتوفي في ذلك اليوم أبو هاشم عبد السلام بن أبي علي الجبائي المتكلم المعتزلي المقدم ذكره فقال الناس اليوم مات علم اللغة والكلام ويقال إنه عاش ثلاثا وتسعين سنة لاغير ورثاه جحظة البرمكي المقدم ذكره بقوله (فقدت بابن دريد كل فائدة * لما غدا ثالث الأحجار والترب) (وكنت أبكي لفقد الجود منفردا * فصرت أبكي لفقد الجود والأدب) الترب بفتح الراء جمع تربة ودريد بضم الدال المهملة وفتح الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة وهو تصغير أدرد والأدرد الذي ليس فيه سن وهو تصغير ترخيم وإنما سمي هذا التصغير ترخيما لحذف حرف الهمزة من اوله كما تقول في تصغير أسود سويد وتصغير أزهر زهير وعتاهية بفتح العين المهملة وفتح التاء المثناة من فوقها وبعد الألف هاء مكسورة وياء مفتوحة مثناة من تحتها وبعدها هاء ساكنة وحنتم بفتح الحاء المهملة وسكون النون وفتح التاء المثناة من فوقها وبعدها ميم والأصل في الحنتم الجرة المدهونة الخضراء وبها سمي الرجل وحمامي بفتح الحاء المهملة والميم الخفيفة وبعد الألف ميم

مكسورة ثم ياء قال الأمير أبو نصر ابن ماكولا هو أول من أسلم من آبائه وبقية النسب
329 معروف وحمامي من جملة السبعين راكبا الذين خرجوا مع عمرو بن العاص من عمان إلى المدينة لما بلغهم وفاة رسول الله والقصة مشهورة وقد تقدم الكلام على الأزدي وقوله حال الحريض دون القريض هذا مثل مشهور وأول من نطق به عبيد بن الأبرص أحد شعراء الجاهلية لما لقي النعمان بن المنذر اللخمي آخر ملوك الحيرة في يوم بؤسه وعزم على قتله وكان ذلك عادته فأحس به عبيد فاستنشده شيئا من شعره فقال له حال الجريض دون القريض فسارت مثلا والجريض بفتح الجيم وكسر الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها ضاد معجمة وهو الغصة والقريض الشعر فكأنه قال حالت الغصة دون إنشاد الشعر وهذه القصة مشهورة فاقتصرت منها على ذكر خلاصتها 184 وعبيد بفتح العين المهملة وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة وهو شاعر مشهور وكان في الولادة من اقران عبد المطلب بن هاشم جد رسول الله
638 أبو عمر المطرز الزاهد أبو عمر محمد بن عبدالواحد بن أبي هاشم المعروف بالمطرز الباوردي الزاهد غلام ثعلب المقدم ذكره احد أئمة اللغة المشاهير المكثرين

330 أبا العباس ثعلبا زمانا فعرف به ونسب إليه وأكثر من الأخذ عنه وأستدرك على كتابه الفصيح جزءا لطيفا سماه فائت الفصيح وشرحه أيضا في جزء آخر وله كتاب اليواقيت وكتاب شرح الفصيح لثعلب وكتاب الجرجاني وكتاب الموضح وكتاب الساعات وكتاب يوم وليلة وكتاب المستحسن وكتاب العشرات وكتاب الشورى وكتاب البيوع وكتاب تفسير أسماء الشعراء وكتاب القبائل وكتاب المكنون والمكتوم وكتاب التفاحة وكتاب المداخل وكتاب على المداخل وكتاب النوادر وكتاب فائت العين وكتاب فائت الجمهرة وكتاب ما أنكرته الأعراب على أبي عبيد فيما رواه أو صنفه وكان ينقل غريب اللغة وحوشيها واكثر ما نقل أبو محمد ابن السيد البطليوسي في كتاب المثلث عنه وحكى عنه غرائب وروى عنه أبو الحسن محمد بن رزقويه وأبو علي ابن شاذان وغيرهم وكانت ولادته سنة إحدى وستين ومائتين وتوفي يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس وأربعين وقيل أربع وأربعين وثلثمائة ودفن يوم الاثنين ببغداد في الصفة التي تقابل معروفا الكرخي رضي الله عنه وبينهما عرض الطريق رحمه الله تعالى وكان اشتغاله بالعلوم واكتسابها قد منعه من اكتساب الرزق والتحيل له فلم يزل مضيقا عليه وكان لسعة روايته وغزارة حفظه يكذبه أدباء زمانه في أكثر نقل اللغة ويقولون لو طار طائر لقال أبو عمر حدثنا ثعلب عن ابن الأعرابي ويذكر في معنى ذلك شيئا

فأما روايته الحديث فإن المحدثين يصدقونه ويوثقونه
وكان أكثر ما يميله من التصانيف يلقيه بلسانه من غير
صحيفة يراجعها حتى قيل أنه أملى من حفظه ثلاثين ألف
ورقة من اللغة فلهذا الإكثار نسب إلى الكذب وكان يسأل
عن شيء قد تواطأت الجماعة على وضعه
331 فيجيب عنه ثم يترك سنة ويسأل عنه فيجيب
بذلك الجواب بعينه ومما جرى له في ذلك أن جماعة
قصدوه للأخذ عنه فتذاكروا في طريقهم عند قنطرة هناك
إكثاره وانه منسوب إلى الكذب بسبب ذلك فقال أحدهم أبا
اصحف له اسم هذه القنطرة وأسأله عنها فانظروا ماذا
يجيب فلما دخلوا عليه قال له أيها الشيخ ما القبطرة عند
العرب فقال كذا وكذا فتضاحكت الجماعة سرا وتركوه
شهرا ثم قرروا مع شخص سأله عن القبطرة بعينها فقال
أليس سئلت عن هذه المسألة منذ مدة كذا وكذا وأجبت عنها
بكذا وكذا فعجبت الجماعة من فطنته وذكائه واستحضاره
للمسألة والوقت وإن لم يتحققوا صحة ما ذكره وكان معز
الدولة بن بويه قد قلد شرطة بغداد لغلام له إسمه خواجا
فبلغ أبا عمر الخبر وكان يملي كتاب اليواقيت فلما جلس
للإملاء قال أكتبوا ياقوتة خواجا الخواج في أصل لغة
العرب الجوع ثم فرع على هذا بابا وأملاه فاستعظم الناس
ذلك من كذبه وتتبعوه في كتب اللغة قال أبو علي الحاتمي
الكاتب اللغوي أخرجنا في أمالي الحامض عن ثعلب عن
ابن الأعرابي الخواج الجوع وكان أبو عمر المذكور

يؤدب ولد القاضي أبي عمر محمد بن يوسف فأملى يوما على الغلام نحوا من مائة مسألة في اللغة وذكر غريبها وختمها ببيتين من الشعر وحضر أبو بكر بن دريد وأبو بكر ابن الأنباري وأبو بكر ابن مقسم عند القاضي أبي عمر فعرض عليهم تلك المسائل فما عرفوا منها شيئا وأنكروا الشعر فقال لهم القاضي ما تقولون فيها فقال ابن الأنباري أنا مشغول بتصنيف مشكل القرآن ولست أقول شيئا وقال ابن مقسم مثل ذلك وأحتج باشتغاله في القراءات وقال ابن دريد هذه المسائل من موضوعات أبي عمر ولا
332 أصل لها ولا لشيء منها في اللغة وانصرفوا
وبلغ أبا عمر ذلك فاجتمع بالقاضي وسأله إحضار دواوين جماعة من قدماء الشعراء عينهم ففتح القاضي خزانته واخرج له تلك الدواوين فلم يزل أبو عمر يعمد إلى كل مسألة ويخرج لها شاهدا من بعض تلك الدواوين ويعرضه على القاضي حتى استوفى جميعها ثم قال له و هذان البيتان أنشدهما ثعلب بحضرة القاضي وكتبهما القاضي بخطه على ظهر الكتاب الفلاني فأحضر القاضي الكتاب فوجد البيتين على ظهره بخطه كما ذكر أبو عمر بلفظه به وقال رئيس الرؤساء وقد رأيت أشياء كثيرة مما استنكر على أبي عمر ونسب فيها إلى الكذب فوجدتها مدونة في كتب أهل اللغة وخاصة في غريب المصنف لأبي عبيد وقال عبد الواحد بن علي بن برهان الأسدي أبو القاسم لم يتكلم في علم اللغة أحد من الأولين والآخرين أحسن من كلام

أبي عمر الزاهد وله كتاب غريب الحديث صنفه على مسند أحمد بن حنبل وكان يستحسنه جدا وقال أبو علي محمد بن الحسن الحاتمي اعتللت فتأخرت عن مجلس أبي عمر الزاهد قال فسأل عني لما تراخت الأيام فقيل له إنه كان عليلا فجاءني من الغد يعودني فاتفق أني كنت قد خرجت من داري إلى الحمام فكتب بخطه على بأبي باسفيداج (واعجب شيء سمعنا به * عليل يعاد فلا يوجد) قال والبيت له وكان مغاليا في حب معاوية وعنده جزء من فضائله وكان إذا ورد عليه من يروم الأخذ عنه ألزمه بقراءة ذلك الجزء وكانت فضائله جمة ومعلوماته غزيرة في هذا القدر كفاية والمطرز بضم الميم وفتح الطاء المهملة وكسر الراء المشددة وبعدها زاي

333 هذه اللفظة تقال لمن يطرز الثياب وكانت صناعة أبي عمر المذكور التطريز فنسب إليها وعرف بهذه الصناعة جماعة من العلماء وكشفت في كتاب الأنساب للسمعاني في ترجمة المطرز عن أبي عمر المذكور فلم يذكره لكنه ذكر أبا القاسم عبد الواحد بن محمد بن يحيى بن أيوب المطرز البغدادي الشاعر ويحتمل أن يكون والد أبي عمر المذكور لأن اسمه موافق اسم والده ويحتمل ان يكون غيره لكني لاعرفه وقال وهو مشهور الشعر سائره فمن قوله (ولما وقفنا بالصراة عشية * حيارى لتوديع ورد سلام) (وقفنا على رغم الحسود وكلنا * يفض عن الأشواق كل ختام)

وسوغني عند الوداع عناقه * فلما رأى وجدي به
وغرامي) (تلثم مرتابا بفضل ردائه * فقلت هلال بعد
بدر تمام) (وقبلته فوق اللثام فقال لي * هي الخمر إلا
انها بفدام) لكن السمعاني وإن كان ما ذكره في هذه
الترجمة فقد ذكره في ترجمة ثعلب وقال هو غلام ثعلب
كما ذكرته أولا 185 قلت ثم بعد هذا بسنين عديدة رأيت
بدمشق المحروسة ديوان شعر أبي القاسم عبد الواحد
المعروف بالمطرز المذكور وهو بغدادي وأكثر شعره
جيد وكانت ولادته سنة اربع وخمسين وثلثمائة وتوفي ليلة
الأحد مستهل جمادى الاخرة سنة تسع وثلاثين وأربعمائة
فظهر بهذا أنه ليس والد أبي عمر المذكور وإنما هو
مطرز آخر والباوردي بالباء الموحدة وبعد الألف والواو
راء ثم دال مهملة وهي بليدة بخراسان يقال لها باورد
وأباورد وأبيورد ومنها أبو المظفر الأبيوردي الشاعر
الاتي ذكره إن شاء الله تعالى
334 639 الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد بن
الأزهر بن طلحة بن نوح بن أزهر الأزهري الهروي
اللغوي الإمام المشهور في اللغة كان فقيها شافعي المذهب
غلبت عليه اللغة فاشتهر بها وكان متفقا على فضله وثقته
ودرايته وورعه روى عن أبي الفضل محمد بن أبي
جعفر المنذري اللغوي عن أبي العباس ثعلب وغيره
ودخل بغداد وادرك بها أبا بكر ابن دريد ولم يرو عنه شيئا
واخذ عن أبي عبد الله إبراهيم ابن عرفة الملقب نفطويه

المقدم ذكره وعن أبي بكر محمد بن السري المعروف بابن السراج النحوي وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى وقيل إنه لم يأخذ عنه شيئا وكان قد رحل وطاف في ارض العرب في طلب اللغة وحكى بعض الأفاضل أنه رأى بخطه قال امتحنت بالأسر سنة عارضت القرامطة الحاج بالهبير وكان القوم الذين وقعت في سهمهم عربا نشؤوا في البادية يتتبعون مساقط الغيث أيام النجع ويرجعون إلى اعداد المياه في محاضرهم زمان القيظ ويرعون النعم ويعيشون بألبانها ويتكلمون بطباعهم ولا يكاد يوجد في منطقهم لحن أو خطأ فاحش فبقيت في أسرهم دهرا طويلا وكنا نشتي بالدهناء ونرتبع بالصمان ونقيظ بالستارين واستفدت من محاورتهم ومخاطبة بعضهم بعضا ألفاظا جمة ونوادر كثيرة أوقعت أكثرها في كتابي يعني التهذيب وستراها في مواضعها وذكر في تضاعيف كلامه أنه أقام بالصمان شتوتين ومما رواه أن

335 أعرابيا قال اللهم من ظلمني مرة فاجزه ومن ظلمني مرتين فاجزني واجزه ومن ظلمني ثلاث مرات فجزني ولا تجزه وكان أبو منصور المذكور جامعا لشتات اللغة مطلعا على أسرارها ودقائقها وصنف في اللغة كتاب التهذيب وهو من الكتب المختارة يكون أكثر من عشر مجلدات وله تصنيف في غريب الألفاظ التي تستعملها الفقهاء في مجلد واحد وهو عمدة الفقهاء في تفسير ما يشكل عليهم من اللغة المتعلقة بالفقه وكتاب

التفسير ورأى ببغداد أبا إسحاق الزجاج وأبا بكر ابن الأنباري ولم ينقل انه أخذ عنهما شيئا وكانت ولادته سنة اثنتين وثمانين ومائتين وتوفي في سنة سبعين وثلثمائة في اواخرها وقيل سنة إحدى وسبعين بمدينة هراة رحمه الله تعالى والأزهري بفتح الهمزة وسكون الزاي وفتح الهاء وبعدها راء هذه النسبة إلى جده أزهر المذكور وقد تقدم الكلام على الهروي والقرامطة نسبتهم إلى رجل من سواد الكوفة يقال له قرمط بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم وبعدها طاء مهملة ولهم مذهب مذموم وكانوا قد ظهروا في سنة إحدى وثمانين ومائتين في خلافة المعتضد بالله وطالت أيامهم وعظمت شوكتهم واخافوا السبيل واستولوا على بلاد كثيرة وأخبارهم مستقصاة في التواريخ وكانت وقعة الهبير التي أشار إليها في سنة إحدى عشرة وثلثمائة وكان مقدم القرامطة يوم ذاك أبا طاهر الجنابي القرمطي ولما ظهر على الحجاج قتل بعضهم واسترق آخرين واستولى على جميع اموالهم وذلك في خلافة المقتدر بن المعتضد وقيل كان اول ظهورهم في سنة ثمان وسبعين ومائتين

336 وأولهم أبو سعيد الجنابي كان بناحية البحرين وهجر وقتل في سنة إحدى وثلثمائة قتله خادم له وقتل أبو طاهر المذكور في سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة والجنابي بفتح الجيم والنون المشددة وبعد الألف باء موحدة هذه النسبة إلى جنابة وهي بلدة بالبحرين بالقرب من سيراف

على البحر والهبير بفتح الهاء وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها وبعدها راء ساكنة وهو الموضع المطمئن من الارض والدهناء بفتح الدال المهملة وسكون الهاء وبعدها نون مفتوحة ثم ألف تمد وتقصر وهي أرض واسعة في بادية العرب في ديار بني تميم وقيل هي سبعة أجبل من الرمل وقيل هي في بادية البصرة في ديار بني سعد والصمان بفتح الصاد المهملة والميم المشددة وبعد الألف نون وهو جبل أحمر ينقاد ثلاث ليال وليس له إرتفاع يجاور الدهناء وقيل إنه قرب رمال عالج وبينه وبين البصرة تسعة أيام والستاران تثنية ستار بكسر السين المهملة وفتح التاء المثناة من فوقها وبعد االألف راء وهما واديان في ديار بني سعد يقال لهما سودة ويقال لأحدهما الستار الأغبر وللآخر الستار الجابري وفيهما عيون فوارة يسقى نخيلهما منها وهذا كله وإن كان خارجا عن المقصود لكنها ألفاظ غريبة فاحببت تفسيرها لئلا تشكل على من يطالع هذا المجموع

337 640 أبو عبد الله اليزيدي أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد اليزيدي النحوي وسيأتي ذكر جده أبي محمد يحيى بن المبارك العدوي اليزيدي إن شاء الله تعالى كان محمد المذكور إماما في النحو والأدب ونقل النوادر وكلام العرب ومما رواه ان أعرابيا هوي أعرابية فأهدى إليها ثلاثين شاة وزقا من خمر مع عبد له أسود فأخذ العبد شاة في الطريق فذبحها

وأكل منها وشرب بعض الزق فلما جاءها بالباقي عرفت انه خانها في الهدية فلما عزم على الإنصراف سألها هل لك من حاجة فأرادت إعلام سيده بما فعله العبد في الطريق فقالت له إقرأ عليه السلام وقل له إن الشهر كان عندنا محاقا وإن سحيما راعي غنمنا جاء مرثوما فلم يعلم العبد ما أرادت بهذه الكناية فلما عاد إلى مولاه أخبره برسالتها ففطن لما ارادته فدعا له بالهراوة وقال لتصدقني وإلا ضربتك بهذه ضربا مبرحا فاخبره الخبر فعفا عنه وهذه من لطائف الكنايات وأحلى الإشارات وروى أبو محمد ابن قتيبة في هذا المعنى عن أبي حاتم عن الأصمعي قال حدثني شيخ من بني العنبر قال اسرت بنو شيبان رجلا من العرب من بني العنبر فقال لهم أرسل إلى أهلي ليفدوني فقالوا ولاتكلم الرسول إلا بين أيدينا فجاءوه برسول فقال له أيت قومي فقل لهم إن الشجر قد اورق وإن النساء قد اشكت قال له اتعقل قال نعم قال فما هذا وأشار بيده فقال هذا الليل فقال أراك تعقل انطلق فقل لأهلي عروا جملي الأصهب واركبوا ناقتي الحمراء واسألوا حارثة عن امري فأتاهم الرسول فأرسلوا إلى
338 حارثة فقص عليه الرسول القصة فلما خلا معهم قال اما قوله أن الشجر قد اورق فإنه يريد ان القوم قد تسلحوا وقوله أن النساء قد اشكت أي اتخذت الشكاء للغزو وهي أسقية وقوله هذا الليل يريد يأتونكم مثل الليل أو في الليل وقوله عروا جملي الأصهب يريد ارتحلوا عن

الصمان وقله أركبوا ناقتي الحمراء يريد اركبوا الدهناء فلما قال لهم ذلك تحملوا من مكانهم فلما أتاهم القوم لم يجدوا منهم أحدا وحكي عن ابن الأعرابي قال اسرت طيء رجلا شابا من العرب فقدم عليه أبوه وعمه ليفدياه فاشتطوا عليهما في الفداء فأعطيا به عطية لم يرضوا بها فقال أبوه لا والذي جعل الفرقدين يصبحان ويمسيان على جبل طيء لا أزيدكم على ما اعطيتكم ثم انصرفا فقال الأب للعم لقد القيت إليه كلمة لئن كان فيه خير لينجون فما لبث أن نجا وطرد قطعة من إبلهم فذهب بها كانه قال له الزم الفرقدين على جبلي طيء فإنهما طالعان عليه ولا يغيبان عنه والمرثوم بفتح الميم وسكون الراء وضم الثاء المثلثة المكسور النف الملطخ بالدم والرثم البياض في جحفلة الفرس العليا وهو في الزق مستعمل على سبيل الاستعارة وله تصانيف فمن ذلك كتاب الخيل وكتاب مناقب بني العباس وكتاب أخبار اليزيديين وله مختصر في النحو وكان قد استدعي في آخر عمره إلى تعليم أولاد المقتدر بالله فلزمهم مدة ولقيه بعض اصحابه بعد اتصاله بالخليفة فسأله ان يقرئه فقال أنا في شغل عن ذلك وتوفي أبو عبد الله المذكور ليلة الأحد أول الليل لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الاخرة سنة عشر وثلثمائة وعمره اثنتان وثمانون سنة وثلاثة أشهر رحمه الله تعالى

339 واليزيدي نسبة إلى يزيد بن منصور وسيأتي الكلام على ذلك في ترجمة جده أبي محمد يحيى بن

المبارك إن شاء الله تعالى 641 أبو بكر ابن السراج
النحوي أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج كان أحد الأئمة المشاهير المجمع على فضله ونبله وجلالة قدره في النحو والآداب أخذ الأدب عن أبي العباس المبرد المقدم ذكره وغيره وأخذ عنه جماعة من الأعيان منهم أبو سعيد السيرافي وعلي بن عيسى الرماني وغيرهما ونقل عنه الجوهري في كتاب الصحاح في مواضع عديدة وله التصانيف المشهورة في النحو منها كتاب الأصول وهو من اجود الكتب المصنفة في هذا الشأن وإليه المرجع عند اضطراب النقل وأختلافه وكتاب جمل الأصول وكتاب الموجز صغير وكتاب الاشتقاق وكتاب شرح كتاب سيبويه وكتاب احتجاج القراء وكتاب الشعر والشعراء وكتاب الرياح والهواء والنار وكتاب الجمل وكتاب المواصلات وكان يلثغ في الراء فيجعلها غينا فأملى يوما كلاما فيه لفظة بالراء فكتبوها عنه بالغين فقال لا بالغاء لا بالعاء يريد بالراء وجعل يكررها على هذه الصورة

340 ورأيت في بعض المجاميع أبياتا منسوبة إليه ولا اتحقق صحتها وهي سائرة بين الناس في جارية كان يهواها وهي (ميزت بين جمالها وفعالها * فإذا الملاحة بالخيانة لا تفي) (حلفت لنا أن لاتخون عهودنا * فكأنما حلفت لنا ان لا تفي) (والله لا كلمتها ولو انها * كالبدر او كالشمس او كالمكتفي) وبعد الف راغ من هذه الترجمة

وجدت هذه الأبيات له ولها قصة عجيبة وهي أن أبا بكر المذكور كان يهوى جارية فجفته فاتفق وصول الإمام المكتفي في تلك الأيام من الرقة فاجتمع الناس لرؤيته فلما رآه أبو بكر أستحسنه وأنشد لأصحابه الأبيات المذكورة ثم إن ابا عبد الله محمد بن إسماعيل بن زنجي الكاتب أنشدها لأبي العباس ابن الفرات وقال هي لابن المعتز وانشدها أبو العباس للقاسم بن عبيد الله الوزير فاجتمع الوزير بالمكتفي وانشده إياها فقال لمن هي فقال لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر فأمر له بألف دينار فوصلت إليه فقال ابن زنجي ما اعجب هذه القصة يعمل أبو بكر ابن السراج أبياتا تكون سببا لوصول الرزق إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وتوفي أبو بكر المذكور يوم الأحد لثلاث ليال بقين من ذي الحجة سنة ست عشرة وثلثمائة رحمه الله تعالى والسراج بفتح السين المهملة والراء المشددة وبعد الألف جيم هذه النسبة إلى عمل السروج

341 642 أبو بكر بن الأنباري أبو بكر محمد بن أبي محمد القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة ابن فروة بن قطن بن دعامة الأنباري النحوي صاحب التصانيف في النحو والأدب كان علامة وقته في الأداب وأكثر الناس حفظا لها وكان صدوقا ثقة دينا خيرا من أهل السنة وصنف كتبا كثيرة في علوم القرآن وغريب الحديث والمشكل والوقف والإبتداء والرد على من خالف مصحف العامة وكتاب الزهراء ذكره الخطيب في تاريخ

بغداد واثنى عليه وقال بلغني انه كتب عنه وأبوه حي
وكان يملي في ناحية من المسجد وأبوه في ناحية اخرى
186 وكان أبوه عالما بالأدب موثقا في الرواية صدوقا
أمينا سكن بغداد وروى عنه جماعة من العلماء وروى
عنه ولده المذكور وله تصانيف فمن ذلك كتاب خلق
الإنسان وكتاب خلق الفرس وكتاب الأمثال وكتاب
المقصور والممدود وكتاب المؤنث والمذكر وكتاب غريب
الحديث وقال أبو علي القالي كان أبو بكر ابن الأنباري
يحفظ فيما ذكر ثلثمائة ألف بيت شاهد في القرآن الكريم
وقيل له قد أكثر الناس من محفوظاتك فكم تحفظ فقال
أحفظ ثلاثة عشر صندوقا وقيل إنه كان يحفظ مائة
وعشرين تفسيرا للقرآن باسانيدها وحكى أبو الحسن
الدارقطني أنه حضر في مجلس إملائه يوم جمعة فصحف
اسما أورده في إسناد حديث إما كان حيان فقال حبان او
حبان فقال حيان
342 قال الدارقطني فاعظمت أن يحمل عن مثله في
فضله وجلالته وهم وهبت ان أوقفه على ذلك فلما انقضى
الإملاء تقدمت إلى المستملي فذكرت له وهمه وعرفته
صواب القول فيه وانصرفت ثم حضرت الجمعة الثانية
مجلسه فقال أبو بكر عرف جماعة الحاضرين أنا صحفنا
الإسم الفلاني لما املينا حديث كذا في الجمعة الماضية
ونبهنا ذلك الشاب على الصواب وهو كذا وعرف ذلك
الشاب أنا رجعنا إلى الأصل فوجدناه كما قال ومن جملة

تصانيفه غريب الحديث قيل إنه خمسة وأربعون ورقة وكتاب شرح الكافي وهو نحو ألف ورقة وكتاب الهاءات نحو ألف ورقة وكتاب الأضداد وكتاب الجاهليات وهو سبعمائة ورقة والمذكر والمؤنث ماعمل أحد أتم منه ورسالة المشكل رد فيها على ابن قتيبة وأبي حاتم وكانت ولادته يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب سنة إحدى وسبعين ومائتين وتوفي ليلة عيد النحر سنة ثمان وعشرين وقيل سنة سبع وعشرين وثلثمائة وتوفي أبوه القاسم سنة سنة اربع وثلثمائة ببغداد وقيل في صفر سنة خمس وثلثمائة رحمه الله تعالى وقد تقدم الكلام على الأنباري في ترجمة عبد الرحمن النباري النحوي واملى أبو بكر المذكور في بعض أماليه لبعض العرب (فهلا منعتم إذ منعتم كلامها * خيالا يوافيني على النأي هاديا) (سقى الله أطلالا باكثبة الحمى * وإن كن قد أبدين للناس حاليا) (منازل لو مخرت بهن جنازتي * لقال الصدى ياصاحبي انزلا بيا)

343 وأملى أيضا في مجلس الآخر (وبالعرصة البيضاء إن زرت أهلها * مها مهملات ما عليهن سائس) (خرجن لحب اللهو من غير ريبة * عفائف باغي اللهو منهن آيس) 643 أبو العيناء أبو عبد الله محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان الهاشمي بالولاء الضرير مولى أبي جعفر المنصور المعروف بأبي العيناء صاحب النوادر والشعر والأدب أصله من اليمامة ومولده بالأهواز

ومنشؤه بالبصرة وبها طلب الحديث وكسب الأدب وسمع من أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري والعتبي وغيرهم وكان من احفظ الناس وافصحهم لسانا وكان من ظرفاء العالم وفيه من اللسن وسرعة الجواب والذكاء مالم يكن في احد من نظرائه وله أخبار حسان وأشعار ملاح مع أبي علي الضرير وحضر يوما مجلس بعض الوزراء فتفاوضوا حديث البرامكة وكرمهم وما كانوا عليه من الجود فقال الوزير لأبي العيناء وكان قد بالغ في وصفهم وما كانوا عليه من البذل والإفضال قد اكثرت من ذكرهم ووصفك إياهم وإنما هذا تصنيف الوراقين وكذب المؤلفين فقال له أبو العيناء فلم لا يكذب الوراقون عليك أيها الوزير فسكت الوزير وعجب الحاضرون من إقدامه عليه
344 وشكا إلى عبيد الله بن سليمان بن وهب الوزير سوء الحال فقال له أليس قد كتبنا إلى إبراهيم بن المدبر في أمرك قال نعم قد كتبت إلى رجل قد قصر من همته طول الفقر وذل الأسر ومعاناة الدهر فأخفق سعيي وخابت طلبتي فقال عبيد الله أنت إخترته فقال وما علي ايها الوزير في ذلك وقد إختار موسى قومه سبعين رجلا فما كان فيهم رشيد واختار النبي عبد الله بن سعد بن أبي سرح كاتبا فرجع إلى المشركين مرتدا وأختار علي بن أبي طالب رضي الله عنه ابا موسى الأشعري حاكما له فحكم عليه وإنما قال ذل الأسرة لأن إبراهيم المذكور كان قد اسره علي بن محمد صاحب الزنج بالبصرة وسجنه فنقب

السجن وهرب ودخل على أبي الصقر إسماعيل بن بلبل
الوزير يوما فقال له ما الذي اخرك عنا يا أبا العيناء فقال
سرق حماري فقال وكيف سرق قال لم أكن مع اللص
فأخبرك قال فهلا اتيتنا على غيره قال قعد بي عن الشراء
قلة يساري وكرهت ذلة المكاري ومنه العواري وخاصم
علويا فقال له العلوي تخاصمني وأنت تقول كل يوم اللهم
صل على محمد وعلى آل محمد فقال لكني أقول الطيبين
الطاهرين ولست منهم ووقفت عليه رجل من العامة فلما
احس به قال من هذا ثقال رجل من بني آدم فقال أبو
العيناء مرحبا بك أطال الله بقاءك ما كنت اظن هذا النسل
إلا قد إنقطع وصار يوما إلى باب صاعد بن مخلد
فاستأذن عليه فقيل هو مشغول بالصلاة فقال لكل جديد لذة
وكان صاعد قبل الوزارة نصرانيا ومر بباب عبد الله ابن
منصور وهو مريض وقد صلح فقال لغلامه كيف خبره
فقال كما تحب فقال ما لي لا أسمع الصراخ عليه ودعا
سائلا ليعشيه فلم يدع شيئا إلا اكله فقال يا هذا دعوتك
رحمة فتركتني رحمة ولقيه بعض اصحابه في
345 السحر فجعل يتعجب من بكوره فقال أبو
العيناء أراك تشركني في الفعل وتفردني بالتعجب وذكر له
ان المتوكل قال لولا أنه ضرير لنادمناه فقال إن أعفاني
من رؤية الأهلة وقراءة نقوش الفصوص فانا اصلح
للمنادمة وقيل له إلى متى تمدح وتهجو فقال مادام
المحسن محسنا والمسيء مسيئا بل اعوذ بالله ان اكون

كالعقرب التي تلسب النبي والذمي وذكر الزمخشري في
كتاب ربيع الأبرار في باب الظلم قال أبو العيناء فقلت قد
تضافروا علي وصاروا يدا واحدة فقال (^ يد الله فوق
أيديهم) (الفتح : 10) قلت فإن لهم مكرا قال (^ ولا
يحيق المكر السيء إلا بأهله) (فاطر : 43) قلت هم
كثير قال (^ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله
والله مع الصابرين) (البقرة : 249) وكان بينه وبين
ابن مكرم مداعبات فسمع ابن مكرم رجلا يقول من ذهب
بصره قلت حيلته فقال ما اغفلك عن أبي العيناء ذهب
بصره فعظمت حيلته وقد الم أبو علي البصير إلى هذا
المعنى يشير به إلى أبي العيناء فقال (قد كنت خفت يد
الزمان * عليك أن ذهب البصر) (لم أدرأنك بالعمى *
تغنى ويفتقر البشر) وسمع ابن مكرم أبا العيناء يقول في
بعض دعائه يا رب سائلك فقال يا ابن الفاعلة ومن لست
سائلة وقال له ابن مكرم يوما يعرض به كم عدد المكدين
بالبصرة فقال له مثل عدد البغائين ببغداد ودخل على ابن
ثوابة عقيب كلام جرى بينه وبين أبي الصقر أربى ابن
ثوابة عليه فيه فقال له بلغني ما ما جرى بينك وبين أبي
الصقر وما منعه من استقصاء الجواب إلا أنه لم يجد عزا
فيضعه ولا مجدا فينقصه وبعد فإنه عاف لحمك ان يأكله
وسهك دمك ان يسفكه فقال ابن ثوابة وما أنت
346   والدخول بيني وبين هؤلاء يا مكدي فقال لا
تنكر على ابن ثمانين قد ذهب بصره وجفاه سلطانه ان

يعول على إخوانه فيأخذ من أموالهم ولكن أشد من هذا من يستنزل الماء من أصلاب الرجال فيستفرغه في جوفه فيقطع أنسابهم ويعظم اوزارهم فقال ابن ثوابة ما تساب اثنان إلا غلب الأمهما فقال أبو العيناء وبها غلبت أبا الصقر بالأمس فأسكته ودخل على المتوكل في قصره المعروف بالجعفري سنة ست وأربعين ومائتين فقال له ما تقول في دارنا هذه فقال إن الناس بنوا الدور في الدنيا وأنت بنيت الدنيا في دارك فاستحسن كلامه ثم قال له كيف شربك للخمر قال أعجز عن قليله وافتضح عند كثيره فقال له دع هذا عنك ونادمنا فقال أنا رجل مكفوف وكل من في مجلسك يخدمك وانا أحتاج ان اخدم ولست بمن من أن تنظر إلي بعين راض وقلبك علي غضبان او بعين غضبان وقلبك راض ومتى لم أميز بين هذين هلكت فاختار العافية على التعرض للبلاء فقال بلغنا عنك بذاء في لسانك فقال يا أمير المؤمنين قد مدح الله تعالى وذم فقال (^ نعم العبد إنه أواب) (ص : 44) وقال عز وجل (^ هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم) (القلم : 11) وقال الشاعر (إذا انا بالمعروف لم اثن صادقا * ولم أشتم النكس اللئيم المذمما) (ففيم عرفت الخير والشر باسمه * وشق لي الله المسامع والفما) قال فمن أين أنت قال من البصرة قال فما تقول فيها قال ماؤها أجاج وحرها عذاب وتطيب في الوقت الذي تطيب فيه جهنم ولما سلم نجاح بن سلمة إلى موسى بن عبد الله

الأصبهاني ليستأدي ما عليه من الأموال عاقبه فتلف في مطالبته وذلك في يوم لإثنين لثمان بقين من ذي القعدة سنة خمس وأربعين ومائتين وفي تلك الليلة بلغ المعتز بالله ابن المتوكل الخبر فاجتمع بعض الرؤساء بأبي العيناء فقال له ماعندك من خبر نجاح
347 ابن سلمة فقال أبو العيناء (^ فوكزه موسى فقضى عليه) (القصص : 15) فبلغت كلمته موسى فلقيه في الطريق فتهدده فقال له أبو العيناء (^ أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس) (القصص : 19) وكتب إلى بعض الرؤساء وقد وعده بشيء فلم ينجزه ثقتي بك تمنعني من استبطائك وعلمي بشغلك يدعوني إلى إذكارك ولست آمن مع إستحكام ثقتي بطولك والمعرفة بعلو همتك اخترام الأجل فإن الآجال آفات الآمال فسح الله في أجلك وبلغك منتهى أملك والسلام وأحواله ونوادره كثيرة وروي عنه أنه قال كنت يوما جالسا عند أبي الحكم إذ اتاه رجل فقال له وعدتني وعدا فإن رأيت أن تنجزه فقال ما أذكره فقال إن لم تذكره فلأن من تعده مثلي كثير وانا لا أنساه لأن من أسأله مثلك قليل فقال أحسنت لله أبوك وقضى حاجته وكانت ولادته سنة إحدى وتسعين ومائة بالأهواز كما تقدم ونشأ بالبصرة وكف بصره وقد بلغ أربعين سنة وكان جده الأكبر لقي علي بن أبي طالب فأعياه في المخاطبة معه فدعا عليه بالعمى له ولولده فكل من عمي من ولد جد أبي العيناء فهو صحيح النسب فيهم هكذا قاله أبو سعيد الطلحي

وخرج من البصرة وهو بصير وقدم سر من رأى فاعتلت عيناه فعمي وسكن بغداد مدة وعاد إلى البصرة وتوفي بها في جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين وقيل اثنتين وثمانين ومائتين وقال ابنه جعفر توفي أبي لعشر ليال خلون من جمادى الأولى ومولده سنة تسعين ومائة والله اعلم رحمه الله تعالى ولقب بأبي
348 العيناء لأنه قال لأبي زيد الأنصاري كيف تصغر عينا فقال عيينا يا أبا العيناء فبقي عليه وعيناء بفتح العين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح النون وبعدها ألف ممدودة وخلاد بفتح الخاء المعجمة وتشديد اللام ألف وقد تقدم الكلام على اليمامة والأهواز فأغنى عن الإعادة 644 الواقدي أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي المدني مولى بني هاشم وقيل مولى بني سهم بن أسلم كان إماما عالما له التصانيف في المغازي وغيرها وله كتاب الردة ذكر فيه إرتداد العرب بعد وفاة النبي ومحاربة الصحابة رضي الله عنهم لطليحة بن خويلد الأزدي والأسود العنسي ومسيلمة الكذاب وما أقصر فيه سمع من ابن أبي ذئب ومعمر بن راشد ومالك بن أنس والثوري وغيرهم وروى عنه كاتبه محمد بن سعد المذكور عقيبه إن شاء الله تعالى وجماعة من الأعيان وتولى القضاء بشرقي بغداد وولاه المأمون القضاء بعسكر المهدي وضعفوه في الحديث وتكلموا فيه

349 وكان المأمون يكرم جانبه ويبالغ في رعايته وكتب إليه مرة يشكو ضائقة لحقته وركبه بسببها دين وعين مقداره في قصته فوقع المأمون فيها بخطه فيك خلتان سخاء وحياء فالسخاء اطلق يديك بتبذير ما ملكت والحياء حملك أن ذكرت لنا بعض دينك وقد أمرنا لك بضعف ما سألت وإن كنا قصرنا عن بلوغ حاجتك فبجنايتك على نفسك وإن كنا بلغنا بغيتك فزد في بسطة يدك فإن خزائن الله مفتوحة ويده بالخير مبسوطة وأنت حدثتني حين كنت على قضاء الرشيد ان النبي قال للزبير يا زبير إن مفاتيح الرزق بإزاء العرش ينزل الله سبحانه للعباد أرزاقهم على قدر نفقاتهم فمن كثر كثر له ومن قلل قلل عليه قال الواقدي وكنت نسيت الحديث فكانت مذاكرته إياي أعجب إلي من صلته وروى عنه بشر الحافي المقدم ذكره رضي الله عنه حكاية واحدة وهي أنه سمعه يقول ما يكتب للحمى يؤخذ ثلاث ورقات زيتون تكتب يوم السبت وأنت على طهارة على واحدة منها جهنم غرثي وعلى الأخرى جهنم عطشى وعلى الأخرى جهنم مقرورة ثم تجعل في خرقة وتشد على عضد المحموم الأيسر قال الواقدي المذكور جربته فوجدته نافعا هكذا نقل هذه الحكاية أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه الذي وضعه في اخبار بشر الحافي وروى المسعودي في كتاب مروج الذهب أن الواقدي المذكور قال كان لي صديقان أحدهما هاشمي وكنا كنفس واحدة فنالتني ضائقة شديدة وحضر

العيد فقالت امرأتي أما نحن في أنفسنا فنصبر على البؤس
والشدة وأما صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قلبي رحمة لهم
لأنهم يرون صبيان الجيران قد تزينوا في عيدهم
وأصلحوا ثيابهم وهم على هذه الحال من الثياب الرثة فلو
احتلت في شيء تصرفه في كسوتهم قال فكتبت إلى
صديق لي وهو الهاشمي أسأله التوسعة علي بما حضر
فوجه إلي كيسا مختوما ذكر أن فيه الف درهم
350 فما استقر قراري حتى كتب إلي الصديق
الاخر يشكو مثل ما شكوت إلى صاحبي الهاشمي فوجهت
إليه الكيس بحاله وخرجت إلى المسجد فأقمت فيه ليلتي
مستحييا من امرأتي فلما دخلت عليها استحسنت ما كان
مني ولم تعنفني عليه فبينا أنا كذلك إذ وافى صديقي
الهاشمي ومعه الكيس كهيئته فقال لي اصدقني عما فعلته
فيما وجهت به إليك فعرفته الخبر على وجهه فقال لي إنك
وجهت إلي وما أملك على الأرض إلا ما بعثت به إليك
وكتبت إلى صديقنا أسأله المواساة فوجه كيسي بخاتمي
قال الواقدي فتواسينا الف درهم فيما بيننا ثم إنا أخرجنا
للمرأة مائة درهم قبل ذلك ونمي الخبر إلى المأمون
فدعاني وسألني فشرحت له الخبر فامر لنا بسبعة الاف
دينار لكل واحد منا ألفا دينا وللمرأة ألف دينار وقد ذكر
الخطيب في تاريخ بغداد هذه الحكاية وبينها وبين ما
ذكرناه هاهنا إختلاف يسير وكانت ولادة الواقدي في أول
سنة ثلاثين ومائة وتوفي عشية يوم الاثنين حادي عشر

ذي الحجة سنة سبع ومائتين وهو يومئذ قاض ببغداد في
الجانب الغربي كذا قاله ابن قتيبة وقال السمعاني كان
قاضيا بالجانب الشرقي كما تقدم والله اعلم وصلى عليه
محمد بن سماعة التميمي ودفن في مقابر الخيزران وقيل
مالت سنة تسع وقيل سنة ست ومائتين والأول اصح وقال
الخطيب في تاريخ بغداد في اول ترجمة الواقدي إنه توفي
في ذي القعدة وقال في آخر الترجمة إنه مات في ذي
الحجة والله أعلم رحمه الله تعالى ورأيت بخطي في
مسوداتي أن الواقدي مات وعمره ثماني وسبعون سنة
351 والواقدي بفتح الواو وبعد الألف قاف مكسورة
ثم دال مهملة هذه النسبة إلى واقد وهو جده المذكور وقد
تقدم الكلام على المدني وعسكر المهدي هي المحلة
المعروفة اليوم بالرصافة في الجانب الشرقي من بغداد
عمرها أبو جعفر المنصور لولده المهدي فنسبت إليه وهذا
يؤيد ان الواقدي كان قاضي الجانب الشرقي لا الغربي
والله أعلم 645 محمد بن سعد كاتب الواقدي أبو عبد الله
محمد بن سعد بن منيع الزهري البصري كاتب الواقدي
كان احد الفضلاء النبلاء الأجلاء صحب الواقدي المذكور
قبله زمانا وكتب له فعرف به وسمع سفيان بن عيينة
وانظاره وروى عنه أبو بكر ابن أبي الدنيا وأبو محمد
الحارث بن أبي أسامة التميمي وغيرهما وصنف كتابا
كبيرا في طبقات الصحابة والتابعين والخلفاء إلى وقته
فأجاد فيه واحسن وهو يدخل في خمس عشرة مجلدة وله

طبقات أخرى صغرى وكان صدوقا ثقة ويقال اجتمعت كتب الواقدي عند أربعة أنفس أولهم كاتبه محمد بن سعد المذكور وكان كثير العلم غزير الحديث والرواية كثير الكتبة كتب
352 الحديث والفقه وغيرهما وقال الحافظ أبو بكر الخطيب صاحب تاريخ بغداد في حقه ومحمد بن سعد عندنا من أهل العدالة وحديثه يدل على صدقه فإنه يتحرى في كثير من رواياته وهو من موالي الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وتوفي يوم الأحد لأربع خلون من جمادى الاخرة سنة ثلاثين ومائتين ببغداد ودفن في مقبرة باب الشام وهو ابن اثنتين وستين سنة رحمه الله تعالى 646 الدولابي أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد بن سعد الأنصاري بالولاء الوراق الرازي الدولابي كان عالما بالحديث والأخبار والتواريخ سمع الأحاديث بالعراق والشام وروى عن محمد بن بشار وأحمد بن عبد الجبار العطاردي وخلق كثير وروى عنه الطبراني وأبو حاتم ابن حبان البستي وله تصانيف مفيدة في التاريخ ومواليد الزعماء ووفياتهم واعتمد عليه أرباب هذا الفن في النقل واخبروا عنه في كتبهم ومصنفاتهم المشهورة وبالجملة فقد كان من الأعلام في هذا الشأن وممن يرجع إليه وكان حسن التصنيف وتوفي سنة عشرين وثلثمائة بالعرج رحمه الله تعالى ورووي عنه أنه كان ينشد لعروة بن حزام العذري حيث قال

353 (إذا رام قلبي هجرها حال دونه * شفيعان من قلبي لها جدلان) (إذا قال لا قالا بلى ثم اصبحوا * جميعا على الرأي الذي يريان) والدولابي بضم الدال المهملة وفتحها قال السمعاني والفتح أصح وسكون الواو وبعد اللام ألف باء موحدة هذه النسبة إلى الدولاب وهي قرية من اعمال الري وبالأهواز قرية يقال لها الدولاب وبها كانت الوقعة المشهورة للأزارقة وبشرقي بغداد موضع آخر يقال له الدولاب ودولاب الجار أيضا موضع آخر والدولاب الذي يدار ويستعمل بضم الدال وفتحها والعرج بفتح العين المهملة وسكون الراء وبعدها جيم وهي عقبة بين مكة والمدينة على جادة الحاج والعرج أيضا قرية جامعة من نواحي الطائف إليها ينسب العرجي الشاعر وهو عبد الله بن عمرو بن عمر بن عثمان بن عفان رضي الله عنه ولا أعلم هل توفي الدولابي في العرج الأولى أم الثانية وباليمن بلد آخر يقال له سوق العرج والله أعلم

354 647 المرزباني أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى بن سعيد بن عبيد الله الكاتب المرزباني الخراساني الأصل البغدادي المولد صاحب التصانيف المشهورة والمجاميع الغريبة كان راوية للأدب صاحب أخبار وتواليفه كثيرة وكان ثقة في الحديث ومائلا إلى التشيع في المذهب حدث عن عبد الله بن محمد البغوي وأبي بكر ابن أبي داود السجستاني في آخرين وهو أول

من جمع ديوان يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي واعتنى به وهو صغير الحجم يدخل في مقدار ثلاث كراريس وقد جمعه من بعده جماعة وزادوا فيه أشياء كثيؤة ليست له وكنت حفظت جميع ديوان يزيد لشدة غرامي به وذلك في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة بمدينة دمشق وعرفت صحيحه من المنسوب إليه الذي ليس له وتتبعته حتى ظفرت بصاحب كل أبيات ولولا خوف التطويل لبينت ذلك وشعر يزيد مع قلته في نهاية الحسن ومن أطايب شعره الأبيات العينية التي منها (إذا رمت من ليلى على البعد نظرة * تطفي جوى بين الحشا والأضالع) (تقول نساء الحي تطمع ان ترى * محاسن ليلى مت بداء المطامع)
355 (وكيف ترى ليلى بعين ترى بها * سواها وما طهرتها بالمدامع) (وتلتذ منها بالحديث وقد جرى * حديث سواها في خروق المسامع) (أجلك يا ليلى عن العين إنما * أراك بقلب خاشع لك خاضع) ومن لطيف شعره قوله (ولي ولها إذا الكاسات دارت * رقى سحر يفك عرى الهموم) (معاتبة ألذ من الأماني * وبث جوى ارق من النسيم) ومن شعره (وداع دعاني والثريا كأنها * قلائص قد اعنقن خلف فنيق) (وناولني كأسا كان بنانه * مخلقة من نورها بخلوق) (إذا ما سما فيها المزاج حسبتها * نجوم لآل في سماء عقيق) (وقال اغتنم من دهرنا غفلاته * فعقد نظام الدهر غير وثيق))

وإني من لذات دهري لقانع * بحلو حديث أو بمر عتيق)
(هما ما هما لم يبق شيء سواهما * حديث صديق أو
عتيق رحيق) وكانت ولادة المرزباني المذكور في
جمادى الاخرة سنة سبع وتسعين ومائتين وقيل سنة ست
وتسعين وتوفي يوم الجمعة ثاني شوال سنة أربع وثمانين
وقيل سنة ثمان وسبعين وثلثمائة والأول أصح رحمه الله
تعالى وصلى عليه الفقيه أبو بكر الخوارزمي ودفن في
داره بشارع عمرو الرومي ببغداد في الجانب الشرقي
وروى عن أبي القاسم البغدادي وأبي بكر ابن دريد وأبي
بكر ابن الأنباري وروى عنه أبو عبد الله الصيمري وأبو
القاسم التنوخي وأبو محمد الجوهري وغيرهم
356 والمرزباني بفتح الميم وسكون الراء وضم
الزاي وفتح الباء الموحدة وبعد الألف نون هذه النسبة إلى
بعض أجداده وكان إسمه المرزبان وهذا الإسم لايطلق
عند العجم إلا على الرجل المقدم العظيم القدر وتفسيره
بالعربية حافظ الحد قاله ابن الجواليقي في كتابه المعرب
648 أبو بكر الصولي أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله
بن العباس بن محمد بن صول تكين الكاتب المعروف
بالصولي الشطرنجي كان أحد الأدباء الفضلاء المشاهير
روى عن أبي داود السجستاني وأبي العباس ثعلب وأبي
العباس المبرد وغيرهم وروى عنه أبو الحسن الدارقطني
الحافظ وأبو عبيد الله المرزباني المذكور قبله وغيرهما
ونادم الراضي وكان اولا يعلمه ثم نادم المقتدر ونادم قبله

المكتفي وله التصانيف المشهورة منها كتاب الوزراء وكتاب الورقة وكتاب أدب الكاتب وكتاب الأنواع وكتاب أخبار أبي تمام وكتاب أخبار القرامطة وكتاب الغرر وكتاب أخبار أبي عمرو بن العلاء وكتاب العبادة وكتاب اخبار ابن هرمة وكتاب أخبار السيد الحميري وكتاب اخبار إسحاق بن إبراهيم وجمع اخبار جماعة من الشعراء ورتبه

357 على حروف المعجم وكلهم من الشعراء المحدثين وغير ذلك وكان ينادم الخلفاء وكان اغلب فنونه أخبار الناس وله رواية واسعة ومحفوظات كثيرة وكان حسن الإعتقاد جميل الطريقة مقبول القول وكان أوحد وقته في لعب الشطرنج لم يكن في عصره مثله في معرفته والناس إلى الان يضربون به المثل في ذلك فيقولون لمن يبالغون في حسن لعبه فلان يلعب الشطرنج مثل الصولي ورأيت خلقا كثيرا يعتقدون أن الصولي المذكور هو الذي وضع الشطرنج وهو غلط فإن الذي وضعه صصه بن داهر الهندي واسم الملك الذي وضعه له شهرام بكسر الشين المعجمة وكان أردشير ابن بابك اول ملوك الفرس الأخيرة وقد وضع النرد ولذلك قيل له النردشير لأنهم نسبوه إلى واضعه المذكور وجعله مثالا للدنيا وأهلها فرتب الرقعة اثني عشر بيتا بعدد شهور السنة وجعل القطع ثلاثين قطعة بعددايام كل شهر وجعل الفصوص مثل القدر وتقلبه بأهل الدنيا وبالجملة فالكلام في هذا

يطول ويخرج عما نحن بصدده فافتخرت الفرس بوضع
النرد وكان ملك الهند يومئذ بلهيت فوضع له صصه
المذكور الشطرنج فقضت حكماء ذلك العصر بترجيحه
على النرد لأمور يطول شرحها ويقال إن صصه لما
وضع الشطرنج وعرضه على الملك شهرام المذكور
اعجبه وفرح به كثيرا وامر ان يكون في بيوت الديانة
ورآه أفضل ما علم لأنه آلة للحرب وعز للدين والدنيا
وأساس لكل عدل واظهر الشكر والسرور على ما انعم
عليه في ملكه منه وقال لصصه اقترح علي ما تشتهي فقال
له اقترحت ان تضع حبة قمح في البيت الأول ولا تزال
تضعفها حتى تنتهى إلى آخرها فمهما بلغ تعطيني
فاستصغر الملك ذلك وانكر عليه كونه
358 قابله بالنزر اليسير وكان قد اضمر له شيئا
كثيرا فقال ما أريد إلا هذا فراده فيه وهو مصر عليه
فأجابه إلى مطلوبه وتقدم له به فلما قيل لأرباب الديوان
حسبوه فقالوا ما عندنا قمح يفي بهذا ولا بما يقاربه فلما
قيل للملك استنكر هذه المقالة واحضر أرباب الديوان
وسألهم فقالوا له لو جمع كل قمح في الدنيا ما بلغ هذا القدر
فطالبهم بإقامة البرهان على ذلك فقعدوا وحسبوه فظهر له
صدق ذلك فقال الملك لصصه أنت في إقتراحك ما
أقترحت اعجب حالا من وضعك الشطرنج وطريق هذا
التضعيف ان يضع الحاسب في البيت الأول حبة وفي
الثاني حبتين وفي الثالث أربع حبات وفي الرابع ثمان

حبات و هكذا إلى آخره كلما أنتقل إلى بيت ضاعف ما قبله وأثبته فيه ولقد كان في نفسي من هذه المبالغة شيء حتى اجتمع بي بعض حساب الإسكندرية وذكر لي طريقا تبين لي صحة ما ذكروه وأحضر لي ورقة بصورة ذلك و هو انه ضاعف الأعداد إلى البيت السادس عشر فأثبت فيه اثنين وثلاثين ألفا وسبعمائة وثمانيا وستين حبة وقال تجعل هذه الجملة مقدار قدح وقد اعتبرتها فكانت كذلك والعهدة عليه في هذا النقل ثم ضاعف القدح في البيت السابع عشر و هكذا حتى بلغ ويبة في البيت العشرين ثم أنتقل إلى الويبات ومنها إلى الأرادب ولم يزل يضاعفها حتى أنتهى في بيت الأربعين إلى مائة الف إردب وأربعة وسبعين ألف إردب وسبعمائة واثنين وستين إردبا وثلثين فقال تجعل هذه الجملة في شونة فإن الشونة لايكون فيها اكثر من هذا ثم ضاعف الشون إلى بيت الخمسين فكانت الجملة الفا واربعا وعشرين شونة فقال تجعل هذه في مدينة فإن المدينة لا يكون فيها اكثر من هذه الشون وأي مدينة يكون فيها هذه الجملة من الشون ثم ضاعف المدن حتى أنتهى في البيت الرابع والستين و هو آخر

359 أبيات رقعة الشطرنج إلى ستة عشر ألف مدينة وثلثمائة واربع وثمانين مدينة وقال تعلم أنه ليس في الدنيا مدن أكثر من هذا العدد فإن دور كرة الأرض معلوم بطريق الهندسة و هو ثمانية الاف فرسخ بحيث لو وضعنا طرف حبل على أي موضع كان من الأرض وادرنا الحبل

على كرة الأرض حتى أنتهينا بالطرف الآخر إلى ذلك
الموضع من الأرض والتقى الطرفان فإذا مسحنا ذلك
الحبل كان طوله أربعة وعشرين الف ميل وهي ثمانية
الاف فرسخ وهو قطعي لا شك فيه ولولا خوف التطويل
والخروج عن المقصود لبينت ذلك وسأذكره إن شاء الله
تعالى في ترجمة بني موسى وتعلم مافي الأرض من
المعمور وهو مقدار ربع الكرة بطريق التقريب وقد
أنتشر الكلام وخرجنا عن المقصود لكنه ما خلا عن فائدة
فإن هذه الطريقة غريبة فأحببت إثباتها ليقف عليها من
يستنكر ما قالوه في تضعيف رقعة الشطرنج ويعلم ان ذلك
حق وان هذه الطريقة سهلة الاطلاع على حقيقة ما ذكروه
ولنرجع إلى حديث الصولي حكى المسعودي في كتاب
مروج الذهب ان الإمام الراضي بالله أتى في بعض
منتزهاته بستانا مونقا وزهرا رائقا فقال لمن حضره ممن
كان من ندمائه هل رأيتم منظرا احسن من هذا فكل اثنى
وذهب فيه إلى مدحه ووصف محاسنه وانها لا يفي بها
شيء من زهرات الدنيا فقال الراضي لعب الصولي
بالشطرنج أحسن من هذا ومن كل ما تصفون ثم قال
المسعودي وقد ذكر ان الصولي في بدء دخوله على الإمام
المكتفي وقد كان ذكر له تخرجه في اللعب بالشطرنج
وكان الماوردي اللاعب متقدما
360 عنده متمكنا من قلبه معجبا به للعبه فلما لعبا
جميعا بحضرة المكتفي حمل المكتفي حسن رأيه في

الماوردي وتقدم الحرمة في الألفة على نصرته وتشجيعه وتنبيهه حتى أدهش ذلك الصولي في أول وهلة فلما اتصل اللعب بينهما وجمع له الصولي متانته وقصد قصده غلبه غلبا لا يكاد يرد عليه شيئا وتبين حسن لعب الصولي للمكتفي فعدل عن هواه ونصرة الماوردي عاد ماء وردك بولا واخبار الصولي ونوادره كثيرة وما جراياته أكثر من ان تحصى ومع فضائله والاتفاق على تفننه في العلوم وخلاعته وظرافته ما خلا من منتقص هجاه هجوا لطيفا وهو أبو سعيد العقيلي فإنه رأى له بيتا مملوءا كتبا قد صفها وجلودها مختلفة الألوان وكان يقول هذه كلها سماعي وإذا إحتاج إلى معاودة شيء منها قال يا غلام هات الكتاب الفلاني فقال أبو سعيد المذكور هذه الأبيات (إنما الصولي شيخ * أعلم الناس خزانه) (إن سألناه بعلم * طلبا منه إبانه) (قال يا غلمان هاتوا * رزمة العلم فلانه) وتوفي الصولي المذكور سنة خمس وقيل ست وثلاثين وثلثمائة بالبصرة مستترا لأنه روى خبرا في حق علي بن أبي طالب رضي الله عنه فطلبته الخاصة والعامة لتقتله فلم تقدر عليه وكان قد خرج من بغداد لإضاقة لحقته وقد سبق الكلام على الصولي في ترجمة إبراهيم بن العباس الصولي وهو عم والد أبي بكر المذكور فليطلب هناك وصصه بصادين مهملتين الأولى منهما مكسورة والثانية مشددة مفتوحة وفي الآخر هاء ساكنة وداهر بدال مهملة وبعد الألف هاء مكسورة ثم راء وأردشير بفتح

الهمزة وسكون الراء وفتح الدال المهملة وكسر الشين المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وفي آخرها راء هكذا قاله الحافظ
361 الدارقطني وقال غير الدارقطني ه ذا لفظ عجمي وتفسيره بالعربي دقيق وحليب فأرد دقيق وشير حليب وقيل دقيق وحلاوة وقيل إنه بالزاي لا بالراء والله اعلم وهو الذي اباد ملوك الطوائف ومهد الملك لنفسه واستولى على الممالك وهو جد ملوك الفرس الذين آخرهم يزدجرد وكان إنقراض ملكهم في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة وأخبارهم مشهورة وهؤلاء غير ملوك الفرس الأوائل الذين آخرهم دارا بن دارا الذي قتله الإسكندر ورتب في البلاد ملوك الطوائف وسماهم بذلك لأن كل ملك يحكم على طائفة مخصوصة بعد ان كانت الممالك لرجل واحد وكان اردشير من ملوك الطوائف ثم استقل بالجميع كالعادة الأولى وكانت مدة مملكة ملوك الطوائف أربعمائة سنة ومدة مملكة ملوك الفرس الأواخر أربعمائة سنة ويزدجرد بفتح الياء المثناة من تحتها وسكون الزاي وفتح الدال المهملة وكسر الجيم وسكون الراء وفي الآخر دال مهملة واما بلهيت ملك الهند فلا اتحقق ضبطه غير اني وجدته مضبوطا بخط الناسخ وقد فتح الباء الموحدة وسكن اللام وفتح الهاء وسكن الياء المثناة من تحتها وبعدها تاء مثناة من فوقها والله اعلم بصحة ذلك من سقمه

362 649 الحاتمي أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر الكاتب اللغوي البغدادي المعروف بالحاتمي أحد الأعلام المشاهير المطلعين المكثرين أخذ الأدب عن أبي عمر الزاهد غلام ثعلب وقد تقدم ذكره وروى عنه أخبارا وأملاها في مجالس الأدب وروى عن غيره أيضا وأخذ عنه جماعة من النبلاء منهم القاضي أبو القاسم التنوخي المقدم ذكره وغيره وله الرسالة الحاتمية التي شرح فيها ما جرى بينه وبين أبي الطيب المتنبي من إظهار سرقاته وإبانة عيوب شعره ولقد دلت على غزارة مادته وتوفر إطلاعه وحكى في أول الرسالة السبب الحامل له على ذلك فقال لما ورد أحمد بن الحسين المتنبي مدينة السلام منصرفا عن مصر ومتعرضا للوزير أبي محمد المهلبي بالتخييم عليه والمقام لديه التحف رداء الكبر وأذال ذيول التيه ونأى بجانبه استكبارا وثنى عطفيه جبرية وازورارا فكان لا يلاقي احدا إلا اعرض عنه تيها وزخرف القول عليه تمويها تخيل عجبا إليه أن الأدب مقصور عليه وان الشعر بحر لم يرد نمير مائه غيره وروض لم يرد نواره سواه فهو يجني جناه ويقطف قطوفه دون من تعاطاه وكل مجر في الخلاء يسر ولكل نبأ مستقر

363 فغبر جاريا على هذه الوتيرة مدة مديدة أجررته رسن البغي فيها فظل يمرح في تيهه حتى إذا تخيل انه السابق الذي لا يجارى في مضمار ولا يساوى عذاره بعذار وانه رب الكلام ومقتض عذارى الألفاظ

ومالك زق الفصاحة نثرا ونظما وقريع دهره الذي لا يقارع فضلا وعلما وثقلت وطأته على كثير مما وسم نفسه بميم الأدب وانبط من مائه اعذب مشرب فطأطأ بعض رأسه وخفض بعض جناحه وطامن على التسليم له طرفه وساء معز الدولة أحمد بن بويه المقدم ذكره وقد صورت حاله أن يرد حضرته وهي دار الخلافة ومستقر العز وبيضة الملك رجل صدر عن حضرة سيف الدولة بن حمدان وقد تقدم ذكره أيضا وكان عدوا مباينا لمعز الدولة فلا يلقى أحدا بمملكته يساويه في صناعته وهو ذو النفس الأبية والعزيمة الكسروية والهمة التي لو همت بالدهر لما تصرفت بالأحرار صروفه ولا دارت عليهم دوائره وتخيل الوزير المهلبي رجما بالغيب ان أحدا لايستطيع مساجلته ولا يرى نفسه كفؤا له ولايضطلع بأعبائه فضلا عن التعلق بشيء من معانيه وللرؤساء مذاهب في تعظيم من يعظمونه وتفخيم من يفخمونه وتكرمة من يراعونه ويكرمونه وربما حالت بهم الحال وأوشكوا عن هذه الخليقة الأنتقال وتلك صورة الوزير المهلبي في عوده عن رأيه هذا فيه ولم يكن هناك مزية يتميز بها أبو الطيب عن الهجين الجذع من أبناء الأدب فضلا عن العتيق القارح إلا الشعر ولعمري إن أفنانه كانت فيه رطبة ومجانيه عذبة فنهدت له متتبعا عواره ومقلما أظفاره ومذيعا أسراره وناشرا مطاويه ومنتقدا من نظمه ما تسمح فيه ومتحينا أن تجمعنا دار يشار إلى ربها فأجري أنا وهو في مضمار

يعرف به السابق من المسبوق واللاحق من المقصر عن اللحوق وكنت إذ ذاك ذا سحاب مدرار وزند في كل فضيلة وار وطبع يناسب صفو العقار إذا وشيت بالحباب ووشت بها سرائر الأكواب هذا وغدير الصبا صاف ورداؤه ضاف وديباجة العيش غضة وأرواحه معتلة وغمائمه منهلة وللشبيبة شرة وللإقبال من الدهر غرة والخيل

364 تجري يوم الرهان بأقبال أربابها لا بعروقها ونصابها ولكل امرئ حظ من مواتاة زمانه يقضي في ظله أرب ويدرك مطلب ويتوسع مراد ومذهب حتى إذا عدت عن إجتماعنا عواد من الأيام قصدت مستقره وتحتي بغلة سفواء تنظر عن عيني باز وتتشوف بمثل قادمتي نسر وهي مركب رائع وكأنني كوكب وقاد من تحته غمامة يقتادها زمام الجنوب وبين يدي عدة من الغلمان الروقة مماليك وأحرار يتهافتون تهافت فريد الدر عن أسلاكه ولم اورد هذا متبجحا ولا متكثرا بذكره بل ذكرته لأن أبا الطيب شاهد جميعه في الحال ولم ترعه روعته ولا استعطفه زبرجه ولا زادته تلك الجملة الجميلة التي ملت أتهمه طرفه وقلبه إلا عجبا بنفسه وإعراضا عني بوجهه وكان قد أقام هناك سوقا عند أغيلمة لم ترضهم العلماء ولا عركتهم رحى النظراء ولا أنضوا أفكارا في مدارسة الأدب ولا فرقوا بين حلو الكلام ومره وسهله ووعره وإنما غاية احدهم مطالعة شعر أبي تمام وتعاطي الكلام

على نبذ من معانيه وعلى ما تعلقت الرواة مما يجوز فيه فألفيت هناك فتية تأخذ عنه شيئا من شعره فحين أوذن بحضوري وإستؤذن عليه لدخولي نهض من مجلسه مسرعا ووارى شخصه عني مستخفيا وأعجلته نازلا عن البغلة وهو يراني لإنتهائي بها إلى حيث أخذها طرفه ودخلت فأعظمت الجماعة قدري واجلستني في مجلسه وإذا تحته أخلاق عباءة قد ألحت عليها الحوادث فهي رسوم داثرة وأسلاك متناثرة فلم يكن إلا ريثما جلست فنهضت فوفيته حق السلام غير مشاح له في القيام لأنه إنما إعتمد بنهوضه عن الموضع ألا ينهض إلي والغرض كان في لقائه غير ذلك وحين لقيته تمثلت بقول الشاعر (وفي الممشى إليك علي عار * ولكن الهوى منع القرارا)
365 فتمثل في بقول الآخر (يشقى رجال ويشقى آخرون بهم * ويسعد الله أقواما بأقوام) (وليس رزق الفتى من فضل حيلته * لكن جدود وأرزاق بأقسام) (كالصيد يحرمه الرامى المجيد وقد * يرمي فيحرزه من ليس بالرامي) وإذا به لابس سبعة أقبية كل قباء منها لون وكنا في وغرة القيظ وجمرة الصيف وفي يوم تكاد ودائع الهامات تسيل فيه فجلست مستوفزا وجلس متحفزا واعرض عني لاهيا وأعرضت عنه ساهيا أؤنب نفسي في قصده واستخف رأيها في تكلف ملاقاته فغبر هنية ثانيا عطفه لا يعيرني طرفه وأقبل على تلك الزعنفة التي بين يديه وكل يومي إليه ويوحي بلحظه ويشير إلى مكاني

بيديه ويوقظه من سنته وجهله ويأبى إلا إزورارا ونفارا
وعتوا وإستكبارا ثم رأى أن يثني جانبه إلي ويقبل بعض
الإقبال علي فأقسمت بالوفاء والكرم فإنهما من محاسن
القسم أنه لم يزد على أن قال أيش خبرك فقلت بخير أنا
لولا ما جنيته على نفسي من قصدك ووسمت به قدري من
ميسم الذل بزيارتك وجشمت رأيي من السعي إلى مثلك
ممن لم تهذبه تجربة ولا أدبته بصيرة ثم تحدرت عليه
تحدر السيل إلى قرارة الوادي وقلت له ابن لي مم تيهك
وخيلاؤك وعجبك وكبرياؤك وما الذي يوجب ما أنت عليه
من الذهاب بنفسك والرمي بهمتك إلى حيث يقصر عنه
باعك ولا تطول إليه ذراعك هل ها هنا نسب انتسبت إلى
المجد به أو شرف علقت بأذياله أو سلطان تسلطت بعزه
أو علم تقع الإشارة إليك به إنك لو قدرت نفسك بقدرها أو
وزنتها بميزانها ولم يذهب بك التيه مذهبا لما عدوت أن
تكون شاعرا مكتسبا فامتقع
366 لونه وغص بريقه وجعل يلين في الإعتذار
ويرغب في الصفح والإغتفار ويكرر الأيمان أنه لم يثبتني
ولا اعتمد التقصير بي فقلت يا هذا إن قصدك شريف في
نسبه تجاهلت نسبه أو عظيم في أدبه صغرت ادبه او
متقدم عند سلطانه خفضت منزلته فهل المجد تراث لك
دون غيرك كلا والله لكنك مددت الكبر سترا على نقصك
وضربته رواقا حائلا دون مباحثتك فعاود الاعتذار فقلت
لا عذر لك مع الإصرار وأخذت الجماعة في الرغبة إلي

في مياسرته وقبول عذره واستعمال الأناة التي تستعملها الحزمة عند الحفيظة وأنا على شاكلة واحدة في تقريعه وتوبيخه وذم خليقته وهو يؤكد القسم أنه لم يعرفني معرفة ينتهز معها الفرصة في قضاء حقي فأقول ألم أستأذن عليك باسمي ونسبي أما كان في هذه الجماعة من كان يعرفني لو كنت جهلتني وهب أن ذلك كذلك ألم تر شارتي أما شممت عطر نشري الم اتميز في نفسك عن غيري وهو في أثناء ما اخاطبه وقد ملأت سمعه تأنيبا وتفنيدا يقول خفض عليك اكفف من غربك اردد من سورتك استأن فإن الأناة من شيم مثلك فأصحب حينئذ جانبي له ولانت عريكتي في يده واستحييت من تجاوز الغاية التي أنتهيت إليها في معاتبته وذلك بعد أن رضته رياضة الصعب من الإبل واقبل علي معظما وتوسع في تقريظي مفخما واقسم انه ينازع منذ ورد العراق ملاقاتي ويعد نفسه بالإجتماع معي ويسوفها التعلق بأسباب مودتي فحين استوفى القول في هذا المعنى استأذن عليه فتى من فتيان الطالبيين الكوفيين فأذن له فإذا حدث مرهف الأعطاف تميل به نشوة الصبا فتكلم فأعرب عن نفسه فإذا لفظ رخيم ولسان حلو وأخلاق فكهة وجواب حاضر وثغر

367 باسم في أناة الكهول ووقار المشايخ فأعجبني ما شاهدته من شمائله وملكني ما تبينته من فضله فجاراه أبياتا ومن ها هنا كان إفتتاح الكلام بينهما في إظهار سرقاته ومعايب شعره وقد طال الكلام لكنه لزم بعضه

بعضا فما أمكن قطعه وهذه الرسالة تشتمل على فوائد جمة فإن كان كما ذكر انه أبان له جميعها في ذلك المجلس فما هذا إلا إطلاع عظيم وقد سماها الموضحة وهي كبيرة تدخل في اثنتي عشرة كراسة شهدت لصاحبها بالفضل الباهر مع سرعة الإستحضار وإقامة الشاهد وله كتاب حلية المحاضرة يدخل في مجلدين وفيه أدب كثير أيضا وتوفي الحاتمي المذكور يوم الأربعاء لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وثلثمائة رحمه الله تعالى وذكر الحاتمي أنه اعتل فتأخر عن مجلس شيخه أبي عمر الزاهد المذكور في أول هذه الترجمة فسأل عنه فقيل له إنه مريض فجاءه يعوده فوجده قد خرج إلى الحمام فكتب على بابه بإسفيداج (واعجب شيء سمعنا به * عليل يعاد فلا يوجد) والحاتمي بفتح الحاء المهملة وبعد الألف تاء مثناة من فوقها مكسورة وبعدها ميم هذه النسبة إلى بعض أجداده اسمه حاتم

368 650 ابن القوطية أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيسى بن مزاحم المعروف بابن القوطية الأندلسي الإشبيلي الأصل القرطبي المولد والدار سمع بإشبيلية من محمد بن عبد الله بن القوق وحسن بن عبد الله الزبيدي وسعيد بن جابر وغيرهم وسمع بقرطبة من طاهر بن عبد العزيز وابن أبي الوليد الاعرج ومحمد بن عبد الوهاب ابن مغيث وغيرهم كان من أعلم أهل زمانه باللغة العربية وكان مع ذلك حافظا

للحديث و الفقه و الخبر و النادر وأروى الناس للأشعار وأدركهم للآثار لا يلحق شاؤه ولا يشق غباره وكان مضطلعا بأخبار الأندلس مليا برواية سير أمرائها واحوال فقهائها وشعرائها يملي ذلك عن ظهر قلب وكانت كتب اللغة أكثر ما تقرا عليه وتؤخذ عنه ولم يكن بالظابط لروايته في الحديث والفقه ولا كانت له أصول يرجع إليها وكان ما يسمع عليه من ذلك إنما يحمل على المعنى لا على اللفظ وكان كثيرا ما يقرا عليه ما لا رواية له به على جهة التصحيح وطال عمره فسمع الناس منه طبقة بعد طبقة وروى عنه الشيوخ والكهول وكان قد لقي مشايخ عصره بالأندلس وأخذ عنهم وأكثر من النقل من فوائدهم وصنف الكتب المفيدة في اللغة منها كتاب تصاريف الأفعال وهو

369 الذي فتح هذا الباب فجاء من بعده ابن القطاع وتبعه كما سبق في ترجمته وله كتاب المقصور والممدود جمع فيه ما لا يحد ولا يوصف ولقد أعجز من يأتي بعده وفاق من تقدمه وكان أبو علي القالي لما دخل الأندلس اجتمع به وكان يبالغ في تعظيمه حتى قال له الحكم بن ناصر لدين الله عبد الرحمن صاحب الأندلس يومئذ من أنبل من رأيته ببلدنا هذا في اللغة فقال محمد ابن القوطية وكان مع هذه الفضائل من العباد النساك وكان جيد الشعر صحيح الألفاظ واضح المعاني حسن المطالع والمقاطع إلا انه ترك ذلك ورفضه حكى الأديب الشاعر أبو بكر يحيى

بن هذيل التميمي انه توجه يوما إلى ضيعة له بسفح جبل قرطبة وهي من بقاع الأرض الطيبة المونقة فصادف أبا بكر ابن القوطية المذكور صادرا عنها وكانت له أيضا هناك ضيعة قال فلما رآني عرج علي واستبشسر بلقائي فقلت له على البديهة مداعبا له (من أين أقبلت يامن لاشبيه له * ومن هو الشمس والدنيا له فلك) فقال فتبسم وأجاب بسرعة (من منزل يعجب النساك خلوته * وفيه ستر على الفتاك إن فتكوا) قال فما تمالكت أن قبلت يده إذ كان شيخي ومجدته ودعوت له وتوفي أبو بكر المذكور يوم الثلاثاء لسبع بقين من شهر ربيع الأول سنة سبع وستين وثلثمائة بمدينة قرطبة ودفن يوم الأربعاء وقت صلاة العصر بمقبرة قريش رحمه الله تعالى وقيل إنه توفي في رجب من السنة المذكورة والأول اصح والقوطية بضم القاف وسكون الواو وكسر الطاء المهملة وتشديد الياء المثناة

370 من تحتها وبعدها هاء ساكنة هذه النسبة إلى قوط بن حام بن نوح عليه السلام نسب إليه جده أبي بكر المذكور وقوط أبو السودان والهند والسند وهي أم إبراهيم بن عيسى بن مزاحم جد أبي بكر المذكور وهي ابنة وبة بن غيطشة وكان من ملوك الأندلس وعليه وعلى أخويه أرطباس قومس الأندلس وسيدة افتتح طارق مولى موسى بن نصير مع المسلمين بلاد الأندلس وكانت القوطية المذكورة وفدت على هشام بن عبد الملك متظلمة من عمها

أرطباس المذكور فتزوجها بالشام عيسى بن مزاحم إلى الأندلس وإنساله بها وجاءت القوطية بكتاب هشام إلى الخطاب الشعبي الكلبي وكان عامله على الأندلس بالوصاة عليها فكف عمها عنها وانصفها مما كان لها قبله ورعى حرمتها وتمادت بها الحال وطالت حياتها إلى أيام الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الداخل إلى الأندلس من بني أمية فكانت تدخل عليه وتقضي حاجتها وغلب اسمها على

371 ذريتها وعرفوا بها إلى اليوم ذكر ذلك في كتاب الاحتفال في أعلام الرجال مما أنتخبه وألفه في اخبار الفقهاء والعلماء المتأخرين من أهل قرطبة الفقيه أبو عمر أحمد بن محمد بن عفيف التاريخي بما بسطه ونمقه من ذلك الفقيه أبو بكر الحسن ابن محمد بن مفرج بن عبد الله بن مفرج المعافري القرطبي المعروف بالقبشي حامله عنه قال أبو محمد الرشاطي في كتاب الأنساب عين قبش في الريض الغربي من قرطبة ينسب بذلك أبو عبد الله محمد بن مفرج المعافري القبشي وتوفي ليلة الجمعة خامس شهر رمضان سنة إحدى وسبعين وثلثمائة قلت وهذا المذكور والد أبي بكر الحسن بن محمد المذكور قبله والله اعلم

372 651 أبو بكر الزبيدي أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله بن مذحج بن محمد بن عبد الله بن بشر الزبيدي الإشبيلي نزيل قرطبة كان واحد عصره في علم

النحو وحفظ اللغة وكان أخبر أهل زمانه بالإعراب
والمعاني والنوادر إلى علم السير والأخبار ولم يكن
بالأندلس في فنه مثله في زمانه وله كتب تدل على وفور
علمه منها مختصر كتاب العين وكتاب طبقات النحويين
واللغويين بالمشرق والأندلس من زمن أبي الأسود الدؤلي
إلى زمن شيخه أبي عبد الله النحوي الرباحي وله كتاب
الرد على ابن مسرة وأهل مقالته سماه هتك ستور
الملحدين وكتاب لحن العامة وكتاب الواضح في العربية
وهو مفيد جدا وكتاب الأبنية في النحو ليس لأحد مثله
واختاره الحكم المستنصر بالله صاحب الأندلس لتأديب
ولده ولي عهده هشام المؤيد بالله فكان الذي علمه الحساب
والعربية ونفعه نفعا كثيرا ونال أبو بكر الزبيدي منه دنيا
عريضة وتولى قضاء إشبيلية وخطة الشرطة وحصل
نعمة

373 ضخمة لبسها بنوه من بعده زمانا وكان
يستعظم أدب المؤيد بالله أيام صباه ويصف رجاحته
وحجاه ويزعم انه لم يجالس قط من ابناء العظماء من أهل
بيته وغيره في مثل سنه أذكى منه ولا أحضر يقظة
وألطف حسا وأرزن حلما وذكر عنه حكايات عجيبة
وكان الزبيدي المذكور شاعرا كثير الشعر فمن ذلك قوله
في أبي مسلم ابن فهر (أبا مسلم إن الفتى بجنانه *
ومقوله لا بالمراكب واللبس) (وليس ثياب المرء تغني
قلامه * إذا كان مقصورا على قصر النفس) (وليس

يفيد العلم والحلم والحجا * أبا مسلم طول القعود على الكرسي) وكان في صحبة الحكم المستنصر وترك جاريته بإشبيلية فاشتاق إليها فاستأذنه في العود إليها فلم يأذن له فكتب إليها (ويحك يا سلم لاتراعى * لا بد للبين من زماع) (لا تحسبيني صبرت إلا * كصبر ميت على النزاع) (ما خلق الله من عذاب * أشد من وقفة الوداع) (ما بينها والحمام فرق * لولا المناجاة والنواعي) (إن يفترق شملنا وشيكا * من بعد ما كان ذا إجتماع) (فكل شمل إلى فراق * وكل شعب إلى انصداع) (وكل قرب إلى بعاد * وكل وصل إلى انقطاع) وكان كثيرا ما ينشد (الفقر في أوطاننا غربة * والمال في الغربة أوطان) (والأرض شيء كلها واحد * والناس أخوان وجيران) وكان قد قيد الأدب واللغة على أبي علي البغدادي المعروف بالقالي المقدم ذكره لما دخل الأندلس وسمع من قاسم بن أصبغ وسعيد بن فحلول وأحمد

374 ابن سعيد بن حزم وأصله من جند حمص المدينة التي بالشام وتوفي يوم الخميس مستهل جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين وثلثمائة بإشبيلة ودفن ذلك اليوم بعد صلاة الظهر وصلى عليه ابنه أحمد وعاش ثلاثا وستين سنة رحمه الله تعالى ومذحج بفتح الميم وسكون الذال المعجمة وكسر الحاء المهملة وبعدها جيم وهو في الأصل اسم أكمة حمراء باليمن ولد عليها مالك بن أدد فسمي باسمها ثم كثر ذلك في تسمية العرب حتى صاروا

يسمون بها ويجعلونها علما على المسمى وقطعوا النظر عن تلك الأكمة والزبيدي بضم الزاي وفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة هذه النسبة إلى زبيد واسمه منبه بن صعب بن سعد العشيرة بن مذحج وهو الذي سمي بالأكمة المذكورة وزبيد قبيلة كبيرة باليمن خرج منها خلق كثير من الصحابة وغيرهم رضي الله عنهم 652 القزاز أبو عبد الله محمد بن جعفر التميمي النحوي المعروف بالقزاز القيرواني كان الغالب عليه علم النحو واللغة والافتنان في التواليف فمن ذلك كتاب الجامع في اللغة وهو من الكتب الكبار المختارة المشهورة وذكر أبو القاسم ابن الصيرفي الكاتب المصري أن أبا عبد الله القزاز المذكور

375 كان في خدمة العزيز ابن المعز العبيدي صاحب مصر وصنف له كتبا وقال غيره كان العزيز بن المعز العبيدي صاحب مصر قد تقدم إليه أن يؤلف كتابا يجمع فيه سائر الحروف التي ذكر النحويون أن الكلام كله اسم وفعل وحرف جاء لمعنى وأن يقصد في تأليفه إلى ذكر الحرف الذي جاء لمعنى وأن يجري ما ألفه من ذلك على حروف المعجم قال ابن الجزار وما علمت أن نحويا ألف شيئا من النحو على هذا التأليف فسارع أبو عبد الله القزاز إلى ما أمره العزيز به وجمع المفترق من الكتب النفيسة في هذا المعنى على أقصد سبيل وأقرب مأخذ وأوضح طريق فبلغ جملة الكتاب ألف ورقة ذكر ذلك كله

الأمير المختار المعروف بالمسبحي في تاريخه الكبير وله
كتاب التعريض ذكر فيه ما دار بين الناس من المعارضين
في كلامهم وقال أبو علي الحسن بن رشيق في كتاب
الأنموذج إن القزاز المذكور فضح المتقدمين وقطع ألسنة
المتأخرين وكان مهيبا عند الملوك والعلماء وخاصة الناس
محبوبا عند العامة قليل الخوض إلا في علم دين أو دنيا
يملك لسانه ملكا شديدا وكان له شعر مطبوع مصنوع ربما
جاء به مفاكهة وممالحة من غير تحفز ولا تحفل يبلغ
بالرفق والدعة على الرحب والسعة أقصى ما يحاوله أهل
القدرة على الشعر من توليد المعاني وتوكيد المباني علما
بتفاصيل الكلام وفواصل النظام فمن ذلك قوله (أما
ومحل حبك في فؤادي * وقدر مكانه فيه المكين) (لو
انبسطت لي الآمال حتى * تصير من عنانك في يميني)
(لصنتك في مكان سواد عيني * وخطت عليك من حذر
جفوني) (فأبلغ منك غايات الأماني * وآمن فيك آفات
الظنون) (فلي نفس تجرع كل يوم * عليك بهن كاساست
المنون)
376 (إذا أمنت قلوب الناس خافت * عليك خفي
ألحاظ العيون) (فكيف وأنت دنياي ولولا * عقاب الله
فيك لقلت ديني) ومن شعره أيضا (أضمروا لي ودا ولا
تظهروه * يهده منكم إلى الضمير) (ما أبالي إذا بلغت
رضاكم * في هواكم لأي حال أصير) وله أيضا (ألا
من لركب فرق الدهر شملهم * فمن منجد نائي المحل

ومتهم) (كأن الردى خاف الردى في اجتماعهم * فقسمهم في الأرض كل مقسم) وله أيضا (ولنا من أبي الربيع ربيع * ترتعيه هوامل الآمال) (أبدا يذكر العدات وينسى * ماله عندنا من الإفضال) وله أيضا (أحين علمت أنك نور عيني * وأني لا أرى حتى أراكا) (جعلت مغيب شخصك عن عياني * يغيب كل مخلوق سواكا) وذكر له مقاطيع كثيرة غير هذه ثم قال وشعر أبي عبد الله يعني القزاز المذكور أحسن مما ذكرت لكني لم أتمكن من روايته وقد شرطت في هذا الكتاب أن كل ما جئت به من الأشعار على غير جهة الاختيار وكانت وفاته بالحضرة سنة اثنتي عشرة وأربعمائة وقد قارب السبعين رحمه الله تعالى والمراد بالحضرة القيروان فإنها كانت دار المملكة يوم ذاك والقزاز بفتح القاف وزايين بينهما ألف والأولى منهما مشددة هذه النسبة إلى عمل القز وبيعه وقد اشتهر به جماعة

377 653 المسبحي الأمير المختار عز الملك

محمد بن أبي القاسم عبيد الله بن أحمد بن إسماعيل بن عبد العزيز المعروف بالمسبحي الكاتب الحراني الأصل المصري المولد صاحب التاريخ المشهور وغيره من المصنفات كانت فيه فضائل ولديه معارف ورزق حظوة في التصانيف وكان على زي الأجناد واتصل بخدمة الحاكم بن العزيز العبيدي صاحب مصر ونال منه سعادة وذكر في تاريخه أن أول تصرفه في خدمة الحاكم صاحب

مصر كان في سنة ثمان وتسعين وثلثمائة وذكر فيه أيضا
أنه تقلد القيس والبهنسا من أعمال الصعيد ثم تولى ديوان
الترتيب وله مع الحاكم مجالس ومحاضرات حسبما يشهد
بها تاريخه الكبير وجمع مقدار ثلاثين مصنفا منها التاريخ
المذكور الذي قال في حقه التاريخ الجليل قدره الذي
يستغنى بمضمونه عن غيره من الكتب الواردة في معانيه
وهو أخبار مصر ومن حلها من الولاة والأمراء والأئمة
والخلفاء وما بها من العجائب والأبنية واختلاف أصناف
الأطعمة وذكر نيلها وأحوال من حل بها إلى الوقت الذي
كتبنا فيه تعليق هذه الترجمة وأشعار الشعراء وأخبار
المغنين ومجالس القضاة والحكام والمعدلين والأدباء
والمتغزلين وغيرهم
وهو ثلاثة عشر ألف ورقة ومن تصانيفه كتاب 378
التلويح والتصريح في معاني الشعر وغيره وهو ألف
ورقة وكتاب الراح والارتياح ألف وخمسمائة ورقة
وكتاب الغرق والشرق في ذكر من مات غرقا وشرقا مائتا
ورقة وكتاب الطعام والإدام ألف ورقة وكتاب درك البغية
في وصف الأديان والعبادات ثلاثة آلاف وخمسمائة ورقة
وقصص الأنبياء عليهم السلام وأحوالهم ألف وخمسمائة
ورقة وكتاب المفاتحة والمناكحة في أصناف الجماع ألف
ومائتا ورقة وكتاب الأمثلة للدول المقبلة يتعلق بالنجوم
والحساب خمسمائة ورقة وكتاب القضايا الصائبة في
معاني أحكام النجوم ثلاثة آلاف ورقة وكتاب جونة

الماشطة يتضمن غرائب الأخبار والأشعار والنوادر التي لم يتكرر مرورها على الأسماع وهو مجموع مختلف غير مؤتلف ألف وخمسمائة ورقة وكتاب الشجن والسكن في أخبار أهل الهوى وما يلقاه أربابه ألفان وخمسائة ورقة وكتاب السؤال والجواب ثلثمائة ورقة وكتاب مختار الأغاني ومعانيها وغير ذلك من الكتب وله شعر حسن فمن ذلك أبيات رثى بها أم ولده وهي (ألا في سبيل الله قلب تقطعا * وفادحة لم تبق للعين مدمعا) (أصبرا وقد حل الثرى من أوده * فلله هم ما أشد وأوجعا) (فيا ليتني للموت قدمت قبلها * وإلا فليت الموت أذهبنا معا) وكان المسبحي المذكور قد استزار أبا محمد عبيد الله بن أبي الجوع الأديب الوراق الكاتب المشهور فزاره فعمل المسبحي هذه الأبيات وأنشده إياها على البديهة (حللت فأحللت قلبي السرورا * وكاد لفرحته أن يطيرا) (وأمطر علمك سحب السماء * ولولاك ما كان يوما مطيرا) (تضوع نشرك لما وردت * وعاد الظلام ضياء منيرا)

379 187 وكان ابن أبي الجوع المذكور شاعرا أديبا حلوا مقبولا له أشعار كثيرة في المراسلات والمعاتبات والأهاجي وكان نسخه في غاية الجودة وكان ينسخ كل خمسين ورقة بدينار وخطه موجود بأيدي الناس ومرغوب فيه وكانت وفاة ابن أبي الجوع سنة خمس وتسعين وثلثمائة وكانت ولادة المسبحي المذكور يوم

الأحد عاشر رجب سنة ست وستين وثلثمائة كذا ذكره في تاريخه الكبير وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة عشرين وأربعمائة 188 وتوفي والده ضحوة نهار الاثنين تاسع شعبان سنة أربعمائة وعمره ثلاث وتسعون سنة وصلي عليه في جامع مصر ودفن في داره رحمهم الله تعالى أجمعين ولما توفي الوالد رثاه ولده المسبحي المذكور بهذه الأبيات (خطب يقل له البكاء وينطوي * عنه العزاء ويظهر المكتوم) (خطب يميت من الصدور قلوبها * أسفا ويقعد تارة ويقيم) (يا دهر قد أنشبت في مخالبا * بالأسودين لوقعهن كلوم) (يا دهر قد ألبستني حلل الأسى * مذ حل شخص في التراب كريم) (لو كنت تقبل فدية لفديت من * رضت عظامي فيه وهو رميم) (يا من يلوم إذا رآني جازعا * من طارق الحدثان فيم تلوم) (بأبي فجعت فأي ثكل مثله * ثكل الأبوة في الشباب أليم) (قد كنت أجزع أن يلم به الردى * أو يعتريه من الزمان هموم) ورثاه جماعة من شعراء عصره ذكرهم ولده في تاريخه وذكر مراثيهم والمسبحي بضم الميم وفتح السين المهملة وكسر الباء الموحدة وفي آخره حاء مهملة قال السمعاني في كتاب الأنساب هذه 380 النسبة إلى الجد وعرف بها المسبحي صاحب تاريخ المغاربة ومصر يعني الأمير المذكور 654 ابن حمدون صاحب التذكرة أبو المعالي محمد بن أبي سعد الحسن بن محمد بن علي بن حمدون الكاتب الملقب كافي الكفاة بهاء

الدين البغدادي كان فاضلا ذا معرفة تامة بالأدب والكتابة من بيت مشهور بالرياسة والفضل هو وأبوه وأخواه أبو نصر وأبو المظفر وسمع أبو المعالي المذكور من أبي القاسم إسماعيل بن الفضل الجرجاني وغيره وصنف كتاب التذكرة وهو من أحسن المجاميع يشتمل على التاريخ والأدب والنوادر والأشعار لم يجمع أحد من المتأخرين مثله وهو مشهور بأيدي الناس كثير الوجود وهو من الكتب الممتعة ذكره العماد الأصبهاني الكاتب في كتاب الخريدة فقال كان عارض العسكر المقتفوي ثم صار صاحب ديوان الزمام المستنجدي وهو كلف باقتناء الحمد وابتناء المجد وفيه فضل ونبل وله على أهل الأدب ظل وألف كتابا سماه التذكرة وجمع فيه الغث والسمين والمعرفة والنكرة فوقف الإمام المستنجد على حكايات ذكرها نقلا من التواريخ توهم في الدولة غضاضة ويعتقد للتعرض بالقدح فيها عراضة فأخذ من دست منصبه وحبس ولم يزل في نصبه إلى أن رمس وذلك في أوائل سنة اثنتين وستين وخمسمائة وأنشدني لنفسه لغزا في مروحة الخيش

381 (ومرسلة معقودة دون قصدها * مقيدة تجري حبيس طليقها) (يمر خفيف الريح وهي مقيمة * وتسري وقد سدت عليها طريقها) (لها من سليمان النبي وراثة * وقد عزيت نحو النبيط عروقها) (إذا صدق النوء السماكي أمحلت * وتمطر والجوزاء ذاك حريقها))

تحيتها إحدى الطبائع انها * لذلك كانت كل روح صديقها
(وأورد له أيضا (وحاشا معاليك أن تستزاد * وحاشا
نوالك أن يقتضى) (ولكنما أستزيد الحظوظ * وإن
أمرتني النهى بالرضا) وأورد له أيضا (ياخفيف الرأس
والعقل معا * وثقيل الروح أيضا والبدن) (تدعي أنك
مثلي طيب * طيب أنت ولكن بلبن) أنتهى كلام العماد
وقال غيره إنه سمع الحديث كثيرا وروى عن الإمام
المستنجد قول أبي حفص الشطرنجي في جارية حولاء (
حمدت إلهي إذ بليت بحبها * على حول يغني عن النظر
الشزر) (نظرت إليها والرقيب يخالني * نظرت إليه
فاسترحت من العذر) وهذا من المعاني النادرة العجيبة
والإمام في هذا قول مهيار الديلمي يصف ناقة
382 (هواها وراها والسرى من أمامها * فهن
صحيحات النواظر حول) وكانت ولادة ابن حمدون
المذكور في رجب سنة خمس وتسعين وأربعمائة وتوفي
يوم الثلاثاء حادي عشر ذي القعدة سنة اثنتين وستين
وخمسمائة ودفن يوم الأربعاء بمقابر قريش ببغداد وكان
موته في الحبس 189 وأخوه أبو نصر محمد بن الحسن
الملقب غرس الدولة كان من العمال وممن يعتقد في أهل
الخير والصلاح ويرغب في صحبتهم ولد في صفر سنة
ثمان وثمانين وأربعمائة وتوفي في ذي الحجة سنة خمس
وأربعين وخمسمائة ببغداد ودفن بمقابر قريش 190 وكان
والدهما من شيوخ الكتاب والعارفين بقواعد التصرف

والحساب وله تصنيف في معرفة الأعمال وعمر طويلا
وتوفي يوم السبت عاشر جمادى الأولى سنة ست وأربعين
وخمسمائة رحمهم الله تعالى أجمعين 655 ابن قريعة
القاضي أبو بكر محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن
قريعة البغدادي كان قاضي السندية وغيرها من أعمال
بغداد ولاه أبو السائب عتبة بن عبيد الله القاضي وكان من
إحدى عجائب الدنيا في سرعة البديهة بالجواب عن جميع
383 ما يسأل عنه في أفصح لفظ وأملح سجع وكان
مختصا بحضرة الوزير أبي محمد المهلبي المقدم ذكره
منقطعا إليه وله مسائل وأجوبة مدونة في كتاب مشهور
بأيدي الناس وكان رؤساء ذلك العصر وفضلاؤه يداعبونه
ويكتبون إليه المسائل الغريبة المضحكة فيكتب الجواب
من غير توقف ولا تلبث مطابقا لما سألوه وكان الوزير
المذكور يغري به جماعة يضعون له من الأسئلة الهزلية
على معان شتى من النوادر الطنزية ليجيب عنها بتلك
الأجوبة فمن ذلك ما كتب إليه العباس بن المعلى الكاتب ما
يقول القاضي وفقه الله تعالى في يهودي زنى بنصرانية
فولدت ولدا جسمه للبشر ووجهه للبقر وقد قبض عليهما
فما يرى القاضي فيهما فكتب جوابه بديها هذا من أعدل
الشهود على الملاعين اليهود بأنهم أشربوا حب العجل في
صدورهم حتى خرج من أيورهم ورأى أن يناط برأس
اليهودي رأس العجل ويصلب على عنق النصرانية الساق
مع الرجل ويسحبا على الأرض وينادى عليهما ظلمات

بعضها فوق بعض والسلام ولما قدم الصاحب بن عباد المقدم ذكره إلى بغداد حضر مجلس الوزير المهلبي المقدم ذكره أيضا وكان في المجلس القاضي أبو بكر المذكور فرأى من ظرفه وسرعة أجوبته مع لطافتها ما عظم منه تعجبه وكتب الصاحب إلى أبي الفضل ابن العميد كتابا يقول فيه وكان في المجلس شيخ خفيف الروح يعرف بالقاضي ابن قويعة جاراني في مسائل خستها تمنع من ذكرها إلا أني استظرفت من كلامه وقد سأله كهل يتطايب بحضرة الوزير أبي محمد عن حد القفا فقال ما اشتمل عليه جربانك وما زحك فيه إخوانك وأدبك فيه سلطانك وباسطك فيه غلمانك فهذه حدود أربعة

384 قلت وجربان الثوب بضم الجيم والراء وتشديد الباء الموحدة وبعدها ألف ثم نون وهي الخرقة العريضة التي فوق القب وهي التي تستر القفا والجربان لفظ فارسي معرب وجميع مسائله على هذا الأسلوب ولولا خوف الإطالة لذكرت جملة منها وقد سرد أبو بكر محمد بن شرف القيرواني الشاعر المشهور في كتابه الذي سماه أبكار الأفكار عدة مسائل وجواباتها من هذه المسائل وتوفي القاضي أبو بكر المذكور يوم السبت لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة سبع وستين وثلثمائة ببغداد وعمره خمس وستون سنة رحمه الله تعالى وقريعة بضم القاف وفتح الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها عين مهملة وهو لقب جده كذا حكاه السمعاني والسندية بكسر

السين المهملة وسكون النون وكسر الدال المهملة وتشديد الياء المثناة من تحتها وبعدها هاء ساكنة وهي قرية على نهر عيسى بين بغداد والأنبار وينسب إليها سندواني ليحصل الفرق بين هذه النسبة والنسبة إلى بلاد السند المجاورة لبلاد الهند

385 656 الوهراني أبو عبد الله محمد بن محرز بن محمد الوهراني الملقب ركن الدين وقيل جمال الدين أحد الفضلاء الظرفاء قدم من بلاده إلى الديار المصرية في أيام السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى وفنه الذي يمت به صناعة الإنشاء فلما دخل البلاد ورأى بها القاضي الفاضل وعماد الدين الأصبهاني الكاتب وتلك الحلبة علم من نفسه أنه ليس من طبقتهم ولا تنفق سلعته مع وجودهم فعدل عن طريق الجد وسلك طريق الهزل وعمل المنامات والرسائل المشهورة به والمنسوبة إليه وهي كثيرة الوجود بأيدي الناس وفيها دلالة على خفة روحه ورقة حاشيته وكمال ظرفه ولو لم يكن له فيها إلا المنام الكبير لكفاه فإنه أتى فيه بكل حلاوة ولولا طوله لذكرته ثم إن الوهراني المذكور تنقل في البلاد وأقام بدمشق زمانا وتولى الخطابة بداريا وهي قرية على باب دمشق في الغوطة وتوفي في سنة خمس وسبعين وخمسمائة بداريا رحمه الله تعالى ودفن على باب تربة الشيخ أبي سليمان الداراني نقلت من خط القاضي الفاضل وردت الأخبار من دمشق في سابع عشر رجب بوفاة الوهراني والوهراني بفتح الواو

وسكون الهاء وفتح الراء وبعد الألف نون هذه النسبة إلى
وهران وهي مدينة كبيرة في أرض القيروان بينها وبين
تلمسان
386 مسافة يومين وهي على ساحل البحر الشامي
وذكر الرشاطي أنها أسست في سنة تسعين ومائتين على
يدي محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدوس وجماعة
وخرج منها جماعة من العلماء وغيرهم وداريا بالدال
المهملة وبعد الألف راء مفتوحة وبعدها ياء مثناة من
تحتها مشددة 657 فخر الدين بابن تيمية الحراني أبو عبد
الله محمد بن أبي القاسم الخضر بن محمد الخضر بن علي
بن عبد الله المعروف بابن تيمية الحراني الملقب فخر
الدين الخطيب الواعظ الفقيه الحنبلي كان فاضلا تفرد في
بلده بالعلم وكان المشار إليه في الدين لقي جماعة من
العلماء واخذ عنهم العلوم وقدم بغداد وتفقه بها على أبي
الفتح ابن المني وسمع الحديث بها من شهدة بنت الإبري
وابن المقرب وابن البطي وغيرهم وصنف في مذهب
الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه مختصرا أحسن فيه
وله ديوان خطب مشهور وهو في غاية الجودة وله تفسير
القرآن الكريم وله نظم حسن وكانت إليه الخطابة بحران
ولأهله من بعده ولم يزل امره جاريا على سداد وصلاح
حال
387 ومولده في اواخر شعبان سنة اثنتين واربعين
وخمسمائة بمدينة حران وتوفي بها في حادي عشر صفر

سنة إحدى وعشرين وستمائة رحمه الله تعالى قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي في حقه كان ضنينا بحران متى نبغ فيها احد لا يزال وراءه حتى يخرجه منها ويبعده عنها ومات في خامس صفر من السنة المذكورة وهذا خلاف ما ذكرته أولا قال وسمعته في جامع حران يوم الجمعة بعد الصلاة ينشد (أحبابنا قد نذرت مقلتي * لا تلتقي بالنوم أو نلتقي) (رفقا بقلب مغرم واعطفو * على سقام الجسد المغرق) (كم تمطلوني بليالي اللقا * قد ذهب العمر ولم نلتق) وذكره أبو يوسف محاسن بن سلامة بن خليفة الحراني في تاريخ حران وأثنى عليه ثم قال توفي يوم الخميس بعد العصر عاشر صفر سنة اثنتين وعشرين وستمائة وذكره أبو البركات ابن المستوفي في تاريخ إربل فقال ورد إربل حاجا في سنة أربع وستمائة وذكر فضله وقال كان يدرس التفسير في كل يوم وهو حسن القصص حلو الكلام مليح الشمائل وله القبول التام عند الخاص والعام وكان أبوه احد الأبدال والزهاد وتفقه بحران وببغداد وكان حاذقا في المناظرات صنف مختصرات في الفقه وخطبا سلك فيها مسلك ابن نباتة وكان بارعا في تفسير القرآن وجميع العلوم له فيها يد بيضاء وسمع من مشايخ الحديث ببغداد وأنشد له (سلام عليكم مضى ما مضى * فراقي لكم لم يكن عن رضا)
388 (سلوا الليل عني مذ غبتم * اجفني بالنوم هل أغمضا) (أأحباب قلبي وحق الذي * بمر الفراق علينا

قضى) (لئن عاد عيد إجتماعي بكم * وعوفيت من كارث أمرضا) (لألتقين مطاياكم * بخدي وافرشه في الفضا) (ولو كان حبوا على جبهتي * ولو لفح الوجه جمر الغضى) (فأحيا وأنشد من فرحتي * سلام عليكم مضى ما مضى) ثم قال سألته عن اسم تيمية ما معناه فقال حج أبي او جدي أنا أشك أيهما قال وكانت امرأته حاملا فلما كان بتيماء رأى جويرية قد خرجت من خباء فلما رجع إلى حران وجد امرأته قد وضعت جارية فلما رفعوها إليه قال ياتيمية يا تيمية يعني أنها تشبه التي رآها بتيماء فسمي بها او كلاما هذا معناه وتيماء بفتح التاء المثناة من فوقها وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الميم وبعدها همزة ممدودة وهي بليدة في بادية تبوك إذا خرج الإنسان من خيبر إليها تكون على منتصف طريق الشام وتيمية منسوبة إلى هذه البليدة وكان ينبغي ان تكون تيماوية لأن النسبة إلى تيماء تيماوي لكنه هكذا قال واشتهر كما قال

389 658 أبو منصور العتابي أبو منصور محمد بن علي بن إبراهيم بن زبرج النحوي المعروف بالعتابي كانت له معرفة بالنحو واللغة وفنون الأدب وله الخط المليح الصحيح الذي يتنافس فيه أهل العلم وقرأ الأدب على الشريف أبي السعادات هبة الله بن الشجري الآتي ذكره إن شاء الله تعالى وعلى أبي منصور موهوب بن الجواليقي وغيرهما وسمع الحديث من مشايخ وقته وكتب

الكثير وكل كتاب يوجد بخطه فهو مرغوب فيه وكانت ولادته في شهر ربيع الأول سنة أربع وثمانين وأربعمائة وتوفي ليلة الثلاثاء الخامس والعشرين من جمادى الأولى سنة ست وخمسين وخمسمائة رحمه الله تعالى والعتابي بفتح العين المهملة وتشديد التاء المثناة من فوقها وبعد الألف باء موحدة هذه النسبة إلى العتابيين وهي إحدى محال بغداد في الجانب الغربي منها وكان أبو منصور المذكور قد تركها وسكن في الجانب الشرقي وأما أبو عمرو كلثوم بن عمرو بن ايوب العتابي الشاعر المشهور فهو منسوب إلى عتاب بن سعد زهير بن جشم وكان شاعرا بليغا مجيدا مدح هارون الرشيد وغيره وهو من أهل قنسرين المدينة القديمة التي بالشام مجاورة حلب وكان ينبغي ذكره في هذا الكتاب وإنما أخللت به لأني لم أظفر له بوفاة ومبنى هذا الكتاب على من عرفت وفاته

390 659 المسعودي شارح المقامات أبو سعيد ويقال أبو عبد الله محمد بن أبي السعادات عبد الرحمن بن محمد ابن مسعود بن أحمد بن الحسين بن محمد المسعودي الملقب تاج الدين الخراساني المرورروذي البندهي الفقيه الشافعي الصوفي كان أديبا فاضلا اعتنى بالمقامات الحريرية فشرحها واطال شرحها واستوعب فيه ما لم يستوعبه غيره رأيته في خمس مجلدات كبار لم يبلغ أحد من شراح هذا الكتاب إلى هذا القدر ولا إلى نصفه وهو كتاب مشهور كثير الوجود بأيدي الناس وكان مقيما

بدمشق في الخانقاه السميساطية والناس يأخذون عنه بعد أن كان يعلم الملك الأفضل أبا الحسن علي ابن السلطان صلاح الدين وقد تقدم ذكره وحصل بطريقه كتبا كثيرة نفيسة غريبة وبها استعان على شرح المقامات وحكى أبو البركات الهاشمي الحلبي قال لما دخل السلطان صلاح الدين إلى حلب في سنة تسع وسبعين وخمسمائة نزل المسعودي المذكور إلى جامع حلب وقعد في خزانة كتبها الوقف واختار منها جملة أخذها لم يمنعه منها مانع ولقد رأيته وهو يحشوها في عدل ولقيت جماعة من اصحابه وسمعت منهم واجازوني ورأيت في تاريخ بعض المتأخرين ان البندهي المذكور كانت ولادته سنة إحدى وعشرين وخمسمائة ونقل بعض الأفاضل من خط البندهي ما صورته

391 ولدت وقت المغرب من ليلة الثلاثاء غرة شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة والظاهر أن هذا أصح لكونه منقولا من خطه باليوم والشهر وتوفي في ليلة السبت التاسع والعشرين من شهر ربيع الأول وقيل في مستهل شهر ربيع الآخر سنة أربع وثمانين وخمسمائة بمدينة دمشق ودفن بسفح جبل قاسيون رحمه الله تعالى ووقف كتبه على الخانقاه المذكورة وكان كثيرا ما ينشد (قالت عهدتك تبكي * دما حذار التنائي) (فلم تعوضت عنها * بعد الدماء بماء) (فقلت ماذاك مني * لسلوة أو عزاء) (لكن دموعي شابت * من طول عمر بكائي)

ومثله قول الآخر (قالت سعاد أتبكي * بالدمع بعد الدماء
) (فقلت قد شاب دمعي * من طول عمر بكائي)
ونسبته بالمسعودي إلى جده المسعود المذكور وقد تقدم الكلام على المروروذي فلا حاجة إلى إعادته والبندهي بفتح الباء الموحدة وسكون النون وفتح الدال المهملة وبعدها هاء هذه النسبة إلى بنج ديه من اعمال مروروذ ومعناه بالعربي خمس قرى ويقال في النسبة إليها أيضا الفنجديهي والبنجديهي بالفاء والجيم أو بالباء الموحدة والجيم وخرج منها خلق كثير من العلماء وغيرهم
وقاسيون بفتح القاف وبعد الألف سين مهملة مكسورة وياء مثناة من تحتها مضمومة ثم واو ساكنة وبعدها نون وهو جبل مطل على دمشق من جهتها الشمالية فيه المنازل المليحة والمدارس والربط والبساتين وفيه نهر يزيد
392 ونهر ثورى في ذيله وفيه جامع كبير بناه مظفر الدين بن زين الدين صاحب إربل المقدم ذكره في حرف الكاف رحمه الله تعالى وفيه يقول ابن عنين الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في قصيدته اللامية التي مدح بها سيف الإسلام ابن أيوب صاحب اليمن المذكور في حرف الطاء فإنه تشوق إلى دمشق فيها وذكر مواضع من مستنزهاتها وقال في الجبل المذكور (وفي كبدي من قاسيون حزازة * تزول رواسيه وليس تزول) وهي من غر قصائده ولقد أبدع فيها رحمه الله 660 ابن نقطة أبو بكر محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع بن أبي

نصر بن عبد الله الحنبلي المعروف بابن نقطة الملقب
معين الدين البغدادي المحدث كان من طلبة الحديث
المشهورين به المكثرين من سماعه وكتابته والراحلين في
تحصيله دخل خراسان وبلاد الجبل والجزيرة والشام
ومصر ولقي المشايخ واخذ عنهم واستفاد منهم وكتب
الكثير وعلق التعاليق النافعة وذيل على الإكمال
393 كتاب الأمير أبي نصر ابن ماكولا المقدم ذكره
وما أقصر فيه وجاء في مجلدين وله كتاب آخر لطيف في
الأنساب مثل الذيل على كتابي محمد بن طاهر المقدسي
وأبي موسى الأصبهاني الحافظين المقدم ذكرهما وكتاب
التقييد لمعرفة الرواة والسنن والمسانيد وكنت أسمع به في
وقته ولم اجتمع به وذكره أبو البركات ابن المستوفي في
تاريخ إربل وعده في جملة من وصل إليها وسمع الحديث
بها وأثنى عليه وقال أنشدني لأبي علي محمد بن الحسين
بن أبي الشبل البغدادي وهو أحد شعراء العراق المجيدين
المتأخرين وقد ذكره ابن الحظيري في كتاب زينة الدهر
(لا تظهرن لعاذل أو عاذر * حاليك في الضراء والسراء
) (فلرحمة المتوجعين مرارة * في القلب مثل شماتة
الأعداء) وتوفي ابن نقطة المذكور في الثاني والعشرين
من صفر سنة تسع وعشرين وستمائة ببغداد وهو في سن
الكهولة وكنت يومئذ مقيما بمدينة حلب للاشتغال فوصلنا
خبر موته رحمه الله تعالى 191 وتوفي أبوه عبد الغني في
رابع جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ببغداد

ودفن في موضع مجاور لمسجده وكان مشهورا بالتقلل والإيثار ونقطة بضم النون وسكون القاف وفتح الطاء المهملة وبعدها هاء ساكنة 192 وتوفي أبو علي ابن أبي الشبل المذكور سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة رحمه الله تعالى ذكره العماد الأصبهاني في كتاب الخريدة

394   661 ابن الدبيثي أبو عبد الله محمد بن أبي المعالي سعيد بن أبي طالب يحيى بن أبي الحسن علي ابن الحجاج بن محمد بن الحجاج المعروف بابن الدبيثي الفقيه الشافعي المؤرخ الواسطي سمع الحديث كثيرا وعلق تعاليق مفيدة وكانت له محفوظات حسنة وكان يوردها ويستعملها في محاوراته وكان في الحديث واسماء رجاله والتاريخ من الحفاظ المشهورين والنبلاء المذكورين وصنف كتابا جعله ذيلا على تاريخ أبي سعد عبد الكريم ابن السمعاني الحافظ المقدم ذكره المذيل على تاريخ بغداد للخطيب وذكر فيه ما لم يذكره السمعاني ممن اغفله او كان بعده وهو في ثلاث مجلدات وما أقصر فيه وصنف تاريخا لواسط وصنف غير ذلك ذكره ابن المستوفي في تاريخ إربل فقال ورد علينا في ذي القعدة سنة إحدى عشرة وستمائة وهو شيخ حسن وقال انشد لنفسه (خبرت بني الأيام طرا فلم أجد * صديقا صدوقا مسعداً في النوائب) (وأصفيتهم مني الوداد فقابلوا * صفاء ودادي بالقذى والشوائب) (وما اخترت منهم صاحب وإرتضيته * فأحمدته في فعله والعواقب) ولم يزل أبو

عبد الله المذكور على إجتهاده وتعليقه إلى أن توفي
وكانت ولادته يوم الاثنين السادس والعشرين من رجب
سنة ثمان وخمسين
395 وخمسمائة بواسط وتوفي يوم الاثنين لثمان
خلون من شهر ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين وستمائة
ببغداد رحمه الله تعالى ودفن بالوردية من الغد والدبيثي
بضم الدال المهملة وفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة
من تحتها وبعدها ثاء مثلثة هذه النسبة إلى دبيثى وهي
قرية بنواحي واسط وأصله من كنجة وقدم جده علي من
دبيثي وسكن واسط وبها توالدوا 193 وتوفي والده أبو
المعالي سعيد ليلة عيد النحر سنة خمس وثمانين
وخمسمائة بواسط ومولده بها في السابع والعشرين من
صفر سنة سبع وعشرين وخمسمائة 662 ابن المظفر أبو
عبد الله محمد بن أبي محمد بن محمد بن ظفر الصقلي
المنعوت بحجة الدين أحد الأدباء الفضلاء صاحب
التصانيف الممتعة منها كتاب سلوان المطاع في عدوان
الإتباع صنفه لبعض القواد بصقلية سنة أربع وخمسين
وخمسمائة
396 البشر بخير البشر وكتاب الينبوع في تفسير
القرآن الكريم وهو كبير وكتاب نجباء الأبناء وكتب
الحاشية على درة الغواص للحريري صاحب المقامات
وشرح المقامات للحريري وهما شرحان كبير وصغير
وغير ذلك من التواليف الظريفة المليحة ورأيت في اول

الشرح الذي له يذكر أنه أخبره بها الحافظ أبو الطاهر السلفي عن منشئها الحريري والناس يقولون إن الحافظ السلفي رأى الحريري في جامع البصرة وحوله حلقة وهم يأخذون عنه المقامات فسأل عنه فقيل له إن هذا قد وضع شيئا من الأكاذيب وهو يمليه على الناس فتنكبه ولم يعرج عليه والله اعلم بالصواب وحكي عن الشيخ تاج الدين الكندي المقدم ذكره أنه قال أحلت على ديوان حماة برزق فسرت إليها لأجل ذلك فلما حللتها جمع الجماعة بيني وبين ابن ظفر المذكور وجرت بيننا مناظرة في النحو واللغة عليه مسائل في النحو فلم يمش فيها وكان حاله في اللغة قريبا فلما كاد المجلس يتقوض قال ابن ظفر الشيخ تاج الدين أعلم مني بالنحو وأنا أعلم منه باللغة فقلت الأول مسلم والثاني ممنوع وتفرقنا وكان ابن ظفر قصير القامة دميم الخلقة غير صبيح الوجه ويروى لابن ظفر المذكور شعر فمن ذلك ما وجدته في بعض المجاميع منسوبا إليه وهو (حملتك في قلبي فهل أنت عالم * بأنك محمول وأنت مقيم) (الا إن شخصا في فؤادي محله * وأشتاقه شخص علي كريم) وقد أخذ هذا المعنى من قول بعض العرب (سقى بلدا كانت سليمى تحله * من المزن ما تروى به وتشيم)

397 (وان لم أكن من ساكنيه فإنه * يحل به شخص علي كريم) وأورد له العماد الأصبهاني في كتاب الخريدة عدة مقاطيع فمن ذلك قوله (على قدر فضل

المرء تأتي خطوبه * ويعرف عند الصبر في ما يصيبه)
(ومن قل فيما يتقيه اصطباره * فقد قل فيما يرتجيه نصيبه) وكانت نشأته بمكة وتنقل في البلاد ومولده بصقلية وسكن آخر الوقت بمدينة حماة وتوفي بها سنة خمس وستين وخمسمائة رحمه الله تعالى ولم يزل يكابد الفقر إلى ان مات حتى قيل إنه زوج ابنته في حماة بغير كفء من الحاجة والضرورة وإن الزوج رحل بها عن حماة وباعها في بعض البلاد وظفر بفتح الظاء المعجمة والفاء وبعدها راء وهو المصدر من قولهم ظفر بالشيء يظفر ظفرا إذا فاز به وقد تقدم الكلام على صقلية فلا حاجة إلى إعادته

398 663 العتبي بأبو عبد الرحمن محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي المعروف بالعتبي الشاعر البصري المشهور كان أديبا فاضلا شاعرا مجيدا وكان يروي الأخبار وأيام العرب ومات له بنون فكان يرثيهم وروى عن أبيه وعن سفيان بن عيينة ولوط بن مخنف وروى عنه أبو حاتم السجستاني وأبو الفضل الرياشي وإسحاق بن محمد النخعي وغيرهم وقدم بغداد وحدث بها وأخذ عنه أهلها وكان مستهترا بالشراب ويقول الشعر في عتبة وكان هو وأبوه سيدين أديبين فصيحين وله من التصانيف كتاب الخيل وكتاب أشعار الأعاريب وأشعار النساء اللاتي احببن ثم أبغضن

وكتاب الذبيح وكتاب الأخلاق وغير ذلك وقال العتبي المذكور سمعت أعرابيا يقول لرجل إن فلانا وإن ضحك لك فإن عقاربه تسري إليك فإن لم تجعله عدوا في علانيتك فلا تجعله صديقا في سريرتك

399 وذكره ابن قتيبة في كتاب المعارف وابن المنجم في كتاب البارع وروى له (رأين الغواني الشيب لاح بعارضي * فأعرضن عني بالخدود النواضر) (وكن متى أبصرنني أو سمعن بي * سعين فرقعن الكوى بالمحاجر) (فإن عطفت عني أعنة أعين * نظرن بأحداق المها والجآذر) (فإني من قوم كريم ثناؤهم * لأقدامهم صيغت رؤوس المنابر) (خلائف في الإسلام في الشرك قادة * بهم وإليهم فخر كل مفاخر) وفي المجموع الذي بخطي أبيات للشريف الرضي رحمه الله في هذا المعنى وأورد له أيضا (لما رأتني سليمى قاصرا بصري * عنها وفي الطرف عن أمثالها زور) (قالت عهدتك مجنونا فقلت لها * إن الشباب جنون برؤه الكبر) وهذا البيت من أمثال السائرة وذكر له المبرد في كتاب الكامل بيتين يرثي بهما بعض أولاده وهما (أضحت بخدي للدموع رسوم * أسفا عليك وفي الفؤاد كلوم) (والصبر يحمد في المواطن كلها * إلا عليك فإنه مذموم) وهذا البيت أيضا من الأبيات المشهورة وشعره كثير جيد وهو من

400 فحول الشعراء المحدثين وتوفي سنة ثمان وعشرين ومائتين رحمه الله تعالى والعتبي بضم العين المهملة وسكون التاء المثناة من فوقها وبعدها باء موحدة هذه النسبة إلى جده عتبة بن أبي سفيأن المذكور وقد نسب مثل هذه النسبة إلى عتبة بن غزوان الصحابي رضي الله عنه وغيره ويجوز أن تكون نسبته إلى عتبة التي كان يقول الشعر فيها والله اعلم وروي عنه انه كان يقول الزرافة بفتح الزاي وضمها الحيوان المعروف وهي متولدة بين ثلاث حيوانات الناقة الوحشية والبقرة الوحشية والضبعان وهو الذكر من الضباع فيقع الضبعان على الناقة فتأتي بولد بين الناقة والضبع فإذا كان الولد ذكرا وقع على البقرة فتأتي بالزرافة وذلك في بلاد الحبشة ولذلك قيل لها الزرافة والزرافة في الأصل الجماعة فلما تولدت من جماعة قيل لها الزرافة والعجم تسميها اشتر كاو بلنك لأن الأشتر الجمل والكاو البقرة والبانك الضبع

664 أبو بكر الخوارزمي الشاعر أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي الشاعر المشهور ويقال له الطبرخزي أيضا لأن اباه من خوارزم وامه من طبرستان فركب له من الاسمين نسبة كذا ذكره السمعاني وهو ابن اخت أبي جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب

401 التاريخ وقد تقدم ذكر ذلك في ترجمة ابن جرير وأبو بكر المذكور أحد االشعراء المجيدين الكبار المشاهير كان إماما في اللغة والأنساب أقام بالشام مدة

وسكن بنواحي حلب وكان مشارا إليه في عصره ويحكى انه قصد حضرة الصاحب ابن عباد وهو بأرجان فلما وصل إلى بابه قال لأحد حجابه قل للصاحب على الباب أحد الأدباء وهو يستأذن في الدخول فدخل الحاجب وأعلمه فقال الصاحب قل له قد ألزمت نفسي ان لا يدخل علي من الأدباء إلا من يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب فخرج إليه الحاجب واعلمه بذلك فقال له أبو بكر إرجع إليه وقل له هذا القدر من شعر الرجال أم من شعر النساء فدخل الحاجب فأعاد عليه ما قال فقال الصاحب هذا يريد ان يكون أبا بكر الخوارزمي فأذن له في الدخول فدخل عليه فعرفه وانبسط له وأبو بكر المذكور له ديوان رسائل وديوان شعر وقد ذكره الثعالبي في كتاب اليتيمة وذكر قطعة من نثره ثم اعقبها بشيء من نظمه فمن ذلك قوله (رأيتك إن أيسرت خيمت عندنا * مقيما وإن أعسرت ردت لماما) (فما أنت إلا البدر إن قل ضووءه * أغب وإن زاد الضياء أقاما) يشير إلى قول ابنة عبيد الله بن مطيع لزوجها يحيى بن طلحة ما رأيت الأم من أصحابك إذا أيسرت لزموك وإذا أعسرت تركوك فقال هذا من كرمهم يأتوننا في حال القوة منا عليهم ويعافوننا في حال الضعف منا عنهم وأنشدني عثمان بن سعيد بن تولوا لنفسه (متواضع كالغصن يدنو مثمرا * فإذا انالك ما عليه ترفعا) 402 ومن شعره أيضا (يا من يحاول صرف الراح يشربها * ولايفك لما يلقاه قرطاسا) (الكاس

والكيس لم يقض امتلاؤهما * ففرغ الكيس حتى تملأ الكاسا) وفيه يقول أبو سعيد أحمد بن شهيب الخوارزمي (أبو بكر له أدب وفضل * ولكن لا يدوم على الوفاء) مودته إذا دامت لخل * فمن وقت الصباح إلى المساء) وملحه ونوادره كثيرة ولما رجع من الشام سكن نيسابور ومات بها في منتصف شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة وذكر شيخنا ابن الأثير في تاريخه أنه توفي سنة ثلاث وتسعين والله أعلم رحمه الله تعالى وكان قد فارق الصاحب ابن عباد غير راض فعمل فيه (لا تحمدن ابن عباد وإن هطلت * يداه بالجود حتى اخجل الديما) فإنها خطرات من وساوسه * يعطي ويمنع لا بخلا ولا كرما) فبلغ ابن عباد ذلك فلما بلغه خبر موته أنشد (أقول لركب من خراسان قافل * أمات خوارزميكم قيل لي نعم) فقلت اكتبوا بالجص من فوق قبره * الا لعن الرحمن من كفر النعم) قلت هكذا وجدت هذين البيتين منسوبين إلى أبي بكر الخوارزمي المذكور في الصاحب ابن عباد ذكر ذلك جماعة من الأدباء في مجاميعهم وفي مذكراتهم 194 ثم نظرت في كتاب معجم الشعراء تأليف المرزباني فوجدت

403 في ترجمة أبي القاسم الأعمى واسمه معاوية بن سفيان وهو شاعر راوية بغدادي أحد غلمان الكسائي اتصل بالحسن بن سهل يؤدب أولاده فعتب عليه في شيء فقال يهجوه (لا تحمدن حسنا بالجود إن مطرت * كفاه

غزرا ولا تذممه إن زرما) (فليس يمنع إبقاء على نشب
* ولا يجود لفضل الحمد مغتنما) (لكنها خطرات من
وساوسه * يعطي ويمنع لا بخلا ولا كرما) والله اعلم
بذلك وقد تقدم الكلام على الخوارزمي والطبرخزي بفتح
الطاء المهملة والباء الموحدة وسكون الراء وفتح الخاء
المعجمة وبعدها زاي وقد سبق في اول الترجمة الكلام
على سبب هذه النسبة 665 السلامي الشاعر أبو الحسن
محمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن خليس
بن عبد الله ابن يحيى بن عبد الله بن الحارث بن عبد الله بن
الوليد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم
بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن
مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس
بن مضر بن
404 نزار بن معد بن عدنان المخزومي السلامي
الشاعر المشهور هو من ولد الوليد ابن الوليد بن المغيرة
المخزومي أخي خالد بن الوليد رضي الله عنه قال الثعالبي
في حقه هو من أشعر أهل العراق قولا بالإطلاق وشهادة
بالإستحقاق وعلى ما اجريته من ذكره شاهد عدل من
شعره والذي كتبت من محاسنه نزه العيون ورقى القلوب
ومنى النفوس ومن خبره انه قال الشعر وهو ابن عشر
سنين واول شيء قال في المكتب (بدائع الحسن فيه
مفترقه * واعين الناس فيه متفقه) (سهام ألحاظه مفوقة
* فكل من رام لحظه رشقه) (قد كتبت الحسن فوق

وجنته * هذا مليح وحق من خلقه) وركب في صباه سمارية في دجلة ولم يكن رأى دجلة قبل ذلك فقال (
وميدان تجول به خيول * تقود الدارعين ولا تقاد) (
ركبت به إلى اللذات طرفا * له جسم وليس له فؤاد) (
جرى فظننت ان الأرض وجه * ودجلة ناظر وهو السواد
) ونشأ ببغداد وخرج منها إلى الموصل وهو صبي يوم ذاك فوجد بها جماعة من مشايخ الشعراء منهم أبو عثمان الخالدي أحد الخالديين وأبو الفرج الببغاء المقدم ذكره وأبو الحسن التلعفري وغيرهم فلما رأوه عجبوا منه لبراعته مع حداثة سنه فاتهموه بأن الشعر ليس له فقال الخالدي أنا أكفيكم أمره واتخذ دعوة جمع فيها الشعراء واحضر السلامي المذكور معهم فلما توسطوا

405 الشراب أخذوا في التفتيش عن بضاعته فلم يلبثوا ان جاء مطر شديد وبرد ستر وجه الأرض فألقى الخالدي نارنجا كان بين أيديهم على ذلك البرد وقال يا أصحابنا هل لكم ان نصف هذا فقال السلامي ارتجالا (لله در الخالدي * الأوحد الندب الخطير) (أهدى لماء المزن عند * جموده نار السعير) (حتى إذا صدر العتاب * إليه عن حر الصدور) (بعثت إليه هدية * عن خاطري أيدي السرور) (لاتعذلوه فإنه * أهدى الخدود إلى الثغور) فلما رأوا ذلك منه أمسكوا عنه وكانوا يصفونه بالفضل ويعترفون له بالإجادة والحذق إلا التلعفري فإنه أقام على قوله الأول حتى قال السلامي فيه

(سما التلعفري إلى وصالي * ونفس الكلب تكبر عن وصاله) (ينافي خلقه خلقي وتأبى * فعالي أن تضاف إلى فعاله) (فصنعتي النفيسة في لساني * وصنعته الخسيسة في قذاله) (فإن أشعر فما هو من رجالي * وإن يصفع فما انا من رجاله) وله فيه أهاج كثيرة ودخل السلامي يوما على أبي تغلب وأظنه الحمداني وبين يديه درع فقال صفها لي فارتجل (يارب سابغة حبتني نعمة * كا فأتها بالسوء غير مفند) (أضحت تصون عن المنايا مهجتي * وظللت أبذلها لكل مهند)

406 وهذا المعنى مأخوذ من قول عبد الله بن المعتز في الخمرة المطبوخة وقد سبق ذكر ذلك في ترجمته وهو (وفتني من دار الجحيم بنفسها * وذلك من إحسانها ليس يجحد) وقصد السلامي حضرة الصاحب ابن عباد وهو بأصبهان فأنشده قصيدته البائية التي من جملتها (تبسطنا على الآثام لما رأينا العفو من ثمر الذنوب) وهذا البيت من محاسنه وفيه إشارة إلى قول أبي نواس الحسن بن هانئ من جملة أبيات في الزهد وقد تقدم ذكرها في ترجمته وهو قوله (تعض ندامة كفيك مما * تركت مخافة النار السرورا) وفيه إلمام أيضا بقول المأمون لو علم أرباب الجرائم تلذذي بالعفو لتقربوا إلي بالذنوب ولم يزل السلامي عند الصاحب بين خير مستفيض وجاه عريض ونعم بيض إلى ان آثر قصد حضرة عضد الدولة بن بويه بشيراز فحمله الصاحب إليها

وزوده كتابا بخطه إلى أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف الكاتب وكان احد البلغاء وممن يجري عند عضد الدولة مجرى الوزراء ونسخة الكتاب وقد علم مولاي ان باعة الشعر اكثر من عدد الشعر ومن يوثق أن حليته التي يهديها من صوغ طبعه وحلله التي يؤديها من نسج فكره أقل من ذلك وممن خبرته بالامتحان فحمدته وفررته بالاختبار فاخترته أبو الحسن محمد ابن عبد الله السلامي وله بديهة قوية توفي على الروية ومذهب في الإجادة

407 يهش السمع لوعيه كما يرتاح الطرف لرعيه

وقد امتطى أمله وخير له إلى الحضرة الجليلة رجاء أن يحصل في سواد أمثاله ويظهر معهم بياض حاله فجهزت منه أمير الشعر في موكبه وحليت فرس البلاغة بمركبه وكتابي هذا رائده إلى القطر بل مشرعه إلى البحر فإن رأى مولاي أن يراعي كلامي في بابه ويجعل ذلك من ذرائع إيجابه فعل إن شاء الله تعالى فلما ورد عليه تكفل به أبو القاسم وافضل عليه واوصله إلى عضد الدولة حتى انشده قصيدته التي منها (إليك طوى عرض البسيطة جاعل * قصارى المطايا ان يلوح لها القصر) (فكنت وعزمي في الظلام وصارمي * ثلاثة أشباه كما إجتمع النسر) (وبشرت آمالي بملك هو الورى * ودار هي الدنيا ويوم هو الدهر) وقد تقدم ذلك في ترجمة عضد الدولة في حرف الفاء فليطلب هناك وقد أخذ القاضي أبو بكر أحمد الأرجاني المقدم ذكره معنى البيت الخير وسبكه

في قوله (ياسائلي عنه لما ظلت امدحه * هذا هو الرجل العاري من العار) (لو زرته لرأيت الناس في رجل * والدهر في ساعة والأرض في دار) وهذا البيت وإن كان في معنى ذلك البيت لكن ليس فيه لارشاقته ولا عليه طلاوته وقد استعمل المتنبي أيضا هذا المعنى المذكور لكنه لم يكمله فاتي ببعضه في النصف الأخير من هذا البيت وهو قوله (هي الغرض الأقصى ورؤيتك المنى * ومنزلك الدنيا وأنت الخلائق)

408 رجعنا إلى خبر السلامي مع عضد الدولة فاشتمل عليه بجناح القبول ودفع إليه مفتاح المأمول واختص بخدمته في مقامه وظعنه وتوفر من صلاته حظة وكان عضد الدولة يقول إذا رأيت السلامي في مجلسي ظننت أن عطارد قد نزل من الفلك إلي ووقف بين يدي ولما توفي عضد الدولة في التاريخ المذكور في ترجمته تراجعغ طبع السلامي ورقت حاله ثم مازالت تتماسك مرة وتتداعى اخرى حتى مات وله في عضد الدولة كل قصيدة بديعة فمن ذلك قوله من جملة قصيد (نبهت ندماني وقد * عبرت بنا الشعرى العبور) (والبدر في افق السماء * كروضة فيها غدير) (هبوا إلى شرب المدام * فإنما الدنيا غرور) (هبوا فقد عيي الرقيب * فنام وأنتبه السرور) (واشار إبليس فقلنا * كلنا نعم المشير) (صرعي بمعركة تعف * الوحش عنا والنسور) (نوار روضتنا خدود * والغصون بها خصور))

والعيش استر مايكون * إذا تهتكت الستور) (طاف
السقاة بها كما * أهدت لك الصيد الصقور) (عذراء
يكتمها المزاج * كأنها فيه ضمير) (وتظن تحت حبابها
* خدا تقبله ثغور) (حتى سجدنا والإمام * أمامنا بم
وزير) وله فيه أيضا من جملة أبيات (يزور نائلك
العافي وصارمك العاصي * فتحويهما ايد واعناق)
409 (في كل يوم لبيت المجد منك غنى * وثروة
ولبيت المال إملاق) وله فيه أيضا (تشبهه المداح في
البأس والندى * بمن لو رآه كان أصغر خادم) (ففي
جيشه خمسون الفا كعنتر * وأمضى وفي خزانه ألف حاتم
) ومن شعره أيضا (لما أصيب الخد منك بعارض *
أضحى بسلسلة العذار مقيدا) ومن ها هنا أخذ ابن
التلعفري قوله (هب ان خدك قد اصيب بعارض * فعلام
صدغك راح وهو مسلسل) وأنشدني ابن التلعفري وهو
الشهاب محمد بن يوسف بن مسعود الشيباني أبياته التي
من جملتها هذا البيت وبالجملة فأكثر شعره نخب وغرر
وكانت ولادته آخر نهار الجمعة لست خلون من رجب
سنة ست وثلاثين وثلثمائة في كرخ بغداد وتوفي يوم
الخميس رابع جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة
رحمه الله تعالى والسلامي نسبة إلى دار السلام بغداد وقد
تقدم ذكر ذلك في ترجمة محمد بن ناصر الحافظ
410 666 ابن سكرة الشاعر أبو الحسن محمد بن
عبد الله بن محمد المعروف بابن سكرة الهاشمي البغدادي

الشاعر المشهور وهو من ولد علي بن المهدي بن أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي قال الثعالبي في ترجمته هو شاعر متسع الباع في انواع الإبداع فائق في قول الطرف والملح على الفحول والأفراد جار في ميدان المجون والسخف ما أراد وكان يقال ببغداد إن زمانا جاد بمثل ابن سكرة وابن حجاج لسخي جدا وما شبها إلا بجرير والفرزدق في عصرهما ويقال إن ديوان ابن سكرة يربي على خمسين ألف بيت فمن بديع تشبيهه ما قاله في غلام رآه وفي يده غصن وعليه زهر وهو (غصن بان بدا وفي اليد منه * غصن فيه لؤلؤ منظوم)

411 (فتحيرت بين غصنين في ذا * قمر طالع وفي ذا نجوم) ومن شعره (قالوا التحى وستسلو عنه قلت لهم * هل يحسن الروض ما لم يطلع الزهر) (هل التحى طرفه الساجي فأهجره * أم هل تزحزح عن اجفانه الحور) وله في غلام اعرج (قالوا بليت باعرج فأجبتهم * ألعيب يحدث في غصون البان) (إني أحب حديثه وأريده * للنوم لا للهجري في الميدان) وله أيضا (أنا والله هالك * آيس من سلامتي) (أو أرى القامة التي * قد اقامت قيامتي) وقال أبو الحسن علي بن محمد بن الفتح المعروف بابن أبي العصب ويقال ان العصب الأشناني الملحمي البغدادي الشاعر كتب إلي ابن سكرة الهاشمي (يا صديقا أفادنيه زمان * فيه ضن بالأصدقاء

وشح) (بين شخصي وبين شخصك بعد * غير ان الخيال بالوصل سمح)
412 (إنما اوجب التباعد منا * أنني سكر وانك ملح) فكتب إليه (هل يقول الإخوان يوما لخل شاب منه محض المودة قدح) (بيننا سكر فلا تفسدنه * أم يقولون بيننا وبينك ملح) وله يهجو بعض الرؤساء (تهت علينا ولست فينا * ولي عهد ولا خليفه) (فته وزد ما علي جار * يقطع عني ولا وظيفه) (ولاتقل ليس في عيب * قد تقذف الحرة العفيفه) (والشعر نار بلا دخان * وللقوافي رقى لطيفه) (كم من ثقيل المحل سام * هوت به احرف خفيفه) (لو هجي المسك وهو أهل * لكل مدح لصار جيفه) وله أيضا (قيل ما اعددت للبرد * فقد جاء بشده) (قلت دراعة عري * تحتها جبة رعده) وله البيتان اللذان ذكرهما الحريري في المقامة الكرجية وهما (جاء الشتاء وعندي من حوائجه * سبع إذا القطر عن حاجاتنا حبسا)
413 (كن وكيس وكانون وكاس طلا * بعد الكباب وكس ناعم وكسا) وقد نسج ابن التعاويذي الآتي ذكره في المحمدين إن شاء الله تعالى على منواله فقال (إذا اجتمعت في مجلس الشرب سبعة * فما الرأي في التأخير عنه صواب) (شواء وشمام وشهد وشادن * وشمع وشاد مطرب وشراب) وقال أبو الثناء محمود بن نعمة بن أرسلان النحوي الشيزري (يقولون كافات الشتاء

كثيرة * وما هي إلا واحد غير مفترى) (إذا صح كاف
الكيس فالكل حاصل * لديك وكل الصيد يوجد في الفرا)
وله في الشباب أيضا (لقد بان الشباب وكان غصنا * له
ثمر وأوراق تظلك) (وكان البعض منك فمات فاعلم *
متى ما مات بعضك مات كلك) ومحاسن شعره كثيرة
وتوفي يوم الأربعاء حادي عشر شهر ربيع الآخر سنة
خمس وثمانين وثلثمائة رحمه الله تعالى 195 وكانت ولادة
ابن أبي العصب المذكور بعد سنة خمس وثمانين ومائتين
وسمع منه الحسن بن علي الجوهري هذه الأبيات سنة
أربع وسبعين وثلثمائة وتوفي أبو الثناء محمود بن نعمة
المذكور سنة خمس وستين وخمسمائة بدمشق
414 وذكر عماد الدين الكاتب في كتاب الخريدة انه
رآه بدمشق سنة ثلاث وستين وخمسمائة وأنشده عدة
مقاطع له وسكرة بضم السين المهملة وتشديد الكاف وفتح
الراء وبعدها هاء ساكنة وهي معروفة فلا حاجة إلى
تفسيرها 667 الشريف الرضي الموسوي الشريف
الرضي أبو الحسن محمد بن الطاهر ذي المناقب أبي
أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم
بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن
علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب
رضي الله عنهم المعروف بالموسوي صاحب ديوان
الشعر ذكره الثعالبي في كتاب اليتيمة فقال في ترجمته
ابتدأ يقول الشعر بعد ان جاوز عشر سنين بقليل وهو اليوم

أبدع إنشاء الزمان وانجب سادة العراق يتحلى مع محتده
الشريف ومفخره المنيف بأدب ظاهر وفضل باهر وحظ
من جميع المحاسن وافر ثم هو أشعر الطالبيين من مضى
منهم ومن غبر على كثرة شعرائهم المفلقين ولو قلت انه
415 أشعر قريش لم ابعد عن الصدق وسيشهد بما
أخبر به شاهد عدل من شعره العالي القدح الممتنع عن
القدح الذي يجمع إلى السلاسة متانة وإلى السهولة رصانة
ويشتمل على معان يقرب جناها ويبعد مداها وكان أبوه
يتولى قديما نقابة نقباء الطالبيين ويحكم فيهم أجمعين
والنظر في المظالم والحج بالناس ثم ردت هذه الأعمال
كلها إلى ولده الرضي المذكور في سنة ثمان وثمانين
وثلثمائة وأبوه حي ومن غرر شعره ما كتبه إلى الإمام
القادر بالله أبي العباس أحمد بن المقتدر من جملة قصيدة
(عطفا أمير المؤمنين فإننا * في دوحة العلياء لا نتفترق)
(ما بيننا يوم الفخار تفاوت * أبدا كلانا في المعالي معرق)
(إلا الخلافة ميزتك فإنني * أنا عاطل منها وأنت
مطوق) ومن جيد شعره قوله أيضا (رمت المعالي
فامتنعن ولم يزل * أبدا يمانع عاشقا معشوق) (
وصبرت حتى نلتهن ولم اقل * ضجرا دواء الفارك
التطليق) وله من جملة أبيات (يا صاحبي قفا لي
واقضيا وطرا * وحدثاني عن نجد بأخبار) (هل
روضت قاعة الوعساء أم مطرت * خميلة الطلح ذات

البان والغار) (ام هل أبيت ودار دون كاظمة * داري وسمار ذاك الحي سماري)
416 (تضوع أرواح نجد من ثيابهم * عند القدوم لقرب العهد بالدار) وديوان شعره كبير يدخل في اربع مجلدات وهو كثير الوجود فلا حاجة إلى الإكثار من ذكره وذكر أبو الفتح ابن جني النحوي المقدم ذكره في بعض مجاميعه أن الشريف الرضي المذكور أحضر إلى ابن السيرافي النحوي وهو طفل جدا لم يبلغ عمره عشر سنين فلقنه النحو وقعد معه يوما في حلقته فذاكره بشيء من الإعراب على عادة التعليم فقال له إذا قلنا رأيت عمر فما علامة النصب في عمر فقال له الرضي بغض علي فعجب السيرافي والحاضرون من حدة خاطره وذكر انه تلقن القرآن بعد ان دخل في السن فحفظه في مدة يسيرة وصنف كتابا في معاني القرن الكريم يتعذر وجود مثله دل على توسعه في علم النحو واللغة وصنف كتابا في مجازات القرن فجاء نادرا في بابه وقد عني بجمع ديوان الشريف الرضي المذكور جماعة وأجود ما جمع الذي جمعه أبو حكيم الخبري ولقد أخبرني بعض الفضلاء أنه رأى في مجموع أن بعض الأدباء إجتاز بدار الشريف الرضي المذكور بسر من راى وهو لا يعرفها وقد اخنى عليها الزمان وذهبت بهجتها واخلقت ديباجتها وبقايا رسومها تشهد لها بالنضارة وحسن الشارة فوقف عليها

متعجبا من صروف الزمان وطوارق الحدثان وتمثل بقول الشريف الرضي المذكور
417 (ولقد وقفت على ربوعهم * وطلولها بيد البلى نهب) (فبكيت حتى ضج من لغب * نضوي ولج بعذلي الركب) (وتلفتت عيني فمذ خفيت * عني الطلول تلفت القلب) فمر به شخص وسمعه وهو ينشد الأبيات فقال له هل تعرف هذه الدار لمن هي فقال لا فقال هذه الدار لصاحب هذه الأبيات الشريف الرضي فتعجبا من حسن الاتفاق ولقد أذكرتني هذه الواقعة حكاية هي في معناها ذكرها الحريري في كتاب درة الغواص في أوهام الخواص وهي على ما رواه ان عبيد بن شرية الجرهمي عاش ثلثمائة سنة وأدرك الإسلام فأسلم ودخل على معاوية بن أبي سفيان بالشام وهو خليفة فقال له حدثني باعجب ما رأيت فقال مررت ذات يوم بقوم يدفنون ميتا لهم فلما أنتهيت إليهم اغرورقت عيناي بالدموع فتمثلت بقول الشاعر (يا قلب إنك من أسماء مغرور * فاذكر وهل ينفعنك اليوم تذكير) (قد بحت بالحب ما تخفيه من أحد * حتى جرت لك أطلاقا محاضير) (فلست تدري وما تدري أعاجلها * أدنى لرشدك أم ما فيه تأخير) (فاستقدر الله خيرا وأرضين به * فبينما العسر إذ دارت مياسير) (وبينما المرء في الأحياء مغتبط * إذا هو الرمس تعفوه الأعاصير) (يبكي الغريب عليه ليس يعرفه * وذو قرابته في الحي مسرور) قال فقال لي

رجل أتعرف من يقول هذا الشعر فقلت لا قال إن قائله هو
الذي دفناه الساعة وأنت الغريب الذي تبكي عليه ولست
418 وهذا الذي خرج من قبره أمس الناس رحما به
وأسرهم بموته فقال له معاوية لقد رأيت عجبا فمن الميت
قال هو عثير بن لبيد العذري ويقرب من هذا ما ذكره
الأمير المسبحي في كتاب الحمة الذي ألفه للظاهر بن
الحاكم سنة اثنتي عشرة وأربعمائة قال قال محمود
المادرائي كنت متوجها إلى الديوان فدخلنا الأبلة فصعدت
من السفينة لحاجة ووقفت على تل رماد عتيق وعن لي ان
انشدت قول الشاعر (يا رب قائلة يوما وقد لغبت * كيف
الطريق إلى حمام منجاب) وكان شيخ من أهل الأبلة
جالسا على قرب من الموضع فقال لي يا فتى تعرف حمام
منجاب قلت لا قال فأنت واقف على مستوقده فعجبت من
الإتفاق في ذلك ومثل هاتين القضيتين ما ذكره الخطيب
أبو زكريا التبريزي في كتاب شرح الحماسة وذكره غيره
أيضا أن عمرو بن شاس الأسدي الشاعر المشهور كانت
له امرأة من قومه وابن من أمة سوداء يقال له عرار
فكانت تعير به أباه وتؤذيه ويؤذيها فانكر عمر عليها أذاها
وقال (أرادت عرار بالهوان ومن يرد * عرار العمري
بالهوان لقد ظلم) (وغن عرارا إن يكن غير واضح *
فإني احب الجون ذا المنكب العمم) وهي عدة أبيات في
الباب الأول من كتاب الحماسة والجون الأسود والعمم
التام وكان عرار أحد فصحاء العقلاء وتوجه من عند

المهلب بن أبي صفرة إلى الحجاج بن يوسف الثقفي رسولا في بعض فتوحه فلما مثل بين يدي الحجاج لم يعرفه وازدراه فلما استنطقه أبان واعرب ما شاء وبلغ الغاية والمراد في كل ما سئل عنه فأنشد الحجاج متمثلا
419 (أرادت عراراً بالهوان ومن يرد * عرارا لعمري بالهوان لقد ظلم) فقال عرار انا أيد الله الأمير عرار فأعجب به وبذلك الإتفاق وشاس المكان الغليظ
196 وعمرو المذكور من اسد بن خزيمة وهو مخضرم أدرك الإسلام وهو شيخ كبير وعرار من قولهم عار الظليم بتشديد الراء يعار عرارا إذا صاح يقول أرادت إمراتي إهانة عرار ومن طلب ذلك من مثله فقد وضع الشيء في غير محله وهو الظلم واجتهد عمرو بن شاس أن يصلح بين امرأته وابنه فلم يمكنه ذلك فطلقها فندم وقال في ذلك شعرا تركته لعدم الحاجة وخشية الإطالة رجعنا إالى ذكر الشريف قال الخطيب في تاريخ بغداد سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله الكاتب بحضرة أبي الحسين ابن محفوظ وكان أوحد الرؤساء يقول سمعت جماعة من أهل العلم بالأدب يقولون الرضي أشعر قريش فقال ابن محفوظ هذا صحيح وقد كان في قريش من يجيد القول إلا ان شعره قليل فأما مجيد مكثر فليس إلا الرضي وكانت ولادته سنة تسع وخمسين وثلثمائة ببغداد وتوفي بكرة يوم الأحد سادس المحرم وقيل صفر سنة ست وأربعمائة ببغداد ودفن في داره بخط مسجد الأنباريين بالكرخ وقد

خربت الدار ودرس القبر ومضى أخوه المرتضى أبو القاسم إلى مشهد موسى بن جعفر لأنه لم يستطع ان ينظر إلى تابوته ودفنه وصلى عليه الوزير فخر الملك في الدار مع جماعة كثيرة رحمه الله تعالى

420 197 وكانت ولادة والده الطاهر ذي المناقب أبي أحمد الحسين سنة سبع وثلثمائة وتوفي في جمادى الأولى سنة أربعمائة وقيل توفي سنة ثلاث وأربعمائة ببغداد ودفن في مقابر قريش بمشهد باب التبن ورثاه ولده الرضي ورثاه أيضا أبو العلاء المعري بقصيدته التي أولها (أودى فليت الحادثات كفاف * مال المسيف وعنبر المستاف) وهي طويلة أجاد فيها كل الإجادة وقد تقدم ذكر أخيه الشريف المرتضى أبي القاسم علي وعبيد بفتح العين المهملة وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة وشرية بفتح الشين المعجمة وسكون الراء وفتح الياء المثناة من تحتها وبعدها هاء ساكنة والجرهمي بضم الجيم وسكون الراء وضم الهاء وبعدها ميم هذه النسبة إلى جرهم بن قحطان وهي قبيلة كبيرة مشهورة باليمن وعثير بكسر العين المهملة وسكون الثاء المثلثة وفتح الياء المثناة من تحتها وبعدها راء وهو في الأصل اسم للغبار وبه سمي الرجل ولبيد اسم علم مشهور فلا حاجة إلى ضبطه وقد تقدم الكلام على العذري والله اعلم

421 668 ابن هانيء الأندلسي أبو القاسم وأبو الحسن محمد بن هانئ الزدي الأنلسي الشاعر المشهور قيل إنه من ولد يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي وقيل بل هو من ولد أخيه روح بن حاتم وقد تقدم ذكر يزيد وأخيه روح في ترجمة روح في حرف الراء وكان أبوه هانئ من قرية من قرى المهدية بأفريقية وكان شاعرا أديبا فانتقل إلى الناس فولد له بها محمد المذكور بمدينة إشبيلية ونشأ بها واشتغل وحصل له حظ وافر من الأدب وعمل الشعر فمهر فيه وكان حافظا لأشعار العرب وأخبارهم واتصل بصاحب إشبيلية وحظي عنده وكان كثير الإنهماك في الملاذ متهما بمذهب الفلاسفة ولما اشتهر عنه ذلك نقم عليه أهل اشبيلية وساءت المقالة في حق الملك بسببه واتهم بمذهبه أيضا فأشار الملك عليه بالغيبة عن البلد مدة ينسى فيها خبره فانفصل عنها وعمره يومئذ سبعة وعشرون عاما وحديثه طويل وخلاصته انه خرج إلى عدوة المغرب ولقي جوهرا القائد مولى المنصور وقد تقدم ذكره وما جرى له عند توجهه إلى مصر وفتحها للمعز فامتدحه ثم ارتحل إلى جعفر ويحيى ابني علي وقد تقدم ذكر جعفر وكانا بالمسيلة وهي مدينة الزاب وكانا والييها فبالغا في إكرامه والإحسان إليه فنمي خبره إلى المعز أبي تميم معد بن المنصور العبيدي

422 ذكره في هذا الحرف إن شاء الله تعالى فطلبه منهما فلما انتهى إليه بالغ في الإنعام عليه ثم توجه المعز إلى الديار المصرية كما سيأتي في خبره فشيعه ابن هانيء المذكور ورجع إلى المغرب لأخذ عياله والالتحاق به فتجهز وتبعه فلما وصل إلى برقة أضافه شخص من أهلها فأقام عنده أياما في مجلس الأنس فيقال إنهم عربدوا عليه فقتلوه وقيل خرج من تلك الدار وهو سكران فنام في الطريق وأصبح ميتا ولم يعرف سبب موته وقيل إنه وجد في سانية من سواني برقة مخنوقا بتكة سراويله وكان ذلك في بكرة يوم الأربعاء لسبع ليال بقين من رجب سنة اثنتين وستين وثلثمائة وعمره ست وثلاثون سنة وقيل إثنتان وأربعون رحمه الله تعالى هكذا قيده صاحب كتاب القيروان وأشار إلى انه كان في صحبة المعز وهو مخالف لما ذكرته أخبار اولا من تشييعه للمعز ورجوعه لأخذ عياله ولما بلغ المعز وفاته وهو بمصر تأسف عليه كثيرا وقال هذا الرجل كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق فلم يقدر لنا ذلك وله في المعز المذكور غرر المدائح ونخب الشعر فمن ذلك قصيدته النونية التي أولها (هل من أعقة عالج يبرين * ام منهما بقر الحدوج العين) (ولمن ليال ما ذممنا عهدها * مذكن إلا انهن شجون) (المشرقات كأنهن كواكب * والناعمات كأنهن غصون) (بيض وما ضحك الصباح وإنها * بالمسك من طرر

الحسان لجون) (أدمى لها المرجان صفحة خده * وبكى عليها اللؤلؤ المكنون)
423 (اعدى الحمام تأوهي من بعدها * فكانه فيما سجعن رنين) (بانوا سراعا للهوادج زفرة * مما رأين وللمطين حنين) (فكانما صبغوا الضحى بقبابهم * أو عصفرت فيه الخدود جفون) (ماذا على حلل الشقيق لوأنها * عن لابسيها في الخدود تبين) (فلأعطشن الروض بعدهم ولا * يرويه لي دمع عليه هتون) (أأعير لحظة العين بهجة منظر * وأخونم إني إذن لخؤون) (لا الجو جو مشرق ولو اكتسى * زهرا ولا الماء المعين معين) (لا يبعدن إذ العبير له ثرى * والبان دوح والشموس قطين) (أيام فيه العبقري مفوف * والسابري مضاعف موضون) (والزاعبيه شرع والمشرفي * ة لمع والمقربات صفون) (والعهد من ظمياء إذ لاقومها * خزر ولا الحرب الزبون زبون) (حزني لذاك الجو وهو اسنه * وكنا ذلك الخشف وهو عرين) (هل يديني منه اجرد سابح * مرح وجائله النسوع أمون) (ومهند فيه الفرند كانه * ردء له خلف الغرار كمين) (عضب المضارب مقفر من أعين * لكنه من أنفس مسكون) (قد كان رشح حديده أجلا وما * صاغت مضاربه الرقاق قيون) (وكأنما يلقى الضريبة دونه * بأس المعز أو اسمه المخزون) ومنها في صفة الخيل (وصواهل لا الهضب يوم مغارها * هضب لا البيد الحزون حزون) (

عرفت بساعة سبقها لا انها * علقت بها يوم الرهان عيون
) (واجل علم البرق فيها انها * مرت بجانحتيه وهي
ظنون) (في الغيث شبه من نداك كأنما * مسحت على
الأنواء منك يمين)
424 وهذه القصيدة من قصائده الطنانة ولولا
طولها لأوردتها كلها وله أيضا (والله لولا ان يسفهني
الهوى * ويقول بعض القائلين تصابى) (لكسرت
دملجها بضيق عناقه * ورشفت من فيها البرود رضابا)
وفي هذا الأنموذج دلالة على علو درجته وحسن طريقته
وديوانه كبير ولولا ما فيه من الغلو في المدح والإفراط
المفضي إلى الكفر لكان من احسن الدواوين وليس في
المغاربة من هو في طبقته لا من متقدميهم ولا من
متأخريهم بل هو اشعرهم على الإطلاق وهو عندهم
كاالمتنبي عند المشارقة وكانا متعاصرين وان كان في
المتنبي مع أبي تمام من الاختلاف ما فيه وما زلت اتطلب
تاريخ وفاة ابن هانئ المذكور من التواريخ والمظان التي
يطلب منها فلا اجده وسألت عنه خلقا كثيرا من مشايخ هذا
الشأن فلم أجده حتى ظفرت به في كتاب لطيف لأبي علي
الحسن بن رشيق القيرواني سماه قراضة الذهب فألفيته
كما هو مذكور ها هنا ونقلت مدة من موضع آخر رأيت
بعض الأفاضل قد اعتنى باحواله فجمعها وكتبها في اول
ديوانه وذكر مدة العمر ولم يذكر تاريخ الوفاة لأنه ما عثر
عليه ويقال إن أبا العلاء المعري كان إذا سمع شعر ابن

هانئ يقول ما أشبهه إلا برحى تطحن قرونا لأجل القعقعة التي في ألفاظه ويزعم انه لاطائل تحت تلك الألفاظ ولعمري ما انصفه في هذا المقال وما حمله على هذا إلا فرط تعصبه للمتنبي وبالجملة فما كان إلا من المحسنين في النظم والله اعلم

425 669 ابن عمار الأندلسي ذو الوزارتين أبو بكر محمد بن عمار المهري الأندلسي الشلبي الشاعر المشهور هو وابن زيدون القرطبي المذكور في حرف الهمزة فرسا رهان ورضيعا لبان في التصرف في فنون البيان وهما كانا شاعري ذلك الزمان وكانت ملوك الأندلس تخاف من ابن عمار المذكور لبذاءة لسانه وبراعة إحسانه لا سيما حين اشتمل عليه المعتمد على الله ابن عباد صاحب غرب الأندلس الآتي ذكره في هذا الحرف إن شاء الله تعالى وأنهضه جليسا وسميرا وقدمه وزيرا ومشيرا ثم خلع عليه خاتم الملك ووجهه أميرا وكان قد أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا فتبعته المواكب والمضارب والنجائب والجنائب والكتائب والجنود وضربت خلفه الطبول ونشرت على رأسه الرايات والبنود فملك مدينة تدمير واصبح راقي منبر وسرير مع ما كان فيه من عدم السياسة وسوء التدبير ثم وثب على مالك رقه ومستوجب شكره ومستحقه فبادر إلى عقوقه وبخس حقه فتحيل المعتمد عليه وسدد سهام المكايد إليه حتى حصل في قبضته قنيصا وأصبح لا يجد محيصا إلى ان قتله المعتمد

في قصره ليلا بيده وامر من انزله في ملحده وذلك في سنة سبع وسبعين وأربعمائة بمدينة إشبيلية وكانت ولادته في سنة اثنتين وعشرين واربعمائة وقصته مشهورة ولما
426 قتله المعتمد رثاه صاحبه أبو محمد عبد الجليل بن وهبون الأندلسي المرسي بقوله من جملة قصيدة (عجبا له أبكيه ملء مدامعي * وأقول لا شلت يمين القاتل) وقال أبو نصر الفتح بن خاقان صاحب قلائد العقيان لقد رأيت عظمي ساقي ابن عمار قد أخرجا بعد سنين من حفر حفر بجانب القصر وأساودهما بهما ملتفة ولبلتهما مشتفة ما فغرت أفواههما ولا حل التواؤهما فرمق الناس العبر وصدق المكذب الخبر يعني بالساود القيود ومن مشاهير قصائد ابن عمار المذكور قوله (أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى * والنجم قد صرف العنان عن السرى) (والصبح قد اهدى لنا كافوره * لما استرد الليل منا العنبرا) ومن مديحها وهي في المعتضد بن عباد (ملك إذا ازدحم الملوك بمورد * ونحاه لايردون حتى يصدرا) (اندى على الأكباد من قطر الندى * وألذ في الأجفان من سنة الكرى) (قداح زند المجد لاينفك من * نار الوغى إلا إلى نار القرى) وهي طويلة وفائقة ومن جيد شعره أيضا القصيدة الميمية وهي أيضا في المعتضد بن عباد واولها
427 (علي وإلا ما بكاء الغمائم * وفي وإلا فيم نوح الحمائم) ومنها أيضا في وصف وطنه (كساها

الحيا برد الشباب فإنها * بلاد بها عق الشباب تمائمي) (
ذكرت بها عهد الصبا فكأنما * قدحت بنار الشوق بين
الحيازم) (ليالي لا ألوي عن رشد لائم * عناني ولا
أثنيه عن غي هائم) (انال سهادي من عيون نواعس *
وأجني عذابي من غصون نواعم) (وليل لنا بالسد بين
معاطف * من النهر ينساب انسياب الأراقم) (تمر علينا
ثم عنا كأنها * حواسد تمشي بيننا بالنمائم) (بحيث
اتخذنا الروض جارا تزورنا * هداياه في أيدي الرياح
النواسم) (وبتنا ولا واش يحس كأنما * حللنا مكان السر
من صدر كاتم) ومن مديحها (ملوك مناخ العز في
عرصاتهم * ومثوى المعالي بين تلك المعالم) (هم
البيت ما غير الظبا لبنائه * بأس ولا غير القنا بدعائم) (
إذا قصر الروع الخطا نهضت بهم * طوال العوالي في
طوال المعاصم) (وأيد أبت من أن تؤوب ولم تفز *
بجز النواصي أو بحز الغلاصم) (ندامى الوغى يجرون
بالموت كأسها * إذا رجعت أسيافهم بالجماجم) (هناك
القنا مجرورة من حفائظ * وثم الظبا مهزوزة من عزائم)
ومنها (إذا ركبوا فانظره اول طاعن * وإن نزلوا
فأرصده آخر طاعم) وهي أيضا طويلة وطنانة
428 ومن جملة ذنوبه عند المعتمد بن عباد ما بلغه
عنه من هجائه وهجاء أبيه المعتضد في بيتين هما كانا من
اكبر أسباب قتله وهما (مما يقبح عندي ذكر اندلس *
سماع معتضد فيها ومعتمد) (أسماء مملكة في غير

موضعها * كالهر يحكي أنتفاخا صولة الأسد) ومحاسن ابن عمار كثيرة والمهري بفتح الميم وسكون الهاء وبعدها راء هذه النسبة إلى مهرة بن حيدان بن إلحاف بن قضاعة وهي قبيلة كبيرة ينسب إليها خلق كثير والشلبي بكسر الشين المعجمة وسكون اللام وبعدها باء موحدة هذه النسبة إلى شلب وهي مدينة بالأندلس على ساحل البحر وتدمير بضم التاء المثناة من فوقها وسكون الدال المهملة وكسر الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء وهي مدينة مرسية وكان المعتمد ابن عباد قد سير إليها أبا بكر ابن عمار المذكور نائبا عنه فعصى بها ولم يزل المعتمد يحتال عليه حتى وقع في قبضته وقتله بيده كما تقدم اولا وشهرة هذه الواقعة تغني عن الإطالة في تفصيلها وذكر عماد الدين الأصفهاني الكاتب في كتاب الخريدة في ترجمة ابن عمار المذكور وقتله المعتمد وكان أقوى الأسباب لقتله أنه هجاه بشعر ذكر فيه أم بنيه المعروفة بالرميكية وهي أبيات منها (تخيرتها من بنات الهجان * رميكية لا تساوي عقالا) (فجاءت بكل قصير الذراع * لئيم النجارين عما وخالا) قلت وهذه الرميكية كانت سرية المعتمد اشتراها من رميك بن حجاج فنسبت إليه وكان قد اشتراها في أيام أبيه المعتضد فأفرط في الميل إليها وغلبت عليه واسمها اعتماد فاختار لنفسه لقبا يناسب اسمها وهو المعتمد وتوفيت بأغمات قبل المعتمد بأيام ولم ترقأ له عبرة ولافارقته حسرة حتى قضى

429 نحبه أسفا وحزنا وهي التي اغرت المعتمد على قتل ابن عمار لكونه هجاها وقيل إن هذا الشعر ليس لابن عمار وإنما نسبته إليه لكي توغر صدر المعتمد عليه والله أعلم 670 أبو بكر ابن الصائغ الأندلسي أبو بكر محمد بن باجه التجيبي الأندلسي السرقسطي المعروف بابن الصائغ الفيلسوف الشاعر المشهور ذكره أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد بن خاقان القيسي صاحب قلائد العقيان في كتابه ونسبه إلى التعطيل ومذهب الحكماء والفلاسفة وانحلال العقيدة وقال في حقه كتابه الذي سماه مطمح الأنفس ما مثاله نظر في كتاب التعاليم وفكر في اجرام الأفلاك وحدود الأقاليم ورفض كتاب الله الحكيم ونبذه من وراء ظهره ثاني عطفه وأراد ابطال ما لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه واقتصر على الهيئة وانكر ان يكون لنا إلى الله فيئة وحكم للكواكب بالتدبير واجترم على الله اللطيف الخبير واجترأ عند سماع النهي والإيعاد واستهزأ بقوله تعالى (^ إن

430 الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) (القصص : 85) فهو يعتقد ان الزمان دور وان الإنسان نبات او نور حمامه تمامه واختطافه قطافه قد محي الإيمان من قلبه فما له فيه رسم ونسي الرحمن لسانه فما يمر عليه له اسم ولقد بالغ ابن خاقان في أمره وجاوز الحد فيما وصفه به من هذه الإعتقادات الفاسدة الله اعلم بكنه حاله واورد له مقاطيع من الشعر فمن ذلك قوله (

أسكان نعمان الأراك تيقنوا * بانكم في ربع قلبي سكان)
(ودوموا على حفظ الوداد فطالما * بلينا بأقوام إذا
استؤمنوا خانوا) (سلوا الليل عني مذ تناءت دياركم *
هل اكتحلت بالغمض لي فيه أجفان) (وهل جردت
أسياف برق سماؤكم * فكانت لها إلا جفوني اجفان)
وكان قد انشدني هذه الأبيات بعض أشياخ المغاربة
الفضلاء بمدينة حلب منسوبة إلى ابن الصائغ المذكور ثم
وجدتها بعد ذلك بعينها في ديوان أبي الفتيان محمد بن
حيوس الآتي ذكره إن شاء الله تعالى فبقيت شاكا فيما
أنشدني ذلك الشيخ وقلت لعله وهم في نسبتها إلى ابن
الصائغ إلى ان ودتها في كتابه مطمح الأنفس أيضا
منسوبة إلى ابن الصائغ المذكور واللع تعالى اعلم لمن هي
منهما وله (ضربوا القباب على أقاح روضة * خطر
النسيم بها ففاح عبيرا) (وتركت قلبي سار بين حمولهم
* دامي الكلوم يسوق تلك العيرا) (هلا سألت اسير هم
هل عندهم * عان يفك لو سألت غيورا)
431 (لا والذي جعل الغصون معاطفا * لهم
وصاغ الأقحوان ثغورا) (ما مر بي ريح الصبا من
بعدهم * إلا شهقت له فعاد سعيرا) ولماحضرته الوفاة
كان ينشد (أقول لنفسي حين قابلها الردى * فراغت
فرارا منه يسرى إلى يمنى) (فقي تحملي بعض الذي
تكرهينه * فقد طالما اعتدت الفرار إلى الأهنا) وتوفي
في شهر رمضان المعظم سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة

وقيل سنة خمس وعشرين وخمسمائة مسموما في باذنجان بمدجينة فاس رحمه الله تعالى وباجه بالباء الموحدة وبعد الألف جيم مشددة ثم هاء ساكنة وهي الفضة بلغة فرنج المغرب والتجيبي بضم التاء المثناة من فوقها وفتحها وكسر الجيم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها باء موحدة هذه النسبة إلى تجيب وهي ام عدي وسعد ابني اشرس بن شبيب بن سكون نسب ولدها إليها وهي تجيب بنت ثوبان بن سليم بن مذحج والسرقسطي بفتح السين المهملة والراء وضم القاف وسكون السين المهملة وبعدها طاء مهملة هذه النسبة إلى سرقسطة وهي مدينة بالأندلس خرج منها جماعة من العلماء واستولى عليها الفرنج سنة اثنتي عشرة وخمسمائة

432 671 الرصافي الشاعر أبو عبد الله محمد بن غالب الرفاء الأندلسي الرصافي الشاعر المشهور له اشعار ظريفة ومقاصد في النظم لطيفة وشعره سائر في الافاق ومن أشهر شعره أبياته التي نظمها في غلام صنعته النسج فأجاد فيها كل الإجادة وهي (قالوا وقد اكثروا في حبه عذلي * لو لم تهم بمذال القدر مبتذل) (فقلت لو كان أمري في الصبابة لي * لاخترت ذاك ولكن ليس ذلك لي) (أحببته حببي الثغر عاطره * حلو اللمى ساحر الأجفان والمقل) (غزيلا لم تزل في الغزل جائلة * بنانه جولان الفكر في الغزل) (جذلان يلعب بالمحواك أنمله * على السدى لعب الأيام بالدول) (جذبا

بكفيه أو فحصا باخمصه * تخبط الظبي في أشراك محتبل
) وله غير هذا المقطوع أشياء رائقة فمن ذلك قوله في
غلام يبل عينيه بريقه ويظهر انه يبكي وليس بباك (
عذيري من جذلان يبكي كآبة * وأضلعه مما يحاوله صفر
) يبل مآقي زهرتيه بريقه * ويحكي البكا عمدا كما
ابتسم الزهر (
433 ويوهم ان الدمع بل جفونه * وهل عصرت
يوما من النرجس الخمر) وله أيضا (ومهفهف كالغصن
إلا انه * تتحير الألباب عند لقائه) (أضحى ينام وقد
تكلل خده * عرقا فقلت الورد رش بمائه) وتوفي في
شهر رمضان سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة بمدينة مالقه
رحمه الله تعالى والرصافي بضم الراء وفتح الصاد
المهملة وبعد الألف فاء هذه النسبة إلى الرصافة وهي بليدة
صغيرة بالأندلس عند بلنسية وبالأندلس أيضا بليدة أخرى
صغيرة اسمها الرصافة وهي عند قرطبة أنشأها عبد
الرحمن بن معاوية ابن هشام بن عبد الملك الأموي أول
ملوك الأندلس من بني أمية ويعرف بالداخل لأنه دخل إلى
الأندلس من بلاد الشام خوفا من أبي جعفر المنصور
العباسي وقصته مشهورة فلما دخلها ملكها وبويع له
بقرطبة يوم عيد الأضحى سنة ثمان وثلاثين ومائة وعمره
يومئذ خمس وعشرون سنة وبنى هذه الرصافة وسماها
برصافة جده هشام بن عبد الملك بن مروان وهي بليدة
مشهورة بالشام كذا قاله ياقوت الحموي الآتي ذكره إن

شاء الله تعالى في كتابه المسمى بالمشترك وضعا المختلف صقعا وذكر ابن الرصافة اسم تسع مواضع وعددها ولولا خوف التطويل لذكرتها غير أنه لم يذكر رصافة بلنسية وبهذه الرصافة تكون عشرة مواضع والله تعالى أعلم

434 672 أبو بكر ابن زهر أبو بكر محمد بن أبي مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر بن أبي مروان عبد الملك بن أبي بكر محمد بن مروان بن زهر الإيادي الأندلسي الإشبيلي كان من أهل بيت كلهم علماء رؤساء حكماء وزراء نالوا المراتب العلية وتقدموا عند الملوك ونفذت أوامرهم قال الحافظ أبو الخطاب ابن دحية في كتابه المسمى المطرب من اشعار أهل المغرب وكان شيخنا أبو بكر يعني ابن زهر المذكور بمكان من اللغة مكين ومورد من الطب عذب معين كان يحفظ شعر ذي الرمة وهو ثلث لغة العرب مع الإشراف على جميع أقوال أهل الطب والمنزلة العليا عند اصحاب المغرب مع سمو النسب وكثرة الأموال والنشب صحبته زمانا طويلا واستفدت منه ادبا جليلا وأنشد من شعره (وموسدين على الأكف خدودهم * قد غالهم نوم الصباح وغالني) (ما زلت اسقيهم وأشرب فضلهم * حتى سكرت ونالهم ما نالني) (والخمر تعلم حين تأخذ ثارها * أني املت إناءها فأمالني) ثم قال سألته عن مولده فقال ولدت سنة سبع وخمسمائة وبلغتني وفاته

435 في آخر سنة خمس وتسعين وخمسمائة رحمه الله تعالى أنتهى كلام ابن دحية قلت انا وقد ألم ابن زهر المذكور في هذه الأبيات بقول الرئيس أبي غالب عبيد الله بن هبة الله بن الأصباغي وهو (عقرتهم مشمولة لو سالمت * شرابها ما سميت بعقار) (ذكرت حقائدها القديمة إذ غدت * صرعى تداس بأرجل العصار) (لانت لهم حتى أنتشوا وتمكنت * منهم وصاحت فيهم بالثار) ومن المنسوب إليه أيضا في كتاب جالينوس الحكيم المسمى حيلة البرء وهو من أجل كتبهم وأكبرها قوله (حيلة البرء صنفت لعليل * يترجى الحياة أو لعليله) (فإذا جاءت المنية قالت * حيلة البرء ليس في البرء حيلة) ومن شعر ابن زهر أيضا يتشوق ولدا له صغيرا (ولي واحد مثل فرخ القطا * صغير تخلف قلبي لديه) (نأت عنه داري فيا وحشتا * لذاك الشخيص وذاك الوجيه) (تشوقني وتشوقته * فيبكي علي وأبكي عليه) (لقد تعب الشوق ما بيننا * فمنه إلي ومني إليه) وله وقد شاخ وغلب عليه الشيب (إني نظرت من المرآة إذ جليت * فأنكرت مقلتاي كل ما رأتا) (رأيت فيها شييخا لست اعرفه * وكنت اعهده من قبل ذاك فتى) (فقلت أين الذي كان بالأمس كان هنا * متى ترحل عن هذا المكان متى) (فاستضحكت ثم قالت وهي معجبة * إن الذي انكرته مقلتاك اتى) (كانت سليمى تنادي يا أخي وقد * صارت سليمى تنادي اليوم يا أبتا)

436 والبيت الأخير من هذه الأبيات ينظر إلى قول الأخطل الشاعر المشهور (وإذا دعونك عمهن فإنه * نسب يزيدك عندهن خبالا) (وإذا دعونك يا أخي فإنه * أدنى واقرب خلة ووصالا) وأوصى انه إذا مات يكتب على قبره هذه الأبيات وفيها إشارة إلى طبه ومعالجته للناس وهي (تأمل بحقك يا واقفا * ولاحظ مكانا دفعنا إليه) (تراب الضريح على وجنتي * كاني لم أمش يوما عليه) (أداوي الأنام حذار المنون * وها انا قد صرت رهنا لديه) وهذه المقاطيع إنما اخذتها من أفواه العلماء منسوبة إلى ابن زهر المذكور والله اعلم بصحتها والعهدة عليهم في نقلها وقال ابن دحية أيضا في حقه والذي انفرد به شيخنا وانقادت لتخيله طباعه وصارت النبهاء فيه خوله وأتباعه الموشحات وهي زبدة الشعر ونخبته وخلاصة جوهره وصفوته وهي من الفنون التي اغربت بها أهل المغرب على أهل المشرق وظهروا فيها كالشمس الطالعة والضياء المشرق واورد له موشحا حسنا 198 وقال في حق جده أبي العلاء زهر إنه كان وزير ذلك الدهر وعظيمه وفيلسوف ذلك العصر وحكيمه وتوفي ممتحنا من نغلة بين كتفيه سنة خمس وعشرين وخمسمائة بمدينة قرطبة 199 ثم قال في حق جد أبيه عبد الملك إنه رحل إلى المشرق وبه تطبب زمانا طويلا وتولى رياسة الطب ببغداد ثم بمصر ثم بالقيروان ثم استوطن

437 مدينة دانية وطار ذكره منها إلى أقطار الأندلس والمغرب واشتهر بالتقدم في علم الطب حتى بذ أهل زمانه ومات بمدينة دانية 200 ثم قال في حق جد جده محمد بن مروان إنه كان عالما بالرأي حافظا للأدب فقيها حاذقا بالفتوى مقدما في الشورى متفننا في الفنون وسيما فاضلا جمع الرواية والدراية وتوفي بطلبيرة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة وهو ابن ست وثمانين سنة حدث عنه جماعة من العلماء الأندلسيين ووصفوه بالدين والفضل والجود والبذل رحمه الله تعالى وقد تقدم الكلام على الإيادي وعلى طلبيرة فلا حاجة إلى الإعادة وزهر بضم الزاي وسكون الهاء وبعدها راء وذكر عماد الدين الكاتب في كتاب الخريدة لأبي الطيب ابن البزاز في يعض بني زهر وكنيته أبو زيد ولم يذكر اسمه قوله (قل للوبا أنت وابن زهر * جاوزتما الحد في النكايه) (ترفقا بالورى قليلا * فواحد منكما كفايه) 201 ثم وجدت هذين البيتين لأبي بكر أحمد بن محمد الأبيض وانه توفي سنة أربع وأربعين وخمسمائة رحمه الله تعالى والله اعلم

438 673 ابن حيوس الشاعر أبو الفتيان محمد بن سلطان بن محمد بن حيوس بن محمد المرتضى بن محمد بن الهيثم بن عدي بن عثمان الغنوي الملقب مصطفى الدولة الشاعر المشهور كان يدعى بالأمير لأن اباه كان من أمراء العرب وهو احد الشعراء الشاميين المحسنين ومن فحولهم المجيدين له ديوان شعر كبير لقي جماعة من

الملوك والأكابر ومدحهم واخذ جوائزهم وكان منقطعا إلى بني مرداس أصحاب حلب ذكر الجوهري في الصحاح في فصل ردس المرداس حجر يرمى به في البئر ليعلم أفيها ماء أم لا وبه سمي الرجل وله فيهم القصائد الأنيقة وقضيته مشهورة مع الأمير جلال الدولة وصمصامها أبي المظفر نصر بن محمود ابن شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس الكلابي صاحب حلب فإنه كان قد مدح أباه محمود بن نصر فأجازه الف دينار فلما مات وقام مقامه ولده نصر المذكور قصده ابن حيوس المذكوربقصيدته الرائية يمدحه بها ويعزيه عن أبيه وهي (كفى الدين عزا ما قضاه لك الدهر * فمن كان ذا نذر فقد وجب النذر) ومنها (ثمانية لم تفترق مذ جمعتها * فلا افترقت ما ذب عن ناظر شفر)

439 (يقينك والتقوى وجودك والغنى * ولفظك والمعنى وعزمك والنصر) يذكر فيها وفاة أبيه وتوليته الأمر من بعده بقوله (صبرنا على حكم الزمان الذي سطا * على انه لولاك لم يكن الصبر) (غزانا ببؤسى لا يماثلها الأسى * تقارن نعمى لا يقوم بها الشكر) ومنها (تباعدت عنكم حرفة لا زهادة * وسرت إليكم حين مسني الضر) (فلاقيت ظل الأمن ما عنه حاجز * يصد وباب العز ما دونه ستر) (وطال مقامي في إسار جميلكم * فدامت معاليكم ودام لي الأسر) (وأنجز لي رب السموات وعده الكريم * بأن العسر يتبعه اليسر) (فجاد

ابن نصر لي بألف تصرمت * وإني عليم أن سيخلفها
نصر) (لقد كنت مأمورا ترجى لمثلها * فكيف وطوعا
أمرك النهي والأمر) (وما بي إلى الإلحاح والحرص
حاجة * وقد عرف المبتاع وانفصل السعر) (واني
بآمالي لديك مخيم * وكم من الورى ثاو وآماله سفر)
وعندك ما ابغي بقولي تصنعا * بأيسر ما توليه يستعبد
الحر) فلما فرغ من إنشادها قال الأمير نصر والله لو قال
عوض قوله سيخلفها نصر سيضعفها نصر لآضعفتها له
وأعطاه ألف دينار في طبق فضة وكان قد اجتمع على
باب الأمير نصر المذكور جماعة من الشعراء وامتدحوه
وتأخرت صلته عنهم ونزل بعد ذلك الأمير نصر إلى دار
بولص النصراني وكانت له عادة بغشيان منزله وعقد
مجلس الأنس عنده فجاءت الشعراء الذين
440 تأخرت جوائزهم إلى باب بولص وفيهم أبو
الحسن أحمد بن محمد بن الدويدة المعري الشاعر
المعروف فكتبوا رقة فيها أبيات اتفقوا على نظمها وقيل
بل نظمها ابن الدويدة المذكور وسيروا الورقة إليه
والأبيات المذكورة هي (على بابك المحروس منا
عصابة * مفاليس فانظر في أمور المفاليس) (وقد قنعت
منك الجماعة كلها * بعشر الذي اعطيته لابن حيوس)
وما بيننا هذا التفاوت كله * ولكن سعيد لا يقاس بمنحوس
) فلما وقف عليها الأمير نصر أطلق لهم مائة دينار فقال
والله لو قالوا بمثل الذي اعطيته لابن حيوس لآعطيتهم

مثله وذكر العماد في الخريدة أن هذه الأبيات لأبي سالم عبد الله بن أبي الحسن أحمد بن محمد بن الدويدة وانه كان يعرف بالقاق والله اعلم 202 وكان الأمير نصر سخيا واسع العطاء ملك حلب بعد وفاة أبيه محمود في سنة سبع وستين وأربعمائة ولم تطل مدته حتى ثار عليه جماعة من جنده فقتلوه في ثاني شوال سنة ثمان وستين وأربعمائة وقد تقدم ذكر جد أبيه صالح بن مرداس في حرف الصاد وقدم ابن حيوس حلب في شوال سنة اربع وستين واربعمائة وداره بها هي الدار المعروفة الآن بالأمير علم الدين سليمان بن حيدر ومن محاسن شعر ابن حيوس القصيدة اللامية التي مدح بها أبا الفضائل سابق

441 ابن محمود وهو اخو الأمير نصر المذكور ومن مديحها قوله (طالما قلت للمسائل عنكم * واعتمادي هداية الضلال) (إن ترد علم حالهم عن يقين * فالقهم عن مكارم او نزال) (تلق بيض الأعراض سود مثار * النقع خضر الأكناف حمر النصال) وما أحسن هذا التقسيم الذي اتفق له وقد ألم فيه بقول أبي سعيد محمد بن محمد بن الحسين الرستمي الشاعر المشهور من جملة قصيدة يمدح بها الصاحب بن عباد المقدم ذكره في حرف الهمزة وهي من فاخر الشعر وذلك قوله (من النفر العالين في السلم والوغى * وأهل المعالي والعوالي وآلها) (إذا نزلوا اخضر الثرى من نزولهم * وإن نازلوا احمر القنا من نزالها) هذا والله الشعر الخالص الذي

لايشوبه شيء من الحشو وكان ابن حيوس المذكور قد اثرى وحصلت له نعمة ضخمة من بني مرداس فبنى دارا بمدينة حلب وكتب على بابها من شعره (دار بنينانها وعشنا بها * في نعمة من آل مرداس) (قوم نفوا بؤسي ولم يتركوا * علي للأيام من باس) (قل لبني الدنيا ألا هكذا * فليصنع الناس مع الناس) وقيل إن هذه الأبيات للأمير الجليل أبي الفتح الحسن بن عبد الله بن عبد الجبار المعروف بابن أبي حصينة الحلبي وهو الصحيح ومن غرر قصائده السائرة قوله

442 (هو ذاك ربع المالكية فاربع * واسأل مصيفا عافيا عن مربع) (واستسق للدمن الخوالي بالحمى * غر السحائب واعتذر عن أدمعي) (فلقد فنين أمام دان هاجر * في قربه ووراء ناء مزمع) (لو يخبر الركبان عني حدثوا * عن مقلة عبرى وقلب موجع) (ردي لنا زمن الكثيب فإنه * زمن متى يرجع وصالك يرجع) (لو كنت عالمة بأدنى لوعتي * لرددت أقصى نيلك المسترجع) (بل لو قنعت من الغرام بمظهر * عن مضمر بين الحشى والأضلع) (أعتبت إثر تعتب ووصلت غب * تجنب وبذلت بعد تمنع) (ولو انني أنصفت نفسي صنتها * عن ان اكون كطالب لم ينجع) ومنها (إني دعوت ندى الكرام فلم يجب * فلأشكرن ندى أجاب وما دعي) (ومن العجائب والعجائب جمة * شكر بطيء عن نذى متسرع) ومن شعره أيضا (قفوا في القلى حيث أنتهيتم

تذمما * ولا تقتفوا من جار لما تحكما) (أرى كل معوج
المودة يصطفى * لديكم ويلقى حتفه من تقوما) (فإن
كنتم لم تعدلوا إذ حكمتم * فلا تعدلوا عن مذهب قد تقدما)
(حنى الناس من قبل القسي لتقتنى * وثقف مناد القنا
ليقوما) (وما ظلم الشيب الملم بلمتي * وإن بزني حظي
من الظلم واللمى) (ومحجوبة عزت وعز نظيرها *
وإن أشبهت في الحسن والعفة والدمى) (أعنف فيها
صبوة قط ما أرعوت * وأسأل عنها معلما ما تكلما) (
سلي عنه تخبر عن يقين دموعه * ولا تسألي عن قلبه اين
يمما)
443) فقد كان لي عونا على الصبر برهة *
وفارقني أيام فارقتم الحمى) (فراق قضى ان لا تأسي
بعد ان * مضى منجدا صبري واوغلت متهما) (وفجعة
بين مثل صرعة مالك * ويقبح بي أن لا أكون متمما) (
خليلي إن لم تسعداني على الأسى * فلا أنتما مني ولا أنا
منكما) (وحسنتما لي سلوة وتناسيا * ولم تذكرا كيف
السبيل إليهما) (سقى الله أيام الصبا كل هاطل * ملث إذا
ما الغيث أثجم أنجما) (وعيشا سرقناه برغم رقيبنا *
وقد مل من طول السهاد فهوما) وهي طويلة وحكى
الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق قال أنشدنا أبو القاسم
علي ابن ابراهيم العلوي من حفظه سنة سبع وخمسمائة
قال أخذ الأمير أبو الفتيان ابن حيوس بيدي زونحن بحلب
وقال ارو عني هذا البيت وهو في شرف الدولة مسلم بن

قريش (أنت الذي نفق الثناء بسوقه * وجرى الندى بعروقه قبل الدم) وهذا البيت في غاية المدح وقد تقدم في ترجمة أبي بكر بن الصائغ الأندلسي المذكور الأبيات النونية وكونها منسوبة إليه وهي موجودة في ديوان ابن حيوس المذكور والله اعلم بجلية الحال فيها وكان أبو عبد الله أحمد بن محمد بن الخياط الشاعر المقدم ذكره قد وصل إلى حلب في بعض شهور سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة وبها يومئذ أبو الفتيان المذكور فكتب إليه ابن الخياط المذكور قوله (لم يبق عندي ما يباع بدرهم * وكفاك مني منظري عن مخبري)
(إلا بقية ماء وجه صنتها * عن أن تباع وأين 444
أين المشتري) فقال لو قال وأنت نعم المشتري لكان أحسن وكانت ولادة ابن حيوس يوم السبت سلخ صفر سنة أربع وتسعين وثلثمائة بدمشق وتوفي في شعبان سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة بحلب وهو شيخ أبي عبد الله أحمد بن محمد المعروف بابن الخياط الشاعر المشهور وقد تقدم ذكر ذلك في ترجمته وحيوس بالحاء المهملة المفتوحة والياء المشددة المثناة من تحتها المضمومة والواو الساكنة وبعدها سين مهملة وفي شعراء المغاربة ابن حبوس مثل الأول ولكن بالباء الموحدة المخففة وإنما ذكرته لئلا يتصحف على كثير من الناس بابن حيوس ورأيت خلقا كثيرا يتوهمون ان المغربي يقال له ابن حيوس أيضا وهو غلط والصواب ما ذكرته والله تعالى

اعلم 674 الأبيوردي الشاعر أبو المظفر محمد بن أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي العباس أحمد بن اسحاق ابن أبي العباس الإمام محمد بن اسحاق و هو أبو الفتيان بن أبي الحسن ابن
445 مرفوعة بن منصور بن معاوية الأصغر بن محمد بن أبي العباس عثمان بن عنبسة الأصغر بن عتبة بن الأشرف بن عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان صخر ابن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي المعاوي الأبيوردي الشاعر المشهور كان من الأدباء المشاهير راوية نسابة شاعرا ظريفا قسم ديوان شعره إلى اقسام منها العراقيات ومنها النجديات ومنها الوجديات وغير ذلك وكان من اخبر الناس بعلم الأنساب نقل عنه الحفاظ الأثبات الثقات وقد روى عنه الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي في غير موضع من كتابه الذي وضعه في الأنساب وقال في حقه في ترجمة المعاوي إنه كان أوحد زمانه في علوم عديدة وقد أوردنا عنه في غير موضع من هذا الكتاب أشياء وكان يكتب في نسبه المعاوي وأليق ما وصف به بيت أبي العلاء المعري (وإني وإن كنت الأخير زمانه * لآت بما لم تستطعه الأوائل) انتهى كلام المقدسي بعد أن ذكر له أبياتا يفتخر بها لا حاجة بنا إليها وذكره أبو زكريا ابن منده في تاريخ أصبهان فقال فخر الرؤساء أفضل الدولة حسن الإعتقاد جميل الطريقة متصرف في فنون جمة من العلوم عارف

بأنساب العرب فصيح الكلام حاذق في تصنيف الكتب
وافر العقل كامل الفضل فريد دهره ووحيد عصره وكان
فيه تيه وكبر وعزة نفس وكان إذا صلى يقول اللهم ملكني
مشارق الأرض ومغاربها وذكره الحافظ ابن السمعاني في
كتاب الأنساب في ترجمة المعاوي وفي كتاب الذيل وقال
كان ينسب إلى معاوية الأصغر المقدم ذكره في عمود
نسبه واخبر عنه انه كتب رقعة إلى امير المؤمنين
المستظهر بالله وعلى رأسها
446 الخادم المعاوي فكره الخليفة النسبة إلى معاوية
فحك الميم من المعاوي ورد الرقعة إليه فصار العاوي
ومن محاسن شعره قوله (أقاليم البلاد فأذعنت * لنا
رغبة او رهبة عظماؤها) (فلما أنتهت أيامنا علقت بنا *
شدائد ايام قليل رخاؤها) (وكان إلينا في السرور
ابتسامها * فصار علينا في الهموم بكاؤها) (وصرنا
نلاقي النائبات بأوجه * رقاق الحواشي كاد يقطر ماؤها)
(إذا ماهممنا أن نبوح بما جنت * علينا الليالي لم يدعنا
حياؤها) وقوله أيضا (تنكر لي دهري ولم يدر أنني *
أعز وأحداث الزمان تهون) (فبات يريني الخطب كيف
أعتداؤه * وبت أريه الصبر كيف يكون) ومن شعره
أيضا (وهيفاء لا أصغي إلى من يلومني * عليها
ويغريني بها أن اعيبها) (أميل بإحدى مقلتي إذا بدت *
إليها وبالأخرى أراعي رقيبها) (وقد غفل الواشي ولم
يدر أنني * أخذت لعيني من سليمي نصيبها)

447 وله في أبي النجيب عبد الرحمن بن عبد الجبار المراغي وكان من أفراد زمانه فضلا وكان يستعمل في شعره لزوم ما لا يلزم كانت إقامته بثغر حيرة (شعر المراغي وحوشيتم * كعقله اسلمه أسقمه) (يلزم ما ليس له لازما * لكنه يترك ما يلزمه) وله أيضا (أأميم إن لم تسمحي بزيارة * بخلا فجودي بالخيال الطارق) (والله لا تمحو الوشاة ولا النوى * سمة لحبك في ضمير العاشق) قلت ومن معنى البيت الأول أخذ سبط ابن التعاويذي الآتي ذكره قوله من جملة قصيدة (إن كنت ليلى بالسلام بخيلة * فمري الخيال يمر بي فيسلم) (وعدي بوصلك في المنام لعلها * ترجو لقاءك مقلتي فتهوم) ومن نجدياته (نزلنا بنعمان الأراك وللندى * سقيط به ابتلت علينا المطارف) (فبت أعاني الوجد والركب نوم * وقد اخذت مني السرى والتنائف) (واذكر خودا إن دعاني إلى النوى * هواها أجابته الدموع الذوارف) (لها في مغاني ذلك الشعب منزل * لئن أنكرته العين فالقلب عارف) (وقفت به والمع أكثره دم * كاني من جفني بنعمان راعف) وله وقد أخرج من الحلة المزيدية مكرها وكان سنيا

448 (أبابل ما واديك بالرفد مفعم * لدينا ولا ناديك بالوفد آهل) (لئن ضقت عنا فالبلاد فسيحة * وحسبك عارا أنني عنك راحل) (لئن كنت بالسحر الحرام مدلة * فعندي من السحر الحلال دلائل) (قواف تعير الأعين

النجل سحرها * فكل مكان خيمت فيه بابل) ومن معانيه البديعة قوله من جملة أبيات في صفة الخمرة (ولها من ذاتها طرب * فلهذا يرقص الحبب) وله من جملة قصيدة (فسد الزمان فكل من صاحبته * راج ينافق او مداج خاشي) (وإذا أختبرتهم ظفرت بباطن * متجهم وبظاهر هشاش) وهذا المعنى مأخوذ من قول أبي تمام الطائي من جملة قصيدة أجاد فيها كل الإجادة (إن شئت إن يسود ظنك كله * فأجله في هذا السواد الأعظم) (ليس الصديق بمن يعيرك ظاهرا * متبسما عن باطن متجهم) وقد خرجنا عن المقصود بالتطويل وله تصانيف كثيرة مفيدة منها تاريخ أبيورد ونسا وكتاب المختلف والمؤتلف وطبقات كل فن وما أختلف وائتلف في أنساب العرب
449 وله في اللغة مصنفات كثيرة لم يسبق إلى مثلها وكان حسن السيرة جميل الأثر له معاملة صحيحة وكانت وفاة الأبيوردي المذكور بين الظهر والعصر يوم الخميس العشرين من ربيع الأول سنة سبع وخمسين وخمسمائة بأصبهان مسموما وصلي عليه في الجامع العتيق بها رحمه الله تعالى الأبيوردي بفتح الهمزة وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الواو وسكون الراء وبعدها دال مهملة هذه النسبة إلى أبيورد ويقال لها أباورد وباورد وهي بليدة بخراسان خرج منها جماعة من العلماء وغيرهم وذكر السمعاني كتاب الأنساب في ترجمة الكوفني بضم الكاف وسكون الواو وفتح الفاء وبعدها نون

هذه النسبة إلى كوفن وهي بليدة صغيرة على ستة فراسخ من أبيورد بخراسان بناها عبد الله بن طاهر وخرج منها جماعة من المحدثين والفضلاء منهم الأديب أبو المظفر محمد بن أحمد الكوفني المعروف بالأديب الأبيوردي والله أعلم

450 675 ابن أبي الصقر الواسطي أبو الحسن محمد بن علي بن الحسن بن عمر المعروف بابن أبي الصقر الواسطي كان فقيها شافعي المذهب تفقه على الشيخ أبي اسحاق الشيرازي رحمه الله تعالى لكنه غلب عليه الأدب والشعر واشتهر به ورأيت له بدمشق ديوان شعر في الخزانة الأشرفية التي في الجامع المشهور في تربته شمال الكلاسة التي هي زيادة في الجامع الكبير والديوان مجلد واحد وكان شديد التعصب للطائفة الشافعية وظهر ذلك في قصائده المعروفة بالشافعية وله في الشيخ أبي إسحاق الشيرازي مراث وكان كاملا في البلاغة والفضل وحسن الخط وجودة الشعر وذكره أبو المعالي الحظيري المقدم ذكره في كتاب زينة الدهر واورد له عدة مقاطيع فمن ذلك قوله (كل رزق ترجوه من مخلوق * يعتريه ضرب من التعويق) (وأنا قائل واستغفر الله * مقال المجاز لا التحقيق) (لست أرضى من فعل إبليس شيئا * غير ترك السجود للمخلوق) وذكر له أيضا (وحرمة الود ما لي عنكم عوض * لأنني ليس لي في غيركم عرض)

451 (اشتاقكم وبودي لو يواصلني * لكم خيال ولكن لست اغتمض) (وقد شرطت على قوم صحبتهم * بأن قلبي لكم من دونهم ورضوا) (ومن حديثي بكم قالوا به مرض * فقلت لا زال عني ذلك المرض) وكان قد طعن في السن وضعف عن المشي فصار يتوكأ على عصا فقال في ذلك (كل امرئ إذا تفكرت فيه * وتأملته رأيت ظريفا) (كنت امشي على اثنتين قويا * صرت امشي على ثلاث ضعيفا) قلت ولي أبيات أشير فيها إلى مثل هذا المعنى وهي (يا سائلي عن حالتي * خذ شرحها ملخصا) (قد صرت بعد قوة * تفض أفلاذ الحصى) (أمشي على ثلاثة * أجود ما فيها العصا) ولابن أبي الصقر أيضا في اعتذاره عن ترك القيام لأصدقائه (علة سميت ثمانين عاما * منعتني للأصدقاء القياما) (فإذا عمرو تمهد عذري * عندهم بالذي ذكرت وقاما) وله في كبره أيضا (ولما إلى عشر تسعين صرت * وما لي إليها أب قبل صارا) (تيقنت أني مستبدل * بداري دارا وبالجار جارا)

452 (فتبت إلى الله مما مضى * ولن يدخل الله من تاب نارا) وله أيضا وقد حضر عزاء صغير وهو يرتعش من الكبر فتغامز عليه الحاضرون كيف مات الصغير وبقي هذا الشيخ في هذا السن فقال (إذا دخل الشيخ بين الشباب * عزاء وقد مات طفل صغير) (رأيت اعتراضا على الله إذ * توفى الصغير وعاش الكبير

(فقل لابن شهر وقل لابن ألف * وما بين ذلك هذا المصير) وله أيضا في ذلك (ابن أبي الصقر افتكر * وقال في حال الكبر) (والله لولا بولة * تحرقني وقت السحر) (لما ذكرت ان لي ما بين فخذي ذكر) وله كل مقطوع مليح وكانت ولادته ليلة الاثنين ثالث عشر ذي القعدة سنة تسع واربعمائة وتوفي يوم الخميس رابع عشر جمادى الأولى سنة ثمان وتسعين واربعمائة بواسط رحمه الله تعالى

453 676 ابن الهبارية الشريف أبو يعلى محمد بن محمد بن صالح بن حمزة بن عيسى بن محمد بن عبد الله ابن داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي العباسي المعروف بابن الهبارية الملقب نظام الدين البغدادي الشاعر المشهور كان شاعرا مجيدا حسن المقاصد لكنه كان خبيث اللسان كثير الهجاء والوقوع في الناس لا يكاد يسلم من لسانه أحد وذكره العماد الكاتب في الخريدة فقال من شعراء نظام الملك غلب على شعره الهجاء والهزل والسخف وسبك في قالب ابن حجاج وسلك اسلوبه وفاقه في الخلاعة والنظيف من شعره في غاية الحسن أنتهى كلام العماد وكان ملازما لخدمة نظام الملك أبي علي الحسن بن علي بن اسحاق وزير السلطان الب أرسلان وولده ملك شاه وقد تقدم ذكره في حرف الحاء وله عليه الإنعام التام والإدرار المستمر وكان بين نظام الملك وتاج الملك أبي الغنائم بن دارست

شحناء ومنافسة كما جرت العادة بمثله بين الؤساء فقال أبو الغنائم لابن الهبارية إن هجوت نظام الملك فلك عندي كذا وأجزل له الوعد فقال كيف اهجو شخصا لا أرى في بيتي شيئا إلا من نعمته فقال لا بد من هذا فعمل
454 (لاغرو أن ملك ابن إسحاق * وساعده القدر
((وصفت له الدنيا وخص * أبو الغنائم بالكدر))
فالدهر كدولاب ليس * يدور إلا بالبقر) فبلغت الأبيات نظام الملك فقال هو يشير إلى المثل السائر على السن الناس وهو قولهم أهل طوس بقر وكان نظام الملك من طوس واغضى عنه ولم يقابله على ذلك بل زاد في إفضاله عليه فكانت هذه معدودة من مكارم أخلاق نظام الملك وسعة حلمه وكان مع فرط إحسان نظام الملك إليه يقاسي من غلمانه وأتباعه شر مقاساة لما يعلمونه من بذاءة لسانه فلما اشتد عليه الحال منهم كتب نظام الملك (لذ بنظام الحضرتين الرضى * إذا بنو الدهر تحاشوك) (
وأجل به عن ناظريك القذى * إذا لئام القوم اعشوك) (
واصبر على وحشة غلمانه * لابد للورد من الشوك)
وذكر العماد الأصبهاني في الخريدة أنه أنقذ هذه الأبيات مع ولده إلى نقيب النقباء علي بن طراد الزينبي ولقبه نظام الحضرتين أبو الحسن ومن شعره أيضا (وجهي يرق عن السؤال * وحالتي منه ارق) (دقت معاني الفضل في * وحرفتي منها أدق) ومن معانيه الغريبة قوله في الرد على من يقول أن السفر به يبلغ الوطر (قالوا اقمت

وما رزقت وإنما * بالسير يكتسب اللبيب ويرزق) (
فأجبتهم ما كل سير نافعا * الحظ ينفع لا الرحيل المقلق)
(كم سفرة نفعت وأخرى مثلها * ضرت ويكتسب
الحريص ويخفق) (كالبدر يكتسب الكمال بسيره * وبه
إذا حرم السعادة يمحق) وله أيضا
455 (خذ جملة البلوى ودع تفصيلها * ما في
البرية كلها أنسان) (وإذا البياذق في الدسوت تفرزنت *
فالرأي أن يتبيذق الفرزان) وله على سبيل الخلاعة
والمجون (يقول أبو سعيد إذ رآني * عفيفا منذ عام ما
شربت) (على يد أي شيخ تبت قل لي * فقلت على يد
الإفلاس تبت) وله في المعنى أيضا (رأيت في النوم
عرسي وهي ممسكة * أذني وفي كفها شيء من الأدم) (
معوج الشكل مسود به نقط * لكن اسفله في هيئة القدم) (
تظل ترفعني كيما ترنخني * فصرت التذ بالإيقاع والنغم)
(حتى تنبهت محمر القذال ولو * طال المنام على الشيخ
الأديب عمي) وله أيضا (المجلس التاجي دام جماله *
وجلاله وكماله بستان) (والعبد فيه حمامة تغريدها * فيه
المديح وطوقها الإحسان) وله (وعندي شوق دائم
وصبابة * ومن أنا ذا حتى أقول له عندي) (إلى رجل
لو أن بعض ذكائه * على كل مولود تكلم في المهد) (
فلولا نداه خفت نار ذكائه * عليه ولكن الندى مانع الوقد)
وله أيضا

456 (دعوه ما شاء فعل * سيان صد او وصل)
(فكم رأينا قبلها * أسود من ذا ونصل) ومحاسنه كثيرة
وله كتاب نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة وقد سبق في
ترجمة البارع الدباس في حرف الحاء ذكر الأبيات الدالية
وجوابها وما دار بينهما وسيأتي في ترجمة الوزير فخر
الدولة محمد بن جهير واقعة لطيفة جرت له مع السابق
الشاعر المعري إن شاء الله تعالى وديوان شعره كبير
يدخل في اربع مجلدات ومن غرائب نظمه كتاب الصادح
والباغم نظمه على أسلوب كليلة ودمنة و هو أراجيز وعدد
بيوته ألفا بيت نظمها في عشر سنين ولقد اجاد فيه كل
الإجادة وسير الكتاب على يد ولده إلى الأمير أبي الحسن
صدقة بن منصور بن دبيس الأسدي صاحب الحلة المقدم
ذكره في حرف الصاد وختمه بهذه الأبيات وهي (هذا
كتاب حسن * تحار فيه الفطن) (أنفقت فيه مده * عشر
سنين عده) (منذ سمعت باسمكا * وضعته برسمكا)
بيوته ألفان * جميعها معاني) (لو ظل كل شاعر *
وناظم وناثر) (كعمر نوح التالد * في نظم بيت واحد)
(من مثله لما قدر * ما كل من قال شعر) (أنفذته مع
ولدي * بل مهجتي وكبدي)
457 (وأنت عند ظني * أهل لكل من) (وقد
طوى إليكا * توكلا عليكا) (مشقة شديده * وشقة بعيده
) (ولو تركت جيت * سعيا وما ونيت) (إن الفخار
والعلا * إرثك من دون الورى) فأجزل صلته وأسنى

جائزته وتوفي ابن الهبارية المذكور بكرمان سنة أربع وخمسمائة هكذا قال العماد الأصبهاني في كتاب الخريدة بعد أن أقام مدة بأصبهان وخرج إلى كرمان وأقام بها إلى آخر عمره وقال ابن السمعاني توفي بعدسنة تسعين وأربعمائة والهبارية بفتح الهاء وتشديد الباء الموحدة وبعد الألف راء هذه النسبة إلى هبار وهو جد أبي يعلي المذكور لأمه وكرمان بكسر الكاف وقيل بفتحها وسكون الراء وفتح الميم وبعد الألف نون وهي ولاية كبيرة تشتمل على مدن كبار وصغار وخرج منها خلق من الأعيان وهي متصلة بأطراف أعمال خراسان ومن جانبها الاخر البحر والله أعلم

458 677 الخالدي المعروف بابن القيسراني

الشاعر أبو عبد الله محمد بن نصر بن صغير بن داغر بن محمد بن خالد بن نصر بن داغر بن عبد الرحمن بن المهاجر بن خالد بن الوليد المخزومي الخالدي الحلبي الملقب شرف المعالي عدة الدين المعروف بابن القيسراني هكذا املى علي نسبه بعض حفدته الشاعر المشهور من الشعراء المجيدين والأدباء المتفننين قرأ الأدب على توفيق بن محمد وأبي عبد الله ابن الخياط الشاعر المقدم ذكره وكان فاضلا في الأدب وعلم الهيئة سمع بحلب من الخطيب أبي طاهر هاشم بن أحمد الحلبي وغيره وسمع منه الحافظان أبو القاسم ابن عساكر وأبو سعد ابن السمعاني وذكراه في كتابيهما وكذلك أبو المعالي

الحظيري وذكره في كتاب الملح أيضا وكان هو وابن
منير المذكور في حرف الهمزة شاعري الشام في ذلك
العصر وجرت بينهما وقائع وما جرايات وملح ونوادر
وكان ابن منير ينسب إلى التحامل على الصحابة رضي
الله عنهم ويميل إلى التشيع فكتب إليه ابن القيسراني
المذكور وقد بلغه أنه هجاه (ابن منير هجوت مني *
حبرا أفاب الورى صوابه)
459 (ولم تضيق بذاك صدري * فإن لي أسوة
الصحابه) ومن محاسن شعره قوله (كم ليلة بت من
كاسي وريقته * نشوان امزج سلسالا بسلسال) (وبات لا
تحتمي عني مراشفه * كأنما ثغره ثغر بلا والي) وظفرت
بديوانه وجميعه بخطه وانا يومئذ بمدينة حلب ونقلت منه
أشياء فمن ذلك قوله في مدح خطيب (شرح المنبر
صدرا * لتلقيك رحيبا) (أترى ضم خطيبا * منك أم
ضمخ طيبا) وهذا الجناس في غاية الحسن ثم وجدت
هذين البيتين لأبي القاسم ابن زيد ابن أبي الفتح أحمد بن
عبيد بن فضل الموازيني الحلبي المعروف أبوه بالماهر
وان ابن القيسراني المذكور أنشدهما للخطيب ابن هاشم
لما تولى خطابة حلب فنسبا إليه ورأيت الأول على هذه
الصورة وهو (قد زها المنبر عجبا * إذ ترقيت خطيبا)
وله في الغزل (بالسفح من لبنان لي * قمر منازله
القلوب) (حملت تحيته الشمال * فردها عني الجنوب)
(فرد الصفات غريبها * والحسن في الدنياغريب) (لم

أنس ليلة قال لي * لما رأى جسدي يذوب) (بالله قل لي
من أعلك * يا فتى قلت الطبيب)
460 وله أيضا (وقالوا لاح عارضه * وما ولت
ولايته) (فقلت عذار من اهوى * أمارته إمارته) ومن
معاينه البديعة قوله من جملة قصيدة رائقة (هذا الذي
سلب العشاق نومهم * أما ترى عينه ملأى من الوسن)
وهذا البيت ينظر إلى قول المتنبي في مدح سيف الدولة بن
حمدان (نهبت من الأعمار ما لو حويته * لهنئت الدنيا
بأنك خالد) وكان كثير الإعجاب بقوله من جملة قصيدة (
واهوى الذي له البدر ساجدا * الست ترى في وجهه اثر
الترب) وحضر مرة في سماع وكان المغني حسن الغناء
فلما طربت الجماعة وتواجدت عمل (والله لو انصف
العشاق أنفسهم * فدوك منها بما عزوا وما صانوا) (ما
أنت حين تغني في مجالسهم * إلا نسيم الصبا والقوم
أغصان) وأنشدني صاحبنا الفخر اسحاق بن المختص
الإربلي لنفسه دوبيت وأخبرني أنه كان في سماع وفيه
جماعة من ارباب القلوب فلما طابت الجماعة كان هناك
فرش منضودة على كراسي فتساقطت قال فعملت في
الحال (داعي النغمات حلقة الشوق طرق * وهنا فأجابته
شجون وحرق)
461 (لو اسمع صخرة لخرت طربا * من نغمته
فكيف قطن وخرق) كانت ولادة ابن القيسراني المذكور
سنة ثمان وسبعين اربعمائة بعكا وتوفي ليلة الأربعاء

الحادى والعشرين من شعبان سنة ثمان واربعين وخمسمائة بمدينة دمشق ودفن بمقبرة باب الفراديس رحمه الله تعالى والخلدي بفتح الخاء المعجمة وبعد الألف لام ثم دال مهملة هذه النسبة إلى خالد بن الوليد المخزومي رضي الله عنه هكذا يزعم أهل بيته وأكثر المؤرخين وعلماء الأنساب يقولون إن خالدا رضي الله عنه لم يتصل نسبه بل انقطع منذ زمان والله اعلم والقيسراني بفتح القاف وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح السين المهملة والراء وبعد الألف نون هذه النسبة إلى قيسارية وهي بليدة بالشام على ساحل البحر 678 الكيزاني أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن ثابت بن إبراهيم بن فرح الكناني المقرئ الاديب الشافعي الحامي المصري المعروف بابن الكيزاني الشاعر المشهور كان زاهدا ورعا وبمصر طائفة ينسبون إليه ويعتقدون مقالته وله ديوان شعر اكثره في الزهد ولم أقف عليه وسمعت له بيتا واحدا اعجبني وهو

462 (وإذا لاق بالمحب غرام * فكذا الوصل بالحبيب يليق) ويروى له (يا ضنى جسمي تحكم أو فدع * ليس في السلوان عن ليلى طمع) (عنفوني والهوى يغلبني * وأطالوا العتب لو كان نفع) (سألوني هل يوافي طيفها * إنما يعلم هذا من هجع) وفي شعره أشياء حسنة وتوفي ليلة الثلاثاء التاسع من شهر ربيع الأول وقيل بل توفي في المحرم سنة اثنتين وستين وخمسمائة بمصر ودفن بالقرب من قبة الإمام الشافعي

رضي الله عنه بالقرافة الصغرى ثم نقل إلى سفح المقطم بقرب الحوض المعروف بأم مودود وقبره مشهور هناك يزار وزرته مرارا رحمه الله تعالى والكيزاني بكسر الكاف وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الزاي وبعد الألف نون هذه النسبة إلى عمل الكيزان وبيعها وكان بعض اجداده يصنع ذلك والله أعلم

463 679 الأبله الشاعر أبو عبد الله محمد بن بختيار بن عبد الله المولد المعروف بالأبله البغدادي الشاعر المشهور أحد المتأخرين المجيدين جمع في شعره بين الصناعة والرقة وله ديوان شعر بأيدي الناس كثير الوجود وذكره العماد الكاتب الأصبهاني في كتاب الخريدة فقال هو شاب ظريف يتزيا بزي الجند رقيق اسلوب الشعر حلو الصناعة رائق البراعة عذب اللفظ أرق من النسيم السحري وأحسن من الوشي التستري وكل ما ينظمه ولو انه يسير يسير والمغنون يغنون برائقات أبياته عن أصوات القدماء فهم يتهافتون على نظمه المطرب تهافت الطير الحوم على عذب المشرب ثم قال أنشدني لنفسه من قصيدة سنة خمس وخمسين وخمسمائة ببغداد (زار من احيا بزورته * والدجى في لون طرته) (قمر يثني معانقه * بانة في طي بردته) (بت استجلي المدام على * غرة الواشي وغرته) (يالها من زورة قصرت * فأماتت طول جفوته) (آه من خصر له وعلى

* رشفة من برد ريقته) (يا له في الحسن من صنم *
كلنا من جاهليته)
464 ومن أبياته السائرة قوله من جملة قصيدة أنيقة
(لا يعرف الشوق إلا من يكابده * ولا الصبابة إلامن
يعانيها) ومن رقيق شعره قوله في غزل قصيدة (دعني
اكابد لوعتي واعاني * أين الطليق من الأسير المعاني) (
آليت لا ادع الملام يغرني * من بعد ما أخذ الغرام عناني
) (أولا تروض العاذلات وقد أرى * روضات حسن في
خدود حسان) (ولدي يلتمس السلو ولم أزل * حي
الصبابة ميت السلوان) (يا برق إن تجف العقيق فطالما
* اغنته عنك سحائب الأجفان) (هيهات ان انسى ربالك
ووقفة * فيها اغير بها على الغيران) (ومهفهف ساجي
اللحاظ حفظته * فأضاعني وأطعته فعصاني) (يصمي
قلوب العاشقين بمقلة * طرف السنان وطرفها سيان) (
خنث الدلال بشعره وبثغره * يوم الوداع أضلني وهداني)
(ما قام معتدلا يهز قوامه * إلا وبانت خجلة في البان) (
يا أهل نعمان إلى وجناتكم * تعزى الشقائق لا إلى نعمان)
(ما يفعل المران من يد قلب * في القلب فعل مرارة
الهجران) وهي قصيدة طويلة ومديحها جيد وجميع
شعره على هذا الإسلوب والنسق ومخالصة من الغزل إلى
المدح في نهاية الحسن وقل نت يلحقه فيها فمن ذلك قوله
من قصيدة أولها

465 (جنيت جني الورد من ذلك الخد * وعانقت غصن البان من ذلك القد) فلما انتهى إلى مخلصها قال (لئن وقرت يوما بسمعي ملامة * لهند فلا عفت الملامة في هند) (ولا وجدت عيني سبيلا إلى البكا * ولا بت في أسر الصبابة والوجد) (وبحت بما القى ورحت مقابلا * سماحة مجد الدين بالكفر والجحد) وقوله من قصيدة أخرى (فلا وجد سوى وجدي بليلى * ولا مجد كمجد ابن الدوامي) وقوله في اخرى (فأقسم اني أفي الصبابة واحد * وان كمال الدين في الجود واحد) إلى غير ذلك وكانت وفاته على ما قاله ابن الجوزي في تاريخه في جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين وقال غيره سنة ثمانين وخمسمائة ببغداد ودفن في باب أبرز محاذي التاجية رحمه الله تعالى والأبله معروف فلا حاجة إلى ضبطه وإنما قيل له أبله لأنه كان فيه طرف بله وقيل لنه كان في غاية الذكاء وهو من أسماء الأضداد كما قيل للأسود كافور وكان له ميل إلى بعض أبناء البغاددة فعبر على باب داره فوجد خلوة فكتب على الباب قال العماد الكاتب وأنشدنيهما (دارك يا بدر الدجى جنة * بغيرها نفسي ما تلهو) (وقد روي في خبر انه * أكثر أهل الجنة البله) ولابن التعاويذي المذكور بعده فيه هجاء أفحش فيه فأضربت عن ذكره مع انها أبيات جيدة والله أعلم

466 680 ابن التعاويذي الشاعر أبو الفتح محمد بن عبيد الله بن عبد الله الكاتب المعروف بابن التعاويذي

الشاعر المشهور كان أبوه مولى لابن المظفر واسمه نشتكين فسماه ولده المذكور عبيد الله وهو سبط أبي محمد المبارك بن المبارك بن علي بن نصر السراج الجوهري الزاهد المعروف بابن التعاويذي وإنما نسب إلى جده المذكور لأنه كفله صغيرا ونشأ في حجره فنسب إليه وكان أبو الفتح المذكور شاعر وقته لم يكن فيه مثله جمع شعره بين جزالة الألفاظ وعذوبتها ورقة المعاني ودقتها وهو في غاية الحسن والحلاوة وفيما اعتقده لم يكن قبله بمائتي سنة من يضاهيه ولا يؤاخذني من يقف على هذا الفصل فإن ذلك يختلف بميل الطباع ولله القائل (وللناس ما فيما يعشقون مذاهب *) وكان كاتبا بديوان المقاطعات ببغداذ وعمي في آخر عمره سنة تسع وسبعين وله في عماه أشعار كثيرة يرثي بها عينيه ويندب زمان شبابه وتصرفه وكان قد جمع ديوانه بنفسه قبل العمى وعمل له خطبة طريفة ورتبه أربعة فصول

467 وكل ما جدده بعد ذلك سماه الزيادات فلهذا يوجد ديوانه في بعض النسخ خاليا من الزيادات وفي بعضها مكملاً بالزيادات ولما عمي كان باسمه راتب في الديوان فالتمس ان ينقل باسم أولاده فلما نقل كتب إلى الإمام الناصر لدين الله هذه الأبيات يسأله أن يجدد له راتبا مدة حياته وهي (خليفة الله أنت بالدين والدنيا * اوأمر الإسلام مضطلع) (أنت لما سنة الأئمة أعلام الهدى مقتف ومتبع) (قد عدم العدم في زمانك والجور * معا

والخلاف والبدع) (فالناس في الشرع والسياسة *
والإحسان والعدل كلهم شرع) (يا ملكا يردع الحوادث
* والأيام عن ظلمها فترتدع) (ومن له انعم مكررة * لنا
مصيف منها ومرتبع) (أرضي قد أجدبت وليس لمن *
أجدب يوما سواك منتجع) (ولي عيال لا در درهم * قد
أكلوا دهرهم وما شبعوا) (إذا رأوني ذا ثروة جلسوا *
حولي ومالوا إلي واجتمعوا) (وطالما قطعوا حبالي
إعراضا * إذا لم تكن معي قطع) (يمشون حولي شتى
كأنهم * عقارب كلما سعوا لسعوا) (فمنهم الطفل
والمراهق والرضيع * يحبو والكهل واليفع) (لا قارح
منهم أؤمل أن * ينالني خيره ولا جذع) (لهم حلوق
تفضي إلى معد * تحمل في الأكل فوق ما تسع) (من
كل رحب المعاء أجوف ناري * الحشا لا يمسه الشبع) (
لا يحسن المضغ فهو ينزل في * فيه بلا كلفة ويبتلع)
468 (ولي حديث يلهي ويعجب من * يوسع لي
خلقه فيستمع) (نقلت رسمي جهلا إلى ولد * لست بهم
ماحييت أنتفع) (نظرت في نفعهم وما انا فيه اجتلاب *
نفع الاولاد مبتدع) (وقلت هذا بعدي يكون لكم * فما
أطاعوا أمري ولا سمعوا) (واختلسوه مني فما تركوا *
عيني عليه ولا يدي تقع) (فبئس والله ما صنعت
فأضررت * بنفسي وبئس ما صنعوا) (فإن أردتم أمرا
يزول به الخصام * من بيننا ويرتفع) (فاستأنفوا لي
رسما أعود على * ضنك معاشي به فيتسع) (وإن

زعمتم أني أتيت بها * خديعة فالكريم ينخدع) (حاشا لرسمي الكريم ينسخ من * نسخ دواوينكم فينقطع) (فوقعوا لي بما سألت فقد * أطمعت نفسي واستحكم الطمع) (ولا تطيلوا معي فلست ولو * دفعتموني بالراح أندفع) (وحلفوني ان لا تعود يدي * ترفع في نقله ولاتضع) فما ألطف ما توصل به إلى بلوغ مقصوده بهذه الأبيات التي لو ملرت بالجماد لاستمالته وعطفته فأنعم عليه امير المؤمنين بالراتب فكان يصله بصلة من الخشكار الرديء فكتب إلى فخر الدين صاحب المخزن أبياتا يشكو من ذلك أولها (مولاي فخر الدين أنت إلى الندى * عجل وغيرك محجم متباطي) ومنها (حاشاك ترضى ان تكون جرايتي * كجراية البواب والنفاط) (سوداء مثل الليل سعر قفيزها * ما بين طسوج إلى قيراط) 469 (أخنت علي الحادثات وأفرطت * فيها الرداءة أيما إفراط) (قد كدرت حسي المضيء وغيرت * طبعي السليم وعفنت أخلاطي) (فتول تدبيري فقد أنهيت ما * أشكوه من مرضي إلى بقراط) وكان وزير الديوان العزيز شرف الدين أبو جعفر أحمد بن محمد بن سعيد بن إبراهيم التميمي وزير الإمام المستنجد بالله المعروف بابن البلدي وقد عزل أرباب الدواوين وحبسهم وحاسبهم وصادرهم وعاقبهم ونكل بهم فعمل سبط ابن التعاويذي المذكور في ذلك قوله (ياقاصداً بغداد حد عن بلدة * للجور فيها زخرة وعباب) (إن كنت طالب حاجة

فارجع فقد * سدت على الراجي بها الأبواب) (ليست
وما بعد الزمان كعهدها * أيام يعمر ربعها الطلاب) (
ويحلها الرؤساء من سادتها * والجلة الأدباء والكتاب) (
والهر في أولى حداثته وللأيام * فيها نضرة وشباب) (
والفضل في سوق الكرام يباع بالغالي * من الأثمان
والآداب) (بادت وأهلوها معا فبيوتهم * ببقاء مولانا
الوزير خراب) (وارتهم الأجداث أحيا تهال * جنادل
من فوقهم وتراب) (فهم خلود في محابسهم يصب *
عليهم بعد العذاب عذاب) (لا يرتجى منها إيابهم وهل *
يرجى لسكان القبور إياب) (والناس قد قامت قيامتهم فلا
* أنساب بينهم ولا أسباب) (والمرء يسلمه أبوه وعرسه
* ويخونه القرباء والأحباب) (لا شافعا تغني شفاعته
ولا * جان له مما جناه متاب)
470 (شهدوا معادهم فعاد مصدقا * من كان قبل
ببعثه يرتاب) (حشر وميزان وعرض جرائد *
وصحائف منشورة وحساب) (وبها زبانية تبث على
الورى * وسلاسل ومقامع وعذاب) (ما فاتهم من كل ما
وعدوا به * في الحشر إلا راحم وهاب) وله في الوزير
المذكور (يا رب أشكو إليك ضرا * أنت على كشفه قدير
) (أليس صرنا إلى زمان * فيه أبو جعفر وزير) وذكر
محب الدين المعروف بابن النجار في تاريخ بغداد أن
الإمام المستنجد بالله توفي يوم الإثنين ثامن شهر ربيع
الآخر سنة ست وستين وخمسمائة وتولى بعده ولده

المستضيء بأمر الله وجلس للمبايعة يوم الثلاثاء ثاني اليوم المذكور فخرج استاذ الدار عضد الدين أبو الفرج المذكور عقيب هذا ومعه ابن السيبي فقال له الخليفة قد تقدم أن يستوفى القصاص من هذا وأشار إلى الوزير فأخذ وسحب وقطع أنفه ويده ورجله ثم ضربت رقبته وجمع في ترس وألقي في دجلة وكان هذا الوزير قد قطع أنف أم ابن السيبي المذكور ويد اخيه ورجله في أيام ولايته فاقتص منه في هذا اليوم نعوذ بالله من سوء العاقبة وكتب سبط ابن التعاويذي إلى عضد الدين أبي الفرج محمد بن المظفر وهو من أبناء مواليه يطلب منه شعيرا لفرسه وهو الذي فعل بالوزير ابن البلدي تلك الفعلة المذكورة قبل هذا (
مولاي يا من له أياد * ليس إلى عدها سبيل)
471 (ومن إذا قلت العطايا * فجوده وافر جزيل)
(إليه إن جارت الليالي * نأوي وفي ظله نقيل) (إن كميتي العتيق سنا * له حديث معي يطول) (كان شرائي له فضولاً لا * فاعجب لما يجلب الفضول) (ظننته حاملا لرحلي * فخاب ظني به الجميل) (ولم أخل للشقاء أني * لثقل اعبائه حمول) (فإن اكن عاليا عليه * فهو على كاهلي ثقيل) (أرجل كالبوم ليس فيه * خير كثير ولا قليل) (ليس له مخبر حميد * ولا له منظر جميل) (وهو حرون وفيه بطء * ولا جواد ولا ذلول) (لا كفل معجب لراء * إذا رآه ولا تليل) (مقصر إن مشى ولكن * إن حضر الأكل مستطيل) (يعجبه التبن

والشعير المغسول * والقت والقصيل) (إذا رآى عكرشا رأيت * اللعاب من شدقه يسيل) (وليس فيه من المعاني * شيء سوى أنه اكول) (فهب له اليوم ما تسنى * وهبه من بعض ما تنيل) (ولا تقل إن ذا قليل * فالجل في عينه جليل) وإنما اوردت هذه المقاطيع من شعره لكونها مستملحة وأما قصائده المشتملة على النسيب والمدح فإنها في غاية الحسن وصنف كتابا سماه الحجبة والحجاب يدخل في مقدار خمس عشرة كراسة وأطال الكلام فيه وهو قليل الوجود وذكر العماد الأصبهاني في كتاب الخريدة أن ابن التعاويذي المذكور كان

472 صاحبه لما كان بالعراق فلما أنتقل العماد إلى الشام واتصل بخدمة السلطان صلاح الدين كتب إليه ابن التعاويذي رسالة وقصيدة يطلب منه فروة وذكر الرسالة وهي قد كلف مكارمه وإن لم يكن للجود عليها كلفه وأتحفه بما وجهه إليه من أمله وهو لعمر الله تحفه أهدى فروة دمشقية سرية نقية يلين لمسها ويزين لبسها ودباغتها نظيفة وخياطتها لطيفة طويلة كطوله سابغة كأنعمه حالية كذكره جميلة كفعله واسعة كصدره نقية كعرضه رفيعة كقدره موشية كنظمه ونثره ظاهرها كظاهره وباطنها كباطنه يتجمل بها اللابس وتتحلى بها المجالس وهي لخادمه سربال وله حرس الله مجده جمال يشكره عليها من لم يلبسها ويثني عليه بها من لم يتدرعها تذهب خميلة وبرها ويبقى حميد أثرها ويخلق إهابها وجلدها ويتجدد شكرها

وحمدها وقد نظم أبياتا ركب في نظمها الغرر وأهدى بها التمر إلى هجر إلا أنه قد عرض الطيب على عطاره ووضع الثوب في يد بزازه واحل الثناء في محله وجمع بين الفضل وأهله وهي في حسنه وخفارة كرمه ثم ذكر القصيدة التي أولها (بأبي من ذبت في الحب * له شوقا وصبوه) وهي موجودة في ديوانه وكتب العماد جواب القصيدة على هذا الروي أيضا وهما طويلتان وذكر العماد قبل ذكر الرسالة والقصيدة في حقه هو شاب فيه فضل وآداب ورياسة وكياسة ومروة وأبوة وفتوة جمعني وإياه صدق العقيدة في عقد الصداقة وقد كملت فيه أسباب الظرف واللطف واللباقة ثم أتى بالرسالة والقصيدة وجوابها وهذه الرسالة لم أر مثلها في بابها سوى ما سيأتي في ترجمة بهاء الدين ابن شداد في حرف الياء إن شاء الله تعالى فإن ابن خروف المغربي كتب إليه رسالة بديعة يستجديه فروة قرظ وكانت ولادة ابن التعاويذي المذكور في العاشر من رجب يوم الجمعة سنة تسع عشرة وخمسمائة وتوفي في ثاني شوال سنة أربع وقيل ثلاث
473 وثمانين وخمسمائة ببغداد ودفن في باب ابرز
رحمه الله تعالى وقال ابن النجار في تاريخه مولده يوم الجمعة وتوفي يوم السبت ثامن عشر شوال والتعاويذي بفتح التاء المثناة من فوقها والعين المهملة وكسر الواو بعد الألف وبعدها ياء مثناة من تحتها ساكنة ثم ذال معجمة هذه النسبة إلى كتبه التعاويذ وهي الحروز 203 واشتهر بها

أبو محمد المبارك بن المبارك بن السراج التعاويذي البغدادي الزاهد المقدم ذكره في اول هذه الترجمة وكان صالحا ذكره ابن السمعاني في كتاب الذيل وكتاب الأنساب وقال لعل أباه كان يرقي ويكتب التعاويذ وسمع منه ابن السمعاني المذكور وقال سألته عن مولده فقال ولدت في سنة ست وتسعين وأربعمائة بالكرخ وتوفي في جمادى الأولى سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ودفن بمقبرة الشونيزي رحمه الله تعالى وقال السمعاني أنشدني أبو محمد المبارك المذكور لنفسه قوله (اجعل همومك واحدا * وتخل عن كل الهموم) (فعساك أن تحظى بما * يغنيك عن كل العلوم) ثم قال لي ابن التعاويذي ما قلت من الشعر غير هذين البيتين ونشتكين بضم النون وسكون الشين المعجمة وكسر التاء المثناة من فوقها والكاف وبعدها ياء مثناة من تحتها ساكنة ثم نون وهو اسم اعجمي تسمى به المماليك وقد تقدم في اول الترجمة انه كان من مماليك احد بني المظفر رئيس الرؤساء وله فيهم مدائح بديعة وأفرد مدائحهم في فصل من الفصول الأربعة المرتبة في ديوانه لكونهم مواليه وكانوا يحسنون إليه والله اعلم

*1*ج 5

5@ 681 ابن المعلم الشاعر أبو الغنائم محمد بن علي بن فارس بن علي بن عبد الله بن الحسين بن القاسم المعروف بابن المعلم الواسطي الهرثي الملقب نجم الدين

الشاعر المشهور كان شاعرا رقيق الشعر لطيف حاشية الطبع يكاد شعره يذوب من رقته و هو أحد من سار شعره وانتشر ذكره ونبه بالشعر قدره وحسن به حاله وأمره وطال في نظم القريض عمره وساعده على قوله زمانه ودهره وأكثر القول في الغزل والمدح وفنون المقاصد وكان سهل الألفاظ صحيح المعاني يغلب على شعره وصف الشوق والحب وذكر الصبابة والغرام فعلق بالقلوب ولطف مكانه عند أكثر الناس ومالوا إليه وحفظوه وتداولوه بينهم واستشهد به الوعاظ واستحلاه السامعون سمعت جماعة من مشايخ البطائح يقولون ما سبب لطافة شعر ابن المعلم إلا أنه كان إذا نظم قصيدة حفظها الفقراء المنتسبون إلى الشيخ أحمد بن الرفاعي المقدم ذكره في حرف الهمزة وغنوا بها في سماعاتهم وطابوا عليها فعادت عليه بركة أنفاسهم ورأيتهم يعتقدون ذلك اعتقادا لا شك عندهم فيه وبالجملة

6 فشعره يشبه النوح ولا يسمعه من عنده أدنى هوى إلا فتنه وهاج غرامه وكان بين ابن المعلم المذكور وبين ابن التعاويذي المذكور قبله تنافس وهجاء ابن التعاويذي بأبيات جيمية أجاد فيها ولا حاجة إلى ذكرها ولابن المعلم قصيدة طويلة أولها (ردوا علي شوارد الأظعان * ما الدار إن لم تغن من أوطاني) منها (ولكم بذاك الجزع من متمنع * هزأت معاطفه بغصن البان) (أبدى تلونه بأول موعد * فمن الوفي لنا بوعد ثاني) (فمتى اللقاء

ودونه من قومه * أبناء معركة وأسد طعان) (نقلوا
الرماح وما أظن أكفهم * خلقت لغير ذوابل المران) (
وتقلدوا بيض السيوف فما ترى * في الحي غير مهند
وسنان) (ولئن صددت فمن مراقبة العدا * ما الصد عن
ملل ولا سلوان) (يا ساكني نعمان أين زماننا * بطويلع
يا ساكني نعمان) وله من أخرى (كم قلت إياك العقيق
فإنه * ضريت جآذره بصيد أسوده) (وأردت صيد مها
الحجاز فلم يساعدك * القضاء فرحت بعض صيوده)
وله من أخرى (أجيراننا إن الدموع التي جرت *
رخاصا على أيدي النوى لغوالي) (أقيموا على الوادي
ولو عمر ساعة * كلوث إزار أو كحل عقال)
7 (فكم ثم لي من وقفة لو شريتها * بنفسي لم أغبن
فكيف بمالي) وله من أخرى (كيف يخفي سر الهوى
المستهام * هي حزوى وما الخيام الخيام) (ولئن كانت
الخيام وما الناس * بها الناس فالغرام الغرام) وله من
أخرى (قسما بما ضمت عليه شفاههم * من قرقف في
لؤلؤ مكنون) (إن شارف الحادي العذيب لأقضين *
نحبي ومن لي أن تبر يميني) (لو لم يكن آثار ليلى
والهوى * بتلاعه ما رحت كالمجنون) وكان سبب عمل
هذه القصيدة أن ابن المعلم المذكور والأبله وابن التعاويذي
المذكورين قبله لما وقفوا على قصيدة صردر المقدم ذكره
في حرف العين التي أولها (أكذا يجازي ود كل قرين *
أم هذه شيم الظباء العين) وهي من نخب القصائد

وسأذكرها في ترجمة عميد الملك محمد إن شاء الله تعالى أعجبتهم فعمل ابن المعلم من وزنها هذه القصيدة وعمل ابن التعاويذي من وزنها قصيدة أبدع فيها وأرسلها إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي رحمه الله تعالى وهو بالشام يمدحه بها وأولها (إن كان دينك في الصبابة ديني * فقف المطي برملتي يبرين) وعمل الأبله قصيدة أخرى وأحسن الكل قصيدة ابن التعاويذي

8 وحكي عن ابن المعلم المذكور أنه قال كنت ببغداد فاجتزت يوما بالموضع الذي يجلس فيه أبو الفرج ابن الجوزي للوعظ فرأيت الخلق مزدحمين فسألت بعضهم عن سبب الزحام فقال هذا ابن الجوزي الواعظ جالس ولم أكن علمت بجلوسه فزاحمت وتقدمت حتى شاهدته وسمعت كلامه وهو يعظ حتى قال مستشهدا على بعض إشاراته ولقد أحسن ابن المعلم حيث يقول (يزداد في مسمعي تكرار ذكركم * طيبا ويحسن في عيني تكرره) فعجبت من اتفاق حضوري واستشهاده بهذا البيت من شعري ولم يعلم بحضوري لا هو ولا غيره من الحاضرين وهذا البيت من جملة قصيدة له مشهورة ولابن المعلم في أثناء قصيدة أيضا (يوهي قوى جلدي من لا أبوح به * ويستبيح دمي من لا أسميه) (قسا فما في لساني ما يعاتبه * ضعفا بلى في فؤادي ما يقاسيه) وفي يوم وقعة الجمل على البصرة قبل مباشرة الحرب أرسل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ابن عمه عبد الله بن العباس

رضي الله عنهما إلى طلحة والزبير رضي الله عنهما برسالة يكفهما عن الشروع في القتال ثم قال له لا تلقين طلحة فانك إن تلقه تجده كالثور عاقصا أنفه يركب الصعب ويقول هو الذلول ولكن الق الزبير فإنه ألين عريكة منه وقل له يقول لك ابن خالك عرفتني بالحجاز وأنكرتني بالعراق فما عدا مما بدا وعلي رضي الله عنه أول من نطق بهذه الكلمة فأخذ ابن المعلم المذكور هذا الكلام وقال (منحوه بالجزع السلام وأعرضوا * بالغور عنه فما عدا مما بدا) وهذا البيت من جملة قصيدة طويلة ورسالة علي نقلتها من كتاب نهج البلاغة

9 ولا حاجة إلى الإطالة بذكر فرائده مع شهرة ديوانه وكثرة وجوده بأيدي الناس وكانت ولادته في ليلة سابع عشر جمادى الآخرة سنة إحدى وخمسمائة وتوفي رابع رجب سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة بالهرث رحمه الله تعالى والهرث بضم الهاء وسكون الراء وبعدها ثاء مثلثة وهي قرية من أعمال نهر جعفر بينها وبين واسط نحو عشرة فراسخ وكانت وطنه ومسكنه إلى أن توفي بها رحمه الله تعالى 682 البحراني الشاعر أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن قائد الملقب موفق الدين الإربلي أصلا ومنشأ البحراني مولدا الشاعر المشهور كان إماما مقدما في علم العربية مفننا في أنواع الشعر ومن أعلم الناس بالعروض والقوافي وأحذقهم بنقد الشعر وأعرفهم بجيده من رديئه وأدقهم نظرا في اختياره

واشتغل بشيء من علوم الأوائل وحل كتاب إقليدس وبدأ
ينظم الشعر وهو صبي صغير بالبحرين جريا على عادة
العرب قبل أن ينظر في الأدب وهو شيخ أبي البركات
ابن المستوفي صاحب تاريخ إربل المقدم ذكره وعليه
اشتغل بعلوم الشعر وبه تخرج وقد ذكره في تاريخه وعدد
فضائله وقال كان شيخنا أبو الحرم مكي الماكسيني
النحوي وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى
10 يراجعه في كثير من المسائل المشكلة في النحو
وكان يرجع إليه في أجوبة ما يورد عليه وكان قد رحل
إلى شهرزور وأقام بها مدة ثم رحل إلى دمشق ومدح
السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى بقصيدة طويلة وله
ديوان شعر جيد ورسائل حسنة وكان في الشعر في طبقة
معاصريه ممن تقدم ذكرهم ومن شعره قصيدة يمدح بها
زين الدين ابا المظفر يوسف بن زين الدين صاحب إربل
وقد تقدم ذكره في ترجمة أخيه مظفر الدين في حرف
الكاف (رب دار بالغضا طال بلاها * عكف الركب
عليها فبكاها) (درست إلا بقايا أسطر * سمح الدهر بها
ثم محاها) (كان لي فيها زمان وانقضى * فسقى الله
زماني وسقاها) (وقفت فيها الغوادي وقفة * ألصقت
حر ثراها بحشاها) (وبكت أطلالها نائبة * عن جفوني
أحسن الله جزاها) (قل لجيران مواثيقهم * كلما أحكمتها
رثت قواها) (كنت مشغوفا بكم إذ كنتم * شجرا لا يبلغ
الطير ذراها) (لا تبيت الليل إلا حولها * حرس ترشح

بالموت ظباها) (وإذا مدت إلى أغصانها * كف جان
قطعت دون جناها) (فتراخى الأمر حتى أصبحت *
هملا يطمع فيها من رآها) (تخصب الأرض فلا أقربها
* رائدا إلا إذا عز حماها) (لا يراني الله أرعى روضة
* سهلة الأكناف من شاء رعاها) (وإذا ما طمع أغرى
بكم * عرض اليأس لنفسي فثناها) (فصبابات الهوى
أولها * طمع النفس وهذا منتهاها) (لا تظنوا لي إليكم
رجعة * كشف التجريب عن عيني عماها)
11 (إن زين الدين أولاني يدا * لم تدع لي رغبة
فيما سواها) وهي طويلة أجاد في مدحها وكان أبوه من
أهل إربل وصنعته التجارة وكان يتردد من إربل إلى
البحرين ويقيم بها مدة لتحصيل اللآلىء من المغاصات
أسوة التجار فاتفق أن ولد له هناك الموفق أبو عبد الله
المذكور ثم انتقل إلى إربل فنسب إلى البحرين لهذا السبب
وله معنى مليح في غلام اسمه السهم وقد التحى (قالوا
التحى السهم قلت حصن * حشاك فالآن لا يطيش) (
فالسهم لا ينفذ الرمايا * إلا إذا كان فيه ريش) وتوفي ليلة
الأحد ثالث شهر ربيع الآخر سنة خمس وثمانين
وخمسمائة بإربل ودفن بمقبرة أهله قبلي البست رحمه الله
تعالى قال المطرزي في كتاب المغرب البست كلمة
فارسية وهو مفتح الماء في فم النهر والبحراني بفتح الباء
الموحدة وسكون الحاء المهملة وفتح الراء وبعد الألف
نون هذه النسبة إلى البحرين المقدم ذكرها وهي بليدة

بالقرب من هجر قال الأزهري وإنما سميت البحرين لأن في ناحية قراها بحيرة على باب الأحساء وقرى هجر بينها وبين البحر الأخضر عشرة فراسخ وقدرت البحيرة ثلاثة أميال في مثلها ولا يغيض ماؤها وهو راكد زعاق وحدث أبو عبيد عن أبي محمد اليزيدي قال سألني المهدي وسأل الكسائي عن النسبة إلى البحرين وعن الحصنين لم قالوا حصني وبحراني فقال الكسائي كرهوا أن يقولوا
12 حصناني لاجتماع النونين قال وقلت أنا كرهوا أن يقولوا بحري فتشبه النسبة إلى البحر والبست بفتح الباء الموحدة وسكون السين المهملة وبعدها تاء مثناة من فوقها واد عريض في وسط إربل تجري فيه مياه السيول في الشتاء والربيع وفيه شيء كثير من الحجارة الصغار والله أعلم 683 أبو شجاع الفرضي أبو شجاع محمد بن علي بن شعيب المعروف بابن الدهان الملقب فخر الدين البغدادي الفرضي الحاسب الأديب هو من أهل بغداد وانتقل إلى الموصل وصحب جمال الدين الأصبهاني الوزير بها ثم تحول إلى خدمة السلطان صلاح الدين فولاه ديوان ميافارقين فلم يمش له بها حال مع واليها فدخل إلى دمشق فأجري له بها رزق لم يكن كافيا وكان يزجي به الوقت ثم ارتحل إلى مصر في سنة ست وثمانين وخمسمائة ثم عاد منها إلى دمشق وجعلها دار إقامة وله أوضاع الجداول في الفرائض وغيرها وصنف غريب الحديث في ستة عشر مجلدا لطافا ورمز فيه حروفا يستدل

بها على أماكن الكلمات المطلوبة منه وكان قلمه أبلغ من لسانه وجمع تاريخا وغير ذلك وذكره أبو البركات ابن المستوفي في تاريخ إربل وعده في زمرة الوافدين عليها وقال في حقه عالم فاضل متفنن وله شعر جيد وذكر الأبيات التي
13 مدح بها الشيخ تاج الدين أبا اليمن زيد بن الحسن الكندي وقد ذكرتها في ترجمة الكندي وذكره أيضا العماد الكاتب في الخريدة وأثنى عليه وأورد له مقاطيع أحسن فيها فمن ذلك قوله في ابن الدهان المعروف بالناصح أبي محمد سعيد بن المبارك النحوي وقد سبق ذكره وكان مخلا باحدى عينيه (لا يبعد الدهان إن ابنه * أدهن منه بطريقين) (في عجب البحر فحدث به * بفرد عين وبوجهين) ومنه ما كتبه إلى بعض الرؤساء وقد عوفي من مرضه (نذر الناس يوم برئك صوما * غير أني نذرت وحدي فطرا) (عالما أن يوم برئك عيد * لا أرى صومه ولو كان نذرا) وله غير ذلك أناشيد حسان وكانت له اليد الطولى في النجوم وحل الأزياج وتوفي في صفر سنة تسعين وخمسمائة بالحلة السيفية وكان سبب موته أنه حج من دمشق وعاد على طريق العراق ولما وصل إلى الحلة عثر جمله هناك فأصاب وجهه بعض خشب المحمل فمات لوقته وكان شيخا دميم الخلقة مسنون الوجه مسترسل اللحية خفيفها أبيض تعلوه صفرة رحمه

الله تعالى وقيل إنه كان يلقب برهان الدين والله أعلم أي ذلك كان وقد تقدم الكلام على الحلة فلا حاجة إلى إعادته

14 684 ابن عنين الشاعر أبو المحاسن محمد بن نصر بن الحسين بن عنين الأنصاري الملقب شرف الدين الكوفي الأصل الدمشقي المولد الشاعر المشهور كان خاتمة الشعراء لم يأت بعده مثله ولا كان في أواخر عصره من يقاس به ولم يكن شعره مع جودته مقصورا على أسلوب واحد بل تفنن فيه وكان غزير المادة من الأدب مطلعا على معظم أشعار العرب وبلغني أنه كان يستحضر نقل كتاب الجمهرة لابن دريد في اللغة وكان مولعا بالهجاء وثلب أعراض الناس وله قصيدة طويلة جمع فيها خلقا من رؤساء دمشق سماها مقراض الأعراض وكان السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى قد نفاه من دمشق بسبب وقوعه في الناس فلما خرج منها عمل (فعلام أبعدتم أخا ثقة * لم يجترم ذنبا ولا سرقا)
(انفوا المؤذن من بلادكم * إن كان ينفى كل من صدقا)
وطاف البلاد من الشام والعراق والجزيرة وأذربيجان وخراسان وغزنة

15 وخوارزم وما وراء النهر ثم دخل الهند واليمن وملكها يومئذ سيف الإسلام طغتكين بن أيوب أخو السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى المذكور في حرف الطاء وأقام بها مدة ثم رجع إلى الحجاز والديار المصرية وعاد إلى دمشق وكان يتردد منها إلى البلاد ويعود إليها

ولقد رأيته بمدينة إربل في سنة ثلاث وعشرين وستمائة ولم آخذ عنه شيئا وكان قد وصل إليها رسولا عن الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل صاحب دمشق وأقام بها قليلا ثم سافر وكتب من بلاد الهند إلى أخيه وهو بدمشق هذين البيتين والثاني منهما لأبي العلاء المعري استعمله مضمنا فكان أحق به وهما (سامحت كتبك في القطيعة عالما * أن الصحيفة لم تجد من حامل) (وعذرت طيفك في الجفاء لأنه * يسري فيصبح دوننا بمراحل) لله دره فما أحسن ما وقع له هذا التضمين وقد كرر هذا المعنى في مواضع من شعره فمن ذلك قوله من جملة قصيدة طويلة (ألا يا نسيم الريح من تل راهط * وروض الحمى كيف اهتديت إلى الهند) وقوله من أبيات وهو في عدن اليمن (أأحبابنا لا أسأل الطيف زورة * وهيهات أين الديلميات من عدن) الديلميات وتل راهط والحمى أسماء مواضع من ضواحي دمشق والبيت الذي للمعري قبله (وسألت كم بين العقيق إلى الحمى * فعجبت من بعد المدى المتطاول)

16 والمعري أخذ هذا المعنى من دعبل بن علي الخزاعي الشاعر المقدم ذكره فإنه كان قد هجا الخليفة المعتصم بالله بن هارون الرشيد فطلبه فهرب من العراق إلى الديار المصرية وسكن بأسوان في آخر بلادها وقال في ذلك (وإن امرءا أضحت مطارح سهمه * بأسوان لم يترك من الحزم معلما) (حللت محلا يحسر الطرف

دونه * ويعجز عنه الطيف أن يتجشما) وقد خرجنا عن المقصود ولكن ساق الكلام بعضه بعضا ولما مات السلطان صلاح الدين وملك الملك العادل دمشق كان غائبا في السفرة التي نفي فيها فسار متوجها إلى دمشق وكتب إلى الملك العادل قصيدته الرائية يستأذنه في الدخول إليها ويصف دمشق ويذكر ما قاساه في الغربة ولقد أحسن فيها كل الإحسان واستعطفه أبلغ استعطاف وأولها (ماذا على طيف الأحبة لو سرى * وعليهم لو سامحوني بالكرى) ووصف في أوائلها دمشق وبساتينها وأنهارها ومستنزهاتها ولما فرغ من وصف دمشق قال مشيرا إلى النفي منها (فارقتها لا عن رضا وهجرتها * لا عن قلى ورحلت لا متخيرا) (أسعى لرزق في البلاد مشتت * ومن العجائب أن يكون مقترا) (وأصون وجه مدائحي متقنعا * وأكف ذيل مطامعي متسترا)

17 ومنها يشكو الغربة وما قاساه فيها (أشكو إليك نوى تمادى عمرها * حتى حسبت اليوم منها أشهرا) (لا عيشتي تصفو ولا رسم الهوى * يعفو ولا جفني يصلفحه الكرى) (أضحي عن الأحوى المريع محلا * وأبيت عن ورد النمير منفرا) (ومن العجائب أن يقيل ظلكم * كل الورى ونبذت وحدي بالعرا) وهذه القصيدة من أحسن الشعر وعندي هي خير من قصيدة أبي بكر ابن عمار الأندلسي التي أولها وهي على وزنها ورويها وقد تقدم ذكر شيء منها في ترجمته (أدر الزجاجة فالنسيم قد

انبرى *) فلما وقف عليها الملك العادل أذن له في الدخول إلى دمشق فلما دخلها قال (هجوت الأكابر في جلق * ورعت الوضيع بسب الرفيع) (وأخرجت منها ولكنني * رجعت على رغم أنف الجميع) وكان له في عمل الألغاز وحلها اليد الطولى فمتى كتب إليه بشيء منها حله في وقته وكتب الجواب أحسن من السؤال نظما ولم يكن له غرض في جمع شعره فلذلك لم يدونه فهو يوجد مقاطيع في أيدي الناس وقد جمع له بعض أهل دمشق ديوانا صغيرا لا يبلغ عشر ما له من النظم ومع هذا ففيه أشياء ليست له وكان من أظرف الناس وأخفهم روحا وأحسنهم مجونا وله بيت عجيب من جملة قصيدة يذكر فيها أسفاره ويصف توجهه إلى جهة الشرق وهو
18 (أشقق قلب الشرق حتى كأنني * أفتش في سودائه عن سنا الفجر) وبالجملة فمحاسن شعره كثيرة وكنت قد رأيته في المنام في بعض شهور سنة تسع وأربعين وستمائة وأنا يوم ذاك بالقاهرة المحروسة وفي يده ورقة حمراء وهي عريضة وفيها مقدار خمسة عشر بيتا تقريبا وهو يقول عملت هذه الأبيات في الملك المظفر صاحب حماة وكان الملك المظفر في ذلك الوقت ميتا أيضا وكان في المجلس جماعة حاضرون فقرأ علينا الأبيات فأعجبني منها بيت فرددته في النوم واستيقظت من المنام وقد علق بخاطري وهو (والبيت لا يحسن إنشاده * إلا إذا أحسن من شاده) وهذا البيت غير موجود في

شعره وقد تقدم ذكره في ترجمة الإمام فخر الدين الرازي وأبياته الفائية وكذلك في ترجمة سيف الإسلام وكان وافر الحرمة عند الملوك وتولى الوزارة بدمشق في آخر دولة الملك المعظم ومدة ولاية الملك الناصر ابن المعظم وانفصل عنها لما ملكها الملك الأشرف وأقام في بيته ولم يباشر بعدها خدمة وكانت ولادته بدمشق يوم الاثنين تاسع شعبان سنة تسع وأربعين وخمسمائة وتوفي عشية نهار الاثنين لعشرين من شهر ربيع الأول سنة ثلاثين وستمائة بدمشق أيضا ودفن من الغد بمسجده الذي أنشأه بأرض المزة وهي بكسر الميم وتشديد الزاي قرية على باب دمشق رحمه الله تعالى قال ابن الدبيثي سمعته يقول إن أصلنا من الكوفة من موضع يعرف بمسجد بني النجار ونحن من الأنصار قلت هكذا نقلته أولا ثم إني زرت قبر بلال مؤذن رسول الله بمقابر باب الصغير ظاهر دمشق فلما خرجت من تربته وجدت على الباب قبرا كبيرا فقيل لي هذا قبر ابن عنين فوقفت وترحمت عليه

19 وعنين بضم العين المهملة وفتح النون وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون والله أعلم 685 القائم ابن المهدي أبو القاسم محمد ويدعى نزار ابن المهدي أبي محمد عبيد الله القائم بالمغرب كان أبو القاسم المذكور يلقب بالقائم وقد تقدم ذكر والده المهدي في حرف العين وذكر ولده المنصور إسماعيل في حرف الهمزة وكان أبوه المهدي قد بايع له بولاية العهد في حياته بإفريقية وما معها

وكانت الكتب تكتب باسمه والمظلة تحمل على رأسه ولما توفي أبوه في التاريخ المذكور في ترجمته جددت له البيعة وكان جهزه أبوه إلى مصر ليأخذها مرتين المرة الأولى في الثامن عشر من ذي الحجة سنة إحدى وثلثمائة فوصل إلى الإسكندرية وملكها والفيوم وصار في يده أكثر خراج مصر وضيق على أهلها والمرة الثانية وصل إلى الإسكندرية في شهر ربيع الأول سنة سبع وثلثمائة في عسكر عظيم فخرج عامل الإمام المقتدر عنها ودخلها القائم المذكور ثم خرج إلى الجيزة في خلق عظيم ووردت الأخبار بذلك إلى بغداد فجهز المقتدر مؤنسا الخادم إلى محاربته بالرجال والأموال فجد في السير فلما وصل إلى مصر كان القائم قد ملك الجيزة والأشمونين وأكثر بلاد الصعيد فتلاقيا وجرت بين العسكرين حروب لا توصف ووقع في عسكر القائم الوباء والغلاء فمات الناس والخيل فرجع إلى إفريقية وتبعه عسكر مصر إلى أن تباعد عنهم وكان وصوله إلى المهدية يوم الثلاثاء الثالث من رجب من السنة المذكورة وفي أيامه خرج أبو يزيد مخلد بن كيداد الخارجي وقد تقدم ذكره وما جرى له وكيف مات في الأسر في ترجمة المنصور والشرح في ذلك يطول وكانت ولادة القائم بمدينة سلمية المذكورة في ترجمة والده المهدي في المحرم سنة ثمانين وقيل سنة اثنتين وثمانين وقيل سبع وسبعين ومائتين واستصحبه والده معه عند توجهه إلى

بلاد المغرب وتوفي يوم الأحد ثالث عشر شوال سنة أربع وثلاثين وثلثمائة رحمه الله تعالى بالمهدية وأبو يزيد الخارجي محاصر له فقام بالأمر ولده المنصور إسماعيل وكتم خبر موته خوفا من الخارجي أن يطلع عليه فيطمع فيه وكان بالقرب منه على مدينة سوسة فأبقى الأمور على حالها وأكثر من العطايا والصلات ولم يتسم بالخليفة وكانت كتبه تنفذ من الأمير إسماعيل ولي عهد المسلمين والله أعلم

21 686 المعتمد بن عباد ملك الأندلس وأبوه وجده المعتمد على الله أبو القاسم محمد بن المعتضد بالله أبي عمرو عباد بن الظافر المؤيد بالله أبي القاسم محمد قاضي إشبيلية بن أبي الوليد إسماعيل بن قريش بن عباد بن عمرو بن أسلم بن عمرو بن عطاف بن نعيم اللخمي من ولد النعمان ابن المنذر اللخمي آخر ملوك الحيرة كان المعتمد المذكور صاحب قرطبة وإشبيلية وما والاهما من جزيرة الأندلس وفيه وفي أبيه المعتضد يقول بعض الشعراء (من بني المنذرين وهو انتساب * زاد في فخره بنو عباد) (فتية لم تلد سواها المعالي * والمعالي قليلة الأولاد) وكان بدء أمرهم في بلاد الأندلس أن نعيما وابنه عطافا أول من دخل إليها من بلاد المشرق وهما من أهل العريش المدينة القديمة الفاصلة بين الشام والديار المصرية في أول الرمل من جهة الشام وأقاما بها

مستوطنين بقرية بقرب يومين من إقليم طشانه من أرض إشبيلية
22 204 وامتد لعطاف عمود النسب في الولد إلى الظافر محمد بن إسماعيل القاضي فهو أول من نبغ منهم في تلك البلاد وتقدم باشبيلية إلى أن ولي القضاء بها فأحسن السياسة مع الرعية والملاطفة بهم فرمقته القلوب وكان يحيى بن علي بن حمود الحسني المنعوت بالمعتلي صاحب قرطبة وكان مذموم السيرة فتوجه إلى إشبيلية محاصرا لها فلما نزل عليها اجتمع رؤساء إشبيلية وأعيانها وأتوا القاضي محمدا المذكور وقالوا له أما ترى ما حل بنا من هذا الظالم وما أفسد من أموال الناس فقم بنا نخرج إليه ونملكك ونجعل الأمر إليك ففعل ووثبوا على يحيى فركب إليهم وهو سكران فقتل وتم له الأمر ثم ملك بعد ذلك قرطبة وغيرها من البلاد وقصته مشهورة مع الذي زعم أنه هشام بن الحكم آخر ملوك بني أمية بالأندلس الذي كان المنصور ابن أبي عامر قد استولى عليه وحجبه عن الناس وكان يصدر الأمور عن إشارته ولا يمكنه من التصرف وليس له سوى الاسم والخطبة على المنابر فإنه كان قد انقطع خبره مدة نيف وعشرين سنة وجرت أحوال مختلفة في هذه المدة ثم قيل للقاضي محمد المذكور بعد تملكه واستيلائه على البلاد إن هشام بن الحكم في مسجد بقلعة رباح فأرسل إليه من أحضره وفوض الأمر إليه وجعل نفسه كالوزير بين يديه وفي هذه

الواقعة يقول الحافظ أبو محمد ابن حزم الظاهري في كتاب نقط العروس أخلوقة لم يقع في الدهر مثلها فإنه ظهر رجل يقال له خلف الحصري بعد نيف وعشرين سنة من موت هشام ابن الحكم المنعوت بالمؤيد وادعى أنه هشام فبويع وخطب له على جميع منابر الأندلس في أوقات شتى وسفك الدماء وتصادمت الجيوش في أمره وأقام المدعي أنه هشام نيفا وعشرين سنة والقاضي محمد بن إسماعيل في رتبة الوزير بين يديه والأمر إليه ولم يزل الأمر كذلك إلى أن توفي المدعو هشاما فاستبد القاضي محمد بالأمر بعده وكان من أهل العلم والأدب والمعرفة التامة بتدبير الدول ولم يزل ملكا مستقلا إلى أن توفي ليلة الأحد لليلة بقيت من جمادى
23 الأولى سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة وقيل إنه عاش إلى قريب الخمسين وأربعمائة ودفن بقصر إشبيلية واختلفوا أيضا في مبدإ استيلائه فقيل سنة أربع عشرة وأربعمائة وهو الذي ذكره العماد الكاتب في الخريدة وقيل أربع وعشرين والله أعلم بالصواب في ذلك كله 205 ولما مات محمد القاضي قام مقامه ولده المعتضد بالله أبو عمرو عباد قال أبو الحسن علي بن بسام صاحب كتاب الذخيرة في حقه ثم أفضى الأمر إلى عباد سنة ثلاث وثلاثين وتسمى أولا بفخر الدولة ثم بالمعتضد قطب رحى الفتنة ومنتهى غاية المحنة من رجل لم يثبت له قائم ولا حصيد ولا سلم منه قريب ولا بعيد جبار أبرم الأمر وهو متناقض

وأسد فرس الطلا وهو رابض متهور تتحاماه الدهاة وجبان لا تأمنه الكماة متعسف اهتدى ومنبت قطع فما أبقى ثار والناس حرب وضبط شأنه بين قائم وقاعد حتى طالت يده واتسع بلده وكثر عديده وعدده وكان قد أوتي أيضا من جمال الصورة وتمام الخلقة وفخامة الهيئة وسباطة البنان وثقوب الذهن وحضور الخاطر وصدق الحس ما فاق على نظرائه ونظر مع ذلك في الأدب قبل ميل الهوى به إلى طلب السلطان أدنى نظر بأزكى طبع حصل منه لثقوب ذهنه على قطعة وافرة علقها من غير تعمد لها ولا إمعان في غمارها ولا إكثار من مطالعتها ولا منافسة في اقتناء صحائفها أعطته سجيته على ذلك ما شاء من تحبير الكلام وقرض قطع من الشعر ذات طلاوة في معان أمدته فيها الطبيعة وبلغ فيها الإرادة واكتتبها الأدباء للبراعة جمع هذه الخلال الظاهرة إلى جود كف بارى السحاب بها وأخبار المعتضد في جميع أفعاله وضروب أنحائه غريبة بديعة وكان ذا كلف بالنساء فاستوسع في اتخاذهن وخلط في جنوسهن فانتهى في ذلك إلى مدى لم يبلغه أحد من نظرائه ففشا نسله لتوسعه في النكاح وقوته عليه فذكر أنه كان له من الولد نحو العشرين ذكورا ومن الإناث مثلهم وأورد له عدة مقاطيع فمن ذلك قوله (شربنا وجفن الليل يغسل كحله * بماء صباح والنسيم رقيق) (معتقة كالتبر أما نجارها * فضخم وأما جسمها فدقيق)

24 وقد تقدم في ترجمة أبي بكر محمد بن عمار الأندلسي ذكر شيء من قصيدتيه اللتين مدح المعتضد المذكور بهما إحداهما رائية والأخرى ميمية ولولده المعتمد فيه من جملة أبيات (سميدع يهب الآلاف مبتدئا * ويستقل عطاياه ويعتذر) (له يد كل جبار يقبلها * لولا نداها لقلنا إنها الحجر) ولم يزل في عز سلطانه واغتنام مساره حتى أصابته علة الذبحة فلم تطل مدتها ولما أحس بتداني حمامه استدعى مغنيا يغنيه ليجعل ما يبدأ به فألا فأول ما غنى (نطوي الليالي علما أن ستطوينا * فشعشعيها بماء المزن واسقينا) فتطير من ذلك ولم يعش بعده سوى خمسة أيام وقيل إنه ما غنى منها إلا بخمسة أبيات وتوفي يوم الاثنين غرة جمادى الآخرة سنة إحدى وستين وأربعمائة ودفن ثاني يوم بمدينة إشبيلية رحمه الله تعالى وقام بالمملكة بعده ولده المعتمد على الله أبو القاسم محمد قال أبو الحسن علي بن القطاع السعدي المقدم ذكره في كتاب لمح الملح في حق المعتمد المذكور أندى ملوك الأندلس راحة وأرحبهم ساحة وأعظمهم ثمادا وأرفعهم عمادا ولذلك كانت حضرته ملقى الرحال وموسم الشعراء وقبلة الآمال ومألف الفضلاء حتى إنه لم يجتمع بباب أحد من ملوك عصره من أعيان الشعراء وأفاضل الأدباء ما كان يجتمع ببابه وتشتمل عليه حاشيتا جنابه

25 وقال ابن بسام في الذخيرة وللمعتمد بن عباد شعر كما انشق الكمام عن الزهر لو صدر مثله عمن جعل

الشعر صناعة واتخذه بضاعة لكان رائقا معجبا ونادرا مستغربا فمن ذلك قوله (أكثرت هجرك غير أنك ربما * عطفتك أحيانا علي أمور) (فكأنما زمن التهاجر بيننا * ليل وساعات الوصال بدور) وهذا المعنى ينظر إلى قول بعضهم من جملة أبيات (أسفر ضوء الصبح عن وجهه * فقام خال الخد فيه بلال) (كأنما الخال على خده * ساعة هجر في زمان الوصال) وعزم المعتمد على إرسال حظاياه من قرطبة إلى إشبيلية فخرج معهن يشيعهن فسايرهن من أول الليل إلى الصبح فودعهن ورجع وأنشد أبياتا من جملتها (سايرتهم والليل غفل ثوبه * حتى تبدى للنواظر معلما) (فوقفت ثم مودعا وتسلمت * مني يد الإصباح تلك الأنجما) وهذا المعنى في نهاية الحسن وله في وداعهن أيضا (ولما وقفنا للوداع غدية * وقد خفقت في ساحة القصر رايات) (بكينا دما حتى كأن عيوننا * بجري الدموع الحمر منها جراحات) وهذا ينظر إلى قول القائل (بكيت دما حتى لقد قال قائل * أهذا الفتى من جفن عينيه يرعف)

26 وقد سبق في شعر الأبيوردي نظيره ومن شعره أيضا (لولا عيون من الواشين ترمقني * وما أحاذره من قول حراس) (لزرتكم لا أكافيكم بجفوتكم * مشيا على الوجه أو سعيا على الراس) وكتب إلى ندامائه من قصره بقرطبة وقد اصطبحوا بالزهراء يدعوهم إلى الاغتباق عنده (حسد القصر فيكم الزهراء * ولعمري

وعمركم ما أساء) (قد طلعتم بها شموسا نهارا *
فاطلعوا عندنا بدورا مساء) وهذا من بديع المعاني العجيبة والزهراء بفتح الزاي وسكون الهاء وفتح الراء وبعدها همزة ممدودة وهي من عجائب أبنية الدنيا أنشأها أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الملقب الناصر أحد ملوك بني أمية بالأندلس بالقرب من قرطبة في أول سنة خمس وعشرين وثلثمائة ومسافة ما بينهما أربعة أميال وثلثا ميل وطول الزهراء من الشرق إلى الغرب ألفان وسبعمائة ذراع وعرضها من القبلة إلى الجنوب ألف وخمسمائة ذراع وعدد السواري التي فيها أربعة آلاف سارية وثلثمائة سارية وعدد أبوابها يزيد على خمسة عشر ألف باب وكان الناصر يقسم جباية البلاد أثلاثا فثلث للجند وثلث مدخر وثلث ينفقه على عمارة الزهراء وكانت جباية الأندلس يومئذ خمسة آلاف ألف دينار وأربعمائة ألف وثمانين ألف دينار ومن السوق والمستخلص سبعمائة ألف وخمسة وستون ألف دينار وهي من أهول ما بناه الإنس وأجله خطرا وأعظمه شأنا ذكر ذلك كله ابن بشكوال المقدم ذكره في حرف الخاء في تاريخ الأندلس

27 وكان أبو بكر محمد بن عيسى بن محمد اللخمي الداني الشاعر المشهور مائلا إلى بني عباد بطبعه إذ كان المعتمد الذي جذب بضبعه وله فيه المدائح الأنيقة فمن ذلك قصيدة يمدحه بها ويذكر أولاده الأربعة وهم الرشيد عبيد

الله والراضي يزيد والمأمون والمؤتمن ومن جملتها قوله
ولقد أجاد فيه كل الإجادة وأبدع فيه (يغيثك في محل
يغيثك في ردى * يروعك في درع يروقك في برد) (
جمال وإجمال وسبق وصولة * كشمس الضحى كالمزن
كالبرق كالرعد) (بمهجته شاد العلا ثم زادها * بناء
بأبناء جحاجحة لد) (بأربعة مثل الطباع تركبوا *
لتعديل جسم المجد والشرف العد) ومع هذه المكارم
والإحسان العام لم يسلموا من لسان طاعن وفيهم يقول أبو
الحسن جعفر بن إبراهيم بن الحاج اللورقي (تعز عن
الدنيا ومعروف أهلها * إذا عدم المعروف في آل عباد)
(حللت بهم ضيفا ثلاثة أشهر * بغير قرى ثم ارتحلت بلا
زاد) وكان الأذفونش فرذلند ملك الإفرنج بالأندلس قد
قوي أمره في ذلك الوقت وكانت ملوك الطوائف من
المسلمين هنالك يصالحونه ويؤدون إليه ضريبة ثم إنه أخذ
طليطلة في يوم الثلاثاء مستهل صفر سنة ثمان وسبعين
وأربعمائة بعد حصار شديد وكانت للقادر بالله بن ذي
النون وفي أخذها يقول أبو محمد عبد الله بن فرج بن
غزلون اليحصبي يعرف بابن العسال الطليطلي وهو
مذكور في الصلة لابن بشكوال
28 (حثوا رواحلكم يا أهل أندلس * فما المقام بها
إلا من الغلط) (السلك ينثر من أطرافه وأرى * سلك
الجزيرة منثورا من الوسط) (من جاور الشر لم يأمن
عواقبه * كيف الحياة مع الحيات في سفط) وكان المعتمد

بن عباد أكبر ملوك الطوائف وأكثرهم بلادا وكان يؤدي الضريبة للأذفونش فلما ملك طليطلة لم يقبل ضريبة المعتمد طمعا في أخذ بلاده وأرسل إليه يتهدده ويقول له تنزل عن الحصون التي بيدك ويكون لك السهل فضرب المعتمد الرسول وقتل من كان معه فبلغ الخبر للأذفونش وهو متوجه لحصار قرطبة فرجع إلى طليطلة لأخذ آلات الحصار فلما سمع مشايخ الإسلام وفقهاؤها بذلك اجتمعوا وقالوا هذه مدن الإسلام قد تغلب عليها الفرنج وملوكنا مشتغلون بمقاتلة بعضهم بعضا وإن استمرت الحال ملك الفرنج جميع البلاد وجاءوا إلى القاضي عبيد الله بن محمد بن أدهم وفاوضوه فيما نزل بالمسلمين وتشاوروا فيما يفعلونه فقال كل واحد منهم شيئا وآخر ما اجتمع رأيهم عليه أن يكتبوا إلى أبي يعقوب يوسف بن تاشفين ملك الملثمين صاحب مراكش يستنجدونه وسيأتي ذكره في حرف الياء إن شاء الله تعالى فاجتمع القاضي بالمعتمد وأخبره بما جرى فوافقهم على أنه مصلحة وقال له تمضي إليه بنفسك فامتنع فألزمه بذلك فقال أستخير الله سبحانه وخرج من عنده وكتب للوقت كتابا إلى يوسف بن تاشفين يخبره بصورة الحال وسيره مع بعض عبيده إليه فلما وصله خرج مسرعا إلى مدينة سبتة وخرج القاضي ومعه جماعة إلى سبتة للقائه وإعلامه بحال المسلمين فأمر بعبور عسكره

29   إلى الجزيرة الخضراء وهي مدينة في بر الأندلس وأقام بسبتة وهي في بر مراكش مقابلة الجزيرة الخضراء وسير إلى مراكش يستدعي من تخلف بها من جيشه فلما تكاملوا عنده أمرهم بالعبور وعبر آخرهم وهو في عشرة آلاف مقاتل واجتمع بالمعتمد وقد جمع أيضا عساكره وتسامع المسلمون بذلك فخرجوا من كل البلاد طلبا للجهاد وبلغ الأذفونش الخبر وهو بطليطلة فخرج في] أربعين ألف فارس غير ما انضم إليه وكتب الأذفونش إلى الأمير يوسف كتابا يتهدده وأطال الكتاب فكتب يوسف الجواب في ظهره الذي يكون ستراه ورده إليه فلما وقف عليه ارتاع لذلك وقال هذا رجل عازم ثم سار الجيشان والتقيا في مكان يقال له الزلاقة من بلد بطليوس وتصافا وانتصر المسلمون وهرب الأذفونش بعد استئصال عساكره ولم يسلم معه سوى نفر يسير وذلك يوم الجمعة في العشر الأول من شهر رمضان المعظم سنة تسع وسبعين وأربعمائة كذا قال بعضهم والصحيح أن هذه الوقعة كانت في منتصف رجب من السنة المذكورة وهذا العام يؤرخ به في بلاد الأندلس كلها فيقال عام الزلاقة وهذه الواقعة من أشهر الوقائع وثبت المعتمد في ذلك اليوم ثباتا عظيما وأصابه عدة جراحات في وجهه وبدنه وشهد له بالشجاعة وغنم المسلمون دوابهم وسلاحهم ورجع الأمير يوسف إلى بلاده والمعتمد إلى بلاده ثم إن الأمير يوسف عاد إلى الأندلس في العام الثاني وخرج إليه

المعتمد وحاصرا بعض حصون الفرنج فلم يقدرا عليه فرحلا عنه وعبر يوسف على غرناطة فخرج إليه صاحبها عبد الله بن بلكين ثم دخل البلد ليخرج إليه التقادم فغدر به يوسف ودخل البلد وأخرج عبد الله ودخل قصره فوجد فيه

30 من الأموال والذخائر ما لا يحد ولا يحصى ثم رجع إلى مراكش وقد أعجبه حسن بلاد الأندلس وبهجتها وما بها من المباني والبساتين والمطاعم وسائر أصناف الأموال التي لا توجد في مراكش فإنها بلاد بربر وأجلاف العربان وجعل خواص الأمير يوسف يعظمون عنده بلاد الأندلس ويحسنون له أخذها ويغرون قلبه على المعتمد بأشياء نقلوها عنه فتغير عليه وقصده فلما انتهى إلى سبتة جهز إليه العساكر وقدم عليها سير بن أبي بكر الأندلسي فوصل إلى إشبيلية وبها المعتمد فحاصره أشد محاصرة وظهر من مصابرة المعتمد وشدة بأسه وتراميه على الموت بنفسه ما لم يسمع بمثله والناس بالبلد قد استولى عليهم الفزع وخامرهم الجزع يقطعون سبلها سياحة ويخوضون نهرها سباحة ويترامون من شرفات الأسوار فلما كان يوم الأحد العشرين من رجب سنة أربع وثمانين وأربعمائة هجم عسكر الأمير يوسف البلد وشنوا فيه الغارات ولم يتركوا لأحد شيئا وخرج الناس من منازلهم يسترون عوراتهم بأيديهم وقبض على المعتمد وأهله وكان قد قتل له ولدان قبل ذلك أحدهما المأمون وكان ينوب عن

والده في قرطبة فحصروه بها إلى أن أخذوه وقتلوه والثاني الراضي كان أيضا نائبا عن أبيه في رندة وهي من الحصون المنيعة فنازلوها وأخذوها وقتلوا الراضي ولأبيهما المعتمد فيهما مراث كثيرة وبعد ذلك جرى بإشبيلية على المعتمد ما ذكرناه ولما أخذ المعتمد قيدوه من ساعته وجعل مع أهله في سفينة قال ابن خاقان في قلائد العقيان في هذا الموضع ثم جمع هو وأهله وحملتهم الجواري المنشآت وضمتهم كأنهم أموات بعدما ضاق عنهم القصر وراق منهم العصر والناس قد حشروا
31 بضفتي الوادي يبكون بدموع الغوادي فساروا والنوح يحدوهم والبوح باللوعة لا يعدوهم وفي ذلك يقول أبو بكر محمد بن عيسى الداني المعروف بابن اللبانة (تبكي السماء بدمع رائح غادي * على البهاليل من أبناء عباد) ومن جملتها (يا ضيف أقفر بيت المكرمات فخذ * في ضم رحلك واجمع فضلة الزاد) وهي قصيدة طويلة لا حاجة إلى ذكرها وفي هذه الحال وصفتها يقول أبو محمد عبد الجبار بن حمديس الصقلي الشاعر المشهور المقدم ذكره (ولما رحلتم بالندى في أكفكم * وقلقل رضوى منكم وثبير) (رفعت لساني بالقيامة قد دنت * فهذي الجبال الراسيات تسير) وهي أبيات كثيرة وهذا المعنى مأخوذ من قول عبد الله بن المعتز في أبي العباس أحمد بن محمد بن الفرات الوزير وقد مات (قد استوى الناس ومات الكمال * وصاح صرف الدهر أين الرجال)

(هذا أبو العباس في نعشه * قوموا انظروا كيف تسير الجبال) وقيل إنه أنشدها لما مات الوزير أبو القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب والله أعلم بالصواب ثم وجدت القول الثاني هو الصحيح والله أعلم وتألم المعتمد يوما من قيده وضيقه وثقله فأنشد

32 (تبدلت من ظل عز البنود * بذل الحديد وثقل القيود) (وكان حديدي سنانا ذليقا * وعضبا رقيقا صقيل الحديد) (وقد صار ذاك وذا أدهما * يعض بساقي عض الأسود) ثم إنهم حملوا إلى الأمير يوسف بمراكش فأمر بإرسال المعتمد إلى مدينة أغمات واعتقله بها ولم يخرج منها إلى الممات قال ابن خاقان ولما أجلي عن بلاده وأعري من طارفه وتلاده وحمل في السفين وأحل في العدوة محل الدفين تندبه منابره وأعواده ولا يدنو منه زواره ولا عواده بقي آسفا تتصعد زفراته وتطرد اطراد المذانب عبراته ولا يخلو بمؤانس ولا يرى إلا عرينا بدلا من تلك المكانس ولما لم يجد سلوا ولم يؤمل دنوا ولم ير وجه مسرة مجلوا تذكر منازله فشاقته وتصور بهجتها فراقته وتخيل استيحاش أوطانه وإجهاش قصره إلى قطانه وإظلام جوه من أقماره وخلوه من حراسه وسماره وفي اعتقاله يقول أبو بكر الداني المذكور قصيدته المشهورة التي أولها (لكل شيء من الأشياء ميقات * وللمنى من مناياهن غايات) (والدهر في صبغة الحرباء منغمس * ألوان حالاته فيها استحالات) (ونحن من لعب الشطرنج

في يده * وربما قمرت بالبيدق الشاة) قلت هذا غلط فإن الشاه بالهاء الملك بالعجمي وإذا كان كذلك فلا تسلم له القافية لأنها على حرف التاء ثم قال (انفض يديك من الدنيا وساكنها * فالأرض قد أقفرت والناس قد ماتوا) (وقل لعالمها الأرضي قد كتمت * سريرة العالم العلوي أغمات)

33 وهي طويلة تقارب خمسين بيتا وله أيضا في حبسه قصيدة عملها بأغمات سنة ست وثمانين وأربعمائة (تنشق رياحين السلام فإنما * أفض بها مسكا عليك مختما) (وقل لي مجازا إن عدمت حقيقة * لعلك في نعمى وقد كنت منعما) (أفكر في عصر مضى لك مشرقا * فيرجع ضوء الصبح عندي مظلما) (وأعجب من أفق المجرة إذ رأى * كسوفك شمسا كيف أطلع أنجما) (لئن عظمت فيك الرزية أننا * وجدناك منها في المزية أعظما) (قناة سعت للطعن حتى تقصدت * وسيف أطال الضرب حتى تثلما) ومنها (بكى آل عباد ولا كمحمد * وأبنائه صوب الغمامة إذ همى) (حبيب إلى قلبي حبيب لقوله * عسى طلل يدنو بهم ولعلما) (صباحهم كنا بهم نحمد السرى * فلما عدمناهم سرينا على عمى) (وكنا رعينا العز حول حماهم * فقد أجدب المرعى وقد أقفر الحمى) (وقد ألبست أيدي الليالي محلهم * مناسج سدى الغيث فيها وألحما) (قصور خلت من ساكنيها فما بها * سوى الأدم تمشي حول واقعة الدمى

(يجيب بها الهام الصدى ولطالما * أجاب القيان الطائر المترنما) (كأن لم يكن فيها أنيس ولا التقى * بها الوفد جمعا والخميس عرمرما) ومنها (حكيت وقد فارقت ملكك مالكا * ومن ولهي أحكي عليك متمما) (مصاب هوى بالنيرات من العلا * ولم يبق في أرض المكارم معلما) (تضيق علي الأرض حتى كأنما * خلقت وإياها سوارا ومعصما)

34 (ندبتك حتى لم يخل لي الأسى * دموعا بها أبكي عليك ولا دما) (وإني على رسمي مقيم فإن أمت * سأجعل للباكين رسمي موسما) (بكاك الحيا والريح شقت جيوبها * عليك وناح الرعد باسمك معلما) (ومزق ثوب البرق واكتست الضحى * حدادا وقامت أنجم الجو مأتما) (وحار ابنك الإصباح وجدا فما اهتدى * وغاض أخوك البحر غيضا فما طما) (وما حل بدر التم بعدك دارة * ولا أظهرت شمس الظهيرة مبسما) (قضى الله أن حطوك عن ظهر أشقر * أشم وأن أمطوك أشأم أدهما) وكان قد انفكت عنه القيود فأشار إلى ذلك بقوله منها (قيودك ذابت فانطلقت لقد غدت * قيودك منهم بالمكارم أرحما) (عجبت لأن لان الحديد وقد قسوا * لقد كان منهم بالسريرة أعلما) (سينجيك من نجى من الجب يوسفا * ويؤويك من آوى المسيح بن مريما) وله في البكاء على أيامهم وانتثار نظامهم عدة مقاطيع وقصائد مطولات يشتمل عليها جزء لطيف صدر عنه في صورة

تأليف وهيئة تصنيف سماه نظم السلوك في وعظ الملوك
ووفد على المعتمد وهو بأغمات وفادة وفاء لا وفادة
استجداء وحكي أنه لما عزم على الانفصال عنه بعث إليه
المعتمد عشرين دينارا وشقة بغدادية وكتب معها (إليك
النزر من كف الأسير * فإن تقبل يكن عين الشكور) (
تقبل ما يذوب له حياء * وإن عذرته أحوال الفقير) وهي
عدة أبيات قال أبو بكر المذكور فرددتها إليه لعلمي بحاله
وأنه لم يترك عنده شيئا وكتبت إليه جوابها وهو
35 (سقطت من الوفاء على خبير * فذرني والذي
لك في ضميري) (تركت هواك وهو شقيق نفسي * لئن
شقت برودي عن غدور) (ولا كنت الطليق من الرزايا
* لئن أصبحت أجحف بالأسير) (جذيمة أنت والزباء
خانت * وما أنا من يقصر عن قصير) (أسير ولا أسير
إلى اغتنام * معاذ الله من سوء المصير) (أنا أدرى
بفضلك منك إني * لبست الظل منه في الحرور) ومنها
أيضا قوله (تصرف في الندى خيل المعالي * فتسمح من
قليل بالكثير) (وأعجب منك أنك في ظلام * وترفع
للعفاة منار نور) (رويدك سوف توسعني سرورا * إذا
عاد ارتقاؤك للسرير) (وسوف تحلني رتب المعالي *
غداة تحل في تلك القصور) (تزيد على ابن مروان
عطاء * بها وأزيد ثم على جرير) (تأهب أن تعود إلى
طلوع * فليس الخسف ملتزم البدور) ودخل عليه يوما
بناته السجن وكان يوم عيد وكن يغزلن للناس بالأجرة في

أغمات حتى إن إحداهن غزلت لبيت صاحب الشرطة الذي كان في خدمة أبيها وهو في سلطانه فرآهن في أطمار رثة وحالة سيئة فصدع عن قلبه وأنشد (فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا * فساءك العيد في أغمات مأسورا) (نرى بناتك في الأطمار جائعة * يغزلن للناس لا يملكن قطميرا)
36 (برزن نحوك للتسليم خاشعة * أبصارهن حسيرات مكاسيرا) (يطأن في الطين والأقدام حافية * كأنها لم تطأ مسكا وكافورا) ومنها أيضا (لا خد إلا ويشكو الجدب ظاهره * وليس إلا مع الأنفاس ممطورا) (قد كان دهرك إن تأمره ممتثلا * فردك الدهر منهيا ومأمورا) (من بات بعدك في ملك يسر به * فإنما بات بالأحلام مغرورا) ودخل عليه وهو في تلك الحال ولده أبو هاشم والقيود قد عضت بساقيه عض الأسود والتوت عليه التواء الأساود السود وهو لا يطيق إعمال قدم ولا يريق دمعا إلا ممتزجا بدم بعد ما عهد نفسه فوق منبر وسرير وفي وسط جنة وحرير تخفق عليه الألوية وتشرق منه الأندية فلما رآه بكى وعمل (قيدي أما تعلمني مسلما * أبيت أن تشفق أو ترحما) (دمي شراب لك واللحم قد * أكلته لا تهشم الأعظما) (يبصرني فيك أبو هاشم * فينثني والقلب قد هشما) (ارحم طفيلا طائشا لبه * لم يخش أن يأتيك مسترحما) (وارحم أخيات له مثله * جرعتهن السم والعلقما) (منهن من يفهم شيئا فقد * خفنا

عليه للبكاء العمى) (والغير لا يفهم شيئا فما * يفتح إلا لرضاع فما) وكان قد اجتمع عنده جماعة من الشعراء وألحوا عليه في السؤال وهو على تلك الحال فأنشد (سألوا اليسير من الأسير وإنه * بسؤالهم لأحق منهم فاعجب)

37 (لولا الحياء وعزة لخمية * طي الحشا لحكاهم في المطلب) وأشعار المعتمد وأشعار الناس فيه كثيرة وقد جاوزنا الحد في تطويل ترجمته وسببه أن قضيته غريبة لم يعهد مثلها ودخل فيها حديث أبيه وجده فطالت وكانت ولادته في شهر ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة بمدينة باجة من بلاد الأندلس وملك بعد وفاة أبيه في التاريخ المذكور هناك وخلع في التاريخ المقدم ذكره وتوفي في السجن بأغمات لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال وقيل في ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة رحمه الله تعالى ومن النادر الغريب أنه نودي في جنازته بالصلاة على الغريب بعد عظم سلطانه وجلالة شانه فتبارك من له البقاء والعزة والكبرياء واجتمع عند قبره جماعة من الشعراء الذين كانوا يقصدونه بالمدائح ويجزل لهم المنائح فرثوه بقصائد مطولات وأنشدوها عند قبره وبكوا عليه فمنهم أبو بحر عبد الصمد شاعره المختص به رثاه بقصيدة طويلة أجاد فيها وأولها (ملك الملوك أسامع فأنادي * أم قد عدتك عن السماع عوادي) (لما نقلت عن القصور ولم تكن * فيها كما قد كنت في

الأعياد) (أقبلت في هذا الثرى لك خاضعا * وجعلت قبرك موضع الإنشاد) ولما فرغ من إنشادها قبل الثرى ومرغ جسمه وعفر خده فأبكى كل من حضر ويحكى أن رجلا رأى في منامه إثر الكائنة عليه كأن رجلا صعد منبر جامع قرطبة واستقبل الناس وأنشد (رب ركب قد أناخوا عيسهم * في ذرى مجدهم حين بسق)
38 (سكت الدهر زمانا عنهم * ثم أبكاهم دما حين نطق) ورأى أبو بكر الداني حفيد المعتمد وهو غلام وسيم قد اتخذ الصياغة صناعة وكان يلقب في أيام دولتهم فخر الدولة وهو من الألقاب السلطانية عندهم فنظر إليه وهو ينفخ الفحم بقصبة الصائغ فقال من جملة قصيدة (شكاتنا فيك يا فخر العلا عظمت * والرزء يعظم فيمن قدره عظما) (طوقت من نائبات الدهر مخنقة * ضاقت عليك وكم طوقتنا نعما) (وعاد طوقك في دكان قارعة * من بعدما كنت في قصر حكى إرما) (صرفت في آلة الصواغ أنملة * لم تدر إلا الندى والسيف والقلما) (يد عهدتك للتقبيل تبسطها * فتستقل الثريا أن تكون فما) (يا صائغا كانت العليا تصاغ له * حليا وكان عليه الحلي منتظما) (للنفخ في الصور هول ما حكاه سوى * أني رأيتك فيه تنفخ الفحما) (وددت إذ نظرت عيني عليك به * لو أن عيني تشكو قبل ذاك عمى) (ما حطك الدهر لما حط من شرف * ولا تحيف من أخلاقك الكرما) (لح في العلا كوكبا إن لم تلح قمرا * وقم بها ربوة إن لم تقم علما

((والله لو أنصفتك الشهب لانكسفت * ولو وفى لك دمع العين لانسجما) (أبكى حديثك حتى الدهر حين غدا * يحكيك رهطا وألفاظا ومبتسما) ولا حاجة إلى الزيادة على ما أودعناه هذه الترجمة واللورقي بضم اللام وسكون الواو والراء وبعدها قاف هذه النسبة إلى لورقة وهي مدينة بالأندلس وهذا الشاعر ذكره في الخريدة وقال عاش بعد الخمسمائة طويلا وأورد كثيرا من شعره وأغمات بفتح الهمزة وسكون الغين المعجمة وفتح الميم وبعد الألف تاء مثناة
39 من فوقها وهي بليدة وراء مراكش بينهما مسافة يوم وخرج منهما جماعة مشاهير 206 وأما أبو بكر ابن اللبانة المذكور فما رأيت تاريخ وفاته في شيء من الكتب ولا رأيت من يعلم ذلك لكن رأيت في كتاب الحماسة التي صنفها أبو الحجاج يوسف البياسي المذكور بعد هذا أن ابن اللبانة قدم ميورقة في آخر شعبان سنة تسع وثمانين وأربعمائة ومدح ملكها مبشر بن سليمان بأبيات أولها (ملك يروعك في حلى ريعانه * راقت برونقه صفات زمانه) وكنت أظن أنه مات قبل المعتمد لأني ما رأيت له فيه مرثية إلى أن رأيت ما قاله البياسي والله تعالى أعلم
687 المعتصم ابن صمادح الأندلسي أبو يحيى محمد بن معن بن محمد بن أحمد بن صمادح المنعوت بالمعتصم التجيبي صاحب المرية وبجاية والصمادحية من بلاد الأندلس 207 كان جده محمد بن أحمد بن صمادح صاحب

مدينة وشقة وأعمالها وذلك في أيام المؤيد هشام بن الحكم الأموي المذكور في ترجمة المعتمد بن عباد
40 فحاربه ابن عمه منذر بن يحيى التجيبي فاستظهر عليه وعجز عن دفعه لكثرة رجاله وترك له مدينة وشقة وفر بنفسه ولم يبق له بالبلد علقة وكان صاحب رأي ودهاء ولسان وعارضة لم يكن في أصحاب السيوف من يعدله في هذه الخلال في ذلك العصر 208
وكان ولده معن والد المعتصم مصاهرا لعبد العزيز بن أبي عامر صاحب بلنسية فلما قتل زهير مولى أبيه وكان صاحب المرية وثب عبد العزيز على المرية فملكها لكونها كانت لمولاهم فحسده على ذلك مجاهد بن عبد الله العامري المكني أبا الجيش صاحب دانية فخرج قاصدا بلاد عبد العزيز وهو بالمرية مشتغل في تركة زهير فلما سمع بخروج مجاهد خرج من المرية مبادرا لاستصلاحه واستخلف بها صهره ووزيره معن بن صمادح والد المعتصم فخانه في الأمانة وغدر به وطرده عن الإمارة فلم يبق في ملوك الطوائف بالأندلس أحد إلا ذمه على هذه الفعلة إلا أنه تم له الأمر واستتب فلما مات انتقل الملك إلى ولده المعتصم وتسمى بأسماء الخلفاء وكان رحب الفناء جزل العطاء حليما عن الدماء طافت به الآمال واتسع في مدحه المقال وأعملت إلى حضرته الرحال ولزمه جماعة من فحول الشعراء كأبي عبد الله ابن الحداد وغيره وله أشعار حسنة فمن ذلك ما كتبه إلى أبي بكر ابن

عمار الأندلسي المقدم ذكره يعاتبه (وزهدني في الناس معرفتي بهم * وطول اختباري صاحبا بعد صاحب) (فلم ترني الأيام خلا تسرني * بواديه إلا ساءني في العواقب) (ولا صرت أرجوه لدفع ملمة * من الدهر إلا كان إحدى النوائب) فكتب إليه ابن عمار جوابها وهي أبيات كثيرة فلا حاجة إلى ذكرها ومن شعره أيضا (يا من بجسمي لبعده سقم * ما منه غير الدنو يبريني)
41 (بين جفوني والنوم معترك * تصغر عنه حروب صفين) (إن كان صرف الزمان أبعدني * عنك فطيف الخيال يدنيني) ومن هنا أنشد بهاء الدين زهير بن محمد الكاتب المقدم ذكره قوله من جملة قصيدة (بين جفوني والكرى * مذ غبت عني معترك) وله غير ذلك مقاطيع كثيرة ولأبي عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم المعروف بالحداد القيسي من أهل المرية في مديحه قصائد بديعة فمن ذلك قصيدته التي أولها (لعلك بالوادي المقدس شاطئ * فكالعنبر الهندي ما أنا واطيء) (وإني من رياك واجد ريحهم * فروح الهوى بين الجوانح ناشيء) (ولي في السرى من نارهم ومنارهم * حداة هداة والنجوم طوافيء) (لذلك ما حنت ركابي وحمحمت * عرابي وأوحى سيرها المتباطيء) (فهل هاجها ما هاجني ولعلها * إلى الوجد من نيران قلبي لواجيء) (رويدا فذا وادي لبيني وإنه * لورد لباناتي وإني لظاميء) (ويا حبذا من آل لبنى مواطن * ويا

حبذا في أرض لبنى مواطيء) ميادين تهيامي ومسرح خاطري * فللشوق غايات بها ومبادئ) (ولا تحسبوا غيدا حوتها مقاصر * فتلك قلوب ضمنتها جآجئ)
42 (وفي الكلة الزرقاء مكلوء عزة * تحف به زرق العوالي الكواليء) (محاملة السلوان مبعث حسنه * فكل إلى دين الصبابة صابيء) ومنها أيضا (تمنى مدى قرطيه عفر توالع * وتهوى ضيا عينيه عين جوازيء) (وفي ملعب الصدغين أبيض ناصع * تخلله للحسن أحمر قانيء) (أفاتكة الألحاظ ناسكة الهوى * ورعت ولكن لحظ عينك خاطيء) (وآل الهوى جرحى ولكن دماؤهم * دموع هوام والجروح مآقيء) (وكيف أعاني كلم طرفك في الحشا * وليس لتمزيق المهند راقيء) (ومن أين أرجو برء نفسي من الجوى * وما كل ذي سقم من السقم باريء) ويخرج من هذا إلى المدح وهذه القصيدة طنانة طويلة وقصده أيضا من شعراء الأندلس أبو القاسم الأسعد بن بليطة وهو من فحول شعرائهم ومدحه بقصيدته الطائية التي أولها (برامة ريم زارني بعدما شطا * تقنصته في الحلم بالشط فاشتطا) (رعى من أناس في الحشا ثمر الهوى * جنيا ولم يرع العرار ولا الخمطا) ومنها (وقد ذاب كحل الليل في دمع فجره * إلى أن تبدى الصبح كاللمة الشمطا) (كأن الدجى جيش من الزنج نافر * وقد أرسل الإصباح في إثره القبطا) ومنها في صفة الديك

43 (كأن أنو شروان أعلاه تاجه * وناظت عليه كف مارية القرطا) (سبى حلة الطاوس حسن لباسه * ولم يكفه حتى سبى المشية البطا) ومنها أيضا (توهم عطف الصدغ نونا بخدها * فباتت بمسك الخال تنقطه نقطا) (غلامية جاءت وقد جعل الدجى * لخاتم فيها فص غالية خطا) (غدت تنقع المسواك في برد ثغرها * وقد ضمخت مسكا غدائرها المشطا) (فقلت أحاجيها بما في جفونها * وما في الشفاه اللعس من حسنها المعطى) (محيرة الألحاظ من غير سكرة * متى شربت ألحاظ عينيك إسفنطا) (أرى صفرة المسواك في حمرة اللمى * وشاربك المخضر بالمسك قد خطا) (عسى قزح قبلته فاخاله * على الشفة اللمياء قد جاء مختلطا) ومنها في المدح قوله (كأن أبا يحيى بن معن أجادها * فعلمها من كفه الوكف والبسطا) (تألف من در وشذر نجاره * فجاءت به العليا على جيدها سمطا) (إذا سار سار المجد تحت لوائه * فليس يحط المجد إلا إذا حطا) (رفيع عماد النار في الليل للسرى * فما يخبط العشواء طارقه خبطا) ومنها أيضا (أقول لركب يمموا مسقط الندى * وقد جاوز الركبان من دونك السقطا) (أفي المجد تبغي لابن معن مناقضا * ومن يوقد المصباح في الشمس قد أخطا) وهي قصيدة طويلة مقدار تسعين بيتا أحسن فيها ناظمها مع وعورة

44 مسلك حرف رويها وكان المعتصم المذكور قد اختص بمؤانسة الأمير يوسف بن تاشفين عند عبوره إلى جزيرة الأندلس حسبما شرحناه في ترجمة المعتمد بن عباد المذكور قبله وأقبل عليه أكثر من بقية ملوك الطوائف فلما تغيرت نية الأمير يوسف على المعتمد وجاهره المعتمد بالعصيان شاركه في ذلك المعتصم ووافقه على الخروج عن طاعته وعدم الانقياد لأمره فلما قصد الأمير يوسف بلاد الأندلس عزم على خلعهما وقبضهما قال ابن بسام في الذخيرة وكان بين المعتصم وبين الله سريرة أسلفت له عند الحمام يدا مشكورة فمات وليس بينه وبين حلول الفاقرة به إلا أيام يسيرة في سلطانه وبلده وبين أهله وولده حدثني من لا أرد خبره عن أروى بعض مسان حظايا أبيه قالت إني لعنده وهو يوصي بشانه وقد غلب على أكثر يده ولسانه ومعسكر أمير المسلمين تعني يوسف بن تاشفين يومئذ بحيث نعد خيماتهم ونسمع اختلاط أصواتهم إذ سمع وجبة من وجباتهم فقال لا إله إلا الله نغص علينا كل شيء حتى الموت قالت أروى فدمعت عيني فلا أنسى طرفا إلي يرفعه وإنشاده لي بصوت لا أكاد أسمعه (ترفق بدمعك لا تفنه * فبين يديك بكاء طويل) انتهى كلام ابن بسام وقال محمد بن أيوب الأنصاري في كتابه الذي صنفه للسلطان الملك الناصر صلاح الدين رحمه الله تعالى في سنة ثمان وستين وخمسمائة في ترجمة المعتصم بن صمادح المذكور بعد

أن ذكر طرفا من أخباره وشيئا من أشعاره وحكى صورة حصاره وقوله في مرضه نغص علينا كل شيء حتى الموت ومات يعني المعتصم في أثر ذلك عند طلوع الشمس يوم الخميس لثمان بقين من شهر ربيع الأول سنة أربع وثمانين وأربعمائة بالمرية رحمه الله تعالى ودفن في تربة له عند باب الخوخة

45 وصمادح بضم الصاد المهملة وفتح الميم وبعد الألف دال مكسورة ثم حاء مهملة وهو الشديد وبليطة والد أبي القاسم الأسعد الشاعر المذكور بكسر الباء الموحدة واللام المشددة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الطاء المهملة وبعدها هاء ساكنة ولا أعرف معناه وهو بلغة أعاجم الأندلس والتجيبي قد تقدم الكلام عليه وبجاية بفتح الباء الموحدة والجيم وبعد الألف ياء ثم هاء ساكنة وهي مدينة بالأندلس والمرية قد تقدم الكلام عليها والصمادحية منسوبة إلى صمادح المذكور ووشقة بفتح الواو وسكون الشين المعجمة وفتح القاف وبعدها هاء ساكنة بلدة بالأندلس أيضا والله أعلم 688 المهدي ابن تومرت أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت المنعوت بالمهدي الهرغي صاحب دعوة عبد المؤمن بن علي بالمغرب وقد تقدم في ترجمة عبد المؤمن طرف من خبره وكان ينتسب إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وجدت على

46 ظهر كتاب النسب للشريف العابد بخط بعض أهل الأدب من عصرنا نسب ابن تومرت المذكور فنقلته كما وجدته وهو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود ابن خالد بن تمام بن عدنان بن صفوان بن سفيان بن جابر بن يحيى بن عطاء بن رباح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما والله أعلم وهو من جبل السوس في أقصى بلاد المغرب ونشأ هناك ثم رحل إلى المشرق في شبيبته طالبا للعلم فانتهى إلى العراق واجتمع بأبي حامد الغزالي والكيا الهراسي والطرطوشي وغيرهم وحج وأقام بمكة مديدة وحصل طرفا صالحا من علم الشريعة والحديث النبوي وأصول الفقه والدين وكان ورعا ناسكا متقشفا مخشوشنا مخلولقا كثير الإطراق بساما في وجوه الناس مقبلا على العبادة لا يصحبه من متاع الدنيا إلا عصا وركوة وكان شجاعا فصيحا في لسان العربي والمغربي شديد الإنكار على الناس فيما يخالف الشرع لا يقنع في أمر الله بغير إظهاره وكان مطبوعا على الالتذاذ بذلك متحملا للأذى من الناس بسببه وناله بمكة شرفها الله تعالى شيء من المكروه من أجل ذلك فخرج منها إلى مصر وبالغ في الإنكار فزادوا في أذاه وطردته الدولة وكان إذا خاف من البطش وإيقاع الفعل به خلط في كلامه فينسب إلى الجنون فخرج من مصر إلى الإسكندرية وركب البحر متوجها إلى بلاده وكان قد رأى في منامه وهو في بلاد المشرق كأنه شرب

ماء البحر جميعه كرتين فلما ركب في السفينة شرع في تغيير المنكر على أهل السفينة وألزمهم بإقامة الصلوات وقراءة أحزاب من القرآن العظيم ولم يزل على ذلك حتى انتهى إلى المهدية إحدى مدن إفريقية وكان ملكها يومئذ الأمير يحيى بن تميم بن المعز ابن باديس الصنهاجي وذلك في سنة خمس وخمسمائة هكذا وجدته في تاريخ القيروان وقد تقدم في ترجمة الأمير تميم والد يحيى المذكور أن محمد بن تومرت المذكور اجتاز في أيام ولايته بإفريقية عند عوده من
47 المشرق وكنت وجدته كذا أيضا والله أعلم بالصواب ولم يرحل إلى المشرق مرتين حتى يحمل ذلك على دفعتين فإن كان عوده في سنة خمس كما ذكرناه فهو في ولاية الأمير يحيى لأن أباه الأمير تميما توفي سنة إحدى وخمسمائة كما تقدم في ترجمته وإنما نبهت عليه لئلا يتوهم الواقف عليه أنه فاتني ذلك وهو متناقض ورأيت في تاريخ القاضي الأكرم ابن القفطي وزير حلب وهو مرتب على السنين ما صورته في هذه السنة وكان آخر سنة إحدى عشرة وخمسمائة خرج محمد بن تومرت من مصر في زي الفقهاء بعد الطلب بها وبغيرها ووصل إلى بجاية والله أعلم بالصواب ولما وصل إلى المهدية نزل في مسجد معلق وهو على الطريق وجلس في طاق شارع إلى المحجة ينظر إلى المارة فلا يرى منكرا من آلة الملاهي أو أواني الخمر إلا نزل إليها وكسرها فتسامع به

الناس في البلد فجاءوا إليه وقرأوا عليه كتبا من أصول الدين وبلغ خبره الأمير يحيى فاستدعاه مع جماعة من الفقهاء فلما رأى سمته وسمع كلامه أكرمه وأجله وسأله الدعاء فقال له أصلحك الله لرعيتك ولم يقم بعد ذلك بالمهدية إلا أياما يسيرة ثم انتقل إلى بجاية وأقام بها مدة وهو على حاله في الإنكار فأخرج منها إلى بعض قراها واسمها ملالة فوجد بها عبد المؤمن بن علي القيسي المقدم ذكره ورأيت في كتاب المغرب عن سيرة ملوك المغرب أن محمد بن تومرت كان

48 قد اطلع من علوم أهل البيت على كتاب يسمى الجفر وأنه رأى فيه صفة رجل يظهر بالمغرب الأقصى بمكان يسمى السوس وهو من ذرية رسول الله يدعو إلى الله يكون مقامه ومدفنه بموضع من المغرب يسمى باسم هجاء حروفه ت ي ن م ل ورأى فيه أيضا أن استقامة ذلك الأمر واستيلاءه وتمكنه يكون على يد رجل من أصحابه هجاء اسمه ع ب د م و م ن ويجاوز وقته المائة الخامسة للهجرة فأوقع الله سبحانه وتعالى في نفسه أنه القائم بأول الأمر وأن أوانه قد أزف فما كان محمد يمر بموضع إلا سأل عنه ولا يرى أحدا إلا أخذ اسمه وتفقد حليته وكانت حلية عبد المؤمن معه فبينما هو في الطريق رأى شابا قد بلغ أشده على الصفة التي معه فقال له محمد وقد تجاوزه ما اسمك يا شاب فقال عبد المؤمن فرجع إليه وقال له الله أكبر أنت بغيتي فنظر في حليته فوافقت ما عنده فقال له

ممن أنت فقال من كومية قال أين مقصدك فقال الشرق فقال ما تبغي قال أطلب علما وشرفا قال وجدت علما وشرفا وذكرا اصحبني تنله فوافقه على ذلك فألقى محمد إليه أمره وأودعه سره وكان محمد قد صحب رجلا يسمى عبد الله الونشريسي ففاوضه فيما عزم عليه من القيام فوافقه على ذلك أتم موافقة وكان الونشريسي ممن تهذب وقرأ فقها وكان جميلا فصيحا في لغة العرب وأهل المغرب فتحدثا يوما في كيفية الوصول إلى الأمر المطلوب فقال محمد لعبد الله أرى أن تستر ما أنت عليه من العلم والفصاحة عن الناس وتظهر من العجز واللكن والحصر والتعري عن الفضائل ما تشتهر به عند الناس لنتخذ الخروج عن ذلك واكتساب العلم والفصاحة دفعة واحدة ليقوم ذلك مقام المعجزة عند حاجتنا إليه فنصدق فيما نقوله ففعل عبد الله ذلك ثم إن محمدا استدنى أشخاصا من أهل الغرب أجلادا في القوى الجسمانية أغمارا وكان أميل إلى الأغمار من أولي الفطن والاستبصار فاجتمع له منهم

49 ستة سوى عبد الله الونشريسي ثم إنه رحل إلى أقصى المغرب واجتمع بعبد المؤمن بعد ذلك وتوجهوا جميعا إلى مراكش وملكها يومئذ أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين وقد سبق ذكر والده في ترجمة المعتمد بن عباد والمعتصم بن صمادح وكان ملكا عظيما حليما ورعا عادلا متواضعا وكان بحضرته رجل يقال له مالك

بن وهيب الأندلسي وكان عالما صالحا فشرع محمد في الإنكار على جاري عادته حتى أنكر على ابنة الملك وله في ذلك قصة يطول شرحها وبلغ الملك خبره وأنه يتحدث في تغيير الدولة فتحدث مالك بن وهيب في أمره وقال نخاف من فتح باب يعسر علينا سده والرأي أن يحضر هذا الشخص وأصحابه لنسمع كلامهم بحضور جماعة من علماء البلد فأجاب الملك إلى ذلك وكان محمد وأصحابه مقيمين في مسجد خراب خارج البلد فطلبوهم فلما ضمهم المجلس قال الملك لعلماء بلده سلوا هذا الرجل ما يبغي منا فانتدب له قاضي المرية واسمه محمد بن أسود فقال ما هذا الذي يذكر عنك من الأقوال في حق الملك العادل الحليم المنقاد إلى الحق المؤثر طاعة الله تعالى على هواه فقال له محمد أما ما نقل عني فقد قلته ولي من ورائه أقوال وأما قولك إنه يؤثر طاعة الله تعالى على هواه وينقاد إلى الحق فقد حضر اعتبار

50 صحة هذا القول عنه ليعلم بتعريه عن هذه الصفة أنه مغرور بما تقولون له وتضرونه به مع علمكم أن الحجة عليه متوجهة فهل بلغك يا قاضي أن الخمرة تباع جهارا وتمشي الخنازير بين المسلمين وتؤخذ أموال اليتامى وعدد من ذلك شيئا كثيرا فلما سمع الملك كلامه ذرفت عيناه وأطرق حياء ففهم الحاضرون من فحوى كلامه أنه طامع في المملكة لنفسه ولما رأوا سكوت الملك وانخداعه لكلامه لم يتكلم أحد منهم فقال مالك بن وهيب

وكان كثير الاجتراء على الملك أيها الملك إن عندي لنصيحة إن قبلتها حمدت عاقبتها وإن تركتها لم تأمن غائلتها فقال الملك ما هي قال إني خائف عليك من هذا الرجل وأرى أنك تعتقله وأصحابه وتنفق عليهم كل يوم دينارا لتكتفي شره وإن لم تفعل ذلك لتنفقن عليه خزائنك كلها ثم لا ينفعك ذلك فوافقه الملك على ذلك فقال له وزيره يقبح منك أن تبكي من موعظة هذا الرجل ثم تسيء إليه في مجلس واحد وأن يظهر منك الخوف منه مع عظم ملكك وهو رجل فقير لا يملك سد جوعه فلما سمع الملك كلامه أخذته عزة النفس واستهون أمره وصرفه وسأله الدعاء وحكى صاحب كتاب المغرب في أخبار أهل المغرب أنه لما خرج من عند الملك لم يزل وجهه تلقاء وجهه إلى أن فارقه فقيل له نراك قد تأدبت مع الملك إذ لم توله ظهرك فقال أردت أن لا يفارق وجهي الباطل حتى أغيره ما استطعت انتهى كلامه فلما خرج محمد وأصحابه من عند الملك قال لهم لا مقام لنا بمراكش مع وجود مالك بن وهيب فما نأمن من أن يعاود الملك في أمرنا فينالنا منه مكروه وإن لنا بمدينة أغمات أخا في الله فنقصد المرور به فلن نعدم منه رأيا ودعاء صالحا واسم هذا الشخص عبد الحق بن إبراهيم وهو من فقهاء
51 المصامدة فخرجوا إليه ونزلوا عليه وأخبره محمد خبرهم وأطلعه على مقصدهم وما جرى لهم عند الملك فقال عبد الحق هذا الموضع لا يحميكم وإن أحصن

المواضع المجاورة لهذا البلد تين مل وبيننا وبينها مسافة يوم في هذا الجبل فانقطعوا فيه برهة ريثما ينسى ذكركم فلما سمع محمد بهذا الاسم تجدد له ذكر اسم الموضع الذي رآه في كتاب الجفر فقصده مع أصحابه فلما أتوه رآهم أهله على تلك الصورة فعلموا أنهم طلاب العلم فقاموا إليهم وأكرموهم وتلقوهم بالترحاب وأنزلوهم في أكرم منازلهم وسأل الملك عنهم بعد خروجهم من مجلسه فقيل له إنهم سافروا فسره ذلك وقال تخلصنا من الإثم بحبسهم ثم إن أهل الجبل تسامعوا بوصول محمد إليهم وكان قد سار فيهم ذكره فجاءوه من كل فج عميق وتبركوا بزيارته وكان كل من أتاه استدناه وعرض عليه ما في نفسه من الخروج على الملك فإن أجابه أضافه إلى خواصه وإن خالفه أعرض عنه وكان يستميل الأحداث وذوي الغرة وكان ذوو العقل والعلم والحلم من أهاليهم ينهونهم ويحذرونهم من اتباعه ويخوفونهم من سطوة الملك فكان لا يتم له مع ذلك حال وطالت المدة وخاف محمد من مفاجأة الأجل قبل بلوغ الأمل وخشي أن يطرأ على أهل الجبل من جهة الملك ما يحوجهم إلى تسليمه إليه والتخلي عنه فشرع في إعمال الحيلة فيما يشاركونه فيه ليعصوا على الملك بسببه فرأى بعض أولاد القوم شقرا زرقا وألوان آبائهم السمرة والكحل فسألهم عن سبب ذلك فلم يجيبوه فألزمهم بالإجابة فقالوا نحن من رعية الملك وله علينا خراج وفي كل سنة تصعد مماليكه إلينا ينزلون في

بيوتنا ويخرجونا عنها ويخلون بمن فيها من النساء فتأتي الأولاد على هذه الصفة وما لنا قدرة على دفع ذلك عنا فقال محمد والله إن الموت خير من هذه الحياة وكيف رضيتم بهذا وأنتم أضرب خلق الله بالسيف وأطعنهم بالرمح والحربة فقالوا بالرغم لا بالرضا فقال أرأيتم لو أن ناصرا نصركم على
52 أعدائكم ما كنتم تصنعون قالوا كنا نقدم أنفسنا بين يديه للموت قالوا من هو قال ضيفكم يعني نفسه فقالوا السمع والطاعة وكانوا يغالون في تعظيمه فأخذ عليهم العهود والمواثيق واطمأن قلبه ثم قال لهم استعدوا لحضور هؤلاء بالسلاح فإذا جاءوكم على عاداتهم وخلوا بينهم وبين النساء وميلوا عليهم بالخمور فإذا سكروا فأذنوني بهم فلما حضر المماليك وفعل بهم أهل الجبل ما أشار به محمد وكان ليلا فأعلموه بذلك فأمر بقتلهم بأسرهم فلم يمض من الليل سوى ساعة حتى أتوا على آخرهم ولم يفلت منهم سوى مملوك واحد كان خارج المنازل لحاجة له فسمع التكبير عليهم والوقع بهم فهرب من غير الطريق حتى خلص من الجبل ولحق بمراكش وأخبر الملك بما جرى فندم على فوات محمد من يده وعلم أن الحزم كان مع مالك ابن وهيب فيما أشار به فجهز من وقته خيلا بمقدار ما يسع وادي تين مل فإنه ضيق المسلك وعلم محمد أنه لا بد من عسكر يخرج إليهم فأمر أهل الجبل بالقعود على أنقاب الوادي ومراصده واستنجد لهم بعض

المجاورين فلما وصلت الخيل إليهم أقبلت عليهم الحجارة
من جانبي الوادي مثل المطر وكان ذلك من أول النهار
إلى آخره وحال بينهم الليل فرجع العسكر إلى الملك
وأعلموه بما تم لهم فعلم أنه لا طاقة له بأهل الجبل
لتحصنهم فأعرض عنهم وتحقق محمد ذلك منه وصفت
له مودة أهل الجبل فعند ذلك استدعى الونشريسي المذكور
وقال له هذا أوان إظهار فضائلك دفعة واحدة ليقوم لك
مقام المعجزة لنستميل بك قلوب من لا يدخل في الطاعة ثم
اتفقا على أنه يصلي الصبح ويقول بلسان فصيح بعد
استعمال العجمة واللكنة في تلك المدة إني رأيت البارحة
في منامي وقد نزل بي ملكان من السماء وشقا فؤادي
وغسلاه وحشياه علما وحكمة وقرآنا فلما أصبح فعل ذلك
وهو فصل يطول شرحه فانقاد له كل صعب القياد وعجبوا
من حاله وحفظه القرآن
53 في النوم فقال له محمد فعجل لنا البشرى في
أنفسنا وعرفنا أسعداء نحن أم أشقياء فقال له أما أنت فانك
المهدي القائم بأمر الله ومن تبعك سعد ومن خالفك هلك ثم
قال اعرض أصحابك علي حتى أميز أهل الجنة من أهل
النار وعمل في ذلك حيلة قتل بها من خالف أمر محمد
وأبقى من أطاعه وشرح ذلك يطول وكان غرضه أن لا
يبقى في الجبل مخالف لمحمد فلما قتل من قتل علم محمد
أن في الباقين من له أهل وأقارب قتلوا وأنهم لا تطيب
قلوبهم بذلك فجمعهم وبشرهم بانتقال ملك مراكش إليهم

واغتنام أموالهم فسرهم ذلك وسلاهم عن أهلهم وبالجملة فإن تفصيل هذه الواقعة يطول شرحه ولسنا بصدد ذلك وخلاصة الأمر أن محمدا لم يزل حتى جهز جيشا عدد رجاله عشرة آلاف بين فارس وراجل وفيهم عبد المؤمن والونشريسي وأصحابه كلهم وأقام هو بالجبل فنزل القوم لحصار مراكش وأقاموا عليها شهرا ثم كسروا كسرة شنيعة وهرب من سلم من القتل وكان فيمن سلم عبد المؤمن وقتل الونشريسي وبلغ محمدا الخبر وهو بالجبل وحضرته الوفاة قبل عود أصحابه إليه فأوصى من حضر أن يبلغ الغائبين أن النصر لهم وأن العاقبة حميدة فلا يضجروا وليعاودوا القتال وان الله سبحانه وتعالى سيفتح على أيديهم والحرب سجال وإنكم ستقوون ويضعفون ويقلون وتكثرون وأنتم في مبدإ أمر وهم في آخره ومثل هذه الوصايا وأشباهها وهي وصية طويلة ثم إنه توفي إلى رحمة الله تعالى في سنة أربع وعشرين وخمسمائة ودفن في الجبل وقبره هناك مشهور يزار وهذه السنة تسمى عندهم عام البحيرة وكانت ولادته يوم عاشوراء سنة خمس وثمانين وأربعمائة وأول ظهوره ودعائه إلى هذا الأمر سنة أربع عشرة وخمسمائة وكان رجلا ربعة قضيفا أسمر عظيم الهامة حديد النظر وقال صاحب كتاب المغرب في أخبار أهل المغرب في حقه

54 (آثاره تنبيك عن أخباره * حتى كأنك بالعيان تراه) قدم في الثرى وهمة في الثريا ونفس ترى إراقة

ماء الحياة دون إراقة ماء المحيا أغفل المرابطون حله وربطه حتى دب دبيب الفلق في الغسق وترك في الدنيا دويا أنشأ دولة لو شاهدها أبو مسلم لما كان لعزمه فيها بمسلم وكان قوته من غزل أخت له رغيفا في كل يوم بقليل سمن أو زيت ولم ينتقل عن هذا حين كثرت عليه الدنيا ورأى أصحابه يوما وقد مالت نفوسهم إلى كثرة ما غنموه فأمر بضم ذلك جميعه وأحرقه وقال من كان يتبعني للدنيا فما له عندي إلا ما رأى ومن تبعني للآخرة فجزاؤه عند الله تعالى وكان على خمول زيه وبسط وجهه مهيبا منيع الحجاب إلا عند مظلمة وله رجل مختص بخدمته والإذن عليه وكان له شعر فمن ذلك قوله (أخذت بأعضادهم إذ نأول * وخلفك القوم إذ ودعوا) (فكم أنت تنهى ولا تنتهي * وتسمع وعظا ولا تسمع) (فيا حجر الشحذ حتى متى * تسن الحديد ولا تقطع) وكان كثيرا ما ينشد (تجرد من الدنيا فإنك إنما * خرجت إلى الدنيا وأنت مجرد) وكان أيضا يتمثل بقول المتنبي (إذا غامرت في شرف مروم * فلا تقنع بما دون النجوم) (فطعم الموت في أمر حقير * كطعم الموت في أمر عظيم وبقوله أيضا (ومن عرف الأيام معرفتي بها * وبالناس روى رمحه غير راحم) (فليس بمرحوم إذا ظفروا به * ولا في الردى الجاري عليهم بآثم) وبقوله أيضا (وما أنا منهم بالعيش فيهم * ولكن معدن الذهب الرغام) ولم يفتح شيئا من البلاد وإنما قرر

55

القواعد ومهدها ورتب الأحوال ووطدها وكانت الفتوحات على يد عبد المؤمن كما تقدم ذكره في ترجمته والهرغي بفتح الهاء وسكون الراء وبعدها غين معجمة هذه النسبة إلى هرغة وهي قبيلة كبيرة من المصامدة في جبل السوس في أقصى المغرب تنسب إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما يقال إنها نزلت في ذلك المكان عندما فتح المسلمون البلاد على يد موسى بن نصير الآتي ذكره إن شاء الله تعالى وتومرت بضم التاء المثناة من فوقها وسكون الواو وفتح الميم وسكون الراء بعدها تاء مثناة من فوقها أيضا وهو اسم بربري والونشريسي بفتح الواو وسكون النون وفتح الشين المعجمة وكسر الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها سين مهملة هذه النسبة إلى ونشريس وهي بليدة بإفريقية من أعمال بجاية بين باجة وقسطنطينة المغرب وتين مل بكسر التاء المثناة من فوقها وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون ثم ميم مفتوحة ولام مشددة وقد تقدم الكلام على الجفر في ترجمة عبد المؤمن فليكشف من هناك والله أعلم

56 689 أبو بكر الاخشيد أبو بكر محمد بن أبي محمد طغج وتفسيره عبد الرحمن ابن جف بن يلتكين بن فوران بن فوري ابن خاقان الفرغاني الأصل صاحب سرير الذهب المنعوت بالإخشيد صاحب مصر والشام والحجاز أصله من أولاد ملوك فرغانة 209 وكان المعتصم بالله بن هارون الرشيد قد جلبوا إليه من فرغانة

جماعة كثيرة فوصفوا له جف وغيره بالشجاعة والتقدم في الحروب فوجه المعتصم من أحضرهم فلما وصلوا إليه بالغ في إكرامهم وأقطعهم قطائع بسر من رأى وقطائع جف إلى الآن معروفة هناك ولم يزل مقيما بها وجاءته الأولاد وتوفي جف ببغداد في الليلة التي قتل فيها المتوكل وكانت ليلة الأربعاء لثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين

57 210 فخرج أولاده إلى البلاد يتصرفون ويطلبون لهم معايش فاتصل طغج بن جف بلؤلؤ غلام ابن طولون وهو إذ ذاك مقيم بديار مصر فاستخدمه على ديار مصر ثم انحاز طغج إلى جملة أصحاب إسحاق بن كنداج فلم يزل معه إلى أن مات أحمد بن طولون وجرى الصلح بين ولده أبي الجيش خمارويه ابن أحمد بن طولون المقدم ذكره وبين إسحاق بن كنداج ونظر أبو الجيش إلى طغج بن جف في جملة أصحاب إسحاق فأعجب به وأخذه من إسحاق وقدمه على جميع من معه وقلده دمشق وطبرية ولم يزل معه إلى أن قتل أبو الجيش في تاريخه المقدم ذكره فرجع طغج إلى الخليفة المكتفي بالله فخلع عليه وعرف له ذلك وكان وزير الخليفة يومئذ العباس بن الحسن فسام طغج أن يجري في التذلل له مجرى غيره فكبرت نفس طغج عن ذلك فأغرى به المكتفي فقبض عليه وحبسه وابنه أبا بكر محمد بن طغج المذكور فتوفي طغج في السجن وبقي ولده أبو بكر بعده محبوسا مدة ثم أطلق

وخلع عليه ولم يزل يراصد العباس بن الحسن الوزير المذكور حتى أخذ بثأر أبيه هو وأخوه عبيد الله في الوقت الذي قتله فيه الحسين بن حمدان ثم خرج أبو بكر وأخوه عبيد الله في سنة ست وتسعين ومائتين وهرب عبيد الله إلى ابن أبي الساج وهرب أبو بكر إلى الشام وأقام متغربا في البادية سنة ثم اتصل بأبي منصور تكين الخزري فكان أكبر أركانه ومما كبر به اسمه سريته إلى النقيب على الجمع الذين تجمعوا على الحجاج لقطع الطريق عليهم وذلك سنة ست وثلثمائة وهو يومئذ يتقلد عمان وجبال الشراة من قبل تكين المذكور وظفره بهم ومجيء الحاج وقد فرغ من أمرهم بأسر من أسره وقتل من قتله وشرد الباقين وكان قد حج في هذه السنة من دار الخليفة المقتدر بالله امرأة تعرف بعجوز فحدثت المقتدر بالله بما شاهدت

58 منه فأنفذ إليه خلعا وزيادة في رزقه ولم يزل أبو بكر في صحبة تكين إلى سنة ست عشرة وثلثمائة ثم فارقه بسبب اقتضى ذلك ولا حاجة بنا إلى التطويل بذكره وسار إلى الرملة فوردت كتب المقتدر إليه بولاية الرملة فأقام بها إلى سنة ثماني عشرة فوردت كتب المقتدر إليه بولاية دمشق فسار إليها ولم يزل بها إلى أن ولاه القاهر بالله ولاية مصر في شهر رمضان سنة إحدى وعشرين وثلثمائة ودعي له بها مدة اثنتين وثلاثين يوما ولم يدخلها ثم ولي أبو العباس أحمد بن كيغلغ الولاية الثانية من قبل القاهر أيضا لتسع خلون من شوال سنة إحدى وعشرين

وثلثمائة ثم أعيد إليها أبو بكر محمد بن الإخشيد من جهة
الخليفة الراضي بالله بن المقتدر بعد خلع عمه القاهر عن
الخلافة وضم إليه البلاد الشامية والجزرية والحرمين
وغير ذلك ودخل مصر يوم الأربعاء لسبع بقين من شهر
رمضان المعظم سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة وقيل إنه لم
يزل على مصر فقط إلى أن توفي الراضي بالله في سنة
تسع وعشرين وثلثمائة وتولى أخوه المقتفي لأمر الله فضم
إليه الشام والحجاز وغير ذلك والله أعلم ثم إن الراضي
لقبه بالإخشيد في شهر رمضان المعظم سنة سبع وعشرين
وثلثمائة وإنما لقبه بذلك لأنه لقب ملوك فرغانة وهو من
أولادهم كما سبق ذكره في أول هذه الترجمة وتفسيره
بالعربي ملك الملوك وكل من ملك تلك الناحية لقبوه بهذا
اللقب كما لقبوا كل من ملك بلاد فارس كسرى وملك
الترك خاقان وملك الروم قيصر وملك الشام هرقل وملك
اليمن تبع وملك الحبشة النجاشي وغير ذلك وقيصر كلمة
فرنجية تفسيرها بالعربية شق عنه وسببه أن أمه ماتت في
المخاض فشق بطنها وأخرج فسمي قيصر وكان يفتخر
بذلك على غيره من الملوك لأنه لم يخرج من الرحم
واسمه أغسطس وهو أول ملوك الروم وقد قيل إنه في
السنة الثالثة والأربعين من ملكه ولد المسيح
59 عيسى عليه السلام وقيل في السنة السابعة عشرة
من ملكه فسموا ملوك الروم باسمه والله أعلم ودعي له
إخشيد على المنابر بهذا اللقب واشتهر به وصار كالعلم

عليه وكان ملكا حازما كثير التيقظ في حروبه ومصالح دولته حسن التدبير مكرما للجنود شديد القوى لا يكاد يجر قوسه غيره وذكر محمد بن عبد الملك الهمداني في تاريخه الصغير الذي سماه عيون السير ان جيشه كان يحتوي على أربعمائة ألف رجل وأنه كان جبانا وكان له ثمانية آلاف مملوك يحرسه في كل ليلة ألفان منهم ويوكل بجانب خيمته الخدم إذا سافر ثم لا يثق حتى يمضي إلى خيم الفراشين فينام فيها ولم يزل على مملكته وسعادته إلى أن توفي في الساعة الرابعة من يوم الجمعة لثمان بقين من ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وثلثمائة بدمشق وحمل تابوته إلى بيت المقدس فدفن به وقال أبو الحسين الرازي توفي في سنة خمس وثلاثين والله أعلم وكانت ولادته يوم الاثنين منتصف شهر رجب من سنة ثمان وستين ومائتين ببغداد بشارع باب الكوفة رحمه الله تعالى وهو أستاذ كافور الإخشيدي وفاتك المجنون وقد تقدم ذكر كل واحد منهما في ترجمة مستقلة في هذا الكتاب ثم قام كافور المذكور بتربية ابني مخدومه أحسن قيام وهما أبو القاسم أنوجور وأبو الحسن علي كما تقدم شرحه في ترجمة كافور فأغنى عن إعادته هاهنا فقد ذكرت هناك تاريخ مولد كل واحد منهما ومدة ولايته وتاريخ وفاته على سبيل الاختصار واستوفيت حديث كافور وما كان منه إلى حين وفاته وأن الجند أقاموا بعده أبا الفوارس أحمد بن علي بن الإخشيد المذكور وأحلت بقية الكلام في ذلك على ذكره في هذه

الترجمة وكان عمر أبي الفوارس أحمد يوم ذاك إحدى عشرة سنة
60 211 وجعلوا خليفته في تدبير أموره أبا محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج ابن جف وهو ابن عم أبيه وكان صاحب الرملة من بلاد الشام وهو الذي مدحه المتنبي بقصيدته التي أولها (أنا لائمي إن كنت وقت اللوائم * علمت بما بي بين تلك المعالم) وقال في مخلصها (إذا صلت لم أترك مصالا لفاتك * وإن قلت لم أترك مقالا لعالم) (وإلا فخانتني القوافي وعاقني * عن ابن عبيد الله ضعف العزائم) وما أحسن قوله فيها (أرى دون ما بين الفرات وبرقة * ضرابا يمشي الخيل فوق الجماجم) (وطعن غطاريف كأن أكفهم * عرفن الردينيات قبل المعاصم) (حمته على الأعداء من كل جانب سيوف بني طغج بن جف القماقم) (هم المحسنون الكر في حومة الوغي * وأحسن منه كرهم في المكارم) (وهم يحسنون العفو عن كل مذنب * ويحتملون الغرم عن كل غارم) (حييون إلا أنهم في نزالهم * أقل حياء من شفار الصوارم) (ولولا احتقار الأسد شبهتها بهم * ولكنها معدودة في البهائم) ومنها (كريم نفضت الناس لما بلغته * كأنهم ما جف من زاد قادم) (وكاد سروري لا يفي بندامتي * على تركه في عمري المتقادم) وهي قصيدة طويلة من غرر القصائد ولما تقرر الأمر على هذه القاعدة تزوج الحسن بن عبيد الله ابنة عمه الإخشيد

دعوا له على المنابر بعد أبي الفوارس أحمد بن علي وهو بالشام واستمر الحال
61 على ذلك إلى يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شعبان من سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ودخل إلى مصر رايات المغاربة الواصلين صحبة القائد جوهر المغربي المقدم ذكره وانقرضت الدولة الإخشيدية وكانت مدتها أربعا وثلاثين سنة وعشرة أشهر وأربعة وعشرين يوما وكان قد قدم ابن عبيد الله من الشام منهزما من القرامطة لما استولوا على الشام ودخل على ابنة عمه التي تزوجها وحكم وتصرف وقبض على الوزير جعفر ابن الفرات وصادره وعذبه ثم سار إلى الشام في مستهل شهر ربيع الآخر من سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ولما سير القائد جوهر المغربي جعفر بن فلاح إلى الشام وملك البلاد حسبما شرحته في ترجمته أسر جعفر بن فلاح أبا محمد ابن عبيد الله وسيره إلى مصر مع جماعة من أمراء الشام إلى القائد جوهر ودخلوا مصر في جمادى الأولى سنة تسع وخمسين وكان ابن عبيد الله قد أساء إلى أهل مصر في مدة ولايته عليهم فلما وصلوا إلى مصر تركوهم وقوفا مشهورين مقدار سبع ساعات والناس ينظرون إليهم وشمت بهم من في نفسه منهم شيء ثم أنزلوا في مضرب القائد جوهر وجعلوا مع المعتقلين وفي السابع عشر من جمادى الأولى أرسل القائد جوهر ولده جعفرا إلى مولاه المعز ومعه هدايا عظيمة تجل عن الوصف وأرسل معه

المأسورين الواصلين من الشام وفيهم ابن عبيد الله وحملوا في مركب بالنيل وجوهر واقف ينظر إليهم فانقلب المركب فصاح ابن عبيد الله على القائد جوهر يا أبا الحسن أتريد أن تغرقنا فاعتذر إليه وأظهر التوجع له ثم نقلوا إلى مركب آخر وكانوا مقيدين فلم أقف لهم بعدها على خبر والله أعلم ثم وجدت بعدها في تاريخ العتقي أن الحسن المذكور توفي ليلة الجمعة لعشر بقين من شهر رجب سنة إحدى وسبعين وثلثمائة وصلى عليه العزيز نزار بن المعز المذكور في القصر بالقاهرة

62 وذكر الفرغاني في تاريخه أن ولادة الحسن المذكور في سنة اثنتي عشرة وثلثمائة وأنه توفي في التاريخ المذكور وأن أبا الفوارس أحمد بن علي المذكور توفي لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة سبع وسبعين وثلثمائة والله أعلم والإخشيد بكسر الهمزة وسكون الخاء المعجمة وكسر الشين المعجمة وبعدها ياء ساكنة مثناة من تحتها ثم دال مهملة وقد تقدم الكلام على تفسير هذه الكلمة وطغج بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة وبعدها جيم وجف بضم الجيم وفتحها وبعدها فاء مشددة ويلتكين بفتح الياء المثناة من تحتها وسكون اللام وكسر التاء المثناة من فوقها وبعدها كاف مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها ثم نون وفوران بضم الفاء وفوري بضم الفاء 212 وأما تكين المذكور فإنه ولي مصر ثلاث مرات وتوفي بها في المرة الثالثة يوم السبت

لست عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة إحدى وعشرين وثلثمائة وتولاها بعده أبو بكر الإخشيد كما تقدم ذكره 213 وأما أحمد بن كيغلغ فقد ذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق في ترجمة مستقلة وذكر ولايته مصر وقال وجرت بينه وبين محمد بن تكين الخاصة حروب إلى أن خلص الأمر له ثم قدم محمد بن طغج أميرا على مصر من قبل الراضي فسلم إليه مصر وكان أحمد أديبا شاعرا ومن شعره (لا يكن للكاس في كفك * يوم الغيث لبث) (أوما تعلم أن الغيث * ساق مستحث)
ومن شعره أيضا
63 (واعطشا إلى فم * يمج خمرا من برد) (إن قسم الناس فحسبي * بك من كل أحد) 214 ثم قال ومات أخوه إبراهيم بن كيغلغ في مستهل ذي القعدة سنة ثلاث وثلثمائة 215 وابنه إسحاق بن إبراهيم هو الذي كان بطرابلس وعاق بها أبا الطيب المتنبي لما قدمها من الرملة يريد أنطاكية ليمدحه فلم يفعل وهجاه بقصيدته التي أولها (لهوى القلوب سريرة لا تعلم * عرضا نظرت وخلت أني أسلم) ثم راح من عنده فبلغه موته بجبلة فقال (قالوا لنا مات إسحاق فقلت لهم * هذا الدواء الذي يشفي من الحمق) وهذه القصيدة والتي قبلها موجودتان في ديوانه فلذلك تركنا ذكرهما وله فيه أيضا غير ذلك من الهجاء تجاوز الله عنا وعنهم أجمعين 690 طغرلبك أبو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق الملقب ركن الدين

طغرلبك أول ملوك السلجوقية كان هؤلاء القوم قبل
استيلائهم على الممالك يسكنون فيما
وراء النهر في موضع بينه وبين بخارى مسافة 64
عشرين فرسخا وهم أتراك وكانوا عددا يجل عن الحصر والإحصاء وكانوا لا يدخلون تحت طاعة سلطان وإذا قصدهم جمع لا طاقة لهم به دخلوا المفاوز وتحصنوا بالرمال فلا يصل إليهم أحد فلما عبر السلطان محمود بن سبكتكين إلى ما وراء النهر وكان سلطان خراسان وغزنة وتلك النواحي وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى وجد زعيم بني سلجوق قوي الشوكة كثير العدة يتصرف في أمره على المخاتلة والمراوغة وينتقل من أرض إلى غيرها ويغير في أثناء ذلك على تلك البلاد فاستماله وجذبه ولم يزل يخدعه حتى أقدمه إليه فأمسكه وحمله إلى بعض القلاع واعتقله وخرج في إعمال الحيلة في تدبير أمر أصحابه واستشار أعيان دولته في شأنهم فمنهم من أشار بإغراقهم في نهر جيحون وأشار آخرون بقطع إبهام كل رجل منهم ليتعذر عليهم الرمي والعمل بالسلاح واختلفت الآراء في ذلك وآخر ما وقع الاتفاق عليه أن يعبر بهم جيحون إلى أرض خراسان ويفرقهم في النواحي ويضع عليهم الخراج ففعل ذلك فدخلوا في الطاعة واستقاموا وأقاموا على تلك الحالة مدة فطمع فيهم العمال وظلموهم وامتدت إليهم أيدي الناس وتهضموا جانبهم وأخذوا من أموالهم ومواشيهم فانفصل منهم ألفا بيت ومضوا إلى بلاد

كرمان وملكها يومئذ الأمير أبو الفوارس ابن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه فأقبل عليهم وخلع على وجوههم وعزم على استخدامهم فلم يستتموا عشرة أيام حتى مات أبو الفوارس وخافوا من الديلم وهم أهل ذلك الإقليم فبادروا إلى قصد أصبهان ونزلوا بظاهرها وصاحبها علاء الدولة أبو جعفر بن كاكوية فرغب في استخدامهم فكتب إليه السلطان محمود يأمره بالإيقاع بهم ونهبهم فتواقعوا

65 وقتل من الطائفتين جماعة وقصد الباقون أذربيجان وانحاز الذين بخراسان إلى جبل قريب من خوارزم فجرد السلطان محمود جيشا وأرسله في طلبهم فتتبعوهم في تلك المفاوز مقدار سنتين ثم قصدهم محمود بنفسه ولم يزل في أثرهم حتى شردهم وشتتهم ثم توفي محمود عقيب ذلك في التاريخ الآتي ذكره في ترجمته إن شاء الله تعالى وقام بالأمر بعده ولده مسعود فاحتاج إلى الاستظهار بالجيوش فكتب إلى الطائفة التي بأذربيجان لتتوجه إليه فجاءه منهم ألف فارس فاستخدمهم ومضى بهم إلى خراسان فسألوه في أمر الباقين الذين شتتهم والده محمود فراسلهم وشرط عليهم لزوم الطاعة فأجابوه إلى ذلك وأمنهم وحضروا إليه ورتبهم على ما كان والده قد رتبهم أولا ثم دخل مسعود بلاد الهند لاضطراب أحوالها عليه فخلت لهم البلاد وعادوا إلى الفساد وبالجملة فإن الشرح في هذا يطول وجرى هذا كله والسلطان طغرلبك

المذكور وأخوه داود ليسا معهم بل كانا في موضعهم من نواحي ما وراء النهر وجرت بينهما وبين ملكشاه صاحب بخارى وقعة عظيمة قتل فيها خلق كثير من أصحابهما ودعت حاجتهما إلى اللحاق بأصحابهما الذين بخراسان فكاتبوا مسعودا وسألوه الأمان والاستخدام فحبس الرسل وجرد جيوشا لمواقعة من بخراسان منهم فكانت مقتلة عظيمة ثم إنهم اعتذروا إلى مسعود وبذلوا له الطاعة وضمنوا له أخذ خوارزم من صاحبها فطيب قلوبهم وأفرج عن الرسل الواصلين من جهة ما وراء النهر وسألوه أن يفرج عن زعيمهم الذي اعتقله أبوه محمود في أول الأمر فأجابهم إلى سؤالهم وأنزله من تلك القلعة وحمل إلى بلخ مقيدا فاستأذن مسعودا في مراسلة ابني أخيه طغرلبك وداود المقدم ذكرهما فأذن له فراسلهما وحاصل الأمر أنهما وصلا إلى خرسان ومعهما أيضا جيش كبير فاجتمع الجميع وجرت لهم مع ولاة خراسان ونواب مسعود في البلاد أسباب يطول شرحها وخلاصة الأمر أنهم استظهروا عليهم وظفروا بهم وأول شيء ملكوه من البلاد طوس وقيل الري وكان تملكهم في سنة تسع وعشرين وأربعمائة ثم

66 بعد ذلك بقليل ملكوا نيسابور إحدى قواعد خراسان في شهر رمضان من السنة المذكورة وكان السلطان طغرلبك المذكور كبيرهم وإليه الأمر والنهي في السلطنة وأخذ أخوه داود المذكور مدينة بلخ وهو والد ألب

أرسلان الآتي ذكره إن شاء الله تعالى واتسع لهم الملك واقتسموا البلاد وانحاز مسعود إلى غزنة وتلك النواحي وكانوا يخطبون له في أول الأمر وعظم شأنهم إلى أن راسلهم الإمام القائم بأمر الله وكان الرسول الذي أرسله إليهم القاضي أبا الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي مصنف الحاوي في الفقه وقد تقدم ذكره ثم ملك بغداد والعراق في سادس عشر شهر رمضان المعظم سنة سبع وأربعين وأربعمائة وأوصاهم بتقوى الله تعالى والعدل في الرعية والرفق بهم وبث الإحسان إلى الناس وكان طغرلبك حليما كريما محافظا على الصلوات الخمس في أوقاتها جماعة وكان يصوم الاثنين والخميس ويكثر الصدقات ويبني المساجد ويقول أستحيي من الله سبحانه وتعالى أن أبني لي دارا ولا أبني إلى جانبها مسجدا ومن محاسنه المسطورة أنه سير الشريف ناصر بن إسماعيل رسولا إلى ملكة الروم وكانت إذ ذاك امرأة كافرة فاستأذنها الشريف في الصلاة بجامع القسطنطينية جماعة يوم الجمعة فأذنت له في ذلك فصلى وخطب للإمام القائم وكان رسول المستنصر العبيدي صاحب مصر حاضرا فأنكر ذلك وكان من أكبر الأسباب في فساد الحال بين المصريين والروم ولما تمهدت له البلاد وملك العراق وبغداد سير إلى الإمام القائم وخطب ابنته فشق على القائم ذلك واستعفى منه وترددت الرسل بينهما ذكر ذلك في الشذور سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة فلم يجد من ذلك بدا

فزوجه بها وعقد العقد بظاهر مدينة تبريز ثم توجه إلى
بغداد في سنة خمس وخمسين وأربعمائة ولما دخلها سير
طلب الزفاف وحمل مائة ألف دينار برسم حمل القماش
ونقله فزفت إليه ليلة الاثنين خامس عشر صفر بدار
المملكة وجلست على سرير ملبس بالذهب ودخل إليها
السلطان فقبل الأرض بين يديها ولم يكشف
67 البرقع عن وجهها في ذلك الوقت وقدم لها تحفا
يقصر الوصف عن ضبطها وقبل الأرض وخدم
وانصرف وظهر عليه سرور عظيم وبالجملة فأخبار
الدولة السلجوقية كثيرة وقد اعتنى بها جماعة من
المؤرخين وألفوا فيها تآليف اشتملت على تفاصيل أمرهم
وما قصدت من الإتيان بهذه النبذة إلا التنبيه على مبدإ
حالهم ليكشف جلية ذلك من يروم الوقوف عليه وتوفي
طغرلبك المذكور يوم الجمعة ثامن شهر رمضان المعظم
سنة خمس وخمسين وأربعمائة بالري وعمره سبعون سنة
ونقل إلى مرو ودفن عند قبر أخيه داود وسيأتي ذكره في
ترجمة ولده ألب أرسلان إن شاء الله تعالى وقال ابن
الهمداني في تاريخه إنه دفن بالري في تربة هناك وكذا
قال السمعاني في الذيل في ترجمة السلطان سنجر المقدم
ذكره وحكى وزيره محمد بن منصور الكندري الآتي
ذكره عنه أنه قال رأيت وأنا بخرسان في المنام كأنني
رفعت إلى السماء وأنا في ضباب لا أبصر معه شيئا غير
أني أشم رائحة طيبة وإذا بمناد ينادي أنت قريب من

الباري جلت قدرته فاسأل حاجتك لتقضى فقلت في نفسي
أسأل طول العمر فقيل لك سبعون سنة فقلت يا رب لا
تكفيني فقيل لك سبعون سنة فقلت لا تكفيني فقيل لك
سبعون سنة ذكر هذا شيخنا ابن الأثير في تاريخه ولما
حضرته الوفاة قال إنما مثلي مثل شاة تشد قوائمها لجز
الصوف فتظن أنها تذبح فتضطرب حتى إذا أطلقت تفرح
ثم تشد للذبح فتظن أنه لجز الصوف فتسكن فتذبح و هذا
المرض الذي أنا فيه هو شد القوائم للذبح فمات منه رحمه
الله تعالى ولم تقم بنت الإمام القائم في صحبته إلا مقدار
ستة أشهر

68 ولم يخلف ولدا ذكرا فانتقل ملكه إلى ابن أخيه
ألب أرسلان حسبما شرح في ترجمته وماتت زوجته ابنة
القائم في سنة ست وتسعين وأربعمائة في سادس المحرم
وطغرلبك بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة
وضم الراء وسكون اللام وفتح الباء الموحدة وبعدها كاف
و هو اسم علم تركي مركب من طغرل و هو اسم علم بلغة
الترك لطائر معروف عندهم وبه سمي الرجل وبك معناه
الأمير وسلجوق بفتح السين المهملة وسكون اللام وضم
الجيم وسكون الواو وبعدها قاف ودقاق بضم الدال
المهملة وبين القافين ألف ساكنة وجيحون بفتح الجيم
وسكون الياء المثناة من تحتها وضم الحاء المهملة وسكون
الواو وبعدها نون و هو النهر العظيم الفاصل ما بين
خوارزم وبلاد خراسان وبين بخارى وسمرقند وتلك البلاد

فكل ما كان من تلك الناحية فهو ما وراء النهر والمراد بالنهر هو النهر المذكور وهو أحد أنهار الجنة الذي جاء ذكره في الحديث أنه يخرج منها أربعة أنهار نهران ظاهران ونهران باطنان فالظاهران النيل والفرات والباطنان سيحون وجيحون وسيحون بفتح السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وضم الحاء المهملة وسكون الواو وبعدها نون وهو وراء جيحون فيما يلي بلاد الترك وبينهما مسافة خمسة وعشرين يوما وهذان النهران مع عظمهما وسعة عرضهما يجمدان في زمن الشتاء وتعبر القوافل عليهما بدوابهما وأثقالهما ويقيمان كذلك مقدار ثلاثة أشهر وهذا كله وإن كان خارجا عن مقصودنا لكنه متعلق بما نحن فيه فانتشر الكلام وما يخلو من فائدة يقف عليها من كان يتوقعها ممن بعدت بلاده ولا يعرف صورة الحال

69 691 ألب أرسلان أبو شجاع محمد بن جغري بك داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق الملقب عضد الدولة ألب أرسلان وهو ابن أخي السلطان طغرلبك المقدم ذكره وقد تقدم في ترجمة طغرلبك طرف من أخبار والده داود المذكور ولما مات السلطان طغرلبك في التاريخ المذكور في ترجمته نص على تولية الأمر لسليمان بن داود أخي ألب أرسلان المذكور ولم ينص عليه إلا لأن أمه كانت عنده فتبع هواها في ولدها فقام سليمان بالأمر وثار عليه أخوه ألب أرسلان وعمه شهاب الدولة قتلمش

وجرت بينهم خطوب فلم يتم لسليمان الأمر وكانت النصرة لأخيه ألب أرسلان فاستولى على الممالك وعظمت مملكته ورهبت سطوته وفتح من البلاد ما لم يكن لعمه طغرلبك مع سعة ملك عمه وقصد بلاد الشام فانتهى إلى مدينة حلب وصاحبها يومئذ محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابي فحاصره مدة ثم جرت المصالحة بينهما فقال ألب أرسلان لا بد له من دوس بساطي فخرج إليه محمود ليلا ومعه أمه فتلقاهما بالجميل وخلع عليهما وأعادهما إلى البلد ورحل عنها وقال المأموني في تاريخه قيل إنه لم يعبر الفرات في قديم الزمان ولا حديثه في الإسلام ملك تركي قبل ألب أرسلان فانه أول من عبرها من ملوك الترك ولما عاد عزم على قصد بلاد الترك وقد كمل عسكره مائتي ألف فارس أو يزيدون فمد على جيحون النهر المقدم ذكره جسرا وأقام العسكر
70 يعبر عليه شهرا وعبر هو بنفسه أيضا ومد السماط في بليدة يقال لها فربر ولتلك البليدة حصن على شاطيء جيحون في السادس من شهر ربيع الأول سنة خمس وستين وأربعمائة فأحضر إليه أصحابه مستحفظ الحصن ويقال له يوسف الخوارزمي وكان قد ارتكب جريمة في أمر الحصن فحمل إليه مقيدا فلما قرب منه أمر أن تضرب أربعة أوتاد لتشد أطرافه الأربعة إليها ويعذبه ثم يقتله فقال يوسف المذكور ومثلي يفعل به هذه المثلة فغضب ألب أرسلان وأخذ قوسه وجعل فيها سهما وأمر

بحل قيده ورماه فأخطأه وكان مدلا برميه وكان جالسا
على سريره فنزل عنه فعثر ووقع على وجهه فبادره
يوسف المذكور وضربه بسكين كانت معه في خاصرته
فوثب عليه فراش أرمني فضربه في رأسه بمرزبة فقتله
فانتقل ألب أرسلان إلى خيمة أخرى مجروحا فأحضر
وزيره نظام الملك أبا علي الحسن المذكور في حرف
الحاء وأوصى به إليه وجعل ولده ملك شاه ولي عهده
وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى ثم توفي يوم السبت عاشر
الشهر المذكور وكانت ولادته سنة أربع وعشرين
وأربعمائة وكانت مدة ملكه تسع سنين وأشهرا ونقل إلى
مرو ودفن عند قبر أبيه داود وعمه طغرلبك ولم يدخل
بغداد ولا رآها مع أنها كانت داخلة في ملكه وهو الذي بنى
على قبر الإمام أبي حنيفة مشهدا وبنى ببغداد مدرسة أنفق
عليها أموالا عظيمة وذكر في كتاب زبدة التواريخ أنه
جرح يوم السبت سلخ شهر ربيع الأول سنة خمس وستين
وعاش بعد الجراحة ثلاثة أيام والله أعلم وقد تقدم ذكر أبيه
وأنه كان صاحب بلخ وتوفي بها في رجب سنة إحدى
وخمسين وقيل سنة خمسين وأربعمائة ونقل إلى مرو
ودفن بها وقيل إنه توفي بمرو والله أعلم بالصواب وقيل
توفي في صفر سنة اثنتين وخمسين
71 وأربعمائة ودفن بمدرسة مرو رحمه الله تعالى
وقد تقدم ذكر ولده تتش في حرف التاء وألب أرسلان
بفتح الهمزة وسكون اللام وبعدها باء موحدة وبقية الاسم

معروفة فلا حاجة إلى تفسيرها وهو اسم تركي معناه
شجاع أسد فألب شجاع وأرسلان أسد 216 وأما شهاب
الدولة قتلمش بن إسرائيل بن سلجوق فإنه والد سليمان ابن
قتلمش جد الملوك أصحاب الروم إلى الآن وكان له
حصون وقلاع من جملتها كردكوه وغيرها من عراق
العجم وعصى على ابن أخيه ألب أرسلان المذكور
وحاربه بالقرب من الري فلما انجلى الأمر وجد قتلمش
ميتا لا يدرى كيف كان موته وذلك في المحرم من سنة
ست وخمسين وأربعمائة قيل إنه مات من الخوف فشق
ذلك على ألب أرسلان والله تعالى أعلم بالصواب 692
محمد بن ملكشاه السلجوقي أبو شجاع محمد بن ملكشاه
بن ألب أرسلان المذكور قبله الملقب غياث الدين وقد تقدم
في ترجمة جده تتمة نسبه فلا حاجة إلى الإعادة ولما
توفي والده ملكشاه اقتسم مملكته أولاده الثلاثة وهم
بركياروق وسنجر وقد تقدم ذكرهما ومحمد المذكور ولم
يكن لمحمد وسنجر وهما من أم واحدة مع وجود
بركياروق حديث لأنه كان السلطان المشار إليه وهما
كالأتباع له ثم اختلف محمد وبركياروق فدخل محمد
المذكور وأخوه سنجر إلى بغداد وخلع عليهما الإمام
المستظهر بالله وكان محمد قد التمس من
أمير المؤمنين أن يجلس له ولأخيه سنجر فأجيب 72
إلى ذلك وجلس لهما في قبة التاج وحضر أرباب
المناصب وأتباعهم وجلس أمير المؤمنين على سدته

ووقف سيف الدولة صدقة بن مزيد صاحب الحلة عن يمين السدة وعلى كتفه بردة النبي وعلى رأسه العمامة وبين يديه القضيب وأفيض على محمد الخلع السبع التي جرت عادة السلاطين بها وألبس الطوق والتاج والسوارين وعقد له الخليفة اللواء بيده وقلده سيفين وأعطاه خمسة أفراس بمراكبها وخلع على أخيه سنجر خلعة أمثاله وخطب لمحمد بالسلطنة في جامع بغداد كجاري عادتهم في ذلك الزمان وتركوا الخطبة لبركياروق لسبب اقتضى ذلك ولا حاجة إلى شرحه لطوله قال محمد بن عبد الملك الهمداني في تاريخه وكان ذلك في سنة خمس وتسعين وأربعمائة وقال صاحب تاريخ السلجوقية أقيمت الخطبة ببغداد للسلطان محمد في سابع عشر ذي الحجة من سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة ووافقه على ذلك غيره ثم قال الهمداني وكان من الاتفاق العجيب أن خطيب جامع القصر ببغداد لما بلغ إلى الدعاء للسلطان بركياروق وأراد أن يذكره سبق لسانه للسلطان محمد ودعا له فأتى أصحاب بركياروق وشنعوا بما جرى في الديوان العزيز فعزل الخطيب لهذا السبب ورتبوا ولده موضعه فلم تتأخر خطبة السلطان محمد عن هذه الواقعة إلا أياما قلائل وكان ذلك فألا للسلطان محمد وأما بركياروق فانه كان مريضا وانحدر إلى واسط ثم قوي أمره واستظهر وجرى بينه وبين أخيه محمد مصاف على الري وانكسر محمد وبالجملة فان شرح ذلك يطول وكان السلطان محمد

المذكور رجل الملوك السلجوقية وفحلهم وله الآثار الجميلة والسيرة الحسنة والمعدلة الشاملة والبر للفقراء والأيتام والحرب للطائفة الملحدة والنظر في أمور الرعية وذكره أبو البركات ابن المستوفي في تاريخ إربل وذكر أنه وصل إليها في تاسع شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ورحل عنها متوجها إلى الموصل في ثاني عشر الشهر المذكور ثم قال ووجدت في كتاب ذكره الإمام أبو حامد الغزالي في مخاطبته السلطان محمد بن ملكشاه اعلم يا سلطان

73 العالم أن بني آدم طائفتان طائفة غفلاء نظروا إلى مشاهد حال الدنيا وتمسكوا بتأميل العمر الطويل ولم يتفكروا في النفس الأخير وطائفة عقلاء جعلوا النفس الأخير نصب أعينهم لينظروا إلى ماذا يكون مصيرهم وكيف يخرجون من الدنيا ويفارقونها وإيمانهم سالم وما الذي ينزل من الدينا في قبورهم وما الذي يتركون لأعاديهم من بعدهم ويبقى عليهم وباله ونكاله ثم إن السلطان محمدا استقل بالممالك بعد موت أخيه بركياروق في التاريخ المذكور في ترجمته ولم يبق له منازع وصفت له الدنيا وأقام على ذلك مدة ثم مرض زمانا طويلا وتوفي يوم الخميس الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة إحدى عشرة وخمسمائة بمدينة أصبهان وعمره سبع وثلاثون سنة وأربعة أشهر وستة أيام وهو مدفون بأصبهان في مدرسة عظيمة وهي موقوفة على الطائفة الحنفية وليس

بأصبهان مدرسة مثلها ولما أيس من نفسه أحضر ولده محمدا الآتي ذكره إن شاء الله تعالى فقبله وبكى كل واحد منهما وأمره أن يخرج ويجلس على تخت السلطنة وينظر في أمور الناس فقال لوالده إنه يوم غير مبارك يعني من طريق النجوم فقال صدقت ولكن على أبيك وأما عليك فمبارك بالسلطنة فخرج وجلس على التخت بالتاج والسوارين ولم يخلف أحد من الملوك السلجوقية ما خلفه من الذخائر وأصناف الأموال والدواب وغير ذلك مما يطول شرحه رحمه الله تعالى وسيأتي ذكر والده في هذا الحرف إن شاء الله تعالى 217 وتزوج الإمام المقتفي لأمر الله فاطمة ابنة السلطان محمد المذكور وكان الوكيل في قبول النكاح الوزير شرف الدين أبا القاسم علي ابن طراد الزينبي وذلك في سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة وحضر أخوها مسعود العقد ونقلت فاطمة ابنة السلطان المذكورة إلى دار الخلافة للزفاف سنة أربع وثلاثين ويقال إنها كانت تقرأ وتكتب ولها التدبير الصائب وسكنت في الموضع المعروف بدركاه خاتون وتوفيت في عصمته يوم السبت الثاني والعشرين من شهر ربيع

74 الآخر سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ودفنت بالرصافة رحمها الله تعالى والله أعلم بالصواب 693

الملك العادل ابن أيوب أبو بكر محمد بن أبي الشكر أيوب بن شاذي بن مروان الملقب بالملك العادل سيف الدين أخو السلطان صلاح الدين رحمهما الله تعالى وقد تقدم ذكر

والده في حرف الهمزة وسيأتي ذكر أخيه صلاح الدين في حرف الياء إن شاء الله تعالى وكان الملك العادل قد وصل إلى الديار المصرية صحبة أخيه وعمه أسد الدين شيركوه المقدم ذكره وكان يقول لما عزمنا على المسير إلى مصر احتجت إلى حرمدان فطلبته من والدي فأعطاني وقال يا أبا بكر إذا ملكتم مصر أعطني ملئه ذهبا فلما جاء إلى مصر قال يا أبا بكر أين الحرمدان فرحت وملأته من الدراهم السود وجعلت أعلاها شيئا من الذهب وأحضرته إليه فلما رآه اعتقده ذهبا فقلبه فظهرت الفضة السوداء فقال يا أبا بكر تعلمت من زغل المصريين ولما ملك صلاح الدين الديار المصرية كان ينوب عنه في حال غيبته في الشام ويستدعي منه الأموال للإنفاق في الجند وغيرهم ورأيت في بعض رسائل القاضي الفاضل أن الحمول تأخرت مدة فتقدم السلطان إلى العماد الأصبهاني أن يكتب إلى أخيه الملك العادل يستحثه على إنفاذها حتى قال يسير لنا الحمل من مالنا أو من ماله فلما وصل الكتاب إليه ووقف على هذا الفصل شق عليه

75 وكتب إلى القاضي الفاضل يشكو من السلطان لأجل ذلك فكتب القاضي الفاضل جوابه وفي جملته وأما ما ذكره المولى من قوله يسير لنا الحمل من مالنا أو من ماله فتلك لفظة ما المقصود بها من المالك النجعة وإنما المقصود بها من الكاتب السجعة وكم من لفظة فظة وكلمة فيها غلظة جبرت عي الأقلام وسدت خلل الكلام وعلى

المملوك الضمان في هذه النكتة وقد فات لسان القلم منها أي سكتة وكان المملوك حاضرا وقد خرجت قوارع الاستحثاث وصرصر البازي وقوة نفس العماد قوة نفس البغاث والسلام ولما ملك السلطان مدينة حلب في صفر سنة تسع وسبعين وخمسمائة كما تقدم في ترجمة عماد الدين زنكي أعطاها لولده الملك الظاهر غازي المقدم ذكره ثم أخذها منه وأعطاها للملك العادل فانتقل إليها وقصد قلعتها يوم الجمعة الثاني والعشرين من شهر رمضان المعظم من السنة المذكورة ثم نزل عنها للملك الظاهر غازي ابن السلطان المقدم ذكره لمصلحة وقع الاتفاق عليها بينه وبين أخيه صلاح الدين وخرج منها في سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة ليلة السبت الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول ثم أعطاه السلطان قلعة الكرك وتنقل في الممالك في حياة السلطان وبعد وفاته وقضاياه مشهورة مع الملك الأفضل والملك العزيز والملك الظاهر فلا حاجة إلى الإطالة بشرحها وآخر الأمر أنه استقل بمملكة الديار المصرية وكان دخوله القاهرة لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين وخمسمائة واستقرت له القواعد وقال أبو البركات ابن المستوفي في تاريخ إربل في ترجمة ضياء الدين أبي الفتح نصر الله المعروف بابن الأثير الوزير الجزري ما مثاله وجدت بخطه خطب للملك العادل أبي بكر ابن أيوب بالقاهرة ومصر يوم الجمعة الحادي والعشرين من شوال

سنة ست وتسعين وخمسمائة وخطب له بحلب يوم الجمعة حادي عشر جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وخمسمائة وملك معها البلاد الشامية والشرقية وصفت له الدنيا ثم ملك بلاد اليمن في سنة اثنتي عشرة وستمائة وسير إليها
76 ولد ولده الملك المسعود صلاح الدين أبا المظفر يوسف المعروف بأطسيس ابن الملك الكامل الآتي ذكره إن شاء الله تعالى وكان ولده الملك الأوحد نجم الدين أيوب ينوب عنه في ميافارقين وتلك النواحي فاستولى على مدينة خلاط وبلاد أرمينية واتسعت مملكته وذلك في سنة أربع وستمائة ولما تمهدت له البلاد قسمها بين أولاده فأعطى الملك الكامل الديار المصرية والملك المعظم البلاد الشامية والملك الأشرف البلاد الشرقية والأوحد في المواضع التي ذكرناها وكان ملكا عظيما ذا رأي ومعرفة تامة قد حنكته التجارب حسن السيرة جميل الطوية وافر العقل حازما في الأمور صالحا محافظا على الصلوات في أوقاتها متبعا لأرباب السنة مائلا إلى العلماء حتى صنف له فخر الدين الرازي كتاب تأسيس التقديس وذكر اسمه في خطبته وسيره إليه من بلاد خراسان وبالجملة فإنه كان رجلا مسعودا ومن سعادته أنه خلف أولادا لم يخلف أحد من الملوك أمثالهم في نجابتهم وبسالتهم ومعرفتهم وعلو همتهم ودانت لهم العباد وملكوا خيار البلاد ولما مدح ابن عنين المقدم ذكره الملك العادل بقصيدته الرائية المذكور بعضها في ترجمته جاء منها في مديح أولاده المذكورين

قوله (وله البنون بكل أرض منهم * ملك يقود إلى الأعادي عسكرا) (من كل وضاح الجبين تخاله * بدرا وإن شهد الوغى فغضنفرا)
77 (متقدم حتى إذا النقع انجلى * بالبيض عن سبي الحريم تأخرا) (قوم زكوا أصلا وطابوا محتدا * وتدفقوا جودا وراقوا منظرا) (وتعاف خيلهم الورود بمنهل * ما لم يكن بدم الوقائع أحمرا) (يعشو إلى نار الوغى شغفا بها * ويجل أن يعشو إلى نار القرى) وكم للشعراء فيهم من القصائد المختارة لكن ذكرت هذه لكونها جامعة لجميعهم ومن جملة هذه القصيدة في مدح الملك العادل قوله ولقد أحسن فيه (العادل الملك الذي أسماؤه * في كل ناحية تشرف منبرا) (وبكل أرض جنة من عدله الصافي * أسال نداه فيها كوثرا) (عدل يبيت الذئب منه على الطوى * غرثان وهو يرى الغزال الأعفرا) (ما في أبي بكر لمعتقد الهدى * شك يريب بأنه خير الورى) (سيف صقال المجد أخلص متنه * وأبان طيب الأصل منه الجوهرا) (ما مدحه بالمستعار له ولا * آيات سؤدده حديث يفترى) (بين الملوك الغابرين وبينه * في الفضل ما بين الثريا والثرى) (نسخت خلائقه الحميدة ما أتى * في الكتب عن كسرى الملوك وقيصرا) (ملك إذا خفت حلوم ذوي النهى * في الروع زاد رصانة وتوقرا) (ثبت الجنان تراع من وثباته * وثباته يوم الوغى أسد الشرى) (لفظ يكاد يقول عما في غد * ببديهة أغنته أن

يتفكرا) (حلم تخف له الحلوم وراءه * رأي وعزم يحقر الإسكندرا) (يعفو عن الذنب العظيم تكرما * ويصد عن قول الخنا متكبرا) (لا تسمعن حديث ملك غيره * يروى فكل الصيد في جوف الفرا) وبالجملة فإنها من القصائد المختارة ولما قسم البلاد بين أولاده كان يتردد بينهم وينتقل إليهم من مملكة إلى
78 أخرى وكان في الغالب يصيف بالشام لأجل الفواكه والثلج والمياه الباردة ويشتي في الديار المصرية لاعتدال الوقت فيها وقلة البرد وعاش في أرغد عيش وكان يأكل كثيرا خارجا عن المعتاد حتى يقال إنه يأكل وحده خروفا لطيفا مشويا وكان له في النكاح نصيب وافر وحاصل الأمر أنه كان ممتعا في دنياه وكانت ولادته بدمشق في المحرم سنة أربعين وقيل ثمان وثلاثين وخمسمائة وتوفي في سابع جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة بعالقين ونقل إلى دمشق ودفن بالقلعة ثاني يوم وفاته ثم نقل إلى مدرسته المعروفة به ودفن في التربة التي بها وقبره على الطريق يراه المجتاز من الشباك المركب هناك رحمه الله تعالى وعالقين بفتح العين المهملة وبعد الألف لام مكسورة وقاف مكسورة أيضا وياء مثناة من تحتها ساكنة وبعدها نون وهي قرية بظاهر دمشق من الجيدور وكان ذلك عند وصول الفرنج إلى ساحل الشام وقصدوا أولا لقاء الملك العادل فتوجه قدامهم إلى جهة دمشق ليتجهز ويتأهب للقائهم فلما وصل إلى

الموضع المذكور توفي به فحينئذ أعرض جميع الفرنج
عن دمشق وقصدوا الديار المصرية فكانت وقعة دمياط
المشهورة في ذلك التاريخ وتاريخها مضبوط في ترجمة
يحيى بن منصور المعروف بابن جراح في حرف الياء
وأطسيس بفتح الهمزة وسكون الطاء المهملة وكسر السين
المهملة وبعدها ياء مثناة من تحتها ثم سين ثانية وهي كلمة
تركية معناها بالعربية ما له اسم ويقال إنما سمي بذلك لأن
الملك الكامل ما كان يعيش له ولد فلما ولد هذا المسعود
المذكور قال بعض الحاضرين في مجلسه من الأتراك في
بلادنا إذا كان الإنسان لا يعيش له ولد سماه أطسيس فسماه
أطسيس والناس يقولون
79 أقسيس بالقاف وصوابه بالطاء كذا قالوا والله
أعلم ثم ظفرت بتاريخ تسلم حلب محررا وهو أن عماد
الدين زنكي نزل من قلعتها يوم الخميس الثاني والعشرين
من صفر وصعد صلاح الدين إليها يوم الاثنين السادس
والعشرين من صفر المذكور والله أعلم 694 الملك
الكامل الأيوبي أبو المعالي محمد ابن الملك العادل
المذكور الملقب بالملك الكامل ناصر الدين قد سبق في
ترجمة والده طرف من خبره ولما وصل الفرنج إلى
دمياط كما تقدم ذكره كان الملك الكامل في مبدأ استقلاله
بالسلطنة وكان عنده جماعة كثيرة من أكابر الأمراء وفيهم
عماد الدين أحمد بن المشطوب المذكور في حرف الهمزة
فاتفقوا مع أخيه الملك الفائز سابق الدين إبراهيم بن الملك

العادل وانضموا إليه وظهر للملك الكامل منهم أمور تدل على أنهم عازمون على تفويض السلطنة إليه وخلع الملك الكامل واشتهر ذلك بين الناس وكان الملك الكامل يداريهم لكونه في قبالة العدو ولا يمكنه المقافزة والمنافرة وطول نفسه معهم ولم يزل على ذلك حتى وصل إليه أخوه الملك المعظم صاحب دمشق المذكور في حرف العين يوم الخميس تاسع عشر ذي القعدة سنة خمس عشرة وستمائة فأطلعه الملك الكامل في الباطن على صورة الحال وأن رأس هذه

80 الطائفة ابن المشطوب فجاءه يوما على غفلة إلى خيمته واستدعاه فخرج إليه فقال له أريد أن أتحدث معك سرا في خلوة فركب فرسه وسار معه وهو جريدة وقد جرد المعظم جماعة ممن يعتمد عليهم ويثق إليهم وقال لهم اتبعونا ولم يزل المعظم يشاغله بالحديث ويخرج معه من شيء إلى شيء حتى أبعدا عن المخيم ثم قال له يا عماد الدين هذه البلاد لك ونشتهي أن تهبها لنا ثم أعطاه شيئا من النفقة وقال لأولئك المجردين تسلموه حتى تخرجوه من الرمل فلم يسعه إلا امتثال الأمر لانفراده وعدم القدرة على الممانعة في تلك الحال ثم عاد المعظم إلى أخيه الكامل وعرفه صورة ما جرى ثم جهز أخاه الملك الفائز إلى الموصل لإحضار النجدة منها ومن بلاد الشرق فمات بسنجار وكان ذلك خديعة لإخراجه من البلاد فلما خرج هذان الشخصان من العسكر تحللت عزائم من بقي من

الأمراء الموافقين لهما ودخلوا في طاعة الملك الكامل كرها لا طوعا وجرى في قضية دمياط ما هو مشهور فلا حاجة إلى الإطالة بذكره ولما ملك الفرنج دمياط وصارت في قبضتهم خرجوا منها قاصدين القاهرة ومصر ونزلوا في رأس الجزيرة التي دمياط في برها وكان المسلمون قبالتهم في القرية المعروفة بالمنصورة والبحر حائل بينهم وهو بحر أشموم ونصر الله تعالى بمنه وجميل لطفه المسلمين عليهم كما هو مشهور ورحل الفرنج عن منزلهم ليلة الجمعة سابع شهر رجب سنة ثمان عشرة وستمائة وتم الصلح بينهم وبين المسلمين في حادي عشر الشهر المذكور ورحل الفرنج عن البلاد في شعبان من السنة المذكورة وكانت مدة إقامتهم في بلاد الإسلام ما بين الشام والديار المصرية أربعين شهرا وسبعة عشر يوما وكفى الله شرهم والحمد لله على ذلك وقد فصلت ذلك في ترجمة يحيى بن جراح فيكشف هناك فلما استراح خاطر الملك الكامل من جهة هذا العدو تفرغ للأمراء الذين كانوا متحاملين عليه فنفاهم عن البلاد وبدد شملهم وشردهم ودخل إلى القاهرة

81 وشرع في عمارة البلاد واستخراج الأموال من جهاتها وكان سلطانا عظيم القدر جميل الذكر محبا للعلماء متمسكا بالسنة النبوية حسن الاعتقاد معاشرا لأرباب الفضائل حازما في أموره لا يضع الشيء إلا في موضعه من غير إسراف ولا إقتار وكانت تبيت عنده كل ليلة

جمعة جماعة من الفضلاء ويشاركهم في مباحثاتهم ويسألهم عن المواضع المشكلة من كل فن وهو معهم كواحد منهم وكان يعجبه هذان البيتان وينشدهما كثيرا وهما (ما كنت من قبل ملك قلبي * تصد عن مدنف حزين) (وإنما قد طمعت لما * حللت في موضع حصين) وبنى بالقاهرة دار حديث ورتب لها وقفا جيدا وكان قد بنى على ضريح الإمام الشافعي رضي الله عنه قبة عظيمة ودفن أمه عنده وأجرى إليها من ماء النيل ومدده بعيد وغرم على ذلك جملة عظيمة ولما مات أخوه الملك المعظم صاحب الشام في التاريخ المذكور في ترجمته وقام ولده الملك الناصر صلاح الدين داود مقامه خرج الملك الكامل من الديار المصرية قاصدا أخذ دمشق منه وجاءه أخوه الملك الأشرف مظفر الدين موسى الآتي ذكره بعد هذا إن شاء الله تعالى فاجتمعا على أخذ دمشق بعد فصول جرت يطول شرحها وملك دمشق في أول شعبان سنة ست وعشرين وستمائة وكان يوم الاثنين فلما ملكها دفعها إلى أخيه الملك الأشرف وأخذ عوضها من بلاد الشرق حران والرها وسروج والرقة ورأس عين وتوجه إليها بنفسه في تاسع شهر رمضان المعظم من السنة المذكورة واجتزت بحران في شوال سنة ست وعشرين وستمائة والملك الكامل مقيم بها بعساكر الديار المصرية وجلال الدين خوارزم شاه يوم ذاك يحاصر خلاط وكانت لأخيه الملك الأشرف ثم رجع إلى الديار

المصرية ثم تجهز في جيش عظيم وقصد آمد في سنة
تسع وعشرين وستمائة فأخذها مع حصن كيفا وتلك البلاد
من الملك المسعود ركن الدين مودود بن الملك الصالح
82 أبي الفتح محمد بن نور الدين محمد بن فخر
الدين قرا أرسلان بن ركن الدولة داود ابن نور الدولة
سقمان ويقال سكمان بن أرتق وقد تقدم ذكر جدهم أرتق
أخبرني بعض أهل آمد ممن عنده معرفة أن آمد انبرم
أمرها وتسليمها إلى الملك الكامل في تاسع عشر ذي
الحجة من السنة المذكورة ودخلها ولده الملك الصالح نجم
الدين أيوب في العشرين من الشهر المذكور ودخلها الملك
الكامل في مستهل المحرم سنة ثلاثين وستمائة ولما مات
الملك الأشرف في التاريخ الآتي ذكره إن شاء الله تعالى
في ترجمته جعل ولي عهده أخاه الملك الصالح إسماعيل
بن الملك العادل فقصده الملك الكامل وانتزع منه دمشق
بعد مصالحة جرت بينهما وذلك في التاسع من جمادى
الأولى سنة خمس وثلاثين وستمائة وأبقى له بعلبك
وأعمالها وبصرى وأرض السواد وتلك البلاد ولما ملك
البلاد الشرقية وآمد وتلك النواحي استخلف فيها ولده الملك
الصالح نجم الدين أبا المظفر أيوب واستخلف ولده
الأصغر الملك العادل سيف الدين أبا بكر بالديار المصرية
وقد تقدم في ترجمة الملك العادل أنه سير الملك المسعود
إلى اليمن وكان أكبر أولاد الملك الكامل وملك الملك
المسعود مكة حرسها الله تعالى وبلاد الحجاز مضافة إلى

اليمن وكان رحيل الملك المسعود عن الديار المصرية متوجها إلى اليمن يوم الاثنين سابع عشر رمضان المعظم سنة إحدى عشرة وستمائة ودخل مكة شرفها الله تعالى في الثالث من ذي القعدة من السنة وخطب له بها وحج ودخل زبيد وملكها مستهل المحرم سنة اثنتي عشرة ثم ملك مكة شرفها الله تعالى في ربيع الآخر من سنة عشرين وستمائة أخذها من الشريف حسن بن قتادة الحسني واتسعت المملكة للملك الكامل ولقد حكى لي من حضر الخطبة يوم الجمعة بمكة شرفها الله تعالى أنه لما وصل الخطيب إلى الدعاء للملك الكامل قال صاحب مكة وعبيدها واليمن وزبيدها ومصر وصعيدها والجزيرة ووليدها سلطان القبلتين ورب العلامتين خادم الحرمين الشريفين أبو
83 المعالي محمد الملك الكامل ناصر الدين خليل أمير المؤمنين وبالجملة فقد خرجنا عن المقصود ولقد رأيته بدمشق في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة عند رجوعه من بلاد الشرق واستنقاذه إياها من يد علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو بن قلج أرسلان بن مسعود ابن قلج أرسلان بن سليمان بن قتلمش بن إسرائيل بن سلجوق بن دقاق السلجوقي صاحب الروم وهي وقعة مشهورة يطول شرحها وفي خدمته يومئذ بضعة عشر ملكا منهم أخوه الملك الأشرف ولم يزل في علو شانه وعظم سلطانه إلى أن مرض بعد أخذ دمشق ولم يركب وكان ينشد في مرضه كثيرا (يا خليلي خبراني بصدق * كيف طعم

الكرى فإني عليل) ولم يزل كذلك إلى أن توفي يوم الأربعاء بعد العصر ودفن بالقلعة بمدينة دمشق يوم الخميس الثاني والعشرين من رجب سنة خمس وثلاثين وستمائة وكنت بدمشق يومئذ وحضرت الصبحة يوم السبت في جامع دمشق لأنهم أخفوا موته إلى وقت صلاة الجمعة فلما حضرت الصلاة قام بعض الدعاة على العريش الذي بين يدي المنبر وترحم على الملك الكامل ودعا لولده الملك العادل صاحب مصر وكنت حاضرا في ذلك الموضع فضج الناس ضجة واحدة وكانوا قد أحسوا بذلك لكنهم لم يتحققوه إلا ذلك اليوم وترتب ابن أخيه الملك الجواد مظفر الدين يونس بن شمس الدين مودود ابن الملك العادل في نيابة السلطنة بدمشق عن الملك العادل بن الملك الكامل صاحب مصر باتفاق الأمراء الذين كانوا حاضرين ذلك الوقت بدمشق ثم بنى له تربة مجاورة للجامع ولها شباك إلى الجامع ونقل إليها وكانت ولادته في سنة ست وسبعين وخمسمائة في الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول كذا وجدته بخط من يعتني بالتاريخ والله أعلم 218 وتوفي ولده الملك المسعود بمكة شرفها الله تعالى في ثالث عشر جمادى الأولى سنة ست وعشرين وستمائة ومولده في سنة سبع وتسعين وخمسمائة وكان
84 بمكة رجل من المجاورين يقال له الشيخ صديق بن بدر بن جناح من أكراد بلد إربل وكان من كبار الصالحين فلما حضرت الملك المسعود الوفاة أوصى أنه

إذا مات لا يجهز بشيء من ماله بل يسلم إلى الشيخ صديق يجهزه من عنده بما يراه فلما مات تولى الشيخ صديق أمره وكفنه في إزار كان أحرم فيه بالحج والعمرة سنين عديدة وجهزه تجهيز الفقراء على حسب قدرته وكان أوصى أنه لا يبنى على قبره شيء بل يدفن في جانب المعلى جبانة مكة شرفها الله تعالى ويكتب على قبره هذا قبر الفقير إلى رحمة الله تعالى يوسف بن محمد بن أبي بكر بن أيوب ففعل به ذلك ثم إن عتيقه الصارم قايماز المسعودي الذي تولى القاهرة بعد ذلك بنى عليه قبة ولما بلغ الملك الكامل ما فعله الشيخ صديق كتب إليه وشكره فقال ما فعلت ما أستحق به الشكر فإن هذا رجل فقير سألني القيام بأمره فساعدته بما يجب على كل أحد القيام به من مواراة الميت فقيل له تكتب جواب الملك الكامل فقال ليس لي إليه حاجة وكان قد سأله أن يسأله حوائجه كلها فما رد عليه الجواب أخبرني بذلك كله من كان حاضرا ويعرف ما يقول والله أعلم 219 وأما ولده الملك العادل فإنه أقام في المملكة إلى يوم الجمعة ثامن ذي القعدة سنة سبع وثلاثين وستمائة فقبض عليه أمراء دولته بظاهر بلبيس وطلبوا أخاه الملك الصالح نجم الدين أيوب وكان الصالح قد صالح الملك الجواد على أن أعطاه دمشق وعوضه عنها سنجار وعانة وقدم الصالح دمشق متملكا لها في مستهل جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وستمائة ثم إن عمه الملك الصالح عماد الدين إسماعيل صاحب

بعلبك اتفق مع الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه صاحب حمص على أخذ دمشق اغتيالا وكان الملك الصالح نجم الدين قد خرج منها قاصدا الديار المصرية ليأخذها من أخيه الملك العادل فلما استقر بنابلس وأقام بها مدة جرت هذه الكائنة في سنة سبع وثلاثين وستمائة يوم الثلاثاء السابع والعشرين من صفر فهجما دمشق

85 بعساكرهما وأخذاها وهي قضية مشهورة فلما أخذت دمشق رجع العسكر الذي كان مع الصالح نجم الدين إليها ليدرك كل واحد منهم أهله وبنيه وتركوا الملك الصالح بنابلس وحيدا في نفر قليل من غلمانه وأتباعه فجاءه الملك الناصر ابن الملك المعظم صاحب الكرك وقبض عليه ليلة السبت الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول من السنة وأرسله إلى الكرك واعتقله بها ثم إنه أفرج عنه في ليلة السبت السابع والعشرين من شهر رمضان المعظم من السنة المذكورة وشرح ذلك يطول واجتمع هو والملك الناصر على نابلس فلما قبض الملك العادل في التاريخ المذكور وطلب الأمراء الملك الصالح نجم الدين أيوب جاءهم ومعه الملك الناصر صاحب الكرك ودخلا القاهرة في الساعة الثانية من يوم الأحد السابع والعشرين من ذي القعدة سنة سبع وثلاثين وستمائة وكنت إذ ذاك بالقاهرة وأدخل أخوه الملك العادل في محفة وحوله جماعة كثيرة من الأجناد يحفظونه وحمله من

خارج البلد إلى القلعة واعتقله بها عند دخوله في داخل
الدور السلطانية وبسط العدل في الرعية وأحسن إلى الناس
وأخرج الصدقات ورمم ما تهدم من المساجد وسيرته
طويلة ثم إنه أخذ دمشق من عمه الملك الصالح في يوم
الاثنين ثامن جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعين وستمائة
وأبقى عليه بعلبك ومضى بعد ذلك إلى الشام في سنة أربع
وأربعين ودخلها في تاسع عشر ذي القعدة من السنة ثم
توجه إليها ست وأربعين بعد أن كان عاد إلى مصر ودخل
دمشق في أوائل شعبان من السنة وسير العساكر لحصار
حمص وقد كان الملك الناصر صاحب حلب أخذها من
صاحبها الأشرف ابن صاحب حمص ثم رجع في أوائل
سنة سبع وأربعين وهو مريض وقصد الفرنج دمياط وهو
مقيم بأشموم ينتظر وصولهم وكان وصولهم إليها
86 يوم الجمعة العشرين من صفر سنة سبع
وأربعين وستمائة وملكوا بر الجيزة يوم السبت وملكوا
دمياط يوم الأحد ثلاثة أيام متوالية لأن العسكر وجميع
أهلها تركوها وهربوا منها وانتقل الملك الصالح من
أشموم إلى المنصورة ونزل بها وهو في غاية من المرض
وأقام بها على تلك الحال إلى أن توفي هناك ليلة الاثنين
نصف شعبان من السنة المذكورة وحمل إلى القلعة الجديدة
التي في الجزيرة وترك بها في مسجد هناك وأخفي موته
مقدار ثلاثة أشهر والخطبة باسمه إلى أن وصل ولده الملك
المعظم توران شاه من حصن كيفا على البرية إلى

المنصورة فعند ذلك أظهروا موته وخطب لولده المذكور
ثم بعد ذلك بني له بالقاهرة إلى جنب مدارسه تربة ونقل
إليها في رجب سنة ثمان وأربعين وستمائة وكانت ولادته
في الرابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاث
وستمائة هكذا وجد بخط ابنه مكتوبا ورأيت في مكان آخر
أنه ولد في ليلة الخميس الخامس من جمادى الآخرة من
السنة المذكورة وفي مكان آخر أنه ولد في الرابع من
المحرم سنة أربع وستمائة والله تعالى أعلم وأمه جارية
مولدة سمراء اسمها ورد المنى رحمه الله تعالى وكانت
ولادة الملك العادل في ذي الحجة سنة سبع عشرة وستمائة
بالمنصورة ووالده في قبالة العدو على دمياط وتوفي في
الاعتقال يوم الاثنين ثاني عشر شوال سنة خمس وأربعين
وستمائة بقلعة القاهرة ودفن في تربة شمس الدولة خارج
باب النصر رحمه الله تعالى هذه الفصول ذكرت
خلاصتها ولو فصلتها لطال الشرح والمقصود الاختصار
وطلب الإيجاز مع أني كنت حاضرا أكثر وقائعها 220
وكان للملك العادل المذكور ولد صغير يقال له الملك
المغيث مقيما بالقلعة فلما وصل بن عمه الملك المعظم
توران شاه إلى المنصورة سير من هناك ونقله إلى قلعة
الشوبك فلما جرت الكائنة على المعظم أحضر متسلم قلعة
الكرك
87 الملك المغيث من الشوبك وسلم إليه الكرك
والشوبك وتلك النواحي وهو الآن ملكها ولم يزل مالكا لها

إلى سنة إحدى وستين وستمائة فنزل الملك الظاهر ركن الدين بيبرس المذكور في ترجمة القاضي مجلي صاحب كتاب الذخائر بالغور وراسله وبذل له من تسليم البلد بذولا كثيرة وحلف له ويقال إنه ورى في اليمين ولم يستقض فيها فنزل إليه إلى منزله بالطور من الغور فقبض عليه ساعة وصوله وجهزه إلى قلعة الجبل بمصر واعتقله بها 221 وكان للمغيث ولد ينعت بالعزيز فخر الدين عثمان صغير السن فأمره الملك الظاهر ولم يزل في خدمته أميرا إلى أن فتح أنطاكية في شهر رمضان سنة ست وستين وستمائة وتوجه من الشام بعد ذلك إلى مصر فلما دخل إليها قبض عليه واعتقله وهو الآن معتقل بقلعة الجبل المذكورة وهذه قلعة الكرك هي المذكورة في ترجمة القاضي مجلي أيضا وكان الملك الظاهر يخاف على أولاده فكان يبالغ في تحصين القلعة المذكورة ويملؤها بالذخائر والأموال ولما جرى لولده السعيد ما ذكرنا في ترجمة القاضي مجلي وتوجه إلى الكرك نفعته تلك الذخائر ووجدها عونا له على زمانه 222 ولما توفي الملك السعيد ابن الملك الظاهر في الكرك كما ذكرناه في الترجمة المذكورة ملكها بعد أخوه الملك المسعود نجم الدين خضر ابن الملك الظاهر باتفاق ممن كان بها من مماليك أبيه ومن أمرائه وهو الآن متملكها مقيم بها ثم نزل منها بالأمان بعد حصاره فيها في مدة الأمير حسام الدين طرنطاي المنصوري كان نائب المملكة وتقدم العساكر

ونزل معه أخوه الملك العادل سلامش بعد أخيه السعيد وتوجه إلى الديار المصرية إلى خدمة السلطان الملك
88 المنصور سيف الدين قلاون الصالحي المذكور في ترجمة القاضي مجلي في أوائل هذا الحرف فأحسن السلطان إليهما وجعل الملك خضرا وأخاه سلامش أميرين وأقطعهما الإقطاعات الجيدة وأسكنهما بقلعة الجبل المنصور واستمر الأمر على ذلك وهما مختلطان به في جملة أهله ملازمان للركوب مع ولديه السلطان الملك الصالح علاء الدين والملك الأشرف صلاح الدين خليل ولم يزل الأمر كذلك إلى شهور سنة ثمان وثمانين وستمائة فجرى من الأمر ما اقتضى الحال معه القبض على الأميرين نجم الدين خضر وبدر الدين سلامش المذكورين واعتقالهما بقلعة الجبل المنصورة وأما الملك الصالح بن الملك المنصور المذكور فإنه كان ولي عهد أبيه وكان حازما شديد الرأي وتوفي في حياة والده في شهر شعبان سنة سبع وثمانين وستمائة ثم إن والده جعل ولاية العهد إلى ولده الملك الأشرف المذكور وقلده الملك في شهر شوال سنة سبع وثمانين المذكورة وهو من الملوك المشهورين بعلو الهمة والسعادة والحزم وتوفي الملك المنصور قلاون في يوم السبت من شهر ذي القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة في دهليزه بمسجد التين وكان قد خرج على نية الغزاة إلى عكا فعرض له مرض فقضى به نحبه وعادت العساكر إلى مستقرها واستقل ولده

السلطان الملك الأشرف بالمملكة يجمع المعاقل والبلاد ولم
ير في الملوك أكثر سعادة منه ولا أعلى همة ولا أكرم
نفسا ولا أكثر وفاء لمن خدمه ولاذ به وفي أيام الملك
المنصور فتحت طرابلس الشام يوم الثلاثاء تاسع ربيع
الآخر سنة ثمان وثمانين وستمائة وكان نازلها بنفسه
وعساكره وفتحها قهرا بالسيف واستولى القتل والأسر
والنهب على أهلها وملك ما جاورها من قلعة جبيل
والبترون وغير ذلك ثم إن الملك الأشرف المذكور بعد
استقلاله بالملك بمدة يسيرة خرج بنفسه وجمع عساكره
وتوجه إلى عكا فنازلها في يوم وكان خروجه من مصر
في يوم واجتمع على عكا جميع الناس الجند والمتطوعة
وغيرهم وسائر البلاد ويسر الله فتحها في يوم الجمعة
سابع عشر جمادى الأولى سنة تسعين وستمائة في مثل
الساعة من اليوم من الشهر الذي أخذت فيه من المسلمين
إلا أن الشهر كان الأولى وأخذت من المسلمين في أيام
صلاح الدين يوسف بن أيوب في الآخرة سنة سبع وثمانين
وخمسمائة وأن

89 السلطان الملك الأشرف صلاح الدين أخرج
أهلها منها وقتلهم جميعا بالسيف وكذلك الفرنج عملوا
بالذي كان فيها من المسلمين لما ملكوها في أيام صلاح
الدين فانظروا إلى هذا الاتفاق العجيب في أمور كثيرة لما
أخذت من صلاح الدين ملكها صلاح الدين وقتل المسلمون
بها ثم قتل الكافرون بها وأخذت من المسلمين ثاني ساعة

من يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة ثم ملكها
المسلمون ثاني ساعة من يوم الجمعة سابع عشر جمادى
الأولى فسبحان مقدر الأمور ثم انحلت عزائم الفرنج عن
أخذ عكا فهرب من كان ببيروت وعثليث وهما حصنان
عظيمان لا تتطرق الأوهام إليهما وملكهما المسلمون
بحول الله وقوته من غير منازع وملكوا أيضا صيدا
وبيروت وحيفا فلم يبق للفرنج على الساحل الشامي قلعة
ولا بلد ولا قرية ولا جزيرة إلا وملك المسلمون ذلك
جميعه والحمد لله وحده وتوفي المعظم توران شاه يوم
الاثنين السابع والعشرين من المحرم من سنة ثمان
وأربعين وستمائة رحمه الله تعالى والله تعالى أعلم 694
ب الملك الكامل الايوبي أبو المعالي محمد بن أبي بكر
الملقب الملك الكامل ناصر الدين صاحب الديار المصرية
خطب له اخوته وأهل بيته في بلادهم وضربوا السكة
باسمه وكان محبوبا إلى الناس مسعودا مؤيدا في الحروب
ولما نزل الفرنج على دمياط في صفر سنة خمس عشرة
اتفق لما يريده الله تعالى وفاة والده العادل وجرت أمور مع
ذلك أوجبت خروج السلطان ومن معه من المخيم ليلا إلى
أشموم حسبما هو مشروح في ترجمة عماد الدين أحمد بن
المشطوب المذكور في حرف الهمزة
90 وكان الفرنج قد ساروا عن دمياط في الفارس
والراجل وقصدوا الملك الكامل فنزلوا مقابله وبينهما بحر
أشموم وهم يرمون بمناجيقهم وجروخهم إلى عساكر

المسلمين وتيقنوا وكل الناس أنهم يملكون الديار المصرية فوصل الأشرف وتلقاه أخواه الكامل والمعظم واستبشروا به وكافة المسلمين وتوقعوا النصرة على الأعداء الكافرين ووقع الاتفاق أن يبعثوا في بحر المحلة أسطولا يدخل إلى بحر دمياط ليمنع الميرة عن الفرنج وأمر السلطان بنصب الجسور وعبر عليها المسلمون إلى جزيرة شرمساح التي الفرنج مخيمون عليها وكسروا النيل عليها وكان النيل في زيادته فركب الماء أكثر تلك الأرض ولم يبق للفرنج جهة يسلكونها غير جهة واحدة ضيقة إن أرادوا العود إلى دمياط وعبرت العساكر وملكوا الطريق ولم يبق لهم خلاص وأيقنوا بالهلكة فراسلوا السلطان الملك الكامل يبذلون له النزول عن دمياط على أن يؤمنهم فأجابهم إلى ذلك وشرط عليهم إطلاق من في أيديهم من أسرى المسلمين وأخذ منهم رهائن ملوكهم على تسليم البلد وتقرر بينهم صلح مدة ثمان سنين وتسلم السلطان دمياط يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب فكانت مدة ملك الفرنج لها سنة وعشرة أشهر وأربعة وعشرين يوما وكان يوما مشهودا ومن العجيب أن المسلمين لما تسلموها وصلت للفرنج نجدة في البحر فلو سبقوا المسلمين إليها لامتنعوا من تسليم دمياط ليقضي الله أمرا كان مفعولا فلما دخلها المسلمون لم يجدوا فيها من أهلها إلا آحادا فبعضهم سار عنها باختياره وبعضهم مات وكان الفرنج قد حصنوها تحصينا عظيما بحيث بقيت لا ترام ولا يوصل

إليها وأعاد الله سبحانه وتعالى الحق إلى نصابه ورده إلى أربابه فالله المحمود المشكور على ما أنعم به على الإسلام والمسلمين من كف عادية هذا العدو وكفاهم شره منقبة للملك الكامل جرت في هذه النوبة لما وقع الحصار على مدينة دمياط اتفق أن علجا منهم لعنه الله قد ألهج لسانه بسب النبي معلنا به على خنادقهم ومنكيا لمن يليهم من حرس الإسلام ورجالهم وكان أمره قد استفحل وداء اشتهاره بهذه العظيمة قد أعضل وقد جعل هذا
91 الأمر ديدن جهاده وذهب عنه أن الله تعالى ينتقم لنفسه من عتو هذا اللعين وعناده فلما كانت الوقعة المشهورة في شعبان من سنة ست عشرة التي أسر فيها أعلاج الكفر وكنودهم وأفاء الله على أهل دينه عدوهم وعديدهم واستولى منهم على ما يناهز ألفي فارس عرف هذا العلج في جملة من اشتمل عليه الاستيلاء منهم حصرا وعدا وعوجل بعقوبة كفره الذي تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هذا فلما صفد في وثاقه وخرست شقاشق شقاقه أشعر السلطان الملك الكامل بموضعه فتنوعت المشورات بصورة قتل هذا الكافر واللحاق بروحه إلى الجحيم التي هي مأوى الفاجر فصمم الملك الكامل على إرسال هذا العلج مع من يوصله إلى والي المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وإشعاره بأمره وأن يباشر بذلك المحل الشريف تطهير الأرض من كفره فلما وصل أقيم بين يدي الضريح

المطهر ونوجي ذلك المحل الأطهر وذلك في عيد الفطر
من السنة المذكورة وقيل يا رسول الله هذا عدو الله
وعدوك والمصرح في ملة كفره بسبك وسب صاحبك قد
أرسله محمد سلطان مصر ليقتل بين يديك ويشكر الله لما
وفقه من مجاهدة الشرك الذين كفروا بما أنزل إليك ورام
أن يجعله عبرة لمن انتهك حرمتك واجترأ عليك فتهادته
أيدي المنايا ضربا بالسيوف وفرح المؤمنون بنصر الله
لدينه على طوائف الشرك وإن رغمت منها الأنوف
والحمد لله رب العالمين لا جرم أنه بعد وفاته أثيب على
هذا المقصد السديد والتوفيق الذي ما على النعمة به من
مزيد ان الانبرور ملك صقلية وغيرها من بلاد الفرنج
وهو اليوم أكبر ملوكهم خطرا وكانت بينه وبين الملك
الكامل صداقة ومهاداة يألفه بها إلى أن تأكدت له محبته
وصار ذبه عن بلاده من طوائف الكفر ديدنه وعادته كان
عنده من الأسرى المأخوذين من مدينة ميرقة من الغرب
عند استيلائه عليها جماعة فأحضرهم الانبرور بين يديه
وقال لهم يا حجاج قد أعتقتكم عن الملك الكامل وسيرهم
مع قصاد تقودهم إلى عكا وأمرهم بحل قيودهم عند قبره
وإطلاق سبيلهم
92 وكانت وفاته بدمشق يوم الأربعاء آخر النهار
ودفن يوم الخميس في الساعة الثانية منه وذلك لتسع بقين
من شهر رجب سنة خمس وثلاثين وستمائة بالكلاسة
رحمه الله تعالى ولما توفي كان ولده الملك الصالح نجم

الدين أيوب بالبلاد الشرقية وهي التي كانت بيده في حياة والده وكان ولده الملك العادل سيف الدين أبو بكر بالديار المصرية ولما بلغ بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل وفاة السلطان قصد سنجار مريدا حصارها وبها الملك الصالح نجم الدين فنازلها وزحف إليها فأرسل عليهم الخوارزمية فأوقعوا بهم واستولوا على جميع ما معهم من الأثقال ثم جرت مراسلات آخرها أنهم انقادوا لأمره ودخلوا في طاعته وكانت هذه الواقعة من الوقائع العجيبة ولما كان مستهل جمادى الآخرة وصل الملك الصالح المذكور إلى دمشق ودخلها في الساعة الخامسة من النهار وقد تقدم في ترجمة بهاء الدين زهير المذكور طرف من حديثه وملكه للديار المصرية حسبما شرحناه ثم 695 محمد بن عبد الله بن طاهر أبو العباس محمد بن عبد الله بن طاهر الخزاعي كان شيخا فاضلا وأديبا شاعرا وهو أمير ابن أمير ابن أمير ولي إمارة بغداد في أيام المتوكل وكان مألفا لأهل العلم والأدب وقد أسند حديثا عن أبي الصلت قال أحمد بن يزيد المهلبي كانت لأبي حاجة الى محمد بن عبد الله بن طاهر فكتب إليه (ألا مبلغ عني الأمير محمدا * مقالا له فضل على القول واسع)
93 (لنا حاجة إن أمكنتك قضيتها * وإن هي لم تمكن فعذرك واسع) (فأنت وإن كنت الجواد بعينه * فلست بمعطي الناس ما الله مانع) (فإن يور زند الطاهري فبالحرى * وإلا فقد تنبو السيوف القواطع)

وقيل كان الحسن بن وهب عند محمد بن عبد الله بن طاهر فعرضت سحابة وبرقت ومطرت فقال كل من حضر فيها شيئا فقال الحسن (هطلتنا السماء هطلا دراكا * عارض المرزمان فيها السماكا) (قلت للبرق إذ توقد فيها * يا زناد السماء من أوراكا) (أحبيب نأيته فجفاكا * فهو العارض الذي استبكاكا) (أم تشبهت بالأمير أبي العباس * في جوده فلست هناكا) قال إبراهيم بن عرفة في سنة ثلاث وخمسين ومائتين لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة انكسف القمر في أول الليل حتى ذهب أكثره فلما انتصف الليل مات محمد بن عبد الله بن طاهر وكان به خراج في حلقه واشتد حتى عولج بالفتائل وفي وفاته يقول أخوه عبد الله بن عبد الله بن طاهر (هد ركن الخلافة الموطود * زال عنها السرادق الممدود) (كسف البدر والأمير جميعا * وانجلى البدر والأمير عميد) ودفن في مقابر قريش رحمه الله تعالى

94 696 الوزير ابن الزيات أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة المعروف بابن الزيات وزير لمعتصم كان جده أبان رجلا من أهل جبل من قرية كان بها يقال لها الدسكرة بجلب الزيت من مواضعه إلى بغداد فسمت بمحمد المذكور همته على ما يأتي ذكره فيه وكان من أهل الأدب الظاهر والفضل الباهر أديبا فاضلا بليغا عالما بالنحو واللغة ذكر ميمون بن هرون الكاتب أن أبا عثمان المازني لما قدم بغداد في أيام المعتصم كان

أصحابه وجلساؤه يخوضون بين يديه في علم النحو فإذا
اختلفوا فيما يقع فيه الشك يقول لهم أبو عثمان ابعثوا إلى
هذا الفتى الكاتب يعني محمد بن عبد الملك المذكور
فاسألوه واعرفوا جوابه فيفعلون ويصدر جوابه بالصواب
الذي يرتضيه أبو عثمان ويوقفهم عليه وقد ذكره دعبل بن
علي الخزاعي المقدم ذكره في كتاب طبقات الشعراء
وذكره أبو عبد الله هرون بن المنجم الآتي ذكره إن شاء
الله تعالى في كتاب البارع وأورد له من شعره عدة مقاطيع
وكان في أول أمره من جملة الكتاب وكان أحمد بن عمار
بن شاذي البصري وزير المعتصم فورد على المعتصم
كتاب من بعض العمال فقرأه الوزير عليه وكان في
الكتاب ذكر الكلأ فقال له المعتصم ما الكلأ فقال لا أعلم
وكان قليل المعرفة بالأدب فقال المعتصم خليفة أمي
ووزير عامي وكان المعتصم ضعيف الكتابة ثم قال
أبصروا من بالباب من الكتاب فوجدوا
95 محمد بن عبد الملك المذكور فأدخلوه إليه فقال له
ما الكلأ فقال الكلأ العشب على الإطلاق فإن كان رطبا
فهو الخلا فإذا يبس فهو الحشيش وشرع في تقسيم أنواع
النبات فعلم المعتصم فضله فاستوزره وحكمه وبسط يده
وقد ذكرنا ما كان بينه وبين القاضي أحمد بن أبي دواد
الإيادي في ترجمته وحكى أبو عبد الله البيمارستاني أن
أبا حفص الكرماني كاتب عمرو بن مسعدة كتب إلى محمد
بن عبد الملك الزيات المذكور أما بعد فانك ممن إذا غرس

سقى وإذا أسس بنى ليستتم بناء أسه ويجتني ثمرة غرسه وبناؤك في ودي قد وهى وشارف الدروس وغرسك عندي قد عطش وأشفى على اليبوس فتدارك بناء ما أسست وسقي ما غرست فقال البيمارستاني فحدثت بذلك أبا عبد الرحمن العطوي فقال في هذا المعنى يمدح محمد بن عمران بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك ثم وجدت الأبيات في ديوان أبي نواس صنعة الأصبهاني وهي (إن البرامكة الكرام تعلموا * فعل الجميل وعلموه الناسا) (كانوا إذا غرسوا سقوا وإذا بنوا * لا يهدمون لما بنوه أساسا) (وإذا هم صنعوا الصنائع في الورى * جعلوا لها طول البقاء لباسا) (فعلام تسقيني وأنت سقيتني * كأس المودة من جفائك كاسا) (آنستني متفضلا أفلا ترى * أن القطيعة توحش الإيناسا) وقد تقدم في ترجمة عبد المحسن الصوري هذا المعنى أيضا ولابن الزيات المذكور أشعار رائقة فمن ذلك قوله (سماعا يا عباد الله مني * وكفوا عن ملاحظة الملاح)
(فإن الحب آخره المنايا * وأوله يهيج بالمزاح) 96
(وقالوا دع مراقبة الثريا * ونم فالليل مسود الجناح) (فقلت وهل أفاق القلب حتى * أفرق بين ليلي والصباح) وله على ما نقلته من خط بعض الأفاضل (ظالم ما علمته * معتد لا عدمته) (مطمع في الوصال ممتنع * حين رمته) (قال إذ أفصح البكاء * بما قد كتمته) (لو بكى طول عمره * بدم ما رحمته) (رب هم طويت فيه *

وغيظ كظمته) (وحياة سئمتها * والهوى ما سئمته)
وذكر الخطيب في تاريخ بغداد أن ابن الزيات المذكور
كان يعشق جارية من جواري القيان فبيعت من رجل من
أهل خراسان فأخرجها قال فذهل عقل ابن الزيات حتى
غشي عليه ثم إنه أنشأ يقول (يا طول ساعات ليل العاشق
الدنف * وطول رعيته للنجم في السدف) (ماذا تواري
ثيابي من أخي حرق * كأنما الجسم منه دقة الألف) (ما
قال يا أسفا يعقوب من كمد * إلا لطول الذي لاقى من
الأسف) (من سره أن يرى ميت الهوى دنفا * فليستدل
على الزيات وليقف) ومن شعره ما ذكره في كتاب
البارع يرثي جاريته وقد خلفت له ابن ثمان سنين وكان
يبكي عليها فيتألم بسببه وهو
97 (ألا من رأى الطفل المفارق أمه * بعيد الكرى
عيناه تنسكبان) (رأى كل أم وابنها غير أمه * يبيتان
تحت الليل ينتجيان) (وبات وحيدا في الفراش تجيبه *
بلابل قلب دائم الخفقان) (فهبني أطلت الصبر عنها
لأنني * جليد فمن للصبر بابن ثمان) (ضعيف القوى لا
يعرف الصبر جسمه * ولا يأتسي بالناس في الحدثان)
وله ديوان رسائل جيد ومدحه البحتري بقصيدته الدالية
وأحسن في وصف خطه وبلاغته وقال في آخرها (
وأرى الخلق مجمعين على فضلك * من بين سيد ومسود)
(عرف العالمون فضلك بالعلم * وقال الجهال بالتقليد)
ولأبي تمام فيه مدائح وجماعة من شعراء عصره

ولإبراهيم بن العباس الصولي المقدم ذكره فيه مقاطيع يعبث به فيها فمن ذلك قوله (أخ كنت آوي منه عند ادكاره * إلى ظل آباء من العز شامخ) (سعت نوب الأيام بيني وبينه * فأقلعن منه عن ظلوم وصارخ) (وإني وإعدادي لدهري محمدا * كملتمس إطفاءه نار نافخ) ومن ذلك قوله أيضا (دعوتك عن بلوى ألمت ضرورة * فأوقدت عن طعن علي سعيرها) (وإني إذا أدعوك عند ملمة * كداعية عند القبور نصيرها) وله أيضا فيه (أبا جعفر خف نبوة بعد دولة * وقصر قليلا عن مدى غلوائكا)

98 (فإن يك هذا اليوم يوما حويته * فإن رجائي في غد كرجائكا) وله فيه أيضا (قلت لها حين أكثرت عذلي * ويحك أزرت بنا المروءات) (قالت فأين السراة قلت لها * لا تسألي عنهم فقد ماتوا) (قالت ولم ذاك قلت لها * هذا وزير الإمام زيات) وله أيضا فيه (لئن صدرت بي زورة عن محمد * بمنع لقد فارقته ومعي قدري) (أليست يدا عندي لمثل محمد * صيانته عن مثل معروفه شكري) وله فيه أيضا (فإن تكن الدنيا أنالتك ثروة * فأصبحت ذا يسر وقد كنت ذا عسر) (فقد كشف الإثراء منك خلائقا * من اللؤم كانت تحت ثوب من الفقر) وله فيه أيضا (من يشتري مني إخاء محمد * أم من يريد إخاءه مجانا) (أم من يخلص من إخاء محمد * وله مناه كائنا من كانا) وله أشياء غير ذلك وما زالت

الأشراف تهجى وتمدح وفيه يقول بعضهم ولا أذكره الآن
ثم ظفرت به بعد ذلك وهو القاضي أحمد بن أبي دواد
الإيادي المقدم ذكره وكان ابن الزيات المذكور قد هجاه
بتسعين بيتا فعمل القاضي أحمد فيه بيتين وهما (أحسن
من تسعين بيتا سدى * جمعك معناهن في بيت) (ما
أحوج الملك إلى مطرة * تغسل عنه وضر الزيت)
99 ونسب صاحب العقد هذين البيتين إلى علي بن
الجهم والأول حكاه في الأغاني والله تعالى أعلم فأجابه ابن
الزيات عن بيتيه بقوله معرضا بأن بعض أجداد القاضي
كان يبيع القار (يا أيها الطامع في هجونا * نفسك قد
عرضت للموت) (الزيت لا يزري بأحسابنا * أحسابنا
معروفة البيت) (قيرتم الملك فلم ننقه * حتى غسلنا القار
بالزيت) ولما مات المعتصم وقام بالأمر ولده الواثق
هارون أنشد ابن الزيات المذكور (قد قلت إذ غيبوك
وانصرفوا * في خير قبر لخير مدفون) (لن يجبر الله
أمة فقدت * مثلك إلا بمثل هارون) وأقره الواثق على ما
كان عليه في أيام المعتصم بعد أن كان متسخطا عليه في
أيام أبيه وحلف يمينا مغلظة أنه ينكبه إذا صار الأمر إليه
فلما ولي أمر الكتاب أن يكتبوا ما يتعلق بأمر البيعة فكتبوا
فلم يرض ما كتبوه فكتب ابن الزيات نسخة رضيها وأمر
بتحرير المكاتبات عليها فكفر عن يمينه وقال عن المال
والفدية عن اليمين عوض وليس عن الملك وابن الزيات
عوض فلما مات وتولى المتوكل كان في نفسه منه شيء

كثير فسخط عليه بعد ولايته بأربعين يوما فقبض عليه واستصفى أمواله وكان سبب قبضه عليه أنه لما مات الواثق بالله أخو المتوكل أشار محمد المذكور بتولية ولد الواثق وأشار القاضي أحمد ابن أبي دواد المذكور بتولية المتوكل وقام في ذلك وقعد حتى عممه بيده وألبسه البردة وقبله بين عينيه وكان المتوكل في أيام الواثق يدخل على الوزير المذكور فيتجهمه ويغلظ عليه في الكلام وكان يتقرب بذلك إلى قلب الواثق فحقد المتوكل ذلك عليه فلما ولي الخلافة خشي إن نكبه عاجلا أن يستر أمواله فيفوته فاستوزره ليطمئن وجعل القاضي أحمد يغريه ويجد لذلك عنده موقعا

100 فلما قبض عليه ومات في التنور كما سيأتي ذكره لم يجد من جميع أملاكه وضياعه وذخائره إلا ما كانت قيمته مائة ألف دينار فندم على ذلك ولم يجد عنه عوضا وقال للقاضي أحمد أطمعتني في باطل وحملتني على شخص لم أجد عنه عوضا وكان ابن الزيات المذكور قد اتخذ تنورا من حديد وأطراف مساميره المحددة إلى داخل وهي قائمة مثل رؤوس المسال في أيام وزارته وكان يعذب فيه المصادرين وأرباب الدواوين المطلوبين بالأموال فكيفما انقلب واحد منهم أو تحرك من حرارة العقوبة تدخل المسامير في جسمه فيجدون لذلك أشد الألم ولم يسبقه أحد إلى هذه المعاقبة وكان إذا قال له أحد منهم أيها الوزير ارحمني فيقول له الرحمة خور في

الطبيعة فلما اعتقله المتوكل أمر بإدخاله في التنور وقيده بخمسة عشر رطلا من الحديد فقال يا أمير المؤمنين ارحمني فقال له الرحمة خور في الطبيعة كما كان يقول للناس فطلب دواة وبطاقة فأحضرتا اليه فكتب (هي السبيل فمن يوم إلى يوم * كأنه ما تريك العين في النوم) (لا تجزعن رويدا إنها دول * دنيا تنقل من قوم إلى قوم) وسيرها إلى المتوكل فاشتغل عنها ولم يقف عليها إلا في الغد فلما قرأها المتوكل أمر بإخراجه فجاؤوا إليه فوجدوه ميتا وذلك في سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وكانت مدة إقامته في التنور أربعين يوما وكان القبض عليه لثمان مضين من صفر من السنة المذكورة ولما مات وجد في التنور مكتوب بخطه قد خطه بالفحم على جانب التنور يقول (من له عهد بنوم * يرشد الصب إليه) (رحم الله رحيما * دل عيني عليه) 101 سهرت عيني ونامت * عين من هنت لديه) وقال أحمد الأحول لما قبض على ابن الزيات تلطفت إلى أن وصلت إليه فرأيته في حديد ثقيل فقلت له يعز علي ما أرى فقال (سل ديار الحي من غيرها * وعفاها ومحا منظرها) (وهي الدنيا إذا ما أقبلت * صيرت معروفها منكرها) (إنما الدنيا كظل مائل * نحمد الله كذا قدرها) ولما جعل في التنور قال له خادمه يا سيدي قد صرت إلى ما صرت إليه وليس لك حامد فقال وما نفع البرامكة صنعهم فقال ذكرك لهم هذه الساعة فقال صدقت رحمه الله تعالى 696

ب الوزير ابن الزيات كان شاعرا مجيدا وفاضلا نبيلا
وزر لثلاثة خلفاء من بني العباس وهم المعتصم والواثق
والمتوكل وكان سبب وزارته ما حكى الصولي عن سعيد
بن سلم قال ورد كتاب من الجبل على المعتصم بوصف
خصب السنة وكثرة الكلأ فقال لأحمد بن عمار ما الكلأ فلم
يعرفه فدعا ابن عبد الملك وسأله عنه فقال ما رطب من
النبات فهو كلأ وإذا جف فهو حشيش ويسمى أول ما ينبت
الرطب والبقل فقال لأحمد أنت انظر في الأمور والدواوين
والأعمال وهذا يعرض علي فعرض عليه أياما ثم
استوزره وكان محمد
102 المذكور قبل ذلك يلي أمور المطبخ والفرش
وكان الواثق لما ولي أمر أن يقوم جميع الناس لابن
الزيات ولم يجعل في ذلك رخصة لأحد فكان ابن أبي دواد
يستعجل صلاة الضحى إذا أحس بقدومه أنفة من القيام له
في دار السلطان وامتثالا للأمر فصنع ابن الزيات (صلى
الضحى لما استقاد عداوتي * وأراه ينسك بعدها ويصوم)
(لا تأمنن عداوة مسمومة * تركتك تقعد تارة وتقوم) وقد
سبق شيء من خبره معه في ترجمته ومن شعر محمد
المذكور في جاريته أم ابنه عمر وقد ماتت (يقول لي
الخلان لو زرت قبرها * فقلت وهل غير الفؤاد لها قبر)
(على حين لم أحدث فأجهل فقدها * ولم أبلغ السن التي
معها الصبر) وشعره كله نخب ونقتصر منه على هذا
القدر ففيه كفاية وكان أبوه زياتا إلا أنه كان كثير المال

وكان محمد المذكور شديد القسوة صعب العريكة لا يرق لأحد ولا يرحمه وكان يقول الرحمة خور في الطبيعة ووقع يوما على رقعة رجل توسل إليه بقرب الجوار منه الجوار للحيطان والتعطف للنسوان فلما أراد المتوكل قتله أحضره وأحضر تنور خشب فيه مسامير من حديد أطرافها إلى داخل التنور تمنع من يكون فيه من الحركة كان محمد اتخذه ليعذب فيه من يطالبه وهو أول من عمل ذلك وعذب فيه ابن أسباط المصري وقال أجرينا فيك حكمك في الناس فأجلس فيه فمات بعد ثلاث وذلك في سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وقيل انه كتب في التنور بفحمة (من له عهد بنوم * يرشد الصب إليه) (رحم الله رحيما * دل عيني عليه) ودفن ولم يعمق قبره فنبشته الكلاب وأكلته رحمه الله تعالى

103 وكان الجاحظ منقطعا إليه فخاف أن يؤخذ مع أسبابه فغاب وكان يقول كدت أكون (. . .) وحكى ابن أبي العيناء قال كنت عند ابن أبي دواد بعد قتل ابن الزيات فجيء بالجاحظ مقيدا وكان في أسبابه وناحيته وعند ابن أبي دواد محمد بن منصور وهو إذ ذاك يلي قضاء فارس وخوزستان فقال ابن أبي دواد للجاحظ ما تأويل هذه الآية (^ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد) (هود 102) فقال تلاوتها تأويلها أعز الله القاضي فقال جيئوا بحداد فقال أعز الله القاضي ليفك عني أو ليزيدني فقال بل ليفك عنك فجيء بالحداد وغمزه بعض

أهل المجلس أن يعنف بساق الجاحظ ويطيل أسره قليلا ففعل فلطمه الجاحظ وقال اعمل عمل شهر في يوم وعمل يوم في ساعة وعمل ساعة في لحظة فان الغرر على ساقي وليس بجذع ولا ساجة فضحك ابن أبي دواد وأهل المجلس منه وقال ابن أبي دواد لمحمد بن منصور أنا أثق بظرفه ولا أثق بدينه 697 أبو الفضل ابن العميد أبو الفضل محمد بن العميد أبي عبد الله الحسين بن محمد الكاتب المعروف بابن العميد والعميد لقب والده لقبوه بذلك على عادة أهل خراسان في إجرائه مجرى التعظيم وكان فيه فضل وأدب وله ترسل وأما ولده أبو الفضل فإنه كان وزير ركن الدولة أبي علي الحسن بن بويه

104 الديلمي والد عضد الدولة وقد تقدم ذكرهما وتولى وزارته عقيب موت وزيره أبي علي ابن القمي وذلك في سنة ثمان وعشرين وثلثمائة وكان متوسعا في علوم الفلسفة والنجوم وأما الأدب والترسل فلم يقاربه فيه أحد في زمانه وكان يسمى الجاحظ الثاني وكان كامل الرياسة جليل المقدار من بعض أتباعه الصاحب ابن عباد المقدم ذكره ولأجل صحبته قيل له الصاحب وكان له في الرسائل اليد البيضاء قال الثعالبي في كتاب اليتيمة كان يقال بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد وقد تقدم ذكر عبد الحميد وكان الصاحب ابن عباد قد سافر إلى بغداد فلما رجع إليه قال له كيف وجدتها فقال بغداد في البلاد كالأستاذ في العباد وكان يقال له الأستاذ وكان سائسا

مدبرا للملك قائما بحقوقه وقصده جماعة من مشاهير الشعراء من البلاد الشاسعة ومدحوه بأحسن المدائح فمنهم أبو الطيب المتنبي ورد عليه وهو بأرجان ومدحه بقصائد إحداها التي أولها (باد هواك صبرت أو لم تصبرا * وبكاك إن لم يجر دمعك أو جرى) ومنها عند مخلصها (أرجان أيتها الجياد فإنه * عزمي الذي يذر الوشيج مكسرا) (لو كنت أفعل ما اشتهيت فعاله * ما شق كوكبك العجاج الأكدرا) (أمي أبا الفضل المبر أليتي * لأيممن أجل بحر جوهرا)
105 (أفتى برؤيته الأنام وحاش لي * من أكون مقصرا أو مقصرا) ومنها (من مبلغ الأعراب أني بعدها * شاهدت رسطاليس والإسكندرا) (ومللت نحر عشارها فأضافني * من ينحر البدر النضار لمن قرى) (وسمعت بطلميوس دارس كتبه * متملكا متبديا متحضرا) (ولقيت كل الفاضلين كأنما * رد الإله نفوسهم والأعصرا) (نسقوا لنا نسق الحساب مقدما * وأتى فذلك إذ أتيت مؤخرا) وهي من القصائد المختارة وقال ابن الهمداني في كتاب عيون السير أعطاه ثلاثة آلاف دينار وقد استعمل أرجان بتخفيف الراء وهي مشددة على ما ذكره الجوهري في كتاب الصحاح والحازمي في كتاب ما اتفق لفظه وافترق مسماه وابن الجواليقي في كتاب المعرب وقد سبق ذكره هذه القصيدة في ترجمة أبي الفضل جعفر بن الفرات وأن المتنبي نظمها فيه وهو بمصر فلما لم

يرضه لم ينشده إياها فلما توجه إلى بلاد فارس صرفها لابن العميد وكان أبو نصر عبد العزيز بن نباتة السعدى المقدم ذكره قد ورد عليه وهو بالري وامتدحه بقصيدته التي أولها (برح اشتياق وادكار * ولهيب أنفاس حرار) (ومدامع عبراتها * ترفض عن نوم مطار) (لله قلبي ما يجن * من الهموم وما يواري) (لقد انقضى سكر الشباب * وما انقضى وصب الخمار) (وكبرت عن وصل الصغار * وما سلوت عن الصغار) (سقيا لتغليسي إلى * باب الرصافة وابتكاري)
106 (أيام أخطر في الصبا * نشوان مسحوب الإزار) (حجي إلى حجر الصراة * وفي حدائقها اعتماري) (ومواطن اللذات أوطاني * ودار اللهو داري) ومنها (لم يبق لي عيش يلذ * سوى معاقرة العقار) (حسبي بألحان قمرت * بهن ألحان القماري) (وإذا استهل ابن العميد * تضاءلت ديم القطار) (خرق صفت أخلاقه * صفو السبيك من النضار) (فكأنما رفدت مواهبه * بأمواج البحار) (وكأن نشر حديثه * نشر الخزامى والعرار) (وكأننا مما تفرق * راحتاه في نثار) (كلف بحفظ السر تحسب * صدره ليل السرار) ومنها (إن الكبار من الأمور * تنال بالهمم الكبار) (وإلى أبي الفضل اتبعت * هواجس النفس السواري) فتأخرت صلته عنه فشفع هذه القصيدة بأخرى وأتبعها برقعة فلم يزده ابن العميد على الإهمال مع رقة حاله التي

ورد عليها إلى بابه فتوسل إلى أن دخل عليه يوم المجلس وهو حفل بأعيان الدولة ومقدمي أرباب الديوان فوقف بين يديه وأشار إليه بيده وقال أيها الرئيس إني لزمتك لزوم الظل وذللت لك ذل النعل وأكلت النوى المحرق انتظارا لصلتك والله ما بي من الحرمان ولكن شماتة الأعداء قوم نصحوني فاغتششتهم وصدقوني فاتهمتهم فبأي وجه ألقاهم وبأي حجة أقاومهم ولم أحصل من مديح بعد مديح ومن نثر بعد نظم إلا على ندم مؤلم ويأس مسقم فإن كان للنجاح علامة فأين هي وما

107 هي إن الذين تحسدهم على ما مدحوا به كانوا من طينتك وإن الذين هجوا كانوا مثلك فزاحم بمنكبك أعظمهم سناما وأنورهم شعاعا وأشرفهم بقاعا فحار ابن العميد وشده ولم يدر ما يقول فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال هذا وقت يضيق عن الإطالة منك في الاستزادة وعن الإطالة مني في المعذرة وإذا تواهبنا ما دفعنا إليه استأنفنا ما نتحامد عليه فقال ابن نباتة أيها الرئيس هذه نفثة صدر دوي منذ زمان وفضلة لسان قد خرس منذ دهر والغني إذا مطل لئيم فاستشاط ابن العميد وقال والله ما استوجبت هذا العتب من أحد من خلق الله تعالى ولقد نافرت العميد من دون ذا حتى دفعنا إلى قري عائم ولجاج قائم ولست ولي نعمتي فأحتملك ولا صنيعتي فأغضي عليك وإن بعض ما أقررته في مسامعي ينقض مرة الحليم ويبدد شمل الصبر هذا وما استقدمتك بكتاب ولا استدعيتك برسول ولا سألتك

مدحي ولا كلفتك تقريضي فقال ابن نباتة صدقت أيها الرئيس ما استقدمتني بكتاب ولا استدعيتني برسول ولا سألتني مدحك ولا كلفتني تقريضك ولكن جلست في صدر ديوانك بأبهتك وقلت لا يخاطبني أحد إلا بالرياسة ولا ينازعني خلق في أحكام السياسة فاني كاتب ركن الدولة وزعيم الأولياء والحضرة والقيم بمصالح المملكة فكأنك دعوتني بلسان الحال ولم تدعني بلسان المقال فثار ابن العميد مغضبا وأسرع في صحن داره إلى أن دخل حجرته وتقوض المجلس وماج الناس وسمع ابن نباتة وهو في صحن الدار مارا يقول والله إن سف التراب والمشي على الجمر أهون من هذا فلعن الله الأدب إذا كان بائعه مهينا له ومشتريه مماكسا فيه فلما سكن غيظ ابن العميد وثاب إليه حلمه التمسه من الغد ليعتذر إليه ويزيل آثار ما كان منه فكأنما غاص في سمع الأرض وبصرها فكانت حسرة في قلب ابن العميد إلى أن مات ثم إني وجدت هذه القصيدة وصورة هذا المجلس منسوبين إلى غير ابن نباتة وكشفت ديوان ابن نباتة فلم أر هذه القصيدة فيه والله أعلم بالصواب ثم

108 وجدت في كتاب الوزيرين تأليف أبي حيان التوحيدي هذه القصيدة لأبي محمد عبد الرزاق بن الحسين المعروف بابن أبي الثياب البغدادي اللغوي المنطيقي الشاعر وهذه المخاطبة لشاعر آخر من أهل الكرخ يعرف بممويه والله أعلم وكان أبو الفرج أحمد بن محمد الكاتب

مكينا عند مخدومه ركن الدولة ابن بويه وله الرتبة العلية لديه وكان ابن العميد لا يوفيه حقه من الإكرام فعاتبه مرارا فلم يفد فكتب إليه (مالك موفور فما باله * أكسبك التيه على المعدم) (ولم إذا جئت نهضنا وإن * جئنا تطاولت ولم تتمم) (وإن خرجنا لم تقل مثل ما * نقول قدم طرفه قدم) (إن كنت ذا علم فمن ذا الذي * مثل الذي تعلم لم يعلم) (ولست في الغارب من دولة * ونحن من دونك في المنسم) (وقد ولينا وعزلنا كما * أنت فلم نصغر ولم تعظم) (تكافأت أحوالنا كلها * فصل على الإنصاف أو فاصرم) وللصاحب ابن عباد فيه مدائح كثيرة وكان ابن العميد قد قدم مرة إلى أصبهان والصاحب فيها فكتب إليه (قالوا ربيعك قد قدم * قلت البشارة إن سلم) (أهو الربيع أخو الشتاء * أم الربيع أخو الكرم) (قالوا الذي بنواله * أمن المقل من العدم) (قلت الرئيس ابن العميد * إذا فقالوا لي نعم) وكان ابن العميد كثير الإعجاب بقول بعضهم

109 (وجاءت إلى ستر على الباب بيننا * مجاف وقد قامت عليه الولائد) (لتسمع شعري وهو يقرع قلبها * بوحي تؤديه إليه القصائد) (إذا سمعت مني لطيفا تنفست * له نفسا تنقد منه القلائد) ولابن العميد شعر وما أعجبني الذي وقفت عليه منه حتى أثبته سوى ما ذكره ابن الصابي في كتاب الوزراء وهو قوله (رأيت في الوجه طاقة بقيت * سوداء عيني تحب رؤيتها) (فقلت للبيض

إذ تروعها * بالله إلا رحمت وحدتها) (فقل لبث السوداء
في وطن * تكون فيه البيضاء ضرتها) وذكر له الأمير
أبو الفضل الميكالي في كتاب المنتخل (آخ الرجال من
الأباعد * والأقارب لا تقارب) (إن الأقارب كالعقارب
* بل أضر من العقارب) وتوفي ابن العميد المذكور في
صفر وقيل في المحرم بالري وقيل ببغداد سنة ستين
وثلثمائة رحمه الله تعالى وذكر أبو الحسين هلال بن
المحسن بن إبراهيم الصابي في كتاب الوزراء أنه توفي
في سنة تسع وخمسين وثلثمائة وكذا قال جده إبراهيم
الصابي في كتاب التاجي والله أعلم وكان أبو الفضل ابن
العميد يعتاده القولنج تارة والنقرس أخرى تسلمه
110 هذه إلى هذه وقال لسائل سأله أيهما أصعب
عليك وأشق قال إذا عارضني النقوس فكأني بين فكي سبع
يمضغني وإذا اعتراني القولنج وددت لو استبدلت النقرس
عنه ويقال إنه رأى أكارا في بستان يأكل خبزا ببصل ولبن
وقد أمعن منه فقال وددت لو كنت كهذا الأكار آكل ما
أشتهي قلت وهذه شيمة الدنيا قل أن تصفو من الشوائب
ورأيت في بعض المجاميع أن الصاحب بن عباد عبر على
باب داره بعد وفاته فلم ير هناك أحدا بعد أن كان الدهليز
يغص من زحام الناس فأنشد (أيها الربع لم علاك اكتئاب
* أين ذاك الحجاب والحجاب) (أين من كان يفزع
الدهر منه * فهو اليوم في التراب تراب) (قل بلا رقبة
وغير احتشام * مات مولاي فاعتراني اكتئاب) ثم رأيت

في كتاب اليميني للعتبي هذه الأبيات وقد نسبها إلى أبي العباس الضبي ثم قال ويقال إنها لأبي بكر الخوارزمي وقد اجتاز بباب الصاحب بن عباد ولا يمكن أن تكون على هذا التقدير للخوارزمي لأنه مات قبل الصاحب كما تقدم ذكره ومثل هذه الحكاية ما حكاه علي بن سليمان قال رأيت بالري دار قوم لم يبق منها إلا رسم بابها وعليه مكتوب (اعجب لصرف الزمان معتبرا * فهذه الدار من عجائبها) (عهدي بها بالملوك زاهية * قد سطح النور في جوانبها) (تبدلت وحشة بساكنها * ما أوحش الدار بعد صاحبها) 223 ولما مات رتب مخدومه ركن الدولة ولده ذا الكفايتين أبا الفتح

111 عليا مكانه في دست الوزارة وكان جليلا نبيلا سريا ذا فضائل وفواضل وهو الذي كتب إليه المتنبي الأبيات الخمسة الدالية الموجودة في ديوانه في أثناء مدائح والده ولا حاجة إلى ذكرها وذكره الثعالبي في اليتيمة في ترجمة والده وقال كتب إلى صديق له يستهديه خمرا مستورا عن والده قد اغتنمت الليلة أطال الله بقاءك يا سيدي رقدة من عين الدهر وانتهزت فرصة من فرص العمر وانتظمت مع أصحابي في سمط الثريا فإن لم تحفظ علينا هذا النظام باهداء المدام عدنا كبنات نعش والسلام وذكر له مقاطيع من الشعر ولم يزل أبو الفتح المذكور في وزارة ركن الدولة إلى أن توفي في التاريخ المذكور في ترجمته في حرف الحاء وقام بالأمر ولده مؤيد الدولة

فاستوزره أيضا وأقام على ذلك مدة مديدة وكانت بينه وبين الصاحب ابن عباد منافسة ويقال إنه أغرى قلب مؤيد الدولة عليه فظهر له منه التنكر والإعراض وقبض عليه في بعض شهور سنة ست وستين وثلثمائة وله في اعتقاله أبيات شرح فيها حاله وقال الثعالبي اجتاح ماله وقطع في العقوبة أنفه وجز لحيته وقال غيره وقطع يديه فلما أيس من نفسه وعلم أنه لا مخلص له مما هو فيه ولو بذل جميع ما تحتوي عليه يده فتق جيب جبة كانت عليه واستخرج منها رقعة فيها تذكرة بجميع ما كان له ولوالده من الذخائر والدفائن وألقاها في النار فلما علم أنها احترقت قال للموكل به افعل ما أمرت به فوالله لا يصل إلى صاحبك من أموالنا درهم واحد فما زال يعرضه على أنواع العذاب حتى تلف وكان القبض عليه يوم الأحد ثامن عشر ربيع الآخر سنة ست وستين وثلثمائة وكانت ولادته سنة سبع وثلثمائة ولما انصرف أهل خراسان في سنة خمس وخمسين وثلثمائة أيام الغزاة من الري بعد الحادثة التي جرت هناك وهي واقعة مشهورة ودفع الله شرها

112 شرع الرئيس أبو الفضل ابن العميد في بناء حائط عظيم حول دار مخدومه ركن الدولة فقال له عارض الجيش هذا كما يقال الشد بعد الضراط فقال ابن العميد هذا أيضا جيد لئلا تنفلت أخرى فاستحسن منه هذا الجواب وفيه يقول بعض أصحابه (آل العميد وآل برمك مالكم * قل المعين لكم وذل الناصر) (كان الزمان

يحبكم فبدا له * إن الزمان هو الخؤون الغادر) وتولى موضعه الصاحب ابن عباد وقد تقدم ذكره في ترجمته فينظر هناك في حرف الهمزة وكان أبو الفتح المذكور قبل أن يقتل بمدة قد لهج بانشاد هذين البيتين (دخل الدنيا أناس قبلنا * رحلوا عنها وخلوها لنا) (ونزلناها كما قد نزلوا * ونخليها لقوم بعدنا) ومن المنسوب إلى أبي الفتح ابن العميد (يقول لي الواشون كيف تحبها * فقلت لهم بين المقصر والغالي) (ولولا حذاري منهم لصدقتهم * فقلت هوى لم يهوه قط أمثالي) (وكم من شفيق قال مالك واجما * فقلت ترى ما بي وتسأل عن حالي) 224 وكان أبو حيان علي بن محمد التوحيدي البغدادي قد وضع كتابا سماه مثالب الوزيرين ضمنه معايب أبي الفضل ابن العميد المذكور والصاحب

113 ابن عباد وتحامل عليهما وعدد نقائصهما وسلبهما ما اشتهر عنهما من الفضائل والإفضال وبالغ في التعصب عليهما وما انصفهما وهذا الكتاب من الكتب المحدودة ما ملكه أحد إلا وتعكست أحواله ولقد جربت ذلك وجربه غيري على ما أخبرني من أثق به وكان أبو حيان المذكور فاضلا مصنفا له من الكتب المشهورة الإمتاع والمؤانسة في مجلدين وكتاب البصائر والذخائر وكتاب الصديق والصداقة في مجلد واحد وكتاب المقابسات في مجلد أيضا وكتاب مثالب الوزيرين في مجلد واحد أيضا وغير ذلك وكان موجودا في السنة

الأربعمائة ذكر ذلك في كتاب الصديق والصداقة والتوحيدي بفتح التاء المثناة من فوقها وسكون الواو وكسر الحاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة ولم أر أحدا ممن وضع كتب الأنساب تعرض إلى هذه النسبة لا السمعاني ولا غيره لكن يقال إن أباه كان يبيع التوحيد ببغداد وهو نوع من التمر بالعراق وعليه حمل بعض من شرح ديوان المتنبي قوله (يترشفن من فمي رشفات * هن فيه أحلى من التوحيد) والله أعلم بالصواب 698 ابن مقلة أبو علي محمد بن علي بن الحسين بن مقلة الكاتب المشهور كان في أول أمره يتولى بعض أعمال فارس ويجبي خراجها وتنقلت أحواله إلى أن استوزره

114 الإمام المقتدر بالله وخلع عليه لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة ست عشرة وثلثمائة وقبض عليه يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة ثماني عشرة وثلثمائة ثم نفاه إلى بلاد فارس بعد أن صادره ثم استوزره الإمام القاهر بالله فأرسل إليه إلى فارس رسولا يجيء به ورتب له نائبا عنه فوصل ابن مقلة من فارس بكرة يوم الخميس عيد الأضحى من سنة عشرين وثلثمائة وخلع عليه ولم يزل وزيره حتى اتهمه بمعاضدة علي بن بليق على الفتك به وبلغ ابن مقلة الخبر فاستتر في أول شعبان من سنة إحدى وعشرين وثلثمائة ولما ولي الراضي بالله لست خلون من

جمادى الأولى من سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة استوزره
أيضا لتسع خلون من جمادى الأولى من السنة المذكورة
وكان المظفر بن ياقوت مستحوذا على أمور الراضي
وكان بينه وبين أبي علي الوزير وحشة فقرر ابن ياقوت
المذكور مع الغلمان الحجرية أنه إذا جاء الوزير أبو علي
قبضوا عليه وأن الخليفة لا يخالفهم في ذلك وربما سره
هذا الأمر فلما حصل الوزير في دهليز دار الخلافة وثب
الغلمان عليه ومعهم ابن ياقوت المذكور فقبضوا عليه
وأرسلوا إلى الراضي يعرفونه صورة الحال وعددوا له
ذنوبا وأسبابا تقضي ذلك فرد جوابهم وهو يستصوب
رأيهم فيما فعلوه وذلك في يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة
بقيت من جمادى الأولى سنة أربع وعشرين وثلثمائة
واتفق رأيهم على تفويض الوزارة إلى عبد الرحمن بن
عيسى بن داود بن الجراح فقلده الراضي الوزارة وسلم
إليه أبا علي بن مقلة فضربه بالمقارع وجرى عليه من
المكاره بالتعليق وغيره من العقوبة شيء كثير وأخذ خطه
بألف ألف دينار ثم خلص وجلس بطالا في داره ثم إن أبا
بكر محمد بن رائق استولى على الخلافة وخرج عن
طاعتها فأنفذ إليه الراضي واستماله وفوض إليه تدبير
المملكة وجعله أمير الأمراء ورد إليه تدبير أعمال الخراج
والضياع في جميع النواحي وأمر أن يخطب له على جميع
115 المنابر فقوي أمره وعظم شأنه وتصرف على
حسب اختياره واحتاط على أملاك ابن مقلة المذكور

وضياعه وأملاك ولده أبي الحسين فحضر إليه ابن مقلة وإلى كاتبه وتذلل لهما في معنى الإفراج عن أملاكه فلم يحصل منهما إلا على المواعيد فلما رأى ابن مقلة ذلك أخذ في السعي بابن رائق المذكور من كل جهة وكتب إلى الراضي يشير عليه بإمساكه والقبض عليه وضمن له أنه متى فعل ذلك وقلده الوزارة استخرج له ثلثمائة ألف ألف دينار وكانت مكاتبته على يد علي بن هارون المنجم النديم المقدم ذكره فأطمعه الراضي بالإجابة إلى ما سأل وترددت الرسائل بينهما في ذلك فلما استوثق ابن مقلة من الراضي اتفقا على أن ينحدر إليه سرا ويقيم عنده إلى أن يتم التدبير فركب من داره وقد بقي من شهر رمضان ليلة واحدة واختار هذا الطالع لأن القمر يكون تحت الشعاع وهو يصلح للأمور المستورة فلما وصل إلى دار الخليفة لم يمكنه من الوصول إليه واعتقله في حجرة ووجه الراضي من غد إلى ابن رائق وأخبره بما جرى وأنه احتال على ابن مقلة حتى حصله في أسره وترددت بينهما المكاتبات في ذلك فلما كان رابع عشر شوال سنة ست وعشرين وثلثمائة أظهر الراضي أمر ابن مقلة وأخرجه من الاعتقال وحضر حاجب ابن رائق وجماعة من القواد وتقابلا وكان ابن رائق قد التمس قطع يده اليمنى التي كتب بها تلك المطالعة فلما انتهى كلامهما في المقابلة قطعت يده اليمنى ورد إلى محبسه ثم ندم الراضي على ذلك وأمر الأطباء بملازمته للمداواة فلازموه حتى بريء وكان ذلك

نتيجة دعاء أبي الحسن محمد بن شنبوذ المقريء عليه
بقطع اليد وقد تقدم ذكر سبب ذلك في ترجمته وذلك من
عجيب الاتفاق وقال أبو الحسن ثابت بن سنان بن ثابت
بن قرة الطبيب وكان يدخل عليه لمعالجته كنت إذا دخلت
عليه في تلك الحال يسألني عن أحوال ولده أبي الحسين
فأعرفه استتاره وسلامته فتطيب نفسه ثم ينوح على يده
ويبكي ويقول خدمت بها الخلفاء وكتبت بها القرآن الكريم
دفعتين تقطع كما تقطع
116 أيدي اللصوص فأسليه وأقول له هذا انتهاء
المكروه وخاتمة القطوع فينشدني ويقول (إذا ما مات
بعضك فابك بعضا * فإن البعض من بعض قريب) ثم
عاد وراسل الراضي من الحبس بعد قطع يده وأطمعه في
المال وطلب الوزارة وقال إن قطع اليد ليس مما يمنع
الوزارة وكان يشد القلم على ساعده ويكتب به ولما قدم
بجكم التركي من بغداد وكان من المنتمين إلى ابن رائق
أمر بقطع لسانه أيضا فقطع وأقام في الحبس مدة طويلة ثم
لحقه ذرب ولم يكن له من يخدمه فكان يستقي الماء لنفسه
من البئر فيجذب بيده اليسرى جذبة وبفمه الأخرى وله
أشعار في شرح حاله وما انتهى أمره إليه ورثاء يده
والشكوى من المناصحة وعدم تلقيها بالقبول فمن ذلك قوله
(ما سئمت الحياة لكن توثقت * بأيمانهم فبانت يميني) (
بعت ديني لهم بدنياي حتى * حرموني دنياهم بعد ديني)
(ولقد حطت ما استطعت بجهدي * حفظ أرواحهم فما

حفظوني) (ليس بعد اليمين لذة عيش * يا حياتي بانت
يميني فبيني) ومن المنسوب إلى ابن مقلة أيضا (لست
ذا ذلة إذا عضني الدهر * ولا شامخا إذا واتاني) (أنا
نار في مرتقى نفس الحاسد * ماء جار مع الإخوان)
وفي الوزير المذكور يقول بعضهم (وقالوا العزل
للوزراء حيض * لحاه الله من أمر بغيض)
117 (ولكن الوزير أبا علي * من اللائي يئسن من
المحيض) ومن شعره أيضا ما قاله الثعالبي في يتيمة
الدهر (وإذا رأيت فتى بأعلى رتبة * في شامخ من عزه
المترفع) (قالت لي النفس العروف بقدرها * ما كان
أولاني بهذا الموضع) ولم يزل على هذه الحال إلى أن
توفي في موضعه يوم الأحد عاشر شوال سنة ثمان
وعشرين وثلثمائة ودفن في مكانه ثم نبش بعد زمان وسلم
إلى أهله وكانت ولادته يوم الخميس بعد العصر لتسع
بقين من شوال سنة اثنتين وسبعين ومائتين ببغداد رحمه
الله تعالى وقد تقدم طرف من خبره في ترجمة ابن البواب
الكاتب وأنه أول من نقل هذه الطريقة من خط الكوفيين
إلى هذه الصورة هو أو أخوه على الخلاف المذكور في
ترجمة ابن البواب وأن ابن البواب تبع طريقته ونقح
أسلوبه ولابن مقلة ألفاظ منقولة مستعملة فمن ذلك قوله
إذا أحببت تهالكت وإذا أبغضت أهلكت وإذا رضيت آثرت
وإذا غضبت أثرت ومن كلامه أيضا يعجبني من يقول
الشعر تأدبا لا تكسبا ويتعاطى الغناء تطربا لا تطلبا وله

كل معنى مليح في النظم والنثر وكان ابن الرومي الشاعر المتقدم ذكره يمدحه فمن معانيه المقولة فيه قوله (إن يخدم القلم السيف الذي خضعت * له الرقاب ودانت خوفه الأمم) (فالموت والموت لا شيء يعادله * ما زال يتبع ما يجري به القلم) (كذا قضى الله للأقلام مذ بريت * أن السيوف لها مذ أرهفت خدم) (وكل صاحب سيف دائما أبدا * ما يزال يتبع ما يجري به القلم) 225 وكان أخوه أبو عبد الله الحسن بن علي بن مقلة كاتبا أديبا بارعا والصحيح أنه صاحب الخط المليح ومولده يوم الأربعاء طلوع الفجر سلخ شهر رمضان سنة ثمان وسبعين ومائتين وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة ثمان 118   وثلاثين وثلثمائة رحمه الله تعالى 226 وأما ابن رائق فإن الحافظ ابن عساكر ذكر في تاريخ دمشق أنه قدمها في ذي الحجة سنة سبع وعشرين وثلثمائة وذكر أن الإمام المقتفي بالله ولاه أمر دمشق وأخرج منها بدر بن عبد الله الإخشيدي ثم توجه إلى مصر وتواقع هو وصاحبها محمد بن طغج الإخشيد المقدم ذكره فهزمه الإخشيد فرجع إلى دمشق ثم توجه إلى بغداد وقتل بالموصل سنة ثلاثين وثلثمائة وقيل إن بني حمدان قتلوه بالموصل قتله ناصر الدولة الحسن المقدم ذكره 699 ابن بقية الوزير أبو الطاهر محمد بن محمد بن بقية بن علي الملقب نصير الدولة وزير عز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه المقدم ذكره كان من جلة الرؤساء وأكابر

الوزراء وأعيان الكرماء وقد تقدم في ترجمة عز الدولة طرف من خبره في قضية الشمع وأن الشماع لما سئل عن راتب عز الدولة في الشمع كم كان فقال كان راتب وزيره محمد بن بقية ألف من في كل شهر فإذا كان هذا راتب الشمع خاصة مع قلة الحاجة إليه فكم يكون غيره مما تشتد الحاجة إليه وكان من أهل أوانا من أعمال بغداد وكان في أول أمره قد توصل إلى أن صار صاحب مطبخ معز الدولة والد عز الدولة ثم تنقل إلى غيرها من الخدم

119 ولما مات معز الدولة وأفضى الأمر إلى عز الدولة حسنت حالة عنده ورعى خدمته لأبيه وكان فيه توصل وسعة صدر وتقدم إلى أن استوزره عز الدولة يوم الاثنين لسبع ليال خلون من ذي الحجة سنة اثنتين وستين وثلثمائة ثم إنه قبض عليه لسبب اقتضى ذلك يطول شرحه وحاصله أنه حمله على محاربة ابن عمه عضد الدولة فالتقيا على الأهواز وكسر عز الدولة فنسب ذلك إلى رأيه ومشورته وفي ذلك يقول أبو غسان الطبيب بالبصرة (أقام على الأهواز خمسين ليلة * يدبر أمر الملك حتى تدمرا) (فدبر أمرا كان أوله عمى * وأوسطه بلوى وآخره خرا) وكان قبضه يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة سنة ست وستين وثلثمائة بمدينة واسط وسمل عينيه ولزم بيته وكان في مدة وزارته يبلغ عضد الدولة ابن بويه عنه أمور يسوءه سماعها منها أنه كان يسميه أبا بكر الغددي تشبيها له

برجل أشقر أزرق أنمش يسمى أبا بكر كان يبيع الغدد
برسم السنانير ببغداد وكان عضد الدولة بهذه الحلية وكان
الوزير يفعل ذلك تقربا إلى قلب مخدومه عز الدولة لما
كان بينه وبين ابن عمه عضد الدولة من العداوة فلما قتل
عز الدولة كما وصفناه في ترجمته وملك عضد الدولة
بغداد ودخلها طلب ابن بقية المذكور وألقاه تحت أرجل
الفيلة فلما قتل صلبه بحضرة البيمارستان العضدي ببغداد
وذلك في يوم الجمعة لست خلون من شوال سنة سبع
وستين وثلثمائة رحمه الله تعالى وقال ابن الهمداني في
كتاب عيون السير لما استوزر عز الدولة بختيار ابن بويه
ابن بقية المذكور بعد أن كان يتولى أمر المطبخ قال الناس
من الغضارة إلى الوزارة وستر كرمه عيوبه وخلع في
عشرين يوما عشرين ألف خلعة قال أبو إسحاق الصابي
رأيته وهو يشرب في بعض الليالي وكلما لبس خلعة خلعها
على أحد الحاضرين فزادت على مائتي خلعة فقالت له
مغنيته

120 يا سيدي الوزير في هذه الثياب زنابير ما
تدعها تثبت على جسمك فضحك وأمر لها بحقة حلي وهو
أول وزير لقب بلقبين فإن الإمام المطيع لقبه بالناصح
ولقبه ولده الطائع بنصير الدولة ولما جرت الحرب بين
عز الدولة وابن عمه عضد الدولة قبض عز الدولة عليه
وسمله وحمله إلى عضد الدولة مسمولا فشهره عضد
الدولة وعلى رأسه برنس ثم أمر بطرحه للفيلة فقتلته ثم

صلبه عند داره بباب الطاق وعمره نيف وخمسون سنة
ولما صلب رثاه أبو الحسن محمد بن عمر بن يعقوب
الأنباري أحد العدول ببغداد بقوله (علو في الحياة وفي
الممات * لحق أنت إحدى المعجزات) (كأن الناس
حولك حين قاموا * وفود نداك أيام الصلات) (كأنك قائم
فيهم خطيبا * وكلهم قيام للصلاة) (مددت يديك نحوهم
احتفاء * كمدهما إليهم بالهبات) (ولما ضاق بطن
الأرض عن أن * يضم علاك من بعد الممات) (
أصاروا الجو قبرك واستنابوا * عن الأكفان ثوب
السافيات) (لعظمك في النفوس تبيت ترعى * بحفاظ
وحراس ثقات) (وتشعل عندك النيران ليلا * كذلك كنت
أيام الحياة) (ركبت مطية من قبل زيد * علاها في
السنين الماضيات) (وتلك فضيلة فيها تأس * تباعد عنك
تعيير العداة) (ولم أر قبل جذعك قط جذعا * تمكن من
عناق المكرمات) (أسأت إلى النوائب فاستثارت * فأنت
قتيل ثأر النائبات) (وكنت تجير من صرف الليالي *
فعاد مطالبا لك بالترات) (وصير دهرك الإحسان فيه *
إلينا من عظيم السيئات) (وكنت لمعشر سعدا فلما *
مضيت تفرقوا بالمنحسات)
121 (غليل باطن لك في فؤادي * يخفف بالدموع
الجاريات) (ولو أني قدرت على قيام * لفرضك
والحقوق الواجبات) (ملأت الأرض من نظم القوافي *
ونحت بها خلاف النائحات) (ولكني أصبر عنك نفسي

* مخافة أن أعد من الجناة) (وما لك تربة فأقول تسقى
* لأنك نصب هطل الهاطلات) (عليك تحية الرحمن
تترى * برحمات غواد رائحات) ولم يزل ابن بقية
مصلوبا إلى أن توفي عضد الدولة في التاريخ المذكور في
ترجمته في حرف الفاء فأنزل عن الخشبة ودفن في
موضعه فقال فيه أبو الحسن ابن الأنباري صاحب المرثية
المذكورة (لم يلحقوا بك عارا إذ صلبت بلى * باءوا
بإثمك ثم استرجعوا ندما) (وأيقنوا أنهم في فعلهم غلطوا
* وأنهم نصبوا من سؤدد علما) (فاسترجعوك وواروا
منك طود علا * بدفنه دفنوا الأفضال والكرما) (لئن
بليت فلا يبلى نداك ولا * ينسى وكم هالك ينسى إذا عدما
) (تقاسم الناس حسن الذكر فيك كما * ما زال مالك بين
الناس منقسما) قال الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق
لما صنع أبو الحسن المرثية التائية كتبها ورماها في
شوارع بغداد فتداولتها الأدباء إلى أن وصل الخبر إلى
عضد الدولة فلما أنشدت بين يديه تمنى أن يكون هو
المصلوب دونه فقال علي بهذا الرجل فطلب سنة كاملة
واتصل الخبر بالصاحب ابن عباد وهو بالري فكتب له
الأمان فلما سمع أبو الحسن ابن الأنباري بذكر الأمان
قصد حضرته فقال له أنت القائل هذه الأبيات قال نعم قال
أنشدنيها من فيك فلما أنشد
122 (ولم أر قبل جذعك قط جذعا * تمكن من
عناق المكرمات) قام إليه الصاحب وعانقه وقبل فاه

وأنفذه إلى عضد الدولة فلما مثل بين يديه قال له ما الذي حملك على مرثية عدوي فقال حقوق سلفت وأياد مضت فجاش الحزن في قلبي فرثيت فقال هل يحضرك شيء في الشموع والشموع تزهر بين يديه فأنشأ يقول (كأن الشموع وقد أظهرت * من النار في كل رأس سنانا) (أصابع أعدائك الخائفين * تضرع تطلب منك الأمانا) فلما سمعها خلع عليه وأعطاه فرسا وبدرة انتهى كلام الحافظ ابن عساكر رحمه الله 227 قلت قوله في الأبيات (ركبت مطية من قبل زيد * علاها في السنين الماضيات) زيد هذا هو أبو الحسين زيد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان قد ظهر في أيام هشام بن عبد الملك في سنة اثنتين وعشرين ومائة ودعا إلى نفسه فبعث إليه يوسف بن عمر الثقفي والي العراقين يومئذ جيشا مقدمه العباس المري فرماه رجل منهم بسهم فأصابه فمات وصلب بكناسة الكوفة ونقل رأسه إلى البلاد وقال ابن قانع كان ذلك في صفر سنة إحدى وعشرين ومائة وقيل سنة اثنتين وعشرين ومائة في صفر أيضا بالكوفة ولزيد من العمر اثنان وأربعون سنة يومئذ وقال ابن الكلبي في كتاب جمهرة النسب إن زيد بن علي رضي الله عنهما أصابه سهم في جبهته فاحتمله أصحابه وكان ذلك عند المساء ثم دعوا الحجام فانتزع النشابة وسالت نفسه رضي الله عنه وذكر أبو عمرو

الكندي في كتاب أمراء مصر أن أبا الحكم ابن أبي الأبيض العبسي قدم إلى مصر برأس زيد
123 ابن علي خطيبا يوم الأحد لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة اثنتين وعشرين ومائة واجتمع إليه الناس في المسجد وهو صاحب المشهد الذي بين مصر وبركة قارون بالقرب من جامع ابن طولون يقال إن رأسه مدفون به والله أعلم بالصواب 228 وقتل ولده يحيى بن زيد سنة خمس وعشرين ومائة وقصته مشهورة بالجوزجان قتله سالم بن أحوز المازني وقيل جهم بن صفوان صاحب الجهمية وهذه القصيدة اتفق العلماء على أنه لم يعمل في بابها مثلها وقد ذكر أبو تمام أيضا حال المصلوبين في قصيدته التي مدح بها المعتصم لما صلب الأفشين خيذر ابن كاوس مقدم قواده وبابك ومازيار في سنة ست وعشرين ومائتين وقصتهم مشهورة فمنها قوله (ولقد شفى الأحشاء من برحائها * إذ صار بابك جار مازيار) (ثانيه في كبد السماء ولم يكن * كاثنين ثان إذ هما في الغار) (وكأنما انتبذا لكيما يطويا * عن ناطس خبرا من الأخبار) (سود اللباس كأنما نسجت لهم * أيدي السموم مدارعا من قار) (بكروا وأسروا في متون ضوامر * قيدت لهم من مربط النجار) (لا يبرحون ومن رآهم خالهم * أبدا على سفر من الأسفار) وقبل هذا في وصف الأفشين خاصة (رمقوا أعالي جذعه فكأنما * رمقوا الهلال عشية الإفطار) وهي من القصائد الطنانة

والأفشين مشهور فلا حاجة إلى ضبطه وهو بكسر الهمزة وفتحها واسمه خيذر بفتح الخاء المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الذال المعجمة وبعدها راء وإنما قيدته لأنه يتصحف على كثير من الناس بحيدر بالحاء المهملة

124 229 ومن شعر أبي الحسن الأنباري المذكور في الباقلى الأخضر قوله (فصوص زمرد في غلف در * بأقماع حكت تقليم ظفر) (وقد خلع الربيع لها ثيابا * لها لونان من بيض وخضر) وقد ذكره الخطيب في تاريخ بغداد وقال إنه من المقلين في الشعر رحمه الله تعالى 700 الوزير فخر الملك أبو غالب محمد بن علي بن خلف الملقب فخر الملك وزير بهاء الدولة أبي نصر بن عضد الدولة بن بويه وبعد وفاته وزر لولده سلطان الدولة أبي شجاع فناخسرو وكان فخر الملك المذكور من أعظم وزراء آل بويه على الإطلاق بعد أبي الفضل محمد بن العميد والصاحب بن عباد المقدم ذكرهما وكان أصله من واسط وأبوه صيرفيا وكان واسع النعمة فسيح مجال الهمة جم الفضائل والإفضال جزيل العطايا والنوال قصده جماعة من أعيان الشعراء ومدحوه وقرضوه بنخب المدائح منهم أبو نصر عبد العزيز بن نباتة الشاعر المقدم ذكره له فيه قصائد مختارة منها قصيدته النونية التي من جملتها يقول (لكل فتى قرين حين يسمو * وفخر الملك

ليس له قرين) (أنخ بجنابه واحكم عليه * بما أملته فأنا الضمين)
125 أخبرني بعض علماء الأدب أن بعض الشعراء امتدح فخر الملك بعد هذه القصيدة فأجازه إجازة لم يرضها فجاء الشاعر إلى ابن نباتة وقال له أنت غررتني وأنا ما مدحته إلا ثقة بضمانك فتعطيني ما يليق بمثل قصيدي فأعطاه من عنده شيئا رضي به فبلغ ذلك فخر الملك فسير لابن نباته جملة مستكثرة لهذا السبب ويقرب من معنى هذين البيتين في شدة الوثوق بالعطاء قول المتنبي (وثقنا بأن تعطي فلو لم تجد لنا * لخلناك قد أعطيت من قوة الوهم) ويحكى في هذا المعنى أيضا أن بعض الشعراء مدح بعض الأكابر بقصيدة فلما أصبح كتب إليه (لم أعالجك بالرقاع إلى أن * عاجلتني رقاع أهل الديون) (علموا أنني بمدحك أمسيت * مليا فأصبحوا يرفعوني) ومن جملة مداحه المهيار بن مرزويه الكاتب الشاعر المشهور وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى وفيه يقول قصيدته الرائية التي منها (أرى كبدي وقد بردت قليلا * أمات الهم أم عاش السرور) (أم الأيام خافتني لأني * بفخر الملك منها أستجير) ومدائحه كثيرة ولأجله صنف أبو بكر محمد بن الحسن الحاسب الكرجي كتاب الفخري في الجبر والمقابلة وكتاب الكافي في الحساب ورأيت في بعض المجاميع أن رجلا شيخا رفع إلى فخر الملك المذكور قصة

126 سعى فيها بهلاك شخص فلما وقف فخر الملك عليها قلبها وكتب في ظهرها السعاية قبيحة وإن كانت صحيحة فإن كنت أجريتها مجرى النصح فخسرانك فيها أكثر من الربح ومعاذ الله أن نقبل من مهتوك في مستور ولولا أنك في خفارة من شيبك لقابلناك بما يشبه مقالك ونردع به أمثالك فاكتم هذا العيب واتق من يعلم الغيب والسلام وذكر أبو منصور الثعالبي في كتاب تتمة يتيمة الدهر للأشرف بن فخر الملك قوله (مر بي الموكب لكنني * لم أر فيه قمر الموكب) (قل لأمير الجيش يا سيدي * ما لأمير الحسن لم يركب) ومحاسن فخر الملك كثيرة ولم يزل في عزه وجاهه وحرمته إلى أن نقم عليه مخدومه سلطان الدولة المذكور بسبب اقتضى ذلك فحبسه ثم قتله بسفح جبل قريب من الأهواز يوم السبت وقيل يوم الثلاثاء لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة سبع وأربعمائة ودفن هناك ولم يستقص في دفنه فنبشت الكلاب قبره وأكلته ثم أعيد دفن رمته فشفع فيه بعض أصحابه فنقلت عظامه إلى مشهد هناك فدفنت فيه في سنة ثمان وأربعمائة وقال أبو عبد الله أحمد بن القادسي في أخبار الوزراء وكان الوزير فخر الملك قد أهمل بعض الواجبات فعوقب سريعا وذلك أن بعض خواصه قتل رجلا ظلما فتصدت له زوجة المقتول تستغيث فلم يلتفت إليها فلقيته ليلة في مشهد باب التبن وقد حضر للزيارة فقالت له يا فخر الملك القصص التي أرفعها إليك ولا تلتفت إليها

صرت أرفعها إلى الله وأنا منتظرة خروج التوقيع من جهته فلما قبض عليه قال لا شك أن توقيعها خرج واستدعي إلى مضرب سلطان الدولة ثم قبض عليه وعدل به إلى خركاه وقد أحيط على أمواله وخزائنه وكراعه وولده وأصحابه وقتل في التاريخ المذكور أعلاه وأخذ من ماله ستمائة ألف دينار ونيف وثلاثون ألف دينار وقيل إنه وجد

127 له ألف ألف ومائتا ألف دينار منطبعة ورثاه الشريف الرضي بأبيات ما اخترت منها شيئا حتى أثبته هاهنا فسبحان اللطيف الخبير الفعال لما يريد ومولده بواسط يوم الخميس الثاني والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة أربع وخمسين وثلثمائة وقد استوفى هلال ابن الصابي أخباره في تاريخه والله تعالى أعلم بالصواب 701 أبو نصر ابن جهير أبو نصر محمد بن محمد بن جهير الملقب فخر الدولة مؤيد الدين الموصلي الثعلبي كان ذا رأي وعقل وحزم وتدبير خرج من الموصل لأمر يطول شرحه وصار ناظر الديوان بحلب ثم صرف عنه وانتقل إلى آمد وأقام بها مدة بطالا ثم توصل إلى أن وزر للأمير نصر الدولة أحمد بن مروان الكردي صاحب ميافارقين وديار بكر وقد تقدم ذكر ذلك في ترجمة نصر الدولة وكان نافذ الكلمة مطاع الأمر ولم يزل على ذلك إلى أن توفي نصر الدولة في التاريخ المذكور في ترجمته وقام بالأمر ولده عصام الدين فأقبل عليه وزاد في إكرامه فرتب أمور

دولته وأجراها على الأوضاع التي كانت في أيام أبيه ثم خطر له التوجه إلى بغداد فعمل على ذلك وكان يكاتب الإمام القائم بأمر الله ولم يزل يتوصل ويبذل الأموال حتى خرج إليه نقيب النقباء ابن طراد الزينبي فقرر معه ما أراد تقريره ثم خرج لوداعه ويمم إلى بغداد وأرسل
128 ابن مروان خلفه من يرده فلم يقدر عليه فلما بلغها تولى وزارة القائم بدلا من أبي الغنائم ابن دارست في سنة أربع وخمسين وأربعمائة ودام فيها إلى أن توفي القائم وتولى ولد ولده المقتدي بأمر الله فأقره على الوزارة مدة سنين ثم عزله عنها يوم عرفة الأمير أبو الغنائم ابن دارست باشارة الوزير نظام الملك وكان ولده عميد الدولة شرف الدين أبو منصور محمد ينوب عنه فيها فلما عزل والده خرج هو إلى نظام الملك أبي الحسن وزير ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي المقدم ذكره واسترضاه وأصلح حاله معه وعاد إلى بغداد وتولى الوزارة مكان أبيه وخرج أبوه فخر الدولة في سنة ست وسبعين إلى جهة السلطان ملكشاه المذكور باستدعائه إياه فعقد له على ديار بكر وسار معه الأمير أرتق بن أكسب صاحب حلوان المقدم ذكره في جماعة من التركمان والأكراد والأمراء فلما وصلوا إلى ديار بكر فتح ولده أبو القاسم زعيم الرؤساء مدينة آمد بعد حصار شديد ثم فتح أبوه فخر الدولة ميافارقين بعد ثلاثة أشهر من فتح آمد وكان أخذها من ناصر الدولة أبي المظفر منصور بن نظام الدين

واستولى على أموال بني مروان وذلك في سنة تسع وسبعين وأربعمائة ومن عجيب الاتفاق أن منجما حضر إلى ابن مروان نصر الدولة وحكم له بأشياء ثم قال له ويخرج على دولتك رجل قد أحسنت إليه فيأخذ الملك من أولادك فأفكر ساعة ثم رفع رأسه إلى فخر الدولة وقال إن كان هذا القول صحيحا فهو الشيخ هذا ثم أقبل عليه وأوصاه على أولاده فكان الأمر كما قال فإنه وصل إلى البلاد وكان فتحها على يديه كما ذكرنا والشرح في ذلك يطول وكان رئيسا جليلا خرج من بيتهم جماعة من الوزراء والرؤساء ومدحهم أعيان الشعراء فمنهم أبو منصور علي بن الحسن المعروف بصردر أنفذ إلى فخر الدولة المذكور من واسط عند تقلده الوزارة قصيدة وهي من مشاهير القصائد وأولها

129 (لجاجة قلب ما يفيق غرورها * وحاجة نفس ليس يقضى يسيرها) (وقفنا صفوفا في الديار كأنها * صحائف ملقاة ونحن سطورها) (يقول خليلي والظباء سوانح * أهذا الذي تهوى فقلت نظيرها) (لئن شابهت أجيادها وعيونها * لقد خالفت أعجازها وصدورها) (فيا عجبا منها يصد أنيسها * ويدنو على ذعر إلينا نفورها) (وما ذاك إلا أن غزلان عامر * تيقن أن الزائرين صقورها) (ألم يكفها ما قد جنته شموسها * على القلب حتى ساعدتها بدورها) (نكصنا على الأعقاب خوف إناثها * فما بالها تدعو نزال ذكورها) (ووالله ما أدري

غداة نظرننا * أتلك سهام أم كؤوس تديرها) (فإن كن
من نبل فأين حفيفها * وإن كن من خمر فأين سرورها)
(أيا صاحبي استأذنا لي خمرها * فقد أذنت لي في
الوصول خدورها) (هباها تجافت عن خليل يروعها *
فهل أنا إلا كالخيال يزورها) (وقد قلتما لي ليس في
الأرض جنة * أما هذه فوق الركائب حورها) (فلا
تحسبا قلبي طليقا فإنما * لها الصدر سجن وهو فيه
أسيرها) (يعز على الهيم الخوامس وردها * إذا كان ما
بين الشفاه غديرها) (أراك الحمى قل لي بأي وسيلة *
توسلت حتى قبلتك ثغورها) ومن مديحها (أعدت إلى
جسم الوزارة روحه * وما كان يرجى بعثها ونشورها)
(أقامت زمانا عند غيرك طامثا * وهذا الزمان قرؤها
وطهورها) (من الحق أن يحبى بها مستحقها * وينزعها
مردودة مستعيرها) (إذا ملك الحسناء من ليس كفؤها *
أشار عليها بالطلاق مشيرها) وأنشده أيضا لما عاد إلى
الوزارة في صفر سنة إحدى وستين وأربعمائة بعد العزل
وكان المقتدي بالله قد أعاده إلى الوزارة بعد العزل وقبل
الخروج إلى
130 السلطان ملكشاه فعمل فيه صردر هذه القصيدة
(قد رجع الحق إلى نصابه * وأنت من كل الورى أولى
به) (ما كنت إلا السيف سلته يد * ثم أعادته إلى قرابه)
(هزته حتى أبصرته صارما * رونقه يغنيه عن ضرابه)
(أكرم بها وزارة ما سلمت * ما استودعت إلا إلى أربابه

((مشوقة إليك مذ فارقتها * شوق أخي الشيب إلى شبابه
((مثلك محسود ولكن معجز * أن يدرك البارق في
سحابه) (حاولها قوم ومن هذا الذي * يخرج ليثا خادرا
من غابه) (يدمي أبو الأشبال من زاحمه * في خيسه
بظفره ونابه) (وهل سمعت أو رأيت لابسا * ما خلع
الأرقم من إهابه) ومنها (تيقنوا لما رأوها صعبة * أن
ليس للجو سوى عقابه) (إن الهلال يرتجى طلوعه *
بعد السرار ليلة احتجابه) (والشمس لا يؤيس من
طلوعها * وإن طواها الليل في جنابه) (ما أطيب
الأوطان إلا أنها * للمرء أحلى أثر اغترابه) (كم عودة
دلت على دوامها * والخلد للإنسان في مآبه) (لو قرب
الدر على جالبه * ما لجج الغائص في طلابه) (ولو أقام
لازما أصدافه * لم تكن التيجان في حسابه) (ما لؤلؤ
البحر ولا مرجانه * إلا وراء الهول من عبابه) وهي
قصيدة طويلة اقتصرنا منها على هذا القدر وقد سبق في
ترجمة سابور بن أردشير ثلاثة أبيات كتبها إليه أبو
إسحاق
131 الصابي لما عاد إلى الوزارة بعد العزل ولم
يعمل في هذا الباب مثلها وممن مدحه أيضا القائد أبو
الرضا الفضل بن منصور الشريف الفارقي وفيه عمل
الأبيات الحائية المشهورة وهي (يا قالة الشعر قد نصحت
لكم * ولست أدهى إلا من النصح) (قد ذهب الدهر
بالكرام وفي * ذاك أمور طويلة الشرح) (وأنتم تمدحون

بالحسن والظرف * وجوها في غاية القبح) (وتطلبون السماح من رجل * قد طبعت نفسه على الشح) (من أجل ذا تحرمون كدكم * لأنكم تكذبون في المدح) (صونوا القوافي فما أرى أحدا * يعثر فيه الرجاء بالنجح) (فإن شككتم فيما أقول لكم * فكذبوني بواحد سمح) (سوى الوزير الذي رياسته * تعرك أذن الزمان بالملح) وكانت ولادة فخر الدولة المذكور في سنة ثمان وتسعين وثلثمائة بالموصل وتوفي بها في شهر رجب وقيل في المحرم سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة ودفن في تل توبة وهو تل في قبالة الموصل يفصل بينهما عرض الشط رحمه الله تعالى وكان قد عاد إلى ديار ربيعة متوليا من جهة ملكشاه أيضا في سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة فأول ما ملك نصيبين في شهر رمضان من هذه السنة ثم ملك الموصل وسنجار والرحبة والخابور وديار ربيعة أجمع وخطب له على منابرها نيابة عن الموصل إلى أن توفي 230 وأما ولده عميد الدولة المذكور فقد ذكره محمد بن عبد الملك الهمداني في تاريخه فقال انتشر عنه الوقار والهيبة والعفة وجودة الرأي وخدم ثلاثة من الخلفاء ووزر لاثنين منهم وكان عليه رسوم كثيرة وصلات جمة وكان نظام الملك يصفه دائما بأوصاف عظيمة ويشاهده بعين الكافي الشهم ويأخذ رأيه في أهم الأمور ويقدمه على الكفاة والصدور ولم يكن يعاب بأشد من الكبر

132 الزائد فإن كلماته كانت محفوظة مع ضنه بها
ومن كلمه بكلمة قامت عنده مقام بلوغ الأمل فمن جملة
ذلك ما قاله لولد الشيخ الإمام أبي نصر ابن الصباغ اشتغل
وتأدب وإلا كنت صباغا بغير أب انتهى كلام ابن الهمداني
وكان نظام الملك الوزير قد زوجه زبيدة ابنته وكان قد
عزل عن الوزارة ثم أعيد إليها بسبب المصاهرة وفي ذلك
يقول الشريف أبو يعلي ابن الهبارية المقدم ذكره (قل
للوزير ولا تفزعك هيبته * وإن تعاظم واستولى لمنصبه)
(لولا ابنة الشيخ ما استوزرت ثانية * فاشكر حرا صرت
مولانا الوزير به) ووجدت بخط أسامة بن منقذ المقدم
ذكره أن السابق بن أبي مهزول الشاعر المعري قال
دخلت العراق واجتمعت بابن الهبارية فقال لي في بعض
الأيام امض بنا لنخدم الوزير ابن جهير وكان قد عزل ثم
استوزر قال السابق فدخلت معه حتى وقفنا بين يدي
الوزير فدفع إليه رقعة صغيرة فلما قرأها تغير وجهه
ورأيت فيه الشر وخرجنا من مجلسه فقلت ما كان في
الرقعة فقال خير الساعة تضرب رقبتي ورقبتك فأشفقت
وقلقت وقلت أنا رجل غريب صحبتك هذه الأيام وسعيت
في هلاكي فقال كان ما كان فقصدنا باب الدار لنخرج
فردنا البواب فقال أمرت بمنعكما فقال السابق أنا رجل
غريب من أهل الشام ما يعرفني الوزير وإنما القصد هذا
فقال البواب لا تطول فما إلى خروجك من سبيل فأيقنت
بالهلاك فلما خف الناس من الدار خرج إليه غلام معه

قرطاس فيه خمسون دينارا وقال قد شكرنا فاشكر فانصرفنا ودفع لي عشرة دنانير منها فقلت ما كان في الرقعة فأنشدني البيتين المذكورين فآليت أن لا أصحبه بعدها ولعميد الدولة شعر ذكره في الخريدة لكنه غير مرضي وذكره ابن السمعاني في كتاب الذيل ومدحه خلق كثير من شعراء عصره وفيه يقول صردر المذكور قصيدته العينية المشهورة التي أولها

133 (قد بان عذرك والخليط مودع * وهوى النفوس مع الهوادج يرفع) (لك حيثما سمت الركائب لفتة * أترى البدور بكل واد تطلع) (في الظاعنين من الحمى ظبي له * الأحشاء مرعى والمآقي مكرع) (ممنوع أطراف الجمال رقيبه * حذرا عليه من العيون البرقع) (عهد الحبائل صائدات شبهه * فارتاع فهو لكل حبل يقطع) (لم يدر حامي سربه أني إذا * حرم الكلام له لساني الأصبع) (وإذا الطيوف إلى المضاجع أرسلت * بتحية منه فعيني تسمع) وهذه القصيدة طويلة وهي من غرر الشعر وقوله فيها (عهد الحبائل صائدات شبهه * فارتاع فهو لكل حبل يقطع) نظير قول ابن الحمارة الأندلسي (عن النوم سل عينا به طال عهدها * وكان قليلا في ليال قلائل) (إذا ظن وكرا مقلتي طائر الكرى * رأى هدبها فارتاع خوف الحبائل) ولا أدري أيهما أخذ من الآخر لأني لم أقف على تاريخ وفاة ابن الحمارة حتى أعرف عصره ويجوز أن يكون ذلك بطريق التوارد على

هذا المعنى من غير أن يأخذ أحدهما من الآخر وعزل عميد الدولة المذكور عن الوزارة وحبس وقيد في شهر رمضان المعظم سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة وتوفي في شوال من السنة وإليه كتب أبو الكرم ابن العلاف الشاعر قوله (ولولا مدائحنا لم تبن * فعال المسيء من المحسن) (فهبك احتجبت عن الناظرين * فهلا احتجبت عن الألسن)

134 231 وتوفيت زوجته بنت نظام الملك المذكور في شعبان سنة سبعين وأربعمائة وكان تزوجها في سنة اثنتين وستين وأربعمائة وتوفي سنة ثلاث وتسعين في حصن مقابل لتل بها 232 ولصردر أيضا في زعيم الرؤساء أبي القاسم ابن فخر الدولة قصيدته القافية التي أولها (صبحها الدمع ومساها الأرق * هل بين هذين بقاء للحدق) وهي بديعة مختارة مشهورة فلا حاجة إلى التطويل في الإتيان بها وتولى زعيم الرؤساء أبو القاسم ابن فخر الدولة وزارة الإمام المستظهر بالله في شعبان من سنة ست وتسعين وأربعمائة ولقبه نظام وقيل قوام الدين وجهير بفتح الجيم وكسر الهاء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء وقال السمعاني بضم الجيم وهو غلط يقال رجل جهير بين الجهارة أي ذو منظر ويقال أيضا جهير الصوت بمعنى جهوري الصوت والله تعالى أعلم بالصواب 702 ظهير الدين الروذراوري أبو شجاع محمد بن الحسين بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم الملقب

ظهير الدين الروذراوري الأصل الأهوازي المولد قرأ الفقه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي وقرأ الأدب وولي الوزارة للإمام المقتدي بأمر الله بعد عزل عميد
135 الدولة أبي منصور ابن جهير المذكور قبله في ترجمة أبيه فخر الدولة وذلك في سنة ست وسبعين وأربعمائة وعزل عنها يوم الخميس تاسع عشر صفر سنة أربع وثمانين وأربعمائة وأعيد عميد الدولة ابن جهير ولما قرأ أبو شجاع التوقيع بعزله أنشد (تولاها وليس له عدو * وفارقها وليس له صديق) وخرج بعد عزله ماشيا يوم الجمعة من داره إلى الجامع وانثالت عليه العامة تصافحه وتدعو له وكان ذلك سببا لإلزامه بالقعود في داره ثم خرج إلى روذراور وهي موطنه قديما فأقام هناك مدة ثم خرج إلى الحج في الموسم سنة سبع وثمانين وأربعمائة وخرجت العرب على الركب الذي هو فيه بقرب الربذة فلم يسلم من الرفقة سواه وجاور بعد الحج بمدينة الرسول إلى أن توفي في النصف من جمادى الآخرة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ودفن بالبقيع عند القبة التي فيها قبر إبراهيم عليه السلام ابن رسول الله وكانت ولادته سنة سبع وثلاثين وأربعمائة رحمه الله تعالى قال العماد الكاتب في الخريدة في حقه وكان عصره أحسن العصور وزمانه أنضر الأزمان ولم يكن في الوزراء من يحفظ أمر الدين وقانون الشريعة مثله صعبا شديدا في أمور الشرع سهلا في أمور الدنيا لا تأخذه في الله لومة لائم ثم قال ذكره ابن

الهمداني في الذيل فقال كانت أيامه أوفى الأيام سعادة للدولتين وأعظمها بركة على الرعية وأعمها أمنا وأشملها رخصا وأكملها صحة لم يغادها بؤس ولم تشبها مخافة وقامت للخلافة في نظره من الحشمة
136 والاحترام ما أعادت سالف الأيام وكان أحسن الناس خطا ولفظا وذكره الحافظ ابن السمعاني في الذيل فقال كان يرجع إلى فضل كامل وعقل وافر ورزانة ورأي صائب وكان له شعر رقيق مطبوع أدركته حرفة الأدب وصرف عن الوزارة وكلف لزوم البيت فانتقل من بغداد إلى جوار النبي وأقام بالمدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام إلى حين وفاته وزرت قبره غير مرة عند قبر إبراهيم ابن نبينا بالبقيع ثم قال السمعاني بعد ذلك سمعت من أثق به يقول إن الوزير أبا شجاع وقت أن قرب أمره وحان ارتحاله من الدنيا حمل إلى مسجد النبي فوقف عند الحظيرة وبكى وقال يا رسول الله قال الله سبحانه وتعالى (^ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) (النساء 64) ولقد جئتك معترفا بذنوبي وجرائمي أرجو شفاعتك وبكى ورجع وتوفي من يومه وله شعر حسن مجموع في ديوان فمن ذلك قوله (لأعذبن العين غير مفكر * فيها بكت بالدمع أو فاضت دما) (ولأهجرن من الرقاد لذيذة * حتى يعود على الجفون محرما) (هي أوقعتني في حبائل فتنة * لو لم تكن نظرت لكنت مسلما) (سفكت

دمي فلأسفكن دموعها * وهي التي بدأت فكانت أظلما)
وإلى هذا المعنى ينظر قول بعضهم (يا عين ما ظلم
الفؤاد * ولا تعدى في الصنيع) (جرعته مر الهوى *
فمحا سوادك بالدموع) وله أيضا (وإني لأبدي في
هواك تجلدا * وفي القلب مني لوعة وغليل)
137 (فلا تحسبي أني سلوت فربما * ترى صحة
بالمرء وهو عليل) وله أيضا (أيذهب جل العمر بيني
وبينكم * بغير لقاء إن ذا لشديد) (فإن يسمح الدهر
الخؤون بوصلكم * على فاقتي إني إذا لسعيد) وعمل
ذيلا على كتاب تجارب الأمم تأليف أبي علي أحمد بن
محمد المعروف بمسكويه وهو التاريخ المشهور بأيدي
الناس وقال محمد بن عبد الملك الهمداني في تاريخه
وظهر منه من التلبس في الدين وإظهاره وإعزاز أهله
والرأفة بهم والأخذ على أيدي الظلمة ما أذكر به عدل
العادلين وكان لا يخرج من بيته حتى يكتب شيئا من
القرآن العظيم ويقرأ في المصحف ما تيسر وكان يؤدي
زكاة أمواله الظاهرة في سائر أملاكه وضياعه واقطاعه
ويتصدق سرا وعرضت عليه رقعة فيها إن الدار الفلانية
بدرب القيار فيها امرأة معها أربعة أيتام وهم عراة جياع
فاستدعى صاحبا له وقال له مر واكسهم وأشبعهم وخلع
أثوابه وحلف لا لبستها ولا دفئت حتى تعود إلي وتخبرني
أنك كسوتهم وأشبعتهم ولم يزل يرعد إلى أن جاء صاحبه
وأخبره بذلك وكانت له مبار كثيرة والروذراوري بضم

الراء وسكون الواو والذال المعجمة وفتح الراء والواو بينهما ألف في آخرها راء أخرى هذه النسبة إلى روذراور وهي بليدة بنواحي همذان والله تعالى أعلم

138 703 عميد الملك الكندري أبو نصر محمد بن منصور بن محمد الملقب عميد الملك الكندري كان من رجال الدهر جودا وسخاء وكتابة وشهامة واستوزره السلطان طغرلبك السلجوقي المقدم ذكره ونال عنده الرتبة العالية والمنزلة الجليلة ولم يكن لأحد من أصحابه معه كلام وهو أول وزير كان لهذه الدولة ولم تكن له منقبة إلا صحبة إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك ابن الشيخ أبي محمد الجويني الفقيه الشافعي صاحب نهاية المطلب على ما ذكره السمعاني في ترجمة أبي المعالي في كتاب الذيل فإنه قال بعد الإطناب في وصف إمام الحرمين وذكر تنقله في البلاد ثم قال وخرج إلى بغداد وصحب العميد الكندري أبا نصر مدة يطوف معه ويلتقي في حضرته بالأكابر من العلماء ويناظرهم وتحنك بهم حتى تهذب في النظر وشاع ذكره وذكره شيخنا ابن الأثير في تاريخه في سنة ست وخمسين وأربعمائة وقال إن الوزير المذكور كان شديد التعصب على الشافعية كثير الوقيعة في الشافعي رضي الله عنه حتى بلغ من تعصبه أنه خاطب السلطان ألب أرسلان السلجوقي في لعن الرافضة على منابر خراسان فأذن في ذلك فلعنهم وأضاف إليهم الأشعرية فأنف من ذلك أئمة خراسان منهم أبو القاسم القشيري وإمام الحرمين

الجويني وغيرهما ففارقوا خراسان وأقام إمام الحرمين بمكة شرفها الله تعالى أربع سنين يدرس ويفتي فلهذا قيل له إمام الحرمين فلما جاءت الدولة
139 النظامية أحضر من انتزح منهم وأكرمهم وأحسن إليهم وقيل إنه تاب عن الوقيعة في الشافعي فإن صح فقد أفلح وكان عميد الملك ممدحا مقصدا للشعراء مدحه جماعة من أكابر شعراء عصره منهم أبو الحسن علي بن الحسن الباخرزي المقدم ذكره والرئيس أبو منصور علي بن الحسن بن علي بن الفضل الكاتب المعروف بصردر المقدم ذكره أيضا وفيه يقول قصيدته النونية وهي (أكذا يجازى ود كل قرين * أم هذه شيم الظباء العين) (قصوا علي حديث من قتل الهوى * إن التأسي روح كل حزين) (ولئن كتمتم مشفقين لقد درى * بمصارع العذري والمجنون) (فوق الركاب ولا أطيل مشبها * بل ثم شهوة أنفس وعيون) (هزت قدودهم وقالت للصبا * هزوا أعند البان مثل غصوني) (ووراء ذياك المقبل مورد * حصباؤه من لؤلؤ مكنون) (إما بيوت النحل بين شفاههم * منظومة أو حانة الزرجون) (ترمي بعينيك الفجاج مقلبا * ذات الشمال بها وذات يمين) (لو كنت زرقاء اليمامة ما رأت * من بارق حيا على جيرون) (شكواك من ليل التمام وإنما * أرقي بليل ذوائب وقرون) (ومعنف في الوجد قلت له اتئد * فالدمع دمعي والحنين حنيني) (ما نافعي إذ كان ليس بنافعي *

جاه الصبا وشفاعة العشرين) (لا تطرقن خجلا للومة
لائم * ما أنت أول حازم مفتون) (أأسومهم وهم
الأجانب طاعة * وهواي بين جوانحي يعصيني)
140 (ديني على ظبياتهم ما يقتضى * فبأي حكم
يقتضون رهوني) (وخشيت من قلبي الفرار إليهم *
حتى لقد طالبته بضمين) (كل النكال أطيق إلا ذلة * إن
العزيز عذابه بالهون) (يا عين مثل قذاك رؤية معشر *
عار على دنياهم والدين) (لم يشبهوا الإنسان إلا أنهم *
متكونون من الحما المسنون) (نجس العيون فإن رأتهم
مقلتي * طهرتها فنزحت ماء جفوني) (أنا إن هم حسبوا
الذخائر دونهم * وهم إذا عدوا الفضائل دوني) (لا
يشمت الحساد أن مطامعي * عادت إلي بصفقة المغبون)
(ما يستدير البدر إلا بعدما * أبصرته في الضمر
كالعرجون) (هذا الطريق اللحب زاجر ناقتي * واليم
قاذف فلكي المشحون) (فإذا عميد الملك حلى ربعه *
ظفرا بفأل الطائر الميمون) (ملك إذا ما العزم حث
جياده * مرحت بأزهر شامخ العرنين) (بأغر ما
أبصرت نور جبينه * إلا اقتضاني بالسجود جبيني) (
تجلو النواظر في نواحي دسته * والسرج بدر دجى وليث
عرين) (عمت فضائله البرية فالتقى * شكر الغني
ودعوة المسكين) (قالوا وقد شنوا عليه غارة * أصلات
جود أم قضاء ديون) (لو كان في الزمن القديم تظلمت *
منه الكنوز إلى يدي قارون) (أما خزائن ماله فمباحة *

فاستوهبوا من علمه المخزون) (ما الرزق محتاجا
بعرصته إلى * طلب وليس الأجر بالممنون) (أقسمت
أن ألقى المكارم عالما * أني برؤيته أبر يميني) (ساس
الأمور فليس يخلي رغبة * من رهبة وبسالة من لين) (
كالسيف رونق أثره في متنه * ومضاؤه في حده المسنون
) (شهدت علاه أن عنصر ذاته * مسك وعنصر غيره
من طين)
141 وكان إنشاده إياه هذه القصيدة عند وصول
عميد الملك إلى العراق وهو في دست وزارته وعلو
منصبه وهذه القصيدة من الشعر الفائق المختار وقد أثبتها
بكمالها ما خلا ثلاثة أبيات فإنها لم تعجبني فأهملتها وقد
وازن هذه القصيدة جماعة من الشعراء منهم ابن
التعاويذي المقدم ذكره وازنه بقصيدته التي أولها (إن
كان دينك في الصبابة ديني * فقف المطي برملتي يبرين)
وهي من القصائد النادرة وأرسلها من العراق إلى الشام
ممتدحا بها السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى ولولا
خوف الإطالة لأثبتها ثم ذكرتها في ترجمة صلاح الدين
يوسف بن أيوب فتطلب هناك ووازنه أيضا ابن المعلم
المقدم ذكره بقصيدته التي أولها (ما وقفة الحادي على
يبرين * وهو الخلي من الظباء العين) وهي أيضا قصيدة
جيدة وقد ذكرت بعضها في ترجمته وقد وازنها الأبله
أيضا وبالجملة فما قاربها إلا ابن التعاويذي وقد خرجنا
عن المقصود ولكن انتشر الكلام فلم يكن بد من استيفائه

ولم يزل عميد الملك في دولة طغرلبك عظيم الجاه والحرمة إلى أن توفي طغرلبك في التاريخ المذكور في ترجمته وقام في المملكة ابن أخيه ألب أرسلان المقدم ذكره فأقره على حاله وزاد في إكرامه ورتبته ثم إنه سيره إلى خوارزم شاه ليخطب له ابنته فأرجف أعداؤه أنه خطبها لنفسه وشاع ذلك بين الناس فبلغ عميد الملك الخبر فخاف تغير قلب مخدومه عليه فعمد إلى لحيته فحلقها وإلى مذاكيره فجبها فكان ذلك سبب سلامته من ألب أرسلان وقيل إن السلطان خصاه فلما فعل ذلك عمل أبو الحسن علي بن الحسن الباخرزي المذكور في ترجمته قوله (قالوا محا السلطان عنه بعدكم * سمة الفحول وكان قرما صائلا)

142 (قلت اسكتوا فالآن زاد فحولة * لما اغتدى من أنثييه عاطلا) (فالفحل يأنف أن يسمى بعضه * أنثى لذلك جذه مستاصلا) وهذا من المعاني الغريبة البديعة ثم إن ألب أرسلان عزله من الوزارة في المحرم من سنة ست وخمسين وأربعمائة لسبب يطول شرحه وفوض الوزارة إلى نظام الملك أبي علي الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي المقدم ذكره وحبس عميد الملك بنيسابور في دار عميد خراسان ثم نقله إلى مرو الروذ وحبسه في داره فكان في حجرة تلك الدار عياله وكانت له بنت واحدة لا غير فلما أحس بالقتل دخل الحجرة وأخرج كفنه وودع عياله وأغلق باب الحجرة واغتسل وصلى ركعتين

وأعطى الذي هم بقتله مائة دينار نيسابورية وقال حقي عليك أن تكفنني في هذا الثوب الذي غسلته بماء زمزم وقال لجلاده قل للوزير نظام الملك بئس ما فعلت علمت الأتراك قتل الوزراء وأصحاب الديوان ومن حفر مهواة وقع فيها ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة ورضي بقضاء الله المحتوم وقتل يوم الأحد سادس عشر ذي الحجة سنة ست وخمسين وأربعمائة وعمره يومئذ نيف وأربعون سنة فعمل في ذلك الباخرزي الشاعر المذكور مخاطبا للسلطان ألب أرسلان

(وعمك أدناه وأعلى محله * وبوأه من ملكه كنفا رحبا)

(قضى كل مولى منكما حق عبده * فخوله الدنيا وخولته العقبى) ومن العجائب أنه دفنت مذاكيره بخوارزم وأريق دمه بمروالروذ ودفن جسده بقريته كندر وجمجمته ودماغه بنيسابور وحشيت سوأته بالتبن ونقلت إلى كرمان وكان نظام الملك هناك ودفنت ثم وفي ذلك عبرة لمن اعتبر بعد أن كان رئيس عصره رحمه الله تعالى والكندري بضم الكاف وسكون النون وضم الدال المهملة وبعدها راء هذه النسبة إلى كندر وهي قرية من قرى طريثيث بضم الطاء المهملة وفتح

143 الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وكسر الثاء المثلثة وسكون الياء المثناة من تحتها أيضا وبعدها ثاء مثلثة وهي كورة من نواحي نيسابور خرج منها جماعة من العلماء وغيرهم والله تعالى أعلم بالصواب

704 الوزير الجواد جمال الدين أبو جعفر محمد بن علي بن أبي منصور الملقب جمال الدين المعروف بالجواد الأصفهاني وزير صاحب الموصل كان جده أبو منصور فهادا للسلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى فتأدب ولده وسمت همته فاشتهر أمره وخدم في مناصب علية وصاهر الأكابر فلما ولد له جمال الدين المذكور عني بتأديبه وتهذيبه ثم ترتب في ديوان العرض للسلطان محمود بن محمد بن ملكشاه الآتي ذكره إن شاء الله تعالى فظهرت كفايته وحمدت طريقته فلما تولى أتابك زنكي بن آق سنقر المقدم ذكره الموصل وما والاها استخدم جمال الدين المذكور وقربه واستصحبه معه إليها فولاه نصيبين فظهرت كفايته وأضاف إليه الرحبة فأبان عن كفاية وعفة وكان من خواصه وأكبر ندمائه فجعله مشرف مملكته كلها وحكمه تحكيما لا مزيد عليه وكان الوزير يومئذ ضياء الدين أبا سعيد بهرام بن الخضر الكفرتوثي استوزره أتابك زنكي في سنة ثمان وعشرين وخمسمائة وتوفي خامس شعبان سنة ست وثلاثين وخمسمائة وهو على وزارته وتولى الوزارة بعده أبو الرضى ابن صدقة وجمال الدين المذكور على وظائفه وكان جمال الدين دمث الأخلاق حسن المحاضرة مقبول المفاكهة فخف على أتابك زنكي المذكور وأعجبه حديثه ومحاورته وجعله من ندمائه

144 وعول عليه في آخر مدته في أشراف ديوانه وزاد ماله ولم يظهر منه في أيام أتابك زنكي كرم ولا جود ولا تظاهر بموجود فلما قتل على قلعة جعبر كما تقدم في ترجمته أراد بعض العسكر قتل الوزير المذكور ونهب ماله فتعرضوا له ورموا خيمته بالنشاب فحماه جماعة من الأمراء وتوجه بالعسكر إلى الموصل فرتبه سيف الدين غازي بن أتابك زنكي المقدم ذكره في وزارته وفوض الأمور وتدبير أحوال الدولة إليه وإلى زين الدين علي بن بكتكين والد مظفر الدين صاحب إربل وقد تقدم طرف من خبره في ترجمة ولده في حرف الكاف فظهر حينئذ جود الوزير المذكور وانبسطت يده ولم يزل يعطي ويبذل الأموال ويبالغ في الإنفاق حتى عرف بالجواد وصار ذلك كالعلم عليه حتى لا يقال له إلا جمال الدين الجواد ومدحه جماعة من الشعراء من جملتهم محمد بن نصر بن صغير القيسراني الشاعر المقدم ذكره فإنه قصده بقصيدته المشهورة التي أولها (سقى الله بالزوراء من جانب الغربي * مها وردت عين الحياة من القلب) وهي من القصائد الطنانة وأثر آثارا جميلة وأجرى الماء إلى عرفات أيام الموسم من مكان بعيد وعمل الدرج من أسفل الجبل إلى أعلاه وبنى سور مدينة الرسول وما كان خرب من مسجده وكان يحمل في كل سنة إلى مكة شرفها الله تعالى والمدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام من الأموال والكسوات للفقراء والمنقطعين ما يقوم بهم مدة

سنة كاملة وكان له ديوان مرتب باسم أرباب الرسوم والقصاد لا غير ولقد تنوع في فعل الخير حتى جاء في زمنه بالموصل غلاء مفرط فواسى الناس حتى لم يبق له شيء وكان إقطاعه عشر مغل البلاد على جاري عادة وزراء الدولة السلجوقية فأخبر بعض وكلائه أنه دخل عليه يوما فناوله بقياره وقال له بع هذا واصرف ثمنه إلى المحاويج فقال له الوكيل إنه لم يبق عندك سوى هذا البقيار والذي على رأسك وإذا بعت
145 هذا ربما تحتاج إلى تغيير البقيار فلا تجد ما تلبسه فقال له إن هذا الوقت صعب كما ترى وربما لا أجد وقتا أصنع فيه الخير كهذا الوقت وأما البقيار فإني أجد عوضه كثيرا فخرج الوكيل وباع البقيار وتصدق بثمنه وله من هذه النوادر أشياء كثيرة وأقام على هذه الحال إلى أن توفي مخدومه غازي في التاريخ المذكور في ترجمته وقام بالأمر من بعده أخوه قطب الدين مودود وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى فاستولى عليه مدة ثم إنه استكثر إقطاعه وثقل عليه أمره فقبض عليه في شهر رجب الفرد سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وفي أخبار زين الدين صاحب إربل طرف من خبر قبضه وحبسه في قلعة الموصل ولم يزل مسجونا بها إلى أن توفي في العشر الأخير من شهر رمضان المعظم وقيل شعبان سنة تسع وخمسين وخمسمائة وصلي عليه وكان يوما مشهودا من ضجيج الضعفاء والأرامل والأيتام حول جنازته ودفن

بالموصل إلى بعض سنة ستين ثم نقل إلى مكة حرسها الله تعالى وطيف به حول الكعبة وكان بعد أن صعدوا به ليلة الوقفة إلى جبل عرفات وكانوا يطوفون به كل يوم مرارا مدة مقامهم بمكة شرفها الله تعالى وكان يوم دخوله مكة يوما مشهودا من اجتماع الخلق والبكاء عليه ويقال إنه لم يعهد عندهم مثل ذلك اليوم وكان معه شخص مرتب يذكر محاسنه ويعدد مآثره إذا وصلوا به إلى المزارات والمواضع المعظمة فلما انتهوا به إلى الكعبة وقف وأنشد (يا كعبة الإسلام هذا الذي * جاءك يسعى كعبة الجود) (قصدت في العام وهذا الذي * لم يخل يوما غير مقصود) ثم حمل إلى مدينة الرسول ودفن بها بالبقيع بعد أن أدخل
146 المدينة وطيف به حول حجرة الرسول مرارا وأنشد الشخص الذي كان مرتبا معه فقال (سرى نعشه فوق الرقاب وطالما * سرى جوده فوق الركاب ونائله) (يمر على الوادي فتثني رماله * عليه وبالنادي فتبكي أرامله) قلت وهذان البيتان من جملة القصيدة المذكورة في ترجمة المقلد بن نصر بن منقذ الشيزري وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى رحمه الله تعالى 233 وكان ولده أبو الحسن علي الملقب جلال الدين من الأدباء الفضلاء البلغاء الكرماء رأيت له ديوان رسائل أجاد فيه وجمعه مجد الدين أبو السعادات المبارك المعروف بابن الأثير الجزري صاحب جامع الأصول وقد تقدم ذكره وسماه

كتاب الجواهر واللآلي من الإملاء المولوي الوزيري الجلالي وكان مجد الدين المذكور في أول أمره كاتبا بين يديه يملي رسائله وإنشاءه عليه وهو كاتب يده وقد أشار مجد الدين إلى ذلك في أول هذا الكتاب وبالغ في وصف جلال الدين المذكور وتقريضه وفضله على كل من تقدم من الفصحاء وذكر أنه كان بينه وبين حيص بيص الشاعر المقدم ذكره مكاتبات ولولا خوف الإطالة لذكرت بعض رسائله وفي جملة ما ذكره أن حيص بيص كتب إليه على يد رجل عليه دين رسالة مختصرة فأتيت بها لقصرها وهي الكرم غامر والذكر سائر والعون على الخطوب أكرم ناصر وإغاثة الملهوف من أعظم الذخائر والسلام وكان جلال الدين المذكور وزير سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود وقد تقدم ذكره أيضا في حرف الغين وتوفي جلال الدين المذكور سنة أربع وسبعين وخمسمائة بمدينة دنيسر

147 وحمل إلى الموصل ثم نقل إلى المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ودفن بها في تربة والده رحمه الله تعالى ودنيسر بضم الدال المهملة وفتح النون وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح السين المهملة وبعدها راء وهي مدينة بالجزيرة الفراتية بين نصيبين ورأس عين تطرقها التجار من جميع الجهات وهي مجمع الطرقات ولهذا قيل لها دنيسر وهي لفظ مركب عجمي وأصله دنياسر ومعناه رأس الدنيا وعادة العجم في الأسماء

المضافة أن يؤخروا المضاف عن المضاف إليه وسر
بالعجمي رأس والكفرتوثي الوزير المذكور بفتح الكاف
وسكون الفاء وفتح الراء وضم التاء المثناة من فوقها
وسكون الواو وبعدها ثاء مثلثة هذه النسبة إلى كفرتوثا
وهي قرية من أعمال الجزيرة الفراتية بين رأس عين
ودارا والله أعلم بالصواب 705 العماد الأصفهاني الكاتب
أبو عبد الله محمد بن صفي الدين أبي الفرج محمد بن
نفيس الدين أبي الرجا حامد بن محمد بن عبد الله بن علي
بن محمود بن هبة الله المعروف بابن أخي العزيز وقد تقدم
ذكر عمه العزيز في حرف الهمزة المعروف بأله الملقب
عماد الدين الكاتب الأصبهاني كان العماد المذكور فقيها
شافعي المذهب تفقه بالمدرسة النظامية زمانا
148 وأتقن الخلاف وفنون الأدب وله من الشعر
والرسائل ما يغني عن الإطالة في شرحه وكان قد نشأ
بأصبهان وقدم بغداد في حداثته وتفقه على الشيخ أبي
منصور سعيد بن محمد بن الرزاز مدرس النظامية وسمع
بها الحديث من أبي الحسن علي بن هبة الله بن عبد السلام
وأبي منصور محمد بن عبد الملك بن جيرون وأبي
المكارم المبارك بن علي السمرقندي وأبي بكر أحمد بن
علي بن الأشقر وغيرهم وأقام بها مدة ولما تخرج ومهر
تعلق بالوزير عون الدين يحيى بن هبيرة ببغداد فولاه
النظر بالبصرة ثم بواسط ولم يزل ماشي الحال مدة حياته
فلما توفي في التاريخ الآتي ذكره في ترجمته إن شاء الله

تعالى تشتت شمل أتباعه والمنتسبين إليه ونال المكروه بعضهم وأقام العماد مدة في عيش منكد وجفن مسهد ثم انتقل إلى مدينة دمشق فوصلها في شعبان سنة اثنتين وستين وخمسمائة وسلطانها يومئذ الملك العادل نور الدين أبو القاسم محمود بن أتابك زنكي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى وحاكمها ومتولي أمورها وتدبير دولتها القاضي كمال الدين أبو الفضل محمد ابن الشهرزوري المقدم ذكره فتعرف به وحضر مجالسه وذكر لديه مسألة في الخلاف وعرفه الأمير الكبير نجم الدين أبو الشكر أيوب والد السلطان صلاح الدين رحمهما الله تعالى وكان يعرف عمه العزيز من قلعة تكريت فأحسن إليه وأكرمه وميزه عند الأعيان والأماثل وعرفه السلطان صلاح الدين من جهة والده ومدحه في ذلك الوقت بدمشق المحروسة وذكر العماد ذلك في كتابه البرق الشامي وأورد القصيدة التي مدحه بها يومئذ ثم إن القاضي كمال الدين نوه بذكره عند السلطان نور الدين وعدد عليه فضائله وأهله لكتابة الإنشاء قال العماد فبقيت متحيرا في الدخول فيما ليس من شأني ولا وظيفتي ولا تقدمت لي به دربة ولقد كانت مواد هذه الصناعة عتيدة عنده لكنه لم يكن قد مارسها فجبن عنها في الابتداء فلما باشرها هانت عليه وأجاد فيها وأتى فيها بالغرائب وكان ينشئ الرسائل باللغة العجمية أيضا وحصل بينه وبين صلاح الدين في تلك المدة مودة أكيدة وامتزاج تام

149 وعلت منزلته عند نور الدين وصار صاحب سره وسيره إلى دار السلام بغداد رسولا في أيام الإمام المستنجد ولما عاد فوض إليه تدريس المدرسة المعروفة به في دمشق أعني العماد وذلك في شهر رجب سنة سبع وستين وخمسمائة ثم رتبه في اشراف الديوان في سنة ثمان وستين ولم يزل مستقيم الحال رخي البال إلى أن توفي نور الدين في التاريخ الآتي ذكره إن شاء الله تعالى وقام ولده الملك الصالح إسماعيل مقامه وكان صغيرا فاستولى عليه جماعة كانوا يكرهون العماد فضايقوه وأخافوه إلى أن ترك جميع ما هو فيه وسافر قاصدا بغداد فوصل إلى الموصل ومرض بها مرضا شديدا ثم بلغه خروج السلطان صلاح الدين من الديار المصرية لأخذ دمشق فانثنى عزمه عن قصد العراق وعزم على العود إلى الشام وخرج من الموصل رابع جمادى الأولى سنة سبعين وخمسمائة وسلك طريق البرية فوصل إلى دمشق في ثامن جمادى الآخرة وصلاح الدين يومئذ نازل على حلب ثم قصد خدمته وقد تسلم قلعة حمص في شعبان من السنة فحضر بين يديه وأنشده قصيدة أطال نفسه فيها ثم لزم الباب ينزل لنزول السلطان ويرحل لرحيله فاستمر على عطلته مديدة وهو يغشى مجالس السلطان وينشده في كل وقت مدائح ويعرض بصحبته القديمة ولم يزل على ذلك حتى نظمه في سلك جماعته واستكتبه واعتمد عليه وقرب منه فصار من جملة الصدور المعدودين والأماثل

المشهورين يضاهي الوزراء ويجري في مضمارهم
وكان القاضي الفاضل في أكثر أوقاته ينقطع عن خدمة
السلطان ويتوفر على مصالح الديار المصرية والعماد
ملازم الباب بالشام وغيره وهو صاحب السر المكتوم
وصنف التصانيف النافعة من ذلك كتاب خريدة القصر
وجريدة العصر جعله ذيلا على زينة الدهر تأليف أبي
المعالي سعد بن علي الوراق الحظيري والحظيري جعل
كتابه ذيلا على دمية القصر وعصرة أهل العصر
للباخرزي والباخرزي جعل كتابه ذيلا على يتيمة الدهر
للثعالبي وقد
150 تقدم ذكر هؤلاء الثلاثة المؤلفين والثعالبي جعل
كتابه ذيلا على كتاب البارع لهارون بن علي المنجم
وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى وقد ذكر العماد في خريدته
الشعراء الذين كانوا بعد المائة الخامسة إلى سنة اثنتين
وسبعين وخمسمائة وجمع شعراء العراق والعجم والشام
والجزيرة ومصر والمغرب ولم يترك أحدا إلا النادر
الخامل وأحسن في هذا الكتاب وهو في عشر مجلدات
وصنف كتاب البرق الشامي في سبع مجلدات وهو
مجموع تاريخ وبدأ فيه بذكر نفسه وصورة انتقاله من
العراق إلى الشام وما جرى له في خدمة السلطان نور
الدين محمود وكيفية تعلقه بخدمة السلطان صلاح الدين
وذكر شيئا من الفتوحات بالشام وهو من الكتب الممتعة
وإنما سماه البرق الشامي لأنه شبه أوقاته في تلك الأيام

بالبرق الخاطف لطيبها وسرعة انقضائها وصنف كتاب الفتح القدسي في الفتح القدسي في مجلدين يتضمن كيفية فتح البيت المقدس وصنف كتاب السيل على الذيل جعله ذيلا على الذيل لابن السمعاني المقدم ذكره الذي ذيل به تاريخ بغداد تأليف الخطيب البغدادي الحافظ هكذا كنت قد سمعت ثم إني وقفت عليه فوجدته ذيلا على كتابه خريدة القصر المذكور وصنف كتاب نصرة الفترة وعصرة الفطرة في أخبار الدولة السلجوقية وله ديوان رسائل وديوان شعر في أربع مجلدات ونفسه في قصائده طويل وله ديوان صغير جميعه دوبيت وكان بينه وبين القاضي الفاضل مكاتبات ومحاورات لطاف فمن ذلك ما يحكى عنه أنه لقيه يوما وهو راكب على فرس فقال له سر فلا كبابك الفرس فقال له الفاضل دام علا العماد وهذا مما يقرأ مقلوبا وصحيحا سواء واجتمعا يوما في موكب السلطان وقد انتشر من الغبار لكثرة الفرسان ما سد الفضاء فتعجبا من ذلك فأنشد العماد في الحال (أما الغبار فإنه * مما أثارته السنابك) (والجو منه مظلم * لكن أنار به السنا بك)

151 (يا دهر لي عبد الرحيم * فلست أخشى مس نابك) وقد اتفق له الجناس في الأبيات الثلاثة وهو في غاية الحسن وكان القاضي الفاضل قد حج من مصر في سنة أربع وسبعين وخمسمائة وركب البحر في طريقه فكتب إليه العماد طوبى للحجر والحجون من ذي الحجر

والحجا منيل الجدا ومنير الدجى ولندي الكعبة من كعبة الندى وللهدايا المشعرات من مشعر الهدى وللمقام الكريم من مقام الكريم ومن حاطم فقار القفر للحطيم ومتى رؤي هرم في الحرم وحاتم ماتح زمزم ومتى ركب البحر البحر وسلك البر البر لقد عاد قس إلى عكاظه وعاد قيس لحفاظه ويا عجبا لكعبة يقصدها كعبة الفضل والإفضال ولقبلة يستقبلها قبلة القبول والإقبال والسلام لقد أبدع في هذه الرسالة وما أودعها من الصناعة لكن الظاهر أنه غلط في قوله قيس لحفاظه فإن المشهور أنس الحفاظ وهم أربعة أخوة لكل واحد منهم لقب ولولا خوف الإطالة والانتقال عما نحن بصدده لذكرت قصتهم ولما توفي الوزير عون الدين بن هبيرة اعتقل الديوان العزيز جماعة من أصحابه وكان العماد في جملة من اعتقل لأنه كان ينوب عنه في واسط تلك المدة فكتب من الحبس إلى عماد الدين بن عضد الدين بن رئيس الرؤساء وكان حينئذ أستاذ الدار المستنجدية وذلك في شعبان سنة ستين وخمسمائة من قصيدة (قل للإمام علاء حبس وليكم * أولوا جميلكم جميل ولائه) (أوليس إذ حبس الغمام وليه * خلى أبوك سبيله بدعائه) فأمر باطلاقه وهذا معنى مليح غريب وفيه إشارة إلى قضية العباس بن عبد المطلب عم النبي مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه فإن الغيث قد انقطع في زمن خلافته وأمحلت الأرض فخرج للاستسقاء ومعه

152 العباس والناس فلما وقف للدعاء قال اللهم إنا كنا إذا قحطنا توسلنا إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك اليوم بعم نبينا فاسقنا فسقوا وأما الولي فهو المطر الذي يأتي بعد الوسمي وسمي وليا لأنه يلي الوسمي والوسمي مطر الربيع الأول وسمي بذلك لأنه يسم الأرض بالنبات وهو منسوب إلى الوسم وقد جمعهما المتنبي في بيت واحد وهو (أمنعمة بالعودة الظبية التي * بغير ولي كان نائلها الوسمي) يعني أنه لم تكن لزيارتها الأولى ثانية وبم يزل العماد الكاتب على مكانته ورفعة منزلته إلى أن توفي السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى فاختلت أحواله وتعطلت أوصاله ولم يجد في وجهه بابا مفتوحا فلزم بيته وأقبل على الاشتغال بالتصانيف وقد ساق في أوائل البرق الشامي طرفا من ذلك وتقدم في ترجمة ابن التعاويذي ما دار بينهما في طلب الفروة والرسالة والقصيدة وجوابهما وكانت ولادته يوم الاثنين ثاني جمادى الآخرة وقيل في شعبان سنة تسع عشرة وخمسمائة بأصبهان وتوفي يوم الاثنين مستهل شهر رمضان المعظم سنة سبع وتسعين وخمسمائة بدمشق ودفن في مقابر الصوفية خارج باب النصر رحمه الله تعالى أخبرني بعض الرؤساء ممن كان ملازمه في مدة مرضه أنه كان إذا دخل عليه أحد يعوده أنشده (أنا ضيف بربعكم * أين أين المضيف) (أنكرتني معارفي * مات من كنت أعرف) وأله بفتح الهمزة وضم اللام وسكون الهاء وهو اسم عجمي معناه

بالعربي العقاب وهو الطائر المعروف وقد قيل إن العقاب
لا يوجد فيه ذكر بل جميعه أنثى وإن الذي يسافده طائر
آخر من غير جنسه وقيل إن الثعلب يسافده وهذا من
العجائب ولابن عنين الشاعر المقدم ذكره في هجو
شخص يقال له ابن سيده
153 (ما أنت إلا كالعقاب فأمه * معروفة وله ب
مجهول) وهذه إشارة إلى ما نحن فيه والله تعالى أعلم
بالصواب 706 الفارابي الفيلسوف أبو نصر محمد بن
محمد بن طرخان بن أوزلغ الفارابي التركي الحكيم
المشهور صاحب التصانيف في المنطق والموسيقى
وغيرهما من العلوم وهو أكبر فلاسفة المسلمين ولم يكن
فيهم من بلغ رتبته في فنونه والرئيس أبو علي ابن سينا
المقدم ذكره بكتبه تخرج وبكلامه انتفع في تصانيفه وكان
رجلا تركيا ولد في بلده ونشأ بها وسيأتي الكلام عليها في
آخر الترجمة إن شاء الله تعالى ثم خرج من بلده وتنقلت به
الأسفار إلى أن وصل إلى بغداد وهو يعرف اللسان
التركي وعدة لغات غير العربي فشرع في اللسان العربي
فتعلمه وأتقنه غاية الإتقان ثم اشتغل بعلوم الحكمة 234
ولما دخل بغداد كان بها أبو بشر متى بن يونس الحكيم
المشهور وهو شيخ كبير وكان يقرأ الناس عليه فن المنطق
وله إذ ذاك صيت عظيم وشهرة وافية ويجتمع في حلقته
كل يوم المئون من المشتغلين بالمنطق وهو يقرأ كتاب

أرسطاطاليس في المنطق ويملي على تلامذته شرحه فكتب عنه في شرحه سبعون
154 سفرا ولم يكن في ذلك الوقت أحد مثله في فنه وكان حسن العبارة في تواليفه لطيف الإشارة وكان يستعمل في تصانيفه البسط والتذليل حتى قال بعض علماء هذا الفن ما أرى أبا نصر الفارابي أخذ طريق تفهيم المعاني الجزلة بالألفاظ السهلة إلا من أبي بشر يعني المذكور وكان أبو نصر يحضر حلقته في غمار تلامذته فأقام أبو نصر كذلك برهة ثم ارتحل إلى مدينة حران وفيها يوحنا بن حيلان الحكيم النصراني فأخذ عنه طرفا من المنطق أيضا ثم إنه قفل راجعا إلى بغداد وقرأ بها علوم الفلسفة وتنازل جميع كتب أرسطاطاليس وتمهر في استخراج معانيها والوقوف على أغراضه فيها ويقال إنه وجد كتاب النفس لأرسطاطاليس وعليه مكتوب بخط أبي نصر الفارابي إني قرأت هذا الكتاب مائتي مرة ونقل عنه أنه كان يقول قرأت السماع الطبيعي لأرسطاطاليس الحكيم أربعين مرة وأرى أني محتاج إلى معاودة قراءته ويروى عنه أنه سئل من أعلم الناس بهذا الشأن أنت أم أرسطاطاليس فقال لو أدركته لكنت أكبر تلامذته وذكره أبو القاسم صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن صاعد القرطبي في كتاب طبقات الحكماء فقال الفارابي فيلسوف المسلمين بالحقيقة أخذ صناعة المنطق عن يوحنا بن حيلان المتوفى بمدينة السلام في أيام المقتدر فبذ جميع

أهل الإسلام وأربى عليهم في التحقيق لها وشرح غامضها
وكشف سرها وقرب تناولها وجميع ما يحتاج إليه منها في
كتب صحيحة العبارة لطيفة الإشارة منبها على ما أعيا
الكندي وغيره من صناعة التحليل وأنحاء التعاليم وأوضح
القول فيها عن مواد المنطق الخمسة وأفاد وجوه الانتفاع
بها وعرف طرق استعمالها وكيف تصرف صورة القياس
في كل مادة منها فجاءت كتبه في ذلك الغاية الكافية
والنهاية الفاضلة ثم له بعد هذا كتاب شريف في إحصاء
العلوم والتعريف بأغراضها لم يسبق إليه ولا ذهب أحد
مذهبه فيه ولا يستغني طلاب العلوم كلها عن الاهتداء به
انتهى كلام ابن صاعد وذكر بعد ذلك
155 شيئا من تواليفه ومقاصده فيها ولم يزل أبو
نصر ببغداد مكبا على الاشتغال بهذا العلم والتحصيل له
إلى أن برز فيه وفاق أهل زمانه وألف بها معظم كتبه ثم
سافر منها إلى دمشق ولم يقم بها ثم توجه إلى مصر وقد
ذكر أبو نصر في كتابه الموسوم ب السياسة المدنية أنه
ابتدأ بتأليفه في بغداد وأكمله بمصر ثم عاد إلى دمشق
وأقام بها وسلطانها يومئذ سيف الدولة بن حمدان فأحسن
إليه ورأيت في بعض المجاميع أن أبا نصر لما ورد على
سيف الدولة وكان مجلسه مجمع الفضلاء في جميع
المعارف فأدخل عليه وهو بزي الأتراك وكان ذلك زيه
دائما فوقف فقال له سيف الدولة اقعد فقال حيث أنا أم حيث
أنت فقال حيث أنت فتخطى رقاب الناس حتى انتهى إلى

مسند سيف الدولة وزاحمه فيه حتى أخرجه عنه وكان
على رأس سيف الدولة مماليك وله معهم لسان خاص
يسارهم به قل أن يعرفه أحد فقال لهم بذلك اللسان إن هذا
الشيخ قد أساء الأدب وإني مسائله عن أشياء إن لم يوف
بها فاخرقوا به فقال له أبو نصر بذلك اللسان أيها الأمير
اصبر فإن الأمور بعواقبها فعجب سيف الدولة منه وقال
له أتحسن هذا اللسان فقال نعم أحسن أكثر من سبعين لسانا
فعظم عنده ثم أخذ يتكلم مع العلماء الحاضرين في
المجلس في كل فن فلم يزل كلامه يعلو وكلامهم يسفل
حتى صمت الكل وبقي يتكلم وحده ثم أخذوا يكتبون ما
يقوله فصرفهم سيف الدولة وخلا به فقال له هل لك في أن
تأكل فقال لا فقال فهل تشرب فقال لا فقال فهل تسمع فقال
نعم فأمر سيف الدولة بإحضار القيان فحضر كل ماهر في
هذه الصناعة بأنواع الملاهي فلم يحرك أحد منهم آلته إلا
وعابه أبو نصر وقال له أخطأت فقال له سيف الدولة وهل
تحسن في هذه الصناعة شيئا فقال نعم ثم أخرج من وسطه
خريطة ففتحها وأخرج منها عيدانا وركبها ثم لعب بها
فضحك منها كل من كان في المجلس ثم فكها وركبها
تركيبا آخر وضرب بها فبكى كل من في المجلس ثم فكها
وغير
156 تركيبها وحركها فنام كل من في المجلس حتى
البواب فتركهم نياما وخرج ويحكى أن الآلة المسماة
القانون من وضعه وهو أول من ركبها هذا التركيب وكان

منفردا بنفسه لا يجالس الناس وكان مدة مقامه بدمشق لا يكون غالبا إلا عند مجتمع ماء أو مشتبك رياض ويؤلف هناك كتبه وينتابه المشتغلون عليه وكان أكثر تصنيفه في الرقاع ولم يصنف في الكراريس إلا القليل فلذلك جاءت أكثر تصانيفه فصولا وتعاليق ويوجد بعضها ناقصا مبتورا وكان أزهد الناس في الدنيا لا يحتفل بأمر مكسب ولا مسكن وأجرى عليه سيف الدولة كل يوم من بيت المال أربعة دراهم وهو الذي اقتصر عليها لقناعته ولم يزل على ذلك إلى أن توفي في سنة تسع وثلاثين وثلثمائة بدمشق وصلى عليه سيف الدولة في أربعة من خواصه وقد ناهز ثمانين سنة ودفن بظاهر دمشق خارج باب الصغير رحمه الله تعالى وتوفي متى بن يونس ببغداد في خلافة الراضي هكذا حكاه ابن صاعد القرطبي في طبقات الأطباء وظفرت في مجموع بأبيات منسوبة إلى الفارابي ولا أعلم صحتها وهي (أخي خل حيز ذي باطل * وكن للحقائق في حيز) (فما الدار دار مقام لنا * وما المرء في الأرض بالمعجز) (ينافس هذا لهذا على * أقل من الكلم الموجز) (وهل نحن إلا خطوط وقعن * على نقطة وقع مستوفز) (محيط السموات أولى بنا * فماذا التنافس في مركز) 235 ورأيت هذه الأبيات في الخريدة منسوبة إلى الشيخ محمد بن عبد الملك الفارقي البغدادي الدار وقال العماد مؤلف الخريدة إنه اجتمع به يوم الجمعة ثامن

عشر شهر رجب سنة إحدى وستين وخمسمائة وتوفي بسنيات بعد ذلك
157 وطرخان بفتح الطاء المهملة وسكون الراء وفتح الخاء المعجمة وبعد الألف نون وأوزلغ بفتح الهمزة وسكون الواو وفتح الزاي واللام وبعدها غين معجمة وهما من أسماء الترك والفارابي بفتح الفاء والراء وبينهما ألف وبعد الألف الثانية باء موحدة هذه النسبة إلى فاراب وتسمى في هذا الزمان أطرار بضم الهمزة وسكون الطاء المهملة وبين الراءين ألف ساكنة وقد غلب عليها هذا الاسم وهي مدينة فوق الشاش قريبة من مدينة بلاساغون وجميع أهلها على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه وهي قاعدة من قواعد مدن الترك ويقال لها فاراب الداخلة ولهم فاراب الخارجة وهي في أطراف بلاد فارس وبلاساغون بفتح الباء الموحدة واللام ألف والسين المهملة وبعد الألف غين معجمة ثم واو ساكنة وبعدها نون وهي بلدة في ثغور الترك وراء نهر سيحون المقدم ذكره بالقرب من كاشغر وكاشغر بفتح الكاف وبعد الألف شين معجمة ساكنة ثم غين معجمة مفتوحة وفي آخرها راء وهي من المدن العظام في تخوم الصين والله تعالى أعلم بالصواب 707 ابن زكريا الرازي أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الطبيب المشهور ذكر ابن جلجل في تاريخ الأطباء أنه دبر مارستان الري ثم مارستان بغداد في أيام المكتفي ومن

158 أخباره أنه كان في شبيبته يضرب بالعود ويغني فلما التحى وجهه قال كل غناء يخرج من بين شارب ولحية لا يستظرف فنزع عن ذلك وأقبل على دراسة كتب الطب والفلسفة فقرأها قراءة رجل متعقب على مؤلفيها فبلغ من معرفة غوائرها الغاية واعتقد الصحيح منها وعلل السقيم وألف في الطب كتبا كثيرة وقال غيره كان إمام وقته في علم الطب والمشار إليه في ذلك العصر وكان متقنا لهذه الصناعة حاذقا فيها عارفا بأوضاعها وقوانينها تشد إليه الرحال في أخذها عنه وصنف فيها الكتب النافعة فمن ذلك كتاب الحاوي وهو من الكتب الكبار يدخل في مقدار ثلاثين مجلدا وهو عمدة الأطباء في النقل منه والرجوع إليه عند الاختلاف ومنها كتاب الجامع وهو أيضا من الكتب الكبار النافعة وكتاب الأعصاب وهو أيضا كبير وله أيضا كتاب المنصوري المختصر المشهور وهو على صغر حجمه من الكتب المختارة جمع فيه بين العمل والعلم ويحتاج إليه كل أحد وكان قد صنفه لأبي صالح منصور بن نوح بن نصر بن إسماعيل بن أحمد بن أسد بن سامان أحد الملوك السامانية فنسب الكتاب إليه وله غير ذلك تصانيف كثيرة وكلها يحتاج إليها ومن كلامه مهما قدرت أن تعالج بالأغذية فلا تعالج بالأدوية ومهما قدرت أن تعالج بدواء مفرد فلا تعالج بدواء مركب ومن كلامه إذا كان الطبيب عالما والمريض مطيعا فما أقل لبث العلة ومن كلامه عالج في

أول العلة بما لا تسقط به القوة وذكر القاضي التنوخي في كتاب الفرج بعد الشدة في باب من اشتد بلاؤه بمرض فعافاه الله بأيسر سبب وأقاله أن غلاما من بغداد قدم الري وكان ينفث الدم وكان لحقه ذلك في طريقه فاستدعى أبا بكر الرازي الطبيب المشهور بالحذق صاحب الكتب المصنفة فأراه ما ينفث ووصف له ما يجد

159 فأخذ الرازي مجسه ورأى قارورته

واستوصف حاله منذ ابتداء ذلك به فلم يقم له دليل على سل ولا قرحة ولم يعرف العلة واستنظر الرجل لينظر في الأمر فقامت على العليل القيامة وقال هذا أيأس لي من الحياة لحذق الطبيب وجهله بالعلة فازداد ما به من الألم فولد الفكر للرازي أن عاد إليه فسأله عن المياه التي شربها في طريقه فأخبره أنه شرب من مستنقعات وصهاريج فقام في نفس الرازي بحدة الخاطر وجودة الذكاء أن علقة كانت في الماء وقد حصلت في معدته وأن ذلك الدم من فعلها وقال له إذا كان في غد جئتك فعالجتك ولم أنصرف حتى تبرأ ولكن بشرط أن تأمر غلمانك أن يطيعوني فيك لما آمرهم فقال نعم فانصرف الرازي فجمع ملء مركنين كبيرين من طحلب فأحضرهما في غد معه فأراه إياهما وقال له ابلع فقال لا أستطيع فقال للغلمان خذوه فأنيموه ففعلوا به ذلك وطرحوه على قفاه وفتحوا فاه وأقبل الرازي يدس الطحلب في حلقه ويكبسه كبسا شديدا ويسأله ببلعه ويهدده بأن يضرب إلى أن أبلعه كارها أحد المركنين

بأسره والرجل يستغيث فلا ينفعه مع الرازي شيء إلى أن
قال العليل الساعة أقذف فزاد الرازي في ما يكبسه في
حلقه فذرعه القيء فقذف فتأمل الرازي قذفه فاذا فيه علقة
وإذا هي لما وصل إليها الطحلب قربت إليه بالطبع
وتركت موضعها والتفت على الطحلب ونهض العليل
معافى ولم يزل رئيس هذا الشان وكان اشتغاله به على
كبر يقال إنه لما شرع فيه كان قد جاوز أربعين سنة من
العمر وطال عمره فعمي في آخر مدته وتوفي سنة إحدى
عشرة وثلثمائة رحمه الله تعالى وكان اشتغاله بالطب على
الحكيم أبي الحسن علي بن ربن الطبري صاحب
التصانيف المشهورة منها فردوس الحكمة وغيره وكان
مسيحيا ثم أسلم وقد تقدم الكلام على الرازي وأما الملوك
السامانية فكانوا سلاطين ما وراء النهر وخراسان وكانوا
أحسن الملوك سيرة ومن ولي منهم كان يقال له سلطان
السلاطين لا ينعت إلا به
160 وصار كالعلم لهم وكان يغلب عليهم العدل
والدين والعلم وملك من بينهم جماعة ولم تنقرض دولتهم
إلا بدولة السلطان محمود بن سبكتكين الآتي ذكره إن شاء
الله تعالى وكانت مدة ولايتهم مائة سنة وسنتين وستة أشهر
وعشرة أيام 236 وكانت وفاة أبي صالح منصور المذكور
في شوال سنة خمس وستين وثلثمائة وكان قد صنف له
الرازي المذكور الكتاب المذكور في حال صغره ليشتغل
به ثم رأيت نسخة كتاب المنصوري وعلى ظهره أن

المنصور الذي وسم الرازي هذا الكتاب باسمه هو المنصور بن إسحاق بن أحمد بن نوح من ولد بهرام كوس صاحب كرمان وخراسان وكنيته أبو صالح والله أعلم بالصواب وحكى ابن جلجل المقدم ذكره في تاريخه أيضا أن الرازي المذكور صنف لمنصور المذكور كتابا في إثبات صناعة الكيمياء وقصده به من بغداد فدفع له الكتاب فأعجبه وشكره عليه وحباه بألف دينار وقال له أريد أن تخرج هذا الذي ذكرت في هذا الكتاب إلى الفعل فقال له الرازي إن ذلك مما يتمون له المؤن ويحتاج إلى آلات وعقاقير صحيحه وإلى إحكام صنعة ذلك كله وكل ذلك كلفة فقال له منصور كل ما احتجت إليه من الآلات ومما يليق بالصناعة أحضره لك كاملا حتى تخرج عما ضمنته كتلبك إلى العمل فلما حقق عليه كع عن مباشرة ذلك وعجز عن عمله فقال له منصور ما اعتقدت أن حكيما يرضى بتحليل الكذب في كتب ينسبها إلى الحكمة يشغل بها قلوب الناس ويتعبهم فيما لا يعود عليهم من ذلك منفعة ثم قال له قد كافأناك على قصدك وتعبك بما صار إليك من الألف دينار ولا بد من معاقبتك على تخليد الكذب فحمل السوط على رأسه ثم أمر أن يضرب بالكتاب على رأسه حتى يتقطع ثم جهزه وسير به إلى بغداد فكان ذلك الضرب سبب نزول الماء إلى عينيه ولم يسمح بقدحهما وقال قد رأيت الدنيا

161 237 وكانت وفاة والده أبي محمد نوح بن
نصر في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة
238 وكانت وفاة جده أبي الحسن نصر بن إسماعيل في
رجب سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة 239 وكانت وفاة جد
أبيه أبي إبراهيم إسماعيل بن أحمد في صفر ليلة الثلاثاء
لأربع عشرة ليلة خلت منه سنة خمس وتسعين ومائتين
ببخاري ومولده سنة أربع وثلاثين ومائتين بفرغانة وكان
يكتب الحديث ويكرم العلماء 240 وكانت وفاة أحمد بن
أسد بن سامان سنة خمسين ومائتين بفرغانة رحمهم الله
تعالى وسامان بفتح السين المهملة والميم وبينهما ألف
وبعد الألف الثانية نون وهذا وإن كان خارجا عن
المقصود لكن مساق الكلام جره وفيه فائدة لا يستغنى عنها
والله أعلم بالصواب 708 ابن شاكر أبو عبد الله محمد بن
موسى بن شاكر أحد الإخوة الثلاثة الذين ينسب إليهم حيل
بني موسى وهم مشهورون بها واسم أخويه أحمد والحسن
وكانت لهم همم عالية في تحصيل العلوم القديمة وكتب
الأوائل وأتعبوا أنفسهم في شأنها وأنفذوا إلى بلاد الروم
من أخرجها لهم وأحضروا النقلة من الأصقاع الشاسعة
والأماكن البعيدة بالبذل السني فأظهروا عجائب الحكمة
وكان الغالب عليهم من العلوم الهندسة والحيل والحركات
والموسيقى والنجوم وهو
162 الأقل ولهم في الحيل كتاب عجيب نادر يشتمل
على كل غريبة ولقد وقفت عليه فوجدته من أحسن الكتب

وأمتعها وهو مجلد واحد ومما اختصوا به في ملة الإسلام وأخرجوه من القوة إلى الفعل وإن كان أرباب الأرصاد المتقدمون على الإسلام قد فعلوه لكنه لم يقل إن أحدا من أهل هذه الملة تصدى له وفعله إلا هم وهو أن المأمون كان مغرى بعلوم الأوائل وتحقيقها ورأى فيها أن دور كرة الأرض أربعة وعشرون ألف ميل كل ثلاثة أميال فرسخ فيكون المجموع ثمانية آلاف فرسخ بحيث لو وضع طرف حبل على أي نقطة كانت من الأرض وأدرنا الحبل على كرة الأرض حتى انتهينا بالطرف الآخر إلى ذلك الموضع من الأرض والتقى طرفا الحبل فإذا مسحنا ذلك الحبل كان طوله أربعة وعشرين ألف ميل فأراد المأمون أن يقف على حقيقة ذلك فسأل بني موسى المذكورين عنه فقالوا نعم هذا قطعي فقال أريد منكم أن تعملوا الطريق الذي ذكره المتقدمون حتى نبصر هل يتحرر ذلك أم لا فسألوا عن الأراضي المتساوية في أي البلاد هي فقيل لهم صحراء سنجار في غاية الاستواء وكذلك وطاة الكوفة فأخذوا معهم جماعة ممن يثق المأمون إلى أقوالهم ويركن إلى معرفتهم بهذه الصناعة وخرجوا إلى سنجار وجاءوا إلى الصحراء المذكورة فوقفوا في موضع منها وأخذوا ارتفاع القطب الشمالي ببعض الآلات وضربوا في ذلك الموضع وتدا وربطوا فيه حبلا طويلا ثم مشوا إلى الجهة الشمالية على الاستواء من غير انحراف إلى اليمين واليسار حسب الإمكان فلما فرغ الحبل نصبوا في

الأرض وتدا آخر وربطوا فيه حبلا طويلا ومشوا إلى جهة الشمال أيضا كفعلهم الأول ولم يزل ذلك دأبهم حتى انتهوا إلى موضع أخذوا فيه ارتفاع القطب المذكور فوجدوه قد زاد على الارتفاع الأول درجة فمسحوا ذلك القدر الذي قدروه من الأرض بالحبل فبلغ ستة وستين ميلا وثلثي ميل فعلموا أن كل درجة من درج الفلك يقابلها من سطح الأرض ستة وستون ميلا وثلثان

163 ثم عادوا إلى الموضع الذي ضربوا فيه الوتد الأول وشدوا فيه حبلا وتوجهوا إلى جهة الجنوب ومشوا على الاستقامة وعملوا كما عملوا في جهة الشمال من نصب الأوتاد وشد الحبال حتى فرغت الحبال التي استعملوها في جهة الشمال ثم أخذوا الارتفاع فوجدوا القطب الشمالي قد نقص عن ارتفاعه الأول درجة فصح حسابهم وحققوا ما قصدوه من ذلك وهذا إذا وقف عليه من له يد في علم الهيئة ظهر له حقيقته ومن المعلوم أن عدد درج الفلك ثلثمائة وستون درجة لأن الفلك مقسوم باثني عشر برجا وكل برج ثلاثون درجة فتكون الجملة ثلثمائة وستين درجة فضربوا عدد درج الفلك في ستة وستين ميلا وثلثين أي التي هي حصة كل درجة فكانت الجملة أربعة وعشرين ألف ميل وهي ثمانية آلاف فرسخ وهذا محقق لا شك فيه فلما عاد بنو موسى إلى المأمون وأخبروه بما صنعوا وكان موافقا لما رآه في الكتب القديمة من استخراج الأوائل طلب تحقيق ذلك في موضع آخر

فسيرهم إلى أرض الكوفة وفعلوا كما فعلوا في سنجار فتوافق الحسابان فعلم المأمون صحة ما حرره القدماء في ذلك وهذا الفصل هو الذي أشرت إليه في ترجمة أبي بكر محمد بن يحيى الصولي وقلت لولا التطويل لبينت ذلك وكانت لبني موسى المذكورين أوضاع نادرة غريبة ولولا الإطالة لذكرت شيئا منها وتوفي محمد المذكور في شهر ربيع الأول سنة تسع وخمسين ومائتين رحمه الله تعالى والله أعلم بالصواب

164 709 البتاني الحاسب أبو عبد الله محمد بن جابر بن سنان الحراني الأصل البتاني الحاسب المنجم المشهور صاحب الزيج الصابي له الأعمال العجيبة والأرصاد المتقنة وأول ما ابتدأ بالرصد في سنة أربع وستين ومائتين إلى سنة ست وثلثمائة وأثبت الكواكب الثابتة في زيجه لسنة تسع وتسعين ومائتين وكان أوحد عصره في فنه وأعماله تدل على غزارة فضله وسعة علمه وتوفي سنة سبع عشرة وثلثمائة عند رجوعه من بغداد بموضع يقال له قصر الحضر ولم أعلم أنه أسلم لكن اسمه يدل على إسلامه وله من التصانيف الزيج وهو نسختان أولى وثانية والثانية أجود وكتاب معرفة مطالع البروج فيما بين أرباع الفلك ورسالة في مقدار الاتصالات وكتاب شرح فيه أربعة أرباع الفلك ورسالة في تحقيق أقدار الاتصالات وشرح أربع مقالات بطليموس وغيرذلك والبتاني بفتح الباء الموحدة وقال أبو محمد هبة الله بن

الأكفاني بكسرها وبتشديد التاء المثناة من فوقها وبعد الألف نون هذه النسبة إلى بتان وهي ناحية من أعمال حران والحضر بفتح الحاء المهملة وسكون الضاد المعجمة وبعدها راء وهي مدينة قديمة بالقرب من تكريت بين دجلة والفرات في البرية وكان صاحبها الساطرون فحاصره أردشير بن بابك أول ملوك الفرس وأخذ البلد وقتله وفي ذلك يقول أبو دواد الإيادي واسمه حارثة بن حجاج

165 وقيل حنظلة بن شرقي (وأرى الموت قد تدلى من الحضر * على رب أهله الساطرون) (صرعته الأيام من بعد ملك * ونعيم وجوهر مكنون) وذكره أيضا عدي بن زيد العبادي في قوله (وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجلة * تجبى إليه والخابور) وجاء ذكره في الشعر كثيرا وقيل إن الذي حصره سابور ذو الأكتاف وهو الذي ذكره ابن هشام في سيرة سيدنا رسول الله والأول أصح والساطرون بفتح السين المهملة وبعد الألف طاء مهملة مكسورة ثم راء مضمومة ثم واو ساكنة وبعدها نون وهو لفظ سرياني ومعناه الملك واسمه ضيزن بفتح الضاد المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الزاي وبعدها نون بن معاوية وضيزن اسم ضم كان في الجاهلية وبه سمي الرجل وهو قضاعي وكان من ملوك الطوائف وإذا اجتمعوا لحرب غيرهم تقدم عليهم لعظمته عندهم فأقام أردشير على حصاره أربع سنين وهو لا

يقدر عليه وكان للساطرون ابنة يقال لها نضيرة بفتح النون وكسر الضاد المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الراء وبعدها هاء ساكنة وفيها يقول الشاعر (أقفر الحضر من نضيرة فالمرباع * منها فجانب الثرثار) وكانت في غاية الجمال وكانت عادتهم إذا حاضت المرأة أنزلو ها إلى الربض

166 فحاضت نضيرة فأنزلت إلى ربض الحضر فأشرفت ذات يوم فأبصرت أردشير وكان من أجمل الرجال فهويته فأرسلت إليه أن يتزوجها وتفتح له الحصن واشترطت عليه والتزم لها ما طلبت ثم اختلفوا في السبب الذي دلته عليه حتى فتح الحصن والذي قاله الطبري أنها دلته على طلسم كان في الحصن وكان في علمهم أنه لا يفتح حتى تؤخذ حمامة ورقاء وتخضب رجلاها بحيض جارية بكر زرقاء ثم ترسل الحمامة فتنزل على سور الحصن فيقع الطلسم فيفتح الحصن ففعل أردشير ذلك واستباح الحصن وخرجه وأباد أهله وقتل الساطرون أباها وسار بنضيرة وتزوجها فبينما هي نائمة على فراشها ليلا إذ جعلت تتململ لا تنام فدعا بالشمع ففتش فراشها فوجد عليه ورقة آس فقال لها أردشير أهذا الذي أسهرك قالت نعم قال فما كان أبوك يصنع بك قالت كان يفرش لي الديباج ويلبسني الحرير ويطعمني المخ والزبد وشهد أبكار النحل ويسقيني الخمر الصافي قال فكان جزاء أبيك ما صنعت به أنت إلي بذلك أسرع ثم أمر بها فربطت

قرون رأسها بذنب فرس ثم ركض الفرس حتى قتلها والحضر إلى الآن آثاره باقية وفيه بقايا عمائر لكنه لم يسكن منذ ذلك الوقت وقد طال الكلام فيه وإنما هي حكاية غريبة فأحببت إثباتها

167 ورأيت في تاريخ آخر أنه دخل بغداد وخرج منها وتوفي في الطريق بقصر الحضر في التاريخ المذكور قال ياقوت الحموي في كتابه المشترك قصر الحضر بقرب سامرا من أبنية المعتصم والله تعالى أعلم

710 أبو الوفاء المهندس أبو الوفاء محمد بن محمد بن يحيى بن إسماعيل بن العباس البوزجاني الحاسب المشهور أحد الأئمة المشاهير في علم الهندسة وله فيه استخراجات غريبة لم يسبق بها وكان شيخنا العلامة كمال الدين أبو الفتح موسى بن يونس تغمده الله برحمته وهو القيم بهذا الفن يبالغ في وصف كتبه ويعتمد عليها في أكثر مطالعاته ويحتج بما يقوله وكان عنده من تواليفه عدة كتب وله في استخراج الأوتار تصنيف جيد نافع وكانت ولادته يوم الأربعاء مستهل شهر رمضان المعظم سنة ثمان وعشرين وثلثمائة بمدينة بوزجان وتوفي سنة سبع وثمانين وثلثمائة رحمه الله تعالى وبوزجان بضم الباء الموحدة وسكون الواو والزاي وفتح الجيم وبعد الألف نون وهي بليدة بخراسان بين هراة ونيسابور وكان قد قدم العراق سنة ثمان وأربعين وثلثمائة وكنت وقفت على تاريخ ولادته على هذه الصورة في كتاب الفهرست

168 تأليف أبي الفرج ابن النديم ولم يذكر تاريخ وفاته فكتبت هذه الترجمة وذكرت تاريخ الولادة فأخليت بياضا لأجل تاريخ الوفاة لعلي أظفر به فإن قصدي في هذا التاريخ إنما هو ذكر الوفاة كما ذكرته في أول الكتاب ثم إني وجدت تاريخ الوفاة في تاريخ شيخنا ابن الأثير قد ذكرها في هذه السنة المذكورة فألحقتها وكان بين شروعي في هذا التاريخ وظفري بالوفاة أكثر من عشرين سنة والله تعالى أعلم 711 الزمخشري صاحب الكشاف أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان كان إمام عصره من غير مدافع تشد إليه الرحال في فنونه أخذ النحو عن أبي مضر منصور وصنف التصانيف البديعة منها الكشاف في تفسير القرآن العزيز لم يصنف قبله مثله و المحاجاة بالمسائل النحوية والمفرد والمركب في العربية والفائق في تفسير الحديث وأساس البلاغة في اللغة وربيع الأبرار وفصوص الأخبار ومتشابه أسامي الرواة والنصائح الكبار والنصائح الصغار وضالة الناشد والرائض في علم الفرائض

169 والمفصل في النحو وقد اعتنى بشرحه خلق كثير والأنموذج في النحو والمفرد والمؤلف في النحو ورؤوس المسائل في الفقه وشرح أبيات كتاب سيبويه والمستقصى في أمثال العرب وصميم العربية وسوائر الأمثال وديوان التمثيل وشقائق النعمان في حقائق النعمان

وشافي العي من كلام الشافعي رضي الله عنه والقسطاس في العروض ومعجم الحدود والمنهاج في الأصول ومقدمة الآداب وديوان الرسائل وديوان الشعر والرسالة الناصحة والأمالي في كل فن وغير ذلك وكان شروعه في تأليف المفصل في غرة شهر رمضان سنة ثلاث عشرة وخمسمائة وفرغ منه في غرة المحرم سنة خمس عشرة وخمسمائة وكان قد سافر إلى مكة حرسها الله تعالى وجاور بها زمانا فصار يقال له جار الله لذلك وكان هذا الاسم علما عليه وسمعت من بعض المشايخ أن إحدى رجليه كانت ساقطة وأنه كان يمشي في جاون خشب وكان سبب سقوطها أنه كان في بعض أسفاره ببلاد خوارزم أصابه ثلج كثير وبرد شديد في الطريق فسقطت منه رجله وأنه كان بيده محضر فيه شهادة خلق كثير ممن اطلعوا على حقيقة ذلك خوفا من أن يظن من لم يعلم صورة الحال أنها قطعت لريبة والثلج والبرد كثيرا ما يؤثر في الأطراف في تلك البلاد فتسقط خصوصا خوارزم فإنها في غاية البرد ولقد شاهدت خلقا كثيرا ممن سقطت أطرافهم بهذا السبب فلا يستبعده من لم يعهده ورأيت في تاريخ بعض المتأخرين أن الزمخشري لما دخل بغداد واجتمع بالفقيه الحنفي الدامغاني سأله عن سبب قطع رجله فقال دعاء الوالدة وذلك أني في صباي أمسكت عصفورا وربطته بخيط في رجله وأفلت من يدي فأدركته وقد دخل في خرق فجذبته فانقطعت رجله في الخيط فتألمت

170 والدتي لذلك وقالت قطع الله رجل الأبعد كما قطعت رجله فلما وصلت إلى سن الطلب رحلت إلى بخارى لطلب العلم فسقطت عن الدابة فانكسرت الرجل وعملت علي عملا أوجب قطعها والله أعلم بالصحة وكان الزمخشري المذكور معتزلي الاعتقاد متظاهرا به حتى نقل عنه أنه كان إذا قصد صاحبا له واستأذن عليه في الدخول يقول لمن يأخذ له الإذن قل له أبو القاسم المعتزلي بالباب وأول ما صنف كتاب الكشاف كتب استفتاح الخطبة الحمد لله الذي خلق القرآن فيقال إنه قيل له متى تركته على هذه الهيئة هجره الناس ولا يرغب أحد فيه فغيره بقوله الحمد لله الذي جعل القرآن وجعل عندهم بمعنى خلق والبحث في ذلك يطول ورأيت في كثير من النسخ الحمد لله الذي أنزل القرآن وهذا إصلاح الناس لا إصلاح المصنف وكان الحافظ أبو الطاهر أحمد بن محمد السلفي المقدم ذكره رحمه الله تعالى قد كتب إليه من الإسكندرية وهو يومئذ مجاور بمكة حرسها الله تعالى يستجيزه في مسموعاته ومصنفاته فرد جوابه بما لا يشفي الغليل فلما كان في العام الثاني كتب إليه أيضا مع الحجاج استجازة أخرى اقترح فيها مقصوده ثم قال في آخرها ولا يحوج أدام الله توفيقه إلى المراجعة فالمسافة بعيدة وقد كاتبه في السنة الماضية فلم يجبه بما يشفي الغليل وله في ذلك الأجر الجزيل فكتب إليه الزمخشري جوابه ولولا خوف التطويل لكتبت الاستدعاء والجواب لكن نقتصر

على بعض الجواب وهو ما مثلي مع أعلام العلماء إلا كمثل السها مع مصابيح السماء والجهام الصفر من الرهام مع الغوادي الغامرة للقيعان والآكام والسكيت المخلف مع خيل السباق والبغاث مع الطير العتاق وما التلقيب بالعلامة إلا شبه الرقم بالعلامة والعلم مدينة أحد بابيها الدراية والثاني الرواية وأنا في كلا البابين ذو بضاعة مزجاة ظلي 171 فيه أقلص من ظل حصاة أما الرواية فحديثة الميلاد قريبة الإسناد لم تستند إلى علماء نحارير ولا إلى أعلام مشاهير وأما الدراية فثمد لا يبلغ أفواها وبرض لا يبل شفاها ثم كتب بهد هذا لا يغرنكم قول فلان في ولا قول فلان وعدد جماعة من الشعراء والفضلاء مدحوه بمقاطيع من الشعر وأوردها كلها ولا حاجة إلى الاتيان بها ها هنا فلما فرغ من إيرادها كتب فإن ذلك اغترار منهم بالظاهر المموه وجهل بالباطن المشوه ولعل الذي غرهم مني ما رأوا من حسن منصح للمسلمين وبليغ الشفقة على المستفيدين وقطع المطامع عنهم وإفادة المبار والصنائع عليهم وعزة النفس والربء بها عن الإسفاف للدنيات والإقبال على خويصتي والإعراض عما لا يعنيني فجللت في عيونهم وغلطوا في ونسبوني إلى ما لست منه في قبيل ولا دبير وما أنا فيما أقول بهاضم لنفسي كما قال الحسن البصري رحمه الله تعالى في أبي بكر الصديق رضوان الله عليه بقوله وليتكم ولست بخيركم إن المؤمن ليهضم نفسه وإنما صدقت الفاحص عني وعن كنه روايتي

ودرايتي ومن لقيت وأخذت عنه وما بلغ علمي وقصارى
فضلي وأطلعته طلع أمري وأفضيت إليه بخبية سري
وألقيت إليه عجري وبجري وأعلمته نجمي وشجري وأما
المولد فقرية مجهولة من قرى خوارزم تسمى زمخشر
وسمعت أبي رحمه الله تعالى يقول اجتاز بها أعرابي
فسأل عن اسمها واسم كبيرها فقيل له زمخشر والرداد
فقال لا خير في شر ورد ولم يلمم بها ووقت الميلاد شهر
الله الأصم في عام سبع وستين وأربعمائة والله المحمود
والمصلى عليه محمد وآله وأصحابه هذا آخر الإجازة وقد
أطال الكلام فيها ولم يصرح له بمقصوده فيها وما أعلم
هل أجازه بعد ذلك أم لا وبيني وبينه في الرواية شخص
واحد فإنه أجاز زينب بنت الشعري ولي منها إجازة كما
تقدم في ترجمتها في حرف الزاي ومن شعره السائر قوله
وقد ذكره السمعاني في الذيل قال أنشدني أحمد بن محمود
الخوارزمي إملاء بسمرقند قال أنشدنا محمود بن عمر
الزمخشري
172 لنفسه بخوارزم وذكر الأبيات وهي (ألا قل
لسعدى ما لنا فيك من وطر * وما تطلبين النجل من أعين
البقر) (فانا اقتصرنا بالذين تضايقت * عيونهم والله
يجزي من اقتصر) (مليح ولكن عنده كل جفوة * ولم أر
في الدنيا صفاء بلا كدر) (ولم أنس إذ غازلته قرب
روضة * إلى جنب حوض فيه للماء منحدر) (فقلت له
جئني بورد وإنما * أردت به ورد الخدود وما شعر) (

فقال انتظرني رجع طرف أجيء به * فقلت له هيهات
مالي منتظر) (فقال ولا ورد سوى الخد حاضر * فقلت
له إني قنعت بما حضر) ومن شعره يرثي شيخه أبا
مضر منصورا المذكور أولا (وقائلة ما هذه الدرر التي
* تساقط من عينيك سمطين سمطين) (فقلت هو الدر
الذي كان قد حشا * أبو مضر أذني تساقط من عيني)
وهذا مثل قول القاضي أبي بكر الأرجاني المقدم ذكره ولا
أعلم أيهما أخذ من الآخر لأنهما كانا متعاصرين وهو (لم
يبكني إلا حديث فراقكم * لما أسر به إلى مودعي) (هو
ذلك الدر الذي أودعتم * في مسمعي أجريته من مدمعي)
وهذان البيتان من جملة قصيدة طويلة بديعة ومن المنسوب
إلى القاضي الفاضل في هذا المعنى (لا تزدني نظرة
ثانية * كفت الأولى ووفت ثمني) (لك في قلبي حديث
مودع * لا جددت الحب ما أودعني) (خذه من جفني
عقودا إنه * بعض ما أودعته في أذني) ومما أنشده
لغيره في كتابه الكشاف عند تفسير قول الله تعالى في
سورة البقرة (^ إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما
بعوضة فما فوقها) (البقرة 26)
173 فإنه قال أنشدت لبعضهم (يا من يرى مد
البعوض جناحها * في ظلمة الليل البهيم الأليل) (ويرى
عروق نياطها في نحرها * والمخ في تلك العظام النحل)
(اغفر لعبد تاب من فرطاته * ما كان منه في الزمان
الأول) وكان بعض الفضلاء قد أنشدني هذه الأبيات

بمدينة حلب وقال إن الزمخشري المذكور أوصى أن
تكتب على لوح قبره هذه الأبيات ثم أنشدني ذلك الفاضل
الرئيس بيتين وذكر أن صاحبهما أوصى أن يكتبا على
قبره وهما (إلهي قد أصبحت ضيفك في الثرى *
وللضيف حق عند كل كريم) (فهب لي ذنوبي في قراي
فإنها * عظيم ولا يفرى بغير عظيم) وأخبرني بعض
الأصحاب أنه رأى بجزيرة سواكن تربة ملكها عزيز
الدولة ريحان وعلى قبره مكتوب (يا أيها الناس كان لي
أمل * قصر بي عن بلوغه الأجل) (فليتق الله ربه رجل
* أمكنه قبل موته العمل) (ما أنا وحدي نقلت حيث ترى
* كل إلى ما نقلت ينتقل) وكانت ولادة الزمخشري يوم
الأربعاء السابع والعشرين من شهر رجب سنة سبع
وستين وأربعمائة بزمخشر وتوفي ليلة عرفة سنة ثمان
وثلاثين وخمسمائة بجرجانية خوارزم بعد رجوعه من
مكة رحمه الله تعالى ورثاه بعضهم بأبيات ومن جملتها (
فأرض مكة تذري الدمع مقلتها * حزنا لفرقة جار الله
محمود) وزمخشر بفتح الزاي والميم وسكون الخاء
المعجمة وفتح الشين المعجمة
174 وبعدها راء وهي قرية كبيرة من قرى خوارزم
وجرجانية بضم الجيم الأولى وفتح الثانية وسكون الراء
بينهما وبعد الألف نون مكسورة وبعدها ياء مثناة من
تحتها مفتوحة مشددة ثم هاء ساكنة وهي قصبة خوارزم
قال ياقوت الحموي في كتاب البلدان يقال لها بلغتهم

كركانج وقد عربت فقيل لها الجرجانية وهي على شاطئ جيحون والله تعالى أعلم بالصواب 712 القاضي الأصبهاني أبو طالب محمود بن علي بن أبي طالب بن عبد الله بن أبي الرجا التميمي الأصبهاني المعروف بالقاضي صاحب الطريقة في الخلاف تفقه على الشهيد محمد بن يحيى المقدم ذكره وبرع في الخلاف وصنف فيه التعليقة التي شهدت بفضله وتحقيقه وتبريزه على أكثر نظرائه وجمع فيها بين الفقه والتحقيق وكان عمدة المدرسين في إلقاء الدروس عليها ومن لم يذكرها فإنما كان لقصور فهمه عن إدراك دقائقها واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به وصاروا علماء مشاهير وكان له في الوعظ اليد الطولي وكان متفننا في العلوم خطيبا خطب ودرس بأصبهان مدة وتوفي في شوال سنة خمس وثمانين وخمسمائة رحمه الله تعالى

175 713 محمود بن سبكتكين أبو القاسم محمود بن ناصر الدولة أبي منصور سبكتكين الملقب أولا سيف الدولة ثم لقبه الإمام القادر بالله لما سلطنه بعد موت أبيه يمين الدولة وأمين الملة واشتهر به 241 وكان والده سبكتكين قد ورد مدينة بخارى في أيام نوح بن منصور أحد ملوك السامانية المذكورين في ترجمة أبي بكر محمد بن زكريا الرازي الطبيب وكان وروده في صحبة أبي إسحاق ابن البتكين وهو حاجبه وعليه مدار أموره فعرفه أركان تلك الدولة بالشهامة والصرامة وتوسموا فيه

الارتفاع إلى اليفاع ولما خرج أبو إسحاق المذكور إلى غزنة واليا عليها وسادا مسد أبيه انصرف الأمير سبكتكين بانصرافه على جملته في زعامة رجاله ومراعاة ما وراء بابه فلم يلبث أبو إسحاق بعد موافاتها أن قضى نحبه ولم يبق من ذوي قرابته من يصلح لمكانته واحتاج الناس إلى من يتولى أمورهم فاختلفوا فيمن يصلح لذلك ثم وقع اتفاقهم واجتمعت كلمتهم على تأمير الأمير سبكتكين فبايعوه على ذلك وانقادوا لحكمه فلما تمكن واستحكم شرع في الغزاة والإغارة على أطراف الهند فافتتح قلاعا كثيرة منها وجرت بينه وبين الهنود حروب يقصر الشرح عن وصفها ولم يلبث أن اتسعت رقعة ولايته وعظم حجم جريدته وعمرت أرض خزانته وأشفقت النفوس من هيبته وكان من جملة فتوحاته ناحية بست وكان من

176 جملة ما استفاده من صفاياها أبو الفتح علي بن محمد البستي الشاعر المقدم ذكره فإنه كان كاتبا لملك الناحية المذكورة واسمه بابي نور فلما تعلق بخدمته اعتمد عليه في أموره وأسر إليه بأحواله وشرح ذلك يطول وآخر الأمر أن الأمير سبكتكين كان قد وصل إلى مدينة بلخ من طوس فمرض بها واشتاق إلى غزنة فخرج إليها في تلك الحال فمات في الطريق قبل وصوله وذلك في شعبان سنة سبع وثمانين وثلثمائة ونقل تابوته إلى غزنة ورثاه جماعة من شعراء عصره منهم كاتبه أبو الفتح البستي المذكور بقوله) قلت إذ مات ناصر الدين والدولة

* حياه ربه بالكرامه) وتداعت جموعه بافتراق * هكذا هكذا تكون القيامه) واجتاز بعض الأفاضل بداره بعد موته وقد تشعثت فأنشد (عليك سلام الله من منزل قفر * فقد هجت لي شوقا قديما وما تدري) (عهدتك مذ شهر جديدا ولم أخل * صروف الردى تبلى مغانيك في شهر) وكان الأمير المذكور قد جعل ولي عهده من بعده ولده إسماعيل واستخلفه على الأعمال وأوصى إليه بأمور أولاده وعياله وجمع وجوه حجابه وقواده على طاعته ومتابعته وجلس على سرير السلطنة وتحكم واعتبر بيوت الأموال وكان أخوه السلطان محمود بخراسان مقيما بمدينة بلخ وإسماعيل بغزنة فلما بلغه نعي أبيه كتب إلى أخيه إسماعيل ولاطفه في القول وقال له إن أبي لم يستخلفك دوني إلا لكونك كنت عنده وأنا كنت بعيدا عنه ولو أوقف الأمر على حضوري لفاتت مقاصده ومن المصلحة أن نتقاسم الأموال بالميراث وتكون أنت مكانك بغزنة وأنا بخراسان وندبر الأمور ونتفق على المصالح كيلا يطمع فينا عدو ومتى ما ظهر للناس اختلافنا قلت حرمتنا فأبى إسماعيل من

177 موافقته على ذلك وكان فيه لين ورخاوة فطمع فيه الجند وتشغبوا عليه وطالبوه بالأموال فاستنفد في مرضاتهم الخزائن ثم خرج محمود إلى هراة وجدد مكاتبة أخيه وهو لا يزداد إلا اعتياصا فدعا محمود عمه بغراجق إلى موافقته فأجابه وكان أخوه أبو المظفر نصر

بن سبكتكين أميرا بناحية بست فنهض إليه وعرض عليه الانقياد لمتابعته فلم يتوقف عليه فلما قوي جأشه بعمه وأخيه قصد أخاه إسماعيل بغزنة وهما معه فنازلها في جيش عظيم وجم غفير وحاصرها واشتد القتال عليها ففتحها وانحاز إسماعيل إلى قلعتها متحصنا بها ثم تلطف في طلب الأمان من أخيه محمود فأجابه إلى سؤاله ونزل في حكم أمانه وتسلم منه مفاتيح الخزائن ورتب في غزنة النواب والأكفاء وانحدر إلى بلخ وكان السلطان محمود قد اجتمع بأخيه إسماعيل في مجلس الأنس بعد ظفره به فسأله عما كان في نفسه أنه يعتمده في حقه لو ظفر به فحملته سلامة صدره ونشوة السكر على أن قال كان في عزمي أن أسيرك إلى بعض القلاع موسعا عليك فيما تقترحه من دار وغلمان وجوار ورزق على قدر الكفاية فعامله بجنس ما كان قد نواه له وسيره إلى بعض الحصون وأوصى عليه الوالي أن يمكنه من جميع ما يشتهي ولما انتظم الأمر للسلطان محمود كان في بعض بلاد خراسان نواب لصاحب ما وراء النهر من ملوك بني سامان فجرى بين السلطان محمود وبينهم حروب انتصر فيها عليهم وملك بلاد خراسان وانقطعت الدولة السامانية منها وذلك في سنة تسع وثمانين وثلثمائة واستتب له الملك وسير له الإمام القادر بالله خلعة السلطنة ولقبه بالألقاب المذكورة في أول ترجمته وتبوأ سرير المملكة وقام بين يديه أمراء خراسان سماطين مقيمين برسم الخدمة وملتزمين

178 حكم الهيبة وأجلسهم بعد الإذن العام على مجلس الأنس وأمر لكل واحد منهم ولسائر غلمانه وخاصته ووجوه أوليائه وحاشيته من الخلع والصلات ونفائس الأمتعة ما لم يسمع بمثله واتسعت الأمور عن آخرها في كنف إيالته واستوسقت الأعمال في ضمن كفالته وفرض على نفسه في كل عام غزو الهند ثم إنه ملك سجستان في سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة بدخول قوادها وولاة أمرها في طاعته من غير قتال ولم يزل يفتح في بلاد الهند حتى انتهى إلى حيث لم تبلغه في الإسلام راية ولم تتل به قط سورة ولا آية فرحض عنها أدناس الشرك وبنى بها مساجد وجوامع وتفصيل حاله يطول شرحه ولما فتح بلاد الهند كتب إلى الديوان العزيز ببغداد كتابا يذكر فيه ما فتحه الله تعالى على يديه من بلاد الهند وأنه كسر الصنم المعروف بسومنات وذكر في كتابه أن هذا الصنم عند الهنود يحيي ويميت ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وأنه إذا شاء أبرأ من جميع العلل وربما كان يتفق لشقوتهم إبلال عليل يقصده فيوافقه طيب الهواء وكثرة الحركة فيزيدون به افتتانا ويقصدونه من أقاصي البلاد رجالا وركبانا ومن لم يصادف منهم انتعاشا احتج بالذنب وقال إنه لم يخلص له الطاعة ولم يستحق منه الإجابة ويزعمون أن الأرواح إذا فارقت الأجسام اجتمعت لديه على مذهب أهل التناسخ فينشئها فيمن يشاء وأن مد البحر وجزره عبادة له على قدر طاقته وكانوا بحكم هذا

الاعتقاد يحجونه من كل صقع بعيد ويأتونه من كل فج
عميق ويتحفونه بكل مال نفيس ولم يبق في بلاد السند
والهند على تباعد أقطارها وتفاوت أديانها ملك ولا سوقة
إلا تقرب إلى هذا الصنم بما عز عليه من أمواله وذخائره
حتى بلغت أوقافه عشرة آلاف قرية مشهورة في تلك
البقاع وامتلأت خزائنه من أصناف الأموال وفي خدمته
من البراهمة ألف رجل يخدمونه وثلثمائة رجل يحلقون
رؤوس حجيجه ولحاهم عند الورود
179 عليه وثلثمائة رجل وخمسمائة امرأة يغنون
ويرقصون عند بابه ويجرى من مال الأوقاف المرصدة له
لكل طائفة من هؤلاء رزق معلوم وكان بين المسلمين
وبين القلعة التي فيها الصنم مسيرة شهر في مفازة
موصوفة بقلة المياه وصعوبة المسالك واستيلاء الرمل
على طرقها فسار إليها السلطان محمود في ثلاثين ألف
فارس جريدة مختارة من بين عدد كثير وأنفق عليهم من
الأموال ما لا يحصى فلما وصلوا إلى القلعة وجدوها
حصنا منيعا وفتحوها في ثلاثة أيام ودخلوا بيت الصنم
وحوله من الأصنام الذهب المرصع بأصناف الجوهر عدة
كثيرة محيطة بعرشه يزعمون أنها الملائكة وأحرق
المسلمون الصنم المذكور فوجدوا في أذنه نيفا وثلاثين
حلقة فسألهم محمود عن معنى ذلك فقالوا كل حلقة عبادة
ألف سنة وكانوا يقولون بقدم العالم ويزعمون أن هذا
الصنم يعبد منذ أكثر من ثلاثين ألف سنة وكلما عبدوه ألف

سنة علقوا في أذنه حلقة وبالجملة فإن شرح ذلك يطول
وذكر شيخنا ابن الأثير في تاريخه أن بعض الملوك بقلاع
الهند أهدى له هدايا كثيرة من جملتها طائر على هيئة
القمري من خاصيته أنه إذا حضر الطعام وفيه سم دمعت
عينا هذا الطائر وجرى منها ماء وتحجر فإذا حك ووضع
على الجراحات الواسعة لحمها ذكر ذلك في سنة أربع
عشرة وأربعمائة وقد جمع سيرته أبو النصر محمد بن
عبد الجبار العتبي الفاضل المعروف في كتاب سماه
اليميني وهو مشهور وذكر في أوله أن السلطان المذكور
ملك الشرق بجنبيه والصدر من العالم ويديه لانتظام الإقليم
الرابع بما يليه من الثالث والخامس في حوزة ملكه
وحصول ممالكها الفسيحة وولايتها العريضة في قبضة
ملكه ومصير أمرائها وذوي الألقاب الملوكية من عظمائها
تحت حمايته وجبايته واستدرائهم من آفات الزمان بظل
ولايته ورعايته وإذعان ملوك الأرض لعزته وارتياعهم
بفائض هيبته واحتراسهم على تقاذف الديار
180 وتحاجز الأنجاد والأغوار من فاجيء ركضته
واستخفاء الهند تحت جيوبها عند ذكره واقشعرارهم لمهب
الرياح من أرضه وقد كان مذ لفظه المهد وجفاه الرضاع
وانحلت عن لسانه عقدة الكلام واستغنى عن الإشارة
بالإفهام مشغول اللسان بالذكر والقرآن مشغوف النفس
بالسيف والسنان ممدود الهمة إلى معالي الأمور معقود
الأمنية بسياسة الجمهور لعبه مع الأتراب جد وجده مستكد

يألم لما لا يعلم حتى يقتله خبرا ويحزن لما يحزن حتى يدمثه قسرا وقهرا وذكر إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك الجويني المقدم ذكره في كتابه الذي سماه مغيث الخلق في اختيار الأحق أن السلطان محمودا المذكور كان على مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه وكان مولعا بعلم الحديث وكانوا يسمعون الحديث من الشيوخ بين يديه وهو يسمع وكان يستفسر الأحاديث فوجد أكثرها موافقا لمذهب الشافعي رضي الله عنه فوقع في خلده حكة فجمع الفقهاء من الفريقين في مرو والتمس منهم الكلام في ترجيح أحد المذهبين على الآخر فوقع الاتفاق على أن يصلوا بين يديه ركعتين على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه وعلى مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه لينظر فيه السلطان ويتفكر ويختار ما هو أحسنهما فصلى القفال المروزي وقد تقدم ذكره بطهارة مسبغة وشرائط معتبرة من الطهارة والسترة واستقبال القبلة وأتى بالأركان والهيئات والسنن والآداب والفرائض على وجه الكمال والتمام وقال هذه صلاة لا يجوز الإمام الشافعي دونها رضي الله عنه ثم صلى ركعتين على ما يجوز أبو حنيفة رضي الله عنه فلبس جلد كلب مدبوغا ولطخ ربعه بالنجاسة وتوضأ بنبيذ التمر وكان في صميم الصيف في المفازة واجتمع عليه الذباب والبعوض وكان وضوءه منكسا منعكسا ثم استقبل القبلة وأحرم بالصلاة من غير نية في الوضوء وكبر بالفارسية دو بركك سبز ثم نقر

181 نقرنين كنقرات الديك من غير فصل ومن غير ركوع وتشهد وضرط في آخره من غير نية السلام وقال أيها السلطان هذه صلاة أبي حنيفة فقال السلطان لو لم تكن هذه الصلاة صلاة أبي حنيفة لقتلتك لأن مثل هذه الصلاة لا يجوزها ذو دين فأنكرت الحنفية أن تكون هذه صلاة أبي حنيفة فأمر القفال بإحضار كتب أبي حنيفة وأمر السلطان نصرانيا كاتبا يقرأ المذهبين جميعا فوجدت الصلاة على مذهب أبي حنيفة على ما حكاه القفال فأعرض السلطان عن مذهب أبي حنيفة وتمسك بمذهب الشافعي رضي الله عنه انتهى كلام إمام الحرمين وكانت مناقب السلطان محمود كثيرة وسيرته من أحسن السير ومولده ليلة عاشوراء سنة إحدى وستين وثلثمائة وتوفي في شهر ربيع الآخر وقيل حادي عشر صفر سنة إحدى وقيل اثنتين وعشرين وأربعمائة بغزنة رحمه الله تعالى 242 وقام بالأمر من بعده ولده محمد بوصية من أبيه واجتمعت عليه الكلمة وغمرهم بإنفاق الأموال فيهم وكان أخوه أبو سعيد مسعود غائبا فقدم نيسابور وقد استتب أمر أخيه محمد فراسله ومال الناس إليه لقوة نفسه وتمام هيبته وزعم أن الإمام القادر بالله قلده خراسان ولقبه الناصر لدين الله وخلع عليه وطوقه سوارا فقوي أمره لذلك وكان محمد هذا سيء التدبير منهمكا في ملاذه فأجمع الجند على عزل محمد وتولية الملك لمسعود ففعلوا ذلك وقبضوا على محمد وحملوه إلى قلعة ووكلوا به 243 واستقر الملك

للأمير مسعود وجرى له مع بني سلجوق خطوب يطول شرحها وله في ترجمة المعتمد بن عباد حكاية في المنام فلتنظر هناك وقتل سنة ثلاثين وأربعمائة واستولى على المملكة بنو سلجوق وقد تقدم في
182 ترجمة السلطان طغرلبك السلجوقي طرف من الخبر وكيفية ما اعتمده السلطان محمود في حقهم وكيف تغلبوا على الأمر وسبكتكين بضم السين المهملة والباء الموحدة وسكون الكاف وكسر التاء المثناة من فوقها والكاف الثانية وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون وتفسير دو بركك سبز ورقتان خضراوان وهو معنى قوله تعالى في سورة الرحمن (^ مدهامتان) الرحمن 64 والله تعالى أعلم 714 مغيث الدين السلجوقي أبو القاسم محمود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي الملقب مغيث الدين أحد الملوك السلجوقية المشاهير وقد تقدم ذكر والده وجماعة من أهل بيته وسيأتي ذكر جده وغيره منهم إن شاء الله تعالى وتقدم طرف من خبره في ترجمة العزيز أبي نصر أحمد بن حامد الأصبهاني عم العماد الكاتب تولى أبو القاسم المذكور السلطنة بعد وفاة والده وخطب له بها بمدينة بغداد على جاري عادة الملوك السلجوقية يوم الجمعة الثالث والعشرين من المحرم سنة اثنتي عشرة وخمسمائة في خلافة المستظهر بالله وهو يومئذ في سن الحلم وكان متوقدا ذكاء قوي المعرفة بالعربية حافظا للأشعار والأمثال عارفا بالتواريخ والسير

شديد الميل إلى أهل العلم والخير وكان حيص بيص الشاعر المقدم ذكره قد قصده من العراق ومدحه بقصيدته الدالية المشهورة التي أولها (ألق الحدائج ترع الضمر القود * طال السرى وتشكت وخدك البيد)
183 (يا ساري الليل لا جدب ولا فرق * فالنبت أغيد والسلطان محمود) (قيل تألفت الأضداد خيفته * فالمورد الضنك فيه الشاء والسيد) وهي طويلة ومن غرر القصائد وأجازه عليها جائزة سنية وقد كان تزوج بنتي عمه السلطان سنجر المقدم ذكره حسبما شرحناه في ترجمة العزيز الأصبهاني واحدة بعد الأخرى وكانت السلطنة في أواخر أيامه قد ضعفت وقلت أموالها حتى عجزوا عن إقامة وظيفة الفقاعي فدفعوا له يوما بعض صناديق الخزانة حتى باعها وصرف ثمنها في حاجته وكان في آخر مدته قد دخل بغداد ثم خرج منها فمرض في الطريق واشتد به المرض وتوفي يوم الخميس خامس عشر شوال سنة خمس وعشرين وخمسمائة رحمه الله تعالى وذكر ابن الأزرق الفارقي في تاريخه أنه مات خامس عشر شوال سنة أربع وعشرين بباب أصبهان ودفن بها وولي السلطنة أخوه طغرلبك ومات سنة سبع عشرين وتولى أخوه مسعود وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى 244 وابنه محمد شاه بن محمود بن محمد هو الذي حاصر بغداد ومعه زين الدين أبو الحسن علي بن بلتكين صاحب إربل في سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة وقال

شيخنا ابن الأثير في سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة قال ذلك في تاريخه الصغير المعروف بالأتابكي ومات محمد شاه المذكور في ذي الحجة سنة أربع وخمسين وخمسمائة وتاريخ وفاة زين الدين المذكور مذكور في ترجمة ولده مظفر الدين صاحب إربل في حرف الكاف ومات محمد شاه بباب همذان ومولده في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة

184 715 الملك العادل نور الدين أبو القاسم محمود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر الملقب الملك العادل نور الدين قد تقدم ذكر أبيه في حرف الزاي ولما حاصر أبوه قلعة جعبر حسبما تقدم ذكره في ترجمته كان ولده نور الدين المذكور في خدمته فلما قتل أبوه سار نور الدين وفي خدمته صلاح الدين محمد بن أيوب اليغيساني وعساكر الشام إلى مدينة حلب فملكها في ذلك التاريخ وملك أخوه سيف الدين غازي المذكور في حرف الغين مدينة الموصل وما والاها من تلك النواحي ثم إنه نزل على دمشق محاصرا لها وصاحبها يومئذ مجير الدين أبو سعيد أبق ابن جمال الدين محمد بن تاج الملوك بوري بن ظهير الدين طغتكين وهو أتابك الملك دقاق بن تتش المقدم ذكره في ترجمة تتش في حرف التاء وكان نزوله عليها ثالث صفر سنة تسع وأربعين وخمسمائة وملكها يوم الأحد تاسع الشهر المذكور وعوض مجير الدين أبق عن دمشق حمص ثم أخذها منه وعوضه عنها بالس فانتقل إليها وأقام

بها مدة ثم قصد بغداد في أيام الإمام المقتفى وكان أتابكه معين الدين أنر بن عبد الله عتيق جد أبيه ظهير الدين طغتكين الأتابك المقدم ذكره في ترجمة تتش السلجوقي وقد سبق ذكر ظهير الدين طغتكين الأتابك هناك أيضا ثم استولى نور الدين محمود على بقية بلاد الشام من حماة وبعلبك وهو
185 الذي بنى سورها ومنبج وما بين ذلك وافتتح من بلاد الروم عدة حصون منها مرعش وبهسنا وتلك الأطراف وكان فتحه لمرعش في ذي القعدة من سنة ثمان وستين وخمسمائة ولبهسنا في ذي الحجة من السنة وافتتح أيضا من بلاد الفرنج حارم وكان فتحها في أواخر شهر رمضان سنة تسع وخمسمائة وفتح أعزاز وبانياس وغير ذلك ما تزيد عدته على خمسين حصنا ثم سير الأمير أسد الدين شيركوه المقدم ذكره إلى مصر ثلاث دفعات وملكها السلطان صلاح الدين في الدفعة الثالثة نيابة عنه وضرب باسمه السكة والخطبة وهي قضية مشهورة فلا حاجة إلى لإطالة في شرحها وسيأتي ذلك في ترجمة صلاح الدين إن شاء الله تعالى وكان ملكا عادلا زاهدا عابدا ورعا مستمسكا بالشريعة مائلا إلى أهل الخير مجاهدا في سبيل الله تعالى كثير الصدقات بنى المدارس بجميع بلاد الشام الكبار مثل دمشق وحلب وحماة وحمص وبعلبك ومنبج والرحبة وقد تقدم ذلك في ترجمة الشيخ شرف الدين بن أبي عصرون وبنى بمدينة الموصل الجامع النوري ورتب

له ما يكفيه وبحماة الجامع الذي على نهر العاصي وجامع الرها وجامع منبج وبيمارستان دمشق ودار الحديث بها أيضا وله من المناقب والمآثر والمفاخر ما يستغرق الوصف وكان بينه وبين أبي الحسن سنان بن سليمان بن محمد الملقب راشد الدين صاحب قلاع الإسماعيلية ومقدم الفرقة الباطنية بالشام وإليه تنسب الطائفة السنانية مكاتبات ومحاورات بسبب المجاورة فكتب إليه نور الدين في بعض الأزمنة كتابا يتهدده فيه ويتوعده لسبب اقتضى ذلك فشق على سنان فكتب

186 جوابه أبياتا ورسالة وهما (يا ذا الذي بقراع السيف هددنا * لا قام مصرع جنبي حين تصرعه) (قام الحمام إلى البازي يهدده * واستيقظت لأسود البر أضبعه) (أضحى يسد فم الأفعى باصبعه * يكفيه ما قد تلاقي منه إصبعه) وقفنا على تفاصيله وجمله وعلمنا ما هددنا به من قوله وعمله فيالله العجب من ذبابة تطن في أذن فيل وبعوضة تعد في التماثيل ولقد قالها من قبلك قوم آخرون فدمرنا عليهم وما كان لهم من ناصرين أو للحق تدحضون وللباطل تنصرون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وأما ما صدر من قولك في قطع راسي وقلعك لقلاعي من الجبال الرواسي فتلك أماني كاذبة وخيالات غير صائبة فإن الجواهر لا تزول بالأعراض كما أن الأرواح لا تضمحل بالأمراض كم بين قوي وضعيف ودني وشريف وإن عدنا إلى الظواهر والمحسوسات وعدلنا عن البواطن

والمعقولات فلنا أسوة برسول الله في قوله (ما أوذي نبي ما أوذيت) ولقد علمتم ما جرى على عترته وأهل بيته وشيعته والحال ما حال والأمر ما زال ولله الحمد في الآخرة والأولى إذ نحن مظلومون لا ظالمون ومغصوبون لا غاصبون وإذا جاء الحق زهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ولقد علمتم ظاهر حالنا وكيفية رجالنا وما يتمنونه من الفوت ويتقربون به إلى حياض الموت (^ قل فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين) (الجمعة 6-7) وفي أمثال العامة السائرة أو للبط تهددون بالشط فهيئ للبلايا جلبابا وتدرع للرزايا أثوابا فلأظهرن عليك منك ولأفتننهم فيك عنك فتكون كالباحث عن حتفه بظلفه والجادع مارن
187 أنفه بكفه وما ذلك على الله بعزيز وهذه الرسالة نقلت من خط القاضي الفاضل على هذه الصورة ورأيت في نسخة زيادة على هذا وهي فاذا وقفت على كتابنا هذا فكن لأمرنا بالمرصاد ومن حالك على اقتصاد واقرأ أول النحل وآخر صاد والصحيح أنه كتبها إلى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب والله أعلم ورأيت في بعض النسخ زيادة بيت في أول الأبيات الثلاثة وهو (يا للرجال لأمر هال مفظعه * ما مر قط على سمعي توقعه) وكتب سنان المذكور مرة أخرى إليه وقد جرت بينهما وحشة (بنا نلت هذا الملك حتى تأثلت * بيوتك فيها واشمخر عمودها) (فأصبحت ترمينا بنبل بنا

استوى * مغارسها منا وفينا حديدها) وبالجملة فإن
محاسن نور الدين كثيرة وكانت ولادته يوم الأحد عند
طلوع الشمس سابع عشر شوال سنة إحدى عشرة
وخمسمائة وتوفي يوم الأربعاء حادي عشر شوال سنة
تسع وستين وخمسمائة بقلعة دمشق بعلة الخوانيق وأشار
عليه الأطباء بالفصد فامتنع وكان مهيبا فما روجع ودفن
في بيت بالقلعة كان يلازم الجلوس فيه والمبيت أيضا ثم
نقل إلى تربته بمدرسته التي أنشأها عند باب سوق
الخواصين وسمعت من جماعة من أهل دمشق يقولون إن
الدعاء عند قبره مستجاب ولقد جربت ذلك فصح رحمه الله
تعالى وذكر شيخنا عز الدين أبو الحسن علي بن محمد
المعروف بابن
جلد 7
الأثير اجزري في تاريخه الكبير الذي سماه الكامل في
سنة ثمان وخمسين وخمسمائة أن نور الدين المذكور نزل
في البقيعة تحت حصن الاكراد في السنة المذكورة
محاصرا لحصن الأكراد وعازما على قصد طرابلس وهو
في جميع عساكره فاجتمع من الفرنج خلق كثير وكبسوهم
في النهار والمسلمون في غفلة عنهم فلم يتمكنوا
188 من الاستعداد لهم وهربوا منهم ونجا نور الدين
بنفسه وهي وقعة مشهورة معروفة ونزل على بحيرة قدس
بالقرب من حمص وبينه وبين الفرنج مقدار أربعة فراسخ
فسير إلى حلب وبقية البلاد وأحضروا الأموال الكثيرة

وأنفقها ليقوي جيشه ثم يعود إليهم فيستوفي الثار فقال له بعض أصحابه إن في بلادك إدرارات وصدقات وصلات كثيرة على الفقهاء والصوفية والقراء ولو استعنت بها في هذا الوقت لكان أصلح فغضب من ذلك غضبا شديدا وقال إني لا أرجو النصر إلا بأولئك فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم كيف أقطع صلات قوم يقاتلون عني وأنا نائم على فراشي بسهام لا تخطيء وأصرفها إلى من لا يقاتل عني إلا بسهام قد تصيب وتخطيء وهؤلاء القوم لهم نصيب في بيت المال فكيف يحل أن أعطيه غيرهم وكان اسمر اللون طويل القامة حسن الصورة ليس بوجهه شعر سوى ذقنه 245 وكان قد عهد بالملك إلى ولده الملك الصالح عماد الدين إسماعيل وعمره يوم مات أبوه إحدى عشرة سنة فقام بالأمر من بعده وانتقل من دمشق إلى حلب ودخل قلعتها يوم الجمعة مستهل المحرم سنة سبعين وخمسمائة وخرج السلطان صلاح الدين من مصر وملك دمشق وغيرها من بلاد الشام ولم يبق عليه سوى مدينة حلب ولم يزل الصالح بها إلى أن توفي يوم الجمعة الخامس والعشرين من رجب سنة سبع وسبعين وخمسمائة وذكروا أنه لم يبلغ عشرين سنة والله أعلم وكان مبدأ مرضه في تاسع شهر رجب من السنة المذكورة وحدث له قولنج في مستهل جمادى الأولى وكان لموته وقع عظيم في قلوب الناس وتأسفوا عليه لأنه كان محسنا محمود السيرة ودفن في المقام الذي في القلعة ثم نقل إلى رباطه

المعروف به تحت القلعة وهو مشهور هناك رحمه الله تعالى 246 وتوفي مجير الدين أبق المذكور في سنة أربع وستين وخمسمائة ببغداد

189 ودفن في داره كذا وجدته في بعض المسودات التي بخطي والله أعلم ومولده يوم الجمعة ثامن شعبان سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ببعلبك والله تعالى أعلم 716

مروان بن أبي حفصة أبو السمط وقيل أبو الهندام مروان بن أبي حفصة سليمان بن يحيى ابن أبي حفصة يزيد الشاعر المشهور كان جده أبو حفصة مولى مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي فأعتقه يوم الدار لأنه أبلى يومئذ فجعل عتقه جزاءه وقيل إن أبا حفصة كان يهوديا طبيبا أسلم على يد عثمان بن عفان رضي الله عنه وقيل على يد مروان بن الحكم ويزعم أهل المدينة أنه كان من موالي السموأل بن عادياء اليهودي المشهور بالوفاء صاحب القصة المشهورة مع امريء القيس بن حجر الشاعر المشهور وأن أبا حفصة سبي من إصطخر وهو غلام فاشتراه عثمان رضي الله عنه ووهبه لمروان بن الحكم ومروان بن أبي حفصة الشاعر المذكور من أهل اليمامة وقدم بغداد ومدح المهدي وهارون الرشيد وكان يتقرب إلى الرشيد بهجاء العلويين ومروان المذكور من الشعراء المجيدين والفحول المقدمين حكى ابن سيف عن أبي خليفة عن ابن سلام قال لما أنشد مروان بن أبي

حفصة المهدي قصيدته التي يقول فيها (إليك قسمنا النصف من صلواتنا * مسيرة شهر بعد شهر نواصله)
190 (فلا نحن نخشى أن يخيب رجاؤنا * لديك ولكن أهنأ العيش عاجله) فقال له المهدي قف بحيث أنت كم قصيدتك هذه من بيت قال سبعون بيتا قال فلك سبعون ألفا لا تتم إنشادك حتى يحضر المال فأحضر المال فأنشد القصيدة وقبضه وانصرف ذكره أبو العباس بن المعتز في كتاب طبقات الشعراء فقال في حقه وأجود ما قاله مروان قصيدته الغراء اللامية وهي التي فضل بها على شعراء زمانه يمدح فيها معن بن زائدة الشيباني ويقال إنه أخذ منه عليها مالا كثيرا لا يقدر قدره ولم ينل أحد من الشعراء الماضين ما ناله مروان بشعره فمما ناله ضربة واحدة ثلثمائة ألف درهم من بعض الخلفاء بسبب بيت واحد انتهى كلام ابن المعتز والقصيدة اللامية طويلة تناهز الستين بيتا ولولا خوف الإطالة لذكرتها ولكن نأتي ببعض مديحها وهو في أثنائها (بنو مطر يوم اللقاء كأنهم * أسود لهم في بطن خفان أشبل) (هم يمنعون الجار حتى كأنما * لجارهم بين السماكين منزل) (تجنب لا في القول حتى كأنه * حرام عليه قول لا حين يسأل) (تشابه يوماه علينا فأشكلا * فلا نحن ندري أي يوميه أفضل) (أيوم نداه الغمر أم يوم بؤسه * وما منهما إلا أغر محجل) (بهاليل في الإسلام سادوا ولم يكن * كأولهم في الجاهلية أول) (هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا * أجابوا وإن

أعطوا أصابوا وأجزلوا) (وما يستطيع الفاعلون فعالهم
* وإن أحسنوا في النائبات وأجملوا) (ثلاث بأمثال
الجبال حباهم * وأحلامهم منها لدى الوزن أثقل)
191 هذا لعمري هو السحر الحلال المنقح لفظا
ومعنى وحقه أن يفضل على شعراء عصره وغيرهم وله
في مدائح معن المذكور ومراثيه كل معنى بديع وسيأتي
شيء من ذلك في أخبار معن إن شاء الله تعالى وحكى ابن
المعتز أيضا عن شراحيل بن معن بن زائدة أنه قال
عرضت في طريق مكة ليحيى بن خالد البرمكي وهو في
قبة وعديله القاضي أبو يوسف الحنفي وهما يريدان الحج
قال شراحيل فإني لأسير تحت القبة إذ عرض له رجل من
بني أسد في شارة حسنة فأنشده شعرا فقال له يحيى بن
خالد في بيت منها ألم أنهك عن مثل هذا البيت أيها الرجل
ثم قال يا أخا بني أسد إذا قلت الشعر فقل كقول الذي يقول
وأنشده الأبيات اللامية المقدم ذكرها فقال له القاضي أبو
يوسف وقد أعجبته الأبيات جدا من قائل هذه الأبيات يا أبا
الفضل فقال يحيى يقولها مروان بن أبي حفصة يمدح بها
أبا هذا الفتى الذي تحت القبة قال شراحيل فرمقني أبو
يوسف بعينيه وأنا راكب على فرس لي عتيق وقال لي من
أنت يا فتى حياك الله تعالى وقربك قلت أنا شراحيل بن
معن بن زائدة الشيباني قال شراحيل فوالله ما أتت علي
ساعة قط كانت أقر لعيني من تلك الساعة ارتياحا وسرورا
ويحكى أن ولدا لمروان بن أبي حفصة المذكور دخل على

شراحيل المذكور فأنشده (أيا شراحيل من معن بن زائدة * يا أكرم الناس من عجم ومن عرب) (أعطى أبوك أبي مالا فعاش به * فأعطني مثل ما أعطى أبوك أبي) (ما حل قط أبي أرضا أبوك بها * إلا وأعطاه قنطارا من الذهب) فأعطاه شراحيل قنطارا من الذهب ومما يقارب هذه الحكاية ما يروى عن أبي مليكة جرول بن أوس المعروف بالحطيئة الشاعر المشهور لما اعتقله عمر بن الخطاب رضي الله عنه لبذاءة

192 لسانه وكثرة هجوه الناس كتب إليه من الاعتقال (ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ * حمر الحواصل لا ماء ولا شجر) (ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة * فارحم عليك سلام الله يا عمر) (أنت الإمام الذي من بعد صاحبه * ألقت إليك مقاليد النهي البشر) (ما آثروك بها إذا قدموك لها * لكن لأنفسهم قد كانت الأثر) فأطلقه وشرط عليه أن يكف لسانه عن الناس فقال له يا أمير المؤمنين اكتب لي كتابا إلى علقمة بن علاثة لأقصده به فقد منعتني التكسب بشعري وكان علقمة مقيما بحوران وهو من الأجواد المشهورين قال ابن الكلبي في كتاب جمهرة النسب هو علقمة بن علاثة بن عوف بن ربيعة ويقال له الأحوص لصغر عينيه ابن جعفر ابن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن وكان عمر رضي الله عنه استعمله على حوران فامتنع عمر رضي الله عنه من ذلك فقيل له يا أمير

المؤمنين وما عليك من ذلك علقمة ليس من عمالك فتخشى من ذلك أن تأثم وإنما هو رجل من المسلمين تشفع بك إليه فكتب له بما أراد فمضى الحطيئة بالكتاب فصادف علقمة قد مات والناس منصرفون من قبره وابنه حاضر فوقف عليه ثم أنشد (لعمري لنعم المرء من آل جعفر * بحوران أمسى علقته الحبائل) (فإن تحي لا أملل حياتي وإن تمت * فما في حياة بعد موتك طائل) (وما كان بيني لو لقيتك سالما * وبين الغنى إلا ليال قلائل) فقال له ابنه كم ظننت أن علقمة كان يعطيك لو وجدته حيا فقال مائة ناقة يتبعها مائة من أولادها فأعطاه ابنه إياها

193 والبيتان الأخيران من هذه الثلاثة وجدتهما في ديوان النابغة الذبياني واسمه زياد بن معاوية بن جابر من جملة قصيدة يرثي بها النعمان بن أبي شمر الغساني وأخبار ابن أبي حفصة ونوادره ومحاسنه كثيرة فلا حاجة إلى الإطناب بذكرها وكانت ولادته سنة خمس ومائة وتوفي سنة إحدى وثمانين وقيل سنة اثنتين وثمانين ومائة ببغداد ودفن بمقبرة نصر بن مالك الخزاعي رحمه الله تعالى 247 وحفيده مروان الأصغر وهو أبو السمط مروان بن أبي الجنوب ابن مروان الأكبر المذكور وكان من شعراء عصره المشاهير المقدمين وذكر المبرد في كتاب الكامل طرفا من أخبار عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري ثم قال ويروى أن عبد الرحمن المذكور لدغه زنبور فجاء أباه يبكي فقال له ما بك قال لسعني

طائر كأنه ملتف في بردي حبرة فقال أبوه قلت الشعر والله
ثم قال بعد ذلك وأعرق قوم كانوا في الشعر آل حسان
فإنهم كانوا يعدون ستة في نسق كلهم شاعر وهم سعيد بن
عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام وبعد
هؤلاء في الوقت آل أبي حفصة فإنهم أهل بيت كل واحد
منهم شاعر يتوارثونه كابرا عن كابر ويحيى ابن أبي
حفصة كنيته أبو جميل وأمه تحيا بنت ميمون يقال إنها من
ولد النابغة الجعدي وإن الشعر أتى إلى أبي حفصة بذلك
السبب وكل واحد من هؤلاء كان يضرب بلسانه أرنبة أنفه
وهو دليل على الفصاحة والبلاغة والله تعالى أعلم

194 717 مسلم صاحب الصحيح أبو الحسين
مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاذ القشيري
النيسابوري صاحب الصحيح أحد الأئمة الحفاظ وأعلام
المحدثين رحل إلى الحجاز والعراق والشام ومصر وسمع
يحيى بن يحيى النيسابوري وأحمد بن حنبل وإسحاق بن
راهويه وعبد الله بن مسلمة القعنبي وغيرهم وقدم بغداد
غير مرة فروى عنه أهلها وآخر قدومه إليها في سنة تسع
وخمسين ومائتين وروى عنه الترمذي وكان من الثقات
وقال محمد الماسرجسي سمعت مسلم بن الحجاج يقول
صنفت هذا المسند الصحيح من ثلثمائة ألف حديث
مسموعة وقال الحافظ أبو علي النيسابوري ما تحت أديم
السماء أصح من كتاب مسلم في علم الحديث وقال
الخطيب البغدادي كان مسلم يناضل عن البخاري حتى

أوحش ما بينه وبين محمد بن يحيى الذهلي بسببه وقال
أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ لما استوطن البخاري
نيسابور أكثر مسلم من الاختلاف إليه فلما وقع بين محمد
بن يحيى والبخاري ما وقع في مسألة اللفظ ونادى عليه
ومنع الناس من الاختلاف إليه حتى هجر وخرج من
نيسابور في تلك المحنة قطعه أكثر الناس غير مسلم فإنه
لم يتخلف عن زيارته فأنهي إلى محمد بن يحيى أن مسلم
بن الحجاج على مذهبه قديما وحديثا وأنه عوتب على ذلك
بالحجاز والعراق ولم يرجع عنه فلما كان يوم مجلس
محمد ابن يحيى قال في آخر مجلسه ألا من قال باللفظ فلا
يحل له أن يحضر مجلسنا فأخذ مسلم الرداء فوق عمامته
وقام على رؤوس الناس وخرج من مجلسه وجمع
195 كل ما كان كتب منه وبعث به على ظهر حمال
إلى باب محمد بن يحيى فاستحكمت بذلك الوحشة وتخلف
عنه وعن زيارته وتوفي مسلم المذكور عشية يوم الأحد
ودفن بنصر أباذ ظاهر نيسابور يوم الاثنين لخمس وقيل
لست بقين من شهر رجب الفرد سنة إحدى وستين ومائتين
بنيسابور وعمره خمس وخمسون سنة هكذا وجدته في
بعض الكتب ولم أر أحدا من الحفاظ يضبط مولده ولا
تقدير عمره وأجمعوا أنه ولد بعد المائتين وكان شيخنا
تقي الدين أبو عمرو عثمان المعروف بابن الصلاح يذكر
مولده وغالب ظني أنه قال سنة اثنتين ومائتين ثم كشفت ما
قاله ابن الصلاح فإذا هو في سنة ست ومائتين نقل ذلك

من كتاب علماء الأمصار تصنيف الحاكم أبي عبد الله بن البيع النيسابوري الحافظ ووقفت على الكتاب الذي نقل منه وملكت النسخة التي نقل منها أيضا وكانت ملكه وبيعت في تركته ووصلت إلي وملكتها وصورة ما قاله بأن مسلم بن الحجاج توفي بنيسابور لخمس بقين من شهر رجب الفرد سنة إحدى وستين ومائتين وهو ابن خمس وخمسين سنة فتكون ولادته في سنة ست ومائتين والله أعلم رحمه الله تعالى وقد تقدم الكلام على القشيري صاحب الرسالة فأغنى عن الإعادة 248 وأما محمد بن يحيى المذكور فهو أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد الله ابن خالد ابن فارس بن ذؤيب الذهلي النيسابوري وكان أحد الحفاظ الأعيان روى عنه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة القزويني وكان ثقة مأمونا وكان سبب الوحشة بينه وبين البخاري أنه لما دخل البخاري مدينة نيسابور شعث عليه محمد بن يحيى في مسألة خلق اللفظ وكان قد سمع منه فلم يمكنه ترك الرواية عنه وروى عنه في الصوم والطب والجنائز والعتق وغير ذلك مقدار ثلاثين موضعا ولم يصرح باسمه فيقول حدثنا محمد بن يحيى الذهلي بل يقول حدثنا محمد ولا يزيد عليه ويقول محمد بن عبد الله

196 فينسبه إلى جده وينسبه أيضا إلى جد أبيه وتوفي محمد المذكور سنة اثنتين وقيل سبع وقيل ثمان وخمسين ومائتين رحمه الله تعالى والله أعلم 718 مسعود

الطريثيثي أبو المعالي مسعود بن محمد بن مسعود بن طاهر النيسابوري الطريثيثي الفقيه الشافعي الملقب قطب الدين تفقه بنيسابور ومرو على أئمتها وسمع الحديث من غير واحد ورأى الأستاذ أبا نصر القشيري ودرس بالمدرسة النظامية بنيسابور نيابة عن الجويني وكان قد قرأ القرآن الكريم والأدب على والده وقدم بغداد ووعظ بها وتكلم في المسائل فأحسن وقدم دمشق سنة أربعين وخمسمائة ووعظ بها وحصل له قبول ودرس بالمدرسة المجاهدية ثم بالزاوية الغربية من جامع دمشق بعد موت الفقيه أبي الفتح نصر الله المصيصي وذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق ثم خرج إلى حلب وتولى التدريس مدة في المدرستين اللتين بناهما له نور الدين محمود وأسد الدين شيركوه ثم مضى إلى همذان وتولى التدريس بها ثم رجع إلى دمشق ودرس بالزاوية الغربية وحدث وتفرد برياسة أصحاب الشافعي رضي الله عنه وكان عالما صالحا صنف كتاب الهادي في الفقه وهو مختصر نافع لم يأت فيه إلا بالقول الذي عليه الفتوى وجمع للسلطان صلاح الدين عقيدة تجمع جميع ما يحتاج إليه في أمور دينه وحفظها أولاده الصغار حتى تترسخ في
197 أذهانهم من الصغر قال بهاء الدين ابن شداد في سيرة السلطان ورأيته يعني السلطان وهو يأخذها عليهم وهم يقرؤونها بين يديه من حفظهم وكان متواضعا قليل التصنع مطرحا للتكليف وكانت ولادته سنة خمس

وخمسمائة في الثالث عشر من شهر رجب الفرد وتوفي في آخر يوم من شهر رمضان المعظم سنة ثمان وسبعين وخمسمائة بدمشق وصلي عليه يوم العيد وكان نهار الجمعة ودفن بالمقبرة التي أنشأها جوار مقبرة الصوفية غربي دمشق وزرت قبره غير مرة رحمه الله تعالى وكان والده من طريثيث وقد تقدم الكلام عليها في ترجمة عميد الملك الكندري فلا حاجة إلى إعادته وهي من نواحي نيسابور وقال بعض أصحابه أنشدنا الشيخ قطب الدين لبعضهم (يقولون إن الحب كالنار في الحشا * ألا كذبوا فالنار تذكو وتخمد) (وما هي إلا جذوة مس عودها * ندى فهي لا تخبو ولا تتوقد) والله تعالى أعلم بالصواب

719 الشريف البياضي الشاعر الشريف أبو جعفر مسعود بن عبد العزيز بن المحسن بن الحسن بن عبد الرزاق البياضي الشاعر المشهور هكذا وجدته بخط بعض الحفاظ المتقنين ورأيت
198 في أول ديوانه أنه أبو جعفر مسعود بن المحسن بن عبد الوهاب بن عبد العزيز ابن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي والله أعلم بالصواب وهو من الشعراء المجيدين في المتأخرين وديوان شعره صغير وهو في غاية الرقة وليس فيه من المدائح إلا اليسير فمن أحسن شعره قصيدته القافية التي أولها (إن غاض دمعك والركاب تساق * مع ما بقلبك

فهو منك نفاق) (لا تحبسن ماء الجفون فإنه * لك يا لديغ
هواهم ترياق) (واحذر مصاحبة العذول فإنه * مغر
وظاهر عذله إشفاق) (لا يبعدن زمن مضت أيامه *
وعلى متون غصونها أوراق) (أيام نرجسنا العيون
ووردنا الغض * الخدود وخمرنا الأرياق) (ولنا
بزوراء العراق مواسم * كانت تقام لطيبها أسواق) (
فلئن بكت عيني دما شوقا إلى * ذاك الزمان فمثله يشتاق)
ومنها (أين الأغيلمة الألى لولاهم * ما كان طعم هوى
الملاح يذاق) (وكأنما أرماحهم بأكفهم * أجسامهم
ونصولها الأحداق) (شنوا الإغارة في القلوب بأعين *
لا يرتجى لأسيرها إطلاق) (واستعذبوا ماء الجفون
فعذبوا الأسراء * حتى درت الآماق) (ونمى الحديث
بأنهم نذروا دمي * أو لي دم يوم الفراق يراق) ولـه وهو
مما يغني به (كيف يذوي عشب أشواقي * ولي طرف
مطير) (إن يكن في العشق حر * فأنا العبد الأسير)
199 (أو على الحسن زكاة * فأنا ذاك الفقير)
وله وكتبها على مروحة (وارحمتا لي أن حللت بمجلس
* ان لحنوا فيه يكون كسادي) ولـه أيضا (يا ليلة بات
فيها البدر معتنقي * إلى الصباح بلا خوف ولا حذر) (
كلامه الدر يغني عن كواكبها * ووجهه عوض فيها عن
القمر) (فبينما أنا أرعي في محاسنه * سمعي وطرفي
إذ أنذرت بالسحر) (ولم يكن عيبها إلا تقاصرها * وأي
عيب لها أشنى من القصر) (وددت لو أنها طالت علي

ولو * أمددتها بسواد القلب والبصر) والبيت الأخير منها ينظر إلى قول أبي العلاء بن سليمان المعري وهو (يود أن ظلام الليل دام له * وزيد فيه سواد القلب والبصر) وشعره كله على هذا الأسلوب وقد تقدم له بيتان في ترجمة صر در الشاعر وتوفي البياضي المذكور يوم الثلاثاء سادس عشر ذي القعدة سنة ثمان وستين وأربعمائة ببغداد ودفن بمقبرة باب أبرز وإنما قيل له البياضي لأن أحد أجداده كان في مجلس بعض الخلفاء مع جماعة من العباسيين وكانوا قد لبسوا سوادا ما عداه فإنه كان قد لبس بياضا فقال الخليفة من ذلك البياضي فثبت الاسم عليه واشتهر به وذكر ابن الجوزي في كتاب الألقاب أن صاحب هذه الواقعة هو محمد ابن عيسى بن محمد بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهم أجمعين وهو الذي يقال له البياضي ورأيت بخط أسامة بن منقذ المقدم ذكره أن الذي لقبه بهذا اللقب هو الخليفة الراضي بالله والله تعالى أعلم

200 720 غياث الدين السلجوقي أبو الفتح مسعود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي الملقب غياث الدين أحد ملوك السلجوقية المشاهير وقد تقدم ذكر والده وأخيه محمود وجماعة من أهل بيته كان مسعود المذكور قد سلمه والده في سنة خمس وخمسمائة إلى الأمير مودود ابن التوتكين وجعله صاحب الموصل ليربيه فلما قتل مودود في سنة سبع وخمسمائة وتولى الأمير آق

سنقر البرسقي المذكور في حرف الهمزة مكانه سلمه والده
إليه أيضا ثم أرسله من بعده إلى جوش بك أتابك الموصل
أيضا فلما توفي والده وتولى موضعه ولده محمود المقدم
ذكره أخذ جوش بك يحسن لمسعود المذكور الخروج على
أخيه محمود وأطمعه في السلطنة ولم يزل على ذلك حتى
جمع العساكر واستكثر منها وقصد أخاه والتقيا بالقرب من
همذان في ربيع الأول سنة أربع عشرة وخمسمائة وكان
النصر لمحمود وقتل في هذه الواقعة الأستاذ أبو إسماعيل
الطغرائي وقد سبق شيء من خبره في حرف الحاء ثم
تنقلت الأحوال وتقلبت بمسعود المذكور واستقل بالسلطنة
سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ودخل بغداد واستوزر
شرف الدين أنو شروان بن خالد
201 القاشاني الذي كان وزير المسترشد وقد تقدم
ذكره في ترجمة الحريري صاحب المقامات وكان سلطانا
عادلا لين الجانب كبير النفس فرق مملكته على أصحابه
ولم يكن له من السلطنة غير الاسم وكان حسن الأخلاق
كثير المزاح والانبساط مع الناس فمن ذلك أن أتابك زنكي
صاحب الموصل أرسل إليه القاضي كمال الدين محمد بن
عبد الله بن القاسم الشهرزوري في رسالة فوصل إليه
وأقام معه في العسكر فوقف يوما على خيمة الوزير حتى
قارب أذان المغرب فعاد إلى خيمته وأذن المغرب وهو في
الطريق فرأى إنسانا فقيها في خيمة فنزل إليه فصلى معه
فسأله كمال الدين من أين هو فقال أنا قاضي مدينة كذا

فقال له كمال الدين القضاة ثلاثة قاضيان في النار وهو أنا وأنت وقاض في الجنة وهو من لا يعرف أبواب هؤلاء الظلمة ولا يراهم فلما كان من الغد أرسل السلطان وأحضر كمال الدين فلما دخل عليه ورآه ضحك وقال القضاة ثلاثة فقال كمال الدين نعم يا مولانا فقال والله صدقت ما أسعد من لا يرانا ولا نراه ثم أمر به فقضيت حاجته وأعاده من يومه ومن ذلك أنه اجتاز يوما في بعض أطراف بغداد فسمع امرأة تقول لأخرى تعالي انظري إلى السلطان فوقف وقال نقف حتى تجيء هذه الست تنظر إلينا وله مناقب كثيرة وكان مع لين جانبه ما ناوأه أحد وظفر به وقتل من الأمراء الأكابر خلقا كثيرا ومن جملة من قتل الخليفتان المسترشد بالله والراشد لأنه كان قد وقع بينه وبين الخليفة المسترشد وحشة قبل استقلاله في السلطنة فلما استقل استطال نوابه على العراق وعارضوا الخليفة في أملاكه فقويت الوحشة بينهما وتجهز المسترشد وخرج لمحاربته وكان السلطان مسعود بهمذان فجمع جيشا عظيما وخرج للقائه وتصافا بالقرب من همذان فكسر عسكر الخليفة وأسر هو وأرباب دولته وأخذه السلطان مسعود مأسورا وطاف به بلاد أذربيجان وقتل على باب المراغة حسبما شرحناه في ترجمة دبيس بن صدقة وهو الذي خلع الراشد وأقام المقتفي كما هو مشهور

202 ثم أقبل مسعود على الاشتغال باللذات والانعكاف على مواصلة وجوه الراحات متكلا على السعادة تعمل له ما يؤثره إلى أن حدث له القيء وعلة الغثيان واستمر به ذلك إلى أن توفي في حادي عشر جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وخمسمائة وقيل يوم الأربعاء الثاني والعشرين من الشهر المذكور بهمذان ومات معه سعادة البيت السلجوقي فلم تقم له بعده راية يعتد بها ولا يلتفت إليها (فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما) ودفن في مدرسة بناها جمال الدين إقبال الخادم وقال ابن الأزرق الفارقي في تاريخه رأيت السلطان المذكور ببغداد في السنة المذكورة وسار إلى همذان ومات بباب همذان وحمل إلى أصبهان رحمه الله تعالى وقد تقدم شيء من خبره في ترجمة دبيس بن صدقة صاحب الحلة ومولده يوم الجمعة لثلاث خلون من ذي القعدة سنة اثنتين وخمسمائة ولما ولي السلطنة جرت بينه وبين عمه سنجر المقدم ذكره منازعة ثم خطب له بعد عمه المذكور ببغداد يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من صفر سنة سبع وعشرين وخمسمائة والله أعلم

203 721 عز الدين مسعود صاحب الموصل أبو الفتح وأبو المظفر مسعود بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي ابن آق سنقر أتابك صاحب الموصل الملقب عز الدين قد تقدم خبر جده وجد أبيه وخبر ولده نور الدين أرسلان شاه وغيرهم من أهل بيته وسيأتي ذكر أبيه في

هذا الحرف إن شاء الله تعالى ولما توفي والده قام بالملك
ولده سيف الدين غازي المقدم ذكره لأنه كان أكبر الإخوة
وكان قد خلف هذين الولدين وعماد الدين زنكي صاحب
سنجار المذكور عقيب ترجمة جده عماد الدين زنكي
وكان عز الدين المذكور مقدم الجيوش في أيام أخيه غازي
ولما خرج السلطان صلاح الدين من الديار المصرية بعد
وفاة الملك العادل نور الدين محمود المقدم ذكره وأخذ
دمشق وتقدم إلى حلب وحاصرها خاف غازي منه وعلم
أنه قد استفحل أمره وعظم شأنه واستشعر أنه متى استحوذ
على الشام تعدى الأمر إليه فجهز جيشا عظيما وقدم عليه
أخاه عز الدين مسعودا المذكور وسار يريد لقاء السلطان
وضرب المصاف معه ليرده عن البلاد فلما بلغ السلطان
خروجه رحل عن حلب وذلك في مستهل رجب الفرد سنة
سبعين وخمسمائة وسار إلى حمص وأخذ قلعتها وكان قد
أخذ البلد في جمادى الأولى من السنة المذكورة بعد
خروجه من دمشق قاصدا حلب ووصل عز الدين مسعود
إلى حلب لينجد ابن عمه الملك الصالح إسماعيل ابن نور
الدين صاحب حلب هذا كان في الصورة الظاهرة وفي
الباطن كان غرضهم ما ذكرناه من
204 خوفهم على بلادهم فانضم إلى عز الدين
مسعود عسكر حلب وخرج في جمع كثير ولما عرف
السلطان مسيرهم سار حتى وافاهم على قرون حماة
وراسلهم وراسلوه واجتهد في أن يصالحوه فلم يفعلوا

ورأوا أن ضرب المصاف معه ربما نالوا به الغرض الأكبر والمقصود الأوفر والقضاء يجر إلى أمور لا يشعرون بها فقام المصاف بين العسكرين وقضى الله تعالى أن انكسر جيش عز الدين وأسر السلطان جماعة من أمرائه ثم أطلقهم وذلك يوم الأحد التاسع عشر من شهر رمضان المعظم من السنة المذكورة وهذه الواقعة من الوقائع المشهورة ثم سار السلطان عقيب الكسرة إلى حلب ونزل عليها وهي الدفعة الثانية فصالحه الملك الصالح إسماعيل على أخذ المعرة وكفر طاب وبارين ثم رحل عنها وشرح ذلك يطول وتتمة هذه القضية مذكورة في ترجمة أخيه سيف الدين غازي ولما توفي أخوه سيف الدين في التاريخ المذكور في ترجمته استقل عز الدين المذكور بالملك من بعده ولم يزل إلى أن حضرت الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين الوفاة في التاريخ المذكور في ترجمة أبيه نور الدين فأوصى بمملكة حلب وما معها لابن عمه عز الدين مسعود المذكور واستحلف له الأمراء والأجناد فلما توفي وبلغ الخبر عز الدين مسعودا بادر متوجها إليها خوفا من صلاح الدين أن يسبقه فيأخذها وكان وصوله إليها في العشرين من شعبان سنة سبع وسبعين وخمسمائة وصعد القلعة واستولى على ما بها من الخزائن والحواصل وتزوج أم الملك الصالح في خامس شوال من السنة وأقام بها إلى سادس عشر شوال ثم علم أنه لا يمكنه حفظ الشام والموصل وخاف من جانب

صلاح الدين وألح عليه الأمراء في طلب الزيادات
وتبسطوا عليه في المطالب وضاق عنهم عطنه وكان
المستولي على أمره مجاهد الدين قايماز الزيني المقدم
ذكره في حرف القاف فرحل عن حلب وخلف بها مظفر
الدين ولده ومظفر
205 الدين بن زين الدين صاحب إربل المذكور في
حرف الكاف ولما وصل إلى الرقة لقيه بها أخوه عماد
الدين زنكي صاحب سنجار فقرر معه مقايضة حلب
بسنجار وتحالفا على ذلك وسير عماد الدين من يتسلم حلب
وسير عز الدين من يتسلم سنجار وفي ثالث عشر المحرم
سنة ثمان وسبعين وخمسمائة صعد عماد الدين إلى قلعة
حلب وكان قد تقرر الصلح بين عز الدين المذكور وابن
عمه الملك الصالح وبين صلاح الدين على يد قليج
أرسلان صاحب الروم وصعد السلطان صلاح الدين إلى
الديار المصرية واستناب بدمشق ابن أخيه عز الدين فروخ
شاه بن شاهان شاه بن أيوب فلما بلغه خبر وفاة الملك
الصالح وهذه الأمور المتجددة عاد إلى الشام وكان
وصوله إلى دمشق في سابع عشر صفر سنة ثمان وسبعين
وبلغه بها أن رسول عز الدين مسعود وصل إلى الفرنج
يحثهم على قتال السلطان ويبعثهم على قصده فعلم أنه قد
غدر به ونكث اليمين فعزم على قصد حلب والموصل
وأخذ في التأهب للحرب فبلغ عماد الدين صاحب حلب
ذلك فسير إلى أخيه صاحب الموصل يعلمه ذلك ويستدعي

منه العساكر فسار السلطان صلاح الدين من دمشق ونزل على حلب في ثاني عشر جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة وأقام عليها ثلاثة أيام ثم رحل في الحادي والعشرين من الشهر ثم جاءه مظفر الدين بن زين الدين صاحب إربل وكان يوم ذلك في خدمة صاحب الموصل وهو صاحب حران وكان قد استوحش من عز الدين مسعود صاحب الموصل وخاف من مجاهد الدين قايماز الزيني المذكور في حرف القاف فالتجأ إلى السلطان صلاح الدين وقطع الفرات وعبر إليه وقوى عزمه على قصد بلاد الجزيرة وسهل أمرها عليه فعبر السلطان صلاح الدين الفرات وأخذ الرها والرقة ونصيبين وسروج ثم أشحن على بلاد الخابور وأقطعها وتوجه إلى الموصل ونزل عليها يوم الخميس حادي عشر رجب سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ليحاصرها فأقام أياما وعلم أنه بلد عظيم لا يتحصل منه شيء بالمحاصرة وأن طريق أخذه أخذ قلاعه

206 وبلاده وإضعاف أهله على طول الزمان فرحل عنها ونزل على سنجار في سادس عشر شعبان من السنة وأخذها في ثاني شهر رمضان المعظم وأعطاها لابن أخيه الملك المظفر تقي الدين عمر المقدم ذكره وشرح ذلك يطول وخلاصة الأمر أنه رجع إلى الشام فكان وصوله إلى حران في أول ذي القعدة ثم عاد إلى منازلة الموصل وكان وصوله إليها في أول شهر ربيع الأول سنة إحدى

وثمانين ونزلت إليه والدة عز الدين ومعها جماعة من نساء بني أتابك وابنه نور الدين أرسلان شاه بن مسعود وقد سبق ذكره في حرف الهمزة وطلبت منه المصالحة فردها خائبة ظنا منه أن عز الدين أرسلها عجزا عن حفظ الموصل واعتذر بأعذار ندم عليها بعد ذلك وبذل أهل الموصل نفوسهم في القتال لكونه رد النساء والولد بالخيبة فأقام عليها إلى أن أتاه خبر وفاة شاه أرمن ناصر الدين محمد بن إبراهيم بن سكمان القطبي صاحب خلاط وقيام مملوكه بكتمر بالأمر من بعده وطمع فيه من جاوره من الملوك وعزموا على قصده فسير إلى السلطان وأطمعه في خلاط وقرر معه تسليمها إليه وأن يعوضه عنها ما يرضيه وكانت وفاة شاه أرمن يوم الخميس تاسع شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة فرحل السلطان صلاح الدين عن الموصل لهذا السبب في العشرين من الشهر المذكور وتوجه نحو خلاط وفي مقدمته مظفر الدين صاحب إربل وهو يوم ذاك صاحب حران وناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه وهو ابن عم صلاح الدين فنزلوا بالطوانة البليدة التي هي بالقرب من خلاط وسير الرسل إلى بكتمر لتقرير القاعدة فوصلت الرسل إليه وشمس الدين بهلوان بن الذكر صاحب أذربيجان وعراق العجم قد قرب من خلاط ليحاصرها فبعث إليه بكتمر يعرفه أنه إن لم يرجع عنه وإلا سلم البلاد إلى السلطان صلاح الدين فصالحه وزوجه ابنته ورجع عنه وسير

بكتمر إلى السلطان صلاح الدين يعتذر عما قاله من تسليم
خلاط وكان السلطان قد نزل على ميافارقين يحاصرها
فقاتلها قتالا شديدا ثم أخذها عن صلح بالخديعة في التاسع
والعشرين من
207 جمادى الأولى من السنة المذكورة وكان
صاحبها قطب الدين ايلغازي بن البي بن كرماس بن
غازي بن أرتق فمات وتركها لولده حسام الدين بولق
أرسلان وهو طفل صغير فطمع في أخذها من واليها
فأخذها ولما أيس السلطان من خلاط عاد إلى الموصل
وهي الدفعة الثالثة ونزل بعيدا عنها بموضع يقال له كفر
زمار فأقام به مدة وكان الحر شديدا فمرض السلطان
مرضا شديدا أشفى على الموت فرحل طالبا حران في
مستهل شوال من السنة ولما علم عز الدين مسعود
المذكور بمرض السلطان وأنه رقيق القلب انتهز الفرصة
وسير القاضي بهاء الدين بن شداد الآتي ذكره إن شاء الله
تعالى في حرف الياء ومعه بهاء الدين الربيب فوصلا إلى
حران في الرسالة والتماس الصلح فأجاب إلى ذلك وحلف
يوم عرفة من السنة وقد تماثل للصحة ولم يتغير عن تلك
اليمين إلى أن مات رحمه الله تعالى ثم رحل إلى الشام
وأمن حينئذ عز الدين مسعود وطابت نفسه ولم يزل على
ذلك إلى أن توفي في السابع والعشرين من شعبان سنة
تسع وثمانين وخمسمائة بعلة الإسهال وكان قد بنى
بالموصل مدرسة كبيرة وقفها على الفقهاء الشافعية

والحنفية فدفن بهذه المدرسة في تربة هي بداخلها رحمه
الله تعالى ورأيت المدرسة والتربة وهي من أحسن
المدارس والترب ومدرسة ولده نور الدين أرسلان شاه في
قبالتها وبينهما ساحة كبيرة ولما مات خلف ولده نور
الدين المذكور وقد تقدم ذكره في حرف الهمزة ولما مات
نور الدين في التاريخ المذكور في ترجمته خلف ولدين
أحدهما الملك القاهر عز الدين أبو الفتح مسعود والآخر
الملك المنصور عماد الدين زنكي ولما حضرته الوفاة قسم
البلاد بينهما فأعطى الملك القاهر وهو الأكبر الموصل
وأعمالها وأعطى عماد الدين الشوش والعقر وتلك
النواحي
208 249 فأما الملك القاهر فكانت ولادته في سنة
تسعين وخمسمائة بالموصل وتوفي بها فجأة ليلة الاثنين
لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر سنة خمس عشرة
وستمائة وكان قد بنى مدرسة أيضا فدفن بها 250 وأما
عماد الدين فإنه أخذ بعد موت أخيه الملك القاهر قلعة
العمادية ثم أخذت منه وهي من أحسن القلاع بجبل
الهكارية من أعمال الموصل وكذلك عدة قلاع مما
يجاورها وانتقل إلى إربل وكان زوج ابنة مظفر الدين
صاحب إربل فأقام بها زمانا وكنا في جواره وكان من
أحسن الناس صورة ثم قبض عليه مظفر الدين لأمر يطول
شرحه وسيره إلى سنجار إلى الملك الأشرف ابن الملك
العادل الآتي ذكره إن شاء الله تعالى فأفرج عنه الملك

الأشرف وعاد إلى إربل وقايضه مظفر الدين عن العقر بشهرزور وأعمالها فانتقل إليها وأقام بها إلى أن توفي في حدود سنة ثلاثين وستمائة وخلف ولدا أقام بعده قليلا ثم مات رحمهما الله تعالى ولما مات عز الدين مسعود بن أرسلان شاه خلف ولدين نور الدين أرسلان شاه وكان سمي عليا في حياة جده أرسلان شاه فلما مات جده نور الدين سموه باسمه وناصر الدين محمد 251 فتولى بعده نور الدين المذكور وكان تقدير عمره عشر سنين وبقي بعد أبيه قليلا وتوفي في بقية السنة 252 وتولى أخوه بعده ناصر الدين محمود والمدبر لأمر المملكة بدر الدين لؤلؤ الذي ملك الموصل فيما بعد 253 وتوفي بهلوان بن الذكر المذكور في سلخ ذي الحجة سنة إحدى وثمانين وخمسمائة رحمه الله تعالى 254 وتوفي والده شمس الدين الذكر الأتابك في أواخر شهر ربيع الآخر سنة سبعين وخمسمائة بنقجوان ودفن بها رحمه الله تعالى وكان أتابك السلطان أرسلان شاه بن طغرلبك بن محمد بن ملكشاه بن محمد السلجوقي

209 وبعد الذكر بمقدار شهر توفي أرسلان شاه المذكور بهمذان ودفن بها رحمه الله تعالى 255 وقتل قزل بن الذكر المذكور في أوائل شعبان سنة سبع وثمانين وخمسمائة وكان ملكا كبيرا وهو ابن الذكر المذكور رحمهم الله تعالى أجمعين والله تعالى أعلم بالصواب 722 مطرف الصنعاني أبو أيوب مطرف بن مازن الكناني

بالولاء وقيل القيسي بالولاء اليماني الصنعاني ولي
القضاء بصنعاء اليمن وحدث عن عبد الملك بن عبد
العزيز بن جريج وجماعة كثيرة وروى عنه الإمام
الشافعي رضي الله عنه وخلق كثير واختلفوا في روايته
فنقل عن يحيى بن معين أنه سئل عنه فقال كذاب وقال
النسائي مطرف بن مازن ليس بثقة وقال السعدي مطرف
بن مازن الصنعاني يتثبت في حديثه حتى يبلى ما عنده
وقال أبو حاتم محمد بن حبان البستي مطرف بن مازن
الكناني قاضي اليمن يروي عن معمر وابن جريج روى
عنه الشافعي وأهل العراق وكان يحدث بما لم يسمع
ويروي ما لم يكتب عمن لم يره ولا تجوز الرواية عنه إلا
عند الخواص للاعتبار فقط وقال حاجب ابن سليمان كان
مطرف بن مازن قاضي صنعاء وكان رجلا صالحا وذكر
عنه حكاية في إبراره قسم من أقسم على أمر شنيع يفعله
به وذكر أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني أحاديث من
رواية مطرف بن مازن وقال لمطرف غير
210 ما ذكرت أفراد يتفرد بها عمن يرويها عنه ولم
أر فيما يرويه شيئا منكرا وقال أبو بكر أحمد بن الحسين
البيهقي أخبرنا أبو سعيد قال حدثنا أبو العباس قال أخبرنا
الربيع قال الشافعي رضي الله تعالى عنه وقد كان من
حكام الآفاق من يستحلف على المصحف وذلك عندي
حسن وقال وأخبرني مطرف بن مازن بإسناد لا أحفظه أن
ابن الزبير أمر بأن يحلف على المصحف قال الشافعي

رضي الله عنه ورأيت مطرفا بصنعاء اليمن يحلف على المصحف وقال غيره قال الشافعي رضي الله عنه ورأيت ابن مازن وهو قاضي صنعاء يغلظ باليمين بالمصحف وتوفي مطرف المذكور بالرقة وقيل بمنبج وكانت وفاته في أواخر خلافة هارون الرشيد وتوفي هارون الرشيد ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة بطوس وكانت ولايته يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول سنة سبعين ومائة رحمه الله تعالى وهذا مطرف ليس من المشاهير الذين أحتاج إلى ذكرهم والذي حملني على ذكره أن الشيخ أبا إسحاق الشيرازي رحمه الله تعالى ذكره في كتاب المهذب في باب اليمين في الدعاوى في فصل التغليظ فقال وإن حلف بالمصحف وما فيه من القرآن فقد حكى الشافعي رضي الله عنه عن مطرف أن ابن الزبير كان يحلف على المصحف قال ورأيت مطرفا بصنعاء يستحلف على المصحف قال الشافعي رضي الله عنه وهو حسن انتهى كلام صاحب المهذب ورأيت الفقهاء يسألون عن مطرف المذكور ولا يعرفه أحد حتى غلط فيه صاحبنا عماد الدين أبو المجد إسماعيل بن أبي البركات هبة الله بن أبي الرضى بن باطيش الموصلي الفقيه الشافعي في كتابه الذي وضعه على المهذب في أسماء رجاله والكلام على غريبه فقال مطرف بن عبد الله بن الشخير ثم قال وتوفي سنة سبع وثمانين يعني للهجرة فيا لله العجب شخص يموت في هذا

التاريخ كيف يمكن أن يراه الشافعي رضي الله عنه ومولد الشافعي
211 سنة خمسين ومائة بعد موت ابن الشخير بثلاث وستين سنة وما أدري كيف وقع هذا الغلط فلو أنه ما حكى تاريخ وفاته كان يمكن أن يقال ظن أنه أدركه الشافعي ولما انتهيت في هذه الترجمة إلى هذا الموضع رأيت في تاريخ أبي الحسين عبد الباقي بن قانع الذي جعله مرتبا على السنين أن مطرف بن مازن توفي سنة إحدى وتسعين ومائة وهذا يوافق ما قاله الأول من أنه توفي في أواخر خلافة هارون الرشيد والذي أفادني هذه الترجمة على الصورة المحكية في الأول هو الشيخ الحافظ زكي الدين أبو محمد عبد العظيم المنذري نفع الله به ومطرف بضم الميم وفتح الطاء المهملة وتشديد الراء المكسورة وبعدها فاء والباقي معروف فلا حاجة إلى ضبطه وتقييده
256 وأما مطرف الذي ذكره عماد الدين فهو أبو عبد الله مطرف بن عبد الله بن الشخير بن عوف بن كعب بن وقدان بن الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن معد بن عدنان الحرشي كان فقيها وكان لوالده عبد الله صحبة وكان مطرف من أعبد الناس وأنسكهم فذكروا أنه وقع بينه وبين رجل منازعة فرفع يديه وكان ذلك في مسجد البصرة وقال اللهم إني أسألك أن لا يقوم من مجلسه حتى تكفيني

إياه فلم يفرغ مطرف من كلامه حتى صرع الرجل فمات وأخذ مطرف وقدموه إلى القاضي فقال القاضي لم يقتله وإنما دعا عليه فأجاب الله دعوته فكان بعد ذلك تتقى دعوته ومات في سنة سبع وثمانين للهجرة وقيل غير ذلك وقال ابن قانع سنة خمس وتسعين والله تعالى أعلم بالصواب

212 723 الواعظ المروزي أبو منصور المظفر بن أبي الحسين أزدشير بن أبي منصور العبادي الواعظ المروزي الملقب قطب الدين المعروف بالأمير كان من أهل مرو وله اليد الطولى في الوعظ والتذكير وحسن العبارة ومارس هذا الفن من صغره إلى كبره ومهر فيه حتى صار ممن يضرب به المثل في ذلك وصار عين ذلك العصر وشهد له الكل بالفضل وحيازة قصب السبق وقدم بغداد فأقام بها قريبا من ثلاث سنين يعقد له فيها مجالس الوعظ ولقي من الخلق قبولا تاما وحظي عند الإمام المقتفي لأمر الله ثم خرج منها رسولا إلى جهة السلطان سنجر بن ملك شاه السلجوقي المقدم ذكره فوصل إلى خراسان ثم عاد إلى بغداد وخرج منها إلى خوزستان في رسالة فمات بعسكر مكرم في سلخ ربيع الآخر يوم الخميس وقيل الاثنين سنة سبع وأربعين وخمسمائة وحمل تابوته إلى بغداد ودفن بها في الشونيزية في حظيرة الشيخ الجنيد بن محمد العبد الصالح رضي الله عنه ومولده في شهر رمضان سنة إحدى وتسعين وأربعمائة وسمع

الحديث الكثير بنيسابور من أبي علي نصر الله بن أحمد بن عثمان الخشنامي وأبي عبد الله إسماعيل بن الحافظ عبد الغافر الفارسي وغيرهما وروى عنه الحافظ أبو سعد السمعاني وقال عنه كان صحيح السماع ولم يكن موثوقا به في دينه رأيت منه أشياء وطالعت بخطه رسالة جمعها في إباحة شرب الخمر سامحه الله تعالى وعفا عنه وكان والده أبو الحسين يعرف بالأمير أيضا وكان مليح الوعظ حسن السيرة توفي سنة نيف وتسعين وأربعمائة رحمهما الله تعالى والعبادي بفتح العين المهملة وتشديد الباء الموحدة وبعد الألف دال مهملة هذه النسبة إلى سنج عباد وهي قرية من قرى مرو

213 وسنج بكسر السين المهملة وسكون النون وبعدها جيم وبأعمال مرو أيضا قرية كبيرة يقال لها سنج منها الفقيه أبو علي السنجي وقد تقدم ذكره في حرف الحاء وتكلمنا على سنج هناك فلا يظن ظان أنهما موضع واحد بل هما قريتان وقد نبه على ذلك جماعة من أرباب هذا الفن وأما أزدشير فقد تقدم الكلام على ضبطه في ترجمة الوزير سابور فلا حاجة إلى إعادته والله تعالى أعلم

724 موفق الدين العيلاني المصري أبو العز مظفر بن إبراهيم بن جماعة بن علي بن شامي بن أحمد بن ناهض بن عبد الرزاق العيلاني الحنبلي المذهب الملقب موفق الدين الشاعر المشهور المصري كان أديبا عروضيا شاعرا مجيدا صنف في العروض مختصرا جيدا دل على

حذقه فيه وله ديوان شعر رائق وكان ضريرا فمن شعره
(قالوا عشقت وأنت أعمى * ظبيا كحيل الطرف ألمى)
(وحلاه ما عاينتها * فنقول قد شغفتك هما) (وخياله بك
في المنام * فما أطاف ولا ألما) (من أين أرسل للفؤاد *
وأنت لم تنظره سهما) (ومتى رأيت جماله * حتى
كساك هواه سقما)
214 (والعين داعية الهوى * وبه تنم إذا تنمى)
وبأي جارحة وصلت * لوصفه نثرا ونظما) (فأجبت
إني موسوي * العشق إنصاتا وفهما) (أهوى بجارحة
السماع * ولا أرى ذات المسمى) ولقد أذكرتني هذه
الأبيات أبياتا لرجل ضرير أيضا والشيء بالشيء يذكر
وهي هذه (وغادة قالت لأترابها * يا قوم ما أعجب هذا
الضرير) (أيعشق الإنسان ما لا يرى * فقلت والدمع
بعيني غزير) (إن لم تكن عيني رأت شخصها * فإنها
قد مثلت في الضمير) ومثل هذا أيضا قول المهذب عمر
بن محمد المعروف بابن الشحنة الموصلي الأديب الشاعر
المشهور من جملة قصيدة طويلة مدح بها السلطان صلاح
الدين يوسف بن أيوب والبيت المقصود قوله (وإني امرؤ
أحببتكم لمكارم * سمعت بها والأذن كالعين تعشق) وقد
أخذ هذا المعنى من قول بشار بن برد الشاعر المقدم ذكره
(يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة * والأذن تعشق قبل
العين أحيانا) وكان الوزير صفي الدين أبو محمد عبد الله
بن علي عرف بابن شكر قد عاد من الشام إلى مصر

فخرج أصحابه للقائه إلى الخشبي المنزلة المجاورة للعباسة فكتب مظفر المذكور إليه هذه الأبيات يعتذر من تأخره عن الخروج إليه وهي (قالوا إلى الخشبي سرنا على عجل * نلقى الوزير جميعا من ذوي الرتب)
215 (ولم تسر أيها الأعمى فقلت لهم * لم أخش من تعب ألقى ولا نصب) (وإنما النار في قلبي لوحشته * فخفت أجمع بين النار والخشب) وهذا المعنى مطروق لكنه استعمله حسنا وأخبرني أحد أصحابه أن شخصا قال له رأيت في بعض تواليف أبي العلاء المعري ما صورته أصلحك الله وأبقاك لقد كان من الواجب أن تأتينا اليوم إلى منزلنا الخالي لكي نحدث عهدا بك يا زين الأخلاء فما مثلك من غير عهدا أو غفل وسأله من أي الأبحر هذا وهل هو بيت واحد أم أكثر فإن كان أكثر فهل أبياته على روي واحد أم هي مختلفة الروي قال فأفكر فيه ثم أجابه بجواب حسن فلما قال لي المخبر ذلك قلت له اصبر علي حتى أنظر فيه ولا تقل ما قاله ثم أفكرت فيه فوجدته يخرج من بحر الرجز وهو المجزوء منه وتشتمل هذه الكلمات على أربع أبيات على روي اللام وهي على صورة يسوغ استعمالها عند العروضيين ومن لا يكون له معرفة بهذا الفن فإنه ينكرها لأجل قطع الموصول منها ولا بد من الإتيان بها لتظهر صورة ذلك وهي (أصلحك الله وأبقاك * لقد كان من ال) (واجب أن تأتينا اليوم * إلى منزلنا ال) (خالي لكي نحدث عهدا * بك يا زين الأخل) (

لاء فما مثلك من * غير عهدا أو غفل) وهذا إنما يذكره
أهل هذا الشأن للمعاياة لا لأنه من الأشعار المستعملة فلما
استخرجته عرضته على ذلك الشخص فقال هكذا قاله
مظفر الأعمى وقال الشيخ زكي الدين أبو محمد عبد
العظيم بن عبد القوي المنذري المحدث المصري رحمه
الله تعالى أخبرني الأديب موفق الدين مظفر الضرير
الشاعر المصري أنه دخل على القاضي السعيد بن سناء
الملك قلت وسيأتي ذكره إن
216 شاء الله تعالى واسمه هبة الله قال فقال لي يا
أديب قد صنعت نصف بيت ولي أيام أفكر فيه ولا يأتي لي
تمامه فقلت وما هو فأنشدني (بياض عذاري من سواد
عذاره *) قال مظفر فقلت قد حصل تمامه وأنشدت (
كما جل ناري فيه من جلناره *) فاستحسنه وجعل يعمل
عليه فقلت في نفسي أقوم وإلا يعمل المقطوع من كيسي
وبالجملة فقد خرجنا عن المقصود لكن الكلام يسوق بعضه
بعضا وكتب مظفر المذكور لتقي الدين ومدحه جماعة هو
منهم فخلع على الجميع ولم يخلع عليه (العبد مملوك
مولانا وخادمه * مظفر الشاعر الأعمى حليف ضنى) (
يقبل الارض إجلالا لمالكه * رقا وينهي إليه بعد كل هنا)
(أن القميص جميع الناس قد بصروا * به وما منهم
يعقوب غير أنا) وله يوم رمي الشواني (يا أيها الملك
المسرور آمله * هذي شوانيك ترمى يوم سراء) (كأنما
هي عقبان بها ظمأ * طارت من البحر وانقضت على

الماء) وله في يوم لعبها (مولاي هذه الشواني في ملاعبها * مثل الشواهين بين السهل والجبل) (تسقي مجاذيفها ماء وتنفضه * نفض العقاب جناحيها من البلل) وله يصف فانوس الجامع العتيق بمصر (أرى علما للناس في الصوم ينصب * على جامع ابن العاص أعلاه كوكب)

217 (وما هو في الظلماء إلا كأنه * على رمح زنجي سنان مذهب) (ومن عجب أن الثريا سماؤها * مع الليل تلهي كل من يترقب) (فطورا تحييه بباقة نرجس * وطورا يحييها بكاس تلهب) (وما الليل إلا قانص لغزالة * بفانوس نار نحوها يتطلب) (ولم أر صيادا على البعد قبله * إذا قربت منه الغزالة يهرب) وشعره كثير وكانت ولادة مظفر المذكور لخمس بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة بمصر وتوفي بها سحر يوم السبت التاسع من المحرم سنة ثلاث وعشرين وستمائة ودفن من الغد بسفح المقطم رحمه الله تعالى والعيلاني بفتح العين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعد اللام ألف نون هذه النسبة إلى قيس عيلان وقيل قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن عدنان فمن قال إنه قيس عيلان فقد اختلفوا في عيلان ماذا فمنهم من قال هو اسم فرس كان له فأضيف إليه وقيل اسم كلب كان له وقيل اسم رجل كان قد حضنه صغيرا وإنما أضيف إلى عيلان لأنه كان في عصره شخص يقال له قيس كبة بضم

الكاف وتشديد الباء الموحدة وهو اسم فرس كانت له أيضا فكان كل واحد منهما يضاف إلى ما له ليتميز عن الآخر والله أعلم وقد قيل إن قيس عيلان اسمه الناس بالنون وهو أخو إلياس بالياء جد النبي والله أعلم بالصواب

218 725 الهرا النحوي أبو مسلم معاذ بن مسلم الهرا النحوي الكوفي من موالي محمد بن كعب القرظي قرأ عليه الكسائي وروى الحديث عنه وحكيت عنه في القراءات حكايات كثيرة وصنف في النحو كثيرا ولم يظهر له شيء من التصانيف وكان يتشيع وله شعر كشعر النحاة وكان في عصره مشهورا بالعمر الطويل وكان له أولاد وأولاد أولاد فمات الكل وهو باق وحكى بعض كتابه قال صحبت معاذ بن مسلم زمانا فسأله رجل ذات يوم كم سنك فقال ثلاث وستون قال ثم مكث بعد ذلك سنين وسأله كم سنك فقال ثلاث وستون فقلت أنا معك منذ إحدى وعشرين سنة وكلما سألك أحد كم سنك تقول ثلاث وستون فقال لو كنت معي إحدى وعشرين سنة أخرى ما قلت إلا هذا وقال عثمان بن أبي شيبة رأيت معاذ بن مسلم الهرا وقد شد أسنانه بالذهب من الكبر وفيه يقول أبو السري سهل بن أبي غالب الخزرجي الشاعر المشهور (إن معاذ بن مسلم رجل * ليس لميقات عمره أمد) (قد شاب رأس الزمان واكتهل * الدهر وأثواب عمره جدد) (قل لمعاذ إذا مررت به * قد ضج من طول عمرك الأبد) (يا بكر

حواء كم تعيش وكم * تسحب ذيل الحياة يا لبد) (قد
أصبحت دار آدم خربت * وأنت فيها كأنك الوتد)
219 (تسأل غربانها إذا نعبت * كيف يكون
الصداع والرمد) (مصححا كالظليم ترفل في * برديك
مثل السعير تتقد) (صاحبت نوحا ورضت بغلة ذي *
القرنين شيخا لولدك الولد *) (فارحل ودعنا لأن غايتك
الموت * وإن شد ركنك الجلد *) قوله تسحب ذيل الحياة
يا لبد فهذا لبد آخر نسور لقمان بن عاد وكان لقمان قد
سيره قومه وهم عاد الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه
العزيز إلى الحرم يستقي لها فلما هلكت عاد خير لقمان
بين أن يعيش عمر سبع بعرات سمر أو عمر سبعة أنسر
كلما هلك نسر خلف بعده نسر فاختار النسور فكان يأخذ
الفرخ عند خروجه من البيضة فيربيه فيعيش ثمانين سنة
وهكذا حتى هلك منها ستة وبقي السابع فسمي لبدا فلما كبر
وعجز عن الطيران كان يقول له لقمان انهض لبد فلما
هلك لبد مات لقمان وقد ذكرت العرب لبدا في أشعارها
كثيرا فمن ذلك قول النابغة الذبياني (أضحت خلاء
وأضحى أهلها احتملوا * أخنى عليها الذي أخنى على لبد
) رجعنا إلى حديث معاذ لما مات بنوه وحفدته قال (ما
يرتجي في العيش من قد طوى * من عمره الذاهب تسعينا
) (أفنى بنيه وبنيهم فقد * جرعه الدهر الأمرينا) (لا
بد أن يشرب من حوضهم * وإن تراخى عمره حينا)
وكان معاذ المذكور صديقا للكميت بن زيد الشاعر

المشهور قال محمد بن سهل راوية الكميت صار الطرماح الشاعر إلى خالد بن عبد الله القسري أمير
220 العراقين وهو بواسط فامتدحه فأمر له بثلاثين ألف درهم وخلع عليه حلتي وشي لا قيمة لهما فبلغ ذلك الكميت فعزم على قصده فقال له معاذ الهرا لا تفعل فلست كالطرماح فإنه ابن عمه وبينكما بون أنت مضري وخالد يمني متعصب على مضر وأنت شيعي وهو أموي وأنت عراقي وهو شامي فلم يقبل إشارته وأبى إلا قصد خالد فقصده فقالت اليمانية لخالد قد جاء الكميت وقد هجانا بقصيدة نونية فخر فيها علينا فحبسه خالد وقال في حبسه صلاح لأنه يهجو الناس ويتأكلهم فبلغ ذلك معاذا فغمه فقال (نصحتك والنصيحة إن تعدت * هوى المنصوح عز لها القبول) (فخالفت الذي لك فيه رشد * فغالت دون ما أملت غول) (فعاد خلاف ما تهوى خلافا * له عرض من البلوى طويل) فبلغ الكميت قوله فكتب إليه (أراك كمهدي الماء للبحر حاملا * إلى الرمل من يبرين متجرا رملا) ثم كتب تحته قد جرى علي القضاء فما الحيلة الآن فأشار عليه أن يحتال في الهرب وقال له إن خالدا قاتلك لا محالة فاحتال بامرأته وكانت تأتيه بالطعام وترجع فلبس ثيابها وخرج كأنه هي فلحق بمسلمة بن عبد الملك فاستجار به وقال (خرجت خروج القدح قدح ابن مقبل * إليك على تلك الهزاهز والأزل) (علي ثياب الغانيات وتحتها * عزيمة رأى أشبهت سلة النصل)

فكان ذلك سبب نجاته من خالد وسأل شخص معاذا عن مولده فقال ولدت في أيام يزيد بن عبد الملك أو في أيام عبد الملك وكان يزيد بن عبد الملك قد تولى بعد موت عمر بن عبد العزيز في شهر رجب سنة إحدى ومائة وتوفي في شعبان سنة خمس ومائة
221 فهذه المدة هي أيامه وأما أبوه عبد الملك فإنه تولى بعد أبيه مروان في شهر رمضان المعظم سنة خمس وستين للهجرة ومات سنة ست وثمانين فهذه مدته وتوفي معاذ سنة تسعين ومائة وقيل في السنة التي نكبت فيها البرامكة وهي سنة سبع وثمانين ومائة وهو الأصح رحمه الله تعالى وكان يكنى أبا مسلم فولد له ولد سماه عليا فصار يكنى به والهرا بفتح الهاء وتشديد الراء وبعدها ألف مقصورة وإنما قيل له ذلك لأنه كان يبيع الثياب الهروية فنسب إليها 257 وأما أبو السري الشاعر صاحب الأبيات الدالية المذكورة فإنه نشأ بسجستان وادعى رضاع الجن وأنه صار إليهم ووضع كتابا ذكر فيه أمر الجن وحكمتهم وأنسابهم وأشعارهم وزعم أنه بايعهم للأمين بن هارون الرشيد ولي العهد فقربه الرشيد وابنه الأمين وزبيدة أم الأمين وبلغ معهم وأفاد منهم وله أشعار حسان وضعها على الجن والشياطين والسعالي وقال له الرشيد إن كنت رأيت ما ذكرت لقد رأيت عجبا وإن كنت ما رأيته لقد وضعت أدبا وأخباره كلها غريبة عجيبة والله أعلم بالصواب 726 ابن طرارا الجريري القاضي أبو الفرج

المعافى بن زكريا بن يحيى بن حميد بن حماد بن داود المعروف بابن طرارا الجريري النهرواني كان فقيها أديبا شاعرا عالما بكل فن ولي القضاء ببغداد بباب الطاق نيابة عن ابن صبر القاضي وروى عن جماعة من الأئمة منهم أبو القاسم البغوي وأبو بكر بن أبي داود ويحيى بن
222 صاعد وأبو سعيد العدوي وأبو حامد محمد بن هارون الحضرمي وغيرهم وأخذ الأدب عن أبي عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة المعروف بنفطويه وغيره وروى عنه جماعة من الأئمة أيضا منهم أبو القاسم الأزهري والقاضي أبو الطيب الطبري الفقيه الشافعي وأحمد بن علي التوزي وأحمد بن عمر بن روح وذكر أحمد بن عمر بن روح أن أبا الفرج المذكور حضر في دار لبعض الرؤساء وكان هناك جماعة من أهل العلم والأدب فقالوا له في أي نوع من العلوم نتذاكر فقال أبو الفرج لذلك الرئيس خزانتك قد جمعت أنواع العلوم وأصناف الأدب فإن رأيت أن تبعث الغلام إليها تأمره أن يفتح بابها ويضرب بيده إلى أي كتاب رأى منها فيحمله ثم يفتحه وينظر في أي العلوم هو فنتذاكره ونتجارى فيه قال ابن روح وهذا يدل على أن أبا الفرج كان له أنسة بسائر العلوم وكان أبو محمد عبد الباقي يقول إذا حضر القاضي أبو الفرج فقد حضرت العلوم كلها وقال لو أوصى رجل بثلث ماله لأعلم الناس لوجب أن يدفع إلى أبي الفرج المعافى وكان ثقة مأمونا في روايته وله شعر حسن فمن

ذلك ما رواه عنه القاضي أبو الطيب الطبري الفقيه الشافعي وهو (ألا قل لمن كان لي حاسدا * أتدري على من أسأت الأدب) (أسأت على الله في فعله * لأنك لم ترض لي ما وهب) (فجازاك عنه بأن زادني * وسد عليك وجوه الطلب) وذكره الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في كتاب طبقات الفقهاء وأثنى عليه ثم قال وأنشدني قاضي بلدنا أبو علي الداودي قال أنشدني أبو الفرج لنفسه (أأقتبس الضياء من الضباب * وألتمس الشراب من السراب)

223 (أريد من الزمان النذل بذلا * وأريا من جنى سلع وصاب) (أرجي أن ألاقي لاشتياقي * خيار الناس في زمن الكلاب) ومن شعره أيضا (مالك العالمين ضامن رزقي * فلماذا أملك الخلق رقي) (قد قضى لي بما علي وما لي * خالقي جل ذكره قبل خلقي) (صاحبي البذل والندى في يساري * ورفيقي في عسرتي حسن رفق) (وكما لا يرد عجزي رزقي * فكذا لا يجر رزقي حذقي) وذكر أنه عملها في معنى قول علي بن الجهم (لعمرك ما كل التعطل ضائر * ولا كل شغل فيه للمرء منفعه) (إذا كانت الأرزاق في القرب والنوى * عليك سواء فاغتنم راحة الدعه) ومن غريب ما اتفق له ما حكاه أبو عبد الله الحميدي صاحب الجمع بين الصحيحين المقدم ذكره قال قرأت بخط أبي الفرج المعافى بن زكريا النهرواني حججت سنة وكنت بمنى أيام

التشريق فسمعت مناديا ينادي يا أبا الفرج فقلت لعله
يريدني ثم قلت في الناس خلق كثير ممن يكنى أبا الفرج
ولعله ينادي غيري فلم أجبه فلما رأى أنه لا يجيبه أحد
نادى يا أبا الفرج المعافى فهممت أن أجيبه ثم قلت قد يتفق
أن يكون آخر اسمه المعافى ويكنى أبا الفرج فلم أجبه
فرجع فنادى يا أبا الفرج المعافى بن زكريا النهرواني
فقلت لم يبق شك في مناداته إياي إذ ذكر اسمي وكنيتي
واسم أبي وبلدي الذي أنسب إليه فقلت ها أنا ذا فما تريد
قال لعلك من نهروان الشرق فقلت نعم فقال نحن نريد
نهروان الغرب فعجبت من اتفاق الاسم والكنية واسم الأب
وما أنتسب
224 إليه وعلمت أن بالمغرب موضعا يسمى
النهروان غير النهروان الذي بالعراق ولأبي الفرج
المذكور عدة تصانيف ممتعة في الأدب وغيره وكتاب
الجليس الأنيس تصنيفه أيضا وكانت ولادته يوم الخميس
لسبع خلون من شهر رجب سنة ثلاث وقيل خمس وثلثمائة
وتوفي يوم الاثنين الثامن عشر من ذي الحجة سنة تسعين
وثلثمائة بالنهروان رحمه الله تعالى وطرارا بفتح الطاء
المهملة والراء وبعد الألف راء ثانية مفتوحة ثم ألف
مقصورة وبعضهم يكتبه بالهاء بدلا من الألف فيقول
طرارة والله أعلم والجريري بفتح الجيم وكسر الراء
وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء هذه النسبة إلى
الإمام محمد بن جرير الطبري المقدم ذكره وإنما نسب إليه

لأنه كان على مذهبه مقلدا له وقد تقدم في ترجمته أنه كان مجتهدا صاحب مذهب مستقل وكان له أتباع وأخذ بمذهبه جماعة منهم أبو الفرج المذكور وقد سبق الكلام على النهرواني فأغنى عن الإعادة والله تعالى أعلم 727 المعز العبيدي أبو تميم معد الملقب المعز لدين الله بن المنصور بن القائم بن المهدي عبيد الله قد تقدم ذكر والده وجده جد أبيه وطرف من أخبارهم وكان

225 المعز المذكور قد بويع بولاية العهد في حياة أبيه المنصور إسماعيل ثم جددت له البيعة بعد وفاته في التاريخ المذكور في ترجمته ودبر الأمور وساسها وأجراها على أحسن أحكامها إلى يوم الأحد سابع ذي الحجة سنة إحدى وأربعين وثلثمائة فجلس يومئذ على سرير ملكه ودخل عليه الخاصة وكثير من العامة وسلموا عليه بالخلافة وتسمى بالمعز ولم يظهر على أبيه حزنا ثم خرج إلى بلاد إفريقية يطوف فيها ليمهد قواعدها ويقرر أسبابها فانقاد له العصاة من أهل تلك البلاد ودخلوا في طاعته وعقد لغلمانه وأتباعه على الأعمال واستندب لكل ناحية من يعلم كفايته وشهامته وضم إلى كل واحد منهم جمعا كبيرا من الجند وأرباب السلاح ثم جهز أبا الحسن جوهرا القائد المذكور في حرف الجيم ومعه جيش كثيف ليفتح ما استعصى عليه من بلاد المغرب فسار إلى فاس ثم منها إلى سجلماسة ففتحها ثم توجه إلى البحر المحيط وصاد من سمكه وجعله في قلال الماء وأرسله إلى المعز

ثم رجع إلى المعز ومعه صاحب سجلماسة وصاحب فاس أسيرين في قفصي حديد والشرح في ذلك يطول وخلاصة الأمر أنه ما رجع القائد جوهر إلى مولاه المعز إلا وقد وطد له البلاد وحكم على أهل الزيغ والعناد من باب إفريقية إلى البحر المحيط في جهة الغرب وفي جهة الشرق من باب إفريقية إلى أعمال مصر ولم يبق بلد من هذه البلاد إلا أقيمت فيه دعوته وخطب له في جمعته وجماعته إلا مدينة سبتة فإنها بقيت لبني أمية أصحاب الأندلس ولما وصل الخبر إلى المعز المذكور بموت كافور الإخشيدي صاحب مصر حسبما شرحناه في ترجمته من هذا الكتاب تقدم المعز إلى القائد جوهر المذكور

226 ليتجهز للخروج إلى مصر فخرج أولا إلى جهة المغرب لإصلاح أموره وكان معه جيش عظيم وجمع قبائل العرب الذين يتوجه بهم إلى مصر وجبى القطائع التي كانت على البربر فكانت خمسمائة ألف دينار وخرج المعز بنفسه في الشتاء إلى المهدية فأخرج من قصور آبائه خمسمائة حمل دنانير وعاد إلى قصره ولما عاد جوهر بالرجال والأموال وكان قدومه على المعز يوم الأحد لثلاث بقين من المحرم سنة ثمان وخمسين وثلثمائة أمره المعز بالخروج إلى مصر فخرج ومعه أنواع القبائل وقد ذكرت في ترجمة جوهر تاريخ خروجه وتاريخ وصوله إلى مصر فأغنى عن الإعادة مفصلا ها هنا وأنفق

المعز في العسكر المسير صحبته أموالا كثيرة حتى أعطى من ألف دينار إلى عشرين دينارا وغمر الناس بالعطاء وتصرفوا في القيروان وصبرة في شراء جميع حوائجهم ورحلوا ومعه ألف حمل من المال والسلاح ومن الخيل والعدد ما لا يوصف وكان بمصر في تلك السنة غلاء عظيم ووباء حتى مات في مصر وأعمالها في تلك المدة ستمائة ألف إنسان على ما قيل ولما كان منتصف شهر رمضان المعظم سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وصلت البشارة إلى المعز بفتح الديار المصرية ودخول عساكره إليها ثم وصلته النجب بعد ذلك تخبر بصورة الفتح وكانت كتب جوهر ترد إلى المعز باستدعائه إلى مصر وتحثه كل وقت على ذلك ثم سير إليه يخبره بانتظام الحال بمصر والشام والحجاز وإقامة الدعوة له بهذه المواضع فسر المعز بذلك سرورا عظيما ولما تقررت قواعده بالديار المصرية استخلف على إفريقية بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي المذكور في حرف الباء وخرج المعز متوجها بأموال جليلة المقدار ورجال عظيمة الأخطار وكان خروجه من المنصورية دار ملكه يوم
227 ذاك يوم الاثنين لثمان بقين من شوال سنة إحدى وستين وثلثمائة وانتقل إلى سردانية وأقام بها ليجتمع رجاله وأتباعه ومن يستصحبه معه وفي هذه المنزلة عقد العهد لبلكين في التاريخ المذكور في ترجمته ورحل عنها يوم الخميس خامس صفر سنة اثنتين وستين

وثلثمائة ولم يزل في طريقه يقيم بعض الأوقات في بعض البلاد أياما ويجد السير في بعضها وكان اجتيازه على برقة ودخل الإسكندرية يوم السبت لست بقين من شعبان من السنة المذكورة وركب فيها ودخل الحمام وقدم عليه بها قاضي مصر وهو أبو طاهر محمد ابن أحمد وأعيان أهل البلاد وسلموا عليه وجلس لهم عند المنارة وخاطبهم بخطاب طويل يخبرهم فيه أنه لم يرد دخول مصر لزيادة في ملكه ولا لمال وإنما أراد إقامة الحق والحج والجهاد وأن يختم عمره بالأعمال الصالحة ويعمل بما أمر به جده ووعظهم وأطال حتى بكى بعض الحاضرين وخلع على القاضي وبعض الجماعة وحملهم وودعوه وانصرفوا ثم رحل منها في أواخر شعبان ونزل يوم السبت ثاني شهر رمضان المعظم على ميناء ساحل مصر بالجيزة فخرج إليه القائد جوهر وترجل عند لقائه وقبل الأرض بين يديه وبالجيزة أيضا اجتمع به الوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات المذكور في حرف الجيم وأقام المعز هناك ثلاثة أيام وأخذ العسكر في التعدية بأثقالهم إلى ساحل مصر ولما كان يوم الثلاثاء لخمس خلون من شهر رمضان المعظم من السنة عبر المعز النيل ودخل القاهرة ولم يدخل مصر وكانت قد زينت له وظنوا أنه يدخلها وأهل القاهرة لم يستعدوا للقائه لأنهم بنوا الأمر على دخوله مصر أولا ولما دخل القاهرة ودخل القصر ودخل مجلسا منه خر ساجدا لله تعالى ثم صلى ركعتين وانصرف الناس عنه

وهذا المعز هو الذي تنسب إليه القاهرة فيقال القاهرة المعزية لأنه الذي بناها القائد جوهر له
228 وفي يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة أربع وستين عزل المعز القائد جوهرا عن دواوين مصر وجباية أموالها والنظر في سائر أمورها وقد ذكرنا في ترجمة الشريف عبد الله بن طباطبا ما دار بينه وبين المعز من السؤال عن نسبه وما أجابه به وما اعتمده بعد الدخول إلى القصر وكان المعز عاقلا حازما سريا أديبا حسن النظر في النجامة وينسب إليه من الشعر قوله (لله ما صنعت بنا * تلك المحاجر في المعاجر) (أمضى وأقضى في النفوس * من الخناجر في الحناجر) (ولقد تعبت ببينكم * تعب المهاجر في الهواجر) وينسب إليه أيضا (أطلع الحسن من جبينك شمسا * فوق ورد في وجنتيك أطلا) (وكأن الجمال خاف على الورد * جفافا فمد بالشعر ظلا) وهو معنى غريب بديع وقد مضى ذكر ولده تميم وشيء من شعره وسيأتي ذكر ولده العزيز نزار في حرف النون إن شاء الله تعالى وكانت ولادته بالمهدية يوم الاثنين حادي عشر شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلثمائة وتوفي يوم الجمعة الحادي عشر من شهر ربيع الآخر وقيل الثالث عشر وقيل لسبع خلون منه سنة خمس وستين وثلثمائة بالقاهرة رحمه الله تعالى ومعد بفتح الميم والعين المهملة وتشديد الدال المهملة والله تعالى أعلم

229 728 المستنصر العبيدي أبو تميم معد الملقب المستنصر بالله بن الظاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم بن العزيز بن المعز لدين الله المذكور قبله وقد تقدم بقية النسب بويع بالأمر بعد موت والده الظاهر وذلك يوم الأحد النصف من شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة وجرى على أيامه ما لم يجر على أيام أحد من أهل بيته ممن تقدمه ولا تأخره منها قضية أبي الحارث أرسلان البساسيري المقدم ذكره في حرف الهمزة فإنه لما عظم أمره وكبر شأنه ببغداد قطع خطبة الإمام القائم وخطب للمستنصر المذكور وذلك في سنة خمسين وأربعمائة ودعا له على منابرها مدة سنة ومنها أنه ثار في أيامه علي بن محمد الصليحي المقدم ذكره وملك بلاد اليمن كما شرحنا ودعا للمستنصر على منابرها بعد الخطبة وهو مشهور فلا حاجة إلى الإطالة في شرحه ومنها أنه أقام في الأمر ستين سنة وهذا أمر لم يبلغه أحد من أهل بيته ولا من بني العباس ومنها أنه ولي الأمر وهو ابن سبع سنين ومنها أن دعوتهم لم تزل قائمة بالمغرب منذ قام جدهم المهدي المقدم ذكره إلى أيام المعز المذكور قبله ولما توجه المعز إلى مصر واستخلف بلكين بن زيري حسبما شرحناه كانت الخطبة في تلك النواحي جارية على عادتها لهذا البيت إلى أن قطعها المعز بن باديس الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في أيام

230 المستنصر المذكور وذلك في سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة وقال في تاريخ القيروان إن ذلك كان في سنة خمس وثلاثين والله تعالى أعلم بالصواب وفي سنة تسع قطع اسمه واسم آبائه من الحرمين الشريفين وذكر اسم المقتدي خليفة بغداد والشرح في ذلك يطول ومنها أنه حدث في أيامه الغلاء العظيم الذي ما عهد مثله منذ زمان يوسف عليه السلام وأقام سبع سنين وأكل الناس بعضهم بعضا حتى قيل إنه بيع رغيف واحد بخمسين دينارا وكان المستنصر في هذه الشدة يركب وحده وكل من معه من الخواص مترجلون ليس لهم دواب يركبونها وكانوا إذا مشوا تساقطوا في الطرقات من الجوع وكان المستنصر يستعير من ابن هبة صاحب ديوان الإنشاء بغلته ليركبها صاحب مظلته وآخر الأمر توجهت أم المستنصر وبناته إلى بغداد من فرط الجوع وذلك في سنة اثنتين وستين وأربعمائة وتفرق أهل مصر في البلاد وتشتتوا ولم يزل هذا الأمر على شدته حتى تحرك بدر الجمالي والد الأفضل أمير الجيوش من عكا وركب البحر حسبما شرحناه في ترجمة ولده الأفضل شاهنشاه وجاء إلى مصر وتولى تدبير الأمور فانصلحت وشرح ذلك يطول وكانت ولادة المستنصر صبيحة يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة عشرين وأربعمائة وتوفي ليلة الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة رحمه الله تعالى

قلت وهذه الليلة هي ليلة عيد الغدير أعني ليلة الثامن عشر من ذي الحجة وهو غدير خم بضم الخاء وتشديد الميم ورأيت جماعة كثيرة يسألون عن هذه الليلة متى كانت من ذي الحجة وهذا المكان بين مكة والمدينة وفيه غدير ماء ويقال إنه غيضة هناك ولما رجع النبي من
231 مكة شرفها الله تعالى عام حجة الوداع ووصل إلى هذا المكان وآخى علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال علي مني كهارون من موسى اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وللشيعة به تعلق كبير وقال الحازمي هو واد بين مكة والمدينة عند الجحفة به غدير عنده خطب النبي وهذا الوادي موصوف بكثرة الوخامة وشدة الحر وقد تقدم ذكر جماعة من أهل بيته وسيأتي ذكر الباقين كل واحد في موضعه إن شاء الله تعالى والله أعلم بالصواب 729
معروف الكرخي أبو محفوظ معروف بن فيروز وقيل الفيروزان وقيل علي الكرخي الصالح المشهور وهو من موالي علي بن موسى الرضا وقد تقدم ذكره وكان أبواه نصرانيين فأسلماه إلى مؤدبهم وهو صبي فكان المؤدب يقول له قل ثالث ثلاثة فيقول معروف بل هو الواحد فضربه المعلم على ذلك ضربا مبرحا فهرب منه وكان أبواه يقولان ليته يرجع إلينا على أي دين شاء فنوافقه عليه ثم إنه أسلم على يد علي بن موسى الرضا ورجع إلى أبويه

232 فدق الباب فقيل له من بالباب فقال معروف فقيل له على أي دين فقال على الإسلام فأسلم أبواه وكان مشهورا بإجابة الدعوة وأهل بغداد يستسقون بقبره ويقولون قبر معروف ترياق مجرب وكان سري السقطي المقدم ذكره تلميذه وقال له يوما إذا كانت لك حاجة إلى الله تعالى فأقسم عليه بي وقال سري السقطي رأيت معروفا الكرخي في النوم كأنه تحت العرش والباري جلت قدرته يقول لملائكته من هذا وهم يقولون أنت أعلم يا ربنا منا فقال هذا معروف الكرخي سكر من حبي فلا يفيق إلا بلقائي وقال معروف قال لي بعض أصحاب داود الطائي إياك أن تترك العمل فإن ذلك الذي يقربك إلى رضا مولاك فقلت وما ذلك العمل قال دوام الطاعة لمولاك وحرمة المسلمين والنصيحة لهم وقال محمد بن الحسين سمعت أبي يقول رأيت معروفا الكرخي في النوم بعد موته فقلت له ما فعل الله بك فقال غفر لي فقلت بزهدك وورعك فقال لا بل بقبول موعظة ابن السماك ولزومي الفقر ومحبتي للفقراء وكانت موعظة ابن السماك ما رواه معروف قال كنت مارا بالكوفة فوقفت على رجل يقال له ابن السماك وهو يعظ الناس فقال في خلال كلامه من أعرض عن الله بكليته أعرض عنه الله جملة ومن أقبل على الله تعالى بقلبه أقبل الله تعالى برحمته عليه وأقبل بوجوه الخلق إليه ومن كان مرة ومرة فالله تعالى يرحمه وقتا ما فوقع كلامه في قلبي وأقبلت على الله تعالى وتركت جميع ما كنت عليه إلا

خدمة مولاي علي بن موسى الرضا وذكرت هذا الكلام لمولاي فقال يكفيك هذا موعظة إن اتعظت وقد تقدم ذكر ابن السماك في المحمدين وقيل لمعروف في مرض موته أوص فقال إذا مت فتصدقوا بقميصي فإني أريد أن أخرج من الدنيا عريانا كما دخلتها عريانا ومر معروف بسقاء وهو

233 يقول رحم الله من يشرب فتقدم وشرب وكان صائما فقيل له ألم تك صائما قال بلى ولكن رجوت دعاءه وأخبار معروف ومحاسنه أكثر من أن تعد وتوفي سنة مائتين وقيل إحدى ومائتين وقيل أربع ومائتين ببغداد وقبره مشهور بها يزار رحمه الله تعالى والكرخي بفتح الكاف وسكون الراء وبعدها خاء معجمة هذه النسبة إلى الكرخ وهو اسم تسع مواضع ذكرها ياقوت الحموي في كتابه وأشهرها كرخ بغداد والصحيح أن معروفا الكرخي منه وقيل إنه من كرخ جدان بضم الجيم وتشديد الدال المهملة وبعد الألف نون وهي بليدة بالعراق تفصل بين ولاية خانقين وشهرزور والله تعالى أعلم بالصواب 730

المعز بن باديس الصنهاجي المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي صاحب إفريقية وما والاها من بلاد المغرب وقد سبق تمام نسبه عند ذكر ولده الأمير تميم وكان الحاكم صاحب مصر قد لقبه شرف الدولة وسير له تشريفا وسجلا يتضمن اللقب المذكور وذلك في ذي الحجة سنة سبع وأربعمائة وكان

ملكا جليلا عالي الهمة محبا لأهل العلم كثير العطاء وكان واسطة عقد بيته وقد تقدم ذكر أبيه وجده وجد أبيه ومدحه الشعراء وانتجعه الأدباء وكانت حضرته محط بني الآمال وكان مذهب أبي حنيفة رضي الله
234 عنه بإفريقية أظهر المذاهب فحمل المعز المذكور جميع أهل المغرب على التمسك بمذهب الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه وحسم مادة الخلاف في المذاهب واستمر الحال في ذلك إلى الآن وقد تقدم في خبر المستنصر بالله العبيدي أن المعز المذكور قطع خطبته وخلع طاعته فلما فعل ذلك خطب للإمام القائم بأمر الله خليفة بغداد فكتب إليه المستنصر يتهدده ويقول له هلا اقتفيت آثار آبائك في الطاعة والولاء في كلام طويل فأجابه المعز إن آبائي وأجدادي كانوا ملوك المغرب قبل أن تملكه أسلافك ولهم عليهم من الخدم أعظم من التقديم ولو أخروهم لتقدموا بأسيافهم واستمر على قطع الخطبة ولم يخطب بعد ذلك بإفريقية لأحد من المصريين إلى اليوم وأخبار المعز كثيرة وسيرته مشهورة فلا حاجة إلى الإطالة وله شعر قليل لم أقف منه على شيء وكان المعز يوما جالسا في مجلسه وعنده جماعة من الأدباء وبين يديه أترجة ذات أصابع فأمرهم المعز أن يعملوا فيها شيئا فعمل أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الشاعر المقدم ذكره (أترجة سبطة الأطراف ناعمة * تلقى العيون بحسن غير منحوس) (كأنما بسطت كفا لخالقها * تدعو بطول بقاء

لابن باديس) فاستحسن ذلك منه وفضله على من حضر من الجماعة الأدباء وكانت ولادته بالمنصورية ويقال لها صبرة من أعمال إفريقية يوم الخميس لخمس مضين من جمادى الأولى سنة ثمان وتسعين وثلثمائة وملك بعد أبيه باديس في التاريخ المذكور في ترجمته وبويع بالمحمدية من أعمال إفريقية أيضا يوم السبت لثلاث مضين من ذي الحجة سنة ست وأربعمائة وتوفي رابع شعبان سنة أربع وخمسين وأربعمائة بالقيروان من مرض أصابه وهو ضعف الكبد ولم تطل مدة أحد من أهل بيته في الولاية كمدته ورثاه أبو علي الحسن بن
235 رشيق المقدم ذكره بأبيات على روي الكاف أضربت عن ذكرها خوف الإطالة وهذا المعز لا يعرف له اسم سوى المعز مع أني كشفت عنه كشفا تاما من الكتب وأفواه العلماء وأهل المغرب فلم يذكر أحد سوى المعز ولا تعرف كنيته أيضا والظاهر أن هذا اسمه فإن أهل بيته لم يكن فيهم من تلقب حتى يقال هذا لقب فأثبته على قدر ما وجدته والله تعالى أعلم بالصواب 731 أبو عبيدة معمر بن المثنى أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي بالولاء تيم قريش البصري النحوي العلامة قال الجاحظ في حقه لم يكن في الأرض خارجي ولا جماعي أعلم بجميع العلوم منه وقال ابن قتيبة في كتاب المعارف كان الغريب أغلب عليه وأخبار العرب وأيامها وكان مع معرفته ربما لم يقم البيت إذا أنشده حتى يكسره وكان

يخطيء إذا قرأ القرآن الكريم نظرا وكان يبغض العرب وألف في مثالبها كتبا وكان يرى رأي الخوارج وقال غيره إن هارون الرشيد أقدمه من البصرة إلى بغداد سنة ثمان وثمانين ومائة وقرأ عليه بها أشياء من كتبه وأسند الحديث إلى هشام بن عروة وغيره وروى عنه علي بن المغيرة الأثرم وأبو عبيد القاسم بن سلام المقدم
236 ذكره وأبو عثمان المازني وأبو حاتم السجستاني وعمر بن شبة النميري وغيرهم وقد تقدم ذكر هؤلاء جميعهم وقال أبو عبيدة أرسل إلي الفضل بن الربيع إلى البصرة في الخروج إليه فقدمت عليه وكنت أخبر عن تجبره فأذن لي فدخلت عليه وهو في مجلس طويل عريض فيه بساط واحد قد ملأه وفي صدره فرش عالية لا يرتقى عليها إلا بكرسي وهو جالس على الفرش فسلمت عليه بالوزارة فرد وضحك إلي واستدناني حتى جلست معه على فرشه ثم سألني وبسطني وتلطف بي وقال أنشدني فأنشدته من عيون أشعار أحفظها جاهلية فقال لي قد عرفت أكثر هذه وأريد من ملح الشعر فأنشدته فطرب وضحك وزاد نشاطا ثم دخل رجل في زي الكتاب وله هيئة حسنة فأجلسه إلى جانبي وقال له أتعرف هذا قال لا فقال هذا أبو عبيدة علامة أهل البصرة أقدمناه لنستفيد من علمه فدعا له الرجل وقرظه لفعله هذا ثم التفت إلي وقال لي كنت إليك مشتاقا وقد سئلت عن مسألة أفتأذن لي أن أعرفك إياها قلت هات فقال قال الله تعالى (^ طلعها

كأنه رءوس الشياطين) (الصافات 65) وإنما يقع الوعد والإيعاد بما قد عرف مثله وهذا لم يعرف قال فقلت إنما كلم الله العرب على قدر كلامهم أما سمعت قول امريء القيس (أيقتلني والمشرفي مضاجعي * ومسنونة زرق كأنياب أغوال) وهم لم يروا الغول قط ولكنه لما كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به فاستحسن الفضل ذلك واستحسنه السائل وأزمعت منذ ذلك اليوم أن أضع كتابا في القرآن لمثل هذا وأشباهه ولما يحتاج إليه من علمه ولما رجعت إلى البصرة عملت كتابي الذي سميته المجاز وسألت عن الرجل فقيل لي هو من كتاب الوزير وجلسائه وقال أبو عثمان المازني سمعت أبا عبيدة يقول أدخلت على هارون الرشيد

237 فقال لي يا معمر بلغني أن عندك كتابا حسنا في صفة الخيل أحب أن أسمعه منك فقال الأصمعي وما تصنع بالكتب يحضر فرس ونضع أيدينا على عضو عضو منه ونسميه ونذكر ما فيه فقال الرشيد يا غلام فرس فأحضر فرس فقام الأصمعي فجعل يضع يده على عضو عضو منه ويقول هذا كذا قال فيه الشاعر كذا حتى انقضى قوله فقال لي الرشيد ما تقول فيما قال فقلت أصاب في بعض وأخطأ في بعض والذي أصاب فيه مني تعلمه والذي أخطأ فيه ما أدري من أين أتى به وبلغ أبا عبيدة أن الأصمعي يعيب عليه كتاب المجاز فقال يتكلم في كتاب الله تعالى برأيه فسأل عن مجلس الأصمعي في أي يوم هو

فركب حماره في ذلك اليوم ومر بحلقته فتزل عن حماره وسلم عليه وجلس عنده وحادثه ثم قال له أبا سعيد ما تقول في الخبز أي شيء هو فقال هو الذي تخبزه وتأكله فقال أبو عبيدة فقد فسرت كتاب الله تعالى برأيك فإن الله تعالى قال (^ وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا) (يوسف 26) فقال الأصمعي هذا شيء بان لي فقلته ولم أفسره برأيي فقال أبو عبيدة والذي تعيب علينا كله شيء بان لنا فقلناه ولم نفسره برأينا وقام فركب حماره وانصرف وزعم الباهلي صاحب كتاب المعاني أن طلبة العلم كانوا إذا أتوا مجلس الأصمعي اشتروا البعر في سوق الدر وإذا أتوا مجلس أبي عبيدة اشتروا الدر في سوق البعر لأن الأصمعي كان حسن الإنشاد والزخرفة لرديء الأخبار والأشعار حتى يحسن عنده القبح وإن الفائدة عنده مع ذلك قليلة وإن أبا عبيدة كان معه سوء عبارة مع فوائد كثيرة وعلوم جمة ولم يكن أبو عبيدة يفسر الشعر وقال المبرد كان أبو زيد الأنصاري أعلم من الأصمعي وأبي عبيدة بالنحو وكانا بعده يتقاربان وكان أبو عبيدة أكمل القوم وكان علي بن المديني يحسن ذكر أبي عبيدة ويصحح روايته وقال كان لا يحكي عن العرب إلا الشيء

238 الصحيح وحمل أبو عبيدة والأصمعي إلى هارون الرشيد للمجالسة فاختار الأصمعي لأنه كان أصلح للمنادمة وكان أبو نواس يتعلم من أبي عبيدة ويصفه

ويشنأ الأصمعي ويهجره فقيل له ما تقول في الأصمعي فقال بلبل في قفص قيل له فما تقول في خلف الأحمر فقال جمع علوم الناس وفهمها قيل فما تقول في أبي عبيدة فقال ذاك أديم طوي على علم وقال إسحاق بن إبراهيم النديم الموصلي يخاطب الفضل بن الربيع يمدح أبا عبيدة ويذم الأصمعي (عليك أبا عبيدة فاصطنعه * فإن العلم عند أبي عبيدة) (وقدمه وآثره عليه * ودع عنه القريد بن القريده) وكان أبو عبيدة إذا أنشد بيتا لا يقيم وزنه وإذا تحدث أو قرأ لحن اعتمادا منه لذلك ويقول النحو محدود ولم يزل يصنف حتى مات وتصانيفه تقارب مائتي تصنيف فمنها كتاب مجاز القرآن الكريم وكتاب غريب القرآن وكتاب معاني القرآن وكتاب غريب الحديث وكتاب الديباج وكتاب التاج وكتاب الحدود وكتاب خراسان وكتاب خوارج البحرين واليمامة وكتاب الموالي وكتاب البله وكتاب الضيفان وكتاب مرج راهط وكتاب المنافرات وكتاب القبائل وكتاب خبر البراض وكتاب القرائن وكتاب البازي وكتاب الحمام وكتاب الحيات وكتاب العقارب وكتاب النواكح وكتاب

239 النواشز وكتاب حضر الخيل وكتاب الأعيان وكتاب بيان باهلة وكتاب أيادي الأزد وكتاب الخيل وكتاب الإبل وكتاب الإنسان وكتاب الزرع وكتاب الرحل وكتاب الدلو وكتاب البكرة وكتاب السرج وكتاب اللجام وكتاب الفرس وكتاب السيف وكتاب الشوارد وكتاب الاحتلام

وكتاب مقاتل الفرسان وكتاب مقاتل الأشراف وكتاب الشعر والشعراء وكتاب فعل وأفعل وكتاب المثالب وكتاب خلق الإنسان وكتاب الفرق وكتاب الخف وكتاب مكة والحرم وكتاب الجمل وصفين وكتاب بيوتات الغرب وكتاب اللغات وكتاب الغارات وكتاب المعاتبات وكتاب الملاومات وكتاب الأضداد وكتاب مآثر العرب وكتاب مآثر غطفان وكتاب أدعية العرب وكتاب مقتل عثمان رضي الله عنه وكتاب أسماء الخيل وكتاب العققة وكتاب قضاة البصرة وكتاب فتوح الأهواز وكتاب فتوح أرمينية وكتاب لصوص العرب وكتاب أخبار الحجاج وكتاب قصة الكعبة وكتاب الحمس من قريش وكتاب فضائل الفرس وكتاب ما تلحن فيه العامة وكتاب السواد وفتحه وكتاب من شكر من العمال وحمد وكتاب الجمع والتثنية وكتاب المجلة الأولى والثانية وكتاب البيضة وكتاب الأوس والخزرج وكتاب محمد وإبراهيم ابني عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين وكتاب الأيام الصغير خمسة وسبعون يوما وكتاب الأيام الكبير ألف ومائتا يوم وكتاب أيام بني مازن وأخبارهم وغير ذلك من الكتب النافعة ولولا خوف الإطالة لذكرت جميعها

240 ولما جمع كتاب المثالب قال له رجل مطعون النسب بلغني أنك عبت العرب جميعها فقال وما يضرك أنت من ذلك بريء يعني أنه ليس منهم وقال أبو عبيدة لما

قدمت على الفضل بن الربيع قال لي من أشعر الناس فقلت الراعي قال وكيف فضلته على غيره فقلت لأنه ورد على سعيد ابن عبد الرحمن الأموي فوصله في يومه الذي لقيه فيه وصرفه فقال يصف حاله معه (وأنضاء تحن إلى سعيد * طروقا ثم عجلن ابتكارا) (حمدن مناخه وأصبن منه * عطاء لم يكن عدة ضمارا) فقال الفضل ما أحسن ما اقتضيتنا يا أبا عبيدة ثم غدا إلى هارون الرشيد فأخرج لي صلة وأمر لي بشيء من ماله وصرفني وكان أبو عبيدة من موالي بني عبيد الله بن معمر التيمي وقال له بعض الأجلاء تقع في الناس فمن أبوك فقال أخبرني أبي عن أبيه أنه كان يهوديا من أهل باجروان فمضى الرجل وتركه وكان أبو عبيدة جباها لم يكن بالبصرة أحد إلا وهو يداجيه ويتقيه على عرضه وخرج إلى بلاد فارس قاصدا موسى بن عبد الرحمن الهلالي فلما قدم عليه قال لغلمانه احترزوا من أبي عبيدة فإن كلامه كله دق ثم حضر الطعام فصب بعض الغلمان على ذيله مرقة فقال له موسى قد أصاب ثوبك مرق وأنا أعطيك عوضه عشر ثياب فقال أبو عبيدة لا عليك فإن مرقكم لا يؤذي أي ما فيه دهن ففطن لها موسى وسكت وكان الأصمعي إذا أراد دخول المسجد قال انظروا لا يكون فيه ذاك يعني أبا عبيدة خوفا من لسانه فلما مات لم يحضر جنازته أحد لأنه لم يكن يسلم من لسانه شريف ولا غيره وكان وسخا ألثغ مدخول النسب مدخول الدين يميل إلى مذهب الخوارج

241 قال أبو حاتم السجستاني كان أبو عبيدة يكرمني على أنني من خوارج سجستان وقال الثوري دخلت المسجد على أبي عبيدة وهو ينكت الأرض جالسا وحده فقال لي من القائل (أقول لها وقد جشأت وجاشت * مكانك تحمدي أو تستريحي) فقلت له قطري بن الفجاءة فقال فض الله فاك هلا قلت هو لأمير المؤمنين أبي نعامة ثم قال لي اجلس واكتم علي ما سمعت مني قال فما ذكرته حتى مات قلت أنا وهذه الحكاية فيها نظر لأن البيت من جملة أبيات لعمرو ابن الإطنابة الخزرجي الأنصاري والإطنابة أمه واسم أبيه زيد مناة لا يكاد يخالف فيه أحد من أهل الأدب فإنها أبيات مشهورة للشاعر المذكور وذكر المبرد في كتاب الكامل أن معاوية بن أبي سفيان الأموي قال اجعلوا الشعر أكبر همكم وأكثر آدابكم فإن فيه مآثر أسلافكم ومواضع إرشادكم فلقد رأيتني يوم الهرير وقد عزمت على الفرار فما ردني إلا قول ابن الإطنابة الأنصاري (أبت لي عفتي وأبى بلائي * وأخذي الحمد بالثمن الربيح) (وإجشامي على المكروه نفسي * وضربي هامة البطل المشيح) (وقولي كلما جشأت وجاشت * مكانك تحمدي أو تستريحي) (لأدفع عن مآثر صالحات * وأحمي بعد عن عرض صريح) رجعنا إلى حديث أبي عبيدة وكان لا يقبل شهادته أحد من الحكام لأنه كان يتهم بالميل إلى الغلمان قال الأصمعي دخلت أنا وأبو عبيدة يوما المسجد فإذا على الاسطوانة التي

242 يجلس إليها أبو عبيدة مكتوب على نحو من سبعة أذرع (صلى الإله على لوط وشيعته * أبا عبيدة قل بالله آمينا) فقال لي يا أصمعي امح هذا فركبت على ظهره ومحوته بعد أن أثقلته إلى أن قال أثقلتني وقطعت ظهري فقلت له قد بقيت الطاء فقال هي شر حروف هذا البيت وقيل إنه لما ركب ظهره وأثقله قال له عجل فقال قد بقي لوط فقال من هذا نفر وكان الذي كتب البيت أبو نواس الحسن بن هانئ المقدم ذكره وقيل إنه وجدت رقاع في مجلس أبي عبيدة هذا البيت فيها وبعده (فأنت عندي بلا شك بقيتهم * منذ احتلمت وقد جاوزت سبعينا) وقال الزمخشري في كتاب ربيع الأبرار في باب الأسماء والكنى والألقاب سأل رجل أبا عبيدة عن اسم رجل فما عرفه فقال كيسان أنا أعرف الناس به هو خداش أو خراش أو رياش أو شيء آخر فقال أبو عبيدة ما أحسن ما عرفته فقال إي والله وهو قرشي أيضا قال فما يدريك قال أما ترى كيف احتوشته الشينات من كل جانب وأخبار أبي عبيدة كثيرة وكانت ولادته في رجب سنة عشر ومائة في الليلة التي توفي فيها الحسن البصري رضي الله عنه وقد تقدم ذكره وقيل في سنة إحدى عشرة ومائة وقيل أربع عشرة وقيل ثمان وقيل تسع والأول أصح والذي يدل عليه أن الأمير جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه سأله عن مولده فقال قد سبقني إلى الجواب عن مثل هذا عمر بن أبي ربيعة

المخزومي وقد قيل له متى ولدت فقال في الليلة التي مات فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأي خير رفع وأي شر وضع وإني ولدت في الليلة التي مات فيها الحسن البصري وجوابي

243 جواب عمر بن أبي ربيعة وقد تقدم في ترجمة ابن أبي ربيعة هذا الجواب منسوبا إلى الحسن البصري رضي الله عنه فلينظر هناك وتوفي سنة تسع ومائتين بالبصرة وقيل سنة إحدى عشرة وقيل سنة عشر وقيل سنة ثلاث عشرة ومائتين رحمه الله تعالى وكان سبب موته أن محمد بن القاسم بن سهل النوشجاني أطعمه موزا فمات منه ثم أتاه أبو العتاهية فقدم إليه موزا فقال له ما هذا يا أبا جعفر قتلت أبا عبيدة بالموز وتريد أن تقتلني به لقد استحليت قتل العلماء وأبو عبيدة بضم العين المهملة وإثبات الهاء في آخره بخلاف القاسم بن سلام المقدم ذكره فإنه أبو عبيد بغير هاء ومعمر بفتح الميمين بينهما عين مهملة وفي آخره الراء والمثنى بضم الميم وفتح الثاء المثلثة وتشديد النون المفتوحة وفي آخره ياء مثناة من تحتها وباجروان التي والده منها بفتح الباء الموحدة وبعد الألف جيم مفتوحة ثم راء ساكنة وبعدها واو مفتوحة وبعد الألف نون وهو اسم لقرية من بلاد البليخ من أعمال الرقة واسم لمدينة بنواحي أرمينية من أعمال شروان عندها فيما قيل عين الحياة التي وجدها الخضر عليه السلام وغالب ظني أن أبا عبيدة من هذه المدينة وقيل إن باجروان اسم

للقرية التي استطعم أهلها موسى والخضر عليهما السلام والنوشجاني بضم النون وسكون الواو والشين المعجمة وفتح الجيم وبعد الألف نون هذه النسبة إلى نوشجان وهي بلدة من بلاد فارس والله تعالى أعلم بالصواب

244 732 معن بن زائدة أبو الوليد معن بن زائدة بن عبد الله بن زائدة بن مطر بن شريك بن الصلب بضم الصاد المهملة وسكون اللام وآخره الباء الموحدة واسمه عمرو بن قيس بن شراحيل بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان الشيباني وبقية النسب معروف وقال ابن الكلبي في كتاب جمهرة النسب هو معن بن زائدة بن مطر بن شريك بن عمرو بن قيس بن شراحيل بن مرة بن همام بن مرة بن ذهل ابن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان كان جوادا شجاعا جزل العطاء كثير المعرف ممدحا مقصودا حكى الأصمعي قال وفد أعرابي على معن بن زائدة فمدحه وطال مقامه على بابه ولم يحصل له جائزة فعزم على الرحيل فخرج معن راكبا فقام إليه وأمسك بزمام دابته وقال (وما في يديك الخير يا معن كله * وفي الناس معروف وعنك مذاهب) (ستدري بنات العم ما قد أتيته * إذا فتشت عند الإياب الحقائب) فأمر معن بإحضار خمس نوق من كرام إبله وأوقرهم له ميرة وبرا

245 وثيابا وقال انصرف يا ابن أخي في حفظ الله إلى بنات عمك فلئن فتشن الحقائب ليجدن فيها ما يسرهن فقال له صدقت وبيت الله وقد سبق في ترجمة مروان بن أبي حفصة الشاعر طرف من أخباره وكان مروان خصيصا به وأكثر مدائحه فيه وكان معن في أيام بني أمية متنقلا في الولايات ومنقطعا إلى يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري أمير العراقين فلما انتقلت الدولة إلى بني العباس وجرى بين أبي جعفر المنصور وبين يزيد بن عمر المذكور من محاصرته بمدينة واسط ما هو مشهور وسيأتي في ترجمة يزيد المذكور طرف من هذه الواقعة إن شاء الله تعالى أبلى يومئذ معن مع يزيد بلاء حسنا فلما قتل يزيد خاف معن من المنصور فاستتر عنه مدة وجرى له مدة استتاره غرائب فمن ذلك ما حكاه مروان بن أبي حفصة الشاعر المذكور قال أخبرني معن بن زائدة وهو يومئذ متولي بلاد اليمن أن المنصور جد في طلبي وجعل لمن يحملني إليه مالا قال فاضطررت لشدة الطلب إلى أن تعرضت للشمس حتى لوحت وجهي وخففت عارضي ولبست جبة صوف وركبت جملا وخرجت متوجها إلى البادية لأقيم بها قال فلما خرجت من باب حرب وهو أحد أبواب بغداد تبعني أسود متقلد بسيف حتى إذا غبت عن الحرس قبض على خطام الجمل فأناخه وقبض على يدي فقلت له ما بك فقال أنت طلبة أمير المؤمنين فقلت ومن أنا حتى أطلب فقال أنت معن ابن زائدة فقلت له يا هذا اتق الله

عز وجل واين أنا من معن فقال دع هذا فوالله إني لأعرف بك منك فلما رأيت منه الجد قلت له هذا جوهر قد حملته معي بأضعاف ما جعله المنصور لمن يجيئه بي فخذه ولا تكن سببا في سفك دمي قال هاته فأخرجته إليه فنظر فيه ساعة وقال صدقت في قيمته ولست قابله حتى أسألك عن شيء فإن صدقتني أطلقتك

246 فقلت قل قال إن الناس قد وصفوك بالجود فأخبرني هل وهبت مالك كله قط قلت لا قال فنصفه قلت لا قال فثلثه قلت لا حتى بلغ العشر فاستحييت وقلت أظن أني قد فعلت هذا قال ما ذاك بعظيم أنا والله راجل ورزقي من أبي جعفر المنصور كل شهر عشرون درهما وهذا الجوهر قيمته ألوف دنانير وقد وهبته لك ووهبتك لنفسك ولجودك المأثور بين الناس ولتعلم أن في هذه الدنيا من هو أجود منك فلا تعجبك نفسك ولتحقر بعد هذا كل جود فعلته ولا تتوقف عن مكرمة ثم رمى العقد في حجري وترك خطام الجمل وولى منصرفا فقلت يا هذا قد والله فضحتني ولسفك دمي أهون علي مما فعلت فخذ ما دفعته لك فإني غني عنه فضحك وقال أردت أن تكذبني في مقالي هذا والله لا أخذته ولا آخذ لمعروف ثمنا أبدا ومضى لسبيله فوالله لقد طلبته بعد أن أمنت وبذلت لمن يجيء به ما شاء فما عرفت له خبرا وكأن الأرض ابتلعته ولم يزل معن مستترا حتى كان يوم الهاشمية وهو يوم مشهور ثار فيه جماعة من أهل خراسان على المنصور فوثبوا عليه

وجرت مقتلة بينهم وبين أصحاب المنصور بالهاشمية وهي مدينة بناها السفاح بالقرب من الكوفة ذكر غرس النعمة بن الصابي في كتاب الهفوات ما مثاله لما فرغ السفاح من بناء مدينته بالأنبار وذلك في ذي القعدة سنة أربع وثلاثين ومائة وكان معن متواريا بالقرب منهم فخرج متنكرا معتما ملثما وتقدم إلى القوم وقاتل قدام المنصور قتالا أبان فيه عن نجدة وشهامة وفرقهم فلما أفرج عن المنصور

247 قال له من أنت ويحك فكشف لثامه فقال أنا طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة فأمنه المنصور وأكرمه وكساه وزينه وصار من خواصه ثم دخل عليه بعد ذلك في بعض الأيام فلما نظر إليه قال هيه يا معن تعطي مروان بن أبي حفصة مائة ألف درهم على قوله (معن بن زائدة الذي زيدت به * شرفا على شرف بنو شيبان) فقال كلا يا أمير المؤمنين إنما أعطيته على قوله في هذه القصيدة (ما زلت يوم الهاشمية معلنا * بالسيف دون خليفة الرحمن) (فمنعت حوزته وكنت وقاءه * من وقع كل مهند وسنان) فقال أحسنت يا معن وقال له يوما يا معن ما أكثر وقوع الناس في قومك فقال يا أمير المؤمنين (إن العرانين تلقاها محسدة * ولا ترى للئام الناس حسادا) ودخل عليه يوما وقد أسن فقال له كبرت يا معن فقال في طاعتك يا أمير المؤمنين فقال وإنك لجلد فقال على أعدائك يا أمير المؤمنين فقال وفيك بقية فقال هي لك يا

أمير المؤمنين وعرض هذا الكلام على عبد الرحمن بن زيد زاهد أهل البصرة فقال ويح هذا ما ترك لربه شيئا وأشهر قصائد مروان فيه وأحسنها القصيدة اللامية التي ذكرت بعضها في ترجمة مروان وهي طويلة تزيد على خمسين بيتا ولولا خوف الإطالة لذكرتها وله فيه من قصيدة (قد آمن الله من خوف ومن عدم * من كان معن له جارا من الزمن) (معن بن زائدة الموفي بذمته * والمشتري المجد بالغالي من الثمن) (يرى العطايا التي تبقى محامدها * غنما إذا عدها المعطي من الغبن)
248 (بنى لشيبان مجدا لا زوال له * حتى تزول ذرى الأركان من حضن) حضن بفتح الحاء المهملة والضاد المعجمة وبعدها نون اسم جبل عظيم بين نجد وتهامة بينه وبين تهامة مرحلة يقال في المثل أنجد من رأى حضنا وله ذكر كثير في الأشعار والأخبار ودخل على معن بعض الفصحاء يوما فقال له إني لو أردت أن استشفع إليك ببعض من يثقل عليك لوجدت ذلك سهلا ولكني استشفعت إليك بقدرك واستغنيت بفضلك فإن رأيت ان تضعني من كرمك بحيث وضعت نفسي من رجائك فافعل وإني لم أكرم نفسي عن مسألتك فأكرم وجهي عن ردك ولمعن أشعار جيدة وأكثرها في الشجاعة وقد ذكره أبو عبد الله ابن المنجم في كتاب البارع وأورد له عدة مقاطيع فمن ذلك قوله في خطاب ابن أخي عبد الجبار بن عبد الرحمن وقد رآه يتبختر بين السماطين وكان قبل ذلك

لقي الخوارج ففر منهم (هلا مشيت كذا غداة لقيتهم *
وصبرت عند الموت يا خطاب) (نجاك خوار العنان
كأنه * تحت العجاج إذا استحث عقاب) (وتركت
صحبك والرماح تنوشهم * وكذاك من قعدت به الأحساب
) وقال أبو عثمان المازني النحوي حدثني صاحب شرطة
معن قال بينما أنا على رأس معن إذا هو براكب يوضع
فقال معن ما أحسب الرجل يريد غيري ثم قال لحاجبه لا
تحجبه قال فجاء حتى مثل بين يديه وأنشد (أصلحك الله
قل ما بيدي * فما أطيق العيال إذ كثروا) (ألح دهر
رمى بكلكله * فأرسلوني إليك وانتظروا) قال فقال معن
وأخذته الأريحية لا جرم والله لأعجلن أوبتك ثم قال
249 يا غلام ناقتي الفلانية وألف دينار فادفعها إليه
فدفعها إليه وهو لا يعرفه هكذا روى هذا الخطيب في
تاريخه وأخبار معن ومحاسنه كثيرة وكان قد ولي
سجستان في أواخر أمره وانتقل إليها وله فيها آثار
وماجرايات وقصده الشعراء بها فلما كانت سنة إحدى
وخمسين وقيل اثنتين وخمسين وقيل ثمان وخمسين ومائة
كان في داره صناع يعملون له شغلا فاندس بينهم قوم من
الخوارج فقتلوه بسجستان وهو يحتجم ثم تتبعهم ابن أخيه
يزيد بن مزيد بن زائدة الآتي ذكره إن شاء الله تعالى
فقتلهم بأسرهم وكان قتله بمدينة بست ولما قتل معن رثاه
الشعراء بأحسن المراثي فمن ذلك قول مروان بن أبي
حفصة شاعره المذكور وهي قصيدة من أفخر الشعر

وأحسنه وأولها (مضى لسبيله معن وأبقى * مكارم لن
تبيد ولن تنالا) (كأن الشمس يوم أصيب معن * من
الإظلام ملبسة جلالا) (هو الجبل الذي كانت نزار *
تهد من العدو به الجبالا) (وعطلت الثغور لفقد معن *
وقد يروي بها الأسل النهالا) (وأظلمت العراق وأورثتها
* مصيبته المجللة اختلالا) (وظل الشام يرجف جانباه
* لركن العز حين وهى فمالا) (وكادت من تهامة كل
أرض * ومن نجد تزول غداة زالا) (فإن يعل البلاد له
خشوع * فقد كانت تطول به اختيالا) (أصاب الموت
يوم أصاب معنا * من الأحياء أكرمهم فعالا) (وكان
الناس كلهم لمعن * إلى أن زار جفرته عيالا)
250 (ولم يك طالب للعرف ينوي * إلى غير ابن
زائدة ارتحالا) (مضى من كان يحمل كل ثقل * ويسبق
فيض نائله السؤالا) (وما عمد الوفود لمثل معن * ولا
حطوا بساحته الرحالا) (ولا بلغت أكف ذوي العطايا *
يمينا من يديه ولا شمالا) (وما كانت تجف له حياض *
من المعروف مترعة سجالا) (لأبيض لا يعد المال حتى
* يعم به بغاة الخير مالا) (فليت الشامتين به فدوه *
وليت العمر مد له فطالا) (ولم يك كنزه ذهبا ولكن *
سيوف الهند والحلق المذالا) (ومارنة من الخطي سمرا
* ترى فيهن لينا واعتدالا) (وذخرا من محامد باقيات *
وفضل تقى به التفضيل نالا) ومنها (مضى لسبيله من
كنت ترجو * به عثرات دهرك أن تقالا) (فلست بمالك

عبرات عين * أبت بدموعها إلا انهمالا) (وفي الأحشاء
منك غليل حزن * كحر النار تشتعل اشتعالا) (وقائلة
رأت جسمي ولوني * معا عن عهدها قلبا فحالا) (أرى
مروان عاد كذي نحول * من الهندي قد فقد الصقالا) (
رأت رجلا براه الحزن حتى * أضر به وأورثه خبالا) (
فقلت لها الذي أنكرت مني * لفجع مصيبة أنكى وعالا)
(وأيام المنون لها صروف * تقلب بالفتى حالا فحالا)
ومنها
251 (كأن الليل واصل بعد معن * ليالي قد قرن
به فطالا) (فلهف أبي عليك إذا العطايا * جعلن منى
كواذب واعتلالا) (ولهف أبي عليك إذا اليتامى * غدوا
شعثا كأن بهم سلالا) (ولهف أبي عليك إذا القوافي *
لممتدح بها ذهبت ضلالا) (ولهف أبي عليك لكل هيجا
* لها تلقي حواملها السخالا) (أقمنا باليمامة إذ يئسنا *
مقاما لا نريد له زيالا) (وقلنا أين نرحل بعد معن * وقد
ذهب النوال فلا نوالا) (وما شهد الوقائع منك أمضى *
وأكرم مقدما وأشد بالا) (سيذكرك الخليفة غير قال *
إذا هو في الأمور بلا الرجالا) (ولا ينسى وقائعك
اللواتي * على أعدائه جعلت وبالا) (ومعتركا شهدت به
حفاظا * وقد كرهت فوارسه النزالا) (حباك أخو أمية
بالمراثي * مع المدح الذي قد كان قالا) (أقام وكان
نحوك كل عام * يطيل بواسط الرحل اعتقالا) (وألقى
رحله أسفا وآلى * يمينا لا يشد له حبالا) وهذه المرثية

من أحسن المراثي وقال عبد الله بن المعتز في كتاب طبقات الشعراء دخل مروان بن أبي حفصة على جعفر البرمكي فقال له ويحك أنشدني مرثيتك في معن بن زائدة فقال بل أنشدك مديحي فيك فقال جعفر أنشدني مرثيتك في معن فأنشأ يقول (وكان الناس كلهم لمعن * إلى أن زار حفرته عيالا) حتى فرغ من القصيدة وجعل جعفر يرسل دموعه على خديه فلما فرغ قال له جعفر هل أثابك على هذه المرثية أحد من ولده وأهله شيئا قال
252   لا قال جعفر فلو كان معن حيا ثم سمعها منك كم كان يثيبك عليها قال أصلح الله الوزير أربعمائة دينار قال جعفر فانا نظن أنه كان لا يرضى لك بذلك قد أمرنا لك عن معن رحمه الله تعالى بالضعف مما ظننت وزدناك نحن مثل ذلك فاقبض من الخازن ألفا وستمائة دينار قبل أن تنصرف إلى رحلك فقال مروان يذكر جعفرا وما سمح به عن معن (نفحت مكافئا عن قبر معن * لنا مما تجود به سجالا) (فعجلت العطية يا ابن يحيى * لنادبه ولم ترد المطالا) (فكافأ عن صدى معن جواد * بأجود راحة بذل النوالا) (بنى لك خالد وأبوك يحيى * بناء في المكارم لن ينالا) (كأن البرمكي بكل مال * تجود به يداه يفيد مالا) ثم قبض المال وانصرف وحكى أبو الفرج الأصبهاني في كتاب الأغاني عن محمد البيذق النديم أنه دخل على هارون الرشيد فقال له أنشدني مرثية مروان بن أبي حفصة في معن ابن زائدة فأنشده بعض هذه

القصيدة فبكى الرشيد قال وكان بين يديه سكرجة فملأها من دموعه ويقال إن مروان بعد هذه القصيدة المرثية لم ينتفع بشعره فإنه كان إذا مدح خليفة أو من دونه قال له أنت قلت في مرثيتك (وقلنا أين نرحل بعد معن * وقد ذهب النوال فلا نوالا) فلا يعطيه الممدوح شيئا ولا يسمع قصيدته حدث الفضل بن الربيع قال رأيت مروان بن أبي حفصة وقد دخل على المهدي بعد موت معن بن زائدة في جماعة من الشعراء فيهم سلم الخاسر وغيره فأنشده مديحا فقال له من أنت فقال شاعرك مروان بن أبي حفصة
253 فقال له المهدي ألست القائل (وقلنا أين نرحل بعد معن *) وأنشده البيت المذكور وقد جئت تطلب نوالنا وقد ذهب النوال لا شيء لك عندنا جروا برجله قال فجروا برجله حتى أخرجوه فلما كان في العام المقبل تلطف حتى دخل مع الشعراء وإنما كانت الشعراء تدخل على الخلفاء في ذلك الحين في كل عام مرة قال فمثل بين يديه وأنشده قصيدته التي أولها (طرقتك زائرة فحي خيالها * بيضاء تخلط بالحياء دلالها) (قادت فؤادك فاستقاد ومثلها * قاد القلوب إلى الصبا فأمالها) فأنصت له حتى بلغ إلى قوله (هل تطمسون من السماء نجومها * بأكفكم أو تسترون هلالها) وقد تقدم ذكر بعضها في ترجمة مروان قال فأنصت له المهدي ولم يزل يزحف كلما سمع شيئا فشيئا منها حتى صار على البساط إعجابا بما سمع ثم قال له كم بيت هي فقال مائة بيت فأمر له

بمائة ألف درهم وهذا يخالف ما ذكرناه في ترجمته لكنه يختلف باختلاف الروايات ويقال إنها أول مائة ألف أعطيها شاعر في خلافة بني العباس قال الفضل بن الربيع فلم تلبث الايام أن افضت الخلافة إلى هارون الرشيد ولقد رأيت مروان ماثلا مع الشعراء بين يديه وقد أنشده شعرا فقال له من أنت فقال شاعرك مروان بن أبي حفصة فقال له ألست القائل في معن كذا وأنشده البيت ثم قال خذوا بيده فأخرجوه فإنه لا شيء له عندنا ثم تلطف حتى دخل عليه بعد ذلك فأنشده فأحسن جائزته

254 ومن المراثي التادرة أيضا أبيات الحسين بن مطير بن الأشيم الأسدي في معن ابن زائدة أيضا وهي من أبيات الحماسة (ألما على معن وقولا لقبره * سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا) (فيا قبر معن كيف واريت جوده * وقد كان منه البر والبحر مترعا) (ويا قبر معن أنت أول حفرة * من الأرض خطت للمكارم مضجعا) (بلى قد وسعت الجود والجود ميت * ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا) (فتى عيش في معروفه بعد موته * كما كان بعد السيل مجراه مرتعا) (ولما مضى معن مضى الجود وانقضى * وأصبح عرنين المكارم أجدعا) وقد سبق لمعن في ترجمة الصاحب بن عباد نادرة مستظرفة فلا حاجة إلى إعادتها هنا ولولا خوف الإطالة لأتيت من محاسنه بكل نادرة بديعة 258 والحوفزان بن شريك الشيباني الموصوف بالكرم والشجاعة أخو جده مطر بن

شريك وإنما قيل له الحوفزان لأن قيس بن عاصم المنقري حفزه بالرمح حين خاف أن يفوته ومعنى حفزه أي دفعة من خلفه واسم الحوفزان الحارث بن شريك وقيل إن الذي حفزه بسطام بن قيس الشيباني والأول أصح والله تعالى أعلم بالصواب

255 733 مقاتل صاحب التفسير أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء الخراساني المروزي أصله من بلخ وانتقل إلى البصرة ودخل بغداد وحدث بها وكان مشهورا بتفسير كتاب الله العزيز وله التفسير المشهور وأخذ الحديث عن مجاهد بن جبر وعطاء بن أبي رباح المقدم ذكره وأبي إسحاق السبيعي وقد تقدم ذكره أيضا والضحاك بن مزاحم ومحمد ابن مسلم الزهري وغيرهم وروى عنه بقية بن الوليد الحمصي وعبد الرزاق بن همام الصنعاني المقدم ذكره وحرمي بن عمارة وعلي بن الجعد وغيرهم وكان من العلماء الأجلاء حكي عن الإمام الشافعي رضي الله عنه أنه قال الناس كلهم عيال على ثلاثة على مقاتل بن سليمان في التفسير وعلى زهير ابن أبي سلمى في الشعر وعلى أبي حنيفة في الكلام وروي أن أبا جعفر المنصور كان جالسا فسقط عليه الذباب فطيره فعاد إليه وألح عليه وجعل يقع على وجهه وأكثر من السقوط عليه مرارا حتى أضجره فقال المنصور انظروا من بالباب فقيل له مقاتل بن سليمان فقال علي به فأذن له فلما دخل عليه قال له هل تعلم لماذا خلق

الله تعالى الذباب قال نعم ليذل الله عز وجل به الجبابرة فسكت المنصور وقال إبراهيم الحربي قعد مقاتل بن سليمان فقال سلوني عما دون العرش فقال له رجل آدم صلى الله عليه وسلم حين حج من حلق رأسه فقال له ليس هذا من علمكم ولكن الله تعالى أراد أن يبتليني لما أعجبتني نفسي وقال

256 سفيان بن عيينة قال مقاتل بن سليمان يوما سلوني عما دون العرش فقال له إنسان يا أبا الحسن أرأيت الذرة والنملة معاها في مقدمها أو في مؤخرها قال فبقي الشيخ لا يدري ما يقول له قال سفيان فظننت أنها عقوبة عوقب بها وقد اختلف العلماء في أمره فمنهم من وثقه في الرواية ومنهم من نسبه إلى الكذب قال بقية بن الوليد كنت كثيرا أسمع شعبة بن الحجاج وهو يسأل عن مقاتل فما سمعته قط ذكره إلا بخير وسئل عبد الله بن المبارك عنه فقال رحمه الله لقد ذكر لنا عنه عبادة وروي عن عبد الله بن المبارك أيضا أنه ترك حديثه وسئل إبراهيم الحربي عن مقاتل هل سمع من الضحاك ابن مزاحم شيئا فقال لا مات الضحاك قبل أن يولد مقاتل بأربع سنين وقال مقاتل أغلق علي وعلى الضحاك باب أربع سنين قال إبراهيم وأراد بقوله باب يعني باب المدينة وذلك في المقابر وقال إبراهيم أيضا ولم يسمع مقاتل عن مجاهد شيئا ولم يلقه وقال أحمد بن سيار مقاتل بن سليمان كان من أهل بلخ وتحول إلى مرو وخرج إلى العراق وهو متهم متروك

الحديث مهجور القول وكان يتكلم في الصفات بما لا تحل الرواية عنه وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني مقاتل بن سليمان كان دجالا جسورا وقال أبو عبد الرحمن النسائي الكذابون المعروفون بوضع الحديث على رسول الله أربعة ابن أبي يحيى بالمدينة والواقدي ببغداد ومقاتل بن سليمان بخراسان ومحمد بن سعيد ويعرف بالمصلوب بالشام وذكر وكيع يوما مقاتل بن سليمان فقال كان كذابا وقال أبو بكر الآجري سألت أبا داود سليمان بن الأشعث عن مقاتل بن سليمان فقال تركوا حديثه وقال عمرو بن علي الفلاس مقاتل بن سليمان كذاب متروك الحديث وقال البخاري مقاتل بن سليمان سكتوا عنه وقال في موضع آخر لا شيء ألبتة وقال يحيى بن معين مقاتل بن سليمان ليس حديثه بشيء وقال أحمد بن حنبل مقاتل بن سليمان صاحب التفسير ما يعجبني أن أروي عنه

257 شيئا وقال أبو حاتم الرازي هو متروك الحديث وقال زكريا بن يحيى الساجي مقاتل بن سليمان من أهل خراسان قالوا كان كذابا متروك الحديث وقال أبو حاتم محمد بن حبان البستي مقاتل بن سليمان كان يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن العزيز الذي يوافق كتبهم وكان مشبها يشبه الرب بالخلوقين وكان يكذب مع ذلك في الحديث وبالجملة فإن الكلام في حقه كثير وقد خرجنا عن المقصود لكن أردت ذكر اختلاف أقاويل العلماء في شأنه وتوفي سنة خمسين ومائة بالبصرة

رحمه الله تعالى وقد تقدم الكلام على الأزدي والمروزي فأغنى عن الإعادة 734 شبل الدولة أبو الهيجاء مقاتل بن عطية بن مقاتل البكري الحجازي الملقب شبل الدولة كان من أولاد أمراء العرب فوقع بينه وبين إخوته وحشة أوجبت رحيله عنهم ففارقهم ووصل إلى بغداد ثم خرج إلى خراسان وانتهى إلى غزنة وعاد إلى خراسان واختص بالوزير نظام الملك وصاهره ولما قتل نظام الملك رثاه أبو الهيجاء المذكور ببيتين تقدم ذكرهما في ترجمته ثم عاد إلى بغداد وأقام بها مدة وعزم على قصد كرمان مسترفدا وزيرها ناصر الدين مكرم بن العلاء وكان من الأجواد المشاهير فكتب إلى الإمام المستظهر بالله قصة يلتمس فيها الإنعام عليه بكتاب إلى الوزير المذكور مضمونه الإحسان إليه فوقع المستظهر على رأس قصته يا أبا الهيجاء أبعدت النجعة أسرع الله بك الرجعة وفي ابن العلاء مقنع وطريقه في الخير
258 مهيع وما يسديه إليك تستحلي ثمرة شكره وتستعذب مياه بره والسلام فاكتفى أبو الهيجاء بهذه الأسطر واستغنى عن الكتاب وتوجه إلى كرمان فلما وصلها قصد حضرة الوزير واستأذن في الدخول فأذن له فدخل عليه وعرض على رأيه القصة فلما رآها قام وخرج عن دسته إجلالا لها وتعظيما لكاتبها وأطلق لأبي الهيجاء ألف دينار في ساعته ثم عاد إلى دسته فعرفه أبو الهيجاء أن معه قصيدة يمدحه بها فاستنشده إياها فأنشده (دع

العيس تذرع عرض الفلا * إلى ابن العلاء وإلا فلا) فلما سمع الوزير هذا البيت أطلق له ألف دينار أخرى ولما أكمل إنشاده القصيدة أطلق له ألف دينار أخرى وخلع عليه وقاد إليه جوادا بمركبه وقال له دعاء أمير المؤمنين مسموع مرفوع وقد دعا لك بسرعة الرجوع وجهزه بجميع ما يحتاج إليه فرجع إلى بغداد وأقام بها قليلا ثم سافر إلى ما وراء النهر وعاد إلى خراسان ونزل إلى مدينة هراة وهوي بها امرأة وأكثر من التشبيب فيها ثم رحل إلى مرو واستوطنها ومرض في آخر عمره وتسودن وحمل إلى البيمارستان وتوفي به في حدود سنة خمس وخمسمائة رحمه الله تعالى وكان من جملة الأدباء الظرفاء وله النظم البديع الرائق وبينه وبين العلامة أبي القاسم الزمخشري المقدم ذكره مكاتبات ومداعبات وكتب إليه قبل الاجتماع به (هذا أديب كامل * مثل الدراري درره) (زمخشري فاضل * أنجبه زمخشره) (كالبحر إن لم أره * فقد أتاني خبره) فكتب إليه الزمخشري (شعره أمطر شعري شرفا * فاعتلى منه ثياب الحسد)
259 (كيف لا يستأسد النبت إذا * بات مسقيا بنوء الأسد) وله كل مقطوع لطيف رحمه الله تعالى والوزير المذكور هو الذي تقدم ذكره في ترجمة أبي إسحاق إبراهيم الغزي الشاعر المشهور فإنه قصده بكرمان وامتدحه بقصيدة بائية طنانة ذكرت منها في ترجمة الغزي بيتين هما من الشعر العجيب وضمنهما المعنى الغريب

وأول هذه القصيدة (وورود ركايا الدمع يكفي الركائبا *
وشم تراب الربع يشفي الترائبا) (إذا شمت من برق
العقيق عقيقه * فلا تنتجع دون الجفون السحائبا) ومنها
عند الخروج إلى المديح (وعيس لها برهان عيسى بن
مريم * إذا قتل الفج العميق المطالبا) (يرقصهن الآل إما
طوافيا * تراهن في آذيه أو رواسبا) (سوانح كالبنيان
تحسب أنني * مسحت المطايا إذ مسحت السباسبا) (
تنسمن من كرمان عرفا عرفنه * فهن يلاعبن النشاط
لواغبا) (يرين وراء الخافقين من المنى * مشارق لم
يؤبه لها ومغاربا) (إلى ماجد لم يقبل المجد وارثا *
ولكن سعى حتى حوى المجد كاسبا) (تبسم ثغر الدهر
منه بصاحب * إذا جد لم يصحب سوى العزم صاحبا)
ومنها (تصيخ له الأسماع ما دام قائلا * وتعنو له
الأبصار ما دام كاتبا) (ولم أر ليثا خادرا قبل مكرم *
ينافس في العليا ويعطي الرغائبا) (ولو لم يكن ليثا مع
الجود لم يكن * إذا صال بالأقلام صارت مخالبا)
260 ومنها (إذا زان قوما بالمناقب واصف *
ذكرنا له فضلا يزين المناقبا) (له الشيم الشم التي لو
تجسمت * لكانت لوجه الدهر عينا وحاجبا) (ثنى نحو
شمطاء الوزارة طرفه * فصارت بأدنى لحظة منه كاعبا)
(تناول أولاها وما مد ساعدا * وأحرز أخراها وما قام
واثبا) وهي من غرر القصائد وفي هذا الأنموذج منها
دلالة على الباقي 735 المقلد العقيلي أبو حسان المقلد بن

المسيب بن رافع بن المقلد بن جعفر بن عمرو بن المهنا
عبد الرحمن بن بريد بالتصغير ابن عبد الله بن زيد بن
قيس بن جوثة بن طهفة بن حزن بن عقيل بن كعب بن
ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن
هوازن العقيلي الملقب حسام الدولة صاحب الموصل كان
أخوه أبو الدواد محمد بن المسيب أول من تغلب على
الموصل وملكها من أهل هذا البيت وذلك في سنة ثمانين
وثلثمائة وتزوج بهاء الدولة أبو نصر ابن عضد الدولة بن
بويه الديلمي ابنته فلما مات أبو الدواد في سنة سبع
وثمانين قام أخوه المقلد المذكور بالملك من بعده وكان
أعور وذكر شيخنا ابن الأثير في تاريخه أن ذلك في سنة
ست وثمانين وأن أبا الدواد لما توفي طمع
261 المقلد في الملك فلم يساعده بنو عقيل وقدموا
أخاه عليا لكبر سنه ثم توصل بالخديعة حتى ملك وأطال
القول في ذلك فاختصرته وهذا حاصله وقال غير ابن
الأثير إنه كان فيه عقل وسياسة وحسن تدبير فغلب على
سقي الفرات واتسعت مملكته ولقبه الإمام القادر بالله
وكناه وأنفذ إليه باللواء والخلع فلبسها بالأنبار واستخدم
من الديلم والأتراك ثلاثة آلاف رجل وأطاعته خفاجة
وكان فيه فضل ومحبة لأهل الأدب وينظم الشعر حكى
أبو الهيجاء ابن عمران بن شاهين قال كنت أساير معتمد
الدولة أبا المنيع قرواش بن المقلد المذكور ما بين سنجار
ونصيبين فنزلنا ثم استدعاني بعد الزوال وقد نزل بقصر

هناك يعرف بقصر العباس بن عمرو الغنوي وكان مطلا
على بساتين ومياه كثيرة فدخلت عليه فوجدته قائما يتأمل
كتابة على الحائط فقرأتها فإذا هي (يا قصر عباس بن
عمرو * كيف فارقك ابن عمرك) (قد كنت تغتال
الدهور * فكيف غالك ريب دهرك) (واها لعزك بل
لجودك * بل لمجدك بل لفخرك) وتحتها مكتوب وكتب
علي بن عبد الله بن حمدان بخطه في سنة إحدى وثلاثين
وثلثمائة قلت وهذا الكاتب هو سيف الدولة بن حمدان
ممدوح المتنبي وقد تقدم ذكره قال الراوي وكان تحت ذلك
مكتوب (يا قصر ضعضعك الزمان * وحط من علياء
فخرك) (ومحا محاسن أسطر * شرفت بهن متون
جدرك) (واها لكاتبها الكريم * وقدره الموفي بقدرك)
وتحت الأبيات مكتوب وكتب الغضنفر بن الحسن بن علي
بن حمدان بخطه في سنة اثنتين وستين وثلثمائة قلت وهذا
الكاتب هو عدة الدولة بن ناصر الدولة الحسن بن عبد الله
بن حمدان ابن أخي سيف الدولة وقد سبق ذكر
262 والده أيضا في حرف الحاء وتحت ذلك مكتوب
(يا قصر ما فعل الألى * ضربت قبابهم بعقرك) (أخنى
الزمان عليهم * وطواهم بطويل نشرك) (واها لقاصر
عمر من * يختال فيك وطول عمرك) وتحته مكتوب
وكتب المقلد بن المسيب بن رافع بخطه في سنة ثمان
وثمانين وثلثمائة قلت وهذا الكاتب هو المقلد المذكور
صاحب هذه الترجمة وتحت ذلك مكتوب (يا قصر ما

صنع الكرام * الساكنون قديم عصرك) (عاصرتهم
فبذذتهم * وشأوتهم طرا بصبرك) (ولقد أثار تفجعي *
يا ابن المسيب رقم سطرك) (وعلمت أني لاحق * بك
دائب في قفو أثرك) وتحته مكتوب وكتب قرواش بن
المقلد بن المسيب بخطه في سنة إحدى وأربعمائة قال
الراوي فعجبت من ذلك وقلت لقرواش الساعة كتبت هذا
فقال نعم وقد هممت بهدم القصر فإنه مشئوم قد دفن
الجماعة فدعوت له بالسلامة وانصرفت ورحلت بعد ثلاثة
أيام ولم يهدم القصر 259 وهذا العباس بن عمرو الغنوي
من أهل تل بني سيار الذي بين الرقة ورأس عين بالقرب
من حصن مسلمة بن عبد الملك بن مروان الحكمي وكان
يتولى اليمامة والبحرين وسيره المعتضد بالله لحرب
القرامطة في أول أمرهم فقاتلوه وكسروه وأسروه ثم
أطلقوه فرجع إلى المعتضد ودخل بغداد ليلة الأحد لإحدى
عشرة ليلة مضت من شهر رمضان سنة سبع وثمانين
ومائتين وقال أبو عبد الله العظيمي الحلبي في تاريخه
الصغير مات العباس بن عمرو الغنوي في سنة خمسين
وثلثمائة ومن العجائب أنه توجه إليهم في عشرة آلاف
فقتل الجميع وسلم وحده وعمرو بن الليث الصفار حارب
إسماعيل بن أحمد صاحب خراسان
263 وهو في خمسين ألفا فأخذوه ونجا الباقون
وكان بين ما كتبه سيف الدولة وبين ما كتبه قرواش
سبعون سنة وقد سبق نظير هذه الحكاية في ترجمة عبد

الملك بن عمير وما جرى له مع عبد الملك ابن مروان فلينظر هناك وبينما المقلد المذكور في مجلس أنسه وهو بالأنبار إذ وثب عليه غلام تركي فقتله وذلك في صفر سنة إحدى وتسعين وثلثمائة ويقال إنه مدفون على الفرات بمكان يقال له شيفيا بين الأنبار وهيت وحكي أن هذا التركي سمعه وهو يقول لرجل ودعه وهو يريد الحج إذا جئت ضريح رسول الله فقف عنده وقل له عني لولا صاحباك لزرتك ولما مات رثاه الشريف الرضي بقصيدتين ورثاه جماعة من الشعراء 260 وكان ولده معتمد الدولة أبو المنيع قرواش غائبا عنه ثم تقلد الأمر من بعده وكان له عمان ينازعانه في الأمر أحدهما أبو الحسن ابن المسيب والآخر أبو مرح مصعب بن المسيب فتوفي أبو الحسن سنة اثنتين وتسعين وتوفي أبو مرح سنة سبع وتسعين فتفرد قرواش بالملك واستراح خاطره منهما وكانت له بلاد الموصل والكوفة والمدائن وسقي الفرات وخطب في بلاده للحاكم صاحب مصر وسيأتي ذكره في سنة إحدى وأربعمائة ثم رجع عن ذلك ووصلت الغز إلى الموصل ونهبوا دار قرواش وأخذوا منها ما يزيد على مائتي ألف دينار فاستنجد بنور الدولة أبي الأغر دبيس بن صدقة المقدم ذكره فأنجده واجتمعا على محاربة الغز فنصروا عليهم وقتل الكثير منهم ومدحه أبو علي ابن الشبل البغدادي الشاعر المشهور بقصيدة ذكر فيها هذه الواقعة فمنها قوله

264 (نزهت أرضك عن قبور جسومهم * فغدت قبورهم بطون الأنسر) (من بعد ما وطئوا البلاد وظفروا * من هذه الدنيا بكل مظفر) (فضوا رتاج السد عن يأجوجه * ولقوا ببأسك سطوة الإسكندر) وكان قرواش المذكور يلقب مجد الدين وهو ابن أخت الأمير أبي الهيجاء الهذباني صاحب إربل وكان أديبا شاعرا ظريفا وله أشعار سائرة فمن ذلك ما أورده له أبو الحسن الباخرزي في أول كتاب دمية القصر وهو قوله (لله در النائبات فإنها * صدأ اللئام وصيقل الأحرار) (ما كنت إلا زبرة فطبعنني * سيفا وأطلق صرفهن غراري) وأورد له أيضا (من كان يحمد أو يذم مورثا * للمال من آبائه وجدوده) (فأنا امرؤ لله أشكر وحده * شكرا كثيرا جالبا لمزيده) (لي أشقر ملء العنان مغاور * يعطيك ما يرضيك من مجهوده) (ومهند عضب إذا جردته * خلت البروق تموج في تجريده) (ومثقف لدن السنان كإنما * أم المنايا ركبت في عوده) (وبذا حويت المال إلا أنني * سلطت جود يدي على تبديده) ما أحسن هذا الشعر وأمتنه ومن المنسوب إليه أيضا (وآلفة للطيب ليست تغبه * منعمة الأطراف لينة اللمس)

265 (إذا ما دخان الند من جيبها علا * على وجهها أبصرت غيما على شمس) 261 وذكر الباخرزي المذكور في مدينة القصر أيضا لأبي جوثة ابن عم الأمير قرواش المذكور (قوم إذا اقتحموا العجاج رأيتهم *

شمسا وخلت وجوههم أقمارا) (لا يعدلون برفدهم عن
سائل * عدل الزمان عليهم أو جارا) (وإذا الصريخ
دعاهم لملمة * بذلوا النفوس وفارقوا الأعمارا) (وإذا
زناد الحرب أخمد نارها * قدحوا بأطراف الأسنة نارا)
262 ومن جملة شعراء دمية القصر أيضا الطاهر
الجزري وقد مدح قرواشا المذكور بقوله وهو في نهاية
الحسن في باب الاستطراد (وليل كوجه البرقعيدي ظلمة
* وبرد أغانيه وطول قرونه) (سريت ونومي فيه نوم
مشرد * كعقل سليمان بن فهد ودينه) (على أولق فيه
مضاء كأنه * أبو جابر في طيشه وجنونه) (إلى أن بدا
ضوء الصباح كأنه * سنا وجه قرواش وضوء جبينه)
ولشرف الدين ابن عنين الشاعر المقدم ذكره على هذا
الأسلوب في فقيهين كانا بدمشق ينبز أحدهما بالبغل
والآخر بالجاموس (البغل والجاموس في جدليهما * قد
أصبحا عظة لكل مناظر) (برزا عشية ليلة فتباحثا *
هذا بقرنيه وذا بالحافر) (ما أتقنا غير الصياح كأنما *
لقنا جدال المرتضى بن عساكر)
266 (لفظ طويل تحت معنى قاصر * كالعقل في
عبد اللطيف الناظر) (اثنان ما لهما وحقك ثالث * إلا
رقاعة مدلويه الشاعر) ولقد حكى لي بعض الأصحاب
أنه سأل ابن عنين عن أبيات الطاهر الجزري واستحسن
بناءه عليها فحلف أنه ما كان سمعها والله أعلم 263
ومدلويه المذكور لقب كان ينبز به الرشيد أبو محمد عبد

الرحمن بن محمد بن بدر بن الحسن بن المفرج بن بكار الشاعر المعروف بابن النابلسي وكان مقيما بدمشق ولابن عنين فيه عدة مقاطيع هجو وتوفي في منتصف صفر سنة تسع عشرة وستمائة بدمشق المحروسة ودفن بباب الصغير رحمه الله تعالى وذكر في كتاب الدمية أيضا للطاهر الجزري المذكور أبياتا لطيفة أحببت ذكرها وهي (انظر إلى حظ ابن شبل في الهوى * إذ لا يزال لكل قلب شائقا) (شغل النساء عن الرجال وطالما * شغل الرجال عن النساء مراهقا) (عشقوه أمرد والتحى فعشقنه * الله أكبر ليس يعدم عاشقا) ثم وجدت في كتاب الخريدة في ترجمة أبي نصر ابن النحاس الحلبي البيتين الأخيرين من هذه الأبيات الثلاثة وقال أورده أبو الصلت في الحديقة له يعني لابن النحاس والله أعلم رجعنا إلى حديث الأمير قرواش وكان كريما وهابا نهابا جاريا على سنن العرب نقل أنه جمع بين أختين في النكاح فلامته العرب على ذلك فقال خبروني ما الذي نستعمله مما

267 تبيحه الشريعة وكان يقول ما في رقبتي غير خمسة أو ستة من أهل البادية قتلتهم فأما الحاضرة فما يعبأ الله بهم ودامت إمارة قرواش مدة خمسين سنة فوقع بينه وبين أخيه بركة بن المقلد وكان خارج البلد فقبض بركة عليه في سنة إحدى وأربعين وأربعمائة وقيده وحبسه في الجراحية إحدى قلاع الموصل وتولى مكانه 264 ولقب بركة بزعيم الدولة وأقام في الإمارة سنتين وتوفي في ذي

الحجة سنة ثلاث وأربعين 265 فقام مقامه ابن أخيه أبو المعالي قريش بن أبي الفضل بدران بن المقلد وكان بدران المذكور صاحب نصيبين وتوفي في رجب سنة خمس وعشرين وأربعمائة فأول ما فعل قريش أنه قتل عمه قرواشا المذكور في محبسه في مستهل رجب سنة أربع وأربعين وأربعمائة ودفن بتل توبة شرقي الموصل وكان فصيحا شاعرا كريما شجاعا وقرواش بكسر القاف وسكون الراء وفتح الواو وبعد الألف شين معجمة وهو فعوال من القرش وهو في اللغة الكسب والجمع وبه سميت قريش أيضا لأنها كانت تعاني التجارة واجتمع قريش مع أرسلان البساسيري المقدم ذكره على نهب دار الخلافة ثم إن الإمام القائم بأمر الله جرى على سجيته في الحلم وكتب إلى السلطان طغرلبك المقدم ذكره في المحمدين ليرضى عنه وورد الخبر بعد ذلك بموته أعني قريش بن بدران في سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة في أوائلها بالطاعون بمدينة نصيبين وكان عمره إحدى وخمسين سنة 266 وولي بعده إمارة بني عقيل ولده أبو المكارم مسلم بن قريش الملقب شرف الدولة وكان قد طمع في الاستيلاء على بغداد بعد وفاة السلطان طغرلبك السلجوقي المقدم ذكره ثم رجع عن ذلك واستولى على ديار ربيعة ومضر وملك حلب وأخذ الأتاوة من بلاد الروم وقصد دمشق وحاصرها وكاد يأخذها

268 فبلغه أن حران عصى عليه أهلها فرحل إليهم وحاربوه ففتحها وقتل خلقا كثيرا من أهلها وذلك في سنة ست وسبعين وأربعمائة واتسعت له المملكة ولم يكن من أهل بيته من ملك مثله وكانت سيرته من أحسن السير وأعدلها وكانت الطرقات آمنة في بلاده ومن جملة ما نقل عنه أن ابن حيوس الشاعر المقدم ذكره مات عنده وخلف أكثر من عشرة آلاف دينار فحمل ذلك على خزانته فرده وقال لا يتحدث عني أحد أنني أعطيت شاعرا مالا ثم شرهت فيه وأخذته وأنه دخل خزانتي مال جمع من أوساخ الناس وكان يصرف الجزية في جميع بلاده إلى الطالبيين ولا يأخذ منها شيئا وهو الذي عمر سور الموصل وكان ابتداء عمارته يوم الأحد ثالث شوال سنة أربع وسبعين وفرغ من عمارته في ستة أشهر وأخباره كثيرة وجرى بينه وبين سليمان بن قتلمش السلجوقي صاحب الروم مصاف قتل فيه على باب أنطاكية في خامس عشر صفر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة يوم الجمعة وعمره خمس وأربعون سنة وشهور هكذا قاله محمد بن عبد الملك الهمداني في كتابه الذي سماه المعارف المتأخرة وذكر أيضا ابن الصابي في تاريخه أن مولد مسلم بن قريش يوم الجمعة الثالث والعشرين من رجب سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة والله أعلم وذكر المأموني في تاريخه أنه وثب عليه خادم من خواصه فخنقه في الحمام وذكر له واقعة في ذلك وذلك في سنة أربع وسبعين والله أعلم بالصواب

267 ورتب السلطان ملكشاه السلجوقي المقدم ذكره ولده أبا عبد الله محمدا في الرحبة وحران وسروج وبلد الخابور وزوجه أخته زليخا بنت السلطان ألب أرسلان وكان والده مسلم بن قريش اعتقل أخاه أبا سالم إبراهيم ابن قريش بقلعة سنجار مدة أربع عشرة سنة فلما هلك مسلم وتقرر أمر ولده محمد في الإمارة اجتمع أهله على إبراهيم المذكور فأخرجوه وقدموه عليهم ثم اعتقله ملكشاه وولى ابن أخيه محمدا المذكور فلما مات ملكشاه أطلق
269 وجمع إبراهيم العرب وحارب تاج الدولة تتش السلجوقي المذكور في حرف التاء بمكان يعرف بالمصنع وقتله تاج الدولة تتش صبرا في سنة ست وثمانين وأربعمائة 268 ومن أمراء بني عقيل أيضا أبو الحارث مهارش بن المجلي بن عليب ابن قيان بن شعيب بن المقلد الأكبر بن جعفر بن عمرو بن المهنا المذكور في أول هذه الترجمة ومهارش المذكور هو صاحب الحديثة وهو الذي نزل عليه الإمام القائم في قصة البساسيري لما خرج من بغداد وبالغ في إكرامه وإجلاله والإحسان إليه وأقام عنده سنة وهي واقعة مشهورة فلا حاجة إلى شرحها وكان مهارش المذكور كثير الصدقة والصلوات ملازم الجمع والجماعات وتوفي في صفر سنة تسع وتسعين وأربعمائة وعمره ثمانون سنة رحمهم الله أجمعين 736 مخلص الدولة ابن منقذ أبو المتوج مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الملقب مخلص الدولة والد الأمير سديد الدولة أبي الحسن

علي صاحب قلعة شيزر المقدم ذكره كان رجلا نبيل القدر سائز الذكر رزق السعادة في بنيه وحفدته وقد تقدم في ترجمة ولده المذكور طرف من بدء أمرهم وكيف ملك القلعة المذكورة وكان والده مقلد المذكور في جماعة كثيرة من أهل بيته مقيمين بالقرب من
270 قلعة شيزر عند جسر بني منقذ المنسوب إليهم وكانوا يترددون إلى حلب وحماة وتلك النواحي ولهم بها الآدر النفيسة والأملاك المثمنة وذلك كله قبل أن ملكوا قلعة شيرز وكان ملوك الشام يكرمونهم ويبجلون أقدارهم وشعراء عصرهم يقصدونهم ويمدحونهم وكان فيهم جماعة أعيان روساء كرماء علماء وقد سبق ذكر أسامة بن منقذ وهو من أحفاده ولم يزل مخلص الدولة في رياسته وجلالته إلى أن توفي في ذي الحجة سنة خمسين وأربعمائة بحلب وحمل إلى كفر طاب ورأيت في ديوان ابن سنان الخفاجي الشاعر عقيب أشعار له في المذكور يقول ما صورته وقال يرثيه وقد توفي في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وأربعمائة والله أعلم بالصواب رحمه الله تعالى ورثاه القاضي أبو يعلى حمزة بن عبد الرزاق بن أبي حصين بهذه القصيدة وهي من فائق الشعر وأنشدها لولده أبي الحسن علي المذكور وسأذكرها كلها إن شاء الله تعالى وإن كانت طويلة لكنها غريبة قليلة الوجود بأيدي الناس وما رأيت أحدا قط يحفظ منها إلا أبياتا يسيرة فأحببت ذكرها لذلك وهي هذه (ألا كل حي مقصدات

مقاتله * وآجل ما يخشى من الدهر عاجله) (وهل يفرح الناجي السليم وهذه * خيول الردى قدامه وحبائله) (لعمر الفتى إن السلامة سلم * إلى الحين والمغرور بالعيش آمله) (فتسلب أثواب الحياة معارها * ويقضي غريم الدين ما هو ماطله) (مضى قيصر لم تغن عنه قصوره * وجدل كسرى ما حمته مجادله)
271 (وما صد هلكا عن سليمان ملكه * ولا منعت منه أباه سرابله) (ولم يبق إلا من يروح ويغتدي * على سفر ينأى عن الأهل قافله) (وما نفس الإنسان إلا خزامة * بأيدي المنايا والليالي مراحله) (فهل غال بدء مخلص الدولة الردى * وهل تنزوي عمن سواه غوائله) (ولكنه حوض الحمام ففارط * إليه وتال مسرعات رواحله) (لقد دفن الأقوام أروع لم تكن * بمدفونة طول الزمان فضائله) (سقى جدثا هالت عليه ترابه * أكفهم طل الغمام ووابله) (ففيه سحاب يرفع المحل هدبه * وبحر ندى يستغرق البر ساحله) (كأن ابن نصر سائرا في سريره * حبي من الوسمي أقشع هاطله) (يمر على الوادي فتثني رماله * عليه وبالنادي فتبكي أرامله) (سرى نعشه فوق الرقاب وطالما * سرى جوده فوق الركاب ونائله) (أناعيه إن النفوس منوطة * بقولك فانظر ما الذي أنت قائله) (بفيك الثرى لم تدر من حل بالثرى * جهلت وقد يستصغر الأمر جاهله) (هو السيد المهتز للتم بدره * وللجود عطفاه وللطعن عامله) (

أفاض عيون الناس حتى كأنما * عيونهم مما تفيض أنامله
) (فيا عين سحي لا تشحي بسائل * على ماجد لم يعرف
الشح سائله) (متى يسألوه المال تند بنانه * وإن يسألوه
الضيم تبد عوامله) (وكم عاد عنه بالخسار مقنع * وكم
نال منه قانع ما يحاوله) (له الغلب القاضي على كل
باسل * يجالده أو كل خصم يجادله) (محاسنه في
روضة طلها الندى * ولكنه في المجد مات مساجله) (
فيا عمره أنى قصرت ولم تطل * منازله بل كفه بل
حمائله) (جرت تحته العلياء ملء فروجها * إلى غاية
طالت على من يطاوله)
272 (فما مات حتى نال أقصى مراده * كما
يستسر البدر تمت منازله) (فتى طالما يعتاده الجيش
عافيا * فينزله أو عاديا فينازله) (صفوح عن الجاني
وصفحة سيفه * إذا هي لم تقتله فالصفح قاتله) (وأدمى
عسيب الطرف بعدك هلبه * وعادته أن يقذف الدم كاهله)
(فيا طرفه ما كان عجزك حاملا * أدى صارم لو أن
ظهرك حامله) (لقد كثر الملبوس بعد مروع * جرت
ببيان المشكلات شواكله) (إذا ظن لا يخطي كأن ظنونه
* على ما يضل الناس عنه دلائله) (فلا رحلت عنه
نوازل رحمة * ضحاه بها موصولة وأصائله) (وروى
ثراه منهل العفو في غد * فقد روت العافين أمس مناهله)
(قضى الله أن يرزا الأمير وهذه * صوافنه موقورة
ومناصله) (وكل فتى كالبرق إبريق غمده * إذا شامه أو

كالذبالة ذابله) (فليت ظباه صلت اليوم خلفه * وظلت
على غير الصيام صواهله) (بني منقذ صبرا فإن
مصابكم * يصاب به حافي الأنام وناعله) (لقد جل حتى
كل واجد لوعة * إذا لج فيها ليس يوجد عاذله) (إذا
صوحت أيدي الرجال فأنتم * بني منقذ روض الندى
وخمائله) (وإن فر من وزر الزمان مفرح * فإنكم
أوزاره ومعاقله) (وصاحب علي الصبر عنه فما غوى
* مصاحب صبر عن حبيب يزايله) (وما نام حتى قام
منك وراءه * أخو يقظات وافر العزم كامله) (كأنكما
نوءان في فلك العلا * فطالعه هذا وذلك آفله)
273 (وما كفلوك الأمر إلا لعلمهم * قيامك بالأمر
الذي أنت كافله) (سعيت إلى نيل المكارم سعيه * ولو
كنت لا تسعى كفتك فواضله) (ولم تر أن ترقى بما كان
فاعلا * أجل إنما المرفوع بالفعل فاعله) (لعمرك إني
في الذي عن كله * شريك عنان ناصح الود ناخله) (
وكيف خلو القلب من ذلك الهوى * وقد خلدت بين الشغاف
دواخله) نجزت القصيدة بتمامها وكمالها وقد تقدم في
ترجمة الصالح طلائع بن رزيك وزير مصر مرثية رثاه
بها الفقيه عمارة اليمني وهي على وزن هذه المرثية
ورويها ولم أذكر منها هناك سوى أبيات قلائل لكثرة
وجود ديوان عمارة بأيدي الناس وهذه لا تكاد توجد
بكمالها فلهذا أتممتها هاهنا وقد تقدم منها ذكر بيتين في
ترجمة الوزير جمال الدين أبي جعفر محمد المعروف

بالجواد الأصبهاني وزير الموصل 269 وتوفي أخوه أبو الغيث منقذ بن نصر بن منقذ سنة تسع وثلاثين وأربعمائة ورثاه الشيخ الأديب أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن يحيى بن الحسين بن محمد بن الربيع بن سنان بن الربيع الخفاجي الحلبي الشاعر المشهور صاحب الديوان الشعر بقوله وهو من شعره القديم زمن الصبا (غربت خلائقك الحسان غريبة * ورمى الزمان دنوها ببعاد) (ذهبت كما ذهب الربيع وخلفت * فيض الدموع حرارة الأكباد) والخفاجي المذكور رثى مخلص الدولة المذكور أيضا بقصيدة طويلة رائية ومدحه بأخرى حائية أجاد فيهما وتركتهما لطولهما والله تعالى أعلم بالصواب

274 737 مكي بن أبي طالب أبو محمد مكي بن أبي طالب بن حموش بن محمد بن مختار القيسي المقريء أصله من القيروان وانتقل إلى الأندلس وسكن قرطبة وهو من أهل التبحر في علوم القرآن والعربية كان حسن الفهم والخلق جيد الدين والعقل كثير التواليف في علم القرآن محسنا لذلك مجودا للقراءات السبع عالما بمعانيها ولد بالقيروان عند طلوع الشمس أو قبل طلوعها بقليل لسبع بقين من شعبان سنة خمس وخمسين وثلثمائة وقال أبو عمرو المقريء الداني إنه ولد سنة أربع وخمسين ونشأ بالقيروان وترعرع وسافر إلى مصر وهو ابن ثلاث عشرة سنة واختلف بها إلى المؤدبين والعارفين بعلوم الحساب ثم رجع إلى القيروان وكان إكماله لاستظهار

القرآن بعد كماله وفراغه من الحساب وغيره من الآداب وذلك في سنة أربع وسبعين وثلثمائة ثم عاد إلى مصر ثانية بعد استكماله القراءات بالقيروان وذلك في سنة سبع وسبعين فحج في تلك السنة حجة الإسلام ثم ابتدأ بالقراءات على أبي الطيب عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون الحلبي المقريء نزيل مصر بمصر في أول سنة ثمان وسبعين فقرأ عليه بقية السنة وبعض سنة تسع ورجع إلى القيروان وقد بقي عليه بعض القراءات ثم عاد إلى مصر مرة ثالثة في سنة اثنتين وثمانين فاستكمل ما بقي له ثم عاد إلى القيروان في سنة ثلاث وثمانين وأقام بها يقريء إلى سنة سبع وثمانين ثم خرج إلى مكة وأقام بها إلى آخر سنة تسعين وحج أربع حجج متوالية ثم رجع من مكة في سنة إحدى وتسعين فوصل إلى مصر ثم رحل منها إلى القيروان في سنة اثنتين وتسعين ثم ارتحل إلى الأندلس وقدمها في رجب سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وجلس للاقراء بجامع قرطبة

275 فانتفع به خلق كثير وجودوا عليه القرآن وعظم اسمه في البلدة وجل فيها قدره ونزل عند دخوله قرطبة في مسجد النخيلة الذي بالزقاقين عند باب العطارين فأقرأ به ثم نقله المظفر عبد الملك بن أبي عامر إلى جامع الزاهرة وأقرأ فيه حتى انصرمت دولة آل عامر فنقله محمد بن هشام المهدي إلى المسجد الخارج بقرطبة وأقرأ فيه مدة الفتنة كلها إلى أن قلده أبو الحسن ابن جهور

الصلاة والخطبة بالمسجد الجامع بعد وفاة يونس بن عبد الله وكان ضعيفا عليها على أدبه وفهمه وأقام في الخطابة إلى أن مات رحمه الله تعالى وكان خيرا فاضلا متواضعا متدينا مشهورا بإجابة الدعاء وله في ذلك أخبار فمن ذلك ما حكاه أبو عبد الله الطرفي المقريء قال كان عندنا بقرطبة رجل فيه بعض الحدة وكان له على الشيخ أبي محمد المذكور تسلط وكان يدنو منه إذا خطب فيغمزه ويحصي عليه سقطاته وكان الشيخ كثيرا ما يتلعثم ويتوقف فحضر ذلك الرجل في بعض الجمع وجعل يحد النظر إلى الشيخ ويغمزه فلما خرج معنا ونزل في الموضع الذي كان يقرأ فيه قال لنا أمنوا على دعائي ثم رفع يديه وقال اللهم اكفنيه اللهم اكفنيه فأمنا قال فأقعد ذلك الرجل وما دخل الجامع بعد ذلك اليوم وله تصانيف كثيرة نافعة فمنها الهداية إلى بلوغ النهاية في معاني القرآن الكريم وتفسيره وأنواع علومه وهو سبعون جزءا ومنتخب الحجة لأبي علي الفارسي ثلاثون جزءا وكتاب التبصرة في القراءات في خمسة أجزاء وهو من أشهر تواليفه والموجز في القراءات جزءان وكتاب

276 المأثور عن مالك في أحكام القرآن وتفسيره عشرة أجزاء وكتاب الرعاية لتجويد القراءة أربعة أجزاء وكتاب اختصار أحكام القرآن أربعة أجزاء وكتاب الكشوف عن وجوه القراءات وعللها عشرون جزءا وكتاب الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ثلاثة أجزاء

وكتاب الإيجاز في ناسخ القرآن ومنسوخه جزء وكتاب الزاهي في اللمع الدالة على مستعملات الإعراب أربعة أجزاء وكتاب التنبيه على أصول قراءة نافع وذكر الاختلاف عنه جزءان وكتاب الانتصاف فيما رده على أبي بكر الأدفوي وزعم أنه غلط فيه في كتاب الإبانة ثلاثة أجزاء وكتاب الرسالة إلى أصحاب الأنطاكي في تصحيح المد لورش ثلاثة أجزاء وكتاب الإبانة عن معاني القراءة جزء وكتاب الوقف على كلا وبلى في القرآن جزءان وكتاب الاختلاف في عدد الأعشار جزء وكتاب الإدغام الكبير في المخارج جزء وكتاب بيان الصغائر والكبائر جزء وكتاب الاختلاف في الذبيح من هو جزء وكتاب دخول حروف الجر بعضها مكان بعض جزء وكتاب تنزيه الملائكة عن الذنوب وفضلهم على بني آدم جزء وكتاب الياءات المشددة في القرآن والكلام جزء وكتاب اختلاف العلماء في النفس والروح جزء وكتاب إيجاب الجزاء على قاتل الصيد في الحرم خطأ على مذهب الإمام مالك والحجة في ذلك جزء وكتاب مشكل غريب القرآن ثلاثة أجزاء وكتاب بيان العمل في الحج أول الإحرام إلى زيارة قبر رسول الله جزء وكتاب فرض الحج على من استطاع إليه سبيلا جزء وكتاب التذكرة لاختلاف القراء جزء وكتاب تسمية الأحزاب جزء وكتاب منتخب كتاب الإخوان لابن وكيع جزءان وكتاب الحروف المدغمة جزءان وكتاب شرح التمام والوقف أربعة أجزاء وكتاب

مشكل المعاني والتفسير خمسة عشر جزءا وكتاب هجاء المصاحف جزءان وكتاب الرياض مجموع خمسة أجزاء وكتاب المنتقى في الأخبار أربعة أجزاء وله في القراءات واختلاف القراء وعلوم
277 القرآن تصانيف كثيرة ولولا خوف التطويل لاستوعبت ذكرها وتوفي يوم السبت عند صلاة الفجر ودفن يوم الأحد ضحوة لليلتين خلتا من المحرم سنة سبع وثلاثين وأربعمائة بقرطبة ودفن بالربض وصلى عليه ولده أبو طالب محمد رحمه الله تعالى وحموش بفتح الحاء المهملة وتشديد الميم المضمومة وسكون الواو وبعدها شين معجمة وقد تقدم الكلام على القيسي والقيروان وقرطبة فأغنى عن الإعادة 270 وأبو الطيب عبد المنعم بن غلبون المقريء المصري المذكور في هذه الترجمة ذكره الثعالبي في كتاب اليتيمة فقال كان على دينه وفضله وعلمه بالقرآن ومعانيه وإعرابه متفننا في سائر علوم الأدب أنشدت له قصيدة منها قوله (عليك باقلال الزيارة إنها * إذا كثرت كانت إلى الهجر مسلكا) (ألم تر أن الغيث يسأم دائما * ويطلب بالأيدي إذا هو أمسكا) وقال غير الثعالبي ولد أبو الطيب المذكور في رجب سنة تسع وثلثمائة وتوفي بمصر يوم الجمعة لسبع خلون من جمادى الأولى سنة تسع وثلثمائة رحمه الله تعالى
278 738 مكي الماكسيني النحوي أبو الحرم مكي بن ريان بن شبة بن صالح الماكسيني المولد الموصلي

الدار المقريء النحوي الضرير الملقب صائن الدين كان
والده يصنع الأنطاع بماكسين ومات فقيرا لم يخلف شيئا
وترك ولده أبا الحرم المذكور وأمه وبنتا فلم تقدر أمه على
القيام بمصالحه بسبب الفقر وتضجرت منه ففارقها وخرج
من بلده وقصد الموصل واشتغل بها بعلم القرآن والأدب
ثم رحل إلى بغداد واجتمع بأئمة الأدب وقرأ على أبي
محمد ابن الخشاب وابن العصار وابن الأنباري وأبي
محمد سعيد بن الدهان وقد تقدم ذكرهم ثم عاد إلى
الموصل وتصدر بها للإفادة وأخذ الناس عنه وانتشر ذكره
في البلاد وبعد صيته وانتفع به خلق كثير وذكره أبو
البركات ابن المستوفي في تاريخ إربل فقال هو جامع
فنون الأدب وحجة كلام العرب المجمع على دينه وعقله
والمتفق على علمه وفضله رحل إلى بغداد ولقي بها
مشايخ النحو واللغة والحديث وكان واسع الرواية قد
نصب نفسه للانتفاع عليه بالقرآن العزيز وجميع ضروب
الأدب ثم قال وأنشدني من شعره وكان قد اشتغل عليه
بالموصل أعني ابن المستوفي المذكور (سئمت من
الحياة فلم أردها * تسالمني وتشجيني بريقي) (عدوي لا
يقصر في أذائي * ويفعل مثل ذلك بي صديقي)
279 (وقد أضحت لي الحدباء دارا * وأهل مودتي
بلوى العقيق) والحدباء كنية الموصل ومن شعره أيضا
(إذا احتاج النوال إلى شفيع * فلا تقبله تضح قرير عين)
(إذا عيف النوال لفرد من * فأولى أن يعاف لمنتين) وله

أيضا (على الباب عبد يسأل الإذن طالبا * به أدبا لا أن نعماك تحجب) (فإن كان إذن فهو كالخير داخل * عليك وإلا فهو كالشر يذهب) وهذا مأخوذ من قول بعضهم (على الباب عبد من عبيدك واقف * بنعماك مغمور بشكرك معترف) (أيدخل كالإقبال لا زلت مقبلا * مدى الدهر أم مثل الحوادث ينصرف) ثم قال ابن المستوفي وكان قد أضر وهو ابن ثمان أو تسع سنين وكان أبدا يتعصب لأبي العلاء المعري ويطرب إذا قريء عليه شعره للجامع بينهما من العمى والأدب فسلك مسلكه في النظم انتهى كلام ابن المستوفي قلت وحكى لي بعض من أخذ عنه أنه لما كان ببلده كان جيرانهم ومعارفهم يسمونه مكيك تصغير مكي فلما ارتحل واشتغل وحصل اشتاقت نفسه إلى وطنه فعاد إليه فتسامع به من بقي ممن كان يعرفه فزاروه وفرحوا به لكونه فاضلا من أهل بلدهم وبات تلك الليلة فلما كان سحر خرج إلى الحمام فسمع امرأة في غرفتها تقول لأخرى ما تدرين من جاء فقالت لا فقالت مكيك ابن فلانة فقال والله لا قعدت في بلد أدعى فيه مكيك وسافر من غير تربث بعد أن كان قد نوى الإقامة بها مدة وعاد إلى الموصل ثم

280 خرج إلى الشام في أواخر عمره لزيارة بيت المقدس فانتهى إليه وقضى منه وطره ورجع إلى الموصل من حلب وكان دخوله إلى الموصل في شهر رمضان وتوفي ليلة السبت السادس من شوال سنة ثلاث

وستمائة بالموصل وخلف ولدا صغيرا ودفن بصحراء باب الميدان في مقبرة المعافى بن عمران جوار أبي بكر القرطبي وابن الدهان النحوي رحمهم الله تعالى ويقال إنه مات مسموما من جهة صاحب الموصل نور الدين أرسلان شاه المقدم ذكره في حرف الهمزة لسبب اقتضى ذلك والله أعلم وريان بفتح الراء وتشديد الياء المثناة من تحتها وبعد الألف نون وشبة بفتح الشين المعجمة وتشديد الباء الموحدة وبعد هاء ساكنة والماكسيني بفتح الميم وبعد الألف كاف مكسورة وسين مهملة مكسورة أيضا ثم ياء ساكنة مثناة من تحتها وبعدها نون هذه النسبة إلى ماكسين وهي بليدة من أعمال الجزيرة الفراتية على نهر الخابور وهي على صغرها تشابه المدن في حسن بنائها ومنازلها

739 مكحول الشامي أبو عبد الله مكحول بن عبد الله الشامي من سبي كابل ذكره ابن ماكولا في كتاب الإكمال في ترجمة شاذل فقال في نسبه وهو مكحول بن أبي

281 مسلم واسمه شهراب ابن شاذل بن سند بن سروان بن يزدك بن يغوب ابن كسرى قال ابن عائشة كان مولى لامرأة من قيس وكان سنديا لا يفصح وقال الواقدي كان مولى لامرأة من هذيل وقيل هو مولى سعيد بن العاص وقيل مولى لبني ليث قال الخطيب كان جده شاذل من أهل هراة فتزوج ابنة ملك من ملوك كابل ثم هلك عنها وهي حامل فانصرفت إلى أهلها فولدت شهراب فلم يزل في أخواله بكابل حتى ولد له مكحول فلما ترعرع

سبي ثم وقع إلى سعيد ابن العاص فوهبه لامرأة من هذيل فأعتقته وكان معلم الأوزاعي المقدم ذكره في حرف الهمزة وسعيد بن عبد العزيز قال الزهري العلماء أربعة سعيد بن المسيب بالمدينة والشعبي بالكوفة والحسن البصري بالبصرة ومكحول بالشام ولم يكن في زمنه أبصر منه بالفتيا وكان لا يفتي حتى يقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم هذا رأي والرأي يخطيء ويصيب وسمع أنس بن مالك وواثلة بن الأسقع وأبا هند الداري وغيرهم وكان مقامه بدمشق وكان في لسانه عجمة ظاهرة ويبدل بعض الحروف بغيره قال نوح بن قيس سأله بعض الأمراء عن القدر فقال أساهر أنا يريد أساحر أنا وكان يقول بالقدر ورجع عنه وقال معقل بن عبد الأعلى القرشي سمعته يقول لرجل ما فعلت تلك الهاجة يريد الحاجة وهذه العجمة تغلب على أهل السند

282 271 يحكى عن أبي عطاء السندي الشاعر المشهور واسمه مرزوق وهو من موالي أسد بن خزيمة أنه كان في لسانه هذه العجمة فاجتمع حماد الراوية وحماد عجرد الشاعر المقدم ذكرهما وحماد بن الزبرقان النحوي وبكر بن مصعب المزني في بعض الليالي ليتذاكروا فقالوا ما بقي شيء إلا وقد تهيأ لنا في مجلسنا هذا فلو بعثنا إلى أبي عطاء السندي ليحضر عندنا ويكمل به المجلس فارسلوا إليه فقال حماد بن الزبرقان أيكم يحتال لأبي عطاء حتى يقول جرادة وزج وشيطان وإنما اختار له هذه

الألفاظ لأنه كان يبدل من الجيم زايا ومن الشين سينا فقال حماد الراوية أنا أحتال في ذلك فلم يلبثوا أن جاءهم أبو عطاء فقال لهم هياكم الله يريد حياكم الله فقالوا له مرهبا مرهبا يريدون مرحبا مرحبا على لغته فقالوا له ألا تتعشى فقال قد تعسيت فهل عندكم نبيذ نشرب فقالوا نعم فأتوا له بنبيذ فشرب حتى استرخى فقال له حماد الراوية يا أبا عطاء كيف معرفتك باللغز فقال هسن يريد حسن فقال له ملغزا في جرادة (فما صفراء تكنى أم عوف * كان رجيلتيها منجلان) فقال زرادة فقال صدقت ثم قال ملغزا في زج (فما اسم حديدة في الرمح ترسى * دوين الصدر ليست بالسنان) فقال أبو عطاء زز فقال حماد أصبت ثم قال ملغزا في مسجد بجوار بني شيطان وهو بالبصرة (أتعرف مسجدا لبني تميم * فويق الميل دون بني أبان)
283 فقال هو في بني سيطان فقال أحسنت ثم تنادموا وتفاكهوا إلى سحرة في أرغد عيش وهذا أبو عطاء من الشعراء المجيدين وكان عبدا أخرب والأخرب المشقوق الأذن وله في كتاب الحماسة مقاطيع نادرة ولولا خشية التطويل والخروج عن المقصود لذكرت جملة من شعره ونوادره وتوفي مكحول المذكور سنة ثماني عشرة وقيل ثلاث عشرة وقيل ست عشرة وقيل اثنتي عشرة وقيل أربع عشرة ومائة رضي الله عنه وكابل بفتح الكاف وبعد الألف باء موحدة مضمومة ثم لام وهي ناحية معروفة ببلاد السند 740 ملكشاه السلجوقي أبو الفتح

ملكشاه بن ألب أرسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق الملقب جلال الدولة وقد تقدم ذكر أبيه وجماعة من أهل بيته ولما توفي أبوه في التاريخ المذكور في ترجمته كان ملكشاه المذكور في صحبته ولم يصحبه قبلها في سفر غير هذه المرة فولي الأمر من بعده بوصية والده وتحليف الأمراء والأجناد على طاعته ووصى وزيره نظام الملك أبا علي الحسن المقدم ذكره في حرف الحاء على تفرقة البلاد بين أولاده ويكون مرجعهم إلى ملكشاه المذكور ففعل ذلك وعبر بهم نهر جيحون راجعا إلى

284 البلاد وقد شرحت الواقعة في ترجمة والده فلا حاجة إلى الإعادة فلما وصل إلى البلاد وجد بعض أعمامه وهو قاروت بك صاحب كرمان قد خرج عليه فعاجله وتصافا بالقرب من همذان فنصره الله عليه وانهزم عمه فتبعه بعض جند ملكشاه فأسروه وحملوه إلى ملكشاه فبذل التوبة ورضي بالاعتقال وأن لا يقتل فلم يجبه ملكشاه إلى ذلك فأنفذ له خريطة مملوءة من كتب أمرائه وأنهم حملوه على الخروج عن طاعته وحسنوا له ذلك فدعا السلطان بالوزير نظام الملك فأعطاه الخريطة ليفتحها ويقرأ ما فيها فلم يفتحها وكان هناك كانون نار فرمى الخريطة فيه فاحترقت الكتب فسكنت قلوب العساكر وأمنوا ووطنوا أنفسهم على الخدمة بعد أن كانوا قد خافوا من الخريطة لأن أكثرهم كان قد كاتبه وكان ذلك سبب

ثبات قدم ملكشاه في السلطنة وكانت هذه معدودة في جميل
آراء نظام الملك ثم إن ملكشاه أمر بقتل عمه فخنق بوتر
قوسه واستقرت القواعد للسلطان وفتح البلاد واتسعت
عليه المملكة وملك ما لم يملكه أحد من ملوك الإسلام بعد
الخلفاء المتقدمين فكان في مملكته جميع بلاد ما وراء
النهر وبلاد الهياطلة وباب الأبواب والروم وديار بكر
والجزيرة والشام وخطب له على جميع منابر الإسلام
سوى بلاد المغرب فإنه ملك من كاشغر وهي مدينة في
أقصى بلاد الترك إلى بيت المقدس طولا ومن
القسطنطينية إلى بلاد الخزر وبحر الهند عرضا وكان قد
قدر لممالكه ملك الدينا وكان من أحسن الملوك سيرة حتى
كان يلقب بالسلطان العادل وكان منصورا في الحروب
ومغرما بالعمائر فحفر كثيرا من الأنهار وعمر على كثير
من البلدان الأسوار وأنشأ في المفاوز رباطات وقناطر
وهو الذي عمر جامع السلطان ببغداد ابتدأ بعمارته في
المحرم من سنة خمس وثمانين وأربعمائة وزاد في دار
السلطنة بها وصنع بطريق مكة مصانع وغرم عليها
أموالا كثيرة خارجة عن الحصر وأبطل المكوس
والخفارات في جميع البلاد وكان لهجا بالصيد حتى قيل
إنه ضبط ما اصطاده بيده فكان عشرة
285 آلاف فتصدق بعشرة آلاف دينار بعد أن نسي
كثيرا منه وقال إنني خائف من الله سبحانه وتعالى لإزهاق
الأرواح لغير مأكلة وصار بعد ذلك كلما قتل صيدا تصدق

بدينار وخرج من الكوفة لتوديع الحاج فجاوز العذيب وشيعهم بالقرب من الواقصة وصاد في طريقه وحشا كثيرا فبنى هناك منارة من حوافر الحمر الوحشية وقرون الظباء التي صادها في ذلك الطريق والمنارة باقية إلى الآن وتعرف بمنارة القرون وذلك في سنة ثمانين وأربعمائة وكانت السبل في أيامه ساكنة والمخاوف آمنة تسير القوافل من ما وراء النهر إلى أقصى الشام وليس معها خفير ويسافر الواحد والاثنان من غير خوف ولا رهب وحكى محمد بن عبد الملك الهمداني في تاريخه أن السلطان ملكشاه المذكور توجه لحرب أخيه تكش فاجتاز بمشهد علي بن موسى الرضا رضي الله عنهما بطوس ودخل مع نظام الملك الوزير وصليا فيه وأطالا الدعاء ثم قال لنظام الملك بأي شيء دعوت قال دعوت الله تعالى أن ينصرك ويظفرك بأخيك فقال أما أنا فلم أدع بهذا بل قلت اللهم انصر أصلحنا للمسلمين وأنفعنا للرعية ثم قال الهمداني أيضا عقيب هذا وحكي أن واعظا دخل عليه ووعظه فكان من جملة ما حكى له أن بعض الأكاسرة اجتاز منفردا عن عسكره على باب بستان فتقدم إلى الباب وطلب ماء يشربه فأخرجت له صبية إناء فيه ماء السكر والثلج فشربه واستطابه فقال لها هذا كيف يعمل فقالت إن قصب السكر يزكو عندنا حتى نعصره بأيدينا فيخرج منه هذا الماء فقال ارجعي وأحضري شيئا آخر وكانت الصبية غير عارفة به ففعلت فقال في نفسه الصواب أن أعوضهم

عن هذا المكان وأصطفيه لنفسي فما كان بأسرع من خروجها باكية وقالت إن نية سلطاننا قد تغيرت فقال ومن أين علمت ذلك قالت كنت آخذ من هذا ما أريد من غير تعسف والآن

286 فقد اجتهدت في عصر القصب فلم يسمح ببعض ما كان يأتي فعلم صدقها فرجع عن تلك النية ثم قال لها ارجعي الآن فإنك تبلغين الغرض وعقد على نفسه أن لا يفعل ما نواه فخرجت الصبية ومعها ما شاءت من ماء السكر وهي مستبشرة فقال السلطان للواعظ فلم لا تذكر للرعية أن كسرى اجتاز على بستان فقال للناطور ناولني عنقودا من الحصرم فقال له ما يمكنني ذلك فإن السلطان لم يأخذ حقه ولا تجوز لي خيانته فعجب الحاضرون من مقابلته الحكاية بمثلها ومعارضته بما أوجب الحق له ما أوجب الحق عليه وحكى الهمداني أيضا أن سواديا لقيه وهو يبكي فسأله السلطان عن سبب بكائه فقال ابتعت بطيخا بدريهمات لا أملك غيرها فلقيني ثلاثة أغلمة أتراك فأخذوه مني ومالي حيلة سواه فقال أمسك واستدعى فراشا وكان ذلك عند باكورة البطيخ وقال له إن نفسي قد تاقت إلى البطيخ فطف في العسكر وانظر من عنده شيء فأحضره فعاد ومعه بطيخ فقال عند من رأيته قال عند الأمير فلان فأحضره وقال من أين لك هذا البطيخ فقال جاء به الغلمان فقال أريدهم الساعة فمضى وقد عرف نية السلطان فيهم فهربهم وعاد فقال لم أجدهم

فالتفت إلى السوادي وقال هذا مملوكي وقد وهبته لك حين لم يحضر القوم الذين أخذوا متاعك والله لئن خليته لأضربن عنقك فأخذه السوادي بيده وأخرجه من بين يدي السلطان فاشترى الأمير نفسه بثلثمائة دينار وعاد السوادي وقال يا سلطان قد بعت المملوك بثلثمائة دينار فقال أو قد رضيت قال نعم قال امض مصاحبا وكانت البركة واليمن مقرونين بناصيته فكان إذا يدخل أصبهان أو بغداد أو أي بلد من البلاد كان دخل مع عدد لا يحصى لكثرته فيرخص السعر وتنحط أثمان الأشياء عما كانت عليه قبله ويكتسب المتعيشون مع عسكره الكسب الكثير وحكى الهمداني أيضا أنه أحضرت إليه مغنية وهو بالري فأعجب بها
287 واستطاب غناءها فهم بها فقالت يا سلطان إني أغار على هذا الوجه الجميل أن يعذب بالنار وإن الحلال أيسر وبينه وبين الحرام كلمة فقال صدقت واستدعى القاضي فتزوجها منه وابتنى بها وتوفي عنها وقال صاحب الدول المنقطعة ومن جملة ما سعى تاج الملك في نظام الملك الوزير أن قال للسلطان إنه ينفق في كل سنة على أرباب المدارس والرباطات ثلثمائة ألف دينار ولو جيش بها جيشا لبلغ باب القسطنطينية فاستحضر النظام واستفسره عن الحال فقال يا سلطان العالم اني أنا رجل شيخ ولو نودي علي لما زادت قيمتي على ثلاثة دنانير وأنت حدث لو نودي عليك لما زادت قيمتك على ثلاثين دينارا وقد أعطاك الله تعالى وأعطاني بك ما لم يعطه أحدا

من خلقه أفلا نعوضه عن ذلك في حملة دينه وحفظة كتابه ثلاثمائة ألف دينار ثم إنك تنفق على الجيوش المحاربة في كل سنة أضعاف هذا المال مع أن أقواهم وأرماهم لا تبلغ رميته ميلا ولا يضرب بسيفه إلا ما قرب منه وأنا أجيش لك بهذا المال جيشا تصل من الدعاء سهامه إلى العرش لا يحجبها شيء عن الله تعالى فبكى السلطان وقال يا أبت استكثر من الجيش والأموال مبذولة لك والدنيا بين يديك وعيون محاسنه أكثر من أن تحصى وحكى الهمداني أيضا أن نظام الملك الوزير وقع للملاحين الذين عبروا بالسلطان والعسكر نهر جيحون على العامل بأنطاكية وذلك لسعة المملكة وكان مبلغ أجرة المعابر أحد عشر ألف دينار وتزوج الإمام المقتدي بأمر الله أمير المؤمنين ابنة السلطان وكان السفير في الخطبة الشيخ أبا إسحاق الشيرازي صاحب المهذب والتنبيه رحمه الله تعالى وأنفذه الخليفة إلى نيسابور لهذا السبب فإن السلطان كان هناك فلما وصل إليه أدى الرسالة ونجز الشغل قال الهمداني أيضا وعاد الشيخ أبو إسحاق إلى بغداد في أقل من أربعة أشهر وناظر إمام الحرمين هناك فلما

288 أراد الانصراف من نيسابور خرج إمام الحرمين للوداع وأخذ بركابه حتى ركب أبو إسحاق وظهر له في خراسان منزلة عظيمة وكانوا يأخذون التراب الذي وطئته بغلته فيتبركون به وكان زفاف ابنة السلطان إلى الخليفة في سنة ثمانين وأربعمائة وفي

صبيحة دخولها عليه أحضر الخليفة المقتدي عسكر
السلطان على سماط صنعه لهم كان فيه أربعون ألف منا
سكرا وفي بقية هذه السنة في ذي القعدة منها رزق الخليفة
ولدا من ابنة السلطان سماه أبا الفضل جعفرا وزينت بغداد
لأجله وكان السلطان قد دخل إلى بغداد دفعتين وهي من
جملة بلاده التي تحتوي عليها مملكته وليس للخليفة فيها
سوى الاسم فلما عاد إليها الدفعة الثالثة دخلها في أوائل
شوال سنة خمس وثمانين وأربعمائة وخرج من فوره إلى
ناحية دجيل لأجل الصيد فاصطاد وحشا وأكل من لحمه
فابتدأت به العلة وافتصد فلم يكثر من إخراج الدم فعاد إلى
بغداد مريضا ولم يصل إليه أحد من خاصته فلما دخلها
توفي ثاني يوم دخوله وهو السادس عشر من شوال سنة
خمس وثمانين وأربعمائة وكانت ولادته في التاسع من
جمادى الأولى سنة سبع وأربعين وأربعمائة رحمه الله
تعالى وقيل انه سم في خلال تخلل به وحمل تابوته إلى
أصبهان ودفن بها في مدرسة عظيمة موقوفة على طائفة
الشافعية والحنفية ولم يشهد أحد جنازته ببغداد ولا صلي
عليه في الصورة الظاهرة ولا جلسوا للعزاء ولا حذف
عليه ذنب فرس كعادة أمثاله بل كأنه اختلس من العالم
ومن عجيب الاتفاق أنه لما دخل بغداد في هذه المرة وكان
للخليفة المقتدي ولدان أحدهما الإمام المستظهر بالله
والآخر أبو الفضل جعفر ابن بنت السلطان وقد تقدم ذكر
ولادته وكان الخليفة قد بايع لولده المستظهر بالله بولاية

العهد من بعده لأنه كان الأكبر فألزم السلطان الخليفة أن يخلعه ويجعل ابن بنته جعفرا ولي العهد ويسلم بغداد إليه ويخرج الخليفة إلى البصرة فشق ذلك
289 على الخليفة وبالغ في استنزال السلطان عن هذا الرأي فلم يفعل فسأل المهلة عشرة أيام ليتجهز فأمهله فقيل إن الخليفة في تلك الأيام جعل يصوم ويطوي وإذا أفطر جلس على الرماد للإفطار وهو يدعو الله سبحانه وتعالى على السلطان فمرض السلطان في تلك الأيام ومات وكفي الخليفة أمره وتزوج ابنه الإمام المستظهر بالله ابنة السلطان خاتون العصمة في سنة اثنتين وخمسمائة وقد تقدم ذكر أولاده الثلاثة الملوك وهم بركياروق وسنجر ومحمد كل واحد له ترجمة في حرفه رحمهم الله تعالى أجمعين وكاشغر بفتح الكاف وبعد الألف شين معجمة ساكنة وغين معجمة مفتوحة وبعدها راء وقد ذكرت أين هي فلا حاجة إلى الإعادة وهي قصبة بلاد تركستان والواقصة بفتح الواو وبعد الألف قاف مكسورة وبعدها صاد مهملة مفتوحة ثم هاء ساكنة وهي منزل معروف بطريق مكة يقال لها واقصة الحرون والباقي معروف فلا حاجة إلى تفسيره والله أعلم بالصواب
741 منصور الفقيه أبو الحسن منصور بن إسماعيل بن عمر التميمي المصري الفقيه الشافعي الضرير أصله من رأس عين البلدة المشهورة بالجزيرة وأخذ الفقه عن

أصحاب الشافعي رضي الله عنه وعن أصحاب أصحابه وله مصنفات في المذهب مليحة منها
290 الواجب والمستعمل والمسافر والهداية وغير ذلك من الكتب وله شعر جيد سائر وذكره الشيخ أبو إسحاق الشيرازي رحمه الله تعالى في طبقات الفقهاء وأنشد له (عاب التفقه قوم لا عقول لهم * وما عليه إذا عابوه من ضرر) (ما ضر شمس الضحى والشمس طالعة * أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر) ومن هنا أخذ أبو العلاء المعري قوله من قصيدته المشهورة (والنجم تستصغر الأبصار رؤيته * والذنب للطرف لا للنجم في الصغر) ومن شعره أيضا (لي حيلة فيمن ينم * وليس في الكذاب حيله) (من كان يخلق ما يقول * فحيلتي فيه قليله) وله أيضا (الكلب أحسن عشرة * وهو النهاية في الخساسه) (ممن ينازع في الرياسة * قبل أوقات الرياسة) وحكي أنه أصابته مسغبة في سنة شديدة القحط فرقي سطح داره ونادى بأعلى صوته في الليل (الغياث الغياث يا أحرار * نحن خلجانكم وأنتم بحار) (إنما تحسن المواساة في الشدة * لا حين ترخص الأسعار) فسمعه جيرانه فأصبح على بابه مائة حمل بر وحكاياته وأخباره مشهورة وتوفي في جمادى الأولى سنة ست وثلثمائة بمصر
291 وقال الشيخ أبو إسحاق في الطبقات إنه مات قبل العشرين والثلثمائة رحمه الله تعالى وذكره القاضي

أبو عبد الله القضاعي في كتاب خطط مصر فقال أصله من رأس عين وسكن الرملة وقدم إلى مصر وسكنها وتوفي سنة ست وثلثمائة وكان فقيها جليل القدر متصرفا في كل علم شاعرا مجيدا لم يكن في زمانه مثله بمصر وكان من أكرم الناس على أبي عبيد القاضي حتى كان منهما ما كان بسبب المسألة وكان لأبي عبيد في كل عشية مجلس يذاكر فيه رجلا من أهل العلم ويخلو به خلا عشية الجمعة فإنه كان يخلو بنفسه فيها فكان من العشايا عشية يخلو فيها بمنصور وعشية يخلو فيها بأبي جعفر الطحاوي وعشية يخلو فيها بمحمد بن الربيع الجيزي وعشية يخلو فيها بعفان بن سليمان وعشية يخلو فيها بالسجستاني وعشية يخلو فيها للنظر مع الفقهاء وربما حدث فجرى بينه وبين منصور في بعض العشايا ذكر الحامل المطلقة ثلاثا ووجوب نفقتها فقال أبو عبيد زعم قوم أن لا نفقة لها في الثلاث وأن نفقتها في الطلاق غير الثلاث فأنكر ذلك منصور وقال قائل هذا ليس من أهل القبلة ثم انصرف منصور فحدث بذلك أبا جعفر الطحاوي فحكاه أبو جعفر لأبي عبيد فأنكره وبلغ ذلك منصورا فقال أنا أكذبه واجتمع الناس عند القاضي وتواعدوا لحضور ذلك فلما حضروا لم يتكلم أحد فابتدأ أبو عبيد وقال ما أريد أحدا يدخل علي ما أريد منصورا ولا نصارا ولا منتصرا قوم عميت قلوبهم كما عميت أبصارهم يحكون عنا ما لم نقله فقال له منصور قد علم الله أنك قلت كذا وكذا فقال أبو عبيد كذبت

فقال له منصور قد علم الله الكاذب ونهض فلم يأخذ أحد بيده غير أبي بكر ابن الحداد فإنه أخذ بيده وخرج معه حتى ركب وزاد الأمر فيما بينهما وتعصب الأمير ذكا وجماعة من الجند وغيرهم لمنصور وتعصب للقاضي جماعة وشهد على منصور محمد بن الربيع الجيزي بكلام سمعه منه يقال إن منصورا حكاه عن النظام فقال القاضي إن شهد عليه آخر مثل ما شهد به عليه محمد بن الربيع ضربت عنقه فخاف

292 على نفسه ومات في جمادى الأولى من السنة المذكورة وخاف أبو عبيد أن يصلي عليه لأجل الجند الذين تعصبوا لمنصور فتأخر عن جنازته لهذا السبب وحضرها الأمير ذكا وابن بسطام صاحب الخراج وأوعب الناس ولم يتخلف كبير أحد وذكر لأبي عبيد أن منصورا قال عند موته (قضيت نحبي فسر قوم * حمقى بهم غفلة ونوم) (كأن يومي علي حتم * وليس للشامتين يوم) (تموت قبلي ولو بيوم * ونحن يوم النشور توم) فأطرق أبو عبيد ساعة ثم قال (فقد فرحنا وقد شمتنا * وليس للشامتين لوم) والله أعلم بالصواب 742 الحاكم العبيدي أبو علي المنصور الملقب الحاكم بأمر الله بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم ابن المهدي صاحب مصر وقد تقدم ذكر أجداده وجماعة من أحفاده وسيأتي ذكر أبيه في حرف النون إن شاء الله تعالى وكلهم كانوا يتسمون بالخلفاء وتولى الحاكم المذكور عهد أبيه في حياته وذلك

في شعبان سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة ثم استقل بالأمر يوم
وفاة والده على ما سيأتي في تاريخه إن شاء الله تعالى
وكان جوادا بالمال سفاكا للدماء قتل عددا كثيرا من أماثل
293 أهل دولته وغيرهم صبرا وكانت سيرته من
أعجب السير يخترع كل وقت أحكاما يحمل الناس على
العمل بها منها أنه أمر الناس في سنة خمس وتسعين
وثلثمائة بكتب سب الصحابة رضوان الله عليهم في
حيطان المساجد والقياسر والشوارع وكتب إلى سائر
عمال الديار المصرية يأمرهم بالسب ثم أمر بقطع ذلك
ونهى عنه وعن فعله في سنة سبع وتسعين ثم تقدم بعد ذلك
بمدة يسيرة بضرب من يسب الصحابة وتأديبه ثم يشهره
ومنها أنه أمر بقتل الكلاب في سنة خمس وتسعين وثلثمائة
فلم ير كلب في الأسواق والأزقة والشوارع إلا قتل ومنها
أنه نهى عن بيع الفقاع والملوخيا وكبب الترمس المتخذة
لها والجرجير والسمكة التي لا قشر لها وأمر بالتشديد في
ذلك والمبالغة في تأديب من يتعرض لشيء منه فظهر
على جماعة أنهم باعوا أشياء منه فضربوا بالسياط وطيف
بهم ثم ضربت أعناقهم ومنها أنه في سنة اثنتين وأربعمائة
نهى عن بيع الزبيب قليله وكثيره على اختلاف أنواعه
ونهى التجار عن حمله إلى مصر ثم جمع بعد ذلك منه
جملة كثيرة وأحرق جميعها ويقال إن مقدار النفقة التي
غرموها على إحراقه كانت خمسمائة دينار وفي هذه السنة
منع من بيع العنب وأنفذ الشهود إلى الجيزة حتى قطعوا

كثيرا من كرومها ورموها في الأرض وداسوها بالبقر
وجمع ما كان في مخازنها من جرار العسل فكانت خمسة
آلاف جرة وحملت إلى شاطيء النيل وكسرت وقلبت في
بحر النيل وفي هذه السنة أمر النصارى واليهود إلا
الخيابرة بلبس العمائم السود وأن يعمل النصارى في
أعناقهم الصلبان ما يكون طوله ذراعا ووزنه خمسة
أرطال وأن تحمل اليهود في أعناقهم قرامي
294 الخشب على وزن صلبان النصارى ولا
يركبوا شيئا من المراكب المحلاة وأن تكون ركبهم من
الخشب ولا يستخدموا أحدا من المسلمين ولا يركبوا
حمارا لمكار مسلم ولا سفينة نوتيها مسلم وأن يكون في
أعناق النصارى إذا دخلوا الحمام الصلبان وفي أعناق
اليهود الجلاجل ليتميزوا عن المسلمين ثم أفرد حمامات
اليهود والنصارى من حمامات المسلمين وحط على
حمامات النصارى الصلبان وعلى حمامات اليهود القرامي
وذلك في سنة ثمان وأربعمائة وفيها أمر بهدم الكنيسة
المعروفة بقمامة وجميع الكنائس بالديار المصرية ووهب
جميع ما فيها من الآلات وجميع ما لها من الارباع
والأحباس لجماعة من المسلمين وتتابع إسلام جماعة من
النصارى وفي هذه السنة نهى عن تقبيل الأرض له وعن
الدعاء له والصلاة عليه في الخطب والمكاتبات وأن يجعل
عوض ذلك السلام على أمير المؤمنين وفي سنة أربع
وأربعمائة أمر أن لا ينجم أحد ولا يتكلم في صناعة النجوم

وأن ينفى المنجمون من البلاد فحضر جميعهم إلى القاضي مالك بن سعيد الحاكم بمصر كان وعقد عليهم توبة وأعفوا من النفي وكذلك أصحاب الغناء وفي شعبان من هذه السنة منع النساء من الخروج إلى الطرقات ليلا ونهارا ومنع الأساكفة من عمل الخفاف للنساء ومحيت صورهن من الحمامات ولم تزل النساء ممنوعات عن الخروج إلى أيام ولده الظاهر المقدم ذكره وكانت مدة منعهن سبع سنين وسبعة أشهر وفي شعبان سنة إحدى عشرة وأربعمائة تنصر جماعة ممن كان أسلم من النصارى وأمر ببناء ما كان قد هدم من كنائسهم ورد ما كان أخذ من أحباسها وبالجملة فهذه نبذة

295 من أحواله وإن كان شرحها يطول وكان أبو الحسن علي المعروف بابن يونس المنجم قد صنع له الزيج المشهور المعروف بالحاكمي وهو زيج كبير مبسوط ونقلت من خط الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي رحمه الله تعالى أن الحاكم المذكور كان جالسا في مجلسه العام وهو حفل بأعيان دولته فقرأ بعض الحاضرين قوله تعالى (^ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) (النساء 65) والقاريء في أثناء ذلك يشير إلى الحاكم فلما فرغ من القراءة قرأ شخص آخر يعرف بابن المشجر وكان رجلا صالحا (^ يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون

الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز) (الحج&&73) فلما أنهى قراءته تغير وجه الحاكم ثم أمر لابن المشجر المذكور بمائة دينار ولم يطلق للآخر شيئا ثم إن بعض أصحاب ابن المشجر قال له أنت تعرف خلق الحاكم وكثرة استحالاته وما نأمن أن يحقد عليك وأنه لا يؤاخذك في هذا الوقت ثم يؤاخذك بعد هذا فتتأذى معه ومن المصلحة عندي أن تغيب عنه فتجهز ابن المشجر للحج وركب في البحر فغرق فرآه صاحبه في النوم فسأله عن حاله فقال ما أقصر الربان معنا أرسى بنا على باب الجنة رحمه الله تعالى وذلك ببركة جميل نيته وحسن قصده ومن أخباره المستطرفة التي تدخل في أبواب الفرج بعد الشدة ما حدث به بعض الرؤساء أن ولي الدولة ابن خيران استحضره الحاكم ذات يوم وقال له يا ولي الدولة إني أريد أن أزوج مملوكي فلانا على جاريتي فلانة بعد عتقهما وكذلك آخر لأخرى فخذ هاتين الشقتين واخطب فيهما خطبتين حسنتين وانسق الصداق والمهر بعد ذلك على ما تقتضيه صناعة الوراق وبكر إلينا من الفجر

296 ولا تتأخر فقبل ذلك من الحاكم بالسمع والطاعة وانصرف ووصل إلى داره بمصر وأسهر نفسه واستنتج قريحته وجود فكرته وعمل ما أشار له في الكتابين ولم يزل في السهر إلى وقت السحر فاستحثه

الرسل فقام ليتوضأ ويتهيأ إليه فعثرت رجله في المحبرة فتطرطش الكتابين فلطم وجهه ووقع مغشيا عليه وانقبض أهله وعلم أنه مقتول فوصى أهله الوصية التامة وركب وأخذ الكتابين في كمه مطويين ولم يزل إلى أن دخل من باب القاهرة ووصل إلى القصر مغلسا والرسل والحجاب منتظرون قدومه وحين وصل أذن له في الدخول فوجد الحاكم في الإيوان الكبير جالسا على سرير وبين يديه طشطان وعليهما قوارتان فلما رأى الحاكم قبل الأرض ووقف صامتا فقال له يا ولي الدولة اكشف هذين الطشطين فكشف عنهما فإذا في كل منهما رأس رجل ورأس امرأة فقال هؤلاء اطلعنا منهم على قضية منحوسة وفساد لا ينبغي الصبر عليه ففعلنا بهم ما فعلنا وتلك الثوبان خذهما فصلهما لأهلك امض لشأنك فخرج من بين يديه مغشيا عليه فأقام في الديوان إلى أن سكنت نفسه وهدأ روعه وكتب إلى أهله رقعة يأمرهم فيها بالسكون والسكوت إلى أن يجتمع بهم والحاكم المذكور هو الذي بنى الجامع الكبير بالقاهرة بعد أن كان قد شرع فيه والده العزيز بالله كما سيأتي ذكره في ترجمته إن شاء الله تعالى وأكمله وأبده وبنى جامع راشدة بظاهر مصر وكان شروعه في عمارته يوم الاثنين سابع عشر شهر ربيع الأول سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وكان متولي بنائه الحافظ أبا محمد عبد الغني بن سعيد والمصحح لمحرابه أبا الحسن علي بن يونس المنجم وقد تقدم ذكرهما وأنشأ عدة مساجد بالقرافة

وغيرها وحمل إلى الجوامع من المصاحف والآلات
الفضية والستور والحصر السامان ما له قيمة طائلة وكان
يفعل الشيء وينقضه وخرج عليه في سنة خمس وتسعين
وثلثمائة أبو ركوة الوليد بن هشام العثماني
297 الأندلسي وكان خروجه في نواحي برقة ومال
إليه خلق عظيم وسير إليه الحاكم المذكور جيشا كبيرا
وانتصر عليهم وملك ثم تكاثروا عليه وأمسكوه ويقال إنه
قتل من أصحابه مقدار سبعين ألفا وكان قبضهم إياه في
سنة سبع وتسعين وحمل إلى الحاكم فشهره وقتله يوم
الأحد السابع والعشرين من جمادى الآخرة من السنة
وحديثه مستوفى في تاريخ ابن الصابي وكانت ولادته
بالقاهرة ليلة الخميس الثالث والعشرين من شهر ربيع
الأول سنة خمس وسبعين وثلثمائة وكان يحب الانفراد
والركوب على بهيمة وحده فاتفق أنه خرج ليلة الاثنين
السابع والعشرين من شوال سنة إحدى عشرة وأربعمائة
إلى ظاهر مصر وطاف ليلته كلها وأصبح عند قبر
الفقاعي ثم توجه إلى شرقي حلوان ومعه ركابيان فأعاد
أحدهما مع تسعة من العرب السويديين ثم أعاد الركابي
الآخر وذكر هذا الركابي أنه خلفه عند القبر والمقصبة
وبقي الناس على رسمهم يخرجون يلتمسون رجوعه
ومعهم دواب الموكب إلى يوم الخميس سلخ الشهر
المذكور ثم خرج يوم الأحد ثاني ذي القعدة مظفر صاحب
المظلة وخطى الصقلبي ونسيم متولي الستر وابن بشتكين

التركي صاحب الرمح وجماعة من الأولياء الكتاميين والأتراك فبلغوا دير القصير والموضع المعروف بسلوان ثم أمعنوا في الدخول في الجبل فبينما هم كذلك إذ أبصروا حماره الأشهب الذي كان راكبا عليه المدعو بالقمر و هو على قرنة الجبل وقد ضربت يداه بسيف فأثر فيهما و عليه سرجه ولجامه فتتبعوا الأثر فإذا أثر الحمار في الأرض وأثر راجل خلفه وراجل
298 قدامه فلم يزالوا يقصون هذا الأثر حتى انتهوا إلى البركة التي في شرقي حلوان فنزل إليها بعض الرجالة فوجد فيها ثيابه و هي سبع جباب ووجدت مزررة لم تحل أزرارها وفيها آثار السكاكين فأخذت وحملت إلى القصر بالقاهرة ولم يشك في قتله مع أن جماعة من المغالين في حبهم السخيفي العقول يظنون حياته وأنه لا بد أن سيظهر ويحلفون بغيبة الحاكم وتلك خيالات هذيانية ويقال إن أخته دست عليه من يقتله لأمر يطول شرحه والله أعلم وابن المشجر بضم الميم وفتح الشين المعجمة والجيم المشددة وبعدها راء وحلوان بضم الحاء المهملة وسكون الميم وفتح الواو وبعد الألف نون و هي قرية مليحة كثيرة النزه فوق مصر بمقدار خمسة أميال كان يسكنها عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي لما كان واليا بمصر نيابة عن أخيه عبد الملك أيام خلافته وبها توفي وبها ولد ولده عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

299 743 الآمر بأحكام الله أبو علي المنصور
الملقب الآمر بأحكام الله بن المستعلي بن المستنصر بن الظاهر ابن الحاكم العبيدي المذكور قبله وقد تقدم بقية نسبه وسبق ذكر والده في الأحمدين في حرف الهمزة وبويع الآمر بالولاية يوم مات أبوه في التاريخ المذكور في ترجمته وقام بتدبير دولته الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش المذكور في حرف الشين وكان وزير والده وقد ذكرنا في ترجمته طرفا من أخبار الآمر المذكور ولما اشتد الآمر وفطن لنفسه قتل الأفضل حسبما تقدم شرحه واستوزر المأمون أبا عبد الله محمد بن أبي شجاع فاتك بن أبي الحسن مختار المعروف بابن فاتك البطائحي فاستولى هذا الوزير عليه وقبح سمعته وأساء السيرة ولما كثر ذلك منه قبض عليه الآمر أيضا ليلة السبت رابع شهر رمضان سنة تسع عشرة وخمسمائة واستصفى جميع أمواله ثم قتله في رجب سنة إحدى وعشرين وصلب بظاهر القاهرة وقتل معه خمسة من إخوته أحدهم يقال له المؤتمن وكان متكبرا متجبرا خارجا عن طوره وله أخبار مشهورة ثم ظهر في مدة القبض على المأمون المصادرات على يد الراهب المسمى أبا شجاع بن قسا فلم يبق أحد إلا وناله بمكروه من ضرب ونهب مال وكان هذا الراهب الملعون في ابتداء حاله يخدم ولي الدولة أبا البركات بن يحيى بن أبي الليث ثم اتصل بالآمر وبذل له في مصادرة قوم من

النصارى مائة ألف دينار فأطلق يده فيهم وتسلسل الحال
إلى أن عم البلاد جميع رؤساء مصر وقضاتها وكتابها
300 وشهودها وسوقتها إلى أن صادر رجلا حمالا
فأخذ عشرين دينارا ثمن جمل باعه لم يكن يملك سواه
وارتفع عنده إلى أن كان يستعمل بتنس ودمياط ملابس
مخصوصة من الصوف الأبيض معلمة بالذهب فكان
يلبسها ويلبس فوقها الدماقس والديباج وكان يتطيب من
المسك بعدة من المثاقيل كل يوم وكان يشم رائحة طيبه من
مكان بعيد وكان يركب الحمر بالسروج المحلاة بالذهب
والفضة ويدخل إلى دهليز القاعة المعروفة بلباس الخطباء
بالجامع العتيق بمصر فيجلس هناك ويستدعي الناس
للمصادرة وأقام كذلك مدة إلى أن قتل في سنة ثلاث
وعشرين على يد المقداد الوالي بمصر ثم صلب عند
الجسر ذكر أنه لما قبض على دار الراهب وجد فيها
مكان فيه ثمانمائة طراحة جدد لم تستعمل قدرت إلى
السقف هذا نوع واحد قليل الاستعمال فكيف ما عداه من
الديباج وأنواع المتاع الفاخر وكان الآمر سيء الرأي
جائر السيرة مستهترا متظاهرا باللهو واللعب وفي أيامه
أخذ الفرنج مدينة عكا في شعبان سنة سبع وتسعين
وأربعمائة وأخذوا طرابلس الشام بالسيف يوم الاثنين
لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة اثنتين
وخمسمائة وكان أخذهم لها بالسيف ونهبوا ما فيها وأسروا
رجالها وسبوا نساءها وأطفالها وحصل في أيديهم من

أمتعتها وذخائرها وكتب دار علمها وما كان في خزائن أربابها ما لا يحد عدده ولا يحصى وعوقب من بقي من أهلها واستصفيت أموالهم ثم وصلتها نجدة المصريين بعد فوات الأمر فيها وفي هذه السنة ملكوا عرقة وكان نزولهم عليها أول شعبان من السنة المذكورة وفيها ملكوا بانياس وفيها تسلموا جبيل بالأمان وتسلموا قلعة تبنين يوم الجمعة لثمان بقين من ذي الحجة سنة إحدى عشرة وخمسمائة ثم تسلموا مدينة صور يوم الاثنين لسبع بقين من جمادى الأولى سنة ثمان عشرة وخمسمائة وكان الوالي بها من جهة الأتابك ظهير الدين طغتكين المذكور في حرف التاء
301 في ترجمة تتش بن ألب أرسلان وكان يومئذ صاحب دمشق وما والاها ولما ملكوا صور ضربوا السكة باسم الآمر المذكور مدة ثلاث سنين ثم قطعوا ذلك وأخذوا بيروت يوم الجمعة الحادي والعشرين من شوال سنة ثلاث وخمسمائة بالسيف وأخذوا صيدا لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسمائة 273 وفي أيام الآمر أيضا سنة أربع وخمسمائة وقيل سنة إحدى عشرة والله أعلم قصد بردويل الافرنجي الديار المصرية ليأخذها وانتهى إلى الفرما ودخلها وأحرقها وأحرق جامعها ومساجدها وأبواب البلد وقتل بها رجلا مقعدا وابنته فذبحها على صدره ورحل عنها وهو مريض فهلك في الطريق قبل وصوله إلى العريش فشق أصحابه بطنه ورموا حشوته هناك فهي ترجم إلى اليوم ورجلوا بجثته

فدفنوها بقمامة وسبخة بردويل التي في وسط الرمل على طريق الشام منسوبة إلى بردويل المذكور والحجارة الملقاة هناك والناس يقولون هذا قبر بردويل وإنما هو هذه الحشوة وكان بردويل صاحب البيت المقدس وعكا ويافا وعدة بلاد من ساحل الشام وهو الذي أخذ هذه البلاد المذكورة من المسلمين وفي هذه السنة أيضا خرج المهدي محمد بن تومرت المقدم ذكره من مصر وصاحبها الآمر المذكور إلى بلاد المغرب في زي الفقهاء وجرى له هناك ما سبق شرحه في ترجمته وكانت ولادة الآمر يوم الثلاثاء ثالث عشر المحرم وقيل ثاني المحرم سنة تسعين وأربعمائة بالقاهرة وتولى وعمره خمس سنين ولما انقضت أيامه خرج من القاهرة صبيحة يوم الثلاثاء ثالث ذي القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة ونزل إلى مصر وعدى على الجسر إلى الجزيرة التي قبالة مصر فكمن له قوم بالأسلحة وتواعدوا على قتله في السكة التي يمر فيها إلى فرن هناك فلما مر بهم وثبوا

302 عليه فعلبوا عليه بأسيافهم وكان قد جاوز الجسر وحده مع عدة قليلة من غلمانه وبطانته وخاصته وشيعته فحمل في النيل في زورق ولم يمت وأدخل القاهرة وهو حي وجيء به إلى القصر من ليلته فمات ولم يعقب وهو العاشر من أولاد المهدي عبيد الله القائم بسجلماسة المقدم ذكره وانتقل الأمر إلى ابن عمه الحافظ عبد المجيد المقدم ذكره رحمهم الله تعالى وكان قبيح السيرة ظلم للناس

وأخذ أموالهم وسفك دماءهم وارتكب المحذورات واستحسن القبائح المحظورات فابتهج الناس بقتله وكان ربعة شديد الأدمة جاحظ العينين حسن الخط والمعرفة والعقل وأما المأمون ابن البطائحي الوزير المذكور فهو الذي بنى الجامع الأقمر بالقاهرة سنة خمس عشرة وخمسمائة وكان الأفضل ابن أمير الجيوش قد شرع في عمارة جامع النيل بظاهر مصر عند الرصد المطل على بركة حبش في سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ولم يكمله فأكمله المأمون بعده في مدة وزارته والله أعلم بالصواب

744 قطب الدين مودود قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر المعروف بالأعرج صاحب الموصل وقد تقدم طرف من خبره في ترجمة أخيه نور الدين محمود صاحب الشام وذكر أولاده الثلاثة وهم سيف الدين غازي الذي تولى السلطنة بعده وعز الدين مسعود وعماد الدين زنكي صاحب سنجار واستوعبت في

303 ترجمة غازي ما جرى من نور الدين عقيب موت قطب الدين المذكور وأنه قصد الموصل ثم قرر أمر غازي المذكور فيها ورتب أحوال أولاد أخيه كلهم وفي تلك السفرة بنى نور الدين الجامع النوري داخل الموصل وهو مشهور هناك يقام فيه الجمعة وكان سبب عمارته ما حكاه العماد الأصبهاني في البرق الشامي عند ذكره لوصول نور الدين إلى الموصل أنه كان بالموصل خربة متوسطة البلد واسعة وقد أشاعوا عنها ما ينفر القلوب منها

وقالوا ما شرع في عمارتها إلا من ذهب عمره ولم يتم على مراده أمره فأشار عليه الشيخ الزاهد معين الدين عمر الملا وكان من كبار الصالحين بابتياع الخربة وبنائها جامعا وأنفق فيها أموالا جزيلة ووقف على الجامع ضيعة من ضياع الموصل وكان قطب الدين قد تولى السلطنة بالموصل وتلك البلاد عقيب موت أخيه سيف الدين غازي الأكبر المقدم ذكره أيضا وكان حسن السيرة عادلا في حكمه وفي دولته عظم شأن جمال الدين محمد الوزير الأصبهاني المعروف بالجواد المقدم ذكره وهو الذي قبض عليه حسبما سبق شرحه وكان مدبر دولته وصاحب رأيه الأمير زين الدين علي كجك والد مظفر الدين صاحب إربل وكان نعم المدبر والمشير لصلاحه وخيره وحسن مقاصده مع شجاعة تامة وفروسية مشهورة وقد تقدم أيضا ذكره في ترجمة ولده مظفر الدين في حرف الكاف ولم يزل قطب الدين المذكور على سلطنته ونفاذ كلمته إلى أن توفي في شوال سنة خمس وستين وخمسمائة وقيل في الثاني والعشرين من ذي الحجة من السنة المذكورة وذكر أسامة بن منقذ في كتاب له صغير ذكر فيه من أدركه في عمره من ملوك البلاد أن قطب الدين المذكور توفي سلخ ربيع الآخر سنة ست وستين وخمسمائة وليس بصحيح فإن أخاه نور الدين كان بالموصل في شهر ربيع الآخر وجاءته رسل الخليفة وهو مخيم على الموصل في الشهر المذكور ولم يتوجه نور الدين إليها إلا بعد وفاة أخيه قطب

الدين وكانت وفاته بالموصل ومدة عمره أكثر من أربعين سنة بقليل وخلف عدة أولاد وأكثرهم ملك البلاد وقد تقدم ذكر أبيه وجده وجماعة من أهل بيته رحمهم الله تعالى

304 745 مؤرج السدوسي أبو فيد مؤرج بن عمرو بن الحارث بن ثور بن حرملة بن علقمة بن عمرو بن سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة السدوسي النحوي البصري أخذ العربية عن الخليل بن أحمد وروى الحديث عن شعبة بن الحجاج وأبي عمرو ابن العلاء وغيرهما وكان يقول قدمت من البادية ولا معرفة لي بالقياس في العربية وإنما كانت معرفتي قريحة وأول ما تعلمت القياس في حلقة أبي زيد الأنصاري بالبصرة ودخل الأخفش سعيد بن مسعدة على محمد بن المهلب فقال له محمد من أين جئت فقال الأخفش من عند القاضي يحيى بن أكثم قال فما جرى عنده قال سألني عن الثقة المأمون المقدم من أصحاب الخليل بن أحمد من هو ومن الذي كان يوثق بعلمه فقلت النضر بن شميل وسيبويه ومؤرج السدوسي وكان الغالب على مؤرج المذكور اللغة والشعر وله عدة تصانيف منها كتاب الأنواء وهو كتاب حسن وكتاب غريب القرآن وكتاب جماهير القبائل وكتاب المعاني وغير ذلك واختصر نسب قريش في مجلد لطيف سماه حذف نسب قريش وكان قد رحل مع المأمون من العراق إلى خراسان وسكن مدينة مرو وقدم نيسابور وأقام بها وكتب عنه مشايخها وكان له شعر فمن ذلك ما أنشده

هارون بن علي بن يحيى المنجم في كتابه المسمى ب البارع وهو (روعت بالبين حتى ما أراع له * وبالمصائب من أهلي وجيراني)
305 (لم يترك الدهر لي علقا أضن به * إلا اصطفاه بنأي أو بهجران) ثم قال ابن المنجم المذكور وهذان البيتان من أملح ما قيل في معناها ومثلهما في معناهما لبعض المحدثين (وفارقت حتى ما أراع من النوى * وإن غاب جيران علي كرام) (فقد جعلت نفسي على اليأس تنطوي * وعيني على هجر الصديق تنام) ومن هاهنا أخذ ابن التعاويذي المقدم ذكره قوله (وها أنا لا قلبي يراع لفائت * فيأسى ولا يلهيه حظ فيفرح) وهذا البيت من جملة قصيدة يذكر فيها توجعه لذهاب بصره فمنها قوله مشيرا إلى زوجته (وباكية لم تشك فقدا ولا رمى * بجيرتها الأدنين نأي مطوح) (رمتها يد الأيام في ليث غابها * بفادح خطب والحوادث تفدح) (رأت جللا لا الصبر يجمل بالفتى * على مثله يوما ولا الحزن يقبح) (فلا غرو أن تبكي الدماء لكاسب * لها كان يسعى في البلاد ويكدح) (عزيز عليها أن تراني جاثما * وما لي في الأرض البسيطة مسرح) (وأن لا أقود العيس تنفح في البرى * وجرد المذاكي في الأعنة تمرح) (أظل حبيسا في قرارة منزل * رهين أسى أمسي عليه وأصبح) (مقامي منه مظلم الجو قاتم * ومسعاي ضنك وهو صمحان أفيح) (أقاد به قود الجنيبة مسمحا * وما

كنت لولا غدرة الدهر أسمح) (كأني ميت لا ضريح لجنبه * وما كل ميت لا أبالك يضرح)
306 (وها أنا لا قلبي يراع لفائت * فيأسى ولا يلهيه حظ فيفرح) (فلله نصل فل مني غراره * وعود شباب عاد وهو مصوح) (وسقيا لأيام ركبت بها الهوى * جموحا ومثلي في هوى الغيد يجمح) (وماضي صبا قضيت منه لبانتي * خلاسا وعين الدهر زرقاء تلمح) (ليالي لي عند الغواني مكانة * فألحاظها ترنو إلي وتطمح) (وليلى بها أضعاف ما بي من الهوى * أعرض بالشكوى لها فتصرح) وهي طويلة طنانة يمدح بها الإمام الناصر لدين الله خليفة بغداد وقال المرزباني وجدت بخط محمد بن العباس اليزيدي ما مثاله أهدى أبو فيد مؤرج السدوسي إلى جدي محمد بن أبي محمد كساء فقال جدي فيه يمدحه (سأشكر ما أولى ابن عمرو مؤرج * وأمنحه حسن الثناء مع الود) (أغر سدوسي نماه إلى العلى * أب كان صبا بالمكارم والمجد) (أتينا أبا فيد نؤمل سيبه * ونقدح زندا غير كاب ولا صلد) (فأصدرنا بالري والبذل واللهى * وما زال محمود المصادر والورد) (كساني ولم أستكسه متبرعا * وذلك أهنى ما يكون من الرفد) (كسانيه فضفاضا إذا ما لبسته * تروحت مختالا وجرت عن القصد) (كساء جمال إن أردت جمالة * وثوب شتاء إن خشيت من البرد) (ترى حبكا فيه كأن اطرادها * فرند حديث صقله سل من غمد)

(سأشكر ما عشت السدوسي بره * وأوصي بشكر للسدوسي من بعدي) وأخبار مؤرج كثيرة وقال ابن النديم وجدت بخط عبد الله بن المعتز مؤرج بن عمرو السدوسي كان من أصحاب الخليل بن أحمد وتوفي سنة خمس وتسعين ومائة في اليوم الذي توفي فيه أبو نواس وهذا إنما يستقيم على قول من ذهب إلى أن أبا نواس
307 توفي سنة خمس وتسعين ومائة وقد سبق الخلاف فيه ورأيت في كتاب الأنوار في أوله ما مثاله قال أبو علي إسماعيل بن يحيى بن المبارك اليزيدي قرأنا هذا الكتاب على المؤرج بجرجان ثم قدمنا مع المأمون العراق سنة أربع ومائتين فخرج المؤرج إلى البصرة ثم مات بها رحمه الله تعالى وهذا خلاف للأول والله أعلم بالصواب وأما مؤرج فلا خلاف أنه مات في هذه السنة وقد ذكره ابن قتيبة في كتاب المعارف وغيره وفيد بفتح الفاء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة وهو في الأصل ورد الزعفران وقيل هو الزعفران بعينه ومؤرج بضم الميم وفتح الواو المهموزة وكسر الراء المشددة وبعدها جيم وهو اسم فاعل من قولهم أرجت بين القوم إذا أغريت بينهم وقد تقدم الكلام على السدوسي في ترجمة قتادة في حرف القاف وقيل إن اسمه مرثد ومؤرج لقب له ومرثد بفتح الميم والثاء المثلثة وراء ساكنة وفي الآخر دال مهملة قال الجوهري في كتاب الصحاح يقال رثدت المتاع نضدته ووضعت بعضه على بعض أو إلى جنب

بعض ثم قال بعد ذلك تركت بني فلان مرتثدين ما تحملوا بعد أي ناضدين متاعهم قال ابن السكيت ومنه اشتق مرثد وهو اسم رجل والمرثد اسم من أسماء الأسد وكان مؤرج يقول اسمي وكنيتي غريبان اسمي مؤرج والعرب تقول أرجت بين القوم و أرشت وأنا أبو فيد والفيد ورد الزعفران ويقال فاد الرجل يفيد فيدا إذا مات والله أعلم بالصواب

308 746 موسى الكاظم أبو الحسن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أحد الأئمة الاثني عشر رضي الله عنهم أجمعين قال الخطيب في تاريخ بغداد كان موسى يدعى العبد الصالح من عبادته واجتهاده روي أنه دخل مسجد رسول الله فسجد سجدة في أول الليل وسمع وهو يقول في سجوده عظم الذنب عندي فليحسن العفو من عندك يا أهل التقوى ويا أهل المغفرة فجعل يرددها حتى أصبح وكان سخيا كريما وكان يبلغه عن الرجل أنه يؤذيه فيبعث إليه بصرة فيها ألف دينار وكان يصر الصرر ثلثمائة دينار وأربعمائة دينار ومائتي دينار ثم يقسمها بالمدينة وكان يسكن المدينة فأقدمه المهدي بغداد وحبسه فرأى في النوم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يقول يا محمد (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم) (محمد 22) قال الربيع فأرسل إلي ليلا فراعني ذلك فجئته فإذا هو يقرأ

هذه الآية وكان أحسن الناس صوتا وقال علي بموسى بن جعفر فجئته به فعانقه وأجلسه إلى جنبه وقال يا أبا الحسن إني رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في النوم يقرأ علي كذا فتؤمنني أن تخرج علي أو على أحد من أولادي فقال والله
309 لا فعلت ذلك ولا هو من شأني قال صدقت أعطه ثلاثة آلاف دينار ورده إلى أهله إلى المدينة قال الربيع فأحكمت أمره ليلا فما أصبح إلا وهو في الطريق خوف العوائق وأقام بالمدينة إلى أيام هارون الرشيد فقدم هارون منصرفا من عمرة شهر رمضان سنة تسع وسبعين ومائة فحمل موسى معه إلى بغداد وحبسه بها إلى أن توفي في محبسه وذكر أيضا أن هارون الرشيد حج فأتى قبر النبي زائرا وحوله قريش ورؤساء القبائل ومعه موسى بن جعفر فقال السلام عليك يا رسول الله يا ابن عم افتخارا على من حوله فقال موسى السلام عليك يا أبت فتغير وجه هارون الرشيد وقال هذا هو الفخر يا أبا الحسن حقا انتهى كلام الخطيب وقال أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي في كتاب مروج الذهب في أخبار هارون الرشيد إن عبد الله بن مالك الخزاعي كان على دار هارون الرشيد وشرطته فقال أتاني رسول الرشيد وقتا ما جاءني فيه قط فانتزعني من موضعي ومنعني من تغيير ثيابي فراعني ذلك فلما صرت إلى الدار سبقني الخادم فعرف الرشيد خبري فأذن لي في الدخول عليه فدخلت

فوجدته قاعدا على فراشه فسلمت عليه فسكت ساعة فطار عقلي وتضاعف الجزع علي ثم قال يا عبد الله أتدري لم طلبتك في هذا الوقت قلت لا والله يا أمير المؤمنين قال إني رأيت الساعة في منامي كأن حبشيا قد أتاني ومعه حربة فقال إن خليت عن موسى بن جعفر الساعة وإلا نحرتك بهذه الحربة فاذهب فخل عنه قال فقلت يا أمير المؤمنين أطلق موسى بن جعفر ثلاثا قال نعم امض الساعة حتى تطلق موسى بن جعفر وأعطه ثلاثين ألف درهم وقل له إن أحببت المقام قبلنا فلك عندي ما تحب وإن أحببت المضي إلى المدينة فالإذن في ذلك لك قال فمضيت إلى الحبس لأخرجه فلما رآني موسى

310 وثب إلي قائما وظن أني قد أمرت فيه بمكروه فقلت لا تخف فقد أمرني بإطلاقك وأن أدفع لك ثلاثين ألف درهم وهو يقول لك إن أحببت المقام قبلنا فلك كل ما تحب وإن أحببت الانصراف إلى المدينة فالأمر في ذلك مطلق لك وأعطيته ثلاثين ألف درهم وخليت سبيله وقلت له لقد رأيت من أمرك عجبا قال فإني أخبرك بينما أنا نائم إذ أتاني رسول الله فقال يا موسى حبست مظلوما فقل هذه الكلمات فإنك لا تبيت هذه الليلة في الحبس فقلت بأبي وأمي ما أقول قال قل يا سامع كل صوت ويا سابق الفوت ويا كاسي العظام لحما ومنشرها بعد الموت أسألك بأسمائك الحسنى وباسمك الأعظم الأكبر المخزون المكنون الذي لم يطلع عليه أحد من المخلوقين يا حليما ذا

أناة لا يقوى على أناته يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبدا ولا يحصى عددا فرج عني فكان ما ترى وله أخبار ونوادر كثيرة وكانت ولادته يوم الثلاثاء قبل طلوع الفجر سنة تسع وعشرين ومائة وقال الخطيب سنة ثمان وعشرين بالمدينة وتوفي لخمس بقين من رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة وقيل سنة ست وثمانين ببغداد وقيل إنه توفي مسموما وقال الخطيب توفي في الحبس ودفن في مقابر الشونيزيين خارج القبة وقبره هناك مشهور يزار وعليه مشهد عظيم فيه قناديل الذهب والفضة وأنواع الآلات والفرش ما لا يحد وهو في الجانب الغربي وقد سبق ذكر أبيه وأجداده وجماعة من أحفاده رضي الله عنهم وأرضاهم وكان الموكل به مدة حبسه السندي بن شاهك جد كشاجم الشاعر المشهور

311 747 كمال الدين ابن يونس أبو الفتح موسى بن أبي الفضل يونس بن محمد بن منعة بن مالك بن محمد الملقب كمال الدين الفقيه الشافعي تفقه بالموصل على والده ثم توجه إلى بغداد سنة إحدى وسبعين وخمسمائة وأقام بالمدرسة النظامية يشتغل على المعيد بها السديد السلماسي المقدم ذكره وكان المدرس بها يومئذ الشيخ رضي الدين أبو الخير أحمد بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن العباس القزويني فقرأ الخلاف والأصول وبحث الأدب على الكمال أبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري المقدم ذكره فتميز ومهر وكان قد قرأ أولا على

الشيخ أبي بكر يحيى بن سعدون القرطبي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى وهو بالموصل ثم أصعد إلى الموصل وعكف على الاشتغال ودرس بعد وفاة والده في التاريخ الآتي ذكره في ترجمته إن شاء الله تعالى في موضعه بالمسجد المعروف بالأمير زين الدين صاحب إربل وهذا المسجد رأيته وهو على وضع المدرسة ويعرف الآن بالمدرسة الكمالية لأنه نسب إلى كمال الدين المذكور لطول إقامته به ولما اشتهر فضله انثال عليه الفقهاء وتبحر في جمع الفنون وجمع من العلوم ما لم يجمعه أحد وتفرد بعلم الرياضة ولقد رأيته بالموصل في شهر رمضان سنة ست وعشرين وستمائة وترددت إليه دفعات عديدة لما كان بينه وبين الوالد رحمه الله من المؤانسة والمودة الأكيدة ولم يتفق لي الأخذ عنه لعدم الإقامة وسرعة الحركة إلى الشام وكان الفقهاء يقولون إنه يدري أربعة

312 وعشرين فنا دراية متقنة فمن ذلك المذهب وكان فيه أوحد الزمان وكان جماعة من الطائفة الحنفية يشتغلون عليه بمذهبهم ويحل لهم مسائل الجامع الكبير أحسن حل مع ما هي عليه من الإشكال المشهور وكان يتقن فني الخلاف العراقي والبخاري وأصول الفقه وأصول الدين ولما وصلت كتب فخر الدين الرازي إلى الموصل وكان بها إذ ذاك جماعة من الفضلاء لم يفهم أحد منهم اصطلاحه فيها سواه وكذلك الإرشاد للعميدي لما

وقف عليها حلها في ليلة واحدة وأقرأها على ما قالوه
وكان يدري فن الحكمة المنطق والطبيعي والإلهي وكذلك
الطب ويعرف فنون الرياضة من اقليدس والهيئة
والمخروطات والمتوسطات والمجسطي المجسطي لفظة
يونانية معناها بالعربي الترتيب ذكر ذلك الوكري في كتابه
وأنواع الحساب المفتوح منه والجبر والمقابلة
والأرثماطيقي وطريق الخطأين والموسيقى والمساحة
معرفة لا يشاركه فيها غيره إلا في ظواهر هذه العلوم
دون دقائقها والوقوف على حقائقها وبالجملة فلقد كان كما
قال الشاعر (وكان من العلوم بحيث يقضى * له في كل
فن بالجميع) واستخرج في علم الأوفاق طرقا لم يهتد
إليها أحد وكان يبحث في العربية والتصريف بحثا تاما
مستوفى حتى إنه كان يقريء كتاب سيبويه والإيضاح
والتكملة لأبي علي الفارسي والمفصل للزمخشري وكان
له في التفسير والحديث وأسماء الرجال وما يتعلق به يد
جيدة وكان يحفظ من التواريخ وأيام العرب ووقائعهم
والأشعار والمحاضرات شيئا كثيرا وكان أهل الذمة
يقرءون عليه التوراة والإنجيل ويشرح لهما هذين الكتابين
شرحا يعترفون
313 أنهم لا يجدون من يوضحهما لهم مثله وكان
في كل فن من هذه الفنون كأنه لا يعرف سواه لقوته فيه
وبالجملة فإن مجموع ما كان يعلمه من الفنون لم يسمع
عن أحد ممن تقدمه أنه قد جمعه ولقد جاءنا الشيخ أثير

الدين المفضل بن عمر بن المفضل الأبهري صاحب التعليقة في الخلاف والزيج والتصانيف المشهورة من الموصل إلى إربل في سنة ست وعشرين وستمائة وقبلها في خمس وعشرين وستمائة ونزل بدار الحديث وكنت أشتغل عليه بشيء من الخلاف فبينما أنا يوما عنده إذ دخل عليه بعض فقهاء بغداد وكان فاضلا فتجاريا في الحديث زمانا وجرى ذكر الشيخ كمال الدين في أثناء الحديث فقال له الأثير لما حج الشيخ كمال الدين ودخل بغداد كنت هناك فقال نعم فقال كيف كان إقبال الديوان العزيز عليه فقال ذلك الفقيه ما أنصفوه على قدر استحقاقه فقال الأثير ما هذا إلا عجب والله ما دخل إلى بغداد مثل الشيخ فاستعظمت منه هذا الكلام وقلت له يا سيدنا كيف تقول كذا فقال يا ولدي ما دخل إلى بغداد مثل أبي حامد الغزالي ووالله ما بينه وبين الشيخ نسبة وكان الأثير على جلالة قدره في العلوم يأخذ الكتاب ويجلس بين يديه يقرأ عليه والناس يوم ذاك يشتغلون في تصانيف الأثير ولقد شاهدت هذا بعيني وهو يقرأ عليه كتاب المجسطي ولقد حكى لي بعض الفقهاء أنه سأل الشيخ كمال الدين عن الأثير ومنزلته في العلوم فقال ما أعلم فقال وكيف هذا يا مولانا وهو في خدمتك منذ سنين عديدة ويشتغل عليك فقال لأني مهما قلت له تلقاه بالقبول وقال نعم يا مولانا فما جاذبني في مبحث قط حتى أعلم حقيقة فضله ولا شك أنه كان يعتمد هذا القدر مع الشيخ تأدبا وكان معيدا عنده في المدرسة البدرية

وكان يقول ما تركت بلادي وقصدت الموصل إلا للاشتغال على الشيخ
314 وكان شيخنا تقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح المقدم ذكره يبالغ في الثناء على فضائله وتعظيم شأنه وتوحده في العلوم فذكره يوما وشرع في وصفه على عادته فقال له بعض الحاضرين يا سيدنا على من اشتغل ومن كان شيخه فقال هذا الرجل خلقه الله تعالى عالما إماما في فنونه لا يقال على من اشتغل ولا من شيخه فإنه أكبر من هذا وحكى لي بعض الفقهاء بالموصل أن ابن الصلاح المذكور سأله أن يقرأ عليه شيئا من المنطق سرا فأجابه إلى ذلك وتردد إليه مدة فلم يفتح عليه فيه بشيء فقال له يا فقيه المصلحة عندي أن تترك الاشتغال بهذا الفن فقال له ولم ذاك يا مولانا فقال لأن الناس يعتقدون فيك الخير وهم ينسبون كل من اشتغل بهذا الفن إلى فساد الاعتقاد فكأنك تفسد عقائدهم فيك ولا يحصل لك من هذا الفن شيء فقبل إشارته وترك قراءته ومن يقف على هذه الترجمة فلا ينسبني إلى المغالاة في حق الشيخ ومن كان من أهل تلك البلاد وعرف ما كان عليه الشيخ عرف أني ما أعرته وصفا ونعوذ بالله من الغلو والتساهل في النقل ولقد ذكره أبو البركات المبارك بن المستوفي المقدم ذكره في تاريخ إربل فقال هو عالم مقدم ضرب في كل علم وهو في علم الأوائل كالهندسة والمنطق وغيرهما ممن يشار إليه حل

اقليدس والمجسطي على الشيخ شرف الدين المظفر بن محمد بن المظفر الطوسي الفارابي يعني صاحب الاصطرلاب الخطي المعروف بالعصا ثم قال ابن المستوفي وردت عليه مسائل من بغداد في مشكلات هذا العلم فحلها واستصغرها ونبه على براهينها بعد أن احتقرها وهو في الفقه والعلوم
315 الإسلامية نسيج وحده ودرس في عدة مدارس بالموصل وتخرج عليه خلق كثير في كل فن ثم قال أنشدنا لنفسه وأنفذها إلى صاحب الموصل يشفع عنده (لئن شرفت أرض بمالك رقها * فمملكة الدنيا بكم تتشرف) (بقيت بقاء الدهر أمرك نافذ * وسعيك مشكور وحكمك منصف) (ومكنت في حفظ البسيطة مثل ما * تمكن في أمصار فرعون يوسف) قلت أنا ولقد أنشدني هذه الأبيات عنه أحد أصحابنا بمدينة حلب وكنت بدمشق سنة ثلاث وثلاثين وستمائة وبها رجل فاضل في علوم الرياضة فأشكل عليه مواضع في مسائل الحساب والجبر والمقابلة والمساحة واقليدس فكتب جميعها في درج وسيرها إلى الموصل ثم بعد أشهر عاد جوابه وقد كشف عن خفيها وأوضح غامضها وذكر ما يعجز الإنسان عن وصفه ثم كتب في آخر الجواب فليمهد العذر في التقصير في الأجوبة فإن القريحة جامدة والفطنة خامدة قد استولى عليها كثرة النسيان وشغلتها حوادث الزمان وكثير مما استخرجناه وعرفناه نسيناه بحيث صرنا كأنا ما عرفناه

وقال لي صاحب المسائل المذكورة ما سمعت مثل هذا
الكلام إلا للأوائل المتقنين لهذه العلوم ما هذا من كلام أبناء
هذا الزمان وحكى لي الشيخ الفقيه الرياضي علم الدين
قيصر بن أبي القاسم عبد الغني بن مسافر الحنفي
المصري المعروف بتعاسيف وكان إماما في علوم
الرياضة قال لما أتقنت علوم الرياضة بالديار المصرية
ودمشق تاقت نفسي إلى الاجتماع بالشيخ كمال الدين لما
كنت أسمعه من تفرده بهذه العلوم فسافرت إلى الموصل
قصد الاجتماع به فلما حضرت في خدمته وجدته على
حلية الحكماء المتقدمين وكنت
316 قد طالعت أخبارهم فسلمت عليه وعرفته
قصدي له للقراءة عليه فقال لي في أي العلوم تريد تشرع
فقلت في الموسيقى فقال مصلحة هو فلي زمان ما قرأه
أحد علي فأنا أوثر مذاكرته وتجديد العهد به فشرعت فيه
ثم في غيره حتى شققت عليه أكثر من أربعين كتابا في
مقدار ستة أشهر وكنت عارفا بهذا الفن لكن كان غرضي
الانتساب في القراءة إليه وكان إذا لم أعرف المسألة
أوضحها لي وما كنت أجد من يقوم مقامه في ذلك وقد
أطلت الشرح في نشر علومه ولعمري لقد اختصرت ولما
توفي أخوه الشيخ عماد الدين محمد المقدم ذكره تولى
الشيخ المدرسة العلائية موضع أخيه ولما فتحت المدرسة
القاهرية تولاها ثم تولى المدرسة البدرية في ذي الحجة
سنة عشرين وستمائة وكان مواظبا على إلقاء الدروس

والإفادة وحضر في بعض الأيام دروسه جماعة من المدرسين أرباب الطيالس وكان العماد أبو علي عمر بن عبد النور بن ماجوج بن يوسف الصنهاجي اللزني النحوي البجائي حاضرا فأنشد على البديهة قوله (كمال كمال الدين للعلم والعلى * فهيهات ساع في مساعيك يطمع) (إذا اجتمع النظار في كل موطن * فغاية كل أن تقول ويسمعوا) (فلا تحسبوهم من غناء تطيلسوا * ولكن حياء واعترافا تقنعوا) وللعماد المذكور فيه أيضا (تجر الموصل الأذيال فخرا * على كل المنازل والرسوم) (بدجلة والكمال هما شفاء * لهيم أو لذي فهم سقيم) (فذا بحر تدفق وهو عذب * وذا بحر ولكن من علوم) وكان الشيخ سامحه الله تعالى يتهم في دينه لكون العلوم العقلية غالبة

317 عليه وكانت تعتريه غفلة في بعض الأحيان لاستيلاء الفكرة عليه بسبب هذه العلوم فعمل فيه العماد المذكور (أجدك أن قد جاد بعد التعبس * غزال بوصل لي وأصبح مؤنسي) (وعاطيته صهباء من فيه مزجها * كرقة شعري أو كدين ابن يونس) وقد خرجنا عن المقصود إلى ما لا حاجة بنا إليه وكانت ولادته يوم الخميس خامس صفر سنة إحدى وخمسين وخمسمائة بالموصل وتوفي بها رابع عشر شعبان سنة تسع وثلاثين وستمائة ودفن في تربتهم المعروفة بهم عند تربة عناز خارج باب العراق وقد سبق ذكر ولده شرف الدين أحمد

في حرف الهمزة وأخيه عماد الدين في حرف الميم
وسيأتي ذكر والده في حرف الياء إن شاء الله تعالى
رحمهم الله أجمعين ولما كنت أتردد إلى خدمته بالموصل
أوقع الله في نفسي أنه إن رزقت ولدا ذكرا سميته باسمه ثم
سافرت في بقية السنة المذكورة إلى الشام وأقمت به عشر
سنين ثم سافرت إلى الديار المصرية في سنة ثلاث
وثلاثين وستمائة وتقلبت الأحوال ثم حصل التأهل فرزقني
الله ولدي الأكبر في بكرة يوم السبت حادي عشر صفر
سنة إحدى وخمسين وستمائة بالقاهرة المحروسة فسميته
موسى وعجبت من موافقته للشيخ في الولادة في الشهر
والسنة فكان بين مولدهما سنة وذكرت ذلك للشيخ الحافظ
زكي الدين عبد العظيم المحدث فعجب من هذا الاتفاق
وجعل يكرر التعجب ويقول والله ان هذا لشيء غريب
274 وتوفي الشيخ رضي الدين القزويني مدرس المدرسة
النظامية المذكور
318 في أول هذه الترجمة في الثالث والعشرين من
المحرم سنة تسعين وخمسمائة وكانت ولادته في شهر
رمضان سنة اثنتي عشرة وخمسمائة بقزوين وموته بها
أيضا ولولا خوف الإطالة لذكرت من مناقب الشيخ كمال
الدين ما يستغرق الوصف وقد تقدم الكلام على
الصنهاجي وأما اللزني فهو بفتح اللام وسكون الزاي
وبعدها نون هذه النسبة إلى لزنة وهي قبيلة من البربر
تسكن بالقرب من بجاية من عمل إفريقية 275 وتوفي علم

الدين تعاسيف المذكور يوم الأحد ثالث عشر رجب من سنة تسع وأربعين وستمائة بدمشق ودفن خارج باب شرقي ثم نقل إلى باب الصغير ومولده في سنة أربع وسبعين وخمسمائة بأصفون من شرقي صعيد مصر رحمه الله تعالى 748 موسى بن نصير أبو عبد الرحمن موسى بن نصير اللخمي بالولاء صاحب فتح الأندلس كان من التابعين رضي الله عنهم وروى عن تميم الداري رضي الله عنه

319 وكان عاقلا كريما شجاعا ورعا تقيا لله تعالى لم يهزم له جيش قط 276 وكان والده نصير على حرس معاوية بن أبي سفيان ومنزلته عنده مكينة ولما خرج معاوية لقتال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يخرج معه فقال له معاوية ما منعك من الخروج معي ولي عندك يد لم تكافئني عليها فقال لم يمكني أن أشكرك بكفر من هو أولى بشكري فقال ومن هو قال الله عز وجل فقال وكيف لا أم لك قال وكيف لا أعلمك هذا فأعض وأمص قال فأطرق معاوية مليا ثم قال أستغفر الله ورضي عنه وكان عبد الله بن مروان أخو عبد الملك بن مروان واليا على مصر وإفريقية فبعث إليه ابن أخيه الوليد بن عبد الملك أيام خلافته يقول له أرسل موسى بن نصير إلى إفريقية وذلك في سنة تسع وثمانين للهجرة وقال الحافظ أبو عبد الله الحميدي في كتاب جذوة المقتبس إن موسى ابن نصير تولى إفريقية والمغرب سنة سبع وسبعين فأرسله إليها فلما

قدمها ومعه جماعة من الجند بلغه أن بأطراف البلاد
جماعة خارجين عن الطاعة فوجه ولده عبد الله فأتاه بمائة
ألف رأس من السبايا ثم وجه ولده مروان إلى جهة أخرى
فأتاه بمائة ألف رأس قال الليث بن سعد فبلغ الخمس ستين
ألف رأس وقال أبو شبيب الصدفي لم يسمع في الإسلام
بمثل سبايا موسى بن نصير ووجد أكثر مدن إفريقية
خالية لاختلاف أيدي البربر عليها وكانت البلاد في قحط
شديد فأمر الناس بالصوم والصلاة وإصلاح ذات البين
وخرج بهم إلى الصحراء ومعه سائر الحيوانات وفرق
بينها وبين أولادها فوقع البكاء والصراخ والضجيج وأقام
على ذلك إلى منتصف النهار ثم صلى وخطب بالناس ولم
يذكر الوليد بن عبد الملك فقيل له ألا تدعو لأمير المؤمنين
فقال هذا مقام لا يدعى فيه لغير
320 الله عز وجل فسقوا حتى رووا ثم خرج موسى
غازيا وتتبع البربر وقتل فيهم قتلا ذريعا وسبى سبيا
عظيما وسار حتى انتهى إلى السوس الأدنى لا يدافعه أحد
فلما رأى بقية البربر ما نزل بهم استأمنوا وبذلوا له
الطاعة فقبل منهم وولى عليهم واليا واستعمل على طنجة
وأعمالها مولاه طارق بن زياد البربري ويقال إنه من
الصدف وترك عنده تسعة عشر ألف فارس من البربر
بالأسلحة والعدد الكاملة وكانوا قد أسلموا وحسن إسلامهم
وترك موسى عندهم خلقا يسيرا من العرب لتعليم البربر
القرآن وفرائض الإسلام ورجع إلى إفريقية ولم يبق بالبلاد

من ينازعه من البربر ولا من الروم فلما استقرت له القواعد كتب إلى طارق وهو بطنجة يأمره بغزو بلاد الأندلس في جيش من البربر ليس فيه من العرب إلا قدر يسير فامتثل طارق أمره وركب البحر من سبتة إلى الجزيرة الخضراء من بر الأندلس وصعد إلى جبل يعرف اليوم بجبل طارق لأنه نسب إليه لما حصل عليه وكان صعوده إليه يوم الاثنين لخمس خلون من رجب سنة اثنتين وتسعين للهجرة في اثني عشر ألف فارس من البربر خلا اثنى عشر رجلا وذكر عن طارق أنه كان نائما في المركب وقت التعدية وأنه رأى النبي والخلفاء الأربعة رضي الله عنهم يمشون على الماء حتى مروا به فبشره رسول الله بالفتح وأمره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد ذكر ذلك ابن بشكوال المقدم ذكره في حرف الخاء في تاريخ الأندلس وكان صاحب طليطلة ومعظم بلاد الأندلس ملك يقال له لذريق ولما احتل طارق بالجبل المذكور كتب إلى موسى بن نصير إني فعلت ما أمرتني به وسهل الله سبحانه وتعالى بالدخول فلما وصل كتابه إلى موسى ندم على تأخره

321 وعلم أنه إن فتح نسب الفتح إليه دونه فأخذ في جمع العساكر وولى على القيروان ولده عبد الله وتبعه فلم يدركه إلا بعد الفتح وكان لذريق المذكور قد قصد عدوا له واستخلف في المملكة شخصا يقال له تدمير وإلى هذا الشخص تنسب بلاد تدمير بالأندلس وهي مرسية وما

والاها وهي خمسة مواضع تسمى بهذا الاسم واستولى الفرنج على مرسية سنة اثنتين وخمسين وستمائة فلما نزل طارق من الجبل بالجيش الذي معه كتب تدمير إلى لذريق الملك إنه قد وقع بأرضنا قوم لا ندري من السماء هم أم من الأرض فلما بلغ ذلك لذريق رجع عن مقصده في سبعين ألف فارس ومعه العجل يحمل الأموال والمتاع وهو على سريره بين دابتين عليه قبة مكللة بالدر والياقوت والزبرجد فلما بلغ طارقا دنوه قام في أصحابه فحمد الله سبحانه وتعالى وأثنى عليه بما هو أهله ثم حث المسلمين على الجهاد ورغبهم في الشهادة ثم قال أيها الناس أين المفر والبحر من ورائكم والعدو أمامكم فليس لكم والله إلا الصدق والصبر واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مآدب اللئام وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته وأقواته موفورة وأنتم لا وزر لكم غير سيوفكم ولا أقوات لكم إلا ما تستخلصونه من أيدي أعدائكم وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمرا ذهبت ريحكم وتعوضت القلوب برعبها منكم الجراءة عليكم فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية فقد ألقت به إليكم مدينته المحصنة وإن انتهاز الفرصة فيه لممكن لكم إن سمحتم بأنفسكم للموت وإني لم أحذركم أمرا أنا عنه بنجوة ولا حملتكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس أبدا فيها

بنفسي واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلا استمتعتم بالأرفه الألذ طويلا فلا ترغبوا
322 بأنفسكم عن نفسي فيما حظكم فيه أوفر من حظي وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان من بنات اليونان الرافلات في الدر والمرجان والحلل المنسوجة بالعقيان المقصورات في قصور الملوك ذوي التيجان وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك من الأبطال عربانا ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهارا وأختانا ثقة منه بارتياحكم للطعان واستماحكم بمجالدة الأبطال والفرسان ليكون حظه معكم ثواب الله على إعلاء كلمته وإظهار دينه بهذه الجزيرة ويكون مغنمها خالصا لكم من دونه ومن دون المسلمين سواكم والله تعالى ولي إنجادكم على ما يكون لكم ذكرا في الدارين واعلموا أني أول مجيب إلى ما دعوتكم إليه وأني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية قومه لذريق فقاتله إن شاء الله تعالى فاحملوا معي فإن هلكت بعده فقد كفيتكم أمره ولن يعوزكم بطل عاقل تسندون أمركم إليه وإن هلكت قبل وصولي إليه فاخلفوني في عزيمتي هذه واحملوا بأنفسكم عليه واكتفوا المهم من فتح هذه الجزيرة بقتله فإنهم بعده يخذلون فلما فرغ طارق من تحريض أصحابه على الصبر في قتال لذريق وأصحابه وما وعدهم من النيل الجزيل انبسطت نفوسهم وتحققت آمالهم وهبت ريح النصر عليهم وقالوا قد قطعنا الآمال مما يخالف ما عزمت عليه فاحضر إليه فأنا

معك وبين يديك فركب طارق وركبوا وقصدوا مناخ لذريق وكان قد نزل بمتسع من الأرض فلما تراءى الجمعان نزل طارق وأصحابه فباتوا ليلتهم في حرس إلى الصبح فلما أصبح الفريقان تلببوا وعبوا كتائبهم وحمل لذريق على سريره وقد رفع على رأسه رواق ديباج يظله وهو مقبل في غاية من البنود والأعلام

323   وبين يديه المقاتلة والسلاح وأقبل طارق وأصحابه عليهم الزرد ومن فوق رؤوسهم العمائم البيض وبأيديهم القسي العربية وقد تقلدوا السيوف واعتقلوا الرماح فلما نظر إليهم لذريق قال أما والله إن هذه الصور التي رأينا ببيت الحكمة ببلدنا فداخله منهم رعب ونتكلم هاهنا على بيت الحكمة ما هو ثم نتكلم على حديث هذه الواقعة وأصل خبر بيت الحكمة أن اليونان وهم الطائفة المشهورة بالحكمة كانوا يسكنون ببلاد المشرق قبل عهد الإسكندر فلما ظهرت الفرس واستولت على البلاد وزاحمت اليونان على ما كان بأيديهم من الممالك انتقل اليونان إلى جزيرة الأندلس لكونها طرفا في آخر العمارة ولم يكن لها ذكر يوم ذاك ولا ملكها أحد من الملوك المعتبرة ولا كانت عامرة وكان أول من عمر فيها واختطها أندلس بن يافث بن نوح عليه السلام فسميت باسمه ولما عمرت الأرض بعد الطوفان كان صورة المعمور منها عندهم على شكل طائر رأسه المشرق والجنوب والشمال جناحاه وما بينهما بطنه والمغرب ذنبه

فكانوا يزدرون المغرب لنسبته إلى أخس أجزاء الطائر
قلت وجرى في مجلس الحافظ أبي طاهر السلفي نادرة
تصلح أن نذكرها هاهنا وهي أن أبا إسحاق إبراهيم بن
عبد الله المعروف بابن الجمش البلبيسي كان في مجلسه
وعبد العزيز الشريشي يقرأ حديث عمرو بن العاص
خلقت الدنيا على صورة طير الحديث المذكور فقال
الشريشي لأبي إسحاق يمازحه اسمع يا أبا إسحاق وشر ما
في الطير ذنبه فقال أبو إسحاق هيهات ما عرفت أنت ما
كان ذلك الطائر المشبه كان طاووسا وما فيه أحسن من
ذنبه وكانت اليونان لا ترى فناء الأمم بالحروب لما ترى
فيه من الإضرار والاشتغال
324 عن العلوم التي كان أمرها عندهم من أهم
الأمور فلذلك انحازوا من بين يدي الفرس إلى الأندلس
فلما صاروا إليها أقبلوا على عمارتها فشقوا الأنهار وبنوا
المعاقل وغرسوا الجنات والكروم وشيدوا الأمصار
وملؤوها حرثا ونسلا وبنيانا فعظمت وطابت حتى قال
قائلهم لما رأى بهجتها إن الطائر الذي صورت العمارة
على شكله وكان المغرب ذنبه كان طاوسا معظم جماله في
ذنبه فاغتبطوا بها أتم اغتباط واتخذوا دار الملك والحكمة
بها مدينة طليطلة لأنها وسط البلاد وكان أهم الأمور
عندهم تحصينها عمن يتصل به خبرها من الأمم فنظروا
فإذا ليس ثم من يحسدهم على أرغد العيش إلا أرباب
الشظف والشقاء وهم يوم ذاك طائفتان العرب والبربر

فخافوهم على جزيرتهم المعمورة فعزموا أن يتخذوا لدفع
هذين الجنسين من الناس طلسما فرصدوا لذلك أرصادا
ولما كان البربر بالقرب منهم وليس بينهم سوى تعدية
البحر ويرد عليهم منهم طوائف منحرفة الطباع خارجة
عن الأوضاع ازدادوا منهم نفورا وكثر تحذيرهم من
مخالطتهم في نسب أو مجاورة حتى انبث ذلك في طبائعهم
وصار بعضهم مركبا في غرائزهم فلما علم البربر عداوة
أهل الأندلس لهم وبغضهم أبغضوهم وحسدوهم فلا تجد
أندلسيا إلا مبغضا بربريا ولا بربريا إلا مبغضا أندلسيا إلا
أن البربر أحوج إلى أهل الأندلس من أهل الأندلس إلى
البربر لكثرة وجود الأشياء بالأندلس وعدمها ببلاد البربر
وكان بنواحي غرب جزيرة الأندلس ملك يوناني بجزيرة
يقال لها قادس وكانت له ابنة في غاية الجمال فتسامع بها
ملوك الأندلس وكانت جزيرة الأندلس كثيرة الملوك لكل
بلدة أو بلدتين ملك تناصفا منهم في ذلك فخطبها كل واحد
منهم وكان أبوها يخشى من تزويجها لواحد منهم وإسخاط
325 الباقين فتحير في أمره وأحضر ابنته المذكورة
وكانت الحكمة مركبة في طباع القوم ذكورهم وإناثهم
ولذلك قيل إن الحكمة نزلت من السماء على ثلاثة أعضاء
من أهل الأرض على أدمغة اليونان وأيدي أهل الصين
وألسنة العرب فلما حضرت بين يديه قال لها يا بنية إني قد
أصبحت في حيرة من أمري قالت وما حيرك قال قد
خطبك جميع ملوك الأندلس ومتى أرضيت واحدا أسخطت

الباقين فقالت اجعل الأمر إلي تخلص من اللوم قال وما تصنعين قالت أقترح لنفسي أمرا من فعله كنت زوجته ومن عجز عنه لم يحسن به السخط قال وما الذي تقترحين قالت أقترح أن يكون ملكا حكيما قال نعم ما اخترتيه لنفسك وكتب في أجوبة الملوك الخطاب إني جعلت الأمر إليها فاختارت من الأزواج الملك الحكيم فلما وقفوا على الأجوبة سكت عنها كل من لم يكن حكيما وكان في الملوك رجلان حكيمان فكتب كل واحد منهما إليه أنا الرجل الحكيم فلما وقف على كتابيهما قال يا بنية بقي الأمر على إشكاله وهذان ملكان حكيمان أيهما أرضيته أسخطت الآخر قالت سأقترح على كل واحد منهما أمرا يأتي به فأيهما سبق إلى الفراغ مما التمسته تزوجت به قال وما الذي تقترحين عليهما قالت إننا ساكنون بهذه الجزيرة ونحن محتاجون إلى رحى تدور بها وإني مقترحة على أحدهما إدارتها بالماء العذب الجاري إليها من ذلك البر ومقترحة على الآخر أن يتخذ طلسما يحصن به جزيرة الأندلس من البربر فاستظرف أبوها اقتراحها وكتب إلى الملكين بما قالته ابنته فأجابا إلى ذلك وتقاسماه على ما اختارا وشرع كل واحد في عمل ما ندب إليه من ذلك فأما صاحب الرحى فإنه عمد إلى خرز عظام اتخذها من الحجارة ونضد

326 بعضها في بعض في البحر المالح الذي بين جزيرة الأندلس والبر الكبير في الموضع المعروف بزقاق

سبتة وسد الفروج التي بين الحجارة بما اقتضته حكمته وأوصل تلك الحجارة من البر إلى الجزيرة وآثارها باقية إلى اليوم في الزقاق الذي بين سبتة والجزيرة الخضراء وأكثر أهل الأندلس يزعمون أن هذا أثر قنطرة كان الإسكندر قد عملها ليعبر عليها الناس من سبتة إلى الجزيرة والله أعلم أي القولين أصح فلما تم تنضيد الحجارة للملك الحكيم جلب إليها الماء العذب من موضع عال في الجبل بالبر الكبير وسلطه في ساقية محكمة البناء وبني بجزيرة الأندلس رحى على هذه الساقية وأما صاحب الطلسم فإنه أبطأ عمله بسبب انتظار الرصد الموافق لعمله غير أنه أعمل أمره وأحكمه وابتنى بنيانا مربعا من حجر أبيض على ساحل البحر في رمل حفر أساسه إلى أن جعله تحت الأرض بمقدار ارتفاعه فوق الأرض ليثبت فلما انتهى البناء المربع إلى حيث اختار صور من النحاس الأحمر والحديد المصفى المخلوطين بأحكم الخلط صورة رجل بربري له لحية وفي رأسه ذؤابة من شعر جعد قائم في رأسه لجعودتها متأبط بصورة كساء قد جمع طرفيه على يده اليسرى بألطف تصوير وأحكمه في رجليه نعل وهو قائم في رأس البناء على مستدق بمقدار رجليه فقط وهو شاهق في الهواء طوله نيف عن ستين ذراعا أو سبعين وهو محدد الأعلى إلى أن ينتهي إلى ما سعته قدر الذراع وقد مد يده اليمنى بمفتاح قفل قابضا عليه مشيرا إلى البحر كأنه يقول لا عبور

وكان من تأثير هذا الطلسم في البحر الذي تجاهه أنه لم ير قط ساكنا ولا كانت تجرى فيه قط سفينة بربري حتى سقط المفتاح من يده وكان الملكان العاملان للرحى والطلسم يتسابقان إلى التمام من عملهما إذ كان بالسبق يستحق التزويج وكان صاحب الرحى قد فرغ لكنه يخفي أمره عن صاحب الطلسم حتى لا يعلم به فيبطل عمل الطلسم وكان يود عمل الطلسم حتى

327 يحظى بالمرأة والرحى والطلسم فلما علم اليوم الذي يفرغ صاحب الطلسم في آخره أجرى الماء بالجزيرة من أوله وأدار الرحى واشتهر ذلك واتصل الخبر بصاحب الطلسم وهو في أعلاه يصقل وجهه وكان الطلسم مذهبا فلما تحقق أنه مسبوق ضعفت نفسه فسقط من أعلى البناء ميتا وحصل صاحب الرحى على الرحى والمرأة والطلسم وكان من تقدم من ملوك اليونان يخشى على جزيرة الأندلس من البربر للسبب الذي قدمنا ذكره فاتفقوا وعملوا الطلسمات في أوقات اختاروا أرصادها وأودعوا تلك الطلسمات تابوتا من الرخام وتركوه في بيت بمدينة طليطلة وركبوا على ذلك البيت بابا وأقفلوه وتقدموا إلى كل من ملك منهم بعد صاحبه أن يلقي على ذلك الباب قفلا تأكيدا لحفظ ذلك البيت فاستمر أمرهم على ذلك ولما كان وقت انقراض دولة اليونان ودخول العرب والبربر إلى جزيرة الأندلس وذلك بعد مضي ستة وعشرين ملكا من ملوك اليونان من يوم عملهم الطلسمات بمدينة طليطلة

وكان الملك لذريق المذكور السابع والعشرين من ملوكهم
فلما جلس في ملكه قال لوزرائه وأهل الرأي من دولته قد
وقع في نفسي من أمر هذا البيت الذي عليه ستة وعشرون
قفلا شيء وأريد أن أفتحه لأنظر ما فيه فإنه لم يعمل عبثا
فقالوا أيها الملك صدقت لم يعمل عبثا ولا أقفل سدى بل
المصلحة أن تلقي عليه قفلا كما فعل من تقدمك من الملوك
وكانوا آباءك وأجدادك ولم يهملوا هذا فلا تهمله وسر
سيرهم فقال إن نفسي تنازعني إلى فتحه ولا بد لي منه
فقالوا إن كنت تظن فيه مالا فقدره ونحن نجمع لك من
أموالنا نظيره ولا تحدث علينا بفتحه حدثا لا نعرف عاقبته
فأصر على ذلك وكان رجلا مهيبا فلم يقدروا على
مراجعته وأمر بفتح الأقفال وكان على كل قفل مفتاحه
معلقا فلما فتح الباب لم ير في البيت شيئا إلا مائدة عظيمة
من ذهب وفضة مكللة بالجواهر وعليها مكتوب
328 هذه مائدة سليمان بن داود عليهما السلام ورأى
في البيت ذلك التابوت وعليه قفل ومفتاحه معلق ففتحه فلم
يجد فيه سوى رق وفي جوانب التابوت صور فرسان
مصورة بأصباغ محكمة التصوير على أشكال العرب
وعليهم الفراء وهم معممون على ذوائب جعد ومن تحتهم
الخيل العربية وبأيديهم القسي العربية وهم متقلدون
بالسيوف المحلاة معتقلون بالرماح فأمر بنشر ذلك الرق
فإذا فيه متى فتح هذا البيت وهذا التابوت المقفلان بالحكمة
دخل القوم الذين صورهم في التابوت إلى جزيرة الأندلس

وذهب ملك اليونان من أيديهم ودرست حكمتهم فهذا هو بيت الحكمة المقدم ذكره فلما سمع لذريق ما في الرق ندم على ما فعل وتحقق انقراض دولتهم فلم يلبث إلا قليلا حتى سمع أن جيشا وصل من المشرق جهزه ملك العرب يستفتح بلاد الأندلس انتهى الكلام على بيت الحكمة ونعود الآن إلى تتمة حديث لذريق وجيش طارق بن زياد فلما رأى طارق لذريق قال لأصحابه هذا طاغية القوم فحمل وحمل أصحابه معه فتفرقت المقاتلة من بين يدي لذريق فخلص إليه طارق وضربه بالسيف على رأسه فقتله على سريره فلما رأى أصحابه مصرع ملكهم اقتحم الجيشان وكان النصر للمسلمين ولم تقف هزيمة اليونان على موضع بل كانوا يسلمون بلدا بلدا ومعقلا معقلا فلما سمع بذلك موسى بن نصير المذكور أولا عبر الجزيرة بمن معه ولحق بمولاه طارق فقال له يا طارق إنه لن يجازيك الوليد بن عبد الملك على بلائك بأكثر من أن يبيحك جزيرة الأندلس فاستبحه هنيئا مريئا فقال طارق أيها الأمير والله لا أرجع عن قصدي هذا ما لم أنته إلى البحر المحيط وأخوض فيه بفرسي يعني البحر الشمالي الذي تحت بنات نعش فلم يزل طارق

329 يفتح وموسى معه إلى أن بلغ جليقية وهي على ساحل البحر المحيط ثم رجع قال الحميدي في جذوة المقتبس إن موسى بن نصير نقم على طارق إذ غزا بغير إذنه وسجنه وهم بقتله ثم ورد عليه كتاب الوليد بإطلاقه

فأطلقه وخرج معه إلى الشام وكان خروج موسى من الأندلس وافدا على الوليد يخبره بما فتح الله سبحانه وتعالى على يديه وما معه من الأموال في سنة أربع وتسعين للهجرة وكان معه مائدة سليمان بن داود عليهما السلام التي وجدت في طليطلة على ما حكاه بعض المؤرخين فقال كانت مصنوعة من الذهب والفضة وكان عليها طوق لؤلؤ وطوق ياقوت وطوق زمرد وكانت عظيمة بحيث إنها حملت على بغل قوي فما سار قليلا حتى تفسخت قوائمه وكان معه تيجان الملوك الذين تقدموا من اليونان وكلها مكللة بالجواهر واستصحب ثلاثين ألف رأس من الرقيق ويقال إن الوليد كان قد نقم عليه أمرا فلما وصل إليه وهو بدمشق أقامه في الشمس يوما كاملا في يوم صائف حتى خر مغشيا عليه وقد أطلنا هذه الترجمة كثيرا لكن الكلام انتشر فلم يمكن قطعه مع أني تركت الأكثر وأتيت بالمقصود وقال الليث بن سعد ان موسى بن نصير حين فتح الأندلس كتب إلى الوليد ابن عبد الملك إنها ليست الفتوح ولكنها الجنة ولما وصل موسى إلى الشام ومات الوليد بن عبد الملك وقام من بعده سليمان أخوه وحج في سنة سبع وتسعين للهجرة وقيل سنة تسع وتسعين حج معه موسى بن نصير ومات في الطريق بوادي القرى وقيل بمر الظهران على اختلاف فيه وكانت ولادته في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سنة تسع عشرة للهجرة رحمه الله تعالى

330 749 الملك الأشرف موسى الأيوبي أبو الفتح
موسى ابن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب
الملقب الملك الأشرف مظفر الدين أول شيء ملكه من
البلاد مدينة الرها سيره إليها والده من الديار المصرية في
سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ثم أضيفت إليه حران وكان
محبوبا إلى الناس مسعودا مؤيدا في الحروب من يومه
لقي نور الدين أرسلان شاه صاحب الموصل المذكور في
حرف الهمزة وكان يوم ذاك من الملوك المشاهير الكبار
وتواقعا في مصاف فكسره وذلك في سنة ستمائة يوم
السبت تاسع عشر شوال بموضع يقال له بين النهرين من
أعمال الموصل وهي وقعة مشهورة فلا حاجة إلى
تفصيلها ولما توفي أخوه الملك الأوحد نجم الدين أيوب
صاحب خلاط وميافارقين وتلك النواحي أخذ الملك
الأشرف مملكته مضافة إلى ملكه وتوفي الملك الأوحد في
شهر ربيع الأول سنة تسع وستمائة وكانت وفاته
بملازكرد من أعمال خلاط ودفن بها وكان الملك الأوحد
قد ملك خلاط في سنة أربع وستمائة فاتسعت حينئذ
مملكته وبسط العدل على الناس وأحسن إليهم إحسانا لم
يعهدوه ممن كان قبله وعظم وقعه في قلوب الناس وبعد
صيته وكان قد ملك نصيبين الشرق في سنة ست وستمائة
وأخذ سنجار سنة سبع عشرة في رابع جمادى الأولى
ورأيت في موضع آخر أنه أخذها في مستهل صفر من

السنة والله أعلم وكذلك الخابور وملك معظم بلاد الجزيرة وكان يتنقل
331 فيها وأكثر إقامته بالرقة لكونها على الفرات
ولما مات ابن عمه الملك الظاهر غازي صاحب حلب في التاريخ المذكور في ترجمته في حرف الغين عزم عز الدين كيكاوس بن غياث الدين كيخسرو بن قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان صاحب الروم على قصد حلب فسير أرباب الأمر بحلب إلى الملك الأشرف وسألوه الوصول إليهم لحفظ البلد فأجابهم إلى سؤالهم وتوجه إليهم وأقام بالياروقية بظاهر حلب مدة ثلاث سنين وجرت له مع صاحب الروم وابن عمه الملك الأفضل بن صلاح الدين صاحب سميساط وقائع مشهورة لا حاجة إلى الإطالة في شرحها ولما أخذت الفرنج دمياط في سنة ست عشرة وستمائة حسبما شرحناه في ترجمة الملك الكامل توجهت جماعة من ملوك الشام إلى الديار المصرية لإنجاد الملك الكامل وتأخر عنه الملك الأشرف لمنافرة كانت بينهما فجاءه أخوه الملك المعظم المقدم ذكره في حرف العين بنفسه وأرضاه ولم يزل يلاطفه حتى استصحبه معه فصادف عقيب وصوله إليها بأشهر كما ذكرناه في ترجمة الكامل محمد انتصار المسلمين على الفرنج وانتزاع دمياط من أيديهم وكانوا يرون ذلك بسبب يمن غرته وكان وصوله إليها في المحرم سنة ثماني عشرة وستمائة واستناب أخاه الملك المظفر شهاب الدين

غازي ابن الملك العادل في خلاط فعصى عليه فقصده في عساكره وأخذها منه يوم الاثنين ثاني عشر جمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين وستمائة ولما مات الملك المعظم في التاريخ المذكور في ترجمته قام بالأمر من بعده ولده الملك الناصر صلاح الدين داود فقصده عمه الملك الكامل من الديار المصرية ليأخذ دمشق منه فاستنجد بعمه الملك الأشرف وكان يومئذ ببلاد الشرق فوصل إليه واجتمع به في دمشق ثم خرج منها متوجها إلى أخيه الملك الكامل واجتمع به وجرى الاتفاق بينهما على أخذ دمشق من الملك الناصر وتسليمها إلى الملك الأشرف ويبقى للملك الناصر الكرك والشوبك ونابلس وبيسان وتلك النواحي وينزل الملك الأشرف عن حران والرها وسروج والرقة ورأس عين ويسلمها إلى الملك الكامل فاستتب الحال على ذلك

332 وتسلم الملك الكامل دمشق لاستقبال شعبان من السنة بنوابه ورحل الناصر إلى بلاده التي بقيت عليه يوم الجمعة ثاني عشر شعبان ثم دخل الملك الكامل إلى دمشق في سادس عشر الشهر المذكور وعاد وخرج إلى مكانه الذي كان فيه ثم دخل هو والأشرف إلى القلعة في ثامن عشر شعبان ثم سلمها إلى أخيه الملك الأشرف على ما تقرر بينهما في أواخر شعبان من سنة ست وعشرين وستمائة وانتقل الملك الكامل إلى بلاده التي تسلمها بالشرق ليكشف أحوالها ويرتب أمورها واجتزت في

التاريخ المذكور بحران وهو بها وانتقل الأشرف إلى دمشق واتخذها دار إقامة وأعرض عن بقية البلاد ونزل جلال الدين خوارزم شاه على خلاط وحاصرها وضايقها أشد مضايقة وأخذها في جمادى الآخرة من سنة ست وعشرين من نواب الملك الأشرف وهو مقيم بدمشق ولم يمكنه في ذلك الوقت قصدها للدفع عنها لأعذار كانت له ثم عقيب ذلك دخل إلى بلاد الروم باتفاق مع سلطانها علاء الدين كيقباذ أخي عز الدين كيكاوس المذكور وتعاقد على قصد خوارزم شاه وضرب المصاف معه فإن صاحب الروم أيضا كان يخاف على بلاده منه لكونه مجاوره فتوجها نحوه في جيش عظيم من جهة الشام والشرق في خدمة الملك الأشرف وعسكر صاحب الروم والتقوا بين خلاط وأرزنكان بموضع يقال له يا للرحمان في يوم الجمعة ثاني عشر شهر رمضان سنة سبع وعشرين وستمائة وانكسر خوارزم شاه وهي واقعة مشهورة وعادت خلاط إلى الملك الأشرف وقد خربت ثم رجع إلى الشام وتوجه إلى الديار المصرية وأقام عند أخيه الملك الكامل مدة ثم خرج في خدمته قاصدين آمد ونزلوا عليها وفتحوها في مدة يسيرة وذلك في سنة تسع وعشرين وستمائة وأضافها الملك الكامل إلى ممالكه ببلاد الشرق ورتب فيها ولده الملك الصالح نجم الدين أيوب المذكور في ترجمة

333 والده وفي خدمته الطواشي شمس الدين
صواب الخادم العادلي ثم عاد كل واحد إلى بلاده ثم كانت
واقعة ببلاد الروم والدربندات في أواخر سنة إحدى
وثلاثين وستمائة وهي مشهورة ورجع الكامل والأشرف
ومن معهما من الملوك بغير حصول مقصود ولما رجعا
خرج عسكر صاحب الروم على بلاد الكامل بالشرق
فأخذها وأخرجها ثم عاد الكامل والأشرف وأتباعهما ومن
معهما من الملوك إلى بلاد الشرق واستنقذوها من نواب
صاحب الروم ثم رجعوا إلى دمشق في سنة ثلاث
وثلاثين وستمائة وكنت يومئذ بدمشق وفي تلك الوقعة
رأيت الكامل والأشرف وكانا يركبان معا ويلعبان بالكرة
في الميدان الأخضر الكبير كل يوم وكان شهر رمضان
فكانا يقصدان بذلك تعبير النهار لأجل الصوم ولقد كنت
أرى من تأدب كل واحد منهما مع الآخر شيئا كثيرا ثم
وقعت بينهما وحشة وخرج الأشرف عن طاعة الكامل
ووافقته الملوك بأسرها وتعاهد هو وصاحب الروم
وصاحب حلب وصاحب حماة وصاحب حمص وأصحاب
الشرق على الخروج على الملك الكامل ولم يبق مع الملك
الكامل سوى ابن أخيه الملك الناصر صاحب الكرك فإنه
توجه إلى خدمته بالديار المصرية فلما تحالفوا وتحزبوا
واتفقوا وعزموا على الخروج على الملك الكامل مرض
الملك الأشرف مرضا شديدا وتوفي يوم الخميس رابع
المحرم سنة خمس وثلاثين وستمائة بدمشق ودفن بقلعتها

ثم نقل إلى التربة التي أنشئت له بالكلاسة في الجانب الشمالي من جامع دمشق وكانت ولادته سنة ثمان وسبعين وخمسمائة بالديار المصرية بالقاهرة وقيل بقلعة الكرك رحمه الله تعالى وقد ذكرت في ترجمة أخيه الملك المعظم عيسى ما ذكره سبط ابن الجوزي في مولدهما وتوفي أخوه شهاب الدين غازي صاحب ميافارقين في رجب سنة خمس وأربعين وستمائة بميافارقين هذه خلاصة أحواله وكان سلطانا كريما حليما واسع الصدر كريم الأخلاق كثير العطاء لا يوجد في خزانته شيء من المال مع اتساع مملكته ولا تزال

334 عليه الديون للتجار وغيرهم ولقد رأى يوما في دواة كاتبه وشاعره الكمال أبي الحسن علي بن محمد المعروف بابن النبيه المصري قلما واحدا فأنكر عليه ذلك فأنشده في الحال دوبيت (قال الملك الأشرف قولا رشدا * أقلامك يا كمال قلت عددا) (جاوبت لعظم كتب ما تطلقه * تحفى فتقط فهي تفنى أبدا) ويقال إنه طرب ليلة في مجلس أنسه على بعض الملاهي فقال لصاحب الملهى تمن علي فقال تمنيت مدينة خلاط فأعطاها له وكان نائبه بها الأمين حسام الدين المعروف بالحاجب علي بن حماد الموصلي فتوجه ذلك الشخص إليه ليتسلمها منه فعوضه الحاجب عنها جملة كثيرة من المال وصالحه عنها وكان له في ذلك غرائب وكان يميل إلى أهل الخير والصلاح ويحسن الاعتقاد فيهم وبنى بدمشق دار حديث فوض

تدريسها إلى الشيخ تقي الدين عثمان المعروف بابن الصلاح المقدم ذكره وكان بالعقيبة ظاهر دمشق خان يعرف بابن الزنجاري قد جمع أنواع أسباب الملاذ ويجري فيه من الفسوق والفجور ما لا يحد ولا يوصف فقيل له عنه إن مثل هذا لا يليق أن يكون في بلاد المسلمين فهدمه وعمره جامعا غرم عليه جملة مستكثرة وسماه الناس جامع التوبة كأنه تاب إلى الله تعالى وأناب مما كان فيه وجرت في خطابته نكتة لطيفة أحببت ذكرها وهي أنه كان بمدرسة ست الشام التي خارج البلد إمام يعرف بالجمال السبتي أعرفه شيخا حسنا ويقال كان في صباه يلعب بشيء من الملاهي وهي التي تسمى الجغانة ولما كبر حسنت طريقته وعاشر العلماء وأهل الصلاح حتى صار معدودا في الأخيار فلما احتاج الجامع المذكور إلى خطيب ذكر للملك الأشرف جماعة وشكر الجمال المذكور فتولى خطابته فلما توفي تولى موضعه العماد الواسطي الواعظ وكان يتهم باستعمال الشراب وكان صاحب دمشق يومئذ الصالح عماد الدين إسماعيل بن الملك العادل بن أيوب فكتب إليه الجمال عبد

335 الرحيم المعروف بابن زويتينة الرحبي أبياتا وهي (يا مليكا أوضح الحق لدينا وأبانه *) (جامع التوبة قد قلدني منه أمانه *) (قال قل للملك الصالح * أعلى الله شانه) (يا عماد الدين يا من * حمد الناس زمانه) (كم إلى كم أنا في ضر وبؤس وإهانه) (لي

خطيب واسطي * يعشق الشرب ديانه) (والذي قد كان
من قبل * يغني بجغانه) (فكما نحن فما زلنا * وما
نبرح حانه) (ردني للنمط الأول * واستبق ضمانه)
وهذه الأبيات في بابها في غاية الظرف وكان ابن
الزويتنية المذكور قد
336 وصل إلى الديار المصرية في رسالة من عند
صاحب حمص وأنشدني هذه الأبيات وحكى السبب
الحامل عليها وذلك في بعض شهور سنة سبع وأربعين
وستمائة ومدح الملك الأشرف أعيان شعراء عصره
وخلدوا مدائحه في دواوينهم فمنهم شرف الدين محمد بن
عنين وقد سبق ذكره والبهاء أسعد السنجاري وقد سبق
ذكره أيضا والشرف راجح الحلي وقد ذكرته في ترجمة
الملك الظاهر 277 والكمال ابن النبيه المذكور وكانت
وفاته سنة تسع عشرة وستمائة بمدينة نصيبين الشرق
وعمره تقديرا مقدار ستين سنة كذا أخبرني صهره
بالقاهرة 278 والمهذب محمد بن أبي الحسين بن يمن بن
علي بن أحمد بن محمد بن عثمان ابن عبد الحميد
الأنصاري المعروف بابن الأردخل الموصلي الشاعر
المشهور ومولده سنة سبع وسبعين وخمسمائة بالموصل
وتوفي في شهر رمضان سنة ثمان وعشرين وستمائة
بميافارقين رحمه الله تعالى وغير هؤلاء خلق كثير والله
أعلم بالصواب

337 750 موسى بن عبد الملك الأصبهاني أبو عمران موسى بن عبد الملك بن هشام الأصبهاني صاحب ديوان الخراج كان من جلة الرؤساء وفضلاء الكتاب وأعيانهم تنقل في الخدم في أيام جماعة من الخلفاء وكان إليه ديوان السواد وغيره في أيام المتوكل وكان مترسلا وله ديوان رسائل وقد سبق طرف من خبره مع أبي العيناء في ترجمته وما دار بينهما من المحاورة في قضية نجاح بن سلمة وله شعر رقيق حسن فمن ذلك قوله (لما وردنا القادسية * حيث مجتمع الرفاق) (وشممت من أرض الحجاز * نسيم أنفاس العراق) (أيقنت لي ولمن أحب * بجمع شمل واتفاق) (وضحكت من فرح اللقاء * كما بكيت من الفراق) (لم يبق لي إلا تجشم * هذه السبع الطباق) (حتى يطول حديثنا * بصفات ما كنا نلاقي) يروى لما وردنا الثعلبية وكلتاهما من منازل الحاج على طريق العراق والثعلبية منسوبة إلى ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان قاله ابن الكلبي في جمهرة النسب
338 ولهذه الأبيات حكاية مستطرفة أحببت ذكرها هاهنا وقد سردها الحافظ أبو عبد الله الحميدي في كتاب جذوة المقتبس وغيره من أرباب تواريخ المغاربة وهي أن أبا علي الحسن بن الأشكري المصري قال كنت رجلا من جلاس الأمير تميم بن أبي تميم وممن يخف عليه جدا وهذا تميم هو أبو المعز بن باديس المذكور في حرف التاء قال

فأرسلني إلى بغداد فابتعت له جارية رائقة فائقة الغناء فلما وصلت إليه دعا جلساءه قال وكنت فيهم ثم مدت الستارة وأمرها بالغناء فغنت (وبدا له من بعد ما اندمل الهوى * برق تألق موهنا لمعانه) (يبدو كحاشية الرداء ودونه * صعب الذرا متمنع أركانه) (فمضى لينظر كيف لاح فلم يطق * نظرا إليه وصده سجانه) (فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه * والماء ما سمحت به أجفانه) وهذه الأبيات ذكرها صاحب الأغاني للشريف أبي عبد الله محمد بن صالح الحسني قال ابن الأشكري فأحسنت الجارية ما شاءت فطرب الأمير تميم ومن حضر ثم غنت (سيسليك عما فات دولة مفضل * أوائله محمودة وأواخره) (ثنى الله عطفيه وألف شخصه * على البر مذ شدت عليه مآزره) قال فطرب الأمير تميم ومن حضر طربا شديدا قال ثم غنت (أستودع الله في بغداد لي قمرا * بالكرخ من فلك الأزرار مطلعه) وهذا البيت لمحمد بن زريق الكاتب البغدادي من جملة قصيدة طويلة

339 قال الراوي فاشتد طرب الأمير تميم وأفرط جدا ثم قال لها تمني ما شئت فقالت أتمنى عافية الأمير وسلامته فقال والله لا بد أن تتمني فقالت على الوفاء أيها الأمير بما أتمنى قال نعم فقالت أتمنى أن أغني بهذه النوبة ببغداد قال فانتقع لون الأمير تميم وتغير وجهه وتكدر المجلس وقام وقمنا قال ابن الأشكري فلقيني بعذ خدمه وقال لي ارجع فالأمير يدعوك فوجدته جالسا ينتظرني

فسلمت وقمت بين يديه فقال لي ويحك رأيت ما امتحنا به فقلت نعم أيها الأمير فقال لا بد من الوفاء لها ولا أثق في هذا بغيرك فتأهب لتحملها إلى بغداد فإذا غنت هناك فاصرفها فقلت سمعا وطاعة قال ثم قمت فتأهبت وأمرها بالتأهب وأصحبها جارية سوداء له تعادلها وتخدمها وأمر بناقة ومحمل فأدخلت فيه وجعلتها معي وصرت إلى مكة مع القافلة وقضينا حجنا ثم دخلنا في قافلة العراق وسرنا فلما وردنا القادسية أتتني السوداء وقالت لي تقول لك سيدتي أين نحن فقلت لها نزول بالقادسية فانصرفت إليها وأخبرتها فلم أنشب أن سمعت صوتها قد ارتفع بالغناء وغنت الأبيات المذكورة قال فتصايح الناس من أقطار القافلة أعيدي بالله أعيدي قال فما سمع لها كلمة قال ثم نزلنا الياسرية وبينها وبين بغداد نحو خمسة أميال في بساتين متصلة ينزل الناس بها فيبيتون ليلتهم ثم يبكرون لدخول بغداد فلما كان وقت الصباح وإذا بالسوداء قد أتتني مذعورة فقلت مالك قالت إن سيدتي ليست بحاضرة فقلت ويلك وأين هي قالت والله ما أدري قال فلم أحس لها أثرا بعد ذلك ودخلت بغداد وقضيت حوائجي منها وانصرفت إلى الأمير تميم فأخبرته خبرها فعظم ذلك عليه واغتم له غما شديدا ثم ما زال بعد ذلك ذاكرا لها واجما عليها والقادسية بفتح القاف وبعد الألف دال مهملة مكسورة وسين مهملة مكسورة أيضا وبعدها ياء مثناة من تحتها مشددة ثم هاء ساكنة وهي قرية فوق الكوفة

340 وعندها كانت الوقعة المشهورة في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه والياسرية بفتح الياء المثناة من تحتها وبعد الألف سين مهملة مكسورة وراء مكسورة أيضا وبعدها ياء مثناة من تحتها مشددة ثم هاء ساكنة وقد ذكرنا أين هي فلا حاجة إلى الإعادة وحكى إسحاق بن إبراهيم أخو زيد بن إبراهيم أنه كان يتقلد بلاد السيروان نيابة عن موسى بن عبد الملك المذكور فاجتاز به إبراهيم بن العباس الصولي الشاعر المقدم ذكره وهو يريد خراسان والمأمون يوم ذاك بها وقد بايع بالعهد علي بن موسى الرضا وهي قضية مشهورة وقد امتدحه إبراهيم المذكور بقصيدة ذكر فيها آل علي وأنهم أحق بالخلافة من غيرهم قال إسحاق بن إبراهيم المذكور فاستحسنت القصيدة وسألت إبراهيم بن العباس أن ينسخها ففعل ووهبته ألف درهم وحملته على دابة وتوجه إلى خراسان ثم تراخت الأيام إلى زمن المتوكل فتولى إبراهيم المذكور موضع موسى بن عبد الملك المذكور وكان يحب أن يكشف أسباب موسى فعزلني وأمر أن تعمل مؤامرة فعملت وحضرت للمناظرة عنها فجعلت أحتج بما لا يدفع فلا يقبله ونحتكم إلى الكتاب فلا يلتفت إلى حكمهم ويسمعني في خلال ذلك غليظ الكلام إلى أن أوجب الكتاب اليمين على باب من الأبواب فحلفت فقال ليست يمين السلطان عندك يمينا لأنك رافضي فقلت له تأذن لي في الدنو منك فأذن لي فقلت له ليس لي مع تعريضك بمهجتي

للقتل صبر وهذا المتوكل إن كتبت إليه بما أسمعه منك لم
آمنه على نفسي وقد احتملت كل ما جرى سوى الرفض
والرافضي من زعم أن علي بن أبي طالب أفضل من
العباس وأن ولده أحق من ولد العباس بالخلافة قال ومن
هو ذاك قلت أنت وخطك عندي به فأخبرته بالشعر الذي
عمله في المأمون وذكر فيه علي بن موسى فوالله ما هو
إلا أن قلت له ذلك حتى سقط في يده ثم قال لي
341 أحضر الدفتر الذي بخطي فقلت له هيهات لا
والله أو توثق لي بما أسكن إليه أنك لا تطالبني بشيء مما
جرى على يدي وتخرق هذه المؤامرة ولا تنظر لي في
حساب فحلف لي على ذلك بما سكنت إليه وخرق العمل
المعمول فأحضرت له الدفتر فوضعه في خفه وانصرفت
وقد زالت عني المطالبة ولموسى المذكور أخبار كثيرة
أضربت عن ذكرها طلبا للاختصار وتوفي في شوال سنة
ست وأربعين ومائتين رحمه الله تعالى والسيروان بكسر
السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الراء
والواو وبعد الألف نون وهي كورة ماسبذان من أعمال
الجبل وماسبذان بفتح الميم وبعد الألف سين مهملة وباء
موحدة وذال معجمة والجميع مفتوح وبعد الألف نون وهي
قرية كان يسكنها المهدي بن المنصور أبي جعفر والد
هارون الرشيد وبها توفي وفي ذلك يقول مروان بن أبي
حفصة الشاعر المقدم ذكره (وأكرم قبر بعد قبر محمد *
نبي الهدى قبر بماسبذان) (عجبت لأيد هالت الترب

فوقه * ضحى كيف لم ترجع بغير بنان) والسيروان اسم لأربعة مواضع هذا أحدها وبلاد الجبل عبارة عن عراق العجم الفاصل بين عراق العرب وخراسان وبلاده المشهورة أصبهان وهمذان والري وزنجان

342 751 أبو منصور الجواليقي أبو منصور موهوب بن أبي طاهر أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي البغدادي الأديب اللغوي كان إماما في فنون الأدب وهو من مفاخر بغداد قرأ الأدب على الخطيب أبي زكريا التبريزي الآتي ذكره في حرف الياء إن شاء الله تعالى ولازمه وتتلمذ له حتى برع في فنه وهو متدين ثقة غزير الفضل وافر العقل مليح الخط كثير الضبط صنف التصانيف المفيدة وانتشرت عنه مثل شرح أدب الكاتب والمعرب ولم يعمل في جنسه أكبر منه وتتمة درة الغواص تأليف الحريري صاحب المقامات سماه التكملة فيما يلحن فيه العامة إلى غير ذلك وكان يختار في بعض مسائل النحو مذاهب غريبة وكان في اللغة أمثل منه في النحو وخطه مرغوب فيه يتنافس الناس في تحصيله والمغالاة فيه وكان إماما للإمام المقتفي بالله يصلي به الصلوات الخمس وألف له كتابا لطيفا في علم العروض وجرت له مع الطبيب هبة الله بن صاعد المعروف بابن التلميذ النصراني الآتي ذكره إن شاء الله تعالى واقعة عنده وهي أنه لما حضر إليه للصلاة به ودخل عليه أول دخلة فما زاده على أن قال السلام على أمير المؤمنين ورحمة

الله تعالى فقال ابن التلميذ وكان حاضرا قائما بين يدي المقتفي وله إدلال الخدمة والصحبة ما هكذا يسلم على أمير المؤمنين

343 يا شيخ فلم يلتفت ابن الجواليقي إليه وقال للمقتفي يا أمير المؤمنين سلامي هو ما جاءت به السنة النبوية وروى له خبرا في صورة السلام ثم قال يا أمير المؤمنين لو حلف حالف أن نصرانيا أو يهوديا لم يصل إلى قلبه نوع من أنواع العلم على الوجه المرضي لما لزمته كفارة الحنث لأن الله تعالى ختم على قلوبهم ولن يفك ختم الله إلا الإيمان فقال له صدقت وأحسنت فيما فعلت وكأنما ألجم ابن التلميذ بحجر مع فضله وغزارة أدبه وسمع ابن الجواليقي من شيوخ زمانه وأكثر أخذ الناس عنه علما جما وينسب إليه من الشعر شيء قليل فمن ذلك ما رأيته منسوبا إليه في بعض المجاميع ولم أتحققه له وهو (ورد الورى سلسال جودك فارتووا * ووقفت خلف الورد وقفة حائم) (حيران أطلب غفلة من وارد * والورد لا يزداد غير تزاحم) ثم وجدت هذين البيتين لابن الخشاب من جملة أبيات وحكى ولده أبو محمد إسماعيل وكان أنجب أولاده قال كنت في حلقة والدي يوم الجمعة بعد الصلاة بجامع القصر والناس يقرؤون عليه فوقف عليه شاب وقال يا سيدي قد سمعت بيتين من الشعر ولم أفهم معناهما وأريد أن تسمعهما مني وتعرفني معناهما فقال قل فأنشده (وصل الحبيب جنان الخلد أسكنها *

وهجره النار يصليني به النارا) (فالشمس بالقوس
أمست وهي نازلة * إن لم يزرني وبالجوزاء إن زارا)
قال إسماعيل فلما سمعهما والدي قال يا بني هذا شيء من
معرفة علم النجوم وتسييرها لا من صنعة أهل الأدب
فانصرف الشاب من غير حصول فائدة واستحيا والدي من
أن يسأل عن شيء ليس عنده منه علم وقام وآلى على نفسه
أن لا يجلس في حلقته حتى ينظر في علم النجوم ويعرف
تسيير الشمس والقمر فنظر في ذلك وحصل معرفته ثم
جلس ومعنى البيت المسئول عنه أن الشمس إذا كانت في
آخر القوس كان الليل في غاية الطول لأنه يكون آخر
فصل الخريف وإذا كانت في آخر الجوزاء
344 كان الليل في غاية القصر لأنه آخر فصل
الربيع فكأنه يقول إذا لم يزرني فالليل عندي في غاية
الطول وإن زارني كان الليل عندي في غاية القصر والله
أعلم ولبعض شعراء عصره فيه وفي المغربي مفسر
المنامات وذكرها في الخريدة لحيص بيص هكذا وجدتها
في مختصر الخريدة للحافظ (كل الذنوب ببلدتي مغفورة
* إلا اللذين تعاظما أن يغفرا) (كون الجواليقي فيها ملقيا
* أدبا وكون المغربي معبرا) (فأسير لكنته يمل فصاحة
* وغفول يقظته يعبر عن كرى) ونوادره كثيرة وكانت
ولادته سنة ست وستين وأربعمائة وتوفي يوم الأحد
منتصف المحرم سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ببغداد ودفن
بباب حرب رحمه الله تعالى بعد أن صلى عليه قاضي

القضاة الزينبي بجامع القصر والجواليقي نسبة إلى عمل الجوالق وبيعها وهي نسبة شاذة لأن الجموع لا ينسب إليها بل ينسب إلى آحادها إلا ما جاء شاذا مسموعا في كلمات محفوظة مثل قولهم رجل أنصاري في النسبة إلى الأنصار والجواليق في جمع جوالق شاذ لأن الياء لم تكن موجودة في مفرده والمسموع فيه جوالق بضم الجيم وجمعه جوالق بفتح الجيم وهو باب مطرد قالوا رجل حلاحل إذا كان وقورا وجمعه حلاحل وشجر عدامل إذا كان قديما وجمعه عدامل ورجل عراعر وهو السيد وجمعه عراعر ورجل علاكد إذا كان شديدا وجمعه علاكد وله نظائر كثيرة وهو اسم أعجمي معرب والجيم والقاف لا يجتمعان في كلمة واحدة عربية ألبتة

345 752 رضي الدين النيسابوري أبو الحسن المؤيد بن محمد بن علي الطوسي الأصل النيسابوري الدار المحدث الملقب رضي الدين كان أعلى المتأخرين إسنادا لقي جماعة من الأعيان وأخذ عنهم وسمع صحيح مسلم من الفقيه أبي عبد الله محمد بن الفضل الفراوي المقدم ذكره وهو آخر من بقي من أصحابه وسمع صحيح البخاري من أبي بكر وجيه بن طاهر بن محمد الشحامي وأبي الفتوح عبد الوهاب بن شاه ابن أحمد الشاذياخي وسمع الموطأ رواية أبي مصعب إلا ما استثني منه من أبي محمد هبة الله بن سهل بن عمر البسطامي المعروف بالسندي وسمع تفسير القرآن الكريم تصنيف أبي إسحاق

الثعلبي من أبي العباس محمد الطوسي المعروف بعباسة وسمع أيضا من جماعة من شيوخ نيسابور منهم الفقيه أبو محمد عبد الجبار ابن محمد الخواري وأم الخير فاطمة بنت أبي الحسن علي بن المظفر بن زعبل وحدث بالكثير ورحل إليه من الأقطار ولنا منه إجازة كتبها من خراسان باستدعاء الوالد رحمه الله تعالى في جمادى الآخرة سنة عشر وستمائة وإنما ذكرته لشهرته وتفرده في آخر عصره وكانت ولادته سنة أربع عشرين وخمسمائة ظنا وتوفي ليلة العشرين من شوال سنة سبع عشرة وستمائة بنيسابور ودفن من الغد رحمه الله تعالى ثم بعد إثبات هذه الترجمة على هذه الصورة بسنين رأيت بخط الشيخ المؤيد المذكور في إجازة وقد رفع نسبه فقال كتبه

346 المؤيد بن محمد بن علي بن الحسن ابن محمد بن أبي صالح الطوسي

753 الألوسي أبو سعيد المؤيد بن محمد بن علي بن محمد الألوسي الشاعر المشهور كان من أعيان شعراء عصره كثير الغزل والهجاء ومدح جماعة من رؤساء العراق وله ديوان شعر وكان منقطعا إلى الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة وله فيه مدائح جيدة ذكره محب الدين ابن النجار في تاريخ بغداد فقال هو عطاف بن محمد ابن علي بن أبي سعيد الشاعر المعروف بالمؤيد ولد بألوس قرية بقرب الحديثة ونشأ بدجيل ودخل بغداد وصار جاووشا في أيام المسترشد بالله وهجاه ابن الفضل الشاعر بأبيات ثم إن المؤيد نظم الشعر فأكثر منه

حتى عرف به ومدح وهجا وكان قد لجأ إلى خدمة السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه وقد تقدم ذكره قال وتفسح في ذكر الإمام المقتفي وأصحابه بما لا ينبغي فقبض عليه وسجن وذكره العماد الكاتب في كتاب الخريدة فقال ترفع قدره وأثرى حاله ونفق شعره وكان له قبول حسن واقتنى أملاكا وعقارا وكثر رياشه وحسن معاشه ثم عثر به الدهر عثرة صعب منها انتعاشه وبقي في حبس الإمام المقتفي أكثر من عشر سنين إلى أن خرج في أول خلافة الإمام المستنجد

347 سنة خمس وخمسين وخمسمائة ولقيته حينئذ وقد غشي بصره من ظلمة المطمورة التي كان فيها محبوسا وكان زيه زي الأجناد وسافر إلى الموصل وله شعر حسن غزل وأسلوب مطرب بنظم معجب وقد يقع له من المعاني المبتكرة ما يندر فمن ذلك قوله في صفة القلم (ومثقف يغني ويفني دائما * في طوري الميعاد والإيعاد) (قلم يفل الجيش وهو عرمرم * والبيض ما سلت من الأغماد) (وهبت له الآجام حين نشا بها * كرم السيول وهيبة الآساد) قلت أنا ولقد رأيت هذه الأبيات منسوبة إلى غيره والله أعلم بالصواب ولم يقل في القلم أحسن من هذا المعنى ولبعضهم في القلم أيضا وهو في هذا المعنى (وأرقش مرهوب الشباة مهفهف * يشتت شمل الخطب وهو جميع) (تدين له الآفاق شرقا ومغربا * وتعنو له أفلاكها وتطيع) (حمى الملك مفطوما كما كان يحتمي *

به الأسد في الآجام وهو رضيع) ولبعضهم أيضا في هذا المعنى (له قلم كقضاء الإله * بالسعد طورا وبالنحس ماضي) (فما فارق الأسد في حالتيه * يبيسا وذا ورقات غضاض) (ففي كف ليث الوغى في الندى * وفي وجه ليث الشرى في الغياض) ومعنى البيت الثالث مأخوذ من قول بعضهم في وصف طنبور (وطنبور مليح الشكل يحكي * بنغمته الفصيحة عندليبا) (روى لما ذوى نغما فصاحا * حواها في تقلبه قضيبا) (كذا من عاشر العلماء طفلا * يكون إذا نشا شيخا أديبا)
348 وهذه معنى مطروق أكثرت الشعراء استعماله فمن ذلك قول بعضهم وهو أبو محمد عبد الله بن قاضي ميلة (جاءت بعود يناغيها ويسعدها * انظر بدائع ما يأتي به الشجر) (غنت عليه ضروب الطير ساجعة * حينا فلما ذوى غنى به البشر) (فلا يزال عليه الدهر مصطخب * يهيجه الأعجمان الطير والوتر) ولبعضهم في المعنى أيضا (وعود له نوعان من لذة المنى * فبورك جان يجتنيه وغارس) (تغنت عليه وهو رطب طيورها * وغنت عليه قينة وهو يابس) ولولا خوف الإطالة والخروج عما نحن بصدده لذكرت عدة مقاطيع في هذا المعنى ولبهاء الدين زهير المقدم ذكره من قصيدة يمدح بها اقسيس بن الملك الكامل (وتهتز أعواد المنابر باسمه * فهل ذكرت أيامها وهي أغصان) 279 ثم قال العماد في بقية الترجمة وكان ولده محمد ذكيا له شعر

حسن هاجر إلى الملك العادل نور الدين بالشام سنة أربع وستين وكان يومئذ بصرخد فمرض فأنفذه إلى دمشق فمات في الطريق بقرية يقال لها رشيدة انتهى كلام العماد ومن شعر المؤيد المذكور من جملة قصيدة له رحمه الله تعالى (فيا بردها من نفحة حاجرية * على حر صدر ليس تخبو سمائمه) (ويا حسنه طيفا وشى نور وجهه * بطيفي فغطاني من الشعر فاحمه) (يجول وشاحاه على غصن بانة * سقاها الحيا فاخضر واهتز ناعمه)
349 (فلما رمى في شملنا الصبح بالنوى * ولم يبق منها غير معنى ألازمه) (وقفت بحزوى وهي منها معالم * قواء وجسمي قد تعفت معالمه) (وقوف بناني في يميني ولم أقف * وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه) (ولم يبق لي رسما بجسمي صدودها * فيشجى بدمعي كلما انهل طاسمه) (ولا مقلة أبقت فتغرم نظرة * بثانية والمتلف الشيء غارمه) (فلله وجدي في الركاب كأنه * دموعي وقد حنت بليل روازمه) (وقد مد من كف الثريا هلالها * فقبلته حتى تهاوت مناظمه) وهي قصيدة طويلة أجاد فيها وقد وازن بها قصيدة المتنبي في سيف الدولة ابن حمدان التي أولها (وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه * بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمه) وقد استعمل في قصيدته أنصاف أبيات من قصيدة المتنبي على وجه التضمين وأكثر شعره جيد وله أيضا من جملة أبيات قالها وهو محبوس (رحلوا فأفنيت الدموع تشوقا * من بعدهم

وعجبت إذ أنا باقي) (وعلمت أن العود يقطر ماؤه * عند الوقود لفرقة الأوراق) (وأبيت مأسورا وفرحة ذكركم * عندي تعادل فرحة الإطلاق) (لا تنكر البلوى سواد مفارقي * فالحرق يحكم صنعة الحراق) وكانت ولادته سنة أربع وتسعين وأربعمائة بألوس ونشأ بها وتوفي يوم الخميس الرابع والعشرين من شهر رمضان سنة سبع وخمسين وخمسمائة بالموصل وكان خروجه من بغداد سنة ست وخمسين وخمسمائة رحمه الله تعالى

350 ولما ذكرت تاريخ ولاية المستنجد ذكرت نكتة غريبة أحببت ذكرها وهو ما أخبرني به بعض مشايخ العراق الفضلاء أن المستنجد رأى في منامه في حياة والده المقتفي كأن ملكا نزل من السماء فكتب في كفه أربع خاءات فلما استيقظ طلب معبر الرؤيا فقص عليه ما رآه فقال له تلي الخلافة في سنة خمس وخمسين وخمسمائة فكان الأمر كذلك وكان ذلك قبل وفاة والده بمدة والألوسي بضم الهمزة واللام وبعدها واو ساكنة ثم سين مهملة هذه النسبة إلى ألوس وهي ناحية عند حديثة عانة على الفرات هكذا ذكره عز الدين بن الأثير المقدم ذكره فيما استدركه على الحافظ ابن السمعاني لأنه قال ألوس موضع بالشام في الساحل عند طرسوس وهو بغدادي الدار والمنشأ لأنه دخل بغداد في صباه وقيدها ابن النجار الآلسي ومد الهمزة وضم اللام والله أعلم 754 المهلب بن أبي صفرة أبو سعيد المهلب بن أبي صفرة كانت له بنت اسمها صفرة

وبها كان يكنى واسمه ظالم بن سراق بن صبح بن كندي بن عمرو بن عدي بن وائل بن الحارث بن العتيك بن الأزد ويقال الأسد بالسين الساكنة ابن عمران بن عمرو مزيقياء ابن عامر ماء السماء بن امريء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد الأزدي العتكي البصري قال الواقدي كان أهل دبا أسلموا في عهد رسول الله

351 ثم ارتدوا بعده ومنعوا الصدقة فوجه إليهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه عكرمة بن أبي جهل المخزومي رضي الله عنه فقاتلهم فهزمهم وأثخن فيهم القتل وتحصن فلهم في حصن لهم وحصرهم المسلمون ثم نزلوا على حكم حذيفة بن اليمان فقتل مائة من رؤسائهم وسبى ذراريهم وبعثهم إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه وفيهم أبو صفرة غلام ولم يبلغ فأعتقهم أبو بكر رضي الله عنه وقال اذهبوا حيث شئتم فتفرقوا فكان أبو صفرة ممن نزل البصرة وقال ابن قتيبة في كتاب المعارف هذا الحديث باطل أخطأ فيه الواقدي لأن أبا صفرة لم يكن في هؤلاء ولا رآه أبو بكر قط وإنما وفد على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو شيخ أبيض الرأس واللحية فأمره أن يخضب فخضب وكيف يكون غلاما في زمن أبي بكر وقد ولد المهلب وهو من أصاغر ولده قبل وفاة النبي بسنتين وقد كان في ولده من ولد قبل وفاة النبي بثلاثين سنة أو أكثر وكان المهلب المذكور من أشجع الناس وحمى البصرة من الخوارج وله معهم وقائع

مشهورة بالأهواز استقصى أبو العباس المبرد في كتابه الكامل أكثرها فهي تسمى بصرة المهلب لذلك ولولا طولها وانتشار وقائعها لذكرت طرفا منها وكان سيدا جليلا نبيلا روي أنه قدم على عبد الله بن الزبير أيام خلافته بالحجاز والعراق وتلك النواحي وهو يومئذ بمكة فخلا به عبد الله يشاوره فدخل عليه عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف بن وهب القرشي الجمحي فقال من هذا الذي قد شغلك يا أمير المؤمنين يومك هذا قال أو ما تعرفه قال لا قال هذا سيد أهل العراق قال فهو المهلب بن أبي صفرة قال نعم فقال المهلب من هذا يا أمير المؤمنين قال هذا سيد قريش فقال فهو عبد الله بن صفوان قال نعم

352 قال ابن قتيبة في المعارف ولم يكن يعاب بشيء إلا بالكذب وفيه قيل راح يكذب ثم قال ابن قتيبة بعد هذا وأنا أقول كان المهلب أتقى الناس لله عز وجل وأشرف وأنبل من أن يكذب ولكنه كان محربا وقد قال النبي الحرب خدعة وكان يعارض الخوارج بالكلمة فيوري بها عن غيرها يرهب بها الخوارج وكانوا يسمونه الكذاب ويقولون راح يكذب وقد كان النبي إذا أراد حربا ورى بغيرها وقال أبو العباس المبرد في الكامل في شرح أبيات رمي فيها المهلب بالكذب ما صورته وقوله الكذاب لأن المهلب كان فقيها وكان يعلم ما جاء عن رسول الله من قوله كل كذب يكتب كذبا إلا ثلاثة الكذب في الصلح بين الرجلين وكذب الرجل لامرأته يعدها وكذب الرجل في

الحرب يتوعد ويتهدد وكان المهلب ربما صنع الحديث
ليشد به أمر المسلمين ويضعف به من أمر الخوارج وكان
حي من الأزد يقال لهم الندب إذا رأوا المهلب رائحا قالوا
قد راح المهلب يكذب وفيه يقول رجل منهم (أنت الفتى
كل الفتى * لو كنت تصدق ما تقول) وذكر المبرد في
كتاب الكامل في أواخره في فصل قتال الخوارج وما
جرى بين المهلب والأزارقة وكانت ركب الناس قديما من
الخشب فكان الرجل يضرب بركابه فينقطع فإذا أراد
الضرب والطعن لم يكن له معين أو معتمد فأمر المهلب
فضربت الركب من الحديد فهو أول من أمر بطبعها
وأخبار المهلب كثيرة وتقلبت به الأحوال وآخر ما ولي
خراسان من جهة الحجاج بن يوسف الثقفي المقدم ذكره
فإنه كان أمير العراقين وضم إليه عبد الملك بن مروان
خراسان وسجستان فاستعمل على خراسان المهلب
المذكور وعلى سجستان
353   عبيد الله بن أبي بكرة فورد المهلب خراسان
واليا عليها سنة تسع وسبعين للهجرة وكان قد أصيب
بعينه على سمرقند لما فتحها سعيد بن عثمان بن عفان
رضي الله عنه في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله
عنه فإنه كان معه في تلك الغزوة وفي تلك الغزوة تلك
قلعت عين سعيد أيضا وفيها قلعت أيضا عين طلحة بن
عبد الله بن خلف الخزاعي المعروف بطلحة الطلحات
المشهور بالكرم والجود وفي ذلك يقول المهلب (لئن

ذهبت عيني لقد بقيت نفسي * وفيها بحمد الله عن تلك ما ينسي) (إذا جاء أمر الله أعيا خيولنا * ولا بد أن تعمى العيون لدى الرمس) وقيل إن المهلب قلعت عينه على الطالقان ولم يزل المهلب واليا بخراسان حتى أدركته الوفاة هناك ولما حضره أجله عهد إلى ولده يزيد الآتي ذكره إن شاء الله تعالى وأوصاه بقضايا وأسباب ومن جملة ما قال له يا بني استعقل الحاجب واستظرف الكاتب فإن حاجب الرجل وجهه وكاتبه لسانه ثم توفي في ذي الحجة سنة ثلاث وثمانين للهجرة بقرية يقال لها زاغول من أعمال مرو الروذ من ولاية خراسان رحمه الله تعالى وله كلمات لطيفة وإشارات مليحة تدل على مكارمه ورغبته في حسن السمعة والثناء الجميل فمن ذلك قوله الحياة خير من الموت والثناء الحسن خير من الحياة ولو أعطيت ما لم يعطه أحد لأحببت أن تكون لي أذن أسمع بها ما يقال في غدا إذا مت وقد قيل إن هذا الكلام لولده يزيد والله أعلم وكان المهلب يقول لبنيه يا بني أحسن ثيابكم ما كان على غيركم وقد أشار إلى هذا أبو تمام الطائي فيما كتبه إلى من يطلب منه كسوة (فأنت العليم الطب أي وصية * بها كان أوصى في الثياب المهلب)

354 وقد ذكر الطبري في تاريخه أنه توفي سنة اثنتين وثمانين والله أعلم والكلام على وفاته مذكور في ترجمة ابنه يزيد فلينظر هناك فإنه مستوفى ولما حضرته الوفاة جمع من حضره من بنيه ودعا بسهام فحزمت ثم

قال أترونكم كاسريها مجمعة قالوا لا قال أفترونكم كاسريها مفرقة قالوا نعم قال هكذا الجماعة ثم مات ولما مات رثاه الشعراء وأكثروا وفي ذلك يقول نهار بن توسعة الشاعر المشهور (ألا ذهب الغزو المقرب للغنى * ومات الندى والجود بعد المهلب) (أقاما بمرو الروذ لا يبرحانها * وقد قعدا من كل شرق ومغرب) وخلف المهلب عدة أولاد نجباء كرماء أجوادا أمجادا وقال ابن قتيبة في كتاب المعارف ويقال إنه وقع إلى الأرض من صلب المهلب ثلثمائة ولد وقد تقدم في حرف الراء ذكر حفيديه روح ويزيد ابني حاتم بن قبيصة بن المهلب وسيأتي ذكر يزيد في حرف الياء إن شاء الله تعالى 280 ومن سراة أولاده أبو فراس المغيرة وكان أبوه يقدمه في قتال الخوارج وله معهم وقائع مأثورة تضمنتها التواريخ أبلى فيها بلاء أبان عن نجدته وشهامته وصرامته وتوجه صحبة أبيه إلى خراسان واستنابه عنه بمرو الشاهجان وتوفي بها في حياة أبيه سنة اثنتين وثمانين في شهر رجب ورثاه أبو أمامة زياد الأعجم وهو زياد بن سليمان ويقال ابن جابر وهو ابن عبد القيس الشاعر المشهور بقصيدته الحائية السائرة التي أولها (قل للقوافل والغزاة إذا غزوا * للباكرين وللمجد الرائح) (إن السماحة والمروءة ضمنا * قبرا بمرو على الطريق الواضح) (فإذا مررت بقبره فاعقر به * كوم الهجان وكل طرف سابح) (وانضح جوانب قبره بدمائها * فلقد يكون أخا دم وذبائح)

(واظهر ببزته وعقد لوائه * واهتف بدعوة مصلتين شرامح)
355 (آب الجنود معاقبا أو قافلا * وأقام رهن حفيرة وضرائح) (وأرى المكارم يوم زيل بنعشه * زالت بفضل فواضل ومدائح) (رجفت لمصرعه البلاد وأصبحت * منا القلوب لذاك غير صحائح) (الآن لما كنت أكرم من مشى * وافتر نابك عن شباة القارح) (وتكاملت فيك المروءة كلها * وأعنت ذلك بالفعال الصالح) (وكفى بنا حزنا ببيت حله * أخرى المنون فليس عنه بنازح) (فعفت منابره وحط سروجه * عن كل طامحة وطرف طامح) (وإذا يناح على امريء فلتعلمن * أن المغيرة فوق نوح النائح) (تبكي المغيرة خيلنا ورماحنا * والباكيات برنة وتصايح) (مات المغيرة بعد طول تعرض * للقتل بين أسنة وصفائح) (وإذا الأمور على الرجال تشابهت * وتنوزعت بمغالق ومفاتح) (فتل السحيل بمبرم ذي مرة * دون الرجال بفضل عقل راجح) (وأرى الصعالك للمغيرة أصبحت * تبكي على طلق اليدين مسامح) (كان الربيع لهم إذا انتجعوا الندى * وخبت لوامع كل برق لائح) (كان المهلب بالمغيرة كالذي * ألقى الدلاء إلى قليب المائح) (فأصاب جمة ما استقى فسقى له * في حوضه بنوازع وموانح) (أيام لو يحتل وسط مفازة * فاضت معاطشها بشرب سائح) (إن المهلب لن يزال لها فتى * يمري قوادم كل حرب لاقح)

(بالمقربات لواحقا آطالها * تجتاب سهل سباسب
وصحاصح) (متلببا تهفو الكتائب حوله * ملح المتون
من النضيح الراشح) (ملك أغر متوج يسمو له * طرف
الصديق بغض طرف الكاشح) (رفاع ألوية الحروب
إلى العدا * بسعود طير سوانح وبوارح)
356 وهذه القصيدة من غرر القصائد ونخبها ولولا
خوف الإطالة لأثبتها كلها وهي طويلة تزيد على خمسين
بيتا وقد ذكرها أبو على القالي المقدم ذكره في حرف
الهمزة في كتابه الذي جعله ذيلا على أماليه وتكلم علي
بعض أبياتها وقال إنها قد تنسب إلى الصلتان العبدي
الشاعر المشهور ولكن الأصح أنها لزياد الأعجم والبيت
الثاني منها تستشهد به النحاة في كتبهم على جواز تذكير
المؤنث إذا لم يكن له فرج حقيقي وهو أشهر بيت في هذه
القصيدة لكثرة استعمالهم له وقد أخذ بعض الشعراء معنى
البيت الثالث والرابع فقال (احملاني إن لم يكن لكما عقر
* إلى جنب قبره فاعقراني) (وانضحا من دمي عليه فقد
كان * دمي من نداه لو تعلمان) 281 وصاحب هذين
البيتين هو الشريف أبو محمد الحسن بن محمد بن علي بن
أبي الضوء العلوي الحسيني نقيب مشهد باب التبن ببغداد
وهما من جملة قصيدة يرثى بها النقيب الطاهر والد عبيد
الله ذكر ذلك العماد الكاتب في كتاب الخريدة وقال أيضا
إن الشريف أبا محمد المذكور توفي سنة سبع وثلاثين
وخمسمائة ببغداد رحمه الله تعالى ثم بعد وقوفي على ما

ذكره العماد في الخريدة وجدت هذين البيتين في كتاب معجم الشعراء تأليف المرزباني لأحمد بن محمد الخثعمي وكنيته أبو عبد الله ويقال أبو العباس ويقال إنه الحسن وكان يتشيع ويهاجي البحتري وكان المغيرة بن المهلب المذكور قد مزق قباء ديباجا كان على زياد الأعجم فقال زياد في ذلك (لعمرك ما الديباج مزقت وحده * ولكنما مزقت عرض المهلب)

357 فبلغ ذلك المهلب فأرضاه واستعطفه وذكر أبو الحسين علي بن أحمد السلامي في كتاب تاريخ ولاة خراسان أن رجلا سمع من زياد الأعجم هذه القصيدة قبل أن يسمعها المهلب فجاء إلى المهلب فأنشده إياها فأعطاه مائة ألف درهم ثم أتاه زياد الأعجم فأنشده إياها فقال له قد أنشدنيها رجل قبلك فقال إنما سمعها مني فأعطاه مائة ألف درهم وللمهلب عقب كثير بخراسان يقال لهم المهالبة وفيهم يقول بعض شعراء الحماسة وهو الأخنس الطائي يمدح المهلب (نزلت على آل المهلب شاتيا * بعيدا عن الأوطان في الزمن المحل) (فما زال بي معروفهم وافتقادهم * وبرهم حتى حسبتهم أهلي) والوزير أبو محمد المهلبي المقدم ذكره في حرف الحاء من نسله أيضا رحمهم الله أجمعين وفي أوائل هذه الترجمة أسماء تحتاج إلى الضبط والكلام عليها فأما العتيك والأزد فقد تقدم الكلام عليهما وأما مزيقياء فهو بضم الميم وفتح الزاي وسكون الياء المثناة من تحتها وكسر القاف وفتح الياء

الثانية وبعدها همزة ممدودة وهو لقب عمرو المذكور
وكان من ملوك اليمن وإنما لقب بذلك لأنه كان يلبس كل
يوم حلتين منسوجتين بالذهب فاذا أمسى مزقهما وخلعهما
وكان يكره أن يعود فيهما ويأنف أن يلبسهما أحد غيره
وهو الذي انتقل من اليمن إلى الشام لقصة يطول شرحها
والأنصار من ولده وهم الأوس والخزرج وحكى أبو عمر
ابن عبد البر صاحب كتاب الاستيعاب في كتابه الذي سماه
القصد الأمم في أنساب العرب والعجم وهو كتاب لطيف
الحجم أن الأكراد من نسل عمرو مزيقياء
358 المذكور وأنهم وقعوا إلى أرض العجم فتناسلوا
بها وكثر ولدهم فسموا الكرد وقال بعض الشعراء في ذلك
وهو يعضد ما قاله أبو عمر ابن عبد البر (لعمرك ما
الأكراد أبناء فارس * ولكنه كرد بن عمرو بن عامر)
وأما أبوه عامر فإنما لقب بماء السما لجوده وكثرة نفعه
فشبه بالغيث وأما المنذر بن ماء السماء اللخمي أحد ملوك
الحيرة فإن أباه امرؤ القيس بن عمرو بن عدي وماء
السماء أمه وهي بنت عوف بن جشم بن النمر بن قاسط
وإنما قيل لها ماء السماء لحسنها وجمالها وأما دبا بفتح
الدال المهملة والباء الموحدة وبعدها ألف مقصورة وهو
اسم موضع بين عمان والبحرين أضيفت جماعة من الأزد
إليه لما نزلوه وكان الأزد عند تفرقهم حسبما ذكرناه في
أول هذه الترجمة أضيفت كل طائفة إلى شيء يميزها عن
غيرها فقيل أزددبا وأزد شنوءة وأزد عمان وأزد السراة

ومرجع الكل إلى الأزد المذكور فلا يظن ظان أن الأزد مختلف باختلاف المضافين إليه وقد قال الشاعر وهو النجاشي واسمه قيس بن عمرو بن مالك ابن حزن بن الحارث بن كعب بن الحارث الحارثي (وكنت كذي رجلين رجل صحيحة * ورجل بها ريب من الحدثان) (فأما التي صحت فأزد شنوءة * وأما التي شلت فأزد عمان) ولما هزم المهلب قطري بن الفجاءة المقدم ذكره بعث إلى مالك بن بشير فقال إني موفدك إلى الحجاج فسر فإنما هو رجل مثلك وبعث إليه بجائزة فردها وقال إنما الجائزة بعد الاستحقاق وتوجه فلما دخل على الحجاج قال ما اسمك قال مالك بن بشير قال ملك وبشارة ثم قال كيف تركت المهلب قال أدرك ما أمل وأمن ما خاف قال فكيف هو بجنده

359 قال والد رءوف قال كيف رصاهم عنه قال وسعهم بالفضل وأقنعهم بالعدل قال كيف تصنعون إذا لقيتم عدوكم قال نلقاهم بجدنا فنقطع فيهم ويلقوننا بجدهم فيطمعون فينا قال فما حال قطري بن الفجاءة قال كادنا بمثل ما كدناه به قال فما منعكم من اتباعه قال رأينا المقام من ورائه خيرا من اتباعه قال فأخبرني عن ولد المهلب قال رعاة البيات حتى يؤمنوه وحماة السرح حتى يردوه قال أيهم أفضل قال ذلك إلى أبيهم قال لتقولن قال هم كحلقة مفرغة لا يعلم طرفاها قال أقسمت عليك هل رويت في هذا الكلام قال ما أطلع الله أحدا على غيبه فقال الحجاج

لجلسائه هذا والله الكلام المطبوع لا الكلام المصنوع قلت كان حق هذا الفصل أن يكون متقدما لكنه كذا وقع والله تعالى أعلم بصوابه وصحته 755 مهيار الديلمي أبو الحسين مهيار بن مرزويه الكاتب الفارسي الديلمي الشاعر المشهور كان مجوسيا فأسلم ويقال إن إسلامه كان على يد الشريف الرضي أبي الحسن محمد الموسوي المقدم ذكره وهو شيخه وعليه تخرج في نظم الشعر وقد وازن كثيرا من قصائده وذكر شيخنا ابن الأثير الجزري في تاريخه أنه أسلم في سنة أربع وتسعين وثلثمائة فقال له أبو القاسم ابن برهان يا مهيار قد انتقلت بأسلوبك في النار من زاوية إلى زاوية فقال وكيف ذاك قال كنت مجوسيا فصرت تسب أصحاب رسول الله في شعرك

360 وكان شاعرا جزل القول مقدما على أهل وقته وله ديوان شعر كبير يدخل في أربع مجلدات وهو رقيق الحاشية طويل النفس في قصائده ذكره الحافظ أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد وأثنى عليه وقال كنت أراه يحضر جامع المنصور في أيام الجمعات يعني ببغداد ويقرأ عليه ديوان شعره ولم يقدر لي أسمع منه شيئا وذكره أبو الحسن الباخرزي المقدم ذكره في كتاب دمية القصر فقال في حقه هو شاعر له في مناسك الفضل مشاعر وكاتب تجلى تحت كل كلمة من كلماته كاعب وما في قصيدة من قصائده بيت يتحكم عليه لو وليت وهي مصبوبة في قوالب القلوب وبمثلها يعتذر الزمان المذنب

عن الذنوب ثم عقب هذا الكلام بذكر مقاطيع من شعره وأبيات من جملة قصائده وذكره أبو الحسن علي بن بسام في كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة وبالغ في الثناء عليه وذكر شيئا من شعره ومن نظمه المشهور قصيدته التي أولها (سقى دارها بالرقمتين وحياها * ملث يحيل الترب في الدار أموالها) ومنها (وكيف بوصل الحبل من أم مالك * وبين بلادينا زرود وحبلاها) (يراها بعين الشوق قلبي على النوى * فيحظى ولكن من لعيني برؤياها) (فلله ما أصفى وأكدر حبها * وأبعدها مني الغداة وأدناها) (إذا استوحشت عيني أنست بأن أرى * نظائر تصبيني إليها وأشباها) (وأعتنق الغصن الرطيب لقدها * وأرشف ثغر الكأس أحسبه فاها) (ويوم الكئيب استشرفت لي ظبية * مولهة قد ضل بالقاع خشفاها) (يدله خوف الثكل حبة قلبها * فتزداد حسنا مقلتاها وليتاها) (فما ارتاب طرفي فيك يا أم مالك * على صحة التشبيه أنك إياها)
361 (فإن لم تكوني خدها وجبينها * فإنك أنت الجيد أو أنت عيناها) (ألوامه في حب دار عزيزة * يشق على رجم المطامع مرماها) (دعوه ونجدا إنها شأن قلبه * فلو أن نجدا تلعة ما تعداها) (وهبكم منعتم أن يراها بعينه * فهل تمنعون القلب أن يتمناها) (وليل بذات الأثل قصر طوله * سرى طيفها آها لذكرته آها) (تخطت إلي الهول مشيا على الهوى * وأخطاره لا يصغر

الله ممشاها) (وقد كاد أسداف الدجى أن تضلها * فما
دلها إلا وميض ثناياها) وله من أبيات (إن التي علقت
قلبك حبها * راحت بقلب منك غير علوق) (عقدت
ضمان وفائها من خصرها * فوهى كلا العقدين غير وثيق
) ومن سائر شعره أيضا قوله رحمه الله تعالى (بكر
العارض تحدوه النعامي * فسقاك الري يا دار أماما) (
وتمشت فيك أنفاس الصبا * يتناجين بأنفاس الخزامي)
ومنها (وبجرعاء الحمى قلبي فعج * بالحمى واقرأ على
قلبي السلاما) (وترجل فتحدث عجبا * أن قلبا سار عن
جسم أقاما) (قل لجيران الغضى آها على * طيب عيش
بالغضى لو كان داما) (نصل العام ولا ننساكم *
وقصارى الوجد أن نسلخ عاما) (حملوا ريح الصبا
نشركم * قبل أن تحمل شيحا وثماما)
362 (وابعثوا أشباحكم لي في الكرى * إن أذنتم
لجفوني أن تناما) وهي قصيدة طويلة نقتصر من أطايبها
على هذا القدر طلبا للاختصار ومن رقيق شعره قصيدته
التي منها (أرقت فهل لهاجعة بسلع * على الأرقين أفئدة
ترق) (نشدتك بالمودة يا ابن ودي * فإنك بي من ابن
أبي أحق) (أسل بالجزع دمعك إن عيني * إذا
استبررتها دمعا تعق) (وإن شق البكاء على المعافى *
فلم أسألك إلا ما يشق) وله في القناعة وقد أحسن فيها كل
الاحسان (يلحى على البخل الشحيح بماله * أفلا تكون
بماء وجهك أبخلا) (أكرم يديك عن السؤال فإنما * قدر

الحياة أقل من أن تسألا) (ولقد أضم إلي فضل قناعتي * وأبيت مشتملا بها متزملا) (وأري العدو على الخصاصة شارة * تصف الغنى فيخالني متمولا) (وإذا امرؤ أفنى الليالي حسرة * وأمانيا أفنيتهن توكلا) ومن بديع مدائحه قوله من جملة قصيدة (وإذا رأوك تفرقت أرواحهم * فكأنما عرفتك قبل الأعين) (وإذا أردت بأن تفل كتيبة * لاقيتها فتسم فيها واكتن) وله من جملة قصيدة أبيات تتضمن العتب

363 (إذا صور الإشفاق لي كيف أنتم * وكيف إذا ما عن ذكري صرتم) (تنفست عن عتب فؤادي مفصح * به ولساني للحفاظ يجمجم) (وفي في ماء من بقايا ودادكم * كثيرا به من ماء وجهي أرقتم) (أضم فمي ضنا عليه وبينه * وبين انسكاب ريثما أتكلم) وديوانه مشهور فلا حاجة إلى الإطالة في إيراد محاسنه ويعجبني كثيرا قوله من جملة قصيدة طويلة بيت واحد وهو (بنا أنتم من ظاعنين وخلفوا * قلوبا أبت أن تعرف الصبر عنهم) وتوفي ليلة الأحد لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة ثمان وعشرين وأربعمائة وفي تلك السنة توفي الرئيس أبو علي ابن سينا الحكيم المشهور حسبما تقدم ذكره في ترجمته رحمهما الله تعالى ورأيت في بعض التواريخ أنه توفي سنة ست وعشرين والأول أصح والله أعلم وذكر الباخرزي المذكور في كتابه الدمية أيضا ولده الحسين بن مهيار ونسب إليه القصيدة الحائية التي من

جملتها (يا نسيم الريح من كاظمة * شد ما هجت البكا والبرحا) وهي قصيدة طويلة وهي من مشاهير قصائد مهيار ولا أعلم من أين وقع له هذا الغلط ومهيار بكسر الميم وسكون الهاء وفتح الياء المثناة من تحتها وبعد الألف راء ومرزويه بفتح الميم وسكون الراء وفتح الزاي والواو وبعدها ياء مثناة من تحتها ثم هاء ساكنة وهما اسمان فارسيان لا أعرف معناهما

364 @364@

365 & حرف النون &

366 @366@

367 756 نافع مولى ابن عمر أبو عبد الله نافع مولى عبد الله بن عمر رضي الله عنهم كان ديلميا وأصابه مولاه عبد الله بن عمر في غزاته وهو من كبار الصالحين التابعين سمع مولاه وأبا سعيد الخدري وروى عنه الزهري وأيوب السختياني ومالك بن أنس رضي الله عنهم وهو من المشهورين بالحديث ومن الثقات الذين يؤخذ عنهم ويجمع حديثهم ويعمل به ومعظم حديث ابن عمر عليه دار وقال مالك كنت إذا سمعت حديث نافع عن ابن عمر لا أبالي ألا أسمعه من أحد وأهل الحديث يقولون رواية الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر سلسلة الذهب لجلالة كل واحد من هؤلاء الرواة وحكى الشيخ أبو إسحاق الشيرازي رحمه الله تعالى في كتاب المهذب في باب الوليمة والنثر عن نافع قال كنت أسير مع عبد الله

بن عمر رضي الله عنهما فسمع زمارة راع فوضع إصبعيه في أذنيه ثم عدل عن الطريق فلم يزل يقول يا نافع أتسمع حتى قلت لا فأخرج إصبعيه عن أذنيه ثم رجع إلى الطريق ثم قال هكذا رأيت رسول الله صنع وفي هذا الاثر إشكال تسأل عنه الفقهاء وهو أن ابن عمر كيف سد أذنيه

368 عن استماع صوت الزمارة ولم يأمر مولاه نافعا بفعل ذلك بل مكنه منه وكان يسأله كل وقت هل انقطع الصوت أم لا وقد أجابوا عن الإشكال بأن نافعا حينئذ كان صبيا فلم يكن مكلفا حتى يمنعه من الاستماع ويرد على هذا الجواب سؤال آخر وهو أن الصحيح أن إخبار الصبي غير مقبول فكيف ركن ابن عمر إلى إخباره في انقطاع الصوت وهذا الأثر يعضد حجة من قال إن رواية الصبي مقبولة وفي ذلك خلاف مشهور وليس هذا موضع الكلام عليه وأخبار نافع كثيرة وتوفي سنة سبع عشرة وقيل سنة عشرين ومائة رضي الله عنه 757 نافع المقريء أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم مولى جعونة بن شعوب الشجعي المقريء المدني أحد القراء السبعة كان إمام أهل المدينة والذي صاروا إلى قراءته ورجعوا إلى اختياره وهو من الطبقة الثالثة بعد الصحابة رضوان الله عليهم وكان محتسبا فيه دعابة وكان أسود شديد السواد قال ابن أبي أويس قال لي مالك رضي الله عنه قرأت على نافع وقال الأصمعي قال لي نافع

أصلي من أصبهان هكذا قاله الحافظ أبو نعيم في تاريخ أصبهان وكان قرأ على أبي ميمونة مولى أم سلمة زوج رسول الله وكان له راويان ورش وقنبل وقد سبق ذكرهما في حرف العين وتوفي

369 نافع المذكور سنة تسع وخمسين وقيل غير ذلك بالمدينة والأول أصح وقيل إن كنيته أبو الحسن وقيل أبو عبد الله وقيل أبو عبد الرحمن وقيل أبو نعيم والله أعلم بالصواب وجعونة بفتح الجيم وسكون العين المهملة وفتح الواو والنون وبعدها هاء ساكنة وهو في الأصل اسم الرجل القصير ثم سمي به الرجل وإن لم يكن قصيرا وجعل علما عليه وكان جعونة حليف حمزة بن عبد المطلب وقيل حليف العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما وقيل حليف بني هاشم وشعوب بفتح الشين المعجمة وضم العين المهملة وسكون الواو وبعدها باء موحدة وهو في الأصل اسم المنية والشجعي بكسر الشين المعجمة وسكون الجيم وبعدها عين مهملة هذه النسبة إلى بني شجع وهم من بني عامر بن ليث ولم يتعرض السمعاني إلى ذكر هذه النسبة 758 المطرزي أبو الفتح ناصر بن أبي المكارم عبد السيد بن علي المطرزي الفقيه الحنفي النحوي الأديب الخوارزمي كانت له معرفة تامة بالنحو واللغة والشعر وأنواع الأدب قرأ ببلده على أبيه وعلى أبي المؤيد الموفق بن أحمد بن محمد المكي خطيب

خوارزم وغيرها وسمع الحديث من أبي عبد الله محمد بن علي بن أبي سعد التاجر
370 وغيره وكان تام المعرفة بفنه رأسا في الاعتزال داعيا إليه ينتحل مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه في الفروع فصيحا وكان في الفقه فاضلا وله عدة تصانيف نافعة منها شرح المقامات للحريري وهو على وجازته مفيد محصل للمقصود وله كتاب المغرب تكلم فيه على الألفاظ التي يستعملها الفقهاء من الغريب وهو للحنفية بمثابة كتاب الأزهري للشافعية وما أقصر فيه فإنه أتى جامعا للمقاصد وله المعرب في شرح المغرب وهو كبير وقليل الوجود وله الاقناع في اللغة ومختصر الاقناع ومختصر إصلاح المنطق والمصباح في النحو والمقدمة المشهورة في النحو أيضا وله غير ذلك وانتفع الناس به وبكتبه ودخل بغداد حاجا سنة إحدى وستمائة وكان معتزلي الاعتقاد وجرى له هناك مباحث مع جماعة من الفقهاء وأخذ أهل الأدب عنه وكان سائر الذكر مشهور السمعة بعيد الصيت وله شعر فمن ذلك وفيه صناعة (وزند ندى فواضله وري * ورند ربا فضائله نضير) (ودر جلاله أبدا ثمين * ودر نواله أبدا غزير) وله أيضا (وإني لأستحيي من المجد أن أرى * حليف غوان أو أليف أغاني) وله أيضا (تعامى زماني عن حقوقي وإنه * قبيح على الزرقاء تبدي تعاميا) (فإن تنكروا فضلي فإن رغاءه * كفى لذوي الأسماع منكم مناديا) وله أشعار

كثيرة يستعمل فيها التجانيس وكانت ولادته في رجب سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة بخوارزم وهو كما يقال خليفة الزمخشري فإنه توفي في تلك السنة بتلك البلدة كما سبق في ترجمته

371 وتوفي المطرزي يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من جمادى الأولى سنة عشر وستمائة بخوارزم أيضا رحمه الله تعالى ورثي بأكثر من ثلثمائة قصيدة عربية وفارسية والمطرزي بضم الميم وفتح الطاء المهملة وتشديد الراء وكسرها وبعدها زاي هذه النسبة إلى من يطرز الثياب ويرقمها ولا أعلم هل كان يتعاطى ذلك بنفسه ام كان في آبائه من يتعاطى ذلك فنسب له والله أعلم

282 وتوفي شيخه الموفق بن أحمد الخطيب المذكور في حادي عشر صفر الخير سنة ثمان وستين وخمسمائة بخوارزم رحمه الله تعالى 759 نزار العبيدي أبو المنصور نزار الملقب العزيز بالله ابن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي العبيدي صاحب مصر وبلاد المغرب قد تقدم ذكر والده وأجداده وولده وأحفاده ولي العهد بمصر يوم الخميس رابع شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلثمائة واستقل بالأمر بعد وفاة أبيه وكان يوم الجمعة حادي عشر الشهر المذكور وفيه الخلاف المذكور في ترجمته وسترت وفاة أبيه وسلم عليه بالخلافة وكان كريما شجاعا حسن العفو عند المقدرة وقصته مع أفتكين التركي غلام معز الدولة مشهورة وعفا عنه لما ظفر به

وكان قد غرم في محاربته مالا جزيلا ولم يؤاخذه بما
صدر منه وقد سبق في ترجمة عضد الدولة بن بويه
372 المقدم ذكره في حرف الفاء طرف من خبره
فلا حاجة إلى إعادته و هي قضية تدل على حلمه وحسن
عفوه وذكر الأمير المختار المعروف بالمسبحي أنه الذي
اختط أساس الجامع بالقاهرة مما يلي باب الفتوح وحفر
وبني وبديء بعمارته سنة ثمانين وثلثمائة في شهر
رمضان ثم قال المسبحي أيضا وفي أيامه بني قصر
البحر بالقاهرة الذي لم يبن مثله في شرق ولا غرب
وقصر الذهب وجامع القرافة والقصور بعين شمس وكان
أسمر أصهب الشعر أعين أشهل العين عريض المنكبين
حسن الخلق قريبا من الناس لا يؤثر سفك الدماء بصيرا
بالخيل والجارح من الطير محبا للصيد مغرى به وبصيد
السباع ويعرف الجوهر والبز وكان أديبا فاضلا ذكره أبو
منصور الثعالبي في كتاب يتيمة الدهر وأورد له شعرا قاله
في بعض الأعياد وقد وافق موت بعض أولاده وعقد عليه
المآتم وهو (نحن بنو المصطفى ذوو محن * يجرعها في
الحياة كاظمنا) (عجيبة في الأنام محنتنا * أولنا مبتلى
وخاتمنا) (يفرح هذا الورى بعيدهم * طرا وأعيادنا
مآتمنا) ثم قال بعد فصل طويل وسمعت الشيخ أبا الطيب
يحكى أن المرواني صاحب الأندلس كتب إليه نزار
صاحب مصر كتابا يسبه فيه ويهجوه فكتب إليه أما بعد
فإنك قد عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لأجبناك والسلام

فاشتد على نزار وأفحمه عن الجواب وذكر أبو الحسن الروحي في كتاب تحفة الظرفاء في تاريخ الخلفاء أن هذه
373 الواقعة كانت بين الحكم المستنصر بالله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله وهو المرواني صاحب الأندلس وبين العزيز المذكور وأن المستنصر كتب إلى العزيز يسبه ويهجوه فكتب إليه العزيز هذه الكلمات والله أعلم بالصواب وقد تقدم في ترجمة جده المهدي عبيد الله طرف من أخبار نسبهم والطعن فيه وأكثر أهل العلم بالنسب لا يصححونه وقد تقدم في ترجمة الشريف أبي محمد عبد الله بن طباطبا ما دار بينه وبين المعز والد هذا العزيز في أمر النسب وما أجاب به المعز وصار هذا كالمستفيض بين الناس وفي مبادي ولاية العزيز المذكور صعد المنبر يوم الجمعة فوجد هناك ورقة فيها مكتوب (إنا سمعنا نسبا منكرا * يتلى على المنبر في الجامع) (إن كنت فيما تدعي صادقا * فاذكر أبا بعد الأب الرابع) (وإن ترد تحقيق ما قلته * فانسب لنا نفسك كالطائع) (أو لا دع الأنساب مستورة * وادخل بنا في النسب الواسع) (فإن أنساب بني هاشم * يقصر عنها طمع الطامع) وإنما قال فانسب لنا نفسك كالطائع لأن هذه القضية جرت في خلافة الطائع لله خليفة بغداد وصعد العزيز يوما آخر المنبر فرأى ورقة فيها مكتوب (بالظلم والجور قد رضينا * وليس بالكفر والحماقه)

374 (إن كنت أعطيت علم غيب * فقل لنا كاتب البطاقة) وإنما كتب هذا لأنهم كانوا يدعون علم المغيبات وأخبارهم في ذلك مشهورة ولأبي الرقعمق أحمد بن محمد الأنطاكي المقدم ذكره قصيدة رائية يمدح بها العزيز المذكور وهي من أجود مدائحه فيه وزادت مملكته على مملكة أبيه وفتحت له حمص وحماة وشيزر وحلب وخطب له أبو الدواد محمد بن المسيب وهو أخو المقلد بن المسيب العقيلي صاحب الموصل بالموصل وأعمالها في المحرم سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة وضرب اسمه على السكة والبنود وخطب له باليمن ولم يزل في سلطانه وعظم شانه إلى أن خرج إلى بلبيس متوجها إلى الشام فابتدأت به العلة في العشر الأخير من رجب سنة ست وثمانين وثلثمائة ولم يزل مرضه يزيد وينقص حتى ركب يوم الأحد لخمس بقين من شهر رمضان من السنة المذكورة إلى الحمام بمدينة بلبيس وخرج منها إلى منزل الأستاذ أبي الفتوح برجوان المقدم ذكره وكان صاحب خزائنه بالقصر فأقام عنده وأصبح يوم الاثنين فاشتد به الوجع يومه ذلك وصبيحة نهار الثلاثاء وكان مرضه من حصاة وقولنج فاستدعى القاضي محمد بن النعمان وأبا محمد الحسن بن عمار الكتامي الملقب أمين الدولة وهو أول من تلقب من المغاربة وكان شيخ كتامة وسيدها وخاطبهما بما خاطبهما به في أمر ولده الملقب الحاكم المقدم ذكره ثم إستدعى ولده المذكور وخاطبه أيضا بذلك

ولم يزل العزيز المذكور في الحمام والأمر يشتد به إلى
بين الصلاتين من ذلك النهار وهو الثلاثاء الثامن
والعشرون من شهر رمضان سنة ست وثمانين وثلثمائة
فتوفي في مسلخ الحمام هكذا قال المسبحي وقال صاحب
تاريخ القيروان إن الطبيب وصف له دواء يشربه في
375 حوض الحمام وغلط فيه فشربه فمات من
ساعته ولم ينكتم موته ساعة واحدة وترتب موضعه ولده
الحاكم أبو علي المنصور المقدم ذكره وبلغ الخبر أهل
القاهرة فخرج الناس غداة الأربعاء لتلقي الحاكم فدخل
البلد وبين يديه البنود والرايات وعلى رأسه المظلة يحملها
ريدان الصقلبي المذكور في ترجمة برجوان فدخل القصر
بالقاهرة عند اصفرار الشمس ووالده العزيز بين يديه في
عمارية وقد خرجت قدماه منها وأدخلت العمارية القصر
وتولى غسله القاضي محمد بن النعمان ودفن عند أبيه
المعز في حجرة من القصر وكان دفنه عند العشاء الآخرة
وأصبح الناس يوم الخميس سلخ الشهر والأحوال مستقيمة
وقد نودي في البلد أن لا مؤنة ولا كلفة وقد أمنكم الله تعالى
على أموالكم وأرواحكم فمن عارضكم أو نازعكم فقد حل
ماله ودمه وكانت ولادة العزيز المذكور يوم الخميس
رابع عشر المحرم سنة أربع وأربعين وثلثمائة بالمهدية
من أرض إفريقية وقال الفرغاني في تاريخه الصغير كان
مولد العزيز بالله يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من
المحرم من السنة المذكورة وقال المختار المسبحي

صاحب التاريخ المشهور قال لي الحاكم وقد جرى ذكر والده العزيز يا مختار استدعاني والدي قبل موته و هو عاري الجسم وعليه الخرق والضماد فاستدناني وقبلني وضمني إليه وقال واغمي عليك يا حبيب قلبي ودمعت عيناه ثم قال امض يا سيدي والعب فأنا في عافية قال فمضيت والتهيت بما يلتهي به الصبيان من اللعب إلى أن نقل الله سبحانه وتعالى العزيز إليه قال فبادر إلي برجوان وأنا على جميزة كانت في الدار فقال انزل ويحك الله فينا وفيك قال فنزلت فوضع العمامة بالجوهر على رأسي وقبل لي الأرض وقال السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله تعالى

376 وبركاته قال وأخرجني حينئذ إلى الناس على تلك الهيئة فقبل جميعهم لي الأرض وسلموا علي بالخلافة وأخباره كثيرة والاختصار أولى رحمه الله تعالى 760

نصر الخبزأرزي أبو القاسم نصر بن أحمد بن نصر بن مأمون البصري المعروف بالخبزأرزي الشاعر المشهور كان أميا لا يتهجى ولا يكتب وكان يخبر خبز الأرز بمربد البصرة في دكان وكان ينشد أشعاره المقصورة على الغزل والناس يزدحمون عليه ويتطرفون باستماع شعره ويتعجبون من حاله وأمره وكان أبو الحسين محمد بن محمد المعروف بابن لنكك البصري الشاعر المشهور مع علو قدره عندهم ينتاب دكانه ليسمع شعره واعتنى به وجمع له ديوانا وكان نصر المذكور قد وصل إلى بغداد

وأقام بها دهرا طويلا وذكره الخطيب في تاريخه وقال قرأ عليه ديوانه وروى عنه مقطعات من شعره المعافى بن زكريا الجريريء وأحمد بن منصور بن محمد بن حاتم النوشري وعد جماعة رووا عنه وذكره الثعالبي في كتاب اليتيمة وأورد له مقاطيع فمن ذلك قوله (خليلي هل أبصرتما أو سمعتما * بأكرم من مولى تمشى إلى عبد)
377 (أتى زائرا من غير وعد وقال لي * أجلك عن تعليق قلبك بالوجد) (فما زال نجم الوصل بيني وبينه * يدور بأفلاك السعادة والسعد) (فطورا على تقبيل نرجس ناظر * وطورا على تعضيض تفاحة الخد) وأورد له أيضا (ألم يكفني ما نالني من هواكم * إلى أن طفقتم بين لاه وضاحك) (شماتتكم بي فوق ما قد أصابني * وما بي دخول النار بي طنز مالك) وذكر له أيضا (كم أناس وفوا لنا حين غابوا * وأناس جفوا وهم حضار) (عرضوا ثم أعرضوا واستمالوا * ثم مالوا وجاوروا ثم جاروا) (لا تلمهم على التجني فلو لم * يتجنوا لم يحسن الإعتذار) ومن شعره أيضا (وكان الصديق يزور الصديق * لشرب المدام وعزف القيان) (فصار الصديق يزور الصديق * لبث الهموم وشكوى الزمان) ومن شعره أيضا (كم أقاسي لديك قالا وقيلا * وعدات تترى ومطلا طويلا) (جمعة تنقضي وشهر يولي * وأمانيك بكرة وأصيلا) (إن يفتني منك الجميل من الفعل * تعاطيت عنك صبرا جميلا)

378 (والهوى يستزيد حالا فحالا * وكذا ينسلي قليلا قليلا) (ويك لا تأمنن صروف الليالي * إنها تترك العزيز ذليلا) (فكأني بحسن وجهك قد صاحت * به اللحية الرحيل الرحيلا) (فتبدلت حين بدلت بالنور * ظلاما وساء ذاك بديلا) (فكأن لم تكن قضيبا رطيبا * وكأن لم تكن كثيبا مهيلا) (عندها يشمت الذي لم تصله * ويكون الذي وصلت خليلا) وله أيضا (رأيت الهلال ووجه الحبيب * فكانا هلالين عند النظر) (فلم أدر من حيرتي فيهما * هلال الدجى من هلال البشر) (ولولا التورد في الوجنتين * وما راعني من سواد الشعر) (لكنت أظن الهلال الحبيب * وكنت أظن الحبيب القمر) وقال أحمد بن منصور بن محمد بن حاتم النوشري أنشدنا أبو القاسم نصر ابن أحمد الخبزأرزي لنفسه (بات الحبيب منادمي * والسكر يصبغ وجنتيه) (ثم اغتدى وقد ابتداء * صبغ الخمار بمقلتيه) (وهبت له عيني الكرى * وتعوضت نظرا إليه) (شكرا لإحسان الزمان * كما يساعدني عليه) وذكر الخطيب في تاريخ بغداد ما مثاله حكى أبو محمد عبد الله بن محمد الأكفاني البصري قال خرجت مع عمي أبي عبد الله الأكفاني الشاعر

379 وأبي الحسين ابن لنكك وأبي عبد الله المفجع وأبي الحسن السباك في بطالة عيد وأنا يومئذ صبي أصحبهم فمشوا حتى انتهوا إلى نصر بن أحمد الخبزأرزي وهو جالس يخبز على طابقه فجلست الجماعة

عنده يهنونه بالعيد ويتعرفون خبره وهو يوقد السعف تحت الطابق فزاد في الوقود فدخنهم فنهضت الجماعة عند تزايد الدخان فقال نصر بن أحمد لأبي الحسين ابن لنكك متى أراك يا أبا الحسين فقال له أبو الحسين إذا اتسخت ثيابي وكانت ثيابه يومئذ جددا على أنقى ما يكون من البياض للتجمل بها في العيد فمشينا في سكة بني سمرة حتى انتهينا إلى دار أبي أحمد ابن المثنى فجلس أبو الحسين ابن لنكك وقال يا أصحابنا إن نصرا لا يخلي هذا المجلس الذي مضى لنا معه من شيء يقوله فيه ويجب أن نبدأه قبل أن يبدأنا واستدعى دواة وكتب (لنصر في فؤادي فرط حب * أنيف به على كل الصحاب) (أتيناه فبخرنا بخورا * من السعف المدخن للثياب) (فقمت مبادرا وظننت نصرا * أراد بذاك طردي أو ذهابي) (فقال متى أراك أبا حسين * فقلت له إذا اتسخت ثيابي) وأنفذ الأبيات إلى نصر فأملى جوابها فقرأناه فإذا هو قد أجاب (منحت أبا الحسين صميم ودي * فداعبني بألفاظ عذاب) (أتى وثيابه كقتير شيب * فعدن له كريعان الشباب) (ظننت جلوسه عندي لعرس * فجدت له بتمسيك الثياب) (فقلت متى أراك أبا حسين * فجاوبني إذا اتسخت ثيابي) (فإن كان الترفه فيه خير * فلم يكنى الوصي أبا تراب)

380 وحكى أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد ابنا هاشم الخالديان الشاعران المشهوران في كتاب الهدايا والتحف أن الخبزأرزي أهدى إلى ابن يزداد والي البصرة

فصا وكتب معه (أهديت ما لو أن أضعافه * مطرح عندك ما بانا) (كمثل بلقيس التي لم يبن * إهداؤها عند سليمانا) (هذا امتحان لك إن ترضه * بان لنا أنك ترضانا) والشيء بالشيء يذكر وجدت في هذا الكتاب نادرة طريفة فأحببت ذكرها وهي كان بأصبهان رجل حسن النعمة واسع النفس كامل المروءة يقال له سماك بن النعمان وكان يهوى مغنية من أهل أصبهان لها قدر ومعنى تعرف بأم عمرو فلإفراط حبه إياها وصبابته بها وهبها عدة من ضياعه وكتب عليه بذلك كتبا وحمل الكتب إليها على بغل فشاع الخبر بذلك وتحدث الناس به واستعظموه وكان بأصبهان رجل متخلف بين الركاكة يهوى مغنية أخرى فلما اتصل به ذلك ظن بجهله وقلة عقله أن سماكا أهدى إلى أم عمرو جلودا بيضا لا كتابة فيها وأن هذا من الهدايا التي تستحسن ويجل موقعها عند من تهدى إليه فابتاع جلودا كثيرة وحملها على بغلين لتكون هديته ضعف هدية سماك وأنفذها إلى التي يحب فلما وصلت الجلود إليها ووقفت على الخبر فيها تغيظت عليه وكتبت إليه رقعة تشتمه وتحلف أنها لا تكلمه أبدا وسألت بعض الشعراء أن يعمل أبياتا في هذا المعنى لتودعها الرقعة ففعل وكانت الأبيات (لا عاد طوعك من عصاكا * وحرمت من وصل مناكا) (فلقد فضحت العاشقين * بقبح ما فعلت يداكا)

381 (آرأيت من يهدي الجلود * إلى عشيقته سواكا) (وأظن أنك رمت أن * تحكي بفعلك ذا سماكا) (ذاك الذي أهدى الضياع * لأم عمرو والصكاكا) (فبعثت منتنة كأنك * قد مسحت بهن فاكا) (من لي بقربك يا رقيع * ولست أهوى أن أراكا) (لكن لعلي أن أقطع * ما بعثت على قفاكا) ونقلت من هذا الكتاب أيضا أن اللبادي الشاعر خرج من بعض مدن أذربيجان يريد أخرى وتحته مهر له رائع وكانت السنة مجدبة فضمه الطريق وغلاما حدثا على حمار له قال فحادثته فرأيته أديبا راوية للشعر خفيف الروح حاضر الجواب جيد الحجة فسرنا بقية يومنا فأمسينا إلى خان على ظهر الطريق فطلبت من صاحبه شيئا نأكله فامتنع أن يكون عنده شيء فرفقت به إلى أن جاءني برغيفين فأخذت واحدا ودفعت إلى ذلك الغلام الآخر وكان غمي على المهر أن يبيت بغير علف أعظم من غمي على نفسي فسألت صاحب الخان عن الشعير فقال ما أقدر منه على حبة واحدة فقلت فاطلب لي وجعلت له جعيلة على ذلك فمضى وجاءني بعد طويل وقال قد وجدت مكوكين عند رجل حلف بالطلاق أنه لا ينقصهما عن مائة درهم فقلت ما بعد يمين الطلاق كلام فدفعت إليه خمسين درهما فجاءني بمكوك فعلقته على دابتي وجلست أحادث الفتى وحماره واقف بغير علف فأطرق مليا ثم قال تسمع أيدك الله أبياتا حضرت الساعة فقلت هاتها فأنشد (يا سيدي

شعري نفاية شعركا * فلذاك نظمي ما يقوم بنثركا) (
وقد انبسطت إليك في إنشاد ما * هو في الحقيقة قطرة من
بحركا)
382) آنستني وسررتني وبررتني * وجعلت
أمري من مقدم أمركا) (وأريد أذكر حاجة إن تقضها *
أك عبد مدحك ما حييت وشكركا) (أنا في ضيافتك
العشية ها هنا * فاجعل حماري في ضيافة مهركا)
فضحكت واعتذرت إليه من إغفالي أمر حماره وابتعت
المكوك الآخر بخمسين درهما ودفعته إليه وبالجملة فقد
خرجنا عن المقصود وأخبار نصر المذكور ونوادره
كثيرة وتوفي سنة سبع عشرة وثلثمائة رحمه الله تعالى
وتاريخ وفاته فيه نظر لأن الخطيب ذكر في تاريخه أن
أحمد ابن منصور النوشري المذكور سمع منه سنة خمس
وعشرين وثلثمائة لكن نقلت تاريخ وفاته على هذه
الصورة من تاريخ ابن الأزرق الفارقي والله أعلم
والخبزأرزي بضم الخاء المعجمة وسكون الباء الموحدة
وفتح الزاي وبعدها همزة ثم راء ثم زاي وفتح الهمزة
وضمها وتشديد الزاي وتخفيفها في الأرز يختلف باختلاف
اللغات في هذه الكلمة وفيها ست لغات الواحدة بضم
الهمزة والراء وتشديد الزاي والأخرى بفتح الهمزة
والباقي مثل الأولى والثالثة أرز بضم الهمزة وسكون
الراء وتخفيف الزاي والرابعة مثل الثالثة لكن الراء
مضمومة والخامسة رز بضم الراء وتشديد الزاي

والسادسة رنز بضم الراء وسكون النون وتخفيف الزاي وإنما نسب نصر المذكور هذه النسبة لأنه كان يتعاطى هذه الحرفة كما تقدم ذكره في أول هذه الترجمة ابن لنكك بفتح اللام وسكون النون وكافين متواليين وهو لفظ أعجمي معناه بالعربي أعيرج تصغير أعرج لأن كلمة لنك معناها أعرج وعادة العجم إذا صغروا اسما ألحقوا في أخره كافا ومربد البصرة بكسر الميم وسكون الراء وفتح الباء الموحدة وبعدها دال مهملة وهو اسم موضع بالبصرة مشهور وهو في الأصل اسم لكل مكان تحبس فيه الإبل وغيرها ثم صار علما على الموضع المذكور

383 761 أبو المرهف النميري أبو المرهف

نصر بن منصور بن الحسن بن جوشن بن منصور بن حميد بن أثال بن ورد بن عطاف بن بشر بن جندل بن عبيد الراعي بن الحصين بن معاوية بن جندل ابن قطن بن ربيعة بن عبد الله بن الحارث بن نمير بن عامر بن صعصعة بن معاوية ابن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان النميري الضرير الشاعر المشهور قدم بغداد في صباه وسكنها إلى حين وفاته وحفظ القرآن المجيد وتفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وسمع الحديث من القاضي أبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري وأبي البركات عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي وأبي الفضل محمد بن ناصر وغيرهم وقرأ

الأدب على أبي منصور ابن الجواليقي وقال الشعر ومدح الخلفاء والوزراء والأكابر وحدث وكان زاهدا ورعا حسن المقاصد في الشعر له ديوان شعر وذكره العماد الأصبهاني في كتاب الخريدة وذكر شيئا من شعره وأورد نسبه على هذه الصورة وقال هو الذي أملاه علي وعبيد الراعي المذكور في عمود نسبه هو الشاعر المشهور صاحب الديوان الشعر وكان بينه وبين جرير مهاجاة
384 وكان أبو المرهف المذكور قد كف بصره بالجدري وعمره أربع عشرة سنة وذكر له العماد في الخريدة هذا المقطوع من شعره وهو (ترى يتألف الشمل الصديع * وآمن من زماني ما يروع) (وتأنس بعد وحشتنا بنجد * منازلنا القديمة والربوع) (ذكرت بأيمن العلمين عصرا * مضى والشمل ملتئم جميع) (فلم أملك لدمعي رد غرب * وعند الشوق تعصيك الدموع) (ينازعني إلى خنساء قلبي * ودون لقائها بلد شسوع) (وأخوف ما أخاف على فؤادي * إذا ما أنجد البرق اللموع) (لقد حملت من طول التنائي * عن الأحباب ما لا أستطيع) وشعره فيه رقة وجزالة وكان ببغداد كثير الانقطاع إلى الوزير عون الدين ابن هبيرة الآتي ذكره إن شاء الله تعالى وله فيه مدائح وكانت ولادته يوم الثلاثاء بعد العصر ثالث عشر جمادى الآخرة سنة إحدى وخمسمائة بالرقة وتوفي يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ببغداد

ودفن بباب حرب رحمه الله تعالى والنميري بضم النون وفتح الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء هذه النسبة إلى نمير بن عامر المذكور في عمود النسب في أول الترجمة والباقي معروف

385 762 ابن قلاقس أبو الفتوح نصر الله بن عبد الله بن مخلوف بن علي بن عبد القوي بن قلاقس اللخمي الأزهري الإسكندري الملقب القاضي الأعز الشاعر المشهور كان شاعرا مجيدا وفاضلا نبيلا ولم يكن له لحية بل كان سناطا وقيل فيه أشعار بسبب ذلك فأضربت عن ذكرها لفحشها صحب الشيخ الحافظ أبا طاهر أحمد بن محمد السلفي المقدم ذكره وانتفع بصحبته وله فيه غرر المدائح وقد تضمنها ديوانه وكان الحافظ المذكور كثيرا ما يثني عليه ويتقاضاه بمديحه وقصد القاضي الفاضل عبد الرحيم المقدم ذكره بقصيدة موسومة أحسن فيها كل الإحسان وأولها (ما ضر ذاك الريم أن لا يريم * لو كان يرثي لسليم سليم) (وما على من وصله جنة * إلا أرى من صده في جحيم) (أعندما همت به روضة * أعل جسمي لأكون النسيم) (رقيم خد نام عن ساهر * ما أجدر النوم بأهل الرقيم) (وكيف لا يصرم ظبي وقد * سمعت في النسبة ظبي الصريم) (وعاذل دام ودام الدجى * بهيمة نادمتها في بهيم)

386 (يغيظني وهو على رسله * والمرء في غيظ سواه حليم) (قلت له لما عدا طوره * والقلب مني في

العذاب الأليم) (اعذر فؤادي إنه شاعر * من حبه في
كل واد يهيم) (يا رب خمر فمه كاسها * لم أقتنع من
شربها بالشميم) (أتبعت رشفا قبلا عندها * وقلت هذا
زمزم والحطيم) (فافتر إما عن أقاحي الربا * يضحك
أو در العقود النظيم) (أو كان قد قبل مستحسنا * ما قبل
الفاضل عبد الرحيم) وكان كثير الحركات والأسفار وفي
ذلك يقول (والناس كثر ولكن لا يقدر لي * ألا مرافقة
الملاح والحادي) وفي آخر وقته دخل بلاد اليمن وامتدح
بمدينة عدن أبا الفرج ياسر بن أبي الندى بلال بن جرير
المحمدي وزير محمد وأبي السعود ولدي عمران بن محمد
بن الداعي سبأ بن أبي السعود بن زريع بن العباس اليامي
صاحب بلاد اليمن فأحسن إليه وأجزل صلته وفارقه وقد
أثرى من جهته فركب البحر فانكسر المركب به وغرق
جميع ما كان معه بجزيرة الناموس بالقرب من دهلك
وذلك يوم الجمعة خامس ذي القعدة سنة ثلاث وستين
وخمسمائة فعاد إليه وهو عريان فلما دخل عليه أنشده
قصيدته التي أولها (صدرنا وقد نادى السماح بنا ردوا *
فعدنا إلى مغناك والعود أحمد) وهذه القصيدة من
القصائد المختارة ولو لم يكن فيها سوى هذا البيت لكفاه ثم
أنشده بعد ذلك قصيدة يصف فيها غرقه وأولها
387 (سافر إذا حاولت قدرا * سار الهلال فصار
بدرا) (والماء يكسب ما جرى * طيبا ويخبث ما استقرا
) (وبنقلة الدرر النفيسة * بدلت بالبحر نحرا) ومنها (

يا راويا عن ياسر * خبرا ولم يعرفه خبرا) (اقرأ بغرة وجهه * صحف المنى إن كنت تقرا) (والثم بنان يمينه * وقل السلام عليك بحرا) (وغلطت في تشبيهه * بالبحر فاللهم غفرا) (أو ليس نلت بذا غنى * جما ونلت بذاك فقرا) (وعهدت هذا لم يزل * مدا وذاك يعود جزرا) وهي قصيدة طويلة أحسن فيها كل الإحسان ومعنى البيت الثاني منها مأخوذ من قول بديع الزمان صاحب المقامات المقدم ذكره في حرف الهمزة في أول رسالة قد ذكرتها في ترجمته وهي الماء إذا طال مكثه ظهر خبثه والبيت الثالث من هذه القصيدة أيضا مأخوذ من قول صردر الشاعر المقدم ذكره في حرف العين وهو (قلقل ركابك في الفلا * ودع الغواني للخدور) (فمحالفو أوطانهم * أمثال سكان القبور) (لولا التنقل ما ارتقت * درر البحور إلى النحور) وله في جارية سوداء وهو معنى غريب (رب سوداء وهي بيضاء معنى * نافس المسك عندها الكافور) (مثل حب العيون يحسبه الناس * سوادا وإنما هو نور)

388 ومحاسن ابن قلاقس نادرة وكانت ولادته بثغر الإسكندرية يوم الأربعاء رابع شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة وتوفي ثالث شوال سنة سبع وستين وخمسمائة بعيذاب رحمه الله تعالى ودخل صقلية في شعبان سنة ثلاث وستين وكان وصوله إلى اليمن سنة خمس وستين وكان بصقلية بعض القواد يقال له القائد أبو

القاسم ابن الحجر فاتصل به وأحسن إليه وصنف له كتابا سماه الزهر الباسم في أوصاف أبي القاسم وأجاد فيه ولما فارق صقلية راجعا إلى الديار المصرية وكان في زمن الشتاء ردته الريح إلى صقلية فكتب إلى أبي القاسم المذكور (منع الشتاء من الوصول * مع الرسول إلى دياري) (فأعادني وعلى اختياري * جاء من غير اختياري) (ولربما وقع الحمار * وكان من غرض المكاري) وقلاقس بقافين الأولى مفتوحة والثانية مكسورة وبينهما لام ألف وفي آخره سين مهملة وهو جمع قلقاس بضم القاف وهو معروف واللخمي تقدم الكلام عليه وكذلك الأزهري وعيذاب بفتح العين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الذال المعجمة وبعد الألف باء موحدة وهي بليدة على شاطئ بحر جدة يعدي منها الركب المصري المتوجه إلى الحجاز على طريق قوص في ليلة واحدة في أغلب الأوقات فيصل إلى جدة ومنها إلى مكة حرسها الله تعالى مسافة

389 يوم وبجدة قبر أم البشر حواء رضي الله عنها على ما يقال وقبرها هناك ظاهر يزار وياسر المذكور قتله شمس الدولة توران شاه المقدم ذكره عند دخوله اليمن

763 ضياء الدين ابن الأثير أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري الملقب ضياء الدين كان مولده بجزيرة ابني عمر ونشأ بها وانتقل مع

والده إلى الموصل في رجب سنة تسع وسبعين وخمسمائة وبها اشتغل وحصل العلوم وحفظ كتاب الله الكريم وكثيرا من الأحاديث النبوية وطرفا صالحا من النحو واللغة وعلم البيان وشيئا كثيرا من الأشعار حتى قال في أول كتابه الذي سماه الوشي المرقوم ما مثاله وكنت حفظت من الأشعار القديمة والمحدثة ما لا أحصيه كثرة ثم اقتصرت بعد ذلك على شعر الطائيين حبيب بن أوس يعني أبا تمام وأبي عبادة البحتري وشعر أبي الطيب المتنبي فحفظت هذه الدواوين الثلاثة وكنت أكرر عليها بالدرس مدة سنين حتى تمكنت من صوغ المعاني وصار الإدمان لي خلقا وطبعا وإنما ذكر هذا الفصل في معرض أن المنشيء ينبغي أن يجعل

390 دأبه في الترسل حل المنظوم ويعتمد عليه في هذه الصناعة ولما كملت لضياء الدين المذكور الأدوات قصد جناب الملك الناصر صلاح الدين تغمده الله برحمته في شهر ربيع الأول سنة سبع وثمانين وخمسمائة فوصله القاضي الفاضل لخدمة صلاح الدين في جمادى الآخرة من السنة وأقام عنده إلى شوال من السنة ثم طلبه ولده الملك الأفضل نور الدين من والده فخيره صلاح الدين بين الإقامة في خدمته والانتقال إلى ولده ويبقى المعلوم الذي قرره له باقيا عليه فاختار ولده فمضى إليه وكان يومئذ شابا فاستوزره ولده الملك الأفضل نور الدين على المقدم ذكره رحمه الله تعالى وحسنت حاله عنده ولما توفي

السلطان صلاح الدين واستقل ولده الملك الأفضل بمملكة دمشق استقل ضياء الدين المذكور بالوزارة ووردت أمور الناس إليه وصار الاعتماد في جميع الأحوال عليه ولما أخذت دمشق من الملك الأفضل وانتقل إلى صرخد حسبما شرحناه في ترجمته وكان ضياء الدين قد أساء العشرة مع أهلها وهموا بقتله فأخرجه الحاجب محاسن بن عجم مستخفيا في صندوق مقفل عليه ثم صار إليه وصحبه إلى مصر لما استدعي لنيابة ابن أخيه الملك المنصور وقد تقدم ذكر ذلك كله في ترجمة الملك الأفضل فأغنى عن الإعادة ولما قصد الملك العادل الديار المصرية وأخذها من ابن أخيه كما ذكرناه هناك وتعوض الملك الأفضل البلاد الشرقية وخرج من مصر لم يخرج ضياء الدين في خدمته لأنه خاف على نفسه من جماعة كانوا يقصدونه فخرج منها

391 مستترا وله في كيفية خروجه مستخفيا رسالة طويلة شرح فيها حاله وهي موجودة في ديوان رسائله وغاب عن مخدومه الملك الأفضل مديدة ولما استقر الأفضل في سميساط عاد إلى خدمته وأقام عنده مدة ثم فارقه في ذي القعدة من سنة سبع وستمائة واتصل بخدمة أخيه الملك الظاهر صاحب حلب المقدم ذكره فلم يطل مقامه عنده ولا انتظم أمره وخرج مغضبا وعاد إلى الموصل فلم يستقم حاله فورد إربل فلم يستقم حاله فسافر إلى سنجار ثم عاد إلى الموصل واتخذها دار إقامته

واستقر وكتب الإنشاء لصاحبها ناصر الدين محمود ابن الملك القاهر عز الدين مسعود بن نور الدين أرسلان شاه المقدم ذكره في حرف الهمزة وأتابكه يومئذ الأمير بدر الدين لؤلؤ أبو الفضائل النوري وذلك في سنة ثماني عشرة وستمائة ولقد ترددت إلى الموصل من إربل أكثر من عشر مرات وهو مقيم بها وكنت أود الاجتماع به لآخذ عنه شيئا ولما كان بينه وبين الوالد رحمه الله تعالى من المودة الأكيدة فلم يتفق ذلك ثم فارقت بلاد المشرق وانتقلت إلى الشام وأقمت به مقدار عشر سنين ثم انتقلت إلى الديار المصرية وهو في قيد الحياة ثم بلغني بعد ذلك خبر وفاته وأنا بالقاهرة وسيأتي تاريخه في أواخر الترجمة إن شاء الله تعالى ولضياء الدين من التصانيف الدالة على غزارة فضله وتحقيق نبله كتابه الذي سماه المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر وهو في مجلدين جمع فيه فأوعب ولم يترك شيئا يتعلق بفن الكتابة إلا ذكره ولما فرغ من تصنيفه كتبه الناس عنه فوصل إلى بغداد منه نسخة فانتدب له الفقيه الأديب عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن حسين بن أبي الحديد المدائني وتصدى لمؤاخذته والرد عليه وعنته في ذلك وجمع هذه المؤاخذات في كتاب سماه الفلك الدائر على المثل السائر فلما أكمله وقف عليه أخوه موفق الدين أبو المعالي أحمد ويدعى القاسم أيضا فكتب إلى أخيه المذكور قوله

392 (المثل السائر يا سيدي * صنفت فيه الفلك
الدائرا) (لكن هذا فلك دائر * تصير فيه المثل السائرا)
283 وكانت ولادة عز الدين المذكور بالمدائن يوم السبت
مستهل ذي الحجة سنة ست وثمانين وخمسمائة وتوفي
في بغداد سنة خمس وخمسين وستمائة 284 وتوفي أخوه
موفق الدين المذكور ببغداد في سنة ست وخمسين وستمائة
بعد أن أخذها التتر بقليل وكانا فقيهين أديبين فاضلين لهما
أشعار مليحة ومولد الموفق المذكور في جمادى الآخرة
وقيل في شهر ربيع الأول سنة تسعين وخمسمائة بالمدائن
وله كتاب الوشي المرقوم في حل المنظوم وهو مع
وجازته في غاية الحسن والإفادة وله كتاب المعاني
المخترعة في صناعة الإنشاء وهو أيضا نهاية في بابه وله
مجموع اختار فيه شعر أبي تمام والبحتري وديك الجن
والمتنبي وهو في مجلد واحد كبير وحفظه مفيد وقال أبو
البركات ابن المستوفي في تاريخ إربل نقلت من خطه في
آخر هذا الكتاب المختار ما مثاله (تمتع به علقا نفيسا فإنه
اختيار * بصير بالأمور حكيم) (أطاعته أنواع البلاغة
فاهتدى * إلى الشعر من نهج إليه قويم) وله أيضا ديوان
ترسل في عدة مجلدات والمختار منه في مجلد واحد ومن
جملة رسائله ما كتبه إلى مخدومه وقد سافر في زمن
الشتاء والبرد الشديد وينهي أنه سار عن الخدمة وقد
ضرب الدجن فيه مضاربه وأسبل عليه ذوائبه وجعل كل
قرارة حفيرا وكل ربوة غديرا وخط كل أرض خطا

وغادر كل جانب شطا كأنه يوازي يد مولانا في شيمة كرمها والتثاث صوب ديمها والمملوك يستغفر الله من هذا التمثيل العاري عن فائدة التحصيل وفرق بين ما يملأ الوادي بمائه ومن يملأ النادي بنعمائه وليس ما ينبت زهرا يذهبه المصيف أو تمرا يأكله الخريف كمن ينبت ثروة تغوث الأعطاف ويأكل المرتبع والمصطاف ثم استمر على مسير يقاسي الأرض ووحلها والسماء ووبلها ولقد جاد حتى أضجر وأسرف حتى اتصل بره بالعقوق وما خاف

393 المملوك لمع البوارق كما خاف لمع البروق ولم يزل من مواقع قطره في حرب ومن شدة برده في كرب والسلام ولما سمع صاحبنا الحسام عيسى بن سنجر بن بهرام المعروف بالحاجري الإربلي المقدم ذكره هذا المعنى وهو قوله ومن شدة برده في كرب أعجبه ونظم أبياتا ومن جملتها بيت أودعه هذا المعنى وهو (ويلاه من برد رضاب له * أشكو إلى العذال منه الحريق) ومن وقف على هذا البيت ربما يتشوق إلى الوقوف على بقية الأبيات وهي قليلة فلا بأس بذكرها وهي (بين لوي الجزع ووادي العقيق * من لا إلى السلوان عنه طريق)
(جان جنى النحلة من ريقه * حلو التثني والثنايا رشيق)
(لو لم تكن وجنته جنة * ما أنبتت ذاك العذار الأنيق) (ويلاه من برد رضاب له * أشكو إلى العذال منه الحريق)
(واعجبا يفعل بي في الهوى * ما تفعل الأعداء وهو

الصديق) (روحي فدى الظبي الذي قده * يفعل فعل السمهري الدقيق) وقد سبق في ترجمة النفيس القطرسي في حرف الهمزة بيت من جملة أبياته الكافية يتضمن هذا المعنى وهو قوله (أحرقت يا ثغر الحبيب * حشاي لما ذقت بردك) وأصل هذا المعنى لابن التعاويذي المقدم ذكره في بيت من جملة قصيدته النونية المشهورة وهو (يذكي الجوى بارد من ثغره شبم * ويوقظ الوجد طرف منه وسنان)

394 ومن رسائل ضياء الدين ما كتبه عن مخدومه إلى الديوان العزيز من جملة رسالة وهي ودولته هي الضاحكة وإن كان نسبها إلى العباس فهي خير دولة أخرجت للزمن كما أن رعاياها خير أمة أخرجت للناس ولم يجعل شعارها من لون الشباب إلا تفاؤلا بأنها لا تهرم وأنها لا تزال محبوة من أبكار السعادة بالحب الذي لا يسلى والوصل الذي لا يصرم وهذا معنى اخترعه الخادم للدولة وشعارها وهو مما لم تخطه الأقلام في صحفها ولا أجالته الخواطر في أفكارها ولعمري ما أنصف ضياء الدين في دعواه الاختراع لهذا المعنى وقد سبقه إليه ابن التعاويذي في قصيدته السينية التي مدح بها الإمام الناصر لدين الله أبا العباس أحمد أول يوم جلس في دست الخلافة وهو يوم الأحد مستهل ذي القعدة سنة خمس وسبعين وخمسمائة وأول القصيدة (طاف يسعى بها على الجلاس * كقضيب الأراكة المياس) ومنها عند المخلص وهو

المقصود بالذكر هاهنا (يا نهار المشيب من لي وهيهات
* بليل الشبيبة الديماس) (حال بيني وبين لهوي وأطرا
* بي دهر أحال صبغة راسي) (ورأى الغانيات شيبي
فأعرضن * وقلن السواد خير لباس) (كيف لا يفضل
السواد وقد أضحى * شعارا على بني العباس) ولا شك
أن ضياء الدين زاد على هذا المعنى لكن ابن التعاويذي
هو الذي فتح الباب وأوضح السبيل فسهل على ضياء
الدين سلوكه وله من جملة رسائله في ذكر العصا التي
يتوكأ عليها الشيخ الكبير وهو معنى غريب وهذا لمبتدأ
ضعفي خبر ولقوس ظهري وتر وإن كان إلقاؤها دليلا
على الإقامة فإن حملها دليل على السفر وله في وصف
المسلوبين من جملة كتاب يتضمن البشرى بهزيمة الكفار
وهو فسلبوا وعاضتهم الدماء
395 عن اللباس فهم في صورة عار وزيهم زي
كاس وما أسرع ما خيط لهم لباسها المحمر غير أنه لم
يجب عليهم ولم يزر وما لبسوه حتى لبس الإسلام شعار
النصر الباقي على الدهر وهو شعار نسجه السنان الخارق
لا الصنع الحاذق ولم يغب عن لابسه إلا ريثما غابت
البيض في الطلى والهام وألف الطعن بين ألف الخط واللام
وأول هذا الفصل مأخوذ من قول البحتري (سلبوا
وأشرقت الدماء عليهم * محمرة فكأنهم لم يسلبوا) وله
رسالة يصف فيها الديار المصرية وهي طويلة ومن
جملتها فصل في صفة نيلها وقت زيادته وهو معنى بديع

غريب لم أقف لغيره على أسلوبه وهو قوله وعذب رضابه فضاهى جنى النحل واحمر صفيحه فعلمت أنه قد قتل المحل وهذا المعنى نهاية في الحسن ثم إني وجدت هذا المعنى لبعض العرب وقد أخذ ضياء الدين منه وهو قوله (لله قلب ما يزال يروعه * برق الغمامة منجدا أو مغورا) (ما احمر في الليل البهيم صفيحه * متجردا إلا وقد قتل الكرى) ولقد أحسن في أخذه وتلطف في نقله إلى هذا المعنى ومثله قول عبد الله ابن المعتز المقدم ذكره في غلام أرمد (قالوا اشتكت عينه فقلت لهم * من كثرة القتل مسها الوصب) (حمرتها من دماء من قتلت * والدم في النصل شاهد عجب)

396 وله كل معنى مليح في الترسل وكان يعارض القاضي الفاضل في رسائله فإذا أنشأ رسالة أنشأ مثلها وكان بينهما مكاتبات ومجاوبات ولم يكن له في النظم شيء حسن وسأذكر منه أنموذجا وهو (ثلاثة تعطي الفرح * كأس وكوب وقدح) (ما ذبح الزق لها * إلا وللهم ذبح) وكان كثيرا ما ينشد (قلب كفاه من الصبابة أنه * لبى دعاء الظاعنين وما دعي) (ومن الظنون الفاسدات توهمي * بعد اليقين بقاءه في أضلعي) وهذان البيتان من جملة أبيات للفقيه عمارة اليمني المقدم ذكره ومحاسنه كثيرة وقد طال الشرح وذكره أبو البركات ابن المستوفي في تاريخ إربل وبالغ في الثناء عليه وقال ورد إربل في شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة وستمائة

وكانت ولادته بجزيرة ابني عمر في يوم الخميس العشرين من شعبان سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وتوفي في إحدى الجماديين سنة سبع وثلاثين وستمائة ببغداد وقد توجه إليها رسولا من جهة صاحب الموصل وصلي عليه من الغد بجامع القصر ودفن بمقابر قريش في الجانب الغربي بمشهد موسى بن جعفر رضي الله عنهما قال أبو عبد الله محمد بن النجار البغدادي في تاريخ بغداد توفي يوم الاثنين التاسع والعشرين من شهر ربيع الآخر من السنة وهو أخبر لأنه صاحب هذا الفن وقد مات عندهم 397 وقد تقدم ذكر أخويه مجد الدين أبي السعادات المبارك وأبي الحسن علي الملقب عز الدين وكان الإخوة الثلاثة فضلاء نجباء رؤساء لكل واحد منهم تصانيف نافعة رحمهم الله تعالى 285 وكان لضياء الدين المذكور ولد نبيه له النظم والنثر الحسن وصنف عدة تصانيف نافعة من مجاميع وغيرها ورأيت له مجموعا جمعه للملك الأشرف ابن الملك العادل بن أيوب وأحسن فيه وذكر فيه جملة من نظمه ونثره ورسائل أبيه ومولده بالموصل في شهر رمضان سنة خمس وثمانين وخمسمائة وتوفي بكرة نهار الاثنين ثاني جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وستمائة واسمه محمد ولقبه الشرف رحمه الله تعالى 764 النضر بن شميل أبو الحسن النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد بن كلثوم بن عبدة بن زهير السكب الشاعر ابن عروة بن حليمة بن حجر بن خزاعي بن مازن ابن مالك

بن عمرو بن تميم التميمي المازني النحوي البصري كان عالما بفنون من العلم صدوقا ثقة صاحب غريب وفقه وشعر ومعرفة بأيام العرب ورواية الحديث وهو من أصحاب الخليل بن أحمد ذكره أبو عبيدة في كتاب مثالب أهل البصرة فقال ضاقت المعيشة على النضر بن شميل البصري

398 بالبصرة فخرج يريد خراسان فشيعه من أهل البصرة نحو من ثلاثة آلاف رجل ما فيهم إلا محدث أو نحوي أو لغوي أو عروضي أو أخباري فلما صار بالمربد جلس فقال يا أهل البصرة يعز علي فراقكم ووالله لو وجدت كل يوم كيلجة باقلى ما فارقتكم قال فلم يكن أحد فيهم يتكلف له ذلك فسار حتى وصل خراسان فأفاد بها مالا عظيما وكانت إقامته بمرو وقد سبق في أخبار القاضي عبد الوهاب المالكي نظير هذه الحكاية لما خرج من بغداد وسمع من هشام بن عروة وإسماعيل بن أبي خالد وحميد الطويل وعبد الله ابن عون وهشام بن حسان وغيرهم من التابعين وروى عنه يحيى بن معين وعلي ابن المديني وكل من أدركه من أئمة عصره ودخل نيسابور غير مرة وأقام بها زمانا وسمع منه أهلها وله مع المأمون بن هارون الرشيد لما كان مقيما بمرو حكايات ونوادر لأنه كان يجالسه فمن ذلك ما حكاه الحريري في كتاب درة الغواص في أوهام الخواص في قوله ويقولون هو سداد من عوز فيلحنون في فتح السين والصواب أن يقال

بالكسر وقد جاء في أخبار النحويين أن النضر بن شميل المازني استفاد بإفادة هذا الحرف ثمانين ألف درهم وساق خبره وذكر إسنادا انتهى فيه إلى محمد بن ناصح الأهوازي قال حدثني النضر بن شميل قال كنت أدخل على المأمون في سمره فدخلت ذات ليلة وعلي ثوب مرقوع فقال يا نضر ما هذا التقشف حتى تدخل على أمير المؤمنين في هذه الخلقان قلت يا أمير المؤمنين أنا شيخ ضعيف وحر مرو شديد فأتبرد بهذه الخلقان قال لا ولكنك قشف ثم أجرينا الحديث فأجرى هو ذكر النساء فقال حدثنا هشيم عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس رضي الله عنهما

399 قال قال رسول الله إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سداد من عوز فأورده بفتح السين قال فقلت صدق يا أمير المؤمنين هشيم حدثنا عوف بن أبي جميلة عن الحسن عن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه قال قال رسول الله إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عوز قال وكان المأمون متكئا فاستوى جالسا وقال يا نضر كيف قلت سداد قلت لأن السداد ها هنا لحن قال أو تلحنني قلت إنما لحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه قال فما الفرق بينهما قلت السداد بالفتح القصد في الدين والسبيل والسداد بالكسر البلغة وكل ما سددت به شيئا فهو سداد قال أو تعرف العرب ذلك قلت نعم هذا العرجي يقول (أضاعوني وأي

فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر) فقال المأمون قبح الله من لا أدب له وأطرق مليا ثم قال ما مالك يا نضر قلت أريضة لي بمرو أتصاببها وأتمززها قال أفلا نفيدك مالا معها قلت إني إلى ذلك لمحتاج قال فأخذ القرطاس وأنا لا أدري ما يكتب ثم قال كيف تقول إذا أمرت أن يترب قلت أتربه قال فهو ماذا قلت مترب قال فمن الطين قلت طنه قال فهو ماذا قلت مطين قال هذه أحسن من الأولى ثم قال يا غلام أتربه وطنه ثم صلى بنا العشاء وقال لخادمه تبلغ معه إلى الفضل بن سهل قال فلما قرأ الفضل الكتاب قال يا نضر إن أمير المؤمنين قد أمر لك بخمسين ألف درهم فما كان السبب فيه فأخبرته ولم أكذبه فقال لحنت أمير المؤمنين فقلت كلا إنما لحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه وقد تتبع ألفاظ
400 الفقهاء ورواة الآثار ثم أمر لي بثلاثين ألف درهم فأخذت ثمانين ألف درهم بحرف استفيد مني
والبيت الذي استشهد به هو لعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان الأموي العرجي الشاعر المشهور وهو من جملة أبيات له وهي هذه الأبيات (أضاعوني وأي فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر) (وصبر عند معترك المنايا * وقد شرعت أسنتها لنحري) (أجرر في الجوامع كل يوم * فيالله مظلمتي وقسري) (كأني لم أكن فيهم وسيطا * ولم تك نسبتي في آل عمرو) (عسى الملك المجيب لمن دعاه * سينجيني فيعلم كيف شكري) (فأجزي بالكرامة

أهل ودي * وأجزي بالضغائن أهل وتري) والعرجي بفتح العين وسكون الراء وفي آخرها جيم هذه النسبة إلى العرج وهو موضع بمكة سمي به وقال ابن الأثير في كتاب تهذيب النسب العرج بين مكة والمدينة وليس بمكة والله أعلم وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي لما حبس المنصور عبد الله بن علي كان يكثر التمثل بقول العرجي (أضاعوني وأي فتى أضاعوا *) فبلغ ذلك المنصور فقال هو أضاع نفسه بسوء فعله فكانت أنفسنا عندنا أبر من نفسه قال إسحاق وقال الأصمعي مررت بكناس بالبصرة يكنس كنيفا ويغني (أضاعوني وأي فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر)

401 فقلت أما سداد الكنيف فأنت ملي به وأما الثغر فلا علم لنا كيف أنت فيه وكنت حديث السن وأردت العبث به فأعرض عني مليا ثم أقبل علي متمثلا يقول (وأكرم نفسي إنني إن أهنتها * وحقك لم تكرم على أحد بعدي) فقلت والله ما يكون من الهوان شيء أكثر مما بذلتها له فقال لي والله إن من الهوان لشرا مما أنا فيه فقلت وما هو قال الحاجة إليك وإلى أمثالك وكان سبب عمله هذه الأبيات أن محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي خال هشام بن عبد الملك لما كان والي مكة حبس العرجي المذكور لأنه كان يشبب بأمه جيداء وهي من بني الحارث بن كعب ولم يكن ذلك لمحبته إياها بل ليفضح ولدها المذكور وأقام في حبسه تسع سنين ثم مات فيه بعد أن

ضربه بالسياط وشهره بالأسواق فعمل هذه الأبيات في السجن قال إسحاق وكان الوليد بن يزيد مضطغنا على محمد بن هشام أشياء كانت تبلغه عنه في هشام فلما ولي الخلافة قبض عليه وعلى أخيه إبراهيم بن هشام وأشخص الى الشام ثم دعا بالسياط فقال له محمد أسألك بالقرابة فقال وأي قرابة بيني وبينك هل أنت إلا من أشجع قال فأسألك بصهر عبد الملك قال فلم تحفظه قال يا أمير المؤمنين قد نهى رسول الله أن تضرب قريش بالسياط إلا في حد قال ففي حد أضربك وقود أنت ممن سن ذلك على العرجي وهو ابن عمي وابن أمير المؤمنين عثمان فما راعيت حق جده ولا نسبته إلى هشام ولا ذكرت حينئذ هذا الخبر وأنا ولي ثأره اضرب يا غلام فضربهما ضربا مبرحا وأثقلا بالحديد ووجههما إلى يوسف بن عمر بالكوفة وأمر باستقصائهما وتعذيبهما حتى يتلفا

402 وكتب إليه احتبسهما مع ابن النصرانية يعني خالدا القسري إن عاش أحد منهما فعذبهما عذابا شديدا وأخذ منهما مالا عظيما حتى لم يبق فيهما موضع للضرب وكان محمد بن هشام مطروحا فإذا أرادوا أن يقيموه أخذوا بلحيته فجذبوه بها ولما اشتد الحال بهما تحامل إبراهيم لينظر في وجه محمد فوقع عليه فماتا جميعا ومات خالد القسري معهما في يوم واحد قال إسحاق غنيت الرشيد يوما في عرض الغناء (أضاعوني وأي فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر) فقال لي ما كان سبب العرجي

حتى قال الشعر فأخبرته بخبره من أوله إلى آخره إلى أن مات فرأيته يتغير كلما مر به شيء فأتبعته بحديث مقتل ابني هشام فجعل وجهه يسفر وغضبه يسكن فلما انقضى الحديث قال يا إسحاق والله لولا ما حدثتني به من فعل الوليد لما تركت أحدا من بني مخزوم إلا قتلته بالعرجي وقد خرجنا عن المقصود ونرجع الآن إلى تتمة أخبار النضر بن شميل فمن ذلك ما حكاه الحريري في درة الغواص أيضا في أوائل الكتاب في قوله ويقولون للمريض مسح الله ما بك بالسين والصواب فيه مصح بالصاد فقال ويحكى أن النضر بن شميل المازني مرض فدخل عليه قوم يعودونه فقال له رجل منهم يكنى أبا صالح مسح الله ما بك فقال لا تقل مسح بالسين ولكن قل مصح بالصاد أي أذهبه وفرقه أما سمعت قول الأعشى (وإذا ما الخمر فيها أزبدت * أفل الإزباد فيها ومصح) فقال له الرجل إن السين قد تبدل من الصاد كما يقال الصراط والسراط

403 وسقر وصقر فقال له النضر فإذا أنت أبو سالح ويشبه هذه النادرة ما حكي أيضا أن بغض الأدباء جوز بحضرة الوزير أبي الحسن بن الفرات أن تقام السين مقام الصاد في كل موضع فقال له الوزير أتقرأ (^ جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) (الرعد 23) أم من سلح فخجل الرجل وانقطع انتهى كلام الحريري قلت أنا والذي ذكره أرباب اللغة في جواز إبدال

الصاد من السين أن كل كلمة كان فيها سين وجاء بعدها أحد الحروف الأربعة وهي الطاء والخاء والغين والقاف فيجوز إبدال السين بالصاد فنقول في السراط الصراط وفي سخر لكم صخر وفي مسغبة مصغبة وفي سيقل صيقل وقس على هذا كله ولم أر في شيء من كتب اللغة من ذكر هذا وحكى فيه خلافا سوى الجوهري في كتاب الصحاح في لفظة صدغ فإنه قال وربما قالوا السدغ بالسين قال قطرب محمد بن المستنير إن قوما من بني تميم يقال لهم بلعنبر يقلبون السين صادا عند أربعة أحرف عند الطاء والقاف والغين والخاء إذا كن بعد السين ولا يبالي أثانية كانت أم ثالثة أم رابعة بعد أن تكون بعدها يقولون سراط وصراط وبسطة وبصطة وسيقل وصيقل وسرقت وصرقت ومسغبة ومصغبة ومسدغة ومصدغة وسخر لكم وصخر لكم والسخب والصخب انتهى كلامه في هذا الفصل وأخبار النضر كثيرة والاختصار أولى وله تصانيف كثيرة فمن ذلك كتاب في الأجناس على مثال الغريب وسماه كتاب الصفات قال علي بن الكوفي الجزء الأول منه يحتوي على خلق الإنسان والجود والكرم وصفات النساء والجزء الثاني يحتوي على الأخبية والبيوت وصفة الجبال والشعاب والجزء الثالث يحتوي على الإبل فقط والجزء الرابع يحتوي على الغنم والطير والشمس والقمر والليل والنهار والألبان والكمأة والآبار

والحياض والأرشية والدلاء وصفة الخمر والجزء الخامس
404 يحتوي على الزرع والكرم والعنب وأسماء البقول والأشجار والرياح والسحاب والأمطار وله كتاب السلاح وكتاب خلق الفرس وكتاب الأنواء وكتاب المعاني وكتاب غريب الحديث وكتاب المصادر وكتاب المدخل إلى كتاب العين للخليل بن أحمد وغير ذلك من التصانيف وتوفي في سلخ ذي الحجة سنة أربع ومائتين وقيل في أولها وقيل سنة ثلاث ومائتين بمدينة مرو من بلاد خراسان وبها ولد ونشأ بالبصرة فلذلك نسب إليها رحمه الله تعالى والنضر بفتح النون وسكون الضاد المعجمة وبعدها راء وشميل بضم الشين المعجمة وفتح الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام وخرشة بفتح الخاء المعجمة والراء والشين المعجمة وكلثوم بضم الكاف والثاء المثلثة وبينهما لام ساكنة وعبدة بفتح العين والدال المهملة وبينهما باء موحدة وهاء ساكنة والسكب بفتح السين المهملة وسكون الكاف وبعدها باء موحدة وإنما قيل له سكب لقوله (برق يضيء خلال البيت أسكوب *) وحليمة بفتح الحاء المهملة وكسر اللام وسكون الياء المثناة من تحتها وقال ابن الجوزي في كتاب الألقاب في ترجمة السكب هو زهير بن عروة ابن جلهمة والله أعلم بالصواب وجلهمة بضم الجيم والهاء وبينهما لام ساكنة وهو في الأصل اسم لجنب الوادي يقال له جلهمة وجلهة

بفتح الجيم والهاء بغير ميم وبه سمي الرجل وحجر بضم الحاء المهملة وبعدها جيم ساكنة ثم راء
405 وخزاعي بضم الخاء المعجمة وفتح الزاي وبعد الألف عين مهملة مكسورة ثم ياء مشددة تشبه ياء النسب والباقي معروف فلا حاجة إلى ضبطه 765
الإمام أبو حنيفة أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه الفقيه الكوفي مولى تيم الله ابن ثعلبة وهو من رهط حمزة الزيات كان خزازا يبيع الخز وجده زوطي من أهل كابل وقيل من أهل بابل وقيل من أهل الأنبار وقيل من أهل نسا وقيل من أهل ترمذ وهو الذي مسه الرق فأعتق وولد ثابت على الإسلام وقال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة أنا إسماعيل بن حماد بن النعمان بن ثابت بن النعمان بن المرزبان من أبناء فارس من الأحرار والله ما وقع علينا رق قط ولد جدي سنة ثمانين وذهب ثابت إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو صغير فدعا له بالبركة فيه وفي ذريته ونحن نرجو أن يكون الله تعالى قد استجاب ذلك لعلي فينا والنعمان بن المرزبان أبو ثابت هو الذي أهدى لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه الفالوذج في يوم المهرجان النيروز
406 فقال مهرجونا كل يوم هكذا قال الخطيب في تاريخه والله تعالى أعلم وأدرك أبو حنيفة أربعة من الصحابة رضوان الله عليهم وهم أنس بن مالك وعبد الله بن أبي أوفى بالكوفة وسهل بن سعد الساعدي بالمدينة

وأبو الطفيل عامر بن واثلة بمكة ولم يلق أحدا منهم ولا أخذ عنه وأصحابه يقولون لقي جماعة من الصحابة وروى عنهم ولم يثبت ذلك عند أهل النقل وذكر الخطيب في تاريخ بغداد أنه رأى أنس بن مالك رضي الله عنه وأخذ الفقه عن حماد بن أبي سليمان وسمع عطاء بن أبي رباح وأبا إسحاق السبيعي ومحارب بن دثار والهيثم بن حبيب الصواف ومحمد بن المنكدر ونافعا مولى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وهشام بن عروة وسماك بن حرب وروى عنه عبيد الله بن المبارك ووكيع بن الجراح والقاضي أبو يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني وغيرهم وكان عالما عاملا زاهدا عابدا ورعا تقيا كثير الخشوع دائم التضرع إلى الله تعالى ونقله أبو جعفر المنصور من الكوفة إلى بغداد فأراده على أن يوليه القضاء فأبى فحلف عليه ليفعلن فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل فحلف المنصور ليفعلن فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل وقال إني لن أصلح إلى قضاء فقال الربيع بن يونس الحاجب ألا ترى أمير المؤمنين يحلف فقال أبو حنيفة أمير المؤمنين على كفارة أيمانه أقدر مني على كفارة أيماني وأبى أن يلي فأمر به إلى الحبس في الوقت والعوام يدعون أنه تولى عدد اللبن أياما ليكفر بذلك عن يمنه ولم يصح هذا من جهة النقل وقال الربيع رأيت المنصور ينازل أبا حنيفة في أمر القضاء وهو يقول اتق الله ولا ترعي

407 أمانتك إلا من يخاف الله والله ما أنا مأمون الرضا فكيف أكون مأمون الغضب ولو اتجه الحكم عليك ثم تهددتني أن تغرقني في الفرات أو تلي الحكم لاخترت أن أغرق ولك حاشية يحتاجون إلى من يكرمهم لك ولا أصلح لذلك فقال له كذبت أنت تصلح فقال له قد حكمت لي على نفسك كيف يحل لك أن تولي قاضيا على أمانتك وهو كذاب وحكى الخطيب أيضا في بعض الروايات أن المنصور لما بنى مدينته ونزلها ونزل المهدي في الجانب الشرقي وبنى مسجد الرصافة أرسل إلى أبي حنيفة فجيء به فعرض عليه قضاء الرصافة فأبى فقال له إن لم تفعل ضربتك بالسياط قال أو تفعل قال نعم فقعد في القضاء يومين فلم يأته أحد فلما كان في اليوم الثالث أتاه رجل صفار ومعه آخر فقال الصفار لي على هذا درهمان وأربعة دوانيق ثمن تور صفر فقال أبو حنيفة اتق الله وانظر فيما يقول الصفار قال ليس له علي شيء فقال أبو حنيفة للصفار ما تقول فقال استحلفه لي فقال أبو حنيفة للرجل قل والله الذي لا إله إلا هو فجعل يقول فلما رآه أبو حنيفة معتمدا على أن يقول قطع عليه وضرب بيده إلى كمه فحل صرة وأخرج درهمين ثقيلين وقال للصفار هذان الدرهمان عوض عن باقي تورك فنظر الصفار إليهما وقال نعم فأخذ الدرهمين فلما كان بعد يومين اشتكى أبو حنيفة فمرض ستة أيام ثم مات وكان يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري أمير العراقين أراده أن يلي القضاء بالكوفة

أيام مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية فأبى عليه فضربه مائة سوط وعشرة أسواط كل يوم عشرة أسواط وهو على الامتناع فلما رأى ذلك خلى سبيله وكان أحمد بن حنبل رضي الله عنه إذا ذكر ذلك بكى وترحم على أبي حنيفة وذلك بعد أن ضرب أحمد على القول بخلق القرآن

408 وقال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة مررت مع أبي بالكناسة فبكى فقلت له يا أبت ما يبكيك فقال يا بني في هذا الموضع ضرب ابن هبيرة أبي عشرة أيام في كل يوم عشرة أسواط على أن يلي القضاء فلم يفعل والكناسة بضم الكاف موضع بالكوفة قال الفضل بن غانم كان أبو يوسف مريضا شديد المرض فعاده أبو حنيفة مرارا فصار إلى آخر مرة فرآه ثقيلا فاسترجع ثم قال لقد كنت أؤملك بعدي للمسلمين ولئن أصيب الناس به ليموتن معك علم كثير ثم رزق العافية وخرج من الغد فأخبر أبو يوسف بقول أبي حنيفة فيه فارتفعت نفسه وانصرفت وجوه الناس إليه فعقد لنفسه مجلسا في الفقه وقصر عن لزوم مجلس أبي حنيفة فسأل عنه فأخبر أنه عقد لنفسه مجلسا وأنه يلقي كلامك فيه فدعا رجلا كان له عنده قدر فقال سر إلى مجلس يعقوب فقل له ما تقول في رجل دفع إلى قصار ثوبا ليقصره بدرهم فصار إليه بعد أيام في طلب الثوب فقال له القصار ما لك عندي شيء وأنكره ثم إن رب الثوب رجع إليه فدفع له الثوب مقصورا أله أجرة فإن قال لك له أجرة فقل له أخطأت وإن قال لا أجرة له فقل

أخطأت فسار إليه وسأله فقال أبو يوسف له أجرة فقال
أخطأت فنظر ساعة ثم قال لا أجرة له فقال له أخطأت فقام
أبو يوسف من ساعته فأتى أبا حنيفة فقال ما جاء بك إلا
مسألة القصار قال أجل قال سبحان الله من قعد يفتي الناس
وعقد مجلسا يتكلم في دين الله وهذا قدره لا يحسن أن
يجيب في مسألة من الاجارات فقال يا أبا حنيفة علمني
فقال إن كان قصره بعد ما غصبه فلا أجرة لأنه قصر
لصاحبه ثم قال من ظن أنه يستغني عن التعلم فليبك على
نفسه وكان أبو حنيفة حسن الوجه حسن المجلس شديد
الكرم حسن المواساة لإخوانه وكان ربعة من الرجال وقيل
كان طوالا تعلوه سمرة أحسن
409 الناس منطقا وأحلاهم نغمة وذكر الخطيب في
تاريخه أن أبا حنيفة رأى في المنام كأنه ينبش قبر رسول
الله فبعث من سأل ابن سيرين فقال ابن سيرين صاحب هذه
الرؤيا يثور علما لم يسبقه إليه أحد قبله قال الشافعي
رضي الله عنه قيل لمالك هل رأيت أبا حنيفة فقال نعم
رأيت رجلا لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهبا لقام
بحجته وروى حرملة بن يحيى عن الشافعي رضي الله
عنه أنه قال الناس عيال على هؤلاء الخمسة من أراد أن
يتبحر في الفقه فهو عيال على أبي حنيفة وكان أبو حنيفة
ممن وفق له الفقه ومن أراد أن يتبحر في الشعر فهو عيال
على زهير ابن أبي سلمى ومن أراد أن يتبحر في المغازي
فهو عيال على محمد بن إسحاق ومن أراد أن يتبحر في

النحو فهو عيال على الكسائي ومن أراد أن يتبحر في التفسير فهو عيال على مقاتل بن سليمان هكذا نقله الخطيب في تاريخه وقال يحيى بن معين القراءة عندي قراءة حمزة والفقه فقه أبي حنيفة على هذا أدركت الناس وقال جعفر بن ربيع أقمت على أبي حنيفة خمس سنين فما رأيت أطول صمتا منه فإذا سئل عن الفقه تفتح وسال كالوادي وسمعت له دويا وجهارة في الكلام وكان إماما في القياس قال علي بن عاصم دخلت على أبي حنيفة وعنده حجام يأخذ من شعره فقال للحجام تتبع مواضع البياض فقال الحجام لا تزد فقال ولم قال لأنه يكثر قال فتتبع مواضع السواد لعله يكثر وحكيت لشريك هذه الحكاية فضحك وقال لو ترك أبو حنيفة قياسه لتركه مع الحجام

410 وقال عبد الله بن رجاء كان لأبي حنيفة جار بالكوفة إسكاف يعمل نهاره أجمع حتى إذا جنه الليل رجع إلى منزله وقد حمل لحما فطبخه أو سمكة فيشويها ثم لا يزال يشرب حتى إذا دب الشراب فيه غرد بصوت وهو يقول (أضاعوني وأي فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر) فلا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى يأخذه النوم وكان أبو حنيفة يسمع جلبته كل ليلة وأبو حنيفة كان يصلي الليل كله ففقد أبو حنيفة صوته فسأل عنه فقيل أخذه العسس منذ ليال وهو محبوس فصلى أبو حنيفة صلاة الفجر من غد وركب بغلته واستأذن على الأمير فقال

الأمير ايذنوا له وأقبلوا به راكبا ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط ببغلته ففعل ولم يزل الأمير يوسع له في مجلسه وقال ما حاجتك فقال لي جار إسكاف أخذه العسس منذ ليال يأمر الأمير بتخليته فقال نعم وكل من أخذ في تلك الليلة إلى يومنا هذا فأمر بتخليتهم أجمعين فركب أبو حنيفة والإسكاف يمشي وراءه فلما نزل أبو حنيفة مضى إليه وقال يا فتى أضعناك فقال لا بل حفظت ورعيت جزاك الله خيرا عن حرمة الجوار ورعاية الحق وتاب الرجل ولم يعد إلى ما كان عليه وقال ابن المبارك رأيت أبا حنيفة في طريق مكة وشوي لهم فصيل سمين فاشتهوا أن يأكلوه بخل فلم يجدوا شيئا يصبون فيه الخل فتحيروا فرأيت أبا حنيفة وقد حفر في الرمل حفرة وبسط عليها السفرة وسكب الخل على ذلك الموضع فأكلوا الشواء بالخل فقالوا تحسن كل شيء فقال عليكم بالشكر فإن هذا شيء ألهمته لكم فضلا من الله عليكم

411 وحكى الحسن بن زياد قال دفن رجل مالا في موضع ثم نسي في أي موضع دفنه فلم يقع عليه فجاء إلى أبي حنيفة فشكا إليه فقال له أبو حنيفة ما هذا فقه فأحتال لك ولكن اذهب فصل الليلة ففعل الرجل ولم يقم إلا أقل من ربع الليل حتى ذكر الموضع فجاء إلى أبي حنيفة فأخبره فقال له قد علمت أن الشيطان لا يدعك تصلي حتى يذكرك فهلا أتممت ليلتك شكرا لله عز وجل وقال ابن شبرمة كنت شديد الازراء على أبي حنيفة فحضر الموسم وكنت

حاجا يومئذ فاجتمع إليه قوم يسألونه فوقفت من حيث لا يعلم من أنا فجاءه رجل فقال يا أبا حنيفة قصدتك أسألك عن أمر أهمني وأزعجني قال وما هو قال لي ولد وليس لي غيره فإن زوجته طلق وإن سريته أعتق وقد عجزت عن هذا فهل من حيلة قال له نعم اشتر الجارية التي يرضاها لنفسه ثم زوجها منه فإن طلق رجعت إليك مملوكتك وإن أعتق أعتق ما لا يملك وإن ولدت ثبت نسبه لك فعلمت أن الرجل فقيه من يومئذ وكففت عن ذكره إلا بخير وقال ابن المبارك أيضا قلت لسفيان الثوري يا أبا عبد الله ما أبعد أبا حنيفة عن الغيبة ما سمعته يغتاب عدوا له قط فقال هو أعقل من أن يسلط على حسناته ما يذهبها وقال أبو يوسف دعا أبو جعفر المنصور أبا حنيفة فقال الربيع صاحب المنصور وكان يعادي أبا حنيفة يا أمير المؤمنين هذا أبو حنيفة يخالف جدك كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول إذا حلف على اليمين ثم استثنى بعد ذلك بيوم أو بيومين جاز الإستثناء وقال أبو حنيفة لا يجوز الاستثناء إلا متصلا باليمين فقال أبو حنيفة يا أمير المؤمنين إن الربيع يزعم أنه ليس لك في رقاب جندك بيعة قال وكيف قال يحلفون لك
412 ثم يرجعون إلى منازلهم فيستثنون فتبطل أيمانهم فضحك المنصور وقال يا ربيع لا تتعرض لأبي حنيفة فلما خرج أبو حنيفة قال له الربيع أردت أن تشيط بدمي قال لا ولكنك أردت أن تشيط بدمي فخلصتك

وخلصت نفسي وكان أبو العباس الطوسي سيء الرأي في أبي حنيفة وكان أبو حنيفة يعرف ذلك فدخل أبو حنيفة على المنصور وكثر الناس فقال الطوسي اليوم أقتل أبا حنيفة فأقبل عليه فقال يا أبا حنيفة إن أمير المؤمنين يدعو الرجل فيأمره بضرب عنق الرجل لا يدري ما هو أيسعه أن يضرب عنقه فقال يا أبا العباس أمير المؤمنين يأمر بالحق أم بالباطل فقال بالحق قال أنفذ الحق حيث كان ولا تسأل عنه ثم قال أبو حنيفة لمن قرب منه إن هذا أراد أن يوثقني فربطته وقال يزيد بن الكميت كان أبو حنيفة شديد الخوف من الله تعالى فقرأ بنا علي بن الحسين المؤذن ليلة في العشاء الأخيرة سورة (^ إذا زلزلت) وأبو حنيفة خلفه فلما قضى الصلاة وخرج الناس نظرت إلى أبي حنيفة وهو جالس يتفكر ويتنفس فقلت أقوم لا يشتغل قلبه بي فلما خرجت تركت القنديل ولم يكن فيه إلا زيت قليل فجئت وقد طلع الفجر وهو قائم وقد أخذ بلحية نفسه وهو يقول يا من يجزي بمثقال ذرة خير خيرا ويا من يجزي بمثقال ذرة شر شرا أجر النعمان عبدك من النار ومما يقرب منها من السوء وأدخله في سعة رحمتك قال فأذنت وإذا القنديل يزهر وهو قائم فلما دخلت قال لي تريد أن تأخذ القنديل قلت قد أذنت لصلاة الغداة فقال اكتم علي ما رأيت وركع ركعتين وجلس حتى أقمت الصلاة وصلى معنا الغداة على وضوء أول الليل

413 وقال أسد بن عمرو صلى أبو حنيفة فيما حفظ عليه صلاة الفجر بوضوء صلاة العشاء أربعين سنة وكان عامة ليلة يقرأ جميع القرآن في ركعة واحدة وكان يسمع بكاؤه في الليل حتى يرحمه جيرانه وحفظ عليه أنه ختم القرآن في الموضع الذي توفي فيه سبعة آلاف مرة وقال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة عن أبيه لما مات أبي سألنا الحسن ابن عمارة أن يتولى غسله ففعل فلما غسله قال رحمك الله وغفر لك لم تفطر منذ ثلاثين سنة ولم تتوسد يمينك في الليل منذ أربعين سنة وقد أتعبت من بعدك وفضحت القراء ومناقبه وفضائله كثيرة وقد ذكر الخطيب في تاريخه منها شيئا كثيرا ثم أعقب ذلك بذكر ما كان الأليق في تركه والإضراب عنه فمثل هذا الإمام لا يشك في دينه ولا في ورعه وتحفظه ولم يكن يعاب بشيء سوى قلة العربية فمن ذلك ما روي أن أبا عمرو بن العلاء المقريء النحوي المقدم ذكره سأله عن القتل بالمثل هل يوجب القود أم لا فقال لا كما هو قاعدة مذهبه خلافا للإمام الشافعي رضي الله عنه فقال له أبو عمرو ولو قتله بحجر المنجنيق فقال ولو قتله بأبا قبيس يعني الجبل المطل على مكة حرسها الله تعالى وقد اعتذروا عن أبي حنيفة بأنه قال ذلك على لغة من يقول إن الكلمات الست المعربة بالحروف وهي أبوه وأخوه وحموه وهنوه وفوه وذو مال أن إعرابها يكون في الأحوال الثلاث بالألف وأنشدوا في ذلك (إن أباها وأبا أباها * قد بلغا في المجد غايتاها)

وهي لغة الكوفيين وأبو حنيفة من أهل الكوفة فهي لغته والله أعلم وهذا وإن كان خروجا عن المقصود لكن الكلام ارتبط بعضه ببعض فانتشر وكانت ولادة أبي حنيفة سنة ثمانين للهجرة وقيل سنة إحدى وستين
414 والأول أصح وتوفي في رجب وقيل في شعبان سنة خمسين ومائة وقيل لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى من السنة وقيل سنة احدى وخمسين وقيل ثلاث وخمسين والأول أصح وكانت وفاته ببغداد في السجن ليلي القضاء فلم يفعل هذا هو الصحيح وقيل إنه لم يمت في السجن وقيل توفي في اليوم الذي ولد فيه الإمام الشافعي رضي الله عنهما ودفن بمقبرة الخيزران وقبره هناك مشهور يزار وزوطى بضم الزاي وسكون الواو وفتح الطاء المهملة وبعدها ألف مقصورة وهو اسم نبطي وكابل بفتح الكاف وضم الباء الموحدة بعد الألف وبعدها لام وهي ناحية معروفة من بلاد الهند ينسب إليها جماعة من العلماء وغيرهم وأما بابل والأنبار فهما معروفان فلا حاجة إلى الكلام عليهما 286 وبنى شرف الملك أبو سعد محمد بن منصور الخوارزمي مستوفي مملكة السلطان ملك شاه السلجوقي على قبر الإمام أبي حنيفة مشهدا وقبة وبنى عنده مدرسة كبيرة للحنفية ولما فرغ من عمارة ذلك ركب إليها في جماعة من الأعيان ليشاهدوها فبيناهم هناك إذ دخل عليهم الشريف أبو جعفر مسعود المعروف بالبياضي الشاعر المقدم ذكره وأنشده) ألم تر أن العلم

كان مبددا * فجمعه هذا المغيب في اللحد) (كذلك كانت هذه الأرض ميتة * فأنشرها فعل العميد أبي سعد)
فأجازه أبو سعد جائزة سنية ولهذا أبي سعد مدرسة بمدينة مرو وله عدة ربط وخانات في المفاوز وكان كثير الخير وعمل المعروف وانقطع في آخر عمره عن الخدمة ولزم بيته وكانوا يراجعونه في الأمور وتوفي في المحرم سنة أربع وستين وأربعمائة بأصبهان رحمه الله تعالى وكان بناء المشهد والقبة في سنة تسع وخمسين وأربعمائة وقد تقدم في ترجمة

415 ألب أرسلان محمد والد السلطان ملك شاه أنه بنى مشهدا على قبر الإمام أبي حنيفة وكذلك وجدته في بعض التواريخ وقد غاب عني الآن من أين نقلته ثم وجدت بعد ذلك أن الذي بنى المشهد والقبة أبو سعد المذكور والظاهر أن أبا سعد بناهما نيابة عن ألب أرسلان المذكور وهو كان المباشر كما جرت عادة النواب مع ملوكهم فتسبت العمارة إليه بهذه الطريق ويدل على ذلك أن تاريخ العمارة في أيام ألب أرسلان وأبو سعد كان مستوفيا في أيامه ثم استمر على وظيفته في أيام ولده ملك شاه وهذا إنما ذكرته لنجمع بين النقلين والله أعلم 766 القاضي النعمان أبو حنيفة النعمان بن أبي عبد الله محمد بن منصور بن أحمد بن حيون أحد الأئمة الفضلاء المشار إليهم ذكره الأمير المختار المسبحي في تاريخه فقال كان من أهل العلم والفقه والدين والنبل على ما لا مزيد عليه

وله عدة تصانيف منها كتاب اختلاف أصول المذاهب
وغيره انتهى كلام المسبحي في هذا الموضع وكان مالكي
المذهب ثم انتقل إلى مذهب الإمامية وصنف كتاب ابتداء
416 الدعوة للعبيديين وكتاب الأخبار في الفقه
وكتاب الاقتصار في الفقه أيضا وقال ابن زولاق في
كتاب أخبار قضاة مصر في ترجمة أبي الحسن علي بن
النعمان المذكور ما مثاله وكان أبوه النعمان بن محمد
القاضي في غاية الفضل من أهل القرآن والعلم بمعانيه
وعالما بوجوه الفقه وعلم اختلاف الفقهاء واللغة والشعر
الفحل والمعرفة بأيام الناس مع عقل وإنصاف وألف لأهل
البيت من الكتب آلاف أوراق بأحسن تأليف وأملح سجع
وعمل في المناقب والمثالب كتابا حسنا وله ردود على
المخالفين له رد على أبي حنيفة وعلى مالك والشافعي
وعلى ابن سريج وكتاب اختلاف الفقهاء ينتصر فيه لأهل
البيت رضي الله عنهم وله القصيدة الفقهية لقبها بالمنتخبة
وكان أبو حنيفة المذكور ملازما صحبة المعز أبي تميم
معد بن منصور المقدم ذكره ولما وصل من إفريقية إلى
الديار المصرية كان معه ولم تطل مدته ومات في مستهل
رجب سنة ثلاث وستين وثلثمائة بمصر وذكر أحمد بن
محمد بن عبد الله الفرغاني في سيرة القائد جوهر أنه توفي
في ليلة الجمعة سلخ جمادى الآخرة من السنة وصلى عليه
المعز وذكر ابن زولاق في تاريخه بعد ذكر وفاة المعز
وذكر أولاده وقضاة المعز فقال قاضيه الواصل معه من

المغرب أبو حنيفة النعمان بن محمد الداعي ولما وصل
إلى مصر وجد جوهرا قد استخلف على القضاء أبا طاهر
الذهلي البغدادي فأقره انتهى كلام ابن زولاق 287 وكان
والده أبو عبد الله محمد قد عمر ويحكي أخبارا كثيرة
نفيسة حفظها وعمره أربع سنين وتوفي في رجب سنة
إحدى وخمسين وثلثمائة وصلى عليه ولده أبو حنيفة
المذكور ودفن في باب سلم وهو أحد أبواب القيروان وكان
عمره مائة وأربع سنين

417 288 وكان لأبي حنيفة أولاد نجباء سروات
فمنهم أبو الحسن علي بن النعمان أشرك المعز المذكور
بينه وبين أبي طاهر محمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر
بن بحير بن صالح بن أسامة الذهلي قاضي مصر في
الحكم ولم يزالا مشتركين فيه إلى أن توفي المعز وقام
بالأمر ولده العزيز نزار وقد تقدم ذكره أيضا فرد إلى
القاضي أبي الحسن المذكور أمر الجامعين ودار الضرب
وهما على الاشتراك في الحكم واستمرا على ذلك إلى أن
لحقت القاضي أبا طاهر المذكور رطوبة عطلت شقه
ومنعته من الحركة والسعي إلا محمولا فركب العزيز
المذكور إلى الجزيرة التي بين مصر والجيزة في مستهل
صفر سنة ست وستين وثلثمائة فحمل أبو طاهر إليه فلقيه
والشهود معه عند باب الصناعة فرآه نحيلا وسأله
استخلاف ولده أبي العلاء بسبب ما يجده من الضعف
فحكي عن العزيز أنه قال ما بقي إلا أن تقددوه ثم قلد

العزيز ثالث هذا اليوم القاضي أبا الحسن علي بن النعمان
المذكور القضاء مستقلا فركب إلى جامع القاهرة وقريء
سجله ثم عاد إلى الجامع العتيق بمصر وقريء سجله
وكان القاريء أخاه أبا عبد الله محمد ابن النعمان وكان في
سجله القضاء بالديار المصرية والشام والحرمين
والمغرب وجميع مملكة العزيز والخطابة والإمامة والعيار
في الذهب والفضة والموازين والمكاييل ثم انصرف إلى
داره في جمع عظيم ولم يتأخر عنه أحد وأقام القاضي أبو
طاهر المذكور منقطعا في بيته عليلا وأصحاب الحديث
يترددون إليه ويسمعون عليه إلى أن توفي سلخ ذي القعدة
سنة سبع وستين وثلثمائة وسنة ثمان وثمانون سنة ومدة
ولايته ست عشرة سنة وسبعة عشر يوما وأذن له العزيز
أيضا أن ينظر في الأحكام في هذه المدة فلم يكن فيه فضل
وكان قد حكم في الجانب الغربي ببغداد أيضا مدة ثم انتقل
إلى مصر ثم إن القاضي أبا الحسن استخلف في الحكم
أخاه أبا عبد الله محمدا وفوض إليه الحكم بدمياط وتنيس
والفرما والجفار فخرج إليها واستخلف بها ثم عاد ثم سافر
العزيز إلى الشام في سنة سبع وستين وسافر معه القاضي
أبو الحسن المذكور وجلس أخوه محمد مكانه للحكم بين
الناس

418 وكان القاضي أبو الحسن المذكور مفننا في
عدة فنون منها علم القضاء والقيام به بوقار وسكينة وعلم
الفقه والعربية والأدب والشعر وأيام الناس وكان شاعرا

مجيدا في الطبقة العليا ومن شعره ما رواه له أبو منصور الثعالبي في كتاب يتيمة الدهر وهو قوله (ولي صديق ما مسني عدم * مذ وقعت عينه على عدمي) (أغنى وأقنى وما يكلفني * تقبيل كف له ولا قدم) (قام بأمري لما قعدت به * ونمت عن حاجتي ولم ينم) وأورد له الثعالبي أيضا في المعنى (صديق لي له أدب * صداقة مثله نسب) (رعى لي فوق ما يرعى * وأوجب فوق ما يجب) (فلو نقدت خلائقه * لبهرج عندها الذهب) وأورد له أبو الحسن الباخرزي المقدم ذكره في كتاب دمية القصر وأوردها أيضا أبو محمد ابن زولاق في كتاب أخبار قضاة مصر في ترجمة أبي الحسن المذكور أبياتا أحسن فيها كل الإحسان وهي (رب خود عرفت في عرفات * سلبتني بحسنها حسناتي) (حرمت حين أحرمت نوم عيني * واستباحت حماي باللحظات) (وأفاضت مع الحجيج ففاضت * من جفوني سوابق العبرات) (ولقد أضرمت على القلب جمرا * محرقا إذ مشت إلى الجمرات) (لم أنل من منى النفس حتى * خفت بالخيف أن تكون وفاتي)

419 ولم يزل أبو الحسن المذكور مستمرا على أحكامه وافر الحرمة عند العزيز حتى أصابته الحمى وهو بالجامع ينظر في الأحكام فقام من وقته ومضى إلى داره وأقام عليلا أربعة عشر يوما وتوفي في يوم الاثنين لست خلون من رجب سنة أربع وسبعين وثلثمائة وأخرج تابوته

من الغد إلى العزيز وهو معسكر بسطح الجب عند الموضع المعروف الآن بالبركة فوضع التابوت بالمسجد المعروف بالبئر والجميزة وسار العزيز إليه من مخيمه حتى صلى عليه في المسجد وردت الجنازة إلى داره بالحمراء فدفن فيها والحمراء محلة بمصر وهي ثلاث حمراوات وإنما قيل لها الحمراء لنزول الروم بها وأرسل العزيز إلى أخيه أبي عبد الله محمد المذكور في هذه الترجمة وكان ينوب عن أخيه أبي الحسن كما ذكرنا فقال له إن القضاء لك من بعد أخيك ولا تخرجه عن هذا البيت وكانت مدة ولاية أبي الحسن تسع سنين وخمسة أشهر وأربعة أيام وكانت ولادته بالمغرب في شهر ربيع الأول سنة تسع وعشرين وثلثمائة رحمه الله تعالى 289 وأقامت مصر بغير قاض ينظر فيها ثمانية عشر يوما لأن أبا عبد الله كان مريضا ثم خف عنه المرض فركب في وقته إلى معسكر العزيز يوم الخميس لثمان بقين من رجب ثم عاد من عنده إلى الجامع العتيق بمصر في يوم الجمعة وقد قلده العزيز القضاء وخلع عليه وقلده سيفا فلم يقدر على النزول في الجامع لضعفه من العلة فسار إلى داره ونزل ولده وجماعة من أهل بيته إلى الجامع العتيق بمصر وقريء سجله بعد صلاة الجمعة وكان مثل سجل أخيه أبي الحسن في جميع ولايته وفي ذي القعدة سنة أربع وسبعين وثلثمائة استخلف ولده أبا القاسم عبد العزيز على القضاء بالإسكندرية بأمر العزيز وخلع عليه العزيز وفي يوم

الجمعة مستهل جمادى الأولى سنة خمس وسبعين عقد
القاضي محمد بن النعمان المذكور نكاح ولده أبي القاسم
عبد العزيز المذكور على ابنة القائد أبي
420 الحسن جوهر المقدم ذكره في حرف الجيم
وكان العقد في مجلس العزيز ولم يحضره إلا خواصه
وكان الصداق ثلاثة آلاف دينار والكتاب ثوبا مصمتا
وكان المعز أبو تميم معد والد العزيز المذكور قد تقدم وهو
بالمغرب إلى القاضي أبي حنيفة النعمان المذكور في أول
الترجمة بعمل اسطرلاب فضة وأن يجلس مع الصائغ أحد
ثقاته فأجلس أبو حنيفة ولده المذكور محمدا فلما فرغ
الاسطرلاب حمله أبو حنيفة إلى المعز فقال له من أجلست
معه فقال ولدي محمدا فقال هو قاضي مصر فكان كما قال
لأن المعز كانت تحدثه نفسه أبدا بأخذ مصر فلهذا تلفظ
بهذا الكلام ووافقته السعادة مع المقادير وقال القاضي
محمد المذكور كان المعز إذا رآني وأنا صبي بالمغرب
يقول لولده العزيز هذا قاضيك وكان محمد جيد المعرفة
بالأحكام مفننا في علوم كثيرة حسن الأدب والدراية
بالأخبار والشعر وأيام الناس وله شعر فمن ذلك قوله (أيا
مشبه البدر بدر السماء * لسبع وخمس مضت واثنتين) (
ويا كامل الحسن في نعته * شغلت فؤادي وأسهرت عيني
) (فهل لي من مطمع أرتجيه * وإلا انصرفت بخفي
حنين) (ويشمت بي شامت في هواك * ويفصح لي
ظلت صفر اليدين) (فإما مننت وإما قتلت * فأنت القدير

على الحالتين) وكتب إليه عبد الله بن الحسن الجعفري
السمرقندي (تعادلت القضاة علا فأما * أبو عبد الإله فلا
عديل) (وحيد في فضائله غريب * خطير في مفاخره
جليل) (تألق بهجة ومضى اعتزاما * كما يتألق السيف
الصقيل) (فيقضي والسداد له حليف * ويعطي والغمام
له رسيل) (لو اختبرت قضاياه لقالوا * يؤيده عليها
جبرئيل) (إذا رقي المنابر فهو قس * وإن حضر
المشاهد فالخليل) فكتب إليه القاضي محمد المذكور
421 (قرأنا من قريضك ما يروق * بدائع حاكها
طبع رقيق) (كأن سطورها روض أنيق * تضوع بينها
مسك فتيق) (إذا ما أنشدت أرجت وطابت * منازلها بها
حتى الطريق) (وإنا تائقون إليك فاعلم * وأنت إلى
زيارتنا تتوق) (فواصلنا بها في كل يوم * فأنت بكل
مكرمة حقيق) وقال ابن زولاق في أخبار قضاة مصر
ولم نشاهد بمصر لقاض من القضاة من الرياسة ما
شاهدناه لمحمد بن النعمان ولا بلغنا ذلك عن قاض
بالعراق ووافق ذلك استحقاقا لما فيه من العلم والصيانة
والتحفظ وإقامة الحق والهيبة وفي المحرم سنة ثلاث
وثمانين وثلثمائة استخلف ولده أبا القاسم عبد العزيز
المذكور في الأحكام بالقاهرة ومصر على الدوام بعد أن
كان ينظر فيها يوم الاثنين والخميس لا غير فصار يسمع
البينات ويحكم ويسجل وكان يخلفه أولا ولد أخيه وهو أبو
عبد الله الحسين بن علي بن النعمان فصرفه لعشر خلون

من جمادى الأولى سنة سبع وسبعين واستخلف ولده أبا القاسم عبد العزيز المذكور في الاثنين والخميس خاصة وارتفعت رتبة القاضي محمد عند العزيز حتى أصعده معه إلى المنبر يوم عيد النحر سنة خمس وثمانين ولما توفي العزيز في التاريخ المذكور في ترجمته تولى غسله القاضي محمد المذكور وقام بالأمر من بعده ولده الحاكم المقدم ذكره فأقر القاضي محمدا على أشغاله وزادت منزلته عنده رفعة وبسط يده ولما حصلت له المنزلة والمكنة من الدولة كثرت علله ولازمه النقرس والقولنج فكان أكثر أوقاته عليلا والأستاذ أبو الفتوح برجوان المقدم ذكره على جلالته وعظم شأنه يعوده كل وقت ثم تزايدت علته وتوفي ليلة الثلاثاء بعد العشاء الآخرة رابع صفر سنة تسع وثمانين وثلثمائة وركب الحاكم إلى داره بالقاهرة وصلى عليه فيها ووقف على دفنه ثم انصرف إلى قصره
422 وكانت ولادته يوم الأحد لثلاث خلون من صفر سنة أربعين وثلثمائة بالمغرب ووهب الحاكم داره لبعض أصحابه فنقل القاضي محمد المذكور إلى داره التي بمصر يوم الأربعاء لتسع خلون من شهر رمضان من هذه السنة ثم نقل عشية الجمعة لعشر خلون من شهر رمضان المذكور إلى مقبرة أخيه وأبيه بالقرافة رحمهم الله تعالى
290 ولما مات القاضي محمد أبو عبد الله المذكور أقامت مصر بغير قاض أكثر من شهر ثم قلد الحاكم صاحب مصر القضاء أبا عبد الله الحسين بن علي بن النعمان الذي

كان ينوب عن عمه القاضي محمد أبي عبد الله المذكور وصرفه واستخلف ولده أبا القاسم عبد العزيز وقد تقدم ذكر ذلك في هذه الترجمة وكانت ولاية الحسين المذكور لست خلون من شهر ربيع الأول سنة تسع وثمانين وثلثمائة واستمر في الحكم إلى يوم الخميس سادس عشر شهر رمضان سنة أربع وتسعين فصرف بابن عمه أبي القاسم عبد العزيز بن محمد المقدم ذكره ثم ضربت عنق الحسين بن علي بن النعمان المذكور يوم الأحد سادس المحرم سنة خمس وتسعين في حجرته وأحرقت جثته وذلك بأمر الحاكم لقصة يطول شرحها 291 واستقل أبو القاسم في الأحكام وضم إليه الحاكم النظر في المظالم ولم يجتمعا قبله لأحد من أهله وعلت رتبته عند الحاكم وأصعده معه على المنبر يوم عيد الفطر بعد قائد القواد وكذلك في عيد النحر وتصلب في الأحكام وتشدد على من عانده من رؤساء الدولة ورسم على جماعة ممن وجب عليه حق فامتنع من الخروج منه ولم يزل قاضيا في جميع ما فوضه إليه الحاكم إلى أن صرفه عن ذلك جميعه يوم الجمعة سادس عشر رجب سنة ثمان وتسعين وثلثمائة وفوض القضاء إلى أبي الحسن مالك بن سعيد بن مالك الفارقي وأخرجه عن أهل بيت النعمان

423 ثم إن الحاكم أمر الأتراك بقتل القاضي أبي القاسم عبد العزيز المذكور والقائد أبي عبد الله الحسين بن جوهر وأبي علي إسماعيل أخي القائد فضل بن صالح

فقتلوهم ضربا بالسيوف في ساعة واحدة لأمر يطول شرحه وذلك يوم الجمعة الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة إحدى وأربعمائة رحمهم الله تعالى وكانت ولادة أبي القاسم عبد العزيز المذكور يوم الاثنين مستهل ربيع الأول سنة أربع وخمسين وثلثمائة 292 وأما القاضي أبو طاهر المذكور فقال أبو منصور أحمد بن عبد الله ابن أحمد الفرغاني المصري في تاريخه إنه كان كثير الرواية حسن المجالسة شيخ مع الشيوخ كهل مع الكهول شاب مع الشباب وتوفي لليلة بقيت من ذي القعدة سنة سبع وستين وثلثمائة رحمهم الله تعالى 767 السيدة نفيسة السيدة نفيسة ابنة أبي محمد الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين دخلت مصر مع زوجها إسحاق بن جعفر الصادق رضي الله عنه وقيل بل دخلت مع أبيها الحسن وإن قبره بمصر لكنه غير مشهور وإنه كان واليا على المدينة من قبل أبي جعفر المنصور وأقام بالولاية مدة خمس سنين ثم غضب عليه فعزله واستصفى كل شيء له وحبسه ببغداد فلم يزل محبوسا حتى مات المنصور وولي المهدي فأخرجه من محبسه ورد عليه كل شيء ذهب له ولم يزل معه فلما حج المهدي كان في جملته فلما انتهى إلى الحاجر مات هناك وذلك

424 في سنة ثمان وستين ومائة وهو ابن خمس وثمانين سنة وصلى عليه علي بن المهدي والحاجر على

خمسة أميال من المدينة وقيل إنه توفي ببغداد ودفن بمقبرة الخيزران والصحيح أنه مات بالحاجر هكذا قاله الخطيب في تاريخه والله أعلم وكانت نفيسة من النساء الصالحات التقيات ويروى أن الإمام الشافعي رضي الله عنه لما دخل مصر في التاريخ المذكور في ترجمته حضر إليها وسمع عليها الحديث وكان للمصريين فيها اعتقاد عظيم وهو إلى الآن باق كما كان ولما توفي الإمام الشافعي رضي الله عنه أدخلت جنازته إليها وصلت عليه في دارها وكانت مقيمة في موضع مشهدها اليوم ولم تزل به إلى أن توفيت في شهر رمضان سنة ثمان ومائتين ولما ماتت عزم زوجها المؤتمن إسحاق بن جعفر الصادق على حملها إلى المدينة ليدفنها هناك فسأله المصريون بقاءها عندهم فدفنت في الموضع المعروف بها الآن بين القاهرة ومصر عند المشاهد وهذا الموضع كان يعرف يومذاك بدرب السباع فخرب الدرب ولم يبق هناك سوى المشهد وقبرها معروف بإجابة الدعاء عنده وهو مجرب رضي الله عنها

425 & تذييل & استمر الاعتماد في هذا الجزء على المخطوطات التي ذكرت في مقدمة الجزء الرابع ولكنا زدنا عليها مخطوطتين وهما (1) مخطوطة آيا صوفيا رقم 3533 وقد رمزت لها بالحرف ص على أن يتذكر القاريء أنها ليست هي ص المذكورة في الجزءين الأول والثاني كما أنها ليست من أسرتها وإنما الشركة بينهما انتماؤهما إلى مكتبة واحدة وحسب وتبدأ ص

بترجمة أبي تميم معد رقم 727 الصفحة 224 من هذا الجزء وتقع في 193 ورقة وفي كل صفحة من صفحاتها 21 سطرا ومعدل الكلمات في السطر الواحد 12 كلمة وخطها نسخي واضح لا بأس بالضبط فيه وميزتها الكبرى أنها تمثل الدور الأول من عمل المؤلف وتنتهي بتلك الخاتمة التي يعلن فيها أنه توقف عن عمله دون أن يتم حرف الياء وأن لديه مسودات أخرى أعدها لكتاب مطول يكون في أكثر من عشرة أسفار وهذا يعني أن آخر ترجمة فيها هي ترجمة يحيى بن خالد البرمكي والنسخة ليست مؤرخة وعلى الورقة الأولى أنها الجزء الرابع من الوفيات وقد كتب عليها تملك واحد تملكه الفقير إلى الله تعالى محمد بن علي بن عمر الصفدي الحنفي عفا الله عنه بالشراء الشرعي من القاضي بهاء الدين بن أبي سالم الحموى (2) مخطوطة نور عثمانية رقم 3076 ورمزها ع وتبدأ بترجمة الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت رقم 765 الصفحة 405

426 من هذا الجزء وهي في 308 ورقات في كل صفحة من صفحاتها 25 سطرا ومعدل الكلمات في السطر الواحد 11 كلمة والخط أيضا نسخي واضح ونسبة الضبط حسنة وهي تحوي تراجم الكتاب حتى آخره حسب الشكل الأخير الذي وضعه فيه مؤلفه وقد نسخت سنة 725 على يد علي بن جمعة بن أبي الحسن بن حسان ثم بخط مختلف أنها قوبلت بالنسخة التي في الخزانة العالية المولوية

السلطانية الملكية المؤيدية في أوقات آخرها العشرين من ذي القعدة سنة ثماني وعشرين وسبعمائة بحسب الطاقة
*1*ج 6
@5 & حرف الواو &
6 @6@
7 768 واصل بن عطاء أبو حذيفة واصل بن عطاء المعتزلي المعروف بالغزال مولى بني ضبة وقيل مولى بني مخزوم كان أحد الأئمة البلغاء المتكلمين في علوم الكلام وغيره وكان يلثغ بالراء فيجعلها غينا قال أبو العباس المبرد في حقه في كتاب الكامل كان واصل بن عطاء أحد الأعاجيب وذلك أنه ألثغ قبيح اللثغة في الراء فكان يخلص كلامه من الراء ولا يفطن لذلك لاقتداره على الكلام وسهولة ألفاظه ففي ذلك يقول الشاعر من المعتزلة وهو أبو الطروق الضبي يمدحه بإطالة الخطب واجتنابه الراء على كثرة ترددها في الكلام حتى كأنها ليست فيه (عليم بإبدال الحروف وقامع * لكل خطيب يغلب الحق باطله) وقال آخر
8 (ويجعل البر قمحا في تصرفه * وخالف الراء حتى احتال للشعر) (ولم يطق مطرا والقول يعجله * فعاذ بالغيث إشفاقا من المطر) ومما يحكى عنه وقد ذكر بشار بن برد فقال أما لهذا الأعمى المكتني بأبي معاذ من يقتله أما والله لولا أن الغيلة خلق من أخلاق الغالية لبعثت إليه من يبعج بطنه على مضجعه ثم لا يكون إلا سدوسيا

أو عقيليا فقال هذا الأعمى ولم يقل بشار ولا ابن برد ولا الضرير وقال من أخلاق الغالية ولم يقل المغيرية ولا المنصورية وقال لبعثت ولم يقل لأرسلت وقال على مضجعه ولم يقل على مرقده ولا على فراشه وقال يبعج ولم يقل يبقر وذكر بني عقيل لأن بشارا كان يتوالى إليهم وذكر بني سدوس لأنه كان نازلا فيهم وذكر السمعاني في كتاب الأنساب في ترجمة المعتزلي أن واصل بن عطاء كان يجلس إلى الحسن البصري رضي الله عنه فلما ظهر الاختلاف وقالت الخوارج بتكفير مرتكبي الكبائر وقالت الجماعة بأنهم مؤمنون وإن فسقوا بالكبائر فخرج واصل بن عطاء عن الفريقين وقال إن الفاسق من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر منزلة بين منزلتين فطرده الحسن عن مجلسه فاعتزل عنه وجلس إليه عمرو بن عبيد فقيل لهما ولأتباعهما معتزلون وقد أحلت في ترجمة عمرو بن عبيد على هذا الموضع في تبيين الاعتزال ولأي معنى سموا بهذا الاسم وقد ذكرت في ترجمة قتادة بن دعامة السدوسي أنه الذي سماهم بذلك وكان واصل بن عطاء المذكور يضرب به المثل في إسقاطه حرف الراء من كلامه واستعمل الشعراء ذلك في شعرهم كثيرا فمنه قول أبي محمد الخازن من جملة قصيدة طنانة طويلة يمدح بها الصاحب أبا القاسم إسماعيل بن عباد المقدم ذكره وهو

9 (نعم تجنب لا يوم العطاء كما * تجنب ابن عطاء لفظة الراء) وقال آخر في محبوب له ألثغ (أعد

لثغة لو أن واصل حاضر * ليسمعها ما أسقط الراء
واصل) وقال آخر (أجعلت وصلي الراء لم تنطق به *
وقطعتني حتى كأنك واصل) لله دره ما أحسن قوله (
وقطعتني حتى كأنك واصل *) وقال آخر (فلا تجعلني
مثل همزة واصل * فيلحقني حذف ولا راء واصل)
وقال أبو عمر يوسف بن هارون الكندي الأندلسي
القرطبي الرمادي الشاعر المشهور إلا أنه لم يتعرض إلى
ذكر واصل وكانت وفاته سنة ثلاث وأربعمائة (لا الراء
تطمع في الوصال ولا أنا * الهجر يجمعنا فنحن سواء)
(فإذا خلوت كتبتها في راحتي * وقعدت منتحبا أنا والراء
) وهذا الباب متسع فلا حاجة إلى الإطالة فيه ويكفي منه
هذا الأنموذج وقد عمل الشعراء في اللثغة التي هي إبدال
الثاء من السين شعرا كثيرا فمن ذلك ما يعزى لأبي نواس
ولم أجدها في ديوانه والله أعلم إلا أن تكون في رواية علي
بن حمزة الأصبهاني فإنها أكثر الروايات ولم أكشف هذه
الأبيات منها وهي أبيات حلوة ظريفة (وشادن ساءلت
عن إسمه * فقال لي إثمي مرداث) (بيات يعاطني
سخامية * وقال لي قد هجع الناث) (أما ترى حثن
أكاليلنا * زينها النثرين والآث)
10) فعدت من لثغته ألثغا * فقلت أين الطاث
والكاث) ولو شرعت في ذكر ما قيل على هذا النمط
لطال الشرح ولم أجد في لثغة الراء إلا قليلا فمن ذلك قول
بعضهم (أما وبياض الثغر ممن أحبه * ونقطة خال الخد

في عطفة الصدغ) (لقد فتنتني لثغة موصلية * رمتني في تيار بحر هوى اللثغ) (ومستعجم الألفاظ عقرب صدغه * مسلطة دون الأنام على لدغي) (يكاد أصم الصم عند حديثه * إلى اللثغة الغناء من لفظه يصغي) (يقول وقد قبلت واضح ثغره * وكان الذي أهوى ونلت الذي أبغي) (وقد نفضت كأس الحميا وأظهرت * على خده من لونها أحسن الصبغ) (تغفق فغشف الخمغ من كغم غيقتي * يزيدك عند الشغب سكغا على سكغ) ولقد أجاد هذا الشاعر وجمع في البيت الأخير راءات كثيرة وأبدلها بالغين وللخبز أرزي الشاعر المقدم ذكره في غلام يلثغ بالراء أيضا لكنه لم يستعمل اللثغة إلا في آخر البيت الأخير من الأربعة أبيات (وشاذن بالكرخ ذي لثغة * وإنما شرطي في اللثغ) (ما أشبه الزنبور في خصره * حتى حكى العقرب في الصدغ) (في فمه درياق لدغ إذا * أحرق قلبي شدة اللدغ) (إن قلت في ضمي له أين هو * تفديك روحي قال لا أدغي) وقد تسلسل الكلام وخرجنا عن المقصود من أخبار واصل بن عطاء وكان طويل العنق جدا بحيث كان يعاب به وفيه يقول بشار بن برد الشاعر المشهور المقدم ذكره

11 (ماذا منيت بغزال له عنق * كنقنق الدو إن ولى وإن مثلا) (عنق الزرافة ما بالي وبالكم * تكفرون رجالا كفروا رجلا) وكانت بينهما منافسات وأحقاد وقد تقدم كلام واصل في حق بشار وقال المبرد في كتاب

الكامل لم يكن واصل بن عطاء غزالا ولكنه كان يلقب بذلك لأنه كان يلازم الغزالين ليعرف المتعففات من النساء فيجعل صدقته لهن ثم قال وكان طويل العنق ويروى عن عمرو بن عبيد أنه نظر إليه من قبل أن يكلمه فقال لا يصلح هذا ما دامت عليه هذه العنق وله من التصانيف كتاب أصناف المرجئة وكتاب في التوبة وكتاب المنزلة بين المنزلتين وكتاب خطبته التي أخرج منها الراء وكتاب معاني القرآن وكتاب الخطب في التوحيد والعدل وكتاب ما جرى بينه وبين عمرو ابن عبيد وكتاب السبيل إلى معرفة الحق وكتاب في الدعوة وكتاب طبقات أهل العلم والجهل وغير ذلك وأخباره كثيرة وكانت ولادته سنة ثمانين للهجرة بمدينة الرسول وتوفي سنة إحدى وثمانين ومائة رحمه الله تعالى

12 769 وثيمة ابن الفرات أبو يزيد وثيمة بن موسى بن الفرات الوشاء الفارسي الفسوي كان قد خرج من بلده إلى البصرة ثم سافر إلى مصر وارتحل منها إلى الأندلس تاجرا وكان يتجر في الوشي وصنف كتابا في أخبار الردة وذكر فيه القبائل التي ارتدت بعد وفاة النبي والسرايا التي سيرها إليهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه وصورة مقاتلتهم وما جرى بينهم وبين المسلمين في ذلك ومن عاد منهم إلى الإسلام وقتال مانعي الزكاة وما جرى لخالد بن الوليد المخزومي رضي الله عنه مع مالك بن نويرة اليربوعي أخي متمم بن نويرة الشاعر المشهور

صاحب المراثي المشهورة في أخيه مالك وصورة قتله وما قاله متمم من الشعر في ذلك وما قاله غيره وهو كتاب جيد يشتمل على فوائد كثيرة وقد تقدم في ترجمة أبي عبد الله محمد الواقدي أنه صنف في الردة كتابا أيضا أجاد فيه ولم أعرف لوثيمة المذكور من التصانيف سوى هذا الكتاب وهو رجل مشهور ذكره أبو الوليد ابن الفرضي صاحب تاريخ الأندلس في كتابه وذكره الحافظ أبو عبد الله الحميدي في كتاب جذوة المقتبس وأبو سعيد ابن يونس في تاريخ مصر وأبو سعد السمعاني في كتاب الأنساب في ترجمة الوشاء فقال كان يتجر في الوشي وهو نوع من الثياب المعمولة

13 من الإبريسم فعرف به جماعة منهم وثيمة المذكور ثم إن وثيمة عاد من الأندلس إلى مصر ومات بها يوم الاثنين لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين ومائتين رحمه الله تعالى (293) وقال أبو سعيد ابن يونس المصري في تاريخه كان لوثيمة ولد يقال له أبو رفاعة عمارة بن وثيمة حدث عن أبي صالح كاتب الليث بن سعد وعن أبيه وثيمة وغيرهما وصنف تاريخا على السنين وحدث به ومولده بمصر وتوفي ليلة الخميس لست بقين من جمادى الآخرة سنة تسع وثمانين ومائتين ووثيمة بفتح الواو وكسر الثاء المثلثة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الميم وبعدها هاء ساكنة والوثيمة في الأصل الجماعة من الحشيش والطعام والوثيمة الصخرة وبها

سمي الرجل والله أعلم بالصواب والوثيمة أيضا الحجر
الذي يقدح النار تقول العرب في أيمانها والذي أخرج
العذق من الجريمة والنار من الوثيمة العذق بفتح العين
المهملة النخلة والجريمة النواة وأما الفارسي والفسوي فقد
تقدم الكلام عليهما في ترجمة الشيخ أبي علي الفارسي
النحوي وأرسلان البساسيري فأغنى عن الإعادة وإذ
ذكرنا متمم بن نويرة وأخاه مالكا فلا بد من ذكر طرف من
أخبارهما فإنها مستملحة (294) كان مالك بن نويرة
المذكور رجلا سريا نبيلا يردف الملوك وللردافة
موضعان أحدهما أن يردفه الملك على دابته في صيد أو
غيره من مواضع الأنس والموضع الثاني أنبل وهو أن
يخلف الملك إذا قام عن مجلس الحكم فينظر بين الناس
بعده وهو الذي يضرب به المثل فيقال مرعى ولا
كالسعدان وماء ولا كصداء وفتى ولا كمالك وكان فارسا
شاعرا مطاعا في قومه وكان فيه خيلاء وتقدم وكان ذا لمة
كبيرة وكان يقال له الجفول وقدم على النبي فيمن قدم
14 من العرب فأسلم فولاه النبي صدقة قومه ولما
ارتدت العرب بعد موت النبي بمنع الزكاة كان مالك
المذكور من جملتهم ولما خرج خالد بن الوليد رضي الله
عنه لقتالهم في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه
نزل على مالك وهو مقدم قومه بني يربوع وقد أخذ
زكاتهم وتصرف فيها فكلمه خالد في معناها فقال مالك إني
آتي بالصلاة دون الزكاة فقال له خالد أما علمت أن الصلاة

والزكاة معا لا تقبل واحدة دون أخرى فقال مالك قد كان صاحبك يقول ذلك قال خالد وما تراه لك صاحبا والله لقد هممت أن أضرب عنقك ثم تجاولا في الكلام طويلا فقال له خالد إني قاتلك قال أو بذلك أمرك صاحبك قال وهذه بعد تلك والله لأقتلنك وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وأبو قتادة الأنصاري رضي الله عنه حاضرين فكلما خالدا في أمره فكره كلامهما فقال مالك يا خالد ابعثنا إلى أبي بكر فيكون هو الذي يحكم فينا فقد بعثت إليه غيرنا ممن جرمه أكبر من جرمنا فقال خالد لا أقالني الله إن أقلتك وتقدم إلى ضرار بن الأزور الأسدي بضرب عنقه فالتفت مالك إلى زوجته أم متمم وقال لخالد هذه التي قتلتني وكانت في غاية الجمال فقال له خالد بل الله قتلك برجوعك عن الإسلام فقال مالك أنا على الإسلام فقال خالد يا ضرار اضرب عنقه فضرب عنقه وجعل رأسه أثفية لقدر وكان من أكثر الناس شعرا كما تقدم ذكره فكانت القدر على رأسه حتى نضج الطعام وما خلصت النار إلى شواه من كثرة شعره قال ابن الكلبي في جمهرة النسب قتل مالك يوم البطاح وجاء أخوه متمم فكان يرثيه وقبض خالد امرأته فقيل إنه اشتراها من الفيء وتزوج بها وقيل إنها اعتدت بثلاث حيض ثم خطبها إلى نفسه فأجابته فقال لابن عمر وأبي قتادة رضي الله عنهما يحضران النكاح فأبيا وقال له ابن عمر رضي الله عنه

15 تكتب إلى أبي بكر رضي الله عنه وتذكر له أمرها فأبى وتزوجها فقال في ذلك أبو زهير السعدي (ألا قل لحي أوطئوا بالسنابك * تطاول هذا الليل من بعد مالك) (قضى خالد بغيا عليه لعرسه * وكان له فيها هوى قبل ذلك) (فأمضى هواه خالد غير عاطف * عنان الهوى عنها ولا متمالك) (وأصبح ذا أهل وأصبح مالك * إلى غير شيء هالكا في الهوالك) (فمن لليتامى والأرامل بعده * ومن للرجال المعدمين الصعالك) (أصيبت تميم غثها وسمينها * بفارسها المرجو تحت الحوارك) ولما بلغ الخبر أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قال عمر لأبي بكر رضي الله عنه إن خالدا قد زنى فارجمه قال ما كنت لأرجمه فإنه تأول فأخطأ قال فإنه قتل مسلما فاقتله به قال ما كنت لأقتله به إنه تأول فأخطأ قال فاعزله قال ما كنت لأشيم سيفا سله الله عليهم أبدا هكذا سرد هذه الواقعة وثيمة المذكور والواقدي في كتابيهما والعهدة عليهما (295) وكان أخوه متمم بن نويرة وكنيته أبو نهشل الشاعر المشهور كثير الانقطاع في بيته قليل التصرف في أمر نفسه اكتفاء بأخيه مالك وكان أعور دميما فلما بلغه مقتل أخيه حضر إلى مسجد رسول الله وصلى الصبح خلف أبي بكر الصديق رضي الله عنه فلما فرغ من صلاته واستند في محرابه قام متمم فوقف بحذائه واتكأ على سية قوسه ثم أنشد (نعم القتيل إذا الرياح تناوحت * خلف البيوت قتلت يا ابن الأزور) (أدعوته

بالله ثم غدرته * لو هو دعاك بذمة لم يغدر) وأومأ إلى
أبي بكر رضي الله عنه فقال والله ما دعوته ولا غدرته
16 (ولنعم حشو الدرع كان وحاسرا * ولنعم
مأوى الطارق المتنور) (لا يمسك الفحشاء تحت ثيابه *
حلو شمائله عفيف المئزر) ثم بكى وانحط على سية
قوسه فما زال يبكي حتى دمعت عينه العوراء فقام إليه
عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال لوددت أنك رثيت
زيدا أخي بمثل ما رثيت به مالكا أخاك فقال يا أبا حفص
والله لو علمت أن أخي صار بحيث صار أخوك ما رثيته
فقال عمر رضي الله عنه ما عزاني أحد عن أخي بمثل
تعزيته وكان زيد بن الخطاب رضي الله عنه قتل شهيدا
يوم اليمامة وكان عمر رضي الله عنه يقول إني لأهش
للصبا لأنها تأتيني من ناحية أخي زيد ويروى عن عمر
رضي الله عنه أنه قال لو كنت أقول الشعر كما تقول
لرثيت أخي كما رثيت أخاك ويروى أن متمما رثى زيدا
فلم يجد فقال له عمر رضي الله عنه لم ترث زيدا كما
رثيت مالكا فقال إنه والله ليحركني لمالك ما لا يحركني
لزيد وقال له عمر رضي الله عنه يوما إنك لجزل فأين
كان أخوك منك فقال كان والله أخي في الليلة ذات الأزيز
والصراد يركب الجمل الثقال ويجنب الفرس الجرور وفي
يده الرمح الثقيل وعليه الشملة الفلوت وهو بين المزادتين
حتى يصبح وهو متبسم والأزيز بفتح الهمزة وزاءين
الأولى منهما مكسورة وبينهما ياء مثناة من تحتها صوت

الرعد والصراد بضم الصاد المهملة وتشديد الراء وفتحها وبعد الألف دال مهملة غيم رقيق لا ماء فيه والثفال بفتح الثاء المثلثة والفاء وهو الجمل البطيء في سيره لا يكاد يمشي من ثقله والجرور بفتح الجيم على وزن فعول الفرس الذي يمنع القياد والشملة الفلوت التي لا تكاد تثبت على لابسها

17 والمزادة الراوية وهي معروفة وقال له عمر رضي الله عنه يوما خبرنا عن أخيك قال يا أمير المؤمنين لقد أسرت مرة في حي من أحياء العرب فأخبر أخي فأقبل فلما طلع على الحاضر ما كان أحد قاعدا إلا قام على رجليه وما بقيت امرأة إلا وتطلعت من خلال البيوت فما نزل عن جملة حتى لقوه بي برمتي فحلني هو فقال عمر رضي الله عنه إن هذا لهو الشرف والرمة بضم الراء المهملة الحبل البالي ومنه قولهم دفع إليه الشيء برمته أصله أن رجلا دفع إلى رجل بعيرا بحبل في عنقه فقيل ذلك لكل من دفع شيئا بجملته وقال متمم أيضا لعمر رضي الله عنه أغار حي من أحياء العرب على حي أخي مالك وهو غائب فجاءه الصريخ فخرج في آثارهم على جمل يسوقه مرة ويركبه أخرى حتى أدركهم على مسيرة ثلاث وهم آمنون فما هو إلا أن رأوه فأرسلوا ما في أيديهم من الأسرى والنعم وهربوا فأدركهم أخي فاستسلموا جميعا حتى كتفهم وصدر بهم إلى بلاده مكتوفين فقال عمر رضي الله عنه قد كنا نعلم سخاءه وشجاعته ولم نعلم كل

ما تذكره ولـه فيه المراثي النادرة فمن ذلك أبياته الكافية وهي في كتاب الحماسة في باب المراثي (لقد لامني عند القبور على البكا * رفيقي لتذراف الدموع السوافك) (فقال أتبكي كل قبر رأيته * لقبر ثوى بين اللوى والدكادك) (فقلت له إن الشجا يبعث الشجا * فدعني فهذا كله قبر مالك) وله فيه قصيدته العينية وهي طويلة بديعة ومن جملتها قوله

18 (وكنا كندماني جذيمة حقبة * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا) (وعشنا بخير في الحياة وقبلنا * أصاب المنايا رهط كسرى وتبعا) (فلما تفرقنا كأني ومالكا * لطول اجتماع لم نبت ليلة معا) (296) وقد يتشوف الواقف على هذا الكتاب إلى الوقوف على شيء من أخبار جذيمة المذكور ونديميه وهو بفتح الجيم وكسر الذال المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الميم وبعدها هاء ساكنة وكنيته أبو مالك جذيمة بن مالك بن فهم بن دوس بن الأزد الأزدي صاحب الحيرة وما والاها وهو الأبرش والوضاح وإنما قيل له ذلك لأنه كان أبرص فكانت العرب تهابه أن تنسبه إلى البرص فعرفته بأحد هذين الوصفين وهو من ملوك الطوائف وكان بعد عيسى عليه السلام بثلاثين سنة وكان من تيهه لا ينادم إلا الفرقدين وكان له ابن أخت يقال له عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة بن الحارث ابن مالك اللخمي ويقال له عمم لأنه أول من اعتم ابن نمارة بن لخم وبقية النسب

معروف واسم الأخت المذكورة رقاش وكان جذيمة شديد المحبة له فاستهوته الجن وأقام زمانا يتطلبه فلم يجده فأقبل رجلان من بني القين يقال لأحدهما مالك والآخر عقيل ابنا فارح بن مالك بن كعب بن القين واسمه النعمان بن جسر بن شيع الله بن أسد بن وبرة بن ثعلبة بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وسمي القين بعبد كان له فحضنه فاشتهر به فصادفا عمرا في البرية وهو أشعث الرأس طويل الأظفار سيء الحال فعرفاه وحملاه إلى خاله جذيمة بعد أن لما شعثه وأصلحا حاله فقال لهما جذيمة من فرط سروره به احتكما علي فقالا منادمتك ما بقيت وبقينا فقال ذلك لكما فهما نديماه اللذان يضرب بهما المثل ويقال إنهما نادماه أربعين سنة لم يعيدا عليه حديثا حدثاه به وإياهما عنى أبو خراش الهذلي بقوله في مرثية أخيه عروة (تقول أراه بعد عروة لاهيا * وذلك رزء لو علمت جليل)

19 (فلا تحسبي أني تناسيت عهده * ولكن صبري يا أميم جميل) (ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا * نديما صفاء مالك وعقيل) هذه خلاصة حديثهم وإن كان فيه طول وإنما قصدت الإيجاز وذكر أبو علي القالي في كتابه الذي جعله ذيلا على أماليه أن متمما المذكور قدم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان به معجبا فقال يا متمم ما يمنعك من الزواج لعل الله تعالى أن ينشر منك ولدا فإنكم أهل بيت قد درجتم فتزوج امرأة من أهل المدينة فلم تحظ عنده ولم يحظ عندها فطلقها ثم قال (أقول لهند

حين لم أرض عقلها * أهذا دلال العشق أم أنت فارك) (
أم الصرم تهوين فكل مفارق * علي يسير بعد ما بان مالك
) فقال له عمر رضي الله عنه ما تنفك تذكر مالكا على
كل حال فلم يمض على هذا الأمر إلا قليل حتى طعن عمر
رضي الله عنه ومتمم بالمدينة فرثى عمر رضي الله عنه
وبالجملة فإنه لم ينقل عن أحد من العرب ولا غيرهم أنه
بكى على ميته ما بكى متمم على أخيه مالك حكى الواقدي
في كتاب الردة أن عمر رضي الله عنه قال لمتمم ما بلغ
من حزنك على أخيك فقال له لقد مكثت سنة لا أنام بليل
حتى أصبح ولا رأيت نارا رفعت بليل إلا ظننت نفسي
ستخرج أذكر بها نار أخي كان يأمر بالنار فتوقد حتى
يصبح مخافة أن يبيت ضيفه قريبا منه فمتى يرى النار
يأوي إلى الرحل ولهو بالضيف يأتي مجتهدا أسر من القوم
يقدم عليهم القادم لهم من السفر البعيد فقال عمر رضي الله
عنه أكرم به وحكى الواقدي أيضا أنه قال له ما لقيت على
أخيك من الحزن والبكاء قال كانت عيني هذه قد ذهبت
وأشار إليها فبكيت بالصحيحة وأكثرت
20 البكاء حتى أسعدتها العين الذاهبة وجرت
بالدموع فقال عمر رضي الله عنه إن هذا لحزن شديد ما
يحزن هكذا أحد على هالكه وقد ضربت الشعراء الأمثال
بمالك وأخيه متمم في أشعارهم فمن ذلك قول ابن حيوس
الشاعر المقدم ذكره من جملة قصيدة (وفجعة بين مثل
صرعة مالك * ويقبح بي أن لا أكون متمما) ومنه قول

أبي بكر محمد بن عيسى الداني المعروف بابن اللبانة في قصيدته التي يرثي بها المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية لما قبض عليه يوسف بن تاشفين حسبما شرحناه في ترجمة المعتمد وهو قوله (حكيت وقد فارقت ملكك مالكا * ومن ولهي أحكي عليك متمما) ومن ذلك أيضا قول بعضهم وأظنه ابن منير المذكور في حرف الهمزة وهو أيضا من جملة أبيات ثم حققت قائله وهو نجم الدين أبو الفتح يوسف ابن الحسين بن محمد عرف بابن المجاور الدمشقي (أيا مالكي في القلب منك نويرة * وإنسان عيني في هواك متمم) ومنه قول أبي الغنائم ابن المعلم الشاعر المقدم ذكره من جملة أبيات يصف فيها منزلا ويدعو له بالسقيا فقال (سقاه الحيا قبلي وجئت متمما * فلو مالك فيه دعيت متمما) ومنه قول القاضي السعيد ابن سيناء الملك (بكيت بكلتا مقلتي كأنني * أتمم ما قد فات عين متمم) وهذا باب يطول شرحه وقد جاوزنا الحد بالخروج عما نحن بصدده ومتمم بضم الميم وفتح التاء المثناة من فوقها وبعدها ميمان الأولى منهما مشددة مكسورة وصدا في قولهم ماء ولا كصدا فيه ثلاث لغات صدا بضم الصاد

21 المهملة وتشديد الدال المهملة وألف مقصورة وصداء مثل الأول لكن الصاد مفتوحة والألف ممدودة فمن ضم قصر ومن فتح مد واللغة الثالثة صدءاء بتخفيف الدال وهمزتين متواليتين والصاد مفتوحة وهي بئر معروفة مشهورة ماؤها عذب نمير والله أعلم 770

البحتري أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد بن شملال بن جابر بن سلمة بن مسهر بن الحارث بن خيثم بن أبي حارثة بن جدي بن تدول بن بحتر بن عتود بن عنين بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن جلهمة وهو طيء بن أدد ابن زيد بن كهلان بن سبإ بن يشجب بن يعرب بن قحطان الطائي البحتري الشاعر المشهور ولد بمنبج وقيل بزردفنة وهي قرية من قراها ونشأ وتخرج بها ثم خرج إلى العراق ومدح جماعة من الخلفاء أولهم المتوكل على الله وخلقا كثيرا من الأكابر والرؤساء وأقام ببغداد دهرا طويلا ثم عاد إلى الشام وله أشعار كثيرة ذكر فيها حلب وضواحيها وكان يتغزل بها وقد روى عنه أشياء من شعره أبو العباس المبرد ومحمد بن خلف بن المرزبان والقاضي أبو عبد الله المحاملي ومحمد بن أحمد الحكيمي وأبو بكر الصولي وغيرهم

22 قال صالح بن الأصبغ التنوخي المنبجي رأيت البحتري ها هنا عندنا قبل أن يخرج إلى العراق يجتاز بنا في الجامع من هذا الباب وأومأ إلى جنبي المسجد يمدح أصحاب البصل والباذنجان وينشد الشعر في ذهابه ومجيئه ثم كان منه ما كان وعلوة التي شبب بها في كثير من أشعاره هي بنت زريقة الحلبية وزريقة أمها وحكى أبو بكر الصولي في كتابه الذي وضعه في أخبار أبي تمام الطائي أن البحتري كان يقول أول أمري في الشعر ونباهتي فيه أني صرت إلى أبي تمام وهو بحمص

فعرضت عليه شعري وكان يجلس فلا يبقى شاعر إلا قصده وعرض عليه شعره فلما سمع شعري أقبل علي وترك سائر الناس فلما تفرقوا قال لي أنت أشعر من أنشدني فكيف حالك فشكوت خلة فكتب إلى أهل معرة النعمان وشهد لي بالحذق وشفع لي إليهم وقال لي امتدحهم فصرت إليهم فأكرموني بكتابه ووظفوا لي أربعة آلاف درهم فكانت أول مال أصبته وقال أبو عبادة المذكور أول ما رأيت أبا تمام وما كنت رأيته قبلها أني دخلت إلى أبي سعيد محمد بن يوسف فامتدحته بقصيدتي التي أولها (

أألاق صب من هوى فأفيقا * أم خان عهدا أم أطاع شفيقا)

فأنشدته إياها فلما أتممتها سر بها وقال لي أحسن الله إليك يا فتى فقال له رجل في المجلس هذا أعزك الله شعري علقه هذا الفتى فسبقني به إليك فتغير أبو سعيد وقال لي يا فتى قد كان في نسبك وقرابتك ما يكفيك أن تمت به إلينا ولا تحمل نفسك على هذا فقلت هذا شعري أعزك

23 الله فقال الرجل سبحان الله يا فتى لا تقل هذا ثم ابتدأ فأنشد من القصيدة أبياتا فقال لي أبو سعيد نحن نبلغك ما تريد ولا تحمل نفسك على هذا فخرجت متحيرا لا أدري ما أقول ونويت أن أسأل عن الرجل من هو فما أبعدت حتى ردني أبو سعيد ثم قال لي جنيت عليك فاحتمل أتدري من هذا فقلت لا قال هذا ابن عمك حبيب بن أوس الطائي أبو تمام فقم إليه فقمت إليه فعانقته ثم أقبل علي يقرظني ويصف شعري وقال إنما مزحت معك فلزمته بعد

ذلك وكثر عجبي من سرعة حفظه وروى الصولي أيضا في كتابه المذكور أن أبا تمام راسل أم البحتري في التزوج بها فأجابته وقالت له اجمع الناس للإملاك فقال الله أجل من أن يذكر بيننا ولكن نتصافح ونتسافح وقيل للبحتري أيما أشعر أنت أم أبو تمام فقال جيده خير من جيدي ورديئي خير من رديئه وكان يقال لشعر البحتري سلاسل الذهب وهو في الطبقة العليا ويقال إنه قيل لأبي العلاء المعري أي الثلاثة أشعر أبو تمام أم البحتري أم المتنبي فقال حكيمان والشاعر البحتري ولعمري ما أنصفه ابن الرومي في قوله (والفتى البحتري يسرق ما قال * ابن أوس في المدح والتشبيب) (كل بيت له يجود معناه * فمعناه لابن أوس حبيب) وقال البحتري أنشدت أبا تمام شيئا من شعري فأنشدني بيت أوس ابن حجر (إذا مقرم منا ذرا حد نابه * تخمط فينا ناب آخر مقرم)

24 وقال نعيت إلي نفسي فقلت أعيذك بالله من هذا فقال إن عمري ليس يطول وقد نشأ لطيء مثلك أما علمت أن خالد بن صفوان المنقري رأى شبيب بن شيبة وهو من رهطه وهو يتكلم فقال يا بني نعى نفسي إلي إحسانك في كلامك لأنا أهل بيت ما نشأ فينا خطيب إلا مات من قبله قال فمات أبو تمام بعد سنة من هذا وقال البحتري أنشدت أبا تمام شعرا لي في بعض بني حميد وصلت به إلى مال له خطر فقال لي أحسنت أنت أمير الشعر بعدي فكان قوله هذا أحب إلي من جميع ما حويته وقال ميمون بن هارون

رأيت أبا جعفر أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري المؤرخ وحاله متماسكة فسألته فقال كنت من جلساء المستعين فقصده الشعراء فقال لست أقبل إلا ممن قال مثل قول البحتري في المتوكل (ولو أن مشتاقا تكلف فوق ما * في وسعه لمشى إليك المنبر) فرجعت إلى داري وأتيته وقلت قد قلت فيك أحسن مما قاله البحتري فقال هاته فأنشدته (ولو أن برد المصطفى إذ لبسته * يظن لظن البرد أنك صاحبه) (وقال وقد أعطيته ولبسته * نعم هذه أعطافه ومناكبه) فقال ارجع إلى منزلك وافعل ما آمرك به فرجعت فبعث إلي سبعة آلاف دينار وقال ادخر هذه للحوادث من بعدي ولك علي الجراية والكفاية ما دمت حيا وللمتنبي في هذا المعنى (لو تعقل الشجر التي قابلتها * مدت محيية إليك الأغصنا)
25 وسبقهما أبو تمام بقوله (لو سعت بقعة لإعظام نعمى * لسعى نحوها المكان الجديب) والبيت الذي للبحتري من جملة قصيدة طويلة أحسن فيها كل الإحسان يمدح بها أبا الفضل جعفرا المتوكل على الله ويذكر خروجه لصلاة عيد الفطر وأولها (أخفي هوى لك في الضلوع وأظهر * وألام من كمد عليك وأعذر) والأبيات التي يرتبط بها البيت المقدم ذكره هي (بالبر صمت وأنت أفضل صائم * وبسنة الله الرضية تفطر) (فانعم بيوم الفطر عينا إنه * يوم أغر من الزمان مشهر) (أظهرت عز الملك فيه بجحفل * لجب يحاط الدين فيه

وينصر) (خلنا الجبال تسير فيه وقد غدت * عددا يسير
بها العديد الأكثر) (فالخيل تصهل والفوارس تدعي *
والبيض تلمع والأسنة تزهر) (والأرض خاشعة تميد
بثقلها * والجو معتكر الجوانب أغبر) (والشمس طالعة
توقد في الضحى * طورا ويطفيها العجاج الأكدر) (
حتى طلعت بضوء وجهك فانجلى * ذاك الدجى وانجاب
ذاك العثير) (فافتن فيك الناظرون فإصبع * يومى إليك
بها وعين تنظر) (يجدون رؤيتك التي فازوا بها * من
أنعم الله التي لا تكفر) (ذكروا بطلعتك النبي فهللوا * لما
طلعت من الصفوف وكبروا) (حتى انتهيت إلى المصلى
لابسا * نور الهدى يبدو عليك ويظهر) (ومشيت مشية
خاشع متواضع * لله لا يزهى ولا يتكبر) (فلو ان
مشتاقا تكلف غير ما * في وسعه لمشى إليك المنبر)
26 (أبدت من فصل الخطاب بحكمة * تنبي عن
الحق المبين وتخبر) (ووقفت في برد النبي مذكرا *
بالله تنذر تارة وتبشر) هذا القدر هو المقصود مما نحن
فيه وهذا الشعر هو السحر الحلال على الحقيقة والسهل
الممتنع فلله دره ما أسلس قياده وأعذب ألفاظه وأحسن
سبكه وألطف مقاصده وليس فيه من الحشو شيء بل
جميعه نخب وديوانه موجود وشعره سائر فلا حاجة إلى
الإكثار منه هاهنا لكن نذكر من وقائعه ما يستظرف فمن
ذلك أنه كان له غلام اسمه نسيم فباعه فاشتراه أبو الفضل
الحسن بن وهب الكاتب وقد سبق ذكر أخيه سليمان في

حرف السين ثم إن البحتري ندم على بيعه وتتبعته نفسه فكان يعمل فيه الشعر ويذكر أنه خدع وأن بيعه لم يكن من مراده فمن ذلك قوله (أنسيم هل للدهر وعد صادق * فيما يؤمله المحب الوامق) (ما لي فقدتك في المنام ولم تزل * عون المشوق إذا جفاه الشائق) (أمنعت أنت من الزيارة رقبة * منهم فهل منع الخيال الطارق) (اليوم جاز بي الهوى مقداره * في أهله وعلمت أني عاشق) (فليهنئ الحسن بن وهب أنه * يلقى أحبته ونحن نفارق) وله فيه أشعار كثيرة ومن أخباره أنه كان بحلب شخص يقال له طاهر بن محمد الهاشمي مات أبوه وخلف له مقدار مائة ألف دينار فأنفقها على الشعراء والزوار في سبيل الله فقصده البحتري من العراق فلما وصل إلى حلب قيل له إنه قد قعد في بيته لديون ركبته فاغتم البحتري لذلك غما شديدا وبعث المدحة إليه مع بعض مواليه فلما وصلته ووقف عليها بكى ودعا بغلام له وقال له بع داري فقال له أتبيع دارك وتبقى على رؤوس الناس فقال لا بد من بيعها فباعها

27 بثلثمائة دينار فأخذ صرة وربط فيها مائة دينار وأنفذها إلى البحتري وكتب إليه معها رقعة فيها هذه الأبيات (لو يكون الحباء حسب الذي أنت * لدينا به محل وأهل) (لحبيت اللجين والدر واليا * قوت حثوا وكان ذاك يقل) (والأديب الأريب يسمح بالعذر * إذا قصر الصديق المقل) فلما وصلت الرقعة إلى البحتري رد

الدنانير وكتب إليه (بأبي أنت والله للبر أهل * والمساعي بعد وسعيك قبل) (والنوال القليل يكثر إن شاء * مرجيك والكثير يقل) (غير أني رددت برك إذ كان * ربا منك والربا لا يحل) (وإذا ما جزيت شعرا بشعر * قضي الحق والدنانير فضل) فلما عادت الدنانير إليه حل الصرة وضم إليها خمسين دينارا أخرى وحلف أنه لا يردها عليه وسيرها فلما وصلت إلى البحتري أنشأ يقول (شكرتك إن الشكر للعبد نعمة * ومن يشكر المعروف فالله زائده) (لكل زمان واحد يقتدى به * وهذا زمان أنت لا شك واحده) وكان البحتري كثيرا ما ينشد لشاعر أنسي اسمه ويعجبه قوله (حمام الأراك ألا فاخبرينا * لمن تندبين ومن تعولينا) (فقد شقت بالنوح منا القلوب * وأبكيت بالندب منا العيونا) (تعالي نقم مأتما للهموم * ونعول إخواننا الظاعنينا) (ونسعدكن وتسعدننا * فإن الحزين يواسي الحزينا) ثم إني وجدت هذه الأبيات لنبهان الفقعسي من العرب وكان البحتري قد اجتاز بالموصل وقيل برأس عين ومرض بها مرضا
28 شديدا وكان الطبيب يختلف إليه ويداويه فوصف له يوما مزورة ولم يكن عنده من يخدمه سوى غلامه فقال للغلام اصنع هذه المزورة وكان بعض رؤساء البلد عنده حاضرا وقد جاء يعوده فقال ذاك الرئيس هذا الغلام ما يحسن طبخها وعندي طباخ من صفته وصفته وبالغ في حسن صنعته فترك الغلام عملها اعتمادا على ذلك الرئيس

وقعد البحتري ينتظرها واشتغل الرئيس عنها ونسي أمرها فلما أبطأت عنه وفات وقت وصولها إليه كتب إلى الرئيس (وجدت وعدك زورا في مزورة * حلفت مجتهدا إحكام طاهيها) (فلا شفى الله من يرجو الشفاء بها * ولا علت كف ملق كفه فيها) (فاحبس رسولك عني أن يجيء بها * فقد حبست رسولي عن تقاضيها) وأخباره ومحاسنه كثيرة فلا حاجة إلى الإطالة ولم يزل شعره غير مرتب حتى جمعه أبو بكر الصولي ورتبه على الحروف وجمعه أيضا علي بن حمزة الأصبهاني ولم يرتبه على الحروف بل على الأنواع كما صنع بشعر أبي تمام وللبحتري أيضا كتاب حماسة على مثال حماسة أبي تمام وله كتاب معاني الشعر وكانت ولادته سنة ست وقيل خمس ومائتين وتوفي سنة أربع وثمانين وقيل خمس وثمانين وقيل ثلاث وثمانين ومائتين والأول أصح والله أعلم وقال ابن الجوزي في كتاب أعمار الأعيان توفي البحتري وهو ابن ثمانين سنة والله أعلم بالصواب وكان موته بمنبج وقيل بحلب والأول أصح وقال الخطيب في تاريخ بغداد إنه كان يكنى أبا الحسن وأبا عبادة فأشير عليه في أيام المتوكل أن يقتصر على أبي عبادة فإنها أشهر ففعل

29 وأهل الأدب كثيرا ما يسألون عن قول أبي العلاء المعري (وقال الوليد النبع ليس بمثمر * وأخطأ سرب الوحش من ثمر النبع) فيقولون من هو الوليد المذكور وأين قال النبع ليس بمثمر ولقد سألني عنه جماعة

كثيرة والمراد بالوليد هو البحتري المذكور وله قصيدة طويلة يقول فيها (وعيرتني سجال العدم جاهلة * والنبع عريان ما في فرعه ثمر) وهذا البيت هو المشار إليه في بيت المعري وإنما ذكرت هذا لأنه فائدة تستفاد وعبيد الله وأخوه أبو عبادة ابنا يحيى بن الوليد البحتري اللذان مدحهما المتنبي في قصائده هما حفيدا البحتري الشاعر المذكور وكانا رئيسين في زمانهما والبحتري بضم الباء الموحدة وسكون الحاء المهملة وضم التاء المثناة من فوقها وبعدها راء هذه النسبة إلى بحتر وهو أحد أجداده كما تقدم ذكره في عمود نسبه وزردفنة بفتح الزاي وسكون الراء وفتح الدال المهملة وسكون الفاء وفتح النون وبعدها هاء ساكنة وهي قرية من قرى منبج بالقرب منها ومنبج بفتح الميم وسكون النون وكسر الباء الموحدة وبعدها جيم وهي بلدة بالشام بين حلب والفرات بناها كسرى لما غلب على الشام وسماها منبه فعربت فقيل منبج ولكونها وطن البحتري كان يذكرها في شعره كثيرا فمن ذلك قوله في آخر قصيدة طويلة يخاطب بها الممدوح وهو أبو جعفر محمد ابن حميد بن عبد الحميد الطوسي

30 (لا أنسين زمنا لديك مهذبا * وظلال عيش كان عندك سجسج) (في نعمة أوطنتها وأقمت في * أفيائها فكأنني في منبج) وكان البحتري مقيما بالعراق في خدمة المتوكل والفتح بن خاقان وله الحرمة التامة فلما قتلا كما هو مشهور في أمرهما رجع إلى منبج وكان يحتاج

للترداد إلى الوالي بسبب مصالح أملاكه ويخاطبه بالأمير لحاجته إليه ولا تطاوعه نفسه إلى ذلك فقال قصيدة منها (مضى جعفر والفتح بين مرمل * وبين صبيغ بالدماء مضرج) (أأطلب أنصارا على الدهر بعدما * ثوى منهما في الترب أوسي وخزرجي) (أولئك ساداتي الذين بفضلهم * حلبت أفاويق الربيع المثجج) (مضوا أمما قصدا وخلفت بعدهم * أخاطب بالتأمير والي منبج) وذكر المسعودي في مروج الذهب أن هارون الرشيد اجتاز ببلاد منبج ومعه عبد الملك بن صالح وكان أفصح ولد العباس في عصره فنظر إلى قصر مشيد وبستان معتمر بالأشجار كثير الثمار فقال لمن هذا فقال هو لك ولي بك يا أمير المؤمنين قال وكيف بناء هذا القصر قال دون منازل أهلي وفوق منازل الناس قال فكيف مدينتك قال عذبة الماء باردة الهواء صلبة الموطأ قليلة الأدواء قال فكيف ليلها قال سحر كله انتهى كلام المسعودي (297) وعبد الملك المذكور هو أبو عبد الرحمن عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه وكانت منبج إقطاعا له وكان مقيما بها وتوفي سنة تسع وتسعين ومائة بالرقة رحمه الله تعالى وله بلاغة وفصاحة أضربت عن ذكرها خوف الإطالة وذكر ياقوت الحموي في كتابه المشترك باب السقيا خمسة مواضع

31 ثم قال في آخر هذا الباب والخامس قرية على باب منبج ذات بساتين وهي وقف على ولد البحتري الشاعر وقد ذكرها أبو فراس ابن حمدان في شعره 771 الوليد بن طريف الشاري الوليد بن طريف بن الصلت بن طارق بن سيحان بن عمرو بن فدوكس ابن عمرو بن مالك الشيباني هكذا ذكره أبو سعد السمعاني في كتاب الأنساب في موضعين أحدهما في ترجمة الأراقم والآخر في ترجمة السيحاني بكسر السين المهملة الشاري أحد الشجعان الطغاة الأبطال كان رأس الخوارج وكان مقيما بنصيبين والخابور وتلك النواحي وخرج في خلافة هارون الرشيد وبغى وحشد جموعا كثيرة فأرسل إليه هارون الرشيد جيشا كثيفا مقدمه أبو خالد يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني وسيأتي ذكره في حرف الياء إن شاء الله تعالى فجعل يخاتله ويماكره وكانت البرامكة منحرفة عن يزيد فأغروا به الرشيد وقالوا إنه يراعيه لأجل الرحم وإلا فشوكة الوليد يسيرة وهو يواعده وينتظر ما يكون من أمره فوجه إليه الرشيد كتاب مغضب وقال لو وجهت أحد الخدم لقام بأكثر مما تقوم به ولكنك مداهن متعصب

32 وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن أخرت مناجزة الوليد ليبعثن إليك من يحمل رأسك إلى أمير المؤمنين فلقي الوليد فظهر عليه فقتله وذلك في سنة تسع وسبعين ومائة عشية أول خميس في شهر رمضان وهي واقعة مشهورة تضمنتها التواريخ وكان للوليد المذكور أخت تسمى

الفارعة وقيل فاطمة تجيد الشعر وتسلك سبيل الخنساء في مراثيها لأخيها صخر فرثت الفارعة أخاها الوليد بقصيدة أجادت فيها وهي قليلة الوجود ولم أجد في مجاميع كتب الأدب إلا بعضها حتى إن أبا علي القالي لم يذكر منها في أماليه سوى أربعة أبيات فاتفق أني ظفرت بها كاملة فأثبتها لغرابتها مع حسنها وهي هذه (بتل نهاكى رسم قبر كأنه * على جبل فوق الجبال منيف) (تضمن مجدا عد مليا وسؤددا * وهمة مقدام ورأي حصيف) (فيا شجر الخابور مالك مورقا * كأنك لم تحزن على ابن طريف) (فتى لا يحب الزاد إلا من التقى * ولا المال إلا من قنا وسيوف) (ولا الذخر إلا كل جرداء صلدم * معاودة للكر بين صفوف) (كأنك لم تشهد هناك ولم تقم * مقاما على الأعداء غير خفيف) (ولم تستلم يوما لورد كريهة * من السرد في خضراء ذات رفيف) (ولم تسع يوم الحرب والحرب لاقح * وسمر القنا ينكزنها بأنوف) (حليف الندى ما عاش يرضى به الندى * فإن مات لا يرضى الندى بحليف) (فقدناك فقدان الشباب وليتنا * فديناك من فتياننا بألوف)

33 (وما زال حتى أزهق الموت نفسه * شجى لعدو أو لجا لضعيف) (ألا يا لقومي للحمام وللبلى * وللأرض همت بعده برجوف) (ألا يا لقومي للنوائب والردى * ودهر ملح بالكرام عنيف) (وللبدر من بين الكواكب إذ هوى * وللشمس لما أزمعت بكسوف) ( )

ولليث كل الليث إذ يحملونه * إلى حفرة ملحودة وسقيف) (إلا قاتل الله الحشى حيث أضمرت * فتى كان للمعروف غير عيوف) (فإن يك أرداه يزيد بن مزيد * فرب زحوف لفها بزحوف) (عليه سلام الله وقفا فإنني * أرى الموت وقاعا بكل شريف) ولها فيه مرات كثيرة فمن ذلك قولها فيه أيضا (ذكرت الوليد وأيامه * إذ الأرض من شخصه بلقع) (فأقبلت أطلبه في السماء * كما يبتغي أنفه الأجدع) (أضاعك قومك فليطلبوا * إفادة مثل الذي ضيعوا) (لو ان السيوف التي حدها * يصيبك تعلم ما تصنع) (نبت عنك إذ جعلت هيبة * وخوفا لصولك لا تقطع) وكان الوليد يوم المصاف ينشد (أنا الوليد بن طريف الشاري * قسورة لا يصطلى بناري) (جوركم أخرجني من داري *) ويقال إنه لما انكسر جيش الوليد وانهزم تبعه يزيد بنفسه حتى لحقه على مسافة بعيدة فقتله وأخذ رأسه ولما قتله وعلمت بذلك أخته المذكورة لبست عدة حربها وحملت على جيش يزيد فقال يزيد دعوها ثم خرج فضرب

34 بالرمح فرسها وقال اغربي غرب الله عينك فقد فضحت العشيرة فاستحيت وانصرفت وطريف بفتح الطاء المهملة وكسر الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها فاء وتل نهاكى أظنه في بلد نصيبين وهو موضع الواقعة المذكورة والخابور نهر معروف أوله من رأس عين وآخره عند قرقيسيا يصب في الفرات وعلى هذا

النهر مدن صغار تشبه الكبار في عمارة بلادها وأسواقها وكثرة خيراتها وهو مشهور فلا حاجة إلى ضبطه والشاري بفتح الشين المعجمة وبعد الألف راء وهو واحد الشراة وهم الخوارج وإنما سموا بذلك لقولهم إنا شرينا أنفسنا في طاعة الله أي بعناها بالجنة حين فارقنا الأئمة الجائرة (297) والخنساء اسمها تماضر بضم التاء المثناة من فوقها وفتح الميم وبعد الألف ضاد مكسورة معجمة وبعدها راء وهي ابنة عمرو بن الشريد السلمي والخنس تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع الأرنبة ولذلك قيل لها الخنساء لأنها كانت على هذه الصفة وأخبارها مع أخيها مشهورة في مراثيها وغيرها وقد سبق طرف من أخبار أخيها صخر في ترجمة أبي أحمد العسكري في حرف الحاء وقد اختلف في موضع قبره فقيل إنه مدفون عند عسيب وهو جبل مشهور ببلاد الروم وإن القبر الذي هناك ينسب إلى امرىء القيس بن حجر الكندي الشاعر المشهور ليس لامرىء القيس وإنما هو لصخر المذكور وقيل إن كل واحد من امرىء القيس وصخر مدفون هناك وقال الحافظ أبو بكر الحازمي المقدم ذكره في كتاب ما اتفق لفظه وافترق مسماه إن عسيبا جبل حجازي ودفن عنده صخر أخو الخنساء فعلى هذا يكون عسيب اسما لجبلين أحدهما بالروم وهو الأشهر والآخر بالحجاز وكان من لوازم ياقوت الحموي أن يذكره في كتابه الذي وضعه في البلاد المشتركة الأسماء ولم أجده ذكره فيه والله أعلم

35   772 وهب بن منبه أبو عبد الله وهب بن منبه
اليماني صاحب الأخبار والقصص وكانت له معرفة
بأخبار الأوائل وقيام الدنيا وأحوال الأنبياء صلوات الله
عليهم وسلامه وسير الملوك وذكر عنه ابن قتيبة في كتاب
المعارف أنه كان يقول قرأت من كتب الله تعالى اثنين
وسبعين كتابا ورأيت له تصنيفا ترجمه بذكر الملوك
المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم
وأشعارهم في مجلد واحد وهو من الكتب المفيدة وكان له
إخوة منهم همام بن منبه كان أكبر من وهب وروى عن
أبي هريرة رضي الله عنه وهو معدود من جملة الأبناء
ومعنى قولهم فلان من الأبناء أن أبا مرة سيف بن ذي يزن
الحميري صاحب اليمن لما استولت الحبشة على ملكه
توجه إلى كسرى أنوشروان ملك الفرس يستنجده عليهم
وقصته في ذلك مشهورة وخبره طويل وخلاصة الأمر أنه
سير معه سبعة آلاف وخمسمائة فارس من الفرس جعل
مقدمهم وهرز هكذا قاله ابن قتيبة وقال محمد بن إسحاق
لم يسير معه
36   سوى ثمانمائة فارس فغرق منهم في البحر
مائتان وسلم ستمائة قال أبو القاسم السهيلي والقول الأول
أشبه بالصواب إذ يبعد مقاومة الحبشة بستمائة فارس فلما
وصل الجيش إلى اليمن جرت الواقعة بينهم وبين الحبشة
فاستظهرت الفرس عليهم وأخرجوهم من البلاد وملك
سيف ابن ذي يزن ووهرز وأقاموا أربع سنين وكان سيف

بن ذي يزن قد اتخذ من أولئك الحبشة خدما فخلوا به يوما وهو في متصيد له فزرقوه بحرابهم فقتلوه وهربوا في رؤوس الجبال وطلبهم أصحابه فقتلوهم جميعا وانتشر الأمر باليمن ولم يملكوا عليهم أحدا غير أن أهل كل ناحية ملكوا عليهم رجلا من حمير فكانوا كملوك الطوائف حتى أتى الله بالإسلام ويقال إنها بقيت في أيدي الفرس ونواب كسرى فيها وبعث رسول الله وباليمن من قواد أبرويز عاملان أحدهما فيروز الديلمي والآخر داذويه وأسلما وهما اللذان دخلا على الأسود العنسي مع قيس بن المكشوح لما ادعى الأسود النبوة باليمن وقتلوه والقصة في ذلك مشهورة فلا حاجة إلى ذكرها والمقصود من هذا كله أن جيش الفرس لما استوطن اليمن تأهلوا ورزقوا الأولاد فصار أولادهم وأولاد أولادهم يدعون الأبناء لأنهم من أبناء أولئك الفرس وكان طاوس العالم المقدم ذكره منهم أيضا وقد أومأت إلى ذلك في ترجمته ولم أشرحه كما فعلت هاهنا وأخبار وهب شهيرة فلا حاجة إلى ذكر شيء منها ويكفي في هذا الموضع ذكر هذه الفائدة وتوفي وهب المذكور في المحرم سنة عشر وقيل أربع عشرة وقيل ست عشرة ومائة بصنعاء اليمن وعمره تسعون سنة رضي الله عنه وقد تقدم الكلام على صنعاء في ترجمة عبد الرزاق الصنعاني وفي هذه الترجمة أسماء أعجمية لو قيدتها لطال الشرح وهي مشهورة فتركها لذلك

37 773 أبو البختري أبو البختري وهب بن وهب
بن وهب بن كثير بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن
المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشي
الأسدي المدني حدث عن عبيد الله بن عمر العمري وهشام
بن عروة بن الزبير وجعفر ابن محمد الصادق وغيرهم
وروى عنه رجاء بن سهل الصاغاني وأبو القاسم ابن
سعيد بن المسيب وغيرهما وكان متروك الحديث مشهورا
بوضعه انتقل من المدينة إلى بغداد في خلافة هارون
الرشيد فولاه القضاء بعسكر المهدي في شرقي بغداد وقد
تقدم الكلام على هذا الموضع في ترجمة الواقدي في
حرف الميم ثم عزله وولاه القضاء بمدينة الرسول بعد
بكار بن عبد الله الزبيري وجعل إليه ولاية حربها مع
القضاء ثم عزله فقدم بغداد وأقام بها إلى أن توفي وذكر
الخطيب في تاريخ بغداد في ترجمة القاضي أبي يوسف
يعقوب ابن إبراهيم الحنفي أنه كان قاضي القضاة في
بغداد فلما مات ولى الرشيد مكانه أبا البختري وهب بن
وهب القرشي وكان فقيها أخباريا ناسبا جوادا سريا سخيا
يحب المديح ويثيب عليه العطاء الجزيل وكان إذا أعطى
قليلا أو كثيرا أتبعه عذرا إلى صاحبه وكان يتهلل عند
طلب الحاجة إليه حتى لو رآه من لا يعرفه لقال هذا الذي
قضيت حاجته وكان جعفر الصادق بن محمد الباقر المقدم
ذكره قد تزوج بأمه بالمدينة وله

38 عنه روايات وأسانيد واسم أمه عبدة بنت علي بن يزيد بن بركة بن عبد يزيد ابن هاشم بن المطلب بن عبد مناف وأمها بنت عقيل بن أبي طالب وقد ذكره الخطيب في تاريخ بغداد وبالغ في تقريظه والثناء عليه وقال دخل عليه شاعر فأنشده (إذا افتر وهب خلته برق عارض * تبعق في الأرضين أسعده السكب) (وما ضر وهبا ذم من خالف الملا * كما لا يضر البدر ينبحه الكلب) (لكل أناس من أبيهم ذخيرة * وذخر بني فهر عقيد الندى وهب) قال فاستهل أبو البختري ضاحكا وسر سرورا شديدا ثم دعا عونا له فأسر إليه شيئا فأتاه بصرة فيها خمسمائة دينار فدفعها إليه وحكى أبو الفرج الأصبهاني في كتاب الأغاني في ترجمة أبي دلف العجلي قال أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال كنا عند أبي العباس المبرد يوما وعنده فتى من ولد أبي البختري وهب بن وهب القاضي أمرد حسن الوجه وفتى من ولد أبي دلف العجلي شبيه به في الجمال فقال المبرد لابن أبي البختري أعرف لجدك قصة طريفة من الكرم حسنة لم يسبق إليها فقال وما هي قال دعي رجل من أهل الأدب إلى بعض المواضع فسقوه نبيذا غير الذي كانوا يشربون منه فقال فيهم (نبيذان في مجلس واحد * لإيثار مثر على مقتر) (فلو كان فعلك ذا في الطعام * لزمت قياسك في المسكر) (ولو كنت تطلب شأو الكرام * صنعت صنيع أبي

البختري) (تتبع إخوانه في البلاد * فأغنى المقل عن المكثر)
39 فبلغت الأبيات أبا البختري فبعث إليه بثلثمائة دينار قال ابن عمار فقلت له قد فعل جد هذا الفتى في مثل هذا المعنى ما هو أحسن من هذا قال وما فعل قلت بلغه أن رجلا افتقر بعد ثروة فقالت له امرأته افترض في الجند فقال (إليك عني فقد كلفتني شططا * حمل السلاح وقول الدار عين قف) (أمن رجال المنايا خلتني رجلا * أمسي وأصبح مشتاقا إلى التلف) (تمشي المنايا إلى غيري فأكرهها * فكيف أمشي إليها بارز الكتف) (حسبت أن نزال القرن من خلقي * أو أن قلبي في جنبي أبي دلف) فأحضره أبو دلف ثم قال كم أملت امرأتك أن يكون رزقك قال مائة دينار قال وكم أملت أن تعيش قال عشرين سنة قال فذلك على ما أملت امرأتك في مالنا دون مال السلطان وأمر بإعطائه إياه قال فرأيت وجه ابن أبي دلف يتهلل وانكسر ابن أبي البختري انكسارا شديدا انتهى كلام صاحب الأغاني في هذا الفصل وقد سبق في ترجمة أبي دلف القاسم ابن عيسى العجلي ذكر هذه الأبيات وقائلها وصورة الحال وبينها وبين هذه الرواية اختلاف يسير (
298) وأما الأبيات الأولى التي في أبي البختري فهي لأبي عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن عطية العطوي الشاعر المشهور ونسبته بالعطوي إلى جده عطية المذكور وهو من البصرة من موالي بني ليث بن بكر بن

عبد مناة بن كنانة وكان معتزليا وله ديوان شعر وروى الخطيب أيضا في تاريخه أن أبا البختري قال لأن أكون في قوم أعلم مني أحب إلي من أكون في قوم أنا أعلم منهم لأني إن كنت أعلمهم لم أستفد وإن كنت مع من هم أعلم مني استفدت وروى أيضا في تاريخه أن هارون الرشيد لما قدم المدينة أعظم أن يرقى منبر
40 رسول الله في قباء ومنطقة فقال أبو البختري حدثني جعفر بن محمد يعني جعفر الصادق عن أبيه قال نزل جبريل على النبي وعليه قباء ومنطقة مختجرا بخنجر فقال المعافى التميمي (ويل وغول لأبي البختري * إذا توافى الناس للمحشر) (من قوله الزور وإعلانه * بالكذب في الناس على جعفر) (والله ما جالسه ساعة * للفقه في بدو ولا محضر) (ولا رآه الناس في دهره * يمر بين القبر والمنبر) (ياقاتل الله ابن وهب لقد * أعلن بالزور وبالمنكر) (يزعم أن المصطفى أحمدا * أتاه جبريل التقي البري) (عليه خف وقبا أسود * مختجرا في الحقو بالخنجر) وحكى جعفر الطيالسي أن يحيى بن معين وقف على حلقته وهو يحدث بهذا الحديث عن جعفر الصادق فقال له كذبت يا عدو الله على رسول الله قال فأخذني الشرط فقلت لهم هذا يزعم أن رسول رب العالمين جبريل نزل على رسول الله وعليه قباء قال فقالوا لي هذا والله قاض كذاب وأفرجوا عني وقال ابن قتيبة في كتاب المعارف وكان أبو البختري ضعيفا في الحديث وقال

الخطيب في تاريخه قال إبراهيم الحربي قيل لأحمد بن
حنبل تعلم أحدا روى لا سبق إلا في خف أو حافر أو جناح
فقال ما روى هذا إلا ذاك الكذاب أبو البختري ولـه من
التصانيف كتاب الروايات كتاب طسم وجديس كتاب
41 صفة النبي كتاب فضائل الأنصار كتاب
الفضائل الكبير ويحتوي على جميع الفضائل كتاب نسب
ولد إسماعيل عليه السلام ويحتوي على قطعة من
الأحاديث والقصص وأخباره ومحاسنه كثيرة وتوفي سنة
مائتين للهجرة ببغداد في خلافة المأمون رحمه الله تعالى
وقد ذكره ابن قتيبة في كتاب المعارف في موضعين عقد
له أولا ترجمة وتكلم على حاله ثم ذكره في ثلاثة أسماء
في نسق أبو البحتري وهب بن وهب بن وهب وعد معه
في ملوك الفرس بهرام بن بهرام بن بهرام وفي الطالبيين
حسن بن حسن ابن حسن وفي غسان الحرث الأصغر بن
الحرث الأعرج بن الحرث الأكبر هؤلاء الذين ذكرهم ابن
قتيبة وقد جاء في المتأخرين أبو حامد الغزالي وهو محمد
بن محمد بن محمد وقد سبق ذكره في المحمدين وأبو
البختري بفتح الباء الموحدة وسكون الخاء المعجمة وفتح
التاء المثناة من فوقها وبعدها راء وهو مأخوذ من البخترة
التي هي الخيلاء وهو يتصحف على كثير من الناس
بالبحتري وهو الشاعر المقدم ذكره وزمعة بفتح الزاي
والميم والعين المهملة وبعدها هاء ساكنة وهي في الأصل
اسم للهنة الزائدة من وراء الظلف وبها سمي الرجل وقد

تقدم الكلام على الأسدي والمدني قلت وبعد الفراغ من هذه الترجمة ظفرت بنكتة ينبغي إلحاقها بها وهي أن أبا البختري المذكور قال كنت أدخل على هارون الرشيد وابنه القاسم الملقب بالمؤتمن بين يديه فكنت أدمن النظر إليه عند دخولي وخروجي فقال له بعض ندمائه ما أرى أبا البختري إلا يحب رؤوس الحملان ففطن له الرشيد فلما دخلت عليه قال أراك تدمن النظر إلى أبي القاسم تريد أن تجعل انقطاعك إليه قلت أعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن ترميني بما ليس في وأما إدماني

42 النظر إليه فلأن جعفرا الصادق رضي الله تعالى عنه روى بإسناده عن آبائه إلى رسول الله ثلاث يزدن في قوة النظر النظر إلى الخضرة وإلى الماء الجاري وإلى الوجه الحسن نقلتها من خط القاضي كمال الدين ابن العديم من مسودة تاريخه والله تعالى أعلم بالصواب

43 حرف الهاء

44 @44@

45 774 ابن الشجري الشريف أبو السعادات هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني المعروف بابن الشجري البغدادي كان إماما في النحو واللغة وأشعار العرب وأيامها وأحوالها كامل الفضائل متضلعا من الآداب صنف فيها عدة تصانيف فمن ذلك كتاب الأمالي وهو أكبر تواليفه وأكثرها إفادة أملاه في أربعة وثمانين مجلسا وهو يشتمل على فوائد جمة من فنون الأدب وختمه

بمجلس قصره على أبيات من شعر أبي الطيب المتنبي تكلم عليها وذكر ما قاله الشراح فيها وزاد من عنده ما سنح له وهو من الكتب الممتعة ولما فرغ من إملائه حضر إليه أبو محمد عبد الله المعروف بابن الخشاب المقدم ذكره والتمس منه سماعه عليه فلم يجبه إلى ذلك فعاداه ورد عليه في مواضع من الكتاب ونسبه فيها إلى الخطأ فوقف أبو السعادات المذكور على ذلك الرد فرد عليه في رده وبين وجوه غلطه وجمعه كتابا سماه الانتصار وهو على صغر حجمه مفيد جدا وسمعه عليه الناس وجمع أيضا كتابا سماه الحماسة ضاهى به حماسة أبي تمام الطائي وهو كتاب غريب مليح أحسن فيه وله في النحو عدة تصانيف وله ما اتفق لفظه واختلف معناه وشرح اللمع لابن جني وشرح التصريف الملوكي

46 وكان حسن الكلام حلو الألفاظ فصيحا جيد البيان والتفهيم وقرأ الحديث بنفسه على جماعة من الشيوخ المتأخرين مثل أبي الحسن المبارك بن عبد الجبار ابن أحمد بن القاسم الصيرفي وأبي علي محمد بن سعيد بن نبهان الكاتب وغيرهما وذكره الحافظ أبو سعد ابن السمعاني في كتاب الذيل وقال اجتمعنا في دار الوزير أبي القاسم علي بن طراد الزينبي وقت قراءاتي عليه الحديث وعلقت عنه شيئا من الشعر في المدرسة ثم مضيت إليه وقرأت عليه جزءا من أمالي أبي العباس ثعلب النحوي وحكى أبو البركات عبد الرحمن بن الأنباري النحوي

المقدم ذكره في كتابه الذي سماه مناقب الأدباء أن العلامة أبا القاسم محمود الزمخشري المقدم ذكره لما قدم بغداد قاصدا الحج في بعض أسفاره مضى إلى زيارة شيخنا أبي السعادات ابن الشجري ومضينا معه إليه فلما اجتمع به أنشده قول المتنبي (واستكبر الأخبار قبل لقائه * فلما التقينا صغر الخبر الخبر) ثم أنشده بعد ذلك (كانت مساءلة الركبان تخبرنا * عن جعفر بن فلاح أحسن الخبر) (ثم التقينا فلا والله ما سمعت * أذني بأحسن مما قد رأى بصري) وهذا البيتان قد تقدم ذكرهما في ترجمة جعفر بن فلاح وهما منسوبان
47 إلى أبي القاسم محمد بن هانئ الأندلسي وقد تقدم ذكره أيضا وينسبان إلى غيره أيضا والله أعلم قال ابن الأنباري فقال العلامة الزمخشري روي عن النبي أنه لما قدم عليه زيد الخيل قال له يا زيد ما وصف لي أحد في الجاهلية فرأيته في الإسلام إلا رأيته دون ما وصف لي غيرك قال ابن الأنباري فخرجنا من عنده ونحن نعجب كيف يستشهد الشريف بالشعر والزمخشري بالحديث وهو رجل عجمي وهذا الكلام وإن لم يكن عين كلام ابن الأنباري فهو في معناه لأني لم أنقله من الكتاب بل وقفت عليه منذ زمان وعلق معناه بخاطري وإنما ذكرت هذا لأن الناظر فيه قد يقف على كتاب ابن الأنباري فيجد بين الكلامين اختلافا فيظن أني تسامحت في النقل وكان أبو السعادات المذكور نقيب الطالبيين بالكرخ نيابة عن والده

الطاهر وله شعر حسن فمن ذلك قصيدة يمدح بها الوزير نظام الدين أبا نصر المظفر بن علي ابن محمد بن جهير وأولها (هذي السديرة والغدير الطافح * فاحفظ فؤادك إنني لك ناصح) (يا سدرة الوادي الذي إن ضله الساري * هداه نشره المتفاوح) (هل عائد قبل الممات لمغرم * عيش تقضى في ظلالك صالح) (ما أنصف الرشأ الضنين بنظرة * لما دعا مصغي الصبابة طامح) (شط المزار به وبوئ منزلا * بصميم قلبك فهو دان نازح) (غصن يعطفه النسيم وفوقه * قمر يحف به ظلام جانح) (وإذا العيون تساهمته لحاظها * لم يرو منه الناظر المتراوح) (ولقد مررنا بالعقيق فشاقنا * فيه مراتع للمها ومسارح)
48 (ظللنا به نبكي فكم من مضمر * وجدا أذاع هواه دمع سافح) (مرت الشؤون رسومها فكأنما * تلك العراص المقفرات نواضح) (يا صاحبي تأملا حييتما * وسقى دياركما الملث الرائح) (أدمى بدت لعيوننا أم ربرب * أم خرد أكفالهن رواجح) (أم هذه مقل الصوار رنت لنا * خلل البراقع أم قنا وصفائح) (لم يبق جارحة وقد واجهننا * إلا وهن لها بهن جوارح) (كيف ارتجاع القلب من أسر الهوى * ومن الشقاوة أن يراض القارح) (لو بله من ماء ضارج شربة * ما أثرت للوجد فيه لواقح) ومن هاهنا يخرج إلى المديح فأضربت عنه خوف الإطالة ولم يكن المقصود إلا إثبات شيء من نظمه ليستدل

به على طريقه فيه ومن شعره أيضا (هل الوجد خاف والدموع شهود * وهل مكذب قول الوشاة جحود) (وحتى متى تفني شؤونك بالبكا * وقد حد حدا للبكاء لبيد) (وإني وإن جفت قناتي كبرة * لذو مرة في النائبات جليد) وفيه إشارة إلى أبيات لبيد بن ربيعة العامري (تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما * وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر) (فقوما فنوحا بالذي تعلمانه * ولا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر) (وقولا هو المرء الذي لا صديقه * أضاع ولا خان العهود ولا غدر)
49 (إلى الحول ثم اسم السلام عليكما * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر) وإلى هذا أشار أبو تمام الطائي بقوله (ظعنوا فكان بكاي حولا بعدهم * ثم ارعويت وذاك حكم لبيد) وقال الشريف أبو السعادات المذكور أنشدني أبو إسماعيل الحسين الطغرائي قلت قد تقدم ذكره لنفسه (إذا لم تكن ملكا مطاعا * فكن عبدا لمالكه مطيعا) (وإن لم تملك الدنيا جميعا * كما تهواه فاتركها جميعا) (هما سببان من ملك ونسك * ينيلان الفتى الشرف الرفيعا) (فمن يقنع من الدنيا بشيء * سوى هذين عاش بها وضيعا) وكان بين أبي السعادات المذكور وبين أبي محمد الحسن بن أحمد بن محمد ابن جكينا البغدادي الحريمي الشاعر المشهور وهو المذكور في ترجمة أبي محمد القاسم بن علي الحريري صاحب المقامات تنافس جرت العادة بمثله بين أهل الفضائل فلما وقف على شعره

عمل فيه قوله (يا سيدي والذي يعيذك من * نظم قريض يصدا به الفكر) (مالك من جدك النبي سوى * أنك ما ينبغي لك الشعر) وشعره وماجراياته كثيرة والاختصار أولى

50 وكانت ولادته في شهر رمضان سنة خمسين وأربعمائة وتوفي يوم الخميس السادس والعشرين من شهر رمضان سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ودفن من الغد في داره بالكرخ من بغداد رحمه الله تعالى والشجري بفتح الشين المعجمة والجيم وبعدها راء هذه النسبة إلى شجرة وهي قرية من أعمال المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وشجرة أيضا اسم رجل وقد سمت به العرب ومن بعدها وقد انتسب إليه خلق كثير من العلماء وغيرهم ولا أدري إلى من ينتسب الشريف المذكور منهما هل نسبته إلى القرية أم إلى أحد أجداده كان اسمه شجرة والله أعلم وقد تقدم الكلام على الكرخ في ترجمة معروف الكرخي رضي الله عنه فأغنى عن إعادته 775 البديع الاسطرلابي أبو القاسم هبة الله بن الحسين بن يوسف وقيل أحمد المنعوت بالبديع الأسطرلابي الشاعر المشهور أحد الأدباء الفضلاء كان وحيد زمانه في عمل الآلات الفلكية متقنا لهذه الصناعة وحصل له من جهة عملها مال جزيل في خلافة الإمام المسترشد ولما مات لم يخلفه في شغله مثله وقد ذكره أبو المعالي الحظيري في كتابه الذي سماه زينة الدهر وذكره العماد الأصبهاني في كتاب

51 الخريدة وكل منهما أثنى عليه وأورد عدة مقاطيع من شعره فمن ذلك قوله (أهدي لمجلسه الكريم وإنما * أهدي له ما حزت من نعمائه) (كالبحر يمطره السحاب وما له * فضل عليه لأنه من مائه) وهذان البيتان من أسير شعره وقد قيل إنهما لغيره وله أيضا (أذاقني حمرة المنايا * لما اكتسى خضرة العذار) (وقد تبدى السواد فيه * وكارتي بعد في العيار) هكذا وجدت هذين البيتين في زينة الدهر تأليف أبي المعالي الحظيري منسوبين إلى البديع المذكور ورأيت في موضع آخر أنهما لأبي محمد ابن جكينا المذكور في ترجمة الشريف أبي السعادات ابن الشجري والله أعلم وهذه العبارة من اصطلاح البغاددة فإنهم يقولون كارتي في العيار بمعنى أنه ناشب معه لم يتخلص منه والكارة عندهم في الدقيق بمثابة الجملة في ديار مصر ومن شعره (قال قوم عشقته أمرد الخد * وقد قيل إنه نكريش) (قلت فرخ الطاوس أحسن ما كان * إذا ما علا عليه الريش) قوله نكريش لفظة عجمية والأصل فيها نيك ريش معناها لحية جيدة وهو على ما تقرر من اصطلاح العجم أنهم يقدمون ويؤخرون في ألفاظهم المركبة فنيك جيد وريش لحية وكان كثير الخلاعة يستعمل المجون في أشعاره حتى يفضي به إلى الفحش في اللفظ فلهذا اقتصرت له على هذه النبذة مع كثرة شعره وكان قد جمعه

52 ودونه واختار ديوان ابن حجاج ورتبه على مائة وأحد وأربعين بابا وجعل كل باب في فن من فنون شعره وقفاه وسماه درة التاج من شعر ابن حجاج وكان ظريفا في جميع حركاته وتوفي سنة أربع وثلاثين وخمسمائة بعلة الفالج ودفن بمقبرة الوردية بالجانب الشرقي من بغداد رحمه الله تعالى والأسطرلابي بفتح الهمزة وسكون السين المهملة وضم الطاء المهملة وبعدها راء ثم لام ألف ثم باء موحدة هذه النسبة إلى الأسطرلاب وهو الآلة المعروفة قال كوشيار بن لبان بن باشهري الجيلي صاحب كتاب الزيج في رسالته التي وضعها في علم الأسطرلاب إن الأسطرلاب كلمة يونانية معناها ميزان الشمس وسمعت بعض المشايخ يقول إن لاب اسم الشمس بلسان اليونان فكأنه قال أسطر الشمس إشارة إلى الخطوط التي فيه وقيل إن أول من وضعه بطليموس صاحب المجسطي وكان سبب وضعه له أنه كان معه كرة فلكية وهو راكب فسقطت منه فداستها دابته فخسفتها فبقيت على هيئة الأسطرلاب وكان أرباب علم الرياضة يعتقدون أن هذه الصورة لا ترسم إلا في جسم كري على هيئة الأفلاك فلما رآه بطليموس على تلك الصورة علم أنه يرتسم في السطح ويكون نصف دائرة ويحصل منه ما يحصل من الكرة فوضع الأسطرلاب ولم يسبق إليه وما اهتدى أحد من المتقدمين إلى أن هذا القدر يتأتى في الخط ولم يزل الأمر مستمرا على استعمال الكرة والأسطرلاب إلى أن استنبط

الشيخ شرف الدين الطوسي المذكور في ترجمة الشيخ
كمال الدين ابن يونس رحمهما الله تعالى وهو شيخه في
فن الرياضة أن يضع المقصود من الكرة والأسطرلاب في
خط فوضعه وسماه العصا وعمل له رسالة بديعة وكان قد
أخطأ في بعض هذا الوضع فأصلحه الشيخ كمال الدين
المذكور
53 وهذبه والطوسي أول من أظهر هذا في الوجود
ولم يكن أحد من القدماء يعرفه فصارت الهيئة توجد في
الكرة التي هي جسم لأنها تشتمل على الطول والعرض
والعمق وتوجد في السطح الذي هو مركب من الطول
والعرض بغير عمق وتوجد في الخط الذي هو عبارة عن
الطول فقط بغير عرض ولا عمق ولم يبق سوى النقطة
ولا يتصور أن يعمل فيها شيء لأنها ليست جسما ولا
سطحا ولا خطا بل هي طرف الخط كما أن الخط طرف
السطح والسطح طرف الجسم والنقطة لا تتجزأ فلا
يتصور أن يرتسم فيها شيء وهذا وإن كان خروجا عما
نحن بصدده لكنه أيضا فائدة والاطلاع عليه أولى من
إهماله وسياق الكلام جره والله تعالى أعلم 776 ابن
القطان البغدادي أبو القاسم هبة الله بن الفضل بن القطان
عبد العزيز بن محمد بن الحسين بن علي ابن أحمد بن
الفضل بن يعقوب بن يوسف بن سالم المعروف بابن
القطان الشاعر المشهور البغدادي قد سبق شيء من شعره
وطرف من خبره في ترجمة حيص بيص في حرف السين

وفي ترجمة ابن السوادى في أواخر حرف العين وكان
أبو القاسم المذكور قد سمع الحديث من جماعة من
المشايخ وسمع
54 عليه وكان غاية في الخلاعة والمجون كثير
المزاح والمداعبات مغرى بالولوع بالمتعجرفين والهجاء
لهم وله في ذلك نوادر ووقائع وحكايات ظريفة وله ديوان
شعر وقد ذكره أبو سعد السمعاني في كتاب الذيل فقال
شاعر مجود مليح الشعر رقيق الطبع إلا أن الغالب عليه
الهجاء وهو ممن يتقى لسانه ثلاب ثم قال كتبت عنه
حديثين لا غير وعلقت عنه مقطعات من شعره (299)
وذكر الحافظ السلفي أباه أبا عبد الله الفضل بن عبد العزيز
وقال إن بعض أولاد المحدثين سأله عن مولده فقال سنة
ثماني عشرة وأربعمائة ليلة الجمعة رابع عشر رجب
وقال أبو غالب شجاع بن فارس الذهلي مات يوم الأربعاء
ودفن من الغد لست بقين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان
وتسعين وأربعمائة بمقبرة معروف الكرخي رضي الله
عنه وذكر العماد الكاتب الأصبهاني في كتاب الخريدة أبا
القاسم المذكور فقال وكان مجمعا على ظرفه ولطفه وله
ديوان شعر أكثره جيد وعبث فيه بجماعة من الأعيان
وثلبهم ولم يسلم منه أحد لا الخليفة ولا غيره وأخبرني
بعض المشايخ أنه رآه وقال كنت يومئذ صبيا فلم آخذ عنه
شيئا لكنني رأيته قاعدا على طرف دكان عطار ببغداد
والناس يقولون هذا ابن الفضل الهجاء وسمع الحديث من

جماعة منهم أبوه وأبو طاهر محمد بن الحسن الباقلاني وأبو الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون الأمين وأبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن طلحة بن محمد بن عثمان الكرخي وغيرهم وله مع حيص بيص ماجرايات فمن ذلك أن الحيص بيص خرج ليلة من دار الوزير شرف الدين أبي الحسن علي بن طراد الزينبي فنبح عليه جرو كلب

55 وكان متقلدا سيفا فوكزه بعقب السيف فمات فبلغ ذلك ابن الفضل المذكور فنظم أبياتا وضمنها بيتين لبعض العرب قتل أخوه ابنا له فقدم إليه ليقتاد منه فألقى السيف من يده وأنشدهما والبيتان المذكوران يوجدان في الباب الأول من كتاب الحماسة ثم إن ابن الفضل المذكور عمل الأبيات في ورقة وعلقها في عنق كلبة لها أجر ورتب معها من طردها وأولادها إلى باب دار الوزير كالمستغيثة فأخذت الورقة من عنقها وعرضت على الوزير فإذا فيها (يا أهل بغداد إن الحيص بيص أتى * بفعلة أكسبته الخزي في البلد) (هو الجبان الذي أبدى تشاجعه * على جري ضعيف البطش والجلد) (وليس في يده مال يديه به * ولم يكن ببواء عنه في القود) (فأنشدت جعدة من بعدما احتسبت * دم الأبيلق عند الواحد الصمد) (أقول للنفس تأساء وتعزية * إحدى يدي أصابتني ولم ترد) (كلاهما خلف من فقد صاحبه * هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي) والبيت الثالث مأخوذ من قول بعضهم (قوم إذا

ما جنى جانيهم أمنوا * من لؤم أحسابهم أن يقتلوا قودا)
وهو من جملة أبيات في الكراس الذي أوله لقي بشار
وينظر في الحماسة وهذا التضمين في غاية الحسن ولم
أسمع مثله مع كثرة ما يستعمل الشعراء
56 التضمين في أشعارهم إلا ما أنشدني الشيخ
مهذب الدين أبو طالب محمد المعروف بابن الخيمي
المذكور في ترجمة الشيخ تاج الدين الكندي في حرف
الزاي لنفسه وأخبرني أنه كان بدمشق وقدم رسم السلطان
بحلق لحية شخص له وجاهة بين الناس فحلق نصفها
وحصلت فيه شفاعة فعفا عنه في الباقي فعمل فيه ولم
يصرح باسمه بل رمزه وستره وهو (زرت ابن آدم لما
قيل قد حلقوا * جميع لحيته من بعد ما ضربا) (فلم أر
النصف محلوقا فعدت له * مهنئا بالذي منها له وهبا) (
فقام ينشدني والدمع يخنقه * بيتين ما نظما مينا ولا كذبا)
(إذا أتتك لحلق الذقن طائفة * فاخلع ثيابك منها ممعنا
هربا) (وإن أتوك وقالوا إنها نصف * فإن أطيب
نصفيها الذي ذهبا) والبيتان الأخيران منها في كتاب
الحماسة أيضا في باب مذمة النساء لكن الأول منهما فيه
تغيير فإن بيت الحماسة (لا تنكحن عجوزا إن أتيت بها
* واخلع ثيابك منها ممعنا هربا) وحضر ليلة الحيص
بيص وابن الفضل المذكور على السماط عند الوزير في
شهر رمضان فأخذ ابن الفضل قطاة مشوية وقدمها إلى
الحيص بيص فقال الحيص بيص للوزير يا مولانا هذا

الرجل يؤذيني فقال الوزير كيف ذلك قال لأنه يشير إلى قول الشاعر (تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا * ولو سلكت سبل المكارم ضلت) وكان الحيص تميميا كما تقدم في ترجمته و هذا البيت للطرماح بن حكيم الشاعر و هو من جملة أبيات وبعد هذا البيت
57 (أرى الليل يجلوه النهار ولا أرى * خلال المخازي عن تميم تجلت) (ولو أن برغوثا على ظهر قملة * يكر على صفي تميم لولت) ودخل ابن الفضل المذكور يوما على الوزير المذكور الزينبي وعنده الحيص فقال قد عملت بيتين ولا يمكن أن يعمل لهما ثالث لأنني قد استوفيت المعنى فيهما فقال له الوزير هاتهما فأنشده (زار الخيال نحيلا مثل مرسله * فما شفاني منه الضم والقبل) (ما زارني قط إلا كي يوافقني * على الرقاد فينفيه ويرتحل) فالتفت الوزير إلى الحيص وقال له ما تقول في دعواه فقال إن أعادهما سمع الوزير لهما ثالثا فقال له الوزير أعدهما فأعادهما فوقف الحيص بيص لحظة ثم أنشد (وما درى أن نومي حيلة نصبت * لطيفه حين أعيا اليقظة الحيل) فاستحسن الوزير ذلك منه وسمعت لبعض المعاصرين ولم أتحقق أنها له حتى أعينه وقد أخذ هذا المعنى ونظمه وأحسن فيه وهو (ياضرة القمرين من لمتيم * أرديته وأحلت ذاك على القضا) (وحياة حبك لم ينم عن سلوة * بل كان ذلك للخيال تعرضا) (لا تأسفي إن زار طيفك في الكرى * ما كان إلا مثل

شخصك معرضا) ثم وجدت هذه الأبيات لأبي العلاء بن أبي الندى المعروف ولما هجا قاضي القضاة جلال الدين الزينبي بالقصيدة الكافية المقدم ذكرها
58 في ترجمة ابن السوادي ولولا طولها لذكرتها سير إليه أحد الغلمان فأحضره وصفعه وحبسه فلما طال حبسه كتب إلى مجد الدين ابن الصاحب أستاذ الدار الخليفتية (إليك أظل مجد الدين أشكو * بلاء حل لست له مطيقا) (وقوما بلغوا عني محالا * إلى قاضي القضاة الندب سيقا) (فأحضرني بباب الحكم خصم * غليظ جرني كما وزيقا) (وأخفق نعله بالصفع رأسي * إلى أن أوجس القلب الخفوقا) (على الخصم الأداء وقد صفعنا * إلى أن ما تهدينا الطريقا) (فيا مولاي هب ذا الإفك حقا * أيحبس بعد ما استوفى الحقوقا) ولما خرج من الحبس أنشد (عند الذي طرف بي أنه * قد غض من قدري وآذاني) (فالحبس ما غير لي خاطرا * والصفع ما لين آذاني) وقد سبق في ترجمة الحيص أبياته الميمية في هجوه وجواب الحيص عنها ولما ولي الزينبي المذكور الوزارة دخل عليه ابن الفضل المذكور والمجلس محتفل بأعيان الرؤساء وقد اجتمعوا للهناء فوقف بين يديه ودعا له وأظهر الفرح والسرور ورقص فقال الوزير لبعض من يفضي إليه بسره قبح الله هذا الشيخ فإنه يشير برقصه إلى ما تقول العامة في أمثالها ارقص للقرد في زمانه وقد نظم هذا المعنى في أبيات وكتبها إلى بعض

الرؤساء وهي (يا كمال الدين الذي * هو شخص مشخص) (والرئيس الذي به * ذنب دهري يمحص) (خذ حديثي فإنه * نبأ سوف يرخص)
59 (كلما قلت قد تبغدد * قومي تحمصصوا) (ليس إلا ستر يشال * وباب مجصص) (وغواش على الرءوس * عليها المقرنص) (والرواشين والمناظر * والخيل ترقص) (وأنا القرد كل يوم * لكلب أبصبص) (كل من صفق الزمان * له قمت أرقص) (محن لا يفيد ذا النون * منها التبرصص) (فمتى أسمع النداء * وقد جا مخلص) ومثل هذا قول بعضهم (إذا رأيت امرءا وضيعا * قد رفع الدهر من مكانه) (فكن له سامعا مطيعا * معظما من عظيم شانه) (فقد سمعنا بأن كسرى * قد قال يوما لترجمانه) (إذا زمان السباع ولى * فارقص للقرد في زمانه) وحكي أنه دخل مرة على بعض أهل بغداد وقد تولى ولاية كبيرة لم يكن من أهلها فسلم عليه ودعا له وهنأه بالولاية وأظهر الفرح والسرور ثم خرج فقال بعض الحاضرين هذا يشير إلى قول الناس في أمثالهم ارقص للقرد في زمانه ولـه القصيدة الرائية المشهورة التي جمع فيها خلقا من الأكابر ونبز كل واحد منهم بشيء وفيها يقول
60 (تكريت تعجزنا ونحن بجهلنا * نمضي لنأخذ ترمذا من سنجر) ومنها البيت السائر وهو (نسب إلى العباس ليس شبيهه * في الضعف غير الباقلاء الأخضر)

وأنشدني له بعض أصحابنا المتأدبين قوله (سعى إحسانه بيني * وبين الدهر بالصلح) (أياد ملأت بيتي * على بيت من المدح) ودخل يوما على الوزير ابن هبيرة وعنده نقيب الأشراف وكان ينسب إلى البخل وكان في شهر رمضان والحر شديد فقال له الوزير أين كنت فقال في مطبخ سيدي النقيب فقال له ويحك أيش عملت في شهر رمضان في المطبخ فقال وحياة مولانا كسرت الحر فتبسم الوزير وضحك الحاضرون وخجل النقيب وهذا الكلام على اصطلاح أهل تلك البلاد فإنهم يقولون كسرت الحر في الموضع الفلاني إذا اختار موضعا باردا يقيل فيه وقصد دار بعض الأكابر في بعض الأيام فلم يؤذن له في الدخول فعز عليه فأخرجوا من الدار طعاما وأطعموه كلاب الصيد وهو يبصره فقال مولانا يعمل بقول الناس لعن الله شجرة لا تظل أهلها وقعد يوما مع زوجته يأكل طعاما فقال لها اكشفي رأسك ففعلت وقرأ (^ قل هو الله أحد) الإخلاص 1 فقالت له ما الخبر فقال إن المرأة إذا كشفت رأسها لم تحضر الملائكة عليهم السلام وإذا قرئ (^ قل هو الله أحد) هربت الشياطين وأنا أكره الزحمة على المائدة وأخباره كثيرة وكانت ولادته سنة سبع وسبعين وأربعمائة وقال السمعاني سألته عن مولده فقال ولدت ضاحي نهار يوم الجمعة السابع من ذي الحجة سنة ثمان وسبعين وتوفي يوم السبت الثامن والعشرين من رمضان سنة ثمان وخمسين

61 وخمسمائة ببغداد ودفن بمقبرة معروف الكرخي رحمه الله تعالى وقال السمعاني توفي يوم عيد الفطر والله أعلم ولولا إيثار الاختصار لذكرت من أحواله ومضحكاته شيئا كثيرا فإنه كان آية في هذا الباب وقوله في الأبيات الدالية (ولم يكن ببواء عنه في القود *) فالبواء بفتح الباء الموحدة وبعدها الواو والهمزة ممدودة ومعناها السواء يقال دم فلان بواء لدم فلان إذا كان مكافئا له وجعدة المذكورة في هذه الأبيات أيضا بفتح الجيم والدال المهملة وبينهما عين مهملة ساكنة وفي الأخير هاء ساكنة وهو اسم من أسماء الكلبة هكذا سمعته ولم أره في شيء من كتب اللغة بل الذي قاله أرباب اللغة إن أبا جعدة كنية الذئب وجعدة اسم النعجة كني الذئب بها لمحبته إياها والله أعلم والمتوثي بفتح الميم وتشديد التاء المثناة من فوقها وسكون الواو وبعدها ثاء مثلثة هذه النسبة إلى متوث وهي بلدة بين قرقوب وكورة الأهواز 777 ابن سناء الملك القاضي السعيد أبو القاسم هبة الله بن القاضي الرشيد أبي الفضل جعفر بن المعتمد سناء الملك أبي عبد الله محمد بن هبة الله بن محمد السعدي الشاعر المشهور المصري صاحب الديوان الشعر البديع والنظم الرائق أحد الفضلاء الرؤساء النبلاء وكان كثير التخصص والتنعم وافر السعادة محظوظا من الدنيا أخذ الحديث عن الحافظ أبي الطاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي الأصبهاني رحمه الله تعالى

62 واختصر كتاب الحيوان للجاحظ وسمى المختصر روح الحيوان وهي تسمية لطيفة وله كتاب مصايد الشوارد وله ديوان جميعه موشحات سماه دار الطراز وجمع شيئا من الرسائل الدائرة بينه وبين القاضي الفاضل وفيه كل معنى مليح واتفق في عصره بمصر جماعة من الشعراء المجيدين وكان لهم مجالس يجري بينهم فيها مفاكهات ومحاورات يروق سماعها ودخل في ذلك الوقت إلى مصر شرف الدين ابن عنين المقدم ذكره في المحمدين فاحتفلوا به وعملوا له دعوات وكانوا يجتمعون على أرغد عيش وكانوا يقولون هذا شاعر الشام وجرت لهم محافل سطرت عنهم ولولا خشية التطويل لذكرت بعضها ومن محاسن شعره بيتان من جملة قصيدة يمدح بها القاضي الفاضل رحمه الله تعالى وهما (ولو أبصر النظام جوهر ثغرها * لما شك فيه أنه الجوهر الفرد) (ومن قال إن الخيزرانة قدها * فقولوا له إياك أن يسمع القد) ومن شعره ايضا (لا الغصن يحكيك ولا الجؤذر * حسنك مما كثروا أكثر) (يا باسما أبدى لنا ثغره * عقدا ولكن كله جوهر) (قال لي اللاحي أما تسمع * فقلت يا لاحي أما تبصر) وله يتغزل بجارية عمياء

63 (شمس بغير الشعر لم تحتجب * وفي سوى العينين لم تكسف) (مغمدة المرهف لكنها * تجرح بالجفن بلا مرهف) (رأيت منها الخلد في جؤذر *

ومقلتي يعقوب في يوسف) وله في غلام ضرب ثم حبس (بنفسي من لم يضربوه لريبة * ولكن ليبدو الورد في سائر الغصن) (ولم يودعوه السجن إلا مخافة * من العين أن تعدو على ذلك الحسن) (وقالوا له شاركت في الحسن يوسفا * فشاركه أيضا في الدخول إلى السجن) وله في غلام جميل الصورة حفر حومة التلاق فأصابه حجر فانكسرت أسنانه فقال (نثر الدهر عقد ثغر حبيبي * فدموعي عليه تحكي انتثاره) (كل سن كالأقحوانة كانت * فغدت بالدماء كالجلناره) (كان في حومة التلاق وما كان * بعيدا في جملة النظارة) (فأتته الأحجار شوقا وزارته * فلا مرحبا بتلك الزيارة) (كيف ينسى الفؤاد ثغر حبيب * حسدتني عليه تلك الحجارة) وله من جملة أبيات (وما كان تركي حبه عن ملالة * ولكن لأمر يوجب القول بالترك) (أراد شريكا في الذي كان بيننا * وإيمان قلبي قد نهاني عن الشرك)

64 وله أيضا (يا عاطل الجيد إلا من محاسنه * عطلت فيك الحشا إلا من الحزن) (في سلك جسمي در الدمع منتظم * فهل لجيدك في عقد بلا ثمن) (لا تخش منى فإني كالنسيم ضنى * وما النسيم بمخشي على الغصن) وهذا البيت مأخوذ من قول ابن قلاقس وقد تقدم ذكره في ترجمته وهو (أعندما همت به روضة * أعل جسمي لأكون النسيم) ومن نثره في وصف النيل في سنة كان ناقصا ولم يوف الزيادة التي جرت بها العادة يقال إنه

كتبه من جملة رسالة إلى القاضي الفاضل وهو وأما أمر الماء فإنه نضبت مشارعه وتقطعت أصابعه وتيمم العمود لصلاة الاستسقاء وهم المقياس من الضعف بالاستلقاء وهذا من أحسن ما يوصف به نقصان النيل وكان بمصر شاعر يقال له أبو المكارم هبة الله بن وزير بن مقلد الكاتب فبلغ القاضي السعيد المذكور عنه أنه هجاه فأحضره إليه وأدبه وشتمه وكتب إليه نشو الملك أبو الحسن علي بن مفرج المعري الأصل المصري الدار والوفاة المعروف بابن المنجم الشاعر المعروف (قل للسعيد أدام الله نعمته * صديقنا ابن وزير كيف تظلمه) (صفعته إذ غدا يهجوك منتقما * فكيف من بعد هذا ظلت تشتمه) (هجو بهجو وهذا الصفع فيه ربا * والشرع ما يقتضيه بل يحرمه)

65 (فإن تقل ما لهجو عنده ألم * فالصفع والله أيضا ليس يؤلمه) ولما مدح السعيد المذكور شمس الدولة توران شاه أخا السلطان صلاح الدين المقدم ذكره في حرف التاء بقصيدته التي أولها (تقنعت لكن بالحبيب المعمم * وفارقت لكن كل عيش مذمم) تعصب عليه جماعة من شعراء مصر وعابوا هذا الاستفتاح وهجنوه فكتب إليه ابن الذروي الشاعر المذكور في ترجمة سيف الدولة المبارك بن منقذ (قل للسعيد مقال من هو معجب * منه بكل بديعة ما أعجبا) (لقصيدك الفضل المبين وإنما * شعراؤنا جهلوا به المستغربا) (عابوا التقنع

بالحبيب ولو رأى * الطائي ما قد حكته لتعصبا) ونوادر القاضي السعيد كثيرة وتوفي في العشر الأول من شهر رمضان سنة ثمان وستمائة بالقاهرة وذكر صاحبنا الكمال ابن الشعار في عقود الجمان أنه توفي يوم الأربعاء رابع الشهر المذكور رحمه الله تعالى وذكره العماد الكاتب في كتاب الخريدة فقال كنت عند القاضي الفاضل في خيمته بمرج الدلهمية ثامن عشر ذي القعدة سنة سبعين يعني وخمسمائة فأطلعني على قصيدة له كتبها إليه من مصر وذكر أن سنه لم يبلغ إلى عشرين سنة فأعجبت بنظمه ثم ذكر القصيدة العينية التي أولها (فراق قضى للهم والقلب بالجمع * وهجر تولى صلح عيني مع الدمع) وعلى هذا التقدير يكون مولده في حدود سنة خمسين وخمسمائة وقيل
66 إنه ولد سنة ثمان وأربعين والله أعلم ثم قال العماد بعد الفراغ من ذكر هذه القصيدة ثم وصل يعني القاضي السعيد المذكور إلى الشام في شهر رمضان سنة إحدى وسبعين وخمسمائة في الخدمة الفاضلية فوجدته في الذكاء آية قد أحرز في صناعة النظم والنثر غاية تلقى عرابة العربية له باليمين راية وقد ألحفه الإقبال الفاضلي في الفضل قبولا وجعل طين خاطره على الفطنة مجبولا وأنا أرجو أن ترقى في الصناعة رتبته وتغزر عند تمادي أيامه في العلم نغبته وتصفو من الصبا منقبته وتروى بماء الدربة رويته وتستكثر فوائده وتؤثر قلائده (300) وتوفي والده جعفر في منتصف شهر رمضان سنة ثمانين

وخمسمائة ثم رأيت بخط بعض أصحابنا ممن له عناية
بهذا الفن أنه توفي يوم الثلاثاء خامس ذي الحجة سنة
اثنتين وتسعين ومولده منتصف شوال سنة خمس وعشرين
وخمسمائة والله أعلم (301) وأما أبو المكارم هبة الله
بن وزير بن مقلد الشاعر المصري المذكور في هذه
الترجمة فإن عماد الدين الأصبهاني ذكره في كتاب
الخريدة وقال عدت إلى مصر في سنة ست وتسعين
وخمسمائة فسألت عنه فأخبرت بوفاته رحمه الله تعالى
67 778 هبة الله البوصيري أبو القاسم وأبو الكرم
هبة الله بن علي بن مسعود بن ثابت بن هاشم بن غالب بن
ثابت الأنصاري الخزرجي المنستيري الأصل المصري
المولد والدار المعروف بالبوصيري كان أديبا كاتبا له
سماعات عالية وروايات تفرد بها وألحق الأصاغر
بالأكابر في علو الإسناد ولم يكن في آخر عصره في
درجته مثله وسمع بقراءة الحافظ أبي الطاهر السلفي
وإبراهيم بن حاتم الأسدي على أبي صادق مرشد بن يحيى
بن القاسم المديني إمام الجامع العتيق بمصر رحمهم الله
تعالى أجمعين والبوصيري المذكور آخر من روى في
الدنيا كلها عن أبي صادق مرشد بن يحيى بن القاسم
المديني المذكور وأبي الحسين علي بن الحسين ابن عمر
الفراء الموصلي وأبي عبد الله محمد بن بركات هلال
السعيدي النحوي سماعا وروى أيضا عن أبي الفتح
سلطان بن إبراهيم بن المسلم المقدسي وهو آخر من روى

عنه سماعا في الأرض كلها وسمع عليه الناس وأكثروا ورحلوا إليه من البلاد وكان جده مسعود قدم من المنستير إلى بوصير فأقام بها إلى أن عرف فضله في دولة المصريين فطلب إلى مصر وكتب في ديوان الإنشاء وولد له علي والد أبي القاسم المذكور بمصر واستقروا بها وشهروا وكان أبو القاسم يسمى سيد الأهل أيضا لكن هبة الله أشهر وكانت ولادته سنة ست وخمسمائة بمصر وقيل بل ولد يوم الخميس خامس ذي القعدة سنة خمسمائة وتوفي في الليلة الثانية من صفر سنة ثمان وتسعين وخمسمائة

68 ودفن بسفح المقطم رحمه الله تعالى وقال ياقوت الحموي في كتاب البلدان المشتركة الأسماء إنه مات في شوال رحمه الله تعالى والخزرجي بفتح الخاء المعجمة وسكون الزاي وفتح الراء وبعدها جيم هذه النسبة إلى الخزرج وهو أخو الأوس بفتح الهمزة وسكون الواو وبعدها سين مهملة وهما ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء وتمام النسب معروف وهما ابنا قيلة بفتح القاف وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح اللام وبعدها هاء ساكنة ومن ذريتهما أنصار النبي بالمدينة والمنستير بضم الميم وفتح النون وسكون السين المهملة وكسر التاء المثناة من فوقها وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء وهي بليدة بإفريقية بناها هرثمة بن أعين الهاشمي في سنة ثمانين ومائة وكان هارون الرشيد قد

ولاه إفريقية وقدم إليها يوم الخميس لثلاث خلون من شهر ربيع الآخر سنة تسع وسبعين ومائة وقد تقدمت الحوالة على هذا الموضع في ترجمة الأمير تميم بن المعز بن باديس وبوصير بضم الباء الموحدة وسكون الواو وكسر الصاد المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء وتعرف ببوصير قوريدس ويقال كوريدس وهي بليدة بأعمال البهنسا من صعيد مصر وقد تقدم الكلام في ترجمة عبد الحميد الكاتب على بوصير الفيوم وبالجيزة أيضا بليدة يقال لها بوصير السدر وبكورة السمنودية أيضا بليدة يقال لها بوصير فهذا الاسم يشترك فيه أربعة بلاد والكل بالديار المصرية والمنستير معبد بين المهدية وسوسة يأوي إليه الصالحون المنقطعون للعبادة

69 وفيه قصور شبيهة بالخانقاهات وعلى تلك القصور سور واحد ذكره ياقوت في كتابه والله أعلم 779

أمين الدولة ابن التلميذ أبو الحسن هبة الله بن أبي الغنائم صاعد بن هبة الله بن إبراهيم بن علي المعروف بابن التلميذ النصراني الطبيب الملقب أمين الدولة البغدادي ذكره العماد الأصبهاني في كتاب الخريدة فقال سلطان الحكماء وبالغ في الثناء عليه وقال هو مقصد العالم في علم الطب بقراط عصره وجالينوس زمانه ختم به هذا العلم ولم يكن في الماضين من بلغ مداه في الطب عمر طويلا وعاش نبيلا جليلا ورأيته وهو شيخ بهي المنظر حسن الرواء عذب المجتلى والمجتنى لطيف الروح

ظريف الشخص بعيد الهم عالي الهمة ذكي الخاطر مصيب الفكر حازم الرأي شيخ النصارى وقسيسهم ورأسهم ورئيسهم وله في النظم كلمات رائقة وحلاوة جنية وغزارة بهية ومن شعره في الميزان لغزا (ما واحد مختلف الأسماء * يعدل في الأرض وفي السماء) (
يحكم بالقسط بلا رياء * أعمى يري الإرشاد كل راء) (
أخرس لا من علة وداء * يغنى عن التصريح بالإيماء) (
يجيب إن ناداه ذو امتراء * بالرفع والخفض عن النداء)
(يفصح إن علق في الهواء *)

70 فقوله مختلف الأسماء يعني ميزان الشمس وهو الاسطرلاب وسائر آلات الرصد وهو معنى قوله يحكم في الأرض وفي السماء وميزان الكلام النحو وميزان الشعر العروض وميزان المعاني المنطق وهذه الميزان والمكيال والذراع وغير ذلك ثم ذكربعد ذلك جملة من مقاطيع شعره نأتي بذكر بعضها إن شاء الله تعالى وذكر في ترجمة الحكيم معتمد الملك أبي الفرج يحيى بن التلميذ النصراني الطبيب ما مثاله وكان أبو الحسن ابن صاعد حين توفي معتمد الملك أبو الفرج قام مقامه وهو ابن بنته فنسب إليه وعرف به وذكر في كتاب أنموذج الأعيان من شعراء الزمان فيمن أدرك بالسماع أو بالعيان أن ابن التلميذ المذكور كان متفننا في العلوم ذا رأي رصين وعقل متين وطالت خدمته للخلفاء والملوك وكانت منادمته أحسن من التبر المسبوك والدر في السلوك اجتمعت به مرارا في

آخر عمره وكنت أعجب في أمره كيف حرم الإسلام مع كمال فهمه وغزارة عقله وعلمه والله يهدي من يشاء بفضله ويضل من يريد بحكمه وكان إذا ترسل استطال وسطا وإذا نظم وقع بين أرباب النظم وسطا وأورد شيئا من شعره أيضا وذكره أبو المعالي الحظيري المقدم ذكره في حرف السين في كتابه زينة الدهر وأورد له مقاطيع فمن ذلك قوله (يا من رماني عن قوس فرقته * بسهم هجر على تلافيه) (ارض لمن غاب عنك غيبته * فذاك ذنب عقابه فيه) وذكر العماد في الخريدة البيت الثاني منسوبا إلى أبي محمد ابن جكينا البغدادي وضم إليه بعده (لو لم ينله من العقاب سوى * بعدك عنه لكان يكفيه)

71 وذكر له الحظيري أيضا (عاتبت إذ لم يزر خيالك والنوم * بشوقي إليك مسلوب) (فزارني منعما وعاتبني * كما يقال المنام مقلوب) ومما ذكر له العماد في الخريدة قال وأنشدني أبو المعالي هبة الله بن الحسن بن محمد بن المطلب قال أنشدني أبو الحسن ابن التلميذ لنفسه (كانت بلهنية الشبيبة سكرة * فصحوت واستأنفت سيرة مجمل) (وقعدت أرتقب الفناء كراكب * عرف المحل فبات دون المنزل) والثاني منهما ذكره ابن المنجم في كتاب البارع لمسلم بن الوليد الأنصاري وذكر أن أبا محمد ابن جكينا المذكور مرض فقصده ليعالجه فعالجه فلما عوفي أعطاه دراهم فعمل فيه (لما تيممته وبي مرض * إلى التداوي والبرء محتاج) (آسى وواسى

فعدت أشكره * فعل امرئ للهموم فراج) فقلت إذ برني وأبرأني * هذا طبيب عليه زرباج) وعمل فيه أيضا في المعنى (جاد واستنقذ المريض وقد كاد * ضنى أن يلف ساقا بساق) (والذي يدفع المنون عن النفس * جدير بقسمة الأرزاق) وقصد مرة أن يعبر إليه دجلة ليداويه فكتب إليه

72 (إن امرأ القيس الذي * هام بذات المحمل) (كان شفاه عبرة * وعبرة تصلح لي) وكان ابن جكينا المذكور قد عمي في آخر عمره وجرت بينهما منافرة في أمر واشتهى مصالحته فكتب إليه (وإذا شئت أن تصالح بشار * بن برد فاطرح عليه أباه) فسير إليه ما طلب واسترضاه وكانت له معه وقائع كثيرة وإنما كتب إليه هذا البيت لأن بشار بن برد كان أعمى كما تقدم ذكره في ترجمته فلما عمي شبه نفسه به وكان مطلوبه بردا ومعنى قوله فاطرح عليه أباه لأن عادة أهل بغداد إذا أراد الإنسان أن يصالح من خاصمه والخصم ممتنع يقال له اطرح عليه فلانا بمعنى ادخل عليه به ليشفع له وقد حصلت له التورية في هذا البيت ومن الشعر المنسوب إليه وهو مشهور قوله ثم وجدتهما للناصح ابن الدهان النحوي الموصلي (تعس القياس فللغرام قضية * ليست على نهج الحجى تنقاد) (منها بقاء الشوق وهو بزعمهم * عرض وتفنى دونه الأجساد) وقوله أيضا وذكر العماد في الخريدة أن هذين البيتين لأبي علي المهندس المصري وهما (تقسم قلبي

في محبة معشر * بكل فتى منهم هواي منوط) (كأن فؤادي مركز وهم له * محيط وأهوائي إليه خطوط) وقوله أيضا (جوده كالطبيب فينا يداوي * سوء أحوالنا بحسن الصنيع)
73 (فهو كالموميا إذا انكسر العظم * ومثل الترياق للملسوع) ثم وجدت هذين البيتين في ديوان ابن حجاج الشاعر وقوله في ولده سعيد (حبي سعيدا جوهر ثابت * وحبه لي عرض زائل) (به جهاتي الست مشغولة * وهو إلى غيري بها مائل) وكان أبو القاسم علي بن أفلح الشاعر المقدم ذكره قد نقه من المرض وهو يعالجه فكتب إليه يشكو جوعه وقد نهاه عن استعمال الغذاء إلا بأمره والذي كتبه (أنا جوعان فأنقذني * من هذي المجاعه) (فرجي في الكسرة الخبز * ولو كانت قطاعه) (لا تقل لي ساعة تصبر * مالي صبر ساعه) (فخواي اليوم لا يقبل * في الخبز شفاعه) فوقف ابن التلميذ على هذه الأبيات وكتب إليه جوابها (هكذا أضياف مثلي * يتشاكون المجاعه) (غير أني لست أعطيك * مضرا بشفاعه) (فتعلل بسويق * فهو خير من قطاعه) (بحياتي قل كما نرسمه * سمعا وطاعه) فلما وصلت الأبيات إلى ابن أفلح كتب (إن مرسومك عندي * قد توخيت استماعه)
74 (غير أني لم أقل من * نيتي سمعا وطاعه) (ودفعت الجوع والله * فلم أسطع دفاعه) (فاكفني كلفته

الآن * وأربحني صداعه) فكتب إليه ابن التلميذ (أنا في الشعر ضعيف الطبع * منزور البضاعه) (ولك الخاطر قد أوتي * طبعا وصناعه) (ومتى لم تكف شر الجوع * لم أكف صداعه) (فعلى اسم الله قدم * أخذه من بعد ساعه) (302) وكان بين ابن التلميذ المذكور وبين أوحد الزمان أبي البركات هبة الله ابن علي بن ملكان الحكيم المشهور صاحب كتاب المعتبر في الحكمة تنافر وتنافس كما جرت العادة بمثله بين أهل كل فضيلة وصنعة ولهما في ذلك أمور ومجالس مشهورة وكان يهوديا ثم أسلم في آخر عمره وأصابه الجذام فعالج نفسه بتسليط الأفاعي على جسده بعد أن جوعها فبالغت في نهشه فبرئ من الجذام وعمي وقصته في ذلك مشهورة فعمل فيه ابن التلميذ المذكور (لنا صديق يهودي حماقته * إذا تكلم تبدو فيه من فيه) (يتيه والكلب أعلى منه منزلة * كأنه بعد لم يخرج من التيه)

75 وكان ابن التلميذ كثير التواضع وأوحد الزمان متكبرا فعمل فيهما البديع الأسطرلابي المقدم ذكره (أبو الحسن الطبيب ومقتفيه * أبو البركات في طرفي نقيض) (فهذا بالتواضع في الثريا * وهذا بالتكبر في الحضيض) ولابن التلميذ في الطب تصانيف مليحة فمن ذلك كتاب أقراباذين وهو نافع في بابه وبه عمل أطباء هذا الزمان وله كناش وحواش على كليات ابن سينا وغير ذلك (303) وكان شيخه في الطب أبا الحسن هبة الله بن سعيد

صاحب التصانيف المشهورة منها كتاب التلخيص
والمغني في الطب وهو جزء واحد وكتاب الإقناع وهو
أربعة أجزاء وقد انتقدوا عليه هذه التسمية وقالوا كان
ينبغي أن يكون الأمر بالعكس لأن المغني هو الذي يغني
عن غيره فكان الكتاب الأكبر أولى بهذا الاسم والإقناع هو
الذي تقع القناعة به فالمختصر أولى بهذا الاسم وله كل
شيء مليح من تصنيف في طب أو أدب وكان حسن
السمت كثير الوقار حتى قيل إنه لم يسمع منه بدار الخلافة
مدة تردداه إليها شيء من المجون سوى مرة واحدة
بحضرة المقتفي الخليفة وذلك أنه كان له راتب بدار
القوارير ببغداد فقطع ولم يعلم به الخليفة فاتفق أنه كان
عنده يوما فلما عزم على القيام لم يقدر عليه إلا بكلفة
ومشقة من الكبر فقال له المقتفي كبرت يا حكيم فقال نعم يا
مولانا وتكسرت قواريري وهذا في اصطلاح أهل بغداد
أن الإنسان إذا كبر يقال تكسرت قواريره فلما قال الحكيم
هذه اللفظة قال الخليفة هذا الحكيم لم أسمع منه
76 هزلا منذ خدمنا فاكشفوا قضيته فكشفوها فوجدوا
راتبه بدار القوارير قد انقطع فطالعوا الخليفة بذلك فتقدم
بردها عليه وكان الذي قد قطعه الوزير عون الدين بن
هبيرة وزاده إقطاعا آخر وأخباره كثيرة وتوفي في صفر
سنة ستين وخمسمائة ببغداد وقد ناهز المائة من عمره
وقال ابن الأزرق الفارقي في تاريخه مات ابن التلميذ في
عيد النصارى وكان قد جمع من سائر العلوم ما لم يجتمع

في غيره ولم يبق ببغداد من الجانبين من لم يحضر البيعة وشهد جنازته وليس في هذه الترجمة ما يحتاج إلى التقييد سوى ملكان جد أوحد الزمان وهو بفتح الميم والكاف وبينهما لام ساكنة وبعد الألف نون وقد تقدم في ترجمة ابن الجواليقي ما دار بينهما بحضرة الإمام المقتفي قلت وبعد فراغي من ترجمة أمين الدولة ابن التلميذ المذكور وقفت على كتاب جمعه شيخنا موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف البغدادي وجعله سيرة لنفسه وجميعه بخطه وذكر في أوائله ابن التلميذ ووصفه بالعلم في صناعة الطب وإصابته ثم قال ومنها أنه أحضرت إليه امرأة محمولة لا يعرف أهلها في الحياة هي أم في الممات وكان الزمان شتاء فأمر بتجريدها وصب عليها الماء المبرد صبا متتابعا كثيرا ثم أمر بنقلها إلى مجلس دفيء قد
77 بخر بالعود والند ودفئت بأصناف الفراء ساعة
فعطست وتحركت وقعدت وخرجت ماشية مع أهلها إلى منزلها ومنها أنه أتي مرة بمريض يعرق دما في زمن الصيف فسأل تلاميذه قدر خمسين نفسا فلم يعرفوا المرض فأمره بأكل خبز شعير مع باذنجان مشوي ففعل ذلك ثلاثة أيام فبرئ وسأله أصحابه عن العلة فقال إن دمه قد رق ومسامه قد انفتحت وهذا الغذاء من شأنه تغليظ الدم وتكثيف المسام ومن مروءته أن ظهر داره كان يلي المدرسة النظامية فإذا مرض فقيه نقله إليه وقام في مرضه عليه فإذا أبل وهب له دينارين وصرفه (304)

وذكر شيخنا موفق الدين قبل هذا أن ولد أمين الدولة المذكور كان شيخه وانتفع به وكان شيخا قد ناهز ثمانين سنة ولديه تجربة فاضلة وغوص على أسرار الطبيعة يرى الأمراض كأنها من وراء زجاج لا يعتريه فيها ولا في مداواتها شك وكان أكثر ما يصف المفردات أو ما يقل تركيبه ولم أر من يستحق اسم الطب غيره وكان يقول ينبغي للعاقل أن يختار من اللباس مالا تحسده عليه العامة ولا تحتقره فيه الخاصة وكذا كان لباسه الأبيض الرفيع ثم قال وخنق في دهليز داره الثلث الأول من الليل وكان قد أسلم قبل موته وفي نفسي عليه حسرات رحمه الله تعالى نقلته ملخصا

78 780 هارون ابن المنجم أبو عبد الله هارون بن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم البغدادي الأديب الفاضل وقد تقدم ذكر ولده علي في حرف العين وكان هارون المذكور حافظا راوية للأشعار حسن المنادمة لطيف المجالسة صنف كتاب البارع في أخبار الشعراء المولدين وجمع فيه مائة وواحدا وستين شاعرا وافتتحه بذكر بشار بن برد العقيلي وختمه بمحمد بن عبد الملك ابن صالح واختار فيه من شعر كل واحد عيونه وقال في أوله إني لما عملت كتابي في أخبار الشعراء المولدين ذكرت ما اخترته من أشعارهم وتحريت في ذلك الاختيار أقصى ما بلغته معرفتي وانتهى إليه علمي والعلماء تقول دل على عاقل اختياره وقالوا اختيار الرجل من وفور عقله وقال

بعضهم شعر الرجل قطعة من كلامه وظنه قطعة من عقله واختياره قطعة من علمه وطول الكلام في هذا وذكر أن هذا الكتاب مختصر من كتاب ألفه قبل هذا في هذا الفن وأنه كان طويلا فحذف منه أشياء واقتصر على هذا القدر وبالجملة فإنه من الكتب النفيسة فإنه يغني عن دواوين الجماعة الذين ذكرهم فإنه مخض أشعارهم وأثبت منها زبدتها وترك زبدها وهذا الكتاب هو الذي ذكرته في ترجمة العماد الكاتب الأصبهاني وقلت إن كتاب الخريدة وكتاب الحظيري والباخرزي والثعالبي فروع عليه وهو الأصل الذي نسجوا على منواله وله كتاب النساء وما جاء فيهن من الخبر ومحاسن ما قيل فيهن من الشعر
79 والكلام الحسن ولم أظفر له بشيء من الشعر حتى أورده وذكر هو في كتابه البارع المذكور أباه أبا الحسن علي بن يحيى بن أبي منصور وسرد له مقاطيع وقد ذكرته في ترجمة مفردة في حرف العين فلينظر هناك ثم أردفه بذكر أخيه يحيى بن علي بن يحيى وعد له جملة مقاطيع أوردها ولا حاجة بنا إلى ذكرها في هذا الموضع بل نذكرها في ترجمته إن شاء الله تعالى وتوفي أبو عبد الله المذكور سنة ثمان وثمانين ومائتين وهو حدث السن رحمه الله تعالى وسيأتي ذكر أخيه يحيى بن علي في حرف الياء إن شاء الله تعالى وكان أبو منصور جد أبيه منجم أبي جعفر المنصور أمير المؤمنين وكان مجوسيا (
305) وكان ابنه يحيى متصلا بذي الرياستين الفضل بن

سهل المقدم ذكره وكان الفضل يعمل برأيه في أحكام
النجوم فلما حدثت الكائنة على الفضل حسبما ذكرناها في
ترجمته صار يحيى المذكور منجم المأمون ونديمه فاجتباه
واختص به ورغبه في الإسلام فأسلم على يده فصار بذلك
مولاه وهم أهل بيت منهم جماعة من الفضلاء والأدباء
والشعراء وجالسوا الخلفاء ونادموهم وقد عقد لهم الثعالبي
في كتاب اليتيمة بابا مستقلا وذكر فيه جماعة منهم رحمهم
الله تعالى وتوفي يحيى المذكور بحلب عند خروج
المأمون إلى طرسوس ودفن بها في مقابر قريش فقبره
هناك مكتوب عليه اسمه

80 781 هشام بن عروة أبو المنذر هشام بن عروة
بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي قد تقدم ذكر أبيه في
حرف العين وكان هشام أحد تابعي المدينة المشهورين
المكثرين في الحديث المعدودين من أكابر العلماء وجلة
التابعين وهو معدود في الطبقة الرابعة من أهل المدينة
رضي الله عنهم وسمع عمه عبد الله بن الزبير وابن عمر
رضي الله عنهما ورأى جابر ابن عبد الله الأنصاري
وأنس بن مالك وسهل بن سعد وقيل إنه رأى ابن عمر ولم
يسمع منه وروى عنه يحيى بن سعيد الأنصاري وسفيان
الثوري ومالك ابن أنس وأيوب السختياني وابن جريج
وعبيد الله بن عبد الله بن عمر والليث ابن سعد وسفيان بن
عيينة ويحيى بن سعيد القطان ووكيع وغيرهم وقدم
الكوفة أيام أبي جعفر المنصور فسمع منه الكوفيون

وكانت ولادته سنة إحدى وستين للهجرة وقال أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن محمد الذهلي ولد عمر بن عبد العزيز وهشام بن عروة والزهري وقتادة والأعمش ليالي قتل الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وكان قتله يوم عاشوراء سنة إحدى وستين للهجرة وقدم بغداد على المنصور وتوفي بها سنة ست وأربعين ومائة وقيل سنة خمس وأربعين وقيل سنة سبع رضي الله عنه وصلى عليه المنصور ودفن بمقبرة الخيزران بالجانب الشرقي وقيل
81 بل قبره بالجانب الغربي خارج السوق نحو باب قطربل وراء الخندق على مقابر باب حرب وهو ظاهر هناك معروف وعليه لوح منقوش أنه قبر هشام بن عروة ومن قال إنه بالجانب الشرقي قال إن القبر الذي بالجانب الغربي هو قبر هشام بن عروة المروزي صاحب عبد الله بن المبارك والله أعلم وله عقب بالمدينة وبالبصرة
وذكر الخطيب في تاريخ بغداد أن المنصور قال له يوما يا أبا المنذر تذكر يوم دخلت عليك أنا وإخوتي الخلائف وأنت تشرب سويقا بقصبة يراع فلما خرجنا من عندك قال لنا أبونا اعرفوا لهذا الشيخ حقه فإنه لا يزال في قومكم بقية ما بقي فقال لا أذكر ذلك يا أمير المؤمنين فلما خرج هشام قيل له يذكرك أمير المؤمنين ما تمت به إليه فتقول لا أذكره فقال لم أكن أذكر ذلك ولم يعودني الله في الصدق إلا خيرا وروي عنه أنه دخل على المنصور فقال يا أمير المؤمنين اقض عني ديني قال وكم دينك قال مائة ألف قال

وأنت في فقهك وفضلك تأخذ دينا مائة ألف ليس عندك
قضاؤها فقال يا أمير المؤمنين شب فتيان من فتياننا
فأحببت أن أبوئهم وخشيت أن ينتشر علي من أمرهم ما
أكره فبوأتهم واتخذت لهم منازل وأولمت عنهم ثقة بالله
وبأمير المؤمنين قال فردد عليه مائة ألف استعظاما لها ثم
قال قد أمرنا لك بعشرة آلاف فقال يا أمير المؤمنين
أعطني ما أعطيت وأنت طيب النفس فإني سمعت أبي
يحدث عن رسول الله أنه قال من أعطى عطية وهو بها
طيب النفس بورك للمعطي وللمعطى قال فإني طيب
النفس بها وأهوى إلى يد المنصور
82 يريد أن يقبلها فمنعه وقال يا ابن عروة إنا
نكرمك عنها ونكرمها عن غيرك وأخباره كثيرة رضي
الله عنه 782 هشام ابن الكلبي أبو المنذر هشام بن أبي
النضر محمد بن السائب بن بشر بن عمرو الكلبي النسابة
الكوفي قد تقدم ذكر أبيه في المحمدين وما جرى له مع
الفرزدق الشاعر وحدث هشام عن أبيه وروى عنه ابنه
العباس وخليفة بن خياط ومحمد بن سعد كاتب الواقدي
ومحمد بن أبي السري البغدادي وأبو الأشعث أحمد بن
المقدام وغيرهم وكان من أعلم الناس بعلم الأنساب وله
كتاب الجمهرة في النسب وهو من محاسن الكتب في هذا
الفن وكان من الحفاظ المشاهير ذكر الخطيب في تاريخ
بغداد عنه أنه دخل بغداد وحدث بها وأنه قال حفظت ما لم
يحفظه أحد ونسيت ما لم ينسه أحد كان لي عم يعاتبني

على حفظ القرآن فدخلت بيتا وحلفت أن لا أخرج منه حتى أحفظ القرآن فحفظته في ثلاثة أيام ونظرت يوما في المرآة فقبضت على لحيتي لآخذ ما دون القبضة فأخذت ما فوق القبضة وله من التصانيف شيء كثير فمن ذلك كتاب حلف عبد المطلب وخزاعة وكتاب حلف الفضول وكتاب حلف تميم وكلب وكتاب

83 المنافرات وكتاب بيوتات قريش وكتاب فضائل قيس عيلان وكتاب الموءودات وكتاب بيوتات ربيعة وكتاب الكنى وكتاب شرف قصي وولده في الجاهلية والإسلام وكتاب ألقاب قريش وكتاب ألقاب اليمن وكتاب المثالب وكتاب النوافل وكتاب ادعاء زياد معاوية وكتاب أخبار زياد بن أبيه وكتاب صنائع قريش وكتاب المشاجرات وكتاب المعاتبات وكتاب ملوك الطوائف وكتاب ملوك كندة وكتاب افتراق ولد نزار وكتاب تفريق الأزد وكتاب طسم وجديس وتصانيفه تزيد على مائة وخمسين تصنيفا وأحسنها وأنفعها كتابه المعروف بالجمهرة في معرفة الأنساب ولم يصنف في بابه مثله وكتابه الذي سماه المنزل في النسب أيضا وهو أكبر من الجمهرة وكتاب الموجز في النسب وكتاب الفريد صنفه للمأمون في الأنساب وكتابه الملوكي صنفه لجعفر بن يحيى البرمكي في النسب أيضا وكان واسع الرواية لأيام الناس وأخبارهم فمن روايته أنه قال اجتمعت بنو أمية عند معاوية بن أبي سفيان فعاتبوه في تفضيل عمرو بن العاص

وادعاء زياد بن أبيه فتكلم معاوية ثم حرك عمرا على الكلام فقال في بعض كلامه أنا الذي أقول في يوم صفين (إذا تخازرت وما بي من خزر * ثم كسرت العين من غير عور) (ألفيتني ألوى بعيد المستمر * أحمل ما حملت من خير وشر) (كالحية الصماء في أصل الشجر *)

84 أما والله ما أنا بالواني ولا الفاني وإني أنا الحية الصماء التي لا يسلم سليمها ولا ينام كليمها وإني أنا المرء إن همزت كسرت وإن كويت أنضجت فمن شاء فليشاور ومن شاء فليؤامر مع أنهم والله لو عاينوا من يوم الهرير ما عاينت أو لو ولولا ما وليت لضاق عليهم المخرج ولتفاقم بهم المنهج إذ شد علينا أبو الحسن وعن يمينه وشماله المباشرون من أهل البصائر وكرام العشائر فهناك والله شخصت الأبصار وارتفع الشرار وتقلصت الخصى إلى مواضع الكلى وقارعت الأمهات عن ثكلها وذهلت عن حملها واحمرت الحدق واغبر الأفق وألجم العرق وسال العلق وثار القتام وصبر الكرام وخام اللئام وذهب الكلام وأزبدت الأشداق وكثر العناق وقامت الحرب على ساق وحضر الفراق وتضاربت الرجال بأغماد سيوفها بعد فناء من نبلها وتقصف من رماحها فلا يسمع يومئذ إلا التغمغم من الرجال والتحمحم من الخيل ووقع السيوف على الهام كأنه دق غاسل بخشبته على منصبه ندأب ذلك يوما حتى طعن الليل بغسقه وأقبل الصبح بفلقه ثم لم يبق

من القتال إلا الهرير والزئير لعلمتم أني أحسن بلاء وأعظم غناء وأصبر على اللأواء منكم وإني وإياكم كما قال الشاعر (وأغضي على أشياء لو شئت قلتها * ولو قلتها لم أبق للصلح موضعا) (وإن كان عودي من نضار فإنني * لأكرمه من أن أخاطر خروعا) والمأثور عنه كثير وتوفي سنة أربع ومائتين وقيل سنة ست والأول أصح والله أعلم بالصواب رحمه الله تعالى

85 783 هشام صاحب الكسائي أبو عبد الله هشام بن معاوية الضرير النحوي الكوفي صاحب أبي الحسن علي بن حمزة الكسائي أخذ عنه كثيرا من النحو وله فيه مقالة تعزى إليه وله فيه تصانيف عديدة فمن ذلك كتاب الحدود وهو صغير وكتاب المختصر وكتاب القياس وغير ذلك وكان إسحاق بن إبراهيم بن مصعب قد كلم المأمون يوما فلحن في بعض كلامه فنظر إليه المأمون ففطن لما أراد فخرج من عنده وجاء إلى هشام المذكور فتعلم عليه النحو قال أبو مالك الكندي توفي هشام بن معاوية الضرير النحوي سنة تسع ومائتين رحمه الله تعالى

86 784 الفرزدق أبو فراس همام وقال ابن قتيبة في طبقات الشعراء هميم بالتصغير ابن غالب وكنيته أبو الأخطل ابن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم واسمه بحر بن مالك واسمه عوف سمي بذلك لجوده ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر التميمي المعروف بالفرزدق الشاعر

المشهور صاحب جرير (306) كان أبوه غالب من جلة
قومه وسرواتهم وأمه ليلى بنت حابس أخت الأقرع بن
حابس ولأبيه مناقب مشهورة ومحامد مأثورة فمن ذلك
أنه أصاب أهل الكوفة مجاعة وهو بها فخرج أكثر الناس
إلى البوادي فكان هو رئيس قومه وكان سحيم بن وثيل
الرياحي رئيس قومه واجتمعوا بمكان يقال له صوأر في
أطراف السماوة من بلاد كلب على مسيرة يوم من الكوفة
وهو بفتح الصاد المهملة وسكون الواو وفتح الهمزة
وبعدها راء فعقر غالب لأهله ناقة وصنع منها طعاما
وأهدى إلى قوم من بني تميم لهم جلالة جفانا من ثريد
ووجه إلى سحيم جفنة فكفأها وضرب الذي أتاه بها وقال
أنا مفتقر إلى طعام غالب إذا نحر هو ناقة نحرت أنا
أخرى فوقعت المنافرة بينهما وعقر سحيم لأهله ناقة فلما
كان من الغد عقر لهم غالب ناقتين فعقر سحيم لأهله ناقتين
87 فلما كان اليوم الثالث عقر غالب ثلاثا فعقر
سحيم ثلاثا فلما كان اليوم الرابع عقر غالب مائة ناقة فلم
يكن عند سحيم هذا القدر فلم يعقر شيئا وأسرها في نفسه
فلما انقضت المجاعة ودخل الناس الكوفة قال بنو رياح
لسحيم جررت علينا عار الدهر هلا نحرت مثل ما نحر
وكنا نعطيك مكان كل ناقة ناقتين فاعتذر بأن إبله كانت
غائبة وعقر ثلثمائة ناقة وقال للناس شأنكم والأكل وكان
ذلك في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه فاستفتي
في حل الأكل منها فقضى بحرمتها وقال هذه ذبحت لغير

مأكلة ولم يكن المقصود منها إلا المفاخرة والمباهاة فألقيت لحومها على كناسة الكوفة فأكلتها الكلاب والعقبان والرخم وهي قصة مشهورة وعمل فيها الشعراء أشعارا كثيرة فمن ذلك قول جرير يهجو الفرزدق وهو بيت تستشهد به النحاة في كتبهم وهو من جملة قصيدة (تعدون عقر النيب أفضل مجدكم * بني ضوطرى لولا الكمي المقنعا) ومن ذلك قول المحل أخي بني قطن بن نهشل (وقد سرني أن لا تعد مجاشع * من المجد إلا عقر ناب بصوأر) وكان غالب المذكور أعور (307) وسحيم المذكور هو ابن وثيل بن عمرو بن جوين بن وهيب بن حميري الشاعر الذي يقول (أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفوني)
88 وهذا البيت من جملة أبيات وله ديوان شعر صغير والوثيل الرشاء الضعيف وقيل الليف وكان الفرزدق كثير التعظيم لقبر أبيه فما جاءه أحد واستجار به إلا نهض معه وساعده على بلوغ غرضه فمن ذلك ما حكاه المبرد في كتاب الكامل أن الحجاج بن يوسف الثقفي لما ولى تميم بن زيد القيني بلاد السند دخل البصرة فجعل يخرج من أهلها من شاء فجاءت عجوز إلى الفرزدق فقالت إني استجرت بقبر أبيك وأتت منه بحصيات فقال ما شأنك قالت إن تميم ابن زيد خرج بابن لي معه ولا قرة لعيني ولا كاسب علي غيره فقال لها وما اسم ابنك فقالت خنيس فكتب إلى تميم مع بعض من شخص (تميم بن زيد

لا تكونن حاجتي * بظهر فلا يعيا علي جوابها) (وهب لي خنيسا واحتسب فيه منة * لعبرة أم ما يسوغ شرابها) (أتتني فعاذت يا تميم بغالب * وبالحفرة السافي عليها ترابها) (وقد علم الأقوام أنك ماجد * وليث إذا ما الحرب شب شهابها) فلما ورد الكتاب على تميم تشكك في الاسم فلم يعرف أخنيس أم حبيش ثم قال انظروا من له مثل هذا الاسم في عسكرنا فأصيب ستة ما بين خنيس وحبيش فوجه بهم إليه وحضر يوما الفرزدق ونصيب الشاعر المشهور عند سليمان بن عبد الملك الأموي وهو يومئذ خليفة فقال سليمان للفرزدق أنشدني شيئا وإنما أراد سليمان أن ينشده مدحا له فأنشده في مدح أبيه (وركب كأن الريح تطلب عندهم * لها ترة من جذبها بالعصائب) (سروا يخبطون الريح وهي تلفهم * إلى شعب الأكوار ذات الحقائب) (إذا آنسوا نارا يقولون إنها * وقد خصرت أيديهم نار غالب)

89 فأعرض سليمان عنه كالمغضب فقال نصيب يا أمير المؤمنين ألا أنشدك في رويها ما لعله لا يتضع عنها قال هات فأنشده (أقول لركب صادرين لقيتهم * قفا ذات أوشال ومولاك قارب) (قفوا خبروني عن سليمان إنني * لمعروفه من أهل ودان طالب) (فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب) فقال سليمان للفرزدق كيف تراه فقال هو أشعر أهل جلدته ثم قام وهو يقول (وخير الشعر أشرفه رجالا * وشر الشعر ما قال

العبيد) (308) وكان نصيب عبدا أسود لرجل من أهل
وادي القرى فكاتب على نفسه ومدح عبد العزيز بن
مروان فاشترى ولاءه وكنيته أبو الحجناء وقيل أبو محجن
وللفرزدق في مفاخر أبيه أشياء كثيرة (309) وأما جده
صعصعة بن ناجية فإنه كان عظيم القدر في الجاهلية
واشترى ثلاثين موءودة منهن بنت لقيس بن عاصم
المنقري وفي ذلك يقول الفرزدق يفتخر به (وجدي الذي
منع الوائدات * وأحيا الوئيد فلم يوأد) وهو أول من أسلم
من أجداد الفرزدق وقد ذكره في كتاب الاستيعاب في
جملة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وقد اختلف
العلماء أهل المعرفة بالشعر في الفرزدق وجرير
والمفاضلة بينهما والأكثرون على أن جريرا أشعر منه
وكان بينهما من المهاجاة والمعاداة ما هو
90 مشهور وقد جمع لهما كتاب يسمى النقائض وهو
من الكتب المشهورة وكان جرير قد هجاه بقصيدته
الرائية التي من جملتها (وكنت إذا حللت بدار قوم *
ظعنت بخزية وتركت عارا) فاتفق بعد ذلك أن الفرزدق
نزل بامرأة من أهل المدينة وجرى له معها قضية يطول
شرحها وخلاصة الأمر أنه راودها عن نفسها بعد أن
كانت قد أضافته وأحسنت إليه فامتنعت عليه فبلغ
الخبر عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وهو يومئذ والي
المدينة فأمر بإخراجه من المدينة فلما أخرج وأركبوه ناقته
ليسفروه قال قاتل الله ابن المراغة يعني جريرا كأنه شاهد

هذا الحال حيث قال وكنت إذا حللت بدار قوم . . . وأنشد البيت المذكور وشهد الفرزدق عند بعض القضاة شهادة فقال له قد أجزنا شهادتك ثم قال لأصحاب القضية زيدونا في الشهود فقيل للفرزدق حين انفصل عن مجلس القاضي إنه لم يجز شهادتك فقال وما يمنعه من ذلك وقد قذفت ألف محصنة ومن شعره المشهور قوله وهو مقيم بالمدينة (هما دلتاني من ثمانين قامة * كما انقض باز أقتم الريش كاسره) (فلما استوت رجلاي في الأرض قالتا * أحي فيرجى أم قتيل نحاذره) (فقلت ارفعا الأسباب لا يشعروا بنا * وأقبلت في أعجاز ليل أبادره) (أحاذر بوابين قد وكلا بنا * وأسود من ساج تصر مسامره) فلما بلغت جريرا الأبيات عمل من جملة قصيدة طويلة (لقد ولدت أم الفرزدق فاجرا * فجاءت بوزواز قصير القوادم (

91 (يوصل حبليه إذا جن ليله * ليرقى إلى جاراته بالسلالم) (تدليت تزني من ثمانين قامة * وقصرت عن باع العلا والمكارم) (هو الرجس يا أهل المدينة فاحذروا * مداخل رجس بالخبيثات عالم) (لقد كان إخراج الفرزدق عنكم * طهورا لما بين المصلى وواقم) فلما وقف الفرزدق على هذه القصيدة جاوبه بقصيدة طويلة يقول في جملتها (وإن حراما أن أسب مقاعسا * بآبائي الشم الكرام الخضارم) (ولكن نصفا لو سببت وسبني * بنو عبد شمس من مناف وهاشم) (أولئك

أمثالي فجئني بمثلهم * وأعبد أن أهجو كليبا بدارم) ولما
سمع أهل المدينة أبيات الفرزدق المذكورة أولا اجتمعوا
وجاءوا إلى مروان بن الحكم الأموي وكان يومئذ والي
المدينة من قبل معاوية بن أبي سفيان الأموي فقالوا له ما
يصلح أن يقال مثل هذا الشعر بين أزواج رسول الله وقد
أوجب على نفسه الحد فقال مروان لست أحده أنا ولكن
أكتب إلى من يحده ثم أمره بالخروج من المدينة وأجله
ثلاثة أيام وفي ذلك يقول الفرزدق (توعدني وأجلني ثلاثا
* كما وعدت لمهلكها ثمود) ثم كتب مروان إلى عامله
يأمره فيه أن يحده ويسجنه وأوهمه أنه قد كتب له بجائزة
ثم ندم مروان على ما فعل فوجه عنه سفيرا وقال إني قلت
شعرا فاسمعه ثم أنشده (قل للفرزدق والسفاهة كاسمها *
إن كنت تارك ما أمرتك فاجلس)
92 (ودع المدينة إنها مرهوبة * واقصد لمكة أو
لبيت المقدس) (وإذا اجتنيت من الأمور عظيمة * فخذن
لنفسك بالزماع الأكيس) قوله فاجلس أي اقصد الجلساء
وهي نجد وسميت بذلك لارتفاعها لأن الجلوس في اللغة
هو الارتفاع ولما وقف الفرزدق على الأبيات فطن لما
أراد مروان فرمى الصحيفة وقال (يا مرو إن مطيي
محبوسة * ترجو الحباء وربها لم ييأس) (وحبوتني
بصحيفة مختومة * يخشى على بها حباء النقرس) (ألق
الصحيفة يا فرزدق لا تكن * نكدا كمثل صحيفة المتلمس
) وإذ ذكرنا صحيفة المتلمس فقد يتشوف الواقف على هذا

الكتاب أن يعلم قصتها (310) ومن خبرها أن المتلمس واسمه جرير بن عبد المسيح بن عبد الله ابن زيد بن دوفن بن حرب بن وهب بن جلى بن أحمس بن ضبيعة الأضجم ابن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان وإنما لقب بالمتلمس لقوله من جملة قصيدة (فهذا أوان العرض حي ذبابه * زنابيره والأزرق المتلمس) وهو بضم الميم وفتح التاء المثناة من فوقها واللام وكسر الميم الثانية وتشديدها وبعدها سين مهملة كان قد هجا عمرو بن هند اللخمي ملك الحيرة وهجاه أيضا طرفة بن العبد البكري الشاعر المشهور وهو ابن أخت المتلمس المذكور فاتصل
93 هجوهما بعمرو بن هند المذكور فلم يظهر لهما شيئا من التغير ثم مدحاه بعد ذلك فكتب لكل واحد منهما كتابا إلى عامله بالحيرة وأمره بقتلهما إذا وصلا إليه وأوهمهما أنه قد كتب لهما بصلة فلما وصلا إلى الحيرة قال المتلمس لطرفة كل واحد منا قد هجا الملك ولو أراد أن يعطينا لأعطانا ولم يكتب لنا إلى الحيرة فهلم ندفع كتبنا إلى من يقرؤها فإن كان فيها خير دخلنا الحيرة وإن كان فيها شر فررنا قبل أن يعلم بمكاننا فقال طرفة بن العبد ما كنت لأفتح كتاب الملك فقال المتلمس والله لأفتحن كتابي ولأعلمن ما فيه ولا أكون كمن يحمل حتفه بيده فنظر المتلمس فإذا غلام قد خرج من الحيرة فقال له أتقرأ يا غلام فقال نعم فقال هلم فاقرأ هذا الكتاب فلما نظر إليه الغلام قال ثكلت المتلمس أمه فقال لطرفة افتح كتابك فما

فيه إلا مثل ما في كتابي فقال إن كان اجترأ عليك فلم يكن ليجترئ علي ويوغر صدور قومي بقتلي فألقى المتلمس صحيفته في نهر الحيرة وفر إلى الشام ودخل طرفة الحيرة فقتل وقصته في ذلك مشهورة فصار يضرب المثل بصحيفة المتلمس لكل من قرأ صحيفة فيها قتله وإلى هذا أشار الحريري في المقامة العاشرة بقوله ففضضتها فعل المتلمس من مثل صحيفة المتلمس وللأبله الشاعر المقدم ذكره في المحمدين قصيدة يقول فيها (يقرا المتيم من صحيفة خده * في الهجر مثل صحيفة المتلمس) رجعنا إلى تتمة خبر الفرزدق ثم خرج هاربا حتى أتى سعيد بن العاص الأموي وعنده الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم فأخبرهم الخبر فأمر له كل واحد منهم
94 بمائة دينار وراحلة وتوجه إلى البصرة وقيل لمروان أخطأت فيما فعلت فإنك عرضت عرضك لشاعر مضر فوجه وراءه رسولا ومعه مائة دينار وراحلة خوفا من هجائه ومن أخبار الفرزدق أنه حكى أنه نزل في بعض أسفاره في بادية وأوقد نارا فرآها ذئب فأتاه فأطعمه من زاده وأنشد (وأطلس عسال وما كان صاحبا * دعوت بناري موهنا فأتاني) (فلما أتى قلت ادن دونك إنني * وإياك في زادي لمشتركان) (فبت أقد الزاد بيني وبينه * على ضوء نار مرة ودخان) (وقلت له لما تكشر ضاحكا * وقائم سيفي في يدي بمكان) (تعش فإن عاهدتني لا تخونني * نكن مثل من يا ذئب يصطحبان)

(وأنت امرؤ يا ذئب والغدر كنتما * أخيين كانا أرضعا بلبان) (ولو غيرنا نبهت تلتمس القرى * رماك بسهم أو شباة سنان) وكان قد أنشد سليمان بن عبد الملك الأموي قصيدة ميمية فلما انتهى منها إلى قوله (ثلاث واثنتان فهن خمس * وسادسة تميل إلى شمام) (فبتن بجانبي مصرعات * وبت أفض أغلاق الختام) (كأن مفالق الرمان فيه * وجمر غضا قعدن عليه حام) فقال له سليمان قد أقررت عندي بالزنا وأنا إمام ولا بد من إقامة الحد عليك فقال الفرزدق ومن أين أوجبت علي يا أمير المؤمنين فقال بقول الله تعالى (^ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) النور&&2
95 فقال الفرزدق إن كتاب الله يدرؤه عني بقوله تعالى (^ والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون) الشعراء 224 فأنا قلت ما لم أفعل فتبسم سليمان وقال أولى لك وتنسب إليه مكرمة يرجى له بها الجنة وهي أنه لما حج هشام بن عبد الملك في أيام أبيه فطاف وجهد أن يصل إلى الحجر ليستلمه فلم يقدر عليه لكثرة الزحام فنصب له منبر وجلس عليه ينظر إلى الناس ومعه جماعة من أعيان أهل الشام فبينما هو كذلك إذ أقبل زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وقد تقدم ذكره وكان من أحسن الناس وجها وأطيبهم أرجا فطاف بالبيت فلما انتهى إلى الحجر تنحى له الناس حتى استلم فقال رجل من

أهل الشام من هذا الذي قد هابه الناس هذه الهيبة فقال هشام لا أعرفه مخافة أن يرغب فيه أهل الشام وكان الفرزدق حاضرا فقال أنا أعرفه فقال الشامي من هذا يا أبا فراس فقال (هذا الذي تعرف البطحاء وطأته * والبيت يعرفه والحل والحرم) (هذا ابن خير عباد الله كلهم * هذا التقي النقي الطاهر العلم) (إذا رأته قريش قال قائلها * إلى مكارم هذا ينتهي الكرم) (ينمى إلى ذروة العز التي قصرت * عن نيلها عرب الإسلام والعجم) (يكاد يمسكه عرفان راحته * ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم) (في كفه خيزران ريحه عبق * من كف أروع في عرنينه شمم) (يغضي حياء ويغضى من مهابته * فما يكلم إلا حين يبتسم)

96 (ينشق نور الهدى عن نور غرته * كالشمس ينجاب عن إشراقها الظلم) (مشتقة من رسول الله نبعته * طابت عناصره والخيم والشيم) (هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله * بجده أنبياء الله قد ختموا) (الله شرفه قدما وعظمه * جرى بذاك له في لوحه القلم) (فليس قولك من هذا بضائره * العرب تعرف من أنكرت والعجم) (كلتا يديه غياث عم نفعهما * تستوكفان ولا يعروهما عدم) (سهل الخليقة لا تخشى بوادره * يزينه اثنان حسن الخلق والشيم) (حمال أثقال أقوام إذا فدحوا * حلو الشمائل تحلو عنده نعم) (ما قال لا قط إلا في تشهده * لولا التشهد كانت لاءه نعم) (لا يخلف الوعد مأمون نقيبته *

رحب الفناء أريب حين يعتزم) (عم البرية بالإحسان فانقشعت * عنها الغياية والإملاق والعدم) (من معشر حبهم دين وبغضهم * كفر وقربهم منجى ومعتصم) (إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم * أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم) (لا يستطيع جواد بعد غايتهم * ولا يدانيهم قوم وإن كرموا) (هم الغيوث إذا ما أزمة أزمت * والأسد أسد الشرى والبأس محتدم) (لا ينقص العسر بسطا من أكفهم * سيان ذلك إن أثروا وإن عدموا) (مقدم بعد ذكر الله ذكرهم * في كل بدء ومختوم به الكلم) (يأبى لهم أن يحل الذم ساحتهم * خيم كريم وأيد بالندى هضم) (أي الخلائق ليست في رقابهم * لأولية هذا أو له نعم) (من يعرف الله يعرف أولية ذا * والدين من بيت هذا ناله الأمم (

97 فلما سمع هشام هذه القصيدة غضب وحبس الفرزدق وأنفذ له زين العابدين اثني عشر ألف درهم فردها وقال مدحته لله تعالى لا للعطاء فقال إنا أهل بيت إذا وهبنا شيئا لا نستعيده فقبلها وقال محمد بن حبيب المقدم ذكره صعد الوليد بن عبد الملك المنبر فسمع صوت ناقوس فقال ما هذا قيل البيعة فأمر بهدمها وتولى بعض ذلك بيده فتتابع الناس يهدمون فكتب إليه الأخرم ملك الروم إن هذه البيعة قد أقرها من كان قبلك فإن يكونوا أصابوا فقد أخطأت وإن تكن أصبت فقد أخطأوا فقال من يجيبه فقال الفرزدق تكتب إليه) ^ وداود وسليمان إذ

يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما الآية) الأنبياء 78 وأخبار الفرزدق كثيرة والاختصار أولى وتوفي بالبصرة سنة عشر ومائة قبل جرير بأربعين يوما وقيل بثمانين يوما وقال أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب شذور العقود إنهما توفيا سنة إحدى عشرة ومائة وقال السكري إن الفرزدق لقي علي بن أبي طالب رضي الله عنه وتوفي سنة عشر وقيل اثنتي عشرة وقيل أربع عشرة ومائة وقال ابن قتيبة في طبقات الشعراء إن الفرزدق أصابته الدبيلة فقدم به البصرة وأتى الطبيب فسقاه قارا أبيض فجعل يقول أتعجلون لي القار وأنا في الدنيا ومات وقد قارب المائة والله أعلم وقد سبق في ترجمة جرير ما قاله جرير لما بلغه وفاة الفرزدق فأغنى عن الإعادة رحمهما الله تعالى وذكر المبرد في كتاب الكامل قال التقى الحسن البصري والفرزدق

98 في جنازة فقال الفرزدق للحسن أتدري ما يقول الناس يا أبا سعيد يقولون اجتمع في هذه الجنازة خير الناس وشر الناس قال الحسن كلا لست بخيرهم ولست بشرهم ولكن ما أعددت لهذا اليوم قال شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله مذ ستون سنة فيزعم بعض التميمية أن الفرزدق رؤي في المنام فقيل له ما صنع بك ربك فقال غفر لي فقيل بأي شيء فقال بالكلمة التي نازعتها الحسن وهمام بفتح الهاء وتشديد الميم الأولى

وناجية بالنون والجيم المكسورة وبعدها ياء مثناة من تحتها وعقال بكسر العين المهملة وفتح القاف ومحمد بن سفيان هو أحد الثلاثة الذين سموا بمحمد في الجاهلية وذكرهم ابن قتيبة في كتاب المعارف وقال السهيلي في كتاب الروض الأنف لا يعرف في العرب من تسمى بهذا الاسم قبله إلا ثلاثة طمع آباؤهم حين سمعوا بذكر محمد وبقرب زمانه وأنه يبعث في الحجاز أن يكون ولدا لهم ذكرهم ابن فورك في كتاب الفصول وهم محمد بن سفيان بن مجاشع جد جد الفرزدق الشاعر والآخر محمد بن أحيحة بن الجلاح وهو أخو عبد المطلب جد رسول الله لأمه والآخر محمد بن حمران من ربيعة وكان آباء هؤلاء قد وفدوا على بعض الملوك وكان عنده علم الكتاب الأول فأخبرهم بمبعث رسول الله وباسمه وكان كل واحد منهم قد خلف امرأته حاملا فنذر كل واحد منهم إن ولد له ذكر أن يسميه محمدا ففعلوا ذلك وأما مجاشع فهو بضم الميم وفتح الجيم وبعد الألف شين معجمة مكسورة ثم عين مهملة

99 ودارم بفتح الدال المهملة وبعد الألف راء مكسورة وبعدها ميم وبقية النسب معروف والفرزدق بفتح الفاء والراء وسكون الزاي وفتح الدال المهملة وبعدها قاف وهو لقب عليه واختلف كلام ابن قتيبة في تلقيبه به فقال في أدب الكاتب الفرزدق قطع العجين واحدتها فرزدقة وإنما لقب به لأنه كان جهم الوجه وقال في كتاب طبقات الشعراء إنما لقب بالفرزدق لغلظه

وقصره شبه بالفتيتة التي تشربها النساء وهي الفرزدقة
والقول الأول أصح لأنه كان أصابه جدري في وجهه ثم
برأ منه فبقي وجهه جهما متغضنا ويروى أن رجلا قال له
يا أبا فراس كأن وجهك أحراح مجموعة فقال له تأمل هل
ترى فيها حر أمك والأحراح بحاءين مهملتين جمع حرح
وهو الفرج فحذفت في المفرد حاؤه الثانية فبقي حرا ومتى
جمع عادت الحاء الثانية فقالوا أحراح لأن الجموع ترد
الأشياء إلى أصولها وكانت زوجة الفرزدق ابنة عمه
وهي النوار بفتح النون ابنة أعين ابن ضبيعة بن عقال
المجاشعي وجدها ضبيعة هو الذي عقر الجمل الذي كانت
عليه عائشة أم المؤمنين يوم وقعة الجمل رضي الله عنها
وكان قد خطبها يعني النوار رجل من قريش فبعثت إلى
الفرزدق تسأله أن يكون وليها إذ كان ابن عمها فقال إن
بالشام من هو أقرب مني إليك وما أنا آمن أن يقدم قادم
منهم فينكر ذلك علي فأشهدي أنك قد جعلت أمرك إلي
ففعلت فخرج الشهود وقال لهم قد أشهدتكم أنها جعلت
أمرها لي وأنا أشهدكم أني قد تزوجتها على مائة ناقة
حمراء سود الحدق فغضبت من ذلك واستعدت عليه
وخرجت إلى عبد الله بن الزبير وأمر الحجاز والعراق
يومئذ إليه وخرج الفرزدق أيضا فأما النوار فنزلت على
خولة بنت منظور بن زبان
100 الفزاري امرأة عبد الله بن الزبير فرققتها
وسألتها الشفاعة لها وأما الفرزدق فنزل على حمزة بن

عبد الله بن الزبير وهو ابن خولة المذكورة ومدحه فوعده الشفاعة فتكلمت خولة في النوار وتكلم حمزة في الفرزدق فأنجحت خولة وأمر عبد الله بن الزبير أن لا يقربها حتى يصيرا إلى البصرة فيحتكما إلى عامله عليها فخرجا وقال الفرزدق في ذلك (أما بنوه فلم تنجح شفاعتهم * وشفعت بنت منظور بن زبانا) (ليس الشفيع الذي يأتيك متزرا * مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا) ثم إن الفرزدق اتفق معها وبقي زمانا لا يولد له ولد ثم ولد له بعد ذلك عدة أولاد وهم لبطة وسبطة وحبطة وركضة وزمعة وكلهم من النوار وليس لواحد من ولده عقب إلا من النساء وقال ابن خالويه ومن أولاد الفرزدق كلطة وجلطة والله أعلم ثم إن الفرزدق طلق النوار لأمر يطول شرحه فندم على ذلك وله فيها أشعار فمنها قوله (ندمت ندامة الكسعي لما * غدت مني مطلقة نوار) (وكانت جنتي فخرجت منها * كآدم حين أخرجه الضرار) وله في ذلك أخبار ونوادر يطول شرحها وليس هذا موضع استيفائه ومات للفرزدق ابن صغير فصلى عليه ثم التفت إلى الناس فقال (وما نحن إلا مثلهم غير أننا * أقمنا قليلا بعدهم وترحلوا) فمات بعد ذلك بأيام قلائل

101 785 هلال ابن المحسن الصابىء أبو الحسن هلال بن المحسن بن أبي إسحاق إبراهيم بن هلال بن إبراهيم ابن زهرون بن حيون الصابىء الحراني الكاتب هو حفيد أبي إسحاق الصابىء صاحب الرسائل المشهورة

وقد سبق ذكر جده في حرف الهمزة سمع هلال المذكور
أبا علي الفارسي النحوي المقدم ذكره وعلي بن عيسى
الرماني المقدم ذكره أيضا وأبا بكر أحمد بن محمد بن
الجراح الخراز وغيرهم وذكره الخطيب في تاريخ بغداد
وقال كتبنا عنه وكان صدوقا وكان أبوه المحسن صابئيا
على دين جده إبراهيم فأسلم هلال المذكور في آخر عمره
وسمع من العلماء في حال كفره لأنه كان يطلب الأدب
ورأيت له تصنيفا جمع فيه حكايات مستملحة وأخبارا
نادرة وسماه كتاب الأماثل والأعيان ومنتدى العواطف
والإحسان وهو مجلد واحد ولا أعلم هل صنف سواه أم لا
(311) وكان ولده غرس النعمة أبو الحسن محمد بن
هلال المذكور ذا فضائل جمة وتآليف نافعة منها التاريخ
الكبير المشهور ومنها الكتاب الذي سماه الهفوات النادرة
من المغفلين الملحوظين والسقطات البادرة من المغفلين
المحظوظين جمع فيه كثيرا من الحكايات التي تتعلق بهذا
الباب فمما نقلته منه أن عبد الله بن علي بن عبد الله بن
العباس رضي الله عنه وهو عم السفاح
102 وأبي جعفر المنصور أنفذ إلى ابن أخيه السفاح
في أول ولايتهم مشيخة من أهل الشام يطرفه بعقولهم
واعتقادهم وأنهم حلفوا أنهم ما علموا لرسول الله قرابة
يرثونه غير بني أمية حتى وليتم أنتم ونقلت منه أيضا
حكاية وإن كانت سخيفة لكنها ظريفة ولا بد في المجاميع
من الإحماض ومزج الهزل بالجد والحكاية المذكورة هي

أن أبا سعيد ماهك ابن بندار المجوسي الرازي كان من كبار كتاب الديلم المشهور تجلفهم الشائعة فيه أخبارهم وكان يكتب لعلي بن سامان أحد قواد الديلم فأراد الوزير أبو محمد المهلبي أن ينفذ ماهك في بعض الخدم فقال له وقد أراد الخروج من عنده يا أبا سعيد لا تبرح من الدار حتى أوقفك على شيء أريده معك فقال السمع والطاعة لأمر سيدنا الوزير ونهض من بين يديه فقال الوزير هذا رجل مجنون وربما طال بي الشغل وضاق صدره فانصرف فتقدموا إلى البواب أن لا يدعه يخرج من الباب فجلس ماهك طويلا وأراد دخول الخلاء فقام يطلب ذلك فرأى الأخلية مقفلة وكان قد تقدم الوزير بذلك وقال كانت دار أبي جعفر الصيمري منتنة الرائحة لأجل خلاء كان بها لعامة الناس فوجد ماهك الخلاء الخاص غير مقفل وعليه ستر مسبل فرفع الستر ليدخل فجاء الفراش فمنعه ودفعه فقال يا هذا أليس هذا خلاء فقال بلى فقال أريد أن أعمل فيه حاجتي فلم تمنعني قال هذا خلاء خاص لا يدخله غير الوزير قال فبقية الأخلية مقفلة فكيف أعمل وقد جئت أخرج فمنعني البواب فأخرى في ثيابي فقال الفراش استأذن في دخول الخلاء ليتقدم لك بذلك ويفتح لك أحد الأخلية فتقضي حاجتك فاشتد به الأمر فكتب إلى الوزير رقعة وقال فيها قد احتاج عبد سيدنا الوزير ماهك إلى بعض ما يحتاج إليه الناس

103 ولا يحسن ذكره والفراش يقول لا تدخل والبواب يقول لا تخرج وقد تحير العبد في البين والأمر في الشدة فإن رأى سيدنا الوزير أن يفسح لعبده بأن يعمل ما يحتاج إليه في خلائه فعل إن شاء الله تعالى والسلام ودفع الرقعة إلى بعض الحجاب فأوصلها إلى الوزير فلم يعلم ما أراد بالرقعة فاستعلم ما الصورة فعرف بها فضحك واستلقى على ظهره ووقع على ظهر الرقعة يخرى أبو سعيد أعزه الله بحيث يختار إن شاء الله تعالى فجاءه الحاجب بها فأخذه ودفعه إلى الفراش وقال هذا ما طلبت وهو توقيع سيدنا الوزير فقال الفراش التوقيعات يقرؤها أبو العلاء ابن أبرونا كاتب ديوان الدار وأنا لا أحسن أن أكتب ولا أقرأ فصاح ماهك في الدار هات من يقرأ في الدار صك الخرا فضحك فراش آخر وأخذ بيده وحمله إلى بعض الحجر حتى قضى حاجته ونقلت من هذا الكتاب أيضا أن أرطأة بن سهية دخل على عبد الملك ابن مروان وكان قد أدرك الجاهلية والإسلام فرآه عبد الملك شيخا كبيرا فاستنشده ما قاله في طول عمره فأنشده (رأيت المرء تأكله الليالي * كأكل الأرض ساقطة الحديد) (وما تبغي المنية حين تأتي * على نفس ابن آدم من مزيد) (واعلم أنها ستكر حتى * توفي نذرها بأبي الوليد) فارتاع عبد الملك وظن أنه عناه لأنه كان يكنى أبا الوليد وعلم أرطأة بسهوه وزلته فقال يا أمير المؤمنين إني

أكنى بأبي الوليد وصدقه الحاضرون فسري عن عبد الملك قليلا
104 ونقلت منه أيضا أن أبا العلاء صاعد بن مخلد كاتب الموفق قرأ على الموفق كتابا فلم يفهم معناه وقرأه الموفق ففهمه فقال فيه عيسى بن القاشي (أرى الدهر يمنع من جانبه * ويهدي الحظوظ إلى عائبه) (وكم طالب سببا مجلبا * فأعيا عناه على طالبه) (ومن عجب الدهر أن الأمير * أصبح أكتب من كاتبه) والموفق المذكور هو ابن أحمد طلحة بن المتوكل وهو والد المعتضد الخليفة العباسي ونقلت منه أيضا أن أعرابيا شهد الموقف مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال الأعرابي فصاح به صائح من خلفه يا خليفة رسول الله ثم قال يا أمير المؤمنين فقال رجل من خلفي دعاه باسم ميت مات والله أمير المؤمنين فالتفت إليه فإذا هو رجل من بني لهب بكسر اللام وهم من بني النضر ابن الأزد وهم أزجر قوم وقد أشار كثير عزة إلى ذلك في قوله (سألت أخا لهب ليزجر زجره * وقد صار زجر العالمين إلى لهب) قال الأعرابي فلما وقفنا لرمي الجمار إذا حصاة قد صكت صلعة عمر رضي الله عنه فأدمته فقال قائل أشعر والله أمير المؤمنين والله لا يقف هذا الموقف بعدها فالتفت إليه فإذا هو اللهبي بعينه فقتل عمر رضي الله عنه قبل الحول
105 وهذه الحكاية في كتاب الكامل أيضا وقوله دعاه باسم ميت إنما قال ذلك لأن أبا بكر الصديق رضي

الله عنه كان يقال له خليفة رسول الله فلما توفي وتولى عمر رضي الله عنه قيل له خليفة خليفة رسول الله فقال للصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين هذا أمر يطول شرحه فإن كل من يتولى يقال له خليفة من كان قبله حتى يتصل برسول الله وإنما أنتم المؤمنون وأنا أميركم فقيل له يا أمير المؤمنين فهو أول من دعي بهذا الاسم وكان لفظ الخليفة مختصا بأبي بكر الصديق رضي الله عنه فلهذا قال دعاه باسم ميت وذكر عمر بن شبة المقدم ذكره في أخبار البصرة عن الشعبي أن أول من دعا لعمر رضي الله عنه على المنبر أبو موسى الأشعري بالبصرة وهو أول من كتب لعبد الله أمير المؤمنين فقال عمر إني لعبد الله وإني لعمر وإني لأمير المؤمنين وقال عوانة أول من سماه أمير المؤمنين عدي بن حاتم الطائي وأول من سلم عليه بها المغيرة بن شعبة وقال غيره جلس عمر يوما فقال والله ما ندري كيف نقول أبو بكر خليفة رسول الله وأنا خليفة أبي بكر فأنا خليفة خليفة رسول الله فمن جاء بعدي يقال له خليفة خليفة خليفة رسول الله فهل اسم قالوا الأمير قال كلكم أمير قال المغيرة نحن المؤمنون وأنت أميرنا فأنت أمير المؤمنين قال فأنا أمير المؤمنين والله أعلم وقد خرجنا عن المقصود وكانت ولادة هلال المذكور في شوال سنة تسع وخمسين وثلثمائة وتوفي ليلة الخميس سابع عشر شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وأربعمائة رحمه الله تعالى

106 786 الهيثم بن عدي أبو عبد الرحمن الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن بن زيد بن أسيد بن جابر ابن عدي بن خالد بن خيثم بن أبي حارثة بن جدي بن تدول بن بحتر بن عتود بن عنين بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن جلهمة وهو طيء الطائي الثعلي البحتري الكوفي كان راوية أخباريا نقل من كلام العرب وعلومها وأشعارها ولغاتها الكثير وكان أبوه نازلا بواسط وكان خيرا وكان الهيثم يتعرض لمعرفة أصول الناس ونقل أخبارهم فأورد معايبهم وأظهرها وكانت مستورة فكره لذلك ونقل عنه أنه ذكر العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه بشيء فحبس لذلك عدة سنين ويقال إنه نقل عنه زورا ولبسوا عليه ما لم يقله وكان قد صاهر قوما فلم يرضوه فأذاعوا ذلك عنه وحرفوا الكلام وكان يرى رأي الخوارج وله من الكتب المصنفة كتاب المثالب وكتاب المعمرين وكتاب بيوتات العرب وكتاب بيوتات قريش وكتاب هبوط آدم عليه السلام وافتراق العرب ونزولها منازلها وكتاب نزول العرب بخراسان والسواد وكتاب نسب طي وكتاب مديح أهل الشام وكتاب تاريخ العجم وبني أمية وكتاب من تزوج من الموالي في العرب وكتاب الوفود وكتاب
107 خطط الكوفة وكتاب ولاة الكوفة وكتاب تاريخ الأشراف الكبير وكتاب تاريخ الأشراف الصغير وكتاب طبقات الفقهاء والمحدثين وكتاب كنى الأشراف وكتاب خواتيم الخلفاء وكتاب قضاة الكوفة والبصرة وكتاب

المواسم وكتاب الخوارج وكتاب النوادر وكتاب التاريخ على السنين وكتاب أخبار الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ووفاته وكتاب أخبار الفرس وكتاب عمال الشرط لأمراء العراق وغير ذلك من التصانيف واختص بمجالسة المنصور والمهدي والهادي والرشيد وروى عنهم قال الهيثم قال لي المهدي ويحك يا هيثم إن الناس يخبرون عن الأعراب شحا ولؤما وكرما وسماحا وقد اختلفوا في ذلك فما عندك فقلت على الخبير سقطت خرجت من عند أهلي أريد ديار فرائد لي ومعي ناقة أركبها إذ ندت فذهبت فجعلت أتبعها حتى أمسيت فأدركتها ونظرت فإذا خيمة أعرابي فأتيتها فقالت ربة الخباء من أنت فقلت ضيف فقالت وما يصنع الضيف عندنا إن الصحراء لواسعة ثم قامت إلى بر فطحنته ثم عجنته وخبزته وقعدت فأكلت ولم ألبث أن أقبل زوجها ومعه لبن فسلم ثم قال من الرجل فقلت ضيف فقال مرحبا حياك الله فدخل الخباء وملأ قعبا من لبن ثم أتاني به وقال اشرب فشربت شرابا هنيئا فقال ما أراك أكلت شيئا وما أراها أطعمتك فقلت لا والله فدخل إليها مغضبا وقال ويلك أكلت وتركت ضيفك فقالت وما أصنع به أطعمه طعامي وجاراها في الكلام حتى شجها ثم أخذ شفرة وخرج إلى ناقتي فنحرها فقلت ما صنعت عافاك الله فقال لا والله ما يبيت ضيفي جائعا ثم جمع حطبا وأجج نارا وأقبل يكبب ويطعمني ويأكل ويلقي إليها ويقول كلي لا أطعمك الله

حتى إذا أصبح تركني ومضى فقعدت مغموما فلما تعالى النهار أقبل ومعه بعير ما يسأم الناظر أن ينظر إليه فقال هذا مكان ناقتك ثم زودني من ذلك اللحم

108 ومما حضره وخرجت من عنده فضمني الليل إلى خباء فسلمت فردت صاحبة الخباء السلام وقالت من الرجل فقلت ضيف فقالت مرحبا بك حياك الله وعافاك فنزلت ثم عمدت إلى بر فطحنته وعجنته ثم خبزته خبزة روتها بالزبد واللبن ثم وضعته بين يدي فقالت كل واعذر فلم ألبث أن أقبل أعرابي كريه الوجه فسلم فرددت عليه السلام فقال من الرجل قلت ضيف قال وما يصنع الضيف عندنا ثم دخل إلى أهله فقال أين طعامي فقالت أطعمته الضيف فقال أتطعمين الضيف طعامي فتجاريا الكلام فرفع عصاه وضرب بها رأسها فشجها فجعلت أضحك فخرج إلي فقال ما يضحكك قلت خير فقال والله لتخبرني فأخبرته بقضية المرأة والرجل اللذين نزلت عندهما قبله فأقبل علي وقال إن هذه التي عندي هي أخت ذلك الرجل وتلك التي عنده أختي فبت ليلتي متعجبا وانصرفت

ويقرب من هذه الحكاية ما روي أن رجلا من الأولين كان يأكل وبين يديه دجاجة مشوية فجاءه سائل فرده خائبا وكان الرجل مترفا فوقع بينه وبين امرأته فرقة وذهب ماله وتزوجت امرأته فبينما الزوج الثاني يأكل وبين يديه دجاجة مشوية جاءه سائل فقال لامرأته ناوليه الدجاجة فناولته ونظرت إليه فإذا هو زوجها الأول فأخبرته بالقصة

فقال الزوج الثاني أنا والله ذلك المسكين الأول الذي خيبني فحول الله نعمته وأهله إلي لقلة شكره وحكى الهيثم أيضا قال صار سيف عمرو بن معد يكرب الزبيدي الذي كان يسمى بالصمصامة إلى موسى الهادي بن المهدي وكان عمرو قد وهبه لسعيد ابن العاص الأموي فتوارثه ولده إلى أن مات المهدي واشتراه موسى الهادي منهم بمال جليل وكان من أوسع بني العباس كفا وأكثرهم عطاء فجرد الصمصامة وجعلها بين يديه وأذن للشعراء فدخلوا عليه ودعا بمكتل فيه بدرة وقال قولوا في هذا السيف فبدر ابن يامين البصري وأنشد

109 (حاز صمصامة الزبيدي من بين * جميع الأنام موسى الأمين) (سيف عمرو وكان فيما سمعنا * خير ما أغمدت عليه الجفون) (أخضر اللون بين حديه برد * من ذباح تبين فيه المنون) (أوقدت فوقه الصواعق نارا * ثم شابت فيه الزعاف القيون) (فإذا ما سللته بهر الشمس * ضياء فلم تكد تستبين) (ما يبالي من انتضاه لضرب * أشمال سطت به أم يمين) (يستطير الأبصار كالقبس المشعل * ما تستقر فيه العيون) (وكأن الفرند والجوهر الجاري * في صفحتيه ماء معين) (نعم مخراق ذي الحفيظة في الهيجاء * يعصى به ونعم القرين) فقال الهادي أصبت والله ما في نفسي واستخفه السرور فأمر له بالمكتل والسيف فلما خرج من عنده قال للشعراء إنما حرمتم من أجلي فشأنكم والمكتل

ففي السيف غنائي فاشتري منه السيف بمال جزيل وقال المسعودي في كتاب مروج الذهب اشتراه الهادي منه بخمسين ألفا ولم يذكر من هذه الأبيات إلا بعضها والذباح بضم الذال المعجمة وفتح الباء الموحدة وبعد الألف حاء مهملة وهو نبت قتال لسميته وقد جاء كثيرا في الشعر ويعصى بفتح الصاد يقال عصي بكسر الصاد يعصى إذا ضرب بالسيف وهو خلاف عصى يعصى إذا ارتكب الذنب وحكى المسعودي في مروج الذهب في ولاية هشام بن عبد الملك أن الهيثم بن عدي المذكور روى عن عمر بن هانيء الطائي قال خرجت مع عبد الله ابن علي وهو عم السفاح والمنصور فانتهينا إلى قبر هشام بن عبد الملك فاستخرجناه صحيحا ما فقد منه إلا خرمة أنفه فضربه عبد الله ثمانين سوطا

110 ثم أحرقه واستخرجنا سليمان بن عبد الملك من أرض دابق فلم نجد منه شيئا إلا صلبه وأضلاعه ورأسه فأحرقناه وفعلنا ذلك بغيرهما من بني أمية وكانت قبورهم بقنسرين ثم انتهينا إلى دمشق فأخرجنا الوليد بن عبد الملك فما وجدنا في قبره لا قليلا ولا كثيرا واحتفرنا عن عبد الملك فما وجدنا إلا شؤون رأسه ثم احتفرنا عن يزيد بن معاوية فما وجدنا منه إلا عظما واحدا ووجدنا مع لحده خطا أسود كأنما خط بالرماد بالطول في لحده ثم تتبعنا قبورهم في جميع البلدان فأحرقنا ما وجدنا فيها منهم (312) وكان سبب فعل عبد الله ببني أمية هذا الفعل أن

زيد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وقد سبق ذكره في ترجمة الوزير محمد بن بقية خرج على هشام بن عبد الملك وسمت نفسه إلى طلب الخلافة وتبعه خلق من الأشراف والقراء فحاربه يوسف بن عمر الثقفي أمير العراقين وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى فانهزم أصحاب زيد وبقي في جماعة يسيرة فقاتلهم أشد قتال وهو يقول متمثلا (ذل الحياة وعز الممات * وكلا أراه طعاما وبيلا) (فإن كان لا بد من واحد * فسيري إلى الموت سيرا جميلا) وحال المساء بين الفريقين فانصرف زيد مثخنا بالجراح وقد أصابه سهم في جبهته فطلبوا من ينزع النصل فأتي بحجام من بعض القرى فاستكتموه أمره فاستخرج النصل فمات من ساعته فدفنوه في ساقية ماء وجعلوا على قبره التراب والحشيش وأجروا الماء على ذلك وحضر الحجام مواراته فعرف الموضع فلما أصبح مضى إلى يوسف منتصحا له فدله على موضع قبره فاستخرجه يوسف وبعث رأسه إلى هشام فكتب إليه هشام أن اصلبه عريانا
111 فصلبه يوسف كذلك ففي ذلك يقول بعض شعراء بني أمية يخاطب آل أبي طالب وشيعتهم من جملة أبيات (صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة * ولم أر مهديا على الجذع يصلب) وبنى تحت خشبته عمودا ثم كتب هشام إلى يوسف يأمره بإحراقه وتذريته في الرياح وكان ذلك في سنة إحدى وعشرين وقيل اثنتين وعشرين ومائة

وذكر أبو بكر ابن عياش وجماعة من الأخباريين أن زيدا أقام مصلوبا خمس سنين عريانا فلم ير أحد له عورة سترا من الله سبحانه وتعالى له وقال بعضهم إن العنكبوت نسج على عورته وذلك بالكناسة بالكوفة فلما كان في أيام الوليد ابن يزيد وظهر ولده يحيى بن زيد بخراسان وهي واقعة مشهورة كتب الوليد إلى عامله بالكوفة أن أحرق زيدا بخشبته ففعل ذلك وأذرى رماده في الرياح على شاطىء الفرات والله تعالى أعلم أي ذلك كان فهذا الذي حمل عبد الله بن علي على ما فعله ببني أمية انتصارا لبني عمه وانتقاما لهم بنظير ما فعل بهم وقال الهيثم أيضا استعملت على صدقات بني فزارة فجاءني رجل منهم فقال أريك عجبا فقلت بلى فانطلق إلى جبل شاهق فإذا فيه صدع فقال لي ادخل فقلت إنما يدخل الدليل قال فدخل فاتبعته ودخل معنا أناس فكان ربما ضاق الجبل واتسع فإذا نحن بضوء فدنونا منه وإذا خرق ذاهب في الأرض وإذا عكاكيز في الجبل فجذبناها فإذا هي سهام عاد وإذا كتاب منقور في الجبل مقدار إصبعين أو أكثر وإذا هو كتاب بالعربية وهو (ألا هل إلى أبيات سفح بذي اللوى * لوى الرمل فاصدقن النفوس معاد) (بلاد لنا كانت وكنا نحبها * إذ الناس ناس والبلاد بلاد) وروي أن أبا نواس الحسن بن هانىء الحكمي الشاعر المقدم ذكره حضر

112 مجلس الهيثم بن عدي في حداثته والهيثم لا يعرفه فلم يستدنه ولا قرب مجلسه فقام مغضبا فسأل الهيثم

عنه فخبر باسمه فقال إنا لله هذه والله بلية لم أجنها على نفسي قوموا بنا إليه لنعتذر فصاروا إليه ودق الباب عليه وتسمى له فقال ادخل فدخل فإذا هو قاعد يصفي نبيذا له وقد أصلح بيته بما يصلح به مثله فقال المعذرة إلى الله تعالى وإليك والله ما عرفتك وما الذنب إلا لك حيث لم تعرفنا نفسك فنقضي حقك ونبلغ الواجب من برك فأظهر له قبول العذر فقال الهيثم أستعهدك من قول يسبق منك في فقال ما قد مضى فلا حيلة فيه ولك الأمان فيما استأنف فقال وما الذي مضى جعلت فداك قال بيت مر وأنا فيما ترى يعني من الغضب قال فتنشدنيه فدافعه فألح عليه فأنشده (يا هيثم بن عدي لست للعرب * ولست من طيىء إلا على شغب) (إذا نسبت عديا في بني ثعل * فقدم الدال قبل العين في النسب) فقام من عنده ثم بلغه بعد ذلك بقية الأبيات وهي (للهيثم بن عدي في تلونه * في كل يوم له رجل على خشب) (فما يزال أخا حل ومرتحل * إلى الموالي وأحيانا إلى العرب) (له لسان يزجيه بجوهره * كأنه لم يزل يغدى على قتب) (كأنني بك فوق الجسر منتصبا * على جواد قريب منك في الحسب) (حتى نراك وقد درعته قمصا * من الصديد مكان الليف والكرب) (لله أنت فما قربى تهم بها * إلا اجتلبت لها الأنساب من كثب) فعاد الهيثم إلى أبي نواس وقال له يا سبحان الله أليس قد أمنتني وجعلت لي عهدا أن لا تهجوني فقال إنهم يقولون ما لا يفعلون

113 وأخبار الهيثم كثيرة وقد أطلنا الشرح وكانت ولادته قبل سنة ثلاثين ومائة وتوفي غرة المحرم سنة ست وقيل سبع ومائتين وقال ابن قتيبة في كتاب المعارف سنة تسع ومائتين والله تعالى أعلم بالصواب رحمه الله تعالى وله عقب ببغداد وقال السمعاني في كتاب الأنساب في ترجمة البحتري إنه توفي سنة تسع ومائتين بفم الصلح وله ثلاث وتسعون سنة وزاد غيره أن وفاته كانت عند الحسن بن سهل وقد تقدم في ترجمة بوران أن زواجها بالمأمون كان في هذا التاريخ بهذا الموضع والظاهر أنه كان في جملة من حضر فتوفي هناك وقد تقدم الكلام على الطائي والبحتري والثعلي بضم الثاء المثلثة وفتح العين المهملة وبعدها لام هذه النسبة إلى ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء وقد تقدم تتمة هذه النسبة في ترجمة البحتري في حرف الواو فلتنظر هناك وتنسب إلى ثعل المذكور عدة بطون منها بحتر وسلامان وغيرهما (313) ومن هذه القبيلة عمرو بن المسبح الثعلي الذي قدم على سول الله في وفود العرب فأسلم بالمدينة وهو ابن مائة وخمسين سنة وكان أرمى العرب وفيه يقول امرؤ القيس حندج بن حجر الكندي الشاعر المشهور (رب رام من بني ثعل * مخرج كفيه من ستره)

114 وهذا من جملة ما استشهد به ابن قتيبة في كتاب طبقات الشعراء على قرب زمن امرىء القيس من

زمن رسول الله وأنه كان قبله بمقدار أربعين سنة هذا خلاصة ما قاله والله أعلم

115 حرف الياء

116 @116@

117 787 ياروق التركماني ياروق بن أرسلان التركماني كان مقدما جليل القدر في قومه وإليه تنسب الطائفة الياروقية من التركمان وكان عظيم الخلقة هائل المنظر سكن بظاهر حلب في جهتها القبلية وبنى على شاطىء قويق فوق تل مرتفع هو وأهله وأتباعه أبنية كثيرة مرتفعة وعمائر متسعة وتعرف الآن بالياروقية وهي شبه القرية وسكنها هو ومن معه وهي إلى اليوم معمورة مسكونة آهله يتردد إليها أهل حلب في أيام الربيع ويتنزهون هناك في الخضرة وعلى قويق وهو موضع كثير الانشراح والأنس وتوفي ياروق المذكور في المحرم سنة أربع وستين وخمسمائة رحمه الله تعالى هكذا ذكره بهاء الدين المعروف بابن شداد في سيرة السلطان صلاح الدين رحمهما الله تعالى وياروق بفتح الياء المثناة من تحتها وبعد الألف راء مضمومة ثم واو ساكنة وفي الآخر قاف وقويق بضم القاف وفتح الواو وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها قاف وهو نهر صغير بظاهر حلب يجري في الشتاء والربيع وينقطع في الصيف وقد ذكرته الشعراء في أشعارهم كثيرا خصوصا أبا عبادة البحتري فإنه كرر

118 ذكره في عدة قصائد فمن ذلك قوله في جملة قصيدة (يا برق أسفر عن قويق فطرتى * حلب فأعلى القصر من بطياس) (عن منبت الورد المعصفر صبغه * في كل ناحية ومجرى الآس) (أرض إذا استوحشت ثم أتيتها * حشدت علي فأكثرت إيناسي) وبطياس بفتح الباء الموحدة وسكون الطاء المهملة وفتح الياء المثناة من تحتها وبعد الألف سين مهملة وهي قرية كانت بظاهر حلب ودثرت ولم يبق لها اليوم أثر وكان صالح بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب رضي الله عنهم قد بنى بها قصرا وسكنه هو وبنوه وهو بين النيرب والصالحية وهما قريتان في شرقي حلب وكان القصر على الرابية المشرفة على النيرب ولم يبق منه في هذا الزمان سوى آثار دارسة هكذا وجدته مضبوطا بخط بعض الفضلاء من أهل حلب والله أعلم

119 788 ياقوت الموصلي أبو الدر ياقوت بن عبد الله الموصلي الكاتب الملقب أمين الدين المعروف بالملكي نسبة إلى السلطان أبي الفتح ملكشاه بن سلجوق بن محمد بن ملكشاه الأكبر نزل الموصل وأخذ النحو عن أبي محمد سعيد بن المبارك المعروف بابن الدهان النحوي وقرأ عليه من تصانيفه جملة وكان ملازمه وقرأ عليه ديوان المتنبي والمقامات الحريرية وغير ذلك وكتب الكثير وانتشر خطه في الآفاق وكان في نهاية الحسن ولم يكن في آخر زمانه من يقاربه في حسن الخط ولا يؤدي طريقة ابن

البواب في النسخ مثله مع فضل غزير ونباهة تامة وكان مغرى بنقل الصحاح للجوهري فكتب منها نسخا كثيرة كل نسخة في مجلد واحد رأيت منها عدة نسخ وكل نسخة تباع بمائة دينار وكتب عليه خلق كثير وانتفعوا به وكانت له سمعة كبيرة
120 في زمانه وقصده الناس من البلاد وسير إليه من بغداد النجيب أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي بكر الواسطي قصيدة مدحه بها ولم يكن رآه بل على السماع به وهي قصيدة جيدة في بابها ووصف حسن خطه فأبلغ وهي (أين غزلان عالج والمصلى * من ظباء سكن نهر المعلى) (أبتلك الكثبان أغصان بان * وبدور من أفقها تتجلى) (أم لتلك الغزلان حسن وجوه * لو تراءت للحزن أصبح سهلا) (أين حوذانها من النرجس الغض * إذا ناجز النسيم استقلا) (أين ذاك العرار من صبغة الورد * إذا جاده الغمام وطلا) (أبجرعائها كواكب نارنج * دنا في غصونه فتدلى) (أنقيب لماء دجلة كفؤ * كذب القاسطون حاشا وكلا) (ألدار السلام في الأرض شبه * معجز أن ترى لبغداد مثلا) (كل يوم تبدي وجوها خلاف الأمس * حسنا كأنما هي حبلى) (وصبايا يصبو الحليم إليهن * إذا ما خطرن شكلا ودلا) (يعتصبن العصائب الناصريات * فيحللن منك عقدا وحلا) (ليس يرقبن فيك إلا ولا يعرفن * شيئا غير الصحاح وإلا) (مربع للقلوب فيه ربيع * متوال إذا الربيع تولى) (بلدة

تستفاد فيها المعالي * والمعاني علما وجدا وهزلا) (لم
يفتها من الكمال سوى ياقوت * لو أنها به تتحلى)
121 (من لها أن يضوع نشر أمين الدين * فيها
وحسبها ذاك فضلا) (لو رجت أن يزورها لانبرى
الصامت * فيها يقول أهلا وسهلا) (ولئن وافت الرواة
برياه * إليها فإن رؤياه أحلى) (بحر جود له الأكارم
تتلو * وجواد عنه المكارم تتلى) (جامع شارد العلوم
ولولاه * لكانت أم الفضائل ثكلى) (ذو يراع تخاف
صولته الأسد * وتعنو له الكتائب ذلا) (وإذا افتر ثغره
عن سواد * في بياض فالبيض والسمر خجلى) (يقظ في
حراسة الملك لا يعمل * سهما ولا يجرد نصلا) (إنما
يبعث البلاغة أرسالا * إذا كانت الصحائف رسلا) (
فيعيد الجبار ممتلئا خوفا * لما قد أمل فيها وأملى) (
وتراه طورا يجيل يديه * بقداح العلوم فصلا ففصلا) (
مثل وشي الرياض أو كنظيم الدر * يزهى خطا ولفظا
ونقلا) (فاتئد يا مريد مثل أمين الدين * مهلا أتعبت
نفسك مهلا) (سيدي يا أخا السماح وظئر المجد * وابن
العلى ورب المعلى) (أنت بدر والكاتب ابن هلال *
كأبيه لا خير فيمن تولى) (إن يكن أولا فإنك بالتفضيل
* أولى لقد سبقت وصلى) (يا أمين الدين الذي جمع الله
* به للسماح والفضل شملا) (أنا من قاده الثناء إلى
حبك * حتى يظل لا يتسلى) (وإذا أسجل الثناء بقاض *

صار فيه أخو الشهادة عدلا) (فارض بكرا ما راض قط أبو ها * فكره بابنة ليخطب بعلا)
122 (لا جزاء يريد عنها ولا أجرا * ولكن رآك للمدح أهلا) (ودعاه إليك داعي وداد * جاء يبغي من حسن رأيك وصلا) (وإذا ما تعذر القرب فالقلب * كفيل به ورأيك أعلى) (فابق واسلم ما جرد الأفق جيشا * من ظلام وجرد الصبح نصلا) وتوفي أمين الدين المذكور بالموصل سنة ثماني عشرة وستمائة وقد أسن وتغير خطه من الكبر رحمه الله تعالى 789 ياقوت الرومي أبو الدر أبو الدر ياقوت بن عبد الله الرومي الملقب مهذب الدين الشاعر المشهور مولى أبي منصور الجيلي التاجر اشتغل بالعلم وأكثر من الأدب واستعمل قريحته في النظم فأجاد فيه ولما تميز ومهر سمى نفسه عبد الرحمن وكان مقيما بالمدرسة النظامية ببغداد وعده ابن الدبيثي في كتاب الذيل في جملة من اسمه عبد الرحمن وذكر أنه نشأ ببغداد وحفظ القرآن العزيز وقرأ شيئا من الأدب وكتب خطا حسنا وقال الشعر وأكثر النظم منه في الغزل والتصابي وذكر المحبة وراق شعره وتحفظه الناس وأورد له مقطوعا من الشعر وذكر أنه أنشده إياه وهو
123 (خليلي لا والله ما جن غاسق * وأظلم إلا حن أو جن عاشق) وبقيته في المجموع الصغير وأشعاره سائرة يتغنى بها وهي رقيقة لطيفة فمن ذلك قوله (إن غاض دمعك والأحباب قد بانوا * فكل ما تدعي زور

وبهتان) (وكيف تأنس أو تنسى خيالهم * وقد خلا منهم
ربع وأوطان) (لا أوحش الله من قوم نأوا فنأى * عن
النواظر أقمار وأغصان) (ساروا فسار فؤادي إثر
ظعنهم * وبان جيش اصطباري ساعة بانوا) (لا افتر
ثغر الثرى من بعد بعدهم * ولا ترنح أيك لا ولا بان) (
أجرى دموعي وأذكى النار في كبدي * غداة بينهم هم
وأحزان) (طوفان نوح ثوى في مقلتي وفي * طي
الحشا لخليل الله نيران) (لو كابد الصخر ما كابدت من
كمد * فيكم لجاد له أحد ولبنان) (وذاب يذبل من وجدي
ورض على * رضوى ولان لما ألقاه ثهلان) (يا من
تملك رقي حسن بهجته * سلطان حسنك مالي منه إحسان
) (كن كيف شئت فمالي عنك من بدل * أنت الزلال
لقلبي وهو ظمآن) ومن شعره أيضا (ألا مبلغ وجدي
بها وغرامي * ومهد إلى دار السلام سلامي) (نسيم
الصبا بلغ تحية مشئم * إلى معرق لم يرع عهد ذمامي)
(وصف بعض أشواقي إليه لعله * يرق لذلي في الهوى
وهيامي) (أيا رحبة الزوراء لي فيك شادن * نفى بعده
من مقلتي منامي) (بديع جمال بان صبري لبينه *
وعرضني إعراضه لحمامي)
124 (يصد إذا ما صد عن عيني الكرى * ويمزج
دمعي هجره بمدامي) (حياتي وموتي في يديه وجنتي *
وناري وريي في الهوى وأوامي) (ففي بعده عني وفاتي
وقربه * حياتي وإسعادي ونيل مرامي) (ومن وجنتيه

نار وجدي وخصره * نحولي ومن سقم الجفون سقامي)
(فكن عاذري يا عاذلي فدلاله * دليل على وجدي به
وغرامي) ورأيت كثيرا من الفقهاء بالشام وبلاد الشرق
يحفظون له قصيدة أولها (جسدي لبعدك يا مثير بلابلي *
دنف بحبك ما أبل بلى بلي) (يا من إذا ما لام فيه لوائمي
* أوضحت عذري بالعذار السائل) (أأجيز قتلي في
الوجيز لقاتلي * أم حل في التهذيب أم في الشامل) (أم
في المهذب أن يعذب عاشق * ذو مقلة عبرى ودمع هاطل
) (أم طرفك الفتاك قد أفتاك في * تلف النفوس بسحر
طرف بابلي) وهي أكثر من هذا لكن هذا القدر هو الذي
أستحضره في هذا الوقت منها وأنشدني له بعض الأدباء
بمدينة حلب أبياتا منها قوله (ألست من الولدان أحلى
شمائلا * فكيف سكنت القلب وهو جهنم) ثم قال وقد
انتقدوا عليه في بغداد في هذا البيت فأفكرت فيه ثم قلت له
لعل الانتقاد من جهة أنه ما يلزم من كونه أحلى شمائل من
الولدان أنه لا يكون في جهنم فإنه قد يكون أحلى شمائل
منهم وليس الممتنع إلا أن يكون الولدان في جهنم فقال نعم
هذا هو الذي أخذ عليه وأخبرني بعض الأفاضل بمدينة
إربل في سنة خمس وعشرين وستمائة قال كنت ببغداد في
سنة عشرين وستمائة بالمدرسة النظامية فقعدت يوما
125 على بابها إلى جانب أبي الدر المذكور ونحن
نتذاكر الأدب إذ جاء شيخ ضعيف القوى والحال يتوكأ
على عصا فجلس قريبا منا فقال لي أبو الدر أتعرف هذا

فقلت لا فقال هذا مملوك الحيص بيص الذي يقول فيه (
تشربش أو تقمص أو تقبى * فلن تزداد عندي قط حبا) (
تملك بعض حبك كل قلبي * فإن ترد الزيادة هات قلبا)
قال فجعلت أنظر إليه وأفكر فيما كان عليه وما آل حاله
إليه ولقد طلبت أنا هذين البيتين في ديوان الحيص بيص
فلم أجدهما فيه والله أعلم ولأبي الدر المذكور ديوان شعر
سمعت أنه صغير ولم أقف عليه بل على مقاطيع كثيرة
منه وشعره متداول بالعراق وبلاد الشرق والشام ويكفي
منه هذا القدر وقد تقدم في حرف الخاء في ترجمة الشيخ
الخضر بن عقيل الإربلي له ثلاثة أبيات دالية ثم إني ملكت
من ديوانه نسختين في سنة سبع وستين وستمائة بدمشق
المحروسة وهو صغير الحجم يدخل في عشر كراريس
ورأيت في بعض التواريخ المتأخرة أن أبا الدر المذكور
وجد ميتا بمنزله ببغداد في الثاني عشر من جمادى الأولى
سنة اثنتين وعشرين وستمائة وقال الناس إنه كان قد توفي
قبل ذلك بأيام رحمه الله تعالى وقال ابن النجار في تاريخ
بغداد وجد أبو الدر في داره ميتا يوم الأربعاء خامس عشر
جمادى الأولى من السنة وكان قد أخرج من النظامية
فسكن في دار بدرب دينار الصغير ولم يعلم متى مات
وأظنه ناطح الستين والله أعلم
126 والرومي بضم الراء وسكون الواو وبعدها
ميم هذه النسبة إلى بلاد الروم وهو إقليم مشهور متسع
كثير البلاد وها هنا نكتة غريبة يحتاج إليها ويكثر السؤال

عنها وهي أن أهل الروم يقال لهم بنو الأصفر واستعملته الشعراء في أشعارهم فمن ذلك قول عدي بن زيد العبادي من جملة قصيدته المشهورة (وبنو الأصفر الكرام ملوك الروم * لم يبق منهم مذكور) ولقد تتبعت ذلك كثيرا فلم أجد ما يشفي الغليل حتى ظفرت بكتاب قديم اسمه اللفيف ولم يكتب عليه اسم مؤلفه فنقلت منه ما صورته عن العباس عن أبيه قال انخرم ملك الروم في الزمان الأول فبقيت منه امرأة فتنافسوا في الملك حتى وقع بينهم شر فاصطلحوا على أن يملكوا أول من يشرف عليهم فجلسوا مجلسا لذلك وأقبل رجل من اليمن معه عبد له حبشي يريد الروم فأبق العبد منه فأشرف عليهم فقالوا انظروا في أي شيء وقعتم فزوجوه تلك المرأة فولدت غلاما فسموه الأصفر فخاصمهم المولى فقال الغلام صدق أنا عبده فأرضوه فأعطوه حتى رضي فبسبب ذلك قيل للروم بنو الأصفر لصفرة لون الولد لكونه مولدا بين الحبشي والمرأة البيضاء والله أعلم

127 790 ياقوت الحموي أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الجنس والمولد الحموي المولى البغدادي الدار الملقب شهاب الدين اسر من بلاده صغيرا وابتاعه ببغداد رجل تاجر يعرف بعسكر ابن أبي نصر إبراهيم الحموي وجعله في الكتاب لينتفع به في ضبط تجائره وكان مولاه عسكر لا يحسن الخط ولا يعلم شيئا سوى التجارة وكان ساكنا ببغداد وتزوج بها وأولد عدة أولاد

ولما كبر ياقوت المذكور قرأ شيئا من النحو واللغة وشغله مولاه بالأسفار في متاجره فكان يتردد إلى كيش وعمان وتلك النواحي ويعود إلى الشام ثم جرت بينه وبين مولاه نبوة أوجبت عتقه فأبعده عنه وذلك في سنة ست وتسعين وخمسمائة فاشتغل بالنسخ بالأجرة وحصلت له بالمطالعة فوائد ثم إن مولاه بعد مديدة ألوى عليه وأعطاه شيئا وسفره إلى كيش ولما عاد كان مولاه قد مات فحصل شيئا مما كان في يده وأعطى أولاد مولاه وزوجته ما أرضاهم به وبقيت بيده بقية جعلها رأس ماله وسافر بها وجعل بعض تجارته كتبا وكان متعصبا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان قد طالع
128 شيئا من كتب الخوارج فاشتبك في ذهنه منه طرف قوي وتوجه إلى دمشق في سنة ثلاث عشرة وستمائة وقعد في بعض أسواقها وناظر بعض من يتعصب لعلي رضي الله عنه وجرى بينهما كلام أدى إلى ذكره عليا رضي الله عنه بما لا يسوغ فثار الناس عليه ثورة كادوا يقتلونه فسلم منهم وخرج من دمشق منهزما بعد أن بلغت القضية إلى والي البلد فطلبه فلم يقدر عليه ووصل إلى حلب خائفا يترقب وخرج عنها في العشر الأول أو الثاني من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وستمائة وتوصل إلى الموصل ثم انتقل إلى إربل وسلك منها إلى خراسان وتحامى دخول بغداد لأن المناظر له بدمشق كان بغداديا وخشي أن ينقل قوله فيقتل فلما انتهى

إلى خراسان أقام بها يتجر في بلادها واستوطن مدينة مرو مدة وخرج عنها إلى نسا ومضى إلى خوارزم وصادفه وهو بخوارزم خروج التتر وذلك في سنة ست عشرة وستمائة فانهزم بنفسه كبعثه يوم الحشر من رمسه وقاسى في طريقه من المضايقة والتعب ما كان يكل عن شرحه إذا ذكره ووصل إلى الموصل وقد تقطعت به الأسباب وأعوزه دنيء المآكل وخشن الثياب وأقام بالموصل مدة مديدة ثم انتقل إلى سنجار وارتحل منها إلى حلب وأقام بظاهرها في الخان إلى أن مات في التاريخ الآتي ذكره إن شاء الله تعالى ونقلت من تاريخ إربل الذي عني بجمعه أبو البركات ابن المستوفي المقدم ذكره أن ياقوتا المذكور قدم إربل في رجب سنة سبع عشرة وستمائة وكان مقيما بخوارزم وفارقها للواقعة التي جرت فيها بين التتر والسلطان محمد بن تكش خوارزم شاه وكان قد تتبع التواريخ وصنف كتابا سماه إرشاد الألباء إلى معرفة الأدباء يدخل في أربعة جلود كبار ذكر في أوله قال وجمعت في هذا

129 الكتاب ما وقع إلي من أخبار النحويين واللغويين والنسابين والقراء المشهورين والأخباريين والمؤرخين والوراقين المعروفين والكتاب المشهورين وأصحاب الرسائل المدونة وأرباب الخطوط المنسوبة المعينة وكل من صنف في الأدب تصنيفا أو جمع فيه تأليفا مع إيثار الاختصار والإعجاز في نهاية الإيجاز ولم آل

جهدا في إثبات الوفيات وتبيين المواليد والأوقات وذكر تصانيفهم ومستحسن أخبارهم والإخبار بأنسابهم وشيء من أشعارهم في ترددادي إلى البلاد ومخالطتي للعباد وحذفت الأسانيد إلا ما قل رجاله وقرب مناله مع الاستطاعة لإثباتها سماعا وإجازة إلا أنني قصدت صغر الحجم وكبر النفع وأثبت مواضع نقلي ومواطن أخذي من كتب العلماء المعول في هذا الشأن عليهم والمرجوع في صحة النقل إليهم ثم ذكر أنه جمع كتابا في أخبار الشعراء المتأخرين والقدماء ومن تصانيفه أيضا كتاب معجم البلدان وكتاب معجم الشعراء وكتاب معجم الأدباء وكتاب المشترك وضعا المختلف صقعا وهو من الكتب النافعة وكتاب المبدأ والمآل في التاريخ وكتاب الدول ومجموع كلام أبي علي الفارسي وعنوان كتاب الأغاني والمقتضب في النسب يذكر فيه أنساب العرب وكتاب أخبار المتنبي وكانت له همة عالية في تحصيل المعارف وذكر القاضي الأكرم جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم ابن عبد الواحد الشيباني القفطي وزير صاحب حلب كان رحمه الله تعالى في كتابه الذي سماه إنباه الرواة على أنباه النحاة أن ياقوتا المذكور كتب إليه رسالة من الموصل عند وصوله إليها هاربا من التتر يصف فيها حاله وما جرى له معهم وهي بعد البسملة والحمدلة كان المملوك ياقوت بن عبد الله الحموي قد كتب هذه الرسالة من الموصل في سنة سبع عشرة وستمائة حين

130 وصوله من خوارزم طريد التتر أبادهم الله تعالى إلى حضرة مالك رقه الوزير جمال الدين القاضي الأكرم أبي الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الواحد الشيباني ثم التيمي تيم بني شيبان بن ثعلبة بن عكابة أسبغ الله عليه ظله وأعلى في درج السيادة محله وهو يومئذ وزير صاحب حلب والعواصم شرحا لأحوال خراسان وأحواله وإيماء إلى بدء أمره بعد ما فارقه ومآله وأحجم عن عرضها على رأيه الشريف إعظاما وتهيبا وفرارا من قصورها عن طوله وتجنبا إلى أن وقف عليها جماعة من منتحلي النظم والنثر فوجدهم مسارعين إلى كتبها متهافتين على نقلها وما يشك أن محاسن مالك الرق حلتها وفي أعلى درج الإحسان أحلتها فشجعه ذلك على عرضها على مولاه وللآراء علوها في تصفحها والصفح عن زللها فليس كل من لمس درهما صيرفيا ولا كل من اقتنى درا جوهريا وها هي ذه بسم الله الرحمن الرحيم أدام الله على العلم وأهليه والإسلام وبنيه ما سوغهم وحباهم ومنحهم وأعطاهم من سبوغ ظل المولى الوزير أعز الله أنصاره وضاعف مجده واقتداره ونصر ألويته وأعلامه وأجرى بإجراء الأرزاق في الآفاق أقلامه وأطال بقاه ورفع إلى عليين علاه في نعمة لا يبلى جديدها ولا يحصى عددها ولا عديدها ولا ينتهي إلى غاية مديدها ولا يفل حدها ولا حديدها ولا يقل وادها ولا وديدها وأدام دولته للدنيا والدين يلم شعثه ويهزم كرثه ويرفع مناره

ويحسن بحسن أثره آثاره ويفتق نوره وأزهاره وينير نواره ويضاعف أنواره وأسبغ ظله للعلوم وأهليها والآداب ومنتحليها والفضائل وحامليها يشيد بمشيد فضله بنيانها ويرصع بناصع مجده تيجانها ويروض بيانع علائه زمانها ويعظم بعلو همته الشريفة بين البرية شأنها ويمكن في أعلى درج الاستحقاق إمكانها ومكانها
131 ويرفع بنفاذ الأمر قدره للدول الإسلامية والقواعد الدينية يسوس قواعدها ويعز مساعدها ويهين معاندها ويعضد بحسن الإيالة معاضدها وينهج بجميل المقاصد مقاصدها حتى تعود بحسن تدبيره غرة في جبهة الزمان وسنة يقتدي بها من طبع على العدل والإحسان يكون له أجرها ما دام الملوان وكر الجديدان وما أشرقت من الشرق شمس وارتاحت إلى مناجاة حضرته الباهرة نفس وبعد فالمملوك ينهي إلى المقر العالي المولوي والمحل الأكرم العلي أدام الله سعادته مشرقة النور مبلغة السول واضحة الغرر بادية الحجول ما هو مكتف بالأريحية المولوية عن تبيانه مستغن بما منحتها من صفاء الآراء عن إمضاء قلمه لإيضاحه وبيانه قد أحسبه ما وصف به عليه الصلاة والسلام المؤمنين وإن من أمتي لمكلمين وهو شرح ما يعتقده من الولاء ويفتخر به من التعبد للحضرة الشريفة والاعتزاء قد كفته تلك الألمعية عن إظهار المشتبه بالملق مما تجنه الطوية لأن دلائل غلو المملوك في دين ولائه في الآفاق واضحة وطبعة سكة

إخلاص الوداد باسمه الكريم على صفحات الدهر لائحة وإيمانه بشرائع الفضل الذي طبق الآفاق حتى أصبح بها بناء المكارم متين وتلاوته لأحاديث المجد القريبة الأسانيد بالمشاهدة لديه مبين ودعاء أهل الآفاق إلى المغالاة في الإيمان بإمامة فضله الذي تلقاه باليمين وتصديقه بملة سؤدده الذي تفرد بالتوخي لنظم شارده وضم متبدده بعرق الجبين حتى لقد أصبح للفضل كعبة لم يفترض حجها على من استطاع إليها السبيل ويقتصر بقصدها على ذوي القدرة دون المعتر وابن السبيل فإن لكل منهم حظا يستمده ونصيبا يستعد به ويعتده فللعظماء الشرف الضخم من معينه وللعلماء اقتناء الفضائل من قطينه وللفقراء توقيع الأمان من نوائب الدهر وغض جفونه

132 وفرضوا من مناسكه للجبهة الشريفة السلام والتبجيل وللكف البسيطة الاستلام والتقبيل وقد شهد الله تعالى للمملوك أنه في سفره وحضره وسره وعلنه وخبره ومخبره شعاره تعطير مجالس الفضلاء ومحافل العلماء بفوائد حضرته والفضائل المستفادة من فضلته افتخارا بذلك بين الأنام وتطريزا لما يأتي به في أثناء الكلام (إذا أنا شرفت الورى بقصائدي * على طمع شرفت شعري بذكره) (^ يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين) الحجرات 17 لا حرمنا الله معاشر أوليائه مواد فضائله المتتالية ولا أخلانا كافة عبيده من أياديه المتوالية

اللهم رب الأرض المدحية والسموات العلية والبحار المسجرة والرياح المسخرة اسمع ندائي واستجب دعائي وبلغنا في معاليه ما نؤمله ونرتجيه بمحمد النبي وصحبه وذويه وقد كان المملوك لما فارق الجناب الشريف وانفصل عن مقر العز اللباب والفضل المنيف أراد استعتاب الدهر الكالح واستدرار خلف الزمن الغشوم الجامح اغترارا بأن في الحركة بركة والاغتراب داعية الاكتساب والمقام على الإقتار ذل واسقام وحلس البيت في المحافل سكيت (وقفت وقوف الشك ثم استمر بي * يقيني بأن الموت خير من الفقر) (فودعت من أهلي وبالقلب ما به * وسرت عن الأوطان في طلب اليسر) (وباكية للبين قلت لها اصبري * فللموت خير من حياة على عسر)
133 (سأكسب مالا أو أموت ببلدة * يقل بها فيض الدموع على قبري) فامتطى غارب الأمل إلى الغربة وركب مركب التطواف مع كل صحبة قاطعا الأغوار والأنجاد حتى بلغ السد أو كاد فلم يصحب له دهره الحرون ولا رق له زمانه المفتون (إن الليالي والأيام لو سئلت * عن عيب أنفسها لم تكتم الخبرا) فكأنه في جفن الدهر قذى أو في حلقه شجا يدافعه نيل الأمنية حتى أسلمه إلى ربقة المنية (لا يستقر بأرض أو يسير إلى * أخرى بشخص قريب عزمه نائي) (يوما بحزوى ويوما بالعقيق ويوما * بالعذيب ويوما بالخليصاء) (وتارة

ينتحي نجدا وآونة * شعب الحزون وحينا قصر تيماء)
وهيهات مع حرفة الأدب بلوغ وطر أو إدراك أرب ومع
عبوس الحظ ابتسام الدهر الفظ ولم أزل مع الزمان في
تفنيد وعتاب حتى رضيت من الغنيمة بالإياب والمملوك
مع ذلك يدافع الأيام ويزجيها ويعلل المعيشة ويرجيها
متقنعا بالقناعة والعفاف مشتملا بالنزاهة والكفاف غير
راض بذلك السمل ولكن مكره أخاك لا بطل متسليا
بإخوان قد ارتضى خلائقهم وأمن بوائقهم عاشرهم
بالألطاف ورضي منهم بالكفاف لا خيرهم يرتجى ولا
شرهم يتقى (إن كان لا بد من أهل ومن وطن * فحيث
آمن من ألقى ويأمنني) قد زم نفسه أن يستعمل طرفا
طماحا وأن يركب طرفا جماحا وأن
134 يلحف بيض طمع جناحا وأن يستقدح زندا
واريا أو شحاحا (وأدبني الزمان فلا أبالي * هجرت فلا
أزار ولا أزور) (ولست بقائل ما عشت يوما * أسار
الجند أم رحل الأمير) وكان المقام بمرو الشاهجان
المفسر عندهم بنفس السلطان فوجد بها من كتب العلوم
والآداب وصحائف أولى الأفهام والألباب ما شغله عن
الأهل والوطن وأذهله عن كل خل صفي وسكن فظفر منها
بضالته المنشودة وبغية نفسه المفقودة فأقبل عليها إقبال
النهم الحريص وقابلها بمقام لا مزمع عنها ولا محيص
فجعل يرتع في حدائقها ويستمتع بحسن خلقها وخلائقها
ويسرح طرفه في طرفها ويتلذذ بمبسوطها ونتفها واعتقد

المقام بذاك الجناب إلى أن يجاور التراب (إذا ما الدهر بيتني بجيش * طليعته اغتمام واغتراب) (شننت عليه من جهتي كمينا * أميراه الذبالة والكتاب) (وبت أنص من شيم الليالي * عجائب من حقائقها ارتياب) (بها أجلو همومي مستريحا * كما جلى همومهم الشراب) إلى أن حدث بخراسان ما حدث من الخراب والويل المبير والتباب وكانت لعمر الله بلادا مونقة الأرجاء رائقة الأنحاء ذات رياض أريضة وأهوية صحيحة مريضة قد تغنت أطيارها فتمايلت طربا أشجارها وبكت أنهارها فتضاحكت أزهارها وطاب روح نسيمها فصح مزاج إقليمها ولعهدي بتلك الرياض الأنيقة والأشجار المتهدلة الوريقة وقد ساقت إليها أرواح الجنائب زقاق خمر السحائب فسقت مروجها مدام الطل فنشأ على أزهارها حباب كاللؤلؤ المنحل فلما رويت من تلك الصهباء أشجاره رنحها من النسيم خماره فتدانت ولا تداني المحبين وتعانقت ولا عناق

135 العاشقين يلوح من خلالها شقائق قد شابه اشتقاق الهوى بالعليل فشابه شفتى غادتين دنتا للتقبيل وربما اشتبه على النحرير بائتلاف الخمر وقد انتابه رشاش القطر ويريه بهارا يبهر ناضره فيرتاح إليه ناظره كأنه صنوج من العسجد أو دنانير من الإبريز تنقد ويتخلل ذلك أقحوان تخاله ثغر المعشوق إذا عض خد عاشق فلله درها من نزهة رامق ولون وامق وجملة أمرها أنها كانت

أنموذج الجنة بلا مين فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ العين قد اشتملت عليها المكارم وارجحنت في أرجائها الخيرات الفائضة للعالم فكم فيها من حبر راقت حبره ومن إمام توجت حياة الإسلام سيره آثار علومهم على صفحات الدهر مكتوبة وفضائلهم في محاسن الدنيا والدين محسوبة وإلى كل قطر مجلوبة فما من متين علم وقويم رأي إلا ومن شرقهم مطلعه ولا من مغربة فضل إلا وعندهم مغربه وإليهم منزعه وما نشأ من كرم أخلاق بلا اختلاق إلا وجدته فيهم ولا إعراق في طيب أعراق إلا اجتليته من معانيهم أطفالهم رجال وشبابهم أبطال ومشايخهم أبدال شواهد مناقبهم باهرة ودلائل مجدهم ظاهرة ومن العجب العجاب أن سلطانهم المالك هان عليه ترك تلك الممالك وقال لنفسه الهوى لك وإلا فأنت في الهوالك وأجفل إجفال الرال وطفق إذا رأى غير شيء ظنه رجلا بل رجال (^ كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين) الدخان 26 لكنه عز و جل لم يورثها قوما آخرين تنزيها لأولئك الأبرار عن مقام المجرمين بل ابتلاهم فوجدهم شاكرين وبلاهم فألفاهم صابرين فألحقهم بالشهداء الأبرار ورفعهم إلى درجات

136 المصطفين الأخيار (^ وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) البقرة&&216 فجاس خلال تلك الديار أهل الكفر والإلحاد وتحكم في تلك الأبشار أولو

الزيغ والعناد فأصبحت تلك القصور كالممحو من السطور وأمست تلك الأوطان مأوى الأصداء والغربان تتجاوب في نواحيها البوم وتتناوح في أراجيها الريح السموم ويستوحش فيها الأنيس ويرثي لمصابها إبليس (كأن لم يكن فيها أوانس كالدمى * وأقيال ملك في بسالتهم أسد) (فمن حاتم في جوده وابن مامة * ومن أحنف إن عد حلم ومن سعد) (تداعى بهم صرف الزمان فأصبحوا * لنا عبرة تدمي الحشا ولمن بعد) فإنا لله وإنا إليه راجعون من حادثة تقصم الظهر وتهدم العمر وتفت في العضد وتوهي الجلد وتضاعف الكمد وتشيب الوليد وتنخب لب الجليد وتسود القلب وتذهل اللب فحينئذ تقهقر المملوك على عقبه ناكسا ومن الأوبة إلى حيث تستقر فيه النفس بالآمن آيسا بقلب واجب ودمع ساكب ولب عازب وحلم غائب وتوصل وما كاد حتى استقر بالموصل بعد مقاساة أخطار وابتلاء واصطبار وتمحيص الأوزار وإشراف غير مرة على البوار والتبار لأنه مر بين سيوف مسلولة وعساكر مفلولة ونظام عقود محلولة ودماء مسكوبة مطلولة وكان شعاره كلما علا قتبا أو قطع سبسبا (^ لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) الكهف 62 فالحمد لله الذي أقدرنا على الحمد وأولانا نعما تفوت الحصر والعد وجملة الأمر أنه لولا فسحة في الأجل لعز أن يقال سلم البائس أو وصل ولصفق عليه أهل الوداد صفقة المغبون وألحق بألف ألف ألف ألف هالك بأيدي الكفار

137 أو يزيدون وخلف خلفه جل ذخيرته ومستمد معيشته (تنكر لي دهري ولم يدر أنني * أعز وأحداث الزمان تهون) (وبات يريني الخطب كيف اعتداؤه * وبت أريه الصبر كيف يكون) وبعد فليس للملوك ما يسلي به خاطره ويعزي به قلبه وناظره إلا التعلل بإزاحة العلل إذا هو بالحضرة الشريفة مثل (فاسلم ودم وتمل العيش في دعة * ففي بقائك ما يسلي عن السلف) (فأنت للمجد روح والورى جسد * وأنت در فلا تأسى على الصدف) والمملوك الآن بالموصل مقيم يعالج لما حزبه من هذا الأمر المقعد المقيم يزجي وقته ويمارس حرفته وبخته يكاد يقول له باللسان القويم (^ تالله إنك لفي ضلالك القديم) يوسف 95&&يذيب نفسه في تحصيل أغراض هي لعمر الله أعراض من صحف يكتبها وأوراق يستصحبها نصبه فيها طويل واستمتاعه بها قليل ثم الرحيل وقد عزم بعد قضاء نهمته وبلوغ بعض وطر قرونته أن يستمد التوفيق ويركب سنن الطريق عساه أن يبلغ أمنتيه من المثول بالحضرة وإتحاف بصره من خلالها ولو بنظرة ويلقى عصا الترحال بفنائها الفسيح ويقيم تحت ظل كنفها إلى أن يصادفه الأجل المريح وينظم نفسه في سلك مماليكها بحضرتها كما ينتمي إليها في غيبتها إن مدت السعادة بضبعه وسمح له الدهر بعد الخفض برفعه فقد ضعفت قواه عن درك الآمال وعجز عن معاركة الزمان والنزال إذ ضمت البسيطة إخوانه وحجب الجديدان

أقرانه ونزل المشيب بعذاره وضعفت منة أوطاره وانقض
باز الشيب على غراب شبابه فقنصه وأكب نهار الحلم
على ليل الجهل فوقصه وتبدلت محاسنه عند أحبابه
مساوي وخصصه واستعاض
138 من حلة الشباب القشيب خلق الكبر والمشيب (
وشباب بان مني وانقضى * قبل أن أقضي منه أربي) (
ما أرجي بعده إلا الفنا * ضيق الشيب علي مطلبي) ولقد
ندب المملوك أيام الشباب بهذه الأبيات وما أقل غناء
الباكي على من عد في الرفات (تنكر لي مذ شبت دهري
وأصبحت * معارفه عندي من النكرات) (إذا ذكرتها
النفس حنت صبابة * وجادت شؤون العين بالعبرات) (
إلى أن أتى دهر يحسن ما مضى * ويوسعني تذكاره
حسرات) (فكيف ولما يبق من كأس مشربي * سوى
جرع في قعره كدرات) (وكل إناء صفوه في ابتدائه *
وفي القعر مزجا حمأة وقذاة) والمملوك يتيقن أنه لا ينفق
هذا الهذر الذي مضى إلا النظر إليه بعين الرضا ولرأي
المولى الوزير الصاحب كهف الورى في المشارق
والمغارب فيما يلاحظه منه بعادة مجده مزيد مناقب
ومراتب والسلام ولقد طالت هذه الترجمة بسبب طول
الرسالة ولم يمكن قطعها وقال صاحبنا الكمال ابن الشعار
الموصلي في كتاب عقود الجمان أنشدني أبو عبد الله
محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادي صاحب
تاريخ بغداد قال أنشدني ياقوت المذكور لنفسه في غلام

تركي قد رمدت عينه وعليها وقاية سوداء (ومولد للترك
تحسب وجهه * بدرا يضيء سناه بالإشراق) (أرخى
على عينيه فضل وقاية * ليرد فتنتها عن العشاق)
139 (تلله لو أن السوابغ دونها * نفذت فهل لوقاية
من واق) وكانت ولادة ياقوت المذكور في سنة أربع أو
خمس وسبعين وخمسمائة ببلاد الروم هكذا قاله وتوفي
يوم الأحد العشرين من شهر رمضان سنة ست وعشرين
وستمائة في الخان بظاهر مدينة حلب حسبما قدمنا ذكره
في أول الترجمة رحمه الله تعالى وكان قد وقف كتبه على
مسجد الزيدي الذي بدرب دينار ببغداد وسلمها إلى الشيخ
عز الدين أبي الحسن علي بن الأثير صاحب التاريخ
الكبير فحملها إلى هناك ولما تميز ياقوت المذكور
واشتهر سمى نفسه يعقوب وقدمت حلب للاشتغال بها في
مستهل ذي القعدة سنة وفاته وذلك عقيب موته والناس
يثنون عليه ويذكرون فضله وأدبه ولم يقدر لي الاجتماع
به 791 الحافظ ابن معين أبو زكريا يحيى بن معين بن
عون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن المري البغدادي
الحافظ المشهور كان إماما عالما حافظا متقنا قيل إنه من
قرية نحو الأنبار تسمى نقياي وكان أبوه كاتبا لعبد الله بن
مالك وقيل إنه كان على خراج الري فمات فخلف لابنه
يحيى المذكور ألف ألف درهم وخمسين ألف درهم فأنفق
جميع المال على الحديث حتى لم يبق له نعل يلبسه وسئل
يحيى المذكور كم كتبت من الحديث فقال كتبت بيدي

140 هذه ستمائة ألف حديث وقال راوي هذا الخبر
وهو أحمد بن عقبة وإني أظن أن المحدثين قد كتبوا له
بأيديهم ستمائة ألف وستمائة ألف وخلف من الكتب مائة
قمطر وثلاثين قمطرا وأربعة حباب شرابية مملوءة كتبا
وهو صاحب الجرح والتعديل وروى عنه الحديث كبار
الأئمة منهم أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري وأبو
الحسين مسلم بن الحجاج القشيري وأبو داود السجستاني
وغيرهم من الحفاظ وكان بينه وبين الإمام أحمد بن حنبل
رضي الله عنه من الصحبة والألفة والاشتراك في
الاشتغال بعلوم الحديث ما هو مشهور ولا حاجة إلى
الإطالة فيه وروى عنه هو وأبو خيثمة وكانا من أقرانه
وقال علي بن المديني انتهى العلم بالبصرة إلى يحيى بن
أبي كثير وقتادة وعلم الكوفة إلى أبي إسحاق والأعمش
وانتهى علم الحجاز إلى ابن شهاب وعمرو بن دينار
وصار علم هؤلاء الستة بالبصرة إلى سعيد بن أبي عروبة
وشعبة ومعمر وحماد بن سلمة وأبي عوانة ومن أهل
الكوفة إلى سفيان الثوري وسفيان بن عيينة ومن أهل
الحجاز إلى مالك بن أنس ومن أهل الشام إلى الأوزاعي
وانتهى علم هؤلاء إلى محمد بن إسحاق وهشيم ويحيى بن
سعيد وابن أبي زائدة ووكيع وابن المبارك وهو أوسع
هؤلاء علما وابن مهدي ويحيى بن آدم وصار علم هؤلاء
جميعا إلى يحيى بن معين وقال أحمد بن حنبل كل حديث
لا يعرفه يحيى بن معين فليس هو بحديث وكان يقول

صاحبنا رجل خلقه الله لهذا الشأن يظهر كذب الكذابين يعني يحيى بن معين وقال ابن الرومي ما سمعت أحدا قط يقول الحق في المشايخ غير يحيى ابن معين وغيره كان يتحامل بالقول

141 وقال يحيى ما رأيت على رجل قط خطأ إلا سترته عليه وأحببت أن أبين أمره وما استقبلت رجلا في وجهه بأمر يكرهه ولكن أبين له خطأه فيما بيني وبينه فإن قبل ذلك وإلا تركته وكان يقول كتبنا عن الكذابين وسجرنا به التنور وأخرجنا به خبزا نضيجا وكان ينشد (المال يذهب حله وحرامه * طرا وتبقى في غد آثامه) (ليس التقي بمتق لإلهه * حتى يطيب شرابه وطعامه) (ويطيب ما يحوي وتكسب كفه * ويكون في حسن الحديث كلامه) (نطق النبي لنا به عن ربه * فعلى النبي صلاته وسلامه) وقد ذكره الدارقطني فيمن روى عن الإمام الشافعي رضي الله عنه وقد سبق في ترجمة الشافعي خبره معه وما جرى بينه وبين الإمام أحمد بن حنبل في ذلك وسمع أيضا من عبد الله بن المبارك وسفيان بن عيينة وكان يحج فيذهب إلى مكة على المدينة ويرجع إلى المدينة فلما كان آخر حجة حجها خرج على المدينة ورجع على المدينة فأقام بها ثلاثة أيام ثم خرج حتى نزل المنزل مع رفقائه فباتوا فرأى في النوم هاتفا يهتف به يا أبا زكريا أترغب عن جواري فلما أصبح قال لرفقائه امضوا فإني راجع إلى المدينة فمضوا ورجع فأقام بها ثلاثا ثم مات

فحمل على أعواد النبي وكانت وفاته لسبع ليال بقين من
ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين ومائتين هكذا قاله الخطيب
في تاريخ بغداد وهو غلط قطعا لما تقدم ذكره وهو أنه
خرج إلى مكة للحج ثم رجع إلى المدينة ومات بها ومن
يكون قد حج كيف يتصور أن يموت بذي القعدة من تلك
السنة فلو ذكر أنه توفي في ذي الحجة لأمكن وكان
يحتمل أن يكون هذا غلطا من الناسخ لكني وجدته في
142 نسختين على هذه الصورة فيبعد أن يكون من
الناسخ والله أعلم ثم ذكر بعد ذلك أن الصحيح أنه مات
قبل أن يحج وعلى هذا يستقيم ما قاله من تاريخ الوفاة ثم
نظرت في كتاب الإرشاد في معرفة علماء الحديث تأليف
أبي يعلى الخليل بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن الخليل
الخليلي الحافظ أن يحيى ابن معين المذكور توفي لسبع
ليال بقين من ذي الحجة من السنة المذكورة فعلى هذا
يكون قد حج وذكر الخطيب أيضا أن مولده كان آخر سنة
ثمان وخمسين ومائة ثم قال بعد ذكر وفاته إنه بلغ سبعا
وسبعين سنة إلا عشرة أيام وهذا أيضا لا يصح من جهة
الحساب فتأمله ورأيت في بعض التواريخ أنه عاش خمسا
وسبعين سنة والله أعلم بالصواب وصلى عليه والي المدينة
ثم صلي عليه مرارا ودفن بالبقيع وكان بين يدي جنازته
رجل ينادي هذا الذي كان ينفي الكذب عن حديث رسول
الله ورثاه بعض المحدثين فقال (ذهب العليم بعيب كل
محدث * وبكل مختلف من الإسناد) (وبكل وهم في

الحديث ومشكل * يعيا به علماء كل بلاد) رضي الله عنه
ومعين بفتح الميم وكسر العين المهملة وسكون الياء المثناة
من تحتها وبعدها نون وبسطام بكسر الباء الموحدة
وسكون السين المهملة وفتح الطاء المهملة وبعد الألف ميم
والباقي معروف فلا حاجة إلى ضبطه ورأيت في بعض
التواريخ أنه يحيى بن معين بن غياث بن زياد بن عون بن
بسطام مولى الجنيد بن عبد الرحمن الغطفاني المري أمير
خراسان من قبل هشام ابن عبد الملك الأموي والأول
أشهر وأصح أعني النسب والمري بضم الميم وتشديد
الراء هذه النسبة إلى مرة غطفان وهو مرة
143 ابن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن
ريث بن غطفان وهي قبيلة كبيرة مشهورة وفي العرب
عدة قبائل تنسب إليها يقال لكل واحدة منها مرة وأما
نقياي فقال ابن السمعاني في كتاب الأنساب إنها بفتح النون
وكسر القاف أو فتحها وبعدها ياء مفتوحة تحتها نقطتان
وبعد الألف ياء ثانية وهي من قرى الأنبار منها يحيى بن
معين النقيايي قال الخطيب ويقال إن فرعون كان من أهل
هذه القرية والله أعلم 792 يحيى بن يحيى الليثي أبو
محمد يحيى بن يحيى بن كثير بن وسلاس وقيل وسلاسن
ابن شمال بن منغايا الليثي أصله من البربر من قبيلة يقال
لها مصمودة تولى بني ليث فنسب إليهم وجده كثير يكنى
أبا عيسى وهو الداخل إلى الأندلس وسكن قرطبة وسمع
بها من زياد بن عبد الرحمن بن زياد اللخمي المعروف

بشبطون القرطبي موطأ مالك بن أنس رضي الله عنه وسمع من يحيى ابن مضر القيسي الأندلسي ثم رحل إلى المشرق وهو ابن ثمان وعشرين سنة فسمع من مالك بن أنس الموطأ غير أبواب في كتاب الاعتكاف شك في
144 سماعه فيها فأثبت روايته فيها عن زياد وسمع بمكة من سفيان بن عيينة وبمصر من الليث بن سعد وعبد الله بن وهب وعبد الرحمن بن القاسم وتفقه بالمدنيين والمصريين من أكابر أصحاب مالك بعد انتفاعه بمالك وملازمته له وكان مالك يسميه عاقل الأندلس وسبب ذلك فيما يروى أنه كان في مجلس مالك مع جماعة من أصحابه فقال قائل قد حضر الفيل فخرج أصحاب مالك كلهم لينظروا إليه ولم يخرج يحيى فقال له مالك ما لك لا تخرج فتراه لأنه لا يكون بالأندلس فقال إنما جئت من بلدي لأنظر إليك وأتعلم من هديك وعلمك ولم أجيء لأنظر إلى الفيل فأعجب به مالك وسماه عاقل أهل الأندلس ثم إن يحيى عاد إلى الأندلس وانتهت إليه الرياسة بها وبه انتشر مذهب مالك في تلك البلاد وتفقه به جماعة لا يحصون عددا وروى عنه خلق كثير وأشهر روايات الموطأ وأحسنها رواية يحيى المذكور وكان مع إمامته ودينه معظما عند الأمراء مكينا عفيفا عن الولايات متنزها جلت رتبته عن القضاء فكان أعلى قدرا من القضاة عند ولاة الأمر هناك لزهده في القضاء وامتناعه منه قال أبو محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الأندلسي المقدم

ذكره مذهبان انتشرا في مبدأ أمرهما بالرياسة والسلطان
مذهب أبي حنيفة فإنه لما ولي قضاء القضاة أبو يوسف
يعقوب صاحب أبي حنيفة وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى
كانت القضاة من قبله فكان لا يولي قضاء البلدان من
أقصى المشرق إلى أقصى إفريقية إلا أصحابه والمنتمين
إليه وإلى مذهبه ومذهب مالك ابن أنس عندنا في بلاد
الأندلس فإن يحيى بن يحيى كان مكينا عند السلطان مقبول
القول في القضاة فكان لا يلي قاض في أقطار بلاد الأندلس
إلا بمشورته واختياره ولا يشير إلا بأصحابه ومن كان
على مذهبه والناس سراع إلى
145 الدنيا فأقبلوا على ما يرجون بلوغ أغراضهم
به على أن يحيى بن يحيى لم يل قضاء قط ولا أجاب إليه
وكان ذلك زائدا في جلالته عندهم وداعيا إلى قبول رأيه
لديهم وحكى أحمد بن أبي الفياض في كتابه قال كتب
الأمير عبد الرحمن بن الحكم الأموي المعروف بالربضي
صاحب الأندلس إلى الفقهاء يستدعيهم إليه فأتوا إلى
القصر وكان عبد الرحمن المذكور قد نظر في شهر
رمضان إلى جارية له كان يحبها حبا شديدا فعبث بها ولم
يملك نفسه أن وقع عليها ثم ندم ندما شديدا فسأل الفقهاء
عن توبته من ذلك وكفارته فقال يحيى بن يحيى يكفر ذلك
بصوم شهرين متتابعين فلما بدر يحيى بهذه الفتيا سكت
بقية الفقهاء حتى خرجوا من عنده فقال بعضهم لبعض
وقالوا ليحيى ما لك لم تفته بمذهب مالك فعنده أنه مخير

بين العتق والطعام والصيام فقال لو فتحنا له هذا الباب سهل عليه أن يطأ كل يوم ويعتق رقبة ولكن حملته على أصعب الأمور لئلا يعود ولما انفصل يحيى عن مالك ليعود إلى بلاده ووصل إلى مصر رأى عبد الرحمن بن القاسم يدون سماعه عن مالك فنشط للرجوع إلى مالك ليسمع منه المسائل التي كان ابن القاسم دونها عنه فرحل رحلة ثانية فألفى مالكا عليلا فأقام عنده إلى أن مات وحضر جنازته فعاد إلى ابن القاسم وسمع منه سماعه من مالك ذكر ذلك أبو الوليد ابن الفرضي في تاريخه وذكر أيضا فيه ما مثاله وانصرف يحيى بن يحيى إلى الأندلس فكان إمام وقته وواحد بلاده وكان رجلا عاقلا قال محمد بن عمر بن لبابة فقيه الأندلس عيسى بن دينار وعالمها عبد الملك بن حبيب وعاقلها يحيى بن يحيى

146 وكان يحيى ممن اتهم ببعض الأمر في الهيج فخرج إلى طليطلة ثم استأمن فكتب له الأمير الحكم أمانا وانصرف إلى قرطبة وكان أحمد بن خالد يقول لم يعط أحد من أهل العلم بالأندلس منذ دخلها الإسلام من الحظوة وعظم القدر وجلالة الذكر ما أعطيه يحيى بن يحيى وقال ابن بشكوال في تاريخه كان يحيى بن يحيى مجاب الدعوة وكان قد أخذ في نفسه وهيئته ومقعده هيئة مالك وحكي عنه أنه قال أخذت ركاب الليث بن سعد فأراد غلامه أن يمنعني فقال دعه ثم قال لي الليث خدمك أهل العلم فلم تزل بي الأيام حتى رأيت ذلك ثم قال وتوفي يحيى بن يحيى

في رجب سنة أربع وثلاثين ومائتين وقبره بمقبرة ابن عياش يستسقى به وهذه المقبرة بظاهر قرطبة وزاد أبو عبد الله الحميدي في كتاب جذوة المقتبس أن وفاته كانت لثمان بقين من الشهر المذكور وقال أبو الوليد ابن الفرضي في تاريخه إنه توفي سنة ثلاث وثلاثين وقيل سنة أربع وثلاثين في رجب والله أعلم بالصواب وأما وسلاس فهو بكسر الواو وسينين مهملتين الأولى منهما ساكنة وبينهما لام ألف ويزاد فيه نون فيقال وسلاسن ومعناه بالبربرية يسمعهم وشمال بفتح الشين المعجمة وتشديد الميم وبعد الألف لام ومنغايا بفتح الميم وسكون النون وفتح الغين المعجمة وبعد الألف ياء معجمة باثنتين من تحتها وبعدها ألف مقصورة ومعناه عندهم قاتل هذا والله أعلم وقد تقدم الكلام على الليثي والبربري ومصمودة والله أعلم

147 793 يحيى بن أكثم أبو محمد يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن بن سمعان بن مشنج التميمي الأسيدي المروزي من ولد أكثم بن صيفي التميمي حكيم العرب كان عالما بالفقه بصيرا بالأحكام ذكره الدارقطني في أصحاب الشافعي رضي الله عنه وقال الخطيب في تاريخ بغداد كان يحيى بن أكثم سليما من البدعة ينتحل مذهب أهل السنة سمع عبد الله بن المبارك وسفيان بن عيينة وغيرهما وقد مر ذكره في ترجمة سفيان وما دار بينهما وروى عنه أبو عيسى الترمذي وغيره وقال طلحة بن

محمد بن جعفر في حقه يحيى بن أكثم أحد أعلام الدنيا ومن قد اشتهر أمره وعرف خبره ولم يستتر عن الكبير والصغير من الناس فضله وعلمه ورياسته وسياسته لأمره وأمر أهل زمانه من الخلفاء والملوك واسع العلم بالفقه كثير الأدب حسن العارضة قائم بكل معضلة وغلب على المأمون حتى لم يتقدمه أحد عنده من الناس جميعا وكان المأمون ممن برع في العلوم فعرف من حال يحيى بن أكثم وما هو عليه من العلم والعقل ما أخذ بمجامع قلبه
148 حتى قلده القضاة وتدبير أهل مملكته فكانت الوزراء لا تعمل في تدبير الملك شيئا إلا بعد مطالعة يحيى بن أكثم ولا نعلم أحدا غلب على سلطانه في زمانه إلا يحيى بن أكثم وأحمد بن أبي داود وسئل رجل من البلغاء عن يحيى بن أكثم وابن أبي داود أيهما أنبل فقال كان أحمد يجد مع جاريته وابنته ويحيى يهزل مع خصمه وعدوه وكان يحيى سليما من البدعة ينتحل مذهب أهل السنة بخلاف أحمد بن أبي داود وقد تقدم في ترجمته طرف من اعتقاده وتعصبه للمعتزلة وكان يحيى يقول القرآن كلام الله فمن قال إنه مخلوق يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه وذكر الفقيه أبو الفضل عبد العزيز بن علي بن عبد الرحمن الأشنهي الملقب زين الدين في كتاب الفرائض في آخر المسائل الملقبات وهي الرابعة عشرة المعروفة بالمأمونية وهي أبوان وابنتان لم تقسم التركة حتى ماتت إحدى البنتين وخلفت من في المسألة سميت

مأمونية لأن المأمون أراد أن يولي رجلا على القضاء فوصف له يحيى بن أكثم فاستحضره فلما حضر دخل عليه وكان دميم الخلق فاستحقره المأمون لذلك فعلم ذلك يحيى فقال يا أمير المؤمنين سلني إن كان القصد علمي لا خلقي فسأله عن هذه المسألة فقال يا أمير المؤمنين الميت الأول رجل أم امرأة فعرف المأمون أنه قد عرف المسألة فقلده القضاء وهذه المسألة إن كان الميت الأول رجلا تصح المسألتان من أربعة وخمسين وإن كانت امرأة لم يرث الجد في المسألة الثانية شيئا لأنه أبو أم فتصح المسألتان من ثمانية عشر سهما

149 وذكر الخطيب في تاريخ بغداد أن يحيى بن أكثم ولي قضاء البصرة وسنه عشرون سنة ونحوها فاستصغره أهل البصرة فقالوا كم سن القاضي فعلم أنه قد استصغر فقال أنا أكبر من عتاب بن أسيد الذي وجه به النبي قاضيا على مكة يوم الفتح وأنا أكبر من معاذ بن جبل الذي وجه به النبي قاضيا على أهل اليمن وأنا أكبر من كعب بن سور الذي وجه به عمر بن الخطاب رضي الله عنه قاضيا على أهل البصرة فجعل جوابه احتجاجا وكان رسول الله قد ولى عتاب بن أسيد مكة بعد فتحها وله إحدى وعشرون سنة وقيل ثلاث وعشرون وكان إسلامه يوم فتح مكة وقال لرسول الله أصحبك وأكون معك فقال أو ما ترضى أن أستعملك على آل الله تعالى فلم يزل عليهم حتى قبض رسول الله قال وبقي يحيى سنة لا يقبل بها شاهدا

فتقدم إليه أحد الأمناء فقال أيها القاضي قد وقفت الأمور وتريثت الأحوال فقال وما السبب قال في ترك القاضي قبول الشهود فأجاز في ذلك اليوم منها سبعين شاهدا وقال غير الخطيب كانت ولاية القاضي يحيى بن أكثم القضاء بالبصرة سنة اثنتين ومائتين وقد سبق في ترجمة حماد بن أبي حنيفة أن يحيى المذكور ولي البصرة بعد إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة وذكر عمر بن شبة في كتاب أخبار البصرة أن يحيى عزل عن قضاء البصرة في سنة عشرين ومائتين وتولى إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة وحدث محمد بن منصور قال كنا مع المأمون في طريق الشام فأمر فنودي بتحليل المتعة فقال يحيى بن أكثم لي ولأبي العيناء بكرا غدا إليه فإن رأيتما للقول وجها فقولا وإلا فاسكتا

150 إلى أن أدخل قال فدخلنا عليه وهو يستاك ويقول وهو مغتاظ متعتان كانتا على عهد رسول الله وعلى عهد أبي بكر رضي الله عنه وأنا أنهى عنهما ومن أنت يا جعل حتى تنهى عما فعله رسول الله وأبو بكر رضي الله عنه فأومأ أبو العيناء إلى محمد بن منصور وقال رجل يقول في عمر بن الخطاب ما يقول نكلمه نحن فأمسكنا فجاء يحيى بن أكثم فجلس وجلسنا فقال المأمون ليحيى مالي أراك متغيرا فقال هو غم يا أمير المؤمنين لما حدث في الإسلام قال وما حدث فيه قال النداء بتحليل الزنا قال الزنا قال نعم المتعة زنا قال ومن أين قلت هذا قال من

كتاب الله عز وجل وحديث رسول الله قال الله تعالى (^ قد
أفلح المؤمنون) إلى قوله (^ والذين هم لفروجهم
حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير
ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون)
المؤمنون 1 7 يا أمير المؤمنين زوجة المتعة ملك يمين
قال لا قال فهي الزوجة التي عند الله ترث وتورث وتلحق
الولد ولها شرائطها قال لا قال فقد صار متجاوز هذين من
العادين وهذا الزهري يا أمير المؤمنين روى عن عبد الله
والحسن ابني محمد بن الحنفية عن أبيهما عن علي بن أبي
طالب رضي الله عنه قال أمرني رسول الله أن أنادي
بالنهي عن المتعة وتحريمها بعد أن كان أمر بها فالتفت
إلينا المأمون فقال أمحفوظ هذا من حديث الزهري فقلنا
نعم يا أمير المؤمنين رواه جماعة منهم مالك رضي الله
عنه فقال أستغفر الله نادوا بتحريم المتعة فنادوا بها قال
أبو إسحاق إسماعيل إبن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن
زيد بن درهم الأزدي القاضي الفقيه المالكي
151 البصري وقد ذكر يحيى بن أكثم فعظم أمره
وقال كان له يوم في الإسلام لم يكن لأحد مثله وذكر هذا
اليوم وكانت كتب يحيى في الفقه أجل كتب فتركها الناس
لطولها وله كتب في الأصول وله كتاب أورده على
العراقيين سماه كتاب التنبيه وبينه وبين داود بن علي
مناظرات كثيرة ولقيه رجل وهو يومئذ على القضاء فقال
أصلح الله القاضي كم آكل قال فوق الجوع ودون الشبع

فقال فكم أضحك قال حتى يسفر وجهك ولا يعلو صوتك
قال فكم أبكي قال لا تمل من البكاء من خشية الله تعالى
قال فكم أخفي عملي قال ما استطعت قال فكم أظهر منه
قال مقدار ما يقتدي بك البر الخير ويؤمن عليك قول الناس
قال الرجل سبحان الله قول قاطن وعمل ظاعن وكان
يحيى من أدهى الناس وأخبرهم بالأمور رأيت في بعض
المجاميع أن أحمد بن أبي خالد الأحول وزير المأمون
وقف بين يدي المأمون وخرج يحيى بن أكثم من بعض
المستراحات فوقف فقال له المأمون اصعد فصعد وجلس
على طرف السرير معه فقال أحمد يا أمير المؤمنين إن
القاضي يحيى صديقي وممن أثق به في جميع أموري وقد
تغير عما عهدته منه فقال المأمون يا يحيى إن فساد أمر
الملوك بفساد خاصتهم وما يعدلكما عندي أحد فما هذه
الوحشة بينكما فقال له يحيى يا أمير المؤمنين والله أنه
ليعلم أني له على أكثر مما وصف ولكنه لما رأى منزلتي
منك هذه المنزلة خشي أن أتغير له يوما فأقدح فيه عندك
فأحب أن يقول لك هذا ليأمن مني وإنه والله لو بلغ نهاية
مساءتي ما ذكرته بسوء عندك أبدا فقال المأمون أكذلك هو
يا أحمد قال نعم يا أمير المؤمنين قال أستعين بالله عليكما
فما رأيت أتم دهاء ولا أعظم فطنة منكما
152 ولم يكن فيه ما يعاب به سوى ما كان يتهم به
من الهنات المنسوبة إليه الشائعة عنه والله أعلم بحاله فيها
وذكر الخطيب في تاريخه أنه ذكر لأحمد بن حنبل رضي

الله عنه ما يرميه الناس به فقال سبحان الله سبحان الله من
يقول هذا وأنكر ذلك إنكارا شديدا وذكر عنه أيضا أنه
كان يحسد حسدا شديدا وكان مفننا فكان إذا نظر إلى رجل
يحفظ الفقه سأله عن الحديث وإذا رآه يحفظ الحديث سأله
عن النحو وإذا رآه يعلم النحو سأله عن الكلام ليقطعه
ويخجله فدخل إليه رجل من أهل خراسان ذكي حافظ
فناظره فرآه مفننا فقال له نظرت في الحديث قال نعم قال
ما تحفظ من الأصول قال أحفظ عن شريك عن أبي
إسحاق عن الحارث أن عليا رضي الله عنه رجم لوطيا
فأمسك ولم يكلمه ثم قال الخطيب أيضا ودخل على يحيى
بن أكثم ابنا مسعدة وكانا على نهاية الجمال فلما رآهما
يمشيان في الصحن أنشأ يقول (يا زائرينا من الخيام *
حياكما الله بالسلام) (لم تأتياني وبي نهوض * إلى حلال
ولا حرام) (يحزنني أن وقفتما بي * وليس عندي سوى
الكلام) ثم أجلسهما بين يديه وجعل يمازحهما حتى
انصرفا ويقال إنه عزل عن الحكم بسبب هذه الأبيات
ورأيت في بعض المجاميع أن يحيى بن أكثم مازح الحسن
بن وهب المذكور في ترجمة أخيه سليمان بن وهب وهو
يومئذ صبي فلاعبه ثم جمشه فغضب الحسن فأنشد يحيى
(أيا قمرا جمشته فتغضبا * وأصبح لي من تيهه متجنبا)
153 (إذا كنت للتجميش والعض كارها * فكن أبدا
يا سيدي متنقبا) (ولا تظهر الأصداغ للناس فتنة *
وتجعل منها فوق خديك عقربا) (فتقتل مسكينا وتفتن

ناسكا * وتترك قاضي المسلمين معذبا) وقال أحمد بن يونس الضبي كان زيدان الكاتب يكتب بين يدي يحيى ابن أكثم القاضي وكان غلاما جميلا متناهي الجمال فقرص القاضي خده فخجل الغلام واستحيا وطرح القلم من يده فقال له يحيى خذ القلم واكتب ما أملي عليك ثم أملى الأبيات المذكورة والله أعلم وقال إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الصفار سمعت أبا العيناء في مجلس أبي العباس المبرد يقول كنت في مجلس أبي عاصم النبيل وكان أبو بكر ابن يحيى بن أكثم حاضرا فنازع غلاما فارتفع الصوت فقال أبو عاصم مهيم فقالوا هذا أبو بكر ين يحيى بن أكثم ينازع غلاما فقال إن يسرق فقد سرق أب له من قبل هكذا ذكره الخطيب في تاريخه وذكر الخطيب أيضا في تاريخه أن المأمون قال ليحيى المذكور من الذي يقول (قاض يرى الحد في الزناء ولا * يرى على من يلوط من باس) قال أو ما يعرف أمير المؤمنين من القائل قال لا قال يقوله الفاجر أحمد بن أبي نعيم الذي يقول (لا أحسب الجور ينقضي وعلى الأمة * وال من آل عباس) قال فأفحم المأمون خجلا وقال ينبغي أن ينفي أحمد بن أبي نعيم إلى السند وهذان البيتان من جملة أبيات أولها

154 (أنطقني الدهر بعد إخراس * لنائبات أطلن وسواسي) (يا بؤس للدهر لا يزال كما * يرفع ناسا يحط من ناس) (لا أفلحت أمة وحق لها * بطول نكس وطول إتعاس) (ترضى بيحيى يكون سائسها * وليس

يحيى لها بسواس) (قاض يرى الحد في الزناء ولا *
يرى على من يلوط من باس) (يحكم للأمرد الغرير
على * مثل جرير ومثل عباس) (فالحمد لله كيف قد
ذهب العدل * وقل الوفاء في الناس) (أميرنا يرتشي
وحاكمنا * يلوط والرأس شر ما راس) (لو صلح الدين
فاستقام لقد * قام على الناس كل مقياس) (لا أحسب
الجور ينقضي وعلى الأمة * وال من آل عباس) وظني
أنها أكثر من هذا ولكن الخطيب لم يذكر إلا هذا القدر
ونقلت من أمالي أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري المقدم
ذكره أن القاضي يحيى بن أكثم قال لرجل يأنس به
ويمازحه ما تسمع الناس يقولون في قال ما أسمع إلا خيرا
قال ما أسألك لتزكيني قال أسمعهم يرمون القاضي بالأبنة
قال فضحك وقال اللهم غفرا المشهور عنا غير هذا
وحكى أبو الفرج الأصبهاني في كتاب الأغاني ليحيى
المذكور وقائع في هذا الباب وأن المأمون لما تواتر النقل
عن يحيى بهذا أراد امتحانه فأخلى له مجلسا واستدعاه
وأوصى مملوكا خزريا يقف عندهما وحده فإذا خرج
المأمون يقف المملوك ولا ينصرف وكان المملوك في
غاية الحسن فلما اجتمعا بالمجلس وتحادثا قام المأمون
كأنه يقضي حاجة فوقف المملوك فتجسس المأمون عليهما
155 وكان قد قرر معه أن يعبث بيحيى علما منه أن
يحيى لا يتجاسر عليه خوفا من المأمون فلما عبث به
المملوك سمعه المأمون وهو يقول لولا أنتم لكنا مؤمنين

فدخل المأمون وهو ينشد (وكنا نرجي أن نرى العدل ظاهرا * فأعقبنا بعد الرجاء قنوط) (متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها * وقاضي قضاة المسلمين يلوط) وهذان البيتان لأبي حكيمة راشد بن إسحاق الكاتب وراشد له فيه مقاطيع كثيرة وذكر المسعودي في مروج الذهب في ترجمة المأمون جملة من أخبار يحيى في هذا الباب أضربنا عن ذكرها ومما يناسب حكاية المأمون مع يحيى بسؤاله عن البيت لمن هو وإجابة يحيى ببيت آخر من القصيدة ما يروى أن معاوية بن أبي سفيان الأموي لما مرض مرض موته واشتدت علته وحصل اليأس منه دخل عليه بعض أولاد علي ابن أبي طالب رضي الله عنه يعوده ولا أستحضر الآن من هو فوجده قد استند جالسا يتجلد له لئلا يشتفي به فضعف عن القعود فاضطجع وأنشد (وتجلدي للشامتين أريهم * أني لريب الدهر لا أتضعضع) فقام العلوي من عنده وهو ينشد (وإذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع) فعجب الحاضرون من جوابه وهذان البيتان من جملة قصيدة طويلة لأبي ذؤيب خويلد بن خالد الهذلي يرثي بها بنيه وكان قد هلك له خمس بنين في عام واحد أصابهم الطاعون
156 وكانوا هاجروا معه إلى مصر وهلك أبو ذؤيب المذكور في طريق مصر وقيل في طريق إفريقية مع عبد الله بن الزبير ثم وجدت في كتاب فلك المعاني لابن الهبارية في الباب التاسع من الكتاب المذكور أن الحسين

بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما دخل على معاوية في علته فقال أسندوني ثم تمثل ببيت أبي ذؤيب وأنشد البيت المذكور فسلم الحسين ثم أنشد البيت الثاني والله أعلم وذكرها أبو بكر ابن داود الظاهري في كتاب الزهرة منسوبة إلى الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما والله أعلم قلت ولم يذكر ابن الهبارية ولا الظاهري أنه كان في علة الموت ولا يمكن ذلك لأن الحسن توفي قبل معاوية والحسين لم يحضر وفاة معاوية لأنه كان بالحجاز ومعاوية توفي بدمشق ثم وجدت في أول كتاب التعازي تأليف أبي العباس المبرد هذه القصة جرت للحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان والظاهر أن ابن الهبارية منه نقلها ومثل ذلك أيضا ما يحكى أن عقيل بن أبي طالب هاجر أخاه عليا رضي الله عنه والتحق بمعاوية فبالغ معاوية في بره وزاد في إكرامه إرغاما لعلي رضي الله عنه فلما قتل علي واستقل معاوية بالأمر ثقل عليه أمر عقيل فكان يسمعه ما يكره لينصرف عنه فبينما هو يوما في مجلس حفل بأهل الشام إذ قال معاوية أتعرفون أبا لهب الذي نزل في حقه قوله تعالى (^ تبت يدا أبي لهب) المسد 1 من هو فقال أهل الشام لا فقال معاوية هو عم هذا وأشار إلى عقيل فقال عقيل في الحال أتعرفون امرأته التي قال الله في حقها (^ وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد) المسد 4 من هي فقالوا لا

157 قال هي عمة هذا وأشار إلى معاوية وكانت عمته أم جميل بنت حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف زوجة أبي لهب بن عبد العزى وهي المشار إليها في هذه السورة فكان ذلك من الأجوبة المسكتة ويقرب من هذا أيضا أن بعض الملوك حاصر بعض البلاد وكان معه عساكر عظيمة بكثرة الرجال والخيل والعدد فكتب الملك المحاصر إلى صاحب البلد كتابا يشير إليه بأنه يسلم البلد إليه ولا يقاتله وذكر ما جاء به من الرجال والأموال والآلات ومن جملة الكتاب قوله تعالى (^ حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) النمل 18 فلما وصل الكتاب إلى صاحب البلد وتأمله وقرأه على خواصه قال من يجاوب عن هذا فقال بعض الكتاب تكتب إليه (^ فتبسم ضاحكا من قولها)

النمل 19 فاستحسن الحاضرون جوابه ومثل هذا أيضا ما حكاه ابن رشيق القيرواني في كتاب الأنموذج وهو أن عبد الله بن إبراهيم بن المثنى الطوسي المعروف بابن المؤدب المهدوي الأصل القيرواني البلد الشاعر المشهور كان مغرى بالسياحة وطلب الكيمياء والأحجار وكان محروما مقترا عليه متلافا إذا أفاد شيئا فخرج مرة يريد جزيرة صقلية فأسره الروم في البحر وأقام مدة طويلة إلى أن هادن ثقة الدولة يوسف بن عبد الله بن محمد بن أبي الحسين القضاعي صاحب صقلية الروم وبعث إليه

بالأسرى فكان عبد الله المذكور فيمن بعث فامتدح عبد الله المذكور ثقة
158 الدولة بقصيدة شكره فيها على صنعه ورجا صلته فلم يصله بشيء أرضاه وكانت فيه رغبة فتكلم وطلب طلبا شديدا وهو مستخف عند بعض من يعرف من أهل صناعته وطالت المدة فخرج سكران يشتري نقلا فما شعر إلا وقد أخذ وحمله صاحب الشرطة حتى أدخله على ثقة الدولة فقال له ما الذي بلغني يا بائس قال المحال أيد الله سيدنا الأمير قال ومن هو الذي يقول في شعره (فالحر ممتحن بأولاد الزنا *) قال هو الذي يقول (وعداوة الشعراء بئس المقتنى *) فتنمر ساعة ثم أمر له بمائة رباعي وأخرجه من المدينة كراهية أن تقوم عليه نفسه فيعاقبه بعد أن عفا عنه فخرج منها وهذا المستشهد به عجزا بيتين من شعر المتنبي في قصيدته النونية التي يمدح بها بدر بن عمار وأولها (الحب ما منع الكلام الألسنا * وألذ شكوى عاشق ما أعلنا) وهي من مشاهير قصائده وأول العجز الأول (وأنه المشير عليك في بضلة * فالحر ممتحن بأولاد الزنا) وأول العجز الثاني (ومكايد السفهاء واقعة بهم * وعداوة الشعراء بئس المقتنى)
159 وإذ قد ذكرنا ثقة الدولة المذكور فنذكر قصيدة أبي محمد عبد الله بن محمد التنوخي المعروف بابن قاضي ميلة التي مدحه بها في عيد النحر وهي قصيدة بديعة لا

توجد بكمالها في أيدي الناس ولقد ظفرت بها في ظهر كتاب ولم يكن عندي منها سوى البعض ولا سمعت أحدا يروي منها إلا ذلك القدر فأحببت إثباتها لحسنها وغرابتها وهي هذه (يذيل الهوى دمعي وقلبي المعنف * وتجني جفوني الوجد وهو المكلف) (وإني ليدعوني إلى ما شنفته * وفارقت مغناه الأغن المشنف) (وأحور ساجي الطرف أما وشاحه * فصفر وأما وقفه فموقف) (يطيب أجاج الماء من نحو أرضــــه * يحيي ويندى ريحه وهو حرجف) (وأيأسني من وصله أن دونه * متالف تسري الريح فيها فتتلف) (وغيران يجفو النوم كي لا يرى لنا * إذا نام شملا في الكرى يتألف) (يظل على ما كان من قرب دارنا * وغفلته عما مضى يتأسف) (وجون بمزن الرعد يستن ودقه * يرى برقه كالحية الصل تطرف) (كأني إذا ما لاح والرعد معول * وجفن السـحاب الجون بالماء يذرف) (سليم وصوت الرعد راق وودقه * كنفث الرقى من سوء ما أتكلف) (ذكرت به ريا وما كنت ناسيا * فأذكر لكن لوعة تتضــعف) (ولما التقينا محرمين وسـيرنا * بلبيك ربا والركائب تعسـف) (نظرت إليها والمطي كأنما * غواربها منها معاطس رعف) (فقالت أما منكن من يعرف الفتى * فقد رابني من طول ما يتشوف) (أراه إذا سرنا يسير حذاءنا * ونوقف أخفاف المطي فيوقف)

160 (فقلت لتربيها ابلغاها بأنني * بها مستهام قالتا
نتلطف) (وقولا لها يا أم عمرو أليس ذا * منى والمنى
في خيفه ليس يخلف) (تفاءلت في أن تبذلي طارف الوفا
* بأن عن لي منك البنان المطرف) (وفي عرفات ما
يخبر أنني * بعارفة من عطف قلبك أسعف) (وأما دماء
الهدي فهي هدى لنا * يدوم ورأي في الهوى يتألف) (
وتقبيل ركن البيت إقبال دولة * لنا وزمان بالمودة يعطف
) (فأوصـــلتا ما قلته فتبســـمت * وقالت أحاديث العيافة
زخرف) (بعيشـــي ألم أخبركما أنه فتى * على لفظه برد
الكلام المفوف) (فلا تأمنا ما اسطعتما كيد نطقه * وقولا
سـتدري أينا اليوم أعيف) (إذا كنت ترجو في منى الفوز
بالمنى * ففي الخيف من إعراضـــنا تتخوف) (وقد أنذر
الإحرام أن وصـالنا * حرام وأنا عن مزارك نصدف) (
وهذا وقذفي بالحصى لك مخبر * بأن النوى بي عن ديارك
تقذف) (وحاذر نفارى ليلة النفر إنه * ســـريع فقل من
بالعيافة أعرف) (فلم أر مثلينا خليلي مودة * لكل لســـان
ذو غرارين مرهف) (أمـــا إنـــه لولا أغن مهفهف *
وأشنف براق وأحور أوطف) (لراجع مشتاق ونام مسهد
* وأيقن مرتاب وأقصـــر مدنف) (وعاذلة في بذل ما
ملكت يدي * لراج رجاني دون صـــحبي تعنف) (تقول
إذا أفنيت مالك كله * وأحوجت من يعطيكه قلت يوســـف)
(أغر قضـــاعي يكاد نواله * لكثرة ما يدعو إلى الشـــكر
يجحف) (إذا نحن أخلفنا مخايل ديمة * وجدنا حيا

معروفه ليس يخلف) (سـعى وسـعى الأملاك في طلب العلا * ففاز وأكدوا إذ أخف وأقطفوا)
161 (ويقظان شـاب البطش باللين والتقى * بكفيه ما يرجى وما يتخوف) (حسـام على من ناصـب الدين مصـلت * وسـتر على من راقب الله مغدف) (يسـايره جيشـان رأي وفيلق * ويصـحبه سيفان عزم ومرهف) (مطل على من شـاءه فكأنما * على حكمه صـرف الردى يتصرف) (يرى رأيه ما لا ترى عين غيره * ويفري به ما ليس يفري المثقف) (رعى الله من ترعى حمى الدين عينه * ويحمي حمى الإسـلام والليل أغضـف) (ومن وعده في مسـرح الحمد مطلق * وإيعاده في ذمة الحلم موقف) (ومن يضرب الأعداء هبرا فينثني * صناديدهم والبيض بالهام تقذف) (رماهم بمجر ضـعضـع الأرض رزه * كأن الروابي منه بالذبل تدلف) (كأن الرديniات في رونق الضـحى * أراقم في طام من الآل تزحف) (يعود الدجى من بيضـه وهو أبيض * ويبدو الضـحى من نقعه وهو أكلف) (ويحجب نور الشـمس بالنقع عنهم * ففعل الظبا في هامهم لا يكيف) (لهم كل عام منك جاءوك فيلق * يسـائل عنهم بالعوالي فيلحف) (إذا ما طووا كشـحا على قرح عامهم * وبلوا من الآلام أنشـأت تقرف) (فكم من أغم الوجه غاو تركته * وهاديه من عثنون لحييه أكثف) (هوى المقضـب الماضـي بمهواه فانثنى * صـريعا تراه حبترا وهو أسـقف) (لعمري لقد

عاديت في الله طالبا * رضـــاه وقد أبليت ما الله يعرف) (أطالبتهم في الأهل حتى تركتهم * فرادى وفي الأديان حتى تحنفوا) (فيا ثقة الملك الذي الملك ســهمه * يراش لأكباد الأعادي ويرصــف) (هنيئا لك العيد الذي منك حسـنه * يروق ومن أوصــافك الغر يوصــف) (بدا معلم الأرجاء يزهى كأنما * على عطفه وشــي العراق المشفف) (أتى بعد حول زائرا عن تشـــوق * وقد كان ذا طرف للقياك يطرف)

162 (فطوقته عزا وشـــنفته به * فلاح لنا وهو المحلى المشـنف) (وقابله بالســعد نجلك جعفر * فيا لك من عيد بملكين تتحف) (فلا زلـت تســـتجدى فتولي وترتجى * فتكفي وتســـتدعى لخطب فتكشـــف) نجزت القصـــيدة (314) وكان لثقة الدولة المذكور ولد يدعى تاج الدولة جعفر بن ثقة الدولة وكان أديبا شـــاعرا وله الأبيات السائرة في غلامين على أحدهما ثوب ديباج أحمر وعلى الآخر ثوب ديباج أسود وهي (أرى بدرين قد طلعا * على غصـــنين في نســق) (وفي ثوبين قد صـــبغا * صـــباغ الخد والحدق) (فهذا الشـــمس في شـفق * وهذا البدر في غســق) وكان عمله لهذه الأبيات في سـنة سـبع وعشرين وخمسمائة ولما توجه المأمون إلى مصر وذلك في سنة سبع عشرة ومائتين دخلها لعشر خلون من المحرم وخرج منها سلخ صفر من السنة كان معه القاضي يحيى بن أكثم فولاه قضاء مصر وحكم بها ثلاثة أيام ثم خرج مع

المأمون وعده ابن زولاق في جملة قضـــاة مصـــر لذلك
وروي عن يحيى بن أكثم أنه قال اختصم إلي في الرصافة
الجد الخامس يطلب ميراث ابن ابن ابن ابنه وكان عبد
الصمد بن أبي مروة بن المعذل بن غيلان بن المحارب بن
البحتري

163 العبدي البصـــري الشـــاعر المشـــهور يلازم
الترداد إلى القاضـي يحيى المذكور ويغشـى مجلسـه وكان
بعض الأحيان لا يقدر على الوصـــول إليه إلا بعد مشــقة
ومذلة يقاســيها فانقطع عنه فلامته زوجته في ذلك مرارا
فأنشــدها (تكلفني إذلال نفســي لعزها * وهان عليها أن
أهان لتكرما) (تقول ســـل المعروف يحيى بن أكثم *
فقلت سليه رب يحيى بن أكثما) ولم تزل الأحوال تختلف
عليـه وتتقلـب بـه إلى أيـام المتوكـل على الله فلمـا عزل
القاضـي محمد بن القاضـي أحمد بن أبي داود عن القضـاء
فوض الولاية إلى القاضــي يحيى وخلع عليه خمس خلع ثم
عزله في سنة أربعين ومائتين وأخذ أمواله وولى في رتبته
جعفر بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان بن علي ابن عبد
الله بن العباس الهاشمي فجاء كاتبه إلى القاضي يحيى فقال
له ســـلم الديوان فأبى فقال شـــاهدان عدلان على أمير
المؤمنين أنه أمرني بذلك فأخذ منه الديوان قهرا وغضـــب
عليـه المتوكـل فـأمر بقبض أملاكـه وألزم منزلـه ثم حج
وحمل أخته معه وعزم على أن يجاور فلما اتصـــل به
رجوع المتوكل له بدا له في المجاورة ورجع يريد العراق

فلما وصـــل إلى الربذة توفي بها يوم الجمعة منتصـــف ذي الحجة ســنة اثنتين وأربعين ومائتين وقيل غرة ســنة ثلاث وأربعين ودفن هنــاك رحمــه الله تعــالى وعمره ثلاث وثمانون سنة وأكثم بفتح الهمزة وسكون الكاف وفتح الثاء المثلثة وبعدها ميم وهو العظيم البطن والشبعان أيضا يقال بالثاء المثلثة والتاء المثناة من فوقها ومعناهما واحد ذكره في كتاب المحكم وحكى أبو عبد الله الحســـين بن عبد الله بن سـعيد قال كان يحيى بن أكثم القاضـي صـديقا لي وكان يودني وأوده فمات يحيى فكنت أشـــتهي أن أراه في المنام فأقول ما فعل الله بك فرأيته ليلة في المنام فقلت ما فعل الله بك

164 قال غفر لي إلا أنه وبخني ثم قال لي يا يحيى خلطت علي في الدنيا فقلت يا رب اتكلت على حديث حدثني به أبو معاوية الضرير عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضـــي الله تعالى عنه قال قال رســـول الله إنك قلت إني لأســـتحيي أن أعذب ذا شـــيبة بالنار فقال قد عفوت عنك يا يحيى وصـــدق نبيي إلا أنك خلطت علي في دار الدنيا هكذا ذكره أبو القاســـم القشـــيري في الرســـالة وقطن بفتح القاف والطاء المهملة وبعدها نون وســـمعان بفتح السـين المهملة ومشـنج كشـفت عنه كثيرا من الكتب وأرباب هذه الصـــناعة فلم أقف منه على حقيقة ثم وجدت في نسخة من تاريخ بغداد للخطيب وهي صحيحة مسموعة وقد قيد هذا الاســم بضــم الميم وفتح الشــين المعجمة وفتح

النون المشـــددة وفي آخره جيم هذا أقصــــى ما قدرت عليه والله أعلم بالصـواب ثم وجدته في المختلف والمؤتلف لعبد الغني بن سعيد كما قيل هاهنا الأسيدي بضم الهمزة وفتح الســـين المهملة وكســـر الياء المثناة من تحتها وتشـــديدها وبعدها دال مهملة هذه النسـبة إلى أسيد وهو بطن من تميم يقال لـه أســـيد بن عمرو بن تميم وقد تقدم الكلام على التميمي والمروزي والربـذة بفتح الراء والبـاء الموحـدة والذال المعجمة وبعدها هاء ســـاكنة وهي قرية من قرى المدينـة على طريق الحـاج ينزلونـها عند عبورهم عليهـا وهي التي نفى عثمان بن عفان أبا ذر الغفاري رضـــي الله عنهما إليها وأقام بها حتى

165 مات وقبره ظاهر هناك يزار وميلة بكسر الميم وســـكون الياء المثناة من تحتها وفتح اللام وبعد ها هاء ســـاكنة وهي بليدة من أعمال إفريقية (315) وتوفي جعفر بن عبد الواحد القاضــــي المذكور ويكنى أبا عبد الله سـنة ثمان وخمسـين ومائتين وقيل سـنة ثمان وسـتين وقيل سنة تسع وستين بطرسوس رحمه الله تعالى 794 يحيى بن معـاذ الواعظ أبو زكريـا يحيى بن معـاذ الرازي الواعظ أحد رجال الطريقة ذكره أبو القاسـم القشـيري في الرسـالة وعده من جملة المشايخ وقال في حقه نسيج وحده في وقته له لسان في الرجاء خصوصا وكلام في المعرفة خرج إلى بلخ وأقام بها مدة ورجع إلى نيســـابور ومات بها ومن كلامه كيف يكون زاهدا من لا ورع له تورع عما ليس لك

ثم ازهد فيما لك وكان يقول الجوع للمريدين رياضـــة وللتائبين تجربة وللزهاد سياسة وللعارفين مكرمة والوحدة جليس الصديقين والفوت أشد من الموت لأن الفوت انقطاع عن الحق والموت انقطاع عن الخلق والزهد ثلاثة أشـياء القلة والخلوة والجوع ومن خان الله في السـر هتك سـتره في العلانية

166 وسـمع إسـحاق بن سـليمان الرازي ومكي بن إبراهيم البلخي وعلي بن محمد الطنافسـي وروى عنه الغرباء من أهل الري وهمذان وخراسـان أحاديث مسـندة قليلة وذكره الخطيب في تاريخ بغداد فقال قدم بغداد واجتمع إليه بها مشـايخ الصـوفية والنسـاك ونصـبوا له منصـة وأقعدوه عليها وقعدوا بين يديه يتحاورون فتكلم الجنيد فقال له يحيى اسـكت يا خروف ما لك والكلام إذا تكلم الناس وكان له إشـارات وعبارات حسـنة فمن كلامه الكلام الحسـن حسـن وأحسـن من الكلام معناه وأحسـن من معناه اسـتعماله وأحسـن من اسـتعماله ثوابه وأحسـن من ثوابه رضـا من يعمل له ومن كلامه حقيقة المحبة أن لا تزيد بالبر ولا تنقص بالجفاء وكان يقول من لم يكن ظاهره مع العوام فضـة ومع المريدين ذهبا ومع العارفين المقربين درا وياقوتا فليس من حكماء الله المريدين وكان يقول أحسن شيء كلام صحيح من لسان فصيح في وجه صبيح كلام دقيق يستخرج من بحر عميق على لسان رجل رفيق وكان يقول إلهي كيف أنساك وليس لي رب سواك

إلهي لا أقول لا أعود لأني أعرف من نفســي نقض العهود ولكني أقول لا أعود لا أعود لعلي أموت قبـل أن أعود ومن دعائه اللهم إن كان ذنبي قد أخافني فإن حســـن ظني بك قد أجارني اللهم ســـترت علي في الدنيا ذنوبا أنا إلى ســـترها في القيامة أحوج وقد أحســـنت بي إذ لم تظهرها لعصـــابة من المســـلمين فلا تفضـــحني في ذلك اليوم على رؤوس العالمين يا أرحم الراحمين

167 ودخل على علوي ببلخ زائرا له ومسـلما عليه فقال له العلوي أيد الله الأســـتاذ ما تقول فينا أهل البيت قال ما أقول في طين عجن بماء الوحي وغرس بماء الرســـالة فهل يفوح منهما إلا مسك الهدى وعنبر التقى فحشا العلوي فاه بالدر ثم زاره من الغد فقال يحيى بن معاذ إن زرتنا فبفضـلك وإن زرناك فلفضـلك فلك الفضـل زائرا ومزورا ومن كلامه ما بعد طريق إلى صـــديق ولا اســـتوحش في طريق من سلك فيه إلى حبيب ومن كلامه مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة وقال ما صـحت إرادة أحد قط فمات حتى حن إلى الموت واشـتهاه اشـتهاء الجائع إلى الطعام لارتداف الآفات واسـتيحاشـه من الأهل والإخوان ووقوعه فيما يتحير فيه صـــريح عقله وقال من لم ينظر في الدقيق من الورع لم يتصـــل إلى الجليل من العطاء وقال ليكن حظ المؤمن منك ثلاث خصـــال إن لم تنفعه فلا تضـره وإن لم تسـره فلا تغمه وإن لم تمدحه فلا تذمه وقال عمل كالسراب وقلب من التقوى خراب وذنوب

بعدد الرمل والتراب ثم تطمع في الكواعب الأتراب هيهات أنت سكران بغير شراب ما أكملك لو بادرت أملك ما أجلك لو بادرت أجلك ما أقواك لو خالفت هواك وله في هذا الباب كل كلام مليح وتوفي سنة ثمان وخمسين ومائتين بنيسابور رحمه الله تعالى وقال

168 محمد بن عبد الله قرأت على اللوح في قبر يحيى بن معاذ الرازي مات حكيم الزمان يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى وبيض وجهه وألحقه بنبيه محمد يوم الاثنين لست عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ثمان وخمسين ومائتين 795 يحيى بن منده أبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب ابن الإمام أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده بن الوليد بن منده بن بطه بن استندار بن جهار بخت ابن فيرزان واسم منده إبراهيم ومنده لقب وقيل إن اسم الفيرزان استندار والله أعلم العبدي كان من الحفاظ المشهورين وأحد أصحاب الحديث المبرزين وقد سبق ذكر جده أبي عبد الله محمد في حرف الميم وهو أبو زكريا بن أبي عمرو بن أبي عبد الله بن أبي محمد بن أبي يعقوب من أهل أصبهان وهو محدث ابن محدث ابن محدث ابن محدث ابن محدث وكان جليل القدر وافر الفضل واسع الرواية ثقة حافظا فاضلا مكثرا صدوقا

169 كثير التصانيف حسن السيرة بعيد التكلف أوحد بيته في عصره خرج التخاريج لنفسه ولجماعة من

الشيوخ الأصبهانيين وسمع أبا بكر محمد بن عبد الله بن زيد الضبي وأبا طاهر محمد بن أحمد ابن محمد بن عبد الرحيم الكاتب وأبا منصور محمد بن عبد الله بن فضلويه الأصبهاني وأباه أبا عمرو وعميه أبا الحسن عبيد الله وأبا القاسم عبد الرحمن وأبا العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن النعمان القضاعي وأبا عبد الله محمد ابن علي بن محمد الجصاص وأبا بكر محمد بن علي بن الحسين الجوزداني وأبا طاهر أحمد بن محمود الثقفي ورحل إلى نيسابور وسمع بها أبا بكر أحمد بن منصور بن خلف المقرىء وأبا بكر أحمد بن الحسين البيهقي وبهمذان أبا بكر محمد بن عبد الرحمن بن محمد النهاوندي وبالبصرة أبا القاسم إبراهيم بن محمد بن أحمد الشاهد وعبد الله بن الحسين السعداني وجماعة كثيرة سواهم وصنف تاريخ أصبهان وغيره من الجموع ودخل بغداد حاجا وحدث بها وأملى بجامع المنصور وكتب عنه الشيوخ منهم أبو الفضل محمد بن ناصر وعبد القادر بن أبي صالح الجيلي وأبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن الخشاب النحوي في خلق كثير لشهرته وبيته وروى عنه أبو البركات عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي الحافظ وأبو الحسن علي بن أبي تراب الزيكوني الخياط البغدادي وأبو طاهر يحيى بن عبد الغفار بن الصباغ وأبو الفضل محمد بن هبة الله بن العلاء الحافظ وجماعة كثيرة وذكره الحافظ ابن السمعاني في كتاب الذيل وقال كتب لي الإجازة بجميع مسموعاته ثم

قال سـألت عنه أبا القاسـم إسـماعيل بن محمد الحافظ فأثنى عليه ووصـفه بالحفظ والمعرفة والدراية ثم قال سـمعت أبا بكر محمد

170 ابن أبي نصــر بن محمد اللفتواني الحافظ يقول بيت ابن منده بدىء بيحيى وختم بيحيى يريد في معرفة الحديث والعلم والفضـــل وذكره الحافظ عبد الغافر بن إسـماعيل بن عبد الغافر الفارســي المقدم ذكره في مسـاق تاريخ نيســابور فقال أبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب ابن منده رجل فاضــل من بيت العلم والحديث المشـــهور في الدنيا ســافر وأدرك المشــايخ وســمع منهم وصــنف على الصحيحين وكان يروي بإسناده المتصل إلى بعض العلماء أنه قال كثرة الضـــحك أمارة الحمق والعجلة من ضـــعف العقل وضــعف العقل من قلة الرأي وقلة الرأي من ســوء الأدب وســوء الأدب يورث المهانة والمجون طرف من الجنون والحســد داء لا دواء له والنمائم تورث الضـــغائن وكان يروي بالإسناد المتصل إلى الأصمعي أنه قال دخلت في البادية إلى مسجد فقام الإمام يصلي فقرأ (^ إنا أرسلنا نوحا إلى قومه) نوح 1 وأرتج عليه فجعل يرددها ويقول (^ إنا أرســلنا نوحا إلى قومه) فقال أعرابي من ورائه وهو قائم يصــلي يا هذا إن لم يذهب نوح فأرســل غيره وكان يحيى المذكور كثيرا ما ينشــد لبعضـــهم (عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى * وللمشتري دنياه بالدين أعجب) (وأعجب من هذين من باع دينه * بدنيا سواه فهو من ذين)

أخيب) وكانت ولادته في غداة يوم الثلاثاء تاسع عشر شوال سنة أربع وثلاثين وأربعمائة وتوفي يوم عيد النحر سنة اثنتي عشرة وخمسمائة بأصبهان ومولده بها أيضا رحمه الله تعالى ولم يخلف في بيت ابن منده بعده مثله وقال ابن نقطة في كتابه إكمال الإكمال توفي يوم السبت ثاني عشر ذي الحجة من سنة إحدى عشرة وخمسمائة وذكر أن مولد أبيه عبد الوهاب

171 سنة ست وثمانين وثلثمائة وتوفي في جمادى الآخرة من سنة خمس وسبعين وأربعمائة رحمه الله تعالى وقد سبق الكلام على ضبط أسماء أجداده في ترجمة جده أبي عبد الله محمد رحمه الله تعالى 796 ابن سعدون القرطبي أبو بكر يحيى بن سعدون بن تمام بن محمد الأزدي القرطبي الملقب سابق الدين أحد الأئمة المتأخرين في القراءات وعلوم القرآن الكريم والحديث والنحو واللغة وغير ذلك خرج من الأندلس في عنفوان شبابه وقدم ديار مصر فسمع بالإسكندرية أبا عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الرازي وبمصر أبا صادق مرشد بن يحيى ابن القاسم المدني المصري وأبا طاهر أحمد بن محمد الأصبهاني المعروف بالسلفي وغيرهم ودخل بغداد سنة سبع عشرة وخمسمائة وقرأ بها القرآن الكريم على الشيخ أبي محمد عبد الله بن علي المقرىء المعروف بابن بنت الشيخ أبي منصور الخياط وسمع عليه كتبا كثيرة منها كتاب سيبويه وقرأ الحديث على أبي بكر محمد بن عبد

الباقي البزار المعروف بقاضي المارستان وأبي القاسم ابن الحصـــين وأبي العز ابن كادش وغيرهم وكان دينا ورعا عليه وقار وهيبة وسكينة وكان ثقة صدوقا ثبتا نبيلا
172 قليل الكلام كثير الخير مفيدا أقام بدمشـــق مدة واستوطن الموصل ورحل عنها إلى أصبهان ثم عاد إلى الموصل وأخذ عنه شيوخ ذلك العصر وذكره الحافظ ابن السمعاني في كتاب الذيل وقال إنه اجتمع به بدمشق وسمع منه مشيخة أبي عبد الله الرازي وانتخب عليه أجزاء وسأله عن مولده فقال ولدت في ســـنة ســـت وثمانين وأربعمائة بمدينة قرطبة من ديار الأندلس ورأيت في بعض الكتب أن مولده ســـنة ســـبع وثمانين والأول أصـــح وكان شـــيخنا القاضـــي بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم المعروف بابن شـــداد قاضـــي حلب رحمه الله تعالى يفتخر برؤيته وقراءته عليه وسيأتي ذلك في ترجمته إن شـاء الله تعالى وقال كنا نقرأ عليه بالموصل ونأخذ عنه وكنا نرى رجلا يأتي إليه كل يوم فيسلم عليه وهو قائم ثم يمد يده إلى الشـيخ بشـيء ملفوف فيأخذه الشـيخ من يده ولا نعلم ما هو ويتركه ذلك الرجل ويذهب ثم تقفينا ذلك فعلمنا أنها دجاجة مســموطة كانت برســم الشــيخ في كل يوم يبتاعها له ذلك الرجل ويســمطها ويحضـرها وإذا دخل الشـيخ إلى منزله تولى طبخها بيده وذكر في كتابه الذي سماه دلائل الأحكام أنه لازم القراءة عليه إحدى عشـرة سـنة آخرها سـنة سـبع وستين وخمسمائة وكان الشيخ أبو بكر القرطبي المذكور

كثيرا ما ينشـــد مســـندا إلى أبي الخير الكاتب الواســـطي رواهما بالإسناد المتصل إليه أنهما له (جرى قلم القضاء بما يكون * فسـيان التحرك والسـكون) (جنون منك أن تسعى لرزق * ويرزق في غشاوته الجنين) وقال أنشدنا أبو الوفاء عبد الباقي بن وهب بن حســان قال أنشـــدنا أبو عبد الله محمد بن منيع بمصر لنفسه (لي حيلة فيمن ينم * وليس في الكذاب حيله)

173 (من كان يخلق ما يقول * فحيلتي فيه قليله)

وتوفي الشـــيخ أبو بكر المذكور بالموصـــل في يوم عيد الفطر من سـنة سـبع وسـتين وخمسـمائة رحمه الله تعالى

797 يحيى بن يعمر النحوي أبو سـليمان وقيل أبو سـعيد يحيى بن يعمر العدواني الوشـقي النحوي البصـري كان تابعيا لقي عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس رضـي الله عنهم ولقي غيرهما وروى عنه قتادة بن دعامة السـدوسـي وإسـحاق بن سـويد العدوي وهو أحد قراء البصـرة وعنه أخذ عبد الله بن أبي إسـحاق القراءة وانتقل إلى خراسـان وتولى القضـاء بمرو وكان عالما بالقرآن الكريم والنحو ولغات العرب وأخذ النحو عن أبي الأسـود الدؤلي المقدم ذكره يقال إن أبا الأسـود لما وضـع باب الفاعل والمفعول به زاد فيه رجل من بني ليث أبوابا ثم نظر فإذا في كلام العرب ما لا يدخل فيه فأقصـر عنه فيمكن أن يكون هو يحيى بن يعمر المذكور إذ كان عداده في بني ليث لأنه

حليف لهم وكان شيعيا من الشيعة الأولى القائلين بتفضيل أهل البيت من غير تنقيص لذي فضل من غيرهم

174 حكى عاصـــم بن أبي النجود المقرىء المقدم ذكره أن الحجاج بن يوســف الثقفي بلغه أن يحيى بن يعمر يقول إن الحســـن والحســـين رضـــي الله عنهما من ذرية رســول الله وكان يحيى يومئذ بخراســان فكتب الحجاج إلى قتيبة بن مسلم والي خراسان وقد تقدم ذكره أيضا أن ابعث إلي بيحيى بن يعمر فبعث به إليه فقام بين يديه فقال أنت الذي تزعم أن الحسـن والحسـين من ذرية رسـول الله والله لألقين الأكثر منك شـــعرا أو لتخرجن من ذلك قـال فهو أماني إن خرجت قال نعم قال فإن الله جل ثناؤه يقول (^ ووهبنا له إســحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وســـليمان وأيوب ويوســـف وموســـى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى) الآية الأنعام 85 قال وما بين عيســـى وإبراهيم أكثر مما بين الحســن والحسـين ومحمد صـلوات الله عليه وسـلامه فقال له الحجاج ما أراك إلا قد خرجت والله لقد قرأتها وما علمت بها قط وهذا من الاســـتنباطات البديعة الغريبة العجيبة فلله دره ما أحسن ما استخرج وأدق ما استنبط قال عاصـم ثم إن الحجاج قال له أين ولدت فقال بالبصـرة قال أين نشـأت قال بخراسـان قال فهذه العربية أنى هي لك قال رزق قال خبرني عني هل ألحن فسكت فقال أقسمت عليك فقال أما إذ سألتني أيها الأمير فإنك ترفع ما يوضع وتضع

ما يرفع فقال ذلك والله اللحن السيء قال ثم كتب إلى قتيبة إذا جاءك كتابي هذا فاجعل يحيى بن يعمر على قضائك والسلام وروى ابن سلام عن يونس بن حبيب قال قال الحجاج ليحيى بن يعمر أتسمعني ألحن قال في حرف واحد قال في أي قال في القرآن قال ذلك أشنع ثم قال له ما هو قال تقول (^ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم إلى قوله أحب إليكم) التوبة 24 فتقرؤها بالرفع

175 قال ابن سلام كأنه لما طال الكلام نسي ما ابتدأ به فقال الحجاج لا جرم لا تسمع لي لحنا قال يونس فألحقه بخراسان وعليها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة والله أعلم أي ذلك كان قال ابن الجوزي في كتاب شذور العقود في سنة أربع وثمانين للهجرة نفى الحجاج يحيى بن يعمر لأنه قال له هل ألحن فقال تلحن لحنا خفيا فقال أجلتك ثلاثا فإن وجدتك بعد بأرض العراق قتلتك فخرج وحكى أبو عمرو نصر بن علي عن نوح بن قيس قال حدثنا عثمان بن محصن قال خطب أمير بالبصرة فقال اتقوا الله فإنه من يتق الله فلا هورات عليه فلم يدروا ما قال الأمير فسألوا يحيى بن يعمر فقال الهورات الضياع يقول من اتقى الله فليس عليه ضياع قال القزاز في كتاب الجامع الهورات المهالك واحدها هورة قال الراوي فحدثت بهذا الحديث الأصمعي فقال هذا شيء لم أسمع به قط حتى كان الساعة منك ثم قال إن كلام العرب لواسع لم أسمع بذا قط وحكى الأصمعي قال حدثنا أبي قال كتب يزيد بن المهلب بن أبي

صـفرة وهو بخراسـان إلى الحجاج بن يوسـف كتابا يقول فيه إنا لقينا العدو فاضـطررناهم إلى عرعرة الجبل ونحن بالحضيض فقال الحجاج ما لابن المهلب ولهذا الكلام فقيل له إن ابن يعمر عنده فقال فذاك إذا وكان يحيى بن يعمر يعمل الشـعر وهو القائل (أبى الأقوام إلا بغض قومي * قديما أبغض الناس السـمينا) وقال خالد الحذاء كان لابن سيرين مصـحف منقوط نقطه يحيى بن يعمر وكان ينطق بالعربية المحضـة واللغة الفصـحى طبيعة فيه غير متكلف وأخباره ونوادره كثيرة وتوفي سـنة تسـع وعشـرين ومائة رحمه الله تعالى ويعمر بفتح الياء المثناة من تحتها والميم وبينهما عين مهملة وفي الأخير

176 راء وقيل بضـم الميم والأول أصـح وأشـهر ويعمر بفتح الميم مضـارع قولهم عمر الرجل بفتح العين وكسـر الميم إذا عاش زمنا طويلا وإنما سـمي بذلك تفاؤلا بطول العمر كما سـمي يحيى بذلك أيضـا والعدواني بفتح العين المهملة والواو وبينهما دال مهملة ساكنة وبعد الألف نون هذه النسـبة إلى عدوان واسـمه الحارث بن عمرو بن قيس عيلان وإنما قيل له عدوان لأنه عدا على أخيه فهم فقتله والوشقي بفتح الواو وسكون الشين المعجمة وبعدها قاف هذه النسـبة إلى وشـقة بن عوف بن بكر بن يشـكر بن عدوان المذكور 798 أبو زكريا الفراء أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسـلمي المعروف بالفراء الديلمي الكوفي مولى بني أسـد وقيل مولى بني منقر كان

أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب حكي عن أبي العباس ثعلب أنه قال لولا الفراء لما كانت عربية لأنه خلصها وضبطها ولولا الفراء لسقطت العربية لأنها كانت تتنازع ويدعيها كل من أراد ويتكلم الناس فيها على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب وأخذ النحو عن أبي الحسن الكسائي وهو والأحمر المقدم ذكره من

177 أشهر أصحابه وأخصهم به ولما عزم الفراء على الاتصال بالمأمون كان يتردد إلى الباب فبينما هو ذات يوم على الباب إذ جاء أبو بشر ثمامة بن الأشرس النميري المعتزلي وكان خصيصا بالمأمون قال ثمامة فرأيت أبهة أديب فجلست إليه ففاتشته عن اللغة فوجدته بحرا وفاتشته عن النحو فشاهدته نسيج وحده وعن الفقه فوجدته رجلا فقيها عارفا باختلاف القوم وبالنجوم ماهرا وبالطب خبيرا وبأيام العرب وأشعارها حاذقا فقلت له من تكون وما أظنك إلا الفراء فقال أنا هو فدخلت فأعلمت أمير المؤمنين المأمون فأمر بإحضاره لوقته وكان سبب اتصاله به وقال قطرب دخل الفراء على الرشيد فتكلم بكلام لحن فيه مرات فقال جعفر بن يحيى البرمكي إنه قد لحن يا أمير المؤمنين فقال الرشيد للفراء أتلحن فقال الفراء يا أمير المؤمنين إن طباع أهل البدو الإعراب وطباع أهل الحضر اللحن فإذا تحفظت لم ألحن وإذا رجعت إلى الطبع لحنت فاستحسن الرشيد قوله وقال الخطيب في تاريخ بغداد إن الفراء لما اتصل بالمأمون أمره أن يؤلف ما يجمع به

أصول النحو وما سمع من العربية وأمر أن يفرد في حجرة من حجر الدار ووكل به جواري وخدما يقمن بما يحتاج إليه حتى لا يتعلق قلبه ولا تتشوف نفسه إلى شيء حتى إنهم كانوا يؤذونه بأوقات الصلوات وصير له الوراقين وألزمه الأمناء والمنفقين فكان يملي والوراقون يكتبون حتى صنف الحدود في سنتين وأمر المأمون بكتبه في الخزائن فبعد أن
178 فرغ من ذلك خرج إلى الناس وابتدأ بكتاب المعاني قال الراوي وأردنا أن نعد الناس الذين اجتمعوا لإملاء كتاب المعاني فلم نضبطهم فعددنا القضاة فكانوا ثمانين قاضيا فلم يزل يمليه حتى أتمه ولما فرغ من كتاب المعاني خزنه الوراقون عن الناس ليكسبوا به وقالوا لا نخرجه إلا لمن أراد أن ننسخه له على خمس أوراق بدرهم فشكا الناس إلى الفراء فدعا الوراقين فقال لهم في ذلك فقالوا إنما صحبناك لننتفع بك وكل ما صنفته فليس بالناس إليه من الحاجة ما بهم إلى هذا الكتاب فدعنا نعيش به فقال قاربوهم تنتفعوا وتنفعوا فأبوا عليه فقال سأريكم وقال للناس إني ممل كتاب معان أتم شرحا وأبسط قولا من الذي أمليت فجلس يملي فأملى الحمد في مائة ورقة فجاء الوراقون إليه وقالوا نحن نبلغ الناس ما يحبون فنسخوا كل عشرة أوراق بدرهم وكان سبب إملائه كتاب المعاني أن أحد أصحابه وهو عمر بن بكير كان يصحب الحسن بن سهل المقدم ذكره فكتب إلى الفراء إن الأمير الحسن لا

يزال يســـألني عن أشـــياء من القرآن لا يحضـــرني عنها جواب فإن رأيت أن تجمع لي أصـــولا وتجعل ذلك كتابا يرجع إليه فعلت فلما قرأ الكتاب قال لأصـــحابه اجتمعوا حتى أملي عليكم كتابا في القرآن وجعل لهم يوما فلما حضروا خرج إليهم وكان في المسجد رجل يؤذن فيه وكان من القراء فقال له اقرأ فقرأ فاتحة الكتاب ففسرها حتى مر في القرآن كله على ذلك يقرأ الرجل والفراء يفسره وكتابه هذا نحو ألف ورقة وهو كتاب لم يعمل مثله ولا يمكن أحدا أن يزيد عليه وكان المأمون قد وكل الفراء يلقن ابنيه النحو فلما كان يوما أراد الفراء

179 أن ينهض إلى بعض حوائجه فابتدرا إلى نعل الفراء يقدمانه له فتنازعا أيهما يقدمه فاصـــطلحا على أن يقدم كل واحد منهما فردا فقدماها وكان المأمون له على كل شـــيء صـــاحب خبر فرفع ذلك الخبر إليه فوجه إلى الفراء فاســـتدعاه فلما دخل عليه قال من أعز الناس قال ما أعرف أعز من أمير المؤمنين قال بلى من إذا نهض تقاتل على تقديم نعليه وليا عهد المسلمين حتى رضـــي كل واحد أن يقدم له فردا قال يا أمير المؤمنين لقد أردت منعهما عن ذلك ولكن خشـــيت أن أدفعهما عن مكرمة ســـبقا إليها أو أكسر نفوسهما عن شريعة حرصا عليها وقد روي عن ابن عباس أنه أمسك للحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين ركابيهما حين خرجا من عنده فقال له بعض من حضـــر أتمســـك لهذين الحدثين ركابيهما وأنت أســـن منهما فقال له

اســكت يا جاهل لا يعرف الفضــل لأهل الفضــل إلا ذوو الفضل فقال له المأمون لو منعتهما عن ذلك لأوجعتك لوما وعتبا وألزمتك ذنبا وما وضـــع ما فعلاه من شــرفهما بل رفع من قـدرهمـا وبين عن جوهرهمـا ولقـد ظهرت لي مخيلة الفراســـة بفعلهما فليس يكبر الرجل وإن كان كبيرا عن ثلاث عن تواضـــعه لسـلطانه ووالده ومعلمه العلم وقد عوضــتهما بما فعلاه عشـرين ألف دينار ولك عشـرة آلاف درهم على حسن أدبك لهما وقال الخطيب أيضا كان محمد بن الحســن الفقيه ابن خالة الفراء وكان الفراء يوما جالســا عنـده فقـال الفراء قـل رجـل أنعم النظر في بـاب من العلم فأراد غيره إلا ســـهل عليه فقال له محمد يا أبا زكريا قد أنعمت النظر في العربية فنســـألك عن باب من الفقه فقال هات على بركة الله تعالى قال ما تقول في رجل صـــلى فسها فسجد سجدتين للسهو فسها فيهما ففكر الفراء ساعة ثم قال لا شـــيء عليه فقال له محمد ولم قال لأن التصـــغير عندنا لا تصـــغير له وإنما الســـجدتان تمام الصـــلاة فليس للتمام تمام فقال محمد ما ظننت آدميا يلد مثلك

180 وقد ســـبقت هذه الحكاية في ترجمة الكســـائي ونبهت عليها ثم بما ذكرته هاهنا وكان الفراء لا يميل إلى الاعتزال وحكى سـلمة بن عاصـم عن الفراء قال كنت أنا وبشر المريسي المقدم ذكره في بيت واحد عشرين سنة ما تعلم مني شــيئاً ولا تعلمت منه شــيئاً وقال الجاحظ دخلت بغداد حين قدمها المأمون في ســـنة أربع ومائتين وكان

الفراء يحبني وأشتهي أن يتعلم شيئا من علم الكلام فلم يكن له فيه طبع وقال أبو العباس ثعلب كان الفراء يجلس للناس في مسـجده إلى جانب منزله وكان يتفلسـف في تصـانيفه حتى يسلك في ألفاظه كلام الفلاسفة وقال سلمة بن عاصم إني لأعجب من الفراء كيف كان يعظم الكسـائي وهو أعلم بالنحو منه وقال الفراء أموت وفي نفسـي شـيء من حتى لأنها تخفض وترفع وتنصب ولم ينقل من شعره غير هذه الأبيـات وقـد رواهـا أبو حنيفـة الـدينوري عن أبي بكر الطوال وهي (يـا أميرا على جريـب من الأرض * لـه تسعة من الحجاب) (جالسا في الخراب يحجب فيه * ما سمعنا بحاجب في خراب) (لن تراني لك العيون بباب * ليس مثلي يطيق رد الحجاب) ثم وجدت هذه الأبيات لابن موسى المكفوف والله أعلم بالصـواب ومولد الفراء بالكوفة وانتقل إلى بغداد وجعل أكثر مقامه بها وكان شـديد طلب المعاش لا يسـتريح في بيته وكان يجمع طول السـنة فإذا كان في

181 آخرها خرج إلى الكوفة فأقام بها أربعين يوما في أهله يفرق عليهم ما جمعه ويبرهم وله من التصـانيف الكتابان المقدم ذكرهما وهما الحدود والمعاني وكتابان في المشكل أحدهما أكبر من الآخر وكتاب البهي وهو صـغير الحجم ووقفت عليه بعد أن كتبت هذه الترجمة ورأيت فيه أكثر الألفاظ التي اسـتعملها أبو العباس ثعلب في كتاب الفصـيح وهو في حجم الفصـيح غير أنه غيره ورتبه على

صورة أخرى وعلى الحقيقة ليس لثعلب في الفصيح سوى الترتيب وزيادة يسيرة وفي كتاب البهي أيضا ألفاظ ليست في الفصيح قليلة وليس في الكتابين اختلاف إلا في شيء قليل لا غير وله كتاب اللغات وكتاب المصادر في القرآن وكتاب الجمع والتثنية في القرآن وكتاب الوقف والابتداء وكتاب المفاخر وكتاب آلة الكاتب وكتاب النوادر وكتاب الواو وغير ذلك من الكتب وقال سلمة بن عاصم أملى الفراء كتبه كلها حفظا لم يأخذ بيده نسخة إلا في كتابين كتاب ملازم وكتاب يافع ويفعة قال أبو بكر الأنباري ومقدار الكتابين خمسون ورقة ومقدار كتب الفراء ثلاثة آلاف ورقة وقد مدحه محمد بن الجهم بقصيدة على روي الواو الموصولة بالهاء المكسورة أضربت عن ذكرها خوف الإطالة وتوفي الفراء سنة سبع ومائتين في طريق مكة وعمره ثلاث وستون سنة رحمه الله تعالى والفراء بفتح الفاء وتشديد الراء وبعدها ألف ممدودة وإنما قيل له فراء ولم يكن يعمل الفراء ولا يبيعها لأنه كان يفري الكلام ذكر ذلك الحافظ السمعاني في كتاب الأنساب وعزاه إلى كتاب الألقاب

182 وذكر أبو عبيد الله المرزباني في كتابه أن زيادا والد الفراء كان أقطع لأنه حضر وقعة الحسين بن علي رضي الله عنهما فقطعت يده في تلك الحرب وهذا عندي فيه نظر لأن الفراء عاش ثلاثا وستين سنة فتكون ولادته سنة أربع وأربعين ومائة وحرب الحسين كانت سنة

إحدى وســـتين للهجرة فبين حرب الحســـين وولادة الفراء أربع وثمانون ســـنة فكم قد عاش أبوه فإن كان الأقطع جده فيمكن والله أعلم ومنظور بفتح الميم وسكون النون وضم الظاء المعجمة وســـكون الواو وبعدها راء وقد تقدم الكلام على الديلمي وبني أســـد وأما بنو منقر فهو بكســـر الميم وســـكون النون وفتح القاف وبعدها راء وهو منقر بن عبيد بن مقاعس واسمه الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد ابن زيد مناة بن تميم بن مر وهي قبيلة كبيرة ينســـب إليها خلق كثير من الصحابة رضوان الله عليهم وغيرهم ومنها خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة وصفوان وشيبة ابنا عبد الله بن عمرو بن الأهتم المنقري وهما أعني خالدا وشـــبيبا المشـــهوران بالفصـــاحة والبلاغة والخطابة ولخالد مجالس مشهورة مع أمير المؤمنين السفاح ولشبيب مع المنصور والمهدي وغيرهما وقد تقدم ذكر خالد وشـــبيب في ترجمة البحتري في حرف الواو

183 799 أبو محمد اليزيدي أبو محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي المعروف باليزيدي المقرىء النحوي اللغوي صـــاحب أبي عمرو بن العلاء المقرىء البصري وهو الذي خلفه في القيام بالقراءة بعده سكن بغداد وحدث بها عن أبي عمرو بن العلاء وابن جريج وغيرهما وروى عنه محمد ابنه وأبو عبيد القاسم بن سلام وإسحاق بن إبراهيم الموصـــلي وجماعة من أولاده وحفدته وأبو عمرو الدوري وأبو حمدون الطيب بن إســـماعيل وأبو

شـــعيب الســـوســـي وعامر بن عمر الموصـــلي وأبو خلاد ســـليمان بن خلاد وغيرهم وخالف أبا عمرو في حروف يسـيرة من القراءة اختارها لنفســه وكان يؤدب أولاد يزيد بن منصـــور بن عبد الله بن يزيد الحميري خال المهدي وإليه كان ينتســب ثم اتصـــل بهارون الرشــيد فجعل ولده المأمون في حجره فكان يؤدبه وكان ثقة وهو أحد القراء الفصـحاء العالمين بلغات العرب والنحو وكان صـدوقا وله التصــانيف الحســنة والنظم الجيد وشــعره مدون وصــنف كتاب نوادر في اللغة على مثال كتاب نوادر الأصـــمعي الذي صـنفه لجعفر البرمكي وفي مثل عدد ورقه وأخذ علم العربية وأخبار الناس عن أبي عمرو

184 والخليل بن أحمد ومن كان معاصرهما وحكي عن أبي حمدون الطيب بن إسـماعيل قال شـهدت ابن أبي العتاهية وقد كتب عن أبي محمد اليزيدي قريبا من ألف جلد عن أبي عمرو بن العلاء خاصــة ويكون ذلك عشــرة آلاف ورقة لأن تقدير الجلد عشـر ورقات وأخذ عن الخليل من اللغـة أمرا عظيمـا وكتـب عنـه العروض في ابتـداء وضـــعه له إلا أن اعتماده على أبي عمرو لســـعة علم أبي عمرو باللغة وكان أبو محمد المذكور يعلم الصبيان بحذاء دار أبي عمرو بن العلاء وكان أبو عمرو يدنيه ويميل إليه لذكائه وكان أبو محمد المذكور صـــحيح الرواية وله من التصــــانيف كتاب النوادر المقدم ذكره وكتاب المقصـــور والممدود ومختصـر في النحو وكتاب النقط والشـكل وقال

ابن المنادي أكثرت من السـؤال عن أبي محمد اليزيدي ومحله من الصـدق ومنزلته من الثقة لعدة من شـيوخنا بعضهم أهل عربية وبعضهم أهل قرآن وحديث فقالوا هو ثقة صدوق لا يدفع عن سماع ولا يرغب عنه في شيء غير ما يتوهم عليه من الميل إلى المعتزلة وقد روى عنه الغريب أبو عبيد القاسم بن سلام وكفى به وما ذاك إلا عن معرفة منه به وكان يجلس في أيام الرشيد مع الكسائي في مجلس واحد ويقرئان الناس وكان الكسائي يؤدب الأمين وهو يؤدب المأمون فأما الأمين فإن أباه أمر الكسائي أن يأخذ عليه بحرف حمزة وأما المأمون فإن أباه أمر أبا محمد أن يأخذ عليه بحرف أبي عمرو وقال الأثرم دخل اليزيدي يوما على الخليل بن أحمد وهو جالس على وسادة فأوسع له وأجلسه معه فقال له اليزيدي أحسبني ضيقت عليك فقال الخليل ما ضاق موضع على اثنين متحابين والدنيا لا تسع متباغضين

185 وسأل المأمون اليزيدي عن شيء فقال لا وجعلني الله فداك يا أمير المؤمنين فقال لله درك ما وضعت الواو قط في موضع أحسن من موضعها في لفظك هذا ووصله وحمله وقال اليزيدي دخلت على المأمون يوما والدنيا غضة وعنده نعم تغنيه وكانت من أجمل أهل دهرها فأنشدت (وزعمت أني ظالم فهجرتني * ورميت في قلبي بسهم نافذ) (فنعم هجرتك فاغفري وتجاوزي * هذا مقام المستجير العائذ) (هذا مقام فتى أضر به الهوى * قرح

الجفون بحسن وجهك لائذ) (ولقد أخذتم من فؤادي أنسه * لا شل ربي كف ذاك الآخذ) فاستعادها المأمون الصوت ثلاث مرات ثم قال يا يزيدي أيكون شيء أحسن مما نحن فيه قلت نعم يا أمير المؤمنين قال وما هو قلت الشكر لمن خولك هذا الإنعام العظيم الجليل فقال أحسنت وصدقت ووصلني وأمر بمائة ألف درهم يتصدق بها فكأني أنظر إلى البدر وقد أخرجت والمال يفرق وشكا اليزيدي إلى المأمون حاجة أصابته ودينا لحقه فقال ما عندنا في هذه الأيام ما إن أعطيناكه بلغت به ما تريد فقال يا أمير المؤمنين إن الأمر قد ضاق علي وإن غرمائي قد أرهقوني فاحتل لي فأفكر المأمون واستقر الأمر على أن يحضر اليزيدي إلى الباب إذا جلس المأمون في مجلس الأنس وعنده ندماؤه ويكتب رقعة يطلب فيها الدخول أو إخراج بعض الندماء إليه فلما جلس المأمون حضر اليزيدي إلى الباب ودفع للخادم رقعة مختومة فأدخلها إلى
186 المأمون ففضها فإذا فيها مكتوب (يا خير إخوان وأصحاب * هذا الطفيلي على الباب) (فصيروني واحدا منكم * أو أخرجوا لي بعض أصحابي) فقرأها المأمون على من حضر وقال ما ينبغي أن يدخل مثل هذا الطفيلي على مثل هذا الحال فأرسل إليه المأمون يقول له دخولك في مثل هذا الوقت متعذر فاختر لنفسك من أحببت أن تنادمه فلما وقف على الرسالة قال ما أرى لنفسي اختيارا سوى عبد الله بن طاهر فقال له المأمون قد وقع

الاختيار عليك فصـــــر إليه فقال يا أمير المؤمنين فأكون
شريك الطفيلي فقال ما يمكنني رد أبي محمد عن أمره فإن
أحببت أن تخرج إليه وإلا فافتد نفسك منه فقال على عشرة
آلاف درهم فقال لا أحسـب ذلك يقنعه منك ومن مجالسـتك
فلم يزل يزيده عشـــرة آلاف على عشـــرة آلاف والمأمون
يقول لا أرضـــى له بذلك حتى بلغ مائة ألف درهم فقال له
المأمون فعجلها له فكتب له بها إلى وكيله ووجه رســـولا
وأرســـل إليه المأمون وهو يقول قبض هذا المبلغ في مثل
هذه الحال أصـــلح لك من منادمته على مثل حاله فقبل ذلك
منه وكان ظريفا في جميع أحواله وحكى أبو أحمد ابن
جعفر البلخي في كتابه أن اليزيدي المذكور سـأل الكسـائي
عن قول الشاعر (ما رأينا خربا نقر * عنه البيض صقر
(لا يكون العير مهرا * لا يكون المهر مهر) الخرب
بفتح الخاء المعجمة والراء وفي آخرها الباء الموحدة الذكر
من
187 الحبارى والعير بفتح العين المهملة وســـكون
الياء المثناة من تحتها وبعدها راء وهو الذكر من حمر
الوحش فقال الكسائي يجب أن يكون مهر منصوبا على أنه
خبر كان ففي البيت على هذا التقدير إقواء فقال اليزيدي
الشـــعرصـــواب لأن الكلام قد تم عند قوله لا يكون الثانية
وهي مؤكدة للأولى ثم اســـتأنف الكلام فقال المهر مهر
وضرب بقلنسوته الأرض وقال أنا أبو محمد فقال له يحيى
بن خالد البرمكي أتكتني بحضـــرة أمير المؤمنين والله إن

خطأ الكسائي مع حسن أدبه لأحسن من صوابك مع سوء أدبك فقال اليزيدي إن حلاوة الظفر أذهبت عني التحفظ قلت أنا قول الكسـائي في البيت إقواء ليس بجيد فإن اصطلاح أرباب علم القوافي أن الإقواء يختص باختلاف الإعراب في حرف الروي بالرفع والجر لا غير بأن يكون أحد البيتين مرفوعا والآخر مجرورا فأما إذا كان الاختلاف بالنصب مع الرفع والجر فإن ذلك يسمى إصرافا لا إقواء وإلى هذا أشـار أبو العلاء المعري في قوله من جملة قصيدة طويلة يرثي بها الشريف الطاهر والد الرضي والمرتضى المقدم ذكرهما وهو في صفة نعيب الغراب (بنيت على الإيطاء سـالمة من الإقواء * والإكفاء والإصراف) وهذا البيت متعلق بما قبله ولا يظهر معناه إلا بذكر ما تقدم ولا حاجة بنا إلى ذكره هاهنا بل ذكرنا موضع الاستشهاد لا غير وقد قيل إن الإصراف من جملة أنواع الإقواء فعلى هذا يستقيم ما قاله الكسائي وهذا الفصل وإن كان دخيلا لكنه ما خلا من فائدة وغالب شعر اليزيدي جيد وقد ذكره هارون بن المنجم المقدم ذكره
188 في كتاب البارع وأورد له عدة مقاطيع فمن ذلك قوله يهجو الأصمعي الباهلي المقدم ذكره (أبن لي دعي بني أصمع * متى كنت في الأسرة الفاضله) (ومن أنت هل أنت إلا امرؤ * إذا صح أصلك من باهله) ثم قال ابن المنجم وهذا البيت من نادر أبيات المحدثين في الهجاء قلت أنا وهذا مأخوذ من قول حماد عجرد في بشار بن برد

يهجوه (نسبت إلى برد وأنت لغيره * وهب أن بردا ناك أمك من برد) وله في الهجاء أيضا (استبق ود أبي المقاتل * حين تدنو من طعامه) (سيان كسر رغيفه * أو كسر عظم من عظامه) (ويصوم كرها ضيفه * لم ينو أجرا في صيامه) وقد سبق في ترجمة أبي العباس المبرد مقطوع من شعره في شيبة بن الوليد وكان له أخبار ونوادر فمن ذلك ما رواه أنه أخذ رجل ادعى النبوة فأتي به إلى المهدي فقال له أنت نبي فقال نعم فقال وإلى من بعثت فقال وهل تركتموني أذهب إلى أحد ساعة بعثت وضعتموني في الحبس فضحك المهدي واستتابه وكان لليزيدي خمسة بنين وكلهم علماء أدباء شعراء رواة لأخبار الناس وهم أبو عبد الله محمد وإبراهيم وأبو القاسم إسماعيل وأبو عبد الرحمن عبد الله وأبو يعقوب إسحاق وكلهم ألف في اللغة والعربية (316) وكان محمد أسنهم وأشعرهم وهو القائل فيما رواه دعبل بن علي الخزاعي المقدم ذكره من جملة أبيات (أتظعن والذي تهوى مقيم * لعمرك إن ذا خطر عظيم)
189 (إذا ما كنت للحدثان عونا * علي مع الزمان فمن ألوم) (شقيت به فما أنا عنه سال * ولا هو إذ شقيت به رحيم) وهو القائل (يا بعيد الدار موصولا * بقلبي ولساني) (ربما باعدك الدهر * فأدنتك الأماني) وله أشعار كثيرة جيدة وكان يؤدب المأمون مع أبيه وثقل سمعه في آخر عمره فانقطع فاستحضره المأمون فقال لم أرك

منذ أيام فقال وجدت في ســـمعي ثقلا وأنا أكره أن أتعبك اسـتفهاما إذا سـمعت عن غير فهم فقال أنت الآن أطيب ما تكون فما شـئت أن نسـمعك أسـمعناك وما احتشـمناك فيه أسررناه عنك فأنت غائب شاهد وكان قد خرج مع المأمون إلى خراســـان وأقام بخدمته في مدينة مرو ثم بقي إلى أيام المعتصم وخرج معه إلى مصر فتوفي بها رحمه الله تعالى وأما والده أبو محمد المذكور فإنه توفي سنة اثنتين ومائتين رحمه الله تعالى بخراسان والظاهر أنه كان بمرو فإنه كان قد خرج في صـــحبة المأمون من بغداد وكانت إقامة المأمون بمرو ثم وجدت في طبقات القراء لأبي عمرو الداني أنه توفي في التاريخ المذكور بمرو ثم قال بعد ذلك وقال ابن المنادي وقيل أنه بلغ من السن دون المائة بأعوام يسـيرة ومات بالبصـرة ودفن بها والأول أصـح والله أعلم وقد تقدم في حرف الميم ذكر حفيده أبي عبد الله محمد بن العباس بن أبي محمد اليزيدي المذكور وشـــرح طرف من أخباره وفضـــله وتاريخ وفاته والعدوي بفتح العين والدال المهملتين والواو هذه النســـبة إلى عدي بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضـــر بن نزار بن معد بن عدنان وهي قبيلة كبيرة مشهورة ولم يكن أبو محمد المذكور منهم وإنما كان من

190 مواليهم كان جده المغيرة مولى لامرأة من بني عدي فنســـب إليهم وقد ســـبق في أول هذه الترجمة ذكر ســـبب نســـبته إلى يزيد ومن هو يزيد فأغنى عن الإعادة

وفي ذريته جماعة كثيرة أفاضـــل مشـــاهير أصـــحاب تصـــانيف وأشـــعاره رائقة مشـــهورة ولولا خوف الإطالة لذكرت شـيئا منها (317) واليزيديون يفتخرون بالكتاب الذي وضعه إبراهيم بن أبي محمد المذكور في اللغة وسماه كتـاب مـا اتفق لفظـه وافترق معنـاه جمع فيـه كل الألفـاظ المشـتركة في الاسم المختلفة في المسمى ورأيته في أربع مجلدات وهو من الكتب النفيسة يدل على غزارة علم مؤلفه وســعة اطلاعه وله غير ذلك تواليف حســنة نافعة وكذلك بقية اليزيديين صـــنفوا كتبا مشـــهورة مشـــكورة (318) وكـان يزيـد الحميري خـال المهـدي مقدمـا في دولـة بني العباس ولـي للمنصـــور البصـــرة واليمن ومات في ســـنة خمس وســـتين ومائة بالبصـــرة وفيه قال بشـــار بن برد الشـــاعر المقدم ذكره (أبا خالد قد كنت ســـباح غمرة * صغيرا فلما شبت خيمت بالشاطي) (وكنت جوادا سابقا ثم لم تزل * تأخر حتى جئت تخطو مع الخاطي) (فأنت بما تزداد من طول رفعة * وتنقص من مجد كذاك بإفراط) (كســنور عبد الله بيع بدرهم * صــغيرا فلما شــب بيع بقيراط) قلت لقد كشفت عن سنور عبد الله المظان وسألت أهل المعرفة بهذا الشـــأن فما عرفت الخبر عن ذلك ولا عثرت له على أثر والله أعلم ثم ظفرت بقول الفرزدق وهو (رأيت النـاس يزدادون يومـا * ويومـا في الجميل وأنت تنقص)

191 (كمثل الهر في صـغر يغالى * به حتى إذا ما شـــب يرخص) ومن هاهنا أخذ بشـــار قوله وليس المراد هرا بعينه بل كل هر تكون قيمته في صـــغره وينقص منها في كبره والله أعلم 800 الخطيـب التبريزي اللغوي أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الحســـن بن بســـطام الشـــيباني التبريزي المعروف بالخطيب أحد أئمة اللغة كانت له معرفة تامة بالأدب من النحو واللغة وغيرهما قرأ على الشـــيخ أبي العلاء المعري وأبي القاســـم عبيد الله بن علي الرقي وأبي محمد الدهان اللغوي وغيرهم من أهل الأدب وســـمع الحديث بمدينة صـــور من الفقيه أبي الفتح ســـليم بن أيوب الرازي ومن أبي القاســـم عبد الكريم ابن محمد بن عبد الله بن يوسف الدلال السياري البغدادي وأبي القاســـم عبيد الله بن علي وغيرهم وروى عنه الخطيب الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت صاحب تاريخ بغداد والحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر وأبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي وأبو الحســـن ســـعد الخير بن محمد بن ســـهل الأندلســـي وغيرهم من الأعيان وتخرج عليه خلق كثير وتتلمذوا له وذكره الحافظ أبو ســـعد الســـمعاني في كتاب الذيل وكتاب الأنساب

192 وعدد فضائله ثم قال سمعت أبا منصور محمد بن عبد الملك بن الحســـن بن خيرون المقرىء يقول أبو زكريا يحيى بن علي التبريزي ما كان بمرضـــي الطريقة وذكر عنه أشياء ثم قال وذاكرت أنا مع أبي الفضل محمد

بن ناصــــر الحافظ بما ذكره ابن خيرون فســكت وكأنه ما أنكر ما قال ثم قال ولكن كان ثقة في اللغة وما كان ينقله وصـنف في الأدب كتبا مفيدة منها شـرح الحماسـة وكتاب شـرح ديوان المتنبي وكتاب شـرح سـقط الزند وهو ديوان أبي العلاء المعري وشــرح المعلقات الســبع وشــرح المفضــليات وله تهذيب غريب الحديث وتهذيب إصــلاح المنطق وله في النحو مقدمة حسنة والمقصود منها أسرار الصــنعة وهي عزيزة الوجود وله كتاب الكافي في علم العروض والقوافي وكتــاب في إعراب القرآن ســمــاه الملخص رأيته في أربع مجلدات وشروحه لكتاب الحماسة ثلاثة أكبر وأوسط وأصغر وله غير ذلك من التواليف وقد ســبق في ترجمة الخطيب أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الحافظ ذكره وما دار بينهما عند قراءته عليه بدمشــق فلينظر هناك ودرس الأدب بالمدرســة النظامية ببغداد وكان سـبب توجهه إلى أبي العلاء المعري أنه حصـلت له نســخة من كتاب التهذيب في اللغة تأليف أبي منصــور الأزهري في عدة مجلدات لطـاف وأراد تحقيق مـا فيهـا وأخذهـا عن رجل عـالم بـاللغة فدل على المعري فجعل الكتاب في مخلاة وحملها على كتفه من تبريز إلى المعرة ولم يكن له ما يســتأجر به مركوبا فنفذ العرق من ظهره إليها فأثر فيها البلل وهي ببعض الوقوف ببغداد وإذا رآها من لا يعرف صــورة الحال فيها ظن أنها غريقة وليس بها

ســـوى عرق الخطيب المذكور هكذا وجدت هذه الحكاية مسطورة في كتاب
193 أخبار النحاة الذي ألفه القاضـــي الأكرم ابن القفطي الوزير بمدينة حلب كان رحمه الله تعالى والله أعلم بصـــحة ذلك وكان الخطيب المذكور قد دخل مصـــر في عنفوان شـــبابه فقرأ عليه بها الشـــيخ أبو الحســن طاهر بن بابشاذ النحوي المقدم ذكره شيئا من اللغة ثم عاد إلى بغداد واستوطنها إلى الممات وكان يروي عن أبي الحسن محمد بن المظفر ابن نحرير البغدادي جملة من شـــعره فمن ذلك قوله على ما حكاه الســـمعاني في كتاب الذيل في ترجمة الخطيب وهي من أشـــهر أشـــعاره (خليلي مـا أحلى صبوحي بدجلة * وأطيب منه بالصراة غبوقي) (شربت على الماءين من ماء كرمة * فكانا كدر ذائب وعقيق) (على قمري أفق وأرض تقابلا * فمن شـــائق حلو الهوى ومشـــوق) (فما زلت أســـقيه وأشـــرب ريقه * وما زال يسـقيني ويشـرب ريقي) (وقلت لبدر التم تعرف ذا الفتى * فقال نعم هذا أخي وشـــقيقي) وهذه الأبيات من أملح الشـــعر وأطرفه والبيت الأخير منها يســـتمد من معنى قول أبي بكر محمد بن عيســـى الداني المعروف بابن اللبانة الأندلسـي في مدح المعتمد بن عباد صـاحب إشـبيلية المقدم ذكره من جملة قصيدة طويلة (سألت أخاه البحر عنه فقال لي * شـــقيقي إلا أنه الســـاكن العذب) ما كفاه أنه جعله شـقيق البحر حتى رجحه عليه فقال الساكن العذب والبحر

مضـــطرب ملح وهذا من خالص المدح وأبدعه وأول هذه القصيدة
194 (بكت عند توديعي فما علم الركب * أذاك ســقيط الطل أم لؤلؤ رطب) (وتـابعها ســـرب وإني لمخطىء * نجوم الدياجي لا يقال لها ســـرب) وهي قصـــيدة طويلة ولولا خوف الإطالة والخروج عما نحن بصـدده لذكرتها كلها ولكن يكفي منها هذا الأنموذج وكان الخطيب أيضـا يروي عن ابن نحرير المذكور من شـــعره قوله (يا نساء الحي من مضر * إن سلمى ضرة القمر) (إن سلمى لا فجعت بها * أسلمت طرفي إلى السهر) (فهي إن صدت وإن وصلت * مهجتي منها على خطر) (وبياض الشـــعر أسـكنها * من ســواد القلب والبصــر) وللخطيب المذكور شـــعر فمن ذلك قوله (فمن يســأم من الأسفار يوما * فإني قد سئمت من المقام) (أقمنا بالعراق على رجـال * لئـام ينتمون إلى لئـام) وقـال الخطيب المذكور كتب إلي العميد الفياض (قل ليحيى بن علي * والأقـاويـل فنون) (غير أني لســـت من يكذب * فيهـا ويخون) (أنت عين الفضل إن مد * إلى الفضل عيون) (أنت من عز به الفضل * وقد كاد يهون) (فقت من كان وأتعبت * لعمري من يكون) (قد مضـــى فيك قران * ومضـــت فيه قرون) (وإذا قيس بك الكل * فصـــحو ودجون)

195 (وإذا فتش عنهم * فالأحاديث شـجون) (قد سمعنا ورأينا * فسهول وحزون) (ووزنا بك من كان * فقيل وقيون) (أين شـيبان وأزد * كل ما زال ظنون) (إنك الأصل ومن دونك * في العلم غصون) (إنك البحر وأعيان * ذوي الفضـل عيون) (ليس كالسيف وإن حلي * في الحكم الجفون) (ليس كالفذ المعلى * ليس كالبيت الحجون) (ليس كـالجد وإن آنس * هزل ومجون) (ليس في الحســـن ســـواء * أبدا بيض وجون) (ليس كالأبكار في اللطف * وإن راقتك عون) (قلت للحســـاد كونوا * كيف شئتم أن تكونوا) (سـبق الزائد بالفضـل * فعزوا أو فهونوا) (دمت ما خالف في الحد * حراك وسكون) (وتلقاك المنى ما * قر بالطير الوكون) (إن ودي لك عما * يصـم الود مصـون) (ليس لي فيه ظهور * تتنافى أو بطون) (بل لقلبي فيك صـــب * بالمصـــافاة يكون) (غلق الرهن وقد تغلق * في الحب رهون) (ومن الناس أمين * في هواه وخؤون)

196 وقال ابن الجواليقي قال لنا شيخنا الخطيب أبو زكريا فكتبت أنا إلى العميد الفياض المذكور هذه الأبيات (قـل للعميـد أخي العلا الفيـاض * أنـا قطرة من بحرك الفياض) (شـرفتني ورفعت ذكرى بالذي * ألبسـتنيه من الثنا الفضفاض) (ألبستني حلل القريض تفضلا * فرفلت منها في علا ورياض) (إني أتيتك بالحصـى عن لؤلؤ * أبرزته من خاطر مرتاض) (وبخاطري عن مثل ذاك

توقف * ما إن يكاد يجود بالأبعاض) (أيعارض البحر الغطامط جدول * أم درة تنقاس بالرضراض) (يا فارس النظم المرصـع جوهرا * والنثر يكشـف غمة الأمراض) (يرمي به الغرض البعيد وقد غدا * فكري يقصـــر عن مدى الأغراض) (لا تلزمني من ثنـائك موجبا * حقا فلست لحقه بالقاضي) (فلقد عجزت عن القريض وربما * أعرضت عنه أيما إعراض) (أنعم علي ببسط عذري إنني * أقررت عند نداك بالإنفاض) وكانت ولادته سـنة إحدى وعشـرين وأربعمائة وتوفي فجأة يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسمائة ببغداد ودفن في مقبرة باب أبرز رحمه الله تعالى وبسـطام بكسـر الباء الموحدة وسـكون السـين المهملة وفتح الطاء المهملة وبعد الألف ميم وقد تقدم الكلام على الشيباني والتبريزي فأغنى عن الإعادة

197 801 الزواوي أبو الحســين يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي الملقب زين الدين النحوي الحنفي كان أحد أئمة عصره في النحو واللغة وسكن دمشق زمانا طويلا واشـتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به وصـنف تصـانيف مفيدة منها الألفية في النحو ومنها الفصـول في النحو أيضـا ثم إن الملك الكامل أرغبه في الانتقال إلى مصـر فسـافر إليها وتصـدر بالجامع العتيق بمصـر لإقراء الأدب وقرر له على ذلك جار ولم يزل إلى أن توفي سـلخ ذي القعدة سـنة ثمان وعشـرين وسـتمائة بالقاهرة ودفن من

الغد على شفير الخندق بقرب تربة الإمام الشافعي رضي الله عنه وقبره هناك ظاهر ومولده سنة أربع وستين وخمسمائة رحمه الله تعالى والزواوي بفتح الزاي وبين الواوين ألف هذه النسبة إلى زواوة وهي قبيلة كبيرة بظاهر بجاية من أعمال إفريقية ذات بطون وأفخاذ والله أعلم

198 802 يحيى بن المنجم النديم أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى بن أبي منصور المعروف بالمنجم واسمه أبان حسيس ين وريد بن كاد بن مهابنداد حسيس بن فروخ داد بن أساد ابن مهر حسيس بن يزدجرد كان في أول أمره نديم الموفق أبي أحمد طلحة ابن المتوكل على الله والموفق المذكور هو والد المعتضد بالله ولم يل الموفق الخلافة بل كان نائبا عن أخيه المعتمد على الله ولم يزل في محاربة القرامطة وأمره في ذلك مشهور وقصته طويلة وليس هذا موضع ذكرها ثم إن يحيى المذكور نادم الخلفاء بعد الموفق واختص بمنادمة المكتفي بالله ابن المعتضد وعلت رتبته عنده وتقدم على خواصه وجلسائه وكان متكلما معتزلي الاعتقاد وله في ذلك كتب كثيرة وكان له مجلس يحضره جماعة من المتكلمين بحضرة المكتفي وصنف كتبا كثيرة فمن ذلك كتاب الباهر في أخبار شعراء مخضرمي الدولتين ابتدأ فيه ببشار بن برد وآخر من أثبت فيه مروان بن أبي حفصة ولم يتمه وتممه ولده أبو الحسن أحمد بن يحيى وعزم على أن يضيف إلى كتاب أبيه سائر الشعراء المحدثين فذكر منهم أبا دلامة ووالبة بن الحباب

ويحيى بن زياد ومطيع بن إياس وأبا علي البصير (318
) وكان أبو الحسن أحمد المذكور متكلما فقيها على مذهب أبي جعفر
199 الطبري وله كتب صنفها منها كتاب أخبار أهله ونسبهم في الفهرس وكتاب الإجماع في الفقه على مذهب أبي جعفر الطبري وكتاب المدخل إلى مذهب الطبري ونصرة مذهبه وكتاب الأوقات وغير ذلك وليحيى المذكور مع المعتضد وقائع ونوادر فمن ذلك ما حكاه أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي في كتاب مروج الذهب عن يحيى المذكور أنه قال كنت يوما بين يدي المعتضد وهو مغضب فأقبل بدر مولاه وكان شديد الغرام به فلما رآه من بعيد ضحك وقال يا يحيى من الذي يقول من الشعراء (في وجهه شافع يمحو إساءته * من القلوب وجيه حيثما شفعا) فقلت يقوله الحكم بن عمرو الشاري فقال لله دره أنشدني هذا الشعر فأنشدته (ويلي على من أطار النوم فامتنعا * وزاد قلبي على أوجاعه وجعا) (كأنما الشمس من أعطافه لمعت * حسنا أو البدر من أزراره طلعا) (مستقبل بالذي يهوى وإن كثرت * منه الذنوب ومعذور بما صنعا) (في وجهه شافع يمحو إساءته * من القلوب وجيه حيثما شفعا) وذكر أبو الفتح كشاجم الشاعر المشهور في كتابه الذي سماه المصايد والمطارد في الفصل الذي ذكر فيه صيد الأسد بالنشاب ما مثاله حدث أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى المنجم النديم

نديم المكتفي بالله قال وجد علي أمير المؤمنين المكتفي بالله منصـرفه من الرقة لركوبي الماء منها إلى المرحلة الأولى قبل أن يركبه هو وذلك أن أبا العباس أحمد بن عبد الصـمد حملني على ذلك

200 وسألني أن أكون معه في سفينة ففعلت ولم أظن أن المكتفي ينكر ذلك ولا يحتمل تأخيري عنه وإخلالي به فلما صـرنا إلى الدالية أمر بأن أرد منها إلى قرقيسيا وأقيم بها حتى أصيد سبعا وأحدره إليه فردني ورد معي عدة من المغنين كانوا قد ركبوا الماء فكتبت إليه بأبيات فلم تعطفه فرجعـت إلى الرحبـة وأقمـت عنـد أبي محمـد عبـد الله بن الحسـين بن سـعد القطربلي في قصـف وشـرب وصـبوح وغبوق وهو على غاية السـرور بمقامي عنده وكان معنا أبو جعفر محمد بن سليمان بن محمد بن عبد الملك الزيات فكتبت من الرحبة كتابا إلى الوزير أبي الحسـين القاسـم بن عبيد الله وأنفذت فيه شـعرا أسـألـه أن يقرأه على المكتفي وهو (نفس الدهر أن نسر وأن يسعدنا * بالأحبة الاجتماع) (فرماني وإخوة لي بسـهم * نفر النفس فهي منه شـعاع) (فرددنا إلى وراء ومر الناس * قدما فاشـتددت الأوجاع) (لو سمعنا بمثل ما نالنا أفزعنا * منه في سوانا السماع) (كلفونا صيد السباع وإنا * لبخير إن لم تصدنا السباع) (إن عصـينا فواجب أي قوم * كلفوا فوق طوقهم فأطاعوا) (كل شـيء يجوز تكليفه الإنسـان * إلا ما كان لا يسـتطاع) (لم تزل تمزح الملوك ولكن * مع ذاك

المزاح جود وساع) (وتوانى الوزير عنا فضعنا * في سبيل الإله حق مضاع) (قد مددنا الأيدي إليه وأضحت * عائذات بفضله الأطماع) (شافع لا يخاف ردا إذا ما * رد عما تريده الشفاع) (عبثات الملوك ينبعها الأنس * وأثمارها عطايا تباع)
201 (أولنا يا ولي دولته خيرا * لديه فالخير النفاع) وأنفذ الكتاب مع محمد بن سليمان الخرائطي في الخرائط فلم يضعه القاسم من يده حتى دخل على المكتفي فقرأه عليه وأنشده الأبيات فاستحسنها وقال يكتب الساعة بتخلية سبيله وحمله إلينا فلم يكن أسرع من أن وافاني الرسول فوافيت وأنشدت المكتفي ببغداد (عاد ليلي القصير في كرخ بغداد * بقرقيسيا علي طويلا) (أجميلا أن تتركوني وتمضون * رهينا بها غريبا ذليلا) (مفردا بالعقاب مشترك الذنب * فصبرا حسبي بربي وكيلا) (إن قضى الله لي رجوعا إلى بغداد * لا هالكا بغمي قتيلا) (وأراني الخليفة المكتفي بالله * وابن الخلائف المأمولا) (كالذي قد عهدت لا معرضا عني * ولا واجدا ولا مستحيلا) (كل شيء أسامه هين عندي * إذا الرأي منه كان جميلا) فاستحسنها ورق لشكواي بها حتى تبينت ذلك في وجهه وكلامه وأخبار يحيى ومحاسنه كثيرة وكانت ولادته سنة إحدى وأربعين ومائتين وتوفي ليلة الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة ثلثمائة رحمه الله تعالى وقد تقدم ذكر والده علي وأخيه

هارون وابن أخيه علي ولم أرفع في نسـبهم إلا في هذه الترجمة لأني لم أظفر بالنسـب على هذه الصـورة إلا لما وصـلت إلى هذا الموضـع فنقلته كما وجدته من كتاب الفهرسـت لأبي الفرج محمد بن إسـحاق النديم ولم أضـبط شيئا من أسماء أجداده لأني لم أتحقق فيها شيئا فنقلتها كما وجدتها

202 803 أبو بكر ابن بقي الشـاعر أبو بكر يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن بقي الأندلسـي القرطبي الشاعر المشهور صاحب الموشحات البديعة قال الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسـي في كتاب مطمح الأنفس في حق أبي بكر المذكور إنه كان نبيل النثر والنظام كثير الارتباط في سـلكه والانتظام أحرز خصـالا وطرز محاسـنه بكرا وآصـالا وجرى في ميدان الإحسـان إلى أبعد أمد وبنى من المعارف على أثبت عمد إلا أن الأيام حرمته وقطعت حبل رعايته وصـرمته ولم تتم له وطرا ولم تسـجم عليه من الحظوة مطرا ولا نولته من الحرمة نصـيبا ولا أنزلته مرعى خصـيبا فصـار راكب صـهوات وقاطع فلوات لا يسـتقر يوما ولا يسـتحسـن قوما مع توهم لا يظفره بأمان وتقلب ذهن كواهي الجمان إلا أن يحيى بن علي بن القاسم نزعه عن ذلك الطيش وأقطعه جانبا من العيش وأرقاه إلى سمائه وسقاه صوب نعمائه وفيأه ظلاله وبوأه أثر النعمة يجوس خلاله فصـرف فيه أقواله وشـرف بقوافيه نواله وأفرده منها بأنفس در وقلد لبته منها بقصـائد غر وذكر

الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسـي المذكور في حقه أيضـا في كتاب
203 قلائد العقيان هو رافع راية القريض وصـاحب آية التصـريح فيه والتعريض أقام شـرائعه وأظهر روائعه وصـار عصـيه طائعه إذا نظم أزرى بنظم العقود وأتى بأحسـن من رقم البرود ضـفا عليه حرمانه وما صـفا له زمانه انتهى كلام الفتح وقد أثبت لأبي بكر المذكور هذا المقطوع من الشـعر ولم أر الفتح ذكره في واحد من كتابيه المذكورين مع أنه من أحسـن شـعره وأشـهره وهو (بأبي غزال غازلته مقلتي * بين العذيب وبين شـطي بارق) (وسـألت منه زيارة تشـفي الجوى * فأجابني منها بوعد صـادق) (بتنا ونحن من الدجى في خيمة * ومن النجوم الزهر تحت سـرادق) (عاطيته والليل يسـحب ذيله * صـهباء كالمسـك الفتيق لناشـق) (وضـممته ضـم الكمي لسـيفه * وذؤابتاه حمائل في عاتقي) (حتى إذا مالت به سـنة الكرى * زحزحته عني وكان معانقي) (أبعدته عن أضلع تشتاقه * كي لا ينام على وساد خافق) (لما رأيت الليل آخر عمره * قد شـاب في لمم له ومفارق) (ودعت من أهوى وقلت تأسـفا * أعزز علي بأن أراك مفارقي) وقد ذكر بعض هذه الأبيات الحافظ أبو الخطاب ابن دحية في كتابه الذي سـماه المطرب من أشـعار أهل المغرب ومن شـعره قصـيدة يمدح بها يحيى بن علي بن القاسـم المذكور في هذه الترجمة وهي طويلة ومن مديحها قوله (

نوران ليســـا يحجبان عن الورى * كرم الطباع ولا جمال المنظر) (وكلاهما جمعا ليحيى فليدع * كتمان نور علائه المتشهر)
204 (في كل أفق من جميل ثنائه * عرف يزيد على دخان المجمر) (رد في شـــمائله ورد في جوده * بين الحديقة والغمام الممطر) (ندب عليه من الوقار سـكينة * فيها حفيظة كل ليث مخدر) (مثل الحســـام إذا انطوى في غمده * ألقى المهابة في نفوس الحضـــر) (أربى على الغيث الملث لأنه * أعطى كما أعطى ولم يستعبر) (أزرى على البحر الخضم لأنه * في كل كف منه خمســـة أبحر) (أقبلت مرتادا لجودك إنه * صـــوب الغمامة بل زلال الكوثر) (ورأيت وجه النجح عندك أبيضا * فركبت نحوك كل لج أخضر) (يجري إليك بنا ســـفين أتلع * مثل البعير مخزم في المنخر) (وبنات أعوج قد برمن بصـــحبتي * مما قطعن من اليباب المقفر) وأورد له صـــاحب قلائد العقيان مقطوعا وهو (يا أقتل الناس ألحاظا وأطيبهم * ريقا متى كان فيك الصـــاب والعسل) (في صـحن خدك وهو الشـمس طالعة * ورد يزيدك فيه الراح والخجل) (إيمان حبك في قلبي يجدده * من خدك الكتب أو من لحظك الرسل) (إن كنت تجهل أني عبد مملكة * مرني بما شـــئت آتيه وأمتثل) (لو اطلعت على قلبي وجدت به * من فعل عينيك جرحا ليس يندمل) وذكره العماد الكاتب في الخريدة وأورد له عدة

مقاطيع ثم أعاد ذكره في آخر الكتاب وأورد له (ومشمولة في الكأس تحسب أنها * سماء عقيق رصعت بالكواكب)
205 (بنت كعبة اللذات في حرم الصبا * فحج إليها اللهو من كل جانب) ومحاسنه في الشعر كثيرة وتوفي سنة أربعين وخمسمائة رحمه الله تعالى وبقي بفتح الباء الموحدة وكسر القاف وتشديد الياء 804 الخطيب الحصكفي أبو الفضل يحيى بن سلامة بن الحسين بن محمد الملقب معين الدين المعروف بالخطيب الحصكفي صاحب الديوان الشعر والخطب والرسائل ولد بطنزة ونشأ بحصن كيفا وقدم بغداد فاشتغل بالأدب على الخطيب أبي زكريا التبريزي المقدم ذكره وأتقنه حتى مهر فيه وقرأ الفقه على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه وأجاد فيه ثم رحل عن بغداد راجعا إلى بلاده ونزل ميافارقين واستوطنها وتولى بها الخطابة وكان إليه أمر الفتوى بها واشتغل عليه الناس وانتفعوا بصحبته وذكره العماد الأصبهاني في كتاب الخريدة فقال في حقه كان علامة الزمان في علمه ومعري العصر في نثره ونظمه له الترصيع البديع والتجنيس النفيس والتطبيق والتحقيق واللفظ الجزل الرقيق والمعنى السهل
206 العميق والتقسيم المستقيم والفضل السائر المقيم ثم قال العماد بعد كثرة الثناء عليه وتعداد محاسنه وكنت أحب لقاءه وأحدث نفسي عند وصولي إلى الموصل به وأنا شغف بالاستفادة كلف بمجالسة الفضلاء للاستزادة

فعاق دون لقائه بعد الشـقة وضـعفي عن تحمل المشـقة ثم ذكر له عدة مقاطيع فمن ذلك قوله (وخليع بت أعذله * ويرى عذلي من العبث) (قلت إن الخمر مخبثة * قال حاشـــاها من الخبث) (قلت فالأرفاث تتبعها * قال طيب العيش في الرفث) (قلت منها القيء قال أجل * شـــرفت عن مخرج الحدث) (وســـأجفوها فقلت متى * قال عند الكون في الجدث) قلت أنا ولقد أخذ الخطيب المذكور قوله (شـــرفت عن مخرج الحدث *) من قول بعضـــهم ولا أعرفه لكنها أبيات ســـــائرة وهي (ولائم لامني في الخمر قلت له * إني سأشربها حيا وفي جدثي) (فأسقني قهوة حمراء صافية * صرفا حراما فإني غير مكترث) (فإن يكن حللوها بالطبيخ ففي * حشـــاي نار تبقيها على الثلث) (قالوا فلم تتقاياها فقلت لهم * إني أنزهها عن مخرج الحدث) ثم قال العماد الأصـــبهاني وأنشـــدني له بعض الفضـــلاء ببغداد خمســـة أبيات كالخمســـة السـيارات مستحسنات مطبوعات مصنوعات وهي (أشكو إلى الله من نارين واحدة * في وجنتيه وأخرى منه في كبدي)
207 (ومن سقامين سقم قد أحل دمي * من الجفون وسـقم حل في جسـدي) (ومن نمومين دمعي حين أذكره * يذيع ســـرى وواش منه بالرصـــد) (ومن ضـــعيفين صـــبري حين أذكره * ووده ويراه الناس طوع يدي) (مهفهف رق حتى قلت من عجب * أخصـــره خنصـــري أم جلده جلدي) ومن مليح شـــعره أبيات في هجو مغن وهي

(ومسمع غناؤه * يبدل بالفقر الغنى) (شهدته في عصبة * رضيتهم لي قرنا) (أبصرته فلم تخب * فراستي لما دنا) (وقلت من ذا وجهه * كيف يكون محسنا) (ورمت أن أروح للظن * به ممتحنا) (فقلت من بينهم * هات أخي غن لنا) (ويوم سلع لم يكن * يومي بسلع هينا) (فانشال منه حاجب * وحاجب منه انحنى) (وامتلأ المجلس من * فيه نسيما منتنا) (أوقع إذ وقع في الأنفس * أسباب العنا) (وقال لما قال من * يسمع في ظل الفنا) (وما اكتفى باللحن والتخليط * حتى لحنا) (هذا وكم تكشخن الوغد * وكم تقرننا) (يوهم زمرا أنه * قطعه ودندنا)
208 (وصاح صوتا نافرا * يخرج عن حد البنا) (وما درى محضره * ماذا على القوم جنى) (فذا يسد أنفه * وذا يسد الأذنا) (ومنهم جماعة * تستر عنه الأعينا) (فاغتظت حتى كدت من * غيظ أبث الشجنا) (وقلت يا قوم اسمعوا * إما المغني أو أنا) (أقسمت لا أجلس أو * يخرج هذا من هنا) (جروا برجل الكلب إن * السقم هذا والضنا) (قالوا لقد رحمتنا * وذدت عنا المحنا) (فحزت في إخراجه * راحة نفسي والثنا) (وحين ولى شخصه * قرأت فيهم معلنا) (الحمد لله الذي * أذهب عنا الحزنا) ولم أسمع مع كثرة ما قيل في هذا الباب مثل هذا المقطوع في هذا المعنى وللخطيب المذكور أيضا في هذا المعنى (ومسمع قوله بالكره مسموع *

محجب عن بيوت النـاس ممنوع) (غنى فبرق عينيه وحرك لحيبه * فقلنا الفتى لا شـك مصـروع) (وقطع الشعر حتى ود أكثرنا * أن اللسان الذي في فيه مقطوع) (لم يأت دعوة أقوام بأمرهم * ولا مضـى قط إلا وهو مصفوع) وقد سبق له في ترجمة الشيخ الشاطبي في حرف القاف مقطوع لغز في نعش وهو معنى مليح وأكثر شعره على هذا الأسلوب في اللطافة وجودة المقاصد

209 وكان يتشـيع وهو في شـعره ظاهر وكان بمدينة آمد شابان بينهما مودة أكيدة ومعاشرة كثيرة فركب أحدهما ظاهر البلد وطرد فرسه فتقنطر فمات وقعد الآخر يستعمل الشراب فشرق فمات في ذلك النهار فعمل فيهما بعض الأدباء (تقاسما العيش صفوا والردى كدرا * وما عهدنا المنايا قط تقتسم) (وحافظا الود حتى في حمامهما * وقلما في المنايا تحفظ الذمم) فلما وقف الخطيب المذكور على البيتين قال هذا الشـاعر قصـر إذ لم يذكر سـبب موتهما وقد قلت فيهما (بنفسـي أخيان من آمد * أصيبا بيوم مشوم عبوس) (دهى ذا كميت من الصافنات * و هذا كميت من الخندريس) قلت ولو قال (دهى ذا كميت من الصافنات * وهذا كميت من الصافيات) لكان أحسن لأجل المجانسة وكان يجعل البيت الأول (بنفسي أخيان من آمد * أصيبا بيوم شديد الأذاة) أو ما يناسب هذا ثم وجدت البيتين الأولين في كتاب الجنان تأليف القاضي الرشيد ابن الزبير المقدم ذكره في حرف الهمزة

وقد نســـبهما إلى الفقيه أبي علي الحســـن بن أحمد المعلم المعري لكن هكذا وجدت الحكاية بخط
210 بعض المتأدبين والله أعلم وللخطيب المذكور الخطب المليحة والرســائل المنتقاة ولم يزل على رياســته وجلالته وإفادته إلى أن توفي ســـنة إحدى وقيل ثلاث وخمسين وخمسمائة وكانت ولادته في حدود سنة ستين وأربعمائة رحمه الله تعالى والحصكفي بفتح الحاء وسكون الصاد المهملة وفتح الكاف وفي آخرها فاء هذه النسبة إلى حصن كيفا وهي قلعة حصينة شاهقة بين جزيرة ابني عمر وميافارقين وكان القياس أن ينسبوا إليه الحصني وقد نسبوا إليه أيضا كذلك لكن إذا نسبوا إلى اسمين أضيف أحدهما إلى الآخر ركبوا من مجموع الاسمين اسما واحدا ونسبوا إليه كما فعلوا هاهنا وكذلك نســبوا إلى رأس عين رســعني وإلى عبد الله وعبد شـــمس وعبد الدار عبدلي وعبشـــمي وعبدري وكذلك كل ما هو نظيره وأما طنزة بفتح الطاء المهملة وســكون النون وفتح الزاي في آخرها هاء ســاكنة فهي بليدة صـــغيرة بديار بكر فوق الجزيرة العمرية خرج منها جماعة من المحدثين وغيرهم ونســبوا إليها (319) قال عماد الدين الأصـــبهاني الكاتب في كتاب الخريدة منها إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم الطنزي وهو القائل (وإني لمشـتاق إلى أرض طنزة * وإن خانني بعد التفرق إخواني (سقى الله أرضا لو ظفرت بتربها * كحلت به من شدة

الشــوق أجفاني) ثم قال عماد الدين المذكور بعد هذا كان الشاعر حيا في شهر رمضان سنة ثمان وستين وخمسمائة

211 805 يحيى بن تميم الصــــنهاجي أبو طاهر

يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الحميري الصـــنهاجي صاحب إفريقية وما والاها قد تقدم ذكر والده ورفعت نسبه هناك وتقدم ذكر جماعة من أجداده في هذا الكتاب وكانت ولاية الأمير يحيى المذكور بالمهدية خلافة عن أبيه تميم يوم الجمعة لأربع بقين من شــــهر ذي الحجة ســـنة ســـبع وتسـعين وأربعمائة والطالع الدرجة الســابعة من الجدي ثم اســـتقل بالأمر يوم وفاة والده وقد ســـبق ذلك في ترجمته وكان عمر الأمير يحيى يوم الاستقلال ثلاثا وأربعين سنة و ستة أشهر وعشرين يوما وركب على العادة وأهل دولته محتفون به ورجع إلى قصـره فغير لباس جميع أهل الدولة من الخواص والجند بخلع ســنية وكانوا قد غيروا لباســـهم لموت أبيه ووهب للأجناد والعبيد أموالا كثيرة ووعدهم مواعد ســـارة ورأيت في كتاب الجمع والبيان في أخبار القيروان الذي ألفه ولد أخيه عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن شـــداد بن تميم بن المعز بن باديس أن الأمير تميما قبل وفاته بمدة يســيرة دعا ولده يحيى المذكور وكان في دار الإمارة مع خاصــته وجلســائه فمضــى يحيى ومن معه إليه فوجدوا تميما في بيت المال فأمرهم بالجلوس ثم قال لأحدهم قم فادخل ذلك البيت وخذ منه الكتاب الذي

صـــفته كذا في مكان كذا فقام وأتى به فإذا هو كتاب ملحمة فقال له
212 عد من أوله كذا وكذا ورقة واقرأ الصفحة التي تنتهي إليها فقرأها وإذا فيها الملك المغدور وهو الطويل القامة الذي على وركه الأيمن خال وفي جنبه الأيسر شامة فقال الأمير تميم أطبق الكتاب واردده إلى موضعه ففعل ثم قال تميم أما العلامتان فقد رأيتهما وبقيت علي الثالثة قم أنت يا شريف وأنت يا فلان حتى تحققا عندي خبر العلامة الثالثة فقاموا وقام يحيى معهم إلى موضع مستور عن تميم فكشف لهم عن جسمه فرأوا شامة على جنبه الأيسر هلالية الشـكل فأتوا تميما فعرفوه فقال لم أعطه أنا شـيئا الله تعالى الذي أعطاه ثم قال إني أخبركم بحديث عجيب وذلك أنه عرض علي النخاس والدته فاستحسنتها ومالت نفسي إليها فاشــتريتها وســلمتها إلى خدام القصــر وأمرت النخاس أن يرجع إلى قبض الثمن ثم دبرت في مال طيب حلال أخرج ثمنها منه فبينما أنا مفكر في ذلك إذ سـمعت السـائل يصيح ويرفع صوته في الإذن على مطالعتي فأخرجت رأسي من الطاق وقلت له ما شأنك فقال كنت السـاعة أحفر في قصـر المهدي إذ وجدت صـــندوقا عليه قفل فتركته على حاله وجئت مطالعا بأمره فأنفذت معه من أثق به فإذا فيه أثواب مذهبات الأعلام قد أفناها الدهر فأمرت بسـبك أعلامها فلم تزد ولم تنقص عن ثمن الجارية فتعجب الحاضـــرون من ذلك ودعوا له ثم أمر لهم بدنانير وكســاء وانصــرفوا قال

عبد العزيز المذكور وقد أدركت هذا الكتاب المشـــار إليه عند السلطان الحسن رحمه الله تعالى يعني الحسن بن علي بن يحيى المذكور وحكى عن الكتاب أمورا وقضـــايا ذكر أنها ستكون وكانت كما ذكر رجعنا إلى حديث يحيى ولما جلس في الملك قام بالأمر وعدل في الرعية وفتح قلاعا لم يتمكن أبوه من فتحها قال عبد العزيز المذكور في تاريخه وفي أيامه يعني يحيى

213 وصـــل إلى المهدية من طرابلس المهدي محمد بن تومرت المقدم ذكره قادما من الحج فنزل بمســـجد قبلي مســـجد السبت فاجتمع إليه جماعة من أهل المهدية وقرأوا عليه كتبا في علم أصـــول الدين وشـــرع في تغيير المنكر فرفع أمره إلى يحيى فأحضـــره وجماعة من الفقهاء فرأى ما هو عليه من الخشوع والتقشف والعلم فسأله الدعاء فقال له أصـــلحك الله لرعيتك ونفع بها ذريتك وأقام مدة يســـيرة بالمهدية ثم انتقل إلى المنســـتير فأقام بها مدة ثم انتقل إلى بجاية وقد تقدم في ترجمة والده الأمير تميم أن محمد بن تومرت المذكور اجتاز بتلك البلاد في أيامه والله تعالى أعلم أي ذلك كان ثم قال عبد العزيز وفي ســـنة ســـبع وخمســـمائة أتى إلى المهدية قوم غرباء فقصـــدوا يحيى بمطالعة زعموا فيها أنهم من أهل الصـــناعة الكبيرة من الواصلين إلى نهايتها فأذن لهم بالدخول عليه فلما مثلوا بين يديه طالبهم بأن يظهروا له من الصـــناعة ما يقف عليه فقالوا نحن نزيل من القصـــدير التدخين والصـــرير حتى

يرجع لا فرق بينه وبين الفضـــــة لمولانا من الســــروج
والقصب والبنود والأواني قناطير من الفضة يجعل عوضا
منها ما يريده ويســتعمل جميع ذلك في مهماته وســألوه أن
يكون ذلك في خلوة فأجابهم وأحضرهم للعمل ولم يكن عند
الأمير يحيى ســوى الشــريف أبي الحســن علي والقائد
إبراهيم قائد الأعنة وكانوا هم ثلاثة وكانت بينهم أمارة
فأمكنتهم الفرصة فقال أحدهم دارت البوتقة فتواثبوا وقصد
كل واحد منهم واحدا بســكاكينهم فأما الذي قصــد الأمير
يحيى فقال أنا ســراج وكان يحيى جالســا على مصــطبة
فضــربه فجاءت على أم رأســه فقطعت طاقات في العمامة
ولم تؤثر في رأســه واســترخت يده بالسكين على صــدره
فخدشــته وضــربه يحيى برجله فألقاه على ظهره فســمع
الخدم الجلبة ففتحوا باب القصـــر من عندهم فدخل يحيى
وأغلق الباب دونهم وأما الشــريف فلم يزل به الذي قصــده
حتى قتله وأما القائد إبراهيم فإنه شهر سيفه ولم يزل يقاتل
الثلاثة وكســر الجند الباب الذي كان بينهم ودخلوا فقتلوهم
وكان زيهم زي أهل الأندلس فقتل في البلد جماعة ممن
214 يلبس ذلك الزي وخرج الأمير يحيى في الحال
ومشــى في البلد وسكن الفتنة وكان يحيى عادلا في دولته
ضابطا لأمور رعيته عارفا بخرجه ودخله مدبرا في جميع
ذلك على ما يوجبه النظر العقلي ويقتضــيه الرأي الحكمي
ونعته في الملاحم الملك المغدور وتحقق له هذا النعت بهذه
الواقعة التي ذكرناها وكان كثير المطالعة لكتب الأخبار

والسـير عارفا بها رحيما للضعفاء شفيقا على الفقراء يطعمهم في الشدائد فيرفق بهم ويقرب أهل العلم والفضل من نفسه وساس العرب في بلاده فهابوه وانكفت أطماعهم وكان له نظر حسن في صناعة النجوم والأحكام وكان حسن الوجه على حاجبه شامة أشهل العينين مائلا في قده إلى الطول دقيق الساقين وكان عنده جماعة من الشعراء قصدوه ومدحوه وخلدوا مديحه في دواوينهم ومن جملة شعرائه أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الشاعر المقدم ذكره أقام تحت كنفه بعد أن جاب الأرض وتقاذفت به البلدان وله صنف الرسالة المشهورة التي وصف فيها مصر وعجائبها وشعراءها وغير ذلك وله فيه مدائح كثيرة أجاد فيها وأحسن وله أيضا مدائح في ولده أبي الحسن علي وولد ولده الحسن بن علي ومن جملة قوله من مديحه قصيدة (وارغب بنفسك إلا عن ندى ووغى * فالمجد أجمع بين البأس والجود) (كدأب يحيى الذي أحيت مواهبه * ميت الرجاء بإنجاز المواعيد) (معطي الصوارم والهيف النواعم والجرد * الصلادم والبزل الجلاعيد) (أشم أشوس مضروب سرادقه * على أشم بفرع النجم معقود) (إذا بدا بسرير الملك محتبيا * رأيت يوسف في محراب داوود) (من أسرة تخذوا الماذي لبسهم * واستوطنوا صهوات الضمر القود) (محسدون على أن لا نظير لهم * وهل رأيت عظيما غير محسود)

215 (وإن تكن جمعتكم أســـرة كرمت * فليس في كل عود نفحة العود) (أقول للراكب المزجي مطيته * يطوي بها الأرض من بيد إلى بيد) (لا تترك الماء عدا في مشــارعه * وتطلب الري من صــم الجلاميد) (هذي موارد يحيى غير ناضـبة * وذا الطريق إليها غير مسـدود) (حكم سـيوفك فيما أنت طالبه * فللسـيوف قضــاء غير مردود) وله فيه غير ذلك ولما كان يوم الأربعاء وهو عيد النحر سنة تسع وخمسمائة توفي يحيى فجأة وذلك أن منجمه قال يوما له إن في تســـيير مولدك في هذا النهار عليك عكســـا فلا تركب فامتنع من الركوب وخرج أولاده ورجال دولته إلى المصــلى فلما انقضــت الصــلاة حضــر رجال الدولة على ما جرت به العادة للســـلام وقرأ القراء القرآن وأنشد الشـعراء وانصـرفوا إلى الإيوان فأكل الناس وقام يحيى إلى مجلس الطعام فلما وصــل إلى باب المجلس أشـــار إلى جارية من حظاياه فاتكأ عليها فما خطا من باب البيت ســوى ثلاث خطوات حتى وقع ميتا وكان ولده علي نائبه على ســفاقس وهي بلدة من أعمال إفريقية وللشــعراء فيها شعر فمن ذلك قول بعضهم وهو علي بن حبيب يصف بحرها في مده وجزره (ســـقيا لأرض ســـفاقس * ذات المصــانع والمصــلى) (بلد يكاد يقول حين * وروده أهلا وســهلا) (وكأن ماء البئر حين * تراه ينضــب ثم يملا) (صـــب يريد زيارة * فإذا رأى الرقباء ولى) فأحضــر وعقدت له الولاية ودفن يحيى في القصر على ما جرت به

العادة ثم نقل بعد سنة إلى قصر السيدة بالمنستير وهي بلدة بأفريقية أيضا وخلف ثلاثين ولدا ذكورا

216 (320) وأما علي المذكور القائم مقام أبيه يحيى فإن مولده بمدينة المهدية صبيحة يوم الأحد لخمس عشرة ليلة خلت من صفر سنة تسع وتسعين وأربعمائة وكان أبوه قد ولاه سفاقس فلما مات أبوه اجتمع أعيان دولته على كتاب كتبوه عن أبيه إليه يأمره بالوصول إليه مسرعا فوصله الكتاب ليلا فخرج لوقته ومعه طائفة من أمراء العرب وجد في السير فوصل الظهر من يوم الخميس الثاني من يوم العيد ودخل القصر ولم يقدم شيئا على تجهيز أبيه والصلاة عليه ودفنه وفي صبيحة يوم الجمعة ثالث عشر ذي الحجة جلس للناس فدخلوا عليه وسلموا بالإمارة ثم ركب في جيوشه وجموعه ثم عاد إلى قصره وفي أيامه توجه أخوه أبو الفتوح ابن يحيى إلى الديار المصرية ومع زوجته بلارة بنت القاسم وولده العباس صغير على الثدي فوصل إلى الإسكندرية فأنزل وأكرم بأمر الآمر صاحب مصر يومئذ فأقام بها مدة يسيرة وتوفي فتزوجت بعده زوجته بلارة بالعادل بن السلار واسمه علي المقدم ذكره في هذا الكتاب في حرف العين وشب العباس وقدمه الحافظ صاحب مصر وولي الوزارة بعد العادل المذكور وذكر شيخنا ابن الأثير في تاريخه في حوادث سنة اثنتين وخمسمائة حديث الثلاثة الذين جاءوا إلى يحيى في معنى الكيمياء فقال كان مجيئهم في هذه

السنة وأنهم لما وثبوا على يحيى وجرى ما ذكرته قبل هذا صـــادف ذلك مجيء أبي الفتوح المذكور وأصـــحابه إلى القصر وعليهم السلاح فمنعوا من الدخول وثبت عند يحيى أن ذلك كان باتفاق بينهم فأخرج أبو الفتوح وزوجته وهي ابنة عمه إلى قصـــر زياد ووكل بهما إلى أن مات يحيى وملك ابنه علي فسـيرهما في البحر إلى الديار المصـرية فوصلا إلى الإسكندرية انتهى كلامه ولم تزل أمور علي بن يحيى جارية على السداد إلى أن توفي يوم الثلاثاء لسبع بقين من شـهر ربيع الآخر سـنة خمس عشـرة وخمسمائة ودفن في القصر

217 بعد أن فوض الأمر من بعده إلى ولده أبي يحيى الحسن بن علي بن يحيى (321) ومولد الحسن المذكور بمدينة سوسة في رجب سنة اثنتين وخمسمائة فكان عمره يوم ولايته اثنتي عشـرة سـنة وتسـعة أشـهر ولما كان ثاني يوم وفاة أبيه خرج للناس فسـلموا عليه وهنئوه بما صـار إليه ثم ركب والجيوش محتفة به وجرت في أيامه وقائع وأمور يطول شرحها فمن ذلك أن رجار الفرنجي صاحب صـقلية أخذ طرابلس الغرب عنوة بالسـيف في يوم الثلاثاء سـادس المحرم سـنة إحدى وأربعين وخمسـمائة وقتل أهلها وسبى الحريم والأطفال وأخذ الأموال ثم شرع في عمارتها وتحصـينها بالرجال والعدد ثم أخذ المهدية يوم الاثنين ثاني عشر صفر سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وذلك أن الحسن بن علي لمـا علم عجزه عن مقاومتـه خرج من المهـديـة

هاربا وقد استصحب ما خف عليه حمله من النفائس وخرج أهل البلد أيضا هاربين إلا من أقعده العجز عن الهرب فدخل إليه الفرنج وملكوه وصادفوا فيه من الأموال والذخائر ما لا يعد ولا يحصى وكان عدة من ملك من أهل بيتهم وأولهم زيري المقدم ذكره في حرف الزاي إلى هذا الحسن بن علي تسعة ملوك ومدة ولايتهم مائتا سنة وثمان سنين وانقرضت دولة بني باديس ثم إن الحسن بن علي توجه نحو المعلقة وهي قلعة حصينة بإفريقية تجاور تونس وكان صاحبها أبا محفوظ محرز بن زياد أحد أمراء العرب فأقام عنده قليلا ثم ظهر له منه الضجر والسآمة فعزم على قصد الديار المصرية ليكون عند الحافظ العبيدي صاحبها يومئذ فنمي خبره إلى نائب رجار بالمهدية فجعل عليه العيون وعمل عشرين شينيا ليمسكه في البحر فبلغ الحسن ذلك فرجع عن هذا الرأي ثم قصد أن يتوجه إلى جهة عبد المؤمن بن علي بمراكش وأنفذ ثلاثة من أولاده إلى صاحب بجاية وهي آخر أعمال إفريقية ليستأذنه في الوصول إليه وبعد ذلك يتوجه إلى عبد المؤمن فأضمر له الغدر وخاف من اجتماعه

218 بعبد المؤمن أن يتفقا على ما فيه ضرره فكتب إليه كتابا على يد أولاده يقول له لا حاجة لك في الرواح إلى عبد المؤمن ونحن نفعل معك ونصنع وأجزل له من المواعيد الحسنة فتوجه إليه فلما قرب من بجاية لم يخرج للقائه وعدل به إلى الجزائر وهي بلدة فوق بجاية من جهة

الغرب وأنزلوه بها في مكان لا يليق بمثله ورتبوا له من الإقامة ما لا يصلح لبعض أتباعه ومنعوه من التصرف وكان وصوله إلى الجزائر في المحرم سنة أربع وأربعين وخمسمائة ثم إن عبد المؤمن فتح بجاية في سنة سبع وأربعين وهرب صاحبها إلى القسطنطينية (322) ثم إن رجار صاحب صقلية هلك في العشر الأخير من ذي الحجة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة (323) ولما هلك رجار ملك بعده ابنه غنيم بن رجار وعليه قدم أبو الفتوح نصر الله بن قلاقس الشاعر المقدم ذكره ومدحه وأجازه وذلك في سنة ثلاث وستين وخمسمائة (324) ولما هلك غنيم ملكت ابنته وهي أم الأنبرور ملك ألمانية في زماننا ثم هلكت أم الأنبرور وخلفته صغيرا فملك واستمر ملكه وكان عاقلا فاضلا وبينه وبين الملك الكامل صاحب مصر مراسلات وغيرها

219 ثم إن عبد المؤمن وصل إلى المهدية وملكها بعد جهد جهيد وكان دخوله إليها بكرة يوم عاشوراء سنة خمس وخمسين وخمسمائة فولى بها نائبا وكان الحسن بن علي قد وصل صحبته فرتبه مع النائب لتدبير أمورها لكونه عارفا بأحوالها وأقطعه بها ضيعتين وأعطاه دورا سكنها هو وأولاده وأتباعه ولم أقف على تاريخ وفاة الحسن بن علي المذكور (325) ثم قتل محرز بن زياد المذكور في وقعة سطيف يوم الخميس في العشر الأوسط من ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وخمسمائة وهذا

الحسن بن علي هو الذي صنف له أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصـــلت كتاب الحديقة 806 يحيى بن خالد البرمكي أبو الفضل يحيى بن خالد بن برمك وزير هارون الرشيد وقد تقدم ذكر ولديه جعفر والفضل كل واحد منهما في بابه وكان جدهم برمك من مجوس بلخ وكان يخدم النوبهار وهو معبد كان للمجوس بمدينة بلخ توقد فيه النيران واشتهر برمك المذكور وبنوه بسدانته وكان برمك عظيم المقدار عندهم ولم أعلم هل أســـلم أم لا (326) وســـاد ابنه خالد وتقدم في الدولة العباسـية وتولى الوزارة لأبي

220 العباس الســفاح بعد أبي ســلمة حفص الخلال المقدم ذكره وقد ذكرته في ترجمة جعفر وذكرت هناك تاريخ وفاته وقال أبو الحسـن المسـعودي في كتاب مروج الذهب لم يبلغ خالد بن برمك أحد من ولده في جوده ورأيه وبأســه وعلمه وجميع خلاله لا يحيى في رأيه ووفور عقله ولا الفضـــل ابن يحيى في جوده ونزاهته ولا جعفر بن يحيى في كتابته وفصـــاحة لســـانه ولا محمد بن يحيى في سروه وبعد همته ولا موسى بن يحيى في شجاعته وبأسه ولما بعث أبو مسلم الخراسـاني قحطبة بن شـبيب الطائي لمحاربة يزيد بن عمر ابن هبيرة الفزاري عامل مروان بن محمد على العراقيين وكان خالد بن برمك في جملة من كان معه فنزلوا في طريقهم بقرية فبينما هم على ســـطح بعض دورها يتغدون إذ نظروا إلى الصـــحراء وقد أقبل

منها أقاطيع الوحش من الظباء وغيرها حتى كادت تخالط العسكر فقال خالد لقحطبة أيها الأمير ناد في الناس ومرهم أن يسرجوا ويلجموا قبل أن تهجم عليهم الخيل فقام قحطبة مذعورا فلم ير شيئا يروعه فقال يا خالد ما هذا الرأي فقال قد نهد إليك العدو أما ترى أقاطيع الوحش قد أقبلت إن وراءها لجمعا كثيفا فما ركبوا حتى رأوا الغبار ولولا خالد لهلكوا

221 وأما يحيى فإنه كان من النبل والعقل وجميع الخلال على أكمل حال وكان المهدي بن أبي جعفر المنصور قد ضم إليه ولده هارون الرشيد وجعله في حجره فلما استخلف هارون عرف له حقه وقال له يا أبت أنت أجلستني في هذا المجلس ببركتك ويمنك وحسن تدبيرك وقد قلدتك الأمر ودفع له خاتمه وفي ذلك يقول الموصلي وأظنه إبراهيم النديم أو ابنه إسحاق (ألم تر أن الشمس كانت سقيمة * فلما ولي هارون أشرق نورها) (بيمن أمين الله هارون ذي الندى * فهارون واليها ويحيى وزيرها) وكان يعظمه وإذا ذكره قال أبي وجعل إصدار الأمور وإيرادها إليه إلى أن نكب البرامكة فغضب عليه وخلده في الحبس إلى أن مات فيه وقتل ابنه جعفرا حسبما تقدم شرحه في ترجمته وكان من العقلاء الكرماء البلغاء ومن كلامه ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها الهدية والكتاب والرسول وكان يقول لولده اكتبوا أحسن ما تسمعون واحفظوا أحسن ما تكتبون وتحدثوا بأحسن ما

تحفظون وكان يقول الدنيا دول والمال عارية ولنا بمن قبلنا أسوة وبمن بعدنا عبرة وقال الفضل بن مروان المقدم ذكره سمعت يحيى بن خالد يقول من لم أحسن إليه فأنا مخير فيه ومن أحسنت إليه فأنا مرتهن به وقال القاضي يحيى بن أكثم سمعت المأمون يقول لم يكن كيحيى بن خالد وكولده أحد في الكفاية والبلاغة والجود والشجاعة ولقد صدق القائل حيث يقول (أولاد يحيى أربع * كأربع الطبائع) (فهم إذا اختبرتهم * طبائع الصنائع) قال القاضي فقلت له يا أمير المؤمنين أما الكفاية والبلاغة والسماحة

222 فنعرفها فيهم ففي من الشجاعة فقال في موسى بن يحيى وقد رأيت أن أوليه ثغر السند وقال إسحاق بن إبراهيم النديم الموصلي المقدم ذكره حدثني أبي قال أتيت يحيى بن خالد بن برمك فشكوت إليه ضيقة فقال ويحك ما أصنع بك ليس عندنا في هذا الوقت شيء ولكن هاهنا أمر أدلك عليه فكن فيه رجلا قد جاءني خليفة صاحب مصر يسألني أن أستهدي صاحبه شيئا وقد أبيت ذلك عليه فألح علي وقد بلغني أنك قد أعطيت بجاريتك فلانة ثلاثة آلاف دينار فهو ذا أستهديه إياها وأخبره أنها قد أعجبتني فإياك أن تنقصها من ثلاثين ألف دينار وانظر كيف تكون قال فوالله ما شعرت إلا بالرجل وافاني فساومني بالجارية فقلت له لا أنقصها من ثلاثين ألف دينار فلم يزل يساومني حتى بذل لي عشرين ألف دينار فلما سمعتها ضعف قلبي عن

ردها فبعتها وقبضت العشرين ألفا ثم صرت إلى يحيى بن خالد فقال لي كيف صنعت في بيعك الجارية فأخبرته وقلت والله ما ملكت نفسي أن أجبت إلى العشرين ألفا حين سمعتها فقال إنك لخسيس فخذ جاريتك بارك الله لك فيها و هذا خليفة صاحب فارس قد جاءني في مثل هذا فإذا ساومك بها فلا تنقصها من خمسين ألف دينار فإنه لا بد أن يشتريها منك بذلك فجاءني الرجل فاستمت عليه خمسين ألف دينار فلم يزل يساومني حتى أعطاني ثلاثين ألف دينار فضعف قلبي عن ردها ولم أصدق بها فأوجبتها ثم صرت إلى يحيى بن خالد فقال لي بكم بعت الجارية فأخبرته فقال ويحك ألم تؤدبك الأولى عن الثانية قال فقلت والله ضعفت عن رد شيء لم أطمع فيه قال فقال هذه جاريتك فخذها إليك قال فقلت جارية أفدت بها خمسين ألف دينار ثم أملكها أشهدك أنها حرة وأني قد تزوجتها هكذا رأيت هذه الحكاية ثم نظرت في كتاب أخبار الوزراء تأليف الجهشياري فقال إن يحيى قال لإبراهيم الموصلي لا تقبل أقل من مائة ألف دينار وأنه باعها بخمسين ألف دينار وقال له في المرة الثانية

223 لا تقبل أقل من خمسين ألف دينار فباعها بثلاثين ألف دينار وقال الأصمعي دخلت على يحيى يوما فقال يا أصمعي هل لك زوجة فقلت لا فقال فجارية فقلت لكم منة فأمر بإخراج جارية غاية في الحسن والجمال والظرف فقال لها قد وهبتك لهذا وقال يا أصمعي خذها

فشـــكرته ودعوت له فلما رأت الجارية ذلك بكت وقالت يا سيدي تدفعني إلى هذا فما ترى من سماجته وقبحه فقال لي هل لك أن أعوضـــك عنها ألفي دينار قلت ما أكره ذلك ودخلت الجارية إلى داره فقال لي أنكرت على هذه الجارية أمرا فأردت أن أعاقبها بك ثم رحمتها فقلت له هلا أعلمتني حتى كنت لحقت بالباب على صورتي الأصلية من غير أن أسرح لحيتي وأصلح عمتي وأتطيب وأتجمل فضحك وأمر لي بألف دينار أخرى وحكى إسحاق النديم أيضا قال كانت صـــلات يحيى بن خالد إذا ركب لمن تعرض له مائتي درهم فركب ذات يوم فتعرض له أديب شاعر وأنشده (يا سمي الحصور يحيى أتيحت * لك من فضل ربنا جنتان)
(كل من مر في الطريق عليكم * فله من نوالكم مائتان)
(مائتا درهم لمثلي قليل * هي منكم للقابس العجلان) قال له يحيى صـــدقت وأمر بحمله إلى داره فلما رجع من دار الخلافة سـأله عن حاله فذكر أنه تزوج وقد أخذ بواحدة من ثلاث إما أن يؤدي المهر وهو أربعة آلاف وإما أن يطلق وإما أن يقيم جاريا للمرأة يكفيها إلى أن يتهيأ له نقلها فأمر لـه يحيى بـأربعـة آلاف للمهر وبـأربعـة آلاف لثمن منزل وبأربعة آلاف لما يحتاج إليه المنزل وبأربعة آلاف للبنية وبأربعة آلاف يستظهر بها فأخذ عشرين ألفا وانصرف

224 وقال محمد بن مناذر الشـــاعر حج هارون الرشـــيد ومعه ابناه الأمين محمد والمأمون عبد الله وحج معه يحيى بن خالد وابناه الفضـــل وجعفر فلما صـــاروا

بالمدينة جلس الرشـــيد ومعه يحيى بن خالد فأعطى الناس عطاءهم ثم جلس الأمين ومعه الفضـل فأعطاهم العطاء ثم جلس المـأمون ومعـه جعفر بن يـحيى فـأعطـاهم عطـايـاهم وكان أهل المدينة يســمون ذاك العام عام الأعطية الثلاثة ولم يروا مثل ذلك قط فقلت في ذلك (أتانا بنو الأملاك من آل برمك * فيا طيب أخبار ويا حسن منظر) (لهم رحلة في كل عام إلى العدى * وأخرى إلى البيت العتيق المطهر) (إذا نزلوا بطحاء مكة أشــرقت * بيحيى وبالفضــل بن يحيى وجعفر) (فتظلم بغداد وتجلو لنا الدجى * بمكة ما حجوا ثلاثة أقمر) (فما خلقت إلا لجود أكفهم * وأقدامهم إلا لأعواد منبر) (إذا راض يحيى الأمر ذلت صـعـابه * فناهيك من راع له ومدبر) (ترى الناس إجلالا له وكأنهم * غرانيق ماء تحت باز مصـرصـر) وذكر الخطيب في تاريخ بغداد في ترجمة أبي عبد الله محمد بن عمر الواقدي أنه قال كنت حناطا بالمدينة في يدي مائة ألف درهم للناس أضارب بها فتلفت الدراهم فشخصت إلى العراق فقصدت يحيى بن خالد فجلست في دهليزه وأنست بالخدم والحجاب وســألتهم أن يوصــلوني إليه فقالوا إذا قدم الطعام إليه لم يحجب عنه أحد ونحن ندخلك عليه ذلك الوقت فلما حضـر طعامه أدخلوني فأجلســوني معه على المائدة فســألني من أنت وما قصــتك فأخبرته فلما رفع الطعام وغســلنا أيدينا دنوت منه لأقبل رأســه فاشــمأز من ذلك فلما صــرت إلى الموضــع الذي يركب منه لحقني خادم معه كيس فيه ألف

دينار فقال الوزير يقرأ عليك السلام ويقول لك استعن بهذا على أمرك

225 وعد إلينا في اليوم الثاني فأخذته وانصرفت وعدت في اليوم الثاني فجلست معه على المائدة فأنشأ يسألني كما سألني في اليوم الأول فلما رفع الطعام دنوت منه لأقبل رأسه فاشمأز مني فلما صرت إلى الموضع الذي يركب منه لحقني خادم معه كيس فيه ألف دينار فقال لي الوزير يقرأ عليك السلام ويقول لك استعن بهذا على أمرك وعد إلينا في غد فأخذته وانصرفت وعدت في اليوم الثالث كما أمر فأعطيت مثل الذي أعطيت في اليوم الأول والثاني فلما كان في اليوم الرابع أعطيت الكيس كما أعطيت قبل ذلك وتركني بعد ذلك أقبل رأسه وقال إنما منعتك ذلك لأنه لم يكن وصل إليك من معروفي ما يوجب هذا فالآن قد لحقك بعض النفع مني يا غلام أعطه الدار الفلانية يا غلام افرش له الفرش الفلاني يا غلام أعطه مائتي ألف درهم يقضي دينه بمائة ألف ويصلح شأنه بمائة ألف ثم قال لي الزمني وكن في داري فقلت أعز الله الوزير لو أذنت لي بالشخوص إلى المدينة لأقضي الناس أموالهم ثم أعود إلى حضرتك كان ذلك أرفق بي قال قد فعلت وأمر بتجهيزي فشخصت إلى المدينة فقضيت ديني ثم رجعت إليه فلم أزل في ناحيته ودخل عليه يوما أبو قابوس الحميري فأنشده (رأيت يحيى أتم الله نعمته * عليه يأتي الذي لم يأته أحد) (ينسى الذي كان من معروفه أبدا *

إلى الرجال ولا ينسى الذي يعد) فقضى حوائجه ووصله بجملة من المال قلت قد حل هذا البيت الثاني شرف الدولة مسلم بن قريش وقد قال له رجل لا تنس أيها الأمير حاجتي فقال إذا قضيتها أنسيتها

226 ولمسلم بن الوليد الأنصاري في يحيى بن خالد (أجدك هل تدرين إن رب ليلة * كأن دجاها من قرونك ينشر) (صبرت لها حتى تجلت بغرة * كغرة يحيى حين يذكر جعفر) وكان يحيى يقول إذا أقبلت الدنيا فأنفق فإنها لا تفنى وإذا أدبرت فأنفق فإنها لا تبقى وقال ذكر النعمة من المنعم تكدير ونسيان المنعم عليه كفر وتقصير وقال النية الحسنة مع العذر الصادق يقومان مقام النجح وقال إذا أدبر الأمر كان العطب في الحيلة وقال الحسن بن سهل المقدم ذكره من غيرته الولاية لإخوانه علمنا أن الولاية أكبر منه أخذنا ذلك عن صاحب ديوان المكارم أبي علي يحيى بن خالد بن برمك ولما عزم جعفر على بناء قصره شاور أباه يحيى بن خالد فيه فقال هو قميصك إن شئت فوسعه وإن شئت فضيقه وأتاه وهو يبني داره فإذا الصناع يبيضون حيطانها فقال إنك تعطي الذهب بالفضة فقال جعفر ليس كل أوان يكون ظهور الذهب أصلح ولكن هل ترى عيبا قال نعم مخالطتها لدور السفل والسوقة وكان ليحيى كاتب يختص بخدمته ويقرب من حضرته فعزم على ختان ولده فاحتفل له الناس على طبقاتهم وهاداه أعيان الدولة ووجوه الكتاب والرؤساء على اختلاف

منازلهم وكان له صديق قد اختلت أحواله وضاقت يده عما يريده لذلك مما دخل فيه غيره فعمد إلى كيسين كبيرين نظيفين فجعل في أحدهما ملحا وفي الآخر أشنانا مكفرا وكتب معهما رقعة نسختها لو تمت الإرادة لأسعفت بالعادة ولو ساعدت المكنة على بلوغ الهمة لاتبعت السابقين إلى برك وتقدمت المجتهدين في كرامتك لكن قعدت القدرة عن البغية وقصرت الجدة عن مباراة أهل النعمة وخفت أن تطوى صحائف البر

227 وليس لي فيها ذكر فأنفذت المبتدأ بيمنه وبركته والمختتم بطيبه ونظافته صابرا على ألم التقصير ومتجرعا غصص الاقتصار على اليسير فأما ما لم أجد إليه السبيل في قضاء حقك فالقائم فيه بعذري قول الله عز و جل (^ ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج) التوبة 91 والسلام فلما حضر يحيى بن خالد الوليمة عرض عليه كاتبه الهدايا جميعها حتى الكيسين والرقعة فاستظرفها وأمر أن يملأ الكيسان مالا ويردا عليه فكان ذلك أربعة آلاف دينار وقال رجل ليحيى والله لأنت أحلم من الأحنف بن قيس فقال له لا تقرب إلي من أعطاني فوق حقي ونادى إسحاق بن إبراهيم الموصلي أحد غلمانه فلم يجبه فقال سمعت يحيى بن خالد يقول يدل على حلم الرجل سوء أدب غلمانه وكان يحيى يساير الرشيد يوما فوقف له رجل فقال يا أمير المؤمنين عطبت دابتي فقال الرشيد يعطى خمسمائة درهم

فغمزه يحيى فلما نزلوا قال له الرشـــيد يا أبت أومأت إلي بشيء ولم أعرفه فقال مثلك لا يجري هذا القدر على لسانه إنما يذكر مثلك خمسة آلاف ألف عشرة آلاف ألف فقال إذا ســـئلت مثل هذا كيف أقول فقال تقول يشـــترى له دابة وبالجملة فإن أخبارهم كثيرة ولا يحتمل هذا المختصـــر الإطالة أكثر من هذا ولما قتل هارون الرشـــيد جعفر بن يحيى البرمكي كما ذكرناه في حرف الجيم من هذا الكتاب نكب البرامكة وحبس يحيى وابنه الفضـــل كما ذكرناه في حرف الفاء من هذا الكتاب وكان حبسـهما في الرافقة وهي الرقة القديمة تجاور الرقة الجديدة وهي البلد المشهور الآن على شـــاطىء الفرات ويقال لهما الرقتان تغليبا لأحد الاسمين على الآخر كما قيل العمران والقمران وغير ذلك
228 وحكى الجهشـــياري في كتاب أخبار الوزراء أن يحيى بن خالد اشـتهى في وقت من الأوقات في محبسـه وهو مضـيق عليه سـكباجة فلم يطلق له اتخاذها إلا بمشـقة فلما فرغ منها ســقطت القدر من يد المتخذ لها فانكســرت فأنشـــد يحيى أبياتا يخاطب بها الدنيا ومضـــمونها اليأس وقطع الأطماع ولم يزل يحيى في حبس الرافقة إلى أن مات في الثالث من المحرم سنة تسعين ومائة فجأة من غير علة وهو ابن سبعين سنة وقيل أربع وسبعين وصلى عليه ابنه الفضـــل ودفن في شـــاطىء الفرات في ربض هرثمة ووجد في جيبه رقعة فيها مكتوب بخطه قد تقدم الخصـــم والمدعي عليه في الأثر والقاضـــي هو الحكم العدل الذي لا

يجور ولا يحتاج إلى بينة فحملت الرقعة إلى الرشـــيد فلم يزل يبكي يومه كله وبقي أياما يتبين الأســـى في وجهه رحمهما الله تعالى وكان يحيى يجري على سفيان الثوري رضـي الله عنه في كل شـهر ألف درهم وكان سفيان يقول في ســـجوده اللهم إن يحيى كفاني أمر دنياي فاكفه أمر آخرته فلما مات يحيى رآه بعض إخوانه في النوم فقال له ما صنع الله بك قال غفر لي بدعاء سفيان وقيل إن صاحب هذه القضـية هو سـفيان ابن عيينة لا سـفيان الثوري والله تعالى أعلم قال الجهشـياري ندم الرشـيد على ما كان منه في أمر البرامكة وتحســر على ما فرط منه في أمرهم وخاطب جماعة من إخوانه بأنه لو وثق منهم بصـفاء النية منهم لأعادهم إلى حالهم وكان الرشـــيد كثيرا ما يقول حملونا على نصـــحائنا وكفاتنا وأوهمونا أنهم يقومون مقامهم فلما صرنا إلى ما أرادوا لم يغنوا عنا وأنشد

229 (أقلوا علينا لا أبا لأبيكم * من اللوم أو ســدوا المكان الذي سدوا) قلت هذا البيت للحطيئة الشاعر وبعده (أولئك قوم إن بنوا أحسـنوا البنا * وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شـــدوا) قلت وذكر الزمخشـــري في كتاب ربيع الأبرار ما مثـاله إنـه وجد تحت فراش يحيى بن خالد البرمكي رقعـة فيهـا مكتوب (وحق الله إن الظلم لوم * وإن الظلم مرتعه وخيم) (إلى ديان يوم الدين نمضـــي * وعند الله تجتمع الخصوم)

230 807 الوزير ابن هبيرة أبو المظفر الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة بن محمد بن هبيرة بن سعد بن الحسين بن أحمد بن الحسن بن جهم بن عمرو بن هبيرة بن علوان بن الحوفزان وهو الحارث بن شريك بن عمرو بن قيس بن شرحبيل بن مرة بن همام ابن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط ابن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان الشيباني الملقب عون الدين هكذا ساق نسبه جماعة منهم ابن الدبيثي في تاريخه وابن القادسي في كتاب الوزراء وغيرهما وإنما أخرج له هذا النسب بعد سنين من وزارته وذكره الشعراء في مدائحهم وهو من قرية من بلاد العراق تعرف بقرية بني أوقر بالقاف من أعمال دجيل وهي دور عرمانيا بالعين المهملة والياء المثناة من تحت وتعرف الآن بدور الوزير نسبة إليه وكان والده من أجنادها

231 ودخل بغداد في صباه واشتغل بالعلم وجالس الفقهاء والأدباء وكان على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وسمع الحديث وحصل من كل فن طرفا وقرأ الكتاب العزيز وختمه بالقراءات والروايات وقرأ النحو واطلع على أيام العرب وأحوال الناس ولازم الكتابة وحفظ ألفاظ البلغاء وتعلم صناعة الإنشاء وكانت قراءته الأدب على أبي منصور ابن الجواليقي وتفقه على أبي الحسين محمد بن محمد الفراء وصحب الشيخ أبا عبد الله

محمد ابن يحيى بن علي بن مسلم بن موسى بن عمران الزبيدي الواعظ وسمع الحديث النبوي من أبي عثمان إسماعيل بن محمد بن قيلة الأصبهاني ومن أبي القاسم هبة الله بن محمد بن الحسين الكاتب ومن بعدهما وحدث عن الإمام المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين وعن غيره وسمع منه خلق كثير منهم الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي وأول ولايته الإشراف بالأقرحة الغربية ثم نقل إلى الإشراف على الإقامات المخزنية ثم قلد الإشراف بالمخزن ولم يطل في ذلك مكثه حتى قلد في سنة اثنتين وأربعين كتابة ديوان الزمام ثم ترقى إلى الوزارة وكان سبب توليته الوزارة ما حكاه الذي جمع سيرته أنه قال من جملة ما رفع قدر الوزير ونقله إلى الوزارة ما جرى من مسعود البلالي شحنة بغداد نيابة عن السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي وكان مسعود أحد الخدم الخصيان الحبشيين الكبار من أمراء دولته من سوء أدبه في الحضرة وخروجه عن معتاد الواجب وانتشار مفسدي أصحابه وكان وزير الخليفة إذ ذاك قوام الدين أبو القاسم علي بن صدقة ابن علي بن صدقة قد كتب عن الخليفة إلى السلطان مسعود عدة كتب يعتمد الإنكار على مسعود البلالي على ما صدر منه فلم يرجع بجواب فلما قلد عون الدين ابن هبيرة كتابة ديوان الزمام خاطب الخليفة في مكاتبة السلطان مسعود بالقضية فوقع إليه قد كان الوزير كتب في ذلك عدة كتب فلم يجيبوه فراجع عون الدين في ذلك سؤاله إلى أن أجيب

فكتب من إنشائه رسالة وهي طويلة فأضربت عن ذكرها وحاصل الأمر فيها أنه دعا له وأذكره ما كان أسلافه
232 يعاملون الخلفاء به من حسن الطاعة والتأدب معهم والذب عنهم ممن يفتات عليهم وشكا من مسعود البلالي وأنه كاتب في ذلك عدة دفعات وما جاءه جواب وأطال القول في ذلك وكان هذا في سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة في شهر ربيع الآخر فما مضى على هذا إلا قليل حتى عاد الجواب بالاعتذار والذم لمسعود البلالي والإنكار لما اعتمده فاستبشر المقتفي بإشارة عون الدين وعظم سروره بذلك وحسن موقع عون الدين من قلبه ولم يزل عنده مكينا حتى استوزره قال مصنف السيرة وكان أيضا من جملة أسباب وزارته أنه في سنة ثلاث وأربعين وصل إلى بغداد الأمير ابن ألقش المسعودي صاحب اللحف وهو صقع بالعراق ويلدكز السلطاني وقصداها في جموع كثيرة وصدر منهم فتن عظيمة تضمنتها التواريخ فشرع الوزير قوام الدين بن صدقة في تدبير الحال فأخفق مسعاه فحينئذ استأذن عون الدين الخليفة في أمرهم فأذن له في ذلك فخاطب هؤلاء الخارجين على الخليفة وأحسن التدبير في ذلك حتى كف شرهم ثم قوي عليهم حتى نهبت العامة أموالهم وجرت المقادير بهذه الأحوال لرفع ابن هبيرة ووضع الوزير ابن صدقة فإنه عند انقضاء هذا المهم استدعى الخليفة المقتفي عون الدين بمطالعة على يد أميرين من أمراء الدولة فتبين بقراءته لها التباشير في

أسـرته فركب إلى دار الخليفة في جماعته وتسـامع الناس بوزارته ولما وصـل إلى باب الحجرة استـدعي فدخل وقد جلس له المقتفي بميمنة التاج فقبل الأرض وسـلم وتحدثا سـاعة بما لم يحط به غيرهما علما ثم خرج وقد جهزوا له التشـريف على عادة الوزراء فلبسـه ثم استـدعي ثانيا فقبل الأرض ودعا بدعاء أعجب الخليفة ثم أنشـده (سـأشـكر عمرا ما تراخت منيتي * أيادي لم تمنن وإن هي جلت) (رأى خلتي من حيث يخفى مكانها * فكانت بمرأى منه حتى تجلت) قلت وهذان البيتان لإبراهيم بن العباس الصولي المقدم ذكره وهي

233 ثلاثة أبيات والثاني منهما بعد الأول (فتى غير محجوب الغنى عن صديقه * ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت) ولما أنشـد عون الدين هذين البيتين غير نصـف البيت الثاني منهما فإن الشـاعر قال (فكانت قذى عينيه حتى تجلت *) فما رأى أنه يخاطب الخليفة بهذه العبارة فغيره تأدبا ثم إن عون الدين خرج فقدم له حصـان أدهم سـائل الغرة محجل وعليه من الحلى ما جرت به عادتهم مع الوزراء والشـرح في ذلك يطول فاختصـرته وخرج بين يديه أرباب المناصـب وأعيان الدولة وأمراء الحضـرة وجميع خدام الخلافة وسـائر حجاب الديوان والطبول تضـرب أمامه والمسـند وراءه محمول على عـادتهم في ذلـك حتى دخـل الـديوان ونزل على طرف الديوان وجلس في الدسـت وقام لقراءة عهده الشـيخ سـديد

الدولة أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم ابن الأنباري ولولا خوف الإطالة لذكرت العهد فإنه بديع في بابه لكن قصدي الاقتصار فأعرضت عن ذكره وهو مشهور في أيدي الناس فلما فرغ من قراءته قرأ القراء وأنشد الشعراء وتولى الوزارة يوم الأربعاء ثالث عشر ربيع الآخر من سنة أربع وأربعين وخمسمائة وكان لقبه جلال الدين فلما ولي الوزارة لقبوه عون الدين وكان عالما فاضلا ذا رأي صائب وسريرة صالحة وظهر منه في أيام ولايته ما شهد له بكفايته وحسن مناصحته فشكر له ذلك ولحظه بعين الرعاية وتوفرت له أسباب السعادة وكان مكرما لأهل العلم يحضر مجلسه الفضلاء على اختلاف فنونهم ويقرأ عنده الحديث عليه وعلى الشيوخ بحضوره ويجري من البحث والفوائد ما يكثر ذكره وصنف كتبا فمن ذلك كتاب الإفصاح عن شرح معاني الصحاح وهو يشتمل على تسعة عشر كتابا شرح الجمع بين الصحيحين وكشف عما فيه من الحكم النبوية وكتاب المقتصد بكسر الصاد المهملة وشرحه أبو

234 محمد ابن الخشاب النحوي المشهور في أربع مجلدات شرحا مستوفى واختصر كتاب إصلاح المنطق لابن السكيت وله كتاب العبادات في الفقه على مذهب الإمام أحمد وأرجوزة في المقصور والممدود وأرجوزة في علم الخط وغير ذلك وذكر شيخنا عز الدين أبو الحسن علي بن محمد المعروف بابن الأثير الجزري في تاريخه

الصـــغير الأتابكي في فصـــل حصـــار الملك محمد وزين الدين بغداد وذلك في ذي القعدة من ســـنة ثلاث وخمســـين وخمســـمائة أن المقتفي لأمر الله جد في حفظ بغداد وقام وزيره عون الدين بن هبيرة في هذا الأمر المقام الذي يعجز عنه غيره قال وأمر المقتفي فنودي ببغداد من جرح وقت القتال فله خمســـة دنانير فكان كل من جرح يوصـــل ذلك إليه فحضـــر بعض العامة عند الوزير مجروحا فقال الوزير هذا جرح صـــغير لا تســـتحق عليه شـــيئا فعاد إلى القتال فضـــرب في جوفه فخرجت أمعاؤه فعاد إلى الوزير فقال يا مولانا الوزير يرضـــيك هذا فضـــحك منه وأمر له بصـــلة وأحضـــر له من يعالجه انتهى كلام ابن الأثير قلت وهذا محمد هو ابن محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي وزين الدين هو أبو الحســـن علي بن بكتكين المعروف بكجك والد مظفر الدين صاحب إربل وقال غير ابن الأثير إن الملك اسمه محمد شاه وإن هذه القضية كانت في سنة اثنتين وخمســـين والله أعلم ذكر ذلك ابن الجوزي في كتاب شـــذور العقود وهو أخبر لأنها بلده وهو بها وقد ذكرت محمد شـــاه في ترجمة أبيه وتوفي الإمام المقتفي لأمر الله أبو عبد الله محمد بن المستظهر ليلة الأحد ثاني ربيع الأول سنة خمس وخمسين وخمسمائة وبويع ولده المستنجد بالله أبو

235 المظفر يوســـف فدخل عليه وبايعه وأقره على وزارته وأكرمه وكان خائفا منه أن يعزله فلم يعزله ولم

يتعرض له ولم يزل مســـتمرا في وزارته إلى حين وفاته ومدحه جماعة من أماثل شعراء عصره منهم أبو الفوارس سـعد بن محمد المعروف بابن صـيفي الملقب حيص بيص المقدم ذكره وله فيه مدائح منتخبة فمن ذلك قوله (يهز حديث الجود سـاكن عطفه * كما هز شـرب الحي صـهباء قرقف) (ويرسو إذا طاشت حبا القوم واغتدت * صعاب الذرا من زعزع الخطب ترجف) (صــروم الدنايا هاجر كل سـبة * ولكنه بالمجد صــب مكلف) (يضـيق بأدنى العار ذرعا وصـــدره * بأهوال ما يدني من الحمد نفنف) (إذا قيل عون الدين يحيى تألق الغمام * وماس السـمهري المثقف) وكانت عوائدهم في بغداد في شـهر رمضـان أن الأعيان يحضـرون سماط الخليفة عند الوزير وهم يسـمون السـماط الطبق وكان حيص بيص في جملة من يحضـــر الطبق وكانت نفسه أبية وهمته عربية وإذا أحضروا الطبق تخطـاه وقعد فوقه من أربـاب المراتـب جمـاعـة ليس فيهم فضـل فيجد في نفسـه لذلك مشـقة عظيمة فكتب إلى الوزير عون الدين يسـتعفيه من الحضـور (يا باذل المال في عدم وفي سعة * ومطعم الزاد في صبح وفي غسق) (وحاشر الناس أغنتهم فواضـــله * إلى مزيد من النعماء مندفق) (في كل بيت خوان من مكارمه * يميرهم وهو يدعوهم إلى الطبق) (فـاض النوال فلولا خوف منعمـة * من بـأس عدلك نادى الناس بالغرق) (وكل أرض بـها صـــوب وساكبة * حتى الوغى من نجيع الخيل والعرق)

236 (صن منكبي عن زحام إن غضبت له * تمكن الطعن من عرضـي ومن خلقي) (وإن رضـيت به فالذل منقصـــــة * فكم تكلفته حملا فلم أطق) (أنـا المريض بأحداث وســـورتها * وليس غير إبائي حافظ رمقي) (وهبه لي كعطاياك التي كثرت * فالجود بالعز فوق الجود بالورق) (إن اصـــفرار مجن الشـــمس من حزن * على علاها لمرماها إلى الأفق) (وإن توهم قوم أنه حمق * فربما اشـــتبه التوقير بالحمق) وأهدي إلى الوزير عون الدين دواة بلور مرصعة بمرجان وفي مجلسه جماعة منهم حيص بيص فقال الوزير يحســـن أن يقال في هذه الدواة شيء من الشعر فقال بعض الحاضرين وكان ضريرا ولم أقف على اســـمه (ألين لداود الحديد كرامة * يقدره في الســـرد كيف يريد) (ولان لك البلور وهي حجارة * ومعطفه صـــعب المرام شـــديد) فقال حيص بيص إنما وصفت صانع الدواة ولم تصفها فقال الوزير من عير غير فقال الحيص بيص (صـيغت دواتك من يوميك فاشتبها * على الأنام ببلور ومرجان) (فيوم ســـلمك مبيض بفيض ندى * ويوم حربك قان بالدم القاني) ثم وجدت البيتين الأولين في كتاب الجنان تأليف القاضـي الرشـيد أحمد ابن الزبير الغساني المذكور في أوائل هذا الكتاب ونسبهما إلى القاضي الرشيد أحمد بن قاسم الصقلي قاضي مصر وذكر أنه دخل على الأفضـل شـاهان شـاه أمير الجيوش بمصـر وقد تقدم ذكره أيضا فرأى بين يديه دواة من

237 عاج محلاة بمرجان فقال بديها (ألين لداود الحديد كرامة * يقدره في الســرد كيف يريد) (ولان لك المرجان وهو حجارة * على أنه صــعب المرام شــديد) ومدحه أبو عبد الله محمد بن بختيار المعروف بالأبله الشاعر المقدم ذكره بقصائد عديدة منها وهي أحسنها فلهذا ذكرتها (ولع النســيم وبانة الجرعا * وصــفاك إلا الحلي والودعا) (يا دمية ضــاقت خلاخلها * عنها وضــقت بحبها ذرعا) (قد كنت ذا دمع وذا جلد * فبقيت لا جلدا ولا دمعا) (صيرت جسمي للضنى سكنا * وسكنت بعد تبالة الجزعا) (يا من رأى أدماء ســانحة * قلبي لها لا المنحنى مرعى) (لاثت بمثل الغصــن مئزرها * وجلت بعود أراكة طلعا) (وإذا تراجعك الكلام فلا * تعدد لأيام الصبا رجعى) (ولقد سعت بالكأس تصبحني * سكرى اللواحظ وعثة المسعى) (في مستتير الزهر ما صنعت * أبراده عدن ولا صــنعا) (باكرت مفترعا ثراه وما * ركب الحمام لبانة فرعا) (ســلت عليه البارقات ظبا * لبس الغدير لخوفها درعا) (يا عاذلي إن شــئت تسمعني * عذلا فشق لصــخرة سمعا) (طبعا جبلت على الغرام كما * جبل الوزير على الندى طبعا)

238 وخرج بعد هذا إلى المديح فأضربت عنه ولولا خوف الإطالة لذكرته ومدحه أبو الفتح محمد بن عبد الله ســبط ابن التعاويذي المقدم ذكره بقصــيدة واحدة وهي (ســقا ها الحيا من أربع وطلول * حكت دنفي من بعدهم

ونحولي) (ضـــمنت لها أجفان عين قريحة * من الدمع
مدرار الشؤون همول) (لئن حال رسم الدار عما عهدته
* فعهد الهوى في القلب غير محيل) (خليلي قد هاج
الغرام وشــاقني * ســنا بارق بالأجرعين كليل) (ووكل
طرفي بالســهاد تنظري * قضــاء ملي بالديون مطول) (
إذا قلت قد أنحلت جســمي صــبابة * تقول وهل حب بغير
نحول) (وإن قلت دمعي بالأســى فيك شــاهدي * تقول
شـهود الدمع غير عدول) (فلا تعذلاني إن بكيت صـبابة
* على نـاقض عهد الوفاء ملول) (فـأبرح ما يمنى بـه
الصب في الهوى * ملال حبيب أو ملام عذول) (ودون
الكثيب الفرد بيض عقائل * لعبن بألباب لنا وعقول) (
غداة التقت ألحاظها وقلوبنا * فلم تجل إلا عن دم وقتيل)
(ألا حبذا وادي الأراك وقد وشــت * برياك ريحا شــمأل
وقبول) (وفي أبرديه كلما اعتلت الصـــبا * شــفاء فؤاد
بالغرام عليل) (دعوت ســـلوا فيك غير مســـاعدي *
وحاولت صبرا عنك غير جميل) (تعرفت أسباب الهوى
وحملته * على كاهل للنائبات حمول) (فلم أحظ في حب
الغواني بطائل * ســـوى رعي ليل بالغرام طويل) ومنها
(إلى كم تمنيني الليالي بماجد * رزين وقار الحلم غير
عجول)
239 (أهز اختيالا في هواه معاطفي * وأسحب تيها
في ثراه ذيولي) (لقد طال عهدي بالنوال وإنني * لصب
إلى تقبيل كف منيل) (وإن ندى يحيى الوزير لكافل *

بها لي وعون الدين خير كفيل) وكان عون الدين كثيرا ما ينشــد (ما ناصــحتك خبايا الود من أحد * ما لم ينلك بمكروه من العذل) (مودتي لك تأبى أن تسامحني * بأن أراك على شيء من الزلل) وذكر الشيخ شمس الدين أبو المظفر يوسـف بن قزغلي بن عبد الله سـبط الشـيخ جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي في تاريخه الذي سـماه مرآة الزمان ورأيته بدمشــق في أربعين مجلدا وجميعه بخطه وكان أبوه قزغلي مملوك عون الدين ابن هبيرة المذكور وزوجه بنت الشيخ جمال الدين أبي الفرج المذكور فأولدها شمس الدين فولاؤه له أنه سمع مشايخه ببغداد يحكون أن عون الدين قال كان سـبب ولايتي المخزن أنني ضــاق ما بيدي حتى فقدت القوت أياما فأشــار علي بعض أهلي أن أمضي إلى قبر معروف الكرخي رضي الله عنه فأسأل الله تعالى عنده فإن الدعاء عنده مســتجاب قال فأتيت قبر معروف فصــليت عنده ودعوت ثم خرجت لأقصــد البلد يعني بغداد فاجتزت بقطفتا قلت وهي محلة من محال بغداد قال فرأيت مســجدا مهجورا فدخلت لأصــلي فيه ركعتين وإذا بمريض ملقى على بارية فقعدت عند رأســه وقلت ما تشـتهي فقال سـفرجلة قال فخرجت إلى بقال هناك فرهنت عنده مئزري على سـفرجلتين وتفاحة وأتيته بذلك فأكل من الســفرجلة ثم قال أغلق باب المســجد فأغلقته فتنحى عن البارية وقال احفر هاهنا فحفرت وإذا بكوز فقال خذ هذا

فأنت أحق به فقلت أما لك وارث فقال لا وإنما كان لي أخ وعهدي به بعيد وبلغني أنه مات ونحن من الرصافة
240 قال وبينا هو يحدثني إذ قضى نحبه فغسلته وكفنته ودفنته ثم أخذت الكوز وفيه مقدار خمسمائة دينار وأتيت إلى دجلة لأعبرها وإذا بملاح في سفينة عتيقة وعليه ثياب رثة فقال معي معي فنزلت معه وإذا به من أكثر الناس شبها بذلك الرجل فقلت من أين أنت فقال من الرصافة ولي بنات وأنا صعلوك قلت فما لك أحد قال لا كان لي أخ ولي عنه زمان ما أدري ما فعل الله به قال فقلت ابسط حجرك فبسطه فصببت المال فيه فبهت فحدثته الحديث فسألني أن آخذ نصفه فقلت لا والله ولا حبة ثم صعدت إلى دار الخليفة وكتبت رقعة فخرج عليها إشراف المخزن ثم تدرجت إلى الوزارة وقال جدي الشيخ أبو الفرج في كتاب المنتظم وكان الوزير يسأل الله تعالى الشهادة ويتعرض لأسبابها وكان صحيحا يوم السبت ثاني عشر جمادى الأولى من سنة ستين وخمسمائة فنام ليلة الأحد في عافية فلما كان في وقت السحر قاء فأحضر طبيبا كان يخدمه فسقاه شيئا فيقال إنه سمه فمات وسقي الطبيب بعده بنحو ستة أشهر سما فكان يقول سقيت كما سقيت ومات الطبيب وقال في المنتظم أيضا وكنت ليلة مات الوزير نائما على سطح مع أصحابي فرأيت في المنام كأني في دار الوزير وهو جالس فدخل رجل بيده حربة قصيرة فضربه بها بين أنثييه فخرج الدم كالفوارة فضرب

الحائط فالتفت فإذا بخاتم من ذهب ملقى فأخذته وقلت لمن أعطيه أنتظر خادما يخرج فأعطيه إياه وانتبهت وحدثت أصحابي بالرؤيا فلم أستتم الحديث حتى جاء رجل فقال مات الوزير فقال بعض الحاضرين هذا محال أنا فارقته أمس العصر وهو في كل عافية وجاء آخر وصح الحديث وقال لي ولده لا بد أن تغسله فأخذت في غسله ورفعت يده لأغسل مغابنه قلت

241 المغابن مطاوي البدن مثل الإبط وغيره واحدها مغبن بفتح الميم وكسر الباء الموحدة وسكون الغين المعجمة قال فسقط الخاتم من يده فحين رأيت الخاتم تعجبت من المنام قال ورأيت في وقت غسله آثارا في وجهه وجسده تدل على أنه مسموم فلما خرجت جنازته غلقت أسواق بغداد ولم يتخلف عن جنازته أحد وصلي عليه في جامع القصر وحمل إلى باب البصرة فدفن في مدرسته التي أنشأها وقد دثرت الآن ورثاه جماعة من الشعراء انتهى كلام أبي الفرج ابن الجوزي وقال مؤلف سيرة الوزير المذكور إن سبب موته كان بلغما ثار بمزاجه وقد خرج مع المستنجد للصيد فسقي مسهلا فقصر عن استفراغه فدخل إلى بغداد يوم الجمعة سادس جمادى الأولى راكبا متحاملا إلى المقصورة لصلاة الجمعة فصلى بها وعاد إلى داره فلما كان وقت صلاة الصبح عاوده البلغم فوقع مغشيا عليه فصرخ الجواري فأفاق فسكتهن وبلغ الخبر ولده عز الدين أبا عبد الله محمدا وكان ينوب

عنه في الوزارة فبادر إليه فلما دخل عليه قال له قد بث أستاذ الدار عضد الدين أبو الفرج محمد بن عبد الله بن هبة الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء المعروف بابن المسلمة جماعة ليستعلم ما هذا الصياح فتبسم الوزير على ما هو عليه من تلك الحال وأنشد (وكم شامت بي عند موتي جهالة * بظلم يسل السيف بعد وفاتي) (ولو علم المسكين ما ذا يناله * من الضر بعدي مات قبل مماتي) ثم تناول مشروبا فاستفرغ به ثم استدعى بماء فتوضأ للصلاة وصلى قاعدا فسجد فأبطأ عن القعود من السجود فحركوه فإذا هو ميت فطولع به الإمام المستنجد فأمر بدفنه

242 وخلف ولدين أحدهما عز الدين المذكور والآخر شرف الدين أبو الوليد مظفر وأما مولده فقد ذكر أبو عبد الله محمد بن القادسي في تاريخ الوزراء أنه ولد في سنة سبع وتسعين وأربعمائة على ما ذكره من لفظه رحمه الله تعالى قال بعضهم رأيته في المنام بعد موته فسألته عن حاله فقال (قد سئلنا عن حالنا فأجبنا * بعد ما حال حالنا وحجبنا) (فوجدنا مضاعفا ما كسبنا * ووجدنا ممحصا ما اكتسبنا) ولما بلغ خبر موته عضد الدين ابن المظفر أستاذ الدار المذكور كان بحضرته سبط ابن التعاويذي المذكور قبل هذا وهو من موالي بني المظفر فإن أباه كان مملوكا لبعض بني المظفر واسمه نشتكين فسماه ابنه عبد الله فأراد سبط ابن التعاويذي أن يتقرب إلى عضد الدين لعلمه ما بينه وبين الوزير فأنشد مرتجلا (

قال لي والوزير قد مات قوم * قم لنبكي أبا المظفر يحيى) (قلت أهون عندي بذلك رزأ * ومصابا وابن المظفر يحيا) وقال آخر ولا أذكر اسمه الآن لكنه من الشعراء المشاهير (أيا رب مثل الماجد ابن هبيرة * يموت ويحيا مثل يحيى بن جعفر) (يموت بيحيى كل فضل وسؤدد * ويحيا بيحيى كل جهل ومنكر) والمقصود أن محاسنه كانت كثيرة وقد أطلت هذه الترجمة حتى استوفيت مقاصدها ورأيت في كتاب النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس تأليف أبي الخطاب ابن دحية غلطة أحببت التنبيه عليها في هذا الكتاب كي لا يقف عليها

243 أحد فيظنه مصيبا فيما ذكره وهو أنه قال في خلافة المقتفي لأمر الله ما مثاله وسعد بوزيره أبي المظفر عون الدين يحيى بن محمد بن هبيرة من ولد الأمير الكبير أبي حفص عمر بن هبيرة وقد ذكر المؤرخون فضائل جده التي حازها عون الدين من بعده ثم ذكر مكرمة جرت لعمر بن هبيرة الفزاري أمير العراقين في دولة بني أمية وظن ابن دحية المذكور أن الوزير المذكور من ذرية ذلك المتقدم وعجبت منه من ذلك فإن الوزير شيباني النسب كما شرحناه في أول الترجمة وذاك فزاري النسب كما يأتي في ترجمة ولده يزيد بن عمر ابن هبيرة إن شاء الله تعالى وأين شيبان من فزارة ولا شك أنه ما أوقعه في هذا الأمر إلا ما رآه في نسب الوزير فقد جاء فيه عمر بن هبيرة فتوهم أن هذا هو ذاك وليس الأمر كما توهمه ومثل ابن

دحية لا يعذر فقد كان حافظا ومطلعا على أمور الناس وهذا الأمر واضح لكن الخطأ موكل بالإنسان (327) قلت وأكثر من جرى ذكره في هذه الترجمة قد تقدم ذكره في هذا التاريخ وأفردت لكل واحد منهم بترجمة مستقلة سوى الشيخ الزبيدي فإنه كان كبير القدر يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وما انتفع الوزير إلا بصحبته وما ذكرته في هذا التاريخ فينبغي التنبيه عليه إذ مثله لا يهمل وكان دخوله بغداد في سنة تسع وخمسمائة وتوفي في شهر ربيع الأول سنة خمس وخمسين وخمسمائة رحمه الله تعالى وقال أبو عبد الله ابن النجار في تاريخ بغداد كان مولده بزبيد في ليلة الأربعاء الثاني والعشرين من المحرم سنة ستين وأربعمائة وتوفي ليلة الاثنين مستهل شهر ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وخمسمائة ودفن بمقبرة جامع المنصور ببغداد رحمه الله تعالى وقول الآخر (أيا رب مثل الماجد ابن هبيرة * يموت ويحيا مثل يحيى بن جعفر) (328) فالمراد به أبو الفضل يحيى بن أبي القاسم عبد الله بن محمد بن المعمر ابن جعفر الملقب زعيم الدين تولى النظر بالمخزن في جمادى الآخرة سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة إلى سنة سبع وستين ففيها ناب في الوزارة بعد عزل

244 أبي الفرج ابن المظفر ولم يزل على ذلك إلى أن توفي وكان مشكورا محمود الطريقة محبا لأهل العلم وكانت ولادته ليلة الجمعة بعد العشاء الأخير التاسع

والعشرين من صفر سنة إحدى عشرة وخمسمائة وتوفي ليلة العشرين من شهر ربيع الأول سنة سبعين وخمسمائة ببغداد ودفن من الغد في الحربية بتربة له رحمه الله تعالى

808 ابن زبادة أبو طالب يحيى بن أبي الفرج سعيد بن أبي القاسم هبة الله بن علي بن فرغلي ابن زبادة الشيباني الكاتب المنشيء الواسطي الأصل البغدادي المولد والدار والوفاة الملقب قوام الدين وقيل عميد الدين كان من الأعيان الأماثل والصدور الأفاضل انتهت إليه المعرفة بأمور الكتابة والإنشاء والحساب مع مشاركته في الفقه وعلم الكلام والأصول وغير ذلك وله النظم الجيد جالس أبا منصور ابن الجواليقي وقرأ عليه وعلى من بعده وسمع الحديث من جماعة وخدم الديوان من صباه إلى أن توفي عدة خدمات وكان مليح العبارة في الإنشاء جيد الفكرة حلو الترصيع لطيف الإشارة وكان الغالب عليه في رسائله العناية بالمعاني أكثر من طلب التسجيع وله رسائل بليغة وشعر رائق وفضله أشهر من أن يذكر

245 وتولى النظر بديوان البصرة وواسط والحلة ولم يزل على ذلك إلى أن طلب من واسط والحلة ولم يزل على ذلك إلى المحرم سنة خمس وسبعين وخمسمائة ورتب حاجبا بباب النوبي وقلد النظر في المظالم ثم عزل عن ذلك في شهر ربيع الأول سنة سبع وسبعين ثم أعيد إليه في جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين فلما قتل أستاذ الدار وهو مجد الدين أبو الفضل هبة الله بن علي بن هبة

الله بن محمد بن الحسن المعروف بابن الصاحب وكان قتله يوم السبت تاسع عشر ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ترتب ابن زبادة المذكور مكانه ثم عزل في سنة خمس وثمانين وعاد إلى واسط فأقام بها إلى أن استدعي في شهر رمضان سنة اثنتين وتسعين وقلد ديوان الإنشاء في يوم الاثنين الثاني والعشرين من شهر رمضان ثم رد إليه النظر في ديوان المقاطعات فكان على ذلك إلى حين وفاته وكان حسن السيرة محمود الطريقة متدينا حدث بشيء يسير وكتب الناس عنه كثيرا من نظمه ونثره فمن ذلك قوله (باضطراب الزمان ترتفع الأنذال فيه حتى يعم البلاء *) (وكذا الماء ساكنا فإذا حرك ثارت من قعره الأقذاء *) وله أيضا (إني لأعظم ما تلقونني جلدا * إذا توسطت هول الحادث النكد) (كذلك الشمس لا تزداد قوتها * إلا إذا حصلت في زبرة الأسد) وكتب إلى الإمام المستنجد يهنيه بالعيد (يا ماجدا جل قدرا أن نهنيه * لنا الهناء بظل منك ممدود)
246 (الدهر أنت ويوم العيد منك وما * في العرف أنا نهني الدهر بالعيد) وله أيضا (إن كنت تسعى للسعادة فاستقم * تنل المراد ولو سموت إلى السما) (ألف الكتابة وهو بعض حروفها * لما استقام على الجميع تقدما) وله أيضا (لا تغبطن وزيرا للملوك وإن * أناله الدهر منهم فوق همته) (واعلم بأن له يوما تمور به الأرض * الوقور كما مارت لهيبته) (هرون وهو أخو موسى

الشـــقيق له * لولا الوزارة لم يأخذ بلحيته) وله كل معنى مليح وله ديوان رسائل وقفت عليه في بلادنا ولم يحضرني شيء منه كي أثبته هاهنا وقال أبو عبد الله محمد بن سعيد الدبيثي في تاريخه أنشـــدنا أبو طالب يحيى ابن ســـعيد بن هبة الله يعني ابن زبادة المذكور من حفظه قال أنشـدني أبو بكر أحمد بن محمد الأرجاني لما قدم بغداد علينا في ســـنة ثمان وثلاثين وخمسمائة لنفسه قلت وهو ناصح الدين أبو بكر أحمد الأرجاني المقدم ذكره قوله (ومقســومة العينين من دهش النوى * وقد راعها بالعيس رجع حداء) (تجيب بإحدى مقلتيها تحيتي * وأخرى تراعي أعين الرقباء) (رأت حولها الواشـــين طافوا فغيضـــت * لهم دمعها واســـتعصـــمت بحياء) (فلما بكت عيني غداة وداعهم * وقد روعتني فرقة القرناء) (بدت في محياها خيالات أدمعي * فغاروا وظنوا أن بكت لبكائي)

247 وكتب إليه أبو الغنائم محمد بن علي المعروف بابن المعلم الهرثي الشاعر المقدم ذكره وقد عزل عن نظر واســـط (ولأنت إن لم يبلل الغيث الثرى * تروي الورى بســـماحك الهتان) (لم يعزلوك عن البلاد لحالة * تدعو إلى النقصـــان والشـنآن) (بل مذ رأوا آثار جودك زاخرا * حفظوا بلادهم من الطوفان) قلت وحكى لي الوجيه أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي طالب المعروف باب ســـويد التاجر التكريتي قال كان الشـــيخ محيي الدين أبو المظفر يوســـف بن الحافظ جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي

الواعظ المشهور قد توجه رسولا من بغداد إلى الملك العادل بن الملك الكامل ابن الملك العادل بن أيوب سلطان مصر في ذلك الوقت وكان أخوه الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محبوسا في قلعة الكرك يومئذ وقد شرحت ذلك في ترجمة الكامل في هذا التاريخ قال الوجيه فلما عاد محيي الدين راجعا إلى بغداد وقدم دمشق كنت بها فدخلت عليه أنا والشيخ أصيل الدين أبو الفضل عباس بن عثمان ابن نبهان الإربلي وكان رئيس التجار في عصره وجلسنا نتحدث معه فقال قد حلفت الملك الناصر داود صاحب الكرك أن لا يخرج الملك الصالح من الحبس إلا بأمر أخيه الملك العادل قال فقال له الأصيل يا مولانا هذا بأمر الديوان العزيز فقال محيي الدين وهل هذا يحتاج إلى إذن هذا اقتضته المصلحة ولكن أنت تاريخ يا أصيل فقال يعني مولانا أني قد كبرت وما أدري ما أقول وأنا أحكي لمولانا حكاية في هذا المعنى أعرفها من غرائب الحكايات قال هات فقال كان ابن رئيس الرؤساء ناظر واسط يحمل في كل شهر حمل واسط وهو ثلاثون ألف دينار لا يمكن أن يتأخر يوما واحدا عن العادة فتعذر في بعض الأشهر كمال الحمل فضاق صدره لذلك وذكره

248 لنوابه فقالوا له يا مولانا هذا ابن زبادة عليه من الحقوق أضعاف ذلك ومتى حاسبته قام بما يتم الحمل وزيادة فاستدعاه وقال له لم لا تؤدي كما يؤدي الناس فقال أنا معي خط الإمام المستنجد بالمسامحة قال هل معك خط

مولانا الإمام الناصـــر قال لا قال قم واحمل ما يجب عليك قال ما ألتفت إلى أحد ولا أحمل شـيئا ونهض من المجلس فقال النواب لابن رئيس الرؤسـاء أنت صـاحب الوسـادتين وناظر النظار وما على يدك يد ومن هو هذا حتى يقابلك بمثل هذا القول ولو كبسـت داره وأخذت ما فيها ما قال لك أحد شيئا وحملوه عليه حتى ركب بنفسه وأجناده وكان ابن زبادة يسـكن قبالة واسـط وقدموا إلى ابن رئيس الرؤسـاء السـفن حتى يعبر إليه وإذا بزبزب قد قدم من بغداد فقال ما قدم هذا إلا في مهم ننظر ما هو ثم نعود إلى ما نحن بسـببه فلما دنا من الزبزب فإذا فيه خدم من خدام الخليفة فصاحوا به الأرض الأرض فقبل الأرض وناولوه مطالعة وفيها قد بعثنا خلعة ودواة لابن زبادة فتحمل الخلعة على رأسـك والدواة على صـدرك وتمشـي راجلا إليه وتلبسـه الخلعة وتجهزه إلينا وزيرا فحمل الخلعة على رأسـه والدواة على صـدره ومشـى إليه راجلا فلما رآه ابن زبادة أنشـده ابن رئيس الرؤسـاء (إذا المرء حي فهو يرجي ويتقي * وما يعلم الإنسـان ما في المغيب) وأخذ يعتذر إليه فقال له ابن زبادة لا تثريب عليكم اليوم وركب في الزبزب إلى بغداد وما علموا أن أحدا أرسـلت إليه الوزارة غيره فلما وصـل إلى بغداد كان أول ما نظر فيه أن عزل ابن رئيس الرؤساء عن نظر واسـط قال هذا ما يصـلح لهذا المنصـب ثم قال الأصـيل ولا يأمن مولانا أن يخرج الملك الصـالح ويملك ويعود إليه رسـولا ويقع وجهك في وجهه وتسـتحي منه

فأنشده محيي الدين قوله (وحتى يؤوب القارظان كلاهما * وينشر في الموتى كليب لوائل) فما كان إلا مديدة حتى خرج الملك الصالح من حبس الكرك وملك مصر وكان ما كان قلت وكنت بمصر ومحيي الدين بها رسول إلى الملك العادل وقبض العادل وجاء الصالح فخرج
249 محيي الدين التقاه وشاهدت ذلك هكذا ذكر لي الوجيه هذه الحكاية وفيها غلط إما من الوجيه أو من الأصيل فإن ابن زبادة ما ولي الوزارة ولا تولى إلا ما ذكرته في أوائل ترجمته فإن كان هذا صحيحا فيكون ذلك لما طلب للإنشاء كما شرحته والله أعلم بالصواب قال ابن الدبيثي المذكور سألت أبا طالب ابن زبادة عن مولده فقال ولدت يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من صفر سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة وتوفي ليلة الجمعة السابع والعشرين من ذي الحجة سنة أربع وتسعين وخمسمائة وصلي عليه بجامع القصر ودفن بالجانب الغربي بمشهد الإمام موسى بن جعفر رضي الله عنهما يعني ببغداد بفتح الزاي هو القطعة من الزباد الذي يتطيب النسوان به والله أعلم 809 يحيى بن نزار المنبجي أبو الفضل يحيى بن نزار بن سعيد المنبجي ذكره الحافظ أبو سعد عبد الكريم بن السمعاني في كتاب الذيل على تاريخ الخطيب المختص ببغداد فقال له شعر مطبوع غير متكلف وكتب لي أبياتا من شعره وسمعت منه وسألته عن مولده فقال ولدت في المحرم من

سنة ست وثمانين وأربعمائة بمنبج وأورد له مقاطيع أنشده إياها فمن ذلك قوله
250 (وأغيد غض زاد خط عذاره * لعاشـــقه في همه والبلابل) (تموج بحار الحسـن في وجناته * فتقذف منها عنبرا في السـواحل) (وتجري بخديه الشـبيبة ماءها * فتنبت ريحـانا جنوب الجداول) قلت وقد خطر لي على هذا مأخذ وهو أنه جعل في البيت الثاني بحار الحسن تموج في وجنـاتـه فكيف يقول في البيت الثـالث وتجري بخديـه الشـــبيبة ماءها وما مقدار ماء الشـــبيبة بالنسـبة إلى بحار الحســن وما كفى هذا حتى جعلها جداول والجداول الأنهار وأين الأنهار من البحار ثم إنه في البيت الثاني قد شـــبه العذار بالعنبر فكيف يجعله في البيت الثالث ريحـانا وأين العنبر من الريحان وإن كان كل واحد من العنبر والريحان قد جرت عادة الشـــعراء أن يشـــبهوا به العذار ولكن في مقطوع واحد من الشـــعر مـا لهم عـادة يجمعون بينهمـا وكنـت قـد ســـمعـت في زمن الاشـــتغـال بـالأدب بيتين اسـتحسـنتهما ولم أعرف قائلهما وهما (يا عاذلي في حب ذي عارض * ما البلد المخصـــب كالماحل) (يموج بحر الحسن في خده * فيقذف العنبر في الساحل) فلما كان في أوائل ســـنة اثنتين وســـبعين وســـتمائة وقفت بالقاهرة المحروسـة على مجلد من كتاب السـيل والذيل تأليف عماد الدين الكاتب الأصـــبهاني وقد جعله ذيلا على كتابه خريدة القصـر فرأيت فيه ترجمة يحيى بن نزار المنبجي المذكور

وقد ذكر له مقدار عشـــرة أبيات يمدح بها الســـلطان نور الدين محمود ابن زنكي رحمه الله تعالى وفي جملة الأبيات البيت الثاني من هذين البيتين فعلمت أن الذي نظم ذلك المعنى في البيت الثاني من الثلاثة هو الذي نظم هذين البيتين في هذه الأبيات التي ذكرها في كتاب السيل ثم بعد ذلك بقليل جاءني صاحبنا جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن أحمد المعروف بالحافظ اليغموري

251 فتذاكرنا وجرى ذكر البيتين وقال إنهما لعماد الدين أبي المناقب حســام ابن عزى بن يونس المحلي نزيل دمشـــق وذكر أنه ســمعهما منه وادعاهما لنفســه فقلت له البيت الذي فيه المعنى ليس له بل هو ليحيى بن نزار المنبجي ويكون العماد المحلي قد نظم البيت الأول وجعله توطئة للثاني واســتعمله على وجه التضــمين كما جرت العادة في مثله لكنه كان ينبغي أن ينبه على أنه تضمين كي لا يعتقد من يقف عليهما أنهما له فإن البيت الأول ليس في جملة أبيات يحيى المنبجي التي مدح بها نور الدين رحمه الله تعالى ثم من بعد ذلك خطرت لي مؤاخذة على العماد المحلي فإنه قال في بيته الذي جعله توطئة للثاني (ما البلد المخصـــب كالماحل * والخصـــب) والمحل إنما يكون بسبب النبات وعدمه والبيت الثاني الذي هو التضمين شبه العذار بالعنبر وأين النبات من العنبر فالتوطئة بين البيتين ليســت بملائمة وهذه المؤاخذة مثل المؤاخذة المتقدمة على الأبيات الثلاثة وكنت وقفت على بيتين للعماد المحلي

المذكور أيضـــا أنشــدنيهما عنه جماعة وهما (قيل لي من هويت قد عبث الشــــعر * بخديه قلت ما ذاك عاره) (جمرة الخد أحرقت عنبر الخال * فمن ذلك الدخان عذاره) وســـنح لي عليهما مؤاخذة مثل المؤاخذة المذكورة وهي أنه لما قيل له إن الشعر عبث بخديه ما أنكر ذلك بل قال ما ذاك عاره فقد وافق على أنه شعر غاية ما في الباب أنه قال هذا الشـــعر ما هو عاره فكيف يقول بعد هذا جمرة الخد أحرقت عنبر الخال إلى آخره فجعل العذار دخان العنبر وأين دخان العنبر من الشـــعر بل كان ينبغي أن يقول لهم هذا ما هو شـــعر بل هو دخان العنبر حتى يتم له المعنى وقد نظم صـــاحبنا ورفيقنا في الاشـــتغال بحلب عون الدين أبو الربيع ســـليمان ابن بهاء الدين عبد المجيد ابن العجمي الحلبي بيتين ألم فيهما بهذا المعنى وهما

252 (لهيب الخد حين بدا لعيني * هوى قلبي عليه كالفراش) (فأحرقه فصـــار عليه خالا * وها أثر الدخان على الحواشـــي) وقد أحســـن في هذا المعنى وخلص من تلك المؤاخذة لكن وقع في مؤاخذة أخرى وهي أنه جعل العذار دخان احتراق قلبه والعماد جعله دخان عنبر الخال وبين الدخانين بون كبير فهذا طيب الرائحة وذاك كريه الرائحة وقد سبق في ترجمة عبد الله بن صارة الشنتريني بيتان أبدع فيهما وهما (ومهفهف رقت حواشـــي حسنه * فقلوبنا وجدا عليه رقاق) (لم يكس ســـالفه العذار وإنما * نفضـــت عليه صـــباغها الأحداق) والأصـــل في هذا الباب

كله قول أبي إســحاق إبراهيم الصــابي الكاتب في غلامه الأسـود واسمه يمن وقد سبق ذكر الأبيات في ترجمته من هذا الكتاب والمقصود منها هاهنا قوله في أولها (لك وجه كـأن يمنـاي خطتـه * بلفظ تمله آمـالي) (فيـه معنى من البدور ولكن * نفضــت صــبغها عليه الليالي) وبيتا عون الـدين فيهمـا إلمـام بقول أبي الحســين أحمـد بن منبر الطرابلســي المقدم ذكره (لا تخالوا الخال يعلو خده * قطرة من دم جفني نطفت) (ذاك من نار فؤادي جذوة * فيـه ســاخت وانطفت ثم طفت) قلت وقد خرجنا عن المقصود وانتشر الكلام لكن ما خلا من فائدة

253 وقال أبو سـعد السـمعاني أيضـا أنشـدني يحيى بن نزار المنبجي لنفسـه (لو صـد عني دلالا أو معاتبة * لكنت أرجو تلافيه وأعتذر) (لكن ملالا فلا أرجو تعطفه * جبر الزجاج عســير حين ينكســر) وله غير هذا نظم مليح ومعان لطيفة وقال أبو الفرج صـدقة بن الحسـين بن الحداد في تاريخه المرتب على السـنين ما مثاله سـنة أربع وخمســين وخمســمائة في ليلة الجمعة ســادس ذي الحجة مات يحيى بن نزار المنبجي ببغداد ودفن بالوردية قيل إنه وجد في أذنه ثقلا فاستدعى إنسانا من الطرقية فامتص أذنه فخرج شــيء من مخه فكان ســبب موته رحمه الله تعالى وقال السمعاني هو أخو أبي الغنائم التاجر المعروف وذكر أبا الغنائم ووصفه وأثنى عليه في ترجمة مستقلة في كتاب الذيل أيضــا رحمه الله تعالى (329) وأما العماد المحلي

فإنه كان أديبا لطيفا على ما يحكى عنه من النوادر وله نظم مليح في المقطعات دون القصـــائد وكان يحفظ المقامات وشرحها وتوفي ليلة الأربعاء عاشر شهر ربيع الأول سنة تسـع وعشـرين وسـتمائة بدمشـق ودفن بمقابر الصـوفية وعرف بابن الجمال وولد في سنة ستين وخمسمائة تقديرا بقوص ونشـأ بالمحلة فنسـب إليها ثم وجدت في مسـوداتي بخطي بيتا منسـوبا إلى الوجيه أبي الحسـن علي بن يحيى بن الحسـين بن أحمد المعروف بـابن الـذروي الأديـب الشاعر وهو (عذاره دخان ند خاله * وريقه من ماء ورد خده) ثم وجدت منسـوبا إلى ابن سـناء الملك المقدم ذكره والصحيح أنها لأسعد

254 ابن مماتي المقدم ذكره أيضـــا (ســـمراء قد أزرت بكل أسمر * بلونها ولينها وقدها) (أنفاسها دخان ند خالها * وريقها من ماء ورد خدها) (لو كتب البدر إلى خدمتها * ملطفا ترجمه بعبدها) ورأيت للمهذب أبي نصـــر محمد بن محمد بن إبراهيم بن الخضـــر الحلبي المعروف بـابن البرهـان الحـاســـب المنجم الطبري (ومهفهف راقت نضـــارة وجهه * فالعين تنظر منه أحســـن منظر) (أصـلى بنار الخد عنبر خاله * فبدا العذار دخان ذاك العنبر) فعلمت أن العماد المحلى إنما أخذ ذلك المعنى من أحد هؤلاء والله ســـبحانه وتعالى أعلم 810 تاج الدين ابن الجراح أبو الحســين يحيى بن أبي علي منصـــور بن الجراح بن الحسين بن محمد بن داود بن الجراح المصري

وهذه الزيادة في نسبه وجدتها بخط بعض الأدباء ولا أتحققها والأول أصح الكاتب المنعوت تاج الدين كتب في ديوان
255 الإنشاء بالديار المصرية مدة طويلة وكتب الكثير وكان خطه في غاية الجودة وكان فاضلا أديبا متقنا له فطرة حسنة وشعر فائق ورسائل أنيقة سمع الحديث بثغر الإسكندرية المحروسة على الحافظ أبي طاهر السلفي وأبي الثناء حماد بن هبة الله الحراني وحدث وسمع الناس عليه ولة لغز في الدملج الذي تلبسه النساء وهو بديع في بابه فأحببت ذكره وهو نثر ما شيء قلبه حجر ووجه قمر إن نبذته صبر واعتزل البشر وإن أجعته رضي بالنوى وانطوى على الخوى وإن أشبعته قبل قدمك وصحب خدمك وإن غلفته ضاع وإن أدخلته السوق أبى أن يباع وإن أظهرته جمل المتاع وأحسن الإمتاع وإن شددت ثانيه وحذفت منه القافيه كدر الحياة وأوجب التخفيف في الصلاة وأحدث في وقت العصر الضجر ووقت الفجر الخدر وجمع بين حسن العقبى وقبح الأثر هذا وإن فصلته دعا لك وأبقى ما إن ركبته هالك وربما بلغك آمالك وكثر مالك وأحسن بعون المساكين مالك والسلام قلت وهذا اللغز قد يقف عليه من لا يعرف طريق حله فيعسر عليه تفسيره فيحتاج إلى الإيضاح فأقول أما قول ما شيء قلبه حجر فمراده قلب حروف دملج فإنا إذا قلبنا هذه الحروف يخرج منها جلمد وهو الحجر وقوله ووجهه قمر يريد أنه مستدير

كالقمر وقوله إن نبذته صبر واعتزل البشر فالبشر جمع بشرة فالإنسان إذا ألقى الدملج عنه صبر واعتزل بشرته إذ ليس فيه أهلية المنع فهو يصبر ويعتزل المكان الذي كان فيه وقوله وإن أجعته رضي بالنوى فالنوى لفظ مشترك يقع على البعد وعلى نوى التمر وعادتهم في بلاد العراق أن يطحنوا نوى التمر والرطب والبسر ويعلفوا به البقر وقصد هاهنا هذه التورية فإن الدملج إذ أخرج من العضد أو من الساق فقد جاع لأنه يكون فارغ الجوف ويرضى بالنوى الذي هو البعد عن عضو صاحبه ويقولون فلان يرضى بالنوى إذا كان فقيرا لا يجد ما يتبلغ به فهو يجتزىء بمص النوى وهذا يفعله أهل

256 الحجاز والبلاد المجدبة كثيرا لقلة الأقوات عندهم فقد استعمل صاحب هذا اللغز لفظة النوى في هذين المعنيين وهذه هي التورية وقوله وانطوى على الخوى فالخوى هو الخلو وإذا كان فارغ الجوف فهو خاو وقوله وإن أشبعته قبل قدمك مراده بالإشباع هنا لبس الدملج فإن صاحبه إذا لبسه فقد ملأ جوفه ويكون فوق القدم فكأنه يقبله وقوله وصحب خدمك فيه تورية أيضا فإن الخدم جمع خادم وهذا الجمع قليل الاستعمال لهذا الواحد فإنه لا يقال فاعل وجمعه فعل إلا في ألفاظ مسموعة مثل خادم وخدم وغائب وغيب وحارس وحرس وجامد وجمد وغير ذلك فهو موقوف على السماع وخدم جمع خدمة أيضا وهو سير يشد في رسغ البعير تشد إليه سريحة النعل وبه سمي

الخلخال خدمة لأنه ربما كان من سـيور يركب فيه الذهب والفضـة ويجمع على خدام أيضـا وقوله وإن غلفته ضـاع هذا فيه تورية أيضـا فإن التغليف أن يجعل للشـيء غلافا والتغليف استعمال الطيب أيضـا وقوله ضـاع فيه تورية أيضا فإنه يقال ضاع الشيء من الضياع وضاع الطيب إذا عبقت رائحته وقوله وإن أدخلته السـوق أبى أن يباع فالسوق جمع ساق وفيه التورية أيضا لأن السوق موضع البيع والشراء والسوق كما ذكرناه وقوله أبى أن يباع لأن العادة أنه لا يباع إلا إذا أخرج من العضو الذي هو فيه ولا يباع قبل إخراجه فكأنه قبل الإخراج أبى البيع وقوله وإن أظهرته جمل المتاع وأحسـن الإمتاع فهذا ظاهر لا حاجة له إلى تفسـير وقوله وإن شـددت ثانيه وهو الميم وحذفت منه القافية وهي الجيم فيبقى الدمل وهو يكدر الحياة بألمه ويوجب التخفيف في الصلاة للألم أيضا وقوله وأحدث في وقت العصر الضجر فالعصر فيه التورية أيضـا لأنه اسم للصـلاة وهو مصـدر لفعل عصـر وكذلك الفجر لأنه اسـم للصـبح وهو مصـدر لفعل فجر فالإنسـان في وقت عصـر الدمل يحصـل له الضـجر والقلق وإذا فجره وخلص منه حصـل له الخدر والراحة وقوله وجمع بين حسـن العقبى وقبح الأثر فقصـد المقابلة بين الحسـن والقبح ولا شـك أن عقبى انفجار الدمل حسـنة وإن كان الأثر الذي يبقى في المكان قبيحا وقوله

257 وإن فصــلته دعا لك معناه أنك إذا فصــلت أحد النصفين من لفظ الدملج من النصف الآخر فالنصف الأول منه دم وهو دعاء للإنســـان بالدوام وقوله وأبقى ما إن ركبته هالك فالباقي منه لج واللج هو لج البحر وإن كان النصف من الدملج مخففا ولج البحر مشددا لكنهم يغتفرون مثل هذا في الألغاز والتصــاحيف والأحاجي ولا يبالون به ولا شــك أن ركوب البحر أمر هائل فلهذا قال هالك وربما بلغك آمالك لأنه يوصل الإنسان إلى الموضع الذي يقصده وقوله وكثر مالك معناه إذا ركبه الإنســـان للتجارة وقوله وأحسـن بعون المسـاكين مآلك فعون المسـاكين هو السـفينة كما قال الله تعالى (^ أما السـفينة فكانت لمسـاكين يعملون في البحر) الكهف 79 فهي عون لهم على حاجتهم وســـد خلتهم ومآل الشـــيء عاقبة أمره والله تعالى أعلم قلت وفي اللغز ثماني لغات لغز بضــم اللام وســـكون الغين ولغز بضـــمهما ولغز بضــم اللام وفتح الغين ولغز بفتح اللام وسكون الغين ولغز بفتحهما وألغوزة بضم الهمزة وسكون اللام وضــم الغين ولغيزي بضــم اللام وتشــديد الغين مع القصـــر ولغيزاء مثل الأول إلا أن الغين مخففة ومفتوحة والألف ممدودة والله أعلم وقد طـال الكلام لكن الحـاجة دعت إليه كي لا يبقى فيه التباس على ســامعه ورأيت في مجموع بخط بعض الفضــلاء بيتين منســـوبين إليه وهما هذان (أمد كفي إلى البيضـــاء أقلعها * من لحيتي فتفديها بســـوداء) (هذي يدي وهي مني لا تطاوعني * على

مرادي فما ظني بأعدائي) وكانت ولادة المذكور في ليلة السبت خامس عشر شعبان سنة إحدى وأربعين وخمسمائة وتوفي في خامس شعبان سنة ست عشرة وستمائة بدمياط والعدو المخذول محاصرها رحمه الله تعالى وجراح بفتح الجيم وتشديد الراء وبعد الألف حاء مهملة ثم إن العدو ملك دمياط يوم الثلاثاء السابع والعشرين من الشهر المذكور والله أعلم

258 ونقلت من خط الشيخ مهذب الدين أبي طالب محمد بن علي اللغوي المعروف بابن الخيمي الحلي نزيل مصر أن العدو نزل قبالة دمياط يوم الثلاثاء ثاني عشر ربيع الأول سنة خمس عشرة وستمائة ونزل البر الشرقي يوم الثلاثاء سادس عشر ذي القعدة من السنة وأخذ الثغر يوم الثلاثاء السادس والعشرين من شعبان سنة ست عشرة وستمائة واستعيدت منهم يوم الأربعاء تاسع عشر رجب سنة ثمان عشرة وستمائة ومدة نزولهم عليها إلى أن انفصلوا عنها ثلاث سنين وثلاثة أشهر وسبعة عشر يوما ومن الاتفاق العجيب نزولهم عليها يوم الثلاثاء وإحاطتهم بها يوم الثلاثاء وملكهم لها يوم الثلاثاء وقد جاء في الخبر أن الله تعالى خلق المكروه يوم الثلاثاء ولفظة دمياط سريانية وأصلها بالذال المعجمة ويقولونه ذمط وتفسيره القدرة الربانية وكأنه إشارة إلى مجمع البحرين العذب والملح والله تعالى أعلم 811 جمال الدين ابن مطروح أبو الحسن يحيى بن عيسى بن إبراهيم بن الحسين بن علي بن

حمزة بن إبراهيم بن الحســـين بن مطروح الملقب جمال الدين من أهل صـعيد مصـر ونشـأ هناك وأقام بقوص مدة وتنقلت به الأحوال في الخدم والولايات ثم اتصـــل بخدمة السـلطان الملك الصــالح أبي الفتح أيوب الملقب نجم الدين ابن السلطان

259 الملك الكامل ابن الســـلطان الملك العادل بن أيوب وكـان إذ ذاك نـائبا عن أبيـه الملك الكامل بـالديار المصـرية ولما اتسـعت مملكة الكامل بالبلاد المصـرية بل بالبلاد الشـرقية فصـار له آمد وحصـن كيفا وحران والرها والرقة ورأس عين وسـروج وما انضـم إلى ذلك سـير إليها ولده الملك الصــالح المذكور نائبا عنه وذلك في سـنة تسـع وعشــرين وســتمائة فكان ابن مطروح المذكور في خدمته ولم يزل يتنقل في تلك البلاد إلى أن وصــل الملك الصــالح إلى مصـر مالكا لها وكان دخوله القاهرة يوم الأحد السـابع والعشــرين من ذي القعدة ســنة ســبع وثلاثين وســتمائة ثم وصـل ابن مطروح بعد ذلك إلى الديار المصـرية في أوائل ســنة تســع وثلاثين وســتمائة فرتبه الســلطان ناظرا في الخزانـة ولم يزل يقرب منـه ويحظى عنـده إلى أن ملـك الملك الصــــالح دمشـــق في الدفعة الثانية وكان ذلك في جمادى الأولى من ســـنة ثلاث وأربعين وســـتمائة ثم إن السلطان بعد ذلك رتب لدمشـق نوابا فكان ابن مطروح في صـــورة وزير لها ومضـــى إليها وحسـنت حالته وارتفعت منزلته ثم إن الملك الصـالح توجه إلى دمشـق فوصـلها في

شـــعبان ســـنة ســـت وأربعين وجهز عســـكرا إلى حمص لاستنقاذها من يدي نواب الملك الناصر أبي المظفر يوسف الملقب صـــلاح الدين ابن الملك العزيز ابن الملك الظاهر ابن الســـلطان صـــلاح الدين صـــاحب حلب فإنه كان قد انتزعها من صاحبها الملك الأشرف مظفر الدين أبي الفتح موسى ابن الملك المنصور إبراهيم ابن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه عنوة وكان منتميا إلى الملك الصالح فخرج من مصـــر لاســـترداد حمص له فعزل ابن مطروح عن ولايته بدمشق وسيره مع العسكر المتوجه إلى حمص وأقام الملك الصالح بدمشق إلى أن ينكشف له ما يكون من أمر حمص فبلغه أن الفرنج قد اجتمعوا بجزيرة قبرص على عزم قصد الديار المصرية فسير إلى عسكره المحاصرين بحمص وأمرهم أن يتركوا ذلك المقصـــد ويعودوا لحفظ الديار المصـــرية فعاد بالعســـكر وابن مطروح في الخدمة والملك

260 الصالح متغير عليه متنكر له لأمور نقمها عليه وطرق الفرنج البلاد في أوائل ســـنة ســـبع وأربعين وملكوا دمياط يوم الأحد الثاني والعشـــرين من صـــفر من الســـنة وخيم الملك الصالح بعسكره على المنصورة وابن مطروح مواظب على الخدمة مع الإعراض عنه ولما مات الملك الصـــالح ليلة النصـــف من شـــعبان ســـنة ســـبع وأربعين بالمنصـــورة وصـــل ابن مطروح إلى مصـــر وأقام بها في داره إلى أن مات هذه جملة حاله على الإجمال وكانت

أدواته جميلة وخلاله حميدة جمع بين الفضـــل والمروءة والأخلاق الرضـــية وكان بيني وبينه مودة أكيدة ومكاتبات في الغيبة ومجالس في الحضرة تجري فيها مذاكرات أدبية لطيفة وله ديوان شعر أنشدني أكثره فمن ذلك قوله في أول قصـــيدة طويلة (هي رامة فخذوا يمين الوادي * وذروا الســـيوف تقر في الإغماد) (وحذار من لحظات أعين عينها * فلكم صـــرعن بها من الآســـاد) (من كان منكم واثقا بفؤاده * فهناك ما أنا واثق بفؤادي) (يا صـــاحبي ولي بجرعاء الحمى * قلب أسير ما له من فادي) (سلبته مني يوم بانوا مقلة * مكحولة أجفانها بســـواد) (وبحي من أنا في هواه ميت * عين على العشـاق بالمرصـاد) (وأغن مســـكي اللمى معســـوله * لولا الرقيب بلغت منه مرادي) (كيف الســـبيل إلى وصـــال محجب * ما بين بيض ظبا وسمر صعاد) (في بيت شعر نازل من شعره * فالحســـن منه عاكف في بادي) (حرســـوا مهفهف قده بمثقف * فتشـــابه المياس بالمياد) (قالت لنا ألف العذار بخده * في ميم مبســـمه شـــفاء الصـــادي) وهي طويلة اقتصرت منها على هذا القدر للاختصار

261 ومن ذلك قوله (علقته من آل يعرب لحظه * أمضـــى وأفتك من سيوف عريبه) (أسكنته في المنحنى من أضلعي * شوقا لبارق ثغره وعذيبه) (يا عائبي ذاك الفتور بطرفه * خلوه لي أنا قد رضيت بعيبه) (لدن وما مر النسيم بعطفه * أرج وما نفح العبير بجيبه) وكان في

بعض أسفاره قد نزل في طريقه بمسجد وهو مريض فقال
(يا رب إن عجز الطبيب فداوني * بلطيف صنعك
واشفني يا شافي) (أنا من ضيوفك قد حسبت وإن من *
شيم الكرام البر بالأضياف) ووجدت بعد موته رقعة فيها
مكتوب هذان البيتان وأخبرني أنه جرى بينه وبين أبي
الفضل جعفر بن شمس الخلافة الشاعر المقدم ذكره
منازعة في بيت هو من جملة قصيدته التي أولها (من لي
بغصن باللحاظ ممنطق * حلو الشمائل واللمى والمنطق)
(مثري الروادف مملق من خصره * أسمعت في الدنيا
بمثر مملق) والبيت الذي قد وقع فيه النزاع قوله (وأقول
يا أخت الغزال ملاحة * فتقول لا عاش الغزال ولا بقي)
فزعم ابن شمس الخلافة أن هذا البيت له من جملة قصيدة
هي في ديوانه وعمل كل واحد منهما محضرا شهد فيه
جماعة بأن البيت له وحلف لي ابن مطروح أن البيت له
وكان محترزا في أقواله ولم تعرف منه الدعوى بما ليس
له والله المطلع على السرائر وأنشدني له بعض أصحابنا
قال أنشدني لنفسه
262 (يا من لبست عليه أثواب الضنى * صفرا
موشعة بحمر الأدمع) (أدرك بقية مهجة لو لم تذب *
أسفا عليك نفيتها عن أضلعي) وكان في مدة انقطاعه في
داره وضيق صدره بسبب عطلته وكثرة كلفه قد حدث في
عينيه ألم انتهى به إلى مقاربة العمى وكنت أجتمع به في
كل وقت فتأخرت عنه مديدة لعذر أوجب ذلك وكنت في

ذلك الوقت أنوب في الحكم بالقاهرة المحروسة عن قاضي القضاة بدر الدين أبي المحاسن يوسف بن الحسن ابن علي الحاكم بالديار المصرية المعروف بقاضي سنجار فكتب إلي ابن مطروح يقول (يا من إذا استوحش طرفي له * لم يخل قلبي منه من أنس) (والطرف والقلب على ما هما * عليه مأوى البدر والشمس) وله من جملة قصيدة طويلة (ملك الملاح ترى العيون * عليه دائرة يطق) (ومخيم بين الضلوع * وفي الفؤاد له سبق) والبيت الأول مأخوذ من قول المتنبي (وخصر تثبت الأبصار فيه * كأن عليه من حدق نطاقا) واليطق بفتح الياء المثناة من تحتها والطاء المهملة وبعدها قاف وهو عبارة عن جماعة من الجند يبيتون كل ليلة حول خيمة الملك محيطين به يحرسونه إذا كان مسافرا وهو لفظ تركي والسبق بفتح السين المهملة والباء الموحدة وبعدها قاف وهي خيمة الملك إذا كان مسافرا فإنه تقدم له خيمة إلى المنزلة التي يتوجه إليها حتى إذا جاءها كانت مجهزة له ينزل فيها ولا يتوقف على انتظار وصول الخيمة التي

263 كان بها في تلك المنزلة التي رحل منها وله بيتان ضمنهما بيت المتنبي وأحسن فيهما وهما (إذا ما سقاني ريقه وهو باسم * تذكرت ما بين العذيب وبارق) (ويذكرني من قده ومدامعي * مجر عوالينا ومجرى السوابق) وهذا المعنى للمتنبي في أول قصيدة بديعة طويلة وهي (تذكرت ما بين العذيب وبارق * مجر

عوالينا ومجرى الســـوابق) وكانت بينه وبين بهاء الدين زهير المقدم ذكره في حرف الزاي صــحبة قديمة من زمن الصــبا وإقامتهما ببلاد الصــعيد حتى كانا كالأخوين وليس بينهما فرق في أمور الدنيا ثم اتصــلا بخدمة الملك الصــالح وهما على تلك المودة وبينهما مكاتبات بالأشـــعار فيما يجري لهما فأخبرني بهاء الدين زهير أن جمال الدين ابن مطروح كتب إليه بعض الأيام يطلب منه درج ورق وكان قد ضاق به الوقت وأظنهما كانا ببلاد الشرق معا (أفلست يا سيدي من الورق * فجد بدرج كعرضـك اليقق) (وإن أتى بالمداد مقترنا * فمرحبا بالخدود والحدق) قال بـهاء الدين زهير وقد فتح الراء من الورق وكســرها تنبيها على حاله فكتبت إليه (مولاي ســيرت ما رســمت به * وهو يســير المداد والورق) (وعز عندي تســيير ذاك وقد * شبهته بالخدود والحدق)

264 وقد ســـبق في ترجمة بهاء الدين ذكر بيتين كتبهما ابن مطروح إلى بهاء الدين وذكرت السبب في نظم ذينك البيتين على ما حكاه لي بهاء الدين ثم بعد ذلك وصـل إلى الديار المصـــرية من الموصـــل بعض الأدباء وجرى حديث ما ذكره لي بهاء الدين زهير وأنه أنشـدني بيت ابن الحلاوي وهو قوله (تجيزها وتجيز المادحين بها * فقل لنا أزهير أنت أم هرم) فقال ذلك الأديب هذه القصـــيدة أنشدنيها ناظمها ابن الحلاوي ونحن بالموصل وأروي عنه هذا البيت على خلاف هذه الرواية فإنه أنشـــدني (تجيدها

ثم تجدو من أتاك بها * فقل لنا أزهير أنت أم هرم) فما أدري هل ابن الحلاوي أنشـــدها أولا كما رواه بهاء الدين زهير ثم غير البيت كما رواه هذا الأديب أم حصـــل الغلط لأحدهما والله تعالى أعلم مع أن كل واحد من الطريقين حسن وقصة زهير بن أبي سلمى المزني الشاعر الجاهلي المشهور معلومة فلا حاجة إلى شرحها والخروج عما نحن بصـــدده فإنه كان يمدح هرم بن ســـنان المري أحد أمراء العرب في الجاهلية وكان هرم كثير العطاء له حتى آلى على نفســه أنه لا يسلم عليه زهير إلا أعطاه غرة من ماله فرســـا أو بعيرا أو عبدا أو أمة فأجحف ذلك بهرم فجعل زهير يمر بالجماعة فيهم هرم فيقول عموا صـــباحا خلا هرما وخيركم تركت

265 ونعود إلى ما كنا فيه من حديث ابن مطروح بلغني أنه كتب قبل ارتفاع درجته رقعة تتضمن شفاعة في قضـاء شـغل بعض أصـحابه أرسـلها إلى بعض الرؤسـاء فكتب ذلك الرئيس في جوابه هذا الأمر فيه علي مشـــقة فكتب جوابه ثانيا لولا المشقة فلما وقف عليها ذلك الرئيس قضى شغله وفهم ما قصده وهو قول المتنبي (لولا المشقة ســـاد الناس كلهم * الجود يفقر والإقدام قتال) وهذا من لطيف الإشارات وأنشدني الأديب الفاضل جمال الدين أبو الحســين يحيى بن عبد العظيم ابن يحيى بن محمد بن علي المعروف بالجزار المصـري قصـيدة بديعة مدح بها جمال الدين ابن مطروح المذكور وهي بديعة طويلة فاقتصـــرت

منها على ذكر غزلها وهو هذا (هو ذا الربع ولي نفس مشوقه * فاحبس الركب عسى أقضي حقوقه) (فقبيح بي في شـــرع الهوى * بعد ذاك البر أن أرضـــى عقوقه) (لسـت أنسـى فيه ليلات مضـت * مع من أهوى وسـاعات أنيقه) (ولئن أضحى مجازا بعدهم * فغرامي فيه ما زال حقيقه) (يا صـــديقي والكريم الحر في * مثل هذا الوقت لا ينسى صديقه) (ضع يدا منك على قلبي عسى * أن تهدي بين جنبي خفوقه) (فاض دمعي مذ رأى ربع الهوى * ولكم فاض وقد شـــام بروقه) (نفد اللؤلؤ من أدمعه * فغدا ينثر في الترب عقيقه) (قف معي واستوقف الركب فإن * لم يقف فاتركه يمضي وطريقه)

266 (فهي أرض قلما يلحقها * آمل والركب لم أعدم لحوقه) (طالما اســتجليت في أرجائها * من يتيه البدر إذ يدعى شــقيقه) (يفضـــح الورد احمرارا خده * وتود الخمر لو تشـبه ريقه) (فبه الحسـن خليق لم يزل * والمعالي بابن مطروح خليقه) وكانت ولادته يوم الاثنين ثامن رجب سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة بأسيوط وتوفي ليلة الأربعاء مستهل شـعبان سـنة تسع وأربعين وسـتمائة بمصـر ودفن بسـفح الجبل المقطم وحضـرت الصـلاة عليه ودفنه وأوصـــى أن يكتب عند رأســـه دوبيت نظمه في مرضـه وهو (أصـبحت بقعر حفرة مرتهنا * لا أملك من دنياي إلا كفنا) (يا من وسعت عباده رحمته * من بعض عبادك المسيئين أنا) ومما ذكر أنه وجد في رقعة مكتوبة

تحت رأســـه بعد موته (أتجزع م الموت هذا الجزع *
ورحمة ربك فيها الطمع) (ولو بذنوب الورى جئته *
فرحمته كل شيء تسع) رحمه الله تعالى (330) وتوفي
قاضي القضاة بدر الدين يوسف المذكور يوم السبت رابع
عشر رجب سنة ثلاث وستين وستمائة بالقاهرة ودفن في
تربته المجاورة لمدرســـته بالقرافة الصـــغرى وأخبرني
مرارا عديدة أنه ولد في شـــهر ربيع الأول ســـنة ثمان
وخمسمائة في جبال إربل وهو زرزاري النسب رحمه الله
تعالى وأسيوط بضم الهمزة وسكون السين المهملة وضم
الياء المثناة من تحتها وبعدها واو ســـاكنة ثم طاء مهملة
وهي بليدة بالصـــعيد الأعلى من ديار مصـــر ومنهم من
يسقط الهمزة ويضم السين فيقول سيوط والله تعالى أعلم
267 812 ابن جزلة صاحب المنهاج أبو علي يحيى
بن عيســـى بن جزلة الطبيب صـــاحب كتاب المنهاج الذي
رتبه على الحروف وجمع فيه أســـماء الحشـــائش والعقاقير
والأدوية وغير ذلك شـــيئا كثيرا كان نصـــرانيا ثم أســـلم
وصـــنف رســـالة في الرد على النصـــارى وبيان عوار
مذاهبهم ومدح فيها الإســـلام وأقام الحجة على أنه الدين
الحق وذكر فيها ما قرأه في التوراة والإنجيل من ظهور
النبي وأنه نبي مبعوث وأن اليهود والنصـــارى أخفوا ذلك
ولم يظهروه ثم ذكر فيها معايب اليهود والنصـــارى وهي
رســـالة حســـنة أجاد فيها وقرئت عليه في ذي الحجة ســـنة
خمس وثمانين وأربعمائة وكان سبب إسلامه أنه كان يقرأ

على أبي علي ابن الوليد المعتزلي ويلازمه فلم يزل يدعوه إلى الإسلام ويذكر له الدلائل الواضحة حتى هداه الله تعالى وحسن إسلامه وهو تلميذ أبي الحسن سعيد ابن هبة الله بن الحســـن وبه انتفع في الطب وكان له نظر في علم الأدب وكتب الخط الجيد وصـــنف للإمام المقتدي بأمر الله كثيرا من الكتب فمن ذلك كتاب تقويم الأبدان وكتاب منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان وكتاب الإشارة قي تلخيص العبارة ورسالة في مدح الطب وموافقته للشرع والرد على من طعن عليه ورسالة كتبها إلى إليا القس لما أسلم وغير ذلك من التصـــانيف وهو من المشـــاهير في علم الطب وعمله وذكره أبو المظفر يوســـف ســـبط أبي الفرج ابن الجوزي في تاريخه الذي ســـماه مرآة الزمان فقال إنه لما أسلم استخلفه أبو الحسن القاضي ببغداد في كتب السجلات وكان يطبب

268 أهل محلته ومعارفه بغير أجرة ويحمل إليهم الأشربة والأدوية بغير عوض ويتفقد الفقراء ويحسن إليهم ووقف كتبه قبل وفاته وجعلها في مشـهد أبي حنيفة رضـي الله عنه ذكر هذا كله في ســنة ثلاث وتســعين وأربعمائة وعادته أن يذكر الإنسان ويشرح أحواله في سنة وفاته فإن كتابه مرتب على الســنين وذكر صــاحب كتاب البســتان الجامع لتواريخ الزمان أن ابن جزلة مات ســنة ثلاث وتســعين وأربعمائة وزاد أبو الحســن الهمذاني في أواخر شعبان نقله عنه ابن النجار في تاريخ بغداد وذكر غيره أن

إسلامه كان في سنة ست وستين وأربعمائة زاد ابن النجار في تاريخه يوم الثلاثاء حادي عشــر جمادى الآخرة رحمه الله تعالى وجزلة بفتح الجيم وســـكون الزاي وفتح اللام وبعدها هاء ســـاكنة والله تعالى أعلم 813 الســـهروردي المقتول أبو الفتوح يحيى بن حبش بن أميرك الملقب شهاب الدين السهروردي الحكيم المقتول بحلب وقيل اسمه أحمد وقيل كنيته اســـمه وهو أبو الفتوح وذكر أبو العباس أحمد بن أبي أصـــيبعة الخزرجي الحكيم في كتاب طبقات الأطباء أن اسـم السـهروردي المذكور عمر ولم يذكر اسم أبيه والصـــحيح الذي ذكرته أولا فلهذا بنيت الترجمة عليه فـإني وجـدتـه بخط جمـاعـة من أهـل المعرفـة بهـذا الفن وأخبرني به جماعة أخرى لا أشك في معرفتهم

269 فقوي عندي ذلك فترجمت عليه والله أعلم كان المذكور من علماء عصـره قرأ الحكمة وأصـول الفقه على الشـــيخ مجـد الـدين الجيلي بمـدينـة المراغـة من أعمـال أذربيجـان إلى أن برع فيهمـا وهـذا مجـد الـدين الجيلي هو شيخ فخر الدين الرازي وعليه تخرج وبصـحبته انتفع وكان إماما في فنونه وقال في طبقات الأطباء كان الســهروردي المذكور أوحد أهل زمانه في العلوم الحكمية جامعا للفنون الفلســفية بارعا في الأصــول الفقهية مفرط الذكاء فصـــيح العبارة وكان علمه أكثر من عقله ثم ذكر أنه قتل في أواخر ســنة ســت وثمانين وخمســمائة والصـــحيح ما ســنذكره في أواخر هذه الترجمة إن شـــاء الله تعالى وعمره نحو ســـت

وثلاثين ســـنة ثم قال ويقال إنه كان يعرف علم الســـيمياء
وحكى بعض فقهاء العجم أنه كان في صـحبته وقد خرجوا
من دمشـــق قال فلما وصــلنا إلى القابون القرية التي على
باب دمشــق في طريق من يتوجه إلى حلب لقينا قطيع غنم
مع تركماني فقلنا للشيخ يا مولانا نريد من هذه الغنم رأسـا
نأكله فقال معي عشــرة دراهم خذوها واشـــتروا بها رأس
غنم وكان هناك تركماني فاشـتريـنا منه رأسـا بها ومشـينا
قليلا فلحقنا رفيق له وقال ردوا هذا الرأس خذوا أصـــغر
منه فإن هذا ما عرف يبيعكم يســاوي هذا الرأس أكثر من
ذلك وتقاولنا نحن وإياه فلما عرف الشـيخ ذلك قال لنا خذوا
الرأس وامشــوا وأنا أقف معه وأرضـيه فتقدمنا نحن وبقي
الشيخ يتحدث معه ويطيب قلبه فلما أبعدنا قليلا تركه وتبعنا
وبقي التركماني يمشـي خلفه ويصـيح به وهو لا يلتفت إليه
فلما لم يكلمه لحقه بغيظ و جذب يده اليســـرى و قال أين
تروح وتخليني وإذا بيد الشـــيخ قد انخلعت من عند كتفه
وبقيت في يـد التركمـاني ودمهـا يجري فبهـت التركمـاني
وتحير في أمره فرمى اليد وخاف فرجع الشـــيخ وأخذ تلك
اليد بيده اليمنى ولحقنا وبقي التركماني راجعا وهو يتلفت
270 إليه حتى غاب عنه ولما وصل الشيخ إلينا رأينا
في يده اليمنى منديلا لا غير قلت ويحكى عنه مثل هذا
أشـياء كثيرة والله أعلم بصــحتها وله تصـــانيف فمن ذلك
كتاب التنقيحات في أصـول الفقه وكتاب التلويحات وكتاب
الهياكل وكتاب حكمة الإشـــراق وله الرســـالة المعروفة

بالغربة الغريبة على مثال رسالة الطير لأبي علي ابن سينا ورسالة حي بن يقظان لابن سينا أيضا وفيها بلاغة تامة أشار فيها إلى حديث النفس وما يتعلق بها على اصطلاح الحكماء ومن كلامه الفكر في صورة قدسية يتلطف بها طالب الأريحية ونواحي القدس دار لا يطؤها القوم الجاهلون وحرام على الأجساد المظلمة أن تلج ملكوت السموات فوحد الله وأنت بتعظيمه ملآن واذكره وأنت من ملابس الأكوان عريان ولو كان في الوجود شمسان لانطمست الأركان فأبى النظام أن يكون غير ما كان (فخفيت حتى قلت لست بظاهر * وظهرت من سعتي على الأكوان) آخر (لو علمنا أننا ما نلتقي * لقضينا من سليمى وطرا) اللهم خلص لطيفي من هذا العالم الكثيف وتنسب إليه أشعار فمن ذلك ما قاله في النفس على مثال أبيات ابن سينا العينية وهي مذكورة في ترجمته في حرف الحاء واسمه الحسين فقال هذا الحكيم (خلعت هياكلها بجرعاء الحمى * وصبت لمغناها القديم تشوقا)
271 (وتلفتت نحو الديار فشاقها * ربع عفت أطلاله فتمزقا) (وقفت تسائله فرد جوابها * رجع الصدى أن لا سبيل إلى اللقا) (فكأنما برق تألق بالحمى * ثم انطوى فكأنه ما أبرقا) ومن شعره المشهور (أبدا تحن إليكم الأرواح * ووصالكم ريحانها والراح) (وقلوب أهل ودادكم تشتاقكم * وإلى لذيذ لقائكم ترتاح) (وارحمة للعاشقين تكلفوا * ستر المحبة والهوى فضاح)

(بالسـر إن باحوا تباح دماؤهم * وكذا دماء البائحين تباح
) (وإذا هم كتموا تحدث عنهم * عند الوشـاة المدمع
السـفاح) (وبدت شـواهد للسـقام عليهم * فيها لمشـكل
أمرهم إيضـاح) (خفض الجنـاح لكم وليس عليكم *
للصـب في خفض الجناح جناح) (فإلى لقاكم نفسـه
مرتاحة * وإلى رضـاكم طرفه طماح) (عودوا بنور
الوصل من غسق الجفا * فالهجر ليل والوصـال صباح)
(صـافاهم فصـفوا له فقلوبهم * في نور ها المشـكاة
والمصـباح) (وتمتعوا فالوقت طـاب بقربكم * راق
الشـراب ورقت الأقداح) (يا صـاح ليس على المحب
ملامة * إن لاح في أفق الوصـال صـباح) (لا ذنب
للعشـاق إن غلب الهوى * كتمانهم فنما الغرام وباحوا) (
سمحوا بأنفسهم وما بخلوا بها * لما دروا أن السماح رباح
)
272 (ودعاهم داعي الحقائق دعوة * فغدوا بها
مستأنسين وراحوا) (ركبوا على سنن الوفا فدموعهم *
بحر وشدة شوقهم ملاح) (والله ما طلبوا الوقوف ببابه *
حتى دعوا وأتاهم المفتاح) (لا يطربون بغير ذكر حبيبهم
* أبدا فكل زمانهم أفراح) (حضـروا وقد غابت شـواهد
ذاتهم * فتهتكوا لما رأوه وصـاحوا) (أفناهم عنهم وقد
كشفت لهم * حجب البقا فتلاشت الأرواح) (فتشبهوا إن
لم تكونوا مثلهم * إن التشـبه بالكرام فلاح) (قم يا نديم
إلى المدام فهاتها * في كاسـها قد دارت الأقداح) (من

كرم إكرام بدن ديانة * لا خمرة قد داسها الفلاح) وله في
النظم والنثر أشياء لطيفة لا حاجة إلى الإطالة بذكرها
وكان شافعي المذهب ويلقب بالمؤيد بالملكوت وكان يتهم
بانحلال العقيدة والتعطيل ويعتقد مذهب الحكماء المتقدمين
واشتهر ذلك عنه فلما وصل إلى حلب أفتى علماؤها بإباحة
قتله بسبب اعتقاده وما ظهر لهم من سوء مذهبه وكان أشد
الجماعة عليه الشيخين زين الدين ومجد الدين ابني جهبل
وقال الشيخ سيف الدين الآمدي المقدم ذكره في حرف
العين اجتمعت بالسهروردي في حلب فقال لي لا بد أن
أملك الأرض فقلت من أين لك هذا قال رأيت في المنام
كأني شربت ماء البحر فقلت لعل هذا يكون اشتهار العلم
وما يناسب هذا فرأيته لا يرجع عما وقع في نفسه ورأيته
كثير العلم قليل العقل ويقال إنه لما تحقق القتل كان كثير ما
ينشد (أرى قدمي أراق دمي * وهان دمي فها ندمي)
والأول مأخوذ من قول أبي الفتح علي بن محمد البستي
المقدم ذكره (إلى حتفي مشى قدمي * أرى قدمي أراق
دمي)
273 (فلم أنفك من ندم * وليس بنافعي ندمي)
وكان ذلك في دولة الملك الظاهر ابن السلطان صلاح
الدين رحمه الله فحبسه ثم خنقه بإشارة والده السلطان
صلاح الدين وكان ذلك في خامس رجب سنة سبع وثمانين
وخمسمائة بقلعة حلب وعمره ثمان وثلاثون سنة وذكره
القاضي بهاء الدين المعروف بابن شداد قاضي حلب في

أوائل سيرة صلاح الدين وقد ذكر حسن عقيدته فقال كان كثير التعظيم لشعائر الدين وأطال الكلام في ذلك ثم قال ولقد أمر ولده صاحب حلب بقتل شاب نشأ يقال له السهروردي قيل عنه إنه معاند للشرائع وكان قد قبض عليه ولده المذكور لما بلغه من خبره وعرف السلطان به فأمر بقتله فقتله وصلبه أياما ونقل سبط ابن الجوزي في تاريخه عن ابن شداد المذكور أنه قال لما كان يوم الجمعة بعد الصلاة سلخ ذي الحجة سنة سبع وثمانين وخمسمائة أخرج الشهاب السهروردي ميتا من الحبس بحلب فتفرق عنه أصحابه قلت وأقمت بحلب سنين للاشتغال بالعلم الشريف ورأيت أهلها مختلفين في أمره وكل واحد يتكلم على قدر هواه فمنهم من ينسبه إلى الزندقة والإلحاد ومنهم من يعتقد فيه الصلاح وأنه من أهل الكرامات ويقولون ظهر لهم بعد قتله ما يشهد له بذلك وأكثر الناس على أنه كان ملحدا لا يعتقد شيئا نسأل الله تعالى العفو العافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة وأن يتوفانا على مذهب أهل الحق والرشاد وهذا الذي ذكرته في تاريخ قتله هو الصحيح وهو خلاف ما نقلته في أول هذه الترجمة وقد قيل إن ذلك كان في سنة ثمان وثمانين وليس بشيء أيضا وحبش بفتح الحاء المهملة والباء الموحدة وبالشين المعجمة وأميرك بفتح الهمزة وبعدها ميم مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها ساكنة

274 وبعدها راء مفتوحة ثم كاف وهو اسم أعجمي معناه أمير تصغير أمير وهم يلحقون الكاف في آخر الاسم للتصغير وقد تقدم الكلام على سهرورد في ترجمة الشيخ أبي النجيب عبد القاهر السهروردي فليطلب منه إن شاء الله تعالى 814 يزيد بن القعقاع القارىء أبو جعفر يزيد بن القعقاع القارىء مولى عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي عتاقة ويعرف أبو جعفر المذكور بالمدني أخذ القراءة عرضا عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وعن مولاه عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة وعن أبي هريرة رضي الله عنه وسمع عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ومروان بن الحكم ويقال قرأ على زيد بن ثابت رضي الله عنه وروى القراءة عنه عرضا نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم وسليمان ابن مسلم بن جماز وعيسى بن وردان الحذاء وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وله قراءة قال أبو عبد الرحمن النسائي يزيد بن القعقاع ثقة وكان يقرىء الناس بالمدينة قبل وقعة الحرة وقال محمد بن القاسم المالكي أبو جعفر يزيد بن القعقاع مولى أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي قال ويقال إنه جندب بن فيروز مولى عبد الله بن عياش المخزومي وكان من أفضل الناس وقال سليمان بن مسلم أخبرني أبو جعفر يزيد بن القعقاع أنه كان يقرىء في مسجد رسول الله قبل الحرة وكانت الحرة على

275 رأس ثلاث وستين سنة من مقدم رسول الله المدينة وأخبرني أنه كان يمسك المصحف على مولاه عبد الله بن عياش وكان من أقرأ الناس وكنت أرى كل يوم ما يقرأ وأخذت عنه قراءته وأخبرني أنه أتي به إلى أم سلمة رضي الله عنها وهو صغير فمسحت على رأسه ودعت له بالبركة قال سليمان المذكور وسألته متى أقرأت القرآن فقال أقرأت أو قرأت فقلت لا بل أقرأت فقال هيهات قبل الحرة في زمان يزيد بن معاوية وكانت الحرة بعد وفاة رسول الله بثلاث وخمسين سنة وقال نافع بن أبي نعيم لما غسل أبو جعفر يزيد بن القعقاع القارىء بعد وفاته نظروا ما بين نحره إلى فؤاده مثل ورقة المصحف فما شك أحد ممن حضره أنه نور القرآن وقال سليمان بن مسلم أخبرني أبو جعفر يزيد بن القعقاع حين كان نافع يمر به فيقول أترى هذا كان يأتيني وهو غلام له ذؤابة فيقرأ علي ثم كفرني وهو يضحك قال سليمان وقالت أم ولد أبي جعفر إن ذلك البياض الذي كان بين نحره وفؤاده صار غرة بين عينيه وقال سليمان رأيت أبا جعفر بعد موته في المنام وهو على الكعبة فقلت له أبا جعفر قال نعم اقرىء إخواني عني السلام وأخبرهم أن الله تعالى جعلني من الشهداء الأحياء المرزوقين واقرىء أبا حازم السلام وقل له يقول لك أبو جعفر الكيس الكيس فإن الله عز و جل وملائكته يتراءون مجلسك بالعشيات وقال مالك بن أنس رحمه الله تعالى كان أبو جعفر القارىء رجلا صالحا بفتي الناس

بـالمـدينـة وقـال خليفـة بن خيـاط مـات أبو جعفر يزيـد بن القعقاع سـنـة اثنتين وثلاثين ومائة بالمدينة وقال غيره مات سنـة ثمان وعشرين ومائة وقال أبو علي الأهوازي في أول كتـاب الإقنـاع في القراءات قـال ابن جمـاز ولم يزل أبو جعفر إمـام النـاس في القراءة إلى أن توفي ســــنــة ثلاث وثلاثين ومائة بالمدينة

276 وقيل إنه توفي في ســنـة ثلاثين ومائة والله أعلم قلت وقد تكرر ذكر الحرة في هذه الترجمة في مواضع وقد يتشـــوف إلى الوقوف على معرفة ذلك من لا علم له به والحرة في الأصل اسم لكل أرض ذات حجارة سود فمتى كانت بـهذه الصــــفة قيل لـها حرة والحرار كثيرة والمراد بهذه الحرة حرة واقم بالقاف المكســــورة وهي بالقرب من المدينة في جهتها الشـــرقية كان يزيد بن معاوية بن أبي سفيان في مدة ولايته قد سير إلى المدينة جيشا مقدمه مسلم بن عقبة المري فنهبها وخرج أهلها إلى هذه الحرة فكانت الوقعة بها وجرى فيها ما يطول شـرحه وهو مسـطور في التواريخ حتى قيل إنه بعد وقعة الحرة ولدت أكثر من ألف بكر من أهل المدينة ممن ليس لهن أزواج بســبب ما جرى فيها من الفجور ثم إن مســـلم بن عقبة المري لما قتل أهل المدينة وتوجه إلى مكة نزل به الموت بموضع يقال له ثنية هرشــى فدعا حصـين بن نمير السـكوني وقال له يا برذعة الحمـار إن أمير المؤمنين عهد إلي إن نزل بي الموت أن أوليك وأكره خلافه عند الموت ثم إنه أوصــــى إليه بأمور

يعتمدها ثم قال لئن دخلت النار بعد قتلي أهل الحرة إني إذا لشقي وأما واقم فإنه اسم أطم من آطام المدينة والأطم بضم الهمزة والطاء المهملة شبيه بالقصر وكان مبنيا عند هذه الحرة فأضيفت الحرة إليه فقيل حرة واقم والله أعلم

277 815 يزيد بن رومان أبو روح يزيد بن رومان القارىء مولى آل الزبير بن العوام المدني أخذ القراءة عرضا عن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي وسمع ابن عباس وعروة بن الزبير رضي الله عنهم وروى القراءة عنه عرضا نافع ابن أبي نعيم قال يحيى بن معين يزيد بن رومان ثقة وقال وهب بن جرير حدثنا أبي قال رأيت محمد بن سيرين ويزيد بن رومان يعقدان الآي في الصلاة وقال يزيد بن رومان كنت أصلي إلى جنب نافع بن جبير بن مطعم فيغمزني فأفتح عليه ونحن نصلي وروى يزيد أنه كان الناس يقومون في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بثلاث وعشرين ركعة في شهر رمضان وتوفي يزيد في سنة ثلاثين ومائة رحمه الله تعالى ورومان بضم الراء وسكون الواو وبعدها ميم ثم ألف ونون

278 816 يزيد بن المهلب أبو خالد يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي قد تقدم ذكر أبيه في حرف الميم ورفعت نسبه وتكلمت عليه فأغنى عن الإعادة هاهنا ذكر ابن قتيبة في كتاب المعارف وجماعة من المؤرخين أنه لما مات أبوه في التاريخ المذكور في ترجمته كان قد استخلف

ولده يزيد مكانه ويزيد ابن ثلاثين ســـنة يومئذ فعزله عبد
الملك بن مروان برأي الحجاج بن يوســـف الثقفي وولى
مكانه في خراســـان قتيبة بن مســـلم الباهلي قلت وقد تقدم
ذكره في حرف القاف وصـــار يزيد في يد الحجاج قلت
وكان الحجاج زوج أخته هند بنت المهلب وكان الحجاج
يكره يزيد لما يرى فيه من النجابة فيخشـــى منه لا يترتب
مكانه فكان يقصـده بالمكروه في كل وقت كي لا يثب عليه
وكان الحجاج في كل وقت يسأل المنجمين ومن يعاني هذه
الصـــناعة عمن يكون مكانه فيقولون رجل اسـمه يزيد فلا
يرى من هو أهل لذلك سوى يزيد المذكور والحجاج يومئذ
أمير العراقين وكذا وقع فإنه لما مات الحجاج ولي يزيد
مكانـه هـذا قول المؤرخين نعود إلى تتمـة مـا ذكره في
المعارف قال فعذبه الحجاج وهرب يزيد من حبســـه إلى
الشام يريد سليمان بن عبد الملك فأتاه فشفع له إلى أخيه
279 الوليد بن عبد الملك فأمنه وكف عنه ثم ولاه
سـليمان خراسـان حين أفضـت إليه الخلافة فافتتح جرجان
ودهســـتان وأقبل يريد العراق فتلقاه موت ســـليمان ابن عبد
الملك فصـــار إلى البصـــرة فأخذه عدي بن أرطأة فأوثقه
وبعث به إلى عمر بن عبد العزيز رضـــي الله عنه فحبســـه
عمر فهرب من حبســـه وأتى البصـــرة ومات عمر فخالف
يزيد وخلع يزيد بن عبد الملك فوجه إليه أخاه مسـلمة فقتله
وقال الحافظ أبو القاسم المعروف بابن عساكر في تاريخه
الكبير يزيد بن المهلب ولي إمرة البصـرة لسـليمان بن عبد

الملك ثم نزعه عمر بن عبد العزيز وولى عدي بن أرطأة وقدم به على عمر مسخوطا عليه حكى عن أنس بن مالك وعمر بن عبد العزيز وأبيه المهلب وروى عنه ابنه عبد الرحمن وأبو عيينة ابن المهلب وأبو إسحاق السبيعي وغيرهم وقال الأصمعي إن الحجاج قبض على يزيد وأخذه بسوء العذاب فسأله أن يخفف عنه العذاب على أن يعطيه كل يوم مائة ألف درهم فإن أدا ها وإلا عذبه إلى الليل قال فجمع يوما مائة ألف درهم ليشتري بها عذابه في يومه فدخل عليه الأخطل الشاعر فقال (أبا خالد بادت خراسان بعدكم * وصاح ذوو الحاجات أين يزيد) (فلا مطر المروان بعدك مطرة * ولا اخضر بالمروين بعدك عود) (فما لسرير الملك بعدك بهجة * ولا لجواد بعد جودك جود) قوله في البيت الثاني فلا مطر المروان ولا اخضر بالمروين هما تثنية مرو إحداهما مرو الشاهجان وهي العظمى والأخرى مرو الروذ وهي الصغرى وكلتاهما مدينتان مشهورتان بخراسان وقد تكرر ذكرهما في هذا الكتاب قال فأعطاه مائة الألف فبلغ ذلك الحجاج فدعا به وقال يا مروزي أكل هذا الكرم وأنت بهذه الحالة قد وهبت لك عذاب اليوم وما بعده

280 قلت هكذا ذكر ابن عساكر والمشهور أن صاحب هذه الواقعة والأبيات هو الفرزدق ثم إني رأيت هذه الأبيات في ديوان زياد الأعجم والله أعلم بالصواب وذكر الحافظ أيضا أن يزيد لما هرب من الحجاج قاصدا

سليمان بن عبد الملك وهو يومئذ بالرملة فاجتاز في طريقه بالشام على أبيات عرب فقال لغلامه استقنا هؤلاء لبنا فأتاه بلبن فشـــربه فقال أعطهم ألف درهم فقال الغلام إن هؤلاء لا يعرفونك قال لكني أعرف نفســـي أعطهم ألف درهم فأعطاهم وقال الحافظ أيضـــا حج يزيد بن المهلب فطلب حلاقا فجاء فحلق رأســه فأمر له بألف درهم فتحير ودهش وقال هذا الألف أمضي إلى أمي فلانة أشتريها فقال أعطوه ألفا آخر فقال امرأتي طالق إن حلقت رأس أحد بعدك فقال أعطوه ألفين آخرين وقال المدائني وكان ســعيد بن عمرو بن العاص مؤاخيا ليزيد بن المهلب فلما حبس عمر بن عبد العزيز يزيد منع الناس من الدخول إليه فأتاه ســعيد فقال يا أمير المؤمنين لي على يزيد خمســون ألف درهم وقد حلت بيني وبينه فإن رأيت أن تأذن لي فأقتضـــيه فأذن له فدخل عليه فسر به يزيد وقال كيف دخلت إلي فأخبره سعيد فقال والله لا تخرج إلا وهي معك فامتنع ســـعيد فحلف يزيد ليقبضـــنها فوجه إلى منزله حتى حمل إلى ســعيد خمســون ألف درهم وزاد ابن عساكر فقال وفي ذلك قال بعضهم (فلم أر محبوســا من الناس ماجدا * حبا زائرا في الســجن غير يزيد) (سعيد بن عمرو إذ أتاه أجازه * بخمسين ألفا عجلت لســـعيد) وذكر أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني في كتاب الجليس والأنيس عن عبد الله الكوفي قال أغرم سليمان بن عبد الملك عمر بن هبيرة عن غزاة

281 في البحر ألف ألف درهم فمشـــى إلى يزيد بن المهلب وقد ولي العراق عثمان بن حيان المري والقعقاع بن خالد العبســـي والهذيل بن زفر بن الحارث الكلابي وغيرهم من قيس فلما انتهوا إلى باب سرادق يزيد أذن لهم الحاجب في دخولهم وأعلمهم أنه يغســـل رأســـه فلما فرغ خرج في مســـتقة فألقى نفســـه على فراشـــه ثم قال ما ألف بينكم فقال عثمان هذا ابن هبيرة شـيخنا وسـيدنا كان الوليد حمل معه مالا حيث وجه إلى البحر فأعطاه جنده فخرج عليه من غرمه ألف ألف درهم فقلنا يزيد ســـيد أهل اليمن ووزير لســـليمان وصـــاحب العراق ومن قد يحمل أمثالها عمن ليس بأمثالنا ووالله لو وســـعتها أموال قيس لاحتملناها ثم تكلم القعقاع فقال يا ابن المهلب هذا خير ســـاقه الله إليك وليس أحد أولى به منك فافعل به كبعض فعلاتك الأولى فلن يصدك عن قضاء هذا الحق ضيق ولا تبخل وقد أتيناك مع ابن هبيرة فيما حمل فهب لنا أموالنا واســـتر في العرب عورتنا ثم تكلم الهذيل بن زفر فقال يا ابن المهلب إني لو وجدت من الممشـــى إليك بدا لما مشـــيت إليك لأن أموالك بالعراق وإنما أتيتنا خائفا ثم أقمت فينا ضـــيفا ثم تخرج من عندنا محروسا وايم الله لئن تركناك بالشام لنأتينك بالعراق وما هاهنا أقرب في الحظوة وأوجب للذمام ثم تكلم ابن خيثمة فقال إني لأقول لك يا ابن المهلب ما قال هؤلاء أخبرني إن أنت عجزت عن احتمال ما على ابن هبيرة فعلى من المعول لا والله ما عند قيس له مكيال ولا في

أموالهم متسع ولا عند الخليفة له فرج ثم تكلم ابن هبيرة فقال أما أنا فقد قضيت حاجتي رددت أم أنجحت لأنه ليس لي أمامك متقدم ولا خلفك متأخر و هذه حاجة كانت في نفسي فقضيتها فضحك يزيد بن المهلب وقال إن التعذر أخو البخل ولا اعتذار فاحتكموا فقال القعقاع نصف المال فقال يزيد قد فعلت يا غلام غذاءك قال فجيء بالطعام
282 فأبقينا أكثر مما أفرغنا فلما فرغنا أمر بتطييبنا وأجاد الكسوة لنا قال ثم خرجنا حتى إذا مررنا قال ابن هبيرة فأخبروني عما بقي من يحمله بعد ابن المهلب لقد صغر الله أقداركم وأخطاركم والله ما يدري يزيد ما بين النصف والتمام وما هما عنده إلا سواء ارجعوا إليه فكلموه في الباقي قال وقد كان يزيد ظن بهم أن سيرجعون إليه في التمام فقال للحاجب إذا عادوا فأدخلهم فلما عادوا أدخلهم فقال لهم يزيد إن ندمتم أقلناكم وان استقللتم زدناكم فقال له ابن هبيرة يا ابن المهلب إن البعير إذا أوقر أثقلته أذناه وأنا بما بقي مثقل فقال قد حملتها عنك ثم ركب إلى سليمان فقال يا أمير المؤمنين إنك إنما رشحتني لتبلغ بي وإني لا أضيق عن شيء اتسع له مالك وما في أيدينا فواضلك يصطنع بها الناس وتبنى بها المكارم ولولا مكانك قلقنا بالصغير ثم قال له أنه أتاني ابن هبيرة بوجوه أصحابه فقال له سليمان أمسك اياك في مال الله عنده خب ضب جموع منوع جزوع هلوع هيه فصنعت ماذا قال حملتها عنه قال احملها إذن إلى بيت مال المسلمين قال والله ما

حملتها خدعة وأنا حاملها بالغداة ثم حملها فلما أخبر سليمان بذلك دعا يزيد فلما رآه ضحك وقال ذكت بك ناري ووريت بك زنادي غرمها علي وحمدها لك قد وفت لي يميني فأرجع المال إليك ففعل وقال يزيد يوما والله للحياة أحب من الموت ولثناء حسن أحب إلي من الحياة ولو أني أعطيت ما لم يعطه أحد لأحببت أن يكون لي أذن أسمع غدا ما يقال في إذا أنا مت كريما وقد سبق ذكر هذا الكلام في ترجمة أبيه المهلب وأنه من كلامه لا من كلام ابنه يزيد والله أعلم وقال أبو الحسن المدائني باع وكيل ليزيد بن المهلب بطيخا جاءه من مغل بعض أملاكه بأربعين ألف درهم فبلغ ذلك يزيد فقال له تركتنا بقالين

283 أما كان في عجائز الأزد من تقسمه فيهن ومدحه عمر بن لجأ بشعر يقول فيه (آل المهلب قوم إن نسبتهم * كانوا الأكارم آباء وأجدادا) (كم حاسد لهم يعيا بفضلهم * وما دنا من مساعيهم ولا كادا) (إن العرانين تلقاها محسدة * ولا ترى للئام الناس حسادا) (لوقيل للمجد حد عنهم وخلهم * بما احتكمت من الدنيا لما حادا) (إن المكارم أرواح يكون لها * آل المهلب دون الناس أجسادا) وقال الأصمعي قدم على يزيد بن المهلب قوم من قضاعة فقال رجل منهم (والله ما ندري إذا ما فاتنا * طلب لديك من الذي نتطلب) (ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد * أحدا سواك إلى المكارم ينسب) (فاصبر لعادتك التي عودتنا * أو لا فأرشدنا إلى من نذهب) فأمر له

بألف دينار فلما كان في العام المقبل وفد عليه فأنشده (ما
لي أرى أبوابهم مهجورة * وكأن بابك مجمع الأسواق) (
حابوك أم هابوك أم شاموا الندى * بيدك فانتجعوا من
الآفاق) (إني رأيتك للمكارم عاشقا * والمكرمات قليلة
العشاق) فأمر له بعشرة آلاف درهم وأجمع علماء
التاريخ على أنه لم يكن في دولة بني أمية أكرم من بني
المهلب كما لم يكن في دولة بني العباس أكرم من البرامكة
والله أعلم وكان لهم في الشجاعة أيضا مواقف مشهورة
وحكى ابن الجوزي في كتاب الأذكياء أن يزيد بن المهلب
وقعت
284 عليه حية فلم يدفعها عن نفسه فقال له أبوه
ضيعت العقل من حيث حفظت الشجاعة ولما خرج عبد
الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي على الحجاج
وقصته مشهورة أتى تستر فاجتمع إليه جماعة فذكروا
يوما آل المهلب ووقعوا فيهم فقال عبد الرحمن لحريش بن
هلال القريعي وكان في القوم ما لك يا أبا قدامة لا تتكلم
فقال والله ما أعلم أحدا أصون لنفسه في الرخاء ولا أبذل
لها في الشدة منهم وقدم عبد الرحمن بن سليم الكلبي على
المهلب فرأى بنيه قد ركبوا عن آخرهم فقال أنس الله
الإسلام بتلاحقكم أما والله لئن لم تكونوا أسباط نبوة إنكم
لأسباط ملحمة ومات ابن لحبيب بن المهلب بن أبي صفرة
فقدم أخاه يزيد ليصلي عليه فقيل له أتقدمه وأنت أسن منه
والميت ابنك فقال إن أخي قد شرفه الناس وشاع فيهم له

الصيت ورمته العرب بأبصارها فكرهت أن أضع منه ما رفعه الله تعالى ونظر مطرف بن عبد الله بن الشخير إلى يزيد بن المهلب وهو يمشي وعليه حلة يسحبها فقال له ما هذه المشية التي يبغضها الله ورسوله فقال يزيد أما تعرفني فقال بلى أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت بين ذلك حامل عذرة قلت وقد نظم هذا المعنى أبو محمد عبد الله بن محمد البسامي الخوارزمي فقال (عجبت من معجب بصورته * وكان من قبل نطفة مذره) (وفي غد بعد حسن صورته * يصير في الأرض جيفة قذره) (وهو على عجبه ونخوته * ما بين ثوبيه يحمل العذره) (331) وذكر الحافظ المعروف بابن عساكر في تاريخه الكبير في ترجمة أبي خداش مخلد بن يزيد بن المهلب أن مخلدا أحد الأسخياء الممدوحين وفد على

285 عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يكلمه في أمر أبيه يزيد وقد حبسه عمر وكان أبوه قد ولاه جرجان فاجتاز في طريقه بالكوفة فأتاه حمزة بن بيض الحنفي الشاعر المشهور في جماعة من أهل الكوفة فقام بيد يديه وأنشده (أتيناك في حاجة فاقضها * وقل مرحبا يجب المرحب) (ولا لا تكلنا إلى معشر * متى يعدوا عدة يكذبوا) (فإنك في الفرع من أسرة * لهم خضع الشرق والمغرب) (وفي أدب فيهم ما نشأت * فنعم لعمرك ما أدبوا) (بلغت لعشر مضت من سنيك * ما بلغ السيد الأشيب) (فهمك فيها جسام الأمور * وهم لداتك أن

يلعبوا) (وجدت فقلت ألا سائل * فيسأل أو راغب يرغب) (فمنك العطية للسائلين * وممن ببابك أن يطلبوا) فقال له هات حاجتك فقضـــاها وقيل أمر له بمائة ألف درهم وقدم على مخلد رجل كان قد زاره قبل ذلك فأجازه وقضى حقه فلما عاد إليه قال له مخلد ألم تكن أتيتنا فأجزناك قال بلى قال فماذا ردك قال قول الكميت فيك (سـألناه الجزيل فما تلكا * وأعطى فوق منيتنا وزادا) (فأعطى ثم أعطى ثم عدنا * فأعطى ثم عدت له فعادا) (مرارا ما أعود إليه إلا * تبسم ضـاحكا وثنى الوسـادا) فأضـعف له ما كان أعطاه وقال قبيصـة بن عمر المهلبي كان يزيد بن المهلب قد فتح جرجان وطبرسـتان وأخذ صـول وهو رئيس من رؤسائهم قلت كان صاحب جرجان

286 وهو جد إبراهيم بن العباس الصولي وأبي بكر محمد بن يحيى الصـولي الأديبين الشـاعرين المشـهورين قال فأصـاب يزيد أموالا كثيرة وعروضـا كثيرة فكتب إلى سليمان بن عبد الملك إني قد فتحت طبرستان وجرجان ولم يفتحهما أحد من الأكاسـرة ولا أحد ممن كان بعدهم غيري وإني باعث إليك بقطران عليها الأموال والهدايا يكون أولها عندك وآخرها عندي فلما مات سـليمان وأفضـت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز رضـي الله عنه بعده أخذه عمر بهذه العدة لسـليمان فحبسـه فقدم ابنه مخلد على عمر قال قبيصـة المهلبي وهب مخلد من لدن خروجه من مرو الشـاهجان إلى أن ورد دمشـق ألف ألف درهم فلما أراد

مخلد الدخول على عمر لبس ثيابا مستنكرة وقلنسوة لاطية فقال له عمر لقد شــمرت فقال له إذا شــمرتم شــمرنا وإذا أسبلتم أسبلنا ثم قال له ما بالك قد وسع الناس عفوك حبست هذا الشيخ فإن تكن عليه بينة عادلة فاحكم عليه وإلا فيمينه أو فصــالحه على ضــياعه فقال يزيد أما اليمين فلا تتحدث العرب أن يزيد بن المهلب صبر عليها ولكن ضياعي فيها وفاء لما يطلب ومات مخلد وهو ابن سبع وعشرين سنة فقال عمر لو أراد الله بهذا الشــيخ خيرا لأبقى له هذا الفتى ويقال إن مخلد بن يزيد أصابه الطاعون فمات وصلى عليه عمر بن عبد العزيز رضــي الله عنه ثم قال اليوم مات فتى العرب وأنشــد متمثلا (على مثل عمرو تذهب النفس حسرة * وتضحي وجوه القوم مغبرة سودا) ورثاه حمزة بن بيض الحنفي المقدم ذكره بأبيات منها (وعطلت الأســرة منك إلا * ســريرك يوم تحجب بالثياب) (وآخر عهدنا بك يوم يحثى * عليك بدابق ســهل التراب) وقال الفرزدق يرثيه (وما حملت أيديهم من جنازة * ولا ألبست أثوابها مثل مخلد)

287 (أبوك الذي تستهزم الخيل باسمه * وإن كان فيها قيد شهر مطرد) (وقد علموا إذ شد حقويه أنه * هو الليث ليث الغاب لا بالمعرد) قلت وهذا يدل على أن مخلد بن يزيد مات في حدود سنة مائة للهجرة لأن عمر بن عبد العزيز ولي الخلافة في صفر سنة تسع وتسعين وتوفي في رجب سنة إحدى ومائة وقد مات عنده وصلى عليه ويدل

على أن موت مخلد كان بدابق ما تقدم من مرثية حمزة بن بيض ودابق قرية من أعمال حلب من جانبها الشـــمالي وإليها ينسب المرج الذي يقال له مرج دابق وبه كانت وفاة سليمان بن عبد الملك وقبره هناك مشهور ونعود إلى ذكر يزيد قال أبو جعفر الطبري في تاريخه الكبير إن المغيرة بن المهلب كان نائبا عن أبيه بمرو وعمله كله ومات في رجب ســـنة اثنتين وثمانين كما ذكرناه في ترجمة المهلب فأتى الخبر يزيد وعلم أهل المعســـكر ولم يعلموا المهلب وأحب يزيد أن يعلمه من النسـاء فصـرخن فقال المهلب ما هذا فقيل مات المغيرة فاســترجع وجزع حتى ظهر جزعه عليه فلامه بعض خاصته فدعا يزيد فوجه إلى مرو وجعل يوصيه بما يعمل ودموعه تنحدر على لحيته وكتب الحجاج إلى المهلب يعزيه عن المغيرة وكان ســـيدا (332) قلت وكان للمغيرة ابن اســـمه بشـــر ذكره أبو تمام الطائي في كتاب الحماســة في الباب الأول وأورد من شـعره قوله في يزيد (جفاني يزيد والمغيرة قد جفا * وأمســى يزيد لي قد أزور جانبه)
288 (وكلهم قد نال شـبعا لبطنه * وشـبع الفتى لؤم إذا جاع صـــاحبه) (فيا عم مهلا واتخذني لنوبة * تنوب فإن الدهر جم نوائبه) (أنا الســيف إلا أن للسـيف نبوة * ومثلي لا تنبو عليك مضـــاربه) (على أي باب أبتغي الإذن بعد ما * حجبت عن الباب الذي أنا حاجبه) رجعنا إلى تتمـة كلام الطبري وكـان المهلـب يوم مـات المغيرة

مقيما بكش وراء النهر لحرب أهلها فسار يزيد في ستين فارسا فلقيهم خمسمائة من الترك في المفازة وحاصل الأمر أنه جرى بينهم قتال شديد ورمي يزيد في ساقه ثم إن المهلب صالح أهل كش على فدية وانصرف عنهم متوجها إلى مرو فلما وصل إلى زاغول قرية من أعمال مرو الروذ أصابته الشوصة فدعا ولده حبيبا ومن حضر من ولده ودعا بسهام فحزمت وقال أفترونكم كاسريها مجتمعة فقالوا لا قال أفترونكم كاسريها مفترقة قالوا نعم قال هكذا الجماعة ثم أوصاهم وصية طويلة لا حاجة إلى ذكرها ثم قال في آخرها وقد استخلفت يزيد وجعلت حبيبا على الجند حتى يقدم بهم على يزيد فلا تخالفوا يزيد فقال له ولده المفضل لو لم تقدمه لقدمناه ومات المهلب حسبما شرحناه في ترجمته وأوصى إلى حبيب فصلى عليه حبيب ثم سار إلى مرو فكتب يزيد إلى عبد الملك بوفاة المهلب واستخلافه إياه فأقره الحجاج ثم إنه عزله في سنة خمس وثمانين واستعمل أخاه المفضل وكان سبب ذلك أن الحجاج وفد على عبد الملك فمر في منصرفه بدير فنزله فقيل له إن بهذا الدير شيخا من أهل الكتب عالما فدعا به وقال يا شيخ هل تجدون في كتبكم ما أنتم فيه ونحن فقال نعم نجد ما مضى
289 من أمركم وما أنتم فيه وما هو كائن قال أفمسمى أم موصوفا قال كل ذلك موصوف بغير اسم واسم بغير صفة قال فما تجدون صفة أمير المؤمنين قال نجده

في زمانها الذي نحن فيه أنه ملك أقرع من يقم لسبيله يصرع قال ثم من قال رجل يقال له الوليد قال ثم ماذا قال رجل اسمه اسم نبي يفتح به على الناس قلت وهو سليمان بن عبد الملك قال أفتعلم ما ألي قال نعم قال فمن يليه بعدي قال رجل يقال له يزيد قال في حياتي أم بعد موتي قال لا أدري قال أفتعرف صفته قال يغدر غدرة لا أعرف غير هذا قال فوقع في نفسه أنه يزيد بن المهلب وارتحل فسار سبعا وهو وجل من قول الشيخ وقدم فكتب إلى عبد الملك يستعفيه من العراق فكتب إليه قد علمت الذي تغزو وأنك تريد أن تعلم رأيي فيك ثم إن الحجاج أجمع على عزل يزيد فلم يجد لذلك سببا حتى قدم الخيار بن سبرة وكان من فرسان المهلب وكان مع يزيد فقال له الحجاج أخبرني عن يزيد فقال حسن الطاعة لين السيرة قال كذبت اصدقني عنه فقال الله أجل وأعظم قد أسرج ولم يلجم قال صدقت واستعمل الخيار على عمان بعد ذلك ثم كتب إلى عبد الملك يذم يزيد وآل المهلب وخلاصة الأمر أنه كرر القول مع عبد الملك في ذلك إلى أن كتب إليه عبد الملك قد أكثرت في يزيد وآل المهلب فسم لي رجلا يصلح لخراسان فسمى له مجاعة بن سعد السعدي فكتب إليه عبد الملك إن رأيك الذي دعاك إلى استفساد آل المهلب هو الذي دعاك إلى مجاعة بن سعد السعدي فانظر لي رجلا حازما ماضيا لأمرك فسمى قتيبة بن مسلم الباهلي فكتب إليه وله فبلغ

يزيد أن الحجاج عزله فقال لأهل بيته من ترون الحجاج يولي خراسان قالوا رجلا من ثقيف قال
290 كلا والله ولكنه يكتب إلى رجل منكم بعهده فإذا قدمت عليه ولى غيره وأخلق بقتيبة بن مسلم قال فلما أذن عبد الملك للحجاج في عزل يزيد كره أن يكتب بعزله فكتب إليه أن استخلف أخاك المفضل وأقبل فاستشار يزيد حصين بن المنذر فقال له أقم واعتل فإن أمير المؤمنين حسن الرأي فيك وإنما أتيت من الحجاج فإن أقمت ولم تعجل رجوت أن يكتب إليه أن يقر يزيد فقال إنا أهل بيت بورك لنا في الطاعة وأنا أكره المعصية والخلاف وأخذ في الجهاز فأبطأ ذلك على الحجاج فكتب إلى أخيه المفضل إني قد وليتك خراسان فجعل المفضل يستحث يزيد فقال له يزيد إن الحجاج لا يقرك بعدي وإنما دعاه إلى ما صنع مخافة أن أمتنع عليه قال بل حسدتني قال يزيد أنا لا أحسدك ولكن ستعلم وخرج يزيد في شهر ربيع الآخر سنة خمس وثمانين فعزل الحجاج المفضل وولى قتيبة بن مسلم الباهلي وقيل فيروز بن حصين وقال حصين بن منذر ليزيد المذكور (أمرتك أمرا حازما فعصيتني * فأصبحت مسلوب الإمارة نادما) (فما أنا بالباكي عليك صبابة * وما أنا بالداعي لترجع سالما) فلما قدم قتيبة خراسان قال لحصين كيف قلت ليزيد قال قلت (أمرتك أمرا حازما فعصيتني * فنفسك ول اللوم إن كنت لائما) (فإن يبلغ الحجاج أن قد عصيته * فإنك تلقى أمره متفاقما

) قال فماذا أمرته به فعصاك قال أمرته أن لا يدع صفراء ولا بيضـــاء إلا حملها إلى الأمير وفي تولية قتيبة وعزل يزيد قال عبد الله بن همام الســلولي (أقتيب قد قلنا غداة أتيتنا * بدل لعمرك من يزيد أعور) (إن المهلب لم يكن كأبيكم * هيهات شأنكم أدق وأحقر)
291 (شـتان من بالصـنج أدرك والذي * بالسـيف شمر والحروب تسعر) (حولان باهلة الألى في ملكهم * مات الندى فيهم وعاش المنكر) قوله بدل أعور هذا مثل يضرب للمذموم يتولى بعد الرجل المحمود يقال بدل أعور وخلف أعور وقوله من بالصــنج أدرك يقال إن قتيبة كان يضــرب بالصــنج في بدء أمره وقوله حولان باهلة جمع أحول وكان قتيبة أحول وهذا الجمع مثل قولهم أســود وســودان وأحمر وحمران وغير ذلك وقد قيل إن هذه الأبيات ليســت لعبد الله بن همام وإنها لنهار بن توســعة اليشــكري والله أعلم ثم ذكر الطبري في ســنة تسـعين أن الحجاج خرج إلى الأكراد الذين غلبوا على عامة أرض فارس فخرج بيزيد معه وأخويه المفضــل وعبد الملك وجعل عليهم في العسكر كهيئة الخندق وجعلهم في فسطاط قريبا منه وجعل عليهم حرسا من أهل الشام وأغرمهم ستة آلاف ألف وأخذ يعذبهم وكان يزيد يصــبر صــبرا حســنا وكان الحجاج يغيظه ذلك فقيل له إنه رمي بنشــابة فثبت أصلها في ساقه فهو لا يمسها شـيء إلا صـاح فإن حركت أدنى شـيء سمعت صـوته فأمر أن يعذب به ويرهق ساقه

فلما فعل به ذلك صاح وأخته هند عند الحجاج فلما سمعت صياح يزيد صاحت وناحت فطلقها ثم إنه كف عنهم وأقبل يستأديهم فأخذوا يؤدون وهم يعملون في المخلص من مكانهم فبعثوا إلى مروان بن المهلب وهو بالبصرة يأمرونه أن يضمر لهم الخيل ويري الناس أنه إنما يريد بيعها ويعرضها على البيع ويغلي بها كي لا تشترى فتكون لنا عدة إن نحن قدرنا أن ننجو من هاهنا ففعل ذلك مروان بن المهلب وحبيب بالبصرة يعذب أيضا فأمر يزيد بالحرس فصنع لهم طعام كثير فأكلوا وأمر لهم بشراب فسقوا وكانوا متشاغلين به ولبس

292 يزيد ثياب طباخه ووضع على لحيته لحية بيضاء وخرج فرآه بعض الحرس فقال كأن هذه مشية يزيد فجاء حتى استعرض وجهه ليلا فرأى بياض اللحية فانصرف عنه وقال هذا شيخ وخرج المفضل على أثره ولم يفطن له فجاؤوا إلى سفينة وقد هيؤوها في البطائح وبينهم وبين البصرة ثمانية عشر فرسخا فلما انتهوا إلى السفينة أبطأ عليهم عبد الملك وشغل عنهم فقال يزيد للمفضل اركب فإنه لاحق فقال المفضل وكان عبد الملك أخاه لأمه لا والله لا أبرح حتى يجيء عبد الملك ولو رجعت إلى السجن فأقام يزيد حتى جاءهم عبد الملك وركبوا في السفينة وساروا ليلتهم حتى أصبحوا ولما أصبح الحرس علموا بذهابهم فرفع ذلك إلى الحجاج ففزع لذلك الحجاج وذهب وهمه أنهم ذهبوا قبل خراسان وبعث

البريد إلى قتيبة بن مسلم يحذره قدومهم ويأمره أن يستعد لهم وبعث إلى أمراء الثغور والكور أن يرصدوهم ويستعدوا وبعث إلى الوليد بن عبد الملك يخبره بهم وأنه لا يراهم أرادوا إلا خراسان ولم يزل الحجاج يظن بيزيد ما صنع كان يقول إني لأظنه يحدث نفسه بمثل الذي صنع ابن الأشعث قلت ابن الأشعث هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي وكان قد خرج على عبد الملك بن مروان وقصته مشهورة مذكورة في التواريخ قال الطبري ولما دنا يزيد من البطائح استقبلته الخيل وقد هيئت لهم فخرجوا عليهم ومعهم دليل فأخذ بهم على السماوة وأتي الحجاج بعد يومين فقيل له إنما أخذ الرجل طريق الشام وهذه الخيل حسرى في الطريق وقد أتى من رآهم متوجهين في البر فبعث إلى الوليد يعلمه بذلك ومضى يزيد حتى قدم فلسطين فنزل على وهيب بن عبد الرحمن الأزدي وكان كريما على سليمان بن عبد الملك وجاء وهيب حتى دخل على سليمان فقال إن يزيد وإخوته عندي وقد أتوا هرابا من الحجاج متعوذين بك فقال أتني بهم فهم آمنون لا يوصل

293 إليهم أبدا وانا حي فجاء بهم حتى دخلوا عليه فكانوا في مكان أمن وكتب الحجاج إلى الوليد بن عبد الملك إن آل المهلب خانوا مال الله وهربوا مني ولحقوا بسليمان فلما بلغ الوليد مكانه عند سليمان أخيه هون عليه بعض ما كان في نفسه وطار غضبا للمال الذي ذهبوا به

وكتب سـليمان إلى أخيه الوليد إن يزيد بن المهلب عندي وقد آمنته وإنما عليه ثلاثة آلاف ألف كان الحجاج أغرمهم ستة آلاف ألف فأدى ثلاثة آلاف ألف وبقيت ثلاثة آلاف ألف فهي علي فكتب إليه لا والله لا أؤمنه حتى تبعث به إلي فكتب إليه لئن أنا بعثت به لأجيئن معه فأنشدك الله أن لا تفضحني ولا أن تخفرني فكتب إليه الوليد والله لئن جئتني به لا أؤمنه فقال يزيد ابعثني إليه فوالله ما أحب أن أوقع بينك وبينه عداوة وحربا ولا أن يتشاءم بي لكما الناس ابعث إليه بي وأرسل معي ابنك واكتب إليه بألطف ما قدرت عليه فأرسل ابنه أيوب معه وكان الوليد أمره أن يبعث به إليه في وثاق فبعثه إليه وقال لابنه إذا أردت أن تدخل عليه فادخل أنت ويزيد في سلسلة على الوليد ففعل ذلك حتى انتهيا إلى الوليد فدخلا عليه فلما رأى الوليد ابن أخيه مع يزيد في سلسلة قال والله لقد بلغنا من سليمان ثم إن الغلام دفع كتاب أبيه إلى عمه وقال يا أمير المؤمنين نفسي فداؤك لا تخفر ذمة أبي وأنت أحق من منعها ولا تقطع منا رجاء من رجا السلامة في جوارنا لمكاننا منك ولا تذل من رجا العز في الانقطاع إلينا لعزنا بك وقرأ الكتاب لعبد الله الوليد أمير المؤمنين من سليمان بن عبد الملك أما بعد يا أمير المؤمنين فو الله إني لأظن لو استجار بي عدو قد نابذك وجاهدك فأنزلته وأجرته فأنك لا تذل جاري ولا تخفر جواري بل إني لم أجر إلا سامعا مطيعا حسن البلاء والأثر في الإسلام هو وأبوه وأهل بيته وبعد

فقد بعثت به إليك فإن كنت إنما تغزو قطيعتي والإخفار لذمتي والإبلاغ في مســاءتي فقد قدرت إن أنت فعلت ذلك وأنا أعيذك بالله من اجترار قطيعتي وانتهاك حرمتي وترك يدي وصــلتي فوالله يا أمير المؤمنين ما تدري ما بقائي وبقاؤك ولا متى يفرق
294 الموت بيني وبينك فإن اسـتطاع أمير المؤمنين أدام الله ســروره أن لا يأتي علينا أجل الوفاة إلا وهو لي واصل ولحقي مؤد وعن مساءتي نازع فليفعل والله يا أمير المؤمنين ما أصـبحت لشـيء من أمور الدنيا بعد تقوى الله تعالى فيها بأسـر مني برضـاك وسـروك ولرضـاك مما ألتمس به رضوان الله فإن كنت يا أمير المؤمنين تريد يوما من الدهر مسرتي وصلتي وكرامتي وإعظام حقي فتجاوز لي عن يزيد وكل ما طلبته به فهو علي فلما قرأ كتابه قال لقد شـققنا على سـليمان ثم دعا ابن أخيه فأدناه منه ثم تكلم يزيد فحمد الله تعالى وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال يا أمير المؤمنين إن بلاءكم عندنا أحسن البلاء فمن ينس ذلك فلسنا ناسيه ومن يكفر فلسنا كافريه وقد كان من بلائنا أهل البيت في طاعتكم والطعن في أعين أعدائكم في المواطن العظام في المشارق والمغارب ما إن المنة فيه عظيمة فقال له اجلس فجلس فآمنه وكف عنه ورجع إلى سليمان وسعى إخوته في المال الذي عليه وكتب إلى الحجاج إني لم أصل إلى يزيد وأهل بيته مع سـليمان فاكفف عنهم واله عن الكتاب إلي فيهم فلما رأى ذلك الحجاج كف عنهم وكان

أبو عيينة عند الحجاج عليه ألف ألف درهم فتركها له وكف عن حبيب بن المهلب واقام يزيد عند سليمان تسعة أشهر في أرغد عيش وأنعم بال لا تأتي سليمان هدية إلا أرسل نصفها إليه وقال بعض جلساء يزيد له لم لا تتخذ لك دارا فقال وما أصنع بها ولي دار حاصلة مجهزة على الدوام فقال له وأين هي قال إن كنت متوليا فدار الإمارة وإن كنت معزولا فالسجن ومن كلام يزيد ما يسرني أن أكفى أمور دنياي كلها ولي الدنيا بحذافيرها فقيل له ولم ذاك فقال لأني أكره عادة العجز ثم إن الحجاج مات في شوال سنة خمس وتسعين للهجرة وقيل كانت وفاته لخمس ليال بقين من شهر رمضان من السنة وعمره ثلاث وخمسون سنة

295 وقيل أربع وخمسون ولما حضرته الوفاة استخلف يزيد بن أبي كبشة على الحرب والصلاة بالمصرين البصرة والكوفة وولى خراجهما يزيد بن أبي مسلم فأقرهما الوليد وكذلك فعل بكل من استخلف الحجاج وقيل بل الوليد هو الذي ولاهما وكانت ولاية الحجاج بالعراقين عشرين سنة ثم توفي الوليد بن عبد الملك يوم السبت النصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين للهجرة بدير مران قلت وهو بسفح جبل قاسيون ظاهر دمشق ودفن في مقابر باب الصغير ظاهر دمشق وبويع سليمان بن عبد الملك في اليوم الذي مات فيه أخوه الوليد وفي هذه السنة أعني سنة ست وتسعين عزل سليمان بن

عبد الملك يزيد ابن أبي مسلم عن العراق وأمر عليه يزيد بن المهلب وقال خليفة بن خياط جمع ليزيد المصران يعني الكوفة والبصرة سنة سبع وتسعين والله أعلم وجعل صالح بن عبد الرحمن على الخراج وأمره أن يعذب آل أبي عقيل قلت هم رهط الحجاج قال ويبسط عليهم العذاب فأخذ صالح آل أبي عقيل فكان يعذبهم وكان يلي عذابهم عبد الملك بن المهلب وكان الوليد قد عزم على خلع أخيه سليمان عن ولاية العهد ويجعل ولي عهده ولده عبد العزيز بن الوليد وتابعه على ذلك الحجاج وقتيبة بن المسلم الباهلي والي خراسان الذي تولى بعد يزيد بن المهلب كما سبق ذكره قبل هذا فلما ولي سليمان الخلافة خافه قتيبة بن مسلم وتوهم أن يعزله ويولي خراسان يزيد ابن المهلب فكتب إلى سليمان كتابا يهنئه بالخلافة ويعزيه عن الوليد ويعلمه بلاءه وطاعته لعبد الملك والوليد وأنه على مثل ما كان لهما عليه من الطاعة والنصيحة إن لم يعزله عن خراسان وكتب إليه كتابا آخر يعلمه فيه فتوجه ومكانه وعظم قدره عند ملوك العجم وهيبته في صدورهم ويذم المهلب وآل المهلب ويحلف بالله لئن استعمل يزيد على خراسان ليخلعنه وكتب كتابا ثالثا فيه

296 خلعه وبعث بالكتب الثلاثة مع رجل من باهلة وقال له ادفع إليه هذا الكتاب فإن كان يزيد بن المهلب حاضرا فقرأه ثم ألقاه إليه فادفع إليه هذا الكتاب وإن قرأ الأول فاحتبسه ولم يدفعه إلى يزيد فاحتبس الكتابين

الآخرين قال فقدم رسول قتيبة بن مسلم على سليمان وعنده يزيد بن المهلب فدفع إليه الكتاب فقرأه ثم ألقاه إلى يزيد فدفع إليه الكتاب الآخر فقرأه ثم رماه إلى يزيد فأعطاه الكتاب الثالث فقرأه فتمعر لونه ثم دعا بطين فختمه ثم أمسكه بيده وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى كان في الكتاب الأول وقيعة في يزيد بن المهلب وذكر غدره وكفره وقلة شكره وفي الكتاب الثاني ثناء على يزيد وفي الكتاب الثالث لئن لم تقرني على ما كنت عليه وتؤمنني لأخلعنك خلع النعل ولأملأنها عليك خيلا ورجلا ثم إن سليمان أمر برسول قتيبة أن ينزل بدار الضيافة فلما أمسى دعا به سليمان وأعطاه صرة فيها دنانير وقال هذه جائزتك وهذا عهد صاحبك على خراسان فسر وهذا رسول معك بعهده فخرج الباهلي ومعه رسول سليمان فلما كان بحلوان تلقاهم الناس بخلع قتيبة فرجع رسول سليمان ودفع العهد إلى رسول قتيبة فوصل به إليه فاستشار إخوته فقالوا لا يثق بك سليمان بعد هذا ثم إن قتيبة قتل كما ذكرته في ترجمته في حرف القاف مع الاختصار لأن الشرح في ذلك يطول ثم إن يزيد بن المهلب نظر في نفسه لما تولى العراق فقال إن العراق قد أخربها الحجاج وأنا اليوم رجا أهل العراق ومتى قدمتها وأخذت الناس

297 بالخراج وعذبتهم عليه صرت مثل الحجاج أدخل على الناس الحرب وأعيد عليهم تلك الشجون التي قد عافاهم الله منها ومتى لم آت سليمان بمثل ما جاء به

الحجاج لم يقبل مني فأتى يزيد سـليمان فقال أدلك على رجل بصير بالخراج توليه إياه وهو صالح بن عبد الرحمن مولى بني تميم فقال قد قبلنا رأيك فأقبل يزيد إلى العراق وكان صالح قدم العراق قبل قدوم يزيد ونزل واسطا ولما قدم يزيد خرج الناس يتلقونه فلم يخرج صالح حتى قرب يزيد من المدينة ثم خرج إليه وبين يديه أربعمائة من أهل الشام فلقي يزيد وسايره فلما دخل المدينة قال له صالح قد فرغت لك هذه الدار فنزل يزيد ومضى صالح حتى أتى منزله وضيق صالح على يزيد فلم يملكه شيئا واتخذ يزيد ألف خوان يطعم الناس عليها فأخذها صالح فقال له يزيد اكتب ثمنها علي واشترى متاعا كثيرا وصك صكاكا إلى صالح لباعتها منه فلم ينفذه فرجعوا إلى يزيد فغضب وقال هذا عملي بنفسي فلم يلبث أن جاء صالح فأوسع له يزيد فجلس وقال ليزيد ما هذه الصكاك إن الخراج لا يقوم لها ولقد أنفذت لك منذ أيام صكاكا بمائة ألف وعجلت لك أرزاقك وسألت مالا فأعطيتك فهذا لا يقوم له شيء ولا يرضي أمير المؤمنين وتؤخذ به فقال له يزيد يا أبا الوليد أجز هذه الصكاك هذه المرة وضاحكه فقال إني أجيزه فلا تكثرن علي قال لا ولما ولى سليمان يزيد العراق لم يوله خراسان فقال سليمان لعبد الملك ابن المهلب كيف أنت يا عبد الملك إن وليتك خراسان قال يجدني أمير المؤمنين حيث يحب ثم أعرض سليمان عن ذلك وكتب عبد الملك إلى رجال من خاصته بخراسان إن أمير المؤمنين عرض

علي ولاية خراسان فبلغ الخبر إلى أخيه يزيد وقد ضجر بالعراق وقد ضيق عليه صالح بن عبد الرحمن فليس يصل معه إلى شيء فدعا يزيد عبد الله بن الأهتم فقال إني أريدك لأمر قد أهمني وقد أحببت أن تكفينيه قال مرني بما أحببت قال أنا فيما

298 ترى من الضيق وقد أضجرني ذلك وخراسان شاغرة وقد بلغني أن أمير المؤمنين ذكرها لعبد الملك بن المهلب فهل من حيلة قال نعم سرحني إلى أمير المؤمنين فإني أرجو أن آتيك بعهده عليها قال فاكتم ما أخبرتك به وكتب إلى سليمان كتابين أحدهما يذكر له فيه أمر العراق وأثنى فيه على ابن الأهتم وذكر له علمه بها ووجه ابن الأهتم وحمله على البريد وأعطاه ثلاثين ألفا وسار سبعا فقدم بكتاب يزيد على سليمان فدخل عليه وهو يتغدى فجلس ناحية فأتي بدجاجتين فأكلهما ثم قال له سليمان لك مجلس بعد هذا تعود إليه ثم دعا به بعد ثالثة فقال له سليمان إن يزيد بن المهلب كتب إلي يذكر علمك بالعراق وبخراسان ويثني عليه فكيف علمك بها قال أنا أعلم الناس بها بها ولدت وبها نشأت قال ما أحوج أمير المؤمنين إلى مثلك يشاوره في أمرها فأشر علي برجل أوليه خراسان قال أمير المؤمنين أعلم بمن يريد يولي فإن ذكر منهم أحدا أخبرته برأيي فيه هل يصلح أم لا فسمى سليمان رجلا من قريش فقال ليس من رجال خراسان فسمى عبد الملك ابن المهلب فقال لا حتى عدد رجالا فكان في آخر من ذكر

وكيع ابن أبي ســـود فقال يا أمير المؤمنين وكيع رجل
شـــجاع صـــارم مقدام وليس بصـــاحبها ومع هذا إنه لم يقد
ثلثمائة قط فرأى لأحد عليه طاعة قال صـــدقت ويحك فمن
لها قال رجل أعلمه لم تســـمه قال فمن هو قال لا أبوح
باســـمه إلا أن يضـــمن لي أمير المؤمنين ســـتر ذلك وأن
يجيرني منه إن علم قال نعم ســـمه لي قال يزيد بن المهلب
قال ذلك بالعراق والمقام بها أحب إليه من المقام بخراسان
قال قد علمت يا أمير المؤمنين ولكن تكرهه فيستخلف على
العراق رجلا ويسير قال أصبت الرأي فكتب عهد يزيد ابن
المهلب على خراسان وكتب إليه إن ابن الأهتم كما ذكرت
من عقله ودينه وفضله ورأيه ودفع الكتاب وعهد يزيد إليه
فســـار ســـبعا فقدم على يزيد فقال له ما وراءك فأعطاه
الكتاب فقال ويحك أعندك خبر فأعطاه العهد فأمر يزيد
بالجهاز للمســـير من ســـاعته ودعا ابنه مخلدا فقدمه إلى
خراسان فسار من يومه ثم سار يزيد إلى خراسان فأقام
بها ثلاثة أشهر أو أربعة ثم غزا جرجان
299 وطبرســـتان ودهســـتان وفتحها وذلك في ســـنة
ثمان وتسعين وقتل من أصحاب يزيد على حصار بعض
قلاع جرجان خمســـة آلاف رجل فحلف يزيد يمينا مغلظة
أنه ليقتلنهم حتى تطحن الرحى بدمائهم فأكثر من قتلهم
وكانت الدماء لا تجري حتى صـــب عليها الماء فجرت
فطحنت وأكل مما طحنت بدمائهم ثم مات سليمان بن عبد
الملك يوم الجمعة لعشـــر ليال بقين من صـــفر ســـنة تسع

وتسعين للهجرة وقيل لعشر ليال مضين من صفر والله أعلم بالصواب بدابق قرية من شمالي حلب وعهد إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فعزل عمر في هذه السنة يزيد بن المهلب عن العراق وجعل مكانه عدي بن أرطأة الفزاري فأخذ يزيد وأوثقه وبعث به إلى عمر بن عبد العزيز وقد كان عمر يبغض يزيد وأهل بيته ويقول هؤلاء جبابرة ولا أحب مثلهم وكان يزيد يبغض عمر ويقول إني لأظنه مرائيا ولما وصل يزيد سأله عمر عن الأموال التي كتب بها إلى سليمان فقال كنت من سليمان بالمكان الذي قد رأيت وإنما كتبت إلى سليمان لأسمع الناس به وقد علمت أن سليمان لم يكن ليأخذني بشيء مما سمعت ولا بأمر أكرهه فقال عمر ما أجد في أمرك إلا حبسك فاتق الله وأد ما قبلك فإنها حقوق المسلمين ولا يسعني تركها فرده إلى محبسه وذكر البلاذري في كتاب فتوح البلدان في الفصل المتضمن حديث جرجان وطبرستان أن يزيد بن المهلب لما فرغ من أمر جرجان سار إلى خراسان فتلقته الهدايا ثم ولى ابنه مخلدا خراسان وانصرف إلى سليمان فكتب إليه إن معه خمسة وعشرين ألف ألف درهم فوقع الكتاب في يد عمر بن عبد العزيز فأخذ يزيد به وحبسه والله أعلم وبعث عمر إلى الجراح بن عبد الله الحكمي فسرحه إلى خراسان ثم قدم

300 مخلد بن يزيد على عمر وجرى بينهما ما سبق ذكره فلما خرج مخلد بن يزيد قال عمر هذا عندي خير من

أبيه فلم يلبث مخلد إلا قليلا حتى مات ولما أبي يزيد أن يؤدي المال إلى عمر ألبسه جبة صوف وحمله على جمل ثم قال سيروا به إلى دهلك قلت وهي جزيرة في بحر عيذاب بالقرب من سواكن كان الخلفاء يحبسون بها من نقموا عليه قال فلما أخرج يزيد مروا به على الناس فجعل يزيد يقول مالي عشيرة يذهب بي إلى دهلك إنما يذهب إلى دهلك بالفاسق المريب سبحان الله أما لي عشيرة فدخل على عمر سلامة ابن نعيم الخولاني وقال يا أمير المؤمنين اردد يزيد إلى محبسه فإني أخاف إن أمضيته أن ينتزعه قومه فإني رأيت قومه قد غضبوا له فرده إلى محبسه ولم يزل في محبسه حتى بلغه مرض عمر وقيل إن عدي بن أرطأة سلمه إلى وكيع بن حسان بن أبي سود التميمي مغلولا مقيدا في سفينة ليوصله إلى عين التمر حتى يحمل إلى عمر فعرض لوكيع ناس من الأزد لينتزعوه منه فوثب وكيع وانتضى سيفه وقطع قلس السفينة وأخذ سيف يزيد بن المهلب وحلف بطلاق امرأته ليضربن عنقه إن لم يتفرقوا عنه فناداهم يزيد وأعلمهم بيمين وكيع فتفرقوا ومضى به حتى سلمه إلى الجند الذين بعين التمر وحمله الجند إلى عمر فحبسه ولما كان يزيد في حبس عمر دخل عليه الفرزدق فرآه مقيدا فأنشده (أصبح في قيدك السماحة والجود * وحمل الديات والحسب) (لا بطر إن ترادفت نعم * وصابر في البلاء محتسب) فقال له يزيد ويحك ماذا صنعت أسأت إلي قال ولم ذاك قال تمدحني وأنا على

هذه الحالة فقال له الفرزدق رأيتك رخيصـــا فأحببت أن
أسلف فيك بضاعتي فرمى يزيد إليه بخاتمه وقال شراؤه
ألف دينار وهو ربحك إلى أن يأتيك رأس المال واستمر
في حبسه إلى أن مرض عمر في سنة إحدى ومائة فخاف
301 يزيد بن المهلب من يزيد بن عبد الملك بن
مروان أن يلي الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز وكان يزيد
بن المهلب لما ولي العراق قد عذب آل أبي عقيل وهم
رهط الحجاج كما سبق ذكره وكانت أم الحجاج بنت محمد
بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل عند يزيد بن عبد الملك
وهي أم الوليد بن يزيد فاسق بني أمية وهي بنت أخي
الحجاج وكان يزيد بن عبد الملك قد عاهدها لئن أمكنه الله
من يزيد بن المهلب ليقطعن منه طابقا فكان يخشى ذلك
فأخذ يعمل في المهرب فبعث إلى مواليه فأعدوا له إبلا
وكان مرض عمر في دير سمعان فلما اشتد مرض عمر
نزل يزيد من محبسه وخرج حتى أتى المكان الذي فيه إبله
وقد واعدهم إليه فاحتمل وخرج فلما جاز كتب إلى عمر
إني والله لو علمت أنك تبقى ما خرجت من محبسي ولكني
لم آمن يزيد بن عبد الملك فقال عمر اللهم إن كان يريد
بهذه الأمة شرا فاكفهم شره واردد كيده في نحره ومضى
يزيد بن المهلب وزعم الواقدي أن يزيد بن المهلب إنما
هرب من سجن عمر بعد موت عمر قلت وجدت في
مسودة تاريخ القاضي كمال الدين ابن العديم الحلبي أن
عمر حبس يزيد بن المهلب وابنه معاوية بحلب وهربا منها

والله أعلم (333) ثم توفي عمر بن عبـد العزيز يوم الجمعة وقيل الأربعاء لخمس ليال بقين من رجب ســـنة إحدى ومائة رحمه الله تعالى بدير ســـمعان وقيل إنه مات لعشر بقين من رجب من السنة وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشـــهر وقيل إنه مات بخناصـــرة وأمه أم عاصـــم بنت عاصـم بن عمر بن الخطاب رضـــي الله عنه وكان يقال له أشج بني أمية وذلك أن دابة من
302 دواب أبيه كانت شجته قال نافع مولى ابن عمر كنت أسـمع ابن عمر كثيرا يقول ليت شـعري من هذا الذي من ولد عمر في وجهه علامة يملأ الأرض عدلا قال سـالم الأفطس إن عمر بن عبـد العزيز رمحتـه دابـة وهو غلام بدمشق فأتى أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضـي الله عنه فضـمته إليها وجعلت تمسح الدم عن وجهه ودخل أبوه عليها على تلك الحال فأقبلت عليه تعذله وتلومه وتقول ضـيعت ابني ولم تضم إليه خادما ولا حاضنا يحفظه من مثل هذا فقال لها اسكتي يا أم عاصم فطوبى لك إن كان أشـــج بني أمية وقال حماد بن زيد إن عمر بن الخطاب رضـــي الله عنه مر بعجوز تبيع لبنا معها في ســـوق اللبن فقال لها يا عجوز لا تغشي المسلمين وزوار بيت الله تعالى ولا تشـــوبي اللبن بالماء فقالت نعم يا أمير المؤمنين ثم مر بها بعد ذلك فقال لها يا عجوز ألم أتقدم إليك أن لا تشـــوبي اللبن بالماء فقالت والله ما فعلت فقالت ابنة لها من داخل الخباء أغشا وكذبا جمعت على نفسك فسمعها عمر رضي

الله عنه فهم بمعاقبة العجوز فتركها لكلام ابنتها ثم التفت إلى بنيه فقال أيكم يتزوج هذه فلعل الله عز و جل يخرج منها نسمة طيبة مثلها فقال عاصم بن عمر أنا أتزوجها فزوجها إياه فولدت له أم عاصم فتزوج أم عاصم عبد العزيز بن مروان فولدت له عمر بن عبد العزيز ثم تزوج بعدها حفصة وفيها قيل ليست حفصة من نساء أم عاصم وذكر الشيخ شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزغلي بن عبد الله سبط الشيخ جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي في كتاب جوهرة الزمان في تذكرة السلطان عن ابن عمر رضي الله عنهما قال بينما أبي يعس بالمدينة إذ سمع امرأة وهي تقول لابنتها يا بنية قومي فشوبي اللبن بالماء فقالت يا أماه أما سمعت منادي أمير المؤمنين أنه نادى أن لا يشاب اللبن بالماء فقالت وأين أنت من مناديه الساعة فقالت إذا لم يرني مناديه ألم يرني رب مناديه وفي رواية أخرى قالت والله ما كنت لأطيعه في الملا وأعصيه في الخلا قال فبكى عمر رضي الله عنه فلما أصبح دعا بالمرأة وبابنتها وسأل هل لها زوج فقالت ليس لها زوج فقال يا عبد الله تزوج هذه فلو كانت

303 بي حاجة إلى النساء لتزوجتها فقلت أنا في غنى عنها فقال يا عاصم تزوجها فتزوجها فجاءت بابنة فحملت بعمر بن عبد العزيز ولما مات عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه ولي مكانه يزيد بن عبد الملك بن مروان ثم إن يزيد بن المهلب لحق بالبصرة فغلب عليها

وأخذ عامل يزيد بن عبد الملك وهو عدي بن أرطأة الفزاري فحبسه وخلع يزيد بن عبد الملك ورام الخلافة لنفسه فجاءته إحدى حظاياه وقبلت الأرض بين يديه وقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين فأنشدها (رويدك حتى تنظري عم تنجلي * عماية هذا العارض المتألق) قلت وهذا البيت من جملة أبيات لبشر بن قطية الأسدي قلت ولا حاجة إلى تفصيل الحال فيه فإن شرحه يطول وهذه خلاصته ثم إن يزيد بن عبد الملك جهز لقتاله أخاه مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه العباس ابن الوليد بن عبد الملك ومعهما الجيش وخرج يزيد بن المهلب للقائهم واستخلف على البصرة ولده معاوية بن يزيد وعنده الرجال والأموال والأسرى وقدم بين يديه أخاه عبد الملك بن المهلب وسار حتى نزل العقر قلت هي عقر بابل وهي عند الكوفة بالقرب من كربلاء الموضع الذي قتل فيه الحسين رضي الله عنه والعقر بفتح العين المهملة وسكون القاف وبعدها راء وهو في الأصل اسم القصر والمواضع المسماة بالعقر أربعة أحدها هذا ولا حاجة إلى ذكر الباقي وقد ذكرها ياقوت الحموي في كتابه الذي سماه المشترك وضعا قال الطبري ثم أقبل مسلمة بن عبد الملك حتى نزل على يزيد بن المهلب فاصطفوا ثم اقتتل القوم فشد أهل البصرة على أهل الشام فكشفوهم ثم إن أهل الشام كروا عليهم فكشفوهم وكان على مقدمة جيش يزيد أخوه

304 عبد الملك فلما انكشف جاء إلى أخيه يزيد وكان الناس يبايعون يزيد بن المهلب وكانت مبايعته على كتاب الله وسـنة نبيه وأن لا تطأ الجنود بلادهم ولا بيضـتهم ولا تعاد عليهم سـيرة الفاسـق الحجاج وكان مروان بن المهلب بالبصـرة يحرض الناس على حرب أهل الشـام ويسـرح الناس إلى أخيه يزيد وكان الحسـن البصـري رضـي الله عنه يثبط الناس عن يزيد بن المهلب فقال يوما في مجلسه يا عجبا لفاسـق من الفاسـقين ومارق من المارقين غبر برهة من دهره يهتك لله في هؤلاء القوم كل حرمة ويركب له فيهم كل معصية ويأكل ما أكلوا ويقتل من قتلوا حتى إذا منعوه لماظة كان يتلمظها قال أنا لله غضـبان فاغضـبوا ونصـب قصـبا عليها خرق وتبعه رجراجة رعاع هباء ما لهم أفئدة وقال أدعوكم إلى سـنة عمر بن عبد العزيز ألا وإن من سنة عمر أن توضع رجلاه في قيد ثم يوضع حيث وضـعه عمر فقال له رجل أتعذر أهل الشـام يا أبا سـعيد يعني بني أمية فقال أنا أعذرهم لا عذرهم الله والله لقد حدث ابن عباس رضـي الله عنهما أن رسـول الله قال اللهم إني حرمت المدينة بما حرمت به بلدك مكة فدخلها أهل الشـام ثلاثا لا يغلق لها باب إلا أحرق بما فيه حتى إن الأقباط والأنباط ليدخلون على نسـاء قريش فينتزعون خمرهن من رؤوسـهن وخلاخلهن من أرجلهن سـيوفهم على عواتقهم وكتاب الله تعالى تحت أرجلهم أنا أقتل نفسـي لفاسـقين تنازعا هذا الأمر والله لوددت أن الأرض أخذتهما خسـفا

جميعا فبلغ ذلك يزيد بن المهلب فأتى الحســن هو وبعض بني عمه إلى حلقته في المســجد متنكرين فسـلما عليه ثم خلوا به فاشــرأب الناس ينظرون إليهم فلاحاه يزيد فدخل في ملاحاتهما ابن عم يزيد فقال له الحســن وما أنت وذاك يا ابن اللخناء فاخترط سيفه ليضربه به فقال يزيد ما تصنع قال أقتله فقال له يزيد اغمد ســيفك فوالله لو فعلت لانقلب من معنا علينا قلت ويزيد بن المهلب المذكور هو الذي عناه ابن دريد في مقصورته

305 المعروفة بالدريدية بقوله (وقد سما قبلي يزيد طالبا * شــأو العلا فما وهى ولا ونى) وكل من شــرح الدريدية تكلم على هذا البيت وشـرح قصـته وكانت إقامة يزيد بن المهلب منذ اجتمع هو ومســلمة بن عبد الملك ثمانية أيام حتى إذا كان يوم الجمعة لأربع عشــرة مضـت من صـفر سـنة اثنتين ومائة أمر مسلمة أن تحرق السفن فأحرقت والتقى الجمعان وشــبت الحرب فلما رأى الناس الدخان وقيل لهم أحرق الجسر انهزموا فقيل ليزيد قد انهزم الناس فقال مم انهزموا فقيل له أحرق الجسـر فلم يلبث أحد فقال قبحهم الله بق دخن عليه فطار وكان يزيد لا يحدث نفسه بالفرار وجاءه من أخبره أن أخاه حبيبا قد قتل فقال لا خير في العيش بعد حبيب قد كنت والله أبغض الحياة بعد الهزيمة فوالله ما ازددت لها إلا بغضــا امضــوا قدما قال أصـحابه فعلمنا أن الرجل قد استقتل وأخذ من يكره القتال ينكص وأخذوا يتســالون وبقيت معه جماعة حســنة وهو

يزدلف فكلما مر بخيل كشفها أو جماعة من أهل الشام
عدلوا عنه وعن سنن أصحابه فجاء أبو رؤبة المرجىء
وقال ذهب الناس فهل لك أن تنصرف إلى واسط فإنها
حصن تنزلها ويأتيك مدد أهل البصرة ويأتيك أهل عمان
والبحرين في السفن وتضرب خندقا فقال له قبح الله رأيك
ألي تقول ذا الموت أيسر علي من ذلك فقال له فإني أتخوف
عليك أما ترى ما حولك من جبال الحديد فقال له فأنا أباليها
أجبال حديد كانت أو جبال نار اذهب عنا إن كنت لا تريد
قتالا معنا وأقبل على مسلمة لا يريد غيره حتى إذا دنا منه
دعا مسلمة بفرسه ليركبه فعطفت عليه خيول أهل الشام
وعلى أصحابه فقتل يزيد بن المهلب وقتل معه أخوه محمد
وجماعة من أصحابه وقال القحل بفتح القاف وسكون الحاء
306 المهملة وآخره لام ابن عياش الكلبي لما نظر
إلى يزيد يا أهل الشام هذا والله يزيد لأقتلنه أو ليقتلني إن
دونه ناسا فمن يحمل معي يكفيني أصحابه حتى أصل إليه
فقال له ناس من أصحابه نحن نحمل معك فحملوا بأجمعهم
فاضطربوا ساعة وسطع الغبار وانفرج الفريقان عن يزيد
قتيلا وعن القحل بن عياش بآخر رمق فأومأ إلى أصحابه
يريهم مكان يزيد وجاء برأس يزيد مولى لبني مرة فقيل له
أنت قتلته فقال لا وفي أثناء الوقعة نظر الحواري بن زياد
إلى برذون عائر فقال الله أكبر هذا برذون الفاسق ابن
المهلب قد قتله الله إن شاء الله فطلبوه فأتي مسلمة برأسه
فلم يعرف الرأس فقال حسان النبطي مهما ظننتم فلا تظنوا

أن الرجل هرب ولقد قتل فقال مسلمة وما علامة ذلك فقال إني سمعته أيام ابن الأشعث يقول قبح الله ابن الأشعث هبوه غلب على أمره أكان يغلب على الموت ألا مات كريما (334) قلت ذكر الأمير أبو نصر ابن ماكولا في باب الفحل والقحل والعجل ما مثاله وأما القحل فمثل الفحل إلا أن أوله قاف فهو القحل بن عياش بن حسان بن عثمير بن شراحيل بن عزيز قتل يزيد بن المهلب وقتله يزيد ضرب كل واحد منهما صاحبه فقتله فلما أتي به إلى مسلمة لم يعرف ولم ينكر فقيل له مر برأسه فليغسل ثم ليعمم ففعل به ذلك فعرفه فبعث به إلى أخيه يزيد بن عبد الملك مع خالد بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط وقال خليفة بن خياط ولد يزيد بن المهلب سنة ثلاث وخمسين وتوفي مقتولا يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من صفر سنة اثنتين ومائة والله أعلم بالصواب ولما جاءت هزيمة يزيد واسط أخرج معاوية بن يزيد بن المهلب اثنين وثلاثين أسيرا كانوا في يديه فضربوا أعناقهم منهم عدي بن أرطأة ثم خرج

307 وقد قال له القوم ويحك إنا لا نراك تقتلنا إلا أن أباك قد قتل ثم أقبل حتى أتى البصرة معه المال والخزائن وجاء المفضل بن المهلب واجتمع جميع أهل المهلب بالبصرة وقد كانوا يتخوفون الذي كان فأعدوا السفن البحرية وتجهزوا بكل الجهاز وأراد معاوية بن يزيد أن يتأمر على آل المهلب فاجتمعوا وأمروا عليهم المفضل بن

المهلب وقالوا المفضـــل أكبرنا ســنا وإنما أنت غلام حدث السـن كبعض فتيان أهلك فلم يزل المفضـــل عليهم حتى خرجوا إلى كرمـان وبكرمـان فلول كثيرة فـاجتمعوا إلى المفضـل وبعث مسـلمة بن عبد الملك في طلب آل المهلب وطلب الفلول فأدركوهم في عقبة بفارس فاشـتد قتالهم فقتل المفضـل وجماعة من خواصـه ثم قتل آل المهلب من عند آخرهم إلا أبا عيينة وعثمان بن المفضل فإنهما نجوا ولحقا بخاقان ورتبيل وبعث مسلمة برؤوسهم إلى أخيه يزيد وهو على حلب فلما نصـبوا خرج لينظر إليهم فقال لأصـحابه هذا رأس عبد الملك هذا رأس المفضـــل والله لكأنه جالس معي يحدثني وقال غير الطبري لما حمل رأس يزيد بن المهلب إلى يزيد بن عبد الملك نال منه بعض جلسـائه فقال له مه إن يزيد طلب جسـيما وركب عظيما ومات كريما ولما فرغ مسـلمة من حرب آل المهلب جمع له أخوه يزيد ولاية الكوفة والبصـرة وخراسـان في هذه السـنة ولما قتل يزيد بن المهلب رثاه شـاعره ثابت قطنة بمراث كثيرة حسـنة منها قوله (كل القبائل بايعوك على الذي * تدعو إليه وتابعوك وساروا) (حتى إذا اشتجر القنا وتركتهم * رهن الأسنة أسلموك وطاروا)

308 (إن يقتلوك فإن قتلك لم يكن * عارا عليك ورب قتل عـار) (335) قلت وهذا ثـابت قطنة من شـعراء خراسـان وفرسـانهم وذهبت عينه فكان يحشـوها قطنة فسـمي ثابت قطنة وقد كان يزيد بن المهلب اسـتعمله

على بعض كور خراســـان فلما علا المنبر أرتج عليه فلم ينطق حتى نزل فدخل عليه الناس فقال (فإن لا أقم فيكم خطيبا فإنني * بســـيفي إذا جد الوغى لخطيب) فقالوا لو كنت قلت هذا على المنبر لكنت أخطب الناس ذكره ابن قتيبة في كتاب طبقات الشـــعراء وقال ابن الكلبي في جمهرة النســـب هو ثابت بن كعب بن جابر بن كعب بن كزمان بن طرفة بن وهب بن مازن بن يم بن الأســـد بن الحارث بن العتيك بن الأسـد بن عمران بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء وفيه يقول صاحب الفيل الحنفي وكانا يتهاجيان (أبا العلاء لقد لاقيت معضلة * يوم العروبة من كرب وتخنيق) (تلوي اللســـان إذا رمت الكلام به * كما هوى زلق من شـــاهق النيق) (لما رمتك عيون الناس ضـــاحية * أنشـــأت تجرض لما قمت بالريق) وقال غير الطبري إن الذي قتل يزيد بن المهلب هو الهذيل بن زفر بن الحارث الكلابي وقال الكلبي نشـــأت والناس يقولون ضحى بنو أمية بالدين يوم كربلاء وبالكرم يوم العقر وقال محمد بن واســـع لما جاء نعي يزيد أشـــتهي باكية عمانية تندب لي قتلى آل المهلب وقال عباد بن عباد مكثنا نيفا وعشـرين سـنة بعد قتلى آل المهلب لا تولد فينا جارية ولا يموت منا غلام وقال خليفة بن خياط ســـنة اثنتين ومائة فيها قتل يزيد بن المهلب يوم
309 الجمعة لاثنتي عشـرة ليلة خلت من صـفر وهو ابن تسع وأربعين سنة رحمه الله تعالى فلقد كان من النجباء

الكرماء العظماء الفرسان وروي أن مسلمة بن عبد الملك دخل على أخيه يزيد بن عبد الملك حين خلعه يزيد بن المهلب فرآه في ثوب مصبوغ فقال له أتلبس مثل هذا وأنت ممن قيل فيه (قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم * دون النساء ولو باتت بأطهار) فقال مسلمة ذاك ونحن نحارب أكفاءنا من قريش فأما إن نعق ناعق فلا ولا كرامة قلت وهذا البيت للأخطل التغلبي النصراني الشاعر المشهور 817 يزيد بن أبي مسلم الثقفي مولاهم أبو العلاء يزيد بن أبي مسلم دينار الثقفي مولاهم كان مولى الحجاج ابن يوسف الثقفي وكاتبه وكان فيه كفاية ونهضة قدمه الحجاج بسببهما وقد تقدم في ترجمة يزيد بن المهلب أن الحجاج لما حضرته الوفاة استخلفه على الخراج بالعراق فلما مات الحجاج أقره الوليد بن عبد الملك على حاله ولم يغير عليه شيئا وقيل إن الوليد هو الذي ولاه بعد موت الحجاج وقال الوليد يوما مثلي ومثل الحجاج وابن أبي مسلم كرجل ضاع منه درهم فوجد دينارا ولما مات الوليد وتولى أخوه سليمان عزل يزيد بن أبي مسلم وبعث مكانه

310 يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي المذكور قبله وأحضر إليه يزيد بن أبي مسلم في جامعة وكان رجلا قصيرا دميما قبيح الوجه عظيم البطن تحتقره العين فلما نظر إليه سليمان قال أنت يزيد بن أبي مسلم قال نعم أصلح الله أمير المؤمنين قال لعن الله من أشركك في أمانته وحكمك في دينه قال لا تفعل يا أمير المؤمنين فإنك رأيتني

والأمور مـدبرة عني ولو رأيتني والأمور مقبلـة علي لاستعظمت ما استصغرت ولاستجللت ما احتقرت فقال سليمان قاتله الله فما أسد عقله وأعضب لسانه ثم قال سليمان يا يزيد أترى صاحبك الحجاج يهوي بعد في نار جهنم أم قد استقر في قعرها فقال يزيد لا تقل ذلك يا أمير المؤمنين فإن الحجاج عادى عدوكم ووالى وليكم وبذل مهجته لكم فهو يوم القيامة عن يمين عبد الملك وعن يسار الوليد فاجعله حيث أحببت وفي رواية أخرى إنه يحشر غدا بين أبيك وأخيك فضعهما حيث شئت قال سليمان قاتله الله فما أوفاه لصاحبه إذا اصطنعت الرجال فلتصطنع مثل هذا فقال رجل من جلساء سليمان يا أمير المؤمنين اقتل يزيد ولا تستبقه فقال يزيد من هذا فقالوا فلان بن فلان قال يزيد والله لقد بلغني أن أمه ما كان شعرها يوازي أذنيها فما تمالك سليمان أن ضحك وأمر بتخليته ثم كشف عنه سليمان فلم يجد عليه خيانة دينارا ولا درهما فهم باستكتابه فقال له عمر بن عبد العزيز أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تحيي ذكر الحجاج باستكتابك كاتبه فقال يا أبا حفص إني كشفت عنه فلم أجد عليه خيانة فقال عمر أنا أوجدك من هو أعف عن الدينار والدرهم منه فقال سليمان من هذا فقال إبليس ما مس دينارا ولا درهما بيده وقد أهلك هذا الخلق فتركه سليمان وحدث جويرية بن أسماء أن عمر بن عبد العزيز بلغه أن يزيد بن أبي مسلم في جيش من جيوش المسلمين فكتب إلى عامل الجيش أن يرده وقال إني

311 لأكره أن أستنصر بجيش هو فيهم ونقل الحافظ أبو القاسم المعروف بابن عساكر في تاريخ دمشق في ترجمة يزيد المذكور عن يعقوب أنه قال في سنة إحدى ومائة أمر يزيد بن أبي مسلم على إفريقية ونزع إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر مولى بني مخزوم فسار أحسن سيرة وفي سنة اثنتين ومائة قتل يزيد وقال الطبري في تاريخه الكبير وكان سبب ذلك أنه كان فيما ذكر عزم أن يسير فيهم بسيرة الحجاج بن يوسف في أهل الإسلام الذين سكنوا الأمصار ممن كان أصله من السواد من أهل الذمة فأسلم بالعراق ممن ردهم إلى قرارهم ورساتيقهم ووضع الجزية على رقابهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم على كفرهم فلما عزم على ذلك توامروا فأجمع رأيهم على قتله فقتلوه وولوا على أنفسهم الوالي الذي كان قبل يزيد بن أبي مسلم وكتبوا إلى يزيد بن عبد الملك إنا لم نخلع أيدينا عن الطاعة ولكن يزيد بن أبي مسلم سامنا ما لا يرضى به الله والمسلمون فقتلناه وأعدنا عاملك فكتب إليهم يزيد بن عبد الملك إنني لم أرض ما صنع يزيد بن أبي مسلم وأقر محمد بن يزيد على إفريقية وكان ذلك في سنة اثنتين ومائة قال الوضاح بن خيثمة أمرني عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى بإخراج قوم من السجن وفيهم يزيد بن أبي مسلم فأخرجتهم وتركته فحقد علي وإني بإفريقية إذ قيل قدم يزيد واليا فهربت منه وعلم بمكاني وأمر بطلبي فظفر بي وحملت إليه فلما رآني قال طالما سألت الله تعالى أن

يمكنني منك فقلت وأنا والله لطالما ســـألت الله أن يعيذني منـك فقال مـا أعـاذك الله والله لأقتلنـك والله لأقتلنـك ولو ســابقني فيك ملك الموت لســبقته ثم دعا بالســيف والنطع فأتي بهما وأمر بالوضــــاح فأقيم على النطع وكتف وقام وراءه رجل بالسيف وأقيمت الصلاة فخرج يزيد إليها فلما سـجد أخذته السـيوف ودخل إلى الوضــاح من قطع كتافه وأطلقه وأعيد إلى الولاية محمد بن يزيد مولى الأنصـــــار والله أعلم

312 قلت كان الوضـاح حاجب عمر بن عبد العزيز فلمـا مرض أمر الوضــــاح بـإخراج المحـابيس فـأخرجهم ســـوى يزيد المذكور فلما مات عمر هرب الوضـــاح إلى إفريقية خوفا من يزيد وجرى ما جرى وكان مرض عمر بخناصـرة هكذا قاله الطبري محمد بن يزيد وابن عسـاكر قال إســـماعيل بن عبيد الله والله أعلم بالصـــواب وقوله وأحضــر إليه يزيد بن أبي مسـلم في جامعة فالجامعة الغل لأنـها تجمع اليدين إلى العنق وقوله وكان رجلا قصــــيرا دميما الدميم بالدال المهملة القبيح المنظر ومنه قول عمر رضـــي الله عنه لا تزوجوا بناتكم من الرجل الدميم فإنه يعجبهن منهم ما يعجبهم منهن وأما الذميم بالذال المعجمة فإنه المذموم وكذا قول ابن الرومي الشـــاعر المشـــهور (كضــرائر الحســناء قلن لوجهها * حســدا وبغيا إنه لدميم) بالدال المهملة أيضــا وإنما قيدته بالضــبط لأنه يتصــحف على الناس كثيرا وخناصــرة بضــم الخاء المعجمة ثم نون

وبعد الألف صـــاد مهملة مكســـورة ثم راء بعدها هاء وهي بلدة قديمة من أعمال الأحص من ولاية حلب من جهتها القبلية بشرق بالقرب من قنسرين كان عمر بن عبد العزيز أميرا بها من جهة عبد الملك بن مروان ثم من جهة سليمان بن عبد الملك وهي التي عناها المتنبي بقوله (أحب حمصا إلى خناصرة * وكل نفس تحب محياها) وذكرها عدي بن الرقاع العاملي الشـــاعر المشـــهور في قصـــيدته الدالية المشهورة فقال (وإذا الربيع تتابعت أنواؤه * فسقى خناصرة الأحص وجادها)

313 818 يزيد بن عمر بن هبيرة أبو خالد يزيد بن أبي المثنى عمر بن هبيرة بن معية بن سكين بن خديج ابن بغيض بن مالك بن سـعد بن عدي بن فزارة ونسـب فزارة معروف فلا حاجة إلى الإطالة بذكره قال ابن دريد معية تصـــغير معى وهو الواحد من أمعاء البطن وقد ردوا على ابن دريد هذا القول فقالوا بل صـــوابه أنه تصـــغير معاوية وسكين بضم السين المهملة وفتح الكاف وخديج بفتح الخاء المعجمـة وبغيض بفتح البـاء الموحـدة والبـاقي معلوم لا حاجة إلى ضـبطه ذكر الحافظ أبو القاسم ابن عساكر في تاريخه الكبير أن أصـله من الشـام وأنه ولي قنسرين للوليد بن يزيد بن عبد الملك وكان مع مروان بن محمد آخر ملوك بني أميـة يوم غلب على دمشـــق وجمع لـه ولايـة العراق مولده ســـنة ســـبع وثمانين وذكره ابن عياش في تسمية من ولي العراق وجمع له المصـران وهما البصـرة

والكوفة وكذلك ذكره ابن قتيبة في كتاب المعارف في تسمية من ولي العراقين وعد الولاة الذين جمع لهم العراقان فكان أولهم زياد بن أبيه الذي استلحقه معاوية بن أبي سفيان وآخرهم يزيد بن عمر بن هبيرة صاحب هذه الترجمة ثم قال ولم يجمع العراقان لأحد بعد هؤلاء وذكره أيضا قبل هذا في ترجمة أبيه عمر فقال وكان أبو جعفر المنصور حصر يزيد بواسط شهورا ثم آمنه وافتتح البلد صلحا وركب إليه يزيد في أهل بيته وكان أبو جعفر يقول لا يعز ملك هذا فيه ثم قتله

314 وقال خليفة بن خياط وفي سنة ثمان وعشرين ومائة وجه مروان بن محمد يزيد بن عمر بن هبيرة واليا على العراق وذلك قبل قتل الضحاك يعني ابن قيس الشيباني الخارجي فسار حتى نزل هيت وكان سخيا جسيما طويلا خطيبا أكولا شجاعا وكان فيه حسد وذكره أبو جعفر الطبري في تاريخه في سنة ثمان وعشرين ومائة فقال وفي هذه السنة وجه مروان بن محمد يزيد بن عمر بن هبيرة إلى العراق لحرب من بها من الخوارج ثم ذكر في سنة اثنتين وثلاثين ومائة خروج قحطبة بن شبيب أحد دعاة بني العباس لما أظهروا أمرهم بخراسان وتلك النواحي وكان أبو مسلم الخراساني المقدم ذكره في حرف العين أعظم الأعوان وأصل تلك القضية حتى انتظمت أمورها كما هو مشهور وقد سبق في ترجمة أبي مسلم طرف من هذا الحديث ولا حاجة إلى التطويل فيه وكان

خروج قحطبة بأرض العراق وقصد محاربة يزيد بن عمر بن هبيرة وجرت وقائع يطول شـرحها وحاصـل الأمر أن قحطبـة خـاض الفرات عنـد الفلوجـة القريـة المشـــهورة بالعراق ليقاتل ابن هبيرة وكان في قبالته فغرق قحطبة في عشـــية الأربعاء عند غروب الشـــمس لثمان خلون من المحرم من هذه السـنة وقام ولده الحسـن بن قحطبة مقامه في تقدمة الجيش وهي واقعة مشـــهورة طويلة وليس هذا موضـع ذكرها وكان معن بن زائدة الشـيباني المقدم ذكره من أتبـاع يزيـد بن هبيرة المذكور ومن أكبر أعوانـه في الحروب وغيرها فيقال إنه في تلك الليلة ضـــرب قحطبة ابن شـبيب بالسـيف على رأسـه وقيل على عاتقه فوقع في الماء فأخرجوه حيا فقال إن مت فادفنوني في المـاء لئلا يقف أحد على خبري وقيل في غرقه غير ذلك والله أعلم

315 عدنا إلى حديث ابن هبيرة وكان من خبره أن جيوش خراســان التي كان مقدمها قحطبة ثم ولده الحســن من بعد اسـتظهرت عليه فهزمت عسـكره ولحق ابن هبيرة بمدينة واسط فتحصن فيها ثم وصل أبو العباس عبد الله بن محمـد بن علي بن عبـد الله بن العبـاس بن عبـد المطلـب رضـي الله عنه الملقب بالسفاح وأخوه أبو جعفر عبد الله بن محمد الملقب بالمنصــور من الحميمة بضــم الحاء المهملة القرية التي كانت مسكن بني العباس في أطراف الشـام من أرض البلقاء إلى الكوفة وبها جماعة من أشـياعهم ونوابهم ومن قـام معهم بـإقـامـة دولتهم وإزالـة دولـة بني أميـة التي

أميرهـا إذ ذاك مروان ابن محمـد بن مروان بن الحكم الأموي المعروف بالجعدي والمنبوز بالحمار آخر ملوكهم فلما وصـلوا إلى الكوفة بويع أبو العباس السـفاح بها يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة وقيل إن المبايعة كانت في شهر ربيع الأول والأول أصـح وظهر أمر بني العبـاس وقويـت شـوكتهم وأدبرت دولة بني مروان فعند ذلك وجه السـفاح أخاه أبا جعفر المنصـور إلى واسـط لحرب يزيد بن عمر بن هبيرة فجاء المنصور إلى المعسكر الذي مقدمه الحسن بن قحطبة وهو مقابل يزيد بن هبيرة بواسط فنزل فيه قال أبو جعفر الطبري في تاريخه الكبير وجرت السـفراء بين أبي جعفر المنصـور وبين ابن هبيرة حتى جعل له أمانا وكتب به كتابا فمكث يشـاور فيه العلماء أربعين ليلة حتى رضـيه ابن هبيرة ثم أخذه إلى أبي جعفر فأنفذه أبو جعفر إلى أبي العباس السـفاح فأمر بإمضـائه له وكان رأى أبي جعفر الوفاء له بما أعطاه وكان أبو العباس السـفاح لا يقطع أمرا دون أبي مسلم الخراساني صاحب الدعوة وكان لأبي مسلم عين على السفاح يكتب إليه بأخباره كلها
316 فكتب أبو مسلم إلى السـفاح إن الطريق السهل إذا ألقيت فيه الحجارة فسـد لا والله لا صـلح طريق فيه ابن هبيرة ولما تم الكتاب خرج ابن هبيرة إلى أبي جعفر في ألف وثلثمائة من البخارية فأراد أن يدخل الحجرة على دابته فقام إليه الحاجب فقال مرحبا أبا خالد انزل راشدا وقد

أطاف بالحجرة عشرة آلاف من أهل خراسان فنزل ودعا
له بوسادة ليجلس عليها ثم دعا له بالقواد فدخلوا ثم قال له
الحاجب ادخل أبا خالد فقال أنا ومن معي فقال إنما
استأذنت لك وحدك فقام فدخل ووضعت له وسادة وحادثه
ساعة ثم قام وأتبعه أبو جعفر بصره حتى غاب عنه ثم
مكث يقيم عنه يوما ويأتيه يوما في خمسمائة فارس
وثلثمائة راجل فقال يزيد بن حاتم لأبي جعفر أيها الأمير
إن ابن هبيرة ليأتي فيتضعضع له العسكر وما نقص من
سلطانه شيء فقال أبو جعفر للحاجب قل لابن هبيرة يدع
الجماعة ويأتينا في حاشيته فقال له الحاجب ذلك فتغير
وجهه وجاء في حاشيته نحوا من ثلاثين فقال له الحاجب
كأنك تأتي متأهبا فقال إن أمرتم أن نمشي إليكم مشينا فقال
ما أردنا بك استخفافا ولا أمر الأمير بما أمر به إلا نظرا
لك فكان بعد ذلك يأتي في ثلاثة وقال محمد بن كثير كلم
ابن هبيرة يوما أبا جعفر فقال يا هياه أو يا أيها المرء ثم
رجع فقال أيها الأمير إن عهدي بكلام الناس بمثل ما
خاطبتك به حديث فسبقني لساني بما لم أرده وألح أبو
العباس السفاح على أبي جعفر يأمره بقتله وهو يراجعه
فكتب إليه والله لتقتلنه أو لأرسلن إليه من يخرجه من
حجرتك ثم يقتله فأزمع على قتله فبعث أبو جعفر من ختم
بيوت المال ثم بعث إلى وجوه من مع ابن هبيرة فحضروا
وخرج الحاجب من عند أبي جعفر وطلب ابن الحوثرة
ومحمد بن نباتة وهما من الأعيان فقاما فدخلا وقد أجلس

أبو جعفر ثلاثة من خواصه في مائة من جماعته في حجرة فنزعت
317 ســـيوفهما وكتفا ثم أدخلوا بعدهما اثنين ففعل بهما كذلك وبعدهم جماعة أخرى فعل بهم كذلك فقال موســى بن عقيل أعطيتمونا عهد الله ثم خستم به إنا لنرجو أن يدرككم الله وجعل ابن نباتة يضرط في لحية نفسه فقال له ابن الحوثرة إن هذا لا يغني عنك شــيئا فقال كأني كنت أنظر إلى هذا فقتلوا وأخذت خواتيمهم وانطلق حازم والهيثم بن شــعبة والأغلب ابن ســالم في نحو من مائة فأرســلوا إلى ابن هبيرة إنا نريد هذا المال فقال ابن هبيرة لحاجبه انطلق فدلهم عليه فأقاموا عند كل بيت نفرا ثم جعلوا ينظرون في نواحي الدار ومع ابن هبيرة ابنه داود وكاتبه عمرو بن أيوب وحاجبه وعدة من مواليه وبني له صغير في حجره فجعل ينكر نظرهم فقال أقسم بالله إن في وجوه القوم لشرا فأقبلوا نحوه فقام حاجبه في وجوههم فقال وراءكم فضربه الهيثم بن شعبة على حبل عاتقه فصرعه وقاتل ابنه داود فقتل وقتل مواليه ونحى الصبي من حجره وقال دونكم هذا الصــبي وخر ســاجدا فقتل وهو ســاجد ومضــوا برؤوســهم إلى أبي جعفر فنادى بالأمان للناس وقال أبو عطاء الســندي واسـمه مرزوق وقيل أفلح مولى بني أسـد يرثي ابن هبيرة (ألا إن عينا لم تجد يوم واسط * عليك بجاري دمعها لجمود) (عشــية قام النائحات وشققت * جيوب بأيدي مأتم وخدود) (فإن تمس مهجور

الفناء فربما * أقام به بعد الوفود وفود) (وإنك لم تبعد على متعهد * بلى كل من تحت التراب بعيد) قلت و هذه المرثية ذكرها أبو تمام الطائي في كتاب الحماسة في باب المراثي قلت إلى هنا انتهى ما نقلته من تاريخ الطبري مقتضبا فإنني جمعته من

318 عدة مواضع حتى انتظم على هذه الصورة وأما غير الطبري فإنه قال لما قدم أبو جعفر على الحسن بن قحطبة تحول له الحسن من سرادقه فأنزله فيه و أقاموا يقتتلون أياما وثبت معن بن زائدة مع ابن هبيرة وطال الحصار عليهم وكان أبو جعفر المنصور يقول ابن هبيرة يخندق على نفسه مثل النساء وبلغ ابن هبيرة ذلك فأرسل إليه أنت القائل كذا ابرز إلي لترى فأرسل إليه المنصور ما أجد لك ولي مثلا إلا كأسد لقي خنزيرا فقال له الخنزير بارزني فقال الأسد ما أنت لي بكفؤ فإن بارزتك فنالني منك سوء كان عارا وإن قتلتك قتلت خنزيرا فلم أحصل على حمد ولا في قتلك فخر فقال له الخنزير لئن لم تبارزني لأعرفن السباع أنك جبنت عني فقال الأسد احتمال عار كذبك أيسر من تلطيخ براثني بدمك ثم إن المنصور كاتب القواد وفهم ابن هبيرة فطلب الصلح فأجابه المنصور وكتبوا كتاب الصلح والأمان وبعثه المنصور إلى أخيه السفاح فأمضاه وكتب فيه فإن غدر ابن هبيرة أو نكث فلا عهد له ولا أمان وكان من رأي المنصور الوفاء له وقال أبو الحسن المدائني لما كتب المنصور بينه وبين

ابن هبيرة كتاب الصلح خرج إلى المنصور وبينه وبينه ستر فقال ابن هبيرة أيها الأمير إن دولتكم بكر فأذيقوا الناس حلاوتها وجنبوهم مرارتها تصل محبتكم إلى قلوبهم ويعذب ذكركم على ألسنتهم وما زلنا منتظرين لدعوتكم قال فرفع المنصور الستر بينه وبينه وقال في نفسه عجبا لمن يأمرني بقتل مثل هذا وصار ابن هبيرة يخرج إلى المنصور في آخر أمره في ثلاثة من أصحابه يتغدى ويتعشى عنده وكان يثني له وساده فيقال إنه كان يكاتب عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويدعو إليهم وإلى خلع السفاح وجاءه كتاب أبي مسلم يحثه على قتل ابن هبيرة فكتب السفاح إلى المنصور يأمره بقتله فقال لا أفعل وله في عنقي بيعة وأيمان فلا أضيعها بقول أبي مسلم فكتب السفاح ما أقتله بقول أبي مسلم بل بنكثه وغدره ودسيسه إلى آل أبي طالب وقد أبيح لنا

319 دمه فلم يجبه المنصور وقال هذا فساد الملك فكتب إليه السفاح لست مني ولست منك إن لم تقتله فقال المنصور للحسن بن قحطبة اقتله أنت فامتنع فقال خازم بن خزيمة أنا أقتله فدخل عليه في جماعة من قواد خراسان وهو في القصر وعنده ابنه داود وكاتبه ومواليه وعليه قميص مصري وملاءة موردة وعنده الحجام وهو يريد أن يحجمه فلما رآهم سجد فقتلوه وقتلوا ابنه وكاتبه ومن كان معه وحملوا رأسه إلى المنصور وكان معن بن زائدة

غائبا عند السفاح فسلم وبعث المنصور برأسه إلى السفاح وكان ذلك في سـنة اثنتين وثلاثين ومائة قال الهيثم بن عدي لما قتل ابن هبيرة قال بعض الخراسانيين لبعض أصحاب ابن هبيرة ما كان أكبر رأس صاحبكم فقال له الرجل أمانكم له كان أكبر وذكر الخطيب أبو زكريا التبريزي في كتاب شرح الحماسة في باب المراثي عند ذكره أبيات أبي عطاء السندي الدالية المقدم ذكرها التي رثى بها يزيد المذكور فقال وكان المنصور قد حلف له وأكد الأيمان فلما قتله وحمل رأسه إليه قال المنصور للحرسي أترى طينة رأسه ما أعظمها فقال الحرسي طينة أيمانه أعظم من طينة رأسه وهدم المنصور قصر واسط وقال الحافظ ابن عساكر في تاريخه الكبير كان ابن هبيرة إذا أصبح أتي بعس قلت العس بضم العين المهملة وبعدها سين مهملة مشددة هو القدح الكبير قال وفيه لبن قد حلب على عسل وأحيانا سكر فيشربه فإذا صلى الغداة جلس في مصلاه حتى تحل الصلاة فيصلي ثم يدخل فيحركه اللبن فيدعو بالغداء فيأكل دجاجتين وناهضين ونصف جدي وألوانا من اللحم والناهض بالنون وبعد الهاء المكسورة ضاد معجمة وهو الفرخ من الحمام قال ثم يخرج فينظر في أمور الناس إلى نصف النهار

320 ثم يدخل فيدعو جماعة من خواصه وأعيان الناس ويدعو بالغداء فيتغدى ويضع منديلا على صدره ويعظم اللقم ويتابع فإذا فرغ من الغداء تفرق من كان عنده

ودخل إلى نسائه حتى يخرج إلى صلاة الظهر ثم ينظر بعد الظهر في أمور الناس فإذا صلى العصر وضع له سرير ووضعت الكراسي للناس فإذا أخذ الناس مجالسهم أتوهم بعساس اللبن والعسل وألوان الأشربة قلت والعساس بكسر العين جمع عس وقد تقدم الكلام عليه ثم توضع السفرة والطعام للعامة ويوضع له ولأصحابه خوان مرتفع فيأكل معه الوجوه إلى المغرب ثم يتفرقون للصلاة ثم تأتيه سماره فيحضرون مجلسا يجلسون فيه حتى يدعوهم فيسامروه حتى يذهب عامة الليل وكان يسأل في كل ليلة عشر حوائج فإذا أصبحوا قضيت وكان رزقه ستمائة ألف درهم فكان يقسم كل شهر في أصحابه من قومه ومن الفقهاء والوجوه وأهل البيوتات فقال عبد الله بن شبرمة الضبي القاضي الفقيه الكوفي وكان من سماره (إذا نحن أعتمنا ومال بنا الكرى * أتانا بإحدى الراحتين عياض) وعياض بوابه وإحدى الراحتين الدخول أو الانصراف ولم يكن له منديل فكان إذا دعا بالمنديل قام الناس وقال شيخ من قريش أذن يزيد بن عمر بن هبيرة في يوم صائف شديد الحر للناس فدخل عليه وعليه قميص خلق مرقوع الجيب فجعلوا ينظرون إليه ويعجبون منه ففطن لهم فتمثل بقول إبراهيم بن هرمة (قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه * خلق وجيب قميصه مرقوع) وحكي أن شريك بن عبد الله النميري سايره يوما فبدرت دابة شريك فقال له يزيد

غض من لجامها فقال شريك إنها مكتوبة أصلح الله الأمير فقال
321 له يزيد ذهبت حيث أردت قول يزيد غض من لجامها يشير إلى قول جرير (فغض الطرف إنك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا) فعرض له شـــريك بقول ابن دارة (لا تأمنن فزاريا خلوت به * على قلوصـــك واكتبها بأســـيار) وكان بنو فزارة في العرب يرمون بإتيان الإبل وأخباره ومحاســـنه كثيرة مشـــهورة وقال خليفة بن خياط قتل ابن هبيرة بواســـط يوم الاثنين لثلاث عشـرة ليلة بقيت من ذي القعدة ســـنة اثنتين وثلاثين ومائة رحمه الله تعالى وقال أبو جعفر الطبري في تاريخه توفي الحسن بن قحطبة في ســـنة إحدى وثمانين ومائة 819 يزيد بن حاتم المهلبي أبو خالد يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي قد سبق ذكر بقية نسبه في ترجمة جده المهلب بن أبي صفرة وقد ذكرت أخاه روح ابن حاتم في حرف الراء وعم أبيه يزيد بن المهلب ومن ولده الوزير أبو
322 محمد الحســـن بن محمد المهلبي المقدم ذكره وهم أهـل بيـت كبير اجتمع فيـه خلق كثير من الأعيـان الأمجـاد النجبـاء ذكر ابن جرير الطبري في تـاريخـه أن الخليفة أبا جعفر المنصـــور عزل حميد ابن قحطبة عن ولاية مصـــر فولاها نوفل بن الفرات ثم عزله وولى يزيد بن حـاتم وذلـك في ســـنـة ثلاث وأربعين ومـائـة ثم إن المنصـور عزله عن مصـر في سنة اثنتين وخمسين ومائة

وجعل مكانه محمد بن سعيد وقال أبو سعيد ابن يونس في تاريخه ولي يزيد بن حاتم مصر في سنة أربع وأربعين ومائة وزاد غيره في منتصف ذي القعدة ثم إن المنصور خرج إلى الشام وزيارة بيت المقدس في سنة أربع وخمسين ومن هناك سير يزيد بن حاتم إلى إفريقية لحرب الخوارج الذين قتلوا عامله عمر ابن حفص وجهز معه خمسين ألف مقاتل واستقر يزيد المذكور واليا بإفريقية من يومئذ وكان وصوله إليها واستظهاره على الخوارج في سنة خمس وخمسين ودخل مدينة القيروان في هذا التاريخ وكان جوادا سريا مقصودا ممدحا قصده جماعة من الشعراء فأحسن جوائزهم وكان أبو أسامة ربيعة بن ثابت الأسدي الرقي وقيل إنه من موالي سليم قد قصد يزيد بن أسيد بضم الهمزة وفتح السين المهملة ابن زافر ابن أسماء بن أسيد بن قنفذ بن جابر بن قنفذ بن مالك بن عوف بن امرىء القيس ابن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وهو يومئذ وال على أرمينية وكان قد وليها زمانا طويلا لأبي جعفر المنصور ثم من بعده لولده المهدي وكان يزيد المذكور من أشراف قيس وشجعانهم ومن ذوي الآراء الصائبة ومدحه ربيعة المذكور بشعر أجاد فيه فقصر في حقه ومدح يزيد بن حاتم المذكور فبالغ في الإحسان إليه فقال ربيعة قصيدة يفضل فيها يزيد بن حاتم على يزيد بن أسيد وكان

323 في لسان يزيد بن أسيد تمتمة فعرض بذكرها في هذه الأبيات فقال (حلفت يمينا غير ذي مثنوية * يمين امرىء آل بها غير آثم) (لشتان ما بين اليزيدين في الندى * يزيد سليم والأغر ابن حاتم) (يزيد سليم سالم المال والفتى * أمحو الأزد للأموال غير مسالم) (فهم الفتى الأزدي إتلاف ماله * وهم الفتى القيسي جمع الدراهم) (فلا يحسب التمتام أني هجوته * ولكنني فضلت أهل المكارم) (فيا أيها الساعي الذي ليس مدركا * بسماته سعي البحور الخضارم) (سميت ولم تدرك نوال ابن حاتم * لفك أسير واحتمال العظائم) (كفاك بناء المكرمات ابن حاتم * ونمت وما الأزدي عنها بنائم) (فيا ابن أسيد لا تسام ابن حاتم * فتقرع إن ساميته سن نادم) (هو البحر إن كلفت نفسك خوضه * تهافكت في أذيه المتلاطم) (تمنيت مجدا في سليم سفاهة * أماني خال أو أماني حالم) (ألا إنما آل المهلب غرة * وفي الحرب قادات لكم بالخزائم) (هم الأنف في الخرطوم والناس بعدهم * مناسم والخرطوم فوق المناسم) (قضيت لكم آل المهلب بالعلا * وتفضيلكم حق على كل حالم) (لكم شيم ليست لخلق سواكم * سماح وصدق البأس عند الملاحم) (مهينون للأموال فيما ينوبكم * منا عيش دفاعون عن كل جارم) قال دعبل بن علي الخزاعي المقدم ذكره قلت لمروان بن أبي حفصة الشاعر وقد تقدم ذكره أيضا يا أبا السمط من أشعركم جماعة المحدثين قال أسيرنا بيتا قلت

ومن هو قال الذي يقول (لشتان ما بين اليزيدين في الندى * يزيد سليم والأغر ابن حاتم)
324 وكنت قد ذكرت بعض هذه الأبيات في ترجمة أخيه روح بن حاتم ثم إني ظفرت بها أكمل من تلك فأحببت أن أفرد له ترجمة وأذكر ما جرى له لأن مثله لا يصلح لأن يكون ضميمة في ترجمة أخيه وكان ربيعة بن ثابت الرقي قد قصده قبل هذه المرة فلم ير منه من الإحسان ما كان يرجوه فنظم أبياتا من جملتها (أراني ولا كفران لله راجعا * بخفي حنين من نوال ابن حاتم) ولما عقد أبو جعفر المنصور ليزيد المهلبي المذكور على بلاد إفريقية وليزيد السلمي المذكور على ديار مصر خرجا معا فكان يزيد المهلبي يقوم بكفاية الجيشين فقال ربيعة الرقي المذكور (يزيد الخير إن يزيد قومي * سميك لا يجود كما تجود) (تقود كتيبة ويقود أخرى * فترزق من تقود ومن يقود) قلت وهذا يدل على أن ربيعة المذكور مولى بني سليم لقوله يزيد قومي والله أعلم وقدم أشعب المشهور بالطمع على يزيد وهو بمصر فجلس في مجلسه ودعا بغلامه فساره فقام أشعب فقبل يده فقال له يزيد لم فعلت هذا فقال إني رأيتك تسار غلامك فظننت أنك قد أمرت لي بشيء فضحك منه وقال ما فعلت هذا ولكنني أفعل ووصله وأحسن إليه وقال الطرطوشي في كتاب سراج الملوك قال سحنون بن سعيد كان يزيد بن حاتم حكيما يقول والله ما هبت شيئا قط هيبتي لرجل ظلمته وأنا أعلم أنه لا ناصر له

إلا الله تعالى فيقول حســـبك الله بيني وبينك وذكر أبو ســعد الســمعاني في كتاب الأنســاب أن المشــهر التميمي الشاعر وفد على يزيد بن حاتم بإفريقية فأنشده

325 (إليك قصرنا النصف من صلواتنا * مسيرة شــهر ثم شــهر نواصــله) (فلا نحن نخشــى أن يخيب رجاؤنا * لديك ولكن أهنأ البر عاجله) فأمر يزيد بوضـع العطاء في جنده وكان معه خمســون ألف مرتزق فقال من أحب أن يســرني فليضــع لزائري هذا من عطائه درهمين فاجتمع له مائة ألف درهم وضــم يزيد إلى ذلك مائة ألف درهم أخرى ودفعها إليه قلت ثم وجدت البيتين المذكورين لمروان بن أبي حفصــة والله أعلم وقد ذكره الحافظ أبو القاســم المعروف بابن عســاكر في تاريخ دمشــق فقال بعد ذكر أحواله وولاياته إن يزيد بن حاتم قال لجلسائه استنقوا لي ثلاثة أبيات فقال صــفوان بن صــفوان من بني الحارث بن الخزرج أفيك فقال فيمن شــئتم فكأنها كانت في كمه (لم أدر ما الجود إلا ما سمعت به * حتى لقيت يزيدا عصمة الناس) (لقيت أجود من يمشي على قدم * مفضلا برداء الجود والباس) (لو نيل بالجود مجد كنت صــاحبه * وكنت أولى به) ثم كففت فقال أتمم من آل عباس فقلت لا يصــلح فقال لا يســمعن هذا منك أحد وقال يموت بن المزرع قال لي الأصــمعي يوما وقد جئته مســلما إلى أن ذكر الشـعراء المحسـنين المداحين من المولدين فقال لي يا أبا عثمان ابن المولى من المحسنين المداحين ولقد أسهرني

في ليلتي هذه حسن مديحه يزيد بن حاتم حيث يقول (وإذا
تباع كريمة أو تشترى * فسواك بائعها وأنت المشتري)
(وإذا تخيل من سحابك لامع * سبقت مخيلته يد المستمطر
)
326 (وإذا صنعت صنيعة أتممتها * بيدين ليس
نداهما بمكدر) (وإذا الفوارس عددت أبطالها * عدوك
في أبطالهم بالخنصر) ولما قدم عليه ابن المولى المذكور
أنشده وهو أمير مصر (يا واحد العرب الذي * أضحى
وليس له نظير) (لو كان مثلك آخر * ما كان في الدنيا
فقير) فدعا يزيد بخازنه وقال كم في بيت مالي قال فيه
من العين والورق ما مبلغه عشرون ألف دينار فقال ادفعها
إليه ثم قال يا أخي المعذرة إلى الله تعالى وإليك والله لو أن
في ملكي غيرها لما أدخرتها عنك وهذا ابن المولى هو أبو
عبد الله محمد بن مسلم وعرف بابن المولى وروى
الأصمعي أيضا أن يزيد لما كان بإفريقية جاءه البشير
يخبره أنه ولد له مولود بالبصرة فقال قد سميته المغيرة
وكان عنده المشهر التميمي فقال بارك الله لك أيها الأمير
فيه وبارك له في بنيه كما بارك لجده في أبيه ولم يزل
يزيد واليا بإفريقية إلى أن توفي بها يوم الثلاثاء لاثنتي
عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة سبعين ومائة
بالقيروان ودفن بباب سلم واستخلف على إفريقية ولده داود
بن يزيد فعزله هارون الرشيد في سنة اثنتين وسبعين
ومائة وولاها عمه روح بن حاتم المقدم ذكره

327 820 يزيد بن مزيد الشـــيباني أبو خالد وأبو الزبير يزيد بن مزيد بن زائدة وهو ابن أخي معن ابن زائدة الشيباني المقدم ذكره وقد استوفيت ذكر نسبه هناك فلا حاجة إلى إعادته هاهنا كان يزيد المذكور من الأمراء المشهورين والشجعان المعروفين كان واليا بأرمينية فعزله عنها هارون الرشيد سنة اثنتين وسبعين ومائة ثم ولاه إياها وضم إليها أذربيجان في سنة ثلاث وثمانين وقد سبق طرف من خبره في ترجمة الوليد بن طريف الشـــيباني الخارجي فإنه الذي تولى محاربته وقتله ذكر أرباب التاريخ أن الوليد بن طريف الشـــيباني لما خرج على هارون الرشيد ببلاد الجزيرة وهي فيما بين الفرات وشط الموصل وذلك في سنة ثمان وسبعين ومائة وكثر جمعه من الشراة حتى انتشروا في تلك البلاد ونهض إليهم عامل ديار ربيعة فقتلوه وصاروا إلى ديار مضر فحصروا عبد الملك بن صالح بن علي العباسي بالرقة فاستشار هارون الرشـــيد يحيى بن خالد البرمكي فيمن يوجهه لحرب الوليد بن طريف فقال له يحيى بن خالد البرمكي وجه موسى بن حازم التميمي فإن فرعون كان اسمه الوليد فغرقه موسى عليه الســـلام فوجهه إليه الرشـــيد في جيش كثيف فلاقاه الوليد في أصحابه فهزمه الوليد وقتله فلما بلغ الرشيد ذلك وجه إليه معمر بن عيســى العبدي فكانت بينهما عدة وقائع بناحية دارا من ديار ربيعة فلما اتصل ذلك وكثرت جموع الوليد وظهر هذا الظهور العظيم قال الرشـــيد ليس لها إلا

الأعرابي يزيد بن مزيد الشـــيباني فقال بكر بن النطاح الشاعر

328 (لا تبعثن إلى ربيعة غيرها * إن الحديد بغيره لا يفلح) فوجه الرشيد إليه يزيد المذكور في عسكر ضخم وأمره بمناجزته فقصـــده يزيد وجعل الوليد يراوغه ويزيد يتبعه وكان الوليد ذا مكر ودهاء ثم كانت بينهما حرب صـــعبة وبلغ الرشـــيد مماطلة يزيد بن مزيد له فوجه إليه خيلا بعد خيل ثم بعث إليه من يعنفه فسار يزيد في طلبه ثم نزل يصلي الصبح فلم يستتم صلاته حتى طلع الوليد عليه في عسكره واصطفت الخيلان وتزاحف الناس فلما شبت الحرب ناداه يزيد يا وليد ما حاجتك إلى التســـتر بالرجال ابرز إلي قال نعم والله فبرز الوليد وبرز إليه يزيد ووقف العسكران فلم يتحرك منهما أحد فتطاردا ساعة وكل واحد منهما لا يقدر على صاحبه حتى مضت ساعات من النهار فأمكنت يزيد فيه الفرصـــة فضـــرب رجله فسـقط وصـــاح بخيله فسقطوا عليه واحتزوا رأسه ذكر أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم المعروف بابن القراب الهروي في تاريخه أن الوليد بن طريف قتله يزيد بن مزيد بالحديثة من أرض الجزيرة قلت وهذه الجزيرة هي الجزيرة الفراتية والحديثة بالقرب من عانة وتعرف بحديثة النورة وهي على فراسـخ من الأنبار وهي غير حديثة الموصـــل ووجه يزيد برأس الوليد إلى الرشـيد وبكتاب الفتح مع ابنه أسـد بن يزيد وفي ذلك يقول أبو الوليد مسـلم بن الوليد الأنصـــاري الشـــاعر

المشهور وكان منقطعا إلى يزيد ومختصا به (سل الخليفة سيفا من بني مطر * يمضي فيخترق الأجسام والهاما) (لولا يزيد ومقدار له سبب * عاش الوليد مع العامين أعواما) (أكرم به وبآباء له سلفوا * أبقوا من المجد أياما وأياما)

329 ولما انصرف يزيد إلى باب الرشيد قدمه ورفع مرتبته وقال له يا يزيد ما أكثر أمراء المؤمنين في قومك قال نعم إلا أن منابرهم الجذوع يعني الجذوع التي يصلبون عليها إذا قتلوا وكان قتل الوليد في سنة تسع وسبعين ومائة كما سبق ذكره في ترجمته ورثته أخته بتلك الأبيات الفائية المذكورة هناك وقالت أخته الفارعة فيه أيضا (يا بني وائل لقد فجعتكم * من يزيد سيوفه بالوليد) (لو سيوف سوى سيوف يزيد * قاتلته لاقت خلاف السعود) (وائل بعضها يقتل بعضا * لا يفل الحديد غير الحديد) وقد روي أن هارون الرشيد لما جهز يزيد بن مزيد إلى حرب الوليد بن طريف أعطاه ذا الفقار سيف النبي وقال له خذه يا يزيد فإنك ستنتصر به فأخذه ومضى وكان من هزيمة الوليد وقتله ما قد شرحناه وفي ذلك يقول مسلم بن الوليد الأنصاري من جملة قصيدة يمدح بها يزيد بن مزيد المذكور (أذكرت سيف رسول الله سنته * وبأس أول من صلى ومن صاما) يعني بأس علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذ كان هو الضارب به وقد ذكر هشام بن الكلبي في كتاب جمهرة النسب شيئا يتعلق بذي الفقار وهي فائدة

يحسن ذكرها هاهنا فإنه قال في نسب قريش منبه ونبيه ابنا الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم القرشي كانا سيدي بني سهم في الجاهلية قتلا يوم بدر كافرين وكانا من المطعمين والعاص ابن نبيه قتل مع أبيه وكان له ذو الفقار قتله علي بن أبي طالب رضي الله
330 عنه يوم بدر وأخذه منه وقال غير ابن الكلبي إن ذا الفقار أعطاه النبي لعلي رضي الله عنه والفقار بفتح الفاء جمع فقارة الظهر يقال في جمعها فقار وفقارات ويقال ذو الفقار بكسر الفاء أيضا والفقار جمع فقرة بكسر الفاء وسكون القاف ولم يأت مثله في الجموع إلا قولهم إبرة وإبار رجعنا إلى حديث ذي الفقار وكان سبب وصوله إلى هارون الرشيد فيما ذكره أبو جعفر الطبري بإسناد متصل إلى عمر بن المتوكل عن أمه وكانت أمه تخدم فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قالت كان ذو الفقار مع محمد بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم قتل في محاربته لجيش أبي جعفر المنصور العباسي والواقعة مشهورة فلما أحس محمد بالموت دفع ذا الفقار إلى رجل من التجار كان معه وكان له عليه أربعمائة دينار وقال له خذ هذا السيف فإنك لا تلقى أحدا من آل أبي طالب إلا أخذه منك وأعطاك حقك فكان السيف عند ذلك التاجر حتى ولي جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه اليمن والمدينة فأخبر عنه فدعا

بالرجل فأخذ منه السـيف وأعطاه أربعمائة دينار فلم يزل عنده حتى قام المهدي ابن المنصور واتصل خبره به فأخذه ثم صـار إلى موسـى الهادي ثم إلى أخيه هارون الرشـيد وقال الأصـمعي رأيت الرشـيد بطوس متقلدا سـيفا فقال يا أصـمعي ألا أريك ذا الفقار قلت بلى جعلني الله فداك فقال استل سيفي هذا فاستللته فرأيت فيه ثماني عشرة فقارة

331 قلت خرجنا عن المقصـود فلنرجع إلى تتمة حديث يزيد بن مزيد ذكر الخطيب أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي في تاريخ بغداد أن يزيد المذكور دخل على الرشـيد فقال له الرشـيد يا يزيد من الذي يقول فيك (لا يعبق الطيب كفيه ومفرقه * ولا يمسـح عينيه من الكحل) (قد عود الطير عادات وثقن بها * فهن يتبعنه في كل مرتحل) فقال لا أدري يا أمير المؤمنين قال أفيقال فيك مثل هذا الشـعر ولا تعرف قائله فانصـرف خجلا فقال لحاجبه من الباب من الشـعراء فقال مسـلم بن الوليد الأنصـاري قال ومنذ كم هو مقيم بالباب قال منذ زمان طويل منعته من الوصول إليك لما عرفته من إضاقتك قال أدخله فأدخله فأنشده هذه القصيدة حتى ختمها فقال للوكيل بع ضـيعتي الفلانية وأعطه نصـف ثمنها واحتبس نصـفا لنفقتنا فباعها بمائة ألف درهم فأعطى مسـلما خمسـين ألفا ورفع الخبر إلى الرشيد فاستحضر يزيد وسأله عن الخبر فأعلمه الحديث فقال قد أمرت لك بمائتي ألف درهم لتسترجع الضيعة بمائة ألف درهم وتزيد الشاعر خمسين

ألفا وتحبس خمسين ألفا لنفسك قال أبو بكر ابن الأنباري قال أبي سرق مسلم بن الوليد هذا المعنى من قول النابغة الذبياني حيث يقول (إذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم * عصائب طير تهتدي بعصائب) (يصاحبنهم حتى يغرن مغارهم * من الضاريات بالدماء الدوارب) (جوانح قد أيقن أن قبيله * إذا ما التقى الجمعان أول غالب) (لهن عليهم عادة قد عرفنها * إذا عرض الخطي فوق الكواثب
(
332 الكواثب بالثاء المثلثة وبعدها الباء الموحدة جمع كاثبة وهي ما يقرب من منسج الفرس أمام قربوس السرج قلت وأول قصيدة مسلم بن الوليد الأنصاري (أجررت حبل خليع في الصبا غزل * وقصرت همم العذال عن عذلي) ومن مديحها (حاط الخلافة سيف من بني مطر * أقام قائمه من كان ذا ميل) (كم صائل في ذرا علياء مملكة * لولا يزيد بني شيبان لم يصل) (ناب الإمام الذي يفتر عنه إذا * ما افترت الحرب عن أنيابها العصل) (يفتر عند افترار الحرب مبتسما * إذا تغير وجه الفارس البطل) (ينال بالرفق ما يعيا الرجال به * كالموت مستعجلا يأتي على مهل) (لا يرحل الناس إلا عند حجرته * كالبيت يضحي إليه ملتقى السبل) (يكسو السيوف نفوس الناكثين به * ويجعل الهام تيجان القنا الذبل) (يغدو فتغدو المنايا في أسنته * شوارعا تتحدى الناس بالأجل) (إذا طغت فئة عن عب طاعته * عبا لها الموت

بين البيض والأسـل) (تراه في الأمن في درع مضـاعفة * لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل) وذكر أبو الفرج الأصــبهاني في كتاب الأغاني في ترجمة مســلم بن الوليد الأنصــاري قال يزيد بن مزيد أرسـل إلي الرشـيد يوما في وقت لا يرسـل فيه إلى مثلي فأتيته لابسـا سـلاحي مسـتعدا لأمر إن أراده فلما رآني ضــــحك إلي وقال من الذي يقول فيك

333 (تراه في الأمن في درع مضــاعفة * لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل) (لله من هاشـــم في أرضــه جبل * وأنت وابنك ركنا ذلك الجبل) فقلت لا أعرفه يا أمير المؤمنين فقال ســوأة لك من ســيد قوم يمدح بمثل هذا الشـــعر ولا يعرف قـائلـه وقـد بلغ أمير المؤمنين فرواه ووصـــل قائله هو مســلم بن الوليد فانصــرفت ودعوت به ووصلته ووليته قلت وهذان البيتان من جملة القصيدة التي ذكرت منها الأبيات التي قبلها وقد روي أن عمه معن بن زائدة كان يقدمه على أولاده فعاتبته امرأته في ذلك وقالت له كم تقدم يزيد ابن أخيك وتؤخر بنيك ولو قدمتهم لتقدموا ولو رفعتهم لارتفعوا فقال لها إن يزيد قريب مني وله علي حق الولد إذ كنت عمه وبعد فإن بني ألوط بقلبي وأدنى من نفســي ولكني لا أجد عندهم من الغناء ما عنده ولو كان ما يضـطلع به يزيد في بعيد لصـار قريبا أو عدو لصـار حبيبا وسأريك في هذه الليلة ما تبسطين به عذري يا غلام اذهب فادع جســاســا وزائدة وعبد الله وفلانا وفلانا حتى أتى على

جميع أولاده فلم يلبثوا أن جاءوا في الغلائل المطيبة والنعال السندية وذلك بعد هدأة من الليل فسلموا وجلسوا ثم قال معن يا غلام ادع يزيد فلم يلبث أن دخل عجلا وعليه سلاحه فوضع رمحه بباب المجلس ثم دخل فقال له معن ما هذه الهيئة يا أبا الزبير فقال جاءني رسول الأمير فسبق وهمي إلى أنه يريدني لمهم فلبست سلاحي وقلت إن كان الأمر كذلك مضيت ولم أعرج وإن كان على غير ذلك فنزع هذه الآلة عني من أيسر شيء فقال معن انصرفوا في حفظ الله فلما خرجوا قالت زوجته قد تبين لي عذرك فأنشد متمثلا (نفس عصام سودت عصاما * وعلمته الكر والأقداما) (وصيرته ملكا هماما *) وإلى هذه الحالة أشار مسلم بن الوليد بقوله تراه في الأمن في درع مضاعفة . . . .

334 وقد روي أن مسلم بن الوليد لما انتهى في إنشاء هذه القصيدة إلى هذا البيت قال له يزيد بن مزيد الممدوح هلا قلت كما قال أعشى بكر بن وائل في مديح قيس بن معدي كرب (وإذا تجيء كتيبة ملموسة * شهباء تجتنب الكماة نزالها *) (كنت المقدم غير لابس جنة * بالسيف تضرب معلما أبطالها) فقال مسلم قولي أحسن من قوله لأنه وصفه بالخرق وأنا وصفتك بالحزم الخرق بضم الخاء المعجمة وسكون الراء وبعدها قاف وهو الاسم من عدم معرفة العمل قلت وقيس الذي مدحه الأعشى هو والد الأشعث بن قيس الكندي أحد الصحابة رضوان الله

عليهم قلت وقد تقدم الكلام على قوله (قد عود الطير عادات وثقن بها *) وأنه أخذ هذا المعنى من أبيات النابغة البائية التي تقدم ذكرها وقد وافقه في أخذ هذا المعنى جماعة منهم أبو نواس قال عمر الوراق سمعت أبا نواس ينشد قصيدته الرائية التي أولها (أيها المنتاب من عفره * لست من ليلي ولا سمره) (لا أذود الطير عن شجر * قد بلوت المر من ثمره) فحسدته عليها فلما بلغ إلى قوله (وإذا مج القنا علقا * وتراءى الموت في صوره) (راح في ثنيي مفاضته * أسد يدمى شبا ظفره)

335 (تتأي الطير غدوته * ثقة بالشبع من جزره) قلت له ما تركت للنابغة شيئا حيث يقول (إذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم * عصائب طير تهتدي بعصائب) فقال اسكت فلئن أحسن الاختراع لما أسأت الاتباع وأخذ هذا المعنى أبو تمام حبيب بن أوس الطائي فقال (وقد ظللت عقبان أعلامه ضحى * بعقبان طير في الدماء نواهل) (أقامت على الرايات حتى كأنها * من الجيش إلا أنها لم تقاتل) وقال المتنبي أيضا (يطمع الطير فيهم طول أكلهم * حتى تكاد على أحيائهم تقع) وللمتنبي أيضا في صفة جيش وقد ألم بهذا المعنى (وذي لجب لا ذو الجناح أمامه * بناج ولا الوحش المثار بسالم) (تمر عليه الشمس وهي ضعيفة * تطالعه من بين ريش القشاعم) (إذا ضوءها لاقى من الطير فرجة * تدور فوق البيض مثل الدراهم) ولما كان يزيد واليا على اليمين قصده أبو

الشـــمقمق مروان بن محمد مولى مروان بن محمد الجعدي آخر ملوك بني أمية الشـــاعر المشـــهور الكوفي وكنيته أبو محمد وكان مشـــــهورا بأبي الشـــــمقمق وهو في حال رثة وكان راجلا فمدحه وشرح حاله بقوله (رحل المطي إليك طلاب الندى * ورحلت نحوك ناقة نعليه)

336 (إذا لم تكن لي يا يزيد مطية * فجعلتها لي في السفار مطيه) (تخدي أمام اليعملات وتغتلي * في السير تترك خلفها المهريه) (من كل طاوية الصـوى مزورة * قطعا لكل تنوفة دويه) ومنها (تنتاب أكرم وائل في بيتها * حسبا وقبة مجدها مبنيه) (أعني يزيدا سيف آل محمد * فراج كل شـديدة مخشـيه) (يوماه يوم للمواهب والجدا * خضـــــل ويوم دم وخطف منيه) (ولقد أتيتك واثقا بك عالما * أن لســـت تســـمع مدحة بنســـيه) فقال صـــدقت يا شـــــمقمقي ولســـــت أقبل مدحه بنســـــيئة أعطوه ألف دينار ومدحه أبو الفضـــــل منصـــــور بن ســـلمة النمري الشـــاعر المشهور بقصيدة طويلة بائية أحسن فيها كل الإحسان منها قوله (لو لم يكن لبني شـــيبان من حســـب * ســـوى يزيد لفاتوا الناس بالحسب) (ما أعرف الناس أن الجود مدفعة * للذم لكنه يأتي على النشـــــب) وذكر أبو العباس المبرد في كتاب الكامل أن يزيد بن مزيد المذكور نظر إلى رجل ذي لحية عظيمة وقد تلففت على صـــدره وإذا هو خاضـــب فقال له إنك من لحيتك في مؤنة فقال أجل ولذلك أقول (لها درهم للدهن في كل ليلة * وآخر للحناء يبتدران) (

ولولا نوال من يزيد بن مزيد * لصوت في حافاتها الجلمان
) قلت الجلمان بفتح الجيم واللام تثنية جلم وهو المقص
337 وقال له هارون الرشـــيد يوما يا يزيد إني قد أعددتك لأمر كبير فقال يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قد أعد لك مني قلبا معقودا بنصيحتك ويدا مبسوطة لطاعتك وسيفا مشحوذا على عدوك فإذا شئت فقل وذكر المسعودي في كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر أن هذه المقالة دارت بين هارون الرشيد ومعن بن زائدة عم يزيد المذكور ثم قال بعد هذا وقيل إن هذا الكلام من كلام يزيد بن مزيد قلت أنا وهذا لا يمكن أن يكون بين الرشـــيد ومعن أصـــلا لأن معنا قتل في خلافة أبي جعفر المنصـــور حســبما تقدم ذكره في ترجمته على الاختلاف في الســـنة وهو بعد الخمســـين ومائة فكيف يمكن أن يقول له الرشـــيد ذلك والرشيد ولي الخلافة في سنة سبعين ومائة وذكر ابن أبي عون في كتاب الأجوبة المســـكتة أن الرشـــيد قال ليزيد المذكور في لعب الصـوالجة كن مع عيسى بن جعفر فأبى يزيد فغضـــب الرشـــيد وقال تأنف أن تكون معه فقال قد حلفت لأمير المؤمنين أن لا أكون عليه في جد ولا هزل ورأيت في بعض المجاميع حكاية عن بعضهم أنه قال كنت مع يزيد بن مزيد فإذا صائح في الليل يا يزيد بن مزيد فقال يزيد علي بهذا الصـــائح فلما جيء به قال له ما حملك على أن ناديت بهذا الاســـم فقال نفقت دابتي ونفذت نفقتي وســـمعت قول الشـــاعر فتيمنت به فقال وما قال الشـــاعر

فأنشد (إذا قيل من للمجد والجود والندى * فناد بصوت يا يزيد بن مزيد) فلما سـمع يزيد مقالته هش له وقال له أتعرف يزيد بن مزيد قال لا والله قال أنا هو وأمر له بفرس أبلق كان معجبا به وبمائة دينار

338 وقد أطلنا القول في هذه الترجمة لكن الكلام شـجون يتعلق بعضـه ببعض ومحاسـن يزيد كثيرة وتوفي في سـنة خمس وثمانين ومائة ورثاه أبو محمد عبد الله ابن أيوب التيمي الشـاعر المشـهور وقيل بل هذه المرثية لأبي الوليد مسـلم بن الوليد الأنصـاري الشـاعر المذكور والصحيح أنها للتيمي المذكور وهي (أحقا أنه أودى يزيد * تبين أيها الناعي المشـيد) (أتدري من نعيت وكيف فاهت * به شـفتاك كان بها الصـعيد) (أحامي المجد والإسلام أودى * فما للأرض ويحك لا تميد) (تأمل هل ترى الإسـلام مالت * دعائمه وهل شـاب الوليد) (وهل شيمت سيوف بني نزار * وهل وضـعت عن الخيل اللبود) (وهل تسـقي البلاد ثقال مزن * بدرتها وهل يخضـر عود) (أما هدت لمصـرعه نزار * بلى وتقوض المجد المشـيد) (وحل ضـريحه إذ حل فيه * طريف المجد والحسـب التليد) (أما والله ما تنفك عيني * عليك بدمعها أبدا تجود) (وإن تجمد دموع لئيم قوم * فليس لدمع ذي حسـب جمود) (أبعد يزيد تختزن البواكي * دموعا أو يصان لها خدود) (لتبكك قبة الإسلام لما * وهت أطنابها ووهى العمود) (ويبكي شاعر لم يبق دهر * له نشبا وقد

كسـد القصـيد) (فإن يهلك يزيد فكل حي * فريس للمنية أو طريد) (لقد عزى ربيعة أن يوما * عليها مثل يومك لا يعود) قلت و هذا البيت الأخير قد اســتعمله الشــعراء كثيرا فمن ذلك قول مطيع ابن إياس يرثي يحيى بن زياد الحارثي من جملة أبيات (فاذهب بمن شــئت إذ ذهبت به * ما بعد يحيى في الرزء من ألم)

339 وقول أبي نواس يرثي الأمين (وكنت عليه أحذر الموت وحده * فلم يبق لي شيء عليه أحاذر) وقول إبراهيم بن العباس الصولي يرثي ابنه (أنت السواد لمقلة * تبكي عليك وناظر) (من شـــاء بعدك فليمت * فعليك كنت أحاذر) وذكر أبو الفرج الأصـــبهاني في كتاب الأغاني في ترجمة مسلم بن الوليد بإسناد متصل إلى أحمد بن أبي سعد قال أهديت إلى يزيد بن مزيد جارية و هو يأكل فلما رفع يده من الطعام وطئها فلم ينزل عنها إلا ميتا و هو ببردعة فدفن في مقابر بردعة وكان مســلم بن الوليد معه في جملة أصـــحابه فقال يرثيه (قبر ببردعة اســـتمر ضـريحه * خطرا تقاصـر دونه الأخطار) (أبقى الزمان على ربيعة بعده * حزنا لعمر الله ليس بعار) (سلكت بك العرب السبيل إلى العلا * حتى إذا سبق الردى بك حاروا) (نفضـــت بك الأحلاس آمال الغنى * واســـترجعت زوارها الأمصـــار) (فاذهب كما ذهبت غوادي مزنة * أثنى عليها السهل والأوعار) قد قيل إن هذا البيت الأخير أبلغ شيء قيل في المراثي و هذه الأبيات في كتاب الحماسة

في باب المراثي وبردعة بفتح الباء الموحدة وسكون الراء وبعدها دال مهملة ثم عين مهملة وهي مدينة من أقصى بلاد أذربيجان قلت هكذا رأيته في التواريخ
340 وأهل تلك البلاد يقولون بردعة من إقليم إران والله أعلم ويقال برذعة أيضا بالذال المعجمة وكذلك بردعة الدابة يقال بالدال والذال وقد قيل إن مسلم بن الوليد إنما رثى بهذه الأبيات يزيد بن أحمد السلمي وقيل بل رثى بها مالك بن علي الخزاعي وإن أول الأبيات (قبر بحلوان استسر ضريحه *) لأن الذي قيلت فيه مات بحلوان بضم الحاء المهملة وهي آخر مدينة بأرض السواد من أعمال العراق والله أعلم بالصواب في ذلك كله وذكر أبو عبيد الله المرزباني في كتاب معجم الشعراء أن أبا البلهاء عمير بن عامر مولى يزيد بن مزيد الشيباني هو القائل (نعم الفتى فجعت به إخوانه * يوم البقيع حوادث الأيام) (سهل الفناء إذا حللت ببابه * طلق اليدين مؤدب الخدام) (وإذا رأيت صديقه وشقيقه * لم تدر أيهما ذوو الأرحام) وذكر أبو تمام الطائي هذه الأبيات في كتاب الحماسة في باب المراثي لمحمد بن بشير الخارجي وقيل ابن يسير بالسين المهملة وهو فعيل من اليسر وبشير من البشارة وهو من خارجة عدوان قبيلة وليس من الخوارج والله أعلم بالصواب في ذلك كله ورثاه منصور النمري وهي في كتاب الحماسة بقوله (أبا خالد ما كان أدهى مصيبة * أصابت معدا يوم أصبحت ثاويا) (لعمري لئن سر

الأعادي فأظهروا * شـماتا لقد مروا بربعك خاليا) (فإن يك أفنته الليالي وأوشكت * فإن له ذكرا سيفني اللياليا)
341 وكان ليزيد ولدان نجيبان جليلان سـيدان (336) أحدهما خالد بن يزيد وهو ممدوح أبي تمام الطائي وله فيه أحسن المدائح وقد تضمنها ديوانه فلا حاجة إلى ذكر شيء منها لشهرة ديوانه (337) والآخر محمد بن يزيد كان موصوفا بالكرم وأنه لا يرد طالبا فإن لم يحضره مال لم يقل لا بل يعد ثم يعجل العدة ومدحه أحمد بن أبي فنن صالح بن سعيد بقوله ثم وجدت هذه الأبيات لأبي الشيص الخزاعي في كتاب البارع (عشق المكارم فهو مشتغل بها * والمكرمات قليلة العشاق) (وأقام سوقا للثناء ولم تكن * سوق الثناء تعد في الأسواق) (بث الصنائع في البلاد فأصبحت * تجبى إليه محامد الآفاق) وكان خالد بن يزيد قد تولى الموصل من جهة المأمون فوصل إليها وفي صحبته أبو الشمقمق الشاعر الذي ذكرته في هذه الترجمة فلما دخل خالد إلى الموصل نشب اللواء الذي لخالد في سقف باب المدينة فاندق فتطير خالد من ذلك فأنشده أبو الشمقمق ارتجالا (لما كان مندق اللواء لريبة * تخشى ولا سوء يكون معجلا) (لكن هذا الرمح أضعف متنه * صغر الولاية فاستقل الموصلا) فبلغ الخليفة ما جرى فكتب إلى خالد بن يزيد قد زدنا في ولايتك ديار ربيعة كلها لكون رمحك استقل الموصل ففرح بذلك

وأجزل جائزة أبي الشـــمقمق ولما انتقض أمر أرمينية في أيام الواثق جهز إليها خالد بن يزيد المذكور في
342 جيش عظيم فاعتل في الطريق ومات في ســـنة ثلاثين ومـائتين ودفن بمـدينـة دبيـل أرمينيـة رحمهم الله أجمعين 821 يزيـد ابن مفرغ الحميري أبو عثمـان يزيـد بن زياد بن ربيعة بن مفرغ بن ذي العشـــيزة بن الحارث ابن دلال بن عوف بن عمرو بن يزيد بن مرة بن مرثد بن مســروق بن زيد ابن يحصــب الحميري وبقية النســب من يحصـــــب معروفة فلا حاجة إلى ذكرها هكذا ســـاق هذا النسب ابن الكلبي في كتاب جمهرة النسب غير أنه لم يذكر كنية يزيد بل ذكرها صاحب الأغاني وأكثر العلماء يقولون هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ ويســـقطون زيادا (338) وقال صاحب الأغاني إنما لقب جده مفرغا لأنه راهن على سقاء من لبن يشربه كله فشربه حتى فرغه فسمي مفرغا وذكر في ترجمة حفيده الســيد الحميري في كتاب الأغاني أيضـا أن ابن عائشـة قال مفرغ هو ربيعة ومفرغ لقبه ومن قال ربيعة بن مفرغ فقد أخطأ والله أعلم وقال الفضــل ابن عبـد الرحمن النوفلي كـان مفرغ المـذكور حـدادا بـاليمن فعمل لامرأة قفلا وشـــرط عليها عند فراغه منه أن تجيئه بلبن كرش ففعلت فشــرب منه ووضــعه فقالت له رد علي الكرش فقال ما عندي شـــيء أفرغه فيه قالت لا بد منه ففرغه في جوفه فقالت إنك لمفرغ فعرف به وهو

343 من حمير فيما يزعم أهله وذكر ابن الكلبي وأبو عبيدة أن مفرغا كان شعابا بتبالة قلت تبالة بفتح التاء المثناة من فوقها وبعدها باء موحدة ثم ألف ولام وفي آخرها هاء وهي بليدة على طريق اليمن للخارج من مكة وهذا المكان كثير الخصب له ذكر في الأخبار والأمثال والأشعار وهي أول ولاية وليها الحجاج بن يوسف الثقفي ولم يكن رآها قبل ذلك فخرج إليها فلما قرب منها سأل عنها فقيل له إنها وراء تلك الأكمة فقال لا خير في ولاية تسترها أكمة ورجع عنها محتقرا لها وتركها فضربت العرب بها المثل وقالت للشيء الحقير أهون من تبالة على الحجاج قال الراوي فادعى يزيد أنه من حمير وهو حليف آل خالد بن أسيد بن أبي العيص الأموي وقيل إنه كان عبدا للضحاك بن عبد عوف الهلالي فأنعم عليه وكان يزيد شاعرا غزلا محسنا (339) والسيد الحميري الشاعر المشهور من ولده وهو إسماعيل بن محمد بن بكار بن يزيد المذكور كذا ذكره ابن ماكولا في كتاب الإكمال ولقبه السيد وكنيته أبو هاشم وهو من كبار الشيعة وله في ذلك أخبار وأشعار مشهورة ومن محاسن شعر يزيد المذكور قوله من جملة قصيدة يمدح بها مروان بن الحكم الأموي وكان قد أحسن مروان إليه (وأقمتم سوق الثناء ولم تكن * سوق الثناء تقام في الأسواق) (فكأنما جعل الإله إليكم * قبض النفوس وقسمة الأرزاق) والبيت الأول من هذين البيتين تقدم ذكره في ترجمة يزيد بن مزيد بن زائدة

الشـــيباني منســـوبا إلى أحمد بن أبي فنن يمدح به خالد بن يزيد بن مزيد المذكور من جملة أبيات والله أعلم بالصواب في ذلك ولما ولي سعيد بن عثمان بن عفان رضي الله عنه خراسان عرض على

344 يزيد بن مفرغ أن يصـــحبه فأبى ذلك وصـــحب عباد بن زياد بن أبيه فقال له سعيد أما إذ أبيت أن تصحبني وآثرت صـــحبة عباد فاحفظ ما أوصـــيك به إن عبادا رجل لئيم فإياك والدالة عليه وإن دعاك إليها من نفســـه فإنها خدعة منه لك عن نفســـك وأقلل زيارته فإنه ملول ولا تفاخره وإن فاخرك فإنه لا يحتمل لك ما كنت أحتمله ثم دعا سعيد بمال فدفعه له وقال له استعن به على سفرك فإن صـــح لك مكانك من عباد وإلا فمكانك عندي ممهد فائتني ثم سار سعيد إلى خراسان وخرج ابن مفرغ مع عباد فلما بلغ عبيد الله بن زياد أمير العراقين صحبة يزيد أخاه عبادا شق عليه فلما سار عباد شيعه أخوه عبيد الله وشيعه الناس وجعلوا يودعونه فلما أراد عبيد الله أن يودع أخاه دعا ابن مفرغ فقال له إنك سألت عبادا أن يصحبك فأجابك وقد شق علي فقال له ولم أصلحك الله قال لأن الشاعر لا يقنعه من الناس ما يقنع بعضـــهم من بعض لأنه يظن فيجعل الظن يقينا ولا يعذر في موضع العذر وإن عبادا يقدم على أرض حرب فيشـــتغل بحروبه وخراجه عنك فلا تعذره أنت وتكســـونا شـــرا وعارا فقال له لســـت كما ظن الأمير وإن لمعروفه عندي لشـــكرا كثيرا وإن عندي إن أغفل أمري

عذرا ممهدا فقال لا ولكن تضـمن لي إن أبطأ عنك ما تحبه أن لا تعجل عليـه حتى تكتـب إلي قـال نعم قـال امض إذا على الطـائر الميمون قـال فقدم عبـاد خراســـان وقيـل سجستان فاشتغل بحروبه وخراجه فاستبطأه ابن مفرغ ولم يكتب لأخيه عبيد الله بن زياد يشـكوه كما ضــمن له ولكنه بســط لســانه فذمه وهجاه وكان عباد كبير اللحية كأنها جوالق فسار ابن مفرغ مع عباد فدخلت الريح فيها فنفشتها فضحك ابن مفرغ وقال لرجل من لخم كان إلى جنبه (ألا ليت اللحى كانت حشــيشـــا * فنعلفها خيول المســلمينا) فسـعى به اللخمي إلى عباد فغضـب من ذلك غضـبا شـديدا وقال لا تجمل بي عقوبته في هذه الســاعة مع صــحبته لي وما أؤخرها إلا لأشفي نفسي

345 منه فإنه كان يقوم فيشــتم أبي في عدة مواضــع وبلغ الخبر ابن مفرغ فقال إنـي لأجد ريح الموت من عباد ثم دخل عليه فقال أيها الأمير إني قد كنت مع ســعيد بن عثمان وقد بلغك رأيه في وجميل أثره علي وقد اخترتك عليه فلم أحظ منك بطائل وأريد أن تأذن لي بالرجوع فلا حاجة لي في صـــحبتك فقال لـه أما اختيـارك إيـاي فقد اخترتك كما اخترتني واســتصـــحبتك حين ســألتني وقد أعجلتني عن بلوغ حجتي فيـك وطلبـت الإذن لترجع إلى قومك فتفضحني فيهم وأنت على الإذن قادر بعد أن أقضي حقك وبلغ عبادا أنه يسـبه ويذكره وينال من عرضـه فدس إلى قوم كان لهم عليه دين أن يقدموه إليه ففعلوا فحبســه

وأضــر به ثم بعث إليه بعني الأراكة وبردا وكانت الأراكة قينة لابن مفرغ وبرد غلامه رباهما وكان شــديد الضــن بهما فبعث إليه ابن مفرغ مع الرســول أيبيع المرء نفســه وولده فأخذهما عباد منه وقيل إنه باعهما عليه فاشــتراهما رجل من أهل خراســان فلما دخلا منزله قال له برد وكان داهية أديبا أتدري ما اشــتريت قال نعم اشــتريتك وهذه الجارية قال لا والله ما اشتريت إلا العار والدمار والفضيحة أبدا ما حييت فجزع الرجل وقال له كيف ذاك ويلك قال نحن ليزيد ابن مفرغ ووالله ما أصـــاره إلى هذه الحال إلا لسـانه وشـره أفتراه يهجو عبادا وهو أمير خراسـان وأخوه عبيد الله أمير العراقين وعمه الخليفة معاوية بن أبي سفيان في أن اســتبطأه ويمســك عنك وقد ابتعتني وابتعت هذه الجارية وهي نفســه التي بين جنبيه ووالله ما أرى أحدا أدخل بيته أشــأم على نفســه وأهله مما أدخلته منزلك فقال أشــهدك أنك وإياها له فإن شــئتما أن تمضـيا إليه فامضـيا وعلى أني أخـاف على نفســي إن بلغ ذلك ابن زيـاد وإن شــئتما أن تكونا له عندي فافعلا قال فاكتب إليه بذلك فكتب الرجل إلى ابن مفرغ إلى الحبس بما فعله فكتب إليه يشـكر فعله وســألـه أن يكونا عنده حتى يفرج الله عنه وقال عباد لحـاجبـه مـا أرى هـذا يعني ابن مفرغ يبـالي بـالمقـام في الحبس

346 فبع فرســه وســلاحه وأثاثه واقســم ثمنها بين غرمائه ففعل ذلك وبقيت عليه بقية حبســه بها فقال ابن

مفرغ في بيعهما (شــريت بردا ولو ملكت صــفقته * لما تطلبت في بيع له رشـــدا) (لولا الدعي ولولا ما تعرض لي * من الحوادث ما فارقته أبدا) (يا برد ما مســنا دهر أضــر بنا * من قبل هذا ولا بعنا له ولدا) معنى شــريت بعت وهو من الأضــداد يقع على الشــراء والبيع والأبيات أكثر من هذا فتركت الباقي وعلم ابن مفرغ أنـه إن أقام على ذم عباد وهجائه وهو في حبســه زاد نفسـه شـرا فكان يقول للناس إذا سـألوه عن حبسـه ما سـببه رجل أدبه أميره ليقوم من أوده ويكف من غربه و هذا لعمري خير من جر الأمير ذيله على مداهنة صاحبه فلما بلغ ذلك عبادا رق له وأخرجه من السجن فهرب حتى أتى البصرة ثم خرج منها إلى الشــام وجعل يتنقل في مدنها هاربا ويهجو زيادا وولده فمن ذلك قوله في ترك سعيد بن عثمان بن عفان رضي الله عنه واتباعه عباد بن زياد وذكر بيع برد عليه (أصـرمت حبلك من أمامـه * من بعد أيـام برامـه) (فـالريح تبكي شـــجوها * والبرق يضـــحك في الغمامه) (لهفي على الأمر الذي * كانت عواقبه ندامه) (تركي ســـعيدا ذا الندى * والبيت ترفعه الدعامه) (ليثا إذا شـــهد الوغى * ترك الهوى ومضـــى أمامه) (فتحت ســمرقند له * وبنى بعرصـتها خيامه) (وتبعت عبد بني علاج * تلك أشـراط القيامه) (جاءت به حبشـية * سـكاء تحسـبها نعامه) (من نسوة سود الوجوه * ترى عليهن الدمامه) (وشريت بردا ليتني * من بعد برد كنت هامه)

347 (هامة إذ تدعو صدى * بين المشقر واليمامه
) (فالهول يركبه الفتى * حذر المخازي والسـآمه) (
والعبد يقرع بالعصـا * والحر تكفيه الملامه) قلت قوله
وتبعت عبد بني علاج بنو علاج بطن من ثقيف وسـيأتي
ذكره عند ذكر الحارث بن كلدة في هذه الترجمة إن شـاء
الله تعالى قاله أبو بكر ابن دريد في كتاب الاشـتقاق وأنشد
عليه (آل أبي بكرة استفيقوا * هل تعدك الشمس بالسراج
) (إن ولاء النبي أعلى * من دعوة في بني علاج) وهذا
القول له سـبب يذكر عند ذكر أبي بكرة نفيع بن الحارث
في هذه الترجمة إن شـاء الله تعالى وقوله في البيت الآخر
سـكاء تحسـبها نعامة يقال أذن سـكاء إذا كانت صـغيرة
والسـكاء أيضـا التي لا أذن لها والعرب تقول كل سـكاء
تبيض وكل شـرفاء تلد والشـرفاء التي لها أذن طويلة
والسكاء بفتح السين المهملة وتشديد الكاف والشرفاء بفتح
الشين المعجمة وسكون الراء وبعدها فاء والضابط عندهم
فيه أن كل حيوان له أذن ظاهرة فإنه يلد وكل حيوان ليست
له أذن ظاهرة فإنه يبيض قال الراوي ثم إن ابن مفرغ لج
في هجاء بني زياد حتى تغنى أهل البصـرة في أشـعاره
فطلبه عبيد الله طلبا شـديدا حتى كاد يؤخذ فلحق بالشـام
واختلف الرواة فيمن رده إلى ابن زياد فقال بعضـهم رده
معاوية بن أبي سفيان وقال بعضهم بل رده يزيد بن معاوية
والصـحيح أنه يزيد لأن عبادا إنما ولي سـجستان في أيام
يزيد

348 قلت ثم ذكر صاحب الأغاني عقيب هذا الفصل أن سعيد بن عثمان ابن عفان رضي الله عنه دخل على معاوية بن أبي سفيان فقال له علام جعلت ولدك يزيد ولي عهدك دوني فوالله لأبي خير من أبيه وأمي خير من أمه وأنا خير منه وقد وليناك فما عزلناك وبنا نلت ما نلت فقال له معاوية أما قولك إن أباك خير من أبيه فقد صدقت لعمر الله إن عثمان لخير مني وأما قولك إن أمك خير من أمه فحسب المرأة أن تكون في بيت قومها وأن يرضاها بعلها وينجب ولدها وأما قولك إنك خير من يزيد فوالله يا بني ما يسرني أن لي بيزيد ملء الغوطة مثلك وأما قولك إنكم وليتموني فما عزلتموني فما وليتموني وإنما ولاني من هو خير منكم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأقررتموني وما كنت بئس الوالي لكم لقد قمت بثاركم وقتلت قتلة أبيكم وجعلت الأمر فيكم وأغنيت فقيركم ورفعت الوضيع منكم فكلمه يزيد في أمره فولاه خراسان رجعنا إلى حديث ابن مفرغ قال الراوي ولم يزل يتنقل في قرى الشام ويهجو بني زياد وأشعاره تنقل إلى البصرة فكتب عبيد الله بن زياد أمير العراق إلى معاوية وقيل إلى يزيد وهو الأصح يقول إن ابن مفرغ هجا زيادا وبني زياد بما هتكه في قبره وفضح بنيه طول الدهر وتعدى إلى أبي سفيان فقذفه بالزنا وسب ولده وهرب من سجستان وطلبته حتى لفظته الأرض وهرب من الشام يتمضغ لحومنا ويهتك أعراضنا وقد بعثت إليك بما قد هجانا به لتنتصف لنا منه ثم بعث

بجميع ما قاله ابن مفرغ فيهم فأمر يزيد بطلبه فجعل يتنقل في البلاد حتى لفظته الشـــام فأتى البصـــرة ونزل على الأحنف بن قيس قلت وهو الذي يضـرب به المثل في الحلم وقد سبق ذكره واسمه الضحاك قال فاستجار

349 به فقال له الأحنف إني لا أجير على ابن سـمية فأغرك وإنما يجير الرجل على عشيرته وأما على سلطانه فلا ثم إنه مشى على غيره فلم يجره أحد فأجاره المنذر بن الجارود العبدي وكانت ابنته تحت عبيد الله بن زياد وكان المنذر من أكرم الناس عليه فاغتر بذلك وأدل بموضـــعه منه وطلبه عبيد الله وقد بلغه وروده البصـرة فقيل له أجاره المنذر بن الجارود فبعث عبيد الله إلى المنذر فأتاه فلما دخل عليه بعث عبيد الله بالشــرط فكسـبوا داره وأتوه بابن مفرغ فلم يشـــعر ابن الجارود إلا بابن مفرغ قد أقيم على رأسـه فقام ابن الجارود إلى عبيد الله فكلمه فيه فقال أذكرك الله أيها الأمير أن تخفر جواري فإني قد أجرته فقال عبيد الله يا منذر الله ليمدحن أباك ويمدحنك وقد هجاني وهجا أبي ثم تجيره علي لاها الله لا يكون ذلك أبدا ولا أغفرها له فغضب المنذر فقال له لعلك تدلي بكريمتك عندي إن شئت والله لأبيتها بتطليق البتة فخرج المنذر من عنده وأقبل عبيد الله على ابن مفرغ فقال له بئس ما صـــحبت به عبادا فقال بل بئس ما صحبني عباد اخترته على سعيد بن عثمان وأنفقت على صـــحبته جميع ما أملكه وظننت أنه لا يخلو من عقل زياد وحلم معاوية وسماحة قريش فعدل عن ظني

كلـه ثم عـاملني بكل قبيح وتنـاولني بكل مكروه من حبس وغرم وشتم وضـرب فكنت كمن شام برقا خلبا في سحاب جهام فأراق ماءه طمعا فيه فمات عطشـــا وما هربت من أخيك إلا لما خفت أن يجري في ما يندم عليه وقد صــــرت الآن في يديك فشـأنك فاصـنع بي ما شـئت فأمر بحبسـه وكتب إلى يزيد بن معاوية يسـأله أن يأذن له في قتله فكتب إليه يزيد إياك وقتله ولكن تناوله بما ينكله ويشـد سـلطانك ولا يبلغ نفســـه فإن له عشــيرة هي جندي وبطانتي ولا ترضى بقتله مني ولا تقنع إلا بالقود منك فاحذر ذلك واعلم أنه الجد منهم ومني وأنك مرتهن بنفسـه ولك في دون تلفها مندوحة تشـفي من الغيظ فورد الكتاب على عبيد الله فأمر بابن مفرغ فسـقي نبيذا حلوا قد خلط معه الشـبرم وقيل التربذ فأسهل بطنه فطيف به وهو على

350 تلك الحال وقرن بهرة وخنزيرة فجعل يسـلخ والصـبيان يتبعونه ويصـيحون وألح عليه ما يخرج منه حتى أضعته فسقط فقيل لعبيد الله لا نأمن أن يموت فأمر به أن يغسـل ففعلوا فلما اغتسـل قال (يغسـل الماء ما فعلت وقولي * راسـخ منك في العظام البوالي) فرده عبيد الله إلى الحبس وقيل لعبيد الله كيف اخترت له هذه العقوبة فقال لأنه سلخ علينا فأحببت أن تسلخ الخنزيرة عليه وكان فيما قاله ابن مفرغ في عباد بن زياد من جملة أبيات عديدة (

إذا أودى معاوية بن حرب * فبشر شعب قفيك بانصداع)

(فأشـهد أن أمك لم تباشـر * أبا سفيان واضـعة القناع) (

ولكن كان أمرا فيه لبس * على وجل شـــديد وارتياع) وقال أيضـــا (ألا أبلغ معاوية بن صـــخر * مغلغلة عن الرجل اليماني) (أتغضب أن يقال أبوك عف * وترضى أن يقال أبوك زاني) (فأشهد أن رحمك من زياد * كرحم الفيل من ولد الأتان) (وأشهد أنها ولدت زيادا * وصخر من سمية غير دان) قلت قوله فأشـهد أن رحمك من زياد البيـت الثـالـث أخذه من قول أبي الوليـد وقيـل أبي عبـد الرحمن حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه في بيت من جملة أبيات وهي قوله (لعمرك إن إلك من قريش * كإل السـقب من رأل النعام) الإل بكسـر الهمزة وتشـديد اللام وهو الرحم والسقب بفتح السين
351 المهملة وسـكون القاف وبعدها باء موحدة وهو الذكر من ولد الناقة والرأل بفتح الراء وبعدها همزة وفي آخره لام وهو ولـد النعـام (340) وهذه الأبيـات قـالهـا حسان في أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن هاشم وهو ابن عم النبي وكان أخاه من الرضـــاعة أرضـــعتهما حليمة ابنة أبي ذؤيب السـعدية وكان من أكثر الناس شـبـها برســول الله وكان له فيه هجاء وكان حســان يجاوب عنه فمن ذلك هذه الأبيات الميمية المقدم ذكره ومنها قوله (ألا أبلغ أبا ســفيان عني * مغلغلة فقد برح الخفاء) (هجوت محمدا فأجبت عنه * وعند الله في ذاك الجزاء) (أتهجوه ولســت له بكفء * فشــركما لخيركما الفداء) (فإن أبي ووالده وعرضـــي * لعرض محمد منكم وقاء) وقولـه

فشر كما لخيركما الفداء فيه كلام لأهل العلم لأجل شر
وخير لأنهما من أداة التفضيل وتقتضي المشاركة وإنما
أجابه حسان بأمر النبي له في ذلك قلت والجماعة الذين
كانوا يشبهون رسول الله من أهله خمسة أبو سفيان
المذكور والحسن بن علي بن أبي طالب وجعفر بن أبي
طالب وقثم بن العباس بن عبد المطلب والسائب بن عبيد
بن عبد يزيد بن هاشم ابن المطلب بن عبد مناف وهو جد
الإمام الشافعي رضي الله عنهم أجمعين ثم إن أبا سفيان
أسلم عام الفتح وكان ذلك في السنة الثامنة من الهجرة
وحسن إسلامه وخرج مع النبي إلى الطائف وحنين ولما
انهزم المسلمون يوم حنين كان أبو سفيان أحد السبعة الذين
ثبتوا مع النبي حتى رجع إليهم المسلمون وكانت النصرة
لهم وكسبوا من الغنائم ستة آلاف رأس من الرقيق ثم من
النبي عليهم فأطلقهم والشرح في ذلك يطول وليس هذا
موضعه وكان أبو سفيان
352 المذكور يومئذ ممسكا لجام بغلة النبي ولم
يفارقها وكان النبي يقول إني لأرجو أن يكون فيه خلف من
حمزة بن عبد المطلب وشهد له بالجنة فقال أبو سفيان بن
الحارث من شباب أهل الجنة أو سيد فتيان أهل الجنة والله
أعلم وأكثر العلماء يقولون اسمه كنيته ليس له اسم سواها
وقيل إن اسمه المغيرة وقيل المغيرة أخوه وهو أبو سفيان
لا غير ويقال إنه ما رفع رأسه إلى رسول الله منذ أسلم
حياء منه لما تقدم من هجائه رجعنا إلى حديث ابن مفرغ

وهو من شـــعراء الحماســـة وهو القائل (ألا طرقتنا آخر الليل زينب * عليك ســـلام هل لما فات مطلب) قيل أراد بالليل الشـــباب (وقالت تجنبنا ولا تقربننا * فكيف وأنتم حاجتي أتجنب) (يقولون هل بعد الثلاثين ملعب * فقلت وهل قبل الثلاثين ملعب) (لقد جل خطب الشـيب إن كان كلما * بدت شيبة يعرى من اللهو مركب) وذكر المظفري الأندلسي في تاريخه الكبير في جملة هذه الأبيات (فلو أن لحمي إذ وهى لعبت به * كرام ملوك أو أسود وأذؤب) (لهون من وجدي وســلى مصـــيبتي * ولكنما أودى بلحمي أكلب)

353 (341) ولما بلغ الحســـين بن علي بن أبي طالب رضـــي الله عنهما وفاة معاوية ابن أبي ســفيان وبيعة ولده يزيد بن معاوية عزم على قصد الكوفة بمكاتبة جماعة من أهلها كما هو مشـــهور في هذه الواقعة التي قتل فيها الحســـين رضـــي الله عنه فكان في تلك المدة يتمثل كثيرا بقول يزيد بن مفرغ المذكور من جملة أبيات (لا ذعرت السوام في غلس الصبح * مغيرا ولا دعيت يزيدا) (يوم أعطي على المخافة ضيما * والمنايا يرصدنني أن أحيدا) فعلم من ســـمع ذلك منه أنه ســـينازع يزيد بن معاوية في الأمر فخرج الحســـين إلى الكوفة وأميرها يومئذ عبيد الله بن زياد فلما قرب منها سير إليه جيشا مقدمه عمر بن سعد بن أبي وقاص رضـي الله عنه فقتل الحسين رضي الله عنه بالطف وجرى ما جرى وروي أن معاوية بن أبي ســفيان

كتب إلى الحسين رضي الله عنه إني لأظن في رأسك نزوة ولا بد لك من إظهارها وددت لو أدركتها فأغتفرها لك وروي عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه قال لو كنت من قتلة الحسين وغفر الله لي وأدخلني الجنة لما دخلتها حياء من رسول الله وقال عبيد الله بن زياد لحارثة بن بدر الغداني ما تقول في وفي الحسين يوم القيامة قال يشفع له أبوه وجده ويشفع لك أبوك وجدك فاعرف من هاهنا ما تريد نقلت من كتاب تاريخ شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزغلي المعروف بسبط الحافظ جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي الواعظ الذي سماه مرآة الزمان ورأيته بخطه في أربعين مجلدا بدمشق وقد رتبه على السنين فقال في السنة التاسعة والخمسين للهجرة بعد أن قص حديث يزيد بن مفرغ مع بني

354 زياد فقال في آخر الحديث ومات يزيد بن مفرغ في سنة تسع وستين يعني للهجرة والله أعلم وقال أبو اليقظان في كتاب النسب مات عباد بن زياد في سنة مائة للهجرة بجرود قلت وجرود بفتح الجيم وضم الراء وسكون الواو وبعدها دال مهملة وهي قرية من أعمال دمشق من جهة حمص ويكون في أرضها من حمير الوحش شيء كثير يجاوز الحصر ولما وصل بعض عسكر الديار المصرية إلى الشام في أثناء سنة ستين وستمائة وتوجهوا بعسكر الشام إلى أنطاكية وكنت يومئذ بدمشق أقاموا عليها قليلا ثم عادوا فدخلوا دمشق في سلخ

شعبان من السنة وأخبرني بعضهم بقضية غريبة يصلح أن تذكر هاهنا لغرابتها وهي أنهم نزلوا على جرود المذكورة واصطادوا من الحمر الوحشية شيئا كثيرا على ما قالوا فذبح واحد من الجماعة حمارا وطبخ لحمه الطبخ المعتاد فلم ينضج ولا قارب النضج فزاد في الحطب والإيقاد فلم يؤثر فيه شيئا ومكث يوما كاملا يفعل ذلك وهو لا يفيد فقام شخص من الجند وأخذ الرأس يقلبه فوجد على أذنه وسما فقرأه فإذا هو بهرام جور فلما وصلوا إلى دمشق أحضروا تلك الأذن عندي فوجدت الوسم ظاهرا وقد رق شعر الأذن إلى أن بقي كالهباء وبقي موضع الوسم أسود وهو بالقلم الكوفي (342) وهذا بهرام جور من ملوك الفرس وكان قبل مبعث النبي بزمان طويل وكان من عاداته أنه إذا كثر عليه ما يصطاده وسمه وأطلقه والله أعلم كم كان عمر الحمار لما وسمه والله يعلم لو تركوه ولم يذبحوه كم كان يعيش وعلى الجملة فإن حمار الوحش من الحيوانات المعمرة وهذا الحمار لعله عاش ثمانمائة سنة أو أكثر وهذه جرود في أرضها جبل المدخن المشهور وقد ذكره أبو نواس في قصيدته التي ذكر فيها المنازل لما قصد الخصيب بمصر فقال

355 (ووافين إشراقا كنائس تدمر * وهن إل رعن المدخن صور) والمدخن بضم الميم وبالدال المهملة وفتح الخاء المعجمة المشددة وبعدها نون وسمي المدخن لأنه لا يزال عليه مثل الدخان من الضباب ثم بعد هذا وجدت في

كتاب مفاتيح العلوم تأليف محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الخوارزمي أن بهرام جور بن بهرام بن سابور الجنود بن سابور ذي الأكتاف سمي بهرام جور لأنه كان مولعا بصيد العير وهو الحمار الوحشي والأهلي أيضا انتهى كلامه ثم إني حسبت مدة ملكهم بعد هذا فكانت إلى سنة الهجرة النبوية مقدار مائتين وست عشرة سنة فقد عاش هذا الحمار منذ وسمه بهرام جور إلى أن ذبح في سنة ستين وستمائة مقدار ثمانمائة سنة وأكثر والله أعلم قلت وقد تكرر في هذه الترجمة حديث زياد وبنيه وسمية وأبي سفيان ومعاوية وهذه الأشعار التي قالها يزيد بن مفرغ فيهم ومن لا يعرف هذه الأسباب قد يتشوف إلى الاطلاع عليها فنورد منها شيئا مختصرا فأقول (343) إن أبا الجبر الملك الذي ذكره أبو بكر ابن دريد في المقصورة المشهورة في البيت الذي يقوله فيها وهو (وخامرت نفس أبي الجبر الجوى * حتى حواه الحتف فيمن قد حوى) كان أحد ملوك اليمن واسمه كنيته وقيل هو أبو الجبر يزيد بن شرحبيل الكندي وقيل أبو الجبر بن عمرو وتغلب عليه قومه فخرج إلى بلاد فارس يستجيش كسرى عليهم فبعث معه جيشا من الأساورة فلما صاروا إلى كاظمة ونظروا إلى وحشة بلاد العرب وقلة خيرها قالوا إلى أين نمضي مع هذا

356 فعمدوا إلى سم فدفعوه إلى طباخه وو عدوه بالإحسان إليه أن ألقى ذلك السم في طعام الملك ففعل ذلك

فما اســـتقر الطعام في جوفه حتى اشـــتد وجعه فلما علم الأســـاورة ذلك دخلوا عليه فقالوا له إنك قد بلغت إلى هذه الحالة فاكتب لنا إلى الملك كســـرى أنك قد أذنت لنا في الرجوع فكتب لهم بذلك ثم إن أبا الجبر خف ما به فخرج إلى الطائف البليدة التي بالقرب من مكة وكان بها الحارث بن كلدة طبيب العرب الثقفي فعالجه فأبرأه فأعطاه ســـمية بضـــم الســـين المهملة وفتح الميم وتشـــديد الياء المثناة من تحتها وفي آخره هاء وعبيدا بضـــم العين المهملة تصـــغير عبد وكان كسرى قد أعطاهما أبا الجبر في جملة ما أعطاه ثم ارتحل أبو الجبر يريد اليمن فانتقضـــت عليه العلة فمات في الطريق (344) ثم إن الحارث بن كلدة الثقفي زوج عبيدا المذكور ســـمية المذكورة فولدت ســـمية زيادا على فراش عبيد وكان يقال له زياد بن عبيد وزياد بن ســـمية وزياد ابن أبيه وزياد ابن أمه وذلك قبل أن يستلحقه معاوية كما سيأتي إن شـــاء الله تعالى وولدت سمية أيضـــا أبا بكرة نفيع بن الحارث بن كلدة المذكور ويقال نفيع بن مســـروح وهو الصـــحابي المشـــهور بكنيته رضـــي الله عنه وولدت أيضـــا شـــبل بن معبد ونافع بن الحارث وهؤلاء الإخوة الأربعة هم الذين شـــهدوا على المغيرة بن شـــعبة بالزنا وســـيأتي خبر ذلك بعد الفراغ من حديث زياد إن شـــاء الله تعالى وكان أبو ســـفيان صـــخر بن حرب الأموي والد معاوية بن أبي سفيان يتهم في الجاهلية بالترداد إلى سمية المذكورة فولدت سمية زيادا في تلك المدة لكنها ولدته على

فراش زوجها عبيد ثم إن زيادا كبر وظهرت منه النجابة والبلاغـة وهو أحـد الخطبـاء المشـــهورين في العرب بالفصاحة والدهاء والعقل الكثير حتى إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان قد استعمل أبا موسى الأشعري رضي الله عنه على البصـرة فاستكتب زياد ابن أبيه ثم إن زيادا قدم على عمر رضـي الله عنه من عند أبي موسـى فأعجب به عمر رضـــي الله عنه فأمر له بألف درهم ثم تذكرها بعدما مضى فقال لقد ضاع ألف أخذها زياد فلما

357 قدم عليه بعد ذلك قال له ما فعل ألفك يا زياد قال اشتريت بها عبيدا فأعتقته يعني أباه قال ما ضاع ألفك يا زياد هل أنت حامل كتابي إلى أبي موسى في عزلك عن كتابته قال نعم يا أمير المؤمنين إن لم يكن ذلك عن سخطة قال ليس عن ســـخطة قال فلم تأمره بذلك قال كرهت أن أحمل على الناس فضـل عقلك واسـتكتب أبو موســى بعد زياد أبا الحصـــين ابن أبي الحر العنبري فكتب إلى عمر رضــي الله عنه كتابا فلحن في حرف منه فكتب إليه أن قنع كاتبك سـوطا وكان عمر رضـــي الله عنه إذا وفد إليه من البصرة رجل أحب أن يكون زيادا ليشفيه من الخبر وكان عمر رضـي الله عنه قد بعثه في إصـلاح فساد وقع باليمن فرجع من وجهه وخطب خطبة لم يســمع الناس مثلها فقال عمرو ابن العـاص أما والله لو كـان هذا الغلام من قريش لساق العرب بعصاه فقال أبو سفيان والله إني لأعرف الذي وضـعه في رحم أمه فقال له علي بن أبي طالب رضــي الله

عنه ومن هو يا أبا سفيان قال أنا قال مهلا أبا سفيان فقال أبو سفيان (أما والله لولا خوف شخص * يراني يا علي من الأعادي) (لأظهر سره صخر بن حرب * ولم يكن المقالة عن زياد) (وقد طالت مجاملتي ثقيفا * وتركي فيهم ثمر الفؤاد) فلما صار الأمر إلى علي رضي الله عنه وجه زيادا إلى فارس فضبط البلاد وحمى وجبى وأصلح الفساد فكاتبه معاوية يروم إفساده على علي رضي الله عنه فلم يفعل ووجه بكتابه إلى علي وفيه شعر تركته فكتب إليه علي إنما وليتك ما وليتك وأنت أهل لذلك عندي ولن تدرك ما تريده مما أنت فيه إلا بالصبر واليقين وإنما كانت من أبي سفيان فلتة زمن عمر رضي الله عنه لا تستحق بها نسبا ولا ميراثا وإن معاوية يأتي المرء من بين يديه ومن خلفه فاحذره ثم احذره والسلام فلما قرأ زياد الكتاب قال شهد لي أبو الحسن

358 ورب الكعبة فذلك الذي جرأ زيادا ومعاوية على ما صنعا فلما قتل علي رضي الله عنه وتولى ولده الحسن رضي الله عنه ثم فوض الأمر إلى معاوية كما هو مشهور أراد معاوية استمالة زياد إليه وقصد تأليف قلبه ليكون معه كما كان مع علي رضي الله عنه فتعلق بذلك القول الذي صدر من أبيه بحضرة علي وعمرو بن العاص فاستلحق زيادا في سنة أربع وأربعين للهجرة فصار يقال له زياد بن أبي سفيان فلما بلغ أخاه أبا بكرة أن معاوية استلحقه وأنه رضي ذلك حلف يمينا أن لا يكلمه أبدا وقال

هذا زنى أمه وانتفى من أبيه والله ما علمت سمية رأت أبا سفيان قط ويله ما يصنع بأم حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي أيريد أن يراها فإن حجبته فضحته وإن رآها فيا لها مصيبة يهتك من رسول الله حرمة عظيمة وحج زياد في زمن معاوية ودخل المدينة فأراد الدخول على أم حبيبة لأنها أخته على زعمه وزعم معاوية ثم ذكر قول أخيه أبي بكرة فانصرف عن ذلك وقيل إن أم حبيبة حجبته ولم تأذن له في الدخول عليها وقيل أنه حج ولم يزر من أجل قول أبي بكرة وقال جزى الله أبا بكرة خيرا فما يدع النصيحة على حال وقدم زياد على معاوية وهو نائب عنه

359 وحمل معه هدايا جليلة من جملتها عقد نفيس فأعجب به معاوية فقال زياد يا أمير المؤمنين دوخت لك العراق وجبيت لك برها وبحرها وحملت إليك لبها وسرها وكان يزيد بن معاوية جالسا فقال له أما إنك إذ فعلت ذلك فإنا نقلناك من ثقيف إلى قريش ومن عبيد إلى أبي سفيان ومن القلم إلى المنابر فقال له معاوية حسبك وريت بك زنادي وقال أبو الحسن المدائني أخبرنا أبو الزبير الكاتب عن ابن إسحاق قال اشترى زياد أباه عبيدا فقدم زياد على عمر رضي الله عنه فقال له ما صنعت بأول شيء أخذت من عطائك قال اشتريت به أبي قال فأعجب ذلك عمر رضي الله عنه وهذا ينافي استلحاق معاوية إياه والله أعلم ولما ادعى معاوية زيادا دخل عليه بنو أمية وفيهم عبد الرحمن بن الحكم أخو مروان بن الحكم الأموي فقال يا

معاوية لو لم تجد إلا الزنج لاســـتكثرت بهم علينا قلة وذلة فأقبل معاوية على أخيه مروان بن الحكم وقال أخرج عنا هذا الخليع فقال مروان والله إنه لخليع ما يطاق قال معاوية والله لولا حلمي وتجاوزي لعلمت أنه يطاق ألم يبلغني شعره في وفي زياد ثم قال لمروان أسمعنيه فقال (ألا أبلغ معاوية بن صـــخر * لقد ضـــاقت بما تأتي اليدان) (أتغضب أن يقال أبوك عف * وترضى أن يقال أبوك زان) وقد تقدم ذكر بقية هذه الأبيات منســـوبة إلى يزيد بن مفرغ وفيها خلاف هل هي ليزيد بن مفرغ أم لعبد الرحمن بن الحكم فمن رواها لابن مفرغ روى البيت الأول على تلك الصـــورة ومن رواها لعبد الرحمن رواها على هذه الصـــورة ولما اســتلحق معاوية زيادا وقربه وأحســن إليه وولاه صار من أكبر الأعوان على بني علي بن أبي طالب رضـــي الله عنه حتى قيل إنه لما كان أمير العراقين طلب رجلا من أصحاب الحسن بن علي رضي الله عنهما يعرف بابن ســرح وكان في الأمان الذي كتب لأصــحاب الحســن رضي الله عنه لما نزل

360 عن الخلافة لمعاوية فكتب الحسن إلى زياد من الحســن إلى زياد أما بعد فقد علمت ما كنا أخذنا لأصــحابنا من الأمان وقد ذكر لي ابن سرح أنك عرضت له فأحب أن لا تعرض له إلا بخير والسلام فلما أتاه الكتاب وقد بدأ فيه بنفسه ولم ينسبه إلى أبي سفيان غضب وكتب إليه من زياد ابن أبي ســـفيان إلى الحســـن أما بعد فإنه أتاني كتابك في

فاســـق تؤويه الفســـاق من شـــيعتك وشـــيعة أبيك وايم الله لأطلبنه ولو كان بين جلدك ولحمك وإن أحب الناس إلي لحما أن آكله للحم أنت منه فلما قرأه الحســـن رضـــي الله عنه بعث به إلى معاوية فلما قرأه غضـــب وكتب إلى زياد من معاوية بن أبي ســفيان إلى زياد أما بعد فإن الحســن بن علي بعث إلي كتابك إليه جواب كتابه كان إليك في ابن ســـرح فأكثرت التعجب منه وقد علمت أن لك رأيين رأي من أبي ســفيان ورأي من ســمية فأما رأيك من أبي ســفيان فحلم وحزم وأما رأيك من ســـمية فكما يكون رأي مثلها ومن ذلك كتابك إلى الحســـن تســـميه وتعرض له بالفســـق ولعمري لأنت أولى بذلك منه فإن كان الحســـن بدأ بنفســـه ارتفاعا عنك فإن ذلك لن يضـــعك وأما تركك تشـــفيعه فيما شـــفع فيه إليك فحظ دفعته عن نفســـك إلى من هو أولى به منك فإذا أتاك كتابي فخل ما بيدك لابن ســـرح ولا تعرض له فيه فقد كتبت إلى الحســـن يخيره إن شـــاء أقام عنده وإن شـــاء رجع إلى بلده وإنه ليس لك عليه سـبيل بيد ولا لسـان وأما كتابك إلى الحســـن باســـمه ولا تنســـبه إلى أبيه فإن الحسن ويحك ممن لا يرمى به الرجوان أفاستصغرت أباه وهو علي ابن أبي طالب أم إلى أمه وكلته وهي فاطمة بنت رســـول الله فذلك أفخر له إن كنت عقلت والســـلام قوله لا يرمى به الرجوان بفتح الراء الجيم وهو لفظ مثنى ومعناه المهالك قلت وقد رويت هذا الحكاية على صـــورة أخرى وهي كان سعيد

361 ابن سرح مولى كريز بن حبيب بن عبد شمس من شيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه فلما قدم زياد ابن أبيه الكوفة واليا عليها أخافه وطلبه فأتى المدينة فنزل على الحسين بن علي رضي الله عنه فقال له الحسين ما السبب الذي أشخصك وأزعجك فذكر له قضيته وصنيع زياد به فكتب إليه الحسين أما بعد فإنك عمدت إلى رجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم فهدمت داره وأخذت ماله وعياله فإذا أتاك كتابي هذا فابن له داره واردد عليه ماله وعياله فإني قد أجرته فشفعني فيه فكتب إليه زياد من زياد بن أبي سفيان إلى الحسين بن فاطمة أما بعد فقد أتاني كتابك تبدأ فيه باسمك قبل اسمي وأنت طالب حاجة وأنا سلطان وأنت سوقة وكتابك إلي في فاسق لا يؤويه إلا فاسق مثله وشر من ذلك توليه أباك وقد آويته إقامة منك على سوء الرأي ورضى بذلك وايم الله لا تسبقني إليه ولو كان بين جلدك ولحمك فإن أحب لحم إلي أن آكله للحم أنت منه فأسلمه بجريرته إلى من هو أولى به منك فإن عفوت عنه لم أكن شفعتك وإن قتلته لم أقتله إلا بحبه أباك فلما قرأ الحسين رضي الله عنه الكتاب كتب إلى معاوية يذكر له حال ابن سرح وكتابه إلى زياد فيه وإجابة زياد إياه ولف كتابه في كتابه وبعث به إليه وكتب الحسين إلى زياد من الحسين بن فاطمة بنت رسول الله إلى زياد بن سمية عبد بني ثقيف الولد للفراش وللعاهر الحجر فلما قرأ معاوية كتاب الحسين رضي الله عنه ضاقت به

الشام وكتب إلى زياد أما بعد فإن الحسين بن علي بعث إلي بكتابك جواب كتابه إليك في ابن ســـرح فأكثرت التعجب منه وعلمت أن لك رأيين أحدهما من أبي سفيان وآخر من سـمية فأما الذي من أبي سـفيان فحلم وحزم وأما الذي من سـمية فكما يكون رأي مثلها ومن ذلك كتابك إلى الحسـين تشتم أباه وتعرض له بالفسق ولعمري لأنت أولى بالفسق من الحسين ولأبوك إذ كنت تنسب إلى عبيد أولى بالفسق من أبيه وإن كان الحسين بدأ بنفسـه ارتفاعا عنك فإن ذلك لم يضعك وأما تشفيعه فيما شفع إليك فيه فحظ دفعته عن نفسـك إلى من هو أولى به منك فإذا قدم عليك كتابي هذا فخل ما في يدك لسعيد بن سرح وابن له

362 داره ولا تعذر له وارد عليه ماله فقد كتبت إلى الحسين أن يخبر صاحبه بذلك فإن شاء أقام عنده وإن شاء رجع إلى بلده فليس لك عليه سـلطان بيد ولا لسـان وأما كتابك إلى الحسين باسمه واسم أمه لا تنسبه إلى أبيه فإن الحسـين ويلك ممن لا يرمى به الرجوان ألإلى أمه وكلته لا أم لك فهي فاطمة بنت رســول الله فتلك أفخر له إن كنت تعقل والسلام وقال عبيد الله بن زياد ما هجيت بشيء أشد على من قول ابن مفرغ (فكر ففي ذاك إن فكرت معتبر * هل نلت مكرمة إلا بتأمير) (عاشت سمية ما عاشت وما علمت * أن ابنها من قريش في الجماهير) وقال قتادة قال زياد لبنيه وقد احتضر ليت أباكم كان راعيا في أدناها وأقصـاها ولم يقع بالذي وقع به قلت فبهذا الطريق كان

ينظم ابن مفرغ هذه الأشـــعار في زياد وبنيه ويقول إنهم أدعياء حتى قال في زياد وأبي بكرة ونافع أولاد ســـمية (إن زيادا ونافعا وأبا * بكرة عندي من أعجب العجب) (هم رجال ثلاثة خلقوا * في رحم أنثى وكلهم لأب) (ذا قرشي كما يقول وذا * مولى وهذا بزعمه عربي) (345) وهذه الأبيات تحتاج إلى زيادة إيضـــاح فأقول قال أهل العلم بالأخبار إن الحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزى بن غيرة ابن عوف بن قسي وهو ثقيف هكذا ساق هذا النسـب ابن الكلبي في كتاب الجمهرة وهو طبيب العرب المشهور ومات في أول الإسـلام وليس يصح إسلامه وروي أن رسول الله أمر سعد بن أبي وقاص 363 أن يأتي الحارث يستوصـفه في مرض نزل به فدل ذلك على أنه جائز أن يشـاور أهل الكفر في الطب إذا كانوا من أهله وكان ولده الحارث بن الحارث من المؤلفة قلوبهم وهو معدود في جملة الصـــحابة رضــــي الله تعالى عنهم ويقال إن الحارث بن كلدة كان رجلا عقيما لا يولد له وإنه مات في خلافة عمر رضـــي الله عنه (346) ولما حاصـر رسـول الله الطائف قال أيما عبد تدلى إلي فهو حر فنزل أبو بكرة رضـــي الله عنه من الحصــن في بكرة قلت وهي بفتح الباء الموحدة وسكون الكاف وبعدها راء ثم هاء وهي التي تكون على البئر وفيها الحبل يســتقى به والناس يسـمونها بكرة بفتح الكاف وهو غلط إلا أن صــاحب كتاب مختصــر العين حكاها بالفتح أيضــا وهي لغة ضـــعيفة لم

يحكها غيره قال فكناه رسـول الله أبا بكرة لذلك وكان يقول أنا مولى رســـول الله وأراد أخوه نافع أن يدلي نفســـه في البكرة أيضـــا فقال له الحارث بن كلدة أنت ابني فأقم فأقام ونسـب إلى الحارث وكان أبو بكرة قبل أن يحسـن إسـلامه ينسب إلى الحارث أيضا فلما حسن إسلامه ترك الانتساب إليـه ولما هلك الحـارث بن كلـدة لم يقبض أبو بكرة من ميراثه شيئا تورعا هذا عند من يقول إن الحارث أسلم وإلا فهو محروم من الميراث لاختلاف الـدين فلهـذا قـال ابن مفرغ الأبيات الثلاثة البائية لأن زيادا ادعى أنه قرشـــي باســتلحاق معاوية له وأبو بكرة اعترف بولاء رســول الله ونـافع كـان يقول إنـه ابن الحـارث بن كلـدة الثقفي وأمهم واحدة وهي سمية المذكورة وهذا سبب نظم البيتين في آل أبي بكرة كما تقدم ذكره وعلاج جد الحارث بن كلدة كما ذكرته

364 هذه قصة زياد وأولاده ذكرتها مختصرة قلت إلا أن قول ابن مفرغ في البيـت الثـاني وكلهم لأب ليس بجيد فإن زيادا ما نســـبه أحد إلى الحارث ابن كلدة بل هو ولد عبيد لأنه ولد على فراشـــه وأما أبو بكرة ونافع فقد نسبا إلى الحارث فكيف يقول وكلهم لأب فتأمله وذكر ابن النديم في كتابه الذي سماه الفهرست أن أول من ألف كتابا في المثالب زياد ابن أبيه فإنه لما طعن عليه وعلى نســـبه عمل ذلك لولده وقال لهم اســـتظهروا به على العرب فإنهم يكفون عنكم وأما حديث المغيرة بن شعبة الثقفي والشهادة

عليه فإن عمر بن الخطاب رضـــــي الله عنه كان قد رتب المغيرة أميرا على البصـــــرة وكان يخرج من دار الإمارة نصف النهار وكان أبو بكرة المذكور يلقاه فيقول أين يذهب الأمير فيقول في حـاجـة فيقول إن الأمير يزار ولا يزور قالوا وكان يذهب إلى امرأة يقال لـها أم جميل بنت عمرو وزوجها الحجاج بن عتيك بن الحارث بن وهب الجشـــمي وقال ابن الكلبي في كتاب جمهرة النسب هي أم جميل بنت الأفقم بن محجن بن أبي عمرو بن شـــعيثـة ابن الهزم وعدادهم في الأنصار وزاد غير ابن الكلبي فقال الهزم بن رؤيبة ابن عبد الله بن هلال بن عامر بن صــعصــــعة بن معاوية بن بكر بن هوازن والله أعلم قال الراوي فبينما أبو بكرة في غرفة مع إخوته وهم نافع وزياد المذكوران وشبل بن معبد والجميع أولاد ســـمية المذكورة فهم إخوة لأم وكانت أم جميل المذكورة في غرفة أخرى قبالة هذه الغرفة فضربت الريح باب غرفة أم جميل ففتحته ونظر القوم فإذا هم بالمغيرة مع المرأة على هيئة الجماع فقال أبو بكرة هذه بليـة قد ابتليتم بهـا فـانظروا فنظروا حتى أثبتوا فنزل أبو بكرة فجلس حتى خرج عليه المغيرة من بيت المرأة فقال له إنه قد كان من أمرك ما قد علمت فاعتزلنا قال وذهب المغيرة ليصلي بالناس الظهر

365 ومضى أبو بكرة فقال لا والله لا تصلي بنا وقد فعلت ما فعلت فقال الناس دعوه فليصل فإنه الأمير واكتبوا بذلك إلى عمر رضي الله عنه فكتبوا إليه فأمرهم أن يقدموا

عليه جميعا المغيرة والشـــــهود فلما قدموا عليه جلس عمر رضـي الله عنه فدعا بالشـهود والمغيرة فتقدم أبو بكرة فقال له رأيته بين فخذيها قال نعم والله لكأني أنظر إلى تشـــريم جدري بفخذيها فقال له المغيرة لقد ألطفت في النظر فقال أبو بكرة لم آل أن أثبت ما يخزيك الله به فقال عمر رضـــي الله عنه لا والله حتى تشـهد لقد رأيته يلج فيها ولوج المرود في المكحلة فقال نعم أشـــهد على ذلك فقال فاذهب عنك مغيرة ذهب ربعك ثم دعا نافعا فقال له علام تشـــهد قال على مثل شـــهادة أبي بكرة قال لا حتى تشـــهد أنه ولج فيها ولوج الميل في المكحلة قال نعم حتى بلغ قذذه قلت القذذ بالقاف المضـــمومة وبعدها ذالان معجمتان وهي ريش الســـهم قال الراوي فقال له عمر رضـــي الله عنه اذهب مغيرة ذهب نصـــفك ثم دعا الثالث فقال له على ما تشـــهد فقال على مثل شهادة صاحبي فقال له عمر رضي الله عنه اذهب عنك مغيرة ذهب ثلاثة أرباعك ثم كتب إلى زياد وكان غائبا فقدم فلما رآه جلس له في المسجد واجتمع عنده رؤوس المهاجرين والأنصـــار فلما رآه مقبلا قال إني أرى رجلا لا يخزي الله على لسـانه رجلا من المهاجرين ثم إن عمر رضـي الله عنه رفع رأسـه إليه فقال ما عندك يا سلح الحبارى فقيل إن المغيرة قام إلى زياد فقال لا مخبأ لعطر بعد عروس قلت وهذا مثل العرب لا حاجة إلى الكلام عليه فقد طالت هذه الترجمة كثيرا قال الراوي فقال له المغيرة يا زياد اذكر الله تعالى واذكر موقف يوم القيامة فإن الله

تعالى وكتابه ورسوله وأمير المؤمنين قد حقنوا دمي إلا أن
تتجاوز إلى ما لم تر مما رأيت فلا يحملنك ســـوء منظر
رأيته على أن تتجاوز إلى ما لم تر فوالله لو كنت بين بطني
وبطنها ما رأيت أن يسلك ذكري فيها قال فدمعت عينا زياد
واحمر وجهه وقال يا أمير
366 المؤمنين أما إن أحق ما حق القوم فليس عندي
ولكن رأيت مجلســا وســمعت نفســا حثيثا وانتهازا ورأيته
مستبطنها فقال عمر رضي الله عنه رأيته يدخل كالميل في
المكحلة فقال لا وقيل قال زياد رأيته رافعا رجليها فرأيت
خصييه تتردد إلى بين فخذيها ورأيت حفزا شديدا وسمعت
نفسـا عاليا فقال عمر رضــي الله عنه رأيت يدخله ويخرجه
كالميل في المكحلة فقال لا فقال عمر رضـــي الله عنه الله
أكبر قم إليهم فاضــربهم فقام إلى أبي بكرة فضــربه ثمانين
وضـــرب الباقين وأعجبه قول زياد ودرأ الحد عن المغيرة
فقال أبو بكرة بعد أن ضـــرب أشـــهد أن المغيرة فعل كذا
وكذا فهم عمر رضــي الله عنه أن يضـربه حدا ثانيا فقال له
علي بن أبي طالب رضـــي الله عنه إن ضـــربته فارجم
صاحبك فتركه واستتاب عمر أبا بكرة فقال إنما تستتيبني
لتقبل شهادتي فقال أجل فقال لا أشهد بين اثنين ما بقيت في
الدنيا فلما ضربوا الحد قال المغيرة الله أكبر الحمد لله الذي
أخزاكم فقال عمر رضي الله عنه بل أخزى الله مكانا رأوك
فيه وذكر عمر بن شـــبة في كتاب أخبار البصـــرة أن أبا
بكرة لما جلد أمرت أمه بشـــاة فذبحت وجعلت جلدها على

ظهره فكان يقال ما ذاك إلا من ضـرب شـديد وحكى عبد الرحمن بن أبي بكرة أن أباه حلف لا يكلم زيادا ما عاش فلما مات أبو بكرة كان قد أوصـى أن لا يصـلي عليه زياد وأن يصلي عليه أبو برزة الأسلمي وكان النبي آخى بينهما وبلغ ذلك زيادا فخرج إلى الكوفة وحفظ المغيرة بن شـعبة ذلك لزياد وشـكره ثم إن أم جميل وافقت عمر بن الخطاب رضـي الله عنه بالموسـم والمغيرة هناك فقال له عمر أتعرف هذه المرأة يا مغيرة قال نعم هذه أم كلثوم بنت علي فقال لـه عمر أتتجاهل علي والله ما أظن أبا بكرة كذب عليك وما رأيتك إلا خفت أن أرمى بحجارة من السـماء قلت ذكر الشـيخ أبو إسـحاق الشـيرازي في أول باب عدد الشـهود في كتاب المهذب وشـهد على المغيرة ثلاثة أبو بكرة ونافع وشبل بن معبد

367 وقال زياد رأيت استا تنبو ونفسا يعلو ورجلين كأنهما أذنا حمار ولا أدري ما وراء ذلك فجلد عمر الثلاثة ولم يحد المغيرة قلت وقد تكلم الفقهاء على قول علي رضـي الله عنه لعمر رضـي الله عنه إن ضـربته فارجم صـاحبك فقال أبو نصـر ابن الصـباغ المقدم ذكره وهو صـاحب كتاب الشـامل في المذهب يريد أن هذا القول إن كان شهادة أخرى فقد تم العدد وإن كان هو الأول فقد جلدته عليه والله أعلم وذكر عمر بن شـبة في أخبار البصـرة أن العباس بن عبد المطلب رضـي الله عنه قال لعمر بن الخطاب رضـي الله عنه إن رسـول الله أقطعني البحرين

فقال ومن يشهد لك بذلك قال المغيرة بن شعبة فأبى أن
يجيز شهادته قلت وقد طالت هذه الترجمة وسببه أنها
اشتملت على عدة وقائع فدعت الحاجة إلى الكلام على كل
واحدة منها فانتشر القول لأجل ذلك وما خلا عن فوائد
822 يزيد بن الطثرية الشاعر المشهور أبو المكشوح
يزيد بن سلمة بن سمرة بن سلمة الخير بن قشير بن كعب
ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة المعروف بابن الطثرية
الشاعر المشهور هكذا ساق نسبه أبو عمرو الشيباني وإنما
قيل لجده سلمة الخير لأنه كان لقشير ولد آخر يقال له سلمة
الشر قال وقد قيل إنه يزيد بن المنتشر بن
368 سلمة وذكر ابن الكلبي أنه يزيد بن الصمة أحد
بني سلمة الخير بن قشير وذكر البصريون أنه من ولد
الأعور بن قشير ذكر أبو الحسن علي بن عبد الله الطوسي
في أول ديوان يزيد بن الطثرية المذكور وكان الطوسي قد
اعتنى به وجمعه فقال كان ابن الطثرية شاعرا مطبوعا
عاقلا فصيحا كامل الأدب وافر المروءة لا يعاب ولا
يطعن عليه وكان سخيا شجاعا له أصل ومحل في قومه
من قشير وكان من شعراء بني أمية مقدما عندهم وقال
غير الطوسي كان يزيد بن الطثرية يسمى مودقا سمي
بذلك لحسن وجهه وحسن شعره وحلاوة حديثه فكانوا
يقولون إنه إذا جلس بين النساء ودقهن يقال استودقت
المرأة وودقت إذا مالت إلى الفحل لأجل الجماع والأصل
في هذه اللفظة أن تكون لذوات الحافر ثم نقلت إلى بني آدم

وهي بالدال المهملة والقاف والمودق هو الذي يجعل النساء يملن عليه وكان يزيد كثيرا ما يجلس عند النســاء ويتحدث معهن ويقال إنه كان عنينا لا يأتي النســاء وليس له عقب وهو من أعيان الشــعراء ذكره أبو تمام الطائي في كتاب الحماسة في عدة مواضع فمن ذلك قوله في باب النسيب (عقيلية أما ملاث إزارها * فدعص وأما خصــرها فبتيل) (تقيظ أكناف الحمى ويظلها * بنعمان من وادي الأراك مقيل) (أليس قليلا نظرة إن نظرتها * إليك وكل ليس منك قليل) (فيا خلة النفس التي ليس دونها * لنا من أخلاء الصــفاء خليل) (ويا من كتمنا حبه لم يطع به * عدو ولم يؤمن عليه دخيل) (أما من مقام أشــتكي غربة النوى * وخوف العدا فيه إليك ســبيل) (فديتك أعدائي كثير وشــقتي * بعيد وأشــياعي لديك قليل) (فلا تحملي ذنبي وأنت ضعيفة * فحمل دمي يوم الحساب ثقيل)
369 (وكنت إذا ما جئت جئت بعلة * فأفنيت علاتي فكيف أقول) (فما كل يوم لي بأرضــك حاجة * ولا كل يوم لي إليك رسول) وكان أبو الفرج الأصبهاني صــاحب كتاب الأغاني قد جمع شــعر يزيد ابن الطثرية أيضــا في ديوان وأورد له قوله (ألا بأبي من قد برى الجســم حبه * ومن هو موموق إلى حبيب) (ومن هو لا يزداد إلا تشــوقا * وليس يرى إلا عليه رقيب) (وإني وإن أحموا علي كلامها * وحالت أعاد دوننا وحروب) (لمثن على ليلى ثناء يزينها * قواف بأفواه الرجال تطيب)

(أليلى احـذري نقض القوى لا يزل لنـا * على النـأي والهجران منك نصـيب) (وكوني على الواشـين لداء شـغبة * كما أنا للواشـي ألد شـغوب) (فإن خفت ألا تحكمي مرة الهوى * فردي فؤادي والمزار قريـب) وأورد له أيضا (بنفسي من لو مر برد بنانه * على كبدي كانت شـفاء أنامله) (ومن هابني في كل شـيء وهبته * فلا هو يعطيني ولا أنا سـائله) وأما أبو الحسـن الطوسـي فإنه أورد له (وإني لأسـتحيي من الله أن أرى * رديفا لوصـل أو علي رديف) (وأن أرد الماء الموطا حنيه * وأتبع وصـلا منك وهو ضـعيف) قلت ورأيت في موضـع آخر بعد البيت الأول
370 (وإني للماء المخالطه القذى * وإن كثرت وراده لعيوف) وأورد له الطوسـي أيضـا (ألا رب راج حاجة لا ينالها * وآخر قد تقضى له وهو جالس) (يجول لها هذا وتقضى لغيره * وتأتي الذي تقضى له وهو آيس) وأورد له أيضـا من جملة أبيات (برغمي أطيل الصـد عنها إذا نأت * أحاذر أسـماعا عليها وأعينا) (أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى * فصـادف قلبا خاليا فتمكنا) وأورد له أيضـا أبياتا منها قوله (وقولا إذا عدت ذنوبا كثيرة * علينا تجناها ذري ما تغيبا) (هبيني امرا إما بريئا ظمته * وإما مسـيئا تاب بعد وأعتبا) (فلما أبت لا تقبل العذر وارتمى * بها كذب الواشـين شـأوا مغربا) (تعزيت عنها بالسلو ولم أكن * لمن ضن عني بالمودة أقربا

) (وكنت كذي داء تبغى لدائه * طبيبا فلما لم يجده تطببا
) وأورد له أبو عبد الله المرزباني في كتاب معجم الشعراء
وهي في الحماسة أيضا وقد رويت أيضا لعبد الله بن
الدمينة الخثعمي والله أعلم (بنفسي وأهلي من إذا عرضوا
له * ببعض الأذى لم يدر كيف يجيب) (ولم يعتذر عذر
البريء ولم تزل * به رعدة حتى يقال مريب) وأورد له
المرزباني في المعجم أيضا (حننت إلى ريا ونفسك
باعدت * مزارك من ريا وشعباكما معا)
371 (فما حسن أن تأتي الأمر طائعا * وتجزع أن
داعى الصبابة أسمعا) (قفا ودعا نجدا ومن حل بالحمى
* وقل لنجد عندنا أن يودعا) (ولما رأيت البشر أعرض
دوننا * وجالت بنات الشوق يحنن نزعا) (بكت عيني
اليمنى فلما زجرتها * عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا) (
تلفت نحو الحي حتى وجدتني * وجعت من الإصغاء ليتا
وأخدعا) (وأذكر أيام الحمى ثم أنثني * على كبدي من
خشية أن تقطعا) (وليست عشيات الحمى برواجع *
عليك ولكن خل عينيك تدمعا) قلت وهي أبيات في غاية
الرقة واللطافة وذكرها أبو تمام الطائي في كتاب الحماسة
في أول باب النسيب وقال إنها للصمة بن عبد الله القشيري
والله أعلم بالصواب في ذلك وقال أبو عمر يوسف بن عبد
البر صاحب كتاب الاستيعاب في أخبار الصحابة رضي
الله عنهم وقد تقدم ذكره في كتاب بهجة المجالس ما مثاله
للصمة بن عبد الله القشيري (أما وجلال الله لو تذكرينني

* كذكريك ما كفكفت للعين مدمعا) (فقالت بلى والله ذكرا لو أنه * يصب على الصخر الأصم تصدعا) ثم قال بعد ذلك وأكثرهم ينسبون إليه في هذا الشعر (حننت إلى ريا ونفسك باعدت * مزارك من ريا وشعباكما معا) وذكر الأبيات بكمالها كما ذكرها في الحماسة وبعد الفراغ منها قال ومنهم من ينسبها إلى قيس بن ذريح وإلى المجنون أيضا والأكثر أنها للصمة والله أعلم

372 قلت فقد وقع الاختلاف في أن هذه الأبيات العينية هل هي ليزيد بن الطثرية أم للصمة بن عبد الله القشيري أم لقيس بن ذريح أم للمجنون والله أعلم قلت وذكره المرزباني أيضا في كتاب الموتق فقال أنشدني أبو الخنبش لابن الطثرية (وحنت قلوصي بعد هذا صبابة * فيا روعة ما راع قلبي حنينها) (فقلت لها صبرا فكل قرينة * مفارقها لا بد يوما قرينها) وأورد له أيضا (كيف العزاء وأنت أومق من مشى * والنفس معولة ودارك نائيه) (بيديك قتلي إن أردت منيتي * وشفاء نفسي إن أردت شفائيه) (ولقد عرفت فما أويت لمدنف * ما النفس عنك وإن نأيت بساليه) وأورد له أيضا (إذا نحن جئنا لم تجمل بزينة * حذار الأعادي وهي باد جمالها) (ولا نبتديها بالسلام ولم نقل * لهم من توقي شرهم كيف حالها) وأورد له أشياء كثيرة غير هذا فنقتصر على هذا القدر وقال أبو بكر أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري في كتاب أنساب الأشراف بعد ما ذكر مقتل الوليد بن يزيد بن عبد

الملك بن مروان الأموي الحكمي ووقائع جرت في سنة ست وعشرين ومائة فكان في أثناء ذلك وقعة قتل فيها المندلث ابن إدريس الحنفي وقتل معه يزيد بن الطثرية المذكور على قرية يقال لها الفلج بفتح الفاء واللام وفي آخره الجيم وأظنها من قرى اليمامة ثم وجدت في كتاب أبي بكر الحازمي الذي صنفه في أسماء المواضع أن فلج بفتح الفاء واللام وآخره جيم قرية عظيمة لبني جعدة بها منبر يقال لها فلج الأفلاج

373 من ناحية اليمامة وقال غيره فلج بينها وبين هجر التي هي قصبة البحرين ستة أيام وبينها وبين مكة تسعة أيام والله أعلم وذكر أبو إسحاق الزجاج في كتاب معاني القرآن الكريم في سورة الفرقان أن الرس قرية باليمامة يقال لها فلج فتكون هي هذه القرية على ما قال وأما الذي جاء في قول الشاعر (وإن الذي حانت بفلج دماؤهم * هم القوم كل القوم يا أم خالد) فإنه بفتح الفاء وسكون اللام وهو واد بين البصرة وحمى ضرية وضرية قرية على القرب من مكة شرفها الله تعالى وأما فلجة الذي جاء في شعر بعض العرب (ألا حبذا أعلام فلجة بالضحى * وخيم روابي جلهتيها المنصب) (يقولون ملح ماء فلجة آجن * أجل هو مملوح إلى القلب طيب) فهذا الاسم يقع على موضعين أحدهما منزل بين مكة والبصرة والثاني موضع بالعقيق وكانت به الواقعة في السنة التي قتل فيها الوليد بن يزيد الأموي المذكور رجعنا إلى ما كنا

فيه وكان قتل الوليد في جمادى الآخرة يوم الخميس لليلتين بقيتا منها من سنة ست وعشرين ومائة بالبخراء بفتح الباء الموحدة وسكون الخاء المعجمة وبعد الراؤ ألف ممدودة وذكر أبو الحسن الطوسي المذكور في هذه الواقعة أن الراية كانت مع يزيد بن الطثرية فلما قتل المندلث وهرب أصحابه ثبت يزيد بن الطثرية بالراية وكانت عليه جبة خز فتشبثت في عشرة قلت

374 وهي بضم العين المهملة وفتح الشين وبعدها راء مفتوحة ثم هاء وهي شجرة لها صمغ من شجر العضاه قال فعثر فضربه بنو حنيفة حتى قتلوه قلت وذكر هذه الواقعة بعد قتل الوليد في التاريخ المذكور فيكون قتل يزيد ابن الطثرية بين تاريخ قتل الوليد بن يزيد وبين آخر سنة ست وعشرين ومائة والله أعلم وذكر أبو الفرج الأصبهاني في أول الديوان الذي جمعه من شعر يزيد بن الطثرية أن بني حنيفة قتلته في خلافة بني العباس والأول أصح ولما قتل ابن الطثرية رثاه القحيف بن حمير بن سليم الندى بن عبد الله العقيلي بقوله (ألا تبكي سراة بني قشير * على صنديدها وعلى فتاها) (أبا المكشوح بعدك من يحامي * ومن يزجي المطي على وجاها) ورثى القحيف أيضا الوليد بن يزيد ورثاه أخوه ثور بن سلمة بقوله (أرى الأثل من بطن العقيق مجاوري * مقيما وقد غالت يزيد غوائله) وهي من الشعر المختار وذكر أبو تمام الطائي في الحماسة أن هذه الأبيات لأخته زينب بنت

الطثرية وقيل إنها لأمه والله أعلم وذكر الطوسي المذكور أن هذه الواقعة كانت بالعقيق وقال ياقوت الحموي في كتاب المشترك وضعا إن العقيق عشرة مواضع قال الأصمعي الأعقة الأودية التي تشقها السيول ثم عد المواضع فقال الثالث عقيق عارض بأرض اليمامة وهو واد واسع مما يلي العرمة تندفق فيه شعاب العارض وفيه عيون وقرى ثم قال والعقيق من قرى اليمامة لبني عقيل وهو عقيق نمرة في طريق اليمن من اليمامة

375 قلت فيحتمل أن يكون المراد بقوله بطن العقيق في هذا البيت العقيق الأول ويحتمل العقيق الثاني والله أعلم وإنما كني ابن الطثرية بأبي المكشوح لأنه كان على كشحه كي نار والكشح بفتح الكاف وسكون الشين المعجمة وبعدها الحاء المهملة وهي الخاصرة والطثرية بفتح الطاء المهملة وسكون الثاء المثلثة وبعدها راء ثم ياء النسب وهاء التأنيث وهي أمه ينسب يزيد المذكور إليها وهي من بني طثر بن عنز بن وائل والطثر الخصب وكثرة اللبن يقال إن أمه ولدت في عام هذا وصفه وقيل بل ولدته في عام هذا شأنه ويقال إن أمه كانت مولعة بإخراج زبد اللبن فسميت الطثرية وطثرة اللبن زبدته والله أعلم قلت وهذا الكلام في النفس منه شيء فإنهم قالوا إن أمه من بني طثر ابن عنز بن وائل فعلى هذا تكون أمه منسوبة إلى هذه القبيلة فلا معنى حينئذ لقولهم إن أمه ولدت في عام هذا وصفه أو ولد هو في عام هذا شأنه أو كانت أمه تخرج

الزبد من اللبن فتأمله إلا أن يكون عندهم فيه خلاف هل هو منسوب إلى القبيلة أم إلى هذا المعنى الثاني والله أعلم بالصواب في ذلك ويروى لزينب بنت الطثرية أخت يزيد المذكور شيء كثير من الشعر فمن ذلك قولها في المديح (أشم إذا ما جئت للعرف طالبا * حباك بما تحنو عليه أنامله) (ولو لم يكن في كفه غير روحه * لجاد بها فليتق الله سائله) وينسب هذان البيتان إلى زياد الأعجم أيضا والبيت الثاني منهما يوجد في ديوان أبي تمام الطائي أيضا في قصيدته التي أولها (أجل أيها الربع الذي خف آهله * لقد أدركت فيك النوى ما تحاوله) والله أعلم بالصواب

376 823 الماجشون أبو يوسف يعقوب بن أبي سلمة دينار وقيل ميمون الملقب بالماجشون القرشي التيمي من موالي آل المنكدر من أهل المدينة سمع ابن عمر رضي الله عنهما وعمر بن عبد العزيز ومحمد بن المنكدر وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج روى عنه ابناه يوسف وعبد العزيز وابن أخيه عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة وقال يعقوب بن شيبة الماجشون يعقوب بن أبي سلمة مولى آل الهدير وكان يعقوب مع عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في ولاية عمر المدينة يحدثه ويأنس به فلما استخلف عمر رضي الله عنه قدم عليه الماجشون فقال له عمر إنا تركناك حيث تركنا لبس الخز فانصرف عنه وذكره محمد بن سعد في كتاب الطبقات وقال يعقوب بن شيبة قال مصعب وكان الماجشون يعين ربيعة الرأي

على أبي الزناد لأن أبا الزناد كان معاديا لربيعة الرأي فكان أبو الزناد يقول مثلي ومثل الماجشـون مثل ذئب كان يلح على أهل قرية فيأكل صـبيانهم فاجتمعوا له وخرجوا في طلبه فهرب منهم فانقطعوا عنه إلا صـاحب فخار فإنه ألح في طلبه فوقف له الذئب فقال هؤلاء أعذرهم فأنت ما لي ولك ما كسرت لك فخارة قط والماجشون ما كسرت له كبرا ولا بربطا قط وقال ابن الماجشـون عرج بروح الماجشون فوضعناه على سرير الغسل

377 وقلنا للناس نروح به فدخل غاسـل إليه يغسـله فرأى عرقا يتحرك في أسـفل قدمه فأقبل علينا وقال أرى عرقا يتحرك ولا أرى أن أعجل عليه فاعتللنا على الناس بالأمر الذي رأيناه وفي الغد جاء الناس وغدا الغاسل عليه فرأى العرق على حاله فاعتذرنا إلى الناس فمكث ثلاثا على حاله ثم إنه استوى جالسا فقال آتوني بسويق فأتي به فشربه فقلنا له خبرنا ما رأيت قال نعم عرج بروحي فصعد بي الملك حتى أتى سماء الدنيا فاستفتح ففتح له ثم هكذا في السموات حتى انتهى بي إلى السماء السابعة فقيل له من معك قال الماجشـون فقيل له لم يأن له بعد بقي من عمره كذا كذا سنة وكذا كذا شهرا وكذا كذا يوما وكذا كذا ساعة ثم هبط فرأيت النبي وأبا بكر عن يمينه وعمر عن يسـاره وعمر بن عبد العزيز بين يديه فقلت للملك الذي معي من هذا قال هذا عمر بن عبد العزيز قلت إنه لقريب المقعد من رسول الله قال إنه عمل بالحق في زمن الجور وإنهما عملا

بالحق في زمن الحق ذكر هذا يعقوب بن شيبة في ترجمة الماجشون وذكر أبو الحسن محمد بن أحمد بن القواس الوراق أن يعقوب الماجشون مات سنة أربع و ستين ومائة رحمه الله تعالى هذا كله نقلته من تاريخ الحافظ أبي القاسم المعروف بابن عساكر الذي جعله تاريخا لدمشق وذكر ابن قتيبة في كتاب المعارف في ترجمة محمد بن المنكدر أن الماجشون من مواليه واسمه يعقوب وكان فقيها ثم قال بعد ذلك وكان للماجشون أخ يقال له عبد الله بن أبي سلمة (347) وابنه عبد العزيز بن عبد الله يكنى أبا عبد الله توفي ببغداد وصلى عليه المهدي ودفنه في مقابر قريش وذلك في سنة أربع وستين ومائة قلت وقد تقدم في هذا الكتاب ترجمة ولده عبد الملك بن عبد العزيز بن

378 عبد الله وذكرت ما قاله العلماء في معنى الماجشون فأغنى عن الإعادة هاهنا والله أعلم قوله ما كسرت له كبرا ولا بربطا الكبر بفتح الكاف والباء الموحدة وبعدها راء وهو طبل ذو وجه واحد والبربط بفتح الباءين الموحدتين بينهما راء ساكنة وفي آخره طاء مهملة وهو نوع من العود الذي للغناء وأصله بر وهو الصدر بالفارسي وبط الطائر المعروف فلما كان هذا الملهى يشبه صدر البط سمي به واسمه بالعربي العود والمزهر أيضا بكسر الميم وسكون الزاي وفتح الهاء وبعدها راء وبالعجمي البربط كما ذكرناه 824 القاضي أبو يوسف صاحب أبي حنيفة القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم

بن حبيب بن خنيس بن سعد بن حبتة الأنصاري و سعد بن حبتة أحد الصـــحابة رضـــي الله عنهم وهو مشـــهور في الأنصـــار بأمه وهي حبته بنت مالك من بني عمرو بن عوف وأما أبو ســـعد ابن حبتة فهو عوف بن بحير بن معاوية بن ســـلمى بن بجيلة حليف بني عمرو بن عوف الأنصـاري هكذا ساق نسـب سعد بن حبتة في الاستيعاب وأما الخطيب أبو بكر البغدادي فإنه قال في تاريخه هو سـعد بن بجير بن معاوية بن قحافة بن بليل بن سـدوس بن عبد مناف بن أبي

379 أسامة بن سحمة بن سعد بن عبد الله بن قداد بن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن الغوث بن بجيلة كان القاضـي أبو يوسف المذكور من أهل الكوفة و هو صاحب أبي حنيفة رضـــي الله عنه كان فقيها عالما حافظا ســـمع أبا إســـحاق الشـــيباني وســـليمان التيمي ويحيى بن ســـعيد الأنصـــاري والأعمش وهشـام بن عروة وعطاء بن السـائب ومحمد بن إســـحاق بن يســـار وتلك الطبقة وجالس محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ثم جالس أبا حنيفة النعمان بن ثابت وكان الغالب عليه مذهب أبي حنيفة وخالفه في مواضـــع كثيرة روى عنه محمد بن الحسن الشيباني الحنفي وبشـر بن الوليد الكندي وعلي بن الجعد وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين في آخرين وكان قد سـكن بغداد وتولى القضـــاء بهـا لثلاثـة من الخلفـاء المهدي وابنـه الهـادي ثم هـارون الرشـيد وكان الرشـيد يكرمه ويجله وكان عنده حظيا مكينا

وهو أول من دعي بقاضي القضاة ويقال إنه أول من غير لباس العلماء إلى هذه الهيئة التي هم عليها في هذا الزمان وكان ملبوس الناس قبل ذلك شيئا واحدا لا يتميز أحد عن أحد بلباسه ولم يختلف يحيى بن معين وأحمد بن حنبل وعلي ابن المديني في ثقته في النقل وذكر أبو عمر ابن عبد البر صاحب كتاب الاستيعاب في كتابه الذي سماه كتاب الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء أن أبا يوسف المذكور كان حافظا وأنه كان يحضر المحدث ويحفظ خمسين ستين حديثا ثم يقوم فيمليها على الناس وكان كثير الحديث وقال محمد بن جرير الطبري وتحامى حديثه قوم من أهل الحديث من أجل غلبة الرأي عليه وتفريعه الفروع والأحكام مع صحبة السلطان وتقلده القضاء وحكى أبو بكر الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد أن أبا يوسف قال
380 كنت أطلب الحديث والفقه وأنا مقل رث الحال فجاء أبي يوما وأنا عند أبي حنيفة فانصرفت معه فقال يا بني لا تمد رجلك مع أبي حنيفة فإن أبا حنيفة خبزه مشوي وأنت تحتاج إلى المعاش فقصرت عن كثير من الطلب وآثرت طاعة أبي فتفقدني أبو حنيفة وسأل عني فجعلت أتعاهد مجلسه فلما كان أول يوم أتيته بعد تأخري عنه قال لي ما شغلك عنا قلت الشغل بالمعاش وطاعة والدي فجلست فلما انصرف الناس دفع إلي صرة وقال استمتع بها فنظرت فإذا فيها مائة درهم فقال لي الزم الحلقة وإذا فرغت هذه فأعلمني فلزمت الحلقة فلما مضت مدة يسيرة

دفع إلي مائة أخرى ثم كان يتعاهدني وما أعلمته بخلة قط ولا أخبرته بنفاد شـــيء وكأنه كان يخبر بنفادها حتى اســـتغنيت وتمولت ثم قال الخطيب وحكي أن والد أبي يوسف مات وخلف أبا يوسف طفلا صغيرا وأن أمه هي التي أنكرت عليه حضور حلقة أبي حنيفة ثم روى الخطيب أيضـا بإسـناد متصـل إلى علي بن الجعد قال أخبرني أبو يوسف القاضـي قال توفي أبي وخلفني صـغيرا في حجر أمي فأسلمتني إلى قصـار أخدمه فكنت أدع القصـار وأمر إلى حلقة أبي حنيفة فأجلس أستمع فكانت أمي تجيء خلفي إلى الحلقة فتأخذ بيدي فتذهب بي إلى القصــار وكان أبو حنيفة يعنى بي لما يرى من حضـوري وحرصـي على التعلم فلما كثر ذلك على أمي وطال عليها هربي قالت لأبي حنيفة ما لهذا الصـبي فساد غيرك هذا صـبي يتيم لا شـــيء له وإنما أطعمه من مغزلي وآمل أن يكســب دانقا يعود به على نفسه فقال لها أبو حنيفة مري يا رعناء ها هو ذا يتعلم أكل الفالوذج بدهن الفستق فانصـرفت عنه وقالت له أنت شـــيخ قد خرفت وذهب عقلك ثم لزمته فنفعني الله تعالى بالعلم ورفعني حتى تقلدت القضـــاء وكنت أجالس الرشيد وآكل معه على مائدته فلما كان في بعض الأيام قدم إلى هارون فالوذجة فقال لي يا يعقوب كل منها فليس في كل يوم يعمل لنا مثلها فقلت وما هذه يا أمير المؤمنين فقال هذه فالوذجة بدهن الفستق

381 فضحكت فقال لي مم ضحكك فقلت خيرا أبقى الله أمير المؤمنين قال لتخبرني وألح علي فأخبرته بالقصة من أولها إلى آخرها فعجب من ذلك وقال لعمري إن العلم لينفع دنيا ودينا وترحم على أبي حنيفة وقال كان ينظر بعين عقله مالا يراه بعين رأسه وحكى علي بن المحسن التنوخي عن أبيه عن جده قال كان سبب اتصال أبي يوسف بالرشيد أنه كان قدم بغداد بعد موت أبي حنيفة رحمه الله تعالى فحنث بعض القواد في يمين فطلب فقيها يستفتيه فجيء بأبي يوسف فأفتاه أنه لم يحنث فوهب له دنانير وأخذ له دارا بالقرب منه ودخل القائد يوما على الرشيد فوجده مغموما فسأله عن سبب غمه فقال شيء من أمر الدين قد حزنني فاطلب فقيها كي أستفتيه فجاءه بأبي يوسف قال أبو يوسف فلما دخلت إلى ممر بين الدور رأيت فتى حسنا عليه أثر الملك وهو في حجرة محبوس فأومأ إلي بأصبعه مستغيثا فلم أفهم منه إرادته وأدخلت إلى الرشيد فلما مثلت بين يديه سلمت ووقفت فقال لي ما اسمك فقلت يعقوب أصلح الله أمير المؤمنين قال ما تقول في إمام شاهد رجلا يزني هل يحده قلت لا فحين قلتها سجد الرشيد فوقع لي أنه قد رأى بعض أهله على ذلك وأن الذي أشار إلي بالاستغاثة هو الزاني ثم قال الرشيد من أين قلت هذا قلت لأن النبي قال ادرأوا الحدود بالشبهات وهذه شبهة يسقط الحد معها قال وأي شبهة مع المعاينة قلت ليس توجب المعاينة لذلك أكثر من العلم بما جرى والحدود لا

تكون بالعلم وليس لأحد أخذ حقه بعلمه فسجد مرة أخرى وأمر لي بمال جزيل وأن ألزم الدار فما خرجت حتى جاءتني هدية الفتى وهدية أمه وجماعته وصار ذلك أصلا للنعمة ولزمت الدار فكان هذا الخادم يستفتيني وهذا يشاورني ولم يزل حالي يقوى عند الرشيد حتى قلدني القضاء قلت وهذا يخالف ما نقلته قبل هذا من أنه ولي القضاء لثلاثة من الخلفاء والله أعلم بالصواب

382 وقال طلحة بن محمد بن جعفر أبو يوسف مشهور الأمر ظاهر الفضل وهو صاحب أبي حنيفة وأفقه أهل عصره ولم يتقدمه أحد في زمانه وكان النهاية في العلم والحكم والرياسة والقدر وأول من وضع الكتب في أصول الفقه على مذهب أبي حنيفة وأملى المسائل ونشرها وبث علم أبي حنيفة في أقطار الأرض وقال عمار بن أبي مالك ما كان في أصحاب أبي حنيفة مثل أبي يوسف لولا أبو يوسف ما ذكر أبو حنيفة ولا محمد بن أبي ليلى ولكنه هو نشر قولهما وبث علمهما وقال محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة مرض أبو يوسف في زمن أبي حنيفة مرضا خيف عليه منه فعاده أبو حنيفة ونحن معه فلما خرج من عنده وضع يده على عتبة بابه وقال إن يمت هذا الفتى فإنه أعلم من عليها وأومأ إلى الأرض وقال أبو يوسف سألني الأعمش عن مسألة فأجبته فيها فقال لي من أين لك هذا فقلت من حديثك الذي حدثتناه أنت ثم ذكرت له الحديث فقال لي يا يعقوب إني لأحفظ هذا الحديث قبل أن

يجتمع أبواك وما عرفت تأويله حتى الآن وقال هلال بن يحيى كان أبو يوسف يحفظ التفسير والمغازي وأيام العرب وكان أقل علومه الفقه ولم يكن في أصحاب أبي حنيفة مثل أبي يوسف وذكر أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني في كتاب الجليس والأنيس عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال مضى أبو يوسف القاضي ليسمع المغازي من محمد بن إسحاق أو من غيره وأخل بمجلس أبي حنيفة أياما فلما أتاه قال له أبو حنيفة يا أبا يوسف من كان صاحب راية جالوت فقال له أبو يوسف إنك إمام وإن لم تمسك عن هذا سألتك والله على رؤوس الملإ أيما

383 كان أول وقعة بدر أو أحد فإنك لا تدري أيهما كان قبل الآخر فأمسك عنه وذكر في الكتاب المذكور أيضا عن علي بن الجعد أن القاضي أبا يوسف كتب يوما كتابا وعن يمينه إنسان يلاحظ ما يكتبه ففطن له أبو يوسف فلما فرغ من الكتابة التفت إليه وقال له هل وقفت على شيء من خطإ فقال لا والله ولا حرف واحد فقال له أبو يوسف جزيت خيرا حيث كفيتنا مؤونة قراءته ثم أنشد (كأنه من سوء تأديبه * أسلم في كتاب سوء الأدب) وقال حماد بن أبي حنيفة رأيت أبا حنيفة يوما وعن يمينه أبو يوسف وعن يساره زفر وهما يتجادلان في مسألة فلا يقول أبو يوسف قولا إلا أفسده زفر ولا يقول زفر قولا إلا أفسده أبو يوسف إلى وقت الظهر فلما أذن المؤذن رفع أبو حنيفة يده فضرب بها فخذ زفر وقال لا تطمع في رياسة ببلدة

فيها أبو يوسف وقضى لأبي يوسف على زفر ولم يكن بعد أبي يوسـف في أصـحاب أبي حنيفة مثل زفر وقال طاهر بن أحمد الزبيدي كان يجلس إلى أبي يوســف رجل فيطيل الصــمت فقال له أبو يوســف ألا تتكلم فقال بلى متى يفطر الصائم فقال إذا غابت الشمس فقال فإن لم تغب إلى نصف الليل فضحك أبو يوسف وقال أصبت في صمتك وأخطأت أنا في اســتدعاء نطقك ثم تمثل (عجبت لإزراء الغبي بنفســه * وصــمت الذي قد كان بالقول أعلما) (وفي الصمت ستر للغبي وإنما * صحيفة لب المرء أن يتكلما) ومن كلام أبي يوسف صحبة من لا يخشى العار عار يوم القيامة وكان يقول رؤوس النعم ثلاثة فأولها نعمة الإسلام التي لا تتم نعمة إلا بها

384 والثانية نعمة العافية التي لا تطيب الحياة إلا بها والثالثة نعمة الغنى التي لا يتم العيش إلا بها وقال علي بن الجعد سمعت أبا يوسف يقول العلم شيء لا يعطيك بعضــه حتى تعطيه كلك وأنت إذا أعطيته كلك من إعطائه البعض كنت على غرر وكان أبو يوســف راكبا وغلامه يعدو وراءه فقال له رجل أتستحل أن تعدي غلامك وراءك لم لا تركبه فقال له أيجوز عندك أن أســلم غلامي مكاريا قال نعم قال أبو يوســف فيعدو معي كما كان يعدو لو كان مكاريا وقال يحيى بن عبد الصـمد خوصـم أمير المؤمنين الهادي إلى القاضي أبي يوسف في بستانه وكان الحكم في الظاهر للهادي وفي الباطن خلاف ذلك فقال الهادي

للقاضي أبي يوسف ما صنعت في الأمر الذي نتنازع إليك فيه فقال خصـــم أمير المؤمنين يســـألني أن أحلف أمير المؤمنين أن شهوده شهدوا على حق فقال له الهادي وترى ذلك قال فقد كان ابن أبي ليلى يراه فقال اردد البستان عليه وإنما احتال عليه أبو يوســف لعلمه أن الهادي لا يحلف وقال بشر بن الوليد الكندي قال لي القاضي أبو يوسف بينا أنا البارحة قد أويت إلى فراشـــي فإذا داق يدق الباب دقا شـــديدا فأخذت علي إزاري وخرجت فإذا هرثمة بن أعين فسـلمت عليه فقال أجب أمير المؤمنين فقلت يا أبا حاتم لي بك حرمة وهذا وقت كما ترى ولســـت آمن أن يكون أمير المؤمنين قد دعاني لأمر من الأمور فإن أمكنك أن تدفع بذلك إلى غد فلعله أن يحدث له رأي فقال ما لي إلى ذلك سبيل قلت كيف كان السبب

385 قال خرج إلي مســـرور الخادم فأمرني أن آتي بك أمير المؤمنين فقلت تأذن لي أن أصـــب علي ماء وأتحنط فإن كان أمر من الأمور كنت قد أحكمت شـــأني وإن رزق الله العافية فلن يضرني فأذن لي فدخلت فلبست ثيابا جددا وتطيبت بما أمكن من الطيب ثم خرجنا فمضـينا حتى أتينا دار أمير المؤمنين هارون الرشـيد فإذا مســرور واقف فقال له هرثمة قد جئت به فقلت لمسرور يا أبا هاشم خدمتي وحرمتي وميلي وهذا وقت ضـيق فتدري لم طلبني أمير المؤمنين قال لا فقلت فمن عنده قال عيســى بن جعفر قلت ومن قال ما عندهما ثالث ثم قال لي مر فإذا صـــرت

في الصحن فإنه في الرواق وهو ذاك جالس فحرك رجلك
بالأرض فإنه سيسألك فقل أنا قال أبو يوسف فجئت ففعلت
ذلك فقال من هذا فقلت يعقوب فقال ادخل فدخلت فإذا هو
جالس وعن يمينه عيسى بن جعفر فسلمت فرد السلام علي
وقال أظننا روعناك فقلت إي والله وكذلك من خلفي فقال
اجلس فجلست حتى سكن روعي ثم التفت إلي وقال يا
يعقوب تدري لم دعوتك قلت لا قال دعوتك لأشهدك على
هذا ان عنده جارية سألته أن يهبها لي فامتنع وسألته أن
يبيعها فأبى والله لئن لم يفعل لأقتلنه قال أبو يوسف فالتفت
إلى عيسى فقلت له وما بلغ الله بجارية تمنعها أمير
المؤمنين وتنزل نفسك هذه المنزلة قال فقال لي عجلت
علي في القول قبل أن تعرف ما عندي قلت وما في هذا من
الجواب قال إن علي يمينا بالطلاق والعتاق وصدقة ما
أملك أن لا أبيع هذه الجارية ولا أهبها فالتفت إلي الرشيد
فقال هل له في ذلك من مخرج قلت نعم قال وما هو قلت
يهب لك نصفها ويبيعك نصفها فيكون لم يهب ولم يبع فقال
عيسى ويجوز ذلك قلت نعم قال فأشهدك أني قد وهبت له
نصفها وبعته نصفها الباقي بمائة ألف دينار فقال له الرشيد
قبلت الهبة واشتريت نصفها بمائة ألف دينار ثم طلب منه
الجارية فأتى بالجارية وبالمال فقال خذها يا أمير المؤمنين
بارك الله لك فيها فقال الرشيد يا يعقوب
386 بقيت واحدة فقلت وما هي فقال هي مملوكة ولا
بد أن تستبرأ ووالله لئن لم أبت معها ليلتي هذه إني أظن أن

نفسي ستخرج فقلت يا أمير المؤمنين تعتقها وتتزوجها فإن الحرة لا تستـــتبرأ قال فإني قد أعتقتها فمن يزوجنيها فقلت أنا فدعا بمســـرور وحســـين فخطبت وحمدت الله تعالى ثم زوجته إياها على عشـــرين ألف دينار ودعا بالمال فدفعه إليها ثم قال لي يا يعقوب انصرف ورفع رأسه إلى مسرور فقال يا مســـرور فقال لبيك فقال احمل إلى يعقوب مائتي ألف درهم وعشـرين تختا ثيابا فحمل ذلك معي قال بشـر بن الوليد فالتفت إلي أبو يوسـف وقال هل رأيت بأسـا فيما فعلت فقلت لا فقال خذ حقك منها قلت وما حقي فقال العشر قال بشـر فشـكرته ودعوت له وذهبت لأقوم فإذا بعجوز قد دخلت فقالت يا أبا يوسف إن بنتك تقرئك السلام وتقول لك والله ما وصـــــل إلي في ليلتي هذه من أمير المؤمنين إلا المهر الذي قد عرفته وقد حملت إليك النصـف منه وخلفت الباقي لما أحتاج إليه فقال رديه فوالله لا قبلتها أخرجتها من الرق وزوجتها أمير المؤمنين وترضـــى لي بهذا قال بشـر فلم نزل نطلب إليه أنا وعمومتي حتى قبلها وأمر لي منها بألف دينار وقال أبو عبد الله اليوســـفي إن أم جعفر زبيدة ابنة جعفر زوجة الرشيد كتبت إلى أبي يوسف ما ترى في كذا وأحب الأشـــياء إلي أن يكون الحق فيه كذا فأفتاها بما أحبت فبعثت إليه بحق فضـــة فيه حقاق فضـــة مطبقات في كل واحد لون من الطيب وفي جام دراهم وســـطها جام فيه دنانير فقال له جليس له قال رســـول الله من أهديت له هدية فجلســـاؤه شـــركاؤه فيها فقال أبو يوســـف ذاك حين كانت

الهدايا اللبن والتمر وقال يحيى بن معين كنت عند أبي يوسف القاضي وعنده جماعة من أصحاب الحديث وغيرهم فوافته هدية أم جعفر احتوت على تخوت دبيقي ومصمت وشرب وطيب وتماثيل ند وغير ذلك فذاكرني رجل بحديث

387 رسول الله من أتته هدية وعنده قوم جلوس فهم شركاؤه فيها فسمعه أبو يوسف فقال أبي تعرض ذاك إنما قاله النبي والهدايا يومئذ الأقط والتمر والزبيب ولم تكن الهدايا ما ترون يا غلام أشل إلى الخزاين ونقلت من كتاب اسمه اللفيف ولم يذكر فيه من هو مصنفه قال كان عبد الرحمن بن مسهر أخو علي بن مسهر قاضيا على المبارك قلت وهي بضم الميم وبعدها باء موحدة وبعد الألف راء مفتوحة وبعدها كاف وهي بليدة بين بغداد وواسط على شاطىء دجلة قال فبلغ القاضي خروج الرشيد إلى البصرة ومعه أبو يوسف القاضي في الحراقة فقال عبد الرحمن القاضي لأهل المبارك أثنوا علي عند أمير المؤمنين وعند القاضي أبي يوسف فأبوا عليه ذلك فلبس ثيابه وقلنسوة طويلة وطيلسانا أسود وجاء إلى الشريعة فلما أقبلت الحراقة رفع صوته وقال يا أمير المؤمنين نعم القاضي قاضينا قاضي صدق ثم مضى إلى شريعة أخرى فقال مثل مقالته الأولى فالتفت هارون إلى أبي يوسف وقال يا يعقوب هذا شر قاض في الأرض قاض في موضع لا يثني عليه إلا رجل واحد فقال له أبو يوسف وأعجب من هذا يا

أمير المؤمنين هو القاضـــي يثني على نفســه قال فضــحك هارون وقال هذا أظرف الناس هذا لا يعزل أبدا وكان الرشيد إذا ذكره يقول هذا لا يعزل أبدا وقيل لأبي يوسف أتولي مثل هذا القضـــاء فقال إنه أقام ببابي مدة وشـــكا إلي الحاجة فوليته وقال أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب صاحب كتاب الفصيح أخبرني بعض أصحابنا قال قال الرشـــيد لأبي يوســف بلغني أنك تقول إن هؤلاء الذين يشـــهدون عندك وتقبل أقوالهم متصـــنعة فقال نعم يا أمير المؤمنين قال وكيف ذاك قال لأن من صح ستره وخلصت أمانته لم يعرفنا ولم نعرفه ومن ظهر أمره وانكشــف خبره لم يأتنا ولم نقبله وبقيت هذه الطبقة وهم هؤلاء المتصـــنعة الذين أظهروا الســتر وأبطنوا غيره فتبســم الرشــيد وقال صدقت وقال محمد بن سماعة سمعت أبا يوسف في اليوم الذي مات فيه يقول

388 اللهم إنك تعلم أني لم أجر في حكم حكمت فيه بين اثنين من عبادك تعمدا ولقد اجتهدت في الحكم بما وافق كتابك وسنة نبيك وكل ما أشكل علي جعلت أبا حنيفة بيني وبينك وكان عندي والله ممن يعرف أمرك ولا يخرج عن الحق وهو يعلمه قلت وهذا الكلام مأخوذ من قول أبي محمد عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب رضـــي الله عنه وقد رؤي يمســح على خفيه فقيل له تمسح قال نعم قد مســـح عمر بن الخطاب رضـــي الله عنه ومن جعل عمر بينه وبين الله فقد اســتوثق ذكر هذا ابن قتيبة في

كتاب المعارف في ترجمة علي رضـــي الله عنه وأخبار أبي يوســف كثيرة وأكثر الناس من العلماء على تفضــيله وتعظيمه وقد نقل الخطيب البغدادي في تاريخه الكبير ألفاظا عن عبد الله بن المبارك ووكيع بن الجراح ويزيد بن هارون ومحمد بن إســماعيل البخاري وأبي الحســن الدارقطني وغيرهم ينبو الســمع عنها فتركت ذكرها والله أعلم بحاله وكانت ولادة القاضــي أبي يوسف سنة ثلاث عشرة ومائة وتوفي يوم الخميس أول وقت الظهر لخمس خلون من شــهر ربيع الأول ســنة اثنتين وثمانين ومائة ببغداد وقيل إنه توفي ســنة اثنتين وســبعين ومائة والأول أصح وولي القضاء سنة ست وستين ومائة ومات وهو على القضاء رحمه الله تعالى (348) وأما ولده يوسف فإنه كان قد نظر في الرأي وفقه وسمع الحديث من يونس بن أبي إسحاق السبيعي والسري بن يحيى وغيرهما وولي القضـــاء بالجانب الغربي من بغداد في حياة أبيه وصــلى بالناس الجمعة في مدينة المنصور بأمر هارون الرشيد ولم يزل على القضـــاء إلى أن مات في رجب ســنة اثنتين وتســعين ومائة ببغداد وذكر الخطيب البغدادي أن أبا يوسف القاضي لما مات ولى الرشيد مكانه

389 أبا البختري وهب بن وهب القرشـــي قلت وقد تقدم ذكره في حرف الواو وكان أبو يعقوب الخريمي الشاعر المشهور صديقا لأبي يوسف ولابنه يوسف فلما توفي أبو يوسف سمع الخريمي رجلا يقول اليوم مات الفقه

فأنشد الخريمي (يا ناعي الفقه إلى أهله * أن مات يعقوب ولا يدري) (لم يمت الفقه ولكنه * حول من صـــدر إلى صــدر) (ألقاه يعقوب إلى يوسـف * فزال من طيب إلى طهر) (فهو مقيم فإذا ما ثوى * حل وحل الفقه في قبر) رحمهما الله تعالى وخنيس بضـم الخاء المعجمة تصـغير أخنس و هو الذي تأخر أنفه عن وجهه مع ارتفاع قليل في الأرنبة فالرجل أخنس والمرأة خنساء و هذا التصغير يسمى تصـــغير ترخيم وحقيقته أن تحذف منه الحروف الزوائد ويصـــغر الباقي كما قالوا أزهر وزهير وأســود وســويد وأحمد وحميد وغير ذلك وحبتة بفتح الحاء المهملة وســـكون الباء الموحدة وبعدها تاء مثناة من فوقها ثم هاء ساكنة وكشفت عن معنى هذا الاسم في عدة مواضع من كتب اللغة وغيرها فلم أجده وبحير بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة وقيل هو بضم الباء وبالجيم المفتوحة والأول أصـــح والباقي معروف لا حاجة إلى ضـــبطه (349) و سعد بن حبتة من جملة من استصغر يوم أحد هو والبراء بن عازب وأبو ســـعيد الخدري رضـــي الله عنهم فردهم النبي ورآه النبي يوم الخندق و هو يقاتل قتالا شــديدا مع حداثة

390 سنه فدعاه وقال له من أنت فقال سعد بن حبتة فقال أسـعد الله جدك ومسـح على رأسـه رضـــي الله عنه وخنيس هو صـــاحب جهارســـوج خنيس بالكوفة و هو لفظ عجمي تفســيره بالعربي أربع طرق لأن هذا المكان رحبة

مربعة تفترق إلى أربع جهات والله تعالى أعلم 825 يعقوب الحضـــرمي أبو محمد يعقوب بن إســحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسـحاق الحضـرمي بالولاء البصـري المقرىء المشهور وهو أحد القراء العشرة وهو المقرىء الثامن وله في القراءات رواية مشهورة منقولة عنه وهو من أهل بيت العلم بـالقراءات والعربيـة وكلام العرب والروايـة الكثيرة للحروف والفقـه وكـان من أقرإ القراء وأخذ عنـه عـامـة حروف القرآن مســـندا وغير مســـند من قراة الحرميين والعراقيين وأهل الشــام وغيرهم وأخذ هو القراءة عرضــا عن ســـلام بن ســـليمان الطويل ومهدي بن ميمون وأبي الأشـــهب العطاردي وغيرهم وروى عن حمزة حروفا وسـمع الحروف من أبي الحسـن الكسـائي وسـمع من جده زيد بن عبد الله وشعبة وأما إسناده في القراءة إلى رسول الله فإنه قرأ على سلام المذكور وقرأ سلام على عاصم بن أبي النجود وقرأ عاصـــم على أبي عبد الرحمن الســـلمي وقرأ أبو عبد الرحمن على علي بن أبي طالب رضـــي الله عنه وقرأ علي على رسول الله وروى القراءة عن

391 يعقوب المذكور عرضـــا جماعة منهم روح بن عبد المؤمن ومحمد بن المتوكل وأبو حاتم الســـجســـتاني وغيرهم وسمع منه الزعفراني واقتدى به في اختياره عامة البصـــريين بعد أبي عمرو بن العلاء فهم أو أكثرهم على مذهبه وكان طاهر بن عبد المنعم بن غلبون إمام الجامع بالبصــرة لا يقرأ إلا بقراءة يعقوب وقال أبو الحســين ابن

المنادي قرأ يعقوب على أبي عمرو وغلط في ذلك وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم سئل أحمد بن حنبل رضي الله عنه عن يعقوب الحضرمي فقال صدوق وسئل أبو حاتم الرازي عنه فقال صدوق وقال أبو حاتم السجستاني كان يعقوب الحضرمي أعلم من أدركنا ورأينا بالحروف والاختلاف في القرآن الكريم وتعليله ومذاهبه ومذاهب النحو في القرآن الكريم وله كتاب سماه الجامع جمع فيه عامة اختلاف وجوه القراءات ونسب كل حرف إلى من قرأ به وبالجملة فإنه كان إمام أهل البصرة في عصره في القراءات وكان يأخذ أصحابه بعدد آي القرآن العزيز فإذا أخطأ أحدهم في العدد أقامه وتوفي يعقوب المذكور في ذي الحجة وقيل في جمادى الأولى سنة خمس ومائتين وهو الأصح وعاش هو وأبوه إسحاق وجده زيد كل واحد منهم ثمانيا وثمانين سنة رحمهم الله أجمعين (350) وأما جد أبيه عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي فإنه كان من الأئمة الأعلام المشار إليه في علومهم قال أبو عبيدة معمر بن المثنى أول من وضع العربية أبو الأسود الدؤلي ثم ميمون الأقرن ثم عنبسة الفيل ثم عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وقد جاء في رواية أخرى أن عنبسة قبل ميمون والله أعلم بالصواب وكان في زمان عبد الله بن أبي إسحاق عيسى بن عمر الثقفي وأبو عمرو بن العلاء ومات عبد الله قبلهما

392 وذكر أبو عبيد الله المرزباني في كتاب المقتبس في أخبار النحويين أن المبرد قال أجمعت العلماء باللغة أن أول من وضع العربية أبو الأسود الدؤلي وأنه لقن ذلك عن علي بن أبي طالب رضـــي الله عنه ثم أخذ النحو عن أبي الأسود عنبسة بن معدان المهري وأخذه عنه ميمون الأقرن وأخذه عنه عبد الله الحضـرمي وأخذه عنه عيسـى بن عمر وأخذه عنه الخليل بن أحمد وأخذه عنه ســيبويه وأخذه عنه الأخفش وكان بلال بن أبي بردة بن أبي موسـى الأشعري رضـــي الله عنه قد جمع بين عبد الله وأبي عمرو بن العلاء وبلال يومئذ متولي البصـرة قال أبو عمرو فغلبني ابن أبي إسـحاق بالهمز فنظرت فيه بعد ذلك وبالغت فيه وكان عبد الله كثيرا ما يـأخذ على الفرزدق الغلط في شـــعره فقال الفرزدق والله لأهجونـه ببيـت يســـير بين أهـل الأدب ويتمثلون به فعمل (فلو كان عبد الله مولى هجوته * ولكن عبد الله مولى مواليا) وإنما قال الفرزدق ذلك لأن عبد الله مولى الحضرميين وهم حلفاء بني عبد شمس بن عبد مناف والحليف عند العرب مولى ولهم على ذلك شـــواهد ولولا خوف الإطالة لذكرت طرفا من ذلك لكن ليس هذا موضـع ذكره

393 826 أبو عوانة الحافظ أبو عوانة يعقوب بن إســحاق بن إبراهيم بن يزيد النيســابوري ثم الإســفرايني الحافظ صاحب المسند الصحيح المخرج على كتاب مسلم بن الحجاج كان أبو عوانة أحد الحفاظ الجوالين والمحدثين

المكثرين طاف الشام ومصر والبصرة والكوفة وواسط والحجاز والجزيرة واليمن وأصبهان والري وفارس قال الحافظ أبو القاسم المعروف بابن عساكر في تاريخ دمشق سمع أبو عوانة بدمشق يزيد بن محمد بن عبد الصمد وإسماعيل بن محمد بن قيراط وشعيب بن شعيب بن إسحاق وغيرهم وبمصر يونس بن عبد الأعلى وابن أخي ابن وهب والمزني والربيع ومحمدا وسعدا ابني عبد الحكم وبالعراق سعدان بن نصر والحسن الزعفراني وعمر بن شبة وغيرهم وبخراسان محمد ابن يحيى الذهلي ومسلم بن الحجاج ومحمد بن رجاء السندي وغيرهم وبالجزيرة علي بن حرب وغيره روى عنه أبو بكر الإسماعيلي وأحمد بن علي الرازي وأبو علي الحسين بن علي وأبو أحمد ابن علي وسليمان الطبراني ومحمد بن يعقوب ابن إسماعيل الحفاظ وأبو الوليد الفقيه وابنه أبو مصعب محمد بن أبي عوانة وحج خمس مرات وقال كنت بالمصيصة فكتب إلي أخي محمد بن إسحاق فكان في كتابه (فإن نحن التقينا قبل موت * شفينا النفس من مضض العتاب) (وإن سبقت بنا أيدي المنايا * فكم من عاتب تحت التراب) وقال أبو عبد الله الحاكم أبو عوانة من علماء الحديث وأثباتهم ومن

394 الرحالة في أقطار الأرض لطلب الحديث توفي سنة ست عشرة وثلثمائة وقال حمزة بن يوسف السهمي روى بجرجان سنة اثنتين وتسعين ومائتين قال الحافظ أبو

القاسم ابن عساكر حدثني الشيخ الصالح الأصيل أبو عبد الله محمد بن محمد بن عمر ابن الصفار الإسفرايني قال قبر أبي عوانة بإسفرايين مزار العالم ومتبرك الخلق وبجنب قبره قبر الراوية عنه أبي نعيم عبد الملك ابن الحسن الأزهري الإسفرايني في مشهد واحد داخل المدينة على يسار الداخل من باب نيسابور من إسفرايين وقريب من مشهده مشهد الإمام الأستاذ أبي إسحاق الإسفرايني على يمين الداخل من باب نيسابور وبجنب قبره قبر الأستاذ أبي منصور البغدادي الإمام الفقيه المتكلم صاحبه الصاحب بالجنب حيا وميتا المتظاهرين لنصرة الدين بالحجج والبراهين سمعت جدي الإمام عمر ابن الصفار رحمه الله تعالى ونظر إلى القبور حول قبر الإمام الأستاذ أبي إسحاق وأشار إلى المشهد وخارج المشهد وقال قد قيل هاهنا من الأئمة والفقهاء على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه أربعون إماما كل واحد منهم لو تصرف في المذهب وأفتى برأيه واجتهاده يعني على مذهب الشافعي لكان حقيقا بذلك والعوام يتقربون إلى مشهد الأستاذ أبي إسحاق أكثر مما يتقربون إلى أبي عوانة وهم لا يعرفون قدر هذا الإمام الكبير المحدث أبي عوانة لبعد العهد بوفاته وقرب العهد بوفاة الأستاذ أبي إسحاق وأبو عوانة هو الذي أظهر لهم مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه بإسفرايين بعد ما رجع عن مصر وأخذ العلم عن أبي إبراهيم المزني رحمه الله تعالى وكان جدي إذا وصل إلى مشهد الأستاذ

رأيته لا يدخله احتراما بل كان يقبل عتبة المشـــهد وهي مرتفعة بدرجات ويقف ســـاعة على هيئة التعظيم والتوقير ثم يعبر عنه كالمودع لعظيم عظيم الهيبة وإذا وصـــل إلى مشـــهد أبي عوانة كان أشـــد تعظيما له وإجلالا وتوقيرا ويقف أكثر من ذلك رحمهم الله تعالى أجمعين وعوانة بفتح العين المهملة وبعد الألف نون وقد تقدم الكلام على النيسابوري والإسفرايني فلا حاجة إلى الإعادة

395 827 ابن الســـكيت أبو يوســـف يعقوب بن إســـحاق المعروف بابن الســكيت صـــاحب كتاب إصـــلاح المنطق وغيره ذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق فقال حكى عن أبي عمرو إســـحاق بن مرار الشـــيباني ومحمد بن مهنا ومحمد بن صبح ابن السماك الواعظ حكى عنه أحمد بن فرح المقرىء ومحمد بن عجلان الأخباري وأبو عكرمة الضـــبي وأبو ســـعيد الســـكري وميمون بن هارون الكاتب وغيرهم وكان يؤدب أولاد المتوكل وقال قال محمد ابن السماك من عرف الناس داراهم ومن جهلهم ماراهم ورأس المداراة ترك المماراة وروى ابن الســكيت أيضـــا عن الأصـــمعي وأبي عبيدة والفراء وجماعة غيرهم وكتبه جيدة صـحيحة منها إصـــلاح المنطق وكتاب الألفاظ وكتاب في معاني الشعر وكتاب القلب والإبدال ولم يكن له نفاذ في علم النحو وكان يميل في رأيه واعتقاده إلى مذهب من يرى تقديم علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال أحمد بن عبيد شـــاورني ابن الســكيت في منادمة المتوكل فنهيته

فحمل قولي على الحسـد وأجاب إلى ما دعي إليه من المنادمة فبينا هو مع المتوكل يوما جاء المعتز والمؤيد فقال المتوكل يا يعقوب أيما أحب إليك

396 ابناي هذان أم الحسـن والحسـين فغض ابن السكيت من ابنيه وذكر من الحسن والحسين رضي الله عنهما ما هما أهله فأمر الأتراك فداسوا بطنه فحمل إلى داره فمات بعد غد ذلك اليوم وكان ذلك في سـنة أربع وأربعين ومائتين وقال عبد الله بن عبد العزيز وكان نهى يعقوب عن اتصاله بالمتوكل (نهيتك يا يعقوب عن قرب شادن * إذا ماسطا أربى على كل ضيغم) (فذق واحس ما استحسـيته لا أقول إذ * عثرت لعا بل لليدين وللفم) وحكي أن الفراء سـأل السكيت عن نسـبه فقال خوزي أصلحك الله من دورق قلت بفتح الدال المهملة وبعد الواو الساكنة راء ثم قاف وهي بليدة من أعمال خوزستان قال من كور الأهواز قلت والأهواز من خوزستان أيضا قال فبقي الفراء أربعين يوما في بيته لا يظهر لأحد من أصحابه فسئل عن ذلك فقال سبحان الله أستحي أن أرى السكيت لأنني سألته عن نسبه فصدقني وفيه بعض القبح قال أبو الحسن الطوسي كنا في مجلس أبي الحسن علي اللحياني وكان عازما على أن يملي نوادره ضعف ما أملى فقال يوما تقول العرب مثقل استعان بذقنه فقام إليه ابن السكيت وهو حدث فقال يا أبا الحسن إنما هو مثقل استعان بدفيه يريدون الجمل إذا نهض بحمله استعان بجنبيه فقطع

الإملاء فلما كان المجلس الثاني أملى فقال تقول العرب وهو جاري مكاشري فقام له ابن السكيت فقال أعزك الله وما معنى مكاشري إنما هو هو مكاسري كسر بيتي إلى كسر بيته قال فقطع اللحياني الإملاء فما أملى بعد ذلك شيئا وقال أبو العباس المبرد ما رأيت للبغداديين كتابا أحسن من كتاب ابن السكيت في المنطق وقال أحمد بن محمد بن أبي شداد شكوت إلى ابن السكيت ضائقة فقال هل قلت شيئا قلت لا قال فأقول أنا ثم أنشدني

397 (نفسي تروم أمورا لست مدركها * ما دمت أحذر ما يأتي به القدر) (ليس ارتحالك في كسب الغنى سفرا * لكن مقامك في ضر هو السفر) وقال ابن السكيت كتب رجل إلى صديق له قد عرضت لي قبلك حاجة فإن نجحت فالفاني منها حظي والباقي حظك وإن تعذرت فالخير مظنون بك والعذر مقدم لك والسلام ونقل من خطه ما مثاله عرض سلمان بن ربيعة الباهلي الخيل فمر عمرو بن معدي كرب الزبيدي على فرس له فقال سلمان هذا الفرس هجين فقال عمرو بل هو عتيق فقال سلمان هو هجين فقال عمرو هو عتيق فأمر سلمان فعطش ثم دعا بطست فيه ماء ودعا بخيل عتاق فشربت وجاء فرس عمرو فثنى يده وشرب وهذا صنيع الهجين فقال له سلمان أترى فقال عمرو أجل الهجين يعرف الهجين فبلغ ذلك عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فكتب إلى عمرو قد بلغني ما قلت لأميرك وبلغني أن لك سيفا تسميه

الصـــمصـــامة وعندي ســيف أســميه مصــمما وايم الله لئن وضعته على هامتك لا أقلع حتى أبلغ به رهابتك فإن سرك أن تعلم أحق ما أقول فعد والســــلام الرهابة على وزن السحابة عظم في الصدر مشرف على البطن مثل اللسان والله أعلم وقال أبو عثمان المازني اجتمعت بابن الســكيت عند محمد بن عبد الملك الزيات الوزير فقال محمد بن عبد الملك سل أبا يوسف عن مسألة فكرهت ذلك وجعلت أتبأطا وأدافع مخافة أن أوحشـــه لأنه كان لي صـــديقا فألح علي محمد بن عبد الملك وقال لم لا تســـأله فاجتهدت في اختيار مســـألة ســـهلة لأقارب يعقوب فقلت له ما وزن نكتل من الفعل من قول الله تعالى (^ فأرسل

398 معنا أخانا نكتل) يوسف 63 فقال لي نفعل قلت ينبغي أن يكون ماضيه كتل فقال لا ليس هذا وزنه إنما هو نفتعل فقلت له نفتعل كم حرف هو قال خمســـة أحرف قلت فنكتل كم حرفا هو قال أربعة أحرف فقلت أيكون أربعة أحرف بوزن خمســـة أحرف فانقطع وخجل وســـكت فقال محمد بن عبد الملك فإنما تأخذ كل شـــهر ألفي درهم على أنك لا تحســـن وزن نكتل قال فلما خرجنا قال لي يعقوب يا أبا عثمان هل تدري ما صــــنعت فقلت له والله لقد قاربتك جهدي وما لي في هذا ذنب قلت وذكر أبو الحســـن ابن ســـيده هذه الحكاية في أول خطبة كتابه المحكم في اللغة لكنه قال إن ذلك كان بين يدي المتوكل والله أعلم وقال غير ابن عســـاكر كان يعقوب بن الســكيت يؤدب مع أبيه

بمدينة السلام في درب القنطرة صبيان العامة حتى احتاج إلى الكسب فجعل يتعلم النحو وحكى عن أبيه أنه كان قد حج فطاف بالبيت وسعى وسأل الله تعالى أن يعلم ابنه النحو فتعلم النحو واللغة وجعل يختلف إلى قوم من أهل القنطرة فأجروا له كل دفعة عشرة دراهم وأكثر حتى اختلف إلى بشر وهارون ابني هارون أخوين كانا يكتبان لمحمد بن عبد الله بن طاهر الخزاعي فما زال يختلف إليهما وإلى أولادهما دهرا فاحتاج ابن طاهر إلى رجل يعلم أولاده وجعل ولده في حجر إبراهيم بن إسحاق المصعبي فرتب يعقوب وجعل له رزقا خمسمائة درهم ثم جعلها ألف درهم وقال أبو العباس ثعلب كان ابن السكيت يتصرف في أنواع العلوم وكان أبوه رجلا صالحا وكان من أصحاب أبي الحسن الكسائي حسن المعرفة بالعربية وكان سبب قعود يعقوب للناس وقصدهم إياه أنه عمل شعر أبي النجم العجلي وجرده فقلت ادفعه لي لأنسخه فقال يا أبا العباس حلفت بالطلاق

399 أنه لا يخرج من يدي ولكنه بين يديك فانسخه واحضر يوم الخميس فلما وصلت إليه عرف بي فحضر بحضوري قوم ثم انتشر ذلك فحضر الناس وقال ثعلب أيضا أجمع أصحابنا أنه لم يكن بعد ابن الأعرابي أعلم باللغة من ابن السكيت وكان المتوكل قد ألزمه تأديب ولده المعتز بالله فلما جلس عنده قال له بأي شيء يحب الأمير أن نبدأ يريد من العلوم فقال المعتز بالانصراف قال يعقوب

فأقوم قال المعتز فأنا أخف نهوضـــــا منك وقام فاســـتعجل فعثر بسـراويله فسـقط والتفت إلى يعقوب خجلا وقد احمر وجهه فأنشــد يعقوب (يصـــاب الفتى من عثرة بلسـانه * وليس يصاب المرء من عثرة الرجل) (فعثرته في القول تذهب رأســـه * وعثرته بالرجل تبرأ في مهل) فلما كان من الغد دخل يعقوب على المتوكل فأخبره بما جرى فأمر له بخمسين ألف درهم وقال قد بلغني البيتان وكان يعقوب يقول أنا أعلم من أبي بالنحو وأبي أعلم مني بالشعر واللغة وقال الحســـين بن عبد المجيب الموصـــلي ســـمعت ابن الســـكيت يقول في مجلس أبي بكر بن أبي شـــيبة (ومن الناس من يحبك حبا * ظاهر الحب ليس بالتقصـــير) (فإذا ما سـألته عشـر فلس * ألحق الحب باللطيف الخبير) وكان لابن السـكيت شـعر وهو مما تثق النفس به فمن ذلك قوله (إذا اشـــتملت على اليأس القلوب * وضـــاق لما به الصدر الرحيب) (وأوطنت المكاره واستقرت * وأرست في أماكنها الخطوب) (ولم تر لانكشـاف الضـر وجها * ولا أغنى بحيلته الأريب)
400 (أتاك على قنوط منك غوث * يمن به اللطيف المستجيب) (وكل الحادثات إذا تناهت * فموصـول بها فرج قريب) وكان العلماء يقولون إصـــلاح المنطق كتاب بلا خطبة وأدب الكاتب تأليف ابن قتيبة خطبة بلا كتاب لأنه طول الخطبة وأودعها فوائد وقال بعض العلماء ما عبر على جسـر بغداد كتاب في اللغة مثل إصـلاح المنطق

ولا شـــك أنه من الكتب النافعة الممتعة الجامعة لكثير من اللغة ولا نعرف في حجمه مثله في بابه وقد عني به جماعة فاختصــره الوزير أبو القاسـم الحسـين بن علي المعروف بـابن المغربي المقدم ذكره وهذبـه الخطيـب أبو زكريـا التبريزي وتكلم على الأبيات المودعة فيه ابن الســيرافي وهو كتاب مفيد ولابن السكيت من التصانيف أيضا كتاب الزبرج وكتاب الألفاظ وكتاب الأمثال وكتاب المقصــور والممدود وكتاب المذكر والمؤنث وكتاب الأجناس وهو كبير وكتاب الفرق وكتاب الســرج واللجام وكتاب فعل وأفعل وكتاب الحشرات وكتاب الأصوات وكتاب الأضداد وكتـاب الشـــجر والنبـات وكتـاب الوحوش وكتـاب الإبـل وكتاب النوادر وكتاب معاني الشــعر الكبير وكتاب معاني الشــعر الصــغير وكتاب سـرقات الشـعراء وما اتفقوا عليه وغير ذلك من الكتب ومع شـهرته لا حاجة إلى الإطالة في ذكر فضــله وقد روي في قتله غير ما ذكرته أولا فقيل إن المتوكل كان كثير التحامل على علي بن أبي طالب وابنيه الحســن والحســين رضـــي الله عنهم أجمعين وقد تقدم في ترجمة أبي الحســـن علي بن محمد المعروف بابن بســـام أبيات تدل على هذا أيضــا وكان ابن الســكيت من المغالين في محبتهم والتوالي لهم فلما قال له المتوكل تلك المقالة قال ابن الســكيت والله إن قنبر خادم علي رضـــي الله عنه خير

401 منك ومن ابنيك فقال المتوكل سلوا لسانه من قفاه ففعلوا ذلك به فمات وذلك في ليلة الاثنين لخمس خلون من رجب سنة أربع وأربعين ومائتين وقيل سنة ست وأربعين وقيل سنة ثلاث وأربعين والله أعلم بالصواب وبلغ عمره ثمانيا وخمسين سنة ولما مات سير المتوكل لولده يوسف عشرة آلاف درهم وقال هذه دية والدك رحمه الله تعالى وقال أبو جعفر أحمد بن محمد المعروف بابن النحاس النحوي كان أول كلام المتوكل مع ابن السكيت مزاحا ثم صار جدا وقيل إن المتوكل أمره أن يشتم رجلا من قريش وأن ينال منه فلم يفعل فأمر القرشي أن ينال منه فأجابه ابن السكيت فقال له المتوكل أمرتك فلم تفعل فلما شتمك فعلت وأمر به فضرب وحمل من عنده وقيذا صريعا والله أعلم أي ذلك كان وقد تقدم في ترجمة عبد الله بن المبارك مثل هذه القضية لما سئل عن معاوية وعمر بن عبد العزيز وأيهما أفضل والسكيت بكسر السين المهملة والكاف المشددة وبعدها ياء مثناة من تحتها ثم تاء مثناة من فوقها وعرف بذلك لأنه كان كثير السكوت طويل الصمت وكل ما كان على وزن فعيل أو فعليل فإنه مكسور الأول وقوله خوزي بضم الخاء المعجمة وبعد الواو زاي هذه النسبة إلى خوزستان وهو إقليم بين البصرة وبلاد فارس

402 828 يعقوب الصفار أبو يوسف يعقوب بن الليث الصفار الخارجي قد أكثر أهل التاريخ من ذكر هذا الرجل وذكر أخيه عمرو وما ملكا من البلاد وقتلا من

العباد وما جرى للخلفاء معهما من الوقائع وقد اخترت من ذلك ما أودعته في هذه الأوراق فأقول قال أبو عبد الله بن محمد الأزهر الأخباري حدثني علي بن محمد وكان عالما بأمور يعقوب بن الليث الصفار ومحاربته وأول أمره أنه وأخاه عمرا كانا صفارين في حداثتهما وكانا يظهران الزهد وأن رجلا من أهل سجستان كان مشهورا بالتطوع في قتال الخوارج يقال له صالح بن النضر الكناني المطوعي من أهل بست فصحباه وحظيا به فقتلت الخوارج الذين يقال لهم الشراة أخا يعقوب المذكور وأقام صالح المذكور يعقوب المذكور مقام الخليفة ثم هلك صالح فتولى مكانه درهم بن الحسين من المطوعة أيضا فصار يعقوب مع درهم كما كان مع صالح ثم إن صاحب خراسان احتال لدرهم حتى ظفر به فحمل إلى بغداد فحبس بها ثم أطلق وخدم السلطان ثم لزم بيته يظهر النسك والحج والاقتصاد حتى غلظ أمر يعقوب وذكر شيخنا عز الدين أبو الحسن علي بن محمد المعروف بابن الأثير في

403 تاريخه في سنة سبع وثلاثين ومائتين ابتداء أمر يعقوب المذكور فقال في هذه السنة تغلب إنسان من أهل بست اسمه صالح بن النضر الكناني على سجستان ومعه يعقوب بن الليث فعاد طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين أمير خراسان واستنقذها منه ثم ظهر بها إنسان اسمه درهم بن الحسين من المطوعة فغلب عليها وكان غير ضابط لأمور عسكره وكان يعقوب بن الليث قائد

عسكره فلما رأى أصحاب درهم ضعفه وعجزه اجتمعوا على يعقوب بن الليث وملكوه أمرهم لما رأوا من تدبيره وحسن سيايته وقيامه بأمرهم فلما تبين ذلك له لم ينازعه في الأمر وسلمه إليه واعتزل عنه فاستبد يعقوب بالأمر وضبط البلاد وقويت شوكته وقصدته العساكر من كل ناحية فصار من أمره ما سنذكره رجعنا إلى تمام ما ذكره علي بن محمد بن أحمد قال فلما دخل درهم بن الحسين بغداد تولى يعقوب أمر المطوعة وحارب الخوارج الشراة فرزق الظفر بهم حتى أفناهم وأخرب ضياعهم وأطاعه أصحابه بمكره ودهائه طاعة لم يطيعوها أحدا كان قبله ثم اشتدت شوكته وزادت صولته فغلب على سجستان وهراة وبوشنج وما والاها وكان الترك بتخوم سجستان وملكهم رتبيل ويسمى هذا القبيل من الترك الدراري فحرضه أهل سجستان على قتالهم وأعلموه أنهم أضر من الشراة الخوارج وأوجب محاربة فغزا الترك فقتل رتبيل ملكهم وقتل ثلاثة من ملوكهم بعد رتبيل ويسمى كل ملك لهم رتبيل وانصرف يعقوب إلى سجستان وقد حمل رؤوسهم مع رؤوس ألوف منهم فرهبته الملوك الذين حوله منهم ملك المولتان وملك

404 الرخج وملك الطبسين وملك زابلستان وملك السند ومكران وغيرهم وأذعنوا له وكان قصده هراة وبوشنج في سنة ثلاث وخمسين ومائتين وأمير خراسان يومئذ محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين

الخزاعي وعامله عليها محمد بن أوس الأنباري فخرج لمحاربته في تعبئة وبأس شديد وزي جميل فحاربه وأحسن مقاومته حتى احتال له يعقوب فحال بينه وبين دخول المدينة وهي بوشنج وانحاز ابن أوس منهزما فقيل أنه لم يقاتله أحد أحسن مواقفته كما أحسنها ابن أوس ودخل يعقوب بوشنج وهراة وصارت المدينتان في يده وظفر بجماعة من الطاهرية وهم المنسوبون إلى طاهر بن الحسين الخزاعي فحملهم إلى سجستان حتى وجه المعتز بالله الخليفة إليه المعروف بابن بلعم وهو رجل من الشيعة برسالة وكتاب فأطلقهم قال ابن الأزهر الأخباري المذكور حدثني محمد بن عبد الله بن مروان قال حدثني ابن بلعم المذكور قال صرت إليه بكتاب أمير المؤمنين المعتز بالله إلى زرنج قلت وهي بفتح الزاي والراء وسكون النون وبعدها جيم وهي كرسي بلاد سجستان قال ابن بلعم فاستأذنت عليه فأذن لي فدخلت ولم أسلم عليه وجلست بين يديه من غير أمره ودفعت الكتاب إليه فلما أخذه قلت له قبل كتاب أمير المؤمنين فلم يقبله وفضه فتراجعت القهقرى إلى باب مجلسه الذي كان فيه ثم قلت السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله فأعجبه ذلك وأحسن مثواي ووصلني وأطلق الطاهرية وقال ابن بلعم المذكور أيضا دخلت على يعقوب الصفار يوما فقال لي ينبغي أن يجيئنا رجل من ناحية فارس مستأمن ومعه ثلاثة أنفس أو أربعة بل هو تمام الخمسة قال فأنكرت هذا منه وأمسك فما علمت

إلا وحاجبه قد دخل فسـلم وقال أيها الأمير بالباب رجل مستأمن ومعه أربعة أنفس
405 فقال أدخله فدخل وسـلم وقال أيها الأمير معي أربعة أنفس فأذن لهم فدخلوا عليه فالتفت إلى الحاجب وقلت قد أخذتم في المخاريق فحلف لي أيمانا مغلظة أنهم جاؤوا بغتة ما علم بهم أحد من الناس وسـألت يعقوب بعد ذلك وقلت له أيها الأمير لقد رأيت منك عجبا في أمر المستأمنة فكيف علمت بهم فقال أخبرك أني فكرت في أمر فارس ورأيت غرابا واقفا بإزاء طريقها واختلجت إحدى أصابع رجلي ثم تبع بعضها بعضا فعلمت أنه عضو غير شريف وأنه سيأتينا من ذلك الصقع قوم مستأمنة أو رسل ليسـوا بأجلة فكانوا هؤلاء وقال علي بن الحكم سـألت يعقوب بن الليث الصـفار عن الضـربة التي على وجهه وهي منكرة على قصبة أنفه ووجنته فذكر أن ذلك أصابه في بعض وقائع الشـراة وأنه طعن رجلا منهم فرجع عليه فضربه هذه الضربة فسقط نصف وجهه حتى رد وخيط قال فمكثت عشـرين يوما في فمي أنبوبة قصـب وفمي مفتوح لئلا يتقرح رأسي وكان يصب في حلقي الشيء بعد الشـيء من الغذاء قال حاجبه وقد كان مع هذه الضـربة يخرج ويعبي أصحابه للحرب ويقاتل وأرسل يعقوب إلى المعتز بالله هدية سنية من جملتها مسجد فضة مخلع يصلي فيه خمسة عشر إنسانا وسأل أن يعطى بلاد فارس ويقرر عليه خمسـة عشـر ألف ألف درهم على أن يتولى إخراج

علي بن الحسـين بن قريش وكان على فارس ثم شـخص يعقوب من سجستان في أثر كتابه إلى المعتز يريد كرمان ثم نزل بم قلت وهي بالباء الموحدة المفتوحة وبعدها ميم مخففة وهي الحد الفاصل بين سجستان وكرمان قال وكان بكرمان العباس بن الحسين بن قريش أخو علي بن الحسين المذكور ومعه أحمد بن الليث الكردي فخرجا عن كرمان يريدان شـيراز وقدم يعقوب أخاه علي بن الليث إلى السيرجان قلت وهي بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها ثم راء وجيم وبعد الألف نون وهي مدينة كرمان قال وضم إليه جماعة

406 فأقام هو على بم فرد أحمد بن الليث الكردي إليه من الطريق في جمع كثير من الأكراد وغيرهم فصاروا إلى درابجرد قلت وهي بفتح الدال المهملة ثم راء وألف وبعدها باء موحدة ثم جيم مكسـورة ثم راء وبعدها دال مهملة وهذا الاسم يقع بالاشتراك على ثلاثة مواضع الأول كورة عظيمة مشـهورة بفارس قصـبتها درابجرد والثاني قرية بفارس أيضا من أعمال اصطخر فيها معدن الزئبق فيحتمل أن يكون مصيرهم إلى الأولى أو إلى الثانية وأما الثالثة فهو موضع بنيسابور ولا يحتمل مصيرهم إليه لأنه بخراسان فلا تعلق له بفارس قال الراوي فظفر أحمد بن الليث بجماعة من أصحاب يعقوب يطلبون العلف فقتل بعضهم وهرب منهم جماعة ووجه أحمد بن الليث برؤوس من قتل من أصـحاب يعقوب إلى فارس فنصـب علي بن

الحسين رؤوسهم فبلغ الخبر يعقوب فدخل كرمان فندب علي بن الحسين لمحاربته طوق بن المغلس في خمسة آلاف من الأكراد سوى من تقدم مع أحمد بن الليث الكردي وسار طوق حتى نزل على مدينة إياس من عمل كرمان فورد عليه كتاب يعقوب يعلمه أنه أخطأ إذ دخل عملا ليس إليه فرد عليه طوق أنت بعمل الصفر أعلم منك بعمل الحروب فعظم ذلك على يعقوب وكان في عسكر طوق ثلثمائة رجل من الأبناء فوافى يعقوب مدينة إياس فأوقع بطوق وقتل أصحابه وهزم من بقي منهم وصبر الأبناء الثلثمائة حتى أشجوا يعقوب فأعطاهم الأمان فلم يقبلوا حتى قتلوا عن آخرهم وقتل يعقوب في هذه الوقعة ألفي رجل وأسر ألفا وأسر طوق بن المغلس وقيده بقيد خفيف ووسع عليه في مطعمه وغيره واستخرج منه الأموال ورحل يعقوب عن إياس ودخل عمل فارس فخندق علي بن الحسين على نفسه بشيراز وذلك

407 في يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة خمس وخمسين ومائتين وكتب علي بن الحسين إلى يعقوب يعلمه أن طوق بن المغلس فعل ما فعل من غير أمره وأنه لم يأمره بمحاربته وقال له إن كنت تطلب كرمان فقد خلفتها وراءك وإن كنت تطلب فارس فكتاب من أمير المؤمنين بتسليم العمل لأنصرف فرد عليه يعقوب إن كتابا من السلطان معه لا يتهيأ أن يوصله حتى يدخل البلد وإنه إن أخلى له البلد فقد ودع وأزاح علته

وإلا فالسيف بيننا والموعد مرج سنكان وهو مرج واسع بينه وبين شيراز ثلاثة فراسخ وكتب صاحب البريد ووجوه البلد إلى يعقوب يعلمونه أنه ما ينبغي له مع ما وهب له الله تعالى من التطوع والديانة وقتل الخوارج ونفيهم عن بلاد خراسان وسجستان التسرع إلى سفك الدماء لأن علي بن الحسين لن يسلم البلد إلا بكتاب الخليفة واعتد أهل شيراز للحصار وقد كانت المنهزمة من أصحاب طوق أسروا ثلاثة أنفس من أصحاب يعقوب فحبسهم علي بن الحسين وقد كان طوق وقت خروجه إلى يعقوب اشترى دارا بشيراز بسبعين ألف درهم وقدر للنفقة عليها مالا فكتب طوق إلى ابنه لا تقطع البناء عن الدار فإن الأمير يعقوب قد أكرمني وأحسن إلي وسأل في إطلاق الثلاثة المأسورين من أصحاب يعقوب وكان يعقوب سأله ذلك ليطلقه إذا وافوا إليه فقال علي بن الحسين اكتبوا إلى يعقوب ليصلب طوق بن المغلس وإن أقل عبد من عبيده أكبر عنده منه وسأل يعقوب طوق بن المغلس عن أمور علي بن الحسين فضعف أمره عنده فتقرب طوق إلى يعقوب بمال عنده بشيراز وأنه يكتب إلى أهله في حمله إليه ليقوى به على حربه فأمره يعقوب أن يفعل ذلك فكتب إلى ابنه فوقع الكتاب في يد علي بن الحسين فأخذ المال وغيره من دار طوق وحمله إلى داره وزحف يعقوب واحتشد علي بن الحسين قال أحمد بن الحكم قال لي يعقوب أخبرني عن علي بن الحسين أمسلم

408 هو قلت نعم قال أفرأيت مسلما يوجه بالأكراد الكفار إلى بلاد المسلمين فيقتلونهم ويحملون نساءهم ويأخذون أموالهم ألم تعلم أن أحمد ابن الليث الكردي قتل بكرمان سبعمائة إنسان على دم واحد وافتض الأكراد مائتي بكر من أهل البيوتات وحملوا معهم نحو ألفي امرأة إلى بلادهم أفرأيت مسلما يرضى بهذا قال قلت فعل أحمد هذا من غير أمره ثم قال له يعقوب في بعض مناظراته قل لعلي بن الحسين إن معي قوما أحرارا جئت بهم وليس يتأتى لي ردهم إلا بما يحبون فوجه إلي بما يرضيهم ووجه لي في نفسي ما يشبه مثلي من البر فإذا فعلت فأنا أخوك وعونك على من حاربك وأدفع لك كرمان تأكلها وأنصرف إلى عملي وارتحل يعقوب فنزل قرية يقال لها خوزاستان ووافى أحمد بن الحكم إلى علي بن الحسين يوم الثلاثاء لثمان خلون من جمادى الأولى من السنة وعلى يده كتاب يعقوب قال ابن الحكم فلم يفهم علي بن الحسين شيئا مما جئت به من الدهش وحاصل الكتاب بعد الدعاء له فهمت كتابك وذكرك ورودي هذا البلد العظيم خطره بغير إذن أمير المؤمنين فإني لست ممن تطمع نفسه في محاولة ظلم ولا ممن يمكنه ذلك وقد أسقطت عنك مؤونة الاهتمام في هذا الباب فإن البلد لأمير المؤمنين ونحن عبيده نتصرف بأمره في أرضه وسلطانه وفي طاعة الله وطاعته وقد استمعت من رسولك ورجعت إليه في جواب ما عملته وأدائه ما يورده عليك مما رجوت لنا ولك فيه صلاحا فإن

استعملته ففيه السلامة إن شاء الله تعالى وإن أبيت فإن قدر الله تعالى نافذ لا محيص عنه ونحن نعتصم بالله من الهلكة ونعوذ به من دواعي البغي ومصارع الخذلان ونرغب إليه في السلامة دينا ودنيا بلطفه مد الله في عمرك وكتب يوم الاثنين لليلة خلت من جمادى الأولى سنة خمس وخمسين ومائتين

409 ثم تزاحف الفريقان وقد اجتمع في عسكر علي بن الحسين خمسة عشر ألف إنسان ووجه أحمد بن الليث الطلائع وذلك في غداة الأربعاء لأربع خلون من الشهر المذكور ولما كان يوم الخميس وافت طلائع يعقوب ثم التقى الجيشان فحملوا حملة وفي الثانية أزالوا أصحاب علي بن الحسين عن مواضعهم وصدقت المجالدة فانهزموا ومروا على وجوههم لا يلوي أحد على أحد وعلي بن الحسين يتبع أصحابه ويصيح فيهم أن ارجعوا وقفوا يناشدهم الله تعالى فلم يلتفتوا إليه وبقي في عدة من أصحابه فوافت المنهزمة أبواب شيراز مع العصر يوم الخميس المذكور وكانت الوقعة بعد الظهر فضاقت عليهم الأبواب فمروا على وجوههم في نواحي شيراز وبلغت هزيمتهم الأهواز وكانت القتلى معهم منهم مقدار خمسة آلاف وأصابت علي بن الحسين ثلاث ضربات واعتورته أسياف أصحاب يعقوب وسقط عن دابته فأرادوا قتله فأعلمهم أنه علي بن الحسين فأخذوا عمامته ووضعوها في وسطه وقادوه إلى يعقوب وطلب الذي أسره الثواب من يعقوب

فأمر له بعشرة آلاف درهم فأبى أن يأخذها فقال إنما جئتني بكلب أسـرته مالك عندي غيرها فانصـرف الرجل وقنع يعقوب عليا عشـرة أسـواط بيده وأخذ حاجبه بلحيته فنتف أكثرها وأمر يعقوب أن يقيد بقيد فيه عشـرون رطلا وصـيره مع طوق بن المغلس في الخيمة وكان قد أنفذ إلى ابن المغلس وقيده أيضـا وصـار يعقوب من فوره إلى شـيراز وتفرق أصـحاب علي بن الحسـين في النواحي ثم دخل يعقوب إلى شـيراز والطبول تضـرب بين يديه وظن أهل شـيراز يؤذيهم ويستحل دماءهم وأموالهم بحربهم فلم ينطق أحد لأنه كان وعد أصـحابه إن هو ظفر أن يطلقهم وينهب شيراز وبلغ القوم ذلك فلزموا بيوتهم ورجع يعقوب من ليلته إلى عسكره بعد أن طاف شيراز فلما أصبح نادى بالأمان ليخرجوا إلى الأسـواق فخرج الناس ونادى في كتاب

410 علي بن الحسـين أن برئت الذمة ممن آواهم وحضـرت الجمعة فأمر الخطيب فدعا للإمام المعتز بالله ولم يدع لنفسه فقيل له في ذلك فقال الأمير لم يقدم بعد وقال إنما مقامي عندكم عشـرة أيام ثم أرجع إلى عمل سـجستان وبعث أخاه إلى منزل علي بن الحسـين فأحضـر الفرش والأثاث وفتش على الأموال فلم يقف عليها فأحضـر عليا فتهدده وتوعده فذكر أنه يدلهم على المال فحمل إلى منزله فاسـتخرج أربعمائة بدرة وقيل إنه أخذ منه ألف بدرة وعوض يعقوب أصحابه من نهب شيراز كل رجل ثلثمائة

درهم ثم عذب يعقوب عليا بأنواع العذاب وعصـــر أنثييه وشد الجوزتين على صدغيه فقال علي قد أخذت ما أخذت أخذت مني فرشـــي وقيمته أربعون ألف دينار وألح عليه بالعذاب وأعلمه أنه لا يقنعه منه دون ثلاثين ألف ألف دينار وخلط ووسوس من شدة العذاب وقيده بأربعين رطلا فدلهم على موضـــع في داره فاســتخرجوا منه أربعة آلاف ألف درهم وجوهرا كثيرا ثم ألح عليه بالعذاب وسـلمه إلى الحســن بن درهم فضـربه وعذبه وشـتمه وعذب طوق بن المغلس أيضا وحسبهما في بيت واحد وارتحل يعقوب من شيراز يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى من السنة إلى بلاده وحمل علي بن الحســين وطوق بن المغلس معه فلما أتى كرمان ألبسهما المصبغ من الثياب وقنعهما بمقانع ونادى عليهما وحســبهما ومضـــى إلى ســجســتان وخلع الخليفة المعتز بالله لثلاث خلون من رجب من هذه الســـنة وتولى الخلافة الإمام المهتدي بالله في ذلك اليوم وخلع المهتدي بالله مع صلاة الظهر من يوم الثلاثاء لأربع عشرة بقيت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين وبويع المعتمد على الله ولم يكن ليعقوب الصفار في خلافة المهتدي كبير أمر بل كان

411 يغزو ويحارب من يليه من الملوك بســجســتان وأعمالها ويتطرف كور خراســان وما قرب من قوهســتان ونواحي هراة وبوشـــنج وما اتصـــل بســجســتان ثم عاد يعقوب إلى بلاد فارس وجبى غلاتها ورجع بثلاثين ألف

ألف درهم وصــار إلى ســجســتان وأقام محمد بن واصـل بفـارس يتولى الحرب والخراج ويكـاتـب الخليفـة ويحمل بعض ما يجبى من الأموال فكان مقدار ما يحمل في الســنة خمسة آلاف ألف درهم من الخراج ببلاد فارس وكان مقيما بها غلبة عليها ولو أمكن الخليفة صـــرفه عنها ببعض أوليائه لما أقره ثم ورد الخبر في جمادى الآخرة من ســنة ثمان وخمســين ومائتين بدخول يعقوب مدينة بلخ ثم خرج منها ودخل نيسـابور في ذي القعدة من سنة تسع وخمسين ومـائتين واحتـاط على محمـد بن طـاهر الخزاعي أمير خراســان وجميع الطاهرية ثم خرج عنها في المحرم من ســنة ســتين ومائتين ومعه محمد بن طاهر مقيدا ونيف وستون من أهله وتوجه نحو جرجان للقاء الحسـن بن زيد العلوي أمير طبرســتان وجرجان ولما بلغ الحســن بن زيد أن يعقوب يقصـده أخذ من أموال الخراج ثلاثة عشـر ألف ألف درهم بقايا وسـلفا وتخلص من جرجان إلى طبرسـتان ودخل يعقوب جرجان ووجه من أصــحابه من أخذ ســارية طبرســتان وكان بجرجان يعلق على دوابه كل يوم ألف قفيز شـــعيرا ثم خرج يعقوب إلى طبرســتان وخرج إليه الحســن بن زيد في خلق كثير وأعلم يعقوب أصــحابه أنه يقتل من انهزم منهم وتقدم بنفســه للحرب فتبعه خمســمائة من عبيده فحمل على الحسن وأصحابه حملة واحدة فكانت الهزيمة على القوم وكان الحســن بن زيد قد أعد في كل قريـة في طريقـه لانهزامـه برذونـا وبغلا لأنـه كـان رجلا

ثقيلا كثير اللحم وتلاحق أصحاب يعقوب به فتبع الحسن بن زيد في خمسة آلاف خيل جريدة وأخذ يعقوب مما كان مع الحسن بن زيد ثلثمائة وقر مالا أكثر ها عين وظفر بجماعة من آل أبي طالب فأساء إليهم وأسر هم وكانت الوقعة يوم الاثنين لأربع بقين من رجب سنة ستين ومائتين

412 ثم تقدم يعقوب فدخل آمل قلت وهي بالهمزة الممدودة والميم المضمومة وبعدها لام وهي كرسي بلاد طبرستان قال وهرب الحسن بن زيد إلى مدينة يقال لها سالوس فلم يجد من أهلها ما كان يعرفه منهم فتنحى عنهم ثم خرج يعقوب من آمل فطلب الحسن بن زيد فرحل مرحلة واحدة وبلغه الخبر أن الحسين بن طاهر بن عبد الله بن طاهر قد دخل مرو الروذ ومعه صاحب خوارزم في ألفي تركي فانزعج يعقوب لذلك وقصر من الإيغال في طلب الحسن بن زيد فرجع وكتب إلى أمير الري في ذي الحجة من سنة ستين يأمره أن يخرج من الري ويعلمه أن أمير المؤمنين قد ولاه إياه فبلغ ذلك الخليفة فأنكره وعاقب غلمانه الذين كانوا ببغداد بالحبس وأخذ الأموال ثم دخلت سنة إحدى وستين ومائتين ويعقوب ببلاد طبرستان فخرج في المحرم يريد جرجان فلحقه الحسن بن زيد من ناحية البحر فيمن اجتمع إليه من الديلم وأهل الجبال وطبرستان فشعث من يعقوب وقتل من لحق من أصحابه فانهزم يعقوب إلى جرجان فجاءت بها زلزلة عظيمة قتلت من أصحابه ألفي إنسان ورجعت طبرستان إلى الحسن بن زيد

وهي آمل وسارية وما يتصل بهما وأقام يعقوب بجرجان يعسف أهلها بالخراج ويأخذ أموال الناس ودامت الزلزلة ثلاثة أيام وأتى جماعة من أهل جرجان إلى بغداد فسئلوا عن يعقوب الصفار فذكروه بالجبروت والعسف فعزم الخليفة على النهوض إليه واستعد لذلك ولما رجع الصفار إلى جوار الري ورجع الحاج عن الموسم كتب الخليفة المعتمد على الله إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين وهو يومئذ متولي العراق بأن يجمع الحاج من أهل خراسان وطبرستان وجرجان والري ويقرأ عليهم كتابا منه إليه فجمع الحاج القادمين من أقاصي البلاد وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين بالوقوع في الصفار وعمل ثلاثين نسخة ودفع إلى أهل كل كورة نسخة لتذيع الأخبار بهذه النسخ في الآفاق ونمي الخبر إلى يعقوب الصفار بما كان من حبس غلمانه وما كان من جمع الحاج في دار عبيد الله وما دفع

413 إليه من النسخ وانكشف له رأي الخليفة في قصده فرجع إلى نيسابور وإنما رجع لأنه لم يجد عدة تصلح للقاء الخليفة ولما دخل إلى نيسابور أساء إلى أهلها بأخذ الأموال ورجع يريد جهة سجستان في جمادى الأولى من سنة إحدى وستين ومائتين ولما رجع إلى سجستان خرجت كتب الخليفة إلى أصحاب الممالك بخراسان وذوي الجاه والعدد بتولية كل رجل ناحية فوردت الكتب وأصحاب الصفار متفرقون في كور خراسان ثم إن

الصفار وصل إلى عسكر مكرم من أعمال خوزستان وكاتب الخليفة وسأله ولاية خراسان وبلاد فارس وما كان مضموما إلى آل طاهر بن الحسين الخزاعي من الكور وشرطتي بغداد وسر من رأى وأن يعقد له على طبرستان وجرجان والري وأذربيجان وقزوين وأن يعقد له على كرمان وسجستان والسند وأن يحضر من قرئت عليهم الكتب التي نسخت في دار عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ويقرأ عليهم خلاف ما قرىء عليهم أولا من ذكره ليبطل ذلك الكتاب بهذا الكتاب ففعل ذلك الموفق بالله أبو أحمد طلحة بن المتوكل على الله وهو أخو الخليفة المعتمد على الله والد المعتضد بالله الخليفة القائم بعد عمه المعتمد على الله وكان الموفق مستوليا على الأمور كلها وليس للمعتمد معه سوى اسم الخلافة لا غير وأجابه إلى ما طلب وجمع الناس وقرأ عليهم ما أحبه الصفار وأجيب إلى الولاية التي طلبها واضطربت الموالي بسر من رأى من إجابة الخليفة إلى ما طلبه الصفار وتحركوا ثم إن الصفار لم يلتفت إلى ما أجيب إليه من ذلك ودخل السوس وهي أيضا مدينة من أعمال خوزستان بالقرب من عسكر مكرم ولما دخلها عزم على محاربة الخليفة المعتمد وتأهب له الخليفة لينحدر إليه في دجلة ثم تقدم الصفار وتقدم إليه عسكر الخليفة وقد كانت الموالي ارتابت واتهمت الأمير الموفق وتوهمت أن إقبال الصفار بسبب ما أنفذ إليه من الكتب وإلا فأي عجيب أعجب من خارج قصد من زرنج كرسي سجستان وهي

الحد الفاصل بين السند والترك وخراسان والوصول إلى بلاد العراق لمحاربة الخليفة وهو في جيوشه وعدده وتقادم مملكته في شرق الأرض وغربها والصفار منفرد
414 بجيشه ليس معه من يعضده ولا يشاركه في هذا الأمر ولما بلغ الخليفة ذلك دعا ببرد النبي وقضيبه وأخذ القوس ليكون أول من رمى ولعن الصفار فطابت أنفس الموالي ولما كان صبيحة الأحد لتسع خلون من رجب وردت عساكر الصفار في التعبية إلى موضع يقال له اصطربند وهي قرية بين السيب ودير العاقول من النهروان الأوسط وجمع أصحابه ليحمل بهم وتقدم بنفسه كما كان يفعل قبل ذلك وأقبل وعليه دراعة ديباج سوداء ولما تواقف الصفان خرج من الموالي خشتج القائد فقام بين الصفين وقال لأصحاب الصفار يا أهل خراسان وسجستان ما عرفناكم إلا بطاعة السلطان وتلاوة القرآن وحج البيت وطلب الإنكار وإن دينكم لا يتم إلا باتباع الإمام وما نشك أن هذا الملعون قدموه عليكم وقال لكم إن السلطان قد كتب إليه بالحضور وهذا السلطان قد خرج لمحاربته فمن آثر منكم الحق وتمسك بدينه وشرائع الإسلام فلينفرد عنه إذ كان شاقا للعصا محاربا للسلطان فلم يجيبوه عن كلامه وكان هذا خشتج شجاعا مقداما ولما تخلص محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين أمير خراسان من أسر الصفار وقد تقدم ذكر أسره وحمله مقيدا قال له خشتج يا آل طاهر اشتريتمونا بأموالكم

وأهديتمونا إلى ولد العباس فاستخلفونا وملكونا الضياع والأموال حتى قدنا الجيوش وحاربنا عن بيضة الإسلام فلم نخرج من الدنيا حتى حاربنا الصفار عنك يا والي خراسان مع مولانا أمير المؤمنين وخلصناك بعد الأسر والقيد الثقيل من مدينة إلى مدينة على بغل إكاف ورددناك من العراق إلى خراسان فالحمد لله على ما تفضل به مولانا من خلاصك وأولانا هذا الفعل الجميل فيك

415 رجعنا إلى تتمة خبر الصفار قال الراوي وحزر عسكر الصفار فكانت مساحة معسكره ميلا في ميل وكانت دوابهم في غاية الفراهة وقيل إن جمعهم كان يزيد على عشرة آلاف إنسان ووضع الخليفة العطاء في الجند وقطع ما في الطريق من الشجر والدغل واستعدوا للحرب وجدوا فيها وشمروا وقيل ما هو إلا أن تنصروا أو تنهزموا فلا ترجع دولتكم إليكم ووقف الخليفة المعتمد بنفسه وإلى جانب ركابه محمد بن خالد بن يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني وقد تقدم ذكر جده يزيد بن مزيد ووقف معه جماعة اكتنفوا الخليفة من أهل البأس والنجدة وتقدم بين يديه الرماة بالنشاب وكشف الموفق أخو الخليفة رأسه وقال أنا الغلام الهاشمي وحمل على أصحاب الصفار وقتل بين الطائفتين خلق كثير فلما رأى الصفار تلك الحال ولى راجعا تاركا أمواله وخزائنه وذخائره ومر على وجهه فلم تتبعه العساكر وما أفلت من أصحابه رجل إلا بسهم أصابه وأدركهم الليل فتساقطوا في الأنهار لازدحامهم وثقل

الجراح بهم قال أبو الساج داود ابن دوست الذي تنسب إليه الأجناد الساجية ببغداد للصفار لما انهزم ما رأيت معك شيئا من تدبير الحروب وكيف كنت تغلب الناس فإنك جعلت ثقلك وأموالك وأسراك أمامك وقصدت بلدا على قلة المعرفة منك به وبمغايصه وأنهاره بغير دليل وقاتلت يوم الأحد والريح عليك وسرت من السوس إلى واسط في أربعين يوما وأحوال العساكر مختلة فلما توافت عددهم وجاءتهم أموالهم واستحكم أمرهم عليك أقبلت من واسط إلى دير العاقول في يومين وتأخرت عند إمكان الفرصة وأقبلت تعدو في موضع التثبت فقال الصفار لم أعلم أني أحارب ولم أشك في الظفر وتوهمت أن الرسل ترد علي فبدروا الأمر فأتيت بما قدرت عليه قلت هذا آخر ما نقلته من كلام ابن الأزهر مع الاختصار

416 ونقلت من تاريخ أبي الحسين عبيد الله بن أحمد بن أبي طاهر الذي جعله ذيلا على تاريخ أبيه في أخبار ببغداد وقد أطال القول فيه فاختصرته وحذفت ما تكرر منه فقال كان وثوب يعقوب بن الليث على درهم وغلبته على سجستان يوم السبت لخمس خلون من المحرم سنة سبع وأربعين ومائتين وكانت ولاية درهم بن نضر كذا ثلاث سنين بعد إخراجه صالح بن النضر وهو رجل من بني كنانة من سجستان في ذي الحجة سنة سبع وثلاثين ومائتين ولم يزل يعقوب الصفار مقيما بسجستان يحارب الشراة والأتراك ويظهر أنه متطوعي حتى كانت سنة ثلاث

وخمســـين و مائتين فخرج إلى هراة ثم قصـــد بوشــنج وحاصـــرها وأخذها عنوة وكان ذلك في خلافة المعتز ومات المعتز ويعقوب على حاله ولم يزل على ذلك إلى أيام المعتمد على الله ثم دخل بلخ وخرج منها ثم وصل إلى رامهرمز وهو يظهر الطاعة للخليفة المعتمد وذلك في المحرم من سنة اثنتين وستين ومائتين ثم أرسل رسله إلى المعتمد فدخلوا بغداد لأربع عشـــرة ليلة خلت من جمادى الآخرة من الســنة المذكورة ثم صــار إلى واسـط وأقام بها نائبا عنه ثم صار إلى دير العاقول يوم السبت لثمان خلون من رجب ثم صـــار إلى اصـــطربند فنزل بها ولما اتصـل خبره بالمعتمد وأنه يقصـــد بغداد جمع أصـــحابه من الأطراف وخرج من سر من رأى قاصدا لمحاربته ودخل بغداد يوم الأحد لخمس بقين من ذي الحجة من الســنة قال أبو الفرج كاتب القاضـــي أبي عمر لما نهض الخليفة لمحاربة الصفار لم تزل كتبه تسير إليه من الطريق يؤمر بالانصراف ويحذر سوء عاقبة فعله وأن أمير المؤمنين قد نهض إليه في العدد والعدد وكتب الصــفار واردة بأني قد علمت نهوض أمير المؤمنين ليشــرفني وينبه على موقعي منه ثم عبى الخليفة جيشـــه للقتال على القرية المذكورة وأرســلوا الماء على طريق الصــفار فكان ســبب هزيمته فإنهم أخذوا عليه الطريق وهو لا يدري واصطف الفريقان ولم

417 يزل القوم يحمل بعضهم على بعض حتى انهزم الصــــفار فغنم الناس من أثقاله غنيمة عظيمة وتوهموا أن ذلك حيلة منه ومكر ولولا ذلك لاتبعوه ولقد حدثني من حضـــر ذلك أن رشـــق الجند الموالي كان في ذلك الوقت عشرين ألف سهم وانصرف الخليفة مسرورا بما فتح الله عليه وكان ممن تخلص من أســـره ذلك اليوم أبو عبد الله محمد بن طاهر أمير خراســـان وجاء إلى الخليفة وهو في قيده ففك الخليفة عنه القيد وخلع عليه خلعة سلطانية وذكر المعتمد ذلك النهار أنه رأى تلك الليلة في المنام كأن إنسانا كتب على صـــدره (^ إنا فتحنا لك فتحا مبينا) الفتح 1 وقص الرؤيا على خواصـــه وقال لهم قد وثقت بنصــر الله تعالى وقبل الوقعة وردت كتب الصــفار إلى الخليفة وفيها خضـــوع وتضـــرع ويخبر بأنه لم يجيء إلا لخدمة أمير المؤمنين والتشـــرف بالمثول بين يديه والنظر إليه وأن يموت تحت ركابه فقال المعتمد نحن في مخاريق الصـــفار بعد أعلموه أنه ما له عندي إلا الســـيف وأمر الخليفة بالكتاب إلى أبي أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وهو عم محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر يخبره بالفتح وخلاص ابن أخيه محمد بن طاهر فكتب إليه وهو يومئذ يتولى الشرطة ببغداد نيابة عن ابن أخيه المذكور فإنه كان يتولى خراسان وشرطتي بغداد وسر من رأى وفي الكتاب فصول طويلة وحاصله أنه عدد ذنوب الصفار وما قابله به الخليفة من الإحســـان والإنعام وأنه قلده خراســـان والبلاد

التي تقدم ذكرها قبل هذا وأنه رفع مرتبته وأمر بتكنيته في كتبه وأقطعه الضياع السنية ولم يبق شيء مما يقدر فيه استصلاحه إلا فعله فما زاده ذلك إلا البغي والطغيان والتمس أشياء إن رد عنها قصد أبواب أمير المؤمنين لإثارة الفتنة وابتغاء الغلبة فلم ير أمير المؤمنين إجابته إلى ما التمسه وتابع الكتب بالرجوع إلى أعماله الجليلة التي ولاه إياها وحذره التعرض لزوال النعم التي أنعم الله عليه بها فقد خالفه وعصاه وخرج عن طاعته وعرفه أنه إن أقام على المصير إلى الباب فقد عصاه وخرج عن طاعته ثم وجه إليه في ذلك مرة بعد أخرى مع جماعة

418 من القضاة والفقهاء والقواد وقدر بتوجههم إليه أنه يرجع إلى ما هو ألزم به وأوجب عليه فأقام على سبيل واحد في البغي والعناد والعصيان ولم يثنه الإرشاد ولم يزل استحواذ الشيطان عليه يقوده إلى الحين ويصده عن سبيل النجاة إلى مهاوي الهلكة فلما تبين أمير المؤمنين ذلك منه رأي أن يقضي عليه في أمر مثله فنهض متوكلا على الله تعالى معتمدا على كفايته لدفع الملعون عما يحاوله وهو يغذ السير إلى المصرع الذي سبق به قضاء الله تعالى فيه حتى توسط الطريق بين مدينة السلام وواسط وأظهر أعلاما على بعضها الصلبان واستنجد أهل الشرك على أهل الإيمان وبارز الله بسريرته ليسلمه بجريرته وفارق شرائع الإسلام وأحكامه نقضا للعهود ونكثا وخفرا للذمة وإعلانا للمشاقة فقدم أمير المؤمنين أخاه الموفق بالله أحمد

ولي عهد المسلمين ومعه جماعة من موالي أمير المؤمنين الذين أخلصــــوا لله طاعتهم وثبت في المحاماة عن دولته بصــائرهم وأتبعهم أمير المؤمنين الرغبة إلى الله تعالى في تأييدهم ونصـــرهم على عدوهم ولعنه أمير المؤمنين في الأوقات والمواقف التي علم الله صــــدق نيته فيها وألحقه وبـالها ووقف أمير المؤمنين يتـأمل مـا يكون من أخيـه ومواليه وأوليائه ويواصــــل الإمداد والجيوش إليهم وكان الموفق بالله في قلب العســكر وظهر الملعون عدو الله في أشـياع ضـلالته قد ادرع العصـيان وتسـربل البغي واعتمد على وفور حشـده وكثرة أتباعه فلما تراءى الجمعان شــهر عدو الله وأشياع ضلالته السلاح وأسرعوا إلى موالي أمير المؤمنين وأوليائه وشـرعت في الملعون وضـلاله سـيوف الحق باترة ورماحه طاعنة وســـهامه نافذة حتى أثخن الملعون بالجراح ورأى أتباع ضــــلالته ما حل به فبادروا بالويل والثبور وأكب عليهم موالي أمير المؤمنين وأوليائه يقتلون فيهم ويـأســــرون منهم وعجـل الله إلى النــار من جماعته من لا يحصـــى عدده ولم يزل الأمر كذلك حتى انتزع أبو عبـد الله محمـد بن طـاهر مولى أمير المؤمنين ســـالما من أيديهم وحســـروا عن مســـتقرهم فولى الباقون منهزمين مفلولين لا يلوون على شــــيء وأســــلم الله تعالى الملعون وهم وما كانوا حووه وملكوه في سالف الأيام التي أملى الله تعــالى لهم فيهــا أقطــار الأرض من الأموال والأمتعة والأثاث والإبل

419 والدواب والبغال والحمير فأفاءه الله على الموالي وسائر الأولياء وملكهم إياه وصاروا به إلى رحالهم وعلى الجملة فإن هذا الكاتب أطال القول في ذلك فاختصرته ثم كتب في آخره وكتبه عبيد الله بن يحيى يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب سنة اثنتين وستين ومائتين ثم قال هذا المؤرخ بعد هذا ومضى الصفار منهزما إلى واسط يتخطف أصحابه أهل القرى وتؤخذ أسلحتهم واسلابهم ولم تتبعه الموالي مخافة رجعته ولاشتغالهم بالكسب والنهب فأمسكوا عنه ورجع الخليفة إلى معسكره ثم رجع الصفار إلى السوس وجبى الأموال ثم قصد تستر وحاصرها وأخذها ورتب فيها نائبا وكثر جمعه ثم رحل إلى فارس في شوال وكان الخليفة قد رجع إلى المدائن وأقام بها يومين ثم رحل إلى بغداد ومنها إلى سر من رأى ودخلها يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شعبان ثم ذكر المؤرخ بعد هذا وورد الخبر على الخليفة بوفاة يعقوب بن الليث الصفار يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلت من شوال والذي أصيب في بيوت أمواله من العين أربعة آلاف ألف دينار ومن الورق خمسون ألف ألف درهم ووافى أحمد بن أبي الأصبغ يوم الخميس لسبع بقين من شوال وقد كان الخليفة أنفذه ليصلح أمر يعقوب فانصرف من عند يعقوب فلما قرب من واسط اتصل به وفاة يعقوب وقد كان قلد خراسان وفارس وكرمان والري وقم وأصبهان وصيرت إليه الشرطتان ببغداد وسر من

رأى على أن يوليها من أحب وعلى أن يوجه ثلثي ما يجبى من خراج البلاد التي يتولاها من جميع الأعمال وتولى أخوه عمرو بن الليث مكانه باجتماع عسكر يعقوب عليه ووردت كتب عمرو إلى الموفق أخي الخليفة المعتمد على الله بالسمع والطاعة وأن يتولى ما كان أخوه يتولاه فأجيب إلى سؤاله وولاه في ذي القعدة من السنة

420 قلت سياقة هذا التاريخ يدل على أن يعقوب الصفار توفي في بقية سنة اثنتين وستين ومائتين لأنه حكى الوقعة في هذه السنة وأن يعقوب انهزم ثم قال عقيب هذا وورد الخبر بوفاة يعقوب في شوال ولم يذكر السنة فيدل على موته في تلك السنة والذي أعرفه من عدة تواريخ خلاف هذا فإن أبا الحسين السلامي ذكر في كتاب تاريخ أخبار ولاة خراسان في أول الفصل المختص بعمرو بن الليث الصفار فقال كان سبب وفاة يعقوب بن الليث أنه أصابه القولنج فأشير عليه بالعلاج فامتنع منه واختار الموت عليه فمات بجنديسابور من خوزستان يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلت من شوال من سنة خمس وستين ومائتين قال أبو الوفاء الفارسي رأيت على قبر يعقوب بن الليث صحيفة وقد كتبوا عليها (ملكت خراسانا وأكناف فارس * وما كنت من ملك العراق بآيس) (سلام على الدنيا وطيب نسيمها * إذا لم يكن يعقوب فيها بجالس) ورأيت بخطي في جملة مسوداتي أن يعقوب بن الليث الصفار توفي سنة خمس وستين ومائتين بالأهواز وحمل

تابوته إلى جنديســـــابور فدفن بها وكتب على قبره هذا قبر يعقوب المســـكين وكتب بعده (أحســـنت ظنك بالأيام إذ حسـنت * ولم تخف سـوء ما يأتي به القدر) (وســالمتك الليالي فاغتررت بها * وعند صــفو الليالي يحدث الكدر) ورأيت بخطي أيضا في موضع آخر أنه توفي بجنديسابور ودفن بميدانه والله أعلم وهو قاصـــد العراق في التاريخ المذكور وكانت وفاته بعلة القولنج وأخبره طبيبه أن لا دواء له إلا الحقنة فامتنع منها واختار الموت عليها وكانت مدة علته بالقولنج والفواق ستة عشر يوما ومدة تغلبه على سجستان وتلك النواحي أربع عشرة سنة وشهورا

421 وذكر شـيخنا ابن الأثير في تاريخه في ســـنة خمس وســـتين ومائتين أنه مات فيها يعقوب بن الليث في تاسع عشر شوال من السنة وذكر حديث القولنج وامتناعه من الحقنة وأنه مات بجنديســـابور من كور الأهواز قلت وهي من أعمال خوزســـتان بين العراق وبلاد فارس وقال شـــيخنا أيضـــا وكان الخليفة المعتمد قد أنفذ إليه رســـولا يترضاه ويستميله ويقلده أعمال فارس فوصل الرسول إليه ويعقوب مريض فجلس له وجعل عنده ســـيفا ورغيفا من خبز الخشكار ومعه بصل وأحضر الرسول فأدى الرسالة وقال له قل للخليفة إني عليل فإن مت فقد اســـترحت منك واســـترحت مني وإن عوفيت فليس بيني وبينك إلا هذا السـيف حتى آخذ بثأري أو تكســرني وتفقرني فأعود إلى هذا الخبز والبصل وعاد الرسول فلم يلبث يعقوب أن مات

وقال بن حوقل في كتاب المسالك والممالك إن جنديسابور مدينة حصينة واسعة الخير وبها نخل وزروع كثيرة ومياه وقطنها يعقوب بن الليث الصفار لخصبها واتصالها بالمير الكثيرة وكان الحسن بن زيد العلوي يسمى يعقوب السندان لثباته وكان قل أن يرى متبسما وكان عاقلا حازما وكان يقول كل من عاشرته أربعين يوما ولا تعرف أخلاقه لا تعرفها في أربعين سنة (351) ولما تولى عمرو أحسن في التدبير والسياسة غاية الإحسان حتى يقال ما أدرك في حسن السياسة للجنود والهداية إلى قوانين المملكة منذ زمن طويل مثل عمرو بن الليث وذكر السلامي في كتاب أخبار خراسان شيئا كثيرا من كفايته ونهضته وقيامه بقواعد الولاية فتركته طليا للاختصار وذكر أنه كان ينفق في الجند في كل ثلاثة أشهر مرة ويحضر بنفسه على ذلك وأن عارض الجيش يقعد والأموال بين يديه والجند بأسرهم حاضرون وينادي المنادي أولا باسم عمرو بن الليث فتقدم دابته إلى العارض بجميع آلة الفارس فيفتقدها ويأمر بوزن ثلثمائة درهم باسم عمرو فتحمل إليه في صرة فيأخذ الصرة فيقبلها ويقول الحمد لله الذي وفقني لطاعة أمير المؤمنين حتى استوجبت منه الرزق ثم يضعها في خفه فتكون لمن ينزع خفه ثم يدعى بعد ذلك
422 بأصحاب الرسوم على مراتبهم فيستعرضون بآلاتهم التامة وبدوابهم الفره ويطالبون بجميع ما يحتاج إليه الفارس والراجل من صغير آلة وكبيرها فمن أخل

بإحضــار شــيء منها حرموه رزقه فاعترض يوما فارسا كانت دابته في غاية الهزال فقال له عمرو يا هذا تأخذ مالنا تنفقه على امرأتك فتســمنها وتهزل دابتك التي عليها تحارب وبها تجد الأرزاق امض فليس لك عندي شــيء فقال له الجندي جعلت لك الفداء لو اعترضــت امرأتي لاســتســمنت دابتي فضــحك عمرو وأمر بإعطائه وقال اســتبدل بدابتك قلت ذكر القاضــي كمال الدين المعروف بابن العديم الحلبي رحمه الله تعالى في تاريخ حلب حكاية يليق أن أذكر ها هاهنا لأنها مثل هذه الحكاية وهي كان كســرى أنوشــروان بن قباذ قد ولى رجلا من الكتاب نبيها معروفا بالعقل والكفاية يقال له بابك بن النهروان ديوان الجند فقال لكســرى أيها الملك إنك قد قلدتني أمرا من صــلاحه أن تحتمل لي بعض الغلظة في الأمور وهي عرض الجنود في كل أربعة أشــهر وآخذ كل طبقة بكمال آلتها ومحاســبة المؤدبين على ما يأخذون على تأديب الرجال بالفروســية والرمي والنظر في مبالغتهم في ذلك وتقصــيرهم فإن ذلك ذريعة إلى إجراء الســياســة مجاريها فقال كســرى ما المجاب بما ســأل بأحظى من المجيب لاشــتراكهما في فضــله وانفراد المجيب بعد بالراحة حقق مقالتك فأمر فبنيت له في موضــع العرض مصطبة وبسط له عليها الفرش الفاخرة ثم جلس ونادى مناديه لا يبقين أحد من المقاتلة إلا حضــر للعرض فاجتمعوا ولم ير كســرى فأمرهم فانصرفوا وفعل ذلك في اليوم الثاني ولم ير كسرى

فيهم فأمرهم فانصرفوا فنادى في اليوم الثالث أيها الناس لا يتخلفن من المقاتلة أحد ولا من أكرم بالتاج والسـرير فإنه عرض لا رخصة فيه ولا محاباة وبلغ كسرى ذلك فتسلح بسلاحه ثم ركب فاعترض على بابك وكان الذي يؤخذ به الفارس تجفافا ودرعا وجوشنا وبيضة ومغفرا وساعدين وساقين ورمحا وترسا وجزرا تلزمه منطقة وطبرزينا وعمودا وجعبة فيها قوسان بوتريهما وثلاثين نشابة ووترين

423 ملفوفين يعلقهما الفارس في مغفره ظهريا فاعترض كسرى على بابك بسلاح تام خلا الوترين اللذين يستظهر بهما فلم يجز بابك على اسمه فذكر كسرى الوترين فعلقهما في مغفره واعترض على بابك فأجاز على اسمه وقال لسيد الكماة أربعة آلاف درهم ودرهم وكان أكثر ماله من الرزق أربعة آلاف درهم ففضل كسرى بدرهم واحد فلما قام بابك من مجلسه دخل على كسرى فقال أيها الملك لا تلمني على ما كان من إغلاظي فما أردت به إلا الدربة للمعدلة والإنصاف وحسم مادة المحاباة قال كسرى ما أغلظ علينا أحد فيما يريد به إقامة أودنا وصلاح ملكنا إلا احتملنا له غلظته كاحتمال الرجل شرب الدواء الكريه لما يرجوه من منفعته رجعنا إلى تتمة أخبار عمرو بن الليث الصفار قال السلامي أيضا كان رافع بن هرثمة تبعا لأبي ثور وكان أبو ثور أحد قواد محمد بن طاهر الخزاعي فلما وافى يعقوب الصفار

نيسابور كان أبو ثور من جملة من مايل يعقوب على محمد بن طاهر فلما انصـرف يعقوب إلى سـجستان صـحبه أبو ثور ومعه رافع بن هرثمة وكان رجلا طويل اللحية كريه الوجه قليل الطلاقة فدخل يوما إلى يعقوب فلما خرج من عنده قال يعقوب إني لا أميل إلى هذا الرجل فليلحق بحيث شـاء فباع رافع جميع آلاته ثم انصـرف إلى منزله بيامين وهي من قرى كنج رسـتاق وأقام هناك إلى أن اسـتقدمه أحمد بن عبد الله الخجسـتاني وخجسـتان من جبل هراة من قرى بادغيس وكان الخجسـتاني من أتباع يعقوب الصـفار ثم خلع طاعته وتغلب على نيسابور وبسطام في سنة إحدى وسـتين ومائتين وكان يظهر الميل إلى الطاهرية مسـتميلا بذلك قلوب أهل نيسـابور إليه حتى إنه كان يكتب في كتبه أحمد بن عبد الله الطاهري

424 ثم كتب الخجسـتاني إلى رافع بن هرثمة وهو في بلده يسـتقدمه فقدم عليه فجعله صـاحب جيشـه وللخجستاني حروب ومواقف مشهورة وليس الغرض ذكر شـيء منها هاهنا ثم إن غلامين من غلمانه اتفقا عليه وقتلاه وقد سكر ونام وذلك في ليلة الأربعاء لست بقين من شـوال سـنة ثمان وسـتين ومائتين وكان رافع بن هرثمة غائبا فقدم بعد ذلك على جيش الخجسـتاني فقدموه عليهم وبايعوه بمدينة هراة وقيل بنيسـابور ثم عزل الموفق بالله عمرو بن الليث الصـفار عن ولاية خراسـان وجعلها لأبي عبد الله محمد بن طاهر الخزاعي في سـنة إحدى وسـبعين

ومائتين وهو مقيم ببغداد فاستخلف محمد بن طاهر عليها رافع بن هرثمة ما خلا أعمال ما وراء النهر فإن الموفق بالله أقر عليها نصر بن أحمد بن أسد الساماني خليفة لمحمد بن طاهر ثم وردت كتب الموفق على رافع بقصد جرجان وطبرستان وكانتا للحسن ابن زيد العلوي وتوفي سنة سبعين ومائتين واستولى عليهما أخوه محمد ابن زيد فجاءه رافع في سنة أربع وسبعين ففارقها محمد بن زيد إلى استراباذ فحاصره بها رافع مدة سنتين ثم فارقها ليلا في نفر يسير إلى بلاد الديلم واستولى رافع على طبرستان في سنة سبع وسبعين ومائتين ثم توفي الخليفة المعتمد على الله في رجب سنة تسع وسبعين ومائتين وتولى الخلافة بعده المعتضد بالله أبو العباس أحمد بن الموفق المذكور وولى المعتضد أبا إبراهيم إسماعيل بن أحمد الساماني ما وراء النهر بعد وفاة أخيه نصر بن أحمد المذكور قلت وكانت وفاة نصر لسبع بقين من جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين بسمرقند قال وعزل رافع بن هرثمة عن خراسان وولاها عمرو بن الليث وبقي رافع بالري ثم إنه هادن الملوك المجاورين له ليستعين بهم على عمرو بن الليث فلما تم له ذلك خرج إلى نيسابور فواقعه عمرو بن الليث في شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وثمانين وهزمه عمرو وتبعه إلى

425 أبيورد وقصد رافع أن يخرج منها إلى هراة أو مرو فعلم عمرو أن مقصده سرخس فقصدها عمرو ليأخذ

عليه الطريق فعلم رافع ذلك فخرج من أبيورد ومعه دليل فأخذ به على جبال طوس حتى أورده باب نيسابور فدخلها فعاد عمرو إليها وحاصره بها فانهزم رافع وأصحابه ووصل إلى نواحي خوارزم على الجمازات وحمل ما كان معه من آلة ومال في شرذمة قليلة وذلك يوم السبت لخمس بقين من شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين ومائتين فوجه إليه أمير خوارزم نائبا يقوم بخدمته وما يحتاج إليه إلى أن يصل خوارزم فوجده النائب في خف من أصحابه فقتله لسبع خلون من شوال يوم الجمعة سنة ثلاث وثمانين وحز رأسه وحمله إلى عمرو بن الليث وهو بنيسابور فأنفذ عمرو رأسه إلى المعتضد بالله ولم يكن رافع ابن هرثمة وإنما هرثمة زوج أمه فانتسب رافع إليه لأنه أشهر ورافع ابن تومرد وقال ابن جرير الطبري في تاريخه في سنة ثلاث وثمانين وفي يوم الجمعة لثمان بقين من ذي القعدة قرئت الكتب على المنابر بقتل رافع بن هرثمة وقدم رسول عمرو بن الليث برأس رافع إلى بغداد يوم الخميس لأربع خلون من المحرم سنة أربع وثمانين ومائتين على المعتضد فأمر بنصبه في الجانب الشرقي إلى الظهر ثم تحويله إلى الجانب الغربي بقية النهار إلى الليل ثم ردوه إلى دار السلطان قال السلامي وصفت خراسان إلى شط جيحون لعمرو بن الليث قلت وقد مدح البحتري الشاعر المشهور رافع بن هرثمة وكناه أبا يوسف في مديحه وأرسلها إليه فأرسل له عشرين ألف درهم وهو بالعراق قال السلامي

ولمـا وجـه عمرو بن الليـث برأس رافع بن هرثمـة إلى المعتضـد سـأل أن يولوه عمل ما وراء النهر مثل ما كان برسـم عبد الله بن طاهر فوعدوه بذلك ثم أرسـل إليه المعتضـد هدايا فوصـلته وهو في نيسـابور فأبى أن يقبلها دون الوفـاء بما وعدوه من توليـة أعمـال ما وراء النهر فكتب الرسـول إلى المكتفي بالله بن المعتضـد وكان بالري وعنده جماعة من خواص أبيه بما سـأله عمرو فأنفذوا إليه العهد بها فحمل إليه العهد والهدايا التي سيرها له المعتضد بالله

426 وامتنع من أخذها وكان في الهدايا سبع دسوت خلع فوضـعت بين يديه وأفاض عليه الرسـول الخلع واحدة بعد أخرى وكلما لبس خلعة صـلى ركعتين ثم وضـع العهد قدامه فقال ما هذا قال الذي سـألته فقال عمرو ما أصـنع به فإن إسماعيل ابن أحمد لا يسلم إلي ذلك إلا بمائة ألف سيف فقال أنت سـألته فشـمر الآن لتتولى العمل في ناحيته فأخذ العهد وقبله ووضـعه بين يديه ثم أنفذ عمرو إلى الرسـول ومن معه سـبعمائة ألف درهم وصـرفهم ثم جهز عمرو جيشـا إلى إسـماعيل بن أحمد فعبر إسـماعيل إليهم نهر جيحون وقاتلهم فقتل بعضـهم وهزم البـاقين وعمرو بن الليث الصفار في نيسابور وكانت الوقعة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شوال سنة ست وثمانين ومائتين وعاد إسـماعيل إلى بخارا وهي من أعمال ما وراء النهر قال السـلامي انتدب عمرو بن الليث لمحاربة إسـماعيل محمد

بن بشر فلما عبر إسماعيل جيحون دخل موسى السجزي على محمد بن بشر وهو يحلق رأسه فقال له هل استأذنت إسماعيل في حلق رأسك يعني أن رأسه لإسماعيل لأنه انتصب لمحاربته فقال له محمد اغرب عني لعنك الله ثم تحاربوا من الغد فانكشف أصحاب بشر وقبضوا عليه وحز رأسه في جملة سائر الرؤوس وحملوها إلى إسماعيل وأدخلوا جماعة من أصحابه ليميزوا الرؤوس عن رأس ابن بشر فأعلم بعضهم إسماعيل بما قال موسى السجزي لابن بشر فتعجب مما جرى الفأل به وذكر الطبري في تاريخه في سنة سبع وثمانين ومائتين ما مثاله وفي يوم الأربعاء لخمس بقين من جمادى الأولى ورد كتاب فيما ذكر على السلطان أنه كانت بين إسماعيل بن أحمد وبين عمرو بن الليث وقعة فأسر عمرا واستباح عسكره وكان من خبر عمرو وإسماعيل أن عمرا سأل السلطان أن يوليه ما وراء النهر فولاه ذلك ووجه إليه وهو مقيم بنيسابور بالخلع واللواء على ما وراء النهر لمحاربة إسماعيل بن أحمد فكتب إليه إسماعيل إنك قد وليت

427 دنيا عريضة وأنا في يدي ما وراء النهر وأنا في ثغر فاقنع بما في يدك واتركني مقيما بهذا الثغر فأبى إجابته إلى ذلك وذكر له من أمر نهر بلخ وشدة عبوره فقال عمرو لو أشاء أن أسكره ببدر الأموال وأعبره لفعلت فلما يئس إسماعيل من انصرافه عنه جمع من معه من التناء والدهاقين وعبر النهر إلى الجانب الغربي وجاء عمرو بن

الليث فنزل بلخ وأخذ إســـماعيل عليه النواحي فصـــار كالمحاصـــر وندم على ما فعل وطلب المحاجزة فيما ذكر فأبى إسماعيل عليه ذلك ولم يكن بينهم قتال كثير حتى هزم عمرو فولى هاربا ومر بأجمة في طريقه قيل له إنها أقرب فقال لعامة من معه امضـوا في الطريق الواضـح ومضـى في نفر يســير فدخل الأجمة ووحلت به دابته فوقعت ولم يكن له في نفســه حيلة ومضـــى من معه ولم يلووا عليه وجاء أصحاب إسماعيل فأخذوه أسيرا فلما بلغ المعتضد ما جرى مدح إســـماعيل وذم عمرا وقال يقلد أبو إبراهيم إســـماعيل كل ما في يد عمرو ويوجه إليه بالخلع ثم ذكر الطبري أيضـــا في ســـنة ثمان وثمانين ما مثاله وفي أول جمادى الأولى يوم الخميس أدخل عمرو بن الليث بغداد وذكر لي أن إسماعيل بن أحمد خيره بين المقام عنده أسيرا وبين توجيهه إلى أمير المؤمنين فاختار توجيهه إلى أمير المؤمنين فوجهه وقال الســـلامي في أخبار خراســـان ثم خرج عمرو إلى بلخ فلاقاه بها إســـماعيل فهزمه وقبض عليه وذلك يوم الثلاثاء النصـف من ربيع الأول سـنة سـبع وثمانين ومائتين وأنفذه مقيدا إلى ســـمرقند قلت وهي من بلاد ما وراء النهر أيضا وهذا النهر هو جيحون قال وضم إليه أخاه أبا يوســـف ليخدمه إلى أن ورد عليه من عند المعتضــد عبد الله بن الفتح بعهد خراســـان واللواء والتاج والخلع في سنة ثمان وثمانين وقدم معه إنسان ليتولى حمل عمرو بن

428 الليث إلى بغداد فسلمه إسماعيل إليه فحمله
وقال ابن أبي طاهر المذكور قبل هذا في تاريخه إن عمرو
بن الليث الصفار انهزم وقتل خلق كثير من أصحابه
وكانت الوقعة على باب بلخ يوم الأربعاء لاثنتي عشرة
ليلة بقيت من ربيع الآخر سنة سبع وثمانين ومائتين وقبل
ذلك هرب ابن أبي ربيعة كاتب عمرو بن الليث إلى
إسماعيل بن أحمد ومعه قائد من قواده في خلق كثير
فأصبح عمرو في يوم الوقعة وقد عرف الخبر ثم كثر
هرب أصحابه إلى إسماعيل فضعف قلب عمرو وهرب
واشتغل إسماعيل بالعسكر وبعث في طلب عمرو جيشا
فوجده واقفا على فرس فقبضوا عليه وسيره إسماعيل إلى
المعتضد وأخبره بما جرى وأنه سيره إلى سمرقند حتى
يرد عليه أمر أمير المؤمنين فاشتد سرور الخليفة بذلك
وقلد الخليفة إسماعيل ما كان مقلده عمرو مضافا إلى عمله
وتوجه عبد الله بن الفتح إلى إسماعيل في طلب عمرو فلما
وصل إلى إسماعيل وجه إليه فأحضر عمرا فقيده وأرسله
وإلى جانبه رجل من أصحاب إسماعيل بيده سيف مشهور
وقيل لعمرو إن تحرك في أمرك أحد رمينا رأسك إليهم فلم
يتحرك أحد ووصلوا إلى النهروان يوم الثلاثاء لثلاث بقين
من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وحل قيد عمرو
فلما كان يوم الخميس مستهل جمادى الأولى ركب الجند
للقائه وعمرو في القبة قد أرخى جلالها عليه فلما بلغ باب
السلامة أنزل عمرو من القبة وألبس دراعة ديباج وبرنس

السخط وحمل على جمل له سنامان يقال له إذا كان ضخما على هذه الصـورة الفالج في غاية الارتفاع وكان عمرو قد أهداه فيما أهدى للخليفة وقد ألبس الجمل الديباج وحلي بذوائب وأرسان مفضضة وأدخل بغداد فاشتقها في الشارع الأعظم إلى دار الخليفة بقصـر الحسـني وعمرو رافع يديه يدعو ويتضـــرع دهاء منه فرقت له العامة وأمســكت عن الدعاء عليه ثم أدخل على الخليفة وقد جلس له واحتفل به فوقف بين يديه ساعة وبينهما قدر خمسـين ذراعا وقال له هذا ببغيك يا عمرو ثم أخرج من

429 بين يديه إلى حجرة قد أعدت له وكان أخوه يعقوب الصفار قد تزوج امرأة من العرب من بلد سجستان فلما توفي يعقوب تزوجها أخوه عمرو ثم توفيت ولم تخلف ولدا وكان لها ألف وسبعمائة جارية قال بعضهم كنت عند أبي علي الحســـين بن محمد بن الفهم المحدث فدخل رجل من أصـــحاب الحديث فقال له يا أبا علي رأيت عمرو بن الصــفار أمس على جمل فالج من الجمال التي كان أهداها عمرو منذ ثلاث سـنين للخليفة فأنشـد أبو علي (وحسـبك بالصفار نبلا وعزة * يروح ويغدو في الجيوش أميرا) (حباهم بأجمال ولم يدر أنه * على جمل منها يقاد أســيرا) وعمل في ذلك علي بن محمد بن نصـر بن بسـام الشـاعر المقدم ذكره (أيها المغتر بالدنيا * أما أبصرت عمرا) (أركب الفالج بعد الملك * والعزة قســرا) (وعليه برنس للسخط * إذلالا وقهرا) (رافعا كفيه يدعو * الله إسرارا

وجهرا) (أن ينجيه من القتل * وأن يعمل صـــفرا) قال الطبري وتوفي المعتضـــد بالله ليلة الاثنين لثمان بقين من شـــهر ربيع الآخر ســـنة تســـع وثمانين ومائتين وتولى الخلافة ولده المكتفي بالله أبو محمد علي وكان غائبا في الرقة عند موت أبيه فقدم بغداد وأمر يوم الثلاثاء لثمان خلون من جمادى الآخرة من الســـنة المذكورة بهدم المطامير التي كان أبوه احتفرها لأهل الجرائم ومات عمرو بن الليث الصفار في غد هذا اليوم ودفن بالقرب من القصر الحسني وقد كان المعتضد عند موته لما امتنع من الكلام أمر بقتل عمرو بالإيماء والإشارة ووضع يده على رقبته وعلى عينه أي اذبحوا الأعور

430 وكان عمرو أعور فلم يفعل صـــافي الحرمي ذلك وهو الذي أمره المعتضـــد بقتله وإنما امتنع من قتله لعلمه بحال المعتضـــد وقرب وفاته وكره قتل عمرو ولما دخل المكتفي بغداد ســـأل فيما قيل القاســـم بن عبيد الله عن عمرو أحي هو فقال نعم فسر بحياته وقال أريد أن أحسن إليه وكان عمرو يهدي إلى المكتفي ويبره برا كثيرا أيام مقامه بالري في حياة أبيه المعتضـــد فذكر أن القاســـم كره ســـؤاله عنه ودس إليه من قتله وكانت مدة مملكته اثنتين وعشرين سنة تقريبا قلت وإنما قيل ليعقوب الصفار لأنه كان يعمل الصفر وهو النحاس وهو بضم الصاد المهملة وسكون الفاء وبعدها راء وكان أخوه عمرو يكري الحمير حكى شـــيخ من الصـــفارين قال كان يعقوب وهو غلام في

دكانه يتعلم عمل الصـــفر ولم أزل أتأمل بين عينيه وهو صـغير ما آل أمره إليه قيل له وكيف ذلك قال ما تأملته قط من حيث لا يعلم بتأملي إياه إلا وجدته مطرقا إطراق ذي همة وفكر وروية فكان من أمره ما كان وقال علي بن المرزبان الأصـفهاني الكاتب سـألت بعض أصـحاب بني الصفار عن عمرو بن الليث أخي يعقوب بن الليث الصفار وصناعته وعمر يومئذ محبوس بمدينة السلام فسكت عني فلما توفي عمرو قال لي كنت سألتني عن عمرو وصناعته ولم يكن من الحزم إخبارك وهو يرجى ويخشى فاعلم الآن أنه لم يزل مكاريا إلى أن عظم شـــأن أخيه يعقوب وتمكن من خراســـان فلحق بـه وترك إكراء الحمير قلت ذكر جماعة من أرباب التواريخ في كتبهم أن أبا أحمد عبيد الله ابن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي المقدم ذكره في هذا الكتاب كان يقول عجائب الدنيا ثلاث جيش العباس بن عمرو الغنوي يؤســـر العباس وحده وينجو من القتل ثم يطلق ويقتل جميع جيشـــه وكانوا عشـــرة آلاف وجيش عمرو بن الليث يؤســـر عمرو وحده ويموت في الســـجن ويسلم جميع جيشه وكانوا

431 خمســـين ألفا وأنا أترك في بيتي بطالا ويتولى ابني أبو العباس الجســرين ببغداد (352) قلت وكان من حديث العباس بن عمرو الغنوي أن القرامطة لما اشـــتد أمرهم وانتشــروا في البلاد وبالغوا في الفتك أرســل إليهم المعتضد بالله في سنة سبع وثمانين ومائتين جيشا مقدمه

العباس المذكور فأسره أبو سعيد القرمطي رئيس القرامطة في الوقعة وأسـر جميع من معه من الجيش وفي اليوم الثاني من الوقعة أحضر أبو سعيد القرمطي الأسرى فقتلهم بأسرهم وأحرقهم وأطلق العباس فجاء إلى المعتضد وحده وكان ذلك في آخر شعبان من السنة وكانت الوقعة بين البصرة والبحرين وهي قصة طويلة مشهورة وهذا خلاصتها إذ ليس هذا موضع التطويل في شرحها وسيأتي ذكرها مع الاستقصاء في التاريخ الكبير إن شاء الله تعالى قلت والبيتان المذكوران قبل هذا وأنهما مكتوبان على قبر يعقوب الصفار وآخر البيت الأول منهما (وما كنت من ملك العراق بآيس *) هذا نصف بيت من جملة أبيات ترنم بها معاوية بن أبي سفيان الأموي لما تغلب على الشام وجاءه جرير بن عبد الله البجلي برسالة من علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان علي إذ ذاك مقيما بالكوفة فلما أدى جرير الرسالة إلى معاوية وانفض المجلس أمر معاوية بنزول جرير في مكان قريب منه وجعل يترنم بهذه الأبيات تلك الليلة ليسمع جرير فيعيد ذلك على علي رضي الله عنه والأبيات المشار إليها هي (تطاول ليلي واعتراني وساوسي * لآت أتى بالترهات البسابس) (أتاني جرير والحوادث جمة * بتلك التي فيها اجتداع المعاطس) (أكايده والسيف بيني وبينه * ولست لأثواب الدني بلابس) (إن الشام أعطت طاعة يمنية * تواصفها أشياخها في المجالس)

432 (فإن يفعلوا أصدم عليا بجبهة * تفت عليه كل رطب ويآبس) (وإني لأرجو خير ما نال نائل * وما أنا من ملك العراق بآيس) قلت الترهات بضـــم التاء المثناة من فوقها وتشـــديد الراء وبعد الهاء والألف تـاء ثـانيـة والبســـابس بفتح الباء الموحدة وبعدها ســـين مهملة وبعد الألف باء ثانية مكسورة ثم سين ثانية وهي الباطل وأصل الترهات الطرق الصغار غير الجادة تتشعب عنها الواحدة ترهة فارســي معرب ثم اســتعير في الباطل فقيل الترهات البسـابس والجبهة الخيل والجبهة الجماعة من الناس أيضـا فكأنه قال أصـــدره بالخيل والرجال والباقي معروف لا حاجة إلى تفســـيره (353) ورأيت بخط بعض أهل هذا الفن أن عمرو بن الليث لما أســـر ملك بعده بلاد فارس حفيده طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث المذكور لاثنتي عشـرة ليلة بقيت من صـفر سـنة ثمان وثمانين ومائتين ثم قبض عليه غلام جده سبك السبكري في سنة ست وتسعين ومائتين ومعه أخوه يعقوب بن محمد وبعث بهما إلى مدينة السلام (354) ثم ولي بعده الليث بن علي بن الليث وهو ابن أخي يعقوب وعمرو بن الليث المذكورين كـان تغلب على بلاد سجستان في سنة ست وتسعين ومائتين وجرى بين ســبك الســبكري وطاهر بن محمد المذكور ما جرى واســتقرت البلاد بيد الســبكري فاســتخلف الليث المذكور على سجستان أخاه المعدل بن الليث وسار إلى بلاد فارس فهرب السبكري منه يطلب من الخليفة النجدة فجرد المقتدر

بالله الجيوش في شهر رمضان سنة ست وتسعين وقدم عليها مؤنسا المظفر وبدرا الكبير والحسين بن حمدان والتقوا مع الليث بن علي فانهزم جيشه وأسر هو وأخوه محمد وابنه إسماعيل وعاد مؤنس إلى بغداد ومعه الأسرى في المحرم سنة سبع وتسعين وشهر الليث بن علي على الفيل وولي المعدل ابن علي بن الليث على سجستان فسار إليه أحمد بن إسماعيل الساماني في خلق كثير من الفارس والراجل فأخذ منه البلاد ثم ملك سبك السبكري الصفار مدة ثم حمل معه محمد بن علي بن الليث إلى بغداد وانقضى أمر الصفارية والله أعلم

*1*ج 7

1@ & حرف الياء &

2 @2@

3 829 المنصور الموحدي أبو يوسف يعقوب بن أبي يعقوب يوسف بن أبي محمد عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي صاحب بلاد المغرب قد تقدم ذكر جده عبد المؤمن وسيأتي ذكر أبيه يوسف إن شاء الله تعالى كان صافي السمرة جدا إلى الطول ما هو جميل الوجه أفوه أعين شديد الكحل ضخم الأعضاء جهوري الصوت جزل الألفاظ من أصدق الناس لهجة وأحسنهم حديثا وأكثرهم إصابة بالظن مجربا للأمور ولي وزارة أبيه فبحث عن الأحوال بحثا شافيا وطالع مقاصد العمال والولاة وغيرهم مطالعة أفادته معرفة جزيئات الأمور ولما مات أبوه في

التاريخ الآتي في ترجمته إن شـــاء الله تعالى اجتمع رأي أشـــياخ الموحدين وبني عبد المؤمن على تقديمه فبايعوه وعقدوا له الولاية ودعوه أمير المؤمنين كأبيه وجده ولقبوه بالمنصـــور فقام بالأمر أحســـن قيام وهو الذي أظهر أبهة ملكهم ورفع راية الجهاد ونصب ميزان العدل وبسط أحكام الناس على حقيقة الشرع ونظر في

4 أمور الدين والورع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأقام الحدود حتى في أهله وعشـيرته الأقربين كما أقامها في سائر الناس أجمعين فاستقامت الأحوال في أيامه وعظمت الفتوحات ولما مات أبوه كان معه في الصـــحبة فباشـــر تدبير المملكة من هناك وأول ما رتب قواعد بلاد الأندلس فأصـلح شـأنها وقرر المقاتلين في مراكزها ومهد مصـــالحها في مدة شـــهرين وأمر بقراءة البسـملة في أول الفاتحة في الصلوات وأرسل بذلك إلى سائر بلاد الإسلام التي في مملكتـه فـأجـاب قوم وامتنع آخرون ثم عـاد إلى مراكش التي هي كرســـي ملكهم فخرج عليـه علي بن إســـحـاق بن محمد بن علي بن غـانيـة الملثم من جزيرة ميورقة في شـــعبان ســـنة ثمانين وملك بجاية وما حولها فجهز إليه الأمير يعقوب عشرين ألف فارس وأسطولا في البحر ثم خرج بنفسه في أول سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة فاســتعاد ما أخذ من البلاد ثم عاد إلى مراكش وفي ســـنة ســـت وثمانين بلغه أن الفرنج ملكوا مدينة شـلـب وهي في غرب جزيرة الأندلس فتجهز إليها بنفســـه وحاصـــرها

وأخذها وأنفذ في الوقت جيشا من الموحدين ومعه جماعة من العرب ففتحوا أربع مدن من بلاد الفرنج كانوا قد أخذوها من المسلمين قبل ذلك بأربعين سنة وخافه صاحب طليطلة وسأله الصلح فصالحه خمس سنين وعاد إلى مراكش فلما انقضت مدة الهدنة ولم يبق منها سوى القليل خرجت طائفة من الفرنج في جيش كثيف إلى بلاد المسلمين فنهبوا وسبوا وعاثوا عيثا فظيعا فانتهى الخبر إلى الأمير يعقوب وهو بمراكش فتجهز لقصدهم في جحفل عرمرم من قبائل الموحدين والعرب واحتفل وجاز إلى الأندلس وذلك في سنة

5 إحدى وتسعين وخمسمائة فعلم الفرنج به فجمعوا خلقا كثيرا من أقاصي بلادهم وأدانيها وأقبلوا نحوه قلت ورأيت بدمشق في أواخر سنة ثمان وستين وستمائة جزءا بخط الشيخ تاج الدين عبد الله بن حمويه شيخ الشيوخ كان بها وكان قد سافر إلى مراكش وأقام بها مدة وكتب فصولا تتعلق بتلك الدولة فمن ذلك فصل يتعلق بهذه الوقعة فينبغي ذكره ها هنا فقال لما انقضت الهدنة بين الأمير أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن صاحب المملكة الغربية وبين الأذفونش الفرنجي صاحب غرب جزيرة الأندلس وقاعدة مملكته يومئذ طليطلة وذلك في أواخر سنة تسعين وخمسمائة عزم الأمير يعقوب وهو حينئذ بمراكش على التوجه إلى جزيرة الأندلس لمحاربة الفرنج وكتب إلى ولاة الأطراف وقواد الجيوش بالحضور وخرج إلى مدينة سلا

ليكون اجتماع العساكر بظاهرها فاتفق أنه مرض مرضا شديدا حتى أيس منه أطباؤه فتوقف الحال عن تدبير ذلك الجيش فحمل الأمير يعقوب إلى مراكش فطمع المجاورون له من العرب وغيرهم في البلاد وعاثوا فيها وأغاروا على النواحي والأطراف وكذلك فعل الأذفونش فيما يليه من بلاد المسلمين بالأندلس واقتضى الحال تفرقة جيوش الأمير يعقوب شرقا وغربا واشتغلوا بالمدافعة والممانعة فكثر طمع الأذفونش في البلاد وبعث رسولا إلى الأمير يعقوب يتهدد ويتوعد ويطلب بعض الحصون

6 المتاخمة له من بلاد الأندلس وكتب إليه رسالة من إنشاء وزير له يعرف بابن الفخار وهي باسمك اللهم فاطر السموات والأرض وصلى الله على السيد المسيح روح الله وكلمته الرسول الفصيح أما بعد فإنه لا يخفى على ذي ذهن ثاقب ولا ذي عقل لازب أنك أمير الملة الحنيفية كما أني أمير الملة النصرانية وقد علمت الآن ما عليه رؤساء أهل الأندلس من التخاذل والتواكل وإهمال الرعية وإخلادهم إلى الراحة وأنا اسومهم بحكم القهر وجلاء الديار واسبي الذراري وامثل بالرجال ولا عذر لك في التخلف عن نصرهم إذا أمكنتك يد القدرة وأنتم تزعمون أن الله تعالى فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم فالآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا ونحن الآن نقاتل عشرة منكم بواحد منا لا تستطيعون دفاعا ولا تملكون امتناعا وقد حكي لي عنك أنك أخذت في الاحتفال وأشرفت على ربوة

القتال وتماطل نفســـك عاما بعد عام تقدم رجلا وتؤخر أخرى فلا أدري أكان الجبن أبطأ بك أم التكذيب بما وعد ربك ثم قيل لي إنك لا تجد إلى جواز البحر ســبيلا لعلة لا يســـوغ لك التقحم معها وها أنا أقول لك ما فيه الراحة لك وأعتـذر لـك وعنـك على أن تفي بـالعهود والمواثيق والاســـتكثار من الرهان وترســـل إلى جملة من عبيدك بالمراكب والشواني والطرائد والمسطحات وأجوز بجملتي إليك وأقاتلك في أعز الأماكن لديك فإن كانت لك فغنيمة كبيرة جلبت إليك وهدية عظيمة مثلت بين يديك وإن كانت لي كانت يدي العليا عليك واستحقيت إمارة

7 الملتين والحكم على البرين والله تعـالى يوفق للسـعادة ويسـهل الإرادة لا رب غيره ولا خير إلا خيره إن شـاء الله تعالى فلما وصـل كتابه إلى الأمير يعقوب مزقه وكتب على ظهر قطعة منه (^ ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون) النمل 37 الجواب ما ترى لا ما تسـمع (ولا كتب إلا المشـرفية عنده * ولا رسـل إلا الخميس العرمرم) قلت وهذا البيت للمتنبي ثم أمر بكتب الاســتنفار واســتدعى الجيوش من الأمصار وضرب السرادقات بظاهر البلد من يومه وجمع العسـاكر وسـار إلى البحر المعروف بزقاق سـبتة فعبر فيه إلى الأندلس وســـار إلى أن دخل بلاد الفرنج وقد أعتدوا واحتشـدوا وتأهبوا فكسـرهم كسـرة شـنيعة وذلك في سـنة اثنتين وتســعين وخمســمائـة انتهى مـا نقلتـه من الجزء

المذكور قلت ثم وجدت في كتاب تذكير العاقل وتنبيه الغافل تأليف أبي الحجاج يوسف بن محمد بن إبراهيم الأنصاري البياسي هذه المكاتبة وجوابها قد كتبها الأذفونش بن فرذلند إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الآتي ذكره بعد هذا إن شاء الله تعالى وجواب يوسف على هذه الصورة أيضا والله أعلم قلت وذكر البياسي بعد هذا ما يدل على أنه نقلها من خط ابن الصيرفي الكاتب المصري فإن كان كذلك فما يمكن أن تكون هذه الرسالة إلى يعقوب ابن يوسف لأن ابن الصيرفي متقدم التاريخ على زمان يعقوب بكثير والله أعلم

8 ورأيت جماعة من فضلاء المغاربة ينكرون هذا التاريخ ويذكرون ما نشرحه إن شاء الله تعالى وهو أن الفرنج جمعوا جمعاً عظيماً وقصدوه وبلغ الأمير يعقوب خبر مسيرهم وكثرة جموعهم فما هاله ذلك وجد في السير نحوهم حتى التقوا في شمال قرطبة على قرب قلعة رباح في مرج الحديد وفيه نهر يشقه فعبر إلى منزلة الفرنج وصافهم وذلك يوم الخميس التاسع من شعبان سنة إحدى وتسعين وخمسمائة واقتفى في ذلك طريقة أبيه وجده فانهما أكثر ما كانوا يصافون يوم الخميس ومعظم حركاتهم في صفر ووقع القتال وبرزت الأبطال وصبرت الرجال فأمر الأمير يعقوب فرسان الموحدين وأمراء العرب أن يحملوا ففعلوا وانهزم الفرنج وعمل فيهم السيف فاستأصلهم قتلاً وما نجا ملكهم إلا في نفر يسير ولولا دخول الليل لم يبق

منهم أحد وغنم المسلمون أموالهم حتى قيل إن الذي حصل لبيت المال من دروعهم ستون ألف درع وأما الدواب على اختلاف أنواعها فلم يحصـــر لها عدد ولم يســـمع في بلاد الأندلس بكسرة مثلها ومن عادة الموحدين أنهم لا يأسرون مشــــركاً محارباً إن ظفروا به ولو كان ملكاً عظيماً بل تضـرب رقابهم كثروا أو قلوا فلما أصبح جيش المسلمين اتبعوهم فألفوهم قد أخلوا قلعة رباح لما داخلهم من الرعب فملكها الأمير يعقوب وجعل فيها والياً وجيشـــاً ولكثرة ما حصــــل له من الغنائم لم يمكنه الدخول إلى بلاد الفرنج في ذلك الوقت فعاد إلى مدينة طليطلة وحاصـرها وقاتلها أشد قتال وقطع أشــجارها وشـن الغارات على بلادها وأخذ من أعمالها حصوناً كثيرة وقتل رجالها وسبى حريمها وخرب مبانيها وهدم أســـوارها وترك الفرنج في أســـوأ حال ولم يبرز إليه أحد من المقاتلة

9 ثم رجع إلى إشـــبيلية وأقام إلى أثناء ســـنة ثلاث وتســـعين فعاد إلى بلاد الفرنج مرة ثالثة وفعل فيها كفعله المتقدم فلم يبق للفرنج قدرة على لقائه وضـــاقت عليهم الأرض بما رحبت فأرســـلوا إليه يلتمســـون منه الصــــلح فأجابهم إلى ذلك لما اتصــل به من أخبار علي بن إســـحاق الميورقي المقدم ذكره في هذه الترجمة فإنه كان قد خرج على بلاد إفريقية وخرب أكثر بلادها وتوجه نحو الغرب وســولت له نفســه النزول على بجاية لما علمه من اشـتغال الأمير يعقوب بجزيرة الأندلس والجهاد فيها وتأخره عن

بلاد المغرب مدة ثلاث سنين فأوقع الصلح بينه وبين ملوك
بلاد الأندلس جميعاً على ما اختاره لمدة خمس سـنين ثم
عاد إلى مراكش في أواخر سنة ثلاث وتسعين ولما وصل
إليها أمر باتخاذ الأحواض والروايا وآلات السـفر للتوجه
إلى بلاد إفريقية فاجتمع إليه مشـايخ الموحدين وقالوا له يا
سـيدنا قد طالت غيبتنا بالأندلس فمنا من له خمس سـنين
ومنا من له ثلاث سـنين وغير ذلك فتنعم علينا بالمهلة هذا
العام وتكون الحركة في أول سـنة خمس وتسـعين فأجابهم
إلى سـؤالهم وانتقل إلى مدينة سـلا وشـاهد ما فيها من
المتنزهات المعدة له وكان قد بنى بالقرب من المدينة
المذكورة مدينة عظيمة سـماها رباط الفتح على هيئة
الاسكندرية في اتساع الشوارع وحسن التقسيم وإتقان البناء
وتحسينه وتحصينه وبناها على البحر المحيط الذي هناك
وهي على نهر سـلا مقابلة لها من البر القبلي وطاف تلك
البلاد وتنزه فيها ثم رجع إلى مراكش قلت وبعد هذا
اختلفت الروايات في أمره فمن الناس من يقول إنه ترك ما
كان فيه وتجرد وسـاح في الأرض حتى انتهى إلى بلاد
الشـرق وهو مسـتخف لا يعرف ومات خاملا ومنهم من
يقول إنه لما رجع
10 إلى مراكش كما ذكرناه توفي في غرة جمادى
الأولى وقيل في شهر ربيع الآخر في سابع عشرة وقيل في
غرة صفر سنة خمس وتسعين وخمسمائة بمراكش وقيل
إنه مات بمدينة سـلا والله أعلم وكانت ولادته على ما ذكر

هو ليلة الأربعاء رابع شهر ربيع الأول سنة أربع وخمسين وخمسمائة رحمه الله تعالى ولم ينقل شيء من أحواله بعد ذلك إلى حين وفاته قلت ثم حكى لي جمع كثير بدمشق في شهر شوال سنة ثمانين وستمائة أن بالقرب من المجدل البليدة التي من أعمال البقاع العزيزي قرية يقال لها حمارة وإلى جانبها مشهد يعرف بقبر الأمير يعقوب ملك المغرب وكل أهل تلك النواحي متفقون على ذلك وليس عندهم فيه خلاف و هذا القبر بينه وبين المجدل مقدار فرسخين من جهتها القبلية بغرب والله أعلم وكان ملكاً جواداً عادلاً متمسكاً بالشرع المطهر يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر كما ينبغي من غير محاباة ويصلي بالناس الصلوات الخمس ويلبس الصوف ويقف للمرأة وللضعيف ويأخذ لهم بالحق وأوصى أن يدفن على قارعة الطريق ليرحم عليه من يمر به وسمعت عنه حكاية يليق أن نذكرها ها هنا وهي أن الأمير الشيخ ابا محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص عمر والد الأمير أبي زكريا يحيى ابن عبد الواحد صاحب إفريقية كان قد تزوج أخت الأمير يعقوب المذكور وأقامت عنده ثم جرت بينهما منافرة فجاءت إلى بيت أخيها الأمير يعقوب فسير الأمير عبد الواحد طلبها فامتنعت عليه فشكا الأمير عبد الواحد ذلك إلى قاضي الجماعة بمراكش وهو القاضي أبو عبد الله محمد ابن علي بن مروان فاجتمع القاضي المذكور بالأمير يعقوب وقال له

11 إن الشيخ ابا محمد عبد الواحد يطلب أهله فسكت الأمير يعقوب ومضـــى على ذلك ايام ثم إن الشـــيخ عبد الواحد اجتمع بالقاضـــي المذكور في قصـــر الأمير يعقوب بمراكش وقال له أنت قاضي المسلمين وقد طلبت أهلي فما جاءوني فاجتمع القاضـــي بالأمير يعقوب وقال له يا أمير المؤمنين الشـــيخ عبد الواحد قد طلب أهله مرة وهذه الثانية فســـكت الأمير يعقوب ثم بعد ذلك بمدة لقي الشـــيخ عبد الواحد القاضي بالقصر المذكور وقد جاء إلى خدمة الأمير يعقوب فقال له يا قاضـي المسلمين قد قلت لك مرتين وهذه الثالثة أنا أطلب أهلي وقد منعوني عنهم فاجتمع القاضـــي بالأمير يعقوب وقال له يا مولانا إن الشـــيخ عبد الواحد قد تكرر طلبه لأهله فإما أن تسير إليه أهله وإلا فاعزلني عن القضاء فسكت الأمير يعقوب وقيل إنه قال له يا أبا عبد الله ما هذا إلا جد كبير ثم اســـتدعى خادماً وقال له في الســـر تحمل أهل الشـــيخ عبد الواحد إليه فحملت إليه في ذلك النهار ولم يتغير على القاضي ولا قال له شيئا يكرهه وتبع في ذلك حكم الشـــرع المطهر وانقاد لأوامره وهذه حســـنة تعد له وللقاضي أيضاً فإنه بالغ في إقامة منار العدل وكان الأمير أبو يوســـف يعقوب المذكور يشـــدد في إلزام الرعية بإقامة الصـــلوات الخمس وقتل في بعض الأحيان على شـــرب الخمر وقتل العمال الذين تشـــكو الرعايا منهم وأمر برفض فروع الفقه وأن العلماء لا يفتون إلا بالكتاب العزيز والســـنة النبوية ولا يقلدون أحداً من الأئمة المجتهدين

المتقدمين بل تكون أحكامهم بما يؤدي إليه اجتهادهم من استنباطهم القضايا من الكتاب والحديث والإجماع والقياس ولقد أدركنا جماعة من مشايخ المغرب وصلوا إلينا إلى البلاد وهم على ذلك الطريق مثل ابي الخطاب ابن دحية وأخيه أبي عمر ومحيي الدين ابن العربي نزيل دمشق وغيرهم

12 وكان يعاقب على ترك الصلاة ويأمر بالنداء في الأسواق بالمبادرة إليها فمن غفل عنها أو اشتغل بمعيشته عزره تعزيراً بليغاً وكان قد عظم ملكه واتسعت دائرة سلطنته حتى إنه لم يبق بجميع أقطار بلاد المغرب من البحر المحيط إلى برقة إلا من هو في طاعته وداخل في ولايته إلى غير ذلك من جزيرة الأندلس وكان محسناً محباً للعلماء مقرباً للأدباء مصغياً إلى المدح مثيباً عليه وله ألف أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي كتابه الذي سماه صفوة الأدب وديوان العرب في مختار الشعر وهو مجموع مليح احسن في اختياره كل الإحسان وإلى الأمير يعقوب تنسب الدنانير اليعقوبية المغربية وكان قد أرسل إليه السلطان صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب الآتي ذكره إن شاء الله تعالى رسولاً من بني منقذ في سنة سبع وثمانين وخمسمائة ليستنجده على الفرنج الواصلين من بلاد المغرب إلى الديار المصرية وساحل الشام ولم يخاطبه بأمير المؤمنين بل خاطبه بأمير المسلمين فعز ذلك عليه ولم يجبه إلى ما طلبه منه (355) والرسول

المذكور هو شمس الدولة أبو الحارث عبد الرحمن بن نجم الدولة أبي عبد الله محمد بن مرشـــد وقد ســـبق في ترجمة عمه أســـامة بن منقذ تتمة نســـبه هكذا ذكره الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري في كتاب الوفيات و قال توفى في ســـنة ســـتمائة بالقاهرة ومولده في شـــيزر ســـنة ثلاث وعشرين وخمسمائة وله نظم ونثر

13 رجعنا إلى حديث يعقوب 356)) وكان من شعراء دولته أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مجبر الأندلسي المرسي ولقد نظرت في ديوانه فوجدت أكثر مدائحه في الأمير يعقوب فمن ذلك قوله (أتراه يترك الغزلا * وعليه شـــب واكتهلا) (كلف بالغيد ما عقلت * نفســـه السلوان مذ عقلا) (غير راض عن ســـجية من * ذاق طعم الحب ثم سلا) (أيها اللوام ويحكم * إن لي عن لومكم شغلا) (ثقلت عن لومكم أذن * لم يجد فيها الهوى ثقلا) (تســـمع النجوى وإن خفيت * وهي ليســـت تســـمع العذلا) (نظرت عيني لشـــقوتها * نظرات وافقت أجلا) (غادة لما مثلت لها * تركتني في الهوى مثلا) (هي بزتني الشـــباب فقد * صـــار في أجفانها كحلا) (أبطل الحق الذي بيدي * ســـحر عينيها وما بطلا) (عرضـــت دلا فإذ فطنت * بولوعي أعرضت خجلا) (وبدا لي أنها وجلت * من هنات تبعث الوجلا) (حسبت أني سأحرقها * إذ رأت رأســـي قد اشـــتعلا) (يا ســـراة الحي مثلكم *

يتلافى الحادث الجللا) (قد نزلنا في جواركم * فشـكرنا
ذلك النزلا) (ثم واجهنا ظباءكم * فلقينا الهول والوهلا)
14 (أضمنتم أمن جيرتكم * ثم ما آمنتم السبلا) (
واردتم غصب أنفسهم * فبثثتم بينها المقلا) (ليتنا خضنا
السيوف ولم * نلق تلك الأعين النجلا) (عارضتنا منكم
فئة * أحدثت في عهدنا دخلا) (ثعليات جفونهم * وهم
لم يعرفوا ثعلا) (أشـرعوا الأعطاف ناعمة * حين
أشرعنا القنا الذبلا) (واستفزتنا عيونهم * فخلعنا البيض
والأسلا) (ورمتنا بالسهام فلم * نر إلا الحلي والحللا)
(نصـروا بالحسـن فانتبهوا * كل قلب بالهوى جذلا) (
عطلتني الغيد من جلدي * وأنا حليتها الغزلا) (حملت
نفسـي على فتن * سـمتها صـبراً فما احتملا) (ثم قالت
سـوف نتركها * سـلباً للحب أو نفلا) (قلت أما وهي قد
علقت * بأمير المؤمنين فلا) (ما عدا تأميلها ملكاً * من
رآه أدرك الأملا) (أودع الإحسان صفحته * ماء بشـر
ينقع الغللا) (فإذا ما الجود حركه * فاض من يمناه
فانهملا) قلت وهي قصيدة طويلة عدد أبياتها مائة وسبعة
ابيات فنقتصـر منها على هذا المقدار وكانت وفاة هذا
الشاعر في سنة سبع وثمانين وخمسمائة بمراكش وهو ابن
ثلاث وخمسين سنة ودخل الأديب ابو إسحاق إبراهيم بن
يعقوب الكانمي الأسود الشاعر على الأمير يعقوب فأنشده
15 (أزال حجابه عني وعيني * تراه من المهابة
في حجاب) (وقربني تفضـله ولكن * بعدت مهابة عند

اقترابي) وكانم : بكسم النون جنس من السودان وهم بنو عم تكرور وكل واحدة من هاتين القبيلتين لا تنسب إلى اب ولا أم وإنما كانم اســـم بلدة بنواحي غانة وهي دار ملك السودان الذين بجنوب الغرب فسمي هذا الجنس باسم هذه البلدة وتكرور اســـم للأرض التي هم فيها وســـمي جنســـهم باسم أرضـــهم والجميع من بني كوش بن حام بن نوح عليه الســـــلام والله أعلم (357) ولما حضـــــرت الوفاة الأمير يعقوب المذكور وقضـــــى نحبه بايع الناس ولده أبا عبد الله محمد بن يعقوب وتلقب بالناصـر ونهض إلى إفريقية فهزم الميورقي المذكور وارتجع المهدية من نوابه وقد كان اســـتولى عليها في مدة اشـــتغال الأمير يعقوب بالأعداء ثم تحرك محمد بن يعقوب إلى جزيرة الأندلس فكانت وقعة العقاب في سنة تسع وستمائة وتوفى محمد سنة ست عشرة وســـتمائة لعشـــر خلون من شـــعبان ومولده في ســـنة ســـت وسبعين وخمسمائة والمغاربة يقولون إن محمد بن يعقوب المذكور أوصى عبيده المشتغلين بحراسة بستانه بمراكش أن كل من ظهر لهم بالليل فهو مباح الدم لهم ثم أراد أن يختبر قدر أمره لهم فتنكر وجعل يمشـــي في البســـتان ليلاً فعندما رأوه جعلوه غرضاً لرماحهم فجعل يقول أنا الخليفة أنا الخليفة فما تحققوه حتى هلك والله أعلم بصـــــحة ذلك (358) ثم ولي بعده ولده أبو يعقوب يوســـف بن محمد بن الأمير يعقوب وتلقب

16 المستنصر بالله ومولده أول شوال سنة أربع وتسعين ولم يكن في بني عبد المؤمن أحسن وجهاً منه ولا ابلغ في المخاطبة إلا أنه كان مشغوفاً براحته فلم يبرح عن حضرته فضعفت الدولة في أيامه ومات في شوال أو ذي القعدة سنة عشرين وستمائة ولم يخلف ولداً (359) فاتفق أرباب الدولة على تولية أبي محمد عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن لكبر سنه ووفور عقله فلم يحسن التدبير ولا دارى أهل دولته فخلعوه وخنقوه بعد تسعة اشهر من ولايته ولما تولى عبد الواحد بمراكش كان بالأندلس أبو محمد عبد الله بن الأمير يعقوب المذكور فامتنع بمرسية ورأى أنه أحق بالأمر من عبد الواحد وخرج إلى ما في جهته من بلاد الأندلس فاستولى عليها بغير كلفة وتلقب بالعادل فلما خنق عبد الواحد بمراكش ثارت الفرنج بالأندلس على عبد الله المذكور وتواقعوا وانهزم أصحابه هزيمة شنيعة وهرب هو وركب البحر يريد مراكش وترك باشبيلية أخاه ابا العلا إدريس بن الأمير يعقوب وقاسى عبد الله شدائد في طريقه إلى مراكش من العربان فلما وصلها اضطربت أحواله وقبض عليه أهل مراكش (360) وتفاوضوا فيمن يقدمونه فوقع اختيارهم على أبي زكريا يحيى بن الناصر محمد بن يعقوب وهو إذ ذاك كما يقل وجهه غر لم يجرب الأمور فلم يلبث إلا أياماً قلائل حتى ورد الخبر من الأندلس أن ابا العلا إدريس بن الأمير يعقوب ادعى الخلافة باشبيلية

وبايعه أهل الأندلس ثم آل أمره إلى أن حصـــره العرب بمراكش وهزموا عسكره مرة بعد أخرى حتى ضجر منه أهل مراكش وتشـاءموا به وأخرجوه عنهم فهرب إلى جبل درن ثم راســل في الباطن جماعة من أهل مراكش ليعود إليها ويقتل من بها من أعوان ابي العلا إدريس فحضــر إليهـا وقتـل المـذكورين (361) وجـاء ابو العلا من الأندلس وقد خرج عليه بها الأمير محمد بن يوسف
17 ابن هود الجذامي ودعا إلى بني العباس فمال إليه النـاس ورجعوا عن أبي العلا إدريس فانتهى إلى مراكش ويحيى بها فتواقعوا وانهزم يحيى من أبي العلاء إلى الجبل واستولى أبو العلا على مراكش وجمع يحيى رجالاً وقصد ابا العلا بمراكش فهزمه أبو العلا مراراً وأضعف جماعته فألجأته الضـرورة إلى الاسـتجارة بقوم في حصـن بجهة تلمسـان وكان لغلام منهم عنده ثأر بأبيه فرصده يوماً وهو راكب فطعنه فقتله واستبد ابو العلا بالأمر وتلقب بالمأمون وكان شـجاعاً حازماً صـارماً فتاكاً ثم إن ابا العلا مات في الغزو حتف أنفه ولم أتحقق تاريخ وفاته ثم أخبرني بعض أهل بلادهم أنه توفى سـنة ثلاثين وسـتمائة والله أعلم (362) وأخفى ولده موته حتى دبر أمره وبلغ مأمنه وهو أبو محمد عبد الواحد ابن أبي العلا إدريس وتلقب بالرشـيد وتقدم بعد موت أبيه وغلب على أخيه الأكبر واستبد بالأمر وكان أبوه أبو العلاء قد أزال اسـم المهدي أبي عبد الله محمد بن تومرت المقدم ذكره من الخطبـة يوم الجمعـة

فأعاده ولده الرشـــيد المذكور واســـتمال به قلوب جماعته وتحبب إليهم وكان إلى سـنة إحدى وأربعين وسـتمائة ملك المغرب الأقصـــى وبعض الأندلس ولم اعلم ما وراء ذلك حتى أذكره وبعد تسطير هذه الترجمة كتب لي بعض أهل مراكش ممن عنده فضيلة ومعرفة وكان قريب عهد ببلاده فأخبرني أن الرشـــيد المذكور توفي غريقاً في صـــهريج بستان له بحضـرة مراكش في سنة أربعين وستمائة وكتم حاجبه أمره مدة فجهل لذلك شـــهر وفاته (363) وولي بعده أخوه لأبيه المعتضد ويعرف بالسعيد وهو ابو الحسن علي ابن إدريس ثم خرج إلى ناحية تلمسـان وحاصـر قلعة بينها وبين تلمسان

18 مسافة يوم واحد وقتل هناك على ظهر فرسه في صـفر سـنة سـت وأربعين وسـتمائة (36) وولي بعده المرتضـى أبو حفص عمر بن أبي إبراهيم بن يوسـف في شـهر ربيع الآخر من السـنة وفي الحادي والعشـرين من المحرم سـنة خمس وسـتين وسـتمائة دخل الواثق أبو العلا إدريس بن أبي عبد الله يوســـف بن عبد المؤمن المعروف بأبي دبوس مراكش وهرب المرتضـــى إلى آزمور وهي من نواحي مراكش فقبض عليـه عـاملـه بهـا وبعـث إلى الواثق بذلك فأمره الواثق بقتله فقتله في العشـر الأخير من شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وستمائة بموضع يقال له كتامة بعده عن مراكش ثلاثة أيام (365) وأقام الواثق ثلاث ســنين وقتل في الحرب التي كانت بينه وبين بني

مرين ملوك تلمسان وانقرضت دولة بني عبد المؤمن وكان قتل الواثق في المحرم سنة ثمان وستين بموضع بينه وبين مراكش مسيرة ثلاثة أيام في جهتها الشمالية واستولى بنو مرين على ملكهم وملكهم الآن أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق بن حمامة والله تعالى أعلم (366) وأما علي بن إسحاق الميورقي فقد تكرر ذكره في هذه الترجمة وكان أبوه أبو إبراهيم إسحاق بن حمو بفتح الحاء المهملة وبعدها ميم مشددة مضمومة ثم واو ابن علي ويعرف بابن غانية الصنهاجي صاحب ميورقة ومنورقة ويابسة وهي ثلاث جزائر متجاورة في البحر الغربي فتوفي في سنة ثمانين وخمسمائة وخلف أربعة بنين وهم أبو عبد الله محمد توجه بعد موت أبيه إلى الموحدين بالأندلس فأعطوه مدينة دانية وأحسنوا إليه غاية الإحسان وأبو الحسن علي وأبو زكريا يحيى خرجا إلى بلاد إفريقية وفعلا الأفاعيل العجيبة المشهورة بين الناس من الحروب والعيث في البلاد فمات علي ولا أعلم تاريخ وفاته لكنه كان حياً في سنة إحدى وتسعين واستمر يحيى على حاله فطالت مدته وذكره الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري في كتاب الوفيات فقال خرج من ميورقة في شعبان

19 سنة ثمانين وخمسمائة واستولى على بلاد كثيرة وكان مشهوراً بالشجاعة والإقدام وتوفي في أواخر شوال سنة ثلاث وثلاثين وستمائة في البرية من قطر تلمسان وكان خروجه على بني عبد المؤمن (367) وبقي

أصغر الإخوة وهو أبو محمد عبد الله ملك ميورقة إلى سنة تسـع وتسـعين وخمسـمائة فجهز إليه الناصـر محمد بن يعقوب المذكور أسـطولاً نزل بسـاحل ميورقة فبرز إليهم وكان شـجاعاً كريماً فعثر به فرسـه فسـقط إلى الأرض فقتلوه وحملوا رأسـه إلى مراكش وعلقوا جثته على السور وأخذوا ميورقة وبقيت بأيديهم إلى أن تغلب الفرنج عليها في سـنة سـبع وعشـرين وسـتمائة وفعلوا فيها العظائم من القتل والأسـر وغير ذلك والأذفونش : بضـم الهمزة وسـكون الذال المعجمة وضـم الفاء وسـكون الواو وبعدها نون ثم شـين معجمة وهو اسـم لأكبر ملوك الفرنج وهو صـاحب طليطلة &&830يعقوب بن داود ابو عبد الله يعقوب بن داود بن عمر بن طهمان السـلمي بالولاء مولى ابي صـالح عبد الله بن خازم السـلمي والي خراسـان كان يعقوب

20 المذكور كاتب إبراهيم بن عبد الله بن الحسـن بن الحسـن بن علي بن أبي طالب رضـي الله عنه الذي خرج هو وأخوه محمد على أبي جعفر المنصـور بالبصـرة ونواحيها وقتلا في سـنة خمس واربعين ومائة وقصـتهما مشهورة في التواريخ وليس هذا موضع ذكرها وكان أبوه داود بن طهمان وإخوته كتاباً لنصـر بن سـيار عامل خراسـان من جهة بني أمية ولما مات داود نشأ ولداه علي ويعقوب المذكور اهل أدب وفضـل وافتنان في صـنوف العلوم ولما ظهر المنصـور على إبراهيم بن عبد الله

المذكور ظفر بيعقوب بن داود المذكور فحبسه في المطبق في سنة أربع وأربعين ومائة وقيل في سنة ست وأربعين ومائة قلت ولعله الأصح لأن إبراهيم قتل في سنة خمس وأربعين كما ذكرناه إلا أن يكون قد ظفر بيعقوب قبل قتل إبراهيم وذلك في أول خروجه والله أعلم وكان يعقوب سمحاً جواداً كثير البر والصدقة واصطناع المعروف وذكره دعبل بن علي الخزاعي الشاعر المشهور في كتابه الذي جمع فيه أسماء الشعراء وكان مقصوداً ممدحاً مدحه أعيان شعراء عصره مثل أبي الشيص الخزاعي وسنم الخاسر وأبي حنش وغيرهم ولما مات المنصور وقام بالأمر ولده المهدي جعل يعقوب يتقرب إليه حتى أدناه واعتمد عليه وعلت منزلته عنده وعظم شأنه حتى خرج كتابه إلى الدواوين أن أمير المؤمنين المهدي قد آخى يعقوب بن داود فقال في ذلك سلم بن عمرو المعروف بالخاسر (قل للإمام الذي جاءت خلافته * تهدى إليه بحق غير مردود) (نعم القرين على التقوى أعنت به * أخوك في الله يعقوب بن داود)

21 وحج المهدي في سنة ستين ومائة ويعقوب معه وفي سنة إحدى وستين تقدم إليه بتوجيه الأمناء إلى العمال في جميع الآفاق ففعل ذلك فلم يكن ينفذ شيء من الكتب للمهدي حتى يرد كتاب من يعقوب إلى أمينه بإنفاذه وكان وزير المهدي ابا عبيد الله معاوية بن عبد الله بن يسار الأشعري الطبراني صاحب مربعة عبيد الله ببغداد وكان

جده يســـار مولى عبد الله بن عضـــاه الأشـــعري فلم يزل الربيع بن يونس المقدم ذكره في حرف الراء يسعى به إلى المهدي وصـــحح على ابنـه الزندقة فقتلـه المهدي وكان الربيع بعد ذلك يقبح أمره عنده ويقول لـه لا تثق بـه بعد قتلك ابنـه ويذكر كفايـة يعقوب ابن داود حتى عزلـه عن الوزارة وأفرده في ديوان الرســائل واســتوزر يعقوب في ســـنة ثلاث وســـتين ثم إن المهدي عزل ابا عبيد الله عن ديوان الرسـائل في سـنة سـبع وستين ورتب فيه الربيع بن يونس المذكور وكان أبو عبيد الله يصـــل إلى المهدي على عادته رعاية منه لخدمته فقال في ذلك علي بن الخليل الكوفي من جملة أبيات (قل للوزير أبي عبيد الله هل من باقيه) (يعقوب يلعب بالأمور * وأنت تنظر ناحيه) (أدخلته فعلا عليك كذاك شـؤم الناصـيه) (وأخذت حتفك جـاهداً * بيمينك المتراخية) وغلـب يعقوب على أمور المهدي كلها وكان المنصـــور قد خلف في بيوت المال تسـعمائة ألف ألف درهم وســتين ألف درهم وكان الوزير ابو عبيد الله بشـــير على المهدي بالاقتصـــاد في الإنفاق وحفظ الأموال فلما عزل

22 وولي يعقوب زين له هواه فأنفق الأموال وأكب على اللذات والشـــرب وســـماع الغناء واشـــتغل يعقوب بالتدبير ففي ذلك يقول بشـــار بن برد الشـــاعر المشـــهور المقدم ذكره في حرف الباء (بني أمية هبوا طال نومكم * إن الخليفة يعقوب بن داود) (ضـــاعت خلافتكم يا قوم

فالتمســوا * خليفة الله بين الزق والعود) وكان أبو حارثة النهدي يتقلد خزن بيوت الأموال فلما خلت من المال دخل إلى المهدي ومعه المفاتيح وقال له إذا كنت قد أنفقت جميع الأموال فما معنى هذه المفاتيح معي مر من يقبضـــها مني فقال له المهدي دعها معك فإن الأموال تأتيك ثم ســـير في استحثاث الأموال فوردت عليه في مدة يسيرة وقصـر في النفقات قليلاً فتوفرت الأموال وتشاغل أبو حارثة في قبض ما ورد عليه وتصـــحيحه فلم يدخل إلى المهدي ثلاثة أيام فقال المهدي ما فعل هذا الأعرابي الأحمق فخبر بالســـبب في تـأخره فدعا به وقال له ما أخرك عنا فقال وروود الأموال فقال يا أحمق توهمت أن الأموال لا تأتينا فقال يا أمير المؤمنين إن الحادث لو حدث واحتيج إلى المال ولم يصلح إلا به لم ينتظر حتى يوجه في حمل الأموال وروي أن المهدي حج في بعض الســـنين فمر بميل وعليه كتابة فوقف وقرأه فإذا هو (لله درك يا مهدي من رجل * لولا اتخاذك يعقوب بن داود) فقال لمن معه اكتب تحته على رغم أنف الكاتب لهذا وتعساً لجده فلما انصرف وقف على الميل فقلنا لم يقف عليه إلا لشـــيء قد علق بقلبه من ذلك الشعر فكان كذلك لأنه أوقع بيعقوب بعد قليل

23 وكثرت الأقوال في يعقوب ووجد أعداؤه مقالاً فيه وذكروا خروجه على المنصور مع إبراهيم بن عبد الله العلوي وعرفه بعض خدمه أنه سمعه يقول بنى هذا الرجل مســـتنزهاً أنفق عليه خمســـين ألف ألف درهم من أموال

المسلمين وكان المهدي قد بنى عيسى باد وأراد المهدي أمراً فقال له يعقوب هذا يا أمير المؤمنين من السرف فقال له ويلك وهل يحسن السرف إلا بأهل الشرف وكان يعقوب قد ضجر مما كان فيه وسأل المهدي الإقالة وهو يمتنع ثم إن المهدي أراد أن يمتحنه في ميله إلى العلوية فدعا به يوماً وهو في مجلس فرشه موردة وعليه ثياب موردة وعلى راسه جارية على رأسها ثياب موردة وهو مشرف على بستان فيه شجر فيه صنوف الأوراد فقاله له يا يعقوب كيف ترى مجلسنا هذا قال على غاية الحسن فمتع الله أمير المؤمنين به فقال له جميع ما فيه لك وهذه الجارية لك ليتم سرورك وقد أمرت لك بمائة ألف درهم فدعا له فقال له المهدي ولي إليك حاجة فقام يعقوب قائماً وقال يا أمير المؤمنين ما هذا القول إلا لموجدة وأنا أستعيذ بالله من سخطك فقال أحب أن تضمن لي قضاءها فقال السمع والطاعة فقال له والله فقال والله ثلاثاً فقال له ضع يدك على رأسي واحلف به ففعل ذلك فلما استوثق منه قال له هذا فلان بن فلان رجل من العلوية أحب أن تكفيني مؤونته وتريحني منه فخذه إليك فحوله إليه وحول إليه الجارية وما كان في المجلس والمال فلشدة سروره بالجارية جعلها في مجلس تقرب منه ليصل إليها ووجه فأحضر العلوي فوجده لبيباً فهماً فقال له ويحك يا يعقوب تلقى الله تعالى بدمي

24 وأنا رجل من ولد فاطمة رضي الله عنها بنت محمد فقال له يعقوب يا هذا أفيك خير فقال إن فعلت خيرا

معي شـــكرت ودعوت لك فقال له خذ هذا المال وخذ أي طريق شـــئت فقال طريق كذا وكذا آمن لي فقال له امض مصـــاحبا وســـمعت الجارية الكلام كله فوجهت مع بعض خدمها به وقالت قل له هذا فعل الذي آثرته على نفسـك بي وهذا جزاؤك منه فوجه المهدي فشـــحن الطريق حتى ظفر بالعلوي وبالمال ثم وجه إلى يعقوب فأحضـره فلما رآه قال ما حال الرجل قال قد أراحك الله منه قال مات قال نعم قال والله قال والله قال فضـع يدك على رأســي فوضـع يده على رأســـه وحلف له به فقال يا غلام أخرج إلينا من في هذا البيـت ففتح بـابـه عن العلوي والمـال بعينـه فبقي يعقوب متحيرا وامتنع الكلام عليـه فمـا دري مـا يقول فقـال لـه المهدي لقد حل دمك ولو آثرت إراقته لأرقته ولكن احبسوه في المطبق فحبســـوه وامر بأن يطوى عنه خبره وعن كل أحد فأقام فيه ســنتين وشـــهورا في أيام المهدي وجميع أيام الهادي موســى بن المهدي وخمس ســنين وشــهورا من أيام هارون الرشـيد ثم ذكر يحيى بن خالد البرمكي أمره وشـفع فيه فأمر باخراجه فأخرج وقد ذهب بصـــره فأحســـن إليه الرشيد ورد ماله وخيره المقام حيث يريد فاختار مكة فأذن له في ذلك فأقام بها حتى مات في سنة سبع وثمانين ومائة ولمـا أطلق يعقوب ســـأل عن جمـاعـة من إخوانـه فـأخبر بموتهم فقال (لكل أناس مقبر بفنائهم * فهم ينقصـــون والقبور تزيد) (هم جيرة الأحياء أما محلهم * فدان وأما

الملتقى فبعيد) قلت هذان البيتان في باب المراثي في كتاب الحماسة

25 قلت هكذا ذكر تاريخ وفاته محمد بن عبدوس الكوفي المعروف بالجهشياري في كتابه تاريخ الوزراء وذكر غيره أن يعقوب بن داود مات في سنة اثنتين وثمانين ومائة والله أعلم بالصواب وقال عبد الله بن يعقوب بن داود أخبرني أبي أن المهدي حبسه في بئر وبنى عليها قبة قال فمكثت فيها خمس عشرة سنة وكان يدلى لي فيها كل يوم رغيف خبز وكوز ماء وأوذن بأوقات الصلوات فلما كان في رأس ثلاث عشرة سنة أتاني آت في منامي فقال (حنا على يوسف رب فأخرجه * من قعر جب وبيت حوله غمم) قال فحمدت الله تعالى وقلت أتاني الفرج ثم مكثت حولا لا أرى شيئا فلما كان رأس الحول الثاني أتاني ذلك الآتي فأنشدني (عسى فرج يأتي به الله إنه * له كل يوم في خليقته أمر) قال ثم أقمت حولا آخر لا أرى شيئا ثم أتاني ذلك الآتي بعد الحول فقال (عسى الكرب الذي أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب) (فيأمن خائف ويفك عان * ويأتي أهله النائي الغريب) فلما أصبحت نوديت فظننت أني أوذن بالصلاة فدلي لي حبل أسود وقيل لي اشدد به وسطك ففعلت وأخرجت فلما قابلت الضوء عشي بصري فانطلقوا بي فأدخلت على الرشيد فقيل لي سلم على أمير المؤمنين فقلت السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته المهدي فقال الرشيد لست به

فقلت السـلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته الهادي فقال لست به فقلت السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله

26 وبركاته فقال الرشيد فقلت الرشيد فقال يا يعقوب بن داود إنه والله ما شفع فيك إلي أحد غير أني حملت الليلة صبية لي على عنقي فذكرت حملك إياي على عنقك فرثيت لك من المحل الذي كنت به فأخرجتك وكان يعقوب يحمل الرشيد وهو صغير يلاعبه (368) ولما حبس المهدي يعقوب رتب في الوزارة أبا جعفر الفيض بن أبي صالح وكان من غلمان عبد الله بن المقفع وكان شديد الكبر وكان أبوه نصرانيا وفيه يقول الشاعر (يا حابسي عن حاجتي ظالما * أحوجك الله إلى الفيض) (ذاك الذي يأتيك معروفه * كأنما يمشي على البيض) وطهمان بفتح الطاء المهملة وسكون الهاء وبعدها ميم وبعد الألف نون (369) وكانت ولادة أبي عبيد الله معاوية الأشعري في سنة مائة وتوفي سنة سبعين ومائة وقيل في سنة تسع وستين وقيل مات في الوقت الذي مات فيه موسى الهادي وكانت وفاته ببغداد ودفن في مقابر قريش وتوفي الفيض في سنة ثلاث وسبعين ومائة وتولى الوزارة بعده الربيع بن يونس وقد سبق ذكره في ترجمة بشار ابن برد الشاعر وذكر أن يعقوب بن داود اعان على قتله (370) ولما مات يعقوب رثاه أبو حنش الهلالي وقيل النميري واسمه حضير ابن قيس البصري وعاش مائة سنة بأبيات هي في كتاب

الحماســـة أولها (يعقوب لا تبعد وجنبت الردى * فليبكين زمانك الرطب الثرى)
27 يعقوب بن كلس أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن إبراهيم بن هارون بن داود بن كلس وزير العزيز نزار بن المعز العبيدي صــاحب مصــر المقدم ذكرهما كان يعقوب أولا يهوديا يزعم أنــه من ولــد هــارون بن عمران أخي موســى بن عمران عليهما الســلام وقيل إنه كان يزعم أنه من ولد الســموال بن عاديا اليهودي صـــاحب الحصـــن المعروف بالأبلق وهو المشهور بالوفاء وقصته مع امرىء القيس الكندي الشــاعر المشــهور مشــهورة مســتفيضــة بين العلماء في الوفاء له في ودائعه وكان يعقوب المذكور قد ولد ببغداد ونشــأ بها عند باب القز وتعلم الكتابة والحســاب وســافر به أبوه من بغداد إلى الشــام وأنفذه إلى مصــر ســنة إحدى وثلاثين وثلثمائة فانقطع إلى بعض خواص الاســتاذ كافور الإخشـــيدي المقدم ذكره فجعله كافور على عمارة داره ثم صـــار ملازما لباب داره فرأى كافور من نجابته وشــهامته وصــيانته ونزاهته وحســن إدراكه ما نفق عليه فاستحضره وأجلسه في ديوانه الخاص وكان يقف بين يديه ويخدم ويســتوفي الأعمال والحســابات ويدخل يده في كل شيء ثم
28 لم تزل أحواله تتزايد مع كافور حتى صـــار الحجاب والأشــراف يقومون له ويكرمونه ولم تتطلع نفســه إلى اكتســاب مال وأرســل له كافور شــيئا فرده عليه وأخذ

منه القوت خاصـــة وتقدم كافور إلى ســـائر الدواوين أن لا يمضــــي دينار ولا درهم إلا بتوقيعه فوقع في كل شـــيء وكان يبر ويصـل من اليسـير الذي أخذه هذا كله وهو على دينه ثم إنه أســـلم يوم الإثنين لثماني عشـــرة ليلة خلت من شعبان سنة ست وخمسين وثلثمائة ولزم الصلاة ودراسة القرآن الكريم ورتب لنفسه رجلا من أهل العلم شيخا عارفا بالقرآن المجيد والنحو حافظا لكتاب الســـيرافي فكان يبيت عنده ويصـلـي به ويقرأ عليه ولم تزل حاله تزيد وتنمي مع كافور إلى أن توفي كافور في التاريخ المذكور في ترجمته وكان أبو الفضـــل جعفر بن الفرات المقدم ذكره في حرف الجيم وزير كافور يحســـده ويعاديه فلما مات كافور قبض ابن الفرات على جميع الكتاب وأصـــحاب الدواوين وقبض على يعقوب بن كلس في جملتهم فلم يزل يتوصــــل ويبذل الأموال حتى أفرج عنـه فلمـا خرج من الاعتقـال اقترض من أخيه ومن غيره مالا وتجمل به وسـار مستخفيا قاصـدا بلاد المغرب فلقي القائد جوهر بن عبد الله الرومي مولى المعز العبيـدي المقـدم ذكره في الطريق وهو متوجـه بالعسـاكر والخزائن إلى الديار المصـرية ليملكها فرجع في الصــحبة وقيل إنـه اســتمر على قصــده وانتهى إلى إفريقية وتعلق بخـدمـة المعز العبيـدي المقـدم ذكره ثم رجع إلى الـديـار المصـــــريـة ولم يزل يترقى إلى أن ولي الوزارة للعزيز نزار بن المعز معد وعظمت منزلته عنده وأقبلت عليه الدنيا وانثال الناس عليه ولازموا بابه ومهد قواعد

الدولة وساس أمورها أحسن سياسة ولم يبق لأحد معه كلام وكان في أيام المعز
29 يتصرف في الخدم الديوانية ثم انتقل إلى العزيز من بعده وتولى وزارة العزيز يوم الجمعة ثامن عشر رمضان سنة ثمان وستين وثلثمائة وقال ابن زولاق في تاريخه بعد ذكر المعز وتاريخ وفاته ما مثاله وممن وزر للمعز الوزير يعقوب بن كلس وهو اول من وزر للدولة الفاطمية في الديار المصرية وكان من جملة كتاب كافور فلما وصل المعز أحسن في خدمته وبالغ في طاعته إلى أن استوزره هذا آخر كلام ابن زولاق وقال غيره كان يعقوب يحب أهل العلم ويجمع عنده العلماء ورتب لنفسه مجلسا في كل ليلة جمعة يقرأ فيه بنفسه مصنفاته على الناس وتحضره القضاة والفقهاء والقراء والنحاة وجميع أرباب الفضائل وأعيان العدول وغيرهم من وجوه الدولة وأصحاب الحديث فاذا فرغ من مجلسه قام الشعراء ينشدونه المدائح وكان في داره قوم يكتبون القرآن الكريم وآخرون يكتبون كتب الحديث والفقه والأدب حتى الطب ويعارضون ويشكلون المصاحف وينقطونها وكان من جملة جلسائه الحسين بن عبد الرحيم المعروف بالزلازلي مصنف كتاب الأسجاع ورتب في داره القراء والأئمة يصلون في مسجد اتخذه في داره وأقام في داره مطابخ لنفسه ولجلسائه ومطابخ لغلمانه وحاشيته وأتباعه وكان ينصب كل يوم خوانا لخاصته من أهل العلم والكتاب

وخواص اتباعه ومن يستدعيه وينصب موائد عديدة يأكل عليها الحجاب وبقية الكتاب والحاشية وصنع في داره ميضأة للطهور بثمانية بيوت تختص بمن يدخل داره من الغرباء وكان يجلس كل يوم عقب صلاة الصبح ويدخل عليه الناس للسلام وتعرض عليه رقاع الناس في الحوائج والظلامات وقرر عند مخدومه العزيز جماعة جعلهم قوادا يركبون بالمواكب والعبيد ولا يخاطب واحد منهم إلا بالقائد وكان من جملة هؤلاء القواد القائد أبو الفتوح فضل بن صالح الذي تنسب إليه منية القائد فضل وهي بليدة بالأعمال الجيزية من الديار المصرية

30 ثم إن الوزير المذكور شرع في تحصين داره ودور غلمانه بالدروب والحرس والسلاح والعدد وعمرت ناحيته بالأسواق وأصناف ما يباع من الأمتعة ومن المطعوم والمشروب والملبوس ويقال إن داره كانت بالقاهرة في موضع مدرسة الوزير صفي الدين أبي محمد عبد الله بن علي المعروف بابن شكر المختصة بالطائفة المالكية وإن الحارة المعروفة بالوزيرية التي بالقاهرة داخل باب سعادة منسوبة إلى أصحابه لأنهم كانوا يسكنونها وكان الوزير أبو الفضل ابن الفرات المقدم ذكره يغدو إليه ويروح ويعرض عليه محاسبات القوم الذين يريد محاسبتهم ويعول عليه فيها ويجلس معه في مجلسه وربما حبسه لمؤاكلته فيأكل معه بعد أن جرى عليه منه ما سبق ذكره وكانت هيبته عظيمة وجوده وافراً وأكثر الشعراء

من مدائحه ولقد نظرت في ديوان أبي حامد أحمد بن محمد الأنطاكي المنبوز بأبي الرقعمق الشاعر المقدم ذكره فوجدت أكثر مديحه في الوزير المذكور والقصيدة التي نقلت بعضها في ترجمته مدح بها الوزير المذكور ورأيت في تاريخ الأمير المختار عز الملك محمد بن أبي القاسم المعروف بالمسبحي المقدم ذكره فصلاً طويلاً يتعلق بشرح حال الوزير المذكور ومعظم ما ذكرته ها هنا نقلته منه وصنف الوزير المذكور كتاباً في الفقه مما سمعه من المعز وولده العزيز وجلس في شهر رمضان سنة تسع وستين وثلثمائة مجلساً حضره العام والخاص وقرأ فيه الكتاب بنفسه على الناس وحضر هذا المجلس الوزير أبو الفضل ابن الفرات المذكور وجلس في الجامع العتيق جماعة يفتون الناس من هذا الكتاب وسمعت من جماعة من المصريين يقولون إن الوزير المذكور كانت

31 له طيور فائقة أصيلة مختارة تسبق كل طائر يسابقها وكان لمخدومه العزيز طيور أيضاً سابقة فاخرة فسابقه العزيز يوماً ببعض الطيور فسبق طائر الوزير فعز ذلك على العزيز ووجد أعداؤه سبيلاً إلى الطعن فيه فقالوا للعزيز إنه قد اختار من كل صنف أجوده وأعلاه ولم يبق منه إلا أدناه حتى الحمام وقصدوا بذلك الإغراء به حسداً منهم لعله يتغير عليه فاتصل ذلك بالوزير فكتب إلى العزيز (قل لأمير المؤمنين الذي * له العلا والنسب الثاقب) (طائرك السابق لكنه * جاء وفي خدمته حاجب

(فأعجبه ذلك منه وســـري عنه ما كان وجده عليه هكذا ذكره القاضـــي الرشـــيد ابن الزبير المقدم ذكره في كتاب الجنان وذكر غيره أن هذين البيتين لولي الدولة أبي محمد أحمد بن علي المعروف بابن خيران الكاتب الشـــاعر المصـري وقد سبق ذكره في ترجمة أبي الحسـن علي بن أحمد بن نوبخت الشـــاعر وإنما لم أفرده بترجمة لأني لم أظفر بتاريخ وفاته وقد التزمت في هذا الكتاب أني لا اذكر إلا من وقفت على تاريخ وفاته وذكر أبو القاســـم علي بن منجب بن ســـليمان الكاتب المعروف بابن الصـــيرفي المصري في جزء سماه الإشارة إلى من نال الوزارة ذكر فيه وزراء المصـــريين إلى عصـــره وابتدأ بذكر يعقوب المذكور فقال كان كاتباً يهودياً صـــائناً لنفســه محافظاً على دينه جميل المعاملة مع التجار فيما يتولاه واتصـــل بخدمة كافور الإخشيدي فحمد خدمته ورد إليه زمام ديوانه بمصر والشـام فضبطه له على حسب إرادته وكان سبب حظوته عنده أن يهودياً قال

32 لـه إن في دار ابن البلدي بالرملة ثلاثين ألف دينار مدفونة وقد توفي فكتب يعقوب إلى كافور رقعة يقول فيها إن في دار ابن البلدي بالرملة عشـــرين ألف دينار مدفونة في موضـــع أعرفه وأنا اخرج أحملها فأجابه إلى ذلك وأنفذ معه البغال لحملها وورد الخبر بموت بكير بن هرواز التـاجر فجعل إليـه النظر في تركتـه واتفق موت يهودي بالفرما ومعه أحمال كتان فأخذها وفتحها فوجد فيها

عشــرين الف دينار فكتب إلى كافور بذلك فتبرك به وكتب إليه بحملها فباع الكتان وحمل الجميع وســـار إلى الرملة فحفر الـدار التي لابن البلـدي وأخرج المـال وهو ثلاثون ألف دينار فكتب إلى كافور عرفت الأســتاذ أنها عشـــرون ألف دينار ووجدت ثلاثين ألف دينار فازداد محله من قلبه وتصـــوره بالثقة ونظر في تركة ابن هرواز واســتقصـــى وحمل منها مالاً كثيراً فأرسل إليه كافور صلة كثيرة فأخذ منهـا ألف درهم ورد البـاقي وقـال هذه كفـايتي فزاد أمره عنده حتى إنه كان يشـــاوره في أكثر أموره وقال عبد الله أخو مســـلم العلوي رأيت يعقوب قائماً يســـار كافور فلما مضـــى قال لي أي وزير بين جنبيه وســـار إلى المغرب وخدم المعز وتولى أمور العزيز في مستهل شهر رمضان ســـنة ثمان وســـتين وثلثمائة ولقبه بالوزارة وأمر أن لا يخاطبه أحد إلا بها ولا يكاتب إلا بذلك ثم اعتقله في ســـنة ثلاث وسـبعين وثلثمائة في القصــر فأقام معتقلاً شــهوراً ثم أطلقه في ســـنة أربع وســـبعين ورده إلى ما كان عليه ووجدت رقعة في دار الوزير المذكور في ســـنة ثمانين وثلثمائة وهي الســـنة التي توفي فيها ونســـختها (احذروا من حوادث الأزمان * وتوقوا طوارق الحدثان)

33 (قد أمنتم من الزمان ونمتم * رب خوف مكمن في أمان) فلما قرأها قال لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم واجتهد أن يعرف كاتبها فلم يقدر على ذلك ولما اعتل علة الوفاة آخر السنة المذكورة ركب إليه العزيز عائداً وقال له

وددت أنك تباع فأبتاعك بملكي أو تفدى فأفديك بولدي فهل من حاجة توصـــي بها يا يعقوب فبكى وقبل يده وقال أما فيما يخصـــني فأنت ارعى لحقي من أن أســترعيك إياه وأرأف على من أخلفه من أن أوصيك به ولكني أنصح لك فيما يتعلق بدولتك ســالم الروم ما ســالموك واقنع من الحمدانية بالدعوة والسكة ولا تبق على مفرج بن دغفل بن جراح إن عرضــت لك فيه فرصــة ومات فأمر العزيز أن يدفن في داره وهي المعروفة بدار الوزارة بالقاهرة داخل باب النصـر في قبة كان بناها وصـلى عليه وألحده بيده في قبره وانصـرف حزيناً لفقده وأمر بغلق الدواوين أياماً بعده وكان إقطاعه من العزيز في كل سنة مائة ألف دينار ووجد له من العبيد والمماليك أربعة آلاف غلام ووجد له جوهر بأربعمائة ألف دينار وبز من كل صــنف بخمســمائة ألف دينار وكان عليه للتجار ستة عشر ألف دينار فقضاها عنه العزيز من بيت المال وفرقت على قبره وذكره الحـافظ ابن عســاكر في تاريخ دمشــق فقال كان يهودياً من أهل بغداد خبيثاً ذا مكر وله حيل ودهاء وفيه فطنة وذكاء وكان في قديم أمره خرج إلى الشــام فنزل الرملة وصــار بها وكيلاً فكسر أموال التجار وهرب إلى مصر فتاجر كافوراً الإخشيدي فرأى منه فطنة وسياسة ومعرفة بأمر الضياع فقال لو كان مســلماً لصــلح أن يكون وزيراً فطمع في الوزارة فأســلم يوم جمعة في جامع مصــر فلما عرف الوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات أمره قصده فهرب إلى

المغرب واتصل بيهود كانوا مع الملقب بالمعز وخرج معه إلى مصـــر فلما مات الملقب بالمعز وقام ولده الملقب بالعزيز استوزر ابن كلس في سنة خمس وستين وثلثمائة فلم

34 يزل مدبر أمره إلى أن هلك في ذي الحجة ســـنة ثمانين وثلثمائة وقال غيره ابتدأ المرض بالوزير المذكور يوم الأحد الحادي والعشـــرين من ذي القعدة ســـنة ثمانين وثلثمائة وأخذته سكتة ثم تزايد به المرض واشتد وانطلق لسانه ثم توفي ليلة الأحد على صباح الاثنين لخمس خلون من ذي الحجة من الســنة المذكورة وكفن في خمسين ثوباً واجتمع الناس كلهم من القصـــر إلى داره وخرج العزيز وعليه الحزن ظاهر وركب بغلته بغير مظلة وكانت عادته أنه لا يركب إلا بها وصـلى عليه وبكى وحضـــر مواراته ويقال إنه كفن وحنط بما مبلغه عشـــرة آلاف دينار وذكر من ســمع العزيز وهو يقول واطول أسـفي عليك يا وزير وبكى عليه القائد جوهر بكاء شـــديداً وإنما كان بكاؤه على نفســه لأنه عاش بعده سنة واحدة وغدا الشعراء إلى قبره ويقال إنه رثاه مائة شـــاعر وأخذت قصـــائدهم وأجيزوا وقيل إنه مات على دينه وكان يظهر الإسلام والصحيح أنه اسلم وحسن إسلامه وقال يوماً وقد ذكر اليهود في مجلسه كلاماً يسوء اليهود سماعه ثم بين عوراتهم وفساد مذهبهم وأنهم على غير شـــيء وأن اســـم النبي في التوراة وهم يجحدونه وكانت ولادته في ســـنة ثماني عشـــرة وثلثمائة

ببغداد عند باب القز رحمه الله تعالى وكلس بكسـر الكاف واللام المشـددة وبعدها سـين مهملة والسـموأل بن عادياء بفتح السـين المهملة والميم وسـكون الواو وبعدها همزة مفتوحة ثم لام وعادياء بعين مهملة وبعد الألف دال مهملة مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها وبعدها همزة ممدودة وأما القائد جوهر فقد تقدم ذكره في ترجمته (371) وأما القائد فضل فإنه كان رجلاً نبيلاً كريماً ممدحاً وإليه تنسب
35 منية القائد فضـل البليدة التي في أعمال الجيزة التي قبالة مصـر وفيه يقول ابو القاسـم عبيد الغفار شـاعر دولة الحاكم بن العزيز المذكور (إنما الفضـل غرة * في وجوه المدائح) (أريحي رياحه * عبقات الروائح) (كعبة الجود كفه * بين غاد ورائح) (إنما تصـلح الأمور * برأي ابن صـالح) وكـان مكيناً في دولـة الحـاكم المذكور ثم نقم عليه وحبسه وضربت عنقه في محبسه يوم السبت عشية لإحدى وعشرين ليلة خلت من ذي القعدة سنة تسع وتسعين وثلثمائة ولم يظهر منه جزع ولف في حصير وأخرج من الحجرة التي كان محبوسـاً بها رحمه الله تعالى (372) وأما أبو القاسـم الشـاعر المذكور فإن الحاكم قتله مع جماعة من الأعيان في يوم الأحد السـادس والعشـرين من المحرم سـنة خمس وتسـعين وثلثمائة وأحرقهم بالنار وكان قتل الجميع في حجرة واحدة والله أعلم 83 يعقوب بن صـابر المنجنيقي أبو يوسـف يعقوب بن صـابر بن بركات بن عمار بن علي بن الحسـين بن علي بن حوثرة

الحراني الأصـــل البغدادي المولد والدار المنجنيقي الملقب
نجم الدين الشـــاعر المشـــهور ذكره أبو عبد الله محمد بن
ســـعيد المعروف بابن الدبيثي في تاريخه الذي جعله ذيلا
لتاريخ الحافظ أبي سعد عبد الكريم بن
36 السـمعاني الذي ذيله على تاريخ بغداد تأليف
الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي وقد سـبق
ذكر كل واحد من هؤلاء الثلاثة في هذا التاريخ فقال ابن
الدبيثي كان يعقوب المذكور متقدماً على أهل صـــناعته
يعني في صـــنعة المنجنيق وما يتعلق به وكان فيه فضـــل
ويقول الشـعر سـمع شـيئاً من الحديث من أبي المظفر ابن
السمرقندي وأبي منصور ابن الشطرنجي علقت عنه شيئاً
من شـعره أنشـدني ابو يوسـف يعقوب بن صـابر لنفسـه (
قبلت وجنته فألفت جيده * خجلاً ومال بعطفه المياس) (
فـانهل من خديـه فوق عذاره * عرق يحـاكي الطـل فوق
الآس) (فكأنني اســـتقطرت ورد خدوده * بتصـــاعد
الزفرات من أنفاســي) ســألته عن مولده فقال في ضــحى
نهار الاثنين رابع محرم ســنة أربع وخمســين وخمســمائة
وقال غير ابن الدبيثي كان ابن صـــابر المنجنيقي جندياً في
ابتداء أمره مقدماً على المنجنيقيين بمدينة السلام ببغداد ولم
يزل مغرى بـآداب الســـيف والقلم وصـــنـاعـة الســـلاح
والريـاضـة واشـتهر بذلك ولم يلحقه أحد من أبناء زمانه في
درايته وفهمه لذلك وصنف فيه كتاباً سماه عمدة السالك في
ســياســة الممالك ولم يتممه وهو مليح في معناه يتضــمن

أحوال الحروب وتعبيتها وفتح الثغور وبناء المعاقل
وأحوال الفروسية والهندسة والمصابرة على القلاع
والحصار والرياضة الميدانية والحيل الحربية وفنون
العلاج بالسلاح وعمل أداة الحرب والكفاح وصنوف الخيل
وصفتها وقد قسم هذا الكتاب ورتبه أبواباً كل باب منه
يشتمل على فصول وكان شيخاً هشاً مليحاً لطيفاً فكهاً
طيب المحاورة شريف النفس متواضعاً فيه تودد وبشر
وسكون وهو مع ذلك شاعر مكثر مجيد ذو
37 معان مبتكرة يقصد الشعر ويعمل المقاطيع
وجمع من شعره كتاباً مختصراً سماه مغاني المعاني ومدح
الخلفاء وكانت له منزلة لطيفة عند الإمام الناصر لدين الله
أبي العباس أحمد خليفة العصر ذلك الوقت قلت وكانت
أخباره في حياته متواصلة إلينا وأشعاره تنقلها الرواة عنه
ويحكون وقائعه وماجراياته وما ينظم في ذلك من الأشعار
الرائقة والمعاني البديعة ولم تتفق لي رؤيته مع المجاورة
وقرب الدار من الدار لأنه كان ببغداد ونحن بمدينة إربل
وهما متجاورتان لكن لكثرة اطلاعي على أخباره وما يتفق
له من النظم المنقول عنه في وقته كأني كنت معاشره وما
زلت مشغوفاً بشعره مستعذباً أسلوبه فيه واجتمعت بخلق
كثير من أصحابه والناقلين عنه منهم صاحبنا الشيخ عفيف
الدين ابو الحسن علي بن عدلان المعروف بالمترجم
الموصلي فإنه أنشدني له شيئاً كثيراً فمن ذلك قوله (كلفت
بعلم المنجنيق ورميه * لهدم الصياصي وافتتاح المرابط)

(وعدت إلى نظم القريض لشـقوتي * فلم أخل في الحالين من قصـد حائط) وأنشـدني عنه أيضـاً وذكر أنه لم يسـبق إليـه لا تكن واثقـا بمن كظم الغيظ اغتيـالا وخف غرار الغرور (فـالظبـا المرهفات أقتل مـا كـانت * إذا غـاض ماؤها في الصـدور) وأنشدني له أيضـا في جارية سـوداء كان يهواها وهي حبشـــية (وجارية من بنات الحبوش * بذات جفون صـحاح مراض) (تعشقتها للتصـابي فشبت * غراماً ولم أك بالشيب راض) (وكنت أعيرها بالسواد * فصارت تعيرني بالبياض)
38 وأنشـدني عنه أيضـاً (وجارية عبرت للطواف * وعبرتها حذراً تدمع) (فقلت ادخلي البيت لا تجزعي * ففيه الأمان لمن يجزع) (سـدانته لبني شـيبة * فقالت ومن شـيبة افزع) وأنشـدني عنه في غلام يتعلم السـباحة في دجلة بغداد وقد لبس تبان أزرق وشد على ظهره شكوة منفوخة كما جرت عادة من يتعلم العوم فقال في ذلك (يا للرجال شـكايتي من شـكوة * أضـحت تعانق من أحب وأعشـق) (جمعت هوى كهواي إلا أنها * تطفو ويثقلني الغرام فأغرق) (ويغيرني التبان عند عناقه * أردافه فهو العدو الأزرق) وقال صـاحبنا الكمال ابن الشـعار الموصلي صـاحب كتاب عقود الجمان أنشدني ابن صـابر لنفسه هذه الأبيات لكنه روى البيت الثاني منها على صورة أخرى فقال (حملت هوى كهواي فهي بوصـلـه * تطفو ويبكيني الغرام فـأغرق) وهذا من المعـاني النـادرة فـإن

العرب إذا وصفت العدو بشدة العداوة قالت هو عدو أزرق وقد جاء هذا في كلامهم وأشعارهم كثيراً واستعمله الحريري في المقامة الرابعة عشرة فقال فمذ أغبر العيش الأخضر وازور المحبوب الأصفر اسود يومي الأبيض وابيض فودي الأسود حتى رثى لي العدو الأزرق فحبذا الموت الأحمر ورأيت في بعض الرسائل ولا أتحقق الآن صاحبها قد أوردنا ظبا الحديد الأخضر في ماء الوريد

39 الأحمر من عدو الله الأزرق من بني الأصفر

وهو باب متسع فلا حاجة إلى الإطالة في ذكر شواهده وأنشدني عنه أيضاً في جماعة من الصوفية أضافهم فأكلوا جميع ما قدمه لهم فكتب إلى شيخهم يذكر حاله معهم (مولاي يا شيخ الرباط الذي * أبان عن فضل وعلياء) (إليك أشكو جور صوفية * باتوا ضيوفي وأودائي) (أتيتهم بالزاد مستأثراً * وبت تشكو الجوع أحشائي) (مشوا على الخبز ومن عادة الزهاد أن يمشوا على الماء) (وهم إلى الآن ضيوفي فجد * لهم بخبز وبحلواء) (أو لا فخذهم واكفنيهم فما * يحسن في مثلهم رائي) وأنشدني عنه في الصوفية أيضاً (قد لبس الصوف لترك الصفا * مشايخ العصر لشرب العصير) (الرقص والشاهد من شأنهم * شر طويل تحت ذيل قصير) وأنشدني عنه أيضاً وهو من المعاني المستطرفة (قالوا نراه يسل شعر عذاره * وسباله مستهتراً بزواله) (فتسل عنه وخذ حبيبا غيره * فأجبتهم لا زلت عبد وصاله) (هل يحسن السلوان عن

حب يرى * أن لا يفارقني بنتف سباله) وأنشدني له غير ابن عدلان وقال لما كبر ابن صابر وضعفت حركته صار إذا مشى يتوكأ على عصا فقال في ذلك

40 (ألقيت عن يدي العصا * زمن الشبيبة للنزول) (وحملتها لما دعا * داعي المشيب إلى الرحيل) وكان ببغداد شـخص يقال له ابن بشـران وكان كثير الأراجيف فمنع من ذلك فقعد على الطريق ينجم فقال فيه ابن صـابر (إن ابن بشـران ولسـت ألومه * من خيفة السلطان صار منجما) (طبع المشـوم على الفضـول فلم يطق * في الأرض إرجافاً فأرجف في السما) قلت وأنشدني الأديب شـهاب الدين أبو عبد الله محمد بن يوسـف بن سـالم المعروف بابن التلعفري لنفسـه في بعض ليالي شـهر رمضـان سنة ثمان وثلاثين وستمائة بالقاهرة المحروسة وهو من شـعراء العصـر المجيدين (يا شـيب كيف وما انقضـى زمن الصبا * عاجلت مني اللمة السوداء) (لا تعجلن فوالذي جعل الدجى * من ليل طرتي البهيم ضياء) (لو أنها يوم الحسـاب صـحيفتي * ما سـر قلبي كونها بيضاء) فقلت له قد أغرت على بيت نجم الدين ابن صابر حتى إنك قد أخذت معظم لفظه وجميع معناه والوزن والروي وهو قوله (لو أن لحية من يشـيب صـحيفة * لمعاده ما اختارها بيضـاء) فحلفت أنه لم يسمع هذا البيت إلا بعد عمله للأبيات المذكورة والله أعلم بذلك وهذا البيت لابن صـابر من جملة أبيات وهي (قالوا بياض الشـيب

نور ساطع * يكسو الوجوه مهابة وضياء) (حتى سرت وخطاته في مفرقي * فوددت أن لا أفقد الظلماء) (وعدلت أستبقي الشباب تعللا * بخضابها فصبغتها سوداء) (لو أن لحية من يشيب صحيفة * لمعاده ما اختارها بيضاء)

41 وأخبرني بعض الأدباء أن ابن صابر كتب إلى بعض الرؤساء ببغداد (ما جئت أسألك المواهب مادحاً * إني لما أوليتني لشكور) (لكن أتيت عن المعالي مخبراً * لك أن سعيك عندها مشكور) ووقفت بالقاهرة على كراريس فيها شعره وقد أجاد في كل ما نظمه ورأيت فيها البيتين المشهورين المنسوبين إلى جماعة من الشعراء ولا يعرف قائلهما على الحقيقة وهما (ألقني في لظى فإن أحرقتني * فتيقن أن لست بالياقوت) (جمع النسج كل من حاك لكن * ليس داود فيه كالعنكبوت) فعمل ابن صابر جوابهما (أيها المدعي الفخار دع الفخر لذي الكبرياء والجبروت) (نسج داود لم يفد ليلة الغار * وكان الفخار للعنكبوت) (وبقاء السمند في لهب النار * مزيل فضيلة الياقوت) (وكذاك النعام يلتقم الجمر وما الجمر للنعام بقوت) قلت وعلى البيتين الأولين نظم جماعة من الشعراء المعاصرين لنا أبياتاً فمن ذلك قول الكمال أبي محمد القاسم بن القاسم بن عمرو بن منصور الواسطي نزيل حلب صاحب شرح المقامات (حق دود القز يبني * فوقه ثم يموت) (بعد ما سدى وقد صار *

يســـدي العنكبوت) وقول المهذب أبي عبد الله محمد بن أبي الحســـن بن يمن الأنصـــاري المعروف بابن الأردخل الموصلي نزيل ميافارقين

42 (أقول وقد قالوا نراك مقطباً * إذا ما ادعى دين الهوى غير أهله) (يحق لدود القز يقتل نفســـه * إذا جاء بيت العنكبوت بمثله) وهذا ينظر إلى قول بعضـــهم (إذا شوركت في أمر بدون * فلا يلحقك عار أو نفور) (ففي الحيوان يشترك اضطراراً * أرسطاليس والكلب العقور) وقول الآخر (وللزنبور والبازي جميعاً * لدى الطيران أجنحة وخفق) (ولكن بين ما يصطاد باز * وما يصطاده الزنبور فرق) قلت وعلى ذكر دود القز ينبغي أن يذكر ما يقال عن السرفة بضم السين المهملة وبعدها راء ساكنة ثم فاء قال الجوهري في كتاب الصـــحاح هي دويبة تتخذ لنفسها بيتاً مربعاً من دقاق العيدان تضم بعضها إلى بعض بلعابها على مثال الناووس ثم تدخل فيه وتموت يقال في المثل هو أصـــنع من ســـرفة وذكر لي بعض الفضـــلاء أن الســـرفة هي الأرضـــة والله أعلم ومما ينبغي أن يلحق بالأبيات المقدم ذكرها قول بعضـــهم (إن أعوز الحاذق فاســـتبدلوا * مكانه أخرق لم يحذق) (فلاعب الشـــطرنج من دأبه * وضع حصاة موضع البيدق) والأصل في هذا كله قول المتنبي (وشر ما قنصته راحتي قنص * شـهب البزاة ســـواء فيه والرخم) ويقرب منه قول أبي العلاء المعري أيضـــاً (وهل يذخر الضـــرغام قوتاً ليومه * إذا

ادخر النمل الطعام لعامه) قلت وفي هذه الأبيات الأوائل ما يحتاج إلى زيادة إيضاح فليس

43 كل من يقف عليها يفهم معناها أما البيت الأول وما ذكره من أمر الياقوت فإن الياقوت من خاصـــيته أن النار لا تؤثر فيه وإلى هذا أشـــار الحريري في المقامة الســـابعة والأربعين بقوله من جملة ثلاثة أبيات (وطالما أصـــلي الياقوت جمر غضـــاً * ثم انطفا الجمر والياقوت ياقوت) (وقال آخر في غلام له اســـمه ياقوت (ياقوت ياقوت قلبي المستهام به * من المروءة أن لا يمنع القوت) (سكنت قلبي وما تخشى تلهبه * وكيف يخشى لهيب النار ياقوت) وقد جاء هذا كثيراً في الشـــعر لكن الاختصـــار أولى وأما قول ابن صـــابر في الجواب في البيت الثاني نســـج داود لم يفد ليلة الغار إلى آخره فهذا إشـــارة إلى مهاجرة النبي ومعه ابو بكر الصديق رضي الله عنه فإنهما خافا من مشـــركي مكة أن يتبعوهما فدخلا غار ثور بالثاء المثلثة وثور جبل بين مكة والمدينة بالقرب من مكة ونسج العنكبوت في الحال على باب الغار فلما وصل المشركون إليه ورأوا أثر العنكبوت على الباب قالوا ليس ها هنا أحد فإنه لو دخله أحد ما كان العنكبوت نســـج عليه في الحال لأن المشـركين بادروا إليهما ليلحقوهما فأخفى الله سبحانه وتعالى أمرهما وهي من جملة معجزات النبي وقوله في البيت الثالث وبقاء السـمند في لهب النار إلى آخره السمند بفتح الســين المهملة والميم وبعد النون الســاكنة دال مهملة

ويقال السمندل أيضاً بزيادة اللام ذكروا أنه طائر يقع في النار فلا تؤثر فيه ويعمل من ريشة مناديل وتحمل إلى هذه البلاد فإذا اتسخت المنديل طرحت في النار فتأكل النار الوسخ الذي عليها ولا تحترق المنديل ولا تؤثر النار فيها ولقد رأيت منه قطعة ثخينة منسوجة على هيئة حزام الدابة وهي في طول الحزام وعرضه فجعلوها على النار فما عملت فيه فغمسوا أحد جوانبه في الزيت

44 ثم تركوه على فتيلة السراج فاشتعل وبقي زماناً طويلاً يشتعل ثم اطفأوه وهو على حاله ما تغير فيه شيء ويقولون إنه يجلب من بلاد الهند وإن هذا الطائر يكون هناك وفيه نكتة ينبغي أن تذكر ها هنا وهي أن طرف تلك القطعة لما وضعوه على السراج تركوه زماناً طويلاً والنار لا تعلق فيه فقال بعض الحاضرين هذا ما تعمل فيه النار ولكن اغمسوا هذا الطرف في الزيت ثم اجعلوه على النار ففعلوا ذلك فاشتعل فظهر من هذا أن النار لا تؤثر فيه على تجرده بل لا بد من غمسه في شيء من الأدهان ثم رأيت بخط شيخنا موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي في كتابه الذي جعله لنفسه سيرة أنه قدم للملك الظاهر بن صلاح الدين صاحب حلب قطعة سمندل عرض ذراع في طول ذراعين فصاروا يغمسونها في الزيت ويوقدونها حتى يتقد الزيت وترجع بيضاء كما كانت والله أعلم ومثله السرفوت دويدة تعشش في كور الزجاج في حال توقده واضطرامه وتبيض فيه وتفرخ ولا تعمل بيتها إلا في

موضـــع النار المســتمرة الدائمة فســبحان خالق كل شـــيء وهي بفتح السين المهملة والراء وضـم الفاء وسكون الواو وبعدها تاء مثناة من فوقها وأما البيت الرابع الذي ذكر فيه النعام وأنه يلتقم الجمر فهذا شـــــيء شـــاهدناه كثيراً وهو معروف بين الناس وليس بغريب وبالجملة فقد خرجنا عن المقصـود لكن الكلام اتصـل بعضـه ببعض فانتشر وتوفي ابن صابر المذكور في ليلة الثامن والعشرين من صفر من ســنة ســـت وعشـــرين وســتمائة ببغداد ودفن ليلة الجمعة غربيها بالمقبرة الجديدة بباب المشهد المعروف بموسى بن جعفر رضـي الله عنهما

45 وأخبرني الشـــهاب ابن التلعفري المذكور أن مولده في الخامس والعشرين من جمادى الآخرة بالموصل سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة وتوفي في عاشر شوال سنة خمس وســـبعين وســتمائة بمدينة حماة وأنشـــد قبيل موته لنفســـه وهو آخر شـــعره (إذا ما بات من ترب فراشـــي * وبت مجاور الرب الكريم) (فهنوني أصـيحابي وقولوا * لـك البشــــرى قدمت على رحيم) وحوثرة بفتح الحـاء المهملة وسكون الواو وفتح الثاء المثلثة وبعدها راء ثم هاء وهي في الأصل اسم لحشفة الذكر وبها سمي الإنسان قال ابن الكلبي في كتاب جمهرة النسب سـمي ربيعة بن عمرو بن عوف بن بكر بن وائل بن حوثرة لأنه حج فمر بامرأة معها لـها فاســـتامها فاكثرت فقال والله لو أدخلت حوثرتي فيه يعني كمرته لملأته فســـمي حوثرة والمنجنيقي بفتح

الميم وسكون النون وفتح الجيم وكسر النون الثانية وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها قاف هذه النسبة إلى المنجنيق وهو معروف وإذ قد جرى ذكره ينبغي الكلام عليه ففيه أشياء غريبة منها أنه من جملة الآلات المنقولة المستعملة والقاعدة في هذا الباب أن تكون ميمه مكسورة إلا ما شذ عن ذلك في ألفاظ قليلة مثل منخل ومدهن ومسعط وغير ذلك مع أبن الجواليقي في كتاب المعرب حكى فيه أربع لغات فتح الميم وكسرها على القاعدة ومنجنوق بالواو بدل الياء ومنجليق باللام عوض النون الثانية وحكى في الميم والنون الأولى ثلاثة أقوال قيل إنهما أصليتان وقيل زائدتان وقيل الميم اصلية والنون زائدة والله أعلم وهو اسم أعجمي فإن الجيم والقاف لا يجتمعان في كلمة عربية مثل الجرموق والجردق والجوسق والجلاهق والقبج وغير ذلك وهذا باب مطرد وكذلك الجيم والصاد لا يجتمعان في كلمة عربية

46 مثل الصهريج والجص والصاج والجصطل وغير ذلك وهو أيضاً باب مطرد وإذا جمعناه حذفنا إحدى النونين فإن حذفنا النون الأولى قلنا مجانيق وإن حذفنا النون الثانية قلنا مناجيق وقال الجوهري في كتاب الصحاح الأصل في المنجنيق من جي نيك تفسيره بالعربي ما أجودني قلت فتفسير من أنا وتفسير جي أيش وتفسير نيك جيد أي أنا أيش جيد قال الجوهري ثم عرب فقيل منجنيق وذكر ابن قتيبة من كتاب المعارف وابو هلال

العســـكري في كتاب الأوائل أن أول من وضـــع المنجنيق جذيمـة الأبرش ملك العرب وبلد الحيرة في ذلك الزمـان وقال الواحدي في تفســيره الوســيط في ســورة الأنبياء إن المشـــركين لما عزموا على إحراق إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وأضرموا النار لم يدروا كيف يلقونه فيها فجاءهم إبليس لعنه الله تعالى فدلهم على المنجنيق وهو أول منجنيق وضـــع فوضـــعوه فيه ثم رموه والله أعلم وهذا الفصــل كله وإن كان خارجاً عن المقصــود لكنه ما يخلوا عن فائدة فلذلك بســـطت القول فيه 883 موفق الدين ابن يعيش أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش بن أبي الســرايا بن محمد بن علي بن المفضــل بن عبد الكريم بن محمد بن يحيى بن حيان القاضي بن بشر بن حيان

47 الأسدي الموصلي الأصل الحلبي المولد والمنشأ الملقب موفق الدين النحوي ويعرف بابن الصائغ قرأ النحو على أبي الســـخاء فتيان الحلبي وأبي العباس المغربي النيروزي وسمع الحديث على ابي الفضل عبد الله بن أحمد الخطيب الطوســي بالموصــل وعلى أبي محمد عبد الله بن عمر بن ســـويدة التكريتي وبحلب من ابي الفرج يحيى بن محمود الثقفي والقاضـــي أبي الحســـن أحمد بن محمد بن الطرسوسي وخالد بن محمد بن نصر بن صغير القيسراني وبدمشـــق على تاج الدين الكندي وغيرهم وحدث بحلب وكان فاضـلاً ماهراً في النحو والتصـريف رحل من حلب في صـــدر عمره قاصـــداً بغداد ليدرك أبا البركات عبد

الرحمن بن محمد المعروف بـابن الأنبـاري المقدم ذكره وتلك الطبقة بـالعراق وبلاد الجزيرة فلما وصـــــل إلى الموصـــــل بلغه خبر وفاته وقد ذكرت تاريخ موته في ترجمته فأقام بالموصـل مديدة وسـمع الحديث بها ثم رجع إلى حلب ولما عزم على التصدر للإقراء سافر إلى دمشق واجتمع بالشيخ تاج الدين أبي اليمن زيد بن الحسن الكندي الإمام المشهور وقد تقدم ذكره في حرف الزاي و سأله عن مواضع مشكلة في العربية وعن إعراب ما ذكره أبو محمد الحريري في المقامة العاشرة المعروفة بالرحبية و هو قوله في أواخرها حتى إذا لألأ الأفق ذنب السـرحان وآن انبلاج الفجر وحان فاســـتبهم جواب هذا المكان على الكندي هل الأفق وذنب الســـرحان مرفوعان أو منصـــوبان أو الأفق مرفوع وذنب السـرحان منصـوب أو على العكس وقال له قد علمت قصـــدك وأنك أردت إعلامي بمكانتك من هذا العلم وكتب له خطه بمدحه والثناء عليه ووصـف تقدمه في الفن الأدبي قلت وهذه المسـألة يجوز فيها الأمور الأربعة والمختار منها نصب

48 الأفق ورفع ذنب الســـرحان وقد ذكر ذلك تاج الـدين ابو عبـد الله محمـد بن عبـد الرحمن المقـدم ذكره المعروف بالبندهي في كتاب شـــرح المقامات ولولا خوف الإطالة لبينت ذلك ولما وصلت إلى حلب لأجل الاشتغال بالعلم الشـريف وكان دخولي إليها يوم الثلاثاء مسـتهل ذي القعدة سـنة سـت وعشـرين وسـتمائة وهي إذ ذاك أم البلاد

مشـــحونة بالعلماء والمشـــتغلين وكان الشـــيخ موفق الدين المذكور شيخ الجماعة في الأدب لم يكن فيهم مثله فشرعت في القراءة عليه وكان يقرىء بجامعها في المقصـــورة الشمالية بعد العصر وبين الصلاتين بالمدرسة الرواحية وكان عنده جماعة قد تنبهوا وتميزوا به وهم ملازمون مجلســـه لا يفارقونه في وقت الإقراء وابتدأت بكتاب اللمع لابن جني فقرأت عليه معظمها مع ســـماعي لدروس الجماعة الحاضرين وذلك في أواخر سنة سبع وعشرين وما أتممتها إلا على غيره لعذر اقتضـــى ذلك وكان حسن التفهيم لطيف الكلام طويل الروح على المبتدىء والمنتهي وكان خفيف الروح ظريف الشـــمائل كثير المجون مع سكينة ووقار ولقد حضرت يوماً حلقته وبعض الفقهاء يقرأ عليه اللمع لابن جني فقرأ بيت ذي الرمة في باب النداء (أيا ظبية الوعساء بين جلاجل * وبين النقا آأنت أم أم سالم) فقال له الشـــيخ إن هذا الشـــاعر لشـــدة ولهه في المحبة وعظم وجده بهذه المحبوبة أم سالم وكثرة مشابهتها للغزال كما جرت عادة الشـــعراء في تشـــبيههم النســـاء الصـــباح الوجوه بالغزلان والمها اشـــتبه عليه الحال فلم يدر هل هي امرأة أم ظبية فقال آأنت أم أم ســـالم وأطال الشـــيخ موفق الدين القول في ذلك وبســـطه بأحســـن عبارة بحيث يفهمه البليد البعيد الذهن وذلك الفقيه منصـــت مقبل على كلامه بكليته حتى يتوهم من يراه على تلك الصـــورة أنه قد تعقل جميع ما قاله فلما فرغ الشـــيخ من شـــرحه قال له الفقيه يا

مولانا أيش في المرأة الحسناء يشبه الظبية فقال له الشيخ قول منبسط تشبهها في
49 ذنبها وقرونها فضحك الحاضرون وخجل الفقيه وما عدت رايته حضر مجلسه قلت وجلاجل بفتح الجيم وضمها اسم مكان والثانية جيم أيضا وكنا يوما نقرأ عليه بالمدرسة الرواحية فجاءه رجل من الأجناد وبيده مسطور بدين وكان الشيخ له عادة بالشهادة في المكاتيب الشرعية فقال له يا مولانا اشهد علي في هذا المسطور فأخذه الشيخ من يده وقرأ أوله أقرت فاطمة فقال له الشيخ أنت فاطمة فقال له الجندي لا يا مولانا الساعة تحضر وخرج إلى باب المدرسة فأحضرها وهو يتبسم من كلام الشيخ ويقرب من هذا ما تقدم ذكره في ترجمة عامر الشعبي أن شخصا دخل عليه وعنده امرأة فقال أيكما الشعبي فقال له هذه وكنا يوما نقرأ عليه في داره فعطش بعض الحاضرين وطلب من الغلام ماء فأحضره له فلما شرب قال ما هذا إلا ماء بارد فقال له الشيخ لو كان خبزا حارا كان احب إليك وكنا يوما عنده بالمدرسة الرواحية فجاء المؤذن وأذن قبل العصر بساعة جيدة فقال له الحاضرون أيش هذا يا شيخ واين وقت العصر فقال الشيخ موفق الدين دعوه عسى أن يكون له شغل فهو مستعجل وكان يوما عند القاضي بهاء الدين المعروف بابن شداد قاضي حلب الآتي ذكره إن شاء الله تعالى فجرى ذكر زرقاء اليمامة وأنها كانت ترى الشيء من المسافة البعيدة حتى قيل تراه من مسيرة ثلاثة

أيام فجعل الحاضـــرون يقولون ما علموه من ذلك فقال الشـــيخ موفق الدين أنا أرى الشـــيء من مســـافة شـــهرين فتعجب الكل من قوله وما أمكنهم أن يقولوا له شيئا فقال له القاضـــي كيف هذا يا موفق الدين فقال لأني أرى الهلال فقال

50 له كان قلت مســافة كذا كذا سـنة قال لو قلت هذا عرف الجماعة الحاضـرون غرضـي وكان قصدي الإبهام عليهم وله نوادر كثيرة يطول ذكرها وكنت يوماً عنده وقد قدم من الموصل رجل من فضلاء المغاربة في علم الأدب فحضر حلقته وبحث في دروسه بحث رجل فاضل وجرى ذكر مباحث جرت له بالموصـــل مع جماعة من أدبائها وقال كنت عند ضـــياء الدين نصـــر الله بن الأثير الجزري قلت وقد سـبق ذكره قال فتحاورنا وتناشـدنا فأنشـدته قول بعض المغاربة قلت هذه الأبيات ذكر أبو إسحاق الحصري أنها لبعض مشـــايخ القيروان رواها عنه ولم يعينه وهي (ومعذرين كأن نبت خدودهم * أقلام مســـك تستمد خلوقا) (قرنوا البنفسـج بالشـقيق ونضـدوا * تحت الزبرجد لؤلؤاً وعقيقا) (فهم الذين إذا الخلي رآهم * وجد الهوى بهم إليه طريقا) قلت ونصـــف البيت الثاني مثل قول ابن الذروي المصـــري في أبياته التي ســـبق ذكرها في ترجمة المبارك بن منقذ وهو قوله (جلا تحت ياقوت اللمى ثغر لؤلؤ * رطيبا وابدى شـــارباً من زمرد) ومن المنســـوب إلى أبي محمـد الحســـن بن علي المعروف بـــابن وكيع

التنيسي المقدم ذكره في حرف الحاء (جوهري الأوصاف يقصر عنه * كل فهم وكل ذهن دقيق)
51 (شـــارب من زمرذ وثنايا * لؤلؤ فوقها فم من عقيق) وذكرت بهذه الأبيات بيتين كنت أحفظهما ويحسن ذكرهما بعد هذا وهما (لما وقفنا للوداع وصـــار ما * كنا نظن من النوى تحقيقا) (نثروا على ورق الشـقائق لؤلؤاً * ونثرت من فوقها البهار عقيقا) وكذاك بيت الوأواء الدمشـــقي (فأمطرت لؤلؤاً من نرجس فســـقت * ورداً وعضـــت على العناب بالبرد) وكذا قول محمد بن ســعيد العامري الدمشـــقي وقيل إنها لابن كيغلغ (لما اعتنقنا للوداع وأعربت * عبراتنا عنا بدمع ناطق) (فرقن بين معاجر ومحاجر * وجمعن بين بنفســج وشـقائق) (وأنا الفداء لظبية أحداقنا * موصـــولة من وجهها بحدائق) وينســـب إلى أبي الفتح الحســـن بن أبي حصـــينة الحلبي الشاعر المشهور من هذا أيضاً (ولما وقفنا للوداع وقلبها * وقلبي يفيضـــان الصـــبابة والوجدا) (بكت لؤلؤاً رطباً وفاضـــت مدامعي * عقيقاً فصـــار الكل في نحرها عقدا) وأنشـدني صـاحبنا الحسـام عيســى بن ســنجر بن بهرام الحاجري الإربلي المقدم ذكره لنفســـه (ولما التقينا ومن الزمان * رأى دمع عيني دماً في المآقي)
52 (فقال وعهدي به لؤلؤاً * ايجري عقيقاً و هذا التلاقي) (فقلت حبيبي لا تعجبن * جعلت فدى لك ميتاً وباقي) (فتلك أوائل دمع الوداع * وهذي أواخر دمع

الفراق) وكان الشـيخ موفق الدين المذكور كثيراً ما ينشـد منســوباً إلى أبي علي الحســن ابن رشــيق المقدم ذكره ثم كشـــفت ديوانه فلم أجد هذه الأبيات فيه والله أعلم وهي (وقد كنت لا آتي إليك مخاتلاً * لديك ولا أثني عليك تصنعا) (ولكن رأيت المدح فيك فريضــة * علي إذا كان المديح تطوعا) (فقمت بما لم يخف عنك مكانـه * من القول حتى ضــاق مما توســعا) (فلا تتخالجك الظنون فإنها * مآثم واترك في للصـلح موضـعا) (فلو غيرك الموسـوم عندي بريبة * لأعطيت فيه مدعي القول ما ادعى) (فوالله ما طولت بالقول فيكم * لسـاناً ولا غرضـت للذم مسـمعا) (ولكنني أكرمت نفســـي فلم تهن * وأجللتها من أن تذل وتخضعا) (فباينت لا أن العداوة باينت * وقاطعت لا أن الوفاء تقطعا) قلت وقيد قيل في هذا الباب شـيء كثير ولا حاجة إلى الإطالة وشـــرح الشـــيخ موفق الدين كتاب المفصل لأبي القاسم الزمخشري شرحاً مستوفى وليس في جملة الشـروح مثله وشـرح تصـريف الملوكي لابن جني شـــرحاً مليحاً وانتفع به خلق كثير من أهل حلب وغيرها حتى إن الرؤســـاء الذين كانوا بحلب ذلك الزمان كانوا تلامذته وكانت ولادته لثلاث خلون من شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة

53 بحلب وتوفي بها في ســحر الخامس والعشــرين من جمادى الأولى ســنة ثلاث وأربعين وســتمائة ودفن من يومه بتربته بالمقام المنسـوب إلى إبراهيم الخليل صـلوات

الله عليه وسلامه ورحمه الله تعالى 834 يموت بن المزرع
أبو بكر يموت بن المزرع بن يموت بن عيسى بن موسى بن سيار بن حكيم بن جبلة بن حصن بن اسود بن كعب بن عامر بن عدي بن الحارث بن الديل بن عمرو بن غنم بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان العبدي البصري قلت وجدت في كتاب جمهرة النسب تأليف ابن الكلبي عند ذكره حكيم بن جبلة المذكور وقد ساق نسبه على هذه الصورة وفي الحاشية مكتوب ما مثاله من ولد حكيم بن جبلة المذكور يموت بن المزرع ابن يموت وقد ساق نسبه على هذه الصورة حتى ألحقه بحكيم بن جبلة المذكور والعهدة عليه في ذلك ورأيت بخطي في مسوداتي يموت بن المزرع بن يموت بن عدس بن سيار بن المزرع بن الحارث بن ثعلبة بن
54 عمرو بن ضمرة بن دلهاث بن وديعة بن بكر بن وديعة بن لكيز بن أفصى المذكور والله أعلم بالصواب في ذلك وكان يموت قد سمى نفسه محمداً وذكره الخطيب البغدادي في تاريخه الكبير في المحمدين ثم ذكره في حرف الياء وقال هو يموت وهو ابن أخت أبي عثمان الجاحظ وقد تقدم ذكره قدم يموت بن المزرع بغداد في سنة إحدى وثلثمائة وهو شيخ كبير وحدث بها عن أبي عثمان المازني وأبي حاتم السجستاني وأبي الفضل الرياشي ونصر بن علي الجهمضي وعبد الرحمن أبن

أخي الأصـــمعي ومحمد بن يحيى الأزدي وأبي إســـحاق إبراهيم بن ســـفيان الزيادي وغيرهم روى عنه أبو بكر الخرائطي وابو الميمون ابن راشد وأبو الفضل العباس بن محمد الرقي وأبو بكر ابن مجاهد المقرىء وأبو بكر ابن الأنباري وغيرهم وكان أديباً أخبارياً وله ملح ونوادر وكان لا يعود مريضاً خوفاً أن يتطير من اسمه وكان يقول بليت بالاســم الذي ســماني أبي به فاني إذا عدت مريضــاً فاستأذنت عليه فقيل من هذا قلت أنا ابن المزرع وأسقطت اسمي ومدحه منصور الفقيه الضرير الشاعر المشهور بقوله (أنت تحيا والذي يكره أن تحيا يموت) (أنت صـــنو النفس بل أنت لروح النفس قوت) (أنت للحكمة بيت * لا خلت منك البيوت) فمن أخباره أنه قال أخبرني أبو الفضل الرياشي قال سمعت الأصمعي يقول كان سخط هارون الرشيد على عبد الملك بن صــالح بن علي بن عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب رضـــي الله عنه في ســـنة ثمان وثمانين ومائة

55	ولقد كنت عند الرشـــيد وقد أتي بعبد الملك يرفل في قيوده فلما نظر الرشـــيد إليه قال له هيه يا عبد الملك كأني والله أنظر إلى شـــؤبوبها قد همع وإلى عارضـــها قد لمع وكأني بالوعيد قد أقلع عن براجم بلا معاصم ورؤوس بلا غلاصم مهلا مهلا بني هاشم فبي والله سهل لكم الوعر وصـــفا لكم الكدر وألقت إليكم الأمور أثناء أزمتها فخذوا حذاركم مني قبل حلول داهية خبوط باليد والرجل فقال له

عبد الملك أفذاً أتكلم أم توأما فقال بل توأما فقال اتق الله يا أمير المؤمنين فيما ولاك وراقبه في رعاياك التي استرعاك فقد سـهلت والله لك الوعور وجمعت على خوفك ورجائك الصـدور وكنت كما قال أخو بني جعفر بن كلاب (ومقام ضـيق فرجته * بلسـان وبيان وجدل) (لو يقوم الفيل أو فياله * زل عن مثل مقامي وزحل) قال فأراد يحيى بن خالد البرمكي أن يضـع من مقدار عبد الملك عند الرشـيد فقال له يا عبد الملك بلغني أنك حقود فقال له أصـلح الله الوزير إن يكن الحقد هو بقاء الخير والشـر عندي فانهما لباقيان في قلبي قال الأصـمعي فالتفت الرشيد إلي وقال يا أصـمعي حررها فوالله ما احتج أحد للحقد بمثل ما احتج به عبد الملك ثم أمر به فرد إلى محبسـه قال الأصـمعي ثم التفت الرشـيد إلي وقال يا أصـمعي والله لقد نظرت إلى موضـع السـيف من عنقه مراراً ويمنعني من ذلك إبقائي على قومي في مثله قلت وعبد الله بن صـالح قد ذكرته في ترجمة أبي عبادة الوليد البحتري الشاعر المشهور ونبهت على تاريخ وفاته وروى يموت بن المزرع أيضاً أن أحمد بن محمد بن عبيد الله أبا الحسن

56 الكاتب المعروف بابن المدبر الضبي الرستيساني كان إذا مدحه شاعر فلم يرض شعره قال لغلامه امض به إلى المسـجد الجامع ولا تفارقه حتى يصـلي مائة ركعة ثم أطلقه فتحاماه الشـعراء إلا الأفراد المجيدين فجاءه أبو عبد الله الحسـين بن عبد السـلام المصـري المعروف بالجمل

فاستأذنه في النشيد فقال له قد عرفت الشرط قال نعم ثم أنشده (أردنا في أبي حسن مديحاً * كما بالمدح تنتجع الولاة) (وقلنا أكرم الثقلين طرا * ومن كفاه دجلة والفرات) (فقالوا يقبل المدحات لكن * جوائزه عليهن الصلاة) (فقلت لهم وما تغني صلاتي * عيالي إنما الشأن الزكاة) (فيأمر لي بكسر الصاد منها * فتصبح لي الصلاة هي الصلات) فضحك ابن المدبر واستظرفه وقال من اين أخذت هذا فقال من قول أبي تمام الطائي (هن الحمام فإن كسرت عيافة * من حائهن فإنهن حمام) فاستحسن ذلك وأحسن صلته (373) وكان أحمد بن المدبر يتولى الخراج بمصر فحبسه أحمد بن طولون في سنة خمسة وستين ومائتين ومات في حبسه في صفر سنة سبعين ومائتين وقيل بل قتله ابن طولون والله أعلم والمدبر بكسر الباء الموحدة المشدة وحدث ابن المزرع أيضاً عن خاله أبي عثمان الجاحظ أنه قال طلب المعتصم جارية كانت لمحمود بن الحسن الشاعر المشهور المعروف بالوراق وكانت تسمى نشوى وكان شديد الغرام بها وبذل في ثمنها سبعة آلاف

57 دينار فامتنع محمود من بيعها لأنه كان يهواها أيضاً فلما مات محمود اشتريت الجارية للمعتصم من تركته بسبعمائة دينار فلما دخلت عليه قال لها كيف رأيت تركتك حتى اشتريتك من سبعة آلاف بسبعمائة قالت أجل إذا كان الخليفة ينتظر لشهواته المواريث فإن سبعين ديناراً

لكثيرة في ثمني فضلاً عن سبعمائة فخجل المعتصم من كلامها وقال ابن المزرع حدثني من رأى قبراً بالشام عليه مكتوب لا يغترن أحد بالدنيا فإني ابن من كان يطلق الريح إذا شاء ويحبسها إذا شاء وبحذائه قبر عليه مكتوب كذب الماص بظر أمه لا يظن أحد أنه ابن سليمان بن داود عليهما السلام إنما هو ابن حداد يجمع الريح في الزق ثم ينفخ بها الجمر قال فما رأيت قبلها قبرين يتشاتمان والله أعلم ولابن المزرع أخبار وحكايات ونوادر ولسنا نقصد الإطالة بل الإيجار حسب الإمكان إلا أن ينتشر الكلام (374) وكان له ولد يدعى أبا نضلة مهلهل بن يموت بن المزرع وكان شاعراً مجيداً ذكره المسعودي في كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر فقال في حقه هو من شعراء هذا الزمان وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وفيه يقول أبوه مخاطباً له (مهلهل قد حلبت شطور دهري * وكافحني بها الزمن العنوت) (وحاربت الرجال بكل ريع * فأذعن لي الحثالة والرتوت) (فأوجع ما أجن عليه قلبي * كريم غته زمن غتوت) (كفى حزناً بضيعة ذي قديم * وأبناء العبيد لها البخوت)
58 (وقد أسهرت عيني بعد غمض * مخافة أن تضيع إذا فنيت) (وفي لطف المهيمن لي عزاء * بمثلك إن فنيت وإن بقيت) (فجب في الأرض وابغ بها علوماً * ولا تقطعك جائحة سبوت) (وإن بخل العليم عليك يوماً * فذل له وديدنك السكوت) (وقل بالعلم كان أبي

جواداً * يقال ومن أبوك فقل يموت) (يقر لك الأباعد والأداني * بعلم ليس يجحده البهوت) وكان يموت قد قدم مصـــر مراراً وآخر قدومه إليها في ســنة ثلاث وثلثمائة وخرج في ســنة اربع وثلثمائة قال ابو ســعيد ابن يونس الصــدفي المصــري في تاريخه المختص بالغرباء مات يموت بن المزرع ســنة أربع وثلثمائة بدمشــق وقال ابو سليمان بن زبر في تاريخه إنه مات في سنة ثلاث وثلثمائة بطبرية الشــام والله أعلم وأما ولده مهلهل فإن الخطيب ذكره في تاريخ بغداد وقال هو شــاعر مليح الشــعر في الغزل وغيره وسكن بغداد وسمع منه وكتب عنه شعره أبو بعضة إبراهيم بن محمد المعروف بتوزون ثم قال الخطيب أخبرني التنوخي قال قال لنا ابو الحسين احمد بن محمد بن العباس الأخباري حضرت في سنة ست وعشرين وثلثمائة مجلس تحفة القوالة جارية أبي عبد الله ابن عمر البازيار وإلى جانبي عن يســرتي أبو نضــلة مهلهل بن يموت بن المزرع وعن يميني أبو القاســم بن أبي الحســن البغدادي فغنت تحفة من وراء الســتارة بهذه الأبيات (بي شــغل به عن الشــغل عنه * بهواه وإن تشــاغل عني) (ظن بي جفوة فأعرض عني * وبدا منه ما تخوف مني) (ســره أن أكون فيه حزيناًُ * فســروري إذا تضــاعف حزني) فقال لي أبو نضلة هذا الشعر لي فسمعه أبو القاسم وكان ينحرف

59 عن أبي نضــلــة فقال قل له إن كان هذا الشــعر له يزيد فيه بيتا فقلت له ذلك على وجه جميل فقال (هو في الحســــن فتنة قد أصــــارت * فتنتي في هواه من كل فن) ومن المنسـوب إلى مهلهل أيضـاً (جلت محاسـنه عن كل تشبيه * وجل عن واصف في الناس يحكيه) (انظر إلى حسنه واستغن عن صفتي * سبحان خالقه سبحان باريه) (النرجس الغض والورد الجني له * والأقحوان النضـــير النضــر في فيه) (دعا بألحاظه قلبي إلى عطبي * فجاءه مسـرعاً طوعاً يلبيه) (مثل الفراشــة تأتي إذ ترى لهبا * إلى الســراج فتلقي نفســها فيه) وذكر له الخطيب شــعراً غير هذا فأضــربت عن ذكره والمزرع بضــم الميم وفتح الزاي وبعدها راء مشــددة مفتوحة ثم عين مهملة هكذا قاله لي الشـيخ الحافظ زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله المنذري رحمه الله تعالى (375) وأما حكيم بن جبلة المذكور في عمود هذا النســـب فإنه بفتح الحاء المهملة وكسـر الكاف ويقال أيضـاً بضـم الحاء وفتح الكاف ويقال جبلة وجبل وكان من أعوان علي بن أبي طالب رضـــي الله عنه ولما بويع علي بالخلافة بايعه طلحة بن عبيد الله التيمي والزبير بن العوام الأســدي رضـــي الله عنهما فعزم علي رضـي الله عنه على تولية الزبير البصرة وتولية طلحة اليمن فخرجت مولاة لعلي فسـمعتهما يقولان ما بايعناه إلا بألســـنتنا وما بايعناه بقلوبنا فأخبرت مولاها بذلك فقال أبعدهما الله تعالى ومن نكث فإنما ينكث على

نفسه وبعث إلى البصرة عثمان بن حنيف الأنصاري وإلى اليمن

60 عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فاستعمل ابن حنيف حكيم بن جبلة المذكور على شرطة البصرة ثم إن طلحة والزبير لحقا بمكة وفيها عائشة رضي الله تعالى عنها فاتفقوا وقصدوا البصرة وفيها ابن حنيف المذكور فأتى حكيم بن جبلة إلى ابن حنيف وأشار عليه بمنعهم من دخول البصرة فأبى وقال ما أدري ما رأي أمير المؤمنين في ذلك فدخولها وتلقاهم الناس فوقفوا في مربد البصرة وتكلموا في قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وبيعة علي رضي الله تعالى عنه فرد عليهم رجل من عبد القيس فنالوا منه ونتفوا لحيته وترامى الناس بالحجارة واضطربوا فجاء حكيم بن جبلة إلى ابن حنيف ودعاه إلى قتالهم فأبى ثم أتى عبد الله بن الزبير إلى مدينة الرزق ليرزق أصحابه من الطعام الذي فيها و غدا حكيم بن جبلة في سبعمائة من عبد القيس فقاتله فقتل حكيم وسبعون رجلاً من أصحابه وروي أن ابن جبلة قال لامرأته وكانت من الأزد لأعملن بقومك اليوم عملاً يكونون به حديثاً للناس فقالت له أظن قومي سيضربونك اليوم ضربة تكون حديثاً للناس فلقيه رجل يقال له سحيم فضرب عنقه فبقي معلقاً بجلدة فاستدار رأسه فبقي مقبلاً بوجهه على دبره وكان ذلك قبل وصول علي رضي الله عنه بجيوشه إليهم ثم قدم عليهم وتقابل الجيشان يوم

الخميس النصــف من جمادى الآخرة ســنة ســت وثلاثين
للهجرة عند موضع قصر عبيد الله بن زياد ثم كانت الوقعة
العظمى المشــهورة بوقعة الجمل يوم الخميس لعشــر بقين
من الشــهر المذكور وكان أول قدومهم وقتل حكم بن جبلة
قبل ذلك بأيام في هذا الشــهر أيضــاً وقتل بيين الفريقين
مقدار عشــرة آلاف آلاف وقتل طلحة والزبير رضــي الله
عنهما في ذلك اليوم لكنه بغير قتال ولولا خوف الإطالة
لشــرحته وقال المأموني في تاريخه وقيل إن أهل المدينة
علموا بيوم الجمل يوم الخميس قبل أن تغرب الشمس وفيه
كان القتال وذلك أن نسراً مر بما
61 حول المدينة ومعه شيء معلق فتأمله الناس فوقع
فإذا كف فيها خاتم نقشه عبد الرحمن بن عتاب بن اسيد ثم
إن كل من بين مكة والمدينة ممن قرب من البصـرة أو بعد
علموا بالوقعة مما نقلت النســور إليهم من الأيدي والأقدام
قلت وذكر كشــاجم في كتاب المصــايد والمطارد أن العقاب
ألقت كف عبد الرحمن بمكة وكذلك ذكره في كتاب المهذب
في الفقه في باب الصلاة على الميت وذكر ابن الكلبي وأبو
اليقظان في كتابيهما أن العقاب ألقتها باليمامة والله أعلم
بالصــواب 835 أبو يعقوب البويطي ابو يعقوب يوســف
بن يحيى المصـري البويطي صــاحب الشــافعي رضــي الله
عنه كان واســطة عقد جماعته وأظهرهم نجابة اختص به
في حياته وقام مقامه في الدرس والفتوى بعد وفاته ســمع
الأحاديث النبوية من عبد الله بن وهب الفقيه المالكي المقدم

ذكره ومن الإمام الشـــافعي وروى عنه أبو إســماعيل الترمذي وإبراهيم بن إسـحاق الحربي والقاسـم بن المغيرة الجوهري وأحمد بن منصـــور الرمادي وغيرهم وكان قد حمل في أيام الواثق بالله من مصـــر إلى بغداد في مدة المحنة وأريد على القول بخلق القرآن
62 الكريم فامتنع من الإجابة إلى ذلك فحبس ببغداد ولم يزل في السجن والقيد حتى مات وكان صالحاً متنسكاً عابداً زاهداً قال الربيع بن ســليمان رأيت البويطي على بغل في عنقه غل وفي رجليه قيد وبين الغل والقيد سلسلة من حديد فيها طوبة وزنها أربعون رطلاً وهو يقول إنما خلق الله ســبحانه الخلق بكن فإذا كانت كن مخلوقة فكأن مخلوقاً خلق مخلوقاً فوالله لأموتن في حديدي حتى يأتي من بعدي قوم يعلمون أنه مات في هذا الشـأن قوم في حديدهم ولئن أدخلت عليه لأصــدقنه يعني الواثق وقال ابو عمر ابن عبد البر الحافظ في كتاب الانتقاء في فضـــائل الثلاثة الفقهاء إن ابن ابي الليث الحنيفي قاضي مصر كان يحسده ويعاديه فأخرجه في وقت المحنة في القرآن العظيم فيمن اخرج من مصر إلى بغداد ولم يخرج من اصحاب الشافعي غيره وحمل إلى بغداد وحبس فلم يجب إلى ما دعي إليه في القرآن وقال هو كلام الله غير مخلوق وحبس ومات في السجن وقال الشيخ ابو إسحاق الشيرازي في كتاب طبقات الفقهاء كان ابو يعقوب البويطي إذا ســمع المؤذن وهو في الســجن يوم الجمعة اغتسـل ولبس ثيابه ومشــى حتى يبلغ

باب السـجن فيقول له السـجان أين تريد فيقول اجيب داعي الله فيقول ارجع عافاك الله فيقول أبو يعقوب اللهم إنك تعلم أني قد أجبت داعيك فمنعوني وقال أبو الوليد بن أبي الجارود كان البويطي جاري فما كنت أنتبه ساعة من الليل إلا سـمعته يقرأ ويصـلي وقال الربيع كان ابو يعقوب أبداً يحرك شفتيه بذكر الله تعالى وما

63 رأيت أحداً أنزع بحجة من كتاب الله تعالى من أبي يعقوب البويطي وقال الربيع أيضـاً كان لأبي يعقوب منزلة من الشـافعي وكان الرجل ربما يسـأله عن المسـألة فيقول له سل ابا يعقوب فإذا أجابه أخبره فيقول هو كما قال وقال ايضاً ربما جاء رسول صاحب الشرطة إلى الشافعي فيوجه أبا يعقوب البويطي ويقول هذا لساني وقال الخطيب البغدادي في تاريخه لما مرض الشافعي مرضه الذي مات فيه جاء محمد بن عبد الحكم ينازع البويطي في مجلس الشافعي فقال البويطي أنا احق به منك وقال ابن عبد الحكم أنا احق بمجلسـه منك فجاء ابو بكر الحميدي وكان في تلك الأيام بمصر فقال قال الشافعي ليس أحد أحق بمجلسي من يوسـف بن يحيى وليس أحد من اصـحابي أعلم منه فقال له ابن عبد الحكم كذبت فقال الحميدي كذبت أنت وكذب أبوك وكذبت أمك وغضب ابن عبد الحكم فترك مجلس الشافعي وتقدم فجلس في الطاق وترك طاقاً بين مجلس الشـافعي ومجلسـه وجلس البويطي في مجلس الشـافعي في الطاق الذي كان يجلس فيه وقال أبو العباس محمد بن يعقوب

الأصـــم رأيت ابي في المنام فقال لي يا بني عليك بكتاب البويطي فليس في الكتب أقل خطأ منه وقال الربيع بن سـليمان كنت عند الشـافعي أنا والمزني وأبو يعقوب البويطي فنظر إلينا فقال لي أنت تموت في الحديث وقال للمزني هذا لو ناظره الشـيطان قطعه أو جدله وقال للبويطي أنت تموت في الحديد قال الربيع فدخلت على البويطي أيام المحنة فرأيته مقيداً إلى أنصاف ساقيه مغلولة يداه إلى عنقه وقال الربيع ايضـاً كتب إلي أبو يعقوب من السجن إنه ليأتي علي أوقات لا أحس بالحديد أنه على بدني حتى تمسه يدي فاذا قرأت كتابي

64 هذا فأحسـن خلقك مع أهل حلقتك واسـتوص بالغرباء خاصة خيراً فكثيراً ما كنت أسمع الشافعي رضي الله عنه يتمثل بهذا البيت (أهين لهم نفسي لأكرمها بهم * ولن تكرم النفس التي لا تهينها) وأخباره كثيرة وتوفي يوم الجمعة قبل الصـلاة في رجب سـنة إحدى وثلاثين ومائتين في القيد والسجن ببغداد وقيل إنه توفي سنة اثنتين وثلاثين والأول أصح رحمه الله تعالى وقال ابن القراب في تاريخه توفي يوم الثلاثاء في رجب والله أعلم والبويطي بضـم الباء الموحدة وفتح الواو وسـكون الياء المثناة من تحتها وبعدها طاء مهملة هذه النسـبة إلى بويط وهي قرية من أعمال الصـعيد الأدنى من ديار مصـر ويوسـف فيه ست لغات ضـم السـين وفتحها وكسـرها مع الواو وضـم السين وفتحها وكسـرها مع الهمزة عوض الواو فالمجموع

ست لغات والياء أوله مضمومة في اللغات الست وسيأتي نظيره في يونس

65 836 أبو القاسم ابن كج القاضي ابو القاسم يوسف بن احمد بن يوسف بن كج الكجي الدينوري كان أحد أئمة الشافعية صحب ابا الحسين ابن القطان وحضر مجلس ابي القاسم عبد العزيز الداركي وجمع بين رياسة العلم والدنيا وارتحل الناس إليه من الآفاق للاشتغال عليه بالدينور رغبة في علمه وجودة نظره وله وجه في مذهب الشافعي رضي الله عنه وصنف كتباً كثيرة انتفع بها الفقهاء قال أبو سعد ابن السمعاني لما انصرف أبو علي الحسين بن شعيب السنجي من عند الشيخ أبي حامد الإسفرايني اجتاز به فرأى علمه وفضله فقال له يا أستاذ الاسم لأبي حامد والعلم لك فقال ذاك رفعته بغداد وحطتني الدينور وتولى القضاء ببلده وكانت له نعمة كثيرة وقتله العيارون بالدينور في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان سنة خمس وأربعمائة رحمه الله تعالى وكج بكاف مفتوحة وجيم مشددة وقد تقدم الكلام على الدينور فأغنى عن الإعادة والكجي نسبة إلى جده المذكور

66 ابن عبد البر ابو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي إمام عصره في الحديث والأثر وما يتعلق بهما روى بقرطبة عن أبي القاسم خلف بن القاسم الحافظ وعبد الوارث بن سفيان وسعيد نصر وابي محمد ابن عبد المؤمن وأبي عمر

البـاجي وأبي عمر الطلمنكي وأبي الوليـد ابن الفرضـــي وغيرهم وكتب إليه من أهل المشـرق أبو القاسـم السـقطي المكي وعبد الغني بن سـعيد الحافظ وأبو ذر الهروي وابو محمد ابن النحاس المصــري وغيرهم قال القاضـــي أبو علي ابن سـكرة سـمعت شـيخنا القاضـي أبا الوليد الباجي يقول لم يكن بـالأنـدلس مثـل أبي عمر ابن عبـد البر في الحديث وقال الباجي أيضـــاً أبو عمر أحفظ أهل المغرب وقال أبو علي الحسين بن أحمد بن محمد الغساني الأندلسي الجياني المقدم ذكره ابن عبد البر شـــيخنا من أهل قرطبة بها طلب الفقه ولزم أبا عمر أحمد بن عبد الملك بن هاشــم الفقيه الإشبيلي وكتب بين يديه ولزم أبا الوليد ابن الفرضي الحافظ وعنه أخذ كثيراً من علم الحديث ودأب في

67 طلب العلم وافتن به وبرع براعة فاق فيها من تقدمه من رجال الأندلس وألف في الموطأ كتباً مفيدة منها كتاب التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأســانيد ورتبه على أسماء شيوخ مالك على حروف المعجم وهو كتاب لم يتقدمه أحد إلى مثله وهو ســبعون جزءاً قال أبو محمد ابن حزم لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله فكيف أحسـن منه ثم صنع كتاب الاستذكار لمذاهب علماء الأمصار فيما تضـمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار شـرح فيه الموطأ على وجهه ونسق أبوابه وجمع في أسماء الصحابة رضي الله عنهم كتاباً جليلاً مفيداً سماه الاستيعاب وله كتاب جامع بيان العلم وفضـــله وما ينبغي في روايته وحمله وكتاب

الدرر في اختصار المغازي والسير وكتاب العقل والعقلاء
وما جاء في أوصــافهم وله كتاب صــغير في قبائل العرب
وأنســابهم وغير ذلك من تواليفه وكان موفقاً في التأليف
معانـاً عليـه ونفع الله بـه وكـان مع تقدمـه في علم الأثر
وبصــره بالفقه ومعاني الحديث له بســطة كبيرة في علم
النســب وفارق قرطبة وجال في غرب الأندلس مدة ثم
تحول إلى شـرق الأندلس وسـكن دانية من بلادها وبلنسـية
وشاطبة في أوقات مختلفة وتولـى قضاء الأشبونة وشنترين
في أيام ملكها المظفر بن الأفطس وصــنف كتاب بهجة
المجالس وأنس المجالس في ثلاثة اسـفار جمع فيه أشـياء
مستحسنة تصلح للمذاكرة والمحاضـرة من ذلك أن النبي
رأى في منـامـه انـه دخـل الجنـة ورأى فيهـا عـذقـاً مـدلى
فأعجبه وقال لمن هذا فقيل لأبي جهل فشق ذلك عليه وقال
ما لأبي جهل والجنة والله لا يدخلها أبداً فإنها لا تدخلها
68 إلا نفس مؤمنـة فلمـا أتـاه عكرمـة بن أبي جهل
مســلماً فرح به وقام إليه وتأول ذلك العذق عكرمة ابنه
ومنه ايضــاً أنه قيل لجعفر بن محمد يعني الصـــادق كم
تتأخر الرؤيا قال رأى النبي كأن كلباً أبقع بلغ في دمه فكان
شمر ابن ذي الجوشن قاتل الحسين بن علي رضي الله عنه
وكان أبرص فكان تأخير الرؤيا بعد خمســين ســنة ومن
ذلك أيضــاً أن النبي رأى رؤيا فقصــها على أبي بكر
الصــديق رضــي الله عنه فقال يا أبا بكر رأيت كأني أنا
وأنت نرقى درجة فسبقتك بمرقاتين ونصف فقال يا رسول

الله يقبضـــك الله تعالى إلى رحمته ومغفرته وأعيش بعدك سنتين ونصفا ومن ذلك أن بعض أهل الشام قال لعمر بن الخطاب رضـــي الله عنه رأيت كأن الشـمس والقمر اقتتلا ومع كل واحد منهما فريق من النجوم قال مع أيهما كنت قال مع القمر قال مع الآية الممحوة لا عملت لي عملاً أبداً فعزله وقتل مع معاوية بن أبي ســفيان بصـــفين وقالت عائشـة رضـــي الله عنها رأيت كأن ثلاثة أقمار سـقطن في حجري فقال لها أبوها أبو بكر الصـديق رضـــي الله عنه إن صـــدقت رؤياك دفن في بيتك ثلاثة من خير أهل الأرض فلما دفن النبي في بيتها قال لها ابو بكر هذا أحد أقمارك وهو خيرها ومنه أيضـــاً أن أعرابياً وقيل هو الحطيئة الشـاعر أراد سـفراً فقال لامرأته (عدي السـنين لغيبتي وتصبري * وذري الشهور فإنهم قصار) فأجابته (اذكر صـبابتنا إليك وشـوقنا * وارحم بناتك إنهن صـغار) فأقام وترك سفره

69 وقال الهيثم بن عدي قال لي صـالح بن حيان من أفقه الشـــعراء فقلت اختلف في ذلك فقال أفقه الشـــعراء وضـاح اليمن حيث يقول (إذا قلت هاتي نوليني تبسمت * وقـالـت معـاذ الله من فعـل مـا حرم) (فمـا نولـت حتى تضـــرعت عندها * وأعلمتها ما أرخص الله في اللمم) ومنه أيضـاً قيل لأسـلم بن زرعة إن انهزمت من أصـحاب مرداس غضـــب عليك الأمير عبيد الله بن زياد فقال لأن يغضــب علي وأنا حي خير من أن يرضـــى عني وأنا ميت

ومنه أيضـاً سـب أعرابي أعرابياً فسـكت فقيل له لم سـكت عنه فقال ليس لي علم بمســاويه وكرهت أن ابهته بما ليس فيـه (ثـالبني عمرو وثـالبتـه * قد أثم المثلوب والثـالب) قلت له خيراً وقال الخنا * كل على صـاحبه كاذب) وقال علي بن الحسـين رضـي الله عنهما إذا قال فيك رجل ما لا يعلم من الخير أوشــك أن يقول فيك ما لا يعلم من الشــر ومنه أيضاً ذكر المغيرة بن شعبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال كان والله أفضــل من أن يخدع وأعقل من أن يخدع ومنه أيضــاً روي أنه لما أهبط الله تعالى آدم عليه السـلام إلى الأرض أتاه جبريل عليه السـلام فقال يا آدم إن الله عز وجل قد أحضرك ثلاث خصال لتختار منهن واحدة وتتخلى عن ثنتين قال وما هن قال الحياء والدين والعقل قال آدم إني قد اخترت العقل فقال جبريل للحياء والدين ارتفعا فقد اختار العقل قالا لا لا نرتفع قال ولم أعصــيتما قالا لا ولكن أمرنا أن لا نفارق العقل حيث كان

70 وقال عبد الملك بن عبد الحميد من أبيات (الماء في دار عثمان له ثمن * والخبز فيها له شــأن من الشــان) (عثمان يعلم أن الحمد ذو ثمن * لكنه يشـتهي حمداً بمجان) (والناس أكيس من أن يحمدوا أحداً * حتى يروا عنده آثار إحسـان) ومن كتاب بهجة المجالس أيضـاً قال الرياشــي خرج الناس بالبصــرة ينظرون هلال شــهر رمضــان فرآه رجل واحد منهم ولم يزل يومىء إليه حتى رآه معه غيره وعاينوه فلما كان هلال الفطر جاز الجماز

صـــاحب النوادر إلى ذلك الرجل فدق عليه الباب فقال قم أخرجنا مما أدخلتنا فيه (376) قلت و هذا الجماز هو أبو عبد الله محمد بن عمرو بن حماد بن عطاء ابن ريان مولى ابي بكر الصـــديق رضـــي الله عنه و هو ابن أخت ســـلم الخاســـر قال الســـمعاني في حقه كان خبيث اللســـان حســـن النادرة وكان أكبر من أبي نواس وقيل في نســـبه غير ذلك والجماز لقبه و هو بفتح الجيم وتشـــديد الميم وبعد الألف زاي فمن نوادره أنه قال أصـــبحت في يوم مطير فقالت لي امرأتي أي شـــيء يطيب في هذا اليوم فقلت لها الطلاق فســـكتت عني ودخل عليه يوماً بعض إخوانه و قد طبخ وغرف الطعام فقال الداخل ســـبحان الله ما أعجب أســـباب الرزق فقال الجماز الحرمان والله أعجب منه امرأته طالق إن ذقته وقال له الســـروي الشـــاعر ولدت امرأتي البارحة ولداً كأنه دينار منقوش فقال له الجماز لاعن أمه وللجماز شـــعر أيضـــاً ذكره في كتاب الورقة فمن ذلك ما كتبه إلى صـــاحب له وكان يلازم الجامع ثم انقطع عنه (هجرت المسجد الجامع والهجر له ريبه)

71 (فلا نافلة تأتي * ولا تشـــهد مكتوبه) (وأخبارك تأتينا * على الأعلام منصوبه) (فإن زدت من الغيبة زدناك من الغيبه) ومنه أيضـــاً قال أردشير احذروا صـــولة الكريم إذا جاع واللئيم إذا شـــبع واعلموا أن الكرام أصـــبر نفوســـاً واللئام أصـــبر أجســـاماً قلت هذا كله نقلته من بهجة المجالس وفيه كفاية فلا حاجة إلى الإطالة وتوفي

الحافظ أبو عمر المذكور يوم الجمعة آخر يوم من شـــهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وأربعمائة بمدينة شاطبة من شــرق الأندلس وقال صــاحبه أبو الحســن طاهر بن مفوز المعافري وهو الذي صــلى عليه ســمعت أبا عمر ابن عبد البر يقول ولدت يوم الجمعة والإمام يخطب لخمس بقين من شــهر ربيع الآخر سنة ثمان وستين وثلثمائة رحمه الله تعالى وقد تقدم في ترجمة الخطيب أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الحافظ أنه كان حافظ الشـــرق وابن عبد البر حافظ الغرب وماتا في ســـنة واحدة وهما إمامان في هذا الفن والنمري بفتح النون والميم وبعدها راء هذه النســبة إلى النمر بن قاســط بفتح النون وكســر الميم وإنما تفتح الميم في النسبة خاصة وهي قبيلة كبيرة مشهورة وقد تقدم الكلام على القرطبي وشـــاطبة فأغنى عن الإعادة وذكر أبو عمر المذكور أن والده أبا محمد عبد الله بن محمد بن عبد البر توفي في شــهر ربيع الآخر ســنة ثمانين وثلثمائة ومولده ســـنة ثلاثين وثلثمائة رحمه الله تعالى (377) وكان ولده ابو محمد عبد الله بن يوســـف من أهل الأدب البارع

72 والبلاغة وله رسائل وشعر فمن شعره قوله (لا تكثرن تـأملا * واحبس عليك عنـان طرفك) (فلربما أرسلته * فرماك في ميدان حتفك) قيل إنه مات سنة ثمان وخمســين وأربعمائة 838 ابو محمد يوســف بن الحســن السيرافي أبو محمد يوسف بن أبي الحسن بن عبد الله بن

المرزبان السيرافي النحوي اللغوي الإخباري الفاضل ابن الفاضل قد تقدم ذكر أبيه الحسن في حرف الحاء كان أبو محمد المذكور عالماً بالنحو وتصدر في مجلس أبيه بعد موته في التاريخ المذكور في ترجمته وخلفه على ما كان عليه وقد كان يفيد الطلبة في حياة أبيه وأكمل كتاب ابنه الذي سماه الإقناع وهو كتاب جليل نافع في بابه فإن أباه كان قد شرح كتاب سيبويه كما تقدم في ترجمته وظهر له بالاطلاع والبحث في حال التصنيف ما لم يظهر لغيره ممن يعاني هذا الشأن وصنف بعد ذلك الإقناع فكأنه ثمرة استفادته حال البحث والتصنيف ومات قبل إتمامه فكمله ولده يوسف المذكور وإذا تأمله المنصف لم يجد بين اللفظين والقصدين تفاوتاً كثيراً ثم صنف يوسف المذكور عدة كتب في شرح أبيات استشهادات كتب مشهورة مثل شرح أبيات كتاب سيبويه وهو الغاية في بابه وبسطه وشرح

73 أبيات إصلاح المنطق وأجاد فيه وشرح أبيات المجاز لأبي عبيدة وأبيات معاني الزجاج وشرح ابيات غريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام إلى غير ذلك وكانت كتب اللغة تقرأ عليه مرة رواية ومرة دراية وقرىء عليه كتاب البارع للمفضل بن سلمة وهو كتاب كبير في عدة مجلدات هذب به كتاب العين في اللغة المنسوب إلى الخليل بن احمد المقدم ذكره وأضاف إليه من اللغة طرفاً صالحاً ونقل من ظهر نسخه بكتاب إصلاح المنطق قال

ابو العلاء المعري حدثني عبد السلام البصري خازن دار العلم ببغداد وكان لي صديقاً صدوقاً قال كنت في مجلس أبي سعيد السيرافي وبعض أصحابه يقرأ عليه المنطق لابن السكيت فمضى بيت حميد بن ثور (ومطوية الأقراب أما نهارها * فسبت وأما ليلها فذميل) فقال ابو سعيد ومطوية اصلحه بالخفض ثم التفت إلينا فقال هذه واو رب فقلت أطال الله بقاء القاضي إن قبله ما يدل على الرفع فقال وما هو فقلت (أتاك بي الله الذي أنزل الهدى * ونور وإسلام عليك دليل) ومطوية الأقراب فعاد وأصلحه وكان ابنه أبو محمد حاضراً فتغير وجهه لذلك فنهض لساعته ووقته والغضب يستطير في شمائله إلى دكانه وكان سماناً فباعها واشتغل بالعلم إلى أن برع فيه وبلغ الغاية فعمل شرح إصلاح المنطق قال ابو العلاء وحدثني من رآه وبين يديه أربعمائة ديوان وهو يعمل هذا الكتاب ولم يزل أمره على سداد واشتغال وإفادة إلى أن توفي ليلة الأربعاء لثلاث

74 بقين من شهر ربيع الأول سنة خمس وثمانين وثلثمائة وعمره خمس وخمسون سنة وشهور ودفن من الغد وصلى عليه أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي ذكر ذلك هلال بن المحسن ابن الصابي الكاتب في تاريخه وقال غيره مولده في سنة ثلاثين وثلثمائة وتوفي يوم الاثنين لثلاث بقين من الشهر المذكور والله أعلم رحمه الله تعالى وكان ديناً صالحاً ورعاً متقشفاً وكان بينه وبين أبي

طالب أحمد بن بكر العبدي النحوي المقدم ذكره مباحث ومناظرات منقولة بين الناس وليس هذا موضـــع ذكر ها وقد تقدم الكلام في ترجمة أبيه على الســـيرافي فلا حاجة إلى إعادته ها هنا وقال ابن حوقل في كتاب المســـالك والممالك سيراف فرضـة عظيمة لفارس وهي مدينة جليلة أبنيتها ساج متصل إلى جبل يطل على البحر وليس بها ماء ولا زرع ولا ضرع وهي من أغنى بلاد فارس بالقرب من جنابة ونجيرم والله أعلم ومن سيراف ينتهي الإنسان على ساحل البحر إلى حصن ابن عمارة وهو حصن منيع على نحر البحر وليس بجميع فارس حصـــن أمنع منه ويقال إن صـــاحبه هو الذي قال الله تعالى في حقه (^ وكان وراءهم ملك يأخذ كل ســـفينة غصـــبا) الكهف 79 وقال غير ابن حوقل كان اســـم هذا الملك الجلندى بضـــم الجيم واللام وسكون النون وفتح الدال المهملة وبعدها ألف وإليه أشـار بعضـــهم يخاطب بعض الظلمة (كان الجلندى ظالماً * وأنت منه أظلم) وقيل غير ذلك والله أعلم

75 يوسـف النجيرمي ابو يعقوب يوسف بن يعقوب بن إسـماعيل بن خرزاذ النجيرمي اللغوي البصـري نزيل مصـر هو من أهل بيت فيه جماعة من الفضـلاء الأدباء ما منهم إلا من هو مـاهر في اللغة كـامل الأدوات متقن لهـا روى ابو يعقوب المذكور عن أبي يحيى زكريا بن يحيى بن خلاد السـاجي وطبقته وروى عنه أبو الفضـل محمد بن جعفر الخزاعي وغيره وكان يوســـف أمثل أهل بيته وله

خط ليس بالجيد في الصورة وهو في غاية الصحة وكذلك خطوط جماعته قريبة منه ولأهل مصر رغبة وتنافس كثير في خطه حتى بلغت نسخة من ديوان جرير بخطه عشرة دنانير وأكثر ما تروى الكتب القديمة في اللغة والأشعار العربية وأيام العرب في الديار المصرية من طريقه فإنه كان راوية لها عارفاً بها وكان أهل بيته يرتزقون بمصر من التجارة في الخشب وكان أبو عبد الله محمد بن بركات بن هلال السعيدي النحوي المصري قد أخذ اللغة من أصحاب أبي يعقوب المذكور وأدرك أبا يعقوب ولم يأخذ عنه شيئاً لأنه رآه وهو صبي قال الموفق أبو الحجاج يوسف بن الخلال المصري كاتب الإنشاء الآتي ذكره إن شاء الله تعالى قال لي ابن بركات

76 رأيت أبا يعقوب وهو ماش في طريق القرافة وهو شيخ أسمر اللون كث اللحية مدور العمامة بيده كتاب وهو يطالع فيه في مشيته وهذا الذي ذكره ابن بركات فيه نظر فان الحافظ أبا إسحاق إبراهيم بن سعيد بن عبد الله المعروف بالحبال ذكره في كتاب الوفيات الذي جمعه فقال توفي أبو يعقوب بن خرزاذ النجيرمي يوم الثلاثاء رابع المحرم سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة وقال غيره ولد أبو يعقوب يوسف النجيرمي يوم عرفة من سنة خمس وأربعين وثلثمائة رحمه الله تعالى وابن بركات المذكور ولد بمصر في سنة عشرين وأربعمائة وتوفي بها في سنة عشرين وخمسمائة وكان نحوي مصر هكذا قاله الموفق

ابن الخلال المذكور فكيف يمكن أن يرى أبا يعقوب وقد كان ابن بركات في تاريخ وفاة النجيرمي في السنة الثالثة من عمره لكن لعله رأى ولده والله أعلم وقال القاضي الفاضل ليس في شعر ابن بركات المذكور أحسن من هذين البيتين وعملهما في مسافر العطار (يا عنق الإبريق من فضة * ويا قوام الغصن الرطب) (هبك تجافيت فأقصيتني * تقدر أن تخرج من قلبي) وكان ابن بركات قد أخذ النحو عن ابن بابشاذ النحوي المقدم ذكره في حرف الطاء وذكره القاضي الرشيد بن الزبير في كتاب الجنان وأثنى عليه وخرزاذ بضم الخاء المعجمة والراء المشددة وبعدها زاي وبعد الألف ذال معجمة قلت هكذا يضبط أهل الحديث هذا الاسم وهو لفظ أعجمي وتفسير زاذ بالعربي ابن وأما خر بتشديد الراء فليس له معنى

77 إلا أن يكون أهل العربية قد غيروه كما جرت عادتهم في ذلك فيكون اصله خار بالألف وهو الشوك فيكون خارزاذ معناه ابن الشوك وخرشيذ أيضاً الشمس فان كانوا أرادوا هذا وحذفوا شيذ فيحتمل وعلى الجملة فانهم يتلاعبون بالأسماء العجمية والله أعلم بالصواب ثم وجدت في كتاب البلدان تأليف البلاذري في الفصل المتضمن حديث بلاد فارس وأعمالها أرض أردشير خره ثم قال ومعنى أردشير خره ولد أردشير بها قلت وأردشير بن بابك بن ساسان أول ملوك الفرس كما هو مشهور بين الناس وعلى هذا يكون معنى خرزاذ بها ولد كما هو

عادتهم في التقديم والتأخير وتقدير الكلام ولد بها أي بالناحية أو غير ذلك والله أعلم والنجيرمي بفتح النون وكسر الجيم وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الراء وفي آخرها ميم هذه النسبة إلى نجيرم ويقال نجارم قال أبو سعد السمعاني في كتاب الأنساب هي محلة بالبصرة وقال غيره هي قرية في بر البصرة في طريق فارس عند سيراف والله أعلم بالصواب وكذا هي في كتب المسالك والممالك وهي على بحر فارس وظاهر الحال أن جماعة من أهلها دخلوا البصرة وسكنوا هذا المحلة فسميت باسم بلدهم والله أعلم

78 يوسف بن وهرة الهمذاني يوسف بن أيوب بن يوسف بن الحسين بن وهرة ابو يعقوب الهمذاني الفقيه العالم الزاهد الجليل الرباني صاحب المقامات والكرامات قدم بغداد في صباه بعد الستين وأربعمائة ولازم الشيخ إبا إسحاق الشيرازي المقدم ذكره وتفقه عليه حتى برع في أصول الفقه والمذهب والخلاف وسمع الحديث من القاضي أبي الحسين محمد بن علي ابن المهتدي بالله وأبي الغنائم عبد الصمد بن علي بن المأمون وأبي جعفر محمد بن أحمد بن المسلمة وطبقتهم وسمع بأصبهان وسمرقند وكتب أكثر ما سمعه ثم زهد في ذلك ورفضه واشتغل بالزهد والعبادة والرياضة والمجاهدة حتى صار علماً من أعلام الدين يهتدي به الخلق إلى الله تعالى وقدم بغداد في سنة خمس عشرة وخمسمائة وحدث بها وعقد بها مجلس الوعظ

بالمدرســـة النظامية وصــــادف بها قبولا عظيماً من الناس قال أبو الفضل صافي بن عبد الله الصوفي الشيخ الصالح حضرت مجلس شيخنا يوسف الهمذاني في النظامية وكان قد اجتمع العالم فقام فقيه يعرف بابن الســقاء وآذاه وســـأله عن مسألة فقال له الإمام يوسف اجلس فإني أجد من كلامك رائحة الكفر ولعلك تموت على غير دين الإســـلام قال أبو الفضل

79 فاتفق أنه بعد هذا القول بمدة قدم رسول نصراني من ملك الروم إلى الخليفة فمضى إليه ابن السقاء وسأله أن يستصحبه وقال له يقع لي أن أترك دين الإسلام وادخل في دينكم فقبله النصراني وخرج معه إلى القسطنطينية والتحق بملك الروم وتنصر ومات على النصرانية قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادي في تاريخ بغداد في ترجمة يوســـف الهمذاني المذكور ســمعت أبا الكرم عبد الســلام بن أحمد المقرىء يقول كان ابن السقاء قارئاً للقرآن الكريم مجوداً في تلاوته حدثني من رآه بالقســـطنطينية ملقى على دكة مريضـــاً وبيده خلق مروحة يدفع بها الذباب عن وجهه قال فســـألته هل القرآن باق على حفظك فقال ما اذكر منه إلا آية واحدة (^ ربما يود الذين كفروا لو كانوا مســـلمين) الحجر 2 والباقي أنســيته نعوذ بالله من ســوء القضـــاء وزوال نعمته وحلول نقمته ونسأله الثبات على دين الإسلام آمين آمين آمين قال أبو سعد ابن السمعاني يوسف بن أيوب الهمذاني من أهل

بوزنجرد قرية من قرى همذان مما يلي الري الإمام الورع التقي المتنسك العامل بعلمه والقائم بحقه صاحب الأحوال والمقامات الجليلة وإليه انتهت تربية المريدين الصادقين واجتمع برباطه بمدينة مرو جماعة من المنقطعين إلى الله تعالى ما لا يتصور أن يكون في غيره من الربط مثلهم وكان من صغره إلى كبره على طريقة مرضية وسداد واستقامة خرج من قريته إلى بغداد وقصد الإمام ابا إسحاق الشيرازي وتفقه عليه ولازمه مدة مقامه ببغداد حتى برع في الفقه وفاق أقرانه خصوصاً في علم النظر وكان الشيرازي يقدمه على جماعة كثيرة من اصحابه مع صغر سنه لعلمه بزهده وحسن سيرته واشتغاله بما يعنيه ثم ترك كل ما كان فيه من المناظرة وخلا بنفسه واشتغل بما هو الأهم من عبادة الله تعالى ودعوة الخلق إليها وإرشاد الأصحاب

80 إلى الطريق المستقيم نزل مرو وسكنها وخرج إلى هراة وأقام بها مدة ثم سئل الرجوع إلى مرو في آخر عمره فأجاب ورجع إليها وخرج إلى هراة ثانياً وعزم على الرجوع إلى مرو في آخر عمره وخرج منها متوجهاً إلى مرو فأدركته منيته بباميين بين هراة وبغشور في شهر ربيع الأول سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ودفن ثم نقل بعد ذلك إلى مرو وكان مولده تقديراً لا تحقيقاً في سنة اربعين أو إحدى وأربعين وأربعمائة ببوزنجرد رحمه الله تعالى قلت هذا كله نقلته من تاريخ ابن النجار المذكور مقتضباً

وفيه الفاظ تحتاج إلى إيضاح أما وهرة فهو بفتح الواو والهاء والراء وفي آخره هاء ثانية وهو اسم جده المذكور ولا أعرف معناه بالعربي والقسطنطينية بضم القاف وسكون السين المهملة وفتح الطاء المهملة وسكون النون وكسر الطاء الثانية وسكون الياء المثناة من تحتها وكسر النون وفتح الياء الثانية وفي آخرها هاء ساكنة وهي أعظم مدائن الروم بناها قسطنطين ملك الروم وهو أول من تنصر من ملوك الروم فنسبت المدينة إليه وأما بوزنجرد فهو بضم الباء الموحدة وسكون الواو وفتح الزاي والنون وكسر الجيم وسكون الراء وبعدها دال مهملة وهي قرية من قرى همذان على مرحلة منها مما يلي ساوة كذا قال أبو سعد السمعاني في كتاب الأنساب وأما مرو فقد تقدم الكلام عليها وأما باميين بالباء الموحدة وبعد الألف ميم مفتوحة ثم ياء مثناة من تحتها مكسورة وبعدها ياء ثانية ساكنة ثم نون فهي بليدة بخراسان كما ذكرها

81 وهراة قد تقدم الكلام عليها وأنها إحدى كراسي خراسان فإنها أربعة نيسابور وهراة ومرو وبلخ وبغشور بفتح الباء الموحدة وسكون الغين المعجمة وضم الشين المعجمة وبعد الواو الساكنة راء وهي بليدة بخراسان أيضاً بين مرو وهراة وقد تقدم في ترجمة الحسين بن مسعود الفراء الفقيه البغوي أنه منسوب إليها 841 الاعلم الشنتمرى أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى النحوي المعروف بالأعلم من أهل شنتمرية الغرب رحل

إلى قرطبة في سـنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة وأقام بها مدة وأخذ عن أبي القاسـم إبراهيم بن محمد بن زكرياء الإفليلي وأبي سهل الحراني وأبي بكر مسلم بن أحمد الأديب وكان عالماً بالعربية واللغة ومعاني الأشـعار حافظاً لجميعها كثير العناية بها حسـن الضـبط لها مشـهوراً بمعرفتها وإتقانها أخذ الناس عنه كثيراً وكانت الرحلة في وقته إليه وقد أخذ عنه أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد الغساني الجياني المقدم ذكره وغيره وكف بصـره في آخر عمره وشرح كتاب الجمل في النحو لأبي القاسم الزجاجي وشرح ابيات الجمل في كتاب مفرد وسـاعد شـيخه ابن الإفليلي المذكور على شـرح ديوان المتنبي وغالب ظني أنه شـرح الحماسة فقد

82 كان عندي شـرح الحماسـة للشـنتمري في خمس مجلدات وقد غاب عني الآن من كان مصـنفه وأظنه هو والله أعلم وقد أجاد فيه وتوفي سنة ست وسبعين وأربعمائة بمدينة إشـبيلية من جزيرة الأندلس وكانت ولادته في سـنة عشر وأربعمائة رحمه الله تعالى وذكر أبو الحسن شريح بن محمد بن شـريح الرعيني الإشـبيلي خطيب جامعها قال مات أبي أبو عبد الله محمد بن شـريح يوم الجمعة منتصف شـوال سـنة سـت وسـبعين وأربعمائة فسـرت إلى الشـيخ الأسـتاذ أبي الحجاج الأعلم فأعلمته بوفاته فانهما كانا كالأخوين محبة ووداداً فلما أعلمته انتحب وبكى كثيراً واسـترجع ثم قال لا أعيش بعده إلا شـهراً فكان كذلك

ورأيت بخط الرجل الصــالح العالم محمد بن خير المقرىء الأندلســي رحمه الله تعالى أن أبا الحجاج المذكور إنما قيل له الأعلم لأنه كان مشقوق الشفة العليا شقاً فاحشاً قلت ومن كان مشقوق الشفة العليا يقال له أعلم والفعل الماضــي منه علم بكســـر اللام يعلم بفتحها علماً بفتحها أيضـــاً والمرأة علماء إذا كانت كذلك فان كان مشـقوق الشـفة السفلى يقال لـه أفلح بـالفاء والحـاء المهملـة والفعل منـه كمـا تقدم في الأعلم يقال فلح بكســـر اللام يفلح فلحاً بفتحها فيهما وهذه القاعدة مطردة في العيوب والعاهات كلها أن تكون عين الفعل الماضـي مكسورة وفي المضـارع والمصدر مفتوحة تقول خرس يخرس خرســاً وبرص يبرص برصــاً وعمي يعمى عمى وكذلك جميعه واسم الفاعل منه على أفعل مثل أخرس وأبرص وأعمى وكذلك أعلم وافلح (378) وكان أبو يزيد سهيل بن عمرو القرشي العامري رضـي الله عنه أعلم فلما أســـر يوم بدر قال عمر بن الخطاب رضــــي الله عنه لرسول الله دعني أنزع ثنيته فلا يقوم عليك خطيباً أبدا قال دعه فعســـى أن يقوم مقاماً تحمده وكان ســـهيل من الخطباء الفصحاء

83 البلغاء وهو الذي جاء في صــــلح الحديبية وعلى يده انبرم الصـلح ثم إنه أسـلم وحسـن إسـلامه والمقام الذي وعد به لسـهيل هو أنه لما قبض كان سـهيل بمكة فارتدت جماعة من العرب وحصــــل عندهم اختلاف فقام ســـهيل خطيباً وســـكن الناس ومنعهم من الاختلاف فكان هذا هو

المقام المحمود وقول عمر رضي الله عنه دعني أنزع ثنيته فلا يقوم عليك خطيباً أبداً فإنما قال ذلك لأنه إذا كان مشقوق الشفة العليا ونزعت ثنيته تعذر عليه الكلام إلا بمشقة وكلفة فهذا الذي قصده عمر رضي الله عنه وكان عنترة بن شداد العبسي الفارس المشهور أفلح فكان يقال له الفلحاء لفلحة كانت به وإنما ذهبوا به إلى تأنيث الشفة والله أعلم وشنتمرية بفتح الشين المعجمة وسكون النون وفتح التاء المثناة من فوقها والميم وكسر الراء وبعدها ياء مشددة مثناة من تحتها وبعدها هاء ساكنة وهي مدينة بالأندلس في غربها والحديبية بضم الحاء المهملة وفتح الدال المهملة وبعدها ياء ساكنة مثناة من تحتها ثم باء موحدة مكسورة ثم ياء ثانية مفتوحة وفي آخرها هاء ساكنة وهو موضع بين مكة والمدينة كانت به بيعة الرضوان ويروى بتشديد الياء الأخيرة أيضاً

84 بهاء الدين عرف بابن شداد ابو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة بن محمد بن عتاب الأسدي قاضي حلب المعروف بابن شداد الملقب بهاء الدين الفقيه الشافعي توفي ابوه وهو صغير السن فنشأ عند أخواله بني شداد فنسب إليهم وكان شداد جده لأمه وكان يكنى أولاً أبا العز ثم غير كنيته وجعلها أبا المحاسن كما ذكرته ولد بالموصل ليلة العاشر من شهر رمضان سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وحفظ بها القرآن الكريم في صغره ثم قدم الشيخ أبو بكر يحيى بن سعدون القرطبي المقدم ذكره إلى

الموصل فلازمه وقرأ عليه بالطرق السبع وأتقن عليه فن القراءات قال أبو المحاسن المذكور في بعض تواليفه أول من أخذت عنه شيخي الحافظ صائن الدين ابو بكر يحيى بن سعدون بن تمام بن محمد الأزدي القرطبي رحمه الله تعالى فاني لازمت القراءة عليه إحدى عشرة سنة فقرأت عليه معظم ما رواه من كتب القراءات وقراءة القرآن العظيم ورواية الحديث وشروحه والتفسير حتى كتب لي حظه شهد لي بأنه ما قرأ عليه أحد أكثر مما قرأت وعندي خطه بجميع ما قرأت عليه في قريب من كراسين وفهرست ما رواه جميعه عندي وأنا أرويه عنه ومما يشتمل عليه فهرست البخاري ومسلم من عدة طرق وغالب كتب

85 الحديث وغالب كتب الأدب وغيره وآخر روايتي عنه شرح الغريب لأبي عبيد القاسم بن سلام قرأته عليه في مجالس آخرها في العشر الأخير من شعبان سنة سبع وستين وخمسمائة قلت وهي السنة التي مات فيها الشيخ القرطبي حسبما ذكرته في ترجمته (379) ثم قال ومنهم الشيخ ابو البركات عبد الله بن الخضر بن الحسين المعروف بابن الشيرجي سمعت عليه بعض تفسير الثعلبي وأجازني أن أروي عنه جميع ما رواه على اختلاف أنواع الروايات وكتب لي خطه بذلك في فهرست سماعي مؤرخاً بخامس جمادى الأولى سنة ست وستين وخمسمائة وكان مشهوراً بعلمي الحديث والفقه ولي قضاء البصرة ودرس بالأتابكية القديمة يعني بالموصل (380) ومنهم الشيخ

مجد الدين أبو الفضـــل عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد القاهر الطوسـي الخطيب بالموصـل وهو مشـهور بالرواية حتى يقصـــد لها من الآفاق وعاش نيفاً وتسـعين سـنة قلت وكانت ولادة أبي الفضـــل ابن الطوســـي الخطيب المذكور في منتصـــف صـــفر ســـنة ســبع وثمانين وأربعمائة ببغداد بباب المراتب وتوفي ليلة الثلاثاء رابع عشر شهر رمضان سنة ثمان وسبعين وخمسمائة بالموصل ودفن بمقبرة باب الميـدان رحمـه الله تعـالى رجعنـا إلى تتمـة كلام أبي المحاســـن ابن شـــداد وســـمعت عليه يعني على الخطيب المذكور كثيراً من مسـموعاته وأجاز لي جميع ما رواه في الســـادس والعشـــرين من رجب ســـنة ثمان وخمســـين وخمسمائة ومنهم القاضي فخر الدين ابو الرضا سعيد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري سمعت عليه مسند الشافعي رضـــي الله عنه ومســـند أبي عوانة ومســـند أبي يعلى الموصـــلي وســـنن أبي داود وكتب لي خطه بذلك وهو في فهرستي

86 وســـمعت عليه الجامع لأبي عيســـى الترمذي وأجاز لي رواية ما رواه وكتب لي خطة بذلك في شـــوال سنة سبع وستين وخمسمائة (381) ومنهم الحافظ مجد الـدين أبو محمـد عبـد الله بن محمـد بن عبـد الله بن علي الأشيري الصنهاجي أجاز لي جميع ما يرويه على اختلاف أنواعه وفي فهرســتي خطه بذلك مؤرخاً بشـــهر رمضـــان سنة تسـع وخمسين وخمسمائة وفهرسـته عندي بذلك قلت

توفي ابو محمد عبد الله الأشيري المذكور في شوال سنة إحدى وستين وخمسمائة بالشام ودفن ببعلبك رحمه الله تعالى ظاهر باب حمص شمالي البلد ومنهم الحافظ سراج الدين ابو بكر محمد بن علي الجياني قرأت عليه صحيح مسلم من أوله إلى آخره بالموصل والوسيط للواحدي وأجاز لي رواية ما يرويه في تاريخ سنة تسع وخمسين وخمسمائة فهذه أسماء من حضر في خاطري وقد سمعت من جماعة لم يحضرني روايتهم عند جمع هذا الكتاب كشهدة الكاتبة في بغداد وأبي المغيث في الحربية والشيخ رضي الدين القزويني المدرس بالنظامية وجماعة شذت عني طرقهم فلم أذكرهم إذ كان في هؤلاء غنية هذا آخر ما ذكره عن نفسه وقال غيره إنه قرأ الفقه على أبي البركات عبد الله ابن االشيرجي المذكور فقيه الموصل وكان عالماً زاهداً متقشفاً وتوفي في جمادى الأولى سنة أربع و سبعين وخمسمائة بالموصل ودفن بظاهرها ثم اشتغل بالخلاف على الضياء ابن أبي حازم صاحب محمد بن يحيى الشهيد النيسابوري ثم باحث في الخلاف متفنني أصحابه كالفخر النوقاني والبروي والعماد النوقاني والسيف الخواري والعماد الميانجي ثم انحدر إلى بغداد بعد التأهل التام ونزل بالمدرسة النظامية وترتب فيها

87 معيداً بعد وصوله إليها بقليل وأقام معيداً نحو أربع سنين والمدرس بها يوم ذاك أبو نصر أحمد بن عبد الله بن محمد الشاشي وكانت ولاية ابن الشاشي المذكور

التدريس بالنظامية في شــهر ربيع الآخر من ســنة ســت وستين وخمسمائة وعزل عنها في سلخ شهر رجب سنة تسع وستين وتولاها بعده رضـي الدين أبو الخير أحمد بن إســماعيل القزويني في التاريخ المذكور وابو المحاســن المذكور مســتمر بها على الإعادة وكان رفيقه في الإعادة الســديد محمد الســلماســي وقد تقدم ذكره ثم اصــعد إلى الموصل في سنة تسع وستين فترتب مدرساً في المدرسة التي أنشــأها القاضــي كمال الدين أبو الفضــل محمد بن الشهرزوري المقدم ذكره ولازم الاشتغال وانتفع به جماعة وله كتاب في الأقضــية ســماه ملجأ الحكام عند التباس الأحكام ذكر في أوائله أنه حج في ســنة ثلاث وثمانين وخمســمائة وزار البيت المقدس والخليل عليه أفضــل الصلاة والسلام بعد الحج والزيارة للرسول ثم دخل دمشق والسلطان صلاح الدين محاصر قلعة كوكب فذكر أنه سمع بوصوله فاستدعاه إليه فظن أنه يسأله عن كيفية قتل الأمير شمس الدين ابن المقدم فإنه كان أمير الحاج في تلك السنة من جهة صــلاح الدين وقتل على جبل عرفات لأمر يطول شــرحه وليس هذا موضــع ذكره فلما دخل عليه ذكر أنه قابله بالإكرام التام وما زاد على السؤال عن الطريق ومن كان فيه من مشــايخ العلم والعمل وســأله عن جزء من الحديث ليســمعه عليه فأخرج له جزءاً جمع فيه أذكار البخاري وأنه قرأه عليه بنفســه فلما خرج من عنده تبعه عماد الدين الكاتب الأصفهاني وقال له السلطان

88 يقول لك إذا عدت من الزيارة وعزمت على العود تعرفنا بذلك فلنا إليك مهم فأجابه بالسمع والطاعة فلما عاد عرفه بوصوله فاستدعاه وجمع له في تلك المدة كتاباً يشتمل على فضائل الجهاد وما أعد الله سبحانه وتعالى للمجاهدين يحتوي على مقدار ثلاثين كراسة فخرج إليه واجتمع به على بقيعة حصن الأكراد وقدم له الكتاب الذي جمعه وقال إنه كان عزم على الإنقطاع في مشهد بظاهر الموصل إذا وصل إليها ثم إنه اتصل بخدمة صلاح الدين في مستهل جمادى الأولى سنة أربع وثمانين وخمسمائة ثم ولاه قضاء العسكر والحكم بالقدس الشريف ولما كنت متولي الحكم بدمشق المحروسة جاءني في بعض شهور سنة ست وستين وستمائة إسجال قد ثبت مضمونه عند القاضي أبي المحاسن المذكور وهو يومئذ قاضي العسكر الصلاحي وقد انقطع ثبوته بموت شهوده فتعذر إثباته عندي لذلك وتأملته إلى آخره لأنني استغربته فقد كان شيخنا وأخذنا عنه كثيراً وحصل الانتفاع بصحبته عدنا إلى بقية ما ذكره أبو المحاسن المذكور فقال إنه كان قد حضر إلى خدمة صلاح الدين في صحبة شيخ الشيوخ صدر الدين عبد الرحيم بن إسماعيل والقاضي محيي الدين ابن الشهرزوري لما وصلا إليه في رسالة واتفق في تلك الدفعة وفاة البهاء الدمشقي المدرس كان بمصر في مدرسة منازل العز وخطيب مصر وأن صلاح الدين عرض عليه تدريس المدرسة المذكورة فلم يفعل وأنه حضر عند

السلطان دفعة ثانية في رسالة من الموصل وهو على
حران وكان صلاح الدين مريضاً يومئذ وذكر أنه لما
توفي صلاح الدين كان حاضراً وتوجه إلى حلب لجمع
كلمة الإخوة أولاد صلاح الدين وتحليف بعضهم لبعض
وأن الملك الظاهر غياث الدين بن صلاح الدين صاحب
حلب كتب إلى أخيه الملك الأفضل نور الدين علي بن
صلاح الدين صاحب دمشق يطلبه منه فأجابه إلى ذلك
فأرسله الظاهر إلى مصر لاستحلاف أخيه الملك العزيز
عماد الدين عثمان بن صلاح
89 الدين وعرض عليه الظاهر الحكم بحلب فلم
يوافق على ذلك فلما عاد من هذه الرسالة كان القاضي
بحلب قد مات فعرض عليه فأجاب هكذا ذكره في كتابه
ملجأ الحكام وذكر القاضي كمال الدين أبو القاسم عمر بن
أحمد المعروف بابن العديم في تاريخه الصغير الذي سماه
زبدة الحلب في تاريخ حلب ما مثاله وفي سنة إحدى
وتسعين يعني وخمسمائة اتصل القاضي بهاء الدين ابو
المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بخدمة الملك الظاهر
وقدم إليه إلى حلب وولاه قضاءها ووقوفها وعزل عن
قضائها زين الدين ابا البيان نبا ابن البانياسي نائب محيي
الدين ابن الزكي وحل عنده بهاء الدين في رتبة الوزارة
والمشاورة انتهى كلامه قلت وهذا القاضي نبا هو ابن
الفضل بن سليمان الحميري يعرف بيتهم بدمشق ببيت
البانياسي وكان السلطان صلاح الدين قد ولى القاضي

محيي الدين أبا المعالي محمد بن الزكي الدمشـــقي المقدم ذكره القضـــاء بحلب فاســـتناب فيها زين الدين نبا ابن البانياســـي المذكور واســـتمر بها إلى التاريخ المذكور وكانت حلب في ذلك الزمان قليلة المدارس وليس بها من العلماء إلا نفر يسير فاعتنى أبو المحاسن المذكور بترتيب أمورها وجمع الفقهاء بها وعمرت في أيامه المدارس الكثيرة وكان الملك الظاهر قد قرر له إقطاعاً جيداً يحصل منه جملة مســـتكثرة ولم يكن له خرج كثير فانه لم يولد له ولا كان له أقارب فتوفر له شـــيء كثير فعمر مدرســـة بالقرب من باب العراق قبالة مدرسة نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله تعالى الشـــافعية ورأيت تاريخ عمارتها مكتوباً على ســـقف مســـجدها وهو الموضـــع المعد لإلقاء الدروس وذلك في سنة إحدى وستمائة ثم عمر في جوارها داراً للحديث النبوي وجعل بين المكانين تربة برســـم دفنه فيها ولها بابان باب إلى المدرسة

90 وباب إلى دار الحديث وشـــباكان إلى الجهتين وهما متقابلان بحيث إن الذي يقف في أحد المكانين يرى من يكون في المكان الآخر ولما صـــارت حلب على هذه الصـــورة قصـــدها الفقهاء من البلاد وحصـــل بها الاشـــتغال والاســـتفادة وكثر الجمع بها وكان بين والدي رحمه الله تعالى وبين القاضـــي أبي المحاسـن المذكور مؤانسـة كثيرة وصـــحبة صـــحيحة المودة من زمن الاشـــتغال بالموصـــل فجئت إليه وكان أخي قد ســـبقني بمدة قليلة وكتب ســـلطان

بلدنا الملك المعظم مظفر الدين ابو سـعيد كوكبوري بن علي بن بكتكين رحمه الله تعالى المقدم ذكره في حرف الكاف كتاباً بليغاً في حقنا يقول فيه أنت تعلم ما يلزم من أمر هذين الولدين وأنهما ولدا أخي وولدا أخيك ولا حاجة مع هذا إلى تأكيد وصـية وأطال القول في ذلك فتفضـل القاضـي أبو المحاسـن وتلقانا بالقبول والإكرام وأحسـن حسـب الإمكان وعمل ما يليق بمثله وأنزلنا في مدرسـته ورتب لنا أعلى الوظائف وألحقنا بالكبار مع الشـبيبة في السـن والابتداء في الاشـتغال وقد تقدم في ترجمة الشـيخ موفق الدين ابن يعيش النحوي تاريخ دخولي إلى حلب فأغنى عن الإعادة ولم نزل عنده إلى أن توفي في التاريخ الآتي ذكره ولم يكن بمدرسـته في ذلك الزمان درس عام لأنه كان المدرس بنفسه وكان قد طعن في السن وضعف عن الحركة وحفظ الدروس وإلقائها فرتب أربعة من الفقهاء الفضلاء برسم الإعادة والجماعة يشتغلون عليهم وكنت أنا وأخي نقرأ على الشـيخ جمال الدين أبي بكر الماهاني لأنه كان من بلدنا ورفيق والدنا في الاشتغال عند الشـيخ عماد الدين أبي حامد محمد بن يونس المقدم ذكره فمات في ثالث شوال سنة سبع وعشرين وستمائة وقد نيف على ثمانين سنة فترددت إلى الشيخ نجم الدين ابي عبد الله محمد بن أبي بكر بن علي المعروف بابن الخباز الموصلي الفقيه

91 الإمام وهو إذ ذاك مدرس المدرسة السيفية فقرأت عليه من أول كتاب الوجيز للغزالي إلى الإقرار وعلى الجملة فقد خرجنا عما نحن بصدده بسبب اتصال الكلام وكان القاضي أبو المحاسن المذكور بيده حل الأمور وعقدها لم يكن لأحد معه في الدولة كلام وكان سلطانها الملك العزيز ابا المظفر محمد بن الملك الظاهر بن السلطان صلاح الدين وهو صغير السن تحت حجر الطواشي شهاب الدين أبي سعيد طغرل وهو أتابكة ومتولي تدبير الدولة باشارة القاضي أبي المحاسن لا يخرج عنهما شيء من الأمور وكان للفقهاء في أيامه حرمة تامة ورعاية كبيرة خصوصاً جماعة مدرسته فانهم كانوا يحضرون مجالس السلطان ويفطرون في شهر رمضان على سماطه وكنا نسمع عليه الحديث ونتردد إليه في داره فقد كانت له قبة تختص به وهو شتوية لا يجلس في الصيف والشتاء إلا فيها لأن الهرم كان قد أثر فيه حتى صار كفرخ الطائر من الضعف لا يقدر على الحركة للصلاة وغيرها إلا بمشقة عظيمة وكانت النزلات تعتريه في دماغه فلا يفارق تلك القبة وفي الشتاء يكون عنده منقل كبير عليه من الفحم والنار شيء كثير ومع هذا كله فلا يزال مزكوماً وعليه الفرجية البرطاسي والثياب الكثيرة وتحته الطراحة الوثيرة فوق البسط ذوات الخمائل الثخنية بحيث إنا كنا نجد عنده الحر والكرب وهو لا يشعر به لكثرة استيلاء البرودة عليه من الضعف وكان لا يخرج

لصلاة الجمعة إلا في شدة القيظ وإذا قام إلى الصلاة بعد الجهد يكاد يسقط ولقد كنت أنظر إلى ساقيه إذا وقف للصلاة وكأنهما عودان رقيقان لا لحم عليهما وكان عقيب صلاة الجمعة يسمع المصلون عنده الحديث عليه وكان يعجبه ذلك وكان حسن المحاضرة جميل المذاكرة والأدب غالب عليه وكان كثيراً ما ينشد في مجالسه (إن السلامة من ليلى وجارتها * أن لا تمر على حال بناديها)

92 وكان يتمثل أيضاً كثيرا بقول صردر الشاعر المقدم ذكره في حرف العين وهذا البيت من جملة قصيدة طويلة وهو (وعهودهم بالرمل قد نقضت * وكذاك ما يبنى على الرمل) فأنشده في بعض الأيام فقال له بعض أصحابنا الحاضرين يا مولانا قد استعمل ابن المعلم العراقي هذا المعنى استعمالاً مليحاً فقال ابن المعلم هو أبو الغنائم فقال نعم فقال صاحبنا كان كيف قال فأنشده (نقضوا العهود وحق ما يبنى على * رمل اللوى بيد الهوى أن ينقضا) فقال ما أقصر ولقد تلطف في قوله بيد الهوى فقال له يا مولانا وقد استعمله في قصيدة أخرى فقال هات فأنشده (ولم يبن على الرمل * فكيف انتقض العهد) فاستحسنه وكان كثيراً ما ينشد أبيات أبي الفوارس سعد بن محمد المعروف بحيص بيص المقدم ذكره وكان يقول إنه سمعها منه ويرويها عنه وقد تقدم ذكرها في ترجمة الحيص بيص فأغنى عن الإعادة وأولها (لا تضع من عظيم قدر وإن كنت مشاراً إليه بالتعظيم) وكان يقول

أنشدني القاضي الفاضل لبعضهم ونحن نزول على قلعة صفد (قلت للنزلة لما * أن المت بلهاتي) (بحياتي خل حلقي * فهو دهليز حياتي) قلت هذان البيتان منسوبان إلى ابن الهبارية المقدم ذكره والله أعلم

93 وكان كلما نظر إلى نفسه على تلك الحال من الضعف والعجز عن القيام والقعود والصلاة وسائر الحركات ينشد (من يتمن العمر فليدرع * صبراً على فقد أحبائه) (ومن يعمر ير في نفسه * ما يتمناه لأعدائه) ثم وجدت هذين البيتين للظهير أبي إسحاق إبراهيم بن نصر بن عسكر قاضي السلامية المقدم ذكره في هذا الكتاب والله أعلم ذكر ذلك صاحبنا الكمال ابن الشعار الموصلي في كتابه عقود الجمان في ترجمة الظهير المذكور و هذا ينظر إلى قول أبي العلاء المعري (تدعو بطول العمر أفواهنا * لمن تناهى القلب في وده) (يسر إن مد بقاء له * وكل ما يكره في مده) والأصل في هذا قول لبيد بن ربيعة العامري (كانت قناتي لا تلين لغامز * فألانها الإصباح والإمساء) (ودعوت ربي بالسلامة جاهداً * ليصحني فإذا السلامة داء) ودخل عليه يوماً رجل من أهل الغرب يقال له ابو الحجاج يوسف وكان قريب العهد ببلاده ورد حلب في تلك الأيام وكان فاضلا في الأدب والحكمة فلما رآه على تلك الهيئة من الهزال والنحافة أنشده (لو يعلم الناس ما في أن تعيش لهم * بكوا

لأنك من ثوب الصـــبا عاري) (ولو أطاقوا انتقاصـــاً من حياتهم * لما فدوك بشيء غير أعمار)
94 فأعجبه ذلك ودمعت عيناه وشـــكر له وقال لي بعض أصـــحابنا ســـمعته يوماً وهو يحكي للجماعة الحاضـــرين عنده قال لما كنا في المدرســـة النظامية ببغداد اتفق أربعة خمسة من الفقهاء المشتغلين على استعمال حب البلاذر لأجل سرعة الحفظ والفهم فاجتمعوا ببعض الأطباء وسألوه عن مقدار ما يستعمل الإنسان منه وكيف يستعمله ثم اشتروا القدر الذي قال لهم الطبيب وشربوه في موضع خارج عن المدرســـة فحصـل لهم الجنون وتفرقوا وتشتتوا ولم يعلم ما جرى عليهم وبعد ايام جاء إلى المدرســـة واحد منهم وكان طويلاً وهو عريان ليس عليه شـــيء يســـتر عورته وعلى رأسه بقيار كبير له عذبة طويلة خارجة عن العادة وقد ألقاها وراءه فوصلت إلى كعبه وهو ساكت عليه الســـكينة والوقار لا يتكلم ولا يعبث فقام إليه من كان حاضـــراً من الفقهاء وســـألوه عن الحال فقال لهم كنا قد اجتمعنا وشربنا حب البلاذر فأما أصحابي فانهم جنوا وما ســـلم منهم إلا أنا وحدي وصـــار يظهر العقل العظيم والسكون وهم يضحكون منه وهو لا يشعر بهم ويعتقد أنه سالم مما أصاب أصحابه وهو على تلك الحالة لا يفكر فيهم ولا يلتفت إليهم وأخبرني جماعة مما كانوا عنده قبل وصـــولنا إليه أنه قدم عليه الأديب نظام الدين أبو الحســـن علي بن محمد بن يوســـف بن مســـعود القيســـي القرطبي

المعروف بابن خروف الشاعر المعروف فكتب إليه رسالة وفي أولها أبيات يستجديه فروة قرظ وهي (بهاء الدين والدنيا * ونور المجد والحسب) (طلبت مخافة الأنواء * من نعماك جلد أبي) (وفضلك عالم أني * خروف بارع الأدب) (حلبت الدهر أشطره * وفي حلب صفا حلبي)
95 ذو الحسب الباهر والنسب الزاهر يسحب ذيول سيراء السراء ويحب النحاة من أجل الفراء ويمن على الخروف النبيه بجلد أبيه قانيء الصباغ قريب عهد بالدباغ ما ضل طالب قرظه ولا ضاع بل ذاع ثناء صانعه وضاع أثيث خمائل الصوف يهزأ من الرياح بكل هوجاء عصوف إذا طهر إهابه يخافه البرد ويهابه ما في الثياب له ضريب إذ نزل الجليد والضريب ولا في اللباس له نظير إذا عري من ورقه الغصن النضير لا كطيلسان ابن حرب ولا جلد عمرو الممزق بالضرب كأنه من جلد حمل الجرباء الذي يراعي البدر والنجم لا من جلد السخلة الجرباء التي ترعى الشجر والنجم فرجي النوع أرجى الضوع ليكون تارة لحافاً وتارة برداً وهو في الحالين يحيى حراً ويميت برداً لا زال مهديه سعيداً ينجز للأولياء وعداً وللأعداء وعيداً إن شاء الله تعالى والسلام قلت وقد ذكرت في ترجمة أبي الفتح محمد سبط ابن التعاويذي رسالة كتبها إلى عماد الدين الكاتب الأصفهاني المقدم ذكره يطلب منه فروة قرظ أيضاً وكل واحدة من الرسالتين بديعة في بابها وفي هذه الرسالة كلام يحتاج إلى إيضاح وهو قوله لا كطيلسان ابن

حرب وهو مثل مشـــهور بين الأدباء فاذا كان الشـــيء بالياً شبهوه بطيلسان ابن حرب ولذلك سبب لا بد من ذكره وهو أن أحمد بن حرب ابن أخي يزيد المهلبي أعطى أبا علي إســـماعيل بن إبراهيم بن حمدويه البصـــري الحمدوي الشـاعر الأديب طيلسـاناً خليعاً فعمل فيه الحمدوي مقاطيع عديدة ظريفة ســـارت عنه وتناقلتها الرواة فمن ذلك قوله من أبيات

96 (يا ابن حرب كسوتني طيلساناً * مل من صحبة الزمان فصـدا) (طال ترداده إلى الرفو حتى * لو بعثناه وحده لتهدى) وقوله أيضـــاً من ابيات (لقد حالف الرفاء حتى كأنه * يحاول منه أن يعلمه الرفوا) وقوله أيضـــاً (يا ابن حرب كسـوتني طيلسـانا * أنحلته الأزمان فهو سقيم) (فإذا ما رفوته قال سبحانك * محيي العظام وهي رميم) وقوله أيضـــاً (يا ابن حرب أطلت وتري برفوى * طيلســـاناً قد كنت عنه غنيا) (فهو في الرفو آل فرعون في العرض * على النار بكرة وعشيا) وله فيه أيضاً ((رأينا طيلســـانك يا ابن حرب * يزيد المرء ذا الضـــعة اتضـاعا) (إذا الرفاء أصلح منه بعضـاً * تداعى بعضـه الباقي انصـداعا)) (يسلم صـاحبي فيقد شـبراً * به وأقد في ردي ذراعـا) (أجيـل الطرف في طرفيـه طولاً * وعرضاً ما ارى إلا رقاعا) (فلست أشك أن قد كان دهراً * لنوح في سفينته شـراعا) (وقد غنيت إذ أبصـرت منه * بقاياه على كتفي تداعى) (ققي قبل التفرق يا ضباعا *

ولا يك موقف منك الوداعا) وقال فيه أيضـــاً وكتبها إلى بعض الرؤســـــاء (دعني أبكي كســـوتي إذ ودعـت * فلأزمعن على البكا إذ أزمعت) (يا ابن الحسين أما ترى دراعتي * سملاً تردت بالبلى وتدرعت)
97 (فيها من التمزيق ما لو أنه * مرت بها ريح الصـــبا لتقشـــعت) (تحكي تخرق طيلســـاني إنها * منه تعلمت البلى فتضـعضـعت) (لا فرج الرحمن عنه إنه * أعدى ثيابي كلها فتقطعت) (فلتحمد الله الجبال فإنها * لو قارنته تخشـــعت وتصـــدعت) (وله فيه أيضـــاً (يا ابن حرب كسوتني طيلسانا * يزرع الرفو فيه وهو سباخ) (مات رفاؤه ومات بنوه * وبدا الشـيب في بنيهم وشــاخوا) وقال فيه أيضاً (طيلسان لو كان لفظاً إذن ما * شك خلق في أنه بهتان) (فهو كالطور إذ تجلى له الله فدكت قواه والأركـــان) (كم رفونـــاه إذ تمزق حتى * بقي الرفو وانقضـــى الطيلســـان) وله فيه أيضـــاً (يا ابن حرب إني أرى في زوايا * بيتنا مثل من كسوت جماعه) (طيلسان رفوته ورفوت الرفو منه وقد رقعت رقاعه) (فأطاع البلى فصـــار خليعاً * ليس يعطي الرفاء في الرفو طاعه) (فإذا ســـائل رآني فيه * ظن أني فتى من أهل الصـــناعة) (وله فيه أيضاً (قل لابن حرب طيلسانك * قوم نوح منه أحدث) (هو طيلســـــان لم يزل * عمن مضـــــى من قبل يورث) (فإذا العيون لحظنه * فكأنه باللحظ يحرث))

يودي إذا لم أرفه * فإذا رفوت فليس يلبث) (كالكلب إن تحمل عليه الدهر أو تتركه يلهث)
98 ويقال إنه عمل في هذا الطيلسان مائتي مقطوع في كل مقطوعة معنى بديع (وكان الأصل الذي حمل الحمدوي المذكور على عمل هذه المقاطيع أنه وقف على أبيات عملها أبو حمران السلمي بضم الحاء المهملة في طيلسانه وكان قد أخلق حتى بلي فقال فيه (يا طيلسان أبي حمران قد برمت * منك الحياة فما تلتذ بالعمر) (في كل يومين رفاء يجدده * هيهات ينفع تجديد مع الكبر) (إذا ارتداه لعيد أو لجمعته * تنكب الناس لا يبلى من النظر) وهذا البيت الثالث أخذه من قول النظام بفتح النون وتشديد الظاء المعجمة أبي إسحاق إبراهيم بن سيار البلخي المتكلم المعتزلي في وصف غلام رقيق البشرة (رق فلو بزت سرابيله * علقه الجو من اللطف) (يجرحه الناس بألحاظهم * ويشتكي الإيماء بالكف) وأنشدني بعض الأدباء بمدينة الموصل في شهر رمضان سنة ست وعشرين وستمائة في هذا المعنى لبعض الشعراء (توهمها طرفي فأصبح خدها * وفيه مكان الوهم من نظري أثر) (وصافحها قلبي فأدمى بنانها * فمن لمس قلبي في أناملها عقر) وأنشدني الشيخ أيدمر الصوفي المسمى إبراهيم لنفسه دوبيت في هذا المعنى (كلفت صبا العراق لما خطرت * أن تحمل لي تحية ما قدرت) (قالت لي خيفتي على وجنته * إن جزت بها جرحتها فاعتذرت)

ولبعض الأدباء الفقراء من جملة أبيات شكا فيها رقة حاله ورثاثة ثيابه ما يقرب من هذا المعنى وهو قوله (ولي ثياب رثاث لست أغسلها * أخاف أعصرها تجري مع الماء)

99 وقد قيل في هذا المعنى شيء كثير والاختصار أولى والله أعلم وأما قوله ولا جلد عمرو الممزق بالضرب فيريد قول النحاة ضرب زيداً عمراً فإنهم أبداً يستعملون هذا المثال ولا يمثلون بغيره فكأنهم يمزقون جلده بكثرة الضرب عدنا إلى ما كنا عليه وكان القاضي أبو المحاسن المذكور يسلك طريق البغاددة في ترتيبهم وأوضاعهم وحتى إنه كان يلبس ملبوسهم والرؤساء الذين يترددون إليه كانوا ينزلون عن دوابهم على قدر أقدارهم لكل واحد منهم مكان معين لا يتعداه ثم إنه تجهز إلى الديار المصرية لإحضار ابنة الملك الكامل ابن الملك العادل للملك العزيز صاحب حلب وكان قد عقد نكاحه عليها فسافر في أول سنة تسع وعشرين أواخر سنة ثمان وعشرين وستمائة وعاد وقد جاء بها في شهر رمضان من السنة ولما وصل كان قد استقل الملك العزيز بنفسه ورفعوا عنه الحجر ونزل الأتابك طغرل من القلعة إلى داره تحت القلعة واستولى على الملك العزيز جماعة من الشباب الذي كانوا يعاشرونه ويجالسونه فاشتغل بهم ولم ير القاضي أبو المحاسن وجهاً يرتضيه فلازم داره إلى حين وفاته وهو باق على الحكم وإقطاعه جار عليه غاية ما في الباب أنه

لم يبق له حديث في الدولة ولا كانوا يراجعونه في الأمور فصار يفتح بابه لإسماع الحديث كل يوم بين الصلاتين وظهر عليه الخرف بحيث إنه صار إذا جاءه الإنسان لا يعرفه وإذا عاد قام يسأل عنه ولا يعرفه واستمر على هذه الحال مديدة ثم مرض أياماً قلائل وتوفي يوم الأربعاء رابع عشر صفر سنة اثنتين وثلاثين وستمائة رحمه الله تعالى بحلب ودفن في التربة المقدم ذكرها وحضرت الصلاة عليه ودفنه وما جرى بعد ذلك (وصنف كتاب ملجأ الحكام عند التباس الأحكام يتعلق بالأقضية في مجلدين وكتاب دلائل الأحكام تكلم فيه على الأحاديث المستنبط

100 منها الأحكام في مجلدين وكتاب الموجز الباهر في الفقه وغير ذلك وكتاب سيرة صلاح الدين ابن أيوب رحمه الله تعالى وجعل داره خانقاه للصوفية لأنه لم يكن له وارث ولازم الفقهاء والقراء تربته مدة طويلة يقرأون عند قبره وكان قد قرر قدام كل واحد من الشباكين المذكورين اللذين للتربة سبعة قراء وكان غرضه أن يقرأ عنده كل ليلة ختمة كاملة فكان كل واحد من القراء الأربعة عشر يقرأ نصف سبع بعد صلاة العشاء الآخرة وفارقت حلب متوجهاً إلى الديار المصرية في الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وستمائة والأمور جارية على هذه الأوضاع ثم بعد ذلك تغيرت تلك الأمور وانتقضت قواعدها وزال جميع ذلك على ما بلغني (382

) وتوفي الشيخ نجم الدين ابن الخباز المذكور في السابع

من ذي الحجة سنة إحدى وثلاثين وستمائة بحلب ودفن ظاهرها خارج باب أربعين وحضرت الصلاة عليه ودفنه رحمه الله تعالى وكان مولده في التاسع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة سبع وخمسين وخمسمائة بالموصل (383) وتوفي الأتابك شهاب الدين طغرل المذكور ليلة الإثنين الحادية عشرة من محرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة بحلب ودفن بمدرسته الحنفية خارج باب أربعين وكان خادماً أرمني الجنس أبيض حسن السيرة محمود الطريقة وحضرت الصلاة عليه ودفنه رحمه الله تعالى (384) وتوفي أبو الحسن ابن الخروف الأديب المذكور بحلب في سنة أربع وستمائة متردياً في جب

101 يوسف بن عمر الثقفي أبو عبد الله يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود الثقفي وقد تقدم ذكر بقية نسبه في ترجمة الحجاج بن يوسف الثقفي فإنه ابن ابن عم الحجاج يجتمعان في الحكم بن أبي عقيل قال خليفة بن خياط ولى هشام بن عبد الملك يوسف بن عمر اليمن فقدمها لثلاث بقين من شهر رمضان سنة ست ومائة فلم يزل والياً بها حتى كتب إليه هشام في سنة عشرين ومائة بولايته على العراق فاستخلف على اليمن ابنه الصلت ابن يوسف وقال البخاري كانت ولاية يوسف بن عمر العراق سنة إحدى وعشرين ومائة إلى سنة أربع وعشرين وقال غيره لما أراد هشام بن عبد الملك صرف خالد بن عبد الله القسري عن العراق كان قد جاءه رسول

يوسف ابن عمر الثقفي من اليمن فدعا هشام بالرسول
وقال له إن صاحبك قد تعدى طوره وسأل فوق قدره وأمر
بتخريق ثيابه وضربه أسواطاً وقال له امض إلى صاحبك
فعل الله به وصنع ودعا بسالم اليمامي مولى سالم بن
عنبسة بن عبد الملك وكان على ديوان الرسائل وقال له
اكتب إلى يوسف ابن عمر بشيء أمره به واعرض الكتاب
علي فمضى سالم ليكتب ما أمره به وخلا هشام بنفسه
وكتب كتاباً صغيراً بخطه إلى يوسف بن عمر
102 وفيه سر إلى العراق فقد وليتك إياه وإياك أن
يعلم بك أحد واشفني من ابن النصرانية يعني خالداً ومن
عماله وأمسك الكتاب بيده وحضر سالم بالكتاب الذي كتبه
وعرضه عليه فغافله وجعل الكتاب الصغير في طية
وختمه ودفعه إلى سالم وقال له ادفعه إلى رسول يوسف
ففعل ذلك وانفصل الرسول فلما وصل إلى يوسف قال له
ما وراءك قال الشر أمير المؤمنين ساخط عليك وقد أمر
بتخريق ثيابي وضربي ولم يكتب جواب كتبك وهذا كتاب
بخط صاحب الديوان ففض الكتاب وقرأه فلما بلغ إلى
آخره وقف على الكتاب الصغير فاستخلف ابنه الصلت
وسار إلى العراق وقد كان يخلف سالماً الكاتب على ديوان
الرسائل بشير بن أبي طلحة من أهل الأردن وكان فطناً
فلما وقف على ما كان من هشام قال هذه حيلة وقد ولى
يوسف بن عمر العراق فكتب إلى عياض عامل أجمة سالم
وكان واداً له إن أهلك قد بعثوا إليك بالثوب اليماني فإذا

أتاك فالبسه واحمد الله تعالى وأعلم طارقاً بذلك وكان عامل خالد بن عبد الله القسري على الكوفة وما يليها ثم ندم بشير على ما كان منه فكتب إلى عياض إن القوم قد بدا لهم في البعثة إليك بالثوب اليماني فعرف عياض أيضاً طارقاً بذلك فقال طارق الخبر في الكتاب الأول ولكن صـــاحبك ندم وخاف أن يظهر أمره وركب من ســـاعته إلى خالد فخبره الخبر فقال له فما ترى قال أرى أن تركب من ساعتك هذه إلى أمير المؤمنين فإنه إذا رآك استحيا منك وزال شيء إن كان في نفســـه عليك فلم يقبل ذلك فقال له فتأذن لي أن أصير إلى حضرته وأضمن له مال جميع هذه السنة قال وما مبلغ ذلك قال مائة ألف ألف درهم وآتيك بعهدك قال ومن أين هذه الأموال والله ما أملك عشرة آلاف درهم فقال أتحمل أنا وســعيد بن راشـد أربعين ألف ألف درهم وكان سعيد يتقلد سقي الفرات والزينبي وابان بن الوليد عشرين ألف ألف درهم ونفرق الباقي على باقي العمال فقال له إني إذاً للئيم أن أسوغ قوماً شيئاً ثم ارجع عليهم

103 به فقال له إنما نقيك ونقي أنفسنا ببعض أموالنا وتبقى النعمة عليك وعلينا بك ونســتأنف طلب الدنيا خير من أن نطالب بالأموال وقد حصلت عند تجار أهل الكوفة فيتقاعسوا عنا ويتربصوا بنا فنقتل وتذهب أنفسنا وتحصل الأموال لهم يأكلونها فأبى خالد ذلك عليه فودعه وقال هذا آخر العهد بك ووافاهم يوســف بن عمر فمات طارق في العذاب ولقي خالد وجميع عماله كل شـــر ومات منهم في

العذاب بشر كثير وكان ما استخرج يوسف من خالد وأسبابه تسعين ألف ألف درهم قلت وقد تقدم طرف من خبر خالد بن عبد الله القسري في ترجمته فتطلب منه وقد تقدم في ترجمة عيسى بن عمر الثقفي النحوي ذكر يوسف ابن عمر المذكور وما جرى له معه في الوديعة وقال أبو بكر أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري في كتاب أنساب الأشراف وأخبارهم إن هشام بن عبد الملك كان قد تغير على خالد بن عبد الله القسري أمير العراق لأمور نقلت عنه فحقد عليه منها كثرة أمواله وأملاكه ومنها أنه كان يطلق لسانه في حق هشام بما يكرهه وغير ذلك من الأسباب فعزم على عزله وأخفى ذلك وكان يوسف بن عمر الثقفي عامله على اليمن فكتب هشام إليه بخطه يأمره أن يقبل في ثلاثين من أصحابه إلى الكوفة وكتب مع الكتاب بعهده على العراق فخرج يوسف حتى صار إلى الكوفة في سبعة عشر يوماً فعرس قريباً منها وقد ختن طارق خليفة خالد القسري على الخراج ولده فأهدي إليه ألف عتيق وألف وصيف وألف وصيفة سوى المال والثياب وغير ذلك فجاء رجل إلى طارق فقال له إني رأيت قوماً أنكرتهم وزعموا أنهم سفار وصار يوسف بن عمر إلى دور بني ثقيف فأمر بعض الثقفيين فجمع له من قدر عليه من مضر ففعل فدخل يوسف المسجد مع الفجر فأمر المؤذن بالإقامة فقال حتى يأتي الإمام

104 فانتهره فأقام وتقدم يوسف فصلى وقرأ (^ إذا وقعت الواقعة) الواقعة 1 و (^ سأل سائل) المعارج 1 ثم أرسل إلى خالد وطارق وأصحابهما فأخذوا وإن القدور لتغلي وقال أبو عبيدة حبس يوسف خالداً فصالحه أبان بن الوليد عنه وعن أصحابه على تسعة آلاف ألف درهم ثم ندم يوسف وقيل له لو لم تقبل هذا المال لأخذت منه مائة ألف ألف درهم فقال ما كنت لأرجع عن شيء رهنت به لساني وأخبر أصحاب خالد خالداً فقال أسأتم حين أعطيتموه هذا المال في أول وهلة ما يؤمنني أن يأخذها ثم يرجع عليكم فارجعوا إليه فأتوه فقالوا إنا أخبرنا خالداً بما فارقناك عليه من المال فذكر أنه ليس عنده فقال أنتم أعلم وصاحبكم فأما أنا فلا أرجع عليكم وإن رجعتم لم أمنعكم قالوا فإنا قد رجعنا قال فوالله لا أرضى بتسعة آلاف ألف ولا بمثلها ومثلها فذكر ثلاثين ألف ألف ويقال مائة ألف ألف وقال أشرس مولى بني اسد وكان تاجراً ليوسف بن عمر أتانا كتاب هشام فقرأه يوسف فكتمنا ما فيه وقال أريد العمرة فخرج وأنا معه واستخلف ابنه الصلت على اليمن فما كلم أحداً منا بكلمة واحدة حتى انتهى إلى العذيب فأناخ وقال يا أشرس أين دليلك فقلت هو ذا فسأله عن الطريق فقال هذه طريق المدينة و هذه طريق العراق فقلت والله ما هي بأيام عمرة فلم يتكلم حتى أناخ بين الحيرة والكوفة في بعض الليل ثم استلقى على ظهره ورفع إحدى رجليه على الأخرى وقال (فما لشتنا العيس أن قذفت بنا * نوى غربة

والعهد غير قديم) ثم قال يا اشــرس ابغني إنســاناً أســائله
فأتيته برجل فقال ســـله عن ابن النصـــرانية يعني خالداً
القســـري فقلت ما فعل خالد قال في الحمة اشـــتكى فخرج
إليها فقال ســـله عن طارق فقال ختن بنيه فهو يطعم الناس
بالحيرة وخليفته عطية بن مقلاص يطعم الناس بالكوفة
105 قال خل عن الرجل ثم ركب فأناخ بالرحبة
ودخل المسجد فصلى يوسف ثم استلقى على ظهره فمكثنا
ليلاً طويلاً ثم جاء المؤذنون وزياد بن عبيد الله الحارثي
يومئذ على الكوفة خليفة لخالد فأذنوا ثم سلموا وخرج زياد
فأقيمت الصـلاة فذهب زياد ليتقدم فقال يوسـف يا أشـرس
نحه فقلت يا زياد تأخر الأمير فتأخر زياد وتقدم يوســـف
وكان حسن القراءة فصيحاً فقرأ (إذا وقعت الواقعة) (^
سأل سائل بعذاب واقع) فصلى الفجر وتقدم القاضي فحمد
الله وأثنى عليه ودعا للخليفة وقال ما اســـم أميركم فأخبر
فدعا له بالصـــلاح فما تفرق أهل الصـــلاة حتى جاء الناس
ولم يبرح يوســـف حتى بعث إلى خالد وإلى ابان بن الوليد
بفارس وإلى بلال بن أبي بردة بالبصـــرة وإلى عبد الله بن
أبي بردة بســـجســـتان وأمر هشـــام أن تعزل عمال خالد
جميعهم إلا الحكم بن عوانة وكان على الســـند فأقره حتى
قتل هو وزيد بن علي في يوم واحد قتله ناكهر ولما أتى
خالد قيل له الأمير يوسف قال دعوني من أميركم أحي هو
أمير المؤمنين قيل نعم فقال لا بأس علي فلما قدم بخالد
على يوســف حبســه وضــرب يزيد بن خالد ثلاثين ســوطاً

فكتب هشام إلى يوسف أعطي الله عهداً لئن شاكت خالداً شوكة لأضربن عنقك فخل سبيله بثقله وعياله فأتى الشام فلم يزل مقيماً به يغزو الصوائف حتى مات هشام وقيل إن يوسف استأذن هشاماً في بسط العذاب على خالد فلم يأذن له حتى ألح عليه بالرسل واعتل بانكسار الخراج لما صار إليه وإلى عماله منه فإذن له فيه مرة واحدة وبعث حرسياً يشهد ذلك وحلف لئن أتى على خالد أجله ليقتلنه به فدعا به يوسف وجلس على دكان بالحيرة وحضر الناس وبسط عليه العذاب فلم يكلمه خالد حتى شتمه يوسف وقال يا ابن الكاهن يعني شقاً أحد أجداد خالد وهو الكاهن المشهور قلت كما تقدم في ترجمة خالد قال فقال له خالد إنك لأحمق تعيرني بشرفي لكنك ابن السباء إنما كان أبوك يسبأ الخمر قلت معناه يبيع الخمر قال ثم رد خالداً إلى محبسه فأقام ثمانية عشر شهراً ثم كتب إليه هشام

106 يأمره بتخلية سبيله في شوال سنة إحدى وعشرين ومائة وخرج خالد ومعه جماعة من أهله وغيرهم حتى أتى القرية وهي من أرض الرصافة فأقام بها بقية شوال وذا القعدة وذا الحجة والمحرم وصفر لا يأذن له هشام في القدوم عليه قال الهيثم بن عدي وخرج زيد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه على يوسف بن عمر فكتب يوسف إلى هشام إن أهل هذا البيت من بني هاشم قد كانوا هلكوا جوعاً حتى كانت همة أحدهم قوت يومه فلما ولي خالد

العراق قواهم بالأموال حتى تاقت أنفسهم إلى طلب الخلافة وما خرج زيد إلا بإذن خالد وما مقامه بالقرية إلا لأنها مدرجة الطريق فهو يسأل عن أخباره فقال هشام للرسول كذبت وكذب صـــاحبك ومهما اتهمنا به خالداً فإنا لا نتهمه في طاعته وأمر بالرســـول فوجئت عنقه وبلغ الخبر خالداً فصار إلى دمشق وقال أبو الحسن المدائني أمر يوسف بن عمر ببلال بن أبي بردة بن أبي موســى الأشـعري رضـي الله عنه وكان بلال عامل خالد القسري على البصرة فعذب فضمن ثلثمائة ألف درهم وأخذ منه كفلاء فأخفرهم وهرب إلى الشام فيقال إن غلامه أراد أن يشتري له دراجاً فعرف ويقال بل شوى له غلامه دراجاً فأحرقه فضربه فسعى به فأتي به يوســف بن عمر فأمر به فأقيم في الشـــمس فقال أدنوني من أمير المؤمنين فله علي ما طلب فابى ورده إلى يوســف فعذبه حتى قتله وقال أخوه عبد الله بن أبي بردة للسـجان ارفع اسـمي في الموتى فرفعه فقال يوسـف أرنيه ميتاً فغمه السجان حتى مات ويقال بل كان بلال الذي سأل السجان رفع اسمه في الموتى والمقتول في العذاب عبد الله والله أعلم بذلك وقال يونس النحوي ما قتل بلالاً إلا دهاؤه سأل السجان أن يرفع اسمه في الموتى

107 ويعطيه مالاً فقال يوسـف اعرض الموتى علي فغمه حتى مات وعرضـــه عليه ميتاً وقال المدائني ولى يوســـف بن عمر صـــالح بن كريز ولاية فخرجت عليه ثلاثون ألفاً فحبس بها وبلال بن أبي بردة يومئذ محبوس

فقال له بلال إن على العذاب سـالما ويلقب رتبيل فإياك أن تقول له رتبيل فإنه يكره ذلك وجعل بلال يردد عليه القول في ذلك فعذبه سـالم فنسـي اسـمه وكنيته وجعل يقول له يا رتبيل اتق الله يا رتبيل اتق الله وكرر عليه القول في ذلك من ألم العذاب وهو يقول اقتل من غيظه عليه فلما خلي عنه قال له بلال الم أنهك عن رتبيل فقال وهل أوقعني في رتبيل غيرك أنا ما كنت أعرف رتبيل لولا أنت وما تدع شرك في سراء ولا ضراء وقال المدائني ايضاً كان على شرط يوسف بن عمر العباس بن سعد المري وكان كاتبه قحذم بن سـليمان بن ذكوان وزياد بن عبد الرحمن مولى ثقيف وعلى حرسـه وحجابته جندب وفيه يقول الشـاعر (أتانا أمير شـديد النكال * لحاجب حاجبه حاجب) وقال الحافظ أبو القاسـم ابن عسـاكر في تاريخ دمشـق بلغني أن يوسـف بن عمر كان قد أخذ مع آل الحجاج بن يوسـف الثقفي ليعذب ويطلب منه المال فقال أخرجوني لأسأل فدفع إلى الحارث بن مالك الجهضـمي يطوف به وكان مغفلاً فانتهى به إلى دار لها بابان فقال يوسـف دعني أدخل هذه الدار فإن فيها عمة لي أسـألها فأذن له فدخل وخرج من الباب الآخر وهرب وذلك في خلافة سليمان بن عبد الملك وكان يوسف يسلك طرائق ابن عم أبيه الحجاج بن يوسف في الصـرامة والشـدة في الأمور وأخذ الناس بالمشـاق ولم يزل على ذلك إلى حين عزله وذكر عمر بن شبة النميري

في كتاب أخبار البصــرة أن يوســف بن عمر وزن درهماً فنقص حبة فكتب إلى دور الضرب بالعراق فضرب
108 أهلها فأحصـــي في تلك الحبة مائة ألف ســـوط ضـربها الناس وكان يوسف مذموماً في عمله أخرق سـيء السيرة وكان جواداً فكان يطعم الناس على خمسمائة خوان أقصــاها وأدناها سـواء يأكل منها الشــامي والعراقي وعلى كل خوان فرنية عليها الســكر فنفد الســكر من فرنية فتكلم أهلها فضــــرب الخباز ثلثمائة ســـوط والناس يأكلون فكان الخباز يتخذ الخرائط فيها الســـكر فكلما نفد زادوا وروى الحكم بن عوانـة الكلبي عن أبيـه قـال لم يؤيـد الملك بمثل كلب ولم تعل المنابر بمثل قريش ولم تطلب الترات بمثل تميم ولم ترع الرعايا بمثل ثقيف ولم تسد الثغور بمثل قيس ولم تهج الفتن بمثـل ربيعـة ولم يجبـب الخراج بمثـل اليمن وقال الأصــمعي قال يوســف بن عمر لرجل ولاه عملاً يا عدو الله أكلت مال الله فقال له فمال من آكل منذ خلقت وإلى الســاعة والله لو ســألت الشــيطان درهماً واحداً ما أعطانيه وكان يوسـف بن عمر قد اسـتعمل على خراسـان نصـر بن سيار الليثي وبقي إلى آخر ايام بني أمية وقضـاياه ووقائعه مع أبي مسلم الخراساني مشهورة في مواضعها وفيه وفي يوسـف يقول سـوار بن الأشـعر (أضـحت خراسـان بعد الخوف آمنة * من ظلم كل غشوم الحكم جبار) (لما أتى يوسفاً أخبار ما لقيت * اختار نصـراً لها نصـر بن سيار) وقال سـماك بن حرب بعث إلي يوسـف بن عمر وهو أمير

العراق أن عاملاً لي كتب إلي إني قد زرعت لك كل خق ولق فما هما فقلت إن الخق ما اطمأن من الأرض واللق ما ارتفع منها انتهى كلامه قلت وذكر الجوهري في كتاب الصحاح أن الخق الغدير إذا جف وتقلع واللق الشق المستطيل وقيل الخق حفرة غامضة في الأرض والخق بضم الخاء المعجمة وتشديد القاف واللق بضم اللام وتشديد القاف والله أعلم

109 وكان يوسف بن عمر من أعظم الناس لحية وأصغرهم قامة كانت لحيته تجوز سرته وكان يضرب به المثل في التيه والحمق وذكر ذلك حمزة الأصبهاني في كتاب الأمثال فقال قولهم أتيه من أحمق ثقيف هو يوسف ابن عمر كان أتيه أحمق عربي أمر ونهى في دولة الإسلام فمن حمقه أن حجاماً أراد أن يحجمه فارتعدت يده فقال لحاجبه قل لهذا البائس لا تخف وما رضي أن يقول له بنفسه وكان الخياط إذا أراد أن يفصل ثيابه فإن قال يحتاج إلى زيادة ثوب آخر أكرمه وحباه وإن فضل شيء أهانه وأقصاه لأنه يكون قد نبه على قصره ودمامته واستمر يوسف على ولاية العراق بقية مدة هشام بن عبد الملك فلما توفي في يوم الأربعاء لست خلون من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة بالرصافة من أرض قنسرين وبها قبره وكان عمره خمساً وخمسين سنة وقيل أربعاً وخمسين وقيل اثنتين وخمسين سنة والله أعلم وكنيته أبو الوليد تولى ابن أخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك بعده فأقر يوسف ابن

عمر على ولايته بالعراق وقتل الوليد المذكور يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة وكان قد عزم على عزل يوسف ابن عمر وتولية عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف الثقفي وكانت أم الوليد بن يزيد المذكور أم الحجاج بنت محمد بن يوسف فالحجاج عمها فكتب الوليد إلى يوسف بن عمر إنك قد كنت كتبت إلي تذكر أن خالد بن عبد الله القسري أخرب العراق وكنت مع ذلك تحمل إلى هشام ما تحمل وينبغي أن تكون قد عمرت البلاد حتى رددتها إلى ما كانت عليه فاشخص إلينا وصدق ظننا بك فيما تحمله إلينا بعمارتك البلاد حتى نعرف فضلك على غيرك لما بينا وبينك من القرابة فانك خالنا وأحق الناس بالتوفير علينا وقد علمت ما زدنا لأهل الشام في العطاء وما وصلنا أهل بيتنا به لجفوة هشام إياهم حتى أضر ذلك ببيوت الأموال

110 فخرج يوسف بن عمر بنفسه إلى الوليد بن يزيد وحمل من الأموال والأمتعة والآنية ما لم يحمل من العراق مثله فقدم وخالد بن عبد الله القسري محبوس فلقيه حسان النبطي ليلاً وأخبره أن الوليد قد عزم على تولية عبد الملك بن محمد بن الحجاج وأنه لا بد له من إصلاح أمر وزرائه فقال يوسف ليس عندي شيء فقال له حسان عندي خمسمائة ألف درهم فإن شئت فهي لك وإن شئت فارددها إذا تيسرت فقال له يوسف أنت أعلم بالقوم ومنازلهم من الوليد ففرقها على قدر علمك فيهم ففعل فقدم يوسف والقوم

يعظمونه وقرر يوســـف بن عمر مع أبان بن عبد الرحمن النميري أن يشتري خالد بن عبد الله القسري بأربعين ألف ألف درهم فقال الوليد ليوســـف ارجع إلى عملك فقال أبان له ادفع إلي خالداً وأدفع إليك أربعين ألف ألف درهم فقال الوليد ومن يضمن عنك هذا المال فقال يوسف فقال ليوسف أتضـمن عنه فقال يوسـف ادفعه إلي فأنا أسـتأديه خمسـين ألف ألف درهم فدفعه إليـه فحملـه في محمـل بغير وطـاء وقدم به إلى العراق فقتله كما شرحته في ترجمته ولما قتل الوليد بن يزيد وتولى بعده ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك وأطاعه أهل الشـــام وانبرم له الأمر ندب لولاية العراق عبد العزيز بن هارون ابن عبد الملك بن دحية بن خليفة الكلبي فقال له عبد العزيز لو كان معي جند لقبلت فتركه وولاها منصور بن جمهور وأما أبو مخنف فإنه قال قتل الوليد بن يزيد بالبخراء في التـاريخ المذكور وبويع يزيد بن الوليد بدمشـــق وســـار منصـــور بن جمهور من البخراء في اليوم الذي قتل فيه الوليد إلى العراق وهو سابع سـبعة فبلغ خبره يوسـف بن عمر فهرب وقدم منصـور بن جمهور الحيرة في أيام خلت من رجب فأخذ بيوت الأموال وأخرج العطـاء لأهـل العطـاء والأرزاق وولى العمـال بالعراق وأقام بقية أيام رجب وشعبان ورمضان وانصرف لأيام بقيت منه ولما هرب يوســف بن عمر ســلك طريق الســـماوة حتى أتى إلى البلقاء فاســـتخفى بها وكان أهله مقيمين فيها فلبس زي النساء وجلس بينهن

111 وبلغ يزيد بن الوليد خبره فأرسـل إليه من يحضـره فوصلوا إليه فوجدوه بعد أن فتشوا عليه كثيراً جالساً على تلك الهيئة بين نسائه وبناته فجاء به في وثاق فحبسه يزيد عند الحكم وعثمان ابني الوليد بن يزيد وكان يزيد ابن الوليد قد حبسهما عند قتله أباهما في الخضراء وهي دار بدمشق مشهورة قبلي جامعها وقد خربت الآن ومكانها معروف عندهم ثم إن يزيد بن الوليد عزل منصور بن جمهور عن ولاية العراق وولاها عبد الله بن عمر بن عبد العزيز فأقام يوسف بن عمر في السجن بقية مدة يزيد بن الوليد إلى أن مات في ذي الحجة على الخلاف الكثير فيه هل مات في أول الشهر أو في عاشره أو بعد العاشر أو في سلخ ذي القعدة سنة ست وعشرين ومائة وجعل ولي عهده أخاه إبراهيم بن الوليد ومن بعده عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك واستمر يوسف بن عمر في سجنه مدة ولاية إبراهيم بن الوليد فجاء مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية بأهل الجزيرة الفراتية وقنسرين وغلب على الأمر وخلع إبراهيم بن الوليد وتولى مكانه وقتل عبد العزيز بن الحجاج ابن عبد الملك وكانت ولاية إبراهيم أربعة أشهر وخلع في شهر ربيع الآخر سنة سبع وعشرين ومائة وقيل كانت ولايته سبعين يوماً لا غير وكان يزيد بن خالد بن عبد الله القسري مع إبراهيم بن الوليد فلما ظهر أمر مروان بن محمد والتقى عسكره وعسكر إبراهيم وهرب عسكر إبراهيم ودخلوا دمشق ومروان وراءهم

خـافـت جمـاعـة إبراهيم أن يـدخـل مروان فيخرج الحكم وعثمـان ابني الوليد من الســـجن ويجعـل لهمـا الأمر فلا يســـتبقيا أحداً ممن أعان على قتل أبيهما فأجمع رأيـهم على قتلهما فأرسـلوا يزيد بن خالد القســري ليتولى فانتدب يزيد المذكور مولى أبيه وهو أبو الأسد في جماعة من أصـحابه فدخلوا السـجن وشـدخوا الغلامين بالعمد وأخرجوا يوسـف بن عمر فضربوا عنقه لكونه قتل خالد ابن عبد الله القسري والد يزيد المذكور كما شـــرحناه في ترجمة خالد وذلك في سنة سبع وعشـرين ومائة وهو ابن نيف وستين سنة ولما قتل أخذوا رأســه عن جسـده وشـدوا في رجليه حبلا فجعل الصبيان يجرونه

112 في شـوارع دمشـق فتمر المرأة به فترى جسـداً صـغيراً فتقول في أي شـيء قتل هذا الصـبي المسكين لما ترى من صـغر جثته قال بعضـهم رأيت يوسـف بن عمر وفي مذاكيره حبل وهو يجر بدمشق ثم رأيت بعد ذلك يزيد ابن خالد القســـري قاتله وفي مذاكيره حبل وهو يجر في ذلك الموضـــع وقد قيل إنه قتل في العشــر الوســط من ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة والله أعلم 844 يوسف بن تاشـــفين أبو يعقوب يوســـف بن تاشـــفين اللمتوني أمير المســـلمين وملك الملثمين وهو الذي اختط مدينة مراكش وقد تقدم في ترجمة المعتمد محمد بن عباد والمعتصـــم محمد بن صـمادح الملكين ببلاد الأندلس طرف من أخباره وما جرى لهما معه وكيف أخذ بلادهما واستأسر ابن عباد

وحبسه في أغمات وقد استوفيت الكلام عليه هناك ونبهت عليه الآن ليعلم الواقف عليه أن هذا الملك هو ذلك وأنه عظيم الشان كبير السلطان ذكر أرباب التواريخ شيئاً من أحواله فاخترت في هذا الكتاب ما وجدته في كتاب المعرب عن سيرة ملك المغرب لأنه أوعب في حديثه من غيره لكنه لم يذكر مؤلفه حتى أذكره غير أنه قال في أول النسخة التي

113 نقلت منها هذا الفصل إنه كتبها في سنة تسع وسبعين وخمسمائة وفرغ منها في غرة ذي القعدة من السنة بالموصل وهو في مجلد واحد لطيف فاخترت منه مقتضباً ما مثاله كان بر المغاربة الجنوني لقبيلة تسمى زنانة برابر فخرج عليهم من جنوبي المغرب من البلاد المتاخمة لبلاد السودان الملثمون يقدمهم أبو بكر ابن عمر منهم وكان رجلاً ساذجاً خير الطباع مؤثراً لبلاده على بلاد المغرب غير ميال إلى الرفاهية وكانت ولاة المغرب من زنانة ضعفاء لم يقاوموا الملثمين فأخذوا البلاد من أيديهم من باب تلمسان إلى ساحل البحر المحيط فلما حصلت البلاد لأبي بكر ابن عمر المذكور سمع أن عجوزاً في بلاده ذهبت لها ناقة في غارة فبكت وقالت ضيعنا أبو بكر ابن عمر بدخوله إلى بلاد المغرب فحمله ذلك على أن استخلف على بلاد المغرب رجلاً من أصحابه اسمه يوسف بن تاشفين ورجع إلى بلاده الجنوبية وكان يوسف هذا رجلاً شجاعاً عادلاً مقداماً اختط بالمغرب مدينة مراكش

وكان موضعها مكمناً للصوص وكان ملكاً لعجوز مصمودية تمدنه منها فلما تمهدت له البلاد تاق إلى العبور إلى جزيرة الأندلس وكانت محصنة بالبحر فأنشأ شواني ومراكب وأراد العبور إليها فلما علم ملوك الأندلس بما يروم من ذلك أعدوا له عدة من المراكب والمقاتلة وكرهوا إلمامه بجزيرتهم إلا أنهم استهولوا جمعه واستصعبوا مدافعته وكرهوا أن يصبحوا بين عدوين الفرنج من شماليهم والملثمون من جنوبيهم وكانت الفرنج تشد وطأتها عليهم إلا أن ملوك الأندلس كانت ترهب الفرنج باظهار تشد موالاتهم لملك المغرب يوسف بن تاشفين وكان له اسم كبير لنقله دولة زناته وملك الغرب إليه في اسرع وقت وكان قد ظهر لأبطال الملثمين في المعارك ضربات بالسيوف تقد الفارس وطعنات تنظم الكلى فكان لهم بذلك ناموس ورعب في قلوب المنتدبين لقتالهم وكان ملوك الأندلس يفيئون إلى ظل يوسف بن تاشفين ويحذرونه على

114 ملكهم مهما عبر إليهم وعاين بلادهم فلما رأوا عزيمته متقدمة على العبور أرسل بعضهم إلى بعض وكاتبوهم يستنجدون آراءهم في أمره وكان مفزعهم في ذلك إلى المعتمد بن عباد لأنه كان أشجع القوم وأكبرهم مملكة فوقع اتفاقهم على مكاتبته وقد تحققوا أنه يقصدهم يسألونه الإعراض عنهم وأنهم تحت طاعته فكتب عنهم كاتب من أهل الأندلس كتابا هو أما بعد فانك إن أعرضت

عنا نسبت إلى كرم ولم تنسب إلى عجز وإن أجبنا داعيك نسبنا إلى عقل ولم ننسب إلى وهن وقد اخترنا لأنفسنا أجمل نسبتينا فاختر لنفسك أكرم نسبتيك فانك بالمحل الذي لا يجب أن تسبق فيه إلى مكرمة وإن في استبقائك ذوي البيوت ما شئت من دوام لأمرك وثبوت والسلام فلما جاءه الكتاب مع تحف وهدايا وكان يوسف بن تاشفين لا يعرف اللسان العربي لكنه كان يجيد فهم المقاصد وكان له كاتب يعرف اللغتين العربية والمرابطية فقال له أيها الملك هذا الكتاب من ملوك الأندلس يعظمونك فيه ويعرفونك أنهم أهل دعوتك وتحت طاعتك ويلتمسون منك ألا تجعلهم في منزلة الأعادي فإنهم مسلمون وهم من ذوي البيوتات فلا تغير بهم وكفى بهم من وراءهم من الأعداء الكفار وبلدهم ضيق لا يحتمل العساكر فأعرض عنهم إعراضك عمن أطاعك من أهل المغرب فقال يوسف بن تاشفين لكاتبه فما ترى أنت فقال أيها الملك اعلم أن تاج الملك وبهجته وشاهده الذي لا يرد بابه خليق بما حصل في يده من الملك أن يعفو إذا استعفي وأن يهب إذا استوهب وكلما وهب جزيلا كان اعظم لقدره فاذا عظم قدره تأصل ملكه وإذا تأصل ملكه تشرف الناس بطاعته وإذا كانت طاعته شرفا جاءه الناس ولم يتجشم المشقة إليهم وكان وارث الملك من غير إهلاك لآخرته واعلم أن بعض الملوك الأكابر والحكماء البصراء بطريق تحصيل الملك قال من جاد ساد ومن ساد قاد ومن قاد ملك البلاد فلما ألقى الكاتب هذا

الكلام إلى يوسف بن تاشفين بلغته فهمه وعلم أنه صحيح فقال للكاتب أجب القوم واكتب بما يجب في ذلك واقرأ
115 علي كتابك فكتب الكاتب بسم الله الرحمن الرحيم من يوسف بن تاشفين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته تحية من سالمكم وسلم إليكم وحكمه التأييد والنصر فيما حكم عليكم وإنكم مما بأيديكم من الملك في أوسع إباحة مخصوصون منا بأكرم وإيثار وسماحة فاستديموا وفاءنا بوفائكم واستصلحوا إخاءنا باصلاح إخائكم والله ولي التوفيق لنا ولكم والسلام فلما فرغ من كتابه قرأه على يوسف بن تاشفين بلسانه فاستحسنه وقرن به يوسف بن تاشفين درقا لمطية مما لا يكون إلا في بلاده قلت اللمطية بفتح اللام وسكون الميم وبعدها طاء مهملة ثم ياء مشددة مثناة من تحتها وبعدها هاء ساكنة هذه النسبة إلى لمطة وهي بليدة عند السوس الأقصى بينها وبين سجلماسة عشرون يوما قاله ابن حوقل في كتاب المسالك والممالك وهي معدن الدرق اللمطية ولا يوجد مثلها في الدنيا على ما يقال والله أعلم قال وأنفذ ذلك إليهم فلما وصلهم كتابه أحبوه وعظموه وفرحوا بولايته ملك المغرب وتقوت نفوسهم على دفع الفرنج وأزمعوا إن رأوا من ملك الفرنج ما يريبهم أن يجيزوا إليه يوسف بن تاشفين ويكونوا من أعوانه على ملك الفرنج فتحصل ليوسف بن تاشفين برأي وزيره ما أراد من محبة أهل الأندلس له وكفاه الحرب لهم وإن الأذفونش بن فرذلند صاحب طليطلة

قاعدة ملك الفرنج أخذ يجوس خلال الديار ويفتتح بلاد الأندلس ويشتط على ملوكهم بطلب البلاد منهم وخصوصا المعتمد بن عباد فإنه كان مقصودا فيه وقد تقدم في ترجمة المعتمد ذكر تاريخ أخذه طليطلة والأبيات التي قيلت في ذلك فنظر المعتمد في أمره فرأى أن الأذفونش قد داخله طمع فيما يلي بلاده فأجمع أمره على استدعاء يوسف بن تاشفين على العبور على ما فيه من الخطر وعلم أن مجاورة غير الجنس مؤذنة بالبوار وأن الفرنج والملثمين ضدان له إلا أنه قال إن دهينا من مداخلة الأضداد لنا فأهون الأمرين أمر الملثمين ولأن يرعى أولادنا جمالهم أحب إليهم من أن يرعوا خنازير الفرنج ولم يزل هذا الرأي نصب عينيه مهما اضطر إليه

116 وأن الأذفونش خرج في بعض السنين يتخلل بلاد الأندلس في جمع كبير من الفرنج فخافه ملوك الأندلس على البلاد وأجفل أهل القرى والرساتيق من بين يديه ولجأوا إلى المعاقل فكتب المعتمد بن عباد إلى يوسف بن تاشفين يقول له إن كنت مؤثرا للجهاد فهذا اوانه فقد خرج الأذفونش إلى البلاد فأسرع في العبور إليه ونحن معاشر أهل الجزيرة بين يديك وكان يوسف بن تاشفين على أتم أهبة فشرع في عبور عساكره فلما أبصر ملوك الأندلس عبور أهل المغرب يطلبون الجهاد وكانوا قد وعدوا من أنفسهم بالمساعدة أعدوا أيضا للخروج فلما رأى الأذفونش اجتماع العزائم على مناجزته علم أنه عام نطاح فاستنفر

الفرنجية للخروج فخرجوا في عدد لا يحصيه إلا الله تعالى ولم تزل الجموع تتألف وتتدارك إلى أن امتلأت جزيرة الأندلس خيلا ورجلا من الفريقين كل أناس قد التفوا على ملكهم فلما عبرت جيوش يوسف بن تاشفين عبر في آخرها وامر بعبور الجمال فعبر منها ما أغص الجزيرة وارتفع رغاؤها إلى عنان السماء ولم يكن أهل الجزيرة رأوا قط جملا ولا كانت خيلهم قد رأت صورها ولا سمعت أصواتها وكانت تذعر منها وتقلق وكان ليوسف بن تاشفين في عبورها رأي مصيب كان يحدق بها معسكره وكان يحضرها الحرب فكانت خيل الفرنج تحجم عنها فلما تكاملت العساكر بالجزيرة قصدت الأذفونش وكان نازلا بمكان أفيح من الأرض يسمى الزلاقة بالقرب من بطليوس قال البياسي بين المكانين أربعة فراسخ وقال أيضا إن يوسف بن تاشفين قدم بين يدي حربة كتابا على مقتضى السنة يعرض عليه الدخول في الإسلام أو الحرب أو الجزية ومن فصول كتابه وبلغنا يا أذفونش أنك دعوت في الاجتماع بك وتمنيت أن يكون لك فلك تعبر البحر عليها إلينا فقد أجزناه إليك وجمع الله في هذه العرصة بيننا وبينك وسترى عاقبة دعائك (^ وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) غافر 50 فلما سمع الأذفونش ما كتب إليه جاش بحر غيظه وزاد في طغيانه وأقسم أنه لا يبرح من موضعه حتى يلقاه

117 ثم إن ابن تاشفين ومن معه قصدوا الزلاقة فلما وافاها المسلمون نزلوا تجاه الفرنج بها فاختار المعتمد بن عباد أن يكون هو المصادم لهم أولا وأن يكون يوسف بن تاشفين إذا انهزم المعتمد بعسكره بين أيديهم وتبعوه يميل عليهم بعساكره وتتألف معه عساكر الأندلس فلما عزموا على ذلك وفعلوه خذل الفرنج وخالطتهم عساكر المسلمين واستحر القتل فيهم فلم يفلت منهم غير الأذفونش في دون الثلاثين من أصحابه فلحق ببلده على أسوأ حال فغنم المسلمون من أسلحته وخيله وأثاثه ما ملأ أيديهم خيرا قلت وكانت الوقعة في يوم الجمعة الخامس عشر من رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة وقيل في شهر رمضان في العشر الأواخر من السنة والله أعلم وقال البياسي كان حلول العساكر الإسلامية بالجزيرة الخضراء في المحرم سنة تسع وسبعين وأربعمائة فحكي أن موضع المعترك على اتساعه ما كان فيه موضع قدم إلا على جسد أو دم وأقامت العساكر بالموضع أربعة أيام حتى جمعت الغنائم فلما حصلت عف عنها يوسف بن تاشفين وآثر بها ملوك الأندلس وعرفهم ان مقصوده إنما كان الغزو لا النهب فلما رأت ملوك الأندلس إيثار يوسف ابن تاشفين لهم بالمغانم استكرموه وأحبوه وشكروا له ثم إن يوسف بن تاشفين أزمع الرجوع إلى بلاده وكان عند قصده ملاقاة الأذفونش تحرى المسير بالعراء من غير أن يمر بمدينة أو رستاق حتى نزل الزلاقة تجاه الأذفونش وهناك اجتمع بعساكر

الأندلس وذكر أبو الحجاج يوسـف بن محمد البياسـي في كتاب تذكير العاقل وتنبيه الغافل أن ابن تاشـفين نزل على أقل من فرسـخ من عسـكر العدو في يوم الأربعاء وكان الموعد في المناجزة يوم السـبت الأدنى فغدو الأذفونش ومكر فلما كان سحر يوم الجمعة منتصف رجب من العام أقبلت طلائع ابن عباد والروم في أثرها والناس على طمأنينة فبادر ابن عباد للركوب وانبث الخبر في العساكر فماجت بأهلها ووقع البهت ورجفت الأرض وصـارت الناس

118 فوضى على غير تعبية ولا أهبة ودهمتهم خيل العدو فقمرت ابن عباد وحطمت ما تعرض لها وتركت الأرض حصيداً خلفها وصرع ابن عباد وأصابه جرح أشواه وفر رؤساء الأندلس وأسلموا محلاتهم وظنوا أنها وهية لا ترفع ونازلة لا تدفع وظن الأذفونش أن أمير المسلمين في المنهزمين ولم يعلم أن العاقبة للمتقين فركب أمير المسلمين وأحدق به أنجاد خيله ورجاله من صنهاجة ورؤسـاء القبائل فعمدوا إلى محلة الأذفونش فاقتحموها ودخلوها وقتلوا حاميتها وضربت الطبول فاهتزت الأرض وتجاوبت الآفاق وتراجع الروم إلى محلتهم بعد أن علموا أن أمير المسلمين فيها فصدموا أمير المسلمين فافرج لهم عنها ثم كر فأخرجهم منها ثم كروا عليه فأفرج لهم عنها ولم تزل الكرات بينهم تتوالى إلى أن أمر أمير المسـلمين حشـمة السـودان فترجل منهم زهاء أربعة آلاف ودخلوا

المعترك بدرق اللمط وسيوف الهند ومزاريق الزان فطعنوا الخيل فرمحت بفرسانها وأحجمت عن أقرانها وتلاحق الأذفونش بأسود نفدت مزاريقه بالقذف فأهوى ليضربه بالسيف فلصق به الأسود وقبض على أعنته وانتضى خنجراً كان منتطقاً به فأثبته في فخذه فهتك حلق درعه وشك فخذه مع بداد سرجه وكان وقوت الزوال من ذلك اليوم فهبت ريح النصر وأنزل الله سكينته على المسلمين ونصر دينه وصدقوا الحملة على الأذفونش وأصحابه فأخرجوهم عن محلتهم فولوا ظهورهم وأعطوا أعناقهم والسيوف تصفعهم إلى أن لحقوا بربوة لجأوا إليها واعتصموا بها وأحدقت بهم الخيل فلما أظلم الليل انساب الأذفونش وأصحابه من الربوة وأفلتوا بعدما نشبت فيهم أظفارهم واستولى المسلمون على ما كان في محلتهم من الأثاث والآنية والمضارب والأسلحة وأمر ابن عباد بضم رءوس قتلى الروم فنشر منها أمامه كالتل العظيم ثم كتب ابن عباد إلى ولده الرشيد كتاباً وأطار به الحمام يوم السبت سادس عشر المحرم يخبره بالنصر وقد روي أيضاً أن أمير المسلمين طلب من أهل البلاد المعونة على ما هو بصدده فوصل كتابه إلى المرية في هذا المعنى وذكر فيه أن جماعة أفتوه

119 بجواز طلب ذلك اقتداء بعمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال أهل المرية لقاضي بلدهم وهو ابو عبد الله ابن الفراء أن يكتب جوابه وكان هذا القاضي من الدين

والورع على ما ينبغي فكتب إليه أما بعد ما ذكره أمير المسلمين من اقتضاء المعونة وتأخري عن ذلك وأن ابا الوليد الباجي وجميع القضاة والفقهاء بالعدوة والأندلس أفتوا بأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اقتضاها وكان صاحب رسول الله وضجيعه في قبره ولا يشك في عدله فليس أمير المسلمين بصاحب رسول الله ولا بضجيعه في قبره ولا من لا يشك في عدله فان كان الفقهاء والقضاة أنزلوك بمنزلته في العدل فالله سائلهم عن تقلدهم فيك وما اقتضاها عمر حتى دخل مسجد رسول الله وحلف أن ليس عنده درهم واحد من بيت مال المسلمين ينفقه عليهم فلتدخل المسجد الجامع هنالك بحضرة أهل العلم وتحلف أن ليس عندك درهم واحد ولا في بيت مال المسلمين وحينئذ تستوجب ذلك والسلام ولما قضى أمير المسلمين من هذه الوقعة ما قضى أمر عساكره بالمقام وأن تشن الغارات على بلاد الفرنج وأمر عليهم سير ابن أبي بكر وطلب الرجوع في طريقه فتكرم له المعتمد بن عباد فعرج به إلى بلاده وسأله أن ينزل عنده فأجابه يوسف إلى ذلك فلما انتهى إلى إشبيلية مدينة المعتمد وكانت من أجمل المدن منظراً ونظر إلى موضوعها على نهر عظيم مستبحر تجري فيه السفن بالبضائع جالبة من بر المغرب وحاملة إليه فر في غربية رستاق عظيم مسيرة عشرين فرسخاً يشتمل على آلاف من الضياع كلها تين وعنب وزيتون وهذا الموضع هو المسمى شرف إشبيلية وتمير بلاد

المغرب كلها من هذه الأصناف وفي جانب المدينة قصور المعتمد وأبيه المعتضد في غاية الحسن والبهاء وفيها أنواع ما يحتاج إليه من المطعوم والمشروب والملبوس والمفروش وغير ذلك فأنزل المعتمد يوسف بن تاشفين في أحدها وتولى من إكرامه وخدمته ما أوسع شكر ابن تاشفين له وكان مع ابن تاشفين أصحاب له ينبهونه على تأمل تلك الحال وما هي عليه من النعمة والإتراف

120 ويغرونه باتخاذ مثلها لنفسه ويقولون له إن فائدة الملك قطع العيش فيه بالتنعم واللذة كما هو المعتمد وأصحابه وكان يوسف بن تاشفين مقتصداً في أموره غير متطاول ولا مبذر متنوق في صنوف الملاذ بالأطعمة وغيرها وكان قد ذهب صدر عمره في بلاده في شظف العيش فأنكر على مغريه بذلك الإسراف وقال الذي يلوح من أمر هذا الرجل يعني المعتمد أنه مضيع لما في يده من الملك لأن هذه الأموال التي تعينه على هذه الأحوال لا بد أن يكون لها أرباب لا يمكن أخذ هذا القدر منهم على وجه العدل أبداً فأخذه بالظلم وأخرجه في هذه الترهات وهذا من افحش الاستهتار ومن كانت همته في هذا الحد من التصرف فيما لا يعدو الاجوفين متى يستجد همة في حفظ بلاده وضبطها وحفظ رعيته والتوفر على مصالحها ثم إن يوسف بن تاشفين سأل عن أحوال المعتمد في لذاته هل تختلف فتنقص عما هي عليه في بعض الأوقات فقيل له بل كل زمانه على هذا قال أفكل أصحابه وأنصاره على عدوه

ومنجديه على الملك ينال حظاً من ذلك قالوا لا قال فكيف ترون رضاهم عنه قالوا لا رضا لهم عنه فاطرق يوسف وسكت فأقام يوسف عند المعتمد على تلك الحال أياما وفي بعض تلك الأيام استأذن رجل على المعتمد فدخل وهو ذو هيئة رثة وكان من أهل البصائر فلما دخل عليه قال له أصلحك الله أيها الملك إن من أوجب الواجبات شكر النعمة وإن من شكر النعمة إهداء النصائح وإني رجل من رعيتك حالي في دولتك إلى الاختلال أقرب منها إلى الاعتدال لكنني ملتزم لك من النصيحة ما يستوجبه الملك على رعيته فمن ذلك خبر وقع في أذني من بعض أصحاب ضيفك هذا يوسف بن تاشفين يدل على أنهم يرون أنفسهم وملكهم أحق بهذه النعمة منك وقد رأيت رأيا فإن آثرت الإصغاء إليه قلته قال له المعتمد قله قال رأيت أن هذا الرجل الذي أطلعته على ملكك رجل مستأسد على الملوك قد حطم ببر العدوة زناتة وأخذ الملك من أيديهم ولم يبق على أحد منهم ولا يؤمن أن يطمح إلى الطماعية في ملكك بل في ملك جزيرة الأندلس كلها بما قد عاينه من بلهنية
121 عيشك وإنه لمتخيل في مثل حالك سائر ملوك الأندلس وإن له من الولد والأقارب ممن يؤثر مسراتهم من يود له الحلول بما أنت فيه من خصب الجناب وقد أودى الأذفونش وجيشه واستأصل شأفتهم وأعدمك منه أقوى ناصر عليه لو احتجت إليه فقد كان لك منه أقوى عضد وأوقى مجن وبعد أن فات الأمر في الأذفونش لا يفتك

الحزم فيما هو ممكن اليوم قال له المعتمد وما هو الحزم اليوم قال أن تجمع أمرك على قبض ضـــيفك هذا واعتقاله في قصرك وتجزم أنك لا تطلقه حتى يأمر كل من بجزيرة الأندلس من عســكره أن يرجع من حيث جاء حتى لا يبقى منهم بـالجزيرة طفل ثم تتفق أنـت وملوك الجزيرة على حراسة هذا البحر من سفينة تجري فيه بغزاة له ثم بعد ذلك تستحلفه بأغلظ الإيمان ألا يضمر في نفسه عوداً إلى هذه الجزيرة إلا باتفاق منكم ومنه وتأخذ منه على ذلك رهائن فإنه يعطيك من ذلك ما تشاء فنفسه أعز عليه من جميع ما تلتمس منه فعند ذلك يقنع هذا الرجل ببلاده التي لا تصــلح إلا له وتكون قد اســترحت منه بعدما اســترحت من الأذفونش وتقيم في موضعك على خير حال ويرتفع ذكرك عند ملوك الأندلس وأهل الجزيرة ويتســع ملكك وتنســب بهذا الاتفاق لك إلى ســعادة وحزم وتهابك الملوك ثم اعمل بعد هذا ما يقتضـــيه حزمك في محاورة من عاملته هذه المعاملة واعلم أنه قد تهيأ لك من هذا أمر ســـماوي تتفانى الأمم وتجري بحار الدم دون حصـــول مثله فلما ســـمع المعتمد كلام الرجل استصـوبه وجعل يفكر في انتهاز هذه الفرصـــة وكان للمعتمد ندماء قد انهمكوا معه في اللذات فقال أحدهم لهذا الرجل الناصـــح ما كان المعتمد على الله وهو إمـام أهـل المكرمـات ممن يعـامـل بـالحيف ويغـدر بالضيف فقال له الرجل إنما الغدر أخذ الحق من يد صاحبه لا دفع الرجل عن نفســه المحذور إذا ضـــاق به قال ذلك

النديم لضـــــيم مع وفاء خير من حزم مع جفاء ثم إن ذلك الناصـح استدرك الأمر وتلافاه فشـكر له المعتمد ووصـله بصـلة وانصـرف واتصـل هذا الخبر بيوسـف بن تاشـفين فأصبح عادياً فقدم له المعتمد الهدايا السنية والتحف الفاخرة فقبلها

122 ثم رحل فعبر من الجزيرة الخضـراء إلى سبتة قلت وهو المكان المعروف بزقاق ســـبتة يعدي الناس فيه من أحـد البرين إلى الآخر أعني بر الأنـدلس وبر العـدوة وقد تقدم الكلام على هذا المكان قال ولما عبر يوسـف إلى بر العدوة اقام عســكره بجزيرة الأندلس ريثما اســتراح ثم تبع آثـار الأذفونش فتوغـل في بلاده ولمـا رجع الأذفونش إلى موضـعه سأل عن أصـحابه وشـجعانه وأبطال عسكره فوجد أكثرهم قد قتلوا ولم يســمع إلا نياح الثكالى عليهم فلم يأكل ولم يشـــرب حتى مات هماً وغماً ولم يخلف إلا بنتاً جعل الأمر إليها فتحصنت بمدينة طليطلة وأما عسكر ابن تاشـفين فإنهم في غارتهم هذه كسـبوا من المغانم ما لا يحد ولا يوصـــف وأنفذوا ذلك إلى بر العدوة واســتأذن أميرهم ســـير ابن أبي بكر يوســـف بن تاشـــفين في المقام بجزيرة الأندلس وأعلمه أنه قد افتتح معاقل في الثغور ورتب بها مستحفظين ورجالاً يغنون فيها وأنه لا يستقيم لهذه الجيوش أن تقيم بالثغور في ضنك من العيش تصابح العدو وتماسيه وتحظى ملوك الأنـدلس من الأريـاف برغد العيش فكتـب إليه ابن تاشـــفين يأمره باخراج ملوك الأندلس من بلادهم

وإلحاقهم بالعدوة فمن استعصى عليه منهم قاتله ولا ينفس عنه حتى يخرجه وليبدأ منهم بمجاوري الثغور ولا يتعرض للمعتمد بن عباد ما لم يستول على البلاد ثم يولي تلك البلاد أمراء عسكره وأكابرهم فابتدأ سير ابن أبي بكر بملوك بني هود من ملوك الأندلس ليستنزلهم من معقلهم وهي روطة قلت هي بضم الراء وسكون الواو ثم طاء مهملة بعدها هاء قلعة منيعة من عاصمات الذرا ماؤها ينبوع في أعلاها وكان بها من الأقوات والذخائر المختلفات ما لا تفنيه الأزمان فلم يقدر عليها فرحل عنها ثم جند أجناداً على صور الفرنج وأمرهم أن يقصدوا هذه القعلة مغيرين عليها ويكمن هو وأصحابه بالقرب منها ففعلوا ذلك فرآهم صاحب القلعة فاستضعفهم ونزل في طلبهم فخرج سير ابن أبي بكر فقبض عليه وتسلم القلعة ثم نازل بني طاهر بشرق الأندلس فسلموا إليه ولحقوا بالعدوة ثم نازل بني صمادح بالمرية وكانت قلعتهم حصينة

123 إلا أنهم لم يكن عندهم أجناد ولا أنجاد من الرجال فزحفوا عليهم وغلبوهم فلما علم المعتصم بن صمادح أنه مغلوب دخل قصره فأدركه أسف قضى عليه فمات من ليلته فاشتغل أهله به فسلموا المدينة ثم نازلوا المتوكل عمر بن الأفطس ببطليوس وكان رجلاً شجاعاً عظيم القدر كبير البيت وكان أبوه المظفر بالله أبو بكر محمد بن عبد الله بن مسلمة التجيبي من فحول العلماء وكان ملكاً له تصانيف أعظمها وأشهرها الكتاب المنسوب

إليه وهو المظفري في علم التاريخ وكانت مدينته بطليوس من أجمل البلاد لم يذعن ولا أقبل على غير المدافعة والقتال إلى أن خامر عليه أصحابه فقبض عليه باليد وعلى ولدين له فقتلوا صبراً وحمل أولاده الأصاغر إلى مراكش وسائر ملوك الجزيرة سلموا وتحولوا إلى بر العدوة إلا ما كان من المعتمد بن عباد فإن سير ابن أبي بكر لما فرغ من ملوك الجزيرة كتب إلى يوسف بن تاشفين أنه لم يبق بالجزيرة من ملوكها غير المعتمد بن عباد فارسم في أمره بما تراه فأمره بقصده وأن يعرض عليه التحول إلى بر العدوة بأهله وماله فإن فعل فبها ونعمت وإن أبى فنازله فلما عرض عليه سير ابن أبي بكر ذلك لم يعطه جواباً فنازله وحاصره اشهراً ثم دخل عليه البلد قهراً واستخرجه من قصره قسراً فحمل إلى العدوة مقيداً فأنزل بأغمات وأقام بها إلى أن مات ولم يعتقل من ملوك الأندلس غيره وتسلم سير ابن أبي بكر الجزيرة كلها واستحوذ عليها فمات يوسف بن تاشفين في التاريخ الآتي ذكره إن شاء الله تعالى وأفضى الملك إلى ولده أبي الحسن علي بن يوسف وكان رجلا حليماً وقوراً صالحاً عدلاً منقاداً للحق والعلماء تجبى إليه الأموال من البلاد لم يزعزعه عن سريره قط حادث ولا طاف به مكروه قلت قد تقدم في ترجمة أبي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان القيسي صاحب قلائد العقيان أنه جمع الكتاب المذكور باسم إبراهيم بن يوسف بن تاشفين

124 وأن الذي أشار بقتل الفتح المذكور هو علي بن يوسف بن تاشفين المذكور ثم ولي بعده ولده تاشفين بن علي بن يوسف وعلى يده انقرض ملكهم وسيأتي شرح ذلك مفصلاً إن شاء الله تعالى وقد تقدم في أوائل هذه الترجمة أن يوسف بن تاشفين هو الذي اختط مدينة مراكش قال صاحب هذا الكتاب الذي نقلت منه هذه الترجمة في آخر الكتاب إن مراكش مدينة عظيمة بناها الأمير يوسف بن تاشفين بموضع كان اسمه مراكش معناه امش مسرعاً بلغة المصامدة كان ذلك الموضع مأوى اللصوص وكان المارون فيه يقولون لرفقائهم هذه الكلمة فعرف الموضع بها وقال غير مؤلف هذا الكتاب بنى ابن تاشفين مدينة مراكش في سنة خمس وستين وأربعمائة قاله أبو الخطاب ابن دحية في كتابه الذي سماه النبراس في خلافة القائم بأمر الله قال وكانت مزرعة لأهل نفيس فاشتراها منهم بماله الذي خرج به من الصحراء ونفيس بفتح النون وتشديد الفاء وسكون الياء المثناة من تحتها جبل مطل على مراكش قلت وهي بنواحي أغمات في المغرب الأقصى وذلك أنه لما توطنت نفسه على الملك وأطاعته قبائل البربر وذهب من يخالفه من لمتونة سمت همته إلى بناء هذه المدينة وكان في موضعها قرية صغيرة في غابة من الشجر وبها قوم من البربر فاختطها يوسف وبنى بها القصور والمساكن الأنيقة وهي في مرج فسيح وحولها جبال على فراسخ منها وبالقرب منها جبل لا يزال عليه

الثلج وهو الذي يعتدل مزاجها وحرها وفي سنة أربع
وستين وأربعمائة نزل يوسف على مدينة فاس وكانت إذ
ذاك من قواعد بلاد المغرب العظام وضيق على أهلها ثم
أخذها فأقر العامة بها ونفى البربر والجند بعد أن حبس
بعضهم وقتل بعضهم فعند ذلك قوي شأنه وتمكن بالمغرب
الأقصى والأدنى سلطانه مع ما صار بيده من بلاد جزيرة
الأندلس كما شرحناه وكان حازماً سائساً للأمور ضابطاً
125 لمصالح مملكته مؤثراً لأهل العلم والدين كثير
المشورة لهم وبلغني أن الإمام حجة الإسلام أبا حامد
الغزالي تغمده الله تعالى برحمته لما سمع ما هو عليه من
الأوصاف الحميدة وميله إلى أهل العلم عزم على التوجه
إليه فوصل إلى الإسكندرية وشرع في تجهيز ما يحتاج
إليه فوصله خبر وفاته فرجع عن ذلك العزم وكنت وقفت
على هذا الفصل في بعض الكتب وقد ذهب عني في هذا
الوقت أين وجدته وكان يوسف معتدل القامة أسمر اللون
نحيف الجسم خفيف العارضين دقيق الصوت وكان يخطب
لبني العباس وهو أول من تسمى بأمير المسلمين ولم يزل
على حاله وعزه وسلطانه إلى أن توفي يوم الاثنين لثلاث
خلون من المحرم سنة خمسمائة وعاش تسعين سنة ملك
منها مدة خمسين سنة رحمه الله تعالى وذكر شيخنا
عزالدين بن الأثير في تاريخه الكبير ما مثاله سنة
خمسمائة فيها توفي أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ملك
المغرب والأندلس وكان حسن السيرة خيراً عادلاً يميل إلى

أهل العلم والدين ويكرمهم ويحكمهم في بلاده ويصدر عن آرائهم وكان يحب العفو والصفح عن الذنوب العظام فمن ذلك أن ثلاثة نفر اجتمعوا فتمنى أحدهم ألف دينار يتجر بها وتمنى الآخر عملا يعمل فيه لأمير المسلمين وتمنى الآخر زوجته وكانت أحسن من النساء ولها الحكم في بلاده فبلغه الخبر فأحضرهم وأعطى متمني المال ألف دينار واستعمل الآخر وقال للذي تمنى زوجته يا جاهل ما حملك على هذا الذي لا تصل إليه ثم أرسله إليها فتركته في خيمة ثلاثة أيام تحمل إليه في كل يوم طعاماً واحداً ثم أحضرته وقالت له ما أكلت في هذه الأيام قال طعاماً واحداً فقالت له كل النساء شيء واحد وأمرت له بمال وكسوة وأطلقته (385) وأما ولده علي المذكور فانه توفي لسبع خلون من رجب سنة سبع وثلاثين وخمسمائة ومولده في حادي عشر رجب سنة ست وسبعين وأربعمائة

126 وقد سبق ذكر طرف من حديثه في ترجمة محمد بن تومرت المهدي فيكشف عنه ولما خرج عبد المؤمن بن علي المقدم ذكره قاصداً جهة البلاد المغربية ليأخذها من علي بن يوسف بن تاشفين المذكور كان مسيره على طريق الجبال فسير علي بن يوسف ولده تاشفين ليكون في قبالة عبد المؤمن ومعه جيش فساروا في السهل وأقاموا على هذا مدة فتوفي علي بن يوسف في أثنائها في التاريخ المذكور فقدم أصحابه ولده إسحاق بن علي وجعلوه نائب أخيه تاشفين على مراكش وكان صبياً وظهر

أمر عبد المؤمن ودانت له الجبال وفيها غمارة وتالدة والمصامدة وهم أمم لا تحصى فخاف تاشفين بن علي واستشعر القهر وتيقن أن دولتهم ستزول فأتى مدينة وهران وهي على البحر وقصد أن يجعلها مقره فإن غلب عن الأمر ركب منها في البحر إلى برالأندلس يقيم بها كما أقامت بنو أمية بالأندلس عند انقراض دولتهم بالشام وبقية البلاد وفي ظاهر وهران ربوة على البحر تسمى صلب الكلب وبأعلاها رباط يأوي إليه المتعبدون وفي ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان سنة تسع وثلاثين وخمسمائة صعد تاشفين إلى ذلك الرباط ليحضر الختم في جماعة يسيرة من خواصه وكان عبد المؤمن بجمعه في تاجرة وهي وطنه كما ذكرته في ترجمته واتفق أنه أرسل منسراً إلى وهران فوصلوها في اليوم السادس والعشرين من شهر رمضان ومقدمهم الشيخ أبو حفص عمر بن يحيى صاحب المهدي فكمنوا عشية وأعلموا بانفراد تاشفين في ذلك الرباط فقصدوه وأحاطوا به وأحرقوا بابه فأيقن الذين فيه بالهلاك فخرج تاشفين راكباً فرسه وشد الركض عليه ليثب الفرس النار وينجو فترامى الفرس نازيا لروعته ولم يملكه اللجام حتى تردى من جرف هنالك إلى جهة البحر على حجارة في وعر فتكسر تاشفين وهلك في الوقت وقتل الخواص الذين كانوا معه وكان عسكره في ناحية أخرى لا علم لهم بما جرى في الليل

127 وجاء الخبر بذلك إلى عبد المؤمن فوصل إلى وهران وسمى ذلك الموضع الذي فيه الرباط صلب الفتح ومن ذلك الوقت نزل عبد المؤمن من الجبل إلى السهل ثم توجه إلى تلمسان وهي مدينتان قديمة ومحدثة بينهما شوط فرس ثم توجه إلى فاس فحاصرها وأخذها في سنة أربعين وخمسمائة ثم قصد مراكش في سنة إحدى وأربعين فحاصرها أحد عشر شهراً وفيها إسحاق بن علي وجماعة من مشايخ دولتهم قدموه بعد موت أبيه علي بن يوسف بن تاشفين نائباً عن أخيه تاشفين فأخذها وقد بلغ القحط من أهلها الجهد وأخرج إليه إسحاق بن علي ومعه سير بن الحاج وكان من الشجعان وخواص دولتهم وكانا مكتوفين وإسحاق دون البلوغ فعزم عبد المؤمن أن يعفو عن إسحاق لصغر سنه فلم يوافقه خواصه وكان لا يخالفهم فخلى بينهم وبينهما فقتلوهما ثم نزل عبد المؤمن في القصر وذلك في سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة وانقرضت دولة بني تاشفين قلت وقد ذكرت في ترجمة المعتمد بن عباد أن يوسف بن تاشفين عاد إلى الأندلس في العام الثاني من وقعة الزلاقة وذكرت ها هنا ما يدل على أنه ما عاد إليها وإنما نوابه هم الذين أخذوا بلاد الأندلس له فقد يعتقد الواقف على هذا الكتاب أن هذا متناقض والعذر في هذا أنني وجدته في ترجمة ابن عباد على تلك الصورة ووجدته في هذه الترجمة على هذه الصورة والله أعلم بالصواب ثم رأيت في كتاب تذكير العاقل تأليف أبي الحجاج يوسف

البياسي أن ابن تاشفين لما جاز البحر قصد إشبيلية فخرج ابن عباد إلى لقائه ومعه الضيافة والإقامة ثم خرج من إشبيلية بقضه وقضيضه قاصداً بطليوس وجرت الواقعة المذكورة ثم عاد ابن تاشفين إلى بلاده وان ابن عباد جاز البحر ومضى إليه في سنة إحدى وثمانين واستنجده على ما يجاوره من بلاد العدو فأكرمه ابن تاشفين وأجابه إلى إنجاده ثم عاد ابن عباد إلى بلاده واستعد للعدو ولحقه ابن تاشفين في رجب من سنة إحدى وثمانين ثم خرج الأذفونش في جيش كثيف وكان ملوك الأندلس قد اجتمعوا عند

128 ابن تاشفين فلما رأى ما فعله من الاستعداد بالجمع الكثير رحل عن مكانه وأوهمه خواصه أن ملوك الأندلس يفرون عنه ويخلون بينه وبين الأذفونش فأصغى إلى كلامهم وعمل في نفسه قولهم فأخذ في الحركة إلى البرية وتحرك الجميع بحركته وجاز البحر عائداً إلى بلاده وقد وغر صدره على ملوك الأندلس وتبين لهم تغيره عليهم وخافوه فشرعوا في تحصين بلادهم وتحصيل القوات وراسل بعضهم الأذفونش ليكون عوناً له خوفاً من ابن تاشفين فأجابه الأذفونش بالإعانة والمساعدة وكان قد سير له هدايا وألطافاً كثيرة فقبلها منه وحلف له على جميع ما التمس منه واتصل ذلك بابن تاشفين فاستشاط غيظاً ثم إبن تاشفين جاز البحر مرة ثالثة وقصد قرطبة وهي لابن عباد فوصلها في جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين وقد

سبقه إليها ابن عباد فخرج إليه بالضيافة وجرى معه على عادته ثم ان ابن تاشفين أخذ غرناطة من صاحبها عبد الله بن بلكين بن باديس بن حبوس وحبسه فطمع ابن عباد في غرناطة وأن ابن تاشفين يعطيه إياها فعرض له بذلك فأعرض عنه ابن تاشفين وخاف ابن عباد منه وعمل على الخروج عنه فقال له إنه جاءته كتب من إشبيلية وهم خائفون من العدو المجاور لهم واستأذنه في العود إليها فأذن له فعاد ثم رجع ابن تاشفين إلى بلاده وجاز البحر في شهر رمضان من سنة ثلاث وثمانين وأقام ببلاده إلى أن دخلت سنة أربع وثمانين ثم عزم على العبور إلى الأندلس لمنازلة ابن عباد وبلغ ذلك ابن عباد فأخذ في التأهب والاستعداد ووصل ابن تاشفين إلى سبتة وجمع العساكر الكثيرة وقدم عليهم سير بن أبي بكر فجازوا البحر وضايقوا بلاد ابن عباد فاستصرخ بالأذفونش فلم يلتفت إليه وكان ما ذكرته والله أعلم وفي هذه الترجمة ذكر الملثمين فيحتاج إلى الكلام عليه والذي وجدته أن أصل هؤلاء القوم من حمير بن سبأ وهم أصحاب خيل وإبل وشاء ويسكنون الصحارى الجنوبية وينتقلون من ماء إلى ماء كالعرب وبيوتهم من الشعر والوبر وأول من جمعهم وحرضهم على القتال وأطعمهم في تملك

129 البلاد عبد الله بن ياسين الفقيه وقتل في حرب جرت مع برغواطة وقام مقامه أبو بكر ابن عمر الصنهاجي الصحراوي المقدم ذكره ومات في حرب

السودان وقد ذكرنا حديث يوسف بن تاشفين و سبب تقدمه وهو الذي سمى أصحابه المرابطين وهم قوم يلتثمون ولا يكشفون وجوههم فلذلك سموهم الملثمين وذلك سنة لهم يتوارثونها خلفاً عن سلف وسبب ذلك على ما قيل أن حمير كانت تتلثم لشدة الحر والبرد يفعله الخواص منهم فكثر ذلك حتى صار يفعله عامتهم وقيل كان سببه أن قوماً من أعدائهم كانوا يقصدون غفلتهم إذا غابوا عن بيوتهم فيطرقون الحي فيأخذون المال والحريم فأشار عليهم بعض مشايخهم أن يبعثوا النساء في زي الرجال إلى ناحية ويقعدوا هم في البيوت ملثمين في زي النساء فإذا أتاهم العدو ظنوهم النساء فيخرجون عليهم ففعلوا ذلك وثاروا عليهم بالسيوف فقتلوهم فلزموا اللثام تبركاً بما حصل لهم من الظفر بالعدو وقال شيخنا الحافظ عز الدين ابن الأثير في تاريخه الكبير ما مثاله وقيل إن سبب اللثام لهم أن طائفة من لمتونة خرجوا مغيرين على عدو لهم فخالفهم العدو إلى بيوتهم ولم يكن بها إلا المشايخ والصبيان والنساء فلما تحقق المشايخ أنه العدو أمروا النساء أن تلبس ثياب الرجال ويتلثمن ويضيقنه حتى لا يعرفن ويلبسن السلاح ففعلن ذلك وتقدم المشايخ والصبيان أمامهن واستدار النساء بالبيوت فلما اشرف العدو رأى جمعاً عظيماً فظنه رجالاً وقالوا هؤلاء عند حريمهم يقاتلون عنهن قتال الموت والرأي أن نسوق النعم ونمضي فإن اتبعونا قاتلناهم خارجاً عن حريمهم فبينما هم في جمع

النعم من المراعي إذ أقبل رجال الحي فبقي العدو بينهم وبين النساء فقتلوا من العدو وأكثروا وكان من قبل النساء أكثر فمن ذلك الوقت جعلوا اللثام سنة يلازمونه فلا يعرف الشيخ من الشاب ولا يزيلونه ليلاً ولا نهاراً

130 ومما قيل في اللثام (قوم لهم درك العلا في حمير * وإن انتموا صنهاجة فهم هم) (لما حووا إحراز كل فضيلة * غلب الحياء عليهم فتلثموا) وكان يوسف بن تاشفين مقدم جيش أبي بكر ابن عمر الصنهاجي وخرج من سجلماسة في سنة اربع وخمسين وأربعمائة وكان أبو بكر ابن عمر قد أتى سجلماسة في سنة ثلاث وخمسين وحاصرها وقاتل أهلها أشد قتال وأخذها ثم رتب عليها يوسف بن تاشفين فكان ما كان 845 يوسف بن عبد المؤمن صاحب المغرب أبو يعقوب يوسف بن أبي محمد عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي صاحب المغرب وقد تقدم ذكر أبيه عبد المؤمن في حرف العين وذكر ولده يعقوب قبل هذا ولما توفي والده في التاريخ المذكور في ترجمته وخلع محمد بن عبد المؤمن استقل ولده يوسف بالملك وكان ولي العهد قبله أخوه محمد بن عبد المؤمن ونقش على الدنانير اسمه وكان ذلك باستخلاف أبيه وتحليفه الجند له فظهر منه اشتغال بالراحة وانهماك في البطالة فخلعه يوسف وكان له اخ آخر اسمه أبو حفص عمر ولاه جزيرة الأندلس وكان يوسف المذكور فقيهاً حافظاً متقناً لأن أباه هذبه وقرن به وباخوته أكمل رجال

الحرب والمعارف فنشأوا في ظهور الخيل بين أبطال الفرسان وفي قراءة العلم بين أفاضل العلماء وكان ميله إلى الحكمة والفلسفة أكثر

131 من ميله إلى الأدب وبقية العلوم وكان جماعاً مناعاً ضابطاً لخراج مملكته عارفاً بسياسة رعيته وكان ربما يحضر حتى لا يكاد يغيب ويغيب حتى لا يكاد يحضر وله في غيبته نواب وخلفاء وحكام قد فوض الأمور إليهم لما علم من صلاحهم لذلك والدنانير اليوسفية المغربية منسوبة إليه فلما مهدت له الأمور واستقرت قواعد ملكه دخل إلى جزيرة الأندلس لكشف مصالح دولته وتفقد أحوالها وكان ذلك في سنة ست وستين وخمسمائة وفي صحبته مائة ألف فارس من العرب والموحدين فنزل باشبيلية (386) فخافه الأمير أبو عبد الله محمد بن سعد بن محمد بن سعد المعروف بابن مردنيش صاحب شرق الأندلس مرسية وما انضاف إليها وحمل على قلبه فمرض مرضاً شديداً ومات وقيل إن أمه سقته السم لأنه كان قد أساء العشرة مع أهله وخواصه وكبراء دولته فنصحته وأغلظت عليه في القول فتهددها وخافت بطشه فعملت عليه فقتلته بالسم وكان موته في التاسع والعشرين من رجب سنة سبع وستين وخمسمائة باشبيلية ومولده في سنة ثماني عشرة وخمسمائة في قلعة من أعمال طرطوشة يقال لها بنشكله وهي من الحصون المنيعة ولما مات محمد بن سعد جاء أولاده وقيل إخوته إلى الأمير يوسف ابن عبد

المؤمن وهو باشبيلية فسلموا إليه جميع بلاد شرق الأندلس التي كانت لأبيهم وقيل لأخيهم فأحسن إليهم الأمير يوسف وتزوج أختهم وأصبحوا عنده في أعز مكان ثم إن الأمير يوسف شرع في استرجاع بلاد المسلمين من أيدي الفرنج وكانوا قد استولوا عليها فاتسعت مملكته بالأندلس وصارت سراياه تصل مغيرة إلى باب طليطلة وهي كرسي بلادهم وأعظم قواعدهم ثم إنه حاصرها فاجتمع الفرنج كافة عليه واشتد الغلاء في عسكره فرجع عنها وعاد إلى مراكش وفي سنة خمس وسبعين قصد بلاد إفريقية وفتح مدينة قفصة ثم دخل حزيرة الأندلس في سنة ثمانين ومعه جمع كثيف وقصد غربي بلادها

132 فحاصر مدينة شنترين شهراً فأصابه مرض فمات منه في شهر ربيع الأول سنة ثمانين وخمسمائة وحمل في تابوت إلى إشبيلية رحمه الله تعالى وكان قد استخلف ولده أبا يوسف يعقوب بن يوسف المقدم ذكره وذكر شيخنا ابن الأثير في تاريخه أن يوسف مات من غير وصية بالملك لأحد من أولاده فاتفق رأي قواد الموحدين وأولاد عبد المؤمن على تمليك ولده يعقوب فملكوه في الوقت الذي مات فيه ابوه لئلا يكونوا بغير ملك يجمع كلمتهم لقربهم من بلاد العدو وكان خلع أخيه أبي عبد الله محمد بن عبد المؤمن في شعبان سنة ثمان وخمسين واستبد يوسف حينئذ بالأمر واجتمع أكابر أصحابهم على خلعه وتولية الأمير يوسف وقد روي له شعر لكنه ليس

بالجيد فلم أذكر منه شيئاً وأما محمد بن سعد ابن مردنيش المذكور فيروى له ((وحقها إنها جفون * تسل من لحظها المنون) (لا صبر عنها ولا عليها * الموت من دونها يهون) (لأركبن الهوى إليها * يكون في ذاك ما يكون) (387) قلت ثم وجدت هذه الأبيات في كتاب الملح لابن القطاع وقد نسبها إلى أبي جعفر أحمد بن صمادح البني والله أعلم وقال البياسي في حماسته هو أبو جعفر أحمد بن الحسين بن خلف بن البني اليعمري الأبدي والله أعلم إلا إنه لم يذكر هذه الأبيات ثم أورد البياسي لأبي جعفر المذكور (صدني عن حلاوة التشييع * اجتنابي مرارة التوديع) (لم يقم أنس ذا بوحشة هذا * فرأيت الصواب ترك الجميع)

133 وله في صفة قنديل (وقنديل كأن الضوء فيه * محاسن من أحب وقد تجلى) (اشار إلى الدجى بلسان أفعى * فشمر ذيله فرقاً وولى) ولما مات ابو يعقوب المذكور رثاه الأديب أبو بكر يحيى بن مجبر الشاعر المقدم ذكره في ترجمة يعقوب بن يوسف هذا بقصيدة طويلة أجاد فيها وأولها (جل الأسى فأسل دم الأجفان * ما ذي الشؤون لغير هذا الشان) ومردنيش بفتح الميم وسكون الراء وفتح الدال المهملة وكسر النون وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها شين معجمة وهو بلغة الفرنج اسم العذرة وبنشكله بضم الباء الموحدة والنون وسكون الشين المعجمة وضم الكاف وفتح اللام وبعدها هاء والباقي

معروف لا حاجة إلى ضبطه والبني في نسب الشاعر المذكور بكسر الباء الواحدة وتشديد النون والأبدي بضم الهمزة وتشديد الباء الموحدة وبعدها دال مهملة هذه النسبة إلى بلدة بالأندلس من كورة جيان بنا ها عبد الرحمن بن الحكم وجددها ابنه محمد قلت ولما فرغت من ترجمة يوسف بن عبد المؤمن صاحب هذه الترجمة وجدت مجموعاً بخط العماد بن جبريل أخي العلم المصري ناظر بيت المال بالديار المصرية وقد تقدم ذكره في ترجمة أبي إسحاق العراقي الفقيه المذكور في أوائل هذا الكتاب وفيه فوائد من أخبار المغاربة وغيرهم فنقلت منه ما يضاف إلى هذه الترجمة وهو

134 أن عبد المؤمن كان في حياته قد عهد إلى أكبر أولاده وهو محمد وبايعه الناس وكتب ببيعته إلى البلاد فلما مات عبد المؤمن لم يتم له الأمر لأنه كان على أمور لا يصلح معها للمملكة من إدمان شرب الخمر واختلال الرأي وكثرة الطيش وجبن النفس ويقال إنه مع هذا كله كان به ضرب من الجذام واضطرب أمره واختلف الناس عليه فخلع وكانت مدة ولايته خمسة وأربعين يوماً وذلك في شعبان من سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وكان الذي سعى في خلعه أخويه يوسف وعمر ابني عبد المؤمن ولما تم خلعه دار الأمر بين الأخوين المذكورين وهما من نجباء أولاد عبد المؤمن ومن ذوي الرأي وتأخر عنهما أبو حفص عمر وسلم الأمر إلى أخيه يوسف فبايعه الناس

واتفقت عليه الكلمة وكان أبيض تعلوه حمرة شديد سواد الشعر مستدير الوجه أفوه اعين إلى الطول ما هو في صوته جهارة رقيق حواشي اللسان حلو الألفاظ حسن الحديث طيب المجالسة أعرف الناس كيف تكلمت العرب وأحفظهم لأيامها في الجاهليه والإسلام صرف عنايته إلى ذلك ولقي فضلاء إشبيلية أيام ولايته لها ويقال إنه كان يحفظ صحيح البخاري وكان شديد الملوكية بعيد الهمة سخياً جواداً استغنى الناس في أيامه وكان يحفظ القرآن العظيم مع جملة من الفقه ثم طمح إلى علم الحكمة وبدأ من ذلك بعلم الطب وجمع من كتب لحكمة شيئاً كثيراً (388) وكان ممن صحبه من العلماء بهذا الشأن أبو بكر محمد بن الطفيل كان متحققاً لجميع أجزاء الحكمة قرأ على جماعة من أهلها منهم أبو بكر ابن الصائغ المعروف بابن باجة وغيره ولابن الطفيل هذا تصانيف كثيرة وكان

135 حريصاً على الجمع بين علم الشريعة والحكمة وكان مفنناً ولم يزل يجمع إليه العلماء من كل فن من جميع الأقطار ومن جملتهم أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي ولما استوثق ليوسف الأمر وملك بلاد مردنيش من الأندلس خرج من إشبيلية قاصداً بلاد الأذفونش من الأندلس أيضاً فنزل على مدينة له تسمى وبذة فأقام محاصراً لها شهوراً إلى أن اشتد عليهم الحصار وعطشوا فراسلوه في تسليم المدينة وأن يعطيهم الأمان على نفوسهم فامتنع عن ذلك فلما اشتد بهم العطش سمع

لهم في بعض الليالي لغط عظيم واصوات هائلة وذلك أنهم اجتمعوا بأسرهم ودعوا الله تعالى فجاءهم مطر عظيم ملأ ما كان عندهم من الصهاريج فارتووا وتقووا على المسلمين فانصرف عنهم إلى إشبيلية بعد أن هادنهم مدة سبع سنين وكان يرتفع إليه في كل سنة من خراج إشبيلية وقر مائة وخمسين بغلاً خارجاً عما يرتفع إليه من خراج بقية البلاد في بر العدوة وفي بر الأندلس وفي سنة تسع وسبعين تجهز للغزو في جيش عظيم وعبر إلى جزيرة الأندلس ونزل إشبيلية كعادتهم في إصلاح شأنهم ثم رحل إلى شنترين وهي بليدة في غرب الأندلس وهي في غاية المنعة والحصانة فحاصرها وضيق عليها فلم يقدر عليها وهجم الشتاء وخاف المسلمون من البرد وزيادة مد النهر فلا يقدرون على العبور وتنقطع عنهم المادة فأشاروا عليه بالرجوع إلى إشبيلية فاذا طاب الزمان عاد غليها فقبل ذلك منهم وقال نحن راحلون غداً إن شاء الله تعالى ولم ينتشر هذا الحديث لأنه قاله في مجلس الخاصة فكان أول من قوض ورحل أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الرحمن الخطيب

136 المالقي وكان من أهل العلم والفضل فلما رآه الناس قد قوض خباءه قوضوا أيضاً ثقة به لمكانه من الدولة ومعرفته بأسرارها فعبر تلك الليلة أكثر العسكر على النهر خشية الزحام وطلباً لجيد المنازل ولم يبق إلا من كان بقرب خباء الأمير يوسف بن عبد المؤمن ولا علم

لـه بـذلـك فلمـا رأى الروم عبور العســـكر وبلغهم من جواسيسـهم ما عزم عليه الأمير يوسف وأصحابه خرجوا منتهزين الفرصـــة وحملوا حتى انتهوا إلى جهـة الأمير يوسف فقتل على بابه خلق كثير من أعيان الجند وخلصوا إلى الأمير يوسـف فطعنوه تحت سـرته طعنة كانت سـبب منيته وتداركهم الناس فانهزم الروم وجعل الأمير يوســف في محفة وعبر به النهر ولم يسر به سوى ليلتين ومات في الثالثة فلما وصـلوا به إلى إشـبيلية صـبروه وصـيروه في تـابوت وحملوه إلى تين مـل ودفن هنـاك عنـد أبيـه عبد المؤمن والمهدي محمد بن تومرت وكـانـت وفـاتـه يوم السبت لسبع خلون من رجب سنة ثمانين وخمسمائة وكان قبل موته بأشــهر ينشــد هذا البيت ويردده في أوقات كثيرة (طوى الجديدان ما قد كنت أنشـــره * وأنكرتني ذوات الأعين النجل) وقام بعده بالأمر ولده أبو يوســف يعقوب بويع في حياة أبيه وقيل إن اشياخ الدولة اتفقوا على تقديمه بعد وفاة ابيه والله اعلم (389) وكان الأديب ابو العباس أحمد بن عبد الســـلام الكواريي وكواريا قبيلة من البربر منازلهم بضـواحي مدينة فاس وقيل إن هذه القبيلة إنما يقال لها جراوة بفتح الجيم وقد تبدل الجيم كافاً فيقال لها كراوة والنســبة إليها جراوي وكراوي وكان هذا الأديب نهاية في حفظ الأشعار القديمة والمحدثة وتقدم في هذا الشأن وجالس به عبد المؤمن ثم ولده يوسف ثم ولده يعقوب

137 وجمع كتاباً يحتوي على فنون الشعر على وضع الحماسة لأبي تمام الطائي وسماه صفوة الأدب وديوان العرب وهو كثير الوجود بأيدي الناس وهو عند اهل المغرب كالحماسة عند أهل المشرق والمقصود من ذكر هذا الأديب أنه كانت له نوادر نادرة وملح مستظرفة عند أهل الأدب فمن ذلك أنه حضر يوماً إلى باب دار الأمير يوسف المذكور وهناك الطبيب سعيد الغماري وغمارة بضم الغين المعجمة قبيلة من البربر أيضا فقال الأمير يوسف لبعض خدمه انظر من بالباب من الأصحاب فخرج الخادم إلى الباب ثم عاد إليه فقال أحمد الكواريي وسعيد الغماري فقال الأمير يوسف من عجائب الدنيا شاعر من كورايا وطبيب من غمارة فبلغ ذلك الكواريي فقال (^ وضرب لنا مثلا ونسي خلقه) يس 78 أعجب منهما والله خليفة من كومية فيقال إن الأمير يوسف لما بلغه ذلك قال أعاقبه بالحلم عنه والعفو ففيه تكذيبه ومن شعره من جملة قصيدة مدح بها الأمير يوسف المذكور وهو بديع غريب (إن الإمام هو الطبيب وقد شفى * علل البرية ظاهراً ودخيلا) (حمل البسيطة وهي تحمل شخصه * كالروح توجد حاملاً محمولا) ومن شعره ايضاً في ذم أهل فاس وهي مدينة بالمغرب فيما بين سبتة ومراكش (مشى اللؤم في الدنيا طريداً مشرداً * يجوب بلاد الله شرقاً ومغربا) (فلما اتى فاساً تلقاه أهلها * وقالوا له أهلا وسهلا ومرحبا) وله كل شعر مليح وكان

شيخاً مسناً جاوز ثمانين سنة وتوفي في آخر أيام الأمير يعقوب ابن الأمير يوسف وقد ذكرت وفاة الأمير يعقوب في ترجمته فيكشف منها وله مديح في الأمير عبد المؤمن بن علي وأولاده إلى آخر زمنه رحمه الله تعالى

138 وأما شنترين بفتح الشين المعجمة وسكون النون وفتح التاء المثناة من فوقها وكسر الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعد ها نون فهي مدينة في غرب الأندلس وذكر ابن حوقل في كتاب المسالك والممالك أن شنترين على البحر المحيط وبها يقع العنبر ولا يعلم ببلد الروم والمحيط عنبر يقع في غير هذا الموضع وشيء وقع بالشام ويقع بشنترين في وقت من السنة دابة تحك الحجارة في وسط البحر فيقع بها وبرة في لين الخز ولون الذهب فيجمع منه ما يغزل وينسج ثياباً ويتلون الثوب ألواناً وتحجر عليه ملوك بني أمية بالأندلس فلا ينقل ولا يشترى فتزيد قيمة الثوب على ألف دينار لعزته وحسنه والله أعلم قلت وحكى لي بعض الفضلاء من أهل الأندلس أنه رأى قطعة من هذه الثياب هناك وأراد أن يصفها لي فما قدر أن يعبر عنها ثم قال لكنها أرفع وانعم من نسج العنكبوت فتعالى الله ما أجل قدرته وألطف حكمته وأحسن صنعته وكيف خص كل صقع بنوع من الغرائب سبحانه وتعالى ولله در ابي نواس حيث قال (وفي كل شيء له آية * تدل على أنه واحد)

139 السلطان صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شاذي الملقب الملك الناصر صلاح الدين صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية والفراتية واليمنية قد تقدم في هذا الكتاب ذكر أبيه أيوب وجماعة من أولاده وعمه أسد الدين شيركوه أخيه الملك العادل أبي بكر محمد وجماعة من أولاده وغيرهم من أهل بيته وصلاح الدين كان واسطة العقد وشهرته أكبر من أن تحتاج إلى التنبيه عليه اتفق أهل التاريخ على أن اباه وأهله من دوين بضم الدال المهملة وكسر الواو وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون وهي بلدة في آخر عمل أذربيجان من جهة أران وبلاد الكرج وأنهم أكراد روادية بفتح الراء والواو وبعد الألف دال مهملة ثم ياء مثناة من تحتها مشددة وبعدها هاء والروادية بطن من الهذبانية بفتح الهاء والذال المعجمة وبعد الألف نون مكسورة ثم ياء مشددة مثناة من تحتها وبعدها هاء وهي قبيلة كبيرة من الأكراد وقال لي رجل فقيه عارف بما يقول وهو من أهل دوين إن على باب دوين قرية يقال لها أجدانقان بفتح الهمزة وسكون الجيم وفتح الدال المهملة وبعد الألف نون مفتوحة وقاف مفتوحة وبعد الألف الثانية نون أخرى وجميع أهلها أكراد روادية ومولد ايوب والد صلاح الدين

140 بها وشاذي أخذ ولديه اسد الدين شيركوه ونجم الدين أيوب وخرج بهما إلى بغداد ومن هناك نزلوا تكريت ومات شاذي بها وعلى قبره قبة داخل البلد ولقد تتبعت

نسبتهم كثيراً فلم اجد أحداً ذكر بعد شاذي ابا آخر حتى إني
وقفت على كتب كثيرة بأوقاف وأملاك باسم شيركوه
وأيوب فلم أر فيها سوى شيركوه بن شاذي وأيوب بن
شاذي لا غير وقال لي بعض كبراء بيتهم هو شاذي بن
مروان وقد ذكرت ذلك في ترجمة ايوب وشيركوه ورأيت
مدرجاً رتبة الحسن بن غريب بن عمران الحرشي يتضمن
أن أيوب بن شاذي بن مروان بن أبي علي بن عنترة بن
الحسن بن علي بن أحمد بن أبي علي بن عبد العزيز بن
هدبة بن الحصين بن الحارث بن سنان بن عمرو بن مرة
بن عوف بن اسامة بن بيهس بن الحارث صاحب الحمالة
ابن عوف بن أبي حارثة بن مرة بن نشبة بن غيظ بن مرة
بن عوف بن سعد ابن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان
بن سعد بن قيس عيلان بن الياس ابن مضر بن نزار بن
معد بن عدنان ثم رفع بعد هذا النسب حتى انتهى إلى آدم
عليه السلام ثم ذكر بعد ذلك أن علي بن أحمد بن أبي علي
بن عبدالعزيز يقال إنه ممدوح المتنبي ويعرف بالخراساني
وفيه يقول من جملة قصيدته (شرق الجو بالغبار إذا سار
* علي بن أحمد القمقام) وأما حارثة بن عوف بن أبي
حارثة صاحب الحمالة فهو الذي حمل الدماء بين عبس
وذبيان وشاركه في الحمالة خارجة بن سنان أخو هرم بن
141 سنان وفيهما قال زهير بن ابي سلمى المزني
قصائد منها قوله (على مكثريهم حق من يعتريهم * وعند
المقلين السماحة والبذل) (وهل ينبت الخطي إلا وشيجه

* وتغرس إلا في منابتها النخل)   هذا آخر ما ذكره في المدرج وكان قد قدمه إلى الملك المعظم شـــرف الدين عيســى بن الملك العادل صــاحب دمشــق وسـمعه عليه هو وولده الملك الناصــــر صــــلاح الدين أبو المفاخر داود ابن الملك المعظم وكتب لهما بســـماعهما عليه في آخر رجب ســنة تســع عشــرة وســتمائة والله أعلم انتهى ما نقلته من المدرج ورأيت في تاريخ حلب الذي جمعه القاضــي كمال الدين ابو القاســـم عمر بن أحمد المعروف بـابن العديم الحلبي بعد أن ذكر الاختلاف في نســـبهم فقال وقد كان المعز إســماعيل بن ســيف الإســـلام ابن أيوب ملك اليمن ادعى نســباً في بني أميه وادعى الخلافة وســمعت شــيخنا القاضــي بهاء الدين عرف بابن شــداد يحكي عن الســلطان صلاح الدين أنه أنكر ذلك وقال ليس لهذا أصل اصلاً قلت ذكر شـــيخنا الحافظ عز الدين أبو الحســـن علي بن محمد المعروف بابن الأثير الجزري صـــاحب التاريخ الكبير في تاريخه الصغير الذي صنفه للدولة الأتابكية ملوك الموصل في فصــل يتعلق بأســد الدين شــيركوه ومســيره إلى الديار المصــرية فقال كان أســد الدين شــيركوه ونجم الدين أيوب وهو الأكبر ابنا شــاذي من بلد دوين وأصــلهما من الأكراد الروادية قد قدما العراق وخدما مجاهد الدين بهروز بن عبد الله الغياثي شــحنة بالعراق (390) قلت وهذا مجاهد الدين كان خادماً رومياً أبيض اللون تولى شـــحنة بالعراق

من جهة السلطان مسعود بن غياث الدين محمد بن ملكشاه السلجوقي المقدم
142 ذكره وذكر والده وجماعة من أهل بيته وكان صـــاحب همة في عمل المصـــالح الجليلة وعمارة البلاد واســع الصــدر والصــبر في البذول والإنفاقات والمطاولة والمراجعة إذا امتنع عليه الغرض وكانت تكريت إقطاعاً له وكان خادم الســلطان محمد والد مســعود المذكور وبنى في بغداد رباطاً وقف عليه وقفاً جيداً ومات يوم الأربعاء الثالث والعشــرين من رجب ســـنة أربعين وخمســـمائة وبهروز بكســر الباء الموحدة وســكون الهاء وضــم الراء وسكون الواو وبعدها زاي وهو لفظ عجمي معناه يوم جيد على التقديم والتأخير على عادة كلام العجم قال شيخنا ابن الأثير فرأى مجاهد الدين في نجم الدين أيوب عقلاً ورأياً حســناً وحســن ســيرة فجعله دزدار تكريت إذ هي له قلت دزدار بضـــم الدال المهملة وســـكون الزاي وفتح الدال المهملة وبعد الألف راء وهو لفظ عجمي معناه حافظ القلعة وهو الوالي ودزه بالعجمي القلعة ودار الحافظ فســـار إليها ومعه أخوه أســد الدين شــيركوه فلما انهزم اتابك الشـــهيد عماد الدين زنكي بالعراق من قراجا قلت وهي وقعة مشـــهورة خلاصـــتها أن مســـعود بن محمد بن ملكشـــاه الســـلجوقي المقدم ذكره وعماد الدين زنكي صـــاحب الموصـل قصـدا حصـار بغداد في أيام الإمام المسـترشـد فأرسل إلى قراجا الساقي واسمه برس صاحب بلاد فارس

وخوز ستان يستنجد به فأتاه وكبس عسكرهما وانهزما بين يديه وانكسرا وذكر في تاريخ الدولة السلجوقية أنها كانت في شـــهر ربيع الآخر يوم الخميس ثاني عشـــر الشـــهر المذكور من سـنة ست وعشـرين وخمسـمائة على تكريت وقال أســـامة بن منقذ المقدم ذكره في كتابه الذي ذكر فيه البلاد وملوكها الذين كانوا في زمانه إنه حضـر هذه الوقعة مع زنكي في التـاريخ المذكور ذكر ذلك في موضـــعين أحدهما في ترجمة إربل والثاني في ترجمة تكريت

143 رجعنا إلى ما كنا فيه فوصـــل زنكي إلى تكريت فخدمه نجم الدين أيوب وأقام له الســـفن فعبر دجلة هناك وتبعه أصحابه فأحسن نجم الدين إليهم وسيرهم وبلغ ذلك بهروز فســـير إليه وأنكر عليه وقال له كيف ظفرت بعدونا فأحســـنت إليه وأطلقته ثم إن أســـد الدين قتل إنســـانا بتكريت لكلام جرى بينهما فأرســـل مجاهد الدين إليهما فأخرجهما من تكريت فقصـدا عماد الدين زنكي قلت وكان إذ ذاك صـــاحب الموصـــل قال فأحســـن عماد الدين إليهما وعرف لهما خدمتهما وأقطعهما إقطاعا حسنا وصـارا من جملة جنده فلما فتح عماد الدين زنكي بعلبك جعل نجم الدين دزدارها فلما قتل زنكي قلت وقد ســـبق ذكر ذلك في ترجمته قال فحصـــره عســـكر دمشـــق قلت وكان صـــاحب دمشـــق يومئذ مجير الدين أبق بن محمد بن بوري ابن الأتابك ظهير الدين طغتكين وهو الذي حاصـره نور الدين محمود بن زنكي في دمشـــق وأخذها منه قال شـــيخنا ابن

الأثير فأرسل نجم الدين أيوب إلى سيف الدين غازي بن زنكي صاحب الموصل وقد قام بالملك بعد والده ينهي إليه الحال ويطلب منه عسكرا ليرحل صاحب دمشق عنه وكان سيف الدين في ذلك الوقت في أول ملكه وهو مشغول بإصلاح ملوك الأطراف المجاورين له فلم يتفرغ له وضاق الأمر على من في بعلبك من الحصار فلما رأى نجم الدين أيوب الحال وخاف أن تؤخذ قهرا أرسل في تسليم القلعة وطلب إقطاعا ذكره فأجيب إلى ذلك وحلف له صاحب دمشق عليه وسلم القلعة ووفى له صاحب دمشق بما حلف عليه من الإقطاع والتقدم وصار عنده من أكبر الأمراء واتصل أخوه أسد الدين شيركوه بالخدمة النورية بعد قتل أبيه زنكي قلت هو نور الدين محمد بن زنكي صاحب حلب وكان يخدمه في أيام والده فقربه نور الدين وأقطعه وكان يرى منه في الحروب آثارا
144 يعجز عنها غيره لشجاعته وجرأته فصارت له حمص والرحبة وغيرهما وجعله مقدم عسكره قلت ثم خرج شيخنا ابن الأثير بعد هذا إلى حديث سفر أسد الدين إلى الديار المصرية وما تجدد لهم هناك وليس هذا موضع هذا الفصل بل نتم حديث صلاح الدين صاحب هذه الترجمة من مبدأ أمره حتى نصير إلى آخره إن شاء الله تعالى ويندرج فيه حديث المملكة وما صار حالهم إليه وإن كان قد سبق في ترجمة أسد الدين شيركوه طرف من أخبارهم لكن ما أستوفيته هناك اعتمادا على استيفائه ها

هنا إن شاء الله تعالى قلت اتفق أرباب التواريخ أن صلاح
الدين مولده سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة بقلعة تكريت
لما كان أبوه وعمه بها والظاهر انهم ما أقاموا بها بعد
ولادة صلاح الدين إلا مدة يسيرة لأنه قد سبق القول أن
نجم الدين وأسد الدين لما خرجا من تكريت كما شرحناه
وصلا إلى عماد الدين زنكي فأكرمهما وأقبل عليهما ثم إن
عماد الدين زنكي قصد حصار دمشق فلم تحصل له فرجع
إلى بعلبك فحصرها أشهرا وملكها في رابع عشر صفر
سنة أربع وثلاثين وخمسمائة كما ذكره أسامة بن منقذ
المقدم ذكره في كتابه الذي ذكر فيه البلاد وملوكها وذكر
أبو يعلى حمزة بن أسد المعروف بابن القلانسي الدمشقي
في تاريخه الذي جعله ذيلا على تاريخ أبي الحسين هلال
ابن الصابي أن عماد الدين حاصر بعلبك يوم الخميس
العشرين من ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين ثم ذكر في
مستهل سنة أربع وثلاثين أنه ورد الخبر بفراغ عماد الدين
من ترتيب بعلبك وقلعتها وترميم ما تشعث منها والله اعلم
وإذا كان كذلك فيكون قد خرجوا من تكريت في بقية سنة
اثنتين وثلاثين التي ولد فيها صلاح الدين أو في سنة ثلاث
وثلاثين لأنهما أقاما عند عماد الدين بالموصل ثم لما
حاصر دمشق وبعدها بعلبك وأخذها رتب فيها نجم الدين
أيوب وذلك في أوائل سنة أربع وثلاثين
145 كما شرحته فيتعين أن يكون خروجهم من
تكريت في المدة المذكورة تقديرا والله أعلم قلت ثم أخبرني

بعض أهل بيتهم وقد سألته هل تعرف متى خرجوا من تكريت فقال سمعت جماعة من أهلنا يقولون إنهم أخرجوا منها في الليلة التي ولد فيها صلاح الدين فتشاءموا به وتطيروا منه فقال بعضهم لعل فيه الخيرة و ما تعلمون فكان كما قال والله أعلم ولم يزل صلاح الدين تحت كنف أبيه حتى ترعرع ولما ملك نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي دمشق في التاريخ المذكور في ترجمته لازم نجم الدين أيوب خدمته وكذلك ولده صلاح الدين وكانت مخايل السعادة عليه لائحة والنجابة تقدمه من حاله إلى حالة ونور الدين يرى له ويؤثره ومنه تعلم صلاح الدين طرائق الخير وفعل المعروف والاجتهاد في أمور الجهاد حتى تجهز للمسير مع عمه شيركوه إلى الديار المصرية كما سنشرحه إن شاء الله تعالى وجدت في بعض تواريخ المصريين أن شاور المقدم ذكره هرب من الديار المصرية من الملك المنصور أبي الأشبال ضرغام بن عامر بن سوار الملقب فارس المسلمين اللخمي المنذري لما استولى على الدولة المصرية وقهره وأخذ مكانه في الوزارة كعادتهم في ذلك وقتل ولده الأكبر طي بن شاور فتوجه شاور إلى الشام مستغيثا بالملك العادل نور الدين أبي القاسم محمود بن زنكي وذلك في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ودخل دمشق في الثالث والعشرين من ذي القعدة من السنة فوجه نور الدين معه الأمير أسد الدين شيركوه بن شاذي في جماعة من عسكره كان صلاح الدين

في جملتهم في خدمة عمه وهو كاره للسـفر معهم وكان لنور الدين في إرسال هذا الجيش غرضان أحدهما قضاء حق شاور لكونه قصده ودخل عليه مستصرخا والثاني أنه أراد استعلام أحوال مصر فإنه كان يبلغه أنها ضعيفة من جهة الجند وأحوالها في غاية الاختلال فقصد الكشف عن حقيقة ذلك

146 وكان كثير الاعتماد على شيركوه لشجاعته ومعرفته وأمانته فانتدبه لذلك وجعل أسد الدين شيركوه ابن أخيه صلاح الدين مقدم عسكره وشاور معهم فخرجوا من دمشق في جمادى الأولى سنة تسع وخمسين فدخلوا مصر واستولوا على الأمر في رجب من السنة وقال شيخنا القاضي بهاء الدين أبو المحاسن يوسف المعروف بابن شداد المقدم ذكره في كتابه الذي وسمه باسيره صلاح الدين إنهم دخلوا مصر في ثاني جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وخمسمائة والقول الأول أصح لأن الحافظ أبا طاهر السلفي ذكر في معجم السفر أن الضرغام بن سوار قتل في سنة تسع وخمسين وخمسمائة وزاد غيره فقال يوم الجمعة الثامن والعشرين من جمادى الآخرة من السنة عند مشهد السيدة نفيسة رضي الله عنها فيما بين القاهرة ومصر واحتز رأسه وطيف به على رمح وبقيت جثته هناك ثلاثة أيام تأكل منها الكلاب ثم دفن عند بركة الفيل وعمرت عليه قبة قلت والقبة إلى الآن باقية في موضعها تحت الكبش المستجد بناؤه ورأيت فيها جماعة من الفقراء

الجوالقية مقيمين وقد قيل إن الضـرغام إنما قتل في رجب من سـنة تسـع وخمسـين وقد اتفقوا على أن الضـرغام إنما قتل عند قدوم اسـد الدين شـيركوه وشـاور إلى مصـر فما يمكن أن يكون دخولهم مصـر في سـنة ثمان وخمسـين لأن الضـرغام لا خلاف في قتله في سـنة تسـع وخمسـين وأنه كان في أول وصولهم والحافظ السلفي أخبر بذلك لأنه كان مقيما في البلاد أول وصـولهم وهو اضـبط لهذه الأمور من غيره لأن هذا فنه وهو من أقعد الناس به ولما وصـل أسـد الدين وشاور إلى الديار المصرية واستولوا عليها وقتلوا
147 الضـرغام وحصـل لشـاور مقصـودة وعاد إلى منصبه وتمهدت قواعده واستمرت أموره غدر بأسد الدين شيركوه واستنجد بالفرنج عليه وحصروه في بلبيس وكان أسد الدين قد شاهد البلاد وعرف أحوالها وأنها مملكة بغير رجال تمشـي الأمور فيها بمجرد الإيهام والمحال فطمع فيها وعاد إلى الشـام في الرابع والعشـرين من ذي الحجة سـنة تسـع وخمسـين وقال شـيخنا ابن شـداد في السـابع والعشـرين من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين بناء على ما قرره أولا أن دخولهم البلاد كان في سـنة ثمان وخمسـين وأقام أسد الدين بالشام مدة مفكرا في تدبير عوده إلى مصر محدثا نفسه بالملك لها مقررا قواعد ذلك مع نور الدين إلى سنة اثنتين وستين وخمسمائة وبلغ شاور حديثه وطمعه في البلاد فخاف عليها وعلم أن أسـد الدين لا بد له من قصـدها فكاتب الفرنج وقرر معهم أنهم يجيئون إلى البلاد ويمكنهم

منها تمكينا كليا ليعينوه على استئصال أعدائه وبلغ نور الدين وأسد الدين مكاتبة شاور للفرنج وما تقرر بينهم فخافا على الديار المصرية أن يملكوها ويملكوا بطريقها جميع البلاد فتجهز أسد الدين وأنفذ معه نور الدين العساكر وصلاح الدين في خدمة عمه أسد الدين وكان توجههم من الشام في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وستين وخمسمائة وكان وصول أسد الدين إلى البلاد مقارنا لوصول الفرنج إليها واتفق شاور والمصريون بأسرهم والفرنج على أسد الدين وجرت حروب كثيرة ووقعات شديدة وانفصل الفرنج عن البلاد وانفصل أسد الدين أيضا راجعا إلى الشام وكان سبب عود الفرنج أن نور الدين جرد العساكر إلى بلادهم وأخذ المنيطرة منهم في رجب من هذه السنة وعلم الفرنج ذلك فخافوا على بلادهم فعادوا إليها وكان سبب عود أسد الدين إلى الشام ضعف عسكره بسبب مواقعة الفرنج والمصريين وما عانوه من الشدائد وعاينوه من الأهوال وما

148 عاد حتى صالح الفرنج على أن ينصرفوا كلهم عن مصر وعاد إلى الشام في بقية السنة وقد انضاف إلى قوة الطمع في الديار المصرية شدة الخوف عليها من الفرنج لعلمه بأنهم قد كشفوها كما قد كشفها وعرفوها كما عرفها فأقام بالشام على مضض وقلبه قلق والقضاء يقوده إلى شيء قدر لغيره وهو لا يشعر بذلك وكان عوده في ذي القعدة من هذه السنة إلى الشام وقيل إنه عاد في ثامن

عشـــر شـــوال من الســـنة والله أعلم ورأيت في بعض المسودات التي بخطي ولا أعلم من أين نقلته أن أسد الدين لما طمع في الديار المصـــرية توجه إليها في ســـنة اثنتين وســـتين وســـلك طريق وادي الغزلان وخرج عند إطفيح فكانت فيها وقعة البابين عند الأشـــمونين وتوجه صـــلاح الدين إلى الإســـكندرية فاحتمى بها وحاصـــره شـــاور في جمادى الآخرة من السنة ثم عاد أسد الدين من جهة الصعيد إلى بلبيس وتم الصـــلح بينه وبين المصـــريين وســـيروا له صـلاح الدين فسـاروا إلى الشـام ثم إن أسـد الدين عاد إلى مصـر مرة ثالثة قال شـيخنا ابن شـداد وكان سـبب ذلك أن الفرنج جمعوا فارســـهم وراجلهم وخرجوا يريدون الديار المصرية ناكثين لجميع ما استقر مع المصريين وأسد الدين طمعا في البلاد فلما بلغ ذلك أســـد الدين ونور الدين لم يسـعهما الصـبر دون أن سـارعا إلى قصـد البلاد أما نور الدين فبالمال والرجال ولم يمكنه المسير بنفسـه خوفا على البلاد من الفرنج ولأنـه كان قد حدث لـه نظر إلى جـانب الموصـــل بســـبب وفاة علي بن بكتكين قلت هو زين الدين والد الســـلطان مظفر الدين كوكبوري صـــاحب إربل وقد تقدم ذكره في ترجمة ولده كوكبوري قال فإنه توفي في ذي الحجة سنة ثلاث وستين وخمسمائة وسلم ما كان في يده من الحصون لقطب الدين أتابك ما عدا إربل فإنها كانت له من أتابك زنكي وأما اسد الدين فبنفسه وماله وإخوته وأهله ورجاله ولقد

149 قال لي السلطان صلاح الدين قدس الله روحه كنت أكره الناس للخروج في هذه الدفعة وما خرجت مع عمي باختياري و هذا معنى قوله تعالى (^ وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم) البقرة 216 وكان شاور لما أحس بخروج الفرنج إلى مصر على تلك القاعدة سير إلى أسد الدين يستصرخه ويستنجده فخرج مسرعا وكان وصوله إلى مصر في شهر ربيع الأول سنة أربع و ستين وخمسمائة ولما علم الفرنج بوصول أسد الدين إلى مصر على اتفاق بينه وبين أهلها رحلوا راجعين على اعقابهم ناكصين وأقام أسد الدين بها يتردد إليه شاور في الأحيان وكان وعدهم بمال في مقابله ما خسروه من النفقة فلم يوصل إليهم شيئا وعلقت مخاليب أسد الدين في البلاد وعلم أنه متى وجد الفرنج رخصة أخذوا البلاد وأن شاور يلعب به تارة وبالفرنج أخرى وملاكها فقد كانوا على البدعة المشهورة وتحقق أسد الدين انه لا سبيل إلى الاستيلاء على البلاد مع بقاء شاور فأجمع رأيه على القبض عليه إذا خرج إليه وكان الأمراء الواصلون مع أسد الدين يترددون إلى خدمة شاور وهو يخرج في الأحيان إلى أسد الدين يجتمع به وكان يركب على عادة وزرائهم بالطبل والبوق والعلم ولم يتجاسر على قبضه أحد من الجماعة إلا السلطان بنفسه وذلك أنه لما سار إليهم تلقاه راكبا وسار إلى جانبه وأخذ بتلابيبه وأمر العسكر بأن قصدوا أصحابه ففروا ونهبهم العسكر وأنزل شاور إلى

خيمة مفردة وفي الحال ورد توقيع على يد خادم خاص من
جهة المصريين يقول لا بد من رأسه جريا على عادتهم في
وزرائهم فحز رأسه وأرسل إليهم وسيروا إلى أسد الدين
خلع الوزارة فلبسها وسار ودخل القصر وترتب وزيرا
وذلك في سابع عشر ربيع الأول سنة أربع وستين
وخمسمائة ودام آمرا وناهيا والسلطان صلاح الدين رحمه
الله تعالى مباشر الأمور مقرر لها لمكان كفايته ودرايته
وحسن رأيه وسياسته إلى الثاني والعشرين من جمادى
الآخرة من السنة المذكورة فمات أسد الدين قلت وقد تقدم
حديث أسد الدين

150 وصورة موته فلا حاجة إلى شرحها ها هنا
وكذلك وفاة شاور وهذا كله نقلته من كلام شيخنا ابن شداد
في سيرة صلاح الدين ولكنني أتيت منه بالمقصود وحذفت
الباقي ورأيت بخطي في جملة مسوداتي أن أسد الدين
دخل القاهرة يوم الأربعاء سابع شهر ربيع الآخر من سنة
أربع وستين وخمسمائة وخرج إليه العاضد عبد الله
العبيدي آخر ملوك مصر المقدم ذكره وتلقاه وحضر يوم
الجمعة التاسع من الشهر إلى الإيوان وجلس إلى جانب
العاضد وخلع عليه وأظهر له شاور ودا كثيرا فطلب منه
أسد الدين مالا ينفقه في عسكره فدافعه فأرسل إليه أن
الجند تغيرت قلوبهم عليه بسبب عدم النفقة فاذا خرجت
فكن على حذر منهم فلم يكترث شاور بكلامه وعزم أن
يعمل دعوة يستدعي إليها أسد الدين والعساكر الشامية

ويقبض عليهم فأحس أسد الدين بذلك فاتفق صلاح الدين وعز الدين جورديك النوري وغيرهما على قتل شاور وأعلموا أسد الدين فنهاهم عنه وخرج شاور إلى أسد الدين وكانت خيامهم على شاطيء النيل بالمقس فلم يجده في جهته وكان قد راح إلى زيارة تربة الإمام الشافعي رضي الله عنه بالقرافة فقال شاور نمضي إليه فالتقوه فساروا جميعا فاكتنفه صلاح الدين وجورديك وأنزلاه عن فرسه وكتفوه فهرب أصحابه فأخذوه أسيرا ولم يمكنهم قتله بغير إذن نور الدين وجعلوه في خيمة ورسموا عليه جماعة فأرسل العاضد يأمرهم بقتله فقتلوه وسيروا رأسه على رمح إلى العاضد وذلك يوم السبت لسبع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة وقيل إن أسد الدين لم يحضر ذلك بل لما قصد شاور جهة أسد الدين لقيه صلاح الدين وجورديك ومعهما بعض العسكر فسلم بعضهم على بعض وساروا ثم فعلا به هذه الفعلة والله أعلم ثم إن العاضد استدعى أسد الدين عقيب قتل شاور وكان في الخيم

151 فدخل القاهرة فرأى جمعا كبيرا من من العامة فخافهم فقال لهم إن مولانا العاضد امركم بنهب دار شاور فتفرقوا ومضوا لنهبها ودخل على العاضد فتلقاه وأفاض عليه خلع الوزارة ولقبه الملك المنصور أمير الجيوش ثم إنه مات يوم الأحد لسبع بقين من جمادى الآخرة من السنة المذكورة بعلة الخوانيق وقيل إنه سم في حنك الوزارة لما

خلع عليه وكانت وفاته بالقاهرة ودفن بدار الوزارة ثم نقل
إلى المدينة النبوية على ساكنها افضل الصلاة والسلام
فكانت مدة وزارته شهرين وخمسة أيام وقيل إن أسد الدين
دخل على العاضد يوم الإثنين التاسع عشر من شهر ربيع
الآخر من السنة المذكورة والله أعلم قلت قد تقدم في
ترجمة كل واحد من شاور وأسد الدين ذكر شيء من هذه
الأمور التي ذكرتها ها هنا وإنما أعدت الكلام فيها لأني
استوفيتها ها هنا أكثر من هناك وأيضا فان المقصود في
هذا كله ذكر سيرة صلاح الدين وتنقلاته وما جرى له من
أول أمره إلى آخره فأحببت ذكر ذلك على سياقة واحدة كي
لا ينقطع الكلام فيبقى أبتر فأقول ذكر المؤرخون أن أسد
الدين لما مات استقرت الأمور بعده للسلطان صلاح الدين
يوسف بن أيوب وتمهدت القواعد ومشى الحال على أحسن
الأوضاع وبذل الأموال وملك قلوب الرجال وهانت عنده
الدنيا فملكها وشكر نعمة الله تعالى عليه فتاب عن الخمر
وأعرض عن أسباب اللهو وتقمص بقميص الجد والاجتهاد
وما زال على قدم الخير وفعل ما يقربه إلى الله تعالى إلى
أن مات قال شيخنا ابن شداد سمعته يقول رحمه الله تعالى
لما يسر لي الله الديار المصرية علمت أنه أراد فتح الساحل
لأنه أوقع ذلك في نفسي ومن حين استتب له الأمر ما زال
يشن الغارات على الفرنج إلى الكرك والشوبك وبلادهما
152 وغشي الناس من سحائب الإفضال والإنعام ما
لم يؤرخ عن غير تلك الأيام وهذا كله وهو وزير متابع

القوم لكنه يقول بمذهب أهل الســـنة غارس في البلاد أهل الفقه والعلم والتصوف والدين والناس يهرعون إليه من كل صـــوب ويفدون عليه من كل جانب وهو لا يخيب قاصـــدا ولا يعدم وافدا إلى ســـنة خمس وســـتين وخمســـمائة ولما عرف نور الدين استقرار أمر السلطان بمصر أخذ حمص من نواب أسد الدين وذلك في رجب سنة أربع وستين ولما علم الفرنج ما جرى من المســـلمين وعســـاكرهم وما تم للســـلطان من اســـتقامة الأمر بالديار المصـــرية علموا أنه يملك بلادهم ويخرب ديارهم ويقلع آثارهم لما حدث له من القوة والملك واجتمع الفرنج والروم جميعا وقصـدوا الديار المصـــرية فقصـــدوا دمياط ومعهم آلات الحصــــار وما يحتاجون إليه من العدد ولما ســـمع فرنج الشـــام ذلك اشـــتد امرهم فسرقوا حصن عكار من المسلمين وأسروا صاحبها وكان مملوكا لنور الدين يقال له خطلخ العلم دار وذلك في شـــهر ربيع الآخر من ســـنة خمس وســـتين ولما رأى نور الدين ظهور الفرنج ونزولهم على دمياط قصد شغل قلوبهم فنزل على الكرك محاصـــرا لها في شـــعبان من الســـنة المذكورة فقصـده فرنج الساحل فرحل عنها وقصـد لقاءهم فلم يقفوا له ثم بلغه وفاة مجد الدين ابن الداية وكانت وفاته بحلب في شـهر رمضـان سـنة خمس وسـتين فاشـتغل قلبه لأنه كان صــــاحب أمره وعاد يطلب الشــــام فبلغه أمر الزلازل بحلب التي أخربت كثيرا من البلاد وكانت في ثاني عشـر شـوال منها فسـار يطلب حلب فبلغه خبر موت

أخيـه قطـب الـدين بـالموصـــل قلت وقد ذكرت ذلك في ترجمته واســـمه مودود قال وبلغه الخبر وهو بتل باشـــر فسـار من ليلته طالبا بلاد الموصـل ولما بلغ صـلاح الدين قصد الفرنج دمياط استعد لهم بتجهيز الرجال وجميع
153 الآلات إليها ووعدهم بالإمداد بالرجال إن نزلوا عليهم وبالغ في العطايا والهبات وكان وزيرا متحكما لا يرد أمره في شـــيء ثم نزل الفرنج عليها واشـــتد زحفهم وقتـالهم عليها وهو رحمـه الله يشـــن عليهم الغـارات من خـارج والعســـكر يقـاتلهم من داخـل ونصـــر الله تعـالى المسـلمين به وبحسـن تدبيره فرحلوا عنها خائبين فأحرقت منـاجيقهم ونهبـت آلاتهم وقتـل من رجـالهم خلق كثير واستقرت قواعد صلاح الدين وسير طلب والده نجم الدين أيوب ليتم له السرور وتكون قصته مشـاكلة لقصـة يوسف الصـديق عليه السـلام فوصـل والده إليه في جمادى الآخرة من ســـنة خمس وســـتين قلت هكذا ذكر ابن شـــداد تاريخ وصـــوله إلى مصـــر والصـــواب فيه هو الذي ذكرته في ترجمته وسـلك معه من الأدب ما جرت به عادته وألبسـه الأمر كله فأبى أن يلبســه وقال يا ولدي ما اختارك الله لهذا الأمر إلا وأنت كفء له ولا ينبغي أن يغير موضع السعادة فحكمه في الخزائن كلها ولم يزل وزيرا حتى مات العاضد في التاريخ المقدم ذكره قلت أكثر ما ذكرته في هذا الفصل منقول من كلام شـيخنا ابن شـداد في سـيرة صـلاح الدين وفيه زوائد من غيرها والذي ذكره شـــيخنا الحافظ عز

الدين ابن الأثير المذكور قبل هذا في تاريخه الأتابكي أن كيفية ولاية صـــلاح الدين أن جماعة من الأمراء النورية الذين كانوا بمصـــر طلبوا التقدم على العســـاكر وولاية الوزارة يعني بعد موت أسـد الدين منهم الأمير عين الدولة الياروقي وقطب الدين حســـرو بن تليل وهو ابن أخي أبي الهيجاء الهذباني الذي كان صـاحب إربل قلت هو صـاحب المدرسـة القطبية التي بالقاهرة ومنهم سـيف الدين علي بن أحمد الهكاري وجده كان صـاحب القلاع الهكارية قلت هو المعروف بالمشطوب والد عماد الدين أحمد بن المشطوب وقد تقدم ذكره في ترجمة مستقلة

154 قال ومنهم شـــهاب الدين محمود الحارمي وهو خال صـلاح الدين وكل واحد من هؤلاء يخطبها لنفسـه وقد جمع ليغالب عليها فأرسـل العاضـد صـاحب مصـر غلى صلاح الجين وأمره بالحضور في قصره ليخلع عليه خلع الوزارة ويوليه الأمر بعد عمه وكان الذي حمل العاضـــد على ذلك ضعف صلاح الدين فإنه ظن أنه إذا لوي صلاح الدين وليس له عسكر ولا رجال كان في ولايته مستضعفا يحكم عليه ولا يجســـر على المخالفة وأنه يضـــع على العسكر الشـامي من يسـتميلهم إليه فاذا صـار معه البعض أخرج الباقين وتعود البلاد إليه وعنده من العساكر الشامية من يحميها من الفرنج ونور الدين والقصـة مشـهورة أردت عمرا وأراد الله خارجة قلت هذا المثل مشـهور بين العلماء وســيأتي الكلام عليه بعد الفراغ من هذه الترجمة إن شـــاء

الله تعالى عدنا إلى تمام الكلام الأول فامتنع صـلاح الدين
وضـــعفت نفســـه عن هذا المقام فألزمه وأخذ كارها إن الله
ليعجب من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل فلما حضر في
القصــــر خلع عليه خلع الوزارة الجبة والعمامة وغيرهما
ولقب الملك الناصـر وعاد إلى دار أسـد الدين فأقام بها ولم
يلتفـت إليـه أحـد من أولئـك الأمراء الـذين يريـدون الأمر
لأنفســـهم ولا خدموه وكان الفقيه ضـــياء الدين عيســـى
الهكاري معه قلت وقد ســـبق ذكره في ترجمة مفردة قال
ابن الأثير فسـعى مع سـيف الدين علي بن أحمد حتى أماله
إليه وقال له إن هذا الأمر لا يصـــل إليك مع وجود عين
الدولة والحارمي وابن تليل فمال إلى صلاح الدين ثم قصد
شهاب الدين الحـارمي وقال له إن هذا صلاح الدين هو ابن
أختك وملكه لك وقد استقام الأمر له فلا تكن أول من يسعى
في إخراجه عنه ولا يصـل إليك ولم يزل به حتى أحضـره
أيضا عنده وحلفه له ثم عدل إلى
155   قطب الدين وقال له إن صـــلاح الدين قد أطاعه
النــاس ولم يبق غيرك وغير اليــاروقي وعلى كـل حــال
فيجمع بينك وبين صـــلاح الدين أن أصـــلـه من الأكراد فلا
يخرج الأمر عنـه إلى الأتراك ووعـده وزاد في إقطـاعـه
فأطاع صلاح الدين أيضا وعدل على عين الدولة الياروقي
وكان أكبر الجماعة وأكثرهم جمعا فلم تنفعه رقاه ولا نفذ
فيه سحره وقال أنا لا أخدم يوسف أبدا وعاد إلى نور الدين
ومعه غيره فأنكر عليهم فراقه وقد فات الأمر ليقضـــي الله

أمرا كان مفعولا وثبت قدم صلاح الدين ورسخ ملكه وهو نائب عن الملك العادل نور الدين والخطبة لنور الدين في البلاد كلها ولا يتصـــرفون إلا عن أمره وكان نور الدين يكاتب صــلاح الدين بالأمير الاصـفهسـلار ويكتب علامته في الكتب تعظما أن يكتب اســمه وكان لا يفرده في كتاب بل يكتب الأمير الإصـفهسلار صـلاح الدين وكافة الأمراء بالديار المصـرية يفعلون كذا وكذا واستمال صـلاح الدين قلوب الناس وبذل الأموال مما كان أســـد الدين قد جمعه وطلب من العاضد شيئا يخرجه فلم يمكنه منعه فمال الناس إليه وأحبوه وقويت نفسه على القيام بهذا الأمر والثبات فيه وضـعف أمر العاضـد فكان كالباحث عن حتفه بظلفه قال ابن الأثير في تاريخه الكبير قد اعتبرت التواريخ ورأيت كثيرا من التواريخ الإســـلامية فرأيت كثيرا ممن يبتدىء الملك تنتقل الدولة عن صـلبه إلى بعض أهله وأقاربه منهم في أول الأســـلام معاوية بن أبي ســفيان أول من ملك من أهل بيته فانتقل الملك عن أعقابه إلى بني مروان من بني عمه ثم من بعده السفاح أول من ملك من بني العباس انتقل الملك من أعقابه إلى أخيه المنصـور ثم السـامانية أول من اســتبد فيهم نصـــر بن أحمد فانتقل الملك عنه إلى أخيه إســماعيل بن أحمد وأعقابه ثم يعقوب بن الليث الصـــفار وهو أول

156 من ملك من أهل بيته وانتقل الملك عنه إلى أخيه عمرو واعقابه ثم عماد الدولة بن بويه أول من ملك

من أهل بيته ثم انتقل الملك عنه إلى أخويه معز الدولة وركن الدولة ثم السلجوقية أول من ملك منهم طغرل بك ثم انتقل الملك إلى أولاد أخيه داود ثم هذا شيركوه كما ذكرناه انتقل الملك إلى ولد أخيه نجم الدين أيوب ولولا خوف الإطالة لذكرنا أكثر من هذا والذي اظنه السبب في ذلك أن الذي يكون أول دولته يكثر القتل فيأخذ الملك وقلوب من كان فيه متعلقة به فلهذا يحرم الله أعقابه ويفعل ذلك لأجلهم عقوبة له نعود إلى ذكر صلاح الدين وأرسل صلاح الدين يطلب من نور الدين أن يرسل إليه أخوته فلم يجبه إلى ذلك وقال أخاف أن يخالف أحد منهم عليك فتفسد البلاد ثم إن الفرنج اجتمعوا ليسيروا إلى مصر فسير نور الدين العساكر وفيهم إخوة صلاح الدين منهم شمس الدولة توران شاه بن أيوب قلت وقد تقدم ذكره في ترجمة مستقلة قال وهو اكبر من صلاح الدين فلما أراد أن يسير قال له نور الدين إن كنت تسير إلى مصر وتنظر إلى أخيك أنه يوسف الذي كان يقوم في خدمتك وأنت قاعد فلا تسر فإنك تفسد البلاد وأحضرك حينئذ وأعاقبك بما تستحقه وإن كنت تنظر إليه صاحب مصر وقائم مقامي وتخدمه بنفسك كما تخدمني فسر إليه واشدد أزره وساعده على ما هو بصدده فقال أفعل معه من الخدمة والطاعة ما يتصل بك إن شاء الله تعالى فكان معه كما قال ثم قال شيخنا ابن الأثير بعد هذا بأوراق في فصل يتعلق بانقراض الدولة المصرية

وإقامة الدولة العباسية بها في المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة فقال

157 قطعت خطبة العاضد صاحب مصر وخطب فيها للإمام المستضيء بأمر الله أمير المؤمنين وكان السبب في ذلك أن صلاح الدين يوسف بن أيوب لما ثبت قدمه في مصر وزال المخالفون له وضعف أمر العاضد ولم يبق من العساكر المصرية أحد كتب إليه الملك العادل نور الدين محمود يأمره بقطع الخطبة العاضدية وإقامة الخطبة العباسية فاعتذر صلاح الدين بالخوف من وثوب أهل مصر وامتناعهم من الإجابة إلى ذلك لميلهم إلى دولة المصريين فلم يصغ نور الدين إلى قوله وأرسل إليه يلزمه بذلك إلزاما لا فسحة له فيه واتفق أن العاضد مرض وكان صلاح الدين قد عزم على قطع الخطبة فاستشار أمراءه كيف الإبتداء بالخطبة العباسية فمنهم من أقدم على المساعدة وأشار بها ومنهم من خاف ذلك إلا أنه لا يمكنه إلا امتثال أمر نور الدين وكان قد دخل إلى مصر إنسان عجمي يعرف بالأمير العالم وقد رأيناه بالموصل كثيرا فلما رأى ما هم فيه من الإحجام قال أنا أبتدىء بها فلما كان أول جمعة من المحرم صعد المنبر قبل الخطيب ودعا للمستضيء بأمر الله فلم ينكر أحد ذلك فلما كان الجمعة الثانية أمر صلاح الدين الخطباء بمصر والقاهرة بقطع خطبة العاضد وإقامة الخطبة للمستضيء بأمر الله ففعلوا ذلك ولم ينتطح فيها عنزان وكتب بذلك إلى سائر ديار

المصرية وكان العاضد قد اشتد مرضه فلم يعلمه أهله وأصحابه بذلك وقالوا إن سلم فهو يعلم وإن توفي فلا ينبغي أن ننغص عليه هذه الأيام التي بقيت من أجله فتوفي يوم عاشوراء ولم يعلم ولما توفي جلس صلاح الدين للعزاء واستولى على قصره وجميع ما فيه وكان قد رتب فيه قبل وفاة العاضد بهاء الدين قراقوش وهو خصي يحفظه قلت وقد تقدم ذكره في ترجمة أيضا قال وجعله كأستاذ دار العاضد فحفظ ما فيه حتى تسلمه صلاح الدين ونقل أهل العاضد إلى مكان منفرد ووكل بحفظهم وجعل أولاده وعمومته وأبناءهم

158 في إيوان في القصر وجعل عندهم من يحفظهم وأخرج من كان من العبيد والإماء فأعتق البعض ووهب البعض وباع البعض وأخلى القصر من أهله وسكانه فسبحان من لا يزول ملكه ولا يغيره ممر الأيام وتعاقب الدهور ولما اشتد مرض العاضد أرسل يستدعي صلاح الدين فظن أن ذلك خديعة فلم يمض إليه فلما توفي علم صدقة فندم على تخلفه عنه وكان ابتداء الدولة العبيدية بافريقية والمغرب في ذي الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين وأول من ظهر منهم المهدي أبو محمد عبيد الله وبنى المهدية وملك إفريقية كلها قلت هكذا ذكر شيخنا ابن الأثير تاريخ استيلاء المهدي عبيد الله على إفريقية والصواب فيه هو الذي ذكرته في ترجمته فيكشف منه ثم إنه قال ولما مات المهدي عبيد الله قام بالأمر بعده ولده

القائم أبو القاسم محمد ثم ذكرهم واحدا واحدا حتى انتهى
إلى العاضد المذكور فقال وانقرضت دولتهم فكانت مدة
دولتهم مائتي سنة وستا وستين سنة وكان مقامهم بمصر
مائتي سنة وثماني سنين وملك منهم أربعة عشر وهم
المهدي والقائم والمنصور والمعز والعزيز والحاكم
والظاهر والمستنصر والمستعلي والآمر والحافظ والظافر
والفائز والعاضد آخرهم قلت وقد ذكرت كل واحد من
هؤلاء بترجمة مستقلة في هذا الكتاب فمن اختار الوقوف
على احوالهم فليطلبه في اسمه ولا حاجة إلى ذكره ها هنا
قال شيخنا ابن الأثير وقد أتينا على ذكر ما اجملناه
مستقصى في التاريخ الكبير يعني كتابه الذي سماه الكامل
وهو مشهور ومن أنفع الكتب في بابه قال ولما استولى
صلاح الدين على القصر وأمواله وذخائره اختار منه منه
ما أراد ووهب اهله وأمراءه وباع منه كثيرا وكان فيه من
الجواهر والأعلاق النفيسة ما لم يكن عند ملك من الملوك
قد جمع على طول السنين وممر الدهور فمنه القضيب
الزمرذ طوله نحو قبضة ونصف والجبل
159 الياقوت وغيرهما ومن الكتب المنتخبة
بالخطوط المنسوبة والخطوط الجيدة نحو مائة ألف مجلد
ولما خطب للمستضيء بأمر الله بمصر أرسل نور الدين
إليه يعرفه ذلك فحل عنده أعظم محل وسير إليه الخلع
الكاملة مع عماد الدين صندل المقتفوي إكراما له لأن عماد
الدين كان كبير المحل في الدولة العباسية وكذلك أيضا

سـير خلعا لصــلاح الدين إلا أنها أقل من خلع نور الدين وسـيرت الأعلام السـود لتنصـب على المنابر وكانت هذه أول أهبة عباسية دخلت مصـر بعد استيلاء العبيدين عليها انتهى ما قاله شيخنا ابن الأثير قلت ولما وصل الخبر إلى الإمام المسـتضـيء بأمر الله أبي محمد الحسـن ابن الإمام المسـتنجد وهو والد الإمام الناصـر لدين الله بما تجدد من أمر مصـر وعود الخطبة والسكة بها باسمه بعد انقطاعها بمصـر هذه المدة الطويلة نظم أبو الفتح محمد سـبط ابن التعاويذي المقدم ذكره قصـيدة طنانة مدح بها الإمام المستضـيء وذكر هذا الفتوح المتجدد له وفتوح بلاد اليمن أيضا وهلاك الخارجي بها الذي سمى نفسه المهدي وذلك في سنة إحدى وسبعين وخمسمائة وكان صـلاح الدين قد أرسل له من ذخائر مصر وأسلاب المصريين شيئا كثيرا وأولها (قل للسـحاب إذا مرتهيد الجنائب فارجحن) (عج باللوى فاسـمح بدمعك للمعاهد والدمن) (يا منزل الأنس الجميع وملعب الحي الأغن) (سـكنت بك الآرام من بعد الأحبة والسـكن) (أين اسـتقلت بالحبيب ركابة ومتى ظعن) (شوقي إلى زمن الحمى سقي الغوادي من زمن)

160 (شوق المغرب شردته يد البعاد عن الوطن) (ولقد عهدتك والزمان * بشـملنا بك ما فطن) (وثراك ما اغبرت مسـارحه * ومـاؤك مـا أجن) (وظباؤك الأتراب لي * وطر وتربك لي وطن) (لام العذول وما

درى * وجدي وبلبالي بمن) (وجدي بمن فضح القضيب
وأخجل الرشـأ الأغن) (ما ضـر من هو فتنتي * لو كان
يرحم من فتن) (دمعي طليق في محبته * وقلبي مرتهن
) (يا محنتي أودى الصـــدود * بعاشـــق بك ممتحن) (
غاذرته وقفاً على العبرات بعدك والحزن) (كلف الفؤاد
معذباً * بين الإقامة والظعن) (عطفاً على قرح الجفون
* بعيد عهد بالوســـن) (لا تبخلي فالبخل يذهب * بهجة
الوجه الحسـن) (ولرب ليل بت فيه صـريع باطية ودن)
(أختال من مرح وأســـحب فضـــل ذيلي والردن) (مع
مخطف لـدن القوام * إذا انثنى رخص البـدن) (لكنني
كفرت ليلة زرته عني وعن) (بمدائحي للمســـتضـــيء *
أبي محمد الحسن) (المستقر من الخلافة * في الشواهق
والقنن) ومنها (يا جارياً في العدل من * ســـنن النبي
على سنن) (يا جامعاً خلق النبوة * والخلافة في قرن)
161 (دانت لهيبتك الممالك * والمعاقل والمدن)
(بالمشرفيات الصوارم * والمثقفة اللدن) (وأتتك اسلاب
الملوك * من الصـــعيد إلى عدن) (ســـلب الدعي بأرض
مصـــــر والمضـــــل في اليمن) (مما اقتناه ذو رعين في
القديم وذو يزن) (وشـفيت منهم بالظبا * تلك الضـغائن
والاحن) (لم تغن عنهم حين رعتهم الحصـون ولا الجنن
) (أمســـت ســـباياهم تقاد * أذلة قود البدن) (غادرت
عرض بلادهم * غرض النوائب والمحن) (في كل يوم
من جيوشك * غارة فيها تشن) (وأعدت سر الأولياء *

المؤمنين بها علن) (ورحضـت ما ابقته آثار * الخوارج من درن) (فكـأن دعوتهم على * تلك المنـابر لم تكن) وهي طويلة فتقتصر منها على هذا القدر ففيه كفاية ومدحه أيضاً بقصيدة أخرى اشار فيها إلى هذا المعنى وليس على خاطري من هذه القصيدة سوى غزلها فأحببت ذكره لكونه في غاية الحسن واللطافة وهو (أهلا بطلعة زائر * فضح الدجى بضـيائها) (سـمح الزمان بوصـلها * فدنت على عدوائها) (باتت تعاطيني المدام * وكنت من أكفائها) (فسـكرت من ألحاظها * وغنيت عن صـهبائها) (بيضـاء قتلي دأبها * في نأيها وثوائها)
162 (فإذا دنت بجفونها * وإذا نأت بجفائها) (لا تلتقي ابداً مواعدها * بيوم وفائها) (الشمس من ضراتها * والبدر من رقبائها) (والصـــبح فوق لثامها * والليل تحت ردائها) (مضـرية تنمى إذا انتسبت إلى حمرائها) (باتت وأطراف الرماح * تجول حول خبائها) (فالموت دون فراقها * والموت دون لقائها) (ولقد مررت بربعها * بعد النوى وفنائها) (والعين في الأطلال ساكنة * على أطلائها) (فوقفت أنشد في مطالعها * بدور سمائها) (وبكيت حتى كدت أعطف بانتي جرعائها) (يا موحش العين التي * أنست بطول بكائها) (غادرت بين جوانحي * نفساً تموت بدائها) (تشتاق عيني أن تراك * وأنت في سـودائها) (فاذا بخلت بنظرة * سـمحت بجمة مائها) (فكأنها كف الخليفة أسـلبت بعطائها) وبعد هذا شـرع في

المديح وابدع فيها جميعها وسأذكر بعد هذا عند أواخر هذه الترجمة شــيئاً من مدائحه في صـــلاح الدين إن شـــاء الله تعالى فقد كان يسير قصائده إليه من بغداد فتصل أولاً إلى القاضــي الفاضـل ومعها مديح للفاضـل وهو الذي يعرض قصـائده على صلاح الدين رحمه الله تعالى ثم ذكر شـيخنا ابن الأثير بعد هذا فصلاً يتضمن حصول الوحشة بين نور الدين وصلاح الدين باطناً فقال وفي سنة سبع وستين ايضاً حدث

163 ما أوجب نفرة نور الدين عن صـــلاح الدين

وكان الحادث أن نور الدين أرسـل إلى صـلاح الدين يأمره بجمع العســاكر المصـــرية والمســير بها إلى بلد الفرنج والنزول على الكرك ومحاصرته ليجمع هو ايضاً عساكره ويســير إليه ويجتمعا هناك على حرب الفرنج والاســتيلاء على بلادهم فبرز صـــلاح الدين من القاهرة في العشـــرين من المحرم وكتب إلى نور الدين يعرفه أن رحيله لا يتأخر وكان نور الدين قد جمع عســـاكره وتجهز وأقام ينتظر ورود الخبر من صـــلاح الدين برحيله ليرحل هو فلما أتاه الخبر بذلك رحل من دمشـــق عازماً على قصـــد الكرك فوصل إليه وأقام ينتظر وصول صلاح الدين أليه فأرسل كتابه يعتذر فيه عن الوصـــول باختلال البلاد المصـــرية لأمور بلغته عن بعض شيعة العلويين وأنهم عازمون على الوثوب بها وأنه يخاف عليها مع البعد عنها فعاد إليها فلم يقبل نور الدين عذره وكان ســـبب تقاعده أن أصـــحابه

وخواصــــه خوفوه من الاجتماع بنور الدين فحيث لم يمتثل أمر نور الدين شـــق ذلك عليـه وعظم عنده وعزم على الدخول إلى مصـر وإخراج صـلاح الدين عنها فبلغ الخبر إلى صـــــلاح الدين فجمع أهله وفيهم والده نجم الدين ايوب وخاله شهاب الدين الحارمي ومعهم سائر الأمراء وأعلمهم ما بلغه عن عزم نور الدين على قصــده وأخذ مصــر منه واستشـارهم فلم يجبه أحد منهم بشـيء فقام تقي الدين عمر ابن أخي صــــلاح الدين قلت وقد تقدم ذكره في ترجمة مستقلة قال وقال إذا جاء قاتلناه وصددناه عن البلاد ووافقه غيره من أهلـه فشـــتمهم نجم الـدين أيوب وأنكر ذلـك واستعظمه وكان ذا رأي ومكر وعقل وقال لتقي الدين اقعد وسبه وقال لصلاح الدين أنا ابوك وهذا شهاب الدين خالك أتظن أن في هؤلاء كلهم من يحبك ويريد لك الخير مثلنا فقال لا فقال والله لو رأيت أنا وهذا خالك شـهاب الدين نور الدين لم يمكنا إلا أن نترجل له ونقبل الأرض بين يديه ولو أمرنا أن نضرب عنقك

164 بالســـيف لفعلنا فاذا كنا نحن هكذا كيف يكون غيرنا وكل من تراه من الأمراء والعســـاكر لو رأى نور الدين وحده لم يتجاسـر على الثبات على سرجه ولا وسعه إلا النزول وتقبيل الأرض بين يديـه وهذه البلاد لـه وقد اقـامك فيها وإن أراد عزلك فـأي حـاجـة لـه إلى المجيء يأمرك بكتاب مع نجاب حتى تقصد خدمته ويولي بلاده من يريد وقال للجماعة كلهم قوموا عنا ونحن مماليك نور

الدين وعبيده يفعل بنا ما يريد فتفرقوا على هذا وكتب أكثرهم إلى نور الدين بالخبر ولما خلا أيوب بابنه صلاح الدين قال له أنت جاهل قليل المعرفة تجمع هذا الجمع الكثير وتطلعهم على ما في نفسك فاذا سمع نور الدين أنك عازم على منعه عن البلاد جعلك أهم الأمور إليه وأولاها بالقصد ولو قصدك لم تر معك أحداً من هذا العسكر وكانوا أسلموك إليه وأما الآن بعد هذا المجلس فسيكتبون إليه ويعرفونه قولي وتكتب أنت إليه وترسل في المعنى وتقول أي حاجة إلى قصدي يجبي نجاب يأخذني بحبل يضعه في عنقي فهو إذا سمع هذا عدل عن قصدك واستعمل ما هو أهم عنده والأيام تندرج والله في كل وقت في شان والله لو أراد نور الدين قصبة من قصب سكرنا لقاتلته أنا عليها حتى أمنعه أو اقتل ففعل صلاح الدين ما اشار به والده فلما رأى نور الدين الأمر هكذا عدل عن قصده وكان الأمر كما قال نجم الدين أيوب وتوفي نور الدين ولم يقصده وهذا كان من أحسن الآراء وأجودها انتهى ما ذكره ابن الأثير وقال شيخنا ابن شداد في السيرة لم يزل صلاح الدين على قدم بسط العدل ونشر الإحسان وإفاضة الإنعام على الناس إلى سنة ثمان وستين وخمسمائة فعند ذلك خرج بالعسكر يريد بلاد الكرك والشوبك وإنما بدأ بها لأنها كانت اقرب إليه وكانت في الطريق تمنع من يقصد الديار المصرية وكان لا يمكن أن تعبر قافلة حتى يخرج هو بنفسه يعبرها فأراد

165 توسـيع الطريق وتسـهيلها فحاصـرها في هذه السنة وجرى بينه وبين الفرنج وقعات وعاد ولم يظفر منها بشـيء ولما عاد بلغه خبر وفاة والده نجم الدين أيوب قبل وصـوله إليه قلت وقد ذكرت تاريخ وفاته في ترجمته قال ولما كانت سنة تسع وستين رأى قوة عسكره وكثرة عدده وكان بلغه أن باليمن إنساناً استولى عليها وملك حصونها يسـمى عبد النبي بن مهدي فسـير أخاه توران شـاه فقتله وأخذ البلاد منه وقد بسـطت القول في ذلك في ترجمته ثم توفي نور الدين في سنة تسع وستين حسبما شرحته في ترجمته فلا حاجة إلى الإعادة وبلغ صلاح الدين أن إنساناً يقال له الكنز جمع بأسوان خلقاً عظيماً من السودان وزعم أنه يعيد الدولة المصرية وكان أهل مصر يؤثرون عودهم فانضافوا إلى الكنز المذكور فجهز صلاح الدين إليه جيشاً كثيفاً وجعل مقدمه أخاه الملك العادل وسـاروا فالتقوا وكسـروهم وذلك في السـابع من صـفر سـنة سـبعين وخمسـمائة واسـتقرت له قواعد الملك وكان نور الدين رحمه الله قد خلف ولده الملك الصـالح إسـماعيل المذكور في ترجمة ابيه وكان بدمشـق عند وفاة ابيه وكان بقلعة حلب شمس الدين علي بن الداية وشاذبخت وكان ابن الداية قد حدث نفسـه بأمور فسـار الملك الصـالح من دمشـق إلى حلب فوصل إلى ظاهرها في المحرم من سنة سبعين ومعه سـابق الدين فخرج بدر الدين حسـن ابن الداية فقبض على سـابق الدين ولما دخل الملك الصـالح القلعة قبض على

شمس الدين وأخيه حسن المذكور وأودع الثلاثة السجن وفي ذلك اليوم قتل ابو الفضل ابن الخشاب لفتنة جرت بحلب وقيل بل قتل قبل قبض أولاد الداية بيوم لأنهم تولوا تدبير ذلك ثم إن صلاح الدين بعد وفاة نور الدين علم أن ولده الملك الصالح صبي

166 لا يستقل بالأمر ولا ينهض بأعباء الملك واختلفت الأحوال بالشام وكاتب شمس الدين ابن المقدم صلاح الدين فتجهز من مصر في جيش كثيف وترك بها من يحفظها وقصد دمشق مظهراً أنه يتولى مصالح الملك الصالح فدخلها بالتسليم في يوم الثلاثاء سلخ شهر ربيع الآخر سنة سبعين وخمسمائة وتسلم قلعتها وكان أول دخوله دار أبيه قلت وهي الدار المعروفة بالشريف العقيقي وهي اليوم في قبالة المدرسة العادلية مشهورة هناك بالعقيقي قال واجتمع الناس إليه وفرحوا به وأنفق في ذلك اليوم مالاً جليلاً واظهر السرور بالدمشقيين وصعد القلعة وسار إلى حلب فنازل حمص وأخذ مدينتها في جمادى الأولى من السنة ولم يشتغل بقلعتها وتوجه إلى حلب ونازلها في يوم الجمعة سلخ جمادى الأولى من السنة وهي الوقعة الأولى ثم إن سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي صاحب الموصل لما أحس بما جرى علم أن الرجل قد استفحل أمره وعظم شأنه وخاف إن غفل عنه استحوذ على البلاد واستقرت قدمه في الملك وتعدى الأمر إليه فأنفذ عسكراً وافراً وجيشاً عظيماً وقدم

عليه أخاه عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود و ساروا
يريدون لقاءه ليردوه عن البلاد فلما بلغ صـــلاح الدين ذلك
رحل عن حلب في مستهل رجب من السنة عائداً إلى حماة
ورجع إلى حمص فأخذ قلعتها ووصـــل عز الدين مســـعود
إلى حلب وأخذ معه عسكر ابن عمه الملك الصالح بن نور
الدين صـــاحب حلب يومئذ وخرجوا في جمع عظيم فلما
عرف صلاح الدين بمسيرهم سار حتى وافاهم على قرون
حماة وراسلهم وراسلوه واجتهد أن يصالحوه فما صالحوه
ورأوا أن ضـــرب المصـــاف معه ربما نالوا به غرضـــهم
والقضاء يجر إلى أمور وهم بها لا يشعرون فتلاقوا فقضى
الله تعالى أن انكســـروا بين يديه واســـر جماعة منهم فمن
عليهم وذلك في تاسع شهر رمضان من
167 السنة عند قرون حماة ثم ســار عقيب كسـرتهم
ونزل على حلب وهي الدفعة الثانية فصــــالحوه على أخذ
المعرة وكفر طـاب وبـارين ولمـا جرت هذه الوقعة كـان
سيف الدين غازي يحاصر أخاه عماد الدين زنكي صاحب
ســـنجار وعزم على أخذها منـه لأنـه كان قد انتمى إلى
صـــلاح الدين وكان قد قارب أخذها فلما بلغه الخبر وأن
عسكره انكسر خاف أن يبلغ أخاه عماد الدين الخبر فيشتد
أمره ويقوى جأشـه فراسله وصـالحه ثم سار من وقته إلى
نصـــيبين واهتم بجمع العســـاكر والإنفاق فيها وســـار إلى
البيرة وعبر الفرات وخيم على الجانب الشامي وراسل ابن
عمه الصـــالح بن نور الدين صـــاحب حلب حتى تســتقر له

قاعدة يصـــل عليها ثم إنه وصـــل إلى حلب وخرج الملك الصالح إلى لقائه واقام على حلب مدة وصعد قلعتها جريدة ثم نزل وســار إلى تل السـلطان قلت وهي منزلة بين حماة وحلب قال ومعه جمع كبير وأرسل صلاح الدين إلى مصر طلب عسكرها فوصل إليه وسار به حتى نزل على قرون حماة ثم تصافوا بكرة نهار الخميس العاشر من شوال سنة إحدى وسبعين وجرى قتال عظيم وانكسرت ميسرة صلاح الدين بمظفر الدين بن زين الدين قلت هو صـــاحب إربل المقدم ذكره قال فإنه كان على ميمنة ســيف الدين فحمل صــلاح الدين بنفســه فانكســر القوم وأسـر منهم جمعاً من كبار الأمراء فمن عليهم واطلقهم وعاد ســيف الدين إلى حلب فأخذ منها خزائنه وســار حتى عبر الفرات وعاد إلى بلاده ومنع صــلاح الدين من تتبع القوم ونزل في بقية ذلك اليوم في خيــامهم فــانهم تركوا أثقــالهم وانهزموا ففرق صــلاح الدين الاصــطبلات ووهب الخزائن وأعطى خيمة ســيف الدين لابن أخيه عز الدين فرخشـــاه قلت هو ابن شــاهان شــاه ابن أيوب وهو أخو تقي الدين عمر صــاحب حماة وفرخشـــاه صـــاحب بعلبك وهو والد الملك الأمجد بهرام شاه صاحب بعلبك قال وسار إلى منبج فتسلمها ثم سار إلى قلعة عزاز يحاصرها وذلك

168 في رابع ذي القعدة من ســنة إحدى وســبعين وعليها وثب جماعة من الإســماعيلية على صــلاح الدين فنجاه الله ســبحانه منهم وظفره بهم وأقام عليها حتى أخذها

في رابع عشــر ذي الحجة من الســنة ثم ســار فنزل على حلب في ســادس عشــر الشــهر المذكور وأقام عليها مدة ثم رحل عنها وكانوا قد أخرجوا له ابنة صـــغيرة لنور الدين ســألته عزاز فوهبها لها ثم عاد صـــلاح الدين إلى مصـــر ليتفقد أحوالها وكان مســيره إليها في شــهر ربيع الأول من سنة اثنتين وسبعين وكان أخوه شمس الدولة توران شاه قد وصـــل إليه من اليمن فاســـتخلفه بدمشـــق ثم تأهب للغزاة وخرج يطلب الساحل حتى وافى الفرنج على الرملة وذلك في أوائل جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين وكانت الكسرة على المسلمين في ذلك اليوم قلت وذلك لأمر يطول شرحه قال فلما انهزموا لم يكن لهم حصـــن قريب يأوون إليه فطلبوا جهة الديار المصـــرية وضـــلوا في الطريق وتبددوا وأســر منهم جماعة منهم الفقيه عيســى الهكاري وكان ذلك وهناً عظيماً جبره الله تعالى بوقعة حطين المشــهورة وأما الملك الصـــالح صـــاحب حلب فانه تخبط أمره وقبض على كمشــتكين صــاحب دولته وطلب منه تسـليم حارم إليه فلم يفعل فقتله فلما ســـمع الفرنج بقتله نزلوا على حارم طمعاً فيها وذلك في جمادى الآخرة من الســـنة فلما راى أهل قلعتها الخطر من جهة الفرنج سـلموها إلى الملك الصـــالح في العشــر الأواخر من شــهر رمضـــان من الســنة فرحل الفرنج عنها واقام صـــلاح الدين بمصـــر حتى لم شـــعثه وشـعث أصـحابه من اثر كسـرة الرملة ثم بلغه تخبط الشـام فعزم على العود إليه واهتم بالغزاة فوصـــله رســـول قليج

أرسلان صاحب الروم يلتمس الصلح ويتضرر من الأرمن
فعزم على قصـــد بلاد ابن لاون قلت وهي بلاد ســيس
الفاصلة بين حلب والروم من جهة الساحل قال لينصر قليج
ارسلان عليه فتوجه إليه واستدعى عسكر حلب لأنه كان
في الصلح أنه متى استدعاه حضر إليه ودخل بلد ابن لاون
واخذ في طريقه حصـنا واخربه ورغبوا إليه في الصـلح
فصـالحهم ورجع عنهم ثم سـأله قليج أرسـلان في صـلح
الشرقيين بأسرهم فأجاب إلى
169 ذلك وحلف صـلاح الدين في عاشـر جمادى
الأولى سنة ست وسبعين وخمسمائة ودخل في الصالح
قليج أرسلان والمواصلة وعاد بعد تمام الصلح إلى دمشق
ثم منها إلى مصر ثم توفي الملك الصالح بن نور الدين في
التاريخ المذكور في ترجمة والده وكان قد استحلف أمراء
حلب وأجنادها لابن عمه عز الدين مسـعود صـاحب
الموصـل قلت وقد تقدم ذكره وهو ابن قطب الدين مودود
فلما مات سـيف الدين في التاريخ المذكور في ترجمته قام
مقامه أخوه عز الدين مسـعود المذكور قال فلما بلغ عز
الدين خبر موت الملك الصالح وانه أوصـى له بحلب بادر
إلى التوجه إليها خوفاً أن يسبقه صلاح الدين فيأخذها فكان
أول قادم إليها مظفر الدين بن زين الدين قلت هو صـاحب
إربل وكان إذ ذاك صـاحب حران وهو مضـاف إلى
المواصـلة لأن تلك البلاد كانت لهم قال فوصـلها مظفر
الدين في ثالث شعبان سنة سبع وسبعين وفي العشرين منه

وصلها عز الدين مسعود وصعد إلى القلعة فاستولى على ما فيها من الحواصل وتزوج أم الملك الصلح في خامس شوال من السنة قلت ثم إن شيخنا ابن شداد ذكر بعد هذا أموراً ذكرتها في ترجمة عز الدين مسعود بن مودود وترجمة أخيه عماد الدين زنكي وترجمة تاج الملوك بوري أخي صلاح الدين فلا حاجة إلى إعادتها ها هنا فمن أراد الوقوف عليها يكشفها في هذه التراجم قلت وحاصل الأمر أن عز الدين مسعوداً قايض اخاه عماد الدين زنكي

170 صاحب سنجار عن حلب بسنجار وخرج عزالدين عن حلب ودخلها عماد الدين زنكي فجاءه صلاح الدين وحاصره فلم يقدر عماد الدين على حفظ حلب وكان نزول صلاح الدين على حلب في السادس والعشرين من المحرم سنة تسع وسبعين وخمسمائة وقال ابن شداد نزل عليها في سادس عشر المحرم والله أعلم فتحدث عماد الدين زنكي مع الأمير حسام الدين طمان بن غازي بن يلمي بن تنجول من جبل سلور بحلب في السر بما يفعله فأشار عليه بأن يطلب منه بلاداً وينزل له عن حلب بشرط أن يكون له جميع ما في القلعة من الأموال فقال له عماد الدين وهذا كان في نفسي ثم اجتمع حسام الدين طمان بصلاح الدين في السر على تقرير القاعدة في ذلك فأجابه صلاح الدين إلى ما طلب ودفع له سنجار والخابور ونصيبين وسروج ودفع لطمان الرقة لسفارته بينهما وحلف صلاح الدين على ذلك في سابع عشر صفر من

السنة وكان صلاح الدين قد نزل على سنجار وأخذها في ثامن شهر رمضان سنة ثمان وسبعين وأعطاها لابن أخيه تقي الدين عمر فلما جرى الصلح على هذه الصورة أعطاها عماد الدين وتسلم صلاح الدين قلعة حلب وصعد إليها يوم الاثنين السابع والعشرين من صفر سنة تسع وسبعين وخمسمائة وأقام بها حتى رتب أمورها ثم رحل عنها في الثاني والعشرين من شهر ربيع الاخر من السنة وجعل فيها ولده الملك الظاهر المقدم ذكره في ترجمة مستقلة وكان صبياً وولى القلعة سيف الدين يازكوج الأسدي وجعله يرتب مصالح ولده ثم سار صلاح الدين إلى دمشق في التاريخ المذكور قال ابن شداد وتوجه من دمشق لقصد محاصرة الكرك في الثالث من رجب من السنة وسير إلى أخيه الملك العادل وهو بمصر يستدعيه ليجتمع به على الكرك فسار إليه بجمع كثير وجيش عظيم واجتمع به على الكرك في رابع شعبان من السنة فلما بلغ الفرنج الخبر حشدوا خلقاً كثيراً وجاءوا إلى الكرك ليكونوا في

171 قبالة عسكر المسلمين فخاف صلاح الدين على الديار المصرية فسير إليها ابن أخيه تقي الدين عمر ورحل عن الكرك في سادس عشر شعبان من السنة واستصحب اخاه الملك العادل معه ودخل دمشق في الرابع والعشرين من شعبان من السنة وأعطاه حلب ودخلها في يوم الجمعة الثاني والعشرين من شهر رمضان من السنة وخرج الملك

الظـاهر ويـازكوج ودخلا دمشـــق في يوم الاثنين الثـامن والعشـرين من شـوال من السـنة وكان الملك الظاهر أحب أولاده إليه لما فيه من الخلال الحميدة ولم يأخذ منه حلب إلا لمصـــلحة رآها في ذلك الوقت وقيل إن العادل أعطاه على أخد حلب ثلثمائة ألف دينار يســتعين بها على الجهاد والله أعلم ثم إن صـــلاح الدين رأى أن عود الملك العادل إلى مصــر وعود الملك الظاهر إلى حلب أصـلح قيل كان ســبب ذلك أن الأمير علم الدين ســليمان بن جندر قال لصلاح الدين وكان بينهما مؤانسة قبل أن يتملك البلاد وقد سـايره يوماً وكان من أمراء حلب والملك العادل لا ينصـفه ويقدم عليه غيره وكان صلاح الدين قد مرض على حصار الموصـل وحمل إلى حران وأشـفى على الهلاك فلما عوفي رجع إلى الشـام واجتمعا في المسـير قال له وكان صــلاح الدين قد أوصــى لكل واحد من أولاده بشــيء من البلاد بأي رأي كنت تظن أن وصـيتك تمضــى كأنك كنت خارجاً إلى الصـــيد وتعود فلا يخالفونك أما تســتحي أن يكون الطائر أهدى منك إلى لمصـلحة قال وكيف ذاك وهو يضـحك قال إذا أراد الطائر أن يعمل عشــاً لفراخه قصـد أعالي الشـجر ليحمي فراخه وأنت ســلمت الحصـــون إلى أهلك وجعلت أولادك على الأرض هذه حلب وهي أم البلاد بيد أخيك وحماة بيد ابن اخيك تقي الدين وحمص بيد ابن أســد الدين وابنك الأفضــل مع تقي الدين بمصــر يخرجه متى شــاء وابنك الآخر مع أخيك في خيمة يفعل به ما أراد فقال له

صـــدقت واكتم هذا الأمر ثم أخذ حلب من أخيه وأعطاها ابنه الملك الظاهر وأعطى الملك العادل بعد ذلك حران والرها

172 وميافارقين ليخرجه من الشـــام ويتوفر الشـــام على أولاده فكان ما كان قلت وقد تقدم في ترجمة عز الدين مســعود بن قطب الدين مودود صـــاحب الموصـــل فصل يتعلق بنزول صلاح الدين على الموصل وحصارها ثلاث مرار ولم يقدر عليها قال شـــيخنا ابن الأثير في تاريخه إنه نزل عليها في الدفعة الثالثة وكان زمن الشـــتاء وعزم على المقام وإقطاع جميع بلاد الموصل وكان نزوله في شعبان من سنة إحدى وثمانين وخمسمائة فأقام شعبان وشــهر رمضــان وترددت الرسل بينه وبين صـاحبها فبينما هو كذلك مرض صـــلاح الدين فعاد إلى حران ولحقته الرسل بالإجابة إلى ما طلب وتم الصلح على أن يسلم إليه صـاحب الموصل شــهرزور وأعمالها وولاية القرابلي وما وراء الزاب من الأعمـال وأن يخطـب لـه على المنـابر وينقش اســمه على الســكة فلما حلف أرســل صــلاح الدين نوابه وتســلم البلاد التي اســتقرت القاعدة على تســليمها وطال المرض على صـــلاح الدين بحران واشـــتد به حتى أيســـوا منه فحلف الناس لأولاده وكان عنده منهم الملك العزيز عماد الدين عثمان وأخوه العادل جاءه من حلب وهو ملكها يومئذ وجعل لكل واحد شــيئا من البلاد وجعل الملك العادل وصـــياً على الجميع ثم إنه عوفي وعاد إلى

دمشق في المحرم من سنة اثنتين وثمانين ولما كان مريضاً بحران كان عنده ناصـر الدين محمد ابن عمه شيركوه وله من الإقطاع حمص والرحبة فســار من عنده إلى حمص واجتاز بحلب وأحضـــر جماعة من الأحداث ووعدهم وأعطاهم مالاً ولما وصـــل إلى حمص راســل جماعة من أهل دمشق ووعدهم على تسليم دمشق إليه إذا مات صلاح الدين فعوفي ولم يمض قليل حتى مات ناصـــر الدين ليلة عيد النحر من السنة فإنه شرب

173 الخمر فأكثر منه فأصـبح ميتاً وقيل إن صــلاح الدين وضـع عليه إنسـاناً فحضـر عنده ونادمه وسقاه سماً فلما اصـبحوا من الغد لم يروا ذلك الشـخص وكان يقال له الناصح بن العميد فسألوا عنه فقالوا إنه سار من ليلته وكان هذا مما قوى الظن والله أعلم فلما توفي أعطى إقطاعه لولده شيركوه وعمره اثنتا عشرة سنة وخلف من الأموال والدواب والأثاث شـيئاً كثيراً فحضـــر صــلاح الدين إلى حمص واسـتعرض تركته وأخذ أكثرها ولم يترك إلا ما لا خير فيه ثم قال شــيخنا بعد هذا كله وبلغني أن شـــيركوه حضـر عند صــلاح الدين بعد موت ابيه بسـنة فقال له إلى أين بلغت في القرآن فقال له (^ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً) النســاء 10 فعجب الجماعة وصـلاح الدين من ذكائه والله أعلم بصـحة ذلك قال ابن شـداد ولما وصـل صـلاح الدين إلى دمشـق عقيب مرضـه وإبلاله سـير طلب أخاه الملك العادل فخرج

من حلب جريدة ليلة السبت الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول من سنة اثنتين وثمانين ومضى إلى دمشق فأقام في خدمة السلطان صلاح الدين وجرت بينهما احاديث ومراجعات وقواعد تتقرر إلى جمادى الآخرة من السنة فاستقر الأمر على عود الملك العادل إلى مصر وأخذت حلب منه وسار الملك الظاهر إليها فدخل قلعتها يوم السبت سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة وقد ذكرت في ترجمة الملك الظاهر أنه دخل حلب مالكاً لها في مثل يوم وفاته وعينت هناك التاريخ واسم اليوم هكذا وجدته وما أدري من اين نقلته وسلم السلطان ولده الملك العزيز إلى العادل وجعله أتابكه قال ابن شداد قال لي الملك العادل لما استقرت هذه القاعدة اجتمعت بخدمة

174 الملك العزيز والملك الظاهر وجلست بينهما وقلت للملك العزيز اعلم يا مولاي ان السلطان أمرني أن أسير في خدمتك إلى مصر وأنا أعلم أن المقدمين كثير وما يخلو أن يقال عني ما لا يجوز ويخوفوك مني فإن كان لك عزم أن تسمع منهم فقل لي حتى لا أجيء فقال كيف يتهيأ لي أن أسمع منهم أو أرجع إلى رأيهم ثم التفت إلى الملك الظاهر وقلت له أنا أعرف أن أخاك ربما سمع في أقوال المقدمين وأنا فما لي إلا أنت وقد قنعت منك بمنبج متى ضاق صدري من جانبه فقال مبارك وذكر لي كل خير وزوج السلطان ولده الملك الظاهر غازية خاتون ابنة أخيه الملك العادل ودخل بها يوم الأربعاء السادس والعشرين

من شهر رمضان من السنة ثم كانت وقعة حطين المباركة على المسلمين قال وكانت في يوم السبت رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة في وسط نهار الجمعة وكان كثيراً ما يقصد لقاء العدو في يوم الجمعة عند الصلاة تبركاً بدعاء المسلمين والخطباء على المنابر فسار في ذلك الوقت بمن اجتمع له من العساكر الإسلامية وكانت تجوز العد والحصر على تعبية حسنة وهيئة جميلة وكان قد بلغه عن العدو أنه اجتمع في عدة كثيرة بمرج صفورية بأرض عكا عندما بلغهم اجتماع العساكر الإسلامية فسار ونزل على بحيرة طبرية ثم رحل ونزل على طبرية على سطح الجبل ينتظر قصد الفرنج له إذا بلغهم نزوله بالموضع المذكور فلم يتحركوا ولا خرجوا من منزلتهم وكان نزولهم بالموضع المذكور يوم الأربعاء الحادي والعشرين من شهر ربيع الاخر فلما رآهم لا يتحركون نزل جريدة على طبرية وترك الأطلاب على حالها قبالة العدو ونازل طبرية وهجمها وأخذها في ساعة واحدة وانتهب الناس ما بها وأخذوا في القتل والسبي والحريق وبقيت القلعة محتمية بمن فيها

175 ولما بلغ العدو ما جرى على طبرية قلقوا لذلك ورحلوا نحوها فبلغ السلطان ذلك فترك على طبرية من يحاصر قلعتها ولحق بالعسكر فالتقى بالعدو على سطح جبل طبرية الغربي منها وذلك في يوم الخميس الثاني والعشرين من شهر ربيع الآخر وحال الليل بين العسكرين

قياما على مصـاف إلى بكرة يوم الجمعة الثالث والعشـرين منه فركب العسكران وتصـادما والتحم القتال واشـتد الأمر وذلك بأرض قرية تعرف بلوبيا وضاق الخناق بالعدو وهم سائرون كأنهم يساقون إلى الموت وهم ينظرون وقد أيقنوا بالويل والثبور وأحست نفوسهم أنهم في غد يومهم ذلك من زوار القبور ولم تزل الحرب تضــطرم والفارس مع قرنه يصطدم ولم يبق إلا الظفر ووقع الوبال على من كفر فحال بينهم الليل بظلامه وبات كل واحد من الفريقين في سـلاحه إلى صـــبيحة يوم الســـبت فطلب كل من الفريقين مقامه وتحقق المســـلمون أن من ورائهم الأردن ومن بين أيديهم بلاد العدو وأنهم لا ينجيهم إلا الاجتهاد في الجهاد فحملت أطلاب المسلمين من جميع الجوانب وحمل القلب وصاحوا صـــيحة رجل واحد فألقى الله الرعب في قلوب الكافرين وكـان حقـا عليـه نصــر المؤمنين ولمـا أحس القومص بالخذلان هرب منهم في أوائل الأمر وقصــد جهة صـــور وتبعه جماعة من المســلمين فنجا منهم وكفى الله شـــره وأحاط المســـلمون بالكافرين من كل جانب وأطلقوا عليهم الســـهام وحكموا فيهم الســـيوف وســـقوهم كأس الحمام وانهزمت طائفة منهم فتبعها أبطال المســلمين فلم ينج منها أحد واعتصـــمت طائفة منهم بتل يقال له تل حطين وهي قرية عندها قبر النبي شـــعيب عليه الســـلام فضـــايقهم المســـلمون وأشـــعلوا حولهم النيران واشـــتد بهم العطش

وضــاق بهم الأمر حتى كانوا يســتســلمون للأمر خوفا من القتل لما مر بهم فأسر

176 مقدموهم وقتل الباقون وكان ممن ســلم من مقدميهم الملك جفري وأخوه والبرنس أرناط صــاحب الكرك والشوبك وابن الهنفري وابن صاحبه طبرية ومقدم الديوية وصاحب جبيل ومقدم الاسبتار قال ابن شداد ولقد حكي لي من أثق به أنه رأى بحوران شــخصــا واحدا معه نيف وثلاثون أســيرا قد ربطهم بطنب خيمة لما وقع عليهم من الخذلان ثم إن القومص الذي هرب في أول الأمر وصــل إلى طرابلس فأصــابه ذات الجنب فهلك منها وأما مقدما الاسبتار والديوية فان السلطان قتلهما وقتل من بقي من صــنفهما حيا وأما البرنس أرناط فان الســلطان كان قد نذر أنه إن ظفر به قتله وذلك لأنه كان قد عبر به عند الشوبك قوم من الديار المصرية في حال الصلح فغدر بهم وقتلهم فناشــدوه الصــلح الذي بينه وبين المســلمين فقال ما يتضــمن الاســتخفاف بالنبي وبلغ الســلطان فحملته حميته ودينه على أن يهدر دمه ولما فتح الله تعالى عليه بنصــره جلس في دهليز الخيمة لأنها لم تكن نصبت بعد وعرضت عليه الأســارى وســار الناس يتقربون إليه بمن في أيديهم منهم وهو فرح بما فتح الله تعالى على يده للمســلمين ونصبت له الخيمة فجلس فيها شاكرا لله تعالى على ما أنعم به عليه واســتحضــر الملك جفري وأخاه والبرنس أرناط وناول السلطان جفري شربة من جلاب وثلج فشرب منها

وكان على أشـــد حال من العطش ثم ناولها البرنس وقال السـلطان للترجمان قل للملك أنت الذي سـقيته وإلا أنا فما سـقيته وكان من جميل عادة العرب وكريم اخلاقهم أن الأسـير إذا أكل أو شـرب من مال من أسـره أمن فقصـد السلطان بقوله ذلك ثم أمر بمسيرهم إلى موضع عينه لهم فمضـوا بهم إليه فأكلوا شـيئا ثم عادوا بهم ولم يبق عنده سوى بعض الخدم فاستحضرهم

177 وأقعد الملك في دهليز الخيمة واسـتحضـر البرنس أرناط وأوقفه بين يديه وقال له ها أنا أنتصر لمحمد منك ثم عرض عليه الإسلام فلم يفعل فسل النيمجاه فضربه بها فحل كتفه وتمم قتله من حضـر وأخرجت جثته ورميت على باب الخيمة فلما رآه الملك على تلك الحال لم يشك في أنه يلحقه به فاستحضـره وطيب قلبه وقال له لم تجر عادة الملوك أن يقتلوا الملوك وأما هذا فإنه تجاوز الحد وتجرأ على الأنبياء صـلوات الله عليهم وبات الناس في تلك الليلة على أتم سـرور ترتفع أصـواتهم بحمد الله وشـكره وتهليله وتكبيره حتى طلع الفجر ثم نزل السـلطان على طبرية يوم الأحد الخامس والعشـرين من شـهر ربيع الآخر وتسـلم قلعتها في ذلك النهار وأقام عليها إلى يوم الثلاثاء ثم رحل طالبا عكا فكان نزوله عليها يوم الأربعاء سلخ شـهر ربيع الآخر وقاتلها بكرة يوم الخميس مسـتهل جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين فأخذها واستنقذ من كان بها من أسارى المسلمين وكانوا أكثر من أربعة آلاف نفس واستولى على

ما فيها من الأموال والذخائر والبضـــائع لأنها كانت مظنة التجار وتفرقت العساكر في بلاد الساحل يأخذون الحصون والقلاع والأماكن المنيعة فأخذوا نابلس وحيفا وقيســـارية وصـــفورية والناصـــرة وكان ذلك لخلوها من الرجال لأن القتل والأســـر أفنى كثيرا منهم ولما اســـتقرت قواعد عكا وقسـم أموالها وأسـاراها سـار يطلب تبنين فنزل عليها يوم الأحد حادي عشـر جمادى الأولـى وهي قلعة منيعة فنصـب عليها المناجيق وضـــيق بالزحف خناق من فيها وكان فيها أبطال معدودون وفي دينهم متشـــددون فقاتلوا قتالا شـــديدا ونصـــره الله ســـبحانه عليهم فتســـلمها منهم يوم الأحد ثامن عشرة عنوة وأسر من بقي فيها بعد القتل ثم رحل عنها إلى صـــيدا فنزل عليها وتســـلمها في غد يوم نزوله عليها وهو يوم الأربعاء العشـــرون من جمادى الأولى وأقام عليها ريثما قرر قواعدها وســـار حتى أتى بيروت فنازلها ليلة الخميس الثاني والعشـرين من جمادى الأولى وركب عليها المجـانيق وداوم الزحف والقتـال حتى أخـذهـا في يوم الخميس التاسع والعشرين من الشهر المذكور

178 وتســلم أصــحابه جبيل وهو على بيروت ولما فرغ باله من هذا الجانب رأى قصـــد عســـقلان ولم ير الاشـتغال بصـور بعد ان نزل عليها ثم رأى أن العسـكر قد تفرق في الساحل وذهب كل واحد يحصل لنفسه وكانوا قد ضـــرســـوا من القتال وملازمة الحرب والنزال وكان قد اجتمع في صـور من بقي في السـاحل من الفرنج فرأى أن

قصده عسقلان أولى لأنها ايسر من صور فاتى عسقلان ونزل عليها يوم الأحد السادس عشر من جمادى الآخرة من السنة وتسلم في طريقه إليها مواضع كثيرة كالرملة والداروم وأقام في عسقلان المناجيق وقاتلها قتالا شديدا وتسلمها في يوم السبت سلخ جمادى الآخرة من السنة وأقام عليها إلى أن تسلم أصحابه غزة وبيت جبريل والنطرون بغير قتال وكان بين فتح عسقلان وأخذ الفرنج لها من المسلمين خمس وثلاثون سنة فإنهم كانوا أخذوها من المسلمين في السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة هكذا ذكره شيخنا ابن شداد في السيرة وذكر الشهاب ياقوت الحموي في كتابه الذي سماه المشترك وضعا المختلف صقعا أنهم أخذوها من المسلمين في رابع عشر جمادى الآخرة من السنة قال ابن شداد لما تسلم عسقلان والأماكن المحيطة بالقدس شمر عن ساق الجد والاجتهاد في قصد القدس المبارك واجتمعت إليه العساكر التي كانت متفرقة في الساحل فسار نحوه معتمدا على الله تعالى مفوضا أمره إليه منتهزا الفرصة في فتح باب الخير الذي حث على انتهازه بقوله من فتح له باب خير فلينتهزه فإنه لا يعلم متى يغلق دونه وكان نزوله عليه في يوم الأحد الخامس عشر من رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وكان نزوله بالجانب الغربي وكان معه من كان مشحونا بالمقاتلة من الخيالة والرجالة وحزر أهل الخبرة

ممن كان معه من كان فيه من المقاتلة فكانوا يزيدون على ستين ألفا خارجا عن النساء والصبيان ثم انتقل
179 لمصـــلحة رآها إلى الجانب الشـــمالي في يوم الجمعة العشرين من رجب ونصب المناجيق وضايق البلد بالزحف والقتال حتى أخذ النقب في الســـور مما يلي وادي جهنم ولما رأى أعداء الله ما نزل بهم من الأمر الذي لا مدفع له عنهم وظهرت لهم أمارات فتح المدينة وظهور المســـلمين عليهم وكان قد اشـــتد روعهم لما جرى على أبطالهم وحماتهم من القتل والأســـر وعلى حصـــونهم من التخريب والهدم وتحققوا أنهم صائرون إلى ما صار أولئك إليه فاستكانوا وأخلدوا إلى طلب الأمان واستقرت القاعدة بالمراسلة من الطائفتين وكان تسلمه في يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب وليلته كانت ليلة المعراج المنصوص عليها في القرآن الكريم فانظر إلى هذا الاتفاق العجيب كيف يســـر الله تعالى عوده إلى المســـلمين في مثل زمان الإسراء بنبيهم وهذه علامة قبول هذه الطاعة من الله تعالى وكان فتحه عظيما شـــهده من أهل العلم خلق ومن أرباب الخرق والزهد عالم وذلك أن الناس لما بلغهم ما يســـره الله تعالى على يده من فتوح الســـاحل وقصـــده القدس قصـــده العلماء من مصـــر والشـــام بحيث لم يتخلف أحد منهم وارتفعت الأصـــوات بالضـــجيج بالدعاء والتهليل والتكبير وصـــليت فيه الجمعة يوم فتحه وخطب الخطيب قلت وقد تقدم في ترجمة القاضـــي محيي الدين محمد بن علي

المعروف بابن الزكي ذكر الخطبة التي خطب بها ذلك
اليوم فيكشف منه ورأيت في رسالة القاضي الفاضل
المعروفة بالقدسية أن الخطبة أقيمت يوم الجمعة رابع
شعبان والله أعلم وإذ قد ذكرنا فتوح القدس وقد تقدم ذكر
الخطبة التي خطب يوم الجمعة بها يليق أن نذكر الرسالة
التي كتبها القاضي الفاضل إلى الإمام الناصر لدين الله أبي
العباس أحمد ابن الإمام المستضيء بأمر الله تتضمن
الفتوح فإنها بديعة بليغة في بابها ولم أذكرها بكمالها بل
اخترت منها أحسنها وتركت الباقي لأنها طويلة وهي
180 أدام الله تعالى أيام الديوان العزيز النبوي ولا
زال مظفر الجد بكل جاحد غنيا بالتوفيق عن رأي كل رائد
موقوف المساعي على اقتناء مطلقات المحامد مستيقظ
النصر والنصل في جفنه راقد وارد الجود والسحاب على
الأرض غير وارد متعدد مساعي الفضل وإن كان لا يلقى
إلا بشكر واحد ماضي حكم العدل بعزم لا يمضي إلا بنبل
غوي وريش راشد لا زالت غيوث فضله إلى الأولياء
أنواء إلى المراتع وأنوارا إلى المساجد وبعوث رعبه إلى
الإعداء خيلا إلى المراقب وخيالا إلى المراقد كتب الخادم
هذه الخدمة تلو ما صدر عنه مما كان يجري مجرى
التباشير لصبح هذه العزمة والعنوان لكتاب وصف النعمة
فإنها بحر للأقلام فيه سبح طويل ولطف لحمل الشكر فيه
عبء ثقيل وبشرى للخواطر في شرحها مآرب ويسرى
للأسرار في إظهارها مسارب ولله تعالى في إعادة شكره

رضـا وللنعمة الراهنة به دوام لا يقال معه هذا مضـى ولقد صـارت أمور الإسـلام إلى أحسـن مصـايرها وقد اسـتتبت عقائد أهله على أبين بصـــائرها وتقلص ظل رجاء الكافر المبســـوط وصـــدق الله أهل دينه فلما وقع الشـــرط وقع المشـــروط وكان الدين غريبا فهو الآن في وطنه والفوز معروضـــا فقد بذلت الأنفس في ثمنه وأمر أمر الحق وكان مسـتضـعفا وأهل ربعه وكان قد عيف حين عفا وجاء أمر الله وأنوف أهل الشرك راغمة وأدلجت السيوف إلى الآجال وهي نائمة وصـــدق وعد الله في إظهار دينه على كل دين واستطارت له أنوار أبانت أن الصباح عندها جنان الجنين واسترد المسلمون تراثا كان عنهم آبقا وظفروا يقظة بما لم يصـدقوا أنهم يظفرون به طيفا على النأي طارقا واستقرت على الأعلى أقـدامهم وخفقـت على الأقصـــى أعلامهم وتلاقت على الصخرة قبلهم وشفيت بها وإن كانت صخرة كما تشـــفى بالماء غللهم ولما قدم الدين عليها عرف منها سـويداء قلبه وهنأ كفؤها الحجر الأسـود بين عصـمتها من الكافر بحربه

181 وكان الخادم لا يسـعى سـعيه إلا لهذه العظمى ولا يقاسى تلك البؤسى إلا رجاء هذه النعمى ولا يناجز من يستمطله في حربه ولا يعاتب بأطراف القنا من يتعادى في عتبه إلا لتكون الكلمة مجموعة فتكون كلمة الله هي العليا وليفوز بجوهر الآخرة لا بالعرض الأدنى من الدنيا وكانت الألســـن ربما ســـلقته فأنضـــج قلوبها بالاحتقار وكانت

الخواطر ربما غلت عليه مراجلها فأطفأها بالاحتمال والاصطبار ومن طلب خطيرا خاطر ومن رام صفقة رابحة جاسر ومن سما لأن يجلي غمرة غامر وإلا فإن القعود يلين تحت نيوب الأعداء المعاجم فيعضها ويضعف في أيديها مهز القوائم فيفضها هذا إلى كون القعود لا يقضى به فرض الله في الجهاد ولا يرعى به حقه في العباد ولا يوفى به واجب التقليد الذي يطوقه الخادم من أئمة قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون وخلفاء كانوا في مثل هذا اليوم يسألون لا جرم أنهم أورثوا سرهم وسريرهم خلفهم الأطهر ونجلهم الأكبر وبقيتهم الشريفة وطليعتهم المنيفة وعنوان صحيفة فضلهم لا عدم سواد القلم وبياض الصحيفة فما غابوا لما حضر ولا غضوا لما نظر بل وصلهم الأجر لما كان به موصولا وشاطروها العمل لما كان عنه منقولا ومنه مقبولا وخلص إليهم إلى المضاجع فاطمأنت به جنوبها وإلى الصحائف ما عبقت به جيوبها وفاز منها بذكر لا يزال الليل به سميرا والنهار به بصيرا والشرق يهتدي بأن داره بل إن بدا نور من ذاته هتف به الغرب بأنواره فإنه نور لا تكنه أغساق السدف وذكر لا توازيه أوراق الصحف وكتب الخادم هذا وقد أظفر الله بالعدو الذي تشظت قناته شققا وطارت
182 فرقه فرقا وفل سيفه فصار عصا وصدعت حصاته وكان الأكثر عددا وحصى وكلت حملاته وكان قدرا يضرب فيه العنان بالعنان وعقوبة من الله ليس

لصاحب يديها يدان وعثرت قدمه وكانت الأرض لها حليفة وغضت عينه وكانت عيون السيوف دونها كثيفة ونام جفن سيفه وكانت يقظته تريق نطف الكرى من الجفون وجدعت أنوف رماحه وطالما كانت شـــامخة بالمنى أو راعفة بالمنون وأصـــبحت الأرض المقدســـة الطاهرة وكانت الطامث والرب الفرد الواحد وكان عندهم الثالث وبيوت الكفر مهدومة ونيوب الشـــرك مهتومة وطوائفه المحامية مجمعة على تســـليم القلاع الحامية وشـــجعانه المتوافية مذعنة لبذل القطائع الوافية لا يرون في ماء الحديد لهم عصرة ولا في نار الأنفة لهم نصرة قد ضربت عليهم الذلة والمسكنة وبدل الله مكان السيئة الحسنة ونقل بيت عبادته من أيدي أصحاب المشأمة إلى أيدي أصحاب الميمنة وقد كان الخادم لقيهم اللقاة الأولى فأمده الله بمداركته وأنجده بملائكته فكسرهم كسرة ما بعدها جبر وصرعهم صرعة لا ينتعش بعدها بمشيئة الله كفر وأسر منهم من أسرت به السلاسل وقتل منهم من قتلت به المناصل وأجلت المعركة عن صـــرعى من الخيل والســـلاح والكفار وعن أصـــناف يخيل بأنه قتلهم بالسيوف الأفلاق والرماح الأكســـار فنيلوا بثار من السلاح ونالوه أيضا بثار فكم أهله سيوف تقارضن الضـــراب بها حتى عادت كالعراجين وكم أنجم قنا تبادلت الطعان حتى صارت كالمطاعين وكم فارسية ركض عليها فارســـها الشـــهم إلى اجل فاختلســـه وفغرت تلك القوس فاها فإذا فوها قد نهش القرن على بعد المســـافة وافترســـه فكان

اليوم مشـــهودا وكانت الملائكة شـــهودا وكان الضـــلال صارخا وكان الإسلام
183 مولودا وكانت ضـــلوع الكفار لنار جهنم وقودا وأسر الملك وبيده أوثق وثائقه وآكد وصله بالدين وعلائقه وهو صـــليب الصـــلبوت وقائد أهل الجبروت ما دهموا قط بأمر إلا وقام بين دهمائهم يبســـط لهم باعه وكان مد اليدين في هذه الدفعة وداعه لا جرم أنهم يتهافت على ناره فراشـــهم ويجتمع في ظل ضـلاله خشـاشـهم ويقاتلون تحت ذلك الصـــليب أصـــلب قتال وأصـــدقه ويرونه ميثاقا يبنون عليه أشـــد عهد وأوثقه ويعدونه ســـورا تحفر حوافر الخيل خندقه وفي هذا اليوم أســـرت ســـراتهم ودهيت دهاتهم ولم يفلت منهم معروف إلا القومص وكان لعنه الله مليا يوم الظفر بالقتال ومليا يوم الخذلان بالاحتيال فنجا ولكن كيف وطار خوفا من أن يلحقه منسر الرمح أو جناح السيف ثم أخذه الله تعالى بعد أيام بيده وأهلكه لموعده فكان لعدتهم فذلك وانتقل من ملك الموت إلى مالك وبعد الكســـرة مر الخادم على البلاد فطواها بما نشـــر عليها من الراية العباسية السوداء صبغا البيضاء صنعا الخافقة هي وقلوب أعدائها الغالبة هي وعزائم أوليائها المستضاء بأنوارها إذا فتح عينها النشر وأشارت بأنامل العذبات إلى وجه النصر فافتتح بلاد كذا وكذا وهذه كلها أمصـــار ومدن وقد تســـمى البلاد بلادا وهي مزارع وفدن كل هذه ذوات معاقل ومعاقر وبحار وجزائر وجوامع ومنابر وجموع وعســـاكر

يتجاوز ها الخادم بعد أن يحرز ها ويتركها وراءه بعد أن ينتهزها ويحصـــــد منها كفرا ويزرع إيمانا ويحط من جوامعها صـــلبا ويرفع أذانا ويبدل المذابح منابر والكنائس مســاجد ويبوىء أهل القرآن بعد أهل الصــلبان للقتال عن دين الله مقاعد ويقر عينه وعيون أهل الإســـلام أن يعلق النصــر منه ومن عســكره بجار ومجرور وأن يظفر بكل ســـور ما كان يخاف زلزاله ولا زياله إلى يوم النفخ في الصــــور ولما لم يبق إلا القدس وقد اجتمع إليه كل طريد منهم وشريد واعتصم

184 بمنعتها كل قريب منهم وبعيد وظنوا أنها من الله مانعتهم وأن كنيستها إلى الله شافعتهم فلما نزلها الخادم رأى بلدا كبلاد وجمعا كيوم التناد وعزائم قد تألبت وتألفت على الموت فنزلت بعرصته وهان عليها مورد السيف وأن تموت بغصــته فزاول البلد من كل جانب فإذا أودية عميقة ولجج وعر غريقة وســور قد انعطف عطف الســوار وأبرجة قد نزلت مكان الواســطة من عقر الدار فعدل إلى جهة أخرى كان للطالع عليها معرج وللخيل فيها متولج فنزل عليها وأحاط بها وقرب منها وضــرب خيمته بحيث يناله الســلاح بأطرافه ويزاحمه الســور باكنافه وقابلها ثم قاتلها ونزلها ثم نازلها وبرز إليها ثم بارزها وحاجزها ثم ناجزها وضمها ضمة ارتقب بعدها الفتح وصدع جمعها فإذا هم لا يصـــبرون على عبودية الحد عن عنق الصــفح فراســلوه ببذل قطيعة إلى مدة وقصـــدوا نظرة من شـــدة

وانتظارا لنجدة فعرفهم الخادم في لحن القول وأجابهم بلسان الطول وقدم المنجنيقات التي تتولى عقوبات الحصون عصيها وحبالها وأوتر لهم قسيها التي ترمي ولا تفارقها سهامها ولكن تفارق سهامها نصالها فصافحت السور فإذا سهمها في ثنايا شرفاتها سواك وقدم النصر نسرا من المنجنيق يخلد إخلاده إلى الأرض ويعلو علوه إلى السماك فشج مرادع أبراجها وأسمع صوت عجيجها صم أعلاجها ورفع منار عجاجها فأخلى السور من السيارة والحرب من النظارة وأمكن النقاب أن يسفر للحرب النقاب وأن يعيد الحجر إلى سيرته الأولى من التراب فتقدم إلى الصخر فمضغ سرده بأنياب معوله وحل عقده بضربه الأخرق الدال على لطافة انملة وأسمع الصخرة الشريفة أنينه واستغاثته إلى أن كادت ترق لمقتله وتبرأ بعض الحجارة من بعض واخذ الخراب عليها موثقا فلن تبرح الأرض وفتح من السور باب سد من نجاتهم أبوابا

185 وأخذ ينقب في حجره فقال عنده الكافر يا ليتني كنت ترابا فحينئذ يئس الكفار من اصحاب الدور كما يئس الكفار من أصحاب القبور وجاء أمر الله وغرهم بالله الغرور وفي الحال خرج طاغية كفرهم وزمام أمرهم ابن بارزان سائلا أن يؤخذ البلد بالسلم لا بالعنوة وبالأمان لا بالسطوة وألقى بيده إلى التهلكة وعلاه ذل الهلكة بعد عز المملكة وطرح جنبه على التراب وكان جنبا لا يتعاطاه طارح وبذل مبلغا من القطيعة لا يطمح إليها أمل طامح

وقال ها هنا اسارى مسلمون يتجاوزون الألوف وقد تعاقد الفرنج على أنهم إن هجمت عليهم الدار وحملت الحرب على ظهورهم الأوزار بدىء بهم فعجلوا وثنى بنساء الفرنج وأطفالهم فقتلوا ثم استقتلوا بعد ذلك فلا يقتل خصم إلا بعد أن ينتصف ولا يفل سيف من يد إلا بعد أن تقطع أو ينقصف فأشار الأمراء بأخذ الميسور من البلد المأسور فإنه لو أخذ حربا فلا بد أن يتقحم الرجال الأنجاد ويقال كفوا عنها في آخر أمر قد نيل من أوله المراد وكانت الجراح في العساكر قد تقدم منها ما اعتقل الفتكات وأثقل الحركات فقبل منهم المبذول عن يد وهم صاغرون وانصرف أهل الحرب عن قدرة وهم ظاهرون وملك الإسلام خطة كان عهده بها دمنة سكان فخدمها الكفر إلى أن صارت روضة جنان لا جرم أن الله تعالى أخرجهم منها وأهبطهم وأرضى أهل الحق وأسخطهم فإنهم خذلهم الله حموها بالأسل والصفاح وبنوها بالعمد والصفاح وأودعوا الكنائس بها وبيوت الديوية والاسبتارية فيها بكل غريبة من الرخام الذي يطرد ماؤه ولا ينطرد لألاؤه قد لطف الحديد في تجزيعه وتفتن في توشيعه إلى أن صار الحديد الذي فيه بأس شديد كالذهب الذي فيه نعيم عتيد فما ترى إلا مقاعد كالرياض لها من بياض الترخيم رقراق وعمدا كالأشجار لها من التنبيت أوراق وأوعز الخادم برد الأقصى إلى عهده المعهود وأقام له من الأئمة من

186 يوفيه ورده المورود وأقيمت الخطبة يوم الجمعة رابع شعبان فكادت السموات يتفطرن للسجود لا للوجوم والكواكب منها تنتثر للطرب لا للرجوم ورفعت إلى الله كلمة التوحيد وكانت طريقها مسدودة وطهرت قبور الأنبياء وكانت بالنجاسات مكدودة وأقيمت الخمس وكان التثليث يقعدها وجهرت الألسنة بالله أكبر وكان سحر الكفر يعقدها وجهر باسم أمير المؤمنين في وطنه الأشرف من المنبر فرحب به ترحيب من بر بمن بر وخفق علماه في حفافيه فلو طار سروراً لطار بجناحيه وكتاب الخادم وهو مجد في استفتاح بقية الثغور واستشراح ما ضاق بتمادي الحرب من الصدور فان قوى العساكر قد استنفدت مواردها وايام الشقاء قد مردت مواردها والبلاد المأخوذة المشار إليها قد جاست العساكر خلالها ونهبت ذخائرها وأكلت غلالها فهي بلاد ترفد ولا تسترفد وتجم ولا تستنفد يتفق عليها ولا ينفق منها وتجهز الأساطيل لبحرها وتقام المرابط بساحلها ويدأب في عمارة اسوارها ومرمات معاقلها وكل مشقة بالإضافة إلى نعمة الفتح محتملة وأطماع الفرنج بعد ذلك غير مرجئة ولا معتزلة فان يدعوا دعوة يرجو الخادم من الله أنها لا تسمع ولن يكفوا ايديهم من اطراف البلاد حتى تقطع وهذه البشائر لها تفاصيل لا تكاد من غير الألسنة تتشخص ولا بما سوى المشافهة تتخلص فلذلك نفذ الخادم لساناً شارحاً ومبشراً صادحاً يطالع بالخبر على سياقته ويعرض جيش المسرة من

طليعته إلى ساقته وهو فلان والله الموفق هذا نخر الرسالة الفاضلية وكان في عزمي اختصارها والاقتصار على محاسنها فلما شرعت فيها قلت في نفسي عسى أن يقف عليها من يؤثر الوقوف على جميعها فأكملتها ورجعت عن الرأي الأول وهي قليلة الوجود

187 في ايدي الناس وكانت النسخة التي نقلتها منها سقيمة ولقد اجتهدت في تحريرها حتى صحت على هذه الصورة حسب الإمكان وقد عمل عماد الدين الأصبهاني الكاتب رسالة في فتح القدس ايضاً فلم أر التطويل بكتابتها فتركتها وجمع كتاباً سماه الفتح القسي في الفتح القدسي وهو في مجلدين ذكر فيه جميع ما جرى في هذه الواقعة ورأيت منذ زمان رسالة مليحة أنشأها ضياء الدين ابو الفتح نصر الله المعروف بابن الأثير الجزري رحمه الله تعالى المقدم ذكره في حرف النون تتضمن فتح القدس أيضاً وكل واحد من أرباب صناعة الإنشاء كان يريد يمتحن خاطره بما يعمل في ذلك والقاضي الفاضل رئيس هذا الفن وإذا شرع في شيء من هذا الباب لا يستطيع أحد أن يجاريه ولا يباريه فلهذا اثبت رسالته ورفضت غيرها خوف الإطالة وكان قد حضر الرشيد أبو محمد عبد الرحمن بن بدر بن الحسن بن مفرج النابلسي الشاعر المشهور هذا الفتح فأنشد السلطان صلاح الدين قصيدته التي أولها (هذا الذي كانت الآمال تنتظر * فليوف لله أقوام بما نذروا) وهي طويلة تزيد على مائة بيت يمدحه

ويهنيه بالفتح وإذ قد نجز المطلوب من هذا الأمر فلنرجع إلى تتمة ما ذكره شيخنا بهاء الدين بن شداد في السيرة الصلاحية قال ونكس الصليب الذي كان على قبة الصخرة وكان شكلاً عظيماً ونصر الله الإسلام على يده نصراً عزيزاً

188 قلت وقد تقدم في ترجة أرتق طرف من أخبار القدس وأن الأفضل أمير الجيوش بمصر أخذه من ولديه سقمان وإيل غازي ثم إن الفرنج استولوا عليه يوم الجمعة الثالث والعشرين من شعبان سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة وقيل في ثاني شعبان وقيل يوم الجمعة السادس والعشرين من شهر رمضان من السنة ولم يزل بأيديهم حتى استنقذه منهم صلاح الدين في التاريخ المذكور نعود إلى كلام ابن شداد وكانت قاعدة الصلح أنهم قطعوا على نفسهم عن كل رجل عشرين ديناراً وعن كل امرأة خمسة دنانير صورية عن كل صغير ذكر أو أنثى ديناراً واحداً فمن أحضر قطيعته نجا بنفسه وإلا أخذ أسيراً وأفرج عمن كان بالقدس من اسارى المسلمين وكانوا خلقاً عظيماً وأقام به يجمع الأموال ويفرقها على الأمراء والرجال ويحبو بها الفقهاء والعلماء والزهاد والوافدين عليه وتقدم بايصال من قام بقطيعته إلى مأمنه وهي مدينة صور ولم يرحل عنه ومعه من المال الذي جبي له شيء وكان يقارب مائتي ألف دينار وعشرين الفاً وكان رحيله عنه يوم الجمعة الخامس والعشرين من شعبان من السنة ولما فتح القدس حسن

عنده قصد صور وعلم أنه إن أخر أمرها ربما عسر عليه فســـار نحوها حتى أتى عكا فنزل عليها ونظر في أمورها ثم رحل عنها متوجهاً إلى صـــور في يوم الجمعة خامس شـهر رمضـان من السـنة فنزل قريباً منها وسير لإحضـار آلات القتال ولما تكاملت عنده نزل عليها في ثاني عشـــر الشـــهر المذكور وقاتلها وضـــايقها قتالاً عظيماً واسـتدعى أصـطول مصـر فكان يقاتلها في البر والبحر ثم سـير من حاصر هونين فسلمت في الثالث والعشرين من شوال من السـنة ثم خرج أصـطول صـور في الليل فكبس أصـطول المسلمين وأخذوا

189 المقدم والريس وخمس قطع للمســلمين وقتلوا خلقاً كثيراً من رجال المسلمين وذلك في السابع والعشرين من الشـــهر المذكور وعظم ذلك على الســلطان وضـــاق صـــدره وكان الشـــتاء قد هجم وتراكمت الأمطار وامتنع الناس من القتال لكثرة الأمطار فجمع الأمراء واستشـارهم فيما يفعل فأشـــاروا عليه بالرحيل لتســتريح الرجال ويجتمعوا للقتال فرحل عنها وحملوا من آلات الحصـار ما أمكن وأحرقوا الباقي الذي عجزوا عن حمله لكثرة الوحل والمطر وكان رحيله يوم الأحد ثاني ذي القعدة من الســنة وتفرقت العســاكر وأعطى كل طائفة منها دسـتوراً وسـار كل قوم إلى بلادهم وأقام هو مع جماعة من خواصه بمدينة عكا إلى أن دخلت ســنة أربع وثمانين وخمســمائة ثم نزل على كوكب في أوائل المحرم من الســنة ولم يبق معه من

العسكر إلا القليل وكان حصناً حصيناً وفيه الرجال والأقوات فعلم أنه لا يؤخذ إلا بقتال شديد فرجع إلى دمشق ودخلها في سادس عشر شهر ربيع الأول من السنة قال ابن شداد ولما كان على كوكب وصلت إلى خدمته ثم فارقته ومضيت لزيارة القدس والخليل عليه أفضل الصلاة والسلام ودخلت دمشق يوم دخول السلطان إليها قلت وقد ذكرت هذا في ترجمته قال وأقام بدمشق خمسة ايام ثم بلغه أن الفرنج قصدوا جبيل واغتالوها فخرج مسرعاً وكان قد سير يستدعي العساكر من جميع المواضع وسار يطلب جبيل فلما عرف الفرنج بخروجه كفوا عن ذلك وكان بلغه وصول عماد الدين صاحب سنجار ومظفر الدين بن زين الدين وعسكر الموصل إلى حلب قاصدين خدمته والغزاة معه فسار نحو حصن الأكراد

190 قال ابن شداد في السيرة إنه اتصل بخدمة السلطان في مستهل جمادى الأولى من سنة أربع وثمانين وجميع ما ذكرته فهو بروايتي عمن أثق به ومن ها هنا ما اسطر إلا ما شاهدته أو أخبرني به من اثق إليه خبراً يقارب العيان قال لما كان يوم الجمعة رابع جمادى الأولى دخل السلطان بلاد العدو على تعبية حسنة ورتب الأطلاب وسارت الميمنة أولاً ومقدمها عماد الدين زنكي والقلب في الوسط والميسرة في الأخير ومقدمها مظفر الدين ابن زين الدين فوصل إلى انطرسوس ضاحي نهار الأحد سادس جمادى الأولى فوقف قبالتها ينظر إليها لأن قصده كان

جبلة فاستهان بأمرها وعزم على قتالها فسير من رد الميمنة وامرها بالنزول على جانب البحر والميسرة على الجانب الآخر ونزل هو موضعه والعساكر محدقة بها من البحر إلى البحر وهي مدينة راكبة على البحر ولها برجان كالقلعتين فركبوا وقاربوا البلد وزحفوا واشتد القتال وباغتوها فما استتم نصب الخيام حتى صعد لمسلمون سورها وأخذوها بالسيف وغنم المسلمون جميع من بها وما بها وأحرق البلد واقام عليها إلى رابع عشر جمادى الأولى وسلم أحد البرجين إلى مظفر الدين فما زال يحاربه حتى أخربه واجتمع به ولده الملك الظاهر لأنه كان قد طلبه فجاءه في عسكر عظيم ثم سار يريد جبلة وكان وصوله إليها في ثاني عشر جمادى الأولى وما استتم نزول العسكر عليها حتى أخذ البلد وكان فيه مسلمون مقيمون وقاض يحكم بينهم وقوتلت القلعة قتالاً شديداً ثم سلمت بالأمان في يوم السبت تاسع عشر جمادى الأولى من السنة واقام عليها إلى الثالث والعشرين منه ثم سار عنها إلى اللاذقية وكان نزوله عليها يوم الخميس الرابع والعشرين من جمادى الأولى وهو بلد مليح خفيف على القلب غير مسور وله ميناء مشهور وله قلعتان متصلتان على تل يشرف على البلد واشتد القتال إلى

191 آخر النهار فأخذ البلد دون القلعتين وغنم الناس منه غنيمة عظيمة لأنه كان بلد التجار وجدوا في أمر القلعتين بالقتال والنقوب حتى بلغ طول النقب ستين ذراعاً

وعرضـــه أربعة اذرع فلما رأى أهل القلعتين الغلبة لاذوا بطلب الأمان وذلك في عشـــية يوم الجمعة الخامس والعشرين من الشهر والتمسوا الصلح على سلامة نفوسهم وذراريهم ونســـائهم وأموالهم ما خلا التظال والذخائر والســـلاح وآلات الحرب فأجابهم إلى ذلك ورفع العلم الإســـلامي عليها يوم الســـبت وأقام عليها إلى يوم الأحد الســـابع والعشـرين من الشـــهر فرحل عنها إلى صـــهيون فنزل عليها يوم الثلاثاء التاســـع والعشـــرين من الشـــهر واجتهد في القتال فأخذ البلد يوم الجمعة ثاني جمادى الآخرة ثم تقدموا إلى القلعة وصـــدقوا القتال فلما عاينوا الهلاك طلبوا الأمان فأجابهم إليه بحيث يؤخذ من الرجل عشـرة دنانير ومن المرأة خمسة دنانير ومن كل صـــغير ديناران الذكر والأنثى ســـواء واقام الســـلطان بهذه الجهة حتى أخذ عدة قلاع منها بلاطنس وغيرها من الحصـــون المنيعة المتعلقة بصـــهيون ثم رحل عنها وأتى بكاس وهي قلعة حصـــينة على العاصـــي ولها نهر يخرج من تحتها وكان النزول عليها يوم الثلاثاء ســـادس جمادى الآخرة وقاتلوها قتالاً شديداً إلى يوم الجمعة تاسع الشهر ثم يسر الله فتحها عنوة فقتل أكثر من بها وأســـر الباقون وغنم المسلمون جميع ما كان فيها ولها قليعة تسمى الشغر وهي في غاية المنعة يعبر إليها منها بجســـر وليس عليها طريق فســـلطت المناجيق عليها من جميع الجوانب ورأوا أنهم لا ناصـــر لهم فطلبوا الأمان وذلك يوم الثلاثاء ثالث عشـــر

الشــهر ثم ســألوا المهلة ثلاثة ايام فأمهلوا وكان تمام فتحها وصعود العلم السلطاني على قلتها يوم الجمعة سادس عشر الشــهر ثم ســار إلى برزية وهي من الحصـون المنيعة في غاية القوة يضـرب بها
192 المثل في بلاد الفرنج تحيط بها أودية من جميع جوانبها وعلوها خمســمائة ونيف وســبعون ذراعاً وكان نزوله عليها يوم الســبت الرابع والعشــرين من الشــهر ثم اخذها عنوة يوم الثلاثاء السابع والعشرين منه ثم سار إلى دربســاك فنزل عليها يوم الجمعة ثامن رجب وهي قلعة منيعة وقاتلها قتالاً شـديداً ورقي العلم الإسـلامي عليها يوم الجمعة الثاني والعشــرين من رجب وأعطاها الأمير علم الدين سليمان بن جندر وسار عنها بكرة يوم السبت الثالث والعشــرين من الشــهر ونزل على بغراس وهي قلعة حصـينة بالقرب من أنطاكية وقاتلها مقاتلة شـديدة وصـعد العلم الإسلامي عليها في ثاني شعبان وراسله أهل أنطاكية في طلب الصلح فصالحهم لشدة ضجر العسكر من البيكار وكان الصلح معهم لا غير على أن يطلقوا كل أسير عندهم والصـلح إلى سـبعة أشـهر فإن جاءهم من ينصـرهم وغاإا سـلموا البلد ثم رحل السـلطان فسـأله ولده الملك الظاهر صاحب حلب أن يجتاز به فأجابه إلى ذلك فوصل حلب في حادي عشــر شــعبان واقام بالقلعة ثلاثة ايام وولده يقوم بالضـيافة حق القيام وسـار من حلب فاعترضـه تقي الدين عمر ابن أخيه وأصــعده إلى قلعة حماة وصــنع له طعاماً

وأحضر له سماعاً من جنس ما تعمل الصوفية وبات فيها ليلة واحدة وأعطاه جبلة واللاذقية وسار على طريق بعلبك ودخل دمشق قبل شهر رمضان بأيام يسيرة ثم سار في أوائل شهر رمضان يريد صفد فنزل عليها ولم يزل القتال حتى تسلمها بالأمان في رابع عشر شوال وفي شهر رمضان المذكور سلمت الكرك سلمها نواب صاحبها وخلصوه بذلك لأنه كان في الأسر من نوبة حطين

193 قلت هكذا ذكره وهذا لا ينتظم مع ما قبله فقد تقدم قبل هذا أن البرنس أرناط صاحب الكرك والشوبك أسر في وقعة حطين ثم قتله السلطان بيده فيكشف عن ذلك في مكان آخر ليحقق قال ثم سار إلى كوكب وضايقوها وقاتلوها مقاتلة شديدة والأمطار متواترة والوحول متضاعفة والرياح عاصفة والعدو متسلط بعلو مكانه فلما تيقنوا أنهم مأخوذون طلبوا الأمان فأجابهم إليه وتسلمها منهم في منتصف ذي القعدة من السنة ثم نزل إلى الغور وأقام بالمخيم بقية الشهر وأعطى الجماعة دستورا وسار مع أخيه الملك العادل يريد زيارة القدس ووداع أخيه لأنه كان متوجهاً إلى مصر ودخل القدس في ثامن ذي الحجة وصلى بها العيد وتوجه في حادي عشر ذي الحجة إلى عسقلان لينظر في أمورها وأخذها من أخيه العادل وعوضه عنها الكرك ثم مر على بلاد الساحل يتفقد أحوالها ثم دخل عكا فاقام بها معظم المحرم من سنة خمس وثمانين يصلح أمورها ورتب بها الأمير بهاء الدين

قراقوش والياً وامره بعمارة ســورها وســار إلى دمشــق فدخلها في مستهل صفر من السنة وأقام بها إلى شهر ربيع الأول من السـنة ثم خرج إلى شـقيف أرنون وهو موضـع حصين فخيم في مرج عيون بالقرب من الشقيف في سابع عشــر شــهر ربيع الأول وأقام أياماً يباشــر قتاله كل يوم والعسـاكر تتواصل إليه فلما تحقق صـاحب الشـقيف أنه لا طاقة له به نزل إليه بنفســه فلم يشــعر به إلا وهو قائم على باب خيمته فأذن له

194 في دخوله إليه واكرمه واحترمه وكان من أكبر الفرنج وعقلائهم وكان يعرف بالعربية وعنده اطلاع على شيء من التواريخ والأحاديث وكان حسن التأتي لما حضر بين يدي الســلطان وأكل معه الطعام ثم خلا به وذكر أنه مملوكه وتحت طاعته وأنه يسـلم إليه المكان من غير تعب واشـترط أن يعطى موضـعاً يسكنه بدمشق فإنه بعد ذلك لا يقدر على مساكنه الفرنج وإقطاعاً يقوم به وبأهله وشروطاً غير ذلك فأجابه إلى ذلك وفي أثناء شــهر ربيع الأول وصـله الخبر بتسـليم الشـوبك وكان السـلطان قد اقام عليه جمعاً يحاصــرونه مدة ســنة كاملة إلى أن نفذ زاد من كان فيه فسلموه بالأمان ثم ظهر للسلطان بعد ذلك أن جميع ما قاله صــاحب الشـقيف كان خديعة فرسـم عليه ثم بلغه أن الفرنج قصــدوا عكا ونزلوا عليها يوم الاثنين ثالث عشــر رجب ســنة خمس وثمانين وفي ذلك اليوم ســير صــاحب الشقيف إلى دمشق بعد الإهانة الشديدة وأتى عكا ودخلها

بغتة لتقوى قلوب من بها وسير استدعى العساكر من كل ناحية فجاءته وكان العدو بمقدار ألفي فارس وثلاثين ألف راجل ثم تكاثر الفرنج واستفحل أمرهم وأحاطوا بعكا ومنعوا من يدخل إليها ويخرج وذلك يوم الخميس سلخ رجب فضاق صدر السلطان لذلك ثم اجتهد في فتح الطريق إليها لتستمر السابلة بالميرة والنجدة وشاور الأمراء فاتفقوا على مضايقة العدو لينفتح الطريق ففعلوا ذلك وانفتح الطريق وسلكه المسلمون ودخل السلطان عكا فأشرف على أمورها ثم جرى بين الفريقين مناوشات في عدة ايام وتأخر الناس إلى تل العياضية وهو مشرف على عكا وفي هذه المنزلة توفي الأمير حسام الدين طمان المقدم ذكره في هذه الترجمة وذلك ليلة نصف شعبان من سنة خمس وثمانين وخمسمائة وكان من الشجعان

195 ثم إن شيخنا ابن شداد ذكر بعد هذا وقعات ليس لنا غرض في ذكرها وتطول هذه الترجمة باستيفاء الكلام فيها إذ ليس الغرض سوى المقاصد لا غير وإنما ذكرت فتوحات هذه الحصون لأن الحاجة قد تدعو إلى الوقوف على تواريخها مع أني لم أذكر إلا ما يكثر التطلع إلى الوقوف عليه وأضربت عن الباقي قال ابن شداد سمعت السلطان ينشد وقد قيل له إن الوخم قد عظم بمرج عكا وإن الموت قد فشا في الطائفتين (اقتلاني ومالكا * واقتلا مالكا معي) يريد بذلك أنه قد رضي أن يتلف إذا أتلف الله أعداءه قلت وهذا البيت له سبب يحتاج إلى شرح

وذلك أن مالك بن الحارث المعروف بالأشــتر النخعي كان من الشــــجعان والأبطال المشــــهورين وهو من خواص أصحاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه تماسك في يوم وقعة الجمل المشـــهورة هو وعبد الله بن الزبير بن العوام وكان ايضاً من الأبطال وابن الزبير يومئذ مع خالته عائشة أم المؤمنين وطلحــة والزبير رضــــي الله عنهم أجمعين وكانوا يحاربون علياً رضي الله عنه فلما تماسكا صار كل واحد منهما إذا قوي على صـــاحبه جعله تحته وركب صـــدره وفعلا ذلك مراراً وابن الزبير ينشــد (اقتلاني ومالكا * واقتلا مالكا معي) يريد الأشـــتر النخعي هذه خلاصــة القول في ذلك وإن كانت القصــة طويلة وهي في التواريخ مبسـوطة وقال عبد الله بن الزبير لاقيت الأشـتر النخعي يوم الجمل فما ضربته ضربة حتى ضربني ستا أو سبعاً ثم أخذ برجلي فألقاني في الخندق وقال

196 والله لولا قرابتك من رسـول الله ما اجتمع منك عضـو إلى عضـو ابداً وقال أبو بكر بن أبي شـيبة أعطت عائشة رضي الله عنها الذي بشرها بسلامة ابن الزبير لما لاقى الأشـتر عشـرة آلاف درهم وقيل أيضـاً إن الأشـتر دخل على عائشة رضي الله عنها بعد وقعة الجمل فقالت له يا أشتر أنت الذي أردت قتل ابن أختي يوم الوقعة فأنشدها (أعائش لولا أنني كنت طاويا * ثلاثا لألفيت ابن أختك هالكا) (غداة ينادي والرماح تنوشـــه * بآخر صـــوت اقتلوني ومالكا) (فنجاه مني أكله وشبابه * وخلوة جوف

لم يكن متماسكا) وقال زجر بن قيس دخلت مع عبد الله
بن الزبير الحمام فاذا في رأسه ضربة لو صب فيها
قارورة دهن لاستقر فقال لي أتدري من ضربني هذه
الضربة قلت لا قال ابن عمك الأشتر النخعي رجعنا إلى
ما كنا عليه قال ابن شداد ثم إن الفرنج جاءهم الأمداد من
داخل البحر واستظهروا على الجماعة الإسلامية بعكا
وكان فيهم الأمير سيف الدين علي بن أحمد المعروف
بالمشطوب الهكاري والأمير بهاء الدين قراقوش الخادم
الصلاحي وضايقوهم اشد مضايقة إلى أن غلبوا عن حفظ
البلد فلما كان يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة من
سنة سبع وثمانين وخمسمائة خرج من عكا رجل عوام
ومعه كتب من المسلمين يذكرون حالهم وما هم فيه وأنهم
قد تيقنوا الهلاك ومتى أخذوا البلد عنوة ضربت رقابهم
وأنهم صالحوا على أن يسلموا البلد وجميع ما فيه من
الآلات والعدة والأسلحة والمراكب ومائتي ألف دينار
وخمسمائة اسير مجاهيل ومائة أسير معينين من جهتهم
197 وصليب الصلبوت على أن يخرجوا بأنفسهم
سالمين وما معهم من الأموال والأقمشة المختصة بهم
وذراريهم ونسائهم وضمنوا للمركيس لأنه كان الواسطة
في هذا الأمر أربعة آلاف دينار ولما وقف السلطان على
الكتب المشار إليها أنكر ذلك إنكاراً عظيماً وعظم عليه هذا
الأمر وجمع أهل الرأي من اكابر دولته وشاورهم فيما
يصنع واضطربت براؤه وتقسم فكره وتشوش حاله وعزم

على أن يكتــب في تلــك الليلــة مع العوام وينكر عليهم المصالحة على هذا الوجه وهو يتردد في هذا فلم يشعر إلا وقد ارتفعت أعلام العدو وصــــلبانه وناره وشـــعاره على سور البلد وذلك في ظهيرة يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة من الســـنة وصــاح الفرنج صـــيحة عظيمة واحدة وعظمت المصيبة على المسلمين واشتد حزنهم ووقع فيهم الصــياح والعويل والبكاء والنحيب ثم ذكر ابن شــداد بعد هذا أن الفرنج خرجوا من عكا قاصدين عسقلان ليأخذوها وساروا على الساحل والسلطان وعساكره في قبالتهم إلى أن وصـــلوا إلى أرســـوف فكان بينهما قتال عظيم ونال المســلمين منه وهن شــديد ثم ســاروا على تلك الهيئة تتمة عشــر منازل من مســيرهم من عكا فأتى الســلطان الرملة وأتاه من أخبره بأن القوم على عزم عمارة يافا وتقويتها بالرجال والعدد والآلات فأحضر السلطان أرباب مشورته وشاورهم في أمر عسقلان وهل الصواب خرابها أم بقاؤها فاتفقت آراؤهم أن يبقى الملك العادل في قبالة العدو ويتوجه هو بنفسه ويخربها خوفاً من أن يصل العدو إليها ويستولي عليها وهي عامرة ويأخذ بها القدس وتنقطع بها طريق مصــر وامتنع العســكر من الدخول وخافوا مما جرى على المســـلمين بعكا ورأوا أن حفظ القدس أولى فتعين خرابها من عدة جهات وكان هذا الاجتماع يوم الثلاثاء سابع عشر شــعبان ســنة ســبع وثمانين وخمســمائة فســار إليها ســحرة

الأربعاء ثامن عشر الشهر قال ابن شداد وتحدث معي في معنى خرابها بعد أن تحدث
198 مع ولده الملك الأفضل في أمرها ايضاً ثم قال لأن أفقد ولدي جميعهم أحب إلي من أن أهدم منها حجراً ولكن إذا قضى الله تعالى ذلك وكان فيه مصلحة للمسلمين فما الحيلة في ذلك قال ولما اتفق الرأي على إخرابها اوقع الله تعالى في نفسه ذلك وأن المصلحة فيه لعجز المسلمين عن حفظها وشرع في إخرابها سحرة يوم الخميس التاسع عشر من شعبان من السنة وقسم السور على الناس وجعل لكل امير وطائفة من العسكر بدنة معلومة وبرجاً معيناً يخربونه ودخل الناس البلد ووقع فيهم الضجيج والبكاء وكان بلداً خفيفاً على القلب محكم الأسوار عظيم البناء مرغوباً في سكنه فلحق الناس على خرابه حزن عظيم وعظم عويل أهل البلد عليه لفراق أوطانهم وشرعوا في بيع ما لا يقدرون على حمله فباعوا ما يساوي عشرة دراهم بدرهم واحد وباعوا اثني عشر طير دجاج بدرهم واحد واختبط البلد وخرج الناس بأهلهم وأولادهم إلى المخيم وتشتتوا فذهب قوم منهم إلى مصر وقوم إلى الشام وجرت عليهم أمور عظيمة واجتهد السلطان وأولاده في خراب البلد كي لا يسمع العدو فيسرع إليه ولا يمكن من إخرابه وبات الناس على اصعب حال وأشد تعب مما قاسوه في خرابها وفي تلك الليلة وصل من جانب الملك العادل من أخبر أن الفرنج تحدثوا معه في الصلح وطلبوا

جميع البلاد الساحلية فرأى السلطان أن ذلك مصلحة لما علم من نفس الناس من الضجر من القتال وكثرة ما عليهم من الديون وكتب إليه يأذن له في ذلك وفوض الأمر إلى رايه وأصبح يوم الجمعة العشرين من شعبان وهو مصر على الخراب واستعمل الناس عليه وحثهم على العجلة فيه واباحهم ما في الهري الذي كان مدخراً للميرة خوفاً من هجوم الفرنج والعجز عن نقله وأمر بإحراق البلد فأضرمت النيران في بيوته وكان سورها عظيماً ولم يزل الخراب يعمل في البلد إلى سلخ شعبان من السنة وأصبح يوم الإثنين مستهل شهر رمضان أمر ولده الملك الأفضل أن يباشر ذلك بنفسه وخواصه ولقد رأيته يحمل الخشب بنفسه لأجل الإحراق

199 وفي يوم الأربعاء ثالث شهر رمضان أتى الرملة ثم خرج إلى لد واشرف عليها وامر باخرابها وإخراب قلعة الرملة ففعل ذلك وفي يوم السبت ثالث عشر شهر رمضان تأخر السلطان بالعسكر إلى جهة الجبل ليتمكن الناس من تسيير دوابهم لإحضار ما يحتاجون إليه ودار السلطان حول النطرون وهي قلعة منيعة فأمر باخرابها وشرع الناس في ذلك ثم ذكر ابن شداد بعد هذا أن الانكتار وهو من أكابر ملوك الفرنج سير رسوله إلى الملك العادل يطلب الاجتماع به فأجابه إلى ذلك واجتمعا يوم الجمعة ثامن عشر شوال من السنة وتحادثا معظم ذلك النهار وانفصلا عن مودة أكيدة والتمس الانكتار من العادل

أن يسأل السلطان أن يجتمع به فذكر العادل ذلك للسلطان فاستشار أكابر دولته في ذلك ووقع الاتفاق على أنه إذا جرى الصلح بيننا يكون الاجتماع بعد ذلك ثم وصل رسول الانكتار وقال إن الملك يقول إني أحب صداقتك ومودتك وأنت تذكر أنك أعطيت هذه البلاد الساحلية لأخيك فأريد أن تكون حكماً بيني وبينه وتقسم البلاد بيني وبينه ولا بد أن يكون لنا علقة بالقدس وأطال الحديث في ذلك فأجابه السلطان بوعد جميل وأذن له في العود في الحال وتأثر لذلك تأثراً عظيماً قال ابن شداد وبعد انفصال الرسول قال لي السلطان متى صالحناهم لم تؤمن غائلتهم ولو حدث بي حادث الموت ما كانت تجتمع هذه العساكر وتقوى الفرنج والمصلحة أن لا نزول عن الجهاد حتى نخرجهم من الساحل أو يأتينا الموت هذا كان رأيه وإنما غلب على الصلح قال ابن شداد ثم ترددت الرسل بينهم في الصلح وأطال القول في ذلك فتركته إذ لا حاجة إليه وجرت بعد ذلك وقعات أضربت عن ذكرها لطول الكلام فيها وحاصل الأمر أنه تم الصلح بينهم وكانت الأيمان يوم

200 الأربعاء الثاني والعشرين من شعبان سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ونادى المنادي بانتظام الصلح وأن البلاد الإسلامية والنصرانية واحدة في الأمن والمسالمة فمن شاء من كل طائفة يتردد إلى بلاد الطائفة الأخرى من غير خوف ولا محذور وكان يوماً مشهوداً نال الطائفتين فيه من المسرة ما لا يعلمه إلا الله تعالى وقد علم الله تعالى

أن الصـــلح لم يكن عن مرضـــاته وإيثاره ولكنه رأى المصلحة في الصلح لسآمة العسكر ومظاهرتهم بالمخالفة وكان مصـــلحة في علم الله تعالى فانه اتفقت وفاته بعد الصـــلح فلو اتفق ذلك في أثناء وقعاته كان الإســـلام على خطر ثم أعطى للعســـاكر الواردة عليه من البلاد البعيدة برســـم النجدة دســـتوراً فســـاروا عنه وعزم على الحج لما فرغ باله من هذه الجهة وتردد المســـلمون إلى بلادهم وجاءوا هم إلى بلاد المسـلمين وحملت البضـائع والمتاجر إلى البلاد وحضـــر منهم خلق كثير لزيارة القدس وتوجه السـلطان إلى القدس ليتفقد أحوالها وأخوه الملك العادل إلى الكرك وابنه الملك الظاهر إلى حلب وابنه الأفضـــل إلى دمشق واقام السلطان بالقدس يقطع الناس ويعطيهم دستوراً ويتأهب للمســير إلى الديار المصــرية وانقطع شــوقه عن الحج ولم يزل كذلك إلى أن صـــح عنده مســـير مركب الانكتار متوجهاً إلى بلاده في مستهل شوال فعند ذلك قوي عزمه أن يدخل الســـاحل جريدة يتفقد القلاع البحرية إلى بانياس ويدخل دمشـــق ويقيم بها اياماً قلائل ويعود إلى القدس ومنه إلى الديار المصـــرية قال شـــيخنا ابن شـــداد وامرني بالمقام في القدس إلى حين عوده لعمارة مارســتان أنشـــأه به وتكميل المدرســـة التي أنشـــأها فيه وســـار منه ضاحي نهار الخميس السادس من شوال سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ولما فرغ من افتقاد أحوال القلاع وإزاحة خللها دخل دمشق بكرة

201 الأربعاء سادس عشر شوال وفيها أولاده الملك الأفضل والملك الظاهر والملك الظافر مظفر الدين الخضر المعروف بالمشعر وأولاده الصغار وكان يحب البلد ويؤثر الإقامة فيه على سائر البلاد وجلس للناس في بكرة يوم الخميس السابع والعشرين منه وحضروا عندهم وبلوا شوقهم منه وأنشده الشعراء ولم يتخلف أحد عنه من الخاص والعام وأقام ينشر جناح عدله يوهطل سحاب إنعامه وفضله ويكشف مظالم الرعايا فلما كان يوم الاثنين مستهل ذي القعدة عمل الملك الأفضل دعوة للملك الظاهر لأنه لما وصل إلى دمشق وبلغه حركة السلطان اقام بها ليتملى بالنظر إليه ثانياً وكأن نفسه كانت قد أحست بدنو أجله فودعه في تلك الدفعة مراراً متعددة ولما عمل الملك الأفضل الدعوة أظهر فيها من الهمم العالية ما يليق بهمته وكأنه أراد بذلك مجازاته ما خدمه به حين وصل إلى بلده وحضر الدعوة المذكورة أرباب الدنيا والآخرة وسأل السلطان الحضور فحضر جبراً لقلبه وكان يوماً مشهوداً على ما بلغني ولما تصفح الملك العادل أحوال الكرك واصلح ما قصد إصلاحه فيه سار قاصداً إلى البلاد الفراتية فوصل إلى دمشق في يوم الأربعاء سابع عشر ذي القعدة وخرج السلطان إلى لقائه وأقام يتصيد حوالي غباغب إلى الكسوة حتى لقيه وسارا جميعاً يتصيدان وكان دخولهما إلى دمشق آخر نهار يوم الأحد حادي عشر ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وأقام السلطان بدمشق يتصيد هو

وأخوه وأولاده ويتفرجون في أراضـــي دمشـــق ومواطن الصـــبا وكأنه وجد راحة مما كان به من ملازمة التعب والنصـــب وســـهر الليل وكان ذلك كالوداع لأولاده ومراتع نزهه ونســـي عزمه إلى مصـــر وعرضـــت له أمور أخر وعزمات غير ما تقدم قال ابن شـــداد ووصـــلني كتابه إلى القدس يستدعيني لخدمته وكان شتاء شديداً ووحلا عظيماً فخرجت من القدس في يوم الجمعة الثالث والعشرين

202 من المحرم سنة تسع وثمانين وكان الوصول إلى دمشـــق في يوم الثلاثاء ثاني عشـــر صـــفر من الســـنة وركب الســـلطان لملتقى الحاج يوم الجمعة خامس عشـــر صـــفر وكان ذلك آخر ركوبه ولما كان ليلة الســـبت وجد كسلاً عظيماً وما تنصف الليل حتى غشيته حمى صفراوية وكانت في باطنه أكثر منها في ظاهره واصبح يوم السبت متكسلا عليه اثر الحمى ولم يظهر ذلك للناس لكن حضرت عنده أنا والقاضـــي الفاضـــل ودخل ولده الملك الأفضـــل وطال جلوســـنا عنده وأخذ يشـــكو قلقه في الليل وطاب له الحديث إلى قريب الظهر ثم انصـــرفنا وقلوبنا عنده فتقدم إلينا بالحضـــور على الطعام في خدمة ولده الملك الأفضـل ولم تكن للقاضـي الفاضـل في ذلك عادة فانصـرف ودخلت إلى الإيوان القبلي وقد مد الســماط وابنه الملك الأفضـل قد جلس في موضعه فانصرفت وما كانت لي قوة في الجلوس اســـتيحاشـــاً له وبكى في ذلك اليوم جماعة تفاؤلاً لجلوس ولده في موضـــعه ثم أخذ المرض يتزيد من حينئذ ونحن

نلازم التردد طرفي النهار وندخل إليه أنا والقاضي الفاضل في النهار مراراً وكان مرضه في رأسه وكان من أمارات انتهاء العمر غيبة طبيبه الذي كان قد عرف مزاجه سفراً وحضرا ورأى الأطباء فصده ففصدوه في الرابع فاشتد مرضه وقلت رطوبات بدنه وكان يغلب عليه اليبس ولم يزل المرض يتزايد حتى انتهى إلى غاية الضعف واشتد مرضه في السادس والسابع والثامن ولم يزل يتزايد ويغيب ذهنه ولما كان التاسع حدثت له غشية وامتنع من تناول المشروب واشتد الخوف في البلد وخاف الناس ونقلوا أقمشتهم من الأسواق وعلا الناس من الكآبة والحزن ما لا تمكن حكايته ولما كان العاشر من مرضه حقن دفعتين وحصل من الحقن بعض الراحة وفرح الناس بذلك ثم اشتد مرضه وأيس منه الأطباء ثم شرع الملك الأفضل في تحليف الناس ثم إنه توفي بعد صلاة الصبح من يوم الأربعاء السابع والعشرين من صفر

203 سنة تسع وثمانين وخمسمائة وكان يوم موته يوماً لم يصب الإسلام والمسلمون بمثله منذ فقد الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم وغشي القلعة والملك والدنيا وحشة لا يعلمها إلا الله تعالى وبالله لقد كنت أسمع من الناس أنهم يتمنون فداء من يعز عليهم بنفوسهم وكنت أتوهم أن هذا الحديث على ضرب من التجوز والترخص إلى ذلك اليوم فاني علمت من نفسي ومن غيري أنه لو قبل الفداء لفدي بالأنفس ثم جلس ولده الملك الأفضل للعزاء

وغسله الدولعي (391) قلت الدولعي المذكور هو ضياء الدين ابو القاسم عبد الملك بن زيد ابن ياسين بن زيد بن قائد بن جميل التغلبي الأرقمي الدولعي الشافعي خطيب جامع دمشق توفي في ثاني عشر شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وخمسمائة وسئل عن مولده فقال في سنة سبع وخمسمائة ثم ذكر غير هذا والله أعلم ودفن بمقابر الشهداء بباب الصغير قال وأخرج بعد صلاة الظهر رحمه الله في تابوت مسجى بثوب فوط فارتفعت الأصوات عند مشاهدته وعظم الضجيج وأخذ الناس في البكاء والعويل وصلوا عليه أرسالا ثم أعيد إلى الدار التي في البستان وهي التي كان متمرضا بها ودفن في الصفة الغربية منها وكان نزوله في حفرته قريباً من صلاة العصر ثم أطال ابن شداد القول في ذلك فحذفته خوفاً من الملالة وأنشد في آخر السيرة بيت ابي تمام الطائي وهو (ثم انقضت تلك السنون وأهلها * فكأنها وكأنهم أحلام)

204 رحمه الله تعالى وقدس روحه فلقد كان من محاسن الدنيا وغرائبها وذكر سبط ابن الجوزي في تاريخه في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ما مثاله وفي خامس المحرم خرج صلاح الدين من مصر فنزل البركة قاصداً الشام وخرج أعيان الدولة لوداعه وأنشده الشعراء أبياتاً في الوداع فسمع قائلا يقول في ظاهر الخيمة (تمتع من شميم عرار نجد * فما بعد العشية من عرار) فطلب القائل فلم يوجد فوجم السلطان وتطير الحاضرون فكان

كما قال فإنه اشتغل ببلاد الشرق والفرنج ولم يعد بعدها إلى مصر قلت وهذا البيت من جملة أبيات في الحماسة في باب النسيب وذكر شيخنا عز الدين ابن الأثير في تاريخه الكبير هذه القضية على صورة أخرى فقال ومن عجيب ما يحكى من التطير أنه لما برز عن القاهرة أقام بخيمته حتى تجتمع العساكر وعنده أعيان دولته والعلماء وأرباب الآداب فمن بين مودع له وسائر معه وكل واحد منهم يقول شيئاً في الوداع والفراق وفي الحاضرين معلم لبعض أولاده فأخرج راسه من بين الحاضرين وأنشد هذا البيت فانقبض صلاح الدين وتطير بعد انبساطه وتنكد المجلس على الحاضرين فلم يعد إليها إلى أن مات مع طول المدة وذكر ابن شداد أيضاً في أوائل السيرة أنه مات ولم يخلف في خزانته من الذهب والفضة إلا سبعة وأربعين درهماً ناصرية وجرماً واحداً ذهباً صوريا ولم يخلف ملكا لا داراً ولا عقاراً ولا بستاناً ولا قرية ولا مزرعة وفي ساعة موته كتب القاضي الفاضل إلى ولده الملك الظاهر صاحب حلب بطاقة مضمونها (^ لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة) الأحزاب
205 (^ إن زلزلة الساعة شيء عظيم) الحج 1
كتبت إلى مولانا السلطان الملك الظاهر أحسن الله عزاءه وجبر مصابه وجعل فيه الخلف في الساعة المذكورة وقد زلزل المسلمون زلزالاً شديداً وقد حفرت الدموع المحاجر وبلغت القلوب الحناجر وقد ودعت أباك ومخدومي وداعاً

لا تلاقي بعده وقد قبلت وجهه عني وعنك وأسلمته إلى الله تعالى مغلوب الحيلة ضعيف القوة راضياً عن الله ولا حول ولا قوة إلا بالله وبالباب من الجنود المجندة والأسلحة المعدة ما لم يدفع البلاء ولا ملك يرد القضاء وتدمع العين ويخشع القلب ولا نقول إلا ما يرضي الرب وإنا عليك لمحزونون يا يوسف وأما الوصايا فما تحتاج إليها والآراء فقد شغلني المصاب عنها وأما لائح الأمر فإنه إن وقع اتفاق فما عدمتم إلا شخصه الكريم وإن كان غيره فالمصائب المستقبلة أهونها موته وهو الهول العظيم والسلام قلت لله دره فلقد أبدع في هذه الرسالة الوجيزة مع ما تضمنته من المقاصد السديدة في مثل تلك الحالة التي يذهل فيها الإنسان عن نفسه قلت وقد ذكرت كل واحد من أولاده المذكورين وهم الأفضل والظاهر والعزيز في ترجمة مستقلة وعينت تاريخ مولده وموته سوى الملك الظافر المشهور بالمشمر فإني لم أذكر له ترجمة مستقلة وقد ذكرته ها هنا فيحتاج إلى ذكر شيء من أحواله فأقول (392) لقبه مظفر الدين وكنيته أبو الدوام وأبو العباس الخضر وإنما قيل له المشمر لأن اباه رحمه الله تعالى لما قسم البلاد بين أولاده الكبار قال وأنا مشمر فغلب عليه هذا اللقب وكان مولده بالقاهرة في سنة ثمان وستين وخمسمائة في خامس شعبان وهو شقيق الملك الأفضل وتوفي في جمادى الأولى سنة سبع وعشرين وستمائة بحران عند ابن عمه الملك الأشرف ابن الملك العادل ولم يكن الأشرف

يومئذ ملكا وإنما كان مجتازاً بها عند دخوله بلاد الروم لأجل الخوارزمية

206 قال غير ابن شداد ثم إن السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى بقي مدفوناً بقلعة دمشـــق إلى أن بنيت له قبة في شمالي الكلاسة التي هي شمالي جامع دمشق ولها بابان أحدهما إلى الكلاســة والآخر في زقاق غير نافذ وهو مجاور المدرســـة العزيزية قلت ولقد دخلت إلى هذه القبة من الباب الذي في الكلاســـة وقرأت عنده وترحمت عليه وأحضر لي القيم ومتولي القبة بقجة فيها ملبوس بدنه وكان في جملته قباء أصفر قصير وراس كميه بأسود فتبركت به قال ثم نقل من مدفنه بالقلعة إلى هذه القبة في يوم عاشوراء وكان الخميس من سـنة اثنتين وتسـعين وخمسـمائة ورتب عنده القراء ومن يخدم المكان ثم إن ولده الملك العزيز عماد الدين عثمان المقدم ذكره لما أخذ دمشـــق من أخيه الملك الأفضل بنى إلى جانب هذه القبة المدرسـة العزيزية ووقف عليها وقفاً جيداً وللقبة المذكورة شـــباك إلى هذه المدرسـة وهي من أعيان مدارس دمشـق وزرت قبره في أول جمعة من شـهر رمضـان سـنة ثمانين وسـتمائة فقرأت على صــــندوق قبره بعد تاريخ وفاته ما مثاله اللهم فارض عن تلك الروح وافتح له أبواب الجنة فهي آخر ما كان يرجوه من الفتوح وذكر قيم المكـان أن هـذا من كلام القاضـــي الفاضـل قلت ولما ملك السـلطان صـلاح الدين الديار المصـرية لم يكن بها شـيء من المدارس فإن الدولة

المصرية كان مذهبها مذهب الإمامية فلم يكونوا يقولون بهذه الأشياء فعمر في القرافة الصغرى المدرسة المجاورة لضريح الإمام الشافعي رضي الله عنه وقد تقدم ذكرها في ترجمة نجم الدين الخبوشاني وبنى مدرسة بالقاهرة في جوار المشهد المنسوب إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما وجعل عليها وقفاً كبيراً وجعل دار سعيد السعداء خادم المصريين خانقاه ووقف عليها وقفاً طائلاً وجعل دار عباس المذكور في ترجمة الظافر العبيدي والعادل ابن السلار مدرسة للحنفية وعليها وقف جيد أيضاً

207 والمدرسة التي بمصر المعروفة بزين التجار وقفاً على الشافعية ووقفها جيد أيضاً وبنى بالقاهرة داخل القصر مارستانا وله وقف جيد وله بالقدس مدرسة أيضاً وقفها كثير وخانقاه بها ايضاً وله بمصر مدرسة للمالكية ولقد فكرت في نفسي في أمور هذا الرجل وقلت إنه سعيد في الدنيا والآخرة فإنه فعل في الدنيا هذه الأفعال المشهورة من الفتوحات الكبيرة وغيرها ورتب هذه الأوقاف العظيمة وليس فيها شيء منسوباً إليه في الظاهر فإن المدرسة التي في القرافة ما يسميها الناس إلا بالشافعي والمجاورة للمشهد لا يقولون إلا المشهد والخانقاه لا يقولون إلا خانقاه سعيد السعداء والمدرسة الحنفية لا يقولون ايضاً إلا مدرسة السيوفية والتي بمصر لا يقولون إلا مدرسة زين التجار والتي بمصر مدرسة المالكية وهذه صدقة السر على الحقيقة والعجب أن له بدمشق في جوار البيمارستان

النوري مدرسة يقال لها الصلاحية فهي منسوبة إليه وليس لها وقف وله بها مدرسة للمالكية أيضاً ولا تعرف به وهذه النعم من ألطاف الله تعالى به وكان مع هذه المملكة المتسعة والسلطنة العظيمة كثير التواضع واللطف قريباً من الناس رحيم القلب كثير الاحتمال والمداراة وكان يحب العلماء وأهل الخير ويقربهم ويحسن إليهم وكان يميل إلى الفضائل ويستحسن الأشعار الجيدة ويرددها في مجالسه حتى قيل إنه كان كثيراً ما ينشد قول ابي منصور محمد بن الحسين بن أحمد بن الحسين بن إسحاق الحميري وقيل إنها لأبي محمد أحمد بن علي بن خيران العامري كان أميراً بالمرية من بلاد الأندلس وكان جده خيران من سبي المنصور بن أبي عامر فنسب إليه والله أعلم وهي هذه (وزارني طيف من أهوى على حذر * من الوشاة وداعي الصبح قد هتفا) (فكدت أوقظ من حولي به فرحاً * وكاد يهتك ستر الحب بي شعفا) (ثم انتبهت وآمالي تخيل لي * نيل المنى فاستحالت غبطتي أسفا) وقيل إنه كان أيضاً يعجبه قول نشؤ الملك أبي الحسن علي بن مفرج

208 المعروف بابن المنجم المعري الأصل المصري الدار والوفاة وهو في خضاب الشيب ولقد أحسن فيه (وما خضب الناس البياض لقبحه * وأقبح منه حين يظهر ناصله) (ولكنه مات الشباب فسودت * على الرسم من حزن عليه منازله) قالوا فكان إذا قال ولكنه مات الشباب يمسك كريمته وينظر إليها ويقول أي والله مات الشباب

وذكر العماد الكاتب الأصـــبهاني في كتاب الخريدة أن السـلطان صـــلاح الدين في أول ملكه كتب إلى بعض أصحابه بدمشق هذين البيتين (أيها الغائبون عنا وإن كنتم لقلبي بذكركم جيرانا) (إنني مذ فقدتكم لأراكم * بعيون الضـمير عندي عيانا) وأما القصـيدتان اللثات ذكرت أن ســبط ابن التعاويذي أنفذهما إليه من بغداد فإن إحداهما وازن بها قصيدة صردر المقدم ذكره وقد ذكرت منها أبياتاً في ترجمة الوزير الكندري وأولها (أكذا يجازى ود كل قرين) وقصيدة سبط ابن التعاويذي أولها (إن كان دينك في الصـــبابة ديني * فقف المطي برملتي يبرين) (والثم ثرى لو شـارفت بي هضـبة * ايدي المطي لثمته بجفوني) (وانشد فؤادي في الظباء معرضاً * فبغير غزلان الصريم جنوني) (ونشـــيدتي بين الخيام وإنما * غالطت عنها بالظباء العين) (لولا العدا لم أكن عن ألحاظها * وقدودها بجوازىء وغصون)
209 (لله ما اشـــتملت عليه قبابهم * يوم النوى من لؤلؤ مكنون) (من كل تائهة على أترابها * في الحســـن غانية عن التحسـين) (خود ترى قمر السـماء إذا بدت * ما بين ســـالفة لها وجبين) (غادين ما لمعت بروق ثغورهم * إلا اســـتهلت بالدموع شـــؤوني) (إن تنكروا نفس الصـــبا فلأنها * مرت بزفرة قلبي المحزون) (وإذا الركائب في الحبال تلفتت * فحنينها لتلفتي وحنيني) (يا سلم إن ضاعت عهودي عندكم * فأنا الذي استودعت غير

أمين) (أو عدت مغبوناً فما أنا في الهوى * لكم بأول عاشق مغبون) (رفقاً فقد عسف الفراق بمطلق العبرات في أسر الغرام رهين) (ما لي ووصل الغانيات أرومه * ولقد بخلن علي بالماعون) (وعلام أشكو والدماء مطاحة * بلحاظهن إذا لوين ديوني) (هيهات ما للبيض في ود امرىء * أرب وقد أربى على الخمسين) (ومن البلية أن تكون مطالبي * جدوى بخيل أو وفاء خؤون) (ليت الضنين على المحب بوصله * لقن السماحة من صلاح الدين) وأما القصيدة الثانية فهي (حتام أرضى في هواك وتغضب * وإلى متى تجني علي وتعتب) (ما كان لي لولا ملالك زلة * لما مللت زعمت أني مذنب) (خذ في أفانين الصدود فإن لي * قلباً على العلات لا يتقلب) (أتظنني أضمرت بعدك سلوة * هيهات عطفك من سلوي أقرب) (لي فيك نار جوانح ما تنطفي * حرقاً وماء مدامع ما تنضب) (أنسيت اياماً لنا ولياليا * للهو فيها والبطالة ملعب) (أيام لا الواشي يعد ضلالة * ولهي عليك ولا العذول يؤنب)

210 (قد كنت تنصفني المودة راكباً * في الحب من أخطاره ما أركب) (واليوم أقنع أن يمر بمضجعي * في النوم طيف خيالك المتأوب) (ما خلت أن جديد أيام الصبا * يبلى ولا ثوب الشبيبة يسلب) (حتى انجلى ليل الغواية واهتدى * ساري الدجى وانجاب ذلك الغيهب) (وتنافر البيض الحسان فأعرضت * عني سعاد وأنكرتني

زينب) (قالت وريعت من بياض مفارقي * ونحول جسمي بان منك الأطيب) (إن تنقمي سقمي فخصرك ناحل * أو تنكري شيبي فثغرك أشنب) قلت لله دره فلقد أجاد في هذا المعنى كل الإجادة غير أنه قد ظن أن الشنب بياض الثغر وعليه بني هذا المعنى حتى تم له مقصوده فانها لما عيرته بالسقم قابلها بنحول الخصر فقال لها إن كنت نحيلا فخصرك أيضاً نحيل فلما أنكرت شيبه قابلها بأن ثغرها أشنب فكأنه قال لها بياض شيبي في مقابلة ثغرك الأشنب وليس الأمر كما أظن فان الشنب في اللغة ليس البياض وإنما هو حدة الأسنان ويقال بردها وعذوبتها والصحيح أنه حدتها وهو دليل على الحداثة لأن الأسنان في أول طلوعها تكون حادة فإذا مرت عليها السنون احتكت وذهبت حدتها وهذا المعنى ينظر إلى قول النابغة الذبياني في جملة قصيدته المشهورة وهو (ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب) وقد تقدم ذكر هذا البيت في ترجمة عروة بن الزبير فيكشف هناك ومثله ايضا ما أنشدني بهاء الدين زهير بن محمد الكاتب المقدم ذكره لنفسه من جملة أبيات وهو قوله (ما فيه من عيب سوى * فتور عينيه فقط)
211 رجع (يا طالباً بعد المشيب غضارة * من عيشه ذهب الزمان المذهب) (أتروم بعد الأربعين تعدها * وصل الدمى هيهات عز المطلب) (ومن السفاه وقد شآك طلابة * يفعاً تطلبه وفودك أشيب) (لولا الهوى

العذري يا دار الهوى * ما هاج لي طرباً وميض خلب) (كلا ولا استجدبت أخلاف الحيا * وندى صلاح الدين هام صـيب) وقد مدحه جميع شعراء عصره وانتجعوه من البلاد فمنهم العلم الشاتاني واسمه الحسن وقد تقدم ذكره مدحه بقصيدته الرائية التي أولها (أرى النصر مقروناً برايتك الصفرا * فسر واملك الدنيا فأنت بها أحرى) ومدحه المهذب أبو حفص عمر بن محمد بن علي بن أبي نصر المعروف بابن الشحنة الموصلي الشاعر المشهور بقصيدته التي أولها (سلام مشوق قد براه التشوق * على جيرة الحي الذين تفرقوا) وعدة أبياتها مائة وثلاثة عشر بيتاً وفيها البيتان السائران أحدهما (وإني امرؤ أحببتكم لمكارم * سمعت بها والأذن كالعين تعشق) وقد أخذه من قول بشار بن برد المقدم ذكره وهو (يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة * والأذن تعشق قبل العين أحيانا) والبيت الثاني من قصيدة ابن الشحنة قوله (وقالت لي الآمال إن كنت لاحقاً * بأبناء أيوب فأنت الموفق) ومما قيل فيه لبعض أهل المشرق

212 (الله أكبر جاء القوس باريها * ورام أسهم دين الله راميها) (فكم لمصر على الأمصار من شرف * باليوسفين فهل أرض تدانيها) (فإن يعقوب هزت جيدها طربا * وبابن أيوب هزت عطفها تيها) (قل للملوك تخلى عن ممالكها * فقد أتي آخذ الدنيا ومعطيها) فلما أنشدها إياه أعطاه ألف دينار (ومدحه ابن قلاقس وابن

الذروي وابن المنجم وابن سـنـاء الملك وابن السـاعاتي والبحراني الإربلي وابن دهن الحصـى الموصـلي ومحمد بن إسماعيل ابن حمدان الحيزاني وغير هؤلاء وقد ذكرت أكثر هذه الجماعه في هذا التاريخ وعذري في تطويل هذه الترجمة قول المتنبي (وقد أطال ثنائي طول لابسـه * إن الثناء على التنبال تنبال) التنبال الرجل القصـير وهو بكسر التاء المثناة من فوقها وبعدها نون ساكنة وباء موحدة وبعد الألف لام قلت قد تقدم في هذه الترجمة عند ذكر إرسـال العاضـد إلى صـلاح الدين وطلبه إياه ليخلع عليه ويوليـه الوزارة ذكر المثل المشـهور وهو أردت عمراً وأراد الله خارجة وقد يقف عليه من لا يعرف سـبب هذا المثل ولا المراد منه فأحببت أن اشـرحه كيلا يحتاج من يقف عليه إلى كشفه من مكان آخر فأقول (393) عمرو المذكور هو عمرو بن العاصي بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سـعد بن سـهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي القرشي السهمي

213 كنيته أبو عبد الله وقيل ابو محمد أحد الصـحابة رضـي الله عنهم أسـلم سـنة ثمان من الهجرة قبل فتح مكة ومكة فتحها رسـول الله في شـهر رمضـان من هذه السـنة وقيل بل أسـلم بين الحديبية وخيبر والأول أصـح وقدم هو وخـالـد بن الوليد المخزومي وعثمـان بن طلحـة بن أبي طلحة القرشـي العبدري على رسـول الله بالمدينة مسـلمين فلما دخلوا عليه ونظر إليهم قال لهم قد رمتكم مكة بأفلاذ

كبدها وقال الواقدي قدم عمرو بن العاصـــي مســـلماً على رســـول الله قد أســـلم عند النجاشـــي ملك الحبشـــة وقدم معه عثمان بن طلحة وخالد بن الوليد فقدموا المدينة في صـــفر ســـنة ثمان من الهجرة وقيل إنه لم يأت من أرض الحبشـــة إلا معتقداً الإسـلام وذلك أن النجاشـي قال له يا عمرو كيف يعزب عنك أمر ابن عمك فوالله إنه لرســـول الله حقاً قال أتحقق ذلك قال أي والله فاطعني فخرج من عنده مهاجراً إلى النبي وبعثه رســـول الله على ســـرية إلى الشـــام يدعو أخوال أبيه إلى الإسلام فبلغ السلاسل من بلاد قضاعة وهو ماء بأرض جذام وبذلك سـميت تلك الغزوة ذات السـلاسـل وكان معه ثلثمائة رجل فخاف عمرو فكتب إلى رســول الله يستمده فأمده بجيش مائتي فارس من المهاجرين والأنصار أهل الشـــرف فيهم أبو بكر وعمر رضـــي الله عنهما وأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح رضـــي الله عنه فلما قدموا على عمرو بن العاصي قال أنا أميركم وإنما أنتم مددي فقال ابو عبيدة بل أنت أمير من معك وأنا أمير من معي فأبى عمرو فقال أبو عبيدة إن رســـول الله إلى إذا قدمت على عمرو فتطاوعا ولا تختلفا فان خالفتني أطعتك قال عمرو فإني أخالفك فســـلم إليه ابو عبيدة وصـــلى خلفه في الجيش كله وكانوا خمسمائة وولى رسول الله عمرو بن العاصي على عمان فلم يزل عليها حتى قبض رسول الله وفي سنة اثنتي عشـــرة بعث أبو بكر رضـــي الله عنه عمرو بن العاصـــي ويزيد

214 ابن أبي سفيان الأموي وأبا عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة إلى الشام وسار إليهم خالد بن الوليد رضي الله عنه من العراق وأول شيء فتحوا من الشام بصرى صلحاً وتوفي أبو بكر رضي الله عنه واستخلف عمر رضي الله عنه فولى أبا عبيدة على الجيش وفتح الله تعالى عليه الشام فولى يزيد بن أبي سفيان على فلسطين وهي كورة قصبتها الرملة ولما مات أبو عبيدة استخلف معاذ بن جبل ومات معاذ فاستخلف يزيد بن أبي سفيان ومات يزيد فاستخلف أخاه معاوية بن أبي سفيان وكتب إليه عمر رضي الله عنه بعهده على ما كان عليه أخوه يزيد وكان موت هؤلاء كلهم في طاعون عمواس في سنة ثماني عشرة للهجرة وعمواس بفتح العين المهملة والميم وفي آخرها سين مهملة وهي قرية بالشام بين نابلس والرملة وكان الطاعون بها في العام المذكور وقيل بل مات يزيد بن أبي سفيان في ذي الحجة من سنة تسع عشرة بدمشق والله أعلم وذلك بعد فتح قيسارية وكان عمر رضي الله عنه قد ولى عمرو بن العاصي بعد موت يزيد بن أبي سفيان فلسطين والأردن وولى معاوية دمشق وبعلبك والبلقاء وولى سعيد بن عامر بن حذيم حمص ثم جمع الشام كلها لمعاوية وكتب إلى عمرو فسار إلى مصر فافتتحها في سنة عشرين للهجرة فلم يزل عليها والياً حتى مات عمر رضي الله عنه فأقره عثمان رضي الله عنه عليها أربع سنين أو نحوها ثم عزله وولى عبد الله بن سعد

بن أبي سرح العامري وكان اخا عثمان رضي الله عنه من الرضاعة فاعتزل عمرو بن العاصي في ناحية فلسطين وكان يأتي المدينة أحياناً فلما قتل عثمان رضي الله عنه سار إلى معاوية باستجلاب معاوية إياه وشهد صفين مع معاوية وكان منه في صفين وقضية التحكيم ما هو مشهور عند أهل العلم بهذا الفن وكان قد طلب من معاوية أنه إذا تم له الأمر يوليه مصر وكتب إليه في بعض أيام طلبه

215 (معاوي لا أعطيك ديني ولم أنل * به منك دنيا فانظرن كيف تصنع) (فان تعطني مصراً فأربح بصفقة * أخذت بها شيخاً يضر وينفع) ثم ولاه معاوية مصر فلم يزل بها أميراً إلى أن مات يوم عيد الفطر من سنة ثلاث وأربعين للهجرة وقيل سنة اثنتين وأربعين وقيل سنة ثمان وأربعين وقيل سنة إحدى وخمسين والأول اصح وعمره تسعون سنة ودفن بسفح المقطم وصلى عليه ابنه عبد الله ولما رجع صلى بالناس العيد ثم عزل معاوية عبد الله بن عمرو بن العاصي وولى أخاه عتبة بن ابي سفيان فمات عتبة بعد سنة أو نحوها فولى معاوية مسلمة بن مخلد وكان عمرو بن العاصي من فرسان قريش وأبطالهم في الجاهلية وكان من الدهاة في أمور الدنيا المقدمين في الرأي وكان عمر رضي الله عنه إذا استضعف رجلاً في رأيه قال أشهد أن خالقك وخالق عمرو واحد يريد خالق الأضداد وذكر أبو العباس المبرد في كتاب الكامل أن عمرو بن العاصي لما حضرته الوفاة دخل عليه ابن عباس

رضـــي الله عنهما فقال له يا ابا عبد الله كنت أسـمعك كثيراً ما تقول وددت لو رأيت رجلاً عاقلاً حضـــرته الوفاة حتى أسأله عما يجد فكيف تجد فقال أجد كأن السماء مطبقة على الأرض وكأني بينهما وكأنما أتنفس من خرت إبرة ثم قال اللهم خذ مني حتى ترضى فدخل عليه ولده عبد الله فقال له يا ولدي خذ ذلك الصـــندوق قال لا حاجة لي به فقال إنه مملوء مالا فقال لا حاجة لي به فقال ليته مملوء بعراً ثم رفع يديه وقال اللهم إنك امرت فعصينا ونهيت فارتكبنا فلا بريء فأعتذر ولا قوي فأنتصر ولكن لا إله إلا أنت ثم فاظ قلت يقال فاظ وفاض بالظاء والضاد أي مات قال الشاعر

216 (لا يدفنون منهم من فاظا) (394) وأما خارجة المذكور في هذا المثل فانه خارجة بن حذافة بن غانم بن عبد الله بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب القرشي العدوي شهد فتح مصر واختط بمصر وكان أمير ربع المدد الذين أمد بهم عمر بن الخطاب رضـــي الله عنه عمرو بن العاصـــي في فتح مصـــر وكان على شـــرط مصـــر في إمرة عمرو ابن العاصـي لمعاوية بن ابي سفيان الأموي قتله خارجي بمصـــر ســـنة أربعين للهجرة وهو يحســـب أنه عمرو بن العاصـــي هكذا قاله ابن يونس في تاريخ مصـــر وذكره في كتاب الاســـتيعاب لابن عبد البر وســـاق نســـبه على هذه الصـــورة ثم قال يقال إنه كان يعد بألف فارس ذكر بعض أهل النسب والأخبار أن عمرو بن العاصي كتب إلى عمر رضي الله عنه يستمده بثلاثة آلاف

فارس فأمده بخارجة بن حذافة والزبير بن العوام والمقداد بن الأسود الكندي وشهد خارجة فتح مصر وقيل إنه كان قاضيا لعمرو بن العاصي بها وقيل إنه كان على شرطة عمرو ولم يزل بها إلى أن قتله أحد الخوارج الثلاثة الذين كانوا انتدبوا لقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاصي فأراد الخارجي قتل عمرو فقتل خارجة هذا وهو يظنه عمرا وذلك أنه كان استخلفه عمرو بن العاصي على صلاة الصبح ذلك اليوم فلما قتله أخذ وأدخل على عمرو فقال من هذا الذي أدخلتموني عليه فقالوا عمرو بن العاصي فقال ومن قتلت فقالوا خارجة فقال أردت عمرا وأراد الله خارجة وقد قيل إن الخارجي الذي قتله لما أدخل على عمرو قال له عمرو أردت عمرا وأراد الله خارجة والله أعلم من قال ذلك منهما والذي قتل خارجة هذا رجل من بني العنبر بن عمرو بن تميم يقال له داذويه وقيل إنه مولى لبني العنبر وقد قيل إن خارجة الذي قتله الخارجي بمصر

217 على أنه عمرو بن العاصي رجل يسمى خارجة من بني سهم رهط عمرو بن العاصي وليس بشيء انتهى ما قاله صاحب الاستيعاب وقال غيره إن عمرو بن العاصي أصابه شيء في بطنه فتخلف في منزله تلك الليلة وكان خارجة يعشي الناس فضربه الخارجي وكان عمرو يقول ما نفعني بطني قط إلا تلك الليلة قلت فهذا أصل المثل في قولهم أردت عمرا وأراد الله خارجة وإلى هذا

أشار أبو محمد عبد المجيد بن عبدون الأندلسي في قصيدته التي رثى بها بني الأفطس ملوك بطليوس وأولها (الدهر يفجع بعد العين بالأثر *) بقوله (وليتها إذ فدت عمرا بخارجة * فدت عليا بمن شــاءت من البشــر) وهي من غرر القصــائد جمعت تاريخا كثيرا وشــرحها الأديب أبو مروان عبد الملك بن عبد الله بن بدرون الحضرمي الشلبي شـرحا مستوفى وهذا البيت يحتاج إلى شـرح أيضـا وهو من تتمة الكلام على المثل المذكور لكني أذكره مختصــرا فانه طويل ذكر أهل علم التاريخ أن علي بن أبي طالب رضـــي الله عنه لما بويع بالخلافة في اليوم الذي قتل فيه عثمان بن عفان رضـــي الله عنه خرج عليه من قاتله في وقعة الجمل وقد ذكرت طرفا من هذه الوقعة في ترجمة يموت بن المزرع ساقها الكلام هناك فذكرت المقصود منه ثم كانت وقعة صـــفين عند خروج معاوية بن أبي ســـفيان الأموي وعمرو بن العـاصـــي على علي بن أبي طـالـب رضـــي الله عنه فتوحه إليهم من العراق وجاءوه من الشــام والتقوا على صـــفين وهو موضـــع على شـــاطىء الفرات بالقرب من الرحبة وهي واقعة مشـــهورة وكانت في ســـنة سبع وثلاثين من الهجرة ولما غلب

218 أهل الشام طلبوا من علي بن أبي طالب رضي الله عنه التحكيم فأجابهم إليه بعد معاودات كثيرة فخرج على علي جماعة من أصـــحابه وقالوا حكمت في دين الله ولا حكم إلا لله ورحلوا إلى النهروان فمضـــى إليهم وقاتلهم

واستأصلهم إلا اليسير منهم وهي أيضا واقعة مشهورة بقتال الخوارج ولما طال الأمر في ذلك اجتمعوا وقالوا إن عليا ومعاوية وعمرو بن العاصي قد أفسدوا امر هذه الأمة فلو قتلناهم لعاد الأمر إلى حقه فقال عبد الرحمن اين ملجم المرادي أنا أقتل عليا قالوا فكيف لك بذلك قال اغتاله وقال الحجاج بن عبد الله الصريمي أنا أقتل معاوية ويعرف هذا الصريمي بالبرك وقال داذوية وقيل زاذويه وقد تقدم الكلام عليه في الكلام على خارجة بن حذافة أنا أقتل عمرا وأجمعوا آراءهم على أن يكون ذلك في ليلة واحدة فدخل ابن ملجم الكوفة وعلي رضي الله عنه بها فاشترى سيفا بألف درهم وسقاه السم حتى لفظه فلما خرج علي لصلاة الصبح كان ابن ملجم قد كمن له فضربه على رأسه وقال الحكم لله يا علي لا لك وقيل إنه ضربه وهو في صلاة الصبح وذلك في صبيحة الجمعة لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان من سنة أربعين للهجرة وقيل غير هذا التاريخ وقدم البرك الصريمي على معاوية بدمشق فضربه فجرح أليته وهو في الصلاة ويقال إنه قطع عرق النسل فما أحبل بعدها وأما عمرو فقد سبق الكلام عليه عند قتل خارجة وهذا تفسير المثل والبيت الشعر على سبيل الاختصار والله أعلم

219 847 الموفق بن الخلال الكاتب أبو الحجاج يوسف بن محمد المعروف بابن الخلال الملقب بالموفق صاحب ديوان الإنشاء بمصر في دولة الحافظ أبي الميمون

عبد المجيد العبيدي المقدم ذكره ومن بعده قال عماد الدين الكاتب الأصبهاني في كتاب الخريدة في حقه هو ناظر مصر وإنسان ناظره وجامع مفاخره وكان إليه الإنشاء وله قوة على الترسل يكتب كما يشاء عاش كثيرا وعطل في آخر عمره وأضر ولزم بيته إلى أن تعوض منه القبر وتوفي بعد ملك الملك الناصر مصر بثلاث أو أربع سنين وذكر له عدة مقاطيع من الشعر نورد شيئا منها بعد هذا إن شاء الله تعالى وذكره ضياء الدين أبو الفتح نصر الله المعروف بابن الأثير الجزري ثم الموصلي المقدم ذكره في الفصل الأول من كتابه الذي سماه الوشي المرقوم في حل المنظوم فقال حدثني القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني رحمه الله تعالى بمدينة دمشق في سنة ثمان وثمانين وخمسمائة وكان إذ ذاك كاتب الدولة الصلاحية فقال كان فن الكتابة بمصر في زمن الدولة العلوية غضا طريا وكان لا يخلوا ديوان المكاتبات من رأس يرأس

220 مكانا وبيانا ويقيم لسلطانه بقلمه سلطانا وكان من العادة أن كلا من أرباب الدواوين إذا نشأ له ولد وشدا شيئا من علم الأدب أحضره إلى ديوان المكاتبات ليتعلم فن الكتابة ويتدرب ويرى ويسمع قال فأرسلني والدي وكان إذ ذاك قاضيا بثغر عسقلان إلى الديار المصرية في أيام الحافظ وهو أخد خلفائها وأمرني بالمصير إلى ديوان المكاتبات وكان الذي يرأس به في تلك الأيام رجلا يقال له ابن الخلال فلما حضرت الديوان ومثلت بين يديه وعرفته

من أنا وما طلبتي رحب بي وســـهل ثم قال لي ما الذي أعددت لفن الكتابة من الآلات فقلت ليس عندي شيء سوى أني أحفظ القرآن الكريم وكتاب الحماسة فقال في هذا بلاغ ثم أمرني بملازمته فلما ترددت إليه وتدربت بين يديه أمرني بعد ذلك أن أحل شعر الحماسة فحللته من اوله إلى آخره ثم أمرني أن أحله مرة ثانية فحللته انتهى ما ذكره ابن الأثير قلت وبعد أن نقلت ما قاله ضـــياء الدين ابن الأثير على هذه الصـــورة اجتمع بي من له عناية بالأدب خصوصا هذا الفن وهو من أعرف الناس باحوال القاضي الفاضـــل وقال لي هذا الذي ذكره ابن الأثير ما يمكن تصـحيحه ولعله قد غلط في النقل فإن القاضـي الفاضـل لم يدخل إلى الديار المصـــرية إلا في أيام الظافر ابن الحافظ وكان وصـــوله إليها مع أبيه في أمر يختص بهم ثم إني وجدت في بعض تعاليقي بخطي وما أدري من أين نقلته أن القاضـي الأشرف والد القاضـي الفاضـل كان من أهل عسقلان وكان ينوب في الحكم والنظر بمدينة بيسان فدخل إلى مصـــر في زمان الظافر بن الحافظ لكلام جرى بينه وبين والي الناحية من أجل كند كبير كان عندهم
221 له قيمة كثيرة فداجى الوالي في حقه وأطلقه فاســـتدعى الوالي إلى مصـــر لذلك وطولب بمال طائل فاحتمى ببعض أمراء الدولة وجعلوا الأقاويل في حق القاضي الأشرف فاستدعى وصودر إلى أن لم يبق له شيء ولم يكن معه من الأولاد سوى القاضي الفاضل فحمل على

قلبه وتوفي بالقاهرة ليلة الأحد حادي عشر شهر ربيع الأول من سنة ست وأربعين وخمسمائة ودفن بسفح المقطم ثم توجه القاضي الفاضل إلى ثغر الإسكندرية وحضر عند ابن حديد قاضي البلد وناظره فعرفه بوالده فعرفه بالسمعة واستكتبه وأخذ الفرنج عسقلان فحضر إخوته إليه وكانت مكاتبات ابن حديد ترد إلى مصر بخطه وهي في غاية البلاغة فحسده كتاب الإنشاء بها على فضله وخافوا من تقدمه عليهم فسعوا إلى الظافر به فقالوا إنه قصر في المكاتبة وكان صاحب ديوان الإنشاء القاضي الإثير ابن بنان فيحكى أنه دخل على الظافر فقال له تكتب إلى ابن حديد بقطع يد كاتبه فتعصب له ابن بنان وقال يا مولانا هذا الرجل ما منه تقصير وإنما حسده هؤلاء الكتاب فسعوا به ليؤذيه مولانا قال له الظافر فتكتب إلى ابن حديد ليرسله إلينا ويكتب لنا قال ابن بنان وكنت بعد ذلك في مجلس الظافر فرأيت القاضي الفاضل وقد حضر وهو قائم بين يديه ثم استخدمه والله أعلم وقال العماد في الخريدة أنشدني مرهف بن أسامة بن منقذ قال أنشدني الموفق بن الخلال لنفسه من قصيدة (عذبت ليال بالعذيب حوالي * وخلت مواقف بالوصال خوالي)

222 (ومضت لذاذات تقضى ذكرها * تصبي الخلي وتستهيم السالي) (وجلت موردة الخدود فأوثقت * في الصبوة الخالي بحسن الخال) (قالوا سراة بني هلال أصلها * صدقوا كذاك البدر فرع هلال) قال العماد في

الخريدة أيضا ونقلت من كتاب جنان الجنان ورياض الأذهان قلت وهو تأليف الرشيد بن الزبير المقدم ذكره من شعر ابن الخلال قوله (وأغن سيف لحاظه * يفري الحسام بحده) (فضح الصوارم واللدان * بقده وبقده) (عجب الورى لما حييت * وقد منيت ببعده) (وبقاء جسمي ناحلا * يصلى بوقدة صده) (كبقاء عنبر خاله * في نار صفحة خده) وقوله (اما اللسان فقد أخفى وقد كتما * لو أمكن الجفن كف الدمع حين همى) (أصبتم بسهام اللحظ مهجته * فهل يلام إذا أجرى الدموع دما) (قد صار بالسقم من تعذيبكم علما * ولم يبح بالذي من جوركم علما) (فما على صامت أبدى لصدكم * في كل جارحة منه السقام فما) وأورد له في الشمعة (وصحيحة بيضاء تطلع في الدجى * صبحا وتشفي الناظرين بدائها) 223 (شابت ذوائبها أوان شبابها * واسود مفرقها أوان فنائها) (كالعين في طبقاتها ودموعها * وسوادها وبياضها وضيائها) وذكر العماد في الخريدة أيضا في ترجمة القاضي أبي المعالي عبد العزيز بن الحسين بن الجباب أبياتا كتبها ابن الجباب المذكور إلى الرشيد ابن الزبير في نكبة جرت للموفق بن الخلال المذكور وقال العماد كان خاله ولم يذكر أيهما خال الآخر وكان ابن الجباب قد حصل له بسبب نكبة ابن الخلال صداع والأبيات المشار إليها (تسمع مقالي يا ابن الزبير * فأنت خليق بأن تسمعه) (بلينا بذي نسب شابك * قليل الجدى

في زمان الدعه) (إذا ناله الخير لم نرجه * وإن صفعوه صفعنا معه) وهذا من قول حصين بن خصفة السعدي الخارجي يخاطب قطري بن الفجاءة رئيس الخوارج المقدم ذكره (وأنت الذي لا نستطيع فراقه * حياتك لا نفع وموتك ضائر) ثم إني كشفت عن قول العماد كان خاله ولم يبينه فوجدت ابن الخلال المذكور خال ابن الجباب المذكور وذكر العماد أيضا في كتاب السيل والذيل الذي جعله ذيلا على كتاب الخريدة ابن الخلال أيضا وأورد له (وغزال نار وجنته * أذكت النيران في كبدي) (وله طرف لواحظه * نصرت شوقي على جلدي) (قذفت عيني سوالفه * فتوارت منه بالزرد)

224 والبيت الأخير مأخوذ من قول أبي محمد الحسن بن جكينا البغدادي الشاعر المشهور (طرفك يرمي قلبي بأسهمه * فما لخديك تلبس الزردا) وقد روي لغيره أيضا والله أعلم ثم وجدت في كتاب خريدة القصر تأليف عماد الدين الكاتب الأصفهاني لعبد السلام بن الجكر المعروف بابن الصواف الواسطي (لو كان أمري إلي أو بيدي * أعددت لي قبل بينك العددا) (طرفك يرمي قلبي بأسهمه * فما لخديك تلبس الزردا) (ريقته الشهد والدليل على * ذلك نمل بخده صعدا) وذكر أبو الحسن علي بن ظافر الأزدي المصري في كتاب بدائع البدائة أن أبا القاسم ابن هانىء الشاعر المتأخر هجا ابن الخلال المذكور وبلغه هجوه فأضمر له حقدا واتفق بعض المواسم التي جرت

عادة ملوك مصـــر بالحضـــور فيه لاســتماع المدائح فجلس الحافظ أبو الميمون عبد المجيد ملك مصـــر إذ ذاك فأنشـده الشـــعراء وانتهت النوبة إلى ابن هانـيء المذكور فأنشـــد وأجاد فيما قاله فقال الحافظ للموفق المذكور كيف تســـمع فأثنى عليه واستجاد شعره وبالغ في وصفه ثم قال له ولو لم يكن له ما يمت به إلا انتسابه إلى أبي القاسم ابن هانيء شاعر هذه الدولة ومظهر مفاخرها وناظم مآثرها لولا بيت اظهره منه الضـــجر عند دخوله هذه البلاد فقال له الحافظ ما هو فتحرج من إنشـــاده فأبى الحافظ إلا أن ينشـــده وفي أثناء ذلك صنع بيتا وهو

225 (تبا لمصر فقد صارت خلافتها * عظما تنقل من كلب إلى كلب) فعظم ذلك على الحافظ وقطع صـــلته وكـاد يفرط في عقوبتـه والله أعلم ولم يزل ابن الخلال بديوان الإنشـاء إلى أن طعن في السـن وعجز عن الحركة فانقطع في بيته ويقال إن القاضـــي الفاضـــل كان يرعى له حق الصـــحبة والتعليم فكان يجري عليه ما يحتاج إليه إلى أن مات في الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة ست وستين وخمسمائة رحمه الله تعالى 848 الرمادي الشـاعر أبو عمر يوســـف بن هارون الكندي المعروف بالرمادي الشـــاعر المشـــهور ذكره الحافظ أبو عبد الله الحميدي في كتـاب جذوة المقتبس فقال أظن أحد آبـائـه كـان من أهل رمادة موضـع بالمغرب شـاعر قرطبي كثير الشـعر سـريع القول مشـهور عند الخاصـة والعامة هنالك لسلوكه في فنون

من المنظوم مســــالك تنفق عند الكل حتى كان كثير من شيوخ الأدب في وقته يقولون فتح الشعر بكندة وختم بكندة يعنون امرأ القيس والمتنبي ويوســـف بن هرون وكـانـا متعاصرين واستدللت على ذلك بمدحه أبا علي
226 إسـماعيل بن القاسـم القالي عند دخوله الأندلس بـالقصــــيدة التي أولها (من حـاكم بيني وبين عذولي * الشـجو شـجوي والعويل عويلي) وكان وصـول أبي علي القالي إلى الأندلس في سـنة ثلاثين وثلثمائة قلت وقد سـبق ذكر ذلـك في ترجمتـه ثم ذكر لـه الحميـدي وقـائع وعـدة مقاطيع من الشـــعر وأنه ألف كتابا في الطير وســـجن مدة قلت وقد ذكر أبو منصــــور الثعالبي في كتاب يتيمة الدهر الأبيات التي مدح بها يوســـف بن هرون أبا علي القالي وأورد له بعد البيت المذكور قوله (في أي جارحة أصون معذبي * ســـلمت من التعذيب والتنكيل) (إن قلت في بصـــــري فثم مدامعي * أو قلت في كبدي فثم غليلي) (وثلاث شيبات نزلن بمفرقي * فعلمت أن نزولهن رحيلي) (طلعت ثلاثا في نزول ثلاثة * واش ووجه مراقب وثقيل) (فعزلنني عن صـــبوتي فلئن ذللت * لقد ســـمعت بذلة المعزول) قلـت ثم خرج بعـد هـذا إلى المـدح وكـان قـد وصـف الصـيد والروض فقال (روض تعاهده السـحاب كأنه * متعاهد من عهد إسـماعيل) (قسـه إلى الأعراب تعلم أنه * أولى من الأعراب بالتفضيل) (حازت قبائلهم لغات فرقت * فيهم وحاز لغات كل قبيل) (فالشرق خال

بعده فكأنما * نزل الخراب بربعه المأهول (وكأنه شمس بدت في غربنا * وتغيبت عن شرقهم بأفول)
227 (يا سـيدي هذا ثنائي لم أقل * زورا ولا عرضـت بالتنويل) (من كان يأمل نائلا فأنا امرؤ * لم أرج غير القرب في تأميلي) وله في غلام ألثغ من جملة أبيات (لا الراء تطمع في الوصـال ولا أنا * الهجر يجمعنا فنحن سـواء) (فاذا خلوت كتبتها في راحتي * وبكيت منتحبا أنا والراء) وله فيه أيضـا (أعد لثغة في الراء لو أن واصلا * تسمعها ما أسقط الراء واصل) قلت وهذا واصـل هو واصـل بن عطاء المقدم ذكره في حرف الواو وقد ذكرت هناك هذا الشـاعر وشـيئا من شـعره قلت وذكره ابن بشكوال في كتاب الصلة فقال يوسف بن هرون الرمادي الشـاعر من أهل قرطبة يكنى أبا عمر كان شـاعر أهل الأندلس المشـهور المقدم على الشـعراء روى عن أبي علي البغدادي يعني القالي كتاب النوادر من تأليفه وقد أخذ عنه أبو عمر ابن عبد البر قطعه من شـعره رواها عنه وضـمنها بعض تواليفه قال ابن حيان وتوفي سـنة ثلاث وأربعمائة يوم العنصـره فقيرا معدما ودفن بمقبرة كلع انتهى كلامه قلت يوم العنصرة يوم مشهور ببلاد الأندلس وهو موسـم للنصـارى كالميلاد وغيره وهو اليوم الرابع والعشـرون من حزيران فيه ولد يحيى بن زكريا عليهما السـلام والعنصـرة بفتح العين المهملة وسكون النون وفتح الصاد المهملة والراء وفي آخرها هاء وفي هذا اليوم حبس

الله تعالى الشمس على يوشع بن نون عليه السلام حين بعثه موسى عليه الصلاة والسلام وكان

228 يوشع ابن أخته إلى أريحا لقتال الجبابرة فقتلهم وبقيت منهم بقية فخشي أن يحول الليل بينه وبينهم فسأل الله تعالى أن يحبس عليهم الشمس حتى يفرغ فحبسها بدعائه وقد ذكر الشعراء ذلك في أشعارهم كثيرا فقال أبو تمام الطائي الشاعر المشهور من جملة قصيدة طويلة (فردت علينا الشمس والليل راغم * بشمس لهم من جانب الخدر تطلع) (نضا ضوءها صبغ الدجنة وانطوى * لبهجتها ثوب السماء المجزع) (فوالله ما أدري أأحلام نائم * ألمت بنا أم كان في الركب يوشع) وقال أبو العلاء المعري من جملة قصيدة طويلة أيضا (ويوشع رد بوحا بعض يوم * وأنت متى سفرت رددت بوحا) وبوح بالباء الموحدة وسكون الواو وبعدها حاء مهملة اسم من أسماء الشمس وكذلك يوح بالياء المثناة من تحتها وأريحا بفتح الهمزة وكسر الراء ثم ياء ساكنة وبعدها حاء مهملة ثم ألف مقصورة بلدة بين القدس والشريعة من أرض الشام وهي قريبة من مدائن لوط عليه السلام والرمادي بفتح الراء والميم وبعد الألف دال مهملة وبعدها ياء النسب هذه النسبة إلى الرمادة قال ياقوت الحموي في كتابه الذي سماه المشترك وضعا المختلف صعقا في باب الرمادة عشرة مواضع وعدها

229 فقال الثالث رمادة المغرب ينسب إليها يوسف بن هارون الكندي الرمادي الشاعر القرطبي وكلع بفتح الكاف واللام وبعدها عين مهملة وهي مقبرة قرطبة والله أعلم وذكر ابن سعيد في كتاب المغرب في أشعار أهل المغرب أن الرمادي المذكور اكتسب صناعة الأدب من شيخه أبي بكر يحيى بن هذيل الكفيف علم أدباء الأندلس وهو القائل (لا تلمني على الوقوف بدار * أهلها صبروا السقام ضجيعي) (جعلوا لي إلى هواهم سبيلا * ثم سدوا على باب الرجوع) ثم قال وتوفي يحيى بن هذيل المذكور في سنة ست أو خمس وثمانين وثلثمائة وهو ابن ست وثمانين رحمه الله تعالى

230 ابن الدرى يوسف بن درة الشاعر المعروف بابن الدرى الموصلي الأصل كان شاباً ذكياً ذكره ابو شجاع محمد بن علي بن الدهان في تاريخه وقال إنه هلك مع الحاج سنة خمس وأربعين وخمسمائة لما خرجت عليهم زعب وقد ذكره عماد الدين الكاتب الأصبهاني في كتاب خريدة القصر وذكره أبو المعالي سعد بن علي الحظيري المقدم ذكره في كتاب زينة الدهر ومن مشهور شعره قوله في رجل أرجل وقد أحسن فيه (مدور الكعب فاتخذه * لتل غرس وثل عرش) (لو نظرت عينه الثريا * أخرجها في بنات نعش) وله غير هذا أشياء حسنة قال شيخنا الحافظ عز الدين أبو الحسن علي بن محمد

المعروف بابن الأثير الجزري في مختصـــر كتاب الحافظ
أبي سعد عبد الكريم بن السمعاني الذي عمله
231 في الأنساب ما مثاله قلت الزعبي بكسر الزاي
وسكون العين المهملة وآخره باء موحدة نسبة إلى زعب
بن مالك بن خفاف بن امرىء القيس بن بهثة بن سليم بطن
مشهور من سليم وهذه زعب هي التي أخذت الحاج سنة
خمس وأربعين وخمسمائة فهلك منهم خلق كثير قتلا
وجوعاً وعطشاً ثم إن الله تعالى رمى زعباً بالقلة والذلة
بعده إلى الآن ودره بضم الدال المهملة والدرى بفتحها
وتشديد الراء وبعدها ألف مقصورة 850&&أبو المحاسن
الشواء ابو المحاسن يوسف بن إسماعيل بن علي بن أحمد
بن الحسين بن إبراهيم المعروف بالشواء الملقب شهاب
الدين الكوفي الأصل الحلبي المولد والمنشأ والوفاة كان
أديباً فاضلا متقناً لعلم العروض والقوافي شاعراً يقع له في
النظم معان بديعة في البيتين والثلاثة وله ديوان شعر كبير
يدخل في أربع مجلدات وكان زيه على زي الحلبيين
الأوائل في اللباس والعمامة المشقوقة وكان كثير الملازمة
لحلقة الشيخ تاج الدين ابي القاسم أحمد بن هبة الله بن سعد
الله بن سعيد بن سعد بن مقلد المعروف بابن الجبراني
الحلبي النحوي
232 اللغوي الفاضل وأكثر ما أخذ الأدب عنه
وبصحبته انتفع وعاشر التاج أبا الفتح مسعود بن أبي
الفضل النقاش الحلبي الشاعر المشهور زماناً وتخرج عليه

في عمل الشــعر وكان بيني وبين الشــهاب الشــواء مودة أكيدة ومؤانســـــة كثيرة ولنا اجتماعات في مجالس نتذاكر فيها الأدب وأنشدني كثيراً من شعره وما زال صاحبي منذ أواخر ســــنة ثلاث وثلاثين وســـتمائة إلى حين وفاته وقبل ذلك كنت أراه قاعداً عند ابن الجبراني المذكور في موضع تصـدره بجامع حلب وكان يكثر التمشـي في الجامع أيضـاً على جاري عادتهم في ذلك كما يعملون في جامع دمشـــق ولم يكن بيننا إذ ذاك معرفة وكان حســـن المحاورة مليح الإيراد مع الســـكون والتأني وجميل التأتي وأول شـــيء أنشـــدني من شـــعره قوله (هاتيك يا صـــاح ربا لعلع * ناشدتك الله فعرج معي) (وانزل بنا بين بيوت النقا * فقد غدت آهلة المربع) (حتى نطيل اليوم وقفاً على الســـاكن أو عطفاً على الموضع)

233 وأنشدني لنفسه ايضاً (ومهفهف عني الزمان بخده * فكســـاه ثوبي ليله ونهاره) (لا مهدت عذري محاســـن وجهه * إن غض عندي منه غض عذاره) وأنشدته يوماً في أثناء مناشدة جرت بيننا قول شرف الدين أبي المحاسـن محمد المعروف بابن عنين الدمشـقي المقدم ذكره في صـــدر جهان المعروف بابن مازه البخاري وقيل السـرخسـي (مال ابن مازة دونه لعفاته * خرط القتادة أو منال الفرقد) (مال لزوم الجمع يمنع صـرفه * في راحة مثل المنادى المفرد) فقال هذا ليس بجيد فقلت له ولم ذاك فقال ليس من شرط المنادى المفرد أن يكون مضموماً ولا

بد فقد يكون المنادى مفرداً ولا يكون مضـــموماً بأن يكون نكرة غير معين كما تقول يا رجلا ولكن أنا أعمل في هذا شــيئاً ثم إننا اجتمعنا بعد ذلك في الجامع فقال قد عملت في ذلك المعنى شـيئاً فاسـمعه ثم أنشـد (لنا خليل له خلال * تعرب عن أصله الأخس) (أضحت له مثل حيث كف * وددت لو أنها كأمس) فقلت له وهذا ايضـــاً فيه كلام فقال وما هو فقلت حيث فيها لغات فمن العرب من يبنيها على الضـــم ومنهم من يبنيها على الفتح ومنهم من يبنيها على الكسر وفيها لغات أخر غير هذه وأما أمس فمنهم من يبنيها على الكســـر ومنهم من يقول إنها اســـم معرب لكنه لا ينصـــرف وأنشـــدوا على هذه اللغة (لقد رأيت عجباً مذ أمسا * عجائزاً مثل السعالي خمسا)

234 هذا إذا كانت معرفة فأما إذا كانت نكرة فإنها معربة قولا واحداً فسكت وكان كثيراً ما يستعمل العربية في شـــعره فمن ذلك قوله ولا أدري هل أنشـــدنيه أم لا فإنه أنشدني شيئاً كثيراً من شعره وما ضبطت كل ما أنشدني وكذلك كل شيء اذكره بعد هذا لا اتحقق الحال في سماعي منه فأورده مهملا فمنه (وكنا خمس عشـــرة في التئام * على رغم الحسـود بغير آفة) (فقد أصـــبحت تنويناً وأضحى * حبيبي لا تفارقه الإضافة) وله ايضاً في غلام أرسـل أحد صـدغيه وعقد الآخر (أرسـل صـدغاً ولوى قاتلي * صـــدغاً فأعيا بهما واصـــفه) (فخلت ذا في خده حية * تسعى وهذا عقرباً واقفه) (ذا ألف ليست لوصل

وذا * واو ولكن ليســـت العاطفة) ومن هذا النمط ما
أنشـــدنيه بهاء الدين زهير بن محمد الكاتب المقدم ذكره
رحمه الله تعالى لنفسه من جملة أبيات وهو (عسى عطفة
بالوصل يا واو صدغه * علي فإني أعرف الواو تعطف)
ولأبي المحاسن الشواء أيضاً قوله (ناديت وهو الشمس
في شهرة * والجسم للخفية كالفيء) يا زاهياً أعرف من
مضمر * صل واهياً أنكر من شيء) وله في المديح
235 (فتى فاق الورى كرماً وبأســاً * عزيز الجار
مخضر الجناب) (ترى في السلم منه غيث جود * وفي
يوم الكريهة ليث غاب) (إذا ما ســل صــارمه لحرب *
اراك البرق في كف السـحاب) وله ايضــاً في شـخص لا
يكتم السر (لي صـديق غدا وإن كان لا ينطق إلا بغيبة أو
محال) (أشـبه الناس بالصـدى إن تحدثه حديثاً أعاده في
الحال) وله أيضاً (قالوا حبيبك قد تضوع نشره * حتى
غدا منه الفضاء معطرا) _ (فأجبتهم والخال يعلو خده *
أو ما ترون النار تحرق عنبرا) قلت وقد تقدم في ترجمة
يحيى بن نزار المنيجي عدة مقاطيع من شــعر العماد
المحلي وغيره وفيها إلمام بهذا المعنى ولأبي المحاســن
ايضاً (هواك يا من له اختيال * ما لي على مثله احتيال)
(قســمة افعاله لحيني * ثلاثة مالها انتقال) (وعدك
مستقبل وصبري * ماض وشوقي إليك حال) وله أيضاً
(فديت بنفســي رأس عين ومن فيها * وبيض الســواقي
حول زرق سـواقيها) (إذا راقني منها جواري عيونها *

أراق دمي منها عيون جواريها) وله ايضـــاً (إن كان قد حجبوه عني غيرة * منهم عليه فقد قنعت بذكره)
236 (كالمسك ضاع لنا وضاع مكانه * عنا فأغنى نشره عن نشره) وله في غلام قد ختن (هنأت من اهواه عند ختانه * فرحاً وقلبي قد عراه وجوم) (يفديك من الم الم بك امرؤ * يخشـــى عليك إذا ثناك نســيم) (أمعذبي كيف استطعت على الأذى * جلداً وأجزع ما يكون الريم) (لو لم تكن هذي الطهارة سـنة * قد سـنها من قبل إبراهيم) (لفتكت جهدي بالمزين إذ غدا * في كفه موســى وأنت كليم) ومعظم شـعره على هذا الأسـلوب وقد أوردت منه أنموذجاً فيه كفاية وكان من المغالين في التشـــيع وأكثر أهل حلب ما كانوا يعرفونه إلا بمحاسن الشواء والصواب فيه هو الذي ذكرته ها هنا وأن اســمه يوســف وكنيته أبو المحاســن وبعد هذا رأيت في كتاب عقود الجمان الذي وضــعه صــاحبنا الكمال ابن الشـعار الموصــلي وقد بنى ترجمة المذكور على يوســف وكنيته أبو المحاســن وكان صــاحبه وأخذ عنه كثيراً من شــعره وهو من أخبر الناس بحاله وأعلم ذلك في وقته وكان مولده تقديراً في ســـنة اثنتين وســتين وخمســمائة فإنه كان لا يحقق مولده وتوفي يوم الجمعة تاســع عشــر المحرم ســـنة خمس وثلاثين وســـتمائة بحلب ودفن ظاهرها بمقبرة باب أنطاكية غربي البلد ولم أحضــر الصـــلاة عليه لعذر عرض لي في ذلك الوقت رحمه الله تعالى فلقد كان نعم الصاحب

237 (395) وأما شــــيخه ابن الجبراني المذكور فهو طائي بحتري وكان من قرية من اعمال عزاز يقال لها جبرين قورسـطايا نسـب إليها هكذا أخبر عن نفسـه وكان متضـلعاً من علم الأدب خصـوصـاً اللغة فإنها كانت غالبة عليه وكان متبحراً فيها وكان له تصـدر في جامع حلب في لمقصـورة الشـرقية على صـحن الجامع قبالة المقصـورة التي يصـلي فيها قضـاة حلب يوم الجمعة ولقد كنت يوماً قاعداً في هذه المقصــورة عند الدرابزين الذي إلى جهة الصحن وإذا به قد حضر ومعه جماعة من أصحابه وفيهم الشهاب أبو المحاسن الشواء المذكور وجلس إلى المحراب الصـغير الذي في هذه المقصـورة وهو موضـع تصـدره فجعلت بالي من كلامه وأنا في ذلك الوقت مشـتغل بالأدب فسـمعته يتكلم في قاعدة الأفعال الثلاثية التي أولها واو وهي على فعـل بكسـر العين مثـل وجـل وغيره وأن مضـارعه فيه اربع لغات يوجل وييجل وياجل وييجل إلا ما شـذ من الأفعال الثمانية التي هي ورم وورث وورع وورى وومق ووثق ووفق وولي فإن مضـارعها أيضـاً بالكسر كماضيها وشذ من ذلك قولهم وسع يسع ووطىء يطأ وإنما انفتح هذان الفعلان في المضـارع لأجل حرفي الحلق وأطال الكلام في ذلك بما لم اقدر على حفظه في ذلك الوقت ولم أسمع منه غير هذا الفصل وكان مولده يوم الأربعاء الثاني والعشـرين من شـوال سـنة إحدى وسـتين وخمسـمائة وتوفي يوم الاثنين سـابع رجب من سـنة ثمان

وعشرين وستمائة بحلب ودفن في سفح جبل جوشن رحمه الله تعالى

238 البياسي صاحب الحماسة ابو الحجاج يوسف بن محمد بن إبراهيم الأنصاري البياسي أحد فضلاء الأندلس وحفاظها المتقنين كان أديباً بارعاً فاضلا مطلعاً على اقسام كلام العرب من النظم والنثر وراوياً لوقائعها وحروبها وأيامها بلغني أنه كان يحفظ كتاب الحماسة تأليف أبي تمام الطائي والأشعار الستة وديوان أبي تمام المذكور وديوان أبي الطيب المتنبي وسقط الزند ديوان أبي العلاء المعري إلى غير ذلك من الأشعار من شعراء الجاهليه والإسلام وتنقل في بلاد الأندلس وطاف بأكثرها ولما قدم من جزيرة الأندلس إلى مدينة تونس جمع للأمير ابي زكريا يحيى بن أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص عمر صاحب إفريقية رحمهم الله أجمعين كتاباً سماه الإعلام بالحروب الواقعة في صدر الإسلام ابتدأ فيه بمقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه وختمه بخروج الوليد بن طريف الشاري على هرون الرشيد ببلاد الجزيرة الفراتية وقد ذكرت ترجمة الوليد المذكور وخبره وما جرى له ومقتله على يد يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني وذكرت يزيد المذكور في ترجمة مستقلة أيضاً قبل هذا واستوفيت القصة في الترجمتين ورأيت هذا الكتاب وطالعته وهو في مجلدين أجاد في تصنيفه وكلامه فيه كلام عارف بهذا الفن

239 ورأيت له أيضاً كتاب الحماسة في مجلدين وقد قرئت النسخة عليه وعليها خطه كتبه في أواخر شهر ربيع الآخر سنة خمسين وستمائة وقال في آخر الكتاب وكان الفراغ من تأليفه وترتيبه بمدينة تونس حرسها الله تعالى في شوال سنة ست وأربعين وستمائة ونقلت من أوله بعد الحمدلة ما مثاله أما بعد فإني قد كنت في أوان حداثتي وزمان شبيبتي ذا ولوع بالأدب ومحبة في كلام العرب ولم ازل متتبعاً لمعانيه ومفتشاً عن قواعده ومبانيه إلى أن حصلت لي جملة منه لا يسع الطالب المجتهد جهلها ولا يصلح بالناظر في هذا العلم إلى أن يكون عنده مثلها وحملتني المحبة في ذلك العلم والولوع به على أن جمعت مما اخترته واستحسنته من أشعار العرب جاهليها ومخضرميها وإسلاميها ومولدها ومن اشعار المحدثين من أهل المشرق والأندلس وغيرهم ما تحسن به المحاضرة وتجمل عليه المناظرة ثم إني رأيت أن بقاءها دون أن تدخل تحت قانون يجمعها وديوان يؤلفها مؤذن بذهابها ومؤد إلى فسادها فرأيت أن اضم مختارها وأجمع مستحسنها تحت ابواب تقيد نافرها وتضم نادرها ونظرت في ذلك فلم أجد اقرب تبويب ولا أحسن ترتيب مما بوبه ورتبه ابو تمام حبيب بن أوس رحمه الله تعالى في كتابه المعروف بكتاب الحماسة وحسن الاقتداء به والتوخي لمذهبه لتقدمه في هذه الصناعة وانفراده منها بأوفر حظ وأنفس بضاعة فاتبعت في ذلك مذهبه ونزعت منزعه

وقرنت الشعر بما يجانسه ووصلته بما يناسبه ونقحت ذلك واخترته على قدر اســتطاعتي وبلوغ جهدي وطاقتي قلت وأطال القول بعد هذا بما لا حاجة بنا إلى ذكره ونقلت منه شيئاً فمن ذلك ما ذكره في باب المراثي قال ابو علي القالي البغدادي أنشـــدنا أبو بكر ابن دريد قال أنشـــدنا أبو حاتم الســجســتاني (ألا في ســبيل الله ماذا تضــمنت * بطون الثرى واستودع البلد القفر)
240 (بدور إذا الدنيا دجت أشـــرقت بهم * وإن أجدبت يوماً فايديهم القطر) (فيا شامتاً بالموت لا تشمتن بهم * حياتهم فخر وموتهم ذكر) (حياتهم كانت لأعدائهم عمى * وموتهم للفــاخرين بهم فخر) (أقــاموا بظهر الأرض فـاخضـــر عودها * وصـــاروا ببطن الأرض فاســتوحش الطهر) ونقلت من باب النســيب قول العباس بن الأحنف المقدم ذكره (تحمل عظيم الذنب ممن تحبه * وإن كنت مظلوماً فقل أنا ظالم) (فإنك إن لم تغفر الذنب في الهوى * يفــارقـك من تهوى وأنفـك راغم) وقول الوأواء الدمشـــقي هكذا قال وغالب ظني انها لأبي فراس ابن حمدان والله أعلم (بالله ربكما عوجا على ســـكني * وعاتباه لعل العتب يعطفه) (وعرضـــا بي وقولا في حديثكما * ما بال عبدك بالهجران تتلفه) (فإن تبسم قولا في ملاطفة * ما ضر لو بوصـال منك تسعفه) (وإن بدا لكما من ســـيدي غضـــب * فغالطاه وقولا ليس نعرفه) وقول المجنون (تعلقت ليلى وهي بكر صــغيرة * ولم يبد

للأتراب من ثديها حجم) (صـــغيرين نرعى البهم يا ليت أننا * إلى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم البهم الصـــغار من أولاد الضأن الواحدة بهمة بفتح الباء الموحدة
241 وسكون الهاء وهذان البيتان يستدل بهما النجاة على انتصاب الحال من الفاعل والمفعول به معاً بلفظ واحد فان صـغيرين انتصـب على الحال من التاء في قوله تعلقت وهي فـاعلـة ومن ليلى وهي مفعولـة ومثلـه قول عنترة العبســـي (متى ما تلقني فردين ترجف * روانف أليتيك وتسـتطارا) نصـب فردين على الحال من ضـمير الفاعل والمفعول في تلقني ذكره ابن الأنباري في كتاب أســـرار العربية في باب الحال وقال الوأواء الدمشـقي ايضـا ذكره في حماســـته البياســـي المذكور أيضـــا (وزائر راع كل الناس منظره * أحلى من الأمن عند الخائف الوجل) (ألقى على الليل ليلا من ذوائبه * فهابه الصـبح أن يبدو من الخجل) (أراد بالقتل هجري فاســـتجرت به * فاســـتل بالوصـــل روحي من يدي أجلي) (فصـــرت فيه أمير العاشقين فقد * صارت ولاية أهل العشق من قبلي) وقال علي بن عطية البلنســـي ابن الزقاق (ومرتجة الأعطاف أما قوامها * فلدن وأما ردفها فرداح) (ألمت فبات الليل من قصـــر بها * يطير وما غير الســـرور جناح) (وبت وقد زارت بأنعم ليلة * تعانقني حتى الصـباح صـباح) (على عاتقي من ســـاعديها حمائل * وفي خصـــرها من

ساعدي وشاح) وقال أحمد بن الحسين بن خلف المعروف بابن البني اليعمري قلت
242 هو المقدم ذكره في ترجمة يوسف بن عبد المؤمن صاحب المغرب وكان قد أخرجه صاحب ميورقة وسيره في البحر فساروا يومهم فهبت عليهم الريح فردتهم فقال (أحبتنا الأولى عتبوا علينا * فأقصونا وقد أزف الوداع) (لقد كنتم لنا جذلاً وأنساً * فهل في العيش بعدكم انتفاع) (اقول وقد صدرنا بعد يوم * اشوق بالسفينة أم نزاع) (إذا طارت بنا حامت عليكم * كأن قلوبنا فيها شراع) وقال الواثق بالله وله فيه غناء (ما كنت أعرف ما في البين من حزن * حتى تنادوا بأن قد جيء بالسفن) (قامت تودعني والدمع يغلبها * فجمجمت بعض ما قالت ولم تبن) (مالت علي تفديني وترشفني * كما يميل نسيم الريح بالغصن) (فأعرضت ثم قالت وهي باكية * يا ليت معرفتي إياك لم تكن) وأورد في باب القرى والأضياف والفخر والمديح قول أبي الحسن جعفر بن إبراهيم بن الحاج اللورقي (عجباً لمن طلب المحامد * وهو يمنع ما لديه) (ولباسط آماله * للمجد لم يبسط يديه) (لم لا أحب الضيف أو * أرتاح من طرب إليه) (والضيف يأكل رزقه * عندي ويحمدني عليه) ومما ينسب إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال حين كف بصره

243 (إن يأخذ الله من عيني نورهما * ففي لسـاني وقلبي منهما نور)) (قلبي ذكي وذهني غير ذي دخل * وفي فمي صارم كالسيف مطرور) وذكر في باب الهجاء والعتاب وما يتعلق بهما لأبي العالية أحمد بن مالك الشامي (أذم بغداد والمقام بها * من بعد ما خبرة وتجريب) (ما عند أملاكها لمرتقب * رفد ولا فرجة لمكروب) (خلوا سـبيل العلى لغيرهم * ونازعوا في الفسوق والحوب) (يحتاج راجي النجاح عندهم * إلى ثلاث من بعد تقريب) (كنوز قارون أن تكون له * وعمر نوح وصـبر أيوب) وأنشـد ابو بكر محمد بن يحيى الصـولي لأبي العطاف الكوفي صـالح بن عبد الرحمن بن نشـيط (يا ابن الوليد أبن لنا * إن البيان له حدود) (مالي أراك مسـيباً * اين السـلاسـل والقيود) (أغلا الحديد بأرضـكم * أم ليس يضـبطك الحديد) قلت إلى هنا نقلت من كتاب الحماسـة المذكور وفيه كفاية إذ كان الغرض إيراد شـيء من أخبار هذا الرجل ليستدل به على معرفته في الشعر وكان مولده يوم الخميس الرابع عشر من شـهر ربيع الأول سـنة ثلاث وسبعين وخمسمائة وتوفي يوم الأحد الرابع من ذي القعدة سنة ثلاث وخمسين وستمائة بمدينة تونس رحمه الله تعالى والبياسـي بفتح الباء الموحدة والياء المشـددة المثناة من تحتها هذه النسبة

244 إلى بياسـة وهي مدينة كبيرة بالأندلس معدودة في كورة جيان هكذا قالـه يـاقوت الحموي في كتـابـه

المشـــترك وضـــعا 852 يونس بن حبيب ابو عبد الرحمن يونس بن حبيب النحوي قال أبو عبيد الله المرزباني في كتابه المقتبس في أخبار النحويين هو مولى ضبة وقيل هو مولى بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وقيل مولى بلال بن هرمي من بني ضـــبيعة بن بجالة وهو من أهل جبل ومولده سنة تسعين ومات سنة اثنتين وثمانين ومائة وكان يقول اذكر موت الحجاج وقيل مولده ســـنة ثمانين وأنه رأى الحجاج وعاش مائة ســـنة وســـنتين وقيل عاش ثمانيا وتسعين سنة وقال غير المرزباني أخذ يونس الأدب عن أبي عمرو بن العلاء وحماد ابن ســـلمة وكان النحو أغلب عليه وســـمع من العرب وروى ســـيبويه عنه كثيراً وســـمع منه الكسـائي والفراء وله قياس في النحو ومذاهب ينفرد بها وكان من الطبقة الخامسة في الأدب وكانت حلقته بالبصرة ينتابها الأدباء وفصحاء العرب وأهل البادية قال أبو عبيدة معمر بن المثنى اختلفت إلى يونس أربعين سنة

245 أملأ كل يوم الواحي من حفظه وقال أبو زيد الأنصاري النحوي جلست إلى يونس بن حبيب عشر سنين وجلس إليه قبلي خلف الأحمر عشـــرين ســـنة وقال يونس قال لي رؤبة بن العجاج حتام تســـألني عن هذه البواطل وأزخرفها لك أما ترى الشـــيب قد بلغ في لحيتك وليونس من الكتب التي صـــنفها كتاب معاني القرآن الكريم وكتاب اللغات وكتاب الأمثال وكتاب النوادر الصغير وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي عاش يونس مائة سنة وستين وقيل

عاش ثمانياً وتســـعين ســـنة وقيل ثمانياً وثمانين ســـنة لم يتزوج ولم يتســـر ولم تكن له همة إلا طلب العلم ومحادثة الرجال وقال يونس لو تمنيت أن أقول الشـــعر لما تمنيت أن اقول إلا مثل قول عدي بن زيد العبادي (أيها الشـامت المعير بالدهر * أأنت المبرأ الموفور) قلت و هذا البيت من جملة ابيات سـائرة بين الأدباء فيها مواعظ وعبر وبعد هذا البيت (أم لديك العهد القديم من الأيام * بل أنت جاهل مغرور) (من رأيت المنون أخلدن أم من * ذا عليه من أن يضام خفير) (أين كسرى كسرى الملوك أنو شروان * أم اين قبله سابور) (وبنو الأصفر الكرام ملوك الروم * لم يبق منهم مذكور) (وأخو الحضـــر إذ بناه وإذ دجلة * تجنبى إليه والخابور) (شـــاده مرمراً وجلله كلســـاً * فللطير في ذراه وكور) (لم يهبه صـــرف الزمان فباد الملك * عنه فبابه مهجور) (وتفكر رب الخورنق إذا اشرف * يوماً وللهدى تفكير)

246 (سره ملكه وكثرة ما يملك * والبحر معرضاً والســـدير) (فارعوى قلبه فقال وما غبطة * حي إلى الممات يصـير) (ثم بعد الفلاح والملك والأمة * وارتهم هناك القبور) (ثم صـــاروا كأنهم ورق جف فألوت * به الصـــبا والدبور) قلت وهذه الأبيات تحتاج إلى تفســـير طويل ولو شـرعت فيه لطال الكلام وخرجنا عن المقصـود فـان أكثرها يتعلق بـالتـاريخ وفيهـا شـــيء يتعلق بـالأدب فاقتصـــرت على الإتيان بالغرض وتركت الباقي خوفاً من

الإطالة فلعل الشــرح يدخل في أربع خمس كراريس وليس هذا موضـــعه وروى محمد بن ســـلام الجمحي عن يونس أنه قال ما بكت العرب على شـــيء في أشـــعارها كبكائها على الشـــباب وما بلغت كنهه فاتبع هذا الكلام منصـــور النمري فقال من جملة قصـــيدة طويلة يمدح بها هارون الرشيد بيتاً وهو (ما كنت أوفي شبابي كنه غرته * حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع) وقال يونس تقول العرب فرقة الأحباب سقم الألباب وأنشد (شيئان لو بكت الدماء عليهما * عيناي حتى يؤذنا بذهاب) (لم يبلغا المعشـــار من حقيهما * شــرخ الشــباب وفرقة الأحباب) وقال يونس لم يقل لبيد في الإسلام سوى بيت واحد وهو

247 (الحمد لله إذ لم يأتني أجلي * حتى لبسـت من الإسلام سربالا) قال أبو عبيدة معمر بن المثنى قدم جعفر بن ســـليمان العباســـي من عند المهدي الخليفة فبعث إلى يونس بن حبيب فقال له أنا وأمير المؤمنين اختلفنا في هذا البيت (والشــيب ينهض في الســـواد كأنه * ليل يصـــيح بجانبيه نهار) فما الليل والنهار فقال يونس الليل الليل الذي تعرف والنهار النهار الذي تعرف فقال زعم المهدي أن الليـل فرخ الكروان والنهـار فرخ الحبـارى فقـال أبو عبيدة القول في البيت ما قاله يونس والذي قاله المهدي معروف في الغريب من اللغة وقال يونس كان جبلة بن عبد الرحمن يخرج إلى طباخه الرقاع يستدعي بها الطعام وفيها الألفاظ الغريبة الحوشـــية فلا يدري الطباخ ما فيها

حتى يمضـــــي بها إلى ابن أبي إســـحاق ويحيى بن يعمر وغيرهما يفسرون ما فيها من الألفاظ فاذا عرف الطباخ ما فيها أتاه بما استدعاه فقال له يوماً ويحك إني أصــوم معك فقال له الطباخ ســهل كلامك حتى يســهل طعامك فيقول يا ابن اللخناء أفأدع عربيتي لعيك وكان يونس من أهل جبل وهي بليدة على دجلة بين بغداد وواســـط وكان لا يؤثر أن ينسب إليها فلقيه رجل من بني أبي عمير فقال له يا ابا عبد الرحمن ما تقول في جبل أتنصـــرف أم لا فشـــتمه يونس فالتفت العميري فلم ير أحداً يشـــهده عليه حتى إذا كان من الغد وجلس للناس أتاه العميري فقال يا أبا عبد الرحمن ما تقول في جبل أتنصرف أم لا فقال له يونس الجواب ما قلته لك أمس

248 وجبل بفتح الجيم وضـم الباء الموحدة المشـددة كذا قاله الحافظ ابن الســمعاني في كتاب الأنســاب وهذه جبل منها أبو الخطاب الجبلي الشاعر المشهور ومن شعره قوله (كم جبت نحوك مهمهاً لو لم يعن * شـوقي عليه لما قدرت أجوبه) (وركبت أخطاراً إليك مخوفة * ولحبذا خطر إليك ركوبه) قال الســمعاني وتوفي أبو الخطاب المذكور في ذي القعدة سـنة تسـع وثلاثين وأربعمائة وكان بينـه وبين أبي العلاء المعري مشـــاعرة وكتـب إليـه أبو العلاء قصـيدته التي أولها (غير مجد في ملتي واعتقادي) قلت وهذا غلط منه بل كتبها أبو العلاء المعري إلى أبي حمزة الحســن بن عبد الله الفقيه الحنفي قاضـــي منبج كان

وقد ذكر ذلك الفقيه القاضي كمال الدين عرف باين العديم الحلبي وحبيب اسم أمه ولهذا لا يصرفونه فانه لا يعرف له اب ويقال إنه ولد ملاعنة ويقال إنه اسم أبيه فينصرف والله أعلم وكذلك محمد ابن حبيب النسابة أيضاً ودخل يونس المسجد يوماً وهو يتهادى بين اثنين من الكبر فقال له رجل كان يتهمه في مودته بلغت ما أرى يا ابا عبد الرحمن فقال

249 هو الذي ترى لا بلغته فأخذ هذا المعنى جماعة من الشعراء فنظموه وقال ابو الخطاب زياد بن يحيى مثل يونس كمثل كوز ضيق الراس لا يدخله شيء إلا بعسر فاذا دخله لم يخرج منه يعني أنه لا ينسى شيئاً وقد ذكرت تاريخ مولده وموته في أول الترجمة وقيل إنه توفي سنة ثلاث وثمانين وقيل خمس وثمانين وقال عبد الباقي بن قانع سنة أربع وثمانين ومائة والله أعلم وقيل إنه عاش ثمانياً وتسعين سنة رحمه الله تعالى 853 يونس بن عبد الأعلى الصدفي أبو موسى يونس بن عبد الأعلى بن موسى بن ميسرة بن حفص بن حيان الصدفي المصري الفقيه الشافعي أحد أصحاب الشافعي رضي الله عنه والمكثرين في الرواية عنه والملازمة له وكان كثير الورع متين الدين وكان علامة في علم الأخبار والصحيح والسقيم لم يشاركه في زمانه في هذا أحد وقد سبق في هذا لكتاب ذكر حفيده أبي سعيد عبد الرحمن بن أحمد ابن يونس وهو

المنجم المشـــهور صـــاحب الزيج وكل واحد منهما إمام في فنة

250 وأخذ يونس القراءة عرضاً عن ورش وسقلاب بن شيبة ومعلى بن دحية عن نافع وعن علي بن أبي كيسة عن ســليم عن حمزة بن حبيب الزيات وســمع ســفيان بن عيينة وعبد الله بن وهب المصـــري وروى القراءة عنه مواس بن سهل ومحمد بن الربيع وأسامة بن أحمد ومحمد بن إســحاق بن خزيمة ومحمد ابن جرير الطبري وغيرهم وكان محدثاً جليلا وذكره أبو عبد الله القضــاعي في كتاب خطط مصـــر فقال كان من أفضـــل أهل زمانه وكان من العقلاء يروى عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال ما رأيت بمصـر أعقل من يونس بن عبد الأعلى وصـحب الشـافعي وأخذ عنه الحديث والفقه وحدث بهما عنه جماعة وله حبس في ديوان الحكم وعقب وله دار مشـــهورة في خطة الصـدف مكتوب عليها اسـمه وتاريخها سـنة خمس عشـرة ومائتين وكان أحد الشــهود بمصـر أقام شـاهداً سـتين سـنة وذكر غير القضــاعي أن يونس بن عبد الأعلى روى عنه الإمام مسلم بن الحجاج القشيري وابو عبد الرحمن النسائي وابو عبد الله ابن ماجه وغيرهم وقال أبو الحســن ابن زولاق في كتاب أخبار قضـاة مصـر إن القاضـي بكار بن قتيبة لما تولى قضــاء مصـر وتوجه إليها من بغداد لقي في طريقه محمد ابن الليث قاضـــي مصـــر كان قبله بالجفار خارجاً من مصـــر إلى العراق مصـــروفاً فقال له بكار أنا

رجل غريب وأنت قد عرفت البلد فدلني على ما أشـــاوره وأسكن إليه فقال له عليك برجلين أحدهما عاقل وهو

251 يونس بن عبد الأعلى فاني سعيت في دمه فقدر علي فحقن دمي والآخر أبو هارون موسى بن عبد الرحمن بن القاسـم فانه رجل زاهد فقال له بكار صـف لي الرجلين فقال له أما يونس فرجل طوال أبيض ووصـــفه ووصـــف موســى فلما دخل بكار مصـر ودخل الناس إليه دخل شـيخ فيه صــــفة يونس فرفعه بكار واقبل يحدثه ويقول يا ابا موســـــى في كل حديثه فبينا بكار كذلك إذ قيل له قد جاء يونس فـأقبـل على الرجـل وقـال لـه يـا هـذا من أنـت ومـا سكوتك كذا لو افشيت إليك سراً لي ثم دخل يونس فأكرمه ورفعه وأتاه موســـــى بن عبد الرحمن فاختص بهما وأخذ رأيهما وقيل إن موســى المذكور اختص به القاضــي بكار وكان يتبرك به لزهده فقال له يوماً يا أبا هارون من أين المعيشـة قال من وقف وقفه أبي فقال له بكار أيكفيك قال قد تكفيت به وقد سـألتي القاضــي فأريد أن أسـالـه قال سـل قال هل ركب القاضــي دين بالبصــرة حتى تولى بسببه القضـاء قال لا قال فهل رزق ولداً أحوجه إلى ذلك قال لا ما نكحت قط قال فهل لك عيال كثيرة قال لا قال فهل أجبرك السلطان وعرض عليك العذاب وخوفك قال لا قال فضـــربت آباط الإبل من البصــرة إلى مصــر لغير حاجة ولا ضــرورة لله علي لا دخلت عليك ابداً فقال يا أبا هارون اقلني أنت بدأت بالمسـألة ولو سـكت لسـكت ثم انصـرف عنه ولم يعد إليه

بعدها وقال يونس رأيت في المنام قائلا يقول لي إن اسم الله الأكبر لا إله إلا الله ونقلت من كتاب المنتظم في أخبار من سكن المقطم قال في ترجمة يونس المذكور ومن حكاياته التي حكاها عن غيره أن رجلاً جاء إلى نحاس فقال له أسلفني ألف دينار إلى أجل فقال له النحاس من يضمن المبلغ قال الله تعالى فأعطاه ألف دينار فسافر بها الرجل

252 يتجر فلما بلغ الأجل أراد الخروج إليه فحبسه عدم الريح فعمل تابوتاً وجعل فيه ألف دينار وأغلقه وسمره والقاه في البحر فقال اللهم هذا الذي ضمنته لي فخرج صاحب المال ينتظر قدوم الذي معه المال فرأى سواداً في البحر فقال ايتوني بهذا فأتي بالتابوت ففتحه فاذا فيه ألف دينار ثم إن الرجل جمع ألفاً بعد ذلك وطابت الريح فجاء إلى النحاس وسلم عليه فقال له النحاس من أنت فقال أنا صاحب الألف هذه ألفك فقال النحاس لا اقبلها منك حتى تخبرني ما صنعت بها فأخبره بالذي صنع وأن الريح لم تطب فقال له النحاس قد أدى الله عز وجل عنك الألف ووصلت وله أخبار كثيرة وروايات ماثورة وكان يونس يروي للشافعي رضي الله عنه (ما حك جلدك مثل ظفرك * فتول أنت جميع أمرك) (وإذا قصدت لحاجة * فاقصد لمعترف بقدرك) وقال يونس قال لي الشافعي رضي الله عنه يا يونس دخلت بغداد قلت لا قال ما رأيت الدنيا ولا رأيت الناس وقال يونس سمعت من الشافعي

كلمة لا تسمع إلا من مثله وهي رضى الناس غاية لا تدرك فانظر ما فيه صـــلاح نفســك في أمر دينك ودنياك فالزمه وقال علي بن قديد كان يونس بن عبد الأعلى يحفظ الحديث ويقوم به وذكره أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسوي فقال هو ثقة وقال غيره ولد يونس في ذي الحجة ســـنة سبعين ومائة وتوفي يوم الثلاثاء ليومين

253 بقيا من شـــهر ربيع الآخر ســـنة أربع وســتين ومائتين وهي السنة التي مات فيها المزني رحمه الله تعالى وكانت وفاته بمصـر ودفن بمقابر الصـدف وقبره مشـهور بالقرافة (396) وأما أبوه عبد الأعلى فانه يكنى ابا سلمة وكان رجلا صـــالحاً ومن كلامه من اشـــترى ما لا يحتاج إليه باع ما يحتاج إليه وقال ولده يونس والأمر عندي كما قال وتوفي عبد الأعلى المذكور في المحرم ســـنة إحدى ومائتين ومولده سنة إحدى وعشرين ومائة (397) وأما ابنه ابو الحسن أحمد بن يونس والد أبي سعيد عبد الرحمن بن أحمد صـــاحب تاريخ مصـــر فان ابنه أبا ســـعيد عبد الرحمن بن أحمد ذكر في تاريخه أنه ولد في ذي القعدة سنة أربعين ومائتين وتوفي يوم الجمعة أول يوم من رجب سنة اثنتين وثلثمائة وقال هو عديد للصدف وليس من أنفس الصـــدف ولا من مواليهم والصـــدفي بفتح الصـــاد والدال المهملتين وبعدهما فاء هذه النسبة إلى الصدف بكسر الدال وذكر السهيلي أنه بكسر الدال وفتحها وإنما فتحوا الدال في النســـب مع كســـرها في غير النســـب كي لا يوالوا بين

كســـرتين قبل ياءين كما قالوا في النســـبة إلى النمر نمري وغير ذلك واختلفوا في اســـم الصـــــدف فقيل هو مالك بن ســـهيل بن عمرو بن قيس هكذا قاله القضـــاعي في كتاب الخطط وزاد السمعاني في كتاب الأنساب على هذا النسب فقال الصـــدف بن ســـهيل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس ابن وائل بن الغوث بن حيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن هميسـع ابن حمير بن سـبأ وقال الدارقطني واسم الصدف شهال بن دعمي بن زياد بن حضرموت وقال الحازمي في كتاب العجالة في النسب هو

254 عمرو بن مـالك والله أعلم وقـال القضــــاعي دعوتهم مع كندة وإنما ســمي الصـدف لأنه صـدف بوجهه عن قومـه حين أتـاهم ســـيـل العرم فـأجمعوا على ردمـه فصدف عنهم بوجهه تلقاء حضرموت فسمي الصدف وقيل إنما ســمي الصــدف لأنه كان رجلا شــجاعاً لا يذعن لأحد من العرب فبعث إليه بعض ملوك غســان رســولا ليقدم به عليه فعدا على الرسول فقتله وخرج هارباً فبعث الملك إليه رجلاً في خيل عظيمة فكان كلما جاء حياً من أحياء العرب سـأل عن الصــدف فيقولون صــدف عنا وما رأينا له وجهاً فســـمي الصـــدف من يومئذ ثم لحق بكندة فنزل فيهم قال أرباب علم النسب أكثر الصدف بمصر وبلاد المغرب والله أعلم قلت قد خرجنا عن المقصـــود لكنه ما يخلو عن فائدة

&&854رضي الدين الإربلي أبو الفضل يونس بن محمد بن منعة بن مالك بن محمد بن سعد بن سعيد بن عاصم بن

عائد بن كعب بن قيس الملقب رضـــــي الدين الإربلي والد الشـــيخين عماد الدين ابي حامد محمد وكمال الدين أبي الفتح موسى وقد تقدم ذكرهما قلت هكذا وجدت نسبه بخط بعض اصـــحابنا المتأدبين ولم أعلم من اين له هذه الزيادة والذي أعرفه من نســـبه هو الذي ذكرته في ترجمة ولديه والله أعلم كان الشيخ يونس المذكور من اهل إربل ومولده بها وقدم الموصل

255 فتفقه بها على تاج الإسلام أبي عبد الله الحسين بن نصـــر المعروف بابن خميس الكعبي الجهني المقدم ذكره وسمع عليه كثيراً من كتبه ومسموعاته ثم انحدر إلى بغداد وتفقه بها على الشيخ أبي منصور سعيد بن محمد بن عمر المعروف بابن الرزاز مدرس النظامية ثم أصعد إلى الموصل وتديرها وصادف بها قبولا تاماً عند المتولي بها الأمير زين الدين أبي الحســـن علي بن بكتكين والد الملك المعظم مظفر الدين صـــاحب إربل المقدم ذكره في حرف الكاف وفوض له تدريس مسجده المعروف به وجعل نظره إليه فكان يدرس ويفتي ويناظر وتقصـده الطلبة للاشـتغال عليه والمباحثة مع ولديه المذكورين ولم يزل على قدم الفتوى والتدريس والمناظرة إلى أن توفي بالموصـــل يوم الاثنين ســادس المحرم ســنة ست وســبعين وخمســمائة وسمعت بعض خواصهم يقول توفي سنة خمس وسبعين وأما ولده الشيخ كمال الدين فكان يقول بل توفي سنة ست وسبعين وهو أعلم بذلك ودفن بتربته المجاورة لمسجد زين

الدين المذكور رحمه الله تعالى وكان عمره ثمانياً وستين سنة وقد تقدم ذكر حفيده ايضاً شرف الدين أحمد بن الشيخ كمال الدين موسى بن يونس المذكور رحمهم الله تعالى وعلى الجملة فإنه خرج من بيتهم جماعة من الفضلاء وانتفع بهم أهل تلك البلاد وغيرهم وكانوا مقصودين من بلاد العراق والعجم وغيرها رحمهم الله تعالى أجميعن وله شعر فمن ذلك قوله (لها زورة في كل عام وتارة * تمر شهور الحول لا نتجمع) (وصال وصد لا لشيء سوى انها * على خلق الدنيا تجود وتمنع) وله غير ذلك والله أعلم

256 يونس المخارقي يونس بن يوسف بن مساعد الشيباني ثم المخارقي شيخ الفقراء اليونسية وهم منسوبون إليه ومعروفون به وكان رجلاً صالحاً وسألت جماعة من أصحابه عن شيخه من كان فقالوا لم يكن له شيخ بل كان مجذوباً وهم يسمون من لا شيخ له بالمجذوب يريدون بذلك أنه جذب إلى طريق الخير والصلاح ويذكرون له كرامات أخبرني الشيخ محمد بن أحمد بن عبيد كان قد رآه وهو صغير وذكر أن أباه أحمد كان صاحبه فقال كنا مسافرين والشيخ يونس معنا فنزلنا في الطريق على عين بوار وهي التي يجلب منها الملح البواري وهي بين سنجار وعانة قال وكانت الطريق مخوفة فلم يقدر أحد منا أن ينام من شدة الخوف ونام الشيخ يونس فلما انتبه قلت له كيف قدرت تنام فقال لي والله ما نمت حتى جاء إسماعيل بن إبراهيم عليهما

السـلام وتدرك القفل فلما اصـبحنا رحلنا سـالمين ببركة الشيخ يونس قال وعزمت مرة على دخول نصيبين وكنت عند الشـيخ يونس في قريته فقال إذا دخلت البلد فاشـتر لأم مساعد كفناً قال وكانت في عافية وهي أم ولده فقلت له وما بها حتى نشـتري لها كفناً فقال ما يضـر فذكر أنه لما عاد وجدها قد ماتت وذكر له غير هذا من الأحوال والكرامات
257 وأنشـد له مواليا وهو (أنا حميت الحمى وأنا سـكنتو فيه * وأنا رميت الخلايق في بحار التيه) (من كان يبغي العطا مني أنا أعطيه * انا فتى ما أداني من به تشبيه) وذكر لي الشـيخ محمد المذكور أن الشـيخ يونس توفي سـنة تسع عشـرة وسـتمائة في قريته وهي القنية من أعمال دارا وهي بضـم القاف وفتح النون وتشـديد الياء المثناة من تحتها تصغير قناة وقبره مشهور بها يزار وكان قد ناهز تسعين سنة من عمره رحمه الله تعالى
258 قال المصنف ما مثاله نجز الكتاب الذي سميته وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان بحمد الله ومنه وذلك في يوم الاثنين العشـرين من جمادى الآخرة سـنـة اثنتين وسبعين وستمائة بالقاهرة المحروسة يقول الفقير إلى الله تعالى أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان مؤلف هذا الكتاب :
إنني كنت قد شـرعت في هذا الكتاب في التاريخ المذكور في أوله على الصـورة التي شـرحها هناك مع اسـتغراق الأوقات في فصـل القضـايا الشـرعية والأحكام الدينية

بالقاهرة المحروسة فلما انتهيت فيه إلى آخر ترجمة يحيى بن خالد ابن برمك حصلت لي حركة إلى الشام المحروس في خدمة الركاب العالي المولوي السلطاني المجاهدي المرابطي المفاخري المؤيدي المنصوري الغياثي المنعمي المحسني الملكي الظاهري ركن الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين أبي الفتح بيبرس قسيم أمير المؤمنين خلد الله سلطانه وشيد بدوام دولته قواعد الملك وثبت أركانه وكان الخروج من القاهرة المحروسة يوم الأحد سابع شوال سنة تسع وخمسين وستمائة ودخلنا دمشق يوم الاثنين سابع ذي القعدة من السنة المذكوره وقلدني الأحكام بالبلاد الشامية يوم الخميس ثامن ذي الحجة من السنة المذكورة فتراكمت الأشغال وكثرت الموانع الصارفة عن إتمام هذا الكتاب فاقتصرت على ما كنت قد اثبته من ذلك وختمت الكتاب واعتذرت في آخره بهذه الشواغل عن إكماله وقلت إن قدر الله تعالى مهلة في الأجل وتسهيلا في العمل أستأنف يكون كتاباً جامعاً لجميع ما تدعو الحاجة إليه في هذا الباب

259 ثم حصل الانفصال عن الشام والرجوع إلى الديار المصرية وكان مدة المقام بدمشق المحروسة مدة عشر سنين كوامل لا تزيد يوماً ولا تنقص يوماً فاني دخلتها في التاريخ المذكور وخرجت منها بكرة نهار الخميس ثامن ذي القعدة من سنة تسع وستين وستمائة فلما وصلت إلى القاهرة صادفت بها كتبا كنتً أوثر الوقوف

عليها و ما كنت أتفرغ لها فلما صـــرت أفرغ من حجام
ســـاباط بعد أن كنت أشـــغل من ذات النحيين كما يقال في
هذين المثلين طالعت تلك الكتب وأخذت منها حاجتي ثم
تصـــديت لإتمام هذا الكتاب حتى كمل على هذه الصـــورة
وأنا على عزم الشـــروع في الكتاب الذي وعدت به إن قدر
الله تعالى ذلك والله يعين عليه ويســـهل الطرق المؤدية إليه
فمن وقف على هذا الكتاب من أهل العلم ورأى فيه شـــيئاً
من الخلل فلا يعجل بالمؤاخذة فيه فاني توخيت فيه الصحة
حسبما ظهر لي مع أنه كما يقال أبى الله أن يصح إلا كتابه
لكن هذا جهل المقل وبذل الاســـتطاعة وما يكلف الإنســـان
إلا ما تصل قدرته إليه وفوق كل ذي علم عليم وقد تقدم في
اول هـذا الكتـاب الاعتـذار عن الـدخول في هـذا الأمر
والحامل عليه فأغنى عن إعادته ها هنا والله يســـتر عيوبنا
بســتر كرمه الضــافي ولا يكدر علينا ما منحنا من مشــرع
أغضائه النمير الصافي إن شاء الله تعالى.